T. C.
MİLLİ E... BAKANLIĞI
RAGIP P. ... KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 44

لا اله الا الله محمد رسول الله

تفسير التيسير
للنسفي

RAĞIP P.
Ka. Nu.
98

نومرو
٩٩

	سورة الفاتحة ٤	سورة البقرة ١٤	سورة آل عمران ١١٤	سورة النساء ١٥٠	سورة المائدة ١٨١	سورة الانعام ٢٠٥
	سورة الاعراف ٢٢٨	سورة الانفال ٦٠	سورة التوبة ٢٧٤	سورة يونس ٢٩٩	سورة هود ٣١٢	سورة يوسف ٣٢٢
	سورة الرعد ٣٤٢	سورة ابراهيم ٤٨	سورة الحجر ٣٥٣	سورة النحل ٣٥٨	سورة بني اسرائيل ٣٦٦	سورة الكهف ٣٧٦
	سورة مريم ٣٨٧	سورة طه ٣٩٤	سورة الانبياء ٤٠٢	سورة الحج ٤٠٩	سورة المؤمنون ٤١٦	سورة النور ٤٢١
سورة الفرقان ٤٢٩	سورة الشعراء ٤٣٤	سورة النمل ٤٣٩	سورة القصص ٤٤٥	سورة العنكبوت ٤٥١	سورة الروم ٤٥٥	سورة لقمان ٤٥٨
سورة السجدة ٤٦١	سورة الاحزاب ٤٦٤	سورة سبا [illegible]	سورة الملائكة ٤٧٦	سورة يس ٤٨٠	سورة الصافات ٤٨٤	سورة ص ٤٨٩
سورة الزمر ٤٩٥	سورة المؤمن ٥٠١	سورة السجدة [illegible]	سورة الشورى ٥١٠	سورة الزخرف ٥١٥	سورة دخان ٥١٨	سورة الجاثية ٥٢٠
سورة الاحقاف ٥٢٢	سورة محمد ٥٢٤	سورة الفتح ٥٢٦	سورة الحجرات ٥٣٠	سورة ق ٥٣٤	سورة الذاريات ٥٣٦	سورة الطور ٥٣٨
سورة النجم ٥٤٠	سورة القمر ٥٤٤	سورة الرحمن ٥٤٦	سورة الواقعة [illegible]	سورة الحديد ٥٥٤	سورة المجادلة ٥٥٧	سورة الحشر ٥٥٩
سورة الممتحنة ٥٦٢	سورة الصف ٥٦٤	سورة الجمعة ٥٦٥	سورة المنافقين ٥٦٦	سورة التغابن ٥٦٧	سورة الطلاق ٥٦٨	سورة التحريم ٥٧٠
سورة الملك ٥٧٢	سورة ن ٥٧٣	سورة الحاقة ٥٧٦	سورة المعارج ٥٧٧	سورة نوح ٥٧٨	سورة الجن ٥٧٩	سورة المزمل ٥٨١
سورة المدثر ٥٨٢	سورة القيمة ٥٨٥	سورة الدهر ٥٨٦	سورة المرسلات ٥٨٩	سورة النبأ ٥٩٠	سورة النازعات ٥٩١	سورة عبس ٥٩٣
سورة التكوير ٥٩٤	سورة الانفطار ٥٩٤	سورة التطفيف ٥٩[illegible]	سورة الانشقاق ٥٩٦	سورة البروج ٥٩٦	سورة الطارق ٥٩٨	سورة الاعلى ٥٩٨
سورة الغاشية ٦٠٠	سورة الفجر ٦٠١	سورة البلد [illegible]	سورة الشمس ٦٠٣	سورة الليل ٦٠٣	سورة الضحى ٦٠٤	سورة الانشراح ٦٠٥
سورة التين ٦٠٥	سورة العلق ٦٠٦	سورة القدر [illegible]	سورة البينة ٦٠٨	سورة الزلزال ٦٠٨	سورة العاديات ٦٠٩	سورة القارعة ٦٠٩
سورة التكاثر ٦١٠	سورة العصر ٦١٠	سورة الهمزة [illegible]	سورة الفيل ٦١١	سورة قريش ٦١٢	سورة الماعون ٦١٢	سورة الكوثر ٦١٣
سورة الكافرون ٦١٣	سورة النصر ٦١٣	سورة تبت ٦١٤	سورة الاخلاص ٦١٤	سورة الفلق ٦١٥	سورة الناس ٦١٦	

بسم الله الرحمن الرحيم • رب يسر ولا تعسر • رب تمم بالخير • وبه ثقتي وبه آتي •

الحمد لله الذي انزل القران شفاء ورحمة • وفضلا ونعمة وحكما وحكمة • وبيانا وبينة • وتخويفا وموعظة • وعبرا وبصيرة
وبصائر وتبصرة • وتذكيرا وتذكرة • وذكرا وذكرى • مبشرا وبشرى • وهاديا وهدى • وكتابا وقرآنا • وحبلا وفرقانا •
وحجة وبرهانا • وبلاغا وبيانا • ونبأ وقصصا • ومحكما وكلاما • ومستقيما وقيما • ومتشابها ومحكما • وقولا ثقيلا •
ومفصلا وتفصيلا • ومنزلا وتنزيلا • وصراطا وسبيلا • ومبشرا وموصلا • وامثالا ومثلا • ونجوما ونجما • وسفيا وعلما
ونصحا وحياة • وامرا ونهيا • وروحا ونورا • ومنارا مسطورا • وخبرا وحبلا • وحقا • وفصلا • وصدقا وعدلا • ومكتوبا
ومكنونا ومحفوظا • ومجيدا وعظيما • وعليا وحكيما • وعزيزا وكريما • وبشيرا ونذيرا • ومناديا ومنيرا • ومبينا ومبينا
ومصدقا ومهيمنا • واماما • ومتبوعا • ومعقولا • ومسموعا • ومباركا • وطيبا • وماء • وصيبا • وعربيا وعجبا • وآيات بينات
ومبينات • ومثاني وكلمات وحروفا مقطعات مثل ن وق وحمعسق وص والمص وكهيعص وطه والر
والمر وطس وطسم وحم والم في مائة اسم للقران بما فيه الذكر والبيان بها كلها سماه الله والى عبده المصطفى ورسوله
المجتبى محمد خير الورى صلى الله عليه وسلم اوحاه جمع له فيه العلوم وقسمه الجلي منه والمكتوم وعلى اسراره اوقفه وبينه لامته
كشفه وابرز مودعاته لهم باستنباط اعلام الصدر الاولى وبشربه الى الغوص في بحار غوره واستخراج درره سبل من خير
بعدهم فاول ذلك الحمد على نظام فرغه علينا في الدنيا والدين والصلوة على المصطفى محمد واله وصحبه ونقلة علمه الى يوم الدين •

قال الشيخ الامام الاجل الزاهد الاستاذ نجم الدين الائمة جمال الاسلام والمسلمين ابو حفص عمر بن محمد بن احمد النسفي رحمة الله عليه
طال ما سالتموني معاشر اهل العلم اتاكم الله سؤلكم وسهل الى المرادات وصولكم جمع كتاب في تفسير القران سهل ممتنع وجيز
تستجمع شغفا منكم بكلامي واستعذابا لنظامي وثقة باخباري ورضى بايرادي واصداري فوجدتم مني تأبيا باعذار وتأبيا
على جد او اعتلالا بان الكلام في كتاب الله شديد والامد فيها ناء بعيد والذهن في الكبر كليل والخاطر على ترادف العلل
عليل والشغل بوظائف الخاصة وحوادث العامة اناء الليل والنهار غير قليل وخطب تفرق القلب بكثرة العيال وقلة المال
جليل ثم رغبات الملتمسين في قدر ذلك الكتاب وكيفيته مختلفة والشهوات على نمط واحد منه غير مؤتلفة وارضاء الجميع
ممتنع ورجاء الاجتماع منقطع وهذا التعليل على هذا التطويل لم يفل حدكم ولم يفلل جدكم بل ابيتم مني الا الاجابة وعودا
والايجاب ارادة وورودا فما استرسلت الكم بعد الجماح واستشعرت الكم بخفض الجناح واستخرت الله تعالى في اسعافكم بمرادكم
واستعنته على مساعدتكم واسعادكم وشرعت فيه مستعينا بالله ومستخيرا وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق الثاني معنى التفسير والتاويل بين التقصير والتطويل والتاني على التوسط

فنقول التفسير علم نزول الاية وشأنها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها والاقوام الذين اريدوا بها ولا
بالسماع والتاويل صرف الاية الى معنى تحتمله موافق لما قبلها وما بعدها فاما ماخذهما فقد قال ثعلب التفسير ماخوذ من
قول العرب فسرت الفرس اذا ركضتها لينطلق حصرها فالتفسير كشف ظاهر الاية ليظهر مرادها وقال الماتريدي اصله من
التفسرة وهي الدليل من ماء العليل الذي ينظر فيه الطبيب فكما ان الطبيب بالنظر في الماء يكشف عن حال العلة فكذا المفسر
بالنظر في الدليل يكشف عن مراد الاية وقال نجم الدين الفسر البيان والفسر نظر الطبيب في الماء والتفسير كذلك وقيل هو
تفعيل من فسر وهو مقلوب من سفر وهو كقولهم جذب وجبذ اي مد وبض وضب الماء اي سال وقد سفرت المراة وجهها
اي كشفت واسفر الصبح اي اضاء ووجوه مسفرة اي مضيئة وسفر الارض اي كنسها فاظهر وجهها والسفر الكتاب الذي
والسفر يكشف عن اخلاق الناس والسفرة تكشف لما بينتاول لما فيها فعلى هذا يكون التفسير هو كشف المغلق المستور من المراد
بالظاهر المذكور والتاويل من الأول وهو الرجوع يقال اوّله فآل اي صرفه فانصرف فكان المراد بالتاويل هو صرف
الاية الى ما تحتمله من المعنى بالدليل وقال النضر بن شميل اصله من الايالة وهي السياسة يقال آل علينا اي ساسنا
وساسنا غيرنا فكان المؤول ساس الكلام والدر عليه ووضعه موضعه وعلى هذا يكون قوله التفسير للتعدية ويكون تفعيل
للترديد لا التعدية بل تشديد ومعناه انه تدليه بعد اية وسورة بعد سورة فالتفسير هو علم النزول لا يتكلم فيه الا بالسماع

والتاويل

للتاويل سائغ بالاستنباط بشرط موافقة النص والاجماع ولاهل العلم فيهما عبارات قيل التفسير كشف ظاهر الكلام
والتاويل كشف باطنه وبالفارسية تفسير روشن كردن روى سخن است والتاويل بيدا كردن مغز سخن است وقيل
التفسير بيان اول الكلام والتاويل بيان اخره وبالفارسية تفسير من كشايش را وتاويل من نمايش را وقيل التفسير
المحكمات والتاويل المتشابهات وقيل علم التفسير للخلق وعلم التاويل للحق قال الله تعالى وما يعلم تاويله الا الله وهو
مما يرجع الى التاويل الغيب الذي يبهمه الله كالساعة متى وقوعها واشراطها متى ظهورها وقيل التفسير ما لا يختلف فيه
والتاويل ما اختلف فيه ثم اختلف الناس في جواز الخوض فيهما فقال قوم لا يجوز تفسير القران بشيء الا ان يرد به نقل صحيح
رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في القران برايه فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه
السلام من قال في القران برايه فاصاب فقد اخطأ وسئل ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن تفسير قوله تعالى وفاكهة وابا فقال
اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى بما لا علم لي به وفي رواية قال اذا قلت في اية من كتاب الله تعالى بغير
ما اراد الله بها وقال ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه ما استبان لك فاعمل به واشتبه عليك فآمن به وكله الى عالمه
وعامة اهل العلم على جوازه لقوله تعالى افلا يتدبرون القران وهو حث على التامل فيه والوقوف على معانيه وقال تعالى لعلمه
الذين يستنبطونه منهم وقال لتبين للناس ما نزل اليهم وقال تبيانا لكل شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما يرفع من الارض
العلم قالوا يا رسول الله ايرفع القران قال لا ولكن يموت من يعلم تاويله ويبقى قوم يتاولونه على اهوائهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه
من اراد العلم فليثور القران فان فيه علم الاولين والاخرين وقال الحسن رضي الله عنه ما انزل الله تعالى اية الا واراد تعالى ان
يعلم العباد ما عنى بها وقال علي رضي الله تعالى عنه ما من شيء الا وعلمه في القران ولكن راي الرجال يعجز عنه وقال الحسن انزل الله
تعالى مائة واربعة كتب من السماء اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم هذه
الاربعة القران ثم اودع علوم القران المفصل ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب ثم اودع علوم فاتحة الكتاب
بسم الله ثم اودع علوم بسم الله بآءه ومعناه بي كل ما كان وبي كل ما يكون فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة
وقال الحسين بن الفضل البجلي المفسر قرات كتاب الله تعالى من اوله الى اخره ثمانيا وعشرين الف مرة سوى ما استغفر الله منها من مرة
الا وعثرت على نوع جديد من العلم ورايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابا علي انك تعيش مائة وثلاثين سنة قال فعاش
مائة وثلاثين سنة وروى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القران ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن وجوهه
فقوله ذلول له وجهان احدهما انه يسكن القراءة ينطق بجميع الالسنة والثاني انه واضح المعاني حتى لا تقصر عنه افهام المجتهدين فيه
وقوله ذو وجوه له وجهان احدهما ان نظم كلماته يحتمل من التاويل وجوها مناسبة لاعجازه والثاني انه يجمع وجوها من الامر والنهي
والوعد والوعيد والتحريم والتحليل وقوله فاحملوه على احسن وجوهه له وجهان احدهما اي احملوا تاويله على احسن معانيه والثاني
اي اعملوا باحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتصاف ومثاله دليل جواز الاستنباط وقال ابن عباس رضي الله
عنهما التفسير على اربعة اوجه وجه تعرفه العرب بكلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
الا الله تعالى قالوا فالاول هو حقائق اللغة وموضوع الكلام والثاني نحو التوحيد واصول الشرع والثالث فروع الاحكام وتاويل
المجمل والرابع الغيوب من وقت قيام الساعة ووقت ظهور اماراتها وما لا يعذر احد بجهله فهو فرض عين وما يختص بالعلماء فرض كفاية
واما الجواب عن احتجاجهم بقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فمعناه من حمله على ما يتراءى له من خاطره ولم يحمل على نحو اهل
القاطبة بدلائله فاصاب الحق فقد اخطأ الدليل وقيل الراي نوعان راي يتراءى من هاجس نفس وهو الظن والحسبان وذلك هو
المزجور عنه في القران وراي ينشأ من عقل كامل وعلم باهر وتاييد من الله تعالى ظاهر وهو الاستنباط المعهود والراي المحمود وقال الامام
ابو منصور الماتريدي رحمه الله انكر بعض السلف ثبوت هذا الخبر فقد ثبت من الائمة تفسير القران والقول فيه وللناس حاجة الى معرفته
والذين اقروا بصحته اختلفوا في تاويله فقال بعضهم التفسير بالراي هو ان يحمله المرء على ما يراه بعقله دون التحقيق عن الغوص
على الدليل قال وقيل هذا الوعيد في حق من يقطع القول بصحة ما اداه اليه اجتهاده وقد يبدو له فيرجع فاما من قال يحتمل هذا
ويقول ان كان خطأ فمني وان كان صوابا فمن الله تعالى فهذا لا باس به قال وقيل هو ان يجعل رايه معيارا للحاجة في القران يبني عليه
مذهبه قال رضي الله عنه وهو كحمل المعتزلة النظر في قوله تعالى الى ربها ناظرة على انتظار الكرامة دون الرؤية وحملهم الاضلال
المذكور من الله تعالى على التسمية دون الايجاد قال وقيل هو في المتشابه الذي ليس للناس حاجة الى معرفة ما فيه قال وقيل النهي
عن التفسير دون التاويل وبينهما فرق فالتفسير هو الاخبار عن شان من نزل فيه وعن سبب نزوله وذلك علم من شهد ذلك فهو
يقول فيه بالعلم وهو بالراي والتاويل هو تبيين ما يحتمله اللفظ من المعاني وقد جعل الله القران اصلا لجميع ما يقع به البلوى
من النوازل الى قيام الساعة فكل جميع ما جاء عن الائمة وبني الفقهاء عليه فهو تاويل لا تفسير قال والتفسير تبيين حقيقة ذلك والتاويل
تبيين المقصود منه فان في اللغة صرف الكلام الى ما يؤول اليه والتفسير يكون ذا وجه والتاويل ذو وجوه وهذا كله مختصر كلام الامام
ابي منصور رحمه الله وقال الامام نجم الدين رحمه الله وقد ذكرنا لكل واحد منهما امثلة في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا انهما الاوس والخزرج
وفي قوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد انهم فارس واهل اليمامة وفي قوله ومن الناس من يعجبك قوله هو الاخنس بن شريق
وفي قوله ومن الناس من يشري نفسه هو صهيب فهذا ونحوه من التفسير ولا يتكلم فيه الا بالسماع وفي قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا
قال بعضهم شبابا وشيوخا وقال اخرون فقراء واغنياء وقال قوم اي عزابا ومتاهلين وقال الجماعة اي اصحاء ومرضى وقالت طائفة

اى نشاطا وغير نشاط فهذا من التاويل وكله جائز مقبول ولا باس بالقول به ما وافق الاصول ولم يخالف المعقول قال الكلام فى قوله
قبل قراة القران العظيم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال اهل المعرفة هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين
ومعقل المجرمين وملجا الهاربين ومباسطة المحبين ومراسلة القول رب العالمين فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ونزولها كان عند القاء الشياطين فى تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم ما قص الله تعالى فى كتابه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا
اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته وسياتيكم بيانه ان شا الله تعالى فى موضعه وبالله العصمة والتوفيق ومعنى اعوذ التجى وقيل
استعصم وقيل استجير وقيل استعين وقيل استغيث وفارسيته نياه ميخواهم ونكاه داشت ميخواهم وامان ميخواهم
ويارى ميخواهم ودرباد ميخواهم والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ واللياذ والصوم والصيام وقيل هو الاستجارة بذى منعة
وقيل هو الاستعانة عن خضوع وقيل هو ماخوذ من العوذ بضم العين وتشديد الواو وهو كل نبت فى اصل شجرة يستتر بها قال الشاعر
خليلى خليا فى لم يتوجها • من القلب الا عوذا سينالها • فعلى هذا العوذ هو التستر بستر الله الجميل والتبوء فى ظل حمايته الظليل
وقيل هو من العوذ بهذه الصيغة وهو اللحم الذى يلصق بالعظم يقال اطيب اللحم عوذه فعلى هذا العوذ هو الانقطاع عن غير الله تعالى
والاتصال بالله تعالى وقول القائل اعوذ اخبار عن فعله وهو فى التقدير سوال الله تعالى من فضله اى اعذنى يا رب كما يقول القائل
استغفر الله اى اغفر لى يا رب وهو احترام واستعظام وانبساط واجترام ولولا سبق الامر به لم تتيسر الاقدام ثم هذا الامر
عند بعض الناس يقتضى وجوب الاستعاذة بعد الفراغ من القراة فان الفاء للتعقيب وعند عامة الناس هو قبل القراة
ومعنى قوله فاذا قرات القران كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله تعالى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
وهذا اخبار ثابت بالبديهة فان الاستعاذة للتحرز عن وسوسة الشيطان عند قراة القران وذلك بالتقديم لا بالتاخير وهذا
شائع فى اللغة قال الشاعر • اذا اكلت فابدئى باليمنة • وذلك مقدم لا موخر وقال بعض اهل الالحاد انكم رويتم عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ليهرب من البيت الذى يقرا فيه القران فاى حاجة الى الاستعاذة قلنا عنه اجوبة
احدها انا تعبدنا به فلا عدول عنه بمثل هذا والثانى ان هذا الوعد فى حق من قراه وعمل به فقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا لم ينهك القران فلست تقاريه وفى العمل به خلل فلا تثق بنيله فلا يستغنى عن سواله والثالث ان الشيطان يجهد ان يصرفه
عن هذه العزيمة فيندفعه بالاستعاذة واسعى ما يكون الشيطان فى افساد حال الانسان عند قصده مكالمة الرحمن فيجتهد فى دفع
شره بالاستعاذة الان والرابع ان الغرض بما قال جعفر الصادق التعوذ تطهير الفم عن الكذب والغيبة والبهتان تعظيما
لقراة القران اذ هو الاستيذان لمكالمة الله تعالى بالقران وقالوا ايضا اذا اعذتم بالله من الشيطان الرجيم عند قراة القران بلا رفع
الخطا والتبرؤ والابتلاء بالعصيان وقلنا حفظ الله عند العياذ بالله موعود على التقوى والتذكر والابصار قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فمن اخل بهذه الشروط لم ينل ما هو الموعود ومثال من استعاذ
بالله من الشيطان ثم اتبعه اذا دعاه للعصيان مثال التاجر يخرج الى السفر بمال خطير كبير ويلتجئ فى حفظه بخفير حقير

اهل النحو والحسين بن الفضل البجلى من اهل التفسير ومحمد بن الحسن من ايمة الفقه والشافعى من اهل الحديث وجماعة
هو غير مشتق وهو اسم تفرد الله به وهو اسم الله له خاص قال الله تعالى هل تعلم له سميا جا فى التفسير ان معناه هل تعرف احدا تسمى الله
وقال الاخرون هو مشتق ومنهم من قال اشتقاقه من وله يوله ولها اذا فزع ولجا قال الشاعر • برزنا التردى والغرانيب ركع •
وقد صيرت راس الاسنة سجدا • ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى • فالفيتكم فيها كراما مجدا • فمعناه ان الخلق يلجاون ويفزعون
اليه فى حوايجهم ومنهم من جعله من الوله الذى هو التحير والواله الحيران لفقد الولد ونحوه والوله شدة الشوق ايضا قال الشاعر
• ولهت نفسى الطروب اليكم • ولها حال دون طعم المطاعم • ومعنى الاسم ان الخلق متحيرون فى عظمته والهون من الشوق الى رؤيته
فعلى هذا اصل الاسم ولاه ابدلت الواو همزة كما قالوا وشاح واشاح فقيل اله ثم دخلته الالف واللام فقيل الاله ثم حذفت الهمزة
تخفيفا فقيل الله ومنهم من جعل الاسم من اله باله اى دام وثبت يقال اله بالمكان اى دام واقام قال الشاعر • الهنا بدار
لا تبين رسومها • كان بقاياها وشام على اليد • ومعنى الاسم انه القديم الازلى الدائم الابدى قال الشاعر والله الهك واحدا متفردا •
وتاله بتاله اى تتعبد ومنهم من جعله من اله باله الاهة اى عبد وفى قراة بعضهم ويذرك والهتك اى عبادتك قال الشاعر
لله در الغانيات المدهى • سبحن واسترجعن من تالهى • ومعنى الاسم انه يحق له العبادة ومنهم من جعله من قولهم اله فلان
اليه اى رجع اليه واعتمد عليه قال الشاعر • الهت اليها والركائب وقف • ومعنى الاسم ان رجوع الخلق اليه وتوكلهم عليه ومنهم من
جعله من الاله الذى هو التحير قال الشاعر • وبيدا تيه تاله العين وسطها • بحلقة غبراصرما سملق • ومعناه ما قلنا فى الوله
ومنهم من جعله من قولهم الهت اليه اى سكنت اليه قال الشاعر • الهت اليها والحوادث جمة • ومعنى الاسم ان قلوب الخلق تسكن
بذكره قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب ومنهم من جعله من لاها اى ارتفع والعرب تسمى الشمس الهة لارتفاعها قال الشاعر • تروحنا
من الدهنا ارضا • واعجلنا الالهة ان تؤوبا • ومعنى الاسم انه العلى العظيم فعلى هذه الوجوه اله فعال على اصل الكلمة من غير ابدال
همزة عن واو ثم حذفت الهمزة مع الالف واللام لما مر ومنهم من جعله من لاه يلوه اى علا ومعناه انه العلى العالى المتعالى ومنهم
من جعله من لاه يلوه ولاه يليه اى احتجب قال الشاعر • لاهت توافق عين الناس رؤيتها • ونحن نلنا المنى لما انتباها لاهت
فما عرفت يوما بخارجة • يا ليتها خرجت حتى رايناها • ومعناه انه محجب بصار اهل الدنيا عن رؤيته وموعد المومنين لقاؤه
ويوم فى جنته فعلى هذين الوجهين قولنا الله هو على الاصل من غير حذف وقد ورد ايضا بهذه الصيغة فيما لا يمنع اوله الف ولام
قال الشاعر • يسمعها الاهه الكبار • وقال اخر فى الندبة • لاهم ان جرهما عبادك • الناس طرف وهم تلادك • فهذه عشرة اوجه
فى الاشتقاق وبقى وجه لطيف غريب قيل كان اصله هاء الكناية وذلك انهم اشاروا اليه بما وضع فى نفوسهم من دلالة
الفطرة اذ لم يعلموا له اسما مسموعا ثم ادخلوا عليه لام الملك فصار له يعنون له الخلق والامر ثم مدوا بها اصواتهم تعظيما
فقالوا لاه ثم وصلوه بالالف واللام للتفخيم فصار الله ومن النحويين من قال ادخلت الالف واللام فيه بدلا من الهمزة المحذوفة
منه فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة ولهذا لم تسقطا عند الندا يا الله كما سقطتا من غيره من الاسما يا رحمن يا رحيم ونحو ذلك كعب
الاحبار قال كان داود عليه السلام الها الوها اى مولها بمقاله فى كل احواله الهى الهى وقال جعفر الصادق فى هذا الاسم ابرزه الله
من غيبه الى قوله ومن قوله الى قلمه ومن قلمه الى لوحه ومن لوحه الى وحيه ومن وحيه الى انبيائه سكينة لقلوب اوليائه
وقولنا من الشيطان كلمة من فى اللغة لاشيا وهاهنا تكون لاحد معان ثلاثة اما للابتدا كما فى قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض
الناس واما للانتقال كما فى قوله تعالى وما هم بخارجين منها واما للتعدية فان وقوع هذا الفعل على الاسم المذكور بعده يختص
بهذه الكلمة لغة وتحقيق المعنى الاول والثانى ان العوذ يبدا بالانفصال من الشيطان ويتم بالاتصال بالله وهو اشتغال الى الرجوع
الى الله والشيطان هو ابليس وفى اشتقاقه عشرة اقاويل احدها انه من الشطون وهو البعد قال الشاعر • فاضحت بعدما وصلت
بدار شطون لا تعاد ولا تعود • ومعناه المبعد من الرحمة والثانى انه من قولهم شاط يشيط اى هلك قال الاعشى شعر
• قد نطعن العير فى مكنون فائله • وقد يشيط على ارماحنا البطل • ومعناه الهالك فى الدارين والثالث انه من قولهم شيط
الشى اذا احرقه واستشاط غضبا اى احترق ومعناه اى المحترق فى الدنيا بنار الفرقة وغدا بنار العقوبة والرابع انه من قولهم
بئر شطون اى عوج ومعناه العصى الابى والخامس انه من الشطن وهو الحبل الطويل المديد ومعناه المتمادى فى الطغيان
المتمادى فى العصيان والسادس انه من قولهم فرس شيطان اى مرح نشيط ومعناه المتكبر المترفع والسابع ان الشيطان هو العاتى
المتمرد من كل جنس ولذلك تسمى الحية شيطانا قال الله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين اى الحيات وقال الجرير شعرا ايام يدعوننى
الشيطان من غزلى • وهن يهويننى اذ كنت شيطانا • والثامن انه من قولهم شيط اللحم اى دخنه من الدخان ولم ينضجه ومعناه
انه مفسد كل شى وما به صلاح شى والتاسع انه من قولهم فرس شياط اى يميل يمنا ومعناه انه يميل خبثا ونكرا ومكرا وشرا
والعاشر انه من قولهم شاط اى بطل ومعناه انه الباطل عمله الخائب امله واذا جعل اشتقاقه من الشطون والشطن فهو فيعال
واذا جعلته من الشيط والتشييط والشياط فهو فعلان والاصح الاول لان الشاعر اخرجه على لفظ الفاعل بالنون فقال
• ايما شاطن عصاه عكاه • ورمى فى القيد والاغلال • وقولنا الرجيم قال الكسائى هو المشتوم من قوله تعالى لولا رهطك لرجمناك
اى شتمناك قيل هو المهلك باقبح وجه ماخوذ من الرجم بالحجارة لانه اقبح القتلات وقيل هو من الرجم وهو الرمى قال تعالى
رجما بالغيب اى رميا ثم هو فعيل بمعنى الفاعل عند بعضهم ومعناه انه يرمى بنى ادم بالدواهى والبلايا ومعنى المفعول عند
اخرين ومعناه انه يرمى من السموات بالقاء الملائكة حين لعن وقيل انه المرمى بشهب السما اذا قصدها قال الله تعالى وجعلناها

رجوما للشياطين ثم هذه صفة مذمومة للشيطان وله في القرآن اسماء مشومة وصفات مذمومة وهي ابليس والشيطان والغرور
في قوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور والوسواس والخناس والكافر وكان من الكافرين والصاغر فاخرج انك من الصاغرين والمارد
من كل شيطان مارد والمريد الا شيطانا مريدا والطائف طائف من الشيطان والفاتن لا يفتننكم الشيطان والملعون وان عليك لعنتي
والمذموم والمذؤم والمدحور قال اخرج منها مذؤما مدحورا والمقذوف ويقذفون من كل جانب دحورا والكفور وكان الشيطان
لربه كفورا والخذول وكان الشيطان للانسان خذولا والعصي وكان للرحمن عصيا والعدو ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
والمضل عدو مضل مبين ومن صفاته وافعاله ابى واستكبر قال انا خير منه قال لم اكن لاسجد فازلهما الشيطان انما استزلهم
الشيطان ففسق عن امر ربه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور كما اخرج ابويكم من الجنة فانساه الشيطان وما
انسانيه الا الشيطان اني مسني الشيطان بنصب وعذاب القى الشيطان في امنيته نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان الشيطان
ينزغ بينهم استحوذ عليهم الشيطان وازين لهم الشيطان اعمالهم الشيطان سول لهم واملى لهم انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة انما يامركم بالسوء والفحشاء يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير يتخبطه الشيطان من المس كالذي استهوته الشياطين من همزات الشياطين
لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاحتنكن ذريته لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم الاية فبعزتك لاغوينهم
ثم اجمع الاسماء المجازية ومساويه هو الرجيم فانه لو جعل بمعنى الراجم كان جامعا لجميع ما يقع منه الجنايات ولو جعل بمعنى
المرجوم كان شاملا لجميع ما يقع عليه من العقوبات فلذلك ذكر في الاستعاذة منه هذا الاسم دون غيره من الاسماء والصفات
ثم هذه الاستعاذة اوجه الاستعاذات والناس فيها اختيارات وردت بها روايات روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
اعوذ بعفو الله العظيم من عذابه الاليم ومن همزات الشياطين ان الله هو السميع العليم وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه كان يقول اعوذ بالله الواجد الماجد من كل عدو وحاسد ومن كل شيطان مارد ان الله هو السميع العليم وعن عمر رضي الله تعالى عنه
انه كان يقول اعوذ بالله المعين من الشيطان اللعين الى يوم الدين وعن عثمان رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اعوذ بالله من الشيطان
والكفر والطغيان وهو المنعم المستعان وعن علي رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم وكان الحسن والحسين وابو ذر واسامة وعمار رضي الله تعالى عنهم يقولون اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم
وكان محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه يقول اعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول اعوذ بالله
من الشيطان المتكبر ان الله هو السميع العليم ومن القراء السبعة من يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومنهم من
يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم ومنهم من يقول اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ومنهم من يجمع بين العظيم
والسميع والعليم ومنهم من يقول استعيذ بالله ومنهم من يقول نستعيذ بالله والمختار هو قول الجمهور اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
قال يعني المص ولي فيه حديث مسلسل ينتهي الى عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عن ميكائيل عن اسرافيل انه اخذه من اللوح هكذا ثم التعوذ بافتتاح قراءة القرآن وبالمعوذتين ختم سور القرآن فيرجى بذلك
حفظ ما بينهما وفي اخذ الميثاق خاطب الله تعالى العبد بقوله الست بربكم وعند النزع يخاطبه بقوله يا ايتها النفس المطمئنة
فيرجى بذلك عفو ما بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في حق هذه الامة انا قائدها وعيسى سائقها فيرجى بذلك نجاة
ما بينهما وتلي التعوذ التسمية وهي بسم الله الرحمن الرحيم وانتظام هذه بذلك ان التعوذ بالله هو التحفظ بذكر الله
ولذلك ورد الخبر باستحباب هذا التعوذ اعوذ بكلمات الله التامات ومنها هذه الاسماء الثلاثة العظيمة وقيل الجامع بينهما
كانه يقول في التعذر اعوذ بالله وانا موسوم بسمة الله وهي فطرة الله وصبغة الله وهما التكوين والكون والتلوين واللون
فايمان بالمخلوق والله تعالى منزه عنهما افريدت بي جكونه وبي جكونه وافريشت بنده باجكونه وبرجكونه وجامع اخرى بينهما
قال ابن عباس رضي الله عنه اجلال القرآن اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وقال النبي
صلى الله عليه وسلم مفتاح القرآن التسمية وروي ان اول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم وانها اول
ما نزل على آدم وانها امان اهل السموات والارضين وانها كلمة جواز من الله وانه خاتم الله لعباده الموحدين وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للصبي
وبراءة لابويه وبراءة للمعلم من النار وعن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم الى المشرق وسكنت
الرياح وهاج البحر واصغت البهائم اذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله عز وعلا بعزته لا يسمى اسمه على شيء
الا شفاه ولا يسمى اسمه على شيء الا بارك عليه ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا يجعل الله تعالى بكل حرف
منها جنة له من نار كل واحد منهم وقال بعض اهل المعرفة التسمية كلمة قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع
الولاية ووصلة قربية لاهل العناية ورحمة خاصية لاصحاب الجناية وقوله بسم الله الباء حرف تضمين والصاق
ولها وجوه خمسة احدها انه يتصل بما تقدم اعوذ بسم الله اعوذ بالله والثاني انه يتصل بامر مضمر او اخبار مضمر الامر
ابدأ للواحد وابدؤا للجمع والاخبار ابدأ انا ونبدأ نحن والاخبار اولى لتوافق ما قبله اعوذ وابدأ والثالث ان معناه
ايمن واتبرك واستعين واستثبت بسم الله والرابع بسم الله كان ما كان ويكون ما يكون ويحكى عن جعفر الصادق انه قال

اودع الله علوم الكتب القرآن واودع علوم القرآن الفاتحة واودع علوم الفاتحة التسمية واودع علوم التسمية الباء
اي بي كان ما كان ويكون ما يكون وقيل كشفه بالحسنة عرفه العارفون وبلطفه ارتزق العالمون وبرحمته نجا المذنبون
وقيل كشفه بالله سلبت قلوب اوليائه عما ليس فيه رضى الله وبالرحمن سعت نفوس عباد الله في خدمة الله وبالرحيم تخلصت
ارواح اصفياء الله عما يوجب سخط الله والخامس انه خبر مبتدأ مضمر اي هذا بسم الله كقوله سورة انزلناها اي هذه سورة
كتاب انزلناه اي هذا كتاب ثم اللطيفة في ان هذه الوجوه التي بينا اضمارها لم تظهر وبذكر تلك الكلمات لم يبدأ
ان تكون البداية بسم الله فلا يكون افتتاح كلام القارئ بذكر فعل نفسه بل بذكر اسم ربه قال فلا يستفتح باحسن من
اسم الله كلام ولا يستنجح باعظم من فضله مرام تبارك الله ذو الجلال والاكرام وقيل معناه بقوة الله قدرت ان ابدأت
وهو معنى قولنا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال ابو بكر الوراق بدأ الله كتابه بذكر بسم الله والحمد لله كانه قال
الاشياء بي وجودها وله ملكها ثم انما طولت هذه الباء دون سائر الباءات لوجوه ثلاثة احدها انه عليه الصلاة والسلام
امر بذلك فيما روي لنا باسناد عن مكحول الشامي قال قال معاوية كنت اكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا معاوية الق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
والثاني ما قاله القتيبي انهم لم يروا ان يفتتحوا كتاب الله الا بحرف مفخم معظم والثالث انهم اسقطوا الالف من الاسم فردوا
طول الالف على الباء ليكون دلالة على سقوط الالف منه وانما اسقطوها ههنا لكثرة دورها على الالسنة وفي الكتابة طلبا
للخفة وفي قوله اقرأ باسم ربك وقوله فسبح باسم ربك العظيم لم يوجد هذا فلم يحذف الالف ولم تطول الباء ثم انما كسرت
الباء مع انها حرف واحد والحروف المفردة مفتوحة كالتاء والفاء والكاف واللام والواو ولثلاثة اوجه احدها ان الباء حرف
مما لي في الاسم فانك تقرأ الباء على الامالة وهي دلالة الكسرة وليس كذلك الكاف واللام والواو لانها لا تمال ولا يلزم عليها
التاء انها تمال ومع ذلك تفتح في قولك تالله لانها بدل واو القسم والواو مفتوحة فالحق البدل بها وبخلاف الفاء انها تمالة
وهي مفتوحة في قولك فالله لانها لو كسرت فقيل فالله اشتبهت بفي الله فتحت لزوال الاشتباه والثاني قول سيبويه
انها لا عمل لها الا الكسر فكسرت لذلك بخلاف الكاف لانها اذا كانت للخطاب لم تكن كاسرة وكذلك التاء واما اللام فكثير
من اللامات ليست بكاسرة وكذا الواو والفاء والثالث قول المبرد ان اصلها الياء لانك تقول بنيت اي كتبت الباء
ولا كذلك سائر الحروف فاذا رددتها الى الياء كسرتها لان الياء اخت الكسرة وبعد الباء اسم وفيه اربع لغات اسم بكسر الالف
واسم بضمها وسم بكسر السين وسم بضمها قال الشاعر والله سماك سما مباركا اثرك الله به ايثاركا وقال الاخر سبحان
من في كل سورة سمه قد انزلت على طريق نعله وقال اخر وعامنا اعجبنا مقدمه يدعى ابا السمح وقرضاب سمه واشتقاقه
من سما يسمو سموا وسمي يسمى سميا اي علا فقولهم اسم بالضم بني على صيغة الامر من الواوي منه وقولهم اسم بالكسر بني
على صيغة الامر من الياءي منه كقولهم امس على صيغة الامر من اسى يسى والاسماء المبنية على صيغة الفعل كثيرة كقولهم يشكر
ويزيد وتغلب ويعمل ومعنى الاسم من هذا المأخذ ان المسمى يعلو بتسميته وذكر الله تعالى ورحمته بذكر الله ومدحه ومن قال
ان اشتقاقه من وسم يسم فقد اخطأ لان الفعل منه سمي يسمي وتسمى يتسمى وجمع الاسم الاسماء والاسامي وتصغيره السمي
وحرف العلة في اخره ولو كان من الوسم لم يكن كذلك والالف في اوله مدرجة تذوب عند الوصل لانها ادخلت في اوله زائدة
بعد حذف اخره تخفيفا والزوائد الضرورية كذلك كما في الابن والابنة والابنين والفات الامر من الافعال الثلاثية والافعال
المتشعبة ثم تكلموا في ادخال كلمة اسم ههنا قال ابو عبيدة هو صلة وزيادة ومعناه بالله كما في قوله بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه اي يذكر هو وقوله تبارك اسم ربك اي تبارك ربك كما قال تبارك الله وقال لبيد الى الحول ثم اسم السلام
عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر وقالوا في القرآن اربع كلمات هي صلات وهي الاسم والوجه وكاد وطفق
واذكر اسم ربك ويبقى وجه ربك لم يكد يراها فطفقا يخصفان وتكلموا في معنى الزيادة قال الاخفش هو للتبرك ولو
قيل بالله لظنوه قسما فازيل للاشتباه بذكر هذه الزيادة وقال قطرب انه لاجلال اسم الله ليقع بها الفرق بين ذكره وبين
ذكر خلقه في مثل قولهم تبركت بفلان واكثرهم على ان الكلمة مقصودة غير زائدة ومعناه البداية بذكر اسمائه التي يسمى نفسه
بها والتبرك بها قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وفيه شيئان الثناء على الله بها واستنجاح الحوائج بذكرها فاما
الاول فقد قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وهي تسعة وتسعون اسما متفرقة في القرآن وسمى المؤمنين
باسامي حسنة في القرآن كما في قوله قد افلح المؤمنون الايات التائبون العابدون الاية ان المسلمين والمسلمات الاية
الا المصلين الذين هم الايات وقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال عليه السلام من احب شيئا اكثر من ذكره والله تعالى
احبك فاكثر ذكرك وعدا اسماءك الحسنة وانت تحبه فادعه باسمائه الحسنى وقد امر الله تعالى بذكر اسمه على الاطلاق واذكر
اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ثم خص الزمان بقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا والمكان فقال تعالى في بيوت اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه والمحل فقال فاذكروا اسم الله عليها صواف واثبت به الحل فقال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وحرم
ما لا يذكر اسم الله عليه فقال ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ومن ختم له باسم الله مات سعيدا ومن وضع في قبره
قيل باسم الله وعلى ملة رسول الله لقن الجواب ولقي الثواب ومن اعطي كتابه في القيمة وازيد به الخير والغفران يقول
بسم الله الرحمن الرحيم وفي الخبر ان عبدا يؤتى كتابه فيقول بسم الله الرحمن الرحيم فيبشر فاذا هو بيض لا شيء فيه

فيقال له كان مملوا سيات فيجي ببركة التسمية واذا امر على الصراط واريد به الخير الهم ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم
وفي الخبر ان المومنين اذا وضعوا اقدامهم على الصراط يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فيمرون عليها وثيابهم ندية من العرق
واما استنجاح الحوائج فقد قال علي رضي الله عنه كلمة بسم الله الرحمن الرحيم مسهلة للوعور ومجنبة الشرور شفا لما في الصدور
امان يوم النشور واما اسمه الله مر الكلام فيه في التعوذ وقوله الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقان من الرحمة ورحمة الله
ارادته الخير باهله وقيل هو اعطاء الله العبد ما لا يستحقه من المثوبة ودفع ما يستوجبه من العقوبة وقيل هي ترك
عقوبة من يستحق العقوبة وقيل هي المنة على المحتاج وقيل هي العطف وكثرت اقاويل السلف والخلف في تفسيرهما
روى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان عيسى عليه السلام قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة ويرجع الى ذلك
قول مجاهد الرحمن باهل الدنيا والرحيم باهل الاخرة وقول يحيى بن معاذ الرازي الرحمن بمصالح معاشهم والرحيم بمصالح
معادهم وقول بكر بن عبد الله المزني الرحمن بنعيم الدنيا والرحيم بنعيم الاخرة وقول الحارث بن اسد الرحمن برحمة النفوس
والرحيم برحمة القلوب وقال ابو بكر الوراق الرحمن بالنعماء والرحيم بالآلاء فالنعماء ما اعطى وحبا والآلاء ما صرف وزوى
قال محمد بن علي الترمذي الرحمن بالانقاذ من النيران والرحيم بالادخال الى الجنان وقال عبد الله بن الجراح الرحمن بتبيين
الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق وقال ابن عباس الرحمن العاطف على البر والفاجر بالرزق والرحيم بالمومنين خاصة
وقال مقاتل بن سليمان الرحمن العطوف على كل عباده بفضله والرحيم الرفيق باهل طاعته اذ لم يكلفهم ما لا يطيقون واوجب
لهم من الرحمة ما لا يستحقون وقال خارجة بن مصعب الرحمن بكل خلقه والرحيم باوليائه وقال السري بن المغلس الرحمن
العاطف على عباده برزقهم من حيث لا يحتسبون ويدفع عنهم من حيث لا يعلمون والرحيم بالمومنين يغفر لهم ما يذنبون وقال
الضحاك الرحمن باهل السموات حين اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات واكرمهم بقربه وائتمنهم على وحيه وجنبهم الآفات
وقطع عنهم الشهوات وانطق السنتهم بانواع التسبيح وابعدهم عن الشبهات وكساهم ملابس النور والرحيم باهل الارض حين
ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب واعذر اليهم وصرف البلايا عنهم وقال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى
والرحيم الذي اذا لم يسأل غضب وقال بسام بن عبد الله العراقي الرحمن باهل طاعته حين قبل منهم الطاعات وان كن غير
صافية والرحيم باهل معصيته اذا تابوا محى عنهم السيئات وابدلها حسنات وقال مطرف الوراق الرحمن بغفران السيئات
والرحيم بقبول الطاعات وقال ابو بكر الوراق الرحمن بمن جحده والرحيم بمن وحده وقيل الرحمن بمن كفره والرحيم بمن شكره
وقيل الرحمن بالقطع والرحيم بالدعوة وروى الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الرحمن الرحيم
اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قال الحسين بن الفضل البجلي هذا وهم من الراوي لان الرقة ليست من صفات الله
تعالى وتفسيرها الشفقة الناشئة من رقة القلب وانما هما رفيقان والرفق من صفات الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وكثير من العلماء صححوا رواية القاف وفسروا الرقة بالعطف
وكمال العطف مجازا ماخوذا من رقة قلوب العباد على احبتهم وهو كمال عطفهم ورحمتهم واختلفوا بعد ذلك في المراد بهذا
الحديث على اربعة اقاويل فقال بعضهم معناه ان احد الاسمين ادل على زيادة العطف لا يفهم ذلك من الاخر وقال الاخر
ذلك الاسم على التعيين لوجود الابهام وعدم التبيين وقال سعيد بن جبير هو الرحمن لانه يرحم الكافر والمومن جميعا لقوله تعالى
ورحمتي وسعت كل شي وقال ومن كفر فامتعه قليلا وقال وكيع بن الجراح هو الرحيم لانه يرحم المومن في الدنيا والاخرة اما
في الدنيا فظاهر واما في الاخرة فغفرانه ذنوبهم وادخالهم الجنة قال الله تعالى وكان بالمومنين رحيما وقال وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال قائلون معناه ان كل واحد منهما ارق من الاخر في معنى اخر في كل واحد من الاسمين معنى
يفهم منه ما لا يفهم ذلك من الاخر بحيث لا يمكن تفضيل احدهما على الاخر وذلك فيما حكينا من الاقاويل وقال ثعلب الرحمن
امدح من الرحيم والرحيم ارق من الرحمن وقال جعفر بن محمد الصادق هو خاص في التسمية عام في الفعل والرحيم عام في التسمية
خاص في الفعل وخصوص الرحمن في التسمية انه لا يتسمى به احد غيره وعمومه في الفعل انه يرحم البر والفاجر وعموم الرحيم
في التسمية انه يجوز ان يتسمى به غيره قال الله تعالى في حق نبيه عليه الصلاة والسلام بالمومنين رؤف رحيم وقال في حق
اصحابه رحماء بينهم وخصوصه في الفعل انه يرحم المومن والكافر وقال ابو عبيدة الرحمن والرحيم كالعطشان والعطش
والريان والري والرحيم هو الراحم كالقدير هو القادر والعليم هو العالم فالاول اثبات صفة والثاني اثبات فعل وقيل
الرحمن على وزن فعلان وهو مبالغة في الصفة فان الغضبان هو الممتلي غضبا والسكران هو الممتلي سكرا والرحيم هو
دائم الرحمة والراحم هو الذي وجدت منه الرحمة وقيل الرحمن لمن له الرحمة كالغضبان لمن له الغضب والرحيم من رحم
كالسميع من يسمع ثم معنى الجمع بين الاسمين مع انهما من صفة واحدة وجوه اربعة احدها الاشباع كقوله
انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى والرحمن والرحيم كالندمان والنديم واللهفان واللهيف والجمع بينهما كالجمع بين قولهم
جاد مجد والثاني قول ثعلب الرحمن عبراني الاصل فقرن به الرحيم الذي هو مفهوم العرب والثالث ان معنى كل اسمين
مختلف كما مر من الاقوال فلم يكن تكرارا والرابع انه بدا باسمه الله وهو دلالة الهيبة فذكر بعده اسمين مشتقين من
الرحمة ليشرح انه موصل نعمه تعالى اثار رحمته اكثر مما يوصل اليهم اثار رهبته ثم معنى تقديم اسم الرحمن على الرحيم
انه اسم خاص لله تعالى فقدم على الرحيم الذي يجوز ان يسمى به غيره ولان الرحمن ابلغ في المدح فكان اولى بالسبق ولان

معناه

معناه الرازق ومعنى الرحيم الغافر وانه ذلك اسبق وصولا الى العبد فسبق في الذكر ومعنى البداية في التسمية باسم الله
ثم بالرحمن ثم بالرحيم ان الناس عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فرقا ثلاثة مشركي العرب كانوا يعرفون
اسم الله قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وما كانوا يعرفون الرحمن قال الله تعالى واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن واليهود كانوا يعرفون اسم الرحمن قال عبد الله بن سلام لما اسلم يا رسول الله لا ارى
في كتابكم ذكر الرحمن فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والنصارى كانوا يعرفون اسم الرحيم فوقعت البداية
في خطاب القوم بذكر هذه الاسماء الثلاثة لمعرفة المخاطبين بها ولان لكل عبد له ثلاثة اشيا قلب ونفس وروح
فعلى القلب بهذه التسمية سمة المعرفة والايمان وعلى النفس سمة الرزق والاحسان وعلى الروح سمة العفو والغفران
ولان الله اسم ممتنع اللفظ والمعنى والرحمن ممتنع اللفظ مطلق المعنى والرحيم مطلق اللفظ والمعنى فكان البداية
بسم الله اولى ثم بالرحمن ثم بالرحيم ولان لاحوال العبد ثلاثة سابقته وحالته وخاتمته فرتب هذه الاسماء الثلاثة
ليعلمك انه الله الذي اصلح سابقتك والرحمن الذي هيا حالتك والرحيم الذي يحسن عاقبتك الله الذي خلقك
والرحمن الذي رزقك والرحيم الذي يغفر لك وقالوا لله تعالى ثلاثة الاف اسم الف عرفها الملائكة لا غير والف عرفها
الانبياء لا غير وثلثمائة في التوراة وثلثمائة في الانجيل وثلثمائة في الزبور وتسعة وتسعون في القران وواحد
استاثر الله به ثم معنى هذه الثلاثة الالاف في هذه الاسماء الثلاثة فمن علمها وقالها فكانما ذكر الله بكل اسمائه وفي
القران تسعة وتسعون اسما فاذا جعلت اثلاثا فكل ثلث ثلاثة وثلاثون والامة ثلاثة اصناف سابقون
ومقتصدون وظالمون فثلاثة وثلاثون على نصيب السابقين ومثلها على نصيب المقتصدين ومثلها على نصيب
الظالمين وهذه الاسماء الثلاثة تتضمن معاني الجميع الله يتضمن معاني ثلاثة وثلاثين اسما والرحمن كذلك والرحيم
كذلك قال الشيخ نجم الدين رضي الله عنه وكان شيخنا الامام الاستاذ الخطيب ابو محمد اسمعيل بن محمد النسفي رحمه الله ورضي عنه
روى لنا عن بعض اولاد علي رضي الله عنه ان الله تعالى لما خلق القلم قال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع اسم الله
وله القلم وانشق بنصفين فوضع راسه على اللوح كذلك مشغوفا الف عام حتى رحمه الرب تعالى فاسمعه الاسمين
الرحمن والرحيم فالتام احد الشقين بسماع احد الاسمين والتام الشق الاخر بسماع الاسم الاخر ولو انحذف الالف
من بسم بقي سقطة حبر وفيها نقطة فكرنا اي جار القلم فحذف الالف من الكتابة فصارت هذه السقطة نقطة تكون
لاهل الكتابة وقالوا وجد الله الاشيا بالهيبة وامسكها برحمته فما من نعمة على الاولين ولا على الاخرين ولا في الدنيا
ولا في الاخرة الا برحمته وكان غفران ادم برحمته وحوى برحمته قال تعالى مخبرا عنهما وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وكذا في حق نوح عليه السلام فانه قال والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وكذا في حق موسى وهرون عليهما السلام
اخبارا عنهما وادخلنا في رحمتك وكانت نجاة الانبياء والمومنين برحمته وقال في حق نوح عليه السلام لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم وقال في حق هود عليه السلام نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وقال في حق صالح عليه السلام نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا وقال في حق شعيب عليه السلام نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا وكان الوحي الى
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برحمته قال تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك وكان بعثه كذلك رحمة
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة وكان لينه مع امته برحمته قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وكان حفظه عن اضلال
المنافقين برحمته قال تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وامطار السحاب علينا وانبات
الارزاق بها برحمته قال تعالى يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وتزيين العالم في الربيع لنا برحمته قال تعالى فانظروا
الى اثر رحمة الله ومنافع الليل والنهار لنا برحمته قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار وسد ياجوج وماجوج
ودفع ضررهم عنا برحمته قال هذا رحمة من ربي وتوسيع الرزق علينا برحمته قال تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربي اذا لامسكتم واعطاء الخصب برحمته قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ودوام العافية لنا برحمته
قال تعالى او ارادني برحمة والالفة بين الزوجين برحمته قال تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وارسال الرسل الينا برحمته
قال اهم يقسمون رحمة ربك وانزال القران برحمته قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة واعطاء الايمان برحمته
قال تعالى يدخل من يشاء في رحمته والعصمة من الهوى والبدعة والتثبت على السنة والجماعة برحمته قال تعالى ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك وصلاح العبد وورعه برحمته قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ومخالفة الهوى والنفس برحمته قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ومخالفة الشيطان برحمته قال تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا والتوبة بعد الوقوع في المخالفة برحمته قال تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم وكل شي ناله برحمته قال تعالى ورحمتي وسعت كل شي والخصوص من
هذا العموم برحمته قال تعالى يختص برحمته من يشاء ومن اهل الخصوص المحسنون قال تعالى ان رحمت الله قريب من
المحسنين والمطيعون اطاعوا الله برحمته قال تعالى ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله والمتقون اتقوا
الله برحمته قال تعالى اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته والمجاهدون يفضلون على القاعدين برحمته
قال تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وجواز العفو عن القاتل واخذ الدية

بالصلح رحمته قال تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وامهال من يوذي المسلمين بلسانه عن المواخذة في الحال برحمته
قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم وامهال الكفار برحمته قال تعالى وربك الغفور
ذو الرحمة لو يواخذهم الاية فلا ينبغي للعبد ان يقنط من رحمة الله قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فالكافر هو الذي
يياس من رحمته قال تعالى اولئك يئسوا من رحمتي والمومن راجي رحمته قال تعالى اولئك يرجون رحمة الله وقد ضل
من قنط من رحمته قال تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ويخص المومنين يوم القيمة برحمته قال تعالى
وكان بالمومنين رحيما والجمع يوم القيمة برحمته قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الاية ومغفرة الذنوب
برحمته قال تعالى وربك الغفور ذو الرحمة وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للامة برحمته قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وصرف العقوبة برحمته قال تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ودخول الجنة برحمته قال تعالى
ففي رحمة الله هم فيها خالدون واعطاء الشهوات فيها برحمته قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم والبشارة برحمته قال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه والسلام والروية برحمته قال تعالى سلام قولا
من رب رحيم ثم التسمية عند مالك ابتر من راس كل سورة وعند الشافعي من الفاتحة وعن محمد بن الحسن انها اية
انزلت للفصل بين السور وظاهر مذهب اصحابنا انها ذكرت لابتداء القراءة تيمنا وليست باية وفي سورة النمل هي
ما دون اية بل هي دون اية وليست باية تامة في القران اذ لو كانت اية لكان الجنب والحائض والنفسا ممنوعين
عنها عند كل ذي امر بال كالتشهد تين لم يجمعا في القران في موضع واحد لئلا تتم اية وربما يخص الجنب ونحو
فلا يمكنه التكلم بهما عند ختم عمره وبالله التوفيق وعليه توكلي **سورة فاتحة الكتاب**

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي واستظام قوله تعالى **الحمد لله** بالتسمية ما مر ان الاشيا وجودها
بالله وله ملكها وله وجه اخر بدا اي بسم الله بعون الله فالحمد لله ووجه اخر بسم الله الموصوف بالرحمة وهي اجل نعمه
فله الحمد على نعمه جملة ثم هذه السورة ثماني ايات في قول الحسن البصري وست ايات في قول الحسين الجعفي
وسبع ايات في قول الجمهور من اهل العلم فالحسن عد التسمية وانعمت عليهم ايتين وتركهما الجعفي والباقون
اتفقوا على انها سبع ايات لكن اصحابنا رحمهم الله عدوا انعمت عليهم اية وقالوا ليست التسمية من الفاتحة
والشافعي رحمه الله جعلها من الفاتحة ولم يجعل انعمت عليهم اية وهي خمس وعشرون كلمة وهي مائة وثلاثة
وعشرون حرفا اثنان وعشرون الفا وثلاث باءات وثلاث تاءات وثلاث حاءات واربع دالات وذال واحدة
وست عشر لاما وثلاث كافات وعينان وست راءات وسينان وصادان وضادان وطاءان وست عينات
وقاف واحدة واثنا عشر ميما وعشر نونات واربع واوات واربع هاءات ولام الف واحدة وثلاث عشرة ياء
من الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون واعوام النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي اثنان وعشرون وهذه السورة
مشتملة على جميع معاني ما اوحى الله تعالى اليه فيها وليست فيها سبعة احرف الثاء والجيم والخاء والزاي والشين
والظاء والفاء وفي بعض الاثار ان الحكمة فيها فان الثاء من الثبور والجيم من الجحيم والخاء من الخوف والزاي من الزقوم
والشين من الشقاوة والظاء من الظلمة والفاء من الفراق ومعتقد هذه السورة وقاريها على التعظيم والحرمة
امن من هذه الاشياء السبعة ثم هذه السورة التي اياتها سبع تشتمل على اعداد من الواحد الى السبع هي سورة واحدة
وهي نصفان وفي نزولها ثلاثة اقوال واقسامها اربعة واسماء الله تعالى فيها خمسة والاشيا التي يظهر العبد فيها
من نفسه ستة واساميها سبعة اما الاول فهذه السورة واحدة والهنا واحد وهذه الامة امة واحدة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يعظنا بواحدة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وابانها ظاهرة واما قولنا نصفان فنصفها
ثناء ونصفها دعاء وذلك فيما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال
العبد الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال العبد مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا
قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي نصفان واذا قال العبد اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سال
واما قولنا في نزولها ثلاثة اقاويل فقد قال علي وابن عباس وابي بن كعب ومقاتل وقتادة والضحاك بن مزاحم
ومحمد بن الحنفية وابو العالية والربيع بن انس وعمرو بن شرحبيل وعطاء الخراساني وعلي بن الحسين بن واقد
وجماعة انها مكية ودليل ذلك قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهي الفاتحة وهي في سورة الحجر وهي مكية
وروى الواحدي وهو علي بن احمد المفسر في تفسيره باسناده عن ابي ميسرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا سمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هاربا فقال له ورقة بن نوفل اذا سمعت النداء فاثبت
حتى تسمع ما يقول لك قال فلما برز سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من الفاتحة فدل على ان الفاتحة
مكية وانها اول ما انزل وان التسمية ليست باية منها وقال مجاهد وحده وهي مدنية وقالوا هذه هفوة منه

ولا يظن

ولا يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاثة عشر سنة يصلي فيها بغير فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول
وقال جماعة وفيه تلفيق بين هذين القولين هي مكية مدنية اي نزلت بمكة مرة وبالمدينة مرة تفضيلا لهذه السورة على
غيرها ولهذا سميت مثاني لتثنية نزولها واما قولنا واقسامها اربعة فهي ذكر الله تعالى فيها باسمائها الحسنى وفيه
اظهار العبد من نفسه العبادة والاستعانة ومدح الموافقين وذم المخالفين واما قولنا اسما الله تعالى فيها خمسة
فهو الله والرب والرحمن والرحيم والمالك واما قولنا الاشيا التي يظهر العبد فيها من نفسه ستة ففي اخلاص
العبادة وسؤال المعونة واستدامة الهداية وموافقة اهل الرسالة ومخالفة اهل اليهودية والنصرانية ومفارقة
اهل البدعة والضلالة وقولنا اساميها سبعة فهي الفاتحة وام الكتاب والسبع المثاني وسورة الحمد واساس
القران وسورة الشفا وسورة الصلوة اما الفاتحة فلان الافتتاح هو الابتدا وبها يبتدا كتابة المصاحف
وبها يفتتح قراءة القران في الصلوة وبها افتتح الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم على ما رويناه وكذا كتب في اللوح
المحفوظ ولانها فاتحة ابواب الفتوح في الدنيا وفاتحة ابواب الجنان في العقبى ولان الفتح هو النصر والاستفتاح
الاستنصار وللقارى هذه السورة الظفر والنصرة والاستنصار واما ام الكتاب فلان ام هي الاصل والوالدة ام
الولد اي اصله ومكة ام القرى اي اصل سائر البقاع لانها اول ما خلقت ومنها دحيت البلاد واللوح المحفوظ
ام الكتاب وهو اصل كتب فيه الكاينات الى يوم القيمة وهذه السورة ام الكتاب وام القران وهي اصل المذكورات
في سائر السور المشتملة عليها فان جميع ما ذكر في القران من التحميد والتمجيد والتسبيح والتقديس والتهليل
والتكبير والذكر والثنا والشكر والدعا فهو تحت كلمة الحمد وجميع ما ذكر فيه من اسماء الله الحسنى وصفاته العلى
وما ذكر من ربوبيته والهيته ووحدانيته وفردانيته فهو تحت كلمة لله رب وجميع ما فيه من ذكر السماء والارض
والانس والجن والنبيين والمرسلين والمومنين والملائكة المقربين واهل الملكوت اجمعين والجن والشياطين
وطيور الهوا وحيوانات الماء ووحوش الصحرا وحشرات الارض وذكر ساير المخلوقات والموجودات والمكونات
والمحدثات فهو تحت كلمة العالمين وجميع ما فيه من ذكر الرزق والانعام والتربية والاكرام والانظار والامهال
والاحسان والاجمال فهو تحت الرحمن وجميع ما فيه من ذكر عفو الاجرام ومحو الاثام وغفران العصيان والتجاوز عن
الطغيان واعتاق العصاة والرحمة على الجناة فهو تحت كلمة الرحيم وجميع ما فيه من ذكر القيمة واسمائها وصفاتها
ومواقفها ومقاماتها وعقباتها وعقوباتها وشدائدها وصعوباتها وافزاعها واهوالها وحسابها وسوالها واختلاف
احوالها والنار ودركاتها والجنة ودرجاتها والصراط وخطره والحوض وشربه فهو تحت قوله مالك يوم الدين
وجميع ما فيه من ذكر الطاعة والخدمة والعمل والعبادة والخضوع والخشوع والقيام والركوع والسجود والقعود
والصلوة والزكوة والصيام والقيام والحج والغزو والائتمار والانزجار فهو تحت قوله اياك نعبد وجميع ما فيه من سؤال
المعونة وطلب النصرة والتماس التوفيق والعصمة وارادة اللطف وابتغاء الفضل ورجاء الكفاية وامل الحماية
فهو تحت قوله واياك نستعين وجميع ما فيه من سوال الهداية وخوف الخاتمة واغتنام المعرفة ومدح الاسلام والشريعة
وبيان السنة والجماعة فهو تحت قوله اهدنا الصراط المستقيم وجميع ما فيه من ذكر الانبيا والاوليا والملائكة والاصفيا
والصديقين والشهدا والعباد والزهاد والاتقيا فهو تحت قوله صراط الذين انعمت عليهم وجميع ما فيه من ذكر المشركين
والكافرين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والوثنيين والضالين والمبتدعين فهو تحت قوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين وقيل انما سميت بذلك لانها تجمع اقسام كل القران فان اقسام القران كلها الامر والنهي والوعد
والوعيد والقصص والامثال والناسخ والمنسوخ وهذه السورة تشتمل على ذلك كله فان قوله الحمد لله معناه قولوا
الحمد لله وهذا امر بالحمد ونهي عن تركه وقوله رب العالمين قصص عن ايجاد الخلق اجمعين وقوله مالك يوم الدين
فيه وعد ووعيد وتنبيه وتسمية الذين صراطا مثل وقوله الذين انعمت عليهم هم هذه الامة وشريعتهم ناسخة
وقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين هم اليهود والنصارى وشريعتهم منسوخة وقيل معنى ام الكتاب ان الام
هي الراية ينصبها العسكر قال البعيث امنا معقل اليه الجا القوم في البادشاه حين جد القتال فام الكتاب
اليها مفزع البشر كالراية اليها مفزع العسكر وقيل الام الامام فالسورة امام اهل الاسلام وام القرى مقصد الانام
وجهنم قيل لها فامه هاوية لان الكافر له اليها المرجع والمقام والدماغ ام الراس والراس به القيام فام القران
تقوم بهذه المعاني العظام واما السبع المثاني فهي السبع ايات وتثنى قرائتها في كل صلوة وقيل هي من الثنا وفيها الثنية
على الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما سميت مثاني لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وذخرها لهم ولم يعطها غيرهم
وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة شيعها سبعون الف ملك وقيل لان اهل السما يصلون بها واهل
الارض كذلك وقيل لان نصفها ثنا الرب تعالى ونصفها سوال العبد وقيل لانها تتضمن معاني علم المثاني وذكر الربوبية
والعبودية والخالق والمخلوق والهدى والضلال والولي والعدو وقيل تتضمن كلمات مثاني في معنى واحد الله ورب
العالمين الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين الصراط صراط عليهم عليهم غير ولا المغضوب ولا الضالين وقيل سميت
بذلك لانها اسم الله جل جلاله وصفاته على قسمين قسم يدل على العظمة والجبروت والكبريا والسلطان وقسم يدل على

الرحمة والرافة واللطف والعطف والاحسان وقد اشتمل ذكر الله والرحمن الرحيم على القسمين والحمد على قسمين حمد على
ذاته وصفاته وحمد على الائه ونعمائه وقد اشتمل قوله الحمد لله على الوجهين والعالم يتنوع نوعين عالم الفنا وعالم البقا
وقد اشتمل قوله رب العالمين على النوعين والرحمة على ضربين رحمة في الدنيا ورحمة في الاخرة ويقال رحمة عامة ورحمة
خاصة وكذلك الرحمن الرحيم يعم الضربين والدين الجزا فهو على شيئين على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب
ودل قوله مالك يوم الدين على الشيئين والطاعة نوعان عبادة وعبودية ودل قوله اياك نعبد على النوعين والاستعانة
تكون على امرين على تحصيل الخير وعلى ترك الشر ودل قوله تعالى واياك نستعين على الامرين والفرق الضالة فرقتان
جبرية وقدرية ودل قوله اياك نعبد واياك نستعين على الفرقتين والهدى بيان وارشاد ودل قوله تعالى اهدنا الصراط
المستقيم على الوصفين والمهديون قومان الانبياء والاوليا ودل قوله الذين انعمت عليهم على المومنين والمخالفون حزبان
كفار ومبتدعون ودل قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين على الحزبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن
كعب اني لارجو ان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما انزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في القران مثلها
قال ابي فجعلت ابطي في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله الذي وعدتني قال كيف تقرا اذا افتتحت الصلوة
فقرات الحمد لله رب العالمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقران العظيم الذي
اعطيت وروي ان عيرا قدمت من الشام لابي جهل بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ينظرون اليها واكثر الصحابة بهم جوع وعري فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شي لاصحابه فنزل قوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني اي مكان سبع قوافل لابي جهل والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به
اي هذا ابو جهل لا ينظر الى ما اعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم تنظر الى ما اعطيناه وهو متاع الدنيا الدنية
وعلم الله تعالى ان تمنيه لم يكن لنفسه بل لاصحابه فقال ولا تحزن عليهم وامره بما يزيد نفعه على نفع المال فقال
واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان تواضعك اطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم واما سورة الحمد
فلانها افتتحت بالحمد وفيها امر بالحمد وتعليم كيفية الحمد وبيان ان الله تعالى مستحق الحمد وبداية القران بالحمد وختم
كلام اهل الجنة بالحمد والحمد المذكور في القران على سبعة في الدنيا وعلى سبعة في العقبى اما التي في الدنيا فالحمد على
الدين والهداية الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وعلى البيان والدلالة الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وعلى الوحي والرسالة الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وعلى المصالح والنعمة الحمد لله الذي له ما في السموات وما
في الارض وعلى النقصان والزيادة الحمد لله فاطر السموات والارض وعلى هلاك ظلمة الامة فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين وعلى حفظ العالم والمملكة فلله الحمد رب السموات ورب الارض واما في الاخرة فان اهل
القبور اذا بعثوا وبقوا ما في القبر ثلاثمائة سنة قد الجمهم العرق ثم دعوا الى الحساب حمدوا قال تعالى وله الحمد في
الاخرة والثاني اذا فرغوا من الحساب حمدوا قال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين والثالث اذا ميز
عند الطريقين اهل السعادة من اهل الشقاوة حمدوا فقالوا الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين والرابع اذا مروا
على الصراط ووجدوا رايحة الجنة ونظروا اليها قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا والخامس اذا دخلوا الجنة قالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده والسادس اذا اصعدوا على الدرجات فامنوا الحزن قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن والسابع اذا انظروا ربهم عز وجل حمدوا قال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واما اساس القران
فقد روي ان رجلا اتى الشعبي فشكا اليه وجع الخاصرة قال عليك باساس القران قال وما اساس القران قال
فاتحة الكتاب سمعت عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرة يقول ان لكل شي اساسا فاساس الدنيا مكة لان منها دحيت
الارض واساس السموات عريبا وهي السماء السابعة العليا واساس الارض عجيبا وهي الارض السابعة السفلى واساس
الجنان جنة عدن وهي سور الجنان عليها اسست الجنان واساس النيران جهنم وهي الدركة السابعة السفلى عليها
اسست الدركات واساس الخلق ادم واساس الانبيا نوح واساس بني اسرائيل يعقوب عليه السلام واساس الكتب
القران واساس القران فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشتكيت فعليك
بالاساس تشفى باذن الله تعالى واما سورة الشفا فلهذا او قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في سورة الفاتحة سبعين شفاء
وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب شفاء من كل سم وفي رواية من كل داء الا السام
وهو الموت وحديث قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة على مقطوع اليد وبرؤه مشهور وحديث قراءة جماعة من الصحابة
على مجنون هذه السورة وافاقته وتحفة قومه لهم غنما كثيرة معروف واما قول سورة الصلوة فلقول النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقد رويناه وتسميتها صلوة لوجوه احدها ان الصلوة هي القراءة
قال الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فمعنى قوله قسمت الصلوة اي قراءة هذه السورة والثاني ان الصلوة هي
الثنا قال الله تعالى يصلون على النبي والدعا ايضا قال الله تعالى وصل عليهم وهذه السورة ثنا ودعا والثالث ان كمال الصلوة
وجمالها بهذه السورة فسميت هذه السورة صلاة فانها كلها هي تعظيم لها وفي فضل هذه السورة احاديث كثيرة منها
قوله صلى الله عليه وسلم هذه السورة لو كانت في التوراة لما تهود قوم موسى ولو كانت في الانجيل ما تنصر قوم عيسى

ولو

ولو كانت في الزبور ما مسخ قوم داود وانما مسلم قراها اعطاه الله جل جلاله من الاجر كانما قرا القران كله وكانما تصدق
على كل مومن ومومنة ثم هذه السورة سبع ايات وابواب جهنم سبعة من قراها اغلقت عنه ابوابها السبعة وكل باب منها
عرضه كعرض السماء والارض سبع مرات وبساط هذا البنا الارضون السبع واهلها بنو ادم وتاراتهم سبع خلقوا من سلالة
من طين ثم هي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم ثم ينشا خلقا اخر واذا ولد الانسان فهو طفل ثم صبي ثم مراهق
ثم بالغ ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ورزقه في هذه الاحوال من سبع قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله
حبا وعنبا وهو مامور ان يقول كلمات الشهادة وهي سبع لا اله الا الله محمد رسول الله وهي اقرار بربوبية من اوجد
الاشيا واخبر عن وجودها بسبعة احرف كن فيكون وجعل مضي عمرهم في سبعة ايام وهي ايام الجمعة وجعل مدة
ايام الدنيا سبعة الاف سنة فمن قرا معتقدا لمعناها هذه الايات السبع اعتق جوارحه السبع عن عقوبات الدركات
السبع واعطي حسنات ملء السموات السبع والارضين السبع ووصلت بركته الى اهل الاقاليم السبعة وحفظ في احواله
السبع وثبته الله على كلماته السبع ووصل الى السعادة الابدية عند مضي هذه الادوار السبعة وامن من الاخطار السبعة
وهي خطر خاتمه بر كفر بود يا بر مسلماني وخطر گور كه بر راحتي باشد يا بر عذاب وخطر بعث كه روي با سياهي بود يا سپيد
وخطر حساب كه سلامت خواهد بود يا بر عقوبت وخطر وزن اعمال كه طاعت سنگين بود يا سبك وخطر
دوزخ كه جهنمي سوي با جنانی چون امن ايات با تعظيم بر خواني خويشتن از اين خطرها برهاني وقالوا اخيار
المسلمين سبعة اصناف الحامدون والراجون والخائفون والمخلصون والمتوكلون والمستقيمون والعارفون
وفي هذه السورة نصيب كلهم فقوله الحمد لله رب العالمين على نصيب الحامدين وقوله الرحمن الرحيم على نصيب الراجين
وقوله مالك يوم الدين على نصيب الخائفين وقوله اياك نعبد على نصيب المخلصين وقوله واياك نستعين على نصيب
المتوكلين وقوله اهدنا الصراط المستقيم على نصيب المستقيمين وبقية السورة على نصيب العارفين وقوله تعالى
الحمد لله قال ابن عباس اي الشكر لله بما صنع الى خلقه ايضا اي جاد على العباد بسوابغ النعم ومواهب القسم وقال ابي
ابن كعب الشكر لله على الاشياء كلها وقال مجاهد اي الشكر لله على جميع نعمائه دينا ودنيا وقال عطا اي على نعمائه
ظاهرة وباطنة وقال ابو عبيدة الحمد لله اي الثنا لله وقال ابن الانباري الحمد لله مقلوب المدح وقيل الحمد الثنا
بالجميل والاعتراف المنعم وقيل الحمد معرفة الاحسان ونشره والكلام الجامع فيه ان الحمد يذكر لمعان اربعة احدها
الثنا بالافعال الحسنة يقال احمده على فعل كذا فمعنى الحمد لله على هذا اي الثنا عليه في كل ما فعل امات واحيى افقر واغنى
اعز واذل اكثر واقل ابلى وابتلى ابهج وانجى وكذا يجب فان جميع ما يفعله عدل وحكمة وعاقبته حميدة والثاني الحمد
بمعنى الشكر يقال احمده على انعامه ومعنى الحمد لله على هذا اي الشكر لله على نعمه التي لا تحصى ومننه التي لا تنسى
فقد قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وقد قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكل النعم منه والثالث الحمد بمعنى الرضى
يقال حمدت سيرة فلان ومذهبه فمعنى الحمد على هذا اي رضيت بحكمه وقضيته وتقديره وقسمته فلا اعتراض
على فعله ولا اعتراض عن حكمه بكيف وقد قال من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب ربا
سوائي والرابع الحمد بمعنى المدح بالصفات الحسنى يقال حمدت فلانا على فضله ووقاره وحلمه وجوده وسماحته
وباسه وشجاعته ومعنى الحمد لله على هذا اي المدح لله على صفاته الحسنى فهو الله الرحمن الرحيم العلي العظيم العزيز الحكيم
العدل القديم الغني الكريم الستار الحكيم الى تمام اسمائه الحسنى والالف واللام في الحمد لاستغراق الجنس فيصير
على مجموع المعاني الاربعة وكان العبد يقول اثني على الله بكل افعاله فهي جميلة واشكره على نعمائه فهي جزيلة وارضى
بكل اقضيته فهي حميدة واحمده بكل صفاته فهي جليلة ثناي خداي را سزد كه هرچه كند حكمت است شكر ورا
واجب شود كه او روى به سما رحمت است رضا بقضاي وي بايد كه ورا نهاد سپاس است سپاس ورا بايد كه
صفات وي سزاي حمد ومدحت است ثنا گوي باسا باني شكر گوي با عطا باني رضا ده فا رضا باني وراست
اي ثنا ورا بابي وقال الامام ابو منصور رحمه الله احتمل ان يكون الله تعالى حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاق الحمد
بذاته فيحمدوه ويحتمل ان يكون على اضمار الامر اي قولوا الحمد لله وهو امر بتوجيه الشكر اليه لان النعم منه
وذلك يتضمن الامر بكل الممكن من الطاعات على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه
فقيل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا فصيرا انواع الطاعات شكر الله وتكلموا
في قوله الحمد لله انه على الامر ام على الاخبار او على الابتداء قال بعضهم هو على الامر اي قولوا الحمد لله واضمار القول
ثابت في كثير من الايات قال الله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا اي قالا ربنا
وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم وقال فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم ويدل على هذا الاضمار قوله اياك نعبد واياك نستعين ولا بد ههنا
من الاضمار قولوا وقد اظهر ذلك في قوله وقل الحمد لله وهذا تعليم من الله عز وعلا لعباده كيفية حمده وثنائه
وقال بعضهم هو على الاخبار ومعناه ان حمد جميع الحامدين ومدح جميع المادحين وشكر جميع الشاكرين وذكر جميع
الذاكرين لله عز وجل وبالفارسية حمد خداي را بايد وخداي را سزد وجز او را نشود وذلك لان المنعم هو الله تعالى

بنفسه لانه فالشكر له قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ومن انعم عليك من خلقه فبتوفيقه دعونه واما الابتداء
بحمد الله تعالى لنفسه لانه يحب الحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا احد احب اليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه فقال الحمد لله
رب العالمين وقال اصحاب المعاني حمد الله تعالى نفسه فقال الحمد لله واستحمد من خلقه فقال قل الحمد لله ونزه نفسه فقال
سبحان الله واستنزه من خلقه فقال وسبحوه وشهد بوحدانيته فقال شهد الله انه لا اله الا هو واستشهد من خلقه
فقال قل هو الله احد واظهر بذلك محبته الحمد والتنزيه والشهادة ولانه لما خلق الخلق ورباهم ونفعهم وهداهم
وجب عليهم شكره بذلك وسائر نعمه وعلم عجزهم عن شكره على الكمال اتم الافضال بان حمد نفسه بنفسه وناب عنهم
في شكره بقوله الحمد لله وهذا كما يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بسؤالنا عنا اللهم صل على محمد مع انا امرنا بالصلوة
عليه لعجزنا عن الصلوة على ما يستحقه وهذا كما يخاطب الملوك المنازعين له في ملكه بعد فناء خلقه لمن الملك اليوم
تقريعا لهم ويعلمان اولياءه لو كانوا احياء لاجابوا فينوب عنهم بقوله لله الواحد القهار ولانه اظهر لخلقه ان الحمد
الذي حوله على الكمال هو الحمد الذي حمد به نفسه لا حمدهم اياه فانهم محدثون عاجزون لم يكونوا فكانوا ولا يكونون
بعدما كانوا فكيف يكون حمدهم كفا لحقه ولان حمدهم معلول لانهم يطلبون به ادامة الموجود ووجود المفقود
فلا يخلص له والله تعالى حمد نفسه في الازل وهو حق وحمده حق وامر عباده ان يحمدوه ليصير حمدهم الحادث المجازي
بالحمد الازلي الحقيقي صالحا مرضيا مقبولا وهذا كما شهد بوحدانيته في الازل وامر عباده ان يشهدوا له بالوحدانية
وجعل شهاداتهم الحادثة لكونها بشهادته الازلية الدائمة صالحة مرضية مقبولة ووعدهم عليها ثواب الابد
مع انها منهم موقتة لانها شهادة لله لما شهد وبها لنفسه ومع ازليته دائمة على الابد فلذلك وعدهم عليها ثواب
الابد وعلى الوجوه الثلاثة لا وجه لامتناعك عن الحمد بحال فانه ان حمل بالامر فعليك الايتمار وان حمل على الاخبار
عن استحقاقه الحمد فعليك الدوام عليه والاستكثار وان حمل على الابتداء وهو حمد نفسه فلا وجه للمخالفة والاستنكاف
وان حمل وكيف تخلي ساعة من عمرك عن حمده وشكره ولا تخلو لحظة عن انعامه وبره فان قيل لم حمد الله تعالى نفسه
ومثله في الخلق غير محمود فجوابه ما قال الامام ابو منصور رحمه الله وجهان احدهما انما استحق الحمد بذاته لا باحد فيكون
في ذلك تعريفا الخلق ما يزلفهم لديه فيثنوا عليه بما اثنى على نفسه وغيره انما يكون له ذلك بالله تعالى فعليه توجيه الحمد
لا الى نفسه والثاني ان الله تعالى حقيق لذلك اذ لا عيب فيه ولا آفة تحل به فيدخل نقصانا في ذلك ولا هو مأمور بشيء والعبد
لا يخلو عن عيوب وآفات ويمدح بالايتمار ويذم بالترك ويتمكن به فيه النقصان وحق لمثله الفزع الى الله تعالى ليستغفره
برحمته وعلى ذلك التكبر يحمد به الله تعالى ولا يحمد به غيره اذ ليس للعبد معنى يستعظم لذلك تكبره اذ هم جميعا اكفاء من طريق
الخلقة والمحنة وما ادرك واحد منهم من فضيلة او رفعة فبالله ادركه لا بنفسه فعليه تنزيه الرب تعالى والفزع
اليه بالشكر لا بالتكبر على امثاله والله تعالى عن هذا الوصف متعالى وتكلموا في الفرق بين الحمد والشكر فقيل الحمد بالقول
قال تعالى وقل الحمد لله والشكر بالعمل قال اعملوا آل داود شكرا وقيل الحمد باللسان والشكر بالجنان وتحقيق الشكر
بالاركان وقيل الحمد لله على وجوده والشكر له على جوده وقيل الحمد الثناء عليه بما هو به والشكر الثناء عليه بما هو منه
وقيل الحمد على الجلال والجمال والشكر على الانعام والافضال وقيل الحمد على ما حبا وهو النعماء والشكر على ما زوى
وهو البلاء وقيل الحمد على النعم الظاهرة والشكر على النعم الباطنة وقيل الحمد ابتداء والشكر جزاء وقيل الحمد بصفاته
الحسنى والشكر بصنائعه الكبرى وقيل الحمد مقلوب المدح والشكر مقلوب الكشر وهو انفتاح الشفتين بالضحك
حتى تبدو الاسنان فالشكر انكشاف الغطاء عن القلب حتى يعرف المنة من المنان وقيل الحمد هو الثناء بعموم النعم
والشكر هو الثناء بخصوص النعمة وقيل الحمد اخص من الشكر لفظا واعم معنى والشكر هو اعم منه لفظا واخص معنى
فانك تقول الحمد لله ولا تقول الحمد لفلان فهذا خصوص اللفظ وتقول الشكر لله والشكر لفلان فهذا عموم اللفظ ثم الحمد
يوضع موضع الشكر فيقال الحمد لله على صفاته الجليلة وحمدته ايضا على صنائعه الجزيلة والشكر لا يوضع موضع الحمد
فيقال شكرت له على آلائه ونعمائه ولا يقال شكرت له على علائه وكبريائه فكان كل شكر حمدا ولم يكن كل حمد شكرا وبالفارسية
الحمد لله سپاس همه سا سدكان ورا ى منتهى والشكر لله سپاس همه سپاس داريد كان ورا برحمه منتها وقال قتادة
ان الله افتتح الحمد حين خلق السموات والارض فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد فقال وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فجعل ابتداء العالم وانتهاءه بالحمد ثم قراءة العامة الحمد لله على الابتداء واللام بالكسر
على الاصل وقرأها هارون بن موسى العتكي الاعور ورؤبة بن العجاج بنصب الدال على المصدر وهو على الامر بطريق الاغراء
وقرأ الحسن البصري رحمه الله الحمد لله بخفض الدال اتباعا لكسرة اللام وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة الشامي برفع الدال
وضم اللام اتباعا للدال ويجوز في الوقف على الحمد لله القصر وهو حذف الالف التي بين اللامين والهاء قال الشاعر
اقبل سيل جاء من امر الله * يحرد حرد الجنة المغلة * واثبات الالف اصح وافصح قوله تعالى **رب العالمين**
قال ابن عباس رضي الله عنهما اي سيد العالمين وهو كقوله اذكرني عند ربك اي سيدك ومعناه المالك كما يقال رب الدار
اي مالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ارب ابل انت ام رب مال وغنم قال من كل اتاني الله تعالى وقيل هو المصلح
المدبر ومنه ربة البيت ومنه الربانيون وهم العلماء المصلحون امور الناس بعلمهم والمدبرون لامورهم قال الشاعر

كانوا

كانوا كالبة حمقاء اذ حقنت سلاءها في اديم غير مربوب اي غير مصلح وقيل هو من في الخلق ومنه قوله وربائبكم اللاتي
في حجوركم ومنه قوله الم نربك فينا وليدا وقد ربه يربه ورباه يربيه فمنهم من يقول رباه اصله ربه جعلت احدى
الباءات ياء كما في قوله تمطى اصله تمطط اي تمدد ومنهم من يقول هو فعله من ربا يربو اي ازداد فالتربية اثبات
الزيادة في المربى وقال الحسين بن الفضل البجلي الرب الثابت الدائم من قولهم رب بالمكان وارب اي اقام وكذلك
لب والب قال عليه السلام اعوذ بالله من فقر مرب وروى ملب ومضرع الى غير محب وقال الامام ابو منصور رحمه الله
التوجيه منه الى المالك اقرب منه الى السيد اذ يستقيم ان يقال رب السموات والارض ومالك السموات والارض
ولا يستقيم سيد السموات والارض ولا يقال هو سيد الا في بني آدم خاصة فالله تعالى رب العالمين اي مالك الخلائق
اجمعين له الملك والخلق والامر وهو سيدهم اي مالكهم الواجب عليهم طاعته وسيد العبد مالكه وعليه طاعته
ولا يقال سيد الدار لانه لا يمكن تحقيق معنى وجوب الطاعة فيها وهو مصلح امورهم ومهيئ معاشهم ومعادهم
اصلح قلوب المؤمنين بالمعرفة والسنتهم بالشهادة وانفسهم بالخدمة واصلح طاعاتهم على كثرة تقصيرهم فيها بالقبول
واصلح معاصيهم على كثرتها بالعفو قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم وهو مربي الظواهر بالنعمة ومربي النفوس ومربي البواطن
بالرحمة ومربي القلوب والرب على الاطلاق هو الله تعالى على الخصوص ويطلق على المخلوق بالاضافة يقال رب الدار وعن ابي الدرداء
وابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهما قالا هو اسم الله الاعظم وقالوا الدلالة ذلك ان كل اسم قلبته بطل معناه الا الرب
فان مقلوبه البر وهو اسم الله الاعظم ايضا اشار اليه الخضر عليه السلام في المسجد الحرام في حكاية فانه قال اسم الله الاعظم
هو ما دعا به كل نبي وكل ولي وكل عدو واشار الى دعوات الانبياء ربنا ظلمنا انفسنا رب اني دعوت قومي رب انهم عصوني
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا رب اغفر لي ولوالدي الآية رب اجعل هذا البلد آمنا ربنا اني اسكنت من ذريتي
بواد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن رب اجعلني مقيم الصلوة ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي رب السجن احب
الي رب قد آتيتني من الملك رب اني ظلمت نفسي رب اشرح لي صدري رب اغفر لي ولاخي رب ارني انظر اليك رب اغفر
لي وهب لي ملكا رب اوزعني ان اشكر نعمتك رب لا تذرني فردا رب اني وهن العظم مني ربنا انزل علينا مائدة من السماء
ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة وقالت الصحابة الاربعة ربنا ما خلقت هذا باطلا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
ربنا اننا سمعنا مناديا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الاعداء رب انظرني الى يوم يبعثون ربنا ابصرنا وسمعنا
ربنا غلبت علينا شقوتنا ربنا اخرجنا ثم ان الله جل جلاله اضاف هذا الاسم الى العالمين على العموم فقال رب العالمين
ثم خص السموات والارض وما بينهما فقال رب السموات والارض وما بينهما ثم خص المشارق والمغارب فقال فلا اقسم
برب المشارق والمغارب ثم خص المشرقين والمغربين فقال رب المشرقين ورب المغربين ثم خص المشرق والمغرب فقال
رب المشرق ورب المغرب ثم خص من الارضين بلدته فقال فليعبدوا رب هذا البيت واضاف هذا الاسم ايضا الى كل
الناس فقال قل اعوذ برب الناس ثم خص رسوله فقال فوربك ثم خص منه ايضا فقال وقال ربكم ادعوني استجب
لكم واما قوله العالمين فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي هم كل ذي روح يدب على وجه الارض
لانهم هم الذين يقبلون التربية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم هم الجن والانس من قوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا وقال قتادة هم الجن والانس والملائكة والشياطين وهم المخاطبون وقال الحسن البصري
هم الخلائق اجمعون وقال الحسين بن الفضل البجلي هم الانس من قوله اتأتون الذكران من العالمين وقال جعفر بن محمد
الصادق هم اهل الجنة والنار وقال مقاتل بن سليمان لو فسرت العالمين لاحتجت الى الف مجلد كل مجلد الف ورقة
وقال ابو حذيفة العالمون ستة الملائكة عالم والانس عالم والجن من بني الجان وذريته عالم والشياطين ابليس وذريته
عالم والبهائم والدواب عالم والطيور عالم واهدبهم خالقهم ورازقهم وقال عطاء بن ابي رباح العالمون عشرة اصناف
الملائكة والبشر والجن والشياطين والوحوش والسباع والهوام والبهائم ودواب البحر والطيور وقال وهب بن منبه
هم ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في البحر وقال الضحاك هم ثلاثمائة
وستون عالما ثلاثمائة منهم حفاة عراة لا يعرفون خالقهم وهم حشو جهنم وستون عالما يلبسون الثياب مر بهم
ذو القرنين وكلمهم وقال سعيد بن جبير هم الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة على الارض وقال علي بن الحسين بن واقد
العالمون الف امة قال الله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وقال مقاتل بن حيان
العالمون ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر واربعون الفا في البحر وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين احد
من الخلق قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم
وهم اربعة اصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء عشرة اجزاء فتسعة منهم الملائكة وجزء واحد
الشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة اجزاء فتسعة منهم الشياطين وجزء واحد الانس والجن ثم جعل
الانس والجن عشرة اجزاء فتسعة منهم الجن وجزء واحد الانس ثم جعل الانس مائة وخمسة وعشرين جزءا فجعل منهم
ما يتجزء في بلاد الهند فمنهم شاطوخ وهم اناس رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب وماسوخ وهم اناس اعينهم في صدورهم
وماسوخ ومنهم اناس اذانهم مثل اذان الفيلة وما لوف ومنهم اناس لا نظام لهم ارجلهم يمشون يسمون دوال پاى

ومصيرهم كلهم الى النار وجعل اثني عشر جزءا في بلاد الروم النسطورية والملكانية والاسرائيلية ومصيرهم جميعا الى النار وجعل ستة اجزاء منهم في المشارق ياجوج وماجوج وترك خاقان وترك غلج وترك خرخير وكلهم من اهل النار وجعل ستة اجزاء منهم في المغرب الزنج والزط والحبشة والنوبة والبربر وسائر كفار العرب ومصيرهم الى النار وبقي من الانس من اهل التوحيد جزء واحد فجزأهم ثلاثة وسبعين جزءا اثنان وسبعون على خطر وهم اهل البدع والضلال وفرقة ناجية وهم اهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فهذا تفسير رب العالمين والعالمون في القران على عشرة اوجه احدها الانس والجن قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا والثاني الناس قال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والثالث من كان بعد نوح الى قيام الساعة قال تعالى سلام على نوح في العالمين والرابع من كان في زمن موسى من بني اسرائيل قال تعالى واني فضلتكم على العالمين والخامس من كان في زمن لوط قال تعالى اتاتون الذكران من العالمين والسادس الغرباء قال تعالى اولم ننهك عن العالمين والسابع اهل الكتاب قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع الى قوله غني عن العالمين والثامن المومنون قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين والتاسع المنافقون قال الله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين والعاشر كل المخلوقات قال الله تعالى الحمد لله رب العالمين اضاف نفسه الى كل المخلوقات ملكا وملكا واضاف هذا الاسم الينا لطفا وعطفا قال ذلكم الله ربكم ففي الاول تعظيم نفسه وفي الثاني تعظيم احبابه كانه قال يا من عظمني والعالمون لي وما اعظمكم احبائي وانا لكم ثم العالم جمع لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش وهو ماخوذ من العلم والعلامة وهو على وزن فاعل بالفتح كالخاتم والطابع والخاتم ما يختم به والطابع ما يطبع به فالعالم هو ما يعلم به اي يستدل به على الصانع فوجود المخلوقات دليل على وجود الخالق وايجاده وحدوثها دليل على قدمه وبقاؤها على هيئة دليل على وحدانيته ووجودها على هيئة مخصوصة مع جواز غيرها دليل على ارادته وانتظامها واتقانها دليل على علمه وحكمته واجابة دعاء الداعين دليل على سمعه واجابته وعجز الخلايق في رد قضائه دليل على جلاله وعظمته ونقض العزائم وفسخ الهمم دليل على ارادته ومشيئته وحرمان المجتهدين دليل على قبضه وقدرته ومنعه العاجزين عن الكسب دليل على بسطه ومنته وامهال المفترين على الله تعالى دليل على حلمه ورحمته وافتقار الخلق دليل على غنيته وعجزهم دليل على قدرته وضعفهم دليل على قوته وانقيادهم دليل على قهره وملكته ثم اضافة الرب الى العالمين بيان انه رب الجميع ليس كارباب الاشياء المخصوصة وايضاح انه مستحق حمد الكل اذ هو خالقهم ومربيهم ومالكهم وليس وجود ربوبيته بوجودهم فقد كان رب العالمين قبل ان يكونوا ويكون رب العالمين بعد ان يبيدوا وقد كان خالقا قبل وجود المخلوقات صانعا قبل وجود المصنوعات قادرا قبل وجود المقدورات قاهرا قبل وجود المقهورات رازقا قبل وجود المرزوقين راحما قبل وجود المرحومين ومذكورا قبل وجود الذاكرين مشكورا قبل وجود الشاكرين محمودا قبل وجود الحامدين معبودا قبل وجود العابدين مجيبا قبل دعوات السائلين غنيا قبل وجود الممالك والملوك مالكا بعد فناء الخلق اجمعين يقول الله جل جلاله بعد موت كل الخلق لمن الملك اليوم ويقول الله الواحد القهار سبحان الله هو العزيز الغفار ثم قوله رب العالمين قراءة العامة بخفض الباء على النعت وقراءة زيد بن علي بالنصب على المدح او على النداء وقرا شقيق بن سلمة بالرفع على الابتداء وكذا الرحمن الرحيم على هذه الوجوه وقوله تعالى **الرحمن الرحيم** مر تفسيرهما في التسمية فان قالوا المذكور مما مر انه في التسمية ذكرهما قلنا عنه اجوبة خمسة احدها ليعلم ان التسمية ليست من الفاتحة ولو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة عن الافادة والثاني انه ندب العباد الى كثرة الذكر فان من علامة حب الله حب ذكره وفي الحديث من احب شيئا اكثر من ذكره والثالث انه ذكر انه رب العالمين فبين ان رب العالمين هو الرحمن الرحيم الذي يرحم في الدنيا الرحيم الذي يغفر لهم في العقبى ولذلك ذكر بعده مالك يوم الدين الرابع انه ذكر الحمد وبالحمد تنال الرحمة فان اول من حمد الله من البشر ادم عطس فقال الحمد لله واجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقتك فعلم خلقه الحمد وبين انهم ينالون رحمته بالحمد والخامس ان قوله رب العالمين ترهيب وقوله الرحمن الرحيم ترغيب فجمع بين الرغبة والرهبة ليكون ذلك اعون للناس على طاعته وامنع من معصيته ونزيد في الفائدة ههنا بذكر مقالات لم نذكرها في التسمية في تفسير الاسمين قال الامام القشيري عبد الكريم بن هوازن الرحمن بما روح والرحيم بما لوح فالترويح بالمبار والتلويح بالانوار الرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه الرحمن بما يوفق والرحيم بما يحقق فالتوفيق للمعاملات والتحقيق للمواصلات والمعاملات للقاصدين والمواصلات للواجدين الرحمن بما يصنع والرحيم بما يدفع فالصنع بجميل الرعاية والدفع بحسن العناية وقوله تعالى **مالك يوم الدين** قرئ هذا على سبعة اوجه مالك بالالف وخفض الكاف وملك بغير الالف بكسر اللام وخفض الكاف وملك بتسكين اللام وخفض الكاف فهذه ثلاثة اوجه على النعت ومالك بالالف ونصب الكاف وملك بكسر الكاف وهذان على النداء وملك بفتح الميم واللام ونصب الكاف على الفعل الماضي ويوم الدين بالنصب على المفعول ومالك يوم الدين بالالف ورفع الكاف فاما مالك بالالف وخفض الكاف فقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الراشدين الاربعة وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وهو اختيار عاصم والكسائي والاعمش وجماعة واما ملك

بكسر

بكسر اللام وخفض الكاف فعن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية وعن عثمان وعن علي وزيد بن ثابت وابن عمرو وابي الدرداء وهو اختيار نافع وابن كثير وابي عمرو وحمزة وابن عامر واما ملك بسكون اللام فعن ابي عمرو ورواه عبد الوارث ابن سعيد واما ملك بنصب الكاف فعن ابي هريرة وعمر بن عبد العزيز والاعمش واما مالك بغير الف ونصب الكاف فعن ابي حيوة وشريح بن يزيد واما ملك على صيغة الفعل الماضي فعن يحيى بن يعمر واما مالك بالرفع فعن بعض اهل الشام ثم عن يحيى بن يعمر ملك ومالك باضجاع بليغ وعن ايوب السختياني باشمام وتكلم المتاخرون في اولى هذه القراءات فقيل اولاها مالك بالالف لان فيه زيادة حرف وبه زيادة ثواب يحكى عن عبد الله البلخي انه قال كان من عادتي قراءة ملك يوم الدين فذكر لي بعض الادباء ان مالك ابلغ في المدح واكثر في الثواب فتركت عادتي فكنت اقرا مالك حتى رايت في المنام ان قائلا قال لي لم نقصت من حسناتك عشرا اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات فلما تركت عادتي حتى رايت ثانيا في المنام لم لا تترك هذه العادة اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القران فخما مفخما اي عظيما معظما فانتبهت قطربا وسالته عن الفرق بين المالك والملك فقال الملك الذي يملك الاشياء في الدنيا والمالك الذي يملك الملوك وقيل لا ترجيح بزيادة حرف فقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في فرهين وفارهين وحمئة وحامية ونخرة وناخرة فلم يحتج احدهم على صاحبه بزيادة الحرف وانما رجحوا بزيادة المعنى فينبغي ان ينظر ايهما ابلغ في المعنى قال ابو عبيد والاصمعي وابو حاتم والاخفش مالك ابلغ فانه يقال مالك كل شيء ولا يقال ملك كل شيء وانما يقال ملك الناس ولانه يضاف الى الفعل والذات يقال مالك العبد ومالك التصرف ولانه لا يقال مالك الشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملك شيء وهو لا يملكه يقال فلان ملك العرب وملك العجم وملك الهند وملك الروم وملك الترك ولان المالك من الملك والملك من الملك والمالك يدل عليهما يقال مالك الملك ومالك الملك والملك لا يدل عليهما يقال ملك الملك ولا يقال ملك الملك ولانه اضاف الى يوم الدين وذكر في اية لا تملك نفس لنفس شيئا فنفى الملك عن الخلق فثبت ذلك لله وقال ابو عبيدة وعاصم الجحدري والمبرد وابو عمرو والزجاج وجماعة ملك ابلغ واوفق للقران قال تعالى فتعالى الله الملك الحق وقال تعالى ملك الناس وقال عز وعلا الملك القدوس وقال في صفة القيامة الملك يومئذ لله يحكم بينهم وقال تعالى لمن الملك اليوم وقال جل جلاله لله ملك السموات والارض وقال تعالى تبارك الذي بيده الملك وقال له الملك وله الحمد ولان المالك قد لا يكون ملكا ولا يكون ملك الا ويكون مالكا ولان المالك لا يذكر الا مضافا فيقال مالك كذا والملك يذكر غير مضاف يقال هو الملك ومدح الذات بما هو اسمه من غير اضافة ابلغ من مدحه بالاضافة الى غيره وماخذ الاسم في اللغة من قولهم ملكت العجين وملكت بالطعن اليمين واملكت بين الزوجين وحاصله الشد والربط والشدة والقوة فمعنى الاسم في الحقيقة لله فله القوة الكاملة والولاية النافذة والتصرف الماضي والحكم الجاري فهو للعباد مجازي فلله الملك والملك والملكوت والعزة والجبروت وهو الحي الذي لا يموت ومن ملك من العباد فلملكه بداية ونهاية وحد وغاية وهو على البعض لا على الكل وعلى الجسم لا على العرض وعلى النفس لا على النفس وعلى الظاهر لا على الباطن وعلى الحاضر لا على الغائب وعلى الحي لا على الميت ويملك الله تعالى بلا بداية ولا نهاية ولا حد ولا غاية وعلى الكل وعلى النفوس والانفاس وعلى الظواهر والبواطن وعلى الخطرات والفكر والحيات والمهمات وهو الملك الذي لم يزل ولا يزال وكل ملك زائل الا ملكه وكل ملك باطل الا ملكه ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقال الامام ابو منصور الماتريدي رحمة الله عليه في الاية دلالة وصف الرب بملك ما ليس بموجود وقت الوصف بملكه وهو يوم القيمة ثبت ان الله تعالى يجمع ما يستحق الوصف به يستحقه بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا نحن هو خالق لم يزل ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وسميع لم يزل وان كان ما عليه وقع ذلك لم يكن وكذلك نقول هو رب كل شيء واله كل شيء في الازل وان كانت الاشياء حادثة كما قال مالك يوم الدين وان كان اليوم بعد غير حادث ثم قوله مالك يوم الدين كما قرئ بالنصب فقد قرا زيد بن علي رب العالمين الرحمن الرحيم بالنصب وهذا على المدح او على النداء وقراءة العامة بالخفض على النعت وقرا شقيق ابن سلمة بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يوم الدين انما اضاف الملك والملك على الخصوص لانه قد اعطى الخلق اليوم ملكا وملكا والملاك يجلون في ملكهم والملوك يجورون في ملكهم فاذا كان يوم الدين نزع الملك من كل مالك والملك عن كل ملك فيبقى الملك والملك لله على الخصوص فلا يبقى ظلم ولا جور بل يجير في ملكه ويعدل في ملكه وهو وعد ووعيد يقول للاولياء انا الملك والمالك اعدلكم بملكي واغنيكم بملكي فلا يمنعني مانع ويقول للاعداء انا الملك علمت ما عاملتموني به واقدر على مكافاتكم فلا فرار لكم عني ولا يدفع العذاب عنكم دافع وفي تفسير الدين اقاويل سبعة قال ابن عباس وابن مسعود والحسن البصري والسدي ومقاتل هو الحساب كما في قوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم والله يحاسب العباد يوم القيمة قال تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقال مجاهد والضحاك وقتادة هو الجزاء كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مجزيين وقال يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم والله يجزي العباد يومئذ باعمالهم كما قال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال جماعة هو القضاء كما في قوله ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي قضائه والله تعالى يقضي بين خلقه يومئذ كما قال عز وجل وقضي بينهم بالحق وقال محمد بن كعب القرظي هو التوحيد كما في قوله الا لله الدين الخالص والعز والكرامة يومئذ لاهل التوحيد وقال تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم

وقيل الدين الطاعة قال زهير شعر لئن حللت بواد من بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك اي في طاعته ويوم لا ينفع فيه الا الطاعة
قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن
وعمل صالحا وقال الحسين البجلي هو الخضوع قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب اني ادعوك الى كلمة لو قلتها دانت لك العرب
اي خضعت ويوم القيمة يوم خضوع الخلق قال تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وخشعت الاصوات للرحمن وقال يمان
ابن رباب هو القهر والغلبة جميعا تقول العرب دنته فدان اي قهرته فخضع قال الاعشى فيهما دان الدنيا اذ كرهوا
الدين دراكا بعزة وصيال ويوم القيمة يقهر الجبارين قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الايات وقال الفرا
هو العادة وقال المثقب العبدي شعر تقول اذا درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني اكل الدهر حل وارتحال
اما يبقي علي ولا يقيني ويوم القيمة يبعث فيه كل احد على عادته فالكافر المنكر يبعث على انكاره يقول الله تعالى خبرا عنهم
انهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقوله تعالى اياك اي قولوا اياك ولا بد من هذا الاضمار ان حمل قوله الحمد لله على الابتداء
او على الاخبار وان حمل على الامر واضمر قولوا الحمد لله فهنالك كان هذا عطفا على ذلك من غير اضمار ثاني واياك فيها كلام
من جهة القراءة واللغة والاعراب والمعنى اما القراءة بكسر الالف وتشديد الياء وقراءة الفضل الرقاشي بفتح الالف وتشديد
الياء وقراءة عبيد بن عمير بمد الالف وتخفيف الياء وقراءة عمرو بن فايد اياك بكسر الالف وتخفيف الياء وقال ابن مجاهد ولا ادري
ما هي ويشبه ان تكون خطا ولغة قال رضي الله عنه ووجه الغلط انهم قالوا اياه الشمس عينها فكانه يقول شمسك نعبد
واعتقاده كفر والقراءة به خطا وهي الصلوة مفسدة ووجه اللغة ان تخفيف المشدد دايم مسموع كما في قوله ربما يود الذين
وقد قرئ ربما يود الذين كفروا بهما جميعا فالواو يجوز هياك بالهاء بدلا عن الهمزة كما في قولهم لهنّ هات هيهات واما اللغة
فقد قيل اصله اوياك وهي من اوى يأوي اليه واواه فكانه يقول اليك انقطع بالعبادة والاستعانة وهذه الكلمة ضمير مكني
لا يكون الا في موضع نصب ولا يضاف الا الى كناية وقد وردت اضافتها الى الصريح شاذا اذا بلغ الرجل الستين
فاياه واياه الشواب وقال الشاعر دعني واياخالد فلاقطعن عرى نياطه وقال في الكلام الشايع وفي ايات القران
الاضافة الى الكناية وانا او اياكم من قبل واياي نحن نرزقهم واياكم ضل من تدعون الا اياه ولا يوتى بها الا مقدمة على
الفعل ولا توخر الا بفاصل بالاستثناء او العطف او تكرار الكناية تقول ما عنيت الا اياك ذكرتك واياه ادعوك اياك واما الاعراب
فقال الخليل بن احمد اياك اسم للشان والكاف نصب اي هي كناية مقدمة ولو اخرت قلت نعبدك فاذا قدمت لم يمكن
التلفظ بحرف واحد فزادوا اياك اسما للشان ليمكن منها ولان الكاف وحدها اذا تقدمت تشابهت كاف التشبيه فازالوا
الاشتباه بهذا وقال الفرا انما نصب لوقوع الفعل عليه والكاف نصب بالاضافة وبيانه ان هذا بمنزلة قولك نفسك
نعبد واما المعنى ففي زيادة هذه الكلمة معنى بليغ لكن لو قلت نعبدك ونستعينك وان كان اوجز لكن في هذا النظم
فوايد وزوايد موافقة رؤوس الاي ونفي العبادة والاستعانة عن غير الله تعالى واجلها البداية بذكر الله دون ذكر نفسه وهو نظر
من الله تعالى الى العبادة لا من العبادة الى الله تعالى وبهذا ظهر علو درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على موسى صلى الله عليه وسلم
حيث قال ان الله معنا وقال موسى ان معي ربي وهو معنى لطيف وعلم شريف فان قيل لم كرر اياك ولم يكتف بالاول قلنا
لان اياك في اول الكلام كالكاف في اخره ولو قال نعبدك ونستعينك احتيج الى تكرار الكاف فكذا اياك ولان تكراره تحقيق
لكل واحد منهما مفردا اي نعبدك لا غير ونستعين بك لا غير وقوله تعالى نعبد والعبادة في اللغة لمعان احدها التذليل
والقهر قال تعالى ان عبدت بني اسرائيل اي ذللتهم وقهرتهم ومنه قولهم طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطي قال الشاعر
تباري عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد وبعير معبد مطلي بالقطران قال طرفة شعر الى ان تحامتني
العشيرة كلها وافردت افراد البعير المعبد فالعبادة من التعبد وهي التذلل لله تعالى والثاني الاكرام والاعزاز يقال بعير
معبد اي مكرم قال حاتم شعر الا امسك عليك فانني ارى المال عند الباخلين معبدا فالعبد على هذا هو الكريم بلا ذل
بالخدمة والثالث الانفة والاستنكاف قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين على قراءة حذف الالف
وقال الشاعر اولئك ابائي فجئني بمثلهم واعبد ان اهجو كليبا بدارم فالعابد على هذا هو الذي يانف من خدمة غير
مولاه ويستنكف من التعلق بسواه ولا يعبد ولا يستعين الا اياه والرابع التكليف بالامر والنهي يقال تعبده واستعبده
اذا كلفه امره ونهيه قال الشاعر تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع فالعبد هو المكلف بامره
ونهيه والعابد هو الموتمر والمنتهي واما تفسيره فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه اياك نوحد وقال عكرمة جميع
ما ذكر في القران من العبادة فالمراد بها التوحيد وجميع ما ذكر فيه من التسبيح فالمراد بها الصلوة وجميع ما ذكر فيه من
القنوت فالمراد به الطاعة وجميع ما ذكر فيه من الارائك فهي السرر التي فوقها الحجلة وجميع ما ذكر فيه من الكاس فهو
القدح مع الشراب وجميع ما ذكر فيه من الرياح فهي رياح الرحمة وجميع ما ذكر فيه من الريح فهي ريح العقوبة وقال سفيان
ابن عيينة وجماعة معناه نخشع ونخضع بالطاعة وقال الحسن البصري معناه اياك نطيع وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان جبريل صلوات الله عليه قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد اي اياك نومل ونرجو ربنا لا غيرك
وهذا وجه لو ثبت روايته لم يحتج الى تاويل سواه وعن الضحاك قال معناه اياك نرجو ونخاف وهو اهل لذلك قال تعالى
هو اهل التقوى واهل المغفرة وقد لحق مدح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ويدعوننا رغبا ورهبا وقال في حق القانتين

بعد

يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وامر فقال وادعوه خوفا وطمعا وقال بعض اهل المعرفة العبادة شغل كلك به وهو شغل
القلب بمعرفته وشغل الروح بمشاهدته وشغل النفس بخدمته وشغل اللسان بمدحته وقيل العبادة اجلال الرب واذلال
النفس وقيل هي الرضا بالقضا والصبر على البلا والشكر على النعما وقيل تصديق الله تعالى فيما اخبر والانقياد له فيما قدر
والطاعة له فيما نهى وامر والثقة بما رغب وحذر وقوله نعبد من العبادة ومن العبودة عبادت مدحي كردن وعبودت
بنده بودن عبادت موقت است وان كردن طاعات است وعبودت مويد است وان ماندن معصيت است
راست كفتي عبادت است همه اوردن بر نوبي دروغ ما كفتي عبودت است همه اوردن همه دروغ نقبن روا بي
عبادت كردن اخ هدا اسد عبودت بسد بدرا اخ حد احدا اكدا عبادت دارن مال بطريق زكوة وصدقه
عبودت خوش بودن بر رفتن مال بغارت وسرقه وتواب اي بدل ركوان اب روى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال درهم واحد يأخذه السلطان ظلما وعدوانا خير من ان يتصدق بثلاثمائة الف
درهم وصاحب العبادة عابد وجمعه العباد وقد مدح الله تعالى الملائكة والنبيين والمؤمنين بها فقال في حق الملائكة
في صفة العبادة لا يستكبرون عن عبادته وقال في صفة العبودة بل عباد مكرمون وقال في عبادة الانبياء وكانوا
لنا عابدين وذكرى للعابدين وقال في عبودتهم انه كان عبدا شكورا كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين انه من عبادنا
المؤمنين واذكر عبدنا واذكر عبادنا نعم العبد قال اني عبد الله نزل الفرقان على عبده اسرى بعبده فاوحى الى عبده
وقال في حق المؤمنين في صفة العبادة التائبون العابدون وقال في صفة العبودية يا عبادي فمن العبادة الصلوة
بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج بلا اراءة والغزو بلا سمعة والعتق بلا اذية والذكر بلا ملالة
وسائر الطاعات بلا افة ومن العبودية الرضا بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة
والاقبال بلا رجعة والاتصال بلا قطيعة وقيل حقيقة العبودية ترك الدعوى واحتمال الاذى وحب المولى
وقيل هي ان لا يكون عندك للدنيا خطر ولا للكونين في قلبك اثر وقيل هي حفظ الحدود والوفا بالعهود والرضا
بالموجود وترك طلب المفقود وقال شقيق هي ترك الدنيا لاهلها وطلب الاخرة بحقها وان تجعل هواك تحت قضاء
الله تعالى ورضاه والاستعداد للموت والقيمة وقيل علامتها ان لا تزيد في رفعتك الا زدت في التواضع ولا تزيد في
مالك الا زدت في السخاوة ولا تزيد في عمرك الا زدت في الطاعة وقيل هي رؤية المنة وجهد الخدمة وخوف الخاتمة
فالاول الخليل حيث قال الذي خلقني فهو يهدين الايات والثاني الحبيب حيث قام حتى تورمت قدماه والثالث
ليوسف الصديق حيث قال توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم العبادة امر خلق الله الجن والانس لها وامرهم بها فقال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وامر بها الناس على العموم فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم وخص بها الانبيا
فقال وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وخص من بينهم موسى فقال انني انا الله
لا اله الا انا فاعبدني وقال في حق الامم ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله وقال في قصة كل نبي يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال في بني اسرائيل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقال في حق قوم
عيسى وان الله ربي وربكم فاعبدوه وقال في حق هذه الامة وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقال تعالى
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال واعبدوه واشكروا له وقال فاياي فاعبدون وخص به المصطفى فقال فاعبده
وتوكل عليه وقال واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقال فاعبده واصطبر لعبادته وقال بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
وامره ان يقول ذلك بالشافه فقال قل الله اعبد مخلصا له ديني وامرنا به ايضا ان نقول اياك نعبد وقوله تعالى
واياك نستعين اي نطلب العون ونسأله فان سين الاستفعال الطلب والسؤال وقال بعض اهل المعرفة اي
طلب المعين اي نسالك ان تجعلنا نعبدك كانا نعاينك فقد ثبت في الحديث ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه واياك نستعين على عبادتك وقال السدي معناه واياك نستعين
على ما خلقتنا له من عبادتك وقال ابن عيينة واياك نستعين على محاربة الشيطان الذي يمنعنا عن عبادتك وقال مقاتل
ابن سليمان اي بك نستعين في امورنا على ما يصلحنا في ديننا ودنيانا والجامع للاقاويل ان الشان نعيننا على اداء الحقوق
واقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح فان قالوا المعونة انما تطلب قبل العمل فلم لا قال اياك نستعين قبل قوله
اياك نعبد فجوابه من وجوه احدها ان الواو لمطلق الجمع لا للترتيب فمعناه انه ياتي بهما ولا يرتبهما والثاني معناه اياك نوحد
واياك نستعين على الثبات على التوحيد والثالث اياك نستعين على اداء الطاعات بعد التوحيد والرابع معناه اياك نعبد
في الحال واياك نستعين على غد في الاستقبال والخامس معناه اياك نعبد بظواهرنا فهي التي في وسعنا واياك نستعين
على حفظ بواطننا فانت الذي تقلبها كيف تشاء والسادس معناه اياك نعبد على الرجا واياك نستعين على الخوف والسابع معناه
اياك نعبد على الشكر واياك نستعين على الصبر وقال ابو بكر الوراق اياك نعبد لانك خلقتنا واياك نستعين لانك
هديتنا وقال محمد بن علي الترمذي اياك نعبد فاقبل عبادتنا وان كانت غير صافية واياك نستعين فاعنا وان كنا
غير مستحقين للاعانة وقال ابو الحسين العبادي اياك نعبد لانك الصانع واياك نستعين لان المصنوع لا غنى له عن
الصانع وقيل اياك نعبد لانا عبيد واياك نستعين لانك كريم مجيد وقيل اياك نعبد لانك المعبود بالحقيقة

وإياك نستعين على لزوم هذه الطريقة وقيل اياك نعبد وهذا اند لانه الظاهر واياك نستعين على ان تعلم قلوبنا
انه تعزز في الحقيقة والباطن وقد قال قائلهم واذا تذللت الرقاب تقربا ثم الجمع بين الكلمتين للافتخار والافتقار فقوله
نعبد افتخار بكونه عبدا له عابدا له وقوله تعالى نستعين افتقار الى معونته واحتياج الى توفيقه وعصمته وكانه يقول
تعارسن براركه سده مى و برار وسى فرود ود اركه بى معونت من برهيح ره اى وقالوا علما لنا التعليم بذل المجهود
ونلقين سؤال العطا والجود ثم تحقيق هذين اللفظين من العبد ان لا يخدم غير الله ولا يسال غير الله بعد ما اظهر
هذا من نفسه انه اياه نعبد واياه نستعين وقد حكي عن سفيان الثوري انه ام قوما في صلاة المغرب فلما قال اياك نعبد
واياك نستعين خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خفت ان يقال لي فلم تذهب الى ابواب الاطبا والسلاطين
ثم في مجموع الكلمتين تحقيق مذهب اهل السنة والجماعة وهو اثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله تعالى وفيه رد الجبرية
والمعتزلة والجبرية ينفون الفعل من العبد وقوله اياك نعبد يرد ذلك عليهم واهل السنة والجماعة يقولون من العبد
الفعل واختيار الفعل من الله تعالى خلق ذلك الفعل ومشيته ذلك الفعل والاية تدل على ذلك كله وقال الامام ابو منصور
رحمه الله اياك نعبد هو على اضمار الامر اي قل هذا انه لم يجعل له ان يستثني من القول ثم بل الزمه القول ثم فيجب ان
لا يستثني والله تعالى يقول انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال
ايمان لا شك فيه قال وقوله واياك نستعين فيه ابطال قول المعتزلة لان الاستعانة لا تصح على قولهم لان تلك
المعونة على ادا ما كلف اذ قد اعطي العبد ذلك اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا وقد بقي شي مما به اداء ما كان
به عند الله وطلب ما اعطي كتمان العطية وكفران فيصير كانه تعالى امره ان يكفر نعمه ويكفرها ويطلبها منه تعنتا وظن
مثله بالله كفر لا يخلو من ان يكون عند الله تعالى ما يطلب فلم يعط التمام اذا وليس عنده فيكون طلبه استهزاء ابدا ومن طلب
الى الخروما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به ولان الذي يطلب اما ان يكون لله ان لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم
انه لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي وليس له ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ومن هذا علمه بربه
فالاسلام اولى به وقوله اياك نعبد واياك نستعين وان اضمر فيه الامر بالقول في اول السورة كذلك فان الاول
مغايبة وهذا مخاطبة وكذا قوله اهدنا فكيف جمع بينهما وجوابه انه سائغ في كلام العرب ووارد في القران قال الله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم قال ان هذا كان لكم جزاء وقال فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم ثم قال
وان منكم الا واردها وقال تعالى وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها ثم خالصة لك
وهذا كله مغايبة ثم مخاطبة وقد وردت المغايبة بعد المخاطبة ايضا قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وقال النابغة • يا دارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد • رجع في هذا من المخاطبة الى الغيبة
وقال اخر ورجع من المغايبة الى المخاطبة • يا ويح نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر •
ثم اللطيفة ههنا ان المحب اذا ابتدا غايب فاذا انبسط خاطب ومنهم من جعل ابتدا هذه المخاطبة من مالك يوم
الدين على قراءة من نصب الكاف على الابتداء ومن قرا رب العالمين على النصب جعل الابتدا من ذلك ومن جعلهما
نصبا على المدح او على القطع كان على المغايبة بناء على افتتاح السورة وقوله عليه السلام في حديث القسمة هذا بيني
وبين عبدي نصفين اشار الامام ابو منصور رحمه الله الى معنيين فيه احدهما ان يكون كل واحد منهما بين الله وعبده
العبادة من العبد وهي لله تعالى والاستعانة فعل العبد وهي طلبه من الله تعالى والثاني ان العبادة من العبد لله تعالى
والمعونة من الله تعالى للعبد وهذا اظهر لانه قال في بقية السورة هذا لعبدي ولعبدي ما سال لما كان نفع الهداية
للعبد جعله للعبد فلذلك نفع المعونة ثم دلت هذه القسمة على ان التسمية ليست من الفاتحة فانه جعل السورة
نصفين ثم جعل هذه الاية المتوسطة نصفين وقبلها ثلاث ايات بدون التسمية فيصير مع نصف هذه الاية نصف
السورة ونصف هذه الاية مع الثلاث ايات التي بعدها نصف السورة وهي سبع ايات وانه لم يعد البسملة في تقسيمها
بل بدا بقوله فاذا قال العبد الحمد لله قال الله تعالى حمدني عبدي وهذا قول قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة
وعلى ذلك دلت الاخبار واثار الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقوله تعالى اهدنا انتظامه بما قبله ان قوله اياك نعبد
اظهار للتوحيد من نفسه واياك نستعين طلب العون من ربه وقوله اهدنا سؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته
واستعانته وفي تفسير الكلمة اقاويل احدها وهو المجمع على صحته قول علي وابي رضي الله عنهما اهدنا اي ثبتنا على الصراط
المستقيم وهذا كما يقال للرجل كل وهو ياكل واقرا وهو يقرا اي دم على ذلك واثبت عليه وهو نظير قول ابراهيم واسماعيل
ربنا واجعلنا مسلمين لك وهو دعاء استدامة واستثبات وبذلك خاطب الله جل جلاله المؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله والثاني قول مقاتل والسدي اهدنا اي ارشدنا وهو طلب عطاء الرشد في كل ساعة الى الطريق المستقيم
كيلا يزيغ عنه لحظة فعلا ولا قولا ولا نية وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ارشدنا الى الطاعات والثالث قول بعض
المفسرين انه طلب لزيادة المذكورة في قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وهو اليقين والنور اي زدنا اليقين الصائب
والنور الثاقب حتى نزداد كل يوم استبصارا وعلى الدين الحق ثباتا وقرارا والرابع قول بعضهم معناه وفقنا قال الله تعالى
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي لنوفقنهم لسلوك سبلنا

تعالى

وقال الشاعر • فلا تعجلي هداك المليك • فان لكل مقام مقالا • والخامس قول بعضهم معناه قدمنا الى طريق الجنة
قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم اي قدموهم وهو من قولهم اقبلت هوادي الخيل اي متقدماتها وهوادي الجبال
وجوههما واعناقها وهادية الاجل العنز المتقدمة عليها واصل الكلمة الامالة واغلب استعمالها في الارشاد والدلالة
يقال هدا ولكذا والى كذا وثلثها في القران اهدنا الصراط يهدي الله لنوره والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
والدلالة امالة وهدا العروس الى زوجها وهو زفافها اليه لذلك واهدى الهدية الى الصديق كذلك واهدى الهدي الى
الحرم كذلك وتهادى القوم في المشي اذا تمايلوا وخرج فلان يهادي بين اثنين من ذلك والهادي العنق والعصا والسابق
من ذلك ايضا والهدى المذكور في القران وان ذكرت وجوهها زائدة على العشرة فحاصله شيئان احدهما البيان كما في قوله
عز وعلا واما ثمود فهديناهم والثاني خلق فعل الاهتدا في العبد كما في قوله يهدي من يشاء وقد يجي ثالث وهو الاثبات
على الاهتداء وهو عين الثاني لانه يجدده فيه فعلى هذا قوله اهدنا ليس هو سؤال البيان فانه سابق ولا ابتداء الايجاد
فانه اعطاه لكنه سؤال التثبيت وهو تجديد فيه ساعة بعد ساعة فاما وجوهه المذكورة في القران فقد ذكر للبيان
وذكر لخلق فعل الاهتدا وقد تلونا الايتين وللتثبيت اهدنا الصراط المستقيم وللدعوة ولكل قوم هاد وللدلالة عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل وللاصلاح وان الله لا يهدي كيد الخائنين وللالهام والذي قدر فهدى اي خلق الذكر والانثى
فالهمهما كيف ياتيها ونا نيه وللدين ان هدى الله هو الهدى وللتوحيد وزدناهم هدى وللتوحيد ايضا نحن صددناكم عن الهدى
وللرسل والكتب فاما ياتينكم مني هدى ولامر محمد خاصة يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى وللقران خاصة ولقد
جاءهم من ربهم الهدى وللتوراة خاصة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى وذكر الاهتدا لوجوه لمعرفة طرق الدنيا
وبالنجم هم يهتدون وللاسترجاع واولئك هم المهتدون وللاستنان بسنن الماضين وانا على اثارهم مهتدون
ولسلوك مذهب السنة والجماعة واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى ولبعض المحققين في قوله اهدنا
كلمات مليحة وهو الامام القشيري قال اهدنا اي مل بنا اليك واجعل اقبالنا عليك وكن علينا دليلنا ويسر اليك سبيلنا
واقطع اسرارنا عن شهود الاغيار ولوح في قلوبنا طوالع الانوار وافرد قصودنا اليك عن دنس الاثار ورقنا عن منازل
الاستدلال الى ساحات القرب والوصال وحل بيننا وبين ساكنة الامثال والاشكال بما كاشفتنا به من شهود الجمال
والجلال ازل عنا ظلمات احوالنا لنستضي بنور قدسك وارفع عنا ظلال جهدنا لنستبصر بنجوم جودك احفظنا
عن النزغات والوساوس والخطرات والهواجس كيلا يستهوينا افة من فتنة او هوادة او طمع او عادة او كسل وضعف ارادة
او طمع مال او استزادة وقال الامام ابو منصور رحمه الله قالت المعتزلة المراد من هذه الاية ههنا البيان فانهم لا يرون
من الله عز وجل خلق فعل الاهتداء ولو كان كما قالوا فهم والمغضوب عليهم والضالون سواء لا نعقد بين الكل ثم في هذه الكلمة
فوائد منها ان الله امر عباده بهذا السؤال لانهم محتاجون اليه وهو الذي ساله الانبيا والاوليا قال يوسف صلوات الله عليه
توفني مسلما وقال سحرة فرعون عليه لعائن الله وتوفنا مسلمين وقالت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وتوفنا مع الابرار
وما ينبغي ان يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير في المال واعتبر بابليس وبرصيصا وبلعام وثعلبة ومنها انه علم كيفية
الدعا وهو البداية بالثناء وقد قال عليه السلام من بدا بالدعا قبل الثناء فهو قمن ان لا يستجاب له ومنها انه امر بهذا
الدعا ولو لم يرد الاجابة لما امر به وقد تحقق ذلك فيما روينا هذا لعبدي ولعبدي ما سال وهذا اثبات المباسطة
وهو حقيقة المحبة وما روي ان المصلي يناجي ربه فقد قيل وهو في هذا وفي اثبات هذه المناجاة اثبات المحبة
والقربة والخصوصية فلا مناجاة الا من اهل المحبة ولا يعقد نيل القربة الا عند ظهور الخصوصية ومنها ان قوله تعالى
اهدنا على الجمع يكون لنفسه ولعامة المسلمين وهو اثبات محل الشفاعة له ويقول في اخر الصلوة واغفر للمؤمنين والمؤمنات
فيشفع لهم في طريق المغفرة ويقول اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة فيشفع لهم في سؤال مصالح الدنيا والاخرة وفي
القيام يقول اهدنا وهذا سؤال لنفسه ولهم الثبات على الايمان والمعرفة وانه اعظم الشفاعة ولما ثبتت الشفاعة
لكل مؤمن في حق كل اهل الايمان فما ظنك بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في حق اهل العصيان وقوله تعالى الصراط
فقد قرا نافع واهل العراق والعامة بالصاد وقرا ابن عباس بالسين وبه قرا ابن كثير وقرا حمزة باشمام الزاي فالصاد
لغة قريش والسين لغة بني قيس والزاي لغة بني عذرة والصراط هو السبيل وقيل هو الطريق السوي الواضح وقيل
هو لغة الروم وقال ابو عبيدة ليس في القران غير العربية وقيل لما تكلمت العرب به صارت عربية ايضا وقيل هو من الاسترط
وهو الابتلاع سمي به لانه يبتلع سالكيه وقيل ان المسترط يسرط الطعام والطريق يسرط الانام وصارت السين صادا لمطابقة
الطاء وكذا الضعيف يقوى بانضمام له بالاقويا واختلف في المراد به ههنا فقال ابن عباس وجابر وابن الحنفية والضحاك ومقاتل
وابن جريج هو الاسلام قال تعالى خبرا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي لاضلنهم عن دينك وقال في نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما هو كتاب الله تعالى قال تعالى فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقال الحسن البصري وابو العالية الرياحي هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم
وصاحبيه ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قال تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويهديك صراطا مستقيما وقال في حق اصحابه
لقد رضي الله عن المؤمنين الى قوله ويهديكم صراطا مستقيما وعن بكر بن عبد الله المزني قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم

في المنام فسألته عن الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقال ابو سليمان الداراني
هو طريق العبودية التي ذكرها قبله اياك نعبد قال الله تعالى فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقال السدي هو طريق الجنة
فالطريق طريقان طريق الجحيم قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وطريق الجنة اهدنا الصراط المستقيم ثم انما سمي
الدين صراطا لان من كان له مقصود او مطلب مقصد فانما يصل اليه بعد قطع الطريق وسلوك سواء السبيل والله
تعالى يتعالى عن الامكنة لكن العبد الطالب صاحب المكان فلا بد له من قطع المسافات وسد الآفات وتحمل المخافات
ليكرم بالوصول والموافاة وقيل لبعض الكبراء ما الطريق الى الله فقال خطوتين وقد وصلت تدور برة فتنبذ الدنيا
وراء ظهرك وتدور ثانية فتنبذ العقبى وراء ظهرك وقد وصلت وقوله تعالى **المستقيم** اي المستوي يقال
اقامه فاستقام كما يقال اوسعه فاستوسع وارخاه فاسترخى واللازم يجيء من ثلاثة ابواب من الانفعال كالانقطاع
ومن الافتعال كالاختلاط ومن الاستفعال كالاسترسال ثم وصف الطريق به له معنيان احدهما انه مستو بنفسه
غير معوج والثاني ان سالكه مستقيم فيه كقوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر فيه وكقوله نهر جار اي الماء جار فيه
ونظيره في القرآن فاذا عزم الامر اي عزموا فيه وقوله فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا فيها وقوله قالوا تلك اذا
كرة خاسرة وقال بعض اهل التفسير هو المستوي الذي لا يميل بسالكه الى خطأ وقال بعضهم هو الذي يفضي بسالكه
الى الجنة وقال الامام ابو منصور رحمه الله هو القائم اي الثابت بالبراهين الذي لا يزيله شيء ولا ينقض حجته كيد وقال
الامام القشيري رحمه الله هو ما عليه من الكتاب والسنة دليل وليس للبدعة اليه سبيل وقال ايضا هو ما درج عليه سلف
الامة ونطق بصوابه دلائل العبرة وقال ايضا هو ما شهد بصحته دلائل التوحيد ونبه عليه شواهد التحقيق قال نجم
الدين رضي الله تعالى عنه وانا اقول هو ما ليس عليه ظلام النكرة ولا غبار البدعة هو ما لا يضل سالكه ولا يهتدي تاركه
هو ما لا يخاف فيه قطع الطريق بمد سالكه بيد رفقة العصمة والتوفيق هو ما يسهل الى المقصد والمقصود ووصول
قصاده والله تعالى بمرصاده وقوله تعالى **صراط الذين** هو بدل عن قوله اهدنا الصراط وهو كالتفسير له والبدل
يتبع المبدل في اعرابه لانه هو وهو كقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله فاتبع الخفض الخفض وههنا
اتبع النصب النصب وهذا كقوله لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة وقوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف هذا كله عند الخليل يسمى البدل وعند الاخفش يسمى عطف البيان وعند الكسائي يسمى الاتباع
وعند الفراء يسمى المترجم وقوله الذين هو جمع الذي وهو اسم موصول لا يتم الا بصلته ولا يذكر بدونها وتانيثه التي
وتثنية الذي اللذان وتثنية التي اللتان وجمع الذي الذين وجمع التي اللاتي واللواتي واللائي وقوله تعالى **انعمت
عليهم** اي مننت عليهم والاسم منه النعمة بالكسر وبالفتح التنعم وبالضم المسرة واختلف في هؤلاء المنعم عليهم من هم
وفي هذا الانعام عليهم ما هو قال مجاهد وابو روق هم النبيون ودليله قوله في سورة مريم بعد ذكر الانبياء اولئك الذين
انعم الله عليهم وقال ابن كيسان هم الانبياء والصديقون وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد هم الانبياء واتباعهم وقال
مقاتل هم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون وقال السدي هم الانبياء والمؤمنون وهذه الاقاويل الاربعة
متقاربة ودليلها كلها قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اصحاب موسى صلوات الله عليه قبل ان يغيروا نعمة الله عليهم ودليل ذلك قوله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقال الضحاك وابن جريج ووكيع هم المؤمنون ودليله قوله تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال سعيد بن المسيب هم جميع من انعم الله عليهم
بالهدى والطاعة وقال سهل بن عبد الله التستري هم الذين انعم الله عليهم بالسنة وذلك دليل قوله تعالى اولئك هم
الراشدون فضلا من الله ونعمة وقال محمد بن علي هم الذين انعم الله عليهم بشكر ما انعم عليهم وذلك لان النعمة انما تبقى
لمن شكر لا لمن كفر فاذا زالت فكانها لم تكن وقال علي بن الحسين بن واقد هم الذين انعم الله عليهم بالشكر على السراء
والصبر على الضراء لان الشكر لا يتم الا بالصبر وقال الحسن هم الصحابة الاربع ودليله ما تلونا فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم الآية وهي نزلت فيهم وقال الامام القشيري هم الذين انعم الله عليهم بالهداية الى الصراط المستقيم
لانها هي المذكورة قبله وهم الانبياء والاصفياء وقال الحسين بن الفضل هم الذين اتم الله عليهم النعمة وختم لهم بالموت
على الاسلام لانه هو النعمة بالحقيقة هذه اقاويل المفسرين وفيه اقاويل للمحققين قال جعفر بن محمد الصادق الذين
انعمت عليهم بالعلم بك والفهم عنك وقال محمد بن علي الترمذي الذين زمت جوارحهم بالهيبة عند الخدمة وقال
ابو العباس بن عطاء هم طبقات فالعارفون انعم عليهم بالمعرفة والاولياء انعم عليهم بالصدق والرضا واليقين
والصفوة والابرار انعم عليهم بالحلم والرافة والمريدون انعم عليهم بحلاوة الطاعة والمؤمنون انعم عليهم بالاستقامة
وقال ابو عثمان الحيري الذين انعمت عليهم بان عرفتهم مهالك الصراط ومكايد الشيطان وخيانة النفس وقال محمد
بن الفضل الذين انعمت عليهم بالاعانة على الاستعانة في طريق مناجاتك وقال بعض البغداديين صراط من
اغنيته عن النظر الى النعمة بدوام التنعم بقربك ومؤانستك وقيل صراط الذين انعمت عليهم بالنظر الى جريان
ما جرى عليهم في الازل فلم يشغلهم كشف ذلك عن الشغل بك وقيل انعمت عليهم بالايمان والهداية والتوفيق والرعاية

والمراقبة والكلاية وقيل انعمت عليهم بفناء حظوظهم وبقائهم معك بحسن الادب وقيل انعمت عليهم بمشاهدة المنعم
دون النعمة وقيل انعمت عليهم بازالة ظلمات الاكوان عن سرائرهم وظهرت ارواحهم بنور قدسك فشاهدوك بهممهم
ولم يشاهدوا معك سواك وقيل انعمت عليهم بعبادتك على المشاهدة حتى عبدوك كانهم يرونك وقيل انعمت عليهم
بان اذنت لهم في سؤالك ومناجاتك وقيل انعمت عليهم بالوصول فلم يقفوا في الطريق وقيل انعمت عليهم بالقيام بحقوقك
دون التعريج على استجلاب حظوظهم وهو قول القشيري وقال ايضا صراط من ظهرتهم من آثارهم حتى وصلوا اليك بك
وقال ايضا اي حفظت عليهم آثار الشريعة عند غلبات وارادات الحقيقة حتى لم يخرجوا عن حد العلم ولم يخلوا بشيء من احكام
الشرع وقيل اهلتهم لانعامك واصطنعتهم لاكرامك وقيل انعمت عليهم في البداية بالعناية وفي الحال بالهداية وفي
النهاية بالحماية قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذا في البداية وقال تعالى ان هداكم للايمان وهذا في الحال
وقال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا في النهاية وقال الامام ابو منصور رحمه الله وعلى قول المعتزلة ليس لله
على احد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين اذ لا نعمة من الله تعالى على احد الا الاصلاح في الدين والبيان
للسبيل المرضي وتلك نعمة كانت على جميع الكفرة فبطل على قولهم الثناء وبالله العصمة وقوله تعالى **غير المغضوب عليهم**
وكلمة غير تجيء على ثلاثة اوجه بمعنى المغاير وقارسيته جز وقال تعالى لتغزى علينا غيره وبمعنى لا وفارسيته بي قال تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد اي لا باغيا ولا عاديا وبمعنى الا وفارسيته مكر قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ويجوز صرفها ههنا الى هذه الوجوه فان حملت على الاول فمعناها ثبتنا على صراط الذين تممت النعمة عليهم المغايرين للمغضوب
عليهم وان حملت على الثاني فمعناها على طريق المنعم عليهم لا المغضوب عليهم وان حملت على الثالث فمعناها الا المغضوب عليهم
وهذا على قراءة الخفض وقد روى الخليل بن احمد عن ابن كثير انه قرأ بالنصب وللنصب وجوه احدها الاستثناء وللاستثناء
وجهان احدهما حقيقة الاستثناء على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله انعمت عليهم انهم بنو اسرائيل لقوله تعالى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ويكون هذا سؤال التثبت على طريق اهل الكتاب الذين آمنوا بكل الانبياء وبكل الكتب واستثناء
اليهود والنصارى منهم الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض والثاني ان يكون استثناء منقطعا بمعنى لا اي نسالك طريق
الاولياء لا طريق الاعداء ووجه آخر للنصب انه على الحال وقال الكسائي هو على القطع وقيل هو على المدح وتقديره لا المغضوبا
عليهم وقراءة الخفض وهي قراءة العامة اما انه نعت الذين انعمت عليهم وذلك مخفوض بالاضافة ويجوز في اللغة
الرفع على الاستئناف بمعنى وهم غير المغضوب عليهم ولم يقرأ به احد فلا يقرأ به فاما المغضوب عليهم فالغضب هو
نقيض الرضا وقيل هو ارادة الانتقام وقيل هو تحقيق الوعيد وقيل هو الاخذ الاليم والبطش الشديد وقيل هو هتك الاستار
والتعذيب بالنار والغضب فعل لا يتعدى الا بصلة وهو على وجوه ويجيء منه المفعول به موصولا بهذه الصلة ثم التثنية
والجمع والتانيث يدخل الصلة لا الموصول لان هذه الزيادة تدخل بعد التمام وتمامه بصلته فيقال رجل مغضوب عليه
وامراة مغضوب عليها ورجلان وامراتان مغضوب عليهما ورجال مغضوب عليهم ونساء مغضوب عليهن وفي عليهم
سبع قراءات كسر الهاء وتسكين الميم وهي قراءة الاعمش واهل المدينة والبصرة والكوفة والشام وبضم الهاء وتسكين الميم
وهي قراءة الاعمش وبكسر الهاء وضم الميم مع الواو وهي قراءة ابن كثير وبضم الهاء والميم مع الواو وهي قراءة عيسى بن عمر
وبكسر الميم مع الياء وقراءة الحسن وباختلاس ضمة الهاء واسكان الميم رواية عبد الوهاب عن ابي عمرو والحسن بكسر الهاء
والميم بغير ياء قراءة عمرو بن فائد فاما المراد بهم في هذه الآية فقد روى عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انهم هم اليهود والضالون هم النصارى وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما واستشهد بقوله تعالى قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وذلك انهم كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانهم كانوا يرجون محمدا من ولد اسماعيل وهو ابوهم
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ولد اسماعيل كفروا به حسدا او بغيا فباؤوا بغضب على غضب اي انقلبوا بسخط على
سخط ولعنة على لعنة الاول بكفرهم بعيسى والثاني بكفرهم بمحمد عليهما السلام وكذا فسر الضحاك ومقاتل والسدي
وعطاء وابن جريج وابن كيسان وفيه كلام كثير نذكره بعد ذكر الضالين وقوله تعالى **ولا الضالين** قيل لا صلة مؤكدة
ومعناه غير المغضوب عليهم والضالين لكن زيدت لا لئلا يظن انه معطوف على الذين انعمت عليهم وقيل هو بمعنى غير
الذي تقدم كانه قال غير المغضوب عليهم وغير الضالين وانما جاز ان يعطف بلا على غير لانهما جميعا للنفي فتناسبا يقال
هذا غير عاقل وغير عالم وهذا غير عاقل ولا عالم وهذا لا عاقل ولا عالم وقيل كلمة لا لتاكيد زائدة فان قولك ما جاءني
زيد وعمرو ينفي مجيئهما جميعا وقولك ما جاءني زيد ولا عمرو ينفي مجيئهما جميعا وتفرقة وهذا ابلغ في النفي فكذا في سؤال التثبت
على طريق المنعم عليهم والعصمة عن طريق الضالين والمغضوب عليهم والضلال نقيض الرشد وهو في القرآن لمعان
الغي والكفر قال تعالى خبرا عن ابليس لعنه الله عليه ولاضلنهم وللزلل قال تعالى لهمت طائفة منهم ان يضلوك وللخسار قال
تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وللخطا قال تعالى خبرا عن اخوة يوسف صلوات الله عليهم ان ابانا لفي ضلال مبين
وللبطلان قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم وللجهالة قال تعالى خبرا عن موسى قال فعلتها اذا وانا
من الضالين وللنسيان قال تعالى ان تضل احداهما وللتلاشي قالوا اءذا ضللنا في الارض وفي هذه الآية هو ضلال الكفر

لانه مقابل بالايمان المذكور فى قوله صراط الذين انعمت عليهم فهو كفر مخصوص لانهم معطوفون على المغضوب عليهم
فالظاهر انهم غيرهم وقد روى انهم النصارى ثم الغضب والضلال وردا جميعا فى القران لجميع الكفار على العموم وللىهود
والنصارى جميعا على الخصوص ثم قال تعالى فى حق جميع الكفار ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وقال تعالى ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا وقال فى حق اليهود هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه الى ان قال اولئك شر مكانا واضل سبيلا وقال فى حق النصارى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيرا الى ان قال لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وانما خص اليهود بالغضب فى هذه الاية والنصارى
بالضلال لان وعيد الغضب فوق الوصف بالضلال لان الغضب هو ارادة الانتقام لا محالة واليهود احق بذلك لغاية
قبح كفرهم وبلوغهم الغاية فى التمرد والمعاندة فقد قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقالوا يد الله مغلولة غلت ايديهم
اى هو بخيل وقالوا ان الله خلق السموات والارض فى ستة ايام فتعب فاستراح يوم السبت وكانوا يعادون جبريل وكانوا
يقتلون النبيين بغير الحق وقصدوا قتل عيسى صلوات الله عليه وقالوا قد قتلناه وقالوا على مريم بهتانا عظيما وحرفوا
التورية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاستحقوا بذلك كله الغضب واما الضلال
فهو الميل عن الطريق المستقيم والنصارى قد عدلوا عنه بعد غاية التبيين فقد دعاهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام
بالتورية والانجيل والفرقان فهم فى غاية الضلالة بعد وقوع البيان على الكمال ولانهم فى غاية العمى والتمادى فى التردى
بقولهم ان الله ثالث ثلاثة ان الله هو المسيح بن مريم وذلك لانهم راوه يدعى انه يصح المرضى ويحيى الموتى وكذا وكذا وذلك
شى اعطاه الله عز وعلا معجزة له والله تعالى هو الموجد والمظهر لذلك فجعلوه من عند عيسى نفسه واتخذوه الها واشركوا به
مع ما راوه يأكل ويشرب ويجئ ويذهب ويستريح ويتعب ولو لم يكن لهم من الفطنة ما يعلمون ان المضطر المغلوب
المقهور لا يكون الها فيرجعوا الى ما رجع اليه ابراهيم حيث قال لا احب الافلين الى ان قال لئن لم يهدنى ربى
لاكونن من القوم الضالين لان المغضوب عليه لا ينال الرضى ابدا فكذا اليهود لا يسلمون ابدا فاما الضال فقد
يهتدى وقد روى ان عيسى صلوات الله عليه حين ينزل من السماء فى اخر الزمان يدعو النصارى الى الايمان بمحمد
فيؤمنون وبعد الضلال فيهتدون وقال بعض المحققين المغضوب عليهم هم المعاندون من اهل الكتاب والضالون
هم المقلدون منهم قال تعالى فى حق المعاندين منهم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون وقال تعالى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقال موسى
لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقال فى حق المقلدين منهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى
وان هم الا يظنون وقال قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وقال فقال الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا ثم الغضب للمعاندين قال تعالى والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم
وعليهم غضب والضلال صفة المقلدين قال وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ثم فى مجموع الكلمتين
كلام كثير للسلف قال سهل بن عبد الله التسترى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة وقيل المغضوب
عليهم المكابرون والضالون المرتابون وقيل المغضوب عليهم المشركون والضالون المنافقون وقيل المغضوب عليهم
ائمة الكفر والضالون اتباعهم وقيل المغضوب عليهم الكافرون والضالون المبتدعون وقيل المغضوب عليهم الموقعون
فى مهاوى الردى والضالون الحائرون عن طريق الهدى باتباع الهوى وعلى لسان اهل المعرفة غير المغضوب عليهم
برؤية الافعال والضالون بطلب الاعواض على الاعمال وقيل غير المغضوب عليهم بترك حسن الادب فى اوقات القيام
بخدمتك ولا الضالين عن مراعات السنن فى اركان العبادات وقيل بترك حسن الادب فى اوقات خدمتك ولا الضالين
عن مراعاة   وقيل غير المغضوب عليهم بان وكلتهم الى انفسهم ولا الضالين بترك اعتصامهم بك وتمسكهم وقيل غير
المغضوب عليهم اى الذين صدمتهم هواجر الخذلان وادركتهم مصائب الحرمان وكستهم سطوة الرد وغلبتهم صدمة
الصد وقيل غير المغضوب عليهم بنسيان التوفيق والعصمة ولا الضالين عن شهود سوابق الاختيار والقسمة وغير المغضوب
عليهم لتضييعهم اداب الخدمة وتضجيعهم فى اداء شروط الطاعة وقيل هم الذين ينقطعون فى مفاوز الحرمان وتبددت
بهم الهموم فى اودية وجوه الحسبان وقيل قوله اهدنا اى ثبتنا على طريق الذين انعمت عليهم بتوفيقهم لحمدك ورؤيتهم استحقاق
الحمد لك دون غيرك لا على طريق المغضوب عليهم الذين استجازوا حمد غيرك ولا الضالين الذين اذا حمدوك نسوا فعلهم
بحمدك وغفلوا عن رؤية منتك فى توفيقهم لحمدك وقيل اى ثبتنا على طريق الذين انعمت عليهم فغلبت بحبهم ويحبونه
واعصمنا عن طريق المغضوب عليهم والضالين الذين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فاجعلنا من احبابك الذين صح لهم
المعنى ولا تجعلنا من اعدائك الذين قطعهم عنك كاذب الدعوى وقيل اى ثبتنا على طريق الذين انعمت عليهم ورضيت
عنهم اذا رضوا عنك بما كان عليهم منك ولا تجعلنا من الذين غضبت عليهم اذا سخطوا عنك بما اصابهم من مكروه سبق به
القضاء منك ولا من الذين ضلوا عن الطريق بان قصدوا فى سلوك الطريق غير الطريق وانما امروا بسلوك الطريق
الموصل الى مرامهم بسلوك هذا الطريق فاذا نازلوا الطريق فقد انقطعوا عن الوصول وحجبوا عن الدخول وليس كل
من وصل حصل ولا كل من دخل قرب ولا كل من بوخص ولا كل من خص بقى فكم من متقرب بعد ومخصص طرد ثم ذكر

مهنا الهدى والصراط واضاف الهدى الى نفسه فى قوله جل جلاله قل ان هدى الله هو الهدى واضافه الى العباد فى قوله
فبهداهم اقتده واضاف الصراط الى نفسه فى قوله وان هذا صراطى مستقيما وقوله صراط الله واضافه الى العباد فى قوله صراط
الذين انعمت عليهم وكذا قال فى الدين افغير دين الله ثم قال اليوم اكملت لكم دينكم وذلك لوجوه احدها ان ذلك كله له
شرعا ولنا نفعا هو الذى شرع ذلك وجعل لنا نفع ذلك ولانها له ارتضاء واختيارا ولنا سلوكا واتمارا ولانه اضافه
الى نفسه قطعا لعجب العبد ثم اضافها الى العبد تسكينا لقلب العبد ولانه اضافها الى العبد تشريفا له وتقريبا ثم اضافها
الى نفسه قطعا للطمع بالكبر عنه وتحبيبا وهذا كما قيل لما نزل قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين قال اللعين ان
لم اقدر على سلب عز الله ورسوله اسلب عز المؤمنين فقال الله جل جلاله فلله العزة جميعا فقطع طمعه عن ذلك وقول
القارى آمين بعد تمام السورة فيه لغات امين بالقصر قال الشاعر تباعد منى فطحل اذ القيته امين فزاد الله ما بيننا
بعدا وآمين بمد الالف قال الشاعر يارب لا تسلبنى حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال امينا وآمين بالامالة اللغة وهى
قراءة ايضا ولو قيل امين بالتشديد فهو خطأ فى هذا الموضع وذكر شمس الائمة ابو محمد عبد العزيز بن احمد الحلوانى رحمه الله
وجها لهذا تصحيحا لكلام العامة وصيانة للعتهم عن الفساد ان معناه ندعوك قاصدين اجابتك فان تفسير الآمين
بالتشديد هم القاصدون قال تعالى ولا آمين البيت الحرام وعن جعفر بن محمد الصادق انه فسره بما يدل على انه كان يشدد
فانه قال اى قاصدين نحوك وانت اكرم من ان تخيب قاصدك وكذلك قال الحسن بن الفضل البجلى معناه نقصد نائك
بهذا الدعاء فاجبه لنا وفى اعرابه وجوه افصحها الفتحة وهى القراءة الظاهرة ووجهه انه من الادوات وهى مبنية والاصل
فى البناء السكون وعند التقاء الساكنين يضطر الى التحريك فيفتح لان الفتحة اخف الحركات كما فى سوف وكيف واين
وقد يسكن للوقف وقد يكسر ايضا لان الساكن اذا حرك كسر وقال الشاعر فان نصيبك من الاياب حاجة لم تبك
منك على دنيا ولا دين ولا تقول اذا يوما نعيت لنا الا امين رب العرش امين وقد ذكر فيه الفتح ايضا على النداء على تأويل
من جعله اسما لله تعالى كانه قال يا امين فاما تفسيره ففيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم رب افعل
قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه كذلك يكون وقيل اصله فارسية معناه مهيمن وقال مجاهد هو اسم من اسماء الله تعالى
ومعناه انه امن من الزوال ومامون من جوره ومؤتمن على كل شى ومهيمن اى شهيد وقال زيد بن اسلم كنز من كنوز العرش
لا يعلم تأويله الا الله تعالى واما فتحه على تفسير من جعله اسما لله تعالى ومن حقه الرفع لانه نداء فلانه نداء به واصله يا امينا
وحذفت الهاء والالف تخفيفا فبقيت النون على الفتح ثم عند مجاهد من السورة وعند غيره ليست منها وروى ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما قرأ الفاتحة قال له جبريل قل امين وقال عليه السلام امين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين
وسمع رجلا يدعو ليلا فقال عليه السلام اختم بامين وابشر وروى ابن عمر رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الداعى
والمؤمن شريكان يعنى به قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما وقال عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان
الامام يقولها والملائكة تقولها فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفارسية التعوذ والتسمية
والفاتحة على بسط يافتى على اكثر الاقاويل منها هدانى انه حسنم وساه مى خواهم و فرياد مى خواهم بخداى كه معبود
حق است واندحسواده حلق است ووالهكيسه اهل شوق است وقديم وازلى است وعظيم وعلى است وعقلها حيران
است در عظمت او ودلها ا ارام است در شاهدت او ودها بحجب است درسا ارد وسا اوارد نورده ورا مهر ورد
حروب وهلاك ما مهر وبى ورمان بى درمان ناعدوان ما طغيان واعاريى كنم بنام خداى بخشنده بخشايشه
دهنده امر بين رهاسده رساسده خواسده خواهنده بكو بسد سابى وسابى مر خداى را سردجى احبار راري
وسبابى من خداى را چون اسد ادارى وجامع مر معانى حمد را اين بود سابى حداى را كه همه ساهابى است
وسكر وراس همه نعمتها الدى حدو بى شها است ورضا بقضاى لدوحكم وياد سابى وراست وساسهاهمه ورا
كه صفات وى بن وى مدحت وساسبت اوندكان وپروردگان همه جهانيان است ودرهر جهرى برالوهست وپو
ووحدانيت برقدرت اوشان است روزى دهنده بندگان است بخشاينده بر عاصيان است پادشاه وروز
وتحير است كه در وى حساب وجزا وحكم وقضا ولداست موحدان وثواب مطيعان وخضوع جباران وقهر
بعاران وجود كافران است ترا ايم بر اخوانيم وبر اخواهيم بر ساب ورا ماسم ورا برسم ومارى از بواحم هم
وساب برا ايمان وگزارد فرمان ومخالفت شيطان وكشيدن باركان ومكسان دامن اسكار او بهان بند از ما برراه
ايمان وموافقت فرمان ومتابعت انبيا وياران وهمه نيكوكاران وتوفيق رهمار امر طاعت وسعراى بار از طريق
سد ود ور فوشت ما راد در راه حق ونگاه دار مارا از جهودان وترسايان وزنديقان كمراهان وبا كروند
كان وهواداران وجدت ما از بندگان ومستا مند كان ودر رفت راه مراه بستنده كسند كان امين اى الله
براحوف مانى ودر فعل تو جور وجفانى ودر قول تو خلف وخطانى ودر علم تو هيچ خبر راخفانى همبنده كه
حواسيم كه حر براحاست كسده دعانى ثم من لطف الله جل جلاله ان اكرمنا بهذه السورة واتم نعمته بمحمد رسوله
نبى الرحمة فقال فى اول هذه السورة الحمد لله وقال فى حق محمد نبيه محمد رسول الله ثم قال هنا رب العالمين وقال فى حق
رسوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال هنا الرحمن الرحيم وقال فى حق رسوله بالمؤمنين رؤف رحيم

سورة البقرة

ثم قال ههنا مالك يوم الدين وقال في حق رسوله ليظهره على الدين كله ثم قال ههنا اياك نعبد واياك نستعين
وقال في حق رسوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ثم قال هاهنا اهدنا الصراط المستقيم وقال في حق رسوله وانك
لتهدي الى صراط مستقيم ثم قال ههنا صراط الذين انعمت عليهم وقال في حق رسوله ويتم نعمته عليك وقال ههنا
غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقال في حق رسوله ما ضل صاحبكم وما غوى ثم يقول تارك السورة امين وهو
خاتم رب العالمين والمصطفى محمد خاتم النبيين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الذي انزل الكتاب بلا ريب الرحمن الذي لطف بالمومنين المتقين بالغيب الرحيم الذي من على المقصرين بستر
العيب وانتظام هذه السورة بالفاتحة من سبعة اوجه بواحد واثنين وثلاثة واربعة وخمسة وستة وسبعة اما الواحد
فالفاتحة ام الكتاب وافتتاح هذه السورة بذلك الكتاب ولان الفاتحة اول سورة انزلت بمكة والبقرة اول سورة انزلت
بالمدينة واما الاثنان فان الفاتحة قسمان ثنا ودعا وهذه السورة اولها ثنا واخرها دعا فان الم فيها اقاويل كثيرة
منها انه اسم الله الاعظم ومنها ان معناه انا الله اللطيف المجيد ومنها انا الله اعلم ومنها ان ذلك ثنا على الله واخر السورة
سوالات الحاجات من الله جل جلاله واما الثلاثة فان اول الفاتحة بيان الوهية الله تعالى وربوبيته ورحمته وملكه وفيه
تعليم توحيد الله ومعرفته ووسطها اخبار العبد عن عبادته وعبوديته واستعانته وهو تعريف العبد سلوك طريق
شريعته وحقيقته واخرها سوال الثبات على ذلك والعصمة من مخالفته وفيه تلقين العبد الرجوع الى الله تعالى في طلب
مصالح دنياه واخرته ومجموع هذه السورة اقسام هذه الصورة فانه ذكر الايمان في اولها واثنائها واخرها يومنون
بالغيب قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية ولكن البر من امن بالله الاية امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون
الاية والايات التي فيها بيان وحدانيته جل جلاله والهكم اله واحد الله لا اله الا هو الحي القيوم الاية وذكر نفس العبادة
في قوله اعبدوا ربكم ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك وتفاصيل العبادة من الصلاة واستقبال القبلة فيها والخشوع
فيها والصوم والزكاة وساير الصدقات والنفقات والحج والعمرة والجهاد والاعتكاف والوصية وايتاء المال على حبه وتفاصيل
العبودية من التقوى والصبر والشكر واجتناب الخمر والوفا بالعهد وترك الحرام والانقياد للاحكام من القصاص
والطلاق والنكاح والمتعة والانفاق والعدة في الرجعة والرضاع والايلا والحيض والولادة والمبايعات والمداينات
والرهون والامانات في تفاريق الايات وذكر الدعوات من ادم في اولها ومن ابراهيم صلوات الله عليهما في وسطها ومن المومنين
من سوال الحسنيين من بعدها ومن المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن الامة في اخرها واما الاربعة فان الفاتحة لما نزلت
اول شي وقراها النبي صلى الله عليه وسلم وسمعها الناس وفيها دعا الى التوحيد وغير ذلك مما قلنا صار السامعون اربعة
اصناف صنف كانوا عبدة الاصنام فامنوا به ظاهرا وباطنا وصنف كانوا اهل الكتاب مومنين بالماضين من الرسل
فامنوا به ظاهرا وباطنا ايضا وصنف كفروا به وكذبوه ظاهرا وباطنا وصنف خافوا سيفه فامنوا به ظاهرا وكفروا به
باطنا فذكرهم الله جميعا في اول هذه السورة فان قوله هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب في الصنف الاول وقوله
والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك في الصنف الثاني وقوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم الاية
في الصنف الثالث وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله في الصنف الرابع واما الخمسة فالافعال المذكورة في الفاتحة خمسة
الحمد والعبادة والاستعانة والاهتدا والضلالة فالحمد على المنعم وفي هذه السورة تعديدها والعبادة على وجوه وفي هذه
السورة تفصيلها والاستعانة على امور وفي هذه السورة تبيينها وفي الاهتداء به مثوبات وفي هذه السورة تقريرها
والضلال عليه عقوبات وفي هذه السورة تكريرها واما الستة فالمذكورة في اول ايات الفاتحة العالمون واكثرهم على
انه اسم لاهل الحيوة منهم دون الجماد لجمعه بالياء والنون وهم ستة الملائكة والجن والانس والشياطين والدواب والطيور
كما حكينا عن ابي حنيفة وهم كلهم مذكورون في هذه السورة فاما الملائكة فقد قال واذ قال ربك للملائكة واذ قلنا للملائكة
من كان عدوا لله وملائكته اولئك عليهم لعنة الله والملائكة كل امن بالله وملائكته واما الجن فقد ذكر ابليس وذكر في اية
انه كان من الجن واما الانس فقد قال يا ايها الناس اعبدوا ربكم وكرر ذلك واما الشياطين فقد قال ما تتلوا الشياطين
واما الدواب فهي كل ما يدب على وجه الارض من السباع والبهائم والهوام وقد ذكر فيه من السباع الخنزير ومن البهائم
البقرة والعجل وما استيسر من الهدي ومن الهوام الحية وهو في قوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو وكان فيهم
الحية واما الطيور فقد ذكر منها في قوله فخذ اربعة من الطير واما السبعة فالفاتحة سبع ايات وكلها مذكورة في
سورة البقرة فالحمد في قوله ونحن نسبح بحمدك والله في ايات ورب العالمين في قوله قال اسلمت لرب العالمين
والرحمن الرحيم في قوله لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومالك يوم الدين فيه ذكر يوم القيمة وفي سورة البقرة واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله ومما اخر اية نزلت ومما بلغ اية في ذكر يوم القيمة واياك نعبد في قوله اعبدوا ربكم ونحوه واياك نستعين
في قوله استعينوا بالصبر والصلاة وقوله اهدنا الصراط المستقيم في قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وقوله صراط الذين انعمت عليهم في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقد اريد به الانبيا صلوات الله عليهم وذكر من
الانبيا في سورة البقرة ادم وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وموسى وهرون وداود وسليمان وذكر
حزقيل واشمويل وعزيرا وعلى العموم في قوله تلك الرسل وفي قوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقوله غير

المغضوب

المغضوب عليهم ولا الضالين في قوله فباءوا بغضب على غضب والضلال في قوله وان كنتم من قبله لمن الضالين وقوله تعالى
يضل به كثيرا ثم سمى اليهود والنصارى واكثر صدر السورة في ذكرهم الى ان قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم الاية ثم السورة تدعى سورة البقرة ومن الناس من قال يقال السورة التي يذكر فيها البقرة ويستقبح
اضافة السورة الى البقرة وكذا سورة النحل ونحوها والصحيح انه لا حاجة الى هذا التكلف فان المراد من هذه
الاضافة مفهوم وما قال انها ذكرت فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سنام القران سورة البقرة وفي ذلك احاديث
فثبت اطلاق هذا الاطلاق ثم هذه السورة مدنية الا اية منها نزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع وهي اخر اية نزلت
وقد نزلت بمكة خمس وثمانون سورة اولها سورة الفاتحة واخرها ويل للمطففين ونزل سايرها بالمدينة وهي تسع وعشرون
سورة اولها سورة البقرة واخرها سورة المائدة وحروف سورة البقرة خمس وعشرون الفا وستمائة وثمانية وخمسون
وكلماتها ستة الاف ومائة وستة عشر كلمة واياتها مائتان واربع وثمانون اية عند اهل الشام وخمس عند اهل مكة والمدينة
وست عند اهل الكوفة وسبع عند اهل البصرة لاختلافهم في مواضع منها اية تمام الاية او وسطها وفي بعض الاخبار انها
لو تحملت ثلاثمائة لتحملت ومعناه انه على اكثر الاحكام لو كملت والاصول العظام وبقيت عن احكام ذكرت في غيرها
ولو كانت في هذه السورة لصرحت بجميع ما بالناس اليه حاجة من علوم الدين وفي هذه السورة خمسة عشر مثلا وخمسماية
حكم وفيها اطول اية وهي اية المداينة وهي مائة وثلاثون كلمة وفيها قريب من عشرين حكما وافتتاح هذه السورة بالحروف
المقطعة وتسع وعشرون من سور القران مفتتح بها وفي هذه الحروف التي افتتحت بها هذه السورة قريب من ثلاثين
قولا قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لله تعالى في كل كتاب سر وسر الله عز وعلا في هذه الحروف التي في اوائل السور
وقال عمر رضي الله تعالى عنه لكل كتاب زينة وزينة القران حروف التهجي وقال عثمان رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة
وصفوة القران حروف التهجي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي من المكتوم الذي لا يفسر وقال الضحاك عجزت العلماء
عن تفسير الحروف المقطعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الم الف الله لام لطيف ميم مجيد وفي رواية معناه
انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل والر انا الله ارى وعنه في رواية الالف الله لام جبريل ميم محمد اي الله
انزل جبريل على محمد بالكتاب وقال ابن مسعود رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقال الحسن وسعيد بن جبير هذه الحروف
اذا الفت ضربا من التاليف كانت اسماء الله تعالى وان كنا لا نقف على تاليفها وذلك لان قوله الر وحم ون روس ثلاث سور
واذا اجتمعت صارت الرحمن وهو اسم عظيم من اسماء الله تعالى وقال قتادة انها اسماء القران وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
انها اسماء السور وقال مجاهد انها فواتح يفتتح الله تعالى بها كتابه وقال سعيد بن المسيب انها في ذكر الكواين والفتن وقال
ابو العالية انها في ذكر قوم واجال اخرين وقال الربيع بن انس ما فيها من حرف الا وهو في ذكر الائه ونعمائه وقال الجماعة
الالف افتتاح اسمه الاله والاحد والاول والاخر والامين واللام افتتاح اسمه اللطيف والميم افتتاح اسمه الملك
والمجيد والمنان وقال محمد بن كعب القرظي الالف الاء الله واللام لطفه والميم مجده وقال ابو فاختة هذه الحروف
امهات الكتاب منها استخرج هذا القران وانزلت مقطعة ليعلم انها من الحروف المعجمة التي نزلت على ادم عليه السلام
مقطعة وقال عبد العزيز بن يحيى معنى هذه الحروف ان الله تعالى ذكرها فقال اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم
مولفة كنتم عرفتموها قبل ذلك ولذلك يعرف الصبيان اولا مقطعة فكان الله تعالى اسمعهم مقطعة معرفة ليعرفوها
اذا وردت عليهم متفرقة ثم اسمعهم مولفة وقال ابو روق ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وتواصوا
بالاعراض عنه اراد الله تعالى لما احب من صلاحهم ونفعهم ان يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون ذلك سببا لاسكاتهم واستماعهم
لما يرد عليهم من القران فانزل هذه الحروف وكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجي به محمد فاذا اسمعوا
فاستمعوا هجم عليهم القران فاولجه مسامعهم فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا لانتفاعهم وقال الحسين بن الفضل
هي من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وقال عكرمة هي اقسام وقال القتيبي يجوز ان يكون الله عز وعلا اقسم بالحروف
المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها كما يقول القايل تعلمت الف ب ت وهو يريد كل الحروف
ويقول قرات الحمد وهو يريد السورة وعن ابي العالية هذه من الثمانية والعشرين التي دارت عليها الالسن كلها وليس فيها
حرف الا وهو مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وفي الائه ونعمائه وفي مدة قوم واجالهم وقيل كل حرف مختصر عن كلمة وهو
في اللغة وانشد الزجاج شعر ان شيت اشرنا كلانا فدعا الله جهرا ربه فاسمعا بالخير خيرات وان شرا فا ولا اريد الشر
الا ان تا اي ان شرا فشرا ولا اريد الشر الا ان تريد وانشد قطرب شعر جارية قد وعدتني ان تا بدهن راسي
وتفلي او تا تمسح وانشد سيبويه ناداهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا اي الا تركبون فقال الا فاركبوا ○
وقال اخر قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف الاسراع في المشي وقال المراد ان هذه الحروف
احتجاج من الله تعالى على الكفار لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم فاتوا بسورة او فاتوا بعشر سور وعجزوا عنه
ان الله جل جلاله هذه الحروف اي ان القران من هذه الحروف التي هي لغاتكم فليس عجزكم عن الاتيان بمثلها الا لانه
كلام الله تعالى لا مثل له وقيل اذا جعلت هذه الحروف كلمة فهي الم اي الم تر والم تعلم انزل ذلك الكتاب وقيل كل حرف من
هذه الثلاثة على ما يودي نطقا يطلب من ظاهره معناه وضعا الف هو على وزن علم من الالفة ومعناه الف الله محمد

ولام على وزن قام من اللوم ومعناه لام الكفار بنبينا على مخالفة الابا وميم على وزن بيع من الموم وهو البرسام وهو الحمى
المفسد من الاسقام ومعناه بهت الكفار وزعموا بظهور الحق والهدى وقيل الف انا ولام من الي وميم من مني فكانه قال
انا الله وانا الملك وانا الرزاق وانا ولي الملك ولي الحكم ولي الامر ومني الاحسان ومني الامتنان ومني الغفران ومني ومني
وقيل الف معناه افرد نفسك لي باسقاط العلايق والاعواض واللام معناه لين جوارحك لعبادتي بلا ملالة ولا اعراض
وميم محو رسومك وصفاتك بالانتفاء والمشاهدة لي بلا تحكم ولا اعتراض وقال بعض العراقيين حير عقول الخلق في
ابتدا خطابه وهو محل الفهم ليعلموا انه لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا بعلمهم بالعجز عن معرفة خطابه وقيل هي
رموز سار بها الاولياء فالظواهر للعوام والرموز والاشارة للخواص قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا اي من حقايق سر الحق الي وقال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي اختصارا وقيل
هو تنبيه للعبد ان ينتصب بما في الصلوة كالالف وقيل بدا السورة الكبرى بالالف وجعله سابقا لما فيه من معاني
منها الاستوا ومنها الانتصاب ومنها الانقطاع عن ساير الحروف ومنها التجرد عن النقط ومنها الاستغنا عن الامكنة
وهي مخارج الحروف اذا اراد العبد ان يصير سابقا فليستو ظاهرا وباطنا ولينتصب لخدمة الله ولينقطع عن الخلق
وليتجرد عن الاغيار وليتبتل عن الامكنة ثم انما سكنت هذه الحروف ولم تعرب لانها حروف هجاء وليست باسماء قال ابو النجم
اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف تكتبان في الطريق لام الف فان جعلتها اسما وعطفت بعضها
على بعض اعربتها وانشد ابو عبيدة اذا اجتمعوا على الف وواو وياء هاج بينهم القتال ثم للقرا في هذه الحروف عند
الوصل ادغام ميم اللام في ميم الميم والمد وتثقيل الميم ويجوز ترك المد وترك الادغام وترك التثقيل وعند الوقف
يصير كذلك ويجوز ذلك والاحسن اخراج كلها في نفس واحد ومحل ذلك من الاعراب عند بعضهم ان الم ابتدا وذلك
خبره والكتاب صلة خبره وقد ذكر مقدما على الاسم كقولك عالم هذا الرجل وقيل لا محل لهذه الاحرف الثلاثة من الاعراب
على وجه التعلق بما بعده وذلك مبتدا والكتاب صلة خبره والم قسم او افتتاح او اسم للسورة او امر وهو تام بنفسه
واما نزولها فقد روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطا من اليهود لعنهم الله منهم كعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب وعدي ابنا اخطب وابو لبابة وكعب بن اسيد ومالك بن الضيف دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالوه عن الم وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السما فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم
كذلك نزلت فقال حيي لين كنت صادقا اني اعلم اكل هذه الامة من السنين ثم نظر حيي الى اصحابه فقال كيف ندخل
في دين رجل انما منتهى اكل امته احدى وسبعون سنة فقال له عمر رضي الله عنه وما يدريك انها كذلك قال اخذتها
من حساب الجمل فالالف واحد واللام ثلاثون والميم اربعون فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال حيي هل غير هذا
قال نعم قال وما هو قال المص قال حيي بن اخطب هذه اكثر من الاولى هذه مائة واحدى وستون سنة وقد تبين
لنا في تفسير الاولى لانه قال لا ريب فيه هدى للمتقين فنحن المتقون الذين امنا بالغيب قبل ان تكون فهل غير هذا
قال نعم الر كتاب احكمت اياته قال حيي هذه اكثر من الاولى والثانية وقد احكم فيهن وفصل فنحن نشهد لين كنت
صادقا ما ملك امتك الا احدى وثلاثون ومائتا سنة فاتق الله ولا تقل الا حقا فهل غير هذا قال نعم المر
الى قوله ولكن اكثر الناس لا يومنون قال فنحن نشهد انا من الذين لا يومنون ولا ندري باي قولك ناخذ فقال
ابو ياسر اما انا فاشهد بما انزل على انبيائنا انهم قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يوقتوا كم يكون فان كان محمد
صادقا فيما يقول اني لاراه سيجمع له هذا كله فقاما اليهود وقالوا غلبنا امرك فلا ندري ابالقليل ناخذ ام بالكثير
فذلك قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فالمحكمات هي الايات
التي في سورة الانعام قل تعالوا اتل الى ثلاث ايات واما المتشابهات فالم والمص والر واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه حين يحسبون كم اكل هذه الامة وما يعلم ذلك الا الله والراسخون في العلم يعني عبد الله بن سلام وثعلبة
ابن عمرو واسد بن كعب واسيد بن زيد وسلاما وهم مومنوا اهل الكتاب يقولون امنا به اي قليله وكثيره فقال لهم
حيي ويحكم انما تعرفون الباطل فيما يخلط عليكم فقالوا نعرف الحق ثم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا الاية فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضرب الامثال لليهود ليعقلوا وكان الله تعالى طبع على قلوبهم فلم يفقهوا فذلك قوله تعالى ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وقوله تعالى **ذلك الكتاب** ثلاثة احرف ذا اسم اشارة واللام عماد
والكاف خطاب وهذه الكلمة في القران على ثلاثة اوجه اشارة الى الغايب قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
واشارة الى الحاضر قال تعالى حل في ذلك واسم لمن لا يوصف بالغيبة والحضرة قال تعالى ذلكم الله ربكم وقد جا في الشعر
ذلك بمعنى هذا قال خفاف بن ندبة اقول له والرمح ياطر متنه تامل خفافا انني انا ذلكا اي هذا وفي هذه الاية يكون ترجمة
الكلمة عطف على الوجوه الثلاثة يجوز ان يكون اسما للقران وهو كلام الله جل جلاله وهو قايم بذاته تعالى لا يوصف بحضور
ولا غيبة ويجوز ان يكون بمعنى هذا وهو قول مجاهد ومقاتل بن حيان وابن جريج والكسائي والاخفش وابي عبيدة
ويجوز ان يكون بمعنى الاشارة الى غايب قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ذلك الكتاب الذي اخبرتك اني اوحيه
اليك وقال عطاء بن السايب ذلك الكتاب الذي وعدتك يوم الميثاق وقال يمان بن رياب ذلك الكتاب

الذي

الذي ذكرته في التورية والانجيل وقال الفرا هذا الكتاب الذي وعدتك وقال ابن كيسان انزل الله قبل البقرة بضع عشرة
سنة سورا كذب بها المشركون ثم انزل البقرة فقال ذلك الكتاب يعني ما تقدمها الكتاب اصله في اللغة الجمع وسميت
الكتيبة بها لاجتماعها يقال كتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة قال الشاعر لا تامنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها باسيار ومنه الكتبة وهي الخرزة وجمعها الكتب والكتاب بمعنى المكتوب وهي في القران
على عشرين وجها بمعنى الفرض قال تعالى كتابا موقوتا اي فرضا موقتا وبمعنى البرهان قال تعالى فاتوا بكتابكم اي برهانكم
قال الكلبي وبمعنى الاجل قال تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وبمعنى المقدار قال تعالى لكل اجل كتاب وبمعنى
القضا قال الله جل وعلا كتاب الله عليكم وبمعنى مكاتبة العبد قال تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم وبمعنى
الرخصة والاباحة قال تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم وبمعنى اللوح المحفوظ قال تعالى وانه في ام الكتاب وبمعنى التورية قال
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وبمعنى الانجيل قال تعالى اني عبد الله اتاني الكتاب وبمعنى التورية والانجيل قال تعالى يا اهل
الكتاب وبمعنى القران قال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك وبمعنى صحيفة اعمال البشر قال تعالى ونخرج له يوم القيمة
كتابا وبمعنى ما كتب اليهود من عند انفسهم وادعوا انه كتاب الله قال تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وبمعنى
رسالة سليمان عليه السلام الى بلقيس قال تعالى يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم وبمعنى ما كتب في الزبور قال تعالى ولقد كتبنا
في الزبور وبمعنى ما اقترحه الكفار على نبينا عليه السلام انزاله من السما قال تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تنزل علينا
كتابا نقروه وبمعنى وعد الرحمة قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وبمعنى اثبات الايمان قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وبمعنى الارواح قال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين واما المراد بالكتاب ههنا فقد
قال سعيد بن جبير هو اللوح المحفوظ وقال عكرمة هو التورية والانجيل وقال ابن عباس والضحاك وقتادة هو القران
وعليه الجمهور وهو الاشهر والاظهر وانما سمي القران كتابا لمعنى الجمع الذي دل عليه ماخذ الاسم من وجوه احدها انه
جمع الحروف حتى صارت كلمات وجمع الكلمات حتى صارت ايات وجمع الايات حتى صارت سورا وجمع السور حتى صار
كتابا مشتملا على كلها والثاني انه نظام لصنوف الحكم وقوام لانواع الحجج قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم والثالث
انه جمع معاني جميع كتب الله المنزلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت السبع الطوال مكان التورية والمئين مكان الزبور
والمثاني مكان الانجيل وفضلت بالمفصل والرابع انه يجمع لاهله خير الدارين قال تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا والخامس انه يجمع بين اهله وبين النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة على ما روى علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل القران على عشرة بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وموعظة
ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيره وانتذر بنذيره وعمل بناسخه وامن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم
متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك من المومنين حقا لهم الدرجات العلى
مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو رفيقي ووارث الانبيا قبلي ولا يزال
في ضمان الله تعالى وكنفه وحيثما تلى القران غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة ويحشر في زمرتي وتحت لوائي
والسادس انه يجمع بين الحبيب والحبيب فانه كتاب الحبيب الى الحبيب وخطاب الحبيب مع الحبيب وتذكرة الحبيب للحبيب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران فقد كلم الله تعالى وقالوا لما انزل الله تعالى على موسى التورية وهي الف سورة
كل سورة الف اية قال موسى عليه السلام يا رب ومن يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه فقال تعالى اني انزل كتابا اعظم
من هذا قال على من يا رب قال على خاتم النبيين قال وكيف تقرا امته ولهم اعمار قصيرة قال اني ايسره عليهم حتى
يقرا صبيانهم قال يا رب وكيف تفعل قال اني انزلت من السما الى الارض مائة كتاب وثلاثة كتب خمسين على شيث
عليه السلام وثلاثين على ادريس عليه السلام وعشرين على ابراهيم والتورية عليك والزبور على داود والانجيل على عيسى
وذكرت الكاينات في هذه الكتب فاذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد صلى الله عليه وسلم واجمع ذلك كله في مائة واربع
عشرة سورة واجعل هذه السور في ثلاثين جزءا والاجزا في سبعة اسباع ومعنى هذه الاسباع في سبع ايات الفاتحة
ثم معانيها في سبعة احرف وهي بسم الله ثم ذلك كله في الالف من الم ثم افتتح سورة البقرة فاقول الم ولما وعد الله
تعالى ذلك في التورية وانزله على محمد عليه السلام جحدت اليهود عليهم لعاين الله ان يكون هذا ذلك فقال الله تعالى ذلك الكتاب
اي هذا ذلك ثم سماه ههنا كتابا وله في القران مائة اسم وقد عددناها في صدر هذا الكتاب ومن فضل الله علينا
ان اعزنا بدينه واكرمنا بكتابه وشرفنا بنبيه وخصنا بتفضيله بان ذكر في القران اسما سمى به نفسه وكتابه ورسوله
وسمانا ايضا بها وهي اكثر من عشرين اسما الحق قال الله تعالى ذلك بان الله هو الحق وقال لكتابه حتى جاءهم الحق ورسول مبين
وقال لرسوله قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وقال لنا اولئك هم المومنون حقا والنور قال الله تعالى الله نور السموات
والارض وقال لكتابه واتبعوا النور الذي انزل معه وقال لرسوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال لنا افمن هو على نور
من ربه والعزيز قال الله تعالى ان الله لقوي عزيز وقال لكتابه وانه لكتاب عزيز وقال لرسوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز وقال لنا ولله العزة ولرسوله وللمومنين والكريم قال الله تعالى بربك الكريم وقال لكتابه انه لقران كريم وقال للرسول
انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر وقال لنا ولقد كرمنا بني ادم والعظيم قال الله تعالى وهو العلي العظيم وقال لكتابه

والقران العظيم وقال لرسوله وانك لعلى خلق عظيم وقال لنا فقد فاز فوزا عظيما والشهيد قال الله تعالى وكفى بالله
شهيدا وقال لكتابه ويتلوه شاهد منه وقال لرسوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال لنا وتكونوا شهداء على الناس
والمبين قال تعالى هو الحق المبين وقال لكتابه والكتاب المبين وقال لرسوله انا النذير المبين وقال لنا واصلحوا وبينوا
والعلى قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال لكتابه لعلى حكيم وقال لرسوله وهو بالافق الاعلى وقال لنا وانتم الاعلون
والهادى قال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وقال لكتابه لا ريب فيه هدى وقال لرسوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى
وقال لنا زادهم هدى والحاكم قال تعالى حتى يحكم الله بيننا وقال لكتابه حكما عربيا وقال لرسوله وان احكم بينهم وقال
لنا كونوا قوامين بالقسط والحكمة قال تعالى حكمة بالغة وقال لكتابه ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة وقال لرسوله ويعلمهم
الكتاب والحكمة وقال لنا ومن يؤت الحكمة والرحمة قال تعالى وربك الغفور ذو الرحمة وقال لكتابه وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين وقال لرسوله وما ارسلناك الا رحمة وقال لنا ففى رحمة الله والامر قال الله تعالى ان الله يامركم وقال
لكتابه ذلك امر الله انزله اليكم وقال لرسوله وامر اهلك بالصلاة وقال لنا تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر والمنذر
قال تعالى فانذرتكم نارا تلظى وقال لكتابه نذيرا فاعرض اكثرهم وقال لرسوله مبشرا ونذيرا وقال لنا ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم والطاهر قال تعالى طه طس وقال لكتابه فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة وقال لرسوله ويطهركم تطهيرا
وقال لنا ويحب المتطهرين والطيب قال تعالى كلمة طيبة وقال لكتابه وهدوا الى الطيب من القول وقال لرسوله والطيبات
للطيبين وقال لنا تتوفاهم الملائكة طيبين والداعى قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام وقال لكتابه اجيبوا داعى الله وقال
لرسوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وقال لنا يدعون الى الخير والقائم قال تعالى قائما بالقسط وقال لكتابه قيما لينذر
باسا شديدا من لدنه وقال لرسوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وقال لنا وقوموا لله قانتين والصادق قال تعالى ومن اصدق
من الله حديثا وقال لكتابه والذى جاء بالصدق وقال لرسوله مصدق لما معهم وقال لنا والصادقين والخير قال تعالى
وهو خير الرازقين وقال لكتابه بفضل الله وبرحمته الى قوله هو خير وقال لرسوله قل اذن خير لكم وقال لنا كنتم خير امة
والاحسن قال تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وقال لكتابه نزل احسن الحديث وقال لرسوله لقد خلقنا الانسان فى
احسن تقويم وقال لنا ومن احسن دينا والمبارك قال تعالى تبارك اسم ربك وقال لكتابه وهذا ذكر مبارك وقال لرسوله
من شجرة مباركة وقال لنا فى ليلة مباركة وقال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقوله تعالى لا ريب فيه اى لا شك فيه والريب شك فيه خوف وهو اخص من الشك فكل ريب شك وليس كل شك ريبا
والريبة التهمة من ذلك والمريب المتهم ولا كلمة تبرية وهى اذا دخلت اسما واحدا بنى على الفتحة ولم ينون لانهما يصيران
كاسم واحد بمنزلة خمسة عشر فان قولك لا رجل فى الدار هو جواب قول القائل هل من رجل فى الدار ومن مع رجل صار اثنا
واحدا فى السؤال فصار سؤالا عن الواحد وما زاد عليه ولا رجل نفى الواحد ولو قال هل رجل فى الدار فهذا سؤال عن
الواحد لا غير وقولك ما فى الدار رجل نفى الواحد لا غير ويجوز ان يكون اثنان واكثر وهذا اكشف ما ذكره الزجاج واجله
فان ذكرت بعده اسمين ففيه اربعة اوجه رفعهما وتنوينهما وفتحهما بغير تنوين ورفع اولهما وتنوينه ويسوغ ذلك
فى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله ثم معنى قوله لا ريب فيه اى لا شك فى كونه ذلك الكتاب الموعود وقيل اى لا شك فى كونه
هدى وقيل اى لا شك فى المذكورات فيه فهى مبينة غير مبهمة فان قالوا ان الكفار شكوا فيه فلم يقروا بكتاب الله تعالى
والمبتدعون من اهل القبلة شكوا فى معانى متشابهه فاجروها على ظواهرها وضلوا بها والعلماء شكوا فى وجوهه فلم يقطعوا
القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه فما معنى نفى الريب عنه قلنا ثلاثة اجوبة احدها انه نفى الريب
عن الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بانه لا يتمكن فيه ريب فهو حق صدق مفهوم معلوم شك الناس فيه او لم يشكوا
كالصدق صدق فى نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وان وصفه الناس بالصدق فكذا الكتاب ليس
بحجة ريب او يتمكن فيه عيب والثانى ان هذا نفى الريب عن المقتدى به بعد امعان النظر واجادته فمن تعلمه وتبحر فيه
ونظر فيه منصفا غير متعنت لم يجد فيه تناقضا ولا تعارضا بل وجده يصدق بعضه بعضا والثالث ان هذا نهى
فى المعنى وان كان نفيا فى الصيغة وهو كقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج فان هذه الكلمات لو حملت على ظاهر
النفى توجه عليه هذا الاشكال فانا نجد من يرفث فيه ويفسق ويجادل لكنها نهى عن فعل ذلك فى الحج فهذا مثله ونظيره
قوله تعالى فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقد انكره الملحدون وشك فيه المشركون لكن وجوهه ثلاثة احدها انه لا شك
فى وجوده وتحققه فى نفسه والثانى انه لا تجرى اموره على التلبيس والثالث انه نهى عن الارتياب فيه فانه واقع لا محالة
وقوله تعالى فيه قرئ بكسر الهاء وضمها وسكونها وكل وجه على وجهين اما الكسر فللياء التى قبلها واما الضم فهى على
الاصل لان اصل الكناية هو واما التسكين فعلى الوقف ثم الكسر على وجهين كسرة غير مشبعة اى لان بعدها لفظا
لا ياء بعدها كناية وكسرة مشبعة بالياء لان هاء الكناية اصلها هو بالواو وجعلت هذه الواو ياء ههنا للكسرة
المتقدمة والضمة على وجهين ايضا مشبعة بالواو وهى قراءة الزهرى على اصل كلمته هو وضمة لا واو بعدها تخفيفا
وبناء على الكناية والتسكين على وجهين على الوقف لتمام الكلام ثم الابتداء على معنى هو هدى وادغام فى رواية ابى حاتم
عن ابى عمرو وقوله تعالى هدى قد مر الكلام فى تفسيرها ونظائرها فى قوله اهدنا ثم هو يصلح مصدرا ههنا كالتقى

والتحرى

والسرى والدجى ويصلح فاعلا فان اسم المصدر يطلق على الفاعل والمفعول لغة يقال رجل عدل اى عادل ورضى اى مرضى
وقد ورد فى القران الهدى بمعنى الهادى قال تعالى خبرا عن موسى او اجد على النار هدى اى هاديا فان جعل مصدرا فعلى قوله
فيه هدى وان جعل فاعلا بمعنى قوله ان يجعل تقديره هدى المتقين اى هاد واما اعرابه ففى الظاهر لا حركة لليا التى هى
حرف الاعراب فانه اسم مقصور وقد سقطت الياء بالتنوين وهذه الصيغة وردت فى القران فى محل النصب والرفع
والخفض قال الله تعالى زادهم هدى هذا منصوب وقال فيه هدى ونور وهذا مرفوع وقال اولئك على هدى وهذا مخفوض
وههنا قوله هدى للمتقين يصلح ان يكون منصوبا ومرفوعا ولا يحتمل الخفض لعدم الخافض فاما النصب فعلى القطع
والقطع وجوه احدها من قوله ذلك الكتاب فالكتاب معرفة وهدى نكرة والثانى من قوله ذلك الكتاب وهو معرفة ايضا
والثالث من قوله فيه فهو معرفة ايضا ووصف المعرفة بالنكرة لا يستقيم فنصب قطعا كما فى قوله هذه ناقة الله لكم اية
وقوله تعالى شيخا وقوله فتلك بيوتهم خاوية وقيل هو نصب على الحال اى لا ريب فى كونه هدى واما الرفع فلوجوه احدها انه
خبر قوله ذلك والثانى انه خبر قوله الكتاب والثالث انه خبر فيه والرابع انه خبر مبتدا مضمر اى هو هدى ثم ههنا ثلاثة
امور احدها انه اضاف الهدى الى القران وهو من الله تعالى والثانى انه خص ههنا فقال هدى المتقين وعم فى موضع اخر
فقال هدى للناس وبينات والثالث انه خص المتقين بالهدى وفيه هدى للكل وهل عذر غير المتقين بهذا اما جواب
الاول فاضافة الهدى الى القران على وجه التسبب كما فى قوله وانك لتهدى مع قوله انك لا تهدى وكما فى اضافة الاضلال
الى فرعون بقوله اضل فرعون قومه وما هدى والى الاصنام بقوله انهن اضللن كثيرا من الناس والله هو الذى يضل من يشاء
ويهدى من يشاء قال تعالى ان الهدى هدى الله واما جواب الثانى فهو هدى للناس كلهم بيانا وهدى المتقين على الخصوص
ارشادا وهو كقوله فى حق رسوله على الخصوص انما انت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن
بالغيب مع ما قال فيه على العموم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا لكن انذر الكل تبليغا ونفع ذلك اهل الخشية
تنبيها فهذا مثله واما جواب الثالث فهذا هدى المتقين لانهم هم المنتفعون به فكانهم خصوا بذلك ولذلك يقال فى كل من
انتفع بشىء على الخصوص دون غيره انه لك على الخصوص اى انت المنتفع به وحدك ولينبغى ان الناس لم يهتدوا به يخرجه عن
ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والمسك مسك وان لم يدرك
طيبه المألوف فالجيفة كل الجيفة لمن عطش والبحر زاخر وبنى الظلمة والبدر زاهر وخبث والطيب حاضر وذكر الروض
ناضر والخشوع كل الخشوع لمن عصى وفسق والقران امر وفارق الرهبة والرغبة والوعد منوا تر والوعيد متظاهر ولذلك
قال جل جلاله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقوله تعالى للمتقين اصل الكلمة من الوقاية وهى الحفظ والتوقى التحفظ والاتقا
الاحتفاظ اى الاحتراز عن الآفة وعلى ذلك وقاية الراس والثوب والكتاب فالاسم منه التقوى واصله الوقوى
الواو الاولى اصلية والثانية زائدة واللام الفعل ووزنه فعول ويقال هى على وزن فعلى فالواو والثانية على هذا
لام الفعل والياء الاخيرة زائدة فالاوجه هو الاول لان الكلمة يائية فلا تجعل لامها واوا بخلاف الشكوى والدعوى
فانهما واويتان وانما صارت الواو الاولى تاء بناء على صيرورتها تاء فى قولك اتقى يتقى لان اصله اوتقى يوتقى صارت
الواو ياء لكسرة ما قبلها كما فى الميعاد والميزاب والميراث ثم جعلت الياء تاء وادغمت الاولى فى الثانية طلبا للتلاؤم
وتوقيا عن الثقل ثم بنى الاسم على هذا الفعل فقيل التقوى كما فى التخمة من الوخم واصلها وخمة وكذلك التهمة
والتكلة والتكلان والتراث والتجاه توهما انها اصلية ثم التقوى قسمان اصل وفرع فالاصل الايمان وهو اتقاء
عن الكفر والفرع هو اتقاء عن الذنوب فبالاول النجاة من العذاب المؤبد وبالثانى النجاة من العذاب المؤقت
اما التقوى التى هى ايمان ففى مثل قوله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتى
ثمنا قليلا واياى فاتقون واما التقوى التى هى ترك الذنوب بعد الايمان ففى مثل قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وللناس فى التقوى والمتقى اقاويل تبلغ مائة عددناها فى كتابنا الموسوم بجمع علوم التفسير على رسوم التذكير وفى كتاب الله
تعالى فى تفسيره ما يغنى عن كثير من ذلك فانه قال ولكن البر من امن بالله وعد اشياء ثم قال فى اخره واولئك هم المتقون
فهذا هو المتقى المطلق الثابت بحجة لا ريب فيها والذى يليه فى الوضوح قول النبى صلى الله عليه وسلم جماع التقوى فى قوله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية والذى يقرب منه فى اللغة لصحته ان المتقى المطلق من ائتمر بالتقوى الوارد فى القران
وهى على ثلاثة اوجه للعام والخاص ولخاص الخاص اما امر العام فقوله تعالى فاتقوا النار واتقوا النار واما امر الخاص فقوله تعالى
يوم القيمة واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله واما امر خاص الخاص فبتقوى الله عز وجل واتقون يا اولى الالباب فالعامة عصاة
خوفهم بالنار كى يتركوا المعصية والخاص مطيعون ندعاهم الى الاخلاص كى لا يتحيروا فى جواب سؤال الصدق يوم القيمة
وخاص الخاص لله وبالله ومع الله فامرهم بالتقوى وهو ان يكونوا لله وبقوا ملاحظة غير كى لا يبقوا فى الحجبة قال تعالى
فاتقون يا اولى الالباب واللب الخالص اى يا خلصاء كونوا لى لا لغيرى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته فقال هو ان يطاع ولا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر قال رضى الله عنه فارسية مطيع نا عاصى
ذاكر ناسى شاكر ناسى وقيل التقوى ثم الجوارح وضم الجوارح فزم الجوارح منع الاذن عن سماع اللغو ومنع
العين عن نظر اللهو ومنع اللسان عن خروج الكلام ومنع الحلق عن فضول الطعام ومنع القدم عن التخطى الى الاغيار

ومنع النفس عن ملابس الاقذار واما ضم الجوارح فهو جمع الهمة عن التفاريق والتفرد عن وجوه التعاليق والتنزه عن الوانت التعاليق فمن اتى ظاهره ظهر خلاصه ومن اتى باطنه بطن استخلاصه وحظى اذنه بسماع كلام الحق وعينه برؤية الحق ولسانه بمكالمة الحق ويده بقبض عطا الحق ورجله بالوصول الى مقعد الصدق بتقريب الحق وقلبه بمشاهدة الحق وروحه بقرب الحق وسره بلطف الحق فصار كل الحق بالحق وقيل تفسير المتقين فيما ذكر بعده الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وهو كما قالوا ان تفسير الصمد ما ذكر بعده الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتفسير الهلوع ما ذكر بعده اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقوله تعالى **الذين يومنون**

فان الذين اسم بدلالة دخول الالف واللام فيه وهو موصول لانه يتم بصلته وهو يومنون واصله اللذين بلامين احداهما لام التعريف والثانية لام الذ وانما اكتفى فى الكتابة بواحدة تخفيفا لكثرة الاستعمال ولهذا انكتب فى التثنية بلامين لانه لم يكثر استعماله وهو غير معرب لفظا ولهذا يستوى نصبه ورفعه وخفضه فيقال جاءنى الذين علمت ورايت الذين علمت ومررت بالذين علمت وانما لم يعرب لانه موصول لا يتم الا بصلته فصار لفظه كانه بعض الكلمة ولا اعراب الا لتمام الكلمة فى اخرها فاما اللذان فى التثنية فانما اعرب فكان رفعه بالالف ونصبه وخفضه بالياء لان منع الاعراب كان لالحاقه بالحروف ولا تثنية للحروف فلم تلحق بها بل تحقق فيه معنى الاسم فاعرب لذلك وقوله تعالى الذين يومنون تقديره المومنين ومحل الذين من الاعراب على هذا التقدير الخفض لانه نعت المتقين فيتبعه فى اعرابه ويجوز ان يكون نصبا على المدح ويجوز ان يكون رفعا باضمار كلمة هم وقوله يومنون فالايمان فى اللغة هو التصديق وتعدى به وله اى صدقه وامنه اى اثبت له الايمان وقيل ان الايمان الذى هو التصديق ماخوذ من هذا فان المصدق غيره فيما اخبر به ثبت لنفسه الامن اخبار المخبر اياه بالكذب والخطا ثم اختلف اهل الاصول فى ماهية الايمان المفترض على العبد قال الجهم هو المعرفة وقالت الكرامية هو مجرد الاقرار وقال الرقاشى هو الاقرار بشرط وجود المعرفة بالقلب والمعرفة ضرورية توجد لا محالة لكن اذا وجدت مع الاقرار والايمان هو الاقرار وحده لانه اسم لفعل اكتسابى لا اضطرارى وقال اهل الحق هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان وقال الامام ابو منصور وهو مروى عن ابى حنيفة رحمه الله وهو قول جماعة هو التصديق قال مالك والشافعى والاوزاعى واهل الحديث واصحاب الظواهر الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقال الاشعرى كل ذلك والبقاء عليه الى الموت وبيان شبه الخصوم وحجج اهل الحق يذكر فى كتب الكلام ونشير نحن فى بقية هذه الاية وفى تفسير الايات التى فى المنافقين من هذه السورة الى ما يقع به الاستغناء والاكتفاء ان شاء الله تعالى ثم قوله يومنون فى قراءة ابى عمرو بن العلاء بغير همز وللقراء فى الهمز وتركه مذاهب وتفاصيل فابو عمرو يترك كل همزة ساكنة الا ان يعترض احد اربعة اشياء احدها ان يكون سكونها علامة الجزم نحو قوله تعالى او ننساها وان نشا او يتغير المعنى نحو قوله اثاثا ورئيا او يخرج الى لغة اخرى نحو قوله موصدة او يكون التخفيف اثقل نحو قوله تؤوى اليك وفى الحاصل هو يهمز فى ثلاثة وثلاثين موضعا من القران اولها انبئهم ولحزة موصدة والكسائى يترك الهمز فى قوله الذئب ويهمز ما عداها وعاصم يترك الهمزة فى موصدة ويهمز فى ما سواه وحمزة يترك همز ما يقف عليه ويهمز ما خلاه وابن كثير يهمز الكل الا كلمة القران وابن عامر يهمز الكل وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المومن من امن جاره بوائقه فمعناه والله اعلم المومن المستكمل اوصاف اهل الايمان هذا وكذا قوله صلى الله عليه وسلم المومن هين لين جواد سمح كالجمل الانف ان قيد انقاد واذا انيخ على صخرة استناخ وقوله المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وقوله المومن فطن حذر وقاف متثبت عالم ورع وقوله المومن وامن واقع فسعيد من هلك على رفعه وعلى هذا ما قال اهل الحقيقة فى تفسير الايمان فهو تفسير كمال حال المومن فى مقام حضائل الايمان قال رويم الايمان استصغار الكونين عند رؤية المكون فلا يستطير قلبك وارد ولا يسترق شاهد وقال فارس الايمان تعظيم الحقيقة فى صون الشريعة وقال الواسطى اول قدم فى الايمان ان لا يجرى عليك التكوين فيما يرد عليك من نعمة او بلية اذ لا فرق بينهما فى الحقيقة وقال داود الطائى الايمان ما يورثك النور بعد الظلمة ثم اللين بعد القسوة ثم السنة بعد البدعة ثم التلذذ بالعبادة بعد المجاهدة وقال سهل بن عبد الله التسترى الايمان اربعة اركان التوكل على الله والاستسلام لامر الله والرضا بقضاء الله والشكر لنعما الله عز وعلا والتقوى باب الايمان واليقين قلب الايمان والصبر عماد الايمان والاخلاص كمال الايمان كما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وستون او بضع وسبعون بابا افضلها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان فاهل الحديث جعلوا هذا كله من الايمان ونحن قلنا هى من خصال اهل الايمان ولم يرد تعديدها باعيانها فى حديث واحد واهل العلم عدوا ذلك على وجوه واقصى ما يتناوله لفظ هذا الحديث تسعة وتسعون وانا اعدها على ترتيب اختاره وعلى الاجتهاد مدار فاقول بداءته بالتهليل والذى يليه التكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والتجريد والتفريد والتوبة والانابة والنظافة والطهارة والصلوة والزكوة والصوم والحج والعمرة والقيام والاعتكاف والقربان والصدقة والغزو والعتق وقراءة القران وملازمة الاخبار ومجانبة العصيان وترك الطغيان وهجر العدوان وتقوى الجنان وحفظ اللسان والثنا والدعا والخوف والرجا والحيا والصدق والصفا والنصح والوفا والندم والبكا والاخلاص والذكا

والحلم والسخا والشكر فى العطية والصبر فى البلية والرضا بالقضية والاستعداد للمنية واتباع السنة وموافقة الصحابة وتعظيم اهل الشيبة والعطف على صغار الذرية والاقتداء بعلماء الامة والشفقة على العامة واحترام الخاصة وتعظيم اهل السنة واداء الامانة واظهار الصيانة والاطعام والانعام وبر الايتام وصلة الارحام وافشاء السلام وصدق الاستسلام وتحقيق الاستعصام والزهد فى الدنيا والرغبة فى العقبى ومخالفة الهوى والحذر من لظى وطلب جنة الماوى وبث الكرم وحفظ الحرم والاحتما الى الحزم وطلب التوفيق وحفظ التحقيق ومراعاة الجار والرفيق وحسن الملكة فى الرقيق وادناها اماطة الاذى عن الطريق فمن استكمل الوفا بشعب الايمان نال بوعد الله كمال الامان وقد قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقوله تعالى **بالغيب** هو فى اللغة نقيض الشهادة وقد غاب فلان غيبة وغابت الشمس اى غربت غيبوبة وغيابت الجب كالطاق فى البئر والغيبة ذكر عيوب الانسان فى الغيبة واختلف فى تفسيره ههنا قال سعيد بن جبير رضى الله عنه اى يومنون بالله وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى يصدقون الرسل وقال ابن جريج اى يومنون بالوحى من قوله وما هو على الغيب بظنين معناه على الوحى وقال الحسن اى يصدقون بالاخرة وقال بعضهم اى يومنون بالله ويطيعونه وان غابوا عن المومنين لا كالمنافقين كما قال الذين يخشون ربهم بالغيب وقال بعضهم اى يومنون بقلوبهم الغائبة مع السنتهم الظاهرة لا كالمنافقين الذين يومنون بالسنتهم الظاهرة دون قلوبهم الغائبة وبالجملة ان الغيب كل ما لا يصل اليه العبد الا بدليل وهو ما غاب عن الحس مما يجب الايمان به وهو ما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من الكاينات بعده فى الدنيا وما بعد الموت من احوال القيمة والجنة والنار وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه وجهين يومنون بغيب الله ولا يطلبون منه ما طلب الامم السالفة من انبيائهم عليهم السلام كقول بنى اسرائيل لموسى صلوات الله عليه لن نومن لك حتى نرى الله جهرة والثانى يومنون بغيب القران وبما يخبرهم القران من الوعد والوعيد والامر والنهى والبعث والجنة والنار والايمان انما يكون بالغيب لانه تصديق والتصديق والتكذيب انما يكونان عن الخبر والخبر انما يكون عن غيب لا عن شاهد وقال اهل الحقيقة معناه انهم بغيب القران عاينوا غيب الاخرة ثم بغيب الغيب شاهدوا الحق مطلعا عليهم فى جميع الاوقات فغابوا باطلاعه عليهم عن شاهد كل شى سواه فهم قائمون معه مع المشاهدة ثم الغيب فى القران جاء لمعانى للسر قال تعالى انى اعلم غيب السموات والارض اى سر اهلهما وللزوج قال تعالى حافظات للغيب وللرزق قال تعالى وعنده مفاتح الغيب وللوحى قال تعالى اطلع الغيب وقال تعالى وما هو على الغيب بظنين ولما غاب عن العباد قال تعالى عالم الغيب وللسر قال تعالى وما كنا للغيب حافظين وللعذاب قال تعالى ولا اعلم الغيب اى متى ينزل العذاب وللموت قال تعالى ولو كنت اعلم الغيب اى متى اموت وللشك قال تعالى رجما بالغيب اى قولا بالشك ولنزول العلامة قال تعالى ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله اى علم نزولها وبمعنى الغيبة قال تعالى ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب والتحقيق ان الله اخبر انه عالم الغيب ولا يعلم غيره الغيب فانه قال لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وذكر ان عنده مفاتح الغيب وقال لرسوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب وذكر ان الجن علموا انهم لا يعلمون الغيب بقوله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب وقال وما كان الله ليطلعكم على الغيب واخبر انه هو الذى اخبر رسوله بالغيب بقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ووبخ الكفار بقوله اطلع الغيب وبقوله ام عندهم الغيب وامر بالثناء عليه به قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ومدح المومنين بالايمان بالغيب وبالخوف بالغيب وبالخشية بالغيب وبالنصرة بالغيب بقوله يومنون بالغيب ليعلم الله من يخافه بالغيب من خشى الرحمن بالغيب وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقال تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الاية ووعدهم الجنة بالغيب فقال جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وقوله تعالى **ويقيمون الصلوة** الاية دلت بقية الاية ان الاعمال ليست من الايمان فانه ذكر الايمان وعطف عليه الاعمال والمعطوف غير المعطوف عليه ويقيمون الصلاة قال الامام ابو منصور رحمه الله هذا يحتمل وجهين يحتمل الصلوة ويحتمل المعرفة اى يقيمون بها باتمام ركوعها وسجودها والخشوع والخضوع له فيها واخلاص القلب والنية له على ما جا فى الخبر انظر من تناجى ويحتمل الحمد لله والثناء عليه فان كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع فى الدنيا والاخرة ولاهل التفسير فى هذا ستة اقاويل قال بعضهم اقامة الصلوة اداؤها فان قول المؤذن قد قامت الصلوة معناه اخذوا فى ادائها وقيام الشى وجوده واقامته من العبد تحصيله وقال ابن عباس رضى الله عنهما اقامتها اتمام ركوعها وسجودها وما يجب فيها وهو فى معنى التقويم اى التسوية فلا يدخل نقصا فى شى من افعالها واركانها ولا اخلال فى فرائضها وواجباتها وسننها واداؤها وقيل اقامتها ادامتها واظهارها قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب حولا قميطا اى ادامت امراة الخروج بسبب الخارجى امر الحرب وضرب السيوف حولا تاما ومنه قوله تعالى الا ما دمت عليه قائما اى مواظبا على التقاضى والرابع قول ابن كيسان يقيمون الصلوة اى يقيمون بالصلوة برهانهم على صدق دعواهم فى الايمان بالغيب والخامس قول بعضهم اقامتها مراعاة حقوقها وشرائطها اى شرائط الجواز وشرائط القبول وشرائط الجواز ستة قبل الشروع وستة بعده وهى معروفة وشرائط القبول ستة بالظاهر وستة بالباطن فالظاهر الخشوع لقوله تعالى فى صلوتهم خاشعون والتقوى لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وترك اكل الحرام

وقول اللغو والكسل والابطاء واما الباطن فالاخلاص والتفكر والخوف والرجاء ورؤية التقصير والمشاهدة والسادس قول القشيري اقامتها القيام باركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلي له بقوله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا واشرك فيه غيري فهو له وانا منه بريء وعن ابي بكر الشبلي رحمه الله لو نظر قلبي في الصلوة الى العقبى توضأت ولو نظرت الى الدنيا اغتسلت وقال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والخشوع سكون الظاهر والباطن فلا يصرف شيئا من اعضائه الى غير السنة ولا شيئا من باطنه الى غير القربة وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين راى رجلا يعبث بلحيته في الصلوة اما لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل اقامة الصلوة بالتطهر ظاهرا وباطنا وبالتجمل بلباس الدنيا ولباس اهل التقوى ومراعاة الوقت مع اتقاء المقت والافتتاح بتكبير عن توقير والاتيان بالقيام على تمام والقراءة عن تفكر وتدبر والاستماع عن انصات واخبات والاخبار ركوع عن خشوع والخرور للسجود عن شهود والتكلم بتسبيح عن تصحيح والختم بقعدة عن عدة وتشهد عن تعهد وصلوات ودعوات عن تحقيق واثبات وتسليم عن تتميم ثم الدعاء على اخلاص والرجوع عن افلاس وقوله تعالى الصلاة في اللغة اسم للدعاء والثناء والقراءة والرحمة قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وقال ان الله وملائكته يصلون على النبي قيل هي الثناء وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم اي رحمة وقيل سميت الصلوة بها من قولهم صليت العود بالنار اي لينته والمصلي بالصلوة يلين ويخشع لرب العالمين وقيل هي من الصلوين وهي مغرز الذنب من الفرس والمصلي ينحني للركوع والسجود فيرفع الصلوين في هذين الحالين وقيل هي من قولهم فرس مصل اي تالي السابق في حلبة الرهان سميت بها لانها في الذكر ثانية الايمان فانها ذكرت في هذه الاية بعد الايمان بالغيب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ثانية الايمان ثم الصلاة في هذه الاية اسم جنس واريد بها الجمع واسم الجنس يصلح لذلك قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وهذا كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب اي الكتب وهي خمس صلوات مكتوبة في كل يوم وليلة وكانت خمسين على من قبلنا وكذا فرضت علينا ليلة المعراج ثم حطت الى خمس تخفيفا وثبت جزاء الخمسين تضعيفا وتكتب الصلوة بالواو اتباعا للمصحف الامام وكتبت فيه الصلوة والزكوة والحيوة بالواو وانما كتبوا الصلوة بالواو اشعارا لان اصلها الواو فقد قلنا انها من الصلا وهو واوي ولذلك يقال في تثنيته الصلوان ثم ان الله تعالى سماها صلوة في ايات وسماها تسبيحا في قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسماها ايمانا في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقرانا في قوله وقران الفجر وحسنات في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات وقنوتا في قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك وركوعا في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين وسجودا في قوله اناء الليل وهم يسجدون وامانة في قوله انا عرضنا الامانة وذكرا في قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واستغفارا في قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار ثم المذكور في الاية اقامة الصلوة والله تعالى امر في الصلوة باشياء باقامتها بقوله واقيموا الصلوة وبالمحافظة عليها وادامتها بقوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون وبادائها في اوقاتها بقوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وبادائها في جماعة بقوله تعالى واركعوا مع الراكعين وبالخشوع فيها بقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون وبعد هذه الاوامر صار الناس على طبقات خمس طبقة لم يتلوها وراسهم ابو جهل لعنه الله عليه نزل فقال الله في حقه فلا صدق ولا صلى وذكر مصيرهم فقال ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين وطبقة تلوها ولم يؤدوها وهم اهل الكتاب فذكرهم الله تعالى فقال فخلف من بعدهم خلف قال الكلبي هم اهل الكتاب وقال اضاعوا الصلوة وذكر مصيرهم فقال فسوف يلقون غيا وهو دركة في جهنم هي اجيف موضع فيها تستغيث النار منها كل يوم كذا وكذا مرة ثم قال الا من تاب اي من اليهودية والنصرانية وامن اي بمحمد وعمل صالحا اي حافظ على الصلوات وطبقة ادوا بعضها ولم يؤدوا بعضها متكاسلين وهم المنافقون فذكرهم الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وذكر مصيرهم فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وطبقة يؤدونها لكن بعد خروج وقتها فذكرهم الله تعالى فقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون وذكر ان مصيرهم ويل وهو واد في جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت اي سالت قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة حتى غاب وقتها عذب في النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون وطبقة يتلوها وهم يراعونها في مواقيتها بشرائطها ورئيسهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فذكرهم الله بقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الاية وقال تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين واصحابه كذلك وذكرهم بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون وذكر مصيرهم فقال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهو ارفع موضع في الجنة وابهاه ينال المؤمن فيه مناه وينظر الى مولاه وقوله تعالى **ومما رزقناهم ينفقون** فالرزق هو الاعطاء وان اختلفت انواعه فان الرزق يكون تمليكا قال الله تعالى ومما رزقناهم اي ملكناهم ويكون غذاء قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اي غذاؤها ويكون طعاما قال تعالى فليأتكم برزق منه ويكون مالا قال الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء اي المال ويكون مطرا قال تعالى وما انزل الله من السماء من رزق ويكون هبة قال تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه هو هبة الشيء لغير الورثة تبرعا وتصدقا ويكون اجرا وظيفة كرزق القضاة والجنود وكل ذلك راجع الى الاعطاء ثم الرزق هو التغذية عندنا وهو عند المعتزلة التمليك

فالحرام عندهم ليس برزق لانه ليس بملك وهذا في غاية الفحش منهم وهو نهاية الضلال فانه رد كتاب الله تعالى قال عز وعلا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والحيوانات عندهم ليست تاكل من رزق الله ولم يرزق الله عز وجل شيئا منها ذكر الله تعالى هذا الفعل بصيغة الجمع من نفسه وهو واحد لا شريك له لانه خطاب الملوك والله تعالى ملك مالك الملك وملك الملوك فله استحقاقه ومنه اطلاقه والمعهود من كلام الملوك اربعة اوجه الاخبار على لفظة الواحد ان فعلت كذا وعلى لفظة الجمع فعلنا كذا وعلى ما لم يسم فاعله رسم لكم بكذا واضافة الفعل الى اسمه على وجه المغايبة امركم سلطانكم بكذا والقران نزل بلغة العرب فجمع الله تعالى فيه هذه الوجوه كلها فيما اخبر به عن نفسه فقال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا الاية وهذا على صيغة الواحد وقال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر انا ارسلنا نوحا انا اعطيناك الكوثر انا فتحنا لك فتحا مبينا وهذا على صيغة الجمع وقال فيما لم يسم فاعله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص كتب عليكم القتال خلق الانسان ضعيفا خلق الانسان من عجل وقال في المغايبة الذي خلقكم الاية افمن شرح الله صدره للاسلام الله نزل احسن الحديث هو الذي ارسل رسوله وقوله تعالى ينفقون فالانفاق هو صرف المال الى الحاجة والانفاق في قوله خشية الانفاق هو الافتقار والنفوق هلاك الدابة والنفاق رواج السوق والانتفاق خروج اليربوع من النافقاء والنفاق مخالفة السر العلانية ومرجع ذلك كله الى الامضاء والافناء وتفسيره فيه ستة اقاويل قال ابن عباس رضي الله عنهما اي من الاموال التي اعطيناهم يؤتون الزكوة كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم والوعيد لا يكون الا بترك الفرض وقد قرن الله تعالى الصلوة والزكوة في ايات من كتابه اقيموا الصلوة واتوا الزكاة والمقيمون الصلوة والمؤتون الزكوة اقاموا الصلوة واتوا الزكوة يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة والنظام بينهما ان الصلاة حق الله تعالى وصرف الزكاة الى الفقير حق عباد الله والواجب مراعاتهما بامر الله ومرجع جميع العبادات الى هذين فالصلوة عبادة بدنية والزكوة عبادة مالية وجميع العبادات تنقسم اليهما والثاني قول ابن مسعود رضي الله عنه هو الانفاق على الاهل قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته الاية والثالث قول الضحاك هو التصدق من انواع الاموال في الوجوه المختلفة ويتناول ذلك الصرف الى كل خير قال الله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض والرابع قول بعضهم انه قراءة القران ونظمه اي ضمه الى الصلوة انهم يقرؤون القران في الصلوة وقال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون اي مما اعطيناهم من القران يتلون فليس هذه حالة انفاق المال فانه حال صلاة الليل والخامس انه انفاق الروح قال تعالى وانفقوا في سبيل الله اي بارواحكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي الى حرمان الحيوة الباقية الحاصلة بالشهادة بقوله احياء عند ربهم يرزقون والسادس اي لا يدخرون عن الله شيئا فهم ينفقون نفوسهم في اداب العبودية وينفقون قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية فانفاق اصحاب الشريعة من حيث الاموال وانفاق ارباب الحقيقة من حيث الاحوال والاجمع ان يقال ان انفاق الاغنياء من اموالهم لا يدخرونها عن اهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظائف الخدمة وانفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة وانفاق المحبين من ارواحهم لا يدخرونها عن مجاري الاقضية والاختصار ان يقال ان انفاق الاغنياء من النعم وانفاق الفقراء من الهمم فانفاق الاغنياء اخراج المال من الجيب وانفاق الفقراء اخراج الاغيار من القلب والاظهر ان يقال المراد من النفقة هي الزكوة وزكوة كل شيء من جنسه زكوة مال مواسات با درويشان است وزكوة تواضع واحسان است وزكوة سري نصرة ضعيفان است وزكوة بر دادن مراحق تعمان است وزكوة خانه اردن مهمان است وزكوة علم تعليم ديگران است وزكوة صحت رهبر اركاها است وزكوة توم جهان با كادان است وزكوة اوان خويش وزكوة اوان خويش خواندن قران است وزكوة تن ماكردان عصيان است وزكوة زبان ناكفتن بهتان است وزكوة چشم نانگريستن بكار است وزكاة عبوديت نگاه داشتن فرمان است وزكوة است ايمان خدمة اركان است وزكوة اسلام مخالفه شيطان است وزكوة زهد دور بودن از سلطان است وزكوة دل تعظيم ايمان است وزكوة سر رابت امر يزدان است وزكوة زندگاني فدا كردن جان است وزكوة محب ياد كرد رحمن است وزكوة مروت تواجهي عرسان است ثم ذكر في الاية الايمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهي بالبدن ثم الانفاق وهو بالمال وهو مجموع كل العبادات ففي الايمان النجاة وفي الصلاة المناجاة وفي الانفاق الدرجات وفي الايمان البشارة وفي الصلوة الكفارة وفي الانفاق الطهارة وفي الايمان العزة وفي الصلاة القربة وفي الانفاق الزيادة وقيل ذكر في هذه الاية اربعة اشياء التقوى والايمان بالغيب واقامة الصلوة والانفاق وهو صفة الخلفاء الراشدين الاربع ففي الاية بيان فضلهم التقوى لابي بكر رضي الله تعالى عنه قال تعالى فاما من اعطى واتقى والايمان بالغيب لعمر الفاروق رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين واقامة الصلوة لعثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما الاية والانفاق لعلي رضي الله تعالى عنه قال تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية وقوله تعالى **والذين يؤمنون بما انزل اليك** والانزال في اللغة لمعان للارسال من علو الى سفل قال تعالى ربنا انزل علينا مائدة من السماء والامطار قال تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت والاعطاء قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والخلق قال تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس والوضع والشرع قال تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان فهو في حق الميزان

وضع وشرع للتعدية به كما قال ووضع الميزان ويكون بمعنى الاعلى قال تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ومنازل الجنة
ليست للنزول فيها من علو الى سفل بل من سفل الى علو قال تعالى فاولئك لهم الدرجات العلى وفى الحديث يقال لصاحب القران
اقرأ وارق ويكون فى معنى النبوة قال تعالى وقل رب انزلنى منزلا مباركا ويكون بمعنى التضييف قال تعالى
وانا خير المنزلين اى المضيفين ويكون فى معنى مراعاة الشى على محله ومنزله قال النبى صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس على
منازلهم اى احترموهم على اقدارهم ويكون بمعنى الوحى كما فى هذه الاية بما انزل اليك فان نحمل على الانزال الذى هو من
العلو الى السفل معناه انزال جبريل لتبليغه كما قال تعالى نزل به الروح الامين والتنزيل من الانزال ثم معنى ما انزل
اليك اى القران الذى يتلى والوحى الذى لا يتلى والمتلو هو هذا السور والايات وغير المتلو ما بين النبى صلى الله عليه وسلم
من اعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى الا انى اوتيت
القران ومثله ثم هذا الانزال هو من الله تعالى وانما ذكرهها على ما لم يسم فاعله لما ان خطاب الملوك يقع على اربعة اوجه
وقد ذكرت هذه الوجوه كلها فى هذه الكلمة قال فى صيغة الواحد وامنوا بما انزلت وقال فى صيغة الجمع انا انزلنا اليك
الكتاب وقال فى ذكر الاسم امنوا بما انزل الله وقال فى ما لم يسم فاعله بما انزل اليك ثم ههنا قال بما انزل اليك وقال
فى اية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم فاضاف الى جميع الامة لان المنزل على الرسول يلزم احكامه جميعهم فكان خطابه خطابهم
وهو ايضا تشريف لهم وجمع فى الكرامة بينه وبينهم وقوله تعالى **وما انزل من قبلك** اى ويؤمنون بما انزل من الكتب
قبلك على سائر الانبياء ثم الايمان بكل الكتب مع تنافى احكامها من وجهين احدهما التصديق بان كلها من عند الله والثانى
الايمان بما لم ينسخ من احكامها ثم انتظام هذه الاية بما قبلها بما ذكر انه لما نزل فى مدح المؤمنين والتقوى والايمان بالغيب
والصلوة والانفاق فى الاية الاولى قال اهل الكتاب هذا لنا وهذا فى اوصافنا فنزل قوله والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك فجعل المدح الذين يؤمنون بما انزل على محمد كما يؤمنون بما انزل على الانبياء الذين قبله فثبت خروجهم
عن ذلك بكفرهم بما انزل على محمد وعلى هذا يكون قوله والذين نعتا للمذكورين قبله والواو لا تكون العطف الذى هو للمغايرة
بل يكون ذكر نعوت مترادفة لمنعوت واحد كما قال وسيدا وحصورا ونبيا وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب ويجوز ان
يقال فلان عالم زاهد صادق ويجوز عالم وزاهد وصادق لان الاسم المشتق من الفعل المطلق على المسمى هو دلالة على الذات
وعلى الصفة القائمة به فباعتبار انه دلالة على الذات مرة هو وباعتبار انه دلالة على صفة قائمة هو غيره فجاز ذكر الصفات
بغير واو لاتحاد الذات ومع الواو لتغاير الصفات وهذا فى حق المخلوقات ويجوز ان يكون هذا ابتداء ويكون جوابه اولئك
على هدى من ربهم الاية فان قالوا لماذا كرر ذكر الايمان فى هذه الاية بعد ما ذكره فى الاية الاولى والقران على الايجاز
فجوابه من وجوه احدها ان التكرير للتاكيد والتقرير متعارف عند العرب قال قائلهم كم نعمة كانت لكم كم وكم وفى
القران ويل يومئذ للمكذبين فى سورة المرسلات مرات وفى سورة الرحمن فباى الاء ربكما تكذبان مرات والقران
نزل بلغة العرب والثانى ان الثانى رد لقول اهل الكتاب فكانت اعادة جددت افادة والثالث ان هذا غير الاول
فان الايمان الاول ايمان بالغيب وهو القيمة وما فيها وهذا ايمان بالقران وسائر الكتب وان حمل الغيب المذكور فى الاية الاولى
على القران فهذا على الايمان بالوحى الذى لا يتلى وسائر الكتب فلم يكن تكرارا وقوله تعالى **وبالاخرة هم يوقنون**
فالاخرة تانيث الاخر وهو الذى يقابل الاول وهو فى المعدودات اسم للفرد اللاحق والاخر بفتح الخاء هو الذى يلى
الاول والاخرة هى نعت لا بد من مضمر واختلف فى ذلك اهل التفسير قال بعضهم هى الدار الاخرة وقد نص عليها فى ايات
وللدار الاخرة وهى تقابل هذه الدار وهى الدنيا وقد جمع بينهما فى ايات فقال تعالى حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وقال
لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة وقال تعالى وجيها فى الدنيا والاخرة وقيل هى الحيوة الاخرة فقد جمع بينها وبين الحيوة
الدنيا فى ايات فقال اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة وقال تعالى وما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل وقال تعالى لهم
البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة وقال تعالى يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وقال تعالى ان علينا النشاة الاخرى وقد قال
ولقد علمتم النشاة الاولى وقال تعالى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة وقال تعالى وان عليه النشاة الاخرى ثم هذه الكلمة ذكرت
فى القران لاشياء الملة عيسى قال الله تعالى ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة والكلمة الاخرة قال الله تعالى فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى اى بكلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى وبكلمته الاخرة انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ولحالة تاخير
الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى وللاخرة خير لك من الاولى وللقبر يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة
الدنيا وفى الاخرة وللبعث بعد الموت قال الله تعالى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة وللقيامة قال الله تعالى وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا وللنار قال تعالى يحذر الاخرة وللجنة قال تعالى والاخرة عند ربك للمتقين وقال تعالى تلك الدار الاخرة
وقوله تعالى هم يوقنون فاليقين نقيض الشك وقيل هو زوال الشك وقيل هو من قول العرب يقن الماء فى الحوض اى استقر
فكان اليقين طمانينة القلب وسكونه على حقيقة الشى وقيل هو وقوع العلم من جهة الاستدلال والاسباب التى يستفاد
بها العلم ولذلك لا يوصف الله تعالى بالايقان بالشى لانه عالم بعلمه الازلى لا بعلم مكتسب وقيل هو التصديق بالشى
بعد العلم به والفعل منه ايقن بالشى وتيقن به واستيقن به كما يقال اقدم وقدم وتقدم واستقدم فاما تفسيره
فقد قيل يوقنون اى يعلمون بغير شك وليسوا كالذين قالوا ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل اى يصدقون

اى يعلمون

اى يعملون بما يعلمون منه فلا يركنون الى الدنيا ولا يغفلون عن الاخرة ولا يعملون بما يعاقبون او يعاتبون عليه فى الاخرة
واليقين المذكور فى القران جاء لمعانى للتصديق كما فى هذه الاية والتحقيق كما فى قوله تعالى وما قتلوه يقينا ولكونه متيقنا
به فى نفسه وان شك فيه البعض كما قال فى حق القران ان هذا لهو حق اليقين وللموت كما قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين وللقيمة كما قال ثم لترونها عين اليقين وللعلم والعمل به كما قال تعالى هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
ثم فى القيمة اليقين ثلاثة اشياء علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وفى تفسيرها اقاويل قيل علم كل عاقل بالموت
علم اليقين فاذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فاذا ذاق الموت فهو حق اليقين وقيل علم اليقين الاخبار عن الشى كما
هو به وعين اليقين معرفته على ما هو به وحق اليقين هو ذلك الشى وقيل علم اليقين ما حصل بالخبر والاستدلال
وعين اليقين ما وقع بالتعريف والافهام وحق اليقين وقيل علم اليقين مجموعهما وقيل علم اليقين ظاهر الشريعة وعين
اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها ثم ثمرة اليقين بالاخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة من الغرور
من ايقن ان الله خالقه فلا يعبد غيره ومن ايقن ان الله رازقه فلا يطمئن به ومن ايقن ان الدنيا زائلة فيعتمد عليها ومن
ايقن ان الورثة اعداء فيجمع لهم ومن ايقن ان الموت آت فلا يعتد له ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن ان الديان
يحاسبه فلا يصحح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن ايقن ان النار دار الفجار فلا يهرب منها
ومن ايقن ان الجنة دار الابرار فلا يعمل لها وقيل غاية اليقين اربعة ترك الدنيا قبل ارتحالك عنها وطلبك الاخرة قبل
قدومك عليها واستعدادك للموت قبل نزوله بك وارضاؤك للرب قبل لقائك اياه ثم ذكر فى هذه الاية من المؤمنين
الايقان بالاخرة فقال وبالاخرة هم يوقنون وذكر منهم الظن فى اية فقال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون وهو لطف من الله تعالى باثبات صفات لهم يختلف ظواهرها ويتفق معانيها ووصفهم بالجهل فى قوله تعالى
عملوا السوء بجهالة وبالعلم فى قوله تعالى اولوا العلم وبالفقر فى قوله تعالى انتم الفقراء الى الله وبالغنى فى قوله تعالى وانه هو اغنى
واقنى وبالضعف فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وبالقوة فى قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
وبالذلة فى قوله تعالى اذلة على المؤمنين وبالعزة فى قوله تعالى اعزة على الكافرين وبالنسيان فى قوله تعالى يا ايها الانسان وبالذكر
فى قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وبالعبودية فى قوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وبالملك
فى قوله تعالى وجعلكم ملوكا وبانه اوجدهم اولا على ملكه فقال الله الذى خلقكم ثم اخبر انه اشترى المؤمنين فقال تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ثم جعلهم فى العمل له كالاجراء فقال فلهم اجرهم ليوفيهم اجورهم فنعم اجر العاملين
ثم سماهم اولياءه فقال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم وسمى نفسه وليهم فقال الله ولى الذين امنوا والله ولى المؤمنين
وذكر محبته اياهم ومحبتهم اياه فقال يحبهم ويحبونه ووجه ذلك كله ان الظن فى ابتداء الحال واليقين بعد صحة الخبر
والاستدلال والجهل بعاقبة المعصية والعلم بحقيقة الشهادة والفقر باصل الخلقة والغنى بنيل الخلعة والضعف
بالبنية والقوة بالهمة والذلة بملاينة الاولياء والعزة بمخاشنة الاعداء والنسيان بالجبلة والذكر بالمعونة والعبودية
بالاصل والتمليك بالفضل والاشتراء بالحث على بذل النفس والمال لوجود ذكر الجلال والاجر لتحصيل الثواب والولاية
والمحبة لمعاينة معنى معاملة الاولياء والاحباب والله اعلم بالصواب وقوله تعالى **اولئك** اى المذكورون قبل وهم المتقون
الموصوفون بالايمان بالغيب وسائر الاوصاف المذكورة بعده على قول من جعل والذين يؤمنون صفة للاولين او عطفا
عليهم ويتم الكلام بقوله تعالى هم يوقنون ويكون اولئك مبتدأ وقوله تعالى خبر المبتدأ فاما من جعل الواو للابتداء فقوله اولئك
خبر لذلك المبتدأ ويرجع على الخصوص الى المذكورين فى قوله عز وجل والذين يؤمنون بما انزل اليك الاية وقوله
تعالى **على هدى** اى على رشد وقيل اى بيان وحجة وقيل اى صواب وحق وصحة وهذا اثبات فعل العبد وقوله تعالى
من ربهم هذا اثبات توفيق الله والاول رد على الجبرية والثانى رد على المعتزلة وهما جميعا دليل اهل السنة والجماعة
وهو كقوله اياك نعبد واياك نستعين والهدى اسم الاسلام والله تعالى سمى الاسلام باسماء واضاف كل واحد من ذلك الى نفسه
هدى الله صراط الله فطرة الله صبغة الله دين الله نور الله حبل الله كلمة الله وايا تها قل ان الهدى هدى الله صراط الله الذى
فطرة الله التى صبغة الله يدخلون فى دين الله افواجا واعتصموا بحبل الله يريدون ان يطفئوا نور الله وكلمة الله هى العليا
وسماه باسماء مفردة كلمة التقوى والزمهم كلمة التقوى والكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب ومثل كلمة طيبة والقول
الطيب وهدوا الى الطيب من القول وقول الصواب الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقول المرضى ورضى له قولا وقول
الحق ولا تقولوا على الله الا الحق ودعوة الحق له دعوة الحق وشهادة الحق الا من شهد بالحق والعهد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
والحسنة من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار والاحسان هل جزاء الاحسان الا الاحسان
والايمان ان هداكم للايمان والاسلام ان الدين عند الله الاسلام والسلم ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم والسلم يا ايها
الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة والسبيل انا هديناه السبيل وسبيل الرشاد اهدكم سبيل الرشاد وان يروا سبيل الرشد
والرشد يهدى الى الرشد والنعمة فضلا من الله ونعمة والفضل قل بفضل الله والعدل ان الله يامر بالعدل قال ابن عباس
رضى الله عنهما اى بالتوحيد والحق وقل الحق من ربكم والذى جاء بالصدق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو المؤمن الذى يقول
الصدق وهذا فرد بمعنى الجمع نعته قال اولئك هم المتقون والبر ولكن البر من امن بالله والبينة قل انى على بينة من ربى

آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثه وكان يستنصرون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكان سبب كفرهم حب الرياسة واخذ الرشوة قال الله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وقال مقاتل نزلت الاية في شان شيبة وعتبة والوليد بن المغيرة وقال الربيع نزلت في الذين قتلوا يوم بدر وقال ابو روق نزلت في شان ابي جهل وجماعة معه سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة حتى قال ابو جهل لعنه الله وكان يسرى بالليل فاستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اريني اية على نبوتك والا لاقتلنك فقال ما تريد فقال شق القمر بنصفين فاشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فانشق بنصفين فرأ بين شقي القمر فقال اللعين ما سحرك يا محمد فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطمع في ايمانهم بعد رؤيتهم المعجزة وانقيادهم فانزل الله تعالى أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله تعالى أم كلمة في القران على اربعة اوجه احدها عطف على ما دخله الف الاستفهام أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض ثم قال ام امنتم من في السماء والثاني ابتداء استفهام كالف ام لهم نصيب من الملك اي الهم والثالث بمعنى بل انا خير اي بل انا خير والرابع بمعنى او من غير استفهام كما في هذه الاية وقوله تعالى لم كلمة نفي وكلمات النفي لم ولما لم يلد ولم يولد ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وليس للحال ليسوا سواء ولن للمستقبل ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وما ولا وان الخفيفة للكل اما ما فتصلح الماضي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وللحال وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وللمستقبل وما هم منها بمخرجين واما لا فتصلح الماضي فلا صدق ولا صلى وللحال لا فارض ولا بكر وللمستقبل لا يموت فيها ولا يحيى واما ان فتصلح الماضي وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وللحال ان الكافرون الا في غرور وللمستقبل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا وقوله تعالى تنذرهم مجزوم بلم وقوله لا يؤمنون ثم هما ابتداءان وجوابان وقيل ان الذين كفروا ابتداء وقوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ابتداء اخر وجواب الابتداء الثاني في قوله أأنذرتهم اي سواء عليهم انذارك وتركك الانذار رفع الابتداء وخبره جواب للابتداء الاول وقد اتصل بالاول العائد اليه في قوله أأنذرتهم وهو كقولك زيد وجهه حسن ثم قوله لا يؤمنون كلام تام فيه تاكيد لقوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم وبيان له ثم هذا التخفيف على النبي صلى الله عليه وسلم وتفريغ لقلبه حيث اخبر عن حال هؤلاء في الابتداء بما اخبر نوحا صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء في الانتهاء فانه قال لنوح بعد طول الزمان ومقاساة الشدائد والاحزان انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فدعا بهلاكهم بعد ذلك وكذلك سائر الانبياء وفي الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبر انهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وهذا غيب لا يطلع عليه بشر الا باطلاع الله تعالى والله عز وعلا لا يطلع على الغيب الا من خصه بالرسالة قال الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وفي الاية اثبات فعل العباد فانه قال لا يؤمنون وفيه اثبات الاختيار ونفي الاكراه والاجبار فانه لم يقل لا يستطيعون بل قال لا يؤمنون فان قالوا لم قال لا يؤمنون وترى بعض الكفار يؤمنون قلنا ليس هذا في حق كل كافر بل في حق قوم باعيانهم وقد بيناهم فان قالوا قد علم انهم لا يؤمنون فلم امر النبي صلى الله عليه وسلم بدعائهم قلنا كان الانذار للاعذار وقال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك الاية فان قالوا لما اخبر الله تعالى رسوله انهم لا يؤمنون فهلا اهلكهم كما اهلك قوم نوح بعدما اخبر انهم لا يؤمنون قلنا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان رحمة للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال الامام القشيري من كان في غطاء وصفه محجوبا عن شهود حقه فسيان عنده قول من دله على الحق وقول من اعانه على استجلاب الحظ بل هو الى داعي الغفلة اميل وفي الاصغاء اليه ارغب وكما ان الكافر لا يرعوي عن ضلالته لما سبق من شقاوته كذلك المربوط باغلال نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده وقال ايضا ان الذي بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح المرشدين وتسويلات المبطلين لان الله تعالى نزع عن احواله بركات الانصاف فلا يصغي الى داعي الرشاد كما قيل وبي عن النصح تصامم وعلى عصيان النصوح وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم استئناف لما قبله انه ذكر هؤلاء بصفاتهم وحالاتهم ثم الحق بهم ذكر عقوباتهم والختم في اللغة لثلاث معان الطبع ومنه سمي الخاتم لانه يطبع به والاتمام وبلوغ الاخر ومنه ختم القران ومنه قوله تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين هو اخر النبيين ومتمم عدد المرسلين وقوله ختامه مسك اي اخرها تجد فيه رائحة المسك والاعلام يقال ختم على الكتاب وعلى الباب وعلى الشهادة اي اعلم عليها فاما تفسيره هاهنا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير وقال القتيبي اي اقفل عليها واغلقها فلا تعي خيرا ولا تسمعه وقال مجاهد حوان الذنوب بالقلب من كل نواحيه حتى يلتقي عليه والختم على طريق اللغة على الاول ان الله عز وعلا طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وعلى الثاني ان الله عز وعلا تمم جحودها وكفرها وعنودها وجعل ذلك اخر امرها فلا تزول ولا تحول وعلى الثالث ان الله تعالى اعلم عليها ووسمها بما فيها يعرف وبه يوصف واما معنى هذا الختم فعلى ثلاثة اوجه لثلاث طوائف من المتكلمين فاما الجبرية فقد جعلوا ذلك منعا عن الاسلام والمعرفة واجبارا على الكفر والنكرة كما في قوله

اليوم

اليوم نختم على افواههم انه منع حقيقي وهذا منهم جري على مذهبهم الفاسد في ان العباد مجبورون ولا فعل لهم اختيارا وفساد كلامهم ظاهر واما المعتزلة فقد جعلوا ذلك اعلاما محضا على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير كختم الكتاب والباب اعلام عليه بعلامة بمجرده وجعلوا ذلك ايضا بمجرد شهادة من قولك كتب فلان شهادة وختم عليها اي اثبت شهادته فيقولون معناه شهد الله عليها بكفرها واظهر ذلك للملائكة وهذا ايضا بمجرد شهادة منهم جري على مذهبهم الفاسد في ان افعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى ولا هي بقضائه وتقديره ومشيئته وارادته واما اهل السنة والجماعة فقد قالوا انه اثبات فعل الكفر وايجاده وحاصل الختم عند اهل الحق عقوبة من الله تعالى لا يمنع العبد من الايمان جبرا ولا يحمله على الكفر كرها بل هي زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديه في الكفر واصراره يختم بها عن اللطف الذي يسهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه انهم دعوا المخاطبين بالايمان بقوله تعالى امنوا بالله ورسوله وبلومهم على الامتناع عنه بقوله فما لهم لا يؤمنون وقوله وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وهو يجبرهم على الكفر وقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره اي ما حمله على الكفر ولو صاروا مجبورين وعن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما في الختم على الافواه يوم الحساب لما عجزوا بتحقيقه عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق المذهب اثبات فعل العبد وتخليق الله تعالى والمذكور في هذا المعنى في كتاب الله تعالى ثلاثة اشياء الختم والطبع والكنانة وفي كل واحد منها ذكر فعل نفسه وفعل العبد اما في الختم فقد قال ختم الله على قلوبهم وهذا اثبات فعل نفسه وقال قبله ان الذين كفروا وقوله طبع فعله وقوله بكفرهم فعلهم وقال في الطبع بل طبع الله عليها بكفرهم وقال في الكنانة انا جعلنا على قلوبهم اكنة وقال قبله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ثم الختم في القران على ثلاثة اوجه العقوبة كما في هذه الاية والكرامة كما في قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك قال مقاتل اي يختم بالصبر فلا تجد غصة التكذيب وهذا تسهيل عليه بطريق الكرامة والموعظة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به قالوا يحتمل اخذ الله اعيانها ويحتمل اخذ منافعها مع بقاء صور اعيانها وتقديره ايها الشاغلون الاسماع والابصار والقلوب بغير الحق لو اخذ الله تعالى هذه الاعيان فمن ياتي بها وايها الشاغلون هذه الاشياء بالحق لو ان الله ازال عنها الحق فمن الذي يعيدها اليه فهو تنبيه وعظة للمبطل والمحق جميعا ثم سبب هذه العقوبة الاصرار على الذنوب روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه وقال وهب الحظ عن هذا الختم رفع الختم عن الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على الناس فلا يطلقه في باطل وقوله تعالى على قلوبهم جمع القلب وهو الفؤاد وقلب كل شيء خالصه واشرفه وعربي قلب اي خالص وقلب النخلة ما في وسطها وقلب الشيء صرفه وانقلابه انصرافه والقلب نجم من منازل القمر والقلب والحول بالتشديد الذي يقلب الامور ويحتال وسمي قلب الانسان به لانه اشرف اعضائه لما فيه من العقل والفهم ونحو ذلك ولانقلابه ولا اضافة كالنجم ولتقلبه في الامور ولتصرفه في الاعضاء والقلب في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل وقوله تعالى وعلى سمعهم فالسمع في الاصل السماع وهو مصدر والسمع ايضا الاذن بمعنى السامعة والسمع بالكسر الصيت والاستماع الاصغاء والسماع والسامع والسمع الغث والسميع ايضا السمع كالبديع بمعنى المبدع وقوله فاسمعون اي فاطيعون ودعاء لا يسمع اي لا يجاب وسمع الله لمن حمده اي تقبل واجاب وسماعون للكذب اي قابلون الباطل وفيكم سماعون لهم جواسيس وانك لا تسمع الموتى اي لا تقدر على توفيق الكفار لقبول الحق وكانوا لا يستطيعون سمعا اي سماع القران لبغض الرسول وفي الخبر اي الساعات اسمع اي احق بالدعاء وارجى للاجابة وفي الحديث لم اسمع به ولا اسمع منه اي لم يبلغ ولم يتحقق القلب كل هذا من السماع ثم معنى الاية ختم الله على اذانهم فجعلها لا تصغي الى الخير ولا تعيه ولا تقبله عقوبة لهم على سوء اختيارهم وميلهم الى الباطل وايثارهم وقوله انه سمعهم والحجب فيه نوع على نحو ما سبق في الختم للقلب ثم قوله وعلى سمعهم على الوحدان دون الجمع لوجوه احدها انه في الاصل مصدر والمصدر يصلح للواحد والاثنين والجمع يقال هو يضرب ضربا وهما يضربان ضربا وهم يضربون ضربا قال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وقال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقال تعالى خبرا عن ابراهيم هؤلاء ضيفي وهو الضيف لانه في الاصل مصدر والثاني ان فيه اضمارا ومعناه وعلى مواضع سمعهم اي اسماعهم وهي الاذان كما في قوله تعالى واسئل القرية اي اهل القرية وثبت هذا الاضمار دلالة ان السمع فعل ولا يختم على الفعل وانما يختم على محله والثالث انه اراد سمع كل واحد منهم وهذا كما يقال اشبعني براس كبشين وقال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فان زمانكم زمن خميص والرابع قول سيبويه انه توسط جمعين فدل على الجمع وان وحد كما في قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور دل على الانوار وذكر الظلمات وقال الراعي جيف حسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وقوله تعالى وعلى ابصارهم اي على عيونهم فالبصر العين وجمعه الابصار كالسفر جمعه الاسفار والابصار بالكسر الرؤية والبصر ايضا صفة البصير وقد بصر من حد شرف اي صار بصيرا وبصر به اي راه قال تعالى خبرا عن السامري بصرت بما لم يبصروا به والبصيرة رؤية القلب والبصيرة البينة ايضا وقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة اي جوارحه بصيرة اي شاهدة عليه بما رات من عملها يوم القيمة وقوله تعالى فبصرك اليوم حديد اي علمك نافذ وقوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر فيه

وقوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة اى مضيئة فالا ستبصار التبين فان قالوا المرجع الابصار والواحد بصر وهو مصدر كالسمع قلنا لانه اسم للعين ايضا فكان اسما لا مصدرا فجمع لذلك ومعنى الكلمة والله اعلم وعلى ابصارهم حجاب غفلة وغطاء شبهة وسحاب ظلمة فلا يرون الحق ولا يتبلونه ولا ينقادون له وقيل معناه يتعامون عن الحق مع وجود العيون كما يتصامون عنه مع وجود الاذان وقوله تعالى **غشاوة** فالغشاوة والغشا الغطا والتغشية التغطية وقوله تعالى يستغشون ثيابهم اى يتغطون بها وقوله والليل اذا يغشى اى يغطي ظلامه الافق وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم اى علاهم فغطاهم وقوله فلما تغشاها اى وطيها وفيه التغطية والغاشية ما ستر السرج وقوله تعالى غاشية من عذاب الله اى عقوبة تجللهم وقوله هل اتاك حديث الغاشية هى القيمة تجلل الخلق وقوله من فوقهم غواش تجف من نار والغشى الاغما وقوله كالذى يغشى عليه من الموت اى يغمى عليه وفيه ستر العقل ثم اختلف فى قراة هذه الكلمة فقراة العامة بكسر الغين وزيادة الالف ورفع الاخر وقراة الحسن بضم الغين مع الالف وقراة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه غشوة بفتح الغين بغير الف وقراة الجحدرى غشاوة بفتح الغين مع الف وقراة المفضل عن عاصم غشاوة بكسر الغين مع الالف ونصب الاخر ويستقيم فى اللغة ستة اوجه غشاوة بفتح الغين وغشاوة بكسرها مع الالف غشوة بغير الالف بفتح الغين وضمها وكسرها واظهرها وافصحها الكسر مع الالف قال الشاعر • تبعتك اذ عينى عليها غشاوة • فلما انجلت تقطعت نفسى الومها • وقراة الاكثر برفع الاخر لان قوله وعلى ابصارهم غشاوة هذا كلام مبتدا وهو غير معطوف على الاول بالختم ومن نصبه فعلى اضمار جعل اى وجعل على ابصارهم غشاوة ثم معناه على ابصارهم غطاء غفلة وغلاف شبهة وكما تعاموا على الحق فى الدنيا فكذلك يبعثون فى العقبى قال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى ولما جعلوا على ابصارهم غشاوة تتصل بهم هذه الحالة فى الدنيا عند الموت وفى القبر وفى القيمة وفى النار وقال فى الدنيا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال فى الموت كالذى يغشى عليه من الموت وقال غاشية من عذاب الله هل اتاك حديث الغاشية قيل هى القيمة تغشاهم بطامتها وفضاعتها وقيل هى النار وقيل هى ثلاثة اشيا غاشية الابصار وهى الحجبة عن لقاء الله وغاشية الابدان وهى حر النار وغاشية القلب وهى هيبة القطيعة فهذه غشاوة فى الدنيا اورثتهم هذه الغشاوات فى العقبى تحقيقا لقوله تعالى كما بداكم تعودون ثم انما ذكر فى الاية القلوب والسمع والابصار لان الخطا كان باستعمال هذه الثلاثة فى الحق كما قال تعالى افلا تعقلون افلا تسمعون افلا تبصرون وكان هذا الخطا بعد ان هيا الله لهم الاسباب قال تعالى وهو الذى انشا لكم السمع والابصار والافئدة فلم يستعملوها فيما امروا باستعمالها فيه فعوقبوا فى الدنيا بالختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار ويوم القيمة من جنس ذلك عقوباتها وهى ما قال قلوب يومئذ واجفة اى شديدة الاضطراب اى التى تطلع على الافئدة فاذا جاءت الصاخة اى المصمة ابصارها خاشعة اى ذليلة بما عراها من التغير والتحير ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اى عميا ثم بين عقوبتهم فى الاخرة فقال فيها **ولهم عذاب عظيم** فالعذاب العقوبة والعذب ذو العذوبة وهى نقيض الملوحة والعذاب النفس عن كذا هو منعها عنه وسمى العذاب عذابا لانه يمنع من الجنا يه اذا تامل فيها العاقل وقيل انما سمى به لانه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه اى استطابه ولذلك قال ذق وقوله عذابى وانما يذاق الطيب على معنى انه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه فى دنياه وقوله تعالى عظيم اى كبير وقيل اى دايم وهو التعذيب بالنار ابدا ثم عظمه باهواله وشدة احواله وكثرة سلاسله واغلاله وقيل هو القتل والاسر فى الدنيا والتحريق بالنار فى العقبى ثم ذكر بعد ذكر المؤمنين ظاهرا وباطنا والكافرين ظاهرا وباطنا المنافقين الذين امنوا ظاهرا وكفروا باطنا فقال **ومن الناس** اى ومن جنس الانس والناس جمع انسان على غير لفظه فالانسان فعلان من انس وماخذه من انس اى ابصر والجن من اجتن اى استتر فالبشر يرون والجن لا يرون وقيل هو من الانس الذى هو ضد الوحشة وسمى به لاستيناس روحه ببدنه وبدنه بروحه وقيل هو من افعلان واصله انسيان ودليل ذلك انه يقال فى التصغير انيسيان فتعاد الياء المحذوفة وسمى به لنسيانه قال الله تعالى فنسى ادم عليه السلام فنسى ولم نجد له عزما ولذلك جاء فى تفسير قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى نسا النعم ذكار للمحن والناس جمعه لا من لفظه فانه لا يستقيم جعله من الانس ولا من النسيان ومعنى هذا الجمع من النوس وهو التحرك سموا به لحركاتهم فى مباحاتهم وواجباتهم ومحظوراتهم وحركات سائر الحيوانات لا يوجد وجودها منه قوله تعالى **من يقول** من كلمة تصلح للواحد والجمع وههنا الجمع اى قوم يقولون وهم عبد الله بن ابى بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وغيرهم وهولاء رؤس المنافقين قال مجاهد اربع ايات من اول السورة فى نعت المؤمنين وايتان فى نعت الكافرين وثلاث عشرة اية فى المنافقين وقال مقاتل ايتان من اولها فى نعت المؤمنين المهاجرين وايتان فى مؤمنى اهل الكتاب وايتان فى الكفار وثلاث عشرة اية فى المنافقين وقوله تعالى **امنا بالله وباليوم الاخر** اخبر عنهم انهم يدعون ذلك ثم قال **وما هم بمؤمنين** فنفى الايمان عنهم لانه لبس فى قلوبهم وقد قال الله تعالى ومن الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقد قال تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا وابطل هذا قول الكرامية انه مجرد الاقرار فان المنافقين اقروا بذلك والله تعالى نفى عنهم ذلك ثم انه قال من يقول وهذا فعل الواحد لان كلمة من تصلح له ثم قال وما هم على الجمع

لانه هو المراد فحمل على المعنى وهو كقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه وهذا على الواحد للصيغة ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على الجمع للمعنى وكذا قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ثم قال تعالى ولنجزينهم اجرهم وقوله تعالى بمؤمنين الباء للتاكيد وهو كقوله عز وعلا وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن ويجوز حذفها قال تعالى ما هذا بشرا وهذا لان ما بمعنى ليس ويجوز فى ليس الباء وحذفها قال تعالى اليس الله باحكم الحاكمين وقال ايضا ليسوا سواء وفى الاية معجزة النبى صلى الله عليه وسلم فانهم اظهروا الايمان واضمروا الكفر والنبى صلى الله عليه وسلم اخبر عما فى قلوبهم وذلك غيب والله جل جلاله يقول عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ودلت الاية ان الدعوى مردودة اذا لم يقم عليها دلالة الصحة قال قائلهم من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه وان من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون عليه لعاين الله وانا من المسلمين فقيل له وكنت من المفسدين وقال يونس صلوات الله عليه انى كنت من الظالمين فقيل له فلولا انه كان من المسبحين وقوله تعالى **يخادعون الله** فالخدع الحيل والاخداع الاخفاء ومنه المخدع وهو البيت الصغير يخفى فيه الشئ وخدع فوه اى تغيرت رائحته ودينار خادع اى ناقص وسنون خداعة اى قليلة المرافق فقوله يخادعون قيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين باظهار الايمان مع اضمار الكفر رفع درجة النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جعل خداعهم خداعه كما جعل اعداهم اعداه وقيل معناه يفسدون ما اظهروا من الايمان بما اضمروا من الكفر وقيل معناه يخادعون الله على زعمهم اى عندهم خداع الله يظنون انهم يخفون على الله عز وجلا شيئا وهو كما قال ويحسبون انهم على شئ ونظيره قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى اى على زعمكم وقوله تعالى فما اغنت عنهم الهتهم اى على زعمهم وقال مقاتل معناه افتروا على الله تعالى بقولهم نحن نخادع الله وكان هذا بهتانا منهم كسائر ما افتروا على الله وقيل معناه ايخادعون الله على الاستفهام وهو كقوله تعالى قال هذا ربى وقيل انهم اظهروا شيئا واضمروا خلافه فتصور بصورة الخداع فسمى به وان لم يكن هو فان حقيقته ان لم يمكر باحد فلا يعلم به الممكور وهو كقوله تعالى فما اصبرهم على النار ولا صبر لاحد عليها لكن لما داموا على الفعل الذى به يصيرون الى النار تصوروا ذلك بصورة الصبر على النار وقيل معناه يحتالون لازالة الحق بالباطل ثم المخادعة ومعنى المفاعلة وان كان اصلها لما يكون بين اثنين فقد يكون لفعل الواحد كالمسافرة والمصارعة وان حمل على الموضع فالخداع كان منهم وجزاء الخداع من الله تعالى على ما تبين فان قالوا ان لم يعرفوا الله تعالى كيف يخادعونه وان عرفوه فكيف قصدوا خداعه قلنا قد بينا انهم عملوا عمل المخادعين من الوجوه التى ذكرناها وقوله تعالى **والذين امنوا** عطف على الاول اى ويخادعون المؤمنين ايضا ويجوز حمله على الحقيقة فى حقهم فانه فى وسعهم فاما قوله يخادعون الله فقد مر قول ان معناه يخادعون الرسول والمؤمنين والصحيح ان يحمل ذلك على يخادعهم الرسول وحده دون المؤمنين فان خداعهم المؤمنين مذكور على التصريح بعده وهو قوله تعالى والذين امنوا ثم انما جعل مخادعتهم الرسول مخادعته تعالى تشريفا له كما جعل نصرته نصرته كقوله ان تنصروا الله ينصركم اى تنصروا رسوله وكما جعل مخادعته مخادعة الله فقد جعل مبايعته مبايعة الله بقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكذا فى اشياء ذكرها فى ايات امنوا بالله ورسوله واطيعوا الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله استجيبوا لله والرسول ومن يشاقق الله ورسوله وينصرون الله ورسوله يحادون الله ورسوله اذا نصحوا لله ورسوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله يوادون الله ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه انما وليكم الله ورسوله فسيرى الله عملكم ورسوله لا تقدموا بين يدى الله ورسوله مهاجرا الى الله ورسوله وقوله تعالى **وما يخادعون الا انفسهم** قرا ابو عمرو وابن كثير ونافع وما يخادعون على موافقة الكلمة الاولى يخادعون وقرا الباقون وما يخدعون لان خداعهم انفسهم لا يعدوهم فقال اهل اللغة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخدع اذا بلغ مراده فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة ولما وقع ضرر فعلهم على انفسهم كان فى حق انفسهم خدعا وتفسيره ولا ينفذ خداعه فيمن قصدوه فكانهم خدعوا انفسهم كما يقال فلان يسخر بفلان وما يسخر الا بنفسه وقيل معناه وما يرجع وبال خداعهم الا اليهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومثله ومن نكث فانما ينكث على نفسه انما بغيكم على انفسكم ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن اساء فعليها ثم قال فى الاحسان ان احسنتم احسنتم لانفسكم من ابصر فلنفسه من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه من عمل صالحا فلنفسه ومن شكر فانما يشكر لنفسه ثم قال ههنا وما يخدعون الا انفسهم وقال فى سورة اخرى يخادعون الله وهو خادعهم واريد به الجزاء وقيل يفتح لهم على وفق ما عاملوه وذلك فيما جاء انهم اذا القوا فى النيران وعذبوا فيها طويلا من الزمان واستغاثوا بالرحمن قيل لهم هذه الابواب قد فتحت فاخرجوا فيبادروا الى الابواب فاذا انتهوا اليها غلقت دونهم واعيدوا الى الادبار والتوابيت مع الشياطين والطواغيت يقول الله تعالى ومكروا ومكر الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وقوله تعالى **وما يشعرون** الشعر العلم والفطنة والاشعار الاعلام واشعار الهدى منه والشعار العلامة والشعائر المعالم والشعائر العلائم وهى معالم الحج واعماله واحدتها شعيرة وشعارة ثم اسم لعلم خاص وهو العلم بدقة النظر فى الشئ ماخوذ من الشعر ولذلك يطلق على الجسم على معرفة الكلام المقفى الموزون بوزن خاص واما التفسير

فقد قيل اى وما يعلمون انه خداع لانفسهم وقيل اى وما يعلمون ان وباله راجع عليهم وقيل اى وما يعلمون انهم
لا يقدرون ان يخادعون الله وقيل اى وما يعلمون ان الله جازيهم جزاء خداعهم وقيل وما يعلمون ان الله يعلم بصنيعهم
وهذا كما قال اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والعظة فيه ان المنافق عمل ما عمل وهو لا يعلم
وبال ما عمل والمومن يعلم به ثم يعمل به فما عذره عند ربه ثم فى هذه الاية نفى العلم عنهم وفى قوله تعالى وتكتمون
الحق وانتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا بحقيقته ولكن لما لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا
وهو كقوله عز وعلا صم بكم عمى وكانوا سامعين ناطقين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كانهم صم بكم
عمى فقد والالة اذا لم ينتفع بها فهو وعادمها سواء والعالم الذى لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء والغنى الذى
لا ينتفع بماله فهو والفقير سواء والحى الذى لا يستمتع بحياته فهو والميت سواء ثم ان الله تعالى اثبت المومنين العلم
بقوله واولوا العلم واثبت لهم الجهل بقوله الذين يعملون السوء بجهالة كما اثبت للكفار العلم بقوله ولقد علموا والجهل
بقوله قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون وليسوا سواء بل اثبات العلم المومنين اثبات الكرامة وذكر الجهل تلقين
عذر المعصية واثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات المنقصة وقوله تعالى **فى قلوبهم مرض**
المرض فى اللغة العلة والامراض اثبات صفة المرض والتمريض القيام على المريض وقيل هو كل ما خرج به الانسان عن
حد الصحة من علة او نفاق او تقصير فى امر والمرض فى القران لاربعة اشياء للعلة فى قوله تعالى ولا على المريض حرج
والجراح فى اية التيمم وان كنتم مرضى او على سفر والفجور فى قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض وللشك فى قوله تعالى
فى قلوبهم مرض واما التفسير فقد قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وابن عباس والربيع وقتادة رضى الله عنهم اى شك
وقال مقاتل اى نفاق وقال ابن الانبارى اى ظلمة يقال ليلة مريضة اى مظلمة وقال بعضهم اى غم بسبب نصرة
النبى صلى الله عليه وسلم وزوال رياستهم اليه وقال الامام ابو منصور رحمه الله اى اضطراب وتردد ومرض الجسم
كذلك وطريق تسمية النفاق مرضا ان المومن يسمى حيا والكافر ميتا فسمى المنافق مريضا لتردده بين موافقة الظاهر
ومخالفة الباطن كتردد المريض بين بقائه حيا وبين موته لان الله تعالى قال الا من اتى الله بقلب سليم اى خال عن الشك
والشرك فكان تركيب المنافق بخلافه فلم يكن سليما بل كان مريضا وقوله تعالى **فزادهم الله مرضا** الزيادة
خلاف النقصان ويجى متعديا كما فى هذه الاية ولازما كما فى قوله تعالى الى مائة الف او يزيدون ونظيرها نقيضها
وهو النقصان وهو متعد فى قوله تعالى ننقصها من اطرافها ولازم فى قوله عليه السلام هن ناقصات العقل والدين
واما التفسير فقد قيل معناه جازاهم الله بزيادة شك على شكهم عقوبة لهم على اصرارهم وعنودهم وقال السدى
فزادتهم عداوة الله مرضا وقيل اى زادهم الله تعالى غما على غمهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله اى زاد الله تعالى خلق
الكفر فى اعتقادهم وقالت المعتزلة هو على التخلية بين المنافق ونفاقه وهذا بناء على اصلهم الفاسد انهم لا يرون
الكفر والمعاصى بتخليق الله تعالى ومشيئته ولا يحملون مثل هذا الا على التخلية وقيل معناه ارادهم ضعفا عن الانتصار
والعجز عن الاقتدار كما قال الشاعر • يا مرسل الريح جنوبا وصبا • ان غضبت زيد فزدها غضبا • وزيد قبيلة ومعنى
الدعا فى هذا البيت اى لا تقدرها على الانتصار فيما غضبت منه ثم هذه الصيغة للتحقيق عند بعضهم وللدعا عند اخرين
فان قالوا الدعا للعاجز عرفا فما معنى هذا الدعا من الله تعالى قلنا هذا تعليم من الله تعالى انه يجوز الدعا عليهم وهذا كقوله
قاتلهم الله انى يوفكون وكقوله الا ان شيطانا مريدا لعنه الله وقريب منه فسحقا لاصحاب السعير وقوله تبت يدا ابى لهب
وتب ثم فى الاية اثبات خلق الافعال من الله تعالى طاعاتها ومعاصيها قال تعالى ههنا فزادهم الله مرضا وقال فى اية
اخرى زادهم هدى ثم قيل زيادة مرضهم كان بانزال الايات المتتابعة والحجج المتناصرة قال الله تعالى واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم وذلك على وجه التسبب اى صارت الاية سببا لزيادة يقين هولاء ولزيادة شك هولاء
وهو كقوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال فلم يزدهم دعاى الا فرارا ومن العجب ازدياد شكهم بالايات
النيرة واضطراب قلوبهم مع الدلائل البينة لكن الشمس تزيد عليل العين علة والماء يزيد الحجر الصلب صلابة
ثم قوم زادهم القران الذى انزل شفاء ورحمة فى القلوب علة ومرضا وقيل كانت زيادة مرضهم بانزال الفرايض
والحدود فقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادة وهى وظائف العبادات ثم العقوبات
على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك فى الاخرة عذابا
على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمومنون لهم فى الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
وفى العقبى ما قال ويزيدهم من فضله وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** هذا فى العقبى والاول فى الدنيا والالم
فى اللغة الوجع والاليم الوجيع وهو بمعنى المولم اى الموجع كما يقال السميع بمعنى المسمع قال الشاعر • امن ريحانة
الداعى السميع • يورقنى واصحابى هجوع • واما تفسيره اى يصل المه الى القلوب وقيل هو الشديد الذى لا يزول
ولا ينقطع وقوله تعالى **بما كانوا يكذبون** اى بكونهم كاذبين فان ما لم مع كان مصدرا وكذا كل فعل تقول
سمعت ما قلت اى قولك وكلمة كان قد يجى للماضى كما فى قوله وكان فى المدينة تسعة رهط وقد يجى للمستقبل

كما فى قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا وقد يجى للحال كما فى قوله تعالى وكان بالمومنين رحيما اى لم يزل رحيما بهم
فى الازل وفى الحال وفى الابد وقد يجى بمعنى صار كما فى قوله فكان من المغرقين وقد يجى بمعنى وقع كما فى قوله وان كان ذو عسرة
ثم الكذب خلاف الصدق وفيه لغتان كذب وكِذب كقولك كتف وكِتف والتكذيب النسبة الى الكذب وقرا اهل الكوفة
يكذبون بالتخفيف وهو كذبهم فيما قالوا وقرا غيرهم بالتشديد وهو تكذيبهم الله تعالى ورسوله واما تفسيره فقد قيل
يكذبون على الله تعالى باثبات الشريك وقيل اى بتحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله وقيل اى بقولهم انك لرسول الله
بالسنتهم من غير تصديق قلوبهم بذلك وهو منصوص عليه بقوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله الى ان قال والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون وقيل اى بقولهم امنا بالله وباليوم الاخر من غير اعتقاد وهو الذى سبق ذكره فى هذه
الايات وتحقق بهذا ما قلنا لان الايمان ليس هو بمجرد الاقرار وقد كذبهم الله تعالى فى دعوى الايمان مع اقرارهم باللسان
بمخالفة الجنان والله المستعان وقوله تعالى **واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض** اذا كلمة توقيت وهى ظرف
الزمان المستقبل واذ ظرف الزمان الماضى والفساد ضد الصلاح واما تفسيره فقد قيل واذا قال المسلمون لهولاء
المنافقين لا تعملوا المعاصى فى ارض المدينة وما حولها وقيل اى لا تناهضوا وقيل اى لا تفرقوا الناس عن محمد وقيل
اى لا تصدوا الناس عن دين الله واتباع رسوله وقيل اى لا تمايلوا الكفار وقيل اى لا تتبعوا الهوى بترك المامور
وترك المنهى واختلفوا فى المرادين بهذه الاية قال ابن عباس وابن مسعود وجماعة رضى الله عنهم هم المنافقون وقال
مقاتل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود من ههنا الى قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم قال ودليله
قوله انما نحن مصلحون واليهود هم الذين كانوا يعتقدون هذا الافساد اصلاحا ويظهرون ذلك فاما المنافقون
فما كانوا يقولون ظاهرا ان هذا اصلاح ولو قالوا ذلك لظهر كفرهم فقتلوا فاما اليهود لعنهم الله فقد كانوا اظهروا
انهم على الحق وغيرهم على الباطل واما المنافقون كانوا يقولون نشهد انك لرسول الله ويحلفون بالله انهم لمنكم ودليل اخر
قوله واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفهاء والمنافقون ما كان يمكنهم التكلم بهذا ظاهرا فثبت
انه فى اليهود وافسادهم هو كتمان حال النبى صلى الله عليه وسلم وصد الناس عنه واخذهم الرشوة وتغييرهم الاحكام بها
واما القائلون بان الاية فى المنافقين فقد قالوا ان ما قبلها وما بعدها فى المنافقين على ما بينا وتبين فاما قولهم انما
نحن مصلحون فمعناه انهم قالوا لا نفعل هذه الاشياء التى هى افساد بل نتبعكم على دينكم وهذا انكار منهم للنفاق والافساد
وكان افسادهم على قول هولاء ما ذكر فى هذه الايات يخادعون الله والذين امنوا ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
وهى قصة تنفيرهم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقوله ويقولون هو اذن والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
وكفرا الاية اتخذوا ايمانهم جنة يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وهو كعب بن الاشرف يقولون لاخوانهم الذين كفروا الاية
يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم لووا رووسهم الاية قالوا انما نحن مستهزءون اولا يرون انهم يفتنون
فى ربهم يترددون ونحوها وقوله تعالى **قالوا انما نحن مصلحون** انما كلمتان فى الاصل ان كلمة تاكيد قرنت بها
ما صارت للحصر والقصر فقوله انما الله اله واحد تقديره لا اله الا الله الواحد وقوله انما الصدقات للفقراء كذلك
وكذا ههنا معناه ما نحن الا مصلحون وقوله نحن جمع انا على غير لفظه كهولاء جمع هذا وهذه وكقولهم اولئك جمع ذلك
وذلك وتلك وكالنسوة جمع المراة وكالابل جمع الجمل والناقة وكالغنم جمع الشاة ثم هذه الكلمة يتكلم بها الواحد اذا
اخرج الكلام مخرج خطاب الملوك قال وانا لنحن نحيى ونميت ويتكلم بها الاثنان قال خبرا عن هاروت وماروت
انما نحن فتنة فلا تكفر ويتكلم بها الجماعة كما فى هذه الاية انما نحن مصلحون والاصلاح ضد الافساد والصلاح
ضد الفساد وفى تصريفه ثلاث لغات صلح يصلح كقولك شرف يشرف وصلح يصلح كقولك دخل يدخل وصلح
يصلح كقولك صنع يصنع والصلح والمصالحة والاصلاح من ذلك ثم لقولهم هذا وجوه احدها انهم انكروا الافساد
وهو النفاق وما نهوا عنه لانهم كانوا يخفون ذلك فاظهر الله تعالى ما اضمروا وكشف ما ستروا والثانى انهم اعتذروا
الى المسلمين وقالوا انما نوافق الكفار وعنايتهم نريد بها الاصلاح بينهم وبين المومنين وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه
والثالث انهم قالوا يصلح امرنا بموافقة الكفار فى الباطن وموافقة المومنين فى الظاهر نظرا فى العاقبة حتى لو كان
الظفر لهولاء قالوا نحن منكم ولو كان لهولاء قالوا لهم كذلك والرابع ان هذا جواب اليهود واظهروا ان ما هم فيه اصلاح
وليس بافساد وقوله تعالى **الا انهم هم المفسدون** الا كلمة تنبيه وان كلمة تاكيد وهم كناية عن المذكورين قبله
وهم ثانيا تاكيد لان التكرير تاكيد وتقرير وهذا كقوله انى انا الله انا نحن نزلنا الذكر انه هو الغفور الرحيم انك
انت التواب الرحيم انكم انتم الظالمون انهم هم المفسدون اثبتوا لانفسهم اسم المصلحين فنفاه الله عنهم واثبت
لهم المفسدين فكان لكلامهم اربعة اوجه وفى هذا ردهم على تلك الوجوه اما الاول فكان انكارا منهم واسرارا وكان
هذا اهتكا لاستارهم واظهارا والثانى كان اعتذارا بانا نطلب الاصلاح باستمالة الكفار فاخبر بهذا ان هذا افساد
منهم حيث علم الكفار ان المنافقين لهم انصار وهذا باعث لهم على الاصرار والثالث كان ظنا منهم ان موافقة الفريقين
من وجهين تنفعهم فى الحالين فيكون اصلاحا لبالهم فاخبر انه افساد لحالهم ومالهم فانهم طلبوا رضى الفريقين
وقد فاتهم ذلك كله فان المومنين يبغضونهم لما انهم لا يوافقونهم فى الباطن والكافرون يردونهم لما انهم لا يتابعونهم

في الظاهر وكذا حال اهل الريا والاخلاص لهم الا بالاخلاص والرابع كان جوابا ليهود لعنهم الله جهارا وكانوا ممن قال الله
تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وكان فرعون لعنه الله سمى صلاح موسى فسادا وغواية نفسه رشادا فقال ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وقال ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم
الا سبيل الرشاد فرد الله تعالى عليه فقال انه كان من المفسدين وقال وكنت من المفسدين وقال ههنا الا انهم هم
المفسدون وقيل في هذا ما يدل على انهم وصفوا انفسهم بالاصلاح والمومنين بالافساد واقتضى انهم قالوا انما
نحن مصلحون وانتم مفسدون فرد الله عليهم القولين وقال الا انهم هم المفسدون وتقديره هم المفسدون لا انتم
ولو كان كلامهم هذا الواحد المنصوص عليه فحسب لكفى جوابا لهم انهم هم المفسدون فتكرارهم وتعريف النعت بالالف
واللام دليل على ما قلنا وهو كقوله ان شانئك هو الابتر هو رد قول ذلك اللعين ان محمدا الابتر اذا مات انقطع ذكره
فقال الله تعالى ان شانئك هو الابتر ثم فيه بيان شرف المومنين حيث قال تعالى جوابا للمنافقين عما قالوا للمومنين
كما كان في حق المصطفى عليه السلام فان الوليد بن المغيرة قال له انك مجنون فنفاه الله تعالى عنه بقوله ما انت بنعمة
ربك بمجنون ثم قال في ذم ذلك اللعين فلا تطع المكذبين وقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع
للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم وهي عشرة اسماء مذمومة فكذلك في حق المومنين فان المنافقين سموا المومنين
مفسدين فنفاه عنهم وسمى المنافقين بعشرة اسماء مذمومة مخادعين لقوله تعالى يخادعون الله جاحدين لقوله وما يشعرون
مرضى لقوله في قلوبهم مرض كاذبين لقوله بما كانوا يكذبون مفسدين لقوله هم المفسدون سفهاء لقوله الا انهم هم السفهاء
طاغين لقوله في طغيانهم وتمامها لقوله صم بكم عمي وقوله تعالى ولكن لا يشعرون لكن كلمة استدراك وقيل هي لتحقيق
شيء تثبته بدل شيء تنفيه ويشدد ويخفف والمشدد ناصب والمخفف رافع ويدخلان جميعا الاسم والمخفف منه
يدخل الفعل قال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وقد تسقط نونه للضرورة في الشعر قال الشاعر ولاك اسقني
ان كان ماؤك ذا فضل وفي موضع العطف تكون لكن المخففة كسائر حروف العطف في العمل تقول ما جاء في زيد
ولكن عمرو وما رايت زيدا ولكن عمرا وما مررت بزيد ولكن عمرو وقوله تعالى لا يشعرون اي لا يعلمون واختلف
في معناه قيل لا يعلمون انهم مفسدون وان فعلهم افساد وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان كان التاويل هذا فهو
ينقض قول من يقول ان الحجة لا تلزم الا بالمعرفة وهو قول الناشي وغيره من المعتزلة لانه اخبر بفساد صنعهم
وان لم يشعروا به وهو كقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر بحبط اعمالهم وان كانوا لا يعلمون بعد
ان كانوا بسبيل العلم به اي متمكنين من الوصول الى العلم بالنظر في دلايله وقيل ليس هذا نفي حقيقة العلم
بل هو نفي عملهم بالعلم وقد قدرناه فيما مر وقيل لا يشعرون انهم يعذبون وقيل لا يشعرون متى ينزل بهم الموت
فتنقطع عنهم التوبة ولما كانوا موصوفين بالعلم في الاصل بقوله ولقد علموا وصاروا موصوفين بالجهل بقوله
لا يشعرون من الوجوه الثلاثة انهم لم يعلموه افسادا ولم يعلموا ان عليه عذابا ولم يعلموا متى يموتون قبل ان يتوبوا
الزمهم الحجة فازال هذه الجهالات بالدلالات فقال انه افساد بقوله الا انهم هم المفسدون وقال في عذابه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال في الموت فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون وكذا وصف المومنين
بالعلم بقوله تعالى واولوا العلم ثم وصفهم بالجهل لمخالفتهم العلم فقال يعملون السوء بجهالة وكان جهلهم من هذه
الوجوه الثلاثة فازالها فقال في حق الاول انه فسوق بقوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال في عقوبته
ان الفجار لفي جحيم وقال في المومنين من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب الايات
وقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفهاء ذكر الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية نزلت في شان اليهود ومسلمي اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي
واصحابه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن مسعود وجعفر الطيار رسولا الى النجاشي فاستقبلهم
حبر الشام وفيهم اهل الكتاب وكان ابن مسعود يقرا جهرا فانتهى الى قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا
بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وفيهم
الحبر عبد الله بن سلام فلما سمع ذلك هاب وجعل يمسح راسه ووجهه خوفا من المسخ وهو ان يانى رسول الله فيسلم
على يديه فاتى المدينة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني سيد قومي وهم يطيعوني
فارجوا انهم يسلمون باسلامي فادعهم واسالهم عني من انا فيهم واخبرهم باسلامي فعسى يجيبونك ففعل فلما دخلوا
عليه قال ما تعدون فيكم ابن سلام قالوا هو سيدنا وابن سيدنا واعلم يهودي بقي على وجه الارض بالكتاب
الذي انزل على موسى عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتسلمون ان اسلم هو فقالوا هو لا يسلم فكرر ذلك
فاجابوا كذلك فخرج عليهم عبد الله بن سلام وقال لهم يا اعداء الله فعل الله بكم كذا وكذا اما وجدتم نعت محمد وصفته
مكتوبا في التوراة في موضع كذا فقالوا يا ابن سلام ما كنت اهلا للذي اثنينا عليك ولكن كنت غائبا فكرهنا اغتيابك
وخرجوا وهم يقولون انك رجل جاهل سفيه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا تاويل الاية واذا قيل لهم اي لليهود امنوا
بمحمد وكتابه كما امن عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه قالوا انومن كما امن هولاء الجهال قال ابن مسعود

وابن عباس رضي الله عنهم في رواية ومجاهد وقتادة والربيع والسدي انها في المنافقين وتفسيرها على هذا القول
واذا قيل للمنافقين امنوا بالقلوب مع ايمانكم بالالسنة كما امن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انومن كما امن
هولاء الصحابة الذين لا يعلمون شيا فعلى التفسير الاول كان قولهم هذا جهرا لانهم كانوا مصرين على اليهودية ظاهرين
وبالكفر مجاهرين وعلى التفسير الثاني كان المنافقون لعنهم الله يتكلمون بهذا الكلام في انفسهم دون ان ينطقوا بالسنتهم
لكن هتك الله عز وجل استارهم واظهر اسرارهم عقوبة لهم على عداوتهم وهذا كما اظهر الله ما اضمر اهل الاخلاص من الكلام
الحسن وان لم يتكلموا به بالالسنة تحقيقا لولايتهم قال تعالى يوفون بالنذر الى ان قال انما نطعمكم لوجه الله وكان هذا
في قلوبهم فاظهره الله تعالى تشريفا لهم وتشهيرا لحالهم وفي الاية بيان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه اخبر بما في قلوب المنافقين
باخبار رب العالمين على ما مر وقوله تعالى الا انهم هم السفهاء وهو جمع السفيه ومصدره السفه والسفاهة وذلك
ضد الحلم ويقال خفة العقل يقال ثوب سفيه اي ردي النسج وسفهت الريح الشجر مالت بها وحركتها واستخفتها
وقال ابو تمام سفيه الرمح جاهله اذا ما بدا فضل السفيه على الحليم معناه سريع الطعن بالرمح خفيفه وسفهت الشيء
اي استحقرته وسفهت فلانا عن ماله اي خدعته والسفه ان يكثر الرجل شرب الماء فلا يروى وسافهت الدن اذا قعدت
عنده تشرب منه ساعة بعد ساعة وسافهت الناقة الطريق لازمته لا تبالي به واما التفسير فقد قيل السفهاء الجهال
وقيل البهاتون المتعمدون لخلاف ما يعلمون وقيل الجهال الظالمون القايلون خلاف الحق وقيل المجاهرون التاركون
النظر في العواقب وقيل الجهال بمصالح الامور الخفاف العقول والاراء وحاصل تفسير السفه في صفة المنافق على مجموع
اللغات واقاويل الطبقات انه ظاهر الجهل عديم العقل خفيف اللب ضعيف الراي ردي الفهم مائل الى مستخف القدر
سريع الذنب حقير النفس مخدوع الشيطان اسير الطغيان دائم العصيان ملازم الكفران لا يبالي بما كان وفي قولهم هذا
شيئان اثنان تباعدهم عن ايمانهم وتسفيه من امن من اخوانهم وهذا الاستفهام في اول الكلام للاستهجان والاستعظام
ثم اي لهم انهم هم الالباء وان غيرهم هم السفهاء وهذا من تسويل النفس وتزيين الشيطان ومنه ضلالات اهل الهوى
والطغيان قال الله تعالى الا انهم هم السفهاء وهذا اكرم رتبة واعز رفعة للمومنين المخلصين اذ حاماهم ورعاهم ورد
على من عاداهم وبالسوء رماهم فقال بابلغ ما يبدا به الكلام الا وبا وكذا ما يونس به النظام وباحسن ما يبدع به المدح
والختام هم السفهاء اي لا هولاء لانهم بايمانهم واخلاصهم من السفه هربوا وفي العلم والحق رغبوا وهم العلماء على الحقيقة
والمستقيمون على الطريقة وقوله تعالى ولكن لا يعلمون اي لا يعلمون انهم هم السفهاء وقيل اي لا يعلمون علما يميزون به
بين الحق والباطل وقيل لا يعلمون عاقبة صنيعهم وقيل اي لا ينتفعون بعلمهم لانهم يعذرون بجهلهم ومن لطائف الاية
ان الذين قالوا لهود النبي عليه السلام انا لنراك في سفاهة اجابهم هو بنفسه فقال يا قوم ليس بي سفاهة والله تعالى
تولى جواب المومنين واثبت السفه للقايلين فقال الا انهم هم السفهاء وقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا لقوا اي عاينوا واللقاء الروية والمعاينة واللقاء واللقي كذلك والملاقاة والالتقاء الاجتماع وهو الاجتماع في الحرب
ايضا على الخصوص قال تعالى قد كانت لكم اية في فئتين التقتا والتلقي والاستقبال وهو الاخذ ايضا قال الله تعالى فتلقى
ادم من ربه كلمات وهو رواية بعضهم من بعض في قوله اذ تلقونه بالسنتكم واما تفسيره فقد قال ابن عباس رضي الله
عنهما في رواية مقاتل وابو سهل الطالقاني معناه واذا عاين اليهود المومنين ويدل عليه قوله تعالى في هذه السورة واذا
لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم وذلك في حق اليهود بالاجماع وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في رواية ومجاهد والجمهور واذا عاين المنافقون المومنين واما النزول فقد روي ان عبد الله بن ابي
المنافق كان جالسا مع اصحابه المنافقين على قارعة الطريق اذ استقبله اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
ابن ابي لاصحابه انظروا الي وتعلموا مني كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فانظروا كيف اكفيهم فافعلوا كما افعل فقال لابي بكر
الصديق رضي الله عنه وكان اول من لقيه مرحبا بسيد بني تيم بن مرة القوي في دين الله صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الاسفار ثاني اثنين اذ هما في الغار الباذل نفسه وبدنه وماله لرسول الله ثم استقبله عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب بن مرة القوي في دين الله الشديد الغضب على اعدائه الباذل نفسه
وماله وبدنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبله علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني هاشم ما خلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله جل جلاله اصطفاه وخصه من بين خلقه بالنبوة فقال له علي رضي الله عنه اتق الله
ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله عز وعلا في الارض فقال يا ابا الحسن لا تقل هكذا فوالله ان ايماننا كايمانكم
وتصديقنا كتصديقكم ونحن مومنون في السر والعلانية ثم افترقوا فقال عبد الله بن ابي كيف رايتم زدى هولاء
منكم فقالوا لا نزال بخير ما عشت فينا ثم رجع ابو بكر رضي الله عنه واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه
بذلك ونزلت هذه الاية في شانهم فاما من حملها على اليهود وهم مجاهرون بالكفر فانه حمل قولهم قالوا امنا على الايمان
المذكور في قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون واما من حملها على المنافقين فظاهر وانتظام هذه الاية بالاية التي قبلها انه ذكر في تلك الاية ما قالوا لهم
وذكر في هذه الاية ما قال المنافقون لاوليك في تلك الاية مقابلة السفيه بالسفيه وفي هذه الاية مقابلة الاستهزاء

بالاستهزاء وقوله تعالى **واذا خلوا الى شياطينهم** فقوله خلوا الجمع للواحد خلا وصرفه خلا يخلو خلوة وخلا خلاء اى صار خاليا وخلا بفلان اذا اجتمعا على الخلوة وخلا بامرأته اى دخل بها وخلا اليه اى انصرف اليه للخلوة وخلت المراة اى صارت خلية اى طالقا وخلا اى مضى واما تفسيره ههنا فقد قيل واذا خلوا الى شياطينهم اى انضموا اليهم وقيل اى رجعوا اليهم وقيل اى خلوا مع شياطينهم اى اجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع قال النضر بن شميل وهو كقوله من انصارى الى الله اى مع الله وعلى هذا قوله الى المرافق اى مع المرافق وقيل معناه انصرفوا من لقاء المؤمنين الى شياطينهم فمن دخل ابتداء قيل خلا به واذا انصرف عن احد ودخل على غيره قيل خلا اليه وقال الاخفش خلوت اليه اى جعلته غايتى فى حاجتى وقال بعض الكوفيين خلوا الى شياطينهم اى صرفوا خلوتهم الى شياطينهم فاما الشياطين فهو جمع شيطان وقال الخليل كل متمرد عند العرب شيطان واختلفوا فى المرادين بهذا الاسم ههنا قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وقال ابن مسعود رضى الله عنه هم رؤساؤهم فى الكفر وقال الضحاك هم كهنتهم وهم فى قريظة كعب بن الاشرف وفى بنى سليم ابو بردة وفى جهينة عبد الدار وفى بنى اسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن السودا وكانت العرب تعتقد فيهم انهم مطلعون على الغيب ويعرفون الاسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن الا وعند العرب ان معه شيطانا يلقى اليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فان الشطون هو البعد ولعتوهم وتمردهم فان الشيطان هو العاتى المتمرد ولان الشياطين قرناؤهم فسموا بقرنائهم ولان من شابه احدا سمى به ولما كان هؤلاء على صفة الشياطين سموا بهم ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن راه يتبع حماما شيطانا يتبع شيطانا والمار بين يدى المصلى فليقاتله فانه شيطان وقال نسوة فى المدينة ليوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم لما راينه بصفة الملك وقال النبى صلى الله عليه وسلم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل لما كانوا بصنعتهم فعلى العاقل ان يتصف بصفة الملائكة والانبياء ولا يتصف بصفة الشياطين والاغويا وقوله تعالى **قالوا انا معكم** مع كلمة قران يقال جاء زيد مع عمرو اى مقترنا به وفيه لغتان تحريك العين وتسكينها قال الشاعر • ومن يتق الله فان الله معه • ورزق الله مؤتاب وغاد • ويقال جاءا معا بالتنوين اى غير مفترقين ويقال حب من معه اى راجع للقرآن وهو الاصل قال وادا كانوا معه على امر جامع وللقرآن والحقوق قال هذا ذكر من معى ذكر من قبلى وبمعنى بعد قال ودخل معه السجن فتيان وبمعنى عند قال تعالى مصدق لما معكم وبمعنى سوى قال االه مع الله وبمعنى المعونة قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا وبمعنى العلم قال تعالى وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى وبمعنى المتابعة قال تعالى وطائفة من الذين معك وبمعنى شهود الصورة قال تعالى قالوا الم نكن معكم وبمعنى شهود القلب قال تعالى قالوا انا معكم واما تفسيره ههنا فقد قيل معناه انا عون لكم على محمد وان كنا معه ظاهرا وقيل معناه انا لكم انصار وقيل اى انا على ما انتم عليه من التكذيب والعداوة وقيل اى نخلو بكم ارادوا الجمع بين الامرين فخرجوا منهما قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كذلك من اراد ان يجمع بين طريق الارادة وما عليه اهل العادة لا يتيسر له ذلك والضدان لا يجتمعان ومن كان له فى كل ناحية خليط وفى كل زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومقتسما بين العلائق وقوله تعالى **انما نحن مستهزؤن** الهزء السخرية من شئ يحق عند صاحبه ولا يحق عند الهازئ وقد هزأ به اى سخر والهزء بتسكين الزاى وهو الذى يسخر منه والهزءة بفتحها هو الذى يسخر من الناس والاستهزاء كالهزء بمنزلة الاستسخار وهو كالتخرية وانتظامه بما قبله انهم لما قالوا لشياطينهم انا معكم قالوا فما لكم تشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتغزون معهم قالوا انما نحن مستهزؤن قيل معناه ساخرون بمحمد واصحابه وقيل اى مكذبون بما يدعوا اليه وقيل اى نريهم انا نوافقهم على دينهم ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم فى غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على اسرارهم ونحفظ اموالنا واولادنا ونساءنا من ايديهم وقوله تعالى **الله يستهزئ بهم** له ثمانية اوجه احدها انه عاملهم فى الدنيا معاملتهم فانهم اظهروا الايمان وفى باطنهم النفاق والله تعالى اظهر لهم فى الحال الامان وعاقبهم بالاحراق بالنيران والثانى ان معناه يجازيهم فى الاخرة جزاء استهزائهم والعرب تسمى الجزاء باسم الابتداء قال عمرو بن كلثوم • الا لا يظلمن احد علينا • فنظلم فوق ظلم الظالمينا • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • وفى القرآن وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم يخادعون الله وهو خادعهم ويمكرون ويمكر الله انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا نسوا الله فنسيهم فيسخرون منهم سخر الله منهم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم والثالث قول سيبويه الله يستهزئ بهم اى يوقع بهم ضرر استهزائهم كما قال فى الخداع وما يخادعون الا انفسهم وهو كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والرابع قول ابن عباس رضى الله عنهما كلما احدثوا خطيئة جدد لهم عقوبة والخامس قول الحسين ابن الفضل البجلى هو اعطاء المراد فى الحال واخذ البغتة فى المال قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة والسادس انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله ولم يكن ذلك فى عقيدتهم ويقال للمنافق ذق انك انت العزيز الكريم وليس ذلك من صفتهم والسابع قول قتادة وهو ما اخبر الله تعالى عنهم لهم يوم القيمة يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الى ان قالوا الم نكن معكم فيقولون بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بما قلتم لشياطينكم انا معكم فاليوم يقال لهم لم نكن معكم وكنتم تستهزؤن فاليوم نحن بكم مستهزؤن

فيكون الاستهزاء من المؤمنين مجازاة لهم وانما اضاف الله تعالى ذلك الى نفسه بقوله الله يستهزئ بهم تشريفا للمؤمنين وجعلا لفعلهم فعله كما قال لنبيه عليه السلام وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والثامن قول الكلبى انهم يضحكون المؤمنين فى الدنيا فيجازيهم يوم القيمة يضحكون منهم وهو انه يجعل المؤمنين يطلعون على المنافقين فى الجنة فيقولون لهم اتحبون ان تخرجوا من النار وتدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب الى النار فيقصدون اليه فيغلق عليهم ثم يفتح لهم باب اخر فيقصدون اليه فلا يزال يفعل بهم كذلك والمؤمنون يضحكون منهم قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى ان قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون الايات ودلت الاية على قبح الاستهزاء بالناس وقد قال تعالى لا يسخر قوم من قوم وقال فى قصة موسى عليه السلام قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فاخبر انه فعل الجاهلين واذا كان وعيد الاستهزاء بالناس هذا فما جزاء الاستهزاء بالله تعالى وهو فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه ثم مقابلة الاستهزاء بالاستهزاء دليل على ان الجزاء من جنس العمل وقد عددنا ايات فى اجزية اعمال السوء واجزية اعمال الخير كذلك قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال تعالى فاذكرونى اذكركم وقال تعالى اوفوا بعهدى اوف بعهدكم وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه وقال تعالى اجيبت دعوتكما وقال تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وقوله تعالى **ويمدهم فى طغيانهم يعمهون** فمد الحبل جره ومد النهار ارتفاعه ومد الظل بسطه ومد العيش ثبوته ومد النهر زيادة مائه وزيادة نهر اخر فى مائه لازم ومتعد ومد الالف والواو والياء تطويلها ومد بيد القامة تطويلها ومد الدواة وامدادها الاتيان بالمداد وامداد الجيش الحاق المدد به وذكر فى الفرق بين مد وامد ثلاثة اوجه قال يونس مددت فى الشر وامددت فى الخير وقال الفراء مددت فيما كان الزيادة منه كمد النهر والامداد فيما كان الزيادة فى غيره كامداد الجيش وقال الاخفش المد الترك والامداد الاعطاء قال تعالى ونمد له من العذاب مدا وقال تعالى فليمدد له الرحمن مدا وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اى نعطيهم واما تفسيره ههنا فقد قيل ويمدهم اى يتركهم وقيل يخليهم وقيل يطولهم وقال ابن كيسان يمهلهم وهى اقاويل متقاربة واما الطغيان فهو مجاوزة الحد فى اللغة يقال طغى السيل اى جاء بالماء الكثير وطغى البحر اذا هاجت امواجه وقال الخليل هو من الواو والياء ايضا جميعا يقال طغوت وطغيت طغيانا وطغوانا واما تفسيره ههنا فقد قال ابن عباس والسدى فى طغيانهم اى فى كفرهم وضلالهم وقيل مواطاتها بالقوة على من لا قوة له وقيل اى فى غلوهم فى الكفر وقيل اى فى عتوهم وقيل اى فى تكبرهم وقيل اى فى جهلهم وقيل اى فى عماهم وقيل اى فى تماديهم وقيل فى تجاوزهم قدرهم معناه يطيل تكشفهم فى طغيانهم فى الدنيا وقيل اى نطيل مكثهم فى جزاء طغيانهم فى العقبى واما العمه فهو التردد فى الحيرة وقد عمه يعمه فهو عمه وعامه وجمعه عمه قال الشاعر • ومهمه اطرافه فى مهمه • اعمى الهدى بالجاهلين العمه • ويقال ذهبت ابله العمهيا اذا لم يدر اين ذهبت واما تفسيره ههنا فقد قال ابن عباس ومجاهد والربيع معناه يترددون وقيل يتحيرون وقيل اى يعمون عن رشدهم فلا يبصرونه وهذه الصفات الثلاث ثابتة فيهم اما التردد ففى قوله تعالى مذبذبين بين ذلك واما التحير ففى قوله تعالى لا يهتدون سبيلا واما العمى ففى قوله تعالى عمى فهم لا يبصرون ثم قوله فى طغيانهم يعمهون مذكور فى القرآن فى صفة الكافرين والمبتدعين والمرتدين والمنافقين قال تعالى فى الكفار فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون وقال فى المبتدعين من يضلل الله فلا هادى له الاية وقال فى المرتدين ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة الاية وقال تعالى فى المنافقين فى هذه الاية ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ثم الاية دليل اهل السنة والجماعة فانه قال ويمدهم وهو اثبات فعل نفسه وقال فى طغيانهم يعمهون وهو اثبات فعل العبد فدل على ان العبد فاعل والله تعالى لفعله خالق وبطل قول الجبرية ان لا فعل للعبد وقول القدرية ان لا صنع لله فى فعل العبد ثم ما ينبغى ان يفرح العبد بطول العمر وامتداده ولا بكثرة امواله واولاده والله تعالى يقول فى اعدائه فى حق العمر ويمدهم وفى حق المال والبنين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وكان طول العمر لهم خذلانا وكثرة المال والاولاد حرمانا ثم لهم بمقابلة هذا المدد لا يحمد قال تعالى فليمدد له الرحمن مدا ثم ونمد له من العذاب مدا وقد جعل لهم ما لا ممدودا ولوليه فى الاخرة ظلا ممدودا وقال الله جل جلاله لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمتى على امتك انى قصرت اعمارهم كى لا تكثر ذنوبهم واقللت اموالهم كى لا يشتد فى القيمة حسابهم واخرت زمانهم كى لا يطول فى القبور حبسهم وقوله تعالى **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** فالشراء البيع والاشتراء الابتياع والشرى المثل وتفسيره ههنا فى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم اخذوا الكفر وتركوا الايمان وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى اى اثروها وقيل اختاروها وقيل استبدلوها وهو كقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان ثم هذا على قول الذين قالوا ان الاية فى اليهود يرجع الى قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فكان هذا استبدالا منهم الضلالة بالهدى وهذا كما فى قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وفى حق الكفار يخرجونهم من النور الى الظلمات ليس هذا بطريق النقل بل بالابتداء على الاصل ثم هذا مجاز وهو متعارف اهل اللسان وهو ابلغ فى البيان واوقع فى القلوب والاذان وهو كثير فى القران قال تعالى فجعلناه هباء منثورا

وقال تعالى لما طغى الماء وقال عز وعلا وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال تعالى وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها
وقال تعالى نساؤكم حرث لكم وقال ههنا اشتروا الضلالة بالهدى واصله فى استبدال مال بمال واستعير فى الهدى والضلال
والجامع بينهما معنى الاختيار والاستبدال فكل شىء يختار وكل شىء يستبدل فكذا هؤلاء اختاروا الكفر على الهدى
واستبدلوه به وقد اشار الى هذين المعنيين فى آيتين فقال تعالى استحبوا العمى على الهدى وقال ومن يتبدل الكفر
بالايمان وقوله تعالى الضلالة بالهدى قيل الكفر بالايمان وقيل الشك باليقين وقيل الجهل بالعلم وقيل الفرقة بالجماعة
وقيل النفاق بالاخلاص وقيل الدنيا بالآخرة وقيل النار بالجنة ومعناه ان اختيار الدنيا ضلال والعمل بما يوجب
النار ضلال واختيار الآخرة هدى والعمل بما ينال به الجنة هدى ثم هذا دليل على ان حكم البيع يثبت بالتعاطى
من غير تكلم بالايجاب والقبول وان هؤلاء سموا مشترين بترك الهدى واخذ الضلال من غير تكلم بهذه المبادلة
اشار اليه الامام ابو منصور رحمه الله وقوله تعالى **فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** فالربح والريح الفضل
ونظيرهما المثل والمثل والرباح كذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم السماح رباح والتجارة مصدر تجر من باب دخل
والتجر اسم منه وجمع التاجر التجر كالركب والتجار كالصبار ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم وهى اشتراء
الضلالة بالهدى وهو مجاز واستعارة كالشراء ثم هو مع الاستعارة من مقلوب الكلام كقوله تعالى فاذا عزم الامر
اى عزموا عليه وقوله تعالى والليل اذا يسر اى يسرى فيه وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار اى مكرهم فيهما ومن كان على
هذا الوجه ما بيعه وخسرت صفقته وما ربحت تجارته وقوله تعالى وما كانوا مهتدين قد مر فى قوله بما كانوا يكذبون
ان كان يصلح للماضى والحال والاستقبال وههنا قد قيل بالوجوه الثلاثة قيل اى وما كانوا على الهدى فلذلك
خذلوا فاختاروا الضلالة على الهدى وقيل وما هم بمهتدين فى الحال لتمسكهم بالضلال وقيل اى وما يكونون مهتدين
اى لا يؤمنون من بعد وقيل فى انتظام هذا بالاول وما نالوا الهدى حيث اشتروا الضلالة بالهدى وقيل انما يجر
الى الربح والاهتداء ولم يكن لهؤلاء ربح ولا اهتداء وقيل ما اهتدوا الى الايجاب بالتجارة الرابحة التى اهتدى اليها
المؤمنون فقد قيل لهم يرجون تجارة لن تبور وهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقيل لهؤلاء اولئك هم
الخاسرون واولئك الذين خسروا انفسهم الآية وقوله تعالى **مثلهم** المثل فى القرآن لعشرة معان للصفة
قال تعالى ولله المثل الاعلى وقال ذلك مثلهم فى التوراة وللشبه قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال اى لا تصفوا لله الاشباه
وللنوع قال تعالى ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل اى من كل نوع وللعبرة قال تعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين
اى عبرة وللامام قال تعالى وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل وللحال قال تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا اى حالهم كحال
المستوقد وللعاقبة قال تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا وللمال قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا وللصلة
والزيادة قال تعالى كمثل الذين من قبلهم معناه كالذين وللعذاب قال تعالى كمثل الذين من قبلهم اى عذاب هؤلاء كعذاب
الذين من قبلهم والمثل فى اللغة الشبه والمثال ما تماثل للشىء والتمثال الصورة وفى القرآن امثال وهى للايضاح
والابلاغ فانها اوجز فى الذكر واوقع فى الفهم وقالوا ان المثل للكلام كالمرآة للوجه يرى الناظر فيها مثل وجهه فيقف
على حقيقة حاله ويعرف كمال وصفه وكذا وقوف السامع على معنى كلام المتمثل ووصوله الى مراد قوله المتأمل مع ما يذهب
النفس فيه كل مذهب ويستفيد فيه كل معنى عجيب ونوضح ذلك فى واحد ان الله تعالى قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء فتأمل
فى تمثيله بالماء فقيل ان الماء اذا قل نفع واذا كثر ضر ففى القليل التطهر من الحدث والجنابة والحيض والنفاس واتخاذ
الاطعمة والاشربة وغسل الاعيان النجسة وسقى الدواب والاراضى والاشجار واحياء الفلاة فاذا كثر هدم البنيان
وافسد الزرع وقلع الاشجار وشق الانهار وسد الطرق واغرق الناس وكذا المال القليل تكفى به المؤن وتقام به
المصالح ويتزود به للمعاد فاذا كثر اورد الطغيان وولد العصيان واورث البغضاء والشنآن واكثر الاعداء والحساد
وقيل اذا قل الماء اجريته حيث شئت وفيه الحيوة والعمارة واذا كثر جرى حيث شاء وفيه الخراب والاماتة وكذا حال
المال على جميع الامثال وقوله تعالى **كمثل الذى استوقد نارا** يقال اوقدت النار وقودا اى اشعلت والاستيقاد
ههنا بمنزلة الاستيقان والايقان والاستخراج والاخراج والاسترهاب والارهاب وكذا قول الاخفش ان معناه
كمثل الذى اشعل نارا بنفسه ويقال استوقد اى سأل غيره ان يوقد فان سين الاستفعال للطلب والسؤال واختلفوا
فى المراد من هذه الآية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية وسعيد بن جبير ومحمد بن عطاء ويمان بن رباب
هم اليهود لعنهم الله كانوا يقرون بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فكانوا فى نور فلما بعث جحدوه فصاروا فى الظلمة
كمن اوقد نارا فى المفازة للامن فطفئت وعلى هذا جاء عنهم فى قوله ذهب الله بنورهم اى ارسل عليها ريحا عاصفا فاطفاها
وهو ما جاء فى صفة اليهود لعنهم الله فى آية اخرى كلما اوقدوا نارا للحرب اى مع محمد اطفاها الله وقال مقاتل بن حيان
وقتادة والضحاك والسدى والقتبى وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم الآية فى المنافقين استوا بالشهادة
كأمن صاحب النار فى المفازة ثم زال ذلك بالموت ثم انما قال كمثل الذى استوقد نارا على الوحدان فانه كان قوله
مثلهم على الجمع لوجوه احدها ان معناه مثل كل واحد منهم كمثل المستوقد وهذا كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا ولم يقل
اطفالا وان خاطب الجمع لان معناه يخرج كل واحد منكم طفلا وقيل هو اسم جنس فيصلح للواحد والجمع وقيل الموقد

بالجمع يكون واحدا والمستضيئون كثير وقيل هو تمثيل فعلهم لا اعيانهم ومعناه مثل فعل المنافقين كمثل فعل المستوقد
وكلا الفعلين واحد وانما الفعل فى الاستجابة كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى كخلق نفس واحدة وبعثها
وقوله تعالى **فلما اضاءت ما حوله** اى انارت والضوء النور وضاء اى نار واضاء يكون بمعنى ضاء ايضا لازما ويكون
متعديا بمعنى نور وهو فى قوله كلما اضاء لهم لازم ويكون ضاء واضاء بمعنى واحد كقولهم نار وانار وبان وابان وفى هذه
الآية فلما اضاءت ما حوله متعد لانه ذكر بالنار ومعناه فلما نورت النار المواضع التى حول هذا المستوقد ولو كان لازما لكان
يقول فلما اضاء ما حوله لان ما مذكر فان قال قائل ان بين الضوء والنور مغايرة او هما شىء واحد فان كانا غيرين فلم اثبتهما
جميعا فى شىء واحد ههنا فقال فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وان كانا واحدا فلم غاير بين الكلمتين قلنا
هما واحد ههنا وانما ذكرهما جميعا لانه اعذب لفظا واحسن نظما وابلغ فى الفصاحة والطف فى العبارة من الاعادة
بلفظ الاول ودليل الاتحاد هما قوله تعالى فى صفة نور المعرفة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وقال تعالى نور على نور
وقال فى التوراة ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وقال فيها ايضا انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقوله
تعالى ما حوله اى جوانب المستوقد يقال حوله وحواليه وحوليه وقوله تعالى **ذهب الله بنورهم** اى اذهبه والذهاب والذهوب
الانتقال والمذهب الطريق والذهاب الزوال ايضا قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى ليزيله وذهب لازم
ويصير متعديا بالباب كما يقال اتى فلان واتى به غيره وذهب هو وذهب به غيره والنور ههنا ضوء النار التى تتوقد
وانما لم يقل بنارهم وان كانت هى المذكورة قبلها لان للنار شيئين حرارة ونورا فذهب الله تعالى النور وبقى لهم الحرارة
والامام ابو منصور رحمه الله يشير الى ان معناه اذهب الله تعالى نور بصرهم على ما نبين وقوله تعالى **وتركهم فى ظلمات**
اى خلاهم فى ظلمات هى جمع الظلمة ويجمع على الظلم بالضم والظلمات بفتح اللام وكذا الحجرات والغرفات وهى الظلمات
المحيطة به من كل جهة ففى كل جهة ظلمة ومن الجهات ظلمات واما تفسيره فقد قال الحسن هو النور الذى اظهروه للرسول
بالاسلام فقطعه الله عنهم بالموت فى قبورهم وقال الاصم ذهب الله بنورهم ستود وجوههم فى الآخرة عقوبة لهم وقيل معنى
تركهم فى ظلمات اى لم يأتهم بضياء يبصرون به وقيل اى لم يخرجهم منه كما يقال تركه فى الدار اى لم يأتهم به يخرجهم منها
وهذا تأويل المعتزلة فانهم لا يقولون بخلق افعال البشر من الله تعالى والصحيح من التأويل عند اهل السنة والجماعة
وتركهم اى جعلهم فى الظلمات وهو كقوله فتركه صلدا اى جعله وقوله تعالى **لا يبصرون** اى لا يبصرون ما حولهم لذهاب
النور ثم انما قال وتركهم فى ظلمات لا يبصرون بالجمع مع ان المذكور فى الآية الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله وهو وا
لما مر ان الموقد واحد والمصطلون جمع او اريد بالواحد الجمع من الوجه الذى مر وهو كقوله والذى جاء بالصدق وصدق
به اولئك هم المتقون وقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله فله اجره ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومعنى الآية فى قول ابن عباس
وقتادة والضحاك ومقاتل والسدى مثل المنافقين فى كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة واستضاء
بها واستدفأ بها ورأى ما حوله واتقى ما حذر وخاف فامن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة خائفا متحيرا
فكذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان فاستناروا بها واعتزوا بعزها وامنوا بسببها فناكحوا المسلمين ووارثوهم
وقاسموهم الغنائم وامنوا على اموالهم واولادهم فاذا ماتوا عادوا الى الخوف والظلمة وبقوا فى العذاب والنقمة وقال
الامام ابو منصور رحمه الله فى هذه الآية كشف قوله الله يستهزئ بهم وقوله تعالى وهو خادعهم فانه فضحهم فى الدنيا والآخرة
فانهم طلبوا بنفاقهم الامن فاعقبهم الله خوفا دائما كما قال يحسبون كل صيحة عليهم وقال رأيت الذين فى قلوبهم مرض
ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف الآية وقال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت وقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم ولانهم طلبوا بالنفاق رضى
الفريقين والشرف والعز فيهم فعلم الفريقان جميعا بذلك فطردوهم قال الله تعالى ما هم منكم ولا منهم وقال الله تعالى
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فزال الشرف والعز وجاء الهوان والذل فمثلهم كمثل مستوقد النار ليستضىء بها وينتفع
بحرها فاذهب الله تعالى بصره واعقبه خوف الاحراق لو دنى منها وذهب الانتفاع بحرها فى البرد واصلاح الاغذية بها
بذهاب البصر واما فى الآخرة فما ذكرنا من جواب المؤمنين لهم عند اقتباس النور وضحك المؤمنين منهم وهم فى النار
وقوله تعالى **صم** الصمم انسداد خروق المسامع والاصم الصخر الاملس والجذر الاصم اصل الحساب الذى لا يصل الى
معرفة العباد والقناة الصماء التى ليست بمجوفة والصماء الداهية والصمة الشجاع والصمة الاسد وقارورة
مصمومة اى مسدودة وصمامها سدادها واصل كلمة السد والشد والاصم النعت من الصمم وجمعها الصم
وكذا كل افعل كان نعتا مما هو خلقة فجمعه الفعل ومثله البكم والعمى فان كان اسما فعلى الافاعل يجمع الارنب
والارانب والاعجم والاعاجم فان كان نعتا مما هو آفة فعلى الفعلى كالاعجف والعجفى والاحمق والحمقى وقوله تعالى
بكم فالبكم هو الخرس وهو آفة فى اللسان لا يتمكن معها ان يعتمد مواضع الحروف وقيل الابكم الذى يولد اخرس
وقيل هو الخرس مع ذهاب الفؤاد وقوله تعالى **عمى** فالعمى ذهاب بصر العين والقلب والعماية الجهالة والعماء
الخفاء ايضا والتعمية الاخفاء والنعت من البكم الابكم وجمعه البكم ومن العمى الاعمى فى العين وجمعه العمى ومن القلب
العمى وجمعه العمون قال الله تعالى بل هم منها عمون ثم رفع هذه الكلمات باضمار كلمة هم اى هم صم بكم عمى وقرأ عبد الله

ابن مسعود رضي الله تعالى عنه صماً بكماً عمياً ولنصب ذلك ثلاثة اوجه احدها تركهم صماً بكماً عمياً والثاني على الذم والثالث
على الحال واما تفسيره فقد قال قتادة اي صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمي عن ابصاره وقيل اي يتصامون ويتباكمون
ويتعامون مع قيام الالات الاعراض عن الحق الذي قامت على حقيقته الدلالات وقد قال قايلهم صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
وقيل معناه كانهم صم بكم عمي لانهم لا ينتفعون بهذه الالات عن وجودها فكانهم عدموها وهذا كما سمي الكافر ميتاً
لانه لا علم بحياته لما وصفوا بهذه الصفات في الدنيا عوقبوا في الاخرة بحسبها قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عمياً وبكماً وصماً فلا يسمعون سلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين الحق قابلين بالحق
ناظرين الى الحق فيكرمون يوم القيمة بخطابه وسلامه ولقائه وقوله تعالى **فهم لا يرجعون** الرجوع الانصراف فالرجع
المصدر فيكون رجعاً سالماً وسعدياً والرجاع رجوع الطير بعد قطاعها اي خروجها من بلاد البرد الى بلاد الحر
والارجاع سمن الابل وحسن حالها بعد هزالها ورجعة الزوج في المطلقة بفتح الراء وكسرها والرجعى الرجوع
والمرجوع جواب الرسالة وتفسيره ههنا لا يرجعون الى الحق وقيل عن التعامي والتصام والتباكم وقيل الى روية الحق
وسماعه والتكلم به وقيل الى ثواب الله تعالى وافادت الاية انهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الالات
حيث استحقوا الذم بتركه وان قوله تعالى صم بكم ليس بنفي الالات بل هو نفي تركهم استعمالها ثم ان الله ندب الخلق الى
الرجوع اليه ولا بتما ربا مره والا نتها بنهيه بقوله عز وعلا وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون فمن لم يرجع اليه
اختياراً رجعوا اليه اجباراً بالموت والبعث قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون وقال تعالى واتقوا يوماً
ترجعون فيه الى الله ومن رجع اليه في الدنيا بفعله وحقق ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون كان رجوعه اليه
بالكرامة ويخاطب بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الاية وقوله تعالى **او كصيب**
او في القرآن لثلاثة عشر معنى احدها للشك قال تعالى قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم وللتشكيك قال تعالى افان مات او قتل
هذا غير الاول هذا الاخفاء الحال على السامع من غير شك من القائل والتخيير قال تعالى فكفارته اطعام عشرة مساكين
الى قوله تعالى او تحرير رقبة وللاباحة قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن وهذا غير التخيير لان بيان ان الواجب
احدها لا الكل وله الخيار وفي الاباحة له ان يفعلهما وله ان يفعل احدهما وللتفصيل قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله الاية كل عقوبة منها لجناية غير الاخرى وبمعنى الواو قال تعالى لعله يتذكر او يخشى وبمعنى بل قال تعالى
كلمح بالبصر او هو اقرب وبمعنى ولا قال تعالى ولا تطع منهم اثماً او كفوراً وبمعنى حتى قال تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم ولذكر شيئين يتعلق الحكم باحدهما وجد وبهما ان وجدا قال تعالى فمن كان منكم مريضاً او على سفر وقال تعالى فيقتل
او يغلب وللدخول بين مذكورين ويلحق بهما مذكوران بعدهما كلمة او ايضاً والمراد تعيين احدهما لاحدهما وتعيين الاخر
للاخر قال تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال والذكر بين امرين وتوهم
انه تخير بينهما وبياح له كلاهما والمراد به انه لو فعلهما لم ينفعاه ولو فعل احدهما لم ينفعه قال تعالى اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا وللاحتمال وجهين او وجوه فيما يستعمل فيه كما في هذه الاية او كصيب يحتمل ان يكون للتخيير اي ان شئتم ان
تجعلوا مثل المنافقين كمثل المستوقد ناراً وان شئتم فاجعلوا مثلهم كمثل اصحاب صيب ويجوز ان يكون بمعنى الواو
اي وصيب ويجوز ان يكون بمعنى بل ويجوز ان يكون للتفصيل فالتشبيه الاولى بشيء والثاني لشيء اخر على ما نبين
ان شاء الله تعالى وقوله كصيب الكاف للتشبيه وهو احد اقسام البلاغة وهو ابلغ في المعنى واوقع في القلب واعذب
في الاسماع واوصل الى المراد وهو في القرآن كثير كشجرة طيبة كشجرة خبيثة كسراب بقيعة كرماد اشتدت به الريح
كمثل صفوان كمثل الكلب اوليك كالانعام كانهم اعجاز نخل خاوية كمشكاة فيها مصباح المصباح كانه كوكب دري
كمثل حبة انبتت سبع سنابل كمثل جنة بربوة كماء انزلناه من السماء كمثل غيث كانهم جراد منتشر كالعهن المنفوش وردة
كالدهان طلعها كانه رؤوس الشياطين بقاع قواريرا كالمهل كانهم لؤلؤ مكنون كانهم بيض مكنون كانهن الياقوت والمرجان
والصيب المطر من قولهم صاب يصوب صوباً نزل قال الشاعر ❊ فلست لانسي ولكن لملاك ❊ تنزل من جو السماء يصوب ❊
والصيب السحاب ايضاً قال ابو ذويب ❊ بقرار قيعان سقاها صيب ❊ واه فانجم برهة ما يقلع ❊ والصيب اصله صيوب
صارت الواو ياء لوقوعها بين طائفة يا وكسرة وادغمت كالسيد والجيد وتفسيره ههنا المطر في قول ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهم وقد قال بعضهم اي كسحاب لانه قال فيه ظلمات ورعد وبرق وذلك في السحاب لا في المطر وسمي السحاب صيباً
لان الصيب منه وهو المطر الذي يصوب اي ينزل وقوله تعالى **من السماء** فالسماء في اللغة سقف الدنيا والسماء السحاب
ايضاً والسماء المطر ايضاً والسماء سقف البيت ايضاً والسماء ظهر الفرس ايضاً وهو في القرآن على وجوه ذكرت للسموات السبع
قال تعالى ثم استوى الى السماء فسواهن وللسماء التي تلينا قال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم وللسحاب قال تعالى انزل
من السماء ماء وللمطر قال تعالى يرسل السماء عليكم مدراراً وللهواء قال تعالى اصلها ثابت وفرعها في السماء ولسقف البيت قال تعالى
فليمدد بسبب الى السماء ولسماء الجنة قال تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض ولسماء جهنم قال تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وتفسيرها ههنا اي من السماء الدنيا وقيل من السحاب فمن جعل الصيب سحاباً لم يمكنه صرف السماء الى
السحاب فيصرفه الى السماء الدنيا ومن جعله مطراً امكنه صرفه الى كل واحد منهما والتوفيق بين التفسيرين ان المطر

من السحاب

من السحاب عياناً وهو من السموات اصلاً قال الله تعالى الم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق
يخرج من خلاله وروى وهب بن منبه في المبتدأ اسم كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تحت العرش بحر ينزل منه
ارزاق الحيوانات يوحي الى السحاب اليه فيمطر ما شاء من السماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا ويوحي الى السحاب ان غربله
فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا
ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بماء منهمر بغير كيل ولا وزن وقوله تعالى **فيه ظلمات** هي ظلمة الليل والسحاب والمطر
وقيل ما يستره المطر والسحاب من نور المطالع وقوله تعالى **ورعد وبرق** اما الرعد فقد سئل وهب بن منبه عن الرعد فقال
الله اعلم وعن معمر قال سألت الزهري عن الرعد ما هو فقال الله اعلم وسأل كعب عبد الله بن عمر عن الرعد فقال ملك
وكله الله بسياقة السحاب فاذا اراد الله تعالى ان يسوقه الى بلد امره فساقه فاذا تفرق عليه زجره بصوته حتى يجتمع كما يرد
احدكم ركابه ثم قرأ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا اذا سمعوا الرعد
قالوا سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وعن شهر بن حوشب ان الرعد ملك يحث السحاب كما يحث الراعي
الابل وكما ينعق الراعي بغنمه فاذا تفرقت سحابة ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق وقال قتادة
الرعد خلق من خلق الله سامع مطيع وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس شيء احسن منطقاً ولا احسن ضحكاً من السحاب
قالوا ما منطقه وما ضحكه قال منطقه الرعد وضحكه البرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الرعد ريح
تختنق تحت السحاب فيتصاعد فيكون منه ذلك الصوت وقيل الرعد صوت اصطكاك الاجرام وهي من الرعد لانه
صوت يرتعد اي يضطرب وارعدت فرايصه عند الخوف والرعديد هو الجبان لارتعاده من خوفه والرعديدة المرأة
اللينة الاعضاء من ذلك والبرق هو ما يقدح من اصطكاك الاجرام عند هؤلاء وقال علي رضي الله عنه هو ضرب الملك
الذي هو الرعد السحاب بمخراق من حديد وقال ابن عباس والضحاك هو صوت من نار يزجر به الملك السحاب
وقيل هو تلالؤ الماء وقال مجاهد ومحمد بن مسلم الطايفي البرق ملك له اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه
نسر ووجه اسد فاذا مصع باجنحته فذلك البرق والمصع التحريك والضرب وقال شعيب بن الحبحاب وجدت في
كتاب الله تعالى ان حملة العرش لكل ملك منهم وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر فاذا حركوا اجنحتهم
فهو البرق وعلى كل هذه الاقاويل الرعد والبرق المذكوران في هذه الاية هو الصوت والنار التي يلمع في السحاب
فان كان الرعد والبرق اسمين لملك او ملكين فقد اريد فيما ذكر في هذه الاية صوتهما واثرهما لا عينهما وفي قصة المعراج
من رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام مررت على ملك نصفه الادمي خلقاً نصفه من الثلج
ونصفه من النار وسمعت تسبيحه وهو يقول سبحان من الف بين الثلج والنار سبحان الذي يؤلف بين عباده المؤمنين
فقلت يا جبريل من هذا الملك قال هذا ملك خلقه الله تعالى بقدرته كما ترى وكله على السحاب يسوقه من موضع الى موضع
واسمه رعد ومنه الرعد والبرق يعني سياقة السحاب يظهر الرعد وبعنفه على السحاب يظهر البرق الرشيم ان الله
يقول الم تر ان الله يزجي سحاباً الاية وقال في كتاب حقايق القرآن قال ابن الريحاني الرعد صعقات الملائكة والبرق
حرقاتهم والمطر بكاؤهم فان حمل هذا الكلام على الظاهر فالملائكة موصوفون بالخشية والخيفة قال تعالى والملائكة
من خيفته وقال تعالى وهم من خشيته مشفقون وبكاؤهم شديد ايضاً حكاه النبي صلى الله عليه وسلم انه راهم ليلة المعراج
باكين اهل كل سماء الى العلى اشد اثراً من الذين دونهم فيجوز ان يكون ما ترى المهوى هوى منهم من السماء وان حمل
على التمثيل فله وجه اي فكما تسمعون صوت الرعد فاعلموا ان صياح الملائكة في الخوف كذلك وكما ترون لمعان البرق
فلمعان نيران اشواقهم كذلك وكما ترون تقاطر الامطار فدموعهم كذلك وهذا حالهم مع انهم لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم عباد مكرمون وهم من خشيته مشفقون فكيف ينبغي لنا ان نغفل مع هفواتنا وجفواتنا
وخطواتنا وخطيئاتنا وقوله تعالى **يجعلون اصابعهم** قيل يصنعون وقيل يدخلون ودلت هذه الكلمة وهي فعل الجمع
ان المراد من قوله تعالى او كصيب او كاصحاب صيب حتى صار ردها الفعل اليهم والاصابع جمع اصبع وفيها خمس لغات
اصبع بفتح الهمزة وكسر الباء واصبع بضمهما اي الهمزة وفتح الباء واصبع بضمهما واصبع بكسرهما واصبع بكسر الهمزة
وفتح الباء وهي اشهرها وهي احدى اصابع اليدين والرجلين والاصبع مؤنثة سماعاً قال النبي صلى الله عليه وسلم في رجزله
في بعض مغازيه ❊ هل انت الا اصبع دميت ❊ وفي سبيل الله ما لقيت ❊ ودلت الاية ان اطلاق اسم الشيء على بعضه جائز
مجازاً فانه جعل الاصابع في الاذان والمقصود بعضها لا كلها ومعنى هذا يسدون اذانهم باصابعهم خوفاً من الرعد
وقوله تعالى **في اذانهم** هي جمع اذن وهي الجارحة السامعة وقد اذن تأذن اي سمع قال الله تعالى واذنت لربها وحقت
اي سمعت مطيعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن والاذان الاعلام بالاسماع
واذن اي علم اذن سمع ورجل اذن يسمع كل قول وقوله تعالى **من الصواعق** هي جمع الصاعقة وهي الصوت مع النار
وقيل هي صوت الرعد الشديد الذي يصعق منه الانسان اي يغشى عليه او يموت وقيل هي نار لا دخان لها وقيل هي
عذاب ينزل من السماء يموت منه اكثر من سمعه وقيل الصاعقة والصاقعة واحد وهي من الصعق اي الضرب وهو الصوت
ايضاً والصقيع البرد المحرق للنبات والصقع بفتح القاف الغشاء ايضاً وقيل هي الصاعقة وهو اجمع ما قيل فيه هو الشديد

بصوت الرعد يقع معه قطعة نار تحرق ما اتت عليه وهو المراد ههنا وقد ذكرنا الصاعقة في القران لاشياء للنار في
قصة بني اسرائيل قالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وللريح في قصة عاد مثل صاعقة عاد وللصيحة
في قصة ثمود وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب ولمطلق العذاب كقال تعالى
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة وللعذاب النازل من السما قال تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا وللصوت
الرعد كما في هذه الاية وقوله تعالى من الصواعق اي من قبل الصواعق تشبيها او فيه مضمر وتقديره ويجعلون اصابعهم
في اذانهم تحرزا من الصواعق او خوفا من الصواعق والالف واللام في الصواعق بدل الاضافة اي من صواعق الرعد
وصواعق الصيب وهو كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواه وقوله تعالى حذر الموت الحذر الخوف الباعث
على التحفظ والتيقظ ورجل حذر وحذر بكسر الذال وضمها من ذلك وطير حذر اي يتحفظ في شربه والتقاطه حبه
والموت زوال الحيوة ونصب حذرا على انه مفعول له اي لاجل حذرهم من الموت يفعلون كذلك وقوله تعالى والله
محيط بالكافرين الاحاطة ادراك الشي بكماله من كل جهاته ويستعمل في العلم بالشي من كل وجوهه قال تعالى احاط
بكل شي علما وللاهلاك للشي بكليته قال تعالى واحيط بثمره وقال تعالى الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا وتفسيره ههنا
عند بعضهم اي يميتهم ان شاء فلا فاية لحذرهم وقيل هو عالم بالكفار فيطلع رسوله على افعالهم وقيل اي عالم بهم
فيجازيهم يوم القيمة باعمالهم وقيل اي يجمعهم في جهنم بما فعلوا وفي قوله والله من وراءهم محيط اي لا يخرجون عن ملكه
وعلمه وقدرته وقوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم كاد يكاد كيدا ومكادة اي قارب يقال كاد يفعل كذا اي قرب
ان يفعل واذا قلت ما كاد يفعل فمعناه قرب ان لا يفعل وفعل وهو مثل عسى الا ان عسى يوصل بكلمة ان وكاد يستعمل
بغير ان وقد يستعمل ايضا بان واللغة الفاشية هي الاولى وفي القران كذلك وقالوا اذا وصل كاد بان فهو تشبيه كاد
بعسى واذا اسقط عن عسى فهو تشبيه بكاد قال الله تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح وقال تعالى يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار وقال تعالى لم يكد يراها وقوله يخطف فالخطف الاستلاب بسرعة من علو ورجل خطيف سريع السير والشيطان
يخطف السمع اي يسترقه والبرق يخطف البصر اي يسلبه وقرا الحسن البصري رحمه الله بفتح اليا وكسر الخا والطا
وقرى يخطف بفتح اليا والخا وكسر الطا وقرى يخطف بكسر اليا والخا والطا وقرا بعض اهل المدينة بسكون الخا
وتشديد الطا وقراة الاكثر بفتح اليا وسكون الخا وفتح الطا وتخفيفها فاما وجه تشديد الطا فعلى ان اصله
يختطف فادغمت التا في الطا واما كسر الخا فلاجتماع الساكنين فحرك الاولى الى الكسر كما في قوله لم يكن الذين كفروا
واما كسر اليا فاتباعا للخا واما فتح الخا فلنقل حركة التا المدغمة اليها وقوله تعالى كلما اضاء لهم يجوز اضا اللازم
والمتعدي ومعنى الاول كلما اضاء لهم البرق ومعنى الثاني كلما اضاء البرق الطريق لهم وقوله تعالى مشوا فيه المشي
السير السهل والمشي بالتشديد والمشو الدوا المسهل والمشي في القران لمعان للسير كما في قوله تعالى يمشون مطمئنين
وللمضي كما في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وللاهتدا كما في قوله ويجعل لكم نورا تمشون به وللانحدار كما في قوله تعالى فمنهم من
يمشي على بطنه وللنميمة كما في قوله تعالى مشاء بنميم وتفسيره ههنا كلما نار البرق فانار الطريق مضوا في طريقه وضوئه
فاذا انقطع وقفوا وقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا القيام الانتصاب قال تعالى منها قائم وحصيد والقيام الاستوا
قال وتركوك قائما والقيام النهوض اذ قاموا فقالوا والقيام البقا ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره والقيام
الوقوف قال تعالى واذا اظلم عليهم قاموا اي واذا زال الضوء وجا الظلام وقفوا وقوله تعالى ولو شاء الله لو كلمة شرط والتعلق
به يمتنع بامتناع شرطه وقد يكون للتمني كما في قوله لو ان لي كرة فاكون من المحسنين والمشية الارادة وقوله تعالى
لذهب بسمعهم وابصارهم اي لاذهبها فالتعدية قد تقع بالبا ايضا ثم ذكر السمع على الوحدان والابصار بالجمع
لما مر في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وتفسير هذه الكلمات ولو شا الله لذهب بسمع روسهم وابصار روسهم
كما ذهب بسمع قلوبهم وابصارها وقيل ولو شا الله لجعلهم صما وعميا في الاخرة كما جعلهم في الدنيا كذلك وقيل ولو
شا الله لذهب باعيان الاسماع والابصار منهم كما ذهب بمنافع الاسماع والابصار منهم وبمعرفة هذه الاقاويل اندفع
سوال من سال فقال لما قال صم بكم عمي فقد نفى السمع والنطق والبصر عنهم فما معنى تعليق اذهابها عنهم بالمشية
لانا نقول ما نفاه عنهم غيرما علق اذهابه عنهم بالمشية وهو ما ذكرنا وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير
كل كلمة استيعاب ههنا وللجميع ما دخل فيه والشي اسم لكل موجود وههنا هو اسم لكل موجود مخلوق لانه هو الذي يجوز
دخوله تحت القدرة والقدير هو القادر كالعليم هو العالم والصفة القدرة والمقدرة والاقدار اثبات القدرة واقتدر
فهو مقتدر بمعنى قدر فهو قادر وتفسيره ههنا انه على كل شي قدير وانما ذكر قبله اذهاب السمع والبصر لا غير لانهما هما
المذكوران في القصة فالرعد يؤثر في السمع والبرق يؤثر في البصر والله قادر على ازالتهما في هذه الحالة وقادر على كل
شي وخالقه فاما تاويل جملة هذه الايات فنقول فيها اقاويل منها ما روي انه كان رجلان من المنافقين من المدينة هربا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فاصابهما هذا المطر الذي ذكر الله عز وجل فيه رعد وبرق وصواعق
فجعلا كلما اضاء لهما البرق مشيا وجعلا اصابعهما في اذانهما من الفرق فاذا لم يلمع لم يبصرا فكانا لا يمشيان فجعلا
يقولان ليتنا اصبحنا فناتي محمدا فنضع ايدينا في يده فاصبحا فاتياه فاسلما فضرب الله تعالى شانهما للمنافقين بالمدينة

وقال ابن عباس وعطا والضحاك وعلي بن طلحة ومقاتل والكلبي وجعفر بن محمد الصادق هذا مثل القران اي مثل المنافقين
مع القران كمثل مسافر اصابه مطر فشبه القران بالمطر لان في القران حياة من امن به فيه ظلمات ذكر الكفر والوعيد
عليه وعلى المعاصي وهو كالرعد وفيه الوعد على الايمان والطاعات كالبرق وقيل الظلمات بيان الفتن والرعد الزجر
والتخويف والبرق بيان النصرة والظفر وقيل الرعد المتشابهات والبرق المحكمات وقيل الرعد بيان المحرمات
والوعيد عليها والبرق بيان المحللات والوعد عليها وقيل الرعد ما في القران من ذكر الامتحان والابتلا والبرق ما فيه
من الهدى والشفا يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق يتغزون عن الجهاد وسائر الاوامر كان لم يسمعوا وقيل
يتصامون ويتعامون كيلا يسمعوا ما نزل في شانهم ولا امر بقتالهم وقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم حقيقة كيلا يسمعوا
القران نكاد حجج القران تبهر العقول وتجذبها الى نفسها لوضوحها وقيل يكاد القران يدل على عوراتهم وقيل يكاد بيان
القران يذهب بضلالتهم كلما اضاء لهم مشوا فيه فلما تفكروا في المحكمات قصدوا ان يومنوا بالقران واذا اشتبهت
عليهم المتشابهات اعرضوا وكفروا وقيل كلما تمسكوا بالمتشابهات ليحتجوا بها على المومنين انقطعت حججهم بالمحكمات فبقوا
في ظلمة كفرهم متحيرين ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم عقوبة لهم كما ذهب بسمع قلوبهم وابصارها خذلانا لهم انه
قدير على ما اراد وقيل هذا في الذين امنوا ما مستهم الضرا ارتدوا وهم الذين ذكرهم الله في قوله ومن الناس من يعبد الله على
حرف فان اصابه خير اطمان به الاية وقال تعالى او كصيب فشبه الاسلام بالمطر والنعمة فيه بالبرق والفتن والمحن فيه
بالرعد يجعلون اصابعهم في اذانهم اي لا يحبون ان يسمعوا بشي من الشدايد والبلايا يكاد ما يرونه من عز المسلمين واصابة
الغنايم يحوص قلوبهم الشبهات واذا اظلم عليهم قاموا اي اذا زال نفع الدنيا وقفوا ولو شا الله لسلب ما في ايديهم ورداهم
الى ذل انه على كل شي قدير وقيل المثل لليهود وذلك ان المسافر ينتظر المطر ليعرف الطريق ويملا الحياض
فينتفع به هو ودوابه ولا يتوقع الظلمات والرعد والبرق فكذا اليهود كانوا ينتظرون خروج نبينا عليه السلام
ليهتدوا به ويقهروا اعداءه ولم ينتظروا نسخ شرايعهم والوعود بالنار لمن كان على دينهم فالمطر مثال محمد والظلمات
نسخ شرايعهم والوعد والوعيد بالنار والبرق معجزات النبي صلى الله عليه وسلم يجعلون اصابعهم في اذانهم يعاندون
في الانكار مع ظهور الايات يكاد البرق يخطف ابصارهم اي كاد ظهور الدليل يذهب بظلمة قلوبهم كلما اضاء لهم مشوا
فيه واذا اظلم عليهم قاموا اي المسافر لو نظر الى البرق لابصر الطريق ولو غمض عينيه خفي عليه الطريق فكذا
اليهود لو تاملوا في حال النبي صلى الله عليه وسلم لاهتدوا ولما اعرضوا بقوا في الضلالة وقال الامام ابو منصور
رحمه الله تعالى المثل لكفار عصر النبي صلى الله عليه وسلم الا ترى انه قال والله محيط بالكافرين وكانوا صنفين
اهل كتاب قد غيروه كما قال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على
فترة من الرسل ومن اهل الكتاب قوم ابتدعوا الكتاب كما قال وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب فاذن بهتت
الكتاب الحق وما دروا في ظلمة الضلالة وظهر منهم القول المختلف المتناقض التي لا تحتمله الحكمة وصنف لا ينتحلون
الكتاب ولا يومنون بشي بل يعبدون الاوثان والاحجار والنيران ليس لهم من يدلهم على رشدهم احتاجوا الى من يخرجهم
من الضلال الى الهدى ومن الفرقة الى الايتلاف فبعث الله اليهم نبيا والزمهم بالايات ليستنقذهم ثم ان اطاعوه كانوا
كقوم بقوا في ظلمات الليل والسحاب متحيرين او كقوم ابتلوا بشدة الجوع والعطش والقحط والجدوبة فاغاثهم بالمطر
فتلقوا نعمه بالشكر فنجوا بذلك من الهلكة وذلك مثل من اتبعه ومنهم من تلقاه بالكفران فشبه نبيه كالمطر اذ هو رحمة
كالمطر وشبه ايمان من امن به بضو البرق والمشي فيه وشبه عناد المعاندين بالرعد يكاد نور محمد وبركته تخطفهم
من العذاب مع كفرهم كلما اضاء لهم اي كلما ظهر لهم نوره وبركته سكنوا اليه واذا اظلم قاموا اي اذا رفع محمد عذبوا بانواع
العذاب ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لعذبهم ومحمد فيهم انه قدير على كل شي وقوله تعالى يا ايها الناس
قال الزجاج يا نداء واي اسم مبهم مبني على الضم لانه منادى مفرد والناس صفة له والها تنبيه لازم لاي وهو عوض
عن الاضافة في اي لان اصل اي ان يكون مضافا في الاستفهام وقال سيبويه عن الخليل المنادى المفرد مبني ولذلك
ولذلك لم ينون وصفته مرفوعة رفع اعراب ولذلك دخله الالف واللام وقال الناس صلة لاي والنداء تنبيه
الغافلين واحضار الغايبين وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج
المحبين وتشويق المريدين وان الله تعالى نادى الماضين باسم المساكين ونادانا باسم المومنين يا ايها الذين امنوا وباسم
الانسانية وهي المروة وحسن المعاملة وصدق المجاملة يا ايها الناس وهو مدح ابتدا ونعت على ملازمة الانسانية
انتهاء وهو مشتق ايضا من انس اي ابصر كانه قال يا اولي الابصار وهو من الانس ايضا وهو مدح له بالانس بذكر ربه ومن
النسيان وهو عتاب وتلقين عذر اما العتاب فكانه يقول يا ايها الناسي نعمنا بالكفران واوامرنا بالعصيان واما
التلقين للعذر فكانه يقول يا ايها المخالف لنا ناسيا لا عامدا وساهيا لا قاصدا عذرناك لنسيانك وعفونا عنك
لايمانك وقوله الناس ههنا يصلح اسما للمومنين والكافرين والمنافقين وقوله تعالى اعبدوا ربكم امرهم جميعا وقد
سبق ذكرهم جميعا ذكر المومنين في اول السورة وذكر الكفار بعدهم وذكر المنافقين بعدهم وقوله اعبدوا معناه ايها
المومنون اطيعوا وايها الكافرون امنوا وايها المنافقون اخلصوا وهو وجه انتظام هذه الاية بتلك الايات وقد مر

فى تفسير العبادة اقاويل ونذكرها هنا قولا واحدا وهو ان العبادة استفراغ الطاقة فى استعمال الطاعة
واستشعار الخشية فى استبعاد المعصية وقوله تعالى ربكم اى الهكم ومالكم ومربيكم وقوله تعالى الذى خلقكم
الخلق فى اللغة التقدير قال الشاعر ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى ومنه قوله واذ تخلق
من الطين فالخلق الايجاد والخلق الافترا فى قوله ان هذا الا خلق الاولين والاختلاق كذلك فى قوله تعالى ان هذا
الا اختلاق والخلق المخلوق فى قوله هذا خلق الله والخلق المخلوقون فى قوله تعالى وهو بكل خلق عليم والخلق البعث
بعد الموت فى قوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم وتفسير خلقكم ههنا اوجدكم وهو المستحق لعبادتكم اياه ويبنى العمل
له على الخلوص قال الامام ابو منصور رحمه الله جعل العبد كليته لله قولا وعملا وعقدا قال رضى الله عنه وقرر معنى
التخليق بان ذكره فى القران من كل طريق اخبر انه هو الخالق فقال تعالى خالق كل شىء وانه الخلاق فقال وهو الخلاق
العليم وانه احسن الخالقين قال الله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وانه خلق كل شىء فقال وخلق كل شىء وانه
يخلق ما يشاء فقال وربك يخلق ما يشاء ويختار وخص بعض المخلوقات بالذكر ومنها السما فقال تعالى خلق السموات
بغير عمد ومنها الارض قال تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وجمعهما فقال خلق السموات
والارض والليل والنهار وقال تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر وذكر الجن والانس فقال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وخص الجان فقال خلق الجان من مارج من نار وابليس وادم فقال خلقتنى
من نار وخلقته من طين والملائكة فقال ام خلقنا الملائكة اناثا وادم فقال تعالى وبدا خلق الانسان من طين وحوى
فقال وخلق منها زوجها وازواجا فقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا واولاد ادم وحوى فقال تعالى
خلق من ماء دافق والتارات فقال ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر وقال تعالى خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث واثنى على نفسه ثم فقال فتبارك الله
احسن الخالقين لانه احسن التخليق فقال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وذكر خلق اعمالهم فقال والله خلقكم
وما تعملون وذكر اسرارهم فقال انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وذكر خلق الذكر والانثى فقال تعالى وما خلق
الذكر والانثى وخلق الانعام لاجلهم فقال والانعام خلقها لكم الايات وكذا كل الحيوانات فقال والله خلق كل دابة
من ماء الى قوله يخلق ما يشاء وذكر الذباب فقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا وذكر الجمادات فقال
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وخلق ما لا تعلم فقال تعالى ويخلق ما لا تعلمون وذكر خلق الموت والحيوة فقال الذى خلق
الموت والحيوة وذكر انه ما خلقنا عبثا فقال عز وعلا افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وذكر انه خلق
وانه رزق وانه يحيى وانه يميت فقال الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقوله تعالى والذين من قبلكم
الواو للعطف اى وخلق الذين من قبلكم فاستحق عبادتهم واياهم ايضا بعبادته فقال وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفى قوله الذين من قبلكم دلالة على شمول الذرية والصنعة وتنبيه عن سنة
الغفلة انهم كانوا فمضوا وجاؤوا فانقضوا فلا تنسوا مصيركم ولا تستجيزوا تقصيركم وقوله تعالى لعلكم تتقون
عل ولعل فى اللغة كلمة ترجى ممن لا يعلم العاقبة وهو ترجية من الله تعالى فانه لا يخفى عليه خافية وهو ككلمة كيف
هى التعجب منا والتعجيب من الله تعالى وفارسيتهما ترجى اميد داشتن وترجية اميد دادن تعجب شكفت داشتن
وتعجيب شكفت داشتن ومعناه اعبدوا ربكم راجين التقوى والتقوى ههنا معناها ان التقوى فى الدنيا عملا والتقوى
فى الاخرة املا فنفى الدنيا الاتقاء عن الشرك ان تحمل الامر بالعبادة على التوحيد والاتقاء عن الذنوب ان تحمل ذلك على
الطاعات والاتقاء فى الاخرة هو الاحتفاظ عن النار وسائر العقوبات وهذه مخاطبة لطف بقول الرجل لاخر لا اوخذك
بالجفوة لعلك ترجع الى الصفوة والله تعالى يقول وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ومن العجب ذكره فى حق
فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكان الشبلى رحمه الله يقول فى هذا يا رب هذا لطفك بمن يقول
انا ربكم الاعلى فكيف لطفك بمن يسجد لك على التراب ويقول سبحان ربى الاعلى وهذا كله على ما قال انه ترجية ومعناه
ههنا انه قال لموسى وهرون اذهبا اليه وادعواه الينا وانتما على رجاء اجابته واعذاره عن جنايته والله تعالى يعلم
انه لا يجيب لكن اراد الزام الحجة واخفى الحال عليهما لئلا يقصرا فى الدعوة وقوله تعالى الذى جعل لكم موصلة
قوله ربكم وتفسيره صير لكم الارض وقيل خلق وقيل بسط وجعل فى القران لمعان الخلق قال تعالى وجعل الظلمات والنور
وللانزال قال انا جعلناه قرانا عربيا والحبس قال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين اى حبسناه الى قدر
معلوم الى وقت الولادة والوضع وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم اى ضعوا دراهمهم فى رحالهم والادخال
قال تعالى جعلوا اصابعهم فى اذانهم والجمع فهل نجعل لك خرجا والبنا قال تعالى ان نجعل بيننا وبينهم سدا والتمليك والتسليط
قال تعالى اجعلنى على خزائن الارض وللقول والوصف قال تعالى ولا تجعل مع الله الها اخر وللارسال قال تعالى واجعل لى وزيرا
من اهلى والتحويل قال تعالى فجعلهم كعصف ماكول والتصيير قال تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم والترك قال تعالى

ويجعل

ويجعل من يشاء عقيما والاعطاء قال تعالى وجعلت له مالا ممدودا والانجاز قال تعالى فجعلتم منه حراما وحلالا والتصيير
قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وللرفع قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وللبسط قال تعالى جعل لكم
الارض فراشا وقوله تعالى الارض هى التى نحن عليها واشتقاقها من اشياء فالارض قوائم الفرس وهى اسافله وارضنا
التى نستقر عليها متسفلة والارض الرعدة وارضنا تتزلزل وكانت متزلزلة قبل خلق الجبال عليها لتوطيدها والارض
الخليق بالخير وكذلك ارضنا ففيها الماء والمرعى وعليها القرار والماوى للاحياء والموتى والارض البساط وهى بساطنا
والارض بفتح الراء الاتساع وارضنا متسعة والارضة دويبة تاكل العود وارضنا تارض ما دفن والتاريض
والتاسيس والتاصيل قال النبى صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يؤرضه من الليل فارضنا هى الاساس وقوله تعالى
فراشا اى بساطا والفراش البسط وهو مصدر والفراش البساط وهو اسم لما يفرش اى يبسط والمراة فراش الرجل
لانه يستفرشها قال الله تعالى فى ازواج الجنة وفرش مرفوعة ونظير هذا الاسم للارض فى القران المهد والمهاد
والبساط قال تعالى الذى جعل لكم الارض مهادا وقال تعالى الم نجعل الارض مهادا وجمع بين الفرش والمهد فى اية فقال
تعالى والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى والله جعل لكم الارض بساطا وقال تعالى امن جعل الارض قرارا وقريب
من هذه الصفة ما قال والارض بعد ذلك دحاها وقال تعالى والارض وما طحاها والدحو البسط والتوسيع قال والى الارض
كيف سطحت اى بسطت والارض مددناها وقوله تعالى والسماء بناء معطوف على الاول اى وجعل السماء بناء
وهى السماء التى فوقنا مشتقة من سما يسمو اى علا وقد مرت وجوهه فى قوله او كصيب من السماء وهى بلفظ الواحد
كما فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا والسموات السبع كما فى قوله ثم استوى الى السماء فسويهن ذكرها الواحد ظاهر
والجمع بطريقين احدهما انه جمع السماءة كالعباء والعباءة والثانى انه جنس يجوز ان يتناول الكل وقوله بناء اى مبنية
والفعال بمعنى المفعول كثير منها الكتاب بمعنى المكتوب والفراش بمعنى المفروش والبساط بمعنى المبسوط والمهاد
بمعنى الممهود والبناء مصدر ايضا من بنى يبنى وهو فى اللغة لثلاث معان للتركيب كما فى قوله تعالى يا هامان ابن لى صرحا
وللرفع فى قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها اى رفعها وللوصل كما فى قوله عليه السلام فلينصرف وليتوضا وليبن
على صلاته فسمى السماء بناء لهذه الوجوه وهى انها مركبة مرفوعة موصولة والبنيان كالبناء والكلمة جاءت فى القران
لاشياء الجدار وحده قال تعالى كانهم بنيان مرصوص وللرباط قال الله تعالى فى قصة اصحاب الكهف فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا والبطر قال تعالى اتبنون بكل ريع اية تعبثون وللمسجد قال تعالى افمن اسس بنيانه وللاتون قال تعالى قالوا
ابنوا له بنيانا وللعمارة التامة قال الله تعالى والشياطين كل بناء وغواص وللسماء قال تعالى والسماء وما بناها
ولمنازل الجنة قال تعالى اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ثم معنى ذكر خلق السماء والارض فى حال الامر
بالعبادة خمسة اوجه احدها ان الله تعالى هو الذى قدر على خلقهما فهو المستحق لان يكون الها يعبد والثانى انه
هو الذى تفرد بخلقهما فعليهم ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئا والثالث انه هو الذى انعم عليهم بجعل الارض
بساطا لهم وموضعا لارزاقهم وقرارا لهم يمشون فى مناكبها والسماء سقفا لهم منها ينزل عليهم البركات فعليهم ان يشكروا
له بعبادته والرابع انه على سبيل الاحتجاج لان من الكفار من يعبد ما فى الارض من الاوثان والنيران ومنهم من يعبد
ما فى السماء وهو الشمس والقمر والملائكة فقال الارض والسماء وما فيهما ملكى وخلقى فكيف تجعلون ملكى شريكا لى
فى العبادة والخامس انه على سبيل الوعيد يعنى السماء والارض ملكى فان شئت خسفت الارض بكم وان شئت القيت
السماء عليكم كما قال افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء وقوله تعالى وانزل من السماء ماء عطف على قوله خلقكم وجعل لكم وانزل من السماء اى من
السماء التى هى سقف الدنيا او من السحاب وقد بينا فى قوله تعالى او كصيب من السماء انه قيل لكل واحد منهما
ووفقنا بينهما ايضا وقوله ماء اى مطرا والماء اصله الموه بدليل ان جمعه المياه والامواه وتصغيره المويه
والفعل منه موه التسكين واما هيئة البدل ان الواو من الموه سكنت لحركة ما قبلها طلبا للتخفيف لانها معتلة
ثم صيرت الفا لفتحة ما قبلها كما فى المال والحال والخال نصا رماه ابدلت الهاء همزة لتجانسهما كما فى قوله اياك
وهياك واياهات وهيهات وقوله تعالى فاخرج به من الثمرات الخروج فى الحقيقة الانتقال من الحصن الى البروز
والاخراج متعد والاستخراج الاستنباط والتخارج من الورثة اخراج بعضهم بشىء من التركات وتخريج شىء من
المسئلة وتخريج المعلم معروفان والكلمة ذكرت فى القران لوجوه لهذه الحقيقة التى مرت قال ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم وللنزول قال تعالى فترى الودق يخرج من خلاله وللصعود قال تعالى يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها
والظهور قال تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون وللفراق قال تعالى وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وللرجوع الى الدنيا
قال تعالى فهل الى خروج من سبيل والخلق والايجاد كما قال تعالى فى هذه الاية فاخرج به من الثمرات رزقا اى اوجدها
لكن فيها موضوعة والانشاء والاخراج منها والحيوة قال تعالى كذلك نخرج الموتى والموت قال تعالى والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم والاتخاذ قال فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اى اتخذ وصاغ وللدعاء قال تعالى والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت اى الشياطين يخرجونهم من النور الى الظلمات اى يدعونهم من الهدى الى الضلالة والنجاة

قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ولتغير الصورة قال تعالى فاخرج منها اي من صورة الملائكة وللذكر قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اي ذكرت لمن سلف من الناس وقوله تعالى به اي بالماء الذي ذكر وهو المطر وقوله من الثمرات من كلمة تجنيس ههنا واصله للتبعيض وفي التجنيس معنى التبعيض لانه بعض الاجناس والثمرات جمع الثمرة واصلها الزيادة والنماء يقال ثمر الله ماله اي زاده وكثره والفاكهة تسمى ثمرة لهذا وكذا ثمرة كل عين وعمل هو ما زاد عليه ويجمع الثمرة ثمرا بحذف الهاء التي هي للتوحيد ثم ثمارا كالبلد يجمع بلادا ثم الثمار يجمع على الثمر كالحمار يجمع على الحمر وهذه جموع تكسير وجمع السلامة هو الثمرات ثم هي ههنا المأكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر ويدل عليه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده والحصاد للزرع وقد بسط الله تعالى ما اختصر في هذه الاية في آية اخرى فقال تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا الاية وقال تعالى انا صببنا الماء صبا الاية الى ان قال فانبتنا فيها حبا وعنبا الاية ثم الالف واللام في الثمرات للتعريف وله وجوه احدها تعريف الجنس وهو لتعميم الكل والثاني انه لتعريف المعهود وهو ما تعارفوه من الثمار والثالث انه لتعريف المعهود وهو الثمار المخرجة من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما اهبط آدم علمه الله صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة الا ان ثمار الجنة لا تتغير وقوله تعالى رزقا لكم قيل طعاما وقيل قوتا وقيل غذاء وهي متقاربة وقد مر تفصيله وتفسيره في قوله تعالى ومما رزقناهم وجملته ان الله تعالى تعرف اليهم بذكر ما من به عليهم من خلق السماء لهم سقفا مرفوعا وانشاء الارض لهم فراشا موضوعا واخراج النبات لهم بالمطر رزقا مجموعا وبقاء لاعنقهم عن منة الامثال بان هيأ لهم ما لا بد منه فجعل السماء غطاء والارض وطاء والمباحات رزقا والطاعة حرفة والعبادة شغلا والذكر مونسا والرب كافيا وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية ان المقصود في خلق السموات والارض وانزال الماء واخراج الثمرات وانواع المنافع بنو آدم وهم الممتحنون فيها فانه قال جعل لكم وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار الاية وسخر لكم الفلك وفي كثير من الايات اضاف ذلك الينا ثم جعل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما فلا يخرج من الارض الا بما ينزل من السماء من الماء ليعلم ان منشئهما واحد لانه لو كان منشئ هذا غير الآخر لم تتصل المنافع بمنافع الآخر على بعد ما بينهما ويوهم خلاف احدهما الآخر فاذا كان كذلك دل ذلك ان منشئهما واحد لا شريك له وقوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا هو جمع ند وهو المثل وكذلك النديد والنديدة قال الشاعر • أتيما تجعلون الي ندا • وما تيم لذي حسب نديد • وندك هو الذي يناديك اي يقابلك يستعرك من قولهم ند ندودا قال الشاعر • لكيلا يكون السندرى نديدتي • واشتم اعماما عموا • والاعمام جمع عم والعموم الطوال والعماعم الجماعات وندادا اي نظرا وتفسيره ههنا ما قال ابن عباس والحسن اي لا تصفوا لله امثالا وشركاء في ملكه وفي بعض الالفاظ اشكالا واعدالا وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تعتمدوا على غير الله وتوكلوا على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا تقولوا لولا فلان لاصابني كذا ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم ولو فانه من كلام المنافقين قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقوله تعالى وانتم تعلمون ان الله هو الذي خلقكم والذين من قبلكم وخلق السماء والارض وخلق الارزاق دون الاصنام فانها لا تضر ولا تنفع وقال تعالى افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم وقال تعالى واضله الله على علم اي الذي اتخذ الها لا ينفعه وقيل اي وانتم تعلمون وتقرون ان الله هو الذي فعل ذلك قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله وقال الامام ابو منصور رحمه الله وانتم تعلمون اي انشأ فيكم ما لو تدبرتم وتفكرتم فيها علمتم انه لا ند له ولا شريك له قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقيل اي وانتم تعلمون انه ليس له ند وقيل وانتم تعلمون انه واحد وقيل وانتم تعلمون بما نزل بمن اتخذ لله اندادا وقيل اي لا تتخذوا غيره وانتم تعلمون انه لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع غيره والوعظ انه قال في الاية جعل لكم وقال تعالى رزقا لكم فلو قال لكم في القيمة فعلت هذا لكم فما فعلتم لي فما تقول وعن الشبلي رحمه الله انه وعظ يوما الناس فابكاهم لما ذكر من القيمة واهوالها فنزبهم ابو الحسين النوري وقال لا تفزعهم فان حساب يوميد ليس بهذا الطول انما هو كلمتان من تو بودم بو كراي بودي قال المص رحمه الله وانا اقول شما جه خواهيد كفتن در جواب اين سوال شوي كويد لحتي بن را بودم لحتي بن روا زن كويد لحتي شيء را بودم لحتي كوي را خوجه كويد لحتي سلطان را بودم لحتي سود وزيان را كست له كويد بن همه حق را بردم وقوله تعالى وان كنتم في ريب انتظامه بما قبله انه خطاب للذين نادائم فقال يا ايها الناس ودعاهم بالايمان وهو بالله ورسوله وكتابه واثبت دليل ربوبيته بما ذكر في تلك الاية واثبت رسالة رسوله وصحة كتابه في هذه الاية ثم كلمة ان لمعان الشرط كما في قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم وبمعنى اذ كما في قوله تعالى وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين والنفي كما في قوله تعالى ان الكافرون الا في غرور والتاكيد بمنزلة لقد كما في قوله تعالى انه كان وعد ربنا لمفعولا اي لقد كان وبمعنى ان المصادرة نحو وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم والصلة كما في قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي فيما مكناكم فيه والتحقيق كما يقال عليك بالصدق وان ضرك واياك والكذب وان نفعك مع انه كذلك وقوله كنتم

اي انتم وكنتم في القرآن جاء للماضي والحال والاستقبال وقد بينا ذلك في كلمة كان عند قوله بما كانوا يكذبون وكنتم ايهم على ذلك اما الماضي ففي قوله وكنتم امواتا واما الحال ففي قوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين واما الاستقبال ففي قوله وكنتم ازواجا ثلاثة اي يوم القيمة وقوله في ريب اي شك وقوله تعالى مما نزلنا على عبدنا ما كلمتان من وما ادغمت النون في الميم فصارتا ميما واحدة مشددة خطا وتبيين نطقا وما بمعنى الذي ومعنى مما نزلنا اي الذي نزلنا وهو القرآن وانزاله ما فسرناه في قوله بما انزل اليك والتنزيل للتفصيل ودلت الكلمة على انزاله مفصلا وحكمته ما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك نزلت كتب الاولين جملة ثم تركوها جملة ونزل القرآن مفصلا فبقي في القلوب شيئا محصلا ولان اولياء الله اليوم في دار المحنة تجد لهم الانس بكل آية ساعة فساعة وقد ذكر الله تعالى تنزيله ثلاثة اشياء شيئا فشيئا القرآن بقوله مما نزلنا والمطر بقوله ونزلنا من السماء ماء بقدر والرزق بقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اكر باران جمله آمدي بر عالميان طوفان شدي واكر روزي جمله آمدي بر عالميان طوفان شدي والسرور وروزي جمله آمدي بنده از نكاه داشتن همه سركردان شدي واكر قرآن جمله آمدي عمل بهمه بردل هر يكي كران شدي وقوله تعالى على عبدنا هو نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا اسما كثيرة في القرآن وكان احبها اليه العبد لانه المستجمع لمعاني العبادة والعبودة وكرر هذا الاسم له في القرآن وكانه قال قرآن بوي وحي كرديم ووي مارا انه نزل القرآن على عبده با داء رسالت برخاست ووي بنده است وانه لما قام عبد الله وبحضرت بردي وي بنده سبحان الذي اسرى بعبده وما وي راز كفتيم ووي بنده فاوحى الى عبده ما اوحى ودر ان مقام مارا ثنا كفت التحيات لله والصلوات والطيبات ووي مارا ستود وما وي ما را ستوديم واشهد ان محمدا عبده ورسوله در همه احوال وي مارا بنده وما وي را بسند اليس الله بكاف عبده ووي ما را بشكر خدمت ارزيد افلا اكون عبدا شكورا وقوله تعالى فأتوا بسورة هذا امر بالاتيان بسورة والاتيان في اللغة هو المجيء والاتيان الفعل والاتيان الغشيان والاتاء الاعطاء والتاتيه التسهيل تسهيل سبيله والتاتي التهيؤ والمواتاة الموافقة والاتاء الغلة والاتي والاتاوي الغريب والمتأتي الطريق المسلوك ومعانيها متقاربة والاتيان في القرآن لاربعين معنى عددناها في تفسيرنا الاول الاطول وهو في هذه الاية المعارضة اي عارضوا هذا القرآن بسورة وهذا اخلاف قوله قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ذلك اظهار ما قد كان وهذا انشاء ما لم يكن وهذا الزام الحجة عليهم بان القرآن مما انزله الله على عبده وهو صادق في دعوى الرسالة وانه مبعوث لاقامة الدلالة والدعوة من الهدى الى الضلالة وانهم معاندون في انكارهم في دعواهم انه مما افتراه محمد باختيارهم يقولون ان كان هذا من كلام البشر فعارضوه بمثله من عندكم وتفصوا عن هذه العهدة بجهدكم وقوله فأتوا صيغته صيغة امر ومعناه الاعجاز وهذه الصيغة في القرآن على وجوه الفرضية كما في قوله اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والندب كما في قوله عز وجل وافعلوا الخير والاباحة كما في قوله واذا حللتم فاصطادوا والتخيير كما في قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والنهي كما في قوله اعملوا ما شئتم والرد كما في قوله قل فادرءوا عن انفسكم والتكوين كما في قوله كونوا قردة خاسئين والشرط كما في قوله قل كونوا حجارة او حديدا اي ان كنتم كذلك فذلك الموت والبعث والاعجاز كما في قوله فات بها من المغرب وكذا قوله سبحانه فأتوا بسورة والفاء ههنا للتعقيب وبدون الفاء يقال ايتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت ياء لكسرة ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقاء الهمزتين وتثبت الياء كتابة في قوله ثم ايتوا لانه يوقف على ثم ويبدأ ايتوا ولا تثبت في قوله فأتوا وقوله وأتوا لتعذر الفصل بين الفاء وبين الكلمة وكذا بين الواو وبينها وقوله تعالى بسورة الباء للتعدية فعل الاتيان اللازم والسورة هي ماخوذة من قولهم سار يسور اذا ارتفع وعلا وسمي الجدار المحيط بالمدينة سورا لارتفاعه ويقال لفلان سورة في المجد اي سناء ورفعة قال النابغة • الم تر ان الله اعطاك سورة • ترى كل ملك دونها يتذبذب • فالسورة من القرآن على هذا مجموع آيات مفصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في مغايرتها سائر السور وقيل هي منزلة من منازل القرآن رفيعة وقيل هو قسم من اقسام القرآن ارتفع شأنه وعلا قدره وقوله بسورة من مثله للاقل يتناول اقصر السور وهي في القرآن سورة الكوثر وهي ثلاث آيات قصار وهذا ابلغ الزام وانه قطع لاهل الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل القرآن بقوله تعالى قل فليأتوا بحديث مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم بعشر سور بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله ثم بسورة بقوله فأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله فلزمتهم الحجة وقوله تعالى من مثله المثل الشبه والمماثل المشابه والتمثيل التشبيه ومثل الشيء حقيقة ما ينوب منابه ويسد مسده واختلف في الهاء التي في آخرها انها كناية راجعة الى ماذا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي من الذي جعلتموه لي ندا فقد سبق ذكره وقال ابن كيسان اي من مثل محمد من البشر لانه بشر مثلكم وقد سبق ذكره في قوله على عبدنا وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي ائتوا انتم بمثل ما اتى هو اذ انتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان وليس هو اولى بالاختلاق منكم وقيل اي من مثل محمد رجل امي لا يقرأ ولا يكتب هذا ابلغ في قطع الاوهام وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مع انه لا يكتب ولا يقرأ ولا ينظر في الكتب ولم يسمع القصص من الناس اخبر بنزول هذا الكتاب فلا شبهة في انه لم يختلقه من تلقاء نفسه ولم يأت به الا بوحي من ربه وقال مجاهد وقتادة اي من مثل هذا القرآن وقد سبق ذكره في قوله مما نزلنا ثم القرآن وان كان لا مثل له

لانه صفة الله تعالى وكلام الله ووحى الله ولا مثل لصفاته كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم فقد كانوا يقولون
لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذا كقوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى اى على زعمكم وقال تعالى وانظر الى الهك اى على زعمك
ثم التحدى الى مثل القران كان فى وجوهه وهى سبعة احدها الايجاز والبلاغة يشتمل بيسير كلامه على كثير من المعانى
قال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم وذلك مثل قوله ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب وقوله اخرج منها ماءها
ومرعاها وقوله يسبح له ما فى السموات وما فى الارض والثانى البيان والفصاحة التى عجز عنها الفصحاء وقصر عنها
البلغاء حكى ابو عبيدة ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام والثالث
النظم الذى نقض العادة حتى صار خارجا من جنس كلامهم فى النظم والنثر والزجر والشعر والخطب والسجع والرسائل
فلا يمتزج بها ولا يدخل فى شىء منها مع استعمال حروفه وكلماته والرابع ان قارئه لا يكل وسامعه لا يمل واكثار تلاوته
تزيد فى حلاوته وغيره من الكلام وان كان مستحسن النظم مستعذب النثر يمل اذا اعيد ويستثقل اذا ردد والخامس
ما فيه من الاخبار بما كان من قصص الانبياء مع اممها والقرون الخالية فى ازمنتها وهو امى من امة اميين لم يعلم
ما عرفه اهل الكتاب مما فى الكتب السالفة والسادس ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فكان كما اخبر كقوله
سيهزم الجمع وقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وقوله لتدخلن المسجد الحرام وقوله ليظهره على
الدين كله وقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا والسابع كونه جامعا للعلوم كلها ومشتملا على ما فى الكتب المنزلة
كلها ومستنبطا لجوابات الحوادث كلها وانباء على المصالح كلها قال الله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شىء وقالوا ان
قوله ولا تسرفوا يأتى على علوم جميع الطب وكذا فيه كل علم من الادب من اللغة والنحو والبلاغة ومن الكلام والفقه
والتذكير وفنون الفوائد فكل اهل العلم يصنفون تصانيف كثيرة بفوائد القران فحجج المتكلمين منتزعة من القران
ومسائل الفقهاء مستخرجة من القران ولغات الادباء مصححة بالقران وفوائد النحويين مستوضحة بالقراءات
وعظات المذكرين ماخوذة من القران واشارات الحكماء مستفادة من القران ولطائف اهل المعرفة مستنبطة
من القران وكذا وكذا وقوله تعالى **وادعوا شهداءكم** يقال دعا الى الشىء دعاء ودعوة بفتح الدال فالاول مطلق
المصدر والثانى المرة منه والدعوة بالضم المادبة والدعوة بالكسر ادعاء الولد وتداعت الحيطان تهادمت
من هذا مجازا والدعاء فى القران لمعان واختلف فى المذكور ههنا فقيل ادعوا احضروا وقيل اى استعينوا
وقال الشاعر فى الاستعانة ٭ وقبلك رب خصم قد تمالوا ٭ على فما جزعت ولا دعوت ٭ ونظيره فى القران وقيل
ادعوا شركاءكم وقوله تعالى فليدع ناديه وقوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها وهذا امر اعجاز كقوله فأتوا بسورة
وبين ان الاستعانة ههنا بالخلق الكثير لا تغنيهم شيئا وما يغنى رجوع المحتاج الى المحتاج واعتماد الفقير
على الفقير والتجاء العاجز بالعاجز فلا ترفع حوائجك الا الى من لا يشق عليه قضاؤها ولا تسأل الامن لا تفنى خزائنه
ولا تعتمد الا على من لا يعجز عن شىء ينصرك من غير معين ويحفظك من غير صاحب ويغنيك من غير مال فيقل عدد
الاعداء الكثير اذا حماك ويكثر عدد المال القليل اذا كفاك وقوله تعالى شهداءكم الشهادة الاخبار عن شهود عيان
او شهود ايقان والشهود الحضور والمشاهدة المعاينة والمشهد محضر الناس وعالم الغيب والشهادة اى السر
والعلانية واما التفسير ههنا فالشهداء جمع شهيد كالفقهاء جمع فقيه ومعناه عند ابن عباس رضى الله عنهما اعوانكم لان
الشاهد كالعون للمدعى فى استخراج حقه وقال مجاهد اى ناسا يشهدون لكم انه مثل القران وقيل اى فصحاءكم وشعراءكم
وبلغاءكم وهم اكثر المشاهد والخطباء فى المحافل وقال الفراء يعنى الهتكم لانهم كانوا يعتقدون انها تشهد لهم وتشفع لهم
وهو الاشبه لان قوله وادعوا خطاب للكل فيدخل فيه كل الفصحاء وكل الاعوان والشهداء فكان الكل مامورين بان يكونوا
داعين فلا يكونون مدعوين فالاصح ارادة ما تعبدون يدل عليه قوله تعالى من دون الله وهذا اصله قولنا شهداء اى الذين
اتخذتموهم شهداء من دون الله وهذا صفة الاصنام كما فى قوله ام اتخذوا من دونه اولياء وقوله ام اتخذوا من دون الله
شفعاء ثم قال فى هذا قل اولو كانوا لا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال فى الذين اتخذوهم فالله هو الولى وهو
يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير وقوله تعالى **من دون الله** اى غير الله وكلمة دون لها معان ومعناها ههنا غير ودون
فى الاصل اسم ولهذا ادخلها الخافض وهو من وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف لانها تفيد المعنى فى غيرها
كالحروف فاجريت مجراها لذلك اى مفردة عن اللام التى هى للتعريف والتنوين الذى هو للتنكير وهما من خصائص
الاسماء وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** فالصدق هو الاخبار عن المخبر به على ما هو به وهو نقيض الكذب فانه الاخبار
عن المخبر به على خلاف ما هو به والصدق بالفتح الرمح الصلب والحسام المستوى والصديق الخليل والصداقة الخلة
وفلان رجل صدق وبالاضافة اى نعم الرجل هو وثوب صدق وقدم صدق ومقعد صدق كله بالاضافة على هذا الوجه
والصديق بالتشديد اى المبالغ فى الصدق فمعنى قوله ان كنتم صادقين فى مقالتكم ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه
وقيل اى ان كانت لدعوتكم صحة وقيل هو خطاب لليهود اى ان كنتم فى شك مما نزلنا من القران على محمد انه النبى المنعوت
فأتوا بسورة من مثل القران وقابلوها بالقران لتجدوها موافقة لما فى التوراة لتعلموا ان هذا لم يختلقه محمد من عند
نفسه وانه من عند الله واستعينوا باحباركم ورهبانكم ان كنتم صادقين انكم تشكون فيه وهذا تفسير تمام هذه الاية

وقوله تعالى **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا** خطاب لهؤلاء ايضا والفاء للتعقيب وان للشرط ولم كلمة نفى تدخل المستقبل
فتجعله بمعنى الماضى ثم دخول ان للشرط يجعله بمعنى المستقبل والاشارة فيه ان المؤمن عزيز بايمانه وطاعته ثم ذل
بعصيانه وجفوته ثم يعود عزيزا بتوبته وندامته وتفعلوا فعل جمع وسقطت النون من اخره بلم لانه جازم والنون كانت
علامة للرفع والفعل فى اللغة العمل وجاءت من فلان فعلة حسنة او سيئة وفلان حسن الفعال بالفتح وسيئ الفعال
بالكسر عليه اكثر اللغة وقال ابن الاعرابى الفعال بالفتح مصدر فى الخير والشر وبالكسر اسم فى الخير والشر فى نقل
اللغة يقول والفعال بالكسر جمع فعل وبالفتح الكرم وما فعل فلان اى اين ذهب والفعل عند اهل الكلام هو صرف الممكن
من الامكان الى الوجود ويقع على المباشرة والترك جميعا لشموله اياهما وهو مستمر فى الشاهد والغائب وتفسيره ههنا
فان لم تأتوا بسورة من مثله ولم تستعينوا بالشهداء والكلمة صالحة لكل فعل وهو اوجز من التصريح بما سبق فكان
ابلغ وافصح وتذكر آيات فى استعمال هذه الكلمة لاعمال مختلفة ايضاحا لما قلنا قال تعالى انه خبير بما تفعلون هذا تناول
كل عمل وقول وتصدق وتشبه والذين هم للزكوة فاعلون اى يؤدون وقال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به وقال تعالى ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الاية وقال انما اشرك اباؤنا الى ان قال بما فعل المبطلون
وقال فذبحوها وما كادوا يفعلون وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقال تعالى وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين
وقال تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وقال تعالى ففهمناها سليمان الى قوله وكنا فاعلين وقال سنراود عنه اباه وانا لفاعلون
وقال تعالى من فعل هذا بالهتنا وقال تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الى قوله ومن يفعل ذلك وقال تعالى لا خير فى كثير
من نجواهم الى ان قال ومن يفعل ذلك وقال تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا وقوله تعالى ولن تفعلوا هذا اعتراض
الكلام قبل التمام وهو من محاسن الكلام وبدائعه ومعدود فى الصناعة وانواع البلاغة وهو كقوله واذا بدلنا اية مكان
اية والله اعلم بما ينزل هذا اعتراض للكلام قبل التمام وقوله قالوا جواب واذا بدلنا وههنا ايضا جواب فان لم تفعلوا
ومعنى ولن تفعلوا اى لستم بفاعلين ذلك ابدا فلن نفى تأبيد وقيل معناه لن تقدروا ان تفعلوا وهو كقوله تعالى لن نصبر
على طعام واحد وقوله فقل لن تخرجوا معى ابدا هذا انفى كلمة القدرة وهذه الاية دليل صدق النبى صلى الله عليه وسلم
فانه اخبر فكان كما اخبر وذلك غيب عنا فلا يكون الا عن اخبار من عالم الغيب له بذلك وقوله تعالى **فاتقوا النار
التى وقودها الناس والحجارة** اى ولما عجزتم عن معارضة القران بمثله لزمتكم الحجة ان محمدا رسولى والقران
كتابى ولزمكم تصديقه والايمان به ولئن لم تؤمنوا صرتم من اهل النار فاتقوها والكلام فى تفسير التقوى ووجوهه
تقدم فى تفسير قوله هدى للمتقين والنار هى نار جهنم وهى مؤنثة سماعا ولذلك قال الله تعالى التى وقودها فانث
الصفة والكناية وقوله وقودها اى حطبها فالوقود بفتح الواو ما يوقد به النار وهو الحطب والوقود بضمها التهابها
فهو مصدر والاول اسم وقوله الناس هم الكفار ههنا والحجارة هى جمع حجر والحجر الصخر وهو كالجمل والجمالة وهذا جمع
على غير قياس والقياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار والسحر والاسحار والسفر والاسفار واما التفسير فقد قيل هى جبال
الدنيا علقت بهم حتى اذا اقتحموا النار علوا احطتهم الحجارة سفلا وقال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج رضى الله عنهم
هى حجارة الكبريت وانما خصت بالذكر لان فيها خمسة اشياء هى اسرع وقودا وابطأ خمودا وانتن رائحة واشد حرا
والصق بالبدن وقيل هى الاصنام التى عبدوها قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما جعل التعذيب
بها ليحققوا انهم عذبوا بعبادتها وليروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها وقيل الاحجار تحرقها النار
كما تحرق الناس ذكر ذلك تهويلا وتعجيبا وقيل اى وقودها الناس اذا صاروا اليها والحجارة قبل ان يصيروا اليها
ثم ادخال الاصنام فى النار ليس لتعذيبها فلا ذنب لها بل لتعذيب الكفار بها وما يكون به العذاب لا يكون له العذاب
كما قال تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم الاية ادخلت الاموال الجحيم ليعذب بها مانع الزكاة لا هى وهذا كما فى حق الثواب
فان الرضوان والخزنة والحور العين فى الجنة بهم الثواب وليس لهم الثواب والحكمة فى تعذيب الكافرين بها ان الكافر
عبد الصنم واعتمده ورجاه فعذب به اظهارا لجهله وقطعا لامله كاتباع الامراء اخدموهم ورجوهم وفى النار
يسحبون معهم ليكون اشق عليهم واقطع لرجائهم وقد يقع كذلك فى الدنيا لذلك وقوله تعالى **اعدت للكافرين**
والاعداد التهيئة والاستعداد التهيؤ والعدة ما اعد للشىء والاعتاد مثل ذلك الاعداد قال الله تعالى انا اعتدنا
للكافرين والاية رد على المعتزلة فانهم قالوا النار والجنة لم يخلقا بعد وانما يخلقان يوم القيمة عند حضور اهلهما
وقولهم باطل مردود بهذه الاية ولقوله تعالى فى الجنة اعدت للمتقين ونحوهما من الايات وقوله اعدت للكافرين
خص لما وقع به البدء اى اتقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكفار ثم لم يقل اعدت لكم خطابا كما قال تعالى
فاتقوا احتراما لا تعدادا ان منهم من يؤمن فقصر الوعيد بالنار على طبقة الكفار قال الامام ابو منصور رحمه الله
هذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا اصحاب الكبيرة فى النار ولم يطلقوا عليهم اسم الكفار ففى زعمهم انها
اعدت لغير الكفار ايضا ثم عندنا يجوز ان يعذب المؤمن العاصى فيها مدة فعفوا وعد الله التعذيب بها فى القران
على الكفار وثبت بالاحاديث المشهورة خروج المؤمنين منها بعد مدة ثم الجمع بين هذه الاية وبين غيرها فى هذين
الامرين عند بعضهم ان هذه النار واحدة للكل لكن يتفاضل عقابهم فيها وقيل هذه النار التى وقودها الناس

والحجارة وهي للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها ولما خوف بالنار الكافرين بشر بالجنة المومنين تحقيقا لوصف كتابه بالمثاني ومن تامل في نظمه وجد على الانتظام تنبيه المعاني وقد شرحنا ذلك في الفاتحة وكذا نظم سورة البقرة فانه ذكر الكتاب وبين ان الناس في حقه صنفان مومنون وكافرون وبينهما طبقة لهم وصفان اظهار الايمان واضمار الكفر ولهم مثلان مستوقد النار ومثل الوابع في الظلمات والامطار ثم خاطب الكل فامرهم بشيئين الاعتقاد والاقرار في حق شيئين ربوبية الله ونبوة رسوله فصاروا فريقين جاحدين خوفهم بالنار ومقرين فبشرهم بالجنات والانهار وذلك قوله تعالى **وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات** والبشارة بفتح الباء وضمها وكسرها الخبر الصدق السار الذي ليس عند المخبر علمه سميت بها لانها تورث في البشرة ابهاكن المتعارف في الاول الاطلاق وفي الثاني التقييد والبشرة ظاهر جلد الانسان قال تعالى فاما ترين من البشر احدا وهذا جمع والبشر الواحد منهم قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم والبشر المبشر والبشير الحسن الوجه والبشر الطلاقة والاستبشار الفرح وتباشير الصبح اوايله وبشرته بالتشديد وبشرته من حد دخل فابشر اي قبل البشارة وقوله بشر امر للنبي صلى الله عليه وسلم ان يخبر المومنين الذين يعملون الصالحات بان لهم الجنة والكلام في الصلاح من حيث اللغة مر في قوله تعالى انما نحن مصلحون وقوله وعملوا الصالحات دليل على ان الطاعات غير الايمان لانه عطفها على الايمان والعطف دليل على المغايرة وهو رد على الشافعي رحمه الله في جعله العمل من الايمان ثم العمل في اللغة هو الفعل والعمالة اجر العمل والعامل والاعمال الحمل على العمل واستعمال الشيء العمل به والمعاملة بين اثنين والتعامل التعارف والبعملة الناقة القوية على العمل والصالحات نعت لجمع اسم مونث محذوف وهي الخصلة او الفعلة واختلف في تفسيرها قال عثمان بن عفان رضي الله عنه وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يدل عليه قوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اذ المنافق لا يكون عمله صالحا لانه لا يكون خالصا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اي اقاموا الصلوات المفروضة دليله واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وهو كالتفسير لقوله تعالى وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه العمل الصالح الذي يكون فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال سهل بن عبد الله اي لزموا السنة لان عمل المبتدع لا يكون صالحا البتة وقال بعضهم اي ادوا الامانات قال تعالى وكان ابوهما صالحا اي امينا وقيل اي تابوا عن السيئات قال تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين وقيل اي ادوا الفرايض واجتنبوا المحارم وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية هي الشرائع وهي الصلوة والزكوة والحج والصوم والاغتسال من الجنابة وقيل هي نوعان اعمال بينك وبين العباد كاداء الامانات والوفاء بالعهود وقضاء الحقوق وصلة الارحام واعمال بينك وبين الله عز وجل وهي نوعان ظاهرة وباطنة فالظاهرة اداء الشرائع والباطنة صفات القلب كالتوكل والرضا بالقضاء والصبر في البلاء والشكر في الرخاء ثم هذا تعليق البشارة المطلقة بالايمان والعمل الصالح فان المومن المطيع له الجنة بوعد الله تعالى من غير تعذيب والكافر له التعذيب المويد والمومن العاصي في مشية الله عز وعلا ان شاء غفر له وادخله الجنة قبل التعذيب وان شاء عذبه بذنبه كل عقوبة او بعضها ثم ادخله الجنة وقوله تعالى **ان لهم جنات** جمع جنة وهي البستان والجنة بالضم الترس وكذا المجن واصله من جن عليه الليل جنانا اي يستره والجنون يستر العقل والجنة بالكسر كذلك والجن والجنة مستورون عن اعين الناس والجنة والمجن يستر الانس والجنن القبر وهو يستر الميت والجنان القلب وهو مستور والجنين الولد في البطن وهو مستور واما تفسيره نقد قال المفضل الجنة كل بستان فيه نخل وقيل فيه شجر فان كان فيه كرم فهو فردوس وقيل الجنة اسم لبستان جامع فيه النخل والعنب وكل ثمر قال تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب له فيها من كل الثمرات وقال تعالى وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره سميت بذلك لانها تستر وتظل من يكون فيها بما فيها من الشجر او لانها تستر الارض بظل اشجارها ثم الجنان جمع وهي ثمانية قال ابن عباس رضي الله عنهما هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة النعيم من الزمرد كلها وجنة الفردوس من اللولو كلها وحيطانها لبنة ذهب ولبنة فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد وبلاطها المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللولو ومصاريعها الذهب وارضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** يقال جرى الماء يجري جريا وجرية وجريانا اي سال وهذا جار ومياه جارية وعين جارية اي يجري ماؤها والجارية السفينة لان الماء يجري بها وصدقة جارية اي وقف دايم النفع والارزاق الجارية الدارة وقد اجرى على جنده واصحابه الاجريات والجري الوكيل لانه يجري مجرى الموكل وجمعه الاجريا بفتح الهمزة والاجريا بكسر الهمزة العادة التي يجري عليها الانسان وقوله تعالى من تحتها وفي بعض الايات تجري تحتها فالحذف لما انه ظرف والنفخة تدل عليه واثبات من للصلة او لبيان ابتداء الجريان منه فانه لابتداء الغاية وتحت بمعنى سفل وهي اسم

ولهذا انخفض بمن ولكن تستعمل استعمال الحروف لانه يفيد المعنى في غيره غالبا فاشبه الحروف فلم يظهر فيه علامة التعريف والتنكير وقوله تعالى من تحتها الانهار اي من اسافل ارضها وقيل من تحت اشجارها وقيل من تحت غرفها وقيل انها تجري في غير اخدود وفي الاية التي قال تجري تحتهم الانهار فمعناه بامرهم اي ذلك تحت ولايتهم وامرهم وهو كقول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي اي بامري ومعنى تجري بامرهم ما قال عز وعلا يفجرونها تفجيرا اي حيث شاؤا علوا وسفلا وقال الامام ابو منصور الجنة ليست باسم الارض والبقعة خاصة بل هي اسم لكل الجمع الاشجار والعرايش وقوله من تحتها اي من تحت اشجارها وغراسها الانهار قال وقيل من تحتها اي حيث يقع ابصارهم عليها وهم في العلو وذلك انزه عند الناس واحلى واطيب قال وقيل ايضا من تحتها اي من تحت ما علا منها من القصور والغرف لا تحت الارض كقوله عليه السلام تحت كل شعرة جنابة اي تحت ما علا لا تحت الجلد وقوله الانهار وهي جمع نهر وهو مسيل الماء وقد انهر الدم اي اساله ونهر نهر اي كثر الماء وقيل سمي به لسعته وضيائه قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر اي ضياء وسعة وسمي النهار به لسعته وضيائه وقيل يسمى النهار لجريان الشمس فيه لجريان الماء في نهره اما تفسيرها فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد قالوا وهي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الاية وقيل النهر واحد ويجري فيه الخمر والماء واللبن والعسل لا يخالط بعضها بعضا كما لا يخالط الماء العذب الاجاج الملح في الدنيا قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا وقال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا وقال بعضهم الجاري واحد ويختلف باختلاف المنية ان تمنى ان يكون لبنا كان لبنا وكذا سايرها وقال بعضهم الجاري واحد وطبايعه اربع طبع الماء في اثبات الحيوة وطبع اللبن في التربية وطبع العسل في الحلاوة وطبع الخمر في الاطراب وانما ذكر الانهار جمعا على قول هولاء لكثرة معانيها مع اتحاد عينها فاذا دخلوا الجنة وقد ذاقوا الموت ودخلوا النار وخافوا وضعفوا سقوهم الماء ليحيوا ثم انهم لا يموتون وسقوهم اللبن ليتربوا ثم انهم لا ينقصون وسقوهم الخمر ليطربوا ثم انهم لا يحزنون وسقوهم العسل ليصحوا ثم انهم لا يسقمون ثم في الجنة عيون ايضا عين الكافور وعين الزنجبيل وعين السلسبيل وعين الرحيق ومزاجه من تسنيم وهذه الانهار تنبع من عيون في ساق العرش وروي انه كتب على ساق العرش عرضا بسم الله الرحمن الرحيم فعين الماء تنبع من ميم بسم وعين اللبن تنبع من هاء الله وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن وعين العسل تنبع من ميم الرحيم هذه منبعها واما مصبها فكلها تنصب في الكوثر وهو حوض النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة اليوم وينقل يوم القيمة الى العرصات لسقي المومنين ثم ينقل الى الجنة ويسقى اهل الجنة من هذه الانهار والعيون بواسطة الملايكة ويسقيهم الله تعالى الشراب الطهور بلا واسطة قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقد قال بعض اهل المعرفة ان لله شرابا ادخره لاهل المعرفة فاذا شربوا طربوا واذا طربوا قاموا واذا قاموا هاموا واذا هاموا طاشوا واذا طاشوا عاشوا واذا عاشوا طاروا واذا طاروا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا نزلوا واذا نزلوا قربوا واذا قربوا كوشفوا واذا كوشفوا شاهدوا واذا شاهدوا عاينوا واذا عاينوا انسوا واذا انسوا ابصروا وقوله تعالى **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا** كلما كلمة تقتضي عموم الافعال وكلمة كل تقتضي عموم الذوات وحقيقتها ان كلمة كل لعموم ما دخل فيه وما مع الفعل المذكور بعده بمنزلة المصدر فيقتضي عموم ذلك الفعل لدخولها فيه فاقتضى التكرار بهذا الطريق وقوله رزقوا اي اعطوا وقد بينا حقيقته في قوله تعالى ومما رزقناهم وقوله منها اي من الجنات ومن فيها لبيان المكان يرزقون وقوله من ثمرة من في هذا للتجنيس وقيل هي زايدة اي كلما رزقوا ثمرة وقيل هي للتاكيد كما في قوله ما في الدار من رجل وقوله رزقا هو خبر ما لم يسم فاعله وهو مفعول ثان في الحقيقة اخبر ان لهم رزقا في الجنة وهو كقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اولئك لهم رزق معلوم ان هذا لرزقنا ما له من نفاد يرزقون فيها بغير حساب واعتدنا لها رزقا كريما قد احسن الله له رزقا افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله واخبر ان لهم ثمرات ومن صفتها وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفاكهة مما يتخيرون من كل فاكهة زوجان فيهما فاكهة ونخل ورمان في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وذللت قطوفها تذليلا والقطف عنقود العنب وسال اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اعناب الجنة وعنقودها فقال مسيرة شهر للغراب يطير لا يفتر عن طيرانه ولو اجتمع الخلايق على عنقود لاشبعهم وقد روي انه لا يقطع من شجر الجنة ثمر الا نبت مكانه مثله وقد روي انه يخرج من حب عنب الجنة مثل الدرة فتتفلق الدرة عن حور اعين يغلب نورها الشمس وفي الخبر ان المومن اذا دخل الجنة راى سبعين الف حديقة في كل حديقة سبعين الف شجرة على كل شجرة سبعين الف ورقة على كل ورقة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله امة مذنبة ورب غفور كل ورقة عرضها من مشرق الارض الى مغربها وقوله تعالى **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله تعالى عنهم

اى قالوا هذا الذى رزقناه من ثمار الجنة مثل الذى كنا رزقناه من ثمار الدنيا اى فى الصورة والاسم
قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسما فاشجار الجنة من الزبرجد والياقوت
والذهب والفضة وقال ابو عبيدة ويحيى وابن ابى كثير ثمار الجنة اذا اجتنيت من اشجارها استخلف كانها
مثلها فاذا راى ما استخلف بعدما الذى جنى اشتبه عليهم فقالوا هذا الذى رزقنا من قبل وقيل يؤتى
بالعشاء مثل ما كان يؤتى بالغداة فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل اى مثل ما تقدم وقيل معناه هذا
الذى وعدنا فى الدنيا ان يكون رزقا لنا فى الجنة وقيل اى هذا ثواب ما رزقنا من العمل الصالح فى الدنيا
والثواب مضمر والاضمار جائز كما فى قوله تعالى واسئل القرية اى اهل القرية وقوله تعالى **وأتوا به متشابها**
هو على ما لم يسم فاعله على قراءة العامة وقرا هرون بن موسى واتوا بفتح الالف على الفعل الظاهر اى اتى
اتوا بالرزق ومعنى القراءة المشهورة وجيء به اى الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين دخلوها والمتشابه
فى اللغة متفاعل من الشبه والشبه ومما كالمثل والمثل والشبيه كذلك والتشبيه التمثيل والمشابهة
المماثلة والشبه بفتح الشين والباء الاشباه والشبه جوهر يشبه الذهب والامور المشتبهات المشكلات
والمتشابهات كذلك وحقيقة المتشابه الذى فيه شبه من غيره حتى لا يكاد يتميز من غيره والمتشابهات
المماثلات والشبهة ما يشبه الحلال من وجه والحرام من وجه والشبهة ما يشبه الحجة واما تفسيره ههنا
فقد قال الحسن وقتادة وابن جريج معنى المتشابه هو التماثل فى الجودة ان كله جياد يشبه بعضه بعضا
لا رذل فيه ولا فاسد ولا متغير وليس كثمار الدنيا التى لا تتشابه لان فيها جيادا وغير جياد وقال ابن عباس
وابن مسعود والربيع بن انس رضى الله عنهم التشابه التماثل فى اللون دون الطعم فتكون ثمار الجنة فى الوان
ثمار الدنيا وان خالفتها فى الطعم فكانت الذ واطيب وقال مجاهد ويحيى بن سعيد انها تشابه ثمار الدنيا
فى اللون والطعم جميعا اى هى تشبه ثمار الدنيا فى لونها وفى طعمها وفى ذلك ترغيبهم فى طلب ما عرفوه فى الدنيا
بلونه وطعمه وقال مجاهد فى رواية اى يشبه بعضها بعضا فى الالوان ويختلف فى الطعوم وفى ذلك زيادة
نشاط لهم حيث ما وجدوا انما تتفق صورها وتتقارب معانيها وقال ابو زيد ولا يتحقق التشابه فى الاسما
دون الالوان والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة شيء من ثمار الدنيا فى لون ولا طعم وانما تتفق اساميها لا غير
وفى ذلك ترغيبهم فى وجود لذات لم يعهدوها ولا يقفون على غاياتها وقيل معناه والوانه اى ثمارها فى كل
الاوقات على الطراوة وليس فى الجنة خريف ولا شتاء ولا ربيع ولا صيف ولا حر ولا برد ولا نقص ولا فقد
وقوله تعالى **ولهم فيها ازواج مطهرة** الزوج البعل فى اللغة والزوجة البعلة والزوج ذكر وانثى من كل
حيوان ومما زوجان ايضا وهو فى القرآن لاسم البعل قال حتى تنكح زوجا غيره وللبعلة قال تعالى امسك عليك
زوجك وللذكر والانثى من كل حيوان قال تعالى فاسلك فيها من كل زوجين وللشفع من كل شيء قال تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين وللصنف قال تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وللون قال تعالى من كل زوج بهيج اى لون حسن وللشبه
قال تعالى خلق الازواج كلها وللقرين قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم واما تفسيره فمعناه ولهم فى الجنات
زوجات وهن نساء الدنيا وحور الجنة جميعا قال تعالى انا انشاناهن انشاء الايات وقال تعالى وزوجناهم بحور عين
وعدهم الجمع بينهم وبين الزوجات ليتم لهم الانس وتهنى لهم الجنة والاطعمة والاشربة والكرامات ومطهرة
فالطهر والطهارة خلاف الدنس يقال فلان طاهر الثياب اى نقى عن العيب والتطهر التنزه عن الاثم والقبيح
والتطهير اثبات الطهارة وقرا ابن مسعود رضى الله عنه مطهرات لانها نعت النسوة وهى جمع وقراءة العامة
وهو الذى فى مصحف الامام مطهرة لان المسموع من العرب فى نعت الجمع القليل الالف والتاء وفى نعت الجمع الكثير
الهاء وحدها يقال احمرة مستنفرات وحمر مستنفرة لان الازواج جمع زوج وهو مذكر فى اللفظ وانما ما رؤنثا
بالجمع الحال فصارت كالواحدة كقولك بيت خاوى ثم قال بيوت خاوية ولا يقول خاويات ونقول دار خاوية
ودور خاويات لان الواحدة كانت مؤنثة وهذه الجماعة المؤنثات وانما قال مطهرة ولم يقل طاهرة لان المطهرة
ابلغ فان طاهرة تدل على طهارتها والمطهرة تدل على ان الله هو الذى من بتطهيرها ولان التفعيل للتكثير فيدل
على انواع التطهير ولان التفعيل للنسبة والوصف يدل على انهن الموصوفات بها المنسوبات اليها ولانها ان جعلت
فى اوصاف نساء الدنيا دلت على انهن جعلت لذلك فى العقبى وان كن غير ذلك فى الدنيا وان جعلت فى صفة الحور
العين فمعناه انهن خلقن لذلك وابدا يبقين كذلك واما التفسير فقد قيل مطهرات الابدان فى الخلقة فهى
من المسك والكافور والعنبر والزعفران لا من التراب والمنى والعلقة وقيل اى مطهرات الابدان فى الحال
فليس تحت الجلود دم ولا قيح ولا فى البطون ما فى بطون البشر وقيل مطهرات الابدان عن الامراض والاعراض
من الورم والدرن والصداع وسائر الاوجاع وقيل مطهرات الابدان عن الولادة وهو قول عمار بن رباب وقيل
مطهرات الابدان عما يخرج منها من بول او منى او غائط او حيض او نفاس او مخاط او بلغم وقيل مطهرات
الافعال فلا يصاحبن ولا يجادلن ولا يعرضن ولا يغلظن القول ولا يسئن الفعل ولا ينشزن

وقيل مطهرات الاخلاق فلا يحسدن ولا يحقدن ولا يبغضن ولا يغرن وقيل مطهرات عن اسرار القلوب
بهن فلا يملن الى غير ازواجهن ولا يقع فى قلوب الرجال ما يغيرطباعهم عنهن وقوله تعالى **وهم فيها خالدون**
الخلود البقاء لغة والاخلاد الاقامة والركون ايضا وحقيقة الخلود والدوام ومن وقت مبتدا ولهذا لا يجوز ان
يقال الله تعالى خالد لانه قديم ازلى لا ابتداء له وتفسيره وهم فى الجنات باقون دائمون مقيمون لا يموتون ولا يخرجون
والبقاء الابدى فى الجنة لاهلها وفى النار لاهلها قول جميع اهل الاسلام وقال جهم ان الجنة والنار يفنيان
لان البقاء الابدى لله وحده ودليلنا قوله تعالى وهم فيها خالدون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا وقوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت وقوله تعالى وما هم منها بمخرجين وقوله تعالى وان الدار الاخرة لهى الحيوان وقوله تعالى
لا مقطوعة ولا ممنوعة لان اهل الجنة لو علموا بالزوال لكانوا فى اشد عقوبة ولو ان اهل النار علموا بالفناء
لكانوا فى اتم راحة فيصير الثواب عقابا والعقاب ثوابا وجواب قولهم ان الله تعالى باق بذاته وبقاء الجنة
والنار واهلهما بابقاء الله تعالى فلا مشابهة وقوله تعالى **ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة**
فما فوقها انتظام هذه بما قبلها من ثلاثة اوجه احدها ان الله تعالى ذكر الكفار فى اول هذه السورة ودعاهم الى
الايمان بقوله اعبدوا ربكم الذى خلقكم واقام الدلالة عليه بتخليقه الاشياء واثبت رسالة نبيه وحقيقة كتابه
وعجز اصنامهم اذ قال وادعوا شهداءكم من دون الله ولم يمكنهم ذلك فعرفهم عجز الاصنام فقال مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا فقال
السفهاء منهم ليس هذا من كلام الله تعالى فلا يليق بجلاله ذكر هذه الاشياء الحقيرة فقال ان الله لا يستحيى ان
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وهو العنكبوت والثانى ان ذكر المنافقين بعد الكفار وذكر لهم مثلين كمثل
الذى استوقد نارا او كصيب ودعاهم الى الاخلاص بقوله اعبدوا ربكم وبين لهم دليل صحة دعوى الرسول
وحقيقة الكتاب وقال وادعوا شهداءكم اى اعوانكم وانصاركم وهم الذين سبق ذكرهم واذا خلوا الى
شياطينهم وعجزوا فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء وهم هؤلاء كمثل العنكبوت قال سفهاؤهم ما هذا
من كلام الله تعالى فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم والثالث انه لما وعد الكفار بالنار وبشر المؤمنين بالجنة
قالوا لا يعذب بالنار غير الكفار ولا ينال الجنة الا مؤمن عمل كل الصالحات فنزل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره اى من ثواب الجنة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اى من عقاب النار والذرة هى النملة الصغيرة قال السفهاء الا يليق
بالله ذكر النملة فنزلت هذه الاية وقوله يستحيى هو يستفعل من الحياء وهو فى اللغة انقباض ظهور العورة وقيل
هو الانقباض عن الشيء والامتناع عنه خوفا من مواقعة القبيح وقد جاء يحيى حيوة من حد علم فهو حى والحياء
الفرج لانه يستحيى من اظهاره وحاصل الحياء هو الترك فان من استحيى من شيء تركه وقد ورد ذكر الحياء فى صفة
الله تعالى اثباتا ونفيا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حى كريم يستحيى ان يرفع العبد اليه يديه فيردهما
صفرا وقال عليه السلام الشيب نورى وانا استحيى ان احرق عبدى بنارى فاما النفى ففى قوله تعالى ان ذلكم كان
يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق وقال ههنا ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ومعناه الترك
فاما من انقى ظهور عيبه بشيء تركه وكذا من خاف مواقعة قبيح تركه فاذا قال الله يستحيى من رد العبد خائبا فمعناه
انه يترك حرمانه فاذا قال لا يستحيى من الحق فمعناه لا يتركه بيانه وهذا هو الوجه فى كشف الكلمات الموهمة
انك تعتبر حاصل ذلك فتفسره به وهذا كالعجب من الانسان فتعجبه من آخر يكون من احد شيئين من اساءة
من كان احسن هو اليه فيتعجب منه ومن احسان اجنبى اليه لم يكن منه اليه احسان فيتعجب منه وذلك يظهر
ما لم يكن عنده انه يظهر كذلك وهذا لا يجوز على الله تعالى لانه علم الاشياء كلها وعلم ما يكون قبل ان يكون انه اذا
كان كيف يكون لكن حاصل هذه الكلمة هو غاية الرضا او غاية الكراهة والله تعالى اذا ذكر منه التعجب فانما يراد
به احد هذين اللذين هما الحاصل ففى قوله عليه السلام ان الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة هو غاية
الرضا وفى قوله تعالى بل عجبت بالضم ويسخرون هى غاية الكراهة وعلى هذا نظائره من الاثبات والنفى بما هو
صفة واحدة لا يرجع الى ذات الله تعالى فان ما ثبت لله تعالى له لم يجز نفيه عنه وما نفى عن الله تعالى لم يجز اثباته
وانما يرجع ذلك الى ما يقع عليه ذكر هذه الصفات وهو كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء نفى المغفرة فى حق من يشرك واثبتها فى حق من لا يشرك وذلك يرجع الى دين المشرك ودين غير
المشرك لا الى ذات الله تعالى وكذا قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكذا قولهم ما شاء الله كان وما
لم يشأ لم يكن ثم قوله لا يستحيى قيل فى تفسيره لا يترك ضرب المثل بالبعوضة وقيل اى لا يمتنع عنه وقال
قتادة وجماعة هو فى مشركى مكة بدليل انه ذكر مثل هذا فى سورة المدثر وهى مكية قال وليقول الذين فى قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء واما ههنا فقال
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ثم ذلك من اوائل الوحى
وفى حق مشركى مكة فكذا هذا وقيل هو فى حق منافقى المدينة من اهل الكتاب بدليل انه قال الذين ينقضون

والاتوا به متشابها
لعنه الله تعالى
صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى

عهد الله من بعد ميثاقه وهذه صفة المنافقين من اهل الكتاب فقد قال تعالى فيما نقضهم ميثاقهم ولان سورة
البقرة مدنية وقيل يجوز ان يكون نزول الاية في الفريقين جميعا فقد سبق ذكر الكفار والمنافقين في صدر السورة
وقال ايضا في سورة المدثر وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم اهل النفاق وقال والكافرون وهم اهل الشرك
ثم ان الله تعالى بين انه لا يترك ضرب المثل بقول المنافقين والكفار فلا تترك انت قول الحق بقول الفجار وذكر
انه يستحيي من احراق النور بالنار فانا استحيي انت من مخالفة الملك الجبار وقوله تعالى ان يضرب مثلا اي يبين
والضرب في القران لمعان للايلام من غير خدش ولا جرح قال تعالى واضربوهن وللصورة من غير ايلام قال
ان اضرب بعصاك الحجر ولقليل الايلام قال تعالى فاضرب به ولا تحنث وللقطع قال تعالى فاضربوا منهم كل بنان
والحز والازهاق قال تعالى فاضربوا فوق الاعناق والكسر قال تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين ولتعذيب الملائكة الكفار
عند الموت قال تعالى والملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ومن الجارحة واخرون يضربون في الارض هو السير
وفيه ضرب وقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا هو الصرف تقديره افنهملكم فلا نعرفكم ما عليكم ان كنتم قوما مسرفين
واصله في الراكب اذا اراد ان يصرف مركبه عن جهته يضربه ليعدله فوضع الضرب موضع الصرف وقوله تعالى
فضربنا على اذانهم اي انمناهم ومنعناهم السماع وهو من ضرب الحجاب على الاذن في التقدير وقوله تعالى وليضربن
بخمرهن على جيوبهن اي وليرخين مقانعهن فوق جيوبهن عند صدورهن للستر وقوله فضرب بينهم بسور اي اظهر
وقوله تعالى فاضرب لهم طريقا اي حدا وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة اي وضعت عليهم الجزية وقوله تعالى
فلا تضربوا لله الامثال اي لا تصفوا لله الاشكال وقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يمثل وقوله واضرب
لهم مثلا اي واذكر وقوله وضرب الله مثلا اي بين وههنا ايضا معناه البيان باجماع اهل التفسير ومثلا مر تفسيره
في قوله كمثل الذي استوقد نارا وقوله ما بعوضة ما يجيء على عشرة اوجه للنفي وما يستوي الاعمى والبصير وللجحد
ما جاءنا من بشير ولا نذير وبمعنى الذي وما تخفي الصدور وبمعنى من والسماء وما بناها وللمصدر بما غفر لي
ربي وللاستفهام ما سلككم في سقر وللشرط وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وللوقت ما دمت حيا وللتعجب ما اكرمه
وللصلة فبما رحمة وبعوضة هي من صغار البق والبعض من الشيء طائفة منه وتبعيض الشيء تجزئته وكان البعوضة
بعض البقة لصغرها وكلمة ما تصلح صلة زائدة مؤكدة وتصلح اسما وبيانه في بيان اعراب بعوضة وهي منصوبة
في القراءة الظاهرة وقال النحويون ويجوز فيها الرفع واما النصب فلوجوه ثلاثة احدها ان ما زائدة مؤكدة
بمعناها خفيا وتقديره ان يضرب بعوضة مثلا حقا ولا اعراب لها والناصب يتخطاها الى ما بعدها قال تعالى
فبما رحمة من الله والثاني ان يكون ما اسما نكرة منصوبة وبعوضة صلة وصفة لها تابعة الموصول في اعرابه
وتقديره ان يضرب مثلا شيئا يعني اي مثل اراد بعوضة فما فوقها والثالث ان يكون نصبا على نزع الخافض
ومعناه ان يضرب مثلا ما بين بعوضة الى ما فوقها بنزع بين من الاول والى من الثاني فانتصبا بنزع الخافض
وهو كقولهم مطرنا ما زبالة فالثعلبية واما الرفع فبا ضمار هو تقديره ان يضرب مثلا الذي هو بعوضة
والاضمار جائز قال الشاعر وكفى بنا شرفا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا ينشد غير بالرفع والخفض وقال
الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لاهل الدنيا فان البعوضة تحيى ما جاعت وتموت ما شبعت
وكذا اصحاب الدنيا اذا استغنى طغى وتردى الردى وقال الامام ابو منصور رحمه الله الاعجوبة في الدلالة على
وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق الصغير من الجثة والجسم اكثر من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا
على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج اليه من الفم والانف والعين والرجل واليد
والمدخل والمخرج ما قدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام الكبار منها وقال غيره
ان الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الاجناس وعرف الخلق قدرته في خلق الضعفاء على
هيئات الاقوياء فان البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفي البعوضة زيادة جناحين فلا يستبعد
من كرمه ان يعطي قليل العمل ما يعطي على كثير العمل من الخلعة كما اعطى صغير الجثة ما اعطى كبير الجثة من الخلقة
ومن العجيب ان هذا الصغير يؤذي هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى انه خلق الاسد بغاية القوة
ثم البعوض والذباب بغاية الضعف ثم اعطى البعوض والذباب جراءة اظهرها في طيرانهما في وجوه الناس
وتماديهما في ذلك مع مبالغة الناس في ذبهما بالمذبة وركب الجبن في الاسد واظهر ذلك بتباعده عن مساكن
الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل في التجاسر الضعف
وفي القوي الجبن وهو العزيز الحكيم وقال القشيري رحمه الله تعالى الخلق في التحقيق بالاضافة الى قدرة الخالق
اقل من ذرة من الهباء في الهواء وستان في قدرته البعوضة والعرش فلا خلق العرش عليه اعسر ولا خلق
البعوضة ايسر سبحانه تقدس عن لحوق العسر واليسر وقوله تعالى فما فوقها الفوق والعلو بمعنى يقال
اي عليه وعلاه وصار فوقه وانتصابه لما مر في قوله تعالى بعوضة واما تفسيره فقد قال قتادة وابن جريج معناه
فما فوقها في الكبر وقال ابو عبيدة معناه فما دونها والكلمة من الاضداد كالوراء يكون الخلف والامام قال تعالى

ويذرون وراءهم يوما ثقيلا والصريم يكون للنهار وللليل والقرء يكون للحيض وللطهر وقال اهل التحقيق اي
فما فوقها في الصغر لان الغرض من المطلوب ههنا هو الصغر والكلمة من قولهم فاق فلان كذا اي جاوزه والمجاوزة
نوعان بالصغر والكبر فان ذكر شيء على وجه التصغير فما ذكر بعده بهذه الكلمة عرف انه اريد به مجاوزته اياه في
الصغر وان ذكر على وجه التكبير عرف انه اريد مجاوزته اياه في الكبر وهو متعارف تقول فلان صغير القدر قليل
الخير فيقال هو فوق ذلك قالوا والجمع بين المعنيين بوصف واحد اولى من الحمل على الضدين لان الكلام لا ابهام
في دلالة اللفظ الواحد على الضدين حمل على الابهام وحملوا على ذلك جميع ما ورد من الالفاظ الواقعة على الضدين
في الكلام وقالوا الوراء ما واراك خلفا كان او اماما والصريم الوقت المنصرم ليلا كان او نهارا والقرء الوقت
المعتاد طهرا كان او حيضا والفوق المجاوز عن الشيء صغيرا كان او كبيرا واذا حمل على المجاوزة في الصغر فمعناه
ان الله لا يمتنع عن بيان الحق بضرب المثل بالبعوضة الذي هو نهاية في الصغر عندكم وما دونه في الصغر مما هو
في علم الله وقدرته وان لم يره احدكم بمشاهدته واذا حمل على المجاوزة في الكبر فقد قيل اي بالفيل الكبير فانهما
يتماثلان صورة هذا يطير وهذا يسير وهذا يالف وذاك ينفر وهذا يؤذيك ويستولي عليك وذاك تقهره
انت وتستولي عليه ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف الصغير وقدرتك على ذلك الكبير ومن الاعاجيب
ان هذا الضعيف اذا طار في وجهك ضاق به قلبك وتنغص عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك واعجب
منه جرأتك مع ضعفك على ما يورثك العار ويوردك النار فاذا كان جزعك هذا من البعوض في الدنيا فكيف
حالك اذا تسلطت عليك الحيات والعقارب في لظى وقيل فما فوقها اي العنكبوت والذباب فقد كان ذكرهما
قبل ذلك على ما ذكرنا وللعنكبوت خطر عظيم وامر جسيم فقد دفع الله تعالى به قصد الكفار عن النبي المختار
وصاحبه في الغار على ما عرف في الاخبار وقوله تعالى **فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم**
اما كلمة تفصيل ولا بد لها من جواب وجوابها بالفاء وهي اداة رافعة للاسماء الا اذا كان بعدها الفعل فهي
تنصب قال تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وتجيء مكررة قال الله تعالى فاما الذين امنوا
واما الذين كفروا وكذا في كل موضع والحق نقيض الباطل والحق الواجب والاستحقاق الاستيجاب والحق
الصدق في قوله تعالى ان وعد الله حق والحق الكائن في قوله وكان وعد ربي حقا والحق اخذ الحقوق في قوله تعالى
واتوا حقه يوم حصاده والحق الغاية في قوله حق تقاته وحق جهاده وحق قدره والحق العدل في قوله تعالى
فاحكم بين الناس بالحق والحق العذاب في قوله تعالى قل رب احكم بالحق والحق الحاجة في قوله تعالى ما لنا في بناتك
من حق واما التفسير فمعناه فاما الذين اعتقدوا بقلوبهم دين الحق واقروا بالسنتهم بذلك فيعلمون ان هذا
المثل حق من الله تعالى فيتفكرون في هذا المثل الحق ويوقنون ان الله خالق الكبير والصغير كل ذلك في قدرته
سواء كما ان الخلق عاجزون عن خلق الكبير والصغير كل ذلك في عجزهم سواء وقال القشيري واما من فتحت
ابصار سرائرهم فلا ينظرون الى الاغيار والاثار الا نظر اعتبار ولا يزدادون الا نفاذ الاستبصار واما الذين سكرت
ابصارهم بحكم الغفلة والاغفال فلا يزيدهم ضرب الامثال الا زيادة الجهل والاشكال وقوله فيعلمون
انه الحق من ربهم فمن عرف الحق فمن حقه القيام بحقه فيقول حقه واداء حقه بل حق عارف الحق كونه بالحق
والحق وكونه به ان لا يلحظ غيره وكونه له ان لا يستاكن غيره وكيف يصح النية لمن تفرقت له الصحبة وتقسمت
الخلائق والعلائق قلبه وقوله تعالى **واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا** هذا استفهام بمعنى الانكار ومعناه واما الذين اشركوا والذين هادوا فيقولون
اي شيء اراد الله بالضرب بالبعوض مثلا واي فائدة في هذا سفها منهم قال الزجاج في ماذا يجوز ان يكون ما
وذا وهذا اسما واحدا ويكون موضعهما نصبا ومعناه اي شيء اراد الله بهذا مثلا ويجوز ان يكون ذا بمعنى
الذي فيكون المعنى ما الذي اراد الله بهذا مثلا واي شيء الذي اراد الله بهذا مثلا ويكون ما رفعا بالابتداء
وذا خبر الابتداء والارادة المشيئة والرود الطلب والمراودة المطالبة والارتياد الطلب بتكلف والارادة
صفة الله تعالى ازلية قائمة بذاته وصف بها نفسه فقال فعال لما يريد وقال يفعل ما يريد وقوله تعالى يضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا فالكثير خلاف القليل وعدد كاثر اي كثير قال الشاعر وانما العزة للكاثر والمكاثرة
المغالبة بالكثرة والمكثور المغلوب به واما تفسيره فقد قيل هذا اخبار عن اليهود والمشركين او المنافقين
انهم قالوا يضل الله بالمثل كثيرا من الناس ويهدي الله بالمثل كثيرا من الناس وقيل هو اخبار من الله تعالى
وكذا قال الامام ابو منصور رحمه الله هذا جواب لقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا قال اراد ان يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا اضل من علم منه انه يختار الضلالة ويهدي به من علم انه يختار الهدى واراد من كل
ما علم منه انه يختار الهدى ايضا قال والاية تنقض على المعتزلة قولهم فانهم يقولون اراد ان يهتدي به الكل
لكن ضل بعضهم واهتدى بعضهم وقيل يضل به من استخف بالمثل ولم يعلم حكمة وهم الكافرون ويهدي به
من عرف وجه الحكمة وعلم فائدته وهم المؤمنون والاضلال خلق فعل الضلال وهو في حق من اختار الضلال

وكان يعد ما عرف الدلالة والهداية خلق فعل الهداية في حق من اختار صفة الاهتداء والمعتزلة حملوا ذلك
على تسميتهم ضالين وتسميتهم مهتدين واللغة لا تحتمل ذلك والدلائل السمعية والعقلية ترد ذلك وبالله العصمة
وقوله تعالى **وما يضل به الا الفاسقين** الفسق والفسوق الخروج عن الطاعة وفسقت الرطبة اي خرجت
من قشرها والفويسقة الفارة لخروجها من جحرها ثم هذا الكشف لحكم الاول فانه قال يضل به كثيرا ثم بين
من يضله به فقال وما يضل به الا الفاسقين اي وما يخذل الله بسبب ذكر هذا المثل الا الخارجين عن طاعته
والمستحقين به بوقوع فعل الاضلال عليه والجملة ان الهداية والاضلال من الله حقيقة والاهتداء والاضلال من العبد
حقيقة والجبرية لا يرون فعل العبد والمعتزلة لا يرون فعل الله وقد رددنا قول الفريقين قبل هذا ثم الهداية
في حق من اختاره قال تعالى ويهدي اليه من اناب والاضلال في حق من اختاره قال تعالى ويضل الله الظالمين
وقال تعالى وما يضل به الا الفاسقين والاضلال اذا اضيف الى الله تعالى فهو خلق الاضلال كقوله تعالى يضل به كثيرا
وقد يكون للابطال كقوله تعالى اضل اعمالهم واذا اضيف الى الشيطان فهو التزيين والوسوسة قال ولاضلنهم
وما اضيف الى فرعون ونحوه فهو الدعوة قال تعالى واضل فرعون قومه واذا اضيف الى الاصنام فهو التسبيب
قال تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس وقيل وما يضل به الا الفاسقين اي الذين لا ينظرون في اعاجيب هذا
المثل والحاصل ان السوأى للمسيئين والحسنى للمحسنين قال تعالى الا لعنة الله على الظالمين ان الله لا يصلح
عمل المفسدين وان الله لا يهدي كيد الخائنين كذلك نفعل بالمجرمين ان الله لا يحب المعتدين انه لا يحب المسرفين
ويل للمطففين فبئس مثوى المتكبرين وقال تعالى وهدى وبشرى للمسلمين وان الله مع المومنين وان الله يحب
المحسنين ان الله يجزي المتصدقين وبشر الصابرين وهو يتولى الصالحين ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين اعدت للمتقين وبشر المحسنين ان الله يحب المقسطين ونعم اجر العاملين وقوله تعالى **الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** هذا نعت للفاسقين ونقض البناء والحبل والعهد والعقد والزوجة
ازالة نظمها وضمها والنقض بالضم المنقوض والانتقاض قبول النقض ونقيض الشيء ضده ونقيضة
القصيدة جوابها وينقضون صيغة الاستقبال ومعناه ههنا الماضي والحال اي ان الله يخذل بذكر المثل
من فسق ونقض العهد الذي هو فاسق وناقض العهد الحال فاما العهد في اللغة فهو الميثاق وهو لاشياء اخر
ايضا ففي القران للتوحيد في قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا وللوعد الجنة في قوله تعالى فلن يخلف الله عهده
وللفرائض في قوله تعالى اوفوا بعهدي اي ادوا الي فرائضي وللجزاء الطاعات في قوله اوف بعهدكم وللوعد في قوله
ومن اوفى بعهده من الله وللامر الم اعهد اليكم يا بني ادم وللنذر ومنهم من عاهد الله وللميثاق في قوله تعالى ينقضون
عهد الله ولليمين في قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا وللامامة في قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وللثبات في قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وللزمان في قوله تعالى افطال عليكم العهد واما تفسيره فقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو اخذ ميثاق ذرية ادم حين اخرج الذرية كامثال الذر وقال لهم الست بربكم قالوا
بلى ونقض هذا العهد هو الجحود بعد الاقرار والتوثق بعد الاستقرار ومن حيث المعاملة فيه رؤية الاغيار مع
التفرد والتوحيد في الاقرار وقيل العهد هو حلف مشركي العرب حين خالطهم اليهود والنصارى وسفهوهم
بعبادة الاصنام المنحوتة والاصنام الموضوعة كما اخبر تعالى عنهم بقوله عز وعلا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اي اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير اي محمد ما زادهم الا نفورا فنقضهم
ميثاقهم هو النفور والكفر وابطال القسم المذكور وقيل هو ميثاق الله على اهل الكتاب قال تعالى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس اي بالقول ولا تكتمونه اي بالفعل ونقضهم ما قال فنبذوه وراء
ظهورهم اي كتموا صفة محمد عليه السلام وفسقوا ونقضوا العهد واشتروا به ثمنا قليلا اي عرض الدنيا فبئس
ما يشترون كتموا الحق لاجل العرض اليسير من الكرباس والشعير ووقعوا انفسهم بذلك في السعير وقيل هذا
الميثاق هو المذكور في قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة ونقضه ما ذكر
من قوله ثم توليتم من بعد ذلك وقيل هو المذكور في قوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الاية ونقضه
فيما ذكر ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقيل هو ما اودع الله فيهم من الالات التي يقع بها التمييز بين الحق والباطل
نحو العقل والسمع والبصر ونقض ميثاق الفطرة هو اعطاء الات التمييز والقدرة تعطيلها وترك استعمالها
في لوازمها وقيل العهد الاول هو ميثاق الذرية ثم جدد الله ميثاق كل امة بارسال رسولهم بكتاب وشريعة
ونقضهم هو خلافهم ما قبلوه وقيل هو ما اخذ على العلماء بقوله تعالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الاية ونقضهم
خلافهم ذلك وقيل كل من اسلم فقد قبل عهد الله في توحيده وعبادته والايتمار بامره والانزجار بزجره والثقة
بوعده والرضا بحكمه ونقضه الاعراض والاعتراض واختيار الاغراض وطلب الاعواض وقيل من العهد نذر العبد
اذا نزل به محذور ان لا يلازم التوبة ويجانب الشرور ونقضه العود الى ما الف الفساد ومراجعة التعاطي
العناد وقوله تعالى من بعد ميثاقه اي توثيقه والتوثيق المحكم وقد وثق وثاقة من حد شرف والتوثيق

والايثاق

والايثاق الاحكام والميثاق العهد المحكم والوثاق بفتح الواو وكسرها ما يحكم به الشيء والمراد من الميثاق في هذه الاية
هو المصدر المذكور على وزن المفعال دون نفس العهد فقد ذكر في قوله عهد الله والهاء التي في اخره يجوز ان تعود
الى العهد اي بعد توثيق ذلك العهد ويجوز ان تعود الى الله فقد ذكر قبله ومعناه بعد توثيق الله تعالى ذلك وقوله تعالى
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون هذه من صفات
الفاسقين الذين سبق ذكرهم اي هم المضيعون حق الله تعالى وحق خلقه كقطيعة ارحامهم والقطع في اللغة
الابانة والقطيعة الهجران وقطاع الطير خروجها من بلاد البرد الى بلاد الحر وقطوع النهر والوادي عبورهما
والامر بالشيء الدعاء الى تحصيله والامتثال بالامر والوصل نقيض الفصل والوصل ضد الهجران والوصلة
ما يقع به الوصل واما التفسير فقد قيل هو الايمان ببعض الانبياء والكفر ببعض وقد امروا بالايمان بالكل بقوله
امنوا بالله ورسله واخبر عن المومنين انهم قالوا لا نفرق بين احد من رسله وقيل هو قطيعة الرحم وقد امروا
بوصلها بقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وقيل هو تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وخلافه ومعاداته
مع انه من اولاد اسماعيل عليه السلام واهل الكتاب من اولاد اسحاق عليه السلام وبينهم قرابة بنوة العم قال الله تعالى
قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي الود بسبب القرابة التي بيني وبينكم من هذا الوجه وقيل هو
ما بينهم وبينهم فيهم كل العرب والعرب من اولاد اسماعيل وهم اولاد اسحق وبينهم هذه القرابة وهم بهذه المجانبة
والمحاربة قاطعون للارحام وقد امروا بوصلها وقوله ويفسدون في الارض هذا من صفات هؤلاء الفاسقين
وقد مر معنى الكلمة في قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقيل هو العمل بالمعاصي كما في قوله تعالى
اتجعل فيها من يفسد فيها وقيل هو اخذ اموال الناس ربا وبل اموالهم كما قال تعالى ان ياجوج وماجوج مفسدون
في الارض وقيل هو حمل الغير على الفساد ودعاؤه الى الفساد كما قيل واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض وقيل هو
صد الناس عن دين الله واتباع رسول الله وقيل هو كل ما يخالف الحق والرشاد قال الله تعالى والله لا يحب الفساد
وقوله اولئك هم الخاسرون اي هؤلاء المذكورون هم المنافقون الهالكون المغبونون فان المصدر منه الخسر
والخسار والخسران وكلها لثلاثة معان النقصان والهلاك والغبن قال تعالى ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا
وقال اكن من الخاسرين اي الهالكين وقال تعالى قد خسروا انفسهم اي غبنوا وقال الامام القشيري رحمه الله تعالى
من نقض العهد ان تجد سرك لحظة عن شهوده ومن قطع ما امرت بوصله ان تخلل اوقاتك نفس يحطك عن
القيام بحقه ومن افساده في الارض ساعة تجري عليك ولم يدم فيها على مشاهدته الا ان ذلك هو الخسران
المبين وقوله تعالى **كيف تكفرون بالله** كيف يستعمل لمعان للاستفهام المحض وهو سؤال عن الحال تقول
لصاحبك كيف انت وللشرط كيف تعاملني اعاملك يجزمهما وهو على الشرط والجزاء وللاياسة تقول لمن اراد
ان يحمل شيئا وعندك انه يعجز عنه كيف تحمله مع ضعفك وللعرض تقول لصاحبك كيف وانت وكسوة فاخرة
اي هل تريدها وللانكار كيف تخوض نفسك وقد وافاك والنفي بمنزلة ما ولا كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين
عهد اي ما يكون ولا يكون بدليل انه استثنى عنه فقال الا الذين ولما كيد ما قبله وتحقيق ما بعده قال تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة فكيف في الاخرة وبمعنى لم كما في قوله كيف وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة اي لم يرقبوا ثلوكم وللتعجب كما في قوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب
اي تعجب يا محمد فانه موضع التعجب والتعجيب وهو حمل الناس على التعجب كما في هذه الاية كيف تكفرون بالله
واختلف اهل التفسير فيه فقال بعضهم اي لم تكفرون بالله وهو خلقكم وقيل اي كيف استجزتم من انفسكم
الكفر بالله وهو خالقكم وقيل اي عجب كيف تكفرون بالله خالقكم وقيل هو انكار وقيل هو توبيخ وقوله تعالى
وكنتم امواتا فاحياكم ذكرنا الموت في تفسير قوله حذر الموت والاحياء اثبات الحيوة وانتظام هذا بما قبله
انه قال واما الذين كفروا ثم وبخهم فقال كيف تستجيزون من انفسكم ان تكفروا بالله وهو الذي اوجدكم بعد
عدمكم وكنتم امواتا اي نطفا اجزاؤها متساوية فاحياكم اي جعلكم احياء فجعل بعض اجزاء النطفة عظاما وبعضها
لحما وبعضها عصبا وبعضها عروقا وبعضها مخا وبعضها جلدا وبعضها شعرا وجعلك تنطق بلحم وتبصر
بشحم وتسمع بعظم وتعرف بدم وابطشك وامشاك وايدك وقواك وجعلك تستولي على طيور الهواء
وحيتان الماء ووحوش الصحراء ثم يميتكم فيجعلكم رفاتا كما كنتم امواتا ويجوز ان يكون الخطاب المثلين
وعتابهم على وجه اخر كيف تكفرون نعم الله تعالى عليكم وتسترون اياديه اليكم وكنتم امواتا بالكفر فاحياكم بالايمان
وكنتم امواتا بالجهل فاحياكم بالعلم وكنتم امواتا بالرغبة فاحياكم بالرهبة وكنتم امواتا بالشك فاحياكم باليقين
وكنتم امواتا بالاختلاف فاحياكم بالائتلاف وقال بعض البغداديين وكنتم امواتا بحياة انفسكم فاحياكم
بامانتها قال ابن عطاء وكنتم امواتا بالظواهر فاحياكم بالسرائر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكنتم امواتا
بشواهدكم فاحياكم بمشاهدته وقال الواسطي وكنتم امواتا بكم فاحياكم به ثم تفسير ظاهر الاية على نظمها كنتم
نطفا لا حياة فيها فاحياكم صوركم احياء قادرين عالمين ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم في القبر للسؤال

والجواب وتمهيد الثواب والعقاب ثم يبعثكم يوم القيمة للجزاء على الاعمال فريقا في السلاسل والاغلال وفريقا
للارايك والظلال واما على الحقيقة فعلى ثلاث مراتب اشار اليها الامام القشيري رحمه الله اولاها وكنتم امواتا بجهلكم
عنه ثم احياكم بمعرفته به ثم يميتكم عن شواهدكم ثم يحييكم به ثم اليه ترجعون بحفظ احكام الشرائع ومراعاة
الحقائق والثانية وكنتم امواتا ببقاء نفوسكم فاحياكم بفناء نفوسكم ثم يميتكم عن شهود ذلك كيلا تلاحظوه فيفسد
عليكم ثم يحييكم باخذكم عنه ثم اليه ترجعون ليقلبكم في قبضته والثالثة هذا تقليب احوالهم مدة حياتهم في دنياهم
كانوا امواتا بذواتهم في الاصل فاحياهم بما اقام فيهم ثم اماتهم عن رؤية البقاء فافناهم ثم انشأهم وابقاهم ثم جعل
الله في كل الاحوال مرجعهم ومنتهاهم اليه فهم ابدا بين نفي واثبات واماتة واحياء وبقاء وفناء وصحو ومحو
فمن المحال كفر العبد وكفرانه مع هذه الاحوال وقوله تعالى **ثم يميتكم** اي في الدنيا عند انقضاء آجالكم **ثم
يحييكم** قيل اي يوم القيمة للحساب والجزاء على اعمالكم وقال السدي ثم يحييكم في القبر **ثم اليه ترجعون**
في الاخرة فان ثم للتعقيب على سبيل التراخي فدل على انه لم يرد به حياة البعث فان الحيوة يومئذ يقارنها
الرجوع الى الله تعالى بالحساب والجزاء وانه يتصل به من غير تراخ ودلت الآية على اثبات عذاب القبر وراحة القبر وفي
القران آيات تدل على ذلك حكي عن ابراهيم بن جعفر انه قال ختمت القران سبعمائة مرة مع تفكر وتدبر حتى
استنبطت ثلاث آيات في اثبات ذلك احدها قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين يعني الى الموت ثم قال
تعالى فيها تحيون اي في القبر لانه في الارض والحيوة بعد الموت انما تكون في القبر وفيها تموتون بعد هذه الحيوة
في القبر ومنها تخرجون اي من القبر بالبعث والثانية قوله تعالى يحييكم وهذا خطاب الاحياء فينصرف ذلك
الى احيائهم بعد موتهم لان احياء الحي لا يتصور ثم قال يميتكم اي بعد هذه الحيوة ثم يجمعكم الى يوم القيمة اي يبعثكم
للجزاء والثالث هذه الآية وكنتم امواتا اي في ارحام امهاتكم فاحياكم ثم يميتكم في الدنيا ثم يحييكم في القبر
ثم اليه ترجعون بالبعث يوم القيمة ومنها قوله اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب بغير تراخ ومنها قوله تعالى
يعرضون عليها غدوا وعشيا ثم قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي الجحيم ومنها
قوله سنعذبهم مرتين اي مرة في الدنيا بهتك الستر ومرة في القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ومنها قوله
تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك يعني في القبر ومنها قوله تعالى في حق الشهداء احياء عند ربهم يرزقون
ومنها قوله تعالى يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ومنها قوله تعالى فان له معيشة ضنكا
روى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسره بعذاب القبر وقوله تعالى ثم اليه
ترجعون ثم يجيء على سبعة اوجه للترتيب في التراخي كما في هذه الآية والثاني بمعنى الواو كما في قوله ثم الله شهيد
اي والله والثالث بمعنى مع ذلك كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا والرابع للترتيب في الذكر لا في الوجود
كما في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم والخامس للتعذيب كما في قوله فانهم لآكلون منها الى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم
والسادس للابتداء كما في قوله ثم اورثنا الكتاب والسابع للتعجب كما في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
وقوله ترجعون قراءة عامة القراء بضم التاء وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء وهو اخبار عن رجوعهم والاول
اخبار ان الله يفعل بهم ذلك فيرجعهم الى نفسه وهو كقوله ثم ردوا الى الله وقوله تعالى اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا
وقوله تعالى **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** هو الهاء وحدها في الاصل والواو لاشباع الضمة وهي كلمة اشارة
ودلالة على ما سبق ذكره او تقدم عهده وهي ههنا دلالة راجعة الى ما ذكر في الآية التي قبلها كيف تكفرون بالله
وهو الذي خلقكم وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فانظروا في تخليقه اياكم الى قدرته وانظروا في تخليق ما في
الارض لاجلكم الى نعمته فلا تستجيزوا جحود ربوبيته والتقصير في خدمته والاعراض عن عبادته والثاني انه خطاب
المؤمنين ووجه نظمها انه وبخ الكافرين ثم لاطف المؤمنين فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فانتم الاصول
في نعم الدنيا وانتم المختصون بنعم العقبى لكم ما في الدنيا بطريق الاصالة وللكفار بطريق التبعية ولكم نعم الاخرة
دون الكفار بطريق الخصوصية قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي
للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة اي بدون الكفار فلا يناولون شربة مما في الجنة قال تعالى خبرا عنهم
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
واما التفسير فقد قيل هو الذي خلق لكم اي قدر ان يكون وقتا بعد وقت فانه واقع على كل ما كان في الدنيا وما يكون
وقد ذكر بصيغة الماضي فكان واقعا على التقدير دون الايجاد ثم ان اهل الاباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام
في قوله لكم على الاطلاق والاباحة على الاطلاق وقالوا لا حجر ولا حظر ولا نهي ولا امر واذا تحققت المعرفة وتأكدت
المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم
كفر صراح وخروج من الايمان بافتضاح فقد نهى الله تعالى وامر واباح وحظر ووعد واوعد وبشر وهدد والنصوص
ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الآية على الاباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية فالمحمل الصحيح
ما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خلق لنفعكم ومصالحكم وشرحه ان جميع ما في الارض لرفع حوائجكم وقوام معايشكم

فلا بقاء عادة البشر الا بالطعام والشراب ودفع الحر والبرد بالاكنان والاثواب وقد هيأ ذلك كله لهم لكم وفيها
ايضا زوائد على الضروريات من تناول الطيبات والتجمل بانواع الزينات والتقلب في وجوه اللذات والاستراحة
بانواع الراحات فالسماء سقفكم والشمس سراجكم والقمر نوركم والنجوم هداتكم والريح روحكم والغيث غياثكم والثلج
تلجكم والسحاب ظلالكم والارض بساطكم والبحار والانهار سقاؤكم والحبوب والثمار ارزاقكم والاوراد والرياحين
طيبكم والرياض والحدائق متنزهاتكم والادوية علاجكم والثياب النفيسة ملابسكم والجواهر حليكم والحوم الطيبة
مآكلكم والانعام والسفن مراكبكم ثم انكم تملكون ما كان من جنس الصور كالحطب والحشيش وثمار الجبال والبراري
التي هي غير مملوكة بنفس الاستيلاء وما في ايدي الملاك بالعقود المشروعة الصحيحة وتنتفعون بالاعيان المملوكة
للاغيار بالاعارة والاجارة والاباحة فيما شرع فيه ذلك وتنتفعون بالكل بالنظر اليها وتشم رياحها والاستظلال
باظلالها والسلوك في طرقها والتلذذ بالاستماع طيب اصواتها فيما ليس فيه ارتكاب محرم واجتلاب مأثم والوصول
الى ملاذ الانكحة بملك النكاح وملك اليمين واما الحيوانات الضارة المؤذية والاعيان النجسة الخبيثة ففيها
تذكير عقوبات الجحيم ومعرفة النعم في اضدادها وهو نفع عظيم واعظم ذلك كله نفع الاستدلال بها على وحدانيته
تعالى قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فالبناء دليل على الباني والخط على
الكاتب والصناعة على الصانع والمصنوع على الصانع واما اهل الحقيقة فقد قالوا فيه اقاويل قال بعضهم معناه
خلق لكم ما في الارض لتتقووا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته وقيل خلق لكم ذلك لتعدوا نعمة الله عليكم
فتقتضوا من انفسكم طلبا للمزيد على ما لديكم وقال ابن عطاء خلق لكم ما في الارض ليكون الكون كله لك وتكون انت
لله تعالى ولا تشتغل بما لك عما انت له وقال الامام القشيري سخر لكم جميع المخلوقات على معنى حصول الانتفاع
بكل شيء منها فعلى الارض تستقرون وتحت السماء تسكنون وبكل مخلوق بوجه آخر تنتفعون بل ما من عين واثر
تنظر فيه الا وكمال قدرته وظهور ربوبيته به تعرفون وقوله تعالى **ثم استوى الى السماء** استوى
في اللغة لثلاثة اشياء استوى الرجل انتهى شبابه واستوى بعد ما اعوج اي استقام وفعلت كذا ثم استويت
الى سقفه اي اقبلت وفي القران ورد لاشياء لبلوغ الانسان غايته ولما بلغ اشده واستوى وللتساوي لا يستوي
الخبيث والطيب والجلوس فاذا استويت انت ومن معك على الفلك والركوب لتستووا على ظهوره والقيام فاستوى
واختلف اهل الاصول في الافعال والاعيان وقد ورد السمع انها على الحظر او على الاباحة او الوقف وكل ذلك
في حق من يصح تكليفه من البشر دون غيرهم وفي الافعال الاختيارية دون ما يقع بالطبيعة والجواهر ولا يدخل
ذلك في التكليف اما الافعال فعند الاشعرية لا حظر ولا اباحة ولا وجوب قبل ورود الشرع فالحظر والوجوب
بالامر والاباحة بالاطلاق وقبل ذلك كله عدم ومن نسب الى الاشعرية التوقف في ذلك كله فهو خطأ لان القول
بالتوقف قول بوجوب الاعتقاد التوقف وهم لا يرون الوجوب بدون السمع وقال جماعة من فقهاء اهل الحديث
ومتكلميهم وبعض المعتزلة والامامية انها على الحظر لانه يتناول في ملك الغير والتصرف فيه من غير اذن صاحب الحق
وقالت المعتزلة من المتكلمين والفقهاء العراقيون ابو الحسن الكرخي وابو بكر الرازي وغيرهما على الاباحة لهذه الآية
ولقوله رزقا وسخر لكم وهذا لان الاشياء لما خلقت والمكلفين كان مطلقا لهم الانتفاع بها الا ان يرد دليل السمع بالحظر
ولانها خلقت منتفعا بها ولا ينتفع بها الخالق فلو لم ينتفع بها الخلق لم يكن في ايجادها فائدة وحكمة وقال اهل الحق
وهم اهل السنة والجماعة فما عرف ان له عاقبة حميدة ثبت حسنه وما عرف ان ليس له عاقبة حميدة ثبت قبحه
فيثبت الوجوب والحظر وما لا وقوف للعقل عليه فلا معنى القول فيها بالحظر والاباحة بل يمكنه ان يكون له عاقبة
حميدة ويمكن خلافه فلا وجه للقول بشيء محكما بلا دليل وليس هذا بتوقف منا كما قالت الاشعرية بل عندهم
لا حكم لها اصلا وعندنا هي ممكنة ان يكون كذا وكذا ويظهر بورود السمع واما الاعيان فما يتصور فيه الاكل
والشرب ينقسم ثلاثة اقسام منها ما هو غذاء ومنها ما هو دواء ومنها ما هو سم قاتل ولا يعرف ذلك بالحس والعقل
فلا بد من ورود السمع به ولا يجوز الاقدام بنفسه على تجربته لما فيه من خوف الهلاك وبيان هذه الاصول
في كتب الكلام وهذا القدر كاف ههنا قوله تعالى **ثم استوى الى السماء** استوى في اللغة لثلاثة اشياء استوى
الرجل انتهى شبابه واستوى بعد ما اعوج اي استقام وفعلت كذا ثم استويت الى سقفه اي اقبلت وفي القران
ورد لاشياء لبلوغ الانسان غايته ولما بلغ اشده واستوى وللتساوي لا يستوي الخبيث والطيب والجلوس
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك والركوب لتستووا على ظهوره والقيام فاستوى على سوقه والاستقرار
واستوت على الجودي وقد ورد للاستيلاء في قول الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق
وعلى هذا حمل بعض اهل العلم قوله ثم استوى على العرش وقال معناه استولى اي هو مالك الملك ومالك الملوك
في الازل والابد لا بحدوث ملك وتجدد ولاية وهو كما يذكر في صفات الله تعالى انه فعل كذا ويفعل كذا
ليس ذلك في انقضاء ما كان في الماضي ولا بحدوث ما يكون في المستقبل بل هو وصف ازلي ابدي وصيغة الماضي
والحال والمستقبل لظهور المخلوق المفعول في زمان مخصوص ويذكر استوى ايضا للصعود والاقبال

وقد ورد عن بعض اهل التفسير فى هذه الاية ثم استوى الى السما اى صعد وعن بعضهم اى اقبل والمشبهة
يجرون هذه المتشابهات على ظواهرها ويجوزون على الله تعالى ذلك والله تعالى منزه عنه قال تعالى ليس كمثله
شى وهو السميع البصير واهل الحق يؤولون ذلك كله على موافقة الاصول فاما تاويل هذه الاية على قول من
فسره بالصعود ان قوله استوى اى صعد الدخان فقد قال هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فكان فى الارض
دخان فصعد ذلك فخلقه الله سما كما قال ثم استوى الى السما وهى دخان وتاويلها على قول من فسر ذلك بالاقبال انه
استعارة لطيفة فان من رتب فعلين وهو من المخلوقين يقال انه فعل كذا ثم اقبل على كذا اى اكمل الاول ثم
حقق ارادة الثانى فقرر الله تعالى هذا فى انه اتم الخلق انه اكمل خلق الارض ثم رتب عليه خلق السما ولا يفهم
من هذا ما يفهم من ترتيب فعل البشر ان الاول يقتضى ثم الثانى بل معناه ما قلنا ان فعل الله تعالى ازلى ابدى
لكن ترتب ذكر الاشيا الترتب ظهور الاثار فى الاعيان هذان تاويلان خارجان على تفسير السلف بالصعود
والاقبال وتاويل اخر ان فيه تقديما وتاخيرا هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا الى السما اى خلق ذلك كله
ثم استوى اى انتظم ذلك كله وتم وتاويل اخر ان الاستوا فى الاية مذكور من الله تعالى والمراد منه الاستوا من الاسما
على القلب كما فى قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا اى كيف يكلمنا هو وفى قولهم فانهم عدو لى اى انا
عدو لهم وانهم عدو لى ودلت الاية على خلق الارض قبل السما وفيه اقاويل ثلاثة قيل خلقهما معا بدليل قوله
فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال قتادة والسدى خلق السما اولا ثم الارض
بدليل قوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا اعجب فى القدرة وهو اظهار السقف قبل الاساس فاما قوله ثم
استوى الى السما وهى دخان فثم لترتيب الاخبار عنه لا لترتيب الوجود كما فى قوله خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون الحق وقال ابن عباس ومجاهد خلق الارض اولا ثم السما بدليل هذه الاية ثم استوى الى السما فاما قوله
والارض بعد ذلك دحاها فمعناه مع ذلك كما فى قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى مع الايمان ولانه قال
بعد ذلك دحاها ولم يقل خلقها ودحاها اى بسطها وبه نقول انه خلق الارض ثم السموات ثم بسط الارضين
وهو اقرب الى الحكمة تمهيد الاساس ثم رفع البنا ثم بسط الاساس وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما خلق الله
جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشرة الاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت
ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الما فجعل الزبد ارضا والدخان سما قالوا فالسما من دخان
خلقت وبريح ارتفعت وباشارة تفرقت وبلا عماد قامت وبنفخة انكسرت وقوله تعالى فسوّاهن سبع سموات
ذكر هذه الكناية على الجمع دليل ان المراد بالسما السموات وهى جمع والواحدة سماة ومعنى سواهن قومهن اى جعلهن
مستويات محكمات وقوله سبع سموات مفعول ثان لسواهن وقد قال سلمان هى سبع اسم الاولى رقيعا وهى من زمردة
خضرا واسم الثانية ارقلون وهى من فضة بيضا والثالثة قيدوم وهى من ياقوتة حمرا والرابعة ماعون
وهى من درة بيضا والخامسة دبقا وهى من ذهبة حمرا والسادسة دفنا وهى من ياقوتة صفرا والسابعة
عربيا وهى من نور يتلالا وقوله تعالى وهو بكل شى عليم كل كلمة احاطة واشتمال اى وهو عالم بكل شى والبا
تتخل صلة فى العلم تاكيدا ويصح بدونها وصفا ومعناه انه عالم بخلق الارضين والسموات وغيرهما من الذوات
والصفات وقوله تعالى واذ قال ربك انتظام هذه القصة بما قبلها من وجوه احدها انه اخبر عن خلق السموات
والارض ثم اخبر انه خلق بعدهما البشر وابوهم ادم واخبر الملائكة قبل خلقه انه يخلقه ويستخلفه والثانى انه
قال خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم خلقكم فهيا اسبابكم ثم اخرجكم وفيه تفريغ قلوبكم وتفريج كروبكم والثالث
كيف تكفرون بالله وقد خلقكم وخلق الاشيا لكم وانعم على ابيكم بما ذكر فى تمام القصة وذكر النعم على الاسلاف
استبدا الشكر على الخالفين كما عد نعم بنى اسرائيل على اولادهم فقال يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم الى اخر القصص وكذلك ذكر تلك القصص بعد هذه القصة لتقاربها وبدا القصة بقوله عز وعلا
واذ قال ربك للملائكة والواو للاستيناف واصله للعطف وهذا عطف جملة على جملة واذ كلمة ظرف الزمان
الماضى وقد يجى لغيره وقد قالوا انه يجى على خمسة اوجه احدها الماضى كما فى قوله واذ قلتم يا موسى والحال
فى الماضى كما قال اذ يلقون اقلامهم والحال كما قال نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى
والمستقبل المحض واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس وللزيادة والتاكيد كما فى اوايل القصص
واذ قلنا للملائكة ونحوه عند بعضهم وهو قول ابى عبيدة وخالفه سائر اهل اللغة وقالوا هو للتوقيت وله وجهان
احدهما واذكر يا محمد حين قالت الملائكة هذا والثانى فى خلقكم حين انه خلق السموات والارض وحين قال للملائكة
كذا وربك خطاب النبى محمد عليه السلام وقوله تعالى للملائكة هو جمع الملك واصل الملك المالك من الالوك
وهو الرسالة قال لبيد • وغلام ارسلته امه • بالوك فبذلنا ما سال • والملائكة رسل الله تعالى قال تعالى جاعل الملائكة
رسلا والمالك قلب فقد قيل ملك وجمع على الملائكة والمستعمل فى الواحد ملك بفتح الهمزة تخفيفا ثم الملائكة
فى القران على ثلاثة اوجه للواحد كما فى قوله فنادته الملائكة وهو قائم اى جبريل صلوات الله عليه ولطائفة مخصوصة

كما فى قوله تتنزل عليهم الملائكة وللاستيعاب كما فى قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وقوله تعالى كل امن
بالله وملائكته واما التفسير فقد قيل كان هذا خطابا للملائكة السما وقيل كان هذا خطابا للملائكة السما
وقيل كان هذا خطابا لملائكة الارض وقيل كان خطابا للكل ولذا اختلفوا فى قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم وقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ان كلمة تاكيد والياء للاضافة الى نفس المتكلم وقوله جاعل
ذكروا التفصيل فى الكلمة من وجوه منها الخلق ومنها التصيير وبكل واحد منهما ههنا ورد التفسير فقيل معناه
انى خالق اى ساخلق وقيل اى مول وناصب والاول للاحداث والثانى للتصيير والكلمة تحتملهما والتنوين
فى قوله جاعل مع النصب فى قوله خليفة دلالة الفعل وذلك الفعل هو الواقع على قوله خليفة وهو خلاف
ترك التنوين والذكر على وجه الاضافة ذلك دليل وجود الفعل قبل الاخبار فقولك انى ضارب زيد على
الاضافة اخبار منك انك ضربته وقولك ضارب زيدا بالتنوين اخبار انك تريد ضربه وعن هذا قال
اهل اللغة من قال لاخر انا ذابح شاتك بالاضافة ضمن له قيمة شاة وسقط لا وزر له باتلاف شاته من قبل
ولو قال انا ذابح شاتك بالتنوين والنصب فى الشاة لم يضمن له شيا لانه يخوفه انه يريد ذبح شاته من بعد
وعلى هذا ظهر لك ان قوله جاعل الملائكة رسلا وقوله جاعل الليل سكنا وقوله انى جاعلك للناس اماما اثبات
امور كائنة وقوله انى جاعل فى الارض خليفة اخبار عن امر سيكون وكذا قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا فاما الايات التى تقرا فيها على الوجهين فالدلالة على الامرين قال الله تعالى والله متم نوره فى بهما
فالاضافة دليل تحقيق الاتمام لحقيقة الاسلام والتنوين وعد بالاتمام والاكمال لظهور الاسلام وقال على
كاشفات ضره هل هن ممسكات رحمته وقال ان الله بالغ امره فالاضافة للحال والتنوين للاستقبال
وقوله خليفة هو فعيلة من خلفه يخلفه خلوفا اى جاء بعده يقوم مقامه ويسكن مسكنه قال الله تعالى هو الذى
جعلكم خلائف واذكروا اذ جعلكم خلفا وهو قياس الشريف والشرفا وجمع الخليفة والخلائف وهو قياس الخليفة
والخلائف والهاء للمبالغة لا للتانيث كما يقال علامة ونسابة وراوية والخليفة ايضا هو المنصوب للمامور
لتنفيذ الامور وقال تعالى انا جعلناك فى الارض خليفة واختلف فى تفسيره ههنا قال ابن عباس رضى الله عنهما
هذا للعموم والمراد به ادم واولاده وسموا به لانهم خلفوا الملائكة والجن بنى الجان فى سكنى الارض ودل الدليل
استفهام قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ولا شك انهم ارادوا بذلك اولاده دونه
قال القفال قال الحسن البصرى رحمه الله هم اولاد ادم دون ادم وسموا به لانهم يخلفون ادم ويخلف بعضهم
بعضا والملائكة والجن بنو الجان لم يخلف بعضهم بعضا بل جاؤا جملة وذهبوا جملة وقال السدى اراد به ادم
وحده وهو للخصوص ثم اختلفوا فى تسميته خليفة قال ابن مسعود رضى الله عنه خلافته الحكم بين الخلق
وتبليغ الوحى وبيان الامر والنهى وذكر الوعد والوعيد وقال بعضهم خلافته وخلافة اولاده فى انبات الاشجار
واستخراج الثمار وشق الانهار وقالوا ان الله تعالى خلق العرش والكرسى واللوح والقلم وسدرة المنتهى وجنة
المأوى ولم يخبر عن خلقها قبل كونها وخص بذلك ادم واولاده لانه شرفهم وكرمهم وفضلهم وقدمهم وما فعل
ذلك الكون اصلهم ازين ولا الكون فعلهم احسن لكن متانة وفضلا وكرما وطولا وقد قال القائل • وكم ابصرت
حسن منك لكن • عليك من الورى وقع اختيارى • وقوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون قيل هذه الف الاستفهام وهو استفهام محض
اى اتجعل فيها من يفسد ام من يصلح فيها ام من يسفك الدما اجراءه ام من يسفح الدموع خشية ويجوز حذف الشى
اذا دل المبنى على الملقى كما فى قوله سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد وقيل هو سؤال الحكمة اى اى حكمة فى خلق من
يفسد ويسفك وقيل هو للاثبات كما فى قوله تعالى الرياض اى قد اتى قال الشاعر • الستم خير من ركب المطايا •
• واندى العالمين بطون راح • فان قالوا لم استخلف الله خليفة فى الارض لا فى السما قلنا لانه علم انه يكون
فى الارض باغى وتظالم فجعل فيهم من يمنعهم من ذلك ولم يكن فى السما ذلك فلم يجعل فيهم خليفة فان قالوا انما
يستخلف من غاب وعجز والله منزه عن ذلك قلنا بلى لا يغيب عنه شى وهو لا يغيب عن شى لكن الامر غيب وليس كل
عبد يطلع على الغيب فخص الانبيا بذلك ونصب ادم خليفة ونبيا ليبلغهم ذلك ولا عجز ايضا لكن العباد يعجزون
عن الوقوف على حقوق الله تعالى فجا بالخليفة ليبينها لهم فان قالوا كيف علم الملائكة ان من اولاد ادم من يكون
كذلك ولم تكلموا بهذا الكلام قيل لانهم راوا الجن بنى الجان قد افسدوا فيها وسفكوا الدما ولهم شهوة ونهمة
وتوالد وتناسل والملائكة لم يكن لهم ذلك فلم يكن منهم ذلك فقاسوا ادم واولاده ولهم تناسل وتوالد وشهوات
انهم يكونون كذلك ولكن هذا اعتبر واضح لان سكنى ساكنى دار وافسادهم فيها لا يدل على فساد اذ ذهب وجاء غيره
عمل عمله ولهذا لم تفسد الملائكة الذين جاؤا بعدهم والجواب الصحيح ما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن
وابن جريج ومحمد بن اسحق ان الله اخبرهم بذلك واذن لهم فى السؤال بدليل انهم قالوا بعد ذلك لا علم لنا الا
ما علمتنا ثم هذا الكلام منهم بعد العلم لم يكن طعنا فيهم ولا اعتراضا على الله بل له وجوه صحيحة احدها انه

التعجب كما في قوله تعالى اتدعون بعلا وهو من وجهين احدهما التعجب من استخلاف الله تعالى اياهم مع علمه بحالهم والثاني
التعجب من افسادهم وسفكهم مع كثرة نعم الله عليهم واخرانه سؤال الحكمة لا الاعتراض على الحكم قال الله تعالى
لا يسبقونه بالقول وسؤال الحكمة جائز لان العبد ان لم يسأل من الله تعالى فمن يسأل لانه الله تعالى خبرا عن ضعفاء
الصحابة رضي الله عنهم انهم قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ولم ينكر عليهم لكن اجابهم
فقال قل متاع الدنيا قليل اي امرتكم بالقتال ليحصل لكم الثواب الكثير وقال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت
اي ان قاتلتم او لم تقاتلوا والموت في الشهادة خير فاجعلوا الحيوة الفانية باقية والمتاع القليل كثيرا ٥
وقوله تعالى من يفسد من ههنا للجمع كما في قوله تعالى من يقول امنا بالله ويفسد من تفسير وقيل اراد ههنا الكفرة اي
يكفرون بك ويسفكون دما خلقتك فذكروا جنايتهم في حق الله تعالى بالكفر وجنايتهم على الخلق بالقتل وبما اعظم
ما يتصور من الجناية في حق الحق وحق الخلق ويدل عليه انهم ذكروا من انفسهم بمقابلتهما شيئين التسبيح
بحمد الله والتقديس لله فالتسبيح تنزيه مولاهم عن وصفه بصفات العلي هو التطهير لانفسهم وتطهير العالم
عن كل فعل لا يرتضى وقيل المراد بهذا الفساد العمل بكل المعاصي دخلت ثم عطف سفك الدما على الافساد
مع ان كل المعاصي دخلت في الافساد لتعظيم حاله وتكثير ماله كعطف قوله ومنك ومن نوح على قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم لعلو درجتهما وعظم مرتبتهما وقوله تعالى فيها اي في الارض وقوله ويسفك الدماء السفك
الصب في الدم خاصة عند بعض اهل اللغة وفي حق الدمع ايضا عند بعضهم والدم اصله الدمي بالياء وحذف
تخفيفا لكثرة الاستعمال ولهذا يعود في التصغير ويظهر في الفعل دمي يدمي وادماه غيره ودماه وجمعه الدماء
والدمي الغزيل لاشتراك الشديد الحمرة يشبه لونه لون الدم والشجة الدامية التي تدمي ولا تسيل ويسفك
فعل واحد ومعناه الجمع كما في يفسد والالف واللام في الدما بدل الاضافة اي دماء الناس كما في قوله يستمعون القول
اي قول الله تعالى والمراد من سفك الدما هو سفكها بغير حق لان سفكها قصاصا وحدا بالمحاربين غير مذموم
وهم ارادوا السفك المذموم فقد عطفوا على الافساد فيقيد المطلق به دلالة ثم هؤلاء وصفوهم بالفساد
وسفك الدما والله تعالى وصفهم بالصلاح وسفح الدموع قال تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقال تعالى ترى اعينهم تفيض
من الدمع والملائكة قالوا اصدقنا فقد اخبروا بذلك والله تعالى يقول ومن اصدق من الله قيلا وكانه يقول فيهم هذا
وفيهم هذا لكن الفساد عارض وهو العصيان والصلاح دائم وهو الايمان وقد قال مخلوق لمخلوق * واذا الحبيب
اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع * وقال اخر * فان يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعاله اللاتي سررن
الوف * وقال اخر * ما حطك الواشون عن رتبة * عندي ولا ضرك مغتاب * كانهم اثنوا ولم يعلموا * عليك
عندي بالذي عابوا * وقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك التسبيح تنزيه الله تعالى من كل سوء سبحان من كذا
اي ما ابعده وقال الشاعر * اقول لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر * ويقال هو كلمة تعجب ومعنى هذا البيت
اي عجبا منه وقوله تعالى كان من المسبحين اي المصلين فسبحان الله اي صلوا لله والسبحة النافلة واما التفسير
فقد قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم معناه ونحن نصلي بامرك وقيل اي ننزهك عن الصاحبة والاولاد
والاضداد والانداد وعن الصفات التي لا تليق بك وقوله بحمدك روينا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله
عنهم ان معناه بامرك وحقيقته بحمدك اي بامرك المحمود مصدر اريد به المفعول كقولهم هذا ضرب الامير اي مضروبه
قال الثعلبي قال بعضهم اي نصلي لك بفاتحة الكتاب فقوله بحمدك هذا اسم هذه السورة واضيفت الى الله تعالى
لانها وحيه وكلامه وقال مجاهد اي نعظمك بالحمد لك على نعمك وتحقيق قولهم نسبح بحمدك اي نقول سبحانك
اللهم وبحمدك وهو تنزيه عن الصفات المذمومة وحمد على الصفات الحميدة وقال المفضل اي نرفع اصواتنا
بذكرك قال جرير * قبح الاله وجوه تغلب كلما * سبح الحجيج وكبروا اهلالا * وقال الثعلبي اي نسبحك ونقدس لك
وذلك بحمدك اي لك الحمد على توفيقك فانه بك لا بنا وهو تعريض بمذهب اهل السنة والجماعة وهو رؤية الفعل من
نفسه والعون من ربه وقوله ونقدس لك التقديس التطهير والارض المقدسة والقادسية ماخوذ منه والقدس
والقدس البركة ايضا وفي الخبر قدس على القدس كذا من الانبيا واما التفسير ههنا فمعناه عند بعضهم نطهرك
عما لا يليق بك واللام صلة وقيل بل معناه نطهر قلوبنا من الشرك وانفسنا من المعصية لك اي لاجلك وقيل اي
نطهرها عما لك من الخلل والزلل والعجب والريا فان حمل على الاول اي التطهير وقد ذكر ذلك في التسبيح
فالتكرار للتاكيد كما في قوله عليما خبيرا ولان التسبيح نفي ما لا يليق به والتقديس اثبات ما يليق به وان حمل
على الثاني فلا تكرار لان الاول تنزيه الله تعالى والثاني تطهير انفسهم لله ثم مجموع كلام هؤلاء ثلاثة اشيا احدها
التوحيد وهو في قولهم نسبح والثاني السنة وهو في قولهم بحمدك فانه رؤية الفعل من انفسهم والفضل من ربهم
والثالث الطاعة وهي في قولهم ونقدس لك فانه تطهير الانفس من الذنوب والاعمال من العيوب وهو اخلاص
الطاعة لله وهو تنبيه لكل مسلم وتحريض له على تمام هذه الخلال ليبلغ محل الكلام وقد ذكر كثير من المجازفين
في هذا الموضع اشياء لا يجوز اعتقادها قالوا انهم حسدوا بني ادم وعابوهم ومدحوا انفسهم فعوقبوا بالامر بالسجود

لادم وبالحمل لاولاده في الدنيا وخدمتهم في العقبى وهذه مقالات شنيعة وذم للمقدسين الذين مدحهم الله تعالى
في ايات بل عباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وغير ذلك واما قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فليس باستكبار وكراهة بل هو سؤال الحكمة ووصفهم
انفسهم بالتسبيح والتقديس وليس بنظر الى عبادتهم بل اعتراف بعبوديته وامرهم بالسجود لادم ترتيب لادم
لا تحقير لهم وكذا امرهم بالحمل لبني ادم في كتبة الاعمال ومراقبة الاحوال وايصال الارزاق وحفظهم في الافاق
ايثار لهم في عظائم الامور وامرهم بزيارتهم في الجنة اكرام للاضياف بقيام الاعزة عليهم في تلك المنازل والغرف
وقوله اني اعلم ما لا تعلمون ثم بين لهم في الحال وجه الحكمة ولا كشف لهم عن الحقيقة بل قال اني اعلم وجه الحكمة في
استخلافهم على ما يكون من اوصافهم فلا تعترضوا على حكمي وتقديري ولا تستكشفوا غيب تدبيري فليس كل مخلوق
يطلع على غيب الخالق ولا كل واحد من الرعية يقف على سر الملك قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم
معناه اني اعلم ما يضمر ابليس من الاستكبار والمعصية فيما امر به من السجود لادم وكشفه انكم قلتم في حقهم
انهم يفسدون والدما يسفكون وفيكم من هو اصل الفساد ومادة العناد وساع في افساد العباد وقال انما خفي
حال ابليس للحال لاخفائه ذلك على الاشكال فلم يهتك ستره حتى اظهره بالعمل سره وقال قتادة اي اعلم ان فيهم
الانبياء والاولياء الذين يصلحون ولا يفسدون وقيل معناه انكم اظهرتم من انفسكم الطاعة وهي في جميع الحالات
لكن ذلك منكم طبع بغير تكلف ومنهم الطاعة في بعض الحالات لكن بالتكلف ولهم هوى النفوس ووسوسة الشيطان
وفتنة الدنيا وهم اولى وعملهم اعلى وقيل ولهم العلم ولكم العمل والعلم افضل ولهذا قال بعد ما علم ادم الاسما
وسالهم عنها فلم يعلموا وانبأهم ادم فبهتوا الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الاية وقيل اي لكم الطاعة
وبها منكم الافتخار ومنهم المعصية ومعها لهم الاعتذار وقيل انتم تعلمون منهم العصيان وانا اعلم لهم مني الغفران
وقيل تسبيحكم وتقديسكم من فعلكم وفي ذكرهما اظهار فضلكم وفي العفو عن خطاياهم وغفران سيئاتهم اظهار
فضلي ورحمتي وانعامي ومنتي وقيل اذا احسنتم فلكم المدح واذا اساؤا وعفوت فلي المدح وقيل اني اعلم
ما لا تعلمون من صفاء عقائد المسلمين في محبتنا وذكاء سرائرهم في حفظ عهودنا وان تدنست ظواهرهم بعصياننا
وقيل اي اني اعلم ما لا تعلمون انهم يذنبون باجسامهم ويكرهونه بقلوبهم وانتم تطيعون باجسامكم وتعجبون عليه
بقلوبكم وقيل اي خطر لطاعتكم مع عدلي واي بقاء لمعاصيهم مع عفوي وقيل انتم جملتم انفسكم بالطاعة وانا
جملتهم بالمغفرة وتجملهم بمغفرتي فوق تجملكم بطاعتكم وقيل ان تركهم الذنوب بعصمتنا وخروجهم عن الذنوب
برحمتنا ثم ذكر تعليمهم الاسما وبين هذا وبين الاول اضمار خلقه ونفخه الروح فيه وقصته قال وهب بن منبه
لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحى الى الارض اني اي انبهها والهمها اني جاعل منك خليفة فيهم من يطيعني ومنهم
من يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار فقالت الارض مني تخلق خلقا يكون للنار
قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيمة وبعث الله اليها جبريل صلوات الله عليه لياتيه بقبضة
من زواياها الاربع من اسودها واحمرها وطيبها وخبيثها وسهلها وجبلها فلما اتاها جبريل ليقبض منها قالت
الارض اني اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان تاخذ مني شيا يكون نصيب النار غدا فرجع جبريل عليه السلام
الى مكانه ولم ياخذ منها شيا فقال يا رب استعاذت بك الارض مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله عز وجل
لميكائيل انطلق الى الارض فائتني بقبضة منها من زواياها الاربع من اسودها واحمرها وسهلها وحزنها وطيبها
وخبيثها فلما اتاها ميكائيل ليقبض منها قالت الارض له كما قالت لجبريل فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل
فقال الله تعالى لاسرافيل مثل ما قال لجبريل الى ان رجع وقال مثل ذلك فقال الله تعالى لملك الموت انطلق الى الارض
فائتني بقبضة من الارض الى اخر ما ذكر فلما اتاها ملك الموت قالت الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك الى
ان تقبض مني قبضة اليوم يكون للنار فيها نصيب غدا فقال ملك الموت وانا اعوذ بعزته ان اعصي له امرا فقبض
منها قبضة من زواياها الاربع من اديمها الاعلى فصعد بالقبضة الى السما فامر فجعلها طينا اربعين سنة حتى
صار لازبا ثم حما مسنونا اربعين سنة ثم صار صلصالا اربعين سنة فجعل جسدا موضوعا على طريق ملائكة
الذين يصعدون من الارض الى السما اربعين سنة كلما مر به ملأ منهم تعجبوا منه من حسن صورته ولم يكونوا
راوا قبل ذلك على صورة ادم شيا يشبهه من الصور حتى مر به ابليس عليه اللعنة فقال لاي شي ما خلق الله تعالى
هذا اجوف يأكل الطعام اني لارى صورة مخلوق سيكون له نبأ فقال لاصحابه ارايتم هذا الذي لم تروا على
صورته شيا من الخلق ان فضل عليكم ما انتم صانعون قالوا نطيع ربنا ولا نعصي له امرا فقال ابليس في نفسه ان
فضل علي لاعصينه وان فضلت عليه لاهلكنه ولما اراد الله ان ينفخ فيه الروح امره ان يدخل فيه فقال الروح
مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال له ثالثا فقال كذلك فقال له رابعا ادخل
كرها واخرج كرها فلم يدخل الا كرها ولا يخرج الا كرها فلما نفخه فيه مار في راسه وجبينه واذنيه ولسانه ثم مار
في جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع فخرج من منخريه فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين

فقالها ادم فقال له يرحمك الله ولذلك خلقتك فلما انتهى الى ركبتيه اراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغت قدميه وثب
فقال الله تعالى وخلق الانسان عجولا فصار بشرا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء ثم كساه لباسا من ظفر
يزداد جدة في كل يوم وحسنا وتلونا في كل حين وهو في ذلك ممنطق متوج وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في
راسه اذنين يسمع بهما وعينين يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفما فيه لسان يتكلم به وحنك يجد
به طعم كل شيء وبابين في جسده ومما قبله ودبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وشرهه
في كليتيه وغضبه في كبده وضراوته في قلبه ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان
من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وقوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها
التعليم تلقين العلم والتعلم تلقنه والتعليم الاعلام ايضا قال تعالى قل اتعلمون الله بدينكم والتعلم العلم ايضا
يقال تعلم كذا اي علم والعلم تبين المعلوم على ما هو به والنعت منه العليم والعالم والمبالغة منه العلام
والتفضيل منه الاعلم والاعلام ايقاع العلم والاستعلام سؤال الاعلام واما تفسيره ههنا فقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها الاية اراد الله تعالى ان يظهر فضله عليهم
فعلمه واظهر فضله بعلمه ما لا يعلمون واختلف في وجه تعليمه فقيل ارسل الله تعالى اليه ملكا من غير هؤلاء
واوحى اليه بذكر اسماء المخلوقات فسمعها وحفظها وقيل الهمه فوقع في قلبه فجرى على لسانه بما في قلبه من
تسمية الاشياء من عنده واختلف ايضا انه جرى لسانه بتسميتها بلسان واحد ام بالالسنة كلها فقيل بلسان
واحد ثم كل قوم تواضعوا على غير ذلك من الالسنة وقيل بالالسنة التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيمة وعلم
هو ذلك كله اولاده فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان استسهلوه منها والفوه ثم نسوا غيره بعد تطاول الزمان
وقيل اصبحوا وكل قوم منهم يتكلمون بلغة قد نسوا غيرها في ليلة واحدة واختلف ايضا في انه كان تعليم الاسماء
وحدها او تعليمها بمعانيها فقيل كان تعليم الاسماء على التجريد وقيل بل كان تعليم الاسماء بمعانيها ان هذا اسمه
كذا ويستعمل في كذا ونفعه كذا وضره كذا وقوله ادم قيل هو اسم عبراني ولا اشتقاق له واكثر اسماء الانبياء
كذلك وقالوا في القران من كل لسان لانه خطاب الكل فجمع السنة الكل وقيل لا يجوز ان يكون في القران غير العربي
لان الله تعالى قال قرانا عربيا وقيل كان غير العرب يتكلمون بكلمات وتكلمت بها العرب ايضا فصارت عربية
وقال علي بن الحسين بن واقد ليس في القران نبطية ولا حبشية ولا يمانية ولكنها عربية توافق نبطية وحبشية
ويمانية وقال ابو عبيد كلها اصولها عجمية وقعت في العرب فعربتها بالسنتها ومثال ذلك ان طورا بالسريانية
هو الجبل بالف في اخره في الرفع والنصب والخفض جميعا بالالف واللام في اوله فعربته العرب بلا الف ولام
وصرفته بالاعراب وقيل كان غير العربية يتكلمون بكلمات وتكلمت العرب بها ايضا فصارت عربية او نقلت
الى العربية فصارت منها وقيل ادم عربي الاصل فانه على صيغة كلام العرب وهو على وزن افعل ويصلح
نعتا في العربية والقائلون بهذا اختلفوا في معناه قال ابن عباس رضي الله عنهما سمي به لانه خلق من اديم الارض
وهو وجهها الظاهر وكذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤالات عبد الله بن سلام وقيل هو من الادمة
وهي الالوان وهو قول الضحاك والنضر بن شميل ثم اختلف في تفسير الادمة فقال الضحاك هي السمرة وهي
الاشهر وقال النضر هو البياض ويجوز ان يكون من الادمة بفتح الهمزة والدال وهو باطن الجلد والبشرة ظاهرها
وفلان مؤدم مبشر اي قد جمع لين الادمة وخشونة البشرة فكان بشرا واسمه ادم لجمعه الوصفين ادم الله بينهما
يادم وادم يودم ايضا اي الف وجمع ومعناه ان الله تعالى الف ادم بدنه وبين حوى وجمع بين وبين كرامته
والف بدنه وبين عطياته ويجوز ان يكون من قولهم ادم اي احبه قال الشاعر شعر والبيض لا يودمن
الا مودما اي لا يحببن الا محببا وكان ادم حبيب الله بخصائصه ولا سيما بتوبته قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويجوز ان يكون من قولهم جعلت فلانا ادمة اهلي اي اسوتهم ومعناه انه اسوة الاولياء وقدوة
الاصفياء فانه اول الانبياء وقال الفراء الادمة الوسيلة ومعنى الاسم من هذا انه ظاهر الوسيلة كامل
الفضيلة وقوله الاسماء كلها قال الربيع بن انس وابو العالية علمه اسماء الملائكة وقال عبد الرحمن بن زيد
اسماء ذريته كلهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ومجاهد وقتادة والضحاك علمه اسم كل شيء حتى
القصيعة والقصعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية علمه اسم كل عين وكل فعل وقال مقاتل خلق
الله تعالى كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك ثم علم ادم اسماءها فقال له يا ادم هذا فرس وهذا بغل وهذا
حمار حتى اتى على اخرها وقال سعيد بن جبير علمه اسم كل جنس البعير والبقر والشاة ونحوها وقال ابو روق
علمه صنعة كل شيء وقال الضحاك عن ابن عباس علمه اسماء المدن والقرى والجبال واسماء الطير والشجر وما
يكون وكل نسمة يخلقها الى يوم القيمة وقيل علمه اسماء المخلوقات كلها في الارض وفي السماء ومن الحيوانات
والجمادات والمطعومات والمشروبات وكل نعيم في الجنة وقال الحميد الشامي اسماء النجوم وقال الامام القشيري
عموم قوله الاسماء يقتضي الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه اسماء المخلوقات كلها على ما قال

المفترون

المفترون علمه اسماء الحق تعالى لكن ظهر للملائكة محل اختصاصه في علم اسماء المخلوقات وبذلك المقدار بان
رجحانه عليهم واما انفراده بمعرفة اسماء الله فذلك سر لم يطلع عليه ملك ومن ليس له رتبة مساواة ادم في
معرفة اسماء المخلوقات فاي طمع له في مساواته في معرفة اسماء الله واذا كان تخصيصه بمعرفة اسماء
المخلوقات يقتضي ان يصح سجود الملائكة له فما الظن بتخصيصه بمعرفة اسماء الحق ما الذي يوجب له
وقوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة اي عرض اصحاب الاسماء وهم الناس والملائكة والجن والشياطين
وغيرهم فاجتمع في ذلك من يعقل ومن لا يعقل ولذلك جمع بالهاء والميم لان الاسم الشامل على جمع من يعقل
ومن لا يعقل على ذلك وهذا قراءة العامة وفي قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه ثم عرضها وهو يرجع الى الاسماء
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ثم عرضهن وهو يرجع الى المسميات ومنهم من قال هذا يدل على ان الاسماء
في هذه الاية اريد بها المسميات ولذلك قال ثم عرضهم والعرض يقع على الذوات دون المسميات والصحيح
ان الاسماء هي المسميات في هذه الاية فان التعليم يقع عليها لا على الذوات ويكون معنى قوله ثم عرضهم ثم عرض
اصحاب الاسماء على الاضمار وهو جائز وقوله تعالى فقال انبئوني باسماء هؤلاء الانباء الاخبار وقد انبأه
ونبأه اي اخبره النبأ الخبر وجمعه الانباء والنبأ في قوله قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون هو القران
وفي قوله تعالى عم يتساءلون عن النبأ العظيم هو القيمة وفي قوله واتل عليهم نبأ ابني ادم هو القصة وقوله تعالى ٥
وجئتك من سبأ بنبأ يقين هو الخبر وفي قوله عز وعلا انبئهم باسمائهم هو التعليم وفي قوله تعالى واوحينا
اليه لتنبئنهم بامرهم هذا هو تعليمهم وفي قوله تعالى نبأني العليم الخبير هو الاظهار اي الاطلاع فقد قال قبله واظهره
الله عليه اي اطلعه ومعنى قوله انبئوني اي اخبروني باسماء هؤلاء المسميات ودلت الاية ان الاسم ههنا هو التسمية
وهو غير المسمى فانه اضاف الاسماء الى هؤلاء والاضافة دليل المغايرة ثم في الاية كنايتان احداهما بالهاء والالف
وهي كلها والاخرى بالهاء والميم وهي عرضهم ولا يرجعان الى شيء واحد بل التانيث يرجع الى التسميات
والجمع يرجع الى المسميات وهي كقوله تعالى من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم التانيث يرجع الى القرية والجمع يرجع
الى اهلها وتعلق القائلون بجواز تكليف ما لا يطيقه العبد بهذه الاية ان الله تعالى خاطبهم بما لم يطيقوه وقلنا
هذا ليس بخطاب تكليف بل هو خطاب تعجيز كقوله فاتوا بسورة من مثله وقول ابراهيم لنمرود فات بها من
المغرب ولانه معلق بالشرط وهو كقوله ان كنتم صادقين اي في قولكم نحن افضل منه والفضل بالعلم فان كنتم
اعلم منه فانبئوني بما علمتم والمعلق بالشرط لا يوجد قبل وجود الشرط ثم قوله انبئوني هو خطاب بمجرد
اخبار لا انباء الاعلام فانه ايقاع العلم وهو في حق من قد علمه لا يتصور فاما الاخبار فهو تكلم بالخبر ويصح
ذلك لمن علم ولمن لم يعلم فاما في قوله يا ادم انبئهم باسمائهم فهو اعلام الملائكة فانهم ما كانوا يعلمونه ودلت
الاية ان المدعي يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فقرعوا
بالعيان اي لا يعلمون اسماء ما يعاينون فكيف يتكلمون في فساد من لا يعاينون فيا ارباب الدعاوي اين المعاني
ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة قال ابو بكر الواسطي من المحال ان يعرفه العبد
ثم لا يحبه ومن المحال ان يحبه ثم لا يذكره ومن المحال ان يذكره ثم لا يجد حلاوة ذكره ومن المحال ان يجد
حلاوة ذكره ثم يشتغل بغيره وقوله تعالى ان كنتم صادقين مر الكلام في الصدق وقال قتادة لما خلق
الله ادم من تراب همست الملائكة فيما بينهم وقالت ليخلق الله تعالى ان يخلق من الخلق ما يشاء ولكن لن يخلق خلقا
افضل واعلم منا فاظهر الله تعالى عجزهم وعلم ادم الاسماء وامر الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
انكم اعلم منه ولما عجزوا عن ذلك وانبأهم ادم بما ظهر علمه وفضله عليهم وقيل معناه انبئوني بصدق فان
علمتم باسمائهم وكنتم صادقين في الانباء عنها فانبئوني والا فلا تنبئوا وقيل اي ان كنتم عالمين اي عن العلم
بالصدق لان الصدق لا يتأتى الا بالعلم وقيل معناه ان كنتم صادقين فاصدقوا وانبئوا ان علمتم فلا تكذبوا
وهذا كقوله ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان يكونوا نبئوا بهذا
حتى لا يبقى اليهم عند اعلام ادم اياه ذلك من حيث بدركونه لو تكلفوا واراد ان يريهم اية عجيبة تدل على
نبوته ذكرهم بعجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لادم صلوات الله عليه في افادة ذلك العلم كما قال تعالى
كما قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى ذكره اولا حاله وحال عصاه ليعلم مما اراه مما في يده في اية نبوته وقوله تعالى
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم لبداءتهم بالتسبيح قبل اخبارهم
انه لا علم لهم وجوه احدها انه كلمة تعجب قال الشاعر اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
ومعنى تعجب سؤالنا عما لا علم لنا به والثاني تنزيه الله تعالى عن ان يخفى عليه ما خفي عن الملائكة ونصبه على المصدر
عند الخليل بن احمد اي ننزهك تنزيها وقال النحاس هو على النداء اي يا سبحانك والثالث انهم بدوا بالثناء
على الله قبل الجواب وكذا يجب على العبد في كل خطاب والرابع انهم ذكروه على وجه التوبة كما قال تابوا فانها كلمة تقديم
على التوبة قال تعالى خبرا عن موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك اي يا طاهر في عن العيب الذي وقعت

فيه والخامس انهم حققوا ما وعدوا من انفسهم ونحن نسبح بحمدك وقوله لا علم لنا الا ما علمتنا قال ابن عباس وابن
مسعود والحسن ومحمد بن اسحق معناه انك اعلمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا اتجعل فيها من يفسد فيها وما
اعلمتنا من هذه الاسما فلا نعلمها ولو اكتفوا بقولهم لا علم لنا لكان نجوا بأتمّا لكن قالوا الا ما علمتنا ليكون زيادة
عبودة فان قولهم لا علم لنا من باب العذر وقولهم الا ما علمتنا من باب الشكر ومما جماع كل الخير وقولهم لا علم لنا
وصف انفسهم وقولهم الا ما علمتنا وصف ربهم اي منا النقص ومنك الكمال ومنا الطلب ومنك الافضال وافادت
الاية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يانف ان يقول لا علم فيما لا يعلم ولا يكتم
فيما لا يعلم وسئل الشعبي عن مسئلة فقال لا ادري فقالوا الا تستحيي وانت امام العراقيين قال ان الملائكة
كانوا في الحضرة فقالوا لا علم لنا فمن انا وقالوا لا ادري نصف العلم وسئل ابو يوسف القاضي عن مسئلة فقال لا ادري
فقيل له ترتزق من بيت المال كل يوم كذا ثم تقول لا ادري فقال انما ارزق بقدر علمي ولو اعطيت بقدر جهلي لم
يسعني مال كل الدنيا وسئل ابو بكر القاضي في رباط المربعة عن مسئلة فقال لا ادري فقيل له ليس المنبر موضع
الجهال فقال انما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السما وحكي ان عالما سئل عن مسئلة فقال لا ادري
فقال السائل ليس هذا مكان الجهال فقال المكان لمن يعلم شيئا ولا يعلم شيئا فاما الذي يعلم كل شي فلا مكان له
وقوله تعالى انك انت العليم الحكيم انك تاكيد خطاب وانت تمام المبالغة في التاكيد لا تكرير وفيه تاكيد وتقرير والعليم
من تفسيره والحكيم المحكم الصنعة والمصيب في القول والفعل وقال ابن عباس رضي الله عنهما العليم الذي يبلغ في العلم
غايته والحكيم الذي يبلغ في الحكمة نهايته ومعنى قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا فعلمنا نا قصرت العالم
بالكمال والمصيب في الافعال علمت ما لم نعلم ولك الحكمة البالغة في تفضيل ادم ووصف الله الملائكة بالعلم والحكمة
فنالوا بذلك المدحة ونفى ابليس الحكمة في امره بالسجدة فاستحق الطرد واللعنة وقيل الحكيم هو الذي سوى ولقد
ولا ينقض حكمه البشر وقيل هو العالم بعواقب الامور والمطلع على المكشوف والمستور وقوله تعالى قال يا ادم انبئهم
باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون روي انه رفع على المنبر وامر ان ينبئ الملائكة باسماء الاشياء فانباهم بها وهم جلوس بين يديه
وقيل قيام حواليه وقال وهب سماها لهم وهو في الارض كل شي من الطير والبهايم والبقاع والنبات وما في البر
وما في البحر ثم فتحت له السموات فسمى اهل كل سماء باسمائهم وقوله فلما انباهم باسمائهم اي اخبرهم بها وعلموا فضله
وعرفوا عجزهم فقوله قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ظاهره استفهام ومعناه التقرير اي قد قلت لكم
وهو كقوله الم تعلم ان الله على كل شي قدير وكذا كل استفهام دخل على جحد الم يكفكم الم يأتكم أليس الله باحكم الحاكمين
وقوله غيب السموات اي ما غاب عن اهل السموات وغاب عن اهل الارض وقيل اني اعلم سر اهل السموات في السموات
وسر اهل الارض في الارض وقيل غيب السموات اكل ادم وحوى من الشجرة التي نهي عنها وهو اول عصيان كان
في السما وغيب الارض قتل قابيل اخاه هابيل وهو اول عصيان كان في الارض وقيل غيب السموات ما قضاه
فيها من امور خلقه وغيب الارض ما فعلوه فيها بقضائه السابق به وقال الامام القشيري اعلم ما تقاصر عنه علوم
الخلق من اهل السما والارض وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اي ما تبدون من الطاعات وتكتمون
من السيات وقيل ما تبدون من فضل ادم الان وما كنتم تكتمون من رويتكم فضل انفسكم عليه فيما كان وقيل
ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما كنتم تكتمون من رويتكم فضلكم عليه وقال الحسن
البصري وقتادة رحمة الله عليهما ما تكتمون ما اضمروه في انفسهم لن يخلق الله تعالى خلقا الا ونحن اكرم عليه منه وقال
ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير هو ما اسره ابليس لعنه الله من الكبر والعصيان فعلى الاول الخطاب بالجمع
لكل الملائكة في الابداء والكتمان جميعا وعلى هذا الاخير خطاب الكتمان لابليس اي ما تكتم يا ابليس وهو وعيد لهم
وخطاب الملائكة وهو وعد لهم وخطاب الواحد بصيغة الجمع مستقيم كما في قوله تعالى رب ارجعون وهو خطاب
كل الملائكة بكتمان الواحد ذلك في نفسه وقوله ما يجوز ان يكون اسما للمفعول الذي يقع عليه الابدا والكتمان
ويجوز ان يكون الفعل بمصدر اي ابداكم وكتمانكم وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
نظمها بما قبلها من ثلاثة اوجه احدها انه لما اظهر فضله عليهم لاكرامهم بتعظيمه بسجود التحية والثاني
انه كشف باول هذه الاية ما اجمل في ختم تلك واعلم ما كنتم تكتمون وهو قصد ابليس والثالث انه عطف
على كل ما من الله علينا بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا الى ان قال خلق لكم وخلق اباكم وفضله وعلمه
وامر الملائكة بالسجود له وقوله للملائكة اختلف فيهم قيل هم ملائكة الارض الذين كانوا مع ابليس طهر الله بهم
الارض ممن افسد فيها من بني الجان وقيل هم ملائكة السموات السبع وقيل كل الملائكة فقد اكده بقوله اجمعون
وقوله اسجدوا فالسجود في اللغة التطامن والانقياد قال سلامة بن جندل ▪ هل راينا معشرا من تجارهم ▪
▪ الا اقروا لنا بالفضل وسجدوا ▪ وقال ابو عمرو يقال سجد اذا طاطا راسه وانحنى قال الشاعر ▪ فقلن له اسجد لليلى
فاسجدا ▪ وسجدت النخلة اذا تدلت اغصانها ومالت الى الارض واختلف في هذا السجود الذي امروا به

قيل هو الايماء دون السجود المسنون المشروع في الصلوة كالذي يفعله الناس في لقاء عظمائهم من الخضوع والتواضع
لهم تشريفا لهم وتعظيما وقيل هو قول الجمهور كان بوضع الوجه على الارض كما هو في الصلاة ودليله قوله تعالى
في اية اخرى فقعوا له ساجدين ثم اختلف انه كان لادم او لله تعالى قيل كان عبادة لله تعالى ومعنى قوله لادم اي الى
ادم فكان هو قبلة امروا بالتوجه اليها والسجود كان عبادة لله تعالى وقيل وهو الصحيح بل كان لادم ولو كان لله تعالى
لما امتنع ابليس من العبادة لله تعالى ولا فرق بين كون ادم قبلة وبين غيره ثم اختلفوا انه كان على الخصوص وكيف كان
قال قتادة كان تحية الله تعالى كرمه لادم كصلاة الجنازة عبادة لله تعالى ودعاء للميت والصحيح انه كان تحية لادم
على الخصوص ولذلك امتنع ابليس عنه فلم ير ادم مستحقا لتعظيمه فابى واستكبر ولم يكن عبادة لادم لان العبادة
لا تكون الا لله تعالى وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ قال الله تعالى في قصة يوسف وخروا له سجدا ولما اراد
سلمان ان يسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لما ينبغي لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه دليل ان الكتاب ينسخ بالسنة وان جواز
السجود لغير الله تعالى ثبت بقصة ادم وقصة يوسف ثم نسخ ذلك بالخبر وتكلموا في الحكمة في الامر بالسجود له قيل هو
بيان فضل العلم واستحقاق العالم خدمة غيره له وقال الامام ابو منصور رحمه الله امتحنهم بوجه يظهر قدر الطاعة
لان الخضوع لمن يعلوا امره ويجل قدره امر يسهل عليه طبع الخلق فاذا كان في نفس المامور بالخضوع انه دونه
في الرتبة او شكله اشتدت المحنة في مثله بالطاعة والخضوع فامتحنهم الله به حتى ظهر الخاضع لله والمستسلم لمحنته
والمستكبر في نفسه وهو ابليس وعلى ذلك كان امتناع المستكبرين عن اتباع الرسل وقيل هو بيان استغنائه عن عبادة
اباه او انكار عليهم قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم لا حاجة الى عبادتكم وخذ منكم فاخدموا الذي علق
من عبادي لم يجد مني كثير خدمة وقالوا قالت الملائكة لنا فضل الطاعة والخدمة وقال ابليس لي فضل الاصل
والنسبة وقال ادم لي حيا الخطا والزلة فقال الله تعالى يا ملائكة ان كان لكم الطاعة والخدمة فلي الملك والقدرة
وقال لابليس ان كان لك الاصل والنسبة فبكبرك واباك عليك اللعن والسخطة وقال لادم عليه السلام ان كان
منك الخطا والزلة وبسبب ذلك لك الحيا والهيبة فلك المغفرة والرحمة وقال الامام القشيري رحمه الله من
جل جلاله ان قدسه بجلاله لا بافعالهم وان التجمل بالتسبيح والتقديس عائد اليهم فهو الذي يجل من اجله باجلاله
ويعز من اعزه باعزازه جل عن اجلال الخلق قدره وعز عن اعزاز الخلق ذكره وعن وهب قال اول من سجد جبريل
ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل اول من سجد جبريل فاكرم بانزال الوحي على النبيين
وخصوصا على سيد المرسلين وقيل اول من سجد اسرافيل فرفع راسه وقد ظهر كل القران مكتوبا على جبهته
كرامة له على سبقه الى الايتمار وقيل كان هذا في الارض وقيل بل كان في السما وقيل كان كما نفخ فيه الروح من
غير تاخير لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والفاء للتعقيب وقيل بل كان بعد تعليم
الاسما وانباء الملائكة باسماء الاسماء ودل عليه نظم ايات هذه وذكر ابو بكر النقاش في تفسيره الملقب بشفاء
الصدور عن بعضهم ان سجودهم له كان مرتين مرة كان عند نفخ الروح فيه لتلك الاية ومرة بعد انبائهم بالاسما
لنظم هذه السورة وقال هذا قول من هذا القائل لم يوافقه عليه احد والاظهر انه كان بعد انبائهم بالاسما
فاما الفاء في تلك الاية فقد تكون للتعقيب مع التراخي كما في قوله فازلهما الشيطان عنها وقوله تعالى فتلقى ادم
من ربه كلمات فكان هذا التلقي بعد ما تتي سنة او اكثر ومن لطف الله تعالى بنا ان امر الملائكة بالسجود لابينا
ونهانا عن السجود لغيره فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن نقل الملائكة المكرمين
الى ادم وسجدته ونقلنا الى سجدته وخدمته وقوله تعالى الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين
الا كلمة استثناء واختلف ان ابليس كان من الملائكة ام لا فقال علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن المسيب
وابن جريج كان من الملائكة وكان اسمه عزازيل وكان من اشراف الملائكة ثم ابلس وقال الحسن البصري
وقتادة ومقاتل وشهر بن حوشب وابن زيد كان من الجن لا من الملائكة خلق من نار السموم وله نسل وذرية
وهو ابو الشياطين واحتجوا بقوله الا ابليس كان من الجن وانما دخل في الامر بالسجود مع الملائكة لا لانه منهم
ولكن لانه كان فيهم وكلمة الا استثناء منقطع وهو من خلاف الجنس وذلك سائغ في اللغة قال الشاعر ▪
▪ ليس عليك عطش وجوع ▪ الا الرقاد والرقاد ممنوع ▪ وفي القران لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقالوا ايضا انه قال خلقتني من نار وخلقته من طين كما قال في الجان
والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولانه ابى واستكبر وعصى وكفر والله تعالى يقول في صفة الملائكة لا يعصون
الله ما امرهم وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته فالوا ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء ولا نسل للملائكة
ودليل الاولين قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم كان الامر بالسجود مقتصرا على الملائكة ثم استثنى
منهم ابليس والمستثنى من جنس المستثنى منه في الاصل فلا يصرف عنه الا بدليل ودليل دخوله في هذا الامر قوله
ما منعك الا تسجد اذ امرتك فاما قوله كان من الجن قيل اي صار من الجن كما قال وكان من الكافرين اي صار

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الجن قوم من الملائكة أشد الملائكة اجتهادا وقال ابن إسحاق الجن اسم الملائكة أيضا
لاجتنانهم أي استتارهم عن أعين الناس وقال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وأراد به الملائكة وقال الأعشى في مدحه
في سليمان عليه السلام ❊ وسخر من جن الملائك تسعة ❊ قياما لديه يعملون بلا أجر ❊ وقيل الجن صنف من الملائكة
لا نراهم الملائكة كما نحن لا نرى عامة الملائكة وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان من الجن أي خازن الجنة وقالوا
إنه خلق من النار قلنا المارج من النار اللهب وهو النور والملائكة خلقوا من نور والنار اسم للنور أيضا قال تعالى
إني آنست نارا وقولهم له نسل وذرية قلنا صار له ذلك بعد ما مسخ كالممسوخ وإن كان لا يكون له نسل لكن لما
سأل النظرة وأنظر صار له نسل كما أن سائر الممسوخات لا تبقى بعد ثلاثة أيام وبقي هؤلاء نظارة إلى قيام الساعة
فكذا النسل فأما من وصف الملائكة بأنهم لا يعصون ولا يستكبرون فكذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا
التصور لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع ولا يستنكر من
الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ما ذكر وقوله إبليس هو اسم أعجمي ولا اشتقاق له وجواز
كون غير العربي في القرآن قد مر القول فيه في ذكر آدم وقيل هو مشتق من أبلس يبلس إذا أبلس قال تعالى فإذا هم
مبلسون والإبلاس بمعنى السكت قال الشاعر ❊ يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ❊ قال نعم أعرفه وأبلسا ❊
وأبلست الناقة أي لم ترغ من شدة شهوة الفحل وهي ناقة مبلاس فإبليس أبلس بكفره وإصراره من رحمة الله تعالى
وامتنع عن السجود لآدم كما يمتنع الساكت عن الكلام ولم يقبل على العمل كما لا تقبل تلك الناقة على المرعى ونصب
إبليس على الاستثناء في الإثبات وترك تنوينه لأنه غير منصرف ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقوله تعالى أبى واستكبر
الإباء بكسر الهمزة الامتناع والأباء بفتحها من الأدواء يقال أصابه أباء إذا كان يأبى الطعام وتفسيره أبى عني وقيل
امتنع وقيل كره وقيل رد والاستكبار الاستعظام والإكبار الإعظام والتكبر التعظم والكبرياء العظمة والتكبير
التعظيم والكبار بضم الكاف وتشديد الباء وتخفيفها التعظيم وقوله تعالى واستكبر أي واستعظم نفسه وقيل
استعظم أمر الله بذلك أباه وهو كالاستكبار وقيل في مجموع الكلمتين أبى أي كره السجود في حقه واستعظمه
في حق آدم وقيل أبى امتنع عن الفعل وعظم نفسه عن الالتزام وقيل في استكبر أي عد نفسه أكبر من أن يخدم غيره
وقيل أي عد نفسه أكبر من أن يؤمر بهذا ولهذا قال لم أكن لأسجد وقال أنا خير وقالوا لما أمروا بالسجود سجد
الملائكة وامتنع إبليس ولم يتوجه إلى آدم بل ولاه ظهره وانتصب هكذا إلى أن سجدوا وبقوا في سجودهم
مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤوسهم وهو قائم معرض لم يندم على الامتناع ولم يعزم على الاتباع
فلما رأوه خذل ولم يسجد وهم رفعوا من السجود فسجدوا لله تعالى نصا ثم سجدة ثانية سجدة لآدم وسجدة لله تعالى
وإبليس يرى ما فعلوا ولم يفعل وهذا إباؤه فغير الله تعالى صفته وحالته وصورته وهيئته ونعمته فصار
أقبح من كل قبيح قال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقوله تعالى وكان من الكافرين
بإبائه واستكباره وهو رد الأمر لا ترك العمل بالأمر وقيل أي وكان من الكافرين بإبائه واستكباره في علم الله
أي كان في علم الله عز وعلا أنه يكفر بعد إيمانه لأنه لا يبدل علم الله كونه كافرا وههنا مسائل أصولية إحداها أن
ترك السجود لم يكن كفرا عند أهل السنة والجماعة وكذا كل كبيرة وقالت الخوارج من ارتكب كبيرة كفر واستحق
التخليد في النار وقالت المعتزلة من ارتكب كبيرة خرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر لكن يستحق التخليد
في النار وقلنا لا يصير العبد بصغيرة ولا كبيرة كافرا ولا يخرج به عن الإيمان إذا لم يستحله ولم يرد الأمر
فإن الله تعالى سمى المذنبين مؤمنين فقال يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربا وقال عز وعلا وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول وقال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون والحاصل أن قبول الأمر بالإيمان والعمل به طاعة
وتركه معصية ورده كفر ومنها أن الجبرية يقولون لا تنفع إيمان ولا طاعة ولا تضر معصية ولا كفر فإن الله
تعالى لعن إبليس مع كثرة الطاعات وأكرم سحرة فرعون مع كثرة الجفوات إنما العبرة لسابق العناية قلنا هذا باطل
لأن الله تعالى إنما لعن إبليس بكفره برد أمره وأكرم سحرة فرعون بالإيمان به وبذكره ومنها أن إبليس صار كافرا بعد
أن كان مؤمنا عندنا وقالت الأشعرية كان كافرا أبدا وهي مسألة السعادة والشقاوة أنهما يتبدلان
ويتغيران عندنا لأنهما صفتا المخلوق والإسعاد والإشقاء لا يتبدلان لأنهما من صفة الخالق ولا تغير على
ذاته ولا على صفاته وقالت الأشعرية لا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وهي مسألة الموافاة
وعلى هذا الأصل مسألة إحباط العمل بالردة ومسألة الاستثناء في الإيمان ودليل أهل الحق قول الله جل
جلاله الكفر بعد إيمانه وقال تعالى كفروا بعد إيمانهم وقال عز وعلا إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا أثبت
الصفتين على التعاقب فلم يجز نفي الأول حال وجوده بوجود الثاني في وقته وعندهم من ختم له بالإيمان
أو الكفر وصف بما ختم له به ولا يسمى بما كان قبله ولا تحقق له وهذا إنكار العيان وإبطال الحقائق فأما
قوله وكان من الكافرين فمعناه وصار كما في قوله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم إنما قال وكان

من الكافرين ولم يكن حينئذ كافرا لأنه كان في علم الله أنه يكون بعده كافرا فذكر أنه صار من الكافرين أي من
الذين يكفرون بعده وهذا كما في قوله فتكونا من الظالمين وقوله خبرا عن إبراهيم صلوات الله عليه قال بل ربكم
رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وقال الإمام أبو الحسن محمد بن يحيى البشاغري
رحمه الله كان في علم الله الأزلي أنه يكتم عصيانه اليوم ويرد الأمر فيصير كافرا عند الله تعالى من وقت الإباء ويصير
كافرا عند آدم والملائكة وقت الإباء والاستكبار وقوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ❊ اسكن أمر
من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا وسكن القلب المضطرب سكينة والسكن
بفتح الكاف ما سكن إليه القلب وامرأة الرجل سكنه والسكين يسكن حركة المذبوح وسكان السفينة يسكنها
والمسكين الفقير الساكن عن التقلب وتفسيره يا آدم استقر وقيل أي أقم وقيل أي انزل وقوله أنت وزوجك
الجنة أنت ضمير المخاطب بقوله اسكن وإنما أظهره ليصح عطف اسم آخر عليه وهو قوله تعالى وزوجك لأن المعطوف
لا بد له من معطوف عليه وقوله وزوجك أي زوجتك وهي حواء قال كعب ووهب وجماعة خلقها الله تعالى خارج
الجنة ثم عند بعضهم كان خلقها في الأرض وآدم بين مكة والطائف ثم حمل على سرير وألقي عليه النعاس وخلقت
حواء من ضلعه اليسرى ثم أمرا بدخول الجنة وقال ابن عباس وابن مسعود وجماعة رضي الله عنهم خلقها الله تعالى في الجنة
بعد دخول آدم فيها خلقها الله من ضلعه اليسرى القصرى وكان بين النائم واليقظان ولو كان في النوم لم يعلم
أنها منه فلم يعطف عليها ولو كان يقظانا لتألم بذلك فلم يعطف عليها ولما هب من نومه قال لها من أنت قالت
أنا زوجك خلقني الله تعالى لك لتسكن إلي وأسكن إليك فقالت الملائكة عند ذلك يا آدم من هذه قال حواء
قالوا لم سميت حواء قال لأنها خلقت من حي قالوا أتحبها قال نعم قالوا لحواء أتحبيه قالت لا وفي قلبها أضعاف
ما في قلبه قالوا فلو صدقت امرأة في حبها زوجها لصدقت حواء ولما استحيت عن إظهاره بقي ذلك ميراثا
بين بناتها ومن الناس من قال لا يجوز أن يقال خلقت حواء من ضلعه لأنه يكون نقصانا منه ولا يجوز القول بنقص
الأنبياء قلنا هذا أنقص منه صورة وتكميل له معنى لأنه جعلها سكنه وأزال بها وحشته وحزنه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أن الله تعالى أخرج آدم من الجنة حين أدخله لأن الأمر كان بالسكنى والسكنى عارية والعارية مردودة مستردة
ثم هذه الجنة كانت جنة الخلد وهي مخلوقة اليوم عندنا وقالت المعتزلة هي غير مخلوقة والنصوص تبطل مقالتهم
وقالوا هذه الجنة كانت بستانا بين فارس وكرمان من أرض فلسطين وقالوا لا يجوز أن تكون هذه جنة الخلد
لأن الله تعالى أمرهما فيها وجنة الخلد لا يكون فيها أمر ولا نهي ولأنهما أخرجا منها وداخل جنة الخلد لا يخرج منها
ولأنهما زلا فيها وجنة الخلد لا يقع الزلل فيها ولأن الشيطان وسوس لهما فيها ولا وسوسة في جنة الخلد وقلنا
قد قال الله تعالى لآدم إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى وذلك صفة جنة الخلد وقال
اهبطوا منها والهبوط يكون من علو إلى سفل ولا يستقيم ذلك في البستان المخلوق في الأرض فأما الأمر والنهي
فذلك تكليف وهو لا يزول عن أهل الجنة فإنهم مكلفون بالمعرفة والتوحيد وأما الإخراج منها فإن الإدخال
كان للابتلاء لا للجزاء وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ثم خرج منها وأما الزلل فلهذا المعنى
أنه كان للابتلاء لا للجزاء وأما وسوسة الشيطان فلم يكن منه وهو فيها على ما نبين وقوله تعالى وكلا منها رغدا
حيث شئتما هذا أمر لآدم وحواء ومنها قوله قيل أي من الجنة وهي كناية راجعة إلى الظاهر وصح لأن المأكول
ثمارها وهي من أشجارها وهي من الجنة وقيل أي من الثمار وهي كناية راجعة إلى المعنى دون المذكور وقوله رغدا
يقال رغد عيشهم رغدا فهو رغيد ورغد ورغدا أي طيب واسع وأرغد القوم أي أخصبوا وأرغد الرجل ماشيته
أي سومها والرغيدة الزبدة وأما تفسيره فقد قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أي هنيئا وقال أبو عبيدة
والضحاك أي واسعا وقال مجاهد أي حلالا لا حساب فيه وقيل أي كثيرا وقال الزجاج الرغد الكثير الذي
لا يعنيك طلبه وهو نعت مصدر محذوف لذلك نصب أي كلا أكلا رغدا وحيث شئتما أي في أي بقعة شئتما
من الجنة وقيل من أي ثمارها شئتما حيث اسم للمكان وأصله حوث ولذلك ضمت ثاؤها لو كانت قبلها كان
فيجوز أن يكون أراد المكان الذي هو منه الأكل ويجوز أن يكون أراد عين الثمر فإنه مكان الأكل ومحله
فكان تعميم المشيئة في ذلك والآية رد على المتقشفة الذين يحرمون تناول الأطعمة الشهية ولبس الثياب
السنية والله جل جلاله قال من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم معنى الأمر بهذا الشغل
به مع أنه اختصه واصطفاه وللخلافة ابتلاه أنه مخلوق والذي يليق بالمخلوق هو السكون بالخلق والقيام
باستجلاب الحظ وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين القربان بكسر القاف إتيان
الشيء والقرب منه الدنو منه يقال من الأول قربه أقربه قربانا من حد شرف وهو لازم ويتعدى بمن وتفسيره
لا تأكلا من هذه الشجرة فالنهي كان عن الأكل دون الدنو من الشجرة وإنما أضاف النهي إلى القربان لأنه سبب
الأكل ويسمى الشيء باسم سببه مجازا ودليل النهي كان عن الأكل أن زلتهما كانت به قال الله تعالى فأكلا منها وقال تعالى
فلما ذاقا الشجرة والشجرة واحدة الأشجار تكون جمعا وواحدا وأرض الشجيرة الكثيرة الشجر وكذا الشجراء

بسوا الجحيم وواد شجير كثير الشجر واصل الكلمة من التداخل يقال تشجر ما بين القوم اذا اختلفوا لامرهم وتشاجروا
تنازعوا وتشاجروا بالرماح اي تطاعنوا والشجر بفتح الفم وهو مدخل الطعام والشراب وغيرهما والشجار
خشب الهودج المدخل فيه والشجير الغريب الداخل بين قوم فكذلك الشجر يتداخل اغصانها واختلف
في ماهية تلك الشجرة قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري وعطية وقتادة ومحارب بن دثار
ومقاتل هي شجرة البر وفي بعض الالفاظ السنبلة التي جعلها الله تعالى رزقا لاولاده في الدنيا وقال السدي وابن
مسعود وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة هي الكرمة لافتتان اولاده بها وقال ابن جريج وحكاه عن بعض الصحابة
انها التين وقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال الكلبي والدينوري هي شجرة العلم وهو علم الخير والشر
من اكلها علم الاشياء الذي كان لا يعلمها وقيل علما بالاكل منها ظهور عورتهما قال تعالى فبدت لهما سوآتهما وما
كانا يعلمان بذلك قبل ذلك وقال محمد بن اسحق هي شجرة الحنظل وقال ابو مالك هي شجرة النخلة وقال ابن جدعان
هي شجرة الخلد التي كان يأكل منها الملائكة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية هي شجرة الفردوس وكانت
في وسط الجنة وفيها من الثمار كلها وكانت ارفع الاشجار وازينها واكملها وكانت ثمرتها احلى الثمار واطيبها
وقال الربيع بن انس كانت شجرة من اكلها احدث والجنة لم تكن موضع الحدث وقال محمد بن علي الترمذي
رحمه الله كان اصلها السنبلة وعليها من كل لون وثمرها احلى من العسل والين من الزبد واشد بياضا من الثلج
كل حبة من حنطتها ككلية البقرة وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا ينبغي بيان ما هي بنص قاطع ولا يعرف
حقيقة ذلك الا بالوحي ولا حاجة بنا الى معرفة ما نهيا على التعيين وحاجتنا الى معرفة انهما نهيا عن الاكل من شجرة
وقوله تعالى فتكونا من الظالمين يجوز ان يكون نصبا بالفاء في جواب النهي ويجوز ان يكون جزما للعطف على النهي
الاول وتقدير الاول ان قربتما كنتما من الظالمين وتقدير الثاني لا تقربا ولا تكونا من الظالمين والنون تسقط
في تثنية الفعل وجمعه في النصب والجزم على الوجه الاول قوله فتكونا اي فتصيرا وعلى الوجه الثاني على حقيقته
ولا تكونا وقوله من الظالمين الظلم وضع في غير موضعه والظلم الجور والظلم النقص والظلم الضرر والنقص
والارض المظلومة التي لا يمكن الحفر فيها الا بشدة فكان الحفر وضع في غير موضعه قال الشاعر والنوى
كالحوض بالمظلومة الجلد والمظلومة الجارية المفترعة قبل الاوان واما التفسير فقد قيل اي من الضارين
لانفسكما كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم وقيل اي من الناقصين حظوظكما في قوله ولم تظلم منه
شيئا وقال الله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقيل اي من الواضعين انفسكما في غير موضعهما وقوله تعالى
فأزلهما الشيطان عنها زل عن المكان زللا وزليلا اي زلق وازاله غيره اي ازلقه والزلزلة
التحريك من ذلك وازال الى فلان صنيعة اي اسداها اليه والزلال الماء العذب الذي يسهل جريانه
الى الحلق والزلة الخطيئة وهي الزوال عن الصواب من غير قصد وتفسيره ههنا حملهما على الزلة اي بطريق
التسبب وهي بالوسوسة وبالغرور بالدعاء قال الله تعالى خبرا عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي وقرأ حمزة فأزالهما من الزوال اي سبب خروجهما عنها وقيل اي دعاهما الى الزلل والى
اتيان ما اوجب خروجهما وقوله عنها قيل اي عن الجنة وقيل عن الشجرة وقيل اي عن الطاعة وذلك
كله على قراءة حمزة ظاهر فاما على قراءة العامة فالازلال عن الجنة والشجرة يكون تنحية عنها بالتسبب
الذي قلنا وعن الطاعة يكون بالزلة وهي عن التنحي عن الطاعة ومعناه انهما وقعا في زلة بدعوته
وهي الاكل من الشجرة وقصته ما ذكر الكلبي في تفسيره قال لما نظر ابليس لعنه الله الى ذلك حسدهما وكان
اهبط الى الارض فاحتال ان يفتنهما فعرض نفسه على كل دابة ان تدخل به فحصورنها فابت عليه الا الحية
فكانت احسن دابة في الجنة خلقا وكانت كهيئة البعير تمشي على اربع قوائم ليس في الجنة دابة احسن
منها فيها من كل لون فلم يزل يستدرجها حتى اطاعته فدخل بين لحييها وقام في راسها ثم اتى باب الجنة
فقام عنده فنادى يا ادم ويا حوى فاجاباه فقال لهما ماذا امركما ربكما وما ذا نهاكما عنه في الجنة قالا امرنا
ان ناكل من شجر الفردوس كلها غير هذه الشجرة الواحدة قال ما نهاكما ربكما عنها الا ان تكونا ملكين
تعلمان الخير والشر وتكونا من الخالدين لا تموتان واني اقسم لكما اني لكما لمن الناصحين من اكل منها
لم يمت وايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه وكذب عدو الله في ذلك وسبقت حوى الى
الشجرة فقالت يا ادم خذ فقال ويحك اما تعلمين ان الله نهانا عنها واوعد العقوبة عليها فقالت
يا ادم الم تعلم سعة رحمة الله تعالى فاكلت منها واطعمت ادم فلما وصل الى بطونهما تهافت عليهما لباسهما
وكان لباسهما النور قال الله تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فابصر كل واحد منهما من صاحبه
ما ووري عنه من عورته قبل ذلك كذا ذكرهنا لكن الصحيح ان كل واحد منهما راى عورة نفسه لا غير
فقد قال الله تعالى فبدت لهما سوآتهما وقال تعالى ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ومقابلة الجمع بالجمع
يقتضي مقابلة الفرد بالفرد كقولهم ركب القوم دوابهم ولبسوا ثيابهم ونحو ذلك قال الكلبي عن ابي صالح

عن ابن عباس رضي الله عنهما دخل ادم وحواء الجنة ولباسهما النور وعليه اكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت
ومنطقة مكللة بالدر والياقوت وخلخالان مكللان بالدر والياقوت وسواران من ذهب مكللان بالدر
والياقوت وسواران من لؤلؤ ودملجان مكللان فلما اكلا من الشجرة ذهب عنهما ذلك فاستحييا وهربا
الى ورق التين يلزقان بعضه ببعض يغطيان عورتهما فذلك قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
الاية قال الامام القشيري لا مكان افضل من الجنة ولا بشر اكيس من ادم ولا نصيح ابلغ من نصح الله ولا عزم
اشد من عزيمة ادم لكن القدر لا يكابر والحكم لا يعارض وقال لما كان ادم وحده كان بكل خير فلما جاء
الشكل ظهر باب الفتنة وفتح باب المحنة وحين ساكن حواء اطاعها فيما اشارت اليه فوقع فيما وقع ولقد قيل
داء تقديم في بني ادم صبوة انسان بانسان ثم الكلام ههنا في كيفية الازلال من ابليس لعنه الله وفي زلة
ادم عليه السلام اما الاول فقد قيل نادهما وهو في الارض وقيل ناداهما وهو على باب الجنة لانه اذا لم
يكن من اهل دخول الجنة لانها محرمة على الكفار والله تعالى وصل صوته اليهما وقال لهما ما ذا امركما ربكما
الى ان قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وقال هؤلاء وقول ابليس هذه الشجرة وهي اشارة الى بعض الشجرة
لا يدل على انه كان في الجنة بحضرة الشجرة التي ذكرا اي عن هذه الشجرة التي قلتما وقال جماعة دخل في
راس الحية والحية دخلت الجنة كما كان الكفار من ذرية ادم في صلب ادم وهو في الجنة ولم يكن ذلك
دخول الكفار الجنة واحتج هؤلاء انه خاطبهما وقاسمهما وراجعهما الكلام وذلك لا يكون الا بالحضرة وسئل
ابو الحسن الرستغفني عنه فقال لا اشهد بدخوله فيها لعدم الدليل القطعي فان ثبت لم يبعد ان دخوله كان تزيينه
له في التلصص والحسرة وقال الحسن البصري رحمه الله اوصل اليهما الوسوسة من الوجه الذي جعل له وقال لو ان له
لوسوسته اليوم في قلوب جميع اهل الدنيا فحاله واحدة لو لم يكن ذلك الا بالحضرة لم يكن في حالة واحدة يتبع
ذلك في جميع القلوب وقالوا هو كقبض عزرائيل الارواح من بني ادم وهي في مواضع مختلفة وهو في مكان واحد
واختلف ايضا في كيفية وسوسته في قلوب الناس فقيل يجري منه مجرى الدم كما روي وقيل هو ينفخ في صدورهم
منه على ما شاء الله من غير دخول منه او حضور والامام ابو منصور رحمه الله يقول نقل الينا انه يوسوس ولم ينقل الينا
كيفيتها فنقول يوسوس فنحترز منه ولا نبحث عن كيفيتها ولا نقطع القول بشيء بلا دليل قال وكل من يدعو الى
الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان يجب التعوذ منه والفزع الى الله تعالى وان لم نعلم حقيقة كيفيته قال
الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا
واما صفة زلة ادم عليه السلام فقد ذكر الامام ابو منصور رحمه الله ان الحسن البصري قال انه تعمد ذلك وقوله تعالى
فنسي كان نسيان تضييع لا نسيان ذكر لا يجد احد ها ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي هو
ترك الذكر وان لا يلحق صاحبه اسم العصيان وقد اخذ هو به ووصف بانه عصى وغوى وقد تقدم في خطابهما
فتكونا من الظالمين ولان عدوه قد ذكره لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وقاسمهما ودلاهما
ولو كان نسيان ذكر لما اعترفا بالظلم وهو قوله نسوا الله فنسيهم فغير هو قوله ولم نجد له عزما اي لم يكن
من اولي العزم والثبات على حفظ الامر والنهي وهذا كله وخش من الكلام لا يجوز ان يوصف به الانبياء قال
الله تعالى اصطفاهم واختارهم على علم بهم قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وفي حق ادم ذكر خصائص وكرامات ومراتب ومقامات يجب تنزيهه معها عن هذه الصفات
والنسيان حقيقة زوال الذكر والتضييع مجاز وتقرير هذه الحقيقة قوله تعالى ولم نجد له عزما وهو القصد وضعا
وما يقول ان العدو ذكره ذلك قلنا لكثرة ما جرى بينه وبين عدوه من التراجع اشتغل قلبه بوجود الدفاع له
والفكر في اسباب نجاته والتخلص عن مكائده حتى انساه ذلك ذكر العهد ثم انما كان النسيان في حق غيره
عذرا وهو عوتب ولم يعذر به لان ادم صلوات الله عليه لم يكن امتحن بانواع مختلفة يتعذر عليه وجه التحفظ
في ذلك وانما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة بالاشارة اليها فكان لا يعذر في مثله وغيره لهم اشتغال كثير
يتعذر عليهم التحفظ فعذروا بها وكذلك فيما بلينا انما يعذر الانسان به فيما يكثر النوازل الا ترى انه يعذر
بالسلام في الصلوة وترك التسمية في الذبيحة والاكل والشرب في الصوم ولا يعذر في الاكل في الصلوة ووطء
المجامع في الحج لهذا والثاني انه جاز اخذ الاخيار ومعاتبة الكبار بالامر الخفيف اليسير الذي لا يواخذ بمثله
غيرهم لكثرة نعم الله تعالى عليهم وعظيم منته عندهم كما اوعدوا بتضاعف العذاب على ما كان اخيرهم وهو كما قال يونس
النبي صلى الله عليه وسلم فارق قومه لما راى من المناكير فيهم وفعله من غيره احد ما يوصف به وكذا عوتب نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم بما خطر بباله من تقريب رؤساء الكفرة اشفاقا عليهم وحرصا على اسلامهم وبعد ذلك من نوع
من خصال الخير والثالث انه انما عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به وشكله وخلقه حيث قال اني جاعل في الارض
خليفة لكنه يلزمه عوده خليفة بتقديم امتحانه وابتلائه على محنته وبلائه قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
وفي ذلك ابلغ زجر لغيره وفيه تعظيم خطر الذنوب في القلوب فان ابا البشر المخصوص بالخلافة وسجود الملائكة

والمخصص بالعلم عوتب بهذا القدر من الزلة ليعلم انه ليس في امر الله تعالى مواربة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر وخيفة ويفزعون اليه بالعصمة عما يوجب المقت والعقوبة ويحتمل ان يكون حفظ النهي لكن خطر بباله انه ليس بنهي تحريم فانه يكون على وجوه وذلك النهي وان كان مقرونا بقوله تعالى فتكونا من الظالمين وذلك دلالة التحريم لكن يحتمل انه حفظ النهي لكن نسي هذا الامر فاشتبه عليه وجه النهي فانه قد يكون للتحريم وقد يكون لاختيار غيره عليه مع جوازه وقد يكون لدناءته وضرر عليه فيكون نهي رحمة لا حرمة فسبق الى وهمه ذلك وتحمل الضرر لنفع رجاه وطلبه ويحتمل انه حفظ قوله فتكونا من الظالمين ولكن وقع عنده انه ليس بظلم التعدي بل هو ظلم نقصان واضرار بانفسهما ويحتمل ذلك لما ذكرنا وايقاع بعض هذه الوجوه في قلبه كان من وسوسة الشيطان لكن ظنه الهاما لا وسوسة لانه كان لا يعاينه فصار كالناسي للنهي وان كان حافظا ووجه اخر من تاويله ان النهي كان مضافا الى الشجرة بعينها والمراد هي واجناسها كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وفي يده حرير وذهب وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثهم وكما يقول الطبيب للمريض لا تاكل من هذا الطعام فانه يضرك ويريد به عينه وامثاله فوقع عنده ان النهي عن عينه لا غيره وانضاف الى هذا اشياء اخر من طول المدة وميل الطبع الى الماكول وزيادة رتبة ولطافة كانت في الشجرة فكانت داعية اليها وذهبت حواء الى الاكل ولم يظهر عليها شيء ولم يرها عاصيا الا ابليس وقد عوقب كما عصى فاجتهد فوقع اجتهاده على انه حكم النهي مقصور على هذه الشجرة او ان النهي قد ارتفع ولم يجز له هذا الاجتهاد لانه كان في موضع وجود النص فان النص لم يكن منقطعا وعذر فيه لانه لم يكن سبق له النهي عنه ولم يعذر في الاكل لان النهي كان سبق عنه ثم ائمة سمرقند رحمهم الله لا يطلقون اسم الزلة على انبياء الله تعالى لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه وائمة بخارى رحمهم الله اطلقوا هذه اللفظة لقضية قوله تعالى فازلهما اي استزلهما وفسروها بانها فعل يقع مخالفا للامر من غير قصد الى الخلاف منهم قبل الفعل ولا علمهم بانه خلاف حالة الفعل ولا اصرار منهم عليه بعد الفعل كزلة الماشي في الطين لا يقع عن قصد منه اليها ولا ثبات منه عليها وقال القشيري اصبح ادم محمول الملائكة مسجود الكافة على راسه تاج الوصلة وفي وسطه نطاق القربة وفي جيده قلادة الزلفة لا احد فوقه في الرتبة ولا شخص مثله في الرفعة يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا ادم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استيناسه وتبدل مكانه وتشوش زمانه قال الشاعر • فاناخ لمن ما مسى بكراه • كذا من يامن الاحباب • وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي سبب الشيطان خروجهما وهو الوسوسة التي بها زلا لا امرا بالخروج وهو كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس وقوله تعالى حتى انسوكم ذكري وقوله تعالى فزادوهم رهقا وقوله مما كانا قال محمد بن قيس اي من اللباس الذي كانا فيه حتى بدت لهما سوآتهما وقيل وهو قول الاكثر اي من الجنة وانما قال فيه ولم يقل فيها صرفا الى قوله ما وقيل اي من الحال الذي كانا فيه يعني من النعمة والراحة الى البلاء والشدة وقيل اي من الطاعة الى الزلة وقوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو والهبوط الانحدار والهبوط بالفتح الحدور وهبط لازم ومتعد ودلت الكلمة انهما كانا في جنة الخلد حيث امرا بالانحدار وهو النزول من علو الى سفل فلم يستقم تاويلها ببستان في الارض ثم الامر بالجمع وهما اثنان في سبق الذكر لانه يتناول معهما غيرهما قال مجاهد الخطاب لادم وحواء عليهما السلام وابليس لعنه الله وقال ابن عباس والسدي الخطاب لهم وللحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو للحية وخامسهم الطاووس فقد دل ابليس لعنه الله على الحية فاخرج معهم من الجنة وهذا الامر وان انتظمهم في كلمة فما كان هبوطهم جملة بل هبط ابليس لعنه الله حين لعن بدليل قوله جل جلاله قال فاهبط منها وقال تعالى فاخرج منها وقال تعالى اخرج منها مذؤوما مدحورا وهبوط ادم وحواء والحية بعده بكثير واما قوله تعالى اهبطا منها فهو لادم وحواء عليهما السلام وقيل اهبطوا خطاب لهما وانما جمع رفعا لشانهما كما في قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ايلهما مع ذريتهما وهو كقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اي بمن فينا من الخلق ثم ظاهر هذا امر بالنزول الى الارض وقيل اراد به انحطاط المرتبة ونقصان المنزلة بسبب الزلة وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو اي ابليس لهما وهما لابليس وان جمع معهما الحية فهي عدو بني ادم وهم عدوها هي تلسعهم وهم يدمغونها وابليس يفتنهم وهم يلعنونه وان اريد بالاولاد ادم وحواء وذريتهما فالتعادي من التحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين وهذا اخبار عن كونه لا امر بتحصيله وقالوا العداوة مع ابليس دينية فلا ترتفع ما بقي الدين والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع ما بقي الطبع ثم هذه عداوة تاكدت بتنازعهم لكن حزبا يكون الله معهم كان الظفر لهم وقيل لما قال بعضكم لبعض عدو قال ادم الحمد لله حيث لم يقل انا لكم عدو والعدو هو الجاد ومن في مكروه صاحبه ماخوذ من التعدي ثم هذا اسم يصلح للواحد والجمع والذكر والانثى قال تعالى هم العدو فاحذرهم وهذا الاسم على بناء بعض المصادر وقوله تعالى ولكم في الارض مستقر اي موضع قرار وقد قر واستقر والمستقر من مكان الاستقرار وقيل اراد المستقر مكان القرار من الارض

في الجن

في الحياة وقيل اراد به موضع القبور وهو قول السدي ثم المستقر ثلاثة رحم الام قال تعالى فمستقر ومستودع اودع في صلب الاب واستقر في رحم الام والثاني الدنيا قال الله تعالى ولكم في الارض مستقر والثالث في العقبى اما في الجنة قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واما في النار قال تعالى الى ربك يومئذ المستقر وقوله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما وقوله تعالى ومتاع اي معاش وقيل اي مدة وقيل اي منفعة وقيل اي بلاغ وقيل المتاع ما يتمتع به من مرافق العيش من الاكل والشرب واللبس والسكنى وغير ذلك وحقيقته طول الانتفاع بالشيء يقال متع النهار اي طال واستمتع بالشيء اي انتفع به طويلا وقوله تعالى الى حين اي غاية والحين في الاصل اسم الزمان المجهول قال الشاعر • كل امر راجع يوما لشيمته • وان تخلق اخلاقا الى حين • وجاء في القرآن لوقت الصلاة قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وجاء لستة اشهر قال تعالى تؤتي اكلها كل حين وهو من حين يطلع الى حين يرطب وجاء اربعين سنة قال تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر وجاء لمدة الدنيا كما في هذه الاية عند بعضهم وقد قال ابن عباس والسدي رضي الله عنهم اي الى الموت وقال مجاهد والضحاك اي الى قيام الساعة وهذا في حق الجميع والاول في حق الافراد ولما هبطوا وقع ادم بارض الهند على جبل سرنديب ولذلك طابت رايحة اشجار تلك البقعة لما معه من ريح الجنة ووقعت حواء بجدة وبينهما سبعمائة فرسخ والطاووس بمرج الهند والحية بسجستان وابليس بسد ياجوج وماجوج وقيل وقعت الحية باصبهان والطاووس بعبادان وكانوا في احسن حال فابتلي ادم بالحرث والكسب وحواء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث وجعل الله قوائم الحية في جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلي طاووس وجعل ابليس باقبح صورة وافضح حالة وكان مكث ادم وحواء في الجنة من وقت الظهر الى وقت العصر من ايام الاخرة وقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الكلمات جمع كلمة وهي مجموع حروف وتذكر الكلمات في القرآن لمعاني العلم كما في قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي وللقرآن كما في قوله تعالى وتمت كلمات ربك وللفرائض كما في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وللوعد كما في قوله تعالى لا تبديل لكلمات الله واختلفوا في المراد بهذه الكلمات قال علي ومجاهد رضي الله عنهما هي قوله لا اله الا انت سبحانك ربي عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانت خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني فانت خير الراحمين قال علي رضي الله تعالى عنه من قالها غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج ومثل زبد البحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي التحميد والتسبيح والاستغفار والمناسك يعني امر حج البيت وتكلم بها وقيل هي الصلوات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ان ادم قال بحق محمد ان تغفر لي قال وكيف عرفت محمدا قال لما خلقتني ونفخت في الروح فتحت عيني فرايت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه اكرم الخلق عليك حيث قرنت اسمه باسمك قال نعم وغفر له بشفاعته وقال سفيان قال ادم يا رب يعرفني انه لا ينسى ساعة الا بمشيئتك وقدرتك ان تغفر لي فغفر له وقيل قال يا رب ما خدعت الا بك فقال صدقت وتاب عليه وقيل هو هذا الدعاء اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي وقال الله تعالى قد قالها من ذريتك هذا غفرت له ذنوبه وقيل اوحى الله تعالى اليه ان من اذنب ذنبا صغيرا او كبيرا ثم ندم واعتذر وعزم ان لا يعود فاني اتوب عليه فتلقى ادم هذا من ربه فقبله وعمل به فتاب عليه وقيل في الاوامر والنواهي قبلها وائتمر بما امر وانتهى عما نهي فغفر له ودليله قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وقيل هي قولهما ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو قول مجاهد وسعيد بن المسيب والحسن والربيع بن انس وقال ابن عباس والسدي قال رب خلقتني بيدك ونفخت في من روحك وسبقت رحمتك غضبك ارايت ان تبت واصلحت فهل انت راجعي الى الجنة قال نعم فتاب ادم فتاب الله عليه وقال عبيد بن عمير قال يا رب ما ابتليتني اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي او شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي فغفر له وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام ما قال ابونا ادم صلوات الله عليه حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وقال الامام القشيري رحمه الله جرى على لسان ادم مع الحق سبحانه كلمات واسمع الحق سبحانه ادم كلمات واجمل الحق سبحانه القول في ذلك اجمالا اما لتبقى القصة مستورة او ليكون الاحتمال في الظنون مساغ ولما تحمله الحال من التاويل مطرح ويحتمل ان تكون كلمات ادم عليه السلام اعتذارا وتنصلا وكلمات الحق سبحانه قبولا وتفضلا ويقال حين امره بخروجه من الجنة جعل ما اسمعه اياه من لذيذ خطابه له زادا ليكون له تذكرة وعيادة لقائهم • واذكر ايام الحمى ثم انثني • على كبدي من خشية ان تقطعا • ومخاطبات الاحباب لا تحتمل الشرح ولا يحيط بها الاجانب علما وقرا ابن كثير فتلقى ادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع

ومعناه جاءت الكلمات آدم وهو كقوله تلقيت زيدا وتلقاني وقوله تعالى فتاب عليه التوبة الرجوع يقال
تاب اليه واناب وآب وقيل تاب العبد الى ربه اى رجع اليه من ذنبه وتاب الله عليه اى وفقه للتوبة وقبلها
منه وقوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا هذا التوفيق على التوبة وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله
يتوب عليه هذا القبول التوبة وفي هذه الآية تصحيح لهما وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان وبترك
الذنب الآن وبالعزم على ان لا يعود اليه في مستأنف الزمان وفي مظالم العباد بهذه الاشياء وبارضاء الخصم
بايصال حقه اليه باليد والاعتذار منه باللسان وقوله تعالى انه هو التواب الرحيم اى الكثير القبول
للتوبة وهذا وعد من الله ان العبد اذا اذنب وتاب ثم وقع في الذنب ثم تاب وتكرر ذلك منه قبل الله منه
كل ذلك اذا كانت التوبة في كل مرة صحيحة وقوله تعالى الرحيم مر تفسيره في البسملة ومعناه ههنا انه يرحم
التائب فيغفر حوبته ويقبل توبته وقيل الكلمات ثلاثة اشياء الحياء والبكاء والدعاء قال شهر بن حوشب
مكث آدم صلوات الله عليه ثلاث مائة سنة لا يرفع رأسه حياء وقال ابن عباس رضي الله عنهما بكى آدم وحوى
صلوات الله عليهما مائة سنة فان قالوا لم قال فتاب عليه ولم يقل عليهما وقد سبق ذكر آدم وحوى قلنا لان ذكر
التلقي من آدم وحده فذكر قبول التوبة كذلك ولان مبنى حال النساء على سترهن والسكوت عن ذكرهن
ولان تفريغ القلب في الدنيا للانبياء على الخصوص ولانها كانت تبعا لآدم فثبت حكمها بذكر المتبوع ولان
الاثنين اذا كان معنى فعليهما واحدا فذكر احدهما ذكرهما قال تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وقال عز وعلا والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ودلت الآية ان العصيان
لا يزيل الايمان وهو رد على الخوارج ودلت الآية ايضا على بطلان قول المعتزلة ان الصغيرة مغفورة لا يجوز
العقاب عليها ولا يجب التوبة منها وما كان من آدم كان زلة وهي دون الصغيرة وقد عوقب عليها وامر بالتوبة
عنها ثم الحكمة في ابتلاء آدم بذلك من وجوه ذكرها الامام ابو منصور رحمه الله احدها ما كان في صلبه من الكفرة
ومن ليسوا من اهل الجنة والثاني رحمة للخلق لئلا ييأسوا ولا يزيلوا الولاية لكل ذنب والثالث لينبه الخلق
ان لا احد يقوم يتعهد نفسه عما ندم عليه اذا وكلت نفسه اليه فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر الى انفسهم
داعيا الى التضرع الى الله تعالى ليعصمهم عن كل شر وقال يوسف صلوات الله عليه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي وقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا انما كرر الامر بالهبوط لانه يتصل بكل واحد منهما
معنى آخر فالاول اهبطوا على عداوة بعضكم لبعض وعلى سكناكم في الارض الى حين ثم ذكر امرهم بالهبوط ثانيا
للابتلاء بالعبادة بقوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض
بينهما كلام وهو تلقيه الكلمات ونيله قبول التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثاني وهو الابتلاء بالعبادة
والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وقوله تعالى فاما يأتينكم الفاء للتعقيب واما كلمتان ان وهي
كلمة شرط وما وهو للصلة وثبات شرط والنون للتاكيد تعادت الباء المحذوفة بالشرط وقال الامام ابو منصور
رحمه الله معناه لما يأتينكم قال وهذا جائز في اللغة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هذا بشرط وان كان ظاهره
شرطا الا ترى انه لا جواب له قال الامام الحجاج نجم الدين رضي الله عنه وجه تصحيح هذين الكلامين مع تقرير
العربية على وجهها وحقيقتها انه شرط والمشروط قد يكون وقد لا يكون واتيان الهدى كان مما يكون لا محالة
لكن اسس هذا البناء شرط آخر عليه واراد جواب بعدهما والمشروط الثاني مما يكون من بعضهم ولا يكون من بعضهم
فكان مقتضى الشرط في ذلك لا في هذا فتقرر الاول وتعلق الثاني بالشرط وتقديره سيأتيكم مني كتاب هاد
ورسول هاد ومتى يأتكم ذلك فمن تبع هداي فلا خوف عليه ولا حزن فكان قوله فمن تبع جوابا لقوله فاما
يأتينكم وهو شرط آخر يقتضي الجواب فجعل جوابه فلا خوف ثم هذا الجزاء مع شرطه جواب للشرط الاول وقيل
الجزاء الاخير جواب للشرطين جميعا كما في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ولم يجئ
له جواب ثم قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فاذا جواب للكل وقوله تعالى مني هدى
مصدر اريد به النعت وهو الهادي وهو نعت منعوت مضمر وهو الكتاب او الرسول وانما وحد لان المراد احدهما
او يذكر احدهما يصير الآخر مذكورا فان الرسول يأتي بالكتاب والكتاب ينزل على الرسول وهدى مرفوع بفعله
وهو الاتيان وقال ابن عباس رضي الله عنهما قوله فاما يأتينكم مني هدى خطاب لذرية بني آدم عليه السلام
لان ابليس لعنه الله وذريته لا يأتيهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع وقال مقاتل بن حيان هدى هو محمد
صلى الله عليه وسلم فمن اتبعه واطاعه لا خوف عليه ولا حزن وقوله تعالى فمن اتبع هداي يقال تبعه واتبعه
بالتشديد اى تلاه واتبعه اى لحقه قال تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده وتفسيره فمن عمل بالكتاب فلم يخالفه
واطاع الرسول فلم يفارقه وقوله تعالى فلا خوف عليهم اى فليس عليهم خوف فيما بين ايديهم من الآخرة
ولا هم يحزنون اى لا يهتمون على ما فاتهم من الدنيا وقيل اى فلا خوف عليهم من عقاب ولا حزن بفوت
ثواب وقيل الخوف استشعار غم لفقد مطلوب والحزن استشعار غم لفوت محبوب قال تعالى اخبارا عن يعقوب

صلوات

صلوات الله عليه اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وقيل فلا خوف عليهم من الضلالة في الدنيا
ولا حزن الشقاوة في العقبى قال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ثم وحد الشرط ههنا وجمع الجزاء
في قوله ذهب الله بنورهم وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وانما ذكر الكافرين ومعناهما واحد
تقريرا لقبائحهم وتكريرا لفضائحهم كما قال تعالى واضل فرعون قومه وما هدى وقيل الكفر نفي ما لله تعالى
من الصفات الحميدة والتكذيب هو اثبات ما لا يليق بالله تعالى من الصفات الذميمة والآيات العلامات الدالة
على وحدانية الله تعالى من الكتب المنزلة وغير ذلك وقوله تعالى اولئك اصحاب النار اى سكان جهنم جمع صحب
وصحب جمع صاحب فهو جمع الجمع ونظيره الاشهاد والابصار والصحبة في معنى الوصلة سموا اصحابها لاتصالهم بها
وبقائهم فيها وقوله تعالى هم فيها خالدون اى دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها هذه الآية في وعيد من
لم يتبع والآية الاولى في وعد من تبع وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله فمن اتبع هداي اى تبعه ودام عليه
حتى مات وكذا في آية الوعيد قال وفي الآيتين نقض قول الجهمية ان الجنة والنار يفنيان وينقطع ما فيهما
فان الله تعالى نفى الخوف والحزن وذكر في عذاب اهل النار انه شديد اليم ولو كان لهما فناء ورجاء فنائهما لهان ذلك
عليهم وكانوا اسعد حالا من اهل الجنة فان اهل الجنة يخافون زوال تلك النعمة وهو اجل محنة وهؤلاء يرجون
زوال العقوبة وهو اجل نعمة وقوله تعالى يا بني اسرائيل انتظامه بختم قصة آدم عليه السلام انه وعد متبع الهدى
بالجنة ومخالفه بالعقوبة وحثهم في هذه الآية على الوفاء بعهده وهو الايمان به والطاعة ليوفي بعهدهم وهو ادخال
الجنة قال تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقد قال ومن اوفى بعهده من الله بعد قوله بان لهم الجنة وانتظامه
بتمام قصة آدم ان الله تعالى عدد علينا نعمه على ابينا وعدد على بني اسرائيل نعمه على ابنائهم وانتظامه بما قبل
قصة آدم انه قال الذين ينقضون عهد الله ثم امر ههنا بالوفاء بعهد الله وقوله يا بني اسرائيل اى يا اولاد يعقوب
واصله بنين وهو جمع ابن وسقطت النون للاضافة والبنون اسم للذكور والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا كالاخوة
والرجال يشمل الذكور والاناث اذا اجتمعوا واسرائيل اسم يعقوب قال ابن عباس رضي الله عنهما اسرا بالعبرانية
عبد وايل هو الله ومعناه عبد الله وفيه لغات وقيل اخر لا يعتمد عليها وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
يجوز ان يكون امرا بالذكر الذي هو مضموم الذال وهو بالقلب خاصة وهو الحفظ الذي يضاد النسيان
ويجوز ان يكون امرا بالذكر الذي هو مكسور الذال وهو يقع على الذكر باللسان والذكر بالقلب يكون امرا بشكر
نعمه باللسان وحفظها بالجنان فلا يكف عن قضاء حقها بالغفلة والنسيان والنعمة اسم جنس فيقع على الكل في
مثل هذا قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واختلف في المراد ههنا قيل هي كل النعم التي انعم الله تعالى
بها على كل خلقه وهي كلها تقتضي الوفاء بعهده وقيل هي النعم التي كانت على سلفهم من الانجاء وبعث الانبياء
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى للطعام وتفجير العيون من الحجر للشراب وسائر ما عددها في هذه
الآيات وجعل اكله انعاما على الابناء لانهم يتشرفون بشرف الآباء وهذا قول الحسن رحمة الله عليه وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هي ما استودعهم من التورية التي فيها صفة رسوله وبعثة نبينا وقيل النعمة هو محمد صلى الله عليه وسلم
وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا فكانه قال احفظوا حقه وآمنوا به واوفوا بعهدي فيه وكان بعثه
لهم لانه بعث في وقت اختلافهم وتغييرهم الكتاب وفي وقت فترة الرسل وكان في طاعتهم نجاتهم ونظيره قوله
تعالى فكفرت بانعم الله يعني محمدا عليه السلام وانما ذكره باسم الجمع لكثرة ما فيه من النعم كما سمى ابراهيم امة لقيامه مقام
الامم وقوله تعالى واوفوا بعهدي قيل هو الامر بالوفاء بالميثاق الذي اخذ الله تعالى على ذرية آدم عليه السلام من الايمان
والائتمار باوامره والعهد اسم للايمان قال الله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا اى هل قلتم لا اله الا الله وقيل
هو ما اخذ عليهم ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ابن عباس والربيع اى اوفوا
بما امرتكم به اوف بما وعدتكم به والعهد يكون بمعنى الامر قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم وقال تعالى الم اعهد اليكم
يا بني آدم وقال عز وجل وعهدنا الى ابراهيم فكان قوله اوفوا بعهدي اى امري وقوله تعالى اوف بعهدكم اى بوعدي
ويكون العهد بمعنى الوعد قال الله تعالى ومن اوفى بعهده من الله اى بوعده فقد قال وعدا عليه حقا وقال تعالى
ومنهم من عاهد الله اى وعد فقد قال بما اخلفوا الله ما وعدوه وقيل اى اوفوا بعهدي في اداء الفرائض
اوف بعهدكم بقبولها والجزاء عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان عهده الى بني اسرائيل على لسان موسى
صلوات الله عليه اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له
ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين فذكرهم ذلك بهذه الآية وقيل اوفوا بعهدي في مجاهدة
انفسكم اوف بعهدكم في معونتكم عليها وقيل اوفوا بعهدي في اخلاص سرائركم اوف بعهدكم في اصلاح ظواهركم
وقيل اوفوا بعهدي في اصلاح دنياكم اوف بعهدكم في اصلاح عقباكم وقيل اوفوا بعهدي اى اجيبوني فيما قلت
لكم افعلوا ولا تفعلوا اوف بعهدكم اجبكم فيما قلتم لي افعل ولا تفعل قال تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وهو قول سفيان الثوري وقال الامام ابو منصور رحمه الله عهد الله الى الخلق على وجهين

عهد خلقه لما جعل في خلقه كل واحد دلائل تدل على معرفته وتوحيده وانه لم يخلقه للعبث ولا يتركه سدى وعهد رسالة على ألسنة الرسل قال الله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا وقوله اوف بعهدكم هو قوله تعالى لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وقال الامام القشيري رحمه الله النعمة ما أشهدك المنعم او ما ذكرك المنعم او ما اوصلك الى المنعم او ما لم يحجبك عن المنعم وقال انه سبحانه امر بني اسرائيل بذكر النعم وامر امة محمد بذكر المنعم فقال تعالى اذكروني اذكركم وقال في قوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اوفوا بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم يوم التلاق اوفوا بعهدي ان لا تؤثروا علي غيري اوف بعهدكم ان لا امنع عنكم خيري اوفوا بعهدي في استدامة عرفاني اوف بعهدكم في ادامة احساني اوفوا بعهدي في القيام بخدمتي اوف بعهدكم في قبولها منكم بمنتي اوفوا بعهدي بحسن المجاهدة اوف بعهدكم في دوام المشاهدة اوفوا بعهدي بصدق المحبة اوف بعهدكم بكمال القربة اوفوا بعهدي كي تكتفوا بي مني اوف بعهدكم ارضى عنكم بكم اوفوا بعهدي في دار المحنة على بساط الخدمة بشد نطاق الطاعة وبذل الوسع والاستطاعة اوف بعهدكم في دار القربة على بساط الوصلة بادامة الانس والرؤية اوفوا بعهدي بقولكم ابدا ربي ربي اوف بعهدكم بقولي ابدا عبدي عبدي وقوله تعالى **واياي فارهبون** قال القشيري اي افردوني بالرهبة لانفرادي بالقدرة قال الامام ابو منصور رحمه الله اي اخشوا سلطاني وقدرتي قال وقيل اي اخشوا عذابي ونقمتي قال وقيل اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت نبيي محمد عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما واياي فارهبون اي ان ينزل عليكم من العذاب كما انزل على من قبلكم وقد بينا في قوله تعالى اياك نعبد ان تقديمها يقتضي الافراد معناه اخشوني ولا تخشوا غيري كما قال تعالى فلا تخشوهم واخشوني واصل فارهبون فارهبوني بياء الاضافة وبه قرأ بعض القراء وحذفت تخفيفا لموافقة رؤوس الآي وقوله تعالى **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** وهو تفسير العهد الذي مر اي آمنوا ايها اليهود بالقرآن الذي انزلته على محمد مصدقا لما معكم نصب على القطع ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اي بالقرآن الذي انزلته مصدقا لما معكم اي موافقا للتوراة التي معكم في التوحيد والاخبار عن الامور الماضية والمستقبلة وفيها ذكر نعته وانزال القرآن عليه واما الاختلاف في الشرايع والاحكام فلا يوجب التناقض لانه نسخ ويجوز نسخ بعض ما في كتاب ببعضه فكيف بكتابين والنسخ بيان مدة الحكم الاول لا بداء فجاز وقوله تعالى **ولا تكونوا اول كافر به** قيل بالقرآن وقيل بمحمد عليه السلام وقد ثبت ذكرهم بذكر الانزال لانه انزل عليه فجاز صرف الكناية اليه وقيل اي لما معكم وهو التوراة فان فيه نعت محمد عليه السلام والصرف الى القرآن قول ابن جريج والصرف الى محمد عليه السلام قول ابي العالية والصرف الى التوراة قول الزجاج ثم لم يقل اول كافرين على الجمع لان الكافر اسم مشتق من فعل فيكون بمعنى من فعل فيدل على الجمع ويجوز جمعه على الحقيقة قال الشاعر ۞

۞ فاذا هم طعموا فألأم طاعم ۞ واذا هم جاعوا فشر جياع ۞ وحد في الاول وجمع في الثاني ويقال الجيش يقبل والجند منهزم ولا يجوز هذا في الاسم الذي ليس بمأخوذ من الفعل فلا يجوز الجيش رجل ولا الجند غلام بل يقال الجيش رجال والجند غلمان وقال الاخفش فيه اضمار اي اول فريق كافر به فوحد على اللفظ دون المعنى ثم معناه اول كافر من اهل العصر فقد كان قبلهم اهل الكفر ومعنى النهي عن الكفر اولا والكفر ولا واخراجا لان فيه زيادة قبح ووبال اي لا تكونوا اول من يكفر فيقتدي بكم غيركم قال النبي عليه السلام من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وذلك انه عليه السلام قدم المدينة فكذب به يهود المدينة ثم بنو قريظة وبنو النضير ثم خيبر ثم فدك ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود وقوله تعالى **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** قد فسرنا الاشتراء في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ومعناه ههنا لا تأخذوا على تعليمها الكتاب اجرا وهذا قول ابي العالية وكان يكتب عندهم في الكتاب يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقال الحسن اي لا تأخذوا على تغيير كتابكم وتبديله ثمنا وقال السدي اي لا تأخذوا طمعا على كتمان ما فيه من ذكر محمد وتصديق القرآن وقصة نزولها ان كعب بن الاشرف قال لاحبار اليهود ما تقولون في محمد فقالوا انه نبي فقال لهم كان لكم عندي صلة وعطية لو قلتم غير هذا قالوا اجبناك من غير تفكر فامهلنا حتى نتفكر وننظر في التوراة فخرجوا وبدلوا نعت المصطفى بنعت الدجال لعنه الله ثم رجعوا وقالوا ذلك فاعطى كل واحد منهم صاعا من شعير واربع اذرع من كرباس فهو القليل الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية وقيل انما سماه قليلا لان الدنيا كلها قليلة في نفسها لاسيما اذا قوبلت بالآخرة وبما يترك بها ثم انما اخذوه لم يكن شيئا حقيقة لكن اخذوه عوضا عما تركوه فكان في صورة ثمن المبيع وقد قال الشاعر ۞

۞ ان كنت حاولت دنيا او ظفرت بها ۞ فما اصبت بترك الحج من ثمن ۞ وقوله تعالى **واياي فاتقون** اي اخشوني كما قال واياي فارهبون وانما اعاده لان الاول معناه اخشوني في نقض العهد وهذا معناه اخشوني

في كتمان نعت محمد وما ذكر في هذه الآية وانما يسهل الائتمار بالامر والانتهاء بالنهي لمن خشي الله عز وجل فامرهم هنالك بخشية تسهل عليهم الائتمار بالامر في تلك الآية واعاد الامر بها ههنا ليسهل عليهم الانتهاء عما نهى عنه في هذه الآية وقوله تعالى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اللبس بفتح اللام الخلط من باب ضرب واللبس بالكسر الاكتساء من باب علم وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه لا تخلطوا الصدق بالكذب اي نعت محمد عليه السلام بنعت الدجال وقال مجاهد اليهودية والنصرانية بالاسلام وقيل اي التوراة المنزلة بما كتبتم بايديكم وقيل اي الامانة بالخيانة لانهم ائتمنوا على ما في التوراة ان يبدوه ولا يكتموه فخانوا من وجهين بكتمانه وتبديله وقوله تعالى **وتكتموا الحق** عطف على النهي الاول اي فلا تكتموا الحق وهو امر محمد عليه السلام وقيل القرآن وقيل الايمان وقوله تعالى **وانتم تعلمون** انه حق ولكنكم تكابرون فقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وهو نهي عن التغيير وقوله وتكتموا الحق هو نهي عن الكتمان وكلاهما منهيان واضمار لا ههنا كاضماره في قوله ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وقيل هذا خطاب للمشركين وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل هو خطاب للمنافقين ومعناه لا تخلطوا الاخلاص بالنفاق ويجوز صرفه الى المسلمين والى كل صنف منهم ويأتي ندائها السلاطين لا تخلطوا العدل بالجور وايها القضاة لا تخلطوا الحكم بالرشوة وكذا كل فريق وقال الامام القشيري ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي لا تؤثروا على عظيم حقي خسيس حظكم واياي فاتقون فكثير من يتقي عقوبته وعزيز من يهاب رؤيته ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تتوهموا ان يلتئم لكم جمع الضدين والكون في حالة واحدة في محلين فاما مخلوط بحق واما مربوط بحظ ولا تلبسوا الحق تدليس ولا تكتموا الحق تلبيس وانتم تعلمون ان الحق تقديس وقوله تعالى **واقيموا الصلوة** اي قبلوها وادوها **وآتوا الزكوة** كذلك وقيل اقيموا الحمد والثناء له بالسنتكم وآتوا الزكوة اي طهروا انفسكم عن الكفر والمعاصي قال الله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى اي تتطهر وقال نفسا زاكية وقرئ زكية اي طاهرة وزكوة المال سميت بها لمعنيين الطهارة كما ذكرنا والنماء يقال زكا الزرع اذا نما وسميت بها لنماء المال بها بالزيادة وطهارة مؤديها بالمغفرة وقوله تعالى **واركعوا مع الراكعين** الركوع في اللغة هو التطامن والانحناء قال لبيد بن ربيعة العامري ۞ اخبر اخبار القرون التي مضت ۞ ادب كاني كلما قمت راكع ۞ وفي الشرع هو ركن مخصوص في الصلوة بين القيام والسجود ومعنى الآية ركعوا في الصلوة ركوع اهل الاسلام ولم يكن لصلوة اليهود ركوع اي اسلموا واعملوا عمل اهل الاسلام ولذلك قال مع الراكعين اي مع المسلمين الذين يركعون في صلاتهم وقيل الركوع ههنا اسم لكل الصلوة وقد مر في قوله تعالى هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ان الصلوة لها اسام منها الركوع ومعناه صلوا مع المصلين ولئن تعينا ان احدهما صلوا مع امة محمد صلوتهم اي اشرعوا في دينهم واعملوا وصلوا صلوتهم المشتملة على كل اركانها واستقبلوا بها القبلة كاستقبالهم والراكعين اسم امة محمد عليه السلام ولهم اسام كثيرة في القرآن والثاني صلوا مع المصلين وهو امر باقامة الجماعة دون الانفراد بها ثم هذا ليس تكرارا لقوله واقيموا الصلوة لان ذلك امر بقبولها واداء اصلها وهذا امر بالركوع فيها واقامتها بالجماعة مع اهلها وقوله تعالى **اتأمرون الناس بالبر** البر في اللغة لاشياء للصدق وتحفظ اليمين ولمراعاة حق الوالدين والطاعة واللطف والصدق من حد علم والنعت البر بالفتح والبار ومعناه ههنا عند السدي اتأمرون الناس بطاعة الله وانتم تعصونه وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتأمرون الناس بالتمسك بكتابكم وتتركونه انتم بجحدكم ما فيه من نبوة محمد عليه السلام وقيل اتأمرون الناس بالصدقة وانتم تضنون وقيل وهو الاظهر والاشهر اتأمرون الناس بتصديق محمد واتباعه وانتم تخالفونه ونزول الآية في علماء اليهود فان الرجل منهم كان يقول لصهره وقريبه ورضيعه من المسلمين في السر اثبت على هذا الرجل فان ما يقول لحق وكانوا لا يفعلون ما يأمرون به كيلا تفوتهم الرشوة والرياسة فنزلت الآية وقيل كانوا يقولون للفقراء منهم الذين لا مطمع لهم فيهم بالسر آمنوا بمحمد فانه حق وكانوا يقولون للاغنياء نرى فيه بعض علامات نبي آخر الزمان دون بعض فانتظروا واستفادوا لما ينالون منهم وقوله تعالى اتأمرون الناس هذا استفهام بمعنى التوبيخ والتهديد وقوله تعالى **وتنسون انفسكم** النسيان في اللغة نقيض الذكر والنسيان الترك ايضا والنسيان التأخير ايضا والنسي ما سقط في منازل المرتحلين من رذال امتعتهم فيقولون تتبعوا انساءكم وهو جمع ذلك قال الشاعر ۞ كأن لها في الارض نسيا تقصه ۞ ومن الاول قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ومن الثاني قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا امر الله فتركهم مخذولين ومن الثالث قول الرجل لآخر نسيت امري اي اخرته عن سائر الامور ومعنى الآية ههنا ولا تعقلون انتم كانكم نسيتم انفسكم او تتركون انفسكم فلا تنجونها عن العقوبة بالايمان به ومنا يعينه او تؤخرون امور انفسكم فلا تتبعونه في الحال لئلا ينقطع مرافق اغنيائكم عنكم ومن عزمكم ان تتبعوه يوما وشيء ما صرا ركم

وتاخيركم يبقيكم على الكفر الى اخر العمر وكذا حال من تمادى في العصيان والفساد وهو يقول اتوب عند الكبر والشيب وربما يفجوه الموت فيبقى في حسرة الفوت وقوله تعالى وانتم تتلون الكتاب اي التوراة وتعرفون ان المصطفى حق وكتابه صدق ثم تخالفون علمكم وقوله تعالى افلا تعقلون اى اليس لكم عقل تعرفون به انه قبيح عنكم ترك اصلاح انفسكم والاشتغال بغيركم وقبح ايضا مخالفة ما تعلمون وقيل اى تتلون في كتابكم ان المحمود من عمل بما علم ثم امر غيره به لا من امر غيره به وترك نفسه وفي كتابنا ذلك ايضا قال الله تعالى يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ثم سماهم فقال واولئك من الصالحين وقال ابراهيم النخعي رحمه الله منعني عن الجلوس للعامة ثلاث آيات وقال لواهي دامغة الواعظين قوله تعالى خبرا عن شعيب النبي صلوات الله عليه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وقيل في معناها اية اخرى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة ولا يجعل ثم هذا التوبيخ ليس على امر الناس بالبر بل لترك العمل به لهذه الاية بل يجب العمل به ويجب الامر به وقد قال عليه السلام مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله وهذا لانه اذا امر به مع انه لا يعمل به فقد ترك واجبا واذا لم يامر به فقد ترك واجبين وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة اى بالصبر على الطاعات وترك السيئات وتحمل الاذى والمصيبات وجهاد الاعداء والمحاربات وبالصلوات على تكفير السيئات وقضاء الحاجات فان الصبر حبس النفس وهو يكون على اداء الطاعات مع شغفها وعلى ترك المعاصي مع شهوتها والباء للاداة والالة وما يستعان به على مقصود وهو تكفير السيئات فان الله تعالى قال والصابرين والصابرات الى ان قال اعد الله لهم مغفرة والصلوة كذلك قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويستعان به على قضاء الحاجات تقرو هوا المضير عند بعضهم فان الصبر مفتاح الفرج والصلوة ينال بها الحاجة ايضا قال الله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا وقيل الصبر هو الصوم وسمي شهر رمضان شهر الصبر لانه شهر الصوم وبالصبر بالصلوة يستعان على الكفارات والحاجات ايضا اما الصلوة فقد بينا فيها ذلك واما الصوم فلان شهر الصوم هو شهر المغفرة وشهر اجابة الدعوة وقيل استعينوا بالصوم والصلوة على سائر الطاعات فان الصوم باب العبادة كما حكي وقيل معناه استعينوا بهما على طلب الاخرة وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله استعينوا بالصبر وهو الصوم على رياضة النفوس وبالصلوة على تنور القلوب فانه اذا صام وجاعت نفسه عن الطعام شبعت عن الذنوب واذا صلى فيها مناجاة الله وقرة العيون وقيل معناه استعينوا بالصبر في الحروب على معونة النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته بالصلوة على حسن العمل لله وخدمته وقيل معناه استعينوا بالله على الصوم والصلوة فالمستعان هو الله تعالى وان لم يذكر في هذه الاية والباء في الصبر والصلوة بمعنى على كما في قوله تعالى وظنوا انه واقع بهم اى عليهم وقيل معناه استعينوا بالله على الصبر على زوال الرياسة والماكل وعلى الصلوة الى الكعبة فانهما كانا يشقان على اهل الكتاب ودليله قوله تعالى وانها لكبيرة اى ثقيلة كما في قوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه واصله العظمة والشيء قد يعظم في نفسه قدرا وقد يكون عملا فيعظم على مباشره فعلا والهاء في وانها راجعة للاستعانة التي تثبت مقتضى قوله واستعينوا والاستعانة بهما اى بتحصيلهما على الاشياء التي ذكرنا اضمارها انها كانت تشق عليهم وقيل انها راجعة الى الصلوة واذا ذكر شيئان وذكرت كناية تعقبهما فالاصل صرف الكناية على التثنية اليهما ويجوز الصرف الى احدهما اختصارا والاولى الصرف الى احدهما لانه اقرب الى ذلك قال الله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فاما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فانما صرفت الكناية الى الاولى وهي التجارة لان اللهو تبع للتجارة فكان صرف الكناية الى المتبوع اولى على ان كل واحد منهما جائز فان كل واحد منهما سبق ذكره وكذلك قرئ في قوله تعالى امنة نعاسا يغشى بالياء والتاء جميعا وكذا في قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلي بالتاء والياء لتشتق ذكر المذكر والمؤنث جميعا وقوله تعالى الا على الخاشعين اى على امة محمد عليه السلام فهذا من اسمائهم كالراكعين على ما قلنا والخشوع في اللغة التذلل عن خشية الله تعالى وخشع اى تطامن وخشع ببصره اذا غضه وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين خشعت انفسهم بالتذلل بالايمان لله تعالى بما انزل وقال الضحاك والربيع الخاشعين الخائفين يقول ان ترك الرياسة والصلاة مع المسلمين الى الكعبة مع عبادتهم الصلاة الى بيت المقدس شاقة الا على الخاشعين لله تعالى بالاسلام والاستسلام وقوله تعالى الذين يظنون اى يوقنون قاله مجاهد وابن جريج والشعبي والربيع وقال ابن عباس رضي الله عنهما اى يعلمون وانما جازت تسمية العلم ظنا لان في الظن طرفا من العلم واليقين ولولاه لكان جهلا وهذا كقوله تعالى الا ان يظنا ان يقيما حدود الله وقوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله تعالى انهم ملاقوا ربهم اى يعاينوه وهو كناية عن شهود

يشهد

يشهد العرض والسؤال يوم القيمة وهو الوجه فيما يروى من الاخبار لقي الله وهو عليه غضبان وما يجري مجراه وقيل اى يعلمون انهم يموتون قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه واراد به الموت ولقاء الله وهو رؤيته ثابت عند اهل السنة والجماعة لكن في مثل هذا الموضع يستعار لانها دار مشهد الجزاء كما يقال قدم الى السلطان فامر بعقوبته او بمتابعته او بكرامته وفي قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه لا يمكن حمله على الرؤية التي هي كرامة بل هو على اشهاد مشهد الجزاء فكذا ما هو في مثله وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قد سبق ذكره مرة والتكرير للتاكيد والتقرير ولان الاول في انعامه عليهم وهذا الثاني في انعامه على ابائهم تعداد نعمه ما كان على الاسلاف من التفضيل على عالمي زمانهم وسائر ما ذكرهم فيما بعد من الاباء وذكر النعم على الاباء الزام الشكر على الابناء فانهم يشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال تعالى فضلتكم ولم يقل فضلت اباءكم لان في فضل ابائهم فضلهم وقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين الفضل الزيادة والنقصان اثباتها والافضال الانعام والتفضيل كذلك والفاضل من له الفضل معناه واذكروا ايضا انى جعلت لكم فضلا على اهل زمانكم باعطاء الرياسة والمال قاله ابو العالية وقال مجاهد وقتادة فضلتكم على من بين ظهرانيكم فانهم كانوا اولاد الانبياء وغير بني اسرائيل لم يكونوا كذلك ثم لم يكن لهم لهذا فضل على امة محمد عليه السلام فان الله تعالى قال لهم كنتم خير امة اخرجت للناس فكان هذا على خصوص دون العموم كما في قوله تعالى في حق مريم واصطفاك على نساء العالمين اى نساء زمانك فان خديجة وعائشة وفاطمة رضي الله عنهن افضل منها وقيل هو على العموم وهو في حق تظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى وتفجير الماء من الحجر فانهم خصوا به وكذا في حق مريم رضي الله عنها ان اريد به فضلها بالولد بغير اب فهو على العموم وقال الامام القشيري رحمه الله اشهد الله بني اسرائيل فضل انفسهم فقال فضلتكم على العالمين واشهد محمدا صلى الله عليه وسلم فضل نفسه تعالى فقال قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده فضل ربه ومشهوده فضل نفسه قد يورث الاعجاب ومشهوده فضل ربه يوجب الايجاب وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولما ذكر انه فضلهم بان جعلهم اولاد الانبياء قالوا ان اباءنا يخلصوننا يوم القيمة فقال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا قيل اى لا تغني وقيل اى لا تكفي وقيل اى لا تنوب وقيل اى لا تقضي وهذا هو الموافق لاصل اللغة يقال جزى الدين اى قضاه وتجازيه اى تقاضاه وجزاه بعمله اى قضاه في حقه وقال عليه السلام تجزي عنك ولا تجزي احدا بعدك اي تقضي عن اضحيتك وكفارتك وجزى عن فلان اى قضى عنه اى قام مقامه وناب عنه وكفاه امره وقوله تعالى نفس اى نفس مؤمنة اى عن نفس كافرة وهو كقوله لا يجزي والد عن ولده الاية وقال تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف تشفع وقد قال يوم يفر المرء من اخيه الاية ثم هذا في حق الكافر فاما المؤمن فقد استثناه فقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خالص عن الشرك وقال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا ثم قيل فيه مضمر واتقوا يوما لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا وانما حذف لانه ظرف ويجوز حذف في موضع الظرف تقول اتيتك اليوم واتيتك في اليوم وقال الشاعر ويوم شهدناه سليما وعامرا قليلا سوى الطعن النهال نوافله اى شهدنا فيه وفيه اضمار اخر عند قوله تعالى واتقوا يوما اي عذاب يوم لان نفس اليوم لا يتقى ويجوز ان يقال ان اليوم مخوف ايضا لان المخاوف فيه ثم انه تبارك وتعالى قال واتقوا النار وهو العامة وقال تعالى واتقون وهو الخاص وقوله تعالى ولا تقبل منها شفاعة يقرا بالياء والتاء من انث فلان الشفاعة مؤنثة لفظا واما التذكير فلان تانيث ما ليس بذي روح غير حقيقي ولان الفعل يقدم على الاسم ولان بينهما حائلا وفي القران واخذ الذين ظلموا الصيحة قد كان لكم اسوة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقال تعالى قد جاءكم بينة وقال وان كان طائفة منكم والحاصل ان ما كان تانيثه ليس بحقيقي تانيثه وتذكيره جائز ان تقدم او تاخر وكان بينهما حائل او لم يكن وفي الحقيقة يجوز تانيثها بكل حال وتذكيرها اذا تقدم الفعل وبينهما حائل ولا يحسن بغير حائل وقوله منها راجعة الى النفس التي ذكرت اولا وهي النفس المؤمنة التي لا تقبل شفاعتها في الكافر والشفاعة مصدر الشافع والشفيع وهو طالب قضاء حاجة غيره ماخوذ من الشفع لانه شفع نفسه بمن يشفع له في طلب مراده والشفعة منها وهي ضم ملك غيره الى ملك نفسه ولا شفاعة في حق الكافر قال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والكفار يقولون ذلك حين يرون المؤمنين شفعاء ومعونة الاصدقاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها لم ينلها وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وهو اثبات الشفاعة لمن اذن له بها وقال الامام القشيري قال الله تعالى هو الشفيع الاكبر على التحقيق وان كان لا يطلق عليه اسم الشفيع لعدم التوقيف وقد قيل

في معناه نظم ● الحمد لله شكراه ● وكل خير لديه ● صار الحبيب شفيعي الى شفيعي اليه ● وقوله تعالى ولا يؤخذ منها
عدل اي فدية قال تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها سميت الفدية عدلا لانها تعادل المفدى اي تماثله قال تعالى
او عدل ذلك صياما والعدل بالفتح مثل الشيء من خلاف جنسه وبالكسر مثله من جنسه ثم معناه لا يؤخذ من
الكافر فدية ينجو بها من النار ولا يجد ذلك ليفتدي به قال تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وقال تعالى ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم وقال تعالى
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وقال تعالى يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه الاية واما في حق المؤمنين فقد روي انه يعطي كل مؤمن يهوديا او نصرانيا فيقال
له هذا فداؤك من النار وقوله تعالى ولا هم ينصرون النصرة العون والنصرة المنع ايضا اي لا يعانون
عن ايدي المعذبين وهذا للكافرين فاما المؤمنون فقد قال في حقهم انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة
الدنيا الاية ثم انما جمع هذا مع ان الذي سبقه موحد لان ذلك نكرة في موضع النفي فكان للعموم وتناول
جميع الكفار فجاز ختم الاية بالجمع على المعنى ثم هذه الاية في نهاية البلاغة فانها جمعت ذكر الوجوه التي بها
يتخلص العبد عن النكبة التي اصابته في الدنيا ومن اريد ينوب عنه غيره في تحمل ما عليه او يفتدي بمال
فيتخلص بها او يشفع له شافع فيوهب له او ينصره ناصر فيمنعه فقطع الله عنها جميعا وقوله تعالى واذ
نجيناكم من ال فرعون اي واذكروا ايضا اذ خلصناكم وقد نجا ينجو نجاة وانجاه الله انجاء ونجاه تنجية
وقيل انجاه اي خلصه قبل وقوعه في المهلكة ونجاه بعد وقوعه فيها قال تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم
وهو قبل الوقوع وقال ههنا نجيناكم وهو بعد الوقوع وهذا ضعيف فانه قال نجينا صالحا والذين امنوا معه
ونحوه ولم يكن ذلك بعد الوقوع والصحيح انهما سيان والنجوة المكان العالي من الارض ايضا وانهما تخلص
ومعناه خلصنا اباءكم وجعل ذلك نعمة عليهم لانهم ينجون بنجاتهم ومن عادة العرب هذا تقول قتلناكم
يوم عكاظ اي قتل اباؤنا اباءكم وقوله من ال فرعون قال ابو عبيدة الال اهل بيته وقال بعضهم ال الناس
له وقيل هم اتباعه وحقيقة الال الذين تؤول امورهم اليه في نسبة او صحبة وفرعون قيل هو اسم الملك
الذي كان لهم في ذلك الوقت خاصة واسمه الوليد بن مصعب وقيل الوليد بن ريان وقيل هو اسم لكل من
كان ملك مصر كقيصر للروم وكسرى لفارس وخاقان للترك وتبع لاهل اليمن وقوله تعالى يسومونكم
سوء العذاب قيل اي يذيقونكم قال عمرو بن كلثوم ● اذا ما الملك سام الناس خسفا ● ابينا ان يقر
الخسف فينا ● والخسف الذل وقيل اي يكلفونكم الاعمال الشاقة وقال المفضل اي يريدونكم على ذلك
ويريدون بكم ذلك من المساومة في البيع وهي ارادة كل واحد من البايع والمشتري ثمنا غير ما يريد الاخر
وقيل اي يديمون عليكم ذلك وقد سام الماشية اذا اكرهها على العلل بعد النهل وداوم عليها وقوله سوء العذاب
اي اشده واشنعه ومعناه يحملونكم على ما فيه غاية الاذى ولا يكون العذاب الا سيئا لكن بعضه يخف
وبعضه يشتد فسوء العذاب ما اشتد منه ثم قوله يسومونكم هذا بيان ما نجاهم منه وقوله تعالى يذبحون
ابناءكم يجوز ان يكون تفسيرا لقوله تعالى يسومونكم اذ لا عاطف بينهما ويجوز ان يكون امرا اخر سواه فقد
قال في اية اخرى يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم بالواو وذلك دليل المغايرة وحذف الواو ههنا
تحذفها من قولك اكرمتك وهبت لك ولبيتك والذبح قطع الحلقوم والاوداج واصله الشق يقال ذبحت
المسك اي فتقت عنه والتشديد للتكثير كما يقال فتحت الباب وفتحت الابواب والابناء جمع الابن واصل
الابن البني بالياء وقيل بالواو فانه يقال في المصدر البنوة لكن هذا لا يدل على ذلك كالفتوة وهي بالواو
والفتى بالياء ولذلك يجمع فتية وفتيانا والاظهر انه من الياء لانه قيل معناه انه يبنى على ما بنى ابوه والمراد من
الابناء ههنا الذكور خاصة وان كان الاسم في غير هذا الموضع قد يقع على الذكور والاناث كالبنين قال تعالى يا بني ادم
يا بني اسرائيل لكن المراد هم الذكور لانهم كانوا يذبحون الغلمان لا غير وكذا اريد به الصغار دون الكبار لانهم
كانوا يذبحون الصغار وقوله تعالى ويستحيون نساءكم اي يستبقون بناتكم ويتركوهن حيات والاستحياء
استفعال من الحيوة والاستحياء الاسترقاق ايضا وكانوا يسترقونهن وهو من ابقاء الحياة ايضا فهي
وقيل اي يفتشون في حياء النساء من كشفه والنساء جمع المراة ولا واحد لها من لفظها وهي في الاصل اسم البالغات
دون الصغائر وانما ذكرت النساء ههنا وان كانوا يفعلون هذا بالصغار لوجوه احدها انه سماهن باسم المآل
لانهن اذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ وهذا كقوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله اعصر خمرا
وقوله انك ميت وانهم ميتون ولانهم كانوا يستبقون البنات مع امهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات
عند الاختلاط كما يقال اقبل الرجال اذا اقبل البالغون ومعهم الصغار واقبل النساء اذا اقبل البالغات
ومعهن الصغائر ومن فسره بتفتيشهن فروج البالغات فلا حاجة له الى هذا التاويل فان قالوا ان كان
ذبح البنين من سوء العذاب فاستبقاء البنات لم جعل من سوء العذاب فانه نعمة وسلامة قلنا لانهم كانوا

يستبقونهن للاسترقاق والاستسخار وتحميل المشاق الكبار ولان بقاء البنات مما يشق على الاباء ولا سيما
بعد ذبح البنين وقال القفال ويجوز ان الذبح والاستحياء جميع ما ذكر في قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب
فيحتمل ان يكون بعض ذلك فقد روي انه كان يؤخذ منهم الجزية والخراج ويكلفون ضرب اللبن والاعمال
القذرة وقال تعالى عبدت بني اسرائيل وروي انه كان جعلهم خدما فصنف يبنون له وصنف يزرعون له
ومن لم يكن له صنعة فعليه الجزية وكان سبب ذبحهم الذكران من الصغار ان كهنتهم ومنجميهم كانوا
يخوفونهم ويخبرونهم ان زوال ملكهم على ايدي بني اسرائيل وقيل كانوا ابناء اسرائيل يتحادثون انهم يسلطون
على ال فرعون ويزيلون ملكهم ويروون ذلك عن انبيائهم فكان ال فرعون لعنه الله يقتلونهم ارادة تكذيبهم
وقيل ان الكهنة والمنجمين قالوا ذاك في من يولد في وقت كذا فامر بذبح ذكرانهم وقال السدي راى فرعون
عليه لعائن الله في منامه ان نارا اقبلت من بيت المقدس فاشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وبيوتهم
وتركت بني اسرائيل فدعا الكهنة والسحرة والقافة فسالهم فقالوا يخرج من بيت المقدس رجل يكون
على يده هلاك مصر فامر ان لا يولد لبني اسرائيل غلام الا ذبحوه وقال القبط كلفوا بني اسرائيل الاعمال القذرة
فذلك قوله تعالى ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا الاية فجعل لا يولد لبني اسرائيل ابن الا ذبح ●
واسرع الموت في المشيخة فدخل رؤوس القبط على فرعون عليه اللعنة وقالوا ان الموت قد وقع فيهم ويوشك
ان يقع العمل على غلماننا فامر ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كانت السنة التي لا يذبحون فيها حملت
ام موسى بموسى القصة وحكي انهم بنوا له سبع حوايط جانعة اكبادهم وذبح من ابنائهم اثنى عشر الف صبي
وقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم البلاء النعمة كما في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا والبلاء
المحنة ايضا وغالب الاستعمال فيها واصله الاختبار والله تعالى يبلي عبده بالمحن ليمتحن صبره وبالنعم ليمتحن شكره
قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيات والبلي يبلي يستعمل في الخير ويبلي
يبلو في الخير والشر جميعا قال الشاعر ● جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ● وابلاهما خير البلاء الذي يبلو ●
فجمع بين الوجهين في الخير وقال تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
ثم تفسيره ههنا وفي ذلكم بلاء اي في ذلك الانجاء نعمة عظيمة من ربكم وقيل اي في ذلك التعذيب منهم
من التذبيح والاستحياء محنة عظيمة وقد سبق ذكرهما فصح صرف الكلام الى كل واحد منهما وفي اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك صدق دعوة الرسالة من الوجه الذي مر ودلت الاية على فائدة الصبر وقوله تعالى
واذ فرقنا بكم البحر الفرق الفصل والتفريق التمييز اي واذكروا ايضا نعمتي عليكم بان جعلت بحر النيل
افراقا اي اثنى عشر فرقا قال تعالى فكان كل فرق كالطود العظيم وبكم الباء وجهان احدهما لكم والباء قد
يجي بمعنى اللام قال تعالى ذلك بان الله هو الحق اي لان الله والثاني اي بدخولكم فتكون الباء على حقيقتها
والبحر سمي به لاستبحاره اي اتساعه وانبساطه وقوله تعالى فانجيناكم اي سلمناكم وهو انجاء قبل الوقوع
واغرقنا ال فرعون غرق في الماء من حد علم اي رسب فيه فهو غرق اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو
غريق وجمعه الغرقى وهو كالمرضى والجرحى وكل ما كان من نعوت الافات فهو كذلك والاغراق الاهلاك
في الماء وال فرعون قومه وهو فيهم لانه علم دخوله فيهم وقوله تعالى وانتم تنظرون نظر اليه بعينه راه ونظر
فيه بقلبه وقد راه واما التفسير فقد قيل اي تنظرون بابصاركم الى انفراق البحر حين سلكتم فيه وانطباقه
على ال فرعون حين غرقوا فيه بعد سلامتكم منه وقيل لم ينظروا اليهم حين غرقوا لكنهم اخرجوا اليهم بعد
فنظروا اليهم اذ سال موسى ربه ان يريهم اياه فلفظهم البحر فنظروا اليهم قاله الكلبي وقيل كانوا ينظرون
الى ذلك بانتظام امواج البحر بال فرعون في الموضع الذي صار لهم منه طريقا يبسا وذلك نظر عيان وقيل
تنظرون اي انتم في القرب منهم تواجهونهم وتقابلونهم وان كنتم لا ترونهم بابصاركم لبعدهم قاله الفراء
وهو كقول العرب دور فلان تتناظر اي تتقابل وتصديقه ان قوم فرعون لعنه الله قالوا له
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض الاية فامر الله تعالى موسى ان يخرج بني اسرائيل فامرهم ان يخرجوا
وان يستعيروا الحلي من القبط وامر ان لا ينادي احد منهم صاحبه وان لا يسرجوا في بيوتهم حتى الصبح
ومن خرج لطخ بابه بكف من دم ليعلم انه قد خرج فخرجوا ليلا والقبط لا يعلمون ووقع في القبط موت
فجعلوا يدفنونهم وشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس قال تعالى فاتبعوهم مشرقين فكان هرون امام بني
اسرائيل يقودهم وموسى على ساقتهم وخرج موسى في ستمائة وعشرين الف مقاتل لا يعدون فيهم ابن العشرين
لصغره ولا ابن الستين لكبره وتبعهم فرعون على مقدمته هامان في الف الف وسبعمائة الف جواد ذكر ليس فيها
رمكة على راس كل واحد منهم بيضة وفي يده حربة فنظر فرعون الى قوم موسى فقال ان هؤلاء لشرذمة
قليلون وقال قوم موسى انا لمدركون يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم نهلك
لان البحر امامنا وفرعون خلفنا قال كلا ان معي ربي سيهدين واوحى الله تعالى الى موسى ان اضرب بعصاك

البحر فضرب فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا كل طريق كالجبل العظيم فكان لكل سبط طريق يأخذون فيه فلما اخذوا فيه قال بعضهم ما لنا لا نرى اصحابنا قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا وشمالا فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر وهو على فرس ادهم فلما بلغ هاب الفرس ان يقتحم فتمثل له جبريل على فرس انثى وديق فلما رآها فرس فرعون تقحم خلفها ودخل آخر قوم فرعون وجاز آخر قوم موسى اطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا فنادى فرعون لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن القصة وقالت بنو اسرائيل لم يغرق فرعون والآن يدركنا فيقتلنا فلفظهم البحر في ستمائة وعشرين الفا عليهم الحربية فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه على وجه الماء وقطع بهم موسى البحر وذلك يوم عاشوراء وقال الامام القشيري تقاصرت بصائر بني اسرائيل فاريتهم المعجزات عيانا ونفذت بصائر هذه الامة فكاشفهم الله تعالى باياته سرا وحين شاهدوا ظاهر تلك الآيات من فلق البحر واغراق العدو وداخلهم ريب قالوا انه لم يغرق فقذفهم البحر فنظروا اليهم وهم مغرقون وهذه الامة لفرط تصديقهم الرسول وقوة بصائرهم قال واحد من عرض الناس كاني باهل الجنة يتزاورون وكاني باهل النار يتعاوون وكاني بعرش ربي بارزا فشتان بين من يعاين قبرنا مع عيانه وبين من يسمع وكان العيان حاله من قوة ايمانه وقوله تعالى **واذ وعدنا موسى اربعين ليلة** ذكرهم منة اخرى فيما اتبعوا المنة الاولى بالجهل والبلادة اي واذكروا نعمتي على آبائكم بما وعدت موسى ان يأتي الطور هو فانزل عليه التوراة التي فيها بيان ما يحتاجون اليه ففعل موسى وانجزته ما وعدته ولما تأخر رجوعه كفر آباؤكم بي واتخذوا العجل الها فعفوت عنهم انعاما عليهم ثم قراءة ابي عمرو وعدنا موسى بغير الالف لان الله تعالى منفرد بالوعد وهو الترجمة بالخبر والمواعدة تكون بين اثنين وغيره قرأ بالالف والمواعدة تكون وعدا من الله وقبولا من موسى عليه السلام فاستعار على المفاعلة وقوله تعالى اربعين ليلة قال الاخفش وغيره اي انقضاء اربعين ليلة او تمام اربعين ليلة لان وعد انزال الكتاب بعد انقضاء هذه المدة وهذا اختصار معهود يقال اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام اربعين يوما وقوله اربعين ليلة اي بايامها فان ذكر الايام جميعا يقتضي دخول ما يوازيها من الليالي وعلى القلب كذلك بدليل قوله تعالى ثلاث ليال سويا وقال ثلاثة ايام الا رمزا والقصة واحدة فكانت المدتان واحدة ثم هي ذو القعدة وعشر ذي الحجة وعشر محرم والاول اشهر واظهر وهذه الاربعون هي التي ذكرت في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة قال الكلبي وعدهم ان يأتيهم بالكتاب بعد اربعين يوما فعد قومه عشرين ليلة وعشرين يوما وقالوا قد تم ما وعدنا وعبدوا العجل وقوله تعالى **ثم اتخذتم العجل** اي اتخذتم العجل الها ومعبودا من دون الله قال الله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله واتخذ افتعال من الاخذ واصلها ائتخذ لينت الهمزة الثانية ثم جعلت تاء وادغمت في التاء التي بعدها والعجل ولد البقرة الى ان يكبر سمي به لان العجلة هي السرعة وقصر المدة كالسرعة واضمار قوله الها ومعبودا جائز لوضوح معناه وقوله تعالى **من بعده** اي من بعد انجائكم من الغرق وقيل اي من بعد انطلاق موسى الى الطور وقوله تعالى **وانتم ظالمون** اي كافرون وقيل اي ضارون انفسكم وقيل واضعون العبادة غير موضعها قال سعيد بن جبير كان وعدهم ان يأتي بالكتاب بعد ثلاثين وهو الميقات الاول فلما زيد عشر ولم يأت به بعد الثلاثين عبدوا العجل في هذه العشرة الزائدة وقال ابن عباس رضي الله عنهما عبدوا في عشرين ليلة وعشرين يوما وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله عبدوا العجل يوما واحدا وقال الامام القشيري شتان بين قوم عبدوا العجل لغيبة نبيهم اربعين يوما وبين قوم لم يتغيروا لغيبة نبيهم قريبا من خمسمائة سنة وسبب ذلك ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما ان السامري كان من قوم يعبدون البقر وكان حب ذلك في نفسه بعد ان اظهر الاسلام وكان عرف جبريل لان امه حين خافت عليه ان يذبح خلفته في غابة وكان جبريل صلوات الله عليه يأتيه فيغذوه باصابعه فكان السامري يمص من ابهام يمينه عسلا ومن ابهام شماله سمنا فلما رآه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من اثر فرسه فلم تزل القبضة في يده حتى انطلق موسى الى الطور وكان السامري سمعهم حين خرجوا من البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم وقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووقع في نفسه ان يفتنهم من هذا الوجه وكان موسى خلف هرون في بني اسرائيل فقال لهم هرون قد حملتم اوزارا من زينة القوم اي حليهم فتطهروا منها فانها رجس واوقد لهم نارا وامرهم بقذف ما كان معهم ففعلوا فاقبل السامري الى النار وقال يا نبي الله القي ما في يدي قال نعم وهو يظن انها حلي فقذفه فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فصار كذلك وقيل كان السامري صائغا فاتخذ من الحلي عجلا ونفخ ذلك التراب في فمه فدب فيه فصار عجلا جسدا لحما ودما وشعرا له خوار ففتنوا به ودعاهم الى عبادته فعبدوه وقال لهم هرون ما قال القصة وقوله تعالى **ثم عفونا عنكم** اي تجاوزنا واصله محو الاثر يقال عفت الديار اي محت آثارها وعفتها الريح لازم ومتعد وقوله تعالى **من بعد ذلك** اي من بعد اتخاذكم

العجل فلم نعاجلكم بالاهلاك بل امهلناكم الى مجيء موسى فنبهكم واخبركم بكفارة ذنوبكم وقيل اي بعد التوبة والقتل فعلى هذا يكون العفو على التأويل الاول تأخير المؤاخذة وعلى التأويل الثاني يكون ترك المؤاخذة اصلا وقوله تعالى **لعلكم تشكرون** اي لتشكروا هذه النعمة فان الانعام يوجب الشكر وقيل معناه لتؤمنوا وتوحدوا فان الشكر اسم للايمان قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولعل في مثل هذا لا يكون شكا بل تحريضا على الفعل وقوله تعالى **واذ آتينا موسى** اي اعطيناه **الكتاب والفرقان** فيه اقاويل قيل هو التوراة ايضا قاله الفراء وسماه باسمين مختلفين معنى لاختلافهما لفظا كما يقال سحقا وبعدا والدليل على اسم التوراة ايضا قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان على انهما وان كانا اسمين لشيء واحد فمعنياهما مختلف فان الكتاب هو المكتوب المجموع والفرقان هو الفارق بين الحق والباطل فصح الجمع بالواو لتغاير المعنيين وهو كقوله في حق القرآن ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله تعالى يس والقرآن الحكيم وقوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقيل الفرقان هو بيان معاني التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فرق به بين موسى وقومه وبين فرعون وقومه فانجى هؤلاء واهلك هؤلاء وقال الله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان هو يوم النصر وهو يوم بدر قاله القفال ولعل معناه ان النصر اذا جاء ظفر اهل الحق باهل الباطل فانفرق احد الفريقين من الآخر فيعرف ان هؤلاء محقون وهؤلاء مبطلون وقيل الفرقان الفرج من الكرب لانهم كانوا مستعبدين قال تعالى يجعل لكم فرقانا اي فرجا ومخرجا وقيل الفرقان انفلاق البحر لبني اسرائيل حتى عبروا وعبر على ما شرحناه وقيل هو اسم القرآن ومعناه آتينا موسى التوراة وذكرنا له نزول القرآن على محمد وقيل آتينا موسى التوراة ومحمدا الفرقان اي القرآن قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فاضمر كلمة اي محمدا وهذا كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ثم قال وعلى ابصارهم غشاوة وفي قراءة بعضهم غشاوة بالنصب وعلى هذه القراءة يكون وجعل مضمرا وقال فاجمعوا امركم وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم وقال الشاعر تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه نال له وفر اي يفقأ عينيه وقيل الفرقان صحف نزلت على موسى قبل التوراة وقوله تعالى **لعلكم تهتدون** اي لتهتدوا بالكتاب وهذا بيان الحكمة دون العلة اي الحكمة في انزاله ان يتدبروا فيه فيعلمون وقوله تعالى **فتوبوا الى بارئكم** اي خالقكم وبرأ من حد منع بفتح الباء المصدر اي خلق والبرية الخلق وبرئ براءة من الدين ونحوه وبرأ عنه بمعنى تبرأ وقوله تعالى **فاقتلوا انفسكم** القتل ازهاق الروح والانفس جمع النفس وهي هذه البنية الانسانية ههنا وهو بيان كيفية التوبة وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابي العالية وقتادة والزهري والسدي وقيل القتل معطوف على التوبة اي ارجعوا الى الله تعالى بالايمان فقد اعرضتم عنه بالكفر بعبادة العجل واقتلوا انفسكم بعد هذه التوبة ومعناه فليقتل بعضكم بعضا لان المؤمنين اخوة واخو الرجل كأنه نفسه وهو كقوله تعالى لا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم وقوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقوله تعالى فسلموا على انفسكم وقيل معناه استسلموا للقتل ومكنوا القاتل من انفسكم وهو في معنى فعله بنفسه وهذا قول محمد بن اسحق ثم كيفية هذا القتل برزوا صفين فضرب بعضهم بعضا يوما الى الليل هذا يقول لم عبدت وهذا يقول لم لم تنهني وقيل ان السبعين الذين اختارهم موسى صلوات الله عليه هم قتلوا عبدة العجل وبلغ المقتولون سبعين الفا وقيل احتبوا بافنية حجرهم حتى قتلوا ثلاثة ايام وقيل ان السبعين قد ارتدوا بما قالوا لم يكن هذا الامر من غيرهم اولى فلم يصح هذا القول وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخذ موسى عليه السلام على بني اسرائيل المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا غدا بافنية البيوت كل بني اب على حدة عليه السلام والاثنا عشر الفا من الذين لم يعبدوا العجل وهم سبطان ونصف سبط بايديهم السيوف فمشوا في العسكر فقتلوا من لقوا فكان الرجل يجيء الى قومه وهم جلوس بافنية البيوت ويقول ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا حل حبوته او قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل فقالوا آمين فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقال مقاتل كان موسى صلوات الله عليه يتقدم ويقول هؤلاء اخوانكم اتوكم شاهرين السيوف كما مر وقتلوهم الى الضحوة حتى بلغ القتلى سبعين الفا وقال الكلبي وقام موسى صلوات الله عليه يدعو ربه لما رأى من كثرة الدماء وشدة الاصوات ونزلت التوبة وقيل لموسى ارفع السيف فاني قبلت التوبة منهم جميعا من قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقي منهم فنودي بذلك فتركوا وقوله تعالى **ذلكم خير لكم عند بارئكم** اي ذلك القتل والتوبة او القتل الذي هو توبة انفع لكم عند الله من الامتناع الذي هو اصرار وفيه عذاب النار وقوله تعالى **فتاب عليكم** اي فعلتم ذلك فتقبل توبتكم وقوله تعالى **انه هو التواب الرحيم** اي كثير قبول التوبة وقوله تعالى الرحيم اي رحمكم فتقبل توبتكم ففتح باب التوبة وقبلها وقيل التواب لمن لم يقتل والرحيم لمن قتل وقيل التواب لمن عبد العجل والرحيم لمن لم يعبد وقيل التواب يقبل التوبة مرة بعد مرة والرحيم يمهل ولا يعجل بالعقوبة وقيل كان الامر بالقتل من الاغلال التي كانت عليهم وخفف الله تعالى عن هذه الامة فجعل الندم توبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال النجم الغفال رحمه الله جعل ذلك كفارة لهم اذ علم ان المصلحة في هذا

النوع وقد جعل الكفارات والعقوبات على مراتب بعضها قتل وبعضها جلد وبعضها اخراج مال على ما علم الله تعالى
من مصلحة عباده وقال الامام ابو منصور رحمه الله لولا اجماع اهل التفسير والتاويل على ان قتل انفسهم كان على الحقيقة
لم يمكن صرف الامر الى ذلك لان هذا كان بعد توبتهم ورجوعهم الى الله تعالى قال تعالى ولما سقط في ايديهم وراوا انهم
قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا الاية ثم ولما رجع موسى وقد شرع الله تعالى على لسنة الرسل قتل الكفرة حتى يسلموا لان
القتل عقوبة الكفر لا عقوبة الاسلام وكان ينبغي ان يصرف هذا الامر الى اجهاد انفسهم بالعبادة لله والطاعة له
واحتمال الشدايد ليقربطهم في عصيان ربهم وذلك جزا تفريطهم يقال فلان يقتل نفسه في كذا لا يعنون به
حقيقة القتل ابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل لا عقوبة للذنب ولله تعالى ان يمتحن عباده بقتل انفسهم ابتداء
قال تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ويجوز ان يكون الامر بقتل انفسهم الامر بمجاهدة الاعداء وان كان فيها
تلف مهجهم قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم الى قوله فيقتلون ويقتلون وقوله تعالى **واذ قلتم يا موسى**
اي واذكروا ايضا اذ قلتم يا موسى اي اذ قال السبعون من اسلافكم الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه الى الطور
لن نؤمن لك اي لن نصدقك كما في قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي لن نصدقك على ان هذا كتاب الله جل جلاله
وانك سمعت كلام الله وان الله امرنا بقبوله والعمل به وقيل اي برسالتك وقوله تعالى **حتى نرى الله جهرة** اي حتى
نرى الله عيانا وهو قول قتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما علانية وبينهما فرق العيان صفة الرائي والعلانية صفة
المرئي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ان معناه واذ قلتم جهرة على التقديم والتاخير والجهرة ترجع الى القول
وهو كالجهر بالقراءة وهواظها رها والمجاهرة بالمعاصي كذلك والاول يرجع الى سؤال الرؤية بلا حجاب ظاهرا
لا في النوم ونحوه يقال جهرت الشيء كشفته واظهرته واجهرت البئر اذا كان ماؤها قد تغطى بالطين فنقيته
حتى ظهر ماؤها وصفا وصوت جهير ورجل جهوري الصوت اذا كان صوته عاليا ظاهرا ووجه جهير اي ظاهر
الوضاءة وجهرت الرجل واجهرته اذا نظرت اليه من غير حجاب قال الاخطل • يوما باجود منه حين تساله
• ولا باجهر منه حين يجتهر • وقوله تعالى **فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون** هي كل امر هائل يميت او يزيل
العقل والفهم ويكون صوتا ويكون نارا ويكون غير ذلك واختلف فيها ههنا قال السدي كانت نارا نزلت من السماء
فاحرقتهم وقال قتادة والربيع هي الموت وقيل الصوت وما تواليه وهي الرجفة التي ذكرت في سورة الاعراف
فلما اخذتهم الرجفة واصلها الاضطراب وقوله تعالى وانتم تنظرون اي الى الصاعقة فان كانت نارا فقد عاينوها
وان كان صوتا هائلا فقد مات به بعضهم اولا وراى الباقون انهم ماتوا وسمي هذا رؤية الموت مجازا قال تعالى
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وقيل وانتم تنظرون خطاب لاهل عصر
النبي صلى الله عليه وسلم اي يخبركم رسول الله بما كان من اسلافكم وتعلمون انه صادق وتنظرون اليه فلا تؤمنون
وقيل معناه وانتم تنظرون اي تنظرون مثل ما نزل بهم اي ينزل بكم لتكذيبكم لمحمد وهو كقوله تعالى انظرونا
نقتبس من نوركم وقصته ان السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام للانطلاق الى الجبل قالوا لموسى بعد
ما كلمه الله واعطاه الالواح ان لنا عليك حقا فانا اصحابك وكلمتك انطلقنا معك الى الجبل ولم نصنع ما صنع
قومنا فارنا الله جهرة ننظر اليه كما رايته فقال موسى عليه السلام ما رايته ولكن سالته الرؤيا فابى علي وتجلى
للجبل فجعله دكا وخررت مغشيا علي فلما افقت تبت اليه من مسئلتي وايقنت انه لا يرى في الدنيا فقالوا
والله لا نصدقك بالرسالة حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فاحرقتهم فقال موسى عليه السلام يا رب لو
شئت اهلكتهم من قبل هذا اليوم مع اصحاب العجل ثم بعثهم الله تعالى يوم ماتوا بدعاء موسى عليه السلام فعاشوا الى
وقت آجالهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله تعلقت المعتزلة بظاهر الاية على نفي رؤية الله عز وعلا وعندنا ليس
فيها دليل على نفي الرؤية لله عز وجل بل فيها اثباتها وذلك لان موسى عليه السلام لما ساله السبعون الرؤية لم ينههم
عن ذلك ولذلك ساله هو ربه جل جلاله الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف تراني
وهذا تعليق بما يتصور ولذلك سالت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لو نرى ربنا فلم ينههم عن ذلك وانما اخذ هؤلاء الصاعقة لانهم لم يسالوا سؤال استرشاد وانما سالوا سؤال
تعنت وقيل انما عوقبوا بقولهم لن نؤمن لك وهذا كفر منهم ودلت الاية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى
الرسالة وقد اخبر عما لم يكن عندهم علمه ولا يعلم الاخبار من الله تعالى وفيها الزام الحجة على منكري البعث بعد الموت
وهم مشركو العرب وقوله تعالى **ثم بعثناكم من بعد موتكم** اي احييناكم بدعاء موسى عليه السلام والبعث في القرآن
لمعان للاحياء كما في هذه الاية وللارسال كقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقوله تعالى **لعلكم تشكرون**
اي تشكروا نعمة الحيوة بالتوحيد والطاعة وقيل تشكروا العفو عنكم وقال الامام القشيري رحمه الله التعرض
لمطالعة الذات على غير نعت الهيبة افتضاح بترك الحرمة وذلك من امارات البعد والشقوة والتولي عما شغفت
العزة بقولنا بملاطفات القربة من علامات الوصلة ودلالات السعادة فلا جرم لما اطلقوا لسانهم بالجهل
بمعرفة ترك الحشمة اخذتهم الرجفة والصعقة وقالوا ايضا في الاية الاولى التوبة بقتل النفوس غير منسوخة

في

في هذه الامة الا ان بني اسرائيل كان لهم قتل انفسهم جهرا وهذه الامة توبتهم بقتل انفسهم في انفسهم واول قدم
في القصد الى اسم الخروج من النفس لله قال ولقد توهم الناس ان توبة بني اسرائيل كانت اشق وليس كما توهموا
فان ذلك كان مرة واحدة واهل الخصوص من هذه الامة قتلهم انفسهم في كل لحظة وقد قيل ليس من مات فاستراح
بميت • انما الميت ميت الاحياء • وانشد غيره • قبور الورى تحت التراب والهوى • رجال لهم فوق التراب قبور •
وقوله تعالى **وظللنا عليكم الغمام** اي جعلناه مظلالا لكم اي ملقيا الظل عليكم وهو معروف والظلة السترة المظلة
والظل الظليل هو الدائم والسلطان ظل الله اي ماوى الخلق من عند الله كالظل الذي ياوي اليه من اصابه الحر
والغمام السحاب عند ابن عباس رضي الله عنهما وهو السحاب الابيض عند السدي سمي به لانه يغم السماء اي يسترها
والغمة الامر المستور والغم حزن يستر القلب والغمم ان يستر الشعر القفا والجبهة ورجل اغم وامراة غماء
من ذلك وغم الهلال اي لم ير وستره شيء وهو الليلة الغمي والتغميم التكلم بكلام لا يبين اي فعلنا ذلك بكم
في التيه وقوله تعالى **وانزلنا عليكم المن والسلوى** قال ابن عباس رضي الله عنهما هو ما يسقط على الشجر فياكله
الناس وقال الربيع بن انس هو شراب كان ينزل عليهم فكانوا يمزجونه بالماء فيشربونه وقال وهب هو خبز الرقاق
وقال السدي هو الزنجبيل وقال قتادة هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وهو الاشهر الاظهر ويقال هو ما من الله تعالى به على عباده من غير تعب ولا روع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
الكماة من المن وماؤها شفاء للعين اي هو ما من الله تعالى به على خلقه من غير حرث ولا سقي وقال عكرمة كان
كالرب الغليظ وقوله تعالى والسلوى قيل هو السماني وقال ابن عباس رضي الله عنهما طائر ابيض يشبه السماني
وكانت تحشره عليهم الريح الجنوب قالوا كانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط شعورها وكانت الشمس
تنضجها فكانوا ياكلونها مع المن وقيل هي طير سمان كالحمام يضرب الى الحمرة ويكون بناحية اليمن وقال الاخفش
واحدها سلوات وقيل الجمع والواحد فيه سواء وقال قطرب قال بعض العرب السلوى الشيء الطيب وقيل هو العسل
واشتقاقه من السلو كانه يسلي القلب الهموم ويسلي عن غيره وقال ابن جريج كان الرجل منهم ان اخذ من المن
والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم كانوا ياخذون فيه طعام يومين لانه كان لا ينزل
يوم السبت ثم قوله تعالى **كلوا من طيبات ما رزقناكم** فيه مضمر اي قلنا لهم كلوا والطيبات ههنا تحتمل ثلاثة
اوجه الحلالات والشهيات والخاليات عن الادواء والمضرات وقصته انهم لما خرجوا من مصر وجاوزوا
البحر وقعوا في صحراء لا ابنية بها فانزل الله تعالى السحاب فسترهم عن الشمس بالنهار وكان يضيء لهم بالليل
وقيل كان السحاب يتدلى عليهم كالقباب والفساطيط ولا ابنية وقيل كان يمشي امامهم عمود من نور يضيء
لهم بالليل وانزل الله عليهم المن والسلوى المن كالخبز والسلوى كاللحم وقال الكلبي كان المن ينزل عليهم
مدة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فدعا فانزل الله عليهم السلوى فخلطوا وهذا كان قبل التيه
عند اكثرهم وكذا هذا في ترجمة التوراة قال القفال ثم ان الله تعالى امرهم ان يحاربوا اهل قرية اريحا واذرعا
وقيل بلقا وهي قرية العمالقة بقرب بيت المقدس فقبلوا فلما قربوا منها سمعوا بان اهلها جبارون اشداء
قامة احدهم سبعون ذراعا ونحوها فقالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون الى ان قال فانها
محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض وكانت اثني عشر فرسخا في مثلها فكانوا يصبحون ويسيرون
النهار فاذا امسوا كانوا حيث اصبحوا وحرموا ما كان لهم في تلك البرية وهو قوله تعالى **وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون** اي ما ضرونا ولكن ضروا انفسهم حيث احرموا انفسهم تلك النعم وقيل بل اعطاهم
الله تعالى ذلك في التيه فانهم لما عوقبوا بذلك ندموا وتابوا فلطف الله بهم وهيا لهم ذلك وعلى هذا التاويل
قوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي امرناهم ان يا كلوا من طيبات ما رزقناهم ويشكروا فتناولوا
بطغوا فيها بالادخار وحين ذلك الادخار وفسد وانقطع فكان هذا اضرارا منهم ولا يلحقنا ضرر ولا نقصان
من خلاف من يخالفنا وقيل ضروا انفسهم بالامتناع عن الجهاد بفوت ثواب الجهاد وما نقصونا شيا وضروا
انفسهم ايضا حيث حجبوا عن دخول الارض المقدسة وقال الامام القشيري رحمه الله لما طرحهم الله تعالى في متاهات
الغربة لم يرض الا بان ظللهم وبلبسة الكفايات جللهم وعن تكلف التكسب اغناهم ويجميل صنعه فيما احتاجوا
اليه تولاهم فلا شعورهم كانت تطول ولا اظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تتسخ ولا شعاع الشمس
كان ينبسط عليهم وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما اختاره له خيرا له مما يختاره العبد لنفسه
وقوله تعالى **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** قال قتادة والضحاك والربيع بن انس اي بيت المقدس وقال السدي
ومجاهد ومقاتل اي البلدة التي فيها بيت المقدس وهي ايليا وقال ابو زيد اي اريحا وهي بقرب بيت المقدس
والدخول الانتقال من العودة الى الحصن ونقيضه الخروج والقرية الابنية التي هي مجمع الناس من قولك
قريت الماء في الحوض اي جمعته قريا والمقراة الحوض والجفنة الكبيرة التي يجعل فيها طعام الاضياف وقريت
الضيف قرى من ذلك وقرى البعير جرته اي جمعها في شدقه والقرء الطهر وهو مجمع القرى ومعناه

واذكروا ايضا اذ قلنا لاسلافكم ادخلوا هذه القرية لتسكنوها نعد قال في سورة الاعراف اسكنوا هذه القرية وقوله
تعالى **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** اي ابحناها لكم ووسعناها عليكم فتعيشوا فيها ان شئتم بلا تضييق ولا
منع وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الاكل لانه معظم المقصود وقوله تعالى **وادخلوا الباب سجدا** قيل هو باب
بعينه وقال مجاهد والسدي هو باب حطة وهو الباب الثامن من بيت المقدس وقيل هو باب القبة التي كان
يتعبد فيها موسى وهرون وقيل هو الباب الاعظم للقرية وقيل الباب وجه من وجوه القرية عين لهم كانه قال
لهم ادخلوا من هذا الوجه وقوله سجدا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ركعا وقيل ساجدين قبل الدخول سجدة
الشكر على قتل الجبارين او فتح القرية وقيل اي مطاطين رؤسكم خاضعين خاشعين وقيل اي مصلين صلوة
قبل الدخول وقوله تعالى **وقولوا حطة** قال عكرمة وهو قول اختاره الاخفش قولوا لا اله الا الله وعن علي رضي الله
عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استغفر الله وعن الحسن هو ان يقال حط عنا ذنوبنا
فانا انحططنا لوجهك قال الضحاك اي قولوا اخطانا واعترفنا بذنوبنا خطا بانا فاغفرها لنا وقال القتبي
اي قولوا مقالة هي حطة خطاياكم وقال الزجاج قولوا مسئلتنا حطة وقيل اي سجودنا عند الدخول حطة لذنوبنا
وقيل معناه نحن نزول تحت حكمك سامعون لامرك واصل الحط انزال الشيء من علو الى سفل وقد حططنا الرحل
والسرج ونحو ذلك وحط الذنب اسقاطه وهو الحمل عن الراس والظهر وحط حطا متعدي وحط حطوطا
لازم وقيل امروا ان يتكلموا بهذه الكلمة وحدها تعبدا ليحط بها اوزارهم فغيروها بنوا اسرائيل وقالوا حنطة
كذا قاله ابن قتيبة وهذه منة من عظيم فضل الله جل وعلا ان هيأ لهم الاسباب وفتح عليهم من النعم الكثيرة الابواب
قبل ان يكلفهم شيئا بالخطاب ثم امرهم بشيئين بعمل يسير وقول قصير فالعمل الانحناء عند الدخول والقول
التكلم بالكلام المنقول ثم وعد عليها غفران السيئات والزيادة في الحسنات وقوله تعالى **نغفر لكم خطاياكم**
وسنزيد المحسنين الغفر والغفران والمغفرة ستر الذنوب والغفارة والمغفر ماخوذان من ذلك وكذا اغفر
الثوب وهو زبره الذي يستر نسجه والجم الغفير الجمع الكثير الساتر المكان والخطايا جمع الخطيئة كالبلايا جمع
البلية والخطا ضد الصواب والخطا بكسر الخاء والخطيئة اسم والخطا ايضا متعد واخطا اذا لم يتعمد والخطيئات
جمع سلامة الخطيئة وعد غفران كل الخطيئات من غير قصر على عدد وقصر العمل على قصر العدد وقوله وسنزيد المحسنين
اي سنزيد المحسنين منكم بطاعته في امرنا هذا احسانا ابتداء الى سالف احساننا عندهم نستزيدهم في سعة دنياه
وثواب عقباه وقيل وسنزيد المحسنين الذين كانوا اسلموا قبل ذلك وقيل اي الذين لم يدخروا المن والسلوى
لغد وقيل هو على التفصيل من كان خاطيا غفرنا له خطاياه ومن كان محسنا زدناه في عطاياه وقوله تعالى
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
اي غيروا ولم يقولوا حطة بل قالوا حنطة وقيل قالوا حطا نا سمقاثا وهي بلسانهم حنطة حمرا استهزاء وهذا كان من بعضهم
وقيل المحسنون ما امروا به ولهذا لم يقل فبدلوا بل قال فبدل الذين ظلموا وظاهره على انهم بدلوا القول وحده دون
العمل بروية فالجماعة وقيل بل بدلوا القول والعمل جميعا ومعنى قوله قولا غير الذي قيل لهم اي امرا غير الذي امروا به
فان امر الله تعالى قول وهو تغيير جميع ما امروا به وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم دخلوا الباب
يزحفون وقال ابن عباس رضي الله عنهما دخلوا مستلقين على اقفيتهم وقيل منحرفين على شق وجوههم وقيل على استاههم
ولما استعفوا عن السجود وان يقولوا ما امروا به امر الله تعالى الجبل ان يقع عليهم فسقطوا على شق وجوههم ينظرون
اليه بالشق الاخر فرحمهم الله تعالى ورده فقالوا ما سجدة احب الى الله تعالى من سجدة كشف بها عنا العذاب فلذلك يسجدون
كذلك وقوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اي عذابا وقيل هو يقع على كل عذاب يقول الله تعالى في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم قال فلما كشفنا عنهم الرجز سمي ذلك كله رجزا وقال ابو سعيد الضرير هو العذاب
المفسد للمعاش وقيل هو العذاب المزلزل وقد ارتجز اي ارتعش واختلف في هذا الرجز الذي نزل عليهم قيل كان ذلك
نارا فاحرقتهم وقيل كان طاعونا فمات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا انسان ودام فيهم حتى بلغوا سبعين
الفا وقوله بما كانوا يفسقون اي عذبناهم بهذا الخروج عن طاعتنا ثم قال على الذين ظلموا ولم يقل عليهم على الاختصار
وقد سبق ذكر الذين ظلموا لانه سبق ذكر المحسنين ايضا فلو اطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ولما قال في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم قال بما كانوا يظلمون ليتميز هؤلاء من غيرهم على ان عادة المكني صريحا وكناية قال تعالى من كان
عدوا لله ثم قال فان الله عدو للكافرين وقال عدي بن زيد شعر لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى
والفقيرا وقالوا ذكر ههنا خطاياكم وقال في سورة الاعراف خطيئاتكم وقال هنا ادخلوا وقال هناك اسكنوا وقال
ههنا فانزلنا وقال هناك فارسلنا وقال ههنا بما كانوا يفسقون وقال هناك بما كانوا يظلمون ليعلم ان المراعى
اتفاق المعاني وانها لا تتغير باختلاف الكلمات وقوله تعالى **واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك**
الحجر تقديره واذ استسقانا والاستسقاء سؤال السقي وطلبه وهو بالدعاء ههنا وقد سقيته سقيا بفتح السين

اي اعطيته ما يشربه وسقيت الارض ونحوها بفعلي واسقيت فلانا اي جعلت له سقيا يشرب منه ويسقي
به الزرع وقال في ديوان الادب سقاه الله واسقى بمعنى واسقاه وقد جمعهما لبيد فقال سقى قومي بني مجد
واسقى نميرا والقبائل من هلال وقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه اي دعوت له بالسقيا
قال ذو الرمة واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه واستقى هاتك اي اجعله لي اهابا والسقي
بكسر السين الحظ من الشرب والسقاء القربة للماء واللبن والسقاية الموضع الذي يتخذ فيه الشراب
في المواسم وغيرها والسقاية في سورة يوسف الصواع الذي كان يشرب منه الملك والسقاء ما يتخذ من
جواب تعلق عليه والاستقاء من البير ونحوها الاخذ منها وقول موسى لقومه هم بنوا اسرائيل ومعناه واذكروا
ايضا اذ سال موسى ربه ان يسقيهم في البرية وقيل في التيه وقوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكان عصاه
من آس الجنة وكان عشرة اذرع بذراع موسى وهي التي كانت معجزته وهي التي كانت تنقلب حية فاما الحجر
فقد قيل امره الله تعالى ان ياخذ حجرا خفيفا مثل راس الانسان فيضعه في المخلاة وقيل مثل راس الهرة وقيل مثل
راس الثور وقيل كان حجرا مربعا وقال الضحاك والسدي كان ذراعا في ذراع وقال الكلبي كان مدورا
مثل راس الانسان عليه اثنا عشر ثديا مثل ثدي المراة وكان موسى عليه السلام رفعه من الطور وقال سعيد
ابن جبير هو الحجر الذي ذهب بثياب موسى لما قال قومه انه ادر فامره الله موسى ان يحمله وقيل لم يكن حجرا معينا
وكان يضرب اي حجر وجد والصحيح انه كان معينا فقد عرفه بالالف واللام وقوله تعالى **فانفجرت منه اثنتا**
عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
قال الفقال اي من الضرب فدل ذلك على الضرب وبه انفجرت العيون وقيل ههنا مضمر اي فضرب فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا والاضمار جائز كما قال تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر اي فافطر فعدة من
ايام اخر وقوله تعالى منه يكون كناية عن الحجر اي من الحجر وحذف ليعلمنا ان موسى صلوات الله عليه لا يخالف الامر
ولان الظاهر يدل عليه وهو كقوله امرته بالتجارة فاكتسب الاموال والانفجار الانشقاق الواسع والانبجاس
الانشقاق الضيق وقيل الانفجار الخروج بكثرة والانبجاس قليلا قليلا وقيل الانفجار الخروج من اللين
والانبجاس الخروج من الصلب وقيل هما واحد وهو قول الاخفش وقيل الانبجاس الانصباب والانفجار
النبوع وقيل اخذ الانفجار من انفجار الفجر وهو انشقاقه وهو انشقاق الظلمة من الضياء وقيل اصله المفارقة
والفجور هو مفارقة البر فاله قطرب وقد ذكر في هذه الاية فانفجرت وفي الاعراف فانبجست والقصة واحدة
فمن سوى بينهما استمر قوله ومن قال لم يكن الحجر معينا بل كان يضرب اي حجر وجد عند الحاجة فانه يقول
اذا اخذ حجرا صغيرا فضربه انبجس وان اخذ حجرا كبيرا فضربه انفجر ومن قال كان حجرا صغيرا واحدا يحمل في
المخلاة وقيل كان يحمل على حمار فالانبجاس اول خرجة من الحجر والانفجار بعد سيلانه وقيل كان ينبجس ثم يجري
ويدوم ويكثر فيكون انفجارا وقيل كان ينبجس عند قلة الحاجة وينفجر عند الحاجة الى الكثرة وقوله تعالى اثنتا عشرة
عينا التاء للعدد المؤنث والعشرة فيها لغتان في عدد المؤنث بعد ما زاد على العشرة بتسكين الشين وكسرها
والعين الينبوع وهي مؤنثة سماعا ونصب على التفسير وهي مشتقة من العين الباصرة لانها اشرف ما في الراس
وهذه اشرف ما في الارض ولان الماء يخرج من هذه كالدمع يخرج من تلك وانما جعلت على هذا العدد لان بني
اسرائيل كانوا اثني عشر سبطا وكانوا لا يأتلفون فجعل لكل سبط مشربا اي موضع شربهم قال قتادة كان كل
سبط يعرف عين نفسه فيجيء فياخذ بقدر حاجته ثم ينقطع الماء وقيل كان يسيل ويهم نازلون فاذا ارتحلوا
انقطع ماؤها وحمل الحجر في الجوالق وقال ابو روق كان فيه اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر
وجاء كل سبط الى حفرتهم فحفروا الجداول الى اهلها فشربوا ما شاؤا فاذا ارادوا ان يحملوه ضربه موسى فذهب
الماء وكان يستقي منه ستمائة الف وزيادة وقيل كان الحجر رخاما وقيل كان كراس شاة وقوله كلوا واشربوا
من رزق الله وههنا مضمر ايضا اي قلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من عيون الحجر ومما رزقكم الله تعالى
اي اعطاكم وقوله تعالى ولا تعثوا العثي اشد الفساد وقيل المبالغة في الافساد وهذا من عثى يعثي من باب علم
وفيه لغتان اخريان عثى يعثو من حد دخل وعاث يعيث وقوله تعالى في الارض اي في التيه وقيل اي في الدنيا
ومفسدين نصب على الحال اي لا تبالغوا في الافساد حالة الافساد ويحتمل التكرير للمبالغة كما يقال لا تظلم
زيدا جائرا عليه والجور هو الظلم فكذا العثي هو الافساد والاول اوجه لانه اكثر معنى ثم معناه كلوا واشربوا
من رزقنا ولا تفسدوا في الارض بظلم الناس بغصب اموالهم ونحو ذلك وقيل اي قابلوا نعمنا بالشكر ولا تكفروا
ولا تدعوا غيركم الى الكفر فانه ابلغ فساد في الارض وقيل كلوا واشربوا وهو صلاح البدن ولا تعثوا وهو صلاح
الدين هياه الاسباب ثم وجه الخطاب وقال القشيري اراد الحق جل جلاله ان يكون كل قوم بلا زحام الحد غير
مزاحم لصاحبه فافرد لكل سبط علامة يعرفون بها مشربهم فهؤلاء لا يردون مشرب الاخرين والاخرون لا يردون
مشرب الاولين وحين اتاهم ما طلبوه امرهم بالشكر وحفظ الامر وترك الارتكاب احقاب الورد والمناهل

مختلفة والمشارب متفاوتة وكل يرد مشربه مشرب عذب فرات ومشرب ملح اجاج ومشرب صاف زلال ومشرب رنق اوشال وسائق كل قوم يقودهم ورائد كل طائفة يقودهم فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد مشارب التقى والطاعات والارواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات والسرائر ترد مناهل الحقائق بفناء الصفات وافادت الاية اباحة الخروج الى الاستسقاء ودلت على فضيلة امة محمد صلى الله عليه وسلم فان بني اسرائيل احتاجوا الى الماء رجعوا الى موسى ليسال واحتاجوا الى البقل والقثاء وسائر المأكولات فعلوا كذلك وهذه الامة اطلق لهم الامة ان يسألوا الله تعالى كلما احتاجوا اليه قال تعالى واسألوا الله من فضله وقال ادعوني استجب لكم وفيها بشارة عظيمة سال موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسال عيسى ربه المائدة لقومه بقولهم وسال نبينا صلى الله عليه وسلم المغفرة لنا بامر الله تعالى قال فاستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فلما اجابه الله تعالى لهما فيما سالاه بطلب القوم فلان يجيب نبينا فيما ساله لنا بامره اولى وقوله تعالى

وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نَصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا اي واذكروا ايضا اذ قلتم يا موسى لن نصبر اي لن نقدر على حبس انفسنا على نوع واحد من الطعام وهو المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما اثنان لانهم كانوا ياكلون احدهما بالآخر كما يوكل الخبز باللحم وقيل كان ينزل عليهم المن وحده اولا ثم ملوه فارسلت عليهم السلوى ويجوز ان يكون هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى يقولون قد مللنا هذا وعزفت عنه نفوسنا وقوله فادع لنا ربك اي سله وقوله يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها كلمة من من قوله صلة عند الاخفش ويجوز ان تكون للتبعيض ومن في قوله من بقلها هو للتجنيس وهو بعض الاجناس ثم جزم قوله يخرج لوجهين احدهما على تقدير الجزاء ومعناه ادع لنا ربك فانك ان تدع يخرج والثاني ادع لنا ربك وقل له اخرج يخرج وهو كقوله وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وقوله من بقلها البقل كل ما يوكل من الطعام من الخضر وهو في الاصل كل نبت اخضرت به الارض قال الشاعر ❊ قوم اذا نبت الربيع لهم ❊ نبتت عداوتهم مع البقل ❊ وقوله وقثائها هو الخيار وبضم القاف لغة وهو قراءة يحيى بن وثاب وطلحة والاشهب وقال احيحة ابن الجلاح ❊ قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا ❊ ورد المدينة عن زراعة فوم ❊ وقال مجاهد وعطاء وابن زيد هو الخبز وقال قطرب الفوم كل عقدة من البصل وقطعة من اللحم وكل لقمة كبيرة ويقال فوموا الثني جعلته كذلك وقال الفراء يقال فوموا لنا اي اخبزوا وقال الربيع بن انس والكسائي هو الثوم وفي قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما بالثاء وقال امية بن الصلت شعرا ❊ كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة ❊ فيها الفراديس والثومان والبصل ❊ فمن قال هو الثوم قال ذكر البصل في الاية يدل على انه هو المراد فانه من جنسه ومن جعله بمعنى الخبز او الحنطة قال ذكر العدس يدل على انه هو المراد لانه من جنسه وقوله وعدسها هو حب معروف وقوله وبصلها هو معروف ايضا وقوله تعالى قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِيْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوْا مِصْرًا فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ هذا استفهام بمعنى الانكار اي اتسألون الاردى بدلا عن الاعلى من دنا يدنو اي قرب اي هو اقل قيمة يقال ثوب مقارب اي قليل القيمة ومعناه انه اذا كثر ثمنه ارتفع واذا قل اتضع والدناءة الرداءة وهو دني اي ردي خسيس وبه يستدل من حمل الفوم على الثوم انه وصف بانه دون الحنطة ليست كذا او وصف بقلة القيمة وليست الحنطة كذلك واجاب الاخرون ان الحنطة بمقابلة المن والسلوى اوضع رتبة واقل قيمة ووجه آخر ان تكون بمعنى ادنى اقرب واسهل وجودا وهو مما تشاركم في وجدانه اكثر الناس فتستبدلون هذا بالرفيع الجليل الذي يعسر وجوده وهو مما تختصون به وهو معنى ما قاله قطرب وقوله اهبطوا مصرا المصر كل كورة يقام فيها الحدود وتغزى فيها الثغور وتقسم فيها الاموال من الفيء والصدقات من غير موامرة الخليفة وقيل هو مشتق من القطع يقال مصر الشيء يمصره اي قطعه سمي به لانقطاعه عن القضاء بالعمارة ثم اختلف انه بلد بعينه او بلد من البلاد وقال الحسن وابو العالية والربيع هو مصر فرعون الذي خرجوا منه قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله واورثناها قوما آخرين وقال تعالى واورثناها بني اسرائيل وقيل اراد به بيت المقدس قال تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وعلى هذا انما نونه ههنا لانه اراد به البلد وهو مذكر ولم ينونه في قوله وقال ادخلوا مصر لانه اراد به البلدة وهي مؤنثة فاذا اجتمع التعريف والتانيث امتنع الصرف وفي الاول لم يجتمعا وقيل اراد به مصرا من الامصار غير معين لان ما سالوه من البقل ونحوه لا يكون الا في الامصار وهذا قول قتادة والسدي ومجاهد وابن زيد ثم معناه عند بعضهم انزلوا بعض الامصار ان كنتم تريدون هذه الاشياء لا تكون في البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وانما يوجد ذلك في الامصار وقيل معناه اذا انزلتم في بعض الامصار وجدتم هذه الاشياء ولم يكن امر ذلك المحال لانهم كانوا في التيه وقد كانت ضربت مدة عقوبة لهم وقال القائل بهذا القول انهم لم يخرجوا من التيه وقيل هذا امر تعجيز اي ان قدرتم فانزلوا مصرا تجدوا فيه هذه الاشياء وهو كقوله تعالى قل كونوا حجارة وقوله تعالى

قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ذكر القفال هذه الاقاويل ثم قال ويجوز ان يكون في سيرهم تلك المفازة في غير القرى التي كانوا وعدوها لم ينهوا عنها وكان قوله مصرا اشارة الى ذلك وقد تسمى القرية مصرا كما يسمى المصر قرية توسعا ولان الاسمين لمجتمع الناس من البنيان وقال الكلبي اهبطوا مصرا اي مصر فرعون التي خرجتم منها فان فيها هذا فارجعوا اليها فكرهوا ذلك فضربت عليهم الذلة والمسكنة والاظهر انهم لم يومروا بهبوط مصر فرعون فانه قال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون معنى قوله كذلك واورثناها اي ملكناها بني اسرائيل بعد هلاك فرعون وآله لا ان يكونوا سكنوها ويكون هذا امرا بهبوط مصر من امصار الارض المقدسة وقد قيل ان موسى صلوات الله عليه سال الله تعالى ذلك فاجيب بهذا فكان قوله اهبطوا مصرا امرا من الله تعالى وقيل لم يسال ذلك بل ردهم بقوله تعالى اتستبدلون ثم قال هو بنفسه اهبطوا مصرا كان بعد موت موسى وهرون وانقضاء مدة التيه والهبوط النزول فيحتمل ان التيه كان في صعود والمصر في هبوط ويحتمل ان يكون الهبوط مطلق النزول وقوله تعالى وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ الذلة نقيض العزة والمسكنة الفقر وقيل هذا موصول بقوله فان لكم ما سالتم امرهم بدخول القرى لطلب الاشياء التي سالوها وضربت عليهم الذلة اي تذليل الانفس في الاعمال المهينة كالحراثة ونقل العذرة وذل الكسب والاول كان ياتيهم من غير كسب وقد قال الله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الاية فحرم هؤلاء ذلك وامتحنوا بهذا لعصيانهم وقوله تعالى وَبَاءُوْا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ هذا ابتداء على هذا القول اي استحقوا غضب الله بقتل الانبياء بعد ذلك وعصيانهم وعدوانهم وقيل ابتداء الكلام الاخر من قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وانتظامه بما قبله ان موسى عليه السلام سال الله لهم ذلك لما ابوا ما اختار الله لهم فاعطاهم عاجل ما سالوا كما قال من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ثم نزلوا اولاد هؤلاء البلاد المقدسة التي كتب الله لهم فلم يزل يفسدون في الارض ويعصون ويعتدون ويقتلون النبيين حتى عاقبهم الله بتسليط طيطوس بن استيانوس الرومي بعد ما سلط عليهم في الكرة الاولى بخت نصر حتى خرب بيت المقدس وسبى اهله وبدد نظامهم وتشتتوا في البلاد وليس لهم ملك يضمهم ولا رئيس يجمعهم فضربت عليهم الذلة والمسكنة فصاروا مستضعفين محتقرين مساكين بعد ما كانوا ملوكا وورثوا الارض مصر والشام وبلاد الجزائر ثم قوله ضربت عليهم اي الصقت بهم والزموها وادمت لهم يقال للشيء الدائم هذا ضربة لازم ولازب وضرب عليهم الخباء اي الزموه وافرض عليهم والذلة فرض الجزية عليهم في قول الحسن وقتادة والمسكنة الفاقة في قول ابي العالية وفقر النفس في قول السدي وقيل هو التعب والمشقة في تحصيل هذه الاشياء التي سالوها وقيل الذلة الشح والمسكنة الحرص وقيل هذا اما اوعدهم الله تعالى به في قوله تعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وهو نبينا المصطفى عليه السلام فاجلى بني النضير وقتل بني قريظة ونفوا بالشام فضربت عليهم الجزية والمسكنة مفعلة من السكون هي الفقر الذي يسكنه عن الحركات في التصرفات ويقال تسكن وتمسكن كما يقال تدرع وتمدرع وهذا اسكن من فلان اي اشد مسكنة لان الميم زائدة فيجوز اسقاطها في الافعل وقيل المسكنة فقر النفس فلا يوجد يهودي موسر ولا معسر غني النفس تاركا لما يدل على مسكنته وخشوعه وفقر نفسه وقوله وباءوا بغضب من الله قيل رجعوا وقيل انصرفوا عنه وقيل استحقوه وقيل اقروا به وقيل لازموه وهو الاوجه يقال بوا نه منزلا فتبوأه اي اتخذ اياه فلزمه وقوله تعالى ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ اي ضرب الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب بسبب كفرهم بايات الله ومنها التوراة لاستحلالهم ما حرم الله فيه وقوله تعالى وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيِّيْنَ زكريا ويحيى وغيرهما وقوله تعالى بِغَيْرِ الْحَقِّ قيده بهذا الوصف تاكيدا كما في قوله تعالى الهين اثنين وقوله ولا طائر يطير بجناحيه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله تعالى يقولون بافواههم وتحقيقه كانوا يقتلون الانبياء وقتل الانبياء قيل يكون بغير حق على كل حال وقال القفال يكفرون بايات الله اي بالمعجزات التي اجراها على ايدي الانبياء ويقتلون النبيين وكانوا يقولون هذه تمويهات وليست من الله تعالى وهؤلاء كاذبون ونقتلهم بهذا السبب من غير ان يقيموا الحجة على كذبهم وانهم يقتلون لذلك وهذا وجه حسن وقوله تعالى ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا اي ذلك الكفر بشوم عصيانهم وقوله تعالى وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ اي يتجاوزون الحدود وذلك يكون في كل خلاف وقد قال ايضا اعتدوا منكم في السبت وذلك باخذ الصيد في يوم النهي وعصيانهم كان من العلماء والعامة بما قال لما ياكلون اموال الناس بالباطل وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وقال القشيري ان بني اسرائيل لم يرضوا بحسن اختيار الله لهم ولم يصبروا على قيامه بتولي ما كان يهمهم من كفاية ما كولهم وملبوسهم فنفروا وابتغوا التخيير الى ما جرت عليه عادتهم من اكل الخسيس من الطعام والرضا

بالدون من المحال فردهم الى مقاساة الهوان وربطهم باقامة الخذلان حتى سفكوا دماء الانبيا وهتكوا حرمة
الامر بقلة الاستحيا وترك الارعوا والامتناع فعاقبهم على قبيح افعالهم وردهم الى ما اختاروه لانفسهم من خسايس
امورهم وحين لم تنجع فيهم النصيحة ادركتهم النقمة والفضيحة وكانوا بنوا اسرايل متفرقي الهموم متشتتي
المقصود لم يرضوا لانفسهم بطعام واحد ولم يكتفوا في دينهم بمعبود واحد حتى قالوا لموسى حين راوا قوما
يعبدون الصنم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وهكذا صفة ارباب التفرقة والصبر مع الواحد الاحد
ليس امر كل احد قال تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا ثم ختم هذه الاية بذكر
الكفر والمعصية وذكر بعدها اية فيها ذكر الايمان والطاعة وهي قوله تعالى **ان الذين امنوا والذين
هادوا** وهم اليهود وسموا به لانهم هادوا عن الحق اي مالوا وقيل لقولهم هدنا اليك وقيل لانهم ولد يهودا
وهو اكبر اولاد يعقوب وحولت الذال دالا لتغيرها عن العبرانية الى العربية وقوله تعالى **والنصارى**
واحدهم النصراني وسموا به لتناصرهم وتعاونهم فيما بينهم على اقامة ملتهم وقيل لنصرتهم عيسى عليه السلام
قال تعالى من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وقال ابن جريج وقتادة سموا به لانهم من قرية
تسمى ناصرة وكان ينزلها عيسى عليه السلام والنصارى في القياس جمع نصران كالنشاوى جمع نشوان والندامى
جمع ندمان وهو قول سيبويه والمستعمل هو النصراني بزيادة ياء النسبة والاصل قال الشاعر •
• تراه اذا جاء العشي محنفا ويضحي لديه وهو نصران شامس • وقال الاخر • فكلتاهما خرت واسجد راسها •
• كما سجدت نصرانة لم تحنف • وقيل النصارى جمع نصري كالمهاري جمع مهري قاله الخليل وقوله تعالى
والصابئين يقال صبأ يصبؤ صبوا اذا خرج من دين الى دين سموا به لانهم خرجوا من دين اليهودية والنصرانية
وقد خالفوهما وقد صبا النجم اذا مال من جهته وصبأ ناب البعير اذا خرج ومن ترك الهمز جعله من صبا يصبو
صبوا اذا مال وقيل هم قوم يعبدون النجوم ويقرون بالصانع والمعاد وببعض الانبياء وقيل هم من المانوية — نجرانيه
قال قتادة الصابئون فرقة يعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة ويقرون الزبور وقال السدي هم طائفة
من اهل الكتاب وقال مجاهد الصابئون بين المجوس واليهود لا توكل ذبايحهم ولا تنكح نساؤهم وهو قول
الحسن البصري وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقالوا انهم يعبدون الكواكب فكانوا كعبدة الاصنام — الملائكة
وقال ابو حنيفة انهم كاهل الكتاب فحل ذبايحهم ونكاح بناتهم لانهم يقرون الزبور ويعظمون الكواكب
تعظيم القبلة لتوجههم اليها في صلواتهم وقوله تعالى **من امن بالله واليوم الاخر** اي من امن منهم من اليهود
والنصارى والصابئين وقوله ان الذين امنوا اي من مشركي العرب وغيرهم ومن امن من هولاء الفرق
الثلاثة بالله وبالقيامة اي صدق بكونها وقوله تعالى **وعمل صالحا** مر تفسيره وقوله تعالى **فلهم اجرهم
عند ربهم** اي ثواب ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لا نجعله جزاء عمله بوعد الحق فضلا منه فتسكن
لوجوده لا محالة كما يجد الاجير اجره لاستحقاقه لذلك بعمله وهذا بناء لعمله بوعد الله لا باستحقاقه اخبر — قولهم
ان هولاء اذا امنوا اي امنوا وعملوا الصالحات لم يواخذوا بمتقدم فعلهم ولا بفعل ابائهم ولا ينقصون
من ثوابهم وقوله تعالى **ولا خوف عليهم** اي لا يخافون ان يبطل لهم حسنة وقوله تعالى **ولا هم يحزنون**
اي بفوت ثوابها وقيل ان الذين امنوا في عصر الرسول والذين هادوا كانوا على دين موسى وفي زمانه وماتوا
على ذلك ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام وماتوا ولم يبدلوا والصابئين
على هذا التاويل قوم كان لهم دين حق سوى اليهودية والنصرانية بان كانوا على اتباع رسول وكتاب
من امن منهم اي ثبت على ايمانه وعمل صالحا على موافقة ايمانه فلهم اجر ايمانهم وعملهم الصالح ولا خوف عليهم
من العقوبة ولا يحزنون بفوت الجنة وقال القتبي ان الذين امنوا اي بالسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون
واليهود والنصارى والصابيون من امن اي من اخلص منهم وامن بشرائط الصحة فله الاجر وقال الخوف
والحزن وقوله من امن وعمل صالحا ذكر على الوحدان بظاهر كلمة من وقال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
على الجمع لان معناه معنى الجمع فان اسم صالح للواحد والجماعة وقوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور** اي واذكروا ايضا اذ اخذنا ميثاقكم اي العهد بالانقياد لموسى عليه السلام فيما يخبركم به قبلتموه
وخرجتم معه من مصر فقربناه نجيا واعطيناه الالواح فيها التوراة فاتاكم بها فلم تقبلوها وقلتم هي
شديدة لا نطيقها فرفعنا فوقكم الجبل وهو قوله ورفعنا فوقكم الطور وهو الذي ذكره في قوله واذ نتقنا
الجبل فوقهم الاية والطور الجبل وقيل هو يقع على كل جبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطور هو الجبل
المنبت وقيل هو جبل فيه اشجار وقيل هو جبل بعينه واختلف في ذلك الجبل قيل هو الجبل الذي كان موسى — عليه السلام ... السلام
عليه حين كلمه الله تعالى وانزل عليه الالواح وقيل هو جبل من جبال فلسطين انقلع من اصله وقام على رؤوسهم
مثل الظلة وكان العسكر فرسخا في فرسخ والجبل كذلك وقيل خمسة فراسخ في خمسة فراسخ واوحى الله تعالى
الى موسى ان قبلوا التوراة والا رضختهم بهذا الجبل فرضختهم به فلما راوا ان لا مهرب لهم قبلوها وسجدوا

من المهابة على انصاف وجوههم لانهم كانوا يلاحظون الجبل فلذلك يسجد اليهود كذلك وقوله تعالى
خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون اي جد ومواظبة وخذوا بمعنى اقبلوا وقيل
بقوة اي باقتدار ونشاط واداء لما فرض عليكم وقيل اي اعطيناكم قوة ذلك ومن سلامة الالات
فخذوه بتلك القوة وقوله واذكروا ما فيه اي ادرسوه لترق قلوبكم ولتذكروا به الوعد والوعيد ويحتمل
واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه ويجوز ارادة المعنيين جميعا وقوله لعلكم تتقون اي لتصيروا متقين
وعن النار متوقين ثم قوله خذوا فيه مضمر اي وقلنا لهم خذوا وهذا اختصار يدل عليه سياق الكلام
ولان ذكر الميثاق يقتضيه كانه قال واثقناكم ان خذوا ثم قوله ميثاقكم وحده وان اضيف الى الجمع ولم
يقل مواثيقكم لان المراد ميثاق كل واحد اي اخذنا من كل واحد منكم ميثاقه كما قال ثم يخرجكم طفلا
اي كل واحد وقيل اخذ على الكل ميثاقا واحدا اي كان ميثاق كل واحد ما كان ميثاق الاخرين وقال القفال
ويحتمل ان يكون اخذ الميثاق مع رفع الطور معا والواو للجمع ويحتمل ان يكون اخذ الميثاق متقدما ولما
نقضوه رفع الطور فوقهم ودليل الاول قوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ودليل الثاني انه يجوز
ان يكون معناه بميثاقهم اي لميثاقهم الذي نقضوه اي بسبب ذلك رفعنا فوقهم الطور ثم هذه الحادثة كانت
قبل التيه والامر بدخول قرية اريحا وانما ذكرت بعدهما لان القصة واحدة وهذا تعداد نعم ومنن
كانت لله تعالى على اسلافهم ويجوز ذلك على الترتيب وغير الترتيب لان المراد تذكيرهم وهو حاصل كيف ذكر — التوراة
ثم رفع الجبل ليقبلوا لم يكن جبرا على الاسلام لان الجبر ما يسلب الاختيار وهو جار مجرى المحاربة مع الكفار
فاما قوله تعالى لا اكراه في الدين وقوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين فقد كان ذلك قبل الامر
بالقتال ثم نسخ ذلك وقوله تعالى **ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من
الخاسرين** اي اعرضتم عن الدوام عليه بعد القبول وقيل بعد رد الجبل وقيل من بعد اخذ الميثاق
ورفع الطور وانما وحد ذلك والمذكور قبله شيئان والمذكور عليه اكثر من ذلك وهو قبولهم التوراة ورد
الجبل لانه اراد من بعد ما ذكرنا فوحد لتوحدها وقوله ذلك خطاب النبي عليه السلام وحده بالكاف ولو قال
ذلكم كان خطابا لهم جميعا وقوله فلولا فضل الله عليكم هو زيادة الانعام ورحمته عطفه اي فلولا فضله ورحمته
ورد الجبل عليكم وامهالكم الى ان تبتم بعد ما توليتم لوقع الجبل عليكم فصرتم كافرين خاسرين وهذا في حق الذين
تابوا بعد ما تولوا وقيل ولولا فضل الله باعطاء التوراة ورحمته بقبول التوبة بعد التولي وقيل ولولا ايمانكم بالله
الذي هو فضل من الله ورحمته عليكم بالكتاب وقيل تم الكلام عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ابتداء كلام
يرجع الى الاول فقال ولولا فضله ورحمته برفع الجبل فوقكم للدمدمة على انكار الكتاب ورده من الخاسرين ولكن
تفضل عليكم ورحمكم حيث رفع الطور فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط الجبل عليكم فكنتم من
الخاسرين وقيل اي ولولا فضله باعطاء التوراة ورحمته بتوفيق القبول وقيل اي ولولا فضل الله عليكم بانجاء
ابائكم من العذاب ورد الطور عنكم لما توالدتم انتم وقوله تعالى لكنتم من الخاسرين الخسران في الاصل ذهاب
راس المال وهو ههنا هلاك المتقبل لانها مناء الاصل وقيل اي من المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمان الثواب
وقوله تعالى **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** خطاب لاهل عصر
النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالمسخ حين اعتدوا بالاصطياد يوم السبت فلم يكن تاخير العقوبة عن اسلافكم
الذين كانوا قبلكم على عصيانهم وتعقيبهم ميثاقهم للعجز عن تعجيل ذلك بل فضلا ورحمة فلو شئنا لعاجلناكم
بما عاجلنا به اصحاب السبت وقوله جل جلاله الذين اعتدوا منكم في السبت وكذا انتم في تمردكم على محمد لو شئنا
لانزلنا بكم ما انزلنا بهم اي الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من ترك الصيد يوم السبت من اسلافكم والسبت
اخر ايام الاسبوع سمي به لانه سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وتم وقصته ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال كان في زمن داود عليه السلام في ارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على ساحل بحر قلزم وكان
يجتمع فيه حيتان كل ارض من السنة في شهر كهيئة العيد تاتيهم الحيتان حتى لا يرى الماء وتاتيهم في غير ذلك
الشهر في كل سبت كما كانت تاتيهم في ذلك الشهر فاذا ذهب السبت لم يحسوا شيئا منه وحرم عليهم الصيد في
يوم السبت وقيل انما خص به ذلك اليوم لان موسى عليه السلام اراد ان يجعل يوما لله تعالى خالصا للطاعة وهو
يوم الجمعة فخالفه اليهود وقالوا نجعل ذلك اليوم يوم السبت لان الله تعالى لم يخلق فيه شيئا فلما اختاروه
لترك سائر الاعمال نهوا فيه عن الاصطياد دائما وصار اختيارهم وبالا عليهم فعمد رجال لاهل تلك القرية
فحفروا عشية الجمعة حفيرة حيث يدخل عليهم السمك فحبسوا السمك فيها واخذوه منها ليلة الاحد ويوم
الاحد فاكلوا وملحوا وباعوا فكثرت اموالهم ففعلوا بذلك زمانا في رواية اربعين سنة وفي رواية سبعين سنة
لم تنزل فيهم عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا استبشروا وقالوا انا نرى السبت قد احل لنا
ثم استن الابناء سنة الاباء فلوا انهم فعلوا ذلك مرة او مرتين لم يضرهم فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة

نجوا من اثني عشر الفا من الذين كرهوا الصيد يوم السبت وقيل كانوا خمسين سبعين الفا فنهوهم عن ذلك وقالوا لهم يا قوم انكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل ان ينزل بكم العذاب فلم يتعظوا فقال تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اى ابوا ان يرجعوا عن استحلال الصيد انجينا الذين ينهون عن السوء الاية فاصبح الذين استحلوا الصيد قردة خاسئين اى مسخناهم قردة وكونوا امر تسخير وهو اشارة الى قوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى كما اردنا ذلك صاروا كما اردنا من غير امتناع ولا لبث وهو كقوله تعالى كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا وقوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وهو من قول القائل مثلا امرت بكذا وكان كما امرت به اظهارا منه لعظمته ونفاذ امره ومشيئته والدليل على انه تكوين انه قال **فجعلناها نكالا لما بين يديها** وهو ذلك الاول والقردة جمع قرد كالفيلة جمع فيل والديكة جمع ديك وقوله خاسئين اى صاغرين مبعدين مطرودين كالكلب اذا دنا من الناس قيل له اخسأ اى تباعد وانطرد صاغرا وقوله ينقلب اليك البصر خاسئا اى صاغرا ممنوعا عن معاودة النظر وذلك خسأت الكلب فخسأ لازم ومتعد وقيل اى ساكتين لا يتكلمون كما في قوله تعالى قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون وقال مجاهد لم يكن هذا مسخ الابدان بل كان مسخ القلوب وفي رواية قال لم يمسخوا قردة وانما هذا مثل صوره لهم كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا قال القفال ومن قال بهذا جعله كقول الرجل للرجل لا ينظر في العلم ولا نجا لسوء اهله اذهب فكن حمارا اى شبيه حمار قال الشاعر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ● فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا ● ولكن هذا خلاف ظاهر الكلام وخلاف الاثار ومسخ هولاء مشهور وكان اليهود لعنهم الله اذا سبوا قيل لهم يا اخوة القردة والخنازير ويخاطبون به في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وليس تحويل الصورة باعظم من انشاء العنصر فمن امن بابتداع الجواهر فما ذا عليه ان يؤمن بانقلاب الصورة ثم قيل مسخوا قردة فلم يبق في ظاهرهم وباطنهم معنى الانسانية وقيل بقي فيهم الفهم والعقل فقد روي انهم لما مسخوا ليلا فلما اصبح الناس الخارجون منها واتوا ابوابها فاذا هي مغلقة لا يسمع فيها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان ودخلوها فراوهم قد صاروا قردة وكانوا يعرفون كل واحد بشيء معرفة وقرابة او صحبة فكانوا يقولون الم ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون برؤوسهم اى نعم والدموع تفيض من اعينهم وذلك دلالة الفهم والمعرفة ثم لم يكن ابتداء القردة من هولاء بل كانت قبلهم قردة وهولاء حولوا الى صورتها لتقبحها جزاء على قبح افعالهم وماتوا بعد ثلاثة ايام والقردة التي كانت في الدنيا من نسل قردة كانت قبلهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس في خلق الله قبيح ولو لم يكن في خلق الله تعالى قبيح لم يكن لتحويل صورهم من صورة الانسانية الى صورة القردة معنى ومعنى قوله فجعلناها نكالا لما بين يديها اى جعلنا هذه العقوبة كناية رجعت الى المعنى دون المذكور وقيل اى جعلنا المسخة وقيل اى جعلنا هذه القرية التي اعتدى اهلها فقد ذكر القرية في صورة اخرى وقيل جعلنا هذه الامة وقيل هذه الفرقة وقيل هذه الفعلة وقيل القردة وقيل هذه الجماعة وقيل اقاويل متقاربة وقوله تعالى نكالا النكال الفضيحة الشاهرة الزاجرة وقيل العقوبة التي ينكل بها عن الاقدام على مثل تلك الجناية يقال نكل عن الامر نكولا اى امتنع والنكل القيد وجمعه الانكال لان فيه منع المقيد عن الذهاب تقول فعلنا ذلك لمنع العباد عن الفساد كما يفعله البشر للتشفي ونحوه وقوله تعالى لما بين يديها قيل من عقوبة الاخرة **وما خلفها** من فضيحة الدنيا فيذكرونها الى قيام الساعة وقيل لما بين يديها لما تقدم من سائر الذنوب قبل اخذ السمك وما خلفها وما بعدها من اخذها وقيل هما عبارة عن كثرة ذنوبهم المحيطة بهم اولا واخرا وقيل لما بين يديها اهل زمانهم وما خلفها الى يوم القيمة وقال ابو العالية فجعلناها عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل لما بين يديها من يشاهدها وما خلفها من يسمع بذكرها وقيل لما بين يديها وما خلفها من القرى وقال بعضهم لما بين يديها لمن ياتي بعدهم كما يقال الصيف بين يديك اى ياتيك وقال اسامة للنبي صلى الله عليه وسلم في مسيره من عرفات الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك اى تفعلها بعد هذا الوقت فعلى هذا يكون قوله لما بين يديها اى لمن تقدمها تقول هذا الشيء صار خلفنا اى خلفناه وتجاوزناه فكانت نكالا للاتين والماضين وقوله تعالى **وموعظة للمتقين** قال عظة لجميع المؤمنين الذين يتقون عقاب الله وقيل اى يعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل هذا وعظ ينتفع به المتقون وان وعظ به الناس اجمعون كما قلنا في قوله هدى للمتقين وقيل المتقون في هذه الاية اسم لهذه الامة اى موعظة لامة محمد صلى الله عليه وسلم سماهم متقين لاتقائهم الشرك ولان الله نفيهم النار وقوله تعالى **واذ قال موسى لقومه** اى واذكروا ايضا اذ قال موسى لقومه وهم اسلافكم من بني اسرائيل ذكرهم بذكر هذه القصة على جهل ابائهم وتشديدهم على انفسهم واعتراضهم على نبيهم وقوله تعالى **ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** ليتبين بها امر القتيل الذي كان وقع فيهم وقوله تعالى **قالوا اتتخذنا هزوا** الالف ظاهرها الاستخبار وهو ههنا للاستنكار وهزوا اى سخرية وهو مصدر وههنا اريد به المفعول به كما يقال هذا علم الله اى معلومه والله رجاؤنا اى مرجونا ظنوا ان موسى

يستهزئ بهم ويداعبهم قالوا نخبرك ان رجلا منا قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة ويحتمل ان موسى عليه السلام اخبرهم بذبحها ولم يبين المراد والثمرة بها فلذلك وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل ان يكون قال لهم اذبحوا فان امر القتيل يتبين لكم بان تضربوه ببعضها فقالوا اتتخذنا هزوا يتعجبون ان امر القتيل يتبين بذلك وقال بعض العلماء كفروا بهذا القول اذ شكوا في خبر نبيهم وشكوا في قدرة ربهم على احياء الميت ببعض البقرة وقال بعضهم كان ذلك هفوة منهم وجهالة فعدوا فعادوا للطاعة لذبحها وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذا على المجاز انهم قالوا اتجازينا بهذا الماضي منا من عصياننا وخلافنا اذ لم يعلموا انه من عند الله بامر ربه وهذا على المجازات جائز كما قلنا في الاستهزاء والمخادعة والمكر وهو كقول نوح عليه السلام انا نسخر منكم كما تسخرون وقوله تعالى **قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** بين ان الاستهزاء عمل لا يستجيز مثله من انبياء الله تعالى وانه من عمل الجاهلين فعلموا انه جد وانه من عند الله ودل ان الاستهزاء بامور الدين كبيرة وانه ضرب من الجهالة وقوله تعالى **قالوا ادع لنا ربك** اى سل لاجلنا ربك وقوله تعالى **يبين لنا** اى وقل له يبين لنا وهو جزم على جواب الامر وقوله تعالى **ما هي** اى اي بقرة هي وليس بسؤال الجنس لانه قد بين لهم انها بقرة لكنه سؤال عن شيتها وقوله تعالى **قال انه يقول انها بقرة لا فارض** قيل لا كبيرة وقيل لا هرمة وقيل لا مسنة ومعناها واحد وقوله تعالى **ولا بكر** اى فتية لم تلد وقيل صغيرة وقيل شابة وقيل هي التي ولدت مرة وقوله تعالى **عوان بين ذلك** اى نصف وقيل اى فوق البكر دون المسنة ويقال العوان لا يعلم الخمرة اى النصف من النساء لا يعلم الاختمار فاما قد علمته وحرب عوان اى بليس بالاولى بل هي ثانية او ثالثة والعوان من النساء الثيب والفعل من الفارض فرض يفرض فروضا ومن العوان عونت تعون تعوينا ولم يسمع من البكر فعل وانما لم تدخل في هذه الصفات للتأنيث لانها من خصائص وصاف الاناث فصارت كالطالق والحائض ورفع هذه الصفات عند الاخفش لكونها صفة البقرة وعند الزجاج باضمار وهي اوانها وقوله بين ذلك اى بين البكر والفارض ولم يقل بين ذينك على التثنية وبين يقتضي شيئين لان معناه بين ما ذكرنا فينتظمها قال الشاعر ● يزغب كاولاد القطا راث خلفها ● على عاجزات النهض حمر حواصله ● اى حواصل ما ذكرناه ولولاه لقال حواصلها وقال ابو عبيدة قلت لروبة في قوله شعر ● فيها خطوط من سواد وبلق ● كانه في الجلد توليع البهق ● ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذلك المذكور وقوله تعالى **فافعلوا ما تؤمرون** اى فاذبحوا البقرة التي تؤمرون بذبحها وهو للحال دون محض الاستقبال فانهم كانوا امروا بها وهو قائم الحال دون محض الاستقبال وقوله تعالى **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** اى سله يبين لنا ما لونها استكشفوا المبهم بزيادة السؤال وهو سؤال اللون فقال انه يقول انها بقرة صفراء هي الصفرة المعروفة التي هي بين البياض والحمرة وقال ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف وقال مجاهد كانت اظلافها وقرناها من ذهب اى كانها ذهب من حسنها وصفاء لونها وقال الحسن كانت سوداء شديدة السواد والعرب قد تسمي السواد صفرة قال الاعشى ● تلك خيلي منه وتلك ركابي ● هن صفر اولادها كالزبيب ● وكذلك في قوله كانه جمالات صفر اى سود والصحيح هو الاول لانه قال فاقع لونها وهو صفة الاصفر على الخصوص فاما الاسود فانه يقال في نعته اسود حالك وغربيب ويقال احمر قاني وابيض يقق واخضر ناضر واصفر فاقع ولان الاصفر بمعنى الاسود يكون في الابل خاصة لان سوادها يعلوه صفرة بخلاف البقر وقوله فاقع لونها اي شديد صفرتها وقد فقع فقوعا من حد صنع وقوله تسر الناظرين اى تسر هذه البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح قلبه لتمام خلقها وفقوع لونها ولطافة قرونها واظلافها والمسرة لذة في القلب عند توقع النفع وقوله تعالى **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون** طلبوا تمام الكشف ببيان الوصف بعد السؤال عن السن واللون وقوله ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون البقر جمع بقرة كالشجر جمع شجرة والهاء للتوحيد والحذف دلالة الجمع باسم الجنس وتشابه بمعنى اشتبه وخفي واراد به خفيت واشتبهت لانها جمع وذكر ووحد على ظاهر اللفظ ويجوز التانيث على المعنى في غير القران فاما في الاية فلا وجه للتغيير وقيل معناه ان جنس البقر تشابه علينا وقرئ يشابه علينا برفع الاخر على الاستقبال وقد سقطت احدى التاءين تخفيفا كما في قوله تكاد تميز من الغيظ وقرئ تشابه بتشديد الشين لادغام احدى التاءين في الاخرى وقوله وانا ان شاء الله لمهتدون قيل اى انا بمشيئة الله تعالى نهتدي للبقرة التي امرنا بذبحها اذا اجتمعت لنا اوصافها التي تميزها عن غيرها قيل وانا ان شاء الله على هدى عن استقصائنا في المسئلة عن اوصاف البقرة اى نرجوا ان السؤال على ضلالة من البحث والاستقصاء وقيل اى وانا بمشيئة الله نهتدي للقاتل اذا امتثلنا الامر بذبح البقرة التي تصفها لنا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا انهم استثنوا لما اطلعوا على قاتله وقوله تعالى **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت**

بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون اي قال موسى يقول الله تعالى هي البقرة ليست بمذللة ذللها العمل ودابة ذلول بينة الذل بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة ورجل ذليل والمذلة والذلة وهو خلاف العزيز وذلله اي لينه وقوله تثير الارض اي تكربها وتقلبها اي اثارها اثارة ولازمه ثار يثور ثورا نا واثارة الارض سميت بها الثيران تراها بها يقال ثار الدخان والغبار والتراب وثار القطا اي نهض وثار الدم في وجهه اي ظهر وثار الشفق وقوله ولا تسقي الحرث اي الزرع وقوله مسلمة اي سالمة من العيوب كلها وقيل اي مسلمة عن العمل لانها لو عمل عليها لم تخل من عيب بها لبرائتها من العمل هي بريئة من العيوب وقوله لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جميع جلدها واشتقاقها من وشي الثوب وهو استعمال الوان الغزل في نسجه وقال عبد الله التستري اي لا علامة فيها تشينها وتقديرها فعله واصلها وشية كالصفة والدية والعدة اصلها وصفة وودية ووعدة وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية ان البقرة كانت ذكرا لان اثارة الارض وسقي الحرث من عمل الثيران وهي حجة لاصحابنا رحمة الله عليهم فيمن حلف لا ياكل لحم بقرة او بقر انه يحنث باكل لحم الثور لان الله جل جلاله سمى الثور في هذه الاية بقرة لما قلنا انه وصفه بالاثارة والسقي وهما من عمل الثيران عرفا فاما الكنايات الراجعة اليها على التانيث فللفظها كما في قوله وقالت طائفة وقالت امة وقال ابو يوسف رحمه الله اذا قال بقرة فهي للانثى خاصة واذا قال بقر صلح للذكر والانثى قال في الحمار والحمارة وابو حنيفة رحمه الله يقول انها للتوحيد لا للتانيث كما في الحمام والحمامة وقال ابو منصور رحمه الله الا ان يكون اهل ذلك الزمان يحرثون بالانثى كما يحرث اهل هذا الزمان بالذكر فحينئذ لا يكون فيه دليل كما ذكرنا وقوله تعالى قالوا الان جئت بالحق اي الان تبينت لنا الصفة التي كنا نطلب بالصدق وقيل اي الان تحقق لنا وصف هذه البقرة في شيتها ولونها وصفتها وهي عند فلان عرفناها فنشتريها منه ونذبحها امتثالا لامر الله تعالى وقيل اي الان تبين لنا انك جئت بالحق والجد وما كنت هازئا ومن قال كفروا بنسبته الى الهزء وقد امنوا بهذا الانقياد والقبول والاعتقاد وقوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا بظهور القاتل وقيل وما كادوا يفعلون اي فعلوا ذلك بعد الاستقصاء حتى كاد ينقطع الياس عن ذلك وقيل ما كادوا يفعلون انهم ما كادوا يفعلون لغلو ثمنها وقيل استقصوا في صفة تلك البقرة والسؤال عن احوالها والاستقصاء في الشيء ربما يكون للموافقة ثم ذكروا في التفاسير المعروفة انهم لو ذبحوا بقرة اي بقرة كانت جاز لهم ذلك فلما بحثوا عنها وسالوا مرارا كان استقصاؤهم سببا لتغليظ الامر عليهم الى ان انتهى الامر الى بقرة غلى ثمنها كثيرا فانهم اشتروها بملء مسكها ذهبا وكاد يخرج الى ان لا ياتمروا وهكذا روي انهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم قالوا وفيه دليل على امضاء الخطاب على العموم وعلى ان الحكم يتعلق باقل ما ينطلق عليه الاسم وعلى وجوب العمل بالظاهر وقد كرر عليهم قوله فافعلوا ما تؤمرون اي دعوا البحث والتفتيش لكن الامام ابو منصور رحمه الله قال استدل قوم بالاية على عموم الخطاب وترك السماع لانه امر بذبح بقرة لم يبين لهم كيفيتها وقت الخطاب وروي لو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزأتهم لكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا لا يصح لانه دعوى على الله عز وجل حدوث شيء في امره وبدا في حكمه وذلك كفر لا يقوله مسلم فضلا عن ان يقوله رسول فانه قال انه يقول انها كذا فلو كان الاول على غير ذلك لكان قد بدا له فيما عمر وفسر بما لم يكن اراد وذلك بمعنى البدا بل بمعنى الرجوع عن الاول فيما اراد والتغيير له بغير وذلك فعل من يجهل العواقب تعالى الله عن ذلك ثم معنى سؤالهم موسى ان يدعو ربه ما اراد بذلك ان جعل ذلك اية لهم فوقع عندهم ان ليس كل بقرة تصلح للايات ولذلك لم يسالوا موسى عن تفسيرها اذ الله تعالى هو الذي يعلم الايات فكان الامر بالذبح في الابتداء على ما ال اليه امرها وظهر لكنهم امروا بالسؤال عنها ليصلوا الى المراد به لانه احدث لهم ذلك بالسؤال ثم قال وجه حكمة تجعل البقرة اية دون غيرها من البهائم شيئان احدهما ما روي ان رجلا بارا بوالديه محسنا اليهما وكانت له بقرة على تلك الصفة والشية فاراد الله ان يوصل اليه في الدنيا جزاء ما كان منه والثاني انهم كانوا قبل ذلك يعبدون البقر والعجاجيل وحببت اليهم كما قال واشربوا في قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الله تعالى وطاعته فاراد الله تعالى ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم في قلوبهم وقيل كان افضل قرابينهم حينئذ البقر فامروا بذبح البقرة ليحصل التقرب لهم بما هو افضل عندهم ثم بين الله تعالى السبب الذي امروا به بذبح البقرة بالاية التي بعدها وهي في قوله تعالى **وإذ قتلتم نفسا** اي واذكروا ايضا اذ قتل بعض اسلافكم واضيف الفعل اليهم لرضاهم بفعل اوليك نفسا هي عاميل بن شراحيل وقوله تعالى **فادارأتم فيها** اي تدافعتم واختلفتم ندفع كل واحد منكم الفعل عن نفسه واحال على غيره وقد درا يدرا درءا اي دفع قال الله تعالى ويدرأ عنها العذاب ودارأه اي دافعه وتدارأ القوم اي تدافعوا وداروا كذلك واصله فتدارأتم ثم ادغمت التاء في الدال لانها من مخرجها فسكنت وادخلت الف الوصل لانه لا يبتدأ بالساكن وقوله تعالى **والله مخرج ما كنتم**

تكتمون

تكتمون اي مظهر امر القتيل بحقه وصدقه وقد بينا وجوه الخروج والاخراج فيما مر وقيل هذه الاية مقدمة في المعنى اي واذكروا اذ وقعت هذه الحادثة فيكم فسالتم موسى بيان امرها فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وتضربوه ببعضها فيحيى فيخبركم عن قتله فقد تتخذ تاخروا الى اخرها في الاخبار والتلاوة اذ الربوبيع الخلل والتناقض جائز الا ترى ان العدة باربعة اشهر وعشرا ناسخة للعدة بسنة متاعا الى الحول غير اخراج ثم الناسخ مقدم في التلاوة والمنسوخ متاخر وقيل كان هذا في وقتين ذكر الله تعالى امر البقرة تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ان قوم موسى صلوات الله عليه نسبوا موسى الى الهزؤ واستقصوا بالسؤال فسالت الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اكانوا مامورين بذبح البقرة فانزل الله تعالى هذه الاية ودليل هذا ان الاول خطاب موسى عليه السلام والثاني خطاب الله تعالى ثم اختلف في الاية الثانية ان الخطاب لاي قوم لبني اسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام ومعنى قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اي من امر القاتل ليظهر البريء من المجرم وقد اداروا فيها وظنوا انه يكتم فامرهم بذبح البقرة وضربه ببعضها وقيل هو خطاب لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من الشنعة بالتعنت ووصف موسى بالهزؤ والله تعالى اظهرها بانزال هذه الايات يدل عليه انه قال ما كنتم تكتمون ولم يقل تجحدون وقوله تعالى **فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون** اي اضربوا المقتول وانما قال اضربوه على التذكير وان تقدم ذكر النفس لاعتبار المعنى فانه كان رجلا وانث في قوله فادارأتم فيها لانه صرف الكناية الى النفس وهي مؤنثة سماعا فصرف احدى الكنايتين الى اللفظ والاخرى الى المعنى كما في قوله تعالى من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم وقيل قوله تعالى فادارأتم فيها يرجع الى القتلة التي يقتضيها قوله واذ قتلتم وقوله ببعضها اي ببعض من البقرة المذبوحة واختلفوا في ذلك البعض قال ابن عباس وعكرمة هو الفخذ وقال الفراء الفخذ الايمن وقال السدي هو البضعة التي تكون بين الكتفين وقال ابو العالية والربيع بن انس هو عظم منها وقيل هو الذنب وقيل هو عجب الذنب ومنه يركب الخلق ومنه يبدا يوم القيامة قال معاذ بن جبل وهو اول ما يخلق منه واخر ما يبلى وقيل اللسان وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يعلم ذلك غير الله تعالى لكن نقول ببعضها بقدر ما في الكتاب ثم ههنا مضمر اي فضربوه ببعضها فاحياه الله تعالى ثم ان موسى عليه السلام امرهم بضربه ولم ما ضربه بنفسه نفيا للتهمة كيلا ينسب الى السحر او الحيلة كما اتهموه حين احيا العصي حتى قال فرعون لعنه الله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقالوا ساحران تظاهرا وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اي كما احيى هذا المقتول يحيي الموتى يوم القيامة وقوله في هذه السورة او كالذي مر على قرية معطوف على هذا وانما جاز ذلك بعد لان القران كله كلام واحد متصل بعضه ببعض فتتصل المعاني ثم بعد تباعد الايات وهو كقوله ما لهذا الرسول ياكل الطعام وجوابه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام الاية وقوله تعالى ص والقران ذي الذكر وجوابه ان ذلك لحق وقوله تعالى والفجر وليال عشر وجوابه ان ربك لبالمرصاد فان قالوا ان بني اسرائيل كانوا مقرين بالبعث فما معنى الزامهم بقوله كذلك يحيي الله الموتى قلنا كانوا مقرين قولا وتقليدا فبينه عليه عيانا وايقانا وهو كقول ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي وقال ابو سهل الطالقاني لم يرد به احياء النفوس في هذه الاية بل اراد احياء ما اماتوا وكتموا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والاحكام كالرجم ونحوه اي يظهر هذه كما اظهر تلك وقوله تعالى ويريكم اياته اي دلائله الاخر ولا يقتصر على اراءة هذه الاية وقوله لعلكم تعقلون لم يرد به ليصيروا عقلا فقد كانوا كذلك ولكن معناه لتعقلوا ما يجب عليكم من امر دينكم اذا رايتم ايات الله في احياء الموتى ونحوه وقال القفال هذا كلام مبتدأ اي ويريكم اياته يا معشر العرب في محمد صلى الله عليه وسلم مما يخبركم به من علم الغيب الذي لا يجوز ان يعرف الا بخبر عن الله تعالى لكن تنبهوا وتقبلوا ما يدعوكم اليه كقولك اعقل هذا اي افهمه وقيل يجوز ان يكون معطوفا على ما سبق اي ويريكم اياته كما اراكم احياء القتيل ويجوز ان يكون معناه ويريكم جميع اياته من اول مبعث موسى الى اخره من اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد والضفادع والدم وفلق البحر ونجاتهم من الغرق واغراق فرعون وقومه وكونهم في التيه ونزول المن والسلوى واحياء السبعين بعد اماتتهم وقصته ما قال الكلبي ان بني اسرائيل قيل لهم في التوراة اذا هبطتم ارض بيت المقدس التي كتب الله لكم ميراثا من ابيكم ابراهيم دمشق والاردن وفلسطين ثم ادمتم في مسعاكم هذا فانظروا ايما قتيل وجد بين قريتين لا يدرى من قتله فليقس الى ايهما اقرب فليأخذوا اهل تلك القرية جميعا به فان علموا قاتله قتلوه به وان لم يعلموا قاتله اخذ خمسين من شيوخ اهل القرية ثم ياخذون بقرة حمراء حولية فينطلقون الى واد فيذبحونها ثم ليضع الشيوخ الخمسون ايديهم عليها فيحلفون بالله رب السماء العزى اله بني اسرائيل ما قتلناه وما علمنا له قاتلا فان حلفوا برئوا من دمه واخذوا بديته فعمد رجلان اخوان من بني اسرائيل الى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه لكي يرثا ماله وكانت بنت عم لهما شابة جميلة مثلا في بني اسرائيل فخافا ان ينكحها ابن عمها فلذلك قتلاه ثم حملاه فالقياه الى جانب قرية

فاصبح اهل القرية والقتيل بينهم لا يدرون من قتله فاخذ اهل القرية بثرة فلما عمي عليهم شانه ومن قتله
قالوا لموسى ادع الله ان يطلعنا على قاتله فدعا موسى فلما رجعوا الى موسى قالوا يا موسى ماذا اجاب ربك
قال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فتضربوا الميت ببعضها فيعيش فيخبركم بمن قتله فظنوا ان موسى
عليه السلام يستهزئ بهم فقالوا اتتخذنا هزوا وذكر سوء الاتهم وحججوا براهم على ما مر في تفسير هذه الايات
الى ان قال فطلبوا بقرة على هذه الصفة حتى وجدوها عند رجل ليست عنده غيرها بقية بقر كن لابا ئه
فهو يربيها لولده فلما سالوه ان يبيعها اباهم رفعوا له في الثمن حتى اعطوه ملء مسكها ذهبا فباعها منهم
وكانوا امروا ان يضربوه ببعضها بعد ذبحها ففعلوا فحيي واوداجه تسيل دما وقال قتلني ابنا عمي
فاخذ اوقتلا ولم يعطيا من ميراثه شيئا وفي الخبر لم يورث قاتل بعد صاحب البقرة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن وله عجل فاتى بالعجل الى غيضة فقال اللهم اني استودعك
هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فلبث العجل في الغيضة حتى كبر الصبي وكبرت العجلة وصارت
عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الصبي وكبرت العجلة اتاها ومعه حبل فاذعنت له ومكنته
من نفسها وكانت احسن البقر واسمنها فاتى بها امه فلما قال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وذكر
القصة على ترتيب هذه الايات فعرفوا انها بقرة اليتيم قالوا الآن جئت بالحق فساوموا بها اليتيم فقالت
له امه لا تبعها حتى تشاورني فلم يزالوا يزيدونه حتى رضوا بان يشتروها بملء مسكها ذهبا وقال السدي
طلبوا البقرة فلم يجدوها الا عند غلام من غلمان بني اسرائيل كان بارا بابيه وكان من برّه انه اتاه
بلؤلؤ فابتاعه الغلام بخمسين الفا وكان في اللؤلؤ فضل فقال للغلام ان ابي نائم ومفتاح الصندوق
عند راسه فانتظر حتى يستيقظ فاعطيك الثمن قال فايقظ اباك واعطني المال فقال ما كنت لافعل ولكن
ازيدك عشرة الاف فانتظرني حتى ينتبه ابي فقال الرجل وانا احط عنك عشرة الاف درهم على ان توقظ
اباك فقال الغلام وانا ازيدك عشرين الفا على ان تنتظر فلم يزل لا يزيد الغلام ويحط صاحب اللؤلؤ ولم
فاعقبه الله تعالى بره ان جعل تلك البقرة عنده فاتوه فقالوا بعناها فقال لا فاعطوه بها بقرتين فابى حتى
اعطوه سبع بقرات فابى فاتوا موسى عليه السلام فقالوا وجدنا صفة هذه البقرة عند غلام من بني اسرائيل
فبعث اليه موسى وقال بعهم فقال الغلام اتاخذها يا موسى غصبا قال لا قال فهي لي ابيعها بما شئت
قال موسى صدق فارضوه ثم قال له فماذا تسال قال لا ابيعها الا بملء مسكها ذهبا فلم يجدوا بدا
فاعطوه فاخذوا البقرة فجاؤا بها الى موسى فذبحوها وقال سعيد بن جبير ان اصحاب البقرة طلبوها اربعين
سنة وقال عكرمة وجدوها عند رجل قال لا ابيعها بمائة دينار فابوا فرجعوا الى موسى فقال هو اعلم ان شاء
باعها وان شاء لم يبعها فعادوا الى الرجل فقالوا قد اخذناها بمائة دينار فقال لا انقصها عن مائتي
دينار فلم يزالوا يعودون الى موسى والى صاحب البقرة فضعف عليهم الثمن حتى قال لا ابيعها الا بملء مسكها
ذهبا فاخذوها به وقال السدي كان في بني اسرائيل فتى يتيم في حجر عمه فلما بلغ الفتى قال يا عم انكحني
ابنتك فابى عمه فقال الفتى والله لاقتلن عمي وارث ماله ولا نكحن ابنته ولآخذن ديته فقال لعمه
ليلة ان لي حاجة في سبط من اسباط بني اسرائيل فانطلق بعمه حتى خلا به وجاءه بخنجر كان اعده لقتله
فقتله فلما اصبح جعل يبكي على عمه فطاف بالاسباط التي ليس فيها عمه عمدا وقال انكم قتلتموه فذهب
بهم الى موسى فعرض عليهم الدية فتدافعوا فيه انهم لم يقتلوه فاوحى الله تعالى اليه ان مرهم ان يذبحوا بقرة
وعن ابن سيرين ان رجلا كان له ذو قرابة هو وارثه فقتله ليرثه ثم ذهب به فالقاه على باب قوم آخرين
واصبح يطلب بدمه فهموا ان يقتتلوا حتى لبس الفريقان السلاح فقال رجل منهم اتقتلون وفيكم نبي الله
موسى فكف بعضهم عن بعض ثم انطلقوا الى موسى عليه السلام فذكروا له ذلك وذكروا القصة وقال القشيري
رحمه الله في قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اشارة الى ان الذي يصلح لهذه الطريقة وقال القشيري
من لم يستهوه نزق الشباب وسكره ولم يعطله عجز الشيب وضعفه بل هو صاح واستفاق من سكره وبقي
بعد نظارة من عمره وقال بعض اهل المعرفة في قوله لا شية فيها هذا تنبيه على ان امدح الاحوال للعبد
ان يكون مع الله على لون واحد فلا تتشتت عليه هموم الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم من جعل همومه هما
واحدا وهو هم المعاد كفاه الله جميع همومه ومن تشتتت عليه الهموم لم يبال الله في اي اودية هلك وسمع
بعض الفقراء قائلا يقول كل يوم تتلون غير هذا بك احسن فوقف يستمع اليها ويشهق وهو يقول هذه
حالي مع الله فلم يزل هكذا حتى شهق شهقة كان حتفه فيها وقال بعض اهل المعرفة في قوله فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى انما جعل الله احياء المقتول في ذبح البقرة تنبيها لعبده ان من اراد منهم
احياء قلبه لم يتات له الا باماتة نفسه فمن اماتها بانواع الرياضات احيى الله قلبه بانوار المشاهدات
وقوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة اي غلظت واشتدت وقد تسا

بقسو قسوة وتحجر فاسئل اي صلب والقسية الليلة الباردة والمقاساة معالجة الامر الشديد وقوله من بعد
ذلك قال ابن عباس وقتادة اي من بعد احياء القتيل وهو خطاب لقاتليه اي حين جحد القتيل فاخبر ان ابني
عمه قتلاه فانكرا مع ظهور هذه الاية العظيمة وقيل بل معناه ثم قست قلوبكم بعد احياء الميت عن الانقياد
للحق ولم يزالوا بعده اهل حسد وعناد للانبياء لا يقبلون وعظا وقيل بل معناه قست قلوبكم بعد احياء
هذا القتيل وغيره من الايات فلم يخلوا عن عناد واعتراض على موسى عليه السلام في التيه وغير ذلك
وهذا كله راجع الى اسلافهم وقيل هو خطاب اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من الاحبار اي غلظت
قلوبكم بعد ما جاء اوائلكم من الايات والعقوبات على الجنايات والمواثيق الماخوذة عليهم فطغيتم مع ما
عندكم من العلم بالايات التي تلين عندها القلوب ومن وصف المؤمنين ذلك قال تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقوله تعالى فهي كالحجارة اي هذه القلوب
مثل الحجارة وهي جمع الحجر في الشدة والغلظ وقوله تعالى او اشد قسوة ذكرنا عند تفسير قوله تعالى او كصيب
من السماء ان او على وجوه كثيرة ويستقيم حملها ههنا على عدة منها احدها انها بمعنى الواو ومنها بمعنى بل
ومنها انها للتخيير اي ان شئتم فاجعلوها كالحجارة فهي مثلها وان شئتم فاجعلوها اشد منها فانها كذلك
كما يقال جالس الحسن او ابن سيرين فانه للتخيير ومنها انها على ابهام الامر على العباد وان كان الله جل جلاله
عالما بذلك كقول الرجل لآخر اكلت خبزا او لحما اذا اردت ان تخبره انك انما اكلت احد هذين الشيئين
لا ثالث لا مجموعهما وابهمت الخبر عليه اذا لم يكن بك حاجة الى التعيين او لم ترد تعيينه له ومنها انه كقولك ما اكل
الا حلوا او حامضا اي طعامي لا يخرج عن هذين بل يتردد عليهما ومعناه ان قلوب جماعتكم اما كالحجارة واما
اشد قسوة منها وليس فيها ما يخرج عن هذين فتكون الين من الحجارة وحقيقته ان هؤلاء عند من عرف شانهم
منكم على هذه الصورة او اشد منها فاما عند الله فهو كاحدهما بعينه لا شك فيه وانتم لتقارب الامرين تشكون
فيه وكذا قوله الى مائة الف او يزيدون وقوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل هذا في فريقين اي بعضكم
كذا وبعضكم كذا وقيل هذا تاسيس للتعريف في القلوب فبدا بما يعرفونه في نهاية الشدة فشبهها بالحجارة
ثم بين كمال قسوتها انها اقسى منها وقد بدا في الاخبار بالادنى ثم بالاعلى وهذا اوقع في القلب قال تعالى
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف ثم قال يمددكم ربكم بخمسة الاف وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اني لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وقوله تعالى او اشد
مرفوع لانه معطوف على معنى الكاف في قوله تعالى كالحجارة فان معناه مثل الحجارة وقوله قسوة نصب على
التفسير كقوله هو احسن الناس خلقا واتمهم رفعا وقال الامام ابو منصور رحمه الله ضرب الله مثلا لقلوبهم
فشبهها بالحجارة لقسوتها وشدتها فانها اشد قسوة من الحجارة مع صلابتها وشدتها وانها ان من الحجارة
مع صلابتها وشدتها مع فقد اسباب الفهم والعقل عنها وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع قال
تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال تعالى فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع له ولا يلين واذلك
اخبر الله تعالى عن الجبال انها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقلب
الكافر لا يلين ابدا ويقال ان الله تعالى جعل من الجبال منافع للخلق مع صلابتها وشدتها حتى يتفجر منها
الانهار والمياه وقلب الكافر مع احتمال ذلك وامكانه لا منفعة فيه لاحد من وجه حكمه ضرب لقلوبهم
مثلا بالحجارة وتشبيها بها دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما وذلك والله اعلم
ان الحديد تلينه النار وكذا الصفر حتى يضرب منه الاواني والحجر لا تلينه نار ولا شيء فلذلك شبه قلب
الكافر بها قال وهذا والله اعلم في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وقوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار واللام في لما للتاكيد وما خبر ان وهو مرفوع ومعناه الذي اي الحجر الذي يتفجر منه
والهاء ترجع الى ما لا الى الحجارة وقيل ترجع الى من في قوله من الحجارة فانه للتبعيض ومعناه ان بعض
الحجارة وعلى هذا تكون ما صلة زائدة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وعما قليل وفبما نقضهم ميثاقهم وتقديره
ان بعض الحجارة ليتفجر منه الانهار ويتفجر اي يسيل واسعا كثيرا والانهار جمع نهر وهو معروف ومعناه
المجرى الواسع من مجاري الماء وقيل هذا على العموم في جميع الاحجار العظام التي يخرج منها الانهار والاودية
وقيل هو على الخصوص وهو حجر موسى عليه السلام الذي كان يضرب به موسى بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عينا
لاثني عشر سبطا وقوله تعالى وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء القليل ويتشقق اصله يتشقق
ادغمت التاء في الشين كما في قوله المزمل والمدثر ويذكر ويصدعون ولهذا وجهان كما في الاول لما بمعنى
الذي ومنه يرجع اليه ومن بمعنى بعض وما زائدة وقيل هذا على العموم في كل حجر يتشقق فيخرج منه ما دون
النهر وقيل هو على الخصوص في قصة داود يا جبال اوبي معه وقوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله

وما الله بغافل عما تعملون في من وما وجهان كما مر والهبوط النزول والخشية الخوف عن العلم وهذا على العموم في كل الاحجار عند بعضهم وهي الاحجار التي تنحط من رؤس الجبال من خوف ذي الجلال وقيل هذا على الخصوص في جبل موسى عليه السلام الذي تجلى له الرب جل جلاله فجعله دكا فقرر بذلك ان قلب الكافر اقسى من الحجارة التي لها هذه الاثار فان قالوا وصف الله تعالى الحجارة بالخشية وهي لا توجد الا من عاقل مميز ولنا اجوبة احدها ان معناه والله اعلم وان من الحجارة لما يتردى من العلو الى السفل منقادا لحكم الله تعالى وهؤلاء مصرون على العناد وترك الانقياد فجعل الهبوط مثلا للانقياد كما يقال نزلت على حكم فلان وقولهم من خشية الله اي الانقياد لامر الله والكون على ما سخره وهو مشيئته بما يفعله من يخشى الله على معنى انه لو وجد مثله من العاقل المختار كان به خاشيا لله تعالى وهو كقوله جدارا يريد ان ينقض اي ظهر فيه من الميلان المسقوط ما لو ظهر مثله في حي مختار كان مريدا والثاني ان المراد به الاحوال التي تحدث من الزلازل والايات التي يخشى الله عندها اي ومن الحجارة ما ينزل بعضه من بعض من اجل ما يريد الله من خشية عباده له ورجوعهم اليه والثالث لو اريد حقيقة الخشية منها فهو على ان يخلق الله تعالى فيها الحيوة والتمييز وليس بشرط خلق الحيوة والتمييز في الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند اهل السنة والجماعة وعلى هذا قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وعلى هذا انطاق جلود الكفار يوم القيمة وحنين الجذع وتسليم الاحجار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسبيح الحصا في كفه وكلام الشاة المسمومة ومجئ الشجرتين الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما وقضى حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وقوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها ونحو ذلك وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قرا ابن كثير بالياء على المغايبة رجوعا اليهم من المخاطبة كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرا الباقون بالتاء على المخاطبة كما في اول الاية وهذا ابلغ وعيدا اي لا يخفى على الله شيء من اعمالكم فيجازيكم بها وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وانتظامه بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لما سمعوا هذه الايات وهي في مخاطبة اليهود طمعوا ان يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا قال الله تعالى افترجون وهذا استفهام بمعنى النهي اي لا ترجوا وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من هؤلاء القاسية قلوبهم ان يصدقوكم وامن له اي صدقه قال تعالى فامن له لوط وقال تعالى وما انت بمؤمن لنا لا تطمعوا فيهم ان يصدقوكم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم على الخصوص بكلمة الجمع تعظيما له كما في قوله ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قيل اي عليه وانما جمع التعظيم ثم هذا ما يئس من ايمانهم وهم قوم باعيانهم كما في قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم بين معنى بعد الطمع عن ذلك بما بعده وهو قوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله اي وهؤلاء اولاد اسماعيل سمعوا كلام الله وهم السبعون الذين اختارهم موسى صلوات الله عليه للميقات وقد ذكر الكلبي انهم سالوا موسى ان يسال الله تعالى ان يسمعهم كلامه فقال لهم اغتسلوا والبسوا الثياب النظيفة ففعلوا فاسمعهم الله كلامه فقال اني انا ربكم لا اله الا انا الحي القيوم وزاد الضحاك في هذا انه قال واوصيكم ببر الوالدين وان لا تسرقوا ولا تزنوا ولا يظلم بعضكم بعضا ولا تقطعون السبيل ولا يشهد بعضكم على بعض زورا لكن الصحيح انهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فان ذلك كان لموسى عليه السلام على الخصوص لم يشركه فيه غيره ومعنى يسمعون كلام الله اي التوراة من موسى بقراءته كما في قوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون التحريف التغيير والانحراف الميل والتحرف كذلك قال تعالى متحرفا لقتال وقلم محرف مائل الراس فتحريف الكلام امالته وجهه الى غير وجهه واما تفسيره فقد قال مجاهد والسدي اي يحرفون التوراة وقال محمد بن اسحق والربيع اي الوحي الذي سمعوه من موسى من بعد ما علموا تاويله وعرفوه وفهموه وقيل هو تحريف احكام الكتاب فانهم كانوا يفتون المستفتي من الفقراء بما في الكتاب واذا استفتاهم الغني اخذوا الرشوة وغيروا احكام التوراة على وفق هوى الغني كما غيروا اية الرجم تخفيفا على الغني باخذ الرشوة وغيروا احكام الكتاب بقولهم كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون اولئك الاباء وقال الامام ابو منصور رحمه الله من بعد ما عقلوه انه من عند الله وانه رسول الله وانه حق وقال معنى الاية انهم مع كثرة ما عاينوا من الايات وشاهدوا من العجائب في عهد موسى صلوات الله عليه لم يطمع في ايمانهم فكيف طمعتم انتم في ايمان هؤلاء وهم اتباع هؤلاء وفريق من هؤلاء سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم ثم حرفوا تاويله بعد ما علموه قال القفال لم يحرفونه اي تاولونه على غير تاويله ويعدلون به عن جهته من بعد ما عقلوا تاويله عن الله تعالى وهم يعلمون انهم يحرفونه باطلا ويتعمدونه حسدا وبغيا او تعلمون انه يورث الوزر والعقوبة وليس قوله عقلوه ويعلمون شيئا واحدا وقال القشيري انسيهم عن

ايمانهم

ايمانهم وذكرانهم بعد سماع الخطاب من الله تعالى حرفوه وقد عقلوه وعرفوه فكيف يؤمنون لكم وانما يسمعون بواسطة الرسالة ومن لم يبق على الايمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم ومن لم يحتشم من الله كيف يحتشم منكم وقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا لقي المنافقون وهم الذين كانوا من اهل الكتاب وامنوا بلسانهم خوفا من القتل والسبي وهم يضمرون الكفر اذا لقوا المؤمنين المخلصين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا اي نحن مؤمنون مثلكم مخلصون وقوله تعالى واذا خلا بعضهم الى بعض اي صاروا على الخلوة مع رؤسائهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد ووهب بن يهوذا وقوله تعالى قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم اي قالوا هؤلاء الرؤساء من اليهود لهؤلاء المنافقين اتحدثونهم استفهام بمعنى النهي اي لا تحدثوا العرب بما فتح الله عليكم اي انزل الله عليكم وهو ما في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة رسالته ودينه وكتابه وهذا كما في قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لانزلناه وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابو العالية والحسن وقتادة بما فتح الله عليكم من باب العلم بصفات النبي صلى الله عليه وسلم البشرية وقيل بما علمكم الله من ذلك وهو من قولك استفتحته ففتح علي اي سالته فعلمني ويقال افتح علي في امرك اي عرفني وجهه وطريقه وقيل بما فتح الله عليكم اي اوجب عليكم وحكم عليكم من اخذ الميثاق في كتبكم ثم جاءكم رسول الله مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وهو من قولهم للحاكم فتاح وقال تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي احكم وقال مجاهد اي بما حكم عليكم كما جعل منكم القردة والخنازير فلا تقروا به عندكم فتعرفوا به عنادكم وعنادا بائكم وقيل بما فتح الله عليكم اي نصركم حين استفتحتم برسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الزمان في مغازيكم اي استنصرتم به وقوله تعالى ليحاجوكم به عند ربكم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يحدثون العرب بما وعدوا به فيقول لهم رؤساؤهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ليقولوا نحن اكرم على الله منكم واحب اليه منكم وقال مقاتل بن سليمان نزلت في اليهود وذلك ان الرجل المسلم كان يري من اليهود رضيعة او حليفة فيسال له اتجدون محمدا في كتابكم فيقولون نعم هو حق نعرفه فسمع كعب بن الاشرف ومالك ابن الضيف واصحابهما وقالوا لليهود في السر اتحدثون اصحاب محمد بما فتح الله عليكم من نعت محمد ليحاجوكم به عند ربكم باعترافكم بانه نبي ثم لا تتابعونه قوله تعالى عند ربكم تختصمون وقيل اي يكون لهم حجة عند الله في الدنيا والاخرة وقال الحسن عند ربكم اي في ربكم فيكونوا هم اولى به منكم اذا انا منتجبه عليكم وقيل عند ربكم اي في حكم ربكم وهو كقوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وقوله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اي ليحتجوا به عليكم باقراركم ان الله تعالى حكم عليكم فيما اخذ عليكم من الميثاق الذي بينا لتؤمنن به ولتنصرنه وقيل في الاية تقديم وتاخير وتقديره اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي بما نزل عليكم من عند ربكم ليحاجوكم به وقوله تعالى افلا تعقلون هو متصل بكلامهم ايضا اي افلا تعقلون انكم ان فعلتم ذلك عادت الحجة عليكم وفيه عيبكم وعيب سلفكم وقال الحسن هذا متصل بقوله تعالى افتطمعون في ايمان من هذه صفته افلا تعقلون انه لا يكون وقوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي ما يخفون وما يظهرون من القول والعمل وقيل ما يسرون من الاعتقاد ويعلنون من الاقرار وقيل ما يسرون من الحق وهو نعت محمد وما يعلنون من الكذب والباطل وقيل ما يسرون من قولهم النفاق وما يعلنون من الشهادة باللسان وقيل ما يسرون من قولهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم وما يعلنون من قولهم هو نبي حق وهو في كتابنا مذكور وقوله تعالى اولا يعلمون استفهام بمعنى التقرير وهو تعجيب للصحابة منهم اي الا تعجبون من عنودهم وانكارهم لنعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يكون الا يعلمون ذلك ويكون قوله اولا يعلمون تحريضا على تعرف ما يفيدهم العلم كقولك للرجل الا تفعل كذا وهو لا يفعله تحريضا على ان يفعله والاسرار الاخفاء والاستسرار الاختفاء والاعلان الاظهار والعلون والعلانية والاستعلان الظهور والعلن نقيض السر وقوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب اي ومن اليهود اميون اي قوم لا يكتبون ولا يقرؤن كتابا سمي الامي به لانه على الخلقة التي ولدته الام عليها وهي عدم الكتابة والقراءة من الكتاب وقيل هو منسوب الى الام والام من النساء والغالب فيهن عدم الكتابة والقراءة منها وقيل منسوب الى الام الذي هو الاصل والاصل هذا ايضا فان الكتابة تكون بالتعلم لا بالخلقة وقيل منسوب الى الامة وهي جمهور العامة والاصل فيهم هذا ايضا فاما تسمية العرب اميين فلان الاصل فيهم عدم الكتابة وهي في بعضهم نادرة ولانهم من ام القرى وهي مكة والنبي صلى الله عليه وسلم سمي اميا لانه من العرب

ولانه من ام القرى ولانه كان لا يكتب ولا يقرا من كتاب وغير هذه الصفة ليست بمدح ولا ذم وهى فى جهته عليه السلام كانت دلالة لصحة دعواه لما قال تعالى اذا لارتاب المبطلون اى لظنوا انه ياخذها من كتاب يكتبه وفى هذه الاية ومنهم اميون هذا ذم لهم لعدم العلم وتقليدهم روساءهم فى الباطل وقوله تعالى لا يعلمون الكتاب **الا امانى** هو جمع امنية كالاثافى جمع اثفية وللامانى ثلاثة تفاسير احدها انها الاكاذيب قال عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت النبى صلى الله عليه وسلم والامانى الكاذبات ويخرج منه قراءات القران وبه قال ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم انها الاحاديث المختلقة اى لا يعلمون الا ما حدثهم به علماؤهم تقليدا وهو كقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب الاية والثانى انها القراءات قال تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته وقال حسان يرثى عثمان رضى الله تعالى عنه

تمنى كتاب الله اول ليلة ۞ واخره لاقى حمام المقادر

اى وما يعلم هؤلاء السفلة حقيقة المنزل وانما يقرؤون اشياء اخذوها عن احبارهم وقراءتهم على هذا الوجه لا ينفى اسم الاميين عنهم لان الامى من لا يكتب ولا يقرا عن كتاب لا من لا يقرا اصلا والثالث انها الشهوات قال تعالى يعدهم ويمنيهم وقال تعالى ام للانسان ما تمنى وقال عز وعلا ليس باما نيكم وقال تعالى ولا تتمنوا اى لا يعلمون الكتاب شيئا الا اماني منهم كبرا وهم وعلما وهم من دخولهم الجنة باقامتهم على دينهم وقال الاخفش الا امانى استثناء منقطع لانه ليس المستثنى من جنس المستثنى منه وكل موضع يحسن فيه مكان الا لكن فهو استثناء منقطع وههنا يحسن وتقديره لا يعلمون الكتاب لكن يتبعون الامانى وهو كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقوله تعالى **وان هم الا يظنون** اى وما هم الا ظانين وهو كقوله تعالى ان الكافرون الا فى غرور يعنى ما الكافرون وصف فى الاية الاولى تحريف الاحبار وفى هذه الاية تقليد العوام واتصال هذه وتلك بما قبلها انه تعالى وصف هؤلاء القوم انهم غير عاملين بالكتاب وتشبثهم بمخترعات روسائهم كذبا لا حقيقة لها فبعد الطمع فى ايمان هؤلاء بهذا السبب اى اتطمعون فى ايمان هؤلاء وهم جاهلون مقلدون اولئك معاندون وقوله تعالى **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم** قال ابن عباس رضى الله عنهما الويل العذاب وقال الكلبى هو الشديد من العذاب وقال الاصمعى هو تقبيح من الله عز وجل لفعلهم قال تعالى ولكم الويل مما تصفون وقيل هى كلمة تحسر وتفجع قال الله تعالى يا ويلتنا روى عثمان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم الويل جبل فى النار وروى ابو سعيد عنه عليه السلام قال الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال ابن عباس هو واد من صديد فى اصل جهنم وقيل هو فى اللغة الهلاك وقيل الفضيحة وقيل حلول الشر وقوله للذين يكتبون الكتاب اى التوراة مغيرا مبدلا وقوله بايديهم قيل هو تاكيد للفعل بحصوله بما هو مختص به وهو كقوله تعالى يقولون بافواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل هو تحقيق ونفى للمجاز اى يتولونه بانفسهم فقد يقول الانسان كتبت الى فلان اذا امر غيره ان يكتب اليه عنه فاذا قال كتبت بنفسى وبيدى فقد اخبر انه باشره بنفسه وقوله تعالى **ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** اى يشيرون الذى كتبوه وهو غيره وانه منزل من عند الله تعالى وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا اى يكتبون ذلك لياخذوا باسما الكتبوه قليل فانه فان غير باق فان الماكول يذهب والملبوس يذهب ويبلى والرياسة تزول بالموت وقوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم اى مغيرا وقوله وويل لهم مما يكسبون اى يحصلون لانفسهم من حطام الدنيا بهذا الفعل وقد كسب كسبا واكتسب اكتسابا وقيل ان الاكتساب اجتلاب الحظ بما هيئ له من الاسباب وتبديلهم كان بتغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان فى التوراة بانه اسمر ربعة فبدلوه بانه ابيض طويل اعور وهى من صفات الدجال واكتسابهم كان ببيع المكتوب بالثمن وياخذون الرشوة من اغنيائهم ثم ان الله تعالى ذكر الويل فى هذه الاية ثلاث مرات وله وجوه احدها انه فى حق تضييع حق رسوله المصطفى عليه السلام بتبديل نعته والله تعالى يبالغ فى وعيد مضيع حق احبابه ما لا يبالغ فى وعيد مضيع حقه قال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهذا فى حق نفسه وهو مرة وقال ههنا فى حق مضيع حق نبيه ثلاثا وهو كقوله فى حق من وصف الله تعالى بالفقر ولعنوا بما قالوا وهذا مرة وقال فى حق من عاب عائشة رضى الله عنها لعنوا فى الدنيا والاخرة والثانى هو اخذ الخزية والمذلة فى الدنيا والثانى هو عذاب القبر والثالث وهو عذاب النار وهو كقوله تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى اى فى الدنيا والقبر والموقف والجحيم وقيل الويل الاول بقولهم هذا من عند الله والثانى بالتحريف والثالث فى اجتلاب حطام الدنيا وقوله تعالى **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة** اى وقال هؤلاء حين اوعدوا بالتحريف والكسب الخبيث نحن اولاد الانبياء ولن نعذب لوم القيمة الا مدة يسيرة قال ابن عباس والضحاك وقتادة وعكرمة

والسدى

والسدى هى اربعون يوما وهى مدة غيبة موسى عنهم وعبادتهم العجل فيها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية هى اربعون سنة وهى المدة التى جلسوا فيها فى التيه وقال مجاهد والحسن هى سبعة ايام وهى فى قصة نزول الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة فوجد اليهود يقولون ان ايام الدنيا سبعة الاف سنة فنعذب مكان كل الف سنة يوما فنزلت الاية ردا عليهم وقال ابو منصور رحمه الله لا معنى لصرف هذه الايام الى عبادة العجل لان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبد اباؤهم ولو صرف ذلك الى ابائهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم قد تابوا عن ذلك وقد قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وتصرف الايام المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه وهم لم يروا التعذيب الا على قدر العصيان او كانوا لا يرون التخليد فى النار ولانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلم نعذب ابدا بل نعذب تعذيب الاب ابنه والحبيب حبيبه فى وقت قليل ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر ابدا وثواب الايمان كذلك لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد فعلى ذلك جزاؤه للابد فاما من ارتكب ذنبا من المسلمين لشهوة تغلبه فيرتكبه ثم يتركه فانما يعاقب اذا عوقب هذا للتقليل لانه قد دخل العدد فسر بما يعد قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وفى سورة ال عمران ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات واليوم مذكر واذا جمع صار يوما ثم تعالى معدودة ثم يجمع الجمع على معدودات وهو كقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه وهذا من صفة الملائكة ملك معقب وملائكة معقبة بالجمع بالهاء ثم معقبات جمع الجمع وقوله تعالى **قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون** اى قل يا محمد لهم اتخذتم هذه الف الاستفهام بمعنى التوبيخ والالف المجتلبة ذهبت بالادراج وهذه الالف المقطوعة الفاء الاستفهام وهو كقوله اصطفى البنات على البنين ومعناه اخذتم من الله وثيقة لكم انه لا يعذبكم اكثر من هذه المدة فلن يخلف الله عهده وهو قول قتادة وقيل معناه هل قلتم لا اله الا الله فلن يخلف الله عهده فى حق من قال ذلك العهد بمعنى الوعد قال تعالى ومنهم من عاهد الله ثم قال لما اخلفوا الله ما وعدوه وقال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك معناه هل امنتم بالله وقد بينا وجوه العهد لغة وشرعا فى قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقال الامام ابو منصور رحمه الله لهذا وجهان احدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى انكم لا تعذبون ابدا لكن اياما معدودة فان كان وعدكم هذا فهو لا يخلف وعده والثانى اى الكم عند الله اعمال صالحة وعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده وقوله ام تقولون اى بل تقولون كاذبين على الله ما لا علم لكم به وقال عكرمة خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا اربعين ليلة وسيخلفنا اليها قوم اخرون يعنون النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل انتم فيها خالدون مخلدون ولا يخلفكم اليها احد فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الربيع بن انس ان اليهود قالوا ان الله تعالى عتب علينا فى امر فاقسم ليعذبنا اربعين ليلة حتى اذا اكلت النار خطايانا نادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل لذلك امرنا ان نختتن فلا يدعون فى النار احدا منا الا اخرجوه منها وقوله تعالى **بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** قال الفراء بلى اصله بل وهو رد لما قبله واثبات لما بعده ويذكر على وجه العطف يقال ما قام زيد بل عمرو فاذا ذكر فى الجواب على وجه الافراد زادوا عليه الياء ليصلح الوقف عليها وقوله من كسب سيئة تانيث السيئ وهو فيعل من السوء واصله سيوئة ولذلك ذكر فى مقابلة العمل الصالح فى الاية التى تليها واختلف فى المراد بها ههنا قال مجاهد وجماعة هى الشرك وتانيثها على هذا يكون على قصد ارادة الفعلة او الخصلة او نحوها وقال الحسن وقتادة السيئة الكبيرة التى اوعد الله تعالى عليها النار والهاء للتوحيد على هذين القولين وقال السدى السيئة الذنوب التى اوعد عليها النار وعلى هذا تكون الهاء للجمع وقوله واحاطت به خطيئته اى اطافت به من كل وجه قال القفال كل ذنب خطا وخطيئة لانه ليس بصواب واحاطته بالعبد ان يكون ذنبا احبط ثواب كل اعماله وليس ذلك الا الشرك ويجوز ان يكون معناه من كسب شركا واحاط به ذلك اى اقام عليه حتى مات ويجوز ان يكون احاطت به خطيئته اى اهلكته واشتملت عليه فلا يتخلص منها من قوله واحيط بثمره وقوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم وقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها اى قد حصرها لكم واحتبسها عليكم بحيث لا خروج لها عن ايديكم متى قصدتم الاستيلاء عليها ويجوز ان يكون المعنى احاطت به خطيئته اى استولت عليه وغلبته فلم يبق لغيرها حكم ولا حجة فيها للخوارج والمعتزلة فى تخليد صاحب الكبيرة فى النار اخذا بظاهرها فان السيئة اسم للعمل السيئ والخطيئة اسم الذنب لانا قلنا ان السيئة هى الشرك قال تعالى ومن جاء بالسيئة

نكبت وجوههم فى النار وعن ابن عباس والكلبى ومقاتل وجماعة ان معناه من كسب شركا واحاطت به خطيئته اى مات على شركه على ان ظاهر الاية هو الحجة القاطعة فكانه قال واحاطت به خطيئته وهو ان يكون المشتمل عليه هو الخطيئة لا غير وهو ان لا يكون لمثنى غير الذنب ومن كان مؤمنا وله اعظم الطاعات فلا يكون الذنب محيطا به وقرأة نافع وابى جعفر خطيئاته ثم لان الاحاطة لا تكون لشئ واحد وانما تكون لاشياء ومن فسر السيئة بالشرك والخطيئة بالكبائر فلتبين اجتماعهما شرط التخليد فى النار بل بالشرك وحده يستحق ذلك لكن الاية رد على اليهود الذين قالوا ما قالوا فقال الله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته اى ليس كما قلتم لن تمسنا النار الا اياما معدودة بل كان مثلكم خلد فى النار وكانوا مشركين مرتكبين للكبائر فذكرهما ومقتضاه ان الكفر وحده مما يوجب الخلود فى النار فكيف اذا اجتمع اليه الفسق بارتكاب الكبائر وقوله تعالى فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جمع هذا وهو راجع الى قوله من كسب سيئة هو واحد لفظا لان معناه الجمع وقوله تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** لما اوعد الكفار بالنار وعد المؤمنين بالجنة وقوله تعالى **واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل** اى واذكروا ايضا اذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وهذا الميثاق مشتمل على الايمان والعمل الصالح المذكورين قبله وبه يقع الانتظام ولانه رد قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وانبت استحقاقهم التخليد فى النار بنقضهم الميثاق الذى اخذ عليهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به ويقولوا فى النبى صلى الله عليه وسلم حسنا ولا يكتموا نعته فنقضوا وتولوا واعرضوا فاستحقوا الخزى فى الدنيا والنار فى العقبى وقوله تعالى **لا تعبدون الا الله** قرأ حمزة والكسائى والمفضل عن عاصم وابن كثير بالياء على المغايبة وترجع الى بنى اسرائيل وقرأ الباقون بالتاء على خطابهم به والعرب تقول قل لزيد لا يذهب وقل لزيد لا تذهب ومعنى قوله لا يعبدون الا الله اى لا يعترفون بالربوبية الا لله تعالى والميثاق على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد رسالة ونبوة وقد مر شرحه غير مرة وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا تعبدون الا الله اى لا تجعلوا الالوهية الا لله ويحتمل نفيا للعبادة اى لا تعبدون غير الله من الاصنام وغيرها ثم قوله تعالى لا تعبدون بالنون وهى للرفع لوجوه احدها ما قال الكسائى تقديره واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله فلما سقطت ان رفع الفعل لزوال الناصب قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون وقال طرفة

الا ايها الزاجرى احضر الوغى ۝ وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ۝ يروى احضر بالرفع اى ان احضر الوغى وان اشهد وكذا قال الاخفش والفراء وقطرب والزجاج والثانى وهو احد قولى الاخفش واجازه الكسائى والفراء والزجاج اى رفعه لانه جواب القسم وهو كقوله حلفته لا يقوم وهو حكاية على المعنى والثالث قول قطرب انه رفع فى موضع الحال فى صيغة الفعل وموضعه نصب فى الاسم كقولك دخل يتبسم اى متبسما وتقديره هذه الاية اخذنا ميثاقهم غير عابدين الا الله والرابع قول الفراء انه مضارع فى معنى النهى جاء على لفظة الخبر ومثله فى القران لا تضار والدة بولدها الاية على قراءة من رفع وفى الخبر لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** ودل على اضمار هذا الفعل اضمار هذا المصدر وهو يقتضى الفعل ومعنى بالوالدين الى الوالدين وهذا كقوله وقد احسن بى اى الى ويقال احسن به اى اليه واساء به واليه قال ۝ كثير اسئى بنا او احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت ۝ وقيل المضمر واو صيرنا هم عطفا على واذ اخذنا وقالوا هذا اوجه لانه تقرير الباء التى هى صلة الوصية من غير تغييرها له الى معنى كلمة الى التى هى صلة الاحسان وقد عظم الله تعالى حق الوالدين حيث قرن حقه بحقهما فى هذه الاية وفى ايات من كتابه العزيز واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ان اشكر لى ولوالديك وقوله تعالى **وذى القربى** اى ذى القرابة وهو عطف على الوالدين اى ويحسنون الى القريب ايضا وهو واحد بمعنى الجمع لانه اسم جنس وقوله تعالى **واليتامى** هو عطف على الوالدين فى الامر بالاحسان اليهم وهو جمع يتيم وهو الصغير الذى مات ابوه ومن الحيوانات الذى ماتت امه وقد قال عليه السلام لا يتم بعد الحلم وقد يتم بيتم يتما من حد علم ويجمع اليتيم على الايتام واليتامى وقوله تعالى **والمساكين** عطف على الوالدين ايضا فى ذلك وهو جمع مسكين وهو الذى اسكنته الحاجة وقوله تعالى **وقولوا للناس حسنا** اى اخذنا عليهم الميثاق بما سبق وقلنا لهم فى هذا الميثاق وقولوا للناس حسنا قرأ حمزة والكسائى وخلف ويعقوب وعاصم فى رواية المفضل عنه حسنا بفتح الحاء والسين على صيغة النعت وهو نعت القول اى قولا حسنا وقرأ الباقون حسنا بضم الحاء وهو اسم ومصدر وقال الاخفش الحسن بالضم عام يقع على جميع معانى الحسن قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقال مقاتل معناه قولوا يا اهل الكتاب حقا وصدقا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم واخبروا بانه مذكور فى كتابكم انه رسول حق وقوله تعالى للناس هذا اسم للنبى عليه السلام فى هذه الاية على الخصوص وقيل اراد به الصحابة معه اى قولوا لهم حسنا

وصدقوهم

وصدقوهم بما يقولون وقال سفيان اراد به افشاء السلام وقيل اراد به ملاطفة كل الناس فى الكلام فامرنا بالاحسان بالمال فى حق اقوام مخصوصين وهم الوالدان والاقرباء واليتامى والمساكين ولما كان المال لا يسع الكل امر بمعاملة الناس كلهم بالقول الجميل الذى لا يعجز عنه العاقل وقيل هو امر بدعاء الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هذا امر بملاينة اهل الشرك فى القول فى الابتداء ثم نسختها اية السيف قاله قتادة وقيل هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوله تعالى **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** عطف على قوله وقولوا وقد مر الكلام فيهما وحاصله انه امر بقبولهما واداءهما على شرائطهما وانما ذكرهما تخصيصا مع دخولهما فى العبادة المذكورة فى اول الاية تقديما لهما وتخصيصا كما فى قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى **ثم توليتم الا قليلا منكم** اى اعرضتم وله ثلاثة اوجه تولى اسلافكم عن الوفاء بالعهد وقوله تعالى **وانتم معرضون** هو على الحال كما يقال مر زيد وهو راكب اى راكبا وانما قال على الخطاب لانه قوله ثم توليتم على الخطاب وظاهره خطاب اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم ومعناه خطاب اسلافهم بما فعلوا فقد مر وجهه والثانى تولى اسلافكم وانتم يا اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم معرضون كاعراضهم وقد كان لزمكم بهذا الميثاق ما لزمهم والثالث ثم توليتم انتم يا هؤلاء معرضين عن ذلك ايضا مع انه لزمكم ايضا قوله الا قليلا استثناء من ثبت على الحق من السلف وهم الذين لم يعبدوا العجل والسبعون المختارون للميقات او استثناء من اسلم قبل عصر النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله ثم قد تكون للترتيب مع التراخى اى بعد مدة توليتم ويحتمل ان تكون للتعجيب كما فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اى تعجبوا منهم انهم مع تأكيدنا الميثاق عليهم تولوا وقوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** اى واذكروا ايضا اذ اخذنا ميثاقكم وقوله تعالى **لا تسفكون دماءكم** اى لا يسفك بعضكم دماء بعض اى لا يصب وقوله تعالى **ولا تخرجون انفسكم من دياركم** اى ولا يخرج بعضكم بعضا من داره فيغصبها الدار اسم جامع للعرصة والبناء والمحلة وكل موضع حله قوم فهو دارهم وجمعه ديار وقال تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقال القفال فى قوله لا تسفكون دماءكم يدخل فيه الامر بفداء الاسارى فان تركهم فى ايدى العدو سبب قتلهم وسفك دمائهم ورفع لا تسفكون ولا تخرجون باثبات النون فيهما للوجوه الاربعة التى ذكرناها فى قوله تعالى لا تعبدون الا الله من الاقوال المتقدمة على هذه ولا يقرأ هذا بياء المغايبة لما بعدها من كاف الخطاب وفى قوله دماءكم وانفسكم ثم ان ما جعل قتل بعضهم بعضا واخراج بعضهم بعضا من الديار قتل انفسهم واخراج انفسهم لان المجتمعين على دين واحد كالنفس الواحدة قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى تراحمهم اذا اشتكى بعضه تداعى له سائره بالحمى والسهر ولان من قتل غيره قتل قصاصا وكذا فى الاخراج وقوله تعالى **ثم اقررتم** اى اعترفتم بحقيقة الميثاق والتزمتموه وقوله تعالى **وانتم تشهدون** على انفسكم بقبوله وضمان الوفاء به والشهادة تأكيد وقطع بصحة الشئ يقول الرجل اشهد ان هذا حق اى انا عالم به لا شك فيه ولو كان هذا على غيرى لشهدت عليه به واختلف فى المرادين بهما قيل الخطاب بالاقرار والشهادة للاسلاف وقيل هما جميعا والاخلاف جميعا لان هؤلاء اقروا بذلك وشهدوا ايضا به كاولئك وقيل الاول للاسلاف والثانى للاخلاف اى اولئك قبلوا وهؤلاء شهدوا على اولئك انهم قبلوا ثم نقضوا وقيل يشهد هؤلاء انه فى التوراة وقيل يشهدون انه فى التوراة يوم القيمة وقال ابو العالية والربيع هما جميعا للاخلاف اى انتم تعترفون ان هذا العهد كان مع اسلافكم وتشهدون انه حق وانهم نقضوه وقوله تعالى **ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** هؤلاء بمعنى الذين كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى اى وما التى وقيل معناه يا هؤلاء حذف حرف النداء كما فى قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا وقيل هؤلاء تابع لانتم كالنعت والتأكيد له وقوله تقتلون انفسكم اى اهل ملتكم وقوله تعالى تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اى تعاونون والظهير المعين والمظاهرة المعاونة والتظاهر التعاون واصله الظهور به تقع الاستناد والاعتماد وقرأ اهل الكوفة تظاهرون خفيفة واصله تتظاهرون بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وقرأ الباقون بالتشديد وهو ادغام التاء فى الظاء كما فى قوله ان يصالحا بينهما صلحا وهذا مضارع بمعنى الحال اى متظاهرين عليهم وقال ابن عباس والسدى ان قريظة والنضير كانا اخوين واولاد عم تفرقوا واقتتلوا فكان بعضهم يقتل بعضا ويخرج بعضهم بعضا كانت عادة بنى النضير القتل وعادة بنى قريظة الاخراج فنهاهم الله عن ذلك واخذ عليهم الميثاق بذلك فنقضوه وقوله تعالى **وان يأتوكم اسارى تفدوهم** اى جاءوكم مأسورين اى ظهروا لكم على هذه الحالة ولم يرد به الاتيان الاختيارى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر اسارى تفدوهم وقرأ نافع وعاصم والكسائى اسارى تفادوهم بالالف فيهما وقرأ حمزة

اسرى تفدوهم بغير الف فيهما والاسرى جمع اسير كالجرحى جمع جريح والمرضى جمع مريض والاسارى جمع الاسرى
كالسكارى جمع السكرى والاسير هو الماخوذ قهرا واصل الاسر الشد ومن اخذ قهرا شد غالبا فسمى الماخوذ
اسيرا وان لم يشد والاسار ما يشد به الاسير وقال ابو عمرو الاسارى الذين هم فى الوثاق والاسرى الذين
هم فى اليد وان لم يكونوا فى الوثاق وقوله تعالى تفدوهم اى تعطوا فداءهم وتشتروهم بالتخليص والمفاداة
مفاعلة منه والفدا يقع بين الفادى والاسير والمفاداة تجرى بين الفادى وبين قابل الفدا وقال ابو معاذ
المفاداة المماسكة فى الفدا بينهما وقوله تعالى **وهو محرم عليكم اخراجهم** فيه ثلاثة اوجه احدها ان
قوله وهو اشارة الى الاخراج لكن لما كان اشارة الى ما سبق وقد مر ذكر الاخراج والقتل والتظاهر والاثم
والعدوان وان احتمل الوجوه فبين القصد وعين الاخراج ليعلم ان الكناية راجعة اليه والثالثة لهذا
اشارة الى الحديث والخبر كانه قال محرم عليكم اخراجهم ومثله قوله تعالى قل هو الله احد وقال القفال
وقد قيل ان قوله وان ياتوكم اسارى تفدوهم معناه ان صار فى ايديكم اسارى لم تطلقوهم لكن اخذتم فداءهم
للاطلاق والمفاداة والفدا يكون من الجانبين قال وهذا موضع توبيخ واعطاء الفدا لاطلاق الاسير لا يقع
عليه توبيخ والظاهر ان المراد هذا قال القفال والصواب هو الحمل على اعطاء الفدا لانقاذ الاسير وبه جاءت
الرواية قال محمد بن اسحق حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء اسرائهم فكانوا فريقين
طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والاخرى النضير وقريظة وهم حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت
بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس
يظاهر كل قوم حلفاءه على اخوانهم حتى يتسافكوا الدماء وبايديهم التوراة يعرفون ما فيها ما عليهم وما لهم
والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون القيمة والجنة والنار والحلال والحرام فاذا وضعت
الحرب اوزارها افتدوا اساراهم تصديقا لما فى التوراة افتدى بنو قينقاع ما كان من اساراهم فى ايدى
الاوس منهم وافتدى النضير وقريظة ما كان فى ايدى الخزرج منهم ويبطلون الدماء فكانت العرب تعيرهم
بذلك ويقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم
قالوا انا نستحيى ان تستذل حلفاؤنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التوراة
ان لا يقتل بعضهم بعضا وايما عبد وامة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه فاعتقوه وقيل
فى الاية تقديم وتاخير وتقديرهما واذ اخذنا ميثاقكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم
وذلك محرم اى الاخراج وان ياتوكم اسارى تفدوهم كان العهد بهذه الاشياء الثلاثة ترك القتل وترك
الاخراج ومفاداة الاسرى فقتلوا واخرجوا بخلاف العهد وفدوا الاسارى لانها كلها وقيل كان كل فريق
يفدى اسيرا من عشيرته ولا يفدى اسير غير عشيرته وكانوا امروا بفداء كل اسير وقوله تعالى **افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ والتهديد اى تفدون اساراكم
دون اسارى غيركم وقيل بل كانوا يفدون كل الاسارى لكن كانوا لا يتركون القتل والاخراج فهددوا لذلك
ويدل عليه انه قال فى الاية ثم انتم هؤلاء تقتلون وقال وتخرجون ولم يقل ولا تفدون فكان توبيخهم على
التفريق بين احكام الله تعالى وهذا كالتفريق بين رسل الله فهم بذلك يؤمنون ببعض الا انهما كان
ايمانهم به باطلا بتكذيبهم غيرهم صح التوبيخ عليه وقوله تعالى **فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى
فى الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب** الخزى الفضيحة وقد خزى يخزى خزيا
فهو خزى والخزاية الاستحياء وقد خزى خزاية فهو خزيان اى ليس جزاء من فعل ذلك الا ما يفتضح به
فى الدنيا فيستحيى من ذلك ثم يرجع فى الاخرة الى اشد العذاب وهو التعذيب فى جهنم وهو اشد من خزيهم
فى الدنيا واشد من كل عذاب كان قبله فانه كان ينقطع وهذا لا ينقطع واختلف فى المراد بالخزى ههنا
قيل هو اجلاء بنى النضير من ديارهم لاول الحشر كما كانت عادتهم وقيل اخذ الجزية عن صغار ووضع ما كان
لهم هذا بعذاب الاخرة باق وقال الامام ابو منصور رحمه الله جزاؤهم الخزى فى الدنيا لكن لا يعاقبون فى
الدنيا وان استوجبوا ذلك بل يردون الى اشد العذاب فى الاخرة وهذا كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار وقوله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقوله تعالى **وما الله بغافل عما تعملون**
مر تفسيره مرة وقد قرأ ابن كثير ونافع بن خلف ويعقوب وعاصم فى رواية ابى بكر وحماد بالياء على المغايبة
بناء على قوله يردون وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة بناء على قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وقوله تعالى **اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة** اى بالحيوة الاخرة وقد مر تفسيره فى قوله
تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا ومعناه اخذوا قليل الدنيا
بدلا عن كثير الاخرة وقوله تعالى **فلا يخفف عنهم** اى لا يهون وقوله تعالى **ولا هم ينصرون** اى لا يعاونون
يؤيدون وقيل اى لا يمنعون من العذاب وقيل اى ولا يكونون لهم نصرة فى الدنيا لان المبطل وان غلب صورة

فهو

فهو مخذول حقيقة وقوله تعالى **ولقد اتينا موسى الكتاب** انتظامها بما قبلها ان الله تعالى اخبر انه اعطى
بنى اسرائيل شيئين الكتاب والرسل ثم بين معاملتهم فى حق الكتاب فقال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض وبين معاملتهم فى حق الرسل فقال تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ووجه اخر انه ذكر نقضهم الميثاق
ثم بين ان ذلك لم يكن لعدم العلم فقد كتب بعثت الرسل وسواهم وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
اى اعطينا موسى التوراة وقوله تعالى **وقفينا من بعده بالرسل** اى اتبعنا واردفنا يقال قفاه يقفوه اى تبعه
وقفاه غيره بغيره اى اتبعه وقد قفوت اثره قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ومنه القفا والقافية
والمقفى من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم اى وارسلنا الرسل من بعده فقد روى ان الله تعالى بعث بعد موسى
الى عصر عيسى اربعة الاف نبى وقيل سبعين الف نبى وقوله تعالى **واتينا عيسى ابن مريم البينات**
موسى وعيسى ومريم اسماء اعجمية ولذلك لم ينصرف حين اجتمعت العجمة والتعريف ومعنى موسى
ان مو فى لسانهم الماء وشى الشجر وهم يقولون موسى ومعناه انه اخذ من بين الماء والشجر اى من تابوت
جعل هو فيه ثم جعل التابوت فى الماء فاخذ فى دار فرعون عليه لعاين الله تعالى ونقلت الشين الى السين
فى العربية وعيسى فى لسانهم عيشى بالشين وهو من العيش الذى هو الحيوة وكان يحيى الله تعالى بدعائه الموتى
ونقلت الى السين فى العربية وان جعل فى الاصل بالسين فهو من العيس الذى هو البياض ومريم قيل معناها
بالسريانية الخادم وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد والبينات الايات الظاهرات من قولك بان اى ظهر
وابان كذلك ويكون ابان بمعنى اظهر ايضا واختلف فى المراد بها ههنا قيل هى فى الانجيل وقال ابن عباس رضى
الله عنهما هى المعجزات وهى اذهاب البرص وابراء الاكمه واحياء الموتى والاخبار بما ياكلون وما يدخرون
فى بيوتهم وشفاء المرضى ومعناه جبريل الطاهر والقدس البركة ايضا وقوله تعالى **وايدناه بروح القدس**
قيل هو جبريل قال الله تعالى نزل به الروح الامين وهو جبريل وقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق
وبه قال الضحاك والربيع وقتادة والقدس الطهر اضيف الروح الى صفته وهو كذلك نعته وقوله تعالى
وايدناه اى قويناه والايد القوة والتاييد التقوية ومعناه بجبريل المبارك بالطريق الاول ومعنى
تقويته به انه عصمه به من اول حاله الى كبره فلم يدن منه شيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين
قصد اليهود قتله وقال عبد الرحمن بن زيد هو الانجيل سمى الانجيل روحا كما سمى القران روحا فى قوله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسمى الكتاب روحا لانه سبب الحيوة للقلوب كالروح به حيوة
الابدان وسمى جبريل روحا لان حيوة الخلق بالقران والدين وانزال القران وتبيان الدين كان منه
قال تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما الروح اسم الله الاعظم
الذى به كان يحيى الموتى ويبرئ المرضى وقيل هو الروح الذى به حيوة البدن وخص روحه بوصفه بالقدس
وهو الطهارة لانه لم يتضمنه اصلاب الفحولة ولا اشتمل عليه ارحام الطوامث وقوله تعالى **افكلما جاءكم
رسول** من الالف للاستفهام ومعناه الاستنكار وقوله تعالى **بما لا تهوى انفسكم** اى بما لا تحب وقد هوى
يهوى من حد علم اى احب ومعناه بما لا تهواه ولما حذفت الهاء كان الفعل واقعا على ما هو بمعنى الذى اى
كل وقت وهو نصب على الظرف جاءكم رسول بشىء لا يوافق هواكم والباء فى بما للتعدية فعل المجىء الذى هو
لازم وقوله تعالى **استكبرتم** اى استعظمتم فلم تقبلوه ولم تعملوا به وقوله تعالى **ففريقا كذبتم** اى كذبتم طائفة
من الرسل وهم الذين لم يقدروا على قتلهم كعيسى ونحوه وقوله تعالى **وفريقا تقتلون** اى قتلتم طائفة وهم
الذين قدرتم على قتلهم كزكريا ويحيى ونحوهما وروى انهم قتلوا فى يوم واحد ثلاثمائة نبى ولما كانت
العشية قامت لهم سوق بقتلهم اى لم يهتموا لذلك وهذا رد على من قال ان الكفار لا تثبت لهم
على قتل الرسول قدرة لان الله تعالى وعدهم بالنصرة بقوله انا لننصر رسلنا وقال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون لكنا نقول اراد به النصرة بالحجة وبيان الحق بدليل انه عطف
عليه والذين امنوا وقد يقتلون ولكن المراد به النصرة بالحجة وقد نص ههنا على قتلهم الرسل فقد قال
فى صدر الاية افكلما جاءكم رسول وقال تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول الى
ان قال فلم قتلتموهم وقوله تقتلون مستقبل بمعنى الماضى والحال فى الماضى وخاطبهم اهل عصر
النبى صلى الله عليه وسلم بهذا وقد فعله اسلافهم لانهم يتولونهم ويرضون بفعلهم وقوله تعالى **وقالوا
قلوبنا غلف** قراءة عامة القراء بتسكين اللام وقرأ ابن محيصن بالتثقيل فالتخفيف جمع اغلف
وهو الذى غشى غلافا وغلام اغلف واقلف لم يختتن فذلك منه فى غلاف وهو كالاحمر والحمر وقراءة
الضم جمع غلاف وهو الغشاء والوعاء وهو كالشهاب والشهب فمعنى التسكين ان قلوبنا فى غشاء وغطاء
ولما خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون سكتوا ولم يمكنهم التكذيب
قالوا قلوبنا غلف اى فى غلاف كما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فلا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث

يدعون زوال الخطاب عنهم كراهية لما سمعوا فكذبهم تعالى فقال بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم بكفرهم وعتوهم وعنادهم رسول الله الذين هم محل لا يفهمون ذلك كما يزعمون ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها على قراءة عاصم معناه قلوبنا اوعية تفهم وتعى ما يقال ويخاطب به لكن لا نفهم ما يقول ولا نفقه ما يحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمت ووعيت يدعون عليه ابطال ما يقول وذلك نحو ما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول هذه كلمات الامام ابو منصور رحمه الله تعالى والاول قول الحسن وابى العالية ومجاهد وقتادة والسدى فانهم قالوا معناه قلوبنا فى اكنة والثانى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد ابن جبير وزيد بن اسلم وتفسيرهم انه تقديرا لقراءة الاولى قلوبنا فى اوعية وتقديرا لقراءة الثانية قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة لنا فى علمك والذى ذكرناه قبله كان تعيينا للكلابة فانه كان لا يوافق اهواءهم فانهم كانوا يحبون الذهب والارتشا ولذلك قالوا ائت بقران غير هذا او بدله فامر ان يقول ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى والذى ذكرناه بدءا كانه تعلق منهم بمذهب الجبر اى قلوبنا فى غلاف وهى ممنوعة عن التفهم جبرا ولذلك كانوا يقولون لو شاء الرحمن ما عبدناهم وهو تعلق بمذهب الجبرية وفيهم ذلك فكذبهم الله تعالى فى الوجوه الثلاثة وذلك قوله بل لعنهم الله بكفرهم اى ليس كما قالوا انهم مجبورون معذورون بل يعذبهم الله عن تفهمها جزاء لهم على الكفر واللعن الطرد والابعاد لغة فقد اثبت اللعن من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة وهو جواب كلامهم ايضا على القول الثانى ان قلوبنا اوعية فلو كان كلامك صدقا حقا لفهمناه قال بل انتم ملعونون بكفركم لستم بعلماء ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعلمتم به وهو جواب كلامهم ايضا على القول الثالث ان قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة لنا فى علمك قال لستم بعلماء مستغنين عن هذا بل انتم ملعونون مطرودون عنه بشؤم كفركم وقوله تعالى فقليلا ما يؤمنون له خمسة اوجه احدها فبقليل مما كلفتم به تؤمنون ونصب قليلا بنزع الباء وما مع يؤمنون مصدر اى ايمانهم بقليل وهو معنى قول الكلبى لا يؤمنون الا بقليل مما فى ايديهم ويكفرون بما وراءه والثانى قول معمر فايمانا قليلا ما تؤمنون وهو نعت مفعول يقع عليه فعل ايمانهم وهو المصدر فى الحاصل وهو يرجع الى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وهذا ايمان منهم بهذا وهم مشركون فى غير ذلك وما صلة زائدة على هذا القول كما فى قوله فبما رحمة من الله فيما نقضهم عما قليل والثالث تقليلا مدة يؤمنون نصبه على الظرف وهو يرجع الى قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون والرابع قول قتادة لا يؤمن منهم الا قليل وهو عبد الله بن سلام واصحابه وما فى هذا بمعنى من وهو للجمع وما بمعنى من وارد فى اللغة ومذكور فى القران قال تعالى ما تعبدون من بعدى اى من تعبدون وقليلا نعت مقدم على الاسم فنصب على القطع والخامس فلا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وانما للجحد ههنا واذا نفى القليل فنفى الكثير اولى فذكر فى هذه الآية الامتناع منهم عن الايمان وفى الآية التى تليها الكفر بعد الايمان وقوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم هو القران وهو موافق للكتاب الذى معهم وهو التوراة فى التوحيد والطاعة والاخبار وسبب نزوله ما روى ان معاذ بن جبل رضى الله عنه قال لاهل الكتاب انكم فيما سلف كنتم تستنصرون برسولنا محمد عليه السلام على اعدائكم فلما ادركتموه فلم تؤمنوا به فقالوا ليس هذا بذلك النبى فنزلت الآية وقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال ابن عباس وابو العالية اى يستنصرون يقال استفتح الله اى استنصره وفتح عليه اى نصره قال الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وذكر قتادة وابو العالية والسدى انه كان اذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين اخرجوا التوراة ووضعوا ايديهم على موضع ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا اللهم انا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا ان تبعثه فى آخر الزمان ان تنصرنا اليوم على عدونا فكانوا ينصرون وقال الكلبى الاستفتاح منهم انه كان بينهم وبين جهينة وغطفان وبنى اسد وعذرة عداوة ومحاربات فكانوا يقولون يبعث نبى له كتاب ونحن كتابيون نؤمن به ونجعل الايدى يدا واحدة فنقهركم فكانوا يتقهرون بذلك وقال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة يستفتحون اى يستخبرون من المشركين هل ولد فيكم صفة كذا وكذا فانه نبى آخر الزمان وسيد الانبياء والمستفتح يسمى مستفتحا لاستخباره من العلم ومنه استفتح الامام فتح عليه القوم وقيل وكانوا يستفتحون الله اى يسألونه الحكم والقضاء يبعث نبى آخر الزمان والفتاح الحاكم وقد فتح اى حكم واستفتح اى سأل الحكم قال الله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا اى الامر الذى عرفوه حقا فى كتابهم وقيل ما بمعنى من كما فى الآية التى قبلها اى جاءهم الرسول الذى عرفوه وقوله تعالى كفروا به اى جحدوا وكذبوه وهذا جواب فلما جاءهم ما عرفوا فاما جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله

فقد قال الاخفش هو مضمر وهو نبذوه كما ذكر بعد هذا بآيات وقال الزجاج جواب الاول كفروا به لكن لما طال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وقيل ذكر جوابه اعتراض كلام آخر تام وهو قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اعاد صدر الكلام وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اى هذا الكتاب كفروا به وانما اعاد ليعرف انه جواب ذلك وهو كقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما بين انه جواب انكم وطال الكلام اعاد انكم ثم قال مخرجون ونظيره لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به جوابهما وقوله تعالى فلعنة الله على الكافرين اخبر انهم لما كفروا استحقوا اللعنة من الله وهو الطرد والابعاد من الرحمة والكرامة والجنة على الاطلاق فى حق الكفار واذا ذكرت اللعنة فى حق مذنب من المؤمنين فهى الطرد والابعاد عن الكرامة التى وعدها من لا يكون فى ذلك الذنب وقوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم بئس نقيض نعم وهما فى الاصل فعلان ماضيان على وزن علم جعلا للمدح والذم فمنعا تصرف الافعال وقيل انهما اسمان واسم علم وانما يدخلان فى اسم نكرة دال على الجنس واسم معرف بالالف واللام يدل على الجنس لانهما يقتضيان استيفاء جميع المدح والذم فاذا قلت نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد نصب رجلا على التمييز وفى نعم اسم مضمر على شريطة التفسير وزيد مميز من هذا الممدوح فاذا قلت بئسما فما نكرة وتقديره بئس شيئا اشتروا به انفسهم وقوله تعالى ان يكفروا ان مع الفعل مصدر وتقديره كفرهم وبسطه اى بئس العوض الذى اخذوه عن انفسهم كفرهم واشتروا قيل باعوا فقد قال ابو معاذ البيع والشراء والابتياع والاشتراء كلها تقع على البيع وحده وعلى الشراء وحده قال مجاهد والسدى معناه باعوا وله معنيان بذلوا انفسهم بهذا الثمن فصارت للنار وهو معنى قوله خسروا انفسهم والثانى بئس ما باعوا به حظ انفسهم كما فى قوله واسأل القرية اى اهل القرية وقال القفال يجوز ان يحمل على الاشتراء الذى هو التمليك فان النفس مرهونة بعملها قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وافتكاكها بمنزلة اشترائها وانما يجب ان يشتريها بالعمل الصالح فاذا كفر فقد اراد افتكاكها به وبئسما افتكها به وقيل البيع والشراء المعاوضة وهما يتبعان ويتشابهان فيقع الاسم على كل واحد منهما على الانفراد ويكون معناه بئسما عاوضوا به وقيل الاشتراء الاختيار وتقديره بئسما اختاروه لانفسهم والباء فى به صلة زائدة ونصب انفسهم باضمار اللام وقيل ان يكفروا فى موضع خفض ردا على الهاء التى فى به اى اشتروا انفسهم بالكفر وقوله تعالى بما انزل الله اى بالقران وقوله تعالى بغيا اى حسدا وقال اللحيانى اصل البغى الحسد وسمى الباغى هو الظالم الذى يفعل ذلك عن حسد وقد بغى بغيا اى ظلم وحسد وبغى بغاء بضم الباء اى طلب وبغت الامة بغاء بكسر الباء اى فجرت وقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده اى كفروا الحسد بان انزل الله تعالى القران على محمد فانهم كانوا يعتقدون نبى آخر الزمان ويتمنون خروجه وهم يظنون انه من ولد اسحق فلما ظهر انه من ولد اسماعيل حسدوه وكرهوا ان يخرج الامر من بنى اسرائيل فيكون لغيرهم والفضل هو الكتاب والرسالة والبغى قيل هو ظلمهم انفسهم بذلك وقوله تعالى فباءوا بغضب على غضب ذكر تفسير باءوا فى قوله تعالى وباءوا بغضب من الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما الغضب الاول بتغيير التوراة والثانى بتكذيب محمد عليه السلام وقيل الاول بكفرهم بعيسى عليه السلام وقيل الاول بقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة والاخر بما ذكرنا واحسن ما فيه ان معناه استحقوا غضبا متتابعا لا ينقطع كما يقال فلان يحقق الاحسان احسانا على احسان اى على التتابع وقوله تعالى وللكافرين عذاب مهين اى مذل يذل عزهم فى الدنيا وقيل المهين هو الله تعالى بالعذاب واضيف الى العذاب توسعا لانه به يقع ودل ان عذاب المؤمنين تاديب وتطهير وعذاب الكفار اهانة وتشديد قال الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وقال تعالى يسحبون فى النار على وجوههم وقيل للكافرين عذاب مهين فى الدنيا ايضا وما كان المؤمن فيها فهو تمحيص وتكفير وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله اى واذا قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء اليهود الذين يكفرون بالقران آمنوا بالقران والانجيل وقوله تعالى قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتوراة التى هى كتابنا انزل على نبينا موسى صلوات الله عليه والمنزل على النبى منزل على امته معنى لانه يلزمهم وقوله تعالى ويكفرون بما وراءه اى سواه والتذكير لرجوع الهاء الى ما انزل وقال ابو عبيدة اى بما بعده قال النابغة خلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب اى الله تعالى ووراء يصلح لما قبله ولما بعده لان معناه ما توارى عنك اى استتر وهو موجود فيهما اى يقولون نؤمن بكتابنا ولا نتجاوزه الى غيره فقال الله تعالى ويكفرون بما وراءه اى هم بهذا القول يكفرون بما وراء التوراة ويجوز ان يكون هذا اخبارا عن الكفار انهم قالوا لن نؤمن بكتابنا واخبروا انهم يكفرون بما سواه فجاز نؤمن بالقران حكاية عنهم انهم قالوا ذلك وجاز يكفرون بالياء على المغايبة اخبارا انهم اخبروا بذلك ومثل هذا قول العرب استحلفت عبد الله لا نؤمن لا تؤمن ولتقومن وليقومن الالف حكاية عنه انه حلف

تقال ذلك والتاء اى خاطبه بذلك والياء اخبار عنه على المغايبة فقد غلت فى الصدر استخلفت
عبد الله وهو مغايبة وقيل بما وراءه اى وراء التوراة وهو الانجيل والقران وقيل ما بمعنى من كما فى قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله ومعناه بمن وراء موسى وهو عيسى ومحمد عليهم السلام وقوله تعالى وهو الحق
اشارة الى ما وراءه فوحد لتوحد اللفظ وقوله تعالى مصدقا لما معهم اى الانجيل موافق التوراة والقران
كذلك وعيسى مصدق لموسى ومحمد كذلك وبه يبطل ايمانهم بالتوراة وبموسى لان فى التوراة الامر
بالايمان بالانجيل وبالقران وبعيسى ومحمد وموسى كان يامر بذلك فمن كفر بما وافق كتابه ورسوله
فقد كفر بكتابه ورسوله وقوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل لم اصله لما الام التعليل
دخلت فى ما التى هى للاستفهام وسقطت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال فى الاستفهام وهو كقولهم
بم وعم وفيم وتقتلون مستقبل فى معنى الماضى كما فى قوله تعالى ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
اى ما تلت وقالوا المومنون يومنون بما انزل اليك وقال وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود وهو
الحال فى الماضى وكنتم فيه مضمر اى فلم كنتم تقتلون انبياء الله ولذلك قال من قبل فدل على انه
ليس لمحض الحال ولا للاستقبال دواما وبخهم بقتل الانبياء فالخطاب لاهل عصر النبى صلى الله عليه
وسلم وهم لم يباشروا ذلك لانهم اولاد اولئك الذين فعلوا ذلك وهم يتولونهم ويرضون بما فعلوا
فشاركوهم فيه واولئك قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما وقصدوا قتل عيسى عليهم السلام وقيل فلم
تقتلون انبياء الله هو خطاب لهؤلاء لقصدهم قتل النبى صلى الله عليه وسلم مرارا وذلك فى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وذكر
انبياء الله على الجمع والمراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحده تعظيما له كما قيل فى قوله يا ايها الرسل
هو خطاب له وحده وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين اى بما انزل عليكم فلم قتلتم انبياء الله وليس فيه
اباحة قتلهم بل فيه تحريم قتلهم مطلقا وقتل غيرهم الا بالحق وان كان الخطاب لاهل عصر النبى صلى
الله عليه وسلم فمعناه لم تقتلونهم وذلك حرام فى كتابكم وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان النبى صلى الله
عليه وسلم دعا اليهود الى الايمان به وبما انزل عليه فقالوا ان الله عهد الينا ان لا نومن لرسول حتى
ياتينا بالبينات وبقربان تاكله النار فقال لهم بامر الله قد كانت الانبياء قبلى ياتون بها قومهم وهم
اباؤكم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الله عهد اليكم فى التوراة بذلك وقوله تعالى ولقد
جاءكم موسى بالبينات اى المعجزات الظاهرات وقيل هى الايات التسع وهى الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء وفلق البحر وتفجير الماء من الحجر وقوله تعالى
ثم اتخذتم العجل من بعده اى من بعد انطلاقه الى الجبل وقوله تعالى وانتم ظالمون اى واضعون
العبادة فى غير موضعها وقد شرحناه ابلغ من هذا فيما تقدم ويرد بهذا قولهم فى الاية التى قبلها
قالوا نومن بما انزل علينا اى انتم مبطلون فى هذه الدعوى وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد مر تفسير هذه الكلمات ثم اعاد حديث عبادتهم العجل
فى الاية المتقدمة وحديث اخذ الميثاق ورفع الطور فى هذه الاية مع ان القصة واحدة والسورة
واحدة لان ذكرهما فيما تقدم كان من تعداد النعم فانه قال ثم عفونا عنكم وقال فى رفع الطور
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وذكرهما ههنا توبيخا لهم فى دعواهم الايمان بما انزل عليهم وهم قد
عبدوا العجل وردوا الميثاق ولم يذكر بعدهما عفوا ولا نجوة وقوله تعالى واسمعوا اى سماع قبول
وطاعة قال تعالى واسمعوا واطيعوا وقال تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اى لا يقبلون
ولا يعملون به وقوله تعالى قالوا سمعنا وعصينا قيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وقال الامام
ابو منصور رحمه الله قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا ولكن بعده باوقات لانهم لما ابوا قبول
التوراة لما فيها من التشديد بدا رفع الله تعالى فوقهم الجبل فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا واطعنا ثم لما زال
الجبل وامنوا قالوا عصينا وهو كقوله ثم توليتم وكان التولى بعد ذلك باوقات وقيل قالوا سمعنا
عبارة وعصينا معاملة وهى كقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
وهى شهادة فعل لا شهادة قول وقيل قال اباؤهم سمعنا وقال ابناؤهم عصينا وبشوم عصيانهم تمكن
حب ذلك العجل فى قلوبهم فلم يزل وهو قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم يقال
اشرب الصبغ فى الثوب وتشرب فيه اى تمكن وههنا مضمر وهو حب العجل كما فى قوله تعالى واسئل القرية
التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها يقول رسخ حب العجل فى قلوبهم بفعلهم لا ان غيرهم فعل ذلك بهم
وهذا كما يقال ذهب فى الفكر كل مذهب وكقوله تعالى لا تلهكم اموالكم وقال تعالى وغرتكم الحيوة الدنيا
ويجوز ان يقال الله تعالى اشرب فى قلوبهم وذلك اثبات التخليق من الله تعالى وقوله بكفرهم هو اثبات فعلهم

ولاختيارهم

ولاختيارهم وهو دليل مذهب اهل السنة والجماعة وقوله تعالى قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم
مؤمنين وهو رد على هؤلاء فيما ادعوه من انهم يؤمنون بالتوراة معناه ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فايمانكم
يامركم بقتل الانبياء وعبادة العجل ونقض الميثاق وتكذيب محمد عليه السلام بئسما يامركم به ايمانكم
وقال معناه ان كان حب عبادة العجل بعد لحب عبادة خالقكم فبئس الايمان ايمان يامر العباد بالكفر
وحقيقته ان هذا ليس بايمان فان الايمان لا يامر بالكفر وانما يامر بالخير والطاعة ثم اضافة الامر
الى الايمان مجاز ومعناه الدلالة والارشاد بطريق التسبب وهو كقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر اى هى سبب الانتهاء عنهما وقال السدى وابن جريج لما رجع موسى اخذ العجل فحرقه
بالمبرد ثم ذراه فى اليم فلم يبق نهر يجرى يومئذ الا وقع فيه منه شىء ثم قال اشربوا منه فمن كان يحبه
خرج على شاربه الذهب فهؤلاء شربوا الماء بافواههم واشرب حب العجل فى قلوبهم وقال الحسن
كان بقى منهم طائفة لم يتوبوا من عبادة العجل ولم يقبلوا ما جاء عن الله تعالى من التوراة فهم الذين بقى
حب العجل فى قلوبهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من
ربهم الاية اظهر الله سبحانه فى هذه الايات افعالهم واقوالهم الفاسدة ثم رد فيما بعد ما كان لهم
من علم ذلك من الاطماع الفاسدة فانهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا
نحن ابناء الله واحباؤه وفى رد هذا رد ما بعده وهو قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة من دون الناس قل لهم يا محمد ان كانت الدار الاخرة وهى الجنة عند الله خالصة لكم اى صافية
والخلوص الصفوة من حد دخل والاخلاص تصفية السر والقول والعمل لله تعالى واستخلاص الشىء استصفاؤه
لنفسه وتخليص الممتحن تصفيته عن المحنة وخالصة نصب لانه خبر كانت ويجوز ان يكون قوله لكم خبرا
والدار اسما وخالصة نصبا على القطع ويجوز ان يكون خالصة مصدرا كالعاقبة والخائنة والعافية
ومعناه خلوصا على الخلوص وقوله من دون الناس اى من دون محمد واصحابه وتستعمل هذه اللفظة
للاختصاص يقال هذا لى من دون الناس اى انا مختص به وقوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين اى تشهوا قال ابن عباس رضى الله عنهما اى فاسئلوا الموت وفى رواية قال فادعوا بالموت
لاى الفريقين كان الكذب وقال قتادة وابو العالية والربيع اى فتمنوا الموت لانفسكم ان كنتم
صادقين فى دعوى البنوة والمحبة والاختصاص بالجنة واكثر اهل العلم على هذا ووجهه ان كانت
لكم عند الله خالصة هذه المنزلة ولا يدخل غيركم الجنة فتمنوا الموت لتصيروا اليها لان من كان
على هذه الصفة لا يكره لقاء الله بل يحرص على التعجيل الى كرامته فان قالوا ان المومنين اجمعوا على ان
الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس احد منهم يتمنى الموت اذا لم يتمن الموت فكيف وجه الاحتجاج على
اليهود بذلك قلنا ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والمنزلة عند الله ما جعلت اليهود لانفسهم
لانهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم [illegible]
ولا يخاف انتقاله بالمصير اليه بل يرجو وصوله الى جنته فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوا ظهر كذبهم
فى دعواهم ولان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تمنى الموت فقال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به
ولكن ليقل اللهم احينى ما كانت الحيوة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى وقال خباب بن
الارت رضى الله عنه لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت به
[illegible]
ابو منصور رحمه الله فان قالوا لم تمنوا الموت الذى فيه كما امرهم بدون الاجل الذى يحصل لهم وبع
ذلك تقدير الاجال على الوقت الذى كان وقوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
قيل لهم اذ علم الله تعالى منهم انهم لا يتمنون ثم علمه وازليته انهم لا يتمنون ولو علم منهم انهم يتمنون
الموت لكان يجعل اجالهم فى ذلك فى الابتداء وكذا هذا فيما روى ان صلة الرحم تزيد فى العمر كذلك
يجعل له فى الابتداء لا ان يجعل اجله الى وقت ثم اذا وصل رحمه تزيد على ذلك الاجل وينقص من
الموت عن الاجل المضروب له وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا اى لن يتمنوا الموت ابدا [illegible]
فيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم اذ اخبر انهم لن يتمنوه ابدا فكان كما قال فدل على انه من عند
الله قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الله حتم انهم لن يتمنوه احد من بنى اسرائيل ممن قرا التوراة وشهد
بما فيها [illegible]
[illegible]
وفى ذلك دليل انهم عرفوا نبوته فعاندوه واما ان لم يعلموا ذلك ومنعهم الله عن هذا التمنى وصرفهم
عنه واحدث فيهم ما ازال تمنيه عن قلوبهم وفى ذلك بيان صدقه لان هذا امر خارج عن العادات

لا يفعله الله الا لاراد معجزة تدل على نبوة نبي وعن نافع قال جلس الينا يهودي يخاصمنا فقال ان في كتابكم فتمنوا الموت وانا ذا اتمنى الموت فما لي لا اموت فسمع ذلك ابن عمر رضي الله عنهما فدخل بيته فاخذ السيف ثم خرج ففر اليهودي حين راه فقال ابن عمر رضي الله عنهما اما والله لو ادركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل ان هذا في كل وقت انما هي لاولئك الذين كانوا يعاندون النبي عليه السلام ويجحدون نبوته بعد ان عرفوه فان قالوا ان التمني يكون بالقلب ولا يظهر ذلك لنا انهم تمنوه اولم يتمنوه قلنا ذكر هذا على وجه المحاجة فيطلب منهم اظهار التمني باللسان كما اذا قال الرجل لامراته انت طالق ان شئت او احببت فانه يتعلق بالاخبار دون الاضمار وقوله لن هذا للتابيد ثم ذكر انهم يتمنون في النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك ويقولون يا ليتها كانت القاضية اي الموت ولكن نقول هذا التابيد في الدنيا كما في قوله لن تراني وقوله تعالى **بما قدمت ايديهم** اي بما عرفوا بانفسهم والعرب تضيف فعل كل النفس الى اليد لحصول الفعل من اليدين في الغالب وعلى متعارفهم نزل القران قال ذلك بما قدمت يداك ذلك بما قدمت ايديكم وفي امثال العرب يداك اوكتا وفوك نفخ ومعنى قوله بما قدمت ايديهم قبل بقتلهم الانبياء وقال ابن عباس وابن جريج اي بتغييرهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وقصدهم اطفاء نور الله بافواههم وقوله تعالى **والله عليم بالظالمين** اي بعقوبة هولاء وهم ظالمون بهذه الافعال وخصهم بذلك وان كان الله تعالى عالما بهم وبغيرهم لانما اراد به تخصيصهم بالتهديد وهو ابلغ وعيد وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقيل عليم بالظالمين يفضحهم برد دعواهم الكاذبة بالحجج الصادقة فانه عليم بافعالهم غير غافل عن احوالهم وقيل علم انهم لا يتمنون لابطالهم فيما ادعوا وقيل لا يتمنون لحرصهم على الحيوة ولذلك وصل بهذه الاية ما فيه بيان شدة حرصهم وهو قوله تعالى **ولتجدنهم احرص الناس على حيوة** اللام للتاكيد وكذلك النون المشددة في اخره اي يا محمد ستجد هولاء اليهود لا يتمنون الموت لانهم اشد الناس حرصا على الحيوة اي ولوعا بها وقد حرص يحرص حرصا فهو حريص والجمع حراص وقوله تعالى **ومن الذين اشركوا** اي واحرص من الذين اشركوا بالله قال ابن عباس وابو العالية والكلبي وابو الربيع هم المجوس وقال الحسن ومقاتل هم مشركوا العرب وانما كان اليهود احرص على الحيوة مع انهم يقرون بالقيمة من المجوس والذين اشركوا وهم ينكرون البعث لما قال ابن عباس ان اليهود عرفوا ما لهم في الاخرة من العذاب بما ضيعوا من الظلم وضيعوا من العلم وقوله تعالى **يود احدهم** اي يحب احد هولاء المشركين وقد ود يود ودا ومودة من حد علم ومعنى الود ههنا التمني ولذا قال بعده لو يعمر ولو كلمة تمن لو ان لي كرة وقوله تعالى **لو يعمر الف سنة** اي يتمنى ان يعطى العمر والبقاء الف سنة وانما خص هذا العدد لان من تحيتهم زه هزار سال وقوله تعالى **وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر** الزحزحة التبعيد والتزحزح التباعد والمزحزح كذلك وهو مكرر زح يزح اي بعد وازاح يزيح اي ابعد وكرر على هذا الوجه كما فعلوا ذلك بقولهم خاض وخضخض وفي مصحف عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وما هو بمزحزحه وهو كذلك من قولهم زحزح يزحزح زحزحا اذا بعد قوله وما هو له ثلاثة اوجه احدها وما احدهم فقد ذكر قبله يود احدهم وذلك راجع الى اليهود في قول وفي قول الى الذين اشركوا وهم المجوس وهذا الظهر وما احدهم بمنجيه من العذاب تعميره وان مع الفعل بمنزلة المصدر وقيل وما هو يرجع الى التعمير المذكور قبله لو يعمر ثم اعيد ان يعمر في اخره ايضاحا وهو عماد لان الواو تطلب الاسم فلما تاخر الاسم دخل هو عمادا في اخره وهو مصدر على التقدير وقد وقع تعميرهم بطريقين احدهما كونه فاعلا بفعل الزحزحة اي لا يزحزحه من النار تعميره والثاني بالابتداء اي وما تعميره بمزحزحه قوله ولتجدنهم مجاز عن قوله ولتعرفنهم وهو كقول الرجل وجدت فلانا فقيها وقيل في قوله ومن الذين اشركوا وجهان اخران سوى ما ذكرنا احدهما ان قوله ومن الذين اشركوا موصول بقوله ولتجدنهم اي تجد هولاء اليهود وتجد ايضا من الذين اشركوا اي بعض المشركين فان من كلمة تبعيض وهي تسوية بين اليهود وبين المشركين في حرص الحيوة وهو ذم لهم وتسوية بين من يقر بالبعث وبين من لا يقر به في هذه الصفة المذمومة والثاني ومن الذين اشركوا ابتداء وجوابه يود احدهم اي من يود وكلمة من مضمرة كما في قوله من الذين هادوا يحرفون اي من يحرفون وقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به اي من ليؤمنن به وقال الشاعر فظلوا ومنهم دمعه سابق له • واخر يجري دمعه العين بالمهل • اي ومنهم من دمعه وقوله تعالى **والله بما يعملون بصير** اي يرى اعمالهم من الكفر والمعاصي لا يخفى عليه شيء فيجازيهم بالخزي والذل في الدنيا والعقوبة في العقبى وقراءة العامة بياء المغايبة وقرا يعقوب بتاء المخاطبة وقوله تعالى **قل من كان عدوا لجبريل** في جبريل سبع لغات قرئ باربع منها جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا

ممدودا وهو في قراءة حمزة والكسائي وخلف وعاصم غير حفص ويحيى عن ابي بكر وجبريل بفتح الجيم خفيفا بغير همز وهو في قراءة ابن كثير وجبريل على وزن جحمرش وهو رواية يحيى عن ابي بكر عن عاصم وجبريل بكسر الجيم والراء بلا همز وهو في قراءة الباقين وجبرائيل بالمد والهمز وبياءين في الكتابة وجبرائيل بالهمز وتشديد اللام وياء واحدة في الكتابة وجبرين بالنون مكان اللام وهو اسم ليس بعربي فعربته العرب على هذه الوجوه ومعناه عبد الله فان جبر هو العبد وايل هو الله قاله ابن عباس رضي الله عنهما والاية في شان اليهود ايضا وذمهم ورد مقالاتهم وقصته مروية ما روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه ابن صوريا وهو رجل من اليهود يسكن فدك قال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن نوم النبي الذي يجي في اخر الزمان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناي وقلبي يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد امن الرجل ام من المراة قال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المراة قال صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شي او يشبه اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شي قال ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد وساله عن الطعام الذي حرم اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله تعالى حرم على نفسه احب الطعام اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه البانها فحرمها على نفسه وساله عن اول نزل اهل الجنة قال الحوت والثور قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها امنت بك واتبعتك اي ملك ياتيك بما تقول من الله قال جبريل قال ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل ياتي بالبشر والرخاء فلو كان ميكائيل لامنا بك وصدقناك فقال له عمر وما بدء عداوتكم له قال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد عداوته لنا ان الله تعالى انزل على نبينا موسى ان بيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما بلغ الحين الذي يخرب فيه بيت المقدس بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل فانطلق في طلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا ان كان هو امره بهلاككم لا تسلط عليه وان لم يكن هذا فعلى اي حق تقتله فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوي فملك ثم غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا فلهذا نتخذه عدوا وميكائيل عدو جبريل فقال عمر فاني اشهد من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل فانه عدو لجبريل فقال له يا عمر لا تقولن هذا فنزلت الاية كما قال عمر رضي الله تعالى عنه وقوله تعالى **فانه نزله على قلبك** اي فان جبريل نزل القران وهو قول ابن عباس وعامة اهل التفسير والتاويل وقد تقدم ذكر القران في قوله تعالى ويكفرون [illegible]

مطيع لا يعمل الا ما امر به وقيل على هذا ان قوله هدى وبشرى صفة لجبريل لا للقران اى يقولون انه ينزل
بالشدايد فقل انه ينزل بها بامر الله وفي ذلك هدى للمؤمنين لايمانهم بانه من عند الله وهو بشرى لهم لانهم
بالصبر عليه والعمل به ينالون الثواب في العقبى والنصر في الدنيا وقوله تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال قرا ميكائيل على خمسة اوجه قرا ابو عمرو وسهل ويعقوب
وعاصم في رواية حفص ميكال على وزن ميعاد وقرا نافع وابو جعفر ميكائل على وزن ميفاعل مهموزا
بغير ياء والباقون ميكائيل بالهمز والياء بعدها وعن الاعرج ميكائل على وزن ميفعل وعن الاعمش
ميكئيل على وزن ميفعيل ومعناه عبد الله وهو كجبريل في ان العرب عربته وتكلمت به على وجوه ومعنى
الاية من كان يعادي الله اى كافرا بما جاء منه وقيل لله ذكر تعظيما للامر على من يعادي احدا من ملائكته
كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وكقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وقوله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال الواو في هذا بمعنى او اذا استحقاق العداوة غير موقوف على
عداوة جميعهم وهو كقوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا
وانما اعاد ذكر جبريل وميكائيل مع ذكر الملائكة وهما داخلان فيهم ليكون انفى للشبهة وابعد من التاويل
كي لا يقول اليهود انهما غير داخلين او اخرجهما في جملة الملائكة او هما زيادة تشريف لهما وتقديم لذكرهما
على وجه التخصيص كما قال ومنك ومن نوح بعد ذكر النبيين وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين
ولم يقل فانه مع سبق ذكر الله صريحا اخراجا للكلام عن احتمال التاويل اذ لو قيل فانه احتمل ان يعود
الى جبريل وميكائيل لتقدم ذكرهما وقوله عدو اى معاد وعداوة الله تعالى هي ارادة العقوبة والطرد
والتبعيد عن الخير وقال للكافرين ولم يقل لهم اظهارا لانهم مع استحقاقهم العداوة كفار بمعاداتهم
اولياء الله وقيل تقديره لا يتبين قل من كان عدوا لجبريل فهو كافر وان الله عدو للكافرين واعترض
ذكر جبريل وهو قوله فانه نزله على قلبك قبل جوابه ثم اعاد ذكر هذه العداوة من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وانما ذكر الرسل معهم لان الملائكة والرسل دعاة الخلق الى الحق فهم متفقون ومعاداة احدهم
معاداته وهو كقوله كذبت قوم نوح المرسلين وهم ما كذبوا الا رسولا واحدا وانما قرن ميكائيل بجبرائيل
لانهم كانوا يدعون انه حبيبهم فاخبر ان عدو جبريل عدو ميكائيل وقوله تعالى ولقد انزلنا اليك
ايات بينات اى القران قال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم قال ابن عباس
رضي الله عنهما الايات البينات ما يخبرهم عن قصصهم واخبارهم التي لا معرفة لها الا عند احبارهم
وما سبق ذكره في هذه السورة الى هذه الاية وقال القفال هي العلامات الواضحات على صدق نبوته
التي لا تخفى على احد وقيل هي جوابات سؤالات ابن صوريا التي مرت في الاية الاولى وقيل ان اليهود
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه ولا ببينة نتبعها فنزلت هذه الاية وقوله تعالى
وما يكفر بها الا الفاسقون اى لا ينكرها الا الجاحدون الخارجون عن امر الله وقيل الى الخارجين
عن الاديان وان اظهروا انهم متمسكون بها فان اليهود خرجوا بتكذيب محمد عليه السلام من شريعة موسى
عليه السلام وقيل اى المتمردون من اليهود فاما اهل الانصاف منهم فقد امنوا مثل عبد الله بن سلام
واصحابه ثم اكد الانكار عليهم نقض العهد واخبر بالاية التي بعدها انه ليس باول نقض منهم وقوله تعالى
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم الالف الف استفهام بمعنى التوبيخ دخلت على واو العطف
وهو متصل بما قبله اوكلما جاءكم رسول الاية وقوله نبذه قال قتادة وابن جريج اى نقضه واصله
الطرح والرمي ومنه قوله فنبذناه اى القيناه في اليم والمنبوذ اللقيط لانه نبذ وقوله فانتبذت
به مكانا قصيا اى تباعدت وهو من الاول وظاهره نبذ العهد وراء الظهر ومعناه النقض والفريق
الطائفة ويكون للقليل والكثير وظهر بما بعده انه اراد به الكثير وهو قوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون
وقيل اى نقضه فريق منهم عنادا واكثرهم نقضه جهلا فكلهم كفار بعضهم بنقض العهد واكثرهم
بجحود الحق وقال ابن عباس رضي الله عنهما نبذوا الكتاب وخالفوه كانهم جهلة به وبالعهد الذي عليهم
في التوراة ثم بيان نقضهم العهود مرارا ان كان من المواثيق عليهم انهم اذا جاءهم محمد امنوا به ونصروه
فلم يفعلوا ومنها انهم كانوا يستفتحون به فلما جاءهم كفروا به ومنها انهم كانوا هادنوا النبي صلى الله
عليه وسلم فنقضوه يوم الخندق وظاهروا كفار قريش عليه اى عاهدوا واخفى جرى على بني قريظة ما جرى
وكذا على بني النضير ومنها انهم عاهدوه انه لو جاءهم بما سالوه امنوا به وجاءهم فلم يؤمنوا وقوله تعالى
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول
بمعنى الرسالة قال الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا ارسلتهم برسول اى برسالة
فمعناه على هذا ولما جاءهم كتاب وقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اى اعطوا علم

الكتاب وهم احبارهم والكتاب نصب لانه خبر ما لم يسم فاعله وقوله تعالى كتاب الله مفعول بقوله نبذ
ومعنى نبذ فريق خالفوه وقوله تعالى وراء ظهورهم قال الشعبي نبذوه وراء ظهورهم وهو بين ايديهم
يقرؤونه لكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقيل كتاب الله هو التوراة ههنا وقيل هو القران
وجلالة ما كان لهما وقوله تعالى كانهم لا يعلمون اى لا يفقهون ما في الكتاب اى تعمدوا الخلاف مع علمهم
فالتحقوا بالجهال وقيل كانهم لا يعلمون نعتك وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان اى نبذوا كتاب الله واتبعوا السحر وعلموا ذلك اتباعهم المقلدين ليكتسبوا به الدنيا وقالوا
ان ملك سليمان مع عظمته كان قائما به وياخذون السحت به ويكذبون فذمهم الله تعالى على ذلك
وبرا سليمان عليه السلام من ذلك وكشف عن حقيقته انه كان من الشياطين لا من سليمان وفيه تنبيه
لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم على بطلان السحر وانه لا يجوز العمل به وقال السدي
رحمه الله لما نزل قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم عارضوه بالتوراة فاتفقا
فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب الشيطان وبسحر هاروت وماروت فلم يوافق القران فتعلقوا بها
فذلك قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الى قوله واتبعوا اى كتاب السحر الذي كان فيه تعويذ
لهم فيما يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الله تعالى لعباده ان ذلك كان سحرا وكفرا وباطلا لا يجوز
التعلق به وانما يناظر في الدين بكتب الله لا بكتب السحر التي وضعتها الشياطين فمن كان نبذ كتاب
الله تعالى وتعلق بكتب الشيطان فهو في نهاية الجهل والخذلان وقال محمد بن اسحق لما ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم سليمان بن داود في المرسلين قال بعض احبارهم الا تعجبون من محمد يزعم ان ابن داود كان
نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى هذه الاية وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر اى باتباعهم السحر وعملهم به وقال الربيع بن انس ان اليهود سالوا النبي عليه السلام
زمانا عن امور في التوراة ولا يسالونه عن شيء من ذلك الا انزل الله ما سالوا عنه فيخصمهم فلما راوا
ذلك قالوا هو اعلم منا بما انزل الينا فسالوه عن السحر وخاصموه ان يغلبوه به فانزل الله واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ولان الشياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة فدفنوه
تحت مجلس سليمان وكان سليمان عليه السلام لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر
وخدعوا به الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه فاخبرهم عليه السلام بهذا الحديث
فرجعوا وقد اخزاهم الله وادحض حجتهم واجتمع لهم بذلك وجوه كفر وكبائر نبذ كتاب الله ونصوب
السحر وايثاره على كتاب الله والاستشكال بالحرام واضلال الناس وصدهم عن الايمان وتوهيمهم انه معجز
انه نبيا لا حقيقة لها وانها من جنس السحر وقوله ما تتلوا الشياطين اى ما تتلوه فالهاء مضمرة وتتلوا
قيل تتبع وهو قول ابن عباس وابي رزين كما في قوله والقمر اذا تلاها وقيل يقرا وهو قول مجاهد وعطاء
من قوله فالتاليات ذكرا وقال ابو عبيدة اى ما تتكلم وتقول وتتلوا بمعنى تلت على الماضي وهو كقول
الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمة قلت لا يعنيني اى ولقد مررت وفي القران ان
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اى وصدوا عن سبيل الله ويصنع الفلك يقصون عليكم اياتي ومنهم
الذين يؤذون النبي [illegible] من قبل هذه امور كلها ماضية ووردت بصيغة
المستقبل وله وجه اخر وهو ان يكون كان مضمرا فذلك فيكون في معنى الحال في الماضي وهو كقوله
[illegible] على قراءة الرفع اى حتى كان يقول وكذا في
قوله [illegible] وله وجه اخر وهو ان يحمل على الحال [illegible] في الماضي وبقاء الحال
[illegible] ويصدون عن سبيل الله
وقوله تعالى على ملك سليمان قال الزجاج اى في ملكه وسلطانه اى في ايامه وقال
ابو الهيثم [illegible] على عهده ومعناه في ايامه وهو يستعمل
[illegible] الشياطين على عهد سليمان [illegible]
كذلك وقيل على اثر ذهاب ملك سليمان اى [illegible] الشياطين
على سليمان [illegible] بالقول يراد به الكذب قال الله تعالى ويقولون على الله الكذب وقال وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل تلا عنه فهو للصدق واذا قيل تلا عليه فهو للكذب وقوله تعالى
وما كفر سليمان اى ما سحر سليمان [illegible] بالسحر وقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا
اى سحروا فكفروا به وقال الامام ابو منصور [illegible] القول بان الساحر كافر على الاطلاق خطا
ويجب البحث عن حقيقته فان كان في ذلك رد ما لزمه في شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر

الذى هو كفر يقتل عليه الذكور ولا الاناث والذى ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوى فيه الذكور والاناث ولهذا الخلف قول ابى حنيفة رحمه الله فى الساحر فلا تقتل بسحر الكفر وتقتل بسحر السعى فى الارض بالفساد اذا كان سحرها قاتلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حد الساحر الضرب بالسيف وتقبل توبته اذا تاب فان سحرة فرعون لعنه الله امنوا وصح ايمانهم ومن قال لا تقبل فهو غلط واخرنا تقبل توبة الساحر اذ هو بالغ فى تمييز ما هو حجة منه مما ليس بحجة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطية العوفى كان الشياطين قبل عصر عيسى عليه السلام غير ممنوعين من صعود السما وانما منعوا بعد رفعه الى السما عن السما الخامسة والسادسة والسابعة وبعد خروج نبينا صلى الله عليه وسلم منعوا عن الكل فكانوا يصعدون ويسترقون السمع ثم يهبطون ويحدثون بما سمعوا وكان الناس يكتبون ذلك سحرا فسمع به سليمان عليه السلام فاخذ الكتب ودفنها تحت كرسيه ليطلب اليا ينبغى فى سليمان صلوات الله عليه وذهب العلما الذين كانوا يعرفون ذلك وخلف من بعدهم خلف فاخرجها الشياطين لهم وقالوا ان سليمان عليه السلام كان يضبط الجن والانس والطيور بهذا وقالوا هذا كتاب انزله الله على سليمان فكتمه منكم فكفر سليمان بذلك فاكذبهم الله تعالى وقال وما كفر سليمان لا بما ذكر فى بعض القصص والتفاسير فى قوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ان شيطانا قعد على كرسيه اربعين يوما وزال ملك سليمان هذه المدة وذلك الشيطان نسج كتب السحر ودفنها تحت سريره مع الشياطين وبعد عود الملك الى سليمان وبعد وفاته استخرجها الشياطين ونسبوها الى سليمان وذلك كله باطل مردود والوجه الاسلم الاوفق للاصول ما ذكرنا وقيل معنى ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا اى ما غطوا وما كتم سليمان اى لم يكن المستخرج من موضعه بل كان بوضع الشياطين والكفر فى اللغة هو التغطية على ما والصحيحة عند قوله ان الذين كفروا ثم كثير من التفاسير وتفسير السحر بالتخييل والتمويه وبالكلام المزخرف الذى يقع به الالفات بين الناس بدون تحقيق تركه فى محبة او عداوة او علة او تاخير تعلقا بالسحر المذكور فى قصة فرعون انه كانت تخييلا لا غير ويلتبسون ما ذكروا ان لبيد بن الاعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فاعاده الله تعالى بما انزل من المعوذتين حتى روى انه قام كانما نشط من عقال وهذا مقالة المعتزلة وهو انكارهم اظهار اثر بفعل العبد لا متصل باله فعله وهى مسئلة المتولدات وعند اهل السنة والجماعة الاثار من صنع الله وتخليقه وليس ذلك من فعل العبد وفعله لا بعد ومحل قدرته ويضاف الى العبد اذا اجرى الله تعالى العادة بتخليق تلك الاثار عقيب تلك الافعال فى الضمان والوزر ونحو ذلك والسحر حقيقة بظهور اثاره وما ذكروه فهو يسمى سحرا مجازا وقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر اخبر ان الملكين لا يعلمان السحر وانما يعلم الشياطين ذلك الناس وقوله تعالى **وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** له تاويلان احدهما ان ما كلمة نفى ومعناه ولم ينزل على الملكين وهو قول ابن عباس وقتادة والشعبى وهو معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان اى لم يكفر هو ولم ينزل الله السحر على الملكين وذلك ان السحرة واليهود كانوا يضيفون السحر الى سليمان والى الملكين فبراهم الله تعالى عن ذلك وقوله تعالى **وما يعلمان من احد حتى يقولا** اى احدا ومن للتاكيد كما قال فما منكم من احد عنه حاجزين اى ولا يعلمان الملكان احدا السحر بل يبالغان فى نهيه ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر اى امتحان واختبار وبل نهيا لك عن السحر فان قبلت نهينا نجوت وان لم تقبل خسرت وقوله فلا تكفر اى فلا تسحر فانه كفر والفتنة ما يتبين بها حال الانسان من الخير والشر يقال فتنت الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم اخالص ام مشوب ومنه الفتانة وهى الحجر الذى يجرب به الذهب والفضة وقوله تعالى **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه** قوله منهما لا يرجع الى الملكين فقد نفى التعليم منهما على هذا التاويل بل التثنية راجعة الى الكفر والسحر فقد ذكرا جميعا قبله فى قوله كفروا يعلمون الناس السحر اى فيتعلم اليهود من الكفر والسحر من الشياطين ما يقع به البغض بين الزوجين فيفترقان لان الكفر من احدهما سبب الفرقة كالسحر يقع به الفرقة وقوله تعالى **وما هم بضارين به من احد الا باذن الله** اى وليس اليهود والسحرة ضارين بالسحر احدا الا بعلم الله ولا يجوز حمل الاذن ههنا على الامر والاطلاق لان الله تعالى لا يامر بالكفر والاضرار والتاويل الاخر ما قاله قتادة والزهرى ان قوله وما انزل هذا بمعنى الذى واتبعوا الذى تتلوا الشياطين على ملك سليمان والذى انزل على الملكين من بيان السحر وبطلانه وقالوا ان السحر كان كثر فى ذلك الزمان وكان الناس يتوهمون انه حق مثل ايات الانبيا فانزل الله تعالى عليهما بيان كيفيته ووجوهه ليبينا للناس فى الارض بطلان السحر وضرره كى لا يغتر به احد ولا يتعلمانه فكانا يحكمان فى الارض وكانا ينهيان عن السحر ويجوز ان يكون الله

تعالى

تعالى انزل بيان السحر عليهما بانزاله على نبى ثم ابلغ النبى اليهما ذلك ليصفيا وجوه ذلك لقومهما وينهياهم عن استعماله ويسمى ذلك انزالا وان كان بواسطة نبى كقول الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب ثم قال فى حقنا قولوا امنا بالله وما انزل الينا وانما خصهما بالذكر وان كان الامر به للعامة وهذا كما قال الله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام اذهبا الى فرعون وكانا ارسلا الى فرعون وحشمه ولكن خص فرعون بالذكر لانه ابلغ فى استدعائه واستدعا رعيته الى الايمان اذ الرعية اتباع للراعى وقال الامام ابو منصور رحمه الله اختلف فى هاروت وماروت هل كانا ملكين ام لا فقال الحسن البصرى رحمه الله لم يكونا ملكين ولكنهما كانا فاسقين متمردين من الانس لان الله تعالى وصف ملائكته بالطاعة له والائتمار بامره بقوله عز وعلا لا يعصون الله ما امرهم وبقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وكذلك يقول هو فى ابليس انه لم يكن من الملائكة وقد مر الكلام فى ذلك فى قصة ادم عليه السلام وعلى هذا التاويل قرى على الملكين بكسر اللام وقيل كانا ملكين من الملائكة فلما ركب الله تعالى فيهما الشهوة خرجا من ان يكونا ملكين من الملائكة كما فى حق ابليس وهما اسمان اعجميان ولا اشتقاق لهما اذ لم يكونا من العربية وقصتهما على الاختصار ما روى ان الملائكة فى السما نظروا الى بنى ادم ومعاصيهم فقالوا يا ربنا خلقت البشر ورزقتهم وهم يعصونك ولو كنا مكانهم ما عصيناك فقال الله تعالى لهم اختاروا ملكين منكم فاختاروا جبريل وميكائيل فتضرعا الى الله واستعفيا فعفى عنهما واختاروا بعدهما اخرين وهما هاروت وماروت فركب الله فيهما شهوة الاكل والشرب والنسا وارسلهما الى الدنيا ليحكما بين الناس ولا يفعلا شيئا من المعاصى فنزلا وفعلا ذلك مدة وكانا يصعدان بالليل الى السماء ثم ينزلان بالنهار حتى اذ جاءت امراة ذات جمال وحسن يوما اسمها زهرة بالعربية وسدحت بالنبطية وقيل هند ناشرة شعرها قد ارخت ذوابها عليها قميص حرير وهى تخاصم زوجها فلما نظرا اليها وقع حبها فى قلبهما فكتما ذلك ولم يظهر كل واحد منهما ذلك لصاحبه حيا منه حتى عيل صبرهما فراوداها عن نفسها فابت حتى يعلماها اسم الله الاعظم الذى به كانا يصعدان الى السما فعلماها فدخلت بيتا وتطهرت ودعت الله باسمه الاعظم فمسخها كوكبا فصعدت الى السماء قالوا اما مسخها كوكبا فغير مستنكر لان الله تعالى مسخ اقواما ولكن صعودها زهرة المشهورة فى السماء ضعيف لان زهرة فى السما مذ خلقها الله تعالى وخلق فيها الكواكب فيجوز ان يكون كوكبا اخر يشبهها وقيل هى تعذب فى السما وقيل بل صارت الى النار وكسا ابو من مسخ ثم بعث الله ملكا وقيل كان معه جبريل ومنع هاروت وماروت الصعود الى السما بعصيانهما وهو مراودتهما زهرة ولا يثبت الزنا بها منهما ولا شرب الخمر ولا قتل النفس وان ذكر ذلك فى بعض الروايات فقال جبريل صلوات الله عليه لهما ان الله تعالى يخيركما بين عذاب الدنيا وتكونا فى الاخرة فى المشيئة ان شاء عذبكما وان شاء رحمكما وبين ان يخرج عنكما العذاب فاستشارا جبريل صلوات الله عليه فاشار عليهما ان يختارا عذاب الدنيا فهما معذبان ببابل معلقان هنالك وقيل بابل هو الذى يعرف بقرب الكوفة وقيل هو بدماوند بدون بابل الكوفة وبابل لا ينصرف لانه اعجمى وهو معرفة وقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على التاويل الثانى ولا يعلمان احدا كيفية السحر الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة اى اختبار لكم فلا تكفر اى لا تتعلم السحر ولا تعمل به لانه كفر ثم يبينان وجه السحر ويقولان ان السحر يكون كذا وكذا وينفذ من جهة كذا وكذا فاتق الله ولا تستعمله فيقع هذا الاعلام منهما على وجه التحذير ويقع عند المستمع على وجه التعليم كالفقيه يقول لاخر من اخذ درهمين بدرهم فقد اربى ومن وطى امراة الغير فقد زنى فيقع ذلك من الفقيه على وجه التحذير ومن المستمع على وجه التعليم وانما جاز بيان السحر لانه لا يتوصل الى اجتنابه الا بعد معرفته وقد قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه والتعليم بمعنى الاعلام ومن سال اخر عن الزنا فبين كان اعلاما ولم يكن حراما وليس هذا على التعليم الذى هو تلقين الشى والحمل عليه وقال تعالى قل اتعلمون الله بدينكم هذا فى معنى الاعلام فكذا هذا وكذا قوله فيتعلمون منهما اى من هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى العودة التى يقع فيها الفرقة ۞ بالبغض ونحوه وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اى المتعلمون السحر لا يضرون احدا بالسحر الا بعلم الله وقوله تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم فى الاخرة وقوله تعالى **ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق** اى اهل الكتاب الذين نبذوا الكتاب واتبعوا السحر لمن اشتراه اى لمن اختار السحر على كتاب الله تعالى وقوله من خلاق اى نصيب وقوله ولقد اللام للتاكيد وهو فى معنى القسم وجواب القسم ما له فكان ينبغى ان تكون اللام فى ذلك الموضع ومعنى ذلك دخل فى قوله لمن اشتراه وانما كان كذلك لان الاول وهو فى قوله ولقد لما دخل فى الصدر اشبه القسم فاجيب بجوابه وقال الزجاج الاول دخل اعلاما ان الجملة بكمالها معقودة بالقسم لان الجزا وان كان للقسم فقد صار للشرط فتحقق

فلذلك دخله وقيل لام لقد تؤكد علمهم بذلك في التوراة ولام لمن تؤكد الشرط والجزا وقيل موضع اللام
في الشرط الا انه سبق ذكره فاعيد في موضعه كما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون اي ليعلم فلما
سبق ذكر لا الذي موضعه يقدرون اعيد في موضعه وكقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما
انكم مخرجون سبق ذكر انكم فاعيد في موضعه وقوله تعالى من خلاق من النا كيد والخلاق من الخلق وهو
التقدير اي نصيب قدر له وقوله تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم ذكرنا حقيقة هذه الكلمة في
قوله بئسما اشتروا به انفسهم وقوله به يرجع الى السحر وكتاب الشيطان وقوله تعالى لو كانوا يعلمون
اي لو علموا ما علموا فقد اثبت عليهم بقوله ولقد علموا فلم يكن هذا نفيا للعلم بل كان نفيا للانتفاع بالعلم
وقيل اي لو كانوا يعلمون وباله في الآخرة وقيل لو كانوا يعلمون انه يضرهم ولا ينفعهم وقوله تعالى ولو
انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون اي لو ان اهل الكتاب والسحرة
امنوا بالقران والنبي واتقوا الشرك والسحر لمثوبة من عند الله خير لثواب الله لهم على ايمانهم وتقواهم
خير لهم من كفرهم وسحرهم واللام في لمثوبة جواب لو ومثوبة مفعلة من الثواب وثاب يثوب اي رجع
سمي ثوابا لانه عوض عمله يرجع عليه وقوله لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا قال الحسن كل شيء في القران يا ايها الذين امنوا فانه نزل بالمدينة وقوله تعالى لا تقولوا راعنا
روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان المسلمين كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون يا رسول الله راعنا سمعك وكان هذا من كلام العرب فيما بينهم وكان راعنا بلسان اليهود
السب القبيح فلما سمعت اليهود المؤمنين يقولونها لرسول الله اعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم كنا نسب
محمدا في السر فالان فاعلنوا له بالشتم فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فسمعها منهم
سعد بن معاذ الانصاري وكان يعرف لغتهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها له فانزل
الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن هذه المقالة لئلا يتطرق اليهود بسببها الى ما يريدونه من السب
وقيل كانت الصحابة الاربعة واجلا الصحابة رضوان الله عليهم ربما يتاخر مجيئهم عن خروج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المسجد وكان يفوتهم بعض كلامه فكانوا يقولون يا رسول الله راعنا وهو سؤال
الرعاية والعناية في حقهم بانتظارهم لئلا يفوتهم ثوابك واليهود سمعوا ذلك فقالوا نذكر ذلك لمحمد
على ارادة شتم وقيل لبيان ذلك الشتم وجهان احدهما انه كانوا يريدون به راعينا على الخلاص لنا اي
وهي نسبته الى انه من الرعاية فانهم كانوا يقولون للعرب انه عالة رعاة غنم فكانهم قالوا انت راعينا
والثاني انهم ارادوا بذلك راعنا اي فاعلا من الرعونة اي جاهلا ونحو ذلك وفي قراة الحسن البصري
راعنا بالتنوين وهي قراة حفص وقيل في تفسير راعنا بالتنوين اي لا تقولوا قولا راعنا اي سفها وجهلا
وحمقا والارعن الاهوج الاحمق وقد رعن رعونة من حد شرف والرعن الانف النادر من الجبل الخارج عنه
والرعنا المراة المتبرجة وجيش ارعن له فضول كرعون الجبال ورجل ارعن مسترخ ورعنته الشمس اذا
المت دماغه قال الشاعر كانه من اوار الشمس مرعون والاوار الحر ولا يدري الى اي هذه الوجوه
كانوا يصرفون هذه الكلمة وقيل الكلمة من المراعاة ونهى المسلمين عن ذلك ومعناه لا تجعلوا الانفسكم رتبة
ان تطلبوا مراعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج هي من المكافاة اي المساواة اي لا تطلبوا
بالمساواة في المعاملة والمخاطبة وهو امر بتعظيمه وقد قال تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وقوله تعالى وقولوا انظرنا اي انتظرنا كما في قوله انظرونا
نقتبس من نوركم والغرض يحصل به ولا يتطرق اليه اليهود بما ارادوا وليس طلب المساواة وقال الامام
ابو منصور رحمه الله انظرنا على معنى مكنا من الفهم وخاطبنا بالذي نحتمله افهامنا وامهلنا في القيام
على ما امرتنا به لنقوم عليه بالتعظيم والتفهم وقوله تعالى واسمعوا اي ما تومرون به واقبلوه واعملوا به وقال
الضحاك اي اسمعوا كتاب الله وما يامركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وللكافرين عذاب
اليم اي للكفار من اليهود وغيرهم في الآخرة عذاب وجيع وقيل للكافرين اي اليهود الذين يقولون
لرسول الله هذا عذاب مولم وهذه الاية فيها ذم اليهود ايضا كما في الايات التي قبلها وبه ينتظم نوع ذكر
في ذمهم ايضا انهم يحسدون المؤمنين على ما نالوا وقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم اي ما يحب الكفار من اليهود والنصارى ومن
المشركين وهم عبدة الاصنام ان ينزل عليكم اي على نبيكم لان المنزل عليه منزل على امته من خير من ربكم
اي القران وفيه كل خير ومن لتاكيد النفي في قوله من خير وللتبعيض في قوله من اهل الكتاب ولابتداء
الغاية في قوله من ربكم فهي ثلاثة في هذه الاية جمع بين اهل الكتاب وبين عبدة الاصنام لانهم يجتمعون

اليوم

اليوم على الكفر ويجتمعون غدا في النار قال الله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
واهل الكتاب انما لم يودوا ذلك عند بعضهم لانهم كانوا يظنون ان نبي اخر الزمان يكون من اولاد اسحق
كما كان من انبياء بني اسرائيل فلما كان من ولد اسماعيل لم يرضوا به وعادوا العرب لذلك وهذا لا يصح لانهم
كانوا قراوا في التوراة انه من العرب قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه عندهم
في التوراة والامي هو المكي العربي فالصحيح انهم انما يبغضونه لفوت العز والرياسة والرشوة عنهم بسببه
لو امنوا ولهتك استارهم باخبارهم انهم يحرفون الكلم عن مواضعه واما المشركون فانما كرهوا ذلك لانهم
كانوا يتمنون ان تكون النبوة في احد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة
كما اخبر الله تعالى عنهم وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانوا يعلمون انهما يتبعان
اهواءهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى والله يختص برحمته من يشاء اي بنبوته ووحيه
ودينه من يشاء لا من تشاؤون وقال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله تعالى والله ذو الفضل
العظيم اي على من يختاره بالنبوة والوحي ودلت الاية على ان العبد لا يستحق على الله شيئا فان مؤدي
الواجب لا يكون متفضلا وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله المشركين معطوف على قوله من اهل
الكتاب ومن المشركين فكانت للتبعيض لا للكل فانه كان يكره رؤساؤهم ذلك لا كلهم وكراهتهم لشيئين
احدهما ما كان فيه من تسفيههم وتضليلهم مع ذلك وكان يشتد عليهم ذلك والثاني انهم كانوا مستكبرين
لا ينقادون لغيرهم ويطمعون ان تكون الرسالة لهم قال الله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض وقال تعالى
خبرا عنهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقوله تعالى
ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها واتصالها بما قبلها انه قال والله ذو الفضل
العظيم ومن فضله نسخ الاية بخير منها او مثلها رحمة على هذه الامة والثاني ان اليهود قالوا ان محمدا
لا يثبت على شيء بل يامر بشيء وينهى عنه وينهى عن شيء ثم يامر به وكذا التحريم والتحليل فاخبر الله تعالى
انه لا يفعل ذلك من جهة نفسه بل الله تعالى ينسخ ويبدل والثالث انهم كانوا يرونه بداء لا يرون النسخ
ويسمونه بداء وينكرون نسخ شريعة موسى بغيرها فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم والنسخ في اللغة هو
النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب هو النقل من نسخة الى نسخة ونسخت الشمس الظل هو كذلك
وتناسخ المواريث من ذلك ويكون بمعنى الابطال ايضا ونسخت الشمس الظل بمعنى اذهبته ونسخت الريح
الاثر كذلك وقوله تعالى ما ننسخ ما كلمة شرط وننسخ مجزوم به وقوله او ننسها مجزوم ايضا لانه عطف على
الاول وجوابه نات بخير منها ومعنى النسخ في الشرع هو بيان مدة الحكم ويسمى نسخا لانه في الظاهر نقل
الحكم من شيء الى شيء كنسخ القبلة او تغيير وابطال واسقاط له اصلا كنسخ فرض الصدقة قبل مناجاة
النبي صلى الله عليه وسلم وكل ذلك في الحقيقة بيان ان الحكم المتقدم كان مشروعا الى هذه المدة وقد انتهى
وفي قوله ما ننسخ من اية في الاية وجوه احدها ما نرفع من حكم اية من القران مع بقاء تلاوتها او ننساها
نجعلها منسية على القلوب برفع حكمها او تلاوتها وقد نسي القلب ينسي نسيا فهو ناس وانساه الله ذلك
وعن قتادة رحمه الله انه قال كانت الاية تنسخ بالاية فينسي الله تعالى نبيه ما يشاء وروى ابو امامة سهل
ابن حنيف ان رجلا كانت معه سورة فقام من الليل ليقراها فلم يقدر فلما اصبحوا ذكروا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انها نسخت البارحة ومن قرا ننساها بالهمز والفتح في النون فمعنى ذلك
نؤخرها ومنه النسيء والنسيئة وانسا الله اجله ونسا في اجله والتاخير ههنا معناه ان احدهما ان نؤخرها
ونبقيها غير منسوخة والثاني على التقديم والتاخير ما ننسخ من اية نات بخير منها او مثلها او نؤخرها
فنتركها منسوخة كما هي فلا نات بخير منها او مثلها وقال مجاهد ما ننسخ من حكم اية وتلاوتها او ننساها
اي نثبت تلاوتها ونرفع حكمها نات بخير منها او مثلها وقال عطاء ما ننسخ اي ما نكتب من اللوح فننزل
او ننساها اي نؤخرها في اللوح فلا تنزل فيكون هذا من الانتساخ على هذا القول وقوله نات بخير منها
قيل ليس هذا للتفضيل على معنى باحسن منها فان الايات كلها كلام الله تعالى فلا تتفاضل في انفسها بل
معناه على التقديم والتاخير نات بخير منها اي بصلاح وخيرية ولكن لا يستقيم هذا التاويل فانه قال
او مثلها واذا حمل على ذلك لم يكن لهذه الزيادة معنى والصحيح انه للتفضيل ولا يرجع ذلك الى نفس الاية
بل الى ما يصلح به العبد وقد قال ابن عباس قوله بخير منها اي بما هو انفع لكم وارفق او مثلها الابتلاء
والامتحان ليظهر متبع امر الله من متبع هواه وقيل بخير منها باخف واسهل وقيل باكثر ثوابا وقيل
باصلح في العاقبة او مثلها في السهولة والصلاح والثواب والحاصل ان النسخ قد يكون باخف من الاول
كنسخ الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهر وعشر وكنسخ قيام الليل الى التخيير وقد يكون بمثله

اي قل يا محمد ايتوا بحجتكم على دعواكم ان كنتم صادقين فيها وليتقل براهينكم والخطاب للجمع ولا برهانكم
على التثنية وهم فريقان لان الدعوى كانت واحدة وهى نفى دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة
وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية على ان النافى عليه الدليل ولا يقال انهم اثبتوا الدخول لانفسهم
فطولبوا بالبرهان عليه لانا نقول ليس كذلك بل نفوا دخول غيرهم صريحا وثبت دعواهم دخول انفسهم دلالة
والبرهان يطلب على صريح الدعوى دون الدلالة فان من قال لا نكاح الا بشهود لا يقال له لم قلت ان النكاح
يجوز بالشهود بل يقال له لم قلت بانه لا يجوز الا بالشهود ولذلك رد الله على هولاء نفى دخول غيرهم لا دعواهم
دخولهم حيث قال تعالى **بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن** اى يدخل هولاء الذين اسلموا والذين
ينفون دخولهم ثم ان كان هذا امرا بان ياتوا بالبرهان على ان المسلمين لا يدخلون الجنة فهذا امر تعجيز
لانه لا برهان على هذا وان كان على دعوى دخولهم الجنة فانه يجوز ان يكون برهانهم ما قال فى هذه السورة
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ويجوز ان يكون هو الايمان بمحمد عليه السلام وكتابه وقال عليه السلام
ثمن الجنة لا اله الا الله وقال مفتاح الجنة لا اله الا الله ويجوز ان يكون برهانهم ما ذكر بعده وهو قوله
بلى من اسلم الاية بلى رد لما قبله واثبات لما بعده اى ليس كما يقول اليهود والنصارى ولكن من انقاد لله تعالى
بالتوحيد بكليته والوجه عبارة عن كل البدن وخص بالذكر لانه اشرف الاعضاء ولهذا يخص بالتحية
فيقال حيا الله وجهك وكرم الله وجهك وقال تعالى وعنت الوجوه للحى القيوم ولان اثر الانقياد والخضوع
يظهر فى الوجه فيجوز اضافة الفعل اليه ويقال اسلم وجهه اى اخلص دينه لله وقد سلم هذا الشئ
لفلان واسلمه اناله وقال تعالى ورجلا سالما لرجل ووجه المسلم دينه الحق فيه جماله وعليه اقباله
وقوله تعالى وهو محسن الواو للحال ومعناه ان يحسن افعاله مع صحة اعتقاده واقراره وقيل الاحسان
اداء ما امر به قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقيل هو الاحسان ببذل المال قال تعالى
واحسن كما احسن الله اليك وقيل هو احسان المعاملة وبذل المال والنفس قال تعالى اخبارا عن صاحبى
السجن انا نراك من المحسنين وقيل هو كظم الغيظ والعفو عن المظالم قال تعالى والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس واضمر ههنا وهم محسنون ثم قال والله يحب المحسنين وقيل الاحسان ما فسره
النبى عليه السلام لجبريل عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وقوله تعالى **فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** على الجمع لانه اسم جنس
والمراد به الجمع فرجعت الكناية فى الاجر الى المعنى فلهم ثواب الايمان والاعمال الصالحة عند ربهم
ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ولا هم يحزنون على ما خلفوا من الدنيا وله معان اخر
ذكرناها فيما مر وقوله تعالى **وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست
اليهود على شئ** نزلت الاية فى شان يهود المدينة ونصارى بنى نجران اختصموا عند النبى صلى
الله عليه وسلم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ وجحدوا حقية عيسى والانجيل وقالت النصارى
لليهود ما انتم على شئ وجحدوا حقية موسى والتوراة فانزل الله تعالى هذه الاية وانتظام هذه الاية بما
قبلها ان فى الاية الاولى ذكر مقالة الفريقين فى حق غيرهم وذكر فى هذه الاية مقالة كل فريق منهما
للاخر وقوله على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وقوله تعالى **وهم يتلون الكتاب** اى كل فريق
يتلو فى كتابه تصديق ما ينكره لو رجع الى الكتاب تكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة وفيه بيان
حقية عيسى والانجيل وكفر النصارى بموسى وعندهم الانجيل وفيه بيان حقية موسى والتوراة
وقال الزجاج يعنى ان الفريقين يتلون التوراة وقد وقع بينهم هذا الاختلاف وكتابهم واحد فدل
هذا على ضلالتهم وقوله تعالى **كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم** اى كذلك قال المشركون
العرب فدل وصفهم بانهم لا يعلمون لانهم ليسوا اهل الكتاب ولا كان فيهم رسول قالوا لمحمد واصحابه
انهم ليسوا على شئ من الدين الحق كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وهذا تقريع لاهل الكتاب انهم مع علمهم بالتوراة قالوا كقول المشركين الجاهلين
وهو مذمة المشركين ايضا بما قالوا وقيل الذين لا يعلمون هم الذين لا يتلون الكتاب منهم وهم العوام
ثم هذا اكذاب لهم على اطلاق كلامهم ورد عليهم اى من اسلم من اوائلهم ولم يغير فهو على شئ وقيل معنى
قوله على شئ من الجنة وهم يتلون الكتاب فيعلمون كذب دعواهم كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم
اى قالوا ليس المسلمون على شئ من الجنة ونحن اولى بها منهم كما اخبر الله عز وعلا عنهم قالوا وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقوله تعالى **فالله يحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون** اى يريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا فيظهر المحق من المبطل
وهو الحكم الفاصل فيما يصير اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم بالحجة فقد بينه الله تعالى فيما اظهر من حجج

المسلمين ومن عجز الخلق ان ياتوا بمثل القران وقوله تعالى **ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه**
انتظامها بما قبلها ان الاية الاولى فى ذكر قبائحهم فقال لهم وهذه فى ذكر قبح فعالهم ووجه اخر كيف
يدعون انهم اهل الجنة وهم يمنعون عباد الله عن عبادة الله فى بيوت الله ومن كلمة استفهام وهى
بمعنى النفى ههنا اى لا احد اظلم من فاعل هذا الفعل والظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن
رفع بالابتداء واظلم خبره ومساجد نصب بوقوع فعل المنع عليها ان يذكر ان مع الفعل مصدر
ومحله نصب لانه بدل من قوله مساجد الله اى من منع ان يذكر فى مساجد الله وهو كتفسير
منع المسجد فانه منع الذاكر عن المسجد منع المسجد عن الذاكر ويجوز نصب ان يذكر على تقدير
لان يذكر فيكون مفعولا له وقيل تقديره من ان يذكر اى منع المساجد من ان يذكر فيها اسمه
وذكر اسم الله ذكر الله قال الله تعالى واذكر اسم ربك اى واذكر ربك وقوله تعالى **وسعى فى خرابها**
سعى كلمة تختلف معانيها باختلاف مصادرها يقال سعى سعيا اذا عمل واذا اكتسب واذا عدا
وسعى سعاة اذا جاد وتكرم وجمع السعاة المساعى وسعى سعاية اذا اخذ الصدقات وهو
عامليها وكذا سعى به الى السلطان سعاية اى وشى به وكذا يسعى المكاتب والمعتق البعض
فى اداء ما عليه سعاية وساعى الرجل الامة اى فجر بها مساعاة ولا يقال ذلك فى الحرة وقوله تعالى
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اولئك اشارة الى الجمع والمذكور قبله
الواحد وهو من منع وسعى لان معناه الجمع ويدخلوها كناية عن المساجد وهى مؤنثة لانها جمع
وما كان اى لا يكون وخائفين نصب على الحال واختلف فى المراد من ذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما
ان ططوس بن اسبيسيانوس الرومى وكان ملك الروم غزا بالروم بيت المقدس وخربه والقى
فيه الجيف فلم يزل خرابا الى عمر وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم واحرق التوراة ولم يزل خرابا
حتى بناه اهل الاسلام فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وقال مقاتل كان اسم الملك انطيانوس
ابن بكيشوا الرومى وقال الحسن والسدى وقتادة خربه بخت نصر البابلى المجوسى واعانه على ذلك
اعداء الله الروم حملهم على ذلك بغضا لليهود ولما استولى عمر رضى الله تعالى عنه على ولاية كسرى
وغنم اموالهم عمر بها بيت المقدس وسال عن حدوده فلم يعرفه احد غير يهودية فشارطت عمر
ان يكون واحدا من ذريتها فيه بعد العمارة ابدا فاجابها عمر رضى الله تعالى عنه الى ذلك فبينت
وعمروه ووفوا لها بالشرط ثم ذكر المساجد جمعا وان اريد بها الواحد لوجهين احدهما ان كل موضع
منه مسجد اى موضع سجود وهو كقوله تعالى تفسحوا فى المجالس والثانى انه تشريف له وتعظيم كقوله تعالى
يا ايها الرسل فى حق محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى فنادته الملائكة فى حق جبريل صلوات الله عليه
وقوله تعالى ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وذلك ان الواحد منهم لا تسلم له الرياسة ولا يجعل
من الرهبان ما لم يزر بيت المقدس ولا يمكنه ذلك ظاهرا لان اليهود يقتلونه فيتنكر ويدخل خائفا
على نفسه ان يعرف فيتلف وقوله تعالى **لهم فى الدنيا خزى** قيل هو القتل ان كان حربيا واخذ الجزية
عن صغار ان كان ذميا قاله الزجاج وقتادة وقيل هو قطع ايدى النصارى عن بيت المقدس
بعد ان كانوا متمكنين منه ويقال ما من يوم الا ويوسر فيه من الروم او يقتل لوعيد الله تعالى بهم وقال
السدى خزيهم عند خروج المهدى وقتله اياهم وفتح القسطنطينية وقال قتادة هو فتح مدائنهم
الثلاث قسطنطينية وعمورية ورومية وقوله تعالى **ولهم فى الاخرة عذاب عظيم**
النار الكبرى والعذاب بها اشد من كل عذاب لانه لا ينقطع وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم مشركوا
العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول مكة عام الحديبية والمراد بالسعى فى خرابه
هو المنع عن الصلاة فيه دون تخريبه حقيقة فان عمارة المسجد تكون بالعبادة لا بالبناء قال تعالى
والبيت المعمور اى بالعبادة لا بالبناء ولان منعهم عن العبادة فيه وتغريقهم بمنعهم عن تعهده تخريب
البنية ومعنى قوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى بعد فتح مكة قال الله تعالى فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وخزيهم فى الدنيا فتح مكة والعذاب العظيم فى الاخرة لمن مات على الشرك
وكانوا يمنعون فى الابتداء عن الصلاة فيه قال تعالى ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو ابو جهل
لعنه الله تعالى منع محمدا صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى المسجد الحرام وقصته معروفة والامر بالمخافتة
فى بعض الصلاة كان لذلك وكانوا يعيدون سرا حتى اعلنه عمر رضى الله تعالى عنه والمساجد ذكرت جمعا
فى هذا المامر فى بيت المقدس وقال الامام ابو منصور رحمه الله هم جميع الكفار يقاتلون المسلمين لاجل
الدين ويمنعهم عن الصلوات وسائر العبادات والمساجد اريد بها جميع الارض قال النبى صلى الله عليه
وسلم جعلت لى الارض مسجدا وطهورا والسعى فى خرابها هو تخريب بلاد المسلمين نعوذ بالله تعالى

كذلك قال اى اقترح الذين من قبلهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقالوا لعيسى هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما فيحكم كتحكم اوليك ويحتمل ظاهر هذه الاية وجهين
احدهما ان اوليك سالوا غير ما سال هولاء ويحتمل ان سوال اوليك كان سوال التعنت لا سوال الاسترشاد
كسوال هولاء ويكون التسوية بين الفريقين فى صفة المسئول لا غير وقوله تعالى تشابهت
قلوبهم اى تماثلت قلوب الفريقين فى التكذيب والكفر وارادة سوال التعنت وهو كما قال
تعالى اتواصوا به وقوله تعالى قد بينا الايات لقوم يوقنون اى التورية والانجيل
لاهل الكتاب والقران للكل فلم تسالون اتيان الاية وقد اتيتم الايات وقوله لقوم يوقنون
فاصل البيان الذى يقع به الالزام يعم الكل لكن يختص المؤمنين فى حق النفع كما قلنا فى قوله هدى
للمتقين وهدى للناس وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اى مبشرا
لمن ايقن بالايات فامن ونذيرا لمن تغافل عنها فلم يومن وقوله بالحق اى بالاسلام قال تعالى
ودين الحق وقيل بالحق اى لبيان الحق والباء قد تكون بمعنى اللام قال تعالى ذلك بان الله هو الحق
اى لان الله وقيل على الحق كما قال تعالى خلق الله السموات والارض بالحق اى على الحق يعنى انها حق
لا باطل والباء قد تكون بمعنى على قال تعالى فظنوا انه واقع بهم اى عليهم وقيل معناه ارسلناك مع الحق
وهو القران والباء قد تكون بمعنى مع يقال دخل فلان بسيفه اى مع سيفه وقوله تعالى ولا تسال
عن اصحاب الجحيم اى عن الكفار الذين هم اصحاب النار والجحيم النار الشديدة الالتهاب
والجحيم المكان الشديد الحر والقراءة الفاشية فيه ضم التاء واللام ورفعه من وجهين الاستيناف
والحال اى ارسلناك بشيرا ونذيرا غير مسئول عن اهل النار انما عليك البلاغ وعلينا الحساب
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولذلك قال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين وهو كقوله تعالى
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقرا نافع ولا تسال بفتح
التاء وجزم اللام قال الزجاج لها وجهان احدهما النهى عن المسئلة قال ابن عباس ومحمد بن كعب
القرظى رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ليت شعرى ما فعل ابواى فانزل الله تعالى
ولا تسال عن اصحاب الجحيم فلم يذكرهما حتى توفاه الله عز وعلا والثانى التفخيم لما اعد لهم من العذاب
كما يقال لا تسال عن حال فلان اى قد صار الى اعظم مما يظن به وقرى بضم التاء وجزم اللام وهو
نهى للناس عن ان يسالوه عن اصحاب الجحيم ولما امر بتبشير المومنين وانذار الكافرين كان يذكر
عقوبات الكفار فقام رجل فقال يا رسول الله اين والدى فقال فى النار فحزن الرجل فقال عليه السلام
ان والدى ووالدك ووالد ابراهيم فى النار ونزل قوله تعالى ولا تسال عن اصحاب الجحيم فلم يسالوه شيئا
من بعد ذلك وهو كقوله لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وعلى القراءة الفاشية ذكر فى نزول هذه
الاية عن الضحاك قال لما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم عن قتال اهل مكة يوم بدر ورمى بقتلاهم
فى القليب نادى باعلا صوته الم اذكركم الم انذركم الم احذركم فقد نزل بكم ما نزل وهو يتوجع
لهم ويقول فى مقالته اى رب قد اعذرت اليهم فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل قال النبى صلى الله
عليه وسلم لولا انزل الله تعالى بهولاء الذين قالوا لولا يكلمنا الله او تاتينا اية عقوبة بما قالوا فنزلت
ولا تسال عن اصحاب الجحيم وان الله قد احصاها عليهم وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم ولما امر بالتبشير والانذار للمسلمين والكفار كان يلاطف كل فريق
فى الكلام رجاء ان يسلموا فنزلت هذه الاية اى لا يرضى عنك الفريقان بهذا وانما يرضون عنك باتباعك
ملتهم اى دينهم والملة الطريق الواضح وقيل الطريق المسلوك وقيل هى النحلة وقيل هى الطريقة التى
يحيى بها صاحبها اذا تعرضوا لها من قولهم خبز ملة وهو الذى خبز فى الجمر تحت الرماد وقيل معناه حتى
تتبع قبلتهم اى تصلى اليها ولا يمكنك ذلك لان النصرانية غير اليهودية وكذا قبلة النصارى الى المشرق
وقبلة اليهود الى المغرب ولو توجهت الى احدهما استدبرت الاخرى فاترك طلب رضاهم واتبع رضاى
وقبلتك التى انت عليها وقال الزجاج كانوا يسالونه الهدنة والمسالمة ويرونه انه ان امهلهم اسلموا
فاعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وقيل كان يجتهد فى طلب ما يرضيهم ليميلوا الى الاسلام فقال الله تعالى
دع طلب ما يرضيهم الى ما امرتك به من مجاهدتهم وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى
اى طريق الله وهو الاسلام هو الطريق الحق وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان دين الله الذى اختاره
اهل الاسلام بالامر واتباع الايات هو الدين لا ما اختاره هولاء باهوائهم وقال الزجاج قل ان الصراط
الذى دعا اليه وهدى اليه هو طريق الحق وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى فى الدين والقبلة
وانما جمع الاهواء ولم يقل هواهم لان فرق الخلاف لم يكونوا على هوى واحد بل لكل فرقة هوى فاخبر انه

لا يرضى

لا يرضى الكل الا باتباع اهواء الكل ثم قيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد امته وهو
معهود ان يخاطب راس القوم بما يلزم القوم وقيل هذا الخطاب ليس للنبى صلى الله عليه وسلم بل معناه
ايها المتبع رضاهم ان اتبعت اهواءهم والصحيح انه خطاب النبى صلى الله عليه وسلم لان ما قبله وما بعده
خطاب له فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه انه لا يتبع هذا سوال الامام ابى منصور رحمه الله
فاجاب عنه فقال ان العصمة لا تزيل المحنة ولا تدفعها بل المحنة انما تقع فى العصمة لوجهين احدهما
ان عصمته لما مضى لا توجب عصمته فى الحادث والثانى ان احق من ينهى عن الاشياء من اكرم بالعصمة
اذ على زوال النهى عنه ترتفع عنه جهة العصمة لانه يصير برفع النهى عنه مباحا وفى ازالة الامر
والنهى ازالة فائدة العصمة لان العصمة هى ان يعتصم فى الامر حتى يوديه وفى النهى حتى ينتهى عنه
وقوله تعالى بعد الذى جاءك من العلم اى بيان حقيقة الاسلام وبطلان الكفر وان القبلة
هى الكعبة وقوله تعالى ما لك من الله من ولى ولا نصير كان وعد الناس بنصره وبالمومنين
فاخبر بهذه الاية انه لو اتبع اهواءهم لم يكن له من الله ولى اى حبيب يتولى عنه الدفاع ولا نصير
يمنع عنه العذاب وقيل ينصرك اى يعينك فيغلب بسلطان الله فيما يريد تعذيبك وقوله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته مدح بهذه الاية الذين اسلموا من اهل الكتاب
بعد ما ذم فى الايات المتقدمة الذين عاندوا فلم يسلموا وهم عبد الله بن سلام واسد واسيد و
ابن يامين وثعلبة الحبشى وجماعة وقيل هم الاربعون الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن ابى طالب
اثنان وثلاثون منهم من اليمن وثمانية من علماء الشام وقيل هم تسعة وثلاثون رجلا من بقايا
قوم عيسى امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بقول عيسى وثبتوا عليه حتى خرج قال الله عز وعلا واذا يتلى
عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وقوله تعالى اتيناهم الكتاب اى التوراة
وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم الذين عملوا به فكانهم خصوا به وقوله يتلونه حق تلاوته قال
مجاهد اى يتبعونه حق اتباعه قال الله تعالى والقمر اذا تلاها اى تبعها واتباعه حق اتباعه هو العمل
بمحكمه والايمان بمتشابهه وقال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم هو ان يحل حلاله ويحرم
حرامه ويعمل باوامره وينتهى بنواهيه وقيل معناه يقرؤونه حق قراءته قال تعالى واتل عليهم وقراءته
التدبر والتفكر والترتيل وترك التحريف والتبديل وقيل اى يصفونه حق صفته اى يقولون
هو كلام الله عز وعلا غير مخلوق ولا محدث ولا حادث ويصدقون بما فيه من نعت محمد عليه الصلوة والسلام
وقوله تعالى اولئك يؤمنون به وهذا خبر اخر للمبتدا فان قوله تعالى يتلونه حق تلاوته هذا خبر وقوله
اولئك هذا خبر اخر للمبتدا وهو قوله يتلونه حق تلاوته وهو كقولك هذا حلو حامض وقيل الواو
مضمرة فى قوله يتلونه اى ويتلونه ويتم المبتدا عند قوله حق تلاوته ويكون اولئك خبر لذلك
المبتدا وبيانا لمن اوتى التوراة واتبعها وعمل بها فهو الذى يومن دون غيره وقيل الاية فى
شان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والكتاب القران وهذا مدح لهولاء بعد ذم اولئك وقوله
تعالى ومن يكفر به اى بالكتاب وقوله تعالى فاولئك هم الخاسرون اى الهالكون المغبونون واولئك جمع
والمذكور قبله موحد لكنه فى معنى الجمع وهو قوله ومن يكفر به لانه للجنس وهم عماد والخاسرون خبر
المبتدا واثبت الخسران لمن كفر به لا لمن يتبعه حق اتباعه وهذا لطف من الله عز وجل بعباده وقوله
تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وقد مر
تفسير الايتين وبدا قصة بنى اسرائيل بهما وفى الاية الاولى تذكير النعمة وفى الاخرى تخويف العقوبة
وبهما ختم القصة والتكرير للتقرير ووصل بها قصة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وكان بنو اسرائيل
يدعون انهم على ملة ابراهيم فقال لهم جل جلاله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وشرح حاله ههنا فقال عز وعلا واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اى واذكروا اذ ابتلى ابراهيم قدم المفعول
ثم ذكر الفاعل فقال ربه وانما فعل ذلك ايجازا لانه لو قدم الفاعل فقال رب ابراهيم تكرر ذكر ابراهيم
فى موضع المفعول والايجاز ابلغ والابتلاء فى الاصل هو الاختبار وامر الله تعالى ونواهيه ابتلاء قال
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه والاختبار منا
لظهور ما لم يعلم فى الشاهد والغائب جميعا فجازت تسمية ذلك من الله تعالى ابتلاء لهذه العاقبة لا لمعنى هذا
المعنى كابتلاء العباد وقوله تعالى بكلمات قال ابن عباس رضى الله عنهما اى باوامر مناسك الحج وعنه
ايضا ان الكلمات عشر خصال خمس فى الراس وخمس فى البدن اما التى فى الراس فرق الراس والمضمضة
والاستنشاق والسواك وقص الشارب واما التى فى البدن فقلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة

والاستنجا بالماء والختان وقوله تعالى فاتمهن اى عمل بهن قال تعالى وابراهيم الذى وفى وهو لهذا وروى
انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وهى قرية بالشام وعلى القول الاول فاتمهن اى اداهن مناسك
الحج على التمام وهذه الخصال العشر كانت عليه فرايض وهى لنا سنن وقال الحسن بن على انه لم يكمل الخصال
التى بنى الاسلام عليها وهى اثنتان وثلاثون سهما عشر منها فى سورة الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الاية وست فى سورة قد افلح الى قوله هم الوارثون وست فى اول سورة البقرة هدى للمتقين الى قوله
هم المفلحون وقيل الكلمات هى الدعوات المحكية عنه فى القران رب اغفر لى ولوالدى ولا تخزنى يوم
يبعثون ونحو ذلك وقيل هى الاوامر والنواهى لانها بالكلام وقوله تعالى فاتمهن اى اتم ابراهيم اداهن
وقيل اى فاتمهن الله تعالى لابراهيم ولم يتمها لاحد قبله وقيل ابتلاه بكلمات اى امتحنه بالشدائد
والمكاره كالقائه فى النار واسكان ولده بواد غير ذى زرع ولا ماء والامر بذبح ولده والهجرة من بلاد
قومه ومحاجة الكفرة عبدة الشمس والقمر والكواكب ومحاجة نمرود سماها كلمات لانها اعاجيب
وقيل لعيسى كلمة الله تعالى لذلك فاتمهن اى استسلم لله تعالى فيهن وصبر عليهن قال الحسن ابتلاه الله
بهذه الاشياء فاتمهن فشكرها الله تعالى له قال انى جاعلك للناس اماما اى رسولا يقتدى بك
جميع من بعدك والامام فعال من الام اى القصد والمقتدى يقصد قصد المقتدى ويتبعه وقد
انجز الله هذا الوعد فقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال
ملة ابيكم ابراهيم وهو نصب على الاغراء وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وقال
لقد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم وقوله تعالى قال ومن ذريتى اى قال ابراهيم واجعل من ذريتى
ايضا ائمة والذرية الاولاد من الذر او فعولة من الذرء اى الخلق ترك همزها فى اللفظ كما فى البرية
والخابية ومن للتجنيس ههنا لا للتبعيض اى اجعلهم كلهم ائمة يقتدى بهم وهذا شفقة منه على اولاده
على الخصوص لكرمه كرامة فاحب ان تشاركه فيها اولاده وشفقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت فى
درجة الكمال الاكرم ليلة المعراج بالسلام والرحمة والبركة فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فاشترك فيها كل اهل السماء والارض من اهل التوحيد وقوله تعالى قال لا ينال عهدى الظالمين
اى لا يصيب الامامة اهل الظلم من ولدك وهم اهل الكفر اخبر ان امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر
وان من اولاده اولاد المسلمين والكافرين قال تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم
لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر وتعلقت المعتزلة بظاهر الاية فى نفى صلاحية الامامة
للفاسق لكن نقول الظالم يريد به الكافر ههنا وقيل انه سال ان يكون ولده اماما نبيا كما كان هو فاخبر
ان الظالم لا يكون نبيا اماما وقال الحسن ليس لهم عند الله عز وعلا عهد يعطيهم عليه خيرا فى الاخرة
فاما فى الدنيا فقد تعاهدون فيوفى لهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله فان قيل كيف كان قوله
لا ينال عهدى الظالمين جوابا لقوله ومن ذريتى وكانت الرسالة فى ذريته قال تعالى وجعلها كلمة باقية
فى عقبه قيل يحتمل قوله ومن ذريتى انه احب ان تكون الرسالة تدوم فى ذريته ابدا حتى لا يكون بين الرسل
فترات فاخبر ان فى ذريته من هو ظالم ولا ينال الظالم عهده وقوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
اى اذكروا اذ جعلنا الكعبة والبيت معرفا بالالف واللام اسمها وقد ذكر هذا فى القران على وجوه ان لا تشرك
بى شيئا وطهر بيتى فليعبدوا رب هذا البيت البيت الحرام ولله على الناس حج البيت وقوله تعالى مثابة
اى مرجعا من ثاب يثوب ثوبا اى رجع قال الحسن يثوبون اليه كل عام اى ليس هو فى الزمان مرة فقط
وقال ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم لا ينصرف عنه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطرا ثم يعود وث
اليه وقوله تعالى للناس وامنا اى مامنا وهو موضع الامن وهو ضد الخوف وقال تعالى حرما امنا وقال النبى
صلى الله عليه وسلم الا ان مكة حرام من حرام الله عز وعلا لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد من بعدى وانما احلت
لى ساعة من نهار ثم عادت بعد حراما الى يوم القيمة وقيل امنا من الجنون والجذام والبرص وقيل امنا من
يد الجبابرة فانه ما قصد قوم تخريبه الا هلكوا كاصحاب الفيل ولذلك سمى عتيقا لانها عتق من يد الجبابرة
وقيل اى امنا للصيود حتى ان الاسد يتبع الظبى فيدخل الظبى الحرم فيرجع الاسد وقيل امنا لسكان الحرم
فانهم يسمون اهل الله ولا يتعرض لهم وقيل امنا للملتجا اليه فانه لا يتعرض له الى ان يخرج وقوله تعالى واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى قراء نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على الفعل الماضى اى جعلناه مثابة للناس
فاتخذوا ذلك مصلى وقراءة الباقين على الامر وهو عطف على قوله اذكروا نعمتى واتخذوا ذلك وقيل فيه اضمار
القول اى وقلنا لهم اتخذوا وقيل لهم ذلك وقيل قوله واذ جعلنا البيت مثابة يقتضى قوله ثوبوا اليه
فيكون واتخذوا عطفا عليه وقوله من مقام ابراهيم المقام موضع القيام والمقام بالضم موضع الاقامة
ويقال لا قامة ايضا وقال ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مقام ابراهيم فمن كان فيه استقبل الحرم فهو

المصلى

المصلى وقال عطا هو المناسك اى مواضع افعال الحج كعرفات والمزدلفة ومنى ومكة وقيل هو مكة
وقيل هو المسجد وقيل هو البيت وقيل هو موضع يقابل باب الكعبة يتوجه منه اليها وقال السدى رحمه الله
هو الحجر الذى كانت زوجة اسمعيل وضعته تحت قدمى ابراهيم حين غسلت راسه وهو راكب فوضع
عليه قدما فغسلت شقا ثم حولت الى الشق الاخر ففعل كذلك فجعله الله تعالى من شعائره وقيل هو الحجر
الذى وضع عليه قدمه حين نادى بالحج فقد روى انه لما فرغ من بناء الكعبة قيل له اذن فى الناس بالحج
فقال كيف انادى وانا بين الجبال ولا يحضرنى احد فقال الله عز وعلا عليك النداء وعلى البلاغ
فصعد ابا قبيس وصعد الحجر فارتفع هذا الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع الله تعالى له الارض كالبيضة
فنادى يا معشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه تحجوه فاجابه الناس من اصلاب الاباء
وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج عشرا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
كان ابراهيم عليه السلام يبنى الكعبة واسمعيل عليه السلام يناوله الحجارة فلما ارتفع البناء وضعف عن
رفع الحجارة اليه قام على حجر فهو مقام ابراهيم وقوله مصلى اى موضع دعاء فان الصلوة هى الدعاء لغة
وصل عليهم واسم الموضع من الافعال من الافعال المشبهة يكون على صيغة المفعول منها وقيل هو موضع
الصلوة المعهودة وروى انه عليه السلام انتهى الى مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر رضى الله تعالى عنه الا نتخذه
مصلى فنزلت الاية فكان عمر رضى الله عنه يقول وافقنى ربى جل جلاله فى ثلاثة اى وقع مرادى على
وفاق حكم الله تعالى فى ثلاثة الخمر والحجاب ومقام ابراهيم وقوله تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل
اى امرناهما قال تعالى الم اعهد اليكم وقال تعالى ولقد عهدنا الى ادم وقوله تعالى ان طهرا بيتى قال
اما والله ما امرهم ان يحرزوه بالحجور ولا ان يصفروه بالخلوف ولكن امرهم ان يطهروه من الاوثان
والمعاصى ومما لا يحبه الله تعالى وقال قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير رحمهم الله اى طهرا بيتى من الشرك
وعبادة الاوثان وكان عليها المشركون قبل ان تصير فى ايديهما وقيل كانوا يتقربون الى الله تعالى
بالقرابين وكانوا يلطخون الجدر بالدماء فامرهما الله تعالى بالتطهير وقيل هو تطهيره عن المكاسب فيه
وقيل معناه دوما على تطهيره كما قال تعالى يا ايها النبى اتق الله اى دم على التقوى فهذا كذلك وهو امر
يبقائه على الطهارة لا ان يكون فيه نجاسة وهو كقوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة اى متعادة على
الطهارة وقوله تعالى للطائفين اى بالكعبة والعاكفين اى المجاورين فى المسجد الحرام والعكوف والاعتكاف
الاقامة والاعتكاف والعكف الحبس والوقف قال تعالى والهدى معكوفا والركع جمع الراكع والسجود
جمع الساجد واراد بالركع السجود المصلين والصلاة تشتمل على افعال اولها الى الخشوع هذان
فالطواف فى الحج والعمرة والعكوف ملازمة المسجد والركوع والسجود فى الصلوة وهى العبادات المتعلقة
بالبيت فامرهما بتطهيره لهؤلاء وقيل الطواف للغرباء والعكوف لاهل مكة والصلوة لكل من قرب منها
ومن بعد عنها فتوجههم فى الصلوة اليها وقوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا
اى واذكر ايضا اذ قال ابراهيم فقال يا رب حذف حرف النداء وهو جائز قال الله تعالى يوسف اعرض عن
هذا اى يا يوسف وقوله هذا اى هذا الوادى فقد قال انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع سال الله
تعالى قبل ان يصير الوادى بلدا ان يجعله بلدا امنا وفى سورة ابراهيم قال رب اجعل هذا البلد امنا
وكان هذا الدعاء بعد ما صار بلدا ساله ان يجعله امنا وقيل معناهما واحد وتمام الكلام اجعل هذا البلد
امنا الاول اشارة الى المعرفة والثانى مفعول اى مفعول ثان ويذكر على طريق النكرة ففى اية حذف المعرفة
وبقى النكرة وفى اية اخرى حذف النكرة وبقى المعرفة وقوله امنا اى ذا امن كقوله تعالى فى عيشة
راضية اى ذات رضى والامن للاهل بما ذكرنا فى قوله مثابة للناس وامنا فان قالوا ان مكة كانت حراما
قبل هذا قال صلى الله عليه وسلم الا ان مكة كانت حراما منذ خلق الله السموات والارض فما معنى سؤال
الامن قلنا كان الاول امنا عن الاصطلام وثباتا فى النفوس تعظيمها واحترامها وكان هذا سؤال وقوع
الامن واجاب الله تعالى دعوته تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله
تعالى وارزق اهله من الثمرات هى جمع ثمرة وهى جميع ما يخرج من الاراضى والاشجار نحو سؤال
الطعام والفواكه وقد ذكرنا ذلك فى قوله تعالى فاخرج به من الثمرات وقيل هى الفواكه وانما خص هذا
بالسؤال لان الطعام المعهود مما يكون فى كل موضع واما الفواكه فقد تعز فسال لاهلها الامن والسعة
وهما يطيب العيش وتقوم المصالح فاستجاب له فى ذلك ايضا بنقل قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار
اليها فان جبريل عليه السلام قطعها وجاء بها وطاف بها حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلاثة مراحل
من مكة وهى الطايف وكذلك سميت به قاله الزهرى وقال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شىء وقوله تعالى
من امن منهم بالله واليوم الاخر من بدل من قوله اهله اى ارزق من امن خص المؤمنين بسؤال التوسعة

الرزق لهم لمعانى اربعة احدها ان الله تعالى لما امرهما بتطهير البيت للطائفين والعاكفين والمصلين
دون غيرهم وافق الله تعالى فسال سعة الرزق للمومنين دون غيرهم والثانى انه اراد ان يجعل ذلك انه
يرغب الكفار فى الاسلام والثالث انه لما عم سوال الامامة فقال ومن ذريتى اجيب بقوله لا ينال عهدى
الظالمين فتادب ولم يعم فى سواله سعة الرزق بل خص كما خص الله تعالى له فى اجابة سوال الامامة والرابع
ما قال الامام ابو منصور رحمه الله فلعله خشى ان يخرج ذلك مخرج العولة لهم على العصيان وفى ذلك دليل
على انه لا باس ببيع الطعام من الكفرة وقوله تعالى **قال ومن كفر** اى قال الله تعالى والذى كفر لا امنعه عن هذا
وقوله تعالى **فامتعه قليلا** اى ارزقه الثمرات ايضا كما ارزق المؤمن اخبر ان امر الرزق ليس كامر الامامة
فاعلمه ان الدنيا ومتاعها باسرها لا خطر لها وقوله قليلا اى متاعا قليلا هو نعت مصدر محذوف دل عليه
الفعل المذكور واصل المتاع فسرناه فى قوله تعالى ومتاعا الى حين وقيل امتعه زمانا قليلا والدنيا كلها
قليلة ومدتها كذلك وقوله فامتعه قراءة ابن عامر بالتخفيف من امتع يمتع اى اجعله ذا امتاع وقراءة
الباقين بالتشديد ومعناه امهله واعطيه المتاع والمراد بهذا القليل عند بعضهم هو ايام عمرهم وقال الحسن
اى امهله الى وقت خروج محمد فمن آمن به نعمه ومن كفر به عاقبته بالقتل والاجلاء والسيف يوم بدر
وقوله تعالى **ثم اضطره الى عذاب النار** اى الجيه الى عذاب النار يوم القيمة وقوله تعالى **وبئس المصير**
اى المرجع وفى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما فامتعه بقطع الالف وجزم العين على الدعا وكذا قوله ثم
اضطره الى عذاب النار اى بادراج الالف وفتح الطاء والراء على الدعاء اى سال ابراهيم الله تعالى ان يمتع
الكافر قليلا ثم يجعل مصيره الى النار وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر الاضطرار كقوله تعالى خذوه
فغلوه فاعتلوه وقوله تعالى ونسوق المجرمين وقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا فاخبر انهم يتقلون اليها
اجبارا لا انهم ياتونها طوعا واختيارا وقوله تعالى **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت** اى واذكر
ايضا اذ يرفع ابراهيم اى اذ كان يرفع اى يبنى وقيل اى يظهر وكان مختفيا فرفعه واظهره وقيل رفعه
بناؤه على وجه الارض والقواعد الجدران عند الكسائى وعند غيره الاسس واحدتها قاعدة والقواعد من
النساء جمع قاعد بغير هاء وهى التى قعدت عن التزوج وعن الحيض والولادة وهى من صفات النساء على الخصوص
فلم يحتج فيها الى الهاء كما فى الحامل والحائض والطالق والطامث والقاعدة هى الاساس سميت بها لثبوت
قعود الانسان وهو الجلوس ثبوت على الارض وقوله تعالى **واسمعيل** عطف على قوله ابراهيم اى واسمعيل
كان يشاركه فى ذلك وقيل كان يعينه فيه ويناوله الحجر وكان بناء البيت من خمسة اجبل طور سينا
وطور زيتا وطور لبنان والجودى وحرى وكان اول بنائه من ادم ثم اندرس ذلك فرفع ابراهيم قواعده
وخلق الله تعالى موضع البيت قبل بناء الارض بالفى عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت
الارض من تحتها فلما اهبط الله تعالى ادم الى الارض كان راسه يمس السماء حتى صلع واورث اولاده الصلع
فنفرت من طوله دواب الارض فصارت وحشيا من يومئذ وكان يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم
فيانس اليهم فهابته الملائكة فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا فلما فقد ادم اصوات الملائكة استوحش
وشكى الى الله ذلك فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة لها بابان من زمرد اخضر باب شرقى
وباب غربى وفيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت الان ثم قال يا ادم انى اهبطت لك
بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى فانزل عليه الحجر ليمسح به دموعه
وكان ابيض فلما لمسته الحيض فى الجاهلية اسود وتوجه ادم من ارض الهند الى مكة ماشيا وسلط
الله تعالى له ملكا يدله على البيت وقيل لمجاهد لم لم يركب فقال واى شى كان يحمله ان خطوته مسيرة
ثلاثة ايام فكل موضع وضع فيه قدمه عمرانا وما بعده مفاوز فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك
فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحج ادم اربعين
حجة من الهند الى مكة على رجليه وكانت الكعبة على ذلك الى ايام الطوفان فرفعها الله الى السماء الرابعة
فهى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وهو حيال الكعبة
فلو ارسل من السماء لنزل على ظهر الكعبة وبعث الله تعالى جبريل حتى خبا الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس
صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا عن البناء الى زمن ابراهيم صلوات الله عليه وروى ان الله
تعالى امر جبلا من جبال فلسطين حتى جاء وستر موضع البيت فلم يصبه الطوفان فامر الله تعالى ابراهيم
بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت له يذكر ويعبد فيه فلم يدر ابراهيم اين يبنى فسال الله تعالى
ان يبين له موضعه فبعث الله تعالى اليه السكينة لتدل على موضعه ولها راسان تشبه الحية فتبعها
ابراهيم صلوات الله عليه حتى اتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الحجفة فامر ابراهيم
ان يبنى حيث تستقر السكينة وفى رواية بعث الله سبحانه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم

يمشي

يمشى فى ظلها حتى اتت مكة ووقفت على موضع البيت ونودى منها ابراهيم ابن على ظلها فجعل يبنى واسمعيل
يناوله الحجارة وتمت القصة وقوله تعالى **ربنا تقبل منا** اى يقولان ربنا اضمر القول فيه ومثله فى القران
كثير قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم سالا الله تعالى
قبول ذلك العمل منهما وقوله تعالى **انك انت السميع العليم** اى السميع لدعواتنا العليم بنياتنا وقوله
تعالى **ربنا واجعلنا مسلمين لك** اى ثابتين على الاسلام كما فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اى ثبتنا
وهذا تعليم منهما الناس الدعا للتثبيت على الايمان فانهما لما سالا ذلك مع امنهما عن زواله فكيف غيرهما
مع خوفه وسالا ايضا الثبات على الانقياد ناجيا الى ذلك حتى سلم الى ذلك للالقا فى النار واسمعيل
للامر بالذبح وقوله تعالى **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اى واجعل من اولادنا جماعة مخلصة
لك العبادة والطاعة وانما خص البعض للامر بالدعا لان الله تعالى قال ومن ذريتهما محسن وظالم
لنفسه مبين فاجيبا الى ذلك قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فكانت فى ولد اسحق وهم بنو اسرائيل
الى ان حرفوا ثم فى ولد اسمعيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامته الى قيام الساعة وانما دعوا لاولادهما
بذلك شفقة على الاولاد ليكثر ثوابهما بهم قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من رجل من المسلمين يخلف
من بعده ذرية يعبدون الله تعالى الا جعل الله لهم مثل اجورهم ما عبد الله تعالى منهم عابد حتى تقوم الساعة
وقوله تعالى **وارنا مناسكنا** قيل هو سوال ارادة العين وعلى هذا تكون المناسك مواضع افعال الحج
من عرفات والمزدلفة والصفا والمروة وما بينهما ومواضع رمى الجمرات وقيل معناه علمنا وهى رؤية
القلب وتستعمل فى العمل قال الله تعالى لم تروا وتقال فى مسائل الفقه ورايت والمناسك على غير هذا
افعال العبادة والحج والنسك فى الاصل العبادة والناسك العابد والتنسك التعبد ويخص القربان
ولا فعال الحج وواحد المناسك منسك ومنسك وهو اسم المصدر والمكان جميعا وقوله وارنا ينصرف
اليهما والى ذريتهما لا اليهما على الخصوص وهو سوال ذلك الى قيام الساعة وفى مصحف عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه وارهم مناسكهم وقوله تعالى **وتب علينا انك انت التواب الرحيم** قيل معناه
تجاوز عنا التقصير الواقع فى مثل هذا العمل وقيل لما كان قوله وتب علينا وانما عليهما وعلى ذريتهما
وفيهم من له ذنوب كان سوال التوبة لهم لان الانبياء قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم
ثم فيه الدليل على ان العبد يسئل عن زلة لم يتعمدها لانهم سالوا التوبة مجملا ولو كان سبق منهم شى علموه
وعرفوه لذكروه فدل سوالهما التوبة مجملا على ان العبد مسئول عن زلات لم يتعمدها وقوله تعالى **ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم** قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل قوله منهم وجوها ثلاثة يحتمل
الانصراف الى الامة المسلمة فقد ذكرت قبله لانه اخبر ان عهده لا يناله الظالم فلم ينصرف الى قوله
ومن ذريتنا ويحتمل رسولا منهم اى من جنسهم من البشر لانه اقرب الى المعرفة والصدق ممن كان من غير
جنسهم كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ويحتمل رسولا منهم من قومهم من جنسهم وبلسانهم لا من
غيرهم ولا بغير لسانهم ثم سال ربه لاهل مكة ما يتم به مرافق الدين والدنيا فيها وهى الثمرات والامن وبين
الدين وقوله تعالى **يتلو عليهم اياتك** اى يقرا عليهم كتابك هذا الرسول ويبين ايات وحدانيتك
ويبين ما كان من الايات اى المعجزات لمن مضى من المرسلين فيحتمل الايات هذه الاوجه الثلاثة وقوله
تعالى **ويعلمهم الكتاب والحكمة** قال الحسن الحكمة القران وهو استخراج مودعاته التى يتعلق
بها الاحكام وقيل هو بيان ما فى الكتاب من الاحكام من الحلال والحرام وشرائع الاسلام وبه يقع
الاستحكام وقيل هى فعله من الحكم ومعناها ويعلمهم الاحكام وقال قتادة الحكمة السنة وفى كثير من
الايات جمع بين الكتاب والحكمة والكتاب القران والحكمة الاحاديث وفيهما علوم الشرع وقيل الكتاب
ظاهر القران والحكمة باطنه وقال مقاتل الحكمة مواعظ القران وقال القفال يعلمهم الكتاب المنزل والحكمة
التى بها يدركون صواب القول والعمل فان الحكمة هى ذلك وقوله تعالى **ويزكيهم** قال ابن عباس رضى الله عنهما
اى باخذ زكوة اموالهم ويجوز ان تكون معناه يطهرهم عن الاثام باخذ زكواتهم قال تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقيل يزكيهم يدعوهم الى ما به زكوة انفسهم اى نماؤها وطهرها وقيل
اى يجعلهم ازكياء بالعمل الصالح الذى يدعوهم اليها ويحملهم عليها ثم هذا الخلاف المذكور فى قوله تعالى
بل الله يزكى من يشاء ذلك من الله تعالى فى العبد التخليق والايجاد وهذا من الرسول الدعوة والارشاد وقيل
يزكيهم اى يعدلهم يوم القيمة عند الشهادة للانبياء قال ابن جريج يطهرهم من الشرك قال تعالى فقل
هل لك الى ان تزكى تتطهر بالاسلام وقال محمد بن على الترمذى اى ينميهم فانماهم حتى صاروا ائمة
الهدى فبليت اجسادهم وبقيت اخبارهم وقوله تعالى **انك انت العزيز الحكيم** العزيز القوى الذى
لا يعجزه شى وقيل هو القادر الذى لا يمتنع عليه ما اراده والحكيم هو الذى يحكم الصنعة بحسن التدبير

وذكر الاسمين ههنا على معنى انه متصل بالدعاء فكانهما قالا فزعنا اليك في دعائنا لانك انت
القادر على اجابتنا العالم بما في ضمائرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه علمنا فاجابهما الله تعالى الى ذلك
فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فيهم على هذه الصفات فقال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
الاية وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم
وبشارة اخي عيسى يعني قوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ورؤيا رأتها امي انه
خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى موضع بالشام وقوله تعالى **ومن يرغب عن ملة ابراهيم**
الا من سفه نفسه من استفهام بمعنى التوبيخ على وجه النفي وموضعه رفع بالابتداء ومعناه
ولا يرغب عن دين ابراهيم الا السفيه اي ولا يكرهها يقال رغب في الشيء رغبة اذا احبه واراده
ورغب عنه اي كرهه وضده زهد في الشيء اي كرهه واباه وزهد عنه اراده واحبه والملة الدين
والطريقة وقوله سفه يسفه السفه والسفاهة الجهل وخفة العقل قال يونس سفه لازم
وهو لغة في المتعدي فمعناه سفه نفسه اي جعل سفيهة وعلى هذا قيل معناه اهلك نفسه وهو نصب
على التفسير كقولك طاب نفسا وقر عينا وضاق ذرعا قلت واكثر الاستعمال في النكرات وفي
المعارف جائز لان اصل الفعل لها ثم تنتقل الى غيرها ثم يذكر الفاعل نصبا ليعلم ان الفعل لها
يقال وجع زيد راسه والم عمرو بطنه وقيل معناه سفه في نفسه كما في قوله بطرت معيشتها اي في
معيشتها وحذف حرف الجر جائز قال تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم وقال تعالى
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ وقال الزجاج وهذا عندي مذهب صالح والقول الجيد عندي
ان معناه الا من جهل نفسه اي لم يتفكر فيها قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وانما يؤتى الناس ما يؤتون بجهلهم انفسهم ونزول
الاية في سلمة ومهاجر ابني اخي عبد الله بن سلام وقال لهما انا عبد دين محمد الذي كنا نعرفه في التوراة
انه من ولد قيدار بن اسماعيل العزي راكب الجمل اسمه احمد نجد اثنه عن النار ملعون من ترك
شريعته ومنهاج دينه فاما سلمة فاسلم واما مهاجر فابى فانزل الله فيه هذه الاية وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الا من سفه نفسه السفه غلبة الجهل وركوب الهوى وقال الحسن البصري رحمه الله
الا من جهل قدر نفسه فعبد صنما هو دونه قال الله تعالى الهذا رجل يمشون بها الاية وقوله تعالى
ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالاسلام والنبوة وقيل بالسخاوة والخلة وقيل
بالعهد والامامة وقيل بالكلمات وبناء الكعبة وقوله تعالى **وانه في الاخرة لمن الصالحين**
اي اجبنا دعوته والحقني بالصالحين اي الانبياء الماضين قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان
وايوب الى قوله كل من الصالحين اي مع امامة المرسلين في الجنة وقيل اي من الثابتين على الصلاح
في الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح في اول حاله ذهب صلاحه في مآله وكان في الاخرة
لعذابه ونكاله كبلعام وبرصيصا وقارون وثعلبة وقوله تعالى **اذ قال له ربه اسلم** وقيل
ولقد اصطفيناه اذ قال ثم قوله قال مغايبة بعد قوله اصطفيناه وهو اخبار عن نفسه وهذا
توسع في الكلام وقوله تعالى اسلم اي اثبت على اسلامك وقيل اي استسلم لما يجري عليك وقيل اي اخلص
نفسك لي من قوله ورجلا سالما لرجل وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون وحيا اوحي
اليه ان قل كذا فقال به وكان هذا تسليما للنفس والقلب ويحتمل ان يكون هذا امرا بابتداء الاسلام
اول ما عقل وهو في قوله عز وجل فلما جن عليه الليل راى كوكبا الايات وقوله اني بريء مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض هو جواب قوله اسلم وقالوا على هذا يكون الهاما
لا وحيا ظاهرا وقوله تعالى **قال اسلمت لرب العالمين** امتثل ما امر به واستقام على ما قال بتسليم
القلب والنفس والولد والمال ولما قال له جبريل هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فقال له
الا تسأل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فان قالوا لم قيل لابراهيم اسلم قال اسلمت ولما قيل
لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله لم يقل علمت قلنا قد قال ذلك فقد روي انه قال
انا اعلمكم بالله واخشاكم لله وكان هذا الامر له في القرآن ثم لم ينزل بعده كتاب ليذكر فيه لغيره انا قلنا
له ذلك فقال كذا وجواب اخر انه قال في اية اخرى امن الرسول وهو العلم بانه لا اله الا هو فقد اخبر عنه
انه علم كما امرناه واخبر ان ابراهيم لما قال اسلمت اقترن به البلوى ونبينا صلى الله عليه وسلم تحرز عما هو
في صفة الدعوى فحفظ وكفي واخبر ان ابراهيم عليه السلام امر بما يجري مجرى الافعال فان الاستسلام
هو المراد ونبينا عليه السلام امر بالعلم ولا قياس ان الاسلام مخطوء وما الطاعة العلم فقصر وقوله تعالى
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الوصية الدعوة الى الطاعة والوصاة كذلك والوصاية

مصدر

مصدر والوصي والفعل اوصى ايصاء ووصى توصية وتواصى القوم بكذا واستوصيت فلانا اي سألته
ذلك وقوله ذلكم وصاكم به اي امركم به وقوله يوصيكم الله اي يفرض وقوله بها قال الزجاج اي بالملة
وقيل بالكلمة وهي قوله اسلمت لرب العالمين قال والاول اوضح لانها مذكورة والثاني منه مدلول عليها
وقوله بنيه اي اولاده الذكور الاربعة اسماعيل واسحق ومدين ومداين وبنيه حذف نون جمعه للاضافة
وكذا في قراءة يا بني فاجتمع ياء الجمع وياء الاضافة فادغمتا وفتحت الاخرى لانها حركة ضرورية نصبها
لاجتماع الساكنين فاختير الفتح الذي هو اخف الحركات وقوله ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى يعقوب
ايضا بنيه الاثني عشر بذلك وقرئ في الشاذ ويعقوب بالنصب اي وصى ابراهيم بنيه وحافده يعقوب
فقد ادرك جده فادخلهم جميعا في وصيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي يعقوب لانه مع اخيه عيص
كانا توامين فخرج عند الولادة عيص اولا ويعقوب اخذ بعقب عيص وقيل سمي به لكثرة عقبه وهم
كل بني اسرائيل فانهم اولاده وقوله تعالى **يا بني ان الله اصطفى لكم الدين** ان مقدرة ههنا
كانه قال اوصى ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين وجاز الحذف لان الوصية قول وفي القول يصح بغير
ان ومثلها الوعد والرسالة والابلاغ والانذار يجوز فيها الوجهان اثباتها والغاؤها قال تعالى وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ولم يقل ان لهم مغفرة لان الوعد قول وقال تعالى فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله وقال تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك وقال تعالى واخر دعواهم
ان الحمد لله ففي كل هذا يجوز اثباتها لاعتبار الفعل ويجوز حذفها لتقدير القول وفي قوله ان كان ذا مال
وبنين لا يجوز حذفها لانه ليس فيه معنى القول ومع صريح القول واضماره لا يجوز ايرادها تقول قلت
له زيد في الدار ولا يجوز قلت له ان زيدا في الدار قال تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم لا يجوز
فيه ان اخرجوا انفسكم لان القول مضمر وانشد الكسائي اني سابدي لك فيما ابدي لي شجنان شجن
بنجد وشجن لي ببلاد السند لان الابتداء قول وقوله ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم الدين
والالف واللام ليس للاستغراق بل للتعريف المعهود وله ثلاثة اوجه احدها انه اريد به الاسلام وهو الدين
المطلق المرضي المشروع المامور به والثاني انه بدل الاضافة وهو مضاف اليهم اي اختار لكم دينكم الذي
تدينون به وهو دين الاسلام ايضا والثالث انه مضاف الى الله اي اختار لكم دينه وهو دين الاسلام ايضا
وقوله تعالى **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** اي دوموا على الاسلام حتى اذا ادرككم الموت وجدكم مسلمين
وقيل اي لا تموتوا الا منقادين ومفوضين الامر الى الله وقال الفضيل بن عياض اي لا تموتن الا وانتم
محسنون بربكم الظن قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان قوما
اساؤوا بربهم الظن فاهلكهم قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقوله
تعالى **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت** اي اكنتم حضورا وام اذا لم يتقدمه الف الاستفهام
كان بمنزلة تجرد الف الاستفهام وهو استفهام بمعنى الانكار والشهداء جمع شهيد وهو الحاضر وهو خطاب
لاهل الكتاب المدعين ان دينهم دين ابراهيم يقول ما كنتم حضورا تعلمون ما جرى هنالك فلا تعلقوا بما
لم تشهدوه ولا تدعوا اولاده الى اليهودية والنصرانية فانه كان على دين الاسلام وبه اوصى اولاده قال
الزجاج ام في الابتداء بمنزلة بل وهو خطاب لهؤلاء والمراد تسليتهم اي بل شهداء اوكم يعقوب حين اوصى بالاسلام
دون ما تلتم وقوله اذ حضر يعقوب الموت اي حضر الموت يعقوب اي قرب خروجه من الدنيا وقوله تعالى
ما تعبدون من بعدي كررت كلمة اذ والاولى لبيان وقت حضور الموت والثانية لبيان وقت الايصاء
وقوله بنيه قيل هم الاسباط وهم الاولاد الاثنا عشر وقيل اولاده وحفدته وكانوا يومئذ ثمانين نفسا
وقيل ثمانين وخمسين وهم بمصر وقوله ما تعبدون من بعدي اي من تعبدون من بعد موتي وهو كقوله تعالى
والسماء وما بناها اي ومن بناها وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ومحل ما رفع باضمار الهاء العائد عليه
اي ما تعبدونه او نصب بايقاع الفعل عليه بلا اضمار الهاء وقوله تعالى **قالوا نعبد الهك واله**
ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق اي اجابه اولاده فقالوا نعبد الله الذي تعبده انت وتلتجي اليه
وقوله واله ابائك اي وهو الله الذي كان يعبده اباؤك الانبياء وقوله ابراهيم واسماعيل واسحق هو بدل
عن قوله ابائك وابراهيم كان جدا له والجد اب قال الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة واسماعيل عليه السلام كان
عما له والعم عند العرب يسمى ابا وله حرمة الاب قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق العباس هذا بقية
ابائي وقال ايضا ردوا علي ابي فاني اخشى ان يفعل به قريش ما فعلت بعروة بن مسعود الثقفي واسحق
عليه السلام كان والدا له وقدم اسماعيل على اسحق مع ان اسماعيل عم واسحق اب حقيقة لان اسماعيل كان
اكبر سنا منه وقرأ يحيى بن يعمر واله ابيك وله وجهان احدهما انه قصد الابوة على ابراهيم وميز اسماعيل
لانه عم لا اب والثاني انه جمع اب على السلامة يقال اب وابون واخ واخون وفي النصب ابين واخين

قال الشاعر • فانك مجهول الاب مجهن • وقال اخر وكان لنا فزارة عم سوء وكنت كشر بلى الاخناء •
وقوله تعالى **الها واحدا** بدل عن قوله عز وعلا الهك والاول معرفة والثانى نكرة وهو جائز كقوله تعالى
لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة وقيل هو على القطع لانه بعد تمام الكلام والاول معرفة
والثانى نكرة وقيل فيه اضمار نعبد تاتيا فقد قالوا نعبد الهك فصار كانهم قالوا نعبد الها واحدا
وفائدة التكرار مع الصفة ونفى الواحد نفى الوهم عن جاهل يظن انهم لما قالوا الهك واله ابائك
فذكروا الاله مرتين وبينهما واوا انها عبادة الهين فقطع الوهم باعادته مع صفة الواحد وقوله تعالى
ونحن له مسلمون اى منقادون بالطاعة ثابتون على العبادة مخلصون فى القول والعمل والنية
فالواو للحال وتصلح للحال الذى ذكروه بعد موته وتصلح للحال التى تكلموا فيها اى نعبد بعدك
معبودك ونحن الحال على ذلك وانما اجابوه بهذه الكلمات التى تتضمن الثبات على الدين ومدح
ابائه بكونهم على ذلك فانهم متبعون لهم ثابتون على دينهم ليكونوا بارين اباءهم بارين اباه يعقوب
ما وصاهم وقال الكلبى لما دخل يعقوب مصر ورأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران جمعهم
حين حضرته الوفاة وخاف عليهم صنيع اهل مصر فسالهم عن ذلك فلما اجابوه طابت نفسه وقال
عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال انظرنى حتى اسال
ولدى واوصيهم فانظر فجمع الاسباط واولادهم فقال ذلك وقالوا له ذلك ثم قبضه الله تعالى
وهم على هذا الدين وقوله تعالى **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون** اى اولئك المذكورون ابراهيم واولاده اى جماعة قد خلت اى مضت وخلا عنها
اماكنها وقوله لها ما كسبت ما مع الفعل مصدر اى لها كسبها وقوله ولكم ما كسبتم اى لكم كسبكم اى
هم يحاسبون يوم القيمة باعمالهم ويجازون عليها لا تؤاخذون انتم باعمالهم ولا هم يؤاخذون باعمالكم
وقوله تعالى ولا تسئلون عما كانوا يعملون وهو كقوله قل لا تسئلون عما اجرمنا الاية وقوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى والكسب ما يقع بقدرة حادثة والاختراع ما يقع بقدرة قديمة فلا يوصف الله
تعالى بالكسب ولا العبد بالاختراع ووجه اتصال هذه الاية بالاولى انهم كانوا مسلمين وقال فى هذه
انهم قد مضوا ولو كانوا مخطئين للحق دائنين بدينكم لم ينفعكم لانهم يجازون باعمالهم وانتم
تجازون باعمالكم فاتبعوا الحق انتم وصدقوا محمدا فانه يدعو الى الحق واتركوا تقليد المبطلين ۞
ومعنى اخر انهم مضوا على دينهم الذى شرعه الله لهم فلا ابى عليكم اتباع الدين الذى شرعه الله
والدين لله يشرع منه ما يشاء وينقل عما يشاء الى ما يشاء • وقوله تعالى **وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا** اى قالت اليهود للمسلمين تهودوا تصيبوا الهدى وقالت النصارى للمسلمين تنصروا
تصيبوا الهدى ولم يرد اجتماع الفريقين على دعواهم جميعا الى الملتين جميعا وقد ذكرنا وجه
ذلك فى قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقال ابن عباس رضى الله عنهما
ان عبد الله بن صوريا الاعور قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا
يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فنزلت الاية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ايضا ان يهود
المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وسائر اليهود لعنهم الله وفى حديث
مقاتل منهم كعب بن اسد وابو ياسر بن اخطب وعازور وابن شمويل وجبيش ونصارى نجران السيد
والعاقب ومن معهما خاصموا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا كونوا على ديننا وزعمت كل فرقة ان نبيها
افضل الانبياء وكتابها افضل الكتب ودينها افضل الاديان فاكذبهم الله تعالى وانزل هذه الاية
وقوله تعالى **قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** اى قل يا محمد لا يكون كما قلتم
بل نتبع ملة ابراهيم وقوله نتبع مضمر لدلالة ما مضى عليه فان قوله كونوا هودا او نصارى فى معنى
اتبعوا اليهودية والنصرانية وبل رد لذلك واثبات لما يخالفه وقيل معناه بل يكون لان المذكور
قبله كونوا ثم نصب ملة على هذا الطريق من وجهين احدهما بل يكون بمعنى على ملة ابراهيم فهو
منصوب بنزع الخافض ومعناه بل يكون اهل ملة ابراهيم فاضمر فيه الاهل كما فى قوله تعالى واسئل
القرية وقرئ فى الشاذ بل ملة ابراهيم بالرفع اى ملتنا ملة ابراهيم وقوله حنيفا هو نصب ابراهيم
ونصب على القطع لان الاول معرفة وهذا نكرة وهو على الحال اى نتبعه فى حال كونه حنيفا والحنيف
فيه اقاويل كثيرة قال ابن دريد هو العادل من دين والعرب كانت تسمى به العادل عن اليهودية
والنصرانية والحنف الميل والاحنف الذى فى صدر قدميه ميل والحنيف المائل عن الدين الباطل
الى خالص الدين الحق وقيل الحنيف المستقيم والاحنف سمى به تحسينا للاسم كما يقال للاعمى البصير
وللمهلكة مفازة وللديغ سليم او قيل ذلك تفولا وقال الازهرى الحنيف المقبل على الدين الحق

والحنف

والحنف اقبال احدى القدمين على الاخرى وقال ابو عبيدة الحنيف عند العرب من كان على دين ابراهيم
عليه السلام وقال ذو الرمة • اذا بلغ الظل العشى رايته حنيفا • وفى قرآن الضحى يتنصر يصف الحرباء
باستقباله الكعبة عشيا وتوجهه الى المشرق غدوة وقيل الحنيف عند العرب من اختتن وحج البيت
وفى الاسلام صار اسما للمسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى كل موضع ذكر الحنيف مع المسلم
فهو الحاج قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وفى كل موضع ذكر وحده فهو المسلم قال تعالى حنفاء لله وقوله
وما كان من المشركين اى لم يكن كذلك قطع دعوى المخالفين فان كل فريق من اهل الضلال كانوا
يدعون ان دينه دينهم فاكذبهم فى ذلك وقوله تعالى **قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** هو دليل ان الاقرار شرط وقوله امنا بالله
اى صدقنا بالوهية الله تعالى ووحدانيته وبجميع ما جاء من عنده وفيه اشتراط التصديق بالقلب
وهذا تعليم للمؤمنين جواب اهل الكتاب حين قالوا كونوا هودا او نصارى وقوله وما انزل الينا اى
وما انزل على نبينا من القرآن والانزال اليه انزال الى امته لان حكم المنزل يلزم الكل وقوله وما انزل
الى ابراهيم اى من الصحف وقوله واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاده وحوادثه اى بما
انزل الى هؤلاء والاسباط فى قول ابن عباس رضى الله عنهما اولاد يعقوب عليه السلام واحدهم سبط وهو
ليس اسم للولد الواحد ولكن السبط كالطائفة والفرقة فى الاصل والاسباط فى ولد اسحق كالقبائل
فى ولد اسمعيل وهما جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهى شجرة واحدة لها اغصان كثيرة وفى
الحديث الحسين سبط من الاسباط اى امة من الامم فى الخير وفى الحديث الحسن والحسين سبطا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى قطعتان منه واولاد يعقوب سموا اسباطا وهم اثنى عشر لانه ولد لكل ابن
منهم امة من الناس وهم اثنى عشر ابنا يوسف وابن يامين وقيل بنيامين وروبيل ويهودا وشمعون
ولاوى ودان وقهاب ويشجر ونفتالى وجاد واشر وقال ربالون مكان قهاب ونشا خر مكان يشجر
وتقالون مكان نفتالى وحاد مكان جاد والله اعلم بالصحيح من الرواية ثم ظاهر القرآن يدل على انهم
انبياء لذكر الانزال عليهم وقد اختلف فيه وقوله تعالى **وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم** اى امنا بما اعطى موسى من التوراة والمعجزات وقوله
وعيسى اى وبما اعطى عيسى من الانجيل والمعجزات وقوله تعالى وما اوتى النبيون من ربهم اى وبما اعطى
داود من الزبور وسائر الانبياء من الدلالات وقوله لا نفرق بين احد منهم اى فى الايمان فنؤمن ببعض
ونكفر ببعض كاليهود والنصارى وقيل اى لا نقول انهم متفرقون فى اصل الدين نقول اصل دين الكل
توحيد ووفاء اى التوحيد والطاعة وان اختلفت شرائعهم قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية
وقوله تعالى **ونحن له مسلمون** اى مخلصون مطيعون منقادون ثم ذكر فى هذه النبيين وكذلك فى قوله تعالى
ليس البر الى قوله والنبيين وقال فى قوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله فاستدل بذلك بعضهم
انه لا فرق بين الانبياء والرسل وقيل بينهما فرق وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الاية وكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا قال الامام ابو منصور رحمه الله تعالى هذه الاية تنقض على من
يستثنى فى ايمانه لانه امرهم ان يقولوا ذلك قولا باتا لا استثناء فيه وقوله تعالى **فان امنوا بمثل ما امنتم
به فقد اهتدوا** قال الامام ابو منصور رحمه الله روى عن ابن عباس رضى الله عنهما لا تقرؤوا بمثل ما امنتم
به فان الله تعالى ليس له مثل ولكن اقرؤوا فان امنوا بالذى امنتم به او بما امنتم به وكذلك هو فى مصحف
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ويحتمل ان يكون معناه فان امنوا بلسانهم بمثل ما امنتم بلسانكم
بالكتب والرسل جميعا فقد اهتدوا وقال ويحتمل اى بلسان اى غير لسانهم فقد اهتدوا وقالوا الابعد عن
ابن عباس رضى الله عنهما ما حكى عنه فانه خلاف القراءة المجمع عليها الا ان يحمل على انه اراد به لا تتاولوه
على ان تجعلوا لله مثلا فانه شرك وتاوله على ما يصح فى التاويل من غير تمثيل وقيل معنى بمثل ما امنتم به
وما مع الفعل مصدر وتقديره فان امنوا مثل ايمانكم والباء زائدة كما فى قوله تعالى وكفى بالله وقوله يشرب
بها وقيل الباء بمعنى على اى على مثل ايمانكم وهو كقوله كتبت بمثل ما كتب فلان وعلى مثل ما كتب فلان وقيل
معناه فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم وقيل معناه مثل ما امنتم به وكلمة مثل زائدة كما فى قوله تعالى ليس كمثله
شئ وهو كما يقال لا يقال لمثلى هذا اى لى وقوله فقد اهتدوا اى اصابوا الصراط السوى ويهديهم ربهم
الى الجنة كما قال يهديهم ربهم بايمانهم وقال فى حق الكفار لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم وقوله تعالى فان تولوا فانما هم فى شقاق اى اعرضوا وتوصل بعن فيقال تولى اليه فهو
بمعنى الاقبال عليه قال تعالى ثم تولى الى الظل وتولاه اى اتخذه وليا قال تعالى ولا تتولوا قوما غضب الله عليهم
وقوله وهو يتولى الصالحين اى يلى حفظهم وكفايتهم بنفسه وقوله تولى ما تولى اى نكله الى ما اختار

لنفسه ومعنى قوله وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان بما امنتم به وقوله تعالى فانما هم في شقاق
اي في خلاف وعداوة وقد شاقه الرجل يشاقه مشاقة وشقاقا فصار هو في شق اي جانب وذلك في جانب
وقوله شاقوا الله اي خالفوه وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما اي خلاف ما بينهما وقوله تعالى ولا يجرمنكم
شقاقي اي عداوتي وقيل هو مشتق من المشقة واذا خالفه او عاداه فقد طلب مشقته وقوله تعالى
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي لا تحزن يا محمد بخلافهم وعداوتهم فسوف يكفيك الله شرهم
وقوله وهو السميع العليم اي يسمع مقال الموحدين فيثيبهم ومقال الكفار فيعاقبهم والعليم باعتقاد الفريقين
فيجزي الكل على اعتقادهم ويحتمل السميع دعاءك العليم بحاجتك فيجيبك وقوله فسيكفيكهم الله كلمة
تنتظم بسعة انشاء فالجواب لقوله تعالى فان تولوا والسين سوف على اختصار والياء الخادمة للاستقبال
وعد الكفاية وكاف خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول يكفي وهاء المغايبة وميم الجمع ينصرف
الى اهل الكتاب ومحلها نصب لانه مفعول ثاني ليكفي وقوله تعالى صبغة الله اي قولوا نتبع صبغة الله
وذكر فيه وجوه وهذا اصحها فقد قيل انه على الاغراء وقيل معناه الزموا صبغة الله او اتبعوا لكن نصب هذه
الا تاويل باخر هذه الاية ونحن له عابدون ونعلم به ان اول الاية محمول على ما قلنا وهو كما تقدم بل ملة ابراهيم
وصبغة الله دين الله وله اسماء كثيرة عددناها في تفسير قوله اولئك على هدى من ربهم وانما سمي صبغة
لما انه للمسلمين بدل من صبغ النصارى اولادهم في ماء المعمودية لانهم كانوا يفعلون ذلك بالمولود في اليوم
السابع من ولادته ويقولون صبغناه بالنصرانية او طهرناه بهذا الماء فذكر صبغة الله على مقابلة ذلك
وهذا معنى ما قال الفراء وقال قتادة ان اليهود تصبغ اولادها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى
اي يلقنونهم دينهم فيشربون ذلك في قلوبهم كما يشرب الصبغ في الثوب وعن عمر انه كتب في عهد نصارى
بني تغلب ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركونهم حتى يبلغوا ويختاروا لانفسهم ما شاؤا اي لا يلقنوهم
دينهم فقال الله تعالى صبغة الله اي تلقينهم يوم الميثاق الست بربكم قالوا بلى وقال ابن الانباري لم تخاطب
الله العرب بهذا الا وهي تعرفه وكانوا يقولون فلان يصبغ فلانا في الشر اذا ادخله فيه والزمه اياه كما يلزم
الثوب الصبغ انشدنا ثعلب * دع الشر وانزل بالنجاة تحرزا * اذا انت لم يصبغك في الشر صابغ *
ولكن اذا ما الشر ارخى قناعه * عليك فجود دبغ ما انت دابغ * وصبغ يصبغ بفتح الباء في المستقبل
وضمها وكسرها ثلاث لغات وقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة استفهام في معنى الجحد اي لا احد
احسن دينا وتلقينا من الله وقوله تعالى ونحن له عابدون اي باتباعنا ملة ابراهيم وصبغة الله والعابد
العامل بحق العبودية في مرضات الله عز وجل وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون الالف الف الاستفهام وهو للتوبيخ والانكار نفيا ومعناه
عند ابن عباس رضي الله عنهما لم تجادلوننا وعند مجاهد لم تخاصموننا والمحاجة مفاعلة بين اثنين في ايراد
الحجة على ما يدعي وقال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى
بالله منكم فنزلت هذه الاية وقوله تعالى وهو ربنا وربكم فاستوينا نحن وانتم في عبوديته وقوله تعالى ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم اي فلا يجزى احد الا بعمله ولا فضل لمن قصر عمله وقوله تعالى ونحن له مخلصون اي
الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل منا واولى منا وقال الكلبي وغيره اي فاستوينا نحن وانتم
في عبوديته وان اليهود والنصارى لعنهم الله خاصموا اهل الاسلام في الدين فقالوا نحن اهل الكتاب
الاول والعلم القديم ونحن ابناء الله واحباؤه ولسنا من العرب من عبدة الاوثان فنحن اولى بالحق منكم
وبالفضل وبان يكون الرسول منا ويلتمس الحق من عندنا فنزلت الاية قل يا محمد اتجادلوننا في دين
الله تعالى والله عز وعلا رب الكل غني عن الكل لا ينفعه طاعة مطيع ولا يضره عصيان عاص ولا
نواخذ نحن باعمال غيرنا من سلف المشركين ونحن الان من المخلصين وقوله تعالى ام يقولون
ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قرا ابن كثير
ونافع ويزيد وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر وحماد والمفضل بالياء على المغايبة وقرا الباقون بالتاء
على المخاطبة بناء على قوله اتحاجوننا في الله ام تقولون ان هؤلاء الانبياء كانوا على دينكم فباي الحجتين
تتعلقون بالتوحيد ونحن الموحدون دونكم ام باتباع دين الانبياء ونحن المتبعون دونكم وقراءة الياء
على الاعراض عن الخطاب لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته اذا ارتكب من يجادله
قد قامت الحجة عليه ام يقولون هو باطل بابطال النظر المؤدي الى المعرفة وقوله تعالى قل اانتم اعلم ام الله
اي قل يا محمد اتجادلوننا في دين الله ام تقولون ان هؤلاء الانبياء كانوا على ملتكم وليس كذلك وما كانوا
الا مسلمين على الدين الذي نحن عليه كذا اخبرنا ربنا فانتم اعلم بدينهم ام الله تعالى اي والله تعالى اعلم
به منكم وقد علم منهم خلاف ما يقولون وقوله تعالى ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قيل ولا احد

اظلم

اظلم منكم معاشر اهل الكتاب استفهام بمعنى الجحد وكذا ما قبله اانتم اعلم يقول لا احد اظلم منكم
اذ كتمتم من الله شهادة عندكم وانتم تشهدون ان هؤلاء الانبياء لم يكونوا يهود ولا نصارى وان محمدا نبي
وهو على دينهم قد علمتم هذا او وجدتموه في كتابكم فعلى هذا القول قوله من الله يتعلق بالكتمان يقال
كتمتك الشهادة وكتمت منك الشهادة اي لم اقمها عندك فكان قال ومن اظلم ممن عنده شهادة
فلم يقمها عند الله جل جلاله وبين عباده بل كتمها واخفاها فظلم بذلك نفسه وقيل معناه ومن اظلم
ممن كتم شهادة جاءته من الله فحرفها واخفاها ومن الله على هذا يتعلق بالشهادة اي الشهادة من الله
وقال الحسن هذا قول المؤمنين لاهل الكتاب ومن اظلم منا ان تبعناكم على ما تقولون بعد ان حصلت
عندنا شهادة من الله عليكم بالكذب في قولكم ان هؤلاء الانبياء كانوا هودا او نصارى وقوله تعالى وما
الله بغافل عما تعملون من كتمان الشهادة بصدق محمد والبشارة به وقال الامام ابو منصور رحمه الله
هذا على الوعيد اي لا تحسبوا انه غافل عما تعملون ويجوز ان يكون معناه لم يتركهم على غفلة مما يعملون
بل على علم بما يعملون خلقهم ليعلم انه ليس له في شيء من عمل الخلق حاجة ليخلقهم على رجاء النفع له بل خلقهم وهو
يعلم انهم يعصونه فان قالوا فقوله اانتم اعلم ام الله نفى عنهم العلم واثبات الشهادة عندهم اثبات علم لهم
اذ الشهادة لا تكون الا بعلم قلنا كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولما كتموا ذلك التحقوا بالجهال لفوت
نفع العلم وقوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون
التكرير للتاكيد والتقرير وقيل هذه محاجة في غير ذلك الزمان وغير ذلك المكان وقيل الاولى ترجع الى
اسلافهم اي تلك الاسلاف وهذه في ابراهيم ومن معه ووجهه انه مع فضلها ونبوتها اذا لم ينفعها عند الله
الا ما كسبت بانفسها فانتم احرى ان لا ينفعكم عند الله ما كسبوه ولا تنتفعون الا بما تكسبونه فلا تتكلوا
على افعالهم وقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس اي الجهال الضعفاء العقول قال ابن عباس
والبراء ابن عازب رضي الله عنهم هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب لما حول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها ايضا والله لترجعن
الى دينهم وقال السدي هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقوله تعالى ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها ما كلمة استفهام بمعنى الانكار وقوله ولاهم اي صرفهم يقال تولى عن كذا اي انصرف
عنه وولاه غيره اي صرفه وقوله عن قبلتهم اي جهتهم التي يستقبلونها في الصلوة وارادوا بها بيت المقدس
وقوله التي كانوا عليها اي على التوجه والانتظام لها قبلها انه قال ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
وهم اليهود والنصارى سماهم سفهاء وذكر بعدها ايات فيما قالوا ثم اخبر ان هؤلاء السفهاء يقولون
هذا واختلف في قوله سيقول لما ان هذا اخبار عنهم قبل ان يقولوا او بعد ما قالوا فاكثرهم على انه لما حولت
القبلة الى الكعبة قال اليهود ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ثم قوله سيقول وان كان لمحض الاستقبال
ولكن معناه سيواصل اليهود هذا القول ويديمون عليه ظنا منهم والقول مما يتكرر فيجوز الاخبار عنه
بهذه الصيغة فيما وجد وفيما يوجد تكرارا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما حولت القبلة من بيت المقدس
الى الكعبة جاء كعب بن الاشرف ورفاعة بن قيس وقروم وعمرو ونافع بن ابي نافع والحجاج بن عمرو وكنانة
ابن ابي الحقيق وجماعة وقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها كن على قبلة بيت المقدس نتبعك
ونصدقك وارادوا به فتنة النبي صلى الله عليه وسلم فسماهم الله سفهاء لانهم كانوا نوافل ابراهيم والكعبة
بناؤه وقبلته ومع ذلك رغبوا عنها وقال الامام ابو منصور رحمه الله كان وعد الله نبيه عليه السلام ان يحوله
الى الكعبة فاخبره بهذا عما يقوله اليهود اذا حولت وكان هذا قبل ان يحول وقبل ان يقولوا له شيئا
الا ترى الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء ولو لم يكن له وعد بذلك لكان تقلب وجهه الى السماء
تخيرا منه وتحكما عليه وليس لاحد على الله ذلك فدل على الوعد قال ثم فيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
حيث كان يخبرهم على ما اخبر وكان كذلك فدل انه علم ذلك بالله قال ثم ان هذا اليهود قالوا ذلك لانهم لا يرون
النسخ الشرايع والاحكام ويقولون هذا كالبداء والرجوع وذلك فعل من يجهل عواقب الامور كمن بنى بناء
ثم نقضه وهذا اجهل من اليهود والنسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم الى وقت وليس فيه بداء ولا نقض لما
مضى بل تجدد حكم في وقت بعد انقضاء حكم وقوله تعالى قل لله المشرق والمغرب اي قل يا محمد لله
الامكنة والنواحي كلها يامر عباده ان يتوجهوا الى اي جهة شاء شرقا او غربا فالطاعة له في الايتمار بامره
لا في عين التوجه نحو المشرق او المغرب بهوى هووه او لتمني تمنوه لان اليهود لعنهم الله جعلوا قبلتهم المغرب
اتباعا لهواهم وكذا النصارى اتخذوا المشرق قبلة بهوى انفسهم والمسلمون اتبعوا الامر في ذلك وقوله تعالى
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي امر بها فيتوجهون
الى حيث امروا والى حيث يهوون وقيل اي الى اي الجهات ولانهم توجهوا اليها فهم على هدى واستقامة لانهم

با مر توجهوا اليها وقالوا لما كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا به من المشركين ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكانت اليهود يتوجهون نحو بيت المقدس نقلوا الى الكعبة ليتميزوا منهم كما تميزوا من اولئك وروى ابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت قبلته نحو بيت المقدس فصلى اليها مع اصحابه بعد مقدمه المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا وكذا قال البراء بن عازب وقال قتادة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة فقالت اليهود لعنهم الله ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها لقد اشتاق الرجل الى مولده فقال الله عز وعلا قل لله المشرق والمغرب الاية فكانوا يقولون الارض المقدسة مواطن الانبياء ولها شرف قديم فاخبروا ان المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء فى كل زمان على ما علم من مصالح عباده فيه وقال مقاتل بن سليمان كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة ركعتين فصارت الركعتين للمسافر وللمقيم اربع ركعات فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول وامر ان يصلى نحو بيت المقدس لئلا يكذب به اليهود لان نعته فى التوراة انه صاحب قبلتين وكانت الكعبة احب القبلتين الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل عليه السلام وددت ان ربى صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال جبريل انما انا عبد لا املك شيئا فسل ربك ذلك فصعد جبريل عليه السلام الى السماء وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء فانزل الله تعالى فى رجب قبل الظهر قبل قتال بدر بشهرين قد نرى تقلب وجهك فى السماء الاية وقال مقاتل بن سليمان اول ما نسخ من القرآن امر القبلة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم كانوا يصلون بمكة الى الكعبة سنتين فلما هاجر امر ان يصلى الى بيت المقدس فقالت اليهود يزعم محمد انه نبى وما نراه احدث فى نبوته شيئا اليس يصلى الى قبلتنا ويستن بسنتنا فان كانت هذه نبوة فنحن اقدم واوفر نصيبا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه وزاده الله شوقا الى قبلة الكعبة فاتاه جبريل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وددت ان الله يصرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فانى ابغضهم وابغض موافقتهم فقال جبريل للنبى ليس لى من الامر شىء وانما انا عبد فعرج وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحراء نحو احد يصلى ههنا ركعتين ويدعو الله تعالى ان يخبره فى ذلك فلم يزل كذلك يديم النظر الى السماء حتى دخل ناحية احد فانزل الله تعالى فى رجب عند زوال الشمس قد نرى تقلب وجهك فى السماء الاية فنسخت هذه الاية ما كان قبلها من قبلة بيت المقدس وصارت الكعبة قبلة المسلمين الى نفخ الصور وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم رد على المعتزلة لانه اخبر انه يهدى من يشاء ودل ان هداية العبد بهداية ربه وعندهم ليس كذلك بل قد يشاء هدى العبد فلا يهتدى فدل ان مشيئة الهداية ليست للكل وعندهم هدايته بيان وذلك للجميع ودل ان السنة ينسخها الكتاب فان الصلوة الى بيت المقدس كانت بالسنة اذ لا ذكر له فى الكتاب ثم نسخ ذلك بالكتاب وعند الشافعى رحمه الله لا تنسخ السنة بالكتاب الا بعد عمل الرسول به فيصير نسخ السنة بالسنة وهذا قبيح ان لا يكون للكتاب من القوة ما ينسخ سنة لولا عمله وقوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم امة وسطا﴾ اى وكما هديناكم الى صراط مستقيم صيرناكم امة وسطا وهذا وجه النظم ووجه آخر كما جعلنا قبلتكم خير القبلتين فى الدنيا فكذلك جعلناكم خير الامم فى العقبى ووجه آخر فى هذه الاية وقوله وسطا روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الامة الوسط العدل اخذ من التوسط فى الدين وهو بين الغلو والتقصير فانهم لم يغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح وهو عبد بالالوهية وبانه ولد وبانه ثالث ثلاثة ولم يقصروا تقصير اليهود حيث قتلوا الانبياء ووصفوا مريم بالزنا وعيسى بانه ولد الزنا وقيل سموا وسطا لانهم كالمتوسط بين الخصمين يعدل ولا يميل وكالمتوسط بين شيئين متشابهين وقيل سموا وسطا لان قبلة النصارى الى المشرق وقبلة اليهود الى المغرب والكعبة فى الوسط وهى سرة الدنيا وقال ابو عبيدة الوسط الخيار قال الله تعالى قال اوسطهم اى خيرهم وافضلهم وقال احمد بن فارس الوسط بالفتح من كل شىء اعدله وضربت وسط راسه بفتح السين وجلست وسط القوم بالسكون وهو اوسطهم حسبا اذا كان فى واسطة قومه وواسطة القلادة افضلها وقوله تعالى ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ اى للانبياء وعلى بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب والناس هم الانبياء ههنا كما فى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس اى ذكرت للانبياء وقيل كلمة على لحقيقتها ههنا والناس هم الكفار ههنا وهم امم الانبياء الذين لم يؤمنوا وتقديره لتكونوا شهداء على الكفار للانبياء يوم القيامة قال الله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فتقول الكفار ما جاءنا من بشير ولا نذير وتقول الانبياء قد بلغنا واذا انكر الامم احتاج الانبياء الى اثبات ذلك فياتون محمدا عليه السلام يلتمس كل رسول منهم طائفة من امته تشهد له على امته فاذا شهدوا قال الكفار وكيف تشهدون ولم تكونوا فى زماننا فيقولون اخبرنا الله تعالى به فى كتاب نبينا كذبت قوم نوح المرسلين وكذا فى سائر القصص

وقوله تعالى ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ اى لكم كما فى قوله على الناس ومعناه مزكيا معدلا وقال القفال للمفسرين فيها ثلاثة اقوال احدها انها تكون منهم على قوم نوح خاصة والثانى انها تكون على كفار امة الدعوة وهذه دعوة نبينا محمد عليه السلام والثالث انها تكون منهم على جميع الامم وقيل معناه ليشهد كل فريق منكم على من يحدث فى عصرهم ومن بعدهم بالشرائع التى تلزمهم ويكون الرسول شهيدا عليكم اى مبلغا الى كل شاهد عليكم عن الله تعالى بما يؤديه اليكم من شرائع دينه وتكونوا انتم شهداء على الناس لله والرسول بما اداه الرسول اليكم عنه وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذه الامة عدول والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها ففيه الدلالة على جعل الاجماع حجة فاذا اجمعوا على شىء وشهدوا به لزم قبوله بما شهدوا وان الشهادة فيه انه من عند الله وقع لهم ذلك وقوله تعالى ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها﴾ قبلة وقيل جعلنا صيرنا فيقتضى مفعولا ثانيا والقبلة التى كان عليها هى بيت المقدس ويقتضى اضمارا آخر فى آخره اى لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اذ حولناك عنها الى الكعبة وقيل جعلنا فى معنى نصبنا وشرعنا كما فى قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة اى ما شرع فلا يقتضى الاضمار وقيل الاضمار فى اوله وما جعلنا تغيير القبلة التى كنت عليها او صرفك عنها او تحويل القبلة كما فى قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس اى وما جعلنا ذكر الرؤيا او خبرك عن الرؤيا الا فتنة فى الرؤيا وقيل وما جعلنا اى وما حولنا وهو كقوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول والجعل فى القرآن يجئ على قريب من عشرين وجها ذكرناها عند قوله الذى جعل لكم الارض فراشا وقوله تعالى التى كنت عليها اى على اعتقادك مستقبلا لها يقال كان فلان على دين كذا وعلى قول كذا وقوله تعالى ﴿الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ اى ليتميز اهل الشك من اهل اليقين وقال الامام ابو منصور رحمه الله الا لنعلم كائنا ما علمناه قبل كونه انه سيكون لان الله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها انها ستكون وبعد الكون يعلمها كائنة وبعد ما مضى يعلمها انها كانت وقبل الكون لا نقول يعلمها كائنة لانه يكون جهلا قال ولا نصف الله تعالى بالعلم فى الخلق على غير الحال التى الخلق عليها لان وصفنا اياه بالعلم على غير الحال التى الخلق عليها يؤدى الى وصفه بالجهل لانه لا يجوز ان يقال يعلم من الساكن فى حال السكون حركة او من المتحرك فى حال الحركة سكونا او يعلم من الجالس قياما او من القائم جلوسا لانه وصف بعلم ما ليس بموجود المحال قال وكل علم يذكر على حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت لئلا يتوهم بذكر قدم المعلوم فى الازل فيقال فيما لم يكن بعد انه يعلمه وفيما هو كائن انه عالم به ويقال فيما مضى قد علم واذا وصفنا الله تعالى بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه بالذى يصفه به فى الازل لتعاليه عن التغير والزوال وعن الانتقال من حال الى حال ولا قوة الا بالله وقيل معناه لتعلم رسولى والمؤمنون والعرب تضيف فعل الاتباع الى المتبوع وهو كقولهم رجم رسول الله ماعزا وقتل ابو بكر الصديق اهل الردة وفتح عمر السواد وحكى عن بعض العرب انى اجوع فى غير بطنى واعرى فى غير ظهرى يعنى جوع عيالى وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما لنعلم اى لنرى وقال الفراء الحقيقة فى العلم راجعة الى المخاطبين وهذا كعاقل وجاهل يحتاجون فيقول الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار تحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه فمعناه لتعلم انت ايها الجاهل فكذا هذا معناه لتعلموا انتم وقيل العلم صلة ومعناه ليكون اتباع المتبعين وانقلاب المنقلبين كقول الشاعر لا اعرفنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى المعنى لا تندبنى بعد موتى وهو كقولك ما علم الله هذا منى اى ما كان منى ولو كان لعلمه الله وقيل معناه الا لنعاملكم معاملة من يمتحن ليعلم ثم هذه اللام وان دخلت فى العلم فهى داخلة فى الاتباع معنى لام الابتداء لكن يقع العلم فيعلمه الله لا العلم وتقديره الا ليتبع البعض الرسول وينقلب البعض فيعلم الله ذلك وهو كقوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اى حتى تجاهدوا وتصبروا فيعلم ذلك وهو كقولك لا اسمعن كلامك النهى عن السماع ظاهرا وحقيقته نهى الكلام اى لا تتكلم فاسمعن كلامك وقوله تعالى من يتبع الرسول اى فى امر القبلة ممن ينقلب على عقبيه اى ينصرف يقال قلبه اى صرفه فانقلب اى انصرف والعقب مؤخر القدم وقال الاصمعى العقب ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك وقوله ينقلب على عقبيه مجاز عن الارتداد والرجوع عن الدين الحق وقوله تعالى ﴿وان كانت لكبيرة﴾ له ثلاثة وجوه احدها ان ان للنفى كما فى قوله تعالى ان الكافرون الا فى غرور واللام فى لكبيرة بمعنى الا كما فى قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اى ما كان وعد ربنا الا مفعولا والثانى ان لا للتحقيق تقول لقيت فلانا وان كرهت لقاءه اى مع كراهتى لقاءه وتقديره الاية مع انها كبيرة الا على المهتدين وقوله كانت كناية عن القبلة وهى المذكورة فى الاية وقيل كناية عن مصدر دل مدلول عليه غير مصرح به وهو التحويلة او التولية والكبيرة الثقيلة وقد مر شرحها فى قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقوله تعالى ﴿الا على الذين هدى الله﴾ اى على الذين وفقهم الله لاتباع امره والانقياد لحكمه

ومخالفة طبعه بموافقة شرعه **وما كان الله ليضيع ايمانكم** قال السدى لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام اختلف الناس فيها فكانوا اصنافا قال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة زمانا ثم تركوها وقالت اليهود اشتاق محمد الى بلده ومولده وقال المشركون تحير في دينه وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت الايات وروى ان حيي بن اخطب واصحابه قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس اكانت هدى ام ضلالة فان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله وتقربتم اليه بها وان من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة وقال المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان مات قبل ان تحول القبلة سعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سليم وكانا من النقباء ومات رجال فانطلق عشائرهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم توفي اخواننا وهم يصلون الى القبلة الاولى وقد صرفك الله عنها الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلوة ايمانا لان وجوبها على اهل الايمان وقبولها من اهل الايمان وقيل كان اليهود يجعلون الصلوة ايمانا فخاطبهم الله بما سموها كما قال فراغ الى الهتهم والاصنام ليست بالهة وانما كانت كذلك على زعمهم فسماها بما سموها اي على زعمهم كما قال فتبارك الله احسن الخالقين ولا خالق الا الله لكن كانوا يعرفون كل صانع خالقا فخوطبوا على ما تعارفوا وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال بعض المفسرين ان قوما صلوا الى بيت المقدس وماتوا على ذلك فلما تحولت القبلة قالوا ضاعت صلوتهم اشفاقا عليهم لكن هذا بعيد لا يحتمل لان الذي اعتقد الاسلام من الصحابة رضي الله عنهم وعرف موضع امر الله وامر رسوله لا يجوز ان يخطر ببالهم هذا حتى يسألوا عن ذلك بل كانوا اعلم بالله من ان يجد عدوا لله فيهم ذلك لانهم كانوا اطاعوا الله فيما امرهم وماتوا على التصديق ولكن ان كان ثم سؤال فهو من اليهود الذين لا يرون النسخ او قوم من الكفرة اذ وادوا رسول الله وافرطوا في خلافه ومعاداته ثم ارادوا الاسلام فظنوا ان ما سبق منهم يمنع قبول الاسلام فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بما كان منكم في حال الكفر يدل عليه في اخر الاية **ان الله بالناس لرءوف رحيم** يتجاوز عمن تاب او قوم علموا ان الاختلاف في الدين وظنوا ان نسخ الاحكام موجب اختلافا في الدين فبين ان الايمان لا يقع على اعتقاد الصلوة الى جهة دون جهة بل يقع على الايتمار فالايمان من الصحابة الذين ماتوا كانوا على اعتقاد الايتمار ومن هؤلاء كذلك فلا تفرق ولا اختلاف ويحتمل ان يكون معناه وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس فانه كان بالامر وقوله تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم الرءوف على وزن الفعول والرحيم على وزن الفعيل هو المبالغ في الرحمة والرافة والرافة المصدر والرافة بالمد كذلك والرحيم قد فسرناه في التسمية فالرحيم اعم والرءوف ابلغ ولذلك جمع بينهما لاثبات المعنيين جميعا وبدا بالابلغ وختم بالاعم ومعناه ههنا انه برافته ورحمته نقلهم عن ذلك الى هذا وهو اصلح لهم ولم يضيع عملهم ولم يوجب اعادته عليهم بعد النسخ ثم وصف رسوله بقوله بالمؤمنين رءوف رحيم وقال في صفة نفسه ان الله بالناس لرءوف رحيم وهو يعم الكفار والمؤمنين وذلك في حق الكافر فانه يرزقه ويمهله واذا اتاه بفضله ورافة محمد عليه السلام ورحمته على المؤمنين خاصة كانت من الله تعالى قال فبما رحمة من الله لنت لهم الاية ويقول لنبيه عليه السلام قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم اخبر ان الكفار يستعجلون العذاب ولو كان ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لاهلكهم فلا ارأف ولا ارحم من رب العالمين هو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ثم قال وما كان الله ليضيع ايمانكم فجواب الذين سألوا عن حال صلواتهم الى بيت المقدس ظاهر وعلى قول من قال هو جواب عن صلوة الذين صلوا الى بيت المقدس وماتوا ليكون معناه ليضيع ايمان سلفكم كما قلنا في قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وان كان هذا جواب الكل فوجهه انه خطاب الحاضرين والغائبين والغالب فيه من استعمال العرب هو الاجراء على المخاطبة يقولون كنت انت وفلان الغائب فعلتما ذلك وقوله تعالى **قد نرى تقلب وجهك في السماء** قد قدمنا قصته وقد كلمة تاكيد وقد ابلغ منه والتقلب التصرف ومعناه نرى ادامة نظرك الى السماء انتظارا لتحويل القبلة الى الكعبة وكان يتمنى ذلك لمخالفة اليهود لعنهم الله لانهم كانوا يقولون انه يخالفنا في ملتنا ويتوجه الى قبلتنا ولان الكعبة كانت قبلة ابراهيم ولانه كان يرجو ان يكون ذلك سببا لاسلام العرب وقوله تعالى **فلنولينك قبلة ترضاها** اللام في اوله والنون المشددة في اخره القسم وهو للتاكيد اي لنوجهنك وقوله تعالى قبلة مفعول ثان وقوله تعالى ترضاها اي تحبها المعاني الثلاثة التي قدمناها وقيل ترضاها لانها كانت قبلة الانبياء من قبل وليس معناه انه كان لا يرضى غيرها وهذا جائز في الكلام يقول الرجل لآخر اعطيك شيئا ترضاه وان لم يظهر منه الكراهة في غير ذلك والرد وقيل اي لا تسخطها وتسلم لامر الله فيها لا تفعل كما فعلت العرب الذين ارتدوا حين حولت القبلة

تنبيه

فان

فانت ترضاها وترضى كل جهة توجهك اليها لانك تعلم ان الله تعالى لا يفعل ذلك الا لعلمه بان صلاحك وصلاح امتك فيه ودلت الاية على عظم قدر نبينا عليه السلام عند الله حيث جعل الكعبة قبلة له على موافقة محبته ورضاه وهذا كما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء يا محمد اما ان ربك ليسارع لك في رضاك وقد مر عن الامام ابي منصور رحمه الله انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقلب الوجه في السماء لما سبق له من الوعد بتحويل القبلة قال ويقال في تفسير الحسن البصري انه كان حبب اليه الصلوة حتى كان لا يصبر عنها وقد نهي عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يؤمر بعد بالتوجه الى غيرها وقوله تعالى **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اي وجه وجهك نحو الكعبة اذا اردت الصلوة وحقيقة قوله فول وجهك اي اجعل وجهك مما يليه وشطره نحوه والمسجد الحرام قيل هو على ظاهره والمسجد الحرام هو المسجد الكبير الذي فيه الكعبة وقالوا ان عين الكعبة يصعب استقبالها لصغرها وقيل هو الحرم كله والصحيح انه الكعبة فهي القبلة في جميع الاحاديث كذلك ثم صرف الى الكعبة وكان يجب ان يتوجه الى ذلك تعالى عند ذلك الا ان القبلة حولت الى الكعبة فلنولينك اي نحولنك الى الكعبة وقوله تعالى **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** هذا امر لجميع المؤمنين بذلك بعد ما امر به محمدا عليه السلام على الخصوص وفيه اضمار اي وفي اي موضع كنتم من الارض واردتم الصلوة فولوا وجوهكم نحوه وقوله تعالى **وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق** لعلمهم انك نبي وانك لا تاتي الا بالحق وقيل اي في كتبهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وبعثه وهجرته وتحويله الى الكعبة فكانوا يعلمون ان الله سيحوله اليها وانه الحق من ربهم وقوله ليعلمون انه ترجع الكناية الى التحويل الذي دل عليه قوله فلنولينك وتقديره ليعلمون ان ما نوليك وما نفعله من تحويلك الى الكعبة هو الحق وقوله تعالى **وما الله بغافل عما تعملون** قرا الاعمش بتاء المخاطبة وهي قراءة ابن عباس وحمزة والكسائي وسهل ويعقوب وهو وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء وقرا الباقون بياء المغايبة وهو وعيد للكافرين بالعقاب على العنود والاباء وقوله تعالى **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك** ولئن لام قسم دخلت على ان التي هي للشرط ولذلك اجيب بما وجوابات القسم خمسة احدها قال والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى والثاني ان المشددة قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واللام المفتوحة قال الله تعالى فوربك لنحشرنهم والرابع ان الخفيفة قال تعالى ان كانوا لفي ضلال مبين والخامس لا قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية اي ولو جئت رؤساء اليهود والنصارى بكل معجزة طلبوها منك على تصديقك في دعوى الرسالة ما تبعوا قبلتك اي ما صلوا اليها ولم يؤمنوا بك وله وجهان احدهما انه جميعهم لا يؤمنون وهو قول الحسن انما يجوز ان يؤمن بعضهم وقيل هو لقوم باعيانهم علم الله تعالى ذلك منهم على وجه العناد وقوله تعالى **وما انت بتابع قبلتهم** اي ولست انت يا محمد تستقبل بيت المقدس في صلاتك بعد ما صرفتك عنه وقوله تعالى **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** اي لا يصلي اليهود الى قبلة النصارى ولا النصارى الى قبلة اليهود ثم قوله وما انت بتابع قبلتهم هذا الكلام له ثلاثة اوجه احدها انه حسم اطماع اهل الكتاب في متابعة الرسول عليه السلام اذ كانوا يطمعون في رجوعه الى الصلوة الى بيت المقدس والثاني انه قابل قوله ما تبعوا قبلتك بقوله وما انت بتابع قبلتهم وهي من اقسام البلاغة يقول ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به والثالث انه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم وتباين تحليتهم فبين انه محال غير ممكن بحال وقوله تعالى **ولئن اتبعت اهواءهم** جمع هوى وهو الارادة والمحبة ولم يقل هواهم على الوحدة ان لاختلاف ارادة المخالفين اي ولئن وافقتهم في القبلة مداراة لهم وحرصا على ايمانهم وقوله تعالى **من بعد ما جاءك من العلم** اي بيان القبلة وقوله تعالى **انك اذا** هو بيان الوقت اي حين بلغك ذلك وقوله تعالى **لمن الظالمين** اي الضارين نفسك وقيل اي واضعين العمل في غير موضعه وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ويجوز ان يكون له وان كان معصوما لان العصمة لا ترفع النهي وقال الامام ابو منصور رحمه الله وما انت بتابع قبلتهم فيه وعد له بالعصمة في المستقبل ويحتمل ان معناه وما الله تعالى بتابعهم في القبلة وهذا التاويل كانه اقرب لما خرج اخر الاية على الوعيد وفيه لا الابد اثبات ومثله لا يجوز بالاياس عن اتباعهم له في قوم باعيانهم وكان كما قال ولا يوصل الى مثله الا بوحي من الله عز وجل وقوله تعالى **الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم** قال ابن عباس رضي الله عنهما الكناية ترجع الى امر القبلة وهو قول مقاتل وقتادة اي يعرفون انه حق وانه من عند الله وقيل الكناية راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي يعرفونه بالرسالة والنبوة كما يعرفون ابناءهم بالنسب والبنوة وقيل هو مدح من امن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وقد روي ان عمر رضي الله تعالى عنه

الثالث م

قال لابن سلام ان الله تعالى وصفكم بانكم تعرفون رسول الله كما تعرفون ابناءكم فقال نعم وزيادة انى لاعرف
انه رسول الله بما ذكر في التوراة والانجيل وما ادري ما احدث النساء بعدي فقال عمر رضي الله عنه وفقك
الله يا ابن سلام وان الله تعالى مدح هؤلاء الذين اعترفوا وذم الذين عاندوا وجحدوا وكذلك قوله جل جلاله
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون قال مجاهد رحمه الله اي صفة محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل وقال الربيع اي يكتمون امر القبلة وقوله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون اي ان محمدا رسول الله وان الكعبة قبلة الله وقيل اي وهم يعلمون انهم يكتمون الحق وقيل
اي يعلمون ماذا يجب عليهم من العقوبة لمن كتم الحق وقال الامام القشيري رحمه الله حملهم مستكنات الحسد
وسوء الاختيار على مكابرة ما علموه بالاضطرار وكذلك المغلوب في ظلمات نفسه يلقي جلباب الحيا فلا ينجع
فيه ملام ولا يردعه عن انهماكه كلام وقوله تعالى الحق من ربك اي هذا هو الصدق من ربك فهو خبر مبتدأ
محذوف على هذا القول وقيل الحق مبتدأ وخبره من ربك وقيل من ربك مقدر في صدر الكلام والحق خبره
وقيل معناه القبلة هي الكعبة وان الله يحق تقبلكم اليها لعلمه بصلاحكم وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين
اي الشاكين والمرية الشك والمماراة المجادلة وقال ابن عرفة قوله افتمارونه اي تجادلونه جدال الشاكين
وقوله فباي الاء ربك تتمارى اي تشك وقوله افتمارونه اي تجحدونه وقوله فلا تمار فيهم اي فلا تجادل
واصل المراء الجدال لاستخراج ما عند الخصم ومعنى الاية فلا تكونن من الشاكين في انه حق وانه من عند الله
قيل اي ولا تشك في هذا ولا تتبع ما يدعونك اليه فانه ليس بحق وليس من عند الله قيل اي ولا تشك ان هذا
الفريق معاندون يكتمون الحق وقالوا بعد ما طلعت شمس اليقين فلا تركن الى ظلمات التخمين ثم اذا امرت
معنى قوله الى امر القبلة كانت هذه الايات الثلاث على سنن واحد واذا صرف الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مغايبة والتي قبلها والتي اتبعت مخاطبة والتي بعدها الحق من ربك مخاطبة فتوسط الناسخ على
المغايبة يكون على الانتقال من هذه الى تلك ومن تلك الى هذه وذلك في القرآن كثير حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وقوله تعالى ولكل وجهة هو موليها
اي ولكل قوم قبلة تتوجه اليها وقوله هو موليها يجوز ان يكون هو راجعا الى قوله ولكل ولفظه واحد
وان كان معناه الجمع فيجوز ان تكون الكناية الراجعة اليه على التوحيد للفظه ومعنى موليها اي جاعل اليها
وجهه ويجوز ان يكون هو اسم الله تعالى اي الله موجه اليها عباده والتولية متعدية وعلى الاول يجعل الوجه مضمرا
اي كل موجه اليها وجهه وقوله تعالى فاستبقوا الخيرات اي تسارعوا اليها واصل السبق التقدم ۞
والاستباق من الاثنين ومن الجمع كالتسابق وكذا التبادر والابتدار والتقاتل والاقتتال وقوله تعالى
اينما تكونوا هي كلمة شرط ولذلك جزمت وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى يأت بكم الله جميعا
جزم يأت لانه جواب الشرط اي في موضع كنتم احضركم الله المحشر وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
اي قادر وفي تفسير الاية اقاويل قيل هذا تمام وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولكل
وجهة اي قبلة يستقبلها راضيا بها لا يفارقها فلا سبيل الى اجتماع جميعكم على قبلة واحدة فالزموا معاشر
المسلمين قبلتكم فانكم على خيرات من ذلك في الدنيا والاخرة واينما كنتم من جهات الارض جمعكم يوم القيمة
وفصل بين المحق والمبطل والمطيع والعاصي فاثابكم وعاقب من خالفكم انه على كل شيء قدير من الجمع والانفصال
والمجازاة وقال ابن كيسان لما قالوا ما ولاهم عن قبلتهم انزل الله تعالى قوله ولكل وجهة اي لكل من
اليهود والنصارى والمشركين قبلة هو موجههم اليها فان كان الله وجههم اليها فانت فيما ينقلك اليه من قبلة
الى قبلة بمنزلتهم فما معنى قولهم لك ما ولاهم عن قبلتهم فسارعوا الى ما دعاكم اليه فانه خير لكم وقيل اي
بيت المقدس والكعبة كل واحدة منهما جهة والله يولي عباده الى هذا والى هذا على كل من الصلاح فاستبقوا
الى الانقياد لامر الله تعالى في الحالين ففيه خيرات لكم ولا تلتفتوا الى طعن هؤلاء فانهم يريدون ان يصرفوكم
عنها فاستبقوا اليها ولا تغلبوا عليها والله يجمعكم واياهم يوم القيمة فيفصل بينكم وقيل اي لكل اهل ناحية
منكم ايها المؤمنون ناحية يتوجه منها الى الكعبة من كان على يمينها او يسارها او قدامها او خلفها
وكلهم يستقبلونها بامر الله والله وجههم اليها لا يخفى على الله حال اهل الافاق وشانهم في ذلك وهو يحشرهم
ويجزيهم وقيل في قوله تعالى فاستبقوا الخيرات اي وبادروا اليها قبل الموت وفي اي موضع متم حشرتم
وجوزيتم وقال بعض اهل الحقيقة معناه كل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا واقبلوا على غيرنا فكونوا معاشر
العارفين لنا واشتغلوا بنا عن غيرنا فان مرجعكم الينا وانشدوا اذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم
جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
اي ومن اي موضع خرجت واينما كنت في اقطار الارض فاستقبل الكعبة بصلاتك وقوله تعالى وانه
للحق من ربك اي تحويل القبلة الى الكعبة حق وهو من الله تعالى وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون

قرأ

قرأ ابو عمرو بياء المغايبة ردا الى قوله يعرفونه وقرأ الباقون بتاء المخاطبة ردا على قوله اينما تكونوا
وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فان قالوا لم كرر الامر باستقبال الكعبة وقال اولا فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وقال ثانيا وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقال ثالثا ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وقال رابعا ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وقال خامسا وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره قلنا لهذه اجوبة احدها ان التكرار يقتضي
التاكيد والتقرير والجواب الثاني انه نسخ ثقل على اليهود وصعب عليهم الانتقال فكرر الامر به كما كرر
الامر بالصلوة والزكوة لما انهما كانتا تثقلان عليهم فان الصلوة نهاية الخضوع والزكوة بذل المحبوب
فكررهما وفي النفوس قررهما وهذا كذلك والجواب الثالث ان كل واحد منهما لفائدة اخرى فان الاول
كان حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينة الى بيت المقدس فورد النسخ وامر
بالتوجه الى الكعبة فقيل له فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت في مسجدك وكان هذا امرا على
الخصوص ثم عم الامر فقال لعامة المؤمنين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي في سائر المساجد ومواضع
الصلوات من البيوت وغيرها فولوا وجوهكم شطره وهذا للمقيمين بالمدينة ثم قال ومن حيث خرجت
يا محمد في الاسفار يعني انه في الاسفار ومثله في الامصار ثم قال ومن حيث خرجت من سائر البلاد ثم خص
المؤمنين فقال وحيث ما كنتم بعد ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم والجواب الرابع ان الاول مع الثاني
وهو امر النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص وامر المؤمنين على العموم على الدوام على ذلك في كل الازمنة
والجواب الخامس ان الامر ذكر ليقرن به امر اخر وذلك من باب البلاغة كقولك زيد عالم زيد جميل الفعال
زيد اهل للمودة فكانه قال الزم هذه القبلة فانها قبلة حق لا قبلة هوى وهو قوله تعالى وانه للحق من ربك
الزم هذه القبلة فان في لزومك اياها انقطاع حجج المخالفين وهو قوله تعالى لئلا يكون للناس
عليكم حجة اي مواضع احتجاج وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم اي الا ان يحتج عليكم ظالم بما ليس بحجة
وكشف هذا الكلام ان اليهود لعنهم الله قالوا اولا يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا وقالوا ما درى
محمد اين يتوجه لصلاته حتى هديناه وبعد صرفه القبلة قالوا اشتاق الرجل الى مولده وبلد ابائه
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وقال المشركون لعنهم الله رجع محمد الى قبلتنا وسيرجع الى
ديننا فابطل الله تعالى قول اليهود في دعواهم انا هديناه الى القبلة حيث صرفه الى قبلة ابيه ابراهيم وعلمهم
انه هو الذي هداه لها دونهم ورد قولهم ما ولاهم بقوله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم اي الاماكن كلها لله تعالى لا حرمة لها لاعيانها ولله جل جلاله ان يامر عباده بالتوجه الى اي جهة
شاء فلم يبق لليهود خصومة ولا شبهة لانهم قالوا يصلي الى قبلتنا في هذه الحالة كما برووا فان قالوا
ان المشرق والمغرب ليسا لله كذبوا فان قالوا للامكنة بنفسها حرمة من غير ان يجعلها الله تعالى لها خالفوا
وقولهم اشتاق الرجل الى بلده تحكم منهم باطل بل انقاد لامر الله تعالى وسلم لحكم الله وهذا منهم دعوى
لا برهان عليها والمحتج بمثله ظالم وقول المشركين انه رجع الى قبلتنا فيرجع الى ملتنا هذا تمني منهم
وليس للانسان ما تمنى ويقال لهم لم يرجع الى قبلتكم من تلقاء نفسه بل استقبلها بامر الله الذي بعثه
الى الخلق فاطاعه فيما امره به حتى هجر اهله وقرابته وبلده لابتغاء مرضاته وهذا اوضح ما قيل فيه واقواه
واعلاه وقيل الاستثناء منقطع ههنا ومعناه لكن كما في قوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقوله
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ومعنى هذه الاية على هذا القول لكن الذين ظلموا منهم يتعلقون بالشبهة
في موضع الحجة وقيل اراد بالحجة المحاجة اي المجادلة وتقديره لئلا يكون للناس اي لليهود عليكم حجة
اي محاجة الا الظالمين منهم فانهم يحاجونكم بالباطل وعلى هذا القول يكون الاستثناء متصلا وقال
ابو عبيدة الا بمعنى ولا كما في قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اي ولا خطأ قال الشاعر
وما بالمدينة دار غير واحدة • دار الخليفة الا دار مروان • وعلى هذا يكون بمعنى ولا الذين ظلموا وقال قطرب
معناه الا على الذين ظلموا فهو عطف على قوله عليكم اي لا يكون لاحد حجة عليكم الا على الظالمين وقال
ابو معاذ النحوي الا ههنا ليس للاستثناء ولكنه حرف سبق ومعناه والذين ظلموا منهم فلا تخشوهم
واخشوني اي لا تخافوهم في التوجه الى الكعبة وخافوني في تركها وقال ابن كيسان فلا تخشوا الناس
في تظاهرهم عليكم في المجادلة والمحاجة فاني اظهركم عليهم بالحجة وقيل فلا تخشوهم فيما يخاصمونكم
فانهم لن يضروكم في دينكم ما اطعتموني واخشوني ولا تعصوني فانكم ان خالفتموني استوجبتم عذابي
وقوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم قيل الواو زائدة كما في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة
الجب واوحينا اليه اي اخشوني لاتم نعمتي عليكم وهي نعم الدنيا والاخرة وقيل هو الختم على الاسلام

وقيل اى ولاتم نعمتى عليكم هدىتكم الى هذا فهو مضمر فيه وقيل هو عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولاتم نعمتى عليكم بنقلكم من شريعة الى شريعة غيرها على ما فيه من صلاحكم حتى تتم لكم مصالحكم وقد حقق ذلك وتممه حتى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى وقوله تعالى **ولعلكم تهتدون** اى ولتهتدوا الى شرايع دينى والمحجة فى الاصل البينة الواضحة ماخوذ من محجة الطريق وقيل هى من الغلبة يقال لج فحج اى غلب وقيل هى التى وجبا لرجوع اليها عملا بها من حج البيت وهى الرجوع اليه ولذلك سمى مثابة اى مراجعا وقوله تعالى **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** قيل هو متصل بما قبله وعليه وقع التشبيه وهو قوله تعالى ولاتم نعمتى عليكم اى النعمة عليكم فى امر القبلة كالنعمة فى ارسال محمد فيكم وهو احد قولى الزجاج والفرا وقيل معناه كما اجبت دعوة ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا الاية فبعثت محمدا فلذلك اجبت دعوته مع تلك الدعوة ومن ذريتنا امة مسلمة لك فشرعت لكم الشرايع الحنيفية السمحة اتماما للنعمة وقال الحسن وابن ابى نجيح ومجاهد وهو احد قولى الفرا واختيار الزجاج هذا متصل بما بعده قال كما ارسلنا فيكم رسولا من انفسكم يعلمكم وهو قوله فاذكرونى بعد الجهل ويطهركم ويوفقكم على معالم الدين وهى نعم توجب الشكر فاشكروا لى بذكر نعمتى وانا مع ذلك اذكركم فقوله اذكرونى يكون له جوابان متقدم ومتاخر فجعل ذكرهم شكرا له للنعم الماضية وايجابا لذكر الله تعالى لهم بنعم مستانفة وقوله تعالى **يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة** وقد مر فى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم على الاستيفا والاستقصا وقوله تعالى **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** اى من اقاصيص الامم الخالية واخبار القرون الماضية والاخبار كما تكون فى الازمنة الجارية وغير ذلك من علوم الديانة العالية وقوله تعالى **فاذكرونى اذكركم** قد مر الكلام فيه من حيث اللغة وقال محمد بن على الترمذى ذكر الله على وجوه الاول ذكره بالتوحيد والثانى ذكره بالامر والنهى والثالث ذكره عند كل نعمة فى الدين والدنيا والرابع ذكره بالمنة والخامس ذكره بالتدبير والسادس ذكره بالمحبة والسابع ذكره بالعلة والثامن ذكره بالشوق اليه والتاسع ذكره بالانتصاب والعاشر ذكره بالمراعاة على الدوام وكل ذاكر على حسب ذكره يرجع اليه ثمرة ذكره ومن ذلك الوجه يذكر ربه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ولذكر الله اكبر اى ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وفى قوله فاذكرونى اذكركم لاهل المعرفة عبارات لطيفة قال العباد انى فاذكرونى بالتوبة اذكركم بغفران الحوبة وقيل فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالرحمة وقيل فاذكرونى بالسؤال اذكركم بالكرم وقيل فاذكرونى بالدعاء اذكركم بالاجابة وقيل فاذكرونى بالمعذرة اذكركم بالمغفرة وقيل فاذكرونى بالارادة اذكركم بالافادة اذكرونى بالاخلاص اذكركم بالخلاص ويقال فاذكرونى بالتذلل اذكركم بالتفضل فاذكرونى بشهود فضلكم اذكركم بتحقيق مطلوبكم فاذكرونى من حيث الخدمة اذكركم بالايجاب على بساط القربة باكمال النعمة فاذكرونى بتصفية السر اذكركم بتوفية البر فاذكرونى فى حال حياتكم اذكركم بعد وفاتكم فاذكرونى فى شهودكم اذكركم فى لحودكم فاذكرونى فى دنياكم اذكركم فى عقباكم فاذكرونى بقطع العلايق اذكركم بوصل الحقايق واشكروا لى على عظيم منى عليكم حيث قلت لكم فاذكرونى اذكركم بذكرى بذكركم وبى اذ لولا ذكرى السابق لم يكن ذكركم اللاحق وقيل فاذكرونى فى الرخا اذكركم فى البلا فاذكرونى بالمجاهدات اذكركم بالمشاهدات وقوله تعالى **واشكروا لى ولا تكفرون** الشكر اظهار النعمة بالاعتراف بها او بعمل هو كالاعتراف فى القيام بحقها والكفران يستر نعمة المنعم بالجحود او بعمل هو كالجحود فى مخالفة المنعم ويقال شكرته وشكرت له كما يقال نصحته ونصحت له وقال الشاعر• هم جمعوا بوسى ونعمى عليكم • وهلا شكرت القوم اذ لم تقاتل • ولا تكفرون بحذف الياء من اخره لتستوى الفواصل فهو كقول الشاعر• ومن شانئ كاشف باله • اذا ما انتسبت له انكرن • وقوله تعالى فاذكرونى امر بالقول واشكروا لى امر بالعمل قال تعالى اعملوا ال داود شكرا قال الامام ابو منصور رحمه الله اى وجهوا شكر نعمتى الى ولا تشكروا وتجعلوا وجهوا العبادة الى ولا تعبدوا غيرى وقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة** قد مر الكلام فيه فى اول قصة بنى اسرائيل ومعناه استعينوا بهما على الجهاد فى سبيل الله مع اعداء الله وقيل استعينوا بهذا النوع من الطاعة على غيره من الطاعات وقال الكلبى ومقاتل والربيع بن انس استعينوا على طلب الاخرة وتمحيص الذنوب بالصبر على اداء الفرايض والصلوات الخمس وقيل استعينوا بالصبر منكم وبالصلوة منى وعدا بقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم على اداء الفرايض وتحمل المكاره اى انظروا فى حسن هذا الاسم لكم وحسن هذا الجزاء منى ليسهل عليكم الاداء والرضا وقوله تعالى **ان الله مع الصابرين** اى بمعونتهم ونصرتهم وقيل اى يظهر دينهم على ساير الاديان لان من كان الله معه فهو الغالب وهو اشرف رتبة واجل وعد قال الله تعالى لموسى وهرون انى معكما وقال لبنى اسرائيل انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الاية وقال موسى كلا ان معى ربى وقال نبينا عليه السلام فى الغار ان الله معنا وقال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا

والذين هم محسنون وقوله تعالى وان الله مع المومنين وقوله تعالى **ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات** فيه اضمار اى هم اموات وقوله تعالى **بل احياء** اى بل هم احياء والقتل نقض البنية الحيوانية وسبيل الله هو الجهاد لانه طريق الى ثواب الله ورحمته وقوله تعالى **ولكن لا تشعرون** اى لا تعلمون حقيقة حيوتهم بعد زهوق ارواحهم وقال القشيرى رحمه الله لئن فنيت فى الله اشباحهم لقد بقيت بالله ارواحهم ومن كان فناؤه فى الله كان بقاؤه بالله هم فى ظلال الانس يبسطهم جماله مرة ويستغرقهم جلاله اخرى قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى قتلى بدر وهم اربعة عشر من المسلمين وقال الضحاك نزلت فى الذين قتلوا عند بئر معونة وذلك ان المنافقين قالوا مات فلان ومات فلان فنزلت وقيل ان العرب كانت تعرف الموتى من انقطع ذكره اذا لم يبق له احد يذكره فاخبر الله تعالى انهم مذكورون فى ملاء الملائكة وقال الحسن ان ارواح المومنين تعرض على الجنان وارواح الكفار تعرض على النيران ويكون لارواح المومنين الشهداء افضل لذة لا تكون لغيرهم وقال جعفر الصادق رضى الله عنه الشهداء قتلوا فى ذات الله واستوجبوا الثواب عند الله فهم احياء مرزوقون شهداء فرحون والذين قتلوا اهواءهم بما قاسوا من قطع هذه العقبات صاروا بالهوى قتلى فاستوجبوا على الله احياء قلوبهم وجعلهم شهداء مرزوقين بفوايده ولطايفه فرحين مستبشرين قد يبست عروقهم وسكنت حركاتهم وانقطعت طلباتهم ووقفوا بين يدى مليكهم فهم احرار خدام خطوتى لهم هم اولياء الله واحباؤه وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الشهداء عند الله على منابر من نور فى ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله على كثيب من مسك لا يدرون ما يصنع الناس فيقول بعضهم لبعض لا نذهب الى الناس فننظر فيبعثون فيقول لهم الرب تعالى الم اوف لكم فيقولون بلى لو صنعت بنا واحدة قال وما هى رددتنا الى الدنيا حتى نقتل فيك ثانية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على المومنين ما خرجت لهم سرية الا واتيتها ولوددت انى اقتل ثم احيى ثم استشهد ثم احيى ثلاث مرات وقيل معنى قوله بل احياء لا ينقطع ثواب اعمالهم لانهم قطعوا النصرة دين الله فما دام الدين ظاهرا فى الدنيا واحد يقاتل فى سبيل الله فلهم ثواب ذلك لانهم سنوا هذه السنة وقوله تعالى **ولنبلونكم** اى ولنمتحننكم وهو لام القسم والابتلاء من الله لاظهار ما علم وقوله تعالى **بشىء من الخوف** اى خوف الاعداء وانتظامها بما قبلها ان الصبر والاستعانة به والصلوة على احتمال هذه المكاره وقوله تعالى **والجوع** اى وبشىء من الجوع وهو القحط والسنة ولم يقل باشياء وان ذكر بعده بلايا معدودة لانه اضمر ثانيا وثالثا اكتفاء بحرف العطف المقتضى لاعادة المذكور اولا وقوله تعالى **ونقص من الاموال** اى وبشىء من ذلك بالسرقة والاغارة واخذ السلطان والهلاك وقوله تعالى **والانفس** اى بالقتل والموت وقوله تعالى **والثمرات** اى وذهاب ثمرات الكروم والاشجار بالبرد والسموم والريح والاحجار وغيرها من الافات وقوله تعالى **وبشر الصابرين** اى المتحملين هذه المكاره وقيل الخوف الجهاد والجوع صوم رمضان ونقص الاموال هو ايتاء الزكوة والحقوق المالية والانفس بذل الارواح فى ذات الله والثمرات هو دفع العشر وقيل هو صرف ثمرات الاعضاء وهى الافعال الى عبادة الله جل جلاله والابتلاء بها هو التعبد بهذه الانواع وبشر الصابرين اى الدايمين على اداءها الثابتين على مراعاتها وقيل الخوف هو خشية القلب من الله تعالى والجوع شوق العبد الى لقاء الله ونقص من الاموال هو التجرد عن غير الله تعالى فى محبة الله والانفس هو تسليم الانفس الى الله والثمرات هو بذل الاولاد فى مرضاة الله تعالى فالولد ثمرة الفؤاد به ورد الحديث وبشر الصابرين على هذه الحالات الصادقين فى هذه المقامات وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للملائكة اقبضتم قرة عين عبدى وثمرة قلبه فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى فما صنع قالوا صبر واحتسب فيقول الله تعالى ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وقال بعض اهل المعرفة مطالبات الغيب اما ان تكون بالمال او بالنفس او بالاقارب او بالقلب او بالروح فمن جاد بالمال فله النجاة ومن جاد بالنفس فله الدرجات ومن صبر على فقد الاقارب فله الخلف والقربات ومن جاد بخروجها بالروح فله دوام المواصلات وفى التفسير ان ما ذكر فى هذه الايات اصاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الخطاب لهم اما الخوف ففى وقعة الاحزاب قال الله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الايات واما الجوع فكان القحط بمكة سبع سنين حتى اكلوا العظام وكان الواحد من الصحابة يخر على وجهه من الجوع وكان عليه السلام يشد الحجر على بطنه ويمر على ال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهر والشهران وما طعامهم الا الاسودان التمر والماء واما نقص الاموال فبالانفاق فى الغزوات وانقطاعهم عن معايشهم بسبب الجهاد وقيل هو هلاك المواشى واما نقص الانفس فبالشهادة وبالجراح وبالموت وذهاب الاخوان والاقران واما نقص الثمرات فبالجدب وبترك الضياع على الضياع بالجهاد وبانفاقها على الغرباء الفقراء وقوله تعالى **الذين اذا اصابتهم مصيبة** قيل هو نعت الصابرين واعرابه النصب وقيل هو ابتداء وجوابه اولئك وبشر الصابرين تام وعليه وقف

وهو اكثر فايدة وابلغ فى الكرامة وهو البشارة بنفس الصبر وهو صفة مدح تامة وقوله تعالى الذين اذا
اصابتهم مصيبة اى نالتهم بلية والاصابة ضد الاخطا قال النبى صلى الله عليه وسلم واعلم ان ما اصابك
لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك والمصيبة اسم لكل حادثة مكروهة من نقص وفوات
ونحو ذلك وقوله تعالى قالوا انا لله وانا اليه راجعون وهى كلمة تسليم ومعنى انا لله ان انفسنا لله
وهو يتصرف فى ملكه ولا اعتراض عليه اذ لو كانت المصيبة بذهاب انفسنا لم يكن لنا ان نجزع فكيف
وهى فى اموالنا واحبابنا او نحن عبيد الله والعبد وما فى يده لمولاه فان شا ابقاه فى ايدينا وان شاء
استرده منا فلا نجزع باخذ ما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه رزقنا وان متنا فاليه مردنا وعنده
ثوابنا وهذا معنى قوله وانا اليه راجعون وقيل اى انا لله عبيدا احيا واموانا وانا اليه راجعون
ان رضينا بقضايه استوجبنا ثوابه وان لم نرض بقضايه استوجبنا عقابه وقيل معناه نحن عبيد الله
وفى قبضة الله يمضى فينا قضاوه احببنا او كرهنا وقال ابو بكر الوراق انا لله اقرارا منا له بالملك
وانا اليه راجعون اقرارا على نفسنا بالهلك قال محمد بن على الترمذى اى ما اعطانا ربنا كان فضلا
منه ولا يليق بكرمه الارتجاع فى عطاياه وانما اخذه ليكون ذخيرة لى عنده وليظهر سرى للملايكة ليعلموا
كيف نغتبى به ونفوض اليه وحسن ظنى به ثم من العباد من ذكر الرجوع اليه لان فى لقايه عوضا من
الدارين ليتسلى عن كل ما فاته بما يامل من لقايه ومنهم من ذكر الرجوع اليه لانه علم انه انفصل من عنده
يوم الميثاق والرجوع يكون الى من كتب عنده مرة فانما نرجع اليه بالعبودية التى اخذ الميثاق علينا بها
ومنهم من ذكر الرجوع اليه للوله لان وجود العبد بالله وولهه الى الله وقوله تعالى اوليك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة الصلوات جمع صلوة وهى الرحمة والتكرير للتاكيد والتقرير وقيل الصلوات هى الرحمة
فى الدنيا والرحمة هى تكملها لهم فى الاخرة وقيل الصلوات البركات وقيل الاثنية وقيل المباهات بهم للملايكة
والرحمة قيل هى المغفرة وقيل هى الجنة وقوله تعالى واوليك هم المهتدون قيل معناه الموفقون للاسترجاع
وقيل اهتدوا الى الرضا والتسليم وقيل اى الثابتون على الاسلام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
نعم العدلان ونعمة العلاقة العدلان الصلوة والرحمة والعلاقة واوليك هم المهتدون وقال مقاتل
ابن حيان فى قوله تعالى ومن يومن بالله يهد قلبه قال الاسترجاع وقال عكرمة طفى سراج النبى صلى الله
عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون قيل يا رسول الله امصيبة هى قال نعم كل شى يوذى المومن
فهو له مصيبة وقال سعيد بن جبير اعطى الله هذه الامة فى المصيبة ما لم يعطه يعقوب النبى عليه السلام
فانه قال فى فقد يوسف يا اسفى على يوسف ولم يكن له استرجاع وقال الامام ابو منصور رحمه الله قد وجد فى
كلامه ما يحقق هذا المعنى وهو قوله تعالى فصبر جميل وقوله تعالى انما اشكوا بثى وحزنى الى الله على انه كان
اخبر انه لم يهلك وقال وعد الله الذين خضعوا لحكمه ورضوا بقضايه ثلاث خصال احدها صلوا ته
عليهم وصلواته تحتمل مباهاته الملايكة تعظيم ما عنده لهم ويحتمل ثناوه وذكره باخباره عباده بقوله
ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات وما يشبهها من الاى ويحتمل النعمة او الرحمة يلقيها فى قلوب عباده
حتى يحبوهم او خلفا يعطيهم فى الدنيا ثم شهد لهم بالهداية وذلك يحتمل ان يكونوا اهتدوا به ولما عليهم فى
المصيبة من التسليم لله تعالى ويحتمل الاهتداء لطريق الجنة على ما بينه فى كتابه من الوعد للشهدا وقوله تعالى
ان الصفا والمروة من شعاير الله انتظامها بما قبلها ان الخوف المذكور فى تلك الاية خوف الاعدا
والابتلا بالجهاد وهذه الاية فى بيان معالم الحج فهو جمع بين الغزو والحج ولان فى تلك الاية نقصان النفس
والمال فى الجهاد وفى الحج ايضا شق الانفس وانفاق الاموال وقيل اى كرهتم المصايب وفيها اجر عظيم
للصابرين وكرهتم السعى بين الصفا والمروة لمكان اساف ونايلة وفيه اجر عظيم للساعين والصفا الحجر
الصلب الاملس الذى لا يخالطه طين ولا تراب ولا رمل ماخوذ من الصفوة وهى الخلوص والمروة هى الحجر اللين
وقيل الحجر الابيض الذى يبرق وقيل سمى الصفا لانه جلس عليه ادم صفى الله وسميت المروة لانها جلست
عليها امراته حوى وقوله تعالى من شعاير الله جمع شعيرة والشعاير اعلام المتعبدات من موقف ومسعى ومنحر
والشعر العلم والاشعار الاعلام والمشاعر المعالم والمشعر المعلم وقوله تعالى فمن حج البيت اى قصده محرما
باعمال مخصوصة واصله القصد وحده يجعل اسما للتراب وقيل الحج الحلق يقال احجج مواضع شجتك
اى احلق وسمى الحج بهذا الاسم لان تمامه بالحلق وقيل اصل الحج اطالة الاختلاف الى الشى وحج البيت كذلك
وقال الشاعر بيت الزبرقان المزعفرا وقيل هو تكرار القصد وقوله تعالى او اعتمر اى زار البيت محرما
باعمال مخصوصة واصله من عمارة بيت الله بالعبادة وقوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما
اى لا اثم عليه وهو من الجنوح اى الميل وحصوله بالميل من الخير الى الشر والطوف الدور والتطوف
التكلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان فى المسعى بين الصفا والمروة سبعون وثنا فقال

اهتدوا به

المسلمون

المسلمون يا رسول الله ان هذه الاوثان انجاس الانجاس فى مسعانا ونحن نتاثم فيها فانزل الله تعالى فلا
جناح عليه ان يطوف بهما اى لا اثم عليه ان يسعى بينهما ويطوف اصله يتطوف ادغمت التا فى الطا كما فى
قوله يذكر ويصعد ويصدعون قال فنعلوا ذلك ما شا الله حتى امر الله نبيه فقال والرجز فاهجر
فامر بها فنحيت عن المسعى وكذلك فعل بالاوثان التى كانت حول البيت وقال الشعبى رحمه الله كان لاهل
الجاهلية صنمان يقال لاحدهما اساف وللاخر نايلة وكان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان
المشركون اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جا الاسلام قال المسلمون كان المشركون يطوفون بينهما لاجل
الصنمين وليستا من شعاير الله فانزل الله تعالى هذه الاية وقال محمد بن اسحق كان على الصفا صنم على صورة
رجل يقال له اساف وعلى المروة صنم على صورة امراة يقال لها نايلة وحكى عن اهل الكتاب انهما زنيا فى الكعبة
فمسخا حجرين وقيل ان المسلمين لما صلوا الى الكعبة قال المشركون عادوا الى قبلتنا فيعودون الى ملتنا
ولما طافوا بين الصفا والمروة قالوا انبعوا ديننا فامتنع المسلمون عن الطواف بهما لذلك فعرفهم الله تعالى
انه ليس باتباع دينهم ولكنهما من شعاير الله ثم اختلف العلماء رحمهم الله فى السعى بين الصفا قال مجاهد
وعطا هو غير فرض ولا واجب ولا يوجب تركه شيا لان الله تعالى قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا
يستعمل فى المباح دون الواجب ولانه قال ومن تطوع خيرا والتطوع التبرع وقال الحسن وهو قول
الشافعى رحمه الله هو فرض لا يتم الحج الا به لانه قال من شعاير الله ولقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم
السعى فاسعوا فاما قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فهو لما بينا انهم كانوا يتحرجون عن ذلك لما فيه
من التشبه بالكفار فنفى الجناح عنهم من ذلك الوجه واما قوله ومن تطوع خيرا فليس لاصل السعى على ما
نبين فى تفسير هذه الكلمة من بعد وقال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله وهو قول سفيان وعامة اهل العلم انه
واجب وتركه غير مفسد ويجبر بالدم لانه نسك قد يوتى به بعد طواف الزيارة فلا يكون ركنا كرمى الجمار
وطواف الصدر وهذا لانه يحل بعد طواف الزيارة كل شى وليس بعد التحلل ركن وقوله تعالى ومن تطوع خيرا
اى تبرع بعد الحج والعمرة بحجة اخرى او عمرة غير الاولى وقيل اى تبرع بشى من الخيرات والطاعات فى الدين
وقيل اى زاد فى الطواف بعد قدر الواجب وهو قول الكلبى ومقاتل وجماعة وقوله تعالى فان الله شاكر
اى قابل يسير العمل من التطوع عليم بمكانه وقيل عليم بنيته بهذا الطواف انه ليس كطواف اهل الشرك
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى وانتظامها بما قبلها انه قال ولاتم نعمتى عليكم
باكمال شرايع الدين لتهتدوا فاشكروا لى واصبروا على محنتى واقيموا شرايع دينى لتهتدوا فاشكروا لى ولا
تكتموا فان من كتم فعليه لعنتى وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى روسا اليهود كعب بن الاشرف وكعب
ابن اسيد ومالك بن الضيف وغيرهم كانوا يتمنون ان يكون النبى عليه السلام منهم فلما بعث النبى عليه السلام
من غيرهم خافوا ان تذهب ما كلتهم من السفلة فعمدوا الى صفة النبى صلى الله عليه وسلم فغيروها من كتابهم
ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يبعث فى اخر الزمان وهو لا يشبه نعت النبى الذى بمكة فلما
نظرت السفلة الى ما غيروا من الصفة والى محمد وصفته جحدوا لانهم يجدونه مخالفا فقال الله جل جلاله
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى اى يغيرون التوراة والهدى من صفة محمد واية الرجم
وتحويل القبلة والحلال والحرام من بعد ما بيناه للناس اى اوضحناه للناس اى لبنى اسراييل فى الكتاب
اى فى التوراة اوليك يلعنهم الله اى اهل هذه الصفة عليهم لعنة الله ولعنة الخلايق قال ابن عباس
رضى الله عنهما وذلك اذا وضع الكافر فى قبره سيل من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا ادرى
فيقول له منكر ونكير لا دريت فهكذا كنت فى الدنيا ثم يضرب ضربة يسمعها كل شى الا الثقلين فلا
يسمع شى صوته الا لعنه فذلك قوله ويلعنهم اللاعنون هم البهايم والهوام تلعن عصاة بنى ادم
تقول حبس عنا المطر بخطاياهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه اذا تلاعن اثنان رجع اللعن على المستحق
منهما فان لم يستحقه احد منهما رجع على اليهود الذين كتموا ما انزل الله واللعن من الله الطرد والابعاد من الرحمة
على الاطلاق فى حق الكفار وعن الرحمة والكرامة والمنزلة التى يستحقها المطيع اذا كان فى حق العصاة
والهدى البينات التى من تمسك بها اهتدى وقوله تعالى من بعد ما بيناه للناس الهاء ترجع الى قوله ما انزلنا
ويجوز ان يرجع الى قوله والهدى وانما اعاد قوله من بعد ما بيناه مع قوله انزلنا من البينات لان الاول
بينات منزلة على الرسول والثانى بيان انه بين ذلك لهم وقال القايلون الاية نزلت فى كل من كان عنده علم
فكتمه وهو مروى عن عثمان وابن عمر وابى هريرة رضى الله عنهم قال عثمان حين توضا بمشهد من الناس
لاحدثنكم حديثا ولولا اية فى كتاب الله ما حدثتكم وذكر هذه الاية وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من توضا فاحسن الوضوء ثم صلى صلاة غفر له ما بينه وبين الصلاة الاخرى وروى ان نجدة الحرورى
كتب الى ابن عمر رضى الله عنهما يساله هل قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل بعد اليد فى السرقة

فقال لولا آية في كتاب الله وتلا قوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات ما كتبت اليه ثم كتبت اليه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطع الرجل بعد اليد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة
والله لولا آيتان من كتاب الله ما حدثت حديثا وتلاها بين الآيتين ان الذين يكتمون ما انزلنا الى قوله
وانا التواب الرحيم فقوله جعلوا الآية عامة ويجوز ان يكون لها على الخصوص ثم ثبت حكمه على العموم في كل
من دخل تحته ثم لعن الله طرده وابعاده ولعن اللاعنين دعاؤهم باللعن وهو كقوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فصلاة الله تعالى رحمته وقال القفال يجوز ان يكون معنى
اللعن تبرء الله منهم وتبري منهم الملائكة والمؤمنون فهم اللاعنون وقوله تعالى **الا الذين تابوا** من الكتمان
وندموا على ذلك وقوله تعالى **واصلحوا** اي اصلحوا بالتمسك بالحق والعمل به ما افسدوه ويحتمل واصلحوا احوال
انفسهم بالتقرب الى الله بصالح الاعمال ويحتمل فيما بينهم وبين الله بالاخلاص والصدق وقوله تعالى **وبينوا**
اي اظهروا ما كتموه من الحق للناس وقيل وبينوا حقيقة التوبة بالاصلاح والدوام على الحق والعمل بالاخلاص
لله تعالى فيه وقوله تعالى **فاولئك اتوب عليهم** اي اقبل توبتهم وقوله تعالى **وانا التواب الرحيم** اي اقبل التوبة
ولا اعاجل بالعقوبة وقوله تعالى **ان الذين كفروا** اي جحدوا نبوة محمد عليه السلام وقوله تعالى **وماتوا وهم كفار**
اي اصروا عليه حتى ماتوا على ذلك وقوله تعالى لم يرحم وارحال وقوله تعالى **اولئك عليهم لعنة الله** اي طردهم
الله وبعدهم عن رحمته وتبرأ منهم وقوله تعالى **والملائكة والناس اجمعين** اي ودعا عليهم الملائكة وكل الناس
باللعن وتبرؤا منهم وقيل الناس هم المؤمنون لانهم هم الناس في الحقيقة لانتفاعهم بالانسانية فاما الكفار فهم
كالانعام او اضل سبيلا وقيل معناه كل الناس يلعنهم ركانهم وذلك يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا وقال تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل معناه ان لعن جميع الناس يرجع اليهم اذ هم ظالمون وكل الناس
يقولون لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى **خالدين فيها** اي في اللعنة لانهم اذا خلدوا في النار خلدوا في
الابعاد عن رحمة الله وقيل معناه خالدين فيها اي في النار لان اللعنة توجب تعذيبهم فيها فتثبت النار
مذكورة بمقتضى ذكر اللعنة وقيل ان الخلود في النار مما كثر ترديده في القرآن فصلحت الكناية عنها مع انقطاع
المكني عليها كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها فكنى عن الارض وقال تعالى انا انزلناه
فكنى عن القرآن في اول السورة وقوله تعالى **لا يخفف عنهم العذاب** لانه لا ينقطع ولا ينقص منه شيء بل قيل
فيهم زدناهم عذابا فوق العذاب وقوله تعالى **ولا هم ينظرون** اي لا يمهلون للاعتذار كما قال تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل اي لا يجابون الى قولهم اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وقيل لا يؤجلون
ليستريحوا ولا يؤخر عذابهم من وقت الى وقت وقوله تعالى **والهكم اله واحد** انتظامه بما قبله انه لما اوعد الكفار
بالنار ثم ذكر التوحيد ثم دلائل التوحيد وبه الامن من ذلك الوعيد وقال والهكم اله واحد اي معبودكم وملجأكم
رب واحد في ذاته فلا يجوز عليه الانقسام والتجزؤ وواحد في صفاته فلا نظير له ولا شبه وواحد في افعاله
فلا شريك له ولا نظير وواحد في استحقاق القدم فلا شيء قبله ولا شيء بعده في الازل وواحد في استحقاق
الالهية والعبادة فلا معبود الا هو وقوله تعالى **لا اله الا هو** اي بهذا فاعرفوه ووحدوه فاعبدوه ولا ترجوا غيره
ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الآباء وقوله تعالى **الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض** روى
ابو الاحوص عن سعيد بن مسروق عن ابي الضحى قال لما نزلت هذه الآية والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم تعجب المشركون وقالوا كيف يسعنا ويكفي بهما تنا فان كان صادقا فليأتنا فانزل الله تعالى ان في خلق
السموات والارض اي في تخليقهما وقوله الرحمن الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار رزقه واسباغ فضله فهو مفزع
كل مضطر وغياث كل فانع ومعتر وقوله تعالى **واختلاف الليل والنهار** اي ذهاب احدهما ومجيء الآخر
وزيادتهما ونقصانهما وسواد احدهما وبياض الآخر وقوله تعالى **والفلك التي تجري في البحر** الفلك السفينة
والفلك السفن ايضا ويذكر ويؤنث قال تعالى في الفلك المشحون وقال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وهذا نعت الجمع وقال ههنا والفلك التي تجري في البحر وهي تانيث وقوله تعالى تجري في البحر وهو ثقيل كثيف
والماء لطيف خفيف وتقبل وتدبر بريح واحد وقوله تعالى **بما ينفع الناس** اي بمصالحهم في التجارات وغيرها
وقوله تعالى **وما انزل الله من السماء من ماء** اي وفي ما انزل وقوله من ماء اي مطر وقوله تعالى **فاحيا به
الارض بعد موتها** اي نظرنا الماء الارض بعد ذهاب زروعها وتناثر اوراقها وقوله تعالى **وبث فيها من كل
دابة** اي فرق في الارض من كل حيوان يدب على وجه الارض وقوله تعالى **وتصريف الرياح** اي في تقليب
الرياح شمالا وجنوبا ودبورا وصبا ورحمة وعذابا وحارة وباردة وقال وكيع بن الجراح لولا الريح والذباب
لانتنت الارض وقال ابو بكر بن عياش لا تخرج من السحاب قطرة حتى تعمل في السحاب هذه الرياح الاربعة فالصبا
تهيجه والجنوب تدره والدبور تلقحه والشمال تفرقه واصول الرياح هذه الاربع فالشمال من ناحية الشام
والجنوب تقابلها والصبا هي القبول من المشرق والدبور تقابلها وكل ريح جاءت بين مهبي ريحين فهي نكباء لانها

نكب

نكب عن مهاب هذه الاربع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب
والرحمة الناشرات والمبشرات واللواقح والذاريات والعذاب الصرصر والعقيم وهما في البر والعاصف
والقاصف وهما في البحر وقوله تعالى **والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون**
السحاب الغيم سمي به لانسحابه في الهواء اي انجراره والمسخر المذلل وتسخير السحاب هو جعله منقادا جاريا
على ما اجراه الله عليه وقوله تعالى لآيات لقوم يعقلون اي في هذه الاشياء علامات واضحات على ربوبية الله تعالى
ووحدانيته وكمال قدرته للعقلاء ونصب آيات بان واللام للتاكيد ووجه الدلالة فيها ما قال الشيخ
الامام ابو بكر محمد بن علي القفال الشاشي فاحسن واوضح قال اخبر الله تعالى ان من آياته خلق السموات
وما ذكر بعدها وان تدبر وتفكر في هذه الاشياء فراى السموات على عجيب هيأتها سقفا مرفوعا فوق الناس
بلا عمد والنجوم الطوالع في مطالعها والغوارب في مغاربها تتعاقب في الطلوع والغروب منها سيارات تقطع
السموات على مقدار لا يختلف ومنها ثوابت لا تزول يستدل بها على اوقات الامطار ويهتدى بها في ظلمات
البراري والبحار وعلق بها من امر العالم ما علق وفيها الشمس التي بها ينتشر الناس لمعاشهم والقمر الذي هو
آية الليل وقد علق بهما من امور العالم ما علق من نضج الثمار وظهور النبات ونمو الحيوانات ومما ينفرد بعلمه
الخواص من علم المد والزجر والبحريات في الامراض وهيجان الدماء وسكونها وغير ذلك مما قد امتحن حتى
علمت صحته ومن آيات وحدانيته خلق الارض التي جعلها قرارا للخلق ومهادا لعباده حتى اتخذوا منها
الاكنان والبيوت ووضع عليها جبالا تمانع ما اودعها من انواع الجواهر والذهب والفضة وغير ذلك وانبع
منها عيونا مختلفة من الماء وعذب وانبت على الجبال منها والارضين من الاشجار وانواع النبات والانوار
والازهار والثمار المختلفة الطعوم والارايح والادوية وصنوف الاغذية على منافع مختلفة مع اتحاد اراضيها
ومياهها ومغارسها ومن آياته اختلاف الليل والنهار على نظام واحد جعل احدهما سكنا والآخر معاشا
ثم جعل ياخذ هذا من هذا وهذا من هذا وقد يستويان في حال من الاحوال على مقدار واحد بها تعرف الاوقات
والآجال في المعاملات ومواقيت الصلوة ومن آياته السفن الجارية في البحار بما ينتفع به الناس في تجاراتهم
يرى على وجه الماء سفينة كالجبل الشامخ بل كالمدينة المبنية وبها من الاثقال والاموال وصنوف المال
والاحوال مع ما فيها من الركبان ما لا يوقف على قدره تساق بشراع وتجريها ريح لينة رخاء تقطع المسافة الطويلة
التي يقطع مثلها في البر في ليلة واحدة ومن آياته ما انزل من السماء من ماء فانبت به انواع النبات والانوار
والاشجار والرياض المونقة والجنان النزهة بعد ان كانت ميتة في غاية الوحشة واليبوسة ومن آياته ما بث
الله تعالى فيها من انواع الدواب في كل زوج يدب ويتحرك فمنها الناس الذين هداهم الله للتدبيرات العجيبة
والصنائع البديعة والعلوم الدينية والدنيوية وجعل منهم الانبياء والحكماء والملوك والسياسة وركب
فيهم العقول التي اهتدوا بها الى رد الغائب الى الشاهد بالاستنباط الى دقائق العلوم كالطب والحساب
والنجوم وعلوم الرياضات والديانات وسخرت لهم الجبال والوحوش وعمرت بهم الدنيا مما شئت بها من اصناف
الحيوانات من البهائم والحشرات متفاوتة الطباع مختلفة المساكن والاقوات متباينة المنافع والمضار
وجعل في كل منها نوعا من المرافق والمنافع ومن آياته تصريف الرياح في الجهات المختلفة مع اتحادها في الجنس
قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا ومنها عقيم ومنها لاقح ومنها عذاب ومنها رحمة ومنها حار ومنها بارد
الى غير ذلك من صنوف الرياح بها يسير السحاب ويرجى الفلك في البحر ويصل الروح وتنسم الحبوب الى
الابدان وبها ينصر قوم وبها يهلك قوم وبها يغاث قوم وبها يصرع قوم ومن آياته السحاب المسخر وهو المذلل
بين السماء والارض يرتفع ويجتمع وينبسط كالجبال السائرة فيها الرعود والبروق والصواعق موقرات
بحور الماء تمطر مرة وتثلج اخرى وتجيء بالبرد تارة وبالسيل الذي يستلب الاشياء ويقلع الصخور
ويهدم القصور ويدهده الاحجار الثقال مع خفته ولينه وانما عامة تحيى به الارض ويخرج به النبات
والاقوات ويطيب به الهواء ويزول به الوباء فمن يتدبر ذلك بعقله وقف على عجائب لا تنقضي يدل له جميع ذلك
على فاطر قادر قاهر عالم حكيم خبير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لما يرى في جميع ذلك من آثار الصنعة
ودلائل الحدوث من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون واختصاص كل منها بهيئة وصورة وحد
ونهاية وجهة مخصوصة ووقت مخصوص وتقدم بعضها على بعض وتأخر بعضها عن بعض وجواز الزيادة
والنقصان عليها والاحوال المختلفة التي يعتورها كل ذلك دليل على استحالة انفكاكها عن الاوصاف
المتضادة والاحوال المتعاقبة عليها وتعاقبها دليل حدوثها وما كان محلا للحوادث استحال تقدمها
واذا استحال خلوها عنها استحال سبقها لها لان في السبق الخلو وما لم يسبق الحوادث فهو حادث لا محالة
ودل حدوثها على محدث احدثها ومنشئ انشاها لانه استحالة حدوثها بنفسها كاستحالة من يدعي في بناء
مبني ان ترابه صار بنفسه لبنا مضروبا ثم صار بنفسه جدارا مبنيا ثم صار عليه سقفا مرفوعا وكاستحالة

من يدعى في ثوب منسوج ان القطن صار بنفسه غزلا مغزولا ثم صار بنفسه ثوبا منسوجا اذ لا فرق بين ما يرى من السماء بما عليها من انواع الزينة وبين ما يرى من ديباج منسوج فلا يجد بدا من ان يعلم انه انما صار كذلك بناسج نسجه وبصانع صنعه فالسماء اعجب في البناء واغرب ترتيبا وابدع تركيبا وكذلك ما يشاهد من الانسان وساير الحيوانات من تالف اجزائه وانضمام اعضائه وقيام بعضه ببعض واحتياج بعضه في الثبات والبقاء الى بعض كل ذلك دليل على انه مربوب مصنوع محتاج الى ممسك يمسكه واذا تاملت ما جعل في البدن من مجاريها لفضول في اعالي البدن واسافله علمت انه مدبر مصنوع كيف بني ويجعل لها منافذ ومخارج ومداخل ثم اذا تاملت انه عروق وعصب ولحم ودم وعظام علمت انه مرتب مولف احسن ترتيب وانه ليس شيا منه ثابتا باقيا بنفسه بل بمثبت يثبته ومبق يبقيه وممسك يمسكه ثم اذا اصرفت الى ما نصبه الخالق من تركيب الاعضاء ومنافع كل جزء منها على ما وصفه اصحاب التشريح في كتبهم رايت ما يحار في اعاجيبه العقول ووقفت على بدايع لا يهتدى لوصفها الالباب وعلمت ان ذلك تفرد به رب العالمين ثم انها بوجودها تدل على قدرة صانعها وان قدرته على الكمال ثم يدل تقدم بعضها على بعض مع جواز ان يكون متاخرا وتاخر بعضها عن بعض في الوجود مع جواز ان يكون متقدما واختصاص كل من الجنس بحال مخصوص ووقت مخصوص ومحل مخصوص وقدر مخصوص مع جواز خلافه على ارادة مريد خصها بها ثم يدل اتقانها ونظامها واحكامها على علم صانعها لاستحالة وجود افعال متقنة محكمة منظومة من غير عالم بها كاستحالة وجود كتابة منظومة من غير عالم بالكتابة ثم يدل جملة ذلك على حياة صانعها لاستحالة قيام القدرة والارادة والعلم ممن لا يوصف بالحياة ثم يدل انتظام امور العالم على انه واحد لا شريك له اذ لو كان معه غيره لاضطربت الامور واختل التدبير قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم يدل ارتباط بعض ما في العالم ببعض وحاجة بعضها الى بعض في البقاء على ان خالقها واحد وذلك مثل حاجة الانسان وساير الحيوانات الى شيء يمكن فيه وشيء يعتمد عليه وانه لا بد من ضياء وظلام وازمنة وحرارة ينشا بها الاشياء والسماء وما فيها متعلق بعضها ببعض ويحتاج بعضها الى بعض ولا قوام للانسان الا بها والكواكب لا بد منها للاهتداء بها في البر والبحر ولتعرف بمجاريها عدد السنين والحساب والهواء لا بد منه لان السماء اذا كانت طبقا للارض فلا بد من هواء يضطرب فيه الانفاس ولا بد من ان يكون ذلك باردا يصل نسيمه الى النفوس فتستمسك به الا ترى ان من منع منه الهواء بالاخذ بفمه وخياشيمه لم يلبث ان يموت والريح يحرك الهواء والحيوان منها ما يستطاب لحومها ويحتاج الى لحومها للاغتذاء بها وللتقوي على الاعمال التي يتم بها امر المعاش وما كان منها غير مستطاب اللحم يركب ويحمل عليها الاثقال وما خرج من هذين فقد ينتفع بشحومها ومرارتها ولحومها في معالجة المرضى فهذا يدل على تعلق بعضها ببعض وحاجة بعضها الى بعض والعالم كله كالبدن الواحد يمسك بعضه بعضا ويتالف بعضه ببعض فيدل ذلك كله على ان له مولفا هو الف الجميع ويدل على ذلك كله على انه لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء لان حقيقة المتشابهين شيئان يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر فلو اشبه خلقه بوجه لجاز عليه ما جاز على خلقه من التغير والزوال والانفصال والاتصال والعجز والموت وساير الافات تعالى الله عن ذلك وتقدس ويدل اختلاف الليل والنهار وذهاب كل واحد منهما على فناء العالم وعود كل واحد منهما بعد ذهابه واحياء الارض بعد موتها على البعث بعد الموت ويدل ما في الارض من انواع المطاعم والملابس والثمار والانوار على ما وعد في الجنة ليرغبهم في نعيمها وما فيها من الحيات والعقارب والحشرات على ما اوعد في النار ليزجرهم عنها ثم ان الله تعالى جعل من هذه الدلايل ما تدركه العامة على مقادير عقولها ومنها ما يدركه المتوسطون في العلم بتدبيرهم ومنها ما لا يتوصل اليه الا المتقدمون في العلم والنظر بافكارهم واذهانهم الذي فضلهم الله تعالى بها على غيرهم فقامت حجة الله على توحيده على ساير طبقات الناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم وقوله تعالى **ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا** ونظمه بما قبله انه مع وضوح هذه الادلة من الناس اقوام كفار يتخذون الاصنام اشباها لله اي يتخذونها الهة يعبدونها ومن للجميع ههنا بدليل انه قال في صفتهم يحبونهم من دون الله اي غير الله والانداد الالهة وقال ابو عبيدة الانداد الاضداد وقال صاحب العين الانداد ما كان مثل الشيء يضاده اي ينازعه ويقابله والمراد بالانداد ههنا في قول قتادة والربيع ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد واكثر المفسرين هو الهتهم من الاوثان وقال السدي المراد روساوهم الذين كانوا يطيعونهم طاعة الارباب وقال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا ويدل عليه قوله بعد هذه الاية اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وهذا فيهم وقوله تعالى **يحبونهم كحب الله** اي يحبون الانداد كحبكم الله وقيل اي كحبهم لله وقيل اي كما يجب عليهم من محبة الله والاول قول عكرمة وقتادة ومقاتل ومعناه يحبون عبادة الاوثان كما يحب المومنون عبادة الله والثاني قول الزجاج وذلك ان الكفار يدعون انهم انما

يعبدون

يعبدون الاوثان لتقربهم الى الله زلفى فيدعون محبة الله ويقرون بربوبيته تبارك وتعالى وقوله تعالى **والذين امنوا اشد حبا لله** اي ادوم محبة لله من الكفرة لاصنامهم لان عابد الوثن يعبده في حالة الرخاء فاذا اصابه البلاء ولى ظهره ودعا غيره والمومن اذا اصابه الضر فزع الى ربه وزاد في دعائه ولزم بابه وطلب قربه وذلك من كمال حبه وقال جعفر الصادق محبة المومن مع خوف ورجاء ومحبة الكافر لطبع هوى فانه اذا راى حجرا استحسنه اعتقده وعبده وحب المومن عقلي وحب الكافر نفسي وحب المومن خالص وحب الكافر مشترك وحب المومن غيبي وحب الكافر عياني وحب الكافر بواسطة قالوا هولاء شفعاونا عند الله وبعلة قالوا انما ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومحبة المومن بلا واسطة ولا علة والكافر يرى صنمه مصنوعه والمومن يرى ربه صانعه والكافر يتبرا عن الصنم يوم القيمة والمومن لا يتبرا من ربه والمومن يعبد الله وحده والكافر يعبد اصناما فلا يخلص لواحد ومحبتهم اشد وطريقتهم اسد وقال الامام ابو منصور رحمه الله محبة المومنين تخرج على الثناء والعبادة والتعظيم والطاعة والرغبة والرهبة اذا علموا النعم كلها من الله وعلموا ان السلطان والعز لله ولا احد ينال شيئا من ذلك الا بالله فاوجب ما عنده من النعمة الرغبة وما له من السلطان للهيبة وحب الكفرة هو الحسد الذي تولده الشهوة او يستحسنه البصر وحب الله تعالى من المومنين على هذا الوجه فاسد بل حبه في الحقيقة في تعظيم اموره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه ولذلك قال لرسوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهوان من احب اخر محبة الجلال والرفعة عظم رسوله وانقاد لما يدعوه اليه وان كان في ذلك هلاكه تعظيما لامره فكيف بما فيه نجاته وفوزه وقال وهب بن منبه رضي الله عنه قال حكيم من الحكماء اني لاستحي من ربي ان اعبده مخافة من النار فاكون كعبد السوء ان رهب عمل وان لم يرهب لم يعمل واني لاستحي من ربي ان اعبده رجاء ثواب الجنة فاكون كاجير السوء ان اعطي اجرا عمل والا لم يعمل ولكن اعبده لما هو اهله وقد لدايم ولكن يستخرج مني حب ربي ما لا يستخرج حب غيره وقوله تعالى **ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب** قرا عامة القراء سوى نافع وابن عامر بياء المغايبة وتاويله ولو يعلم الان الذين ظلموا اي كفروا ان القوة والقدرة لله لا للاصنام وان الله شديد العذاب لمن عبدها اذ يرون العذاب يوم القيمة لما اتخذوها الهة ولما عبدوها ولما قالوا هولاء شفعاونا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالرؤية بمعنى العلم كما في قوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل والظلم هو الشرك والذين فاعل وان القوة مقدمة في المعنى والجواب محذوف في اخره لدلالة الحال عليه وتقدير الاية ما قلنا وحذف جواب لو في القران كثير ولو ان قرانا لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون وقرا نافع وابن عامر ولو ترى بتاء المخاطبة ومعناه ولو ترى انت يا محمد الذين ظلموا اي المشركين نصب على انه مفعول اذ يرون العذاب يوم القيمة والجواب مضمر ههنا اي لرايت امرا عظيما وعلمت ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اي ليس هو بغافل عما يعمل الظالمون وهو ملي باقامة جزاء الحسنات والسيات وقوله تعالى **اذ تبرا الذين اتبعوا** اذ متصل بما قبله وهو قوله وان الله شديد العذاب اي يرونه حينئذ وقيل اضمر فيه واذكر اذ يتبرا وتبرا ماض معناه المستقبل كما في قوله واذ قال الله يا عيسى وقالوا ان الله جعل ما يقع في القيمة كالواقع الحاصل لانه واقع لا محالة فذكر بهذه الصيغة تقريبا له وتقريرا في النفوس والذين اتبعوا هم المتبوعون القادة والكبراء السادة وقوله تعالى **من الذين اتبعوا** اي من الاتباع الاطواع وقوله تعالى **ورأوا العذاب** اي النار قبل ان يدخلوها كما قال وبرزت الجحيم لمن يرى ويحتمل ان يكون المراد دخلوا النار فراوها كما يقال رايت السجن وكربه وقوله تعالى **وتقطعت بهم الاسباب** اي الوصل والسبب الوصلة ومعناه قطعتهم والباء للتعدية اي ولما وقعوا في العذاب صارت الاسباب التي كانوا يتواصلون بها قاطعة بعضهم عن بعض وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها ونظير قوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب انه للتعدية قوله فتفرق بكم عن سبيله اي يفرقكم وهو قول مجاهد وقتادة والربيع وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه العهود والايمان التي كانت لهم وقال ابو صالح اي انقطعت الارحام والانساب التي كانت بينهم قال تعالى فلا انساب بينهم وقال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وقال الحسن هي المعارف وقال مقاتل هي المودات وقال ابو جعفر الرازي هي المنازل اي تفرقت بهم المنازل اي وقعوا متفرقين والسبب الطريق قال تعالى فاتبع سببا وقوله تعالى **وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة** لو كلمة تمني والكرة الرجعة الى الدنيا اي ليتنا نرجع الى الدنيا **فنتبرا منهم كما تبروا منا** نصب بفا جواب وقوله تعالى **كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ~~وما هم بخارجين من النار~~** اي كما راوا العذاب فكذلك يريهم الله ذلك فقيل اي كما وصف الله احوالهم كذلك يجعل اعمالهم وقيل اي كما تقطعت بهم الاسباب فلم ينتفعوا بها فكذلك اعمالهم تصير حسرات عليهم فلا ينتفعون بها والحسرة الكمد على الفايت للتلهف عليه وقيل هو اشد

اي الاتباع

الندم وقيل هو الندم القاطع من قوله ملوما محسورا وقوله خاسئا وهو حسير ثم قيل في هذه الاعمال ثلاثة
محسورا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات بزعمهم وارادوا بها غير الله
من مواساة المحتاجين واعانة المشركين وقرى الضيف والحج والختان مما كانوا يعملون مع شركهم يرونها
حسرات عليهم فيتحسرون حيث ابطلوها بشركهم وقيل ارادوا الاعمال السيئة التي عملوها في الشرك
مع القتل ودفن البنات واستحلال المحرمات فيرونها حسرات عليهم حيث كانت محصاة محفوظة عليهم
فيتحسرون عليها هل لا عملوا بدلها حسنات وقيل اراد بها الاعمال التي كانت تجب عليهم فلم يعملوها
قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ومعنى اضافتها اليهم وان لم يعملوها انها وجبت
عليهم فلم يعملوها كما يقال هذا عملك الذي يحتاج ان تعمله اليوم وهو غدا وكذا لما تحتاج اليه وقال
ان الذين فرقوا دينهم اي ما يجب ان يتدينوا به وقوله تعالى وما هم بخارجين من النار اي هم فيها خالدون
وهذا رد لما تمنوه لو ان لنا كرة وكقولهم ربنا اخرجنا منها الاية وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا طيبا وانتظامه بما قبله ان اعمال الكفار تصير حسرات لانها سيئات والاعمال التي لا تصير حسرات
هي الصالحات ومن العمل الصالح اكل الحلال الطيب قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
قال بعضهم نزلت الاية في شان بني خزاعة وبني صعصعة وبني مدلج حرموا على انفسهم السمن والاقط
فنزلت الاية وقيل نزلت في شان اهل الكتاب فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي
وكانوا يقولون ان الله حرمها علينا فرد الله تعالى قولهم بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الى ان قال ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وقوله حلالا طيبا فالحلال ما احله الله والطيب ما يستطاب
وهو ثلاثة انواع المستلذ طبعا والمباح شرعا والطاهر وضعا وقال تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب
والطيب ما يستطاب قال الله تعالى احل لكم الطيبات وقال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا وقال الامام ابو منصور
رحمه الله هذا يتوجه وجهين احدهما الاخذ في كل ما تستطيبه النفس وتستلذه ليكون ارضى واشكر لله
بما انعم عليه والثاني ارادة الحلال ويكون للايجاب وقيل الجمع بين اللفظين لاثبات صفتين فالحلال
ما لا خطر فيه والطيب ما لا حذر فيه وقال الحسن البصري رحمه الله الحلال الطيب ما لا سؤال فيه
يوم القيمة وهو ما لا بد منه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وهب لابن آدم ما لا بد منه ثوب يواري
عورته وخبز يرد جوعته وبيت يكنه الطير فقيل يا رسول الله وكيف الملح فقال الملح مما يحاسب به
وقال ابن عباس رضي الله عنهما الحلال الطيب ما لا تبعة فيه في الدنيا ولا عقوبة عليه في العقبى وقيل الحلال
ما افتاك المفتي انه مباح والطيب ما افتاك قلبك انه ليس فيه جناح وقيل الحلال ما لا تقول العلماء انه
لا يحل والطيب ما لا تقول الحكماء انه لا يحل وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره وهي
وساوسه واصل الخطو نقل القدم قدما والخطوة بالفتح مرة منه وبالضم بعد ما بين قدمي الماشي والجمع
الخطوات اي لا تمشوا في طريق ابليس الذي يدعوكم اليه في تحريم هذه الاشياء وقوله تعالى انه لكم عدو
مبين اي مبغض ظاهر وهو عدو ابويكم وعدوكم وعدو ربكم ويسعى في اهلاككم ويدعوكم الى تحريم ما احل
الله من البحيرة ونحوها واحلال ما حرم الله من الميتة والدم ونحوهما ثم في هذا اشارة الى انهم كانوا
يتبعون الشيطان في ذلك وذكر بعدها بعد هذه الآيات انهم قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ولا منافاة
بينهما فانهم كانوا يتبعون فعل الآباء بتزيين الشيطان وقد ذكر الله تعالى في قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقوله تعالى انما يامركم
بالسوء والفحشاء اي يامركم الشيطان ويدعوكم الى القبائح والفضائح فالسوء في الاصل ما يكره
والفحشاء ما يستبشع والسوء خلاف الحسن والفحشاء الفعلاء من الفحش والفاحشة كذلك واصله مجاوزة
القدر في كل شيء والكثير الفاحش والمباشرة الفاحشة من ذلك فالزنا فاحشة والبخل فاحشة وكل فعلة
قبيحة فاحشة والاسمان في الاية يستوعبان كل ذنب وعيب وكل واحد منهما متناول لكل اثم وقيل السوء
ما خفي من الآثام والفحشاء ما ظهر منها وقيل السوء ما لا حد فيه والفاحشة ما فيه حد وقيل السوء الزنا
والفحشاء سائر القبائح وقيل السوء الخطيئة والفحشاء العمد ومجاوزة الحد وقيل السوء ما يسوء الفاعل
اي تضره وقيل السوء ما يسوء عاقبته والفحشاء ما يستقبحه العقل والشرع وقوله تعالى وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون من الصاحبة والولد وما لا يليق به ثم الاجتهاد في المشروعات ليس تقولا على الله
بغير علم بل هو طلب الحق بدليله بطريقه فان قيل كيف يامرنا الشيطان بذلك ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه
قلنا نجد في انفسنا دواعي المعصية بنفثه واخبرنا الصادق عن فعله وقوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اليهود دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا
بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا كما في قوله تعالى والفيا سيدها اي وجدا وقيل نزلت في مشركي العرب لما قيل لهم

لا تتبعوا

لا تتبعوا خطوات الشيطان واتبعوا القرآن في التحريم والتحليل وقوله تعالى قالوا بل نتبع ما الفينا
عليه آباءنا من تحريم البحيرة وغيرها وقوله تعالى اولو كان آباؤهم الواو حرف عطف دخلت عليها الف
التوبيخ فبقيت مفتوحة وطريقه انه يتضمن ما اذا قرئ به افتضح وقال الزجاج معناه او يتبعون آباءهم وان
كانوا جهالا وقوله تعالى لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الى الحق اضمر يتبعون آباءهم فيه بدلالة
الحال عليه وقوله تعالى ومثل الذين كفروا فيه مضمر اي ومثل واعظ الذين كفروا يعني مثل محمد مع الكفار
كمثل الناعق مع الغنم المنعوق بها يقال نعق الراعي بالغنم ينعق نعقا اذا صاح بها زجرا لها وقوله تعالى
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وقيل الدعاء ما كان لطلب الفعل والنداء ما كان
لطلب الجواب ومعنى الاية على جميع الاقاويل فيه مع نظمها بما قبلها ومثل هؤلاء الكفار الذين يقولون بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا في دعائك اياهم كمثل الناعق في دعائه البهائم التي لا تفهم كالابل والبقر والغنم والحمير
فيها حسن كقولك زيد كالحمار اي في البلادة وعمرو كالاسد اي في الشجاعة لان المعنى في احد الشيئين
اظهر فيشبه الاخر به ليظهر بظهوره وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع وهو اختيار
الزجاج والفراء وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه بما لا يسمع وذلك
ان البهائم لا تفهم الكلام واقصى احوال الاصنام ان تكون كالبهائم فانها لا تفهم الكلام فاذا كانت لا تشكل
عليهم ان من دعا البهائم كان جاهلا فمن دعا الحجارة كان بصفة الجهل والذم اولى وقيل اي مثل الكفار
في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه الصداء في الجبل انه لا يسمع منه الا دعاء ونداء فاذا قال يا زيد يسمع
من الصداء يا زيد وليس في وراء القول شيء الا انه يخيل اليه ان مجيبا يجيبه وليس فيه فائدة فكذلك
يخيل الى هؤلاء المشركين ان دعاءهم للاصنام مستجاب وليس لذلك حقيقة ولا فيه فائدة وفي كل واحد من
هذه الوجوه حذف واختصار وظاهره مقابلة الكفار وهم المنعوق بهم بالناعق ولم يقل الناعق بالمنعوق
ولا المنعوق به بالمنعوق وانما فعل كذلك لدلالة تضمين الكلام على كل المراد بالتمام فانه يشبه اثنين
باثنين يشبه الداعي الى الاسلام المدعو من الكفار بالداعي الى المراد المدعو من الانعام فلما اريد الاختصار ابقى
من الكلام ما دل على المحذوف فابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي ولو ورد الكلام على ذكر الكل
لطال الكلام وقال الفراء وابو عبيدة هذا من باب القلب وهو كقولهم ادخلت الخف في رجلي والقلنسوة
في راسي وهو كقوله تعالى قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف يكلمنا وقد قيل معناه مثلنا ومثل الذين
كفروا انما اكتفى بذكر احدهما كما في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة الاية ولم يذكر الامة الاخرى
وقوله تعالى صم بكم عمي اي هم صم كذلك وقد مر تفسيره فهم لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم كما قال
لا بآبائهم اولو كان آباؤهم لا يعقلون وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم خص
المؤمنين باكل الحلال بعد ما عم الناس به والطيبات الحلال وهي اللذيذات ايضا وقوله تعالى واشكروا لله
اي على ما رزقكم من الطيبات وقوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون اي توحدون يعني ان كنتم مؤمنين بالله
فاشكروا له فان الايمان يوجب ذلك وهو من شرائطه وهو مشهور في كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذي قد
عرف انه يحبه ان كنت لي محبا فافعل كذا فيدخل حرف الشرط في كلامه تحريكا له على ما يامر به واعلاما له
انه من شرائط المحبة وقد قيل ان كنتم عازمين على الثبات على الايمان فاشكروا له فان ترككم الشكر يخرجكم
عنه وقيل معناه اذ كنتم كما في قوله ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين والصحيح انه على الشرط في كل هذه الآيات ووجهه ما بينا وقيل هذا خطاب
لعبد الله بن سلام واصحابه حيث تنعموا عن اكل لحوم الابل فقيل لهم هذا ان كنتم اياه تعبدون بترك اكل
لحوم الابل فليس عبادته ذلك بل هي اكل ما احله والشكر على ما اعطاه وقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة
اي ما حرم الله السائبة ونحوها وانما حرم ما مات من غير ذكاة وقوله تعالى والدم اي المسفوح نص على ذلك
في موضع آخر ولحم الخنزير وكل اجزائه حرام وانما خص اللحم بالذكر لانه هو المعظم في قصد الاكل ودخل
فيه ما دونه كما في قوله وذروا البيع لما كان معظم اشتغال الناس فيه خصه بالنهي عنه وحرم بذكره ما دونه
وقوله تعالى وما اهل به لغير الله اي رفع فيه الصوت بذكر غير الله وهو ما ذبح للاصنام والاهلال رفع
الصوت بالتسمية وكذلك بالتلبية وكذلك بذكر الله عند رؤية الهلال واستهلال الصبي رفع صوته
عند الولادة ثم لم يذكر في هذه الاية سائر المحرمات لانها ليست لحصر المحرمات بل هذه الآيات سيقت
لنهيهم عن تحريم ما احل الله وهو ما عددناه فكانوا يا كلون الميتة ويقولون تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما اماته الله وكذا كانوا ياكلون الدم ولحم الخنزير وذبائح الاصنام فبين انه حرمها وقيل ذكر الميتة
يتناول المتردية والمنخنقة والموقوذة والنطيحة وما اكل السبع ومتروك التسمية عمدا ونحوها وقوله
تعالى فمن اضطر اي الجئ الى اكل شيء منها بان لا يجد غيرها والاضطرار فعل من الضر ولذلك جاء على الفظ

ما لم يسم فاعله ههنا وقال لم نضطرهم فعداه بالى وقوله تعالى غير باغ ولا عاد البغى فى اللغة مجاوزة الحد
يقال للجرح اذا تورم واشتد بغى ويقال البحار طغى وبغى ويقال للعدوان مجاوزة الحد ايضا وقد عدا طوره
كما قال فى موضع اخر وقيل والله اعلم مما واحد على ما ذكرناه ومعناه مجاوزة الحاجة والتكرار للتاكيد
لقوله رؤف رحيم وقيل معناه غير باغ اباه اى طالب ولا يجد غيره ولا عاد اى مجاوز قدر ما يدفع به دفع الهلاك
عن نفسه وقيل مما تفسير قوله تعالى فمن اضطر غير باغ اى غير متلذذ ولا عاد اى غير متزود وقال قتادة غير
باغ اى ظالم باكله من غير ضرورة ولا عاد متعد من الحلال الى الحرام اى بترك حلالا يجده ويختار حراما وقال
الزجاج غير باغ اى غير مجاوز قدر حاجته ولا عاد اى غير مقصر عما يقيم به حياته لا يمتنع عن اكله فيموت
فيكون قد ظلم نفسه وعن مسروق قال من اضطر الى ميتة فلم ياكل منها فمات دخل النار وعن بعضهم انه
لا يجاوز ثلاث لقم وقيل غير باغ اى غير اكل فوق الشبع فيكون قد بالغ فى الافساد ولا عاد اى غير متعد
حد الضرورة وهو بلوغ الشبع وقيل غير باغ خارج على امامه ولا عاد على الناس بقطع الطريق وهو مذهب
الشافعى رحمه الله فان الباغى عنده لا يترخص برخص المسافرين وقلنا هو ببغيه لم يخرج عن الايمان فلا
يستحق الحرمان عن رخص اهل الايمان ولان الباغى المقيم يمسح على خفيه يوما وليلة كالعادل المقيم
فكذا المسافر الباغى يمسح ثلاثة ايام ولياليها كالمسافر العادل وقوله تعالى فلا اثم عليه اى لم ياثم بتناول
هذه الاشياء عند الضرورة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم لمن تاب من تحريم ما احل الله تعالى واستحلال
ما حرم الله رحيم بشرع التوبة وقيل غفور للذنوب الكبار فكيف يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار
رحيم بعباده فيما يتعبدهم وقيل غفور بالعفو عمن اكل من غير ضرورة رحيم برفع الاثم عند الضرورة وقوله تعالى
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا وانتظامه بما قبله ان المشركين
لعنهم الله لما وبخوا بتحريم ما حرموا واستحلال ما احلوا رجعوا الى احبار اليهود فسالوهم عن محمد وعما
قاله فقالوا انه ليس بنبى اخر الزمان وليس حكم الله ما يقوله وكتموا صدق محمد فى دعوى الرسالة وفيما اتى به
من الاحكام فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية وقد ذكر الله تعالى قبل هذا اكتمانهم ذلك ولم يبين هناك غرضهم
فى الكتمان وبين ههنا وهو قوله تعالى ويشترون به ثمنا قليلا وقد فسرناه فى مواضع واوضحناه اى يوثرون
عليه عوضا قليلا وهو ما ينالونه من الماكلة من القادة والسفلة وقوله تعالى اولئك ما ياكلون
فى بطونهم الا النار الا الحرام الذى يورثهم اكله النار فى الاخرة وهو كقوله ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وهو كقوله اكالون للسحت وهو من قولهم سحته واسحته اى استاصله
سمى الماكول الحرام سحتا لانه يستاصله فى العاقبة فلذا سماه نارا لانه يورثه ذلك فى العاقبة وقوله تعالى
ولا يكلمهم الله يوم القيمة اى كلام اكرام وقيل اى لا يبشرهم وقيل اى لا يجيبهم وقيل لا يخاطبهم بما يحبون
وقيل هو مجاز عن غضب الله تعالى عليهم وهو كلام معهود يقال فلان لا يكلم فلانا فاما الكلام الذى هو لعن
واهانة فقد ثبت ذلك فى قوله قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وقوله تعالى ولا يزكيهم اى لا يطهرهم وان
امنوا حينئذ لانه غير مقبول وقيل لا يثنى عليهم ولا يعدلهم وهو كتزكية الشهود فانهم ليسوا ازكيا وقوله
تعالى ولهم عذاب اليم اى موجع وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب
بالمغفرة اى اثروا اليهودية على الايمان والعقوبة على الغفران وقد كشفنا عن حقيقته فى مواضع وقوله تعالى
فما اصبرهم على النار قال الكسائى وابو عبيدة اى اى شىء صبرهم على النار وهو استفهام بمعنى التوبيخ
اى ما ذا حملهم على الاعمال التى تدخلهم النار وقيل هو على التعجب وقال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والربيع
المعنى ما اجراهم على النار وقيل معناه فما اعملهم باعمال اهل النار وهو قول عطا وقيل معناه فما ادومهم
فى النار ويقال لمن طال حبسه ما اصبرك على الحبس لا على حقيقة الصبر ولكن على وجوده فيه وقوله تعالى ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب انا نزلنا الكتاب بالحق فكتموه وحرفوه وقيل اى ذلك الاجزاء بسوء
على العمل الذى يورثهم النار بان الله نزل الكتاب بالحق اى هو تجنبهم ما انزل الله فى القرآن فيهم ان الذين كفروا
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وهم لا يؤمنون بالنار ولذلك العقاب لهم كانت عليهم الكتاب
الذى نزل بالحق وهو الفؤاد وكفرهم به وقوله تعالى وان الذين اختلفوا فى الكتاب قيل اى اهل الكتاب
الذين اختلفوا فى التوراة اى فى تاويلها بينهم فى خلاف شديد بعيد عن الاتفاق وما تفرقت بهم الاراء
فيها مع اتفاقهم لدين بها فلا يهولنكم كتمانهم امر محمد وذكره فيها كل الله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل وان الذين خالفوا التوراة وكتموا ما فيه من ذكر النبى خلاف
للتوراة ومعاداة له اى شاقوا الله وعادوه فى الحقيقة وقيل اى وان اهل الكتاب الذين خالفوا القرآن
فلم يومنوا به وقوله تعالى لفى شقاق بعيد وقيل بعيدا لا يرجى العود عنه بقوله وان الذين اختلفوا قيل هو
ابتداء كلام ومعناه ما بيناهم وقيل هو بناء على قوله ذلك بان الله وبان الذين اختلفوا لكن كسران لما دخل

فيجوابه

فى جوابه من اللام ولولا لمحقق وكان ذلك بيان عقابهم فى النار لان الله تعالى نزل الكتاب بالحق فكتموه وقوله تعالى
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب النصب على انه خبر ليس وان تولوا اسم الفعل بمصدر
وتقديره توليه وجوهكم وهو رفع لانه اسم ليس وهو قراءة حمزة وعاصم فى رواية حفص والرفع على انه اسم ليس
وان تولوا نصب لانه خبر ليس وهو قراءة الباقين ولما نزل قوله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق واضمر فيه
فكفروا به قالوا انا لا نكفر بك نصلى لله ونؤمن به فنزل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق كفعل النصارى
او قبل المغرب كفعل اليهود فذلك منسوخ فهو انه لا بر وان حمل على استقبال بيت المقدس حين كان الامر
به وعلى استقبال الكعبة بعدما نسخ فمعناه ليس كل البر هذا اى لا يقع التقرب الى الله باستقبال الكعبة
بالصلاة وحدها بل بامور اخر معها فان امر الله تعالى عباده بها لان امر القبلة من فروع الدين التى يجوز نسخها
وهذه الامور الاخر المذكورة فى الاية من اصول الدين التى لا تنسخ لانها ايمان بالله وبانبيائه وكتبه ونحو
ذلك فمن جحدها او جحد شيئا منها فليس من الابرار والبر اسم جامع للطاعات واعمال الخير ومنه بر الوالدين
وبر اليمين وبر الكلام وبر الايتام وهو ضد الفجور ايضا قال تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فالبر يعمل كل خير والتقوى ترك كل شر وقوله تعالى قبل المشرق اى مقابله
وقوله تعالى ولكن البر من امن بالله فيه اضمار اى ولكن البر بر من امن بالله وهو كقوله تعالى اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله وقيل الاضمار فى قوله ولكن البر اى ولكن صاحب البر
وقيل البر فى قوله ولكن البر بمعنى البار وهو مصدر ويجوز ذكر المصدر على ارادة الفاعل كما قيل فى العدل
والضيف والخصم وقوله من امن بالله اى صدق واقر بوحدانيته وبجميع صفاته وقوله تعالى واليوم الاخر
اى اقر بالبعث بعد الموت وبالدار الاخرة وما فيها وقوله تعالى والملائكة اى وامن بان لله تعالى ملائكة
هم عباده ومخلوقون ليسوا بذكور ولا اناث ولا بشركاء ولا اولاد لله تعالى وقوله تعالى والكتاب اى وامن
بكتب الله التى انزلها على انبيائه والالف واللام لتعريف الجنس فاقتضى الجمع وقوله تعالى والنبيين اى وامن
بانبياء الله تعالى ورسله انهم مبعوثون الى الخلق والقائمون بحقه والصادقون عنه فى امره ونهيه ووعده ووعيده
واخباره وهذه اصول الدين وقواعد العقائد وقوله تعالى واتى المال على حبه اى اعطى المال مع حب المال
وقيل مع حب الايتاء وقيل اى مع حب الله وهذا من حقوق البشر وهذه الاقاويل الثلاثة صحيحة اما
صرف الكناية الى المال فقد سبق ذكره وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة
ان تؤتى المال وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر واما صرفها الى الله تعالى فلا نه ذكر فى قوله من امن
بالله وايتاء المال على حب الله هو طلب رضاه وابتغاء وجهه واما صرفها الى الايتاء فلان الفعل ذكر وهو قوله
واتى وهو يقتضى المصدر فيجوز صرف الكناية اليه وهو كما فى قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم اى البخل وقوله تعالى ذوى القربى اى واتى المال اقرباءه ووصل بذلك الرحم وقوله
تعالى واليتامى اى واتى اليتامى وقوله تعالى والمساكين اى واتى المساكين وقد فسرنا هذه الثلاثة فى
قوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وقوله تعالى وابن السبيل اى واتى عابر السبيل اى الغريب المنقطع
عن ماله فسماه ابن السبيل لملازمته اياه كما يقال للطير ابن الماء ووحد فى هذه الاية وعرفه بالالف واللام فصلح
للجمع كاسم الجنس وقوله تعالى والسائلين اى واتى المحتاجين الذين يسألون وقوله تعالى وفى الرقاب
اى وانفق المكاتب من بعد ذكر الشرايع وذلك قوله تعالى واقام الصلوة واتى الزكاة هو عطف على قوله
من امن بالله فهذا الكلام فى هذين الفعلين فى ايات وقوله تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف
على قوله من امن بالله ومن لفظه واحد ومعناه الجمع لانه جنس وكذا قوله امن واتى وهو الجمع وتقديره
ولكن اهل البر والمؤمنون بالله وبكذا والموتون المال والموفون بعهدهم وتفسير العهد قد مر مرات
وقوله تعالى والصابرين فى الباساء والضراء اى فى الفقر والمرض وهذا التفسير عن ابن
مسعود رضى الله عنه والباساء فى اصل اللغة نقيض النعماء والبوسى نقيض النعمى والبوس نقيض النعم
والبئس نقيض النعم والبائس نقيض الناعم فكانت عبارة عن عدم النعمة فدلت على الفقر والفاقة والضر
فعلاء من الضر فدلت على انها عامة فى اسباب الضرر كلها ويقال انا شريكك فى السراء والضراء اى فيما
يسر وفيما يضر وتقديرهم فى المحاب والمكاره كلها وقوله تعالى وحين الباس اى فى حالة القتال
قال تعالى ولا ياتون الباس الا قليلا وقال تعالى اولى باس شديد اى الذين يبذلون انفسهم فى نصرة الدين
فلا يولون الادبار منهزمين ونزلت الاية فى حرب الاحزاب وكانوا فى غاية الشدة والضيق دون الحرب
اى واتى المال الذين يصبرون على الفقر والقلة والشدة والثانى انه عطف على قوله من امن ومن اتى
والموفون وحقه الرفع وانما نصب على المدح من امن والعرب عند طول الكلام ذلك فى المدح والذم قال
قائلهم لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وافة الجزر النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

وقوله تعالى اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون اى هم الموفون حق الصدق قولا وفعلا وعقدا وحق التقوى خطرا وكراهة وبدا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الاية الاولى بان حق الله تعالى وحق العباد ومن اعظم حقوق العباد الدما ودلت الاية على ان الكبيرة لا تزيل الايمان فقد خاطبهم بالايمان عند ايجاب القصاص عليهم بنقض العهد الذى هو من الكبائر الذى ورد فيها اشد وعيد وتهديد ونظرا اخوان اهل الكتاب وصفوا بالتحريف وكتمان امر النبى صلى الله عليه وسلم وانهم لا يوصفون بالبر بالخوض فى امر القبلة مع تبديلهم احكام كتابهم وفيما ما قد ذكرنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وهو ما تبين فى حكمهم بالتفاوت بين النضيرى والقرظى وقوله تعالى كتب عليكم القصاص اى فرض كما فى قوله كتب عليكم الصيام وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقيل اى حكم كما فى قوله كتاب الله عليكم والفريضة على القاتل حقا لولى المقتول ثم له الخيار فى الاستيفا والعفو والصلح بالتراضى وقيل الفريضة على الاقتصار على القاتل فى القصاص دون التعدى الى ما كانوا يرونه من قتل عدد كثير بفرد واحد او بعبد وقوله تعالى الحر بالحر اى يقتص الحر القاتل بالحر المقتول فلا يتعدى الى غير القاتل ۞ والقصاص هو اتباع الفعل فعلا مثله من قولك قصصت اثره اى اتبعته قال تعالى فارتدا على اثارهما قصصا وقالت لاخته قصيه وقد قصصت الحديث قصصا اى اتبعت بعضه بعضا وقوله تعالى والعبد بالعبد والانثى بالانثى اى العبد القاتل بالعبد المقتول والانثى القاتلة بالانثى المقتولة وليس فيه جريان القصاص بين الحر والعبد والذكر والانثى بل فيه منع عن التعدى الى غير القاتل وسبب نزوله ان بنى النضير كانوا يقولون لبنى قريظة اذا قتلتم منا عبدا قتلنا منكم حرا واذا قتلتم منا امراة قتلنا منكم رجلا واذا قتلتم منا حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك الى ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ولما كان يوم بدر وقتل صناديد قريش وقصد النبى صلى الله عليه وسلم بنى النضير وبنى قريظة طلبوا الدية ورضوا بحكم الاسلام فيهم فى القصاص والدية وغير ذلك مدة ثم قتل واحد من بنى النضير فقالوا لبنى قريظة لا نرضى الا بقتل رجلين منكم فقالوا تحاكموا الى محمد فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال دم النضيرى وفاء للقرظى ودم القرظى وفاء للنضيرى ولا فضل بينهما فقالت بنو النضير لا نرضى بهذا فنزل قوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون الاية ونزل قوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى الاية وقوله تعالى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف تقدير الاية وتفسيرها على قول ابن عباس والحسن البصرى والضحاك ومجاهد رضى الله عنهم فمن اعطى على سهولة واريد به ولى القتل يقال خذ ما اتاك عفوا اى سهلا وقوله تعالى من اخيه شئ اى من جهة اخيه المقتول وقوله شئ اى شئ من المال بطريق الصلح ونكره لانه مجهول القدر فانه يتقدر بما تراضيا عليه وقوله تعالى فاتباع بالمعروف اى فليه اتباع اى فلولى القتل اتباع المصالح بمعروف اى مطالبة ببدل الصلح على مجاملة وعلى معاملة وقوله تعالى واداء اليه باحسان اى وعلى المصالح اداء الى ولى القتل باحسان فى الاداء وقال جماعة وهو مروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم الاية فى عفو بعض الاوليا ويدل عليه قوله شئ فانه يراد به البعض وتقديره فمن عفى عنه وهو القاتل من اخيه فى الدين وهو المقتول شئ من القصاص فان كان للقتيل اوليا فعفى بعضهم فقد صار نصيب الباقين مالا وهو الدية على حصصهم من الميراث وقوله فاتباع بالمعروف اى فليتبع الذين لم يعفوا القاتل بطلب حصصهم بالمعروف اى بقدر حقوقهم من غير زيادة وقوله واداء اليه باحسان اى وليؤد القاتل الى غير العافى حصته وافيا غير ناقص واريد بالمصدر فى قوله فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان الامر بهذا الفعل كما فى قوله تعالى فتحرير رقبة وقوله فصيام ثلاثة ايام وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فالمنقول هذان الوجهان عن الصحابة والتابعين وعامة المفسرين رضى الله عنهم اجمعين والشافعى رحمه الله يحمله على العفو المطلق من ولى القتيل ويجعله موجبا للدية ويقول الواجب فى القتل العمد احد شيئين اما القصاص واما الدية ويتخير فيهما الولى وله قول اخر ان الواجب هو القصاص عينا وللولى ان يعدل عنه الى الدية ويحمل هذه الاية على موافقة مذهبه ويقول معناه فمن عفى له وهو القاتل عفى عنه القصاص فللعافى اتباع القاتل بالدية وعلى القاتل اداء الدية اليه باحسان وهذا لا وجه له لانه ندا سوى فى كل حقه فكيف يكون عافيا اذا ترك القصاص واخذ الدية كان كذلك اذا استوفى القصاص وترك الدية وهذا بعيد وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فانه على مراد العبد ورضاه وقال ابن عباس والحسن البصرى رضى الله عنهم كان فى شريعة موسى عليه السلام القتل لا غير وفى شريعة عيسى عليه السلام العفو لا غير وفى شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن والصلح جائز على حسب مراد العبد انفع له واشفى لغليله واوفق لمراده وقوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك اى قتل قاتل وليه بعد العفو او الصلح وتعدى بعد ذلك حد الشرع وقوله تعالى فله عذاب اليم هو القصاص فى الدنيا والعقاب فى العقبى وقوله تعالى

ولكم فى القصاص حيوة اى فى شرعه واستيفائه فان من قصد قتل انسان وعلم انه يقتل به قصاصا امتنع عن قتله فبقى المقصود بقتله حيا وكذا من قتل انسانا وعلم ان اولياءه يقتلونه تشفيا فيقتلهم لئلا يقتلوه فاذا قتل قصاصا بقوا احياء وهى حيوة معنوية وقوله تعالى يا اولى الالباب اى العقلاء وهم المذكورون وجوه الحكمة بالتفكر فخصهم بذلك على الذين وقوله تعالى لعلكم تتقون له وجهان احدهما لتتقوا القصاص فتكفوا عن القتل والثانى لتتقوا القتل حذرا من القصاص وروى اسباط عن السدى قال فى قوله ولكم فى القصاص حيوة ههنا ان نقتل الا القاتل بجنايته معناه ان اهل الجاهلية كانوا يقتلون بالواحد جماعة فاذا اقتصر بالقود على الواحد وهو القاتل قل القتل وبقى من لم يقتل حيا وقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا واتصال هذا بما قبله ان الاول حكم موت مخصوص وهذا حكم كل موت وقوله اذا حضر احدكم الموت اى قارب كما يقال قد بلغنا البلد اى قاربناه وقيل معناه اذا حضر احدكم الموت بسبب الموت وهو الامر الذى يكون معه الموت فى الغالب من المرض المخوف ونحوه وقوله ان ترك خيرا اى علم انه يترك فان حقيقة الترك تكون بعد الموت او لانه اذا مرض مرض الموت تعلق حق الورثة بماله فكانه تركه لهم وقوله خيرا اى مالا قال تعالى لا يسام الانسان من دعاء الخير اى المال ثم قيل انه يقع على القليل والكثير منه وهذا الحكم ثابت فى اى مال كان قال تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الى ان قال مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وقال الزهرى جعل الله تعالى الوصية حقا مما قل من المال او كثر وقيل معناه ان ترك مالا كثيرا فانه اذا اطلق اريد به هذا يقال فلان ذو مال لا يطلق ذلك لمن له مال قليل وكذا فلان فى نعمة وفى خير وفى رزق ولا يطلق ذلك الا عند الكثرة وعلى هذا لا تجب الوصية الا فى المال الكثير وروى عن على رضى الله عنه انه دخل على مولى لهم فى الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصى فقال لا انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا قال لها انى اريد ان اوصى قالت له كم مالك قال ثلاثة الاف قالت كم عيالك فقال له اربعة فقالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وهذا الشئ يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وقوله تعالى الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف هم الاولاد وكانت الوصية للوالدين والمولودين قبل شرع المواريث ثم نسخت هذه الوصية باية المواريث وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاقربون اولى بالمعروف غير الاولاد فكانت المواريث اولا للاولاد والوصية للوالدين ولسائر الاقارب وقيل هذه الاية غير منسوخة وهذه الوصية للوالدين والاقربين الذين لا يرثون بسبب الكفر وهم اهل ذمة فيوصى لهم وللاقرباء المسلمين المحجوبين باقرب منهم وقوله تعالى بالمعروف اى بما هو جميل فى عرفكم كاف فى اجتهادكم وقوله تعالى حقا على المتقين اى كتب ذلك عليكم حقا او يحق ذلك حقا ان كنتم تتقون الله اى من كان متقيا لله لم يترك العمل بهذا وقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه اى بدل قول الموصى والايصاء او الوصية لكنها مع انها مؤنثة فليست بمؤنثة حقيقية فيجوز تذكيرها وتانيثها قال تعالى فمن جاءه موعظة وقال فقد جاءتكم موعظة وقوله تعالى فانما اثمه على الذين يبدلونه اى فمن غير ما اوصى به الموصى فلم يصرفه مصارفه فلا اثم على الموصى لانه ادى ما وجب عليه وانما الاثم على المغير وقوله تعالى ان الله سميع عليم اى سمع كلام الموصى وعلم تبديل الوصى وهو يجازى كل واحد منهم بما يستحقه وقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما اى فمن علم كما فى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله لانه اذا علم بذلك خافه وقوله جنفا اى ميلا قال تعالى غير متجانف لاثم وقوله او اثما اى فعلا يأثم به فقيل الجنف الميل من غير قصد والاثم ما يقع منه على عمد لانه انما يأثم بالقصد فعلم به انه اراد بالجنف ما وقع به الميل عن الحق من غير قصد وقوله تعالى فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اى رد ذلك الفساد الى الصلاح اى اصلاح اى اذا جهل الموصى موضع الوصية او زاد على مقدار الوصية او اوصى بما لا يجوز فاصلح الوارث او الوصى او الامام او القاضى بينهم اى بين الميت والورثة والموصى له فصرف المال الى الموضع المشروع ونفذ فى القدر المشروع فلا اثم عليه فى هذا التبديل من حيث الصورة وهذا اذا تيقن بالفساد قال فان كان امرا مظنونا بغالب الراى فمعنى قوله فاصلح بينهم اى بين الورثة واصحاب الوصايا بالصلح بتراضيهم وقيل هذا فى حال حيوة الموصى وحمله على الصلاح فلا اثم عليه اى على هذا الموصى بما قال اولا ثم تركه وعاد الى الامر المشروع وكل ذلك صحيح ويجوز ان يكون ذلك كله مرادا بالاية فى مختلف الاحوال ان الله غفور رحيم اى للموصى اذا رجع الى الحق رحيم بالوصى اذا اصلح الامر وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام اتصاله بما قبله من وجوه احدها انه ذكر كتابة القصاص ثم كتابة الوصية ثم كتابة الصيام والجامع بينهما الكتابة والثانى ان الجامع بينهما التقوى قال فى ذكر اصول الدين وفروعه فى اخر الاية واولئك هم المتقون وقال فى القصاص بعده لعلكم تتقون وقال فى الوصية حقا على المتقين وقال فى الصوم لعلكم تتقون والثالث ان الوصية قربة بالمال والصيام عبادة بالبدن والرابع ان الوصية

حق الخلق والصوم حق الحق وقوله تعالى كتب عليكم الصيام اى فرض عليكم والصيام والصوم فى اللغة هو الامساك يقال صامت الدابة على آريها اذا قامت فلم تعتلف وصام الفرس موقفه وقالت مريم عليها السلام انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا وصام النهار اذا قام قايم الظهيرة وذلك اذا قامت الشمس فى كبد السما فكانها تقف وصامت الريح اذا ركدت فلم تهب قال الشاعر ٭ فدعها وسل الهم عنك بجسرة ٭ ذمول اذا صام النهار وهجرا ٭ وفى الشرع هو الكف عن المفطرات بشرطه من اهله فى وقته والمراد من الصيام هاهنا هو صيام شهر رمضان فانه قال بعده اياما معدودات وقال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه بعد قوله شهر رمضان وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم اى لم اخصكم به فقد فرضته على الاولين وفيه تخفيف على الاخرين وتكلموا فى وجه هذا التشبيه كما كتب على الذين من قبلكم قيل انه تشبيه فى اصل الوجوب لا فى قدر الواجب فكان الصوم على آدم عليه السلام ايام البيض وقصته معروفة وصوم عاشوراء كان على قوم موسى عليه السلام وكان على كل امة صوم والتشبيه لا يقتضى التسوية من كل وجه قال صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى ويقال فى الدعا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقال فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هذا التشبيه فى الاصل والقدر والوقت جميعا وكان على الاولين صوم رمضان لكنهم زادوا فى العدد ونقلوا من ايام الحر الى ايام الاعتدال وقوله تعالى لعلكم تتقون كلمة لعل كلمة ترج اى ارجوا به ان يصيروا متقين بالشرع فى الصوم وفيه تجويع النفس عن الطعام والشراب وفيه كسر الشهوات فتنالوا به درجات المتقين وتستحقوا به ثنائى الذى اثنيت به عليهم وجعلت هذا الكتاب هدى لهم فقلت فى اول هذه السورة هدى للمتقين وقوله تعالى اياما معدودات نصبه لوجوه احدها كتب عليكم الصيام اياما على الظرف والثانى كما كتب على الذين من قبلكم اياما على الظرف ايضا والثالث لعلكم تتقون اياما على الظرف ايضا وقوله معدودات نصب لانه نعت للايام وكسر لانه تاء غير اصلية وهذا الجمع بخلاف قوله اياما معدودة ووصفها بالمعدودات للتقليل وهو التسهيل وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فرض الصوم فى هذه الايام انما يلزم الاصحا المقيمين فاما المريض والمسافر فلهما تاخير الصوم من هذه الايام الى ايام اخر وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وفى قراءة نافع وابى جعفر وابن ذكوان عن ابن عامر فدية طعام مساكين على الاضافة والجمع وفى قراءة الباقين فدية طعام مسكين بالتنوين على الواحد وروى هشام عن ابن عامر فدية بالتنوين طعام مساكين على الجمع فوجه الاضافة ان الفدية مصدر كالرعية والجزية ومعناه اعطا طعام مساكين ووجه التنوين ان الفدية اسم ومعناه فعليه فدية ثم قوله تعالى طعام مساكين بدل عنها وبيان لقدرها او معناه فعليه فدية وهى طعام مسكين والفدية البدل القايم مقام الشى لغة وشرعا وافراد المسكين لكل يوم وجمع المساكين لكل ايام والفدية مقدرة بنصف صاع من الحنطة او بمد من الطعام عند الشافعى رحمه الله ومعنى الاية وعلى الذين يطيقونه اى يقدرون على الصوم اى لا تكونوا مرضى او مسافرين ان تفتدوا عن كل يوم طعام مسكين فلا تصوموا وكان هذا فى الابتدا وكان المطيق يخير بين ان يصوم وبين ان يفتدى ولا يصوم ثم نسخ بما بعده من الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل تقديره وعلى الذين يقدرون على الصوم فلا يصومون وهذا مضمر كما فى قوله تعالى فعدة من ايام اخر قوله فافطر وفى قراءة عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وعلى الذين يطوقونه يكلفونه فلا يطيقونه وفى قراءة حفصة وعلى الذين لا يطيقونه وقيل هو الشيخ الفانى فعلى هذا لا يكون منسوخا فانه حكم ثابت مجمع عليه وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له قيل اى تبرع فاطعم اكثر من مسكين فهو افضل وقوله تعالى وان تصوموا خير لكم اى الصوم افضل من الفدية والافطار وكان هذا فى الابتدا وقيل وان تصوموا فى السفر والمرض خير لكم لانه اشق عليكم ولانه ابعد من خطر الفوت ولانه اعجل وقيل الصوم افضل من التطوع باعطا فدية اكثر من مسكين فهى على ثلاث درجات خيرهم اولا بين ان يصوموا وبين ان يفدوا مسكينا واحدا ثم بين ان اطعام اكثر من مسكين افضل من اطعام مسكين واحد ثم بين ان الصوم افضل من اطعام اكثر من مسكين وقيل وان تصوموا عطف اى متصل والحال ان الصوم خير لكم على قوله تعالى كتب عليكم الصيام وفى الصوم خير لكم وليس للتفضيل بل معناه وفيه خيرات لكم ومنافع دينا ودنيا وقوله تعالى ان كنتم تعلمون غاية ثواب الصوم وقيل ان كنتم علما مميزين وتدبرتم اى علمتم ما فى الصوم من التقوى والكرامات فى الدنيا والعقبى وقوله تعالى شهر رمضان اى الايام المعدودات شهر رمضان وقيل هو مبتدا وجوابه اى خبره الذى انزل فيه القرآن وقيل لما تطاول ما بين الايام المعدودات وبين الشهر ارتفع الشهر فى اضمار ذلك اى تلك الايام ايام شهر رمضان وقيل معناه كتب عليكم شهر رمضان ان تصوموه وشهر رمضان اضافة الشى الى نفسه كحبل

عندنا

الوريد

الوريد وحب الحصيد وقيل هو اضافة اسم الجنس الى النوع كيوم الجمعة وقيل رمضان اسم الله جل جلاله والشهر مضاف اليه ولذلك روى لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وقوله تعالى الذى انزل فيه القرآن وقيل معناه انزل فى بيان فضله او فرض صومه شى من القرآن وقيل انزل كل القرآن فى رمضان ووجه اخر ما روى ان القرآن انزل جملة واحدة الى السما الدنيا فى ليلة القدر وليلة القدر فى شهر رمضان ثم انزل نجوما على النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة وصحت اضافة الانزال الى الشهر لما ان الليلة فى الشهر كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا والنفخ كان فى عيسى لكن عيسى كان فى بطنها فصحت اضافة نفخ الروح اليها لذلك وقوله تعالى هدى للناس نصب على الحال اى انزل وهو هداية الناس نصب لانه خيرهم كل شهر ثم نسخ ذلك بصوم رمضان على الاختيار والافطار بالفدا ثم حتم عليهم صوم رمضان بالليل والنهار فكانوا لا ياكلون ولا يشربون ولا يباشرون الا عند الافطار وقبل العشا وقبل النوم ثم وقع لبعضهم الاكل والشرب والمباشرة بعد العشا فندموا وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تدارك ذلك ثم نزلت هذه الاية وقوله تعالى وبينات عطف عليه فى محل النصب ومعنى وصف القرآن بانه هدى للناس وبينات فان الهدى البينات والبينات الدلائل وقيل هدى اى هاديا الى اصول الايمان وبينات اى شرايع بينة ظاهرة قوله تعالى من الهدى والفرقان اى من الدين الحق والفرق بين الحق والباطل فجا يهدى الحق ويفرق بين الحق والباطل قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر اى من حضر منكم وادرك الشهر وهو شهر رمضان والالف واللام لتعريف المشهود وقوله تعالى فليصمه هو امر حتم وانتسخ به التخيير بين الصوم والفدا والافطار وقوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وفى اعادة هذا بعد ذكره مرة وجهان احدهما ان الاول كان لتخيير الصحيح المقيم بين الصوم والفدا والافطار ولتخيير المريض والمسافر بين القضا وبين الفدا اذا صح هذا واقام فهذا اختص الصابر فى الشهر للصحيح المقيم وحتم القضا اذا صح المريض واقام المسافر وقيل الاول اشتمل على حكم الصحيح المقيم وعلى حكم المسافر والمريض ثم نسخ حكم الصحيح المقيم الى الحتم بعد التخيير فاعيد حكم رخصة الافطار فى المرض والاسفار ليعلم انه باق غير منسوخ ثم قوله تعالى مريضا او على سفر تقديره مريضا او مسافرا وهو كقوله تعالى دعانا لجنبه او قاعدا او قايما وقوله تعالى فعدة من ايام اخر اطلاق يقتضى التخيير بين الجمع والتفريق بين القول ولم يجز تقييده بالتتابع والخبر الواحد لان النص لا يترك به قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال ابن عباس رضى الله عنهما الترخيص فى الافطار فى الامراض والاسفار وقيل يريد يسركم فى نقلكم من شرع الى شرع وان كان الثانى اشق عليكم طبعا فان الحكم الاول فى هذا كان التخيير ثم الحتم وهذا اشق لكنه يسر ايضا ومعنى يسرا هو الوصول الى النعيم المقيم ولذلك سمى الله عز وجل اعمال الخير يسرا فقال تعالى فسنيسره لليسرى واعمال الشر عسرا فقال تعالى فسنيسره للعسرى ولا يسر كدخول الجنة ولا عسر كدخول النار وقوله تعالى ولتكملوا العدة قيل الواو زايدة كما فى قوله تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها وقيل وهو الصحيح وتقديره يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ويريد ان تكملوا العدة واللام وان فى هذا المعنى سواء وقيل اراد به اكمال عدة القضا مما افطر فى المرض والسفر وقيل السفر هو المذكور قبله نكرة واعيد معرفة وقيل اريد به عدة الادا فقد ذكر قبله اياما معدودات والشهر عدة وقال صلى الله عليه وسلم فان غمى عليكم الهلال فاكملوا العدة وسمى عدد الشهر بهذا ويجوز ان يكونا جميعا قبله قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم لاحكام شريعته وقيل اى ولتكبروا ابعد العيد التكبيرات الواردة فيه قوله تعالى ولعلكم تشكرون اى واشكروا الله على ما انعم عليكم من النعم الدينية والدنيوية باللسان والقلب والبدن والمال وقيل اى ولتفعلوا ما امركم به فانه شكر الله تعالى وهذا كقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا له وكل العبادات مشروعة بطريق الشكر قوله تعالى واذا سالك اى يا محمد وقوله عبادى شرفهم بالاضافة الى نفسه وقوله تعالى عنى اى عن صفتى ومعاملتى معهم اذا دعونى وقوله تعالى فانى قريب ولم يقل فقل كما فى ساير سوالاتهم واراد به قرب الاجابة والرحمة فانه تعالى يتعالى عن قرب المكان فانه كان ولا مكان وهو اليوم على ما كان وقوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان كان سوالهم عن معاملة الله تعالى اياهم اذا ندموا على ما فعلوا ودعوا الله تعالى بقبول التوبة ومحو الحوبة فاخبر انه يجيبهم فيما دعوا ويجيب كل داع فيما دعا وقوله تعالى فليستجيبوا لى اى انا اجيبهم فيما دعونى فليجيبونى فيما دعوتهم اليه بالامر والنهى ثم اجابة الدعا وعد صدق من الله تعالى لا خلف فيه ومن دعا بحاجة فلم تقض فى الحال فذلك لوجوه منها ان الاجابة حاصلة لا محالة فان اجابة الدعوة غير قضاء الحاجة وقضاء الحاجة غير اجابة الدعوة ان يقول العبد يا رب فيقول الله تعالى لبيك عبدى وهذا موعود موجود لكل مؤمن راشد وقضاء الحاجة اعطاء المراد وايصال المرتاد وذلك قد يكون فى الحال وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الاخرة

وعندنا

وقد تكون الخيرة له في غيره ومنها ان الاجابة ليست بجهة واحدة بل لها جهات فقد روى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دعوة المسلم لا ترد الا لاحدى ثلاث
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم اما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر في الاخرة واما ان يصرف عنه من السوء
بقدر ما دعا ومنها ان الاجابة وان كانت مطلقة في هذه الاية فقد قيدها تعالى في اية اخرى بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء علق الاجابة بالمشيئة ومنها انه شرط لهذه الاجابة اجابة العبد اياه فيما
دعاه اليه بقوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي قيل اي فليستجيبوا لي عملا وليؤمنوا بي عقدا قيل
اي فليدعوا على اجابتي والايمان في الاستجابة والاجابة واحد كالاستثابة والاثابة والاستيقان
والايقان وقال الشاعر• وداع دعا يا من يجيب الى الندا• فلم يستجبه عند ذاك مجيب• جمع بين المعنيين
وقوله تعالى لعلهم يرشدون اي ليبقوا على الرشد وهو الاهتدا وقد رشد يرشد رشدا ورشادا فهو
راشد من باب علم بفتح الرا والشين من المصدر وقيل معنى الدعا في هذه الاية هو العبادة قال تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ثم قال ان الذين يستكبرون عن عبادتي وقال تعالى قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم
ومعنى الاجابة من الله تعالى هو القبول كما قال تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله ومعنى الاستجابة من العباد هو الانقياد لامره والعمل بطاعته قال تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم ومعنى قوله لعلهم يرشدون اي انهم اذا فعلوا هذا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم
لان هذا وصف الشرايع وقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم ازال عنهم ما به كانت
يقع الزلل منهم فقال حلل لكم ما كان حراما عليكم وقوله ليلة الصيام نصب على الظرف اي في ليل الصيام
وهي الليلة التي يصبح الرجل في غدها صايم وقوله تعالى الرفث الى نسائكم اي الافضاء اليهن لقضاء
حاجاتهم منهن من الجماع وغيره والرفث في اللغة هو قول الفحش وقد رفث من باب دخل وارفث يرفث
اي جاء بالرفث ثم جعل ذلك اسما لما يتكلم به عند النساء من معاني الافضاء اليهن ثم جعل كناية عن الجماع
وعن كل ما يتبعه وقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن قال ابن عباس رضي الله عنهما اي هن سكن لكم
وانتم سكن لهن وهذا كقول الله تعالى وجعلنا الليل لباسا وقوله تعالى وجعلنا الليل سكنا وقيل معناه هن ستر
لكم وانتم ستر لهن اي عن الحرام في الدنيا والنار في الاخرة اذا تعففا عن ذلك وقال الامام ابو بكر القفال
عني به خصوصية الاختلاط وسكون كل واحد منهما الى صاحبه واجتماعهما في الثوب الواحد حتى يكون كل واحد
منهما للاخر في الانضمام كاللباس وعلى هذا المعنى يقال لامراة الرجل فراشه وازاره وقال النابغة الجعدي في
هذه القصيدة• اذا ما الضجيع ثنى جيدها• تداعت فكانت عليه لباسا• وقوله تعالى علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم اي كان الله تعالى علم في الازل انكم تكونوا خاينين انفسكم في مباشرة النسا في ليالي
الصوم والخيانة ضد الامانة وقد ايتمن الله تعالى العباد على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر
فقد خانوه وقد قال الله تعالى ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وقد روي انه وقع ذلك لعمر رضي الله عنه
وقال له النبي صلى الله عليه وسلم غدا فقد ما كنت جديرا بهذا يا عمر ونزلت الاية في شانه وصارت زلته سببا
للرحمة في جميع الامة وقوله تعالى فتاب عليكم اي قبل توبتكم فيما وقع لكم من ذلك وقوله تعالى وعفى عنكم اي تجاوز
ذلك عنكم بالتجاوز وقيل هذا اثبات الخيانة منهم على التحقيق وقبول توبتهم وعفو ذلك عنهم بعد الوقوع
لكن معناه ان الله تعالى علم انه يقع ذلك منكم لو بقي الحكم كذلك فتاب عليكم اي فرجع برحمته والتوبة هي الرجوع
لغة فازال ذلك عنكم وقوله تعالى وعفى عنكم اي اسقط عنكم ذلك وهو كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم
عن صدقة الخيل والرقيق وليس ذلك تجاوزا عن ذنب وقال تعالى في التوبة علم ان لن تحصوه فتاب عليكم وكان
ذلك اسقاطا عن غير تقدم ذنب وقوله تعالى فالان باشروهن الان اصله فعل بمعنى كان ثم جعل اسما للزمان
الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتحة وقوله باشروهن اي جامعوهن واصل المباشرة الزاق البشرة
بالبشرة ثم يسمى الجماع مباشرة على الكناية وجميع ما يتبعه يدخل فيه وقوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم
اي واطلبوا يقال بغى بغا بضم البا والمد اي طلب وابتغى ابتغا كذلك والبغية الطلبة وقوله تعالى
ما كتب الله لكم يقال اصل كتب هو ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مما هو كاين ثم يتفرع منه معاني يرجع الى
هذا الاصل منها القضا قال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الاية لانه مما فرغ حين كتب ومنها الفرض
قال تعالى كتب عليكم الصيام لان ما كتب فقد ابرم وفرغ منه ولا سبيل الى رده ومنها الجعل قال الله تعالى
فاكتبنا مع الشاهدين قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون لان ما جعل على وجه فقد ابرم وفرغ منه ومنها
الاحلال قال الله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم اي احل لكم لان ما احل فقد ابرم على ما فيه الصلاح للعباد وفرغ منه
ويجوز حمل ما في هذه الاية على هذا الوجه واطلبوا المباشرة ما احل الله لكم ولا تتعدوا الى غيره من الاتيان
في الدبر وفي حالة الحيض وقيل اي واقتصروا على ازواجكم وما ملكت ايمانكم ولا تبتغوا غيرهن قال تعالى فمن ابتغى

وقيل بضم الرا المصدر في الرشد
رشد يرشد فهو رشيد
ورشد يرشد
من حد

وراء ذلك فاولئك هم العادون وقيل وابتغوا بذلك الولد قال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا
فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة وعلى هذا يكون كتب الله لكم اي احل لكم من الاقتصار على الحلال ورأى الحسن
ابن ابي الحسن البصري فاصا ينفض ويقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ولد الرجل عدوه لو عاش كده ولو
مات هده فقال تعلومنا بالمسلمين وتكذب على رسول رب العالمين سمعت فلانا يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ولد الرجل كنزه ان عاش دعا له وان مات شفع له وقيل هو طلب ثواب قيام بعض
الليل ندبهم الى قيام بعض الليل بعد طلب حظ النفس وقيل هو طلب ليلة القدر فانها في شهر رمضان وهو
ندب الى احياء بعض الليل الدجى وذلك قوله تعالى وكلوا واشربوا هو اباحة الاكل والشرب وكذا قوله
باشروهن امر اباحة ايضا بعد ما كان حراما وقوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر هو بيان الغاية ومعناه حتى يظهر لكم بياض النهار من سواد الليل وسمي خيطا لان اول
ما يظهر يكون رقيقا كالخيط ثم ينتشر وانشدوا لابي داود• فلما اضاءت لنا سدفة• ولاح من الصبح
خيط انارا• وقوله تعالى من الخيط الاسود هو مقابلة الخيط الابيض وذلك دقيق وهذا ليس في دقته
لكن يجوز اطلاقه عند المقابلة وقيل الخيط الابيض ابتداء ظهور النهار والخيط الاسود بقية سواد الليل وكان
كل واحد منهما يرجع الى القلة ذاك اول ما بقي من مدته وهذا اول ما ظهر من اثره وقال الشاعر• الخيط
الابيض وقت الصبح منصدع• والخيط الاسود جوف الليل مركوم• وقوله تعالى من الفجر من للتبعيض
وهو دلالة انه اذا ظهر شي منه دخل وقت الصوم وقيل هو للبيان قال سهل بن سعيد الساعدي نزلت
هذه الاية حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل قوله تعالى من الفجر وكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له منهما
فانزل الله تعالى بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما عنى بذلك الليل والنهار وعن عدي بن حاتم انه قال قلت
يا رسول الله وضعت تحت راسي خيطا فلم يتبين لي شي قال انك اذا لعريض الوسادة انما ذلك الليل
من النهار والنهار من الليل ونزلت اباحة الاكل والشرب بسبب ابي قيس صرمة بن انيس العنوي من اهل
ابن عدي كان يعمل في النخل طول النهار فلما امسى ودخل بيته وهو صايم واهله في اتخاذ الطعام فقعد
ينتظر الطعام فغلبه النوم فانتبه وقد مضى وقت الاكل فلم ياكل شيا واصبح وهو مجهود فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ما لك فقص عليه القصة فنزلت الاية وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل
اي ادبموا الامساك عن المباشرة والاكل والشرب في جميع اجزاء النهار ومدة الى غايته وهي دخول الليل
وذلك بغروب الشمس والاتمام والادامة على التمام وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد الواو للحال اي في حال اعتكافكم بين ان المباشرة تحل في ليالي شهر رمضان لكن لغير المعتكف
والعاكف في اللغة هو المقيم وقد مر شرحه في قوله تعالى والعاكفين وقوله تعالى في المساجد دل على ان الاعتكاف
لا يصح الا فيها وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها تلك اشارة الى الاوامر والنواهي سبق ذكرها يقول
تلك تقادير قدرها الله تعالى واعلام بينها الله تعالى فلا تخالفوها وقوله فلا تقربوها اقرب في المنع من قوله
فلا تخالفوها لانه اذا لم يقربها لم يباشرها وسميت حدودا لانها موانع واصل الحد المنع وحدود الشرع
موانع عن الجنايات وحدود الدار موانع عن الاختلاط والحداد السجان والحداد البواب ومما ما نعات
والمحدود الممنوع الحظ قال الشاعر• لا تقعدون العادون خالفكم• وان دعيتم فقولوا دون محدود•
اي منع وقال تعالى ايضا تلك حدود الله فلا تعتدوها قيل النهيان جميعا في كل الحدود فلا ينبغي ان يقرب
حدا اي ما منع عن اتيانه ولا ان يتعدى حدا وهو ما منع عن مجاوزته والحاصل ان عليه الوقوف عندها وقف
فلا يتخلف عنه ولا يتجاوزه وقيل تلك حدود الله فلا تقربوها في النواهي وتلك حدود الله فلا تعتدوها في الاوامر
وقوله تعالى كذلك يبين الله اياته للناس اي امره ونهيه ووعده ووعيده واحكامه وقوله تعالى لعلهم
يتقون اي ليتقوا وقيل اي ليتهيا لهم التقوى عند ورود البيان صريحا ودلالة واشارة وقيل اي الحكمة في
البيان هي التقوى وهي الاتيان بالمامورات والانزجار دون تجدد السماع وقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل اي ومن تلك الحدود والايات ان لا ياكل بعضكم مال بعض بوجه هو غير الوجوه التي احل الله تعالى
بها ذلك وقال ابن عيينة هو كل ما هو كل امر لا يصلح اي الغصب والسرقة والرشوة والاكساب الخبيثة
والعقود الفاسدة ووجوه الخيانة وقوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام اي وتلقوا وهو من ادلاء الدلو
في البير اي لتلقوها فيها والكلمة وجهان احدهما انه على النهي وهو معطوف على قوله تعالى ولا تاكلوا ولا تعدوه
فيه وكذا هو في قراءة ابي بن كعب وهو كقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق والثاني انه على الظرف
واعرابه على النصب ومعناه لا تجمع بين اخذ مال الغير بالباطل وبين مخاصمته الى القاضي ليحلف عنه
ظالما وهو كقول الشاعر• لا تنه عن خلق وتاتي مثله• عار عليك اذا فعلت عظيم• وقوله تعالى

تقربوها

لتاكلوا فريقا من اموال الناس اى طايفة وبعضا منها وقوله تعالى بالاثم اى بالبينة الكاذبة او اليمين
الفاجرة وقوله تعالى وانتم تعلمون اى تعلمون انكم مبطلون واكلون بالباطل وقيل وانتم تعلمون وبال ذلك
وقيل وانتم تعلمون ما انزل الله بمن كان قبلكم بمخالفة الامر والنهى واكل اموال الناس بالباطل ونزلت الاية
فى عبدان بن الاشوع الحضرمى وامرئ القيس بن عابس الكندى ادعى عبدان على امرئ القيس ارضا غصبا
فى يده واختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعبدان الك بينة قال لا قال لك يمينه فقال اذن يذهب
بارضى فقال النبى عليه السلام ليس لك الا ذلك فحلف كاذبا بالله تعالى ما له قبله حق فنزلت الاية فاقر لعبدان
ورد ارضه واعطاه ارضا اخرى ايضا مكان ما اخذ من غلتها وقوله تعالى يسئلونك عن الاهلة انتظامها
بما قبلها ان الاولى فى منع اموال الناس عن اربابها والثانية فى تاخير اداء حقوق الناس عن آجالها فان
الاهلة من مواقيت آجال الديون من الاموال والاية نزلت فى عدى بن حاتم الطائى ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى
عنهما سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهلال فنزلت الاية اى يسالونك عن الاهلة ما لها تبدو صغيرة
ثم تصير بدرا ثم تعود كالعرجون وما معنى تغير احوالها والاهلة جمع هلال وهو اذا كان لليلة او لليلتين
وقيل هو هلال الى ثلاث وقيل الى ست سمى به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته ومنه استهلال
الصبى والاهلال بالحج ومنه ما اهل به لغير الله تعالى وقوله تعالى قل هى مواقيت للناس والحج وهى جمع ميقات
وهو الوقت وهى كالمواعيد جمع ميعاد والموازين جمع ميزان اى هى آجال الناس فى ديونهم وعقود سلمهم
واثمان بياعاتهم ومدد اجاراتهم وعدد نسائهم ومقادير لما نذروا لايمانهم وغير ذلك من حقوق الخلق
وكذا حقوق الله تعالى من الصيام والفطر والاضحى والزكوة وامور المتعلقة باوقات مخصوصة وخص من
بين العبادات الحج لانه اهم واشق وذلك دليل على غيره من هذه الامور ثم بين وقت الحج من الشهور فقال الحج اشهر
معلومات وقوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
ثم الشمس على حالة واحدة لانها ضياء للعالم وقوام لمصالح الناس والقمر يتغير لان الله تعالى علق به ما قلنا من المواقيت
وذلك يعرف بهذه الاختلافات ودبره الله عز وجل هذا التدبير العجيب لحاجة الناس الى ذلك وقوله تعالى وليس البر
بان تاتوا البيوت من ظهورها ظاهر هذا الابلاء ما ذكر فى اول هذه الاية وقيل هما حادثتان لكن اتفق
وقوعهما فى وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا فى وقت واحد وقال القفال رحمه الله اتبع الله تعالى ما ذكر من الاهلة
التى هى من مواقيت الحج ما كان الناس عليه من امور الحج يدخلون البيوت من ظهورها ووصل بذلك ذكر
القتال اشارة الى ما كان عرض النبى صلى الله عليه وسلم فى عام الحديبية التى كان فيها الاحصار فذكر بعده حكم
الاحصار ووصل به احكام الحج وما يتصل به وقوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها قال البراء بن
عازب نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من ابوابهم ولكن من ظهورها فجاء رجل
من قبل بابه فنزلت هذه الاية وقيل كانت الحمس وهم المتشددون على انفسهم من بنى خزاعة وبنى كنانة فى
الجاهلية وبدء الاسلام اذا احرموا واعتكفوا لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها فان كانت بيوتهم من الخيام رفعوا
ذيولها وان كانت بيوتهم من المدر نقبوا فى ظهر بيوتهم فدخلوا منها او من قبل السطح وقالوا لا ندخل بيوتنا
من الباب حتى ندخل بيت الله تعالى وكان منهم من لا يستظل بسقف بعد احرامه وان يدخل بيتا لا من بابه ولا
من خلفه ولكن يصعد السطح فيامر بحاجته من السطح وهذه اشياء وضعوها من عند انفسهم من غير شرع
فعرفهم الله تعالى ان هذا التشديد ليس ببر ولا قربة وقوله تعالى ولكن البر من اتقى اى البر بر من اتقى وهذا
الاضمار كما مر فى قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله والتقوى هو الايتمار بامره والانتهاء بنهيه وقوله تعالى
واتوا البيوت من ابوابها ولو قال فاتوا البيوت من ابوابها استقام وكان الفاء للتعقيب ووجه الواو
انه اضمر فاتركوا ذلك واتوا البيوت من ابوابها وقوله تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون اى لا تتكلفوا ذلك
تظهرون التقوى من انفسكم واتقوا الله بالقلوب لتكونوا ابرارا مفلحين وللاية تاويل آخر قاله الحسن قال كان
اهل الجاهلية منهم من يسفر وامر يصنعه فمنع عن ذلك لم يدخل داره من الباب حتى يحصل له ذلك وكان فى
قبائل من العرب من خرج لسفر او حاجة ثم رجع ولم يظفر بذلك لم يدخل داره حولا وكان ذلك طيرة فنهاهم
الله عن ذلك واخبر ان التطير ليس ببر وقال ولكن البر من اتقى اى بر من اتقى الله ولم يخف غيره وتوكل عليه
واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وحده لا غيره لتفلحوا وتفوزوا وتظفروا وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقيل وهو قول متكلف اشار اليه القفال وهو اوفق لما قبله ولما بعده
لكنه خلاف الروايات الظاهرة فيه وهو انه تعالى ذكر ان الاهلة من مواقيت الحج والحج اشهر معلومات وكان العرب
بالنسئ الذى يفعلونه يغيرون وقت الحج فقال تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها هو استعارة على
اداء الحج فى وقته وهو متعارف فى اللسان يقال فلان اتى الشئ من غير وجهه ومن خلفه وقال تعالى فنبذوه
وراء ظهورهم واتخذتموه وراءكم ظهريا وقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله ولما خرج النبى صلى الله عليه وسلم

من المدينة

من المدينة يريد مكة وكان بالحديبية وصده المشركون عن ذلك ثم وقع الصلح على ان يرجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم يجئ فى العام المقبل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فيطوف بالبيت وينحر الهدى ويفعل ما يشاء رجعوا
ثم خرجوا فى العام القابل للعمرة وخافوا ان لا يفى لهم قريش بذلك وان يصدوهم عن المسجد الحرام فنزل
قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم اى قريشا ان صدوكم وقاتلوكم وقوله تعالى ولا تعتدوا
اى لا تجاوزوا حد الشرع اى لا تبدؤهم بالقتال وقوله تعالى ان الله لا يحب المعتدين اى البادين بالقتال
فى هذا الحال قال الربيع هذه اول اية نزلت فى القتال بالمدينة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله
ويكف عمن يكف عنه وبذلك امره الله تعالى ثم نسخ هذا بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وبقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اى اين وجدتموهم فى الحل والحرم وفى الاشهر الحرم وفى غير الاشهر الحرم وهم الذين هتكوا حرمة الحرم
والشهر الحرام بالبداية فجاوزهم بمثله وقوله تعالى واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقوله تعالى
والفتنة اشد من القتل اى كفرهم بالله وتعذيبهم المسلمين اعظم اثما من قتلكم اياهم فى الحرم والفتنة
تقع على الكفر قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة وتقع على تعذيب المسلمين
قال تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه اى لا تبدؤهم فى الحرم كله والمسجد الحرام يقع على كل ذلك وقوله تعالى فان قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين اى فان بدؤكم به فيه ومن قرا حتى يقتلوكم فمعناه حتى يقصدوا قتلكم
او حتى يقتلوا بعضكم وهذا شائع فى اللغة وقوله تعالى فان انتهوا فان الله غفور رحيم اى فان لم يبدؤكم
فكفوا انتم فان الله غفور رحيم لكم بترككم قتالهم وان كانوا كفارا وقيل اى فان امتنعوا عن القتال والكفر
وابتداء الرسول واصحابه وامنوا فان الله يغفر لهم ما سلف من ذنوبهم ويرحمهم وقوله تعالى وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين لله اى اذا نقضوا العهد فقاتلوهم بعد ذلك الى ان يسلموا ولا يبقى كفر ويكون
الدين الظاهر هو الاسلام ولا تعقدوا بعده عهدا لشرك القتال بعد نقضهم وقوله تعالى فان انتهوا فلا عدوان
الا على الظالمين اى فان امتنعوا عن الكفر والقتال لم يبقوا ظالمين فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا
على الظالمين اى لا جزاء على العدوان الا لمن كان من اهل الظلم والعدوان وجزاء العدوان ليس بعدوان
على الحقيقة لكنه جزاء الحق وجزاء الشئ يسمى باسمه كما مر فى ذكر الخداع والاستهزاء فى اول هذه السورة وقيل معنى
قوله فلا عدوان الا على الظالمين الا على الذين ارتدوا فصاروا ظالمين فيجازون بذلك فعلمهم الله ما يفعلوا
بالمشركين ان هم صدوهم عن المسجد الحرام فلم يصدوهم ووفوا له فلم يتعرض لهم وكانوا شرطوا الذى التزموا
بعد قضاء العمرة والاقامة بمكة ثلاثا وكان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث فاحب المقام
بمكة ليولم عليها فطالبوه بالخروج عنها والوفاء بما عاهد ففعل واولم على ميمونة وبنى بها بسرف وكان دخوله
مكة للعمرة فى ذى القعدة وكانوا صدوه فى العام الماضى عن المسجد الحرام فى ذى القعدة وفى ذلك قوله تعالى
الشهر الحرام بالشهر الحرام اى ذو القعدة من هذه السنة قصاص بذى القعدة من العام الماضى وقوله
تعالى والحرمات قصاص اى حرمة الحرم وحرمة الاحرام وحرمة الشهر الحرام فى السنة الاولى صارت بهتكه
منعهم عن اتمام عمرتهم وصارت مودة مراعاة فى هذه السنة قصاصا وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولما كان يتوهم منهم البداية بالقتال بعد هذا العام وان امتنعوا فى هذا
العام قال فمن بداكم به فى الحرم او الشهر الحرام فافعلوا به كذلك وسمى جزاء الاعتداء اعتداء لما ذكرنا وقوله
تعالى واتقوا الله اى ايتمروا باوامره وانزجروا بزواجره وقوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين اى ناصر
الذين يتقون عند حدود امره ونهيه وقوله تعالى وانفقوا فى سبيل الله هذا فى قصة الحديبية ايضا وسبيل
الله تعالى هو طريق الغزو وكذا كل طريق يبتغى فيه رضى الله تعالى فهو سبيل الله ووجه ذلك ان من قصد مقصدا طلب
اليه سبيلا فمعناه هذا وجه يلتمس به رضى الله تعالى والوصول الى ثواب الله تعالى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة سبع مرجعه من خيبر باربعة اشهر وهو الشهر الذى صده
فيه المشركون فاعتمروا فقال رجل من اهل المدينة يا رسول الله ما لنا زاد وما من احد يطعمنا فامر النبى صلى الله
عليه وسلم ان ينفقوا فى سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يلقوا بايديهم فيهلكوا فقيل يا رسول الله بما نتصدق
واحدنا لا يجد شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان ولو بشق تمرة ولو بمشقص يحمل فى سبيل الله تعالى
وانزل الله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين وقال
الواقدى رحمه الله لما دخل هلال ذى القعدة سنة سبع امر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يعتمروا وان لا يتخلف
احد شهدها وكان المسلمون فى عمرة هذه القضية الفين وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيض والدرع والرماح
وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا علينا ان لا ندخل عليهم بسلاح

الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن ندخلها عليهم الحرم ولكن
نكون قريبا منا فان كان هناك هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فقيل يا رسول الله تخاف قريشا على ذلك
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم البدن وقوله تعالى **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** قيل اى
لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة فالانفس مضمرة والباء اداة وقيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم
الى التهلكة والايدي عبارة عن كل البدن كما قال تعالى تبت يدا ابي لهب اى تب هو وقيل معناه لا تستسلموا
للهلاك اى لا تمتنعوا عن القتال لاجل الشهر الحرام اذا بدؤكم فتكونوا قد استسلمتم للهلاك والعرب
تقول لمن استسلم للهلاك ولم يدفع عن نفسه القى بيديه واعطى بيديه قال ابو تمام واعطى بكل يديه
حتى قيل له هذا ابو دلف العجلي قد دلفا ٭ وقيل معناه لا تخرجوا الى الحرب بغير سلاح وقيل بغير زاد وقيل
لا تهلكوا انفسكم بترك الانفاق في سبيل الله تعالى على المحتاجين من اصحابكم وهو هلاك النفس بعقوبة الاخرة
اى يظفر بكم عدوكم فيهلككم اذا تركتم الانفاق في سبيل الله تعالى وقيل اى لا تمنعوا ما فرض الله تعالى عليكم من الصدقة
والصدق فتهلكوا عند الله كما قال تعالى ليهلك من هلك عن بينة وقيل اى انفقوا ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان
انفقنا فنهلك وقوله تعالى **واحسنوا** اى الى الفقراء باعطاء المال **ان الله يحب المحسنين** وقيل وانفقوا
في سبيل الله واعدوا العدة لكم ولا تفاوتوا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اى لا تخاطروا بانفسكم فتبارزوا
حيث تتيقنون انكم تقتلون ولا تقدرون ان تنالوا منهم شيئا قوله واحسنوا اى احسنوا القتال اذا قدرتم
عليه واحسنوا الى انفسكم بحفظها عن الالقاء في التهلكة من غير نفع وقيل هو مروي عن البراء بن عازب رضي الله
عنه هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيديه فيقول لا يغفر الله تعالى ابدا فمعناه على هذا انفقوا في طاعة الله
ولا تهلكوا انفسكم بالقنوط وقيل اى بترك العمل بعد ذلك على اعتقاده انه لا يقبل توبته ولا ينفعه طاعة
وقوله واحسنوا ان الله يحب المحسنين اى احسنوا الظن بالله تعالى وقيل اى احسنوا العمل لله تعالى ولا تهلكوا
انفسكم بمعصية الله تعالى وقيل اى افعلوا في العقل والشرع حسنة ان الله يحب المحسنين اى الفاعلين ذلك
وقال بعض اهل الحقيقة وهو حسن جدا وانفقوا في سبيل الله ارواحكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بمنعكم
عن الشهادة في سبيل الله التي هي الحيوة الابدية فتهلكوا اعني تفوت هذه الحيوة واحسنوا تسليم انفسكم الى
الله تعالى فقد اشتراها منكم ان الله يحب المحسنين وقوله تعالى **واتموا الحج والعمرة لله** اى ادوهما تامين ولا
تنقصوا منهما شيئا كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فيدل على ان من شرع
فيهما لزمه اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع فاما الحج فقد ثبت فرضه بالنصوص واستدل الشافعي
رحمه الله بالاية على لزوم العمرة فان الله تعالى امر باتمامهما والامر للايجاب وقلنا هذا في حق من شرع فيهما وقد
قرئ والعمرة لله بالرفع على الابتداء وقيل معناه واتموهما اذا شرعتم فيهما ولا تحللوا قبل التمام الا حالة الاحصار
ولذلك قال تعالى بعده **فان احصرتم** اى منعتم بمرض او عدو وقال الكسائي يقال حصره العدو حصرا
واحصره المرض احصارا وكذا قال ابو عبيدة وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى فان احصرتم اى منعتم بمرض او ذهاب
نفقتكم او فاتكم الحج والمحصور الذي جعل في بيت او سجن وقال الخليل بن احمد الحصر الحبس والاحصار ان يحصر
الحاج عن بلوغ المناسك بمرض او غيره وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من كسر او عرج فقد احصر وهو
مذهب اصحابنا رحمة الله عليهم وقال الشافعي رحمه الله لا يكون الاحصار الا من عدو فان احصار النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه كان من عدو ولانه قال تعالى فاذا امنتم وذلك زوال الخوف من العدو وقلنا العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب واللفظ لما قلنا لعلة والامن يكون عن العلل ايضا وقال النبي صلى الله عليه وسلم الزكام امان من الجذام
وقوله تعالى **فما استيسر من الهدي** فابعثوه واستيسر بمعنى تيسر كقولك تيقن واستيقن وتعجل
واستعجل وتكثر واستكثر وهو شاة لان الهدي من الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة وقوله تعالى **ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله** اى لا تحللوا بحلق الراس الى ان يصل هذا الهدي المبعوث الى محله اى موضعه
الذي يحل ذبحه فيه وهو الحرم عندنا قال تعالى ثم محلها الى البيت العتيق والمراد هو الحرم كله لانه يليه وقوله تعالى
فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه وهو ما يؤذيه اى يتعبه ويشق عليه من صداع او شقيقة او قمل
وقوله تعالى **ففدية** اى فحلق فعليه فدية فهذا مضمر كما في قوله تعالى فعدة من ايام اخر وقوله تعالى **من صيام
او صدقة او نسك** نزلت الاية في حق كعب بن عجرة مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتهافت في وجهه
فقال يا كعب يؤذيك هوام راسك قال نعم فنزلت الاية فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصوم ثلاثة ايام او يتصدق
بثلاثة اصع من حنطة على ستة مساكين على كل مسكين نصف صاع او يذبح شاة واو للتخيير او للشك والنسك
اى يذبح واصله ما يتقرب به الى الله تعالى وعد او احد من ذلك والمريض المذكور في اوله هو المريض الذي يكون له في حلق
الراس خفة او تكون مداواته من هذا الوجه وقوله تعالى **فاذا امنتم** اى من المرض والعدو وهو الذي وقع به
الاحصار ثم قيل ههنا اضمار اى فاقضوا ما تحللتم عنه بسبب الاحصار وهو الحج والعمرة او كلاهما ثم ابتداء قوله

فمن تمتع بالعمرة وقيل لا اضمار فيه وفيه بيان انه اذا احصر ثم زال الاحصار وهو متمتع وقت الحج باق
فحكمه ما ذكر وحكم المتمتع الذي لم يحصر كذلك بالاستدلال لانه اذا زال الاحصار فالوقت باق فكانه لم يكن
وقوله تعالى فمن تمتع بالعمرة **الى الحج** اى اتى بالمتعة وهو ان يحرم بالعمرة في ايام الحج فياتي بافعال العمرة ويتحلل
منها ثم يحرم بالحج من عامه ذلك فيحج سميت بها لانه انتفاع بنسكين في وقت واحد في سفر واحد من عام واحد
ووجب عليه الشكر على ذلك بالهدي وهو قوله تعالى **فما استيسر من الهدي** وهو شاة وهو قوله تعالى الى الحج دليل
على انه يفرغ اولا من العمرة ثم يصير الى الحج وقوله تعالى **فمن لم يجد** اى الهدي وقوله تعالى **فصيام ثلاثة ايام
في الحج** اى فعليه صيام ثلاثة ايام في ايام الحج وهي قبل تسع ذي الحجة ان شاء تابع ذلك وان شاء فرق لانه
مطلق وقوله تعالى **وسبعة اذا رجعتم** اى وعليكم صيام سبعة ايام اذا رجعتم من الحج اى فرغتم منه وعند الشافعي
رحمه الله المراد به الرجوع الى بلده فلا يجوز صيام السبعة عنده قبل الرجوع الى بلده ثم قوله تمتع على المغايبة
لانه فعل من قوله تعالى فصيام اضمر نائبه فعليه لانه يرجع الى من لم يجد ثم قوله تعالى وسبعة اذا رجعتم خطاب للجمع
لان ابتداء الاية فاذا امنتم وتقديره وانتم متمتعون فعليكم ذلك فالتوحيد والمغايبة رجعان الى المعترض
بينهما من كلمة من والخطاب والجمع يرجعان الى المذكورين في اولها وقوله تعالى **تلك عشرة كاملة** اى تامة عن
البدل في الهدي لا نقصان فيها وقيل اى تامة في الثواب كثواب الهدي لا تنقص عنه وقيل اى تامة في حصول
ثواب القران بجمعهما من غير تخلل بينهما وقيل اى تامة في المعنى الذي جعلت له متمتع فلا حاجة الى شيء اخر فقال
تلك عشرة كاملة بعدها لانه لما قال ثلاثة ثم قال وسبعة كان يتوهم انه يضم اليهما شيء اخر فقال تلك عشرة
كاملة اعلاما ان هذا العدد قد تم ولانه تعالى لو قال فعليه صيام عشرة ايام كاملة ثلاثة في الحج وسبعة
اذا رجع فكذا اذا قدم الثلاثة والسبعة واخر الجملة وقيل الواو قد تكون بمعنى او كما في قوله تعالى مثنى
وثلاث ورباع فلو اقتصر على ذكر الثلاث والسبعة فربما يتوهم انه ان شاء صام ثلاثة ايام في الحج وان شاء
صام سبعة بعد الرجوع فقال تلك عشرة كاملة ليعلم ان الواجب كلها وقيل كان في العرب قلة معرفة لمبالغ الحساب
فكان الرجل اذا خاطب صاحبه باعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه اليها قال الفرزدق ٭ ثلاث واثنتان فهن خمس
وواحدة تميل الى سمام ٭ وقال اخر ٭ يجمعن شتى من ثلاث واربع ٭ وواحدة حتى كملن ثمانيا ٭ وانشد لنفطويه
وسرت الدهر عشرين شهرا ٭ واربعة فذلك حجتان ٭ وقال النابغة ٭ توهمت ايات بها فعرفتها ٭ لستة
اعوام وذا العام سابع ٭ وقوله تعالى **ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** اى ذلك التمتع للذي
لا يسكن مكة وانما ذكر الاهل لان الغالب ان الانسان يسكن حيث يسكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه
وحاضري جمع ومحله نصب لانه خبر كان وحذف النون من لحوق الاضافة والمسجد الحرام هو الحرم كله وحاضروا ٭
المسجد الحرام ينبغي لهم ان يعتمروا في غير اشهر الحج ويفردوا في اشهر الحج الحج وقال الشافعي رحمه الله حاضروا المسجد
الحرام اهل مكة ومن كان دون ادنى المواقيت الى مكة وهو ما دون يوم وليلة ادنى مدة السفر عنده وقال مالك رحمه الله
هم اهل مكة وذي طوى فاما اهل منى فلهم التمتع عنده وقوله تعالى **واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب**
اى اتقوه فلا تخالفوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه اى فخافوا ان ينفي فان
عقابه شديد وقوله تعالى **الحج اشهر معلومات** اى وقت اداء الحج فالفعل لا يكون اشهرا فعلم ضرورة انه
اريد به وقته وهو متعارف يقال اتيتك صلاة الظهر اى وقتها وقال صلى الله عليه وسلم ايما ادركتني الصلاة
تيممت وصليت اى ادركني وقتها وقوله تعالى اشهر معلومات هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وانما لم
يسمها باعيانها في الاية لانها كانت معلومة عندهم على ما توارثوه الا انهم كانوا يدخلون فيها النسيء فنبهوا على
انها هي اوقاته دون غيرها واطلق اسم الاشهر على شهرين وبعض الثالث لان ذلك اكثرها ويجوز اطلاق الشيء
على الاكثر كقول الرجل لم ار فلانا منذ ثلاثة ايام وهو بعد في الثالث ومنهم من يقول هي شوال وذو القعدة وتسع
ذي الحجة لان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر وهو اليوم العاشر ومن اطلق العشر فانما اراد به عشر
ليال لان ليلة النحر يصح فيها الوقوف بعرفة فيدرك به الحج وقوله تعالى **فمن فرض فيهن الحج** اى في هذه الاشهر
ومعنى فرض اى احرم بذلك واوجبه على نفسه واصل الفرض ايجاب الشيء مقدرا فقوله ان الحج يكون في السنة مرة
في وقت معلوم فمن عقده على نفسه فيه فليحصنه عن الرفث والفسوق والجدال وقوله تعالى **فلا رفث** اى فلا يرفث
نفي بمعنى النهي كقول النبي صلى الله عليه وسلم لا اغلال ولا ارسال والرفث الجماع قال الشاعر ٭ فبتنا تواريخ فوق
وبات منا ٭ رجال في سلاحهم ركوبا ٭ وهو الفحش من الكلام ايضا قال الشاعر ٭ ورب اسراب حجيج كظم ٭ عن
اللغا والرفث والتكلم ٭ وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ
شاتمه فليقل اني صائم وجملته انه هو الجماع وما دونه من شان النساء مما يفضي الى ذلك وقد روي ان ابن عباس
رضي الله عنهما قال وهو محرم شعر ٭ وهن يمشين بنا هميسا ٭ ان تصدق الطير ننك لميسا ٭ فقال له ابو العالية
اترفث وانت محرم فقال ذلك بحضرة النساء والحاصل ان الجماع محظور الاحرام وهو قبل الوقوف بعرفة يفسد

ويعد موجب البدنة وحرمت دواعيه لئلا يقع فيه وقوله تعالى ولا فسوق اى لا يفسق واصله الخروج عن الطاعة
وتكلموا في المراد به ههنا قيل هو السباب قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقال الله تعالى ولا تنابزوا
بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان فجعل التنابز بالالقاب فسوقا وقال مالك رحمه الله هو الذبح للاصنام
قال الله تعالى او فسقا اهل به لغير الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما انه المعاصي كلها وهو الصحيح لان ذلك كله خروج
عن الطاعة وقد قال الله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم فجعل ضرار الكاتب والشهيد
فسوقا فدل انه يقع على كل معصية وقوله تعالى ولا جدال في الحج اى لا تجادل غيرك جدالا يفضي الى التقاطع
وزوال التآلف فاما الجدال على وجه النظر في امر من امور الدين بالدليل فلا باس به وقيل كانوا يتجادلون
فيقول احدهم انا اتم حجا ويقول الاخر بل انا اتم حجا وكانوا يختلفون في الموقف وفي الافاضة وفي نسخ الحج
الى العمرة وفي اشياء كانوا عليها في الجاهلية فعرفهم ان ما كان في الجاهلية فقد ارتفع واستقر على سنة ابراهيم
عليه السلام على ما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي اثبتوا على مشاعركم فانكم على ارث من ارث ابراهيم عليه السلام
وقال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم لعلي لا القاكم بعد عامي هذا وقال مالك رحمه الله الجدال ان
قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة بقزح وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفات وكانوا
يتجادلون يقول هولاء نحن اصوب ويقول هولاء نحن اصوب فقال الله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم فان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون
قال فهذا هو الجدال فيما نرى والله اعلم وقيل هو امر النسئ ومعناه لا جدال في ان الزمان قد عاد الى ما كان كما قال
صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث وقوله تعالى
وما تفعلوا من خير يعلمه الله نهى عن ثلاثة اشياء من المعاصي ورغب في كل الطاعات وما كلمة شرط
وتفعلوا مجزوم بالشرط ولذلك حذف من اخره النون ويعلمه الله جزم لانه جزاء الشرط اى ما عملتم من اعمال
الحج وغيره من فرض ونفل فان الله عالم به حافظ له يجزيكم عليه وقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى
قيل ادخروا لانفسكم الخير بتقوى الله تعالى في الايتمار باوامره والانتهاء بنواهيه فان تقوى الله خير ما يتزود
ويدخر فانه باق وغيره فان والزاد المعروف هو ما اخذ من الطعام وغيره عدة لوقت الحاجة اليه فجعل مثلا
للاعمال الصالحة لحصول هذا المعنى بها وقوله تعالى واتقون يا اولي الالباب اى واخشوني واحذروا
عقابي ايها الذين منت عليهم بالعقول التي هي افضل ما جعل في الخلق فان لب الشيء هو خالصه ما فيه اي
جعلت فيكم العقول التي هي الات التمييز ومعادن التدبير فيسهل معها التقوى والتفكر ودليل صحة هذا
التاويل انه وان اطلق التزود ولكن عطف عليه قوله تعالى فان خير الزاد التقوى والفاء واصلة الثاني بالاول
ويخرج بتشاكلهما ويبعد ان يقال تزودوا الطعام فان خير الزاد شيء غيره وقال الحسن في تفسير هذه الاية
انما هذه الدنيا بلغة فمتزود خيرا ومتزود شرا وكل ذلك خارج منها انما تزود منها وعامة المفسرين على
انه امر باخذ الزاد اذا خرجوا للحج وان لا يتكلوا على مسالة الناس وكان اهل اليمن يخرجون بغير زاد ويقولون
نتوكل على الله تعالى وكان قلوب رفقائهم تشتغل بذلك فامرهم الله تعالى بالتزود واخبر انه من التقوى فانه ائتمار
بامر الله تعالى وتخفيف عن عباد الله تعالى وخير الزاد التقوى وقال مقاتل رحمه الله كان ناس من اهل اليمن وغيرهم
يحجون بغير زاد ويصيبون من اهل الطريق ظلما فنزل قوله تعالى وتزودوا اي الطعام كيلا تظلموا بمن تمرون به فان
خير الزاد التقوى اى ان تتقوا الله تعالى باتقائكم ظلم الناس واتقون يا اولي الالباب قد فسرناه وقوله تعالى ليس
عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم اى لا اثم عليكم في ان تتجروا في طريق الحج وكانوا يمتنعون عن ذلك
ويقولون للتجار في هذا الطريق هولاء الداج وليسوا بالحاج والداج المكتسب الملتقط مشتق من الدجاجة
ثالثها القفال وقال غيره الداج عندهم اسم معروف لمن يخرج مع الحاج تبعا للحاج من الخدم والاتباع من قولهم
دج اى دب فاخبر الله تعالى ان ما كان مباحا من امور الدنيا ولا بد منه لاقامة المعاش فلا منع عنه وفضل
الله تعالى هو المال والسعة بالتجارة وغيرها قال تعالى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال
تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام
كانهم كرهوا ان يتجروا في الحج فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وقال قتادة ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم قال كان اهل الجاهلية يسمون ليلة النفر ليلة الصدر وكانوا لا يعكفون على كسير
ولا على ضالة ولا لحاجة ولا يبتغون تجارة فيها فاحل الله تعالى ذلك للمؤمنين ان يعكفوا على حاجاتهم ويبتغوا
من فضل الله تعالى وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات اى رجعتم منها بعد الوقوف بها وحقيقة الافاضة
ههنا هو اجتماع الكثير في الذهاب والسير ومنه قولهم افاض البعير بجريه اى اجراها كثيرا متفرقا وافاضة
قداح الميسر جمعها ثم القاوها متفرقة وافاضة الماء على البدن وافاضة الدموع والافاضة من القوم

في الحديث كلها ترجع الى هذا وعرفات موضع مخصوص بها الوقوف الذي هو ركن الحج وسميت بها لان ادم
صلوات الله عليه وجد بها حوى فعرفها بعد ما كانا تفارقا مدة وقيل ان جبريل عليه السلام عرف بها ادم عليه
السلام مناسك الحج وهي جمع عرفة وهي ما ارتفع من الارض وكذلك الاعراف وان كان الاسم شاملا لاجزاء
ذلك المكان واليوم الذي يوقف فيه بها يوم عرفة ووقوف الناس بها تعريف وكانت قريش ومن دخل في جملتهم
من الحمس لا يجاوزون الحرم تعظيما له وكراهية ان يحطوا قدره فتكون فيه حط اقدارهم اذ عظموا
غير الحرم وكانوا لا يقفون بعرفة لانها من الحل وكان غيرهم يقفون بعرفة وكان الواقفون بعرفة يفيضون
قبل غروب الشمس وكان الواقفون بمزدلفة يدفعون اذا طلعت الشمس فردهم الله جل جلاله بنبيه
صلى الله عليه وسلم الى ملة ابراهيم عليه السلام فوقف بعرفات وافاض منها بعد غروب الشمس ودفع من المزدلفة
قبل طلوع الشمس ونزل القران بالاشارة الى ذلك بقوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وقوله تعالى
فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات وفيه دليل تقديم الوقوف عليه وهو ركن
قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن وقف بعرفة فقد تم حجه اى امن الفوت فانه لم يبق ركن الا الطواف
بالبيت وذلك لا يفوت فانه يقضي بعد ايام النحر فاما الوقوف بعرفة فاذا فات يوم عرفة وليلة النحر فقد
فات الحج وقوله تعالى فاذكروا الله عند المشعر الحرام اى صلوا لله تعالى وهي المغرب والعشاء جمعا في
وقت العشاء وقوله عند المشعر الحرام اى المزدلفة والمشعر المعلم اى للعبادة والشعائر العلامات والحرام
المحترم والمحرم وكذا المسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام وكذا الحرم على مطلق الذكر باللسان والحمل
ههنا على الصلوة اولى لان الذكر باللسان دخل فيما ذكر بعده وهو قوله تعالى واذكروه كما هداكم فيحمل هذا
على الصلوة لزيادة الفائدة والذكر يجيء بالصلوة قال تعالى خبرا عن سليمان عليه السلام اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي اى اثرت حب الخير على صلوة ربي وقال تعالى فاسعوا الى ذكر الله اى صلوة الجمعة وقوله تعالى
واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين اى اذكروه بالسنتكم على الوجوه الذي علمكم وان
كنتم لا تهتدون اليه قبل ذلك وهو قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وهو وصفه بما يليق به وسبحوه بكرة واصيلا
وهو تنزيهه عما لا يليق به وقيل واذكروه بالشكر على ما هداكم للدين الحق وقد كنتم قبل ذلك من الضالين عن
الهدى وان كلمة تاكيد بمعنى قد والام للتاكيد ايضا وقيل ان نفي والام استثناء اى وما كنتم قبل ذلك الا
من الضالين وهو كقوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وقوله تعالى من قبله اى من قبل الهدى وهو نائب دلالة قوله
تعالى كما هداكم ومن حمل الذكر الاول على اللسان فانه يقول التكرار للتاكيد ولان الاول امر بالذكر والثاني امر
بالذكر وبيان السبب الذي يوجبه اى بيان صفته التي ينبغي عليها ولانه امر بوصل الذكر بالذكر وهداية الشكر
لتوالي الانعام والبر وقوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى ارجعوا يا قريش والحمس من عرفات
كما يرجع سائر الناس منها وهو امر بالوقوف بعرفات وثم ليس للترتيب هنا فانه ليس بعد هذا الوقوف بالمزدلفة
لكنه بمعنى مع واريد به العطف المطلق كما في قوله تعالى وما ادراك ما العقبة فك رقبة الى قوله ثم كان من الذين
امنوا اى مع ذلك كان مؤمنا وقيل اراد بقوله تعالى من حيث افاض الناس اى ابراهيم عليه السلام واولاده واسمه وتبعوه
فانهم كانوا غيروا ذلك فردوا الى الاصل وقوله تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم لما سلف منكم
يغفر لكم الله ويرحمكم وقيل اذا وصفتم الله بالطهارة فاسئلوا الله تعالى لانفسكم الطهارة وقوله تعالى فاذا
قضيتم مناسككم اى فاذا اتممتم امور حجكم وقوله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباءكم اى احمدوه واثنوا
عليه بما انعم عليكم كما تذكرون اباءكم بانعام منهم عليكم وقوله تعالى او اشد ذكرا اى بل اشد ذكرا فان نعم الله
تعالى غير محصورة وقد ذكرنا للكلمة وجوها اخر عند قوله تعالى او اشد قسوة وهذا على ذلك وقال القفال
ومجاز اللغة في مثل هذا معروف يقول الرجل لاخر افعل كذا الى شهر ثم يقول او اسرع منه لا يريد به التشكيك
وانما يريد به النقل عن الاول الى ما هو اقرب منه وقتا وقالوا كانوا في الجاهلية في المواسم عند اجتماع الناس
وتوافر القبائل يتفاخرون باباءهم ويعددون اباءهم ويذكرون محاسنهم يريد كل واحد منهم الشهرة لنفسه
والترفع بما اثر سلفه بعرفات ومنى وغير ذلك قال جرير يخاطب الفرزدق ° الم تر ان الله اخزى مجاشعا
° اذا ضم احياء الحجيم المعرف ° وقال الفرزدق يخاطب جريرا ° وانك لاق بالمشاعر من منى فخارا اراه
بخبر في بني انت فاخر ° فلما جاء الاسلام نهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم ان يجعلوا بدل ذكرهم اباءهم ذكر الله
تعالى وتمجيده والثناء عليه بنعمه اذ الخير كله من عنده واباؤهم عبيده ونالوا ما نالوا بفضله وقال الحسن
البصري رحمه الله اذكروني كما يذكر الصغير اباه فانه اول ما يتكلم يقول يا اب يا اب فعلى كل مسلم ان يقول
على الدوام يا رب يا رب وقيل اذكروني بالوحدانية كما يذكر الولد اباه فانه لا يرضى بان يذكر له ابوان فلا
ينبغي للعبد ان يسكت اذا قيل ربان وقيل لابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية ان الرجل ليأتي عليه زمان
ما يذكر اباه قال انه ليس كذلك ولكنه يقول يغضب لله تعالى اذا عصي اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء

وقوله تعالى **فمن الناس من يقول ربنا اتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق** اى من الذين يشهدون
الحج من يسال الله حظوظ الدنيا فيقول يا ربنا اعطنا فى الدنيا اى الجاه والغنى والنصرة على الاعداء وما هو
من الحظوظ العاجلة وقوله تعالى وما له فى الاخرة من خلاق اى نصيب واختلف فيهم انهم من هم قيل هم الكفار
لانهم كانوا يعظمون البيت فيحجون ويدعون بحوائج الدنيا قبل الاخرة فانهم كانوا يجحدون البعث بعد الموت
فذكر الله تعالى انه لا حظ لهم فى الاخرة مما ينال المؤمنون الذين يسالون الدنيا دون الاخرة وهو ذنب منهم
اذ سالوا الله تعالى فى اشرف المشاهد حطام الدنيا وغفلوا عن نعيم العقبى وقوله تعالى فى حقهم وما له فى الاخرة
من خلاق اى الا ان يتوب وقيل الا ان يعفو الله تعالى عنه وقيل اى ليس له خلاق كخلاق من سال الله تعالى الاخرة
وقوله تعالى **ومنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار**
اى ومن الذين يشهدون الحج من يسال الله تعالى خير الدنيا والاخرة والحفظ من نار جهنم والحسنة كلمة جامعة
لكل الخيرات فى الدارين قال تعالى ان تصبك حسنة هى الخصب وسعة الرزق وقال تعالى هل تربصون بنا الا
احدى الحسنيين وهما الظفر والشهادة وقال ثابت قالوا لانس ادع لنا فقال ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا قال سالت خيرى الدنيا والاخرة وقال عكرمة الحسنة فى الدنيا
المراة الصالحة وقال الحسن رحمه الله الحسنة فى الدنيا الفقه والعبادة وقال فى رواية الحسنة الرزق الطيب
والعمل الصالح وفى الاخرة الجنة وقيل حسنة الدنيا التوفيق والعصمة وحسنة الاخرة العفو والمغفرة وقال
الشيخ الامام ابو القاسم الحكيم حسنة الدنيا عيش على بشارة وموت على شهادة وحسنة الاخرة بعث من القبر على
بشارة وجواز على الصراط على سلامة وقيل الحسنة فى الدنيا العافية وفى الاخرة العفو وقوله تعالى وقنا عذاب
النار اى احفظنا من عذاب جهنم والوقاية تتعدى الى مفعولين وعذاب مفعول ثان وقوله تعالى **اولئك
لهم نصيب مما كسبوا** اى سالوا هؤلاء الحسنيين لهم حظ صالح بما حجوا على الوجه وسالوا على العلم وقيل
اولئك يرجع الى الفريقين ومعناه لكل واحد جزاء على وفق عمله وهو كقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا وقوله تعالى
والله سريع الحساب فيه اشارة الى الجزاء على الخير والشر جميعا فهو وفق القول الذى هو من الفريقين
ثم معناه عند بعضهم سريع الجزاء على الاعمال والحساب يراد به نفس الجزاء على الاعمال قال تعالى وكاين من قرية عتت
عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وهذا فى الدنيا فكان جزاء ووجهه ان الحسنات تكون مكافاة
من جهة الاخذ والاعطاء فاذا قال القائل حاسبت فلانا اى اخذت منه ما كان لى عليه واعطيته ما كان له على
وقيل معنى سريع الحساب اى محاسبة الله تعالى عباده آتية لا محالة وما هو آت فكان وقيل انه سريع الحساب
لانه لا يشغله شان عن شان فيحاسب الكل جملة وقيل هو سريع الحساب لانه لا يحوج يومئذ فيوفى كل احد كتابه وفيه
اعماله وقد ظهر جزاؤه فيقضى عليه الحال بما يستحقه وقوله تعالى **واذكروا الله فى ايام معدودات** هى ايام
التشريق وهى ايام رمى الجمار وهى ثلاثة بعد اليوم العاشر من ذى الحجة وهو امر بالتكبير فى ادبار الصلوات
وقوله تعالى **فمن تعجل فى يومين** اى فى هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث **فلا اثم عليه**
اى لا يأثم بهذا التعجيل وهو مرخص له وقوله تعالى **ومن تاخر** اى رمى فى الثلاثة ايام ثم رجع وقوله تعالى **فلا اثم
عليه لمن اتقى** يقال انه قال فى المتعجل فلا اثم عليه ولم يقيده بشرط التقوى وقال فى المتاخر لمن اتقى والاول
اخذ بالرخصة والثانى اخذ بالعزيمة فكان اشتراط التقوى زيادة على عمله هناك اولى قلنا النص بخلافه
قلنا معنى الاول فلا اثم عليه بالتعجيل ومعنى الثانى فلا يبقى عليه اثم من آثامه اذا اتقى الله تعالى فى هذا الحج فانه
يتقبل منه لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والحج المبرور يكفر كل ذنب وقيل فى نزوله انه كان يتعجل بعضهم ويتاخر
بعضهم فيعيب هذا على هذا وهذا على هذا فنزلت الاية انه لا عيب على متعجل ولا على متاخر ثم قوله لمن اتقى فيه
ثلاثة اقاويل قال ابو العالية اى يجئ يوم القيمة ولا اثم عليه اذا اتقى فيما بقى من عمره فلم يرتكب ذنبا بعد عفوه
فى الحج وقيل لمن اتقى قبل الحج فحج وهو متق فاما المدمن المصر اذا حج فلا يقبل منه وقيل لمن اتقى محظورات احرامه
فلم يذنب ذنبا فى حجه قال صلى الله عليه وسلم من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته امه وقوله تعالى **واتقوا
الله** اى فى اوامره ونواهيه وقوله تعالى **واعلموا انكم اليه تحشرون** اى تبعثون وتجمعون وتجزون بما كنتم تعملون
وقوله تعالى **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا** انتظامها بما قبلها انه ذكر فريقين يشهدون الحج
كفار يسالون الدنيا ومؤمنون يسالون الاخرة ثم ذكر فريقا ثالثا وهم المنافقون الذين ظاهرهم مع هؤلاء وباطنهم
مع هؤلاء وقوله تعالى يعجبك قوله اى يروقك كلامه وفصاحته وقال السدى رحمه الله نزلت فى الاخنس بن شريق
الثقفى اقبل الى النبى صلى الله عليه وسلم فاظهر له الاسلام وكان له منظر ولسان فاعجب النبى صلى الله عليه وسلم
ذلك وقال جئت اريد الاسلام والله يعلم انى لصادق فاعجب النبى صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى **ويشهد الله على
ما فى قلبه وهو الد الخصام** اى يستشهد بالله ان ما يضمره موافق لما يظهره فيقول اشهد بالله انى لمخلص
وقوله تعالى وهو الد الخصام اى شديد المخاصمة يقال لد يلد لددا فهو الد من باب علم والجمع لد قال تعالى

وقوما لدا والخصام مصدر قولك خاصمه يخاصمه مخاصمة وخصاما والزجاج جعل الالف فى الالد للتفضيل وجعل
الخصام جمع خصم اى هو اخصم الخصوم اى اشدهم لجاجا وقيل الالد والبلندد كالالد واشتقاقه من لديدى العنق
وهما صفحتاه ولديدا الوادى جانباه ومعناه انه هو الذى اذا اخذ خصمه فى وجه قابله فى وجه آخر فغلبه وقوله
تعالى **واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها** اى اذا رجع واعرض عنك هذا المنافق سعى فى الارض بالافساد
وهو ما ذكر بعده وهو قوله تعالى **ويهلك الحرث والنسل** قال السدى مر على زرع مسلم فاحرقه وعلى اتان له فعقرها
والحرث هو الزرع واصله الشق وقد حرث الحراث وقد شق الارض وبذر فيها والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس
الحيوان ويسمى ما يخرج من الوبر والشعر قال امرؤ القيس ٭ وان تك قد ساءتك منى خليقة ٭ فسلى ثيابى عن ثيابك
تنسلى ٭ اى تخرجى وقيل فى قوله تعالى يعجبك اى الاخنس كان حليفا لبنى زهرة وقال لهم يوم بدر ان محمدا ابن اختكم
فان يك كاذبا كفاكم ذوبان العرب وان يك صادقا كنتم اسعد به فارجعوا فقالوا نعم الذى رايت قال فاذا نودى
بالرحيل فانى اخنس بكم فاتبعونى ففعلوا فسمى الاخنس وكان اسمه ابى بن شريق فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعجبه وقوله تعالى فى الحيوة الدنيا اى فى امور الدنيا كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقيل فى قوله تعالى
ليفسد فيها هو افساد قلوب الناس بالتلبيس وادخال الشبه والمنافقون موصوفون بذلك فى قوله تعالى واذا قيل
لهم لا تفسدوا فى الارض الاية وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قيل هو نهاية وصف له بالفساد وهو فى غاية الفساد
فان قيام الدنيا بما يخرج من الارض ومن الانثى فاذا انقطعا خربت الدنيا وهذا كما قال تعالى فى وصف الجنة وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهو نهاية ما فى الجنة من النعمة وقال تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها هو نهاية ما فى الارض
من العطية وقيل فى قوله تعالى ويهلك الحرث والنسل اى يهلك الامهات والاولاد فان النساء حرث وقوله تعالى
والله لا يحب الفساد اى لا يستحسنه ولا يرضاه وقوله تعالى **واذا قيل له اتق الله** اى اذا خوف هذا المنافق
بالله تعالى **اخذته العزة بالاثم** اى حملته حميته وعزته فى نفسه على اداء النصح واظهار الغضب والاصرار على
الفساد ومنه قوله تعالى فى عزة وشقاق اى حمية وعداوة والباء على هذا صلة اخذته ولا فرق بين قولك اخذته كذا
وحملته على كذا وقيل معناه اخذته العزة اى لزمته الحمية وعزة النفس من الكلام كما يقال اخذته الحمى ثم قوله تعالى
بالاثم اى بسبب الاثم الذى فى قلبه وهو النفاق وحب الفساد وقوله تعالى **فحسبه جهنم** اى كافيه دخول النار والخلود
فيها جزاء على عمله وهو وعيد شديد وقوله تعالى **ولبئس المهاد** اى ولبئس ما مهد لنفسه فى الاخرة اى وطأ وهيأ
فتح بهذا فعله وتعجب عباده منه والمهاد فى الاصل يستعمل فى الخير قال تعالى فلانفسهم يمهدون لكن ذكر هذا الكافر
بمقابلة ما ذكر للمؤمن وهو كالبشارة قال الله تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قال تعالى فى مقابلته
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وقوله تعالى **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله** لما ذكر
فى قوله ومن الناس من يعجبك واحدا مذموما من اعدائه ذكر فى قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه واحدا
محمودا من اوليائه ترغيبا للناس وترهيبا وتعريفا الناس انه لا يجعل المسئ كالمحسن وقوله تعالى يشرى نفسه
اى يبيعها من الله تعالى يبتغى بذلك ان يكون ثمنها رضى الله تعالى وبيعه نفسه لله تعالى بذلها فى الطاعة والجهاد لله عز وجل
وهذه استعارة عن بذل النفس لله تعالى رجاء ثواب الله تعالى عوضا عنها وعلى ذلك قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور وقوله
تعالى **والله رؤف بالعباد** اى هو فى غاية الرحمة بهم ولهذا عوضهم النعيم المقيم على نعيم منقطع والاية نزلت فى شان
صهيب الرومى خرج من مكة يريد الهجرة الى المدينة وهو ابن مائة سنة وكان معه كنانة سهامه فتبعه اهل مكة ليأخذوه
ويردوه فقال لهم انكم لن تصلوا الى ما بقى معى سهم وكان راميا مصيبا ولن ينفعكم كونى فيكم ولى مال فى دار كذا
فارجعوا وخذوه وخلوا عنى ففعلوا وسار هو الى المدينة فقبل ان يصل اليها نزلت الاية واخبرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقدومه فاستقبلوه وسبقهم عمر وقال يا صهيب ربح البيع وتلى عليه هذه الاية وقال قتادة هم
اصحاب نبى الله عليه السلام من المهاجرين والانصار لما راوا المشركين يدعون مع الله الها آخر قاتلوا على دين الله تعالى
وشروا انفسهم غضبا له وجاهدوا فى سبيل الله حتى اظهر الله جل جلاله دينه وقوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا
ادخلوا فى السلم كافة** قيل هو خطاب للمنافقين اى يا ايها الذين آمنوا ظاهرا ادخلوا فى الاسلام جميعا باطنا
وقوله تعالى **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** اى وساوسه يريد تخليدكم فى النار **فان زللتم من بعد ما جاءتكم
البينات** اى ملتم عن الاخلاص وثبتم على النفاق بعد ظهور الحجج وقوله تعالى **فاعلموا ان الله عزيز حكيم**
ينتقم منكم فى الدنيا والاخرة وهو حكمة منه وتنتظم هذه الاية بقصة الاخنس وقيل هو خطاب لاهل الكتاب اى يا ايها
الذين آمنوا ببعض الرسل والكتب ادخلوا فى السلم كافة اى آمنوا بمحمد وكتابه وادخلوا فى الاسلام لله تعالى جميعا على التمام
ولا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحسينه لكم الاقتصار على اليهودية او النصرانية انه لكم عدو مبين يريد ان تقعوا
فى جهنم خالدين فان زللتم اى عدلتم عن الاسلام وبقيتم على اليهودية او النصرانية من بعد ما اتتكم البينات
على حقيقة الاسلام فاعلموا ان الله عزيز لا يمتنع عليه اخذكم وتعذيبكم وهو حكيم لا يدع مجازاة المسيئين على اساءتهم

وقيل هو خطاب لمن امن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وكانوا يتمسكون ببعض شرايع التورية
من السبت وتحريم لحم الابل والبانها كانوا يرون ان الكف عنها مباح في الاسلام وان كان واجبا في شريعتهم فتثبتوا
على ذلك مع اعتقادهم حلها استيحاشا من مفارقة العادة فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا واعتقدوا الاسلام
ادخلوا في شرايع الاسلام كلها ولا تتمسكوا بشيء مما نسخ ودعوا ما الفتموه ولا تستوحشوا من النزوع عنه فانه لا رخصة
مع الحق وانما هو من تزيين الشيطان فلا تتبعوه فانه يريد ان يفسد عليكم بهذه الوساوس اسلامكم فان زللتم
اي زللتم عما دخلتم فيه فاعلموا ان الله ينتقم منكم وهي حكمة منه وقال الحسن وقتادة وجماعة هو خطاب المسلمين
المخلصين اي يا ايها الذين امنوا ظاهرا وباطنا بكل الانبيا والكتب ادخلوا في السلم كافة اي اثبتوا على الدين
الحق ابدا جميعا ولا تتبعوا وساوس الشيطان فلا ترجعوا فان زللتم بعد وضوح الحجج ليلا ينالكم في ابدانكم واموالكم
في جهاد اعدايكم فاعلموا ان الله عزيز حكيم لا يضره نصرة دينه بل ياتي بغيركم ممن ينصره ويتحمل الشدايد ويتصل
هذا بما بعده الى قوله تعالى ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الاية ويتصل به ايضا قوله
تعالى هل ينظرون اي اعداكم معاندون فلا زمتهم الحجة والسلم بالفتح والكسر لغتان في الصلح والاستسلام
والاسلام كالحج والحج والرطل والرطل وقيل بالفتح الاسلام وبالكسر الصلح وقال الفرا على عكسه وكافة معناه جميعا
قال الزجاج هو من الكف اي المنع ومعنى كافة اي مجتمعين عليه لا يمنع بعضكم ان يخرج منه هذا على القول الذي
هو خطاب المنافقين يكون حالا للمخاطبين اي جميعا كلكم وعلى القول الثاني الذي هو خطاب لاهل الكتاب يكون
حالا للسلم في كل الاستسلام وكذا على القول الثالث انه لمن اسلم من اهل الكتاب اي في كل شرايع الاسلام وعلى
القول الرابع يصح على الوجهين وقوله تعالى **هل ينظرون** اي ما ينتظرون هو استفهام بمعنى الجحد وكذا كل هل
بعده الا ونظر بمعنى انتظر كما في قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم وقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة
اي ما ينتظر اهل مكة اذ لم يدخلوا في السلم كافة ولم يومنوا بمحمد خاتم النبيين وبكتابه اخر الكتب وقد وضحت
الايات وقامت البينات الا ما لا يكون وهو اتيان الله تعالى فانه مستحيل على ما يعرف من اتيان الاجسام اي هم يتمنون
المحال وهو كسلطان يتوعد احدا برسول يبعثه اليه فلا يجيء فيقول هو ما تنتظر الا اتياني بنفسي لدعوته اي هو
يتوقع ما لا يكون وهذا كما قال الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك الى ان قال او تاتي بالله والملايكة قبيلا وقيل معناه ما ينتظرون
الا ان ياتيهم الله تعالى بظلل من الغمام فيها العذاب فيهلكهم بها كما فعل بقوم يونس وقوم عاد وشعيب قال الله تعالى
فاخذهم عذاب يوم الظلة اي قد قامت الحجج فلم يبق الا نزول العذاب وفي بمعنى الباء كما في قوله تعالى يذرؤكم فيه
اي به ولا يجوز حمله على الاتيان الذي هو الانتقال من مكان الى مكان لانه كان ولا مكان وهو اليوم على ما كان
كذا روي عن علي رضي الله تعالى عنه سئل اين كان الله تعالى قبل خلق السموات والارض قال اين سوال عن المكان
وكان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان وقال الكلبي رحمه الله هذا من المكتوم الذي لا تفسير له وقال الحسن
اي ياتيهم امر الله تعالى وهو القيمة قال الله تعالى اتى امر الله اي هو ات ودل على هذا التقدير قوله تعالى هل ينظرون الا
ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك ثم ليس اطلاق لفظ المجيء والاتيان في كل موضع يقتضي الانتقال المكاني فانه
يقال اتانا خبر فلان او اتانا امر فظيع ولذا اجمعت الامة في قوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا في حق
بني النضير وفي حق قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد في قصة مخصوصة انه لم يكن اتيانا انتقاليا فكذا في كل
اية وهذا لان الله تعالى قال في الاية المحكمة ليس كمثله شيء فلم يجز تشبيهه بخلقه والانتقال من صفات الاجسام
ومن امارات العجز والحدث والله تعالى منزه عن ذلك وقوله تعالى **في ظلل من الغمام** جمع ظلة وهي السترة وعنى بها
القطعة منه والغمام السحاب وقيل هو شيء كالسحاب وليس بسحاب تاتي فيه الملايكة يوم القيمة قال تعالى ويوم
تشقق السماء بالغمام وقوله تعالى **والملايكة** اي وتاتي الملايكة ويجوز وصف الملايكة بالاتيان والمراد حضورهم
يوم القيمة لمحاسبة الخلق وقوله تعالى **وقضي الامر** اي فرغ من حساب الخلق وهو ماض بمعنى المستقبل وفي القران
من ذلك كثير من امور الاخرة وقال عطا رحمه الله وقضي الامر اي انقضت الدنيا ثم هو فعل ما لم يسم فاعله وهو الله
في الحقيقة وقوله تعالى **والى الله ترجع الامور** اي ترجع الامور في الخلق واعمالهم الى الله تعالى هو القاضي بينهم
يوم القيمة والمثيب والمعاقب وقوله تعالى **سل بني اسرايل كم اتيناهم من اية بينة** اي سل يا محمد هولاء
الموجودين في عصرك من روساء بني اسرايل وهم اليهود الذين خاطبهم بقوله ادخلوا في السلم كافة وقوله كم
اتيناهم كم كلمة تكثير وقوله اتيناهم من اية بينة اي جيناهم باية واضحة لا تخفى عن المتذكر انها من عند الله كفلق
البحر لهم وتغريق ال فرعون وانزال المن والسلوى وغير ذلك وهو كقوله تعالى اتنا غداءنا اي ايتنا به وامرهم ههنا
فبدلوها تدل عليه قوله تعالى **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته** وتبديلهم اياها كفرهم بها وتركهم الشكر
عليها وقوله تعالى جاءته دل على ان المراد بقولنا اتيناهم اي اتيناهم بها وهذا التبديل كالذي ذكر في قوله تعالى
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وقيل معناه كم اعطيناهم في كتابهم من اية دالة على صدق نبوتك فكتموها
وكفروا هذه النعمة وهذه الايات والدلايل نعمة من الله تعالى لانه يهتدى بها ويجوز ان يكون اراد بالنعمة دين الاسلام

ويبدلهم

ويبدلهم اياها كفرهم ويجوز ان يكون المراد بالنعمة محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها وانما خص بني اسرايل بالسوال عنهم لوجهين احدهما لزيادة اليقين للصحابة اذا سمعوا من علماء بني اسرايل
ما يوافق خبر نبيهم والثاني لزيادة الحجة على من لم يومن من بني اسرايل وهذا على قول من يقول ان الامر بالسوال
كان من عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا وقيل لم يرد به حقيقة السوال ومن المعتاد اذا اراد الواحد منا
توبيخ اخر وان يلزمه الحجة ويبين كفرانه النعمة ويوبخ به النعمة يقول له لمن حضره سله كم انعمت عليه وكم حذرته
لا يريد به حقيقة السوال لكن يريد به ما قلنا وقوله تعالى **فان الله شديد العقاب** لمن بدل النعمة في الدنيا
والاخرة وقد عاقبهم في الدنيا بالقتل وذلك في بني قريظة وبالاجلاء وذلك في بني النضير ويوم القيمة يعذبون
في السعير وقوله تعالى **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا** اي انما بدلوا نعمة الله تعالى لانه زين لهم هذه الحيوة الدنيا
الفانية وهو فعل ما لم يسم فاعله وتكلموا في فاعله قيل الله تعالى زينها لهم اذ خلقها شهية لذيذة ابتلاء لعباده
قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقد جعل الله تعالى الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطبايع
الميل الى الدنيا وحب الشهوات لا على معنى التسخير الذي لا يمكن الامتناع عنه لكن على معنى التحبيب الذي تميل
اليه النفس مع امكان ردها عنه ليتم بذلك الامتحان وليجاهد العبد نفسه ويطيع ربه ويرفع قدره وقيل المزين
هو الشيطان لعنه الله قال تعالى خبرا عنه ولازينن لهم في الارض وقال تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وهو بالوسوسة
وقيل المزين من غواتهم ورؤساؤهم هم زينوها لهم وحثوهم على طلب الدنيا والحرص عليها وطلب لذاتها واوهموهم
انه لا صحة لما يدعوا اليه النبي عليه السلام من امر الاخرة وذلك انهم كانوا لا يومنون بالمعاد ويقولون ان هي الا حياتنا
الدنيا وكانوا يسخرون بذلك من المومنين وذلك قوله تعالى **ويسخرون من الذين امنوا** اي يهزؤون ويقولون تركوا
لذات الدنيا وعذبوا انفسهم بالعبادات وفوتوا الراحات وكراماتها وذلك قوله تعالى **والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة** ان يكون المومنون في عليين والكفار في سجين وكانوا في الدنيا منهم يضحكون وغدا المومنون منهم يضحكون
على الارايك ينظرون وقيل الساخرون هم علماء اليهود لضعفة المسلمين وقيل المنافقون للمخلصين وقيل هم
المشركون من المسلمين وهم ابو جهل وامثاله من كفار مكة لعنهم الله وقيل معنى قوله تعالى فوقهم يوم القيمة اي في الحجة
لزوال الشكوك عن الكفار وحجتهم في الدنيا على الباطل وفي حجة المومنين على الحق وقوله تعالى **والله يرزق من يشاء
بغير حساب** قيل في الدنيا من يشاء من مومن وكافر بغير تقدير وقيل المومنين في الاخرة رزقا واسعا كافيا
لا فناء له ولا انقطاع ولا مضايقة قال تعالى اوليك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ومن اعطى شيئا جزافا
لا تقدير فيه فهو بغير حساب وكذا ما لا انقطاع له ابدا فلا حساب له وقيل اي يعطيهم في الجنة من غير محاسبة لهم
على طاعاتهم ليعطيهم بقدرها بل تفضلا منه بالكثير قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ولا ينقصه قوله تعالى
عطاء حسابا لان ما كان جزاء للعمل فهو حساب له وما كان فضلا على ذلك من الله تعالى فلا حساب له وقال الحسن
اي يعطي ولا ينقص مما عنده ما اعطى منه فلذلك ليس فيه حساب انما الحساب فيما اعطى منه نقص كعطاء الانسان
الفاني الفين او عشرة من مايه وقيل ان يعطي الكثير ولا يطالب عليه بجزاء ولا مكافاة فلا يكون المعطي محاسبا للمعطى
له بشيء وقال الضحاك اي لا يحاسب نفسه بما يعطي العباد منه معناه ان الواحد منا قد يقيس مقدار ما يعطي
فيقف عليه فاذا انتهى حيث ينقصه العطاء ويضر به او لا يامن معه الاعدام امسك وقيل بغير حساب اي بغير حساب
العبد يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن في ظنه لم يكن هذا في حسابي فيجوز ان يكون معناه ان الكفار يسخرون من فقراء المسلمين
وعسى الله ان يرزق هولاء ما يغنيهم وقد فعل ذلك بهم بما افاء عليهم من اموال بني قريظة وبني النضير وبما فتح على
رسوله وبعد وفاته على اصحابه حتى ملكوا كنوز الملوك وقوله تعالى **كان الناس امة واحدة** ذكر الكفار وتحزبهم
من المومنين نصارى وانسبين ثم اخبرانهم كانوا في الاصل قسما واحدا وفي الاية ثلاثة اوجه قيل كان الناس مجتمعين
على الدين الحق في عهد ادم وهو قول قتادة وقيل في عهد نوح بعد هلاك الكفار الى وقت صالح وهود وهو قول
ابن عباس ثم اختلفوا فبعث الله تعالى الرسل وقيل كانوا مجتمعين على الكفر في زمن ابراهيم صلوات الله عليه وهو رواية
عن ابن عباس وهو قول الحسن رضي الله تعالى عنه ويراد به الغالب فان الصحيح ان الله تعالى لا يخلي الدنيا عن داع
الى الحق وقيل كانوا مجتمعين على غير دين مشروع وهو رواية عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما فبعث الله تعالى
الرسل بالدين نظيره قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن هذا في الكفر واصل الامة
في اللغة القوم المجتمعون على الشيء يقتدي بعضهم ببعض وهو ماخوذ من الايتمام وقيل يجتمعون على الحق
وقد يجتمعون على الباطل وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم المقتدون به المجتمعون على الحق ويقال ايضا للذين بعث
فيهم محمد صلى الله عليه وسلم امته وهم امة دعوته لجميع الدعوة اياهم الى ان تفرق بهم الاجابة وفي مصحف عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وهذا يدل على انهم كانوا على الحق
ويدل عليه ما بعده وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وتقديره كان الناس في اول امرهم
مجتمعين على الحق فاختلفوا بعد ذلك فاوجبت الحكمة بعث النبيين لتعريف الدين الحق وقوله تعالى **مبشرين**

ومنذرين اى ليبشروا من اطاع بالجنان ولينذروا من عصى بالنيران وقوله تعالى وانزل معهم الكتاب
اى الكتب واسم الجنس يصلح للجمع وقوله تعالى بالحق اى لبيان الحق وقيل اى بالعدل وقوله تعالى ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه اى ليحكم الكتاب بينهم اي يكون مرجعا لهم محفوظا بينهم يتلونه ويقفون على احكام الشرع بما
فيه مع بعدهم عن النبي المبعوث فيهم وبعد تقدمهم ذلك النبي فيما اختلفوا فيه من امر الدين وقوله تعالى وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم اى وما اختلف فى الحق المختلفون فيه
قبل مجئ النبيين الا الذين كانوا اوتوا الحق وجاءتهم البينات الا انهم تباغوا وتحاسدوا وطلبوا الرياسة وميلا
الى الدنيا كما فعل قابيل بهابيل وما قتله لاشكال الحق عليه وقصور البيان عنه بل حسدا منه لاخيه وبغيا وهكذا فى
كل عصر وهكذا فعل الرؤساء ثم العامة اتباع لهم وفعلهم مضاف اليهم قال تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
فتبين ان الاختلاف فى الحق امر متقادم فى الاسلام ويجرى عليه الاختلاف وبغيا مفعول له متصل بقوله تعالى وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه وهو مقدم على قوله تعالى من بعد ما جاءتهم البينات وقال اهل اللغة للاختلاف معنيان احدهما
التبديل والثانى كفر بعضهم بكتاب بعض وقوله تعالى اوتوه اى الحق وقيل اى الكتاب وقد سبق ذكر كل واحد
منهما وقوله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اى فهدى الله تعالى المومنين لما اختلف فيه المختلفون
اى لمعرفة الحق مما اختلفوا فيه او لتصحيح ما اختلفوا فيه فحذف لدلالة الكلام عليه ودخول من فى قوله تعالى
من الحق لبيان الجنس لانهم يختلفون فى امور كثيرة كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقوله تعالى باذنه
قيل بامره اى امرهم بما هو الحق فكان ذلك هداية وارشادا الى الحق وقيل هداهم اى خلق فيهم فعل الاهتداء وذلك
باذنه اى بعلمه قال تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى اعلموا ومعناه هداهم وقد علم استحقاقهم لذلك بقصدهم
واختيارهم الحق او يكون صلة للاختلاف اى اختلفوا فى الحق وهو بعلمه وقوله تعالى والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم بين ان مشيئته خاصة فى الهداية وليست كما تقول المعتزلة انها عامة للخلق وعندنا الهداية التى
هى خلق الاهتداء خاصة والتى هى للبيان عامة وللاية وجوه اخر مروية عن السلف قال مجاهد كان الناس امة
واحدة يعنى آدم وحده ثم خلق حوى ونشر منهما الناس وقال محمد بن اسحق رحمه الله كان اولاد آدم لصلبه مجتمعين
على الاسلام فاختلفوا حين قتل قابيل هابيل وما اختلف فيه الا الذين اوتوا العلم وهو قابيل امره ابوه ان ينكح
اخت هابيل فابى ذلك وقال مقاتل كان الناس وهم اهل سفينة نوح عليه السلام على ملة الاسلام فبعث الله تعالى
النبيين ابراهيم واسمعيل واسحق ولوطا عليهم السلام مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب صحف ابراهيم
ليحكم بين الناس فدعا بها ابراهيم واسحق قومهما ودعا بها اسمعيل جرهما فامنوا به ودعا بها يعقوب اهل مصر
ودعا بها لوط اهل سدوم وعامورا وصنوايم وداذوما فلم يسلم منهم غير ابنتيه زعورا وزينا وما اختلف فيه
اى فى الدين الا الذين اعطوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم اى تفرقوا حسدا منهم فهدى الله الذين
امنوا للتوحيد وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان الناس امة واحدة ولم يكن لهم دين مثل البهايم
فبعث الله تعالى النبيين وانزل الكتب واعطى محمدا صلى الله عليه وسلم القران فيه جوامع الكلام وفيه بيان كل
شئ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كتب الله تعالى
الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيها فهدانا الله عز وجل لها فالناس لنا تبع الا اليهود والنصارى وقال الحسن
رحمه الله كان الناس ضلالا اى العامة لا الخواص من اهل الحجة وذلك من وفاة آدم الى مبعث نوح عليهما السلام
وبعث الله تعالى النبيين فاختلفوا فامن بعض وكفر بعض فهدى الله الذين امنوا فمضى حكم الله تعالى ان من اراد
الهدى وتمسك به لم يمنعه الله تعالى اياه واعانه عليه وانما يهتدون باذن الله تعالى وقال ابن كيسان كان قومك
يا محمد امة واحدة على الكفر كما كان قوم هود وصالح وشعيب فبعث الله النبيين فى الامم المجتمعة على الكفر وانزل عليهم
وعليك الكتاب الذى فيه تفصيل الحق من الباطل ليفصل بين الناس بالحجج وما اختلف فيه الا الذين اوتوه الامة
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واهل دينه خاصة وقيل كان الناس قبل موسى عليه السلام امة واحدة اكثرهم فى الضلال
فبعث الله النبيين من بنى اسرائيل مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما ابتدعوا من الذنوب
والعبادات وما اختلف فيه فلم يزل بمجئ موسى عليه السلام امر بنى اسرائيل على الاستقامة حتى اختلف فى الدين من
اوتى الكتاب اى العلماء المرجوع اليهم فى تاويل الكتاب تحرفوه تنافسا فى الرياسة فهدى الله الذين امنوا امة محمد
صلى الله عليه وسلم لما اختلف فيه اهل الكتاب من الحق وعرفهم ما بدلوه تفضيلا لهم ومنا عليهم والله يتفضل على من
يشاء بالهداية الى صراط مستقيم وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اى اظننتم وهو استفهام بمعنى الانكار
وام اذا لم يتقدمه الف الاستفهام كانت كالف الاستفهام او لانه يبنى هذا عليه يعنى يا اصحاب محمد اتظنون انكم
تنالون الجنة مع انه لم يصبكم مثل ما اصاب من قبلكم من الشدائد وانتظامها بما قبلها انه ذكر المختلفين الاولين
ثم اختلاف الاخرين وامر المهتدين بمقابلة المخالفين فاصابتهم الشدة فيها فشق عليهم ذلك فنزلت الاية وقيل
نزلت يوم الاحزاب حيث اصابهم الجوع والبرد والخوف وقوله تعالى ولما ياتكم الواو للحال ولما بمعنى لم

ومعه ما وما زائدة مؤكدة وصلت بها وقال الفراء وسيبويه لما ولم واحد وقال ثعلب لم لنفى المذكور فقط
ولما للنفى مع انتظار وجوده فيقال للرجل اتاك فلان فيقول لم يات فهذا نفى الاتيان لا غير فان قال لما
يات فمعناه لم يات بعد ولكن اتوقع اتيانه من بعد وقوله تعالى مثل الذين خلوا من قبلكم المثل والمثل
كالشبه والشبه اى لم ياتكم مثل ما كان اى الذين مضوا من قبلكم وقوله تعالى مستهم الباساء والضراء اى
اصابتهم الشدة من الخوف والجوع والفاقة وهى الباساء واصابتهم الالام والامراض وهى الضراء وقوله تعالى
وزلزلوا اى حركوا اشد التحريك والزلزلة تضعيف زل وهو كقولك كف فكفكف وصر فصرصر ومنه
زلزلة الارض وهذا التحريك كان بالجوع من الهيبة وقيل بالخوف وقيل باضطراب الاقدام فى القتال وقيل
هى اضطراب القلوب من الهيبة وقيل من وقوع الشبهات للضعفاء وقوله تعالى حتى يقول الرسول قرئ بالنصب
وهو للغاية وهو على تقدير وصيغة الاستقبال اى الى ان يقول الرسول وقرئ بالرفع ومعناه حتى كان يقول او هو
للماضى ومعناه حتى قال الرسول وقوله تعالى والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب
لهذا ثلاثة اوجه احدها قال الرسول والمومنون جميعا اى وقت نحظى بالموعود وهذا ليس بشك فيما وعدوا
من النصر لكن الناس للتعجل وهو كلام معهود فقال تعالى فى جوابهم فيما اوحى الى نبيهم الا ان نصر الله قريب
والثانى انه ذكر اولا قائلين ومما الرسول والمومنون ثم ذكر قولين وهما متى نصر الله فقال الرسول الا ان نصر
الله قريب وهو كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ذكر وقتين وامرين فانصرف
السكون الى الليل وابتغاء الفضل الى النهار والثالث انهما جميعا قالوا متى نصر الله وهذه كلمة انتظار اى انتظروا
ذلك فلم يتغيروا وتم الكلام ثم قال الله تعالى لهذه الامة الا ان نصر الله قريب لكم مما انتم فيه كما كان قريبا لهم ومعنى
القريب انه آت لا محالة وكل آت قريب وقيل الكلام منهم جميعا قالوا متى نصر الله عند ظهور هاجس النفس ثم
قالوا الا ان نصر الله قريب عند قوة اعتقاد القلب وعن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال لما شكونا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما نلقى من المشركين فقال ان من كان قبلكم من الامم كانوا يعذبون بانواع البلاء فلا يصرفهم
ذلك عن دينهم حتى ان الرجل يوضع على راسه المنشار ويشق فلقتين ويمشط الرجل بامشاط الحديد بما دون العظم
من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وايم الله ليتمن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء
الى حضرموت لا يخشى الا الله او الذئب على غنمه لكنكم تعجلون وقال الله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا الايات
وقوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون اتصاله بما قبله ان الاول فى القتال بالنفس وهذا فى التقرب بالمال والله
تعالى امر بالمجاهدة بالنفس والمال وماذا ينفقون قال الزجاج له وجهان احدهما ان ذا فى معنى الذى اى ما الذى ينفقون
وما مبتدأ وذا خبره وهما مرفوعان والثانى انهما شئ واحد وتقديره اى شئ وهو منصوب بينفقون وقيل ان ذا صلة
زائدة وما اسم منصوب بالفعل المذكور بعده وقيل ما بمعنى من كما فى قوله تعالى والسماء وما بناها وذا بمعنى الذين اى من
الذين ينفقون عليهم فان السؤال لم يكن عن نفس الانفاق بل عن محل الانفاق بدلالة ان الجواب ورد عن ذلك وصار
كقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى كان هذا سؤالا عن صفات البقرة حيث ورد الجواب عن ذلك وان كان
ما هى فى الظاهر سؤالا عن ماهية البقرة ولو حمل ما على ظاهره وجعل سؤالا عن الانفاق وورد الجواب بما ورد
فهو صحيح فى نظم الكلام فان السؤال المختصر اذا عرف المراد منه صح الجواب عن المراد والاية نزلت فى شان عمرو
بن الجموح الانصارى فانه لما نزل قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وسال النبى صلى الله عليه وسلم فقال
كم ننفق وعلى من ننفق فنزل سؤال الجوابين فى ايتين من هذه السورة جواب قوله كم ننفق فى قوله تعالى قل العفو
وجواب قوله على من ننفق فى قوله تعالى قل ما انفقتم من خير اى قل يا محمد اى شئ انفقتم من مال والمال يسمى خيرا
كما هو فى قوله تعالى لا يسام الانسان من دعاء الخير وقال تعالى وانه لحب الخير لشديد وانما سماه الله تعالى ههنا خيرا
لانه مذكور فى موضع الصرف الى الخير وقوله تعالى فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
من تفسير هذه الكلمات وقيل كان هذا للايجاب ونسخها الامر بالزكوة وقيل كان للاستحباب وهو باق وقوله تعالى
وما تنفقوا من خير ما كلمة شرط ولذلك جزم به وعلامة الجزم حذف النون وجزاؤه قوله تعالى فان الله به عليم
بثوابه واذا ذكر هذا فى عمل الشر فمعناه الله عليم بعقابه وذكر العلم بدل العلم ابلغ وهو وعد وعيد دال على بشارة وتهديد
وقوله تعالى كتب عليكم القتال اى فرض عليكم الجهاد المذكور قبل هذه الاية وقوله تعالى وهو كره لكم الكره والكره لغتان
وقيل بالضم الكراهة وبالفتح الاكراه وهذا مصدر اريد به المفعول او اضمر فيه ذو اى ذو كره لكم اى مرتين والزموه
لا باختياركم وانتم تكرهونه طبعا بعقلكم وكراهة الطبع لا توجب الذم بل يتحقق معنى العبودية اذا فعل ذلك اتباعا
للشرع مع نفرة الطبع قال تعالى فى نفرة الصحابة وان فريقا من المومنين لكارهون فاما كراهة الاعتقاد فهو من
صفات المنافقين قال تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم عسى كلمة
تجرى مجرى لعل وهى من العباد للترجى ومن الله تعالى للترجية وقال المفسرون ذكره الخليل بن احمد فى العين انها
عسى من الله تعالى واجب وقيل هى كلمة مقاربة ككلمة كاد وكاد يوصل به المستقبل بغير ان يقال كاد يفعل كذا

وسعى برسوله بان قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وقيل عذا وان كان من الله تعالى ولا يخفى عليه شيء ولكن لما كان
خطابا لمن لا يعلم العواقب استعمل خطابهم بهذه الكلمة وكذلك طريق لعل في كل اية وتقديره وما يدريكم لعل ما تكرهونه
هو خير لكم فانه اعزاز للدين وقهر للاعداء ووصول الى الغنيمة وان تقتلوا كنتم شهداء احياء عند الله تعالى ووصلتم
الى الدرجات العلى والنعيم الذي يبقى وليس له منتهى وقوله تعالى وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي انكم تحبون
ترك القتال وفيه تحمل الذل وغلبة الاعداء وتخريب الديار وحرمان الثواب وقوله تعالى والله يعلم وانتم
لا تعلمون اي الله يعلم ان القتال خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص والمقداد بن
الاسود واصحابهما وذلك ان الكفار لعنهم الله كانوا يؤذونهم فكانوا يقولون لو اذن لنا في القتال اشتفينا صدورنا
فنزل قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم ففرض عليهم القتال وكرهوه طبعا ونزل في شانهم وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال ونزل قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقوله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه
نزلت الاية في شان عبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر من مقدمه المدينة ومعه ثمانية من المهاجرين ليس فيهم
انصاري وهو تاسعهم فامره عليهم وهم سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان
السلمي وابو حذيفة بن عتبة وسهل بن البيضاء القرشي من بني الحارث وعامر بن ربيعة القرشي من بني عدي وواقد
ابن عبد الله الحنظلي وخالد بن بكير وكتب له كتابا وقال له امسك في يديك فاذا سرت يومين فانشره وانظر ما فيه
فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة ولا
تكره احدا من اصحابك على المسير معك وامض لامري فيمن معك منهم حتى تقدم بطن نخلة فترصد بها عير قريش
لعلك تاتينا منهم بخبر فلما قرا الكتاب قال سمعا وطاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب منكم ان يتخلف
فليتخلف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان انزل ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هو كذلك اذ مر بهم
عير قريش فيها عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان
فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا
راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس عكاشة بن محصن الاسدي ثم
اشرف عليهم فقالوا عمار لا باس عليكم منهم فامنوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك اخر يوم من
جمادى الاخرة فقالوا لئن تركتموهم هذا اليوم دخل الشهر الحرام فامنوا ولم يحل لكم قتالهم فيه وان اصبتموهم
في الشهر الحرام ولم يامركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال فيه ثم ان القوم تشجعوا واجمعوا في مواقعة
القوم فرمى واقد بن عبد الله الحنظلي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستاسروا الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله
وهرب نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له واستاقوا العير وفيها ادم وزبيب وتجارة من تجارة الطائف
وذلك في اول يوم من رجب وهم يحسبون انه اخر يوم من جمادى الاخرة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم به
واخبر نوفل بن عبد الله بن المغيرة قريشا بالامر فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
وسفك فيه الدماء واخذ الاموال واقبل القوم على من عندهم من المؤمنين يعيرونهم بذلك فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير والادم ولم ياخذ منها شيئا وحبس الاسيرين وقال لاصحابه اني لم امركم بالقتال في الشهر الحرام
فعظم ذلك على اصحاب تلك السرية وسقط في ايديهم وظنوا انهم هلكوا وعيرهم المسلمون بما صنعوا وقالوا لهم قاتلتم
في الشهر الحرام وكتب من بمكة من المسلمين الى عبد الله بن جحش بالذي تعيرهم به المشركون من اخذهم الاموال
وسفكهم الدماء في الشهر الحرام فلما اكثر الناس في ذلك سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال عبد الله
ابن جحش يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا ثم نظرنا الى هلال رجب فلا ندري اصبناه
ام في جمادى الاخرة وقد عيرنا بذلك المشركون حلالا ما صنعنا ام حراما فانزل الله تعالى هذه الاية ولما نزلت
الرخصة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والغنيمة وقال عطارد الاسارى والغنيمة وقال مقاتل كان ذلك
اول اسير وقتيل واستغنام في سبيل الله تعالى وقوله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه خفض قتال
لانه بدل من الشهر اي يسالونك عن قتال فيه وهو كقولك اردت زيدا تحيته اي اردت تحيته وقوله تعالى
قل قتال فيه كبير اي كبير الاثم او كبير العقوبة وحذف المضاف اليه منه كما في قوله تعالى في يوم عاصف
اي عاصف الريح او هو نعت منعوت محذوف وتقديره قل قتال فيه ذنب كبير اخبر انه حرام وليس بحلال ولكن
بين ان فعل الكفار اكبر اثما منه المسلمين وهو منعهم اياهم عن دين الله وهو الاسلام وقوله تعالى وكفر به اي بالله
وقوله تعالى والمسجد الحرام خفضه بثلاثة طرق احدها بعطفه على به اي وكفرهم بالكعبة وجحودهم حقيقتها
ومنع الناس عنها على اعتقاد انه واجب او جائز والثاني بعطفه على سبيل الله اي ومنعهم دخول المسجد الحرام
والثالث قتال فيه وفي المسجد الحرام وقال الفراء وصد عطف على قوله تعالى كبير اي القتال فيه ذنب كبير وهو انهم
صدوا عن سبيل الله ثم قوله تعالى وكفر به ابتداء واخراج عطف عليه وخبرهما اكبر عند الله وقوله تعالى واخراج

اهله منه اي واخراجهم اهل المسجد من المسجد واهل المسجد هم المسلمون واخراجهم من المسجد الحرام اخراجهم من مكة
باضطرارهم الى مكة سماهم اهل المسجد وان كانوا خارجين عن مكة لانهم قائمون بما يجب عليهم من حقه لانهم يصيرون
اهلا له في العاقبة فسماهم باسم العاقبة ولم يسم الكفار اهل المسجد الحرام وان كانوا بمكة لان مقامهم بمكة عارض
وقال الله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون
وقوله تعالى اكبر عند الله اي هذه الاشياء الاربعة من الكفار اكبر اثما وعقوبة من قتل المسلمين ابن الحضرمي في
الشهر الحرام لان القتال في الشهر الحرام يحل بحال والكفر لا يحل بحال ولانهم كانوا امنا ولبس في القتال لانهم شكوا
في اليوم ولا تاويل للكفار في الكفر وقوله تعالى والفتنة اكبر من القتل هذا ابتداء اخر اي كفر الكفار اشد خطرا
من قتل المسلمين ابن الحضرمي في رجب والفتنة اسم للكفر قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة وقيل اي تعذيب الكفار المسلمين اشد قبحا من قتل المسلمين ذلك الكافر والفتنة اسم لذلك قال تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وقال مقاتل بن حيان كان القتال في الشهر الحرام حراما ثم نسخ بقوله تعالى
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الاشهر الحرم وغيرها وهو قول عامة العلماء وقال عطاء هو باق ولا يجوز
قتالهم في الشهر الحرام الا اذا بدؤوا ثم اخبر ان هؤلاء الكفار كيف قصدهم في حق المسلمين وهو قوله تعالى
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا اي يدومون على محاربتكم على قصد صرفكم
عن الاسلام ليصرفوكم عنه ان قدروا عليه وهو بيان انهم لا يقدرون عليه وهو تطييب لقلوب المؤمنين ثم ذكر
وعيد من انصرف عن الدين وقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه وقال تعالى في اية اخرى من يرتد منكم نفى
التضعيف هناك واظهر التضعيف ههنا وكلاهما مستعملان على الصحة والفصاحة وقوله تعالى فيمت
معطوف على قوله تعالى ومن يرتدد وكلاهما مجزومان بالشرط وقوله تعالى وهو كافر الواو للحال اي ومن يمت على الكفر
ولم يعد الى الاسلام وقوله تعالى فاولئك حبطت اعمالهم اولئك جمع رجع الى قوله تعالى ومن لان من الجمع معنى وحبطت
اي بطلت وتلاشت وهو من حد علم والمصدر الحبوط والحبطة واعمالهم اي حسناتهم لانها تسمى الاعمال في الحقيقة
اذ السيئات مما ينبغي ان لا تكون ويقال لمن عمل عملا لا ينتفع به لم يعمل شيئا وليس هذا بعمل وبطلان العمل هو بطلان
اثره وهو ما ينبغي به من نفع الدارين وقوله تعالى في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فقطع حرمته بقتله على ردته وفوات
موالاة المسلمين ونحو ذلك مما يجري على نفس المرتد واهله وماله واما في الاخرة ففوت الثواب وحسن الماب وقوله
تعالى واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي لابثون فيها وهو كما يقال فلان صاحب شراب يراد به ملازمة
ذلك لا ما يفهم من قولهم هو صاحب الدار اي مالكها وقوله تعالى هم فيها خالدون اي دائمون لا يموتون ولا يخرجون
تحبط بنفس الردة عندنا بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط عندنا وقال الشافعي
رحمه الله هو شرط بهذه الاية وقلنا انما جعل الموت على الكفر شرط جميع ما ذكر في بقية الاية من حبوط العمل والخلود
في النار وبه نقول وقوله تعالى ان الذين امنوا اي ثبتوا على ايمانهم فلم يرتدوا وقوله تعالى والذين هاجروا اي من مكة
الى المدينة اي فارقوا اعمال السوء واصحاب السوء والاول كان فرضا ثم نسخت فرضيته والثاني فرضيته باقية
وقوله تعالى وجاهدوا في سبيل الله اي قاتلوا الكفار وقيل استفرغوا المجهود في العمل لله تعالى وقوله تعالى اولئك
يرجون رحمة الله اي هؤلاء لا تحبط اعمالهم بل ياتون راجين رحمة الله مؤمنين ثوابه وليس هذا على التشكيك
ولكن مدح لهم باستقصارهم اعمالهم واستشعارهم اما لهم خائفين رده راجين قبوله قال الله تعالى والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة وقوله تعالى والله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم وتقصيرهم ويرحمهم فلا يعذبهم وقال المفسرون
نزلت الاية في عبد الله بن جحش واصحابه خافوا من القتال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى قل قتال فيه كبير الاية فقال
بعض الناس ان لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر فنزل قوله تعالى اولئك يرجون رحمة الله وقيل بل سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل نطمع لنا في غزوة نجاهد فيها فنصيب اجرا فانزل الله تعالى هذه الاية يخبرهم انهم على رجاء مما طلبوا
وقوله تعالى يسالونك عن الخمر والميسر انتظامها بما قبلها انه ذكر الجهاد ولا يقوم ذلك الا بالمال وتظاهر
القوم وفي الخمر والميسر ذهاب المال ووقوع الشنار وزوال التظاهر فبين حرمتها ليمتنعوا عنها فيحصل لهم
القوة على الجهاد ونظم اخر انه جمع بين سؤالات سالها الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى عن ذلك
بقوله عز وعلا يسالونك ويسالونك ويسالونك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما رايت قوما خيرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالوه الا عن ثلاث عشرة مسالة قص كلها في القران ما كانوا يسالونه الا عن
ما ينفعهم ويمنع المنافعين قوله تعالى يسالونك اي يا محمد عن الخمر وهو النيء من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف
بالزبد سميت بها لانها تخامر العقل اي تغطيه وقوله تعالى والميسر اي القمار وقال القتيبي الميسر الجزور وسمي ميسرا
لانه يجزى اجزاء وكل شيء جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزئ لحم الجزور وكان المتقامرون
يشترون جزورا ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار انه على من يجب فيضربون بالقداح وهم ياسرون في
اللغة ايضا لانهم جازرون على التسبيب فسموا به لمعنى التجزئة في العاقبة والقداح عشرة ذات الخطوط

الفذ وعليه فرض اي جزؤ والتوأم وعليه فرضان والرقيب وعليه ثلاثة فروض والمسبل وعليه ستة فروض
والمعلى وعليه سبعة فروض والاغفال التي لا فروض لها المنيح والسفيح والوغد وكان للفذ نصيب وللتوأم
نصيبان على هذا الى اخره ثم يجمع الايسار وهم سبعة في الاغلب وينحرون الجزور فيجعلونه عشرة اجزاء وياخذون
قداح الميسر فيجمعونها في يد واحد فيجعلها في شيء ويجيلها ويخرج سهما سهما باسم كل واحد فمن خرج سهمه منصب
اخذ قدره من الجزور ومن بقي في اخره غرم ثمنه ولم ياكل من لحمه شيئا وعن الضحاك ان هذا السائل كان حمزة بن
عبد المطلب قال يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مسلبة للعقل متلفة للمال فنزل التحريم وقوله تعالى **قل فيهما**
اي في استعمالهما وشربهما وقوله تعالى **اثم كبير** اي عظيم وكبيرا اي متعدد وما كبر كثر وقوله تعالى **ومنافع للناس**
هي المغالات بثمن الخمر اذا اجلبوها من الاطراف ومنها تقوية الضعيف وهضم الطعام والاعانة على الباه
وتسلية المحزون وتشجيع الجبان وتسخية البخيل وتصفية اللون وانطلاق الغبي الحيي وتهييج الهمة ومنافع
الميسر التوسعة على ذوي الحاجة فان المياسرين كانوا يفرقونها على المحتاجين كان الواحد منهم ربما قمر في
مجلسه مائة بعير فيصيب مالا عظيما بلا نصب ولا ثمن ثم يعطيه المحتاجين فيكتسب به الثناء والمدح
وقوله تعالى **واثمهما اكبر من نفعهما** وفي الخمر ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلوة
وهي تسفه الحليم وتصير شاربها بحيث يلعب ببوله وعذرته وقيئه وعن العباس بن مرداس انه قيل له
في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانه يزيد في جرأتك قال ما انا آخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي واصبح سيد قومي
وامسي سفيههم وروي ان جبريل صلوات الله عليه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى شكر لجعفر الطيار
اربع خصال كان عليها في الجاهلية وهو عليها في الاسلام فسأل النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا عن ذلك فقال لولا
ان الله تعالى اطلعك عليها لما اخبرتك بها ما شربت خمرا قط لاني رايتها تزيل العقل وانا الى ان ازيد فيه احوج
مني الى ان ازيله وما عبدت صنما قط لاني رايته لا يضر ولا ينفع وما زنيت قط لغيرتي على اهلي وما كذبت قط
لاني رايته دناءة ومن مضار الميسر ما يجري بينهم من الجحود والسباب والمنازعة والسفه وانه اكل المال بالباطل
وهو مانع عن الصلوة وعن ذكر الله تعالى وسبب العداوة ايضا وقيل معناه واثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما
قبل التحريم وقيل في الخمر اثم كبير ما دام مستخمرا ومنها منافع للناس اذا صارت خلا وفي الميسر اثم في الاخذ والنفع
في البذل وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا نفع فيها بعد التحريم وما حرم الله تعالى شيئا حتى نزع منه جميع منافعه وقيل
اي لا نفع فيهما بعد التحريم في الدين فاما النفع من جهة الدنيا فقد يكون وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى
لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فمنهم من حمله على ظاهره انه لا يقع به شفاء بوجه وقيل معناه لا يجوز الاستشفاء
به مع انه قد يكون والميسر يقع على كل قمار من النرد والشطرنج والكعاب ولعب الصبيان بالجوز وعلى كل مخاطرة
وروي ان رجلا خاطر رجلا على ان ياكل كذا وكذا بيضة على كذا من المال فقال علي رضي الله عنه هذا قمار فاما مخاطرة
ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه المشركين التي ذكرت في حديث غلبة الروم وقول النبي صلى الله عليه وسلم له زد في الخطر
وابعد في الاجل فانها كانت قبل تحريم القمار ثم نسخت به وهذه اول اية نزلت في الخمر والميسر فنبههم بها ان اجتنابهما
اولى من اقترافهما اذ الحكم في الامور للاغلب الا ترى ان من غلبت عليه افعال الخير حمدوه وان كان فيه بعض ما يذم ومن
غلبت عليه افعال الشر ذموه وان كان فيه بعض ما يحمد ولما تقرر هذا عندهم ورد النهي بعد ذلك عن الشرب
وقت الصلوة لقوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فامتنعوا في ذلك الصلوة فخلا اكثر اوقاتهم عن الشرب فسهل
تفاطمهم عنها الى التحريم المطلق ثم نزل قوله تعالى انما الخمر والميسر الآية وروي ان عمر رضي الله عنه قال اللهم بين لنا
في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في النساء لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقال عمر رضي الله عنه
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
رضي الله عنه انتهينا يا رب وقال الشعبي ومحمد بن كعب القرظي ومقاتل بن حيان اول ما نزل في الخمر قوله تعالى ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وهو ما يتخذ منهما سواها فعقل كبراء الصحابة رضوان الله
عليهم انه لو كان فيها خير لم تميز عن الرزق الحسن فتركوها ثم نزل قوله تعالى قل فيهما اثم كبير فسأله حمزة ومعاذ رضي
الله عنهما فذمهما ولم يحرمهما فامتنع كثير منهم عن ذلك وبعضهم كان يشربها فصنع عبد الرحمن بن عوف طعاما لجماعة
من المهاجرين والانصار فسقاهم الخمر وصلوا في منزله وهو امامهم فقرأ في صلوة المغرب قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وهذه الآية
اشد من الاولى لان الله تعالى حرم السكر عند مواقيت الصلوة فصنع عتبان بن مالك طعاما ودعا رجالا من المسلمين
فيهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وكان شوى لهم راس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اخذت فيهم ثم انهم
افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار وفخر بقومه فقام رجل
من الانصار فاخذ لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه شجة موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تشكى اليه الانصار فانزل الله تعالى انما الخمر والميسر الآية بعد غزوة الاحزاب بايام فقال المسلمون
قد انتهينا يا رب وقوله تعالى **ويسئلونك ماذا ينفقون** قد ذكرنا ان عمرو بن الجموح الانصاري سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم سؤالين على من ينفق وكم ينفق فنزل جواب الاول في قوله قل للوالدين والاقربين الآية وجواب
الثاني في هذه الآية وهو قوله تعالى **قل العفو** والسؤال لان قصة واحدة لكن عرف اختلافا بجوابيهما والعفو ما سهل
وفضل يقال خذ ما اتاك عفوا اي سهلا واعفى فلان فلانا بحقه واوصله اليه بسهولة من غير الحاح والعفو
عن الجاني تسهيل عليه وعفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق هو تسهيل بالاسقاط وقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم
خذ العفو اي ما سهل من اخلاق الناس وقرئ بالنصب لوقوع فعل الامر عليه وقرئ بالرفع على اضمار هو
والعفو اسم للفضل ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله اي فضل الله او
جعل ههنا عبارة عن الفضل عن الحاجة لما انه سهل عليه ذلك فلا يشق عليه من الله تعالى انه يسر على الناس ولم يعسر
وشرع النفقة والصدقة على وجه لا اسراف فيه ولا تقتير قال تعالى ولا تبذر تبذيرا وقال عز وعلا ولا تبسطها
كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت
غنى ولا يلام على الكفاف وقال جابر بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل بمثل البيضة من
ذهب فقال يا رسول الله خذها صدقة فوالله لقد اصبحت ما املك غيرها فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاه من الجانب الايمن فقال مثل ذلك فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاه من بين يديه فقال له
مثل ذلك فقال له هاتها مغضبا فاخذها منه ثم رماه بها لو اصابه لاوجعه ثم قال يأتي احدكم بماله لا يملك
غيره ثم يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى خذها فلا حاجة لنا فيها وقال الربيع بن انس كان
التصدق بالفضل في اول الاسلام اذا كان الرجل صاحب زرع امسك لنفسه قوت سنة وتصدق بالفضل
فنسخت باية الزكوة وقوله تعالى **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة** قال
ابن عباس رضي الله عنهما اي هكذا يبين الله لكم مواضع الصدقة لكي تنظروا في الدنيا فتعلموا انها دار بلاء ثم هي
دار فناء فتزهدوا فيها وتتفكروا في الآخرة فتعلموا انها دار بقاء فترغبوا فيها وقيل اي كما بين الله لكم حكم الخمر
والميسر والانفاق وقدره ومصارفه كذلك يبين الله لكم في المستقبل جميع ما تحتاجون اليه بمعرفته من امور دنياكم
واخرتكم لتتفكروا في الدنيا اي خلقتها لامتحانكم فيها بالامر والنهي والمحن وفي الآخرة اي خلقتها لجزاء المحسن
والمسيء وقيل اي تتفكروا في الدنيا فتحبسوا من اموالكم ما تعيشون به وتتفكرون في الآخرة فتنفقوا الباقي فيما
ينفعكم فيها وقيل اي لتتفكروا فيما اعطاكم الله تعالى في الدنيا من الاموال الكثيرة ثم امركم ان تخرجوا منها اليسير
ثم وعدكم عليه في الآخرة اضعافا كثيرة فتعلموا فضله وتؤدوا شكره وقيل اي لتتفكروا في الدنيا وفنائها وفي الآخرة
وبقائها فتعملوا في هذه لتلك وقيل اي لتتفكروا في الدنيا فتمسكوا القوت لاهاليكم وتتفكروا في الآخرة فتقدموا الفضل
لانفسكم وقيل اي لتتفكروا في الدنيا ان الله تعالى وعد الرزق بغير عمل منكم وتتفكروا في الآخرة ان الله تعالى وعدكم بها الثواب
على عملكم ثم تجتهدون في هذا ولا حاجة اليه فيما لكم لا تجتهدون في ذلك ولا ينال ذلك الا به وقوله تعالى **ويسئلونك
عن اليتامى** وانتظامها بما قبلها انهم لما امروا بالانفاق من اموالهم استقصوا على انفسهم فظنوا انهم امروا
بانفاق يجحف بهم فسألوا عن ذلك فاجيبوا بما عاد اليهم بالنفع لهم في اخرتهم والرفق بهم في دنياهم وامروا بانفاق يخف
عليهم ولما امروا بمراعاة حق اليتامى بالانفاق عليهم وان لا يقربوا اموالهم الا بالتي هي احسن وان لا ياكلوا اموالهم ظلما
استقصوا في ذلك فعزلوا اموالهم عن اموالهم ولم يخالطوهم فتضرر بها اليتامى فرخص الله تعالى لهم في المخالطة والمواكلة
على وجه يجمع الرفق للفريقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزل قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه عن طعامه وشرابه عن
شرابه فجعله يمسكه عليه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت الآية وروي ان السائل كان عبد الله بن رواحة قال يا رسول الله هل يحل لنا مخالطتهم فنزلت الآية
ويسئلونك عن اليتامى قال الكلبي اي عن مخالطة اليتامى ودل هذا على اضمار الجواب وهو قوله تعالى **قل
اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم** قال معناه لما شق على المسلمين من مخالطة اليتامى فعزلوا بيت اليتيم
وطعامه وشرابه فشق عليهم ذلك فقال ثابت بن رفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم قد انزل الله تعالى في اليتيم
ما انزل فعزلنا لهم والذي لهم واعتزلنا والذي لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا نجد سعة فهل نصلح مخالطتهم
فيكون البيت والطعام واحدا لا نذر لهم شيئا الا نعود عليهم بالفضل منه فنزل قوله تعالى قل اصلاح لهم خير قيل
اصلاح اموالهم خير لكم اي ما فعلتم وفيه صلاحهم فهو خير لكم وقيل معناه خير لهم من عزلهم وترك مخالطتهم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما المخالطة ان تاكل من تمره ولبنه وقصعته وياكل من تمرك ولبنك وقصعتك
وهذا اذا اصاب من مال اليتيم بقدر عمله له او دونه فلا يزيد على اجر مثله وقد قال تعالى فمن كان غنيا
فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقد تكون المخالطة بخلط المالين وتناول الاكل منه

ثم ان وقع التفاوت بقلة الاكل وكثرته بعد ذلك اعتبار لم يقع فى الحرج وهو منفى شرعا وعلى هذا اجتماع الرفقة
فى السفر على خلط المال ثم خلط الاطعمة وتناول الكل منها معا وثم التفاوت مرخص لهم استدلالا بهذه الاية وقال
الامام ابو منصور رحمه الله قيل قل اصلاح لهم خير هو اصلاح نفوسهم وقلوبهم بتعويدهم الاكل مع الناس فان شر الناس
من اكل وحده قال وفيه دليل على ان مال اليتيم يحتمل قليل التبرع قال وفيه دليل على ان علة الربو ليست هى الطعم
بل الكيل والوزن فان الله تعالى اباح المخالطة مع تفاوت الاكل فى المطعوم لعدم الكيل والوزن وان تخالطوهم
فاخوانكم اى هم اخوانكم ومن حق الاخ ان يعان ولا يخان وقوله تعالى **والله يعلم المفسد من المصلح**
بين انه تعالى لا يخفى عليه قصد المخالطة بالفعل وانه يجزيه على وفق عمله وهو ابلغ وعد ووعيد وقوله تعالى
ولو شاء الله لاعنتكم قيل لشق عليكم فلم يرخص المخالطة وقال ابن عباس رضى الله عنهما لشق عليكم وقال
مقاتل لاثمكم بتحريم ذلك وقيل لاهلككم واصل العنت المشقة لان كلمة عنوت اى طويلة يشق صعودها
وعنت العظم عنتا اذا اصابه وهن او كسر والاعنات الحمل على مكروه لا يطيقه والتعنت فى السؤال التشديد
فيه والتغليظ والعنت الاثم وقيل المشقة والهلاك وقيل فى قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم انه الاثم
وقيل الهلاك بالوقوع فى الزنا وقوله تعالى لعنتم اى لهلكتم وقوله تعالى ودوا ما عنتم اى ما يشق عليكم وقوله تعالى عزيز عليه
ما عنتم اى شديد عليه ما يشق عليكم وقيل ما اثمتم اى هلاككم بالذنوب وقوله تعالى **ان الله عزيز حكيم** اى ممتنع
لا يمتنع عليه ما يشاء وحكيم فلا يحكم الا بما فيه حكمة وقيل المراد بالمخالطة المذكورة فى هذه الاية هى المخالطة لا نفس
بالمناكحات وهو ان يكون ابنا فيزوجه ابنته او يكون بنتا فيزوجها ابنه فيتاكد الالفة ويخالطه بنفسه
ويعشره ابنا سا لوحشته وازالة لوحدته وهو مروى عن الحسن وقريب منه ما ذكر فى قوله تعالى ويستفتونك
فى النساء الى قوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن ويدل على هذا ان فى هذه الاية ذكر النكاح فيما بعده وقوله تعالى **ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن** قيل كانوا يكونون يتامى فى الشرك من قرابتهم ويرغبون فى المناكحة تحقيقا للمخالطة
التى رخص لهم فيها فبين ان نكاح المشركة الحربية ليس من ذلك ثم معناه لا تتزوجوا الكافرة ويقع الاسم على اهل
الكتاب بمعنى الاصل قال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى
عما يشركون وكان ذلك جائزا فى ابتداء الاسلام وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته زينب من ابى العاص
وهو مشرك فلما ورد النهى وهاجر زينب بانت منه فلما اسلم ابو العاص زوجها منه ثانيا وقوله تعالى حتى يؤمن
اى حتى يسلمن مد النهى الى غاية ثم خص من هذا العموم الكتابيات الذميات لقوله تعالى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم وابقى الحربيات فى عموم هذه الاية ونزوله فيما ذكر الكلبى قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من غنى يقال له مرثد بن ابى مرثد وقال عطا هو ابو مرثد كناز بن الحصين الغنوى الى مكة
ليخرج اناسا من المسلمين بها سرا فلما قدمها سمعت به امراة يقال لها عناق وكانت خليلة له فى الجاهلية
فاتته فقالت له يا مرثد الا تخلو فقال ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك وحرمه علينا ولكن ان شئت
تزوجتك اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامرته ثم تزوجتك فاستغاثت عليه فضربوه
ضربا شديدا ثم خلوه فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمه الذى كان من امره وامر عناق وقال ايحل لى
ان اتزوجها فانزل الله تعالى هذه الاية ينهاه عن ذلك وقوله تعالى **ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم**
اللام للتاكيد والامة الرقيقة وجمعها الاماء والمصدر الاموة وقد امينها وتاميتها اى استرققتها وقوله تعالى
خير من مشركة اى افضل واحق من حرة مشركة وقوله ولو اعجبتكم اى وان راقتكم وان بلغت بكم النهاية فى الاعجاب
اى وسع الله تعالى الامر وكثر المنكوحات فلا حاجة الى المشركات وقوله ولامة قال مقاتل بن حيان نزلت فى خنساء وكانت
وليدة سوداء لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد ذكرت فى الملا الاعلى مع سوادك ودمامتك وانزل الله تعالى
ذكرك فى كتابه فاعتقها وتزوجها وقال السدى نزلت فى عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها
فلطمها ثم فزع فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وما هى يا عبد الله قال
تشهد ان لا اله الا الله وانك رسوله وتصوم رمضان وتصلى وتحسن الوضوء قال يا عبد الله هذه مؤمنة
قال فوالذى بعثك بالحق نبيا لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فعظم ذلك على ناس من المسلمين وقالوا انكح
امة فنزلت الاية وقوله تعالى **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** اى لا تزوجوهم بناتكم وهذا فى حق الصغيرات
فاما الكبيرة فلها ان تتزوج بنفسها ولا يزوجها ابوها الا برضاها وسكوت البكر رضى وقوله تعالى **ولعبد
مؤمن خير من مشرك** اى من حر مشرك **ولو اعجبكم** بماله وجماله وحسبه وقوله تعالى **اولئك يدعون
الى النار** وبين علة المنع فقال يدعون الى الكفر والمعاصى التى توجب النار وقوله تعالى **والله يدعوا الى الجنة
والمغفرة باذنه** اى يدعوكم الى مخالطة المؤمنين لان ذلك اوصل لكم الى الجنة والمغفرة وقيل اى يدعوكم
الى الامر الذى ان اذن تؤبه تدخلون الجنة وهو نكاح المسماة ههنا وقوله باذنه متصل بما من الوجه الذى تقلنا
وقيل يدعوا اليها بالامر بسلوك الطريق الذى يودى اليه وقوله تعالى **ويبين اياته للناس** اى اوامره ونواهيه

ووعده

ووعده ووعيده وقوله تعالى **لعلهم يتذكرون** اى ليتعظوا وقد ذكرته فتذكر اى وعظته فاتعظ والذكرى
الموعظة وقوله تعالى **ويسئلونك عن المحيض** انتظام الايتين ان الاولى فيها نكاح المشركة التى بها نجاسة الشرك
والثانى فيها نهى قربان المسلمة التى بها نجاسة الحيض وفيه شرف المؤمن حيث نزهه عن مخالطة الانجاس الى وقت
زوال الادناس فقال ثمة حتى يؤمن وقال ههنا حتى يطهرن وقوله عن المحيض اى الحيض وهو الدم الخارج من الرحم
فى وقت معتاد ويقال حاضت الارنب اذا خرج من قبلها دم وحاضت الشجرة اذا خرج من شقها احمر ويقال
حاضت المراة تحيض حيضا كما يقال جاد يجيد جيدا ومجيدا فهو جايد وحاض يحيض حيضا فهو حايض
والسؤال مطلق وفيه ابهام فبين بالجواب ان سؤالهم كان عن مخالطة النساء فى المحيض ونزوله فيما روى انس
قال كانت اليهود اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجتمعوا معها فى البيوت فسئل النبى صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يواكلوهن ويشاربوهن وان
يكونوا معهن وان يفعلوا كل شئ ما خلا النكاح اى الوطئ فقالت اليهود ما يريد منا لم يدع شيا من امرنا الا
خالفنا فيه قال فجا عباد بن بشير واسيد بن حضير الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقالا يا رسول
الله افلا ننكحهن فى المحيض اى افلا نطاهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا ان قد غضب
عليهما فقاما فاستقبلهما هدية من لبن فارسل النبى صلى الله عليه وسلم اليهما فسقاهما فعلما انه لم يغضب عليهما
وقال مقاتل بن سليمان نزلت فى عمرو بن الدحداح البلوى وبلى حى من قضاعة قال ولما نزلت هذه الاية لم يواكلوهن
فى اناء واحد واخرجوهن من بيوتهن ومن الفرش كفعل العجم فقال اناس من الاعراب قد شق علينا اعتزال الحيض
والبرد شديد فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان اثرنا اهل البيت هلكت النساء بردا فقال النبى صلى الله
عليه وسلم انكم لم تومروا باعتزالهن من البيوت وانما امرتم باعتزال الفروج اذا حضن وتاتوهن اذا طهرن وقرا
عليهم ولا تقربوهن حتى يطهرن وقال مقاتل بن حيان نزلت فى ابى الدحداح صاحب الحديقة وقوله تعالى **قل هو
اذى** اى قذر وقيل شئ تتاذى به المراة ويتاذى به من يجد ريحها منها وهذا بيان العلة وبعده بيان الحكم وهو
قوله تعالى **فاعتزلوا النساء فى المحيض** اى اجتنبوهن وتنحوا عنهن يقال عزلته فاعتزل ونحيته فتنحى
ومنه عزل الوالى وعزل الماء عن المراة وعزل بعضهم قربا من الميراث ومنه قوله كان فى معزل وقوله تعالى فى المحيض
يجوز ان يكون مصدرا كالاول ويسئلونك عن المحيض ومعناه تنحوا عنهن حالة حيضهن ويجوز ان يكون موضعا
كالمرجع ويكون عبارة عن الفرج ويدل عليه ما روينا انما امرتم باعتزال الفروج واستدل به محمد بن الحسن رحمه الله
فى قوله ان الزوج يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وابو حنيفة وابو يوسف احتاطا فالحقا به ما تحت الازار
لان الدم قد يصل الى ذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها اتزرى وعودى الى مضجعك وقوله
تعالى **ولا تقربوهن** اى لا تطاوهن وتفسير ذلك فى قوله فاعتزلوا ولولاه لتوهم بالاعتزال المفارقة بكل البدن فى
كل شئ وقيل اكده بصيغتين نهى وامر مبالغة فى المنع لما ان الزوجين يجتمعان غالبا ومعهما داعيان اليه ظاهرا
وقوله تعالى **حتى يطهرن** بالتشديد فى قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابى بكر اى يغتسلن ويطهرن
بالتخفيف فى قراءة الباقين اى يخرجن من الحيض بانقطاع الدم واذا كانت ايامها عشرة فكما انقطع حل وطيها
للزوج والمولى واذا كانت دون ذلك فانقطع واغتسلت فكذلك واذا لم يغتسل ومضى عليها وقت صلوة فكذلك
وعند زفر والشافعى رحمه الله لا يحل بحال قبل الاغتسال ويحتجان بقراءة التشديد ونحن نعمل بالقراءتين
فى الحالتين وقوله تعالى **فاذا تطهرن** اى اغتسلن كما فى قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى **فاتوهن
من حيث امركم الله** قال مجاهد سالت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن هذا فقال هذا امر اباحة ورخصة وبصرف
الى ما وقع النهى عنه وهو القربان فى موضع الحيض لاجل الحيض فاذا زال الحيض ابيح الاتيان فى ذلك الموضع ولان
الله تعالى حرم اتيان القبل فى ايام الحيض للاذى فيحرم اتيان الدبر فى الاحوال كلها لما فى من الاذى وهو القذر
وقوله تعالى **ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** اى المتنزهين عنهما فلا تاتوهما قط وقد نزه الله تعالى
ذلك الفعل حيث قال فى صفة اهله بل انتم قوم تجهلون بل انتم قوم مسرفون بل انتم قوم عادون ما سبقكم بها
من احد من العالمين ووصف انبياءه عدوه بالتطهر فقال تعالى انهم اناس يتطهرون وقال تعالى ويحب المتطهرين وقيل
اى يحب التوابين من كل الجنايات والمتطهرين من كل النجاسات وقال ابو القاسم الحكيم يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين من العيوب فالذنوب ظاهرة كالسرقة والزنا وشرب الخمر والعيوب باطنة كالحقد والغل والحسد
وسوء الخلق وقدم التوابين على المقتصد والسابق وقيل لان التوابين اكثر من المتطهرين الذين يبقون على الطهارة
فلا يتلوثون بذنب والاكثر يبدا به كما فى قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه وقوله تعالى
نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اى محرث ومزرع للاولاد سمى موضع الفعل بالفعل كالبيت سمى به لانه موضع
بيات فيه وقال الشاعر يصف امراته باكل الجراد ٭ اذا اكل الجراد حرث قوم ٭ فحرثى همه اكل الجراد ٭ ووحد
الحرث مع ذكر جماعة النساء لانه فى الاصل مصدر وقوله تعالى فاتوا حرثكم اى موضع حرثكم وهو الفرج لانه موضع

اى التوابين من ... والمتطهرين من ...

الولد دون الدبر وقوله تعالى انى شئتم اى كيف شئتم كما فى قوله تعالى انى يكون له ولد والمراد من التخيير فى الكيفية
اى قياما وقعودا ومقابلة ومدابرة وعلى الجنب ومجبية اى على هيئة الراكعة وعزلا للماء وغير عزل برضاها
وفى الامة المملوكة لا يشترط رضاها وفى الامة المنكوحة يشترط رضى مولاها عند ابى حنيفة رحمه الله وقال جابر
ابن عبد الله رضى الله عنه كانت اليهود تقول اذا اتى الرجل امرأته من خلفها فى قبلها كان ولده احول فانزل الله تعالى
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وروت حفصة رضى الله تعالى عنها ان امرأة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم
ان زوجها يأتيها وهى مدبرة فقال عليه السلام لا بأس اذا كان فى صمام واحد وعن ام سلمة رضى الله تعالى عنها قالت
كانت اليهود يقولون للانصار ان من اتى اهله ولده احول فكانت نساء الانصار لا يتابعن بعولتهن على ذلك فلما
قدم المهاجرون المدينة نكحوا فى الانصار فاراد رجل امرأته على ذلك فابت وقالت حتى اسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخلت على ام سلمة رضى الله تعالى عنها فذكرت ذلك لها فقالت لها كونى مكانك حتى يدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل فكان الانصارية استحيت فذكرت ام سلمة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ادعيها فدعتها فقعدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤكم
حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم صماما واحدا وقال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه كنت انا ومجاهد عند ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما فسأل رجل عن قوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله قال امرتم ان تأتى من حيث جاء الدم فقال
الرجل كيف بالاية التى بعدها نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم فقال ويحك هل فى الدبر من حرث وقال عطا
انى شئتم اى متى شئتم من ليل او نهار وقول الواحدى لا يصلح فى اللغة لان له ثلاثة معانى فقط معنى كيف ومعنى اين
ومعنى اى وجه قال تعالى قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم فاما معنى متى فلم يرد ذلك فى اللغة وقوله تعالى وقدموا
لانفسكم قيل التسمية قال عليه السلام اذا وطيت امرأتك او ما ملكت يمينك فقل بسم الله يكتب لك حسنات
ما لم تغتسل فان قدر لك ولد كتب لك بكل نفس منه ومن عقبه عشر حسنات الى يوم القيمة وقيل قدموا لانفسكم
النية الخالصة اى لا تقتصروا على قضاء الشهوة ولكن اقصدوا التعفف والولد وقيل قدموا لانفسكم قصد الايتمار
لله تعالى وقد تقدم الامر بالانفاق والقتال وترك الاختلاف وكثير من الاشياء الى ان امر باجتناب الحائض ثم
قال وقدموا لانفسكم الخير والذخر بطاعة الله تعالى فيما امر ونهى فى هذه الايات وقوله تعالى واتقوا الله فلا تعصوه
فى شئ من ذلك وقوله تعالى واعلموا انكم ملاقوه اى انه يوم القيمة للجزاء وقوله تعالى وبشر المؤمنين
الذين يقتدون بهذا قال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله وقوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
انتظام هذه الاية بما قبلها انه قال فى تلك الاية واتقوا الله ونهى فى هذه الاية ان يجعل اليمين بالله تعالى
مانعة عن تقوى الله ونظم اخر ان نزولها فى قول الكلبى فى عبد الله بن رواحة وانه حلف لا يدخل على ختنه ولا
يكلمه ولا يصلح بينه وبين زوجته وهى اخته وكان طلقها واراد ان يتزوجها بعد ذلك فجعل يقول حلفت
بالله لا افعل ولا يحل لى ان ابر فى يمينى فانزل الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم تمنعه عن منع الحرث عن
الحارث المذكور فى تلك الاية وقال القفال لما امر الله تعالى فى الايات المتقدمة بفعل الخيرات ونهى عن الاختلاف
والبغى ودعا الى الصلاح وايتاء اليتامى والمساكين وابن السبيل وحسن معاشرة النساء نهى ان يمتنعوا عن شئ
من ذلك بسبب اليمين وقال مقاتل ابن حيان نزلت الاية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا يصل ابنه
عبد الرحمن حتى يسلم ونزلت الاية فيه حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض فى حديث الافك وقوله تعالى
عرضة لايمانكم قيل اى علة مانعة لكم من البر والتقوى والاصلاح بان تحلفوا ان لا تفعلوا ذلك فتعتلوا بها او
تقولوا حلفنا ولم تحلفوا به روى هذا عن الحسن وطاوس وقتادة وهى فعلة من الاعتراض والمعترض بين الشيئين
مانع تقول اردت ان افعل كذا فعرض لى امر واعترض لى امر واصله ان يوضع الشئ فى الطريق عرضا فيسد
به الطريق وما روى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم عرضة اى حجة فذلك قريب مما قلنا علة مانعة وقيل
اى مبتذلا فى كل شئ وروى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وقالت لا تحلفوا به وان بررتم كانه قال وان كنت
جعلت لكم مخرجا من الايمان بالكفارة فلا يحملنكم ذلك على الاكثار منها وعلى هذا قالوا فى قوله تعالى واحفظوا ايمانكم
هو حفظ اليمين ان يحلف بها والعرب تمدح بقلة اليمين والامتناع عنها قال الشاعر ° قليل الالا يا حافظ ليمينه
° وان بدرت منه الالية برت ° والله تعالى ذم المكثر منها بقوله حلاف وعرضة على هذا القول من قولهم فلان
عرضة للناس اى لا يزالون يقعون فيه قال الشاعر ° ولا تجعلنى عرضة للتلائم ° اى معرضا للكرام ملامهن وقوله تعالى
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا قيل هو صلة قوله لايمانكم على ان لا تبروا ولا مضمر كما فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
وقوله تعالى وتتقوا وتصلحوا عطف على الاول وقيل هو صلة عرضة اى لا تجعلوا اليمين بالله تعالى مانعة عن ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا وعلى هذا لا يضمر فيه لا وهذا خطاب لمن حلف ان لا يكلم ابويه او على شئ فى فعله تقوى الله
او على اصلاح بين المهاجرين او حكم بين اثنين حكماه وحلف ان لا يحكم بينهما فلا ينبغى له ان يدوم على ذلك

بل يحنث نفسه ويكفر قال النبى صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذى هو
خير وليكفر عن يمينه وقيل على القول الذى هو منع عن اليمين بالله فى كل شئ اى لا تحلفوا بالله فى كل حق وباطل لان
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اى لتكونوا بترك النهى عن اليمين من الابرار المتقين المصلحين وقيل تم الكلام
بقوله لايمانكم وقوله ان تبروا ابتدا ومعناه البر والتقوى والاصلاح بين الناس اولى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قال معناه لا تحلفوا بالله كاذبين لتبروا الناس انكم صادقون وان الناس لا يعلمون الغيب والله يعلم ذلك والله سميع
عليم اى بايمانكم اى بنياتكم وهذا وعيد وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم المؤاخذة مفاعلة من
الاخذ وهى المعاقبة ههنا وقوله تعالى باللغو اى الساقط الباطل يقال لغى الشئ يلغو اى سقط وبطل والغيته
اى اسقطته وابطلته واللغو من الكلام واللغو فى الحساب من ذلك وقوله تعالى فى ايمانكم جمع يمين وهى الحلف
سميت بها لمعنيين احدهما انه من اليمين التى هى اليد اليمنى وكانوا اذا تحالفوا فى العهود تصافحوا بالايمان فسميت
بذلك والثانى ان اليمين هو القوة قال الله تعالى لاخذنا منه باليمين سميت به لان الحالف يتقوى بيمينه على حفظ ما حلف
عليه من فعل او ترك ومعنى قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اى لا يعاقبكم بما سقط وبطل اعتباره من ايمانكم ولذلك
ثلاثة اوجه احدها متصل بما قبله اى باليمين التى حلفتم على ترك بر وتقوى او اصلاح ثم حنثتم انفسكم وكفرتم
فقد ابطلتم واسقطتم حكمها فلا يبقى بها مؤاخذة والثانى وهو قولنا وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الخطا
وهو ان يرى شخصا فيظن انه زيد فيحلف انه زيد فيظهر انه عمرو وعلى ظن انه كذا فاذا هو غيره والثالث وهو
قول الشافعى رحمه الله هو ما يجرى على لسانه من غير قصد لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضى الله عنها وقوله تعالى
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم على القول الاول هو الثبات على يمين ترك البر والتقوى والاصلاح وعلى القول
الثانى هو قصد الكذب مع العلم به قال تعالى ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وهو ان يحلف
على شخص بانه زيد وهو يعلم انه عمرو او يحلف انه فعل كذا وهو يعلم انه لم يفعل او على العكس وهو اليمين الغموس
وفى المؤاخذة بالعقوبة فى الاخرة ولا كفارة فيها عندنا وهذه الاية فى مؤاخذة الاخرة فاما المؤاخذة المذكورة فى
قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فهى المؤاخذة بالكفارة لكنها فى اليمين المعقودة فالايتان فى مؤاخذتين
مختلفتين وقوله تعالى والله غفور اى للذنوب بالتوبة حليم اى بالامهال الى وقت التوبة وقوله تعالى للذين يؤلون
من نسائهم اى يحلفون والالية الحلف وجمعها الالايا وقد الى يولى ايلاء اى للازواج الذين يحلفون من زوجاتهم
على ترك وطيهن وقوله تعالى تربص اربعة اشهر اى انتظار هذه المدة وقد تربص اى ربص وربص ربصا كذلك والربصة اللبث
اى من حلف لا يقرب امرأته فقد اقسم له حكمان حكم الحنث وحكم البر فحكم الحنث وجوب الكفارة بالوطى فى هذه
المدة ان كانت اليمين بالله ونزول الطلاق او العتاق او النذر المسمى ان كان القسم بذلك وحكم البر وقوع طلقة بائنة
عند مضى هذه المدة ان كانت المنكوحة حرة وان كانت منكوحته امة الغير فمدتها شهران وتتنصف كما فى العدة ولو الى
من امته لم يكن له هذا الحكم فى البر وفى حكم الحنث هو يمين لان الله تعالى قال من نسائهم فاختص بالمنكوحات وقوله تعالى
فان فاؤا اى رجعوا عن هذا الاضرار بترك القربان فقربوا فى المدة والفئ الرجوع قال الله تعالى فان فاءت وقوله تعالى
فان الله غفور رحيم اى يغفر ذنب الزوج وهو اضراره بالفئ ويغفر ذنب الفئ الذى هو حنث بالتكفير رحيم
حيث اجاز له الحنث وقبل منه الكفارة ورفع عنه الذنب وقوله تعالى وان عزموا الطلاق اى حققوا الطلاق
واكدوه قال تعالى فاذا عزم الامر اى وان تلبثوا فى المدة على ترك القربان حتى مضت المدة وقعت طلقة بائنة وكان
الايلاء طلاق اهل الجاهلية فجعل الله تعالى حكمه فى الاسلام ما قلنا وقوله تعالى فان الله سميع عليم اى يسمع كلام الزوج
ويعلم قصده وقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن اى المنكوحات الحرائر اللاتى طلقهن ازواجهن صريح
الطلاق بغير مال وقد دخلوا بهن ينتظرن بانفسهن اى يعتددن والتطليق رفع القيد وقد طلقها يطلقها
تطليقا كما يقال سلم يسلم تسليما وسلاما وكلم يكلم كلاما وتكليما وطلقت هى بفتح اللام تطلق طلاقا كما يقال
كمل يكمل كمالا وطلقت بضم اللام لغة والاول افصح وهى طالق بغير الهاء لانه صفة خاصة لها وقوله تعالى ثلاثة
قروء نصب على الظرف والقرء جمع قرء وهو الحيض عندنا وعند الشافعى رحمه الله هو الطهر واجمع اهل اللغة ان
اللفظ صالح لهما وقد ورد فى الشرع فى كل واحد منهما قال النبى صلى الله عليه وسلم لامرأة دعى الصلاة ايام اقرائك
وقال لعبد الله بن عمر رضى الله عنه ان من السنة ان يطلقها فى كل قرء تطليقة اى فى كل طهر وورد فى اللغة لهما
ايضا قال الشاعر ° يا رب ذى ضغن وضب فارض ° له قروء كقروء الحائض ° واراد بها الحيض وقال اخر
° وفى كل عام انت جاشم غزوة ° تشد لاقصاها عزيم عزائكا ° مورثة مالا وفى الحى رفعة ° لما ضاع فيها من قروء
نسائكا ° واراد بها الاطهار وانما صلح لهما لان فى الاصل اسم الوقت قال الشاعر ° كرهت العقر عقر بنى شليل
° اذا هبت لقارئها الرياح ° اى لوقتها فمعناه فيصلح الاسم لكل واحد والحيض والطهر كل واحد منهما له وقت
معتاد فيصلح الاسم لكل واحد منهما فوجب الترجيح فوجه اصحابنا رحمهم الله بدلائل احدها ان الله تعالى حصرها بثلاثة
والحصر لتعدد لا يحتمل النقصان عنه ولو حملناها على الاطهار والطلاق يقع فى الطهر فاذا انقضى منه شئ وان قل لم يكن

الاطهار ثلاثة حقيقة والثاني ان الله تعالى جعل الاعتداد بالاشهر بدلا عن الاعتداد بالقروء وقال في تلك الايسة اللائي
يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فلما شرع ذلك عند امتناع الحيض دل ان الاصل كان
هو الحيض والثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عدة الامة حيضتان فدل على عدة الحرة ثلاث حيض لانه تنصيف
ما على الحرة كما في الاشهر لكن الحيض لا يتجزى فتكمل حيضتين وقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
اي جميع رحم وقال اهل التفسير انه الحيض والحبل وقوله تعالى ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر اي الايمان بالله
واليوم حامل على الطاعة فيما ورد به الامر فقد حرم عليهن الكتمان فكان ايجابا للاظهار واذا وجب عليهن الاظهار
وجب على الازواج القبول فكانت المراة امينة في ذلك وقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن اي ازواجهن والبعل
الزوج وهو كالنخل والنخولة والعم والعمومة والبعلة المراة والمباعلة المباشرة والبعال كذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ايام العيد والتشريق ايام اكل وشرب وبعال وقال عليه السلام جهاد المراة حسن التبعل اي حسن القيام
بما عليها في بيت الزوج وسمي الزوج بعلا لانه كانه مالك المراة وربها قال الله تعالى اتدعون بعلا اي ربا ودلت تسميته
الزوج بعلا بعد طلاقها الصريح ان النكاح قائم والحل ثابت وقوله احق بردهن اي اولى بمراجعتهن وقوله تعالى
في ذلك اي في ذلك التربص اي حالة الاعتداد وقوله تعالى ان ارادوا اصلاحا اي ان قصد الازواج اقامة
الحدود وتدارك الفساد فاثبتم الرجعة وليس هذا على الشرط حكما وهو كقوله تعالى فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ويجوز
الكتابة حكما وان لم يعلم فيهم خيرا وكذا يصح رجعته حكما وان لم يقصد بها الاصلاح لكن هذا تنبيه ان لا طلاق في حق
من قصد ذلك فاما من قصد الاضرار بمراجعتها بان يطلقها بعد ذلك ثم يراجعها تطويلا للعدة عليها فانه اثم بذلك
قال الله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي وللنساء على الازواج حقوق
كما لهم عليهن حقوق بما هو مستحسن شرعا وعرفا ويجوز ان يكون هذا تفسيرا لقوله تعالى ان ارادوا اصلاحا اي اقامة
الحقوق من الطرفين فله ان يراجعها من غير رضاها وعليها ان تطيعه وعليه ان يحسن اليها ولا يضارها وقوله تعالى
وللرجال عليهن درجة اي منزلة فان الطلاق بايديهم والنفقة عليهم والولاية عليهن لما قال تعالى الرجال قوامون
على النساء الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم ولما كان لهم عليهن درجة
في كمال العقل فهم اولى باداء الحق منهن فانهن في المراجعة لا على ارادة الاصلاح والاضرار بهن اكثر من اتهامهن بكتمان
ما خلق الله في ارحامهن ويجوز ان يكون تنبيها للنساء على تعظيم الازواج فان الزوجين يشتركان في التلذذ
ويختص الزوج بالانفاق فهو اعظم حقا وقوله تعالى والله عزيز حكيم اي منيع السلطان لا يعترض عليه فيما شرع
لعباده حكيم فيما حكم وقوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف اي تمسك وتعلق وحفظ اي فالزوج يراجعها
على موافقة الشرع بان لا يقصد الاضرار بها وقوله تعالى او تسريح باحسان واو للتخيير والتسريح التخلية والاحسان
ان يمتعها ويلاطفها ولا يجفوها وقيل هو تعريف الطلاق السني وقوله فامساك اي مراجعة وقوله او تسريح اي تطليق
اخر في طهر اخر وروى هشام عن ابيه قال كان الناس والرجل يطلق امراته ثم يراجعها في العدة فهي امراته وان طلقها الفا
وراجعها فقال رجل من الانصار لامراته والله لا اويك ولا تخلين مني فقالت وكيف ذلك قال اطلقك فاذا دنى
اجلك راجعتك فجزعت فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزل قوله جل جلاله الطلاق مرتان
محصورا بثلاث وعن ابي رزين الاسدي قال قلت يا رسول الله ارايت قول الله تعالى الطلاق مرتان فاين الثالثة فقال
التسريح باحسان وقيل هو قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا خطاب الازواج لانه يحرم عليهم ان يستردوا ما اعطوهن من المهر وقوله تعالى الا ان يخافا
اي الا ان يعلم الزوج والمراة يسمى العلم خوفا لانه اذا علم ما يخاف خاف وقوله تعالى ان لا يقيما حدود الله اي علم
الزوج انها لا تحبه ولا تقوم بحقه فيحمله ذلك على ان يجازيها بمثله فقد تركا اقامة حدود الله فيحل في هذه الحالة
ان تختلع منه وهو فيحل ان ياخذ بدل الخلع منها وقوله تعالى فان خفتم اي ايها القضاة والمتوسطون ان لا يقيما
حدود الله اي ان لا يقيم الزوج والمراة حدود الله اي الحقوق التي اثبتها في النكاح وقوله تعالى فلا جناح عليهما
اي لا اثم على الزوجين وقوله تعالى فيما افتدت به اي فيما اعطته المراة من بدل الخلع واذا لم يكن عليها جناح في
الدفع لم يكن على الزوج جناح في الاخذ وسبب نزوله فيما روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال نزلت الاية
في جميلة بنت عبد الله بن ابي اوفى زوجها ثابت بن قيس بن شماس كانت تبغضه بغضا شديدا وكان يحبها ثابت
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وقالت لا انا ولا ثابت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ثابت فقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال والذي بعثك بالحق ما على الارض احب الي منها غيرك فقال لها
ما تقولين فكرهت ان تكذب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت صدق يا رسول الله ولكن خشيت ان يهلكني
فاخرجني منه فقال ثابت لقد اعطيتها حديقة لي نخل لها فلتردها علي وانا اخلي سبيلها فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتردين حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل
فكان اول خلع في الاسلام ثم الاختلاع على قدر المقبوض من الزوج بهذا الخبر واما الاختلاع بالزيادة على ذلك

فنص

فنص اصحابنا رحمهم الله فيه روايتان في رواية الاصل يكره لما روي في هذا الخبر وفي رواية انها قالت نعم وزيادة
فقال عليه السلام اما الزيادة فلا وفي رواية الجامع الصغير فلا يكره لظاهر هذه الاية وهو قوله فيما افتدت به
وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها اي هذه احكام الله وفرائضه فلا تجاوزوها وقوله تعالى ومن يتعد
حدود الله فاولئك هم الظالمون اي ومن يتعد امر الله الى ما نهاه عنه فاولئك هم الضارون انفسهم
والواضعون الشيء غير موضعه ومن الجمع فلذلك قال فاولئك وقيل وتلك حدود الله يرجع الى جميع ما ذكر
من الاحكام قبل هذا من الخمر والميسر الى ههنا ويجوز ان ينصرف الى ما قبل ذلك ايضا وقوله تعالى فان طلقها
اي الطلقة الثالثة وقوله تعالى فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اي حرمت على زوجها المطلق ثلاثا
فلا يحل له نكاحها الى غاية وهي ان تنكح زوجا غيره قيل هذا النكاح هو التزوج وقوله في رجل اجنبي سماه زوجا
لانه بالعقد يصير زوجا فسماه باسم العاقبة كما في قوله اعصر خمرا وقوله تنكح دل ان لها ان تزوج نفسها فالنكاح
ينعقد بعبارتها وبه قال اصحابنا رحمهم الله خلافا للشافعي ثم ظاهر النص يدل على انتهاء الحرمة بالعقد وروي
ان سعيد بن المسيب كان يقول بذلك وقول عامة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الدين على ان الحل لا يثبت
بدون دخول الزوج الثاني بها وقالوا ان ثبت اشتراط ذلك زيادة على النص بالحديث المشهور عنهما ما روي
ان تميمة بنت ابي عبيد القرظية وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن غنيم النضرية كانت تحت رفاعة بن رافع وقيل
رفاعة ابن وهب بن عتيك بن عمها فطلقها ثلاثا فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير القرظي ثم طلقها فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي عبد الرحمن بن الزبير القرظي طلقني قبل ان يمسني فارجع الى زوجي الاول
فقال عليه السلام لا حتى يكون مس وفي رواية قالت ما كان ما عنده باغنى عنه من هدبة ثوبي وفي رواية ما كان
معه الا مثل هدبة ثوبي هذا فقال لا حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك ثم جاءت بعد ذلك وقالت
كان مسني وفي رواية قالت كان غشيني فقال لها كذبت في قولك الاول فلم اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر قد مسني
فقال لها ابو بكر رضي الله عنه قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض
ابو بكر رضي الله عنه اتت عمر رضي الله عنه فقال لها لئن اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وبعض المحققين
من علمائنا رحمهم الله قال هذا ثابت بنص القران فان قوله حتى تنكح زوجا غيره معناه حتى تمكن من وطئها زوجا
فان النكاح في هذا ليس بعقد لانه ذكر بعده للنكاح وذكر النكاح اشتراط للوطئ وهو اسم له حقيقة وقوله تعالى
فان طلقها اي الزوج الثاني بعد الدخول بها وقوله تعالى فلا جناح عليهما اي لا اثم على الزوج الاول وقوله
تعالى ان يتراجعا اي يرجعا الى الحالة الاولى بنكاح جديد وقوله تعالى ان ظنا ان يقيما حدود الله اي علما
بغالب الظن انهما يقيمان حقوق النكاح فلا يرجعان الى التنافر الاول ولا يقصد احدهما اضرار بالاخر وهذا
ليس بشرط صحة النكاح حكما لكن بيان ان اطلاق الشرع لهما ورفع الاثم عنهما في هذه الحالة فاما اذا قصد غير
ذلك فهما اثمان وقوله تعالى وتلك حدود الله اي احكام الله تعالى ومعالم شرعه وقوله تعالى يبينها لقوم يعلمون
اي ينتفع بها من يعلم ان يتدبر ليعلم ان الله تعالى اراد بيانه صلاحهم في الدنيا والاخرة ويرجع قوله حدود الله الى
جميع احكام النكاح التي مرت في هذه الايات وقوله تعالى واذا طلقتم النساء اي نساءكم فالالف واللام بدل
الاضافة وقوله تعالى فبلغن اجلهن اي قاربن مضي العدة والاجل الوقت المضروب لمدة الشيء والبلوغ المقاربة
ههنا كما يقال من قارب البلد قد بلغناه ويقول الرجل لاخر اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى وقوله تعالى فامسكوهن
بمعروف اي راجعوهن بالجميل والمعروف ما الفته العقول واستحسنته النفوس عرفا وعادة والمراد به ههنا
حسن المعاشرة وقيل هو الهدية وقيل هو الزيادة في المهر وقوله تعالى او سرحوهن بمعروف اي خلوهن حتى تنقضي
عدتهن والمعروف ما قلنا من حسن العشرة واعطاء ما بقي من المهر والبر بالمتعة وحسن القول وقوله تعالى ولا تمسكوهن
ضرارا اي لا تراجعوهن على قصد المضارة وقد ضاررته مضرة وضرارا كما يقال ساررته مسرة وسرارا
وهو ان يراجعها ليظلمها ويؤذيها ويسيء معاشرتها وقيل هو ان يقصد تطويل العدة عليها مثل ان يراجعها في
الحيضة الثالثة ثم يطلقها ثم يراجعها في الحيضة الثالثة يفعل ذلك ثلاثا فيكون قد ضرها وقوله تعالى
لتعتدوا اي لتجاوزوا الحد وله وجهان احدهما لا تمسكوهن ضرارا لقصد الظلم عليهن كقوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن والثاني لا تمسكوهن ضرارا لانكم تصيرون بذلك معتدين حد الشرع والاول تعليل فعلهم والثاني بيان عاقبة
فعلهم ثم النهي عن الامساك ضرارا كان دخل في الامر بالامساك بالمعروف وانما اعيد تاكيدا كما يقال اطع الله ولا
تعصه وقوله تعالى ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي من امسكها ضرارا فقد اضر بنفسه حيث جعلها مستحقة
للوعيد وقوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا نهي اتاه وقيل اي لا تستخفوا بايات القران التي فيها امره
ونهيه ووعده ووعيده واحكامه ولا تخالفوها فان من فعل ذلك فقد اتخذها هزوا اي سخرية فانها كانت
القبول والعمل بها وقيل هذه الايات التي في احكام الازواج فيها مصالح دينكم ودنياكم فلا تتهاونوا بها ولا تعرضوا

عن العمل بها تفوتكم المصالح المتعلقة بها وقيل اي الطلاق والرجعة والنكاح وسائر التصرفات شرعت لمصالح تعلقت بها فالنكاح للسكن وغيره والطلاق للتخلص والرجعة للتدارك فاذا نكحتم لا للسكن وراجعتم لا للتدارك وطلقتم لا للتخلص بل راجعتم مرارا تعنتا وضرارا فقد اتخذتم ايات الله هزوا باستعمال التصرفات لا لاغراضها ويوضحه رواية ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما بال قوم يلعبون بحدود الله يقول احدهم لامراته طلقتك راجعتك وقوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم** يجوز ان تكون النعمة للعموم فيتناول الكل كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقيل المراد ههنا واذكروا انعام الله عليكم بتعليم ما جهلتم وقيل بان خلقكم رجالا وجعل لكم ازواجا تسكنون اليها وجعل النكاح والطلاق والرجعة بايديكم ولم يضيق عليكم كما ضيق على الاولين حين احل لهم امراة واحدة ولم يجز لهم بعد موت المراة نكاح اخرى وقوله تعالى **وما انزل عليكم** عطف على الاول واذكروا ما نزل على نبيكم وهو كالمنزل عليكم فان نفعه حاصل لكم وقوله تعالى **من الكتاب والحكمة يعظكم به** التخويف بسوء العاقبة يقال المكروه ينزل بقوم انه عظة لغيرهم وقوله به يرجع الى قوله وما انزل وقوله تعالى **واتقوا الله** عطف على قوله واذكروا اي لا تخالفوا امره ونهيه وقوله تعالى **واعلموا ان الله بكل شيء عليم** اي من الاتقاء والوعظ والذكر وغير ذلك وهو ابلغ وعد ووعيد وقوله تعالى **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اي استوفين عدتهن والبلوغ ههنا عبارة عن حقيقة الانتهاء لان المذكور بعده النكاح ولا يكون ذلك الا بعد انقضاء العدة وفي الاية الاولى ذكر الرجعة وذلك يكون في العدة وقوله تعالى **فلا تعضلوهن** اي لا تمنعوهن ايها الاولياء وقد عضلها يعضلها عضلا من باب دخل اي منعها عن التزوج واعضل الداء الاطباء اي اعياهم ان يعالجوه واستغلق عليهم لشدته وعوده وداء عضال والامر المعضل اي الشاق الممتنع وعضلت عليه تعضيلا اي ضيقت تمنعه عن الخروج وعضلت المراة بولدها اذا عسر ولادها واستغلق واعضلت كذلك وعضلت الدجاجة اذا نشب البيض فيها والمعضل الداء جمع عضلة وقوله تعالى **ان ينكحن ازواجهن** اي يتزوجن الازواج الذي كانوا لهن قال الشافعي رحمه الله هذه الاية ادل دليل على ان النكاح لا ينعقد بعبارة النساء فان الله تعالى نهى الاولياء عن منعهن فدل على ان الولاية لهم قلنا بل هي ادل دليل على انه ينعقد بعبارتهن فانه قال ان ينكحن ازواجهن فاضاف النكاح اليهن وهذا اصرح واوضح بحمد الله تعالى وعن الحسن رحمه الله انه قال لحدثني معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي واسعها من الناس فاتاني ابن عم لي وفي رواية مقاتل اسم الزوج ابو الدحداح بن عاصم بن عدي بن عجلان البلوي القضاعي واسم اخت معقل جمنة بنت يسار المزنية قال فانكحتها اياه فاصطحبا زمانا ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي مع الخطاب قلت والله لا ازوجكها ابدا ففي نزلت هذه الاية قال فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وفي رواية اخرى فلما انقضت العدة هويها وهوته فخطبها فقال معقل سمع لربي ثم دعاه وزوجه فقال معقل لئن فعلت لا اكلمك ابدا ان عدت اليه الحديث قال القفال علم الله تعالى ان الرجل قد يضاد امراته ثم اذا بانت منه ندم على طلاقها وتبعتها نفسه وقد يكون ذلك اذا راى كثرة خطابها فتحدث له رغبة فيها ويمتنع وليها عن تزويجها منه حمية الطلاق المتقدم او اشفاقا عليها من ان يعود الى المضارة فامر الولي ان لا يمنعها لما عسى ان يكون صلح كل واحد منهما وزال ما كان لان القلوب تتقلب وقيل قوله فلا تعضلوهن خطاب للازواج المطلقين ان لا يمنعوهن ان يتزوجن بمن شئن فان الرجل قد يطلق امراته ويندم اذا انقضت عدتها ويغار اذا خطبها غيره فيضارها بجحود طلاقها او دعوى رجعتها او نكاحها او يدس اليها او الى من يخطبها بتهديد او يسيء القول فيها بما ينفر القلوب عنها فنهوا عن ذلك وهذا وان كان يحتمله ظاهر النص ويوافق الاية فان الخطاب الاول للازواج لكن الروايات على ما قلنا وقوله تعالى **اذا تراضوا بينهم بالمعروف** اي الازواج والزوجات وغلب المذكر عند الاجتماع فان اللغة كذلك والمعروف هو اجتماع شرائط الجواز والاستحباب وقوله تعالى **ذلك يوعظ به** ذلك خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي سورة اخرى ذلكم خطاب للمذكورين قبله ويجوز ان يكون التوحيد لان الكلمة نعم اشارة لا غير وبه يرجع الكناية الى ذلك وهو واحد وان دل على كل مذكور قبله وقوله تعالى **من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر** اي انما ينتفع بالوعظ من صدق الله واقر بالقيامة والجزاء فيها على الخير والشر وقوله تعالى **ذلكم ازكى لكم واطهر** اي الاتعاظ بهذا الوعظ وترك الضرار والعضل خير لكم من القرفة واطهر لكم من الريبة وقيل الكلمتان بمعنى واحد وهو الطهارة وقيل الزكوة النماء والطهر النظافة وقوله تعالى **والله يعلم وانتم لا تعلمون** اي والله يعلم المصالح وانتم لا تعلمونها وقوله تعالى **والوالدات يرضعن اولادهن** رضع اللبن يرضع رضاعا ورضاعة ورضعا من باب صنع وعلم وضرب فهو راضع وارتضع كذلك وارضعته امه ارضاعا والاسترضاع سوال الارضاع وطلبه والرضيع الصبي الذي هو في حد الرضاع وهما رضيعا لبان والمرضعة التي ترضع والمرضع التي لها ولد رضيع واللئيم الراضع هو الذي يرضع لبن الناقة من لؤمه لئلا يسمع الضيف صوت الشخب والراضعتان الثنيتان مقدمتا الاسنان لانه يشرب عليهما اللبن واصله مص الثدي وقوله تعالى يرضعن فعل مستقبل اريد به الامر اي ليرضعن كقوله تعالى يتربصن ويجوز ان يكون مستقبلا وقوله تعالى اولادهن جمع ولد وهو المولود ذكرا كان او انثى وقوله تعالى **حولين**

تثنية

تثنية حول وهو السنة وهو من الحولان والتحول وقوله تعالى **كاملين** اي تامين وهو صفة الحول ونصبهما على الظرف وجمع الحول احوال ومعنى الاية والله اعلم والامهات المطلقات يرضعن اولادهن اي هن احق بارضاع الاولاد من اجنبيات يسترضعهن الاباء لانهن ارق عليهم والطف بهم وهم الف بهن وانس فان حمل يرضعن على حقيقة الاستقبال فهو اخبار انه هو المشروع فان حمل على الامر فهو امر ندب واستحباب دون فرض وايجاب فانه حق لهن لا المستحق عليهن وهذا الحق لهن الى ان يتزوجن بغير اباء الاولاد قال النبي صلى الله عليه وسلم لتلك المراة انت احق به ما لم تتزوجي والمعنى فيه انهن يشتغلن بخدمة الازواج فلا يتفرغن لحضانتهن على الوجه ولان الربيب يتضرر بالراب فانه ينظر اليه شزرا وينفق عليه نزرا كما ورد في الحديث وقوله حولين كاملين انما وصفهما لانه قد يقال حولان لحول وبعض الاخر فلما قيدنا بالكاملين لم يقع على ما دون الحولين الكاملين ثم قوله تعالى **لمن اراد ان يتم الرضاعة** الى هي المدة التامة التي ليس للاب وحده ان ينقص عنها ويمنع اجر الارضاع اليها ولا للام ان تزيد عليها فيبطل اجر الارضاع على ذلك بغير رضا الاب ودل هذا على ان الانتقاص عن ذلك والزيادة عليه بالتراضي عند وقوع الكفاية بما دونها ووقوع الحاجة الى الزيادة جائز ان حيث علق ذلك بالارادة ثم اختلف في مدة الارضاع التي يثبت فيها حكمه قال ابو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله يثبت الى الحولين ولا يثبت بعد ذلك وقال ابو حنيفة رحمه الله يثبت الى سنتين ونصف وقال زفر يثبت الى ثلاث سنين ودلائلها تعرف في كتب الفقه وقوله تعالى **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** اي على الاب واريد به الجمع ورزقهن طعامهن وكسوتهن لباسهن وهذا على طريق الاجرة لانهن يحتجن الى ما يقمن به ابدانهن لان الولد انما يغتذي باللبن انما يحصل لها ذلك بالاغتذاء وتحتاج هي الى الستر فكان هذا من الحوائج الضرورية وقوله تعالى بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا للجانبين وقوله تعالى **لا تكلف نفس الا وسعها** اي لا يحمل احد الا طاقته فلا يكلف الزوج ما لا يطيق من الاجر ولا المراة ما لا تستطيع من العمل ولا الرضيع بما لا يكفيها من الاجر وهذه الاية كالاية التي في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف الى قوله لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها وقوله تعالى **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** قرا ابو عمرو وابن كثير بالرفع على الاستقبال وهو اخبار انه هو المشروع وقرا نافع واهل الكوفة بالنصب على النهي لان اصله الجزم وحرك لالتقاء الساكنين واختير الفتح لانه اخف الحركات ومعناه لا تضار الام بسبب ولدها ولا الاب بسبب ولده ولقوله تضار وجهان صحيحان احدهما ان اصله لا تضارر بكسر الراء الاولى وسكنت للادغام وهو نهي على صيغة الاولى ما لم يسم فاعله ويكون نهيا للاب عن الاضرار بها ثم قوله ولا مولود له بولده عطف على الاول فيكون الاول على الوجه الاول نهيا للام عن الاضرار بالاب ثم نهيا للاب عن الاضرار بالام وعلى الوجه الثاني يكون نهيا مضافا الى الام ظاهرا على صيغة ما لم يسم فاعله وحقيقته نهي للام عن الاضرار بها ثم يكون عطفا النهي للاب على هذا الوجه وحقيقته نهي للام عن الاضرار به ومعنى الاضرار من كل واحد منهما سواء بدا به او نهاه انه لا يجوز لواحد من الوالدين ان يضار الاخر بالولد فيمتنع الام من الارضاع الا بان يعطي اكثره من وسع الوالد ويمتنع الوالد من اعطاء الام قدر الوسع بالمعروف وكذلك لا يجوز للوالد ان ينزع الولد عنها وهي ترضع باجر المثل ولا للام ان تلقي الولد عليه مع قدرتها عليه وهو يعطيها اجر المثل وهذا كله نظر للصغير ومنهم من حمل الاية على الوالدات المنكوحات وجعل الرزق والكسوة من النفقة دون الاجر وظاهر الاية انها في المطلقة لان ما قبلها وما بعدها في ذكر المطلقات وحكم المنكوحة في استحقاق الارضاع لها ووجوب النفقة عليه كذلك بالاجماع ولو امتنعت من الارضاع لم تجبر عليه بالاجماع ولو استاجر زوج منكوحته لارضاع ولده منها فارضعته لم تستحق الاجر عندنا والمبانة التي انقضت عدتها لو استوجرت لذلك استحقت الاجر بالاجماع وقوله تعالى **وعلى الوارث مثل ذلك** اي وعلى وارث الصغير عند عدم الاب مثل ما كان على الاب من اجر ارضاع الولد المرضعة وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله فاوجبوا اجر الارضاع على الوارث الذي هو ذو رحم محرم ولا يجب على كل وارث وكذا نفقة المحارم عندنا بهذه الاية والشافعي رحمه الله لا يرى ذلك ويحمل قوله وعلى الوارث مثل ذلك على وجهين احدهما وعلى وارث الصغير مثل ما على الاب مثل ذلك على نفسه اي اذا ورث مالا من ابيه فاجر رضاعه فيه وهذا قول متكلف والمروي عن الصحابة عمر وابن مسعود وزيد ما ذكرنا وعليه المفسرون وقوله تعالى **فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** اي فان شاء الوالد والوالدة فطام الولد بتراضيهما او تنظرهما في حاله انه وقعت الكفاية ولا ضرر عليه فلا اثم عليهما والفصال الفطام والفصول خروج العير والجند والفصل التفريق والحكم ومصرف الكل على تفاوت المصادر من باب ضرب يضرب وبعضها في المعنى قريب من بعض واصله التفريق والفصيل الحوار المفصول عن الناقة والتراضي اجتماعهما على الرضى وهو الدليل على كمال نظرهما في حاله وان الفطام لا يضر بجسمه والتشاور اجتماعهما في المشورة وهي استخراج

صواب الراى باشارة المستشار واصله من شور العسل وهو اجتناؤه وهو اشتراط الكمال بالعلم في حالة لان
لا يضر به بقطع غذايه قبل وقت فصاله وقوله تعالى **وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم** اى وان شئتم ايها الاباء
ويجوز ان يكون خطابا للاباء والامهات ولكل من احتاج الى الاسترضاع واراد ذلك والاسترضاع طلب الارضاع
من الظئر وسؤاله منها فان سين الاستفعال للطلب والسؤال وذلك يكون عند عجز الام او ابايها وقد قال في
اية اخرى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقوله اولادكم اى لاولادكم وحذف اللام تخفيفا وهو في غير موضع
الاشتباه لانه يعلم انه لا يراد به وجود الارضاع من الاولاد وصار كما في قوله واذا كالوهم او وزنوهم اى كالوا لهم
او وزنوا لهم ولا يشتبه ههنا الحال لانه يعلم انه لم يرد كيل اعيانهم ولا وزنهم ولا يجوز في موضع الاشتباه لا يقال دعوت
زيدا في موضع دعوت لزيد لان دعاءه متحقق وقوله تعالى **فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف**
اى سلمتم الى الظئر ما سميتم لها من الاجر والايتاء لا يحمل ههنا على الاعطاء الذي هو المناولة لان تسليم ذلك
تسليم المسلم وهو ممتنع لكن يحمل على الايتاء الذي هو التمليك وهو كايتاء الزكوة اريد به التمليك والتمليك
في العقد يصح بالتسمية وقيل معنى قوله ما اتيتم اى التزمتم كما في قوله حتى يعطوا الجزية اى يلتزموها فان ذلك يقع
بالالتزام لا بحقيقة الاداء وقوله بالمعروف اى بالاداء الجميل ثم ظاهره انه لا اثم على من استرضع لولده امراة اذا
اعطاها ما شرط لها ويحتمل وان اردتم ايها الاباء ان تسترضعوا اجنبية لارضاع الولد بعد ما ارضعته الام
زمانا لتوركه لعجز او ارادة التزوج بزوج فلا اثم عليكم ان تنزعوا الولد منها وتدعوه الى الاجنبية اذا اسلمتم لام الولد
ما شرطتم لها على ارضاعها ويحتمل لا جناح عليكم ان تسترضعوا اى في الابتداء اجنبية اذا امتنعت الام عن ارضاعه
اذا اسلمتم للام بقية مهرها وسائر حقوقها التي كانت وقرا ابن كثير ما اتيتم بغير مدة من الاتيان وعلى هذا يكون
معنى قوله اذا اسلمتم اى اذا انفقتم يعني الاباء والامهات من تسليم الخصم لخصمه وهو موافقته وترك الخلاف
عليه اى اذا توافقتم وتراضيتم على ما اتيتم اى عملتم من الاسترضاع وقوله تعالى **واتقوا الله واعلموا ان الله بما
تعملون بصير** اى يرى اعمالكم فيوفيكم اجوركم وقوله تعالى **والذين يتوفون منكم** التوفي الاماتة وقد توفاه
الله تعالى اى اماته قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها واصل التوفي والاستيفاء هو استتمام القبض يقال وفيته
حقه فتوفاه واستوفاه ومعنى يتوفون اى تقبض ارواحهم بالموت وعن علي رضي الله عنه انه قرا يتوفون بفتح
الياء ومعناه يستوفون اعمارهم وهو كناية عن الموت ايضا وقوله تعالى **ويذرون ازواجا** اى يتركون زوجات
ويذر مستقبل امتيت ماضيه ومصدره وكذلك يدع والازواج جمع زوج والمنكوحة تسمى زوجا وزوجة والتذكير
اغلب قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة ويجمع ازواجا على لغة التذكير وقوله تعالى **يتربصن بانفسهن**
اى زوجاتهم ينتظرون بانفسهن ومعناه يعتددن ثم قوله والذين مبتدا ولا بد له من خبر واختلف في خبره
ههنا قال الزجاج خبره محذوف وتقديره ويذرون ازواجا فازواجهم يتربصن وقال الاخفش خبره يتربصن
ولكن لا بد من اضمار عايد على المبتدا فيضمر يتربصن بعدهم وقال قطرب تقديره ويذرون ازواجا ينبغي لهن ان
يتربصن وقال الكسائي والفراء الذين اقيم مقام ازواجهم وتقديره وزوجات الذين يتوفون منكم الخ ونظير هذا
ما مر في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اى ومثل واعظ الذين كفروا وقوله بانفسهن تعدية الانتظار
بالباء اى يلبثن انفسهن عن التزوج الى انقضاء العدة وقوله تعالى **اربعة اشهر وعشرا** اربعة نصب على الظرف
للتربص وعشرا اى عشر ليال وذكرها ذكر لايامها لغة وكذا ذكر الايام ذكر لليا ليها قال تعالى في قصة زكريا عليه السلام
ثلثة ايام الا رمزا وقال تعالى ثلاث ليال سويا والقصة واحدة فدل ان ذكر احدهما يتضمن الاخر وقوله تعالى **فاذا
بلغن اجلهن** اى استوفين مدتهن وقوله تعالى **فلا جناح عليكم** اى يا معاشر اولياء الازواج الذين ماتوا ازواجهن
وقوله تعالى **فيما فعلن في انفسهن بالمعروف** اى فيما تفعل النساء المعتدات من التشوف والتزين للخطاب
والتزوج بزوج اخر اى بعد ما زالت علقة الزوج فلا باس لولي الزوج ان يتركها لتتعرض لزوج اخر فقد كان او انه
وكان قبل انقضاء العدة اذا تركت الاحداد وتشوفت للخطاب فللقضاة واولياء الازواج منعهن عن ذلك وقوله
تعالى بالمعروف اى على موافقة الشرع وقوله تعالى **والله بما تعملون خبير** اى عليم ويجوز ان يكون خطابا للرجال
والنساء وهو وعد ووعيد على الخير والشر وقوله تعالى **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء**
وعلم الله تعالى ان المراة اذا مات زوجها وقد يكون لها مال او جمال او معنى يرغب الناس فيها فاطلق للراغب ان
يعرض بالخطبة في العدة او يخفيه في قلبه وهو قاصد له حال قيام العدة ثم يظهره بعد انقضاء العدة وهو نهى
عن التصريح به في العدة وكما لا يجوز له ان ينكحها في عدتها لا يجوز له خطبتها صريحا فيها فاما التعرض فلا باس به
والتعريض هو افهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره وقيل هو تضمين الكلام دلالة على معنى ليس فيه ذكره كقولك
لرجل ما اقبح البخل تعريض بانه بخيل وقولك لعن الله الظالمين تعريض بانه ظالم والخطبة الاستنكاح وهو
ماخوذ من الخطاب والخطبة بالضم من الخطاب ايضا وهي خطاب الناس بالحمد والصلاة والوعظ والدعاء ومن
التعريض في الخطبة ان يقول اني اشتهي ان تكون لي امراة مثلك ولعل الله يقضي بيني وبينك او يقول انا الخاطب

الى

الى امراة صفتها كذا فتعلم انه يرغب فيها او يصفها بالجمال والعقل والعفة والنضارة والكفاية فتعلم انه يرغب
فيها او يقول اني حسن الخلق كثير الانفاق جميل العشرة محسن الى النساء فيصف نفسه لمن يرغب فيه او يقول رب راغب
فيك وحريص عليك وما يجري مجرى هذا وقوله تعالى **او اكننتم في انفسكم** اى سترتم واسررتم واضمرتم ثم قال
تعالى ما تكن صدورهم وما يعلنون والمكنون المصون وهو ما يستتر يكون وقوله تعالى **علم الله انكم ستذكرونهن**
قيل اى ستخطبونهن وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يزوج بعض بناته دنى من خدرها
ويقول ان فلانا يذكر فلانة يعني يخطبها يعني انكم تحتاجون بعد انقضاء العدة الى الخطبة فاباح لكم
تمهيد ذلك بالتعريض في العدة لئلا يسبقكم غيركم بالخطبة فتفوتكم وقيل معناه ستذكرونهن بقلوبكم
وتتفكرون في انكم تطلبون ذلك بعد انقضاء العدة فازال الجناح عنكم باضماركم ذلك في القلب اذ ليس فيه
وهم فساد وقوله تعالى **ولكن لا تواعدوهن سرا** اى جماعا سمي به لانه يفعل سرا قال امرؤ القيس
الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي اى لا يقل احدكم لها في العدة اني
قادر على هذا العمل ويحسن لهذا العمل فانه قبيح في المعاملة وبعيد عن المجاملة ولانه يهيج لشهوتها وقد يوقعها
في الفتنة بذلك وقوله تعالى **الا ان تقولوا قولا معروفا** ليس هذا حقيقة استثناء عن مواعدة السر الذي هو
ذكر الجماع فانه لا ينبغي ان يقال ذلك بوجه من الوجوه لكن معناه اى قولوا قولا جميلا مما قلناه في التعريضات
وقوله تعالى **ولا تعزموا عقدة النكاح** اى لا تحققوا العقد في العدة قال تعالى فاذا عزم الامر اى تحقق وقيل
اى لا تنكروهن عقد النكاح في العدة من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا ولم يرد به القصد ولو اراد ذلك
لقال ولا تعزموا على عقدة النكاح وذلك هو الا كان الذي رفع الجناح فيه وقوله تعالى **حتى يبلغ الكتاب اجله**
اى حتى ينتهي ما كتب الله عليهن من التربص اربعة اشهر وعشرا وقوله تعالى اجله اى يبلغ غايته وهو انقضاء العدة
وقوله تعالى **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من الطاعة والتعظيم والخوف وخلاف ذلك وقوله تعالى **فاحذروه**
اى اخشوه ان يطلع على خلاف منكم واحذروا ان يعاقبكم عليه وقوله تعالى **واعلموا ان الله غفور حليم** اى لا تغتروا
بانه غفور يستر الذنوب وحليم لا يعجل بالعقوبة ثم قد ياخذ وهو غفور فتوبوا من الخلاف ليغفر لكم وحليم لا يرد
التوبة لما سلف من الافراط والحليم هو الذي لا يستفزه عصيان العصاة ولا يستخفه الغضب عليهم ثم لا يمنع عند
المعتزلة على اصولهم وصف الله جل وعلا بانه حليم لان حقيقة الحلم ترك عقوبة من يستحقها ولا يجوز عندهم لله تعالى
ترك عقوبة العصاة والله تعالى وصف نفسه ترغيما لهم وتكذيبا لقولهم وقوله تعالى **لا جناح عليكم ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة** الجناح الوزر من قولهم جنحت السفينة اى مالت لثقلها
والوزر الثقل قال تعالى وليحملن اثقالهم قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة ما اوصى اصحابه بالنساء ظنوا
انه سيحرم طلاقهن فنزلت الاية لبيان انه مباح وليس على المطلق اذا وافق الشرع جناح وقيل هذه الاية نزلت
في غير المدخول بها قال تعالى ما لم تمسوهن وانما خصها بالذكر لان طلاقها في كل وقت مشروع مباح وفي المدخول
بها يختلف الحال وقيل الاية في رفع الجناح عمن لا يعطيها المهر اذا طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهرا لان الله
تعالى لما شدد في منع المهر واسترداد المهر والمضارة ليختلع بالمهر بالايات التي مرت توهموا ان في غير المدخول بها
التي لم يسم لها المهر يأثمون بان لا يعطوا المهر فبين انه لا جناح فيه وان المهر غير واجب بل الواجب المتعة كما قال
تعالى ومتعوهن وقيل معناه لا اثم عليكم في الطلاق ومنع المهر الا اذا مسستموهن او فرضتم لهن مهرا فانه يجب مهر
المثل في المس وان لم يفرض لها شيئا ويجب نصف المهر المسمى اذا طلقها وان لم يمسها وكذلك اذا دخل وبين قوله
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة وفي كل واحدة من هاتين يا ثم بمنع المهر وقيل بل معناه ما لم تمسوهن ولم تفرضوا
لهن فريضة لان الاول نفي واو في عطف النفي كذلك قال تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اى هذا ولا ذاك بل التخيير
بل النهي عن طاعتهما جميعا وتقديره وكفورا ووجه اخر ولا كفورا وقرا حمزة والكسائي ما لم تماسوهن والمماسة الملامسة
وهي الوطء لان المفاعلة بين اثنين وقرا الباقون ما لم تمسوهن والمس هو اللمس ويقع على اللمس باليد وعلى الوطء
فكل واحد منهما يؤكد كل المهر عندنا والفرض تقدير المهر والفريضة المقدرة وقوله تعالى **ومتعوهن** اى اعطوهن
في حال عدم التسمية والطلاق قبل الدخول المتعة واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق بل
ينقضي عن قريب قال الله تعالى انما هذه الحيوة الدنيا متاع الاية ويسمى التلذذ تمتعا لذلك ونظيرا لمتعة والمتاع
البلغة واختلف في تقديرها وعندنا هي ثلاثة اثواب درع وخمار وملحفة والاختيار ولا تزيد على نصف
قال الكلبي رحمه الله نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك اما انها لا تساوي شيئا ولكني احببت ان احيي السنة وقال
سعيد بن المسيب افضلها خادم وادناها ثوب وقال الشعبي وسطها اربعة اثواب درع وخمار وملحفة
وجلباب وقال ابن عمر رضي الله عنهما ادناها ثلاثون درهما ومتع عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بجارية سوداء
والحسين بن علي رضي الله عنهما امراة بعشرة الاف درهم وروى جابر ان ابا عمرو بن حفص بن المغيرة طلق امراته

فاطمة بنت قيس اخت الضحاك بن قيس فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متعها فقال ما اجد ما امتعها فقال متعها ولو بصاع من تمر وقوله تعالى **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** الموسع الغني وقد اوسع اي صار ذا السعة وهي الغنى كما يقال اصبح وامسى اي صار في الصباح والمساء والمقتر المقل والتقتير في الانفاق هو التقليل وقترا لمرقة ريحها وهي قليلة منها والقترة الغبار وهو قليل من التراب وقوله قدره قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر قدره بسكون الدال والباقون بفتحها وهما المقدار اي المتعة على الزوج على قدر يساره واعساره وقوله تعالى **متاعا بالمعروف** نصب على المصدر فقد سبق الفعل ومتعوهن وقيل على القطع فقد قال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره بالرفع وذا معرفة وهذا نكرة فنصب على القطع من ذلك بل هو مفعول ثان والاول هن في ومتعوهن والمعروف ما لا تقتير فيه ولا اسراف وقوله تعالى **حقا على المحسنين** اي واجبا على الذين يحسنون الائتمار بامر الله تعالى وقيل حقا نصب مصدر فعل مضمر اي حق ذلك حقا وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه فان المتعة في هذه الصورة واجبة وقوله تعالى **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** ثم بين حكم التي سمى لها المهر في الطلاق قبل المس وقوله وقد الواو للحال وقوله فنصف ما فرضتم اي فعليكم نصف ما سميتم اولهن نصف ما سميتم والنصف احد جزئي الشيء وقوله تعالى **الا ان يعفون** اي الا ان يسقطن هذا النصف فلا ياخذون شيئا والواو هاهنا واو اصل الكلمة وليس بواو الجمع وتقديره يفعلن والنون نون جمع النساء وليس بنون الرفع ولذلك لم تسقط بالناصب وهو ان وقوله تعالى **او يعفو** نصب لانه عطف على قوله يعفون وقد دخل فيه ناصب ولكن لم يظهر فيه النصب للتسكين اللازم ومعناه او يتفضل فان العفو هو الفضل على ما مر وقوله تعالى **الذي بيده عقدة النكاح** اي الزوج يتفضل فيعطي الكل صلة لها واحسانا اليها اي الواجب شرعا هو النصف الا ان يسقط هي الكل وانما كان الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح لان الطلاق بيده فكان ابقاء العقد بيده فسمي به وكذا فسره سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وجماعة رضي الله عنهم واصله عن علي رضي الله عنه وروي عنه انه سأل شريحا عن الذي بيده عقدة النكاح فقال هو الولي فقال علي لا ولكنه الزوج وهو قول ابي حنيفة رحمه الله واحد قولي الشافعي رحمه الله وقال مالك والشافعي في قول هو الولي للصغيرة والبكر وله حط هذا النصف وهذا لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير رضاها وقوله تعالى **وان تعفوا اقرب للتقوى** ان مع الفعل مصدر وتقديره العفو منكم اقرب للتقوى وقيل هو خطاب للازواج وكذا قوله ولا تنسوا الفضل بينكم ندب للزوج الى اكمال المهر لها للمروءة وعلا بالفتوة وقيل وهو الاظهر الاشهر انه خطاب للازواج والزوجات جميعا اي عفو الزوج باعطائه كل المهر خير له وعفو المرأة باسقاط كله خير لها وقوله تعالى **ولا تنسوا الفضل بينكم** تقدير الاية فلا ينبغي للزوج ان يشح لانها فقال فيقول انها كانت محبوسة بعقدي ولم تنل مني نصيبا فلا ارجع من المسمى شيئا ولا ينبغي للمرأة ان تترك الاحسان وتقول ان زوجي لم يصل الي ولم يكن لي منه شيء فانا لا اخذ منه شيئا وقوله تعالى **ان الله بما تعملون بصير** اي لا يخفى عليه ما تعملون من التفضل والجود والانصاف والجملة ان المنكوحات المطلقات اربعة اصناف مسمى لها مدخول بها وغير مسمى لها غير مدخول بها ومسمى لها غير مدخول بها ذكر ما احكام هذه الثلاث في هذه الايات وغير مسمى لها مدخول بها وقد ذكر حكمها في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن وقوله تعالى **حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى** لما ذكر احكام النكاح وفيه الشهوات وفي اتباعها اضاعة الصلوات عقبها الامر بمحافظتها ليتحرزوا عنها قال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ولان ذلك من حقوق الخلق وهذا من حقوق الحق والقرآن يشتمل على بيان الحقين وهو مثاني لانبائه على هذين الاثنين ومعنى حافظوا اي داوموا ولازموا واصل الحفظ الضبط وحفظ الشيء عن النسيان هو ضبطه في القلب وحفظ الشيء عن الضياع هو ضبطه بالنفس وقوله على الصلوات هي المكتوبات الخمس في كل يوم وليلة ثبت عددها بغيرها من الايات وبالاحاديث المتواترة وبالشارع في هذه الاية وهو ذكر الوسطى والوسطى ما اكتنفه عددان متساويان واقل ذلك خمسة ولا يقال بان الثلاث بهذه الصفة لانا نقول الثلاث لا يكتنفها عددان فان الذي قبلها واحد والذي بعدها واحد والواحد ليس بعدد لان العدد ما اذا جمع بين طرفيه صار ضعفه والواحد ليس له طرفان فانه ليس قبله شيء وقوله والصلوة الوسطى اي حافظوا على الصلوة الوسطى منها ومحافظتها حفظ اوقاتها واركانها وشرائطها وواجباتها وسننها واداؤها وقضاؤها ثم اختلف في الوسطى قال قوم هي غير معينة واذا حافظ على كلها فقد حافظ عليها قال ابو بكر الوراق رحمه الله لو شاء الله لعينها ولكن اراد تنبيه الخلق على اداء الصلوات ليحافظوا عليها كما نبه الناس على ليلة القدر ولم يعينها وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه ولم يعينها وسئل الربيع بن خثيم عنها فقال للسائل ارأيت ان عرفتها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرها قال لا قال فانك اذا حافظت عليهن فقد حافظت عليها وقال ابن سيرين سألت شريحا رحمه الله عن ذلك فقال حافظ عليهن تصبها وقيل هي صلوة الفجر روي ذلك عن علي وابن عباس وابن عمر وابي موسى وجابر وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم اجمعين وهو اختيار الشافعي رحمه الله وقالوا يدل

عليه

عليه انه ورد في القرآن زيادة ترغيب وهو قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى قوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا اي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وليست هذه الخصوصية لغيرها وتحقيق اسم الوسطى لها انها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار ولانها بين صلاتي جهر وصلاتي مخافتة ولانها بين سواد الليل وبياض النهار وقال ابن عمر رضي الله عنهما في رواية وزيد بن ثابت هي صلوة الظهر قال زيد رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد على الصحابة منها فنزل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وخصت بالذكر لانها اول صلوة فرضت وسميت وسطى لانها في وسط النهار ولانها بين صلوة نهار وصلوة ليل يتأخران وهي صلوة تقع في وقت اشتغال الناس في الاسواق ولانها وقت القيلولة وفيها خطر الفوت وقال علي في رواية وابن عباس وابن مسعود وابو ايوب الانصاري وابو هريرة وابو سعيد الخدري وعائشة وحفصة وام سلمة والحسن البصري وهو قول الاكثر رضوان الله عليهم هي صلوة العصر وفيه خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه فاتته العصر يوم الاحزاب فقال شغلونا عن صلوة الوسطى عن صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وقبورهم نارا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فاتته العصر فكانما وتر اهله وماله وخصت بهذا لانه وقت فراغ الناس عن اعمالهم والغالب هو حرصهم عليها واقبالهم على اتمامها وسميت وسطى لانها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وقال قبيصة بن ذؤيب وعمرو ومكحول وضمرة بن حبيب هي صلوة المغرب لانها ثلاث ركعات وهي بين الاربع والمثنى ولانها بين صلاتي مخافتة وبين صلاتي جهر يتأخران ولانها بين صلاة ليل وصلاة نهار يجهر بها فهي صلاة جهر بين صلاتي جهر وخصت به لانه وقت غلبة النوم وقوله تعالى **وقوموا لله قانتين** قال الضحاك رحمه الله اي مطيعين فان سائر اهل الاديان يقومون في الصلوة عاصين وقال زيد بن ارقم كنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يكلم احدنا صاحبه في الصلوة بحاجته حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي ساكتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى بهم الصبح فقنت فيه وقال هذه الصلوة التي قال الله تعالى وقوموا لله قانتين وقيل معناه خاشعين وقيل مطيلين القيام وقيل مخلصين وقيل قارئين للقرآن وقال مجاهد من القنوت الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله تعالى وقوله تعالى **فان خفتم فرجالا** اي وحافظوا عليها في حال خوف العدو ايضا فلا تؤخروها وصلوا رجالا وهو جمع راجل وهو القائم على الرجل ويجوز لهم اداؤها بجماعة وقوله تعالى **او ركبانا** هو جمع راكب ولهم ان يصلوا وحدانا ولا يجوز بجماعة عندنا لانه يسقط فرض الاستقرار عنهم فلم يجمعهم مكان واحد فبطل الاقتداء وقوله تعالى **فاذا امنتم** العدو فصلوا لله واذكروا الصلوة وقد دللنا عليه فيما مر **فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** كما علمكم الله ولم تكونوا اعلمتم ذلك اي صلوا طائفة واحدة من غير انصراف وفي الخوف يصلون طائفتين وتنصرف كل طائفة الى العدو عند تمام الركعة على ما نبين في سورة النساء ان شاء الله تعالى وقوله تعالى **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا** مر تفسيره وقوله تعالى **وصية لازواجهم** قرأ حمزة وابو عمرو وحفص بالنصب ووجهه فليوصوا وصية وقرأ عاصم والكسائي بالرفع وتقديره فعليهم وصية لازواجهم او فيه تقديم وتأخير فلازواجهم وصية وهي بالنفقة والسكنى وقوله تعالى **متاعا الى الحول** ونصبه باضمار الفعل او على القطع او على الحال او على ايقاع فعل الوصية عليه وقوله تعالى **غير اخراج** قيل هو على الحال وتقديره غير مخرجين لهن وقيل هو صفة متاعا وقيل هو مصدر وتقديره اخراجا وقيل هو نصب بنزع الخافض وتقديره من غير اخراج وقال الاخفش تقديره متعوهن متاعا لا تخرجوهن اخراجا وقوله تعالى **فان خرجن** اي بعد السنة **فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف** اي لا اثم عليكم يا اولياء الزوج فيما فعلن في انفسهن من التزين لطلب الزوج على وفق الشرع وقوله تعالى **والله عزيز** اي منتقم ممن عصاه **حكيم** اي مصيب فيما حكم وكان هذا احكاما مشروعا في الابتداء ثم نسخ وكانت العرب اذا مات رجل وله امرأة منع اهله المرأة عن التزوج ابدا وكانوا يرثون مال الميت وامرأته موجودة فلا يعطونها ارثا وكانوا ياخذونها ارثا وفيه نزل قوله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وكانوا افعلوا ذلك والله تعالى منعهم عن ذلك بالتدريج فامر اولا بان يوصوا للمرأة بالنفقة والسكنى مكان الميراث وجعل العدة المانعة عن التزوج سنة واحدة بهذه الاية ثم نسخ الوصية بالميراث وهو الربع او الثمن ثم نسخ الاعتداد بالسنة بالاربعة اشهر وعشرا على ما بينا فهذه الاية متاخرة في نظم السورة وهي منسوخة وتلك الاية متقدمة وهي ناسخة وقال مقاتل بن حيان نزلت الاية في حكيم بن الاشرف الطائفي قدم المدينة فمات بها وترك ابوين واولادا وزوجة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الميراث للابوين والاولاد وجعل للمرأة النفقة في العدة والكسوة والسكنى حولا فنسخ هذا وروي ان المعتدة في الوفاة حولا كانت تسكن في بيت مظلم لا تتطيب ولا تغتسل ولا تجدد الثياب ثم تخرج بعد تمام الحول وترمي ببعرة وراء ظهرها تظهر ان تعدادها في مراعاة حق زوجها اهون عليها من هذه البعرة ولهذا قال عليه السلام حين سئل عن البرود في المدة كانت احداكن في الجاهلية الجهلاء تجلس حولا في شر بيت افلا اربعة اشهر وعشرا وقوله تعالى **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** والمطلقات اللاتي سمي لهن المهر متعة ايضا بطريق الاستحباب وقوله حقا اي يحق حقا على من كان متقيا فليس بواجب هذا لكن من شرط التقوى التبرع بهذا تطييبا لقلبها وقوله تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون** اي كما بين هذه الاحكام يبين بعد هذا لكم كل ما تحتاجون اليه لتعقلوا اي لتستعملوا

عقولكم في قبولها والتفكر فيها والعمل لها وقيل الايات هي جميع ما تقدم من الحجج والقتال الذي هو تحصين الدين فلذلك استعظما وقوله تعالى **الم تر** الالف الف الاستفهام بمعنى التقرير والرؤية بمعنى العلم قائمة مقام النظر ولذلك وصل بالى وتقديره الم تنظر الى الذين اي الم ينتهِ ذلك الم تعلم ذلك وتحقيقه اعلم ذلك اسمع ذلك وقيل معناه الم تخبر فيقع لك العلم به كما يقع بالنظر وهي كلمة تنبيه لتتامل فيما يلقى اليه مما اريد الانباء عنه اذ قد سبق الانباء عنه فاريد منه تجديد العهد بالتامل فيه وقوله تعالى **الى الذين خرجوا من ديارهم** اي منازلهم جمع دار وقوله تعالى **وهم الوف** قيل هو جمع الف كما يقال قاعد وقعود وساجد وسجود اي مئات الوف وقيل هذا جمع الف وهو العدد المعروف قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا اربعة الاف وقال مقاتل بن حيان كانوا ثمانية الاف وقال ابن روق كانوا عشرة الاف وقال غيره كانوا ثلاثين الفا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اربعين الفا وقال عطاء سبعين الفا وقوله تعالى **حذر الموت** اي لخوف الموت مفعول به وقوله تعالى **فقال لهم الله موتوا** قيل يجوز ان يكون الله تعالى اسمعهم كلام بعض ملائكته موتوا فماتوا ويجوز ان يكون معناه فاماتهم الله كما في قوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اي يكونه وقوله تعالى **ثم احياهم** اي اماتهم موت عقوبة وتنبيه لا موت انقضاء الاجال ثم اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم وقوله تعالى **ان الله لذو فضل على الناس** اي تفضل على اولئك فاحياهم بعد ان اماتهم فامهلهم في الدنيا حتى تابوا وقبل توبتهم

ملاذات

اذ خرجوا من ديارهم فرارا من الموت وكان ذلك عصيانا منهم وانه لذو فضل على غيرهم بان بين هذا ليعتبروا بحالهم ويؤمنوا بالبعث بعد الموت وفيه فضل من الله تعالى على عباده بذكر هذه الايات المحركة لهم على طاعته وقتال عدوهم وتفويض الامور اليه واخلاص الخوف والرجاء له وقوله تعالى **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا يؤدون حق نعمه بالشكر وهو كقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقوله تعالى فابى اكثر الناس الا كفورا واختلف في سبب نزوله وقصته قيل هو قول بعض المنافقين لما قتل بعضهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فاخبرهم الله تعالى ان جهلهم يقضي ذلك الله تعالى وقدره وانه لا عاصم لاحد من امره حملهم على هذا القول كما ان جهل بني اسرائيل حملهم على الخروج فرارا من الموت ثم لم ينجهم فرارهم حتى اماتهم الله جميعا ثم احياهم وهو نظير قوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم سبط من بني اسرائيل خرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد في سبيل الله تعالى فابتلوا بالطاعون فاماتهم الله جل جلاله قبل انقضاء اجالهم عقوبة لهم ثم احياهم ليستكملوا بقية اجالهم وقال الكلبي رحمه الله ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر بني اسرائيل ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا بعسكر ليغزوا عدوهم فجبنوا وكرهوا الموت وقالوا لملكهم ان الارض التي ناتي فيها الوباء فلا ناتيها حتى ينقطع الوباء منها فذلك حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا وهم ثمانية الاف فمكثوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موت اصحابهم فخرجوا اليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر ثم احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام فبقيت فيهم نتن من ريح النتن حتى انه بقي في اولادهم الى اليوم وقال مقاتل ان نبيهم حزقيل والانبياء هم حزقيل وهو ذو الكفل ندبهم الى قتال عدوهم فابوا عليه جبنا من عدوهم واعتلوا بان الارض فيها الطاعون فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما راوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى ذلك حزقيل قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون فرارا منك فلما خرجوا قال الله تعالى موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد ثمانية ايام فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم واروحت اجسادهم ثم ان حزقيل بكى الى ربه فقال يا رب يعقوب واله موسى عليهما السلام لا تكن على عبادك الظلمة على انفسهم واذكر فيهم ميثاق الاولين وفي رواية قال يا رب ارهم رحمتك كما اريتهم قدرتك فامره الله تعالى ان يدعوهم بكلمة واحدة فقاموا كقيام رجل واحد كانهم كانوا نياما فاستيقظوا ثم امرهم ان يرجعوا الى عدوهم فيجاهدوهم وذلك قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله وقال الحسن رحمه الله انما سمي حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فاني ان قتلت كان خيرا لكم من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسالوا ذا الكفل عن الانبياء السبعين قال انهم ذهبوا ولا ادري اين هم ومنع الله تعالى ذا الكفل من اليهود وقال السدي هم قرية من بني اسرائيل خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فاماتهم الله تعالى ومرت عليهم السنون حتى عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فمر بهم حزقيل فاوحى الله تعالى اليه ان نادهم قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقال هلال بن يساف هم قوم من بني اسرائيل وقع فيهم الطاعون فذهب اشرافهم واغنياؤهم واقام سفلتهم وفقراؤهم فكثر فيهم الموت ونجا الذين خرجوا ولم يصبهم من ذلك شيء فقال الذين نجوا لو اقمنا بالبلدة كما اقام هؤلاء هلكنا كما هلكوا وقال هؤلاء لو ظعنا كما ظعنوا لنجونا فاجمعوا ان يظعنوا جميعا فارسل عليهم الموت فماتوا حتى صاروا عظاما فمر بهم نبي احسبه حزقيل فقال يا رب لو شئت احييتهم فعبدوك وعمروا بلادك فقيل له تكلم بكذا وكذا فاذا هم يحيون فتكلم بالكلام فجعل يرى العظام تخرج الى العظام حتى اجتمع بعضها الى بعض وكسيت لحما ثم امر بامر فتكلم به فاذا هم قعود يذكرون الله تعالى ويسبحونه وروى السدي عن ابي مالك رحمهما الله قال كانوا في قرية يقال لها داوردان قريبا من واسط

نوقع فيهم الطاعون فاقامت طائفة وهربت طائفة فوقع الموت فيمن اقام وسلم الذين رحلوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا اليهم فقال الذين بقوا اخواننا كانوا احزم منا لو صنعنا مثل ما صنعوا سلمنا وقال الراجعون لو بقينا الى ان يقع الطاعون اصابنا ما اصابهم فوقع الطاعون من قابل فخرجوا جميعا حتى نزلوا واديا افيح فنزلوا فيه بين جبلين فبعث الله عليهم ملكين ملكا باعلى الوادي وملكا باسفله فنادا ان موتوا فماتوا ومكثوا ما شاء الله فمر بهم حزقيل فراى تلك العظام فوقف متعجبا لكثرة ما يرى فاوحى الله تعالى اليه ان نادي ايتها العظام ان الله تعالى يامرك ان تجتمعي فاجتمعت من اعلى الوادي وادناه حتى التزق بعضها ببعض فصارت اجسادا من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله تعالى اليه نادي ايتها العظام ان الله تبارك وتعالى يامرك ان تقومي فقاموا وبعثوا احياء فرجعوا الى بلادهم وقوله تعالى **وقاتلوا في سبيل الله** قد روينا ان هذا كان خطابا للذين ماتوا ثم احياهم الله وقيل هو خطاب لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم فعلى القول الاول اضمر في هذه الاية وقال لهم عطفا على قوله ثم احياهم وقوله في سبيل الله اي قاتلوا لاعلاء كلمة الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ان الرجل يقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الذي يقاتل في سبيل الله وقوله تعالى **واعلموا ان الله سميع عليم** اي لا تقولوا كما قال هؤلاء الملا نخرج من ديارنا لنسلم من الموت ولا تضمروا ما اضمروه من اعتقاد الخلاص بالفرار فان الله سميع عليم يسمع ما يقال ويعلم ما يضمر قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله يعني ان سكرا لم تقضِ ما عندكم اي من فاعلموا ان الله سميع لانينكم عليم باحوالكم والاية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الالم لقول القائل بعضهم اذا ما تمنى الناس روحا وراحة تمنيت ان اشكو اليك وتسمع وقوله تعالى **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** امر بالقتال في سبيل الله تعالى ويحتاج فيه الى المال فحث على الصدقة تهيئا لاسباب الغزاة وقوله من ذا استفهام بمعنى الامر وذا اشارة الى المقرض وهو رفع من اي من هذا الذي يقرض والذي صفة لذا ويقرض صلة له والقرض في موضع الحقيقة مال يقرض ببدل مثله من بعد سمي به لان المعطي يقرضه اي يقطعه من ماله فيدفعه اليه ومنه المقراض ومنه قرض الفار الثوب ومنه الانقراض وهو الانقضاء والانقطاع وقريض الشعر منه ايضا وهو قرض الشاعر الكلام من المنثور بالقافية والوزن والشعر قريض وقراضات الثوب والذهب والفضة ما يقرض بالمقراض اي يقطع وقوله قرضا ظاهره اسم للمعطي ويجوز ان يكون مصدرا لقوله يقرض وان كان ذلك من المنشعب وهذا من الثلاثي كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا لان الاصل هو الثلاثي فيجوز رد المصدر اليه عند وضوح المراد بذكر الفعل وقوله حسنا اي جميلا وهو نعت القرض والمراد من القرض في هذه الاية هو ان يقطع بعضها له فيعطيه الفقير طلبا لرضى الله تعالى واملا لثواب الله والحسن عند ابن عباس رضي الله عنهما ان يعجله ويستره ويستصغره وقيل هو ان لا يمن على الفقير ولا يؤذيه كما قال ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى وقيل هو ان يقطع قلبه عنه وقال ابن المبارك القرض الحسن ان يكون المال من الحلال وقال سهل بن عبد الله هو ان لا يطلب عليه عوضا وقال الامام القشيري رحمه الله هو ان لا يعطي على الغفلة قال وقيل القرض الحسن على لسان الفقهاء ان يعطي عن ظهر غنى وعلى لسان اهل المعرفة ان يعطي بحكم الايثار فيعطي ما لا بد له منه من لدنه بد قال وقيل هو على لسان العلماء اعطاء خمسة من مائتين وقيل على لسان اهل المعرفة اعطاء الكل وزيادة الروح على ما يبذل وقيل سماه لا تجود والبخل قبيح فكان الجود حسنا وقالوا هذا افضل من الله تعالى اعطانا المال تفضلا منه ثم سالنا بعضه باسم القرض تسهيلا في الاداء واطماعا في الجزاء وقيل فعل ذلك تشريفا للفقراء وصيانة لهم فاستقرض بنفسه لاجلهم وجعل رسوله محمدا عليه السلام قابضا بحق النيابة عليهم فقال تعالى خذ من اموالهم صدقة وقال لو باخذ الصدقات فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو القابض والله تعالى هو القابل والفقير هو الاكل ثم ذكر انه ليس كقرض العباد في تعويض بمثل واحد بل وعد الاضعاف الكثيرة وذلك قوله تعالى **فيضاعفه له اضعافا كثيرة** فيه اربع قراءات قرا ابو عمرو ونافع وحمزة والكسائي بالالف والرفع وقرا عاصم غير المفضل بالالف والنصب وقرا ابن كثير فيضعفه بالتشديد والرفع وقرا ابن عامر بالتشديد والنصب فالرفع عطف على قوله يقرض ومعناه فهو يضاعفه او فانه يضاعفه او فيضاعفه والنصب على انه جواب الاستفهام بالفاء والتضعيف والمضاعفة هو الزيادة على اصل الشيء بتصييره مثليه او مثليه او اكثر والضعف هو المثل الزائد على اصله وجمعه الاضعاف واضعف الرجل اذا وجد الضعف والاضعاف قال تعالى فاولئك هم المضعفون وقال الازهري الضعف في كلام العرب المثل الى ما زاد وليس بمقصور على مثلين بل جائز في كلام العرب ان يقول هذا ضعفه اي مثلاه او ثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة قال تعالى فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لم يرد به مثلا ولا مثلين ولكنه اراد به الامثال واولى الاشياء به عشرة امثاله لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فاقله محصور بالمثل واكثره غير محصور وقوله كثيرة هذا قطع الاوهام عن مبلغ الحساب وقد قال في هذه السورة ايضا مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليضاعف بالحسنة الفي الف ضعف من الحسنات ثم تلا هذه الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا

حسنا وقوله تعالى **والله يقبض ويبسط** سهل بهذا عليهم الانفاق من الرزق واذا علم العبد ذلك هان عليه الاعطا لان الله تعالى هو الرزاق وهو الذي وسع عليه فهو يسأل منه ما هو اعطاه ولانه يخلفه عليه في الدنيا ويثيبه عليه في العقبى وقيل اي لا تخافوا الاقلال بالاعطا ولا تظنوا بقا السعة بالامساك فان الله تعالى هو الموسع والمضيق لا الامساك والبذل وقيل معناه ان الله تعالى هو الذي فاوت بين الخلق فوسع على بعض وضيق على بعض فلينفق كل انسان بما اعطاه الله قل او كثر ولا يمتنع المقل استقلالا لما يعطي واتكالا على انه غير موسع عليه او قولا ان الموسع عليه اولى به منه فكم من يوسع عليه يتخلف عن المضيق عليه في الصدقة والنفقة ولكل عبد ثوابه وقيل الله يوسع على الغني ويضيق على الفقير فلا ينظرن المعطي الى فضل نفسه بما يعطي ولا يحقرن الفقير بما ياخذه من حاجته اليه فاني انا الموسع على الغني والمضيق على الفقير فليكن النظر الى حكمي وفضلي وقيل والله تعالى يبسط اي يوفق له من يشاء ويقبض اي لا يوفق من يشاء وقيل يقبض حتى لا طاقة ويبسط اذا انبسط حتى لا فاقة وقال الامام القشيري رحمه الله يقبض الصدقة من الاغنيا قبض قبول ويبسط عليهم بسط خلف وقيل يقبض على الفقرا ليمتحنهم بالصبر ويبسط على الاغنيا ليطالبهم بالشكر وقيل يقبض تسلية للفقرا لئلا يروا الفقير من الاغنيا ويبسط لئلا يتقلدوا المنة من الاغنيا قال والقبض لما يغلب على القلوب من الخوف والبسط لما يغلب عليها من الرجا والقبض لقهره والبسط لبره والقبض لستره والبسط لشكره والقبض للمريدين والبسط للمرادين والقبض للمشتاقين والبسط للعارفين وقيل يقبضك عنك ثم يبسطك به وقيل القبض لمن تولى عن الحق والبسط لمن تجلى له الحق وقيل القبض اذا شهدك فعالك والبسط اذا اشهدك فضله وقيل القبض بذكر العذاب والبسط بذكر الثواب واجتمع جماعة من الاغنيا والفقرا فقال غني ان الله رفع درجتنا حيث استقرض منا فقال فقير بل رفع درجتنا حيث استقرض لنا والواحد قد يستقرض من غير الحبيب ولكن لا تستقرض الا لاجل الحبيب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه عند يهودي بشعير اخذه لقوت عياله انظر من استدان ولمن استدان وقوله تعالى **واليه ترجعون** اي رجوعكم الى جزائه في الآخرة فيجزيكم على جودكم بالجنة وعلى بخلكم بالنار وهو وعد ووعيد وقيل هو تنبيه ان الغني لمفارق ما له بالموت فليبادر الفوت ولما نزلت هذه الاية قال ابو الدحداح عمرو بن الدحداح الانصاري يا رسول الله ان الله تعالى يستقرضنا وهو غني قال نعم يريد ان يدخلكم بذلك الجنة قال فاني اقرضت الله قرضا تضمن لي به الجنة قال نعم قال وزوجتي قال نعم وزوجتك قال وصبياني قال الله واسع كريم يا ابا الدحداح قال فاني اشهدك اني جعلت حائطي لله قرضا قال صلى الله عليه وسلم انا لم نسألك كليهما فاجعل احدهما لله تعالى والآخر معيشة لك وعيالك قال فاني قد جعلت خيرهما لله قال اذا يجزيك الله به الجنة فانطلق ابو الدحداح حتى اتى ام الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فانشأ يقول

• هداك ربي سبيل الرشاد • الى طريق الخير والسداد • بيني من الحائط بالسواد • فقد مضى قرضا الى التناد •
• اقرضته الله على اعتمادي • بالطوع لا من ولا ارتداد • الا رجاء الضعف في المعاد • فارتحلي بالنفس والاولاد •
• والبر لا شك خير زاد • قدمه المرء الى المعاد •

قالت ام الدحداح اما ان بعت من الله ورسوله فبيع مربح لا يقال ولا يستقال وايم الله لولا ذلك لم تملك الا حصتك فانشا ابو الدحداح يقول

• مثلك ادى ما لديه ونصح • ان الله الخطاء اذا الحق وضح • قد متع الله عيالي ومنح • بالعجوة السودا والزهو البلح • والعبد يسعى وله قد كدح • طول الليالي وعليه ما اجترح •

ثم اقبلت ام الدحداح على صبيانها تخرج ما في افواههم وتنفض ما في اكمامهم حتى افضت الى الحائط الآخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم • كم من عذق رداح • ودار فياح في الجنة لابي الدحداح •

وقوله تعالى **الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى** الم تر اي الم تخبر خبرا يصل لك رؤية العين في وقوع العلم والملا الجماعة الاشراف اسم فرد وضع للجماعة قيل هذا من ملا الاناء وهو الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد وقيل هو من الملاءة وهي القدرة والملا جماعة للزيادة عليهم فيما اجتمعوا له وهم قادرون على ما اجتمعوا له وقوله من بني اسرائيل هم اولاد يعقوب وقوله من بعد موسى اي من بعد موت موسى وانتظام هذه الاية بما قبلها انه قال وقاتلوا في سبيل الله وقص عليهم قصة بني اسرائيل في القتال الذي سألوه ثم خالفوه لئلا يفعلوا فعلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان بني اسرائيل مكثوا زمانا ليس لهم ملك يقاتل في سبيل الله وكانت النبوة في سبط لاوي ابن يعقوب والملك في سبط يهودا بن يعقوب فكان يكون الجند والقتال في يد الملك وكان الملك يعمل بامر النبي وكان لهم تابوت اذا اخرجوه للقتال حملوه وقدموه فنصروا به وانهزم عدوهم ومضى على ذلك زمان وكثرت المعاصي في بني اسرائيل وصار الملك لا يطيع النبي فسلط الله عليهم جالوت وقومه وكان يقال لهم العمالقة وكانوا يسكنون بحر الروم بين مصر وفلسطين وكان بنو اسرائيل لبثوا اربعين سنة باحسن حال وكان الله تعالى وضع عنهم القتال وكفاهم مؤنة العدو وعهد الى الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى لا يقاتلوا الا من قاتلهم وكان جالوت عظيم الجثة شديد الشوكة وكانت بيضة راسه ثلثمائة رطل من حديد وكان بنفسه يساوي مائة الف فارس وكان جنده ثمانمائة الف فارس فخرج فقصدهم في ديارهم فقاتلوه وقاتلوه وقدموا التابوت فلم ينصروا لكثرة معاصيهم وقتل جالوت منهم مقتلة عظيمة وسبا نساءهم وذراريهم واسر من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وغنم اموالهم

رجل

رجل تابوتهم واخرجهم من ديارهم ومضى على ذلك زمان فجازوا الى نبيهم وقيل هو شمعون وقيل هو يوشع بن نون وقيل هو شمويل بن علقما وهو الاشهر الاظهر واسم امه حنة وهو من نسل هرون اخي موسى وذلك قوله تعالى **اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا** اي اقم لنا وانصب سلطانا وقوله تعالى **نقاتل في سبيل الله** جزم لانه جواب الامر وهو في الحقيقة جواب الشرط لان تقديره ان يبعث لنا ملكا نقاتل نحن معه عدونا وقوله تعالى **قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** عسى كلمة شك وظن ومعناه لعلكم وتستعمل في الماضي دون المستقبل وقرا نافع عسيتم بكسر السين وقال ابو حاتم لا وجه له في العربية وهو مردود وفي العباس يقول قال لهم نبيهم لعلكم ان تمتنعوا عن القتال اذا فرض عليكم وقوله تعالى **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله** له ثلاثة اوجه احدها ان تكون استفهام بمعنى الانكار ومعناه لاي شي لا نقاتل في سبيل الله ويجوز في هذا حذف ان فمعناه لاي شي واذا اثبت فمعناه ما يمنعنا ان نفعل والثاني انه استفهام لكن بمعنى قوله ما لنا اي ينبغ لنا لا نقاتل والثالث انه نفي معناه لنا الا نقاتل وقوله تعالى **وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** الواو للحال ومعناه كيف لا نقاتلهم والحال هذا انا قد اخرجنا من ديارنا وفرقنا من اولادنا فالتفريق مضمر لانه لا يليق عطفه على الديار في صفة الاخراج الا ان يجعل الاخراج مجازا عن التفريق فيصير صالحا للوقوع على الديار والاولاد اي فرقنا عن الديار والاولاد جميعا قال اهل الحقيقة عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا وكيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاد الله وقهروا عباد الله واطفوا نور الله لنصروا فلما قالوا ذلك دعا نبيهم الله تعالى وسأل لهم ملكا فاجابه الله تعالى الى ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم القتال وكان فيهم طاغية هو الذي دعاهم الى ذلك فيا يوم وكانوا يرجون ان يملك عليهم فلما ملك الله تعالى غيره نكصوا على اعقابهم وكرهوا القتال وقوله تعالى **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم** وهم الثلاثمائة والثلاثة عشر الذين لم يشربوا من النهر كرعا وخواص الله فيهم قلة قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال وقليلا ما تذكرون وقال تعالى ما يعلمهم الا قليل وقوله تعالى **والله عليم بالظالمين** اي بالذين خالفوا نبيهم عليم بفعلهم وبقدرهم على جزائهم وهو البلغ وعيد وقوله تعالى **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** طالوت اسم اعجمي لا ينصرف بخلاف الجاموس وان كان اعجميا فقد صار اسما متمكنا بالالف واللام الداخلتين فيه فصار كالاسم العربي وقوله تعالى **قالوا انى يكون له الملك علينا** اي كيف كما في قوله انى يؤفكون وقيل من اين كما في قوله انى لك هذا وقصته ان الله تعالى بعث عصى الى نبيهم وقال من كان على طول هذه العصا فهو ملككم فجعل يقدر بها الناس فلا يبلغ احد ذلك حتى جاء رجل اسمه طالوت وسمي به لطوله وهو طالوت بن قيس بن ضرار بن افيس بن يحرف بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم ولم يكن من سبط الملوك وكان يحترف بحرفة دنية قيل كان سقا وقيل كان دباغا وقيل كان مكاريا وقيل اضل حمارا له فكان يطوف الامكنة يطلبه فانتهى الى باب دار نبيهم فقال له غلامه ندخل على النبي ونروم ونسئله ان يدعو لنا بحاجتنا فدخلا فنظر اليه النبي فوقع في قلبه انه هو المراد فقدر به العصا فكانت على قدر طوله وكان اطول اهل زمانه يعلو كل طويل بمنكبيه وراسه ويبلغ اطول الناس صدره فلا يجاوزه فقال لهم هذا ملككم الذي اقامه الله لكم فاطيعوه وقاتلوا عدوكم معه فقالوا متعجبين من ذلك كيف يكون له الملك علينا ونحن من سبط الملوك وقوله تعالى **ونحن احق بالملك منه** اي اولى بالرياسة عليه منه بالرياسة علينا اذ نحن من اهل بيت الملك وقوله تعالى **ولم يؤت سعة من المال** اي لم يعط ثروة وكثرة من المال فيتشرف بالمال اذ فاته الحسب وقوله تعالى **قال ان الله اصطفاه عليكم** اي قال لهم نبيهم ان الله اختاره عليكم واصل الاصطفا اخذ صفوة الشي والقا ما سواه اي ان لم يكن نسب ونشب فله فضيلة تفوق كل فضيلة وهي اختيار الله تعالى اياه عليكم وله فضيلة اخرى وهي قوله تعالى **وزاده بسطة في العلم والجسم** اي سعة وفضلا في علم الحرب واخرى وهو قوله تعالى والجسم وهي طول القامة وعظم التركيب وكمال القوة وروعة المنظر وجمال الوجه وقيل كان ذلك استجماع الخصال المحمودة النفسانية دون عظم البنية اشار بذلك الى ان الرياسة لا تستحق بالوراثة ولا بالثروة بل بفضل النفس فان اجتمع اليها النسب فهو مؤكد لها وقوله تعالى **والله يؤتي ملكه من يشاء** اي الملك لله فهو يضعه حيث يشاء اي الملك لله وقد شاء وضعه في طالوت فلا اعتراض عليه ولا اعراض عنه وقوله تعالى **والله واسع عليم** اي واسع الافضال كامل الاقتدار عالم بمواضع الاختيار وقيل انهم كفروا بتكذيبهم نبيهم وقيل كانوا مؤمنين لكن يحتجوا ويعرفوا وجه الحكمة في تمليكه كما قال الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقوله تعالى **وقال لهم نبيهم ان آية ملكه** اي علامة سلطنته وقوله تعالى **ان ياتيكم التابوت** وكان قوم جالوت اخذوا التابوت وذهبوا به ودفنوه في مخراة لهم فابتلاهم الله بالباسور وفشا ذلك فيهم فهلك اكثرهم وهلك خمس مداين وقالوا ما ابتلينا الا بجعلنا في التابوت فاستخرجوه فوجهوه الى بني اسرائيل على بقرة وفي رواية كانوا وضعوه في بيعة لهم فكانوا اذا اصبحوا ودخلوا بيعتهم راوا اصنامهم منكوسة وقيل وضعوه تحت صنم لهم فاصبحوا وهو فوق الصنم فاخذوه وشدوه الى رجل الصنم فاصبحوا وقد قطع يدي الصنم

وَرِجليه فكان من بات فيها ونام اتاه الفار وقرض بطنه واكل امعاءه فمات فلما كثر ذلك اخذوه وجعلوه على عجلة ووجهوا الثور الى بنى اسرائل فبعث الله تعالى ملائكة تسوقه فاذا التابوت بين اظهرهم فذلك قوله ان ياتيكم التابوت وقوله تعالى **فيه سكينة من ربكم** اى ما تسكن به قلوبكم ويقوى رجاكم بالنصرة والغلبة قال ابن عباس رضى الله عنهما السكينة دابة قدر الهر لها عينان لهما شعاع اذا نظرت الى شئ ذعر وكانوا اذا احضروا بها العدو اطلعت راسها من التابوت وحركت يديها وصاحت فيولون هرابا من الرعب وكان التابوت من عود الشمشاد وقيل من الصندل موه بالذهب وقيل من الشمشاد الذى يتخذ منه الامشاط قال الله تعالى له كن فكان كما قال للالواح موسى كونى فكانت من الزمرد وقدر التابوت ما يحمله رجلان وقال وهب كان التابوت نحوا من ثلاث اذرع فى ذراعين وقال على رضى الله عنه كان للسكينة وجه كوجه الانسان وهى ريح هفافة وقال مجاهد كان لها وجه الهر وجناحان فكانت تهب على الاعداء فتهزمهم وقال الكلبى كانت من زبرجد او ياقوت كانها راس هر فاذا ان ذلك الراس دفّ التابوت نحو التابوت فمضوا معه فاذا استقر ثبتوا خلفه وقال السدى السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء وقوله تعالى **وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون** اى اشياء تركها موسى وهرون وآل الانسان نفسه قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وال ابراهيم اى ابراهيم واضيف اليه كما يضاف اليه نفسه وتلك البقية هى عصا موسى من آس الجنة وعمامة هرون ورضاض الالواح وقفيز من المن فى طست من ذهب وخاتم سليمان وقال عطا هو علم التوراة وقوله تعالى **تحمله الملائكة** اى تنقله وقيل كان حملهم سوق البقرة وقيل بل هى حملته فى الهواء حتى وضعوه فى بيت طالوت وقوله **ان فى ذلك لاية لكم** اى فى اتيان التابوت علامة واضحة على صدق قول نبيكم فى ان الله تعالى جعل طالوت ملكا فانه امر ناقض للعادة وقوله تعالى **ان كنتم مؤمنين** اى مصدقين بالله فصدقوا فلما راوا الاية انقادوا لطالوت وهيأ طالوت الاسباب وعبا الجيش واخذ الاهبة وتهيؤا للخروج واوحى الله تعالى الى شمويل ان ادع ايشى والد داود عليه السلام وسله ان يعرض عليك بنيه فدعاه فقال له اعرض على بنيك فدعا ايشى اكبر ولده فلما نظر اليه اعجبه حسنه فنودى ليس هذا فعرض عليه ستة فى كل ينادى ليس هذا فقال هل لك ولد غيرهم فقال نعم لى ولد غلام وهو يرعى الاغنام فقال ارسل اليه فلما جاء داود وكان يحاذى راس كل واحد من اخوته بقرن فلا يخرج منه شئ فحاذى راس داود بالقرن فخرج من راسه دهن له رائحة كرائحة المسك فملأ القرن فاوحى الله تعالى اليه ان هذا الذى يقتل جالوت قال كعب فلما خرجوا ومعهم داود ناداه فى طريقه حجر احملنى يا داود فانك تدعى لقتال جالوت وانما تقتله بى فحمله ووضعه فى مخلاته ثم ناداه حجر اخر فحمله ثم ناداه ثالث فحمله فصرن فى مخلاته قال وهب قال داود لطالوت انا الذى اقتل جالوت واخبره بشان الحجارة قال له طالوت وهل احسست من نفسك قوة قال نعم وقع الذئب فى اغنامى فرضخت راسه فقتلته قال وهل غير ذلك قال نعم عدى الاسد على فاخذت لحييه ففككتهما وقال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم لطالوت ان الله تعالى سيبعث رجلا من اصحابك يقتل جالوت واعطى النبى طالوت درعا فقال من استوت عليه الدرع فلم ينقص عنه ولم تطل فهو الذى يلى قتل جالوت فاجعل له نصف ملكك ونصف مالك فبلغ ذلك داود وهو يرعى الغنم فاستودع الغنم ربه وخرج اليهم ثم يجرى ذكر قصة الاحجار الثلاثة كما مر فاتى طالوت وقال انا اقتل جالوت باذن الله اتجعل لى نصف ملكك ونصف مالك ان قتلت جالوت فقال نعم وازوجك بنتى فالبسه الدرع فلبسها فطالت عليه فانتقض فتقلص منها فجعل داود يدعو الله ثم ينتقض فيتقلص فلما فعل ثلاثا استوت عليه فعلم طالوت انه يقتل جالوت وقال مقاتل كان داود ضعيفا المنظر اغمص العين جم نحم قصير القامة ضخم البطن وقال عكرمة لما راوا الاية تسارع الناس الى الخروج فقال طالوت لا حاجة لى فى كل ما ارى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامراة لم يبن بها ولا ابتغى الا الشاب الفارغ النشيط فاجتمع ثمانون الفا من شرطه وخلف سائر القوم فلما انتهى بجنوده الى بطن الاردن قال ان الله مبتليكم بنهر فذلك قوله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود** اى فارق البلد والبا للتعدية وهو كقوله ولما فصلت العير ومصدره الفصول وقوله بالجنود جمع جند وهو جمع الكثرة والاجناد جمع القلة والجند الجيش لاشتداد ماخوذ من الجند وهى الارض الغليظة الشديدة وقوله تعالى **قال ان الله مبتليكم بنهر** اى ممتحنكم ومختبركم والنهر بفتح الهاء وتسكينها مجرى الماء الواسع وكل ثلاثى حشوه حرف الحلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والشعر والبحر والبحر والداب والداب وكان فى جند طالوت المخلص والمنافق فميز بينهما بالماء كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار وقوله تعالى **فمن شرب منه فليس منى** اى انكم ستعطشون فى المفازة وتنتهون الى نهر ماء فمن لم يصبر على العطش ووقع فيه فشرب كرعا الرى فليس على دينى او على مذهبى او ليس بولى اولا يصحبنى وهو كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقوله تعالى **ومن لم يطعمه فانه منى** اى من لم يشربه على هذا الوجه والطعم الذوق ويقع على الاكل والشرب قال تعالى ليس على

الذين

الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى شربوا وقوله تعالى **الا من اغترف غرفة بيده** قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الغين وقراء الباقون بضمها والغرف اخذ الماء باليد كالكف والمغرفة والغرفة بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم قدر ما يغرف بالكف من الماء واصل الغرف القطع والغرفة هى العلية قطعة من البناء استثنا من الشرب الممنوع هذا النوع وهو الاخذ بالكف والتناول منه وقوله تعالى **فشربوا منه الا قليلا منهم** اى من بهم فى مفازة معطشة فلما انتهوا الى النهر وقد غلب عليهم العطش وقعوا فى النهر فشربوا كرعا الا قليلا منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدد اهل بدر فانهم اغترفوا فشربوا بالاكف ورووا والذين خالفوا ازدادوا عطشا وقيل انتفخت بطونهم ومات منهم فى ذلك سبعون الفا وقيل بقوا جميعا لكن لما عرف طالوت الموافق من المخالف خلف المخالفين واستتبع الموافقين وقال ان لم يوافقونى فى صفة شرب الماء فكيف يوافقونى فى محاربة الاعداء الاشداء ولما ردوا بالخلاف فى صفة شرب ماء اصله حلال لكن على صفة مخصوصة وهلكوا بعد الرد فما حال من تناول الحرام المحض من الطعام والشراب كيف يقبل ويسلم وقوله تعالى **فلما جاوزه هو والذين امنوا معه** اى فلما مضى طالوت وقطع النهر ومضى المؤمنون معه وههنا مضمر اى وعلموا بالاخبار المتواترة وبالمشاهدة والملاقاة والمقارنة كثرة عدد اصحاب جالوت وعظم اجسامهم ووفور عددهم وقوله تعالى **قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** جالوت سمى بجولانه اى قال الضعفاء اليقين لا قوة لنا ولا قدرة على مقابلتهم ومقاتلتهم وقوله تعالى **قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله** اى قال الذين يعلمون ويستيقنون انهم راجعون الى الله فى القيمة ويجزون باعمالهم يومئذ وقد كشفنا حقيقة الظن واللقاء فى قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقيل هو استعارة اى يكفى الظن فى هذا العمل فكيف باليقين وقيل معناه اى يحدثون انفسهم بلقاء الله وهو الموت وقيل ظنوا انهم لا ينجون من الموت والقتل لكثرة عدوهم وعدم وقيل معناه يرجون لقاء الله اى رؤيته وقوله تعالى **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** كم كلمة تكثير ومن كلمة تاكيد والفئة الطائفة واصلها من فاوت راسه فوا اى قطعته والطائفة من الناس قطعة منهم وقيل هى من الفئ وهو الرجوع وهم قوم يرجعون الى امر واحد ويرجع اليهم فى الانتصار بهم وعلى الاول حذف المعتل من اخره وعلى الثانى حذف من حشوه وقوله تعالى باذن الله اى بتغليب الله كما فى قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله اى بامانة الله وقيل معناه ههنا بنصرة الله وقوله تعالى **والله مع الصابرين** اى ناصرهم فان الله مع الصابرين وحافظهم وقال مقاتل قالت الحصاة الذين وقعوا فى النهر لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقال اصحاب الغرفة فى الرد عليهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال مقاتل بن حيان كان فصل طالوت بالجنود وهم سبعون الفا فاطاعه فى النهر اربعة الاف وثلثمائة وستون الفا فلما قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده نافق اربعة الاف الا ثلاثمائة وثلاثة عشر وقوله تعالى **ولما برزوا لجالوت وجنوده** اى ظهروا للقتال والبراز الارض الفضاء قال تعالى وترى الارض بارزة اى ظاهرة لا يستظل فيها وقوله تعالى وبرزت الجحيم اى اظهرت وقوله تعالى **قالوا ربنا افرغ علينا صبرا** اى صب علينا وهو استعارة عن الاكمال والاكثار وقوله تعالى **وثبت اقدامنا** اى فى مواضع القتال كى لا نزل ولا نزول وقوله تعالى **وانصرنا على القوم الكافرين** اى اعنا عليهم وامنعنا منهم وقال القشيرى رحمه الله طلبوا الصبر والثبات اولا وهو حق الحق ثم النصر وهو حظ النفس ثم اشاروا الى انهم يطلبون النصر لا للانتقام منهم بمعاملتهم بل لانهم كفار واعداء لربهم فقاموا من كل وجه بالله فلذلك نصروا وظفروا وقوله تعالى **فهزموهم باذن الله** وقيله مضمر اى استجاب تعالى هذا الدعاء ونصرهم واصل الهزم الكسر وجعل بعض الشئ على بعض يقال سقاء منهزم اذا ثنى بعضه على بعض مع جفاف وقال الاصمعى هزيمه الرعد صوت فيه تشقق وقيل الهزيمة دفع الشئ بقوة حتى يدخل بعضه فى بعض والهزام خشبة يحرك بها الجمر فيدفع بها بعضه من بعض وقيل هى للتفريق والتشقيق وقد تهزم السقاء اذا يبس فتصدع واهتزام الشاة ذبحها وقوله تعالى باذن الله اى بعونه وتسديده وتسبيبه اسبابها وتيسيره على ما اراد وقوله تعالى **وقتل داود جالوت** قال ابن عباس رضى الله عنهما برز داود لجالوت وظل جالوت يميل فلما نظر الى داود استضحك ازدراء به فاخذ داود الحجر ووضعه فى مقلاعه ثم ارسله فلما انتهى الى جالوت صار ثلاثة فضرب جبهته بحجر وفؤاده بحجر وخاصرته بحجر فوقع قتيلا وقال ابو العالية قال جالوت لداود خرجت الى بالاجنة لتقتلنى بها كما تقتل الكلب فقال داود وهل انت الا مثل الكلب فرماه بالاحجار الثلاثة فوقعت فى صدره فنفذته وقتلت بعده ناسا كثيرا وقال مقاتل رمى داود بالاحجار والقت الريح البيضة من راسه فوقعت فى دماغه حتى خرجت من اسفله وانهزم الكفار وفى رواية رمى بواحد فاصاب بطن جالوت وخرج من اسفله ورمى بالثانى فقتل ثلاثين رجلا منهم ورمى بالثالث فجعل يدور فى عسكرهم حتى هزمهم وروى ان تلك الارض كانت فيها حجارة المغناطيس فجعلت تجذب كل واحد من عسكر جالوت كان معه قليل حديد فاتبعهم حتى جاء طالوت وجنوده فاخذوهم فقتلوهم وغنموا اموالهم وطلب داود من طالوت الوفاء بالشرط فقال ان بنات الملوك

لابد لهم من صداق وانت رجل شجاع فاجعل صداقها من اعدائنا وكان يرجو بذلك ان يقتل داود فقتل
كان ندم على ما فعل فعدا داود فاسر ثلاثمائة نجاء بهم فلم يجد طالوت بدا من ان زوجه ثم ندم وقصد قتله وقال
عكرمة لما ملك طالوت الارض المقدسة جاء داود يطلب ما شرط فاعطاه السيف وزوجه ابنته ثم مضى زمان
بساله شطر الملك فقال لتجابرة بني اسرائيل لطالوت انقاسمه الملك ونبه نساء بني اسرائيل لم يكن ملكان في قوم
الا فسد امرهم فوافق طالوت كلامهم ولما راى اهل العدل والوفا منع طالوت داود دخلوا على داود وخلوا به فاتى
طالوت ذو العينين فاخبره من يدخل على داود فقال له اصحابه لا تنتهي هذا دون ان يورثك وما ينتظر الا ان يجمع
له الذي يريد فاقتل الرجل فجاء ذو العينين الى بنت داود فاخبرها ان زوجها مقتول فاتاها داود عند المسا
فقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت له جرما قالت حدثني من لا يكذب
ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك ما استطيع خروجا ولكن
ائتيني بزق من الشراب فضعيه على السرير وجلليه بالثياب وانا ادخل تحت السرير فان كان اراد من ذلك
شيئا فسوف اعلمه ففعلت ودخل ابوها العشا قال اين بعلك قالت نائم على السرير فضربه بالسيف
فلما وجد ريح الشراب قال يا داود لقد طبت حيا وميتا وخرج داود حتى لحق ما منه ودخل طالوت من الغد
ليجهز ويخبر الناس ان داود اغتيل فلما راى انه لم يصنع شيئا قال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق
ان لا يدعني حتى يدرك مني ثاره فاشتد حجابه وحراسه واغلق دونه الابواب فاتاه داود ليلة وقد هدات العيون
واعمى الله تعالى عنه الحجبة فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رجليه فلما اصبح استدل بالحجاب
والبوابين وقال لو اراد هذا ان يضع السهم في حلقي لفعل ما انا بالذي نطيب نفسي ان اعطيه الذي سالني
وما انا بالذي امنه فلما كانت الليلة القابلة دخل داود ثانيا واعمى الله تعالى عنه الحجاب ووضع بجنبه سيفا
فلما اصبح وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فاتى ذو العينين فاخبره انه مع المتعبدين في جبل
فانطلق داود يطلبه وتوارى داود فقال طالوت للمتعبدين اخرجوا الى داود والا اهلكتكم بالسيف فقالوا
لا ندري اين هو فقتل اودع فقتلهم حتى بقي شاب فلم يقتله وانس به واتخذه لنفسه فاقبل حتى كان في بعض
الليل قال الفتى هل صاح الديك قال وما تريد من صياح الديك قال اريد ان اعلم ما ذهب من الليل قال وهل
تركت ديكا الا قتلته انما كان يعرف معالم الليل قوم فقتلتهم فلم يبق من يعرف معالم الليل فبكى طالوت ثم قال
هل عندك لي توبة قال الشاب ان اعطيتني عهدا نفسي ان اطلعك على من يدلك على ما تريد فقال دلني على ذلك
فانطلق به الى عجوز مذكورة في بني اسرائيل انما يدعو بالاسم الذي يستجاب فطرقها ليلا فقالت من ذا قال انا فلان
قالت كيف نجوت من طالوت امعك اخرقال نعم قالت ومن معك قال طالوت قالت انه قتل اخواني واخواني وجئت
به ليقتلني فاتاه قال يا اماه انه جاء يطلب التوبة والمخرج قالت ما عندي ذلك ولكن انظر بعض من في القبور
حتى ادعو لك فانطلق الى قبر اشمويل فقال ادعي لي صاحب هذا القبر فصلت ودعت ثم نادت صاحب القبر فقام
ينفض التراب من على راسه ثم قال انت طالوت قال نعم قال ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيئا وجئت اطلب التوبة
قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال اما انه لا توبة لك الا ان تجهز بكل مالك في سبيل الله وتقدم ولدك
حتى يقتلوا بين يديك ثم تكون انت اخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر ورجع طالوت الى بنيه فجمعهم وقال لهم ارايتم
لو رايتموني ادفع الى النار هل كنتم تفدونني قالوا نعم قال فانها النار الا ان تفعلوا ما اقول لكم قالوا فاعرض علينا
قال اني عملت الذي عملت واني سالت التوبة من ذلك فقيل ان توبتك ان تجهز بكل مالك في سبيل الله تعالى وتقدم
بنيك حتى يقتلوا بين يديك فتحتسبهم ثم تكون انت اخرهم قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحيوة
بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز بماله وقدم ولده الاكبر رجلا رجلا حتى قتلوا ثم قتل اخرهم فجاء
قاتله الى داود ليبشره فقال قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذي تحيى بعده فضرب عنقه ومكن الله تعالى
لداود في الارض واعطاه ملكه بني اسرائيل فذلك قوله تعالى **وآتاه الله الملك والحكمة** اى الملك الذي كان لطالوت
على بني اسرائيل والحكمة النبوة وبها وضع الامور مواضعها واتاه ملك طالوت ونبوة نبيهم وجمع له كلاهما وكان
قبله الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الحكمة الزبور وقوله تعالى **وعلمه مما يشاء** اى يعلم انبياءه قال الحسن
هو العلم في الدين وقيل هو علم صنعة الدروع قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال والنا له الحديد ان اعمل سابغات
الاية وقوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** قال القفال اى لولا دفع الله
الناس بالرسل عن عباده وما اجرى على السنتهم من بيان الشرائع التي بها ينكفون عن المظالم والتعادي لفسدت
الارض لما يكون فيها من تسافك الدما ونهب الاموال وارتكاب المحارم واخافة السبل ثم من المعلوم ان كثيرا
من الناس قد لا ينقادون للرسل تحت الريانة مع ظهور الحجج فاحتيج الى المجاهدة باللسان والسيف وذلك يكون
من الانبياء ومن يتابعهم ثم لهم اجال مضروبة عندها فوجب ان يكون لهم خلفاء من بعدهم في كل عصر في اقامة الدين
والجهاد فهذا دفع الله الناس بعضهم ببعض وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع الاية وقوله

ولينصرن الله من ينصره ورسله وقال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقوله تعالى
لفسدت الارض اى لهلك من في الارض وقيل لخربت وقيل معناه دفع الله بثلاثمائة وثلاثة عشر من قوم طالوت
عن بني اسرائيل ولولاهم لهلكوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي ويدفع بمن
يصوم عمن لا يصوم ولو اجتمعوا على ترك الصلوة والصيام ما انظرهم طرفة عين وكذا في الزكوة والحج والجهاد
والجمعة ثم تلى هذه الاية وقوله تعالى **ولكن الله ذو فضل على العالمين** اى يتفضل عليهم بابقائهم وازالة الفساد
عنهم وقوله تعالى **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق** اى في هذه القصص التي فيها نقض العادات من الدلالات
الواضحات وقوله نتلوها عليك بالحق اى يقروها عليك جبريل بامرنا بالصدق وهذا كما قال ونكتب ما قدموا ثم قال
ان رسلنا يكتبون وقوله تعالى **وانك لمن المرسلين** ودلالة رسالتك انك تخبرهم بهذه القصص ولا تعلمها الا منا
اياك فليصدقوك بانك رسول والرسول صادق وقوله تعالى **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** اى هؤلاء الرسل
المذكورون في قوله تعالى وانك لمن المرسلين والرسل المذكورون في جميع القران سوى نبيهم في اسم الرسالة وهذا كالمؤمنين
يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعة بعد الايمان وقوله فضلنا بعضهم على بعض اى في مقاماتهم ودرجاتهم
بعد الرسالة وقوله تعالى **منهم من كلم الله** اى من الرسل من كلمه الله وهو موسى عليه السلام قال الله تعالى وكلم الله موسى
تكليما اى خاطبه بكلامه الازلي بلا واسطة وقوله تعالى **ورفع بعضهم درجات** اى مراتب بعضهم مفعول
لرفع ودرجات منصوب على التفسير وقيل منصوب بنزع الى بمعنى الى درجات كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا بمعنى الى
مكان على وقيل درجات مفعول وبعضهم منصوب بنزع اللام اى لبعضهم درجات وقيل هذا موصول بقوله فضلنا
بعضهم على بعض ورفعنا بعضهم درجات وفسر ذلك بذكر بعضهم فقال منهم من كلم الله وهذا مقدم في النظم مؤخر
في المعنى وقيل بل كل كلام معقود في موضعه وقوله فضلنا بعضهم على بعض ليس في اصل الرسالة قال النبي عليه السلام
لا تفضلوني على اخي يونس واراد به في مقام الرسالة ثم قال انا سيد ولد ادم ولا فخر بين انه افضل الانبياء كلهم في
المقامات التي بعد مقام الرسالة وقوله منهم من كلم الله بدا بموسى في تفصيل هذا التفضيل وقوله ورفع بعضهم درجات
اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى رفع درجاته على درجات الانبياء كلهم وقيل هو بنظر بيان فضل جماعة
منهم فقد قال الكلبي في قوله ورفع بعضهم درجات اى اتخذ ابراهيم خليلا واعطى داود زبورا والان له الحديد وسخر
له الطير والجبال يسبحن معه وسخر لسليمان الريح والجن والشياطين وخص كل رسول بشيء وهو اعلم بوجوه الحكمة
وليس علينا نعرفه بل لله الحكم يفعل ما يشاء ويفضل من يشاء بما يشاء لا لاستحقاق من العبد بل هو تفضل منه
وتفضيل بعضهم على بعض ايضا في قدر المعجزات وذلك على حسب ما كان يدعو حاجة اهل الزمان اليه وقوله تعالى
وآتينا عيسى ابن مريم البينات عطف على قوله فضلنا وقيله ورفع على الغايبة صرفا الى قوله منهم من كلم الله
وبينات عيسى احياء الموتى وشفاء المرضى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وقيل الانجيل والمعجزات
وقوله تعالى **وايدناه بروح القدس** اى قويناه بجبريل وقيل بالانجيل وقيل باسم الله تعالى الاعظم وقيل بروحه
الطاهر وقد شرحناه باتم من هذا قبل هذا وقوله تعالى **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البينات ولكن اختلفوا** واتصال هذا بما قبله ان الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول اجريت رسلي على هذا
ونصبت لهم المعجزات ثم لم يجمع لاحد منهم طاعة امته في حيوته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من امن ومنهم
من كفر وتنافسوا في الدنيا وتنازعوا فيها واختلفوا وبسط وجوه اختلافهم في اول هذه السورة من اتخاذهم العجل
وسؤال رؤية الله تعالى جهرة وتبديل قول الحطة وخلاف اصحاب السبت وسائر معاملاتهم ومخالفة قوم عيسى
اياه وقصدهم قتله وسائر قصص الانبياء على هذا ثم صبروا ولم يهنوا فكن انت كذلك ثم قال ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم اى بعد هؤلاء الانبياء من بعد ما جاءتهم البينات اى المعجزات الظاهرات يقول لو شئت
ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيئتي وهذا رد على المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء
ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا فاقتتلوا وقوله تعالى **فمنهم من آمن ومنهم من كفر**
اى بمشيئتي وقوله تعالى **ولو شاء الله ما اقتتلوا** التكرير للتقرير وقوله تعالى **ولكن الله يفعل ما يريد** اثبت
الفعل والارادة لنفسه فثبت ان افعال العباد كلها حسنها وسيئها بارادته وايجاده وقوله تعالى **يا ايها الذين
آمنوا انفقوا مما رزقناكم** اى في الجهاد في سبيل الله تعالى كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا بعد قوله
وقاتلوا في سبيل الله وذكر بعده قتال طالوت وجالوت واقتتال الاولين وحث على الجهاد والنفقة فيه المؤمنين
وقوله تعالى **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** اى قبل ان يجيء يوم القيمة فينزع منكم الاملاك
فلا يكون لاحد مال ولا تجارة ولا كسب لينفق ذلك فيما يوجر عليه لانه يوم جزاء لا يوم عمل ولا ينفع خليل خليله يومئذ
اذا كانت الخلة والصداقة على خلاف الحق قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة للكافرين
وقال تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فاما المسلمون فلهم شفاعة قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له

الرحمن ورضي له قولا وقيل لا بيع فيه اي لا بيع فيه ولا شراء ومعناه لا فداء فيه ولا افتداء وقيل هذا يوم الموت
كانه قال وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيكون هذا في حق المومن والكافر ولا يدفع الموت خليل
ولا شفيع وعلى القول الاول يكون في حق الكافر ان الخليل لا ينفع والشفيع لا يشفع والمومنون بخلاف ذلك
وقوله تعالى والكافرون هم الظالمون اي هم الضارون انفسهم حيث اوردوها هذا المورد فلا تنفعهم خلة
خليل ولا شفاعة شفيع وقيل هم الظالمون انفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم وقيل هم الواضعون الامر في غير
موضعه الراجون الشفاعة ممن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهي الهتهم التي يعبدونها ويقولون هولاء شفعاونا
عند الله وقيل هم الظالمون المانعون الحق من يستحقه الممتنعون عن الانفاق في سبيل الله تعالى ونصرة دين الله
وقال نفطويه هم الظالمون اي هم اظلم الظلمة كما يقال الشجاع هو الذي يقاتل عن غيره اي ذلك نهاية الشجاعة
وقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم انتظامها بما قبلها انه قال فمنهم من امن ومنهم من كفر ثم ذكر حال الكفار
يوم القيمة ثم ذكر لاهل الايمان اساس التوحيد الذي ينفع ثباته يوم القيمة ثم ذكر لاهل الايمان ذلك الوعد
فقال الله وهو مبتدا وخبره لا اله الا هو بجملته هو العائد الى المبتدا كقولك زيد لا مضيف لنا الا هو وقيل خبره الحي
القيوم ولا اله الا هو معترض بينهما وهو كلام تام فقول الله اثبات لذاته ولا اله الا هو نفي الوهية غيره وقوله
تعالى الحي القيوم اثبات صفات الحق له فهو الحي الذي لا يموت وله حيوة ازلية والقيوم فيعول من القيام ومعناه
الدائم الباقي وقيل هو القائم بذاته لا بغيره وقيل هو القائم بتدبير كل خلقه قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت وقيل هو العالم بالامور وقال سعيد بن جبير رحمه الله هو الدائم الوجود وقال الحسن هو القائم على كل
نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم به لا يخفى عليه منه شي وقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم
الاخذ الاصابة والسنة النعاس واصلها وسنة وهي فيه وسن يوسن وسنا وسنة فهو وسنان ووسن من باب
علم والنوم تمامه وانهما وهو اي لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من السهو والغفلة والملال والفترة في حفظنا
هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة وقوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض اي كل من فيهما وما فيهما ملكه ليس لاحد معه فيه شركة ولا لاحد عليه سلطان فليس
يجوز ان يعبد غيره كما ليس لعبد احدكم ان يخدم غيره الا باذنه وقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
قد اخبر انه لا اذن في الشفاعة للكفار وهو رد على المعتزلة فانهم لا يرون الشفاعة اصلا والله تعالى اثبتها
للبعض بقوله عز وعلا الا باذنه وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم الله تعالى ما بين ايدي هولاء
الذين يرجوا الكفار شفاعتهم يوم القيمة وهم الملائكة وغيرهم ويعلم ما خلفهم ويحتمل يعلم ما بين ايديهم بعد
انقضاء اجالهم وما خلفهم ما كان قبل ان يخلقهم وهذا مجاز قول القايل شعبان بين ايدينا والايام بين
ايدينا اذا لم تات بعد ويحتمل ما بين ايديهم ما مضى قبلهم وما خلفهم يكون عبارة عما لا يات بعد وهو الذي
يسارع اليه الفهم وقوله تعالى ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شاء اي وهولاء الذين يزعمون انهم شفعاوهم لا يعلمون
شيا من معلوماته التي كانت قبل خلقه اياهم وبعد موتهم والتي تكون فيما بين ذلك الا بما شاء وهو القدر الذي
علمهم منه بان نصب الدلائل لهم وخلق لهم مواضع المعرفة من العقل والحواس واذا كانت حال الشفعاء هذه
وكان الله تعالى هو العالم بافعال الخلق لا يخفى عليه شي منهم فهو يجزيهم بافعالهم التي علمها منهم وهولاء الشفعاء لا يعلمون
ذلك فيعلموا باستحقاقهم الشفاعة فكيف يشفعون لهم بغير اذن من الله لهم في الشفاعة وقد قال الله تعالى في شان
الملائكة وقول الكفار فيهم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله
من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقد مر تفسير الاحاطة على الاستقصاء وقال ابن كيسان
اي لا يعلمون الغيب الذي يعلمه الله تعالى الا بقدر ما اطلع عليه بعض رسله ليكون حجة له على امته فيعلمون ان علم
الغيب لربانه الا من الله تعالى قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ثم قوله
من علمه اي معلومه واسم المصدر يقع على المفعول يقال في الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك فالاحاطة بعلم
الله تعالى الذي هو صفته القايمة بذاته غير متصورة تعالى الله تعالى عن الاحاطة والادراك بذاته وصفاته فان
الله تعالى يعلم ولا يحاط به ويرى ولا يدرك وقوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض
قيل العرش والكرسي واحد والمفهوم منهما السرير واصل الكرسي في اللغة هو المتراكب وقد تكارس تكارسا اي
تراكب والكراسة سميت بها لتراكب بعضها وراقها على بعض قال العجاج • يا صاح هل تعرف اسما مكرسا اي تكارس
عليه التراب اي تراكب فغطاه والكرس البعر والبول اذا تلبد بعضه على بعض والكرابيس كنيف يكون في اعلى السطح
بفناء الى الارض لتراكب بعض ابنيته على بعض والاكارس الجموع الكثيرة واحدها اسما عما لانها الكثرة بها بمنزلة الاشيا
المتراكبة وقيل العرش غير الكرسي والكرسي دونه ووصفه الله تعالى بانه وسع من السموات والارض والعرش اعظم منه
وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة

وتفضيل العرش على الكرسي كتفضيل الفلاة على تلك الحلقة وهو بيان كمال قدرته في خلق الاشيا العظيمة من غير
حاجة الى شي من ذلك وسرير الخلق للجلوس عليه والكرسي لوضع القدمين عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
كما ان بيت الخلق للسكنى والله تعالى جعل الكعبة بيته والمساجد بيوته وتعالى عن ان يسكنها علوا كبيرا
وقيل الكرسي ههنا هو العلم اي وسع علمه بكل ما احاطت به السموات والارض وهو كقوله ربنا وسعت كل شي
رحمة وعلما والكراسة سميت بها لتضمنها العلم وورد عن الحارث الكرسي بمعنى العالم قال الشاعر •
تحف بهم بيض الوجوه وعصبة • كراسي بالاحداث حين تنوب • اي علما بحوادث الامور وقيل الكرسي بمعنى
الملك ههنا واصله وان كان هو السرير لكن يعبر به عن الملك يقال للقوم اذا زالت دولتهم تكسر عرشهم وقيل الكرسي
هو السر قال الشاعر • ما لي بامرك كرسي اكاتمه • ولا بكرسي علم الله مخلوق • فهذه وجوه صحيحة ذكرها
علماء السلف ولا وجه لصرفه الى موضع جلوس ونحوه فان الله تعالى هو الفرد الذي لا تضمه بقعة • والوتر الذي
لا يحويه جهة • والقديم الذي لا تلحقه افة • والعظيم الذي لا يجوز عليه مسافة • جل قدره عن الحاجة الى عرش
او كرسي • وتعالى جده عن ان يتخذ بيتا وبانيه سبحانه هو العظيم شانه • الجلي برهانه • الشامل سلطانه • ولكن
خاطب الناس في كثير مما وصف به نفسه على حسب تفاهمهم وتعاملهم مع ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة
بيتا له وامر الناس بتعظيمها والطواف بها كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارتها كما يزورون ملوكهم
وحتى ورد ان الحجر الاسود يمين الله تعالى في ارضه اذ جعله موضعا للتقبيل كما تقبل الناس ايدي ملوكهم فكذا يجوز
ان يكون لله تعالى عرش هو سرير وكرسي هو دونه يحضره ذلك يوم القيمة وموضع لفصل القضاء بين العباد من غير
ان يوصف الله تعالى بالتمكين او الاستقرار عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله تعالى ولا يؤوده حفظهما
اي لا يثقله حفظهما ولا يجهده وقد اده يؤده والاود بفتح الواو العوج ويعرف ذلك بالثقل وقوله حفظهما
اي حفظ السموات والارض ولا يثقل عليه اذ القريب والبعيد عنده سواء وكذلك القليل والكثير سواء والكبير
والصغير سواء وكيف يتعب من خلق الذرة وكل الكون عنده سواء فلا من القليل له تيسر ولا من الكثير عليه تعسر
انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى وهو العلي العظيم اي هو المتعالي عن شبه المخلوقين
وعن افتراء المفترين والعلي في ملكه وسلطانه وقهره الاشياء وجريان حكمه عليها وهو العظيم في جلاله وعزه
وعلوه ومجده وقيل الاسمان جامعان لكمال التوحيد فالعلي هو المتعالي عن كل الصفات التي لا تليق به والعظيم
هو الموصوف بكل الصفات التي تليق به ثم هذه الاية ورد في فضائلها احاديث كثيرة قال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان اعظم اية في كتاب الله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال ابو ذر يا رسول الله اي اية في القران
اشرف قال اية الكرسي ما السموات والارض مع اية الكرسي الا كحلقة ملقاة في الارض ولو ان السموات والارض
وما فيهن جعلت في كفة ميزان لرجحت بهن وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عفريتا من الجن يكيدك فاطرده عنك باية الكرسي وفي خبر من قرا اية الكرسي عند منامه بعث الله اليه
ملكا يحرسه حتى يصبح وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراها يعني الايتين حين
يمسي حفظ بهما حتى يصبح وان قراهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي اية الكرسي واول حم المومن الى قوله اليه
المصير وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه هل تدرون اي القران اعظم قالوا الله ورسوله اعلم
قال اية الكرسي وفي حديث معقل بن يسار البقرة سنام القران وذروة سنامه اية الكرسي نزل مع كل اية منها
ثمانون الف ملك واستخرجت اية الكرسي من كنز تحت العرش فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القران فمن
قراها يريد بها الله تعالى والدار الاخرة غفر له ما تقدم من ذنبه فاقروها عند موتاكم وفي حديث ابن مسعود رضي
الله عنه من قرا عشر ايات من سورة البقرة اربعا من اولها واية الكرسي وايتين بعدها وثلاث ايات من اخرها
في بيته لم يقربه شيطان ولا شي يكرهه في اهله واولاده ولا يقرا على مجنون الا افاق من جنونه ذلك وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي دبر كل صلوة لم يكن بينه وبين الجنة الا الموت وقوله تعالى لا اكراه
في الدين اي لا اجبار على الدين الحق وهو الاسلام وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابن زيد ومسروق وجماعة
رضي الله تعالى عنهم كان هذا في الابتداء ثم نسخ باية الامر بالقتال قال السدي نزلت في رجل من الانصار يكنى
ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع الى الشام اتاهم ابنا
ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا وخرجا الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وقال اطلبهما فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين ولم يكن امر يومئذ بقتال اهل الكتاب في سورة براءة وقال
مسروق ان رجلا من الانصار من بني عامر بن عوف كان له ابنان فتنصرا قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فاتاهما ابوهما فالزمهما قال والله لا ادعكما حتى تسلما
فابيا ان يسلما فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل
الله تعالى لا اكراه في الدين فخلا سبيلهما وقيل هي خاصة في حق اهل الذمة اذا قبلوا الجزية لم يكرهوا على الاسلام

قال الضحاك العرب لم يقبل منهم الا الاسلام او السيف فلما اسلموا قوله لا اكراه فى الدين اى لا تقتلوا احدا على
الدين وامران يقاتل اهل الكتاب والمجوس والصابئين على ان يسلموا فان ابوا الاسلام فالجزية فان اقروا بالجزية
خلى سبيلهم فان لم يسلموا ولم يقروا بالجزية قتلوا وسبيت ذرياتهم واخذت اموالهم وبه قال قتادة ومجاهد ومقاتل
والحسن وقوله لا اكراه نفى بمعنى النهى اى لا تكرهوا وهو كما قلنا فى قوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وقيل
معناه من دخل فى الاسلام بالسيف فلا تقولوا انه مكره يعنى كان فى الابتداء كارها وقد دخله طائعا بعد كراهته فلم يبق
مكرها وقيل هذا نفى ومعناه ان الايمان لا يكون عن الاكراه بل الايمان الحقيقى هو الفعل الاختيارى وقيل معناه
مع الانتظام بما قبله ان الحجج قد ظهرت والمعاذير فى الشرك بالله تعالى قد بطلت والدلائل انه لا ينفع المشركين
يوم القيمة خلة ولا شفاعة ولا شئ قد وضحت دلائله فلم يبق المقيم على كفره الا ان لا يلجأ الى الايمان مضطرا اليه
ولا اكراه فى الدين وهو كقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اى نضطرهم اليه وليس لك ذلك وانا اقدر
عليه قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا طائعين او مكرهين لكن الايمان الحقيقى لا يكون الا عن اختيار
وقوله تعالى **قد تبين الرشد من الغى** اى ظهر الهدى من الضلال وقوله تعالى **فمن يكفر بالطاغوت**
اى يجحده ويتبرأ قال تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اى يتبرأ بعضكم من بعض والكفر المطلق هو جحود الحق
والتبرى منه والطاغوت كل ما عبد من دون الله بما هو مذموم فى نفسه ولا يرد عليه عيسى عليه السلام لانا قيدنا
عليه بالذم وذلك لدلالة الاسم عليه فانه من الطغيان وهو مجاوزة الحد فى الشر واصله طغووت وذلك مقلوب
طغووت على وزن فعلوت كالملكوت والجبروت قلب ثم جعلت الواو الفا لفتحة ما قبلها قال ابن عباس
رضى الله عنهما الطاغوت هو الشيطان والكاهن والصنم فان كل كاهن معه شيطان وقيل فى قوله يؤمنون بالجبت
والطاغوت الجبت حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وقوله تعالى **ويؤمن بالله** ذكر التبرى عن غير الله
اولا ثم التصديق بالله تعالى وقوله تعالى **فقد استمسك بالعروة الوثقى** الاستمساك التمسك وهو الاعتصام
بالله تعالى والعروة العلقة والوثقى تانيث الاوثق وعروة الدلو ونحوها متعلقة بها وعروة الرجل اعروه واعتريه
اعتريه اذا اتيته متعلقا بسبب حرمة وعروته الحمى تعروه اذا تعلقت به وهو استعارة عن الوثوق التام الذى
لا زلل معه ولا زوال وقوله تعالى **لا انفصام لها** اى لا انقطاع لها اى للعروة والفصم بالفاء القطع بلا ابانة والقصم
بالقاف القطع مع الابانة وقوله تعالى **والله سميع عليم** اى يسمع الاقوال ويعلم العقائد غيها ورشدها وباطلها وحقها
ويجزى كلا على وفق عمله وقوله وعقله وهو ابلغ وعد ووعيد والعروة الوثقى نظير قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا
وهو اصل الدين وعراه شرائعه قال عليه السلام ينتقض الايمان عروة عروة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى عرى الاسلام اوثق قال الحب فى الله والبغض فى الله وقوله تعالى **الله ولى الذين آمنوا** اى حبيبهم وقيل اى ناصرهم
وقيل اى هو الذى يتولى امورهم وقوله تعالى **يخرجهم من الظلمات الى النور** اى يبقيهم من الضلالات ويبقيهم
فى الهدى سمى الضلالة ظلمة لان الظلمة لا يبصر فيها وكذا الضلالة لا يرى فيها رشد ويخرجهم ليس على محض
الاستقبال فانه موجود لكن للماضى والحال الدائم فان حمل هذا على من اسلم بعد الكفر فهو حقيقة الاخراج وان
حمل على من نشأ مؤمنا فمعناه المنع وهذا استعارة فيه مجاز يقال اخرج فلان ابنه من الميراث اى فعل معه ما لا ارث
معه وهو منع وجمع الظلمات لان الكفر ملل ووحد النور لان الاسلام دين واحد وقيل معناه ويخرجهم من الجهالات
الى العلم وقيل من الشكوك الى اليقين وقيل من التفاريق الى الجمع وقيل من ظلمات ظنونهم انهم لا يصلون اليه باتفسهم
او بشئ من حركاتهم وسكناتهم الى نور اليقين انهم لا يصلون اليه الا به وقوله تعالى **والذين كفروا اولياؤهم**
الطاغوت هذه كلمة تذكر وتؤنث وتوحد وتجمع قال تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا
به وهذا واحد مذكر وقال تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وهذه مؤنثة واحدة وقال ههنا اولياؤهم
الطاغوت وفى قراءة ابى بن كعب والحسن رضى الله عنهما والذين كفروا اولياؤهم الطواغيت واصله واحد وتانيثه
لا حقيقته فعلوت وتذكيره لشبهه بالفاعول وهو كقول الشاعر • فقلنا اسلموا انا اخوكم • فقد برئت
من الاحن الصدور • والطاغوت هنا الشيطان والكهنة وقادة الشر وان حمل على الاصنام التى هى جمادات
فمعنى قوله اولياؤهم لا يكون للموالاة الحقيقية التى هى المصادقة او تولى الامر لكن يكون على معنى ان الكفار يتولونهم
على معنى انهم يعتقدونهم ويتوجهون اليهم وقوله تعالى **يخرجونهم من النور الى الظلمات** ان حمل على
حقيقة الاخراج فعلى الذين كفروا بعد ايمانهم واخراج الطغاة يكون بدعوتهم وحملهم على الخروج بالاسباب واخراج
الاصنام اياهم يكون بطريق التسبيب كما قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
وان حمل على الذين نشأوا كفارا فاخراجهم منعهم وطريقه ما قلنا وقيل فى الطريقين جميعا قوله النور نور يوم القيمة
والظلمات ظلمة القبر والحشر والجحيم ويكون يخرجهم ويخرجونهم على الاستقبال وفى حق الطغاة والشياطين
والاصنام يكون تسببا وتقديم دعوة فى الدنيا ودل عليه قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور على ان افعال
الخلق بمشيئة الله تعالى وايجاده وهو حجة على المعتزلة وليس لهم ان يعارضونا فى المعاصى بقوله يخرجونهم انما اضيف

الى الطاغوت لا الى الله لانا بينا انه اخبار عن الدعوة والتسبيب دون الايجاد والتحصيل وقوله تعالى **اولئك**
اصحاب النار هم فيها خالدون قد مر تفسيره مرات وقوله تعالى **الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه** انتظام
هذه الآيات بعدها بما قبلها ان الله تعالى قال الله ولى الذين آمنوا اى يتولاهم فى الدنيا بحججه وبراهينه على اعدائهم
كما فعل بابراهيم حين حاجه الكافر حتى بهت ويتولاهم بالتبصير عيانا حتى يزيل عنهم وساوس الطاغوت
كما فعل بالذى مر على قرية وقال انى يحيى هذه الله بعد موتها وكما فعل بابراهيم لما قال رب ارنى كيف تحيى الموتى
فبصره حتى اطمأن قلبه قوله الم تر الى الذى اى لم تنته رؤيتك الى الذى اى علمك الذى يضاهى العيان
فى الايقان وحقيقته اعلم باخبارنا فانه مفيد لليقين وقوله حاج اى جادل وقابل بالحجة وقوله فى ربه اى بمعارضة
ربوبية ربه والهاء فى ربه يجوز ان ترجع الى ابراهيم ويجوز ان ترجع الى الذى حاج والله ربهما ورب الخلائق اجمعين
والذى حاج هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن سام بن نوح عليه السلام وقوله تعالى **ان آتاه الله الملك**
والهاء ترجع الى الذى حاج اى اعطاه كثرة المال واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال قال مجاهد لم يملك
الدنيا باسرها الا اربعة مسلمان وكافران فالمسلمان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وشداد بن عاد
وقال لحذيفة الهاء ترجع الى ابراهيم لان الملك هو نفاذ الامر والنهى وكان ذلك لابراهيم عليه السلام قال تعالى
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ومعناه على هذا جادل نمرود لعنه الله ابراهيم صلوات
الله عليه حين دعاه الى الانقياد لله والتصديق لرسوله وقال من الرب فى ذلك قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت
فهو المالك لك ولجميع خلقه وعلى الاول اى حاجه بان آتاه الله الملك فطغى لذلك واعجب بنفسه وقصته
ما قال زيد بن اسلم ان اول جبار فى الارض كان نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم يمتار
مع من يمتار فاذا مر به ناس قال من ربكم قالوا انت حتى مر ابراهيم قال من ربك قال الذى يحيى ويميت فذلك قوله تعالى
اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت اى يحيى الاموات ويميت الاحياء وقوله تعالى **قال انا احيى واميت**
اى قال نمرود لعنه الله عليه وانا افعل ايضا كذلك ودعا برجلين قد حبسهما فقتل احدهما واطلق الآخر وقال قد
احييت هذا وامت هذا وكان هذا تلبيسا منه وكان يتيسر على ابراهيم عليه السلام ان يقول ليس هذا باحياء ولا
اماتة وكان هذا بين ملأ من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابراهيم ان يفضحه فضيحة ظاهرة لا تخفى على احد
فجاء بما لا يمكنه المعارضة بالتلبيس وقوله تعالى **قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من**
المغرب فانقطع حتى لا يمكنه ان يقول شيئا وذلك قوله تعالى **فبهت الذى كفر** يقال بهته اى حيره والبهتان
على انسان هو الكذب الذى يحيره اى انقطع فى هذا الالزام الظاهر وقيل كان انقطاعه فى الالزامين جميعا فى الاول
عند العقلاء وفى الثانى عند الكل ثم هذا ليس بانتقال من حجة الى حجة اخرى فى المناظرة لان ابراهيم عليه السلام ادعى انفراد
الله تعالى بالربوبية واحتج لذلك بكمال القدرة ودل عليه بالاحياء والاماتة فلما اراد نمرود التلبيس اظهر كمال
القدرة بحديث الشمس والدليل واحد والصورتان مختلفتان ولان الحجة الاولى كانت كافية فان نمرود لعنه الله
لم يعارضها بما يوهم شبهة البتة والانتقال انما يكون عند العجز عن اثبات الحجة الاولى ولم يكن كذلك فان قال قائل
قال نمرود لابراهيم فليأت بها ربك من المغرب قلنا لانه علم انه لو سأل ذلك فعل الله تعالى ذلك فهو قادر عليه ⊛
وافتضح نمرود قال الحسن قال الله تعالى وعزتى وجلالى لآتين بها من المغرب تصديقا لقول خليلى وقوله تعالى
والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يرشد الى الحجة المبطلين فى الدعاوى قال زيد بن اسلم لما بهت نمرود رد ابراهيم
بغير طعام فمر ابراهيم على كثيب رملا منه الغرائر وقال انى به اهلى فتطيب انفسهم حين ادخل عليهم فلما اتاهم حط
الاحمال ونام فقامت المرأة ففتحتها فاذا هى اجود طعام فصنعت منه طعاما وقربته اليه حين انتبه فقال من اين
هذا قالت من الطعام الذى جئت به فعرف ان الله تعالى رزقه فحمد الله تعالى وقال قتادة فلما بهت الذى كفر جمع جموعه
فامر الله تعالى ملكا ففتح بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرة البعوض فسلطها الله تعالى عليهم فاكلت
لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود كما هو لم يصبه شئ فبعث الله تعالى بعوضة فدخلت فى منخره فمكث
اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق تعذب به الله تعالى اربعمائة سنة كما ملك اربعمائة سنة وهو الذى بنى صرحا الى السماء
بيانا بل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وقوله تعالى **او كالذى مر على قرية** قد بينا عند قوله
كذلك يحيى الله الموتى الى قوله او كالذى عطف عليه وان بعد لان القرآن كله كتاب واحد متصل بعضه ببعض وقال
الفراء والكسائى هذا عطف على الذى قبله الم تر من حيث المعنى وتقديره ارأيت كالذى حاج ابراهيم او كالذى
مر على قرية فان قولك الم تر الى فلان وصنيعه وهل رأيت كفلان وصنيعه سواء واتصال هذه القصة بما
قبلها لما قلنا وقوله كالذى مر على قرية اختلفت الروايات فى هذا المار وهذه القرية قال مجاهد هو رجل من بنى اسرائيل
وقال وهب هو ارميا بن ارخيا عليه السلام وقيل هو الخضر عليه السلام واكثرهم على ان المار عزير بن شرخيا والقرية
ايليا التى فيها بيت المقدس وكان بخت نصر البابلى خربها وقتل اكثر اهلها وسبى بقيتهم وجاء بهم الى بابل
وفيهم عزير عليه السلام وابن عباس ومقاتل يقولان كان عزير من بنى اسرائيل وقال الاكثر كان نبيا وان عزيرا

ارتحل يوما من قرية سائرا على حمار فنزل دير هرقل على شاطئ دجلة وذلك بعد عيسى بن مريم هذا قول عطا وقال
ابن عباس وجماعة رضي الله تعالى عنهم هي بيت المقدس فربط حماره في ظل شجرة ثم طاف في القرية فلم ير فيها ساكنا وعامة
شجرها حامل فاصاب من الفاكهة والتين والعنب ثم رجع الى حماره فجلس ياكل من الفاكهة والتين والعنب واعتصر
من العنب وشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما راى خراب القرية وهلاك اهلها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وهو قوله تعالى **وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد**
موتها لم يشك في البعث ولكنه احب ان يرى كيف يحيي الله الموتى قوله تعالى **فاماته الله مائة عام ثم بعثه**
وامات حماره ضحى والفاكهة والعصير عنده ثم بعثه الله اخر النهار بعد مائة عام فسمع الصوت من السماء **قال**
كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
فوجد التين والعنب والعصير كهيئتها لم تتغير ونظر الى الحمار فاذا هو عظام بالية تبيض بادية هذا قول ابن
عباس ومقاتل فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يلقي عليك روحا فتحيين باذن الله فراى العظام
تحركت ومشى بعضها الى بعض الوركان الى مكانهما والساقان الى مكانهما وكذلك سائر الاعضاء ثم جاء الراس
فلزم مكانه من العنق ثم راى العصب والعروق التفت اليه ثم وضع عليه اللحم ثم بسط عليه الجلد ثم نبت عليه
الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال اعلم ان الله على كل شيء قدير وقال الحسن اراه
ذلك في عظام نفسه اماته الله مائة عام الى اخر ما قلنا وكان حماره على حاله صافنا لم يعتلف ولم يشرب ولم يتغير
كطعامه وشرابه واول ما خلق منه العينين ثم راى انضمام عظام نفسه وقوله على قرية هي مجتمع الناس من قولك
قريت الماء في الحوض اي جمعته وكانت القرية ايليا بلدة بيت المقدس على ما قلنا ودير هرقل وقوله وهي خاوية
على عروشها اي ساقطة على سقوفها خوى سقط قال تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية والعرش السقف من قولك
عرشه اي رفعه يعرشه ويعرشه بالضم والكسر في المستقبل ومعنى سقوطها على سقوفها ان السقف وقع اولا
ثم انهدمت الحيطان عليه وقيل خاوية اي خالية قال تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وخوى البطن خلا
من الطعام ثم قوله على عروشها ليس بتمام لقوله خاوية بل هي صفة اخرى والاول تام بنفسه والخاوية الخالية
عن الاهل ومعنى قوله على عروشها اي على ابنيتها والعرش البناء والعروش الابنية وقد عرش يعرش اي بنى
على اي حال قيام ابنيتها يعني كانت محكمة البنيان لم تسقط بعد هلاك السكان ومرور الزمان وقوله انى يحيي هذه
الله بعد موتها اي كيف يحيي وقوله هذه وان كانت اشارة الى القرية فالمراد اهلها وان كان نظر الى العظام
فالاشارة اليها وقد بينا انه لم يكن شكا بل كان طلبا للعيان لتقوية الايمان وقوله تعالى فاماته الله مائة عام ثم بعثه
اي توفاه وابقاه كذلك مائة سنة ثم احياه وبعضهم حمله على الانامة ثم الايقاظ كما في قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه تحرزا عن القول بالزيادة على حياتين وموتين لكن الظاهر هو الاول وكان هذه
الاماتة عبرة لا انقضاء مدة كاماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف ونحو ذلك وقوله تعالى كم لبثت قيل قال له ذلك
اي كان حينئذ وقيل قال له ملك وقد روينا انه ناداه مناد من السماء وقيل حدثته نفسه بذلك واجاب بخاطره في نفسه
اي كم لبثت اي كم مكثت ههنا وقوله تعالى قال لبثت يوما لانه نام ضحى واحيي وقد امسى ثم تفكر انه لم يتم النهار فقال
او بعض يوم ودل ذلك على ان القول بغلبة الظن عند فوت اليقين جائز وكذا قال اصحاب الكهف لبثنا يوما او بعض
يوم وقال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقوله تعالى قال بل لبثت مائة عام بل رد لما قبله وهو قوله تعالى
لبثت يوما او بعض يوم واثبات لما بعده وهو مائة عام وقوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك الطعام هو التين
والعنب وقيل الفاكهة التي حملها اي شيء كان والشراب هو العصير وقوله تعالى لم يتسنه قرا اهل المدينة وعاصم
وابن كثير باثبات الهاء في الوصل والقطع وقرا ابو عمرو لم يتسن بغيرها والكسائي يحذفها في الوصل ويثبتها في
الوقف ولاثبات الهاء وجهان احدهما انه لو صلة ومعناه لم يتغير من قولك تسنه يتسنه تسنها اي تغير بمر السنين
واصل السنة سنهة ولذلك يقال في التصغير سنيهة والثاني ان اصله لم يتسن والهاء للاستراحة كما في قوله اقتده
وماليه واما الحذف فلهذا انه قوله لم يتسنه يفسر على وجهين احدهما انه بمعنى لم يتغير بمضي السنين والسنة لامها
فيها واصلها سنوة وكذا الهاء في الجميع فيقال سنون في الرفع وسنين في النصب والخفض واصله لم يتسنى
وصرفه تسنى يتسنى وسقطت الياء للجزم بلم والثاني ان قولهم تسنى يتسنى اصله تسنن يتسنن فقلبنا احدى
النونات الثلاث للتخفيف كما في قولهم تظنى واصله تظنن وتمطى واصله تمطط ومعناه تغير ايضا وقد سننه
اي غير فتسنن اي تغير ومنه قوله تعالى من حما مسنون اي متغير ثم ذكر الطعام والشراب وهما اثنان وقال لم
يتسنه وهو فعل الواحد لانه صرفه الى ما يليه واذا ثبتت الاعجوبة فيه ثبتت في الاول الذي هو تاليه لانه
يضاهيه وقوله تعالى **وانظر الى حمارك** اي ميتا وذلك في رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فانا نحييه
لترى كيف نحيي الموتى وقد روينا عن الحسن انه قال كان قائما على حاله وذلك عجب ايضا ناقض للعادة وهو
بقاؤه مائة سنة من غير علف وماء وقوله تعالى **ولنجعلك اية للناس** الواو للعطف فيجوز ان يكون معطوفا

على

على فعل مضمر وهو بيانا لترى كيف نحيي الموتى ولنجعلك اية للناس اي علامة للناس وذلك ما نبين بعد تمام
الاية من تمام القصة وهو شبابه وشيب اولاده في جوابه وقراءة التوراة ونشرها فيهم بعد خفائها وذهاب اهلها
وقيل الاضمار بعده وتقديره ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك وقيل الواو زائدة وقوله تعالى **وانظر الى العظام**
وهي عظام نفسه او عظام حماره على حسب ما اختلف فيه وقوله تعالى **كيف ننشرها** قرا الحسن بفتح النون وضم
الشين من الانشار وهو الاحياء قال تعالى ثم اذا شاء انشره وقرا الباقون ننشزها بالزاي من الانشاز وله معنيان
احدهما نرفعها ونشوز المراة رفعها والنشاز المكان المرتفع وقوله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا اي قيل ارتفعوا
والثاني نحركها وقوله واذا قيل انشزوا قيل تحركوا وقوله تعالى **ثم نكسوها لحما** اي نلبس العظام لحما وهو مجاز
عن سترها به وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهد
وقوله تعالى **فلما تبين له** اي ظهر له احياء الميت عيانا **قال اعلم ان الله على كل شيء قدير** قرا حمزة والكسائي
اعلم على الامر اي قيل له اعلم وقرا الباقون على الاخبار اي قال هو اعلم ان الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره
وفي القصة تنبيه على ان الداعي اذا راعى اداب الدعاء اجيب سريعا من غير مشقة تلحقه واذا ترك الادب لحقته
المشقة وابطات الاجابة فان ابراهيم عليه السلام لما قال رب ارني كيف تحيي الموتى بدا بالثناء ثم سال احياء الموتى
اراه الله ذلك في غيره فانه اراه في طيره وعجل له ذلك على فوره وعزير قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فارى ذلك
في نفسه بعد مائة عام مضت على موته وقال الضحاك وعاد عزير الى قريته شابا واذا اولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز
فقال انا عزير فلم يصدقوه فقالوا هات التوراة فلم يجدوها في القرية لان بخت نصر حرقها فقال عزير ان جدي
وضع التوراة في جب وخباه في كرم جدي فاخرجوها منه وجعلوا ينظرون فيها وهو يقراها ظاهرا لا يسقط حرفا
منه ثم قالوا عزير ابن الله ولم يقرا التوراة احد منذ نزلت الى هذا الوقت عن ظهر قلبه الا عزير وفي رواية الكلبي انه
لما اتاهم طلبوا منه ان يملي عليهم التوراة فاملاها عليهم ثم ذكر رجل ان جده خبا التوراة في كرمه فطلبها واستخرجها
فعارضوها بما املى فما اختلفا في حرف وقال وهب ان الله قبض ملكا من الملوك في تلك المائة سنة حتى عمرت
القرية الخربة وهي بيت المقدس فبعث عزير من نومه وهي عامرة وقوله تعالى **واذ قال ابراهيم رب ارني كيف**
تحيي الموتى ذكرنا انتظامها بما قبلها واذ ظرف ومعناه واذكر يا محمد حين قال ابراهيم الخليل رب اي يا رب وقد
يحذف حرف النداء كما في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا ويحذف ياء الاضافة في النداء ايضا تخفيفا لكثرة الاستعمال
وعلى هذا قولهم يا نفس يا قوم وقوله ارني سؤال على صيغة الامر من الاراءة وهي التبصير وسبب سؤاله ذلك
فيه اقاويل قال محمد بن اسحق السبب الداعي الى ذلك انه لما جرى بينه وبين نمرود من المناظرة وقال نمرود انا
احيي الموتى واميت سال ربه ان يريه ذلك ليعلم نمرود ان احياء الموتى هو رد الارواح الى الاجساد لا اطلاق المحبوس
وقال السدي رحمه الله لما جاءته البشرى بالخلة سال ربه جل وعلا دليلا يستيقن به انه اتخذه خليلا وروى
ان جبريل عليه السلام قال لابراهيم صلوات الله عليه ان الله تعالى يتخذك خليلا قال وما امارة ذلك قال ان يحيي الموتى
بدعائك فقال عند ذلك رب ارني كيف تحيي الموتى وقوله تعالى **قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** على الخلة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما مر ابراهيم على دابة ميتة قد بليت وقسمتها السباع والرياح وفي حديث عطاء الخراساني
مر ببحيرة طبرية وعلى شاطئها دابة من دواب البحر ياكل من ناحيتها فيتساقط في الماء في البحر فيصير ماء وسباع البر
ياكلها فيتساقط في الهواء فيقطعه الريح وفي حديث الحسن مر على جيفة بساحل البحر فاذا مد البحر جاءت الحيتان
فملات بطونها منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا ذهبت جاءت الطير فملات حواصلها فوقف متعجبا
قال ابن عباس رضي الله عنهما فسبح الله وتفكر وقال رب ارني كيف تحيي الموتى وهو موقن بقدرة الله تعالى قال الله تعالى
خذ اربعة من الطير وهو اسم جنس فشققهن بريشهن ولحومهن ومزقهن ثم فرقهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
اي بددهن على كل جبل وخالف بين قوائمهن واجنحتهن ثم ادعهن قل تعالين باذن الله تعالى ياتينك سعيا وقال
قتادة امر ان يخلط بين دمائهن ولحومهن وريشهن ويجزئهن على اربعة اجبل ففعل ذلك وامسك رؤوسهن بيده
فجعل العظم يذهب الى العظم واللحم الى اللحم والريش الى الريش بعين ابراهيم ثم دعاهن فاتينه سعيا على ارجلهن
تلتقي كل طائر براسه وقال السدي نودي من السماء ايتها العظام المتفرقة يرد الله تعالى فيك روحك فجرى الدم
الى الدم وطار الريش الى الريش وذهب العظم الى العظم وعلق عليها رؤوسها وادخل فيها ارواحها وفي حديث الحسن
رحمه الله نودي ايتها العظام المتفرقة واللحوم المتمزقة والعروق المتقطعة اجتمعن يرد الله تعالى فيكن ارواحكن
فوثب العظم الى العظم وطار الريش الى الريش وجرى الدم الى الدم ثم اوحى الله تعالى اليه انك سالتني كيف احيي الموتى
واني خلقت الارض وجعلت فيها اربعة ارياح الشمال والصبا والجنوب والدبور حتى اذا كان يوم القيمة نفخ في الصور
فيجتمع من في الارض من القتلى والهلكى والموتى كما اجتمعت هذه الاربعة اطيار من اربعة اجبال ثم قرا ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة وقال القشيري رحمه الله ولما قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال الله تعالى له وارني كيف تذبح
المحبب يعني الولد مطالبة بمطالبة فلما وفى بما طولب وفى الله له ما طلب وقوله تعالى قال اولم تؤمن اي قال الله له

او لم تصدق باحياء الموتى وقوله تعالى قال بلى اى صدقت به ولكن ليطمئن اى ليسكن والطمانينة السكون والطمأنينة
من الارض المنخفض وكان مؤمنا به ايمان غيب فاحب ان يؤمن به ايمان عيان وقيل كان اعطى ايات عقلية فاحب
ان يعطى اية حسية وحكمة خطاب الله تعالى اياه بقوله او لم تؤمن وجوابه بلى قطع اوهام الجهال لئلا يظنوا بابراهيم
شكا فيه وقال القشيرى استجلب خطاب الله تعالى بهذه الاية حتى قال له الحق سبحانه او لم تؤمن قال بلى كنت اومن
ولكن اشتقت الى قولك او لم تؤمن بقولك او لم تؤمن يطمئن قلبى والمحب ابدا يجتهد فى وجود خطاب حبيبه على
اى وجه امكنه وقوله تعالى قال فخذ اربعة من الطير اسم جنس يجوز ان يكون اسما للواحد والجمع ووجه ظاهر
كالراكب واختلف فى اجناسها قال محمد بن اسحاق ان اهل الكتاب الاول يقولون اخذ طاووسا وديكا وغرابا
وحماما وهو قول مجاهد والحسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما اخذ طاووسا وغرابا وديكا وقال ابو صالح
اخذ حماما وديكا وغرابا وبطة وقال عطاء الخراسانى اخذ طاووسا وديكا وغرنوقا وهو طير الماء وقال عطاء
الخراسانى اخذ وزة خضراء وغرابا اسود وحمامة بيضاء وديكا احمر وقال ابو القاسم بن حبيب رحمه الله انما
خص الطير من بين سائر الحيوانات لان الطائر له ما لسائر الحيوانات وله زيادة الطيران ولان الطير هوائى
ومائى وارضى فكانت الاعجوبة فى احيائه اكثر ولهذا قال عيسى عليه السلام انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
وخص الخفاش لاختصاصه بالسن دون سائر الطيور وقوله تعالى فصرهن اليك قرا حمزة بكسر الصاد
والباقون بضمها قال الازهرى من قرا بالضم اراد املهن واجمعهن اليك ومن قرا بالكسر ففيه قولان احدهما بمعنى
صرهن يقال صار يصوره ويصيره اذا اماله والثانى قطعهن والاصل فيه صرت اصرى اى قطعت فقلب
وقيل صرت واصير كما يقال عيت اعى وعثت اعث وقال القشيرى رحمه الله طلب ابراهيم عليه السلام بها حيوة
قلبه فاشير اليه بذبح الطيور وفى الطيور الاربعة اربعة معان فهى فى النفس ففى الطاووس زينة وفى الغراب امل وفى
الديك شهوة وفى البطحرص فاشار الى انه ما لم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يحى قلبه بالمشاهدة وقوله تعالى ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا اى بعضا بالمزج والتلبين قيل هذا عموم اريد به الخصوص اى على بعض الجبال كما فى قوله
واوتيت من كل شىء وقيل معناه على كل جبل يقربك وقيل جعلهن على سبعة اجبل وقيل على اربعة وهو الاصح ففى
رواية الحسن ذلك مع زيادة ذكر يدل عليه من تقسيم الرياح الاربع والافاق الاربع والافاق الاربع للدنيا
وقوله تعالى ثم ادعهن اى قل تعالين او قل يا طاووس ويا كذا ويا كذا وقوله تعالى يأتينك سعيا اى يجئنك
عدوا على ارجلهن والنون لجمع الاناث ويرجع الى الطيور الاربعة والسعى العدو وقد سمى سعيا وانما سعت
ولم يطرن لانهن لو طرن لا التبس الامر على عدن الى ما كان اصلهن عليهن فخص السعى ليتقرر عنده وعندهم
الحال وقوله تعالى واعلم ان الله عزيز حكيم عزيز لا يمتنع عليه شىء حكيم مصيب فيما يفعل وقال القشيرى رحمه الله
قال له قطع بيدك هذه الطيور وفرق اجزاءها ثم ادعهن يأتينك سعيا فما كان مذبوحا مقطعا متفرقا بيد
صاحب الخلقة فاذا ناداه استجاب له كل جزء ومتفرق فكذلك الذى فرقه الحق وسننه اذا ناداه لباه وقال القائل
ولو ان فوقى تربة ودعوتنى ٭ لاجبتك حقا والعظام رفات ٭ وقوله تعالى مثل الذين ينفقون
اموالهم فى سبيل الله ذكر سبحانه الاقراض فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وهو الانفاق بعد
ذكر القتال فى سبيل الله وذكر هنا الانفاق فى سبيل الله وذكر المضاعفة فى تلك الاية وذكرها هنا فى هذه الاية
وتخلل بينهما بيان ما وعد الله من المنصرين يقاتل فى سبيل الله وذلك فى قصة طالوت ونصرته مع قلة عدد جنده
على جالوت وقصة ابراهيم ونصرته على نمرود فى المحاجة واوضح حجته وكذا اوضح حجته فى قصة عزير وقصة
ابراهيم فى احياء الطيور فكانه قال فثقوا بنصرة وقاتلوا فى سبيل الله وانفقوا فى رضى الله وقوله مثل الذين اى مثل
نفقة الذين وهذا مضمر فيه وتقديره مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل زارع حبة فلا بد من اضمار
فى احد الموضعين ليكون مثل المنفق بالزارع كمثل حبة كما قلنا فى قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق وقد
ذكرنا هنا معنى الحذف والاختصار وقوله ينفقون اموالهم فى سبيل الله قيل معناه فى طريق رضى الله تعالى ويقع على
الجهاد وغيره وهذا قول الحسن وقيل هو فى الجهاد خاصة ثم فى هذا الانفاق كلام قيل هو فى اعداد امور الغزاة وقيل
هو على نفسه وقوله تعالى كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اى يضاعف ثواب
الانفاق فى سبيل الله كمثل حبة تبذر فى الارض فتنبت تلك الحبة الواحدة من السنابل سبعا والسنابل جمع
سنبلة وسنبل وهى على وزن فنعلة والنون مزيدة فيه وهى من الاسبال وهو ارسال الستر سميت لانها تسترسل
استرسال الستر ولانها تستر الحب ثم تخرج السنبلة مائة حبة وان لم يكن كل زرع على هذا التقدير غالبا فهو مما
يكون فيصح التشبيه به لان صحة التمثيل والتشبيه الكون لا لمشاهدة الجمع قال الله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين
وقال امرؤ القيس ٭ ومسنونة زرق كانياب اغوال ٭ على ان سنابل الدخن تبلغ هذا او تزيد عليه وقيل معناه الحبة
تخرج سبع سنابل وكل سنبلة اذا بذرت اخرجت مائة حبة وقد تزيد على هذا وقيل لما نزل قوله تعالى ويربى
الصدقات وراوا ان الصدقات تتلف وتتلاشى فى ايدى الفقراء قالوا كيف تربو وتنمو وقد تلفت وتلاشت

فضرب الله تعالى مثلها بالحبة التى تلقى فى الارض ثم نمت حتى صارت سبعمائة حبة وقوله تعالى والله يضاعف
لمن يشاء اى يزيد على سبعمائة لمن يشاء قيل اصل الانفاق فى غير الجهاد الى هذا المقدار وقيل يضاعف على
سبعمائة الى سبعة الاف واكثر لمن يشاء وهو الذى يضم الى الانفاق فى الجهاد معنى اخر من حسن النية واختيار
المصرف او اصله لمن انفق على نفسه فى الجهاد والزيادة على ذلك لمن انفق على غيره من فقراء الغزاة وقيل هذه
الزيادة فى حق من هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اى الذين يأتون
بعد الصحابة انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقوله تعالى والله واسع عليم اى غنى واسع الفضل
والجود عليم بنيات المنفقين والاية نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما
حين اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهى غزوة جيش العسرة ولم يكن للصحابة رضى الله عنهم سلاح
ولا كراع فقال عثمان رضى الله عنه على جهاز من لا جهاز له فجهزهم بالف دابة وتصدق ببئر رومة على المسلمين
وجاء عبد الرحمن باربعة الاف درهم وقال كان عندى ثمانية الاف فامسكت لنفسى وعيالى اربعة الاف درهم
واقرضت اربعة الاف درهم لله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت
وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل الاولى فى انفاق
المجاهد على نفسه وهذه فى انفاقه على غيره وقيل هما جميعا فيهما وفى هذه الاية بيان ما يجب ان يحترز منه فى
الانفاق وهو المن والاذى اى لا يمن على اصحابه بحضوره بنفسه بعدته ولا يؤذيهم بذكر حاله فيقول لولا حضورى
لكان كذا وكذا ولا يمن ايضا على من ينفق عليه ولا يؤذيه ويقول المن تعداد النعم على المنعم عليه فيقول الم اعطك
الم اغنك الم انعشك واصل المن القطع قال الله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع سمى الامتنان بالنعمة منا
لانه يقطع لذة النعمة والاذى هو استخفاف المتصدق عليه اى استعماله فى اعماله وقيل هو ان يواجهه بما يسوءه
فيقول انت امرؤ فقير لا تأتينى الا لحاجة وقد ابتلانى الله بك واراحنى الله منك وقيل اى لا يتبعون ما انفقوا
منا على الله واذى الفقير وقال القشيرى رحمه الله اى لا يمنون بفعله بل يشهدون الفضل لله تعالى بتوفيقه وقوله تعالى
لهم اجرهم عند ربهم اى ثواب نفقاتهم الى سبعمائة واكثر ومن ابتغى انه اذا بذر حبة اخرجت له سبعمائة حبة فيتعين
كذا ينبغى لمن يطلب الاجر فى الاخرة عند الله تعالى قال الله تعالى ولا خوف عليهم اى من نقصانه كما قال الله تعالى ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وقوله تعالى ولا هم يحزنون اى من فوته وقيل لا خوف عليهم
من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب وقوله تعالى قول معروف اى كلام جميل لمن التمس منك صدقة
ترده به بالجميل او وعدته او دعوت له او قلت له يسر الله تعالى او اغنانا الله واياك او يفتح الله وقوله تعالى ومغفرة
اى تجاوز عنه اذا الح السؤال او ستر عليه حاله فلا يعيره بفقره ولا يهتك ستره عند الناس ولا يعيبه وقوله تعالى
خير من صدقة يتبعها اذى اى هذا خير لك من ان تتصدق عليه ثم تمن عليه او تؤذيه فان قالوا اى خير فى الصدقة
فيها اذى حتى يقال هذا خير قيل يعنى عندكم كذلك وهو كقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اى عندكم ذا الخير
وقيل قول معروف ومغفرة لا يرجعان الى معاملة الفقير بل يقول ان لم يتيسر عليكم الانفاق على الفقير فاعملوا عملا
اخر هو اخف عليكم وهو قول معروف كلام جميل مع الناس وامر بمعروف اى صدقة ومغفرة اى عفو عن الجانى
عليكم وقيل سؤال مغفرة العصاة بالاستغفار لهم من الله تعالى ذلك خير من الصدقة الذى يعقبه الاذى وقال الامام
القشيرى رحمه الله اى اقرارك مع الله بعجزك وجرمك وعفران الله لك على ذلك خير لك من صدقة بالمن
مشوبة وبالاذى مصحوبة وقوله تعالى والله غنى حليم اى مستغن عن صدقاتكم بالمن والاذى وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الاية فى ان الكبيرة
تحبط الطاعات وتخلد صاحبها فى النار وهى حجة عليهم لا لهم فان الله تعالى خاطبهم بقوله يا ايها الذين امنوا فبقى اسم
الايمان لهم واخبر ان الحسنات يذهبن السيئات فاما فى هذه الاية ففى بيان ان الصدقة اذا كان معها من
او اذى لم تكن صدقة حقيقة وان رأيت صدقة فان الصدقة ما يبتغى بها وجه الله تعالى وهذا كقول النبى
صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول ليس انها بغير طهور صلوة ومن الغلول صدقة
ثم لا يقبل بل ذلك ليس بصلوة ولا صدقة وقال الامام القشيرى رحمه الله انما يحمل تحمل المنن من الحق سبحانه
فاما من الخلق فليس لاحد على غيره منة وان تحمل المن من المخلوقين اعظم محنة وشهود المنة من الله اعظم نعمة
قال قائلهم ٭ ليس اجلالك الكبار بذل ٭ انما الذل ان تجل الصغارا ٭ وقوله تعالى كالذى ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر بين ان من تصدق ثم من او اذى فهو فى عدم الانتفاع بذلك كالذى
هو كافر لا يؤمن بالله ولا يصدق بالبعث والجزاء وانما يتصدق مراءاة للناس فلا نفع له بذلك وقوله تعالى
فمثله كمثل صفوان هو الحجر الصافى الاملس وكذلك الصفا وقوله تعالى عليه تراب اى مثل نفقة
الكافر المرائى كمثل حجر املس جعل عليه تراب وقوله تعالى فاصابه وابل اى مطر شديد الوقع كثير القطر وكذلك
الوبل وقد وبلت السماء تبل وبلا وقوله تعالى فتركه صلدا هو الحجر الاملس الصلب والصلد ايضا ارض لا تنبت شيئا

والصلد الحجر لايعرف يشبه بالحجر الذى لايخرج منه شى وصلدت الزند صلودا اذا لم تور نارا وفرس صلود يبطى عرقه يقول كما ان الحجر لا ينبت بذرا والتراب فى موضع ما لا يصلح بذرا والوابل اذا اصاب لم يترك على الحجر شيأ فالزرع ما يوس عنه بهذا الطريق وكذا الكافر بهذا الانفاق لا يستفيد شيأ وكذا المومن المتصدق المنان والموذى لاينال به ثوابا وقوله تعالى لا يقدرون على شى مما كسبوا اى لا يجدون ثواب شى مما انفقوا يقال فلان لا يقدر على درهم اى لا يجده ولا يملكه وجمع قوله لا يقدرون وقد وحد فى قوله كالذى ينفق لانه بمنزلة الجنس ويصلح الجمع معنى ثم قوله رئاء الناس بهذا وصف لحرمان الثواب وقوله ولا يومن بالله كذلك قال فى حق المنافق انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وقال فى حق الكافر وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله فاذا اجتمع الوصفان كان اولى بالحرمان وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يوفقهم ولا يرشدهم الى الصدقة المرضية فى الدنيا ولا يهديهم الى الجنة فى العقبى قال تعالى فى حق المومنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم اى الى الجنة ومنازلهم فيها وقال الزجاج اى لا يجعلهم بكفرهم مهتدين فالصفوان مثل الكافر والتراب مثل عمله والوابل مثل كفره فما يراى عليه من عمله يتلاشى بسبب كفره وقيل تحقيق هذا المثل ان اعمال العباد ذخائرهم ليوم حاجتهم فمن عمل باخلاص فكانه ادخر عمله فى شى وكانه بذر فى ارض منبتة فهو يتضاعف له وينمو حتى يحصده فى ابانه ويجده فى وقت حاجته الى ثمره فاما المنافق فانه يدخر عمله حيث لا ينمو ويلقى بذره حيث لا ينبت واذا اصابه مطر جود حتى يبقى مستودع عمله خاليا لا شى فيه وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى لطلب رضاه وقوله تعالى وتثبيتا من انفسهم قيل تحقيقا من انفسهم لما ينفقونه حتى يستوى ظواهرهم وبواطنهم فى انه لابتغاء مرضاة الله تعالى لا لرياء الناس ولا يكون فيه من ولا اذى وهو معنى قول الشعبى والسدى وابى صالح وابن زيد وقيل يثبتون اى يضعون صدقاتهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانه قال هوان نعطوا الصدقة الاحوج فالاحوج واليه يرجع قول عطا فيتثبت فى صدقته فيضعها فى اهل الصلاح والعفاف وقوله تعالى كمثل جنة بربوة شبه هولاء بجنة وهى البستان التى يكثف اشجارها فتمد ظلالها وتنتشر اغصانها وتكثر ثمارها وتختلف الوانها وتطيب طعومها فمن اخلص لله تعالى عمله كان كمن اتخذ بستانا فى ربوة اى مكان من الارض مستو قد ربا عليها اى علا ونما وفيها ثلاث لغات فتح الراء وضمها وكسرها وقرا ابن عاصم وابن عامر بفتح الراء والباقون بضمها وقوله تعالى اصابها وابل اى وصل اليها وابل كثير القطر شديد الوقع وقوله تعالى فآتت اكلها ضعفين اى اعطت بركتها اى غلتها مثل ما تخرجه الارض ضعفين نسبة الى الربوة لانها احد مواضع الجنان فى النزهة وكثرة الغلة وقوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل اى فان لم يصل الى هذه الجنة المطر العظيم القطر اصابها المطر الصغير القطر وقيل الطل الندى والطش كذلك وهو الذى يبل وجه الارض ثم فى تقريب هذا الكلام ثلاث تاويل قيل ان لم يصبها وابل واصابها طل اتت اكلها ضعفين ما توتى غيرها بالطل وقيل ان اصابها وابل اتت اكلها اى اخرجت ثمرا تعدبه زاكيا عن غيره والصدقة قد تخلو عن علة فكذلك من اخرج صدقته لله تعالى لم يضع كسبه قل او كثر بخلاف من اخرجها رياء فانه يبطل سعيه ويخيب امله وقوله تعالى والله بما تعملون بصير اى يرى اعمالكم على قلال واكثار ويعلم ما تكرفيها من رياء واخلاص فاخلصوا يجزيكم جزاء المخلصين واكثروا يعطكم ثواب المكثرين وقوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب اى بستان كثير الاشجار والنبات وقوله من نخيل واعناب اى فيها من اشجار الثمر وغيرها من الاعناب ولم يرد ان كل بستان يتخذ من هذين ولكن اذا اكثر فيه هذان جاز اطلاق الاسم عليه من هذا الوجه كما يقال دار من آجر وبستان من عنب والنخيل جمع نخل كالعبيد جمع عبد والنخل يكون واحدا فيذكر قال تعالى اعجاز نخل منقعر ويكون جمعا فيونث كما قال تعالى اعجاز نخل خاوية ويكون جمع نخلة كالنمل جمع نملة والاعناب جمع عنب وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار اى تسيل من تحت اشجارها المياه فى الانهار وبالماء نماؤها وبهاؤها وقوله تعالى له فيها من كل الثمرات اى لصاحبها فيها سوى النخيل والاعناب الفواكه من كل باب فهى نهاية فى الحسن والاعجاب وقوله تعالى واصابه الكبر اى اتاه الشيب وفاته الشباب وقوله تعالى وله ذرية ضعفاء اى اولاد اطفال صغار عجزة عن الاكتساب وكانت هذه معاشا له ولاولاده ولهم منافع الاقوات والاثواب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت اى اصاب الجنة ريح شديدة الهبوب ملتفة فى الهواء خالية للتراب وقوله تعالى فيه نار فاحترقت اى الجنة بالنار فصار نعيمها الى الذهاب واصلها الى الخراب فكما يبقى هو وذريته فى الخسران لتقطع الاسباب فكذا الكافر والمنافق والمرائى والمنان والموذى يحشرون على صدقاتهم يوم يقوم الحساب حين فاتهم الثواب وحق عليهم العذاب وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اى هكذا ينزل الله الآيات ويصرف الامثال لتتفكروا فيها يا اولى الالباب وقال ابن عباس رضى الله عنهما هذا مثل من عمل بالحسنات ثم فتنه الشيطان فعمل السيآت فاحرق اعماله كلها وقال الامام القشيرى رحمه الله هذه ايات ذكرها الله تعالى على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق والمنفق فى سبيل الله تعالى والمنفق فى الباطل هولاء يحصل لهم الخلف والشرف وهولاء لا يحصل

لهم

لهم الا السرف والتلف وهولاء مثل سعيهم وهولاء تركوا اعمالهم وهولاء حبطت اعمالهم وخسرت احوالهم وختم بالسوء اما هم فيضاعف عليهم وبالهم ونقل مثل هولاء كالذى انبت زرعا وزكا اصله ونما فضله وعلا زرعه وكثر نفعه ومثل هولاء كالذى خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاعت على كبر سنه غلته وتوالت من كل وجه محنته هل يستويان مثلا وهل يتقاربان شبها وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اى مما يستطاب من اكسابكم ومنهم من حملها على الحلالات لكن ما بعده وهو قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون فالخبيث هو الردى المستخبث يدل على ان الاولى صرفه الى ما قلنا ثم هو امر باداء الزكاة فى التجارة وقوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض اى من الغلات وهى ثمرات الاشجار والكروم والزروع وهذا امر باداء عشر الخارج من الاراضى العشرية وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث اى لا تقصدوا الردى وقد ام ويمم وتيمم وتأمم اذا قصد ومنه قوله فتيمموا صعيدا طيبا ثم الخبيث نقيض الطيب ولهما جميعا ثلاثة معان الطيب الحلال والخبيث الحرام والطيب الطاهر والخبيث النجس والطيب ما يستطيبه الطبع والخبيث ما يستخبثه وقيل اصل الخبيث الردى ومعنى الرداءة يقع على المعانى الثلاثة التى قلنا وقوله تعالى منه تنفقون اى من الخبيث تتصدقون وقوله تعالى ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اى وانتم لا تاخذون مثله ممن كان لكم عليه حقه الا ان تتساهلوا فيه وتتفضلوا بتنقيصكم عن الاستقصاء على جودة يقال لمن يتسامح ويتساهل قد غمض طرفه ويقال معناه الا ان تستحيوا وذلك مستعمل فى اللغة قال الشاعر فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا وقوله تعالى واعلموا ان الله غنى حميد اى مستغن عن صدقاتكم لا يتكثر بها ان اعطيتم ولا ينقص من ملكه شيأ ان منعتم حميد يستحق الحمد على ما امركم بذلك مع استغنائه عنه لنفعكم بذلك فى الدارين وقال الامام القشيرى رحمه الله لينظر كل واحد ما الذى ينفقه لاجل نفسه وما الذى يخرجه بامر ربه الذى يخرج عليك من ديوانك فما كان من حظك فمن انفس ملكك وما كان لذلك فمن اخس ملكك الذى لله لغيره والذى لاجلك فاجلها فيه ثم ابصر كيف سيرده عليك بل كيف يقبله منك بل ابصر كيف يعوضك عليه بل ابصر كيف يمدحك به بل ابصر كيف ينسبه اليك الكل منه فضلا ولكنه ينسبه اليك فعلا ثم يوليه عليك عطاء ويسميه جزاء يوسعك بتوفيقه برا ويملأ العالم شكرا ودلت الآية على جواز الكسب ودلت ان احسن وجوه التعيش هو التجارة والزراعة فان الآية جمعتهما ودلت على وجوب زكاة التجارة وعشر الاراضى العشرية وقيل كانوا يخرجون زكاة الفطر من التمر الردى فنهوا عن ذلك وقيل نزلت فى التطوع قال البراء بن عازب رضى الله عنه نزلت فى الانصار كانوا اذا كان وقت جذاذ النخل واثمرها البسر يعلقونه على حبل بين اسطوانتين فى المسجد فيأكل منه فقراء المهاجرين فكان يجد بعضهم فيدخل القنو الحشف فيعلق فنزلت فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولو اهدى لكم ما قبلتموه الا ان تغمضوا فيه على استحياء من صاحبه والاشهر الاظهر انه فى الواجب قال مجاهد كانوا يتصدقون بحشف فنهوا عن ذلك قال الا ان تغمضوا فيه اى لا تاخذونه من غرمائكم ولا فى بيعكم الا بزيادة على الكيل وقال قتادة ولستم باخذيه يعنى باخذى هذا الردى بسعر الطيب الا ان تغمضوا فيه يقول الا ان ينقص لكم وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر اى يخوفكم وعلى الاطلاق يقال وعده فى الخير وبوعده فى الشر لكن يجوز ذكر الوعد فى الشر اذا بين ما به فعل ذلك كالبشارة مطلقها الخير البشارة ثم يقال بشرهم بالنار وبحو ذلك على التقييد ومعناه الشيطان هو الذى يمنعكم عن الانفاق او يامركم باعطاء الحشف لما يخوفكم به من الفقر بسبب الانفاق واخراج الطيب وقوله تعالى ويامركم بالفحشاء اى بالفعلة القبيحة وهى البخل والفاحش اسم البخيل لغة لان الفحش فعله قال الكلبى وكل فحشاء فى القرآن فهى زنا الا هذه فانها منع الزكاة وقوله تعالى والله يعدكم مغفرة منه وفضلا اى يبشركم بمغفرة الذنوب فى الصدقات والنفقات ويبشركم بالتفضل عليكم باعطاء الخلف فى الدنيا والثواب فى العقبى وقوله تعالى والله واسع عليم اى غنى كثير الفضل قادر على اعطاء الخلف والثواب عليم بافعالكم ونياتكم وقال الامام القشيرى الشيطان يعدكم الفقر لفقركم والله يعدكم المغفرة لكرمه الشيطان يشير عليك باحراز المعلوم وبطاعة الحرص ولا تقر بوعده ويعدك الفقر برد الى اختيارك وتدبيرك ويتعلق قلبك بغيرك والاتكال على من سواه او بنسيان ما عودك فيما مضى من كفايته ورعايته ويامركم بالفحشاء اى بالرغبة فى الدنيا والحرص عليها والايثار لجمعها ومنعها عن وجوهها بطول الامل ومتابعة الشهوات وايثار الحظوظ والرجوع فيما تركته لله والله يعدكم فى العاجل بالقناعة وفى الآجل بالثواب وحسن المآب وقوله تعالى يوتى الحكمة من يشاء اى يعطى الله صواب القول والعمل من يشاء من عباده فلا يقبل ما يعده الشيطان ويعتمد على ما وعده الله تعالى وفى الآية رد على المعتزلة فى قولهم بوجوب الاصلح فانه بين انه يعطى الحكمة من يشاء لا الكل وقوله تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا من كلمة شرط وسقطت الياء من اخر يوت للجزم بها وجزاء هذا الشرط فقد اوتى خيرا كثيرا اى اعطى ذلك وكثرت الاقاويل فى تفسير هذه

الحكمة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي علم القرآن وقال ابن زيد هي علم الدين وقال السدي هي النبوة وقال
مجاهد هي الاصابة وقال ابراهيم هي الفهم وقال الربيع هي الخشية وقيل هي العلم بوسوسة الشيطان والتمييز
بينها وبين القاء الملك في القلب وقال عطاء المعرفة بالله تعالى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما علم تفسير القرآن
والعمل به وقيل السنة وقيل فهم سرائر القرآن وقيل الفقه ومرت اقاويل اخر عند قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة
وقال الامام القشيري رحمه الله الحكمة ان يحكم عليك داعي الحق لا خاطر النفس وان تحكم عليك زواجر الديان
لا زواجر الشيطان وقيل هي ان لا تحكم عليك رعونات البشرية ومن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره قال
ويقال الحكمة موافقة امر الله تعالى والسفه مخالفة امره والحكمة شهود الحق والسفه شهود الخلق وقوله تعالى وما
يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ بمواعظ الله الا اولوا الالباب اي العقول السليمة ولا يتناول هذا اكل من
وان كان ذا عقل فان من لا يغلب عقله هواه لم ينتفع به فكانه لا عقل له وقوله تعالى وما انفقتم من نفقة ما كلمة شرط
وهو للعموم اي اي شيء انفقتم على اي وجه كان منكم وقوله تعالى او نذرتم من نذر اي الزمتم لله تعالى من فعل خير او ترك
شر ووفيتم به هذا مضمر فيه وقوله تعالى فان الله يعلمه هذا جزاء الشرط والهاء راجعة الى ما ولذلك لم يثن مع ذكر
شيئين وعد ووعيد على ما مر وقوله تعالى وما للظالمين من انصار اي ليس لمن خالف امرنا في الانفاق او خالف
ما ندبه من الطاعة لناصر يدفع عنه عذابنا والانصار جمع جمع الناصر فان الناصر يجمع على النصير كالراكب يجمع
على الركب ثم النصير يجمع على الانصار ومثله الشاهد يجمع الشهداء ثم جمع الشهداء الاشهاد ومنهم من يجعل الانصار
جمع الناصر كالاصحاب جمع الصاحب ومنهم من يجعله جمع النصير كالاشراف جمع الشريف وقال بعضهم في معنى الآية
ما انفقتم من نفقة لوجه الله او للريا او نذرتم في طاعة او معصية فان الله يعلمه وهذا وعد ووعيد وقال ابن كيسان
معناها وما انفقتم من نفقة مما فرض عليكم او نذرتم انفاقه متطوعين فوفيتم بذلك فان الله يعلمه وهذا وعد لهما
جميعا وقال الحسن وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فاريد به غير الله فان الله لا يقبله منكم اذا لم تريدوه
وحده وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي اي ان تظهروا الصدقات فنعم الفعلة هذه وكلمة نعم مدح واصله
نعم ما فادغمت احدى الميمين في الاخرى وقراها ابن كثير وعاصم في رواية حفص ونافع في رواية ورش بكسر النون والعين
والنون في نعم كانت مكسورة وحركت العين بحركتها حين احتيج الى تحريكها عند اجتماع الساكنين حال اسكان الميم
الاولى بالادغام وقرا ابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر ونافع في غير رواية ورش فنعما هي بكسر النون واسكان العين
ابقاء على ما كان واحتمل الجمع بين الساكنين لانه عارض ضروري كما في الدابة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي فنعما هي
بفتح النون وكسر العين ردا الى الفعل الاصلي وادغام الميم في الميم وقرا الحسن فنعما تفعوله تحرزا عن التغيير
وقوله تعالى وان تخفوها اي وان تستروا الصدقة وقوله تعالى وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اي وتعطوها الفقراء
فالاعطاء على الخفية خير من الابداء لما يخاف في الابداء من الريا وليس ذلك في الاخفاء وقوله فهو انما وحد الاشارة
مع سبق ذكر الابداء والاخفاء وهما شيئان لان المعنى واحد وهو الاعطاء على خفية وقال الامام القشيري رحمه الله ان
اظهرت صحبتك معنا واعلنت فلقد اصبت واحسنت وان حفظت سرنا عن دخول الوسائط بيننا فقد صنت
شروط الوداد وشيدت مبناء الوصلة العماد وقوله تعالى ونكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
في رواية ابي بكر ونكفر بالنون والرفع ويكون اخبارا عن الله تعالى عن نفسه بكلمة الجمع وهو بيان العظمة كما في قوله
انا نحن في مواضع ويكون مستأنفا غير معطوف على جواب الشرط وقرا نافع وحمزة والكسائي ونكفر بالنون والجزم
على جواب الشرط وتقديره وان تخفوها وتؤتوها الفقراء يكن خيرا لكم ونحن نكفر من سيئاتكم بذلك وقرا ابن كثير
وعاصم في رواية ويكفر بالياء وتقديره والله يكفر بذلك من سيئاتكم ودخول من للتبعيض اي يكفر بعض سيئاتكم
بهذه الصدقات والآية رد على المعتزلة فانهم يقولون الصغائر مغفورة فلا حاجة الى تكفيرها بشيء والكبائر لا يجوز
مغفرتها والله عز وعلا اخبر ان الصدقات تكفر بعض السيئات فان كانت تكفر الصغائر فقد ابطل قولهم ان الصغائر
لا يحتاج فيها الى التكفير وان كانت تكفر الكبائر فقد ابطل قولهم انه لا يجوز غفران الكبائر وقوله تعالى والله بما تعملون
خبير ابديتم ام اخفيتم اخلصتم ام راءيتم منعتم ام اعطيتم فيجزيكم على وفق ما اتيتم وقيل هو حث على الاخفاء فانه
يقول اذا علمت انا فلا حاجة الى ابداء وقيل هذا في التطوع فاما الفرض فالابداء فيه اولى نفيا للتهمة عن نفسه وحملا
للغير على فعله ولا رياء في الفرائض وقال الزجاج كان هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الاخفاء في ايتاء
الزكوة احسن فاما اليوم فالناس يسيئون الظن فالاظهار احسن واما التطوع فاخفاؤه احسن وقال الكلبي رحمه الله
ان الصحابة رضوان الله عليهم قالوا صدقة السر افضل ام العلانية فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الشعبي رحمه الله
نزلت الآية في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما جاء عمر بنصف ماله يحمله على رؤوس الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تركت لاهلك يا عمر فقال نصف مالي يا رسول الله وجاء ابو بكر رضي الله عنه بكل ماله يكاد يخفي من نفسه حتى دفعها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تركت لاهلك يا ابا بكر قال الله ورسوله فقال عمر لابي بكر بنفسي انت
ما سبقناك في باب خير قط الا سبقتنا اليه فانزل الله تعالى هذه الآية ودلت الآية على ان صرف زكوة الصنف واحد جائز

ونؤمن شيئا لان الله تعالى جعل الاخفاء خيرا وهذا اقرب الى الاخفاء ولانه جعل ايتاء الفقراء خيرا وهم صنف واحد منهم
وقوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء اي ليس عليك يا محمد ان ترشد الكفار وهدايتهم ولكن الله
يهدي من يشاء والخطاب خاص والمراد عام يتناول كل اهل الاسلام وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذه الآية رد
على المعتزلة ان كل الهدى البيان فلو كان كذلك لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك ذلك كله اذ عليه البيان وقيل
اي ليس عليك حساب ترك اهتدائهم وهذا كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وقال تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
واتصال هذا الكلام بالنفقات المذكورة قبله وبعده يعرف بقصة نزولها قال ابن عباس رضي الله عنهما اعتمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما فجاءتها امها قتيلة وجدتها
تسألانها فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على ديني فانزل الله تعالى ليس عليك
هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير اي مال فلانفسكم الثواب وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا
وما تتصدقوا من خير من مال يوف اليكم اي يوفر عليكم وانتم لا تظلمون فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتصدق عليهما
فاعطتهما ووصلتهما وقال الكلبي رحمه الله ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار من اليهود ورضاع وكانوا ينفقون
عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوا عليهم فاستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ليس عليك هداهم
فاعطوهم بعد نزول هذه الآية وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فلانفسكم ما كلمة شرط وتنفقوا جزم به وعلامة جزمه
حذف النون من آخره وقوله فلانفسكم جزاؤه اي كل شيء انفقتم من مال فثوابه لكم وقوله تعالى وما تنفقون الا
ابتغاء وجه الله ذكروا له وجوها كثيرة وهي ترجع في الحاصل الى ثلاثة احدها ان ما للنفي وتنفقون اثبات
والا استثناء وهو كلام تام وهو تمهيد عذر لهم فيما يعطونه اقرباءهم الكفار اي ولستم تنفقون على الكفار من
اقربائكم الا بامر الله لابتغاء مرضاة الله والثاني انه والحال وما بمعنى لا وهو متصل بالكلام الاول وتقديره
وما تنفقوا من خير وانتم لا تنفقون ذلك الا ابتغاء وجه الله فلانفسكم ثواب ذلك والثالث ان هذا نفي ومعناه
النهي وكثير من المناهي وردت على طريقة النفي كقوله عليه السلام لا يستام الرجل على سوم اخيه ومعنى هذا ولا
تنفقوا الا ابتغاء وجه الله ومعنى ابتغاء وجه الله طلب رضى الله وهو متعارف في الكلام يقول الرجل افعل هذا لوجه
زيد اي لطلب رضاه وقوله تعالى وما تنفقوا من خير يوف اليكم هذا شرط وجزاء على ما مر وقوله تعالى وانتم لا تظلمون
اي لا تنقصون كما في قوله تعالى ولم تظلم منه شيئا وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الآية على جواز دفع الكفارات
الى الكفار لان الله تعالى جعلها نافعة لنا ومكفرة لما ارتكبنا ومما يوفر علينا به الثواب وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله قيل اتصاله بقوله ان تبدوا الصدقات للفقراء الذين احصروا الى آخر الآية فنعما هي وقيل لما قال وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء كانهم قالوا اي الفقراء فقيل للفقراء الذين احصروا وقيل معناه هذه النفقات
المذكورة في هذه الآيات للفقراء وقيل هو ابتداء وجوابه اي سنعوا(?) وقد فسرناه في آية الاحصار في الحج على الاستقصاء
وقوله تعالى في سبيل الله اي في طريق رضاء الله وهم اصحاب الصفة وكانوا اربعمائة انسان لم يكن لهم مساكن بالمدينة
ولا عشائر فكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجعون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
ومعنى احصارهم في سبيل الله ههنا اشتغالهم بطاعة الله تعالى وطلب مرضاته وصحبة رسوله فذاك حصرهم في مدينة الرسول
وفي مسجده وقوله تعالى لا يستطيعون ضربا في الارض اي سيرا في البلاد كما قال تعالى وآخرون يضربون في الارض
ومعنى عدم الاستطاعة انهم يكرهون المسير لئلا تفوتهم صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كقوله تعالى وكانوا
لا يستطيعون سمعا اي يكرهون سماعه ولهم آلات السماع وقيل لا يستطيعون ضربا اي لا يضربون في الارض فنفي
الاستطاعة نفي الضرب وهي دلالة واضحة اي حقيقة الاستطاعة مع الفعل وهي حجة لنا على المعتزلة وقوله تعالى
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي يظنهم الجاهل بحالهم من التعفف اي بسبب تعففهم وامتناعهم
من مباسطة الناس وعن كشف حالهم لهم اغنياء وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
لكل راغب في معرفة حالهم يقول تعرف فقرهم بالعلامة في وجوههم من اثر الجوع والحاجة وقيل لسان الحال افصح من لسان
المقال والتوفيق بين هذا والاول ان من اراد معرفة حالهم بالسؤال لم يحصل اليهم لانهم لا يسألون ومن نظر في وجوههم
استدل به على احوالهم وقيل معنى قوله تعرفهم بسيماهم ليس تعرفهم بفقرهم بل تعرف آثار خشوعهم وكثرة صلواتهم
بالليل بما ظهر في وجوههم من صفرة السهر ونور قيام الليل وقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو لزوم
السؤال من الحاف الذي يلازم الملتحف بها وظاهره نفي سؤالهم على الالحاح وكان يتوهم انهم كانوا يسألون عند الحاجة
بقدر الحاجة ولا يلحون لكن عرف بقوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف انهم ما كانوا يسألون الناس اصلا ولهذا
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف وانما استفاد هذه الزيادة بما
قلنا ولعل ترك غير الالحاف ذكرا في الآية لفائدة اطلاق السؤال لغيرهم عند الحاجة ورفع الاثم عن فعله مضطرا
وقال الزجاج معناه لا يسألون الناس اصلا فيكون الحافا واستشهد بقول امرئ القيس في المعنى على لاحب
لا يهتدى لمناره اي لا منار له فيهتدى وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم هذا شرط وجزاء

ايضا فانه وصلة بالعقا، وتقديره مرارا للتقرير وتاكيد لان كل واحد منها اخص جزا ومعنى من ذكر سببا او
ارجال وقال الامام القشيرى رحمه الله للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله اخذ عليهم سلطان الحقيقة كل الجزء
فما لهم من المشرق مذهب ولا من المغرب مضرب بخف ما نووا راوا سرادقات التوحيد محدقة بهم كما قال القائل
شعرا كان فجاج الارض ضاقت برحبها على فما تزداد طولا ولا عرضا فلا سلم لهم نفس واحد مع
الخلق واى ذلك ولا خلف وان لم يكن فاثبات ما ليس بشرك فى التوحيد والفقير الصادق والمنقطع الى
الله بالله لا اشراف للاجانب عليهم ولا سبيل للمخلوق اليهم يظهرهم الله تعالى فى عيون الاغيار فى لبسة سوى ما هم
عليه قال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فاما من كان محروما فلا يشكل عليه شئ من احوالهم تعرفهم
يا محمد انت بسيماهم لبست تلك السيما مما يلوح للبصر تلك سيما تدركها البصيرة لا اشراف عليهم الا بنور
الاحدية لا يسألون الناس الحافا فان جرى منهم بين الخلق بدون الالحاف سؤال لما يشير اليه دليل الحظ
فذلك صيانة لهم وستر لقصتهم لئلا يلاحظهم الخلق بعين السؤال ويلبس على سرهم ذرة من الاثبات للاغيار
ويقال احصروا فى سبيل الله ووقفوا على حكم الله فاحصروا نفوسهم على طاعته وقلوبهم على معرفته وارواحهم
على محبته واسرارهم على رؤيته ويقال سيماهم اى استبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم وصفاء اسرارهم
الى العرش نشاطا عند ذبول ظواهرهم عن الانتعاش عيانا وتكسر الظاهر عند تكسر الباطن وقوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الكلمات ظاهرة وقد مر كشفها وقال مجاهد رحمه الله نزلت الاية فى على بن ابى طالب رضى
الله عنه كان يملك اربعة دراهم فاعطى درهما بالليل ودرهما بالنهار ودرهما فى السر ودرهما فى العلانية
فاحسن الله تعالى الثناء عليه بصنيعه وروى هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وزاد فيه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قال حملنى ان استوجب على الله الذى وعدنى فقال عليه السلام الا ان ذلك
لك فانزل الله تعالى هذه الاية وفى رواية قال يا رسول الله الاحوال اربع فعلت لعل الله يقبل واحدة منها فقال
ابشر يا على فان الله قبلها كلها ونزلت هذه الاية وقال الامام القشيرى رحمه الله ما دام لهم مال لم يفتروا
ساعة من انفاقه ليلا ونهارا واذا نفذ المال لم يفتروا من شهوده لحظة ليلا ونهارا وقوله تعالى الذين
ياكلون الربوا انتظام هذا بما قبله ان الله تعالى امر المؤمنين باعطاء ما له للفقير ووعد عليه الثواب
ثم حرم عليهم اخذ مال غيرهم بغير حق واوعد عليه العقاب وقوله ياكلون اى ياخذون فان الوعيد يلحق الاخذ
كما يلحق الاكل قال تعالى واخذهم الربوا وقد نهوا عنه لكن ذكر الاكل لان معظم مقصود الاخذ الاكل وقوله الربوا
هو الفضل الحرام واصل الفضل المطلق يقال ربا يربو اذا ازداد زيادة قال تعالى ويربى الصدقات
وقال وربت اى ارتفعت وزادت والربوا المحرم شرعا هو الفضل من حيث القدر فى الاشياء الستة
المنصوص عليها لا غير عند داود بن على الاصبهانى وهو ما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال الذهب بالذهب مثل بمثل يد بيد والفضل ربا والفضة بالفضة مثل بمثل يد بيد والفضل ربا
والتمر بالتمر مثل بمثل يد بيد والفضل ربا والحنطة بالحنطة مثل بمثل يد بيد والفضل ربا والشعير بالشعير
مثل بمثل يد بيد والفضل ربا والملح بالملح مثل بمثل يد بيد والفضل ربا هذه رواية محمد رحمه الله فى كتاب
البيوع وزاد فى كتاب الصرف كيل بكيل فى التمر والحنطة والشعير والملح ووزن بوزن فى الذهب والفضة
وهذا الخبر غير معقول عند داود والحرمة مقتصرة عليها عنده فانه لا يرى القياس وقال القايسون هو معلول
واختلفوا فى علته قال مالك رحمه الله هو الاقتيات والادخار فتعدى الحكم الى كل مقتات ومدخر وقال الشافعى
رحمه الله هو الطعم فى الجنس فى الحنطة والشعير والتمر والملح فيتعدى به الى كل ماكول ومشروب والثمنية فى الذهب
والفضة فلا يتعدى الى غيرهما من الموزونات والعلة عندنا اجتماع القدر والجنس والقدر هو الكيل فيما يكال
والوزن فيما يوزن ونوع اخر من الربوا هو الفضل من حيث التعجيل والاول حقيقة الربوا والثانى شبهة الربوا
ويسمى ربا النسا والاول يثبت بحقيقة العلة وهى القدر مع الجنس عندنا فى المكيلات والموزونات
كلها والطعم مع الجنس عنده ولا يثبت فى النقد بالكيل وحده ولا بالوزن وحده ولا بالجنس وحده والثانى
يثبت بشبهة العلة وهى احد وصفى العلة فيثبت بالكيل وحده وبالوزن وحده وعنده بالطعم وحده فاما
الجنس وحده فعندنا يثبت به وعنده لا يثبت به وجملته ان القدر والجنس اذا وجدا حرم الفضل والنسا
واذا وجد الجنس وحده ففيه هذا الاختلاف وتخرج هذه الاصول فى كتب الفقه ونحن استقصينا الكلام
فى الصور والدلائل فى خصائل المسائل وقوله تعالى لا يقومون اى فى القيمة وقوله تعالى الا كما يقوم
الذى يتخبطه الشيطان من المس الخبط والمس الجنون وقد مس على ما لم يسم فاعله فهو ممسوس كما
يقال جن فهو مجنون وقد يكون بضرب الشياطين والجن ولذلك سمى مجنونا وهو بتسليط الله تعالى اياهم
على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وله ان يفعل فى ملكه ما يشاء اى لا تقوم اخذ الربوا فى القيمة

الا كالذى ضربه الشيطان فخبله فصار كالمصروع فهو يقوم ويسقط ليس كسائر الناس فانهم يقومون
من الاجداث سراعا وهذه عقوبة لهم يعرفون بها يومئذ وقيل اى يملأ جوفه حيات وعقارب وقوله تعالى ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى هذا العقاب لهم فى الاخرة باستحلالهم الربوا وتمثيلهم اياه بالبيع
قياسا فاسدا على معارضة ورود الشرع بخلافه وقال الامام ابو منصور رحمه الله دليل جواز القياس فى العقل
لانه لو لم يكن فى العقل جائزا لم يكن لقولهم هذا معنى لكن وقع قياسهم فاسدا لما قلنا وفيها دليل ان حرمة الربوا
كانت ظاهرة عندهم وكانت هى بينهم كهى فيما بين المسلمين ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز الربوا فيما
بين اهل الاسلام واهل الذمة وقوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربوا اى كيف يتماثلان والبيع محلل
بتحليل الله تعالى والربوا محرم بتحريم الله تعالى وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه لم يقل جاءت ندلالة
الفعل متقدم ولان الموعظة بمعنى الوعظ ولان الموعظة تانيثها ليس بحقيقى اى من بلغه هذا الوعظ والتحريم
فانتهى اى امتنع عن الاستحلال والاخذ وقوله تعالى فله ما سلف اى فله ما اخذ فيما مضى قبل التحريم وليس
عليه رده وانه يغفر له ما مضى فى كفره قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واشار الامام ابو
منصور الى معناه انه لو ندم على ذلك الفعل صار له بعد ما كان عليه من قوله اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وقوله تعالى وامره الى الله اى لا خصومة للمعطى بل صار امره الى الله وحده وقيل اى يغفر له ويعذبه الى الله
فان توبته لا يعلم حقيقتها الا الله فهو يغفر له ان حقق ويعذبه ان شاء والاول قد غفر له وقال الامام القشيرى
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى بزواجر الوعظ وتنح لجام الهوى ولم يطلق عنان الاصرار فله الامهال فى الحال
فان عاد الى مذموم تلك الاحوال فليتنظر وشك الاستيصال وفجاءة النكال وقوله تعالى ومن عاد فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قال الامام ابو منصور رحمه الله تعلقت المعتزلة بظاهره فى القول
بتخليد الفساق فى النار انه يعود الى اكل الربوا وهو معصية صار خالدا فى النار قلنا معناه ومن عاد الى
الاستحلال بدليل ما قبله وما بعده فانه قال فى اوله قالوا انما البيع مثل الربوا وهذا التسوية بينهما واستحلال
لهما وقال فى اخره والله لا يحب كل كفار اثيم مبالغة فى صفة الكافر وقوله تعالى يمحق الله الربوا المحق نقصان
الشئ حالا بعد حال حتى يذهب كله كما فى محاق الشهر وهو حال اخذ الربوا فانه يذهب ماله كله ولا ينتفع
به ولده بعده وقوله تعالى ويربى الصدقات اى ينميها ويزيدها فيبارك فى ماله وينتفع به اولاده من
بعده وهذا فى الدنيا وكذلك فى الاخرة فانه يجعل الصدقات من الربوا هباء منثورا ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم ويضاعف الصدقة على ما مر فيجوز ان يكون المراد فى الدنيا ويجوز ان
يكون المراد فى الاخرة ويجوز كلاهما وقال القشيرى رحمه الله ما كان باذن الله من التصرفات فمقرون بالخيرات
مصحوب بالبركات وما كان بمتابعة الهوى والشهوات سلط الله عليه المحق والهلاك وقوله تعالى والله لا يحب
كل كفار اثيم اى يبغض وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسير كلماتها وانتظامها بما
قبلها انه ليس حاله كحال من يمحق الله تعالى طاعته بكفره وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا
ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين اى واتركوا ما بقى لكم غير مقبوض من الربوا على من عاملتموه به ان كنتم
محقين فى الايمان فان الايمان يوجب عليكم طاعة ربكم فيما امركم به فاما المقبوض قبل التحريم فقد دخل فى قوله
فله ما سلف وقال الامام ابو منصور رحمه الله فى الاية دليل ان حدوث الحرمة المانعة للقبض يرتفع به العقد
ويثبت به ايضا ان حدوث شئ فى عقد معقود قبل القبض كالمعقود عليه فى استحقاق حصته من الثمن وقال
السدى رحمه الله نزلت الاية فى العباس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد وغيرهما كانت لهم ربوا على ثقيف
فامروا بوضعها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام حجة الوداع قال ان كل ربوا كان فى
الجاهلية فهو موضوع تحت قدمى هاتين واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان
وكانا قد اسلفا فى التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لا يبقى لى ما يكفى عيالى ان انتما اخذتما حقكما
كله فهل لكما ان تاخذا النصف واضعف لكما ففعلا حتى اذا حل ذلك الاجل سالاهما التاخير وضعف فبلغ
ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤوس اموالهما وقال مقاتل رحمه الله نزلت
الاية فى اربعة اخوة مسعود وحبيب وربيعة وعبد الليل وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يربون
فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف اشترطت ثقيف ان كل ربوا لهم على الناس فهو لهم وكل ربوا عليهم
للناس فهو موضوع عنهم وطلبوا رباهم اى بنوا المغيرة فاختصموا الى عتاب بن اسيد بن ابى العيص بن امية
رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على مكة فقالوا بنوا المغيرة ما انا جعلنا اشقى الناس
بالربوا وقد وضعه الله عن الناس فقالوا ثقيف انا صالحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب بن اسيد الى النبى
صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقصة الفريقين فانزل الله تعالى هذه الاية فبعث النبى صلى الله عليه وسلم بها الى

عتاب بن اسيد بمكة فبعث عتاب رضي الله عنه بها الى بني عمرو بن عوف فقالوا بل نتوب الى الله ونذر
ما بقي من الربوا فانه لا يد لنا بحرب الله ورسوله فطلبوا رؤس اموالهم الى بني المغيرة فاشتكوا العسرة فانزل الله
جل جلاله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقيل ان هولاء الاخوة قالوا حين اسلموا يا رسول الله متعنا
بالطاغية حولا ولا نركع ولا نسجد في الصلوة ولا نكسر اصنامنا بايدينا ونطلب ربانا من الناس فقال اما الطاغية
فلا خير في دين مع عبادة الاصنام واما الركوع والسجود فلا خير في صلوة لا ركوع فيها ولا سجود واما كسر الاصنام
فنحن نكفيكم ذلك واما الربوا فحرام عليكم لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين ونزل في ذلك وان كادوا
ليفتنونك الاية ونزل في الربوا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا الاية وقال الامام القشيري
رحمه الله الاكتفاء بموعود ربه خير والمقصود من تعلق قلبه بمقصود نفسه فاما المقصود من تسويلات النفس
والموعود من مضمونات الحق وقوله تعالى **فان لم تفعلوا** قيل ان لم تتركوا ما بقي من الربوا ايها المؤمنون
وقوله تعالى **فاذنوا بحرب من الله ورسوله** قرأ ابو عمرو والكسائي مقصورًا وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة
ممدودا وتفسير المقصور فاعلموا انتم وتفسير الممدود فاعلموا غيركم يقال اذنته بكذا وكذا اذا اذنا فاذن
به اذنا اي اعلمته فعلم واصله اسماع اذنه واعلام قلبه به وتقديره فاعلموا انكم تحاربون الله ورسوله وهو
تعظيم حال الربوا انه جعل ابدانهم كايذانه وهو تشبيه لهم بقطاع الطريق فان اسمهم في القران هذا انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله والجامع بينهما ان قاطع الطريق يحارب المؤمنين فياخذ منهم ما لم يعطهم
فصار محاربا لله ورسوله على معنى انه اذى اولياء الله ورسوله والمربي ايضا ياخذ الزيادة على راس ماله
فياخذ ما لم يعطوه فكان كقاطع الطريق في ذلك وهذا اثبات المعصية دون الكفر فهو كمن لا يستحله وهذا
كقوله صلى الله عليه وسلم من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وله وجه اخر فانه قال ان كنتم مؤمنين فان لم
تفعلوا اي فان تتركوا ان كنتم معترفين بحرمته ولم تقبلوا ذلك فاعلموا انكم كفار تحاربون الله ورسوله وقوله تعالى
وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان تبتم اي من اخذ الربوا فلكم رؤس اموالكم
قدر ما اعطيتموهم لا تظلمون انتم غرماءكم باخذ الزيادة ولا تظلمون اي هم لا يظلمونكم بالنقصان عن رؤس
اموالكم وقوله تعالى **وان كان ذو عسرة** رفع ذو من وجهين احدهما انه اسم كان وخبره مضمر كانه قال وان كان
ذو عسرة غريما لكم او وان كان هناك ذو عسرة او كان فيكم او منكم فيكون الخبر متقدما او متاخرا والثاني ان يكون
تاما مكتفيا باسمه عن خبره يقال كان الامر اي وقع وتقديره هذا فان وقع ذو عسرة وان حدث ذو عسرة
وان وجد ذو عسرة وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وان كان ذو عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة
وقوله تعالى **فنظرة** اي انظار وامهال ورفعه بطريقين فعليكم نظرة له او فله نظرة اي فانظروه وقوله تعالى
الى ميسرة اي الى يسار وغنى وقوله تعالى **وان تصدقوا خير لكم** ان مع الفعل مصدر اي وتصدقكم بكل
المال عليه اذا عجز عن ادائه خير لكم فانه في الدنيا فان وثوابه في الاخرة باق وقوله تعالى **ان كنتم تعلمون**
اي تعلمون بعلمكم والاية نزلت في دين الربوا ثم حكم دين كذلك لعموم اللفظ وقال الامام ابو منصور رحمه الله
دلت الاية على جواز التصرف في البيع الفاسد لانه جعل لارباب الاموال النظرة الى ميسرة من عليه المال
ولو كان له اخذه اخذه حيثما وجده اخذا مما فيه وليته الا بدلا وكان له حق تضمين من هو اغنى لم يكن للانظار
المعسر الى وقت الميسرة معنى وقال الامام القشيري رحمه الله حكم الله جل جلاله في حق المفلس فيما بيننا انه
في الدنيا فلا نطلبه لا يرحمنا مع عمله باعسارنا وعجزنا وافلاسنا وصدق افتقارنا اليه وانقطاعنا في العقبى له
وقوله تعالى **واتقوا يوما** اي عذاب يوم ويجوز ان يكون على ظاهره لان يوم القيمة يخوف لما فيه وقوله تعالى
ترجعون فيه الى الله اي تردون فيه الى حساب الله وجزائه وقوله تعالى **ثم توفى كل نفس ما كسبت**
التوفية والايفاء الكمال وما كسبت اي ما عملت من خير او شر وقيل ما احرزت من ثواب او عقاب وقوله تعالى
وهم لا يظلمون اي لا ينقصون وقيل اي لا يجري عليهم ظلم بمنع ثواب موعود وتعذيب لا على فعل منه موهوم وقيل ان
ابن عباس رضي الله عنهما بكى عند هذه الاية وقال هذه اخر اية نزلت وختم القران بالوعيد وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها سبعة ايام وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية هي اخر اية انزلت من القران وجاء
بها جبريل عليه السلام فقال ضعها على راس مائتين وثمانين اية من البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدا وعشرين يوما وقال الكلبي نزلت قبل وفاته بثلاث ساعات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها بين
اية الدين واية الربوا وقال ابي بن كعب رضي الله عنه اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه التداين والمداينة التبايع والمبايعة
بالدين فاما الاقراض فهو اعطاء العين ليملكه القابض بمثله ذكر في الايات المتقدمة الكسب والانفاق
ونهى عن الربا والاستربا واذن في البيع والشراء وبين في هذه الاية كيفية العقود وعلم كيفية ما يكتب فيها
من العهود فقال اذا تداينتم اي تعاملتم عقودا يكون البدل فيها دينا ثم قوله بدين تاكيد وان استفاد

ذلك بالتداين وقيل بل هو للتعميم اي اي دين كان قليلا او كثيرا وقيل كان التداين يذكر المجاز فقيده بقوله
بدين بيانا ان المراد حقيقة المداينة دون المجازات كما في قوله ولا طائر يطير بجناحيه لما كان الطيران يذكر للسرعة
ذكر الجناحين بيانا ان المراد به الحقيقة دون المجاز وقوله تعالى الى اجل مسمى هو الاجل المضروب لاداء البدل
الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما الاية في السلم قال ولما حرم الله تعالى الربوا اباح السلف فدلت الاية على اشتراط
الاجل في السلم لصحته ثم هذه الاية اطول اية في القران وابسطها شرحا وابينها كشفا وابلغها وجوها يعلم
بذلك ان مراعاة حقوق الخلق واجبة والاحتياط على الاموال التي بها قوام امور الدنيا والدين لازم وقال
القشيري وفيما شرع من الدين رفق لارباب الحاجات لان من مسته الحاجة يحمله الحال على الاحتيال ويضيق
فيه الصدر عن الاحتمال ويمنعه حفظ التجمل عن السؤال فاذن له في الاستدانة فضل الله في المال وقد وعد على
الادانة الثواب الكبير وذلك من لطف الله الكبير المتعال وقوله تعالى فاكتبوه اي اثبتوا ذكره في كتاب يشتمل
على وصف المعاملة ومقدار الحق والاجل ترجعون اليه عند الحاجة اليه وهذا وان كان خطابا للجميع لكنه
نبّه على المتداين فدل ان المخاطب به من فعل ذلك وقوله تعالى **وليكتب بينكم كاتب بالعدل** اي فليكتب
كل صاحب حادثة يعلم الكتابة بنفسه فليعين لها من يعلم ذلك وليكتبه الكاتب العالم العادل الذي
يراعي الطرفين ولا يزيد فيه ولا ينقص منه عن الحق والعدل بينهما على ما كان ولا يميل الى احدهما بزيادة
او نقصان ثم قال العلماء رحمهم الله ينبغي لهذا الكاتب ان يكون ما يكتبه متفقا عليه حتى لا يتوهم انه اذا رفع
الى قاض يرى خلافه ابطله وقوله تعالى **ولا يأب كاتب ان يكتب** هذا نهي مغايبة ولذلك سقطت الياء
من اخره والاباء الامتناع اي لا يأب كاتب ان يكتب هذه الوثيقة وقوله تعالى **كما علمه الله** اي كما ورد به الامر
في الشرع من الله تعالى وقوله تعالى **فليكتب** هذا امر مغايبة ولذلك جزم وقوله تعالى **وليملل الذي عليه الحق**
وهذا امر ايضا على المغايبة والاملال والاملاء الالقاء على الكاتب للكتابة والذي عليه الحق هو الذي عليه الدين
فلما كان الاملاء اليه دل ان القول في الدعاوي قول من عليه الحق وقوله تعالى **وليتق الله ربه ولا يبخس
منه شيئا** اي وليتق الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء بجحود الكل حقه ولا يبخس منه شيئا اي لا ينقص
من الدين الذي عليه شيئا في الاملاء فيكون بجحود البعض حقه وقوله تعالى **فان كان الذي عليه الحق سفيها
او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل** قيل السفيه العاقل البالغ الذي بلغ غير
رشيد فهو مبذر لماله مضيع له بسفهه والضعيف الصبي والذي لا يستطيع ان يمل المجنون وتفسير السفيه
بهذا المذهب ابي يوسف رضي الله عنه ومحمد والشافعي رحمهم الله فانهم يرون الحجر عليه فيبطل تصرفه ويقوم
مقامه وليه فاما ابو حنيفة رحمه الله فانه لا يرى الحجر عليه فهو يفسر السفيه على ما فسر من السفه من خفة
العقل ونقصان فيه والمجنون فائت العقل او مختل العقل والضعيف الصبي والذي لا يستطيع ان يمل
هو الاخرس ونحو ذلك وقوله تعالى فليملل وليه بالعدل اي فليقم مقامه عند عجزه في الاملال وليه ووحد الكتابة
مع سبق ذكر الثلاثة لانه ادخل بينهم كلمة او فيكون في الحادثة الواحدة واحد منهم فاضيف الولي الى ذلك
الواحد ثم تبين ان الكتابة لا تكفي وانما يقع التوثيق بالاشهاد على ذلك وقوله تعالى **واستشهدوا شهيدين
من رجالكم** اي اشهدوا على الكتاب اثنين من ذكوركم والاشهاد طلب الشهادة وسواهما فان سين الاستفعال
للطلب والسؤال وقوله تعالى **فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** الالف ضمير الشاهدين فانها للتثنية
وقد سبق ذكر الشاهدين وقوله تعالى فرجل وامرأتان له اربعة وجوه فليكن رجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان
فالشهيد رجل وامرأتان فرجل وامرأتان يشهدون ثم ليس هذا تعليق جواز شهادة رجل وامرأتين بعدم
رجلين وان كان ظاهره يقتضيه لاجماع الامة على ان اشهاد رجل وامرأتين مع امكان اشهاد رجلين جائز لكنه
بيان ان الاولى ان يشهد رجلان فالا ان يتعذر فيصار الى اشهاد رجل وامرأتين وقوله تعالى **ممن ترضون من
الشهداء** اي اشهدوا الرجلين او الرجل والمرأتين من العدول المرضيين من الشهود وقوله تعالى **ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى** قرأ حمزة ان تضل بكسر الالف فتذكر على الشرط اي ان نسيت
احداهما ذكرتها الاخرى وقرأ الباقون بالفتح ووجه الفتح انه يضمر فيها لام كي والضلال النسيان كما في
قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فان قالوا كيف قال ان تضل وانما الاشهاد للاذكار لا للضلال بسبب الاذكار
قلنا عنه جوابان احدهما تقدم الضلال على الاذكار لانه سببه كما يقال اعددت هذا الحائط ان يميل فادعمه
وانما اعده للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه والثاني قول الفراء انه لمعنى الجزاء وتقديره ان تذكر
احداهما الاخرى ان ضلت الا انه لما قدم ان اللانصال بما قبله من العامل فانفتح وقوله فتذكر اي تزيل نسيانها
وتثبت الذكر قبلها وقوله تعالى **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** له وجهان لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة
عن الحضور ليتحملوا الشهادة ولا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى اداء الشهادة ليؤدوها والاول للندب والثاني
للفرض وقوله تعالى **ولا تسأموا ان تكتبوه** اي لا تملوا قال تعالى وهم لا يسأمون وقوله تعالى **صغيرا او كبيرا**

الى اجله اى من ان تكتبوا ذلك الدين صغيرا او كبيرا اى قل او كثر فانه يجوز القليل فيه ابتدا ايضا والنون فى عنه لازم وصغيرا نصب على الحال ويجوز نصبا بكان على الاضمار وقال الامام ابو منصور رحمه الله دل هذا على ان السلم فى الثياب جائز لان الكيلى والوزنى لا يوصف بالصغر والكبر وقوله تعالى **ذلكم اقسط عند الله** اى اعدل والقسط العدل والقاسط الجائر وقوله تعالى **واقوم للشهادة** اى اشد تقويما له فان الشاهد لو اتكل على حفظه فقد يتغير واذا بنى على المكتوب الغائب استقام وقوله تعالى **وادنى الا ترتابوا** اى اقرب الى ان لا تشكوا فانه قد يقع الشك فى المقدار والصفات فاذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك وقوله تعالى **الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها** امر بالكتابة فى المداينات واباح تركها فى النقد من التجارات لزوال الداعى اليهم وقرا عاصم تجارة حاضرة بالنصب على انه خبر كان والاسم مضمر وتقديره الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة وقرا الباقون بالرفع على انه كان مكتفى باسمه وتقديره الا ان تحدث تجارة او تقع تجارة او يكون خبره تديرونها بينكم والتجارة الحاضرة هى النقد بالنقد وقوله تعالى **واشهدوا اذا تبايعتم** فى العاجل والاجل جميعا وهذا امر ندب وقوله تعالى **ولا يضار كاتب ولا شهيد** هذا نهى وحقه الجزم وفتح لالتقاء الساكنين وحرك بالفتح لانه اخف الحركات وفى كيفية حركة الراء الاولى قبل الادغام قولان قال الحسن وقتادة وابن زيد وعطا هى الكسرة اى ولا يضارر وهو نهى الكاتب والشاهد عن الاضرار بالمتعاملين او احدهما بالامتناع عن الكتابة وتحمل الشهادة فى حال خوف الفوت وكذا فى كتابة غير ما يملى عليه والتغيير منه وكذا فى الشهادة على غير ما له او الامتناع عن اداء الشهادة وقال ابن مسعود ومجاهد رضى الله عنهما هى الفتحة اى ولا يضارر وهو نهى المتعاملين عن الحاق الضرر بالكاتب والشاهد فى امرهما بالكتابة وتحمل الشهادة وهما مشغولان بمهم لهما واجبارهما على الفعل مع امتناعهما ووجود غيرهما والتضييق عليهما فى التعجيل وهما فى حاجة لهما ما لم يفرغا منها وهو كما مر فى قوله تعالى لا تضار والدة بولدها انه له وجهين وقوله تعالى **وان تفعلوا فانه فسوق بكم** اى الضرر فسق وخروج عن الامر وقوله تعالى **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم** هذا كله ظاهر وقوله تعالى **وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة** اى فالوثيقة رهان وهى جمع رهن وهى العين المقبوضة بالدين توثقا له وقرا ابو عمرو وابن كثير فرهن وهى جمع جمع ومقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمه دوام الحبس فانه لا يصير رهنا الا بالقبض فذكر الرهن ذكر لذلك القبض ثم وصفها بالمقبوضة بعد ذلك اشتراط لدوام القبض فيها وقوله تعالى **فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته** اى فان ائتمن الطالب والمطلوب فلم يوثق بالكتابة والشهود والرهن فليؤد المطلوب الامانة مصدر اريد بها المفعول ههنا كما فى قولهم هذا علمه وهذه قدرته وهذه شهوته وقوله تعالى **وليتق الله ربه** اى فلا يجحد حقه ولا يمنعه وقوله تعالى **ولا تكتموا الشهادة** هذا خطاب للشهود وقوله تعالى **ومن يكتمها فانه آثم قلبه** وكتمان الشهادة على ثلاثة اوجه ان تكون له شهادة على المطلوب والمطلوب يظن انه لا شهادة عليه فيقصد المنع وهذا الشاهد لا يخبر ان له عليه شهادة بذلك ليحمله ذلك على اداء الشهادة بالحق والثانى انه لا يعلم الطالب ان له على حقه شاهدا وهو كالفاجر فى حاله فلا يخبر ان له شهادة على حقه فيتقوى به والثالث ان تكون شهادته ظاهرة ولكن اذا طلبها المدعى منه امتنع وكتم تلك الشهادة وقوله تعالى فانه آثم قلبه قيل اى فاجر قلبه وقيل يواخذ به قلبه وانما علقه به لان الكتمان يكون من القلب ولانه يكون بقصد القلب الى ذلك وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان اصل الاثم ينشا من القلب قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا اصلحت صلح لها سائر الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهى القلب ثم يشيع فى البدن فلذلك اضافه الى القلب قال تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقال ولكن ما تعمدت قلوبكم وقوله تعالى **والله بما تعملون عليم** هذا وعد ووعيد على ما مر مرات وقوله تعالى **لله ما فى السموات وما فى الارض** كلمة ما تتناول ما فيهما ومن فيهما اى فليس عليه من اسرار خلقه وافعالها شىء خاف عليه فمن ايتمر بامره وانتهى بنواهيه علم ذلك ومن خالف ذلك علم ذلك حثهم على العمل بكل ما فى هذه الاية وما قبلها وقوله تعالى **وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله** اى ما فى قلوبكم من كتمان الشهادة وغير ذلك وهو كقوله وان تلووا او تعرضوا الاية دل ظاهره على المواخذة بما يكون من القلب وجملته ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم مغفورة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما الهمة بالسيئة ثم يمتنع عنها بمانع لا باختياره وهو ثابت على ذلك لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله يعنى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا اما هل يعاقب على العزم عقوبة عزم الزنا قيل هو معفو عنه لقوله عليه السلام ان الله عفى لامتى عما حدثت به انفسها ما لم تعمل به او تتكلم واكثرهم على ان الحديث فى الخطرة دون العزمة وان المواخذة فى العزمة ثابتة ولهذا قال الامام ابو منصور رحمه الله وذكر شمس الائمة ابو محمد عبد العزيز احمد الحلوانى رحمه الله فى كتاب احكام القران فى هذه

الاية

الاية وقال ان الخطرة لا يواخذ بها والعزمة يواخذ بها والله جل جلاله يعاتبه ويحاسبه ثم ان شاء غفر له وذلك تفضل منه وان شاء عذبه وذلك عدل منه واستدل بقوله ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم واحتج القائلون به بايات من القران منها قوله جل جلاله ولا متخذى اخدان وقوله عز وعلا ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الاية وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وقوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا وقال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقال الامام القشيرى رحمه الله ان تبدوا ما فى انفسكم من المعانى والدعاوى او تخفوه من المقاصد والمطالب قال ويقال ما تبديه العبادة وما تخفيه الارادة وقيل ما تخفيه الفكرات والخطرات وما تبديه السكنات والحركات وقوله تعالى **فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** قال الحسن رحمه الله ليس يعاتب الله تعالى عبدا اسر عملا او اعلنه من حركة فى جوارحه او هم فى قلبه دون ان يعرفه اياه يوم القيمة حتى يعذره ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بما يشاء وروى الضحاك عن عائشة رضى الله عنها فى قوله وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله قالت هو الرجل يهم بالمعصية ولا يعملها فيرسل عليه من الهم والحزن بقدر ما هم به من المعصية فذلك محاسبته وفى اكثر التفاسير من وجوه مختلفة انه لما نزلت هذه الاية جزعت الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا انواخذ بما حدثت به انفسنا فنزل قوله امن الرسول الى قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفى بعضها انها نسخت بهذه واكثر المحققين من اهل الاصول على ان النسخ يكون فى الاحكام دون الاخبار وهذا خبر وليس فى اكثر الروايات لفظ النسخ ووردت هذه الاية بعد تلك الاية وهو بيان انه لا يواخذ بالخطرة فهى ليست فى وسعه ويواخذ بالعزمة او يكون المحاسبة بالمسائلة ثم يكون العفو وتفسيره ختم الاية وهو قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ثم تكلموا فى اهل هذه المشيئة والصحيح انه يعذب الكفار لا محالة ولا يغفر الشرك فاما ما وراء ذلك فان شاء غفره بفضله وان شاء عذب عليه بعدله وقوله تعالى **والله على كل شىء قدير** اى من المغفرة والتعذيب وغير ذلك وقوله تعالى **امن الرسول بما انزل اليه من ربه** قال الحسن ومجاهد وابن سيرين وابن عباس رضى الله عنهم فى رواية ان جبريل عليه السلام انزل على محمد صلى الله عليه وسلم جميع القران الا هذه الايات الثلاث فان الله تعالى اوحى الى محمد هذه الايات الثلاث ليلة المعراج بلا واسطة وسورة البقرة مدنية الا هذه الايات الثلاث وقال سعيد بن جبير والضحاك وعطا وابن عباس رضى الله عنهم فى رواية انه نزلها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقوله تعالى امن الرسول اى اعتقد واقر بما انزل اليه من ربه اى بوحى القران اليه ولم يرد به حدوث الايمان فيه بعد ان لم يكن كذلك لانه كان مؤمنا بالله يوحده انبئه قبل الرسالة منه ولا يجوز ان يوصف بغير ذلك لكن اراد به الايمان بالقران فانه قبل انزال القران لم يكن عليه الايمان به وهو معنى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى ولا الايمان بالكتاب فانه قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب وقال الامام القشيرى رحمه الله شهادة الحق سبحانه لنبيه عليه السلام بالايمان اتم له من اخباره عن نفسه بشهادته قال ويقال امن الخلق كلهم من حيث البرهان وامن الرسول من حيث العيان امن الخلق بالوسائط وامن الرسول بلا وسائط امن الخلق استدلالا وامن الرسول مشاهدة ووصالا وقوله تعالى **والمؤمنون كل امن بالله** اى محمد وامته كل منهم امن بالله **وملائكته وكتبه ورسله** وقيل امن الرسول بما انزل اليه من ربه هذا تام وهو اخبار عن ايمانه بالقران وكان هذا بعد الوحى وايمانه بكل الاركان التى سواه كان موجودا قبل ذلك منه ثم قال والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وايمان المؤمنين بكل هذه الاشياء كان بعد ما دعوا اليها فانهم لم يكونوا عارفين بها مؤمنين بها وكل كلمة تصلح للواحد والجمع فانها تتم عموم الافراد وفى القران كل قد علم صلاته وتسبيحه وكلهم اتيه وهذا للفرد وقال كل الينا راجعون وكل اتوه وهذا للجمع وقوله تعالى **لا نفرق بين احد من رسله** وفى مصحف عبد الله بن مسعود وهو قراءة الجماعة من التابعين رضوان الله عليهم اجمعين لا يفرق بالياء ردا الى قوله كل والقراءة الظاهرة لا نفرق بالنون وفيه اضمار يقولون وهو كثير فى الايات اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم واحد بمعنى احاد كما فى قوله فما منكم من احد عنه حاجزين وقال رؤبة اذا امور الناس دينكت دينكا • لا يرهبون احدا رائكا • ومعناه بين احد من رسله كتفريق اليهود والنصارى بالايمان ببعض الرسل والكتب دون بعض وقوله تعالى **وقالوا سمعنا واطعنا** سمعنا اى باذاننا واطعنا اى بابداننا وقيل سمعنا اى عقلنا وفهمنا كما فى قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وقيل سمعنا اى قبلنا وهو كقولهم سمع الله لمن حمده وقوله تعالى **غفرانك ربنا** اى يقولون اغفر لنا كما قال تعالى فضرب الرقاب اى فاضربوا او يقولون نسالك غفرانك وهو اولى لئلا يتكرر الدعا بقوله فى اخر السورة واغفر لنا ويصلح

الجمع بينهما نسألك غفرانك فاغفرلنا وقوله تعالى وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ اى المرجع فى التوفيق فى الدنيا والثواب
فى الاخرة وفيه اقرار بالبعث والجزاء وفيه دليل على بطلان الاستثناء وعلى تحقيق اسم الايمان بوجوده وقوله
تعالى لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ حملها المتكلفون لمراعاة النظم
على قول المؤمنين ذلك اى انهم قالوا ان الله لا يكلف نفسا الا طاقتها ولكل نفس ثواب ما اطاعت وعلى كل نفس عقاب
ما عصيت فان ما قبلها وما بعدها كلامهم ويجوز ان يتخلل بين كلامى المؤمنين اخبار من الله عز وجل بذلك
ويكون الكلام بالمخاطبة والمغايبة واعتراض الكلام قبل التمام فى القرآن كثير وهو فى كلام البلغاء موجود ومعنى
الاية لا يأمر الله عبدا بما ليس فى طاقته ولكل نفس ثواب ما عملت من خير وعليها عقاب ما عملت من سوء والكسب
والاكتساب كل واحد منهما يصلح اطلاقه فى عمل الخير والشر قال تعالى ومن يكسب اثما بلى من كسب سيئة وانما
غاير بين اللفظين عند ذكر عملين لانه اعذب فى السماع وانما جعل الكسب فى الخير والاكتساب فى الشر لان
الافتعال فيه زيادة تكلف على الفعل والذنب لا يوتى الا بزيادة جهد من العبد وتكليف من النفس فاما الخير
نفعله بدينه والمؤمنون والصالحون والمعانى الغالبة له جالبة وقوله تعالى رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَأْنَا اى يقولون ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطا فان التحرز عنهما فى الجملة ممكن ولولا
جواز المؤاخذة فى النسيان والخطا لم يكن للسؤال معنى وخفف الله تعالى عن هذه الامة فرفع عنها المؤاخذة وقال
النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فدل انهم مخصوصون بها والامم
السالفة كانوا مؤاخذين بذلك وقوله تعالى رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِنَا اى ثقلا وجمعه الآصار قال تعالى ويضع عنهم اصرهم وهو العبادات الشاقة والعقوبات العظيمة والاحكام
الشديدة وما كان يظهر على جباههم وابواب دورهم من ذنوبهم التى اخفوها وقوله تعالى رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ اى لا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ولم يرد به عدم الطاقة اصلا فانه لا يكون فلا يسأل
وهو كقول النبى صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وشرابه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقيل اى ما يشق
علينا من الدوام عليه وقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع اى كان يشق عليهم ذلك لا انهم لم يستطيعوها
اصلا وقوله تعالى وَاعْفُ عَنَّا اى اترك عقوبتنا قال عليه السلام عفوت لامتى عن صدقة الخيل والرقيق
وقيل اى تجاوز عنا فلا تعاقبنا بذنوبنا وقد عفت الريح الاثر اى محته وقوله تعالى وَاغْفِرْ لَنَا اى استر ذنوبنا
وليس بتكرار فان الاول تركه حتى لا يؤاخذ به او محوه حتى لا يبقى والثانى ستره حتى لا يظهر وقد يتجاوز عن الشيء
فلا يؤاخذ بجزائه لكن يذكر ذلك ويظهر والمؤمنون امروا ان يسألوا التجاوز عنها واخفاءها حتى لا يظهر حالهم
لاحد ولا يفتضحوا به وقوله تعالى وَارْحَمْنَا اى اكرمنا بكل شيء سميته رحمة وقد بينا ذلك فى سورة الفاتحة وقوله
تعالى أَنْتَ مَوْلَانَا اى ولينا وناصرنا وقيل اى حبيبنا وقيل متولينا وقيل اى حافظنا وقيل اى مصلح امورنا
وقيل اى والينا ومليكنا وقوله تعالى فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اى اعنا عليهم وادفع عنا شرهم والنصرة
على الكفار تكون بالظفر وتكون بالحجة وتكون بالنصرة وهو سؤال العصمة من الشياطين ايضا لانهم منهم وقد
ختمت هذه السورة بما بديت به وهو ذكر المؤمنين والكافرين فان الله تعالى اخبر فى افتتاح هذه السورة ان هذا
الكتاب لا ريب فيه وانه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب والذين يؤمنون بما انزل اليك ثم قال اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ثم شهد فى اخر هذه السورة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولامته بهذا الايمان
وجمع بين النبى وبين امته فى ذلك وفى ذلك نهاية الفضيلة وكمال الشرف لهذه الامة ولله الحمد والمنة وقيل فى
جميع معانى السورة انها تضمنت بيان التوحيد والعبادات والمعاملات والمحاكمات والمحللات والمحرمات
والمثوبات والعقوبات واكثر ما اليه حاجة الخلق فى جميع الحالات ثم ختم السورة ببيان عظمته وجلاله
وسلطنته ومملكته بقوله لله ما فى السموات وما فى الارض اعلاما ان قبول ذلك كله مما يلزم الخلق ولا يسعهم
الاخلال بها ولا يمكنهم الخروج عن حكمه ولا يعزب شيء من احوالهم عن علمه ثم ذكر بعده حال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
الذى اوحى اليه ذلك وانه عظيم الشان والقدر رفيع المنزلة والذكر ثم مدح امته بالايمان بذلك كله والاعتصام
منهم بعدله وفضله والاستعانة منهم به فى قوله وفعله وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما اسرى به قال له ربه
عز وجل اعطيت يا محمد ما لم يعط نبى كان قبلك اعطيت فاتحة الكتاب واعطيت خواتيم سورة البقرة وهى
كنز من كنوز عرشى ولم يعطهن نبى كان قبلك وروى ابو امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا
الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان اهلهما يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان
من طير صواف يحاجان عن اهلهما ثم قال تعلموا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها
البطلة يعنى السحرة ثم قال هذا لمن يتعلمه فلم يغل فيه ولم يجف عنه ولم ينسأ كل ... ولم يستكثر به والحمد لله
رب العالمين ❁

سورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذى نزل الكتاب الرحمن الذى يرزق من يشاء بغير حساب الرحيم الذى عنده حسن الثواب روى ابو هريرة رضى الله

عن النبى

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ فى ليلة سورة آل عمران صلت عليه الملائكة من تلك الساعة الى الغد
الى ان تغيب الشمس ثم سورة آل عمران مكية فى قول عكرمة والحسن البصرى مدنية فى قول عامة اهل التفسير وهى
مائتا آية لا اختلاف فيها وثلاثة الاف واربعمائة وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وستمائة وستة وثلاثون حرفا
وانتظام هذه السورة بالسورة التى قبلها ان الاولى افتتحت بذكر الكتاب ومدح المؤمنين به وذم الكافرين به
ثم وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وفى اخر هذه السورة مدح الله تعالى نفسه ثم مدح رسوله ثم مدح المؤمنين
ثم ذكر دعواتهم وهذه السورة افتتحت بذكر الكتاب ايضا ثم بذكر المؤمنين ثم بذكر الكافرين واخرها بمدح
الله جل جلاله ان فى خلق السموات والارض ثم بذكر المؤمنين ثم بذكر دعواتهم وانتظام افتتاح هذه السورة
باخر تلك السورة ان ختمها بقوله عز وعلا فانصرنا على القوم الكافرين وذكر فى اول هذه السورة وحدانية الله
تعالى ثم ذكر المؤمنين والكافرين ونصر الله المؤمنين على الكافرين بقوله تعالى والله يؤيد بنصره من يشاء ۝
ونزولها فى شأن وفد نجران ذكر محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفى الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم
يؤول امرهم العاقب امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد
ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وحبرهم وصاحب
مدارسهم وكانت ملوك الروم قد شرفته ومولته واكرمته لما يبلغه عن علمه واجتهاده فى دينهم فلما وجهوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من نجران كان ابو حارثة على بغلة له والى جنبه اخ له يقال له كرز بن علقمة يسير معه اذ عثرت
بغلة ابى حارثة فقال كرز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل امك تعست فقال
ولم قال والله انه للنبى الذى كنا ننتظره قال له كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا
ومولونا واكرمونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمر عليها منه اخوه كرز حتى اسلم بعد
ذلك فهو كان يحدث بهذا الحديث عنه وكان اسماء الاربعة عشر العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم
وابو حارثة بن علقمة وكرز والحارث وزيد وقيس وزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس
فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو حارثة والعاقب والسيد وهم على النصرانية على اختلاف من قولهم يقولون
هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة ويحتجون لقولهم هو الله بانه كان يحيى الموتى ويبرئ
الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون لقولهم بانه ولد الله
بانه لم يكن له اب ويحتجون لقولهم ثالث ثلاثة بقول الله فعلنا وقضينا ولو كان واحدا لقال فعلت وقضيت
ففى كل ذلك من قولهم نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا انا قد اسلمنا
فقال كذبتما يمنعكما عن الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير فقالا فمن ابوه يا محمد
فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلافهم من صدر سورة
آل عمران الى بضع وثمانين آية منها الى قصة المباهلة فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء فى القضاء
فيما بينه وبينهم وامره بملاعنتهم ان ردوا عليه ذلك دعاهم الى ذلك فقالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر فى امرنا
ثم ناتيك بما تريد ان تفعل فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال
والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا لنبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن
قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم ابيتم الا الف دينكم والاقامة
على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا
من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى اشياء قد اختلفنا فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى العشية
ابعث معكم القوى الامين قال فكان عمر يقول ما احببت الامارة قط قبل يومئذ رجاء ان اكون صاحبها
فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وعن شماله
وجعلت اتطاول له ليرانى فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى ابا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض
بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر رضى الله عنه فذهب بها ابو عبيدة وقال الربيع بن انس فى تفسيره ان النصارى
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه فى عيسى عليه السلام فقالوا من ابوه فقالوا على الله الكذب والبهتان
فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه والده قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه
ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض
ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم
كيف شاء ثم قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى

قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امراة كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها وغذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الماء ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله تعالى الم الى اخر الايات وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم انه كلمة الله وروح منه قال بلى فانزل الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الايات وقوله تعالى **الم** ذكرنا الاقاويل الكثيرة فيه فى سورة البقرة وفتح الميم لذى الوصل لاستثقال الكسرة بعد الياء الساكنة ولاختيار اخف الحركات وقال الفرا والزجاج القى على الميم فتحة الهمزة من قوله الله ولا يقال هو الف الوصل لانه لا يكون له فتحة مستحقة لان الم هجاء وينوى فيه الوقف وينوى بعده الاستيناف فتكون الهمزة فى حكم الثابتة وقوله تعالى **الله لا اله الا هو الحى القيوم** فسرناه فى اول اية الكرسى وقال ابن عباس رضى الله عنهما وحد الله نفسه حيث لم توحده النصارى واليهود والمشركون قال وهو الحى بنفسه لا باحياء غيره والقيوم به قيام كل شئ وعيسى صلوات الله عليه كان حيا باحياء الله تعالى وقايما باقامته فكيف يكون الها وقوله تعالى **نزل عليك الكتاب بالحق** اى فصل انزال القران عليك يا محمد شيا بعد شئ فى ثلاث وعشرين سنة وهو انزال جبريل بوحى القران وقوله تعالى بالحق اى بالصدق فيما اختلف فيه وقيل لبيان الحق وقيل بالصواب والصحة والحكمة البالغة وقيل جميع ما فيه صدق لا خلف فيه ولا كذب وقيل بايجاب شكر المنعم على عباده وقيل بالحق الذى يجب لبعضهم على بعض وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** اى موافقا لما قبله من الكتب المنزلة فى التوحيد واختلاف الشرايع لا يوجب التناقض على ما مر فى سورة البقرة وقوله تعالى **وانزل التوراة والانجيل من قبل** اى من قبل انزال القران عليك وقوله تعالى **هدى للناس وانزل الفرقان** اى بينا لهم امر دينهم وفى كل هذه الكتب نفى كل معبود سوى الله تعالى وبطلان ما يقوله النصارى فى عيسى وانزل الفرقان قيل هو بيان القران وقيل هو القران بعينه وانما اعاده بعد ما قال فى اوله نزل عليك الكتاب لانه سماه باسمين وكل اسم يدل على معنى فالاول يدل على انه مجموع لان الكتابة هى الجمع والفرقان يدل على انه فارق بين الحق والباطل فكان ذكر صفتين فلم يكن تكرارا والجواب الاوضح انه ذكر فى اول الاية التنزيل على التفعيل وذلك يدل على التكرير وهو اخبار عن تنزيله شيا بعد شئ فى مدة عمره وذكر فى اخر الاية الانزال وهو الانزال اول مرة واراد به من اللوح الى السماء الدنيا جملة فى ليلة القدر فى شهر رمضان فهو اخبار عن شيئين ولذلك قال فى التوراة والانجيل وانزل التوراة والانجيل ولم يقل نزل لانهما انزلا جملة وذكر فى القران مرة تنزيلا للتفصيل تنزيله فى طول المدة وذكر الانزال مرة لانزاله من اللوح الى السماء جملة وقيل الفرقان المخرج من الشبهات قال الله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو يكون صفة للتوراة والانجيل والقران جميعا فقد ذكرها قبله وقيل الفرقان نصر الانبيا واراد به فتح الكل وقال السدى فيه تقديم وتاخير وتقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان وقوله تعالى **ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد** اى بالقران قال الله تعالى بل هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم اى اليهود والنصارى الذين جحدوا القران مع انه فى كتابهم لهم عذاب شديد فى الاخرة لا بطلان بما فعلوا لا عذر لهم فيه وقوله تعالى **والله عزيز ذو انتقام** اى يمتنع من قولهم ارض عزيزة اى ممتنعة السلوك لصعوبتها والله عزيز اى يمتنع بسلطانه ان يعارضه احد فى عذاب اراده بمن شاء وقيل عزيز اى غالب لا يمنعه احد عما يريد من قولهم من عز بز اى من غلب سلب وقوله تعالى ذو انتقام اى ذو عذاب وقيل ذو بطش شديد وقيل ذو انتصار من اعدائه لاوليائه وقيل هو عام فى حق جميع الكفار بالايات الكتب كلها وكذلك الانبياء كلهم لان الاية هى العلامة والانبياء اعلام قال الله تعالى لقد كان فى يوسف واخوته ايات للسائلين وقال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية وكذلك دلائل التوحيد كلها ايات قال الله تعالى وكاين من اية فى السموات والارض وقوله تعالى **ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء** اى فكيف يخفى عليه قول هولاء النصارى وعيسى كان يخفى عليه امر السماء وكذا امر الارض فقد خفى عليه تدبير الكفار فى قتله وكيف يكون الها والله هو الذى لا يخفى عليه شئ وقوله تعالى **هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء** اى يجعلكم على هيئة مخصوصة فى ارحام امهاتكم من ذكر وانثى واسود وابيض وتام وناقص وطويل وقصير وحسن وقبيح والصورة الهيئة وهى من الصور وهو الضم والقطع والامالة وفى الصورة ذلك كله والتصوير بعد التارات الثلاث من النطفة والعلقة والمضغة اى ان الله تعالى هو الذى يقدر على ذلك فهو الاله وعيسى كان مخلوقا صوره الله تعالى فى الرحم وهو المصور والقادر على ما يشاء فله ان يصوره من غير اب وقوله تعالى **لا اله الا هو** نزه نفسه ان يكون عيسى ابنا له وقوله تعالى **العزيز الحكيم** المنيع فى ملكه والحكيم فى قوله وفعله قال الامام ابو منصور رحمه الله قوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء فيه نقض قول القائل فانه جعل مشيئة التصوير لنفسه وعلم ذلك الى نفسه وقوله تعالى **هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات** المحكمات المتقنات وام الكتاب اصله وما يرجع اليه فى تعرف المشكلات واخر جمع اخرى والمتشابهات المشتبهات وللاقاويل فيها كثيرة وانتظامها بما

قبلها

قبلها وهو احد هذه الاقاويل ان النصارى لما احتجوا بقولهم ثالث ثلاثة بما نزل من قول الله نحن فعلنا نحن قضينا نزلت هذه الاية ووجه ذلك ان الايات المحكمات ما فيها من الايات الدالة على وحدانيته تبارك وتعالى ونفى الالهية عن غيره وهى ايات بينات غير محتملة للتاويل والايات التى فيها نحن فعلنا نحن قضينا متشابهات يشتبه معناها على من جهل وجوه خطاب العرب وقد اخبر ان المحكمات اصل ومن جهتها يحصل العلم بالتوحيد دون تاويل المتشابه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرايضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به واما المؤمنون فيقولون كل من عند الله تعالى محكمه ومتشابهه واما الذين فى قلوبهم زيغ من اهل الشرك فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون فيلبس الله عليهم وقال الكلبى المحكمات المبينات الحلال والحرام ولم تنسخ وهى ثلاث ايات فى سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الايات هن اصل الكتاب انزلها الله تعالى على محمد وفيها جميع الحلال والحرام وهو امر فى التوراة والانجيل والفرقان وفى كل كتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار واخر متشابهات يعنى ما اشتبه على كعب بن الاشرف وابن ياسر من حساب الجمل وهى الم والمر والمص والر وقد بينا تلك القصة فى اول سورة البقرة وفى تفسير مقاتل فى قوله تعالى وابتغاء تاويله الى كم تملك هذه الامة وما يعلم تاويله الا الله اى الله يعلم كم يملكون من السنين وقيل الاية نزلت فى النصارى حين اتوا النبى صلى الله عليه وسلم وناظروه فى عيسى عليه السلام فقالوا كان الها لانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وينفخ فى الطين فيصير طيرا ويعلم الغيب قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون ورد النبى صلى الله عليه وسلم قولهم انه كان فى الرحم ويخرج من المبال وكان ينام وكان ياكل الطعام ويحدث فنزلت الاية ردا عليهم لانه اشتبه الامر عليهم فجعلوا الدلايل التى دلت على نبوته دلالة الربوبية وما فعلوا ذلك الا ابتغاء الكفر واتباع ابتغاء الفتنة بين المؤمنين وقيل الايات المحكمة لا اله الا هو الحى القيوم وانزل التوراة والانجيل ان الله لا يخفى عليه شئ هو الذى يصوركم فى الارحام والمتشابهات كقوله الم المر المص الر وقيل المحكم ما لا يحتمل الا وجها واحدا والتحكيم والاحكام المنع والحكمة مانعة للفرس من الجماح والمحكم ما يمنع على من اراد صرفه الى غير مراده والمتشابه ما يحتمل وجوها وهو من الشبه وهو المثل الى نسبة هذا بوجه وهذا بوجه وقيل المحكم ما دل على صفات الله تعالى من علمه وقدرته وكرمه وبعض وسائر صفاته واما المتشابه فما لا بد له فيه ان يصرف عن ظاهره الى وجه من وجوه التاويل فيه كقوله فى جنب الله وخلقت بيدى وتجرى باعيننا ونحو ذلك وقال ابن كيسان المحكمات هى التى حججها واضحة لا حاجة لمن سمعها الى طلب معانيها وهى ما اخبر الله تعالى عن التوراة والانجيل وما فعل بالامم الخالية وما كان سبب عقابهم وما اخبر عن خلق الناس من نطفة او تراب ومن احيائهم واماتتهم وغير ذلك فهذا كله محكم وهو الاصل الذى لو فكر فيه عرفتم ان كل ما جاء به محمد حق من عند الله والمتشابه هو الذى يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق منه من الباطل وقال ابن كيسان ومن المتشابه ما وعد الله تعالى المؤمنين من النصر والظفر واوعد الكفار من النقمة وتغيير النعمة فيقولون ايتنا بعذاب الله وايتنا بالساعة لوما تاتينا بالملائكة ليشبهوا على الضعفة وكذلك الايات التى تتطرق بظواهرها الملحدة الى الطعن فى كتاب الله تعالى والتلبيس بها على الضعفة وقيل المحكم ما اجتمعوا على حكمه كتوحيد الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق بذاته وصفاته والصلوات الخمس وصيام رمضان ونصب الزكوات واركان الحج والغسل من الجنابة وما اجمع عليه الصدر الاول والمتشابه ما اختلفوا فيه قال مسعر بن كدام كان عمرو بن مرة اذا صلى الفجر بعد ما كف بصره قال لاصحابه افيكم غريب فان قالوا نعم سكت فلم يحدث وان قالوا لا اقبل يحدثهم وانه صلى الفجر يوما فلما انصرف قال لاصحابه افيكم غريب قالوا نعم فسكت فقال الغريب يرحمك الله انى جئتك مسترشدا انى رجل دخلت فى جميع هذه الاهواء فلم ادخل فى هوى منها الا القران يدخلنى فيه ولم اخرج من هوى الا القران يخرجنى منه حتى بقيت ليس فى يدى شئ فقال له والله الذى لا اله الا هو لقد جئت مسترشدا فقال والله الذى لا اله الا هو لقد جئت مسترشدا فقال ارايت ما اختلفوا فيه هل اختلفوا فى ان الله واحد قال لا قال فهل اختلفوا فى ان محمدا رسول الله قال لا قال فهل اختلفوا فى ان القران كتاب الله قال لا قال فهل اختلفوا فى الصلوات الخمس انها خمس قال لا قال فهل اختلفوا فى رمضان انه شهرهم الذى يصومونه قال لا قال فهل اختلفوا فى الحج انه بيت الله الذى يحجونه قال لا قال فهل اختلفوا فى الزكوة انها من مايتى درهم خمسة دراهم قال لا قال فهل اختلفوا فى الغسل من الجنابة قال لا قال فذكر له هذا واشباهه قال ثم قال اقرا هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الاية فالمحكم ما اجمعوا عليه والمتشابه ما اختلفوا فيه فشد يديك بالمحكم واياك والمتشابه قال فقال الرجل الحمد لله الذى ارشدنى على يديك فوالله لقد جئتك وانى لمن اسوء الناس حالا ثم لقد قمت من عندك وانى لحسن الحال فدعا له ثم قام فقال عمرو ان الشيطان

دعا اهل الكتاب الى امر فاجابوه فطرحهم فيما قد علمتم وهو داعيكم كما دعاهم وطارحكم في مثل ما طرحهم فيه
فعليكم بالامر الاول قال فان قال قائلكم ما الامر الاول فهو ما اجتمع عليه المتفرقون وقوله تعالى فاما الذين
في قلوبهم زيغ اي ميل عن الصواب وانحراف عن الحق وقوله تعالى فيتبعون ما تشابه منه اي يتعلقون بالمتشابه
منه ولم يرد به اتباع الموافقة بل هو طلب شبه المجادلة وهو كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين وقوله
تعالى ابتغاء الفتنة قيل لابتغاء الكفر كما قال تعالى ان تصيبهم فتنة وقيل هو التماس اتباع الضعفة في
الفتنة وهي الصد عن الحق في حق الكفار الذين يطلبون الهدى والاخراج عن الدين الحق اذا كانوا على الهدى
وقوله تعالى وابتغاء تاويله اي وليبتغوا من الضعفة ان يخبروهم بتاويله بهذا المتشابه وليس ذلك
على معنى طلبهم تاويله على سبيل التعرف والتعلم لكن على سبيل الاستزلال وانما جعله مبتغى التاويل لان
الطاعن يخرج كلامه مخرج السؤال ليقصد به ضعيفا لا بصر له فيه فيوقع في قلبه شبهة وهي عادة الملحدين
والمبطلة من اهل الاهواء وقال ابن عباس رضي الله عنهما لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه لا تخاصم هولاء الخوارج
بالقران فان القران حمول ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خذهم بالسنن فانهم لن يجدوا عنها محيصا
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياتي اقوام ياخذونكم بشبهات القران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن
اعلم بكتاب الله تعالى وقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله منهم من وقف على هذا وقال لا يعلم المتشابه الا الله وفي
مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وما يعلم تاويله الا الله وقيل الراسخون في العلم امنا به وعن عمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنه قال في قوله والراسخون في العلم يقولون امنا به فقال انتهى علمهم الى ان قالوا امنا
به كل من عند ربنا وقال ابن كيسان كذلك وقال ولا ننكر ان يكون للقران تاويل استاثر الله بعلمه دون خلقه
لانا لا نعلم مراد الله عز وجل وحكمته في اوامره ونواهيه غير انه الزمنا العمل بما انزل ولم يطالبنا بما لا سبيل
لنا الى معرفته وقال هولاء فايدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما اراد الله به ومعرفة قصور
افهام البشر والوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيل واكثر اهل العلم على ان الراسخين في العلم يعلمون المتشابه
ويوصل قوله والراسخون في العلم بالاول وقال مجاهد والراسخون في العلم يعلمون ويقولون امنا به قالوا ولو
لم يعلم لم يكن للراسخين في العلم حظ في علم المتشابه الا ان يقولوا امنا به كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال
لانهم جميعا يقولون ذلك قالوا ولم تزل المفسرون الى يومنا هذا يفسرون ويؤولون كل اية ولم نرهم توقفوا
عن شيء من القران فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله بل فسروه نحو حروف الهجا وغيرها وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال كل القران اعلم الا اربعة غسلين وحنان والاواه والرقيم ثم روي عنه انه علم ذلك قال النبي
لم ينزل الله شيا من القران الا لينتفع به عباده ويدل به على معنى اراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا
للطاعن مقال وهل يجوز ان يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز ان يعرفه
مع قوله وما يعلم تاويله الا الله جاز ان يعرفه الربانيون من صحابته فعلى قول هولاء على الوصل معناه وما يعلم
تاويله الا الله ومن فضله الله من الراسخين في العلم اي الثابتين المستقيمين الذين لا يتهيا استزلالهم ولا
تشكيكهم وقد مدح النبي في العلماء اي استحكم يقول ينبغي للمبتغين المتشابه ان يقصدوا بسؤالهم هولاء الراسخين
ليكشفوا لهم ذلك ان كانوا مسترشدين وفيه ان الله تعالى لم يسو بين خلقه في العلم بالمتشابهات كما سوى بينهم
في سائر العلوم وقوله تعالى امنا به كل من عند ربنا اي المحكمات والمتشابهات ثم على القول الاول والراسخون
في العلم مبتدا وخبره يقولون امنا به كل من عند ربنا وعلى القول الثاني هذا في موضع الحال وتقديره قائلين
امنا به فيستغني به عن حرف العطف وهو كقول الشاعر الريح تبكي شجوه * والبرق يلمع في غمامه * اي البرق يبكي ايضا
لامعا اي حال لمعانه وقيل الراسخون في العلم عبد الله بن سلام واصحابه قال مقاتل بن حيان وروى انس
وابو الدردا وابو امامة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الراسخين فقال من برت يمينه وصدق
لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه وبطنه فذلك من الراسخين في العلم فان قالوا ما الفايدة في انزال
المتشابه ولو كان الكل محكما لم يختلف في شيء قلنا اراد الله جل جلاله ان يمتحن عباده فجعل مدارك العلم على اختلاف
فجعل بعضها جليا ظاهرا وبعضها خفيا غامضا ليتوصل بالجلي الى معرفة الخفي من طريق الاستنباط والاجتهاد
واتعاب النفس واعمال الفكر ليتبين المجد من المقصر المفرط فيكون ثوابهم على قدر اجتهادهم ولتكون مراتبهم
على قدر علومهم ولولا ذلك لاستوت الاقدام ولم يتميز الخاص من العام ولبطلت المحنة وذهب التفاوت بين الناس
ولا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فاذا استووا هلكوا وقال تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما
اتاكم وقال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وقيل الحكمة فيه ان الله
كلف عباده ضروبا من العبادات وجعل بعضها باللسان وبعضها باليد وبعضها بالسمع وبعضها بالبصر
وبعضها على كل البدن كالصلوات ونحوها وبعضها على القلب فجعل بعضها محكما وبعضها متشابها ليتعب
القلب بالتفكر في المتشابه منها ليخرجه على موافقة المحكم منه كعبادات ساير الاعضاء وقيل ان القران نزل

بلغة

بلغة العرب وعلى موافقة عاداتهم في المخاطبات وعلوم انهم يتكلمون بانواع من الكلام منها الواضح المبين
ومنها الغامض الذي يحتاج في استخراجه الى التفكر ومن نظر في خطبهم واشعارهم ومخاطبات الفصحاء منهم
ومكاتباتهم الى يومنا هذا عرف حقيقة ما قلناه فخوطبوا على ما تعارفوه من ذلك فيما بينهم ثم ان القران كله
محكم في معنى وبعضه متشابه في معنى وقد ذكر ذلك كله في القران اما الاول فقد قال كتاب احكمت اياته
ومعناه ان كله متقن لا تناقض فيه واما الثاني فقد قال كتابا متشابها ومعناه انه يصدق بعضه بعضا
ويوافق بعضه بعضا واما الثالث فقد قال في هذه الاية منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
ووجه ذلك ما ذكرناه ثم الراسخون في العلم وهم الثابتون فيه وهم الذين لا يزولون عن الحق بحجته او رشوة
وقد قلنا انه اريد به عبد الله بن سلام واصحابه من الذين لم يغيروا كتاب الله تعالى بخلاف كعب بن الاشرف
واصحابه من اليهود فانهم وصفوا بالتحريف وبانهم يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ثم
مدح هولاء بحسن الاقرار بقوله يقولون امنا به وبحسن الاعتقاد بقوله كل من عند ربنا وبحسن الفهم والاعتبار
بقوله وما يذكر الا اولوا الالباب اي لا يتعظ ولا يعتبر الا اولوا العقول الخالصة وبحسن الدعا
وخوف الخاتمة وسؤال الرحمة وذكر الله تعالى والاقرار بالقيمة وذلك قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تمل
قلوبنا عن الحق وهو خلق الميل في القلب ودل ذلك على ان الله تعالى خالق افعال العباد وقوله بعد اذ هديتنا
يعني بعد هدايتك ايانا وهو خلق فعل الاهتداء ايضا ودل على ما دل عليه الاول وقوله تعالى وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب هو كثير الهبة ودائم الهبة وهي المتبرع بما ليس على الفاعل فعله ودل ذلك على
بطلان قول المعتزلة في وجوب الاصلح على الله تعالى فان من ادى ما عليه لم يكن منعما متفضلا وهابا وقوله تعالى
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي باعث الخلق يوم القيمة وجامعهم للحساب والجزاء وهو يوم
لا شك في كونه وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي للداعين بالاجابة وللمطيعين بالاثابة ويحتمل انه
تمام كلام الراسخين ويحتمل انه ابتداء كلام وهو اخبار من الله تعالى ثم يحتمل ان المراد به هاهنا انه لا يخلف الميعاد
في اقامة القيمة على الخصوص ويحتمل ان المراد به في كل شيء وقوله تعالى ان الذين كفروا هذا ذم الكافرين
بعد مدح الراسخين في العلم من المومنين وكان كفرهم لاغترارهم باموالهم واولادهم فانهم كانوا يرون عزهم بها
قال الله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وقال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا فاخبر ان ذلك لا يغني عنهم وهو قوله
تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم اي لا تنفعهم والغناء بالفتح والمد النفع والغنى بالكسر والقصر
الغنية وقد اغناه اي جعله غنيا واغنى عنه اي نفعه ودفع الضرر عنه وقوله تعالى من الله شيا اي من عذاب
الله ومعناه لا يصرف عنهم عذابه وكانوا يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وقال الله تعالى
وما يغني عنه ماله اذا تردى وقال ما اغنى عنه ماله وما كسب وهو الولد وقال عز وعلا ما اغنى عني
ماليه وقال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا وقوله تعالى واولئك هم وقود النار اي حطب النار كما في قوله تعالى
وقودها الناس والحجارة اي تشتعل بهم وتحرقهم وقوله تعالى كداب ال فرعون قال الربيع بن انس اي لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم اي لداب ال العادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي صنع هولاء كصنيع ال فرعون
في الشرك وقال الاخفش والحاصل هولاء كال فرعون وقال الفراء كفر هولاء ككفر ال فرعون
حال هولاء كحال ال فرعون وقال مقاتل اي داب هولاء في تكذيب كداب ال فرعون وقال مجاهد كفعل هولاء
كفعل ال فرعون وقيل وقودا النار تتقد بهم كما تتقد بال فرعون وقوله تعالى والذين من قبلهم
اي والكفار الذين كانوا قبلهم وقوله تعالى كذبوا باياتنا اي بكتبنا ورسلنا وقوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم
اي عاقبهم بها وقوله تعالى والله شديد العقاب للكفار وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قرا حمزة والكسائي بالياء على المغايبة والباقون بالتاء على المخاطبة وكلا شائع
في متعارف اللسان يقال قل لزيد قال المال له وقال ما لي وقل له سيخرج وستخرج وقال تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا الاية
وقيل الخطاب لليهود والمغايبة عن عبدة الاوثان لان اليهود اظهروا الشرك بما كان من المشركين يوم احد
وتفسير قل لليهود الذين كان نقضهم العهد ثم نقضوه وهم بنو النضير واعتدوا باموالهم واولادهم ستغلبون
وتقهرون فلا تنفعكم اموالكم ولا اولادكم وهذا في الدنيا وقوله تعالى وتحشرون اي تجمعون وتبعثون الى
جهنم وذلك في العقبى وقوله تعالى وبئس المهاد اي وبئس القرار وبئس الفراش وقال مجاهد اي بئس ما مهدوا لانفسهم
وقد تم لهم ما كان ذلك لهم فقد اجلاهم واخذ اموالهم في الدنيا ولهم العذاب الاليم في العقبى وقيل هذا خطاب
لنصارى بني نجران الذين كانوا في اول هذه السورة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو خطاب لليهود وكانت
الغلبة على بني قريظة بالقتل والسبي وقوله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله

قرئ فيه بالرفع على الاستيناف وبالنصب على المدح وهذا شاذ وبالخفض على البدل وهو قراءة الزهري
وهو كما قال كثير به وكنت لدى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت بنشد بالرفع والجر معا
ولو قلت مررت بثلاثة صريع وجريح وسليم جاز فيه الرفع والجر وان زدت فيه افتتلوا جاز فيه الرفع
والجر والنصب وقوله تعالى قد كان لكم انما لم يقل كانت لتقدم الفعل ولان الآية في معنى البيان والبرهان
ولان تانيثها غير حقيقي ومعناها كان لكم ايها الكفار المغترون بالعدد والعدد علامة على صدق دعوى محمد
الرسالة واخباره انكم ستغلبون وتحشرون في طائفتين وفرقتين اجتمعتا للقتال ببدر واحدى بهما فئة
تقاتل تجاهد في سبيل الله وهم لا كثرة فيهم ولا شوكة وهم اصحاب محمد **واخرى كافرة** اى والطائفة الاخرى
كافرة بالله ورسوله وهم كفار قريش ابو جهل واصحابه وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقادوا مائة فرس وساقوا
سبعمائة بعير وفيهم مائة فارس دراع وفي الرجالة دراعون والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر بين كل اربعة
منهم بعير ومعهم ست ادرع وفرسان ففي ذلك عبرة لمن اعتبر حيث غلب القليل الكثير وقوله تعالى **ترونهم
مثليهم راى العين** قرا نافع بتاء المخاطبة اى ترون يا معشر اليهود انتم المشركين مثلى المسلمين وهذا
لم يكن روية عيان لانهم لم يكونوا شهودا لكنه بمعنى العلم كانهم علموا بالفريقين وقرا الباقون بياء المغايبة اى المسلمون
يرون المشركين مثلى انفسهم ولم يرد به تحقيق العدد على مثلى عدد المسلمين على الاستواء فقد كان المسلمون
ثلاثمائة وثلاثة عشر والمشركون تسعمائة وخمسون وهذا اكثر من ثلاثة امثاله لكن له وجوه احدها انه لا يراد
بمثل هذا الكلام الا التضاعف وذلك بزيادة عليه مثله كان او مثليه او ثلاثة امثاله خصوصا في حق من نظر
في الفئتين نظرا واحدا فعرف الكثرة دون احصاء العدد من خيفة وكذا فيما يحصى قد يطلق هذا يقال
لا اقضي حاجتك وان اتيتني الف مرة ولا اقبل عذرك وان اعتذرت سبعين مرة قال تعالى ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ويكون للرجل الف درهم فيقول انى احتاج الى مثله يريد انه يحتاج الى الفين
ولو قال الى مثليه كان يحتاج الى ثلاثة الاف ووجه آخر ان الله جل جلاله ارى المشركين في اعين المسلمين
ضعفهم بلا زيادة تشجيعا لهم على قتالهم اذ لو وقع عندهم انهم باضعافهم فربما هابوا وكانوا لا يستغوثون
عن قتال ضعفهم كقوله تعالى فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
وقيل ان كل واحد من الفئتين رات انها في العدد مثل الفئة الاخرى لتقدم بعضهم على بعض ولو راى
المسلمون المشركين على عددهم لم يومن فشلهم ولو علم المشركون بعدد المسلمين لم يومن نكولهم فقلل كل فئة
عما كانت عليه في عيون الاخرى كما قال تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم
ليقضي الله امرا كان مفعولا وقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم
سبعين قال اراهم مائة فاخذنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا الفا وقوله تعالى راى العين اى في روية العين
وقد راى رايا وروية واكثر ما يستعمل في روية العين الروية وفي روية القلب الروية وفي النوم الرؤيا
وراى نصب بنزع في وقيل نصب على الحال وتقديره رائين باعينهم والعين في معنى العيون لانه جنس فيصلح
الجمع وقوله تعالى **والله يؤيد بنصره من يشاء** اى يقوى والايد والآد القوة والتاييد التقوية وقوله
تعالى **ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار** اى لآية وسميت بها لانه يعبر بها عن موضع الجهل الى العلم من العبور
وهو قطع النهر والنفوذ والاعتبار الاستدلال بالشاهد على الغائب والابصار جمع بصر وهو روية القلب
وكذلك البصيرة وقال تعالى بل ان في نصر المؤمنين وهم قليل وهزيمة المشركين وهم كثير لعبرة لاولى البصائر
في امر الله تعالى وقال الحسن في تفسير الآية وهو وجه آخر سوى الذي قلنا يرونهم مثليهم اى يرون الكفار انهم
باضعاف المسلمين وكذلك كانوا في الظاهر وهو راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء اى يؤيد المؤمنين بخمسة
الاف من الملائكة والكفار لا يرونهم فانتم في الباطن اكثر منهم وهم في الظاهر اكثر منكم فدخل في قلوب المؤمنين
من ذلك رعب فاذهب الله جل جلاله ذلك من قلوبهم في اسرع من طرفة عين والله يؤيد بنصره من يشاء تاييد
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان في ذلك لعبرة للذين يبصرون ما امرهم به الله كقوله عز وعلا وما يعقلها
الا العالمون فان قالوا اى عبرة في هذا والفئة القليلة المبطلة قد تغلب الفئة الكثيرة المحقة قلت الآية
الواضحة والعبرة اللائحة في ذلك ليست نفس غلبة القليل الكثير بل معان اخر منها ان المسلمين لم يكونوا
مستعدين وكان الكفار مستعدين على ما بينا وهذا في مثل هذا الحال لا يكون الا بامر سماوي ولان ابا جهل
لعنه الله قال اللهم انصر احب الدينين اليك فوقع ذلك ونزل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح والثالث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اخبر بذلك بقوله سيغلبون ونزل عليه قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
ولان النبي صلى الله عليه وسلم رماهم بكف من تراب وقال شاهت الوجوه فامتلأت من ذلك اعينهم وعموا وانهزموا
ونزل في شانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكانت العبرة في هذا كله وقوله تعالى **زين للناس حب
الشهوات** انتظام هذه الآية بما قبلها انه ذكر في الآية الاولى عدم نفع الاولاد والارحام في الحاصل وذكر

حال الآخرة في مقابلتها ووجه آخر انه ذكر قصة بني نجران واغترارهم بما حصل لهم من ملوكهم من حظوظ
الدنيا وذكر هاهنا انه كله متاع وانه لا قدر له في جنب الآخرة وقوله تعالى زين على ما لم يسم فاعله وفاعله
هو الله تعالى في قول عمر رضي الله عنه وروي عنه انه رفع يديه وقال اللهم زينت لنا الدنيا وما فيها وما
بعدها خير منها فاجعل حظنا من الذي هو خير وابقى ودليله في كتاب الله تعالى انا جعلنا ما على الارض
زينة لها ومعناه تخليق الميل والشهوة في القلوب وتصوير حسنها وزينتها من غير ان يتعرض لذكر فاعلها
كما يقال اين تذهب بك اى اين تذهب من غير ارادة من يذهب به وقوله تعالى حب الشهوات اى المشتهيات
مصدر واريد به المفعول ولذلك جمع ودليل ذلك انه فسره بالمشتهيات وهو قوله **من النساء والبنين**
الآية والشهوة توقان النفس الى الشيء وقد شهي يشهى من باب علم واشتهى يشتهي وتشهى يتشهى وشهاه
غيره تشهية ورجل شهوان وامراة شهوى والنساء والنسوة جمع امراة على غير لفظها والبنين جمع ابن وقد
يقع في غير هذا على الاولاد كلهم ذكورهم واناثهم وههنا اريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدودون
للدفاع والقناطير المقنطرة جمع القنطار والقنطار قيل هو اربعون الف وقيه من ذهب او فضة وقيل الف
ومائتا دينار وهو تشبيه بالقنطرة وهو الجسر العظيم بمعنى العظم وقيل بمعنى العقد وقيل بمعنى التحصين
وقيل بمعنى الاحكام وقيل بمعنى الجمع وقال مجاهد القنطار ثمانون الف دينار وقال الحسن القنطار دية احدكم
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابو هريرة رضي الله عنه هو اثنا عشر الف
اوقية وقيل هو مائة وعشرون الف دينار وقال الكلبي وابو نضرة هو ملء مسك ثور ذهبا وقال ابو صالح
هو مائة رطل وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة دينار ومائة درهم
ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطر وقال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال
وقال السدي القنطار مائة رطل من ذهب وفضة وقال سعيد بن جبير القنطار بلسان الرومية ملء
مسك ثور ذهبا وبلسان افريقية والاندلس ثمانية الاف مثقال ذهبا او فضة وبلسان بربر الف ومائتا
مثقال من ذهب او فضة وقوله تعالى المقنطرة قال الفراء المضاعفة فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة
وقيل هي كقولك دراهم مدرهمة اى مجعولة لذلك وقال السدي هي المضروبة المنقوشة وقال يمان بن رئاب
القناطير الاموال الموقرة والمقنطرة المدفونة وقال الضحاك هي المحصنة المحكمة المجموعة المنضد
بعضها فوق بعض وقوله تعالى **من الذهب والفضة** اى القناطير من هذين الجنسين وقوله تعالى **والخيل
المسومة** الخيل الافراس لا واحد لها من لفظها واشتقاقها من الخيلاء لاختيالها في مشيها ومن التخيل فانها
تخيل في عين صاحبها اعظم منها لتمكنها في قلبه والمسومة المرعية وقد سامت السائمة اى رعت واسامها
وسومها صاحبها اى رعاها وقيل المحسنة وهي من السيما وهي العلامة قال تعالى بخمسة الاف من الملائكة
مسومين وقيل اى المعدة للقتال قال لبيد ولعمري قد بلى بكليب كل قرن مسوم للقتال وقوله تعالى
والانعام هي جمع نعم وهي اسم للابل والبقر والغنم ولا يقال النعم لجنس منها على الانفراد الا للابل خاصة والنعم
اسم جنس لا واحد له من لفظه كالخيل والابل والنساء والرهط وقوله تعالى **والحرث** اى الزرع ويقتضي
حب الضيعات وجمع محاب الدنيا هذه الاشياء الستة وقوله تعالى **ذلك متاع الحيوة الدنيا**
ذلك اشارة الى حب الشهوات ولذلك ذكر ووحد وقال النضر بن شميل ذلك اشارة الى ما ذكر اى ما ذكر
من متاع الحيوة الدنيا وقد اوضحناه عند تفسير قوله تعالى عوان بين ذلك وقوله تعالى **والله عنده حسن
المآب** اى المرجع وهو الجنة نقول انما جعل ذلك ليتناول منه بقدر المتعة في الدنيا واخذ البلغة
منه لا ليستكثر منه الاستكثار الذي يورط صاحبه في المحظور ويورثه المحذور وهذا تزهيد في الدنيا وترغيب
في الآخرة وبيان انه لم يخلق ذلك كله ليستعملوه في خلافه والصد عن سبيله ليبلغوا بها اتم المآب الى الله تعالى
فليستعينوا بها على ذلك وقوله تعالى **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم** اى قل يا محمد اخبركم بما هو خير من جميع
ما عددت عليكم من المشتهيات الدنيوية وهذه الف الاستفهام بمعنى استعظام ما يخبرهم به يقول الرجل
الا اخبرك بما وقع في البلد ويقال هذا في نهم وقوله تعالى **للذين اتقوا** اى الكفر والمعاصي **عند ربهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة** قد مر تفسيره كله في سورة البقرة وهذا كله تفسير
قوله تعالى والله عنده حسن المآب وجنات رفع لانه خبر اللام في قوله للذين اتقوا وقراءة الخفض على انه بدل
من قوله بخير وقوله تعالى **ورضوان من الله** اكبر وقوله تعالى **والله بصير بالعباد** اى يرى ما يعملون ويقدر
على جزائهم على ما يفعلون وهذا وعد ووعيد وقيل معناه والله بصير بمصالح عباده في دنياهم واخراهم
فلا ينبغي لمن اختار له في الدنيا التوحيد والعمل الصالح ان يتهمه في منع هذه المشتهيات الدنيوية عنه
وقال عطاء ان قريظة والنضير كانت لهم الاموال التي ذكرت في هذه الآية والمهاجرون قد اخرجوا من ديارهم
واموالهم فنزلت فيهم هذه الآية وقوله تعالى **الذين يقولون** هذا وصف المؤمنين الذين لهم جنات

وإعرابه خفض على النعت ويجوز النصب على المدح ويجوز الرفع على إضمار هم أي هم الذين يقولون وقوله تعالى
ربنا إننا آمنا مدحهم بحسن الاعتقاد وصدق التضرع وقوله تعالى فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
هذا ظاهر قد مر تفسيره وقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالأسحار هذا كله نعت المتقين وإعرابه من أوجه ثلاثة أحدها الخفض عطفا على خفض الذين والثاني النصب
على المدح والثالث الرفع على إضمار هم ثم إدخال الواو في هذه الصفات مع أنها لطائفة واحدة لإرادة المدح
كما في قوله تعالى وسيدا وحصورا ونبيا وكما يقال جاء شهر رمضان أي المصابيح وشهر القيام وشهر الإطعام وقوله تعالى
الصابرين الصبر حبس النفس عن شهواتها المحظورة في الشرع وجميع أجناس الصبر ثلاثة الصبر على الطاعة والصبر
عن المعصية والصبر على المكروه وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على المصيبة فله ثلاثمائة درجة ما بين كل درجتين
كما بين السماء والأرض ومن صبر على الطاعة فله ستمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ومن صبر
على المعصية فله تسعمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين العرش والكرسي وقوله تعالى والصادقين مر تفسير
الصادق في أول سورة البقرة في قوله تعالى إن كنتم صادقين وهو على ثلاثة أنواع صدق القول وصدق الفعل
وصدق النية وقوله تعالى والقانتين القانت المطيع وقيل الدائم على الطاعة وقيل هو الداعي وقيل هو القائم بالليل
وقيل هو الخاشع وقيل هو الخاضع وقيل هو الدائم على الطاعة الذي لا يدخله فيها فترة ولا يقطعه عنها غفلة وقوله
تعالى والمنفقين أي أموالهم في وجوه الخير وغير الأموال أيضا على ما مر في قوله جل جلاله ومما رزقناهم ينفقون
وقوله تعالى والمستغفرين بالأسحار أي الذين يسألون الله تعالى مغفرة ذنوبهم وقيل إذا كانوا كاملين في معاني
الصبر والصدق والقنوت والإنفاق فلا ذنب لهم فهذا الاستغفار منهم يكون للتقصير والنقصان وقيل هم
المصلون في آخر الليل وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وقتادة سمى الصلاة استغفارا لأن في آخرها
سؤال المغفرة وقال زيد بن أسلم هم الذين يشهدون صلاة الصبح مع الجماعة وقال جعفر بن محمد الصادق
من صلى بالليل ثم استغفر سبعين مرة في السحر كتب من المستغفرين بالأسحار وقال أنس رضي الله تعالى عنه أمرنا أن
نستغفر بالأسحار سبعين مرة وروى إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال سمعت صوتا في ناحية المسجد وقت السحر
اللهم دعوتني فأجبتك وأمرتني فأطعتك وهذا سحر فاغفر لي فنظرت فإذا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه
وقال مجاهد رضي الله عنه في قول يعقوب عليه السلام قال سوف أستغفر لكم ربي قال أخره إلى وقت السحر لأن الدعاء
فيه مستجاب ثم قال إن الله تعالى لا يشغله صوت عن صوت لكن الدعاء في السحر دعوة في الخلوة وهي بعيدة من الرياء
والسمعة فكانت أقرب إلى الإجابة وقيل الآية في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الأربعة والصابرون
رأسهم محمد عليه السلام والصادقون رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه والقانتون رأسهم الفاروق رضي الله عنه
والمنفقون رأسهم عثمان رضي الله عنه والمستغفرون بالأسحار رأسهم علي رضي الله عنه وقال الإمام أبو القاسم
القشيري رضي الله عنه الصابرين على ما أمر الله والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بالاستقامة في محبة الله
والمنفقين أرواحهم في سبيل الله والمستغفرين من جميع ما عملوا لرؤية تقصيرهم في الله وقيل الصابرين بقلوبهم
والصادقين بأرواحهم والقانتين بنفوسهم والمنفقين بأسرارهم والمستغفرين بألسنتهم ويقال الصابرين
على صدق المقصود والصادقين في المعهود والقانتين بحفظ الحدود والمنفقين ببذل المجهود والمستغفرين على
أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد ويقال الصابرين الذين صبروا على الطلب ولم يتعللوا بالهرب
ولم يحتشموا من التعب وهجروا كل راحة وطرب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا إلى المولى
لم يقطعهم شيء من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا في الطلب فقصدوا ثم وردوا فقصدوا حتى
شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا فترتيبهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود
والقانتين الذين لازموا الباب وداموا على تجرع الاكتئاب وترك المحاب ورفض الأصحاب إلى أن تحققوا
بالاقتراب والمنفقين الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ثم جادوا بميسورهم من الأموال ثم جادوا بقلوبهم
بصدق الأحوال ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل والآجل للقرب والوصال والمستغفرين من جميع ذلك إذا رجعوا
إلى الصحو عند الأسحار في ظهور الإسفار وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار وقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا
هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وأولو العلم هؤلاء الذين سبق ذكرهم ومدحهم ومن تمام مدحهم
أنهم يشهدون بهذه الشهادة وذكر الله تعالى والملائكة قبلهم تأسيس لمدحهم وأنهم يشهدون بما شهد الله به وملائكته
وهو كقوله فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى وذكر الله تعالى هاهنا للتشريف ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كذلك
وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من أحبار الشام ولما مرا بالمدينة قالا ما أشبه هذا البلد
بمدينة خاتم الأنبياء ولما دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله تعالى
إن أنت أخبرتنا آمنا بك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان وقال مقاتل إن عبد الله بن سلام وأصحابه من
مؤمني أهل الكتاب قالوا لرؤساء اليهود إن محمدا رسول الله ودينه الحق فاتبعوه فقالت اليهود ديننا أفضل من دينكم

فأنزل الله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة يشهدون بها وأولو العلم بالتوراة عبد الله بن سلام وأصحابه
يشهدون أنه لا إله إلا هو ويشهدون أنه قائم على كل نفس بالعدل وقوله تعالى لا إله إلا هو العزيز الحكيم
في ملكه الحكيم في أمره ويشهدون أن الدين عند الله الإسلام وقوله تعالى شهد الله فالشهادة الإخبار
بما شوهد أي شهود نظر أو علم وقال مقاتل شهد الله أي قال الله وقال أبو عبيدة أي قضى الله وقال الزجاج
حقيقته علم الله وبين لأن الشاهد هو الذي علم وبين وقيل علم الله أي أقام شهادة الآيات اللائحة والدلالات
الواضحة وقال الإمام أبو منصور شهد الله أي خلق من الخلائق ما يشهد خلقته كل أحد على الهيئة ووحدانيته
قال وقيل شهادة ذاته أي هو بذاته متعال عن جميع معاني المحدثين المربوبين فهو الإله الخالق المعبود قال
فإن قال لنا الملحد كيف يصح هذا وهو دعوى قلنا دعوى من ظهر صدقه في شهادته إذا شهد مقبولة وقد أظهر
صدق قوله فيما شهد به لنفسه وقال ابن عباس رضي الله عنهما شهد لنفسه واستشهد من خلقه وحمد نفسه
واستحمد من خلقه ونزه نفسه واستنزه من خلقه أي قال سبحان الله وأمر به فقال وسبحوه وقال القفال
شهادة الله لنفسه إظهار وحدانيته وفردانيته بما أظهره في خلقه من أمارات الحدوث الدالة على حاجتها
إلى صانعها وأنه لا شريك له ولا شبيه وهو كقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم
بالكفر ولم يكونوا يشهدون لذلك بقوله بل ينكرونه أشد الإنكار ولكنهم كانوا في حال يتبين بها كفرهم جعل ذلك
شهادة منهم وشهادة الملائكة على هذا بما أبانت من الحجج عند الرسل وشهادة أولي العلم بما بانوا للناس
من دلائل التوحيد قال ويحتمل أن قوله والملائكة وأولو العلم على الشهادة المعروفة التي تؤدى بالقول
وشهادة الله لنفسه بما ذكرنا ولفظ الشهادة يجمعها معنى وإن اختلفت الشهادة في أنفسها كقوله تعالى
إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه والصلاة من الله تعالى غير الصلاة من الملائكة
والبشر وإن كان يجمعها لفظ الصلاة وقيل معنى شهد الله أخبر الله وكذا شهادة الملائكة وأولي العلم
وتعبيره بكلمة الشهادة تأكيد للإخبار وهو متعارف في اللسان أشهد بكذا وكذا وشهادة المؤذن في الأذان
والمصلي في القعدة والذي يسلم أولا والتهليل تام بلفظه والشهادة مؤكدة وقال تعالى لكن الله يشهد بما
أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ثم قوله وأولو العلم هو اسم جميع المؤمنين لعلمهم بالله والجاهل
اسم للكافر لجهله بالله قال الله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وقوله تعالى قائما بالقسط
قال الفراء هو نصب على القطع لأنه نكرة نعت بها معرفة وتقديره شهد الله القائم بالقسط وهو معنى قوله
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وفي معنى قوله القيوم هو الذي خلق الخلق وهو يربيهم ويصلح شأنهم والقسط
العدل أي هو القاضي بينهم بالعدل وقوله تعالى لا إله إلا هو قال جعفر بن محمد أعاد هذه الكلمات بعد ذكرها
في أول الآية لأن الأولى إخبار من الله تعالى به والثانية أمر للعباد أن يقولوا ذلك وقوله تعالى العزيز الحكيم
قيل العزيز الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر يقال عز يعز بضم العين في المستقبل إذا غلب قال تعالى
وعزني في الخطاب وفي المثل من عز بز أي من غلب سلب وقيل العزيز الذي لا مثل له ولا ولي بهذا الاسم وقيل العزيز
هو القادر القوي يقال عز يعز بفتح العين في المستقبل إذا اشتد قال تعالى فعززنا بثالث أي قوينا والأرض
العزاز الذي لا يستقر عليها الأقدام وقيل العزيز المنيع وهو الذي لا يوصل إليه يقال حصن عزيز إذا تعذر
الوصول إليه إذ لا أحد له أولى بهذا الاسم وقيل العزيز المعز كالأليم بمعنى المؤلم والوجيع بمعنى الموجع والحكيم
هو المصيب في القول والعمل والحكيم المحكم أيضا وقد مر فيه أقاويل أخر في قوله تعالى إنك أنت العزيز الحكيم
في قصة آدم وقوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام في أن الدين وأنه في أول هذه الآية أربعة أوجه فتحهما وكسرهما
وفتح الأولى وكسر الثانية وعكسه أما فتحهما وهو قراءة الكسائي فعلى إيقاع الشهادة على الأولى وإيقاعها أيضا
على الثانية لا بطريق العطف لأنه لا عاطف بينهما ولكن على البدل وأما كسرهما فلأن الشهادة تجري مجرى
القول فيجوز كسرها على معنى قال الله تعالى إنه لا إله إلا هو والثانية على الاستئناف أو على إيقاع القول والفعل
عليه وأما كسر الأولى وفتح الثانية وهو قراءة ابن عباس رضي الله عنهما فالأولى استئناف وهو اعتراض الكلام
قبل التمام والثانية بإيقاع الشهادة عليها وأما فتح الأولى وكسر الثانية فعلى إيقاع الشهادة على الأولى
واستئناف الثانية وقوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام أي الدين الحق والدين المرضي هو الإسلام قال الله تعالى
ورضيت لكم الإسلام دينا وقال تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه الآية وقال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت إن الدين عند الله الإسلام حين افتخر المشركون بأديانهم وقال كل فريق لا دين إلا ديننا وهو
دين الله تعالى منذ بعث الله تعالى آدم عليه السلام فكذبهم الله تعالى وقال إن الدين عند الله الإسلام الذي جاء به محمد
عليه السلام وهو الدين الحق منذ بعث الله آدم وما سواه من الأديان فكلها باطل والإسلام هو الاستسلام وهو
الإخلاص أيضا قال الله تعالى ورجلا سلما لرجل وهو في الحقيقة جعل كلية الأشياء لله تعالى لا شريك له فيها في ملك
ولا إنشاء ولا تقدير وهو دين كل نبي كان قال الله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما

وقال الامام القشيري رحمه الله ان الدين عند الله الاسلام اي الدين الذي يرتضيه والذي حكم لصاحبه انه يجازيه ثم يعليه وبالفضل يلقيه وهو الاسلام وما سواه فمردود وطريق النجاة على صاحبه مسدود وقال في جملة الاية شهد الله اي علم ثم اخبر الله وحكم الله بانه لا اله الا هو فهي شهادة الحق للحق بانه الحق واول من شهد انه الله هو الله فشهد لذاته بقوله الازلي واخبر عن وجوده الاحدي وكونه الصمدي وذاته القيومي وعزه الديمومي وجلاله السرمدي وجماله الابدي ثم في افادة شهد الله اي بين الله بما نصب من البراهين واثبت من دلائل اليقين واوضح من الايات وابدى من البينات فلكل جزء من جميع ما خلق ومما فطر من كتم العدم واظهر على ما شاء من الصفة الذاتية حصل من اعيان مستقلة وآثار في ثاني وجودها مضمحلة وذوات للآفات قابلة موصوفات في الحال متعاقبة شهد سبحانه بجلال قدرته وكمال عزه حين لا جحد ولا جهد ولا عرفان لمخلوق ولا عقل ولا نفاق ولا كفر ولا الحاد ولا شرك ولا عناد ولا فلك ولا سماء ولا فضاء ولا ظلام ولا ضياء ولا اصول للمزدوجات ولا فصول باختلاف الاوقات وقوله تعالى والملائكة يؤيد شهادته بوحدانيته بشهادة الملائكة بل اسعدهم وايدهم حين وفقهم لشهادته وسددهم الى معرفة وحدانيته ارشدهم وقوله تعالى واولوا العلم اي ولاد ادم اذا علموا جلال قدرته وعرفوا كمال عزه اكرمهم حيث قرن شهادتهم بشهادة ملائكته فشهدوا عن شهود ويقين لا عن ظنون وتخمين تعرف اليهم فعرفوا واشهدهم فلذلك شهدوا ولم يقل لهم انه كما هو عرفوا من هو ولكن العلماء يشهدون بصحو عقولهم والموحدون يشهدون بعد خمودهم فيهم كما قيل مستهلكون بقهر الحق قد همدوا واستنطقوا بعد ما افنوا بتوحيده والمجري عليهم ما يبدو منهم سواهم والقائم عنهم كما هم عليه وبه غيرهم ولقد كانوا لكنهم بانوا قال قائلهم • كتابي اليكم بعد موتي بليلة • ولم ادر اني بعد موتي اكتب • واولوا العلم على مراتب فمن عالم يعرف احكامه حلاله وحرامه وعالم يعلم اخباره سننه واثاره وعالم يحفظ كتابه ويعرف تفسيره وتاويله ومحكمه وتنزيله وعالم يعلم صفاته ونعوته ويوضح حججه وتوحيده وعالم لاطفه حتى احضره ثم كاشفه فقهره فالاسم باق والعين محق والحكم طار والعبد محق وقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي وما اختلف في دين الله الاسلام اليهود والنصارى الذين اعطوا علم التوراة والانجيل الا من بعد ما جاءهم البينات اي اختلافهم ليس لقصور في البيان ولا لغموض في الحجج بل حجج التوحيد ظاهرة ودلائله واضحة وقوله تعالى بغيا بينهم قال الاخفش هو مقدم وتقديره وما اختلف فيه بغيا بينهم الا الذين والبغي هو الاستعلاء بالظلم اي عاندوا الحق واعرضوا عن الدين حسدا للرسل والمؤمنين وطلبا للرياسة وارادة التعزز والتعظم على الاخرين وقيل وما اختلف في محمد الا اهل الكتاب بعد وقوع العلم لهم به بما في كتابهم من ذكره وفعلوا ذلك حسدا اذ كان من بني اسماعيل وهم من بني اسحق وفي ذلك قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحود انكار بعد المعرفة وحسدهم انهم كرهوا متابعة الفقراء الذين سبقوهم بالايمان قال تعالى خبرا عنهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقوله تعالى ومن يكفر بآيات الله اي الكتب والرسل وعلى القول الثاني بمحمد والقرآن وقوله تعالى فان الله سريع الحساب اي فانه سيصير الى الله سريعا فيحاسبه ويجازيه على كفره وقيل سريع الحساب في معنى شديد العقاب لقوله عليه السلام من نوقش الحساب عذب وقوله تعالى فان حاجوك اي خاصموك ولم يقل فيماذا وتبين بالجواب انه كان في الدين وهو كما مر في قوله تعالى ويسألونك في ايات وكذا يستفتونك وقوله تعالى فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت قصدي وتوجهي لله لا اتوجه الا اليه وقيل وجهي اي ديني وقيل عملي وقيل اي اسلمت نفسي وكشفنا عن حقيقته في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وقوله تعالى ومن اتبعني عطف على التاء اي اسلمت انا وجهي ومن اتبعني واسلمت ومن اتبعني والاكثر مع ذكر انا قال الله تعالى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني جمع في القرآن بين الوجهين وقيل انما حذف انا ههنا لطول الفصل في الكلام فصار عوضا عن ذكر الضمير تقول فان خاصموك في اثبات شركهم فقل لهم ان من اسلمت وجهي له فهو الله وهذا في الجملة حق عندي وعندكم وهو يوجب الانقياد لجميع ما امر الله به وقد اقام لي الدلائل في نفسي على اني عبده ورسوله واوحى الي القرآن واقام لي الدلائل ولمن اتبعني بذلك فان اسلمتم اهتديتم وان اعرضتم عن ذلك فقد بلغناكم حجج الله تعالى وليس وراءه الا العذاب وقوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم استفهام بمعنى الامر كما في قوله تعالى فان اسلموا فقد اهتدوا اي اسلموا وجوههم كما اسلمتم انتم فقد رشدوا وقوله تعالى وان تولوا اي اعرضوا عن ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ الرسالة وليس بيدك ان تمنعهم عن التولي وكان هذا حين لم يؤمر بالقتال ثم امر به ولما نزل هذا دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة من الله وروح منه قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله قالوا معاذ الله ولكنه الله فذلك توليهم عن الاسلام وقوله تعالى والله بصير بالعباد اي هو يراهم

ولا يغفل

ولا يغفل وهذا وعيد وقيل اي بصير بجزاء اعمالهم وقيل اي بصير بما اسروا واعلنوا وقوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله اي اليهود كفروا بمحمد والقرآن وعيسى والانجيل وخالفوا التوراة ايضا وقوله تعالى ويقتلون النبيين اي زكريا ويحيى وغيرهما وقوله تعالى بغير حق وقد ذكر في سورة البقرة بغير الحق الذي يحدده الله واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق وذكر الكفر والقتل من هؤلاء على صيغة المستقبل هو اثبات الصفة لهم في الحال وما كانوا يقتلون الحال لكن كانوا يتولون اي يودون الانبياء الذين فعلوا ذلك ويذمونه وقوله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس اي قتلوا ايضا المؤمنين بالانبياء واتباعهم الذين امروا بالمعروف وهذا ذم لهم بالقتل وبعصيانهم من نهاهم عن القتل وبقتل الذين امروهم بالمعروف وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي اجعل لهم بدل البشارة وهي الخبر السار الاخبار بالنار وهو كقول القائل تحية بينهم ضرب وجيع وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكر الله تعالى وقوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة حبطت اي بطلت من قولهم حبطت بطون الماشية اذا افسدت من اكل الربيع اولئك الذين فعلوا ذلك بطل بكفرهم وقتلهم الانبياء ما كان لهم من عمل هو طاعة وعليها ثواب لو اسلم من الكفر اولئك رضوا بعمل اسلافهم هذا ممن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بطل بهذا الرضى الذي هو كفر ما كان لهم من عمل صالح قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفرهم وقوله تعالى في الدنيا والاخرة اي لا ينالون بها نفعا في الدنيا ولا في الاخرة بل ينالهم الخزي بالسبي والقتل والجزية في الدنيا والعذاب في الاخرة وبطل ثواب اعمالهم في الدنيا والاخرة قال الله تعالى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وثواب الدنيا الحمد والثناء والكرامات وثواب الاخرة ما وعدوا في الجنة من النعيم والدرجات وقوله تعالى وما لهم من ناصرين اي ليس لهم ناصر يدفع عنهم الخزي والعذاب في الدنيا والاخرة وقال عليه السلام بئس القوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر بئس القوم قوم يستخفون الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر بئس القوم قوم لا يقومون لله بالقسط بين الناس بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وهذا في صفات اليهود ايضا والم تر مر تفسيره مرات وهو تعجيب من خبثهم وتنبيه على سوء صنيعهم وذكر عكرمة في نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مدارس اليهود ودعاهم الى ملة ابراهيم فقال له نعيم بن عمرو كان ابراهيم يهوديا فقال عليه السلام فهلموا الى التوراة بيني وبينكم فابوا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الكلبي فجر رجل وامرأة من اهل خيبر وكانا في شرف منهم وكان في كتابهم الرجم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء رخصة عنده فحكم بالرجم عليهم فقالوا جرت علينا ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا ابن صوريا فارسلوا اليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التوراة فيها الرجم دله على ذلك عبد الله بن سلام قال له اقرأ فقرأ فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها وقام ابن سلام فرفع اصبعه عنها ثم قرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم برجمهما فغضب اليهود لذلك رجعوا كفارا فانزل الله تعالى هذه الاية الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من التوراة وقوله تعالى يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم اي التوراة وقيل الى القرآن لانه مصدق التوراة وقوله تعالى ليحكم بينهم اي ليقضي وفي الكتاب بيان الحكم فاضيف الحكم اليه كما في صفة القرآن بشيرا ونذيرا لان فيه بيان التبشير والانذار وقوله تعالى ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن الداعي طائفة منهم ولم يصف به الكل لانه قال في هذه السورة من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقوله تعالى وهم معرضون اي دعوا اليه فلم يكن تكرارا وقيل يدعون جميعا ويتولى فريق منهم اي الذين عليهم الحد والرؤساء معرضون عن منعهم عن التولي وقال مقاتل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو ونعمان بن اوفى وابو ياسر بن اخطب وابو نافع بن قيس قال لهم صلى الله عليه وسلم اسلموا تهتدوا ولا تكبروا فقالوا نحن اهدى واحق بالهدى منك وما ارسل الله رسولا بعد موسى فقال صلى الله عليه وسلم لم تكذبوني وانتم تعلمون ان الذي اقول حق فاخرجوا التوراة نعمل نحن وانتم بما فيها مكتوب فيها فابوا ذلك فنزلت الاية وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات ولا يعذبنا الله بمعاصينا الا اياما قلائل ثم يخرجنا منها وقيل هذه الايام اربعون يوما عدد

اوضى هذه الايام التى عبد فيها العجل وقيل سبعة ايام وقيل اربعون سنة وقيل مدة العمر وقد ذكرناها فى سورة البقرة وقوله تعالى وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون الغرور والخداع وقيل الاطماع فيما لا يصح وهذا عطف على قوله تعالى قالوا وقوله فى دينهم قال مقاتل وغرهم فى دينهم الباطل وقال الضحاك غرهم فى دينهم الحق وقوله ما كانوا يفترون اى غرهم افتراؤهم على الله بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا يعذبنا بذنوبنا الا عددا يسيرا وقال الكلبى غرهم تاخير العذاب عنهم وقال مقاتل غرهم عفو الله عنهم فى الدنيا وقيل المغرورون هم ضعفاؤهم والمغترون كبراؤهم اى غر الضعفاء قول الكبراء وانما سماه افتراء لانهم اضافوا هذا القول الى التوراة والافتراء اختلاق الكذب على الغير وقال ابن عباس رضى الله عنهما زعمت اليهود انهم يجدون فى التوراة ان ما بين طرفى جهنم اربعون سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانما نعذب حتى ننتهى الى شجرة الزقوم وتذهب جهنم وتهلك قال ابن عباس رضى الله عنهما واصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا باب جهنم تبادروا فى العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم وملؤا البطون قال لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم الا اياما معدودة فقد خلت اربعون سنة وانتم فى الابد وقوله تعالى فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه معناه فكيف حالهم او كيف يصنعون يوم القيامة وقوله ليوم ولم يقل فى يوم لان معناه لجزاء يوم وقوله لا ريب فيه اى لا شك فيه اى فى كونه وله ثلاثة اوجه بيناها فى اول سورة البقرة ويدفع بها سؤال من يقول شك فيه المنكرون حتى جحدوه فلم ينفى الشك عنه وقال الامام القشيرى رحمه الله كيف كلمة تعجب لما اخبر ان شانهم بعد ما جمعوهم وهو هتك استارهم وانقطاع دعواهم وانخلاع قلوبهم وترقيهم ثم ما يلقون من الخسار والعتاب ثم الخذلان والعقاب وقوله تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون تفسيره قد مر فى الاية قبل هذا بالاية وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء اتصالها بما قبلها ان اليهود لعنهم الله كانوا يكذبون النبى صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته بحمل رؤسائهم اياهم على ذلك وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع زوال رياستهم لنزول هذه الاية فامره الله تعالى ان يدعو به تعالى اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء يجيب دعوته ويحقق امنيته وقوله تعالى اللهم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم الله الذى اذا دعى به اجاب وقال ابو رجا العطاردى من قال اللهم فكانه دعا الله بجميع اسمائه وهو من اشرف الثنا والدعاء وقال الحسين بن الفضل البجلى رحمه الله اللهم مجمع الدعا وقال الخليل معناه يا الله والميم فانه عوض عن الياء فى اوله وجعلوها بميمين لئلا تختلط بالاسم كل الاختلاط فلما اجتمعا ولاحظهما فى الاعراب لانهما مزيدتان من غير التنبيه فتحت الثانية لئلا يجتمع ساكنان اذ الفتحة اخف الحركات وقال الفرا اللهم معناه يا الله امنا بخير اى اقصدنا فيه واوصله الينا واعنا عليه وقوله مالك الملك اى يا مالك الملك والنداء قد يكون مع حذف النداء كما فى قوله تعالى فاطر السموات والارض وفى المعوذ يوسف اعرض عن هذا اى يا يوسف وتفسير المالك والملك قد مر فى الفاتحة وبمعنى اضافة المالك الى الملك لشمول المدح فانه مالك الملوك والملك جميعا وقال الزجاج معناه مالك العباد وما ملكوا وقيل معناه مالك امر الدنيا والاخرة وقيل كشفه انت المالك للملك وقدرته على تصريفه كيف تشاء والى من تشاء وكل ملك من مال او ولد او انصار او سلطان يطاع به حقا وينقاد لديه الناس بحق او باطل فى الدنيا او فى الاخرة فما لكه الله جل جلاله يوتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وقيل فى سبب نزوله ان وفد نجران لما جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا صدقه واستعفوا عن الاسلام بالعلة التى ذكرها ابو حارثة بن علقمة يمنعنى منه ما صنع بنا ملوك النصارى شرفونا وموّلونا واكرمونا وحاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت الاية تنبيها انه لا اعتبار بتشريف ملوك الدنيا والملك لله والتشريف من تشريف الله تعالى وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المنافقين واليهود لما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى الله ملك فارس والروم كبر ذلك عليهم وقالوا هم اعز واعجز وامنع جانبا من ان تنالهم ايدى رعاة البهم فنزلت الاية قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وهو ملك النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء كما نزعت من ابى جهل وصناديد قريش وتعز من تشاء اعزه الله بمحمد من اتبعه وتذل من تشاء اذل اهل فارس والروم ولا تقوم الساعة حتى يفتحها المسلمون وينزع منهم ملكهم وقوله تعالى بيدك الخير النصر والغنيمة انك على كل شى قدير من الاعزاز والاذلال وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفر الخندق فظهرت كدية مثل التل العظيم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعول وضربها ضربة واحدة ازال ثلثها وخرج منها نار فقال الله اكبر كانى بابيض المداين وان كنوزها لتحول الى امتى ثم ضربها ثانية فازال ثلثا اخر فقال الله اكبر كانى بقصور الشام وان كنوزها لتحمل الى امتى وضربها ثالثة فازالها فقال الله اكبر كانى بصنعاء اليمن وان كنوزها لتحمل الى امتى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا لو لم يكفه ملك مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الضحاك ان اهل مكة قالوا يا محمد ان كسرى ينام على فرش الحرير وياكل ويشرب فى انية الذهب والفضة فان كنت رسولا فاين الملك لا نرى على راسك تاجا كتاج كسرى وقيصر ولا نرى لك سريرا كسريرهم ولا ديباجا وحريرا

كديباجهم وحريرهم فانزل الله تعالى هذه الاية وامره ان يقول اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء اى تعطى ملك الدنيا من تشاء ان تعطيه وقوله تعالى وتنزع الملك ممن تشاء اى تاخذ وتسلب وتصرف عمن تشاء ان تنزعه وهو المحذوف من الاول والثانى دل عليه المذكور فى صدورهم وقوله تعالى وتعز من تشاء اى بما تعطيه من الاموال والجند والانصار وسائر اسباب العز والكرامة وقوله تعالى وتذل من تشاء اذلاله باضدادها وقوله تعالى بيدك الخير اى انت مالك الخير والقادر عليه فى الدنيا والاخرة وانما خص الخير بالذكر دون الشر وان كان هو مالكهما لانه موضع المدح والثنا والرغبة والدعا فكانت اضافة الخير اليه اقرب الى مراعاة الادب وقيل هو من باب الاكتفاء ومعناه بيدك الخير والشر وهو كما قال فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى تقيكم الحر والبرد وقوله تعالى انك على كل شى قدير من ذلك كله ولا يقدر على شى احد غيرك الا باقدارك وقال عبد العزيز بن يحيى توتى الملك من تشاء اى الملك على ابليس كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق من حس عمر وقال ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا اخر وقوله تعالى وتنزع الملك ممن تشاء حتى يغلبه الشيطان وتعز من تشاء بقهر الشيطان وتذل من تشاء بغلبة الشيطان عليه وقال السدى تعز من تشاء اى المؤمنين اعز الله العباد بنصرهم وتذل من تشاء اى الكفار اذلهم الله تعالى حتى تغلب شهوته وهواه وتنزع ملك النفس ممن تشاء حتى يغلبه هواه فيتخذه الها كما قال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وتعز من تشاء بقهر النفس وتذل من تشاء بقهر النفس له وقال الحسين بن الفضل البجلى رحمه الله اى توتى الملك الكبير من تشاء واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وتنزع الملك الكبير ممن تشاء كما نزعه من اهل النار وتعز من تشاء بالرؤية وتذل من تشاء بالحجاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الملك النبوة كما فى قوله تعالى فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة وقالوا ايضا فى سبب نزولها ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ان بعثه الله بالرسالة فدعا الخلق الى الله تعالى قالوا ءانزل عليه الذكر من بيننا وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك اى النبوة وقوله تعالى توتى الملك من تشاء اى تعطى النبوة من تشاء وقوله تعالى وتنزع الملك ممن تشاء على هذا التاويل لا يجوز حمله على سلب النبوة فان الله تعالى يقول ولقد اخترناهم على علم على العالمين فلو جاز من احدهم ما يستحق به نزع النبوة منه كان جهلا من الله تعالى والله يتعالى عن ذلك لكن معناه وتمنع الملك اى النبوة ممن تشاء وهو كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اى يمنعهم ووجه اخر ان يكون معناه وتنزع النبوة من نسل من تشاء اى تكون فى قوم فينقطع عنهم ذلك بنبيهم ويوحى الى نبى من غيرهم كما كان فى نسل اسحق عليه السلام فى بنى اسرائيل ثم صار فى نسل اسماعيل فى العرب وقيل فى قوله تعالى وتعز من تشاء اى بالايمان كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وتذل من تشاء بالكفر قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقيل لابى بكر بن عبدش اى قول احسنت فى هذه الاية قال قولا واحدا تعز من تشاء بالقناعة وتذل من تشاء بالسؤال وقوله تعالى تولج الليل فى النهار الولوج الدخول والايلاج الادخال ووليجة الرجل بطانته لانه يطلعه على داخل امره ومعنى الاية تنقص من ساعات الليل وتزيدها فى النهار وهو تفسير الاول ووصف بكمال القدرة وليس ذلك فى قدرة غير الله تعالى وقال عطا هو ما ياخذ النهار من الليل حتى يصير النهار الى خمسة عشر ساعة والليل الى تسع ساعات وقيل معناه ياتى بالليل فى اثر النهار فيلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان ضوء النهار ثم ياتى بالنهار فى اثر الليل فيلبس الدنيا ضوءه فكان احدهما دخل فى الاخر واستتر وهو كقوله جل جلاله وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة وقوله تعالى وتخرج الحى من الميت اى المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحى الكافر من المؤمن روى الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم راى خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث وكانت صالحة وابوها كافر فقال سبحان الذى يخرج الحى من الميت وقيل معناه يجعل الكافر مؤمنا والمؤمن كافرا قال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه اى كافرا فهديناه وقال الحسن اى يخرج الطيب من الخبيث ويخرج الخبيث من الطيب وقال قتادة اى يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقال مقاتل اى الطير من البيضة والبيضة من الطير وقال الكلبى اى السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة ومن حبة وكذا النخلة من النواة والنواة من النخلة وقوله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب اى لا نهاية لمقدورك فيما تعطيه العبد لا ينقص ذلك من مقدورك شيئا وفيه اقاويل اخر ذكرناها عند قوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب وقال الامام القشيرى رحمه الله هذا تعليم الخلق كيف الثنا على الحق اى صفنى بما استحقه من كمال القدرة فقل يا مالك الملك فلا شريك لك ولا معين ولا ظهير ولا قرين ولا مقاسم لك فى الذات ولا مساهم لك فى الملك ولا معاضد لك فى الافعال والابداع توتى الملك من تشاء حتى يعلم انك الملك فالملك من المخلوقين من تذلل لله وتنزع الملك ممن يتكبر على الله فتحمل الخلق فى تذللهم للحق وعزهم فى محوهم فيه وبقائهم فى فنائهم به وتعز من تشاء بعرفانك وتذل من تشاء بجحدانك وتعز من تشاء بان يشهدك وتذل من تشاء بان يجحدك وتعز من تشاء بان تونسه بك وتذل من تشاء بان توحشه عنك وتعز من تشاء بان تشغله بك وتذل من تشاء بان تشغله عنك وتعز من تشاء بسقوط احكام نفسه وتذل من تشاء بغلبات وساوس نفسه وتعز من تشاء ببسطه وتذل من تشاء بقبضه

تؤتي الملك من تشاء بأن تراد سر الك وتنزع الملك ممن تشاء بربط قلبه بمخلوق الك وتعز من تشاء بأنا سه
بالارادة وتذل من تشاء بردها الى ما عليه اهل العادة بيدك الخير انك على كل شئ قدير من القبول والرد والتقرب
والطرد والحجاب والرؤية والجمع والتفرقة والقبض والبسط تولج الليل في النهار بغلب سلطان ضيا الوجد
فلا يبقى من آثار النفس وظلماتها شئ وتولج النهار في اجزاء الليل حتى كان شموس القلب قد كسفت او كان الليل دام
او كان الصبح تعقد وتخرج الحي من الميت حتى كان الفترة لم تكن وعهد الوصال رجع قشيا وعود القرب صار غضا
طريا وتخرج الميت من الحي حتى كان تجر البراورق شوكا واثمر شوكا وترزق من تشاء بغير حسابا حتى لا كد ولا جهد
ولا عرق جبين ولا تعب يمين ليله روح وراحة ونهاره طرب وبهجة وساعاته كرامات ولحظاته قربات
ومحاسن انعامه لا يحصرها لسان ولا يأتي على استقصا كنهها بيان وقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين قيل نزول هذه الآية في حق حاطب بن ابي بلتعة اذ كتب الى اهل مكة ان محمدا قد
قصدكم فخذوا حذركم ودفع الكتاب الى سارة القوالة فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا
رضي الله عنه وامره ان يقتلها ان امتنعت عن دفع الكتاب فادركها فانكرت فهددها فاظهرته من شعرها
فاخذه علي رضي الله عنه وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ الكتاب وحاطب حاضر فقام عمر رضي الله عنه
وسل سيفه وقال يا رسول الله ائذن لي في قتل هذا المنافق فقال مه يا عمر فانه بدري وان الله قد اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ولا حساب عليكم ولا عذاب فنزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله لا يتخذ نهي وهو مجزوم وكسر لالتقاء
الساكنين والاولياء جمع ولي وهو الذي يلي امر من يرضاه بالعون والنصرة وهو يطلق على المعين وعلى المعان
ايضا والله ولي المؤمنين اي معينهم والمؤمن ولي الله اي معانه ومعنى الآية لا يجعلن احد من المؤمنين احدا
من الكافرين وليا في امر من الامور التي يتولى بها المتواصلون والمتوادون واهل القرابات من تعظيم ومحبة
وصحبة واستشارة في مهم بل ينبغي له ان يصرف ذلك الى المؤمنين ومعنى من دون المؤمنين مفارقا للمؤمنين
متباعدا عنهم لان من كان دون انسان في المكان فهو مفارق له متباعد وقوله تعالى ومن يفعل ذلك اي ومن يتولهم
وقوله تعالى فليس من الله في شئ هي كلمة تبرؤ ومفارقة وقال السدي ليس من ولاية الله في شئ لان الله تعالى
قد برئ منه وقيل ليس من دين الله في شئ وقيل من توفيق الله وقيل من كرامة الله تعالى وقيل من ثواب الله وقوله تعالى
الا ان تتقوا منهم تقاة هي على وزن فعلة كتؤدة وتخمة وتكاة واصله وقاة من الوقاية لكن بني على الفعل
لادغام الواو في التاء بعد ابدالها بالتاء ومعناه الا ان تكونوا في موضع تخافون الكفار على انفسكم او اهاليكم
او اولادكم او اموالكم باطنها او العداوة فرخص لهم اظهار الموالاة والموافقة مع اضمار الحق قال ابن عباس رضي الله
عنهما التقية الكلمة باللسان والقلب مطمئن بالايمان وقال قتادة التقية هي ان يصل رحما له من الكفار
المشركين من غير ان يتولاهم في دينهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في موت ابيه اذهب فواره وقوله تعالى
ويحذركم الله نفسه اي ذاته وهو كقوله تعالى واتقون واخشون وارهبون خاطب العوام بقوله فاتقوا النار
والخواص بقوله تعالى فاتقون وقوله تعالى والى الله المصير اي الجزاء فالله مرجع الخلق فيجزي كلا بعمله
وانتظام هذه الآية بما قبلها ان كل شئ بيد الله وكل حادث بصنع الله فلا ترجوا ولا تخافوا غير الله ولا توالوا
اعداء الله وقوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله هذا تأكيد للاول في النهي عن موالاة
اعدائه سرا وعلانية وحذر من مخالفته فيما نهى واخبر انه يعلم ما اخفوه وما ابدوه وهو ابلغ وعيد وقوله تعالى
ويعلم ما في السموات وما في الارض وهذا ابتداء لذلك رفعه والاول جزاء الشرط فجزمه واذا علم ما في
السموات وما في الارض كيف يخفى عليه ما يسر القلب وقوله تعالى والله على كل شئ قدير على انزال ما يحذركم به
بكم وقيل من المغفرة والعقاب وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
يحتمل واحدا من وجوه يوم ويحتمل ويحذركم الله نفسه يوم ويحتمل والى الله المصير يوم ويحتمل والله على كل شئ
قدير يوم ويحتمل واذكر يوم وقوله تجد اي تنال وقوله ما عملت هو للعموم ومن خير للجنس ومحضرا اي كما
الحسنات قال تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وقوله وما عملت من سوء
قيل هو عطف على الاول اي وتجد عمل السوء ايضا محضرا قوله تعالى تود لو ان بينها اي بين النفس وبينه
اي بين ما عملت من سوء وقوله تعالى امدا بعيدا اي غاية بعيدة اي يتمنى ان تكون بين هذا العمل في الدنيا بعيد
لا تزول ابدا فلا يقع فيه قط لما يرى من عقوبته فيكون هذا زيادة صفة على وجود العمل السيئ محضرا
وهو تمني ان لم يكن منها ذلك وقيل قوله وما عملت من سوء ابتداء وتود الى آخره خبره وقيل فيه اشارة بشارة
للمؤمن لانه ذكر انه يجد الخير محضرا وهو كائن لا محالة ولم يذكر احضار الشر في حق المؤمن لانه لم يغفر ولا
يحضر قال تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم واما الكافر فلا يغفر له شئ والعموم
في حقه ووجدوا ما عملوا حاضرا وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه اعاد التحذير للتأكيد والتقرير وقوله تعالى

والله رؤوف بالعباد قال الامام القشيري رحمه الله هذا المستأنف وقوله تعالى ويحذركم الله للعارفين
اولئك اصحاب التخفيف والتسهيل وهؤلاء اصحاب التخويف والتهويل ونظيره بشر المذنبين وانذر الصديقين
وقيل افناهم بقوله تعالى والله رؤف بالعباد ولما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوعيد على بني نجران قالوا هذا
الوعيد لا يكون لنا فنحن ابناء الله واحباؤه فبين الله تعالى لهم ان الله تعالى لا يحب الا من يتبع حبيبه وقوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الحب والمحبة كالود والمودة وقد حبه واحبه اي وده والثلاثي من
باب ضرب ودخل جميعا قال الكسائي الثلاثي لغة قد ماتت وبقي لاستعمال قولهم احب ويستعمل المحبوب في
المفعول دون المحب المكرم وقوله تعالى فاتبعوني اثبت فيه الياء لانه الاصل ولم يثبت في فاتقون واطيعون
لانه ختم آية يوقف بها الوقف يقول قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تزعمون فان ذلك لا يتحقق لكم حتى تتبعوني
وتتركوا موالاة الكفار فاني ادعو الى الايمان بما بعثني الله به والى طاعة الله تعالى ايثارا لطاعته على غيره ذلك
فاذا فعلتم ذلك احبكم الله ومحبة الله العبد ارادته ثوابه ورضاه عنه واستحسانه عمله وقوله تعالى ويغفر لكم
ذنوبكم عطف على قوله تعالى يحببكم الله وقوله تعالى والله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم فلا يعذبكم ودلت
الآية على شرف النبي صلى الله عليه وسلم فانه جعل محبته متابعة حبيب نفسه وفيه تفضيله على الخليل فان الخليل
قال فمن تبعني فانه مني وقال الله تعالى في حق الحبيب وقل لهم يا محمد فاتبعوني يحببكم الله وقال الامام القشيري
رحمه الله قطع الله اطماع الكل ان يسلم لاحد نفس الا ومقتداهم سيد الاولين والآخرين ثم قال في الآية اشارة
الى ان المحبة غير معلولة وليست هي بفعل طاعة او بتجرد عن آفة فانه قال يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فاثبتها
لهم مع وجود الذنوب منهم وقوله تعالى قل اطيعوا الله والرسول ولما نزلت الآية الاولى قال عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق لعنه الله لاصحابه ان محمدا يأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم ويأمرنا ان
نطيعه كطاعة الله فنزل قوله اطيعوا الله والرسول اي اطيعوا الله فيما امروا والرسول فيما بين وقوله تعالى فان
تولوا فان الله اي اعرضوا عن القبول فقد كفروا والله لا يحب الكافرين وهو ابلغ من ان يقال يبغض الكافرين
لانه نفي من كل وجه والاثبات يدل على وجه وقوله تعالى ان الله اصطفى آدم قال الكلبي لما نزل قوله قل اطيعوا
الله والرسول قالت اليهود يا محمد نحن ابناء ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فمدح الله تعالى
ابراهيم واولاده وكذب اليهود في دعواهم فقال ان الله اصطفى آدم اي اختاره بالرسالة الى الملائكة والجن
والانس وهم اولاده وقوله تعالى ونوحا اي اختاره بالرسالة وباعلائه على من كفر وقوله تعالى وآل ابراهيم
قيل ابراهيم نفسه وكذا في قوله ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقال الشاعر فلا تبك ميتا بعد ميت
احبه علي وعباس وآل ابي بكر اي ابي بكر وكذا على هذا القول قوله تعالى وآل عمران على العالمين اي
عالمي زمانهم وقيل آل ابراهيم اولاده اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وسائر انبيا اولاده ذريته وآل عمران
اهل عمران والد مريم بنت حنة بنت فاقوذ وقيل آل ابن يصهر عمران وعيسى بن مريم بنت عمران فانه مصطفى
بالرسالة كآدم ونوح وابراهيم وقيل آل عمران موسى وهرون ابنا عمران وهو غير عمران والد مريم كان هذا بعد
ذلك بالف وثمانمائة سنة والاول اشبه بنظم الآية بما قبلها وما بعدها وموسى وهرون دخلا في ذلك بذكر آل
ابراهيم لانهما من ذريته وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض نصب ذرية باضمار اصطفى ثانيا او على البدل
او على القطع لانه نكرة وما قبله معرفة وهي فعولة من الذر وهو الخلق واصله ذرورة ثم قلبت الميم فصارت
ياء ثم جعلت الواو التي قبلها ياء لتتفقا ثم كسرت لان الياء اخت الكسرة والذرية الولد عند بعضهم وسمي
الآية على هذا ان نوحا صلوات الله عليه من ذرية آدم وابراهيم من ذرية نوح وموسى وعمران من ذرية ابراهيم
ونوح وآدم ولا يكون آدم من ذرية احد فيكون مخصوصا منها وقال الكلبي الاول من الآخر والآخر من الاول
اي الجنس واحد وقيل آدم من تراب فرجع الكل الى ذلك وهو كقول القائل المدلجي اشهد ان هذه الاقدام بعضها
من بعض اي اسامة من زيد بن حارثة وكان ينظر الى اقدام اسامة وزيد لا غير وقال ذلك لكن تأويل ذلك ما قلنا
لكذا فعدا ودلت الآية على صحة انكحة الكفار حيث اثبت نسب بعضهم من بعض بها وقيل الذرية الآباء والاولاد
قال تعالى ذرية من حملنا مع نوح وكانوا جميعا وهذا لان الذرية لما كانت مشتقة من الذر شملت الكل لان الاب
خلق منه الولد والولد خلق من الاب وقال قتادة وابو روق اي بعضهم على دين بعض كما قال تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع لمقالة اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وعلى دين ابراهيم
وهو دين الله عليم بعقوبتهم على ذلك وقوله تعالى اذ قالت امرأة عمران قال الاخفش اي واذكر يا محمد اذ
قالت حنة بنت فاقوذ وقال الزجاج اي واصطفى آل عمران اذ قالت وقيل والله سميع عليم اذ قالت فهو سميع
لمقالتها عليم بنيتها وقوله تعالى امرأة هذا الف وصل لان الاصل مرأة فسكنوا الميم وادخلوا الالف وقاية
لسكونها وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي يا رب اني التزمت التقرب اليك بتحرير
ما في بطني من الولد والتحرير الاعتاق وهو اثبات الحرية وقيل هو التخليص وطين حر اي خالص وقيل كان

بنو اسرائيل لم يكن لهم غنايم اعدايهم فلم يكن لهم مما لبث بسقوبهم فكانوا يحررون اولادهم تقربا الى الله جل جلاله
ويقطعون منافعهم عن انفسهم ويفرغونهم لخدمة بيت الله تعالى وقال عكرمة محررا اى خالصا لله تعالى لا يخالطه امور الدنيا
وقال محمد بن اسحق كانت امراة عمران بن ماثان امسك عنها الولد وايست وكانوا اهل بيت صلاح ودين فبينا هى
تحت ظل شجرة نظرت الى طاير يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى ان يهب لها ولدا فحملت بمريم
وهلك عمران فلما عرفت ان فى بطنها جنينا جعلته محررا لله تعالى وقال الكلبى هو الذى يكون فى بيت المقدس يخدمه
ويكنسه ويتعاهده حتى يبلغ ثم يخير فان شاء اقام وان شاء ذهب وقيل معناه جعلت ما فى بطنى محررا خالصا
لا استانس به ولا اتكثر به ولا اتجمل به ولا استعين فى امورى وكذا ينبغى للانسان ان يطلب و .. لله تعالى
وكذا دعا زكريا عليه السلام فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة وقال تعالى فهب لى من لدنك وليا وقال
ابراهيم عليه السلام رب هب لى من الصالحين وقال خواص عباد الله تعالى ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
وقوله تعالى فتقبل منى اى اقبل هذا الولد المحرر منى وقوله تعالى **انك انت السميع العليم** اى بنيتى وقوله تعالى
فلما وضعتها اى وضعت البنت وقيل الكناية ترجع الى مضمر وتقديره فوضعت بنتا فلما وضعتها وقوله تعالى
قالت رب انى وضعتها انثى وقيل كانوا يحررون الغلمان وكانت ترجوان تكون غلاما فلما كانت جارية خافت
ان لا تقبل منها ولا تصلح للمسجد اما لانه لا يحل لهن الا التستر فى البيوت او لان المراة تحيض فتحتاج الى الخروج من المسجد
وقيل كانوا يحررون الغلمان والجوارى لكن الانثى اضعف حالا واعجز فقالت ذلك اعترافا بالتقصير وقيل هو استكانة
وتذلل كقول الداعى انا عبدك وابن عبدك وانا البايس الفقير ونحو ذلك وقوله تعالى **والله اعلم بما وضعت**
قرا ابن عامر وعاصم فى رواية ابى بكر ويعقوب بضم التاء وهو اخبار عنها انها قالت ذلك والباقون بما وضعت
باسكان التاء وهو اخبار من الله تعالى انه اعلم منها بما وضعت لانها علمت بها بعد الولادة والله تعالى كان عالما بها
فى الازل وقوله تعالى **وليس الذكر كالانثى** اى فالنجية ليست البنت فى خدمة المسجد كالابن وهو اعتراف منها
بالتقصير وقال الامام ابو منصور رحمه الله اى وليس الذكر فى الحاجة الى الحفظ كالانثى فانها تحتاج اليه لا محالة
فسالت من الله تعالى حفظها وعونها وقوله تعالى **وانى سميتها مريم** هى عبرانية ومعناها الخادم وصارت عربية
باستعمال العرب ذلك فى لسانها وكان ذلك استخارة منها ويقول الداعى فى الاستخارة اللهم انى اريد امر كذا
وهو طلب الخيرة من الله تعالى فى ذلك وقوله تعالى **وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** عاذ لازم
واعاذ متعد وهو الاستعصام والاستعانة وسالت ذلك فى حقها وحق ولدها فاجابها الله تعالى الى ذلك كما قال الضحاك
فكانت مريم صوامة قوامة قد غلبت الاحبار فضلا وعبادة واقبلت الملايكة عند ولادتها عيسى فكانوا بينه وبين
ابليس كانهم بنيان مرصوص وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مولود الا والشيطان
يمسه حين يولد حتى يستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها ثم قال ابو هريرة رضى الله عنه اقرؤا
ان شيتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال الحسن معناه وانى اعيذها بك وذريتها ان
كان لها ولد من الشيطان الرجيم فاستجاب الله لها ذلك وقوله تعالى **فتقبلها ربها بقبول حسن** اى قبلها
الله تعالى منها ورضيها والقبول مصدر وقيل لا مصدر تقبل وانما جاز ذلك لانه فى معناه وقوله تعالى **وانبتها
نباتا حسنا** ولم يقل انباتا وقد شرحناه على الوجه فى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا والقبول
مصدر جاء على فعول بالفتح وهو نادر قال ابو عمرو بن العلا هو فرد لا نظير له وقيل خمسة مصادر كذلك القبول
والوزوع والولوع اى المنع والمضوى الامر بمعنى المضى يقال مضى فى الامر يمضى مضوا ورقوا الدم والصحيح
ان مصدر رقا الدم هو الرقو بالضم فاما الحديث اكرموا الابل فان فيها رقوا الدم فالرواية الصحيحة بفتح الرا
لكنه ليس بمصدر بل الرقو هو فى الاصل الرق الذى يرقا به الدم والمصدر بالضم واراد فى الحديث ان الابل
كانها سبب لرقو الدم اى تودى بها الدية فيترك بها القصاص ثم ان الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضعفها وصدق
نيتها فى الابتدا وحيائها فى الانتها وكان فى ذلك الزمان اربعة محررين لم يشتهر خبر واحد منهم اشتهار خبرها
وفيه تنبيه للعبد على ان يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها لا ظهارها او لا خلاصها وانما رهبها
اخلاصها وقوله تعالى وانبتها نباتا حسنا اى انشاها نشاة حسنة وغذاها تغذية صالحة ورباها تربية
وهو تشبيه باثبات النبات وتقويته وتربيته وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان ذلك ان لم يجعل
للشيطان عليها سبيلا ويحتمل انه لم يجعل رزقها وكفايتها بيد احد من خلقه بل يولى ذلك اليها بعنده من
الوان الرزق كما قال تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وقال الامام القشيرى رحمه الله القبول
الحسن اذا تولى الله امرها على وجه يحجب لعا الموز منها وانبتها نباتا حسنا بلغها فوق ما تمنت امها وربانها
على نعت العصمة حتى قالت انى اعوذ بالرحمن منك ووفقها حتى استقامت على الطاعة فكان لا يدخل عليها زكريا
الا وجدها فى المحراب وجعل كافلها مثل زكريا ولم يكل امرها الى غيره ولم يطرح مونتها على زكريا بل بعث رزقها
من خزائنه وهذا كله ثمرة حسن التسليم وحسن القبول وقوله تعالى **وكفلها زكريا** قرا اهل الكوفة مشددة

القاف والباقون مخففة وقرا الكوفيون غير عاصم فى رواية ابى بكر زكريا مقصورا وقرا عاصم فى رواية ابى بكر
ممدودا منصوبا والباقون ممدودا مرفوعا فالمد والقصر لغتان فيه وهو اسم اعجمى وتكلمت به العرب فعربته
والكفل الضم والكفالة بالمال ضم ذمة الى ذمة فى حق المطالبة بالدين والكفالة بالنفس ضم مطالبة الى
مطالبة وكفالة اليتيم ضمه الى نفسه ويضمن مؤنته والكفل مواصلة الصيام وهو ضم الايام الى الايام فى الصوم
على الدوام ومعنى كفلها بالتخفيف ضمها الى نفسه وزكريا رفع لانه فاعل ومعنى التشديد جعل الله زكريا كافلها
وضامنها الى نفسه وزكريا نصب لانه مفعول به وقصته ما قال الكلبى رحمه الله قال لما ولدت حنة مريم
اخذتها فلفتها فى خرقة فوضعتها فى المسجد فتنافس فيها الاحبار بنو هرون ايهم تكون عنده فقال لهم زكريا
عليه السلام انا احقكم بها خالتها امراتى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها تركت لامها التى ولدتها
ولكنا نقترع عليها باقلامنا فتكون عند من خرج سهمه وكان زكريا والاحبار فى بيت المقدس يكتبون العلم
التوراة والزبور فاخذوا اقلامهم التى يكتبون بها وكانوا سبعة وعشرين رجلا فانطلقوا بها الى نهر جار
قالوا نطرح اقلامنا هذه على الجرية فمن صعد قلمه الى اعلى الجرية فهو احق بها ومن تسفل قلمه مع الجرية
فهو المقروع قالوا نعم ثم رموا مع الجرية فسفلت اقلامهم جميعا مع الجرية وصعد قلم زكريا صلوات الله
عليه فقرعهم جميعا وضمها اليه واسترضع لها قال عطا الاقلام القداح دون اقلام الكتابة وقيل كانت
من حديد ومشت على وجه الماء صعدا وقال ابن عباس رضى الله عنهما فلما بلغت تسع سنين صامت وقامت
الليل وتبتلت حتى غلبت الاحبار وقال مقاتل فبنى لها زكريا محرابا فى مسجد بيت المقدس وجعل بابه فى وسطه
وكان يغلق عليها الباب لا يدخل عليها غيره ولا يرقا اليها الا بسلم وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس
ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى المحاريب وهى مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان وهو فى اللغة
اسم للموضع العالى الشريف وقال الشاعر ؛ محراب اذا جيتها لم ادن منها ؛ اذا ارتقى لسلما ؛ وقال الاصمعى
المحراب الغرفة قال الا تراه قال تعالى اذ تسوروا المحراب والتسور لا يكون الا من علو وقيل المحراب اسم
للقصر ايضا ؛ او دمية صور محرابها ؛ او درة سيقت الى تاجر ؛ وقوله تعالى **كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا** جاء فى التفسير فاكهة الصيف فى الشتاء العنب الطرى واللبن الطرى وفاكهة الشتاء
فى الصيف وفيه دلالة اثبات الكرامة للاولياء ردا على المعتزلة وقوله تعالى **قال يا مريم انى لك هذا**
اى من اين لك هذا ولا يدخل عليك احد غيرى ولا يوجد هذا فى الدنيا وقوله تعالى **قالت هو من عند الله**
اى جبريل ياتينى به من الله تعالى خلقه لى وقوله تعالى **ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** قيل هو
تمام قول مريم وقال الحسن هو ابتداء كلام من الله جل جلاله ومعناه بغير الاستحقاق على العمل وقيل اى من
غير ان يحاسبه احد وقيل زيادة على ما يحسبه المعطى وفيه اقاويل اخر ذكرناها فى سورة البقرة وقوله تعالى
هنالك دعا زكريا ربه هنالك وهناك بمعنى ثم وهى اشارة الى المكان وقد يستعمل فى الزمان
ومحله نصب بالظرف ومعناه حينئذ لما راى عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء
على خلاف مجرى العادة وقوله تعالى **قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة** اى تفضل على باعطا ولد
طاهر من عندك اذ لا احد غيرك يقدر على ذلك وهو كقوله وهب لى من لدنك وليا يرثنى والذرية الولد
يقع على الذكر والانثى والواحد والجماعة وتانيث الطيبة للفظ الذرية والطيب هو الذى يستطاب افعاله
واخلاقه فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب وقوله تعالى **انك سميع الدعاء** اى مجيب الدعاء كما فى قولهم سمع الله
لمن حمده وقولهم سمعا وطاعة وهذا لان من لم يجب فكانه لم يسمع قال الله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وصف
الكفار بانهم غير سامعين كانوا غير مستجيبين وقيل هو على حقيقته اى انك تسمع الدعاء ولا يخفى عليك ما اقوله
وما اريده فان قالوا الم يكن زكريا كان عالما ان فى قدرة الله تعالى ذلك قبل رؤية حال مريم فلم لا سال ذلك
قيل قلنا قد يزداد الانسان رغبة فى الشئ اذا عاينه وان كان عالما به قبله او كان عنده انه وان كان فى مقدور
الله تعالى ذلك لكنه لا يفعله فلما راى ذلك فى حق مريم عليها السلام صح عنده انه جائز فى الحكمة فساله ويحتمل انه كان
اذن له فى الدعا وجعل ميقات الدعاء اذا راى نظيره وهذا نظيره وقوله تعالى **فنادته الملائكة وهو قائم
يصلى فى المحراب** قرا حمزة والكسائى فناديه وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ذكروا الملايكة
فانهم ذكور يريد تخالفوا المشركين فى توهمهم ان الملايكة بنات الله ولان الفعل متقدم والتانيث للجمع والباقون
قرءوا بالتاء على اللفظ وفى كل الروايات ان النداء كان من جبريل وحده وانما ذكر جميعا لان جبريل عليه السلام
اذا نزل بامر كان معه جماعة من الملايكة صلوات الله عليهم فاذا اخبر مخبر يجوز ان يقال اخبر الملايكة على
معنى انه اخبر وهو معهم ومنهم جاء الهدا كما يقال حضر فلان من فلان السلطان يدعونه اليه وان كان الذى
يخاطبه بالدعوة واحدا منهم اذا كان معهم وقوله تعالى وهو قائم يصلى فى المحراب الواو للحال ودل ان المراد
تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقوله تعالى **ان الله يبشرك** قرا ابن عامر

وحمزة ان الله بكسر الالف على اضمار القول او جعل النداء في معنى الاعلام ويبشرك يقرأ بالتشديد من التبشير
وبالتخفيف من البشارة من حد دخل وقد فسرناها في اول سورة البقرة عند قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية
حجة لاصحابنا رحمهم الله في قولهم من قال ان بشرني عبدي بكذا فهو حر فارسل اليه رسولا بذلك عتق لان
الله تعالى اخبر انه بشره وكان ذلك بلسان رسوله جبريل وقوله تعالى بيحيى وقال تعالى في سورة مريم بغلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال الشيخ الامام الزاهد ابو منصور الماتريدي رحمه الله قيل يحيى اشتق من اسم
الله تعالى الحي سماه الله تعالى به اكراما وقيل سمي به لما حيي به الدين والمروءة او حيي به العلم والحكمة او حيي به
الاخلاق الفاضلة والافعال المرضية وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي به لانه حيي به عقر امه وقال الحسين
ابن الفضيل رحمه الله سمي به لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وقيل سمي به لانه سبب
حيوة من آمن به بقلبه وقال الامام القشيري رحمه الله سمي به لحيوة قلبه بالله تعالى وقيل سمي به لانه اذا اقبل
لم ينقلب بل هو هو اوله كآخره وآخره كاوله ولذلك كان يحيى اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وقوله تعالى مصدقا
بكلمة من الله نصب على الحال او على القطع لانه نكرة بعد معرفة بكلمة من الله قيل وهو قول عامة اهل التفسير
هو عيسى عليه السلام لانه كان بكلمة الله من غير اب وقيل سمي كلمة الله لان الناس يهتدون به في الدين كما يهتدون
بكلام الله كما سمى الله تعالى القرآن روحا وعيسى روحا لانه يحيى به من الضلالة كما يحيى الانسان بالروح وقال
ابو عبيدة بكلمة من الله اي بكتاب الله تعالى وسمي الكتاب كلمة لان العرب تقول اسمعني كلمة فلان اي قصيدته
التي قالها وان طالت وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره يبشرك بكلمة من الله بيحيى مصدقا اي يبشرك ببشارة
من الله وقيل تصديقه بعيسى وقوله تعالى وسيدا وحصورا هو نعت له ايضا وهو الذي يفوق قومه في خصال
الخير حتى يستحق الرياسة عليهم بسؤدده وقال مجاهد السيد الكريم على الله تعالى وقال قتادة الكريم الحليم الورع
وقال عكرمة السيد الذي لا يغلبه غضبه قال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه وقيل السيد
الحسن الخلق وقيل الفقيه العامل بعلمه وقال عمر ابو بكر سيدنا واعتق بلالا سيدنا واراد به الصلاح واحتمال
الشدائد في الله وقيل هو المالك لنفسه وقال الخليل وسيدا اي مطاعا بعز الطاعة لان السيادة لمن له الطاعة
قال الله تعالى في بعض الكتب من اطاعني اطاعه خلقي وقال احمد بن عاصم السيد القانع بما يقسم له وقال الثوري
السيد الذي لا يحسد وقال ابو بكر الوراق هو الراضي بقضاء الله تعالى وقال محمد بن علي الترمذي هو المتوكل
على الله وقال ابو يزيد هو الذي عظمت همته ان تخطر الدنيا بقلبه وقيل هو الذي تحرز عن رق الكونين وتحقق
بعبادة المكون وقال محمد بن علي الباقر السيد من استوت عنده احواله في المنع والاعطاء وقال النبي صلى الله
عليه وسلم سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء وقوله تعالى وحصورا اي ممتنعا من النساء مع
القدرة عليهن والحصر الحبس والمنع وهو فعول بمعنى الفاعل وقيل هو الممتنع عن كل المعاصي وقيل هو المتبتل
الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا وقال الامام القشيري رحمه الله اي ممتنعا من الشهوات مكفيا احكام
البشرية مع كونه من البشر قال وقيل اي ممتنعا عن المطالبات تعذرا وتعذرا وقوله تعالى ونبيا اي يوحى اليه
اذا بلغ مبلغه هو من النبوة اي الرفعة واذا همز من النبأ وهو الخبر اي هو مخبر عن الله تعالى والنبي الطريق
الواضح ايضا لغة والانبياء طرق الى الله تعالى ولذا قيل النبي صلى الله عليه وسلم امام والامام الطريق الواضح قال
تعالى وانهما لبامام مبين وقوله تعالى من الصالحين اي من الآباء الصالحين اي من الانبياء لان الله جل جلاله سماهم
به فقال انهم من الصالحين والصلاح صفة ينتظم الخير كله وقيل الصالح المؤدي حقوق الله تعالى وحقوق الخلق
وقيل هو الذي ينتفي عنه الفساد بالكلية وقيل قوله من الصالحين اي من الانبياء وقوله تعالى قال رب انى يكون
لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر اي لمعنيين كيف ومن اين ولم يكن هذا نفيا للقدرة بل سؤال الجهة
انه يكون منى اي بالتوالد ومن امراتي هذه او من غيرها وعلى بقائنا شيخين او ردنا الى الشباب وقوله تعالى قال كذلك
اي على هذه الحال ومن هذه المرأة فان وحشة الانفراد كانت لكما جميعا وقال القشيري رحمه الله باي استحقاق
متى يكون هذه الاجابة لولا فضلك والغلام الولد الذكر والجارية الانثى والكبر الطول في السن من باب علم
وقد كبر يكبر كبرا فهو كبير واما الكبر في القدر فمن حد شرف وقوله تعالى وقد بلغني الكبر وقال في سورة مريم
وقد بلغت من الكبر عتيا الا ان ما بلغك فقد بلغته فتضاف الفعل الى كل واحد منهما وهو كقولك تلقيت الحائط
وتلقاني الحائط وقوله تعالى انه كان وعده ماتيا وقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وقال لا يستقيم هذا في قولك
بلغت البلد لانه يقال بلغني البلد لانه ينتفي فقدنية نقصد وتوجه والشيب بمنزلة الطالب له فهو يأتيه بجدونه
فيه وقوله تعالى وامراتي عاقر اى التي لا تلد وقد عقرت تعقر عقرا وعقارة من حد شرف ورجل عاقر ايضا وهو الذي
لا يولد له ولد وعقر كل شيء اصله وسميت العاقر به لانقطاع النسل وكونها على الاصل وقيل كان هو بلغ تسعا
وتسعين سنة وامراته ثمانيا وتسعين سنة وقيل كان هو ابن ثلاث مائة سنة وقال عطا كان دعا وقيل بشارته
باربعين سنة فلذلك نسي ما سأل ربه حتى قال ما قال وقال سفيان بن عيينة حلي الله تعالى عن زكريا حاجته

ستين

سنين سنة ثم بشر وقال الكلبي قوله انى يكون لي غلام هذا خطاب منه لجبريل عليه السلام ومعناه يا سيدي
قال عامة المفسرين وهو الصحيح هذا خطاب منه لله تعالى ومناجاة معه لان جبريل عليه السلام بشره من الله تعالى
فخاطب ثم الله تعالى دعا الله الولد فاستجاب له فاصلح له عقر امراته فحملت بيحيى ولم يكن زكريا يعرف ذلك وكان
هو الذي يفتح باب المذبح ويقرب القربان ولا يدخلون حتى ياذن لهم وهو قائم يصلي في المحراب اذا هو برجل عليه
ثياب بيض وهو جبريل فناداه ان الله يبشرك بولد اسمه يحيى وهذه الرواية تدل على ان البشارة كانت بعد
العلوق وقيل بل كانت قبله فانه لما سأل الآية قيل له آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثا فدل ذلك على ما قلنا ولما
تعجب فقال انى يكون لي غلام اجابه جبريل بما ذكر في الآية وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال ههنا وقد بلغني الكبر
وامراتي عاقر وذكر على التقديم والتأخير وقال ههنا ثلاثة ايام وقال هناك ثلاث ليال ونعلم ان القصة واحدة
وقد ذكرت على اختلاف الالفاظ ولم يكن تكلم زكريا بهذا اللسان فدل انه ليس على الخلق حفظ اللفظ انما عليهم
حفظ المعاني للدرجة فيها وقوله تعالى قال كذلك اي هو كما قلت كبرت وامراتك عاقر وقيل اي على هذه
الحال لان الله تعالى قادر على كل شيء وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء يعني على وفاق العادة وعلى خلاف العادة
بكمال قدرته ونفاذ مشيئته وقيل معناه كما بشرناك نعطك اياه وقوله تعالى قال رب اجعل لي آية
اي علامة اعرف بها علوقه متى كان وكان ذلك ليستعجل السرور والغبطة وليشتغل بزيادة الشكر على هذه
الموهبة وليزيد في وظائف العبادة عند ظهور الزيادة في النعمة وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان
سؤال الآية كان لانه خفي عليه ان الذي ناداه ملك او غيره وقد يخفى على بعض الانبياء احوال بعض الملائكة
في بعض الاحوال كما خفي على لوط حتى قال انكم قوم منكرون وخفي على ابراهيم حتى جاء بعجل حنيذ فلما رأى
ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلذلك قال ما قال وقوله تعالى قال آيتك الا تكلم الناس
ثلاثة ايام الا رمزا اي علامة حدوث الولد انك لا تستطيع ان تكلم الناس ثلاثة ايام ولياليها
من غير خرس ولا آفة اخرى فانه بقي قادرا على الذكر والتسبيح بدليل انه امر بذلك في هذه الآية ولانه قال
في سورة مريم سويا اي سليم الاعضاء تقول لا تمنع عن خطابي الا اني لا امنع اولياءي عن مناجاتي وما قاله قائل
وقتادة والربيع بن انس ان ذلك كان عقوبة له حيث سأل الآية بعد البشارة فذلك باطل ولا يليق بحال الانبياء
ولم يكن سؤاله جناية ولا منعه عن الكلام عقوبة لما قلنا ان سؤاله ومنعه عن كلام الناس مع شغله بذكر
الله تعالى اعظم الكرامات وارفع الدرجات ثم ذكر الايام ههنا والليالي هناك ولا تنافي بينهما لان دخول
احدهما جميعا يقتضي دخول الاخرى فيها لغة وعرفا والرمز هو الاشارة بالشفتين وقيل بالحاجبين وقيل
بالعينين وقيل باليدين وقيل بالرأس وصرفه من حد دخل وضرب جميعا ونصب رمزا على الاستثناء استثناء
الرمز من الكلام لانه دال عليه قائم مقامه او لان الا بمعنى لكن وهو استثناء منقطع وعلى هذا نصبه على المصدر
تقديره فكلمهم رمزا او ترمز رمزا وقوله تعالى واذكر ربك كثيرا اي اذكره بلسانك ذكرا كثيرا وقوله
تعالى وسبح بالعشي والابكار اي صل بكرة وعشيا وقال مجاهد العشي من زوال الشمس الى ان تغيب
وقيل العشي آخر النهار والعشاء من غروب الشمس الى نصف الليل والعشاء بالفتح طعام العشي والابكار من وقت
طلوع الفجر الى الضحى ولفظه لفظ المصدر ووضع اسما للوقت وهو كالبكرة والفعل بكر يبكر تبكيرا
وبكر يبكر بكورا وبكر يبكر ابكارا قال الشاعر الا بكرت سلمى وجد بكورها وقال عمر بن ابي ربيعة
امن آل نعم انت غاد فمبكر وقوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم عطف على قوله اذ قالت امرأة
عمران والعامل في اذ ما مر والملائكة اريد بها جبريل وحده كما مر في قصة زكريا وكلام جبريل معها لم يكن وحيا
اليها فان الله تعالى يقول وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم ولا نبوة في النساء في قول اهل الحق وما وقع
لمريم من الخوارق كان كرامة لها وكرامات الاولياء حق او كان معجزة لزكريا بان كانت في زمانه او كانت
معجزة لعيسى قبل خروجه كالمعجزات التي كانت لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كالرمي بالشهب
وتظليل الغمام وقصة الفيل وقوله تعالى ان الله اصطفاك اي اختارك بالدين الحق وقيل بحسن
القبول وحسن الانبات وقوله تعالى وطهرك اي من الحيض والنفاس وقوله تعالى واصطفاك على نساء
العالمين ويجوز على هذا الوجه ان يكون للعموم وان هذا التخصيص كان لها على كل النساء وان اريد الاصطفاء
الثاني هو التفضيل بالمنزلة في الدين فمعناه على عالمي زمانها فعائشة وفاطمة رضي الله عنهما في فضل الدين
فوقها وقيل اصطفاك اي اختصك لعبادته بالتحرير وفرغك عن امر المعاش والمكسب وطهرك من مس الرجال
واصطفاك على نساء العالمين بولد يشهد ببراءتك وهو في المهد وتفسير الحسن اصطفاك بان امك
كما ولدتك لقيتك الى الله تعالى تكفلك زكريا واتاك رزقك من الجنة وطهرك بالايمان واصطفاك بولد
مثل عيسى وقوله تعالى يا مريم اقنتي لربك قال سعيد اي اخلصي وقال الضحاك اي اطيعي ربك وقال
قتادة اي اديمي الطاعة وقال مجاهد اي اطيلي القيام فقامت حتى تورمت قدماها وقوله تعالى واسجدي

وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ قيل القنوت القيام والركوع والسجود بعدها فهذا امر بالصلوة والواو للجمع لا للترتيب
فجاز ذكر السجود قبل الركوع كما قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل السجود الصلوة والركوع
الشكر قال تعالى وخر راكعا اى شاكرا وقيل الركوع التذلل والتواضع وقيل السجود هو الصلوة والركوع كذلك
ومعنى التكرار ان قوله واسجدى صلى النافلة وحدك واركعى مع الراكعين اى صلى الفرض مع المصلين في
بيت المقدس جماعة وقيل امر باصل الصلوة واركعى امر باقامة الجماعة في الصلوة وقال الامام الزاهد ابو منصور
رحمه الله فان قيل كيف امرت بالركوع مع الراكعين وهى امراة قال قيل كان لها ذوى قرابة منها الا يرى انهم كيف
اختصموا في ضمها وكفالتها وزعم كل واحد منهم انه احق بذلك قال ويحتمل انه اراد به وصلى بمن يصلى اى كونى
من هذه الطبقة ولم يرد به الاجتماع في الصلوة في مكان واحد وزمان واحد وقال الامام القشيرى رحمه الله
في قوله تعالى يا مريم اقنتى لربك الاية اى لازمى بساط العبادة وداومى على الطاعة ولا تقصرى في استدامة الخدمة
فكما افردك الحق بمقامك فكونى في عبادتك اوحد زمانك وقوله تعالى ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ اى هذا الذى ذكرنا من قصة حنة ومريم وعيسى وزكريا ويحيى من اخبار الغيب لا يوقف عليها الا
بمشاهدة او قراءة كتب او تعلم من عالم او بوحى من عند الله وانعدمت الثلاثة الاول فتعينت الرابعة وهو
الوحى وقوله تعالى نوحيه اليك اى ننزله عليك دلالة على صحة نبوتك والزاما على نصارى بنى نجران وغيرهم
فيما يحاجونك والوحى في القران لمعان للارسال الى الانبيا وقال تعالى نوحى اليهم ولانزال القران قال تعالى
واوحى الى هذا القران وللالهام قال تعالى واوحينا الى ام موسى وقال تعالى واوحى ربك الى النحل ولالقاء المعنى
المراد قال تعالى بان ربك اوحى لها وقال الشاعر اوحى لها القرار فاستقرت وللاشارة قال تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا وللوسوسة قال تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واصل ذلك كله الاعلام
في خفية وقوله تعالى وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
اضمر فيه لينظروا ايهم يكفل مريم وقد بدينا عند قوله عز وجل وكفلها زكريا كيفية قصة الالقاء للاقلام
وما كنت خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ولو كنت حاضرا لم يكفلها الا انت لانها
زوجتك في الجنة وقيل وما كنت حاضرا ولكن ذكرها لك منا الا نخبر من حضر تلك حينئذ نزلت الاية وجهات
احدهما اظهر وعليه الاكثر انهم تشاحوا فيها وكل رغب في كفالتها لفضلها وعلى الثانى تعجيب من تدافعهم
لكفالتها لتهافع فضلها حتى وفق لها رزقها افضل الكفلاء وقال الامام ابو منصور رحمه الله اخبر عن صنوف
هولاء وصنيعهم ليكون على علم من ذلك او اخبر ليتامل ثم نالوا الصنوف المذكورة فيجتهد في ذلك وقوله تعالى
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ اى واذكر يا محمد اذ قال جبريل ووجهه ما مر وقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان مريم رضى الله عنها كانت في مشرقة لها قد ضربت لها دونها سترا
اذا هى برجل عليه ثياب بيض وهو جبريل تمثل لها بشرا سويا فلما راته قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت
تقيا ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت وقال وهب وكان معها ذو قرابة يقال له يوسف
النجار وكانت مريم ويوسف يخدمان فاستعظم ذلك فاذا اراد ان يتهمها ذكر صلاحها واذا اراد ان يبرئها راى ما ظهر
عليها فكان اول ما كلمها ان قال لها قد حك في صدرى شىء اردت كتمانه فغلبنى ذلك فرايت الكلام اشفى لصدرى
قالت قل قال فحدثينى هل ينبت الزرع من غير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر من غير اصل قالت نعم قال
فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار
من الزرع الذى انبته الله من غير بذر اولم تعلم ان الله خلق ادم وحوى من غير انثى ولا ذكر فلما قالت له ذلك
وقع في نفسه ان الذى بها شىء اكرمها الله تعالى به وقوله تعالى بكلمة منه اى بولد يخلقه من غير اب بقول له كن فيكون
وقيل بكلمة منه اى يهدى به الى الحق كما يهدى بكلامه وقيل كان الله تعالى وعد نبيه في كتبه السابقة ان يبعث
عيسى نبيا فلما خلقه وبعثه قال هذا كلمتى اى ما كنت وعدت به وقيل معنى قوله ويبشرك بكلمة منه اى يبشرك
وهو ولد يولد لك وقال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه اى رسالته
التى اخبر بها مريم كما قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا والالقاء الاخبار قال الله تعالى انا سنلقى عليك
قولا ثقيلا وقال تعالى وكذلك حقت كلمة ربك وقيل الكلمة الامر العظيم قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
اى امور عظيمة شاقة من الامر بذبح الولد والالقاء في النار والامر بالهجرة وغيرها وكان خلق عيسى عليه السلام
امرا عظيما قال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله بكلمة منه هذه اضافة
كرامة كخليل الله وكليم الله ونجى الله وذبيح الله وبيوت الله والذين نراعه وللفرائض حدود الله لئلا يتوهم ذلك
توهم شىء بل هو حتى الخليقة يوجب معنى الربوبية بل هو لتخصيصه في الفضل على اشكاله وكذلك قوله منه
وهو كقوله وما بكم من نعمة فمن الله وليس ذلك على ما توهمه النصارى وقوله تعالى اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
قيل المسيح لقب والاسم عيسى وبدئ باللقب كما يقال جاء الشيخ فلان والقاضى فلان والفقيه فلان وهذا

على

على وجه التعظيم ولانه عرب بها في التوراة وما قبلها من الكتب فاستقام على هذا قوله المسيح لان اللقب
اذا عرف صار كالاسم قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال عليه السلام لى خمسة
اسماء محمد واحمد والماحى والحاشر والعاقب وفى معنى المسيح اقاويل قيل هو الذاهب في الارض من قولك مسحت
الارض اى قطعتها ومسحها الفسام اى قدرها وهو فعيل بمعنى الفاعل كالرحيم بمعنى الراحم وقيل هو الذى كان يمسح
المرضى فيبرؤن قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر وهو فعيل بمعنى مفعول كالصريع
والاسير وقيل كان ممسوح القدم اى لم يكن له اخمص وهو ما يتجافى عن الارض من باطن القدم وقيل كان ممسوحا
بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبيا وقال ابراهيم النخعى المسيح هو الصديق وقال سعيد بن عبد العزيز هو
الممسوح بالبركة وقيل المسيح الجميل والمسيح بالخاء القبيح وفى الخبر على وجهه مسحة ملك وهو في الجمال
وقيل المسيح فعيل من السياحة اى كان يسيح في الارض ولا يثبت في مكان وقوله تعالى عيسى بن مريم قد ذكرنا انه
خبر ثان لاسمه وان جعل المسيح خبرا فهذا بدل عنه وقيل ان كثيرا من المتحلين قبل خروج نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم تسموا باسم المسيح فرد ذلك بقوله عيسى بن مريم انه له على الخصوص لا لكل مسمى باسم المسيح وقوله تعالى
وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نصب على القطع لانه نكرة بعد معرفة وقد وجه يوجه وجاهة فهو وجيه من جد
شرف اى صار ذا جاه ومنزلة وقد روا الجاه اصله الوجاه حذفت الواو منه تخفيفا لكثرة الاستعمال ووجاهته
في الدنيا ما قال في صغره انى عبد الله اتانى الكتاب الاية كما قال في حق موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها ومن الجاه انه يستجيب دعاءه ويعطيه سؤله ويجرى على يديه ما يقتضى تعظيمه وفى الاخرة بان يشفعه
وجعله ممن يشفعه من الانبيا ويدخله الجنة مع المرسلين وقال الحسن وجيها في الدنيا بالنبوة وفى الاخرة بالمنزلة
وقوله تعالى وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ اى بالمنزلة العليا من الثواب والكرامة فانه ذكر الازواج الثلاثة اصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة والسابقون وانزل اصحاب الميمنة السابقون وهم المقربون وعيسى منهم وقوله تعالى وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ تقديره ومكلما عطفا على وجيها ولذلك قال بعده وَكَهْلًا ويجوز ان يكون وكهلا عطفا على
الذى في الظرف وهو قوله تعالى في المهد اى حال كونه في المهد طفلا وحال صيرورته كهلا وانما جاز بصيغة الفعل
على ارادة الاسم لانه الحال وكل واحد منهما يدل عليه يقال دخل فلان على متبسم ودخل على متبسما والمهد مضجع
الصبى في الرضاعة وهو من التمهيد ومعناه انه يتكلم في طفوليته ذبحراته شاهدا على طهارة امه وبراءتها كرامة لها
او لعيسى فانه ناقض للعادة اذ ليس حاله النطق عادة وهو ما ذكر في سورة مريم ثم قال انى عبد الله اتانى الكتاب
الاية وقوله تعالى وكهلا اى حال كهوليته وهى ما بين الشباب والشيب من قولهم اكتهل النبت اذا طال وقوى وقيل
حدها بلوغ اربع وثلاثين سنة فان قالوا اى اعجوبة في تكلمه كهلا قلنا بما ذكر تكلمه في الطفولية اعجوبة قلنا
قيل معناه يكلمهم في المهد تبرئة للام بطريق الكرامة ويكلمهم بعد الكهولة داعيا الى الله بالوحى والرسالة وقيل
اى يتبرا الدعوة الى الله من حين كان طفلا الى ان يصير كهلا وهى بشارة للام بعيشه وبقائه فكانت معجزة
في ضمن معجزة وقيل معناه ان كلامه في طفوليته ككلامه في كهوليته لذكائه وعقله في حالتيه وقيل وكهلا بعد نزوله
من السماء لقتل الدجال وسئل الحسين بن الفضل هل في القران دلالة نزول عيسى من السماء فقال نعم فاستدل
بهذا قال وكان رفعه الى السماء قبل ان يصير كهلا وقيل معناه يتكلم في حجراته مرة ببراءة امه ثم يعود الى حال سائر
الاطفال الى ان يصير كهلا فيوحى اليه فيتكلم بالوحى وقيل الانسان يكون صبيا سبع عشرة سنة ثم شابا سبع
عشرة سنة ثم يكهل بعد اربع وثلاثين سنة وكان رفع عيسى عليه السلام الى السماء قبل ذلك وهو حين كان ابن
ثلاث وثلاثين سنة واشهر وكان ابتداء دعوته لثلاثين سنة وقوله تعالى وَمِنَ الصَّالِحِينَ اى من افاضل
الانبياء وقيل من الانبيا وقد قال في سورة مريم وكان نبيا وقوله تعالى قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ اى من اى وجه يكون مع ان بشرا لم يمسنى والمعتاد ذلك وقوله تعالى قَالَ كَذَلِكِ
اى قال جبريل يا مريم كذلك المعتاد لكن الله تعالى يخلق على خلاف المعتاد ما اراد وهو قادر على ذلك وقوله تعالى
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وقد خلق ادم وحوى من غير اب ولا ام وخلق كل شىء من غير شىء وقوله تعالى إِذَا قَضَى أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اى قدر تخليق ولد من غير اب كونه من غير تاخير وقوله تعالى فيكون رفع لا غير ولا يجوز
نصبه لانه ليس بجواب كن هو عطف على قوله يكون وهذا بخلاف قوله انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون النصب هنالك لما انه عطف على ان نقول وقوله تعالى وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ قرا نافع وعاصم بالياء
المغايبة عطفا على قوله كذلك الله يخلق ما يشاء والباقون بالنون اخبارا من الله تعالى عن نفسه انه يفعل ذلك
عطفا على قوله نوحيه اليك والكتاب في قول الكلبى هو كتب الانبياء المتقدمة قال وانه لبى زبر الاولين
والحكمة الفقه وقال مقاتل الكتاب هو الكتابة بالقلم وكان احسن الناس خطا في زمانه والحكمة بيان
الحلال والحرام وقيل الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان وقوله تعالى وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ معطوفان
على الكتاب والحكمة وقوله تعالى وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عطف على قوله وجيها وقيل نصبه باضمار فعل

وهو قوله ويجعله رسولا وقال الزجاج تقديره ويكلم الناس في المهد وكهلا ورسولا وقوله تعالى اني قد جئتكم
باية من ربكم قرا نافع بكسر الهمزة من اني على حكاية مخاطبته اياهم واضمار القول وقرا الباقون بالنصب على
ارادة الباء ووقوع الرسالة عليه على تقدير رسولا باني وكان في الكتب المتقدمة ان الله تعالى ينزل على عيسى عليه السلام
الانجيل وكان معروفا عندهم بهذا الاسم قبل انزاله وعرفته مريم فلذلك بشرها جبريل ان الله تعالى يعلمه التورية
والانجيل وكان معلمه لا يعلمه شيا الا بدره اليه قال سعيد بن جبير لما ترعرع عيسى جاءت به امه الى الكتاب
قال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى الله فقال له المعلم قل الرحمن فقال عيسى الرحيم فقال المعلم قل ابجد
فقال عيسى اتدري ما الالف قال لا قال الالف آلاء الله والبا بهاء الله والجيم جلال الله والدال دوام الله
فقال المعلم كيف اعلم من هو اعلم مني قالت مريم فدعه حتى يقعد مع الصبيان وكان يخبر الصبيان بما
اكلوا وبما خبئ لهم وقوله تعالى قد جئتكم باية من ربكم اي علامة بينة وهي ما ذكر بعده من خلق الطير من الطين
وقيل ينصرف الى كل ما ذكر من المعجزات واراد بالاية الايات على هذا التاويل ولكنه وحده لانه اراد به الجنس
ولان هذه الايات كلها تدل على معنى واحد فكانت كانها واحدة كما في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية بخلاف
قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين لان كل واحد منهما يدل على معنى اخر وقوله تعالى اني اخلق لكم اي اقدر
لكم قال الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ولا يجوز حمله على التخليق من جهة
عيسى الذي هو الايجاد والاختراع فانه لا يجوز الا من الله تعالى قال تعالى هل من خالق غير الله فاما قوله تعالى
احسن الخالقين فمعناه احسن المقدرين على ما قلنا وقوله تعالى من الطين هو مجموع الماء والتراب وقوله
تعالى كهيئة الطير اي كصورة الطائر والطير للواحد ههنا ولذلك قال فانفخ فيه على التذكير وقال
في سورة المائدة فتنفخ فيها وذلك يرجع الى الهيئة وقيل فيه يرجع الى الطين وقوله تعالى فيكون طيرا
باذن الله قرا نافع طائرا اي يطير وقرا الباقون طيرا اي يصير طيرا باذن الله اي يقلب الله جسمه الذي
كان طينا فيجعله لحما ودما ويخلق فيه الحيوة وقوله تعالى باذن الله اي بتكوين الله اياه بلا علاج لقوله تعالى
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي يخلق الله فيه الموت وقال الضحاك ومقاتل هو الخفاش وقيل فيه
اعاجيب يبكي ويضحك ويحمل ويلد ويرضع ويطير من غير ريش وله سن ولا يبصر في ظلمة الليل ولا في ضوء
النهار ويبصر فيما بين ذلك وقوله تعالى وابرئ الاكمه والابرص اي يصح وقد برا الله العليل يبراه
بفتح ... المصدر من باب صنع ايضا اي خلق وبرئ من الدين براءة من باب علم اي سقط عنه وبرئ منه براءة
اي تبرا كذلك ايضا والاكمه الذي ولد اعمى وقوله تعالى والابرص اي الذي به برص وهو بياض في الجلد
ولا يزول بالعلاج وقوله تعالى واحيي الموتى باذن الله اي ادعو الله فيحيي الموتى بدعائي وهو من صنع الله
تعالى وذكر باذن الله فيما لا يدخل في قدرة العباد اثباتا ان ذلك صنعة الله ونفيا عن نفسه قال الحسين
ابن الفضل علم الله انه يعبد ويتخذ الها فنفى عن نفسه الالهية قطعا لحججهم عند الله قال الكلبي كان يحيي الميت
باسم الله الاعظم يا حي يا قيوم وقال الضحاك كان يقول يا حي يا قيوم يا محيي الاموات وقال كعب كان يصلي ركعتين
يقرا في الاولى تنزيل السجدة وفي الثانية تبارك الذي بيده الملك ثم يمدح ربه بسبعة اسماء يا حي يا قيوم يا دائم
يا فرد يا وتر يا احد يا صمد وقال الكلبي لم يحيي عيسى الا اربعة نفر سام بن نوح والعاذر وابن العاشر وابن العجوز مرت به
وقد حمل على سريره فنزل ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله وبقي وولد له والعاذر وابن العاشر
عاشا وولد لهما واما سام بن نوح فانه دعا ربه باسم الله الاعظم فخرج من القبر وقد شاب نصف راسه وقال
قد قامت القيمة قال ولكن دعوت الله باسم الله الاعظم ولم يكونوا يشيبون في زمن نوح عليه السلام فشهد
لعيسى بنبوته ثم عاد ميتا وقوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي واخبركم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بما تتغدون به وما تتعشون وما خبا ثم لغد من طعام وقد دخر شيا يدخره دخرا
من باب صنع اي خبا لحاجة تقع والدخيرة اسم لذلك وتدخرون تفتعلون منه واصله تدتخرون فاستثقلوا
التاء مع الدال فابدلوا التاء دالا ثم ادغموها في الدال فصارت دالا مشددة وقال الشعبي وكان عيسى
عليه السلام يقول في الكتاب للغلام ان اهلك خبا والك كذا من الطعام وقال سعيد بن جبير والسدي وجماعة
كذلك وقال قتادة ان القوم سالوا المائدة وكان ينزل عليهم من ثمار الجنة وامرهم ان لا يخونوا ولا يخبا والغد
فنقلوا فانباهم بما ادخروا ومسخهم الله خنازير بما خالفوا وقوله تعالى ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
اي ان فيما اتيت به من المعجزات لعلامة لكم على صدق نبوتي ان كنتم مصدقين اي ان كنتم مؤمنين بالله علمتم
انه له ان يرسل الرسل ويقيم الحجج فصدقتموني اذا اتيت بها وقيل هو خطاب لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم
يعني فيما قصصت عليكم من امر عيسى لعبرة لكم ايها اليهود ان كنتم مصدقين بان محمدا رسول الله وقال مقاتل ان
كنتم مصدقين بعيسى انه عبد مرسل وقوله تعالى ومصدقا لما بين يدي من التورية اي موافقا لما كان
قبلي ونصبه على تقدير وجئتكم باية من ربكم وجئتكم مصدقا كقول القائل جئتك بما تحب ومكرما لك وليس عطفا

على

على قوله وجئتكم مصدقا وهو كقول القائل جئتك وجيها ورسولا لان ذلك خبر من الله تعالى وهذا اخبر عن عيسى
من نفسه فانه قال لما بين يدي وقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم الواو لارادة تكرار المجيء وجئتكم
لاحل لكم او تقديره ولاحل لكم ذلك جئتكم قال قتادة وكان موسى عليه السلام حرم عليهم لحوم الابل والثروب
فورد عيسى بتحليل ذلك وقال مقاتل اي بعض الذي حرم عليكم من اللحوم والشحوم والسمك والطير وكل ذي
ظفر وقال عطاء هو لحم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل ان احبار اليهود حرموا على بني اسرائيل اشياء لم يكن
الله تعالى حرمها عليهم فامر الله تعالى عيسى ببيان تحليلها والمراد بالاية استمالة بني اسرائيل في الدعوة بانه انما جاء
مصدقا للتوراة لا مغيرا لها ومحللا لاشياء حرمت عليهم تخفيفا عليهم وقوله تعالى وجئتكم باية من ربكم
اي اتيتكم بعلامة على صدق نبوتي وهي ما مر وتوحيدها لما مر وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اي اتقوا
الله واطيعوني في تصديقي وقوله تعالى ان الله ربي وربكم فاعبدوه اي فوحدوه واطيعوه وقوله تعالى
هذا صراط مستقيم اي الايمان بالله ورسله والطاعة طريق سوي يؤدي بصاحبه الى الجنة وقوله تعالى
فلما احس عيسى منهم الكفر اي علم وقوله تعالى هل تحس منهم من احد اي تبصر والحس العلم الحاصل بالحاسة
والحواس الخمس هي طرق علم مخصوص لكل واحد منها وقوله تعالى اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا الخبر وقوله تعالى منهم
الكفر اي فلما علم عيسى من بني اسرائيل الكفر بالله وانهم لا يزدادون على رؤية الايات الا اصرارا على الجحود وقوله
تعالى قال من انصاري الى الله الانصار جمع النصير كالاشراف جمع الشريف والاشهاد جمع الشهيد وقيل هو
جمع الناصر كالاصحاب جمع الصاحب وقيل الواحد ناصر والجمع نصر والانصار جمع الجمع وكذلك الاشهاد والفعل
جمع الفاعل والفاعلة نظيره الراكب والركب والتاجر والتجر والناصر المانع وقوله الى الله له ثلثة اوجه
قال السدي وابن جريج اي من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله تعالى اياي والى بمعنى مع كما في قوله تعالى ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم وانما جاز ذلك لان فيه معنى الضم والجمع يصلح الى مكان مع وهو كما قيل الذود الى الذود ابل
وقال الحسن معناه من انصاري في سلوك السبيل الى الله وذلك لانه دعاهم الى سبيل الله تعالى فيقول من اعواني
على اقامة الدين المؤدي الى رضا الله والى ثوابه والثالث من انصاري لله وكلمة الى بمعنى اللام كما في قوله تعالى
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق وقوله تعالى قال الحواريون هم خواص اصحابه
وقال الزهري هم خلصان الانبياء وسموا به لانهم حوروا اي نقوا من كل عيب والدقيق الحواري المنقى قال عليه السلام
الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي اي مختصي وقيل وهو قول سعيد بن جبير سموا به لبياض ثيابهم قال
الضحاك وابن ابي نجيح وابن ارطاة كانوا قصارين يبيضون الثياب والحور شدة بياض العين مع شدة سوادها
والنعت منه احور والانثى حوراء والجمع حور وقيل للنساء الحضريات الحواريات لبياض الوانهن وثيابهن قال الشاعر
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح وسمي انصار كل نبي حواريين تشبيها بذلك
وقيل كانوا ملوكا وقال ابن عباس رضي الله عنهما الحواريون اصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلا وقال الضحاك
سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال السدي كانوا ملاحين يصطادون السمك فمر بهم عيسى صلوات الله عليه
فقال لهم الا تمشون معي فتصطادون الناس فامنوا به واتبعوه وقال عبد الله بن المبارك سموا به لانهم كان عليهم
اثر العبادة ونورها وحسنها قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقال عليه السلام من كثرت صلوته
حسن وجهه بالنهار وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى اعمال شتى فكان اخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين
وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه
الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت على كل واحد منها خيطا
على اللون الذي يصبغ به فيجب ان تكون فارغا قبل قدومي فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا على لون واحد وجعل
جميع الثياب فيه وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب في الحب فقال ما فعلت قال
فرغت في الحب قال كلها قال نعم قال ابيس قد اعلمت الك على كل واحدة علامة منها قال نعم قال وكيف تكون كلها في حب
واحد لقد افسدت تلك الثياب فقال عيسى عليه السلام قم فانظر فقام مغضبا فاخرج عيسى ثوبا اصفر وثوبا احمر
الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الحواري يتعجب وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا انظروا
الى ما صنع فامنوا به وقال ابن عباس رضي الله عنهما صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى عليه السلام
على قصعة وكانت القصعة لا تنقص فذكر ذلك للملك فقال ادروني ذلك الرجل فاتوا بعيسى فقال له الملك
من انت قال انا عيسى بن مريم قال انا اترك ملكي هذا واتبعك فانطلق معه واتبعه من معه فهم الحواريون
وقيل اذا اختلفت الروايات فيهم فامكن الجمع قلنا يحتمل ان بعضهم كان ملكا وكان بعضهم صيادين وبعضهم
قصارين وكلهم صاروا صفوته واعوانه فسموا به فان قيل فلما ذا استنصر بالحواريين على قومه وانما بعث
بالوعظ دون نصب الحرب قلنا طلب الحماية من الكفار الذين ارادوا قتله عند اظهار الدعوة كذا قال الحسن
ومجاهد وقال الامام ابو منصور رحمه الله من الناس من يقول لم يكن في شريعة عيسى عليه السلام الامر بالقتال

في الآية اشارة الى ذلك فانه يقول فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اخبر انهم اصبحوا على عدوهم ظاهرين فلا يخلو ذلك من ان كان قتالا او غلبة بحجة او اشياء مما فهم به وقوله تعالى **نحن انصار الله** اي انصار دينه كما قال ان تنصروا الله ينصركم والله تعالى لا ينصرونه وانما ينصرون دينه ورسله وقوله تعالى **آمنا بالله** اي صدقنا انه ارسلك **واشهد** انت علينا **بانا مسلمون** منقادون والاشهاد في مثل هذا التاكيد كانهم قالوا اعلم يقينا انا كذلك وقال الامام ابو منصور رحمه الله والآية تنقض قول من يجعل الايمان غير الاسلام لانهم اخبروا انهم آمنوا وانهم مسلمون لم يفرقوا بينهما وهو كقوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهو قولنا انهما واحد فان الايمان ان تصدق انك عبد الله والاسلام ان تجعل نفسك لله سالمة قال وقيل الاسلام اسم لما ظهر والايمان اسم لما بطن وقوله تعالى **ربنا آمنا بما انزلت** اي بالكتب التي انزلتها على الرسل جميعا فان ارادوا بما انزلت على عيسى فالايمان بواحد من الرسل ايمان بجميع الرسل وبالكتب كلها قال ابو منصور رحمه الله وقوله تعالى **واتبعنا الرسول** اي رسولك عيسى وقوله تعالى **فاكتبنا مع الشاهدين** اي اثبت اسامينا في جملة من شهد بمثل شهادتنا لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق لنفوز بما فازوا وقيل في الشاهدين انهم هم الانبيا وقيل هم امة محمد عليه السلام ولهم في القرآن اسام كثيرة المتقون والصالحون والصديقون وحزب الله والمفلحون ونحو ذلك وكان ذكر نبينا وذكرنا في كل كتاب وذكر لكل نبي وامته وعرفوا فلذلك سالوا هذا وقيل معنى الكتاب الضم والجمع اي اجمع بيننا وبينهم في الدنيا على التقوى والثبات على طريق الهدى وتجنب طريق الردى وفي الجنة في انواع الكرامة وقيل معناه واجعلنا ممن نقوم بحجتك ودعوتك عند من انكر ما جاء به رسولك لان الشاهد هو الذي يحقق دعوى المدعي يقولون اجعلنا دعاة اليك شاهدين لك الى جميع عبادك وقد روي ان عيسى عليه السلام فرقهم دعاة في البلدان وقال الامام القشيري رحمه الله في تمام الآية فلما احس عيسى منهم الكفر ولما بلغهم الرسالة واختلفوا فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه وهم الاكثرون علم انه لا تنفك النبوة من البلاء وتسلط الاعداء فقطع عنهم قلبه وصدق الى الله تعالى قصده وقال للقوم من انصاري الى الله اي من يساعدني على اداء حقه والخلوص في قصده فقال من انبسطت عليه انوار العناية واستخلصوا باثار الحماية نحن انصار الله آمنا بالله فاشهد لنا بذلك عند الله واما الآخرون فسدوا في الشقاوة وبالعوائق العدا وعود وتوالى في المكيدة فتوهموا انهم صلبوا عيسى وذلك جهل منهم بل رفعه الله الى السماء وانزل باسه على الاعداء وقوله تعالى **ومكروا** قال الزجاج المكر هو السعي بالافساد في العين على خفاء من قولهم مكر الليل وامكر اي اظلم ومعناه قصد الذين لم يؤمنوا به من اليهود في قتله وقوله تعالى **ومكر الله** اي جازاهم على مكرهم ولا يجوز اضافة المكر الى الله ابتداء ويجوز على معنى الجزاء لما مر في اول سورة البقرة في ذكر الخداع والاستهزاء والسيئة والاعتداء وكان الحواريون مع عيسى وقد قصد اليهود قتله فهرب منهم وقال للحواريين ايكم يكون رفيقي في الجنة على ان يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم وكانوا اثني عشر رجلا وقيل اربعة احدهم وكان اسمه يهودا وقيل حين تدبر اليهود في قتل عيسى بقي مع عيسى احد عشر رجلا وقيل ابدلوا مكانه آخر فتموا اثني عشر وامر اليهود ان يدخلوا على عيسى فيقتلوه فدخل فوجده قد رفع الى السماء والقى الله شبهه عليه فخرج فقتلوه وقال مقاتل ورفع الله عيسى الى السماء من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان وقال عطاء كان رجل من بني اسرائيل آمن بعيسى عليه السلام ثم نافق فدل عليه فجعله الله في صورة عيسى فطلب فاخذ وقتل وصلب وقال وهب وانهم طرقوا عيسى ليلا فاخذوه ونصبوا خشبة ليصلبوه فلما ارادوا ان يرفعوه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبينه وصلبوا مكانه يهودا وهو الذي دلهم عليه واشرقت الارض وقلب الله قلوب الناس وابصارهم فجعلوا ينظرون الى يهودا في صورة عيسى وقيل الداخل على عيسى ططوس وخرج وقد القى عليه شبهه فقتلوه ثم اذهب الله صورة عيسى عنه فقال عشيرته قتلتم ططوس فتحير حتى قتلا ليكم براي بدمه وقالوا قتلنا عيسى ثم اختلفوا فقالوا ان كان هذا عيسى فاين ططوس وان كان ططوس فاين عيسى ثم تحاربوا فقتل سبعون الفا منهم وهذا جزاء مكرهم بعيسى من جنس قصدهم قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وهذا نظير قصة صالح ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وكانوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله والملائكة بلبسهم فشدختهم وقوله تعالى **والله خير الماكرين** اي ان الماكرين فعلوا ما ليس لهم وهو ظلم منهم وانما الله تعالى فعل ما هو له حق وعدل وجزاء على الوفاق وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل مكروا حيث هموا بقتل عيسى ومكر الله حيث رفعه اليه والقى شبهه على رجل منهم فقتلوه فذلك خير لعيسى من مكرهم وقال والله خير الماكرين اي خير المجازين يجزي اهل الجور بالعدل واهل الخير بالفضل وقال المكر هو الاخذ بالغفلة والله يمكر اي ياخذ من استحق الاخذ من حيث لا يعلم وقوله تعالى **اذ قال الله يا عيسى** اي ومكر الله اذ قال او واذكر يا محمد اذ قال وقوله تعالى **اني متوفيك** فيه اربعة اوجه اقوال المفسرين قال الحسن وابن جريج اني قابضك برفعك من الارض الى السماء والتوفي والاستيفاء هو قبض الشيء بتمامه وقد وفيته حقه فتوفاه واستوفاه

وقال

وقال الربيع بن انس اني متوفيك بالنوم للرفع الى السماء قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال ابن عباس ووهب بن منبه اني متوفيك وفاة موت وقال وهب توفاه ثلاث ساعات ثم احياه ورفعه الى السماء وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية تقديم وتاخير وتقديره اني رافعك الي ثم متوفيك بالموت بعد هبوطك في آخر الزمان وفي قراءة علي رضي الله عنه اني رافعك الي ومتوفيك ومطهرك ثم لاهل المعاني اقاويل اخر قيل متوفيك اي مستوفي مدة اقامتك في الدنيا وقيل اي متوفي عملك ومتقبله منك ومثيبك عليه ورافعك الي في الفضل والمنزلة الرفيعة كما تستحقه وهو كقوله تعالى ومن المقربين وقيل معناه اني مميت شهوتك ورافعك الى السماء فيصير حالك كحال الملائكة وقيل ان الله تعالى توفاه ورفعه ثم احياه وكساه الريش وانزله في اليوم الرابع حتى بعث الحواريين وفرقهم في البلاد فوارى بماوى انسي روحاني وقوله تعالى **ورافعك الي** اي الى السماء والاضافة الى نفسه اضافة كرامة وهو كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي وقيل رافعك الى الموضع الذي لا حكم فيه الا لله وهو السماء فاما الارض ففيها ملوك وحكام ظاهرا وقوله تعالى **ومطهرك من الذين كفروا** اي مخلصك ومانعك من الذين كفروا وهموا بقتلك ولو فعلوا كان ذلك رجس كفر ورجس قتل فطهرتك من ذلك وقيل مطهرك اي مبعدك عنهم فلا تسمع منهم كفرا ولا تراه يقال طهر الله الارض من فلان وقيل اي مبريك من العيوب التي قالوا فيك ومنزهك عن ذلك وقوله تعالى **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة** اي اهل التوحيد والايمان بالله دون من كذب به او كذب عليه وقد جعل الله المؤمنين فوق الكافرين بغلبة الحجة قال الله تعالى ليظهره على الدين كله وقيل بالقهر والسلطان الى يوم القيامة اي ويكون بملكته الى يوم القيامة وقوله تعالى **ثم الي مرجعكم** اي مصيركم في الآخرة وقوله تعالى **فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** اي بتحقيق وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقيل باظهار المحقين والمبطلين وقيل ذلك بتسويد بعض الوجوه وتبييض بعضها وقيل باعطاء الكتب بالايمان والشمائل وقوله تعالى **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة** بالمسخ والقتل والقهر والسبي والجزية وقيل بالامراض والرزايا في الانفس والاموال كقوله تعالى انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ولا ثواب لهم عليها بخلاف المؤمنين والآخرة هو عذاب النار والخلود فيها وقوله تعالى **وما لهم من ناصرين** اي معينين ومانعين وللعذاب دافعين وقوله تعالى **واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم** قرا عاصم في رواية حفص بياء المغايبة اي فيوفيهم الله ثواب اعمالهم في الدنيا بالاعزاز والاعلاء والتمكين من الاعداء وفي الآخرة بالجنة واللقاء وقرا الباقون بالنون يقول الله تعالى نحن نوفيهم كما قال في الآية الاولى فاعذبهم والجمع لاظهار العظمة والسلطان وقوله تعالى **والله لا يحب الظالمين** اي الكافرين وقيل الناصبين وقال الامام القشيري رحمه الله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عنك وقابضك منك ورافعك عن نعوت البشرية ومطهرك من ارادتك بالكلية حتى تكون متصرفا بنا لنا ولا يكون عليك من اختيارك شيء وبهذا الوصف كان يظهر على يديه احياء الموتى قال ويقال طهر قلبه عن مطالعة الاغيار وشاهد الآثار في جميع الاحوال والاطوار وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة بالقهر والنصرة والحجة وشيعة الذين لم يبدلوا دينه ثم يحكم الله تعالى بينه وبين اعدائه فاما الكفار ففي الجحيم واما المؤمنون ففي النعيم وقوله تعالى **ذلك نتلوه عليك** اشارة الى القصص المتقدمة نتلو عليك بقراءة جبريل عليك بامرنا وقيل معناه نحن نوجه اليك بعضه على اثر بعض وقوله تعالى **من الآيات** اي من دلالات وحدانيتنا وقدرتنا ونفاذ مشيئتنا ودلالات رسالاتك ايضا وقيل من الآيات اي من العجائب والعبر وقوله تعالى **والذكر الحكيم** قيل الذكر القرآن كما قال تعالى وهذا ذكر مبارك والحكيم المحكم كالشيء البديع بمعنى المبدع وهذا من صفات القرآن قال تعالى احكمت آياته اي لا يدخلها انتقاض وقال الضحاك احكم من الشياطين ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه وقال مقاتل اي احكم فلا يدخله باطل وقيل هو من الحكمة لانه بمنزلة الناطق بالحكمة ولان منزله حكيم وقد جعل فيه الحكمة وقيل هو فعيل بمعنى الفاعل ومعناه الحاكم على الكتب كلها وقال الكلبي الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ اي كان هذا مكتوبا في اللوح على حقيقة ما كان وكذا ما في القرآن فهو الصادق والحق دون ما قاله اهل الكتاب فانه مغير محرف وقوله تعالى **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم** نزلت في وفد بني نجران سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عيسى قال هو عبد الله وابن امته ورسوله الى خلقه فقالوا انه يستنكف عن ذلك فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الآية فقالوا ان كان عبد الله فمن ابوه فنزلت هذه الآية ان مثل عيسى عند الله اي صفته كقوله تعالى مثل الجنة اي صفتها وقيل المثل الشبه واراد به التشبيه في كونه بغير اب وقوله تعالى كمثل آدم اي في كونه بغير اب ولا ام وقوله تعالى **خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** قيل له يرجع الى آدم اي قال له كن بشرا سويا لحما ودما وعظاما وكذا وذا روح فكان ومعناه كونه كذلك فكان وقد مر هذا في سورة البقرة بحقيقته واذا جعل الخلق المقدور وقوله كن فيكون للاحيا كان ثم على الحقيقة واذا جعل الخلق لايجاده بشرا فكلمة ثم تكون بمعنى الواو كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم وثم بمعنى الواو في القرآن موجود

في آيات منها قوله تعالى ثم نحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وقيل ثم قال له كن فيكون كناية عن عيسى وثم على هذا
للتراخي يقول قد خلقت ادم من غير ذكر ولا انثى فليس خلق عيسى من غير اب باعجب من هذا فما هذا الانكار وقوله تعالى
فيكون ولم يقل فكان لان تقديره فاذا هو كائن يصلح على صيغة الاستقبال لا نقايض المحال وقيل ثم قال له كن فكان تام
لان الكون مفهوم ثم قال فيكون اي فهذا يكون كل ما خلقه الله تعالى وقيل في الاية دلالة على جواز القياس وقال الضحاك
ان اسقفي نجران اتيا النبي صلى الله عليه وسلم السيد والعاقب فقالا لا يا محمد هل لعيسى مثل عندك فتضربه
لنا قد اجلناك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الثالث وصلى العصر جاآه وقالا هذه الايام قد مضت فان المثل فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم فنفثت المقالة في مجلس اهل مكة ان اسقفي نجران قد غلبا محمدا فنزلت الاية قال الشيخ ابو القاسم
ابن حبيب ان الله عز وجل شبه عيسى صلوات الله عليه بادم صلوات الله عليه فنظرنا فاذا عيسى يشبه ادم في خمس
عشرة خصلة احدها في التكوين والاخرى في العناصر وخلق عيسى من الريح وهي العنصر الثاني واستويا في
استغنائهما عن اب يكونان منه وتساويا في العبودية اذ كل واحد منهما عبد الله وكان ادم نبيا وعيسى نبيا
وتساويا في المحنة محنة ادم صلوات الله عليه من ابليس ومحنة عيسى عليه السلام من اليهود وكان ادم ياكل ويشرب
وكذلك عيسى قال تعالى كانا ياكلان الطعام وقال العتبي اخبر عن الحدث بالطف ما يكون من الكناية وتساويا في
الفقر الى الله تعالى وتساويا في الصورة وتساويا في التركيب والتاليف وتساويا في الاجزاء والابعاض وتساويا في
الرفع الى السماء ثم الانزال لان ادم صلوات الله عليه رفع الى الجنة ثم انزل الى الارض ورفع عيسى الى السماء
الرابعة ثم ينزل الى الارض فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ونزوله من اشراط الساعة وتساويا في الخلقة لانهما
لم يخلقا اطوارا كغيرهما واستويا في الالهام حين قال ادم لما عطس الحمد لله وقال عيسى اني عبد الله وتساويا
في التعليم قال تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وقال لعيسى ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وتساويا في
نفخ الروح فيهما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقال في عيسى فنفخنا فيه من روحنا وتساويا في الموت
قال تعالى كل من عليها فان وكل ذلك يرد على النصارى حيث قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقالوا ان الله ثالث ثلاثة
وقوله تعالى **الحق من ربك** اي ذلك النبا هو الحق من ربك والمبتدا محذوف وقيل الحق مبتدا وخبره محذوف
وتقديره الحق انما ياتيك من ربك وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي هو من ربك وقيل الحق من ربك اي ايجاد
الخلق من ربك فهو الخالق لا عيسى والخطاب على هذا النبي وقيل لمن شك في عيسى عليه السلام من النصارى وكذلك
قوله تعالى **فلا تكن من الممترين** وقيل الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد غيره قال الامام ابو منصور رحمه الله تعالى
من فعل الملوك خطاب من هو اعقل الرعية واعظمهم قدرا عندهم استكبارا منهم عن مخاطبة الوضيع قال ولان
العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهي وقيل معناه فدم على يقينك ولا تشك في هذا وقوله تعالى **فمن حاجك فيه**
اي خاصمك في عيسى وهو قول قتادة وقيل في الله ويرجعان الى معنى واحد فانهم كانوا يقولون عيسى بن الله فكان يحاجهم
فيهما وقيل اي في الحق وقد ذكر قبله وقوله تعالى **من بعد ما جاءك من العلم** اي البيان في القران من الله تعالى
حتى علمت ذلك وقوله تعالى **فقل تعالوا** اي هلموا وللواحد تعال ومعناه في الاصل تصاعد كان الداعي في علو والمدعو
في سفل فامره ان يتعالى اليه ثم صار ذلك لكل مدعو اين كان وقوله تعالى **ندع ابناءنا وابناءكم** اي نحضر ويحضر
يكونه جواب الامر وقوله تعالى **ونساءنا ونساءكم** ظاهر وقوله تعالى **وانفسنا وانفسكم** اي ونحضر بانفسنا وقيل
بني اعمامنا ونحوهم من الاخوة والقرابة القريبة وقيل واهل ديننا واهل دينكم قال تعالى ولا تخرجون انفسكم من
دياركم وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بنفسه وبالحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وقوله تعالى
ثم نبتهل قال الكلبي اي نجتهد في الدعاء وقال مقاتل اي نخلص في الدعاء وقال العتبي نتداعى باللعن وقيل نلتعن
والابتهال والمباهلة في اللغة هي اجتماع المتخاصمين في مكان يتفقان عليه والدعاء باللعنة على الكاذب من الفريقين
والبهلة بفتح الباء وضمها اللعنة يقال بهله الله اي لعنه واصله الاهمال والتخلية يقال ناقة باهل اي لا صرار على
ضرعها يحلبها من يشاء وقد اهملها صاحبها ورجل باهل لا عصا معه يدفع بها عن نفسه من قصده بشر او سبع
وقيل الابتهال هو الدعاء مع رفع اليد والمباهل اذا قال على بهلة الله كانه يقول وكلني الله الى نفسه وخلاني من
حفظه ومن وكله الله الى نفسه وخلاه من حفظه ساعة فقد هلك بلا شك وقوله تعالى **فنجعل لعنة الله على
الكاذبين** وهو تفسير الابتهال اي فنقل لعنة الله على الكاذب منا والجعل بمعنى القول ههنا وهو كقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل تحقيقه انا اذا قلنا ذلك مجتهدون مخلصون في الدعاء استجاب الله تعالى
لنا ولعن الكاذب منا فيكون قد جعلنا عليه اللعنة يقول ان الحجة في امر عيسى قد بلغت منتهاها وظهر الحق في امر
عيسى فان جادلوك بعد ظهور بطلان قولهم وليس وقت القتال فاقطع الحجاج عنهم وعاملهم معاملة المعاندين
وهو الدعاء الى الملاعنة التي يتميز بها الحق من الباطل بالاستئصال العاجل المعهود للكاذب من المتلاعنين فيما بينهم
وكانوا يقولون اللهم انزل لعنتك على الكاذب منا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان وفد نجران قدموا المدينة
وهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم السيد وهو كبيرهم واسمه اهيب والعاقب الذي بعده وهو صاحب رايهم واسمه
عبد

عبد المسيح والثالث ابو حارثة بن علقمة الاسقف وكان في شرف وخطر عظيم وكان ملك الروم يبني له الكنائس
وكان يبعث اليه بالكرامات فاقبلوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة بعد العصر وعليهم
وقد احمل منهم عليهم ثياب حسان ولهم وجوه واجسام فلما دخلوا المسجد قاموا وصلوا الى قبلتهم واراد اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ان يمنعوهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم وكان نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومهم
صدر من سورة آل عمران ليحاجهم ثم انتهى ابو حارثة هذا واخو معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا قد اسلمنا قبلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما عن الاسلام ثلاث عبادتكما
الصليب واكلكما الخنزير وزعمكم ان لله ولدا فقالوا يا محمد فلم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء
اقول له قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فانزل الله هذه الاية لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ونزل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم الاية ولما انكروا ذلك دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم
الى الملاعنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بنفر من اهله وجاء عبد المسيح بابنه وبابن اخ له فقال السيد
العاقب قد والله علمتم ان الرجل لنبي مرسل ولئن لاعنتموه لاستاصلكم وما لاعن قوم قط نبيا فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم
ان انتم لم تتبعوه وابيتم الا الف دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو صالحتنا
يا محمد فصالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفي حلة الف في صفر والف في رجب والاعانة في الحروب بثلاثين درعا
وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا بطريق العارية وكتب لهم كتابا بذلك وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لم
تقبلوا فان الله امرني ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك وخلا بعضهم الى بعض وقالوا انه نبي
ولا عنه استئصال وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو خرجوا لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا وفي رواية لما رجعوا
قال هل لكم في الاسلام فابوا قال فقال هل لكم في الجزية وان تؤدوها عن يد وانتم صاغرون فقبلوا وقالوا لا طاقة
لنا بحرب العرب وروي انه لما امتنع الكبار عن المباهلة خرج عليهم الاتباع وقالوا ان هذا الرجل رضي منكم بكلام
فان كنتم على الحق فباهلوه وان كنتم على الباطل فاسلموا نسلم معكم فقالوا ان هذا زمان خروج نبي في اخر الزمان
ونرى فيه بعض الامارات دون بعض فنتوقف ليظهر لنا صدقه من كذبه واتفقوا على قبول الجزية وقال عليه السلام
لو خرجوا وباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا وفي رواية قال لو باهلوا لما بقي
في الدنيا نصراني ولا نصرانية الى يوم القيمة وفي رواية لو تموا لما خرجوا الا ما بقي من اهل نجران عين تطرف وفي رواية
قال كان العذاب قد تدلى عليهم ولو فعلوا لاستؤصلوا من حدبل اي وجه الارض وقوله تعالى **ان هذا لهو القصص
الحق** اي وما اقصصنا عليك من امر عيسى فاتبعنا بعضه بعضا هو الصدق لا كذب فيه والحق الذي لا باطل فيه وقد
قص اثره يقصه قصا اي اتبعه والقصاص اتباع الفعل الفعل والقصص اتباع الخبر الخبر وقوله تعالى **وما من اله
الا الله** من لتاكيد النفي والمبالغة فيه وقوله تعالى **وان الله لهو العزيز الحكيم** اي المنتقم من اعدائه الحكيم في تعليم الحجج
لاوليائه وقوله تعالى **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين** اي فان اعرضوا عن المباهلة وقيل عن الايمان بك وتصديقهم
في هذا فهم مفسدون الناس ومفسدون في الارض والله عالم بهم يعاقبهم وقوله تعالى **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم** الاية قال الحسن والسدي نزلت في نصارى نجران وقال قتادة والربيع بن انس وابن
جريج نزلت الاية في اليهود ناظروا نصارى نجران في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود للنصارى ديننا خير
من دينكم وقالت النصارى لليهود هكذا حتى دخلوا في ذكر ابراهيم فقالت اليهود ان ابراهيم كان يهوديا وقالت النصارى
بل كان نصرانيا وكانوا في ذلك اذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فقالوا يا محمد احكم بيننا في ابراهيم انه كان يهوديا
او نصرانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل كان مسلما فغضب اليهود والنصارى
وقالوا ان محمدا يريد ان يتخذه ربا فنزلت هذه الاية بيانا ان محمدا عليه السلام ماذا يريد منهم وقوله تعالى يا اهل الكتاب
نداء لليهود والنصارى وقوله تعالى تعالوا اي هلموا وهذا وان كان واصلا في الاصل موضوعا للدعاء من سفل الى علو كثر
استعماله في الدعاء مطلقا وامرا بالاستقبال الى حيث يدعى اليه ثم صار امرا بالقصد بالقلب الى ما يدعى اليه وقوله تعالى
الى كلمة سواء بيننا وبينكم اي عدل وقد بينا وجوهه عند قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم الاية وقوله تعالى الا نعبد
محله خفض لانه ترجمة عن كلمة وقوله الا نعبد الا الله اي نحن جميعا نعرف انا مخلوقون وانا عبيد الله فالعدل ان
نعبده وحده لا كفعل اليهود في عبادة العزير ولا كفعل النصارى في عبادة المسيح وقوله تعالى **ولا نشرك به شيئا**
عطف على الا نعبد وقوله تعالى **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** فيطيعونهم كطاعة الله تعالى وقوله
تعالى **فان تولوا** اي اعرضوا عن هذا وقوله تعالى **فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اي مخلصون لله بالتوحيد
والعبادة وعلى دين ابراهيم فانه كان حنيفا مسلما وقال الامام ابو منصور رحمه الله تعالوا الى كلمة عدل بيننا وبينكم تلك
الكلمة لانهم كانوا يعرفون ان الله خالقهم وخالق السموات والارض هو الله فدعاهم الى ان لا يجعلوا عبادتهم الا لمن
اقروا له بذلك ثم قال الى كلمة سواء بيننا ثم فسرها بكلمات لان العرب قد تسمي الكلام المشتمل على القصة الطويلة
كلمة ويسمون القصيدة الطويلة كلمة ويجوز ان يكون المراد بالكلمة لا اله الا الله وقوله تعالى الا نعبد تفسيرها

ثم ما بعد تمامها وتحقيقها لان من اعترف له بالوحدانية لم يشرك به شيئا ولم يتخذ دونه ربا وقال الامام
القشيري رحمه الله ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يظهر صدق هذا المدح والذم بهم ونفي الشكر
والشكوى عنهم وتنظيف السر عن حسبان ذرة من المحو والاثبات منهم قال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالتها
العرب ما قاله لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم اي لم تخاصمون
فيه فتسمونه يهوديا او نصرانيا وقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده اي من بعد موته
قيل نزلت التورية بعد موت ابراهيم بالف سنة ونزل الانجيل بعد موته بالفي سنة واليهودية ظهرت من اهل التورية
لمخالفتهم التورية والنصرانية ظهرت من اهل الانجيل فكيف يصح ان يضاف هاتان الصفتان الى ابراهيم
وقد حدثتا بعده بزمان طويل وقوله تعالى افلا تعقلون اي اليس لكم عقل تتفكرون به ان هذا الكلام فاسد
وقوله تعالى ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها كلمة تنبيه وانتم
خطاب لاهل الكتاب هؤلاء تاكيد لانتم وقيل معناه معناه هؤلاء الذين اي انتم الذين حاججتم وقيل هؤلاء
يعني يا هؤلاء على النداء حذف حرف النداء اي انتم حاججتم محمدا انه دينكم دين موسى وعيسى لان التورية
والانجيل انزلا عليهما وادعيتم انما يدعو اليه محمد يخالفهما لانكم علمتم شرائع التوراة والانجيل وسمعتم ان محمدا
ما يخالفه ظاهرا وان جادلتم في هذا الحد العلم فلم تجادلون في ابراهيم في انه يهودي او نصراني وليس في التورية
والانجيل بيان ذلك فهذه مجادلة بغير علم وقوله تعالى والله يعلم ان ابراهيم لم يكن كذلك وانتم لا تعلمون
الا ما حضرتم او بلغكم الخبر به ولم يحضركم ابراهيم ولا عندكم خبر على الصحة وقال الكلبي فيما لكم به علم فيما هو
في كتابكم وفيما ليس لكم به علم فيما ليس في كتابكم وقال قتادة فيما لكم به علم فيما ادركتم وعاينتم وفيما ليس لكم به علم
فيما لم تدركوا ولم تعاينوا وقيل والله يعلم كذبكم وانتم لا تعلمون بما علمتم اي من العلوم ان لا يقال شيء لا يقين
البطلان ولا على وهم البطلان وانتم تقولون ذلك على هذا الوجه وقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا وهذا تصريح برد كلام الفريقين وقوله تعالى ولكن كان حنيفا مسلما فسرنا الحنيف في قوله تعالى بل ملة
ابراهيم حنيفا وكشفنا عن اصله وحقيقته يقول كان ابراهيم عليه السلام مستقيما مائلا عن كل خطاء حاجا مختتنا
وانتم يا اهل الكتاب لستم كذلك فلستم من تابعيه وقوله تعالى وما كان من المشركين وانتم تشركون بالله حيث
تقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم اي ان احق الناس بدعواه انه على دين ابراهيم
للذين اتبعوه اللام جواب ان وهو للتاكيد اي الذين تابعوه من زمنه الى هذا الزمان وقوله تعالى وهذا النبي
اي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه اتبعه وقوله تعالى والذين امنوا اي امته فانهم اتبعوه وقوله تعالى والله ولي المؤمنين
اي محبهم رفع درجة متبعيه فجعل لهم الولاية كما جعل له الخلة وكلتاهما اسم المحبة وقيل ناصرهم وقيل متولي ومصلح
امورهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله يدفع عنهم تعنت اعدائهم في ابراهيم ويظهر الحق في قولهم وقوله تعالى
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم اي احبت وتمنت ولو كلمة تمن وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم
اي لو تم ذلك لكانوا في الحقيقة مضلين انفسهم لان ضرر ذلك عائد عليهم بما يكتسبون من الاثم باضلالكم قال تعالى
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله تعالى وما يشعرون اي وما يعلمون ان الله يخبر نبيه عن ذلك قيل وما
يعلمون ان ضرر قصدهم يعود عليهم ونزول هذه الاية ونزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم
على اعقابكم وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا نزول هذه الايات الثلاث
في فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس وجماعة منهم حين دعوا عمارا وحذيفة الى دينهم وقد مرت قصته في سورة البقرة
في تلك الاية وانما قال طائفة لان من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله الاية وقيل في قوله تعالى وما يضلون
الا انفسهم اي لا يتم لهم ذلك لكن تلك الشبهات التي يريدون ان يستزلوكم بها هي المتمكنة في قلوبهم فيضلون بها انفسهم
وقيل الاضلال هو الاهلاك ومعنى الاية يريدون اهلاككم وما يهلكون الا انفسهم بهذا الفعل الباطل والفرق بين
ودوا لو يضلونكم وارادوا ان يضلوكم ان الارادة تقتضي تحقيق المراد وتجري مجرى الاستدعاء الى الفعل واما التمني
بلو فتعلق بشيء في النفس لا على التحقيق وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله قال الضحاك اي بملة
ابراهيم وملة الاسلام وبمحمد عليه السلام وقال مقاتل بالقران وقيل بالتورية ففيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
ومن جحود نبوة محمد كفر بالتورية وقوله تعالى وانتم تشهدون اي ان التورية حق وانها من الله تعالى وفيها ذكره وقال الكلبي
اي وانتم شهداء الله على نبوة رسوله فيما ذكر في كتابكم وتكتمون الشهادة وقال الضحاك ومقاتل وانتم تشهدون
به اذا خلوتم فيما بينكم وقال الامام ابو منصور رحمه الله الايات تحتمل القران وتحتمل الرسول وتحتمل المعجزات
التي جاء بها وانتم تشهدون اي تعاينون ذلك وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون
الحق قال الكلبي اي تقرون ببعض صفة النبي صلى الله عليه وسلم وتكتمون بعضا وقوله تعالى وانتم تعلمون
ان ما يدعوكم اليه محمد حق وانه نبي مرسل وقيل اي لم تخلطون التورية بما تكتبونه بايديكم وتكتمون الحق فيما تحرفونه
وانتم تعلمون ان ذلك ليس من التورية وقيل وانتم تعلمون اي تعقلون الامور وتميزون بين الحق والباطل ولستم

لكن

لكن لا يعلم الحجة فيعذر به وقيل اي لم تخلطون الاسلام باليهودية او النصرانية فتقولون انها حق كالاسلام وانتم
تعلمون ان الدين عند الله الاسلام وقال الامام ابو منصور رحمه الله وانتم تعلمون بدلالة الخلقة وشهادة كتبكم ان
دين الله حق وقيل وانتم تعلمون ما جزاء من لبس الحق بالباطل وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب اي جماعة وهي
من الطواف ولها معنيان احدهما انها رفقة تطوف في البلاد في السفر والثاني انها جماعة تستوي حلقة يطاف حولها
وقوله تعالى من اهل الكتاب اتفق المفسرون انهم اليهود ههنا وقال السدي تواطأ اثنا عشر حبرا من اليهود على ان
يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم يكفروا به فاذا سئلوا قالوا لم يكن بذلك فخذ الله جل جلاله المؤمنين مكرهم
وقوله تعالى امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون اي عن دينهم
ومعناه امنوا بالقران الذي انزل على محمد وهو كالمنزل على المؤمنين ايضا لان نفعه لهم جميعا ووجه النهار اوله لانه
اول ما يواجهك منه كالثوب ولان وجه النهار اعلاه واشرفه ونصبه على الظرف ومعناه عند الاكثر صدقوهم في اول
النهار وكذبوهم في اخره فان ذلك يحملهم على الرجوع عن دينهم وقال الكلبي قال ابن عباس رضي الله عنهما دخل
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو يصلي نحو بيت المقدس فاعجب اليهود ذلك وطمعوا فيه فلما صرف الى الكعبة
وذلك عند الظهر قال كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وكعب بن اسيد امنوا بالذي انزل على محمد وجه النهار
واكفروا اخره اي انظروا الى القبلة التي صلى اليها اخر النهار واكفروا بها لعلهم يرجعون الى القبلة ويقولون هم
اهل الكتاب وهم اعلم منا فيرجعون الى قبلتكم وقال مقاتل معناه اظهروا الايمان في صدر النهار لما سلف منكم من الاقرار
به ثم ارجعوا في الاخر ليوهموهم انه وقع الغلط عليكم في صفته وفيه تشكيك ضعفة المسلمين فانهم يقولون هؤلاء
اهل الكتاب ولو ارادوا الكفر حسدا لعنتهم بصدقه لم يؤمنوا وحيث امنوا دل انهم يلتمسونه لحق ثم رجعوا
لما ظهر انه ليس هو كذلك وقالوا الى هذا يكون المراد من وجه النهار واخره وقتين مختلفين ولا يختص ذلك باول النهار
واخره وقيل معناه نافقوا اصحاب محمد فامنوا وجه النهار اذا لقيتموهم واكفروا اخره اذا خلوتم باهل دينكم فانهم
في اضطراب ونحن نطمع ان يضعف امرهم فيرجعوا الى دينكم وعلى هذا قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وفيه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى اطلعه على سرائرهم ولم يحضر
ذلك فدل على انه بالله علم ذلك وقوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم امن له اي صدقه قال تعالى اخبارا عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا
وقال تعالى فامن له لوط وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان يكون ولا تؤمنوا اي في السر بقلبكم بعد ان توافقهم
امنوا وجه النهار كان للاظهار مخادعة في الباطن اي اظهروا لهم الاسلام والموافقة ولا تؤمنوا به في الحقيقة
قال ويحتمل ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم في امر القبلة خاصة اي صدقوهم في كون القبلة بيت المقدس ولا تصدقوهم
في ان القبلة هي الكعبة وارادوا به المحاجة في احد الوجهين عليهم ان يقولوا الانتقال لا ينتقل من دين الى دين فلا نأمن
البقاء على دين وان من لزم الدين الاول احق بالموافقة وانكروا جواز النسخ للشرائع وفي نظم الاية غموض ولاهل التفسير
فيه وجوه وقال مقاتل نزلت الاية تقديرا وتاخيرا وذلك ان اليهود قالوا للسفلة لا تصدقوا بالنبوة الا لمن تبع دينكم
وصلى الى قبلتكم بيت المقدس فانه لن يؤتى احد من الناس مثل ما اوتيتم من التورية والمن والسلوى واثبتوا على
دينكم ولا تخبروا احدا بامر محمد عليه السلام فيحاجوكم به عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله اي دين الاسلام
وقبلة الله الكعبة وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم اي جواد اعطى محمدا
النبوة والرسالة واكرامه بنبيه عليم بخلقه وقيل عليم بمن يستحقه وقيل تقديره ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم وان يحاجوكم عند ربكم في القيمة اي لا يعطى احد مثل ما اعطيتم ولا حجة عليكم لاحد فلا تصدقوا ان اصحاب
محمد اهدى منكم فيحاجوكم بدينهم في الاخرة عند ربكم وقال الضحاك ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هي مقالة اليهود
وقوله ان الهدى هدى الله اي الدين الحق دين الله ولن يعطى احد من الهدى والبيان مثل ما اعطيتم يا امة محمد
ولم يعط اليهود والنصارى من الهدى فيخاصموكم به عند ربكم بل اكرم الحجة البالغة على من خالفكم فلان الفضل والنبوة
والاسلام بيد الله يعطيه من يشاء وليس احد ينال له الا بالله والله واسع عليم وقيل معناه ان البيان بيان الله والهدى بمعنى
البيان كما قال تعالى واما ثمود فهديناهم اي بين الله ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد وان لا يحاجوكم يوم القيمة
لان الحق يومئذ وقد زالت اليهودية فلا يجادلونكم يومئذ بالباطل ولا مضمرة كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
وقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيمة وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان يؤتى صلة قوله للنبي قل ان الهدى هدى الله
ولن يؤتى احد من الايات مثل ما اوتيت لان اياتهم كانت حسية يفقهها كل احد واياته عقلية لا يفقهها الا الخواص
من الناس او خطاب للمؤمنين مثل ما اوتيتم من الحجج والبينات التي توضح ان الحق في ايديكم وقيل هما كلامان من اليهود
ولهما جوابان احدهما لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وجوابه قل ان الهدى هدى الله والثاني مع اضمار ولا تؤمنوا ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم وجوابه قل ان الفضل بيد الله وقيل لا اضمار ثمة وتم كلام اليهود بالاول
والثاني جواب واعادة قل لطول الكلام او التكرار للتاكيد والتقرير وقيل الا ان يحاجوكم عند ربكم فيثبتوا ذلك عليكم

بالحجة وهذا على التبعيد وقطع الطمع كقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وهذا لا يكون وهذا قول الفراء وقوله
تعالى يختص برحمته من يشاء قال الحسن ومجاهد والربيع اي بالنبوة كما قال عز وجل اهم يقسمون رحمت ربك
وقيل اي بالاسلام وقال ابن جريج اي بالقرآن وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اي ذو الافضال والانعام
وفي الاية تدبير على القائلين بوجوب الاصلح وقال الامام القشيري رحمه الله قوله تعالى ولا تؤمنوا يحتمل ان يكون هذا
ابتداء امر الله للمؤمنين ومعناه لا تعاشروا الاضداد ولا تفشوا اسراركم الاجانب وقوله يختص برحمته من يشاء
اي بنعمته فقوم اختصهم بنعمة العبادة وقوم اختصهم بنعمة الارادة وآخرين بتوفيق الظواهر وآخرين ۞
بتخصيص السرائر وآخرين بعطاء الابشار وآخرين بلقاء الاسرار قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ودلت
الاية ان الوسائل ليس بها شيء وانما الامر بمشيئة الله تعالى قال وقيل يختص برحمته من يشاء بالفهم عنه فيما يكاشف
به من الاسرار ويلقنه عنه من فنون الانوار وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك
وصف سبحانه بعض اهل الكتاب بحسن الاعتقاد كما في قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
وبعضهم بحسن المعاملة كما في هذه الاية وهو اداء الامانة والقنطار مرت الاقاويل فيه في قوله تعالى والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة وتامنه بمعنى تأمنه يقال امنه وامنته قال تعالى فان امن بعضكم بعضا وهذا
الخطاب لكل سامع وقال الكلبي معناه من ان تبايعه بالنسيئة بثمن قنطار من الذهب والفضة يؤده اليك ولا
يمطلك وهم مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقوله تعالى ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ملحا متقاضيا قال الكلبي ومنهم من ان تبايعه بالنسيئة بدينار
لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما اي ملحا متقاضيا وهو قول مقاتل ايضا وقال ابو سهل اي الا ان يكون البيع
يدا بيد وقال الضحاك هذا في اداء الامانة اي الوديعة ونحوها وقال الامام ابو منصور رحمه الله القنطار والدينار
التمثيل اي منهم من يؤدي الكثير ومنهم من لا يؤدي القليل وهو كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره قالوا وظاهره وان كان يثنى ولا اهل الكتاب لكن عامة اهل التفسير على ان الوصف بالامانة لمن اسلم
منهم لان المراد من الاية والله اعلم ان اليهود ادعوا انهم المخصوصون بالفضل دون غيرهم فرد الله جل جلاله عليهم
قولهم لان اداء الامانة واجب في الاديان كلها والخيانة حرام ولو ائتمن احدهم على امانة قليلة لم يؤدها الا بعد سوء
التقاضي والاشتقاق من سوء المعاملة فلا يجوز لكم ان تدعوا الفضل لانفسكم وهذا وصفكم واذا كان هذا لزمكم كيف
يجوز مدح الواحد منهم باداء الامانة الجليلة والدليل على ان المفضل على هذا الوجه قوله تعالى ليسوا سواء من اهل
الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى قوله تعالى منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون فلم يميز
من المذمومين الا المؤمنين وقد ذكرنا عن الكلبي كذلك وقال مقاتل الاولون عن عبد الله بن سلام واصحابه ۞
والاخرون الكفار من اليهود كعب بن الاشرف واصحابه وقال القتبي الا ما دمت عليه قائما اي مواظبا على التقاضي
ووصفه بالقيام استعارة لان الطالب للشيء يقوم فيه والتارك له يقعد عنه وعلى هذا قوله تعالى افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت وقوله تعالى امة قائمة وقوله تعالى قائما بالقسط ونحو ذلك وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل اي ذلك الاستحلال ومنع الامانة وترك قضاء الدين بسبب انهم يعتقدون ويقولون
ليس علينا في اخذ مال العرب ماثم ويقولون في كتابنا كذلك ونفى السبيل نفي المطالبة قال تعالى ولمن انتصر بعد
ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل وتحقيقه ان الطالب لا يتمكن من المطالبة الا اذا وجد السبيل الى المطلوب وقال
مقاتل ان المسلمين بايعوا اليهود في الجاهلية فلما تقاضاهم المسلمون في الاسلام قالوا لا حرج علينا في حبس اموالكم
لانهم ليسوا على ديننا ويزعموا ان ذلك حل لهم في التورية وقيل كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وسائر الناس
عبيد لنا لا جناح علينا في اموالهم واخذها وقال الامام ابو منصور رحمه الله ارادوا بالاميين العرب حيث كانوا ۞
لا كتاب لهم وقيل ارادوا بالاميين جميع المسلمين قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب
وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب رد الله تعالى عليهم قولهم ان هذا في التورية قال يكذبون على الله في هذا
وقوله تعالى وهم يعلمون انهم يكذبون على الله وقيل وهم يعلمون ان الله تعالى امر في التورية باداء الامانة في حق
الكل وقال الضحاك وهم يعلمون ان الذي يدعو اليه محمد حق وقوله تعالى بلى من اوفى بعهده اوفى بمعنى وفى والاول
لغة اهل الحجاز اوفى ولغة اهل نجد وفى وبلى رد لما قبله اي ليس كما قالت اليهود وقوله تعالى بعهده اي بعهد الله
فقد سبق ذكره في قوله تعالى ويقولون على الله الكذب وقيل من اوفى بعهد نفسه اي ليس كما قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل وقوله تعالى واتقى وادى الامانة وهم المذكورون في اول الاية ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
وقوله تعالى فان الله يحب المتقين فان قيل لم لم يقل فان الله يحبه وهو اقرب الى الايجاز قلنا اعاد ذكر المتقين
في اياتهم بما ينالون هذه المحبة وليكون وعدا لكل متق باي تقى لا للمذكورين في الاية على الخصوص وقال عطاء
بلى من اوفى بما عاهد عليه الله في التورية واتقى الله فيما احل وحرم وعمل بفرائضه واتقى سخطه فان الله يحب
من كانت هذه صفته مع الايمان بمحمد عليه السلام وهو قوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وذلك انهم عاهدوا الله تعالى

بلى

لئن بعث محمدا ليؤمنن به ولينصرنه وعاهدهم الله لئن فعلوا ليدخلنهم الجنة وقوله تعالى ان الذين يشترون
بعهد الله ذكر وعيد ناقض العهد بعدما ذكر وعد الموفي بالعهد والاشتراء وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم
في الآخرة ولا يكلمهم الله تعالى كقليلا من الاعتياض بذلك وقد ذكرنا تحقيقه في سورة البقرة عند قوله تعالى
بئسما اشتروا به انفسهم ونزلت الاية في اليهود فان جماعة من احبارهم اتوا كعب بن الاشرف في قحط يطلبون منه
طعاما فقال ما تقولون في هذا الرجل الذي يقول انا رسول الله فقالوا هو عبد الله ورسوله الى خلقه فقال كعب
لو قلتم غير هذا كان لكم عندي طعام وعطاء فقالوا نرجع ونتأمل فرجعوا وعادوا وقالوا بدلوا نعته بنعت الدجال
وقالوا وجدناه في التورية كذلك فحلفهم لا يرجعون عن هذا فحلفوا فاعطى كل واحد منهم ثمانية اذرع من كرباس وصاعا
من شعير فنزل في شانهم هذا وقيل نزلت في عبدان وامرئ القيس وقد بينا ذلك عند تفسير قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل عهد الله امره ونهيه ويحتمل ان يكون هذا عهدهم في التورية ان
لا يكتموا نعت محمد ويظهروه للناس فكتموه وايمانهم هي ايمانهم التي حلفوا كذبا انه كذلك في التورية نعته مخافة
ذهاب الرياسة والماكلة ويحتمل ان يكون عهد الله والايمان واحدا وهو الحلف على اكل مال الغير بالباطل قال تعالى
واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ويحتمل ان يكون عهد الله هو ما قالوا عن الله جل جلاله
وما الزمهم الله تعالى والايمان ما حلفوا وقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة اي نظر رحمة وقوله تعالى ولا
يزكيهم قيل لا ينمي اعمالهم بالثواب كما قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها وقيل اي لا يثني عليهم بالخير وقيل اي لا يطهرهم
وقوله تعالى ولهم عذاب اليم اي مؤلم وقد كشفنا ذلك على الوجه في سورة البقرة وقال السدي نزلت في الاشعث
ابن قيس نزل على بئر رجل من قومه كان ذلك الرجل احتفرها ونزل عندها ثم ارتحل عنها فنزل عليها الاشعث
فجاء الرجل وخاصمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه فلم يات بها فاستحلف الاشعث
فحلف عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على مال اخيه فاقتطعه ظلما لقي الله تعالى معرضا عنه فيحتمل انها
نزلت في هذه الحادثة فكانت بعمومها صالحة لقصة اليهود فضمت الى الاية التي قبلها ويحتمل ان تكون نزلت في اليهود
وصلحت في هذه الحادثة وقال مجاهد والشعبي اقام رجل سلعة اول النهار فساومه رجل آخر النهار فحلف بالله الذي
لا اله الا هو لقد طلب مني هذا اول النهار بكذا وكذا ولولا المساء لما باعه بهذا الثمن فنزلت الاية وقوله تعالى وان
منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب اللي في الشيء ان يجعل ظاهره باطنه وباطنه ظاهره ولي العنق واليد
والحبل هو الفتل واصله عطف الشيء من الاستقامة الى الاعوجاج والانحراف والانعطاف ومعناه وان فريقا من
اهل الكتاب ليلوون فلما وقع الاسم موقع الخبر في الذكر ادخلت اللام فيه وهو موضعها الخبر اذ ذكر على الترتيب
ومعنى يلوون يحرفون الكلام ويعدلون به عن القصد اي ان جماعة من اليهود خاصة يحرفون السنتهم بالتورية
وقوله تعالى لتحسبوه من الكتاب اي لتظنوه انه من التوراة وقوله تعالى وما هو من الكتاب ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله اي ليس هو منزل من عند الله وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب اي ما لم ينزله
وقوله تعالى وهم يعلمون اي يعلمون انهم كذلك وقيل يلوون السنتهم بالكتاب اي بما كتبوه بايديهم وقوله لتحسبوه
من الكتاب اي من التورية فهذا غير الاول واراد انهم يغيرون التورية اذا ظهروا الكم الاحتجاج بالتورية واذا
احتججتم عليهم بالشيء من نعت محمد مضافا الى التورية وهذا التزوير منهم فلا تقبلون ذلك منهم وفي الاية تنبيه
على انه لا ينبغي للمذكر ان يحارف فيقول عند قراءة القارئ اشياء لا تليق بالاية فاذا يرى الناس انه يفسرون الاية والسامع
يعتقد انه يخبر عن الله تعالى وهو يقول على الله اذا قال ما يخالفه وقوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ما كان له وجهان احدهما النفي اي لا يكون الرسول بهذا الوصف بحال وهو كقوله تعالى ما كان لله
ان يتخذ من ولد والثاني ان معناه حرام على الرسول ذلك كما تقول ما كان لك ان تفعل كذا وهو كقوله تعالى وما كان لنبي
ان يغل واتصالها بما قبلها ما جاء في قصة نزولها قال ابن عباس رضي الله عنهما لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم اهل الكتاب
واوعدهم على نقض العهد وتغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو رافع القرظي تريد منا يا محمد ان نعبدك ونتخذك
ربا كما فعلت النصارى بعيسى فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليه ما كان لبشر اي لادمي ان يؤتيه الله الكتاب اي يعطيه
الله وحيا اليه والحكم اي بيان الكتاب والقضاء بين الخلق والنبوة فيبعثه رسولا الى الخلق وقوله تعالى ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي من دون الله اي اعبدوني واتخذوني الها فكيف يجوز من محمد هذا وهو ينهاكم ان تتخذوا عزيرا وعيسى
كذلك فكيف يرضى ذلك لنفسه وقيل انما علماء اليهود لما حرفوا التورية ودعوا العامة الى ذلك صاروا كالمستعبدين
لهم فاخبر ان هذه الرتبة لم تكن للانبياء مع انهم الدعاة الى الله فكيف لهؤلاء وقيل هو على ردهم اي ما كان لعزير وعيسى وغيرهما
ان يؤتيه الله الكتاب التورية والانجيل ان يقول للناس ذلك وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين اي ولكن يقول هذا النبي
للناس كونوا ربانيين قال مقاتل اي عابدين لله وقال الكلبي علماء بما في التوراة وقيل علماء حكماء فقهاء وقيل اي مصلحين
اموركم وامور الناس بالعلم والعمل وقيل ربانيين منسوبين الى الرب اي لله على الخلوص وقيل الربانيون الذين يربون
الناس بصغار العلوم قبل كبارها وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار وقال ابو عبيد سمعت رجلا عالما بالكتب

يقول الربانيون العلماء بالحلال والحرام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحبار الكتبة وقيل الربانيون العلماء بالله والذين القائمون بالله بغناهم عن غير الله يسمعون بالله وينظرون بالله بمحو ما سوى الله وقيل الرب الذي لا يوثر فيه تصاريف الاحوال على اختلافها قال وقيل الرباني الذي لا تحركه نعمة ولا تستفزه محنة قال ويقال الرباني الذي لا يتاثر بشيء من الحادثات بقلبه وسره وان كان لا يقصر في شيء من الشرع بفعله وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا لله في تعليم الناس وفي الدراسة وقوله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا قرا عاصم وابن عامر وحمزة بنصب الراء عطفا على ان يوتيه ثم يقول يعني ولا ان يامركم وقرا الباقون بالرفع على الاستئناف اي هو لا يامركم بذلك او والله لا يامركم بذلك وقيل في قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين استثنا في امر من الله واتخاذ الملائكة اربابا هو كقول بعض العرب الملائكة بنات الله واتخاذ النبيين اربابا هو قول اليهود والنصارى في عزير وعيسى ما قالوا وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون اي بعد دعائكم الى الاسلام واجابة بعضكم وقيل ايامركم الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون بشهادة الخلقة قال وله اسلم من في السموات والارض وقيل سال قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا الا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد دون الله وانزل الله هذه الاية وقال الامام القشيري رحمه الله ايامركم باثبات الخلق بعد شهود الحق قال ويقال ايامركم بملاحظة الاشكال ومطاوعة الامثال بعد ان لاح في اسراركم انوار التوحيد وطلعت في قلوبكم شموس التفريد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرا حمزة لما بكسر اللام اي لاجل اني اتيتكم شكرا لي بذلك وقرا الباقون بفتح اللام وله وجهان في الاية لامان مفتوحتان لام لتومنن به فاحد الوجهين ان الاولى لام القسم والثانية جواب كقوله لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين والثاني ان الاولى لام الابتدا على التاكيد والثانية لام القسم وهو كقولك لزيد والله لاتينه وما بمعنى الذي وتقديره الذي اتيتكموه من الكتاب والحكمة لتومنن به ولتنصرنه لاجل ذلك نقول واذكر يا محمد اذ اخذ الله مع النبيين الميثاق وقال ... وهذا مضمر واخذ الميثاق قول الذي اعطيتكم من كتاب او بيان كتاب وقوله تعالى ثم جاءكم رسول اي خبر رسول والخبر مضمر وقوله تعالى مصدق لما معكم اي موافق للكتاب الذي معكم وقوله تعالى لتومنن به اي لتصدقن برسالته ولتنصرنه اي ولتعيننه بالايمان به وبيان نعته وامر الامة بالايمان به والمراد من هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم واخذ الميثاق كان على ثلاثة اوجه ميثاق الذرية وهو قوله عز وجل واذ اخذ ربك من بني ادم وميثاق الانبيا بتبليغ الرسالة وهو في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وميثاق الانبيا بالايمان بمحمد عليه السلام على التعيين وهو في هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وقوله تعالى قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي قال الله للانبيا اقررتم وهذا استفهام بمعنى الامر كما في قوله اسلمتم وقوله تعالى واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم على ذلكم عهدي كقوله ولا يوخذ منها عدل اي لا يقبل والاصر العهد وقوله تعالى قالوا اقررنا اي قال الانبيا اقررنا بذلك وقوله تعالى قال فاشهدوا اي قال الله للملائكة فاشهدوا على الانبيا وهو قول سعيد بن المسيب وقوله تعالى وانا معكم من الشاهدين اي قال الله تعالى وانا ايضا شاهد على هذا وقوله تعالى فمن تولى بعد ذلك اي اعرض عن هذا العهد ونقضه بعد قبوله وقوله تعالى فاولئك هم الفاسقون جمع ذلك لان من كلمة تصلح للجمع والتولي لا يقع من الانبيا ولا يوصفون بالفسق لكن له وجهان احدهما ان الميثاق كان على الانبيا وامتهم على التبعية والتولي يقع من الامم خاصة والثاني ان العصمة لا تزيل المحنة كما مر ذكره مرات وعلى ذلك قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا الاية وقيل في الاية اقاويل اخر قيل في قوله تعالى لما اتيتكم من كتاب اي لمن اتيتكم وقيل بهما اتيتكم وقيل ميثاق النبيين اضيف اليهم اضافة الفعل الى من يقع الفعل له وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما اي اخذ الامم الميثاق على الامم ان يومنوا بالرسل اذا جاؤا وان ينصروهم وقال السدي هذا اخذ ميثاق ذرية ادم المذكور في قوله سبحانه واذ اخذ ربك من بني ادم الاية وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال الكعبي قيل فيه وجهين احدهما ميثاق الذين اسلموا منهم النبيون وهم بنو اسرائيل والثاني اخذ الله ميثاق الانبيا ان يصدق بعضهم بعضا وان يبلغوا كتب الله تعالى الى قومهم وقال علي وابن عباس وقتادة وطاوس وطائفة هو ميثاق اخذ الله تعالى على النبيين ان يصدق بعضهم بعضا الاخر الاول والاول الاخر وهو على العموم وليس ينبني على الخصوص فان قوله سبحانه ثم جاءكم رسول هو على النكرة وليس على التعريف وقال الكلبي وابو روق ومقاتل والسدي وعامة اهل التفسير هذا اخذ الميثاق على الانبيا المتقدمين بالايمان بمحمد سيد المرسلين فان قوله سبحانه وتعالى ثم جاءكم رسول وان كان لفظه لفظ النكرة لكنه صار معرفة بالصفة وقيل في قوله سبحانه لتومنن به ولتنصرنه فيه مضمر قال لو انهم ثم قال الله تعالى اقررتم اي انتم ايها الانبيا واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي على اممكم وقيل انتظام هذه الاية بالاولى ان الله تعالى قال لاهل الكتاب كيف تابون من الانقياد لمحمد وقد اخذ الله على الانبيا الميثاق بالايمان به ونصرته واقروا بذلك والتزموه فان قالوا كيف اخذ عليهم الميثاق بالايمان به ونصرته لو جاءهم وهو لم يجيئهم ولم يدركوه لينصروه قلنا ذكر لهذا وجوه لكن الصحيح ما قلنا انه لم يرد به مجيئه اياهم بنفسه ونصرهم اياه بعد خروجه لكن تاويله ثم جاءكم خبر رسول لتنصرنه بذكر نعته واحياء اسمه والامر الامم بالايمان به بعينه وقيل في قوله سبحانه وتعالى فاشهدوا اي انتم على انفسكم كما في قوله سبحانه واشهدهم على انفسهم الست بربكم

قالوا بلى

١٤

قالوا بلى شهدنا وقيل معناه قال للانبيا فاشهدوا على الامم باقرارهم وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض بذلك وقيل فاشهدوا اي بينوا وذلك لان الاصل في الشاهد ان يكون مصححا لدعوى المدعي وانا على ذلكم من الشاهدين اي مبينين صحته بالحجج المؤيدة على ايديكم وقيل فاشهدوا اي فاعلموا ما الزمتموه انفسكم وانا معكم من العالمين بما اخذته عليكم حافظ له غير ناس مجاز لكم على ما كان منكم من خلاف او وفاق وقيل فاشهدوا ايها الانبيا لمحمد بالنبوة وانا على ذلك من الشاهدين باقامة المعجزات له وقوله تعالى فمن تولى قال القشيري رحمه الله فمن حاد عن سنته او زاغ عن اتباع نور بعد وضوح ادلته وقوله تعالى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون المستوجبون لمقته ولعنته وقوله تعالى افغير دين الله يبغون استفهام بمعنى التوبيخ والفاء للتعقيب وغير نصب بوقوع يبغون عليه اي بعد تلك الايات يبغون غير دين الله وقرا ابو عمرو يبغون بياء المغايبة ردا الى اهل الكتاب الذين مر ذكرهم وترجعون بتاء المخاطبة لكل المكلفين وقرا عاصم في رواية حفص بياء المغايبة فيهما والباقون بتاء المخاطبة فيهما وتبغون اي تطلبون وقد بغى بغاء بكسر الباء المصدر اي زنى وبغى بغيا اي ظلم وقوله تعالى وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي انقاد له كل من فيهما اما طوعا وهم الموحدون واما كرها وهم الجاحدون بما فيهم من اثار الصنع ودلائل الحدوث وتصريفهم كيف يشاء الى صحة ومرض وغنى وفقر وسرور وحزن وشبه ذلك من الاحوال وله وجوه اخر بيناها عند قوله تعالى له ما في السموات والارض كل له قانتون وقيل الخطاب للنصارى في قولهم المسيح اي ايقولون في المسيح ما يقولون وهو كان منقادا لله تعالى وقوله تعالى واليه ترجعون اي الى جزائه في الاخرة على الخير والشر وهو ترغيب وترهيب وقيل هو بناء على قوله تعالى وله اسلم اي كما انقادوا له في الدنيا يصرفهم كيف يشاء فكذا يبعثهم بعد موتهم من تصريفه اياهم على ما شاء وهم لا يملكون امتناعا وعلى ذلك قوله تعالى لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقيل طوعا حالة الاختيار وكرها عند نزول الشدائد وحلول الموت وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما ادعى اليهود والنصارى ان ابراهيم صلوات الله عليه كان على دينهم فقال عليه السلام في ردهم ما قالوا لا نرضى بقضائك ولا ندخل في دينك فنزل افغير دين الله يبغون وقال الامام ابو منصور رحمه الله كل يدعي ان يطلب دينا هو دين الله لكن معناه ان كلا في الابتداء يبغي دين الله في نفسه لكن اذا بان له بالايات انه ليس على دين الله وان دين الله هو الاسلام فلم يرجع اليه ولا اعتقده ولزم غيره بالعناد والمكابرة فهو باغ غير دين الله ويحتمل افغير دين الله يبغون اي افغيرها في دين الله من الاحكام يبغون وهو كقوله افحكم الجاهلية يبغون ويحتمل افغير دين الله يدينون وليس على الاستفهام بل على التحقيق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قولين احدهما وله اسلم من في السموات طوعا فاما اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم كرها مخافة السيف والثاني اسلم من ولد في الاسلام طوعا ومن لم يولد في الاسلام بالسيف كرها وقال قتادة اسلم المؤمن طوعا والكافر عند موته كرها قال الله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقال الحسن وله اسلم من في السموات والارض هو على الخصوص اي هو في ذكر المؤمنين منهم دون غيرهم وقال ابو العالية ومجاهد اي كلهم اقروا بالعبودية لله تعالى وان كان فيهم من اشرك في العبادة قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما اسلم كلهم في اخذ الميثاق وقال ابي بن كعب هذا يكون في القيامة على العموم وقال تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وقال الامام القشيري رحمه الله وله اسلم من في السموات والارض طوعا لاستيلاء نور التجلي عليهم وكرها لاجراء حكم الهيبة على وجه القهر عليهم وقوله تعالى قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون مر تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقال الكلبي كفرت النصارى بالتورية واليهود بالانجيل وقيل لهم افغير دين الله يبغون وامر الله تعالى نبيه ان يقول وانما ذكر امنا على الجمع خبرا عنه وعن امته ولا نفرق بين احد منهم هو خلاف لاهل الكتاب حيث فرقوا وقال الامام القشيري رحمه الله ان من دان غير دين الاسلام فانما يتقرب به الى الله لان كل متدين بدين فانه يقصد بذلك التقرب الى الله تعالى وذلك غير مقبول منه لان الدين عند الله الاسلام وهو الدين المرضي وعليه الثواب قال الله تعالى خبرا عن الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين اي لانه عمل عملا لا ينتفع به عند حاجته اليه في الاخرة ولانه فات ما كان يمكنه نيله من النعيم المقيم والخلود في الجنان وله اسلم قال الكلبي نزلت الاية وما بعدها في عشرة رهط كانوا امنوا بالله ورسوله ثم ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة وقال مقاتل نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة ثم انصرفوا الى طريق مكة فلحقوا بالكفار منهم طعمة بن ابيرق الانصاري ومقيس بن صبابة الليثي وعبد الله بن انس ابن خطل من بني تيم بن مرة وحوح بن الاسلت وابو عامر النعمان والحارث بن سويد بن صامت الانصاري من بني عمرو ابن عوف اخو الجلاس بن سويد ثم ان الحارث ندم فرجع تائبا ثم ارسل الى اخيه الجلاس بن سويد ثم اتى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فانزل الله في الحارث فاستثنى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا العمل فان الله غفور رحيم به فيما بعد فلما بلغ الحارث الاحد عشر الذين بمكة فقالوا نقيم بمكة ونتربص بمحمد الموت فاذا اردنا ان نتوب اتينا المدينة فينزل فينا ما نزل في الحارث ويقبل منا ما قبل منه فانزل الله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم

ازدادوا كفرا حين بعث الله محمدا فانكروه وكذبوه وقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات كيف استفهام بمعنى الانكار اى لا يهديهم ونظيره قول الشاعر ٭ فهذى سيوف يا صدى بن مالك ٭ كثير ولكن اين بالسيف ضارب ٭ اين استفهام ومعناه الجحد ههنا اى ليس ثم هذا فى الظاهر عطف فعل على اسم ولا يتفقان فيحمل الفعل على المصدر او المصدر على الفعل ليتفقا لان المراد ذلك فيحمل على المعنى المراد ونظيره عطف الماضى على المستقبل وعلى العكس ووجه حمل احدهما على وفق الاخر والتقدير ههنا بعد ايمانهم وشهادتهم ان الرسول حق ومجئ البينات اياهم او بعد ان امنوا وشهدوا وجاءهم عطف الماضى على المستقبل كما فى قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ونظير الاول قول امرئ القيس ٭ بكى صاحبى لما راى الموت دونه ٭ وايقن انا لاحقان بقيصرا ٭ فقلت له لا تبك عينك انما ٭ نحاول ملكا او نموت فنعذرا ٭ اى نحاول ان نملك او نموت وقال الاخر ٭ فما لك منها غير ذكرى وحسرة ٭ وتسال عن ركبانها اين يمموا ٭ او غيران تذكر وتحسر وتسال ثم معنى الاية عند بعضهم على نظم ما سبق من الايات كيف يهدى الله اليهود وقد كفروا بعد ايمانهم بمحمد قبل بعثه وكانوا يستفتحون به على الكفار فلما جاءهم هو وكانت قد جاءتهم البينات فى التورية كفروا به وعن الحسن البصرى وجاءهم البينات اى القران وعند بعضهم هذا فى المرتدين على ما روينا وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين هؤلاء ظالمون حين وضعوا الجحود غير موضعه ثم مختارون لذلك والله لا يهدى من اختار الضلال وقيل لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا قال تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقيل معنى الاية كيف يكونون مهتدين كما يزعمون وقد كفروا وقيل كيف يهديهم للايمان حالة الكفر وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية ان استطاعة الفعل مع الفعل حيث نفى عنهم الهداية حال الكفر وفيه ابطال قول المعتزلة ان هدى الله هو البيان لا غير وقد بين للكفار ومع ذلك نفى عنهم ذلك وقال فى معنى الاية يحتمل ان هذا كان فى قوم مخصوصين باعيانهم علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا وقيل معناه لا يهديهم ما داموا مختارين للكفر وقوله تعالى اولئك اى اهل هذه الصفة جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اى طرده وابعاده ومن الملائكة دعاؤهم باللعن ومن الناس اجمعين كذلك اما المؤمنون فانهم يلعنون الظالمين والظالمون يقولون لعن الله الظالمين لا تفاق الكل على قبح الظلم واستحقاق الظالم اللعنة وهو لا يعتقد نفسه ظالما فترجع اللعنة منه على نفسه بقوله وقيل هو فى الاخرة قال الله تعالى ويلعن بعضكم بعضا وقال الامام ابو منصور رحمه الله لعن الملائكة قولهم انكم ما كنتم على الحق ولعن الناس ان الله حرمهما على الكافرين وقوله تعالى خالدين فيها اى فى اللعنة والخلود فى اللعنة خلود فى جهنم وهو كقوله تعالى فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه اى فى الوزر وذلك خلود فى جهنم وقوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب اى لا يفتر ولا هم ينظرون اى لا يمهلون والفرق بين الكلمتين ان الانظار تاخير العبد لينظر فى امره والامهال تاخيره ليسهل عليه الفعل الذى كلفه وقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من كفرهم واصلحوا اى ما افسدوا من غرورا تباعهم واغوائهم والاغواء افساد والرد الى الهدى اصلاح وقوله تعالى فان الله غفور رحيم هذا ظاهر وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم اى ارتدوا ثم ازدادوا كفرا نصبه بوقوع الفعل عليه وقيل على التفسير ومعناه اصروا عليه وجحدوا ما نزل على المصطفى محمد عليه السلام بعد ذلك شيئا فشيئا وقال الكلبى معناه قولهم نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا وقال قتادة هم اليهود كفروا بعيسى ثم بمحمد وقوله تعالى لن تقبل توبتهم قال الحسن اى ايمانهم الذى كان لمحمد قبل بعثه وقيل لن يقبل ايمانهم عند الناس قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل عند الناس اى لن تقبل توبتهم التى اظهروها لانهم غير مخلصين فيها دليله ما قال بعده واولئك هم الضالون اى الثابتون بالقلب على ضلالهم الذى كان وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وقال ابو العالية لن تقبل توبتهم من الذنوب وهم على الكفر وقيل هى فى قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون فقوله لن تقبل توبتهم اى لا يتوبون ليكون لتوبتهم قبول وهو كقوله ولا تنفعها شفاعة اى لا تكون لهم شفاعة لتنفع وقال الحسن وقتادة لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند حضور الموت والله تعالى يقول وليست التوبة للذين يعملون السيئات وقوله تعالى واولئك هم الضالون الباقون على ضلالهم وقيل الهالكون وقيل الضالون عن الثواب الذى يرجع بهذه التوبة وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الواو للحال وقوله تعالى فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا الملء قدر ما يملأه وذهبا نصب على التمييز والتمييز نوعان للافراد كقوله احد عشر درهما وعشرون دينارا وللمقادير كقولك عندى ملء زق عسلا ونصبه ان الذى قبله مقدار معروف والمقدر مجهول وهو نكرة بعد معرفة فانتصب وكان مفسرا لذلك المجهول ومعناه ان الكفار يوم القيمة لو افتدى بملء الدنيا ذهبا لم يقبل منه ولم ينفعه وروى انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك مثل الارض ذهبا اكنت مفتديا به فى دار الدنيا مع الاقامة على الكفر وقوله تعالى ولو افتدى به الواو للتاكيد كقولك عليك بالصدق ولو ضرك وقوله تعالى اولئك لهم عذاب اليم اى مؤلم وقوله تعالى وما لهم من ناصرين اى معينين وللعذاب دافعين وعن المواخذة مانعين وكان اصرارهم على الكفر لاخذ اموال الناس فاخبر انه لا ينفعهم ولا ينفع الافتداء بملء الارض ذهبا

وقيل هذا ابعد اى لا يكون منه ابدا لانه لا يملك شيئا يفتدى به فلا يقبل كما فى قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون اتصالها بما قبلها انه ذكر انه لا يقبل من الكافر الافتداء بملء الارض ذهبا ولن يجوز من النار ولن يدخل الجنة وحث فى هذه الاية المؤمن على الانفاق بما امكنه قل او كثر فانه ينفعه وينجيه من النار ويدخله الجنة وقوله تعالى لن تنالوا اى لن تصيبوا وقوله البر قال عطية العوفى البر الطاعة وقال ابو روق البر الخير وقال مقاتل بن حيان البر التقوى وقيل هو جماع الطاعات وهذه الاقاويل ترجع الى قوله تعالى ولكن البر من امن بالله الاية واولئك هم المتقون والبر مصدر البر وهو واحد الابرار اى لن تصلوا الى درجة الابرار الذين يقول الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وقوله تعالى ان الابرار يشربون ويقول فى دعاء الصالحين وتوفنا مع الابرار وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البر الجنة سميت به لانها جزاء على البر وهو كقوله تعالى يلق اثاما وهو عذاب النار سمى به لانه جزاء على الاثم وقيل البر هو لطف الله تعالى بعبده وقوله تعالى فى الشاذ لن تنالوا البر بفتح الباء وهو الله تعالى قال تعالى انه هو البر الرحيم وقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون قيل هو الزكوة وقيل هو الصدقة النفل وقيل هو الانفاق على العيال وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون البر هو الايمان قال الله تعالى ولكن البر من امن بالله الاية والانفاق هو اداء الزكاة وهو فى قوم كانوا لا يفعلون الزكوة فلم ينالوا اسم الايمان قال الله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون وقوله تعالى مما تحبون اى من اموالكم ومن للتبعيض لم يشترط انفاق كل المال تيسيرا على العباد ووعد الجنة على الانفاق من بعضه تخفيفا على عبده ودلت الاية ان الناس لمحبة شىء من الدنيا اذا لم يقدمه على محبة الدين قال تعالى واتى المال على حبه وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره وهو وعيد العذاب وقيل مما تحبون اى مما تحبكم ويعز عليكم من اموالكم وقيل من خياره دون رذاله وجياده وقال النبى صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة ما تصدق به وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر وقال الامام القشيرى رحمه الله ذكر من وهو للتبعيض فمن اراد البر فلينفق بعض ما يحبه ومن اراد البار فلينفق جميع ما يحبه ومن انفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من الحق ومن كان مربوطا بحظوظ نفسه لم يحظ بقرب ربه قال ويقال اذا كنت لا تصل الى البر الا بانفاق محبوبك فمتى تصل الى البار وانت تؤثر عليه حظوظك وعن انس رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الاية قال ابو طلحة يا رسول الله حائطى الذى فى مكان كذا هو لله ولو استطعت ان اسره لم اعلنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعه فى قرابتك وعن ابن عمر رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية اعتق جارية له كان يحبها جدا وزوجها مولى له فولدت له صبيا فكان ابن عمر رضى الله عنهما ياخذ ذلك الصبى اذا اشتد عجبه ويستنشقه ويقبله ويقول اها لريح فلانة يعنى امه قال نافع وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا اشتد عجبه لشىء من ماله قدمه لربه وتلى هذه الاية ولقد رايته راح ذات عشية ورحنا معه ونحن حجاج وراح ابن عمر على نجيب له قد اخذه بمال فلما اعجبه سيره اناخه وقال يا نافع انزعوا عنه رحله وزمامه واشعروه وجللوه وادخلوه فى البدن وكان اذا راى من احد من رقيقه ما يعجبه من حسن صلاة او خير اعتقه فلربما تعمد احدهم فلزم المسجد فاذا رآه على تلك الحالة اعتقه فيقول له اصحابه انهم يخدعونك فكان يقول من خدعنا بالله انخدعنا له قال وكان ابن عمر رضى الله عنهما مريضا فاشتهى عنبا وذلك فى الشتاء فخرج بنوه فاشتروا له عنقودا بدرهم فلما اتى به اخذ منه حبة فاذا سائل يسال فاعاد الحبة فى موضعها ثم قال يا سائل ناوله العنقود فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الصدقة ما كان على شهوتها فناوله السائل ثم اشتراه منه بدرهم وجاء به اليه وقال كل شهوتك فاذا سائل يسال فاعادها الى موضعها وفعل كالاول فكان كذلك ثلاث مرات ومات عبد الله بشهوته قال انس رضى الله عنه لما نزلت هذه الاية جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبه فقال هذا فى سبيل الله فحمل النبى صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد فى نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وروى ان ضيفا ضاف ابا ذر الغفارى فقال للضيف انى مشغول فاخرج الى ابلى فاتنى بخيرها فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال ابو ذر خنتنى فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ابو ذر رضى الله عنه ان يوم حاجتى اليه يوم اوضع فى قبرى مع ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وحكى ان زبيدة رحمها الله اتخذت مصحفا بسبعين قطعة كتبت بالذهب على الرق وجعلت ظهورها من الذهب مرصعة بالجواهر فبينما هى تقرا القران انتهت الى هذه الاية فلم يك شىء اليها احب اليها من هذا المصحف فقالت على بالصاغة وامرت بالذهب والجواهر فبيعت وامرت بحفر الابار والحياض فى البادية من ثمنها وفى الاثر ذكرها طريق اخر فقال ان سائلا اتى زبيدة فسال منها شيئا وتلى هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فنظرت زبيدة فلم يكن عندها شىء احب واعز عليها من هذا المصحف كانت تقرا فيه وكان مكتوبا كله بالذهب وكانت انفقت عليه اربعين من خراج مصر فناولته السائل وقالت خذ هذا فليس شىء احب الى منه لادخل تحت هذه الاية فقال لها السائل ان كان بقى عندك او معك شىء احب اليك من هذا المصحف ولم تدفعيه فلا تدخلين فى هذه الاية فدعت بمقراض وقطعت شعرها وردت اليه وقالت لم يكن عندى شىء احب الى من هذا اما الشعر فكان زينة بدنى والقران زينة قلبى فاعطيتك الزينتين لادخل تحت هذه الاية وحكى ان الربيع بن خثيم ضربه الفالج فكان السائل يقوم على بابه يسال فيقول الربيع لجاريته اطعميه

السكونان الربيع بجب السكر تنا ول قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وطال به وجعه فاشتهى لحم دجاج
نكف نفسه اربعين يوما فكنفت نفسي رجاء ان نكف فابت فقالت له امراته سبحان الله واى شى هذا نكف
نفسك عنه وقد احله الله لك فارسلت امراته الى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها
وخبزت له خبزا وجعلت له اصباغا ثم جاءت بالخوان فوضعته بين يديه فقام سائل على الباب فقال تصدقوا
على بارك الله فيكم فكف عن الاكل وقال لامراته خذى واد فعيه اليه فقالت له امراته سبحان الله قال افعلى
ما امرتك به قالت فاصنع ما هو خير لك قال وما هو قالت نعطيه ثمن هذا وتاكل انت شهوتك قال قد احسنت
ايتيني بثمنه فجاءت بثمنه قال ضعيه على هذا وخذ به واد فعيه جميعا ففعلت وقوله تعالى **وما تنفقوا**
من شئ فان الله به عليم هو على الشرط واذا جزم فحذفت النون من اخره والفاء بمعنى الجزاء اى ما نطعم
فهو محفوظ عليكم وانتم مجزيون به وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه دليل قبول القليل من الصدقة لانهم
كانوا يمتنعون عن قليل التصدق استحقارا فاخبر انه عظيم وان قل بعد ان يكون لله تعالى وقال الامام القشيرى رحمه الله
فى قوله تعالى فان الله به عليم قال منهم من ينفق على ملاحظة الجزاء ومنهم من ينفق على مراقبة دفع البلاء ومنهم من
ينفق اكتفاء بعلمه قال قائلهم • ويهتز للمعروف فى طلب العلا • لتذكر يوما عند سلمى شمائله • وقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قال
الكلبى كان يعقوب صلوات الله عليه يشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه انه اقبل من حران يريد بيت المقدس
فلقيه ملك وهو خلف الا تقال فظن يعقوب عليه السلام انه لص فعالجه ان يصارعه فغمز الملك فخذ يعقوب
وكان يبيت الليل ساهرا وينصب نهاره فاقسم ان شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه على نفسه فشفاه
الله فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها فحرم بنو اسرائيل ذلك على نفسه فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود فقالوا
كل شى اصبحنا اليوم نحرمه فانه كان محرما على نوح حتى انتهى الينا فنزلت الاية كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل
الى قوله تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فى قولكم فكرهوا ان ياتوا بالتوراة لان الذى حرم عليهم
فى التورية غير الذى حرم عليهم بظلمهم وكفرهم فكل شى هو حلال اليوم كان حلالا لادم عليه السلام الا ما حرم اسرائيل
على نفسه فاما ما حرم الله تعالى على اليهود فبظلمهم كانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم
طعاما طيبا وصب عليهم رجسا وهو الموت فذلك قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانما حرمت عليهم بعد التورية وكانت فى التورية لهم حلالا فالاية رد على اليهود انهم
كانوا المتعنتة فكانوا يقولون ابراهيم على ديننا والمحرمات اليوم محرمات زمانه ولا يرون نسخ الشرائع فرد
الله تعالى عليهم ذلك ان هذا ليس من محرمات زمن ابراهيم ولستم على دينه وقوله تعالى كل الطعام اى كل الاطعمة
التى تزعم فيها وليس بعموم الاستيعاب فان منها ما هو حرام قبل ذلك من الميتة والدم ولحم الخنزير فانه كان محرما
ابدا وقوله تعالى كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو لحوم الابل والبانها على ما ذكرنا وكان ذلك تحريمه
على نفسه باليمين قال تعالى فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك وهو العسل او مارية القبطية
على ما روى وحرم على بنى اسرائيل بعد نزول التورية ما ذكر فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم واليهود كانوا يقولون هذا كله حراما
من زمن نوح فرد الله تعالى عليهم ذلك وهو قوله جل جلاله **قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين**
فاستحضرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يحضروها لعلمهم انهم كاذبون وفى ذلك اوضح دلالة على صدق
نبينا عليه السلام وقوله تعالى **فمن افترى على الله الكذب** ادعا تحريم ذلك فى التورية وقوله تعالى
من بعد ذلك اى من بعد هذا البيان وقوله تعالى **فاولئك هم الظالمون** بلا فترا قبل هذا البيان كان
ظلما ايضا لكن هذا الخش واشد وهو كما يقال مرذب عن عدوه فى القتال فذلك هو الشجاع اى هو النهاية فى الشجاعة
وقوله تعالى **قل صدق الله** اى فى قوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الاية لا انتم فيما قلتم وقوله تعالى **فاتبعوا ملة**
ابراهيم حنيفا نصب على الحال وما كان من المشركين كاليهود والنصارى فاتبعوه فى استحلال ذلك كله وقال الحسن
اى صدق الله ان ابراهيم كان حنيفا مسلما فاتبعوا ملته وقال القشيرى رحمه الله ملة ابراهيم الخروج الى الله بالكلية والتسليم
لحكمه من غيران تبقى بقية وقوله تعالى **ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا** انتظامها بما قبلها ان فى الاية
الاولى ذكر ملة ابراهيم وفى هذه الاية ذكر قبلة ابراهيم ولان الحج مما يختص بالملة الحنيفية فذكر الكعبة وشانها ثم الحج
اليها وقوله تعالى اول بيت قال على بن ابى طالب رضى الله عنه والحسن البصرى اى اول بيت وضع للعبادة وقد كان
قبله بيوت وقيل اول بيت مبارك وضع للناس وقيل اى اول مسجد قال الله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع وقال تعالى
ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى اول بيت وضع لحج الناس بعد فالمجاهد واكثر اهل العلم
بل هو اول مكان من الارض ومنه دحيت الارض وفى الخبران مكان البيت خلق قبل خلق الارض بالفى عام ولما حج ادم
عليه السلام تلقته الملائكة عليهم السلام فقالوا بر حجك اما انا حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال وهب

ابن منبه لما هبط ادم الى الارض شكى الوحشة فقال الله تعالى له اما انى ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى
ويقدس لى وسابوئ لك بيتا منها اختاره لنفسى فاخصه بكرامتى واوثره على بيوت الارض كلها واسميه بيتى وانى اتخذ
مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك حرما ولمن بعدك حرما آمنا احرم بحرمته ما فوقه وما
تحته وما حوله وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى موضع الكعبة قبل خلق ادم بيت يقال له بيت الضراح فلما
اهبط ادم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا فلقد طفنا حوله قبلك بالفى عام فطاف به ادم ومن بعده
بنوه الى زمن نوح فلما اراد الله الطوفان حمل الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور بحيال الكعبة يطوف به ملائكة
السموات ودفن جبريل عليه السلام الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس وقال مقاتل ولما حولت القبلة الى الكعبة شق ذلك
على اهل الكتاب وقالوا نحن لا نعدل الى حجارة مبنية نطوفون بها وتصلون بها وتركتم بيت المقدس ارض البركة وارض
المنشر والمحشر والارض المقدسة التى بارك الله تعالى فيها للعالمين والجبل الذى كلم الله عليه موسى صلوات الله عليه
فقالوا الكعبة وهو بيت المقدس فانزل الله تعالى ان اول بيت وضع للناس الاية وكانت قبله بيت المقدس اربعين
سنة ثم اضافة الكعبة الى ابراهيم لبنيت لا ابتداء بنائه بل لرفعه قواعدها واظهاره ما درس منها قال الامام القشيرى
رحمه الله لا تعلق قلبك باول بيت وضع لك ولكن افرد سرك للاول الاخر الذى اثرك وشتان بين عبد اعتكف
عند اول بيت وضع له وعبد لازم حضرة اول عزيز كان له وقال البيت حجر والعبد قريط المدرة بالحجر فهو حجر
ليس كتائن الاحجار هو حجر لقلوب الاحباب مزعج بل لا كبا د الفقراء منضج بل للقلوب قوم مثلج • ولا رواح قوم مبهج •
ولصدور قوم محرج • بيت هو مقصد الاحباب ومزارهم وعنده تسمع اخبارهم وتشهد اثارهم • نزلوا بيت كما قيل • بيت
• بيت به اثار حتى تشهد وا • حجارة تتلى اليه وتوجد • وقوله تعالى للذى اللام التاكيد فى خبر ان وبكة قيل هى مكة
والباء والميم يتناوبان لانهما من مخرج واحد يقال سبد راسه وسمده اى استاصل شعره بالحلق واغبطت عليه
الحمى واغمطت اى دامت وضربة لازب ولازم اى دائم وسميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها اذا قصدوها
بسوء وقيل سميت بكة من قولهم بكه يبكه اذا زحمه وتباكت الناس تزاحموا سميت بذلك لازدحام الناس بها فى الحج
وقيل سميت بها لان الناس يتباكون حولها وفيها اى يتدافعون وقد بكه يبكه اى دفعه قال الشاعر ••
• اذا الشريب اخذته اكة • فخله حتى يبك بكة • اى حتى يدفع ابله دفعة فيسقيها والاكة الغضبة وسميت
بكة لانها تبك الذنوب اى تذهب بها كلها من قولهم بك الفصيل امه وامتك اذا امتص ضرعها وشرب كل ما فيه
وقيل بكة اسم لكل البلدة وبكة قدر موضع الكعبة من الارض وقيل بكة ارض مكة وذكر الامام ابو منصور رحمه الله
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مكة من فج الى التنعيم الى المنحر ودوامه ونموه والبركة الخوض من ذلك ويرد
الحمل من ذلك وتبارك الله اى كثر خيره ودام ونصبه لوجهين احدهما القطع لانه نكرة بعد ذكر المعرفة والثانى
الحال فان الباء فى قوله تعالى ببكة للظرف وفيه اضمار فعل كانه قيل استقر ببكة مباركا فكان حالا وبركة هذا البيت
مما لا يخفى وكثرتها لا تحصى ومنها انه يجبى اليه ثمرات كل شى ولمن حجه المغفرة والجنة وتضعيف الحسنات
وكثرة الدرجات قال النبى صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
وقال عليه السلام الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقوله تعالى **وهدى للعالمين** نصب عطفا على مباركا وقيل معناه
وقبلة للعالمين يهتدون به الى جهة صلواتهم وقيل يهتدون بالحج اليهم الى ما يعبدونه عنده وقيل وهدى الى الجنة
وقيل هدى العالمين بما فيه من الايات والدلالات على وحدانيته تبارك وتعالى لانه دلالة على ان الله تعالى هو المدبر له
بما لا يقدر عليه غيره من امن الوحش حتى يجتمع الذئب والظبى وحتى امن الطير فلا يمتنع فيه كما يمتنع فى غيره وما اشبهه
من الايات وقوله تعالى **فيه ايات بينات** وقرا ابن عباس رضى الله عنهما فيه اية بينة على الواحد لانه نص بشى
واحد وهو قوله مقام ابراهيم فالاليق به ان يكون الاول واحدا واما قراءة الجمع فلها وجوه قال الاخفش تقدير الاية فيه
ايات منها مقام ابراهيم فاكتفى بذكر واحدة وترك سائرها وهى معلومة محسوسة لهم فكان ذكرها ذكرا لها كقولك
تعلمت اب ت ث فانك تريد كل الحروف وقال الكناى فيه وجوه ان شئت على العطف بغير واو كانه قال فيه ايات
بينات وفيه مقام ابراهيم وان شئت على الاضمار كانه قال فيه ايات بينات مقام ابراهيم وصدق دعوته ودلالة
فكان المقام الواحد ايات بينات على هذا الوجه وعلى هذا تقديره فيه ايات بينات هى مقام ابراهيم وقيل مقام ابراهيم
اريد به المقامات فهو جمع بحذف الهاء فالواحد مقامة وجمعها المقام كالمعونة يجمع على المعون قال جميل • بثين الزمى
لا ان لزمته • على كثرة الواشين اى معون • والمراد بالمقامات مناسك الحج وهى المواضع التى قام فيها ابراهيم لاداء افعال
الحج فصح ذلك تفسيرا للايات لان كل واحدة منها جمع وقيل الايات البينات الشعائر فان الشعائر هى العلامات
والايات كذلك وقال ابو رجا قال الحسن فيه ايات بينات وعد هن الحسن فى اصابعه مقام ابراهيم ومن دخله كان
امنا ولله على الناس حج البيت ومثله قال ابن جريج فيه ايات بينات مقام ابراهيم وليس ذلك لبيت المقدس فقد فسر
الايات بثلاثة اشياء وصار تقديره فيه ايات بينات مقام ابراهيم وان من دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت
وحذفت ان للاختصار كما فى قوله تعالى قل امرربى بالقسط واقيموا وجوهكم اى وان اقيموا وجوهكم فاما بيان قولنا

مقام ابراهيم وعين فسيح ذلك ان مقام ابراهيم هو ذلك الحجر فيه اثر قدمى ابراهيم حيث ساخت فيه قدماه كرامة
لله تعالى له واختلف فى اصل ذلك قيل ان ابراهيم واسماعيل رفعا القواعد من البيت فلما ارتفع ذلك احتاج ابراهيم
الى شى يقوم عليه فوضع حجرا ووضع قدمه عليه فساخت فيه وقيل ان اصله ان امراة اسماعيل عليه السلام ارادت
ان ترجله وهو راكب فوضعت حجرا حتى وضع ابراهيم قدمه عليه فرجلته واثرت قدمه فيه وقيل هو الذى قام عليه
واذن فى الناس بالحج ويجوز ان يكون قام عليه فى هذه المواضع كلها فاما غير ذلك من الايات التى عرفت من غير ذكر
فامن الصيد من الناس والذباب والكلاب وقلة ما يجتمع من الحصى عند الجمرات مع كثرتها وطول المدة فيها وتواتر
الرامين فى الالوف من السنين من غير رفع انسان ومرور سيل وترك الحمام ان يعلو البيت او يقع عليه والخوانها
اذا كادت تصير فوقه وقصة اصحاب الفيل وشان الحجر الاسود وما روى انه اودع فيه كتاب اخذ الميثاق على ذرية آدم
وانه يمين الله فى الارض يصافح به عباده وانه ياقوتة من الجنة وان له يوم القيمة لسانا وعينين وشفتين يشهد
لمن وافاه بالحج والعمرة وقوله تعالى مقام ابراهيم قد ذكرنا انه عند بعضهم ذلك الحجر وقيل هو الموضع الذى يصلى
فيه من المسجد الحرام قال تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل هو موضع اداء امور الحج وقيل هو الحرم كله وقال
الشبلى مقام ابراهيم الخلة وقال محمد بن على الترمذى رحمه الله مقام ابراهيم هو بذل النفس والمال والولد فى رضى خليله
فمن نظر الى عين المقام ولم يتحل بما تحلى به ابراهيم من بذل النفس والمال والولد فقد بطل سعيه وضاعت رحلته وقوله تعالى
ومن دخله كان آمنا قال يحيى بن جعدة اى كان آمنا من النار وتحقيقه من دخله معظما له متعبدا لله تعالى امن من النار
بوعد الله تعالى وقال عطاء من مات فى الحرم بعث آمنا وتلى هذه الاية وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مات فى
احد الحرمين بعث آمنا وتلى هذه الاية وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مات فى احد الحرمين مكة او المدينة
بعث يوم القيمة آمنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى من دخله مصدقا بفرضية حجه كان آمنا من عذاب الله الذى يستحقه
الجاحدون له وقال قتادة كان الحرم آمنا فى الجاهلية ومفزع كل خائف وملجأ كل جان لا يهاج فيه ذو جرم ولا يتعرض
فيه لقاتل فاما اليوم فمن سرق فيه قطع ومن قتل فيه قتل واحب البقاع ما تؤدى فيه فرائض الله تعالى وحدا فيحق من جنى فيه
فاما الجانى اذا التجأ اليه كالحربى والمرتد والقاتل فعند الشافعى يقتل فيه وعندنا لا يقتل ويلجأ الى ان يخرج منه
فيقام عليه ذلك لهذه الاية فان قوله ومن دخله كان آمنا تقديره من يدخله يكن آمنا لانه شرط وجزاء وذلك يكون
فى المستقبل دون الماضى وكلمة الشرط والجزاء تنقل هذا وهو تغيير الماضى الى معنى المستقبل فان قولك ان زرتنى
ازرك تقديره ان تزرنى ازرك والاية فى حق من جنى فان غير الجانى امن حيث دخل فانما خص الحرم بذلك لوقوع الامن فيه
لمن جنى ثم دخله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا اصاب الرجل الحد فى الحرم اقيم عليه فان اصابه فى غير الحرم ثم لجأ
اليه لا يحدث ولا يجالس ولا يواكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيوخذ فيقام عليه الحد وقال ابن عمر رضى الله عنهما لو وجدنا
قاتل ابينا فى الحرم لم نقتله وقال الامام ابو منصور رحمه الله فى الفرق بين من قتل فيه وبين من قتل ثم دخله يقول الله تعالى
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فيه
فعلى ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب ثم لجأ اليه لم يقم كما لم يقاتل اذا لم يقاتلوا قال وهذا قول حسن
واضح وقال الامام القشيرى رحمه الله مقام ابراهيم فى الظاهر ما اثر بقدمه وفى الاشارة ما وقف عليه الخليل بهمته
وشرف مقام ابراهيم لانه اسم الخليل واثر الخليل عند الخليل لخطير جليل وقوله تعالى ومن دخله كان آمنا اى دخل مقام
ابراهيم عليه السلام ومقام ابراهيم التسليم فمن سلم الامور الى الله تعالى لم يبق له اختيار ومن سقط اختياره ثبت امنه
وزال حذاره قال ويقال ومن دخله يرجع الى البيت ومعناه دخوله على وصف الادب فادب دخول البيت تسليم الامور
الى رب البيت قال ويقال لا يكون دخول البيت على الحقيقة الا بخروجك عنك فاذا خرجت عنك صح دخولك فى البيت
قال ويقال دخولك فى بيته لا يصح مع تعريجك فى اوطانك ومعاهدك فانا الشخص الواحد لا يكون فى حالة واحدة فى
مكانين فمن دخل بيت ربه فبالحرى ان يخرج من نفسه لكرم بالدخول فى مشاهد قدسه وقوله تعالى ولله على الناس
حج البيت الحج بالفتح والكسر لغتان كالسلم والسلم والوتر والوتر والكسر لغة اهل نجد والفتح لغة اهل الحجاز واهل
العالية وتفسير زيارة البيت فى اللغة ومعناه هو افعال مخصوصة من المناسك فى الشريعة وعلى كلمة ايجاب فدل على
الفرضية وقوله تعالى من استطاع اليه سبيلا من بدل من قوله الناس وهو خفض وتقديره على من استطاع اى قدر
واطاق الى البيت سبيلا اى طريقا اى قدر على الذهاب اليه واراد به قدرة سلامة الالات والاسباب وفسر النبى
صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة وهذه تتقدم على الفعل فاما الاستطاعة التى هى قدرة الفعل فانها مع الفعل عندنا
خلافا للمعتزلة فانهم يقولون انها سابقة على الفعل والناس فى هذه الاية هم المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين
باداء الشرائع عندنا وعند الشافعى هم مخاطبون بها وقال الامام ابو منصور رحمه الله فى قول الشافعى ان العبادات
يجب على الكافر فى حال كفره فاذا اسلم سقط ذلك عنه وذلك عندنا لعب وعبث فى دين الله لا يجوز ان يلزمه فرض فى حالة
لا يجوز له فعله فاذا جاء سبب الجواز سقط عنه والاستطاعة عند بعضهم صحة البدن وقد بينا وجوه ذلك وشرائطه
على الاتفاق والاختلاف فى خصائل المسائل وقالوا لما نادى الخليل الخلق بالحج باسم الناس فقال يا ايها الناس ان الله

ندب لكم بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه ذكر الله تعالى امور الحج فى آى من القرآن مقرونا باسم الناس فقال واذن فى الناس
ثم افيضوا من حيث افاض الناس واذ جعلنا البيت مثابة للناس والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس ان اول بيت وضع
للناس فمن الناس من يقول ربنا ومنهم من يقول فاجعل افئدة من الناس وقال الامام القشيرى رحمه الله الاستطاعة
انواع مستطيع بنفسه ومستطيع بماله ومستطيع بغيره والاهم وقد غفل عنه الاكثرون مستطيع بربه واليه
نظر كل محقق فان بلاياه لا يحملها الا مطاياه ثم اذا كان البيت المنسوب اليه من ناحية من نواحيه لا يقطع المفاوز
والمتاهات فكيف يطمع ان يصل الى رب البيت بدون تحمل المشقات ومفارقة الراحات ثم حج البيت على اصحاب
الاموال وحج رب البيت على اصحاب الاحوال وقد ينسد الطريق الى البيت فى احوال ولا ينسد الطريق الى رب البيت
بحال والحج هو القصد الى من يعظمه بنفسه الى زيارة البيت وقاصد بقلبه الى شهود رب البيت فالقاصدون بنفوسهم
احرموا عن محرمات الاحرام والقاصدون بقلوبهم احرموا عن شهود الغير وجميع الانام هؤلاء يتحللون عن احرامهم
عند قضاء نسكهم وهؤلاء يتحللون عن احرامهم عند شهود ربهم وسبيل من حج البيت ان يقوم باداب الحج فاذا عقد بقلبه
الاحرام يجب ان يفسخ كل عقد يصده عن هذه الطريق وينقض كل عزم يرده من هذا التحقيق واذا تطهر تطهر
عن كل دنس من آثار الاغيار بماء الحياء ثم بماء الوفاء ثم بماء الصفاء واذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من
الاخلاق الذميمة والافعال اللئيمة واذا لبى بلسانه وجب ان لا تبقى شعرة من بدنه الا وقد استجابت لله تعالى
فاذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وقفه الحق بلا اختيار مقام واذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه وعرف له
حقه على نفسه ويتعرف الى الله تعالى بتبريه عن قوته وحوله والحق سبحانه يتعرف اليه بتوليه بمنته وطوله واذا بلغ
المشعر الحرام يذكر مولاه بلسان نفسه ولا يصح ذكر ربه مع ذكر نفسه فاذا بلغ منى نفى عن قلبه كل طلب ومنى
وكل شهوة وهوى فاذا بلغ رمى الجمار رمى عن قلبه وحذف عن سره كل علاقة فى الدنيا والعقبى فاذا ذبح هواه
بالكلية وتقرب به الى الله تعالى فاذا دخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم فاذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه
رب البيت فاذا طاف بالبيت اخذ سره فى الجولان فى الملكوت فاذا سعى بين الصفا والمروة صفا عن كل كدورة
بشرية وكل آفة انسانية فاذا حلق قطع عن كل علاقة بقيت له واذا تحلل من احرام نفسه وقصده الى بيت
ربه استانف احراما جديدا بقلبه وكما خرج من بيت نفسه الى بيت ربه يخرج من بيت ربه الى ربه فمن استكمل نسكه
فانما عمل لنفسه ومن قصر فان الله غنى عن العالمين وقوله تعالى ومن كفر اى من لم ير الحج فرضا فقد كفر وقوله تعالى
فان الله غنى عن العالمين اى مستغن عنهم وعن طاعاتهم وانما امرهم به لينفعهم لا لنفعه وروى ابو امامة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم تمنعه حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر فليمت
على اى حال شاء يهوديا او نصرانيا وانما خص هذين لان اليهود والنصارى هم الذين لا يرون الحج ولا فضل الكعبة
وقال الضحاك ومن كفر اى ومن لم يكن مؤمنا فلا حج عليه انما الحج على المؤمنين وقيل ومن كفر هو من كفران النعمة اى من
لم يحج فقد كفر نعمة الاسلام ونعمة تشريف الله اياه باقامة هذه الاعلام وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب
قال قبل هذا يا اهل الكتاب فالاول على جهة التلطف فى استدعائهم الى الحق بتوجيه الخطاب اليهم وهذا على
جهة الاهانة بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى غيرهم بصدهم عن الحق وقيل خطاب لمحمد واهل الكتاب اليهود والنصارى
وقوله تعالى لم تكفرون بآيات الله قال الضحاك اى الاسلام والحج وقال الكلبى الحج والقرآن وقوله تعالى والله شهيد
على ما تعملون اى عالم بكفركم وتغييركم نعت محمد واخذكم الرشى ثم هذا توبيخ على لفظ الاستفهام لا سؤال تعجيز
عن اقامة العذر وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله اى تمنعون وتصرفون عن سبيل
الله الاسلام لانه الطريق المؤدى الى رضى الله تعالى وثوابه وقوله تعالى من آمن مفعول بالصد ومن للجمع اى المؤمنين
وقوله تعالى تبغونها عوجا اى تطلبون للسبيل زيغا وميلا واللام محذوفة لكثرة الاستعمال كما قال تعالى
ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة اى يطلبون لكم الفتنة والكناية ترجع الى السبيل وهو يذكر ويونث قال تعالى
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وقال تعالى قل هذه سبيلى وقال تعالى ولتستبين سبيل المجرمين ربى بالياء
والتاء ورفع اللام والعوج الزيغ والميل قال ابو عبيدة العوج بكسر العين فى الدين والقول والعمل والعوج بالفتح فى
الجدار والحائط وكل شخص وصدهم السبيل عن المسلمين وقولهم لهم انه كاذب وليس بنبى وقيل هو محاربتهم
وقيل هو ثباتهم على كفرهم وكان ذلك لدعوتهم غيرهم الى ذلك وقيل هو ادخال الشبه على المسلمين واستزلالهم
بادخالهم التحريف فيه وسوء التاويل وقوله تعالى وانتم شهداء اى على ان السبيل هى الحق وانكم تكتمون شهادتكم
وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون اى من الصد عن سبيله وكتمان الشهادة لنبيه وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وبخ اولا اهل الكتاب
بصدهم المؤمنين ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين بقوله ان تطيعوا هؤلاء فى سلوك السبيل التى يبغونكم اليها
ردوكم الى الكفر وقد بينا سبب نزوله فى قوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب وانما خص فريقا وطائفة لان منهم
من آمن وقال عكرمة فى نزوله مر شاس بن قيس اليهودى على ناس من الانصار جلوس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحدثون فقال لصاحب كان معه انشدهم حرب بعاث لعلهم يغضبون فانشدهم ما قيل في يوم بعاث من الشعر
فقال ثعلبة بن غنم من الخزرج لو تاخر الاسلام قليلا اجلينا الاوس من يثرب فغضب ابن قيظي فقال قد تاخر الاسلام
قبل ذلك فما صنعتم فتنادوا بالسلاح واجتمعت القبائل وتاهبوا للقتال فخرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يزل يكف بعضهم عن بعض ويقول عباد الله بعد ان هداكم من الضلالة وانقذكم من الجهالة وفيكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ترجعون كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فلم يزل بهم حتى اصطلحوا واعتنقوا وبكى بعضهم الى بعض
وقالوا ان هذا نزغة من الشيطان فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى **وكيف تكفرون** قد ذكرنا انه كلمة
تعجب اي من العجب هذا وقوله تعالى **وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله** اي كيف تكفرون مع وضوح الدلائل
وقيل اي كيف يطمع هؤلاء في كفركم مع علمهم ان كتاب الله يتلى عليكم ورسول الله معكم يبين لكم معانيه ويقيم
المعجزات الدالة على صدقه وقال الامام القشيري رحمه الله لا ينبغي لمن اشرقت في قلبه شموس العرفان ان يقع
عليه ظل الكفر والطغيان فانه اذا اقبل الليل من هاهنا ادبر النهار من هاهنا وقوله تعالى **ومن يعتصم بالله**
اي يمتنع بالله من اعدائه والعصمة المنع اي ومن يتعلق بدين الله وقيل ومن يتمسك بكتاب الله وقوله تعالى
فقد هدي الى صراط مستقيم اي ارشد الى الدين الحق قال الامام ابو منصور رحمه الله اي من يجعل الله له
مفزعا وملجأ عند الشبه والاشكال فقد هدي الى صراط مستقيم اي يحفظه عن الشبه وقوله تعالى **يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته** هو تفسير الاعتصام قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وسعيد بن جبير
رضي الله عنهم والحسن وقتادة رضي الله عنهما حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر
وذكرت هذه المبالغة في ثلاثة اشياء وجاهدوا في الله حق جهاده واتقوا الله حق تقاته يتلونه حق تلاوته وقال
الزجاج اتقوا الله فيما يحق عليكم ان تتقوه وقال انس لا يتقي الله احد حق تقاته حتى يخزن لسانه ويعد كلامه
من عمله وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل معناه واحذروا عذاب الله حق حذره وقيل معناه اطيعوا الله حق
طاعته وقال الليث في وسع احد ان يتقي الله حق تقاته في كل العبادات الا ترى ان الملائكة بعد ما وصفوا في
عبادتهم انهم لا يفترون ولا يسامون يقولون يوم القيمة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك واذا كان احد لا يبلغ
ذلك لا يحتمل تكليف مثله فكان هذا الامر راجعا الى الاسلام وترك الشرك في كل حال ولذلك ختم الاية بقوله
ولا تموتن الا وانتم مسلمون وما ذكر عطاء لما نزل قوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته قالوا يا رسول الله وما حق
تقاته قال ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا ومن يقوى على هذا فنزل فاتقوا الله
ما استطعتم ليس فيه ان الاول كان امرا بما ليس في الوسع ثم نزل في التخفيف بل فيه بيان ان ذلك الامر كان بما هو
في الوسع وقيل كان الامر الاول به في حال الامن وحال الخوف على نفسه وماله وامروا بالايتمار بالامر والانتهاء بالنهي
بكل حال ثم ورد التخفيف حالة التقية بفعل ما اكره عليه مع طمانينة القلب على خلافه قال القشيري رحمه الله
حق التقوى ان يكون على وفق الامر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص حق التقوى والاجتناب عن الزلة ثم اجتناب الغفلة
ثم التوقي عن كل خلة ثم التبري عن كل علة فاذا انتفيت عن شهودك تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت
حق تقواك وقيل حق التقوى صون العهود وحفظ المعهود وشهود الالهية والانسلاخ عن الاوصاف البشرية
والجمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب الذنب والجرم واستشعار الانفة عن التوسل اليه بشيء من طاعاتك
دون تصدق كرمه والتحقق بانه لا يقبل احد بعلة ولا يرد احدا بعلة وقوله تعالى **واعتصموا بحبل الله جميعا**
قال ابن مسعود رضي الله عنه اي تمسكوا بالقران قال النبي صلى الله عليه وسلم تمسكوا بكتاب الله فان فيه نبأ من قبلكم
وخبر ما بعدكم وذكر ما بينكم وهو حبل الله المتين الحديث واستعاره لان من تعلق بحبل لم يسقط وتوصل به الى
المقصد وكذا من عمل بالقران وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل
ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي اعتصموا بدين الله والقران
وقال الكلبي اي بدين الله وبعهده والحبل اسم للعهد قال تعالى الا بحبل من الله وحبل من الناس وقال مقاتل حبل الله
الاسلام ثم قوله جميعا ينقض قول من تكلف واعتصموا بحبل الله خطاب العامة واعتصموا بالله خطاب الخاصة
فانه قال جميعا فعمهم جميعا وقيل هو اجماع الامة اي تمسكوا بالاجماع ودليله قول النبي صلى الله عليه وسلم من فارق
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والربقة الحبل ودليل ذلك ايضا قوله تعالى **ولا تفرقوا**
اي ولا تتفرقوا فسقطت احدى التائين تخفيفا كما في قوله تكاد تميز وقوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم اذ
كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا** يقول لا تتفرقوا اي لا تختلفوا في الدين كما
اختلف اهل الكتاب ونعمة الله انعامه عليكم اذ كنتم اعداء في الجاهلية يضرب بعضكم رقاب بعض فالف بين
قلوبكم بالاسلام فصيرتم بانعامه عليكم اخلاء في الدين قال تعالى انما المؤمنون اخوة واصبح اصله دخل في الصباح
وامسى دخل في المساء ثم يطلق كل واحد منهما على الصيرورة اي وقت كان قال الله تعالى فاصبح من النادمين فاصبح
من الخاسرين اذا اصبح ماؤكم غورا وكان بين الاوس والخزرج حرب في مدة مائة وعشرين سنة فالف الله بين قلوبهم

بالاسلام

بالاسلام زالت تلك الاحقاد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما على حماره يعفور وكان يعفور
اذا راث منا فعار ردم ردمة فمر على عبد الله بن ابي ففعل كذلك فقال عبد الله لسائس الحمار نح الحمار فانه يؤذينا
فقال سعد بن معاذ الخزرجي اتقول هذا لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ملعون فاجابه بشيء وتعدى ذلك
الى المناظرة بين الاوس والخزرج فقالت الاوس منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة
ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز لموته العرش ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقالت الخزرج منا اربعة احكموا القران
ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وسعد بن عبادة خطيب الانصار وقالت الاوس اما والله لولا الاسلام
وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم لقتلنا رؤساكم واستعبدنا اولادكم ونكحنا نساءكم وتجادلوا في ذلك حتى صاروا
الى التضارب بالنعال ثم بالسلاح فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم هذه الاية فاصطلحوا وسكنوا
وقوله تعالى **وكنتم على شفا حفرة من النار** اي حرف وطرف ومثله قوله تعالى على شفا جرف هار واشفى على كذا
اي اشرف عليه اي كنتم كفارا لو متم عليه دخلتم النار وقوله تعالى **فانقذكم منها** اي انجاكم يقال انقذه واستنقذه
اي نجاه اي هداكم للاسلام فنجاكم به من العذاب وروي ان ابن عباس رضي الله عنهما قرأ يوما هذه الاية فسمع اعرابي
ذلك فقال والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال ابن عباس ويحكم اكتبوه من غير فقيه وقال قتادة
وهذا خطاب للعرب كانوا من ابين الناس ضلالة واشقاهم عيشا واعراهم جلودا واجوعهم بطونا معكوفين على راس
حجر بين اسدين فارس والروم من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردي في النار فلما جاء الله بالاسلام هداهم به
من الضلالة ووسع لهم الرزق ومكن لهم في البلاد واظهرهم على الاعداء وجعلهم ملوكا فيقول اذكروا هذه النعم وقوله
تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون** اي القران الذي فيه امره ونهيه ووعده ووعيده لتهتدوا به الى
الصواب وما به نيل الثواب قال الامام ابو منصور رحمه الله قوله تعالى فانقذكم منها رد على المعتزلة لان على قولهم هم
الذين ينقذون انفسهم لا الله تعالى قال ودلت الاية انه يلزم خطاب الايمان بحين العقل لانه قال وكنتم على شفا حفرة
من النار وقوله تعالى **ولتكن منكم امة** امر ومعناه امة اي طائفة **يدعون الى الخير** اي الاسلام **ويامرون بالمعروف**
وهو ما استحسنه الشرع والعقل وهو الموافقة **وينهون عن المنكر** وهو ما استقبحه الشرع والعقل وهو المخالفة
وعلى هذا انتظام هذه الاية بما قبلها ثم يقع ذلك على كل خير وكل مستحسن شرعا وعقلا بعمومه وقيل الخير الطاعة والمعروف
ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالف الكتاب والسنة وقيل المعروف كل الطاعات والمنكر كل المعاصي وقال الضحاك
المعروف التوحيد والمنكر الكفر وقوله تعالى **واولئك هم المفلحون** اي الناجون مما خافوا والواصلون الى ما رجوا فقد مر
تفسير الفلاح بوجوهه في اول سورة البقرة ودل قوله منكم ومن للتبعيض ان الامر بالمعروف اذا قام به البعض سقط
عن الباقين وهو على من علم ذلك وقدر عليه دون الكل قال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
وانهم السحت وقال الزجاج من لابانة الجنس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والامر لكل الامة بذلك
وقيل لما نزلت هذه الاية بعث النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه دعاة الملوك في اقطار الارض الى الله تعالى وقوله تعالى
ولا تكونوا كالذين تفرقوا وهم اليهود والنصارى اختلفوا فقالت اليهود الدين الحق هو اليهودية وقالت النصارى
بل هو النصرانية واختلفوا في الانبياء ايضا فكذب اليهود عيسى ومحمدا وكذب النصارى محمدا وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقوله تعالى **من بعد ما جاءهم البينات** اي الحجج على حقيقة الاسلام ومحمد والقرآن
على بطلان قولهم وذلك في القران وفي التورية والانجيل ايضا وقوله تعالى **واولئك** اي هؤلاء المتفرقون المختلفون **لهم
عذاب عظيم** في الاخرة فانه يدوم ولا ينقطع قال الكلبي ولا تكونوا خطاب الاوس والخزرج كالذين تفرقوا يعني اليهود
والنصارى واختلفوا في الدين من بعد ما جاءهم البينات في كتابهم وقوله تعالى **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** يوم
نصب على الاغراء وقيل على الظرف اي ولهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه واكثر اهل التفسير على
انه تبيض وجوه قوم وتسود وجوه اخرين حقيقة ليتميز اهل الجنة من اهل النار وعلى هذا قوله تعالى يعرف المجرمون
بسيماهم وقوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المؤمن
ووجهه اضوء من القمر ليلة البدر ويحشر الكافر ووجهه اسود مظلم وفي الخبر في قوله تعالى ويدعون الى السجود ان المؤمنين
اذا سجدوا رفعوا رؤسهم ووجوههم مثل الثلج بياضا والكفار لا يستطيعون فاذا نظروا الى وجوه المؤمنين
اسودت وجوههم وعلى هذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يوم تبيض وجوه وهم المسلمون وتسود وجوه وهم المنافقون
واهل الملل كلها وقال عطاء يوم تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقال الكلبي
وجماعة هي ظهور اثر السرور والنعمة على وجه اهل الجنة وضده لاهل النار قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة الايات ووجوه يومئذ مسفرة الايات ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الى قوله وترهقهم ذلة ويستعمل هذا في
السرور وضده قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ويقال لفلان عندي يد بيضاء اي
سارة وفي الخبر اول صدقة بيضت وجوه الصحابة صدقة طي وقال بعض الشعراء في الشيب والخضاب
• يا بياض القرون سودت وجهي • عند بيض الوجوه سود القرون • فلعمري لاخفينك جهدي •

عن عيانى وعن عيان العيون • بسواد فيه بياض لوجهى • وسواد لوجهك الملعون • وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم استفهام بمعنى التوبيخ واضمر ههنا فيقال لهم والقول يضمر فى موضع يعرف ولا يخفى ومن ذلك قوله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم واختلفوا فى الكفر بعد الايمان قال الحسن هم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق وقال قتادة هم الذين ارتدوا وقال ابى ابن كعب هم جميع الكفار اعرضوا عن ايمانهم يوم الميثاق وقال الزجاج هم اليهود والنصارى كفروا بمحمد بعد ما امنوا به قبل مبعثه وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال الزجاج يقال لهم هذا للياس اى ليس لكم من هذا خلاص وقوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى فى الجنة لانها تنال برحمة الله وقوله تعالى هم فيها خالدون اى دائمون لا يموتون ولا يخرجون وقال الامام القشيرى رحمه الله يوم تبيض وجوه اصحاب الدعاوى قال وبقال الرابيض اليوم قلبه وابيض غدا وجهه ومن كان بالضد فعلى العكس واما الذين اسودت وجوههم ففى بكاء ونوح واما الذين ابيضت وجوههم ففى امن وروح وقوله تعالى تلك ايات الله اى هذه حجج الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى القران وقوله تعالى نتلوها عليك اى نوجهها اليك بعضها على اثر بعض وقيل اى جبريل يتلوها عليك اى بامرنا وقوله تعالى بالحق اى بالصدق وقيل البيان الحق وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين اى لا يشاء ان يظلم هو عباده فيعاقبهم بلا جرم منهم وقوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض اى ملكا وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اى حكما لو قال واليه استقام ولكن هذا ابلغ ليكون كلاما مستقلا بنفسه فان قالوا الرجوع اليه يكون بعد الذهاب عنه ولم يكن فلم قال ذلك قلنا كانت كالذاهبة بهلاكها وكالراجعة باعادتها ولان فى الدنيا يملك بعض الخلق التدبير وفى القيمة يكون كل ذلك لله تعالى وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتظام هذه الاية بما قبلها انه امر بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكنتم قد مر فى قوله تعالى وان كنتم فى ريب انه يجئ على ثلاثة اوجه الماضى والحال والاستقبال وبينا اصله واختلف فيه ههنا قال الضحاك كنتم فى اللوح المحفوظ وقيل كنتم فى علمى وحكمى وقيل اى فى كتب الانبياء قال تعالى ذلك مثلهم فى التورية اى صفتهم وقيل اى كنتم مذ كنتم خير امة كقولك لاخر كنت مذ كنت مباركا يعنى مذ خرجتم وانتم كنتم خير امة وانتم اليوم كذلك وقيل معناه حدثتم ووجدتم خير امة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وقيل معناه انتم خير امة كما فى قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين وقال تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا اى انتم قليل وقال فى اية اخرى واذكروا اذ انتم قليل وانما صلح كنتم مقام انتم لانهما ضدان فان كلمة لستم لان ذلك للنفى وهذا للاثبات فقام احدهما مقام الاخر لتساكلهما فى تضادهما كلمة النفى وقيل معناه صرتم بالايمان بخير الرسل وبخير وجه فى زمانه خير الامم وقوله تعالى خير هو كلمة تفضيل والمراد به انهم افضل الامم واكثرهم طاعا واوفرهم خيرا وقيل اراد به انفعهم وزيادة نفعهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ففيه صلاح الكل وخلاصهم وقوله تعالى امة الامة كل قوم اجتمعوا على اتباع نبى وجمعتهم دعوة نبى وهى فى القران لعشرة اوجه الجماعة قال الله تعالى اسباطا امما ولاتباع كل رسول قال تعالى ولكل امة رسول والملة قال تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وقال تعالى كان الناس امة واحدة ولامة محمد على الخصوص المسلمين منهم قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وللكفار الذين بعث فيهم رسول الله قال تعالى كذلك ارسلناك فى امة وهم امة الدعوة والاولون امة الاجابة وللامام قال تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا وللطريقة قال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة اى اولو طريقة قيمة وللصنف قال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وللمدة قال تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة وللحين قال تعالى وادكر بعد امة وسبب نزول الاية ما روى ان مالك بن الضيف ووهب مرا بيهوديين فقالا لابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم ان ديننا خير مما تدعونا اليه ونحن خير منكم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى اخرجت للناس اى ذكرت لمن سلف من الناس والاخراج فى القران ذكر لمعان كثيرة ذكرناها عند تفسير قوله فاخرج به من الثمرات منها الذكر وهو فى هذه الاية عند بعضهم وقيل معناه اظهرت للانبياء يوم القيمة للشهادة على الامم كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى للناس وهم الانبياء وقد بينا وجهه فى تلك الاية وقيل معناه اخرجت للكفار لتقاتلوهم وتدعوهم الى الاسلام وعلى ذلك معنى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين ذكرا بعده وقيل معناه اخرجت للمومنين تامرونهم بالطاعات وتنهونهم عن المعاصى والناس تصلح لذلك وهو فى القران لاكثر من عشرين وجها لكل بنى ادم قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ولاولاد ادم الذين كانوا فى عصره قبل ان يكفر بعضهم قال تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولقوم نوح قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس قيل على قوم نوح عليه السلام ولقوم نمرود قال تعالى فاتوا به على اعين الناس ولبنى اسرائيل قال تعالى وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس ولقوم فرعون قال تعالى وان يحشر الناس ضحى ولقوم يوسف قال تعالى فيه يغاث الناس ولقوم عيسى قال تعالى اانت قلت للناس وللنبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى والله يعصمك من الناس ولاهل مكة قال تعالى اكان للناس عجبا وللصحابة قال تعالى يراوون الناس ولاهل اليمن قال تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس

دلوتى

وللمومنين اهل الكتاب قال تعالى امنوا كما امن الناس ولكل المومنين قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس ولعامة الرسل قال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على الناس ولمحمد عليه السلام قال تعالى ام يحسدون الناس ولنعيم بن مسعود الاشجعى قال تعالى الذين قال لهم الناس وللمشركين قال تعالى ان الناس قد جمعوا لكم وللدجال قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وللحجاج قال تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وللمنافقين قال تعالى وتخشى الناس ويصلح للمومنين والكافرين والمنافقين فى قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم فقد سبق ذكره فى الفرق الثلاث ههنا وقوله تعالى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال ابو هريرة رضى الله عنه يجيئون بالكفار فى السلاسل فيدخلونهم فى الاسلام وقال ابن عباس رضى الله عنهما تامرون بالمعروف بشهادة ان لا اله الا الله وهو اعظم المعروف وتنهون عن التكذيب وهو انكر منكر وقال الكلبى رحمه الله تامرون بالمعروف باتباع محمد وتنهون عن المنكر عن عبادة الجبت والطاغوت وقال مقاتل تامرون بالمعروف اى الايمان بالله وتنهون عن المنكر اى الشرك بالله وقيل المعروف الطاعة والمنكر المعصية وانما قيل للحسن معروف مع ان القبيح قد يعرف انه قبيح لان القبيح وان عرف فهو لا يعرف لخموله وسقوطه والحسن بمنزلة النبيه الذى يعرف لجلاله وعلو قدره وقال الامام ابو منصور رحمه الله المعروف والمنكر يتوجه ثلاثة اوجه المعروف فى العقول الذى تستحسنه العقول والمنكر هو الذى تقبحه العقول وتنكره ويحتمل ان يكون المعروف هو الذى عرف بالايات والبراهين انه حسن والمنكر ما عرف بالحجج انه قبيح ويحتمل ان المعروف هو الذى يجرى على السن الرسل انه حسن والمنكر هو الذى انكروه ونهوا عنه وعلى الوجوه الثلاثة يخرج معنى الاية وقال سفيان بن عيينة هذا على الشرط كنتم خير امة ما امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال من سره ان يكون من تلك الامة فليؤد شرط الله فيها اشارة الى هذا وعن عمر ايضا انه قال لو شاء الله لقال انتم خير امة فكنا كلنا وعن الحسن انه قال قد كانت هذه الامة من هلكا اشارة الى ان هذه الصفة للصدر الاول وقوله تعالى وتومنون بالله اى تدومون على الايمان به وقوله تعالى ولو امن اهل الكتاب اى اليهود بمحمد لكان خيرا لهم من الاقامة على الكفر منهم المومنون اى عبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون اى الخارجون عن الامر بالايمان وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يشكل ان الايمان خير من الكفر والمراد من الاية ان علماء اهل الكتاب تمسكوا بالكفر لوجهين احدهما انهم كانوا على عز وشرف وعلم بتقبات الناس اليهم فخافوا ذهاب ذلك فاخبر انهم لو امنوا لكان عزهم وشرفهم فى الايمان اكثر وقد ظهر لعبد الله بن سلام وكعب الاحبار واشباههم ابوا الايمان واتباع محمد رضى الله عنهم والثانى انهم ثبتوا على الكفر اشفاقا على ما لهم من المنافع والمنال ان يذهب ذلك عنهم فاخبر ان الايمان خير لهم فى الاخرة اذ هذا منقطع والذى يكون لاهل الايمان فى الاخرة باق دائم لا يزول وقيل فى قوله تعالى ولو امن اهل الكتاب اى ثبتوا على ايمانهم به قبل مبعثه ولم يكفروا به بعده وقال الامام القشيرى رحمه الله لما كان المصطفى اشرف الانبياء كانت امته اشرف الامم وكانت اعمارهم اقصر الاعمار وعصرهم اخر الاعصار لئلا يطول تحت الارض لبثهم وما حصلت خيريتهم لكثرة صلواتهم وعباداتهم ولكن بنظر الله تعالى اليهم وتخصيصه اياهم ولقد طال وقوف المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الاذن بالدخول تقدم المتاخرون

شعر • وكم باسطين الى وصلنا • اكفهم لم ينالوا نصيبا • وقال فى قوله تعالى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر المعروف حق الحق والمنكر صحبة النفس المعروف ايثار حق الحق والمنكر ايثار حظ النفس المعروف ما يزلفك اليه والمنكر ما يحجبك عنه وشرط الآمر بالمعروف ان يكون متصفا بالمعروف وحق الناهى عن المنكر ان يكون منصرفا عن المنكر وقال فى قوله تعالى ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لو دخلوا تحت امرنا ووصلوا الى الحقيقة العز فى الدنيا والعقبى ولكن تركوا فتركوا وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى اى لن يقدر اليهود ان يلحقوا بكم ضررا الا اذى باللسان من شتم لكم او افتراء على الله بقولهم ما لا يليق به وهو كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اى فى الله ما هو منزه عنه بل قيل انه قال فسبح بحمد ربك اى فانت فنزه ربك بالقول وكن من الساجدين بالفعل وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وقيل الاذى هو اسماعهم المكروه فى عيسى ومحمد والطعن فى شرائعهما ولما حثهم فى الاية الاولى على القتال الذى هو حقيقة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدهم ما امنوا به وقوع الضرر فى انفسهم واموالهم واهليهم وذراريهم وانهم اذا قاتلوهم انهزموا وذلك قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى يوجهوا اليكم ظهورهم ثم لا ينصرون فى الدنيا عند الهزيمة ولا فى الاخرة وقوله ثم حرف عطف وهو ههنا لعطف الاخبار لا على وجه الجزاء ولذلك ثبتت النون فى اخره ولم تسقط ولم يجزم على جزاء الشرط لقوله تعالى يولوكم الادبار لان سبب التولية القتال فجعل جزاء القتل ومنع النصر الكفر لا القتال فلذلك لم يلحق به فى الجزاء وفى الاية ابلغ بشارة بما يؤول اليه حالهم وحال عدوهم وفيه دلالة صحة نبوة نبينا محمد عليه السلام حيث اخبر عما لم يكن فكان كما اخبر فانا قاتلهم الا ظفر بايسر مؤنة وهو ظاهر فى حديث بنى قريظة وقتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير وسبيهم ثم اليهود بعد ذلك اليوم مقهورون الى اليوم فى كل البلاد ولم تقم لهم راية الى يوم القيمة وقال الامام القشيرى رحمه الله فى قوله تعالى لن يضروكم الا اذى ان الحق لا يسلط اعداءه على اوليائه الا بقدر ما يصدق اليه فرارهم فاذا حق ذلك اكرمهم به فرارهم وان استطالوا على الاولياء بموجب امتحانهم انعكس الحال بالصغار والهوان عليهم وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا اى فى اى مكان واى زمان وجدوا فى دار الاسلام وقوله تعالى الا بحبل من الله اى بعهد الله لانه يتعلق بمن السلامة كما يتعلق بالحبل المفتول وقوله تعالى

وحبل من الناس قال الضحاك هو محمد عليه السلام كما في قوله تعالى ام يحسدون الناس وكان وادعهم مدة ان لا يقاتلهم
وقيل الناس هم المؤمنون والحبل عقد الذمة منهم وتجديدهم وتجديد محمد هو تجديد الله لانه بامره وقيل المراد هو عقدهم
واضافته الى الله تعالى او لا لتشريفهم كما في قوله تعالى فان لله خمسه وللرسول الاية وقيل يكونون فيهم لانه لا مملكة لليهود فيكونون
في بلاد المسلمين او في بلاد الكفار من غيرهم فلا يامنون الا بعهدهم ثم قوله تعالى الا بحبل هو استثناء منقطع كما في قوله تعالى
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما لان الذلة لازمة لهم بكل حال ومعناه لكن يامنون المحال بعقد الذمة وقيل هو استثناء
متصل وهذا الان في المسلمين عزهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة في انفسهم وقوله تعالى وباءوا بغضب
من الله قيل رجعوا وقيل احتملوا وقيل استحقوا وقد بينا حقيقته في سورة البقرة وقوله تعالى وضربت عليهم
المسكنة اي لا نماء لهم فهم يعمون ابدا وقيل المسكنة التي عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء وقال ابو منصور
رحمه الله جعل كل حاجتهم الى ما يغني ويحتمل خوف التفريع بيان البشار وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
اي هذا الذل والغضب والمسكنة لهم بكفرهم بانبياء الله تعالى وكتبه وقوله تعالى ويقتلون الانبياء بغير حق
زكريا ويحيى وغيرهما وهم من اسلاف هؤلاء وهؤلاء يتولونهم فوبخوا به وقيل لانهم قصدوا قتل محمد فاضافه اليهم كما
في الخداع وقوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي كان زوالهم بعضيانهم وعدوانهم وقد شرحنا ذلك في
سورة البقرة وقوله تعالى ليسوا سواء اي اهل الكتاب ليسوا بمتساوين وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة
قال الزجاج اي طائفة ذو طريقة مستقيمة وذو وامضمر والامة الطريقة قال النابغة • حلفت يمينا غير ذي
مثنوية • وهل ياثمن ذو امة وهو طائع • وقال المازني وهذا غير صحيح لانه عدول عن الظاهر وحكم بالحذف من غير
دلالة وقال الامام ابو منصور رحمه الله امة قائمة اي على حدود الله وفرايضه وطاعته وكتابه لم يحرفوه وقيل قائمة اي
مهتدية وقال الحسن وابن جريج قائمة اي عادلة وقال ابن عباس وقتادة والربيع اي ثابتة على الحق وقال السدي
اي قائمة بطاعة الله وقيل اي مصلية بالليل بدليل ما بعده يتلون ايات الله اناء الليل اي يقرؤون القران
وقوله تعالى اناء الليل اي ساعاته واحدها اني بتسكين النون وكسر الهمزة كقول الحجي واختاره الشاعر في كل اني
دعاة القوم ينتعل وقيل واحدها اني بكسر الهمزة وفتح النون والقصر معا قال تعالى غير ناظرين اناه وقيل هو بفتح الهمزة
كالقفا والاقفاء وندائي يا نى اي خاف قال تعالى الم يان للذين امنوا وقوله تعالى وهم يسجدون قيل اي يصلون والواو
للحال اي يقرؤون حالة الصلوة وقيل اي يتلون فيا ما ثم يخرون سجدا وقيل اي يتلون خارج الصلوة فاذا تلوا اية السجود
سجدوا وقيل السجود هو التذلل لله والخشوع له بالصلوة وغيرها بما فعلا بن تلاوة وتخشع وقوله تعالى يؤمنون بالله
واليوم الاخر هو بيان اعتقادهم واقرارهم وقوله تعالى ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر هو بيان جهادهم
المشركين ومعاملتهم مع عصاة المسلمين حقا لله رب العالمين وقوله تعالى ويسارعون في الخيرات هو بيان
عملهم بما يقولون وقوله تعالى واولئك من الصالحين هو تسمية لهم على استجماعهم خصال الدين وقد شرحناه في سورة
البقرة وحقيقة الصلاح هو انتفاء الفساد عنه بالكلية وغيرها به كمال الوصف بالمحاسن وهو مما مدح الله جل جلاله
به انبياءه قال تعالى وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقيل هم مع الصالحين في الجنة
وقال ومن يعمل ذلك كله فهو صالح وانتظامها بما قبلها انه قال منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم ذكرهما فقال تعالى
ليسوا سواء فان قالوا ذكر احد الفريقين ولم يذكر الفريق الاخر بعد ذكر نفي التسوية وذلك لا يقوم بالواحد قلنا قال
الفراء انه حذف احدهما وهو مراد بدلالة ما تقدم عليه وهو كقول ابي ذويب • فعصاني اليها القلب اني لامره مطيع
فما ادري ارشد طلابها • يعني ارشد ام غي فحذف هذا نعلي هذا تعدير الاية امة قائمة وامة على هذا ارتفع بليسوا انما جمع
لانه متقدم كما في قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا منهم وقال الزجاج تمام الكلام عند
قوله ليسوا سواء ثم يرجع الى المذكورين قبله ثم هذه الاية ما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج لما اسلم عبد الله
ابن سلام واصحابه قال احبار اليهود ما امن بمحمد الا شرارنا فنزلت هذه الاية وقال مقاتل ان اليهود قالوا لعبد الله
ابن سلام واصحابه لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره ولقد عهدنا اليك ان لا دين الا ديننا وقال ابن مسعود
رضي الله عنه اخر النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ليلة ثم خرج الى المسجد بعد هوي من الليل فقال اما انه ليس من اهل
هذه الاديان احد يذكر الله غيركم فانزل الله تعالى قوله ليسوا سواء ويحتمل ان اولئك كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب
وقال عطاء امة قائمة هم اربعون رجلا من اهل نجران مع اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
على دين عيسى وصدقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان من الانصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم سعد بن زرارة
والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس وكانوا موحدين مسلمين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا
من شرائع الحنيفية حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه واتبعوه ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالله ويسارعون في الخيرات
في كل ما لله رضى فيه من صلة الارحام وخلع الانداد واولئك من الصالحين وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بياء المغايبة صرفا للكلام الى اهل الكتاب المذكورين قبله وقرا ابن كثير
ونافع وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر بالتاء وابو عمرو يجيز كليهما وهو خلط لهم بغيرهم من المكلفين وخطاب لهم

وما كلمة شرط ومعناه كل ما عملتم من خير هو عند الله مشكور غير مكفور فان الله شكور وشكر الله تعالى العبد اظهار فعله بالثناء
عليه والثواب عليه والكفران ستر الصنيع قال الله تعالى فلا كفران لسعيه وقال تعالى ولن يتركم اعمالكم وقال تعالى لا اضيع عمل
عامل منكم وقال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله تعالى والله عليم بالمتقين سماهم متقين
كما سماهم صالحين وانما خصهم بالذكر مع انه عليم بالكل لانه ذكر جزاء المتقين قال الامام القشيري رحمه الله ليسوا سواء
من يستوي الضياء والظلمة والوصال والفرقة والمعتكف على البساط والمنصرف عن الباب والمتصف بالولاء والمنحرف
عن الوفاء عنها لا يلتقيان فكيف يستويان وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه لم يحجب عن بابه قاصد ولم يخسر تاجر
ولم يستوحش معه صاحب ولم يذل له طالب وقوله تعالى ان الذين كفروا اي بمحمد والقران وهم اليهود الذين سبق ذكرهم
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي لن تمنع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا
وانما ذكر الاموال والاولاد لانها عدة الانسان التي يدفع بها عن نفسه وهذا غني عنه اي نفعه وقوله تعالى واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مر تفسيره مرات وقوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر ههنا مضمر تقديره مثل ابطال الله نفع ما ينفقون لانه شبه بالريح او المضمر في المشبه به وتقديره مثل
ما ينفقون كمثل مهلك ريح لتستقيم المقابلة ووجهه ما مر في قوله ليس كمثله شيء وهو زيادة مؤكدة والصر البرد الشديد
في قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد وقال الزجاج هو صوت لهيب النار التي في الريح
ثم صير بالنار ويجوز ان يكون صوت الريح الباردة الشديدة في الحد نهي عما قبله الصر من الجراد اي البرد وقوله فاقبلت
امراته في صرة اي في صيحة والصرصر الريح الشديدة البرد وقال مقاتل الاية في انفاق سفلة اليهود على رؤساء اليهود
يقول مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا لا الاخرة وهي في تظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وكتابة الكتاب المحرف
واستمالة العوام في عدم النفع وعود الضرر عليهم عاجلا واجلا كمثل ريح فيها برد شديد اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم بمنع حقوق الله تعالى في اموالهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي ومنع حقوق
الله تعالى بين اهلاك الزرع عقوبة على المنع وسوء الصنيع وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا في غير موضع الزرع او في غير وقته
لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ووجه المثل ان اهل الحرث عملوا وتعبوا وهلك حرثهم وضاع سعيهم فلم يحصلوا الا على
فكذا هؤلاء في انفاقهم لا نفع ولا ربح لهم الا التعب والخيبة ونظيره قوله تعالى اعمالهم كسراب بقيعة الاية وقال يمان بن رباب
الاية في نفقة ابي سفيان واصحابه يوم بدر وكان يطعمهم كل يوم واحد من رؤسائهم وفيهم قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها الاية وقيل نزلت في نفقة المنافقين مع المسلمين في حرب المشركين مراءاة
المؤمنين وقول مقاتل في النزول اوفق لما قبله وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم البطانة خاصة
الرجل الذين يظهر لهم ما في الباطن ويكشف لهم السر وفلان بطانة لفلان اي مداخله تشبيها ببطانة الثوب
الذي يلي بدن الانسان في القرب قال ابن عباس رضي الله عنهما نهى الله المؤمنين ان يتخذوا اليهود بطانة من دون المؤمنين
يفشون اليهم اسرارهم وقوله تعالى لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون وقد الوت الوا وما الوت في الحاجة جهدا وقوله
ولا ياتل اولوا الفضل منكم اي لا يقصر والخبال الفساد والخبل الفساد في العقل وهو الجنون ورجل مخبل الراي
اي فاسد الراي والمخبل كذلك وخبالا نصب على التفسير او بنزع الخافض ومعناه لا يقصرون في افساد اموركم ويبلغون
الى الكفار اسراركم وقيل اي يقصرون صرفكم عن دينكم وقوله تعالى ودوا ما عنتم وما مع الفعل مصدر ومعناه احبوا
عنتكم اي اثمكم ان تشاركوهم في اشياء يا ثمون بها وقيل اي مشقتكم وشدتكم في الدين وهو قول ابن جريج وقال السدي
اي ضلالكم عن دينكم وقوله تعالى قد بدت البغضاء من افواههم اي ظهرت العداوة على السنتهم اي التكذيب الظاهر
ولا يبدو الكلام بالقول وقوله تعالى وما تخفي صدورهم اكبر اي ما تضمر قلوبهم من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الكفر
بالله اعظم مما اظهروه من التكذيب وقوله تعالى قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون اي اخبرناكم بالقران ما ارادوا
وما اخفوا وقال مقاتل نزلت الاية في حق المنافقين وقال ابن كيسان معناه لا تتخذوا المنافقين اخلاء دون المؤمنين وذلك
ان الرجل من المؤمنين كان يواد المنافقين على الدنيا فنهوا عن ذلك لانهم لا يدعون ان يلبسوا عليهم ويصدوهم عن الدين
ومعنى قوله تعالى قد بدت البغضاء من افواههم على هذا انه يجري في كلامهم ما يستدل به على ذلك وكذا في وجوههم
قال تعالى فلتعرفنهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول وهو في ايات ومنهم من يلمزك في الصدقات لا تنفقوا على من عند رسول
الله ويقولون هو اذن ان بيوتنا عورة ائذن لي ولا تفتني ونظائرها وقوله تعالى وما تخفي صدورهم اكبر ظاهر وقوله تعالى
قد بينا لكم الايات اي العلامات المميزة من الاولياء والاعداء ان كنتم تعقلون لان العاقل لا يركن الى من يريد به السوء ولا يبتغي الا
بمن تريد به الخير وقيل ان كنتم تعقلون ان النفع في ذلك لكم قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان كنتم تعقلون الايات
ويحتمل ان كنتم تنتفعون بعقولكم لانه عز وجل ذكر في غير اية انهم لا يعقلون وقد كانت لهم عقول لم ينتفعوا بها فنفاه عنهم
راسا وقوله تعالى ها انتم اولاء تنبيه وانتم للخطاب واولاء بمعنى يا هؤلاء وقيل بمعنى الذين وتحبونهم صلة للذين وقيل انتم
ابتداء واولاء بمعنى هؤلاء خبره وتحبونهم في موضع الحال ومحل اعرابه النصب وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم يا معشر
المؤمنين تحبون اليهود بسبب القرابة والرضاعة وهم الذين لا يحبونكم لاجل الدين وقيل اي تمايلونهم في امر دنياكم

تعاملة المحب فتخا لطوهم وتفشوا اليهم اسراركم وهم لا يفعلون ذلك بل يخفون اخوالهم عليكم وقيل اى تبرونهم وتحبون
نعاشرتهم وهم لا يفعلون كذلك وقيل اى تدعونهم الى الايمان الذى به السعادة وهو فعل المحب وهم يدعونكم الى الضلال
وسوء الفعال وهو عمل العدو وقوله تعالى **وتؤمنون بالكتاب كله** اى بالكتب كلها التورية والانجيل والزبور والفرقان
وغير ذلك واكتفى باسم الواحد لوجهين احدهما انه جنس فيصلح للكل كما يقال كثر الدراهم فى ايدى الناس
والثانى انه مصدر وههنا مضمر اى وهم لا يؤمنون بكتابكم لكن حذف لدلالة الكلام عليه لانه قال تعالى فى الاول
يحبونهم ولا يحبونكم فدل ذلك ان ذلك مثله وهذا اختصار كما فى قوله تعالى ليسوا سواء الاية وقوله تعالى امن هو قانت
الاية وقيل معناه بالقران كله اى بجميع ما فيه وقوله تعالى **واذا لقوكم قالوا آمنا** فانهم كانوا يقولون نحن نؤمن بالله
وكتبه ورسله ويلبسون ذلك وكانوا يقولون نحن على ذلك لكن محمد ليس بنبى وما يتلوه ليس بكتاب منزل وقوله تعالى
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اى اذا صاروا الى اهل دينهم عضوا انا ملهم اى رؤس اصابعهم
جمع انملة بفتح الميم هو الصحيح فى اللغة غيظا من اجتماع كلمتكم وائتلافكم على دينكم كما يفعله المتناهى فى غيظه وهو الغضب
الكامن فى القلب العاجز عن انفاذه وقال الكلبى والضحاك ونقاتل الاية فى المنافقين ومعناه انتم تظهرون لهم المحبة
اعتمادا منكم على ظواهرهم من اظهارهم الايمان وهم لا يحبونكم فى الباطن وتؤمنون بالكتاب كله وتاخذون بكل ما فى القران
ولا تنافقون ولا تضمرون خلاف ما تظهرون وهم يخالفون ذلك واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا وهو كما مر فى سورة
البقرة وقوله تعالى **قل موتوا بغيظكم** هذا توبيخ يقال ذلك لمن لا فرج له يرجى ومعناه ان الموت دون ما ترجون وقيل
اى دوموا على هذا الى ان تموتوا وقيل اى اماتكم الله بغيظكم لفظه امر بمعنى الدعا وقوله تعالى **ان الله عليم بذات الصدور**
اى بعداوة الصدور وقيل اى بضمائرها وهو كقولك ذو مال وذات مال بمعنى الصاحب والصاحبة وهو نعت مؤنثة تقتضيه
الصدور ولذلك حملت على العداوة ونحوها وهو وعيد اى يعلم فيجازى وقوله تعالى **ان تمسسكم** اى تصبكم كما فى قوله تعالى
وما مسنا من لغوب وقوله تعالى لا يمسهم فيها نصب **حسنة** اى نعمة والفة وغنيمة وخصب ونحو ذلك من الحال المستحسنة
تسؤهم اى تحزنهم يقال ساءه سوءا اى احزنه وسره بسره خلاف ذلك فاما قولهم اساء اليه بمعنى فهو خلاف الاحسان اليه
وقوله تعالى **وان تصبكم سيئة** اى حالة سيئة محنة او فرقة او غلبة عدو وهزيمة او جدوبة **يفرحوا بها** اى يسروا بها
وهى صفة المنافقين على قول من حمل الايتين قبلها عليهم وفى اليهود على قول من جعلها فيهم وهى صفة الكل لعداوة الكل
وما ينبغى ان يتخذ العدو بطانة وقال الكلبى حسنة اى ظفر وغنيمة كما فى يوم بدر وسيئة اى قتل وهزيمة كما فى يوم
احد وقوله تعالى **وان تصبروا** على ما امرتم **وتتقوا** عما نهيتم وقيل اى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا موالاتهم وقوله تعالى
لا يضركم كيدهم قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بكسر الضاد وسكون الراء من ضار يضير وجزمه لانه جواب الشرط وقرأ
الباقون بضم الضاد والراء وتشديدها من ضر يضر وهو فى موضع الجزم وحرك لاجتماع الساكنين وضم اتباعا لما قبله
وقرأ عاصم فى رواية بفتح الراء لانه حركة ضرورية فجعلت بالفتحة التى هى اخف الحركات وقوله تعالى كيدهم هو الاحتيال
للايقاع فى الهلاك يقول ان صبرتم على الطاعة واتقيتم المعصية لم يضركم ما يريدون بكم من الهلاك وقوله تعالى **شيئا**
اى شيئا من الضير نصب نصب المصدر وقيل اى بشئ بنزع الخافض وقوله تعالى **ان الله بما يعملون محيط** اى عالم بكليته بما يعملون
قادر على جزائهم وهو ابلغ وعيد وقوله تعالى **واذ غدوت من اهلك** اى واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من منزل عائشة
الى احد وهو قول ابن عباس وقتادة ومحمد بن اسحق والربيع والسدى وعامة المفسرين وقال الحسن ومجاهد ومقاتل يوم
الاحزاب وقوله تعالى **تبوئ المؤمنين** اى تهيئ لهم والمباءة المراح وقد باء اى رجع وتبوا اتخذ مسكنا لنفسه وبواه
اى هياه لغيره ويعدى باللام وغير اللام قال تعالى واذ بوانا لابراهيم وقال ههنا تبوئ المؤمنين وهو كقوله ردفه وردف له
وشكره وشكر له ونصحه ونصح له وقيل ترك اللام التقدير ترتب المؤمنين وتقعد المؤمنين وتنزل ولو اريد اتخاذ المكان
لكان باللام وقوله تعالى **مقاعد** جمع مقعد وهو موضع القعود وجاء فى التفسير امكنة القتال وكان يقعد كل طائفة
موضعا مخصوصا وسميت مقاعد لانهم يتمكنون منها قاعدين الى ان يقع القتال وقيل هى الاماكن وهى تكون للقيام
والقعود جميعا وتسمى باسم احدهما ويدل على الاخر وهو كقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك سماه مقاما وهو للقعود والقيام
جميعا لهذا قال الامام ابو منصور رحمه الله وفى الاية ان الائمة هم الذين يتولون امور العساكر ويختارون لهم المقاعد
وعليهم تعاهد احوالهم ودفع الخلل والضياع عنهم ما احتمل وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الامارة من الامام قال الله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم وقوله تعالى **القتال** اى لاجل مقاتلة الكفار **والله سميع عليم** قيل سميع لما
يقول المنافقون يومئذ عليم بما يضمرونه وهو وعيد لهم وقيل سميع لما يقول محمد للمؤمنين عليم بما يضمرونه وهو تزكية للنبى
صلى الله عليه وسلم وقيل سميع لمقالة المشيرين عليكم عليم بما يضمرون لانهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار
بالمقام فى المدينة وهو تزكية للمزاكى ووعيد لغير المزاكى قال الامام ابو منصور رحمه الله سميع لقالتكم عليم بسرائركم قال ويحتمل
سميع بذكركم الله فقد قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا عليم بثوابكم قال ويحتمل انه بشارة كما قال تعالى لموسى
لا تخافا اننى معكما اسمع وارى قال ويحتمل سميع يجيب لدعواتكم عليم بان ينصركم ثم انتظام هذه الاية بما قبلها انه قال
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقال فى هذه القصة ايضا بلى ان تصبروا وتتقوا وقوله تعالى **اذ همت طائفتان**

منهم

وسا فى القتال

منكم **ان تفشلا** اى واذكروا اذ همت او هو ظرف لقوله تبوئ المؤمنين مقاعد القتال اذ همت اى قصدت وهو الخطور
ههنا لا العزيمة فانه قال بعده والله وليهما وطائفتان اى جماعتان وهما ههنا بنو سلمة بن جشم وهم من الخزرج وبنو حارثة
بن النبيت وهم من الاوس وهما جميعا من الانصار وقوله تعالى ان تفشلا اى تجبنا من حد علم والفشل يقع من غير فعله فلا يلام
عليه لكن معناه ان تفعلا فعل من يفشل وهو الانصراف وترك القتال وذلك ان عبد الله بن ابى سلول انصرف عن النبى
صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة نفر من قومه وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعمائة نفر والمشركون فى ثلاثة
الاف رجل وكان انصرافه لنفاقه وقيل لغضبه لانه كان اشار على النبى صلى الله عليه وسلم بالثبوت فى المدينة والتحصن
بها وكان اكثر المؤمنين يحبون الخروج فكره النبى صلى الله عليه وسلم خلافهم واخذ بقولهم فغضب لذلك وقال اطاع
الولدان وعصانى وهمت هاتان الطائفتان بالانصراف كما انصرف ابى بن كعب لا لنفاق او نفاق بل خوفا من كثرة المشركين
ثم لامهم الله بعصمته حتى لم يفعلا وحقق ايمانهما بقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال الواقدى همت هاتان الطائفتان
لا يخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم خوفا منهم وعصمهم الله تعالى فخرجوا قوله تعالى **والله وليهما** اى محبهما وناصرهما ومتوليهما
وقيل اى والحال ومعناه ما كان ينبغى لهما والله يتولى نصرهما ومعونتهما وقال قتادة لما نزلت الاية قال الجبان والله ما يسرنا
انا لم نهم بالذى هممنا به وقد اخبرنا الله تعالى بانه ولينا وروى انه لما انصرف عبد الله بن ابى سلول بثلث الجيش قال
يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزام فقال انترك النبى والصحابة فقال لو نعلم قتالا لاتبعناكم
ولو اطعتنا لرجعت معنا وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف فوفقهم الله للسداد فلم يرجعوا وفى الاخبار عن هذا
الهم وهو غيب دلالة صدق النبى صلى الله عليه وسلم فانه اخبر باخبار الله تعالى واطلاعه اياه عليه وقوله تعالى **وعلى الله**
فليتوكل المؤمنون قال الامام ابو منصور رحمه الله اى فليعتمد على ما وعد وليجتهد فى الوفاء بما عهد وليفوض كل
امره الى الله اذ علم انه بكليته لله واليه مرجعه وبهذه الجملة وعد ان ينصر دينه قال وليس فى القران تعيين الطائفتين
ولا ينبغى ان يذكر الا باقرارهما وقد روى انهما قالا بعد ذلك لما سمعنا من قوله والله وليهما وقال سهل بن عبد الله التسترى
جملة العلوم ادنى باب من التعبد وجملة التعبد ادنى باب من الورع وجملة الورع ادنى باب من الزهد وجملة الزهد ادنى
باب من التوكل وقوله تعالى **لقد نصركم الله ببدر** وانتظامها بالاولى انه قال توكلوا واذكروا نصرى اياكم يوم بدر
مع قلة عددكم وعدتكم وبدر بئر بين مكة والمدينة وحافرها كان رجلا اسمه بدر فسميت به وسميت تلك الناحية
به ايضا قاله الشعبى وقال الواقدى عن شيوخه هو اسم لذلك المكان وضع لا لهذا وقوله تعالى **وانتم اذلة** جمع ذليل
فى قلة عدد وعدد لانهم كانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعين من المهاجرين وبقيتهم من الانصار
والمشركون الف رجل وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار
سعد بن عبادة وقيل وانتم اذلة عند انفسكم لقلة العدد والسلاح وقيل عند المشركين وهو كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل
فاراد وابا لعز الكثرة وبالذل القلة وقوله تعالى **فاتقوا الله لعلكم تشكرون** اى اعملوا بطاعته واجتنبوا عن معصيته
لتقوموا بشكر نعمته وقوله تعالى **اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم** اى واذكر يا محمد اذ تقول لاصحابك يوم احد وعاد الى
قصة احد عند اكثر اهل التفسير الن يكفيكم الكفاية البلوغ الى قدر الحاجة والغنى الزيادة على قدر الحاجة وقوله تعالى
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف الامداد اعطاء المدد وهو الزيادة على عددهم تقوية لهم وقوله تعالى **من الملائكة منزلين**
اى من السماء وقرأ ابن عامر بالتشديد وهو للترادف على التوالى وقرأ ابو حيوة بكسر الزاى اى اتين بالنصرة لهم النبى
صلى الله عليه وسلم قبل لقاء العدو ووعدهم الامداد بثلاثة الاف ملك فركنوا اليه فوعدهم ان اتقوا وصبروا الزيادة
على ذلك وهو خمسة الاف يعنى زيادة الفين على ثلاثة الاف ولو اتقوا وصبروا لامدوا ولكن لم يفعلوا فحرموا اصلا
والى هذا القول ذهب الكلبى والواقدى ومحمد بن اسحق والضحاك وعبد الرحمن بن اسلم وقالوا كان العدو يوم احد ثلاثة
الاف والمسلمون بعد رجوع المنافقين سبعمائة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يمدنا الله عز وجل فى هذه الغزوة بالملائكة
كما امدنا الله يوم بدر اذ كانوا ثلاثة امثالنا فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف ملك
على عدد الاعداء وانهم زيادة على ذلك وقالوا افذا يوعدنا الله به بالشرط الذى ذكرتم ووعدهم ايضا الزيادة تحقيقا للوعد ايضا
وقيل لم يكن بالوعد لكن لما سألوه عن ذلك قال لهم هل يكفيكم ثلاثة الاف لا سال الله تعالى ذلك لكم فقالوا نعم فسأل الله عز وجل
فاجاب ووعدهم بعد ذلك بخمسة الاف ان اتقوا وصبروا والشرط فى الوعدين جميعا وعن الحسن ان الوعد بثلاثة الاف
من الله تعالى مطلق والزيادة بخمسة الاف بالشرط على قول جعلهما ثمانية الاف وعلى قول غيره معناه زيادة الفين على ثلاثة الاف
حتى تصير خمسة الاف وهو كقوله تعالى فى اربعة ايام اى مع اليومين وقال جماعة من المفسرين هذا الوعد كان فى يوم بدر وهو متصل
بالاول اى نصركم يوم بدر والنبى صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك وحقق ذلك فانزل خمسة الاف ملك وعلى هذا اعنى قوله
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم اى من وجههم هذا الذى قصدوكم منه لانهم سمعوا باعتراض المسلمين لعيرهم فاردوا
اى جاشوا لكفوران العدو وهو غليانها وقد فارت القدر اى جاشت ماؤها وفورة الغضب هيجانه وفورة الامر حدته وحدوثه
فلما سمعوا ذلك فاروا وتكثروا واكل صعب وذلول وخرجوا غضبا لعيرهم وذبا عنهم وفى ذلك ذكر حميتهم الجاهلية لاموالهم
فاخبرهم الله تعالى انهم ان يأتوكم على هذه الحالة فلا تهابوهم فان الله تعالى يكفيكم شرهم ووعدهم احدى الطائفتين اما العير واما النفير

ان تفشلا ام

رضى الله عنهم

مع نقلة الثلاثة الالاف

وقال هؤلاء دليل ذلك انه لم ينزل يوم احد الملائكة قال عبيد بن عمير لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كانوا يوم بدر وما روي عن سعد بن ابي وقاص قال رايت يوم احد
عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد فذلك على قول
هؤلاء كان للنبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص لانه صبر واتقى ولم يكن للصحابة مدد ملك وكذا ما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اعطى مصعب بن عمير اللواء فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تقدم
يا مصعب فقال لست بمصعب فعرف انه ملك فهذا له على الخصوص وقال بعض من قال بالقول الاول لا يستقيم
حمل هذه الاية على اهل بدر فان المذكور في حقهم في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة وهو العدد
غير ذلك وقال الفريق الثاني وعدهم بالف من الملائكة ثم زيادة الفين فصاروا ثلاثة الاف ثم زيادة الفين اخرى
فصاروا خمسة الاف وهو كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم
ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا نصف اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة
وروى هذا التاويل عن قتادة والربيع قالا امدوا بالالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وله وجه اخر حكي
عن الشعبي قال حدث المسلمون يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فقيل لهم الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف ثم بخمسة الاف اي ان امدوا فلما بلغ هزيمة الكفار الى كرز رجع فلم يمدوا بثلاثة الاف ولا بخمسة
الاف وقوله تعالى **بلى ان تصبروا وتتقوا** اي على القتال وتتقوا اي الفرار وقيل ان تصبروا اي تثبتوا وتتقوا مخالفة
النبي صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقوله تعالى **وياتوكم من فورهم هذا** قال ابن عباس رضي الله عنهما من وجههم هذا اي من
طريق مكة ولم يرجعوا ولموا على قصدهم وقال مجاهد والضحاك اي من غضبهم وقوله تعالى **يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين** قرا ابن كثير وعاصم بكسر الواو والباقون بفتحها والتسويم الاعلام والسومة العلامة
التي يعلم بها الفارس نفسه ومعنى قراءة الكسر انهم اعلموا خيلهم في اذنابها ونواصيها وانفسهم بنوع لباس ومعنى قراءة الفتح
انهم فعل بهم ذلك وله وجهان اعلموا انفسهم بذلك فهم مفعولون بفعل انفسهم او الله تعالى فعل بهم ذلك وقيل في قراءة الكسر
انه بمعنى المسومين وقد سوم وتسوم كما قال قدم وتقدم وحول وتحول في الخبر انهم كانوا اعلموا خيولهم بالصوف
في النواصي والاذناب وانفسهم بالعمائم الصفر وقيل البيض قال عروة بالاول وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان سيما الملائكة
يوم بدر عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم ويوم حنين عمائم حمر وفي سائر الغزوات شهدوا ولم يقاتلوا وقال الامام
ابو منصور رحمه الله انما علموا العلم المؤمنون انهم يحتاجون الى العلامة قال عليه السلام تسوموا فان الملائكة قد تسومت
وقال الاخفش مسومين بالكسر اي مرسلين خيلهم في الغارة من السائمة والتسويم كالتقويم في معنى الاقامة وقيل
مرسلين اذ ناب عمائمهم وكانوا نعلوا ذلك وهم على خيل بلق وقوله تعالى **وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن
قلوبكم به** الهاء في قوله جعله يجوز ان تكون كناية عن القول الذي دل عليه قوله تعالى اذ تقول ويجوز ان تكون كناية عن
العدد او عن الامداد او عن الوعد او عن النصر او عن انزال الملائكة يقول ما فعل ذلك الا ليبشركم بالنصر وقوله ولتطمئن
قلوبكم به اي ولتسكن قلوبكم به وهو عطف على الاول معنى لان قوله الا بشرى اي ليبشركم واضمر فيه فعلا قبله او بعده
وتقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وقوله تعالى **وما النصر الا من عند الله** اي ليس ذلك من الملائكة بل من الله وقوله
تعالى **العزيز الحكيم** اي العزيز في ملكه الحكيم في حكمه وقيل العزيز المنيع الذي لا يلحقه عجز فلا يوقع النصر الا من عنده
الحكيم الفاعل ما توجبه الحكمة فلا ينصر الا اهله وقيل العزيز المنيع فلا يرام ما ثاله في ملكه فلا اعتراض عليه ان نصر او
خذل وقوله تعالى **ليقطع طرفا من الذين كفروا** وايصالها بقوله ولقد نصركم الله ببدر ليقطع وقيل وما النصر الا من عند
الله ليقطع وقيل يمددكم ربكم كذا ليقطع وقيل هو عطف على قوله تعالى ولتطمئن بترك حرف العطف كما يقال فلان بر بي احسن
الي وقيل هو متصل بقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ليقطع طرفا وهو وعد بالشرط وقوله تعالى طرفا اي قطعة وانما قال
طرفا ولم يقل وسطا وان كان ذلك قطعة ايضا لان القطع بايدي المسلمين وانما يقطعون الذين يلونهم من الكفار وهم طرف
لا وسط وقيل هذا في اهل بدر وهو كقوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وهو طرف منهم قاله الحسن
وقتادة والربيع وقيل صناديدهم واشرافهم وقال السدي هم يوم احد قتل منهم ثمانية عشر وقتل صاحب لوائهم وقوله
تعالى **او يكبتهم** قال الخليل هو صرع الشيء على وجهه وقيل الكبت وهن يقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله وقيل
اي يذلهم وقيل اي يغيظهم وقيل اي يهزمهم وقيل اي يخزيهم ويقال كبته في معنى كبده اي ضرب كبده والدال والتاء
يتعاقبان يقال سبت راسه وسبده اي حلقه وقيل معناه او يلعنهم ولا شبه يغيظهم كما قال تعالى ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا وقوله تعالى **فينقلبوا خائبين** اي فيرجعوا ايسين وبينهما فرق فان الخيبة هي انقطاع الامل
ولا يكون الا بعد ما امل والياس يكون قبله وبعده وقال يمان بن رئاب ليقطع طرفا اي ليهلك ركنا من اركان الشرك
ويهلك طائفة منهم او يهزمهم فيصرعهم لوجوههم فيرجعوا بلا ظفر ولا نجح وقوله تعالى **ليس لك من الامر شيء
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون** اختلف في سبب نزولها قال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كسرت رباعيته يوم احد وشج في جبينه حتى سال الدم على وجهه فقال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى

بهم

بهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم العن ابا سفيان اللهم العن ابا الحارث
بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت ليس لك من الامر شيء فاسلموا وحسن اسلامهم وقال قتادة شج عتبة بن ابي وقاص
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته فقال اللهم لا تحل عليه حتى يموت فنزلت الاية ومات دون الحول كافرا وقال عكرمة
ان الذي دمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمئة فسلط الله عليه تيسا فنطحه
حتى قتله وقيل لما مثلوا بحمزة كما روي قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يفلح قوم فعلوا هذا بعم رسول الله فنزلت الاية
ومعناه ليس لك يا محمد في اهلاك هؤلاء امر ولا حكم انما الامر في ذلك الله يتوب عليهم او يعذبهم فلا تدع عليهم فانهم بين تائبين
من سيء من بك فيصير كاصحابك ومن يموت على كفره فيصير الى النار ولعذاب الاخرة اشد وابقى وقيل اخوانه في قتلة اهل
بئر معونة قال الكلبي ومقاتل ان جماعة من اهل الصفة خرجوا للقتال عصية وذكوان فقتلوا جميعا عند بئر معونة فدعا عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم اربعين يوما فنزلت الاية ونهى عن الدعاء عليهم وقول اخر انه في المنهزمين يوم احد من المسلمين وهو عن
ابن مسعود والكلبي والواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يلعنهم فنزلت الاية وقيل اراد ان يستغفر لهم فنهى
عن ذلك ايضا حتى تظهر توبتهم او يجري بنوع خاص عفوهم كما عرف في الذين تخلفوا عن تبوك وقيل لما نجح يومئذ وادمى
سال الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلعنهم ويدعو بهلاكهم فقال ما بعثني الله لعانا ولا طعانا ولكن بعثني داعيا
ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فنزلت الاية ونهى عن سؤال الهداية لهم وقيل نزلت في شان ابي طالب ويجوز ان يكون
ابتدا اخطاء من غير ان سبق منه ما يعاتب عليه او يمنع عنه ليكون ابدا متقبلا نحو الاذن له في كل شيء وقوله تعالى او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم ظالمون قيل هو عطف على قوله تعالى ليقطع طرفا فاعترض بينهما كلام تام وقيل هو بمعنى الا ان كانه قال ليس لك
من الامر شيء الا ان يعطيهم الله تعالى التوبة وقيل الا ان يتوبوا فيقبل توبتهم او يعذبهم فانهم ظالمون مستحقون التعذيب
فيكون امرك تابعا لله برضائك بتدبيره وقوله تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** اي الامر له لا لك لان ما في السموات
وما في الارض له لا لك وقوله تعالى **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** هو الذي يهدي من يشاء فيوفقه فيغفر له ويخذل
من يشاء فيعذبه على كفره ومعاصيه وقوله تعالى **والله غفور رحيم** فيغفر لمن تاب ويرحم جميع خلقه ومن رحمته جعل
الكفار عن الكفر بالايمان مخرجا ومتابا وقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة**
اتصالها بما قبلها ان اكل الربوا محارب لله تعالى ولرسوله فالحق باهل الحرب من الكفار في الذكر وقوله تعالى لا تاكلوا الربوا
اي لا تاخذوا لانه يقصد بالاخذ الاكل غالبا وقوله تعالى اضعافا جمع ضعف وهو المثل على ما زاد على ما مر في انه يضعف
الصدقات ومضاعفة نعت للاضعاف وعن عطاء ومجاهد انها الزيادة في المال للزيادة في الاجل عند محله وهو لا يجد ما يقضيه
وقيل معناه اي تضاعفون به اموالكم وفي الاية نهي عن اكل الربوا اضعافا مضاعفة فكان نهيا بما ذلك وثبت تحريم
القليل بقوله تعالى وحرم الربوا وقد شرحنا في اخر سورة البقرة مع بيان سبب النزول وقوله تعالى **واتقوا الله لعلكم
تفلحون** اي اتقوا الله في الربوا لتفوزوا وتنجوا من عذاب اكل الربوا وقوله تعالى **واتقوا النار التي اعدت للكافرين**
مر تفسيره في اوائل سورة البقرة وتحذير المؤمنين عن النار التي اعدت للكافرين رد على المرجئة في قولهم ان المؤمن لا يعذب
اصلا ولا يضر مع الايمان ذنب والاية رد على المعتزلة ايضا في ان المؤمن الذي هو صاحب كبيرة يخلد في النار والله تعالى
اخبر عنها انها اعدت للكافرين فلا يكون الخلود فيها للمؤمنين وقيل معنى الاية ههنا واتقوا استحلال الربوا فتكفروا
فتعذبوا بالنار التي اعدت للكافرين وقيل يعذب اكل الربوا بالنار التي يعذب بها الكافر بظاهر هذه الاية ثم قد يخرج
وقال بعض اهل المعرفة نهى الله تعالى الخلق عن الاضعاف المضاعفة اظهارا لكرمه وانه لا ينقص شيء من خزائنه ورحمة على خلقه
وصيانة للعبد عن الحاق الضرر به وقوله تعالى **واطيعوا الله** في تحريم الربوا **والرسول** فيما بين من وجوهه وقوله تعالى
لعلكم ترحمون اي لترحموا وقوله تعالى **وسارعوا الى مغفرة من ربكم** اتصالها بما قبلها انه يقول وبادروا الى سبب مغفرة
من ربكم وهو التوبة ان اخذتم الربوا واستوجبتم به النار فتوبوا وسارعوا الى نيل المغفرة قال عطاء الا تصروا على الذنوب
واسرعوا الى التوبة وقيل هو المبادرة اليه قبل ان تموت قال عليه السلام اغتنم خمسا قبل خمس الحديث وقال محمد بن اسحق واطيعوا
الله والرسول هذا في حرب احد امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يحفظوا مراكزهم كيلا يدخل الكمين عليهم فترك الرماة
المركز فدخلوا عليهم منه فعاتبهم الله تعالى بهذا وقوله تعالى الى مغفرة من ربكم قال هو الجهاد في دينه وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه
هو الاخلاص في العمل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو اداء الفرائض وقال يمان هو الصلوات الخمس وقال انس بن مالك
رضي الله عنه هو التكبيرة الاولى وقال ابو روق وسارعوا الى الهجرة وقال ابو بكر الوراق الى الطاعة وقيل الى الجمعة والى الجماعات
وقال الامام القشيري رحمه الله الناس في المسارعة على اقسام فالعابدون يسارعون باقدامهم في الطاعات والعارفون يسارعون
بهممهم في القربات والتائبون يسارعون بندمهم بتجرع الحسرات فمن سارع بقدمه وجد مثوبته ومن سارع بهمه وجد قربته
ومن سارع بندمه وجد رحمته وقوله تعالى **وجنة** عطف على مغفرة لان الاولى لازالة العقاب والثانية لانالة الثواب
فتغايرتا فصح العطف وقوله تعالى **عرضها السموات والارض** اي وسارعوا الى جنة اي الى عمل يوصلكم الى جنة عرضها
كعرض السماء والارض كما قال في اية اخرى عرضها كعرض السماء والارض وهذا مضمر فيه كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة اي كخلق نفس واحدة وبعثها وجاز ذلك لدلالة الكلام عليه قال ابن عباس والحسن ان السموات والارض اذا ضم

بعضها الى بعض بعض الجنة مثلها واما الطول فاكبر من ذلك لان طول كل شي يزيد على عرضه وهو كقوله تعالى بطائنها من
استبرق يدل على ان ظهارتها انفس وارفع واحسن منها وقيل اراد بالعرض المعارضة والمقابلة اي لو قوبلت الجنة بالسموات
والارض كانت كذلك وما روي ان الجنة في السماء او في السماء الرابعة فمعناه انها من جهتها لا انها في بعضها كما يقال في الدار
بستان وان كان يزيد عليها ويراد به انه من جهتها ويشرع بابه اليها وان كان باضعافها وقيل العرض هو السعة قال الشاعر
• كان بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل • اي واسعة وقيل هذا التقدير لواحد من اهل الجنة
ولكل واحد كذلك وقال عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من يعطى مثل الدنيا وعشرة امثالها وقال سهل بن عبد الله
التستري معناه كان السموات والارضين عريضة عندكم في راي العين فالجنة عند اهلها كذلك لانها بقدر السموات والارض
وكيف لكل واحد وكيف لواحد منهم مثل الدنيا عشر مرات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو الصقت السموات والارضين بعضها
ببعض والارض كذلك لكانت الجنة الواحدة كذلك ونصيب احدهم مسيرة الف سنة يرى نصابها كما يرى ادناها ما وصل
الجن والانس منذ خلقوا الى ان تقوم الساعة لاطعمهم وسقاهم ولكساهم ولا ينتقص مما عنده جناح بعوضة وقيل اي عند
الناس اوسع من السموات والارض وذكر الله ذلك فاما سعة الجنان فلا يعلمها الا الله وهو كقوله اولم ليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لانها اعظم المخلوقات واقواها مدة عندهم وكقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا لانها اغلظها واكثفها جرما عندهم وهذا كله لا يقاع الشي في فهمهم وقوله تعالى
اعدت للمتقين قيل اي الذين اتقوا الشرك للذين امنوا بالله ورسله وقيل للذين اتقوا المعاصي وكلاهما صحيحان فالذين
اتقوا المعاصي كلها هي لهم بغير عقوبة والذين اتقوا الشرك ووقعوا في المعاصي فخاتمة امرهم الرجوع اليها وقيل اعدت المتقين
ثم قد يدخلها بفضل الله وبعفوه غير المتقين كما يقال اعدت هذه المائدة للامير ثم قد ياكلها اتباعه ودلت الاية
ان الجنة والنار مخلوقتان كما مر في اول سورة البقرة ثم ذكر بعض صفات هولاء المتقين وذلك قوله جل جلاله الذين
ينفقون في السراء والضراء قال الكلبي الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله في الرخاء والعسر وفي الشدة والعسرة وقال
الضحاك اي في الغنى والفقر وقال السدي اي في السرور والحزن وقيل في الرخص والغلاء وقيل في الكثرة والقلة وقيل في
العز والذلة وفي الوجوه وقيل في العرس والماتم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ اي المتجرعين وقد كظم البعير جرته
اذا ردها الى حلقه وكظم راس القربة سدها على ملئها والكظم والمكظوم الممتلي حزنا الممسك عليه والكظامة القناة
الممتلئة ماء وكذا السقاية واخذ بكظمه اي بمجرى نفسه وكظم خصمه اجابه بالمسكت فالجمه وكظم الغيظ تجرعه
على القدرة على امضائه والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وقد تغيظت الهاجرة اذا اشتد حرها قال الاخطل
• لدن غدوة حتى اذا ما تغيظت • هواجر من شعبان حام اصيلها • وقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ اي من شدة الحر
وقوله سمعوا لها تغيظا اي غليانا وقال الامام القشيري رحمه الله اقوام يكظمون الغيظ علما تحققا بان الله يعلم ما يقاسون
ذلك بسبب جرمهم ويشهد ذلك بعين التسليط واخرون يكظمون الغيظ تهون عليهم التحمل واخرون كلوا عن احكام البشرية
توجد واساتي الراحات في الذل لان نفوسهم ساقطة فانية واخرون ما شهدوا ذرة من الاغيار من الاشياء فعلموا ان المنشئ
هو الله فزالت خصومتهم ونسا زعاتهم مع غير الله فما نقاد والحكمة فاكرمهم ببرد الرضا وقوله تعالى والعافين عن الناس
اي المتجاوزين عن الجانين وقيل المسقطين عن الغرماء المعسرين وقال ابو العالية اي عن المملوكين وقوله تعالى والله
يحب المحسنين اي هولاء محسنون والله يحب المحسنين وقال عليه الصلوة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وقال الضحاك في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان يداوي جرحاهم ويداوي مرضاهم ويجهز موتاهم وقال
الحسن ان يعم ولا يخص كالريح والشمس والمطر وقال الثوري هو ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة
كنقد السوق خذ مني وهات وقال الفضيل بن عياض الاحسان بعد الاحسان مكافاة والاساءة بعد الاساءة مجازاة والاحسان
بعد الاساءة كرم وجود والاساءة بعد الاحسان لوم وشوم وقيل الاحسان شرط زايد على هذه الصفات وحكي ان خادما كان
قائما على راس الحسن بن علي ووضوع اصحابه على المائدة فانحرف قصعة كانت في يد الخادم فسقط منه شي على الحسن فنظر
اليه مغضبا فادبا له وتخفيفا لا تغيظا وتجبرا فقرأ الخادم والكاظمين الغيظ فنكس راسه فقال والعافين عن الناس
فتبسم الحسن وقال قد عفوت عنك فقال والله يحب المحسنين فقال انت حر لوجه الله وقد زوجتك فلانة فتاتي
وعلي ما يصلحكما وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقيل هو استيناف والفاحشة ما بلغ الغاية في القبح المتناهي
ويقال للطويل المفرط انه لفاحش الطول قال الكلبي والذين اذا فعلوا فاحشة الزنا او ظلموا انفسهم ما دون الزنا من قبلة
او لمسة او نظرة فيما لا يحل وقيل الفاحشة الكبيرة والظلم ما دون ذلك والظلم يشملهما وقيل والذين اذا فعلوا فاحشة
هي بالافعال وقوله تعالى او ظلموا انفسهم هو بالاذكار من الذنوب وقيل الفاحشة القبيحة يفعلها العبد غير عامد وظلم
النفس ان يتعمدها وقال ابراهيم النخعي الفاحشة والظلم واحد وعلى هذا او بمعنى الواو اي فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم
كما في قوله تعالى الا ان تكون ميتة او دما وقال الامام القشيري رحمه الله فعلوا فاحشة بركونهم الى افعالهم او ظلموا انفسهم
بملاحظة احوالهم وقيل فاحشة كل احد وظلمه على حسب حاله ومقامه ولهذا قيل الجرم على البساط كالذنب على الباب وحظور
المخالفات بالبال كالمخالفات في الاعمال ولهذا قالوا في الجملة حسنات الابرار سيئات المقربين وكفعلها من الاصاغر قال قائلهم • انت عيني وليس من حق عيني • غمض اجفانها على الاقذاء •

دونه

وقوله تعالى ذكروا الله قيل ذكروا امر الله بالتقوى وقيل ذكروا نهي الله عن المعصية وقيل ذكروا امر الله بالتوبة والاستغفار
ووعيد الله على الثبات والاصرار وقيل ذكروا اي دعوا الله وذكروه بالثناء عليه فالاول بالقلب كما في قوله تذكروا فاذا
هم مبصرون والثاني باللسان ثناء ودعاء وقال مقاتل الذكر ههنا ذكر القلب وهو خوف العبد من قيامه بين يدي الله تعالى
يوم الحساب وقوله تعالى فاستغفروا لذنوبهم اي سالوا الله ان يغفر ذنوبهم واللام لذنوبهم بمعنى لاجل ذنوبهم فاما الصلة
لهذا الفعل فانه يقال غفر الله لفلان ذنبه فتوصل اللام بالمذنب لا بالذنب لان المغفرة هي الستر وهو يتعدى واللام
في المذنب على انه فعل ذلك له وقوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي وهو تعجيب من ترك المؤمنين
الاستغفار مع علمهم انه لا يغفر الذنوب الا الله ولا يومن العقاب عليها الا بمغفرة الله وقوله تعالى ولم يصروا عطف
على قوله تعالى فاستغفروا واعترض بينهما كلام تام وهو من محاسن الكلام والاصرار الثبات والدوام وقوله تعالى على
ما فعلوا اي من الفاحشة والظلم وقوله تعالى وهم يعلمون قال الحسن بن واقد قال عبد الله بن عمر اي وهم يعلمون
انه لا يغفر ذنوبهم الا الله وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنوب قال النبي صلى الله عليه وسلم من اذنب
ذنبا وعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بها غفر له وان لم يستغفر وقيل وهم يعلمون ان الرجوع خير من الاصرار وقيل
وهم يعلمون انه معصية وقوله تعالى اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار واولئك
اشارة الى الذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم استغفروا والله تعالى على صدق التوبة فقد سوى بين المذنبين التائبين
وبين المتقين المحسنين في هذه الاية فقد قال في حق اولئك وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقال في حق هولاء اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات وهذا فضل من الله حيث جعل للعبد المتخلف ان يتدارك حاله ويلحق بالسابقين نفسه
وقوله تعالى خالدين فيها ونعم اجر العاملين اي ما اتاهم الله تعالى به من نعيم الجنان هو في غاية الفضل والشرف والحسن
فانه لا ينتقص ولا ينتقض ولا يحول ولا يزول وقيل نعم ما جازاهم الله تعالى على التوبة فليس احد اذنب الى الخلق ثم ندم يجزيه مثله
وقال الحسن نعم اجر العاملين واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي من غير عمل يا موسى كيف اجود برحمتي
على من يبخل بطاعتي وقال الامام القشيري رحمه الله اوحى الله الى موسى قل للظلمة حتى لا يذكروني فاني اوجبت ان اذكر من
ذكرني وذكري الظلمة باللعنة قال الله تعالى للظلمة هذه الاية او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم اي بالتبري من حركاتهم
وسكناتهم علما منهم انه لا وسيلة اليه الا به فخلصهم من ظلمات نفوسهم فان روية الافعال ظلمات عند ظهور الحقائق
ومن اظهره الله بنور العناية صانه عن التورط في مغاليط البشرية ورده الى شهود الربوبية بما سبق له من الحسنى في
سابق القسمة وقال الكلبي في نزول هذه الاية ان رجلين احدهما انصاري والاخر ثقفي اخا رسول الله بينهما فخرج الثقفي في غزاة
واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم اللحم فلما ارادت المراة ان تاخذ منه اللحم دخل على اثرها فدخلت المراة بيتا فتبعها
فاتقته بيدها فقبل يدها ثم ندم ووضع التراب على راسه وخرج وهام على وجهه وفي رواية قبل ذات يوم وهي تغتسل
فاشرع شعرها فوقع في نفسه ودخل الدار من غير استيذان فانتهى اليها وهم ان يمسها فوضعت كفها على وجهها فقبل كفها
فاستحى وندم وقالت سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تقض حاجتك فخرج هائما في الجبال وقفل رسول الله
من الغزو وجعل الرجل يلقاه ابوه وعمه وابن عمه ولم ير الثقفي اخاه فاجزعه ذلك فلما انتهى الى اهله قال اخبروني
ما فعل اخي فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله واخبرته بخبره فمضى الى الانصاري على راحلته ولم ينزل وخرج يطلبه في
الجبال حتى دخل عليه فوجده ساجدا يبكي ويقول ذنبي ذنبي قد خنت اخي وظلمت نفسي فقال الثقفي للانصاري قم
يا اخي وارجع الى المدينة فلعل الله يجعل لك مخرجا فقدم المدينة ودخل على ابي بكر الصديق رضي الله عنه وساله عن
صنيعه فقال لعلها امراة غاز قال نعم قال اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي في سبيله ما لا يغار للجالس بقية لا توبة
لك فخرج من عنده ودخل على عمر رضي الله عنه فساله عن مثل ذلك فرد عليه مثل ما رد عليه فخرج وهو يقول يا ويلاه يا ويلاه
لم اجد عند احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجا واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الباب ثم هتف
برسول الله المذنب فقال عليه السلام لسلمان وهو عنده اخرج فانظر من هو فخرج سلمان فسال عن ذنبه فاخبره بذلك وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ايذن له فدخل فسال مثل ما سال اصحابه ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رد اصحابه
فخرج وهو يقول يا ويلاه لم اجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجا فخرج يصيح فجعل لا يمر على حجر ولا سهل الا تجرد
وتمرغ عليه حتى اذا كان ذات يوم عند العصر نزل عليه جبريل بتوبته وعلمه هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقراها عليه فحمد الله تعالى وقال عطاء نزلت في ابي مقبل بن نبهان التمار اتته امراة جميلة تبتاع منه التمر فضرب بعجزها فقالت
والله ما حفظت غيبة اخيك ولا نلت حاجتك فسقط في يده ثم اتى ابا بكر كما حكي في الاولى الى ان اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له او ما علمت ان الله تعالى يغضب للغزاة كما يغضب للمرسلين فقام ثلاثة ايام مرضا ثم نزلت الاية في اليوم الرابع وقيل
هي في الطائفتين اذ همتا ان تفشلا فامرتا بالاستغفار وقيل هي في الرماة الذين تركوا المركز وفي المنهزمين يوم احد
قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم الاية وقوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن اي اهل سنن اي طرائق في الشر فانظروا كيف
كان عاقبتهم والسنة الطريقة وقد سن سنة اي وضع طريقة تسلك قال لبيد • من معشر سنت لهم اباؤهم • ولكل
قوم سنة وامامها • وقيل هي على ظاهرها وسنن الله معاملات الله فيهم فلا يه في شان اهل احد ومعناها قد مضت سنن

في المومنين والكافرين ان الكفار وان نالوا من المومنين بعض النيل امتحانا للمومنين فان العاقبة للمومنين قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين وقوله تعالى فسيروا في الارض اي في بلاد ثمود ولوط وشعيب وغيرهم وقوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من رسلي واوليائي كان من الكفار ايذاؤهم والاضرار بهم ثم هلكوا وبقي الاولياء وقال مجاهد قد خلت من قبلكم سنن من كفار ومسلمين ومؤمنين وخير وشر وقيل معناه قد خلت من قبلكم سنن بالغلبة للاولياء تارة وللاعداء تارة ولو كان الظفر كل مرة للمومنين لكان الايمان ضروريا وقيل تنبيه لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم وحث لهم على طاعة الرسول وزجر عن مخالفته اعتبارا بمن مضى من الرسل الماضين ومن كذبهم وقال جعفر بن محمد فسيروا في الارض اي تفكروا في القران يخبركم عما كان فيصير كانكم سرتم واطلعتم قال محمد بن اسحق اي هذا الذي ذكرت لكم من سنتي في الماضين بيان لكم وللكفار لما يؤول اليه عاقبة اموركم وهدى لكم الى النبا على الحق وهدى الكفار الى قبول الحق وموعظة لكم في ازالة الضعف عن قلوبكم بما نالكم من المشركين وخص المتقين بهما لاختصاصهم بالانتفاع بهما فالبيان للعامة والاهتداء والاتعاظ للمتقين خاصة ودل هذا على ان البيان غير الهدى وقال قتادة والحسن هذا بيان اشارة الى القران وقال الشعبي بيان من العمى وهدى من الضلالة وموعظة من الجهل وقال الامام القشيري رحمه الله بيان لقوم من حيث دلالة العقول ولاخرين من حيث مكاشفات القلوب ولاخرين من حيث تجلي الحق في الاسرار والغيوب وقوله تعالى ولا تهنوا الوهن الضعف والايهان والتوهين الاضعاف قال تعالى حملته امه وهنا على وهن وقال تعالى موهن كيد الكافرين قرئ بالتخفيف والتشديد يقول لا تضعفوا عن قتال هؤلاء بعد ان نبيتكم على ما حل باسنا لهم من المكذبين وقوله تعالى ولا تحزنوا اي لا تهتموا لما اصابكم من الجراح والنقص في المال والمصيبة في الاخوان فذلك كله تمحيص ودرجات وقوله تعالى وانتم الاعلون اي الارفعون درجة بالاسلام فلا ينبغي للاعلى ان يضعف في مقابلة الادنى وقيل اي انتم الاعلون بالحجة والمحقون في هذه المقالة وقيل اي لكم الظفر واليد في العاقبة وهذا وعد لهم بالنصر وقيل وانتم الاعلون عليهم بما ذكروا لما اصابتكم مصيبة اي اليوم قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر وقيل هذا متعلق بالشرط الذي بعده وهو قوله تعالى ان كنتم مؤمنين اي دمتم على ايمانكم فلكم العلو عليهم بالظفر ونحو ذلك وقيل انتم الاعلون في الجنة اذا استشهدتم وقيل هو على الشرط ومعناه ان كنتم مصدقين بالله فقد اتى يدعوكم الى ان لا تهنوا ولا تحزنوا في قتال عدوكم وقال بعضهم اي انتم المنصورون وقيل اي الاعلون في الدنيا والاخرة وقال الامام القشيري رحمه الله ولا تهنوا ولا تحزنوا فان النصر من عند الله والغالب هو الله ولا شي مما سوى الله ومن سوى الله وعاد الكلام في هذه الايات الى قصة احد التي بقوله تعالى واذ غدوت من اهلك واعترض بينهما كلام اخر من وجه آخر في الظاهر ويكون الوصل بينهما في هذه القصة من الوجه الذي اشرنا اليه فيصير كله على نسق واحد وقصته ما قال ابن عباس رضي الله عنهما انه لما اصيب اصحاب بدر وكانت وقعة بدر في رمضان سنة سبع عشرة ووقعة احد في شوال سنة ثماني عشرة ورجع ابو سفيان بعيرهم الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي وعكرمة بن ابي جهل في رجال ممن اصيب اباؤهم واخوانهم فكلموا ابا سفيان فقال كل من كان له في تلك العير يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل اخياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك بعض ما اصاب منا ففعلوا قال الواقدي وكانت العير الف بعير وكان المال خمسين الف دينار وكانوا يربحون في تجاراتهم للدينار دينارا وخرج كعب بن الاشرف حتى قدم مكة فوضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة السهمي وبكى على قتلى قريش من اصحاب القليب فاجمعت قريش على المسير الى احد وكان ابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اسيرا فقال اني ذو بنات فامنن علي فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان بن امية يوم احد انك شاعر فاعنا بلسانك واخرج معنا فقال ان محمدا قد من علي واني لا اريد ان اظاهر عليه احدا فقال له صفوان اعنا بلسانك فان لك علينا ان رجعنا ان اغنيك وان اصبت ان اجعل بناتك مع بناتي فخرج معهم يدعو الناس ويقول الشعر ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشيا فقال له ان قتلت حمزة عم محمد فانت حر فخرجت قريش بالظعن وكان ابو سفيان يومئذ قائد قريش فخرجوا وهم ثلاثة الاف رجل فيهم مائة رجل من ثقيف ومعهم سلاح كثير وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة الاف بعير وخرج ابو سفيان بهند بنت عتبة وخرج عكرمة ببرزة بنت ... وخرج صفوان بن امية ببرزة بنت مسعود وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه وخرج طلحة بن ابي طلحة بسلافة بنت سعد وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وكانت هند كلما مرت بوحشي او مر بها قالت ايها ابا دسمة اشف واشتف فخرجوا حتى نزلوا ببطن السبخة على شفير الوادي مما يلي المدينة فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم قال رايت في المنام كاني في درع حصينة فاولتها المدينة وكره الخروج اليهم فقال عبد الله بن ابي لا تخرج اليهم يا رسول الله فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قط الا اصاب منا ولا دخل علينا الا اصبناه فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا الينا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين فقال رجال من المسلمين ممن اراد الله تعالى ان يكرمهم بالشهادة اخرج بنا اليهم لا يرون انا جبنا عنهم فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وتعمم وتقلد السيف والقى الترس في ظهره واخذ القناة بيده وخرج اليهم مع الناس في الف رجل فيهم مائة دارع حتى اذا كانوا بالشوط رجع ابن ابي بثلث الناس وقال اطاعهم وعصاني والله ما ندري بما نقتل انفسنا فانصرف وتبعه عمرو بن حرام فانزل الله تعالى قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم

نفسي رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر يوم الجمعة فسلك الحرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك فاني ارى السيوف ستسل اليوم وكان عليه السلام يحب الفال فقال من يخرج بنا من كثب في طريق الحرة لا يمر بنا عليهم فقال ابو خيثمة اخو بني حارثة انا يا رسول الله فخرج بهم حتى سلك مال المربع وكان منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه قام يحثو التراب في وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فلا ارضى ان تدخل حائطي فضربه سعد بن زيد بالقوس فشجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا الاعمى القلب فخرج حتى نزل بالشعب من احد في سبعمائة رجل فامر عبد الله بن جبير احد بني عمرو بن عوف على الرماة وهم خمسون رجلا فقال انضح عنا الخيل بالنبل لا ياتونا من خلفنا ان كانت علينا او لنا فاثبت مكانك وظاهر بين درعين وجعل ظهره الى احد وقال لا تقاتلوا حتى امركم بالقتال وسرحت قريش الظهر والكراع وتهيا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وقال من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني فاخذه ابو دجانة وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما اخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع وكان مع قريش مائتا فرس وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل وعلى الخيل صفوان بن امية وقال ابو سفيان يا بني عبد الدار انما يؤتى الناس من قبل راياتهم فاما ان تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا وبينه حتى نكفيكموه فقالوا ستعلم اذا التقينا ما نصنع وكانت هند بنت عتبة في صواحباتها اخذن الدفوف حين حميت الحرب يضربن بها ويقلن نحن بنات طارق نمشي على النمارق ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق او تدبروا نفارق فراق غير وامق وكان ابو عامر عبد عمرو بن صيفي اول من لقيهم بالاحابيش وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا شديدا حتى حميت الحرب وقاتل ابو دجانة وقتل علي بن ابي طلحة وهو كبش الكتيبة وهو يحمل لواء قريش واخذ اللواء من بعده عثمان بن ابي طلحة فقتله حمزة ثم اخذه ابو سعيد بن ابي طلحة فرماه سعد بن ابي وقاص بسهم فمات ثم واخذ اللواء بعده مسافع بن طلحة فقتل وقتل الحكم بن الاخنس وعبد الله بن حميد وابو امية بن حذيفة ورمى عاصم بن ثابت ابن الافلح الانصاري مسافع بن طلحة فقال خذها وانا ابن الافلح وكذلك فعل باخيه الحارث بن طلحة فاتتهما امهما سلافة فقالت من رماك يا بني قال سمعت رجلا رماني وهو يقول خذها وانا ابن الافلح فنذرت لئن امكنها الله من راس عاصم ان تشرب في قحف راسه خمرا وجعلت لمن جاء به مائة من الابل واخذ ابو عزة الشاعر فاتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه وقال لا تمسح خديك بمكة بين الصفا والمروة وتقول خدعت محمدا مرتين وانزل الله نصره قال الزبير بن العوام فرايت هندا وصواحباتها هاربات فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا اقبلوا يريدون النهب والغنائم وخلوا ظهور المسلمين لخيل المشركين فاتاهم خيل المشركين من خلفهم فصرخ صارخ ويقال كان ذلك ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وكان لواء المشركين يومئذ مع عبد لبني عبد الدار يقال له صؤاب الحبشي فقطعت يده فاخذ اللواء بصدره وعنقه فقتل وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم احد مع مصعب بن عمير احد بني عبد الدار فقتل يوم احد واخذ اللواء بعده علي بن ابي طالب وكانت الراية تسمى العقاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقعد تحتها فانكشف المسلمون واصابهم القوم وكان المسلمون اثلاثا ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقال قتادة قتل من الصحابة سبعون ستة وستون من الانصار واربعة من المهاجرين وقال الواقدي وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة وابو عبيدة والزبير وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم ابن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن الحضير وسعد بن معاذ ويقال سعد بن عبادة كلهم يقولون نفسي نفسي دون نفسك وذب مصعب بن عمير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله عبد الله بن قمئة الليثي ثم رجع وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني قتلت محمدا ارى ان مصعبا يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خلصوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقذفوه بالحجارة حتى وقع لشقه واصيب رباعيته وكلمت شفته واصيبت وجنته فقال من يشتري لنا نفسه فقال زياد بن السكن انا وترس ابو دجانة نفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع النبل في ظهره وخرج حمزة وسباع بن عبد العزى وكان يكنى ابا نيار فضربه حمزة وقتله قال وحشي وانا انظر اليه فهززت حربتي ورميته بها فوقعت في ثنته فخرجت من بين رجليه فوقع ووقعت هند والنسوة يمثلن بالقتلى وابو سفيان حين اراد الانصراف فصرخ باعلى صوته اعل هبل فوق ذروة الجبل يوم بيوم احد ببدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر اجبه فقال الله اعلى واجل لا سواء قتلانا في الجنة يتنعمون وقتلاكم في النار يعذبون فقال له ابو سفيان هلم الي يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فقام عمر اليه فقال ابو سفيان انشدك يا عمر هل قتلنا محمدا قال لا وانه ليسمع كلامك قال انت عندي والله اصدق من ابن قمئة زعم انه قتله وقال ابو سفيان انه كان في قتلاكم مثل والله ما رضيتها ولا امرت بها وفي رواية لم آمر بها ولم يسرني وقد كان مر عليه الحليس بن علقمة وهو يضرب شدق حمزة بزج الرمح ويقول ذق عقق فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال ابو سفيان اكتمها علي وكان اول المسلمين عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه تحت المغفر تزهران فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشاروا الي ان اسكت ثم اقبل انس بن النضر عم انس بن مالك

الى عمر وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين قد القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل محمد قال فما تصنعون
بالحياة بعده موتوا كراما على ما مات عليه ثم نهض معهم نحو الشعب ومعه ابو بكر وعمر وطلحة والزبير والحارث بن الصمة فى رهط
من المسلمين ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابى وقاص ارم فداك ابى وامى فرمى حتى اندقت سية قوسه
عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت كاحسن ما كانت فلما انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن خلف وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل
منا فقال دعوه حتى اذا دنى منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه فى
عنقه وخدشه خدشة فتدهدى عن فرسه ورجع الى مكة فمات بموضع يقال له سرف وكان ذلك يلقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول عندى رمكة اعلفها كل يوم درة اقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك
ان شاء الله وكان لما رجع يقول قتلنى محمد فقال له قريش وبرا الطعنة فى عنقه ما بك من باس فيقول بلى قال لى انا اقتلك
ولو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى فمات قبل ان يصل الى مكة وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب
وجاءت فاطمة ومعها قربة من ماء فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت تغسل الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتنظر الى شانه الرسول انى تحذنة وتقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم الى الله وقال
اشتد غضب الله على من ادمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس بن مالك رضى الله عنه وكان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشغولا بعلى وحمزة فاتى بعلى رضى الله عنه وعليه نيف وستون جراحة من ضربة وطعنة ورمية فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمسحها وهى تلتئم باذن الله كان لم تكن وجئ بحمزة رضى الله عنه مقتولا فى كساء مبقورا بطنه مجدوعا انفه
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وقال للشهداء زملوهم بدمائهم وكلومهم وقدموا اكثرهم قرانا وصلى على حمزة سبعين
صلوة وقال اما ان حمزة لا بواكى له فبكى نساء المدينة اولا على حمزة ثم على القتلى وصار ذلك عادة لهم الى هذا اليوم قال
انس فلم نجد لحمزة كفنا فدفناه فى الاذخر فكلما غطينا راسه انكشف رجلاه وكلما غطينا رجليه انكشف راسه وهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين ادموا وجهه فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقوله تعالى ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله قرا اهل الكوفة غير حفص بضمها والباقون بفتحها قال الاخفش هما لغتان كالجهد والجهد والكره
والكره والضعف والضعف وقال الكسائى جماعة القرح بالفتح الجرح وبالضم الم الجرح وقال ابو عبيد بالفتح المصدر
وبالضم الاسم وقال يعقوب الحضرمى بالفتح ما كان بسلاح وبالضم ما كان بغير سلاح ومعناه ان يصبكم قرح والم وقتل
فى اخر حرب احد فقد اصاب الكفار مثل ذلك فى اول هذا الحرب فقد بينا انه قتل وجرح منهم خلق كثير وقيل معناه فقد
اصاب القوم مثله فى حرب بدر ونظيره قوله تعالى ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اى نصرفها والمداولة نقل الشئ من واحد الى اخر
وقالوا تداولته الايدى اى تناقلته ومنه قوله تعالى كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم اى يتناقلونها بينهم لا يجعلون للفقراء
منها نصيبا واختلف فى معناه قيل هى تشديد المحنة على هؤلاء مرة وتسهيلها على اولئك وعلى عكسه وتكليف المؤمنين الصبر
على ما ينالهم لتعظم اجورهم وخذل الكفار بالتخلية بينهم وبين المؤمنين والحكمة فى ذلك انه لو اظفر المؤمنين ابدا ولم ينلهم
كرب ولا نكبة فى حرب وكان الكفار مقموعين ابدا لسقط الاختبار ولامنوا بالاضطرار ولبطل الثواب والعقاب وزال التكليف
والعقاب وليس معنى المداولة المناوبة بين الفريقين فى النصرة فينصر هؤلاء مرة وهؤلاء مرة كما توهم بعضهم الا ترى ان الله تعالى
قال ليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين ولو كان معنى المداولة ما توهموا لكان يمحص هؤلاء مرة وهؤلاء مرة ويمحق هؤلاء مرة وهؤلاء
ما اخبر الله تعالى به بل هو على ما بيناه وقيل معنى المداولة انه يديل المؤمنين اذا اطاعوه على الكافرين بقذف الرعب فى قلوبهم
ويديل الكفار على المؤمنين برفع هذا الرعب من قلوبهم اذا عصاه المؤمنون فاخبر انه ينتقم من الفريقين اذا عصوه فيران
انتقامه من اوليائه تاديب لهم لئلا يعودوا الى مخالفة امره وانتقامه من الكفار سخط وعذاب بما اشركوا به وقيل المداولة
بما فى الدنيا من السلامة والعافية والرخاء والسرور وضد ذلك واحوال الدنيا لا تثبت على الدوام ويستوى فى ذلك الاولياء والاعداء
والحكمة فيه ازعاج الناس الى الطاعة وتعريفهم حقارة الدنيا لتقل رغباتهم فيها وتنحسم بها ويرغبوا فى الاخرة الباقية الدائمة
وقال الامام ابو منصور رحمه الله وتلك الايام نداولها بين الناس يوما للمؤمنين ويوما عليهم وذلك للامتحان وقال تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال فان طعن طاعن من الملحدين وقال يقول الله تعالى ان تنصروا الله
ينصركم وقال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم فاذا نصرتم دينه فلم ينصركم وقد اخلف وان نصركم وغلبكم عدوكم مع نصره
كذب فيجاب من وجوه احدها ان قوله ان تنصروا الله ينصركم بالحجج فى العقبى وقال تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا فى الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقيل ان تنصروا دين الله ولم تنصروا الله فيه
ينصركم وقيل معناه ان تنصروا دين الله جملة ينصركم قال عليه السلام لن يغلب اثنا عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة وقيل معناه
ان تنصروا دين الله فى الدنيا ينصركم اى يجعل النصر والظفر فى العاقبة لكم وكان كذلك قال ودل فى قوله تعالى وتلك الايام نداولها
بين الناس ابطال القول بالاصلح لان الغلبة لو كانت للمسلمين كان ذلك الزم للحجة واظهر للدعوة وادعى الى الاجابة فتركها كل
صلاح ومع ذلك لم يفعل وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا اى ليعلم ذلك موجودا حال وجوده كما علم قبل وجوده انه يوجد

وقد شرحنا ذلك فى قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول وقال الامام ابو منصور رحمه الله ما وصف الله تعالى به اذا ذكر الخلق
ذكر وقت كون الخلق لئلا يتوهم قدمه واذا وصف به الله تعالى بلا ذكر الخلق وصفه به فى الازل نحو قوله المريد سميع بصير
خالق رازق فى الازل وقال بعض اهل اللغة قيل معناه وليكون الذين امنوا كما علمهم الله فى الازل وقيل ليظهر اخلاص المؤمنين
فى ايمانهم بصبرهم على ما ينالهم من المشركين وثباتهم على دينهم وهو كقوله جل جلاله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين وقيل معناه وليعلم اولياء الله الذين امنوا جعل علم اوليائه علمه تشريفا لهم ثم معنى الواو فى قوله تعالى
وليعلم ان فيه اضمارا تقديره نداولها بين الناس ليتميز الخبيث من الطيب ونحو ذلك وليعلم الله الذين امنوا والاضمار
يدل وتقديره وليعلم الله الذين امنوا نداولها بين الناس وقوله تعالى ويتخذ منكم شهداء اى نداولها ليعلم ويجعل
بعضكم شهداء فى سبيله فيرفع درجاتهم فى الاخرة بالشهادة وقيل اى يجعلهم شهداء فى الاخرة للانبياء على الامم قال الامام
الزاهد ابو منصور رحمه الله تعالى وفيه دلالة على انهم لا يستوجبون بنفس الايمان الشهادة حتى يظهروا العداوة من انفسهم
وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اى الكفار والمنافقين مع انه يديلهم وقيل اى لا يحب المنافقين فلا يدعهم مختلطين
بالمؤمنين بل يمتحن بهذه الاحوال ليتميزوا وكان كذلك فقد كان فى المدينة منافقون ومنهم من يعبد الله على حرف فان اصابه
خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ولما ظهر هذا قال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وثبت
المخلصون فلم يهنوا ولم يرجعوا وروى ان امراة كانت تحمل قتيلين زوجها واخاها وابنها وعمها على بعير فقيل لها ما الخبر
قالت خير رسول الله سالم واتخذ الله من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ثم ساقت بعيرها
وفيها نزلت هذه الاية وقوله تعالى وليمحص الله الذين امنوا اى نداولها بين الناس ليفعل كذا وليخلص المؤمنين بالشهادة
وقد محصت الشئ محصا اى خلصته من العيب ومحصته تمحيصا التكثير والتكرير وقال الازهرى محصت العقب من اللحم اى نقيته
منه لا تتله ونزار ومحصت الذهب بالنار خلصته وقوله تعالى ويمحق الكافرين المحق افناء الشئ حالا بعد حال وهو كمحاق الهلال
قال الكلبى وليمحص الله المؤمنين بما يبتليهم فيأجرهم ويمحو ذنوبهم ويمحق الكافرين اى يستأصلهم ولا يأجرهم فيه ولكنهم
ويطهر ذنوبهم وقال يمان يمحقهم اى يديلهم استدراجا لهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة وذكر تفسيره فى سورة البقرة ان ام يقتضى اضمارا استفهام قبله ثم عطف بام عليه تقديره اظننتم ان
يكون كذا ام ظننتم ان تدخلوا الجنة مع انكم لم تجاهدوا فى سبيله ولم تصبروا على بلائه وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم اى لم يعلم قيل ما زيدت على لم وقيل هما بمعنى وقيل لما يجوز ان يوقف عليها تقول جاء زيد فيقول الرجل لما
اى لم يجئ ولا يجوز ذلك فى لم وقيل لما جواب قد فعل اى الاول للتاكيد يقول كيف تنالون الجنة ولم يكن منكم جهاد فى سبيله وعلم
انه لا يكون منكم جهاد فى سبيله ولو كان منكم جهاد لعلمه لانه عالم بكل شئ وقد بينا ان الله يعلم الشئ موجودا حال وجوده
ويعلمه قبل وجوده وانه يوجد حال وجوده فيما يوجد ويعلم ما لا يوجد انه لا يوجد وقوله تعالى ويعلم الصابرين
هو نصب على الصرف كما فى قول الشاعر • لا تنه عن خلق وتاتى مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم • ومعنى الصرف
انه مصروف عن معنى مطلق العطف فانه ليس معناه النهى عن اتيان مثله قصدا كالنهى عن خلق بل معناه النهى عن الجمع
بينهما وكذا معنى الصرف فى هذه الاية ليس هو مطلق نفى علم الصابرين كنفى علم المجاهدين بل معناه نفى اجتماعهما وهو كقولهم
لا تاكل السمك وتشرب اللبن اى لا تجمع بينهما وليس هو نهيا عن كل واحد منهما منفردا وقرا الحسن ويحيى بن يعمر ويعلم
الصابرين بالكسر وهو على العطف وهو مجزوم كالاول وقرا ابراهيم النخعى ويحيى بن وثاب ويعلم الصابرين بالرفع على الاستئناف
اى وهو يعلم الصابرين وقوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قيل ان قوما غابوا عن قتال بدر
وعلموا ما لاهل بدر من الفضل بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم فتمنوا قتالا اخر ليشهدوه فلما كان قتال احد قصر بعضهم فنزل فى حقهم هذا وقوله تعالى تمنون الموت
اى لقاء العدو لانه من اسباب الموت فاطلق عليه اسمه كما فى قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية
ويقال رايت الموت فى اطراف الاسنة وقوله تعالى فقد رايتموه اى رايتم لقاء العدو وقوله تعالى وانتم تنظرون
تاكيد لقوله رايتموه كما يقال رايته عيانا ورايته بعينى وسمعته باذنى وفائدته نفى وهم رؤية القلب وعلم العلم وقيل معناه
وانتم تتاملون الحال فى ذلك كيف هى لان النظر تقليب البصر نحو المبصر اى كانت رؤية تثبت وتامل لا رؤية تلمح وتخيل
وقيل معناه رايتم الموت وانتم تقربون منه لا تبعدون من موضعه كما يقال دورنا تتناظر اى تتقارب قاله ابو الليث
وقال الكلبى لما اخبرهم الله تعالى بما فعل بشهداء بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك وقالوا اللهم ارنا قتالا لعلنا
نستشهد فنلحق باخواننا فى الجنة فاراهم الله تعالى ذلك يوم احد فلم يثبتوا فقد قال تعالى فقد رايتموه وانتم تنظرون
الى السيف فيها الموت وقال انس بن مالك رضى الله عنه ان عمى انس بن النضر غاب عن قتال اهل بدر فقال غبت عن اول
قتال قاتله النبى عليه السلام ولئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون
فقال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وابرا اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين
ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال يا سعد ها ها انها الريح الجنة والله انى لاجدها دون احد فمضى حتى استشهد
قال انس فما عرفناه الا ببنانه فوجدنا فيه بضعا وثمانين من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وكنا نقول

فيه وفي أصحابه أنزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه وقال مجاهد قال ابن أبي وأصحابه من المنافقين
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فقال الله تعالى فقد رأيتموه وأنتم تنظرون يوم أحد فدل هذا نزلت الآية في المنافقين وقال الإمام
أبو منصور رحمه الله يحتمل قوله جل جلاله تمنون الموت على الإسلام ويحتمل أنهم تمنوا الموت لا ليتخلصوا عن تعذيب الكفار إياهم
وخافوا أنها على دينهم فاحتجوا أن يموتوا ليتخلصوا وقوله تعالى وأنتم تنظرون إلى من يموتون بالقتل فإن قال لو تمنى الموت
بالشهادة تمنى قتل الكافر إياهم على الإيمان وذلك كفر ولا يكون رضى بالكفر قلنا لا وهو تمنى الجهاد والصبر عليه إلى أن يستشهد
أي وهو تمنى أن يعذب الكافر على كفره وهو غاية استقباح الكفر قال الله تعالى خبرا عن موسى وهارون صلوات الله عليهما
أنهما قالا ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا وقال الإمام القشيري رحمه الله من ظن أنه يصل إلى محل
عظيم من دون ملاقاة الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك لأن من عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده
وقال الشاعر • وما جاد دهر بلذاته على • من يظن بخلع العذار • وقال الآخر • إذا شام الفتى برق المعالي •
• فأهون فائت طيب الرقاد • وقوله تعالى وما محمد إلا رسول ولما انهزم المسلمون يوم أحد عوتبوا فاعتلوا أنهم
سمعوا صارخا يصرخ ألا إن محمدا قد قتل فنزلت الآية وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل أي مضت ولم يكونوا
لا يموتون ولا يقتلون بل قتل كثير منهم ومات الباقون وذلك لا يوجب ارتفاع الدين ولا ترك أتباعهم جهاد الكافرين
وقوله تعالى أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الألف ألف استفهام بمعنى التوبيخ وهو في الحقيقة داخل
في قوله تعالى انقلبتم على أعقابكم لأن تقديره أتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل وإنما جاز لأنه دخل الشرط فصار
كله كلاما واحدا بشرطه وجوابه فصار دخول الاستفهام في أوله دخولا في الخبر المذكور فيه وهو كقولك أزيد ضربك
أم عمرو وهو في الحقيقة داخل في الضرب وإن ذكر ظاهرا في زيد لأن الكلام صار شيئا واحدا والانقلاب على العقبين
مجاز عن الردة وهو قد كشفنا عن حقيقته في قوله تعالى من ينقلب على عقبيه وقيل هو مجاز عن الانهزام ههنا كما في
قوله تعالى نكص على عقبيه فقد رجع إلى الطريق الذي كان منه والمنهزم كذلك صورة والمرتد كذلك معنى وقد استحق
كل واحد من الأمرين عليهم بقول موت النبي صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب الارتداد ولا التخلف عن الجهاد ثم إنما
دخل أو بين الموت والقتل وهو التشكيك مع أن الله تعالى علم أنه يموت ولا يقتل أخفى العاقبة ليكون قتاله الكافرين
غير موقوف دليلا على كمال شجاعته ولا يحمل عدو ذلك على أنه لما سمع أنه يموت ولا يقتل أمن القتل في الجهاد فلذلك لا يتوقى
وقيل كان خروجه عن الدنيا بالموت والقتل جميعا فإن أكلة خيبر كانت تعاوده بما خرج عن الدنيا وذلك في معنى القتل
وهو موت على الفراش ظاهرا فلذلك جمع بينهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان أناس من أهل النفاق قالوا يوم أحد
حين فر الناس إن كان محمد قتل فالحقوا بدينكم الأول فنزلت الآية وقال قتادة لما أخبروا بقتل محمد عليه السلام قال أناس
منهم لو كان نبيا ما قتل وقال ناس قاتلوا على ما عليه قاتل نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به فنزلت الآية وقال مجاهد
مر رجل من المهاجرين على رجل من الأنصار يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قتل فقال الأنصاري إن كان
محمد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم وقال إبراهيم النخعي لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضي الله عنه غائبا
فلما حضر كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وخرج
وصعد المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه
حي لا يموت ثم قرأ وما محمد إلا رسول الآية وقوله تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا أي ومن يرتد
عن الإسلام وقيل أي ومن يرجع القهقرى في الانهزام فلن يضر الله شيئا أي جل الله أن يلحقه ضرر أو يدخل ملكه نقصان
وإنما يضر نفسه من فعل ذلك والحق النقص بنفسه وهذا وعيد للمرتدين والمنهزمين بالقفا وقوله تعالى وسيجزي الله
الشاكرين وهذا وعد للثابتين والمجاهدين بالثواب وقوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا
مؤجلا أي بإماتة الله الوقت الذي علم موته فيه وقيل بأمر الله ملك الموت بقبض روحه وكتابا مصدر لفعل محذوف
وتقديره كتب الله كتابا وقيل هو منصوب بحذف الباء أي بكتاب مؤجل أي مكتوب في اللوح المحفوظ له وجهان أحدهما
أن محمدا لو مات أو قتل وذلك حكم جرى عليه من الله تعالى في اللوح المحفوظ في الأجل الذي جعله له فلم ارتددتم أو انهزمتم
والثاني أن الموت للنبي بالجهاد ولا الخلود بالتخلف عنه وهو تحريض على الجهاد بأن المجاهد لا يموت إلا عند أجله والمتخلف
عنه لا يسلم عنه مع حضور أجله وهذا رد على المنافقين قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقوله تعالى ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها أي من يرد بقتاله الغنيمة أو الذكر نعطه ذلك وقوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة نؤته
منها أي ومن يرد إعلاء كلمة الله والأجر والدرجة في الآخرة نعطه ذلك وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أن الرجل
يقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه ويقاتل للغنيمة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الذي هو في سبيل الله
ومعنى وصل هذا بالأول أن من قاتل للدنيا انهزم إذا خاف القتل ومن أراد به الآخرة اغتنم الشهادة وقوله تعالى وسنجزي
الشاكرين الشكر والتكرير للتأكيد وإن وردت في القتال فهي عامة في كل الأفعال وقوله تعالى وكأين من نبي قتل معه
أي وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير أي جماعات واحدهم ربي منسوب إلى الربة وهي الفرقة الكثيرة من الناس وقال حسان
ابن ثابت وإذا معشر تجافوا عن الحق حملنا عليهم ربيا وقال ابن مسعود رضي الله عنه الربيون الجموع وقال مجاهد الجموع

الكثيرة

الكثيرة وقال الكلبي واحدهم عشرة آلاف وقال الضحاك الواحد ألف وقال قتادة ربيون ألوف كثيرة وقرأ الحسن ربيون
بضم الراء وقال تفسيره الصبر وذكر ابن مجاهد عن بعضهم ربيون بفتح الراء منسوب إلى الرب كما يقال رباني وإلهي ومعناه
عارفون بالله عاملون لله وقرأ العامة قاتل معه ربيون كثير أي عاون النبي عليه السلام في قتال العدو جماعات كثيرة
وعلى هذا ربيون فاعل بفعلهم وهو قاتل وعلى الأول رفعه بقوله معه ومعنى القراءتين واحد أي كم من نبي قاتل الكفار ومعه جماعات
من أتباعه فأصابهم جراحات وقتل بعضهم فلم يضعفوا وكم من نبي قتل هو وكان معه أتباعه فلم يتركوا الجهاد وهو قطع لعذر
هؤلاء في تركهم الجهاد بسماع خبر قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أبو منصور رحمه الله في الآية دلالتان أحدهما
على إثبات رسالة محمد عليه السلام حيث أخبر عن حال الماضين ولم يختلف إلى أحد يعلم أخبارهم فعلم بإخبار الله والثاني أن العمل
بشريعة من قبلنا ثابت ما لم يظهر نسخه لأنه ذكر محاسنهم لنتبعهم في ذلك ونقتدي بهم وذكر مساويهم وما لحقهم بذلك
لننتهي عنها ونكون على حذر مما أصابهم وقوله تعالى فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا الوهن انكسار
الجد بالخوف والضعف نقصان القوة وقيل فما وهنوا في دينهم وما ضعفوا في أنفسهم وقوله تعالى وما استكانوا
أي ما استسلموا للعدو وما خضعوا لهم والكينة اسم من الاستكانة وهي الذلة والخضوع وقوله تعالى والله يحب
الصابرين أي الثابتين على الدين وجهاد الكافرين وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى المنهزمين وقال إلي أنا رسول الله
فرجعت الأنصار وعرفوا صوته فطأطأوا رؤوسهم وشدوا أسيافهم وقالوا لبيك والله بآبائنا وأمهاتنا أنت وقاتلوا حتى
استشهدوا ولم ينظر منهم أحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه وكانوا ثمانية وثمانين رجلا وقوله تعالى وما كان
قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا قرأ العامة قولهم بالنصب وهو خبر كان وقوله تعالى إلا أن قالوا اسم الفعل
مصدر وتقديره إلا قولهم بالرفع وهو اسم كان وتقدم الخبر ههنا على الاسم وقرأ الحسن قولهم بالرفع وأن قالوا خبره وهو في محل
النصب وقوله تعالى وإسرافنا في أمرنا هو مجاوزة الحد يقول هؤلاء الذين هم أتباع الأنبياء الماضين كان قولهم عند قتل
الأنبياء هذا الدعاء وهو مدح لهم أنهم مع حسن العمل استغفروا من الزلل والخلل وهذا مبالغة في الاعتراف بالذنب فإن
الإسراف والذنب واحد وذكر مما غاية سوء الظن بأنفسهم وقيل الذنوب الصغائر والإسراف الكبائر وقوله تعالى وثبت أقدامنا
قيل على الإيمان وقيل على جهاد العدو وقوله تعالى وانصرنا على القوم الكافرين أي بالقوة والغلبة وقيل أي بالبرهان
والحجة وقال الإمام القشيري رحمه الله إن الذين درجوا على الوفاء وقاموا بحق الصفاء ولم يرجعوا عن الطريق وطالبوا أنفسهم
بالتحقيق وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق وجد واعية الحق سبحانه ميراث صبرهم وكان الحق لهم عند نهاية أمرهم
فما راغوا عن شرط الجهد ولا زاغوا في حفظ العهد وسلموا تسليما وخرجوا عن الدنيا وكان كل واحد منهم للعهد مستديما
وعلى شرط الخدمة والود مستقيما وما قالوا من الدعاء قد تحققوا بحقائق المعاني وتخرجوا عن إظهار الدعاوى
ثم نطقوا بلسان الاستغفار ووقفوا في مواقف الاستحياء وكانوا كما قيل • يتجنب الآثام ثم يخافها • فكأنما حسناته آثام •
وقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا أي أعطاهم جزاءهم في الدنيا الظفر والنصر والغنيمة والمدح والتعظيم
وقوله تعالى وحسن ثواب الآخرة دون الدنيا لصغر أمر الدنيا وحقارتها وانقطاع ما فيها ثم إنما عطف قوله تعالى
وحسن ثواب الآخرة والحال غير معطى لأن معنى الإيتاء في حق ثواب الآخرة ههنا هو الحكم به والوعد وهذا كقوله تعالى
حتى يعطوا الجزية عن يد وأراد به الالتزام فإن حقيقة الإعطاء يكون بعد سنة والقتال يسقط بقبولهم الجزية
فكان ذلك إعطاء على معنى أنه ثبت فصار كالمعطى وقوله تعالى والله يحب المحسنين أي هم محسنون والله يحبهم
ويحسن ثوابهم وقال الإمام أبو منصور رحمه الله يحتمل أن يكون هو إحسان المعرفة يقال فلان يحسن كذا ويحتمل أن
يكون هذا الاختيار بمحاسن الأفعال ويحتمل أن يكون هذا الإحسان إلى نفسه بالعمل بما فيه النجاة وقال الإمام القشيري
رحمه الله فآتاهم الله ثواب الدنيا أقل ذلك القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الأنس بقربه ثم كمال الفرح ببقائه وحسن
ثواب الآخرة دخولهم الجنة وهم محررون عنها غير داخلين في أسرها قال ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغيبة عن الدارين
برؤية خالقهما وحسن ثواب الآخرة بدوامه وتمامه ولا يعارضه ما ينافيه وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين قال الحسن وابن جريج أي إن تطيعوا أهل الكتاب
وقال السدي أي إن تطيعوا أبا سفيان وأصحابه يرجعوكم كفارا وكانوا يقولون للمسلمين إن محمدا قد قتل فالحقوا بعشائركم
وأسلموا على أنفسكم وكانوا يقولون لو كانوا عندنا وأطاعونا ما ماتوا وما قتلوا وقوله تعالى فتنقلبوا يجوز أن يكون مجزوما
عطفا على قوله يردوكم ويجوز أن يكون نصبا لأنه جواب الشرط بالفاء وحذف النون يدل على كل واحد منهما وقوله تعالى
بل الله مولاكم وهو خير الناصرين بل رد لما قبله وهو طاعة الكفار والله مبتدأ ومولاكم خبره أي هو ناصركم وحافظكم
وحبيبكم ومتولي أموركم فهو أولى أن يطاع وكذلك هو خير من ينصركم فهو أحق أن تؤتمروا بأمره وقرأ طلحة بل الله مولاكم
بالنصب أي بل أطيعوا الله ومولاكم نعته على النصب أيضا وقوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
الخوف الذي يملأ القلب يقول وإن نالكم الحال بعد الشدة بعض ما نالكم فسنلقي في قلوبهم الخوف فتكون العاقبة لكم
بإيمانكم وقد تحقق هذا الوعد فألقي في قلوب أبي سفيان وأصحابه الرعب فلم يجيئوا في بدر الصغرى وإن وعدوا ذلك
وقوله تعالى بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ما مفعول بوقوع أشركوا عليه والسلطان البرهان وأصله القوة

سلطان الملك قوته وسلطان المدعي حجته وبها يقوى على دفع المبطل وقيل هو من السليط وهو دهن الزيت وبه نور
السراج فالسلطان هو الحجة النيرة يقول القى الله في قلوبهم الخوف عقوبة لهم على شركهم ولا حجة لهم فيه وهذا ذم لهم على
تقليدهم اباءهم في الضلال وكانوا مقرين بالله وانه خالقهم فكان يلزمهم بحكم اقرارهم الا يعبدوا معه غيره الا ان يامرهم
به فيكون ذلك انزال السلطان وذكر الانزال لان الامر يكون على السنة الانبياء بانزال الله ذلك اليهم بواسطة
الملائكة من السماء وقوله تعالى ومأواهم النار اي مصيرهم جهنم في الاخرة وقوله تعالى وبئس مثوى الظالمين
اي وساء مقام الكافرين الذين ظلموا انفسهم ووضعوا الشيء في غير موضعه وقال في حق المؤمنين ونعم اجر العاملين
فكان قوله في حق الكافرين وبئس مثوى الظالمين وقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه
اي تقتلونهم وتستأصلونهم بتخليته وتقديره قال المبرد الحس الاستئصال بالقتل حسه بالضم وسنة حسوس
تأتي على كل شيء وجراد محسوس اي استأصله البرد يقول قد صدق الله هذا الوعد وهو قوله خير الناصرين وقوله تعالى
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله تعالى يمددكم ربكم بكذا فقد صدق هذا الوعد في ابتداء الامر يوم احد
اذ غلبتم الكفار وقتلتم كثيرا منهم غير ان هذا الوعد كان معلقا بقوله ان تصبروا وقوله تعالى حتى اذا فشلتم
اي جبنتم وقوله تعالى وتنازعتم في الامر اي اختلفتم وعصيتم اي خالفتم امر النبي عليه السلام بلزوم المراكز
وقوله تعالى من بعد ما اراكم ما تحبون اي من قهر الكفار وحتى اذا يطلب جوابا واختلف في جوابه قيل هو مضمر
في اخره وهو قطع عنكم نصرته وقيل الواو في وتنازعتم مقحمة زائدة وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره حتى اذا
تنازعتم فشلتم وكان الاختلاف سبب الاختلاف هو سبب الفشل قال تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا ونظير هذا
الواو المقحمة في القران ايات حتى اذا فتحت الى قوله واقترب الوعد الحق حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه والاصح ان الواو مثبتة
والكل موصول والجواب في اخره محذوف ومثل هذا في القران كثير ومنها قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال
وجوابه محذوف وتقديره لكان هذا القران وكان قهر القصد الى ان اختلفوا وتنازعوا ومال بعضهم الى الدنيا
وقالوا العدو قد هزم الفتح ونخاف ان نسبق الى الغنائم وقيل خافوا ان يكون الامر في الغنائم يوم احد كهو في يوم بدر
من اخذ شيئا فهو له خاصة فاثروا الدنيا على طاعة رسول الله وقال بعض الرماة بل نلزم مراكزنا ونحفظ وصية
نبينا فانه كان قال لهم لا تبرحوا مراكزكم وان رأيتمونا تخطفنا الطير فتفشلوا للتنازع بينهم وميل من مال
منهم الى الدنيا فانقلب الامر لخلاف الشرط الذي كان يدوم به النصر قال الواقدي ما اظفر الله رسوله في موطن
ما اظفره واصحابه يوم احد حتى عصوه لقد قتل اصحاب لوائهم وانكشف المشركون وتداعت نساؤهم بالويل بعد
ضرب الدفوف وكلما اتى خالد بن الوليد من شعب ردته الرماة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال للرماة قوموا على مصافكم
ولا تبرحوا بحال وامر عليهم عبد الله بن جبير فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون قال بعض الرماة لبعض لم تقيمون
ههنا في غير شيء قد هزم الله العدو فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع اخوانكم وقال بعضهم الم تعلموا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال احموا ظهورنا ولا تبرحوا مكانكم فقال الاخرون لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وقد اذل الله العدو
فلما اختلفوا خطبهم اميرهم عبد الله بن جبير فحمد الله واثنى عليه ثم امرهم بطاعة الله وطاعة رسوله فعصوا فانطلقوا
فلم يبق مع الامير الا اقل من عشرة واستدارت رحاهم ونظر خالد الى خلاء الجبل فكر عليهم بالخيل في خمسمائة فارس
فحمل الرماة عليهم ورمى عبد الله حتى فنيت نبله ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ثم جفن سيفه فقاتلهم حتى قتل وقوله تعالى
منكم من يريد الدنيا اي الغنيمة ومنكم من يريد الاخرة اي الثواب والشهادة وقال ابن مسعود ما علمت
ان احدا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الاية ثم قوله تعالى وعصيتم عام اريد به الخصوص وهم الذين خالفوا امر النبي
صلى الله عليه وسلم في ترك المركز ثم فوات النصر وغلبة العدو كان عقوبة العصاة خاصة والاخرون اكرموا بالثناء والثواب
ودرجة الشهادة كما يخسف ببلد وفيهم صبيان وبهائم فتكون العقوبة للعاصين ولا عقوبة للاخرين وانما هو درجة
لهم وكرامة يوم الدين وقد روي في بعض الاخبار انه يخسف بقوم في اخر الزمان ثم يبعث كل واحد منهم يوم القيمة
على نيته وقوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليبتليكم اي بهزيمتكم والتولي عنهم وهو حجة اهل السنة والجماعة في ان الله تعالى
خالق افعال العباد وقوله تعالى ليبتليكم اي ليشدد عليكم بعصيانكم وهو ابتداء عقوبة وقيل هو ابتلاء ببلية امر الله تعالى
بالصبر عليها ووعد الثواب عليه وقيل يعني ليبتليكم بتسليط الكفار عقوبة على ترك الائتمار وقيل ليميز المؤمن من المنافق
والمطيع من العاصي وحقيقته ليختبركم ومعناه ليعاملكم معاملة المختبرين لانه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه
منه وقوله تعالى ولقد عفا عنكم يعني ايها المنهزمون فانه لم يهلككم ولم يسلط عليكم عدوكم وقيل ترككم احياء
بعدما قتل سبعون منكم وقيل عفا لكم مع سبق الوعيد وقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الاية وهو العفو عن الانهزام
وقيل هو العفو عما كان منهم من الفشل وارادة الدنيا وقيل الخطاب في صرفكم لغير المنهزمين وفي عفا عنكم المنهزمين
وان كان على نسق واحد كما في قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه الكناية ترجع الى ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
وقوله تعالى وايده ترجع الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الخوف والحزن كانا للصديق وكانت السكينة منزلة عليه وكان

التأبيد بالجنود للنبي عليه السلام معجزة له ثم رجعت احدى الكنايتين الى غير من رجعت اليه الاخرى وكذا قوله تعالى
وتعزروه وتسبحوه وقوله تعالى والله ذو فضل على المؤمنين اي بالعفو عنهم وقبول توبتهم وترك استئصالهم وبكل حال
وقال الامام ابو منصور رحمه الله في هذه الاية دلالة على ابطال قول المعتزلة بوجوب الاصلح على الله تعالى وهو قوله تعالى [illegible] نداولها
بين الناس وقوله ثم صرفكم عنهم وقوله تعالى والله ذو فضل على المؤمنين وقوله تعالى لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
وقوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد اي عفا عنكم اذ تصعدون والاصعاد النفوذ في مستوى الارض
والصعود الارتفاع وقيل الاصعاد الابعاد في الضرب في الارض وقيل الاصعاد في الوادي والصعود في الجبل وقال صاحب
الديوان الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل والتصعيد في السلم وقال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر
والزقاق فانك تقول اصعد فيه اذا اخذت من اسفله الى اعلاه وتقول اصعد الحاج اذا ابتدأ يريد مكة واذا ارتفع ارتفاعا كما
في السلم قلت صعد وقال ابن عرفة كل مستبد في وجه من سفر وغيره فهو مصعد في ابتدائه منحدر في رجوعه من اي بلد
كان وقرأ الحسن وابو عبد الرحمن السلمي تصعدون بفتح التاء من الصعود على الجبل وقراءة العامة تصعدون بالضم وفي قراءة
ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما اذ تصعدون في الوادي والرواية المشهورة ذهابهم في الوادي ويحتمل
انهم ذهبوا في الوادي ثم صعد بعضهم الى الجبل ملتجئا به وقوله تعالى ولا تلوون على احد اي لا تعرجون وقيل لا تنعطفون
وقيل لا تقفون وقيل لا تلتفتون وقيل لا تلبثون وهو من قولك لوى عنقه اليه ملتفتا اليه كما قال امرؤ القيس
عشية جاوزنا حماة وسيرنا اخو الجهد لا يلوي على من تعذرا وقوله تعالى على احد اي على احد من الاحاد وهو عبارة
عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم وقال الكلبي على احد اي على الرسول عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى والرسول
يدعوكم في اخراكم اي يناديكم في اخركم والتاء لتانيث لمعنى الطائفة والفرقة وكان يقول الي عباد الله تعالى لا استعانة
بهم بل امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وهو الانهزام وترك قتال الكفار وكان ينادي يا ال سورة البقرة يا ال سورة
ال عمران يا ال الحواميم يا ال طه ونحو ذلك وكان لكل فريق يحفظ سورة وكان يعرفهم بها فلم يقف من المنهزمين الا
طلحة وتسعة من الانصار فتقدموا وقاتلوا الكفار حتى استشهدوا هؤلاء التسعة وبقي طلحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لطلحة ما بقي من الانصار في حقنا شيء لم يفعلوه بذلوا انفسهم واموالهم لاجلنا وما بقي الا انت وانا في نحر العدو فاما
ان تتقدم وانا اتقدم فتقدم طلحة وقاتلهم فقطعت اصبعه فقال اه فقال عليه السلام لو قلت الله لرفعتك
الملائكة الى السماء والناس ينظرون ثم قاتلهم حتى هزمهم وجاء الناس واجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جعلوا يتأسفون على القتلى وعلى الجرحى وعلى فوت الغنيمة فاذا خالد بن الوليد صعد الثنية يقصدهم في خمس
مائة فارس فذلك قوله تعالى فاثابكم غما بغم اي جازاكم غم قصد خالد بن الوليد بسبب اغتمامكم على ما كان
من القتل والجرح وفوت الغنيمة وكان ينبغي لكم ان لا تغتموا لذلك ولذلك قال لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا
ما اصابكم اي مع سلامة بدنكم وقيل اي بسبب غمكم النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفته والثواب الجزاء كيف ما كان
والاثابة والتثويب اعطاء الجزاء قال تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقال عليه السلام الواهب احق بهبته
ما لم يثب منها وقيل بل الثواب اذا اطلق يراد به الجزاء في الخير وههنا اريد به انه قائم مقام الثواب لعصيانهم
وهذا كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي اقيم الوعيد بالنار مقام البشارة بالمثاب وقيل معناه فجزاكم الله تعالى على
عصيانكم غما على غم فالباء بمعنى على كما يقال نزلت بفلان اي على فلان وقيل معناه غما مع غم كما يقال ما زلت بفلان
حتى فعل كذا اي مع فلان وقيل اي غما متصلا بغم والباء للاتصال وقال الكلبي الغم الاول الهزيمة والغم الثاني اشراف
خالد بن الوليد وقال ابن جريج الغم الاول خبرهم على ما اصابهم واصاب اصحابهم والجؤا شعبا فجاء ابو سفيان واصحابه واخذوا
ثم الشعب فخافوا على انفسهم كاهل الهلاك فهو الغم الثاني وقال قتادة الغم الاول القتل والجراح والغم الثاني سماعهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قتل وقيل الغم الاول غم الجناية في حق النبي عليه السلام والغم الثاني هو غم الاعتذار عليه وقيل الغم الاول هو
الاغتمام بما اصابهم والغم الثاني هو الاغتمام بما فعلوا وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم قيل هو متصل بقوله تعالى فاثابكم غما
هو اعظم من الاول لئلا تغتموا بالاول وقيل اي لكيلا تحزنوا بعد هذا على فوت الغنيمة يحملكم على الاشتغال بترك القتال
نسيكم ما نالكم في هذه الغزوة من الهزيمة والجراح ولكيلا تحزنوا على ما فاتكم وما اصابكم من الجراح فدعوكم الى القتل
يصيبكم ما خفتموه وانتم عاصون ولولاه لا اصابكم وانتم مطيعون ماجورون وقيل اي ليكون خوفكم وحزنكم على العصيان
بالهزيمة لا على فوت الغنيمة والهمتموا بتبع انما لكم لا بتنقص انفسكم واموالكم وقوله تعالى والله خبير بما تعملون
اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية وقوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا يغشى طائفة منكم هذه الاية من الجوامع وفيها كل الحروف المعجمة والامنة الامن وهي مصدر على
الفعلة كالعظمة والغلبة وقوله تعالى نعاسا بدل من الامنة وترجمة عنها وقوله تعالى يغشى قرأ حمزة والكسائي تغشى بالتاء
ردا الى الامنة وقرأ الباقون بالياء التذكير ردا الى النعاس ونظيره ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون
وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى وقال ابو عبيدة التذكير اولى لانه يليه في كل هذه الايات والصرف الى الاقرب اولى
ولان النعاس هو الذي يغشى القوم والامنة لا تغشى وهو التغطية والاغشاء يقال من على المؤمنين منكم المخلصين فانهم ناموا

وازال الله غمهم قال ابو طلحة ما منا احد الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس وقال انس وذكر ابو طلحة ان السيف كان يسقط من يده ثم ياخذه ثم يسقط ثم ياخذه وقال الامام ابو منصور رحمه الله سمعوا بانصراف العدو فناموا وناموا والمنافقون سمعوا به فلم يصدقوا ودام خوفهم فلم يناموا قال تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم هذا ابتداء وهم المنافقون كان حضورهم للغنيمة فلما فاتهم وخافوا على انفسهم الاستيصال ولم يكونوا من اهل الكرامة لم يومنهم ولم يهمهم فبقوا في الغموم وقيل سببه وطائفة هذه واو الحال اي اذ طائفة قد اهمتهم انفسهم اي حملتهم على الهم يقال همني واهمني ويقولون همك ما اهمك ثم قوله تعالى قد اهمتهم انفسهم يصلح ان يكون للابتداء وبابعده كذلك ويجوز ان يكون قد اهمتهم صفة لهم وما بعده خبرا وقوله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية اي ظن اهل الجاهلية وهي حالة الكفر والاصنام وقيل اي كظنهم في الجاهلية يعني كانوا يقولون في انفسهم لو كان المسلمون على حق لم تنلهم هذه النكبة ولم يعلموا ان الله يبتلي عباده بما شاء ليتميز المخلص من غيره وقوله تعالى يقولون هل لنا من الامر من شيء اي من النصر والعلو وهو استفهام بمعنى الجحد اي لسنا محقين فلسنا بمنصورين ويقال الامر لفلان وهو كقوله لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقوله تعالى قل ان الامر كله لله قرا اهل المدينة والكوفة كله بالنصب تاكيدا للامر وقرا اهل البصرة كله بالرفع على الابتداء اي الحق لله تعالى ولمن دعا الى دينه وهو ينصر اولياءه على كل حال بالغلبة او بالحجة وله ان يبتلي عباده بما شاء وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك من الشك والنفاق وقيل ما لا يستطيعون اظهاره خوفا من سيوف المسلمين ومن ظهور حالهم للمؤمنين وقيل قال عبد الله بن ابي هل لنا من الامر من شيء اي انهم يامرون بامر النبي عليه السلام لا بارائهم وقوله تعالى يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا هو قول ابن ابي لو كانوا عملوا برايي ولم يخرجوا من المدينة لم يقتلوا وقوله تعالى ما قتلنا اي ما قتل منا احد يقال قتلنا كما اي قتلنا منكم وقيل معناه لو كان الامر الى اختيارنا واستشيرونا لم نخرج فلم يقتل من قرابتنا احد وكان اكثر القتلى يومئذ من الانصار ولم يقتل من المهاجرين الا يسير وقوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل في اللوح المحفوظ الى مصارعهم باحد يقول ما حكم الله فهو كائن لا محالة لا دافع له ولا رافع وقيل معناه ان المنافقين قالوا لو لم نخرج نحن ما خرج المخلصون من الانصار فانهم يقتدون بنا اعتضادا بنا فقال الله تعالى لو تخلفتم ايها المنافقون لخرج المخلصون الذين استوى في رسولي فهم الطوع لي والحرص على قتال العدو من ان يتخلفوا لتخلفكم وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم اي ليظهر ما في قلوبكم من النفاق والواو مقحمة زائدة عند بعضهم وتقديره ثم انزل عليكم كذا ليبتلي وقيل الواو ثابتة وهو معطوف على قوله لكي لا تحزنوا وقيل في اخره اضمار اي وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم امركم بالجهاد والتمحيص التخليص ومعناه ان المسلمين كانوا مرتابين في امر المنافقين فاراد ان يزيل عنهم الشك في امرهم وقيل الخطاب في الابتلاء والتمحيص للمخلصين المذكورين في قوله تعالى ثم انزل عليكم اي فعل ذلك ليظهر نفاقكم واخلاصكم وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اي بما فيها من الخير والشر وهو وعد ووعيد يقول لا ابتليكم لاعلم ما في صدوركم فانه عالم بها لكن يعاملكم معاملة المختبر ليجزيكم على عملكم لا على علمه او ليبتليكم المؤمنون ليعلموكم فاضاف ابتلاءهم الى نفسه تشريفا لهم وقوله تعالى ان الذين تولوا منكم اي انهزموا من المسلمين دون المنافقين وقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي اجتمع الجندان جند المسلمين وجند الكافرين وقوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اي حملهم على هذه الزلة وقوله تعالى ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يغفر الذنب ولا يعجل بالعقوبة وقيل الذي ذكرهم خطايا سلفت منهم فكرهوا ان يقتلوا ولم يتوبوا منها فذهبوا رجاء ان يتوبوا ويستغفروا ثم يموتوا بعد ما طهروا قال الزبير نزلت الاية في شان عثمان بن عفان وسعد بن عثمان الزرقي وعقبة بن عثمان رضي الله عنهم خرجوا الى جبل بناحية المدينة يقال له الجلعب فاقاموا به ثلاثا فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد ذهبتم فيها عريضة وقال عكرمة هم عثمان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلى وقيل هم جميع من انهزم ذلك اليوم وقال الحارث ابن الخطب وثعلبة بن حاطب وسواد بن غزية وعقبة بن عثمان وخارجة بن عامر واوس بن قيظي ولقيتهم ام ايمن تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم هلم سيفك وهاك المغزل فاغزل ثم قال ابي الجلد كما ان رجلا الى ابن عمر رضي الله عنهما فقال اشهد عثمان بيعة الرضوان قال لا قال اشهد بدرا قال لا قال كان ممن استزلهم الشيطان يوم احد فقال نعم فقام الرجل فعلم ابن عمر انه يريد تنقيصه فقال ردوه فردوه قال اما بيعة الرضوان فان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله فانا ابايع له فضرب احدى يديه على الاخرى واما يوم بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على ابنته يمرضها وضرب له بسهمه واما استزلال الشيطان فان الله عفا عنه ثم فقد خاب سعيك وبطل عملك وفي الاية لطف من الله جل جلاله حيث اضاف الزلل الى استزلال الشيطان وهو كتمهيد العذر لهم ونظيره قول الله عز وجل فازلهما الشيطان فانساه الشيطان هذا من عمل الشيطان ان نزغ الشيطان بيني ان الشيطان ينزغ بينهم وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون الذين ظنوا ان جهلهم ان من لم يتعرض للموت والقتل بالخروج الى الغزو لم يمت

قوله

وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم اي لاشباههم من المنافقين وقيل لاخوانهم في النسب لا في الدين من المؤمنين الذين تولوا وقال الامام ابو منصور رحمه الله ولا حاجة بنا الى معرفة القائلين ذلك والمعنى انه لا تقولوا مثل قولهم وقوله تعالى اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى اي سافروا فيها للتجارة او نحوها او كانوا غزى اي غزاة والغزى فعل من الغازي وهو كالساجد والسجود والراكع والركع والغز وقصد العدو والمغزى المقصود وقوله تعالى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي هؤلاء القتلى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي لو لم يخاطروا لعاشوا وقوله تعالى ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي يقولون ذلك لاقارب القتلى فيكون ذلك حسرة في قلوبهم وهي اشد الندامة التي تقطع القوة ونحوها والحسرة على هذا للسامعين اي من اهل الاسلام وقيل فالواو ذلك ليجبن هؤلاء عن القتال من بعد فلم يقبلوا قولهم فصار حسرة للمنافقين وقيل دامت الحسرة لهم في القيامة وقوله تعالى والله يحيي ويميت للتوقي والتلقي وقوله تعالى والله بما تعملون بصير قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بياء المغايبة خبرا عن المنافقين وقرا الباقون بتاء المخاطبة للمؤمنين وكذا افتتاح الاية وما بعد هذه الاية وهو وعد ووعيد قال الكلبي نزلت في منافقي اهل الكتاب عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس قالوا لاخوانهم اذا سافروا وما توا وغزوا فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والله يحيي ويميت في الحضر والسفر وقال عطاء نزلت في المنافقين كانوا فيمن بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم من السرايا الى بير معونة والى الرجيع فاصيبوا لو كانوا عندنا ما اصيبوا والله يحيي قلوب اوليائه واهل طاعته ويميت قلوب اعدائه من المنافقين والكافرين وقوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اللام في لئن لام القسم وقوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة جواب القسم بالام وقوله تعالى خير مما تجمعون قرا عاصم في قراءة حفص بياء المغايبة خبرا عن المنافقين والباقون بالتاء خطابا للمؤمنين يقول يا معشر المؤمنين ان ما تنالون به الجهاد والشهادة خير وافضل وانفع في الاخرة من مال يجمع في الدنيا الفانية وقوله تعالى ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون واللامان على ما مر في الاية الاولى وقال الكسائي لو تاخرت اللام الثانية التي هي جواب الى تحشرون لكان بتشديد النون وخفة الواو لان الفعل المضارع في القسم يكون كذلك فلما حولت اللام الى الى بقيت كلمة تحشرون بحالها وهو كقولك لئن احسنت الي لاحسن اليك يعني الاية انكم اذا متم في بيوتكم بعد طول العمر او قتلتم في سفر او حضر فالحشر الى الله وهو المجازي بالاعمال فليخف الخائف العقاب لا الموت والقتل الذي لا بد منه وقيل ولئن متم او قتلتم يا معشر المؤمنين فمرجع الجميع الاولياء والاعداء الى الله فسيرى كل منكم عاقبة امره فيعلم المؤمن ان تعرضه للقتل بالجهاد لم يضره بل ينفعه ويعلم الكافر ان توقيه لم ينفعه بل ضره وقيل اذا لم تريدوا على ان لا تحشروا اليه فكيف تقدرون على دفع الموت او القتل وقال الامام القشيري رحمه الله اذا كان المسير الى الله طاب المسير الى الله وقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ما زائدة اي فبرحمة وكذا قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وعما قليل وهذه الزيادة للتاكيد وقيل ما اسم وتقديره بسبب اي شيء ورحمة رحمة له وبدل عنه وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل فبما رحمة من الله عليك ويحتمل فبما رحمة من الله على العالمين لنت لهم واللين في القول انفذ في القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة ولذلك امر موسى وهرون به فقال فقولا له قولا لينا ولنت لهم اي لطفت لهم في القول بتفضل الله وبرحمته لطفت المنهزمين فلم تخاشنهم وهو ثناء عليه بحسن الخلق وقيل هو من كبرهم من الله لا من نفسه وقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قال الخليل رجل فظ ذو فظاظة من حدة علم وهو الذي في منطقه غلظ وتجهم وقوله تعالى غليظ القلب اي قاسي القلب غير رقيق القلب وقوله تعالى لانفضوا من حولك اي لتفرقوا عنك وقد فضضت الشيء اي كسرته فانفض اي انكسر وفي الكسر تفريق وفي الانكسار تفرق يقول لو كنت فظا غليظ اللسان او القلب وخاشنتهم وعاتبتهم على الانهزام لتفرقوا عنك وقد روي انه لما انهزموا لم يزد على قوله لقد ذهبتم فيها عريضة وقال لهم بالمدينة حين لقيتهم اما انهم لم يبالوا منكم مثلها حتى يفتح الله تعالى لكم عليهم وقيل في الاية مدح له بحسن الخلق في كل حال لا في حق هؤلاء على الخصوص ثم امره بالدوام عليه وذلك قوله تعالى فاعف عنهم اي لا تواخذهم بما كان منهم ولا تعيرهم به وقوله تعالى واستغفر لهم مبني تطييبا لانفسهم وقيل فائدة الجمع بين الكلمتين كمال اللطف بالمؤمنين يقول قد جنوا في حقك فانا اشفعك فيهم فاعف عنهم وجنوا في حقي فاشفع الي انت فيهم واستغفر لهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله هي ارجى اية في القران وكذا قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات امره بالاستغفار لهم ولا يظن به لم يفعل ولا يظن بالله عز وجل انه يامره بالاستغفار ثم لا يغفر لهم اذا استغفر لهم وقوله تعالى وشاورهم في الامر اي ردهم الى مرائيهم في مشاورتهم في الامور والمشاورة بين الاثنين والجمع والاستشارة طلب المشورة وسوالها والمشورة الاسم على ميزان المعونة على اللغة الصحيحة والمشورة على المفعلة لغة ضعيفة وهو طلب الاشارة الى ما ينفع في رايه وعقله من الصواب وقيل هي من شورة الدابة وهو عرضها وقيل هو من شور العسل وهو اجتناؤه ويحتمل انه لما عفا عنهم واستغفر لهم بالامر قصد تطييب الانفس وهم بعد هذا فقد شاورهم في ان لا يخرجوا من المدينة فاحبوا الخروج حرصا على الجهاد وكان الصواب ان لا يخالفوا رايه فلما خالفوه اهوا الا يشاورهم بعد فامره الله تعالى بها تطييبا لقلوبهم ليعرفوا انه راض عنهم لم يبق في قلبه شيء مما يرجع الى ذاتهم ولما بين الله عز وعلا ان اصحابه يتفرقون عنه لو كان فظا غليظ القلب ان اتباعه دين ومفارقته كفر وكيف يرجع

من يعامل الناس على خشونة الخلق وقسوة القلب ان ينفض الناس عنه [illegible] وقال الامام ابو منصور رحمه الله
فيه وجوه احدها انه لا يجوز ان يامر بالمشاورة فيما فيه النص [illegible] فيما لا نص فيه ففيه دليل جواز العمل بالاجتهاد
والثانى لا يخلوا الامر بها اما ان يكون لعظم قدرهم عند الله والفضل عقل وكيف ما كان فلا يجوز [illegible] ان يسووا
انفسهم [illegible] بمشاورة اصحابه تنبيها [illegible] اذا اجتمعوا كان الحق معهم لا يشذ عنهم وقوله تعالى
فاذا عزمت فتوكل على الله اى فاذا عزمت على المضى [illegible] فلا تعتمد عليهم بل اعتمد على الله
وهو يوضح ما قلنا ان استشارته اياهم لم تكن لحاجة اليها بل لما ذكرنا وقال الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان غنيا عن مشاورتهم ولكن احب ان [illegible] يستن به الحكام بعده وقال ابو عصمة نوح بن ابى مريم كانت العرب اذا اراد
سيدهم ان يقطع امرا دونهم شق عليهم فامر الله تعالى نبيه ان يشاورهم فى الامر ليكون اعطف لقلوبهم عليه وقال ابو هريرة
رضى الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام ما تشاور قوم قط
الا هدوا لارشد امورهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وشاورهم فى الامر ابا بكر وعمر والتوكل فى الامر هو تفويض الامر
الى الله تعالى والاعتماد على كفايته وقد وكل امره الى فلان يكله اليه اى فوضه اليه وقيل حسبك من التوكل ان لا تطلب
لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين
اى يثنى عليهم ويرضى عنهم ويحسن اليهم ثوابهم وقال الامام القشيرى رحمه الله حقيقة التوكل شهود التقدير
وراحة القلب عن كد التدبير وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين اى [illegible] الكفاية لهم [illegible] عنهم كل تعب
ونصب [illegible] عند توكلهم [illegible]
[illegible] احوالهم حتى [illegible] وقوله تعالى ان ينصركم
الله فلا غالب لكم المنصور نوعان معونة ومنع وقوله تعالى وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده
الخذلان ترك النصرة ومن استفهام لتقرير النفى لان جوابه يكون بالنفى فاغنى ذكره عن ذكره وذا بمنزلة اسم هو
خبر لابتدا والذى نعته ومن بعده كناية عن الخذلان وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقرير الامر
بالتوكل وبيان المعنى الموجب للتوكل الداعى اليه وقال القشيرى رحمه الله حقيقة النصر ان ينصرك على نفسك
فانها اعدى عدوك [illegible] جنود الشهوات [illegible]
فتبقى لولاية الله تعالى خالصا من رعونات الدواعى التى هى صفات البشرية وشهوات النفوس وان يخذلكم الخذلان
التخلية بينه وبين المعاصى [illegible] المكروه ومن خذله القى حبله على غاربه ووكله
الى سوء اختياره فيهيم على وجهه فى فيافى البعد [illegible] غير محتشم [illegible] غير محترم [illegible] الحق ولا
اخذ بيده ولا جابر لكسره وعلى الله فليتوكل المؤمنون [illegible] وجدان الامان من هذه الاخطار عند صدق الابتهال واسبال
ثوب العفو على الاجرام عند خلوص الالتجاء بالتبرى من الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بالله وقوله تعالى وما كان
لنبى ان يغل قرا ابن كثير وعاصم وابو عمرو يغل بفتح الياء وضم الغين ومعناه يخون فى المغنم وقد غل يغل غلولا
من حد دخل فاما الغل الذى هو الضغن فمصدره من حد ضرب ولا اغلال الخيانة فى كل شىء وقال النبى عليه السلام
ولا اغلال ولا اسلال اى لا خيانة ولا سرقة وقرا الباقون ان يغل بضم الياء وفتح الغين وله وجهان احدهما
انه فعل ما لم يسم فاعله من غل اى خان اى ما كان ينبغى ان يخونه احد والثانى انه فعل ما لم يسم فاعله من اغله
اى وجده غالا خائنا اى ما كان ينبغى لنبى ان يوجد خائنا وسبب نزول الاية وبه يظهر تفسيره ان الذين كانوا مع
عبد الله بن جبير يوم احد من الرماة كان السبب فى اخلالهم بمراكزهم انهم لما راوا انكشاف المشركين بادروا الى الغنيمة
خوفا من ان يستولى عليها غيرهم من المسلمين فانزل الله هذه الاية ومعناه والله اعلم وما ينبغى لنبى ولا يحل له ان يخون
فى الغنيمة او يرضى من اصحابه بالخيانة وان ياخذ اكثر مما جعل الله تعالى لهم فما ينبغى لكم معاشر الرماة ان تخلوا بمصافكم
خيفة فوات حصصكم من الغنيمة ونظير قوله تعالى وما كان لنبى قوله تعالى قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اى ما يحل
فكذا قوله وما كان لنبى اى ما حل له واذا لم يحل له لم يفعل وقيل ما كان لنبى اى ما كان من صفته ان يغل لان الانبياء
معصومون عن مثله ونظيره ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اى لا يكون هذا من صفة الله تعالى وقال ابن عباس رضى
الله عنهما نزلت الاية فى قطيفة حمراء فقدت فقال المنافقون لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله
تعالى هذه الاية تبرئة من هذه القطيفة وقال محمد بن اسحق معناه ما كان لنبى ان يكتم شيئا من وحى الله لانهم كانوا يكرهون
ما يذكر فى القران من عيب الهتهم فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وسالوه ان يطوى ذلك فانزل
الله تعالى هذه الاية وقيل لما الح الاقوياء يسالونه من المغنم نزلت الاية اى ما كان له ان يعطى قوما ويمنع اخرين
وقال مقاتل لما ترك الرماة المركز وقالوا نخشى ان يقول النبى عليه السلام من اخذ شيئا فهو له فقال لهم النبى صلى الله عليه
وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امرى قالوا تركنا اخواننا وقوفا قال بل ظننتم انا نغل فنزلت هذه
الاية وقوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اى يات به حاملا له فيفتضح بحمله على رؤس الاشهاد
وهو قوله عليه السلام من غصب شبرا من ارض طوقه الله يوم القيمة من سبع ارضين وقال عليه السلام لابى هريرة رضى الله عنه

لاتخن

لاتخن من اموالك شيئا من الغنائم اذ تخرج يوم القيمة وهو متعلق برقبتك ولو كانت ابرة وقيل معناه يات بما غل به
يوم القيمة وقوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت اى من خير وشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون اى لا ينقصون من جزاء
اعمالهم وقيل لابى هريرة رضى الله عنه كيف ياتى بما غل وهو كثير كبير بان غل اموالا جمة فقال ارايت من كان ضرسه مثل
احد وفخذه مثل ورقان وساقه مثل جبل ومجلسه ما بين المدينة الى الربذة لا يحمل هذا وقوله تعالى افمن اتبع رضوان
الله قال الكلبى والضحاك اى بترك الخيانة كمن باء بسخط من الله اى احتمل ما فيه سخط الله تعالى بالغلول وهذا استفهام
فى معنى النفى اى لا يستويان وقال الزجاج ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم يوم احد اتبعونى فى طلب العدو فتبعه قوم
منهم وقعد اخرون من المنافقين فنزلت الاية وقوله تعالى وماواه جهنم وبئس المصير ترجع الكناية الى من باء بسخط
من الله وقال عطاء افمن اتبع رضوان الله هم المهاجرون والانصار كمن باء بسخط من الله هم المنافقون قال القشيرى
رحمه الله فمن رضى الله عنه فى الازل وجعل شاهدا الا ارتضاه له فى جميع احواله كمن خذله فجعله متكلا على اعماله متزحزحا
من حال اقباله كلا لا يستوى الامر كذلك ونظير هذه الاية قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله تعالى هم درجات عند الله قال الحسين بن الفضل اى هم طبقات قيل فيه اضمار
اى هم ذو درجات اى مراتب ويجوز ان يكون للفريقين جميعا قال الكلبى اهل الجنة بعضهم ارفع من بعض واهل النار
بعضهم اشد عذابا من بعض وكل فى هوان وقوله تعالى والله بصير بما يعملون وعد للمتابعين ووعيد للمخالفين
وقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم قد كلمة التحقيق واللام لزيادة
التاكيد ومن الله اى تفضل الله على اهل الايمان بنبيه الذى وصفه باللين والخلق العظيم وترك الفظاظة والغلظة
وقوله تعالى اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اى من نسبهم وجميع العرب من قرابات ابيه وامه وقيل من انفسهم اى من جنسهم
لا من الملائكة وغيرهم وهو اجابة دعاء الخليل صلوات الله عليه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم والمنة فى ذلك من وجوه
احدها انهم كانوا عرفوا مولده ومنشاه وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع بذلك كثير من الخواطر التى تقع
للانسان لو كان المبعوث غريبا يجهلون اصله واخلاقه ومنها ان لهم شرفا بكونه من نسبهم قال تعالى وانه لذكر لك
ولقومك واى شرف فوق هذا انه ظهر منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات وفواضل الانبياء وكرامات
ومنها انه كان بلسانهم فكان ذلك اقرب الى الاخذ منهم وتفهم احكام الله تعالى عنه وقوله تعالى يتلوا عليهم اياته
اى القران وقوله تعالى ويزكيهم اى ويطهرهم بالايمان ويثنى عليهم ويشهد لهم بانهم ازكياء قال النبى صلى الله عليه وسلم
خير الناس قرنى الذى انا فيه الحديث قال الفراء ياخذ منهم الزكوة فيطهرهم بها وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب
والحكمة الكتاب القران والحكمة السنة وفيها اقاويل اخر ذكرناها فى سورة البقرة وهى نظير هذه الاية وقوله تعالى
وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين له وجهان احدهما ان ان واللام كلاهما للتاكيد كما فى المشددة وقيل ان للنفى
واللام فى معنى الا وكذا فى كل اية على هذا الوجه وان كنتم من قبله لمن الضالين ان كان وعد ربنا لمفعولا وان نظنك
لمن الكاذبين وقوله تعالى او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها الالف الف الاستفهام بمعنى
الاستنكار والانكار مما اصابهم يوم احد من الجرح والقتل ونحو ذلك والواو لعطف جملة على جملة وهو وصل التقريع بالخلة
بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة وقوله تعالى مصيبة اى بلية اصابتكم وقوله تعالى قد اصبتم مثليها اى نلتم من الكفار ضعف
ذلك وقال اكثر المفسرين قتل الكفار يوم احد من المسلمين سبعين وكان المسلمون قتلوا من الكفار يوم بدر سبعين
واسروا سبعين وذلك مثلاه وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى اصبتم منهم يوم بدر ويوم احد فى اول الامر مرتان
وهم اصابوا مرة وقوله تعالى قلتم انى هذا اى قال بعضكم كيف هذا ومن اين هذا لم غلبونا وهم مبطلون ونحن محقون وقوله
تعالى قل هو من عند انفسكم اى قل يا محمد هو بعصيانكم ولولاه لنصرتم عليهم ثالثة كما نصرتم اولى وثانية ثم هذا العصيان
عند الكلبى هو ترك الرماة المركز وعند قتادة هو خروجهم من المدينة مع اشارة النبى عليه السلام بالتحصن فيها
ورغبتهم فى الجهاد والشهادة يقول بانما اصابتكم نكبة منهم وقد كنتم اصبتم مثليها منهم تنكرون هذا وليس هذا
موضع الانكار فانكم اصبتم منهم ضعف ذلك تقولون لم اصابنا هذا اصابكم بشؤم فعلكم وقوله تعالى ان الله على كل
شىء قدير هذا ظاهر وقوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان اى جمع الجيشين يوم احد وقوله تعالى فباذن الله
اى فبعلم الله وقضائه وقيل بتخليته وتمكينه من الفعل ولا يجوز ان يكون بمعنى الفعل وفى هذه الاية والاية التى قبلها
اثبات صحة مذهب اهل السنة فانه قال من عند انفسكم وهو اثبات فعل العبد وقال فباذن الله وهو اثبات
تخليق الله تعالى ذلك وقوله تعالى وليعلم المؤمنين اى ابتلاهم بذلك ليعلمهم مؤمنين موجودا حال وجوده انه لم يوجد
وكذلك قوله تعالى وليعلم الذين نافقوا وقد مر تقريره مرات ومعنى الاية كان الله تعالى عالما بما يصيبكم قبل ان
اصابكم وانما خلى بينهم وبينكم ليتميز المؤمنون من المنافقين فيظهر الصابرين فيؤجروا به ويعلمون ان ذلك
اصابهم بعصيانهم فيتوبوا ويظهر من المنافقين ما علم الله منهم من الشماتة وسوء القول فتنكشف اسرارهم
ويعرفهم المسلمون فيقطعوا موالاتهم ويستوجب الفريقان الجزاء بعلمهم لا بعلم الله تعالى فيهم وقوله تعالى وقيل لهم تعالوا
اى قيل للمنافقين هلموا وقوله تعالى قاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا وقوله تعالى او ادفعوا اى ان لم تقاتلوا

فاحضروا الوقعة وكثروا السواد ليصير ذلك دفعا لهم عنهم بغير قتال وقيل اى ادفعوا العدو عن انفسكم وقيل عن
اموالكم وذراريكم وقيل اى عن دينكم وقيل او بمعنى الواو ولم يرغبوا فيه واعتلوا وذلك قوله تعالى **قالوا لو نعلم قتالا**
لا تبعناكم قد ذكرنا ان هذا قول عبد الله بن ابى حين انصرف قبل القتال فى ثلاثمائة رجل فدعاه بعض المخلصين
الى الرجوع فقال ذلك وقوله تعالى **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان** كلمتان يوم للظرف واذ للوقت والتنوين
اقيم مقام المحذوف بعده وتقديره يوم اذ قالوا ذلك وكذلك اذا فى قوله تعالى تلك اذا كرة خاسرة وتقديره تلك اذا
كان ذلك معناه هم بهذا الاظهار الى الكفر اقرب منهم للايمان اذ كانوا قبل ذلك فى ظاهر احوالهم الى الايمان اقرب حتى
هتكوا استارهم عند من كان يخفى عليه حالهم من المؤمنين الذين يحسنون بهم الظن فاما فى الحقيقة فهم كفار قطعا
واللام بمعنى الى فى الكلمتين كما فى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء اى تصرف الى الفقراء وقال تعالى بان ربك اوحى لها
اى اليها وقوله تعالى ينادى للايمان اى الى الايمان وقوله تعالى **يقولون بافواههم** هى جمع فم واصله فوه وتصغيره
فويه والجمع افواه والنعت افوه والانثى فوها والفعل منه فوه بكذا اى تكلم سقطت الهاء من آخر الفوه تخفيفا لكثرة
الاستعمال فبقى ناقصا آخره حرف علة فابدل بالميم فقيل الفم ثم اعيدت الواو والهاء فى التصغير والفعل والجمع لانه
لا يكثر استعمالها فاعيد الاسم الى الاصل وقوله تعالى بافواههم تاكيد والقول لا يكون الا بالفم اى بالملك الذى فى الفم
حقيقة فى التكلم بلا آلة وهو كقوله تعالى يطير بجناحيه وخر عليهم السقف من فوقهم ويكتبون الكتاب بايديهم وقيل
قيد بالافواه نفيا للمجاز وتحقيقا للمذكور لان ما فى النفس يسمى قولا مجازا ثم قوله تعالى يقولون بافواههم **ما ليس فى**
قلوبهم وقيل اى يقولون لا يقع الحرب وفى قلوبهم انها تقع وقيل اى يظهرون الايمان بالسنتهم وليس ذلك فى
قلوبهم وقيل اى يقولون بالالسنة نحن انصار وهم اعداء وقوله تعالى **والله اعلم بما يكتمون** اى يخفون من النفاق
وقوله تعالى **الذين قالوا لاخوانهم** قيل هو نعت لقوله تعالى وليعلم الذين نافقوا ومحله نصب وقيل هو رفع ويرجع الى قوله
يكتمون وهو خبر ابتداء وتقديره هم الذين اى قالوا هؤلاء المنافقون لعشائرهم وقوله تعالى **وقعدوا** اى وتخلفوا عن الجهاد
وقوله تعالى **لو اطاعونا** اى المستشهدون فلم يخرجوا ولم يشهدوا القتال وقوله تعالى **ما قتلوا** اى لم يستشهدوا
وكانوا احياء وقوله تعالى **قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين** اذ لم تحضروا القتال ان صدقتم ان من يشهد القتال
قتل ومن لم يشهد لم يقتل ولم يتلف وهذا رد عليهما قالوه من الكلام وقال ابو القاسم بن حبيب رايت فى بعض التفاسير انهم مات يوم قالوا هذه
الكلمة سبعون منافقا ممن لم يخرجوا الى الحرب قال الامام ابو منصور رحمه الله وهذه الاية ترد على المعتزلة قولهم
ان من قتل مات قبل اجله وقوله تعالى **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا** هذا نهى مؤكد
بالنون المشددة وهو خطاب للنبى عليه السلام وقرا ابن عامر وحمزة وعاصم ولا تحسبن بفتح السين والباقون بكسرها
وهما لغتان يقول لا تظن المستشهدين فى سبيل الله طلب رضى الله امواتا قال ابو الضحى نزلت فى قتلى احد قتل يومئذ
سبعون رجلا اربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان المخزومى وعبد الله بن جحش الاسدى
وسائرهم من الانصار ولما قتلوا واصابوا الرزق والخير تمنوا ان اصحابهم علموا ذلك فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم
فنزلت الاية وقال الكلبى كان المسلمون يقولون لشهداء بدر واحد مات فلان ومات فلان فنزلت الاية وقوله تعالى
بل احياء اى بل هم احياء **عند ربهم** وقيل اى فى حكم الله وقيل اى فى الجنة وروى ان ارواحهم فى اجواف طير خضر
ترعى فى الجنة بالنهار حيث تشاء وتاوى بالليل الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش يقول الله تعالى هل تشتهون
فيقولون نعيد ارواحنا فى اجسادنا فنقتل فى سبيلك مرة اخرى وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل هذه الحياة
هى بقاء الذكر والشرف فى اهل السماء والارض وقيل هى جريان اعمالهم بعد موتهم وقيل لانهم احيوا انفسهم بحق الاخرة
والكفار اماتوها وقيل لانهم انتفعوا بحيوتهم الفانية والكفار لم ينتفعوا بها فكانوا موتى وعلى هذا قوله تعالى صم بكم عمى
وقوله تعالى **يرزقون فرحين** هو ما روينا الان وقال ابن عباس رضى الله عنهما الشهداء على نهر يقال له بارق فى قبة
خضراء يخرج اليهم رزقهم فيها بكرة وعشية وليس ثم بكرة ولا عشية ولكن يؤتون بالرزق على قدر غداة الدنيا
وعشيها فاذا كان يوم القيمة قال الله تعالى للملائكة ادعوا الى خيرتى من خلقى فيقولون يا رب من هم فيقول الشهداء
الذين بذلوا دماءهم واموالهم وانفسهم فى فيمرون الى رب العزة وسيوفهم على اعناقهم فيدخلون مساكنهم فى
الجنة وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوله تعالى فصعق من فى السموات
ومن فى الارض الا من شاء الله من هؤلاء قال الشهداء وهم متقلدون السيوف حول العرش وقال جابر بن رسول الله لابى
قتل على بنات فقال يا جابر ان الله كلم اباك كفاحا فقال يا عبد الله سلنى ما شئت قال اسئلك ان تعيدنى الى الدنيا
فاقتل فيك ثانيا قال يا عبد الله انى قضيت ان لا اعيد الى الدنيا خليقة قبضتها قال يا رب فمن يبلغ قومى ما انا
فيه من الكرامة قال انا فانزل الله هذه الاية وقوله تعالى **بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون**
نصب على الحال من يرزقون اى مسرورين بالبشارة وقوله تعالى **بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** اى من بقى خلفهم
قال الحسن يقولون تركنا اخواننا فى الصفوف يقاتلون ان شاء الله فيلحقون بنا فيصيبون من الكرامة ما اصبنا
وقوله تعالى **الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اى بان لا خوف وقوله تعالى **يستبشرون بنعمة من الله وفضل**

اى يسرون

اى يسرون بما انعم الله عليهم من الثواب وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة وجمع بينهما لانها ليست بنوع تضعيفه
من مقدار الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة وقوله تعالى **وان الله لا يضيع اجر المؤمنين** قرا الكسائى
وان على الاستئناف والباقون بالفتح على معنى وبان الله اى علموا بان الله لا يضيع ثواب عملهم وقد كانوا علموا قبل ذلك
علم استدلال فالان علموا علم عيان وقوله تعالى **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح**
يجوز ان يكون الذين مخفوضا نعتا للمؤمنين ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره للذين الخ ويجوز ان يكون منصوبا
على المدح وهذا فى حق الذين خرجوا فى غزوة حمراء الاسد بعد غزوة احد لان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة
منصرفا من احد يوم السبت وامر يوم الاحد بطلب العدو وقال رحمه الله على من انتدب حتى يعلم المشركون انا لم نستاصل
وان فينا بقية فانتدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا حمراء الاسد ثم انصرفوا وقد فاتهم ابو سفيان واصحابه المشركون وكان المسلمون
سبعين رجلا ونحوها ومعنى قوله تعالى استجابوا لله اجابوا رسول الله فى اتباع العدو فان دعوته دعوة الله فكانت
اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم القرح اى الجرح فى غزوة احد وبهم اثر ذلك فاحتملوه ونشطوا فى ذلك طلبا لرضى الله
وروى انه كان فيهم من يحمل صاحبه ساعة ويتوكا عليه صاحبه ساعة وقوله تعالى **للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم**
اى قد احسنوا فيما فعلوا واتقوا فلهم على ذلك اجر عظيم لا يعرف مقداره الا الله وقيل من احسن العمل منهم فيما بقى واتقى
ارتكاب ما يحبط هذا الفعل اجر عظيم فى الاخرة وقوله تعالى **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم** يجوز ان يكون
نعتا للذين استجابوا ويجوز ان يكون مبتدأ وقصة ذلك ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ابا سفيان يوم احد
حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى نقاتل ان شئت فقال النبى عليه السلام
ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فانصرف ابو سفيان الى مكة فلقى نعيم بن مسعود المنفق فقال يا نعيم انى واعدت محمدا
واصحابه ان نلتقى موسم بدر الصغرى فبدا لى بعد ذلك ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد واصحابه ولا اخرج فيزيدهم
ذلك جراءة وان كان الخلف من قبلهم فهو احب الى فلك عشر من الابل ان حبستهم فلم يخرج فقدم نعيم المدينة وهم يتجهزون
لميعاد ابى سفيان فقال اين تريدون قالوا واعدنا ابو سفيان موسم بدر فقال بئس الراى رايتم اتوكم فى دياركم وقراركم
فلم يفلت منكم الا الشريد وتريدون ان تخرجوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاخرجن ولو لم يخرج منكم معى احد فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون رجلا حتى وافوا بدر الصغرى فلم يخرج ابو سفيان ولم يكن قتال
ثم انصرفوا فقوله قال لهم الناس على هذه الرواية اسم للواحد وهو نعيم وهو جمع اريد به الواحد وطريقه طريق
من انتظر قوما فجاء واحد فقال جاء الناس لما تغيبا للشان واما ذكرا لابتداء الاتيان اولان الواحد يكون له اتباع
فقوله قولهم وقيل هو على حقيقة الجمع وهم ركب من خزاعة فيهم معبد بن ابى معبد الخزاعى قال عطاء ان قوما من بنى عبد
قيس وهم يسلمون اراد والمدينة فمروا بابى سفيان فقال لهم انكم تمرون بمحمد فاريد ان تبلغوه منى رسالة ولكم
على حمل زبيبا تقولون قتلنا خيار اصحابك وجرحنا سائرهم ولترجعن من بين فتعلوا وراسهم معبد بن ابى معبد
الخزاعى وهو يومئذ مشرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل وقوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اى
ان ابا سفيان واصحابه جمعوا لكم الجموع اى الجيوش وقوله تعالى **فاخشوهم** اى فاحذروهم فانكم لا تقاومونهم
وقوله تعالى **فزادهم ايمانا** زاد يتعدى الى مفعولين والايمان هو اليقين ههنا وفاعل زاد هو قولهم وهو غير مذكور
لكن دل عليه الاضمار الفعل وهو قوله عز وجل قال لهم الناس وهو كقول الشاعر اذا نهى السفيه جرى اليه وخالف الى الخلاف
اى جرى الى السفيه ومعنى زيادة اليقين بقولهم فاخشوهم وتحقق ذلك انهم وجدوا الامر على ما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ما على قال اولئك وقيل زادهم جراءة وقوة ولم يخافوا تخويفهم وقيل لما قالوا ذلك كذبوهم واجابوا دعوة الرسول وصدقوا
وعده وقيل اخبرهم النبى عليه السلام بتفرق الاعداء واخبرهم المنافقون بالاجتماع فوجدوا الامر على ما قال النبى صلى الله عليه وسلم
وقيل لما لم يضعفوا ولم يجبنوا بقولهم انزل الله السكينة فى قلوبهم فازدادوا يقينا وتصديقا وقال الامام ابو منصور رحمه الله
الزيادة فى الايمان من وجوه منها الدوام عليه فيكون زيادة على ما كان ومنها الثبات عليه بوضوح الحجج ومنها زيادة البصيرة والتدبر
ومنها محافظة حقوقه والتمسك بادلته والوفاء بشرائطه وهذا كما عرف صلاة واحدة الفالما فيها من حفظ الحقوق ومراعاة
السنن والاداب وقوله تعالى **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** اى كافينا الله وهو من الحسب والحسب لان الكافى بحسب الحاجة
وعلى حسابها وقوله ونعم الوكيل اى نعم الولى والحفيظ والكافى هو من كان وكيلا لاخر كان متوليا امره قائما بتدبيره حافظا له فكان
الامر مفوضا اليه وقال مجاهد فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزلوا بدرا فوافقوا السوق فابتاعوا واتجروا وربحوا
قال عكرمة وكان بدر متجرا فى الجاهلية فخرج ناس من المسلمين يريدونها فاتوها ولم يجدوا بها العدو فاتجروا واصابوا
فضلا فذلك قوله تعالى **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل** اى انصرفوا من بدر بما انعم الله عليهم من العافية والسلامة
بما اصابوا من الارباح بالتجارة وقيل النعمة الاجر والفضل زيادة توع فى الدين وقيل النعمة الجنة والفضل فضل الكرامة
وقيل النعمة محمد والفضل التجارة وقوله تعالى **لم يمسسهم سوء** اى لم يصبهم اذى من قبل الاعداء وقوله تعالى **واتبعوا رضوان الله**
اى اتبعوا ما يرضى الله وقوله تعالى **والله ذو فضل عظيم** قال الكلبى اى بحبس ابى سفيان واصحابه عن المسلمين وقوله تعالى
انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اى يخوفكم اولياءه اى وهم الكفار وعن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم

انهما قرأ يخوفكم اولياءه والتخويف يتعدى الى مفعولين واولياءه مفعول ثان ههنا وفي قراءة ابي يخوفكم باوليائه وهذا
اظهر ونصبه بنزع الخافض وقيل بل هو المفعول الاول ومعناه ان الشيطان قوى اولياءه المنافقين من المشركين فيوسوس
اليهم ويعظم امورهم عندهم لئلا يخرجوا عونا للمومنين وقيل من خافهم فانما هو من اولياء الشيطان واما المومنون فلا يخافونهم
ومعنى الاية ان قولهم ان الناس قد جمعوا لكم هذا من القاء الشيطان اي في قلوبكم وقوله تعالى فلا تخافوهم وخافوني ان
كنتم مومنين لان الايمان يقتضي خوف العبد من الله تعالى دون غيره وقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
هو نهي المغايبة اي لا تحزن بما يفعله الكافرون المجتمع عليك وانما يفعله المنافقون من مظاهرتهم على ذلك وذلك مسارعتهم
في الكفر وهو جدهم فيه وسعيهم في اطفاء نور الله اسرع ما يمكنهم فكان هذا في المشركين والمنافقين جميعا وقال في اية
اخرى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون
ثم قال ومن الذين هادوا وهم الكافرون المجاهرون وقوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا قيل معناه لن يضروك
فان الله جل ان تلحقه المضار والمنافع لكن هذا وعد له بالنصرة والامان له من شرهم وضررهم واضاف ذلك الى نفسه
تشريفا وقوله تعالى يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة واراد تعالى ان لا يكون لهم ثواب في الاخرة من ارادة كفرهم
ومعاصيهم فدل ان ذلك كله بمشيئة الله تعالى وارادته وهذا في قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لا يختارون الايمان فلا يومنون
وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم اي في جهنم وقيل الاية في اليهود والمنافقين الذين يخوفون المومنين وقيل هي فيما اظهره
المشركون من الشماتة بالمسلمين فيما اصابهم باحد وقوله تعالى ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه به
واختاروه عليه وقد كشفنا عن حقيقته في سورة البقرة وقيل هي في المذكورين في الاية الاولى من المنافقين والمشركين واليهود
وقيل هي في المرتدين وقوله تعالى لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم وهذا للتاكيد والتقرير فان حملت على المرتدين
وعلى اليهود الذين كانوا مقرين بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل خروجه ثم كفروا به بعد خروجه فمعنى الاشتراء والاستبدال
ظاهر وان حمل على الكفار الاصليين فمعناه ترك الايمان يوم الميثاق او ايثارهم الكفر مع قيام الدلائل والتمكن من الايمان
وان حملت على المنافقين فهي في اظهارهم كفرهم لاصحابهم بعد اظهار الايمان للمومنين وقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم قرا حمزة بتاء المخاطبة وهي للنبي عليه السلام والذين مفعول وانما نملي وفعل الحسبان
واقع عليه وهو كقول الشاعر فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما وقرا الباقون ولا يحسبن بالياء
وهي نهي مغايبة والذين فاعل وانما مفعول اي لا يظن الكفار ان املاءنا لهم خير والاملاء اطالة المدة والملاء مقصور الدهر
والملوان الليل والنهار لطول تعاقبهما والملوة بفتح الميم وكسرها وضمها المدة وكذا الملاوة بالحركات الثلاث
وقوله تعالى واهجرني مليا اي حينا طويلا ويقال عشت طويلا وتمليت حينا اي اطلت مدتك معه واتصالها بما قبلها
انهم تمنوا بقتل الصحابة فقال لا يظن هولاء ان املاءنا لهم خير بل لو ماتوا في سبيل الله كالشهداء كان خيرا لهم وقوله تعالى
انما نملي لهم بالكسر للابتداء وقوله تعالى ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وهذا حجة لاهل السنة اي ان الله تعالى
خلق كل شيء لما علم انه يكون منه وانه مختار في ابطال القول بوجوب الاصلح فانه اذا كان املاؤهم لزيادة الاثم والعذاب
كان افناؤهم اصلح ومن جعل هذه اللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال خلقهم
ليطيعوا لكنهم عصوا ففي هذا تجهيل الله تعالى وتسفيهه لانه ان علم انهم لا يطيعون وخلقهم للطاعة فهو سفه وان لم يعلم
انهم لا يطيعون فهو جهل وتعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا وقوله تعالى وما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب اي ليس من صفة الله تعالى ان يترك المومنين على ما انتم عليه من اختلاط المنافقين بكم
واظهارهم انهم منكم وعلى هذا هو رجوع من المغايبة الى المخاطبة كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل فيه وجوه قيل لا يترك الله المومنين على ما انتم عليه ايها المنافقون ولكن يمتحنكم
بالجهاد وانواع المحن ليظهر المنافق لكم من المخلص وقيل ليظهر الكافر من المومن قال وقيل ان المنافقين كانوا يطعنون
في الصحابة ويستهزءون بهم سرا فقال لا ندع المومنين على ما انتم عليه ايها المنافقون من الطعن فيهم والاستهزاء بهم
لكن يمتحنكم بانواع المحن لتفتضحوا ويظهر نفاقكم عندهم قال ويحتمل ان يكون معناه لا ندع المومنين على ما انتم عليه
من النفاق والكفر في دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى يميز فيها الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث في النار والطيب في الجنة
كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وقيل ما انتم عليه
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم او على ما ولدتم عليه فلا يتعبدكم ولا يمتحنكم حتى يتميز بظهور افعال الفريقين واتصالها
بما قبلها ان في غزوة احد وقع اتباع المشركين بعد ذلك ظهر المخلص من المنافق وقوله تعالى حتى يميز الخبيث من الطيب ماز
يميز ميزا اي فرق بين شيئين وميز تمييزا اذا فرق بين اشياء وقد ماز فامتاز وامتاز وميزه فتميز وقال مجاهد وابن
جريج ومحمد بن اسحق معناه حتى يميز المنافق من المخلص وفي قول قتادة والسدي اي الكافر من المومن وهذا التمييز بتكليف
الجهاد ونحوه ليظهر بذلك ما يريدهم وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب فيه لتعلموا اهل الجنة من اهل النار
لانه زوال الامتحان لكن التمييز بما قلنا وقوله تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي يختار فيخصهم باعلام المومن
من الكافر ثم يامرهم بكتمان ذلك وبالعمل على ظاهر الاية ويحتمل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيمتحن خلقه بشرائعهم

فيتميز

فيتميز الفريقان بالامتحان وقيل وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي ليجعلكم كلكم عالمين بالغيب فتستغنوا عن الرسل
بل يخص بالرسالة من يشاء ويكلف الناس الى طاعتهم والانقياد لهم والاخذ منهم وقال الكلبي ان قريشا قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل منا اذا كان مخالفا لك تزعم انه في النار واذا اتبع دينك تزعم انه في الجنة فاخبرنا عن هذا من ياتيه
فانزل الله جل جلاله وما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه من الكفر والنفاق حتى يميز اي يخلص الكافر من المومن وما
كان الله ليطلعكم يا معشر قريش على الغيب فيتبين لكم المومن من الكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي يصطفي للنبوة
من يشاء ويطلعه ما يشاء من امره وقال ابو العالية ان المومنين قالوا لو ميز الله المنافقين فاعلمهم الناس حتى يعرفوا فانزل الله تعالى
وما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فيعرف النبي عليه السلام ذلك وما كان الله ليطلعكم
على المنافقين ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على غيبه ويميز له المنافق من المومن وقال مقاتل ان الكافرين
قالوا ان محمدا ان كان صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر فقال الله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب فلما اوحي الانبياء
وروى السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي امتي في صورها في الطين كما عرضت
على ادم واعلمت من يومن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا وقالوا زعم محمد انه يعلم من يومن به ممن يكفر ممن لم
يخلق بعد ونحن معه فقام على المنبر خطيبا فحمد الله واثنى عليه فقال ما بال اقوام جهلوني فطعنوا علي في علمي لا تسألوني
عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا انبأتكم به ونزل وما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه اي من الاجتماع حتى يميز الخبيث
من الطيب ويميز المومنين يوم احد من المنافقين حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
فامنوا بالله ورسله هو امر بابتداء الايمان في حق الكفار وامر بالدوام عليه في حق المومنين وكذا قوله تعالى وان تومنوا
وتتقوا فلكم اجر عظيم اي وان توحدوا ايها الكفار وتتقوا المعاصي وان تدوموا على الايمان والتقوى ايها المومنون
فلكم ثواب عظيم في الاخرة وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل انهم كانوا يقولون لا نومن حتى نوتى مثل ما اوتي الانبياء
كما قال تعالى لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله وقال تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة وقال تعالى وما كان الله
ليطلعكم على الغيب وانما يطلع عليه من اختاره لرسالته قال وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون السمع
فياتون بالاخبار الى الكهنة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم الكهنة يخبرون الكفرة قال الله تعالى وما كان الله ليطلعكم على
الغيب بعد بعث النبي عليه السلام كما كنتم تطلعون على اخبار السماء قبل بعثه ولكن الله يختار من رسله من يشاء فيوحي اليه ذلك
وقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم قرا حمزة بتاء المخاطبة اي لا تظن يا محمد
بخل الذين نصب لانه مفعول وقوله هو خيرا لهم هذا بدل من الاول والنهي واقع عليه وقرا الباقون ولا يحسبن بالياء
وهو نهي مغايبة والذين مرفوع لانه فاعل والبخل منع الحقوق الواجبة في المال من الزكوة والانفاق في الجهاد والحج ونوائب الحق
وكلمة هو ترجع الى البخل المذكور في قوله تعالى يبخلون وانصبا لها بالاولى انه ذم المانعين اموالهم في سبيل الله في غزوة احد
ونحوها فقال ولا يتوهمن الذين يمنعون من اخراج ما يجب عليهم في اموالهم التي اعطاهم الله تعالى والفضل هو فضل الله تعالى
كما في قوله تعالى يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ان بخلهم هو خير لهم في الاخرة وقوله تعالى بل هو شر لهم لان اموالهم
ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة اي سيجعل ما لهم الذي منعوه
عن الحق طوقا في اعناقهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من منع زكاة ماله يصير حية
ذكرا شجاعا اقرع له زبيبتان يطوق في عنقه فينهشه بنابه فيتقيه بذراعيه حتى يقضي بين الناس فلا يزال معه حتى يساق
الى النار وقيل سيطوقون اي سيكلفون ان ياتوا بما له يمثل له في النار بجسده فيقال له انزل فاخرج فكلما نزل هوى في جهنم
فيعذب فيها ما شاء الله انه في قول الكلبي في منع الزكوة وقال الضحاك هم اليهود اتاهم الله التوراة فبخلوا ببيان نعت
محمد صلى الله عليه وسلم ولو اظهروه لكان خيرا لهم الذكر والشرف في الدنيا والثواب والكرامة في الاخرة ولما كتموا كان لهم
خزي في الدنيا ويطوقون ذلك في الاخرة اي يجعل في اعناقهم اطواق من نار علامة لهم على ذلك وقيل حيات في اعناقهم
تلتوي عليهم وقيل بل في كل الابدان عليها وانما جعلت في الاعناق لان لزوم البيان كان في اعناقهم وقال النبي صلى الله عليه
وسلم من سئل عن علم وهو عنده فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار ولما كان البيان باللسان والكتمان في الفم فاستغنوا عنه
عوقبوا به بجنسه وقال مسروق هو الرجل يرزقه الله مالا فيمنع قرابته الحق الذي لهم فيجعل حية فيطوقها فيقول انا
مالك وقال بعض المفسرين يلزمون ما لهم مثل ما يلزم الطوق العنق وهو تمثيل كقولهم طوقتني منة وقلدني عمل كذا قال تعالى
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقال مجاهد سيطوقون اي سيكلفون ان ياتوا بالمال الذي بخلوا به عن الحقوق ولا
يقدرون وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض تحريض على الانفاق لان الكل يموتون فيزول املاكهم والله تعالى
يبقى بملكه القديم الذي لا يزول وهو كقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض وقال ابو منصور
رحمه الله تعالى في ذلك الاية ان اهل السموات يموتون خلاف ما تقوله القرامطة انهم لا يموتون لانه اخبر ان له ميراث السموات والارض
والوارث هو الذي يخلف المورث فيما كان يضاف اليه وان كانوا هم وجميع ما في ايديهم لله تعالى ملكا له وعبيدا له قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده سمي ما يكون للمولى من عبده ميراثا وان كان العبد
وما في يده ملكا للمولى فكذا هذا او وجه اخر لتسميته ميراثا انه اخبر عن ذهاب اهلها وبقائه عز وعلا وانما كان كذلك لان

الميراث يكون لمن له البقاء بعد فناء من تقدم والله تعالى هو الباقي بعد فناء الكل وعلى هذا وراثة المسلمين الجنة حوبقاء ونعيم فيها لا انتقالها من غيرهم اليهم او على وراثة ما لو كان من لم يؤمن آمن او ما ادعى اليهود والنصارى انها لهم بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فصارت ميراثا لغيرهم وقوله تعالى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ قرا ابن كثير وابو عمرو بيا المغايبة عن الذين يبخلون وقرا الباقون بتا المخاطبة وهو وعد ووعيد على ما مر مرارا وقوله تعالى لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ اتصالها بما قبلها انه تعالى وصف اليهود في الآية الاولى بالبخل وفي هذه الآية بقول هو اسوأ من ذلك قال قتادة لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود انما يستقرض الفقير من الغني فنزلت الآية وقال الكلبي والضحاك والسدي قال ذلك فنحاص بن عازورا اليهودي من بني مرثد وقيل من بني قينقاع قال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا فنحاص آمن بالله وحده وآمن برسوله واقم الصلوة وآت الزكوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة قال لئن كنت صادقا ان الله يستقرضنا ان الله اذا لفقير ونحن اغنياء فلطمه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وقال لم ضربته فقال انه قال كذا وكذا فنزلت الآية وقوله تعالى سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا اي سنامر الحفظة بكتابة ما قالوا ليقرءوا ذلك في كتبهم يوم القيمة ويحاسبوا بها ويجزون عليها وقيل اي سنحكم عليهم بجزاء ما قالوا كما قال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي حكم وقيل اي سنحفظ عليهم ذلك فان الكتاب من الخلق يكون لحفظ ما فيه فسمي به مجازا وقوله تعالى وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ عطف على ما قالوا اي سنكتب ذلك ايضا وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله وقتلهم بالرفع عطفا على ما قالوا وهو اسم ما لم يسم فاعله وقوله تعالى وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ قال الضحاك اي يقول لهم ذلك خزنة جهنم في الآخرة واضافه الله تعالى الى نفسه لانه بامره كما في قوله تعالى سنكتب والقتل كان من اسلافهم لكن رضي هؤلاء بذلك فذموا به وقد يرع سنكتب عليهم ما قالوه بانفسهم وما رضوه من قتل آبائهم الانبياء والحريق الاسم من الاحتراق قال ذلك في ديوان الادب وهو فعيل بمعنى مفعل وهو اسم للنار لانها محرقة وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس في الآية بيان القائلين ولا يقع في النسبة الى احد سوى خوف الكذب لو لم يكن منه ذلك لكنهم قالوه ولا غلب على مثله ان يكونوا قالوه سرا وفي اظهاره آية الرسالة وكانت الاوائل قالوا ذلك فتكون آية الرسالة في اظهار ذلك ولا يحتمل ان يكونوا قالوا بحضرة الصحابة رضوان الله عليهم فيصبروا الا ان يكون في وقت امروا بالكف ويكون ذلك بان قد رطا عنهم الله تعالى عظيم ما سمعوا من القول وفي ذكر ذلك دعاء الى الصبر على اذاهم وسوء قولهم فيهم وسوء قولهم اذهم مع تقلبهم في نعم الله جل جلاله وعلمهم انهم نالوا خيرا الا بالله تعالى اجترؤا عليه بمثل هذا القول والله تعالى مع قدرته وسلطانه يحكم عنهم ليوم وعد فيه الجزاء فمن ليس منهم نعمة ولا تقدم عليهم منه احق بالصبر على اذاهم والاعراض عن مكافاتهم وعلى ذلك قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله وقوله تعالى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ اي ذلك العذاب لكم بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان عامة ما يكتسبه الانسان يكون بيده ولانه يذكر للتحقيق على معنى انه فعل بنفسه لا غيره بامره قال تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا وقوله تعالى وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ اي وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم من غير جرم وقوله تعالى الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ الذين يرجع الى قوله لقد سمع الله قول الذين قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف وغيره من رؤساء اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الله عهد الينا اي امرنا واخذ الميثاق علينا في التوراة ان لا نصدق احدا حتى ياتينا بقربان تاكله النار اي يتقرب قربانا فتنزل من السماء نار فتاكله فان جئتنا به صدقناك فنزلت الآية وقوله تعالى قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ بالتوراة والانجيل والمعجزات وجاءكم اي جاء اسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم وقوله تعالى وَبِالَّذِي قُلْتُمْ وبهذا القربان الذي قلتم وقوله تعالى فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ يقول ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذي اتوا به وقتلتموهم وقوله تعالى إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في قولكم انما تؤخرون الايمان لهذا وقيل ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول مني فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار تنزل من السماء حتى ياتيكم المسيح ومحمد عليهما السلام فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان وقوله تعالى فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ اي فان كذبك هؤلاء اليهود بما لم تاتهم بالقربان فلا يهولنك وليهون عليك فقد فعلت الامم بانبيائهم كذلك وقوله تعالى جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ اي المعجزات الظاهرة وقوله تعالى وَالزُّبُرِ اي الكتب جمع زبور من زبر يزبر اذا كتب وقيل الزبر احكام الكتاب والزبور اي الكتاب المحكم وقوله تعالى وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ اي المضيء المبين بالامر والنهي قال الكلبي الزبر احاديث الانبياء عمن قبلهم والكتاب المنير ما جاءوا به من الكتاب المنزل عليهم وقيل هما واحد في الاصل وذكرا جميعا لاختلاف الوصفين فان الزبور هو الكتاب الزاجر والكتاب المنير الهادي وقد زبره اي زجره وقوله تعالى كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ اي كل روح ستجرع غصص الموت وانث قوله ذائقة الموت لتانيث النفس سماعا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الارض وظنوا ان اهل السماء لا يموتون فلما نزل قوله كل نفس ذائقة الموت ايقن الملائكة بهلاكهم معهم والذوق في موضع الحقيقة تعرف طعم الشيء بالفم

ويستعمل

ويستعمل في اشياء بمعنى الفعل يقال ما نلت مقصا قال المتنبي اذا اما الناس جربهم لبيب فاني قد طعمتهم وذاقه قال تعالى فذاقت وبال امرها وقال فذوقوا العذاب وقال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف واتصال هذه الآية بما قبلها ان تقديره لا يحزنك تكذيبهم اياك فالى مرجع الخلق فاجازيهم على التكذيب واجازيك على الصبر وذلك قوله تعالى وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اي تعطون على الكمال ثواب اعمالكم في الآخرة فان الدنيا ليست بدار الجزاء وقوله تعالى فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ اي بعد وقيل ونحي ذلك عند قوله عز وجل وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وقوله تعالى وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ اي ظفر وقيل سعد وقيل اي نال كل ما رجى وامن من كل ما يخاف وقوله تعالى وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ والمتاع البلغة المنقضية والغرور الخداع وهو اضافة الشيء الى الصفة ومعناه ان هذه الحيوة سبب الاغترار بها باعتماد الانسان عليها فلا ينبغي له ذلك بها غرته وقوله تعالى لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ اي لتختبرن وتمتحنن واللام والنون على معنى القسم في اموالكم بالانفاق في سبيل الله وفي انفسكم بالقتل والجراح وقوله تعالى وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اليهود والنصارى أَذًى كَثِيرًا ما يؤذيكم سماعه كما روينا من سماع ابي بكر الصديق رضي الله عنه من قول فنحاص بن عازورا اليهودي ان الله فقير ونحن اغنياء وقوله تعالى ومن الذين اشركوا فانهم يقولون في الله ما هو منزه عنه وروي ان كعب بن الاشرف كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويحرض المشركين على قتالهم فشق ذلك على المسلمين فاحتالوا في قتله حتى قتله محمد بن مسلمة وقوله تعالى وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا اي وان تصبروا على الاذى وتتقوا الله فلا تخالفوه فيما امر وقوله تعالى فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ اي من عمل اهل الحزم والعزم وقيل من الامر الذي ظهر رشده وصوابه وصلاحه وقيل اي مما يجب ان يعزم عليه كل عاقل وقوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ واتصالها بما قبلها انه دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى الصبر على اذاهم في الآية الاولى وبين في هذه الآية انهم لا يؤذونه من خفاء حاله عليهم فقد اخذ الميثاق عليهم بان يبينوا حاله وعرفهم ذلك وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي الذين اوتوا الكتاب ههنا هم اليهود وقيل اليهود والنصارى وقيل كل من عنده علم من الكتاب وقال الحسن وقتادة هو الكتاب وهو مذكور وقوله تعالى لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم بياء المغايبة فعلا الذين اوتوا الكتاب وهو غيبا كل قوله فنبذوه وقرا الباقون بتاء المخاطبة على تقدير انهم خوطبوا بذلك عند اخذ الميثاق يقول واذكر يا محمد اذ اخذ الله ميثاق اهل الكتاب على السنة انبيائهم ان يبينوا الكتاب وامر محمد عليه السلام للناس ولا يخفونه وقوله تعالى فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ اي تركوه وتغافلوا عنه فكانهم القوه وراء ظهورهم ولا يرونه ولا يذكرونه وقوله تعالى وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا اي واستبدلوا به ما ينالونه من سفلتهم كرهوا ان يؤمنوا فينقطع ذلك عنهم فكتموا ما علموا من ذلك وامروهم ان يكذبوه وقوله تعالى فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ اي بئس ما يستبدلون وقد كشفنا حقيقته في سورة البقرة لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا اي ولا تظن يا محمد اليهود الذين يسرون بما فعلوا من كتمان صفة محمد والتكذيب وظنوا ان ذلك مقبول منهم وان الله تعالى لا يخبرك بفعلهم وقوله تعالى وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا اي يحمدوا على الكتمان جحدا من اخبر بحق وان يمدحوا بما ليس فيهم فيقال انهم اهل علم ونسك وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقيل في المنافقين كانوا يتخلفون عن القتال مع المؤمنين وكانوا يحبون ان يقبل عذرهم وان يحمدوا على ما لم يكونوا عليه من الايمان وقوله تعالى فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ اعاد هذه الكلمة لطول الكلام اعلاما ان آخره متصل باوله وقوله تعالى بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ اي بمنجاة منه وقوله تعالى وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي مولم في الآخرة وقوله تعالى وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي فهو الغني في الحقيقة وليس بفقير كما قالت اليهود ولانه ذكر جزاء اعمال الفريقين وبين ان المجازي من هذا صفته ولانه قال فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا يفوتونه فله ملك السموات والارض وقوله تعالى وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تقرير للمعاني الثلاثة ولو قال وهو على كل شيء قدير استغناء فقد مر ذكر الله تعالى مرة لكن هذا ابلغ كل كلام مستقلا بنفسه وقوله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ هو بيان ملكه وقدرته الذي ذكرهما في الآية الاولى وقد مر تفسير هذه الآية في سورة البقرة على الاستيفاء وقال الامام ابو منصور رحمه الله في ذلك دليل لزوم التوحيد اذ صيرها آية لمن له ذلك واول درجات ان يعرف منشيها وجاعلها آيات وقوله تعالى الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ هو نعت لاولي الالباب وقياما جمع قائم وقعودا جمع قاعد وهما نصب على الحال وعلى جنوبهم يتضمن قوله ومضطجعين وهو كقوله دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا لجنبه او قاعدا او قائما وقوله تعالى يذكرون قيل هو الذكر باللسان على هذه الاحوال الثلاث فان الانسان يكون على احدى هذه الحالات الثلاث الا في النادر واراد به دوام ذكر اللسان وهو قول ابن جريج وتبين به انه يحسن ذكر الله تعالى بكل حال وقال الزجاج هو عندي ذكر القلب بكل حال وقيل ذكر القلب لا يخلو عن الخوف معناه يخافون الله قياما في تصرفهم وقعودا في دعتهم وعلى جنوبهم في مضاجعهم وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو الصلوة كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي يصلون لله قياما له حالة القدرة وقعودا عند العجز وعلى جنوبهم اذا ضعفوا عن القيام والقعود وقيل اي الذين يذكرون الله قياما باوامره وقعودا عن زواجره وعلى جنوبهم اي على اجتنابهم عن مخالفة امره وقال الامام ابو منصور رحمه الله لما جعل الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الاحوال يجوز ان جعل القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل

العقود راحة له عند الاعيا وكذا الاضطجاع اسنادا لهم الشكر له في كل نعمة على كل حال من تلك الاحوال ومدحهم على ما
اذا فعلوا وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اي للاستدلال وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا فيه
اضمار للقول تقديره يقولون ربنا ما خلقت هذا اشارة الى قوله في خلق السموات والارض ولو اشار الى السموات والارض
لقال هذه وقوله تعالى باطلا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا لقوله خلقت كما في قوله تعالى أاسجد لمن خلقت طينا ويجوز ان
يكون منصوبا بنزع الخافض وتقديره لباطل او على باطل وهو كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق وقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا ومعناه ما خلقته باطلا عبثا بل دليلا على ملكك وعلى وحدانيتك
وكمال قدرتك ولصالح عبادك وقوله تعالى سبحانك اي تنزهت عن ان تخلق شيئا عبثا وقيل تقدست عن كل عيب
وقوله تعالى فقنا عذاب النار مر تفسيره وقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فضحته وقيل
اذللته وقيل جعلته خزيانا اي مستحيا خجلا باعماله وقوله تعالى وما للظالمين من انصار اي من ظلم نفسه بالكفر
والمعصية او وضع الشيء في غير موضعه فلا معين له ولا مانع وذكرهم هذا بيان انهم يعلمون كيف حال اهل النار
وذلك اجلب للاخلاص والتضرع في الاستجارة من النار ممن يستجير وهو ساه عن ذلك ارجا هل له وقوله تعالى ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال الكلبي مناديا داعيا يعني محمدا وقال محمد بن كعب القرظي هو القران فانه
ليس كل الناس راى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم داع لمن شهده ولمن جاء بعده وقال تعالى لانذركم
به ومن بلغ فالصرف اليه اولى وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وقال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله وقال تعالى
ادع الى سبيل ربك وقوله تعالى ينادي للايمان اي الى الايمان كما في قوله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان وانما جاز
اللام مقام الى لان اللام للغرض الذي هو الغاية والى للغاية فتقاربا وقيل فيه تقديم وتاخير سمعنا مناديا للايمان ينادي
وقوله تعالى ان آمنوا بربكم قيل ان منصوب بوقوع النداء عليه وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي بان آمنوا بربكم وقوله تعالى
فآمنا قال الامام ابو منصور رحمه الله دل هذا على ان الايمان هو الاقرار والاعتقاد دون العمل وعلى بطلان الاستثناء فيه
فانهم كما دعوا اليه اجابوا وحققوا ذلك للحال وقبل العمل ولم يستثنوا فيه ومدحهم الله تعالى عليه وقوله تعالى ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا المغفرة ستر الذنوب والتكفير كذلك كما مر في سورة البقرة وانما جمع بينهما لان المغفرة
قد تكون تفضلا من الله تعالى ابتداء والتكفير يكون بالحسنات والنوائب والنكبات فكانهم سالوا مغفرة ما مضى من ذنوبهم
فضلا وتكفير ما يكون منهم في المستقبل بما يوفقهم له من الخيرات والصبر على ما ينوبهم من الآفات فكانهم سالوا التوفيق لذلك
وقوله تعالى وتوفنا مع الابرار هو جمع البر كالاجداد جمع الجد وجمع البار كالانصار جمع الناصر وكالاصحاب جمع الصاحب
وقد مر تفسير البر في قوله ليس البر ومعناه امتنا مع الابرار من عبادك الذين رضيت اعمالهم ووفاتهم معهم ان يموتوا على
مثل اعمالهم فيكونوا في درجاتهم كما قال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه اي سووا على اتباع منهم له وعمل بما دعى اليه
وقيل وتوفنا مع الابرار اي في جملتهم كما قال اولئك مع الذين انعم الله عليهم اي في جملتهم ويقال فلان مع اصحاب الالوف
في العطاء اي في جملة الذين اذا اعطوا اعطوا الفا الفا وقيل توفنا مع الابرار اي في عصر الابرار ولا تؤخرنا الى زمان
الاشرار وقوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك هنا مضمر وهو سائغ في اللغة اي قد وعدت على السنتهم
ان من مات برا اعززته بالثواب ولم تخزه بالعقاب فاعطنا ذلك وقيل معنى قوله على رسلك اي ما جعلته على رسلك من الشفاعة
ومن استغفارهم للمؤمنين والمؤمنات قال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى ولا تخزنا يوم القيمة اي فقد وعدت ذلك بقولك يوم لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا وقد فسرنا الخزي في قوله تعالى فقد اخزيته وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد فان قالوا لما وعد ذلك
وهو لا يخلفه فما معنى السؤال قال الامام ابو منصور جوابه من وجوه احدها انه وعد ذلك وامر بالسؤال كما قال كان على ربك
وعدا مسؤلا والثاني ان وعد الاستغفار من النبي عليه السلام كان مع استغفار يوجد من المذنب قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول والثالث ان الوعد لهم بذلك اذا ماتوا على ذلك فهذا سؤال الثبات
على ذلك والرابع انه سؤال ان يجعلهم من جملة الذين كان لهم الوعد غير مبين لمن هو وقوله تعالى فاستجاب لهم ربهم
قال جعفر بن محمد الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد واستجاب له ما دعا
واستشهد بهذه الآيات ان الله تعالى ذكر من هؤلاء انهم قالوا ربنا خمس مرات ثم ذكر استجابته لهم ومن اهل العلم من ذكر ان هذه
الدعوات الخمس من النبي عليه السلام وخلفائه الراشدين الاربعة على الترتيب وقوله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر
او انثى فاستجاب باني ولو كسر جاز على الحكاية والاضاعة الاهمال والابطال وقوله من ذكر او انثى من لبيان جنس من
اضيف اليهم العمل كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل هو لتاكيد النفي اي اجازي كل عامل ولا اترك مجازاته
ذكرا كان او انثى وقال مجاهد ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال النساء لا يذكرن في القرآن كما يذكر الرجال فنزلت
هذه الآية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية وقوله تعالى بعضكم من بعض اي كلكم مجتمعون على دين الله تعالى
يقال فلان مني اي على خلقي او مذهبي وقال تعالى فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقيل اي الذكور والاناث
بعضهم من بعض في الخلقة وقوله تعالى فالذين هاجروا اي رحلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقوله تعالى

واخرجوا من ديارهم اي اضطروا بايذاء الكفار الى خروجهم من اوطانهم وتركها وقوله تعالى واوذوا في سبيلي في الجهاد
بانواع الاذى وقوله تعالى وقاتلوا اي حاربوا الكفار وقوله تعالى وقتلوا اي واستشهدوا في الحرب وقرئ وقتلوا وقاتلوا
اي وقتل بعضهم فلم ينكل الباقون بل قاتلوا وقوله تعالى لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها
الانهار اي لاجزينهم بمحو السيئات واعطاء الجنة والدرجات وقوله تعالى ثوابا من عند الله قيل هو نصب على التفسير
كقولك هذا لك هبة مني وقيل هو مصدر فعل مدلول عليه او مضمر لان معنى قوله لاكفرن ولادخلن بمعنى لاثيبن بهذا
واضمار يثابون بذلك ثوابا وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب فانه لا يفنى ولا ينكر وهو كثير على عمل قليل مقدر وقوله
تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد قيل الخطاب لكل مكلف اي ايها السامع وقيل هو للنبي صلى الله عليه وسلم
وان كان لا يغره تقلبهم وكان معصوما عن ذلك فله وجوه ذكرناها عند قوله عز وجل ولئن اتبعت اهواءهم ان المخاطبة
خطاب الامة ولان العصمة لا تزيل النهي فانه لو زال النهي عنه بذلك لبطلت العصمة فان العصمة هو الحفظ عن الخلاف
واذا زال النهي لم يكن خلاف فلم يكن عصمة ومعنى الآية لا تغتر ولا يستضر هؤلاء الكفار واليهود الذين يردد كرهم في
بلاد الله كيف شاؤا لا يؤاخذون بكفرهم وباضطرابهم فيها لاكتساب الاموال والاستكثار منها ولا يقولوا في انفسهم مالهم
امنين اغنياء متمكنين وهم كفار مبطلون ونحن خائفون مقلون مع انا مؤمنون محقون وقوله تعالى متاع قليل
اي منفعة يسيرة ثم تنقطع ووصفه بالقلة وان طالت مدتهم بالاضافة الى النعيم الذي في الجنة الذي لا انقطاع له
قليل وقوله تعالى ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي مصيرهم النار وبئس الفراش وسمي ذلك مهادا والمهد للنار تمهيد
لانها بدل مهاد اهل الجنة وهو كالبشارة بالعذاب جعلت بدلا عن البشارة بالثواب وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم
لكن كلمة استدراك باثبات بعد نفي او نفي بعد اثبات يقول ما قام زيد بل عمرو وجاء القوم لكن زيد لم يجئ وقوله تعالى
اتقوا ربهم اي خافوه فلم يخالفوا امره ولا نهيه وقوله تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
والكفار كانت مأواهم النار وبئس القرار وقوله تعالى نزلا من عند الله اي رزقا اعد لهم اذا نزلوا والانزال ما يعد
الاضياف ونصبه على التفسير او على المصدر المدلول والمضمر كما مر في قوله تعالى ثوابا من عند الله وقوله تعالى وما عند الله
خير للابرار اي من زهرة الدنيا للكفار وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها
اما البرة فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للابرار واما الفاجرة فانه يقول انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله تعالى
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم لما ذم اهل الكتاب الذين كفروا وكتموا الحق
ونبذوه وراء ظهورهم واساؤا القول في الله وفي رسوله وفي المؤمنين مدح منهم الذين امنوا واتبعوا الحق بهذه الآية
ولمن لام التاكيد ودخلت في الاسم ههنا دون الخبر وانت تقول ان زيدا لعالم فتدخل اللام في الخبر دون الاسم والتنبيه
في الخبر ان في الاسم واللام في الخبر فاذا دخلت ان في غير الاسم وتقدم ذلك وتاخر الاسم جعلت اللام في الاسم قال تعالى
ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى وقال تعالى ان في ذلك لآية وقوله تعالى خاشعين لله اي خائفين خاضعين
وهو نصب على الحال من قوله يؤمن وقوله تعالى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وقد فسرنا ذلك وقوله تعالى اولئك
لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب اي لا يؤخر جزاء اعمالهم يوم القيامة لطول الحساب قال مجاهد نزلت في المؤمنين من اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واشباهه وقال قتادة نزلت في النجاشي فانه لما مات ونعى النبي صلى الله عليه وسلم خرج فصلى عليه
فقال بعض الكفار صلى على علج نصراني لم يره قط فانزل الله تعالى هذه الآية ليبين انه قد امن بالله وقال عطاء نزلت في
اربعين من اهل نجران من بني الحارث بن كعب اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وامنوا بالنبي
عليه السلام لكن الذين اتقوا ربهم المهاجرون والانصار وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وبعد ما اخبر في
هذه السورة قصة بدر واحد وما نال المؤمنين من النكبات وبعد ما اخبر عن حال النصارى في اولها وعن حال اليهود
في اخرها ختم السورة بالامر بالصبر فقال اصبروا اي على دين الله وقيل اي على امر الله وقيل اي على الطاعة وقيل اي عن المعصية
وقيل اي على المكاره وقوله تعالى وصابروا اي اعداء الله في القتال فاثبتوا ولا تتولوا والمصابرة بين الاثنين والجمع
وقوله تعالى ورابطوا اي كونوا في الثغور رابطين خيولكم مستعدين للقتال والمرابطة بين الاثنين والجمع اي يربطوا
خيولهم على المقابلة استعدادا للمقاتلة وقوله تعالى واتقوا الله اي في جميع اوامره ونواهيه فليس عليكم الجهاد فحسب
وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي لتفلحوا ولرجاء ان تفلحوا والفلاح الامن من كل ما يخاف والوصول الى كل ما يرام والصبر
هو حبس النفس عما لا يرضاه الله تعالى واوله الصبر وهو التكلف لذلك ثم المصابرة وهي معارضة ما يمنعه عن ذلك
ثم الاصطبار وهو الاعتياد والالتزام ثم الصبر وهو كماله وحصوله من غير كلفة وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن في قوله تعالى
ورابطوا لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المرابطة في الثغور وانما هذا الامر انتظار الصلاة بعد الصلاة قال النبي
صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره
وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وقال ابن جريج اصبروا على
طاعة الله وصابروا اعداء الله ورابطوا في سبيل الله قال مقاتل اصبروا على امر الله وصابروا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في المواطن كلها ورابطوا العدو في الثغور وقال عطاء اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدكم ورابطوا عدوكم

١٦

حتى يرجع عن دينه الى دينكم واتقوا الله اى خافونى فيما نهيتكم واطيعونى فيما امرتكم لعلكم تسعدون وتبقون فى الجنة
ناعمين مخلدين كما بشرتكم قال بعض اهل المعرفة اصبروا على بلائى وصابروا نعمائى ورابطوا اعدائى واتقوا محبة من سوائى
لعلكم تفلحون غدا بلقائى وقال الخواص اصبروا وامدوا قيام الفقر على احتمال الكرب وصابروا على معاناة العنا والتعب
ورابطوا اعدائى بلا هرب واتقوا بهمكم على الاتفاق على السبب لعلكم تفلحون غدا بلقائى على بساط الطرب وقال الامام
القشيرى رحمه الله يقال اصبروا على الطاعة وصابروا فى ترك الهوى والشهوات وقطع المنى والعلاقات ورابطوا بالاستنا
فى الصحبة فى عموم الحالات ويقال اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ورابطوا باسراركم وقال الصبر مر منه افيه
اذا كان العبد يحتساه على الغيبة وحلو يذ طعمه اذا شربه على الشهود والرؤية واتقوا الله بمخالفة اهوائكم لعلكم تفلحون
والفلاح الظفر بالبغية وهمة القوم اليوم الظفر بنفوسهم فاذا ظفروا بها ذبحوها بسيوف المجاهدة وصلبوها على
عيدان المكابدة وبعد فنائهم عنها حصل بقاؤهم بالمشاهدة وفى فضل هذه السورة احاديث روى ابن عباس رضى الله
عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وقال عمر رضى الله
من قرأ سورة آل عمران فى ليله فهو غنى وروى الشعبى عن مسروق قال ما خيب الله عبدا قرأ من ليلة البقرة وآل عمران
والنسا وقال ابو العطاء اسم سورة آل عمران فى التورية طيبة والحمد لله الموفق على الخيرات والمرتق للقلوب القاسيات
الذى يجازى على الحسنات ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض والسموات بعث محمدا عليه السلام الداعى الى الطاعات والقربات
المؤيد بالدلالات والمعجزات الذى هدانا به عن الضلالات ونجانا من المهالك والموبقات صلى الله عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات وعلى آله الذين هم يد على العداة وقوة على المشركين والمشركات وقوى بهم الملة الاسلامية والدين الحنيفية
والسيرة المرضية رضوان الله عليهم اجمعين وعلى من اتبعهم الى يوم الدين لقد تمت هذه السورة بمن الله وقوته
وعونه ونصرته ختم الله لنا وللمسلمين بخير امين بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذى خلقنا
من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وكان فى ذلك وفى كل شئ عليما حكيما الرحمن الذى
علم الانسان ما لم يعلم وكان فضل الله عليك عظيما الرحيم الذى قال فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى
رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما وسورة النسا مدنية وهى مائة وسبع وسبعون آية وهى على قول
من لا يجعل قوله ان تضلوا السبيل آية وعند بعضهم خمس وسبعون وهو على قول من لا يجعل هذه آية ولا يعد ايضا قوله
فيعذبهم عذابا اليما فى آخر هذه السورة آية وهى ثلاثة آلاف وسبعمائة وست وخمسون كلمة وخمسة عشر الفا وتسعمائة
وثمانية وسبعون حرفا ولقارئها ثواب عظيم وروى ابى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ
سورة النسا اعطى من الاجر كانما تصدق على كل من ورث ميراثا وحرر محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله تعالى
من الذين يتجاوز عنهم وانتظام اول هذه السورة بآخر سورة آل عمران انه ختم تلك السورة بالامر بالتقوى ووعد عليه وكان
ذلك امرا للمؤمنين على الخصوص وامر الناس بالتقوى فى اول هذه السورة على العموم فقال يا ايها الناس وهذا
نداء والنداء فى القرآن على نيف وعشرين وجها نداء التسمية يا آدم يا نوح يا لوط ونداء التنبيه قال تعالى يا بنى آدم
يا بنى اسرائيل ونداء الخلقة قال تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما ونداء الجنس يا ايها الانسان ونداء الصفة قال تعالى
يا ايها الساحر ونداء الاضافة قال تعالى يا اهل الكتاب ونداء المدنية قال تعالى يا ايها الذين هادوا ونداء الاهانة قال تعالى
يا ايها الكافرون ونداء الكرامة يا ايها الذين آمنوا ونداء الرفعة قال تعالى يا ايها النبى ونداء الخصوصية قال تعالى يا ايها
الرسول ونداء الحالة قال تعالى يا ايها المزمل يا ايها المدثر ونداء العظمة قال تعالى يس اى يا سيد المرسلين ونداء الاشارة
قال تعالى طه اى يا بدر على وجه الحسنا ونداء الشفقة قال عز وعلا يا بنى اركب معنا ونداء الخاصية قال تعالى يا عبادى
ونداء الحاجة قال تعالى يا رب ونداء الحسرة قال تعالى يا حسرتى ونداء الاستغاثة قال تعالى يا ويلتنا وسر الكلام فى اشتقاقه
فى سورة البقرة وقال الامام القشيرى رحمه الله فى كل ذلك يا من اظهرتكم عن كتم العدم لحكم تكليفى ثم خصصت من شئت
منكم بتشريفى واحرمت من شئت منكم هدايتى وتعريفى ونقلتكم الى ما شئت بحكم تصريفى يا من انست بجميل تسمية حتى
واعززت بجلال قدرى انت اجل عبادى عندى وقال بعض الشبان سميتك انسانا لانسيانك فان نسيتنى فذلك الحق
منك وان نسيت غيرى لذكرى فلا احق منك والخطاب يتفاوت فاذا كان المذنب فمعناه يا من نسيت عهدى ورفضت
ودى وتجاوزت حدى آن لك ان ترجع الى بابى لتستحق لطفى واجابى واذا كان للعارف فمعناه يا من نسيت فينا
حظك وضيعت غير نا لحظك ولفظك لقد عظم علينا حقك ووجب لدينا نصرك وجل لدينا قدرك وقوله تعالى اتقوا
ربكم مر تفسير الكلام فى وجوهه وقوائده وقال الامام القشيرى رحمه الله التقوى اولها ترك الشرك وآخرها الاتقاء
عن كل غير واول اغيارك نفسك فمن اتقى نفسه وقف بلا انعام ولا شهود حال سوى الله ذى الجلال والاكرام وقال الواسطى
تقوى العامة من الشرك وتقوى الخاصة من المعاصى وتقوى خاصة الخاصة من التوصل بالافعال وقال الضحاك
اى وحدوا ربكم وقال الكلبى اى اطيعوا خالقكم وقوله تعالى الذى خلقكم اى قدر خلقكم حالا بعد حال على اختلاف
صوركم والوانكم وقوله تعالى من نفس واحدة قال الامام القشيرى رحمه الله تعرف الى العقلاء بكمال القدرة وتمام
الحكمة حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد على اختلاف هممهم وتباين اخلاقهم وتفاوت صورهم فان اثنين

منهم لا يتشابهان بكل وجه من الصورة والخلق والهمة والحالة فسبحان من لا امد لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وقال
فى قوله تعالى وخلق منها زوجها حكم الحق سبحانه بمساكنة الخلق مع الخلق لبقاء النسل ولرد المثل الى المثل ولربط الشكل
بالشكل وقال الامام ابو منصور رحمه الله فى كل ما كان الخطاب الكفرة ذكر على اثر حجج وحدانيته ودلايل ربوبيته لانهم لم يقروا
به من نحو ما ذكر يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ذكر الحجج التى يتوصل بها الى معرفته وفى كل ما كان الخطاب للمؤمنين
لم يذكر هذه الحجج لانهم قد عرفوا ربهم ولكن ذكر نعمه التى انعمها عليهم وثوابه الذى وعد لهم نحو قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته الآيات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا الاية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله الاية وقد
يخرج الخطاب فى الاغلب وقوله تعالى من نفس واحدة وهو آدم صلوات الله عليه وانث الواحدة لان النفس مؤنثة سماعا ولو ذكر
لجاز ذهابا الى تذكير آدم عليه السلام وقد قال الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال
فجمع بين تذكير المعنى وتانيث اللفظ وانما قال من نفس واحدة مع انا خلقنا من ذكر وانثى لان حوى من آدم فرجع الجميع
الى آدم والمعنى خلقكم من نفس كانت واحدة وهو آدم ثم خلق منها زوجها ثم خلقكم منها جميعا وقوله تعالى وخلق منها زوجها
اى من نفس واحدة اى نبه ازيد الى ان يتعاطفوا ويانس بعضهم ببعض ويحامى بعضهم على بعض فيما بينهم من القرابة والاخوة بالرجوع
الى نفس واحدة وقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اى نشر من جهة التناسل والتوالد من النسل اولادا كثيرا
ذكورا واناثا وقوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به قرأ عاصم وحمزة والكسائى تسالون بالتخفيف بحذف احدى
التائين وقرأ الباقون بالتشديد بادغام احدى التائين فى السين ومعناه ما قال ابن عباس رضى الله عنهما واتقوا الله الذى
تسال الناس به بعضهم بعضا الحوائج والحقوق يقول الرجل اسالك بالله وانشدك بالله وتكرار واتقوا الله للتقرير والتاكيد
وذكر هذه الصفة بعد تنبيه انه الله الذى لا ينكرون انه خالقكم والمستحق للعبادة عليكم وقوله تعالى والارحام قرأ حمزة
خفضا وله ثلاثة اوجه احدها القسم فكانه امرهم بالتقوى وحلفهم عليها بالارحام والثانى باضمار الخافض كانه قال
به وبالارحام اى يقولون اسالك بالله وبالرحم ان تفعل كذا والثالث انه مخفوض عطفا على الهاء فى قوله به وهذا ضعيف
لانه لا يعطف على الضمير المخفوض الا باعادة الخافض لا يقال مررت به وزيد ولكن يقال مررت به وبزيد وقد جاء فى ضرورة
الشعر فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب وقرأ الباقون بالنصب عطفا على قوله الله اى
واتقوا الارحام ان تقطعوها وجمع بين الحقين تعظيما لحق الرحم وهو كجمعه بين حقه وحق الابوين بقوله ان اشكر لى ولوالديك
وقوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا اى حفيظا وقيل بمعنى الفاعل وقد رقب يرقب من حد دخل رقبا ورقوبا ورقبة
يقول هو حافظ لاعمالكم واقوالكم واحوالكم يسالكم عما امركم به من طاعته وصلة الرحم وقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم
وهو من التقوى الذى امر بها فى اول السورة مرتين وقال الكلبى نزلت الاية فى رجل من بنى غطفان وكان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم الحلم طلب ماله فمنعه عمه فرفعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية وقال مقاتل خاصمه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فامره ان يرد عليه ماله وقرأ عليه هذه الاية فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول ونعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم هكذا من يوق شح نفسه ويطع ربه فانه يحل داره يعنى جنته
فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا قد عرفنا انه ثبت الاجر
فكيف بقى الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده ومعنى الاية انه يقول للاولياء والاوصياء اعطوا اليتامى
اى الذين كانوا يتامى اموالهم التى عندكم اذا بلغوا النكاح ورأيتم منهم رشدا اى صلاحا فى دينهم وحفظا لاموالهم وهو
يحفظ اموالهم الحال وتسليمها اليهم بعد البلوغ وتسميتهم يتامى باعتبار ما كان وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل هذا
وجهين احدهما احفظوا لهم لتؤتوا بعد البلوغ والثانى انفقوا عليهم من اموالهم ووسعوا عليهم النفقة ولا تضيقوها عليهم لينظر الى
اموال غيرهم وقال عمر رضى الله عنه من ولى منكم يتيما له مال فليوسع عليه ولا يضيق عليه ولا يقتر وقال ابن عمر رضى الله عنهما وسع
على اليتيم فان هو مات فقد احسنتم اليه وان بقى فسيغنيه الله وقوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اى لا تستبدلوا
اخذ الشئ بدلا عن الشئ وله وجوه قال الكلبى رحمه الله لا تذروا اموالكم التى هى حلال لكم وتاكلوا الحرام من اموال اليتامى وهو
قول ابن عباس رضى الله عنهما وابى صالح ومجاهد وسعيد بن جبير وقال سعيد بن المسيب والشعبى والسدى والضحاك
لا تاخذوا الجيد الرفيع من مال اليتيم وتضعوا مكانه الردى لا تاخذوا الشاة السمينة وتجعلوا مكانها المهزولة وتقولوا
شاة بشاة ولا تاخذوا الدرهم الجيد وتجعلوا مكانه الزيف وتقولوا درهم بدرهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله فى وجوه
هذين الوجهين وزاد عليهما اى لا تاخذوا الخبيث من مال اليتيم وتتركوا ما وعد لكم فى الآخرة بحفظ اموالهم وقال انهم لا تاخذوا
مال اليتيم وهو خبيث لكم فيؤخذ منكم بالضمان المال الذى لكم وهو طيب وقوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
اى مع اموالكم كقوله من انصارى الى الله اى مع الله وقيل مضمومة الى اموالكم ففيه اضمار نهى ولا عن اكل اموالهم وخلطها ثم نهى
عن الطمع فى ماله فنفسه خلطا على وجه لا يريد به الاصلاح فقد قال وان تخالطوهم فاخوانكم فى الدين لكن قال والله يعلم المفسد
من المصلح وقد فسرنا تلك الاية فى موضعها وقوله تعالى انه كان حوبا كبيرا اى الاكل وقد دل عليه قوله تعالى ولا تاكلوا كان حوبا
كبيرا اى اثما عظيما وكذلك الحاب والحوبة وقد حاب يحوب اى اثم وتحوب اى تحرز عن الاثم ونظيره تاثم وتحرج وتحنث

وهو التحرز عن الاثم والحرج والحنث وقيل في نزولها ان امراة توفي عنها زوجها وترك بنتا ناصعا وبالا واستولى ابن عمهن
على المال فجاءت المراة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت انما يرغب في البنات للمال والجمال ولا مال لبناتي وقد خطبهن
ابن عمهن فاما ان يرد مالهن او يضمهن الى نفسه فيعولهن فنزلت هذه الاية وقوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامى اي الا تعدلوا والقسط العدل وقد تسقط اقساطا اذا عدل قال تعالى ان الله يحب المقسطين وتسقط قسوطا اي
جار قال تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء كما في قوله تعالى وما رب العالمين
وقيل ما مع الفعل مصدر ومعناه فانكحوا اي النكاح الطيب اي الحلال وقال ابو العباس ما للجنس كما يقال ما عندكم
فتقول رجل وامراة وقيل من وما سيان وبان قال تعالى والسماء وما بناها وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم
له برازقين اي وما لستم فقد قال مجاهد هو الدواب والبهائم وقال تعالى فمنهم من يمشي على بطنه اي ما يمشي والجمع بين حكم اليتيم
وحكم النكاح رجوع من التاويل وقيل معناه ان خفتم الا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي انتم اولياؤهن اذا نكحتموهن وذلك
بان لا تبلغوا بصداقهن مبلغ مهور امثالهن فاعدلوا عنهن الى نكاح غيرهن من النساء وانكحوا ما طاب لكم منهن مثنى وثلاث
ورباع فان خفتم الا تعدلوا في الاربع من الاجنبيات فالواحدة المنكوحة فاعدلوا عن النكاح الى تسري الاماء وسبب ذلك
انهم كانوا في الجاهلية يقصدون الى ظلم من يلونهن من يتامى النساء ويتزوجوهن من غير طيب انفسهن بما يبدون
من الصداق فلا يمكنهن الامتناع منهم لضعفهن اذا كان يا برهن على الظلم لهذا الظالم فلما جاء الاسلام ونزل
التشديد في امر اليتامى اشتد خوفهم بما كانوا يفعلونه فاخبر الله تعالى انهم ان خافوا الاثم في نكاحهن فليتركوا ذلك وليتزوجوا
الاجنبيات فان اليتامى من قراباتهن قد يظهرون الرضى حياء منهن ويضمرون الكراهة ولا يأمرهن اذا الحقهن ظلم
والاجنبيات يمكنهن التصريح بما يضمرون والانتصار باوليائهن فكان ذلك اطيب وابعد عن الظلم ثم التبليغ الى الاربع
توسعة في الملاذ والامر في الاقتصار على الواحدة حفظ عن الجور والامر بالتسري تخفيف فان الاماء في الاعتقاد
كالحرائر وحقوقهن اقل وهذا كله تنبيه على الاحتراز من مكايد الشيطان في الايقاع فيما لا يحل وهي رحمة من الله لنا
وتانة بنا وله الحمد وروى معنى هذا الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها والثاني ان قريشا كان يتزوج منهم
الرجل العشر من النساء والاكثر فاذا لم يكن معه مال صرف مال اليتيم الذي في حجره الى صداقهن فنهوا عن ذلك وقصروا
على الاربع وعند الخوف على الواحدة ثم التسري ومعنى الاية على هذا فان خفتم الا تقسطوا في اموال اليتامى فاقتصروا
على نكاح الاربع فان عجزتم عن ذلك فواحدة او الامة بالتسري وهذا يرويه طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما
والثالث انهم كانوا يتوسعون في عدد المنكوحات بما يقعون به في الجور ويتحرزون عن الجور في اموال اليتامى فقيل لهم
كما تخافون في ذلك فخافوا في هذا وهذا قول كثير من المفسرين قتادة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغيرهم
والرابع كما خفتم في اليتامى اذا وليتم اموالهم وتحرزتم عن اكل اموالهم ايمانا وتصديقا فكذلك فتحرزوا عن الزنا وانكحوا
ما احل الله لكم وهذا قول مجاهد والخامس ان الرجل كان يلي اليتيمة من قرابته ولعلها شريكة له بما لها فلا تطيب نفسه
بتزويجها من غيره خشية مزاحمته اياه في المال المشترك بينهما ويرغب ان ينكحها بنفسه لدمامتها او غير ذلك فامروا
ان خافوا ان لا يعدلوا فيهن اذا تزوجوهن ان ينكحوا من الاجنبيات ما احل الله لهم ولا يعضلوهن فيتزوجهن
غيرهم وهذا يرويه هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها والسادس قول الضحاك قال سالوا عن امر اليتامى
فما لكم لا تسالون عن امر النساء وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع منصوبا بالترجمة عن ما ولا تنوين فيهن لانها غير منصرفة
فانها معدولة عن اثنين وثلاث واربع ومعناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا ومع العدل فيها معنى اخر
وهو الالف واللام لانها كالمعارف وهذا لا اضافة فيها فامتنع صرفها لذلك وتعلقت الروافض بظاهرها لاباحة الجمع
بين تسع نسوة فانه ذكر بالواو لا باو وذلك الجمع مثنى وانكحوا ثلاث بدل مثنى وانكحوا رباع بدل مثنى وثلاث والدليل
على ان المراد هذا لا غيره انه لو قيل هذا في الامر بشيء اخر لم يكن الا على هذا الوجه فانه اذا قيل لقوم ادخلوا الدار مثنى
وثلاث ورباع لم يكن امرا بدخول تسعة منهم جملة في حالة بل هو امر لهم ان يدخلوها اثنين او لهم ان يدخلوها بدل ذلك
اربعة اربعة وكذا في كل موضع هذا هو قضية اللغة ولا معنى لهوان الرافضة وقوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
فيه اضمار اي فانكحوا واحدة وقرا الحسن وابو جعفر والجحدري فواحدة بالرفع وهذا ابتداء وخبره محذوف وتقديره
تكفيكم ونحو ذلك وقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم قيل هذا مرفوع بالابتداء وقراءة الاولى بالنصب لانه لا يقع النكاح عليهن
فلا تعطف على المنكوحات وقيل يجوز فيه النصب على اضمار فعل يقع عليها وتنصب في الظاهر بناء على المذكور كما في قول القائل
• ورايت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورمحا • اي متقلدا سيفا ومعتقلا رمحا وههنا مضمر فاقصدوا اي اختاروا
وقوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا اي ذلك اقرب الى ان لا تجوروا قال الشاعر بميزان قسط وزنه غير عائل •
واصل العول الخروج عن حد الكيل المعتاد وقوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن اي مهورهن والواحد صدقة والايتاء
الاعطاء وله وجهان ههنا الالزام والتسليم ويجوز ان يكون جميعا مرادين اي سموا لهن ذلك اذا عقدتم وسلموا ذلك
لهن اذا التزمتم وقوله تعالى نحلة اي عطية وقد نحل نحلة اي اعطى ويجوز ان يكون حالا بمعنى الفاعل ويجوز ان يكون
تفسيرا ويجوز ان يكون مصدرا على غير لفظه فان الايتاء والنحلة بمعنى واحد وقيل معناه نحلة اي عطية من الله لهن

وقال

وقال ابن عرفة نحلة اي دينا تدينوا بذلك فقد شرعه الله كذلك وقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا اي من المهر
والصداق او المال فالكناية ترجع الى المعنى لا الى المذكور فان المذكور صدقات وهي مؤنثة ويجوز ان تكون راجعة الى
المعنى الذي دل عليه وآتوا ومنه ليس للتبعيض ونفسا نصب على التفسير عند الكوفيين وعلى التمييز عند البصريين
وهما سيان واصل الفعل للنفس فلما حول الفعل اليهن ذكرت النفس بيانا للمراد وهو كقولك قر فلان عينا وضاق ذرعا
ولم يقل انفسا على الجمع لانه جنس فصلح للجمع وقال تعالى بالاخسرين اعمالا والفرق بينهما ان في قوله تعالى دلالة على معنى الجمع
فاكتفى بقوله نفسا كما في قولهم عشرون درهما واما في قوله بالاخسرين اعمالا انما ذكر على الجمع لئلا يوهم انه عمل واحد اضيف
الى الجمع لرضاهم بوجوده من واحد كما يضاف القتل الى الجمع لانهم رضوا به وتمالؤوا عليه وقوله تعالى فكلوه هنيئا مريئا
اي طيبا سائغا وقد هنا الطعام يهنا فهو هنيء ومرا يمرأ من حد شرف اي صار كذلك وهنا في الطعام ومرأني من حد
ضرب اي ساغ لي فاذا افردوا قالوا امرأني بالالف فاما على الاتباع فيقال مرأني كما يقال هناني ومرأني وهنيئا مريئا نصبهما
على الحال ويجوز على الدعاء كما يقال سقيا ورعيا ومعناه فان وهبت المراة للزوج مهرها او شيئا منه عن طيب نفس لا
اكراه ولا رهبة ولا افتداء من سوء عشرة فليأكله الزوج هنيئا مأمون التبعة في الاخرة والمراد به الاكل هو الانتفاع به
كلا كان ذلك او غيره وخص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود بالمال كما ذكر ذلك في مال اليتيم ومال الغير والربا وقال الكلبي
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة خطاب للاولياء وكان ولي المراة اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من المهر
شيئا فان كانت غريبة حملوها على بعير الى زوجها ولم يكن لها الا ذلك فامر الله تعالى الاولياء فقال واعطوا النساء مهورهن
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا لا اثم فيه ولا داء فيه وقيل من اعتل علة فاعي علاجها الاطباء فليعمد
امراته من مهرها درهما وليستوهبها ذلك فاذا وهبته له عن رضى فليشتر به عسلا وليأكله مع ماء السماء فاذا اجتمع له
الهنيء والمريء والمبارك والطهور والشفاء حصلت له العافية وزال الداء ذكره الامام ابو منصور رحمه الله عن علي رضي
الله عنه وقال في الاية ان النفقة وان كانت عليه فهي اذا اباحت بها بطيب نفسها لم يخرج هو لان نفقتها عليه ليست باعظم
نفقة من مالها اذا اعطته ووصف بالهنيء والمريء لانه ربما يستثقل الطبع اكل مالها كراهة الامتنان او بما كان عليه
كفايتها او بما جرى من الوعيد الشديد في منع مهرها او بما يدخل تحشمه فنبذ له او ربما يوهم الطمع في مالها والرغبة في
النكاح لذلك وطيبه الله تعالى حتى كان على وصفه بغاية ما يحتمل المال من الطيب ونبه بان جوازه معروف او ترغيب
وحسن المعاشرة بينهما حتى ابقى ذلك بعد الفراق بقوله الا ان يعفون الذي بيده عقدة النكاح وذلك مما يورث المحبة
او يديمها اذ جعلها الله بينهما بقوله تعالى لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
التي جعل الله لكم قياما قال السدي لا تعط امراتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك واطعمهم
من مالك واكسهم وقيل لما نزلت وآتوا اليتامى اموالهم وآتوا النساء صدقاتهن نحلة بين بهذه الاية انه انما يجب
الايتاء اذا كانوا من اهل ولاية اخذ المال فاما اذا كانوا سفهاء غير بالغين مصلحين فلا يدفع اليهم ويمسك الى ان يزول
السفه وقال عكرمة ومجاهد لا يدفع صداقها اليها اذا كانت سفيهة ويدفع الى ابيها وروي ان رجلا دفع ماله الى امراته
فدفعته في غير الحق فنزلت الاية وعلى هذا قوله اموالكم اي الاموال التي تلونها وتمسكونها وهي مملوكة لليتامى والنساء او
على معنى ان الاموال في الجملة مجعولة للناس كلهم قواما لهم وهذه الاضافة كالاضافة في قوله لا تخرجوهن من بيوتهن والبيوت
للازواج لكنها في ايدي النساء وتصرفهن وسكناهن وقال الكلبي السفهاء الجهال بمواضع الحق اذا علم ان امراته مفسدة
وولده مفسد لم ينبغ له ان يسلطهم على ماله وعلى هذا قوله اموالكم اضافة الملك الى مالكه على الحقيقة وقوله تعالى
جعل الله لكم قياما اي جعل المال وفيه تنبيه على عظم خطر المال وعظم نفعه اي جعله الله تعالى قواما لمعاشكم في دنياكم
التي جعلها الله تعالى دارا عمالكم التي بها تتوصلون الى نعيم الاخرة والقيام اسم وليس بمصدر وهو الذي تقوم به [illegible]
وتستقيم به امورهم والقوام بالكسر والفتح كذلك وقال معاوية بن قرة عودوا النساء لا لانك ان اطعت المراة اهلكتك
وقوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم اي اجروا على السفهاء في اموالهم ما يقيهم في حوائجهم واكسوهم قدر ما يحتاجون اليه
وامسكوا الباقي وقوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا اي حسنا في العقول اي عرفوهم انما تكون اموالهم حفظا عليهم وصيانة
عن الضياع الى ان يزول السفه عنهم ويصيروا احق باموالهم فتدفعونها اليهم وعلى القول الاخر اي قولوا للنساء والاولاد
اني لو مت فهذا المال يكون لكم وعلى هذا قيل اي قولوا في المال قلة وفي العيال كثرة ولولا ذلك لاعطيتكم اكثر من
هذا فان وسع الله علي وسعت عليكم وان مع العسر يسرا وقال الزجاج اي علموهم امر دينهم مع الاطعام والكسوة وقوله تعالى
وابتلوا اليتامى اي اختبروا اليتامى وامتحنوهم بدفع بعض اموالهم ليتصرفوا فيه فيظهر رشدهم ومعرفتهم وفيه
دليل على ان الصبي العاقل يجوز اذنه بالتجارة وقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطء اي قدروا على ذلك
وهو حالة الانزال وهو كناية عن البلوغ وهو كما قال في اية اخرى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم وقوله تعالى فان انستم
منهم رشدا اي ابصرتم كما قال تعالى اني انست نارا ورشدا اي هداية في التصرف وصلاحا في المال وقوله تعالى
فادفعوا اليهم اموالهم اي سلموا وردوا وقال الامام ابو منصور رحمه الله وابتلوا اليتامى يحتمل وجهين احدهما الاختبار
بالتصرف في المال على ما بينا والثاني ان يبتلى الايتام قبل بلوغهم بانواع العبادات والاداب ليعتادوا بها ويتادبوا بها

ليعرفوا حقوق الاموال وقدرها ويحفظوها اذا بلغوا لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم فكان في ذلك تضييع حقوق الله وقوله تعالى فان آنستم منهم رشدا اختلف العلماء فيمن بلغ مبذرا سفيها هل يحجر عليه فابو حنيفة رحمه الله لا يرى الحجر عليه في تصرفاته وابو يوسف رحمه الله لا يحجر بذلك لكن يستحق حجر القاضي عليه وقال محمد رحمه الله يحجر عليه بسفهه ويعرف ذلك في الفقهيات وقد اوضحناه في تحصيل المسائل وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يخلو منع المال عنه من اوجه ثلاثة اما ان يمنع لفرط البذل والانفاق جودا وسخاوة وحسن ظن بالله تعالى انه يرزقه ويخلفه وهذا لا يحل لانه من اخلاق الانبياء وسيرهم فلا معنى النهي عن ذلك او يمنع لغلبة شهواتهم وقضاء وطرهم فلا يحل ايضا لانهم ان منعوا عن ذلك في اموالهم فنا ولوا من اموال غيرهم وتعاطوا ما لا يحل فلا يحل ان يمنعوا من ذلك او يمنع عنهم مالهم لآفة في عقولهم ونقص في تدبيرهم فان كان لهذا يمنع عنهم اموالهم فيجب ان يمنع ابدا لا المدة في ذلك الا بعد ارتفاعه وزواله عنهم وقوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا اى مجاوزة عن الحد وليس فيه اباحة القليل وتحريم الاسراف بل هو بيان انه اسراف وقيل في قوله تعالى فليأكل بالمعروف اباحة الاكل من مال اليتيم لوصيه عند الحاجة وهذا انهى عن مجاوزة قدر الحاجة وبدارا اى مبادرة وهي المسارعة وقوله تعالى ان يكبروا اى ان يبلغوا اى لا تأكلوا اموالهم تبادرون بلوغهم وهو كقولك بادرت مجئ زيد اى فعلته قبل مجيئه ومعنى تأكلون قبل بلوغهم واسترداده مالهم منكم ثم ليس هذا قصر التحريم على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما بل هو ذكر غالب الحال كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ليس هو تحريم الاكراه على الزنا مقصورا على حال ارادة التعفف بل هو ذكر غالب الحال وهو في غير ذلك الحال كذلك وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اى من كان من الاوصياء غير محتاج فليتحرز عن اكل مال اليتيم وقوله تعالى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال الشعبي ومجاهد ومقاتل والضحاك وسعيد بن جبير فليأكل منه قرضا على نفسه يؤديه اليه اذا بلغ وعلى هذا قوله فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم اى على القضاء لانه لا يصدق في دعوى سقوطه عن ذمته الا ببينة بخلاف دعواه رد ماله عليه بعينه انه يصدق فيه لانه مؤتمن في ذلك وقال ابو العالية وقتادة وجماعة للوصي التناول من نماء مال اليتيم كشرب البان مواشيه واستخدام عبيده وركوب دوابه غير مضر بما له وليس له اخذ اصول امواله فانه قال فاذا دفعتم اليهم اموالهم تحكم في اعيان اموالهم بدفعها اليهم وقال جماعة منهم الكلبي والذين يذكرهم في تفسير المعروف له ان يأكل من ماله بقدر حاجته من غير عوض قال عمر رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة الولي من مال اليتيم وتلا هذه الآية ثم اختلفوا في قوله بالمعروف قال عكرمة والسدي هو ان يأكل باطراف اصابعه وليس له ان يجعل لباسه من ماله وقيل قتادة في نزول هذه الآية ان عم ثابت بن وديعة وفي رواية ثابت بن رفاعة كان من الانصار وكان ثابت يتيما في حجره فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا نبي الله ان ابن اخي يتيم فما ذا يحل لي من ماله فقال ان تأكل من ماله بالمعروف من غير ان تقي مالك بماله ولا ان تتخذ من ماله مالا وقال ابراهيم النخعي له ان يأكل منه ما يسد به جوعته ويلبس ما يواري عورته وكذا قال مكحول وقال ابراهيم في رواية هو ان يعمل في مال اليتيم بنفسه فقدر ما يأكل وهو قول الشعبي وسعيد بن المسيب وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هو امرا بالاكل من مال اليتيم بل معناه فليأكل الوصي من مال نفسه بقدر الحاجة حتى لا يضطر الى اكل مال اليتيم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما عال امرؤ اقتصد وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم اى اذا رددتم اموال اليتامى اليهم فاشهدوا على ذلك الناس تحرزا عن الظنون الكاذبة والمقالة السيئة وعن توجه اليمين عليكم عند التناكر وقوله تعالى وكفى بالله حسيبا اى محاسبا يوم القيامة فاتقوا ان تمنعوا من مال اليتامى شيئا معتمدين على ان القول قول الامين في حكم الدنيا وهذا وعيد شديد وقيل هذا يرجع الى قوله فليأكل بالمعروف ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه ثم قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قال مقاتل بن حيان ان رجلا توفي يقال له اوس بن ثابت وترك امرأته ام كجة وثلاث بنات لها فمنع ميراثهن عرفجة وسويد وهما ابنا عم الميت وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار ويورثون ذوي الاسنان منهم ويحبسون اليتيمة ولا يتزوجون اليتيمة لدمامتها فانطلقت ام كجة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله ان ابا هن توفي وترك مالا وان عرفجة وسويدا منعاهن ميراثهن فانزل الله تعالى للرجال نصيب الآية وقال الكلبي كذلك الا انه سمى الرجلين قتادة وعرفطة ولم يبين لهم فرضا وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما ان لا يقربا من مال اوس شيئا فانه ترك للبنات نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر كم هو ولم ينزل في ميراثه شيء فنزل عليه بعد ذلك قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية وفي رواية عكرمة وقتادة قالا ان البنت لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكي عدوا فنزلت الآية قال مقاتل بن سليمان فاخذت المرأة الثمن والبنتان الثلثين وابنا العم الباقي وقوله تعالى مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا اى حظا مقدرا ونصبه على الحال عند الزجاج للنصيب المذكور قبله وقال علي بن عيسى هو في موضع المصدر وقيل هو مفعول باضمار جعلته ونحو ذلك وقوله تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا بين حكم الذين يرثون في الآية الاولى وقال في هذه الآية واذا حضر قسمة الميراث الاقرباء الذين

لا يرثون

لا يرثون واليتامى من الاجانب والمساكين منهم فاعطوهم شيئا مما تقسمون وقولوا لهم قولا جميلا كنتم احق لا كثر من هذا لكن لم يكن هذا القدر ولا تؤذوهم بالمن وسوء الرد وهذا ندب واستحباب وهو باق لم ينسخ على هذا التأويل وقال ابن المسيب كان هذا واجبا في الابتداء ثم نسختها آية المواريث والوصايا وقال مجاهد هو حق ثابت ما طابت الانفس وقال عكرمة اذا اتى بمال اليتامى فان كان فيه فضل رضخ منه لذوي قرابته ممن لا يرث واذا لم يكن فيه فضل اعتذر اليهم وحمل هذا قوله تعالى فارزقوهم منه هو الرضخ واذا لم يكن فيه فضل وقيل اذا كان فيه مفعول رزقوا هؤلاء منه وان كان عقارا اعتذروا اليهم وقيل اذا كان الورثة بالغين رضخوا وان كان فيهم صغيرا عتذروا اليهم وقال الوصي حقكم واجب وقرابتكم قريبة ولو كان لي في المال نصيب لاعطيتكم واذا بلغت الورثة فسيعرفون حقكم وقال جماعة ليس هذا في قسمة الميراث بل هذا في قسمة المريض ماله في ذوي قرابته بالوصية على ما كان الامر عليه قبل نزول آية المواريث فكان الرجل اذا احضره الموت اوصى بماله على ما يراه لقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الآية فامر المريض في هذه الآية بما ذكرنا وقوله تعالى فارزقوهم منه اى من المقسوم الذي دل عليه قوله واذا حضر القسمة وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني به عند قسمة المريض ماله بالوصية يعني الذي يحضره اذا اراد ان يوصي بثلثه في الحج او جهاد او عتاق او صدقة ان يقول للموصي اتق الله فان لك ورثة تعجز عن انفسهم فيبقون عيالا على الناس ثم يرد ذلك عليهم فانها اعظم لاجرك وتقديره للآية وليخف على عيال هذا الميت الذي يأمرونه بالجور في قسمة ماله كما كانوا يخافون على انفسهم الصغار والضعاف من بعد موتهم فليتقوا الله وليأمروا بالعدل ولينهوا عن الجور وليقولوا للمريض قولا سديدا صوابا وعن انس رضي الله عنه ان الخلفاء الراشدين ابا بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اتفق رأيهم في الوصية على الخمس وقالوا الخمس في الوصية اقتصاد والربع جهد بالورثة والثلث حيف لان الله تعالى رضي الخمس لنفسه من الاكثر وقيل معنى الآية وليخش من ولي اليتيم الذي يليه ما يخشاه في ولده الضعاف لو مات عنهم فما يجب ان يفعل بولده يفعل بولد غيره الذي يليه وقوله تعالى فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا اى وليخاطبوا اليتيم مخاطبة جميلة لانهم لا يتيمة وقال الامام القشيري رحمه الله ان الله تعالى لم يأمر من خلف اولادا ضعافا وخاف عليهم الضيعة والفقر ان يستكثر لهم الاموال ويخلف لهم الاملاك ولكنه امرهم ان يتقوا الله فانه يتولى الصالحين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا اى الذين يتلفون اموال اليتامى بالاكل وغيره من وجوه الاتلاف وخص الاكل بالذكر لما مر انه المقصود المعظم باكل المال انما يأكلون في بطونهم نارا يصيرون به الى التعذيب بنار جهنم وقوله ظلما نصب الحال وقيل هو على وجه المصدر بغير لفظه وانما قيد به لان اذا الاكل منه بالمعروف عند الحاجة او بما قدر له القاضي بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه وقوله تعالى وسيصلون سعيرا اى سوف يدخلون النار المسعورة اى الملتهبة ويقاسون حرها وقد صلي النار يصلاها من حد علم اى دخلها وقاسى حرها وقد صلى النار يصلاها واصلاها غيره اصلاء وصلاه تصلية للتعدية وصليت اللحم اصليه من حد ضرب شويته واصطلى بالنار اى استدفأ بها قال مقاتل بن حيان ان الذين يأكلون اى يستحلون نزلت في مرثد بن زيد الغطفاني ولي مال ابن اخيه فاكله فنزلت هذه الآية وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من دبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرفه الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم ذكرنا سبب نزول هذه الآية عند قوله تعالى للرجال نصيب في حديث ام كجة وسبب آخر ان سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك ابنتين وامرأة ولهما الربيع فاتت امرأته النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان الربيع اخذ كل شيء لسعد وترك اولاده عالة لا مال لهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يرى مكانهما ان يشاء ينزل فيهما ورجعت ومكثت اياما ثم عادت فقالت ثم قالت انهما لا يتزوجان اذا لم يكن لهما مال وبكت فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيكم الله في اولادكم فدعا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واقرأه الذي انزل عليه وقال للعم اعط الابنتين الثلثين والمرأة الثمن ولك ما بقي فكان ذلك اول ميراث قسم بين المسلمين يوصيكم الله في اولادكم اى يقول لكم يوصيكم الى ايفاء حقوق الاولاد بعد موتكم هذا حقيقة هذه الكلمة ومن قال واوصى معناه اوصلى الى علم ما احتاج اليه والدليل على انه بمعنى القول انه اتى بعده بخبر مستأنف وهو قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وهو كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم لان الوعد قول نصا وتقديره قال الله تعالى فارتفع لذلك مغفرة واجر عظيم وكذا كل ما جرى مجراه قال الشاعر اني سابدي لك فيما ابدى شجنان شجن بنجد وشجن ببلاد الهند شجنان ودفع لان الابتداء قول وقيل اضمر في هذا كله ان الحقيقة وتقديره يوصيكم الله ان للذكر مثل حظ الانثيين فيقع الفعل على ان فينتصب هو وكذلك قوله وعد الله قاله الكسائي وقوله تعالى في اولادكم يؤتيكم وقيل في اولادكم بعد موتكم وقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين اى ان ترك ابنا وابنتين فللابن سهمان او ابنين وبنتين او ابناء وبنات او ابنا وبنتا وبنين وبنات فلكل ابن سهمان ولكل بنت سهم وقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك كن لجمع الاناث واسم كن للاناث على الاضمار وقد سبق ذكر الابناء الاولاد ونساء خبر قوله كن نصب لذلك وقوله تعالى فوق اثنتين نصب لانه نعت والترجمة عن عددهن معناه كن البنات ثلاثا او اكثر من ذلك

فلهن الثلثان فرضا والباقي للعصبة ان كان فاما البنتان فعند ابن عباس رضي الله عنهما لهما النصف لان الله تعالى جعل الثلثين لما فوق اثنتين ولم يبين فرض اثنتين فيكون لهما النصف الذي ذكر للواحدة وقال عامة الصحابة رضوان الله عليهم وهو قول عامة العلماء لهما الثلثان ايضا قال الامام ابو منصور رحمه الله بيان الحق للثلاث بنات لا للثنتين لان الله تعالى جعل ميراث الواحدة من الاخوات النصف لقوله تعالى وله اخت فلها نصف ما ترك كما جعل حق البنت النصف اذا لم يكن معها ذكر لقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف ثم جعل للاختين الثلثين لقوله تعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاذا انزلت الاخوات منزلة البنات في استحقاق النصف اذا كانت واحدة واستحقاق الثلثين اذا كانتا اثنتين فصاعدا فعلى ذلك نزل لبيان الحكم في الاختين منزلة بيان الحكم في البنتين وقوله تعالى **وان كانت واحدة** اى كانت البنت واحدة **فلها النصف** اى فرضا والباقي للعصبة ان كان ودل هذا انه اذا انفرد فله كل المال فان قال للذكر مثل حظ الانثيين والانثى المنفردة لها نصف واحد فالذكر المنفرد له نصفان وهو كل المال وقوله تعالى **ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد** اى فرض كل واحد من الوالدين سدس المال اذا كان للميت ولد فان كان الولد ذكرا فهو العصبة وليس للاب الا السدس بالفرض فان كان الولد انثى فليس لها الا النصف فرضا وللاب سدس المال فرضا وله باقيه بالتعصيب لقول النبي صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما ابقت فلاولى رجل ذكر وقوله تعالى **فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث** اى فان لم يكن للميت ولد وورثه ابواه فلامه الثلث وهو بيان الباقي للاب فانه عصبة فعند قال تعالى وورثه ابواه فجعلهما وارثين وبين نصيب احدهما وهو الام فكان بيانا ان الباقي نصيب الاخر وهو الاب وقوله تعالى **فان كان له اخوة** فهذا يقع على الثلاثة من الذكور والاناث من الاخوة لاب وام او لاب او لام او مختلفين قال الله تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء وقوله تعالى **فلامه السدس** فاما الاثنان منهم اى اخوان او اختان او اخ واخت فعند عامة الصحابة رضوان الله عليهم وهو قول عامة العلماء كذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما الثلث في هذه الحالة كما اذا كان المتاخ واحدا او اخت واحدة لان الله تعالى انما حجب الام عن الاخوة وهو اسم جمع وقلنا الحق الله تعالى الاختين بالاخوات في حق الاستحقاق حتى جعل لهما الثلثين وكان ذلك الحاقا لهما بهن في حق حجب الام لان الحجب دون الاستحقاق وقوله تعالى **من بعد وصية يوصي بها او دين** قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر في فتح الصاد على ما لم يسم فاعله لان الموصي غير مذكور وقرا الباقون بكسرها لان الميت مذكور كناية في قوله ان كان له ولد يعني هذه السهام للورثة بعد تنفيذ وصيته على وجهها وبعد قضاء دينه وعن علي رضي الله عنه انه قال انكم تقرؤون في كتاب الله تعالى الوصية قبل الدين واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدين قبل الوصية وليس هذا بتغيير لظاهر النظم بل هو تفسير لحاصل الحكم يعني ان الورثة لا يرثون الا بعد هذين فالدين اهم وهو من جميع المال ولا تنفذ الوصية الا بعد قضاء الدين والوصية نفاذها من الثلث ولا تنفذ في اكثر من ذلك ولما كان المراد ان كل واحد منهما يمنع الميراث كان البدء بعد اوذلك سواء تقدم او يكون لاحدهما فان ابى احدهما اذا انفرد منع واذا اجتمعا وكل واحد منهما مانع منع ايضا وقوله تعالى **اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا** اباؤكم رفع بالابتداء وابناؤكم عطف عليه وما بعده من الجملة خبرهما ولا تدرون فعل متعد لكن لم ينصب كلمة اى لان كلمة اى ابتداء واقرب خبره والفعل لا يعمل في الجملة التامة صورة ونفعا نصب على التفسير ومعناه ان الله تعالى قد تولى قسمة الميراث ولم يكله الى اجتهادكم والتفاوت السهام بتفاوت المنافع وانتم لا تدرون والانتفاع ثابت في الدنيا والاخرة قال الله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الاية فاذا اسلم احد الابوين تبعه الولد الصغير في الاسلام ثم بينهم التحامي والتناصر والخدمة والبر والصلة واستحقاق العتق والصدقة والنفقة وفي الاخرة يشفع بعضهم لبعض ويلحق المقصر بدرجة الموفر فلا سبيل للعباد الى الوقوف على حقيقة ذلك فتولى الله ذلك فضلا منه وقوله تعالى ايهم اقرب لكم نفعا اى انفع وارجى في الدارين وقوله تعالى **فريضة من الله** اى مقدرة موجبة منه ونصبه على الوجه الذي قلنا في قوله تعالى نصيبا مفروضا وقوله تعالى **ان الله كان عليما حكيما** اى عليما بمصالحكم وبعجزكم عن موافقة الصواب لو وكل الامر في التقدير اليكم حكيما فيما قدر وحكم وبين وقوله تعالى **ولكم نصف ما ترك ازواجكم** اى زوجاتكم فالمراة تسمى زوجة وتجمع على الزوجات وزوجا يجمع على الازواج قال تعالى وتذرون ازواجا وقوله تعالى **ان لم يكن لهن ولد** اى ابن او بنت ويقع على الواحد والجمع وعلى ولد الصلب وولد الابن وان سفلوا وقوله تعالى **فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن** فينتقص بسبب الولد وهو ما فسرنا في حق الزوج تصييرا للنصف ربعا وقوله تعالى **من بعد وصية يوصين بها او دين** وتفسيره ما مر في الاية الاولى وقوله تعالى **ولهن الربع مما تركتم** اى الزوجات **ان لم يكن لكم ولد** وهو ما فسرناه **فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين** مر تفسيره وقوله تعالى **وان كان رجل** الرجل ههنا هو الميت **يورث** اى يقال ميراثه فعل ما لم يسم فاعله من قولك ورث ويصح فعل ما لم يسم فاعله منه لانه فعل متعد تقول ورثت فلانا ولا تقول ورثت من فلان قال تعالى وورثه ابواه وقال تعالى وهو يرثها وقال تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى **كلالة** اى يورث على كونه ميتا لا ولد له ولا والد والكلالة مصدر الكل قال صاحب ديوان الادب

والكل هو الذي لا ولد له ولا والد بل له اخوة واخوات من قولك تكلله الشيء اى احاط به وقوله **او امراة** عطف على قوله رجل وقوله تعالى **وله اخ او اخت** ولم يقل لهما لانه ادخل بينهما او فعنت احدهما وهو كقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما وكان يجوز التثنية كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وله اخ او اخت اى لام على هذا اجماع الصحابة والعلماء وفي مصحف سعيد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقوله تعالى **فلكل واحد منهما السدس** اى لا يفضل الذكر على الانثى وقوله تعالى **فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث** اى الاثنان والاكثر ذكورا كانوا او اناثا او مختلطين يستوون في الثلث لا يفضل الذكر منهم على الانثى لان الشركة تقتضي التسوية وقوله تعالى **من بعد وصية يوصى بها او دين** قد مر تفسيره وقوله تعالى **غير مضار** نصب على الحال اى لا يكون عند الموصي بما اوصى قاصدا الاضرار بالورثة بما فعل وعن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه ومرفوعا الضرار في الوصية من الكبائر وهو ان يوصي باكثر من الثلث او يقر لاحد بدين كاذبا او يبيع او يشتري بغبن وقوله تعالى **وصية من الله** قال في الاية الاولى فريضة من الله ولنصبه وجوه كثيرة اوجهها انه مصدر لقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية الاولى وقيل هو على التفسير وقيل هو على القطع وقيل هو على الاغراء وقيل هو مفعول لقوله غير مضار وقال الفراء لكل واحد منهما السدس وهم شركاء في الثلث وصية من الله كما يقال هذا الدرهم لك معونة على كذا او هبة مني لك وقوله تعالى **والله عليم حليم** بالمطيع من العباد والعاصي حليم لا يعاجل عاصيهم بالعقوبة بل يمهل اذ لا يعجزه شيء ولا يفوته امر وقوله تعالى **تلك حدود الله** اى معالم دينه بين فيها حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقوله تعالى **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم** شرط وجزاء في وعد المطيعين وقوله تعالى **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** شرط وجزاء في وعيد الكافرين ولا حجة فيه للخوارج والمعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة في النار فان الاية في حق الكفار لان الكافر هو الذي يتعدى الحدود كلها ويكون عاصيا في كل شيء فاما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد وقال الضحاك المعصية ههنا هي الشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا وروى صفوان بن سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قطع ميراثا فرضه الله تعالى قطع الله ميراثه من الجنة وقوله تعالى وله عذاب مهين يدل على هوانه على الله وسقوط قدره عنده وهو نقيض حال اهل الجنة فانهم في جنات مكرمون وقال في حق الكافر ويخلد فيها نارا واضافه الاهانة الى العذاب لان الهوان يقع به والمهين في الحقيقة هو الله تعالى قال الله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم وقوله تعالى **واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم** اللاتي جمع التي وكذا اللواتي واللاي والفاحشة الفعلة القبيحة وهي الزنا ههنا واتصالها بما قبلها انه امر بالاحسان اليهن في اول السورة وامر ههنا بالتغليظ عليهن اذا زنين وهو احسان اليهن في الحقيقة ونظر لهن في الاخرة واصلاح لهن وبيان انه ليس من الاحسان تعطيل الحدود الواجبة عليهن بل فيه افساد لهن وفيه ايضا تعريف ان الله تعالى كما يستوفي لعباده كذا يستوفي عليهم اذ ليس في حكمه محاباة وقوله تعالى **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** اى اسالوا ايها الائمة الذين اليكم اقامة الحدود شهادة اربعة من الشهود على زناهن وقوله تعالى **فان شهدوا** الشهداء الاربعة على ذلك وقوله تعالى **فامسكوهن في البيوت** اى احبسوهن وكان هذا حد الزنا في الابتداء وقوله تعالى **حتى يتوفاهن الموت** الى ان يستوفي مدة حياتهن الموت وقوله تعالى **او يجعل الله لهن سبيلا** اى مخلصا عن الحبس بشيء اخر وقد جعل ذلك وهو فيما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة فاما الجمع بين الجلد والرجم فقد قال به بعض الناس بهذا الحديث وعند عامة العلماء يرجم المحصن ولا يجلد بحديث ماعز فان النبي صلى الله عليه وسلم رجمه من غير جلد وبحديث العسيف فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لانيس اغد على امراة هذا فان اعترفت بالزنا فارجمها فانتسخ هذا الحديث بذلك في حق الجلد وهو محمول على حالين وهو ان الثيب الذي لم يجتمع شرائط الاحصان فيه يجلد واذا كان محصنا يرجم فاما الجمع بين الجلد والنفي في غير المحصن فقد قال به الشافعي بهذا الخبر ونحن قلنا لا ينفى لان الله تعالى قال الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة جعل الجلد كل الحد وفي ضم النفي اليها جعل الجلد بعض الحد وهو نسخ وهذا الحديث انتسخ بهذه الاية وعند من لا يرى نسخ القران بالسنة اية الحبس نسخت باية الجلد لا بهذا الحديث وقال الامام ابو منصور وهذا لا يصح لانه لا تنافي بين الجلد والحبس فكيف ينسخ هذا بذلك بل انتسخت هذه الاية بهذا الخبر وهو جائز لان النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول فهو وحي من الله تعالى فهو نسخ لما ثبت بالوحي وقوله تعالى **واللذان ياتيانها منكم فاذوهما** قال الحسن وعطاء هما الرجل والمراة يجتمعان على الزنا واصل الكلمة في الرجلين لكن اذا اجتمع الذكر والانثى وصفا بما يوصف به الذكران تغليبا للذكر على الانثى يقول والرجل والمراة اللذان ياتيان الفاحشة وهي الزنا فاذوهما وهذا احدهما وهو الايذاء باللسان في قول قتادة وجماعة يقال لهما بئس ما فعلتما اما استحييتما اما خفتما الله ورسوله تعرضتما لعقوبة الله ونقمته واستوجبتما التفسيق وبطلان الشهادة وفضحتما انفسكما وعشيرتكما ونحو ذلك وعن ابي طلحة نال ابدا وهما التعيير باللسان والضرب بالنعال ونحو ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الاذى باللسان واليد

وقال السدى وابن زيد اية الاذى فى غير المحصنين واية الحبس فى المحصنين لانه قال من نسائكم على الاضافة وظاهر
اية الحبس وان كان فى المراة وحدها فقد ثبت فى الرجل استدلالا بها وقيل بل الحبس كان فى المراة خاصة والاذى فى الرجل
والمراة جميعا وقال قتادة يؤذيان جميعا وتحبس المراة والمعنى ان الرجل يحتاج الى بروز للاكتساب وفى حبسه تضييع
له ولعياله والمراة لا تحتاج الى ذلك وحقها لزوم منزلها قال تعالى وقرن فى بيوتكن ولعلها وقعت فى الزنا لبروزها
واشتركا فى الايذاء لان كل عاص يؤذى وملوم وقال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان
ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان الرجل اذا زنى بالمراة وكانا بكرين حبس كل واحد منهما
فى بيت ثم لا يبرحان ما زالا اذاهما بالتعيير باللسان اما استحييت حتى زنيت وهذا دليل على ان قوله فى هذا
ان الاذى مع الحبس كانا مشروعين فى وقت واحد فى حق الرجل والمراة جميعا وقال مجاهد اية الاذى فى الرجلين
اى فى الذكر يفعل ذلك بالذكر وهو اللواطة انه يعزر ولا يحد بالجلد او بالرجم وقال الامام ابو منصور رحمه الله
وهذا يكون حجة لابى حنيفة رحمه الله انه يعزر ولا يحد بالجلد ولا بالرجم وعلى هذا الوجه حكم هذه الاية لم ينسخ وعلى
قول الاخرين قد نسخ ذلك وقوله تعالى **فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما** اى فان
ظهر ندمهما واصلحا العمل بعد ذلك بارتكاب الطريقة المحمودة فى الصلاح والعفة وذلك لا يكون الا بعد مضى مدة
بعد اظهار التوبة فاسكتوا عن ايذائهما واحسنوا لهما القول فيزول الايذاء والتفسيق ولا يزول الحبس لانه قال حتى
يتوفاهن الموت وذلك تابيد ويكون ذلك الحبس قبل التوبة تنكيلا وبعد التوبة تكفيرا وقوله تعالى ان الله كان
توابا رحيما يقبل توبة التائب اذا اصلح بعد توبته ويرحمه فلا يرد عليه ولا يعذبه والحاصل ان الرجل اذا زنى بامراة
وهما محصنان فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير واذا كان احدهما محصنا والاخر غير
محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الاخر الجلد والمحصن هو ان يكون عاقلا بالغا حرا مسلما دخل بامراة بالغة عاقلة
حرة مسلمة بنكاح صحيح والاسلام شرط من شرائط الاحصان عندنا خلافا للشافعى رحمه الله واسلام المراة شرط
لاحصان الداخل بها عند ابى حنيفة ومحمد خلافا لابى يوسف وما رواه الشافعى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم رجم يهوديين وكانا قد احصنا فانا نقول انما رجمهما بحكم التوراة حين لم ينزل حكم فى ذلك عليه فقد روى
انه مر بيهودى ويهودية محممى الوجه فقال ما شانهما فقيل انهما زنيا فقال عليه السلام حد الزنا فى كتابكم هذا فقيل
نعم فقال عبد الله بن سلام كذبوا يا رسول الله بل حد الزانى فى كتابهم الرجم فقال صلى الله عليه وسلم من اعلمكم قالوا فتى يقال
له ابن صوريا الاعور فدعا به فاتى به وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يوتى بالتورية وامر بالقراءة فلما
بلغ اية الرجم وضع يده عليها فرفع عبد الله بن سلام يده عنها فظهرت اية الرجم فقال عليه السلام لم تكتم العمل بكتاب الله
فقال ابن صوريا فشا الزنا فينا فكان الوضيع منا اذا زنى رجمناه والشريف اذا زنى تركناه فاجمعنا على شىء يستوى فيه
الوضيع والشريف وهو التحميم فقال عليه السلام انا احق باحياء سنة قد اماتوها فامر برجمهما فكان هذا حكما بالتورية
ولم يكن الاحصان يومئذ شرطا ثم صار الرجم المشروع فى التوراة منسوخا باية الايذاء من القرآن ثم صار الايذاء منسوخا
باية الحبس ثم صار الحبس منسوخا بحديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب
عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم صار هذا كله منسوخا بالجلد فى الزانى والزانية جميعا وصار الحد
هو الجلد فى كل زان وزانية ثم صار هذا منسوخا بالرجم فى حق المحصن بحديث ماعز رضى الله عنه وبقى غير المحصن
فى حكم الجلد بهذه الاية هذا هو النسخ بالايات والاحاديث وعليه استقر الحكم عندنا والله اعلم وقوله تعالى **انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** لما ذكر فى الاية الاولى توبة الزانيين وانه تواب
رحيم اثبت فى هذه الاية وقت التوبة وقوله تعالى على الله ليس على الوجوب فانه لا يجب للعبد على ربه شىء لكنه تاكيد الوعد على
معنى انه يكون لا محالة كالواجب الذى لا يهمل وقد ذكر الله تعالى لفظة على فى ستة اشياء فى الرزق وما من دابة فى الارض
الا على الله رزقها والنجاة كذلك حقا علينا ننج المؤمنين والهدى قال تعالى ان علينا للهدى والرحمة قال تعالى كتب ربكم
على نفسه الرحمة والحساب قال تعالى ان علينا حسابهم وقوله تعالى الذين يعملون السوء بجهالة ليست من جهالة عدم العلم
بانه ذنب لان ذلك عذر لكنها التغافل والتجاهل وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه وعلى ذلك قوله تعالى
فلا تسالنى ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين وقوله تعالى والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن
من الجاهلين وقوله تعالى هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة الاية وقال
الامام ابو منصور رحمه الله العمل بالجهالة يخرج على وجوه غلبة شهوته عليه فيعمل ذلك العمل على طمع انه سيتوب من بعد
ويصير رجلا صالحا على ما فعل اخوة يوسف حيث قالوا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين ثم سماهم بذلك جاهلين فى قوله تعالى اذ انتم جاهلون ويحتمل ان يعمل على طمع المغفرة ويتكل على
رحمة الله تعالى وكرمه ويحتمل الجهالة بعقوبة عمله وقدر ذلك وقوله تعالى ثم يتوبون من قريب اى لا يؤخرونها حتى لا يفوت
وقتها وهو حضور الموت وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من قريب ما لم يغرغروا بالموت وينكسر منه العقل واللسان
وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال ان السنة

لكثير

لكثير ثم قال من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر لكثير ثم قال من تاب قبل موته بجمعة تاب
الله عليه ثم قال ان الجمعة لكثير ثم قال من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال ان اليوم لكثير ثم قال من تاب
قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال ان الساعة لكثير ثم قال من تاب قبل ان يغرغر بها تاب الله عليه وقال الامام
القشيرى رحمه الله ثم يتوبون من قريب على لسان اهل العلم قبل الموت وعلى لسان اهل المعاملة قبل ان تعود
النفس على ذلك فيصير له كالطبيعة فالقائل يقول • فلت للنفس ان اردت رجوعا • فارجعى قبل ان تسد الطريق
وقوله تعالى **فاولئك يتوب الله عليهم** اى يقبل توبتهم **وكان الله عليما حكيما** اى عليما بضمائر عباده
وعزمهم على التوبة حكيما فيما يفعل بعباده فلا توبة من هو اهل لقبولها وقوله تعالى **وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن** اى ولا توبة للذين يذنبون مصرين
والتوبة مسوفين الى ان يزول حال التكليف بحضور اسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان هؤلاء لا تقبل توبتهم
لانه حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعد به الا للمختار وقال تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له
من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون وقوله تعالى **ولا الذين يموتون وهم كفار** اى لا يقبل ايمان هؤلاء اذا صاروا
الى حالة الاضطرار كما لا يقبل ايمانه بعد البعث او فى القبر وقيل انما لا تقبل توبة هؤلاء لانها كانت باللسان لا غير
وهو من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال الربيع بن انس قال انى تبت الآن وهو المنافق وقال سعيد
ابن جبير نزلت الاية الاولى فى المؤمنين والوسطى فى المنافقين قال انى تبت الآن والاخرى فى الكافرين ولا الذين
يموتون وهم كفار وقوله تعالى **اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما** اى للفريق الثانى والثالث هيانا لهم فى الاخرة عذابا
وجيعا وقوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** اى اكراها ونصبه على الحال وتقديره مكرهين
وعاد الكلام الى الوصية فى امر النساء عن ظلمهن والمعنى يا معشر المؤمنين لا يحل لكم ان ترثوا النساء كما ترثون الاموال
وكان اهل الجاهلية اذا مات الرجل منهم القى ابنه او اخوه او وارث له ثوبه على امراته فلا يمكنها ان تتزوج غيره ويكون
امر نكاحها اليه ان شاء صيرها لنفسه وان شاء زوجها لغيره وهو احق بها من اوليائها وقال السدى كان اذا سبق الوارث
فالقى عليها ثوبا فهو احق بها ينكحها وياخذ مهرها وان سبقت المراة فذهبت الى اهلها فهم احق بها وقال الكلبى كانوا
فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات احدهم وترك امراته وله ولد لم يكن منها او وارث اخر القى ثوبه عليها وورث نكاحها
بصداق الميت وان كرهت المراة فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقى عليها ثوبا فهى احق بنفسها حتى توفى ابو قيس
ابن الاسلت وترك امراته كبيشة بنت معن فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وطرح ثوبه عليها فورث نكاحها
ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها بذلك لتفتدى منه بمالها وكذلك كانوا يفعلون فاتت كبيشة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدى فى بيتك حتى ياتى فيك امر وسمع النساء بالمدينة
فقلن ما نحن الا مثل كبيشة فاتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرنه فانزل الله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
اى جبرا لهن فما كان من ابناء آب وابن فلا يحل له نكاحها وما كان سوى ذلك فله ان ينكحها بطيب نفسها ابدا فيقضيا
العدة بالطهور والشهور وقوله تعالى **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** عند بعضهم على هذا التاويل
معناه ولا تضيقوا عليهن بمنع التزويج والحبس عندكم لتاخذوا منهن بعض ما آتاهن الازواج من الصداق ولكن هذا
الوصل لا يصح لانه لا يتصل بما قبله وما بعده وهو قوله تعالى **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** وقيل كان حد زناها
يومئذ استرداد ما اخذت من المهر والصحيح انه حكم مبتدا وهن راجعة الى النساء وتقديره ولا تعضلوا النساء
اى منكوحاتكم اذا تزوجتموهن ثم كرهتموهن فلا تضيقوا عليهن بسوء الخلق ومنع الحق ليفتدين بالمهر وقوله تعالى
الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال السدى وابو قلابة هى الزنا اى اذا لم تكتف بك ووطئت غيرك فلك العضل الى
ان تفتدى منك بالمهر وقال عكرمة ومقسم والضحاك الفاحشة المعاملة السيئة وللزوج فى هذه الحالة ان ياخذ
منها الفدية وما جاء ذلك الا من جهتها وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها فقيده بالكره
لا يدل على انه يجوز اذا كان طوعا لاوجه احدها ان تخصيص الشىء بالذكر لا يدل على نفى ما عداه كما فى قوله تعالى
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه ان يحل عند عدم الخشية وقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت
اجورهن ليس فيه انه لا يحل اذا لم يؤتهن اجورهن وقوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا فواحدة والثانى ان الوراثة لا تكون
الا كرها فانها تثبت شاء الوارث او ابى والثالث ان المورث يكون مشتركا بين الورثة والنكاح لا يحتمل الاشتراك
والرابع ان المراة من الورثة ايضا فاذا ورثته بعض نفسها لم يسلم للوارث الاخر ثم ملك البعض ادون من ملك المنافع
فى الاجارة فاذا انقطع ملك البعض بالموت فملك المنافع اولى وقيل فى ابتداء هذه الاية وجه اخر روى معمر عن الزهرى
وعلى بن ابى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان من عاداتهم ان يعضلوا اياهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن
فيرثوهن اموالهن فنهوا عن ذلك ووجه اخر اقرب الى الوصل بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فى الرجل يكون تحته
امراته فلا يحضرها ولا يطلقها لتفتدى منه او تموت عنده فيرثها فقال لا يحل لكم ان تمسكوهن على هذا الوجه لترثوا اموالهن
ولا ان تضاروهن ليفتدين بما اعطيتموهن من المهور الا ان يزنين او ينشزن فلكم اخذ المهور منهن اذا اعطين

وقوله تعالى **وعاشروهن بالمعروف** الا ان ياتين بفاحشة مبينة ويجوز ان تكون متروكة في موضعها ويكون هذا
في غير من زنت او ابدا امر في حق النسا في غير الك الحادثة والمعاشرة بالمعروف هي المعاملة على المجاملة خلقا وقولا
وما لا وقيل هو الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان وقيل هو ان يعاملها بما لو عاملته به سرور ورضي بذلك وقيل هو الرد بالمعاشرة
بالمعروف في حال سوء خلقها ونشوزها وقال الامام القشيري رحمه الله وعاشروهن بالمعروف اي بتعليم الدين والتادب
باخلاق المسلمين وبحسن الصحبة على كراهة النفس وان يحتمل اذاهن ولا يحملهن كلف خدمتك وتتغافى عن مواضع
خجلتهن وقوله تعالى **فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** قال الامام ابو منصور
رحمه الله قيل ان كرهتم صحبتهن لقبحهن او لسوء خلقهن فتصبروا على ذلك فعسى ان يهب الله لكم منهن اولادا تقر بهم
اعينكم او يعطي لكم في الاخرة ثوابا جزيلا بصبركم وحسن معاشرتكم وعسى ان تموت فترث منها مالا كثيرا يقيم به
مصلحتك وقيل فان كرهتم فراقهن فعسى ان يجعل الله في الفراق خيرا كثيرا قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
وقوله تعالى **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج** اي في غير حال النشوز او زناها **وآتيتم احداهن قنطارا**
اي وقد كنتم اعطيتم المراة مالا كثيرا وقد ذكرنا القنطار وقيل في مقداره في سورة آل عمران وقوله تعالى **فلا تاخذوا
منه شيئا** اي من القنطار المقنطر لا قليلا ولا كثيرا وقوله تعالى **اتاخذونه بهتانا واثما مبينا** الالف اصله
الاستفهام وهو على معنى الاستنكار والاستعظام اي اتفعلون هذا وهو قبيح وبهتان واثم مبين والاثم المبين والبهتان
الكذب على الغير مواجهة ومكابرة على وجه يحيّره من قوله فبهت الذي كفر اي تحير ووجهه انه اذا ابتلاه بذنب نهاه الله الا
المشرع فيه فاما ان يكذب عليها بقوله فعلت هي كذا استحقت به هذا او يقول اي الشرع هذا فيكون عليها وعلى الشرع
وبا تم بهذا الامر وبهذا القول وقال القشيري رحمه الله يعلمهم حسن العهد ونعت الكرم في العشرة يقول لا تجمع بين
الفرقة منها واسترداد المال عنها فان ذلك ترك الكرم وان اعطيت واحدة مالا كثيرا ثم جفوتها بالفراق فما اكلتها
يسيرا بجنب ما اذيتها بالافتراق وقوله تعالى **وكيف تاخذونه** كيف كلمة تعجب يقول عجبا منكم من اي وجه ولاي وجه
تاخذون ذلك وهذا كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وقوله تعالى **وقد افضى بعضكم الى بعض** اي وصل الزوج الى المراة
والمراة الى الزوج قال ابن عباس رضي الله عنهما هو كناية عن الجماع والله تعالى نزه كتابه عن ذكر ما يستشنع فسماه سرا في
اية وافضا في اية ومسا في اية وقيل الافضا هو الخلو من الفضا وهي المفازة الخالية كذا فسره الكلبي رحمه الله
وبين اشتقاقه ايمة اهل اللغة وهو حجة اصحابنا رحمهم الله في ان المهر يتاكد بالخلوة الصحيحة من غير وطي وقوله تعالى
واخذن منكم ميثاقا غليظا هو قول الله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان اضاف ذلك الى اخذهن وقيل كان يعقاد
في انكحة السلف آلله عليك لتمسكن بالمعروف او لتسرحن باحسان والميثاق العهد الوثيق الغليظ للمبالغة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعن
عمر رضي الله عنه قال على المنبر لا تغالوا بصدقات النسا فقالت امراة اتتبع قولك ام قول الله تعالى وآتيتم احداهن
قنطارا فقال عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر تزوجوا على ما شئتم وقوله تعالى **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من
النساء** قيل كما ترك قوله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها قالوا تركنا هذا لانهن كرها لكن نخطبهن فننكحهن
برضاهن فنزلت هذه الاية فنهوا عن ذلك ايضا فقالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال من كان فينا فنزل فيه اثم ذلك عنهم
لانهم لم يعلموا ذلك او كان قبل ورود الشرع بالتحريم وذلك قوله تعالى **الا ما قد سلف** فانه ذلك مرفوع عنكم ثم بين قبح
هذا العقد في الحال وذلك قوله تعالى **انه كان فاحشة** اي فعلة قبيحة **ومقتا** اي اشد البغض عند الله وقوله تعالى
وساء سبيلا هو نصب على التمييز اي بئس السبيل هذا فانه يؤدي بصاحبه الى النار والاستثنا منقطع ومعناه لكن
ما قد سلف فقد عفي عن ذلك قال محمد بن جرير لم يرد به منكوحة الاب فانه لم يقل من نكح بل قال ما نكح ويرجع الى الفعل
وتقديره ولا تنكحوا من النسا مثل ما كان ينكح اباؤكم من المناكح المحرمة في الدين فان فعلتم ذلك فهو منسوخ عليكم الا
ما قد سلف من نكاح من يجوز نكاح مثله في الاسلام ابتداء فانه غير منسوخ عليكم وقيل المراد بالنكاح هو الوطي كما في قوله
تعالى حتى اذا بلغوا النكاح اي لا تطئوا ما وطي اباؤكم وفيه تحريم وطي موطوءة الاب بنكاح كان او بملك يمين او زنا
وهو مذهب اصحابنا رحمهم الله وعليه كثير من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وسبب نزول هذه الاية ما قال الاشعث
ابن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحي
قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فاتته فاخبرته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعي
الى بيتك فنزلت هذه الاية وقال عطا كان ابو عمرو بن امية بن عبد شمس تزوج امراة ابيه فولدت من ابي عمرو ابا معيط
وكان نكاحا في العرب جايزا فنهى الله تعالى عنه وحرمه وقال الا ما قد سلف اي تجاوز الله عما مضى انه كان فاحشة في الاسلام ومقتا
لمن فعله وساء سبيلا مؤديا الى النار وقال الامام ابو منصور رحمه الله معناه انكم اذا انتهيتم عن ذلك في المؤتنف يغفر لكم
ما قد سلف وان كان فاحشة في الاسلام كقوله تعالى فكان من المغرقين وقوله تعالى **حرمت عليكم امهاتكم** امر في اول السورة
بنكاح ما طاب من النسا اي حل وذكر قبل هذه الاية بعض ما لا يطيب وهو نسا الاباء وذكر المحرمات الباقيات
في هذه الاية وبدا بالامهات وهي جمع الام وهي الوالدة وقيل اصلها الامهة ولذلك جمعت امهات وقد يجمع امات

وقيل الامهات يستعمل في الادميات والامات في البهايم والمراد بهذا بيان تحريم محلية النكاح في حق من اضيف اليهم
وهن يتبع بالنسب الامهات واسم الام يقع على الام بالرشد والنسبة وعلى الجدة القربى والبعدى من قبل الاب والام وقوله
تعالى **وبناتكم** جمع البنت المخلوقة من ماء الزنا تحرم على الزاني عندنا بظاهر الاية خلافا للشافعي وقوله تعالى **واخواتكم**
جمع الاخت ويقع الاسم على الاخت لاب وام وقوله تعالى **وعماتكم** جمع العمة وهي اخت الاب لاب وام وعمات الاب والجد
والام والجدة من الوجوه الثلاثة وكذا قوله تعالى **وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت** وتوافلهما وان بعدت
لا خلاف في الحكم بالذكور وبالاناث او بالاناث والاخوة باي وجه كانت وقوله تعالى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم** هذا تحريم
الام من الرضاعة واخواتكم من الرضاعة هذا تحريم الاخت من الرضاعة لاب وام كانت او لاب او لام عند عامة العلما
وقال الامام ابو منصور وقال بشر لا تحرم البنت من الرضاعة لانها لم تذكر في الاية ولا تكون بنته وهي سبيلة لبن الفحل انه
لا يحرم عنده قال وذكر الله التحريم في المحرمات بنسب وبين بيان الخاطة ذكر المحرمات برضاع وبين بيان كفاية لا بيان احاطة
فاما ان ترك ذلك الاجتهاد والاستنباط من المذكور وقد اجمعوا ان بنات الاخوة والاخوات من الرضاع محرمات وان
لم يذكرن فيها وكان ذكر الحرمة في الاخوات من الرضاع كالذكر في اولادهن وكذا يكون ذكر الحرمة في الامهات من الرضاع
ذكرا في بناتهن او ترك بيان ذلك للسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالت عايشة
رضي الله عنها حين استاذن عليها افلح بن ابي قعيس بعد نزول اية الحجاب ليلج عليك فانه عمك وكان عمها من الرضاع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن رجل له امراتان ارضعت احداهما جارية والاخرى فارضعت هذه جارية وهذه غلاما هل يصلح
للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد ثم اطلاق قوله تعالى ارضعنكم يقتضي ثبوت الحرمة بقليل الارضاع
وهو حجة لنا على الشافعي رحمه الله فانه يشترط خمس رضعات ويحتج بقول عايشة كان فيما نزل عشر رضعات يحرمن ثم نسخ
ذلك بخمس رضعات يحرمن فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرا وقال الامام ابو منصور رحمه الله لسنا نجد في القران
اية الناسخ ولا اية المنسوخ ولا يجوز ان يقال ضاع من القران شي فلا نترك ما يجوز ثابتا في القران بمحفوظ النقل
ولعلها غلطت فيها والرضاع في الكبر لا يحرم عندنا لقوله عليه السلام الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وذلك في الصغير
وذلك في السنتين عند ابي يوسف ومحمد وسنتين ونصف عند ابي حنيفة رحمه الله وثلاث سنين عند زفر رحمه الله وتعرف
ذلك في الفقهيات وقوله تعالى **وامهات نسائكم** وجدة المراة القربى والبعدى من قبل ابيها وامها كذلك بالنسب والرضاع
لشمول الاسم والدخول بالمنكوحة ليس بشرط للحرمة عند عامة العلما وقال مالك وداود وبشر هو شرط وقالوا ان الله
تعالى قال وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وذكر الدخول في الثانية وهي
معطوفة على الاولى فكان شرطا فيهما وقلنا الاولى مطلقة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الاية ابهموا
ما ابهم الله اي اطلقوا وقوله تعالى دخلتم بهن وصف للاخيرة وحدها لان الثانية مخفوضة بمن والاولى مخفوضة بالاضافة
والمخفوضات بخافضين لا ينعتان بنعت واحد لا يقال مررت بزيد ونظرت الى عمرو العاقلين ولو كانا مخفوضين
بخافض واحد جاز ذلك يقال مررت بزيد وعمرو العاقلين وقوله تعالى **وربائبكم اللاتي في حجوركم** الربائب
جمع الربيبة وهي بنت الزوجة والربيب ابنها والراب زوج الام لانه يرب اولادها ونوافل الزوجة داخلات في الحرمة
لشمول الاسم والحجور جمع الحجر وهو كناية عن كونهن في ولايتهم وحمايتهم ثم تكون الربيبة في حجر الراب شرط الحرمة عند بعض
الناس لظاهر الاية حتى لو كانت في حجر غيره بان تكون بالغة تلي امر نفسها لم تحرم عليه وقال عامة الصحابة والعلما رضوان الله عليهم
ليس بشرط وهذا خرج على الاغلب لانهن كن لا يتزوجن غالبا واذا كان لهن اولاد كبار وتتزوج مع الاولاد الصغار وتستعين
بالازواج على تربية الصغار فخرج الكلام مخرج الغالب لا على الاشتراط كقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد حالة الاعتكاف حرام ايضا لهذا وقوله تعالى **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** وهذا الدخول شرط بالاجماع
وقوله تعالى **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** اي في نكاح الربائب وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال
بعضهم دخلتم بهن كناية عن الجماع لكن عندنا هو اخذه بيدها في ادخالها في موضع الخلوة والجماع لا نفس الجماع يقال دخل فلان
دخل بفلان موضع كذا الا يراد به غير الادخال لذلك قلنا اذا ادخلها في موضع الجماع وخلا بها وجب كمال المهر وتثبت الحرمة
وان جعل هذا كناية عن الجماع فلان الجماع لا يكون الا بالدخول بها مكانا يستترهما والا فحقيقة الدخول بها ليس بجماع ولا بد من
اخذه بيدها او يثني ههنا ليكون بذلك هو الداخل بها لا هي به وقوله تعالى **وحلائل ابنائكم** اي منكوحات اولادكم
ويقع على النوافل وان بعدوا من ذكور كانوا او اناث وتثبت الحرمة ههنا بنفس العقد لاطلاق النص والحلايل جمع حليلة وهي
الزوجة والحليل الزوج لان كل واحد منهما يحل في موضع يحل الاخر فالاول من الحل والثاني من الحلول وقوله تعالى **الذين
من اصلابكم** ليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن عن الرضاع بل هي عن حليلة ابن المتبنى لانهم كانوا يجعلونه كولد
الصلب في هذا فابطله الشرع قال الكلبي وعطا ان النبي صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة وتزوج امراته بعدما ابانها
فتكلم المنافقون والمشركون في ذلك فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم ونزل قوله تعالى ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وقوله تعالى **وان تجمعوا بين الاختين** اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين في النكاح وقوله تعالى **الا ما قد
سلف** قال السدي وعطا الا ما كان من يعقوب جمع بين ليا وراحيل وهما اختان او راحيل وتامان ام يهوذا وكان

وكان حلالا وحرمه الله على هذه الأمة وروى هشام عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات
الا اثنتين نكاح امراة الاب ونكاح الاختين فلذلك قال هاهنا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف
اي دفع عنكم اثم ما قد سلف وقيل الا ما قد سلف من نكاح احدى الاختين وماتت او طلقت فتحل الاخرى بان يتزوج
وقال الامام ابو منصور رحمه الله الا ما قد سلف وان كان محرما في ذلك الوقت فانهم اذا انتهوا عن ذلك بعد الاسلام
غفر ذلك لهم وقوله تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** اي لما كان في الجاهلية رحيما لمن فعل ذلك في الاسلام اذا تاب
وقوله تعالى **والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم** اي وحرم عليكم نكاح المنكوحات اللاتي لهن ازواج
الا ما ملكتموهن ملك يمين بسبيهن واخراجهن بدون ازواجهن بعد الاستبراء وتقع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي
ولا يجب العدة وتحل للغانم بملك اليمين قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وقعت في سهمي يوم اوطاس جارية
فبينا انا اسوقها اذ رفعت راسها الى الجبل فقالت ذاك زوجي فانزل الله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت
ايمانكم قال فاستحللنا فروجهن بها وكانت صفية بنت حيي ذات زوج فسبيت يوم خيبر واصطفاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتقها وتزوجها فدل على وقوع البينونة وعدم وجوب العدة والاحصان اصله المنع والحصن مانع
قصد العدو والدرع الحصينة مانعة من شر القاصد والحصان بكسر الحاء الفرس الفحل المانع من الوقوع في يد العدو
والحصان بفتح الحاء المراة العفيفة المانعة زوجها قال الله تعالى ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها واحصنها الزوج
فهي محصنة والاحصان في القرآن جاء لمعاني للنكاح كما في قوله تعالى فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
وللعفة كما في قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات وللاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن على قول بعض العلماء وقوله تعالى ايمانكم جمع
يمين وهي اليد اليمنى واضاف الملك اليها لانها هي المتصرفة في عامة التصرفات غالبا وعلى هذا قوله تعالى ذلك بما
كسبت ايديكم وقوله تعالى فبما كسبت ايديكم وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب ولان المملوك كالمقبوض باليد للعدو عليه
وعن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ان قوله الا ما ملكت ايمانكم يقع ايضا على الشراء وغيره فانهم قالوا اذا بيعت المنكوحة
طلقت وحلت لمشتريها وقالوا بيع الامة طلاقها وعامة الصحابة والعلماء بعدهم على ان النكاح لا يبطل بالشراء ويدل
عليه الحديث المشهور ان بريرة كان لها زوج فاشترتها عائشة رضي الله عنها فاعتقتها فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدل ان النكاح لا يبطل بالشرا وقال ابن سيرين في تفسير هذه الآية قولا آخر قال احل الله لك في اول السورة اربعا وحرم
نكاح كل محصنة اي عفيفة بعد الاربع الا ما ملكت يمينك وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقيل معناه والمحصنات من النساء
حرام عليكم الا ما ملكتموهن بالنكاح قال وهذا خلاف الظاهر لان ملك اليمين غير ملك النكاح قال تعالى يفصل بينهما والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وقوله تعالى **كتاب الله عليكم** قال الكسائي حرمت عليكم امهاتكم وكذا وكذا من الله عليكم
اي فريضة وهو كقوله تعالى فريضة من الله ووصية من الله وثوابا من عند الله ونصيبا مفروضا وقد بينا هنالك وجوه
نصبه وقيل هو على الاغراء على التقديم والتاخير وتقديره عليكم كتاب الله كقوله تعالى عليكم انفسكم وقيل هو على اضمار احفظوا
او الزموا واتبعوا ما كتب الله لكم وقيل هو نصب بحذف الباء وتقديره بكتاب الله عليكم وكتاب الله هو حكمه وقيل اي بعد التحريم
بكتاب الله الذي انزله او وقد فرض ذلك لكم في كتابه وقوله تعالى **واحل لكم ما وراء ذلكم** قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص واحل لكم على ما لم يسم فاعله عطفا على قوله حرمت عليكم وقرا الباقون على الفعل الظاهر صرفا الى اسم الله المذكور
في قوله كتاب الله عليكم وقوله ما وراء ذلكم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي ما سوى هؤلاء المحرمات كما في قوله تعالى ويكفرون
بما وراءه اي بما سواه وقيل اي بما قبل ذلكم كما في قوله تعالى وكان وراءهم ملك اي امامهم وينصرف الى قوله تعالى فانكحوا ما طاب
لكم الآية وقيل معناه ما بعد ذلكم فان الوراء يستعمل في الخلف في الاغلب ومعناه ما بعد الاصناف المحرمة بالنسب والرضاع
والمصاهرة وقوله تعالى ذلكم الكاف والميم خطاب الرجال كما في قوله تعالى حرمت عليكم والذا اشارة الى المذكور قبله من المحرمات
ولو اشار الى المحرمات لقال وراء تلكم لكن صرفه الى المذكور ويقع ذلك عليهن وقوله تعالى **ان تبتغوا باموالكم** ترجمة عن قوله
ما وراء ذلكم وتقديره واحل لكم ان تبتغوا وقيل اي لان تبتغوا على اضمار اللام ومعناه لتبتغوا اي لتطلبوا باموالكم
قيل اي المملوكة بالثمن والمنكوحة بالمهر وقيل هو على المنكوحة لا غير ودل على انه لا نكاح الا بمهر وانه يجب سمي او لم يسم
وذكر الاموال يدل على ان غير المال لا يصلح مهرا وان القليل لا يكون مهرا فان الدرهم ونحوه لا يسمى مالا فهو عندنا لا يكون
اقل من عشرة وتسمية ما دون العشرة يوجب تكميلا للعشرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا مهر اقل من عشرة وقوله تعالى
محصنين غير زناة وهو نصب على الحال اي مريدين التعفف وقوله تعالى **غير مسافحين** اي غير زانين والسفاح الزنا
والسفح الصب وسفح الجبل اسفله لانه مصب الماء وقد سافح اي زنى وصب الماء باطلا وقوله تعالى **فما استمتعتم به
منهن** اي فاي تمتع وجدتم منهن بالنكاح وقوله تعالى **فآتوهن اجورهن** اي مهورهن وهو كقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن
وآتوهن اجورهن وقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن سماه اجرا لانه بدل منافع البضع في النكاح
وقوله تعالى **فريضة** نصب على الحال لقوله فآتوهن اجورهن وقوله تعالى **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد
الفريضة** اي من الزيادة في المهر على المسمى بعد التسمية عند العقد ودل ذلك على جواز الزيادة في المهر في النكاح

ذلك الثمن في المبيع وهو حجة لنا على الشافعي رحمه الله وهو يحمل هذا على الحط والابراء والهبة ولكنا نقول ذلك يصح برضا احدهما
فلا معنى لاشتراط التراضي وهو من الجانبين لان التفاعل بين اثنين ولما ذكر التراضي علم انه اراد به الزيادة في المهر التي يحتاج
الى رضاهما جميعا وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يحمل هذا على المتعة وكان يقراها فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
ويقول هكذا انزلت قال وقوله فآتوهن اجورهن اي ما سميتم لهن عند المتعة اوجب اداء المال بدون الاستمتاع وفي النكاح
يودي اولا ثم يستمتع وقوله فآتوهن اجورهن اي ما سميتم الزيادة اي ان زدتم في المدة او البدل بعد المواضعة الاولى على اقل
من ذلك فلا اثم عليكم فيه لكنا نقول هذا في النكاح المطلق ويدل عليه ما قبله وما بعده واما قوله فما استمتعتم به منهن اي اردتم
الاستمتاع به كما في قوله اذا طلقتم النساء واذا قمتم الى الصلاة واذا قرات القرآن وقال بعضهم كانت الاباحة في المتعة
لكنها احلت ثلاثة ايام ثم نسخت روي ان الصحابة رضي الله عنهم اشتدت بهم العزوبة في غزوة فاشتكوا ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاباح لهم المتعة ثم نهاهم عنها بعد ايام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عند موته اللهم اني
اتوب اليك من قولي في المتعة والصرف وعن ابن عباس انه قال لما كان يوم حنين وهزم الله تعالى المشركين اجتمع جمعهم
باوطاس وطلبهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم باوطاس فقتلوهم فهزموهم وسبوا نساء العرب فقالوا ما يحل لنا
دون النساء ما فارقوا ازواجهم بطلاق ولا دخلوا في المعركة فانزل الله تعالى قوله حرمت عليكم امهاتكم الى قوله **ان الله كان
عليما حكيما** قال الامام ابو منصور رحمه الله اي عليما فيما حرم واحل حكيما وضع كل شيء موضعه وقوله تعالى **ومن لم يستطع
منكم طولا** اي ومن لم يجد منكم الى حصول مال **ان ينكح المحصنات المؤمنات** اي الحرائر المسلمات وان ينكح ترجمة عن طولا
ومعناه لان ينكح بمعناه فمن لم يجد ما يتزوج به الحرة المسلمة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اي لا اجد ما احج به وقيل هو من
قول الرجل يدي تطول لي هذا الشيء اي تناله ويدي مبسوطة لي كذا في معناه وقوله تعالى **فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات** اي فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات والفتاة اصلها الشابة والفتى الشاب والامة تسمى فتاة والعبد يسمى فتى
وان كانا كبيرين في السن لانهما لا يوقران توقير الكبار الاحرار وربما يعاملان معاملة الصغار وقوله تعالى **والله اعلم بايمانكم**
شرط ايمانها ثم ان الحكم مبني على ظاهرها دون باطن امرها فانه لا يعلمه الا الله وهو كقوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
الآية وقوله تعالى **بعضكم من بعض** اي جمعكم الايمان لم تختلفوا في احكامه فيكون ذلك ادعى الى تاكيد الالفة والسكن فاذا
اتفقا في الدين كان اقرب الى ان يتالفا وقيل اي انه لا تفاوت في الدين كما لا تفاوت في النسب فلا يزري بالحر نكاح منكوحة
وقوله تعالى **فانكحوهن باذن اهلهن** اي مواليهن ودل ان النكاح ينعقد بعبارة الامة العاقلة وينعقد اذا كان باذن مولاها
وقوله تعالى **وآتوهن اجورهن بالمعروف** اي اعطوهن مهورهن على وفق الشرع ولهن قبض ذلك باذن مواليهن وقد ذكر
الاذن في الاول فكان ذكرا في الثاني لان الحادثة واحدة كما في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والحافظين فروجهم
والحافظات اي فروجهن او معناه فالمهر مواليهن ذلك كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية وقوله تعالى **محصنات** اي عفائف
نصب على الحال من قوله فانكحوهن وقوله تعالى **غير مسافحات** اي زانيات **ولا متخذات اخدان** الاخدان الاصدقاء والخدن
كذلك وذلك كالخل والخليل والمخادنة المصادقة ويقع على الذكر والانثى ولا متخذي اخدان اي خدينات وكان زناهن
في الجاهلية من وجهين السفاح وهو بالاجر لكل من رغب فيها والمخادنة وهي مع صديق لها على الخصوص وكان الاول
يقع اعلانا والثاني سرا وقيل كانوا يعلنان جميعا فامر الله ان يتزوج امة عفيفة لاقامة الدين لا زانية مكتسبة بزناها
ولا متخذة خليلا على الفجور رضا فاها وقوله تعالى **فاذا احصن** اي اسلمن وقيل اي نكحن وقوله تعالى **فان اتين بفاحشة**
اي زنين **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** اي ما على الحرائر من الجلد فتجلد الحرة مائة جلدة والامة خمسين
والعذاب الحد قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقال تعالى ويدرا عنها العذاب ثم قوله تعالى فاذا احصن ليس لنفي
الحد عنها اذا لم تنكح بل معناه انها بالنكاح لا يزداد حدها وقوله تعالى **ذلك لمن خشي العنت منكم** اي الزنا اي اباحة نكاح
الامة لمن خشي الزنا لو لم يتزوج بها واصل العنت المشقة والمضرة وله وجوه بيناها عند قوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم وفي
الزنا ذلك كلاهما في الدنيا والآخرة ثم الشافعي رحمه الله اخذ بظاهر الآية وقال لا يجوز نكاح الامة الا بثلاث شرائط اثنان
في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في المنكوحة وهي ان تكون امة مؤمنة وعندنا شيء من ذلك ليس بشرط
اما اول الآية فقد قال الامام ابو منصور رحمه الله ليس في اباحة الشيء في حال دلالة حظره ومنعه في حال اخرى دليله قوله تعالى
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن ليس فيه انها لا تحل اذا لم يؤتها اجرها واما قوله تعالى من فتياتكم المؤمنات
ففيه اباحة المؤمنات وليس فيه تحريم الكتابيات وقد اباح ذلك في قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهن العفائف
عندنا وهو يحملها على الحرائر لكن اكثر اهل التفسير على ما قلنا وهذه الاشياء عندنا للاختيار لا للاشتراط وقوله تعالى **وان تصبروا
خير لكم** اي وصبركم عن نكاح الامة خير لكم لان فيه ارقاق الولد قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج امة فقد
ارق نصفه وايما عبد تزوج حرة فقد اعتق نصفه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحرائر
صلاح البيوت والاماء هلاك البيوت او قال فساد البيوت وقوله تعالى **والله غفور رحيم** اي ان لم تصبروا رحيم بكم اذا اباح
لكم نكاح الاماء وقال الامام ابو منصور رحمه الله غفور للزنا باقامة الحدود اذا احتسب ذلك رحيم اذ جعل العذاب بالحد
في الدنيا لان العقوبة في الآخرة ويحتمل انه رحيم جعل الحدود في الدنيا زواجر عن العود الى ارتكاب مثلها وقوله تعالى

يريد الله ليبين لكم يحتمل يريد الله ان يبين لكم ما تاتون وما تذرون وما الكر وما عليكم وما به صلاحكم وفسادكم في امور دينكم ودنياكم لكن حقيقة المراد لا بد اما ان يكون اراد جميع ما ذكرنا او معنى خاصا مما احتمله الكلام وليس لنا القطع على ما اراد به ثم قوله ليبين له وجوه قال الكسائي والفرا معناه ان يبين وكذا قوله وامرنا لنسلم اي ان نسلم قال كثير

اريد لانسى ذكرها فكانما ❊ تمثل لي ليلى بكل طريق ❊ اي ان انسى وقال سيبويه واصحابه اللام دخلت على تقدير المصدر اي الارادة للبيان وهو كقوله تعالى للرؤيا تعبرون وقوله تعالى ردف لكم وقيل المفعول مضمر ههنا واللام للتعليل وتقديره يريد الله ما يريد ليبين وامرنا بما امرنا لنسلم وقوله تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي ويريد ان يدلكم على السنن التي سنها لمن كان قبلكم من اهل الكتاب لتكونوا على آثارهم كما كان الذين جاءتهم الرسل ويزول عنكم سنة الجهالة التي كانت للاميين وقوله تعالى ويتوب عليكم اي يوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف وذكر هذا بعد ذكر احكام اليتامى والمواريث والمناكح وكانوا في الجاهلية على غير سنن الاولين فردهم اليها وقوله تعالى والله عليم حكيم عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم وقال الكلبي يريد الله ليبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير ويهديكم سنن الذين من قبلكم يبين لكم شرايع اهل سائر الكتب في الانكحة وغيرها كان كذلك ويتوب عليكم اي ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل البيان وقال عطا يريد الله ليبين لكم ما يقربكم به ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي يرشدكم الى دين ابراهيم واسمعيل واولادهما ويتوب عليكم حتى لا تدعوهم الجاهلية الى الخ والله عليم بما يستوي عليكم من فرايضه حكيم فيما رخص لكم وقوله تعالى والله يريد ان يتوب عليكم المذكور للتاكيد والتقرير ومعنى التوبة تلينا ما بينا وقيل فيه معنى اخر ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي يبين ان سنتهم كانت في الانكحة على الضيق والشدة فكان لا يحل للرجل الا امراة واحدة واذا ماتت لم يتزوج غيرها وكان لا يجوز لهم الطلاق ولا يحل نكاح الاماء وقوله تعالى ويتوب عليكم اي يرفع عنكم هذا الضيق وهو كقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم والله عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وقيل اي يهديكم كيف فعلوا وكيف فعل هو بهم لتتعظوا وقوله تعالى والله يريد ان يتوب عليكم هو في حق قوم علم الله منهم التوبة وقوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما اي ويريد اعداؤكم من الكفار الذين انما يتبعون ما تميل اليه اهواؤهم ان تميلوا عن طاعة الله وعن دينه ميلا عظيما اي فاحشا مفرطا في الجهل والخطا وهم النصارى وقيل اليهود والمراد بهؤلاء عند بعضهم كل مبطل في طريقته على العموم وقيل هم الزناة وقيل هم اليهود خاصة في احلالهم الاخوات لاب وقيل ان بعض اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة احلال الاخت لاب وارادوا ان يجروه الى هذا فحذره الله تعالى فضحهم وقال مجاهد الذين يتبعون الشهوات الزنا ان تميلوا ميلا عظيما تزنوا وقال السدي هم اليهود ينكحون بنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهما الله تعالى قالوا كيف تنكحون ابنة الخالة وابنة العمة والخالة والعمة حرام عليكم فكيف تستحلون البنات وتحرمون الامهات فانكحوا ابنة الاخت كما تنكحون ابنة الخالة وابنة العمة فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم اي يسهل في امور المناكح وقال الامام ابو منصور رحمه الله جعله في العبادات والتوبة عن الخطايا وترك الاستيصال بالعقوبة بخلاف احوال الماضين من الطبقات وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال الكلبي اي لا يصبر عن النساء وقال طاوس ضعيف في امر النساء وقال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن ادم قط الا اتاه من قبل النساء وقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على نفسي فتنة النساء وعن ابي هريرة رضي الله عنه اللهم اني اعوذ بك ان ازني او اسرق فقيل له تكبر سنك وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاف على نفسك من الزنا فقال كيف امن وابليس حي وقال الحسن خلق من ماء مهين وقيل ضعيفا في اليقين وقيل اي فقيرا قال الله جل جلاله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله وقيل اي ضعيفا لا يطيق العقوبة وقيل اي لا يصبر على الحر والبرد والجوع والعطش وقيل يجرحه بعوضة وتؤلمه بقة وقال الامام ابو منصور رحمه الله يضيق صدره ويمل عن طول النعم نفسه وقال وخلق الانسان ضعيفا في الابتداء وقال تعالى خلقكم من ضعف الاية قال ويحتمل ضعفه في نفسه في حق بلائه من العباد بخلاف الملائكة فانهم لا يفترون ولا يستحسرون وقال القشيري رحمه الله يريد الله ان يخفف عنكم مقاساة المجاهدات بما يلج لقلوبكم من انوار المشاهدات وقال يريد الله ان يخفف عنكم تعب تكليفه بحلاوة الطاعة وقال وقال ان يخفف عنكم تعب الطلب بروح الوصول وقال في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وصف بهذا فقرهم وضرهم ليبسط بعذرهم ❊ وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم قرا عاصم وحمزة والكسائي تجارة نصب على ان الاموال اسم كان وتجارة خبره وهي مصدر بمعنى المفعول به وقرا الباقون بالرفع على ان قوله تجارة مرفوعة بكان ومعناه الا ان تقع تجارة كما في قوله وان كان ذو عسرة وهذه الاية متصلة بما قبلها من ايات حفظ اموال اليتامى والنساء والسفهاء عليهم وابطال المواريث الى مستحقها وترك استرداد مهور النساء وفي هذه نهي عن اخذ اموال الناس بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض على الوجه الذي لم يامر الله تعالى به ولا اباحه فانه باطل ليس بحق وهو كالغصب والسرقة والقمار والربو والعقود الفاسدة والرشوة ونحوها والمراد من الاكل الاخذ لما مر في سورة البقرة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم هذا استثناء منقطع بمعنى لكن اي لكن اذا كانت تجارة عن تراضي العاقدين بها فكلوا ويلحق بها اسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والارث والعقود الجائزة لخروجها من الباطل وقوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم اي لا ياكل بعضكم مال بعض كما في قوله فسلموا على انفسكم وكذا قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا ذكر حرمة المال والنفس بعد ذكر حرمة الفرج لان انها كانت من الوبايات بينهما كلها وقيل معناه ولا تقتلوا اخوانكم في الدين فهم كانفسكم وهو اشارة الى صدر السورة خلقكم من نفس واحدة لان المؤمنين كنفس واحدة والحديث فيه مشهور ولانه اذا قتل غيره قتل به قصاصا فصار كانه قتل نفسه وقيل اي لا تهلكوا انفسكم باتلاف اموالكم لانه ذكر في اول السورة ان المال قيام الناس فيكون في هلاك المال هلاك البدن وقيل ولا تقتلوا انفسكم اي لا تعجزوا عن الحيلة والتصرف وقال الامام القشيري رحمه الله لا تقتلوا انفسكم بارتكاب الذنوب وقيل اي بتعريضها لساخط الله وقيل اي بنظركم اليها وقيل اي باستحسانكم شيئا منها وقيل اي بايثارها غير رضى الحق وقوله تعالى ان الله كان بكم رحيما ومن رحمته بكم نهيكم عما فيه صيانة اموالكم وبقاء ابدانكم وقال عكرمة والحسن كان الرجل يتحرج ان ياكل عند احد من الناس شيئا الا بالشراء لنزول هذه الاية حتى نزل قوله تعالى ولا على انفسكم الى قوله جميعا او اشتاتا وقوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما اي ومن يرتكب المنهي من اكل المال وقتل النفس فذلك وحدوا العدوان مجاوزة حد الامر والظلم الجور ومعناه عالما به غير مخطئ ولا متاول يشير بذلك الى انه اذا كان عن جهل او خطا او شبهة لم يستحق هذا الوعيد الشديد وقوله تعالى فسوف نصليه نارا اي ندخله نار جهنم وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا اي وكان اصلاؤه النار سهلا لا يتعسر عليه شيء وهذا الوعيد في حق المستحل التخليد على القطع وفي حق غير المستحل لبيان استحقاقه دخول النار والعقوبة فيها مرة مع وعد الله تعالى بمغفرة ما دون الشرك لمن يشاء وقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما الاجتناب التباعد والكبائر جمع كبيرة وهي الفعلة العظيمة الاثم وقد اضافها الى جميع المنهيات والتكفير الستر والسيئات جمع السيئة وهي خلاف الحسنة والمدخل بفتح الميم الدخول وموضع الدخول ايضا والمدخل بضم الميم موضع الادخال ومصدر ايضا كالادخال والكريم الحسن وعلى هذا وجوه تسمية الكريم العفو الجواد قال تعالى خبرا عن سليمان ان ربي غني كريم والكريم الفاضل اهذا الذي كرمت علي ولقد كرمنا بني ادم والكريم البر الصالح ان هذا الا ملك كريم والكريم الجامع المكارم انه لقران كريم والكريم المطيع كراما كاتبين والكريم الكتاب المختوم اني القي الي كتاب كريم والكريم المكرم بنفسه ذق انك انت العزيز الكريم والكريم الحسن كم انبتنا فيه من كل زوج كريم قال تعالى مدخلا كريما اي حسنا وهو الجنة وقرا عاصم في رواية المفضل عنه ويدخلكم كذلك ليرجع الى قوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا والباقون بالنون على الاستيناف خبر من الله تعالى عن نفسه على خطاب الملوك بصيغة الجمع وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر مدخلا بالفتح والباقون بالضم وقال الامام ابو منصور رحمه الله اختلف في الكبائر وقيل هي كبائر الشرك لانها انواع منها الاشراك بالله ومنها الجحود للانبياء ومنها نقص الانبياء ومنها الجحود ببعض الانبياء ومنها جحود العبادات ومنها استحلال المحرمات وتحريم الحلال وغير ذلك وكل ذلك شرك بالله تعالى فاذا اجتنب كبائر الشرك صار ما دونها موعودا بالمغفرة بالمشيئة بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه قال وقيل اراد بالكبائر كبائر الاسلام ثم يحتمل وجهين بعد هذا يحتمل ان تكون الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ويحتمل ان تكون الصغائر مغفورة بالحسنات لانه تعالى قال نكفر عنكم سيئاتكم وتكفير السيئات بالحسنات قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل ان يكون التكفير لهما وان لم يجتنب الاترى انه قال في اية اخرى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم رفعا بالاستيناف وقال تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم بعني لم يتصل بالفاء فكان في حكم الابتداء الا ترى الى ما روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شفاعتي نائلة لاهل الكبائر من امتي وروي عن علي رضي الله عنه انه سمع امراة تدعو اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد فقال له فولي اللهم اجعلني من الغافرين فان شفاعة محمد لاهل الكبائر ثم قرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية فان ثبت هذا فهو يدل على التاويل الذي قلنا ان المراد به الشرك قال واختلفوا في كيفية الكبائر وما بينها قال بعضهم ما اوجب الحد فهو كبيرة كالزنا والسرقة والقذف ونحوها وقال اخرون هي الشرك بالله تعالى وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها واكل مال اليتيم والبهتان والفرار من الزحف وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فقال ما ذكر من اول هذه السورة الى هذه الاية وهي ثلاثون اية وقيل لابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الله بن عمر يقول الكبائر سبع فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الى السبعين اقرب والى لا كبيرة بعد توبة ولا صغيرة مع اصرار وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة ثم قال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس ثم قال الا وقول الزور الا وقول الزور الا وقول الزور الى ههنا كله كلام الامام ابي منصور رحمه الله قال نجم الدين رحمه الله وما ذكر من بعض القراات ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه على التوحيد فهو عن عبد الله بن مسعود وما ذكر ان الكبيرة ما اوجب الحد وعن ابن عباس والضحاك الكبيرة ما اوعد الله عليه حدا في الدنيا وعذابا في الاخرة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما نزل حده فهو من الفواحش وما لم ينزل حده فهو من الكبائر وعن ابن عباس ايضا في رواية اخرى كل ذنب اصر عليه العبد فهو كبيرة وليس من الكبيرة ما تاب عنه العبد

وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والصغائر ذنوب اهل السنة وقال الحارث المحاسبي الكبائر ذنوب المستحلين
والصغائر ذنوب المستغفرين وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك
وبين الله لان الله كريم يعفو قال صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله تعالى يقول
اما ما كان لي قبلكم فقد وهبتها لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وقال الحسين بن الفضل البجلي
رحمه الله الكبائر ما سماه الله تعالى كبيرا في القران وعظيما انه كان خطأ كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان كيدكن عظيم
هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال انس بن مالك رضي الله عنه انكم تعملون اليوم اعمالا هي ادق في اعينكم
من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال ابو نصر السجزي قرات في التورية امهات الخطايا
ثلثة اول ذنب عصي الله به الكبر وكان ذلك لابليس والحرص وكان ذلك لادم وقتل النفس وكان ذلك لقابيل حين قتل هابيل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكبر الكبائر ثلاثة القنوط من رحمة الله قال تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
والامن من مكر الله قال تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والياس من روح الله قال تعالى انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل فاخبرني ان الله عز وجل
قال وعزتي وجلالي انه ليس من الكبائر كبيرة هي اعظم عندي من حب الدنيا وقال القشيري رحمه الله الكبائر على لسان
اهل العلم ههنا الشرك وعلى لسان اهل الاشارة ايضا الشرك الخفي ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستحلاء قبولهم
والتودد اليهم والاعراض عن حق الله بسببهم وقال في قوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما اي يدخلكم في اموركم واحوالكم مدخلا
حسنا لا ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وانما ترون المصرف اكرمكم سبحانه وتعالى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ثماني ايات في سورة النساء كل واحدة منهن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس والقمر يريد الله ليبين لكم الاية والله يريد
ان يتوب عليكم الاية يريد الله ان يخفف عنكم الاية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية
ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم الاية وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال الكبائر عشرون وبسطها واستدل فيها بالايات والاخبار وهذا اختصارها الاشراك بالله
والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة
واكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف واكل الربوا والسحر والزنا واليمين الكاذبة ومنع الزكوة والغلول وشهادة
الزور وشرب الخمور وترك الصلوة متعمدا وقطيعة الرحم والحيف في الوصية وقوله تعالى **ولا تتمنوا ما فضل الله به**
بعضكم على بعض واكثر ما ينشا قصد اخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق واهلاك نفسه في الخوض في المخاوف
يكون بتمني مال الغير وحال الغير فنهاهم الله عن ذلك قطعا لما يبتنى عليه فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض ولا تشتهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي الشيء الذي فضل الله به بعضكم على بعض الاغنياء على الفقراء والرجال
على النساء قال عكرمة ومجاهد نزلت في قول ام سلمة يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث فنزلت ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض بالذكورة والجهاد وقوله تعالى **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**
من الخير فلا حرمان لهن من الثواب بفوتهن ومنعهن عن الجهاد ولهن خيرات اخر يجازين عليها وقال قتادة كان اهل
الجاهلية لا يورثون المراة ولا الصبي شيئا ويجعلون الميراث لمن يحترف فجعل الله الميراث للمراة والصبي وجعل
للذكر مثل حظ الانثيين فقالت النساء لو جعل نصيبنا كنصيب الرجال وقالت الرجال انا لنرجوا ان يحاسبنا الله
في الاخرة كما فضلنا في الدنيا بالميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي الرجال بالميراث وقوله تعالى
للرجال نصيب مما اكتسبوا يجزى الرجل بالحسنة عشرا وللنساء نصيب مما اكتسبن ويجزى المراة بالحسنة عشرا
وليس ذلك على حسب الميراث وقال السدي تمنى الرجال ان لا يكون عليهم جهاد وتمنى النساء ان يكن مثل الرجال في الجهاد
في سبيل الله فنهوا جميعا عن تمني ذلك وقال مقاتل بن حيان تمنى النساء ان يكن مثل الرجال في المواريث فنهين عن ذلك
لهم من الوزر على قدر ما فضلوا به من الميراث فنزل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وقال قتادة
لما جعل حظ الذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قال الرجال نرجوا ان تكون حسناتنا مثلي حسناتهن وقالت النساء نرجوا
ان تكون سياتنا على النصف من سياتهم فنهوا جميعا عن ذلك ونزلت الاية وقيل هذا النطق في النهي وتنبيه انه ليس تفضيل
بعضهم على بعض في الاموال اذا كانوا استووا في ثواب الاعمال وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان يكون هذا التمني
في الدنيا ويحتمل ان يكون في النعم الدينية واما في الدنياوية فان يتمنى احد ان يكون قدره مثل قدر اخر عند الناس من الدين
والعلم وغير ذلك فنهي ان يتمنى ذلك لانه اذا لم يبلغ هو ذلك المبلغ الا باحتمال المكاره والمشاق وغير ذلك من الجهد وفي الدنيوية
هو ان يتمنى مال اخيه وزوجته وخدمه وهو كفران بما انعم الله تعالى عليه من سائر النعم ويحتمل ان يكون هذا على ما خاطب به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه فاخبر انه لم يعط
للكرامة لكن للفتنة والعاقل يابى الرغبة فيما يفتتن به دون ما يكرم به ثم بين الذي هو اولى بالتمني وهو قوله تعالى
واسألوا الله من فضله ثم امر بالسؤال من فضله للتوفيق وهو قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا وقيل واسألوا الله من فضله فانه هو الموفق قال تعالى وقيل واسألوا الله ايضا له ما اعطى فلانا الذي تتمنونه ثم اذا تمنى

الرجل ان تزول نعمة الغير اليه فقد حسده واذا تمنى ان يبقى للغير ذلك ويكون له مثله فقد غبطه والاول حرام والثاني
مباح ولو لم يدفعه عن نفسه ودفعه ان يرى فضل الله على فلان وانه لا يثني عليه ولا ينقص من ملكه لو اعطى المتمني ويرغب
الى الله في سؤاله ان يعطيه مثله قال سفيان بن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطي وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا اعطي عبدي حتى يسالني وقرا ابن كثير والكسائي وسلوا بغير همز لكثرة
الاستعمال والباقون بالهمز على الاصل وقوله تعالى **ان الله كان بكل شيء عليما** اي بمواضع الاستحقاق لفضل النعم والارزاق
وقال الامام القشيري رحمه الله على لسان اهل المعاملة ان الامر بالتمني لا بالتمني وعلى لسان اهل التوحيد الامر بالرضا
والتوحيد لا بالتمني في الضمير وقال في قوله تعالى واسألوا الله من فضله الرضا بفقد العطاء وذلك اتم العطاء فان التحرر عن
فقد الاشياء اتم من تملك الاشياء وقوله تعالى **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون** ووجه الانتظام
لا تتمنوا كثرة الاموال فانها تصير بعدكم لغيركم بالميراث ولكل منون على تقدير المضاف اي ولكل ميت وقيل لكل قوم جعلنا
موالي اي ورثة يلونه اي يقربون منه جمع مولى وقوله تعالى مما ترك الوالدان والاقربون من في مما صلة وما ترك اسم للتركة
الموروثة والموالي بمعنى الورثة وتقع وراثتهم على ما ترك وقيل ولكل هو داخل في المال لا ورثة وقيل على الوجه الاول
ولكل ميت جعلنا ورثة ثم يضمر ههنا يعطون مما ترك وقيل ان الكلام يتم بما ترك ثم قوله الوالدان والاقربون
ابتداء على وجه التفسير للموالي كما في قوله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله وقوله تعالى **والذين عاقدت**
ايمانكم قرا ابن كثير واهل المدينة وابو عمرو وعاصم عاقدت بالالف لانها بين اثنين والباقون عقدت وهو اصل العقد
وقرات ام سعد بنت سعد بن الربيع عقدت بالتشديد وهو للتوثيق والتاكيد والايمان جمع يمين وهي اليد التي اضيفت
المعاقدة اليها كما تضاف سائر الافعال الى اليد قال تعالى ذلك بما قدمت ايديكم وقيل كانوا يصفقون بالايدي عند العقود
والعهود اي ياخذون الايدي بالايدي فلذلك اضيفت اليها وقيل هذه الايمان هي الاقسام وكانوا يوكدون العهود
بالايمان ولذلك سميت محالفة وحلفا وتقديره والذين عقدت لهم ايمانكم وهي عقد الموالاة وهي مشروعة والوراثة بها ثابتة
عند عامة الصحابة والعلماء وهو قولنا وتفسيره اذا اسلم رجل وامراة لا وارث له فيقول للاخر واليتك على ان تعقل عني
ويقول الاخر قبلت العقد ويرث به الاعلى من الاسفل وله ان ينتقل بولائه عنه الى غيره ويفسخه بحضرته ما لم يعقل عنه
جنايته فاذا عقل فلا فسخ ولا انتقال وهذا المولى في الوراثة يؤخر عن ذوي الارحام لضعف حاله لاختلاف الناس فيه ومن
شرط صحة هذا العقد ان لا يكون للاسفل نسب ولا يكون له معتق ولا يكون عربيا لان العرب لا يسترقون فلا يكون عليهم عتاقة
ولا موالاة وقد ذكرنا هذا في خصايل المسائل وقوله تعالى **فاتوهم نصيبهم** اي اعطوا الموالي بالقرابة والموالي بالولا
سهمهم من الميراث وقوله تعالى **ان الله كان على كل شيء شهيدا** اي هو عالم الغيب والشهادة وهو ابلغ وعد ووعيد
وقوله تعالى **الرجال قوامون على النساء** انتظامها بالاية التي قبلها ان النساء تمنين حال الرجال فنهين عن ذلك
وذكر في هذه الاية تفضيل الرجال عليهن وانتظامها باول السورة ان الله تعالى امر بالعدل بين النساء وبين ههنا ان الامر
بالاحسان اليهن لا يوجب تقويمهن وقوله تعالى قوامون قال ابن عباس رضي الله عنهما اي امراء وقيل مسلطون وقيل اي قائمون
بتاديبهن وتدبيرهن وقوله تعالى **بما فضل الله بعضهم على بعض** اي بتفضيل الله الرجال على النساء بالعقل
والقوة والجماعات والجمعات والولايات والشهادات والجهاد وملك النكاح وملك الطلاق وتضعيف الميراث وكون الانبياء منهم
وقوله تعالى **وبما انفقوا من اموالهم** اي وبيان عليهم ودل على وجوب نفقات الزوجات على الازواج وقال الشافعي رحمه الله الرجال
قوامون على النساء اي الاولياء منهم الذين يلون تزويجهن دونهن وقال الامام ابو منصور رحمه الله ولا يستقيم حملها على
الاولياء بدليل قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم وذلك في حق الازواج دون الاولياء ثم بين ان النساء نوعان وذلك
قوله تعالى **فالصالحات قانتات حافظات للغيب** اي النساء الموصوفات بالصلاح هن المطيعات لله تعالى والراعيات حق ازواجهن
في غيبتهم فيحفظن انفسهن عن الغير ويحفظن اموال الازواج ايضا ودل على ان الصلاح هو اداء حق الله تعالى وحق الخلق
وقوله تعالى **بما حفظ الله** اي ذلك بحفظ الله وعونه كما في قوله بما غفر لي ربي اي بمغفرته فان ما مع الفعل بمعنى المصدر
ودل على صحة مذهب اهل السنة والجماعة في اثبات الفعل من العبد والمعونة من الله وقيل بما حفظ الله اي بما الزمهن الله
من حفظ ذلك بامره وهو اضافة فعل الفاعل الى الامر به واضمر ههنا فاحسنوا اليهن وكذا هو في مصحف عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه والنوع الثاني هو قوله تعالى **واللاتي تخافون نشوزهن** اي تخشون ترفعهن بالمخالفة لعلمكم بالاعمال المؤدية
اليه قاله محمد بن كعب وقوله تعالى **فعظوهن** قال ابن عباس رضي الله عنهما بالكتاب والسنة وقال الامام ابو منصور رحمه الله
العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهي تذكير العواقب وقوله تعالى **واهجروهن في المضاجع**
اي اذا لم ينفع الوعظ فادبوهن بالهجر وهو القطع في المضاجع جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم واصل التضجيع
الاستطاع الامالة قيل ان لا يضاجعها في مضجع لم يرد به تبعيدها من مضجعه فانه لم يقل عن المضاجع بل اراد انهما يجتمعان
في مضجع لكن يوليها ظهره ولا يلازمها ولا ينبسط اليها اعلاما بالعتب والمؤاخذة وقوله تعالى **واضربوهن** اي اذا لم تقع
الكفاية بالهجران فادبوهن بالضرب وهو ضرب غير خادش ولا جارح ولا شائن وقوله تعالى **فان اطعنكم** اي في الاجابة
الى الفراش **فلا تبغوا عليهن سبيلا** اي لا تطلبوا العلل ولا تذكروا ما قد كان وقيل لا تكلفوهن محبة القلب فليس ذلك

بايديهن واكتفوا منهن بالطاعة فللناس من الناس ما يظهرون ولله من الناس ما يضمرون وقوله تعالى ان الله كان عليا كبيرا ان الله مع علوه وكبريائه لا يؤاخذ باول الحال ويدعو الى التوبة ويقبل اذا تاب ولا يؤاخذ بما قد كان فالعبد اولى بذلك وقيل ذكر علوه وكبريائه في آخر هذه الآية تنبيه العبد ومنع له عن مجاوزة الحد فيما يعنيه عليها على وجه التاديب وقال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وهو من النقباء وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وهما من الانصار وقال الكلبي بل امراته بنت محمد بن سلمة وذلك انه لطمها فانطلق ابوها معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكحته كريمتي فلطمها فامرها النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتصاص فلما همت بالاقتصاص بصر النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ينزل فقال لها كفي حتى انظر ما جاء به جبريل في امرك فنزل بهذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير مما اردناه وقوله تعالى وان خفتم الخطاب لولاة الامر ولقضاة العصر وقيل لعشائر الزوجين او لجيرانهما يقول ان لم تصلح الامر بالوعظ والهجران والضرب حال نشوزها او اشتبه الامر ان الاساءة منها او منه وخفتم اي خشيتم او علمتم الخلاف والنفار بين الزوجين وذلك قوله تعالى شقاق بينهما واصل الشقاق ان يصير احدهما في شق والآخر في شق آخر بالمخالفة والمباعدة وبينهما خفض بالاضافة ومعناه الوصل كما قال تعالى هذا فراق بيني وبينك وقال تعالى لقد تقطع بينكم على قراءة الرفع وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اي ارسلوا متوسطين من عشيرة المراة والرجل لينظرا من الظالم منهما فيخلو حكم الرجل بالرجل ويتفحص عن رايه في امساكها ومفارقتها ويخلو حكم المراة بالمراة ويفعل كذلك ثم يلتقيان فيقبلان على الظالم منهما فيحملانه على العدل وقوله تعالى ان يريدا اصلاحا قيل اراد به الحكمين وقوله تعالى يوفق الله بينهما اي يؤلف ببركة ذلك بين الزوجين والتوفيق من الموافقة ولما اثرت ارادة الصلاح منهما في غيرهما فارادة الانسان الصلاح في نفسه اولى ان تؤثر فيه وقيل اراد به ارادة الصلاح من الزوجين ووعد عليه التاليف بينهما والتسديد اياهما وفيه حجة اهل السنة والجماعة في اثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله تعالى وروي ان عمر رضي الله عنه بعث الحكمين بين الزوجين فلم يتفق لهما الاصلاح بينهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وانكما لم تريدا اصلاحا وروي انهما تابا وعادا الى الزوجين فوجداهما قد اصطلحا واغلقا الباب على انفسهما وقال عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه اذ جاءت امراة وزوجها مع كل واحد منهما جماعة من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي الله عنه اتدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا فقالت المراة رضيت بما في كتاب الله علي ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت حتى تقر بمثل الذي اقرت به تعلق بعض العلماء بظاهره وقال للحكمين الجمع والتفريق وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس لهما التفريق وهذا الحديث دليلنا لان الزوج اذا لم يرض بما ولم ترض بل قال لا حتى تقر به دل انه لا يلزمه الا بامره وقوله تعالى ان الله كان عليما اي بارادة الحكمين خبيرا اي بمعاملة الزوجين حقوق عامة الخلق وبدا بحق نفسه وذلك قوله تعالى واعبدوا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما اي وحدوا الله وقيل اطيعوا الله ولا تشركوا به شيئا اي الشرك الجلي وهو الكفر والشرك الخفي وهو الرياء قال تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى وبالوالدين احسانا نصب على الاغراء وتقديره واحسانا بالوالدين ولا اضمار وقيل في اوله اضمار واحسنوا بالوالدين احسانا ومعناه الى الوالدين والباء بمعنى الى كما في قوله وقد احسن بي وبدا بهما لان حقهما اعظم حقوق البشر وقوله تعالى وذي القربى اي بصاحب القرابة وهو امر بصلة الارحام المتصلين بك بالوالدين ووحد ذي القربى لانه جنس فيصلح للجمع او هو امر لكل فرد منهم بصلة الرحم وقوله تعالى واليتامى والمساكين قد فسرناهما في سورة البقرة وقوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب قيل الاول هو الجار النسيب والثاني هو الجار الاجنبي وقيل الاول هو الجار المسلم والثاني هو الجار المشرك الباعد في الدين وقيل الاول هو الجار الملاصق والثاني هو الجار الذي لا يلاصق وقوله تعالى والصاحب بالجنب قال ابن عباس وجماعة رضوان الله عليهم هو الرفيق في السفر وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما هي الزوجة التي تكون معك الى جنبك وقيل هو الجليس وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية قال لا يستحيي من بطال الرجل بيتا الى ثلاث مرات ولا يرى اثرى عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وهو الجار المسلم وجار له ثلاث حقوق وهو الجار المسلم القريب وقوله تعالى وابن السبيل هو الغريب وقال قتادة والضحاك هو الضيف وقوله تعالى وما ملكت ايمانكم اي العبيد والاماء وقيل يدخل فيه الحيوانات المملوكة لعموم كلمة ما ولا يجوز الاساءة اليها بمنع علفها وكثرة حملها وعنف سعيها وقوله تعالى ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اي متجبرا في نفسه عظيما في نفسه لا يقوم بحقوق الله تعالى التي عليه فخورا يتفخر على عباد الله بما خوله الله تعالى من نعمه وقال القشيري رحمه الله العبودية معانقة الامر ومفارقة الزجر والشرك جليه اعتقاد معبود سواه وخفيه ملاحظة موجود سواه وقوله تعالى والجار ذي القربى قال من جيرانك نفسك فلا تؤذيها بعصيانك وراع حقها بما عليها من احسانك واذا كان جار دارك تستوجب الاحسان اليه فجار نفسك وهو قلبك اولى بان لا تضيعه ولا تغفل عن حلول الخواطر المردية فيه فجار قلبك وهو روحه اولى ان لا تحامي على حقها فلا تمكن ان تخالفها من ساكنها بجار روحك وهو

سوا

سواء اولى ان تراعي حقه فلا تمكنه من الغيبة عن اوطان الشهود ثم الاولى من ذلك ان لا تغفل عن قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله تعالى الذين يبخلون نعت لقوله من كان مختالا لانه جنس فكان بمعنى الجمع والبخل منع الفضل عن ذي الحاجة واصله مشقة الاعطاء وقال الامام القشيري رحمه الله هو على لسان اهل الحقيقة ترك الايثار في زمان الاضطرار وقال بخل الاغنياء بمنع النعمة وبخل الفقراء بمنع الهمة وقوله تعالى ويأمرون الناس بالبخل قرا حمزة والكسائي بفتح الباء والخاء والباقون بضم الباء وتسكين الخاء وهما لغتان كالرشد والرشد والصرف من باب علم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في رؤساء اهل الكتاب قالوا للرجل من الانصار لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى الفقر عليكم ولا تدرون ما يكون فنزلت الآية الذين يبخلون بانفسهم ويأمرون الناس بالبخل بقولهم وقوله تعالى ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي يخفون ما انعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وهم الذين قال الله فيهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ولما نزلت آية الاستقراض قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء فهم في غاية البخل بالمال وقيل هو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا ان المراد به البخل بما علموا به في التورية من نعت محمد عليه السلام وحقيقة الاسلام وامرهم اصحابهم بان لا يظهروه للمسلمين وكتمانهم ذلك وقوله تعالى واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اي هم كافرون وقد اعتدنا لهم عذابا يهانون به في الآخرة وقال طاوس البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس وقيل البخل هو ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح هو ان لا يأكل ولا يؤكل والجود ان يؤكل ولا يأكل وقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على قوله الذين يبخلون ذم قوما منهم بالبخل وذم قوما بالانفاق في غير الحق والرياء مصدر كالمراءاة يقال راءى يرائي رئاء ومراءاة كما يقال ماراه يماريه مراء ومماراة اي يبذلون اموالهم لوجوه الناس لا لرضاء الله تعالى وقوله تعالى ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ونفقة من لا يؤمن لا تكون لرضى الله بل تكون بتزيين الشيطان ولذلك ختم الآية به وذلك قوله تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا القرين المقارن كالشريك هو المشارك وقوله تعالى فساء قرينا اي بئس القرين هو وما اسوأه قرينا له وهو يكون في الدنيا كما قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وفي الآخرة ايضا قال الله تعالى حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقال السدي نزلت في المنافقين وقوله تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر اي اي شيء عليهم استفهام بمعنى الانكار يقول واي مضرة ومشقة عليهم في الايمان وترك النفاق وقوله تعالى وانفقوا مما رزقهم الله اخبر انهم يمتنعون عنه اختيارا لا يمنعون عنه اجبارا تدل على مذهب اهل السنة والجماعة وهذا قطع العذر لان تركهم الايمان وانفاقهم الرياء كان لابقاء الرياسة فاخبر ان ايمانهم وانفاقهم لله لا يزيل ذلك بل يزيدها كما كان لعبد الله بن سلام واصحابه وغيرهم ما نالوا وانقطع ذكرهم اصلا وقوله تعالى وكان الله بهم عليما قال الامام ابو منصور رحمه الله اي انشاهم على علمه بانهم لا يؤمنون ليعلم الخلائق ان مخالفتهم اياه لا تضره وقيل قال ذلك ليحذر من الهمة وقيل اي كان بهم عليما انهم لا يؤمنون عنادا ومكابرة لا لقصور الدليل وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة اي مقدار ذرة في الثقل والذرة عند ابن عباس رضي الله عنهما النملة الصغيرة الحمراء التي لا تكاد ترى لصغرها وفي رواية عنه انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها وقال كل واحد من هذا ذرة وقيل الذرة الواحدة من الاجزاء التي تظهر في شعاع الشمس اذا وقعت في الكوة واتصالها بما قبلها ان قوله وماذا عليهم لو آمنوا بالله وانفقوا والله لا يظلم مثقال ذرة اي لا ينقص من اعمال العباد شيئا وقيل لا يضع ذنبا حتى على احد وان قل وقوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها قرا اهل المدينة وان تك حسنة بالرفع لانها اسم كان وقرا اهل مكة بياء التذكير ورفع الاسم لتقديم الفعل على الفاعل وقرا الباقون بتاء التانيث ونصب الاسم ومعناه وان تك زنة الذرة حسنة وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر يضعفها بالتشديد والباقون يضاعفها وقرا الحسن نضاعفها بالنون الخفيفة اخبارا من الله تعالى عن نفسه بكلام الملوك على الجمع وقيل الاضعاف باعطاء المثلين يقول وان تك بقدر الذرة حسنة فالله تعالى يعطي ثوابها اضعافا لاكثر العمل وهذا الجزاء العمل ثم وراءه زيادة من عنده وهو قوله تعالى ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي يعط من عنده ثوابا كثيرا وما وصفه الله تعالى بالعظيم فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الاجر عظيما وقال عطاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة من منافق لا يجازيه بها وان تك حسنة من مؤمن يضاعفها وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ذكر هذا ونحوه لئلا يظن جاهل اذا راى الم الاطفال وما يحل بهم ان ذلك ظلم منه لهم لكن ذلك ليعلم ان الصحة والسلامة افضال من الله تعالى عليهم لا لحق عليه اذ له ان يخلق كيف شاء صحيحا وسقيما وقيل ظلم احد في الشاهد فانما يظلم لاحدى خلتين اما الجهل بالعدل والحق واما لحاجة تمسه بدفع ذلك به عن نفسه والله تعالى غني بذاته عالم لم يزل تعالى ان تمسه حاجة او يخفى عليه شيء يعني ان الظالم في الشاهد هو يتناول ما ليس له بغير اذن من هو له ذلك وكل الخلائق من كل الوجوه له فلا معنى للظلم وقوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهذا يبطل قول المعتزلة ان من ارتكب كبيرة يخلد في النار ومعه حسنات كثيرة والله تعالى يقول وان تك حسنة يضاعفها الآية فهذا يبطل قول المعتزلة وقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي كيف حالهم وهذا استفهام على نفسه بمعنى التوبيخ لانه يقتضي اقرار العبد لما كان من قبيح عمله وقوله جل جلاله بشهيد اي شاهد عليهم وهو نبيهم وقوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي احضرناك وقوله على هؤلاء اي هذه الامة وقوله شهيدا اي شاهدا على من آمن

بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق اى بماذا يعتذرون وباى شئ يحتجون والى شفاعة من يلتجئون
اذا امر بهم الى النار وقال القشيرى رحمه الله اذا كان الرسول هو الشهيد على امته وهو الشفيع لهم فانما يشهد بما يبقى للشفاعة
موضعا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم امر ابن مسعود رضى الله عنه يقرا هذه السورة فلما انتهى الى هذه الاية فاضت
عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت ابن مسعود رضى الله عنه ثم امره حتى اعاد القراءة من اول السورة الى ههنا ففاضت
عيناه حتى فعل ذلك ثلاثا وروى انه ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية قط الا بكى وعن جابر بن عبد الله قال
بينا نحن جلوس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يقص عليهم ويقرا اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسكت حذيفة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد يا حذيفة فقال وانت حاضر فقال وانا حاضر والذى نفسى بيده
ما خرجت الكلم حتى رايت ابوابا لستا فتحت ورايت الرحمة تنزل عليكم والذى نفس محمد بيده ما خرج رجل من بيته يوم
بقعة بذكر الله تعالى فيها الا بواه الله بها بقعة فى الجنة اقرا يا حذيفة سورة النساء حتى اذا بلغ فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الاية ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخضل دمعه لحيته ثم قال عد فعاد حتى قرا سبع ايات
وقوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا نصب على الظرف واضيف الى اذ وهى اداة الظرف واتصالها بما قبلها اذا جئنا من كل
امة بشهيد يومئذ يود اى يتمنى وقوله تعالى وعصوا الرسول اى خالفوا امر المصطفى ونهيه وضمت الواو من عصوا عند التقاء
الساكنين لانه واو جمع وهى اخت الضمة فسكنت للاعتلال فاذا احتيج الى تحريكها حركت الى اصلها بخلاف قوله تعالى
لو استطعنا حيث كسرت لالتقاء الساكنين لانه سكون بناء واضطروا الى تحريكها والساكن الاصلى يحرك الى الكسر عند الضرورة
وقوله تعالى لو تسوى بهم الارض قرا نافع وابن عمرو بفتح التاء وتشديد السين واصله تتسوى ادغمت احدى التائين
وهى الاخيرة فى السين وقرا حمزة والكسائى بفتح التاء وتخفيف السين على حذف التاء الثانية كما فى قوله تعالى تميز من الغيظ
وقرا الباقون تسوى بضم التاء وتخفيف السين وهو فعل ما لم يسم فاعله من التسوية ولو كلمة تمن اى يتمنون لو سووا بالارض
وسويت بهم اى كانوا من جملة الارض ترابا غير مكلفين قال تعالى ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا وهذا لان الارض مما تسوى
يمشى عليها فكانهم تمنوا ان يجعلهم الله ترابا وفى قوله تعالى يا ليتنى كنت ترابا هذان الوجهان ايضا يا ليتنى كنت ترابا فى الاصل
فلم اكلف ويا ليتنى صرت ترابا اليوم كما تصير البهائم المحشورة بعد القصاص ترابا ولم اعذب وقيل يودون لو لم يبعثوا من
قبورهم او اعيدوا اليها فتسوى الارض بهم كما كانت قبل البعث وقيل يودون لو اخذتهم الارض فوارتهم بما لحقهم من الخزى يوم
قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل وقيل يودون ما تعدل بهم الارض
من شئ فدية وهو كما قال تعالى يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه الى قوله ثم ينجيه وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا
قيل هو متصل بقوله تسوى والتمنى واقع عليهما قال عطا لو تنطبق عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا ولا نافقوا
وقيل هذا وصف حالهم يومئذ على الابتداء انهم لا يكتمون الله شيئا من حديثهم الذى كانوا عليه بل يصدقون انبياءهم فيما تشهد
عليهم من الكفر والمعاصى قال تعالى فاعترفوا بذنبهم فاما قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد قيل معناه ما كنا عند انفسنا
مشركين بل توهمنا اضلال الشيطان انا من الموحدين وكذا قوله تعالى ما كنا نعمل من سوء اى كنا نظن انا محسنون وقيل ولا يكتمون
الله حديثا اى علم الله ما كان منهم فى الدنيا فلا يسالهم ليكتموه وهو قوله جل جلاله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
اى لا يسالون ما عملتم لعلم الله تعالى به وقيل يجحدون فى الاخرة اولا كما اخبر الله تعالى عنهم فاذا جحدوا وشهدت جوارحهم عليهم
افتضحوا وودوا لو سويت بهم الارض وان لم يكونوا كتموا ذلك بجحودهم قال الحسن انها مواطن ففى موضع لا يتكلمون ولا تسمع الا
همسا وفى موضع يتكلمون فيكذبون ويقولون ما كنا نعمل وفى موضع يعترفون وفى موضع يسالون الرجعة الى الدنيا وان اخر تلك
المواطن ان افواههم تختم وتتكلم ايديهم وارجلهم وقيل هذا وصف اهل الكتاب كتموا امر محمد وقد علموا انه فى التورية قال تعالى
ويكتمون ما اتاهم الله من فضله وكتاب الله فضله وحديثه وقوله الله نزل احسن الحديث يقول يودون يومئذ لو تسوى بهم
الارض ولم يكتموا ما انزل الله من حديثه ومن كتم شيئا من كتاب الله جاز ان يقال كتم الله اى كتم عباده اى منهم وهو قوله تعالى
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله كتمت فلانا وكتمته منه بمعنى وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى واتصالها بقوله واعبدوا الله والصلوة راس العبادات بعد الايمان ومعناه لا تدنوا الى موضع الصلوة
وهى المساجد حالة السكر فذكر الصلوة واراد بها مواضعها كما فى قوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد وهو قول عمر
وابن مسعود ويدل هذا الاضمار انه عطف عليه ولا جنبا الا عابرى سبيل وهو نهى الجنب عن قربان المساجد فانه استثنى
عابرى سبيل وذلك فى حق المساجد دون اعيان الصلوة فكان النهى عن قربان المساجد حالة السكر نهيا عن الصلوة فى تلك
الحالة ايضا لان النهى عن قربان المساجد لحرمة الصلوة فكان النهى عن هذا نهيا عن ذلك ثم النهى ليس عن عين الصلوة فانها
عبادة فلا نهى عنها بل هو نهى عن اكتساب السكر الذى يحول به عن الصلوة على الوجه قاله الامام ابو منصور رحمه الله وكما قال
وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للعبد الابق ولا للمراة الناشزة فليس فيه النهى عن الصلوة لكن النهى
عن الاباق والنشوز وهذا لان الاباق والنشوز والسكر ليست بما يتعلق باسقاط الفرض وفى الاية دلالة على ان
السكران مخاطب فانه قال لا تقربوا الصلوة فاذا كان مخاطبا عمل طلاقه ونفذت عقوده وقوله وانتم سكارى اى والحال
والسكارى جمع السكران كالكسالى جمع الكسلان والسكر من باب علم وهو انسداد طرق المعرفة من الشرب وغيره ماخوذ من

سكر الماء وهو سد مجراه من باب دخل ومنه قوله تعالى انما سكرت ابصارنا اى سدت ومنعت النظر وسكرات الموت غمراته
وقوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى هو تشبيه بحال السكر من الشراب واكثر المفسرين على ان هذا من سكر الشراب
وقال الضحاك معناه وانتم سكارى من النوم كقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم فى صلوته فلينصرف ولينم فانه
لا يدرى لعله يستغفر ربه فيسب نفسه والاظهر الاشهر هو الاول ونزولها فى شان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه
ابا بكر وعمر وعثمن وعليا وسعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنهم اجمعين فاكلوا وسقاهم خمرا وذلك قبل تحريمها فحضرت صلوة المغرب
فامهم عبد الرحمن وفى رواية فامهم على بن ابى طالب رضى الله عنهما فقرا قل يا ايها الكافرون فطرح اللاآت فنزلت هذه الاية
وقد ذكرنا فى سورة البقرة ترتيب الايات فى شارب الخمر وانها كيف حرمت قطعا وان هذه الحادثة كانت فى وقت لم يكن شربها
فى غير اوقات الصلوة حراما وذكرنا معنى هذا النهى قال الامام القشيرى رحمه الله السكر ذهاب العقل ولا تصلح معه المناجاة
مع الحق والمصلى يناجى ربه فكل ما اوجب للقلب الذهول عن الله تعالى فهو ملتحق به ومن اجل هذه الجملة حصول السكر على اقسام
سكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا واصعب السكر سكرك من نفسك فان من سكر من الخمر فانه لم ينفرد له نقصان
الخمرة ومن سكر من نفسه فهلاكه موقوف على الحقيقة لها القطيعة والفرقة وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون بين ان السكر هو ان
يصير بحال لا يعلم ما يقول وحد السكر عند ابى حنيفة هو ان لا يعرف الارض من السماء والرجال من النساء وعند ابى يوسف والشافعى
رحمهما الله هو ان يختلط كلامه وقال الامام ابو منصور رحمه الله فى الاية دلالة ان فى الصلوة قولا فرضا نهى عن قربانها فى حالة السكر
مخافة تركه وخوفا ان يدخل فيها قولا ليس منها وفيه دليل فساد الصلوة بالكلام عمدا او خطاء لان السكران غير عامل وفيه دليل
على ان الخطا الفاحش فى القراءة مفسد للصلوة وفيه دليل على ان ردة السكران ليست بردة وهى حجة على ابى يوسف حيث يجعلها
كما يصح سائر تصرفاته لكن حدث قراءة بعضهم سورة الكافرون بطرح اللاآت ومع ان اعتقادها كفر ولم يكن كفرا من ذلك القارئ
حيث كان سكران دليل على ما قلناه وفيه دليل على انه اذا اجرى الكفر على لسانه خطاء من غير عمد لم يكفر به لان ما يجرى على لسان
السكران خطاء فعلى ذلك غير السكران وهذا لان الكفر بالقلب واللسان معبر عنه وفى هذه الحالة لا يكون دليلا على اعتقاد
القلب فلم يجعل كفرا وقوله تعالى ولا جنبا الا عابرى سبيل الجنب الذى خالط اهله او خرج منه بشهوة واحتلام ويستوى
فيه الذكر والانثى والمثنى والجمع لانه على صيغة المصدر كالنكر والنذر بمعنى الانكار والانذار وقد اجنب اجنابا
جنبا لانه يجنب عن المسجد والقراءة والصلوة ونحو ذلك وهو نصب على الحال اى لا تقربوا المساجد وانتم تجنبون والجنب
الجمع ههنا وقوله تعالى الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا العبور المرور وقد عبر النهر عبورا وهو جمع حذف نونه للاضافة واعرابه
النصب بالاستثناء من الحال اى لا تدخلوا المساجد للعبور لا للجلوس وقال الامام ابو منصور رحمه الله انما كره للجنب
ان يستوطن المسجد فمروره فى المسجد فهو كانه بعض الاية اذا لم يتمها وقيل فى نزوله ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم
فى المسجد وكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء فلا يجدون ممرا الا فى المسجد فانزل الله ولا جنبا الا عابرى
سبيل وقال على وابن عباس رضى الله عنهم فى تاويل هذه الاية اى لا تصلوا وانتم سكارى اى فى حال السكر من الشرب
ولا جنبا اى ولا فى حالة الجنابة الا عابرى سبيل اى مسافرين غير واجدين الماء حتى تغتسلوا فنزول الجنابة وحتى
تعلموا ما تقولون فنزول السكر وقوله تعالى وان كنتم مرضى جمع مريض كالجرحى جمع جريح والمراد منه مرض يخاف معه
اذا استعمل الماء اشتداد المرض وامتداده وهذا عندنا وقال الشافعى رحمه الله اذا كان يخاف تلف النفس او طرف منها وقوله تعالى
او على سفر اى مسافرين وهو ان يكون بعيدا من العمران ومواضع الماء ولا يراد به كمال مدة السفر فى هذا الحكم ولا سافر يجد الماء
ولما ثبت ان الحكم لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بمعنى فيهما وهو العجز عن استعمال الماء ثبت ان الحكم كذلك فى كل موضع
تحقق العجز وثبت به صحة قول ابى حنيفة رحمه الله فى اجازة التيمم للجنابة فى المصر اذا عدم الماء الحار انشا واليه الامام ابو منصور
رحمه الله وانما علق ذلك بالمرض والسفر ظاهرا لان العجز عن استعمال الماء فيهما غالبا وقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط
او جاء كما فى قوله لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا اى ويحدث والغائط المكان المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة
قبل اتخاذ الكنف فى البيوت وهو كناية عن الحدث وقوله تعالى او لامستم النساء قرا حمزة والكسائى والمفضل عن عاصم لمستم
والباقون لامستم النساء اى جامعتم فاجنبتم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه الملامسة واللمس والمس والمباشرة والافضاء والرفث
كنايات عن الوطى وقوله تعالى فلم تجدوا ماء اى لم تقدروا على استعماله لعدمه او بعده او لفقد الة الوصول اليه من الدلو والرشا
او لمانع عنه من حية او سبع او عدو وقوله تعالى فتيمموا اى الامر والتيمم والتاتم القصد وقوله تعالى صعيدا طيبا
الصعيد وجه الارض لانه تصاعد عنها او لانه يصعد عليها والطيب الطاهر ويجوز التيمم بكل ما كان من اجزاء الارض عند ابى حنيفة
رضى الله عنه وعند ابى يوسف رحمه الله الصعيد هو التراب والرمل وعند الشافعى رحمه الله هو التراب لا غير والطيب المنبت عنده
كما فى قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والصحيح ما قال ابو حنيفة رحمه الله وعليه اهل التفسير واهل اللغة رحمهم الله
دون تعيين المخصوص قال الله تعالى فتصبح صعيدا زلقا وقال تعالى صعيدا جرزا وقال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس فى صعيد واحد
وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم وقيل اى فامسحوا الصعيد بها وقيل الباء زائدة كقوله تنبت بالدهن وتقديره فامسحوا
وجوهكم وايديكم وهذا تفسير للتيمم وبيان له وهو مشروع فى الجنابة والحدث جميعا على قدر واحد والايدى عند الزهرى
الى الاباط لان الاسم لكلها لغة وفى الوضوء اقتصر على المرافق لان النص بين الغاية وقال الاوزاعى الى الارساغ كما فى قوله تعالى

فاقطعوا ايديهما وعندنا الى المرافق بعد ما ان التيمم بدل عن الوضوء فيتقدر بقدر الاصل وفي قطع السرقة ورد التقدير بذلك نصا وقال مجاهد في قوله تعالى وان كنتم مرضى نزلت في رجل من الانصار كان مريضا فلم يستطع ان يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم فيناوله الماء فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية وقال مقاتل نزلت في عبد الرحمن بن عوف اصابته جنابة وهو جريح فشق عليه الغسل وخاف منه فنزلت الاية وقال مقاتل تقدير الاية على قوله وان كنتم جنبا مرضى وترك ذكر الجنابة اكتفاء بما ذكر قبله ولا جنبا الا عابري سبيل وعلى هذا التاويل يكون قوله جل جلاله او جاء احد منكم من الغائط على حقيقة او من غير ان يجعل بمنزلة الواو ومعناه ان كنتم جنبا ومحدثين مرضى ومسافرين فتيمموا لهما جميعا على صفة واحدة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وابي مالك والسدي رضي الله عنهم انهم حملوا الاية على الجنب الجريح واولوها على هذا الوجه وقوله تعالى ان الله كان عفوا غفورا العفو الكثير العفو وله معنيان احدهما التسهيل والتخفيف قال النبي صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق ومعناه انه خفف عليكم باقامة الصعيد لطيب مقام الماء وقوله تعالى ان الله كان بيانا ان سنته كذلك في كل عباده وقوله تعالى غفورا اي كثير المغفرة للذنوب والمعنى الثاني انه الصفح والتجاوز ويرجع الى اول الاية وهو قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي من فعل ذلك ثم رجع عنه عفى الله عنه وغفر له ولم تزل سنته في عباده كذلك وقال القشيري رحمه الله جعل الله التيمم بدلا عن الطهارة بالماء عند اعواز الماء كذلك النزول الى ساحات التفرقة عند ارتفاع روح الجمع بقدر ما يحصل من الضعف بدل لاهل الحقائق في الشرع ثم التيمم الذي هو بدل الماء اعم وجودا من الماء واقل استعمالا فكل من كان اقرب كانت المطالبات عليه اصعب ثم في التيمم سقط استعماله في الراس والقدم صيانة لك عن الهوان وذلك لعز الايمان مع الافلاس عن الاحسان ولئن كان الافلاس يوجب التذلل فعرفانه بجلال سيده يوجب التعزز وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقال الامام ابو منصور رحمه الله الم تر كلمة تعجب عن امر قد بلغه فيخرج مخرج التذكير او لم يبلغه فيخرج مخرج التعليم وقد مر تفسيره وايضاحه مرارا يقول الم تنته يا محمد رؤية قلبك الى اليهود الذين اعطوا حظا من التوراة وهم الذين مر ذكرهم الذين يبخلون والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس وقال الامام القشيري رحمه الله اوتوا نصيبا من الكتاب مكروا ومكر بهم فعقلوا وما شعروا اعطوا الكتاب ثم حرموا بركات الفهم فحرفوا وخالفوا ولم يعملوا بالعلم وقوله تعالى يشترون الضلالة اي بالهدى هذا مضمر ومعناه يختارون الضلال على الرشد ويستبدلونه وقد مر شرحه في سورة البقرة مرات وقوله تعالى ويريدون ان تضلوا السبيل اي ويحبون ان تضلوا انتم ايضا كضلالهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله انما ارادوا ذلك ليكون الناس كلهم على دينهم فتكون لهم الرياسة على الكل واخذ المرافق من الكل وقيل هو كقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال الكلبي هم اليهود يشترون الضلالة اي اليهودية ويريدون ان تضلوا السبيل كانوا ياتون عبد الله بن ابي اوفى ومالك بن الدخشم فيثبطونهم عن الاسلام يقول الم تتعجب من اليهود مع ادعائهم العلم وتعصبهم على غيرهم يختارون الضلالة على الهدى ولا يرضون بالاقتصار على انفسهم في هذا الجهل حتى يريدوا منكم ترك دينكم وقوله تعالى والله اعلم باعدائكم اي عالم كما قال تعالى وهو اهون عليه اي هين وقيل هو اعلم بهم منكم لانه يعلم من باطنهم ما لا تعلمونه اي هؤلاء اليهود اعداؤكم فلا تثقوا بهم ولا تستنصحوهم في شيء ومعناه فلا يهولنكم امرهم فالله اعلم باعدائكم مالك بن الدخشم وعبد الله بن ابي وقال الحسن باعدائكم اليهود قال الله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود وقوله تعالى وكفى بالله وليا قال الزجاج الباء صلة للاكتفاء اي وكفى بالله وليا فاكتفوا به وليا اي محبا وقيل متكفلا وقوله تعالى وكفى بالله نصيرا اي معينا وقيل مانعا وقوله تعالى من الذين هادوا اي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا اي لكم على الذين هادوا وقيل وكفى بالله نصيرا كما قال تعالى ونصرناه من القوم اي على القوم وعلى هذه الوجوه الثلاثة قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه لا يضمر فيه شيء ويستقيم على ظاهره ويكون هذا صفة لهم وفي قراءة عبد الله ومن الذين هادوا وعلى هذا لا يستقيم الوجوه الثلاثة ويكون ابتداء وكذا من جعله ابتداء من غير واو الاستيناف فانه يقول ههنا مضمر وتقديره من الذين هادوا من يحرفون الكلم ومن يكون للجمع كما في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك وفي مصحف حفصة رضي الله عنها من الذين هادوا من يحرف الكلام عن مواضعه ونظيره في القرآن قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به اي الا من وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي الا من وهو كقول الشاعر
فظلوا ومنهم دمعه سابق له ... واخر يثني دمعة العين بالمهل
وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه اي يحرفون والكلم جمع كلمة ولذلك قال تعالى عن مواضعه والتحريف نوعان احدهما صرف الكلام الى غير المراد بضرب من التاويل الباطل والثاني تبديل الكلمة باخرى وكانوا يفعلون ذلك قال تعالى يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا اي سمعنا قولك وعصينا امرك يظهرون الاول ويضمرون الثاني خوفا وقوله تعالى واسمع اي قولنا غير مسمع اي لا اسمعك الله وهذا كانوا يضمرونه في انفسهم وقيل كانوا يظهرون

لهم غير مسمع وتاويله غير مسبوب يقال اسمعت فلانا اي سببته وقوله تعالى وراعنا يوهمون بظاهره انهم يطلبون مراعاته عند كلامهم وهو امهالهم حتى يتموا كلامهم وقوله تعالى ليا بالسنتهم اي تقليبا وقد لوى يلوي ليا حتى يتموا كلامهم اي يظهرون هذا ويريدون به السب بالرعونة وقد مر شرحه في سورة البقرة وقيل ليهم بالسنتهم اشباعهم كسرة العين في راعنا يريدون به راعينا اي انت راعينا يريدون به وصفه انه راعي غنم وقوله تعالى وطعنا في الدين اي يقولون هو لا يصلح للنبوة وقيل كانوا يقولون له السام عليك فيقول وعليكم فيخرجون ويقولون لو كان نبيا لعرف ما نقول اي لو كان هو على الدين الحق فلماذا لا يعذبنا بهذا وقوله تعالى ولو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك ولا يقولون وعصينا في انفسهم وقوله تعالى واسمع اي قولنا ولا يلحقون به غير مسمع وقوله تعالى وانظرنا مكان راعنا من غير تلبيس اي انتظرنا حتى نفرغ من كلامنا وقيل راعنا خطاب الاعلى للادنى وانظرنا خطاب الادنى للاعلى فيجوا على ترك الاحترام ودعوا الى الاحترام وقوله تعالى لكان خيرا لهم فان قالوا لم يكن في الذي اختاروه خير اصلا فلم جعل هذا خيرا من ذلك وجوابه انه كذلك على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله آلله خير اما يشركون وقوله تعالى ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقال الامام ابو منصور رحمه الله لكان خيرا لهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فدوام الرياسة التي خافوا فوتها لو اطاعوه واتبعوه اذ قد اطاع منهم قوم فلم تذهب رياستهم بل ازداد شرفهم وذكرهم في الخيرة وبعد الوفاة وقوله تعالى واقوم اي اعدل من القيم وهو المستقيم وقوله تعالى ولكن لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر وقوله تعالى فلا يؤمنون الا قليلا منهم عبد الله بن سلام واصحابه وعن الكلبي في رواية نفر الا قليل مما في ايديهم اي ببعض الكتب والانبياء كما قال خبرا عنهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل اي الا ايمانا قليلا لا يتم به الايمان وهو كاقرارهم بان خالقهم الله ورازقهم الله تعالى وتصديقهم ببعض الكتب وببعض الانبياء وقوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا وهو القرآن وقوله تعالى مصدقا لما معكم اي موافقا للكتاب الذي انزل على نبيكم وهو التوراة قال الامام ابو منصور رحمه الله كان موافقا لما معكم اي موافقا للكتاب الذي انزل على نبيكم وهو التوراة قال الامام ابو منصور رحمه الله كان موافقا لما معهم بالمعاني المذكورة فيه والاحكام لا بالنظم واللسان وفيه دليل لابي حنيفة رحمه الله حيث اجاز الصلوة بالقراءة بالفارسية لان تغير اللفظ واختلاف اللسان لا يوجب تغير المعاني واختلاف الاحكام وقوله تعالى من قبل ان نطمس وجوها الطمس محو الاثر قال تعالى واذا النجوم طمست وقيل هو التغيير قال تعالى ربنا اطمس على اموالهم روي ان ذهبهم وفضتهم صارت حجارة وقيل هو الاعماء قال تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم وقوله من قبل ان نطمس وجوها اي نمحو ما على الوجه من العينين والانف والفم وسائر اجزاء الوجه فنصير الوجه كالقفا وهو معنى قول ابن عباس نجعلها كخف البعير وحافر الدابة وقوله تعالى فنردها على ادبارها اي نرد الاشياء الممحوة في الوجوه على ادبارها جمع دبر وهو الخلف لان الدبر ما ادبر من بدن الانسان والقبل ما اقبل منه اي يجعل ذلك في الاقفية وهو مسخ الراس والوجه بما فيه في القفا وفيه من الخزي والقبح ما لا يخفى وقوله على ادبارها اي في ادبارها كما يقال على وجه فلان انف طويل وفم واسع اي في وجهه ونردها بمعنى نجعلها ونخلقها ومعنى هذه الجملة من قتادة رحمه الله وغيره من المفسرين وقيل فنردها على ادبارها اي نعيد الوجه على هيئة ادبارها اي اقفائها لا عين فيها ولا انف ولا فم لا ان يجعل ذلك في الاقفية بل سيعمهم عميا وبكما ليس لهم عين وانف وفم وقيل اي يجعل وجوههم بعد الطمس كاقفيتهم منابت الشعر كوجوه القردة وقوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت قردة قال الكلبي لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله بن سلام من الشام وبلغه ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم قبل ان ياتي اهله وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وذكرنا القصة بطولها في اول سورة البقرة عند قوله تعالى قالوا انؤمن كما امن السفهاء فان قالوا خوفهم الله تعالى ان لم يبادروا الى الاسلام بالطمس ثم لم يسلموا ولم يفعل قلنا لانه اسلم بعضهم وهو ابن سلام واصحابه او هو مطلق فيكون الوعيد باقيا الى يوم القيمة لانه قال وجوها على التنكير لا على التعريف والتعميم وقيل قوله من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها في الاخرة وهو محو محاسن الوجوه وادخال الايدي في الصدور والاخراج الى الظهور واعطاء الكتب بالشمائل من وراء الظهور واما اللعن فهو المسخ في الدنيا ولعله كان في بعضهم ولم ينقل الينا او هو الى قيام الساعة وقيل الوعيدان على التمثيل لا على التحقيق اشار الى ذلك الامام ابو منصور رحمه الله وغيره وهو قوله تعالى نطمس وجوها فيبصرون الحق بغير صورته والباطل بغير صورته بعد ان كانوا يرون كل شيء على ما هو به بالنظر في كتبهم روي عن الحسن وابن ابي نجيح والسدي او نعميها ونجعلهم منصرفين عن الحق مقبلين على الباطل وقيل اي نطمس وجوههم اي جاههم عند اتباعهم الذين لاجلهم غيروا انما يطلبهم على اتباعهم وقد فعل ذلك وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان المراد به الوعيد بالجلاء عن اوطانهم ويقال لفلان وجه في بلده وهو وجيه عند الناس ويزول ذلك بالغربة والرد الى ادبار مجاز عن الردة الاقبال الادبار وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا الامر هو المفعول به والمصدر يطلق على المفعول به كما يقال هذا الدرهم ضرب الامير اي مضروبه اي عذاب الله الذي امر بانزاله منزل بهم لا محالة وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به اي هؤلاء اليهود مشركون

وَالله تعالى لا يغفر الشرك لمن مات عليه فاما اذا اسلم فيغفر قال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله تعالى
وَيغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو يعم الكبائر والصغائر اى هي في جواز المغفرة لكنه معلق بالمشيئة وان مات مصرا
عليها من غير توبة وهو رد على الخوارج والمعتزلة وذكر الكلبي رحمه الله عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية
نزلت في وحشي والقصة معروفة ان قوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية نزلت اولا ثم هذه الاية ثم قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اى اختلق اعظم الاثام
وقال القشيري رحمه الله من توسل الى الله باعماله وصفاته او خلقا او لاحظ نفسا فوطنه الشرك عند اهل الحقائق
والله تعالى لا يغفر ان يشرك به وكذا من راى توهم ان مخالفاته حصلت من غير تقديره فهو ملتحق بهم وقوله تعالى الم تر
الى الذين يزكون انفسهم اى اليهود يمدحون انفسهم فيقولون نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا
اياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وانا نعلم ابناءنا الصغار التورية فنكفر بذلك ذنوبنا
فنصير كانا لا ذنب لنا وقوله تعالى بل الله يزكي من يشاء اى ليس كذلك وليس لهم ان يزكوا انفسهم والله هو الذي
يزكي من يشاء وهم الموحدون وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا اى لا ينقص الله اجر من عباده شيئا يستحقه
بعمله وان قل ولو كنتم مستحقين التزكية لما منعكم وقال اهل اللغة وهو قول الكلبي الفتيل ما يحدث بفتل الاصابع
من الوسخ وقال الحسن الفتيل ما يكون في شق النواة طولا والنقير ما يكون في النقرة التي في ظهر النواة والقطمير
قشرها وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان رجالا من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فيهم بحري بن عمرو
ونعمان بن اوفى ومرحب بن زيد فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل فكذبهم الله تعالى بهذه الاية وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وقول الرجل انا مؤمن ليس بتزكية لنفسه بل هو اخبار عن شيء اكرم به والتزكية هي ان يرى كونه برا تقيا
صالحا من نفسه ولان الايمان له حد معلوم لا يتفاوت وكل عبادة ذات حد فلا امتداح من تداداها واجرادها
كقوله صليت الظهر وادیت الزكوة وصمت الشهر وحججت البيت واما قوله هو بر وتقي او حبيب الله فيما لا يعرف
حده فهو بذلك يرتفع على الاشكال ويفتخر عليهم فاذا كان صادقا فهو غافل عن منة الله تعالى وان كان كاذبا فهو يستحق
لمقت الله تعالى وغضبه ولعنته وبالله العصمة وقال القشيري رحمه الله من دعا الى تزكية الناس له واستحلى قبول
الخاص له فهو مزك نفسه ورؤية النفس اعظم حجاب ومن توهم انه بتكلفه يزكي نفسه باوراده او باجتهاده او حركاته
او سكناته فهو في غطاء حجابه وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف كلمة تعجب وافتراؤهم على الله تعالى
ما ذكرنا من كذبهم في تزكية انفسهم وقوله تعالى وكفى به اثما مبينا اى ظاهرا وقيل اى مظهرا لخبثه ووباله واثمه
لازم ومتعد وكفى به يقصد بهذه الكلمة تعظيم الاثم ويستعمل في المدح والذم وفي الحديث كفى بالموت واعظا وكفى
بالعبادة شغلا يعني لو لم يكن لهم من الذنوب الا هذا الافتراء لكان اثما عظيما لا يجوز ان يزكوا انفسهم معه فكيف
اثاما عظاما غيرها وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا قال الكلبي انطلق كعب بن الاشرف وحيي
ابن اخطب في ثلاثين من اليهود الى مكة بعد بدر ليبكيا على قتلى بدر ويراثوهم يريدون بذلك اغراء المشركين
وتاليبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب جئناكم لنعينكم على قتال محمد فاعجبهم ذلك فقال له ابو سفيان
انتم اهل كتاب وعلم ونحن امة امية واحب الناس الينا من يعيننا على قتال هذا الرجل فنزل كعب على ابي سفيان
فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال كعب لابي سفيان ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق
اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ
الكتب فاينا اهدى طريقا انحن ام محمد فقال كعب الى ما يدعوكم محمد قالوا الى ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا
قال فاخبروني فما امركم قالوا نحن ننحر الكوم ونقري الضيف ونفك العاني ونسقي الحاج ونعمر بيت ربنا ونصل ارحامنا
ونحن اهل الحرم وزاد في حديث عكرمة ههنا ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه سراق الحجيج فقال كعب انتم والله
اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف فكانت اليهود تحاكم اليهما ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين امنوا سبيلا يعني دينا وقال عمر رضي الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان وقال ابو العالية الجبت الساحر
والطاغوت الكاهن وقال عكرمة هما صنمان لهما وقال ابو عبيدة الجبت والطاغوت كل معبود سوى الله تعالى من حجر
او مدر او صورة او شيطان وقيل الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه قال تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
وقد فسرنا الطاغوت في تلك الاية على الوجه وقالوا الجبت ليس بعربية محضة وقال سعيد بن جبير هو الساحر
بلغة الحبشة من قريش فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم انا معكم نقاتله فقالوا انكم اهل كتاب
وهو صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين فامن بهما
ففعل ثم قالوا انحن اهدى ام محمد نحن نصل الرحم ونقري الضيف ونطوف بالبيت ومحمد قطع رحمه وخرج من بلده

قال

قال بل انتم خير واهدى فنزلت الاية وقوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله اى هؤلاء اليهود طردهم الله تعالى وابعدهم من
رحمته وقوله تعالى ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا اى معينا ومانعا عنه عذاب الله يوم القيمة وقال القشيري رحمه الله
طاغوت كل احد نفسه وصنمه مقصوده فمن لاحظ شخصا او طالع سببا او عرج على علة او تابع هوى فذلك جبته
وطاغوته واصحاب الجبت والطاغوت مستوجبون اللعنة وهو الطرد عن بساط العبودية والحجاب عن شهود الربوبية
وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك قيل ام صلة لانه لم يسبقها الف الاستفهام ليعطف عليها بام وقيل تقدم عليها الف
الاستفهام وتقديره هذا على حقيقته وتقديره ام اولى بالنبوة ام لهم حظ من الملك والسلطنة فيلزم الناس طاعتهم
ويسوغ لهم تفضيل انفسهم بالتزكية وتفضيل المشركين على المسلمين ولا يمتنع الرد عليهم وليس لهم ذلك بل الملك لله تعالى
وله قسمة الفضل بل قال لهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم الاية وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى
ولو كان لهم هذا الملك والسلطان لم يعطوا احدا من الناس شيئا من الفضل لا قليلا ولا كثيرا لتحكيم وهو كقوله وما
كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق اى ولو كان معه اله غيره لذهب كل اله بما خلق واذا بمعنى ان كان ذلك
يقول الرجل نريد ناتيك فيقول اذا اكرمك اى ان كان ذلك اكرمك واذا لها ثلاثة احوال ان ابتدات بها مع المستقبل
نصبته بها تقول اذا اكرمك واذا توسطت لم تنصب تقول انا اذا اكرمك بالرفع تقديره انا اكرمك اذا واذا
ادخلت الفاء او الواو فيها ووصلت بها المستقبل نصبت ورفعت تقول فاذا اكرمك واذا اكرمك بالنصب والرفع
جميعا فالنصب على ظاهرها انها وليت الفعل فعملت فيه والرفع على المعنى لان الفاء داخل في الفعل فيصير في التقدير
فاكرمك اذا واكرمك اذا افتتاحا اذا فلا تعمل هذا معنى كلام الزجاج وعلى هذا قوله فاذا لا يؤتون تقديره
فلا يؤتون اذا فلم ينصب والنقير فسرناه عند قوله ولا يظلمون فتيلا وقوله تعالى ام يحسدون الناس
ام بمعنى بل او يضمر فيه الف الاستفهام ثم يعطف عليه بام كما مر والحسد تمني زوال نعمة الغير اليه وهو استفهام
بمعنى الانكار ومعناه انكانوا يحسدون المؤمنين فيفضلون عليهم المشركين بقولهم هم اهدى سبيلا وقوله تعالى
على ما اتاهم الله من فضله يعني الدين الحق والكتاب الصادق فلا معنى لحسدهم لان الحسد مما ينبغي ان يقع في الشيء الموضوع
في غير موضع استحقاقه وليس كذلك وقوله تعالى فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة اى بيان الكتاب وال ابراهيم
اولاده وهم يعرفون بذلك ويقرون باستحقاقهم ذلك ومحمد صلى الله عليه وسلم من اولاده فلم ينكرون ذلك فيه ولا ينكرون
في بني اسرائيل وهم من ولده وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الناس محمد وحده وذلك ان اليهود قالوا انما شانه على
النبوة بزعمه وهو جائع عاري لا هم له الا نكاح النساء فحسدوه بنكاح النساء واحل الله له منهن ما شاء ان ينكح فذلك
قوله تعالى على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة فالحكمة النبوة وقوله تعالى واتيناهم ملكا
عظيما السلطنة لابراهيم وداود وسليمان والملك النبوة عند مجاهد واليهود لا يحسدونه بهذا كله فلم يحسدون محمدا
وهو من اله وقال مقاتل ان اليهود قالوا انظروا الى هذا الذي لا يشبع من الطعام ما له هم الا النساء ولو كان نبيا لشغل
عن النساء فقال تعالى فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما يوسف وداود وسليمان وكان لداود
تسع وتسعون امراة مهرية وثلاث مائة سرية ولسليمان ثلاث مائة حرة وسبع مائة سرية فكيف يحسدون محمدا
في تسع نسوة ولا يذكرون ما كان لاولئك وقال همام بن الحارث ملكا عظيما امدوا بالملائكة والجنود وقال القشيري
رحمه الله ملكا عظيما هو معرفة الملك على النفس ويقال هو الاشراف على اسرار المملكة وقيل ال ابراهيم
هو محمد عليه السلام ومعنى الاية انحسدون العرب على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا محمدا الكتاب والحكمة وملكا
عظيما الى قيام الساعة فليحسدوهم وهذا على وجه الوعيد وهو مضمر وقوله تعالى فمنهم من امن به قال مجاهد اى من
اليهود من امن بمحمد عليه السلام وقوله تعالى ومنهم من صد عنه اى اعرض عنه وقيل منع الناس عن الايمان به وقد
صد صدودا وهو لازم وصد صدا وهو متعد ومثله الوقف والوقوف والرجع والرجوع وقيل اى ومن اسلافهم
من امن بابراهيم ومنهم من اعرض عنه لا يمان بها وقال مقاتل يعني من ال ابراهيم من امن صدق بالكتب التي جاء
بها ومنهم من اعرض عن الايمان بها وقال السدي زرع ابراهيم سنة وزرع الناس فيها فهلكت زروع الناس وزكا
زرع ابراهيم فاحتاج الناس اليه فكانوا ياتونه ويسالونه فكان يقول لهم من امن بي اعطيته ومن ابى منعته فمنهم
من امن به فاعطاه ومنهم من ابى فلم يعطه فذلك قوله تعالى في هذه الاية وقوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا اى
اعدت للصادين جهنم وكفى بها نارا مسعورة اى موقودة اى بها الكفاية في تعذيبهم وقوله تعالى ان الذين كفروا
باياتنا وهم هؤلاء وقوله تعالى سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم اى ندخلهم جهنم ومعنى قوله كلما
نضجت جلودهم اى احترق وقوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها اى اعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتغيير
على تغاير الهيئتين لا تغاير الاصلين كما تقول في خاتم انكسر صغ لي خاتما غيره وانما هي فضة واحدة وقد يقول الرجل
لاخر كيف انت فيقول انا غير الذي عهدت وقال ابن عباس رضي الله عنهما يوم تبدل الارض غير الارض ان الله الارض
تلك الارض لكن بدلت اكامها وجبالها وانهارها واشجارها وانشد • فما الناس بالناس الذين عهدتهم
• ولا الدار بالدار الذي كنت تعرف • وانما احتجنا الى هذا التاويل لان الانسان هو المعاقب المعذب

والمثاب المنعم على الموافقة والانسان هو هذا الذى يشاهد فلا يقع العذاب على جلد لم يعص الله فيه وما روى
عن ابى هريرة رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا ان الجلد للكافر اربعون ذراعا وضرسه مثل احد وشفته العليا تضرب
سرته وبين جلده ولحمه دود كحمر الوحوش يركض بين لحمه وجلده وحيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال
فليس ذلك بزيادة يخلق ويعذب من غير معصية لكن اذا زيد ذلك فى صورته كان ذلك زيادة ثقل على العبد
ويكون نفس الثقل عقوبة عليه كسائر عقوبات جهنم من السلاسل والاغلال والعقارب والحيات وقيل معنى قوله
بدلناهم جلودا غيرها اى سرابيل من قطران سميت جلودا للزومها جلودهم على المجاورة فكلما احترقت اعيدت
امثالها وقال الحسن اعيدت جلودهم على حالها الاول كل يوم سبعين مرة وفى رواية سبعين الف مرة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم فى كل يوم سبع مرات وقوله تعالى **ليذوقوا العذاب** اى ليخلص لهم اليهم على نهاية ما يكون فيه
كما قال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ولم يرد به اقل ما يقع به الذوق انما اريد به المتناهى وذكر الذوق لان احساسهم
به فى كل حال كاحساس الذائق فى تجديد الوجدان من غير نقصان وقوله تعالى **ان الله كان عزيزا حكيما** اى لا يمتنع
عما يوقعه بالكفار من العذاب حكيما فيما يفعله بالعباد وقيل عزيزا مستقيما ممن عصاه حكيما فى تعذيب من عاداه وقيل
عزيزا لا يغالب حكيما لا يسوى بين الولى والعدو وقوله تعالى **والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة** بين جزاء الاولياء بعد جزاء
الاعداء وقد مر تفسير هذه الكلمات مرات وقوله تعالى **وندخلهم ظلا ظليلا** قال الكلبى اى كنا كنينا وقال
الضحاك اى ظلا دائما وقال الحسن اى لا تؤذيه الحرور ولا السموم والحرور بالليل والسموم بالنهار وقال ابن كيسان
ظليلا من الرياح وكم من ظل لا يكون ظليلا وهو كقوله وظل ممدود بخلاف ظل اهل النار قال تعالى انطلقوا الى ظل ذى
ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب وهو يرجع الى قوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقال الحارث الحاسب ظلا
تاكيدا للظل كما يقال شعر شاعر وموت مائت وقال الامام ابو منصور رحمه الله ظلا ظليلا مظلا عن جميع المؤذيات
من حر الشمس واذى الظلمة وبرد الزمان ونحوها وقال القشيرى هم اليوم فى ظل الرعاية وغدا فى ظل الكفاية بل
هم فى الدنيا والاخرة فى ظل العناية وقوله تعالى **ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** وانتظامها بما قبلها ان اليهود خانوا الامانة التى كانت
عندهم من بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وحكموا بالجور حيث جعلوا المشركين اهدى سبيلا من المؤمنين فامر الله
المؤمنين بخلاف ذلك وهو اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل وهو عام فى حقوق الله تعالى فى العباد وفى حقوق
الناس من المعاملات وفى حق النبى صلى الله عليه وسلم فى تبليغ الوحى وفى حق الصحابة وعلماء الدين وعامة المسلمين فى تبليغ
ما عندهم من العلم والدين الى سائر المؤمنين وكذلك العدل فى الحكم قال النبى صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم
مسئول عن رعيته وقال ابن مسعود رضى الله عنه الامانة فى كل شىء فى الوضوء والصلوة والصوم والزكوة والجنابة
فى الكيل والوزن واعظم من ذلك الودائع وقيل قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فى الامناء وقوله
تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فى الامراء وقيل كله فى الامراء وهى امانة الفىء والخراج والصدقات
واموال بيت المال وقوله تعالى **ان الله نعما يعظكم به** اى نعم الوعظ من الله تعالى هذان الامران وقد مر تفسيره
فى سورة البقرة بوجوهه ومعانيه وقوله تعالى **ان الله كان سميعا بصيرا** اى بما تقوله القضاة بصيرا بما
تفعله الامناء وقال محمد بن اسحق لما افتتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة طلب المفتاح من عثمن بن طلحة بن عبد الله
القرشى من بنى عبد الدار وكان يلى البيت فقال هاك بامانة الله تعالى فقال العباس يا رسول الله اجمعه لى مع السقاية
فنزلت هذه الاية ثم ان عثمن بن طلحة هاجر ودفع الى اخيه شيبة فهو فى ولده الى اليوم وقال سعيد بن المسيب
طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح يوم دخل مكة فقيل له انه مع عثمن فوجه اليه عليا فابى دفعه اليه
وقال لو علمت انه رسول الله دفعت المفتاح اليه فاخذ على المفتاح منه قسرا حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
البيت وصلى فيه فانزل الله تعالى هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا برده اليه فرده اليه والطفه فقال
لعلى اخذته منى قهرا ورددته على باللطف فقال ان الله امرنا برده عليك وقرا هذه الاية فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم** ولما امر ولاة الامور
ان يحكموا بين الناس بالعدل فكان راس الولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم امر عباده بطاعته اولا ثم بطاعة رسوله
فيما يامره عن ربه فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وطاعته طاعة الله ثم بطاعة اولى الامر وهم الذين
يقومون فى الخلق بامر الله تعالى وامر رسوله من الامراء والعلماء على ما اختلف فيه على ما نبين لانهم يامرون بذلك
بامر الله وامر رسوله وقال ابو هريرة والكلبى ومقاتل رضى الله عنهم اجمعين اولى الامر امراء السرايا قال ابن عباس
رضى الله عنهما بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى سرية الى حى من احياء العرب وكان معه عمار بن ياسر
فسار قبلهم حتى اذا دنى من القوم ونزل ليصبحهم فاتاهم النذير فهربوا غير رجل كان قد اسلم فامر اهله ان يتاهبوا
للمسير ثم انطلق حتى اتى عسكر خالد بن الوليد فدخل على عمار فقال يا ابا اليقظان انى مسلم وان قومى لما سمعوا بكم

هربوا واقمت لاسلامى افنافعى ذلك او اهرب كما هرب قومى فقال اقم فان ذلك نافعك وانصرف الرجل الى اهله فامرهم
بالمقام فاصبح خالد فاغار على القوم فلم يجد الا ذلك الرجل فاخذه واخذ ماله فاتاه عمار فقال خل سبيل الرجل انه
مسلم وقد كنت امنته وامرته بالمقام فقال خالد وفيم انت تجير على وانا الامير فقال نعم وانا اجير عليك وانت
الامير وكان فى ذلك بينهما كلام فانصرفوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبر الرجل فامنه النبى صلى الله عليه وسلم
واجاز امان عمار ونهاه ان يجير على امير بغير اذنه فاستب عمار وخالد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فاغلظ عمار
لخالد فغضب خالد وقال يا رسول الله اتدع هذا العبد يشتمنى فوالله لولا انت ما شتمنى عمار وكان عمار مولى لهاشم
ابن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد كف عن عمار فانه من يسب عمارا يسبه الله ومن يبغض عمارا
يبغضه الله فقام عمار وتبعه خالد فاخذ بثوبه وساله ان يرضى عنه فانزل الله تعالى هذه الاية وروى رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى
ومن عصى اميرى فقد عصانى وقال ابن عباس رضى الله عنه فى رواية ومجاهد وجابر بن عبد الله والحسن والضحاك
والمبارك بن فضالة اولى الامر اهل الفقه والدين وقال ابو بكر الوراق هم الخلفاء الراشدون ابو بكر وعمر وعثمن وعلى
رضوان الله عليهم وقال بكر بن عبد الله المزنى هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله اصحابى كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وقال عطاء هم الولاة من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان وهذا لان طاعة الله جل
جلاله انما تصح ببيان الرسول عليه السلام وبيان الرسول تثبت بتبليغ الوسائط وهم الصحابة والخلفاء ومن بعدهم
العلماء فكانت طاعتهم طاعة الله وقوله تعالى **فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول** قال مقاتل رحمه الله
اى ان اختلفتم انتم والامراء فى شىء من الحلال والحرام ومعنى قوله فردوه الى الله اى القران وقوله والرسول
اى ارجعوا اليه فى حيوته والى احاديثه بعد وفاته وقوله تعالى **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر** اى ان الايمان
يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الاية ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم قال النبى
صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابى حازم الستم
امرتم بطاعتنا بقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فقال ابو حازم اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم
الحق بقوله تعالى فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ودلت الاية ان اجماع الامة حجة لا يجوز خلافها لانه
انما امر بالاجتهاد عند التنازع فاذا اجمعوا فلا وجه الى خلافه وتعلق اصحاب الظواهر بظاهر هذه الاية ان الاجتهاد
والقياس لا يجوز لان الله عز وعلا امر بالرجوع الى الكتاب والسنة فلا يجوز غير ذلك وقلنا بل هو دليل جواز القياس فان
الرد الى الله والرسول هو العمل بمعنى القران والسنة فانه اوجب فى كل متنازع فيه ان يرد الى الكتاب والسنة ولا يوجد
فى كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر فى موضوعاته والعمل على مدلولاته ومقتضياته وقوله تعالى **ذلك خير
واحسن تاويلا** قال الكلبى رحمه الله اى خير من الاختلاف واحسن عاقبة قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله اى عاقبته
وما آل اليه الامر يؤول اولا اى عاد واوله اى غيره تاويلا احسنا وقيل احسن جزاء وهو من ذلك ايضا لانه عاقبة
العمل ومآل الامر وقوله تعالى **الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك** اى لا تتعجب
من المنافقين الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك بالقران وبالكتب المنزلة قبله وقوله تعالى **يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت** اى اذا وقعت لهم خصومة تحاكموا الى الطاغوت كاليهود الذين ذكروا قبل هذه الايات
يؤمنون بالجبت والطاغوت قال الزجاج الطاغوت الشيطان ههنا بدليل انه قال فى اخره ويريد الشيطان ان يضلهم
وروى عن مجاهد والضحاك الطاغوت ههنا كعب بن الاشرف فان يهوديا نازع منافقا فدعى اليهودى الى النبى صلى الله
عليه وسلم ودعى المنافق الى كعب بن الاشرف وهذا كان اعجب عجب اذ صار المنافق يدعو الى حاكم اليهود واليهودى يدعو
الى حاكم المسلمين قال الكلبى هذا رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة فقال اليهودى
انطلق بنا الى محمد وقال المنافق لعنه الله بل نانى كعب بن الاشرف وهو الطاغوت فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك اتى معه رسول الله صلى الله عليه وسلم واختصما فقضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق فقال انطلق بنا الى عمر رضى الله عنه فقال اليهودى
اختصمنا انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه فقال عمر رضى الله عنه اكذلك قال نعم فقال لهما رويدكما حتى اخرج
اليكما فدخل البيت ثم خرج معه السيف فضرب به المنافق فقتله وهرب اليهودى فنزلت الاية وقال عطاء الطاغوت
حيى بن اخطب وقال الحسن هو من كانوا يتحاكمون اليه وعنده رجل يقول للخصمين قضى بينكما بكذا وقال السدى
نزلت فى اناس من بنى قريظة والنضير كانوا اذا امنوا ونافق بعضهم فكانت النضير وهم الاوس اشرف من بنى قريظة
وهم الخزرج فى الجاهلية فكان الرجل من بنى قريظة اذا قتل رجلا من بنى النضير قتل واخذ منهم الدية مائة وسق
من تمر واذا قتل الرجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة لم يقتل به واخذ الدية ستون وسقا من تمر فلما جاء
الله بالاسلام قتل رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة لم يقتل به واخذ فى الاسلام فاختصموا الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال بنو النضير قد كنا فى الجاهلية اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وعلى ان ديتكم ستون وسقا

من تمر والوسق ستون صاعا ودية بيننا مائة وسق نحن نعطيكم ذلك فقالت بنو قريظة هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لانكم كنتم اكثر وقللنا فقهرتمونا فصنعتم ذلك وانتم اليوم اخوة ليس لكم علينا فضل وقد جاء الله بالاسلام فنحن وانتم سواء وقالت الخزرج نحن على ما كنا عليه وقالوا نجيء ابو بردة الكاهن فيحكم بيننا فانزل الله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية وانزل افحكم الجاهلية يبغون الاية فاقبل ابو بردة الى المدينة واسمه هلال بن عويمر وتفاخر قريظة وبنوا النضير ايهم افضل فقال المنافقون من الفريقين نتحاكم الى ابي بردة وقال المؤمنون بل نتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقوا الى ابي بردة فقالوا احكم بيننا فقال اطعموا اللقمة يعني العطية فاني اخاف ان نصرت بني قريظة ان يقتلني بنوا النضير وان نصرت بني النضير ان يقتلني بنوا قريظة فاني في دراهم فاعطوه عشرة اوسق من تمر فابى وسألهم مائة وسق فابوا عليه فلم يحكم بينهم فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا الاية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم كاهن بني اسلم ابا بردة الى الاسلام فابى وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنيه ادركا اباكما فرداه فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا الا ان كاهن بني سليم قد اسلم فالطاغوت ههنا هو الكاهن وقوله تعالى **وقد امروا ان يكفروا به** اي بتبروا من الطاغوت قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقوله تعالى **ويريد الشيطان ان يضلهم** اي يدعوهم الى الضلال ونسب اليه الضلال بالوسوسة وقوله تعالى **ضلالا بعيدا** اي على وجه لا يعودون الى الهدى ابدا وقوله تعالى **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا** اي واذا دعي هؤلاء المنافقون الى الحكم الله تعالى وحكم رسوله عليه السلام رايتهم يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضي لهم وقوله تعالى **فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم** اي فكيف يصنع هؤلاء المنافقون اذا نالتهم عقوبة وكانوا موعدين بالعقوبات من نحو قوله تعالى لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا الاية وقوله يفتنون في كل عام مرة او مرتين وقوله تعالى بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من الجنايات وقوله تعالى **ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا** يقولوا انهم تحاكموا الى الطاغوت ردا لحكم الاسلام وانفة عن الانقياد للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف يفعلون اذا نالتهم عقوبة من الله تعالى بما جنايتهم ومصيبة في انفسهم واموالهم ثم اتوك يا محمد خاضعين خاشعين يستشفعون اليك في الكف عنهم والصفح عن جرمهم ويدفعون ذلك عن انفسهم بالمعاذير الكاذبة يؤكدونه بالايمان الفاجرة يقولون ما اردنا بالتحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم الا الاحسان الى خصومنا وادامة الائتلاف فيما بيننا والتوفيق من اثبات الوفاق وفي هذه الاية وانزلنا التخفيف عن النبي صلى الله عليه وسلم والتسهيل على الخصوم بمرافعتهم الى من لا يحتشم من رفع الصوت بين يديه عسى ان يتوسط بيننا ولا يحملنا على الحكم المر فيكون ذلك تاليفا بيننا ودفعا لوقوع الضغائن وما اشبه هذا من الملق واذا كان هذا مال امرهم فالتحاكم عليه ابدا ولا تفيا دلحكمه اولى معاقبة من وقوع ما يخاف وقوعه من المصائب وهي قصة المنافق واليهودي فالمصيبة قتل عمر ذلك المنافق واضيف الاعتذار الى جميع المنافقين والمراد اولياء ذلك المنافق وقال الحسن البصري رحمه الله فيه اعتراض كلام وتقديره يصدون عنك صدودا ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وقالوا الله يعفره ما كان منهم من الشقاق وقوله تعالى **اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** اي اقتصر على تخويفهم سوء العاقبة الحال وقل لهم فيما يحل بهم من العذاب وقوله تعالى **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول** اي شفع لهم الى ربهم وقوله تعالى **لوجدوا الله توابا رحيما** يتوب عليهم ويرحمهم فلا يعذبهم ولما كان الوعد هذا للمنافق اذا اخلص فكيف بالمؤمن المخلص العاصي اذا تاب واصلح وفيه بيان ان المنافقين انما يأتيهم بانيهم باصرارهم وسوء اختيارهم وقوله تعالى **فلا وربك** رفع قدر رسوله عليه السلام باضافة نفسه اليه في القسم ولا رد لكلامهم اي يزعمون انهم مخلصون ولا صدق في ذلك وهذا الوجه احسن من قول من يجعلها زائدة لا معنى لها وعلى هذا قوله لا اقسم وقيل ذكرت لان في صدر الكلام لان هذا القسم على امر منفي ولما بعدت من الفعل اعيدت في موضعها لا يؤمنون ونظيره قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون وقوله تعالى **لا يؤمنون حتى يحكموك** اي لا يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقوله تعالى **فيما شجر بينهم** اي اختلف وقد اشتجر القوم وتشاجروا اذا اختلفوا في الامر وتداخل كلام بعضهم في البعض كتداخل الشجر بالتفافها وقوله تعالى **ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت** اي في قلوبهم حرجا مما قضيت اي ضيقا وقال مجاهد شكا في ان القضاء حق وقيل اثما وقوله تعالى **ويسلموا تسليما** اي انقيادا وذكر المصدر للتاكيد اي ينقاد وذحق الانقياد بلا كراهة في الفؤاد وقال عروة ابن الزبير خاصم رجل من الانصار الزبير في شراج من الحرة يسقي بها النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري ان كان ابن عمتك ولوى شدقه فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا زبير اسق ارضك واحبس الماء حتى يبلغ الجدر فقال الزبير والله ان هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون الاية وكان النبي صلى الله عليه وسلم امره في الابتداء بالاقتصار على ادنى حقه والشراج مسيل الماء والحرة موضع الحصى

والجدر

والجدر الجدار والجدر بالكسر والفتح فلما قال الخصم ما قال امره باستيفاء حقه وقال ابو روق كان ليهودي على رجل مسلم مال فقال تخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلم وفرض عليه ان يؤدي الى اليهودي يوم كذا وكذا من ماله فخرجا من عنده فقال اليهودي ارضيت بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قال فبمن ترضى قال بابي بكر فانطلقا الى ابي بكر فقصا عليه القصة فامره ابو بكر ان ارض بما امرك النبي صلى الله عليه وسلم فخرجا فلم يرض فقال اليهودي فبمن ترضى قال بعمر فانطلقا الى عمر رضي الله عنه فقصا عليه القصة من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقال عمر رضي الله عنه انت رضي بما اقضي انا قال نعم قال انظرا ساعة حتى اخرج من البيت ثم خرج مشتملا على السيف صلتا فضرب به المسلم حتى قتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي بذلك سمي عمر الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل ففيه انزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية وقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم قرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي بضم النون من ان وضم الواو من او لان الالف في هذين الامرين في الاصل مضمومة فنقلت تلك الضمة الى هذا عند الضرورة الى التحريك لالتقاء الساكنين وقرا عاصم وحمزة بالكسر فيهما وقرا ابو عمرو بكسر الاول وضم الثاني ولان الساكن اذا حرك حرك بالكسر واما كسر ابي عمرو الاول فلهذا واما ضمه الثاني فلاجتماع سببي الضم وهما الواو وضم الالف الامر بخلاف لو استطعنا لانه لم يجتمع سببان وقوله تعالى **ما فعلوه الا قليل منهم** قرا ابن عامر الا قليلا وكذا في مصاحف اهل الشام وقيل هو قراءة ابي ووجهه انه استثناء بعد تمام الكلام ومعناه لكن القراءة الظاهرة بالرفع بالفعل وتقديره ما فعله الا قليل منهم وانما جمع مع تقدم الفعل على الفاعل على لغة بعض العرب وهو كقول القائل شعر • يلومونني في اشتراء النخل قومي وكلهم الوم • وعلى هذا قوله فعموا وصموا كثير منهم وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا ومعنى الاية ولو انا فرضنا على هؤلاء المنافقين قتل انفسهم بطريق التوبة كما كان لبني اسرائيل ويحتمل انه قتل بعضهم بعضا ويحتمل انه بجهاد الاعداء وقتلهم او فرضنا عليهم الخروج من ديارهم مهاجرين عنها ما فعلوه الا قليل منهم لفظ الامرين اجرى بعلته فيهم قال الكلبي نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرناه في قصة الزبير وخصمه وكلام اليهودي وجواب ثابت لو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فهو القليل المستثنى وقيل هو المقداد بن الاسود وهو مذكور في هذه القصة ايضا وقال مقاتل فكان المراد من القليل عمار بن ياسر وثابت ابن قيس وعبد الله بن مسعود وقال عمر وجماعة والله لو فعل ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل ذلك ربنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده للايمان اثبت في قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي في الارض وقوله تعالى **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** اي واذ لم يشدد عليهم وامرناهم بالاخلاص وترك النفاق فلو اتعظوا بهذا الوعظ وقيل لو امرناهم بقتل انفسهم وخروجهم من ديارهم ففعلوا وقوله تعالى **لكان خيرا لهم** اي احمد عاقبة في الدارين وقوله تعالى **واشد تثبيتا** اي واكد لعزائمهم على الثبات على الدين وترك التكذيب وقوله تعالى **واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما** اي ولاعطيناهم اذا فعلوا ذلك من عندنا ثوابا كثيرا في الاخرة لا ينقطع وقوله تعالى **ولهديناهم صراطا مستقيما** يعني ولثبتناهم على الدين الحق وهو وعد بيقاء الايمان المطيع المخلص وقال القشيري في قوله فاعرض عنهم وعظهم اي ابسط لهم لسان الوعظ بمقتضى الشفقة عليهم ولكن انقبض بذلك عن المبالاة لهم والسكون اليهم واعلم ان من لا يكون يحق له لا تغني عنه نفسه شيئا وقال في قوله فلا وربك لا يؤمنون سد الله الطريق الى نفسه على الكافة الا بعد الايمان بمحمد نبيه فمن لم يمش تحت رايته فليس من الله في شيء ثم جعل من شرط الايمان به زوال المعارضة بالكلية لقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت فلا بد من تلقي ما هنالك لقلب ضاحك كما قال قائلهم وحبيبي ان لم يكن لي منصفا كنت منصفا احتمل له الامر واستغيه ما صنعا ان يقل لي اشفوا احترقت رضا لا تكلفا وقوله تعالى **ومن يطع الله والرسول** وهذا اعم من الاول اي ومن اطاع الله ورسوله منهم ومن غيرهم فعمل بالشرائع وانقاد للاحكام وقوله تعالى **فاولئك مع الذين انعم الله عليهم** اي هم في الاخرة مع الذين انعم الله عليهم النعمة وقوله تعالى **من النبيين والصديقين** التشديد للمبالغة في الصدق كما في الخمير والفسيق والشريب وهو الذي لم يدع شيئا اظهره بلسانه الا حققه بقلبه وعمله وهذه صفة السابقين الى متابعة الانبياء وهم افاضل اصحابهم وقوله تعالى **والشهداء** جمع شهيد وهو الذي قام بشهادة الحق حتى قتل في سبيل الله وقوله تعالى **والصالحين** جمع صالح وهو الذي خلص عن كل فساد يعني هم في الجنة معهم يجزون الجنة ويؤتون نعيمها وليس معناه انهم يساوونهم في الدرجات بل درجاتهم متفاوتة اذ لا شك في فضيلة درجة الانبياء على غيرهم ثم الصديقون السابقون الى تصديقهم والكاملون في تحقيقهم ثم الشهداء في سبيله ثم الصالحون من الامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله والله لا افقدك ساعة الا كادت اموت شوقا اليك فكيف ان مت وبقيت بعدك قال اني معك في الجنة ونزلت هذه الاية وروي انها نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بلغ من حبه له ان قال يا رسول الله اني لا اكاد اصبر عنك واذكر الاخرة وانك ترفع في درجة الانبياء وانا مع العبيد فلا القاك فنزلت وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي ولولا اني اتيك واراك لظننت اني سأموت وبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم

ما يبكيك قال ذكرت انك ستموت واموت فترفع مع الانبيا ونحن ان دخلنا الجنة كنا دونك فلم يجبه النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابشر وقال مقاتل في هذه القصة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم
اتاه ابنه وهو في حديقة له فاخبره بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعمني فلا ارى شيا بعد حبيبي حتى القى
حبيبي فعمي مكانه وزعم السدي ان اناسا من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك
فكيف نصنع فنزلت الاية وقال الامام ابو منصور رحمه الله بعدما ذكر حديث ثوبان وحديث جماعة من الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين ويحتمل انها ليست في واحد بعينه ولكن لما رجع احدها ان اليهود وغيرهم من الكفرة الذين اذوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتمردوا في ترك اجابته ظنوا انهم اذا اسلموا واطاعوا الرسول لم يقبل ذلك منهم ولم ينزلوا منزلة
من لم يؤذه فاخبر ان من اطاع الله ورسوله كان مع هولاء كان لم يترك طاعته ابدا وهو كما قال قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان يكون ذلك لما سمعوا ان لكل واحد من الجنة مثل الدنيا فظنوا ان لا يكون لهم
الاجتماع لبعد بعضهم عن بعض فاخبر انهم يجتمعون لانه كان في الدنيا من اعظم النعم ثم اذا تفرقوا كان كل واحد منهم
في درجته ويحتمل ان يكون هذا على الابتدا ان من اطاع الله والرسول كان مع الرسول في دار واحدة لا يكونون في غيرها
وقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا اي رفقا وقال الفرا انما وحد الرفيق وهو صفة جمع لان الرفيق والبريد
والرسول تذهب به العرب الى الواحد والجمع ولا يكون مثله في الكلام حسن اولئك رجلا انما يوحدان وحد صفة
الجميع اذا كان اسما ماخوذا من فعل ولم يكن اسما مصرحا ويجوز الجمع ايضا وانشد • واذا هم شبعوا فانا لأمر طاعم •
• واذا هم جاعوا فشر جياع • وقوله تعالى ذلك الفضل من الله اي ذلك الوعد وقيل ذلك الانعام وذلك يجوز
ان يكون مبتدا والفضل خبرا له ويجوز ان يكون ذلك اشارة والفضل مبتدا ومن الله خبرا له ودلت الاية ان العبد
لا يجب له الاصلح على الله تعالى فانما يفعله الله تعالى بعبده فهو فضل منه فبطل مذهب المعتزلة وقوله تعالى وكفى بالله
عليما اي عالما باعمال عباده وبمن هو اهل الفضل وقيل اي عليما بمقادير ثوابهم وجزاء اعمالهم وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا خذوا حذركم انتظامها بما قبلها ان قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله هذا في المؤمنين المخلصين
والايات قبلها في المنافقين وهولاء في المشركين المجاهدين امر المؤمنين بجهاد الكافرين وقوله خذوا حذركم اي
تحرزوا من ايقاع العدو بكم وذلك يكون باخذ العدة قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
يقول لا تتكلوا على ما ضمنت لكم وذلك يكون باخذ العدة قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قيل الرمي
ومن رباط الخيل يقول لا تتكلوا على ما ضمنت لكم من النصر فتتركوا الاستعداد لان النصر موعود بالقتال
ولا قتال الا بسلاح ولو كان النصر ابدا بغير قتال ولا سلاح لبطلت المحنة وقيل اخذ الحذر هو اخذ السلاح
وليس كذلك لان الله تعالى قال وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم
فغاير بينهما بالعطف فصح ان اخذ الحذر ليس اخذ السلاح على اليقين بل هو التيقظ والتحفظ عنهم باي
شي كان وقيل معناه ههنا تحرزوا منهم فانفروا اليهم قبل ان ينفروا اليكم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما غزي قوم
في عقر دارهم الا ذلوا وقيل امر الله تعالى باخذ الحذر مع علمه ان الحذر لا يمنع من القدر لما ان الاستسلام للهلاك معصية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي اعقلها وتوكل وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا مر بهدف مائل اسرع المشي
وقوله تعالى فانفروا النفور الخروج الى العدو وغزوا والنفور النذور والنفر رجوع الحاج وصرف كله من باب ضرب
وقوله تعالى ثبات اي جماعات متفرقة واحدها ثبة واصلها ثبية بزيادة يا في اخرها حذفت تخفيفا وتعاد في
التصغير فيقال ثبية والفعل منه ثبيت اي جمعت وقوله تعالى او انفروا جميعا ومعنى الاية اخرجوا الى قتال
العدو فرقة بعد فرقة او اخرجوا ان شئتم مجتمعين وقيل اي اخرجوا سرايا الى جهات شتى او عسكرا واحدا الى جهة
واحدة على حسب الحالة الداعية اليه وقيل انفروا ثبات اذا لم يعم النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انفروا سرايا اذا لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم او انفروا جميعا اذا خرج النبي صلى
الله عليه وسلم قال تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وهذا اذا خرج بنفسه
ثم قال وما كان المؤمنون لينفروا كافة وهذا اذا لم ينفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام ابو منصور رحمه الله
خذوا حذركم اي ما تحذرون به عدوكم وما يحذر به وجوه منها الاسلحة ومنها البنيان ومنها التكثر عند
التلقي بالثبات وذكره الله تعالى قال تعالى فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفيه الامر بالاعداد قبل اللقا واية ذلك
قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وفي الامر بالاعداد قبل وقت
الحاجة اليه دليل جواز الكسب للحاجات التي تحدث وان الاستعداد للحاجات ليس برغبة في الدنيا اذا لم يكن الاعداد
لفضل ولا ترك توكل وقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن امر بالجهاد واخبر ان في المنافقين من يثقل المخلصين
عن ذلك وقوله منكم اي من جنسكم وقيل اي منكم في الظاهر دون الباطن فقد قال في اية اخرى ما هم منكم وقيل اي منكم
في الظاهر ولمن لام الابتدا واللام الثانية لام القسم وكذا النون دلالة القسم وقرأ مجاهد والكلبي ليبطئن بالتخفيف
وهو من الابطاء وهو خلاف الاسراع وقيل بطؤ يبطؤ بطاء فهو بطي اي صار بطيا وهو خلاف السريع وابطأ

اي

اي تثاقل وتباطى اي من نفسه ذلك وبطأ غيره بالتشديد للتعدية اي حمله على الابطاء يقول ان المنافقين
المتلطين بكم من يمنعكم عن الجهاد ويظهر من نفسه الاشفاق عليكم وعلى اموالكم واولادكم وقوله تعالى فان اصابتكم
مصيبة اي فان نالكم نكبة من الاعداء وقوله تعالى قال قد انعم الله علي اي من الله علي وقوله تعالى اذ لم اكن معهم شهيدا
اي مع المؤمنين حاضرا قتال العدو فنجاني من النكبة ما نالهم قال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه وقوله تعالى
ولئن اصابكم فضل من الله اي غنيمة ليقولن هذا المنافق المبطئ يا ليتني كنت معهم ان يكون شهد القتال
معهم فافوز فوزا عظيما فانال مالا كثيرا ونصبه لانه جواب التمني بالفا وقرا الحسن بالرفع على تقدير فانا افوز
على الاستيناف وقوله تعالى كان لم يكن بينكم وبينه مودة قرا اهل المدينة وابو عبد الرحمن بن زيد وابو رجا وقتادة والاعمش
يكن بيا التذكير وقرا الحسن بالتا لان المودة مؤنثة لفظا وقرا عاصم وابو عمرو بالوجهين ووجه التذكير تقدم
الفعل ودخول الحائل ولان تانيثها غير حقيقي ولان المودة بمعنى الود وفي هذه الكلمات ثلاثة اوجه قيل هي ملحقة
بالحادثة الاولى وانعم الله وفرح بسلامته وبليتكم كانه لم يكن بينكم وبينه مودة وقيل هي موخرة عن الحادثة
الثانية وتقديره يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما بحسدكم على الاختصاص بالغنيمة وكان لم يكن بينكم وبينه
مودة وقيل هي مقدرة على نظمها واعتراضه لمعنى الحال لانه من كلامه تقديره ليقولن وهو بحال يظهر منه انه يعاملكم
معاملة من لا مودة بينه وبين من يعامله يا ليتني كنت معهم وقوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالاخرة اكثر المفسرين على انه امر مغايبة بالقتال للمؤمنين ويشرون اي يبيعون اي الذين
يوثرون الاخرة على الدنيا امرهم ان يقاتلوا لطلب رضى الله دون الغنيمة كما يقاتل المنافقون وقال الكلبي
هذا امر مغايبة للمنافقين الذين تخلفوا عن احد ويشرون بمعنى يشترون اي يختارون الحيوة الدنيا على الاخرة
وتقديره انه يقول للمنافقين فليكونوا من الذين يقاتلون في سبيل الله قاله الزجاج وقوله تعالى ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما روى ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
انا نقاتل فنقتل ولا نقتل في سبيل الله فانزل الله هذه الاية واشركهم جميعا في الاجر وقال الامام ابو منصور رحمه الله
في الاية دليل ان المراة اذا اسلمت نفسها الى زوجها وجب لها كمال المهر وان لم يقبضها الزوج وكذلك البايع اذا
سلم المبيع تاكد الثمن على المشتري وان لم يقبض لان الله تعالى جعل الغازي بتسليم النفس وان غلب ولم يقتله احد
بمنزلة من قتله المشركون وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله استفهام بمعنى التوبيخ وقال الامام ابو منصور
رحمه الله لا يقال ذلك الا عند سبق التفريط ثم لم يزل اسم الايمان عنهم ولم يسقط فرض الجهاد عنهم فبطل بذلك
قول الخوارج في مرتكب الكبيرة وقوله تعالى والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان عطف على قوله في
سبيل الله ومعناه في تخليص العجزة من الرجال البالغين والنساء والاولاد الصغار المقهورين في ايدي الكفار وقال
الامام القشيري وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله اي اي شي يمنعكم عن القتال في سبيل الله وما الذي يرغبكم في
بذل المهجة لله وماذا عليكم لو بذلتم ارواحكم في الله تعالى انخافون ان تخسروا على الله اما لا تعلمون انكم تخسرون الى الله
ام لا تكتفون ببقائه بعد فنائكم في الله تعالى وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه دليل ان اسلام الصبي العاقل يصح
فان الولدان اسم للصغار وحث المسلمين على استنقاذهم من ايدي الكفار على حكم اسلامهم ودل ان استنقاذ الاسارى
من المسلمين عن ايدي الكفار واجب بما قدروا عليه من القتال واعطاء المال وقوله تعالى الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها اي لا حيلة لهؤلاء المستضعفين ولا ملجا الا الله فيقولون يا ربنا اخرجنا من مكة
التي اهلها ظالمون بالشرك وبظلمنا بالمنع عن الخروج وبحملنا على الكفر بالدعوة اليه والتعذيب عليه وقوله تعالى
واجعل لنا من لدنك وليا اي هب لنا من عندك من يتولى كفايتنا وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا
اي وهب لنا من عندك من ينصرنا ويمنعنا من عدونا فاستجاب الله دعاءهم وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليهم وعتاب بن اسيد ناصرهم قاله عطا فكان يستنقذ واحدا واحدا منهم ويبعثه على يد مرثد بن مرثد الى
المدينة ولما فتح الله تعالى مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف عليها عتاب بن اسيد فكان ينصر الضعيف
من القوي والمظلوم من الظالم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان من المستضعفين من الرجال سلمة بن هشام والوليد
ابن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وابو جندل بن سهل وغيرهم ومن النساء امي ومن الولدان انا وقوله تعالى القرية
الظالم اهلها معناه البلدة التي ظلم اهلها وذكر لانه نعت الاهل دون القرية وخفض لانه ذكرها وهو كقوله
مررت برجل حسنة امراته وبامراة حسن زوجها وقوله تعالى الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اي في رضى
الله وقوله تعالى والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي الشيطان وقيل اي الاصنام والطاغوت هو ما عبد
من دون الله وهذا تحريض للمؤمنين على الجهاد من وجه وقوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان ثم الكفار وقوله تعالى
ان كيد الشيطان كان ضعيفا لا يدله على انفسكم ولا على اموالكم ولا على دينكم جبرا وقهرا انما يكون منه تزيين
ووسوسة ثم يسلم متابعه الى الهلكة ويرجع قال الله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم وقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قال

ابن عباس رضى الله عنهما ان ناسًا اتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة وشكوا اليه ما يلقون من اذى المشركين وقالوا كنا فى عز فى حالة الجاهلية والان صرنا اذلة فلو اذنت لنا نقتل هولاء المشركين على فرشهم فقال عليه السلام انى امرت بالصبر فكفوا ايديكم اى امسكوا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما هاجروا الى المدينة وامرهم بالقتال كره بعض المؤمنين ذلك فنزلت الاية وقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اى فرض عليهم الجهاد وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله اى خشية طبع كما قال وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى كراهة طبع وقوله تعالى او اشد خشية او دخلت للابهام على المخاطب اى هى على احدى هاتين الصفتين والثانى انه للتخيير اى ان قلت انهم يخشون الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انهم يخشونهم اشد من ذلك فانت مصيب لانه حصل لهم ذلك وزيادة وقوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب اى هلا امهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سوال الطلب حكمة لا للاعتراض ومعارضة بدليل انهم لم يوبخوا على ذلك قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل اى التمتع بالحيوة فى الدنيا قليل وسينقضى عن قريب ولو استشهدتم فى القتال لصرتم احياء فتستبدلون الحيوة الفانية بالحيوة الباقية فى الاخرة وقوله تعالى والاخرة خير لمن اتقى اى خير لمن اتقى الله فاطاعه ولم يعصه وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا قرا اهل المدينة وعاصم وابو عمرو بتاء المخاطبة كما فى قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت وقرا اهل الكوفة بياء المغايبة كما فى اول هذه الاية والفتيل قد فسرناه فى هذه السورة بتفسيرين يقول من اتقى لم يظلم شيئًا وان قل عمله لم يضاعف ثوابه وانتم اذا اتقيتم الله وجاهدتم عدوه بامره لم يبطل سعيكم وقوله كخشية الله كقوله يحبونهم كحب الله اى كحبهم لله وقال الكلبى نزلت هذه الاية فى عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابى وقاص كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجروا الى المدينة يلقون من المشركين الاذى فيشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا فى قتالهم فانهم اذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم فلما امروا ان يسيروا الى بدر كره ذلك طلحة بن عبيد الله وجماعة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فانزل الله تعالى هذه الاية فى حق بنى اسرائيل كما قال فى سورة البقرة الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم الاية على ما بينا وقال الامام القشيرى رحمه الله ملكك من الدنيا ثم قللها فلم يعد هالك شيئا ثم لو تصدقت منها بشق تمرة استكثره منك وهذا غاية الكرم وشرط المحبة وهو استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه واذا كانت قيمة الدنيا قليلة فاخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلا عن النفيس وقال ان الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج فقال اولا قل متاع الدنيا قليل فاختطفهم عن الدنيا بالعقبى ثم استلبهم عن الكونين بقوله والله خير وابقى وقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت نكتب اينما موصولة ههنا ومفصولة فى قوله تعالى اين ما كنتم تدعون من دون الله لان ما فى الاولى صلة زيدت للشرط فاتصلت به كما فى حيثما وكيفما وثمها وفى الثانية اسم بمعنى الذى تقديره اين الذى كنتم تدعون فكان اسما مستقلا بنفسه فلم يوصل بغيره وتكونوا جزم بالشرط ويدرككم جزم لانه جزاء الشرط يقول حيثما كنتم ادرككم الموت وهو تحريض على الجهاد ايضا اى ليس التخلف عن الجهاد بدافع الموت واذا ادرككم الموت ادرككم لا محالة فالموت فى الجهاد انفع وارفع وقال الكلبى لما قال المنافقون فى شهداء احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا انزل الله تعالى هذه الاية وقيل هو جواب قولهم لم كتبت علينا القتال الاية وقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة البرج الحصن وقيل القصر وقيل البناء العالى وقيل من بروج السماء الاثنى عشر وهذا قول الربيع بن انس والسدى قال تعالى والسماء ذات البروج وقوله مشيدة قرا مجاهد بفتح الميم وتخفيف الياء كما فى قوله وقصر مشيد وقراءة العامة مشيدة بضم الميم وتشديد الياء والمخفف من شاد البناء يشيده شيدا اى زينه وطلاه بالشيد اى الجص وقيل على عكسه وقال الفراء والكسائى هما واحد للرفع والتطويل الا ان التخفيف لاصل الفعل والتشديد لتكثيره وتكريره كما فى الفتح والتفتيح والقتل والتقتيل وفى التفسير انها الحصون الحصينة وقيل هى القصور المرتفعة الى عنان السماء وقيل هى منازل القمر التى فى السماء وقال مجاهد فى هذه الاية كان فيمن قبلكم امراة وكان لها اجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المراة قال جارية قال اما ان هذه الجارية لا تموت حتى تزنى بمائة ويتزوجها اجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير فى نفسه فقال الاجير فى نفسه فانا اريد هذه بعد ان تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرئت وشبت فكانت تزنى فاتت ساحلا من ساحل البحر فاقامت عليه تزنى ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامراة من اهل الساحل اطلبى لى امراة من اجمل امراة فى القرية اتزوجها فقالت ههنا امراة من اجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتينى بها فاتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لى كذا فقالت لها انى تركت الفجور ولكن ان اراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينما هو يوما عندها اذ اخبرها بامره فقالت انا تلك الجارية فارته الشق فى بطنها وقد كنت افجر فما ادرى بمائة او اقل او اكثر قال اى الاجير فانه قال لى اى قال الرجل الذى خارج الباب يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجا فى الصحراء وشيده

فبينما هو يوما فى ذلك البرج اذا عنكبوت فى السقف فقالت هذا يقتلنى لا تقتله اى لا يقتله احد غيرى فحركته فسقط فاتته فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته وساخ سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت وفى ذلك نزلت هذه الاية اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وقوله تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله يقول ان اصابت هولاء المنافقين حالة حسنة نصر وغنيمة او خصب وسعة او امن وعافية وقوله يقولوا هذه من عند الله اى بعطاء الله تعالى وقوله تعالى وان تصبهم سيئة قتل او هزيمة او جدب او بلية وبلاء وشهرة يقولوا هذه من عندك اى بسببك يا محمد يتطيرون بك كما قال ذلك قوم موسى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وكما قال قوم صالح عليه السلام اطيرنا بك وبمن معك واخرون قالوا انا تطيرنا بكم وقوله تعالى قل كل من عند الله اى قل يا محمد كل ذلك بتقدير الله وهو سنة الله تعالى فى خلقه قال تعالى ونبلوكم بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء وقوله تعالى فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا استفهام بمعنى التوبيخ والقوم هم المنافقون والفقه الفهم وحديثا ما تكرهه فى النبى فيهم اى يقولون ذلك عن قلة معرفة وغلبة جهل لا يفهمون شيئا مما قيل لهم على وجهه وقال الكلبى هى فى المنافقين ويهود المدينة هم قالوا ذلك والرد عليهم جميعا وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله اى ما نالك يا محمد من حال الحسنة فهى من فضل الله عليك لا باستحقاقك بنفسك وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى ما اصابك من ظفر او سرور فمن الله لا بحيلتك وقوتك وقوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك اى وما نالك من حال السيئة فبسبب زلة منك خاطب النبى صلى الله عليه وسلم واراد به امته وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى ما اصابك واصحابك من مكروه من العدو وغيره فمن نفسك اى بذنوبكم وانا قضيت ذلك عليكم وفى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فمن نفسك وانا قدرتها عليك وهو ثابت بالكتاب انص مما نقدم وهو قوله تعالى قل كل من عند الله وقال عطية العوفى ما اصابك من حسنة يوم بدر فمن الله وما اصابك من سيئة يوم احد فمن نفسك اى بذنب اصحابك حيث تركوا امرك واخلوا بالمركز ونظيره قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال ذلك بما قدمت يداك وقال قل هو من عند انفسكم وقال تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس وتعلقت المعتزلة بظاهر هذه الاية وحملت الحسنات على الطاعات والسيئات على المعاصى وقالوا اخبر الله تعالى ان الحسنات من الله والسيئات من نفسه ولا متعلق لهم فانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فلا حجة لهم فيه فى ذلك وعندنا الحسنة والسيئة فى هذه الاية كالحسنة والسيئة المذكورتين فى قوله تعالى ونبلوناهم بالحسنات والسيئات وقد جاء عن الصحابة والتابعين فى تفسير هذه الاية والاية التى قبلها ان ذلك على الغنيمة والهزيمة والخصب والجدب والنعمة والمحنة ودل ظاهر النظم عليه فانه قال ما اصابك ولم يقل ما اصبته وفى التحميل بذكر كذلك وهو احتجاج الحسين بن الفضل فانه احتج على المعتزلة بهذا الوجه وجواب اخر اشار اليه الامام ابو منصور رحمه الله انه يجوز ان يكون اراد به الحسنة التى هى الطاعة والسيئة التى هى المعصية ويجوز ان يقال فى ذلك ما اصابك لان ما اصابك فقد اصبته وهو كقوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين وقوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويكون هذا تعليما للنبى صلى الله عليه وسلم وامته انهم فى حق الطاعة ينبغى لهم ان يضيفوا ذلك الى الله لما ان منه الفضل والمنة ولا يضيفونها الى انفسهم كيلا يبطلوها بالعجب والرياء والسمعة ولا يعتمدوا عليه وفى حق المعصية يضيفون ذلك الى انفسهم حياء وندما من ذنوبهم ولا يضيفون ذلك الى الله تمهيد العذر لانفسهم وقال القشيرى رحمه الله ما اصابك من حسنة فمن الله فضلا وما اصابك من سيئة فمن نفسك كسبا وكلاهما من الله خلقا وقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا فمنك الدعوة وتبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى عليك وعليهم يجزى كلا بما شهد عليه وقيل اى شاهدا بانك رسوله وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فى الدعاء الى القتال وغيره وقوله ومن تولى اى عن طاعتك يا محمد رجع الكلام الى المخاطبة بعد المغايبة وهو متعارف اهل الفصاحة واحد انواع البلاغة وقوله تعالى فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا عليهم تجبرهم على الاخلاص وتعاقب فى ترك ذلك وقيل اى من اعرض فلا حرج عليك لانك لم ترسل حفيظا عليهم تحفظهم عن المعاصى فلا يعصوا وقيل فما ارسلناك حفيظا تطلع على سرائرهم انما عليك ان تعاملهم على ظواهرهم وقال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون الا ترون هذا الرجل ينهانا ان نعبد غير الله ويريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فنزلت هذه الاية وقوله تعالى ويقولون طاعة اى يقول المنافقون هذه طاعة او منا طاعة او لامرك يقولون هذا بحضرتك وقوله تعالى فاذا برزوا من عندك اى خرجوا وغابوا وقوله تعالى بيت طائفة منهم غير الذى تقول قال ابو عبيدة بيت اى غير لغة طى وقيل دبر بالليل من بات يبيت بنونه للازم وبيت للمتعدى وقيل اى الف وزخرف وغير الذى تقول اى قولا غير الذى تقول يا محمد وقوله تعالى والله يكتب ما يبيتون اى يامر الملائكة بانتساخه ويحاسبهم به

يوم القيمة ويجازيهم عليه وقيل اى ينزل بذلك كتابا على نبيه صلى الله عليه وسلم فيهتك استارهم بما الخوض بالليل وقوله تعالى فاعرض عنهم اى عن عقابهم الحال ونسخ ذلك بالامر بالقتال وقيل اى لا تتكلف لاظهار سترهم والتطلع عليه فانا اطلعك عليه اظهارا لصدق دعواك وقوله تعالى وتوكل على الله اى اعتمد عليه وثق به يكفيكهم وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا اى كافيا ومتوليا وناصرا وقال القشيرى رحمه الله ويقولون طاعة اذا حضروك استسلموا فى مشاهدتك فاذا خرجوا انقطع عنهم نور اقبالك فعادوا الى ظلمات نفاقهم فى مخالفتهم فالبهيمة اذا رعوى عاد الى جمله كذا الضيق رد الى نكسه وقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن استفهام بمعنى الامر كقوله تعالى افلا يتوبون الى الله والتدبر فى دبر الامر اى عاقبته وهو قريب من التفكر غير ان التفكر تصرف القلب بالنظر الى الدلائل والتدبر تصرفه بالنظر فى العواقب والتدبر فى القرآن التأمل فى معانيه بعد تلاوته او سماعه او طلب ما يؤول اليه ظاهره من المعنى المراد به ودل هذا على بطلان التقليد ووجوب طلب الدليل وانه حظ اهل العلم وهم الخاصة وعلى العامة اتباعهم فيما فهموه منه واخبروهم به وقال القشيرى رحمه الله التدبر اثارة المعانى بغوص الافكار واستخراج جواهر المعانى بدقائق الاعتبار وقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اى ولو لم يكن كلام الله الحكيم ومنزلا من عنده وكان من كلام البشر لم يخل من ان يلحقه اختلال فى نظمه او معناه وتناقض فيما ذكر فيه لان المتعارف فى الخطيب الفصيح البليغ منا انه اذا اكثر كلامه اختل نظامه واختلفت اقسامه خصوصا اذا تطاولت فى تفاريق كلامه ايامه وقيل لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فيما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن اشياء تكون وتظهر بخلافه كما يقع ذلك فى كلام كهنتهم ولما ظهر جميع ما اخبر عنه ثبت انه من عند الله الصادق الحكيم فاما اختلاف القراآت فكلها بايته واما اختلاف الايات الناسخة والمنسوخة فان كل حكم كان فى غير زمان الحكم الاخر فلم يكن اختلافا واما اختلاف العلماء فى احكام منها مع رجوعهم جميعا الى المتعلق بها فذلك اختلاف فهم لا اختلافه وهو كقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وذلك لا يوجب اختلافا فى التورية وكقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف فيه الا الذين اوتوه ولم يوجب ذلك اختلافا فى الدين وما يتعلق الملحدة به من ايات يدعون فيها الاختلاف فقد تقصى عنه اهل الحق وتجدها مشروحة فى كتابنا هذا فى مواضعها ان شاء الله تعالى وقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به هذه الاية والتى قبلها فى المنافقين ايضا يقول اذا اتى المنافقين خبر من السرايا التى بعثها النبى صلى الله عليه وسلم وخبر خوف لهم افشوه وقد ذاع ذيوعا واذاعه غيره اذاعة واذاع به ايضا وشاع كذلك وانما عد التعدية وهو انتشار الامر وظهوره بين الناس وانما ذمهم بذلك لانهم كانوا يتسارعون الى نشره قبل تحققه والعلم بتفصيله لتختلف التاويلات من سامعيه وفيه وقوع الفتنة نحو ان يقع الخبر ان غلبوا العدو فاذا انتشروا ان الامر قد تم تخلف المدد وربما يحتاج اليه او يقع نوع وهن فاذا انتشروا ان العدو وقعت على المؤمنين الكلمة جبن الاتون عن الخروج وقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول اى تركوه حتى يخبرهم الرسول وهو حقيقته لانه يخبر عن الله بما هو الصدق وقوله تعالى والى اولى الامر منهم اى امراء السرايا ليخبروهم عن عيان وهو على وجهه وتمامه وقوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم اى لوصل الحقيقة علمه الذين يستخرجون الخبر من امراء السرايا والاستنباط الاستخراج والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ما تحفر وانبط فلان واستنبط اى استخرج هذا الماء والنبط جيل من الناس سموا به لاختصاصهم باستخراج العيون والابار وقيل لانهم استخرجوا من ارضهم الى غيرها وقيل ولو ردوه الى الرسول اى رجعوا اليه فى الاستخبار والى اولى الامر اى الذين يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويلون امره كالخلفاء الراشدين الاربعة وكبار الصحابة لعلمه المستنبطون اى الباحثون بالسؤال عن النبى صلى الله عليه وسلم وقوله منهم للتبعيض اى بعض كبار الصحابة علموا ذلك بالبحث ثم اخبروا الناس عن حقيقته وقوله تعالى اذاعوا به هذا وصف المنافقين بالارجاف وهو كقوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة الاية وقيل معنى الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فالمذكور فى اخر الاية يلحق بهذا الموضع معنى وقوله تعالى اذاعوا به اى نشروا كله يعنى اذا كان الخبر سارا للمؤمنين ذكروا بعضه نفيا للتهمة ولم يبينوا تمامه كراهة الخبر لاهل الايمان والمعرفة واذا كان الخبر محزنا نشروا كله تحزينا للمؤمنين بالشدة والنكبة وهو كقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايها المخلصون وقوله تعالى لاتبعتم الشيطان الا قليلا اى فى اذاعة الخبر وقيل هو العموم وهو متابعة الشيطان فى الكفر والمعاصى وقوله الا قليلا قيل هو متصل بقوله عز وجل اذاعوا به اى افشوه الا قليلا وقيل هو متعلق فى موضعه لاتبعتم الشيطان الا قليلا وهذا اشكل لو حمل على مطلق الفضل والرحمة لانه يصير تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا لا يتبعونه بدون فضل الله ورحمته وهذا لا يستقيم لانه لا عصمة الا بالله لكن تاويله لولا فضل الله بارسال محمد ورحمته بانزال القرآن لاتبعتم الشيطان الا قليلا لا يتبعونه بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وبحيرا الراهب وورقة بن نوفل وسيف بن ذى يزن

واخرين

واخرين وقيل الا قليلا منهم الاطفال ومن لم تبلغه الدعوة وقوله تعالى فقاتل فى سبيل الله الفاء الوصل بقوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب وقيل للوصل بقوله وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ذكرهما الزجاج وقيل الوصل بقوله واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به فقاتل فى سبيل الله ولا تلتفت الى صنيعهم وقوله تعالى لا تكلف الا نفسك اى لا نلزمك الكلفة فى الجهاد يا محمد الا نفسك فاخرج فان لم يساعدك احد ولا شىء عليك بتخلفهم وهو كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء ولا تعذر انت بتقاعدك وحدك وقال القشيرى رحمه الله اى اشتغل بنفسك بتسليم الكل منك الى امرنا فانك لا يقارنك احد فى رتبتك لعلوك على الكل لا تكلف غيرك بمثل ما تكلف ولا تصرف سواك فيما تصرف لانفرادك عن اشكالك وتوحدك عن امثالك وقوله تعالى وحرض المؤمنين اى حثهم على الجهاد بذكر الثواب والعقاب او بما فيه من اعزاز الدين وذب الاعداء عن حوزة المسلمين او بوعد النصرة والغنيمة والتمكين او بما ذكر بعده وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله واجب لانه اطماع والكريم اذا اطمع انجز والكف المنع والباس فى الاصل المكروه ثم يوضع موضع الحرب قال الله تعالى ولا ياتون الباس الا قليلا وكان جبنهم لشدة باس الكفار فامر بالتحريض بهذا الاطماع وقوله تعالى والله اشد باسا واشد تنكيلا اى باس الله الذى يوقعه بالمخالفين امره اشد وتنكيله اى تعذيبه كذلك وهو الابلاغ فى العقوبة على وجه يقع له نكول الغير عن مثل تلك الجناية ويجوز ان يكونا جميعا فى الدنيا ويجوز ان يكون احدهما فى الدنيا والاخر فى العقبى وقيل فى قوله ثلاثة اوجه احدها ان معناه ان عذاب الله اشد من جميع ما ينالكم فى قتالهم لان مكروههم منقطع ثم يصيرون الى الجنة وما يصل الى المنافقين والكفار من عذاب الله يدوم ولا ينقطع والثانى ولما كان العذاب اشد هو اولى ان يخاف ولا يجرى فى امره بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد والثالث ولما كان عذاب الله اشد تهويلهم عنكم ويكفيكم امرهم وهذا وعد وقال الكلبى لما التقى النبى صلى الله عليه وسلم وابو سفيان يوم احد وكان منهم ما كان رجع ابو سفيان الى مكة وواعد النبى صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى وهو سوق يقوم فى ذى القعدة فلما جاء الميعاد قال النبى صلى الله عليه وسلم للناس اخرجوا الى العدو فكرهوا ذلك فنزلت هذه الاية فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر خطيبا وقال فى خطبته لا ابالى من نصرنى ومن خذلنى بعد ما قال الله لى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا ثم نزل ولبس السلاح وخرج واتبعه سبعون راكبا حتى اتى موسم بدر وكف الله باس الذين كفروا ولم يواف ابو سفيان ولو لم يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم احد لمضى بنفسه حين قال تعالى لا تكلف الا نفسك وقد بينا تلك القصة عند قوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها فى تحريض المؤمنين على الجهاد يكن له نصيب منها لان الدال على الخير كفاعله وقيل اى يشفع الى الاغنياء فى تجهيز الغزاة الفقراء يكن له حظ من ثواب ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا وقيل من يشفع الى غيره فى عفو عما يصح العفو او فى صلح او فى قضاء حاجة فله فيها ثواب قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من افضل الشفاعات ان يشفع بين اثنين فى نكاح وقال النبى صلى الله عليه وسلم اشفعوا توجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما يشاء وقوله تعالى ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وهى فى تجبين المؤمنين على الجهاد على مقابلة القول الاول فيقول لهم اولادك صغار فارحمهم ونفسك ضعيفة والطريق بعيد وفى العدو كثرة وفى المال قلة ونحو ذلك يكن له حظ من الوبال والكفل الحظ كالنصيب وغاير بينهما البلاغة وقيل الكفل المثل وقيل هو الجزء المضموم الى العمل من الكفالة وهى ضم ذمة الى ذمة فى الضمان بالمال وضم الزمام الى الزمام فى الضمان بالنفس وقيل الشفاعة السيئة شفاعة بعض المنافقين الى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض فى الاستئذان بالتخلف عن الجهاد وقيل هى الشفاعة الى ظالم فى معونة على ظلم او ابطال حق او ترك اقامة حد واصل الشفاعة هو ضم نفسه الى صاحب الحق ليجتمعا على مسئلة الحاجة من المشفوع اليه وهو ماخوذ من الشفع والشفعة سميت بها لانها شفع ملك وقال مقاتل هو الشفاعة الى الله تعالى بدعاء الخير وبدعاء الشر وروى ابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب قالت الملائكة امين ولك بمثله وفى حق الدعاء بالشر هو كاللعنة اذا لم تصادف محلها رجعت الى صاحبها وقوله تعالى وكان الله على كل شىء مقيتا اى مقتدرا قال الزبير بن عبد المطلب • وذى ضغن كففت النفس عنه • وكنت على مساءته مقيتا • وقيل اى حافظا وقيل اى شاهدا اى يعلم من يشفع فى حق ومن يشفع فى باطل ويحفظ عليه عمله ويجازيه على وفقه وقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الموافق للنظم قول بعض اهل العلم اذا سلم عليكم فى اسفاركم للجهاد وهو تحية الاسلام فاجيبوا باحسن منها اى بالزيادة على السلام بذكر الرحمة والبركات او ردوها بمثلها واحملوا صاحبها على صاحب الحال من الاسلام ولا تقتلوه وهو كما قال فى هذه السورة بعد هذا بايات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقيل هى عامة فى السلام ولما امر بمعاملة المنافقين بما امر امر بمعاملة المخلصين بالشفاعة الحسنة الى غيره وبتحية السلام من نفسه واذا حييتم اى سلم عليكم فان التحية فى ديننا بالسلام فى الدنيا والاخرة قال تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام

والتحية تفعلة من حيى يحيى تحية وكانت تحية العرب عند اللقا حياك الله اى اطال حيوتك ونقل ذلك
فى الاسلام الى السلام وبقى الاسم كذلك وقوله فحيوا باحسن منها اى بالزيادة عليكم السلام ورحمة الله وبركاته
وقوله او ردوها اى اجيبوها بقدرها عليكم السلام هذا القدر فرض والاول فضل وبين النبى صلى الله عليه وسلم
ان فى السلام عشر حسنات وفى ضم الرحمة اليه عشرين حسنة وفى ضم البركات اليها ثلاثين حسنة وقال القشيرى
رحمه الله عليهم حسن العشرة واداب الصحبة وان من حياك تفضلا فما زاد فى ذلك منك له فرضا فان زدت فى فعله
والا فلا ينقص عن مثله وقال الحسن اتى رجل فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله ثم جا اخر وقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم جا اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبى صلى الله عليه وسلم
وعليكم فقيل يا رسول الله زدت للاول والثانى وقلت للثالث وعليكم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الاول
سلم وابقى من التحية شيا فرددت عليه باحسن منها وكذلك الثانى وان الثالث جاء بالتحية كلها فرددت عليه
مثلها وعن جابر فى تاويل هذه الاية واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها على اهل الاسلام او ردوها بمثلها على اهل
الشرك وكذا قال الكلبى وعطا والحسن والضحاك ان المثل فى حق اهل الذمة لا يزاد عليه وروى ابو هريرة رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فان بدؤكم فقولوا وعليكم وقوله تعالى
ان الله كان على كل شىء حسيبا اى محاسبا والفعيل فى معنى المفاعل كالشريك والخليط والنديم والقرين
والجليس يحاسبكم على اعمالكم ويجازيكم عليها وقال مجاهد اى رقيبا وقال ابو العالية اى حفيظا وقيل اى كافيا
وقد احسبنى الشىء اى كفانى وقال تعالى عطاء حسابا وقوله تعالى الله لا اله الا هو فهو الحسيب وحده والمغيث
وحده لا حسيب غيره ولا مغيث غيره ووجه اخر انه ذكر فى الايات المتقدمة مقالات اليهود والمنافقين وهى كفر
فتقدذكر عقيبها هذه الكلمات وهى شهادة التوحيد كما فى مواضع من القران ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
الاية والهكم اله واحد لا اله الا هو والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحى القيوم فانصرنا على القوم الكافرين
الم الله لا اله الا هو فقالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وقيل هى اساس لما بعده فما لكم فى المنافقين
فئتين لان الفاء للوصل يعنى هو الله لا اله الا هو وهو الذى يجمعكم يوم القيمة فاياه فاخشوا دون المنافقين
وقوله تعالى ليجمعنكم اللام فى اوله والنون فى اخره للقسم وقوله تعالى الى يوم القيمة قال النابغة
فلا تتركنى بالوعيد كاننى . الى الناس مطلى به القار اجرب . اى فى الناس وقيل اى ليجمعنكم فى القبور الى يوم القيمة
وهى غاية ويوم القيمة يوم القيام من القبور الى ارض المحشر قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
وقيل هو يوم القيام فى موقف الحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله تعالى لا ريب فيه اى لا شك فى كونه
وفيه كلام ذكرناه فى اول سورة البقرة وقوله تعالى ومن اصدق من الله حديثا استفهام بمعنى النفى وهو كقوله
ومن اصدق من الله قيلا اى لا اصدق من الله فيما قال وخبر وحدث فثقوا بما قال ليجمعنكم وغير ذلك وقوله تعالى
فما لكم فى المنافقين فئتين قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت الاية فى اربعين او خمسين رجلا من اهل
مكة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة مع طائفة وتخلفت طائفة بسبب المال والولد انزل
الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا فاراد المتخلفون ان يهاجروا فمنعهم مشركوا
مكة بالسيف فمنهم من افتدى بماله وهاجر ومنهم من خاف على نفسه وماله ولم يهاجر حتى انزل الله الم احسب الناس
الاية فهاجر المنافقون الا خمسين او اربعين لم يهاجروا فانزل الله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
الاية فبعث النبى صلى الله عليه وسلم هذه الاية الى مكة فلم يهاجروا حتى كانت وقعة بدر فاخرج المشركون هولاء الاربعين
او الخمسين مع انفسهم ليقاتلوا المسلمين اما لانهم لم يعلموا باسلامهم او علموا فاكرهوهم على موافقتهم فلما راوا شوكة
الكفار وضعف المسلمين ارتابوا فقالوا غر هولاء دينهم فارتدوا وقاتلوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وانزل الله الملائكة
مددا للمسلمين فقتلوا هولاء القوم كما قال تعالى الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ولما انتهى الامر بالمسلمين الى هولاء
وعرفوهم اختلفوا فيهم فقال بعضهم كانوا مومنين اكرهوا على الخروج وقال بعضهم كانوا منافقين فنزلت الاية
فما لكم فى المنافقين فئتين وقال زيد بن ثابت رجع قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد فاختلف
الناس فرقتين فنزلت هذه الاية وقال مجاهد هم نفر خرجوا من مكة حتى قدموا المدينة زعموا انهم مهاجرون ثم
ارتدوا بعد ذلك فاستاذنوا النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة لياتوا ببضائع لهم ليتجروا فيها فاختلف فيهم المومنون
فقائل هم المنافقون وقائل هم المومنون فبين الله تعالى نفاقهم وامر بقتالهم فجاوا ببضائعهم يريدون هلال بن عويمر
الاسلمى وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف وهو الذى حصر صدره ان يقاتل المومنين او يقاتل قومه
فدفع الله عنهم بانهم يومون هلالا وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقال سعد بن معاذ خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس فقال من لى بمن يوذينى فقام سعد بن معاذ فقال ان كان منا من الاوس قتلناه وان كان
من الخزرج امرتنا فاطعناك فقام سعد بن عبادة فقال ما لك يا ابن معاذ طاعة رسول الله وقد عرفت ما هو منكر

اى فى يوم القيمة

فقام

فقام محمد بن مسلمة فقال اسكتوا ايها الناس ما كان فينا رسول الله وهو يامرنا فانزل الله هذه الاية وقال الكلبى
هاجر ناس من قريش فقدموا المدينة فاسلموا ثم ندموا وارادوا الرجعة الى مكة فاجتووا المدينة فخرجوا فقال لهم المسلمون
ما تريدون قالوا اجتوينا المدينة فخرجنا نتنزه نصيد فجعلوا يتحولون منقلة منقلة حتى تباعدوا عن المدينة
ثم لحقوا وقد قطعوا ارضا بعيدة من المدينة فلحقوا بمكة وكتبوا كتابا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذى
فارقناك عليه من التصديق بالله ورسوله ولكنا اشتقنا الى ارضنا واجتوينا المدينة ثم انهم ارادوا ان يخرجوا
فى تجارة نحو الشام فاستبضعهم اهل مكة فقالوا انتم على دين محمد واصحابه وان لقوكم فلا باس عليكم منهم فبلغ ذلك
المسلمين فقال بعضهم ما يمنعنا ان نخرج الى هولاء فنقتلهم ونأخذ ما معهم وقال بعضهم سبحان الله تقتلون قوما
على دينكم ان لم يذروا ديارهم واموالهم وقرارهم فقد حلت دماؤهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا ينهى واحدا
من الفريقين حتى نزلت هذه الاية وهى قوله تعالى فما لكم فى المنافقين فئتين اى اى شىء لكم استفهام بمعنى الانكار
فئتين اى فريقين نصب على الحال او هو نصب على التمام وقيل على القطع وقيل هو على اضمار كنتم او صرتم فما لكم فى
المنافقين كلام تام فكان ما بعده ذلك على الوجوه التى قلنا وهو كقولك ما لك واقفا ونظيره فى القران فما ل
الذين كفروا قبلك مهطعين وسماهم منافقين بعد اظهارهم الكفر بمكة لنفاقهم بالمدينة وخفاء حالهم على المسلمين
وقوله تعالى والله اركسهم بما كسبوا قال ابن عباس رضى الله عنهما اى ردهم وقال الزجاج نكسهم وقال قتادة
اهلكهم وفى اللغة ركسه واركسه اى رده الى الحالة الاولى وقال امية بن ابى الصلت . فاركسوا فى جحيم النار انهم
كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا . ومعنى الاية والله ردهم الى الكفر وقيل ردهم الى احكام الشرك فى اباحة اموالهم
ودمائهم والنهى عن موالاتهم وغير ذلك وقوله تعالى اتريدون ان تهدوا من اضل الله استفهام بمعنى الانكار
وقوله تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى طريقا يسلكه غير الطريق الذى قضى له به وقيل اى دينا يجوز
ان يعتقد وقيل اى طريقا الى الهدى قاله السدى وقيل اى طريقا الى الجنة وقال الزجاج اى طريقا الى الحجة وفى قوله
والله اركسهم بما كسبوا وقوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله حجة اهل السنة فى مسئلة خلق الافعال انه من الله وحقيقة
الفعل من العباد وقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء لو كلمة تمنى وانما لم ينصب
فتكونون لانه عطف لا جواب وهو كقوله ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم اى تمنى
هولاء ان تكفروا انتم فتستووا انتم فى الكفر المبيح للقتل والسبى وقوله تعالى فلا تتخذوا منهم اولياء
اى لا توالوهم ما داموا على الكفر الموجب للمعاداة وقوله تعالى حتى يهاجروا فى سبيل الله اى حتى يسلموا ويهاجروا
فى سبيل الله فيعودوا الى سبب الموالاة لانهم يصيرون اولياء الله فيصلح موالاتكم اياهم وقد دل اضمار الاسلام
قوله فى سبيل الله وذلك لا يكون الا بالاسلام وهذا لانه ذكر كفرهم بقوله كما كفروا فلا يزول ذلك الا بالاسلام
ويزيد الاسلام شرط الهجرة ايضا وكانت فرضا يومئذ وقوله تعالى فان تولوا اى اعرضوا عن الاسلام والهجرة وقوله تعالى
فخذوهم الاخذ الاسر وقوله تعالى واقتلوهم حيث وجدتموهم اى فى الحل والحرم وقوله تعالى ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اى لا تتولوهم ولا تستنصروا بهم على عدوكم وقوله تعالى الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق اى يتصلون ويلتجئون الى قوم من اهل عهدكم بعهد وامان اى اذا قصدوا حضرة
النبى صلى الله عليه وسلم وتعذر الوصول اليه فالتجوا الى قوم معهم للمسلمين عهد فامنوهم فانفذوا امانهم
ولا تقتلوهم وما قاله ابو عبيد يصلون الى قوم اى ينتسبون فليس بسديد لان اكثر اهل مكة انسباء رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يثبت لهم امان والصحيح ما قلنا وقوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم
هذا استثناء حالة اخرى يامنون بها وجاؤا ماض بمعنى المستقبل لانه عطف على يصلون وهو كقوله تعالى
اتى امر الله اى ياتى يعنى والا الذين يجيئون مستامنين منكم وقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اى ضاقت
وقوله تعالى ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم وضيق صدورهم عن قتال المومنين بالقاء الله الرعب فى قلوبهم وضيق
صدورهم عن قتال قومهم انهم على دينهم فكانوا الى نهب الاموال وقوله حصرت صدورهم فى معنى الحال لكما يقال
جاء فلان ذهب عقله اى ذاهبا عقله وقال سيبويه والمبرد لا يجوز الحال بالماضى لان الحال اسم والماضى بعيد
عن شبه الاسم بخلاف المستقبل لكنه على طريق الدعاء كقوله لعنوا وقتلوا وقوله تعالى ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بان يقويهم بعد ضعفهم او بنزع الرعب عن قلوبهم بقول اذكروا منتى ولا تجعلوا احوالكم فان تجرهم عنكم
بانجازى لا بكم وقوله تعالى فلقاتلوكم عطف على سلطهم وتكرار اللام للتاكيد ولو قال فقاتلوكم لاستقام وقرا
مجاهد فقتلوكم من القتل وقرا الحسن فلقتلوكم بالتشديد للتكثير وقوله تعالى فان اعتزلوكم اى تركوا مخالطة
المسلمين لانهم اذا كان لهم قوم فالاحتياط فى ترك الاختلاط فلم يقاتلوكم قيل هو تفسير الاعتزال فان اعتزلوا عن
قتالكم وقيل فى الاختلاط خوف اطلاعهم على بواطن احوال المسلمين ووقوع ما يخاف فلذلك شرط الاعتزال
وقوله تعالى والقوا اليكم السلم اى الانقياد اى استسلموا لكم بطلب الامان وقيل بالايمان وقوله تعالى فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا اى طريقا الى القتال واستباحة الارواح والاموال قال مقاتل بن حيان الاية نزلت

في المرتدين الذين لحقوا بمكة والقوم الذين بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم ميثاق خزاعة وخزيمة وبنو مدلج كان لهم عهد ثم نسخ هذا الحكم بسورة براءة ونبذ الى كل ذي عهد عهده بقوله اقتلوا المشركين وقال الكلبي رحمه الله هم الاسلميون وكان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر عند خروجه الى مكة على ان لا يعينك ولا يعين عليك حتى ترى وترى فمن وصل الى هلال من قومه وغيرهم فلهم الامان والذين جاؤا حصرت صدورهم بنو مدلج فان اعتزلوكم هو يوم فتح مكة وقال سراقة بن مالك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلغني انك تريد ان تبعث الى قومي جيشا قال لما تريد فقال اريد ان توادعهم فان اسلم قومهم دخلوا معهم والا لم يخشن صدور قومهم عليهم فقال اصنع فذهب معه خالد فوادعهم ان اسلم قومهم دخلوا معهم ومن وصل اليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم وفيهم نزلت الا الذين يصلون الى قوم بينكم الاية وقوله تعالى ستجدون اخرين اى قوما اخرين من المنافقين وقوله تعالى يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم قال الحسن اى اذا لقوا المؤمنين قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ليامنوا قتل الفريقين اياهم وقال الكلبي هم اسد وغطفان كانوا حاضري المدينة وكانوا تكلموا بالاسلام وهم غير مسلمين وقال السدي نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بخبر المشركين وياتي المشركين بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيامنهم جميعا فامر الله نبيه بطرده وان لا يتركه يدخل عليه فيفعل وقوله تعالى كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها اى كلما دعوا الى الشرك عادوا فيه واجابوا اليه والفتنة الشرك قال تعالى والفتنة اشد من القتل والاركاس الرد الى الحالة الاولى والفاعلون الاركاس قومهم بالدعوة ويجوز ان يكون معنى اركسوا فيها وقعوا فيها من غير ان يكون لهم موقع كما يقال فلان يعجب بنفسه وقيل الفتنة ههنا هي قتالهم المؤمنين ونصرهم الكافرين وقوله تعالى فان لم يعتزلوكم اى لم يجانبوا قتالكم على التاويل الاخير وعلى تاويل الشرك فان لم يتركوا مخالطتكم بل خالطوكم في وقت وخالطوا قومهم في وقت عملا بالنفاق ولذلك قال الكلبي فان لم يعتزلوا المسلمين فيسيروا الى مكة وقوله تعالى ويلقوا اليكم السلم عطف على لم يعتزلوا اى ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح وقوله تعالى ويكفوا ايديهم عطف ايضا عليه اى ولم يمسكوا عن محاربتكم وقوله تعالى فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى في اى موضع اخذتموهم من الحل والحرم والاشهر الحرم وقوله تعالى واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اى فقد ابحنا لكم دماءهم واموالهم وجعلنا حجتكم عليهم قائمة لدوامهم على النفاق وقوله تعالى واولئكم اولاء اسم اشارة الى الجمع وكم خطاب جمع وهي في محل الاضافة وعند بعضهم اولئكم كلمة واحدة مبنية مع الكاف وكلها في موضع الرفع بالابتداء ولذلك لا تزايل الكاف ولا توصل بالهاء بحال فلا يقال اولائه واولائهم ولا بالياء والنون اولائي واولائنا ويجوز فيه الافراد والجمع في خطاب الجمع قال تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم وقال تعالى ذلكم توعظون به وقال ذلكم ازكى لكم واطهر وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق ثم قال اولئك اعظم درجة وقال ههنا اولئكم وقوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اى وما كان لمؤمن في حكم الله ان يتعمد قتل مؤمن وليس المؤمن كالكافر الذي تقدم ذكره في اباحة دمه الا خطأ اى الا ان يقع عنده انه كافر فيقتله بناء على ذلك وكان كافرا قبله قاله الامام ابو منصور رحمه الله وقد روي الاذن في اللبيات وقيل عيون الكفرة بما سبق من ظهور كفرهم وان احتمل ايمانهم فيما بين الوقتين فيكون معناه انه حرام عليكم ان من هذا وصفه قال وقيل هذا معناه وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة لكن من قتل خطأ فحكمه كذا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن كما في قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقد مر نظيره عند قوله تعالى الا الذين ظلموا منهم وقيل معناه وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا ولا يقتص منه الا ان يكون خطأ فلا قصاص فيه وقوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اى فعليه اعتاق رقبة مسلمة ذكر او انثى كفارة لذلك حقا لله تعالى وقوله مؤمنة قال الامام ابو منصور في اشتراط الايمان اختلف في معناه قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله تعالى لعبادته فاوجب مكانها نفسا مؤمنة لتعبد الله على ما عبدت تلك لكن لو كان التاويل هذا لكان يجب في العمد ما يجب في الخطأ لوجود ذلك المعنى ذلك اوجب لا لذلك لكن تغليظا وتشديدا عليه لما اتلف نفسا لم يؤذن له في ذلك لئلا يعود الى مثله ولله تعالى ان يوجب على من شاء ما شاء لما شاء من غير ان يقال لم وكيف والثاني انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة لم يجب عليها القصاص فاوجب عليها مثلها رقبة مؤمنة وقوله تعالى ودية مسلمة الى اهله الدية بدل النفس واصلها الودية كالعدة اصلها الوعدة وقد وداه يديه دية اى ادى ديته فالدية اسم للمال واسم المصدر ايضا وهي عشرة الاف درهم او الف دينار او مائة من الابل واصلها على القاتل وتتحملها العاقلة تخفيفا عليه وهي في ثلاث سنين وتفسيرها في الفقهيات وقد وضحناها في حصايل المسائل وقوله الى اهله اى اولياء المقتول وهم ورثته وقوله تعالى الا ان يصدقوا اصله يتصدقوا ادغمت التاء في الصاد ومعناه الا ان يبرئ الاولياء القاتل والعاقلة عنها وهو كقوله تعالى وان تصدقوا خير لكم في اية الربوا وهو الابراء عن اصل المال والعفو وكذلك قوله فمن تصدق به فهو كفارة له اى عفى عن ذلك وقوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن اى فان كان المقتول من قوم اعداء لكم فالعدو جمع كما في قوله هم العدو لانه في صيغة المصدر كالقبول فيصلح للواحد والجمع كالعدل والضيف وهو مؤمن المقتول مؤمن يعني اذا اسلم

الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم فلا قصاص فيه ولا دية وفيه الكفارة لا غير وهو قوله فتحرير رقبة مؤمنة والشافعي رحمه الله حمل الاية على مؤمن اختلط باهل الحرب في دار اهل الحرب فاصابه لا بعينه بالاختلاط باهل الحرب اسقط حق نفسه وقلنا هذا لا يستقيم لانه تعالى قال من قوم عدو لكم وذلك لا يكون منهم بل يكون فيهم فالحمل الصحيح قلنا وهو قول المفسرين وقوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اى ان كان المقتول ذميا من اهل ذمة او موادعة فله عصمة بالاحراز بالدار فدية مسلمة الى اهله دل ان دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا وقوله تعالى وتحرير رقبة مؤمنة اى وفيه الكفارة ايضا وقوله تعالى فمن لم يجد اى الرقبة المؤمنة وقوله تعالى فصيام شهرين متتابعين اى فعليه ذلك بدلا عن التحرير وقوله تعالى توبة من الله اى تخفيفا منه كما قال علم ان لن تحصوه فتاب عليكم واصل التوبة الرجوع فالمذنب يتوب الى الله اى يرجع اليه بالندامة والتوبة من الله اعادته الى الحالة الاولى والتخفيف عليه كذلك وقيل ان الكفارة توبة للعبد وهي مشروعة من الله على العبد وقوله تعالى وكان الله عليما اى عالما بالقاتل انه عامد او مخطئ وعالم بتكفيره انه ينوي به التوبة او الاصرار وقوله تعالى حكيما في شرع هذه الاحكام قال عياش بن ابي ربيعة المخزومي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة فتحصن في دار فجزعت امه جزعا شديدا وهي اسماء بنت مخرمة وقالت لابنيها ابي جهل والحارث ابني هشام والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما حتى تاتوني به فخرجا في طلبه مع الحرث بن يزيد حتى اتوا المدينة وقالوا لعياش ان امك لم يؤوها سقف بعد بعدك وحلفت ان لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك علينا ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه نزل اليهم فاوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فقالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه مطروحا موثقا في الشمس ما شاء الله ثم انه اعطاهم الذي ارادوه منه فاتاه الحرث بن يزيد فقال له يا عياش هذا الذي كنت عليه لئن كان الهدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم ان الحرث اسلم بعد ذلك وهاجر ولم يشعر عياش باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فحمل عليه فقتله ونزلت الاية وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا اى قاصدا قتله لايمانه وهو كفر وقيل اى قتله مستحلا لقتله وهو كفر ايضا وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها موجزا وتلوحا زاه لكنه يتفضل ولا يخلده فيها لايمانه وقيل التخليد ليس هو التابيد بل هو تطويل البقاء فيها فانه لم يقل فيها ابدا وفي كل موضع ذكر الخلود مع الابد فهو التابيد وقيل نزلت الاية فيمن قتل وارتد مع ذلك قال ابو روق نزلت الاية في مقيس بن صبابة وذلك ان اخا له هشاما اسلم وهاجر الى المدينة فقتله بنو النجار خطأ فجاء مقيس يطلب ديته وتكلم بالاسلام فبعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من فهر الى بني النجار يامرهم ان يؤدوا ديته الى اخيه فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فدفعوا الى مقيس مائة من الابل دية اخيه فانصرف مقيس والفهري حتى اذا قربا من المدينة اتاه الشيطان فوسوس اليه اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فتكون عليك سبة اقتل الفهري نفسا بنفس ولك الدية فرماه بصخرة فقتله وركب بعيرا واستاق الابل فارتد راجعا الى مكة وقال في ذلك ابياتا منها شعر قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع * فادركت ثاري واضطجعت موسدا * وكنت الى الاوثان اول راجع * فذلك قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم بقتله خالدا فيها بكفره وقوله تعالى وغضب الله عليه ولعنه اى انتقم منه وطرده من رحمته فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقيل غضب الله عليه لقتله بعد اخذ الدية ولعنه بقتله غير قاتل اخيه وقوله تعالى واعد له عذابا عظيما لاجترائه على الله وقال القشيري رحمه الله كما يحرم قتل غيرك عليك كما يحرم قتل نفسك عليك ومن اتبع هواه سعى في دم نفسه ومن لم ينصح مريدا بحسن وعظه ولم يعنه بهمه فقد سعى في دم نفسه فهو ماخوذ بحاله وحقيق بان تكون عقوبته الابدية ان لا يستمتع بما مني به على المريدين من احواله ولقد قال الله تعالى يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا اى سرتم في طريق الغزو فتانوا في قتل من تقتلونه وفي قراءة حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت وفي قراءة الباقين فتبينوا من البيان وهو العلم اى لا تعجلوا وتاملوا لتعلموا وانتظموا بما [illegible] انها امر بالتثبت لئلا يقع قتل عمدا او خطأ فيما لا يجوز وذكر من وقع له ذلك قصة واختلف في هذه الاية واختلفت الروايات فيه وقال محمد بن اسحق نزلت في محلم بن جثامة كان خارجا في غزاة فمر به عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له فحياهم بتحية الاسلام وكانت بينهما احنة في الجاهلية فقتله محلم واخذ ماله فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ودى عامرا وقال اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثم والله ما استكمل سبعا حتى مات ودفن فلفظته الارض حتى اضجع بين جبلين ورضموه بالحجارة ثم دفن فلفظته الارض ثلاث مرات فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله تعالى اراد ان يريكم العبرة ونزلت الاية وقال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية وامر عليهم غالب بن عبد الله الليثي فلما اصبحوا راوا رجلا يقال له مرداس بن عمرو بن نهيك العبسي

من بني تميم بن مرة من اهل فدك ومعه غنيمة له فلما راى الخيل ساق غنمه حتى احرزها في الجبل وكان اسلم من الليل
واخبر اهله بذلك فلما دنى امية كبر واسمع التكبير منهم فعرفهم فنزل اليهم وقال سلام عليكم اني مؤمن فحمل عليه
اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي فقال مرداس اني معكم اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
فطعنه اسامة برمحه وقتله واخذ سلبه وساق غنمه وقدم المدينة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فلامه
وقال اقتلته وهو يقول لا اله الا الله فقال يا نبي الله انما قالها تعوذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه فقال
يا رسول الله لو شققت هل وجدت الا دما عبيطا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبر بلسانه عما في قلبه فقال يا رسول الله
استغفر لي قال وكيف لك بلا اله الا الله قالها ثلاثا واستغفر له في الرابعة وقال اسامة في نفسه لوددت اني لم
اولد الا ذلك اليوم وفي رواية وددت اني لم اسلم الا ذلك اليوم اي وددت ان هذه الحادثة وقعت لي في الجاهلية
لا في الاسلام وامره برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة ونزلت الاية وقال سعيد بن المسيب خرج المقداد في سرية
فمروا برجل في غنيمة له فقال اني مسلم فقتله المقداد واخذ غنيمته فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قتله وهو مسلم فقال لما المقداد ود لو فر باهله وماله فنزلت الاية وقوله تعالى **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام**
لست مؤمنا قرا نافع وابو عمرو وحمزة السلم بغير الف وهو الاستسلام والباقون بالالف وهو تحية الاسلام
وقوله تعالى **تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة** اي تطلبون متاع الدنيا وعند الله اجر عظيم
وقيل اي عند الله غنائم كثيرة فاطلبوها من حيث اذن لكم واباح لكم وقوله تعالى **كذلك كنتم من قبل** قيل ان اسامة
قال ان كان هذا مسلما فلم اقام بين الكفار فقال تعالى انكم كنتم تفعلون كذلك وقيل اي كذلك كنتم كفارا من قبل هذا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كذلك كنتم من قبل كفارا تقاتلون على عرض الدنيا وقوله تعالى **فمن الله عليكم** اي انعم عليكم
بالاسلام حتى اظهرتم الايمان وقال سعيد بن جبير كذلك كنتم تخفون ايمانكم من قومكم بمكة فمن الله عليكم بالهجرة
حتى اظهرتم الايمان وقوله تعالى **فتبينوا** كرر الامر به تاكيدا في الوعظ وقوله تعالى **ان الله كان بما تعملون خبيرا**
اي لا يخفى عليه اضماركم واظهاركم وهو يجزيكم على مثله وقوله تعالى **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير**
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم ولما امروا بالتثبت في الجهاد خاف بعضهم
ما يقع في الجهاد من ذلك فكان يعزم على ان لا يخرج فنزلت هذه الاية تحثا لهم على الجهاد وقال زيد بن ثابت كاتب الوحي
كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله
فجاء عبد الله بن ام مكتوم فقال يا رسول الله اني احب الجهاد في سبيل الله ولكن بي الزمانة ما قد ترى وذهاب بصري
قال زيد فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى خشيت ان ترضها فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله قال زيد انزلها الله تعالى وحدها فالحقتها والذي نفس محمد
بيده فكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف الذي كنت اكتب فيه وغير اولي الضرر قراه نافع وابن عامر والكسائي
نصبا على الاستثناء وعلى الحال والباقون رفعا على النعت والضرر الزمانة والضرير الزمن وهو الاعمى والاشل ونحوهما
نفت الاية نفي المساواة بين القاعد وهو المتخلف عن الجهاد وبين الخارج للجهاد في الدرجة والثواب ثم استثنى اولي
الضرر من القاعدين ليس لالحاقهم في الدرجة والثواب بالمجاهدين فان العذر لاسقاط الحرج والتكليف لا غير ولكن معناه
انه تحريض على الجهاد والاستثناء لبيان انهم غير مرادين بالتحريض لا انهم كالمجاهدين في الاثابة والتفضيل قال تعالى
ليس على الاعمى حرج الاية وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة**
وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله الجنة كل المؤمنين المجاهدين والقاعدين بعذر والقاعدين بغير عذر
وهذا لان الجهاد فرض كفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين وقوله تعالى **وفضل الله المجاهدين على**
القاعدين اي بغير عذر وقوله تعالى **اجرا عظيما** ثم فسره بما بعده وهو قوله تعالى **درجات منه** قال النبي صلى الله
عليه وسلم هي سبعون درجة من الدرجة الى الدرجة جري الفرس المضمر سبعين سنة وقوله تعالى **ومغفرة ورحمة**
عطف على درجات وقوله تعالى **وكان الله غفورا رحيما** وقيل في قوله لا يستوي القاعدون الاية استثنى القاعد
بعذر والحقه بالمجاهد بالثواب لتحسره على ما فات ويدل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج
المساكين وقوله الصلوة قربان كل تقي ثم ذكر في الاية مرة درجة ومرة درجات وحاصله ان الله فضل المجاهدين
على القاعدين بعذر بدرجة والمجاهد على القاعد بغير عذر درجات وقال القشيري رحمه الله الحق سبحانه وتعالى
جمع اولياءه في الكرامات لكنه غاير بينهم في الدرجات فمن علي وعلي اعلى منه ومن كبير وكبير اكبر منه فالكواكب
منيرة ولكن القمر فوقها واذا طلعت الشمس بهرت جميعها بنورها وقوله تعالى **ان الذين توفاهم الملائكة**
قال الفراء ومحمد بن يزيد هو مستقبل واصله تتوفاهم اسقطت احدى التاءين تخفيفا وقيل هو ماض والتوفي
قبض الروح والملائكة ملك الموت واعوانه او هو وحده وذكر باسم الجمع تعظيما له كما يسمى جبريل بذلك وحده
في قوله فنادته الملائكة وهو قابضهم وقوله تعالى **ظالمي انفسهم** هو حال المقبوضين والنون سقطت للاضافة
وظلمهم انفسهم هو ترك الهجرة ثم الردة **قالوا فيم كنتم** اي قالت الملائكة لهؤلاء الاربعين او الخمسين الذين

غلقوا

غلقوا بمكة ولم يهاجروا ثم قتلوا ببدر وقد مرت قصتهم في قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين فيما ذا كنتم
اي في اي امر كنتم فشغلكم عن الهجرة والجهاد **قالوا كنا مستضعفين في الارض** اي في ارض مكة اي كان
اهل مكة يقهروننا وقوله تعالى **قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها** اي قالت لهم الملائكة الم تكن
ارض المدينة امنة واسعة الرزق فتهاجروا اليها وهذا استفهام بمعنى الاثبات وهو رد عليهم عذرهم ثم هذا
الخطاب والجواب في حال سكرات الموت وان كان لا يجري بين المحتضر وسائر البشر فانه جائز بينه وبين
الملائكة لانه ليس يشغلهم شغل عن غيرهم بجوز شغله بهم وقال الامام ابو منصور رحمه الله يقولون لهم هذا في
الاخرة ويجوز ان يكون في القبر فقد ذكر هذا بعد التوفي ودل ذلك على سؤال القبر وقال القشيري رحمه الله
الاشارة منه الى ان من ادركه الاجل وهو في اسر نفسه ورق شهواته ليس له عذر حيث لم يهاجر الى محل قربه
ليتخلص من هوى نفسه اذ لا حجاب بينك وبين هذا الحديث الا هواك وقوله تعالى **فاولئك ماويهم**
جهنم وساءت مصيرا قال مقاتل هم نفر اسلموا بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة
وقيس بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة وعمرو بن امية بن سفيان بن امية
بن عبد شمس والعلاء بن امية بن الخلف ثم انهم قاموا فلم يهاجروا وخرجوا مع المشركين الى قتال بدر فلما
راوا قلة المؤمنين شكوا في النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا غر هؤلاء دينهم فلما قتل هؤلاء ببدر قالت لهم
الملائكة وهي ملك الموت وحده فيم كنتم اي في اي شيء كنتم قالوا كنا مستضعفين مقهورين بارض مكة
لا نطيق ان نظهر الايمان قالت الملائكة الم تكن ارض الله واسعة من الضيق فتهاجروا اليها وقال عمرو بن عطا
المدني ولما نزل هذا الوعيد قال المسلمون هلك اخواننا الذين بمكة فنزل قوله تعالى **الا المستضعفين**
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة اما الضعف في البدن او عدم في الزاد والمركب
وقوله تعالى **ولا يهتدون سبيلا** اي لا يعرفون طريقا ولا يجدون من يهديهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما
لما نزلت هذه الاية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة الليثي الجندعي
لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق وكان شيخا كبيرا فحملوه على سرير متوجها
الى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موته فقالوا لو لحق بنا لاتم الله اجره فاعلم الله
انه لا يخيب من التمس رضاه فانزل الله فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
اجره على الله وقوله تعالى **فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم** وعسى من الله واجب لانه اطماع والكريم اذا اطمع
انجز وقوله تعالى **وكان الله عفوا غفورا** قال الحسن اي كان عفوا غفورا لعباده قبل ان يخلقهم وقيل كذلك
اجرى الله العادة في الاولين وهو العفو والمغفرة للمعذورين وكذلك يفعل بالاخرين وقيل العفو هو التخفيف
برفع الاثم عنهم وكان له ان يغلظ المحنة في التعبد عليهم وقوله تعالى **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في**
الارض مراغما كثيرا وسعة قال الضحاك اي متحولا وقال ابو روق اي متزحزحا عما يكره وقال ابن كيسان اي منقلبا
وقال يمان بن رباب اي ملجا وقال السدي اي مبتغى معيشة وقال المبرد اي مضطربا متحولا من الكفر الى الايمان
واصله من الرغام وهو التراب يعني ترغيبه غيره به وقال ابو عبيدة اي مهاجرا وكذلك القتبي وهو حقيقته فان
المراغم موضع المراغمة وهي المهاجرة على رغم من كان فيهم وقوله وسعة اي اتساع رزق وقيل اي توسعا من
تضييق الكفار عليه وقوله تعالى **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله** اي الى حيث امر الله ورسوله
وقوله تعالى **ثم يدركه الموت** عطف على الاول وقوله تعالى **فقد وقع اجره على الله** اي يحصل له الاجر بوعد الله
وهذا تاكيد الوعد فلا شيء لاحد يجب على الله من خلقه وقوله تعالى **وكان الله غفورا** يغفر له ما كان منه من القعود
الى ان خرج وقوله تعالى **رحيما** يرحمه باكمال اجر المهاجرين له وقد ذكرنا انها نزلت في جندب بن ضمرة وقيل
هو ضمرة بن جندب وقيل هو جندع بن ضمرة قال والله ما انا ممن استثنى الله واني لاجد حيلة والله لا ابيت الليلة
بمكة فخرجوا به يحملونه على سرير الى التنعيم فاشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك
وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك به رسولك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فنزلت الاية وقال
القشيري رحمه الله من هاجر في الله مما سوى الله وصح قصده الى الله تعالى وجد فسحة في عفو الكرم ومقيلا في ذرى
القبول وسعة في كنف القرب والمهاجر في الحقيقة من هجر نفسه وهواه ولا يصح ذلك الا بانسلاخه من جميع مراداته
ومن قصده ثم ادركه الاجل قبل وصوله فلا ينزل الا بساحات وصله ولا يكون محط رحله الا اوطان قربه وقوله تعالى
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة فهذا من الامور الذين يحتاجون
اليها في جهادهم يقول اذا سرتم في الارض مسافرين فلا ماثم عليكم في ان تنقصوا من اعداد ركعات الصلوة
فتصلوا الفرائض التي هي اربع ركعتين وقوله تعالى **ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا** اي ان خشيتم ان يقصد
الكفار بقتل او جرح او اخذ فهذا الخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج بظاهر الاية وعند الجمهور ليس بشرط
قال يعلى بن امية لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ما لنا نقصر وقد امنا قال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقالت عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين ثم اقرت صلوة السفر وزيدت صلوة الحضر فاما قوله ان خفتم فليس للاشتراط لكن لانه خرج على الحال لما نزلت الاية كانت كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقيل هذه الاية في نهاية القصر وهو ترك الشطر وترك الركوع والسجود والقيام بالايماء على الراحلة وذلك مقصور رخصها لذا الخوف فتوقف حكم حالة الامن على قيام الدليل وقد ورد ذلك بلفظة الصدقة وقوله تعالى **ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** اي اعداء وقد بينا انه يصلح للجمع وانما قال عدوا مبينا على اللفظ فانه للغرض في الوضع اي لعداوتهم ينتهزون الفرصة تحرزوا عنهم وقوله تعالى **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة** اي واذا كنت يا محمد في اصحابك الضاربين في الارض فاردت ان تقيم بهم الصلوة وقوله تعالى **فلتقم طائفة منهم معك** اي فاجعلهم طائفتين ولتقم احدى الطائفتين معك يفتتحون معك في الصلوة ويصلون معك ركعة تامة ولتقم الطائفة الاخرى بازاء العدو وقوله تعالى **وليأخذوا اسلحتهم** اي قطعا لطمع العدو فيهم وهذا استحباب لا ايجاب عندنا خلافا للشافعي رحمه الله وقوله تعالى **فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم** اي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو وقوله تعالى **ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك** اي ولتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو وليفتتحوا معك الصلوة وليصلوا معك الركعة الثانية وقوله تعالى **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم** اي ما يتحرزون به من العدو امر بها الطائفة الثانية كما امر به الطائفة الاولى وهذا استحباب ايضا عندنا لان اخذ السلاح ليس من افعال الصلوة فلا يكون من شرطها وقال الامام ابو منصور رحمه الله اخذ الحذر هو اخذ ما يدفعون به سلاح العدو من الترس والدرع والبنيان واخذ السلاح هو اخذ ما يقاتلون به العدو السيوف والرمح والقسي ونحو ذلك والمذكور في الاية هو صلوة طائفة ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم صلوة طائفة اخرى ركعة اخرى معه ولم يبين كيفية اتمام الطائفتين واختلف الاخبار في ذلك واختلف باختلافها العلماء فقال ابو يوسف هذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله واذا كنت فيهم وهذا خطاب له على الخصوص والمعنى انهم كانوا يتحرون فضل خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وزال ذلك حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم فانتسخ وقلنا هذا خطاب له ولكل قائم بعده لسياسة الخلق كما في قوله تعالى خذ من اموالهم ويدل عليه ان الصحابة فعلوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حتى صلى حذيفة بهم حين لقوا العدو بطبرستان وقال الحسن صلى بنا ابو موسى الاشعري كذلك ثم عندنا يصلي الامام بالطائفة الاولى ركعة فينصرف هؤلاء الى العدو وتجيء الطائفة الاخرى الواقفة بازاء العدو فيصلي بهم الامام الركعة الثانية ويقعد بهم فاذا سلم رجعوا ووقفوا بازاء العدو وتجيء الطائفة الاولى فيصلون الركعة الثانية بغير قراءة لانهم لاحقون ويسلمون وينصرفون ويقفون بازاء العدو وتجيء الطائفة الثانية فيصلون الركعة الاولى بقراءة لانهم مسبوقون كذلك رواه ابن مسعود وابن عمر وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جهينة فقاتلونا قتالا شديدا فلما صلينا الظهر قال المشركون لو ملنا ميلة واحدة لاختطفناهم ونحن تركناهم حتى صلوا وندموا على تركهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون العصر فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي العصر انزل الله هذه الاية فصلى بهم صلوة الخوف على ما قلنا والشافعي مذهب ينفرد به وللمالك كذلك وفيه اقاويل اخر شرحناها في الفقهيات وقوله تعالى **ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم** اي تمنى الكفار غفلتكم ولو كلمة تمني والاسلحة جمع السلاح وهو كل شيء يقاتل به والامتعة جمع متاع وهي الثياب ونحوها وقوله تعالى **فيميلون عليكم ميلة واحدة** اي فيحملون عليكم حملة واحدة ولم يقل فيميلوا لانه لم يرد به جواب التمني بل اراد به العطف على قوله لو تغفلون بخلاف قوله لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وقوله تعالى **ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى** اي تعب وقوله تعالى **من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم** اي لئلا يثقل عليكم حملها وقوله تعالى **وخذوا حذركم** اي تحرزوا عنهم بسائر الوجوه وقوله تعالى **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** اي اذا اخذتم حذركم لم ينفذ الله تعالى للكفار عليكم كيدا اذ هم اعداء الله وقد اعد لهم في الدارين عذابا مذلا قال ابن عباس رضي الله عنهما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني انمار وهم ببطن نخلة فهزمهم الله واحرز ذراريهم واموالهم ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون لا يرون احدا من العدو ووضع الناس اسلحتهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم لحاجة وقد قطع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي

بينه وبين اصحابه فجلس في ظل شجرة فبصر به حويرث بن حارثة الانماري المحاربي فقال له اصحابه هذا محمد قد انقطع عن اصحابه فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه قد سل سيفه فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال عليه الصلوة والسلام الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنيه بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه لزلخة زلخها بضم الزاي وتشديد اللام وندر السيف فقام النبي صلى الله عليه وسلم فاخذه وقال يا حويرث من يمنعك مني الان قال لا احد قال فتشهد ان لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه فقال والله لانت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع الى اصحابه فقالوا له ويلك لقد رأيناك قائما على راسه بالسيف فما منعك منه قال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله لا ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وخر السيف من يدي ناحية وذكر ما كان منه ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه فاذا هم جميع فقرأ عليهم هذه الاية ولا جناح عليكم الى قوله وخذوا حذركم اي من عدوكم وقوله تعالى **فاذا قضيتم الصلوة** قيل اذا فرغتم منها **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** اي بكل حال وهو الذكر باللسان والدعاء بالنصر في حال ملاقاة العدو وهو كما قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقيل اي واذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود وقوله تعالى **فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة** قيل اذا اسكنتم بزوال الخوف فاتموا الصلوة بطائفة واحدة وقيل اذا اطمأننتم بالصحة فاتموا بالقيام والقعود والركوع والسجود وقيل اذا اقمتم فاتموا ولا تقصروا وقوله تعالى **ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** الكتاب الفرض وهو مصدر في معنى المفعول والموقوت الموقت وقد وقته يقته ووقته بالتشديد يوقته توقيتا يعني ان الصلوة فريضة من الله مفروضة لاوقات معلومة كلما مضى وقت صلوة واحدة جاء وقت صلوة اخرى ليست كالصوم الذي هو مفروض في السنة مرة والحج الذي هو في العمر مرة واحدة وذلك لنا لكيلا ننساها ونجلي تدبرها وقوله كانت دليل على ان الصلوة كانت مفروضة على الامم السالفة كلها وقوله على المؤمنين دليل على ان الكفار غير مخاطبين بالشرائع وقال القشيري رحمه الله الوظائف الظاهرة موقتة ومشاهدات القلوب مؤبدة والرسوم في وقت دون وقت واما القلوب فاياكم والغيبة عن الحقيقة لحظة ما اختلفت بكم الاحوال واما الذكر فكيف كنتم وكما كنتم واما اقامة الصلوة فاذا اطمأننتم وقوله تعالى **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** اي لا تضعفوا في طلب العدو وفي مكافاتهم نزلت في اهل احد وقد بينا ذلك في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وقوله تعالى **ان تكونوا تألمون** اي توجعون وقوله تعالى **فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون** اي تاملون الحبوة الباقية بالشهادة والرزق الدائم في الاخرة والظفر والنصرة في الدنيا وهم لا يأملون ذلك وقيل معناه وتخافون من الله ما لا يخافون من قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة وانما قام الرجاء مقام الخوف لان ما يرجى كونه يخاف فوته وقيل لا يستعمل الرجاء في معنى الخوف الا على النفي واما على الاثبات فلا وقيل يجوز ذلك قال نابغة شعر • توكل على الرب الكريم وثق به • اذا نابك امر مفظع لك رائع • فلا كل ما ترجو من الخير كائن • ولا كل ما ترجو من الشر واقع • وقيل معنى قوله وترجون من الله ما لا يرجون اي يحصل لكم برجائكم من الله ما لا يحصل لهم يقال لا رجاء لك عند فلان اي لا تحقيق لما ترجو وقوله تعالى **وكان الله عليما حكيما** اي عليما بمصالح العباد حين دعاهم الى الجهاد حكيما في تدبير امورهم وقيل عليما بما ينال المؤمنين من الالم في سبيله حكيما لا يسوي بينهم وبين الكفار في جزائه وقال القشيري رحمه الله القوم شاركوهم في الام النفوس ولكن خالفتموهم في مشاهدات القلوب انتم تشهدون وهم لا يشهدون وتجدون بقلوبكم ما لا يجدون فلا ينبغي ان تتأخروا عنهم في الجد واحتمال الكد وقوله تعالى **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق** اي بالحكم الحق وقيل بحق الله عليكم وقيل بحق بعضكم على بعض وقيل اي بالامتحان اي لا لحكمة في الاهمال وقوله تعالى **لتحكم بين الناس بما اراك الله** اي اعلمك قال ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلمون وهي من رؤية القلب وذلك على جواز الاجتهاد فيما لا نص فيه وقوله تعالى **ولا تكن للخائنين خصيما** اي لقوم طعمة بن ابيرق السارق المنافق معينا على الخصومة وقيل الخصم في الحق والخصيم في الباطل قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في طعمة بن ابيرق الاوسي وكان سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان الانصاري وكان الدرع في جراب فيه دقيق وفي رواية كان يذهب بها في السطوح ثم اي في الجراب خرقا يخرج منه الدقيق ويظهر في السطوح فخاف ظهور الحال فرمى ذلك في دار

يهودي اسمه زيد بن السمين وعلم به زيد فصعد السطح فاتبعه حتى راه دخل دارا ثم ان قتادة لما
اصبح ولم يجد الدرع اتبع الاثر الى دار زيد فطالبه بها الا ثم فقال انه عمل طعمة واتاه فجحد وحلف
على ذلك واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء اليهود وشهدوا على براءة اليهودي
وجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة وجادلوا لطعمة وروى انهم علموا انه عمل طعمة فقد كان سارقا في الجاهلية
لكن بلغوا اطول لليهود واتفقوا على ان يشهدوا بالسرقة على اليهودي دفعا عن طعمة ففعلوا ذلك
وهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي فنزلت الاية وذكر مقاتل ان صاحب الدرع زيد
ابن السمين اليهودي وكان استودعها عند طعمة وطلبها فجحدها ورمى بها في دار ابي مليك بن عبد الله
الانصاري وذكر عاصم بن عمرو بن قتادة ان السارق بشير بن ابيرق والمسروق منه رفاعة بن النعمان
ولما ظهر حال طعمة ارتد ولحق بمكة وقيل اليهودي الذي رمى بالدرع في دار لبيد بن سهل وقيل ان
طعمة حين ظهر حاله ارتد ومات بحرة بني سليم كافرا وقيل سرق بعد ذلك في مواضع وسرق في سفينة
كيسا فاحتووا به فرموه في البحر وقيل سرق من خزانة الكعبة بمكة فوقع عليه حجر فقتله وقيل في انتظامها
لما قبلها ان الاية الاولى في الصلوة وهي امانة قال تعالى انا عرضنا الامانة وهذه القصة في الخيانة
وقال القشيري رحمه الله ولا تكن للخائنين خصيما اى لا تناضل عن ارباب الحظوظ وكن مع ابناء الحقوق
ومن جنح الهوى خان فيما اودع نفسه عن التقوى ومن ركن الى نوازع المنى خان فيما طولب به من الحفاظ
لاطلاع المولى وقوله تعالى واستغفر الله اى من قصدك قطع اليهودي من غير سرقة والذب
عن طعمة وقوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما اى لمن استغفر وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم اى عن طبقة طعمة وهم ان خانوا غيرهم فقد اضروا بانفسهم فكان ذلك خيانة
في حق انفسهم وقوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اى كثير الخيانة سماه به لسرقته مرات
وقوله تعالى اثيما اى كثير الاثم والاثيم ابلغ من الاثم كالشهيد ابلغ من الشاهد والرحيم ابلغ من
الراحم واثمه كان بيمينه الكاذبة ورميه اليهودي البرى بالسرقة وقال القشيري رحمه الله قوله تعالى
واستغفر الله اى لامتك فانا قد كفيناك حديثك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقال
في قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم المؤثرون حظوظهم على حقوقه والرضوان بالتعريج
في اوطان الهوى دون النقلة الى منازل الرضى وقوله تعالى يستخفون من الناس اى يستترون
بمعاصيهم في اخذ الاموال وجحد الحقوق وقوله تعالى ولا يستخفون من الله وهو معهم اى لا يمكنهم
الاختفاء عن الله تعالى لانه مطلع على سرائرهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يستخفون اى يستحيون
كنى به عنه لانه من اسبابه وقوله تعالى اذ يبيتون اى يدبرون بالليل وقوله تعالى ما لا يرضى من القول
اى من تبرئة طعمة واتهام اليهودي البرى واستنزال النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وكان الله
بما يعملون محيطا اى عالما بكل وجوهه وقوله تعالى ها انتم هؤلاء تنبيه وانتم خطاب لرهط طعمة
وهؤلاء بمعنى يا هؤلاء وقيل بمعنى الذين وقوله تعالى جادلتم عنهم اى خاصمتم عن الخائنين وقوله تعالى
في الحيوة الدنيا وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة استفهام بمعنى النفي وقوله تعالى
ام من يكون عليهم وكيلا عطف على من وظاهره استفهام ووكيلا اى حافظا كالموكل على الشيء يحفظه
وقوله تعالى ومن يعمل سوءا اى ما يسوء غيره من سرقة وخيانة وتهمة باطل وقوله تعالى او يظلم
نفسه اى يعمل ما يضره في نفسه وقوله تعالى ثم يستغفر الله جزم لانه عطف على من يعمل وقوله تعالى
يجد الله غفورا رحيما جزم لانه جزاء الشرط دعاهم الى التوبة والاستغفار ليغفر لهم ما كان منهم
من الاوزار وقيل ومن يعمل سوءا اى ما يسوء عاقبته او يظلم نفسه او بمعنى الواو ويظلم بذلك نفسه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما السوء هاهنا السرقة والظلم الشرك وقيل على عكسه وقيل الاية عامة
في كل الذنوب وهي ارجى اية في القران والاستغفار هو سؤال المغفرة مع الندم على المعصية وقوله تعالى
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما اى من فعل
ما ياثم به فهو على نفسه لا يعاقب به غيره وان اراد تحميله كما اراده طعمة وقومه ولا يخفى ذلك على الله
تعالى لانه عليم وهو حكيم لا يضع الشيء في غير موضعه ولا يعاقب بالذنب غير فاعله وقوله تعالى ومن يكسب
خطيئة اى بغير عمد وقوله تعالى او اثما اى بعمد وقوله تعالى ثم يرم به بريئا اى يتهمه بانه
كان بريئا منه ويرم مجزوم لانه معطوف على يكسب وذلك جزم بالشرط وهو كقوله تعالى والذين يرمون
المحصنات وقوله تعالى فقد احتمل بهتانا اى كذبا يتحير من كذب عليه لغاية استحالته وقوله تعالى
واثما مبينا اى وزرا ظاهرا اى يظهره الله فيعرف بالبهتان في الدنيا ويعاقب باثمه في العقبى
وقال الكلبي ولما نزل يستخفون من الناس عرف قوم طعمة انه الظالم فقالوا له تب الى الله من الذنب

واستغفر

واستغفر الله فقال لا والله الذي يحلف به ما سرقها الا اليهودي فانزل الله ومن يكسب خطيئة
او اثما ذنبا او انما سرقة الدرع ورمى اليهودي ثم فقد احتمل بهتانا كذبا على غيره بما لم يفعل واثما
مبينا ذنبا بينا بينه وبين ربه ثم قوله او اثما ثم يرم به بريئا انما قال به ولم يقل بهما مع سبق ذكر
اثنين لانه صرفه الى احدهما وهو اقربهما اليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وهذا بخلاف قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها لم يضفه
الى اقربهما لان التجارة هي المقصودة واللهو تبع فكان صرفه الى المقصود اولى وفي الاثنين
اللذين فيهما كل واحد منهما في المراد مثل الاخر واحدهما اقرب فكان اولى وقوله تعالى ولولا فضل الله
عليك ورحمته اى ولولا توفيق الله وعصمته لك يا محمد وقوله تعالى لهمت طائفة منهم
ان يضلوك اى لقصدت جماعة من قوم طعمة ان يزلوك بتبرئة طعمة وقطع اليهودي وقوله تعالى
وما يضلون الا انفسهم اى وما يكون وبال ذلك الا عليهم وقوله تعالى وما يضرونك من شيء
اى شيئا ومن للتاكيد وقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القران وبيان للقران
قال تعالى ثم ان علينا بيانه وقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم اى من امور الدين وقيل من انباء
الاولين وقوله تعالى وكان فضل الله عليك عظيما اى من وقت خلقك الى الان لم يخل شيء فلم
يكن ليترك عصمتك عن ازلال المنافقين مع ما له عليك من الفضل المبين وقوله تعالى لا خير في
كثير من نجواهم النجوى الاسم من المناجات وهي المسارة ولما بيت طائفة من قوم طعمة بالرمي
انه من القول اخبر الله انه لا خير في مثل تلك المسارة وقوله تعالى الا من امر بصدقة قيل النجوى
هاهنا اسم المتناجين كما في قوله اذ هم نجوى والا من استثناء بعضهم ومحله خفض كقولك لا خير في
قوم الا نفر منهم وقيل النجوى المناجاة وفيه اضمار وتقديره الا نجوى من امر بصدقة وقيل الاستثناء
منقطع بمعنى لكن اى لكن من فعل كذا او محله رفع بلكن الخفيفة وقوله الا من امر بصدقة يعني بتصدق
بماله على محتاج وقوله تعالى او معروف قيل اى فرض وقيل اى قول حسن وقوله تعالى او اصلاح
بين الناس اى عند فساد وقع بينهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ايوب الانصاري الا ادلك
على صدقة هي خير لك من حمر النعم تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا وقوله تعالى
ومن يفعل ذلك اى شيئا من هذه الثلاثة وقيل التناجي في شيء منها وقوله تعالى ابتغاء مرضات الله
اى لطلب رضى الله وقوله تعالى فسوف نؤتيه اجرا عظيما وهذا ظاهر وقوله تعالى ومن يشاقق
الرسول اى ومن يعاديه ويخالفه ويكون في شق اى جانب غير شقه وقوله تعالى من بعد ما تبين
له الهدى اى ظهر له الرشد فاسلم وقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين اى يكفر ويسلك غير
طريق المسلمين وقوله تعالى نوله ما تولى اى نكله الى ما اختاره من الكفر وقوله تعالى ونصله جهنم
وساءت مصيرا وهذا ظاهر وهذا في شان طعمة ارتد وهلك في الكفر وقد روينا ذلك من وجوه في
اول هذه القصة ثم ان الاية بصيغتها عامة في حق من اتصف بهذه الصفات وفيه دليل على ان
الاجماع حجة وسبيل غير سبيل المؤمنين ضلال وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فسرناه في هذه السورة مرة وانما اعاده لقصة طعمة انه ارتد ومات
وليس للمشرك غفران وقال مقاتل نزلت لخروج طعمة من مكة ولحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات
على الشرك فنزل فيه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتبين ان طعمة لو لم يكن
يشرك لكان في سعة رحمة الله ان يغفر له وقوله تعالى ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
اى تناهى تماديه في الضلال اذ لا جهل اشد من الجهل بالله وقوله تعالى ان يدعون من دونه
الا اناثا اى ما يعبدون من دون الله الا اوثانا وهذا تعجيب من بعض جهالات اهل الشرك
والدعاء العبادة لان من عبد شيئا دعاه لحوائجه ومصالحه يقول بانهم مع اقرارهم بان الله خالقهم ورازقهم
يعبدون معه اوثانا يسمونها اناثا كاللات والعزى ومنات وعبد بعضهم الملائكة وهم قالوا هم
بنات الله قال تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية وقال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا وقال تعالى ويجعلون لله البنات مع اعترافهم ان اناث كل جنس اخسه وارذله وتقديره
الا اناثا على زعمهم كما قال ويوم يناديهم اين شركائي اى على زعمكم وقوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا اى على زعمك وقوله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا اى ما يعبدون الا شيطانا
مريدا اى عاتيا خبيثا خارجا عن طاعة ظاهر الشر كالغلام الامرد ظهر ذقنه والشجرة المرداء سقطت
اوراقها وظهرت عيدانها وعبادتهم الشيطان ان بعضهم كانوا يعبدون الجن وهم من الشياطين ولانهم
عبدوا الاوثان طاعة للشيطان فاضيفت العبادة اليه ومن ذلك قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان

اى لا تعبد الصنم بدعاء الشيطان فقد قال قبله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا وهو الصنم ولان الشيطان كان يدخل فى الصنم ويكلمهم وهم يعبدون الصنم وفيه الشيطان فكان ذلك عبادة للشيطان ولانهم اطاعوه فى كل ما سول لهم فكانهم انزلوه منزلة المعبود وهو كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانزالهم اياهم منزلة الرب فيما شرعوا لهم وقوله تعالى **لعنه الله** اى طرده الله وابعده من رحمته وقوله تعالى **وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا** اى لاجتهدن فى اضلال عبادك حتى يصير لى منهم مقدر معلوم وانما قال ذلك لان الله تعالى قال له لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قال الحسن والكلبى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وهم اتباعه وذلك قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين وقوله تعالى **ولاضلنهم** اى لاصرفنهم عن الهدى الى الضلال بالدعاء والتزيين والاستزلال قال تعالى خبرا عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وقوله تعالى **ولامنينهم** اى ولالقين فى قلوبهم الامانى قال تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وقال خبرا عن امانيهم قال لاوتين مالا وولدا ولئن رجعت الى ربى الاية ولئن رددت الى ربى الاية وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الاية وقال تعالى نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نمنينهم لاشغلنهم بالامانى عن الايمان والطاعات وقيل نمنينهم طول البقاء فى الدنيا ليؤثروها على الاخرة وقيل نمنينهم على الله مع كفرهم بالله وقوله تعالى **ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام** والبتك القطع من باب دخل والتبتيك للتكثير والتكبير والانعام الابل والبقر والغنم اى لاحملنهم على ان يقطعوا اذان هذه الاشياء ويحرموها على انفسهم بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وتفسيرها فى تلك الاية ان شاء الله تعالى وقوله تعالى **ولامرنهم فليغيرن خلق الله** اى لازينن لهم تغيير دين الله الذى فطر الناس عليه قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقيل اى فليغيرن الاشياء عما خلقت له فيجعلون الحجارة والخشب والطين منازل من يستحق العبادة والله لم يخلقها لهذا ويحرمون الانعام والحرث فلا ياكلونها ولا ينتفعون بها وانما خلقها الله للمنافع وقال انس والحسن وابراهيم وعكرمة هو الخصاء وقال ابن مسعود رضى الله عنه لعن الله الواشرات اى محددات الاسنان والواشمات على ظهور الاكف والمتنمصات اى ناتفات شعور الجبين والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله وقيل هو نتف الشيب وقيل هو نتف اللحية وقيل هو التخنث هو قول عبد الرحمن بن زيد وقوله تعالى **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله** يتولى مصالحه ويكفيه مهمته حتى انقاد لامره واطاعه وحرم ما احله الله وقوله تعالى **فقد خسر خسرانا مبينا** اى فى الدنيا والاخرة بفوت الطيبات والوقوع فى العقوبات وقوله تعالى **يعدهم ويمنيهم** اى يعدهم البقاء فى الدنيا ويمنيهم ذلك بالوسوسة وقيل يعدهم الفقر وقيل هو قوله وانى جار لكم كما فى قصة بدر وقوله تعالى **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** اى خداعا وقوله تعالى **اولئك مأواهم جهنم** اى هؤلاء الذين اتبعوا مصيرهم الى النار وقوله تعالى **ولا يجدون عنها محيصا** اى معدلا وقوله تعالى **والذين امنوا وعملوا الصالحات** ولم يتبعوا الشيطان فى الامر بالكفر والمعاصى وقوله تعالى **سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا** مر تفسيرها مرات وقوله تعالى **وعد الله حقا** اى صدقا لا كوعد الشيطان وقوله تعالى **ومن اصدق من الله قيلا** اى قولا استفهام بمعنى النفى اى لا اصدق من الله قولا وقوله تعالى **ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب** اى ليس الامر على شهواتكم وامانيكم ايها المشركون تقولون فى الهتكم هم شفعاؤنا عند الله ولا على شهوات اليهود والنصارى يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودات وقوله تعالى **من يعمل سوءا يجز به** اى من المشركين واهل الكتاب وغيرهم وقال الحسن البصرى رحمه الله من يعمل سوءا اى شركا بدليل انه قال **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** وهذا وعيد الكفار لانه قال بعده ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن والصحيح انه مطلق فى حق كل سوء من مؤمن او كافر بدليل ما روى انه لما نزلت هذه الاية بكى ابو بكر الصديق رضى الله عنه وقال كيف الفلاح بعد هذه الاية يا رسول الله وهى قاصمة الظهر كل شئ عملناه جزينا به فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تحزن الست يصيبك اللاواء قال بلى قال ذلك ما تجزون به وفى رواية قال له اما انت واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله ولا ذنب لكم واما الاخرون فيجمع ذلك لهم ويجزون به يوم القيمة فاما قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فهو فى حق الكافر على الاطلاق انه لا يجد من يتولى حفظه عن العذاب اصلا ولا من ينصره ويعينه او يمنعه عما يراد به من العقاب فعلا وفى حق المؤمن ان العاصى الذى يعذبه الله مدة ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة ليس له ولى ولا نصير يدفع

عنه هذا العذاب الموقت وقوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة** كلمة من للجنس وتصلح للواحد ولذلك قال فاولئك صرفا الى المعنى وقوله تعالى **ولا يظلمون نقيرا** فسرناه فى هذه السورة وقال القشيرى رحمه الله من يعمل سوءا يجز به من زرع الحنظل لم يجتن العبهر ومن شاء السم الذعاف لم يجد طعم العسل كذا من ضيع حق الخدمة لم يتمكن على بساط القربة ومن وسم بالشقوة لم يرزق الصفوة ومن نعته الغضبية فلا ناصر له من البرية وقال فى قوله ومن يعمل من الصالحات من نعنى فى خدمتنا لم يبق منا بعاعن نيل نعمتنا ومن عنيناه فى طلبنا اكرمناه بوجودنا بل من جرعناه كاس اشتياقنا نولناه انس لقائنا وقوله تعالى **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن** استفهام بمعنى الجحد ولما نزل قوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قالت اليهود والنصارى لقد استوينا كلنا فنزلت هذه الاية فى ابطال دينهم وتفضيل دين الاسلام وقوله اسلم وجهه لله اى اخلص دينه لله وقيل اى عمله وقيل اى سلم نفسه والوجه اشرف اعضاء الانسان فخص بالذكر ولان الانقياد يظهر فى الوجه وكذلك قوله تعالى وعنت الوجوه للحى القيوم وهو محسن قيل الاول فى الاعتقاد وهذا فى العمل وقيل الاحسان ما قال النبى صلى الله عليه وسلم هو ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لم تكن تراه فانه يراك وقيل اى اسلم وجهه وهو محسن فى حق عباد الله وقوله تعالى **واتبع ملة ابرهيم حنيفا** خصه بالذكر اذ هو اجل الانبياء المفتخر بهم لاهل الكتاب ثم هم خالفوه فى دينه فابطلوا فخرهم به وقوله حنيفا اى مستقيما وهو ايضا للعرب بهذا المحل اذ هو ابو اسمعيل الذى هو ابو العرب وهم قد خالفوه فابطلوا فخرهم به وقوله حنيفا اى مستقيما على منهاجه فى الختان والحج والجهاد ومخافة الاعداء واقامة الشرائع وقال القشيرى رحمه الله تعالى ومن احسن دينا اى لا احد احسن دينا ممن اسلم وجهه لله تعالى يعنى تجرد قصده الى الله تعالى واخلص عقده لله عما سوى الله ثم استسلم فى عموم احواله لله بالله ومن لم يدخر شيئا عن الله لا من ماله ولا من جسده ولا من روحه ولا من خلده ولا من اهله ولا من ولده وكذلك الخليل صلوات الله عليه وقوله تعالى **واتخذ الله ابراهيم خليلا** اثنى عليه بذلك وهو انه جعله مختصا بالانقطاع اليه بصبره وتحمل المكاره فى اقامة دينه حتى هجر اهله وولده قال ابو العباس المبرد اختل فلان بالرجل تلبث فلان اى اختصه وخلل العطا فى بنى فلان اى خصهم به وقيل الخلة المودة التى توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقيل هى من الخلة التى هى الحاجة قال زهير

وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب عندى ولا حرم •

فابراهيم خليل الله اى المحتاج اليه المنقطع اليه بحاجته واظهار فاقته وروى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلوته بالليل والناس نيام وروى ابو امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قالوا الله ورسوله اعلم قال كان اذا ذكر الله بطويل الحلف لم يحنث وقال عبيد الله بن عمير كان ابراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما يلتمس ضيفا فلم يجد فرجع الى داره فوجد فيها رجلا قائما فقال يا عبد الله من ادخلك دارى بغير اذنى فقال ادخلنيها باذن ربها فقال من انت قال انا ملك الموت فقال ما جئتنى قابضا ام زائرا قال لا بل ارسلنى ربى الى عبد من عباده ابشره بان الله اتخذه خليلا قال من هو فوالله اخبرتنى به ثم كان باقصى البلاد لاتينه ثم لا ابرح له خادما حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد هو انت قال انا قال نعم قال فبم اتخذنى ربى خليلا قال لانك تعطى الناس ولا تسألهم وقال محمد بن المنكدر كان ابراهيم عليه السلام من اغير الناس وكان لا يدخل داره احد فبينا هو يوما فى داره اذ دخل عليه كهيئة انسان فقال له ابراهيم من ادخلك دارى قال ادخلنى ربها قال انا وابها رب غيرى قال نعم فعرف ابراهيم انه ملك الموت فقال له يا ابراهيم ان ربى ارسلنى اليك ويقول ان الخليل يحب ان يلقى خليله وامرنى ان اقبض روحك بايسر ما قبضت به روح مؤمن قال فانى اسألك بالذى ارسلك ان تراجعه فصعد فقال يا رب ان خليلك سالنى ان اراجعك فيه قال فاته وقل له وهل يكره الخليل لقاء خليله فعاد وقال له ذلك فقال امض ما امرت به فقال يا ابراهيم اشربت الخمر قال ما شربتها قط قال له فاستنكه فقبض نفسه على ذلك وقال الكلبى رحمه الله بعث ابراهيم عليه السلام غلمانه الى خليل له بمصر يمتارون له سنة الجدب فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريد لنفسه احتملنا ذلك لكنه يريد للناس وقد دخل علينا ما دخل على الناس فرجعوا ومروا ببطحاء فحملوا من رملها ليروا الناس ثم جاءوا بيتهم ثم دخلوا وابراهيم نائم وحطوا الاحمال ففتحتها سارة فاذا هو اجود حوارى فخبزت واطعمت الناس وانتبه ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصرى فقال هو من عند الله فاتخذه الله خليلا لذلك وقيل لما القى فى النار وقال له جبريل عليه السلام هل لك من حاجة قال اما اليك فلا وقال حسبى الله ونعم الوكيل فاتخذه الله خليلا لذلك وقيل لما امر بذبح الولد قال من لى بخليل بعده فقال الله تعالى انا خليلك فاتخذه الله خليلا وقال بكر بن عبد الله المزنى كان ابراهيم عليه السلام يدعى بتنبيه سبى الخلق

ويكابد فيه الشدة فمات اليتيم فاكثر الجزع عليه وقال كنت احتسب الاجر في سوء خلقه فسماه الله خليلا
وقال شهر بن حوشب قال الله تعالى للملائكة ان لي بالارض عبدا اسمه ابراهيم واني اريد ان اتخذه
خليلا فقالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلا تتخذنا خليلا وتتخذه خليلا قال فاختاروا منكم ملكا
فاختاروا فقال الله تعالى له اهبط الى الارض واذكرني بين يدي عبدي ابراهيم فهبط في صورة ملك
ومثل بين يديه وقال الله بصوت رخيم شجي قال له ابراهيم اذكره مرة اخرى قال لا اذكره مجانا فقال
لك مالي كله فقال بصوت اشجى منه الله فقال له ابراهيم اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال له الملك
ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وعرج الى السماء فقالوا حق لك ان تتخذه خليلا ونزل
جبريل بالبشارة فقال وما امارة ذلك قال ان الله يحيي الموتى بدعائك فعند ذلك قال رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة لا شكا في قدرة الله تعالى
وقال القشيري رحمه الله ان الله تعالى جرد الحدث عن كل سعي وكد وطلب وجهد حين قال واتخذ الله
ابراهيم خليلا تعلم ان الخلة كسوة يكسوها الحق لا صفة يكتسبها العبد وقال الامام ابو منصور
رحمه الله نحن نعلم ان الله تعالى لا يسميه بالذي ذكر عبثا باطلا ولكن سماه به تعظيما لقدره واظهارا
لكرامته وبيانا لمنزلته عنده بما شاء من الوجوه التي لعلها لم يطلع الله عليها الخلق ولا يحتمل ان يدرك
ذلك الا بالوحي نحو علينا تعظيمه ومعرفته بالذي اختصه به دون تكلف المعنى الذي كان له ذلك
مع ما لا وجه ولا معنى صار به حقيق ذلك واكرم بالا لمعنى اكرمه الله به ولله ان يبتديه بالخلة ثم يكرمه
بانواع الكرامات التي هي آثار الخلة وان يكرمه بانواع الكرامات التي بها نعم كرامة الخلة ولله المن
في ذلك والفضل وعلينا الحمد لله والشكر بما اكرمنا من معرفة كرام خلقه وجعل في قلوبنا مودتهم
حتى صاروا احب الناس الينا من سائر الخلق بنا بل من انفسنا ثم لبس النصارى دعوى البنوة لله تعالى
من حيث الكرامة على الاعتبار بالخلة لان الله تعالى عظم امر الاولاد حتى جعله كالشرك ولا كذلك
امر الخلة ولان امر الاولاد حقه المجانسة والخلة حقها الموافقة ثم اصل الاولاد الشهوة والحاجة
والخلة اصلها الخضوع والطاعة ولان الخلة قريبة من المحبة والمعنى الذي يقتضي ذلك قد يكون
بفعل العبد قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى فاتبعوني يحببكم
الله ومحال ان يجيء معنى البنوة والولادة بشيء من الطاعة فلذلك اختلف الامران وقوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا
اي علما بين انه وان رفع منزلته واعلى درجته فهو عبده ويحيط بكل من سواه فيه ومحالفه علمه
وقوله تعالى ويستفتونك في النساء ومن الاحسان المجاملة في حق اليتامى والنسوان
نزلت الاية في حق بنت محمد بن مسلمة قائل كعب بن الاشرف واسمها خولة وقيل عميرة وزوجها
رافع بن خديج كان له منها اولاد وقد كبرت وايست من الحيض فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها
فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتزوج من شئت فاجعل قسمي كل عشرة ايام او ما شئت
فقال رافع ان كان هذا يصلح فهو احب الي فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد سمع الله ما تقول فان شاء اجابك فانزل الله تعالى هذه الاية
ويستفتونك في النساء وهذا مختصر وظهر بالجواب ان الاستفتاء عماذا كان وتقديره ويسألونك
في النساء ما الواجب لهن وعليهن وقوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن اي يجيبكم عن سؤالكم عليهم
وقوله تعالى وما يتلى عليكم في الكتاب منهم من جعله عطفا على فيهن اي يفتيكم فيما يتلى
عليكم ولكن قال المحققون من اهل النحو ان عطف الظاهر على المكني المخفوض غير جيد الا باعادة
الخافض والصحيح انه مرفوع معطوف على قوله قل الله يفتيكم والكتاب المتلو عليكم يفتيكم
اي يبين لكم وهو كقولك بين الله لنا كذا وبين القرآن كذا على معنى ان البيان فيه وعلى هذا قوله
ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم يريد به ان الله تعالى يجيبكم في امر النساء والذي يتلى عليكم في الكتاب
يبين لكم جواب سؤال آخر وهو نكاح اليتيمات وما يتلى هو ما ذكر في اول السورة وكانت بنات استشهد
اباؤهن ولهن اموال واولياء لا غنى لهم فسألوا يجوز لنا ان نتزوجهن مع قلة اموالنا فاجيبوا فان
خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي غيرهن فاعادوا السؤال بناء على ان لحق
التربية فعسى ان يطلق لهم ذلك فاجيبوا ههنا ان الجواب ما مر في تلك الاية وقوله تعالى في يتامى
النساء اي اليتيمات من النساء واليتامى يصلح للذكور والاناث جميعا وقوله تعالى اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن اي لا تعطونهن ما فرض لهن من المهور لعدم المال لكم وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن
اي تحبون نكاحهن وترغبون في ذلك وقيل اي لا تعرضون لهن صداق امثالهن بل تحطون عن ذلك

ظلما وقيل اي لا تعطونهن ميراثهن فتظلمون من هذا الوجه وتظلمونهن ايضا بنكاحهن بما دون
مهورهن وقيل وترغبون ان تنكحوهن اي عن ان تنكحوهن لعدم الرغبة فيهن لا تنكحوهن ولرغبتكم
في اموالهن تعضلوهن لترثوهن اذا متن وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان وان تقوموا
لليتامى بالقسط اي ما يتلى عليكم في اول السورة يفتيكم في هؤلاء ايضا وهو قوله تعالى ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وابتلوا اليتامى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ونظائرها وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فان الله كان
به عليما وما شرط ولذلك جزم فحذف النون وقوله من خير اي من اتباع امر واجتناب نهي فتدبيق
علم الله بكونه منكم وهو جاز بكم عليه وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها وهو جواب سؤالهم
عن امور النساء وتحقيق وعد قل الله يفتيكم فيهن وهو في بنت محمد بن مسلمة وقوله خافت اي علمت
من بعلها اي من زوجها وقوله تعالى نشوزا اي ترفعا وكراهة صحبة وقوله تعالى او اعراضا
اي تولها بوجهه وقوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا على ان تكون القديمة هي
الثنية في البيت وتبدها الرفع والوضع والقسم للحديثة فيكون للشابة لذة الصحبة وللعجوز مراعاة
الحرمة وانما نفي الجناح عنهما لانها اسقطت حق نفسها والزوج فعل ذلك برضاها وهما يملكان
التصرف في حقوقهما وهو بخلاف الزنا والربوا لانهما لا يحلان برضى الفاعلين والعاقدين لان
هذه الحرمة حق الله تعالى وهما لا يملكان اسقاطها وقرا اهل المدينة وابو عمرو ان يصالحا بتشديد
الصاد وزيادة الالف واصله يتصالحا فادغمت التاء في الصاد وقرا الباقون ان يصلحا بضم الياء
وتخفيف الصاد وكسر اللام من الاصلاح وصلحا على وجه المصدر وليس على بناء الفعل لكن على اعتبار
الاصل وقد ذكرنا وضحناه في قوله تعالى يقرض الله قرضا حسنا وقوله تعالى والصلح خير اي الصلح منهما
على هذا الوجه احسن من الدوام على المخالفة والنشوز والاعراض لان ذلك يؤدي الى الفراق وقال عبد الرحمن
ابن ابي الزناد نزلت في سودة بنت زمعة كانت مسنة فكرهت ان يفارقها النبي صلى الله عليه وسلم ورضيت
بمكانها منه وعرفت حبه لعائشة رضي الله تعالى عنها ومنزلتها منه فوهبت يومها لعائشة وقبل ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي وطبعت الانفس على الشح وهو البخل
وصرفه من حد ضرب والنعت الشحيح وجمعه الاشحة واحضارها الانفس الشح الزامها خلقة حتى لا يفارقها
والمراة تشح ولا تترك قسمها ونفقتها والزوج يشح بحظه من الشابة الجميلة فلا يتركها لاجل العجوز
القبيحة فامرهما بمخالفة الطبع ومتابعة الشرع بالصلح او بقاء الحق وذلك قوله تعالى وان تحسنوا
وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا قيل اي ان تحسنوا ايها الازواج بالاجابة الى الصلح وقيل
اي بابقاء حق المسنة وقيل يحسن كل واحد من الزوجين بمراعاة رضى الآخر وتتقوا قيل اي تتقوا الميل
وقيل وتتقوا الفراق فان الله يعلم ذلك ويجازي عليه وهذا كما قال خلق الانسان من عجل وهذا بيان الطبع
ثم قال فلا تستعجلون وهذا نهي عن متابعة الطبع وامر بموافقة الشرع وقال القشيري رحمه الله
على صحبة الخلق مع الخلق اذا تجردت عن حديث الحق فانها تعرض للوحشة وممازجة النفرة فمن اعرض
عن الله بقلبه اعرض الخلق عن مراعاة حقه وخرج الكافة عليه باستصغار امره واستحقار قدره ومن رجع
الى الله بقلبه استوى له امره واتسع لاحتمال سوء خلق الخلق صدره والصلح خير وانصافك في نفسك
احرى بك من تطاولك على خصمك بايثار الانتقام وشهود ما لك من مزية المقام واكثر الناس في اسر هذه
المحنة واحضرت الانفس الشح وشح النفس قيام العبد بحظه ومن حجب عن شهود ربه رد الى شهود نفسه
وان تحسنوا عبادة ربكم وتتقوا شهود قدركم فان الله كان بما تعملون خبيرا اي اذا فنيتم عنكم وعن عملكم
نكفي بالله جازيا لكم وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي ولن تقدروا
ان تسووا بين النساء في العدل في الحب وان جهدتم لان الحب على القلب الذي لا يملكه الانسان وقوله تعالى
فلا تميلوا كل الميل اي لا تجمعوا بين ميل القلوب وميل الافعال في القسم والنفقة وقوله تعالى فتذروها
كالمعلقة الفاء لجواب النهي وبها نصبت تذروها فحذفت النون والمعلقة ان لا تكون ذات زوج ولا مطلقة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي كالمسجونة فانها منكوحة لا يصل اليها منافع الزوج وليست بايم يمكنها
ان تتزوج او تعلم بانها لا قائم عليها بحقها فيتكلف لاصلاح امورها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يطاف به في مرض موته على نسائه ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني بما لا املك يعني
حب عائشة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه
مائل وقال القشيري رحمه الله اذا منعتموهن عن صحبة اغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظهن منكم اضررتم
بهن من وجهين لا منكم نصيب ولا الى غيركم سبيل وان هذا الحيف عظيم والاشارة فيه انه اذا اسد عليك

طريق حظوظك منك فتح عليك شهود الحق ووجود اللطف فان من كان في الله تلفه فالحق سبحانه خلفه وقوله تعالى وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما قيل ان تصلحوا ذات بينكم في حسن الصحبة وقيل ان تصلحوا اعمالكم بترك كل الميل وتتقوا الجور وقال القشيري رحمه الله وان تصلحوا فيما بينكم وبين الخلق وتتقوا فيما بينكم وبين الحق غفر الله لكم ما سلف من الجور وقيل غفر الله لكم ميل القلب بالحب ورحمكم فلم يعاتبكم وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته اي وان لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا بخلع او بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها اغنى الله كل واحد منهما عن صاحبه وكفاه امره بغيره وقوله من سعته اي من غناه وقيل اي من كمال قدرته وقوله تعالى وكان الله واسعا حكيما اي غنيا وقيل اي قادرا يسع تقديره اغناءهما وغير ذلك حكيما لا يأمر عباده الا بما هو مصلحة وحكمة والواسع في صفة الله تعالى يذكر من غير اضافة لانه ابلغ فانه واسع الرزق واسع الرحمة واسع القدرة واسع الغنى فيصح اطلاقه على كل ذلك وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وهو بيان السعة المذكورة في الاية الاولى وبيان انه قادر على اغنائهما فله ما في السموات وما في الارض وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله اي امرنا الكل بتقوى الله وهو ان تعبدوه وتطيعوه وهذه وصية الله في الاولين والآخرين لم يلحقها نسخ ولا تبديل وقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا اي مستغنيا عن ايمان الخلق وعن كل شيء حميدا مستحقا للحمد بذاته وصفاته وافعاله لا بحمد خلقه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي حفيظا وقيل قائما بالتدبير وانما كرر ذكر ولله ما في السموات وما في الارض ثلاثا للبيان عن علل ثلاث يقول وجبت طاعة الله فيما وصى به لان له ملك السموات والارض وهو غني عن كل شيء حميد بذاته مستحق للحمد لان له ملك السموات والارض حفيظ لكل شيء قائم بتدبير كل شيء لان له ملك السموات والارض وهو كتكرير قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يهلككم وقوله تعالى ويأت بآخرين اي ويخلق قوما آخرين اطوع منكم وقوله تعالى وكان الله على ذلك قديرا اي على الاستبدال ويجوز ان يكون خطابا للكفار وتخويفا لهم ويجوز ان يكون لكل العصاة وهو كقوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم وقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وقيل لما نزلت هذه الاية ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا وقال القشيري رحمه الله لا نهاية للمقدورات فان لم يكن عمرو فزيد وان لم يكن عبد فعبيد والذي لا بدل عنه ولا خلف هو الله الواحد الاحد وقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي من طلب بعمله ثواب الدنيا لم ينله بارادته وعمله فان ثواب الدنيا والآخرة بيد الله تعالى وهو المعطي فليطلب بعمله وجه الله الذي يملكهما ليعطيه اياهما وقوله تعالى وكان الله سميعا للاقوال وقوله تعالى بصيرا للافعال وهو وعد ووعيد انه يجزي كلا على وفق عمله وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط اكثر هذه السورة في الامر بالقسط في المعاملات وهذه الاية في الامر بالقسط في الشهادات ولانه ذكر من اراد بعمله الدنيا وقد يمنع الشاهد شهادة الحق لطمع الدنيا فوصل ذلك بهذا وقوامين مبالغة في قائمين والقسط العدل وقوله تعالى شهداء لله نصبه من ثلاثة اوجه نعت للقوامين وحال لهم في فعل القيام بالقسط وخبر آخر لكونوا اي قوموا بالعدل فاشهدوا للناس على الناس بما لكم فيه شهادة لوجه الله وتقربا اليه وقوله تعالى ولو على انفسكم هذه كلمة تاكيد اي وان كان ضرر ذلك الشهادة عائدا اليكم وقيل المراد من الشهادة على نفسه هو الاقرار بما عليه من الحق لخصمه فان الشهادة اخبار بحق والاقرار على نفسه اخبار وقوله تعالى او الوالدين والاقربين اي وان كانت شهادتكم على آبائكم وامهاتكم واقاربكم ولا يسعكم منعها حقا لهم وقال القشيري رحمه الله اصل الدين ايثار حق الحق على حق الخلق فمن آثر على الله احدا والدا او ولدا او قريبا او نسيبا وادخر عنه نصيبا فهو عدم القسط عن القيام بالقسط قال ابو العالية نزلت في رجل من الانصار قال يا رسول الله ان لي والدا وعليه حق وانا من الشهود وما يمنعني من الشهادة عليه الا انه معسر فنزلت الاية وقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا قال الاخفش اي ان يكن من تخاصم غنيا او فقيرا وقوله تعالى فالله اولى بهما اي احق بهما فيما اختار لهما من غنى وفقر فلا يحملنكم غنى خصم على ان تمنعوا الشهادة عليه لاحترامه او تشهدوا له بالباطل لاحتشامه ولا فقر فقير ان لا تشهدوا له شهادة بر او لا تشهدوا عليه رحمة له او تشهدوا له بالباطل معونة له وانما قال بهما على التثنية لان الخال

او بين الغني والفقير لانه قد ذكرهما في الجملة وذكر ان الله اولى بكل واحد منهما وهو كقوله تعالى وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس وقوله تعالى فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا له ثلاثة اوجه احدها وهو قول الفراء لان تعدلوا اي لا تتبعوا الهوى لتكونوا عدولا والثاني ان لا تعدلوا اي لا تتبعوا الهوى في ترك العدل ولا مضمرة كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا والثالث في ان تعدلوا عن الحق ان تميلوا عنه وقوله تعالى وان تلووا اي تحرفوا الشهادة فتشهدوا على وجه لا يصح وتعطل وقوله تعالى او تعرضوا اي تتولوا عن ادائها وقوله تعالى فان الله كان بما تعملون خبيرا اي من تحريف الشهادة وكتمانها واداءها على وجهها وهو من وعد ووعيد بالجزاء على وفق العمل وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بواو واحدة من الولاية وهو خطاب القضاة اي ان وليتم القضاء فعدلتم او اعرضتم عن العدل وملتم وقيل هو من قولك وليت الشيء اي باشرته اي ان فعلتم شيئا من ذلك او تركتموه فلا يخفى على الله قصدكم في ذلك وقال السدي اختصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم غني وفقير فكان ضلعه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله ان لا يقوم بالقسط في الغني فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله اعترض بعض الملحدين على هذه الاية فقال كيف امر الله اهل الايمان بالايمان وعنه اجوبة احدها قول ابن عباس رضي الله عنهما ان نزولها في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وهرون وعزير ونكفر بما سواه وظنوا ان ذلك القدر يكفيهم في كمال ايمانهم فنزلت هذه الاية وبين الله تعالى ان الكفر بالبعض يحبط الايمان ببعض قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ثم قال اولئك هم الكافرون حقا وجواب آخر قول ابي العالية ان نزولها في اليهود كانوا آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وكانوا يستفتحون به فلما خرج كفروا به فامروا بالايمان به وجواب آخر قول الحسن ان الله تعالى اخبر عن اليهود فقال وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا الاية فتقدير الاية على قوله يا ايها الذين آمنوا وجه النهار آمنوا به آخر النهار وجواب آخر قول مجاهد ان نزولها في المنافقين آمنوا في الظاهر فامروا بالايمان في الباطن مع الايمان بالظاهر قال تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وجواب آخر قول بعض المتأخرين يا ايها الذين آمنوا يوم الميثاق آمنوا بالله ورسوله الآن وجواب آخر قول ابي بكر الوراق وغيره وهو الاصح يا ايها الذين آمنوا على الكمال والصحة اثبتوا على ما انتم عليه ودوموا عليه وهو كقوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي وقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ويؤمنون به وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله هذا كله اريد به الثبات على ما كان وقريب من هذا القول قول بعضهم يا ايها الذين آمنوا فيما مضى من الوقت آمنوا في حادثة الوقت وجواب آخر يا ايها الذين آمنوا عند رؤية العذاب آمنوا في حال ارتفاعه فان الكفار كانوا اذا وقعوا في حالة مخوفة دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال القشيري رحمه الله يا ايها الذين آمنوا من حيث البرهان ومن حيث البيان آمنوا من حيث الكشف والعيان يا ايها الذين آمنوا تصديقا آمنوا تحقيقا يا ايها الذين آمنوا بان نجاتكم من فضله لا بايمانكم يا ايها الذين آمنوا بادلة العقول آمنوا اذا انخنتم بساحة الوصول واستمكن منكم الحيرة وغلبات الذهول ثم افقتم فآمنوا ان الذي كان غالبا عليكم كان شاهد الحق لا صفة النفس فان الصمدية ممتنعة متقدسة عن كل قرب وبعد ووصل وفصل وقوله تعالى والكتاب الذي نزل على رسوله اي آمنوا بالقرآن وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل على ما لم يسم فاعله والباقون نزل اي نزله الله وقوله تعالى والكتاب الذي انزل من قبل قرأ ان ايضا على هذا والمراد من الكتاب الجنس وهو جميع الكتب المتقدمة والانزال هو بعث جبريل عليه السلام معه من السماء والتنزيل تفصيل الانزال والقرآن كذلك لانه نزل مفصلا فلذلك قال في الاول نزل وفي الثاني انزل لان انزال الكتب المتقدمة كان جملة وقوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا اي من الهدى وقيل من النجاة ثم انما علق الضلال بذلك كله بالواو لا لان الجمع شرط لان الكفر بكل واحد على الانفراد كفر وضلال لكن هذه صفة قوم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا كافرين بذلك كله فوصفهم بذلك لانهم كذلك وقوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال مجاهد هم المنافقون اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وانما تكرر ذلك منهم وازدياد الكفر ثباتهم على الكفر الى الموت وهذا القول يؤيده ما بعده بشر المنافقين وقال الكلبي ان آمنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا من بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعد عزير بالمسيح ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس من صفة الله عز وجل مغفرة الكفر فقد قال ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله تعالى ولا ليهديهم سبيلا اي سبيل الرشد ما كانوا مختارين للكفر وقيل لا يغفر لهم اذا ماتوا

على الكفر ولا يهديهم طريق الجنة قال تعالى ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم ودلت الاية على ان الله تعالى
قد يحرم بعض عباده الهداية وهو رد على المعتزلة في قولهم ان الله قد هدى الكل وقوله تعالى بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما اى ضع اخبارهم بالعذاب الاليم موضع البشارة لهم وهو كقول الشاعر
• وخيل قد دلفت لها بخيل • تحية بينهم ضرب وجيع • اى الضرب بينهم مكان التحية وقيل لما نزلت
اية المغفرة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قال عبد الله بن ابي فما لنا فانزل الله تعالى هذه الاية
يقول بشر عبد الله بن ابي ومالك بن الدخشم وجد بن قيس بان لهم عذابا وجيعا وقوله تعالى الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين هذه صفة المنافقين اى يتولون الكفار لا المؤمنين
وقوله تعالى ايبتغون عندهم العزة اى يطلبون عند الكفار المنعة استفهام بمعنى التوبيخ وكان
المنافقون يقولون لا يتم امر محمد فتولوا اليهود يطلبون منهم المنعة والنصرة وقوله تعالى فان العزة
لله جميعا اى المنعة من جميع وجوهها لله لا يمنع من عذابه الذى ينزله بالمنافقين مانع من هؤلاء الكفار
الذين يتولونهم ولان العزة والمنعة والغلبة اذا كانت له فهو يعز اولياءه لا اعداءه وقال القشيري
رحمه الله العزة الازلية لله تعالى وصفا والعزة الحادثة لاولياءه منه لطفا وقال في اول هذه الاية
ان الذين امنوا وسقطوا ثم انتعشوا ثم عثروا ثم ختم بالسوء احوالهم اولئك الذين تقصمهم سطوات
العزة وادركتهم شقاوة القسمة والحق سبحانه وتعالى لا يهديهم لقصد ولا يدلهم على رشد فبشرهم بالفرقة
الابدية واخبرهم بالعقوبة السرمدية وقوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب قرأ عاصم بفتح
النون وتشديد الزاي اى نزل الله وقرأ الباقون نزل على ما لم يسم فاعله وقوله تعالى ان اذا سمعتم
ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها اى اذا جلستم ايها المخلصون مع المنافقين وسمعتموهم يكفرون بالقران
ويستهزؤن به وقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره اى لا تمكثوا على القعود
عندهم حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقران والخوض هو الشروع واصله الخوض في الماء
وقوله تعالى انكم اذا مثلهم اى اذا مكثتم معهم فانتم مثلهم في الوزر ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان
خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية واراد به انهم يأثمون له اثم المعصية والمراد بقوله
وقد نزل عليكم في الكتاب هو ما نزل بمكة في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكان ذلك عند ابتداء الامر حين لم يكن الامر بالقتال واردا ولما نزلت
هذه الاية وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم المنافقون بذلك فكانوا يكثرون الخوض فيه
قصدا الى تعريفهم فنزل قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء اى ما على المخلصين المؤاخذة
والمحاسبة في القيمة بخوض المنافقين ولكن ذكرى لعلهم يتقون اى ذكروهم وعظوهم ولا تقوموا عنهم
وكان ذلك ناسخا للاول ثم نسخ هذا باية القتال انهم اذا سمعوا من ذلك شيئا قتلوهم فلم يتركوهم ووجه
اتصال هذا بالاول ان العزة لله وهو المعز دينه واولياءه وقد اعزكم فكنتم بحيث لا يمكنكم ان تمنعوهم
عن خوضهم ثم صرتم تقتلونهم وتستاصلونهم وهو بالعزة التي اعطاكم وقوله تعالى ان الله جامع الكافرين
والمنافقين في جهنم جميعا سوى بين المنافقين وبين الكافرين في جهنم جميعا الظاهرين انهم مخلدون
في العذاب اجمعين وقوله تعالى الذين يتربصون بكم يجوز نعتا للمنافقين المذكورين في قوله بشر المنافقين
ويجوز مبتدا وخبره فالله يحكم بينهم يوم القيمة ويتربصون بكم اى يرتقبون بكم وينتظرون عاقبة امركم اذا غزوتم
وقوله تعالى فان كان لكم فتح من الله اى فتح بلاد الاعداء وغنيمة وقوله تعالى قالوا الم نكن معكم استفهام
بمعنى الاثبات اى قد خرجنا معكم لغزو الاعداء فطلبوا سهامهم من الغنائم وقوله تعالى وان كان للكافرين
نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم الاستحواذ الاستيلاء قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان وقيل الغلبة
واصله من حاذ يحوذ حوذا اى حاط يحوط حوطا وقيل اى ضم يضم ضما واستحوذ بما خرج على الاصل
ولم يغير كقولهم استعان واستبان ومعناه قال المنافقون للكفار الم نستول عليكم اى احطنا بكم يعني
لحياطتكم ونقويكم ونمنعكم من المؤمنين جزم بالعطف على الم نستحوذ اى الم نجعلكم ممنوعين من المؤمنين
اى المحفوظين اى دفعنا عنكم بالاسباب من تثبيط المؤمنين عن الجهاد وتعويقهم باشياء قال الكلبي رحمه الله
اى الم نخبركم بعورة محمد واصحابه ونطلعكم على سرائرهم وقوله تعالى فالله يحكم بينكم يوم القيمة
اى يقضي بينكم ايها الفريقان فيدخل المنافقين النار ويدخل المؤمنين الجنة وقوله تعالى ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قيل لن يجعل الله لليهود على اصحاب محمد يدا وكان كذلك وقال ابن
عباس رضي الله عنهما لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين حجة ابدا وقال الاعمش جاء رجل الى علي رضي الله عنه
فقال ارايت قول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فقال ادنه فدنا
فقال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وبنحوه قال الحسن ليس للكفار ان يقولوا للمؤمنين

ما نفعكم

ما نفعكم ايمانكم وطاعاتكم فقد اشتركنا واستوينا في الحال وقيل لا سبيل للكفار يوم القيمة على المؤمنين
بدفع شهاداتهم عليهم للانبياء وقوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم اى يخادعون
اولياء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم وهو مجازيهم على ذلك وقد كشفنا عن
حقيقته وقد بينا الاقاويل فيه في سورة البقرة وقوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
جمع كسلان كالسكارى جمع سكران والكسل هو التثاقل عن الشيء لمشقته على النفس وضعف الدواعي اليه
وهو خلاف النشاط وهو الاسراع الى الشيء لخفته على النفس وقوة الدواعي اليه وكسلهم لانهم لا يعتقدون
وجوبها ولا يعرفون فضلها وقوله تعالى يراؤن الناس اى انما يقومون اليها اراءة المسلمين وقوله
تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا اى باللسان دون الاعتقاد وقيل اى بما يجهر في الصلوة دون ما يخافت
بها وقال الحسن اما والله لو كان ذلك القليل لوجه الله لكان كثيرا يقول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره وان تك حسنة يضاعفها وقوله تعالى مذبذبين بين ذلك يقال ذبذبه فتذبذب اى جعله
مضطربا فاضطرب قال النابغة شعر • الم تر ان الله اعطاك سورة • ترى كل ملك دونها يتذبذب •
الذؤابة سميت بها لحركتها والذباذب اسافل الثوب وقوله بين ذلك اى بين ذينك كما مر في قوله عوان
بين ذلك وقوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء تفسير المذبذبين اى مترددين متحيرين لا الى المسلمين
بالكلية ظاهرا وباطنا ولا الى الكفار كذلك وقوله تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى الى
الهدى بما اضله الله باختيارهم الضلال وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين قال الحسين بن الفضل رحمه الله اى لا تصنعوا ايها المخلصون ما يصنع المنافقون
فقد قال في صفتهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله تعالى اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا استفهام بمعنى التوبيخ اى لم تريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انفسكم
بتعذيبكم والانتقام منكم في الانتقام منكم في الدنيا والاخرة فقد اخبر انه لا يعذب الا من عصاه ولله الحجة البالغة
على خلقه في عموم الاحوال من غير جعل جاعل غيره انه لما نهى عن امر واوعد عليه فاذا فعله فكانه الزم نفسه بحجة
عليه في ذلك وقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الدركات الى اسفل كالدرجات
الى اعلى والواحد درك ودرك بالفتح والسكون وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بالسكون والباقون بالفتح اخبر انهم
في الدرك الاسفل من النار اى الطبق الاسفل من النار وهو اشد عذابا ولذلك قال خبرا عما يقول الكافرون
في النار ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين وقال ابن مسعود
رضي الله عنه المنافقون في الدرك الاسفل من النار في توابيت من حديد مطبقة عليهم وهذا لان كفرهم اخبث
وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا اى مانعا من عذاب الله وقوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا استثنى
التائبين منهم ترغيبا لهم في الرجوع وقوله تابوا اى رجعوا عن النفاق بالاخلاص واصلحوا ما افسدوا من الاعمال
وقوله تعالى واعتصموا بالله اعتقدوا ان العاصم هو الله عز وجل من المكاره فلا يعتصمون بالخلق بعد
هذا كما كانوا يفعلونه قبل هذا وقوله تعالى واخلصوا دينهم لله عن الرياء ونحوه وقوله تعالى فاولئك
مع المؤمنين اى في الثواب والدرجات لا في العقاب والدركات وقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما جمع الكل في الوعد بالثناء العظيم من الاجر وقال القشيري رحمه الله تابوا ورجعوا عن نفاقهم
واصلحوا ما افسدوا احوالهم واخلاقهم واعتصموا بالله تبرؤا من حولهم وقوتهم واخلصوا دينهم لله شاهدوا المنة
لله عليهم حيث هداهم وعن نفاقهم نجاهم وقيل اعتصموا بالله باستدامة التوفيق واخلصوا دينهم لله راوا
نجاتهم بفضل الله لا بفعل انفسهم على التحقيق وقيل لم يشترط كل هذه الشرائط في غيرهم ثم قال مع المؤمنين
ولم يقل هم المؤمنون وقال وسوف يؤت الله المؤمنين ولم يقل يؤتيهم مع صلاحهم بعد فسادهم لفحش ما كان منهم
فقد انشدوا • العذر مبسوط ولكنه • شتان بين العذر والشكر • وقيل ان فحش كفرهم من ثلاثة اوجه
سعيهم في افساد ضعفة المسلمين بالتشكيك وكونهم طلايع الكفار في اطلاعهم على اسرار اهل الاخلاص والتوحيد
وترددهم بين الحالين من غير ثبات على شيء ولا تحقيق وقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم استفهام بمعنى الجحود
اى لا يعذبكم وقوله تعالى ان شكرتم وامنتم اى امنتم بالله وشكرتم له بالطاعة وقوله تعالى وكان الله
شاكرا عليما اى يجزيكم على شكركم وقيل الشكر من الله قبول اليسير من العمل واعطاء الكثير من الثواب
وقوله عليما اى عالما بصنيعكم وبقدر جزائكم على اعمالكم وقال القشيري رحمه الله ان شكرتم نعمه وامنتم اى صدقتم
ان نجاتكم بالله لا بشكركم والشكر من العبد شهود النعمة من الله والايمان رؤية الله في اعطاء النعمة فكانه قال
ان شاهدتم النعمة من الله ثم لم يقطعكم شهود النعمة عن شهود المنعم وكان الله شاكرا حقيقة الشكر هو الثناء
على المحسن بذكر احسانه فالعبد يشكر الله اى يثني عليه بذكر احسانه الذي هو نعمته عليه والله يشكر العبد
اى يثني عليه بذكر احسانه الذي هو طاعته له وقوله عليما اى يثني عليه بطاعته مع علمه بالكثير من انواع معصيته

وقوله تعالى **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** ذكر في الايات المتقدمة ايذاء المنافقين المؤمنين وذكر في هذه الاية اباحة المظلوم من المؤذين وقال الزجاج رحمه الله تعالى لا يحب الله ان يجهر بالسوء الا من ظلم فيجوز ان يظلم مما فيمن رفع بفعله والجهر بالسوء عند ابن عباس وقتادة ان يدعو على ظالمه وعند مجاهد ان يخبر بظلم ظالمه اياه وعند الحسن والسدي ان ينتصر من ظالمه وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه شتمه رجل بمكة فسكت عنه مرارا ثم رد عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقال سعيد بن المسيب نزلت في رجل ضاف رجلا بفلاة من الارض فلم يضفه وقالوا هذا فيمن نزل في موضع لا يجد ماوى غيره ولا طعاما يشتريه اولا ثمن عنده فاذا نزل على قوم فلم يضيفوه فقد ظلموه فله ان يشكو منه وقرا الضحاك وزيد بن اسلم وابن ابي اسحق وسعيد بن جبير ويعلى بن حكيم الا من ظلم بفتح الظاء واللام على الفعل الظاهر وعلى هذا معنى الا لكن اي لكن من ظهر بالسوء فقد ظلم وفيه ان الجهر بالسوء لا يكون مباحا وعلى الاطلاق يكون حراما ومن فعله فهو ظالم وقال الضحاك هو مردود على قوله ما يفعل الله بعذابكم الا من ظلم فانه يعذبه ثم قال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول اي على كل حال فاما قراءة العامة الا من ظلم على ما لم يسم فاعله فالا للاستثناء على الحقيقة وفيه اباحة المظلوم الدعاء على الظالم ومن سمى جهرا بالسوء مع انه مباح لانه جزاء السوء فسمي به وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الحسن لا يدعو على ظالمه بالهلاك والعقوبة لكن يقول اللهم استخرج حقي منه اللهم حل بيني وبينه وبين ما يريد بي من السوء وقال ابن كيسان الا من ظلم يعني المشرك الظالم فانه يستحق الشتم والجهر به وقوله تعالى **وكان الله سميعا عليما** اي يسمع ما يجهرون به من القول ويعلم ما يقصدون به من التعصب في الدين والتشفي والانتقام بالباطل وقيل اي سميعا لدعاء المظلوم عليما بفعل الظالم وقوله تعالى **ان تبدوا خيرا او تخفوه** قيل هو احسان القول بغير جفاء والاخفاء هو احسان النية في حق من اذاه وقوله تعالى **او تعفوا عن سوء** هو التجاوز عن من ظلمه في دنياه وعقباه وقوله تعالى **فان الله كان عفوا قديرا** اي اقتد بفعل الله فانه كثير العفو عن عباده مع قدرته على عقوبتهم وقيل هو وعد للعافي عن ظالمه بعفو الله عنه وقال الكلبي رحمه الله ان تبدوا خيرا او تخفوه اي تبدوا حسنة كتبت عشرا او تخفوه اي تهموا بها كتبت واحدة كما روي وقال القشيري رحمه الله ان تبدوا خيرا اي طاعة لتكونوا للناس قدوة او تخفوه اكتفاء بعلم الله او تعفوا عن سوء من غيركم نظرا لانفسكم فان الله يعفو عنكم وهو قادر على ان يبتلي بما ابتلى به ظالمكم من وبال ظلمكم وقال من احسن اليك فابدا احسانك اليه جهرا ومن كفاك الشر فاخلص له الولاء والدعاء سرا ومن اساء اليك فاعف عنه كرما وتفضلا فان الله عاف عنك ذنوبك العظام قادر على ان يعطيك من الفضل والانعام ما لا تصل اليه بالاستحقاق والاستيفاء وقوله تعالى **ان الذين يكفرون بالله ورسله** ذكر اولا المجاهرين بالكفر ثم المنافقين ثم اليهود والنصارى قال الكلبي ومقاتل انها نزلت في اليهود ووصفهم بالكفر بالله لان كفرهم ببعض انبيائه وكتبه كفر به لانه رد لقوله وقوله تعالى **ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله** لما اضافهم الله الى نفسه بانهم رسله وهم انكروا رسالة بعضهم وقد فرقوا بقطع هذه الاضافة بينهم وبين الله وقوله تعالى **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** هم لا يقولون بهذه اللفظة لكن اليهود يصدقون موسى وهرون وعزيرا ويؤمنون بالتوراة ويكفرون بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن والنصارى يكفرون بمحمد والقرآن فرجع ذلك الى هذا القول معنى وقوله تعالى **ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا** اي دينا بين الايمان بالكل والكفر بالكل وهو الايمان بالبعض والكفر بالبعض ثم الجمع بين هذا كله ليس بشرط لثبوت الكفر والواو ليس للشركة بل هو بمعنى او وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يجحدون الله اصلا كالدهرية ورسله يعني او رسله كالذين يقرون بالله ولا يرون ارسال الرسل كالبراهمة وقوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله هو تفسير هذا او يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض او يقولون هذا وهو قول اليهود والنصارى ثم هذه الاية مبتداة وخبرها مضمر عند بعضهم في اخرها وتقديرها جمعوا المخازي وعند بعضهم جوابه الاية التي بعدها وهي قوله تعالى **اولئك هم الكافرون حقا** اي الايمان بالبعض والكفر بالبعض لا يجعلهم مؤمنين من وجه بل هم كفار على الاطلاق وحقا نصبه من خمسة اوجه احدها الذين كفروا امرا حقا وهو الايمان فيكون مفعولا بفعل الكفر والثاني الذين كفروا كفرا حقا وهو على المصدر والثالث الذين كفروا حاقين فيه اي قاصدين له جادين فيه وهو على الحال والرابع الكافرون بحق نصب بحذف الباء والخامس حقا قسم بمنزلة قوله وحق الله وقوله تعالى **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** اي اعددنا والعتاد العدة وقوله تعالى **والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم** فسرنا بين احد في اخر سورة البقرة ثم ذكر المؤمنين ومدحهم **اولئك سوف نؤتيهم اجورهم** اي الثواب الموعود لهم وقوله تعالى **وكان الله غفورا رحيما** يغفر لهم ما تقدم منهم من الكفر قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم ويرحمهم فلا يؤاخذهم بذلك وقوله تعالى

يسألك

السوء

يسألك اهل الكتاب قال مقاتل اي كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا واصحابهما وقال عطا يعني بني قريظة والنضير وقوله تعالى **ان تنزل عليهم كتابا من السماء** اي كتابا مكتوبا مثل الالواح المنزلة على موسى وقيل اي جملة واحدة كما قال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقيل اي على واحد منهم باسمه كما قال بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة وقال وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقوله تعالى **فقد سألوا موسى اكبر من ذلك** اي هؤلاء خلف سلف اقترحوا وتحكموا على نبيهم موسى مع ما جاءهم بالالواح المكتوبة ما هو اكبر من هذا التحكم عليك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى **فقالوا ارنا الله جهرة** اي عيانا وقيل فيه تقديم وتاخير فقالوا جهرة من القول ارنا الله وقوله تعالى **فاخذتهم الصاعقة** اي العذاب الهائل وقيل النار المحرقة وقيل النار فيها الصوت وقوله تعالى **بظلمهم** اي بكفرهم بموسى بتكذيبه ثم لم يكفهم هذا حتى جاؤا بظلم اخر وهو قوله تعالى **ثم اتخذوا العجل** اي الها وقوله تعالى **من بعد ما جاءتهم البينات** قيل هي الصاعقة سماها مع توحدها بينات لما فيها من دلائل الوحدانية لله تعالى وصدق موسى وتنبيههم على جهلهم وغير ذلك وقيل كان فيها اماتتهم واحياؤهم واشياء اخر فكانت بينات وقال الكلبي وعطاء هي الايات التسع وقوله تعالى **فعفونا عن ذلك** اي بالتوبة فلم نستأصل الكل وقوله تعالى **واتينا موسى سلطانا مبينا** قال مجاهد وعطاء حجة بينة قوي بها على اعدائه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يعني ان الايات التي اتاهم بها من اليد البيضاء وتقلب العصا وفلق البحر كانت ايات ظاهرة يعقلها كل احد ان لم يعاندوه تبين ان سؤالهم الرؤية كان سؤال تعنت لا سؤال استرشاد فانه كان ادلى على رسالته بايات فلم يقبلوها وفيه دليل على ان المسؤول لا يلزمه الدليل على شهوة السائل لكن يلزمه ان ياتي بما هو دليل في نفسه ولذلك عاقبهم الله تعالى بالصاعقة وقوله تعالى **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا** اي ورفعنا الطور فوق رؤسهم لاخذ الميثاق عليهم باخذ الكتاب والعمل به وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا اي باب ايليا مطاطئين عند الدخول رؤسكم وقلنا لهم لا تعدوا باخذ السمك يوم السبت واخذنا عليهم بذلك كله عهدا مؤكدا غاية التاكيد وقد شرحنا هذه الحوادث الثلاث في سورة البقرة وقوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف** اي فبنقضهم وما زائدة كما في قوله فبما رحمة من الله وقد شرحناه ثم يقول فبسبب نقضهم هذا الميثاق المأخوذ عليهم وبكفرهم بايات التوراة وهو تحريفها او بكفرهم بالمعجزات التي اوردها موسى عليه السلام وبقتلهم زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء من غير ان يتصور منهم سبب استحقاق القتل وبقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم ولا حاجة لنا الى قول موسى او هي في غلاف فلا نفقه ما يقال لعناهم وسخطنا عليهم هذا مضمر فيه قاله قتادة لدلالة الكلام عليه لانه قال في سورة المائدة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وكذلك اعتراض قوله بل طبع الله عليها بكفرهم دليل على ذلك وقال الزجاج يتصل هذا بقوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي بسبب هذه الاشياء عاقبناهم بذلك وعلى هذا يكون قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات بدلا عن قوله فبما نقضهم ورجحه عنه فالاول اوجه لتباعد بين الكلامين في الوجه الثاني وقوله تعالى **بل طبع الله عليها بكفرهم** وهو رد لقولهم قلوبنا غلف وقد بينا ذلك في سورة البقرة وقوله تعالى **فلا يؤمنون الا قليلا** ذكرنا وجوهه في قوله فقليلا ما يؤمنون وقوله تعالى **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما** قيل وبكفرهم بعيسى والاول كفرهم بالتوراة وبمعجزات موسى فلم يكن تكرارا وقيل معناه انهم كفروا كفرا بعد كفر على كفر بتحقيق لها هم وقولهم على مريم بهتانا عظيما قال الكلبي رحمه الله ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقالوا قد جاءكم الساحر ابن الساحرة فقال عيسى اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخوا خنازير ورموا امه برجل من الصالحين وهو يوسف بن يعقوب بن ماثان ثم في هذه الاية وجهان احدهما انه عطف على قوله فبما نقضهم وكفرهم وقتلهم وقولهم والثاني انه عطف على قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وبما ذكر في هذه الاية وقوله تعالى **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم** معنى الجمع بين الاسمين ما مر في سورة آل عمران وقوله تعالى **رسول الله** وهم لم يعتقدوه رسول الله وله وجهان احدهما انهم قالوه استهزاء به كما قالوا لرسولنا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والثاني انهم لم يقولوا انه رسول الله ولكن الله تعالى وصفه به وهو كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا الاية هم لم يقولوا ذلك كله ولكن الله تعالى وصف نفسه بكمال القدرة ثم انهم لم يقتلوه ولكنهم ادعوا ذلك كذبا فاستحقوا بذلك عقاب قائله وقوله تعالى **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** قال الحسين بن الفضل ما القى الله شبهه على احد لان احدا لم يستحق ذلك ولم يصلح لذلك ولكن شبه لهم اي خيل لهم فوقع عندهم ان ذلك شبيه به فقتلوه ورأوا مقتولا وكانوا قصدوا قتل عيسى عليه السلام فظنوا ان المقتول عيسى فادعوه وقد بينا الاحاديث في ذلك واختلاف الطرق فيها في قوله ومكروا ومكر الله وذكر خبرا اخر فيه لم نذكره

ثم قال عطا ولكن شبه لهم اى ابن العجوز وذلك ان عيسى عليه السلام نزل على عجوز فاستضافها فقالت
ان الملك يطلب رجلا من قصته كذا وكذا وانا اضيفك على ان لا اعصى الملك قال عيسى اكتمى امرى وانا ادعو
ربى ان يرزقك ما تمنين قالت ان ابنى غائب عنى فادع ربك ان يرده فدعا ربه فاذا بالغلام فقال عيسى لا تخبرى
ابنك بى فقالت لابنها نزل بى ضيف على ان اومنه من الملك فاذا ابنها ابن هو قالت فى الخزانة فدخل فراى
عيسى عليه السلام قال قم الى الملك قال عيسى احسن ضيافتى وانا اعطيك ما تريد قال بسخرية انى اريد
ان يزوجنى الملك ابنته فقال انا اك بذلك فلما اصبح طالبه ابن العجوز بالشرط فقال له البس ثوبك
وات الملك وقل جئتك خاطبا ابنتك فاتى الملك خاطبا فامر به وجلد فرجع وقال لعيسى قم الى الملك
فقد عرضنى للضرب فمسح عيسى بالجراحات فالتامت واعتبر الغلام بذلك فرجع الى الملك فراى جراحاته
ملتئمة فساله ذلك فقالت اتريد ابنتى قالت نعم قال على ان تملا هذا البيت ذهبا فاخبر عيسى فقال قم
فانه مملوء ذهبا وخرج عيسى وتبعه الغلام فلما لحق بعيسى قال ما حاجتك قال لا اوثر على صحبتك شيئا قال
عيسى ان هذا الملك قد لحقنا فمن تشبه بى فله الجنة فقال انا فالقى الله تعالى شبه عيسى ورفع عيسى
فوجدت الصفة فيه فذلك قوله تعالى وما قتلوه الاية وقال الامام ابو منصور رحمه الله تعلق الناس بهذه
الاية من وجهين احدهما فى احتمال الغلط والخطاء فى المشاهدات والمعاينات والثانى فى احتمال المتواتر
من الاخبار الغلط والكذب وقالوا لم يقتل ذلك الرجل وعندهما انه عيسى لما كان به شبهه ثم لم يكن عيسى
ما يمنع ايضا ان ما يشاهد ويعاين هو فى الحقيقة على غير ذلك ثم الخبر ايضا قد تواتر فيهم بقتل عيسى وكان
كذبا مما يمنع ايضا ان الخبر المتواتر يجوز ان يكون باطلا او غلطا قلنا اما الخبر بقتله فما انتشر عن ستة
او سبعة كذا ذكر فى القصة وهذا من اخبار الاحاد عندنا واما التشبيه فهو تشبيه الداخلين على الاخير
لانهم دخلوا بيتا هو فيه فلم يجدوه لانه رفع وكان ذلك من اعظم اياته فلما خرجوا لم يجترؤا ان يخبروا الناس
بذلك بل قالوا قتلناه فذلك تشبيه منهم لهؤلاء فلم يكن حجة فى دعوى وقوع الخطاء فى المشاهدات
فان قالوا وهو على من حقق القاء الشبه على غيره كيف يجوز هذا والايمان بعيسى واجب واذا وقع عندهم
ان هذا عيسى وجب عليهم الايمان به وهذا تغليط وتخليط وتلبيس قلت لا يكون هذا اعتذا الدعوة وزهاد
الايمان فاما حال همهم بقتله وعلم الله منهم انهم لا يؤمنون فانه يكون تاييدا لرسوله وانجازا لوعده
مجازا وقوله تعالى **وان الذين اختلفوا فيه** قال مقاتل وجماعة اى اختلفوا فى قتله وقوله تعالى **لفى شك
منه** اى من قتله وقوله تعالى **ما لهم به من علم الا اتباع الظن** فانهم يدعون قتله وهم شاكون فيه
فانه بعد قتلهم ذلك الرجل كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا
فاين عيسى وقوله تعالى **وما قتلوه يقينا** له وجوه احدها لم يتيقنوا بقتله فانهم ادعوه وهم على
شك والثانى ما قتلوه وهذا نفى مطلق وقوله تعالى يقينا اى هذا النفى يقينى ليس فيه شبهة القتل
وما قتلوه ابويا علوم لانه يستعمل فى العلم لغة يقال قتلت هذا الامر يقينا اى علمت به على اليقين وعلت
على معرفته ووصلت الى غاية بحيث لم يبق فيه اضطرابات كالمقتول لا اضطراب قال ذلك الفراء وجماعة
من اهل الادب وقيل فى قوله وان الذين اختلفوا فيه اى فى صفة عيسى فان النصارى يختلفون على
مقالات باطلة انه ابن الله او الله او الناسوت او اللاهوت وقوله لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن
فى هذه المقالات وما علموا ذلك يقينا وما قتلوه يقينا وقوله تعالى **بل رفعه الله اليه** اى الى السماء
وقد فسرناه وذكرنا وجوهه فى سورة آل عمران وقوله تعالى **وكان الله عزيزا حكيما** حال بينهم
وبين عيسى ان يقتلوه وقيل اى منتقما من اليهود وقد فعل بتسليط اسفسيانوس الرومى عليهم حتى
قتل منهم كثيرا وقد بيناه فى قوله ومكروا ومكر الله وقوله حكيما اى فى رفعه الى السماء حيا وقالت عائشة
رضى الله تعالى عنها ترك عيسى حين رفع الى السماء خفين ومدرعة ومسادة وترك النبى صلى الله عليه
وسلم ازارا غليظا وكساء ومسادة من ادم وقوله تعالى **وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا** اى وما من اهل الكتاب احد وهذا مضمر الا ليصدقن به
او لا ليؤمنن به وهو كقوله وما منا الا له مقام معلوم وقوله وان منكم الا واردها قاله الزجاج وليؤمنن به
قبل موته فى الكتابى وجوه قيل هما رجعان الى عيسى عليه السلام اى يؤمن بعيسى بعد نزول عيسى لانه رضى
قبل موت عيسى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل وعكرمة وابو مالك والكلبى والحسن قال ابن عباس
رضى الله عنهما اذا بعث عيسى الى الدنيا امن به بقية اليهود والنصارى وقيل الاولى ترجع الى عيسى والثانية
الى الكتابى قال محمد بن الحنفية لنا تى الملائكة اليهودى فيضربون وجهه ودبره ويقولون يا عدو الله
جاءك عيسى نبيا من عند الله فكذبته فيقول اشهد ان عيسى نبى الله وعبده ويأتون النصارى فيضربون
وجهه ودبره ويقولون يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فقلت انه ابن الله فيقول اشهد ان عيسى عبد الله ورسوله

دهو

وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل له انا نرى المحتضر يموت ولا يتكلم به فقال ان ضرب عنقه
وخر من فوق بيت او غرق او احرق بالنار او اكله السبع لا تخرج روحه حتى يؤمن بعيسى لكنه لا ينفعه ولا
يقبل منه لانه حالة اليأس وقوله **ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا** اى يكون عيسى عليهم شهيدا بتكذيب
من كذبه وتصديق من صدقه وذكر الامام ابو منصور رحمه الله هذين القولين وقال ايضا وقيل ليؤمنن
به اى بالله وقيل بمحمد عليه الصلوة والسلام لان عيسى اذا نزل دعى الناس الى الايمان بمحمد ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا اى حافظا وقيل يكون محمد عليهم شهيدا قال وهذا كله محتمل والله اعلم بما اراد
وقوله تعالى **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم**
اى كانت احلت لهم وكذا هو فى قراءة ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم اى بسبب ظلمهم انفسهم
بارتكاب ما نهوا عنه حرمنا عليهم طيبات وهو ما ذكر فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر الاية وقوله تعالى **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** اى بحجرهم ومنعهم وهو بطريقين بالقتال
واستغواء الضعفة والجهال وقوله تعالى **واخذهم الربوا** اى وباخذهم وقوله تعالى **وقد نهوا عنه** اى فى التورية
ودل على حرمة الربوا فى كل الامم وقوله تعالى **واكلهم اموال الناس بالباطل** هو اخذ الرشى فى الاحكام
واستئكال اموال الاشراف بتحريف الكتاب وقوله تعالى **واعتدنا للكافرين منهم** اى دون من امن
عذابا اليما فى الاخرة مع تحريم الطيبات وغير ذلك فى الدنيا ومن استدل بالاية على ان الكفار مخاطبون
بالشرايع فانه ذكر التحريم والنهى فلا حجة له فيه لان الخلاف فى العبادات فاما حقوق العباد من اخذ
اموالهم بالغضب والسرقة والعقود الفاسدة فهم مواخذون باحكامنا بقوله ان احكم بينهم بما انزل
الله وقوله تعالى **لكن الراسخون فى العلم** اى الثابتون **منهم** اى من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام
واصحابه وقوله تعالى **والمؤمنون** اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك** اى بالقران والتورية والانجيل والزبور وقوله تعالى **والمقيمين
الصلوة** يذكر عن عائشة رضى الله عنها انها قالت هذا خطأ من الكاتب والصحيح والمقيمون الصلوة
عطفا على قوله والراسخون وهذا لا يجوز لان الله تعالى قال وانا له لحافظون فلم يجز وقوع الخطأ فيه
مع حفظ الله ولانه لم يغيره الصحابة ولو وقع الخطاء لم يظن بهم تقريره وهم العدول للامة ولنصبه
وخفضه وجوه احدها انه نصب على المدح كما فى قول الشاعر ۞ لا يبعدن قومى الذين هم ۞
سم العداة وآفة الجزر ۞ النازلين بكل معترك ۞ والطيبين معاقد الازر ۞ والثانى انه مخفوض
معطوف على قوله بهم وتقديره ومن المقيمين الصلوة والثالث انه مخفوض معطوف على الكاف
التى فى قوله بما انزل اليك وتقديره والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل هو معطوف على ما
وهو قوله بما انزل اليك وتقديره وبالمقيمين وهم الانبياء ايضا والصلوة كانت مشروعة فى كل
زمان قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقيل هم الملائكة وهى من
صفات الملائكة قال تعالى والصافات صفا وقال تعالى خبرا عنهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وقال وله يسجدون وقوله تعالى **والمؤتون الزكوة** عطفا على قوله والراسخون وقوله تعالى
والمؤمنون بالله واليوم الاخر اى المصدقون بوحدانية الله تعالى وبكون القيمة وهم مخالفون
المذكورين قبلهما انهم كافرون وقوله تعالى **اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما** والاولون اعتدنا لهم عذابا اليما
وقال مقاتل ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان اليهود لتعلم ان الذى جئت به
حق وانك مكتوب عندهم فى التورية فقالت اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم ليس كما يقولون وانهم لا يعلمون
شيئا وانهم يغرونك ويحدثونك بالباطل فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى **انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده** قال ابن عباس رضى الله عنهما لما فضح الله تعالى اليهود
بذكر ذنوبهم وعيوبهم غضبوا وقالوا ليس هذا كلام الله وما انزل الله على بشر من شىء فنزلت هذه الاية
وبدا بمحمد تشريفا له لانه افضل الانبياء واعظمهم وان كان خاتما لهم ثم جعل نوحا ثانية فى الوحى
بهذه الاية وفى اخذ الميثاق بقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وانما قدمه على
ساير الانبياء لانه ابو البشر قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه اول نذير على الشرك واول من
عذب امته بردهم دعوته ولانه اطول الانبياء عمرا واكبرهم سنا وجعلت معجزته فى نفسه لم يبق منه
ولم تسقط سنه ولم يبيض شعره مع انه عمر الف وماتى سنة ولم يوذى احد فى الله ابدا اذاه وهو
اول من شرعت له الشرايع وسنت له السنن وقوله تعالى **واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط** قد ذكرنا فى سورة البقرة ان الاسباط اولاد يعقوب وقوله تعالى **وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمن** قدم ذكر عيسى عليه السلام وزمانه متاخر عنهم لان الواو ليس للترتيب ولان

البداية تكون بالاخر وهذه الاية فى الانكار على اليهود وطعنهم على عيسى فلذلك قدم ذكره وقوله تعالى
وآتينا داود زبورا اخره عن ذكر سليمان مع وجوده قبله لما قلنا ان الواو ليس للترتيب وانه اوفق لخواتم
الاية وقوله تعالى ورسلا نصبه من وجوه احدها باضمار ارسلنا لانه بمعنى الوحى وقد ذكر ذلك فدل
على هذا المضمر والثانى بمحذوف اى واوحينا الى رسل والثالث بالفعل المذكور بعده وهو قوله تعالى
قد قصصناهم وهو كقوله والقمر قدرناه منازل والرابع بالعطف على داود اى وآتينا رسلا كتبا اخر
وقوله تعالى قد قصصناهم عليك من قبل قال الكلبى اى سميناهم لك فى القرآن وعرفناكهم
الى من بعثوا وقوله تعالى ورسلا لم نقصصهم عليك اى لم نسمهم لك والمسمون المذكورون
فى سورة الانعام وغيرها وهى متقدمة فى النزول وان كانت مؤخرة فى الكتابة قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما لما نزلت الاية الاولى قالت اليهود ذكر محمد الانبيا ولم يذكر موسى فنزلت الاية ورسلا قد
قصصناهم عليك الاية وسال ابوذر رسول الله صلى الله عليه وسلم كم الانبياء قال مائة الف واربعة
وعشرون الفا قال كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر اول الرسل آدم واخرهم نبيكم محمد
صلى الله عليه وسلم وان اول رسل بنى اسرائيل موسى واخرهم عيسى وبينهما الف نبى واربعة منهم
سريانيون واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام وقوله تعالى وكلم الله موسى
تكليما اى بلا واسطة وهو رد على المعتزلة الذين لا يثبتون لله تعالى كلاما ازليا على الحقيقة صفة
قائمة بذاته لانه اكده بالمصدر وهو لتحقيق الاسم والصفة فان الفعل المذكور على المجاز لا يؤكد
بالمصدر ودلت الاية على ان معرفة الرسل واحدا بعد واحد باسمائهم ليست بشرط لصحة الايمان
لكن من شرطه ان يؤمن بهم جميعا ولو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك وقوله تعالى
رسلا مبشرين ومنذرين رسلا بدل عن الاول مبشرين اى بالجنة لمن اطاع الله ومنذرين بالنار
لمن عصاه وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اى لئلا يكون لهم الاحتجاج
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الاية قال الامام ابو منصور رحمه الله وهذا انما يكون فى العبادات
والشرائع التى سبيل معرفتها السمع لا العقل فاما الاعتقادات فان لزومها بالعقل فلا يكون لهم
الاحتجاج اذ فى كل شئ من خلقه دليل على وجوده ووحدانيته وربوبيته وقوله تعالى وكان الله عزيزا
حكيما اى منيعا قادرا على اعزاز من اعزه واذلال من اذله حكيما بوضع كل شئ موضعه وقيل اى قادرا
على اثابة من صدقهم وعقاب من كذبهم وقيل حكيما فى ارسالهم وفى كل شئ وقوله تعالى لكن الله يشهد
بما انزل اليك قال الكلبى رحمه الله ان رؤساء مكة قالوا يا محمد انا قد سالنا عنك اليهود وعن
صفتك فزعموا انهم لا يعرفونك فى كتابهم فائتنا بمن يشهد لك ان الله بعثك الينا رسولا فانزل الله
تعالى قل اى شئ اكبر شهادة الى قوله ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قالوا نحن يا محمد نحن نشهد
على ذلك ولا نجد احدا يشهد انك رسول الله فانزل الله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك الاية وشهادة
الله لرسوله بما اظهر على يده من المعجزات وهى شهادة قاطعة وشهادة الملائكة اقرارهم بنبوته وفى
شهادة الله كفاية وانما قرن بها شهادة الملائكة تشريفا لهم وعلى مقابلة شهادتهم بتكذيب الكفار وقد
عرف النبى صلى الله عليه وسلم كثرتهم وشرفهم عند الله تعالى فاذا علم شهادتهم له بذلك كان ذلك تسلية
له وغنية عن شهادة الكفار وقوله تعالى انزله بعلمه قال الزجاج اى انزل القرآن الذى فيه علمه وقيل
اى انزله من علمه وقيل اى انزله عالما باستحقاقك الانزال عليك قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقيل اى انزله بما علم من مصالح الخلق وما فيهم فيه وفيه رد قول المعتزلة فى نفيهم الصفات فان
الله تعالى اثبت العلم لنفسه بهذه الاية وبقوله ولا يحيطون بشئ من علمه وقوله تعالى والملائكة يشهدون
فسرناه وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا وقوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا هم اليهود كفروا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ومنعوا الناس عن سبيل
الحق بقولهم للعرب انا اهل العلم وفى كتابنا ان شريعة موسى لا تنسخ ابدا وان الانبياء لا يكونون الا من
ولد هرون وضلوا بهذا ضلالا بعيدا عن الرشد وعن كل خير وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا انفسهم
بايرادها موارد الهلكة وظلموا غيرهم بصدهم عن سبيل الله وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم اى ليس من
صفة الله المغفرة لهم ما داموا على الكفر وقوله تعالى ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم بخلاف
ما قال فى حق المؤمنين يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم وقال عطا اى الا طريق
اليهودية التى هى طريق اهل جهنم وقوله تعالى خالدين فيها ابدا اى فى جهنم وقوله تعالى وكان ذلك على الله
يسيرا اى كان تخليدهم فى جهنم عليه هينا فهو قادر على الكمال لا يتعذر عليه شئ ولا يخرج عن قدرته مقدور
ثم ليس هذا اجبارا على الكفر ولا منعا عن الايمان ولكنه خذلان لهم بسبب اختيارهم ذلك وقوله تعالى يا ايها الناس

قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الباء للتعدية والحق مفعول به وقال الكلبى رحمه الله الحق شهادة ان لا اله الا
الله وقيل هو القرآن وقوله تعالى فآمنوا اى صدقوا وقوله تعالى خيرا لكم قيل اى لخير لكم ولاجل خير لكم
وقيل هو نصب على الدعاء اى اصبتم خيرا لكم وقال قطرب اى فآمنوا يكن خيرا لكم وقال الاخفش تقديره واعملوا
خيرا لكم وقيل اى فآمنوا ايمانا خيرا لكم اى هو احمد عاقبة من الكفر وقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما فى
السموات والارض اى فان الله غنى عن ايمانكم فان له ما فى السموات والارض وما بينهما وقيل اى هو قادر
على ان يخسف بكم الارض وان ينزل عليكم من السماء العذاب فانهما له وقوله تعالى وكان الله عليما اى بمن
يؤمن وبمن يكفر حكيما اى لا يسوى بينهما فى الجزاء وقيل عليما باعمال العباد كلهم مؤمنهم وكافرهم وعليما
بجزائهم حكيما فى جميع ما يحكم به وقوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم اى لا تجاوزوا حد الحق
وهو خطاب لليهود والنصارى جميعا وغلو اليهود فى اساءة القول فى عيسى بتسميته ولد الزنا وغلو
النصارى فى مدح عيسى وهو قول اليعقوبية منهم عيسى هو الله وقول النسطورية منهم هو ابن الله
وقول الملكانية منهم هو ثالث ثلاثة وهذا كله كفر وقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق اى الصدق
اى لا تضيفوا اليه الولد ولا تجعلوا عيسى متحدا بخالقه وقوله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم لا ابن الله
وقوله تعالى رسول الله وكلمته القاها الى مريم اى بشارته التى بشرها بها انها تلد غلاما زكيا
من غير زوج قال الله تعالى خبرا عن جبريل عليه السلام ان الله يبشرك بكلمة منه والقاء الكلام تبليغه
واسماعه قال الله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك وقيل كلمته اى كان كائن
وجوده بكلمته كن فكان وهو قول الحسن وقتادة وقيل اى كان يهتدى به كما كان يهتدى بكلام الله
وقول الحسين بن الفضيل رحمه الله وقوله تعالى وروح منه اى كان به حيوة الخلق والكفر موت والايمان
حيوة وكان تصديقه بعيسى واتباعه موصولا الى هذه الحيوة فكان الروح التى بها حيوة النفس وسمى
الوحى روحا والقرآن روحا لهذا المعنى وقوله منه اى هذه الانعام على الخلق من الله عز وجل وقوله تعالى
فآمنوا بالله ورسله اى بعيسى وسائر رسله وقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة اى هم ثلاثة ومن قولهم
عيسى ثلاثة اقانيم وهو جوهر واحد ويقولون الثلاثة الاب والابن وروح القدس وقوله تعالى انتهوا
خيرا لكم اى عن هذه المقالة وقوله خيرا لكم اى يكن خيرا لكم او اعملوا خيرا لكم او لخير لكم كما مر وقوله تعالى
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد هذا ظاهر وقد مر تفسيره مرات وقوله تعالى له ما فى السموات
وما فى الارض ملكا وخلقا وعيسى منهم وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا اى حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما
وقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اى لن يانف ولن يمتنع
عن الاقرار به بعرفهم براءة عيسى مما وصفوه به لك ان وفد بنى نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن
صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بل
هو عار فنزلت هذه الاية لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الاية وتعلقت المعتزلة القائلون بتفضيل
الملائكة على البشر بهذه الاية وقالوا ان هذا بمنزلة قول القائل لا يستنكف فلان عن خدمتى ولا ابوه وولده
ولا عبده لم يحسن واجبنا عن ذلك ان هذا ليس بتفضيل الملائكة على البشر لكنه للرد على النصارى والمشركين
فان النصارى قالوا المسيح ابن الله ومشركوا العرب قالوا الملائكة بنات الله فرد الله على الفريقين فقال
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وهذا رد على النصارى وقوله ولا الملائكة المقربون وهذا رد على مشركى
العرب وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا رفع لان الفاء دخلت فلم يجزم
على الجزاء وصار كالابتداء وقراءة الحسن فسنحشرهم فنوفيهم ونزيدهم فنعذبهم هذه الاربعة بالنون اخبارا عن الله
عن نفسه بخطاب الملوك وقراءة العامة بالياء وهو احسن لانه قال اليه وقال قبله عبدا لله والجمع فى قوله فسيحشرهم
يرجع الى المعنى وقوله ومن يستنكف ويستكبر توحيد لظاهر اللفظ ثم معناه فان الله يجمعهم يوم القيامة الى مكان
يجازيهم على استنكافهم واستكبارهم وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
اى اذا حشرهم ميز بينهم وبين مخالفيهم فوفر ثواب المؤمنين المطيعين فى الجنة الخلد وقوله ويزيدهم من فضله
اى يعطيهم زيادة على الموعود وقوله تعالى واما الذين استنكفوا اى عن عبادته وقوله تعالى واستكبروا اى وتعظموا عن
الاعتراف بعبوديته وقوله تعالى فيعذبهم عذابا اليما اى وجيعا فى النار وقوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا اى لا يجدون لانفسهم سوى من يتولى كفايتهم ولا ناصرا يمنع عقوبتهم وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم هو خطاب للكل والبرهان الحجة وهو النبى صلى الله عليه وسلم اى جاءكم حجة من الله فى اعتقاد ما تعتقدونه
وبطلان ما لا يجوز ان يعتقدوه من الكفر وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا اى ضياء يبين الحق من
الضلال وهو القرآن وقوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به قال ابن جريج اى تمسكوا بالقرآن وقيل اى امتنعوا
بالله وقوله تعالى فسيدخلهم فى رحمة منه قال الكلبى اى فى الجنة ونعيمها سماها رحمة لانها تنال برحمته كما يسمى

المطر رحمة وسمى نعيمها فضلا لانه بتفضله ينال وقوله تعالى ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى الى طلب رضوانه
طريقا قيما وقال القشيري قد جاءكم برهان من ربكم البرهان ما لاح فى اسرارهم من شواهد الحق والنور المبين
هو خطابه الذى فى تأملهم معانيه حصول الاستبصار وقوله فسيدخلهم السين للاستقبال اى يحفظ عليهم ايمانهم
فى المآل كما اكرمهم بالعرفان فى الحال ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى يكرمهم ان يعرفوا ان الهداية من الله لهم
فضلا لا باستحقاق فهم ذلك بطلبهم وجهدهم فعلا وقوله تعالى يستفتونك اى يسألونك وهذا خطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم وقد عاد الكلام الى ما يقتضيه اول السورة ليكون آخرها مقتضيا ما اقتضاه اولها ويكون ما تخللها توكيدا
للكلام بما لا بد منه من ترغيب وترهيب وتنبيه وقوله يستفتونك اخبار عن سؤال مطلق وتبين بالجواب ان السؤال
عما ذا كان كما قلنا فى قوله ويسألونك فى آيات من سورة البقرة وقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة
وقد فسرنا فى اول السورة ان الكلالة من مات لا والد له ولا ولد وقوله تعالى ان امرؤ هلك اى ان هلك امرؤ
اى مات وكلمة الشرط تلى الفعل غالبا ويجوز ان يذكر الاسم بعدها والفعل بعده كما فى قوله وان احد من المشركين
استجارك وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا وقوله تعالى ليس له ولد اى ابن وله اخت اى الهالك وهو
الميت اخت اى لاب وام او لاب فان الاخت لام حكمها غير هذا وقد ذكرنا ذلك فى آية الميراث فى اول السورة
وقوله تعالى فلها نصف ما ترك اى فرضها نصف ما ترك اخيها وقوله تعالى وهو يرثها اى الاخ لو بقى وهلكت الاخت فالاخ
يرثها ولما اطلق علم انه يستحق كل تركتها بالعصوبة قال الاية نزلت فى طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
فى حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله الانصاري وقال ان لى اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت فنزلت الاية
وابتدا بموت الرجل ويقال ان جابرا قد مات قبل اخته فورثته وفيه عظة فرب متربص موت غيره وهو يموت
قبله وقد روى بخلاف ذلك قال مقاتل مرض جابر بن عبد الله بالمدينة فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائدا
فقال يا رسول الله انى كلالة لا والد لى ولا ولد فكيف اصنع فى مالى فانزل الله هذه الاية ان امرؤ هلك وروى عنه انه قال
مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضى الله عنه يعودانى فوجدانى قد غشى على فتوضأ فصب
وضوءه على فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع فى مالى وكان لى سبع اخوات فلم يجبنى حتى نزلت هذه الاية
وقوله تعالى فان كانتا اثنتين اى فان كانت الاختان اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اى من تركة الاخ وقوله تعالى
وان كانوا اخوة اى جمعا وقوله تعالى رجالا ونساء ترجمة عن الاخوة فدل على ان الاسم يتناول الذكور والاناث
جميعا وقوله تعالى فللذكر مثل حظ الانثيين اى فللاخ مثل نصيب الاختين بالعصوبة كما فى الاولاد وقوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا ان مع الفعل مصدر وتقديره يبين الله لكم الضلال واذا بين الضلال فقد بين الهدى
اذ هو ضده واذا عرف احدهما عرف الآخر بمعرفته فيجتنب المنهى ويقصد المأمور به وقال عطاء ومقاتل وجماعة
معناه لئلا تضلوا اى لا تخطئوا ولا تضمن وهو كقول القطامى رأينا ما يرى البصراء فيها فآلينا عليها ان تباعا
اى ان لا تباع هذه الناقة ونظيره فى القرآن شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى لئلا تقولوا والقى فى الارض رواسى
ان تميد بكم اى لئلا تميد بكم وقوله تعالى والله بكل شىء عليم اى والله عالم بكل شىء بمصالح عباده وهو يبينه
لهم ولا يتركهم سدى وبين فى هذه الاية حكم الاختين ولم يبين حكم الاخوات وذكر فى اول السورة حكم البنات
ولم يبين حكم الابنتين تسويغا للاجتهاد وتجويزا للقياس فاستدل العلماء باستحقاق الاختين الثلثين ان
البنتين كذلك واستدلوا باستحقاق البنات الثلثين ان الاخوات كذلك وقد روى عن عمر رضى الله عنه
انه قال ما سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء اكثر مما سألته عن الكلالة ثم طعن فى صدرى باصبعه
فقال لا يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفيه دلالة ان قد
يترك بيان ما يدرك بالاجتهاد والنظر ليجتهد فيدرك لان عمر رضى الله عنه سأله غير مرة عن ذلك ولم يبينه
حتى امره بالنظر فى الاية وعن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد وكذلك
قال عمر رضى الله عنه وقال انى لاستحيى من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر الصديق رضى الله عنه وقال القشيري
رحمه الله قطع الله تعالى الخصومة بينهم فى قسمة المواريث لما اظهر لهم من النص على الحكم فان المال محبب
الى الانسان وجبلت النفوس على الشح فلو لم ينص على مقادير الاستحقاق لتقابلت الاجتهادات وادى ذلك الى
التجاذب والخصومات فقطع الخصام ببيان الاقسام ثم فى توريث النساء وان لم يوجد منهن الذب عن العشيرة
دلالة على ان النظر لهن لضعفهن وتفضيل الذكور على الاناث لما عليهم من تحمل المؤن وكذا السعى والقيام عليهن
وقال البراء بن عازب آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك
وقال السدى آخر ما نزل من القرآن ثلاث آيات يستفتونك الاية فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو الاية
واتقوا يوما ترجعون فيه الاية وروى زيد العمى عن ابى نضرة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرأ سورة النساء اعطى من الاجر كانما تصدق على كل من ورث ميراثا وكان له من الاجر
بقدر من اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم

سورة

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذى يهدى من اتبع رضوانه سبل السلام • ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم • الرحمن الذى يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم • الرحيم الذى
يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم • وسورة
المائدة مدنية • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ ان سورة المائدة من آخر القرآن تنزيلا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • وعن اسماء بنت يزيد انها قالت انى لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة وهى مدنية
الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم الى قوله غفور رحيم فانها نزلت بعرفات عشية عرفة • وهى مائة وعشرون
آية • وقيل اثنان وعشرون آية • وقيل ثلاث وعشرون آية • الاختلاف فى ثلاث آيات اوفوا بالعقود
ويعفو عن كثير فانكم غالبون • وكلماتها الفان وثمانمائة وثلاث • وحروفها احد عشر الفا وتسعمائة
واحد وثلاثون • وقد روى ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة المائدة اعطى
من الاجر بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى دار الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات • وانتظام هذه السورة بالسورة التى قبلها ان الله تعالى ذكر فى تلك السورة حكم اموال
اليتامى وحكم النساء وحكم المواريث والمحرمات والمحللات وحكم السكران والصلوات والامانات
والقتال وقتل المؤمن وصلاة الخوف والسرقة والخلع والصلح والشهادة والحكم وحكم المنافقين
واهل الكتاب وختمها بقوله يبين الله اى هذه الاحكام لئلا تضلوا اى لا تخطئوا وهذه عهود الله مع
خلقه وهى اوامره ونواهيه • قال تعالى الم اعهد اليكم يا بنى آدم • وقال اوفوا بعهدى • وذكر فى آخر تلك
السورة نقض اهل الكتاب عهود الله • وامر فى اول هذه السورة المؤمنين بالوفاء بهذه العهود مخالفة
لهم وذكر اخرا انه حرم عليهم بنقضهم الميثاق الطيبات وامرنا بالوفاء بالعهود واخبر انه احل لنا الطيبات
بقوله احلت لكم بهيمة الانعام وبما بعده وقوله تعالى اوفوا بالعقود اى اوفوا امروا العقود العهود هى
الموثقة المحكمة من عقد الشىء بالشىء وصوشده به والعقود ثلاثة عهود الله مع عباده وهى اوامره ونواهيه
وعهود العباد مع الله وهى الايمان والنذور وعقود الناس فيما بينهم وهى العقود الشرعية • وقوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود هذا امر بالوفاء بكل ذلك • اما الاول فهو كقوله واوفوا بعهدى
اوف بعهدكم • واما الثانى فهو كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم • واما الثالث فهو كقوله ولا تكونوا
كالتى نقضت غزلها الاية ثم هذا الامر للايجاب وهو على اوجه عشرة للالزام على الدوام كقوله آمنوا
بالله وللايجاب موقتا كقوله اقيموا الصلاة وللندب كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وللاباحة
كما فى قوله واذا حللتم فاصطادوا • وللتكوين كقوله كونوا قردة خاسئين • وللنهى كقوله اعملوا ما شئتم
وللرد كقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت • وللتخيير كقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن • وفى معنى
الشرط كقوله قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى ان كنتم حجارة او حديدا فلكم الموت
وللاعجاز كقوله فات بها من المغرب فاتوا بسورة من مثله • وقال القشيري رحمه الله يا ايها الذين آمنوا
تشريف واوفوا بالعقود تكليف والمعلم انه فى التكليف مشقة فقدم التشريف بالبناء على التكليف بالاذا
فقال • يا من نعت بصائرهم بشهود حقى • لا تكونوا لمن اعرضت عنهم من خلقى • والعقد ما الزمك
بسابق ايجابه • ثم وفقك بعد ما اظهرك عند خطابه لجوابه • فانبرم العقد بحصول الخطاب والقبول
بالجواب • ويدخل فى ذلك ما عقد القلب معه سرا بين من خلوص له اضمره ومعنى كوشف به مطلوب به فاستشعره
من العقود وما ذكره من بعده وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام فمن الوفاء بالعهد تحريم ما حرمه واحلال
ما احله والبهيمة هى التى لا تعقل من قولهم استبهم الامر على اى اشكل والانعام هى الابل والبقر والغنم واصلها النعم
قال تعالى والانعام خلقها لكم الاية • وقال ومن الانعام حمولة وفرشا الآيات وقد يطلق على الابل خاصة والبهيمة
اضيفت الى الانعام ولم وجهان احدهما ان معناه البهيمة من الانعام والثانى انهما واحد والجمع بينهما تأكيد
كما يقال علم اليقين وحق اليقين وهو اضافة الشىء الى نفسه ويدل عليه قوله تعالى فى سورة الحج واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم كما جمع بينهما هنا والبهيمة على هذا والاحد اريد به الجمع كما فى قوله ثم يخرجكم طفلا ثم هذا اشارة
الى رد قول الثنوية الذين لا يرون ذبح الحيوانات واكلها ويقولون هى بهائم لا تعقل واكلها من القسوة وقلة
الرحمة فاخبر ان الحكم لله والخلق كله لله وتناولها بامر الله • وقال الشعبى بهيمة الانعام ما فى بطون الانعام
وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن جنين الناقة قال
هو من بهيمة الانعام • وقال الكلبى رحمه الله بهيمة الانعام بقر الوحش وحمر الوحش والظبى • وقوله تعالى الا ما يتلى

عليكم اي سوى ما يتلى عليكم اي في قوله حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما ذبح على النصب والاطلاق هذا
يقتضي حل تلك الاشياء ولما استثنى تلك الاشيا بقي الحل فيما وراها • وقوله تعالى غير محلي الصيد نصب على الحال اي
احل لكم هذا في غير احلالكم الصيد وانتم محرمون اي في حال ما لا تستحلون ذلك بالاصطياد في الحرم او الاحرام وقيل
غير محلي الصيد يرجع الى اسم الله تعالى اي احللنا لكم الانعام غير محلين لكم الاصطياد في الحرم والاحرام • وقوله تع
وانتم حرم الواو للحال وحرم جمع حرام ويجوز ان يكون هو اسما للواحد والجمع كالجنب يسمى به الواحد والجمع قال
تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا والحرم والمحرم واحد وقد احرم اي دخل في الحرم واحرم اي عقد الاحرام للحج
او العمرة وتحريم الاصطياد ثابت في حقهما وتقديره احلوا بهيمة الانعام غير محلين لها في الاحرام اذا كان صيدا وانما
بينا والحال ان البقرة الوحشية منها والظبا كالمعز • وقوله تعالى ان الله يحكم ما يريد من التحريم والتحليل للعبيد
وقال الامام ابو منصور رحمه الله وهذا يرد على المعتزلة لانهم يقولون يريد الله طاعة كل احد ولو اراد بذلك الحكم به
اذا اخبر انه يحكم ما يريد ولا يجاوز ان يريد ولا يحكم ولو حكم لنفذ حكمه فدل انه لم يرد • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله الشعائر معالم الدين واحدها شعيرة والاشعار الاعلام والشعار العلم ومعناه من ما قال
ابن عباس اي لا تستحلوا شيئا من ترك المناسك من الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ومسح الركن والوقوف
بعرفات والمزدلفة ورمي الجمار لان عامة العرب كانوا لا يرون الصفا والمروة من شعائر الله كما بينا في تلك الاية
والحمس كانوا لا يرون الوقوف بعرفات منها • وقيل اي لا تصيدوا وانتم حرم • وقال تعالى ان الصفا والمروة
من شعائر الله فقال ذلك ومن يعظم شعائر الله • وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله • وقوله تعالى
ولا الشهر الحرام هو اسم جنس فيقع على الاربعة الاشهر الحرم كلها وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
اي ولا تستحلوا هذه الشهور فتتعرضوا بقتل ولا قتال احد فيها • وقوله تعالى ولا الهدي وهو ما يهدى
الى الكعبة من الابل والبقر والغنم • وقوله تعالى ولا القلائد هي الابل تقلد بلحا شجر او عروة مزادة ونحوها
وتوجه الى الحرم اي لا تستحلوا هذه الاشيا فلا تتعرضوا لاهلها بسوء • وقوله تعالى ولا امين البيت الحرام
اي ولا تستحلوا القاصدين البيت الحرام اي الكعبة المحرمة المحترمة وقد ام يؤم اما اي قصد وامين نصب
بلا تحلوا والبيت نصب بوقوع الام عليها • وقوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا صفة للامين اي
يطلبون فضول الاموال بالتجارات ويطلبون رضوان الله عنهم والعفو عن الجنايات اي يقصدون لاصلاح
اسباب المعاش والمعاد فان كان هذا في حق الامين المومنين فابتغاء رضوان الله منهم ظاهر وان كان في حق الكفار
فمعناه انهم يزعمون انهم يبتغون رضي الله عنهم لكنهم لا ينالونه الا بعد الايمان • وقيل هو رضيهم ان يترك احقية
العذاب عنهم وان لا يعاجلهم كما عاجل المكذبين من الماضين كذلك • قال قتادة وجماعة واصل ذلك ان الله
تعالى عظم مكة وحرمها وجعل الناس يأتونها من الافاق والحامل على الاتيان من اقاصي البلدان شيئان اثنان
امن المقصد وامن الطريق اليه والله تعالى اثبتهما جميعا في القديم فقال حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
فقال ومن دخله كان امنا واثبت امن الطريق اليه بتحريم الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة لاتيانهم وذو
الحجة لاقامتهم بمكة والمحرم لرجوعهم ورجب للسفر في غير ايام الحج فكانوا اذا خرجوا اليها ولا يتعرض اليهم في هذه
الاشهر الحرم بتحريم الله تعالى ذلك فكانوا يامنون على انفسهم واموالهم بذلك ولما كان يشتد الطريق لا يكفي
للاتيان والرجوع هذه الاشهر شرع الله تعالى الهدي والقلائد فكانوا اذا ساقوا الهدي معهم انفسهم وقد
خرجوا في غير هذه الاشهر لا يتعرض لهم ايضا بنهب وقتل وايذا فيامنون بذلك وكانت الحكمة في ذلك كله اقامة
مصالح اهل مكة وقوام معيشتهم بحمل الناس اليهم كل شيء يحتاجون اليه • قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد وكان هذا امرا قديما ومعنى تجديد الخطاب بذلك
ما روي في شان نزول هذه الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة
ابن شرحبيل البكري وذلك انه اتى المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الام تدعوا الناس فقال
الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي اصحابا لا اقطع امرا دونهم ثم
خرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر ورجع بعقبي غادر ومر الرجل بسرح من سرح المدينة
فاستاقها وهو يرتجز • شعر • هذا اوان الشد فاشتدي زيم • قد لفها الليل بسواق حطم •
ليس براعي ابل ولا غنم • ولا بجزار على ظهر وضم • فلما كان في العام القابل خرج حاجا مع بكر بن وائل
فبلغ ذلك اصحاب السرح فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الحطم خرج حاجا فخل بيننا وبينه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى
الله عليه وسلم عليهم ونزلت الاية وكان حكم هذه الاية ثابتا الى عام حجة الوداع ونزول سورة براءة وكان فيها
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وفيها فاقتلوا المشركين فنسخ حكم الهدي والقلائد والشهر الحرام
والاحرام وامين البيت الحرام • وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا اي واذا خرجتم من الحرم ومن الاحرام

فقد اذن لكم في الاصطياد وابيح الاصطياد • وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر
شنان بسكون النون • والباقون بفتحها وهما لغتان عند بعضهم بمعنى البغض وتنشا به العداوة
تعالى ان شانئك هو الابتر • وقيل بالفتح مصدر وهو البغض وبالسكون اسم اي البغيض • وقوله تعالى
ولا يجرمنكم شنآن قوم • قال ابن عباس وقتادة ومجاهد من اهل اللغة ولا يحملنكم • وقال الفرا ولا يكسبنكم وقد جرم جرما
اي كسب وفلان جريمة اهله اي كاسبهم • وقوله تعالى ان صدوكم قرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بالكسر على الشرط
والباقون بالفتح على معنى بان صدوكم او لان صدوكم وهو الاصح لان الشرط للاستقبال وهذا كان ثابتا للحال • وقوله
تعالى عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي لا يحملنكم بغض الكفار اياكم بصدهم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية وبغضكم اياهم
على ان تعتدوا انتم حد الشرع فتمنعوهم الدخول الى المسجد الحرام فلا عدوة في الباطل • وقوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى اي على فعل الاحسان وترك العصيان • وقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان اي ولا
تتعاونوا فحذف احدى التائين تخفيفا والاثم الوزر والعدوان مجاوزة الحد • وقوله تعالى واتقوا الله
ان الله شديد العقاب اي لمن عصاه وما اتقاه • وقال القشيري رحمه الله البر ايثار حقه والتقوى ترك
حظك والمعاونة على البر بحسن النصيحة وجميل الاشارة والمعاونة على التقوى بالقبض على يدي الخاطئين
بالردع والموعظة وتمام المعاونة بان تعين بحسب الحال على الزجر الذي يقيمه ذلك والمعاونة على الاثم
والعدوان ان تعين من يقصد شيئا مما لا يرضاه الدين فيكون ذلك سببا للفساد خارجا عن سنن الموحدين وقال
وقوله ان الله شديد العقاب قوما يعرف الجرم بما يستوجبه وشدة العقاب حجاب المعاقب عن
شهود المعاقب فان بحجب كاسات البلاء على شهود المبلي احلى من الشهد • وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة اي
الذي يموت بلا ذكاة • والدم اي الدم المسفوح وهو السائل • ولحم الخنزير اي كل اجزائه وتخصيص اللحم بالذكر
لانه معظم المقصود • وقد قال في سورة اخرى فانه رجس والكناية ترجع الى الخنزير فيدل على ان كله نجس
• وقوله تعالى وما اهل لغير الله به اي وما ذبح فذكر عليه غير اسم الله اي اسم الاصنام • وقوله تعالى
والمنخنقة اي ما اختنق بالشبكة او بحبل او خنقه خانق • وقوله تعالى والموقوذة اي المضروبة
بالخشب وقذه وقذا من حد ضرب اي ضربه حتى مات وفلان موقوذ بالعبادة وقد ذكرناه
وقوله تعالى والمتردية اي الساقطة في بئر او من علو وقد رداه فتردى اي اسقطه فسقط • وقوله
تعالى والنطيحة اي المنطوحة وقد نطحت الشاة اي ضربتها بقرنها فقتلته • وقوله تعالى وما اكل السبع
الا ما ذكيتم اي ما جرحه اسد وذئب او نمر ونحو ذلك واكل شيئا منه وما بعده الا ما ادركتم
يرجع الاستثناء الى قوله والمنخنقة وما بعدها اذا ادركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت • وقيل
الشعبي عن رجل انتهى الى شاة وقد خرج من عامتها الروح الا ان عضوا منها يتحرك فذبحها او كلها النعم
كالوا انتهى الى بحر وقد خرج من عامة جسده الروح فقتله خطا فعليه ديته • وقال علي رضي الله عنه اذا
طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت ذنبها فهي ذكية والتانيث في هذه الاسماء لجعلها صفات
للبهيمة المذكورة في اول السورة وهي مونثة اللفظ • وقوله تعالى وما ذبح على النصب اي على اسم الاصنام
وقيل اي للاصنام على معنى اللام والنصب ما نصب من الحجارة ونحوها فعبد من دون الله واحد وجمعه
الانصاب كالعنق والاعناق وقيل هو جمع نصب كالرهن والرهن والسقف والسقف • قال الله تعالى
الى نصب يوفضون • وقوله تعالى وان تستقسموا بالازلام ان مع الفعل مصدر تقديره والاستقسام
بالازلام بالرفع عطفا على المحرمات المذكورة في الاية والازلام القداح المعلمة واحدها زلم وزلم بضم الزاي
وفتحها • وقال الحسن كانوا اذا ارادوا امرا او سفرا يعمدون الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب
امرني ربي وعلى واحد منها مكتوب نهاني ربي والثالث غفل لا شيء عليه فيجيلونها فاذا خرج الذي عليه
الامر مضوا لامرهم وان خرج الذي عليه النهي كفوا وان خرج الذي لا شيء عليه اعادوه • وقال سعيد
ابن جبير هي حصا بيض كانوا يضربون بها • وقال السدي كانت القداح في الجاهلية عند الكعبة فكان الرجل
اذا اراد شيئا اتى الكاهن فاعطاه ذلك فضرب بها كما ضرب عبد المطلب على زمزم وعلى عبد الله والابل
ومعنى ضم هذا الى ما ذبح على الاصنام ان ذلك كان في الكعبة وكان هذا ايضا فيها والاستقسام بالازلام هو
القمار بقداح الميسر • وقال مجاهد هو كل قمار من اللعب بالكعاب وغيرها • وقوله تعالى ذلكم فسق اي
الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة وارتكاب للنهي • وقيل يرجع ذلك الينا ولكل محرم في هذه الاية
وقال الامام ابو منصور دلت الاية على بطلان العمل بالقرعة • وقوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من
دينكم وهذا خطاب للمسلمين بما يبين لهم من الوفا بالعقود وتحليل الحلالات وتحريم المحرمات خلاف ما كان
عليه المشركون يئسوا اعطيتكم الغلبة عليهم وقهرتهم فلا مطمع لهم في تغييركم عن دينكم • وقوله تعالى
فلا تخشوهم واخشون اي فلا تخافوهم وخافون في الثبات على امري ونهيي والوفا بعقودي • وقوله تعالى

اليوم اكملت لكم دينكم اي بيان شرايع دينكم لان الاية نزلت بعرفات عام حجة الوداع ولم يكن بعدها شرع حكم قال ابن عباس
رضي الله عنهما • وقيل اي اكملت لكم نصرة دينكم لان النبي صلى الله عليه وسلم حج مع اصحابه ولم يكن احد من المشركين حاجا في ذلك
العام • وقوله تعالى واتممت عليكم نعمتي اي بالاسلام • قال الله تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا • وقيل هي جميع النعم ذاتها
حينئذ • قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهو المجاز ما كان وحده لاتم نعمتي عليكم • قال ابن عباس رضي الله
عنهما كان اتمام النعمة عليهم ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله لا يجوز ان يقال ان الدين كان قبل ذلك اليوم ناقصا او غير مرضي لكن له وجوه احدها اليوم اكملت برسول
الله وبعثه دينكم وبه اتممت عليكم نعمتي ولا يكون اليوم اشارة الي يوم بعينه بل الي ذلك الزمان والثاني اظهرت
لكم دينكم وجعلت الغلبة لكم علي المشركين والثالث امنتكم من العدو والعود الى دين اوليك وانتم مردودكم
الي دينهم ثم ذكر في حق الدين الاكمال وفي حق النعمة الاتمام لان الكامل ما لا يحتمل المزيد عليه والتمام يحتمله • وقوله
تعالي ورضيت لكم الاسلام دينا فالاسلام هو الدين المرضي وهو دين الله وهو الذي لا يقبل غيره • وقال الامام
اكمال الدين في حقنا من وجوه لنا جوامع الكلام واعطي رسولنا جميع ما اعطي الرسل وزيد له ما لم يكن لهم وامنا
عن جميع الكتب وشريعتنا باقية الي يوم القيامة لا تنسخ واضعف لنا ثواب الحسنات ووحد لنا تبديل السيات
ولنا طوق الدارين نحن الاخرون السابقون في المعني وكتابنا ابر الكتب ورسولنا افضل الرسل ونحن اكثر الامم
عددا واسبقهم ورودا • وقال الضحاك نزلت الاية يوم عرفة وهو يوم الجمعة وكان ذلك اليوم عيدا لليهود
وللنصاري وللمجوس علي حسابهم ولم يجتمع اعياد اهل الملل كلها في يوم واحد لا قبله ولا بعده قال ابن عباس
رضي الله عنهما ولما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ناقته العضبا فبركت من ثقل الوحي ثم سري
عنه فتلاها علي الناس وعاش صلى الله عليه وسلم بعده احدا وثمانين يوما او اثنين وقالت اليهود لعمر لقد
انزلت عليكم اية لو انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا • وقال عمر رضي الله عنه اشهد انها نزلت يوم عرفة
يوم الجمعة اي اجتمع فيه عيدان وهو اشرف ايام اهل الاسلام واحقها بالاعظام • وقال القشيري رحمه الله
اكمال الدين تحقيق القبول في المال كما ان ابتدا الدين توفيق الحصول في الحال ولولا توفيقه لم يكن للدين
حصول ولولا تحقيقه لم يكن قبول • وقوله واتممت عليكم نعمتي النعمة في الحقيقة ما لا يقطعك عن المنعم
بل يوصلك اليه ثم الدين مضاف الي العبد في هذه الاية لانه سالك طريقته ويضاف الي الله لانه شارعه
حقيقته والنعمة مضافة الي الله في هذه الاية لانه معطيها وتضاف الي العبد ايضا لانه المتقلب فيها
وقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة اي اصابته الضرورة والحاجة الي شي من هذه المحرمات في مجاعة
فتناوله هذا مضمر • وقوله تعالي غير متجانف لاثم اي غير متمايل اليه قصدا ومتناولا منه اسرافا او مدخر
منه اختيارا • وقوله تعالى فان الله غفور رحيم اي يغفر له فلا يعاقبه ويرحمه فلا يعذبه والخمص ضمور البطن
من حذر خوف وهذا الجوع يضمر البطن • قال الاعشى شعر

تبيتون في المشتي ملاء بطونكم • وجاراتكم غرثي يبتن خمايصا

ويتصل هذا باول الاية فانه استثني حالة الضرورة عن حرمة هذه الاشيا المذكورة • وقوله تعالي يسئلونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات • قال مقاتل نزلت في عدي بن حاتم الطائي وزيد بن مهلهل الطائي يقال
له زيد الخيل وسماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير فقالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كلاب ال ذريح تاخذ
البقر والحمر والظبا فمنها ما يقتل ومنها ما يدرك ذكاته وقد حرم الله علينا الميتة فنزلت قل احل لكم الطيبات
اي الذبايح • وقيل اي الحلالات المذكورة في اول هذه السورة وغيرها • وقيل اي المستطابات من الحبوب
واللحمان التي لم يرد تحريمها • وقوله تعالي وما علمتم من الجوارح اي وصيد ما علمتم هذا مضمر والجوارح
الكواسب للصيد من الكلاب والفهود والبزاة والصقور ونحوها وقد جرح واجترح اي اكتسب • قال
تعالي الذين اجترحوا السيات • وقال تعالي ويعلم ما جرحتم بالنهار وجوارح الانسان هي الات
الاكتساب • وقيل هي من الجوارح الجارحة وهي جوارح الصيود ويشترط لحلها الجرح فلا يحل بالخنق • وقوله
تعالي مكلبين نصب علي الحال اي مضرين لها حتي تستكلب وتضري بالصيد فتعتاد اخذه وقد استكلب العدو
وتكلب اي اشتد وضري وكلبه جرأه • وقوله تعالي تعلمونهن مما علمكم الله اي الجوارح وتعليمها ان تنزجر
بزجرك وتمضي لارسالك ولا تعدل عن ارسالك وتقتل الصيد جرحا لا خنقا وتمتنع لمنعك ولا تاكل من
الصيد • وقوله تعالي فكلوا مما امسكن عليكم اي لم ياكلن فاذا اكلن حرم وهذا في صيد الكلب ونحوه فاما
صيد البازي ونحوه فاكله لا يحرمه ويعرف هذا في الفقهيات ومن ها قيل زايدة كما في قوله كلوا من ثمره
اذا اثمر • وقيل هو للتبعيض فان منها ما يوكل وهو اللحوم والشحوم ومنها ما لا يوكل كالدم والريش والعظم
وقيل التبعيض في ان المجروح منها يوكل دون المخنوق • وقوله تعالي واذكروا اسم الله عليه اي عند الارسال
وهو شرط الحل • وقوله تعالي واتقوا الله ان الله سريع الحساب اي واحذروا مخالفة امر الله في هذا

كله

كله وفي غيره ان الله محاسبكم على افعالكم ومجازيكم عليها ولا يلحقه لبث لتذكر ولا قطع بشغل • وقال ابو رافع
استاذن جبريل علي النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له فلم يدخل فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم رداه وخرج فقام
فقال اذنا لك فقال اجل ولكنا معشر الملايكة لا ندخل بيتا فيه كلب او صورة فالتمسوا فوجدوا جروا قد دخل
بيتهم فلما اصبحنا امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فقتلت كلاب المدينة فقالوا يا رسول
الله ماذا احل لنا من هذه الامة التي نقتلها فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاذن
لهم النبي صلى الله عليه وسلم باقتنا الكلاب التي ينتفع بها وامر بقتل الكلب العقور وقال ايما قوم اتخذوا كلبا
ليس بكلب حرث او صيد او ماشية فانه ينقص من اجورهم كل يوم قيراط • وفي رواية قيراطان • وقيل لابن
المبارك ولم ذاك قال لانه ينبح علي الضيف ويروع السايل • ودلت الاية علي فضل العلم فان الخسيس من الكلب
بالتعلم جل قدره وحل صيده وفيه عظة وهو انه بترك علمه فالاكل من صيده يحكم بجهله وزوال علمه فلا يحل
صيده فكذا من علم من الناس ثم خالف علمه وقد سمي الله تعالى مخالف علمه جاهلا • قال الله تعالي اخبارا عن يوسف عليه
السلام والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين • وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون • وقال القشيري لما كان الكلب المعلم ترك حظه وامسك ما اصطاده علي صاحبه حلت فريسته وجاز
اقتناوه وسقطت نجاسته وخساسته كذلك من كانت اعماله واحواله لله تعالى مخلصة لا يشوبها حظ نفسه
تجل رتبته وتعلو حالته قال وقيل احسن الادب يلحق الاخسة برتبة الاكابر وسوء الادب يرد الاعزة الي حالة
الاصاغر • وقوله تعالي اليوم احل لكم الطيبات كرر المنة بهذا تاكيدا • وقيل الاول بيان الحكم وهذا بيان
المنة واليوم بمعني الان حين اكملت لكم الدين واتممت عليكم النعمة • وقيل هو يوم نزول هذه الاية • وقيل هو
اشارة الي عصر النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر هذه اللفظة لحالة دايمة يقال لا يصلح اليوم مني هذا الامر
ولا يقدر احد ان يظلم اليوم • وقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبايحهم فقيدناه به
لان ساير الاطعمة لا يختص حلها بالملة • وقوله تعالي وطعامكم حل لهم اي بالبيع والهبة والاباحة ونحوها
وقوله تعالي والمحصنات من المومنات اي احل لكم العفايف بالنكاح وليس هذا لاشتراط صحة النكاح بل
للاستحباب • وقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي العفايف من الكتابيات
ويستوي فيه الحراير والاما وهذا عندنا وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز نكاح الامة الكتابية ويحمل المحصنات
هنا علي الحراير وعامة اهل التفسير علي ما قلنا ان المحصنات هنا العفايف والاسم يشمل الحراير والاما
وقد بينا وجوه الاحصان في سورة النسا • اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن لحق ذلك والتزمتموه وقد مر
تحقيقه في سورة النسا • وقوله تعالى محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان فسرنا هذه الكلمات
ومعناه ههنا طالبين التعفف بنكاحهن لا سافحين الزناة حيث شيتم ولا متخذين خليلات علي الخصوص
تزنون بهن • وقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله • قال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين
قالوا كيف نتزوج نساءهم وهم علي غير ديننا فنزلت هذه الاية يعني ان اهل الكتاب وان الحق حكمهم
في حل ذبايحهم لنا وحل نسايهم لنا بحكم المسلمين فانهم لم يفارقوا المشركين بل كفروا بالايمان اي بجحدوا به
ان يكون دينا حقا لا يقبل غيره وحبط بذلك عملهم وهو تدينهم بالكتاب وبنبوة موسى وعيسى عليهما
السلام • وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين خسروا ثواب عناهم في الدنيا • وقيل من الهالكين
وقيل معناه ان الكتابية قد يميل اليها زوجها المسلم فتدعوه الي دينها فتحذرهم ذلك • وقيل قوله ومن
يكفر بالايمان اي بالمومن به مصدر بمعني المفعول به وهو الكفر بالله وبما يجب الايمان به • وقال ابو الهيثم
التجزي الباصلة كما في قوله يشرب بها عباد الله • وقوله تنبت بالدهن • ومعناه ومن يكفر الايمان اي يترك
يجحده فقد حبط عمله اي بطل جميع سعيه في الاسلام بالكفر بعده • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا
قمتم الي الصلوة • ومن الوفا بالعقود المامور به في اول السورة هذا اذا قمتم الي الصلاة • وقال زيد
ابن اسلم اي قمتم من النوم وهو حدث فلا حاجة علي هذا القول الي اضمار وانتم محدثون • وفي تاويلات
الامام ابي منصور رحمه الله قال النبي صلى الله عليه وسلم العينان وكا السه فمن نام فليتوضا • قال
ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام ثم يصلي فلا يتوضا فسيل عن ذلك فقال
اني لست كاحدكم انه لتنام عيناي ولا ينام قلبي ولو احدثت لعلمت • وقال الاخرون معناه اذا اردتم
القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله • وقوله اذا طلقتم النسا فطلقوهن
لعدتهن • وقوله تعالي فاغسلوا وجوهكم الاية ظاهره يقتضي الامر بالوضوء عند كل قيام محدثا كان
او طاهرا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة قبل فتح مكة فلما كان ذلك اليوم
صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت يا رسول الله ما لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته كيلا تخرج امتي فثبت بذلك ان الامر بالوضوء عند الحدث وهو مضمر فيه وتقديره وانتم

حدث او هو للاستحباب في حق الطاهر وللايجاب في حق المحدث لقوله صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور
على نور • وقوله الى الصلاة الا بطهور ومعنى قوله فاغسلوا وجوهكم اي فليغسل كل منكم وجهه لان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي
مقابلة الافراد بالافراد كما في قوله تعالى جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم والوجه حده من القصاص الى
الذقن ومن الاذن الى الاذن وهو من المواجهة وهذا الغدير هو المواجه عند الملاقاة • وقوله تعالى وايديكم الى
المرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفي الساعد والعضد وفيه لغتان فتح الميم مع كسر الفاء وقلب ذلك والى للغاية تنتهي
عندها حكم الغسل عند زفر والشافعي ومالك فلا يجب غسلها لان الحد لا يدخل في المحدود كما في قوله تعالى ثم اتموا
الصيام الى الليل وعندنا يجب غسلها لان اليد اسم لها الى الابط فكان التحديد بالمرافق اخراجا لما وراءها لا تبليغا
اليها فبقيت في الغسل • وقوله تعالى وامسحوا برؤسكم والمسح امساس الماء دون التسييل ثم عند مالك يفترض
مسح كل الراس لانها اطلق ذكرها فصار كاطلاق ذكر الوجوه وقلنا لم يكن رؤسكم بل قرينة بالباء وهو للتبعيض
يقال مسحت يدي بالمنديل وبالحايط ويقال اخذت بالزمام ولو قيل اخذت الزمام كان ذلك دليلا على الكل
ثم يقول الشافعي اذا مسح ثلاث شعرات منه كفي لانه بعض وقلنا امر الله تعالى به فصار فلا يتقدر بما يحصل
من غير قصد فقدرناه بثلاث اصابع من اليد لانها هي الة المسح والثلاث اكثرها وللاكثر حكم الكل • وفي رواية
عن اصحابنا هو مقدر بالربع لانه يحكى عن الكمال فيقول الرجل رايت فلانا وانما راى جانبا منه وهو ربعه
وقوله تعالى وارجلكم الى الكعبين • قرا نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص نصبا عطفا على قوله وجوهكم
وايديكم فيدل على فرضية غسلها • والباقون بالخفض وهو في الظاهر عطفا على برؤسكم فتعلق القايلون بان وظيفتها
المسح من الروافض بظاهرها لكنا نقول خفضه على الجوار كما في قول العرب جحر ضب خرب وماء شن بارد
وفي القران يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق الى قوله وحور عين بالخفض وهن لكن خفضها
على الجوار • وكقول امرئ القيس كبير اناس في بجاد مزمل • ولانها محمولة على حال لبس الخفين ووظيفتها
المسح في هذه الحالة بهذه القراءة والغسل في حال كونهما باديتين بتلك القراءة والغسل هو المذكور في
الاحاديث المشهورة وعليه عمل كل الامة • وقوله الى الكعبين اي الى كعبي كل رجل والكعب هو العظم الناتي
عند اسفل الساق وهو ماخوذ من قولهم كعبت الجارية اذا انتأت ثدياها فهي كاعب وهما داخلان في وظيفة
الغسل كالمرافق لما مر وفرايض الوضوء هذه الاربعة وورآها سنن وفضايل تعرف في الفقهيات والواو
للجمع المطلق فلا تقتضي الترتيب • وقوله تعالى وان كنتم جنبا هو جمع • وقوله تعالى فاطهروا اي تطهروا
وهو غسل جميع ظاهر البدن ويدخل فيها الفم والانف والاذن والسرة وخلال الاصابع ومنابت الشعر
وقوله تعالى وان كنتم مرضى جمع مريض فيتيمم على كل مرض • وقوله تعالى او على سفر بينا وكل سفر ايضا • وقوله
تعالى او جاء احد منكم من الغايط اي وجاء احدكم من الغايط اي المكان المطمين كناية عن قضاء الحاجة
لانهم كانوا ياتونه لذلك • وقوله تعالى او لامستم النساء اي جامعتم • وقوله تعالى فلم تجدوا ماء اي
فلم تجدوا ماء في السفر وقد احدثتم بالمجيء من الغايط او اجنبتم بالمجامعة وفقد الماء الذي كان به الوضوء
من الحدث والاغتسال من الجنابة او عجزتم عن استعماله مع وجوده في المرض الذي يخاف باستعمال الماء
فيه اشتداده او امتداده يكفيكم التيمم بالصعيد عن الوضوء والاغتسال وذلك • وقوله تعالى فتيمموا
صعيدا طيبا التيمم القصد والصعيد وجه الارض والطيب الطاهر • وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه هو بيان كيفيته وهما ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين مع المرفقين عندنا
وفيه اختلاف كثير يعرف ذلك في الفقهيات • وقوله منه اي من الصعيد والاية نزلت في قصة عايشة
رضي الله عنها فقال لعمار بن ياسر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ومعه عايشة رضي الله عنها فانقطع
لها عقد من جزع ظفار فحبس الناس في طلب عقدها فاصبحوا في مكانهم ذلك وليس معهم ماء فاتاها ابو بكر
رضي الله عنه فتغيظ لها فحبسها فبينما هم كذلك اذ انزل الله تعالى اية الطهور فيها التيمم بالصعيد فاتى
ابو بكر عايشة فقال والله ما علمت انك لمباركة • وفي رواية ان اسيد بن حضير قال لها يرحمك الله ما نزل بك امر تكرهينه
الا جعل الله تعالى لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه فرجا • وقيل نزلت في عبد الرحمن
بن عوف كانت به جدري فاصابته جنابة وعنده ماء فخشي ان هو اغتسل ان يموت فانزل الله تعالى في التيمم بالصعيد قاله
مقاتل بن حيان • وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ضيق • وقيل اي مشقة بما يريد
تكليفه الوضوء والاغتسال والتيمم اياكم تضييق الامر عليكم والحاق المشقة بكم • وقوله تعالى ولكن
يريد ليطهركم اي ولكن يريد تطهيركم من الحدث والجنابة • وقيل اي من الذنوب وفي الاحاديث
المشهورة ان العبد اذا غسل اعضاء وضوئه خرجت ذنوبه مع قطرات الماء • وقيل اي يريد ان يطهركم
الطهارة التي توصف بها المطهرون وهو تطهيرها للتزكية • وقوله تعالى وليتم نعمته عليكم
اي يريد اتمام النعمة عليكم باباحة التيمم لكم والتخفيف في حالة المرض والسفر عليكم • وقال سعيد بن جبير

دخولكم الجنة فانه لا يتم نعمة الا به • وقيل هو الختم على الاسلام قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه • وقيل تمام
النعمة تهود المنعم • وقوله تعالى لعلكم تشكرون اي لتشكروا له قولا وفعلا وعقدا • وقال القشيري الصلاة
الا بطهور وكان للظواهر طهارة فللسرائر طهارة فطهارة الابدان بماء المطر وطهارة القلوب بماء الندم والخجل
ثم بماء الحياء والوجل • وقوله ولكن يريد ليطهركم اي يطهر ظواهركم عن الزلة بعصمته ويطهر قلوبكم عن الغفلة
برحمته يطهر سرايركم عن ملاحظة الاشغال ويفرغ ظواهركم عن الوقوع في شباك الاشتغال يطهر عقايدكم عن
التدنس بما يوضعها واعمالكم عن الاعتماد عليها وليتم نعمته عليكم اتمام النعمة لقوم نجاة نفوسهم ولقوم نجاتهم
من نفوسهم وشتان بين قوم وقوم • وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم قيل هي المذكورة في قوله واتممت
عليكم نعمتي وقيل هي اثبات الرخص المذكورة في هذه السورة • وقيل هي الاسلام • وقيل هي كل النعم وافرد لانه
اسم جنس • وقوله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده الذي عاهدكم به واوثقه عليكم وهي من العقود
المذكورة في صدر هذه السورة • وقيل هي قبول الامر والنهي • وقيل هو عهد الله اخذه على العباد بعد الايمان
باداء حقوق الله وحقوق العباد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو بيعة الرضوان يقول واذكروا ايضا
ميثاقه اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي واثقكم به حين بايعتموه على السمع والطاعة في المنشط
والمكره وقد كان ذلك الحديبية ليلة العقبة وتحت الشجرة بعد دخول المدينة فاضافه الى نفسه لتشريفا
لرسوله كما قال في سورة الفتح ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لهذا اولانه كان بامر الله • وقوله
تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا اي سمعنا قولك واطعنا امرك وكان اهل بيعة الرضوان الفا وستماية رجل
مخلص • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية هو ميثاقه على بني اسرائيل وقد مر بيانه في سورة البقرة
في ايات • وقال مجاهد رحمه الله هو ميثاق ذرية ادم • وكذا قال الكلبي وقال اذكروا اي احفظوا • وقوله
تعالى واتقوا الله اي في نقض الميثاق • وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور اي بسراير الصدور
من الخير والشر وهذا وعد ووعيد • وقال القشيري رحمه الله الاية اشارة الى التعريف السابق الذي
لولاه لما علمت من هو فامرهم بتذكر ما سبق لهم من النعم وهو في كتم العدم ما للاغيار عنهم خبر ولا لهم عين
ولا اثر ولا وقع لاحد عليهم نظر وقد سبق وقد سماهم بالايمان وحكم لهم بالغفران قبل حصول العصيان ثم لما
اظهرهم عرفهم التوحيد قبل ان كلفهم الحدود وعرض عليهم بعد ذلك الامانة وحذرهم الخيانة فقابلوا
قوله بالتصديق ووعدوا من انفسهم الوفاء بشرط التحقيق فامدهم بحسن التوفيق وثبتهم على سواء الطريق
ثم شكرهم حيث اخبر عنهم بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا ثم قال واتقوا الله اي في نقض ما ابرمتم من العقود
او الرجوع عما قدمتم من العهود انه عليم لا يخفى عليه شيء من خطرات قلوبكم وفكرات صدوركم • وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط وهذا من العقود ايضا وقد مر ذلك في
سورة النساء • وقيل المراد ههنا اليوم اكملت لكم دينكم فكونوا قايمين بامر الدين في حياة نبيكم وبعد
وفاته مبينين مبرهنين مبلغين معلمين • وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا
اي ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم • وقوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى هو اشارة
الى العدل المذكور دلالة في قوله اعدلوا • وقوله ان لا تعدلوا اي ان العدل للتقوى ولا يكون الشيء
اقرب الى نفسه لان معناه وعدلكم في حق الاولياء والاعداء اقرب الى ان تكونوا متقين مجتنبين كل
السيات • وقيل معناه اقرب الى اتقاء النار والعقوبات • وقوله تعالى واتقوا الله اي في كل امر ونهي
وقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون هذا وعد ووعيد ولذلك ذكر بعدها ايتين احداهما في الوعد
وذلك قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم وهذا ظاهر والاخرى
في الوعيد وذلك قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم وهذا ظاهر ايضا ثم قوله
لهم مغفرة واجر عظيم مرفوعان لم ينتصبا بقوله وعد لانهما على الاستيناف وما قبله تام المعنى لان الوعد
المطلق هو الاطماع في المثاوب • وقيل قوله ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا في حق اليهود الذين
ذهب النبي صلى الله عليه وسلم يستعين بهم في دية فهموا بقتله وقصد المسلمون مجازاتهم فنزلت هذه
الاية ولا يقال ان قتل الكفار حلال بل هو واجب كما معنى الامر بالعدل فيهم لانا نقول قد تقع المماثلة منا
معهم لا على وجه العدل بالمثلة والقذف بالفاحشة وقتل الاولاد الصغار لغيظ الكبار وذلك محرم
علينا في مقابلة الكفار • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم قال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية سبعة وعشرين رجلا الى
بني عامر بن صعصعة وكان طريقهم على بني سليم وامر عليهم المنذر بن عمرو فنزلوا على بني سليم وهم صلح
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث بنو سليم الى بني عامر فاخبروهم بامر القوم فلما كان عند الرحيل اصلوا
بعير لهم فتطلعوا وسار المنذر حتى اتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا بالسلاح فالتقوا ببير معونة فاستشهد

جميعا ثم ان الاربعة الذين تخلفوا للطلب اتبعوا اصحابهم فلقيتهم امراة من بني عامر بن سليم فقالت انتم من اصحاب محمد قالوا نعم رجا ان تسلم فقالت ان اخوانكم قد قتلوا جميعا على الماء فقالوا نعم الى بئر معونة فقال احد الاربعة ما ترون قالوا نرى ان نرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالامر فقال لا ولكني لا اتعدى من عذا صحابي ارجعوا فاقروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي قالوا له فامهلنا حتى نتغيب عنك فلما تغيبوا عنه صعد الجبل فاشرف على اصحابه فاذا هم مقتولون واذا المشركون يتمودون فاخذ بسيفه فجالدهم حتى قتل وقصدت الثلاثة الى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من المدينة فقالوا لهما ممن انتما قالا من بني عامر قالوا من الذين قتلوا اخواننا فقتلوهما لا يشكون انهما من بني عامر فاخذوا سلبهما ثم دخلوا المدينة فوجدوا الخبر قد سبق اليه فقال لهم قتلتم رجلين من بني سليم من اهل ميثاقي وهذه كسوتهما بيس ما صنعتم وجاء رهط المسلمين فقالوا يا رسول الله اقدنا من قتل صاحبينا فقال لهم ليس لكم القود لان صاحبكم اعتزيا الى عدونا من بني عامر ولكنا نودي اليكم ديتهما فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال من ميثاقه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فبدا ببني قريظة فاتاهم فقال تعلمون ما اصابنا من دم الرجلين ونحن نريد ان نودي ديتهما فاتخذوا عندنا يدا اجزيكم بها قالوا مرحبا يا ابا القاسم اخواننا بنوا النضير لا نقضي امرا دونهم نعلمهم ذلك ثم ناتينا يوم كذا وكذا وقد جمعنا لك الذي تريد فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان ذلك اليوم اتاهم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فادخلوهم في صفة لهم ثم خرجوا يجمعون السلاح وينتظرون كعب بن الاشرف وهو غايب بالمدينة ان يقدم عليهم ليثبوا به فنزل عليه جبريل فاخبره ما يراد به فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوذن من اصحابه مخافة ان يثبوا به فخرج فقام على الباب فلما ابطا على اصحابه خرج ابو بكر فطلبه فاذا هو بالباب فقال قد غدرت بي اليهود اللهم العنهم فقم مكانك فاذا خرج بعض اصحابك فاخبره الخبر واقم مكانك حتى يخرج اليه صاحبه ففعل ثم خرج عمر فقال له ذلك ثم خرج عثمان فقال له ذلك ثم خرج علي فقال له عثمان ذلك حتى لحقوه ونزلت هذه الاية وعلم به اليهود بعد ذلك فتحيروا فقوله اذكروا نعمة الله عليكم خطاب لكل الصحابة فان النبي صلى الله عليه وسلم لو اصيب كان ذلك على الكل • وقوله تعالى اذ هم قوم اي قصد قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي يمدوها بالقتل • وقوله تعالى فكف ايديهم عنكم اي منعها • وقوله تعالى واتقوا الله اي في كل شي واثبتوا على التقوى • وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون وانتم مومنون فافعلوا ذلك • وقال جابر بن عبد الله الانصاري نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وتفرقوا الناس عنه بالعضاة يستظلون تحته فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فاذا اعرابي جاء الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ثم اقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فقالها ثلاثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله فشام الاعرابي السيف فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فاخبرهم فنزلت الاية • وذكر قتادة ان قوما ارسلوا هذا الاعرابي وفيهم نزلت هذه الاية • وعن قتادة ايضا انه هذا كان في الغزوة السابعة وقد نزل بنخلة فاراد بنوا ثعلبة وبنوا محارب ان يفتكوا به وندبوا هذا الاعرابي كذلك وفيها نزلت صلاة الخوف وقيل كان ذلك الحين حاصر غطفان وجاء هذا الاعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه فجعل يهزه ويقول من يمنعك الى اخره كما ذكرنا • وقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل اتصالها بما قبلها ان الله تعالى يقول لنبيه لا تتعجبن من نقض ميثاق هولاء اليهود معك وقصدهم قتلك فانهم من اولاد قوم اخذنا ميثاقهم فنقضوا • وقوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي وبعث موسى هولاء بامرنا والنقيب هو الملك على قول ابن عباس اي على كل سبط من بني اسرايل ملكا ورئيسا وهو من نقب الشي سمي به لانه ينقب من احوال القومية فيقف على مكنون اسرارهم ومنه المناقب وهي الفضايل لانها تظهر بالتنقيب عنها • وقيل النقباء الامناء وبعث موسى من الاسباط الاثني عشر اثني عشر امينا ليتعرفوا اخبار القوم الذين كانوا بارض الشام من الجبارين وكان الله وعد بني اسرايل حين اخرجهم من مصر ان يجعل تلك البلاد لهم فامرهم موسى بالمسير اليهم لقتالهم واختار من كل سبط رجلا منهم يتجسسون الاخبار ويرجعون فيخبرون قومهم فيعملون على ذلك • وقيل هم الامرا وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال ابو عوسجة هم المنظور اليهم والمعتمد وزعن رايهم • وقال ابو عبيدة هم الامناء والضمنا • وقال مقاتل هم الشهدا • وقال محمد بن اسحاق هم الكفلا وقال هو واسماوهم فيما ذكر اهل التورية يجشون لقيام بن صيم راس سبط بيت يهودا ويا ليل بن صعو وراس سبط بيت يشناخر والياب ابن حولان راس سبط بيت زبالون ونصور بن شازور راس سبط بيت روبيل وشلاموز بن صوريا راس سبط بيت شمعون والياسيف بن رعويل راس سبط بيت حاد زقاليسم بن عيهود راس سبط بيت افرائيم بن

يوسف

يوسف وجميل بن ترينون راس سبط بيت منشا بن يوسف وابيذن بن حزعون راس سبط بيت بنيامين وحيعور ابن شيوذا راس سبط بيت دان وخيعل بن جعود راس سبط بيت انشا بن يعقوب واخوع بن حينان راس سبط بيت نفتايل • وفي بعض الروايات من سبط روبيل شاموذ بن نكول ومن سبط شمعون سافط بن حزن ومن سبط يهودا كالب بن يوفنا ومن سبط افرائيم بن يوسف يوشع بن نون ومن سبط بنيامين رفود بن فلطا ومن سبط زابلون جدي بن شوذام ومن سبط منشا بن يوسف جوي بن شوسا ومن سبط دان حمايل بن ازر ومن سبط انشي تقرين ابن مخيل ومن سبط نفتايل فوايل بن مكيل فسار بهم موسى عليه السلام الى الارض المقدسة بامر الله حتى اذا نزل برية بين مصر والشام وهي بلاد ليس بها خمر دعا موسى ربه حين اذاهم الحر فظللهم الله الغمام ودعا بالرزق فانزل الله تعالى عليهم المن والسلوى وامره الله تعالى ان يرسل رجالا يتجسسون له اخبار الارض المقدسة التي وهبه الله لبني اسرايل فقال لهم اصعدوا الجبل وانظروا ما في الارض التي يسكنونها فقليل ام كثير وهم اقويا ام ضعفا وانظروا ارضهم اذات شجر مثمرة ام لا وان كانت ذات شجر مثمرة فاحملوا الينا من ثمرها فحملوا عنقودا ابين حنسة رفعط وسموا ذلك الوادي وادي العنقود ثم رجعوا بعد اربعين يوما فاتوا موسى وهرون وقصوا عليهما وقالوا هي ارض تفيض لبنا وعسلا وهذه من ثمرها واهلها اقويا اشدا لهم حصون وثيقة فقال كالوب ويوشع ان لنا بهم لقوة وقال الباقون انها جبابرة ورجالا اجساما وهن في اعينهم مثل الجراد وبكوا الخبر موسى وهرون سجودا وخرق كالوب ويوشع ثيابهما فاوحى الله تعالى الى موسى ان كان اوليك العذر في على دخولها اغتربن لهم بكلمتك واما كالوب ويوشع فاني ادخلهما تلك الارض حتى يراها من فيهما من العمالين والكنعا وقيل لما اراد موسى ان يبعث هولاء قالوا ان اوليك اقويا ونحن نخافهم فوعدهم الله الحفظ بما شرط عليهم وذلك قوله تعالى وقال الله اني معكم اي قال لهم اني حافظكم كما قال ان الله معنا اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم وقال موسى كلا ان معي ربي ان الله مع الصابرين ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون • وقوله تعالى لين اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي وعزرتموهم الاية فقوله لين لام قسم وقوله لاكفرن لام جواب والصلاة اسم جنس واريد بها كل الصلوات والتعزير النصرة في قول الزجاج والتعظيم في قول ابي عبيدة • وانشد • وكم من ماجد لهم كريم • ومن ليث يعزر في الندي • قال القطامي شعر • الا بكرت سلمى بغير سفاهة • تعاتبني والمرء ينفعه العزر • والتعزير المشروع في حق الجناة هو منعهم عن المعاودة بالتاديب وتعزير الانبيا نصرتهم بمنع الاعدا عنهم • وقيل العزر متعدى والتعزير التكثير ومنه التكريم وهو نصرتهم مرة بعد اخرى والاقراض الحسن وراء الزكاة وهو الصدقات الى كل محتاج في اي وقت وقع من غير كراهة في القلب وامتنان على الفقير بل يطلب به رضى الله وتطيب به نفسه • وقوله تعالى فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل قال الكلبي اي من نقض منكم هذا العهد فقد اخطا قصد الطريق وضل عن الهدى قال فاطاع منهم خمسة اخذوا بعهدهم وعملوا بطاعة الله وابى سبعة منهم فاستحلوا المحارم وسعوا في الارض بالفساد وقتلوا الانبيا وخرج خلال الاثني عشر نقيبا اثنان وثلاثون كذابا ياخذون الملك بالسيف فلم يفوا بما اخذ عليهم من العهد • وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم ما زايدة • وقيل مؤكدة لعناهم اي طردناهم وبعدناهم من الرحمة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما عذبناهم بالجزية • وقال الحسن مسخناهم • وقوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية قرا حمزة والكسائي قسية • والباقون قاسية فالقاسية اظهر والقسية ابلغ والقسوة اليبس والصلابة فلا تلين ولا تنقاد لاحكام الله عز وجل • وقيل القسية الفاسدة من قولهم درهم قسي اي فاسد • وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه اي يغيرون كلمات التورية عن مواضعها والكلم جمع كلمة كالشجر جمع شجرة ولذلك جعل لها مواضع ولكن قال في مواضعه ذهابا الى الظاهر لانه على وزن الكذب واللعب الذي هو واحد مذكر والتحريف له وجهان كتابة غيرها مكانها كما قال فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله والثاني فساد التاويل • وقوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به اي وتركوا نصيبا مما وعظوا به من الايمان بمحمد • وقوله تعالى ولا تزال تطلع على خاينة منهم اي ابدا تقف على خيانة منهم مصدر على وزن فاعلة كقوله فاهلكوا بالطاغية • وقوله ليس لوقعتها كاذبة وهو كقولهم سمعت راغية الابل وثاغية الغنم • وقيل معناه تطلع على فرقة خاينة منهم على النعت • وقيل اي على خاين منهم والها للمبالغة كقولهم فلان راوية الشعر وعلامة ونسابه ويعني به يهود بني النضير منهم كعب بن الاشرف حين اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية السلميين فهموا بقتله وقتل من معه • وقوله تعالى الا قليلا منهم عبد الله بن سلام واصحابه • وقوله تعالى فاعف عنهم اي اترك مكافاتهم للحال • وقوله تعالى واصفح اي اعرض عن قتلهم الى وقت الامر بالقتال • وقوله تعالى ان الله يحب المحسنين العافين الصافحين ثم نسختها اية السيف وقال ابن حيان والقليل منهم كانوا لا يخونون • وقال السدي من تحريفهم اية الرجم • وقال ابرهيم كان في التورية يا ابنا احباري فكتبوا يا ابنا ابكاري ثم في قوله فبما نقضهم ميثاقهم وقولهم ونسوا حظا وقوله على خاينة منهم اثبات افعال العباد

وفي قوله وجعلنا قلوبهم قاسية اثبات الخلق من الله وهو حجة اهل السنة والجماعة على الجبرية والقدرية • وقال
القشيري رحمه الله قسوة القلب عدم التوجع بما يمتحن به من الصد ومن قريب يمتحن بالرد والرد نهاية الفراق وغاية
البعد واول الحالة فترة الصفوة ثم استيلا الشهوة ثم جريان الهفوة ثم استحكام القسوة فاذا لم يوفق للاقلاع عن جملتها
فهو تمام الشقوة • وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ذكر نقض
العهد وترك الوفا بالعهد من النصارى ايضا كما ذكر من اليهود • وقال الحسن قوله قالوا انا نصارى دليل على انهم
ابتدعوا النصرانية وتلقبوا بها • وفي رواية عنه قال قيل النصارى كونوا انصار الله فقالوا بل نكون نصارى
وقوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة الاغرا الشي الالصاق به من جهة التسليط
عليه • قال تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم • وقيل هو التحريش واصله ما قلنا وتداعوا به بالشي فتغرى
والغرا الذي يلزق لما له من صفة اللزوق • وقال الكلبي رحمه الله والقينا بينهم العداوة وهي التي تفضي الى التعدي
في الافعال والبغضا العداوة الكامنة في القلب • وقال ابو هيثم في الاهوا المتفرقة • وقال مقاتل بن حيان
اغرينا بين النسطورية منهم الذين قالوا عيسى ابن الله وبين اليعقوبية منهم الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
وبين الملكانية منهم الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهي حكاية ملصقة لا تفارقهم عوقبوا بها لنقضهم
ميثاقهم • وقيل هذا الاغرا بين النصارى واليهود وقد سبق جميعا في الايتين وذلك ظاهر في قوله وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء الاية ثم قال الى يوم القيامة مع ما قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته
وقيل ذلك عند نزول عيسى عليه السلام من السما لان معناه وانا ادا علم ما هو الا المصرع على نقض العهد على
هذه العداوة الى الموت • وقوله تعالى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون هذا وعيد لهم في الاخرة مع
ما ذكر لهم من وعيد الدنيا ينبئهم به توبيخا ثم يجازيهم عليه تعذيبا وتخليدا والوعيد بهذا الاغرا ثابت
ايضا في حق اليهود • وقال تعالى في هذه السورة والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله • وقوله تعالى يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى جميعا وقد سبق
ذكرهم • وقوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي محمد عليه الصلاة
والسلام • قال الامام ابو منصور رحمه الله لم يذكر اسمه ليعلم ان الرسل يعرفون بالايات المعجزة دون الاسامي
وفيه دليل ان من امن بالرسل كلهم يكون مومنا وان لم يعرف اسماهم ويبين لكم كثيرا هو الرجم المذكور في
التوراة والبشارة بالنبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل وصفة اصحاب السبت
الذين مسخوا قردة وكانوا يخفونه لما فيه من السبة • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله ومنها ملة ابرهيم
وحرمة لحوم الابل والبانها كتموه عن السفلة وقصة عيسى • وقوله تعالى ويعفو عن كثير اي يترك
بيانه لكم وان اطلعه الله به لانه ما بينه حجة كافية عليكم • وروي ان يهوديا قال لما الكثير الذي يعفو عنه
فاعرض عنه فسأله ثانيا وثالثا فاعرض عنه وكان قصد اليهودي ان تظهر منه مناقضة بترك العفو
فلما اعرض تيقن بصدقه واسلم • وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه يستضا
به من ظلمات الكفر والاهوا • وقوله تعالى وكتاب مبين هو القران يبين كل شي بنا اليه حاجة من امور الدين
وقوله تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اي يرشد الله بالقران من كان همه اتباع مرضات
الله بطلب الحق لا التعصب لدين ابايه الى طرق السلامة من مكاره الدارين والسلام السلامة • وقيل
السلام هنا اسم الله تعالى كما في قوله السلام المومن اي الى طريق الله وهو دين الله • وقيل السلام اسم
الجنة • قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام اي الى الطريق الذي يفضي سالكه الى الجنة • وقيل يهدي به
يرجع الى محمد والقران لانهما ذكرا قبله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكل واحد منهما يتم به الهداية
بالدلالة وانما وحد لان كل واحد منهما يساوي الاخر في الهداية وانما قال سبل السلام جمعا ودين الاسلام
طريق واحد ولذلك قال وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لان اصل الدين واحد ولكن
طرق الطاعات متفننة وكل طريق يفضي سالكه الى الجنة بوعد الله على تلك الطاعة ولان سالكيه متعددون
فجمعه لاجتماع السالكين كما قال ونضع الموازين القسط والميزان واحد ولكن الموزونات متعددة فجمع
الموازين لتعدد الموزونات • وقوله تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه اي يخرجهم من ظلمات
الشرك وهو انواع الى نور الايمان وهو واحد • وقيل اي من الشكوك الى اليقين • وقيل اي من الجهالات
الى العلم • وقيل اي من الضلالات الى الرشد • وقيل الاخراج ههنا مجاز عن الحفظ فقد ذكروا لا هدى به
وما بعد الهداية يكون حفظا • وقوله تعالى ويهديهم الى صراط مستقيم اي يثبتهم على الدين الحق القيم
ومنهم من جعل قوله يهدي به ويخرجهم ويهديهم شيا واحدا والتكرار للتاكيد والصحيح ان الاول اعطا
الهداية والثاني حفظهم عن الغواية والثالث ابقاهم عليه تجديدا للفوايد • وقوله تعالى لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هذا توبيخ للنصارى وابطال لقولهم بقولهم لانهم قالوا هو ابن مريم فكيف

يكون

يكون الها والام اقدم من الولد فهو حادث والحادث لا يكون الها وهو بعضها في اصل الخلقة والمتبعض لا يكون الها وهو
منتقل من الرحم الى الارض والمتمكن في مكان والمنتقل من مكان الى مكان لا يكون الها • وقوله تعالى قل فمن يملك من الله شيا
ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا استفهام بمعنى النفي اي فمن يمنع الله من شي يريد ان
يفعله لان من منع غيره عن فعل فقد ملك عليه امره • وقوله فمن يملك اي فمن كان يملك لانه كان ذكر اهلاك عيسى وامه
وهي مريم وهي قد كانت ميتة واهلاكهما حقيقة يكون في حياتهما فيكون هذا في معنى الماضي اي من كان يمنع الله
في اهلاك عيسى واهلاك امه حال حياتهما ونظير هذا المستقبل قول القايل • فانضح جوانب قبر مرداها فلقد
يكون اخادم وذا باع • اي فلقد كان يكون • وقيل اراد بالاهلاك التعذيب في القيامة وبين بهذا غاية ضلالتهم
في اعتقاد عيسى الها مع انه معتقد وامه مقهور مجبور • وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما
وعيسى منهم فكان مملوكا مخلوقا • وقوله تعالى يخلق ما يشا كما يشا من اب وغير اب فليس فيه ما يوهم ان عيسى اله
وقوله تعالى والله على كل شي قدير يخلق ما يشا كيف يشا • وقال القشيري رحمه الله من اشتمل عليه ارحام
الامهات متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد التغيير انى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقا
عن جميع ما اوجد فاي نقص يعود الى الصمدية • وقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله
واحباوه • قال محمد بن اسحاق قال ابن عباس رضي الله عنهما ان نعمان بن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي
كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد فنحن ابنا
الله واحباوه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية نزلت في يهود المدينة كعب بن الاشرف وكعب بن اسد
وسعية بن عمرو ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وبحري بن عمرو وساير اليهود من نصارى نجران السيد
والعاقب ومن معهما خاصموا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين فتبرم اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالكفر وبغضب الله عليهم فقالت اليهود انما غضب الله علينا كغضب الرجل على ولده ثم يرضى
عنه وانا ابنا الله واحباوه وهم معترفون انهم يعذبون في النار اربعين يوما عدة الايام التي عبدوا فيها
العجل فرد الله عليهم بهذه الاية • وقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي بالنار ولا يعذب الوالد ولده
بالنار • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي لم جعل منكم القردة والخنازير والوالد لا يفعل ذلك
بولده • وقال سعيد بن المسيب لا دوا بقولهم نحن ابنا الله واحباوه ان منا عزيرا وهو ابن الله على
زعمهم ومنا المسيح وهو كذلك عندهم وهو كقول الواحد من القوم نحن الكتاب ونحن الفوارس يعني
بذلك ان منا كذلك • وقوله تعالى بل انتم بشر ممن خلق اي خلق من خلقه فلا بنوة • وقوله تعالى يغفر
لمن يشا ويعذب من يشا اي يغفر لمن تاب من النصرانية واليهودية ويعذب من مات عليهما • وقوله
تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما فلا التفريق فيهم • وقوله تعالى واليه المصير اي الى
جزايه مرجع الكل • وقوله تعالى يا اهل الكتاب اي يا اهل اليهودية والنصرانية واراد بالكتاب
الكتابين التوراة والانجيل وكذلك فيما تقدم في هذه السورة لكن الكتاب مصدر واسم جنس يصلح
للتثنية ولانهما يعتقدان التوراة فاضيفوا جميعا اليها • وقوله تعالى قد جاءكم رسولنا اي محمد صلى
الله عليه وسلم • وقوله تعالى يبين لكم اي يبين لكم ما لكم وعليكم • وقوله تعالى على فترة من الرسل
اي حال فتور امر الرسل بانقطاع مجيئهم مدة يدرس فيها الدين او يكاد يدرس • وقوله تعالى ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير اي لئلا تقولوا يوم القيامة كنا في زمان فترة فاتبعنا الناس على ما ادركناهم
عليه ولم يكن لنا علم بما بدلوا وغيروا فتقطع الله احتجاجهم بهذا وان يقولوا بمعنى لئلا يقولوا كما بينا
في قوله يبين الله لكم ان تضلوا اما جاءنا من بشير اي نبي مبشر بالجنة للمطيعين والنذير بالنار
للجاحدين • وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانقطعت حجتكم وبطلت
معاذيركم بانبائه وبنبيانه • وقوله تعالى والله على كل شي قدير كانوا يقولون لا رسول بعد موسى فقال
ان الله قادر على ارسال محمد واقامة المعجزات له كما كان قادرا على ارسال موسى واقامة المعجزات له وعلى كل شي
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة الفترة بين عيسى ومحمد خمس مائة وستون سنة • وقال الضحاك
ومقاتل ست مائة سنة • وقال الكلبي ومجاهد خمس مائة واربعون سنة • وقال الكلبي كان بين موسى وعيسى
الف وسبع مائة سنة وكان بينهما الف نبي وكان بين مولد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم خمس مائة وتسع
وستون سنة وكان عيسى حين رفع ابن اثنين وثلاثون سنة وستة اشهر • وقوله تعالى واذ قال موسى
لقومه اي واذكر يا محمد اذ قال موسى لبني اسرايل حين انجاهم الله من فرعون وقومه واخرجهم من ارض مصر
ووعدهم اسكانهم ارض الشام وامرهم بجهاد اهل اريحا من بلاد فلسطين فذكروا انها ارض لا علم
لهم بها ولا يهتدون لوجه قتال اهلها فبعث موسى اثني عشر نقيبا يتجسسون اخبارها فاتوهم وهم قوم
طوال وفيها التقطهم بعضهم وجعلهم في حجره وجا بهم الى الملكم فنثرهم بين يديه وقال هولا الذين يريدون

وخلادهم الملك ليرجعوا ويخبروهم بما لهم فجاوا موسى فاخبروه به فقال اكتموا بني اسرائيل ما شاهدتم لئلا يجبنوا فلم يكتموا
الا رجلين نذكرهما من بعد فانتشر الخبر في بني اسرائيل من جهة العشرة النقبا فاظهروا الامتناع من قتالهم فحرضهم موسى على
الجهاد بهذا وهو قوله يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا وذكر النعمة يستدعي الشكر
وطاعة المنعم فيما امر ونعم الله كثيرة ومنها ما قال وجعل فيكم انبيا فالانبيا بعد ابرهيم كلهم من نسل ابرهيم وبنوا
اسرائيل اولاده وقوله وجعلكم ملوكا • قال الحسن احرارا تملكون انفسكم بعد ما كنتم في ايدي القبط كاهل الجزية
فينا • وقال مقاتل اي لا يدخل عليكم الا باذني وكان قوم فرعون يدخلون عليهم متى شاوا من غير استيذان لهم وتنا
بهم • وقال عطا وجعلكم ملوكا فالكم من النعمة فلق البحر واغراق العدو والايات • وقال الضحاك كانت منازلهم
واسعة فيها ماء جارية ومن كان له مسكن واسع وفيه ما جاري فهو ملك • وقال قتادة جعل لكم الخدم من
يخادم وهم اول قوم جعل لهم ذلك • وقيل اي جعلكم بعد ما تستعبدون تتخذون المملوك وتخدمون • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اي جعل لكم الخدم والحشم • وقال ابن مسعود رضي الله عنه من كان له بيت وخادم
فهو ملك • وقال مجاهد كان بنو اسرائيل يقولون من كان له دار وخادم وزوجة فهو ملك • وقد روي زيد
ابن اسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وجعلكم ملوكا من كان له مسكن وزوجة وخادم فهو ملك
وقال الحسن في رواية اي جعل لكم المركب والخادم • وقيل وجعل فيكم الانبيا وهم قوام الدين جعل فيكم الملوك
وهم قوام الدنيا اي جعل لكم اسباب معاشكم ومعادكم فاشكروا له بطاعتكم وجهادكم • وقوله تعالى
وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اي عالمي زمانكم فقيل هو التوراة • وقيل هو فلق البحر • وقيل هو تظليل
الغمام وانزال المن والسلوى لكن عند بعضهم كان هذا في التيه وكان ذلك بعد هذا الامر بالجهاد فهو
على سائر ما اتوه من الايات وانواع الكرامات • وقال القشيري رحمه الله امر الله بني اسرائيل على لسان
نبيه ان يذكروا نعمه وامر هذه الامة بخطاب نفسه لا على لسان مخلوق ما ان يذكروه فقال فاذكروني
اذكركم ثم جعل جزاء اوليك ثوابه الذي فعله وجعل جزاء هولاء ذكره الذي هو نعته • وقال في قوله
وجعلكم ملوكا من المخلوقين من عند الملك الحقيقي وقال الملك من ملك هواه والمملوك من هو في رق
شهواته ومناه قال وبيان وجعلكم ملوكا لم يحوجكم الى امثالكم ولم يحجبكم عن نفسه باشغالكم وسهل
سبيلكم اليه في عموم احوالكم • وقال في قوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ليري بني اسرائيل بمقتضى
جوده فقد اغنى عن الانبيا هذه الامة فاكتفوا بوجوده والاكتفا بوجوده اتم من الاستغنا بمقتضى
جوده • وقوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم المقدسة المطهرة • وقيل
المباركة • قال ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض بيت المقدس اريحا وغيرها لك • وقال قتادة ارض
الشام • وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وتقدسها بكونها مستقر الانبيا والعباد
والزهاد • وقيل مقدسة مطهرة من الشرك والفواحش وطهرتهم وبركتها بكثرة الماء والشجر والثمر
قال تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قالوا بكثرة الماء والشجر والثمر وسعة
العيش • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي مدينة الجبارين • وقوله كتب الله لكم اي قضى ان يكون لكم
وقيل اي جعلها لكم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل اي كتب الله عليكم قتال اهلها لتسلموا والام
بمعنى على كما في قوله وان اساتم فلها اي عليها • وقال القشيري امركم بدخولها فان قالوا روي انهم لما لم يجيبوا
الى القتال بقوا في التيه اربعين سنة وما توافيها فكيف كانت مكتوبة لهم قلنا عنه اجوبة احدها
ان هذا كان وعدا مقيدا بشرط الجهاد لانه وان اطلق في اول هذه الاية فقد قال في اخرها ولا ترتدوا قوله تعالى
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين وقد فقدوا الشرط فحرموها والثاني ان الخطاب لبني اسرائيل وقد
وقع الفتح على ايدي هولاء وهم دخلوها والثالث ان بعض من بقي في التيه الذين كانوا
مع موسى حين خاطبهم منهم يوشع وكالب قد فتحوها ودخلوها • وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين اي ولا ترجعوا مولين ظهوركم منهزمين فتخسروا ما وعد لكم من الاستيلاء على
بلادهم في الدنيا ومن الثواب في العقبى • وقوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
قال ابن عرفة اهل سطوة وقهر • وقال ابن زيد اي جبارين اي عظما • وقال الازهري جبارين
عاتين • وقيل عظام الاجسام • ثم النخلة جبارة طويلة عظيمة • وقال قتادة ان فيها قوما جبارين
اي اشد منا قوة واطول منا اجساما • وقال الزهري كان عوج الجبار في فلسطين وقد غلب عليها
كلها • وقال محمد بن اسحاق كان اهل الكتاب يقولون ان عوج اذا السحاب كان يكرع في معاد الماء
وكان يشوي بيده الحوت من اسفل البحر فيشويه بحر الشمس ياكله وكان عمره ثلاثة الاف وستمائة
سنة وولد في دار ادم وعاش حتى قتله موسى عليه السلام • وقيل كان طول هولاء الجبارين ثمانين
ذراعا • وقيل مائة ذراع • وقيل اربعمائة ذراع • وقيل كان طول عوج ثمان مائة ذراع • وقيل في عوج

عوج

عاج بن عوج • وقيل هو الذي اخذ الاثني عشر نقيبا وجعلهم في كمه ثم خلاهم فلما رجعوا اخبر العشرة منهم بني اسرائيل
بحال هولاء فخافوا فلذلك قالوا ان فيها قوما جبارين • وقوله تعالى وانا لن ندخلها اي بالقتال • وقوله تعالى
حتى يخرجوا منها بغير قتال • وقوله تعالى فان يخرجوا منها اي يسلموها الينا طائعين او بغير قتال • وقوله
تعالى فانا داخلون بلادهم حينئذ • وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما يعني قال
اثنان من اوليك الاثني عشر وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما من الذين يخافون الله ولا يخافون غيره
وذلك بانعام الله عليهما بالتوفيق للاعتماد عليه والامن بوعده • وقيل اي من الذين يخافون الجبارين طبعا
لكون غيرهما لكن انعم الله عليهما بالثقة بوعده ومجاهدة النفس في الايتمار بامره • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وعن سعيد بن جبير انه كان يقرا يخافون بضم اليا قال ابو عبيد جعل الرجلين من الجبارين وقد
اسلما فاتبعا موسى عليه السلام • وقوله تعالى ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اي قالا
لهم ادخلوا انتم باب بلدهم فاذا دخلتم انهزموا وكانت الغلبة لكم • وقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مومنين اي ان الايمان بالله يوجب الثقة بوعد الله والاعتماد على نصرة الله والايتمار بامر الله • وقال
الكلبي قالوا يا موسى انكذب عشرة ونصدق اثنين وعادوا الى الكلام الاول وذلك قوله تعالى قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها اي وان كثر القول وامتد الزمان • وقوله تعالى فاذهب انت وربك
من اهل الظاهر من حمل هذا على الظاهر • وقال اعتقدوا في الله الذهاب وهو كفر منهم لكن لا وجه لهذا
لانهم لو قالوا ذلك اعتقادا لكفروا به بمخالفتهم موسى عليه السلام ولم تكن مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة
هولاء لكن له وجهان صحيحان احدهما اذهب انت وربك جل جلاله يعينك على قتالك وهو كقوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والثاني وربك اي سيدك وهو اخوك الاكبر هرون اذهبا جميعا
فقاتلاهم وقوله انت زيد عماد الضمير اذهب ويجوز في المرفوع ابانه وحذفه • قال تعالى لقد وعدنا
هذا نحن واباؤنا • وقال ايذا كنا ترابا واباؤنا في المحفوض لا بد من الاثبات • وقوله تعالى فقاتلا
انا ههنا قاعدون ها تنبيه وهنا اشارة الى المكان الحاضر وهناك اشارة الى المكان الغايب
وقاعدون اي مستقرون ثابتون لا نتقدم الى باب بلدهم ولا نقاتل اهله • وقال المقداد بن الاسود
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نقول لك اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب
انت وربك يعينك فانا معكم مقاتلون • وقوله تعالى قال رب اني لا املك الا نفسي واخي اي قال
موسى يا رب اني لا املك الا نفسي واخي يعني لا يملك الا نفسه فلا يقدر على تكليف هولاء شيا وهو رفع
عطفا على موضع الضمير في املك كما في قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا الاية • وقيل لا املك الا
الا نفسي والا اخي فانه يطيعني ولا اخا لفني فاما ما لك امره تطاوعا لدعوا فعتنا باي في كل شي • وقال
القشيري رحمه الله ولما ادعى انه يملك نفسه عرف عجزه عن ملكه نفسه حيث اخذ براس اخيه يجره
اليه وقيل لا املك الا نفسي اي لا ادخرها عن البذل في امرك ولا املك الا اخي فانه لا يوثر بنفسه
من الذي كلفته من قبلك • وقوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي اخرجنا من هذا دم
ولا تلحقنا بهم في استحقاق العقوبة • وقيل اي اقض بيننا وبينهم • قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم اي
يقضى • وقيل اي باعد بيننا وبينهم • قال الراجز • يا رب فافرق بينه وبيني اشد ما فرقت بين اثنين
وقيل اي ميز بيننا وبينهم في الاخرة فيكون هولاء في النار وهولاء في الجنة ولم يقل بيننا وبينهم لان فيهم
من اطاعه كيوشع وكالب فلذلك قال وبين القوم الفاسقين على التخصيص • وقوله تعالى قال
فانها محرمة عليهم اي فان الارض المقدسة ممنوعة عليهم ان يدخلوها ويسكنوها والتحريم
المنع • قال تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل وهو تفعيل من الحرمان وكان ذلك عقوبة بعضبانهم
وقيل اي التوبة محرمة عليهم فلا يتوبون • وقوله تعالى اربعين سنة ظرف لقوله محرمة • وقيل لقوله
يتيهون • وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يسيرون متحيرين في الارض هم فيها وفي البرية التيه
الضياع الذي لا يهتدي لاجله للخروج الى الطريق المستقيم والتيه المتكبر من ذلك والتيها الارض التي
لا يهتدي فيها وكان التيه مقدار ستة فراسخ عرضها في اثني عشر فرسخا طولا • وقال مقاتل واوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام اني احبستهم بالنهار واسيرهم بالليل اربعين سنة فاذا بلغ الحلم اربعين سنة
ارسلت عليهم الموت فلا يدخلها الا الحلوفهم غير يوشع وكالب وهما يسوقان بني اسرائيل الى تلك الارض فناه
القوم في ستة فراسخ وقالوا لموسى ما صنعت بنا وندم موسى على ما دعا عليهم • وقيل لم يقصد موسى بالدعا
هذا النوع من العذاب بل اراد بهم ما هو اخف منه وحزن لهذا وخفف الله تعالى عليه ذلك وذلك قوله
تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين اي لا تحزن عليهم بما اصابهم وهم فاسقون مستحقون لذلك
قال المقاتل ثم ان الله تعالى اخرج ذراريهم بعد اربعين سنة وقد هلكت العصاة في التيه فاتوا اريحا

يقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وقيل ثلاثة من الجبارين ومات في التيه كل ابن عشرين سنة فما فوقه ومات هرون في التيه ومات موسى بعده بسنة واستخلف على بني اسرائيل يوشع بن نون وقاتل الجبابرة دعوة موسى في الفرق بينه وبينهم فانهم كانوا محبوسين في التيه وموسى وهرون ويوشع وكالوب لم يكونوا محبوسين بل كانوا مخيرين وانما مكثوا في التيه حفظا لهم على السلام والطاعة فانهم كانوا يرجعون عن الدين لولاهم ❁ وقيل ان قوله فانها محرمة عليهم اربعين سنة مما علم به بنوا اسرائيل علم به هو وهولاء الثلاثة معه على الخصوص ولو علموا ابدا ذلك لما تكلفوا المسير كل يوم مع علمهم بالحبس وقيل ان تظليل الغمام وانزال المن والسلوى كان في هذا وقيل هذا نعمة وكان حبسهم نقمة محنة بلا الذين كانوا خرجوا من البحر ودخلوا تلك البرية وهذه البرية غير تلك ❁ وقيل يجوز ان يكون هذا في هذه البرية والعقوبة في الدنيا لا تنافي النعمة فانها ليست بدار الجزاء على الحقيقة ❁ وفي تفسير الربيع بن انس ان حبسهم في التيه كان اربعين سنة ثم زال فدخلوا تلك الارض والصحيح انهم ماتوا فيها وفتحت تلك البلاد لاولادهم ❁ وقوله تعالى واتل عليهم اي على اهل الكتاب الذين قال اسلافهم لموسى ذلك وهولاء الذين في عصرك من اولادهم يحسدونك وقد هموا ان يبسطوا ايديهم اليك بالقتل فاخبرهم بقصة ابني ادم الذي بسط يده الى صاحبه بالقتل حسدا له فالى ماذا صار امره من خسران الدنيا والاخرة فكذلك حال هولاء ❁ وقيل ليرجع هذا الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وكان من ذلك هذه القصة ❁ وقوله تعالى نبا ابني ادم اي خبرهما ❁ وقوله تعالى بالحق اي ليعتبروا ويتذكروا لا ليحملوه على اللعب والباطل ككثير من الاقاصيص التي هي من لهو الحديث ❁ قال الحسن ونبيهما لناس بعده ❁ يقول ان هذين الرجلين من بني اسرائيل وضرب الله المثل بهما بيانا ان التحاسد في بني اسرائيل قديم وبلغ ذلك الى ان قتل من رد قربانه لحسده على ما اتاه الله من فضله وهولاء اولاد اوليك فلا تنكر يا محمد حسدهم اياك وسماهما ابني ادم لانهما من اولاده كما سماهم بني ادم وهذا وان كان اقرب الى النظم فهو خلاف المنقول المشهور انهما ولدا ادم لصلبه هابيل وقابيل على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت حوى تلد في كل بطن اثنين غلاما وجارية وقد ولدت خمسماية بطن فولدت اول بطن قابيل واخته اقليما ثم مكثت سنتين ثم ولدت البطن الثاني هابيل واخته لبوذا فلما ادركوا امر الله تعالى ادم ان ينكح قابيل اخت هابيل وان ينكح هابيل اخت قابيل فرضي بالذي امر وسخط قابيل لان اخته كانت احسنهما وقال ما امر الله ادم قط بهذا ولكن نظرا ولا ازوج هابيل اختي قال ادم فقربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها فقرب هابيل جملا سمينا من خير غنمه لبنا وزبدا وقرب قابيل قبيلا من شر زرعه فانطلق بهم ادم الى الجبل فاضمر قابيل في نفسه ما ابالي تقبل الله مني ام لا لا يتزوج هابيل اختي ابدا واضمر هابيل في نفسه الرضا لله فنزلت نار من السما فتقبل الله تعالى من هابيل لانه كان زاكي القلب ولم يتقبل من قابيل فنزلوا من الجبل وتفرقوا ثم اتى قابيل هابيل وهو في غنمه فقال له لاقتلنك قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح اختي الحسنا وانكح اختك القبيحة فيتحدث الناس انك خير مني ويفخر ولدك على ولدي قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين ورد عليك لانك لست بزاكي القلب ❁ وروي ان الكبش كان اعين اقرن ❁ وقال السدي كان قابيل اكبر من هابيل فاراد ادم الخروج الى مكة فطلب الى السما ان تحفظ اليه اهله وولده بامانة الله فابت وطلب الى الارض فابت وطلب الى الجبال فابت فقال قابيل احفظهم عليك بامانة الله فضمنه ذلك وذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فانطلق ادم الى مكة فطاف بالبيت فطلب هابيل الى قابيل ان يزوجه اخته فقال له قابيل انا اكبر منك وانا وصي ابي فقال له هابيل ما انت خير مني تعال فلنقرب قربانا فايما تقبل قربانه فهو خير من صاحبه وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب غنم فاخرج قابيل سنبلا واخرج هابيل كبشا سمينا فجات نار فاخذت الكبش وتركت السنبل فحسده قابيل فقال لاقتلنك فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين ❁ وقوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر اي تقربا الى الله بقربان قابيل بالسنبلة وهابيل بالكبش فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل ❁ وقوله قربانا اي قرب كل واحد قربانا او هو مصدر يصلح للاثنين والجمع ❁ وقوله تعالى قال لاقتلنك اي قال قابيل ذلك اي كيلا يقول الناس اذا ولدك وراوني هذا مقبول القربان وهذا مطرود القربان ❁ وقوله تعالى قال انما يتقبل الله من المتقين اي قال ذلك هابيل قال فساله ابن عبيد لان اكون اعلم ان الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل احب الي من الدنيا وما فيها وتلا هذه الاية وقالوا قبل قربان هابيل لتعظيمه ورد قربان قابيل لتحقيره وما ينبغي لاحد ان يترك تعظيم الله فيما يتقرب به اليه ❁ قال الله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله الاية ❁ وقال تعالى لن ينال الله لحومها الاية اجتمع في قابيل عقوق الاب وحسد الاخ وتحقير القربان والتاخير في الايمان فافضى به ذلك الى رد الامر والوقوع في الكفر وكذلك ايثار المعاصي والاصرار عليها والاستهانة بها ❁ وقوله تعالى لين بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اي لين مددت واللام للقسم وكذلك اجيب بما الذي هو من جواب القسم ولولاه لكان

بالقا

ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك

الا لا جواب الشرط كذلك واذا اجتمعا وصدر الكلام للقسم كان اعتباره اولى ❁ وقوله تعالى اني اخاف الله رب العالمين اي استسلم واصبر ولا اعارض وكانت معارضة القاتل يومئذ حراما والتسليم واجبا فاجزاه يخاف الله ولا يرتكب الحرام ❁ وقيل بل كان واجبا ذلك فان ترك المعارضة اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل في اثمه لكن معناه ما انا بباسط يدي اليك مبتديا ظالما لقصدك ذلك مني وكان عازما على ما فعله اذا قصد قتله لكن اخذه على غفلة وهو نايم فشدخ راسه فلم يمكنه دفعه ❁ وذكر الامام ابو منصور رحمه الله في تاويلاته ان ابا موسى الاشعري روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كسروا قسيكم وقطعوا اوتاركم والزموا اجواف البيوت وكونوا كخير ابني ادم ❁ قال الشيخ هذا في الذين يقتتلون في غير امام عادل بحمية او عصبية فيهما على الظلم فاما الخوارج على امام الهدى فقتالهم واجب بالاجماع ❁ روى انس وابو سعيد الخدري رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيكون في امتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القول ويسيئون العمل يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولا يرجعون هم شر الخليقة والخلق طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شي من قتلهم كان اولى بالله منهم ❁ وقال النبي صلى الله عليه وسلم قاتل دون مالك حتى تمنع مالك او تكون من شهدا الاخرة ❁ وقال من قتل دون ماله فهو شهيد وقوله تعالى اني اريد ان تبوء اي ترجع ❁ وقيل اي تحمل ❁ وقوله تعالى باثمي واثمك اي باثم قتلك اياي وبسايرها اثمت به من عقوق الاب والحسد والحقد والكفر اضاف الاثم الى نفسه اولا لانه اثم بسببه فيجوز اضافته الى كل واحد منهما وهو كقوله ان اجل الله اذا جا لا يوخر ❁ وقوله اذا جا اجلهم اضافه الى الموجل تارة والى الموجل له تارة اخرى فيضاف الاثم ايضا الى الاثم بالجناية والى المجني عليه ايضا وهذا معنى قول قتادة ومجاهد والضحاك والسدي رحمهم الله ثم ليس هذا رضى بالذنب بل هو ارادة عقوبة المذنب ولذلك جا في بعض التفاسير اني اريد ان تبوء بعقوبة اثمي اي بعقوبة اثمك في قتلي واثمك اي بساير اثامك ❁ وقيل معناه اريد ان تكون عليك اثامي التي كانت بذنوبي بسبب قتلك اياي فقد روي انه يوخذ من سيات المظلوم يوم القيامة فتحمل على الظالم ❁ وقوله تعالى فتكون من اصحاب النار وذلك جزا الظالمين اي فتعذب في النار اذا بوت بالاثم وذلك الجزا من قتل نفسا بغير حق واختار الدنيا على الاخرة ومن فعل ذلك فقد نقص نفسه حظها من ثواب الله تعالى ❁ وقوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه يقال طاع لفلان كذا اي اتاه طوعا منقادا وطوع متعدي له اي سهلت له نفسه قتل اخيه حتى فعل غير خايف ولا متفكر في عاقبته فاطاع هواه وقتل اخاه ❁ وقال قتادة زينت له نفسه ❁ وقال مجاهد شجعته ❁ وقال ابو عبيد اعانته على ذلك ❁ وقال الكلبي تابعته نفسه على ذلك ❁ وقال يمان بن رباب سهلت له ❁ وقال عبد العزيز ابن يحيى اجابته الى ذلك ❁ وقال ابو عبيدة جرأته ❁ وقيل سولت له نفسه فقتله ❁ وقوله تعالى فقتله فاصبح من الخاسرين اي صار خاسرا دنياه واخرته فقد اسخط والديه وفقد اخاه واسخط ربه وصار الى النار ❁ وفي بعض الاخبار لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس في هيئة طاير فاخذ طايرا فقطع راسه ثم وضعه بين حجرين فشدخ راسه يعلمه القتل فطلبه ليقتله حتى انتهى اليه في ظل جبل نايما وعنده ترعى حوله فاخذ صخرة فضرب بها راسه فمات ❁ وقال الاعمش لما قتل ابن ادم اخاه نشفت الارض دمه فلعنت فلم تنشف دما اخر بعده ❁ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم كفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل ❁ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقابيل هو ابو ياجوج وماجوج ❁ وقال علي بن الحسين وكل به ملكان يطلعان به مع الشمس اذا طلعت ويغيبانه اذا غربت مع الشمس اذا غربت وينضحانه بالماء الحار مع حر الشمس حتى تقوم الساعة ❁ وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الما واغبرت الارض فقال ادم حدث في الارض حادث فاتى الهند وهو يقول شعر

تغيرت البلاد ومن عليها ❁ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ❁ وقل بشاشة الوجه الصبيح
وما لي لا اجود بسكب دمع ❁ وهابيل تضمنه الضريح
اري طول الحياة علي غما ❁ فهل انا من حياتي مستريح

وروي ان الوحوش والطيور كانت تالف اولاد ادم فلما وقع هذا نفرت واستوحشت وهاجت ريح اظلمت لها الدنيا وكان ادم في مناسك الحج فقال لجبريل ما هذا فقال الم تر شوم قتل ابنك قابيل اخاه هابيل فحزن لذلك ادم وبكا ولم يضحك بعد ذلك ماية سنة لذلك ❁ وروي انه لم يقرب ادم حوا مدة حياته ❁ وقوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض لما قتل اخاه ولم يدر ما يصنع به فارسل الله غرابا يثير التراب عليه ❁ وقوله تعالى ليريه كيف يواري سوءة اخيه اي ليبصره كيف يخفي جثة اخيه

وقد كانت انتنت فسميت سوأة لذلك • وقيل السوأة العورة هنا كما في قوله يواري سوآتكم • وقوله ليريهما
سوآتهما • قال قتادة قتل غراب غرابا ثم جعل يحثو عليه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء غراب بحي الى غراب
ميت فواراه في التراب • وقال الحسين بن الفضل بعث الله غرابا يبحث في الارض بمنقاره فعلم انه يبحث
الارض ليدفن به اخاه • وقال بعضهم جاء الغراب فاثار الارض ووارى به هابيل فظاهر الاية يحتمل كل ذلك
والله اعلم بحقيقة ما كان • قال الامام ابو منصور رحمه الله الرواية الصحيحة مواراة الغراب هابيل لا الغراب
الاخر لانه قال سوأة اخيه والغراب لا يكون له سوأة • وقوله تعالى يا ويلتى اي قال قابيل يا ويلتي وهي كلمة
تاسف على ما فعل فلا تنفع له • وقيل الويل والويلة الهلاك وهذا على وجه النداء والالف في اخره للندبة
وتقدير النداء في مثل هذا يا ويلة احضري فقد آن اوانك • وقوله تعالى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
استفهام بمعنى التعجب وتقديره اعجزت عن ان اكون وهذا تحسر منه على ما فاته من مقدار هذا العلم الذي
وقف عليه الغراب • قوله تعالى فاواري سوأة اخي نصب بالفاء في جواب الاستفهام • وقوله تعالى فاصبح
من النادمين اي صار نادما على حمله لا على قتله • قال ابن منبه حمله ثلاثة ايام لا يدري ما يصنع به حتى
بعث الله تعالى الغرابين • وقال الكلبي رحمه الله حمله سنة • وقال مجاهد حمله مائة سنة يطوف به • وقال
الكلبي رحمه الله ندم على حمله والتطواف به ولو كانت ندامته على قتله لكانت توبة له • وقال الحسين بن الفضل
رحمه الله كانت ندامته على ذنبه وكذلك قال في قوله تعالى فعقروها فاصبحوا نادمين انهم ندموا على قتلها
لكن ندم الاولين لم يكن توبة وكانوا يعاقبون على جناياتهم بعد ندامتهم كما عرف في الذين عبدوا العجل وقد
كما قال تعالى ولما سقط في ايديهم ومع ذلك عوقبوا بقتل انفسهم وانما جعل الندم توبة في حق هذه الامة
خاصة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون فاصبح بمعنى فيصبح يعني في القيامة ماض بمعنى
المستقبل كما في قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس • وقيل لما قتله نودي كن خائفا ابدا
لا ترى احدا الا خفته ان يقتلك • وقيل لما قتله اسود جسده فلما راه ادم قال اين هابيل قال لم اكن وكيلا
عليه قال ادم بل انت قتلته ولذلك اسود جسدك • قال الواقدي فالسودان من ولده • وقيل لما هام به
في الارض خائفا كان يرميه من راه بحجر فراه بعض ولده فرماه بحجر فقتله • وقيل امر الله تعالى الريح
فالقته في احر موضع في الدنيا فهو يقاسيه في الصيف ويلقيه في ابرد موضع في الدنيا فهو يقاسيه
في الشتاء • وقيل قتل اخاه وهو غير مستحل له ولا راد للامر فكان عاصيا بخلاف ابيه وقتل اخيه فاستبيا
اخته لكن حمله شؤم المعصية على الكفر وسبب ذلك ان ابليس لعنه الله تمثل له في صورة انسان وقال
له انه انما قبل قربان اخيك قال لا قال لانه يعظم النار ويتواضع لها فلذلك قبلت قربانه فان سجدت
للنار فتسجد لها من دون الله فكفر بذلك وهو اول من سجد للنار • وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله ان
قابيل تولد من نوة حبة اكلها ادم من الشجرة مع النهي فاثر في فساد هذا الولد فصار ابا لياجوج وماجوج
الذين يكثر فسادهم في اخر الزمان على وجه لا تعرف غايته • وقوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
اي بسبب ذلك اكدنا القول على بني اسرائيل وغلظنا الميثاق عليهم وخص بني اسرائيل بالذكر والحكم ثابت
في حق الكل لان المخالفين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بقية بني اسرائيل وكانوا يدينون بالتورية
والانجيل فذكرهم ذلك • وقوله تعالى انه من قتل نفسا بغير نفس وبغير نفس قتلها فاستحق
القصاص بذلك او فساد في الارض اي ردة فان الفساد اسم للكفر • قال تعالى انه كان من المفسدين
وقيل اي زنا وهو محصن • قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحد معان ثلاثة زنا بعد
احصان وكفر بعد ايمان وقتل مؤمن بغير حق • وقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا قال ابن عباس
رضي الله عنهما هذا في حق من قتل نبيا او اماما عدلا فالاية في حق بني اسرائيل وكانوا معروفين بقتل
الانبياء وقتلهم قتل كل العالم او هو في حق كل مقتول لكن خص بني اسرائيل بهذا التغليظ كما خصوا بسائر
التغليظات • وقيل هو في حقنا كذلك ومعنى الاية ان نفع هذا الواحد كان يصل الى كل المؤمنين وكان
يقوم ببدنه في مصالح كل المؤمنين وكان يقول بلسانه اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فيصل ذلك الى
كل المؤمنين • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله هذا في حق قتل المؤمن فقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم المسلمون كنفس واحدة فكان قتله قتلهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل انه في اول
قتيل قتل حتى جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا يستنون به • وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة • وقيل اي يجب عليه من القتل ما يجب
عليه ولو قتل الناس جميعا • وقوله تعالى ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا وهو في العفو عن
القصاص وابقائه حيا ووصول النفع منه على كل الناس فهو كاحياء كل الناس • وقوله تعالى ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات اي ولقد جاء بني اسرائيل هؤلاء رسلنا بالبينات الواضحات الدالات على صدقهم

وقوله تعالى ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ذلك المجيء بالدلالات لمجاوزون حد الامر والنهي
وناقضون الميثاق بالعصيان والكفر • وقال عطاء اي يسرفون على انفسهم • وقال الكلبي اي لمشركون من قائل الملائكة
بنات الله وقائل عزير ابن الله وقائل المسيح ابن الله وقيل الاصنام شركاء الله • وقال مقاتل لمسرفون في سفك الدماء
واستحلال المعاصي • وقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا لما ذكر عقوبة
من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض ذكر بعده عقوبة من يسعى بالفساد في الارض وهم قطاع الطريق وجعلهم
محاربين الله ورسوله لانهم يحاربون المؤمنين وهم اولياء الله ورسوله فشرفهم بجعل محاربتهم محاربته ومحاربة رسوله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وهو كقوله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله وقال في ضده وينصرون الله ورسوله • وقيل معناه يخالفون الله ورسوله فانه لا محاربة
بدون المخالفة ثم جعل اخذ مال المسلمين بغير حق محاربة لله ورسوله باي طريق كان فقال في الاخذ جهرا انهم
يحاربون الله ورسوله • وقال في الاخذ لطفا ومسارقة فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله • وقوله
ويسعون في الارض فسادا اي بفساد • وقيل هو على الحال مصدر بمعنى النعت وتقديره فاسدين او مفسدين
وقيل هو مفعول ويسعون اي يكسبون كما قال وان ليس للانسان الا ما سعى اي كسب واصله المشي من سرعة سمي
به الكسب والتصرف لانه به يحصل غالبا • وقوله تعالى ان يقتلوا او يصلبوا التقتيل تكثير القتل وتكريره
وقوله او يصلبوا التصليب تكثير الصلب وتكريره وهو نوع قتل يكون مع التعلق في جذع • وقوله تعالى
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض التقطيع تكثير القطع وتكريره من خلاف اي تقطع
اليد اليمنى والرجل اليسرى • وقوله او ينفوا من الارض النفي التبعيد • وقيل هو التسيير في البلاد وترك التقرير
في مكان • وقيل هو الحبس في السجن واو في هذه الاية ليس للتخيير بل هو للتفصيل وقد بينا وجوهه في اوايل
سورة البقرة ومعناه ان يقتلوا ويكتفى به اذا كان من احدهم قتل احد من الطريق ويصلبوا مع ذلك اذا كان
منهم قتل واخذ مال وتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اذا اخذوا المال ولم يكن منهم قتل او يحبسوا في السجن
اذا اخافوا الناس في الطريق ولم يكن منهم قتل ولا اخذ مال وهذا الحبس يكون نفيا عن الارض معنى اذ لا يبقى
تقلب في الارض • وقد قال بعض المسجونين شعر

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها • فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة • عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وقوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا اي فضيحة وذلك اشارة الى المذكور قبله • وقوله تعالى ولهم في الاخرة
عذاب عظيم اي مع عقوبة الدنيا • وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من
المسلمين فهو امن من ان يهاج فمر اناس من بني كنانة يريدون الاسلام باناس ممن اسلم من قوم هلال ولم يكن هلال
شاهدا يومئذ فنهدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
جبريل عليه السلام بالقضية فيهم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فقال له جبريل ان بعث في طلب
القوم ممن قدرت عليه وقد قتل واخذ المال فجزاؤه الصلب وان وجدته قد قتل ولم ياخذ المال فجزاؤه القتل
وان وجدته قد اخذ مالا ولم يقتل فجزاؤه القطع تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ومن لم يقدر عليه ينفى من
الارض اذ اعجز وامن ادراكه فينادي عليه من لقيه قتله • وقال سعيد بن المسيب نزلت الاية في العرنيين
الذين ارتدوا واستاقوا الابل وقتلوا الرعاء والقصة مشهورة • وقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم فتسقط عنهم هذه الحدود • وقوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم يغفر لهم بالتوبة فلا يعذبهم
ويرحمهم فلا يعاقبهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله والفرق بينه وبين سائر الحدود ان التوبة من
المحارب لا تظهر حقيقته فلا تظهر في اسقاطها وجب في المحارب تظهر فانا نعلم انه لو لم يقبل منه ذلك
لتمادى في السعي في الارض بالفساد فيلحق المسلمين من الضرر اكثر من اخذهم بذلك • وقال القشيري رحمه الله
السعي في الارض بالفساد على نوعين بالظاهر وعقوبته هذه الظواهر وبالباطن وعقوبته واردة على السراير
وذلك بقطع ما كان متصلا من واردات الحق والستر بعد الكشف والحجاب بعد البسط واستشعار
الوحشة بعد الانس وتبديل توالي التوفيق بتتابع صنوف الخذلان والنفي عن بساط العبادة والاخراج
الى متابعات النفوس وذلك والله خزي عظيم وعذاب اليم • وقال في قوله الا الذين تابوا من اقلع عن معاصيه
وارتدع عن ارتكاب مساويه قبل ان يهتك عنه ستر السداد لا يقام عليه في الظاهر حدود الشريعة
ولا يؤاخذه الحق سبحانه وتعالى بسائر الجريمة واذا قدر عليه الامام قبل اظهار التوبة اقام عليه الحد
وان نفته بعقاب النفوس والخشية وكذلك اذا اسقط العبد من عين الله لم يصل بعده الى ما كان عليه
من تقريب الله اياه بالمشاهدة • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فلا تودوا عباد الله واتقوا

بوعد الله انما يتقبل الله من المتقين • وقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة اي القربة بالتقوى فلن يقربكم اليه غيره الا كما يفعل هولاء اليهود بالتوسل الى ابائهم والافراط في ذلك حتى يقولوا نحن ابناء الله واحباؤه • وقوله تعالى وجاهدوا في سبيله هولاء اليهود وسائر الكفار • وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي لتامنوا مما تخافون وتنالوا ما ترجون • وقيل لما قال وابتغوا اليه الوسيلة وهي القربة فطمع وهم القربة بالمكان فقال وجاهدوا في سبيله اي التقرب لسلوك سبيل الطاعة واجتناب مخالفته • وقال القشيري رحمه الله ابتغاء الوسيلة التبري عن الحول والقوة والتحقق لشهود الطول والمنة • ويقال ابتغاء الوسيلة التقرب اليه بما سبق اليك من احسانه ويقال هو خلوص العقد عن الشرك • ويقال هو استدامة الصدق في الولاء الى اخر العمر ويقال هو تجريد الاعمال عن الرياء وتفريد الاحوال عن الاعجاب وتخليص الانفاس عن الحظوظ • وقوله تعالى ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ذكر وعيد المتباعدين بعد وعد المتوسلين يقول لو ان الكفار ملكوا جميع ما في الارض وملكوا مثل ذلك ليفتدوا به فيخلصوا انفسهم من عذاب جهنم لم يتقبل ذلك منهم ولم يخلصوا ولهم عذاب وجيع • وقال انس بن مالك رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال لقد سئلت ايسر من ذلك • وقال القشيري رحمه الله اليوم يقبل من الاحباب مثقال ذرة وغدا لا يقبل من الاعداء ملء الارض ذهبا ودررا • وقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار قيل اي يطلعون كما يقول الرجل الاخر انما اريد ان تعطيني كذا اي اطمع وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة • وقال الشاعر •

• يريد المرء ان يعطى مناه • ويابى الله الا ما اراد •

فمعناه يطمعون اليوم ان يخرجوا منها غدا فقطع طمعهم بقوله وما هم بخارجين منها • وقيل معناه يتمنون في النار ان يخرجوا منها وما يكون ما يتمنون • وقيل هو قصدهم في النار الى الخروج ولا يمكنون منه قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها • وقيل وهو قول الضحاك هو سؤالهم الاخراج من النار قال تعالى يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون • وقالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا • وقيل معناه يكادون يخرجون منها اذ ارفعتهم لهبها وهو كقوله جدارا يريد ان ينقض فاقامه • وقوله تعالى ولهم عذاب مقيم وهذا الخلود للكفار وصدر الاية فيهم • وقال مجاهد اذا اخرج المومنون من النار تمنى الكفار ان يكونوا مسلمين وذلك قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • وقال عوف للحسن البصري رحمهما الله يا ابا سعيد يخرجون من النار فقال لا يذنبهم قلت ويم يخرجون قال بايمانهم • وقوله تعالى والسارق والسارقة السرقة اخذ مال الغير له مستخفيا هذا هو حقيقتها لغة واستراق السمع كذلك والسرقة الموجبة في الشرع للقطع هي اخذ النصاب من الحرز على استخفاء والسارق الرجل الفاعل لذلك والسارقة المراة وبدا بالرجل هنا وبالمراة في قوله الزانية والزاني لان الداعي الى ذلك الفعل ينشا من جهتها غالبا وهذا الفعل وهو السرقة وجوده يكون من الرجال غالبا • وقوله تعالى فاقطعوا ايديهما اضاف الايدي اليهما فيكون من كل واحد منهما يد واحدة كما في قوله فقد صغت قلوبكما وتقديره ضمني قلب كل واحد منكما فكذلك ههنا وتقديره فاقطعوا يد كل واحد منهما ثم لم يعرف تعيين اليد التي تقطع فيها والموضع القطع منها باطلاقه فتوقف على بيان النبي صلى الله عليه وسلم وقد بينه فقد بقطع يمين السارق من المفصل فصار ملحقا بالنص كالمنطوق به ولذلك قرا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وهو جمع يمين • وقيل انما جمع الايدي لان السارق اسم جنس وكذلك السارقة واريد بهما الجمع فلذلك قال الايدي لا يهما افراده مضافة الى الجمع وقال ايديهما على التثنية ولم يقل ايديهم لظاهر اللفظ وهذا جمع بين اعتبار اللفظ واعتبار المعنى في كلام واحد وهو سائغ لغة كالجمع بين تذكير المعنى وتانيث اللفظ • قال الشاعر

• ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال •

واتصال هذه الاية بما قبلها ان ذلك في اخذ مال الغير ظاهرا وهذا في اخذه باطنا • وقوله تعالى جزاء بما كسبا نكالا من الله اي مكافاة لهما على ما فعلا من فعل السرقة • وقال الامام ابو منصور فان قيل ما الحكمة في قطع يد فيمتها الوف بسرقة عشرة دراهم • وقد قال تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها قلنا جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء ابتداء من غير جزاء على كسب ولان القطع ليس بجزاء ما اخذ من المال ولكن لما هتك من الحرمة الا ترى انه قال جزاء بما كسبا فيجوز ان يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان فرض الشرع علم ذلك لان مقادير العقوبات انما يعلمها من يعلم مقادير الاجرام واذا كان كذلك فحقه التسليم والانقياد • وقوله نكالا من الله اي عقوبة رادعة لهما عن العود ولغيرهما عن الاقتداء بهما ماخوذ من النكول وهو الامتناع وقد شرحنا ذلك في قصة

السرقة

السرقة من سورة البقرة • وقوله تعالى والله عزيز حكيم عزيز اي منيع لا يعارض في حكمه حكيم فيما حكم به في شرعه فهو قوم غضبي للاموال ومنع للعباد عن سيئ الافعال • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في طعمة بن ابيرق الظفري سارق الدرع وقد بينا القصة في سورة النساء • وقوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه اي سرقته كما في قوله فهو جزاوه كذلك نجزي الظالمين اي السارقين • وقوله تعالى واصلح اي رد المسروق وارضى الخصم • وقوله تعالى فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته • وقوله تعالى ان الله غفور رحيم يغفر ذنبه فلا يفضحه ويرحمه فلا يعذبه • وقال القشيري رحمه الله من ندم على ما سلفه وتدارك ما ضيعه واصلح من امره ما افسده اقبل الله عليه بفضله واعاد عليه بالطف وجبره • وقوله تعالى الم تعلم اي يا محمد وقيل اي يا انسان خطاب لكل مكلف وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد جميع امته • وقوله تعالى ان الله له ملك السموات والارض والمراد من هذا الاستفهام الامر اي اعلم ان ملك السموات والارض لله • وقوله تعالى يعذب من يشاء اي السارق يامر بقطعه مع توبته • وقوله تعالى ويغفر لمن يشاء يسقط القطع عن قاطع الطريق اذا تاب قبل ان يقدر عليه نفى بذلك وهم من يقول في نفسه لم افترق حكمهما فيقول الملك لي والحكم لي لا اعتراض على فعلي • وقال الكلبي رحمه الله يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من ذنبه • وقال الضحاك رحمه الله يعذب من يشاء على الصغيرة اذا اصر عليها ويغفر لمن يشاء الكبيرة اذا نزع منها • وقوله تعالى والله على كل شيء قدير اي على التعذيب والمغفرة وغيرهما • وقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خاطب سائر الانبياء باسم التعريف يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا لوط وخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم باسم التشريف يا ايها الرسول يا ايها النبي لا يحزنك لا يهمك المسارعون • وقوله في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون • وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على المنافقين • وقوله تعالى سماعون للكذب اي هم سماعون اضمر الابتداء وقيل تم الكلام الاول بذكر المنافقين ومن الذين هادوا ابتداء وسماعون خبره انتظامها بما قبلها ان اخذ المال بقطع الطريق والسرقة اورث العقوبة واخذ اليهود اموال الناس لتحريف الكتاب اورث الكفر • وقوله سماعون للكذب مبالغة في السماع • قال الحسن رحمه الله معناه سماعون منك ليكذبوا عليك • وقوله تعالى سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من مواضعه اي يستمعون منك ليخبروا من لم ياتك والسماعون هم كبار اليهود هم والذين لم ياتوك هم عوامهم الذين اشتغلوا بمعايشهم يعني ينقلون عنك اليهم اليهود غير ما قلت يحتالون بذلك للتحريف وكانوا يغشونهم باراءهم ويروجون ذلك بقولهم ناتي محمدا نستمعه يقول كذلك وهو حكم الله في كتابنا وكتابهم يقول ان عوامهم لا ياتونك فيعرفون احكام الاسلام • وقيل معنى قوله سماعون للكذب اي قابلون للكذب احبارهم في اخبارهم • قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي قالوا قبلنا وهم لا يقبلون • وقوله سماعون لقوم اخرين ياتونك جواسيس يأتونك فيتجسسون ثم يرجعون فيخبرون وهو كقوله وفيكم سماعون لهم • وقوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي من تنزل الله تلك مذكورة في مواضعها والكلم جمع على صيغة الواحد وجمع المواضع ووحد الكناية في اخرها للذلك • وقوله تعالى يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي يقول احبارهم لعوامهم ان حكم لكم محمد بما اخبرنا انه في كتابنا فاقبلوه • وقوله تعالى وان لم تؤتوه فاحذروا اي ان حكم بخلاف هذا فلا تقبلوه وتحرزوا من حكمه • وقوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا فقطع رجا محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هولاء فقال ومن يرد الله اضلاله في الدنيا وتعذيبه في الاخرة فلن تمنع انت يا محمد عنهم ذلك والفتنة قد تكون بمعنى الضلالة • قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة وقد تكون العذاب • قال تعالى ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون • وقال الزجاج من يرد الله فتنته اي فضيحته واخزاؤه باظهار ما له ودلت الاية على ارادة الله تعالى افعال العباد وخلقها وهو فيمن علم الله يختار الكفر • وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر • وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم وخزيهم في الدنيا هو ما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة • وقال ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقيل هو اخذ الجزية منهم • وقيل هو السبي والجلاء • وقال مقاتل نزلت الاية في المنافقين واليهود والذين هادوا كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وسعيد بن عمرو ومالك بن صوريا وكنانة وشاس بن قيس وابو نافع ويوسف وعازار وسلول ومختار بن عمرو بن سلول وهم سماعون لقوم اخرين اي يهود خيبر يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي امر الرجم وذلك ان رجلا وامراة اسمها بسرة من يهود خيبر زنيا وكانا في شرف فكرهوا رجمهما وقالوا ان في دين محمد الضرب فلو كان نبيا كما يزعم فلنلبس على صاحبنا الرجم فكتب يهود خيبر الى يهود المدينة وبعثوا نفرا منهم وقالوا سلوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهم

فان امركم بالجلد فاقبلوه وان لم تؤتوه اي الجلد وامركم بالرجم فلا تقبلوه منه فجاؤوا وسالوا فاتاه جبريل بالرجم
وقال لجبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا الاعور وسلهم عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون غلاما
شابا ابيض امرد اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا هو اعلم يهودي بقي في الارض فارسل النبي صلى الله
عليه وسلم فجاء فقال له انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوه بيني وبينكم قالوا
قد رضينا بما رضيت فقال له فاني انشدك الله الذي لا اله الا هو اله موسى واله بني اسرائيل الذي اخرجكم
من مصر وفلق لكم البحر فانجاكم واغرق آل فرعون وانزل عليكم كتابا فيه حلاله وحرامه وظلل عليكم الغمام
فانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم ولولا مخافة ان احلف لو كذبت
او كذبت ما اعترفت لك به فقال له فوثبه ما اسرع ما اخبرته به فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما وقال
الامام ابو منصور رحمه الله فيه وجوه من الدلايل احدها انه ظهر بكتمانهم الحقوق التي بينهم وبين
الله تعالى خيانتهم في كتمانهم بعث محمد صلى الله عليه وسلم والثاني اثبات رسالته اذ بالله علم والثالث
انهم لما طلبوا منه الرخصة والتخفيف في الحدود لانهم عرفوا انه رسول اذ لا يطلب ذلك من غير الرسول
لكنهم عاندوا والرابع جواز شهادة بعضهم على بعض اذ قبل شهادة ابن صوريا عليهم بالرجم • وقال الكلبي
نزلت الاية في ابي لبابة بن عبد المنذر وذلك لما استشاره انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار عليهم بيده انه
الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله • وقال قتادة ذكر لنا ان هذا كان
في قتيل بني قريظة والنضير رجل من قريظة قتله النضيري وكانت النضير اذا قتلت من قريظة لم يقيدوهم
انما يعطونهم الدية لفضلهم عليهم وكانت قريظة اذا قتلت من النضير لم يرضوا الا بالقود لفضلهم
في انفسهم تعززا فقدم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فارادوا ان يرفعوا ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليحكم بينهم فقال رجل من المنافقين لهم ان قتيلكم هذا عمد ومتى ترفعوه الى محمد اخشى
عليكم القود فان قبل منكم الدية فاقبلوا والا فكونوا على حذر • وقال القشيري رحمه الله ومن يرد الله
فتنته من ارسل عليه قوارع الموت اذ له تسبوا القضا فليس يلقاه عليه غير الشقا • وقوله تعالى
سماعون للكذب له وجهان كما مر وهو نعت لاوليك • وقوله تعالى اكالون للسحت اي الحرام المستاصل
وقد يسحتوا سحته اذا استاصله قال تعالى فيسحتكم بعذاب • وقال الزجاج سمي الحرام به لانه يعقب
عذاب الاستيصال • وقيل انه لا بركة فيه فيزول عن قريب • وقال الخليل هو القبيح الذي فيه العار
فيسحت مروة الرجل • وقيل هو حرام يحمل عليه الشره من قولهم فلان مسحوت المعدة اذا كان اكولا شرها
والسحت هنا هو الرشوة في القضا والحكم وتحريف الكتاب • قال مقاتل بن حيان هو كعب بن الاشرف
كانت اليهود تحاكم اليه فيرتشي فيقضي لمن رشاه • قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احد برشوة
جعلها في كمه فيريها اياه فيتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع
الكذب فانزل الله تعالى فيهم سماعون للكذب اكالون للسحت • وقال مسروق سالت ابن مسعود رضي الله
عنه عن السحت اهو الرشوة فقال لا ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون والظالمون والفاسقون
ولكن السحت ان يستعينك على مظلمة فيهدي لك فتقبله فذلك السحت • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله اذا دفع ما لا ليدفع الظلم عن نفسه او ماله فهو معذور ويروى ذلك عن الحسن وعطا والشعبي
وقال ابو الشعثا لم نجد في زمن زياد شيا انفع لنا من الرشا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا ان
يعطي رجلا شيا وقال له اقطع عني لسانه • وقوله تعالى فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم قال
الكلبي رحمه الله فان جاؤوك يعني اهل خيبر فاحكم بينهم بالرجم او اعرض عنهم فلا تقض بينهم انت
في ذلك بالخيار • قال ابن عباس ثم نسخ الخيار ووجب الحكم بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله •
وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيا اي لم يقدروا على الاضرار بك • وقوله تعالى وان
حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين اي وان اخترت ذلك فاحكم بالعدل ان الله
يحب العادلين • وقال عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم السحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وحلوان
الكاهن وثمن الكلب وثمن الميتة والدم والخنزير وعسب الفحل واجرة النايحة والمغنية والساحر
والقايف واجر مصور التماثيل وهدية الشفاعة والاستعجال في المعصية • وقال الحسن انما ذلك
في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او ليبطل عنك حقا فاما ان تعطي حق الرجل الوالي تخاف ظلمه وعدوانه
ليدرا عن نفسك فلا باس به عليك وعلى الظالم وزره • وقوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله استفهام بمعنى الاستنكار يعني كيف يحكمونك يجعلونك حاكما فيرضون بحكمك
وعندهم التوراة فيها حكم الله • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجم • وقوله تعالى ثم يتولون من بعد
ذلك اي الرجم فلا يقبلونه • وقوله تعالى وما اوليك بالمومنين للحال لكتابهم لانهم قد حرفوه وقيل

يؤمنون

يؤمنون في المستقبل بك وبحكمك وهذا في قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون • وقال قتادة فيها حكم الله بيان ما تشاجروا
في امر قتيلهم • قال تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وهم يقتلون النفسين بالنفس وفيها العين وهم يفقون العينين
بالعين • وقوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور اي هداية الى الدين ونور يضي طريق الهدى والصواب
في الحكام • وقوله تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي انقادوا لحكم الله تعالى في التوراة وهو كقولهم
لك وهو هنا من الاوصاف اللازمة التي ذكرت للمدح والتشريف لا من الاوصاف المحتملة التي تذكر للتمييز والتعريف
وقوله تعالى للذين هادوا يعني على اليهود واللام بمعنى على كما في قوله وان اساتم فلها اي فعليها • وقال مقاتل
ابن حيان اي لهم وعليهم • وقوله تعالى والربانيون عطف على قوله النبيون والربانيون والعالمون العاملون
نسبوا الى الرب لانهم عالمون به عاملون له • وقيل لانهم يربون الناس بعلمهم والاحبار جمع حبر بفتح الحا وكسرها
وهو العالم الذي يحبر الامور ويحبرها اي يحسنها • وقال قطرب هو من الجمال والهيبة والعالم له جمال العلم وبهاوه
وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وهيبته • وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب
الله قيل الباء صلة الاحبار اي العلما المحسنون بسبب حفظ الكتاب • وقيل الباء صلة يحكم اي يحكمون بالتوراة
بسبب استحفاظهم الكتاب وحقيقة الاستحفاظ الطلب والسوال والحفظ يكون ضد النسيان ويكون ضد
التضييع وقد اخذ عليهم الامران جميعا ان يحفظوها فلا ينسوها ويراعوا احكامها فلا يضيعوها فالحكم الذي
يحكم به هولا هو الرجم في الزنا والقصاص في قتل العمد وغير ذلك وقد ذكر هذان الامران قبلها وبعدها
وكانوا عليه شهدا اي كان هولا جميعا كانوا شهودا على انه كتاب الله وحكمه وامره ونهيه • وقوله تعالى
فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولما كان الاستحفاظ لئلا يحرفوا وكان
التحريف لامرين لخوف الكبار وطمع العوام سد عليهم البابين فقال لا تخشوا كبار القوم واخشون ولا تشتروا
ولا تستبدلوا بالاحكام ذنيى عرض الدنيا • وقال الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله ان الله استحفظ اهل
الكتاب كتابه فبدلوا وحفظ القران بنفسه • قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكان المعنى
في ذلك انه كان بعد التوراة نزول الانجيل فعرفهم تبديل اليهود التوراة وكانت بعد الانجيل نزول القران
فعرفهم تبديل النصارى الانجيل ولم يكن بعد القران كتاب اخر ولا نبي اخر يعرفهم لو وقع التحريف فحفظه
بنفسه من التبديل ليتقاطعهم هاديا الى سوا السبيل • وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك
هم الكافرون من اسم جنس يتناول الجميع توحد الشرط للتوحيد لفظه وجمع الجزاء للاجتماع معناه ومعناه
ومن لم يرد الحكم به فلم يعتقده • وقال عكرمة من جحد شيا من حدود الله فقد كفر ومن اقر بها ولم يحكم بها
فهو ظالم فاسق • وقال مقاتل فلا تخشوا الناس اهل خيبر ان تخبروهم بالرجم واخشون ان كتمتموه •
وقال الكلبي فلا تخشوا الناس في اظهار صفة محمد والعمل بالرجم واخشون في كتمان ذلك ولا تشتروا
بالقران وبمحمد عرضا يسيرا من ماكل الدنيا ومن لم يحكم بما انزل الله في القران فاوليك هم الكافرون • وقال الضحاك
رحمه الله نزلت الايات الثلاث الكافرون والظالمون والفاسقون في حق اليهود • وقال القشيري رحمه الله من
اتخذ غير الله حكما ولم يجد بحث جريان حكمه سلاما من شرك خامر قلبه وكفر قارن سره ورضاه ان يكون معه سواه
وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها اي في التوراة ان النفس بالنفس اي الواحدة تقتل بالواحدة وهذا القسم نزلت في
بني النضير على بني قريظة بالتضعيف ثم اخبر ان القصاص فيما دون النفس كذلك وهو • وقوله تعالى والعين بالعين
قرا الكسائي بالرفع وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا كذلك الى اخر الاية وهو اختيار ابي عبيد وقرا
عاصم ونافع وحمزة كلها بالنصب عطفا على النفس • وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالنصب الا قوله والجروح
قصاص لان الاول على نهج الاول وهذا افرد بخبر فاستونف به • وقال ابو حاتم الرفع اولى لانه جمل تامة فالاستيناف
اولى كما في قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر واذا قيل ان وعد الله حق
والساعة لا ريب فيها وان الارض يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين • وقوله والعين بالعين اي العين
الواحدة تفقا بالواحدة وكذلك ما بعدها وهو • وقوله تعالى والانف بالانف والاذن بالاذن والسن
بالسن والجروح قصاص اي فيما يمكن حفظ المساواة فيه تحقيقا لمعنى القصاص • وقوله تعالى فمن تصدق
به اي عفا عنه • وقوله تعالى فهو كفارة له للعافي باحسانه • وقيل هو كفارة للمعفو عنه ثم اجر العافي على الله
وقال مجاهد معناه فمن جنى وجنى ذلك على ولي الجناية فاقر به وسلم نفسه فهو كفارة له اذا اقتص منه • وقال
الضحاك كان لبني اسرائيل القصاص والعفو ولم يكن لهم الدية ولنا هذه الاشيا الثلاثة • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزل قوله ان النفس بالنفس • وقال مقاتل قالت بنو قريظة منهم
ابو لبابة وسعيد بن عمرو الليثي لكعب بن الاشرف اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد
لا ان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم واحدا اخذوا منا مائة واربعين وسقا
لانا كنا القتلى بوا فلم صارت جراحتنا على النصف جراحتهم فاقض بيننا وبينهم وكانت بنو قريظة بينهم وبين

بني النضير فما قال فإني أحكم أن دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي وذلك قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليس لأحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة الدم بالدم والجراحة بالجراحة فغضب بنو النضير من ذلك وقالوا لا نرضى بحكمك فإنك لنا عدو وإنك لا تألو ما وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله أفحكم الجاهلية يبغون يعني حكمهم الأول ثم أخبر أنه كتب عليهم القصاص في النفس وفيما دون النفس في هذه الآية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون أي الواضعون الأمر غير موضعه. وقوله تعالى وقفينا على آثارهم أي أتبعنا وقدمنا يقفوه قفواً أي تبعه ومنه القفا والقافية وقفاه يقفيه تقفية أي اتبعه على آثارهم على آثار الذين أسلموا وقيل الربانيين والأحبار. وقوله تعالى بعيسى بن مريم أي أرسلناه بعدهم. وقوله تعالى مصدقاً لما بين يديه من التوراة أي مصدق بما تقدمه من نزول التوراة أنها حق وأنها من عند الله وأن العمل بها واجب عليهم إلى ورود نسخ ما نسخ منها. وقوله تعالى وآتيناه الإنجيل أي وأعطيناه مبيناً الإنجيل فيه أي في الإنجيل هدى أي بيان التوحيد والطاعة ونور أي وضياء للطريق الحق. وقوله تعالى ومصدقاً لما بين يديه من التوراة أي وجعلنا الإنجيل موافقاً لما تقدمه من التوراة في أصل التوحيد والطاعة. وقوله تعالى وهدى أي هادياً إلى الحق مرشداً إليه. وقوله تعالى وموعظة أي واعظاً. وقوله تعالى للمتقين خصهم بها لانتفاعهم بها كما قال في أول سورة البقرة هدى للمتقين مصدراً بمعنى المتقين فوصف الكتاب بها بطريق التسبيب. وقوله تعالى وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أي في الإنجيل من الأحكام. وقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون أي الخارجون عن الطاعة. وقوله تعالى وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب أي وأنزلنا إليك يا محمد القرآن ببيان الحق موافقاً لما تقدمه من التوراة والإنجيل. وقوله تعالى ومهيمناً عليه قال الكسائي أي شاهداً عليه. وأنشد شعر

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذووا الألباب

وقال ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد أميناً عليه. وقال الزجاج أصله مؤتمن بالهمز مفيعل بمعنى التفعيل كقولهم مسيطر بمعنى البطير وأبدلت الهمزة بالهاء لتقاربهما كما في قولهم أرقت الماء وهرقته وإياك وهياك وأيهات وهيهات. وقيل حفيظاً. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله. قال أبو عوسجة مسلطاً. وقال الأصم هي كلمة مأخوذة من كتبهم غير مأخوذة من لسان العرب ليعلموا أنه إنما عرف بالله لا أن استخرجه بلسانه ومعنى الكل أن يؤديها في الكتب المتقدمة على وجهه وحقيقته من غير زيادة ولا نقصان في المعنى ويخبر عن تحريف أهل الكتاب وخيانتهم فيها ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة. قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ذكر إنزال التوراة على موسى ثم أنزل الإنجيل على عيسى ثم أنزل القرآن على محمد وبين أنه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال في الأولى يحكم بها النبيون. وقال في الثانية وليحكم أهل الإنجيل. وقال في الثالثة فاحكم بينهم بما أنزل الله. وقوله تعالى فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بالرجم على المحصن وفي التسوية في القصاص بين القرظي والنضيري. وقوله تعالى ولا تتبع أهواءهم أي في ترك القود وإعطاء الدية وترك الرجم واختيار الجلد وهذا ناسخ لما تقدم من التخيير فاحكم بينهم أو أعرض عنهم. وقوله تعالى عما جاءك من الحق قيل أي ميلاً عما جاءك أضمر فيه هذا. وقيل أي بعدما جاءك وهو وبعد بيّنا وبان. قال تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه. وقال من بعد مواضعه. وقوله من الحق أي البيان في القرآن. وقال القشيري قدم الله تعريف رسوله قصص المتقدمين بين يديه على تكليفه اتباع ما أنزل إليه لئلا يسلك سبيل الذين سبقوه فيستوجب ما استوجبوه. وقوله تعالى ولا تتبع أهواءهم أي لا يستميلنك مودة قريب وأمتق ملازمة أمر الله بترك كل نصيب. وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً أي جعلنا لكل أمة شريعة وهي في الأصل المدخل إلى الماء به الحياة والطهارة والمصالح وشرائع الدين وهي أحكامه وحدوده ولوازمه كذلك ومنهاجاً أي طريقاً واضحاً لأنه قال قد جعلنا لكل منكم مورداً وطريقاً إليه أجراه إلا أن هذا مصدق لما قبله في الأصل وأحدهم بين أن الطريق مختلفة وكلها مؤدية إلى واحد. وقال ابن عباس رضي الله عنهما الشريعة المنصوص عليها في الكتاب والمنهاج الثابت بالسنة. وقال مجاهد والزجاج الشرعة والمنهاج واحد وهو الطريق إلى الدين وهو كقوله الكتاب والفرقان وهو تكرار اللفظ لاتحاد المعنى كقول القائل شعر

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

وقال مقاتل شرعة اليهود القصاص لا عفو ولا دية. وشرعة النصارى العفو لا غير. وشرعتنا في العمد كل ذلك وكذلك الحد في الزنا مختلف. وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة على شرعة واحدة وهي الإسلام بلا اختلاف ولا تفاوت. وقوله تعالى ولكن ليبلوكم فيما آتاكم أي جعل الشرائع مختلفة أي

ليختبركم

وقوله تعالى

ليختبركم فيما أعطاكم من الدين. وقوله تعالى فاستبقوا الخيرات أي فابتدروا العمل بالشرائع فهي خيرات كلها جامعة خير الدارين. إلى الله مرجعكم جميعاً أيتها الأمم. وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو وعد ووعيد أي كنتم مختلفين فكان بعضكم يضيف شيئاً إلى الله أنه شرعه وينفيه آخر فأثبت منكم المحق على حقه وأجزي المبطل جزاء مثله. وقال القشيري لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً أي أفردنا كلاً فأحدكم معاشر الأنبياء بطريقه وأما أنت يا محمد فلا يدانيك أحد في طريقتك على الحقيقة فأنت المقدم على الكافة والمفضل على الجملة ولو شاء الله لسوى بينكم ولكن خاير بينكم ابتلاء وفضل بعضكم على بعض امتحاناً. وقوله تعالى فاستبقوا الخيرات أي سارعوا إلى الطاعات ومسارعة كل أحد على ما يليق بوقته فالعابدون يسارعون بتقدمهم من حيث الأوراد والعارفون بتقدمهم من حيث المواجيد فالزهاد بها الاستباق الزاهدين برفض الدنيا واستباق العابدين بقطع الهوى واستباق العارفين بنفي المنى واستباق الموحدين بترك الورى واستباق المقربين بنسيان الدنيا والعقبى. وقوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله قيل يتصل بقوله الكتاب بالحق وبأن احكم ولا يصلح عطفاً على قوله فاحكم وأن احكم. وقيل يتصل بقوله مصدقاً أي أنزلناه بتصديق ما بين يديه وبأن احكم وقيل يقع عليه الإنزال وتقديره إلا أنزلنا إليك أن احكم. وقوله تعالى ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك قال أبو عبيد أي يصرفوك. وقال قطرب أي يستزلوك وهو كقوله وإن كادوا ليفتنونك. وقوله تعالى فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم أي فإن أعرضوا عن الانقياد لحكمك فاعلم أن الله يريد أن يجعل لهم عقوبة ببعض ذنوبهم في الدنيا فإن الدنيا ليست بدار كمال الجزاء وعذاب الدنيا عذاب بعض الذنوب لأنه لا يدوم وعذاب الآخرة عذاب جميع الذنوب لأنه يدوم وقد أصابهم بذلك وهو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. وقال القشيري رحمه الله معناه خاطبهم بلسان العلم فإن أبوا قبوله فشاهدهم بعين الحكم أثر عليهم باعتناق لوازم التكليف يلزمهم وبحكم التصريف فإن أعرضوا فعاينهم بعين التصريف فإن الحق سبحانه وتعالى بشرط التكليف يلزمهم وبحكم التصريف يوجزهم ويقدمهم فالتكليف فيما أوجب والتصريف فيما أوجب والعبرة للإيجاد لا للإيجاب. وقال مقاتل إن رؤساء يهود بني النضير قال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم نفتنه ونرده عما هو عليه إنما هو بشر فأتوه فقالوا له هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا في أمر الدنيا كما كنا عليه من قبل فإن فعلت فإنا نتبعك وإن تابعناك تابعك أهل الكتاب كلهم فإنا أتقياؤهم وخيارهم فأنزل الله هذه الآية يحذره ويقول لا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك من التسوية في الدماء فإن تولوا أحكامك فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم أي يعذبهم في الدنيا بالقتل والجلاء. وقوله تعالى وإن كثيراً من الناس لفاسقون أي من رؤساء اليهود وغيرهم لفاسقون خارجون عن الطاعة فلما نزل هذا قال كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ولا نرضى بحكمك فنزل قوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون الألف ألف الاستفهام وهو للاستنكار والاستعظام والجاهلية حالة الشرك والجهل المطلق بنفع من جهل الكفار. وقال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي أبعد الطلب منهم لما يقولون أتطلبون حكم الجاهلية أهل الجاهلية وحد الزنا والقصاص حيث لم ترضوا بحكم التوراة والإنجيل والفرقان. وقوله تعالى ومن أحسن من الله حكماً استفهام بمعنى النفي لا أحسن حكماً من الله. وقوله تعالى لقوم يوقنون أن لهم ما يعلمون أنه لا أحسن حكماً منه لأنه على المصلحة والحكمة لا على المخالفة والشهوة. وقيل معناه عند قوم يوقنون بالله ويحكمه ويعرف اللام وكلمة عند يتقاربان يقال لفلان العلم بهذا الأمر وعنده العلم بهذا الأمر. وقال القشيري أيعودون في ظلمة الحجاب بعدما انهتك ستر الارتياب أيطلبون منك أن تحيد عن المحجة المثلى والطريقة العظمى بعدما اتضح لك البراهين وتجلى اليقين. وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء أي لا تتولوهم. وقال الإمام أبو منصور ويحتمل لا تدانوا بدينهم فإنكم إذا فعلتم ذلك صرتم لهم أولياء. وقوله تعالى بعضهم أولياء بعض لاتفاق أديانهم فإذا توليتموهم كنتم على دينهم وذلك قوله تعالى ومن يتولهم منكم فإنه منهم وهذا إذا تولاهم لدينهم وأما الصحبة للمعاملة أو شراء شيء منهم أو لطلب علم منهم مع المخالفة في الاعتقاد والأمور الدينية فلا يلحقه هذا الوعيد. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله قوله بعضهم أولياء بعض دليل على أن الكفر كله ملة واحدة باطلة. وقوله تعالى إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يرشد الظالمين أنفسهم بترك إخوانهم المؤمنين وموالاة الكافرين. قال مقاتل نزلت في أبي لبابة واسمه مروان ورجلين آخرين وذلك أنه لما كان يوم أحد خاف ناس من المسلمين أن يدال الكفار عليهم فقال أحدهما إني لاحق بفلان اليهودي فلأتهودن وقال الآخر إني لاحق بالشام فأتنصر فنزلت الآية. وقال عياض الأشعري قدم أبو موسى الأشعري على عمر ومعه كاتب له نصراني فدخل به فقرأ كتاباً فأعجبه ظرفه وحفظه فلما كان يوم الجمعة قال له عمر ادع كاتبك فقال إنه لا يدخل المسجد فقال لا أجنب هو قال لا ولكنه نصراني فقال لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تقربوهم إذ أبعدهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله. وقال عطية

العوفي جاء عبادة بن الصامت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي موالي من يهود كثير عددهم
واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم
يهود بني قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن ابي ما غلبت به من ولاية يهود على عبادة فهو لك
فقال قد قبلت فانزل الله فيهم لا تتخذوا اليهود الى قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم اي في ولايتهم
ونزلت في عبادة انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا • وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه
الى بني قريظة فاشار اليهم انه الذبح • وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض اي تبصر يا محمد المنافقين
الذين في قلوبهم شك في الدين وغل على المومنين يبادرون في موالاة اليهود والنصارى والكافرين ثم يحتجون
بما لا حجة فيه وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة هي الدولة الدائرة من قوم الى قوم اي يقولون
نخاف ان يكون للدهر دائرة على المومنين فنضطر الى موالاة الكفار والالتجاء بهم فخيب الله ظنهم وذلك قوله
تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين قال الكلبي
رحمه الله فترى الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق يسارعون فيهم اي في ولاية اليهود ونصارى اهل
نجران لانهم كانوا اهل ريف وكانوا يميرونهم ويقرضونهم ويقولون نخشى ان تصيبنا دائرة اي سنة جدبة
فعسى الله ان ياتي بالفتح اي فتح مكة او امر من عنده اي الخصب لمحمد واصحابه فيصبحوا اي فيصيروا اي اهل
النفاق على ما اسروا اي اضمروا في انفسهم اي في قلوبهم نادمين على ما كان من ولايتهم ودس الاخبار اليهود
وقيل عسى الله ان ياتي بالفتح اي بالفرج من غدر اليهود بهزمهم حتى يذعنوا لهم بالذمة وقبول الجزية او امر
من عنده باهلاكهم • وقال الضحاك بالفتح لنبي اليهود ذلك وخيبر وامر من عنده اجلاء بني النضير • وقيل
بني قريظة والفتح هو حل الامور المنعقدة وفتح الابواب المغلقة وعسى من الله اطماع واطماع الكريم ايجاب
ومعنى الاطماع بهذه الكلمة بدون كلمة التحقيق تعليق القلوب بحسن الرجاء وحمل المومنين على صدق الالتجا
وكذلك ادخال او بين الامرين مع علم الله انه يكون هذا وهذا لتعليق القلوب بلطف الله بهم دون اعتمادهم
على امر كاين فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ولما تحققوا ذلك ندموا لكن ندامتهم لم تكن على نفاقهم
لانه توبة منهم بل على توليهم اياهم واضدادهم وجملته ان الله اخبر بهذا الكلام انه لا يكون لليهود علو على المسلمين
من بعد وان المنافقين يندمون على ذلك وكان كذلك • وقال عطا فترى الذين في قلوبهم مرض عبد الله بن
ابي واصحابه يسارعون في مودة بني قينقاع وكانوا اسارى في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال احذهم لا بارك الله فيهم فما بقي منهم نافخ ضرمة • وقوله تعالى
ويقول الذين امنوا قرا ابن عامر بالنصب عطفا على فيصبحوا والباقون بالرفع على الاستيناف • وقوله
تعالى اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي تقول المومنون لليهود اهؤلاء المنافقين
الذين اقسموا بالله مجتهدين غاية جهدهم فيها انهم اي المنافقون لمعكم ايها اليهود وسنتولكم واعوانكم
وقد وثقتم بهم وقد ظهر كذبهم في ايمانهم وخيبة ظنونكم بهم • وقيل معناه ويقول المومنون بعضهم لبعض
اهؤلاء المنافقون الذين حلفوا انهم معكم ايها المومنون كما قال تعالى قالوا انا وقد اظهر الله انهم يوالون
اهل الكتاب وانقطعت اطماعهم وبطل اسنادهم • وقوله تعالى حبطت اعمالهم اي بطلت اعمال المنافقين
في موالاة اهل الكتاب فانقطعت اطماعهم • وقوله تعالى فاصبحوا خاسرين اي في الدنيا والاخرة بفوات
المعونة ودوام العقوبة • وقال القشيري فترى الذين في قلوبهم مرض اي ان الذين سخنت ضمائرهم
وضعفت في التحقيق بصائرهم سبق الى قلوبهم مودة الاعدا خوفا من معرتهم وطمعا في المامول من جهتهم
ولو استيقنوا انهم في اسر العجز وذل الاعراض لاملوا من الله الموعود من كفايته والمعهود من رعايته ولكن
حجبوا عن محل التوحيد والايمان فتفرقوا في اودية الظنون والحسبان وعن قريب ياتيكم الفرج ايها المومنون
وهم يستشعرون الندم ويقاسون الالم وانتم تعلو رؤسكم وتعنى بزواهر القرب قلوبكم وتصلون من الموعود
الى ما يربي على المقصود • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه اي من يرجع منكم عن دين
الاسلام بموالاة الكفار فليعلم ان الله لا يخلي دينه عن انصار يحمونه وذلك قوله تعالى فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه اي يرضى منهم اعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويوثرون رضاه • وقوله تعالى
اذلة على المومنين جمع ذليل وهو اللين يقال دابة ذلول بينة الذل بكسر الذال ورجل ذليل بين الذل بضم
الذال • قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض • وقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا • وقال فاسلكي سبل ربك
ذللا • وقوله تعالى اعزة على الكافرين جمع عزيز وهو الشديد يقال ناقة عزوز اذا تعذر استخراج لبنها
وارض عزاز اي صلبة اي ياتي بقوم رحماء بالمومنين عاطفين عليهم غلاظ على الكفار اشداء عليهم • وقوله تعالى
يجاهدون في سبيل الله اي يبذلون المجهود في قتال الكفار وحملهم على الاسلام ومنعهم عن عبادة الاصنام
وقوله تعالى ولا يخافون لومة لائم اي لا يخشون في ذلها رد بن الله ملامة من يلومهم من اقاربهم الكفار على

بقطيعة

قطيعة الرحم • وقوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء اتصافهم بهذه الاوصاف مما اتاهم الله من فضله
ثوابا لهم على حسن نياتهم • وقوله يوتيه من يشاء يعطيه من يعلمه اهلا له باختياره طاعته وكراهيته معصيته • وقوله
تعالى والله واسع يسع فضله جميع خلقه عليم بمن هو من اهله • وقال محمد بن كعب القرظي هو في ردة مقيس بن صبابة
وطعمة بن ابيرق والعرنيين ورجال معدودين والقوم الذين يحبهم ويحبونه اهل اليمن قد سبقوا واسلموا وهم الفان
او ثلاثة الاف • وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا وارق
افئدة والايمان يمان والحكمة يمانية • وقال عياض الاشعري لما نزل قوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري هم قوم هذا • وقال الكلبي ارتد بعد وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنو تميم وبنو حنيفة واسد وغطفان واناس من كندة وفيهم الاشعث بن قيس وبقي
ثلاثة مساجد لم يرتدوا بمكة والمدينة والبحرين فاتى الله بخير من الذين ارتدوا فشدد بهم الدين وهم
احياء من اليمن من كندة ومن النخع ومن بجيلة الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة
الاف من سائر الناس فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية • وقال عطا بقوم يحبهم ويحبونه قال هم
الانصار • وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك هم ابو بكر الصديق رضي الله عنه واصحابه وذلك
ان عامة العرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اما الصلاة فانا نصلي واما الزكاة فلا
تغصب اموالنا فقال ابو بكر لو منعوني عقالا مما ادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه
فقال عمر اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر هذا من حقها • فقال الامام ابو منصور وفيه
اثبات امامة ابي بكر الصديق لان الله مدح المجاهدين معه بامره فثبت ان الابتداء بامره طاعة فانه مفترض
الامر وفي ثبوت خلافته ثبوت خلافة عمر وعثمان وعلي قال وفيه دليل على ان عليا لم تكن له الخلافة حين قبض
رسول الله اذ لا يحتمل ان يرى الحق لنفسه في زمن ابي بكر ثم يترك طلبها وفيه تفضيلهم رضي الله عنهم مع قوله
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم • وقال القشيري يجاهدون اي يجاهدون في سبيل الله
نفوسهم باستدامة الطاعات وقلوبهم بقطع المنى والطلبات وبارواحهم بحذف العلاقات وباسرارهم
بالاستقامة على الشهود في دوام الاوقات • وقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا نهى
عن موالاة الاعداء والاحزاب وليهم الله الذي يتولى مصالحهم ومراشدهم ويامر رسوله ان يتولاهم بالنصيحة
والدعا الى طاعة الله وطلب مرضاته ويامر رسوله بامر المومنين بان يتولاهم بالشفقة والمعونة والمعاونة
على التقوى والطاعة • وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهذا من صفات الذين
امنوا وهم راكعون اي خاشعون لله مع استكثارهم من نوافل الصلوات والصدقات وروي ان الاية نزلت
في علي تصدق بخاتمه في ركوعه وعلى هذا يكون قوله وهم راكعون حالا وظاهره العموم • وقال ابن عباس ان
بلالا اذن للظهر فخرج النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون فاذا هو بمسكين يطوف ويسال الناس
فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل اعطاك احد شيا قال نعم قال ماذا قال الخاتم فضة قال
من اعطاك قال ذاك الرجل القايم فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو علي فقال على اي حال اعطاكه
قال اعطاني وهو راكع فنزلت الاية • وقيل قوله الذين يقيمون الصلاة في الفرائض وهم راكعون في النوافل
وقال ابن عباس ان رهطا من مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام وثعلبة لما امرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقطعوا مودة اليهود ففعلوا قالت قريظة والنضير ما بالنا نواد اهل دين محمد وقد تبروا
منا فوالذي يحلف له لا نكلم احدا منهم ولا نجالسهم فبلغ ذلك ابن سلام واصحابه فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل
فنزلت الاية فقراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا بالله ورسوله وبالمومنين اوليا
وقوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا اي ومن يجعل الله وليا له يتولى مصالحه ونصره وجعل
رسوله وليا له يدله على مراشده وجعل المومنين اولياء له يتعضد بهم في اموره ويجعلهم موضع سره وصلته
وبره فهو من حزب الله • وقوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون قال الحسن حزب الله جنده • وقيل
انصاره والحزب الجمع لدفع ما يحزب اي ينوب واخبر ان الغلبة لحزب الله وقد كان كذلك فقد جعل
الغلبة للمسلمين على اليهود فقتلهم واجلاهم وفرقهم وسباهم وخيب ظنون من تولاهم • وقال
القشيري انما وليكم الله ورسوله لا سواه لانه يتولى اولياءه واعداء الله اعداء الدين واعداء المسلمين
واعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك ومن عادى نفسه لم يخرج بالمخاصمة عنها على الخلق وبالمعارضة
فيما مع الحق فان حزب الله هم الغالبون هم الفائزون من حظوظهم الذين هم حظهم الحق على انفسهم لا خصمهم
انفسهم على مولاهم والغلبة بالحجج والبرهان لا باليد واللسان • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا

الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء قرا ابو عمرو والكسائي والكفار بالجر عطفا على قوله من الذين اي ومن الكفار وقرا بالنصب عطفا على قوله لا تتخذوا الذين نهى عن موالاة كل الكفار على العموم بعدما نهى الله عن موالاة اهل الكتاب على الخصوص يقول لا تتخذوا اليهود والمشركين اولياء ووصفهم فقال الذين اتخذوا دينكم هزوا اي سخرية ولعبا اي عبثا اي يهزؤن به ويقولون هو محدث لا قرار له ولا ثبات ولا هو من عند الله • وقوله تعالى واتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي واحذروا عذاب الله في ترك ما امركم به وفعل ما نهاكم عنه من اتخاذ الكفار اولياء وغير ذلك ان امنتم فان الايمان يوجب طاعة الله وترك موالاة اعداء الله • وقوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي واذا اذن مؤذنكم فدعا الى الصلوة اتخذوا الصلاة سخرية وعبثا وقالوا هذا امر لا ثبات له فاذا كان صنيعهم هذا باجل امور دينكم فكيف يجوز لكم ان تتولوهم وتتخذوهم • وقوله تعالى ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي انهم لا يعقلون لانهم سفها لا يعلمون ما في الصلاة وفي الدعا اليها من النهي عن الفحشاء والمنكر في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وروي انهم كانوا اذا سمعوا النداء للاقامة قالوا قد قاموا لا قاموا وقد صلوا لا صلوا • وقال السدي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ليلا فتطايرت شرارة فاحرق هو واهله • وقال القشيري نبههم على موجب التحرز عنهم والتميز منهم وان المخالف في العقيدة لا يكون موافقا في الحقيقة وامرهم بالا يلاحظوهم بعين الاستصغار لا كما لاحظوا دين المسلمين بعين الاستصغار ثم الاذان ندا الى محل النجوى من تحقق بعلو المحل فسماع الاذان يوجب له روح الروح ومن كان محجوبا عن حقيقة الحال لاحظ ذلك بعين اللعب واصغى اليه باذن الاستهزاء وذلك حكم الله فايرين عباده على من يشاء • وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل اي هل تعيبون • وقيل تكرهون • وقيل تطعنون • وقال ابو عبيدة تنكرون • وقال ابن عباس في سبب نزولها اتى نفر من اليهود منهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وغيرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بما امنت به فامر الله تعالى نبيه ان يقول لهم ما الذي تعيبون منا في تديننا بالاسلام الا انا لم نفرق بين الانبيا والكتب فامنا بكل من ارسله الله وبكل ما انزله الله فلا عيب علينا بل العيب عليكم اذا بدلتم وحرفتم • وقوله تعالى وان اكثركم فاسقون خارجون عن الطاعة وبعضكم اسلم واطاع كعبد الله بن سلام واصحابه • وقوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله قيل هذا جواب لكلام محذوف وهو قولهم للمؤمنين ان ثوابكم على دينكم ما انتم فيه من الفقر والضر لو كنتم محقين لكنتم للخير والبر مستحقين فنزل قوله قل يا محمد هل انبئكم بمن هو شر مثوبة منا اي جزاء وقد اثابه اي جزاه والمثوبة والثواب الجزاء • وقوله تعالى من لعنه الله اي هو انتم واسلافكم ومن اسم جنس ولفظه فرد ومعناه جمع فلذلك وحد قوله لعنه الله • وقوله تعالى وغضب عليه ثم جمع وقوله تعالى وجعل منهم القردة واللعن في سلفهم ما ذكر كما لعنا اصحاب السبت وقال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل وغضب عليه كما قال فباؤا بغضب على غضب فسلبهم ملكهم وشتت شملهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة • وقوله وجعل منهم القردة والخنازير • وقيل جعل اصحاب السبت قردة وجعل اصحاب المائدة خنازير • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كلا الصنفين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير • وقوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على قوله من لعنه الله اي ومن عبد الطاغوت وهو ما عبد من دون الله وجعلهم بطاعتهم احبارهم ورهبانهم فيما امروهم به من معصية الله عابدين لهم كما قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله • وقيل اراد به عبادة العجل • وقيل اراد بالطاغوت كعب بن الاشرف كما قلنا في قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت • وقرا حمزة وعبد الطاغوت بفتح العين وضم البا ونصب الدال وخفض الطاغوت على الاضافة والصحيح من وجه قرائته انه اراد به جمع العبد يقال عبد وعبد وعبيد جمع الجمع وهو كقولهم للرجل الرجل تقلت منه العين فجا ثلاثي جمعا ثم اذ ومعناه وجعل منهم عبدة الطاغوت على الاضافة • وقرا بعضهم عبد الطاغوت وهو جمع عابد • وقوله تعالى اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل اي هؤلاء الذين هذه صفاتهم اردا منزلة وابعد عن قصد الطريق وهو الهدى ممن قلتم ثم ذكر في اول الاية بشر من ذلك • وقال في اخرها شر مكانا وقال واضل ولا شر ولا اضلال في المؤمنين فكيف يكون الفريق الاخر شرا منهم واضل منهم ومعناه انه اراد به ان حالكم شر من حال من ظننتم انهم في شر حال وهو ما فيه المؤمنين من الفقر والضر • وقيل هو خطاب لهم على ما في زعمهم كما في ذلك

في الخبر ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار • الله خير اما يشركون • ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون وقالوا يا اخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم بما فضحهم الله على لسان رسوله • وقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا اي من هؤلاء اليهود منافقون يلقونكم بوجه ويلقون الكفار بوجه فاذا جاءوا مجلس الرسول قالوا امنا بما انزل الله قولا بلا حقيقة • وقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر اي دخلوا وهم كافرون • وقوله تعالى وهم قد خرجوا به وخرجوا وهم كافرون كما يقال دخل بردائه وطيلسانه اي وهو لابسهما وهم تاكيد لا الكفر منهم ونفي ان يكون من امر النبي صلى الله عليه وسلم سبب يوجب لهم الكفر • وقوله تعالى والله اعلم بما كانوا يكتمون اي بما لم يزالوا يضمرون من النفاق والحقد عليكم • وقوله تعالى وترى كثيرا منهم اي من اليهود يسارعون في الاثم اي الوزر والعدوان اي الظلم ويجوز ان يكون الاثم في القول والعدوان في الفعل كما قال في الاية التي بعدها عن قولهم الاثم • وقوله تعالى واكلهم السحت اي الحرام لبئس ما كانوا يعملون هي كلمة ذم • وقوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون اي هلا ينهاهم العلماء العمال والاحبار العلماء المحسنون عن قولهم الاثم من تغييرهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم واكلهم السحت اي الحرام لبئس ما كانوا يصنعون هو ذم العلما اولا وذم العامة وقوله كانوا وصف لهم انهم لم يزالوا كذلك • وقال الحسن الربانيون علما التوراة والاحبار علما اهل الانجيل • وقال الضحاك هي اخوف اية في القران حيث انزلت تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر • وقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة ولما استوى عامتهم وعلماؤهم في المعاصي ابتلاهم الله تعالى بالسنين وكذلك كانت سنته في الماضين • قال الله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين • وقال في قصة نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فلم ينتبهوا ولم ينتهوا لكن تجاهلوا ووصفوا الله تعالى بالبخل بمنع الخصب وتسليط المحل فقالوا يد الله مغلولة اي هو بخيل لا يعطينا ما ينفعنا ولا يضره والعرب تسمي البخيل مغلول اليدين اي ممسك اليدين عن العطا كالذي هو مغلول حسا وهو كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك • وقوله تعالى غلت ايديهم اي هم الذين قبضت ايديهم عن الاعطا فهم الموصوفون بكمال البخل كما قال تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا • وقيل وهو وعيد لهم بالغل في الاخرة كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم • وقوله تعالى ولعنوا بما قالوا اي ابعدوا عن الرحمة وطردوا • قال الكلبي نزلت في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه وذلك ان الله تعالى بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى في محمد وكفروا به كف الله عنهم بعض الذي بسط عليهم من السعة فقال فنحاص واصحابه يد الله مغلولة اي ممسكة عنا في الرزق محبوسة لا يبسط علينا كما كان يبسط فقال الله غلت ايديهم اي امسكت ايديهم ان ينفقوا في خير • وقال يمان بن رياب شدد وثقل عليهم الشرائع وهو قوله والاغلال التي كانت عليهم • وقال الحسن وقالت اليهود يد الله مغلولة اي مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبر به قسمه قدر ما عبدنا العجل سبعة ايام • قال الله تعالى غلت ايديهم • وقيل انهم قالوا يد الله مغلولة حين نزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقالوا هو فقير يستقرض من عباده • وقالوا يد الله مغلولة لا يوسع الدنيا على محمد • وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان اليد والعين والمجيء والاتيان ونحوها صفات الله وردت بها القران فتثبتها الله على اعتقاد ما اراد الله بها مع نفي الجوارح عنه وما لا يليق بصفاته ومن فسر اليد بالنعمة او بالقدرة فقد جعل الصفتين ولنعم والله اثبت ذلك كله على ما بينا والمفهوم من هذه الكلمة هنا رد ما قالوا واثبات سعة فضله وسبوغ نعمه على عباده • وقال بعض اصحاب المعاني انهم لما قالوا يد الله مغلولة على طريق المثل كذ الله في مقابلة كلامهم ما هو اتم منه في ضده معناه اي نعم الله اكثر من ان تحصى وعطاياه اوسع وخزائنه اكثر ومعنى التثنية ان المتعارف في الاعطا من البشر انما هو له بيد واحدة فالمبالغة باليدين اوسع منه واكثر فاثبت الله صفته باكثر العطا واسباغ النعم بهذه الكلمة على مطابقة كلامهم ونظيره من المطابقة والمقابلة قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها • وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم • وقوله يخادعون الله وهو خادعهم • وقوله ان تنصروا الله ينصركم ونظايره • وقيل اراد باليدين نعمة الدنيا ونعمة الدين • وقيل اراد به انه يملك الثواب والعقاب • وقيل اي مبسوطتان بالمغفرة والتعذيب يغفر لمن يشا ويعذب من يشا • وقال القشيري بل يداه مبسوطتان بل قدرته بالنعمة ونعمته سابغة ومشيئته نافذة وارادته ماضية • قال وقيل بل يداه مبسوطتان تمنع ويرفع ويدفع وينفع فلا يخلو احد من نعمة الدفع وان خلا عن نعمة النفع • وقوله تعالى ينفق كيف يشا اي يرزق من يشا ما يشا على ما يشا من توسيع وتضييق فله الحكم والمشية في كل البرية • وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اللام للقسم وهو للتاكيد ومعناه ان كثيرا

من هؤلاء اليهود يزداد عند نزول القرآن بكشف سرايرهم القبيحة عنادا وثباتا على الكفر وهذا من اضافة الفعل الى
السبب كما قال فزادتهم رجسا وقال فلم يزدهم دعائي الا فرارا • وقوله تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة فسرناه في هذه السورة مرة وهذا عقوبة على ما كان منهم واستاذ على النبي واصحابه فان ذلك يورث القتل
لعدوهم • وقال مقاتل وليزيدن كثيرا منهم يعني النضير ما انزل اليك من ربك في امر الرجم في القرآن طغيانا وكفرا
بالقرآن والقينا بينهم بين اليهود والنصارى العداوة • وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله مجاز
عن همهم بتهييج الحروب على النبي صلى الله عليه وسلم وابطال الله ذلك • وقال قتادة لا تلقى اليهود في بلدة
الا وهم اذل اهلها ولقد جاء الله بالاسلام وهم تحت ايدي المجوس • وقوله تعالى ويسعون في الارض فسادا
قيل بالمعاصي • وقيل باخراج الضعفة وصدهم عن الاسلام • وقيل باخذ الرشاء وتغيير الكتاب • وقيل بقطع
الطريق واخافة السبيل وتذكر ذلك في هذه السورة من صفاتهم • وقوله تعالى والله لا يحب المفسدين وقوله تعالى
هذا ظاهر • وقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا اي اجتنبوا المعاصي لكفرنا عنهم سيئاتهم وقوله تعالى
السالفة ولادخلناهم جنات النعيم في الاخرة اي لا نعذبهم بما قالوا ولا نجازيهم له اي نعذبهم بل نجزيهم
على كفرهم وتكذيبهم ولو امنوا واسلموا لا امنوا فسلموا • وقال القشيري شرط في جنتهم الايمان والتقوى وفي الحلم
الجنة ووعد للظالمين مع السابقين والمقتصدين من هذه الامة ادخال الجنة فقال جنات عدن يدخلونها
وقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم اي اقاموا العمل بذلك على الاستقامة
دون التحريف • وقيل اي نصبوا ذلك لاعينهم فاتبعوه ولم يخالفوه واتبعوا القرآن ايضا وذلك في حكم الرجم
والقصاص وبيان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك • وقيل المحافظة على ذلك كاقامة الصلاة • وقوله
تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لكنا بعثنا عليهم بركات من السماء بالامطار وبركات الارض • وقال
الفراء هو كقولهم فلان في الخير من قرنه الى قدمه • وقيل من فوقهم من الثمار ومن تحت ارجلهم من الحبوب • وقيل
اي من الجبل والسهل وذلك دل على العمل بطاعة الله سبب السعة للرزق وهو كقوله ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الايات
وقوله وان لو استقاموا على الطريقة الاية • وقيل هذه اشارة الى ما جرى على اليهود من قطع نخيلهم وافساد
زروعهم واجلائهم • وقيل هو جواب قولهم يد الله مغلولة يعنون البخل اي منع ذلك منهم ليس للبخل بل هو جزاء
للكفر • وقوله تعالى منهم امة مقتصدة اي جماعة جارية على القصد وهو الطريق العادل اي لم يزيغوا
ولم يغلوا في دينهم ولم يقولوا في المسيح وفي امه غير الحق وهم الذين امنوا بموسى وعيسى ومحمد كالنجاشي واصحابه
وعبد الله بن سلام واشكاله وبحيرا الراهب وسلمان ورهط من الشام • وقوله تعالى وكثير منهم ساء ما كانوا
يعملون سائر اليهود من الكفر وصد الناس عن الايمان واستحلال السحت • وقوله تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك من معايب هؤلاء ولا ينظر الى قلة المقتصدين منهم وكثرة الفاسقين • وقوله
تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالاته قرا عاصم في رواية ابي بكر ونافع وابن عامر رسالاته على الجمع والباقون
على الواحد قالت الملحدة هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تاكله فانك
ما اكلته قلنا هذا قصور فهم منكم وبلادة فقوله بلغ وقوله فما بلغت ... وله وجوه صحيحة احدها ان قوله
ما انزل للعموم ومعناه بلغ جميع ما انزل اليك فان لم تبلغ شيئا منه فكانك لم تبلغ شيئا الا في كلها وهو كقوله
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ثم
قال اولئك هم الكافرون حقا جعل الكفر ببعض محبطا اصل الايمان قاله علي بن مهدي الطبري والثاني
قول الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله معناه بلغ ما انزل اليك من ربك الان ولا تنتظر به كثرة الشوكة
والقوة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ • وقيل معناه بلغ ذلك مجتنبا غير خايف احدا فان لم تبلغ على
هذا الوصف فانك لم تبلغه اصلا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان لم تبلغ ما انزل اليك لما تخشى
من الاهلاك والمكروه فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا لم يعذره في ترك تبليغ الرسالة اليهم وان خاف على نفسه
الهلاك وليس كمن اكره على الكفر رخص له ان يتكلم به اذا خاف الهلاك على نفسه ولا يرخص ترك تبليغ الرسالة
كذلك لان تبليغ الرسالة باللسان دون القلب والايمان تعلقه بالقلب فاذا اكره على الكفر وقلبه مطمئن
بالايمان رخص له ذلك واما الرسالة فلا سبيل له ان يبلغها الا باللسان فلذلك لم يرخص له تركها وان خاف
وهذا دليل لقولنا في المكره على الطلاق او العتاق اذا تكلم به عمل لان يتعلق ذلك باللسان لا بالقلب والاكراه
لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ • وقوله تعالى والله يعصمك من الناس اي يحفظك منهم • قالت الملحدة
كيف عصمه منهم وقد شجوه وادموه وشدوه واذوه قلنا وعده العصمة من القتل وقد حفظه عن ذلك فاما
سائر البلايا والمحن فذلك مما كان يجري على امثاله ساير الانبياء والاولياء • قال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية • قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء

ع

ثم الامثل فالامثل • وقال محمد بن كعب القرظي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس بالليل وكان يخاف العدو فلما
نزلت الاية ووعده الله ذلك ترك ذلك وكان ذا الشجر ونحو ذلك قبل هذا • وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس بالليل حتى نزل قوله والله يعصمك من الناس ليلا فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبة ادم
وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله • وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الاسلام فاكثر
الدعوة فجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم فنزلت هذه الاية في التحريض فعاد الى دعوتهم وقال ما ابالي من خذلني ومن نصرني
وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يرشدهم الى الحق اهل الكفر ما داموا مختارين الكفر • وقوله
تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي من الدين الحق • وقوله تعالى حتى تقيموا التوراة والانجيل وما
انزل اليكم من ربكم اي حتى تعملوا بجميع هذه الكتب على الاستقامة والدوام • وقوله تعالى وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقد ذكرنا ان اضافة زيادة الكفر والطغيان الى نزول القرآن ه
بطريق التسبب • وقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تحزن على انهم لم يدخلوا في دينك ولم
يصيروا من اتباعك فليسوا ممن يتاسف على بعوثهم وهو كقوله له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • وقيل
لا تحزن بنزول العذاب عليهم فانهم كفار ليسوا منك ولست منهم • وقال القشيري هذا في الحقيقة تنبيه
للكل انه لا قدرة لاحد ولا العمل الا باجراء الامر والنهي والمحاماة على احكام الشرع • وقوله تعالى ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فسرنا الاية في سورة البقرة ولما ذكر وعيد الكافرين في الاية الاولى ذكر وعد المؤمنين
في هذه الاية ثم قوله تعالى والصابئون رفعه مع تقدم الكلمة السابقة الناصبة وهي ان كثرت فيه الاقاويل
واوضحها قول الكسائي والفراء والمبرد وجماعة ان قوله والصابئون محمول على التاخير مرفوع بالابتداء وتقديره
ان الذين امنوا والذين هادوا من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون
والنصارى كذلك وهو كقول الشاعر • بغاة ما حيينا • والا فاعلموا انا وانتم • بغاة ما حيينا في شقاق •
وتقديره فاعلموا انا بغاة ما حيينا في شقاق وانتم كذلك • وانشد الفراء • يا ليتني وانت يا لميس •
ببلد ليس به انيس • وانشد المبرد • يا ليتني وهما نخلو بمنزلة • حتى يرى بعضنا بعضا ونأتلف •
وقال قطرب هو مرفوع على قوله الذين امنوا ومحله رفع بالابتداء وان نصبها ضعيف من نصب اخواتها مثل كان
وليت ولعل لانها احدثت في الكلام معاني وهي التشبيه والترجي والتمني وان لم تحدث شيئا فيجوز ترك عملها
ونظيره كان ابتداء الاية الذين امنوا ونظير ذلك قال قائلهم • فمن يك امسى بالمدينة رحله • فاني وقيار بها لغريب
وقيل هو عطف على ضمير هادوا وتقديره والذين هادوا وهم الصابئون • وقيل هو رفع على الذم وكانت
على الذم قطعا عما قبله من غير النصب يجوز رفعه ايضا قطعا عما قبله من غير الرفع • وقيل لما ضعف عمل
ان لم يعمل في خبره لما بعده لم تعمل في المعطوف عليه اذ ابتدأ ايضا • وقال القشيري رحمه الله انهم وان اختلفت
احوالهم فبعد ما جمعهم التوحيد فلهم الامان من الوعيد والفوز بالمزيد • وقوله تعالى لقد اخذنا ميثاق
بني اسرائيل اي في كتبهم بالايمان بالله وبجميع الانبياء • وقوله تعالى وارسلنا اليهم رسلا اي في تجديد
هذا الميثاق • وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي لا يوافق اهواءهم • وقوله تعالى
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون اي فريقا كانوا يقتلون فانه اخبار عن سلفهم وذلك ماض وذلك انهم كانوا
مضمر قال ابن كيسان كان الانبياء ضربين ضرب اصحاب كتب وشرايع لم يصلوا الى قتلهم مثل نوح وابرهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان وانبياء لم يكن لهم كتب وشرايع فقتلوهم مثل زكريا ويحيى وغيرهما وبلغني انهم قتلوا في يوم
سبعين نبيا وهذا انقضى منهم الميثاق والعهد وتقدم في ابتداء السورة بالوفاء بالعهد وذم في بقية السورة
الناقضين العهد • وقوله تعالى وحسبوا الا تكون فتنة قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالرفع وتقديره
انه لا يكون والباقون بالنصب بان يعتقد امروا على الذنوب وظنوا لطول امهال الله اياهم ان لا يقع عليهم
من الله عقوبة من قولهم ذوقوا فتنتكم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال قائلون الفتنة المحنة
اي حسبوا ان لا تاتيهم الرسل بامتحانهم على خلاف ما اخذوا بهوى انفسهم • وقوله تعالى فعموا وصموا
اي عموا المعاصي فصاروا لرين القلوب عميا فلا يبصرون قبحها وصما فلا يسمعون وعظ الناهي
عنها • وقوله تعالى ثم تاب الله عليهم اي ارسل الله رسلا فاجابوهم وتابوا فقبل توبتهم • وقوله
تعالى ثم عموا وصموا اي ثم امتدت المهلة فعادوا الى المعاصي والفوها فصاروا كما كانوا عميا وصما وهو
كقولهم حبك الشي يعمي ويصم • وقوله تعالى كثير منهم جمع الفعل مع التقدم على الفاعل لانه فعل قوم تقدم
ذكرهم ثم قوله كثير منهم نصب بتقدير فاعليه كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا هذا نصب بوصف
فاعليه • وقيل هو على لغة بعض العرب وهو جمع الفعل مع التقدم يقولون ذهبوا اصحابك • قال الشاعر

الثياب عيناك عند العنا • او لانا والالك ذاو افيه • وقال الزجاج كثير خبر لابتدا محذوف اي العمى والصمم كثير منهم
ثم اعاد ذكر الكثير لا الكل لان منهم من ابصر وسمع فامن واتبع ووفى بالعهد ولم يمنحه • وقوله تعالى والله بصير بما يعملون
اي بعمل الاسلاف والاخلاف فيجازيهم على الاستحقاق في الوفاق والخلاف • وقال مجاهد فتاب الله عليهم تجاوز
عنهم برفع البلاء • وقيل عموا وصموا بعد موسى ثم تاب الله عليهم على عهد عيسى ثم عموا وصموا بعد عيسى • وقال
الحسن وحسبوا ان لا يبتلوا في الدين ولا يفرض عليهم طاعة محمد صلى الله عليه وسلم فعموا عن الدين وصموا فيه ثم تاب
الله عليهم فاستنقذهم بمحمد فكذبوه ثم عموا وصموا كثير منهم اقاموا على اليهودية • وقال مقاتل وحسبوا ان لا تكون
فتنة بلاء وقحط فعموا وصموا فلم يبصروه وصموا فلم يسمعوه ثم تاب الله عليهم رفع البلاء عنهم فلم يتوبوا والله
بصير بما يعملون من قتل الانبيا وتكذيب الرسل • وقال القشيري رحمه الله اغتروا بطول الامهال فاصروا على قبيح
الافعال فلما اخذتهم فجاءة الانتقام ونوائب الايام فلم ينفعهم الندم ولم يثبت لهم القدم • وقوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قال الكلبي هو في نصارى بني نجران وهو قول اليعقوبية من النصارى
ان عيسى اله • وقوله تعالى وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي هو معترف بانه عبد الله ورسوله
وان الله ربه ورب بني اسرائيل ويقول لهم لا تشركوا بالله ويتوعدهم عليه وهو قوله تعالى انه من يشرك بالله اي احدا
من خلقه • وقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وهو تحريم المنع لا تحريم التكليف كما في قوله وحرمنا عليه
المراضع من قبل • وقوله تعالى وماواه النار وما للظالمين من انصار اي وما للمشركين اعوان يمنعونهم والظلم
الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو وضع الشي في غير موضعه ثم ذكر قول عامة النصارى وذلك قوله تعالى
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وذلك ان النسطورية واليعقوبية والملكانية يقولون المعبود
واحد بالجوهر ثلاثة بالاقنوم والاقانيم ثلاثة الاب والابن وروح القدس والابن هو الكلمة والروح الحياة
وكل ذلك اله واحد ولا يقولون ثلاثة الهة وهي لازمة لهم على قضية مقالهم عندا وان امتنعوا من الاطلاق لفظا
وهي من اشنع ضلالة واقبح جهالة وافسد مقالة • وقوله تعالى وما من اله الا اله واحد وهو اله الخلق اجمعين
وقوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون اي ان لم يرجعوا عن هذا القول • وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا
اي ليصيبن الذين كفروا ولم يقل ليمسنهم لانه لو قال ذلك لخص الفريق الثانية والمراد به كلا الفريقين فلذلك
قال الذين كفروا على العموم • وقوله تعالى منهم اي من كفار النصارى وهو زيادة تشديد لهم بالتخصيص بهذا
العذاب هنا وان كان كل الكفار يستحقونه وهو كقوله في اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم والكلام بدون هذه الكلمة تام لانه اراد به التخصيص بهذا الوعد للمذكورين قبله والذين معه الى اخره
وقوله تعالى عذاب اليم قيل في الدنيا وقيل في الاخرة وقيل فيهما جميعا • وقوله تعالى افلا يتوبون الى
الله ويستغفرونه استفهام بمعنى الامر اي فليتوبوا الى الله من هذه المقالات وليؤمنوا وليستغفروا الله
بالسنتهم • وقوله تعالى والله غفور رحيم يغفر ذنوب التائب ويرحمه فلا يرد توبته ولا يعذبه • وقال
القشيري رحمه الله لم يغلق باب التوبة عليهم مع قبح اقوالهم وفساد عقائدهم واعمالهم تقوية لاطماع
المؤمنين وامالهم • وقوله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام اي ليس عيسى الا رسولا قد خلت من قبله الرسل ياتي بمثل ما اتى به اولئك من المعجزات
ولم يكن ما اتوا به من الايات مخرجا لهم من العبودية مثبتا لهم استحقاق الربوبية فكذلك عيسى وكانت
امه صديقة اي برة تقية صدقت في اعمالها واقوالها واحوالها وذلك لا يوجب لها ان تكون الهة • وقوله كانا
ياكلان الطعام اي كانا يحتاجان الى ما يغذيهما من الغذاء وكانا يجوعان ويشبعان ويكون منهما ما يكون ممن ياكل
الطعام وهو كناية عن قضاء الحاجة فاثار الحدوث فيهما ظاهرة وحاجتهما الى ما يغذيهما ماسة وهذا اما الاهيتها
للنصارى دينه فكيف يصح دعواهم فيما يدعون • وقوله تعالى انظر كيف نبين لهم الايات اي تدبر وابصر
بعين قلبك كيف نوضح لهم الدلائل • وقوله تعالى ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق وهذا
تعجيب من الله وذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب • وقوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا استفهام بمعنى التوبيخ اي اذا كان المسيح وامه يحتاجان الى ما يغذيهما لم يملكا لاحد
ضرا ولا نفعا الا باذن مالكهما كسائر المربوبين فكيف يعبدان • وقوله تعالى والله هو السميع العليم اي
يسمع مقالات النصارى ويعلم اعتقادهم فيجازيهم جزاء مثلهم وهذا وعيد • وقال القشيري رحمه الله
تعليق القلب بدون الرب في استدفاع الشر واستجلاب الخير عنا الوقت بالاحرى واذهاب العمر فيما
لا يعني اذ المنفرد بالايجاد بري عن الانداد • وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق الغلو
مجاوزة الحد الى الازدياد وضده التقصير وهو النقصان من بلوغ الحد وكلاهما فاسد والحق في الوقوف
عند الحد وهذا نهي لليهود والنصارى عن مجاوزة الحد في عيسى فان اليهود جاوزوا الحد فيه حيث نسبوه الى غير
رشده والنصارى جاوزوا الحد فيه فاتخذوه الها • وقوله غير الحق اي غلوا غير الحق وهو الباطل • وقوله تعالى ولا تتبعوا

اهوا

اهواء قوم اي اسلافكم • وقوله تعالى قد ضلوا من قبل اي احدثوا هذه الاباطيل فضلوا بها في انفسهم • وقوله تعالى
واضلوا كثيرا اي من الناس بدعوتهم اياهم اليها • وقوله تعالى وضلوا عن سواء السبيل اي ثبتوا على ذلك
الضلال • وقيل الضلال الاول هو في اصل المذهب عن طريق الحق والثاني ضلالهم في اضلال الناس فانه ضلال عن
الرشد هو الدعوة الى الحق دون الضلال ولانهم يواخذون بضلال غيرهم لانهم هم الذين حملوهم عليه • قال
تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم • وقال الا ساء ما يزرون اي الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون • وقوله
تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم قال ابن عباس رضي الله عنهما لعنوا في
الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى بن مريم • وقال الكلبي ومجاهد وقتادة لعنوا على لسان
داود فصاروا قردة وهم اصحاب السبت ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير وهم اصحاب المائدة وانما
خص داود وعيسى بالذكر لانهما قاربا عهد موسى كانوا على الحق وانما حدثت هذه الضلالات بعد ذلك • وقوله
تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن والمسخ لعصيانهم امر الله وتعديهم حدود الله • وقوله
تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي كان لا ينهى بعضهم بعضا عن الفعل القبيح الذي فعلوه • وقوله تعالى
لبئس ما كانوا يفعلون هو كلمة ذم اي ما اسوا ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لما وقع النقص في بني اسرائيل كان الرجل منهم يرى اخاه على الذنب فلا ينهاه عنه ولا يمنعه
ذلك من ان يكون اكيله وشريبه وجليسه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض وانزل فيهم القران لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل الى اخر الاربع ايات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا فاستوى قاعدا ثم قال كلا و
الذي نفسي بيده حتى تاخذوا على يدي الظالم فتاطروه على الحق اطرا اي تعطفوه • وقوله تعالى ترى كثيرا
منهم قيل اي من كل اهل الكتاب • وقيل من اليهود خاصة وهو الظاهر • وقوله تعالى يتولون الذين كفروا اي
عبدة الاوثان وهذا لليهود خاصة وكان منهم منافقون يتولون اصناف المشركين لتوددهم • وقوله تعالى
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس ما قدموا لانفسهم دخرا لاخرتهم • وقوله تعالى ان سخط الله عليهم
اي ان مع الفعل مصدر وهو محله رفع تقديره لبئس ما قدمت لهم انفسهم سخط الله وهو كقولك بئس رجلا زيد وقيل
هو نصب بفعل التقديم اي قدمت لهم انفسهم سخط الله • وقيل حذف منه اللام وتقديره لان سخط الله
عليهم • وقوله تعالى وفي العذاب هم خالدون اي في جهنم وهو بما قدمت لهم انفسهم • وقوله تعالى ولو
كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اي ولو كان هولاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى
وما انزل عليه وهو التوراة ما اتخذوا المشركين اولياء لاختلاف اديانهم • وقوله تعالى ولكن كثيرا منهم
فاسقون اي كثيرا منهم مع كفرهم متمردون منهمكون في المعاصي • وقيل معنى الاية لو كان المنافقون يؤمنون
بالله وبمحمد وبما انزل اليه اي القران ما اتخذوا المشركين اولياء في السر وهم يدعون الاسلام في العلانية
ولكن كثيرا من المنافقين لا يبالون بارتكاب المعاصي • وقيل ولو كان هولاء المشركون يؤمنون بالله وبمحمد
ما اتخذوا هولاء المنافقين من اليهود اولياء • وقال القشيري رحمه الله شر خصال اللئيم مطابقة من تضاد
الصديق من الانام فاذا كان سخط الله في موالاة اعدائه فرحمته في معاداة اعدائه • وقوله تعالى لتجدن
اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود اي فستجد انك يا محمد تجد اليهود اشد الناس عداوة للمؤمنين
على الايمان لان الغالب على اليهود قساوة القلوب والافراط في الحسد حتى خرجوا بذلك الى تكذيب الانبيا
وقتلهم • قال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهودي بمسلم الا هم بقتله وكذلك المشركون وذلك قوله تعالى
والذين اشركوا وهو تخصيص من اليهود وبلوغ تمردهم المبلغ الذين نفوا البعث وتولوا الكفار اهل الاوثان
وبعدوا من القربا اليهم وهم النصارى مع ان الاصل ذوي الاديان المختلفة يتحابون على الاديان زيادة
من لا يرجع الى دين الا ترى ان المشركين في ابتداء الاسلام كانوا يتعصبون لاهل الكتاب من الروم والمشركون
يتعصبون للمجوس من فارس اذ كان الروم اهل كتاب ولم المجوس من اهل كتاب كالمشركين وكان يجب على هذا
الاصل ان يكون اهل الكتاب يتبعون قول محمد ويتدينون بما امر به وان كان المشركون يعرضون عنه فلما
وافق اليهود المشركين عجب الله المسلمين منهم • وقوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى قيل هو في عامة النصارى ومعناه ان الغالب من حال اليهود القساوة والاصرار
على ما هم عليه اشفاقا من زوال الرياسة والمكايدة فاياس الله المؤمنين من ايمانهم والاجابة لدعوتهم
وكذلك المشركون فيهم الحسد والانفة وحمية الجاهلية والنفوس الابية فهم في الاجابة كاليهود وحرصهم
على دعوة النصارى وبين ان الاغلب عليهم الزهد ورفض الدنيا وميلهم في الطلب ضربا فقلوبهم رقيقة
وطبيعتهم للتواضع فالطمع في انقيادهم للاسلام اقوى • وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
قال ابن زيد القسيس العابد وكذلك القس والقسيس وانما اطلقوا على روس العباد منهم والرهبان جمع راهب
وهو الخائف من الله وهو كالركبان جمع راكب والفرسان جمع فارس وقد يطلق على الواحد ويجمع الرهابين

كالقربان والقرابين • قال الشاعر • لو عاينت رهبان دير في القلل • لانحدر الرهبان يمشي ونزل • وقيل القس
والقسيس كالشر والشرير وهو العالم الواقف على الحق الخبير بما الناس من قولك قس الحديث اي تتبعه بين الناس والرهبان
اصحاب الصوامع فالاولون اهل العلم والاخرون اهل العمل • وعن سلمان رضي الله عنه انه قال قرأت على النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا فقال ذلك بان منهم صديقين • وقال قتادة هذه الاية في حق ناس منهم
دون الجميع قال وكان ناس من اهل الكتاب على شريعة مما جاء به عيسى يؤمنون به وينتهون اليه فلما بعث الله محمدا صدقوه
وامنوا به وكذلك القصة تدل على انها للمؤمنين منهم على الخصوص • وقال مقاتل قسيسين متعبدين ورهبانا
اصحاب الصوامع وانهم لا يستكبرون عن الايمان نزلت الاية في اربعين رجلا من مسلمي اهل الكتاب وهو الانجيل
منهم اثنان وثلاثون الذين قدموا من اهل الحبشة مع جعفر وثمانية من اهل الشام منهم بحيرا الراهب
وابرهة واشرف وادريس وتمام وتميم ودريد وايمن والقسيسون الذين حلقوا اوساط رؤوسهم والهم
لما سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ما اشبه هذا بالذي كنا نحدث من حديث عيسى فبكوا
وصدقوا ونزل فيهم قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين يعني المهاجرين
والانصار • وقال سعيد بن جبير بعث النجاشي وفدا من اصحابه فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
القران فقرؤوا واسلموا وفيهم نزل ولتجدن اقربهم مودة ثم رجعوا الى النجاشي فاسلم • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وهذا التأويل لا يصح لانه يصير حاصل الكلام ان المؤمن اقرب مودة للمؤمنين من الكفار وذلك
كلام لا يفيد معنى لكنه على كل اليهود وعلى كل النصارى وقد مر بيان كل واحد من الفريقين في الاصل او على اهل
عصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يهود قريظة والنضير ينقضون العهود ويظاهرون المشركين على قتال النبي
صلى الله عليه وسلم حتى قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاهم ويهود المدينة بايعوا اهل مكة
على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر من النصارى شيء فلذلك كانوا كذلك • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يخاف على اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي
طالب وعثمان بن مظعون وابن مسعود في رهط من اصحابه الى النجاشي ملك الحبشة فلما بلغ ذلك
المشركين بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم فسبقوا الى النجاشي واتوه بهدية من مكة وقالوا له انه قد خرج
فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها زعم انه نبي وانه بعث اليك رهطا ليفسدوا قومك عليك فاحببنا
ان ناتيك ونخبرك من خبرهم فقال ان جاؤوني نظرت فيما يقولون فقدم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتوا
باب النجاشي فقالوا استأذن لنا ان علينا حزب الله فقال ائذن لهم مرحبا بحزب الله فلما دخلوا عليه قال
جعفر السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى فقال رهط المشركين ايها الملك انا قد حدثناك
انهم لم يحيوك بتحية الملك فقال لهم ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا قد حييناك بتحية اهل الجنة
وتحية الملائكة فقال لهم ما يقول صاحبكم في عيسى وامه قال انه يقول عبد الله وكلمة من الله القاها الى
مريم ويقول في مريم انها العذراء الطيبة البتول فاخذ عودا من الارض فقال ما زاد عيسى وامه
على ما قال صاحبكم قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم ثم قال اقرؤوا فقرؤوا وفي بعض
الروايات قرأ جعفر سورة مريم وفي سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فاغرورقت دموعهم مما عرفوا
من الحق وذلك قوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين يعنون
محمدا وامته • وروي ان النجاشي قال لهم هل في كتابكم ذكر مريم قالوا ان في كتابنا سورة تنسب الى مريم
قال فاقرؤوها فقرؤوا كهيعص الى قوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون فبكى النجاشي ثم
قال ما تقولون في ابرهيم فقالوا ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا قال صدقتم ما كانت اليهود ولا النصرانية
الا بعد ابرهيم • وفي حديث ام سلمة ان اهل مكة بعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة مع هدايا
لكل البطارقة ولما قدموا قالوا للنجاشي ان فتية سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وقد دخلوا
بلادك فردهم علينا فغضب وقال لا والله لا اردهم اليهم حتى ادعوهم فاكلمهم فقد لجؤوا الى بلادي
واختاروا جواري على جوار غيري فان كانوا كما يقولون رددتهم عليهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم
فلما دخلوا عليه تكلم جعفر فقال له النجاشي ما هذا الدين الذي انتم عليه فارقتم دين قومكم ولم
تدخلوا في يهودية ولا نصرانية فما هذا الدين قال جعفر ايها الملك كنا قوما على الشرك نعبد الاوثان
وناكل الميتة ونسيء الجوار ونستحل المحارم من سفك الدماء وغيرها فبعث الله تعالى الينا نبيا من انفسنا
نعرف وفاءه وصدقه وامانته فدعانا بان نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الرحم ونحسن الجوار
ونصلي لله ونصوم له ولا نعبد غيره قال فهل معك شيء مما جاء به فقد دعا اساقفته فامرهم بنشر
المصاحف حوله فقال له جعفر نعم فقال له هلم فاتل علي ما جاء به فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله
النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ثم قال ان هذا الكلام ليخرج من المشكاة

الذي

التي جاء بها عيسى انطلقوا راشدين لا والله لا اردهم عليكم ولا انعمكم عينا فخرجوا من عنده وكان اتقى الرجلين عبد الله
بن ابي ربيعة فقال عمرو بن العاص والله لاتينه غدا بما استاصل به خضراءهم فلاخبرنه انهم يزعمون ان الله الذي يعبد
عيسى بن مريم عبد فقال له عبد الله بن ابي ربيعة لا تفعل لانهم وان كانوا خالفونا فان لهم رحما ولهم حقا فقال
والله لافعلن فلما كان الغد دخل عليه فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عنه
فبعث اليهم فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال ما تقولون في عيسى بن مريم فقال له جعفر نقول هو عبد الله
ورسوله وكلمته وروحه القاها الى مريم العذراء البتول فدلى النجاشي يده الى الارض فاخذ عويدا بين اصبعيه
فقال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العويد فتناخرت بطارقته فقال وان تناخرتم والله اذهبوا فانتم
امنون في ارضي من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ما احب ان لي ذهبا و والله ما اخذ الله مني الرشوة حين
رد علي ملكي فاخذ الرشوة فيه ولا اطاع الناس في فاطيع الناس فيه ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها
واخرجا من بلادي فخرجا مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به فاقمنا مع خير جار في خير دار فلم نلبث ان خرج عليه رجل من
الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما علمنا حزنا قط كان اشد منه فرقا من ان يظهر ذلك الملك عليه فيأتي
ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي فخرج اليه سائرا فقال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون فقال الزبير وكان من احدثهم
سنا انا فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم جعل يسبح عليها في النيل حتى خرج الى ناحيتها التي فيها ملتقى الناس فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله وظهر النجاشي عليه فجاءنا الزبير فجعل يليح بردائه ويقول ابشروا فقد اظهر الله النجاشي فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي ثم خرج من خرج الى مكة واقام من اقام قال وقالت عايشة رضي الله عنها في قول النجاشي ما اخذ الله مني الرشوة وذلك ان ابا النجاشي كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا اهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو انا قتلنا ابا النجاشي وملكنا اخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وان لاخيه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا فعدوا على ابي النجاشي فقتلوه وملكوا اخاه فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما فغلب على امر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه منه قالوا والله لقد غلب هذا الغلام على امر عمه وانا لنتخوف ان يملكه علينا وقد عرف انا قتلنا اباه فلئن فعل لم يدع منا شريفا الا قتله فكلموه فيه فقالوا اما ان تقتله واما ان تخرجه من بلادنا فقد خفناه على انفسنا قال ويحكم قتلتم اباه بالامس واقتله اليوم بل اخرجه من بلادكم فخرجوا به فوقفوه بالسوق فباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم او سبعمائة درهم فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته ففزعوا الى ولده فاذا هم محمقون ليس في ولده خير فمرج على الحبشة امرهم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ان ملككم الذي لا يصلح امركم غيره لهو الذي بعتم غدوة فان كان لكم بامر الحبشة حاجة فادركوه فخرجوا في طلبه حتى ادركوه فاخذوه فجاؤوا به فعقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه فقال التاجر ردوا علي مالي كما اخذتم مني غلامي فقالوا لا نعطيك شيئا قال اذا والله لاكلمنه فمشى اليه فكلمه فقال ايها الملك ابتعت غلاما فقبض مني الذين باعوه ثمنه ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردوا علي مالي فكان اول ما خبر من صلابة حكمه وعدله ان قال لتردن عليه ماله او ليضعن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء فقالوا بل نعطيه ماله فاعطوه اياه فلذلك قال ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس في فاطيع الناس فيه • وقوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع قال اسمعيل بن عبد الرحمن بعث النجاشي اثني عشر رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القران فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين او خمسة رهبان وسبعة قسيسين ففيهم نزلت هذه الاية • وقوله ترى اعينهم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم • وقوله تفيض اي تسيل والدمع الماء الذي يجري من العين وقد روينا ان هذا النجاشي واصحابه حين سمعوا ما تلا جعفر بكوا فيكون هذا خطابا لكل من يكون منه الخطاب لقوله تعالى • وقوله تعالى مما عرفوا من الحق يكون في معرفتهم ما عرفوا من الحق اي اقروا بالحق الذي عرفوه فيه • وقوله تعالى يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين قال ابن عباس رضي الله عنهما اي اكتبنا مع امة محمد الذين يشهدون يوم القيامة شهداء على الناس

اي شهدنا بانه الحق فاكتبنا بهذه الشهادة مع الشاهدين اي الحقنا بهم واجعل اسمانا في صحف ما ذكيتك مع اسمائهم
وقيل معناه الحقنا بالانبيا الذين يشهدون عندك بايمان من امن بهم وكفر من كفر بهم او اظهروا من انفسهم ه
الاستبشار في دينهم قطعا لاطماع الكفار في رجوعهم وذلك قوله تعالى وما لنا لا نؤمن بالله وما جانا من الحق
اي وبما جانا اعوا اي حذرلنا في ترك الايمان • وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
اي مع انا نرجوا ان يدخلنا الله الجنة اي مع الصالحين لذلك • وقيل اي الصالحين في انفسهم • وقيل هم الانبيا
وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الاية وعلى هذا كل الجنة مضمر • وقيل الاضمار ومعنى قوله ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين اي يدخلنا في جملتهم • وقوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي جزاؤه بما قالوا من كلمة التوحيد مع ما كان لهم من الاعتقاد
وذلك المذكور في قوله مما عرفوا من الحق ولا متعلق للكرامية بظاهر قوله بما قالوا من ان الايمان بمجرد القول
فقد قلنا انه كان مع المعرفة والاعتقاد ويدل عليه ان الله تعالى قال ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم امنا لعدم الاعتقاد منهم • وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا وعيد الكافرين بعد ما ذكر وعد المؤمنين • وقال القشيري رحمه
الله هذا اثر الاعراض عن الاعدا ولا اثر الاقبال على الاوليا • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم قال الكلبي رحمه الله ان ابا بكر وعمر وعليا والمقداد بن الاسود وسالما مولى ابي
حذيفة واباذر الغفاري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر
وجماعة اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون الجمحي فذكروا القيمة فرقوا وبكوا وحرموا على انفسهم الطيبات
وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما همت طايفة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
نقطع المذاكير ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الارض كما يفعل الرهبان • وفي حديث عكرمة تبتلوا وجلسوا
في بيوتهم واعتزلوا النسا ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس وهموا بالخصا واجمعوا
على قيام الليل وصيام النهار فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عثمان في منزله فلم يجدهم فقال
لامراة عثمان ام حكيم بنت امية السلمية احق ما بلغني عن زوجك واصحابه قالت ما هو فاخبرها به فكرهت
ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان
كان اخبرك به عثمان فقد صدقك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي لزوجك واصحابه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم اني اكل واشرب واكل اللحم والدسم وانام واصلي واتي النسا واصوم وافطر
فمن رغب عن سنتي فليس مني • وفي رواية جا عثمان واصحابه فقرا عليهم هذه الاية وقال ان لانفسكم
عليكم حقا وان لاهاليكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وارقدوا ثم جمع الناس وخطبهم وقال
ما بال اقوام حرموا النسا والطيب والطعام والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا
رهبانا وقسيسين وليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم
ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
وصوموا رمضان واستقيموا ولا تشددوا على انفسكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم • وقيل لما ترك ذكر الرهبان والقسيسين ومن صفتهم التبتل وترك
الشهوات احبوا ان يقتدوا بهم فنزلت الاية • وقوله تعالى ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين اي
لا تجاوزوا حد الشرع فان الله لا يحب من اعتدى حدوده ونقض عهوده • وقيل الاية نزلت في النهي
عما كان عليه بعض العرب من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي وبعض الزروع • وقوله
تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون اي اتقوا مخالفة امره
ونهيه • وفيه دليل ان الايمان لا يزول بزوال التقوى فقد اثبته الله مع ذلك • وقال القشيري رحمه
الله من علامات السعادة الوقوف على حد الامر ان اباح الحق شيا فبل ذلك وان حظر وقف ثم اكل
الحلال الطيب اذا كان ما ياكل على شهوده فان نزلت الاية عن هذا فقيل ذكره فاما الاكل عن الغفلة فليس
بطيب عند اهل الحقيقة • وقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولما نزلت الاية في قوم عثمان
ابن مظعون واصحابه لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقد كانوا حلفوا لا يتنعمون ولا ياتون النسا
ولا يلبسون اللين من الثياب ونحو ذلك قالوا يا رسول الله كيف بايماننا التي حلفنا عليها فنزلت هذه
الاية • ووجه اخر في الانتظام ان السورة في الوفا بالعقود والايمان من العقود واللغو اختلف فيه
وقد تكلمنا فيه في سورة البقرة • وقيل المراد ههنا التاكيد للايمان بالحنث فيها عملا بقول النبي صلى الله
عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر يمينه فاخبر بهذه الاية
انهم اذا الغوها وحنثوا فيها لم يواخذوا بالاثم وعليهم الكفارة • وقالت عايشة رضي الله عنها اللغو هو

ما يجري من كلام الناس لا والله وبلى والله ولا كفارة فيه ولا يواخذ الشافعي رحمه الله • وقال ابو هريرة رضي الله عنه
وابن عباس ويحيى بن سعيد الانصاري ومكحول وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين
هو ان يحلف على الشي يراه من بعيد فيظن انه كذا فيقول والله انه كذا فاذا هو خلافه فلا مواخذة في هذا بالاثم
ولا كفارة وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله • وقوله تعالى ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان قرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وعاصم في رواية حفص بالتشديد • وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بالتخفيف • وقرا
ابن عامر عاقدتم بالالف وما مع الفعل مصدر وتقديره بعقدكم الايمان وهو اليمين على امر في المستقبل نفيا
او اثباتا ليفعلن كذا او لا يفعل كذا لان العقد عند الحل واليمين في المستقبل هي التي تقبل الحل وهي التي
يتحقق فيها العقد وعلى هذا الكفارة في اليمين الغموس عندنا وهي اليمين الكاذبة في الماضي لانها غير معقودة
وعند الشافعي رحمه الله العقد هو القصد بالقلب واليمين الغموس معقودة بالقلب فكانت معقودة فكان
الكفارة فيها مشروعة • وقوله تعالى فكفارته الها كناية عن قوله ما في قوله بما عقدتم • وقوله تعالى اطعام
عشرة مساكين هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل واحد منهم نصف صاع
من حنطة او صاع من شعير او صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله مد من حنطة • وقوله تعالى من اوسط
ما تطعمون اهليكم هم من في عياله من الزوجة والاولاد والخدم والاوسط بين الجيد والردي وبين الاسراف
والتقتير وبين المرة والثلث يعني المرتين والاوسط الاعدل • قال تعالى قال اوسطهم اي اعدلهم • وقال
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا • وقوله تعالى او كسوتهم هو مصدر ومعناه اللباس والتخيير
كذلك قوله او تحرير رقبة فيختار اي الثلاثة شا من اطعام عشرة مساكين او الباس عشرة مساكين
كل واحد كسوة تامة يجوز له فيها الصلاة من ازار ورداء او قميص وسراويل والمراة ذلك مع خمار او اعتاق
رقبة كاملة ليس بها نقصان عمى او قطع يدين او رجلين ونحوها صغيرة كانت او كبيرة مسلمة كانت او كافرة
وعند الشافعي لا يجوز الا المومنة استدلالا بالرقبة في قتل الخطا وعندنا هذا مطلق فيجري على اطلاقه
والمراد بالرقبة تمام البدن ولكن الظاهر في معنى فك الاسير المغلول العنق فلذلك ذكر الرقبة • وقوله تعالى
فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام اي فمن لم يجد احد هذه الاشيا فكفارته صيام ثلاثة ايام وهي مطلقة عند
الشافعي ان شا تابعها وان شا فرقها لاطلاق النص وهي عندنا متتابعة لقراءة عبد الله بن مسعود فصيام
ثلاثة ايام متتابعات وقراءته بمنزلة روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيدنا به المطلق • وقوله تعالى
ذلك كفارة ايمانكم اي ذلك المذكور • وقوله تعالى اذا حلفتم واضمر فيه وحنثتم كما في قوله تعالى فمن
كان منكم مريضا او على سفر اي فافطر واجمعوا انه لا يجب التكفير بنفس اليمين ما لم يحنث فيها واختلفوا
في جوازه فاجازه الشافعي بالمال واصحابنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم • وقوله تعالى واحفظوا
ايمانكم قيل اي فلا تنسوها • وقيل اي فلا تحنثوا فيها • وقيل اي فاقلوا منها واحفظوا انفسكم عنها
فان كثيرها عزه • قليل الالا حافظ ليمينه • وان بدرت منه الالية برت • وقوله تعالى كذلك يبين الله
لكم اياته لعلكم تشكرون اي كما بين حكم اليمين بين ساير الاحكام لتشكروا نعمة بيانه ما بكم اليه حاجة وقيل
تشكرون نعمة رفع الاثم بيمين اللغو كان الاولون ماخوذين بها وكذلك شرع لكم التحليل بالكفارة في اليمين
على ما يكون الخير في غيره وكذلك رفع اثم الحنث بالكفارة ولم يكن ذلك الاولين • وقال القشيري رحمه الله
اللغو عند اهل المعرفة ما يجري على السنتهم في حال غلبات الوجد من تجديد العهد وتاكيد العقد فيقول
وحقك لا نظرت الى سواك • ولا التفت لغيرك ولا حلت عن عهدك • وهذا كله عندهم لغو وعند شهود
الاحدية سهو ومن انت في الرغبة حتى تعد من نفسك واين في الديار ديار حتى تعتزل بتركه او وصله او هجره
كلا بل هو الله الواحد القهار • وكان الكفارة الشرعية اما عتق واما اطعام واما كسوة فان لم يستطع ه
فصيام ثلاثة ايام فكفارتهم على موجب الاشارة اما بذل الروح بحكم الوجد او بذل القلب بحكم الشهد
او بذل النفس بدوام الجهد فان عجزت فامساك وصيام عن المناهي والاثام • وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا انما الخمر والميسر ذكر اولا النهي عن تحريم الطيبات ثم نهى في هذه الاية عن تناول الخبيثات
ومنها الخمر وقد ذكرنا تفسيرها وما حكمها والاختلاف فيها في سورة البقرة • وقال سعد بن ابي وقاص نزلت
في اربع ايات احداها اني وجدت سيفا يوم بدر فاخذته واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت
نفلنيه يا رسول الله فقال لي ضعه حيث وجدته فاعدت السوال حتى فعلت ذلك ثلاثا فنزل قوله يسالونك
عن الانفال قل الانفال لله والرسول • والثانية كنت مريضا فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اوصي بجميع مالي فقال لا فقلت اوصي بثلثي مالي فقال لا فقلت اوصي بثلث مالي فسكت
فنزل قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله بالمعروف وعمل الثلث والثالثة قالت لي امي اليس قد
امر الله ببر الوالدين فوالله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اموت او تكفر فكنا اذا اردنا ان نطعمها

تحرموا ناما بعضي فاوجرنا الطعام والشراب فنزلت الاية قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما والرابعة صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فاتيناه فاكلناه وشربنا الخمر حتى سكرنا واخذنا في الحديث وتفاخرنا بالاحساب فقالت الانصار نحن افضل منكم • وقالت القريش نحن افضل منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جزور فضرب انفي ففزره فانزل الله تعالى هذه الاية وقد ذكرنا ترتيب نزول ايات الخمر في سورة البقرة • وقال انس رضي الله عنه كنت مع جماعة منهم ابو عبيدة بن الجراح وابي بن كعب وسهيل البيضا وابو دجانة وغيرهم في دار ابي طلحة الانصاري رضي الله عنهم وكنت انا ساقيهم وهم يشربون الخمر فمر علينا رجل فقال ان الخمر قد حرمت فوالله ما توقفوا حتى قالوا اهرق ما في اناءك يا انس فاهرقته ثم ما عادوا فيها حتى لقوا الله عز وجل ولما نزلت الاية وفي اخرها فهل انتم منتهون قالوا قد انتهينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك ايها الناس ان الله قد حرم الخمر فمن كان عنده منها شي فلا يبيعها ولا يشربها • وقال انس رضي الله عنه فاراقوها حتى كانت انهار المدينة تجري بالخمر • وقال انس رضي الله عنه قدمت لحمزة زوايا خمر من الشام فقيل له اشرف ان الله تعالى انزل تحريم الخمر فالسمع والطاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقام ابو بكر وعمر وعثمان فدخلوا على حمزة ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عنزة فقال يا حمزة اين الروايا قال هذه يا رسول الله فالخلى حتى اشقها قال حمزة لا تشقها ودعني اردها الى الشام فقال لا ان الله لعن حامل الخمر وغارسها لا يغرسها الا للخمر ولعن محتنيها وحاملها الى المعصرة وعاصرها وشاربها وبايعها ومديرها واكل ثمنها • وقوله والميسر اي القمار واصله الجزور يتياسرون لانهم يتجازرون ثم يقال للنرد ميسر على التشبيه وتقدير الجزور اي جزاه اجزاء ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون لانهم جازرون ثم يقال للنرد ميسر على التشبيه او لانه قمار كذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الميسر القمار كله حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وفي التاويلات قال النبي صلى الله عليه وسلم اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها فانها من الميسر • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله • وقال علي رضي الله عنه الشطرنج ميسر الاعاجم • وقال علي رضي الله عنه لان اخذ جمرتين من نار فاقلبهما بيدي احب الي من ان اقلب كعبتين • وقوله تعالى والانصاب اي الاصنام لانها كانت تنصب فتعبد من دون الله وقد بينا اصله في اول هذه السورة • وقوله تعالى والازلام جمع زلم وزلم بضم الزاي وفتحها • قال صاحب الغريبين هي قداح كانت زلمت اي سويت واخذ من حروفها وكانت لقريش وغيرها مكتوب عليها الامر والنهي وكانت تجعل في وعاء فاذا اراد الرجل سفرا او حاجة ادخل يده فاخرج منها زلما فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي كف وانصرف • وقوله تعالى رجس اي نجس • وقيل اي مستقذر ووحده لانه وهو صفة الجمع لانه على صيغة المصدر • وقيل اي قبيح وقيل اي اثم • وقيل اي سبب عذاب • قال الله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يؤمنون قيل هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة • وقوله تعالى من عمل الشيطان اي مما يزينه ويحسنه مع قبح عاقبته كما قال في قصة موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان يقول هذه الاشيا رجس اي مما ينبغي ان تستقذر وتجتنب وهو مما يدعوا اليه الشيطان ويحسنه في الحال وهي قبيحة في المال • وقوله تعالى فاجتنبوه اي كونوا من هذا الرجس بجانب • وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي على الرجا للفوز والفلاح وقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فالعداوة ما يفضي الى التعدي بالفعل والبغضا ما يتمكن في القلب من البغض • وقوله تعالى في الخمر والميسر اي في استعمالهما • وقوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة اي يمنعكم عن ذلك فمن ايقاع العداوة والبغضا ما روينا في حديث سعد بن ابي وقاص وضرب الانصاري انفه • وروي ان قبيلتين من الانصار شربوا حتى ثملوا فعبث بعضهم ببعض فلما افاقوا راوا الاثار في وجوههم ولحاهم فقال بعضهم لو لم يكن لفلان علي ضغن لم يفعل بي هذا • وقال اخرون مثل هذا حتى كاد يهيج بينهم هيج فنزلت الاية • وقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر عن اهله وماله فيبقى حريبا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فكان يقع بينهم عداوة وبغضا فنزلت الاية في ذلك • وقوله تعالى فهل انتم منتهون استفهام بمعنى الامر اي انتهوا دلت الاية على تحريم الخمر قطعا من عشرة اوجه احدها انه قرنها بالميسر وذلك حرام فكذا ما قرن به • والثاني انه قرنها بالانصاب وهي كذلك وكذلك قرنها بالازلام وهو الثالث والرابع انه قال رجس والخامس انه قال من عمل الشيطان والسادس انه قال فاجتنبوه امر به والامر للايجاب والسابع انه وعد الفلاح وانما يدرك الفلاح باجتناب الحرام والثامن انه قال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا وما يؤدي الى ذلك فهو حرام والتاسع انه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وذلك حرام والعاشر انه امر بالانتهاء عن ذلك وانما يجب الانتهاء عما هو حرام ونظيره قوله فهل انتم منتهون شاكرون

فهل

فهل انتم مسلمون • وقال القشيري رحمه الله الخمر حرام لانها تزيل العقل وتورد السكر ومن سكر من خمر الغفلة فسكره اصعب من سكر من شرب الخمر وشرب الخمر يوجب الحد وخمر الغفلة توجب البعد ومن سكر من الخمر فهو ممنوع عن الصلاة ومن سكر من الغفلة فهو محروم من الصلاة وكما ان السكران لا يقام عليه الحد ما لم يفق فالغافل لا ينجع فيه الوعظ ما لم يتنبه وكما ان الخمر سبب كل معصية فالغفلة سبب كل بعد وحجبة • وقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي في تحريم الخمر والميسر ولا تطيعوا الشيطان في شي • وقوله تعالى واحذروا اي عقابهم في مخالفته • وقال القشيري رحمه الله كلما كان العبد اعرف بربه كان اخوف من ربه وانما ينتفي الحذر عن العبد عند تحقق العبد الوعد بقوله ان لهم الامن وذلك عند دخول الجنة • وقوله تعالى فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فان اعرضتم فقد قامت عليكم الحجة ببلاغ الرسول ذلك وبرئ الرسول مما كان عليه ولا يملك شيئا من امركم الا التبليغ الظاهر ثم الحكم لله في اثابة المطيعين ومعاقبة العاصين فاحذروا نزول عقابه وحلول عذابه وهو ابلغ وعيد وتهديد • وقوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي ذاقوا من الخمر كما في قوله ومن لم يطعمه فانه مني • قال مقاتل لما نزلت الاية في الخمر قال حيي بن اخطب فما حال من مات منكم وهم يشربونها فذكر المسلمون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اخواننا ماتوا وقتلوا وهم يشربونها فنزلت هذه الاية • وقال ابن كيسان لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون ان الله حرم الخمر وهم يطعمونها فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات من الاحيا في البلدان الخمر والقمار اذا جاءهم تحريمها وامنوا صدقوا بتحريمها ثم اتقوا ما يحرم عليهم بعد هذا بنص يرد في التحريم لبعض ما احل لهم واحسنوا فيما تعبدهم الله به والله يحب والاموات اثم فيما طعموا من الخمر والقمار • وقوله تعالى اذا ما اتقوا ما حرم الله عليهم سواهما وقيل اتقوا الشرك وامنوا بالله وعملوا الصالحات في ايمانهم ثم اتقوا الا اي الاحيا في البلدان الخمر والقمار اذا جاءهم تحريمها وامنوا صدقوا بتحريمها ثم اتقوا ما يحرم عليهم بعد هذا بنص يرد في التحريم لبعض ما احل لهم واحسنوا فيما تعبدهم الله به والله يحب المحسنين فهذا معنى الامر بالتقوى ثلاثا في هذه الاية • وقال بعض اهل المعرفة اذا ما اتقوا اي الشرك وامنوا بالله وحده وعملوا الصالحات ثم اتقوا في اعمالهم الصالحة عن شهود الخلق وامنوا بان الله وحده وعملوا الصالحات ثم اتقوا في اعمالهم بعلم السر والعلانية ثم اتقوا اعجاب النفس ليتحقق لهم الاحسان والله يحب المحسنين • وقال القشيري رحمه الله اتقى الشرك فعرف ثم اتقى الحرام فانصرف ثم اتقى الشح فاثر ونما الشرف • وقال الاول للعوام اتقوا الشرك والمعاصي وامنوا بان الامر والنهي لله والثاني للخواص اتقوا المنع وامنوا بالخلف والثالث لاشراف الخواص اتقوا شهود الخلق واحسنوا العمل لله فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والله يحب المحسنين اعمالا والمحسنين احوالا والمحسنين امالا • قال ابن جريج ان ابا عبيدة كان بالشام فوجد ابا جندل بن سهيل بن عمرو وضرار بن الخطاب المحاربي وابا الازور وهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شربوا الخمر فقال ابو جندل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فكتب ابو عبيدة الى عمر ان ابا جندل خاصمني بهذه الاية فكتب عمر ان الذي زين لابي جندل الخطيئة هو الذي زين له الخصومة فاحددهم فقال ابو الازور اتحدنا قال نعم قال فدعنا نلقى العدو غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليك فحدنا قال نعم فلقوا العدو فاستشهد ابو الازور وحد الاخران وكتب عمر الى ابي جندل ان الذي زين لك الخطيئة حظر عليك التوبة حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم لما قال لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا فقد لزمهم ان يقتصروا فيما ياكلونه او لا ياكلونه على ما حرم الله تعالى واحل ثم بين ان من المحرمات الخمر والميسر وصيد البر على المحرم • وقوله ليبلونكم الله اي بالنهي عن الاصطياد والبلوى والابتلا الاختبار وهو من الله تعالى للاظهار ما علم من العبد على ما علم لا ليعلم ما لم يعلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • وقوله بشي من الصيد وهو للتبعيض فان المحرم هو صيد البر دون البحر وصيد الاحرام دون الاحلال وصيد الحرم دون الحل • وقال الزجاج ويجوز ان يكون للتجنيس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان • وقوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم اي تصيبه • وقال الكلبي وغيره تناله ايديكم البيض والفراخ وصغار الطير بغير سلاح ورماحكم جمع رمح وكذا غيره من السلاح وهو كبار الطير التي لا تؤخذ الا بحيلة ولا تصاب الا بالسلاح • وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع من الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه وقوله بالغيب اي بالاسناد الا دون العلم الضروري وهو ايضا بمقتضى حده اي وليظهر اقدام من يخافه

على الاصطياد فيعاقبه على عمله لا على جهله فيه • وقوله بالغيب اي بالسند لا بد وان العلم الضروري الواقع بالعيان يخرج
كذلك في الايمان بالغيب اذ لا خطر للايمان ولا للخوف حالة العيان • وقيل معناه في حالة الغيبة عن الناس ومن
الخوف الحقيقي دون ما يظهر منه عند رؤية الناس فانه يكون مراءاة لا حقيقة لها كعمل المنافقين • وقوله تعالى فمن
اعتدى بعد ذلك اي اصطاد بعد هذا الابتلاء وهو النهي والبيان • وقوله تعالى فله عذاب اليم قال ابن عباس
رضي الله عنهما يضرب على ظهره وبطنه وتنزع ثيابه واسم العذاب يقع على الضرب في الدنيا • قال الله تعالى وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين • وقال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب • وقال تعالى لاعذبنه
عذابا شديدا • وقيل هو العذاب في الآخرة مع الكفارة في الدنيا اذا لم يتب منه لان الكفارة لا ترفع الذنب
عن المصر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل بن حيان كان ذلك عام الحديبية حين انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا كانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم لم يروها قط
كذلك فيما خلا فنهاهم عن اخذها وهم محرمون • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم هو جمع حرام وهو الذي احرم بحجة او عمرة وهو ايضا الذي دخل الحرم والنهي يتناولهما جميعا وانتم
الواو للحال نهى عن قتل الصيد في هذه الحالة وهو في الحقيقة نهي عن التعرض للصيد بكل وجه وخص القتل
بالذكر لانه معظم المقصود في الاصطياد وسماه قتلا اذ لا يحل بالذبح انه وان ذبحه لم يحل كما لو قتله والصيد
اصله مصدر والمراد به هنا الصيد لان القتل انما يكون فيه والمراد من الصيد ما يقصد اصطياده فهو
اسم له قبل وقوعه فيه باعتبار العاقبة ثم هو اسم للوحشي الممتنع بقوائمه او جناحيه • وقوله تعالى
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم اوجب الجزاء في قتل كل صيد فيدخل فيه عندنا ما يوكل
لحمه وما لا يوكل الا الخمس الفواسق المستثناة في الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب العقور ويلحق بها ما ابتدا فعدا على الآدمي
فقتله دفعا عن نفسه وعند الشافعي رحمه الله عنه اذا قتل صيدا حراما كول اللحم لا تلزمه كفارة وحجتنا
فيه قوله صلى الله عليه وسلم الضبع صيد وفيه كبش اذا قتله المحرم واذا قتل الصيد متعمدا فعليه
الجزاء بالنص فاما اذا قتله مخطئا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسالم وقاسم وهو مذهب
داود بن علي لا شيء عليه لان النص في المتعمد وقلنا التنصيص لا يدل على التخصيص • وقال
الحسن ومجاهد انما يجب على من كان متعمدا لقتل الصيد ناسيا لاحرامه ولو كان ذاكرا لاحرامه فلا جزاء
عليه في الدنيا بل جزاؤه الانتقام في الآخرة لآخر هذه الآية وقلنا النص مطلق فان كان في ناسي الاحرام
فانه في العمد يدل على الوجوب بالطريق الاولى لان الكفارة لرفع الاثم والاثم في العمد اكثر ولا يرد عليه
قتل العمد انه لا كفارة فيه لان الشرع اوجب القصاص وهو اغلظ من الكفارة ولا نهي ههنا فلا معنى
لمنع وجوب الكفارة مع تغلظ الاثم وعن ابرهيم النخعي ومجاهد وعطاء انهم قالوا عمده وخطاؤه سوا
وقوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم قرا عاصم والكسائي وحمزة بالتنوين ومثل بالرفع • وقرا
الباقون على الاضافة بحذف التنوين وخفض مثل واختلف الفقها في حكم هذه الآية ويختلف لذلك
تفسير الآية • قال ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله اذا قتل صيدا ماكول اللحم فقومه عدلان لهما
بصر في المكان الذي اصابه ثم الخيار بعد ذلك الى القاتل فان بلغت قيمته هديا فان شا اشترى بها
هديا فذبحه في الحرم فتصدق به على الفقرا وان شا اشترى بها طعاما فتصدق على كل فقير بنصف
صاع وان شا صام مكان كل نصف صاع يوما ان شا متتابعا وان شا متفرقا • وقال محمد والشافعي رحمهما
الله الخيار فيه الى الحكمين فان شا الحكما عليه بالهدي وان شا بالطعام وان شا بالصيام فان حكما
بالهدي اوجبا ما مثله خلقة من النعم الاهلي فيجب في حمار الوحش بقرة وفي النعامة جمل وفي الظبي شاة
وفي الارنب عناق او جدي وفي اليربوع جفرة فان لم يكن له مثل صورة كالحمامة والطيور الاخر يشترى
بقيمته هدي وان حكما بالطعام او الصوم فكما قال ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله فصار
الاختلاف في موضعين فيمن له الخيار وفي معنى المثل وعن عمر انه اوجب المثل صورة وجعل
الخيار للحكمين • وروي عن قبيصة عن جابر انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال عمر رضي الله عنه
فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره ان يذبح شاة فقال قبيصة بن جابر لصاحبه والله ما علم امير
المؤمنين حتى سال غيره فاقبل عمر رضي الله عنه يضربه بالدرة ويقول اتغمص الفتيا وتقتل الصيد
وانت محرم • قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف • ومذهب
ابي حنيفة وابي يوسف مروي عن ابن عباس وجماعة من الصحابة ولنا بيان وهو وفق الاصول والمعقول
لان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واطلاق الامة مقيد بالصورة والمعنى والمعنى
بلا صورة فاما الصورة بلا معنى فلا ولان التحكيم مع شرط العدالة انما يليق بمعرفة الصورة التي لا تحمل

الكذب وانما يليق بمعرفة القيمة التي تتفاوت ولان القيمة مرادة ههنا في الذي لا مثل له صورة بالاجماع فلا ينبغي
غيرها مرادا الا ان الاسم المشترك لا عموم له فاذا عرف بالتنوين هذا فالتفسير الصحيح على وفق هذا ان يقول
قوله فجزاء اي فعليه جزاء وقوله تعالى مثل ما قتل من النعم هو تفسير الجزاء واما قراءة الاضافة فمعناه فعليه جزاء
مثل المقتول وجزاء مثله وجزاء عينه سوا فالجزاء ما يعادل الشيء دقيقا وثمنه • وقوله ما قتل من النعم اي المقتول
من النعم فان الصيود نعم وحشية كالنعم الاهلية ولم يرد به ان الواجب في الجزاء من النعم كما قال محمد والشافعي
رحمهما الله • وقوله تعالى يحكم به اي بالتقويم • وقوله تعالى ذوا عدل منكم • وقوله هديا نصب بقوله
فجزاء اي يجزي هديا وتحذف باوه اي يجزي بهدي • وقوله تعالى بالغ الكعبة اي الحرم كما قال ثم محلها
الى البيت العتيق لان عين الكعبة ليس بمراد بالاجماع لانها تصان عن اراقة الدم فيها فاريد بها ما حولها
من الحرم الذي له حرمتها • وقوله تعالى او كفارة طعام مساكين قرا نافع وابن عامر على الاضافة وقرا
الباقون بالتنوين فيهما وهو عطف على قوله فجزاء اي وعليه كفارة وهو اطعام المساكين ان شا على ما فسرناه
وقوله تعالى او عدل ذلك صياما واو التخيير في هذه الاشيا الثلاثة يختار ايها شا والعدل المثل وقال
الفرا العدل بالفتح ما عادل الشيء من غير جنسه فيدخل فيه الفدا والقيمة وعدل الشيء بالكسر مثله من جنسه
تقول عندي غلام عدل غلامك فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين • وقال ابو حاتم العدل بالفتح وتقدير كلام
مصدر والعدل بالكسر اسم • وقال الكسائي هما واحد • وقوله تعالى صياما ليذوق وبال امره اي ثقل
ما جوزي به في بدنه او ماله واصل الوبال هو ثقل الشيء المكروه ومنه قوله فاخذناه اخذا وبيلا اي شاقا
ثقيلا ويقال استوبلت الطعام اي استثقلته والوبيل خشبة القصار والعصا الثقيلة • وقوله
تعالى عفا الله عما سلف اي في الجاهلية • وقيل قبل النهي • وقيل بالكفارة وقع العفو • وقوله تعالى
ومن عاد فينتقم الله منه اي فينتقم الله منه ولذلك رفع ولم يجزم مع انه جزاء الشرط ومعنى هذا
الكلام عند سعيد بن جبير وعطا اي من عاد الى قتل الصيد بعد ورود النهي فالله يوجب عليه الجزاء
بهذه الاشيا ولا يعفو عنه شيئا وسماه انتقاما استعارة والا لانه شاق • وقال داود بن علي لا جزاء عليه في
الثانية والثالثة لان الله تعالى اوعد عليها الانتقام وهو عقوبة الآخرة لا غير وعند عامة العلماء يجب
فيه الجزاء للعموم قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فاما الانتقام فقد بينا انه يجوز ان يكون عبارة
عن الكفارة وتاويل آخر ذكره عطا قال كانوا يستحلون في الجاهلية قتل الصيود في حال الاحرام فقال
الله تعالى عفا الله عما سلف في الجاهلية بالاسلام فمن عاد بعد الاسلام مستحلا فالله ينتقم منه في الآخرة
وقوله تعالى والله عزيز ذو انتقام اي منيع لا يغالب منتقم ممن خالفه لا يعارض • وقال القشيري
رحمه الله حرم الله تعالى الصيد على المحرم الذي قصد زيارة البيت والاشارة فيه ان من قصد بيتنا
فينبغي ان يكون للصيد منه امان لا يتاذى به حيوان فاذا الحرم لا يوذي الذر ولا يضم السرو كما ان
الصيد حرام على المحرم الى ان يتحلل فكذلك الطلب والطمع والاختيار حرام على العارف ما دام محرما
بقلبه فاذا قتل الصيد فعليه الكفارة واذا لاحظ العارف الاغيار او طمع في شيء او اختار لزمه
الكفارة لكن لا يكتفى منه بجزاء المثل ولا باضعاف ما تصرف فيه لكن كفارته بخروجه عن كل غير قل او كثر
صغر او كبر • وقوله تعالى احل لكم صيد البحر وهو ما يولد ويعيش في الماء والبط والحمام لا يدخلان
فيه لانهما يولدان في البر والبحر لهما مرعى كما هو للناس متجر • وقوله تعالى وطعامه روي عن ابي بكر وعمر
وابن عباس وابن عمر وقتادة رضي الله عنهم ان الطعام ما قذفه البحر ومنهم من احل الطافي لظاهر
هذا التفسير ولا يستقيم ذلك فان الاحاديث وردت في تحريمه وهذا فيما قذف فمات بآفة • وعن ابن
عباس في رواية اخرى الصيد هو الطري منه والطعام هو المالح منه ويدل عليه ما بعده • وهو قوله
متاعا لكم وللسيارة اي للمقيم وهم القوم المسافرون • وقوله تعالى متاعا اي متعة ومنفعة والطري
منه منفعة للحاضرين والمالح منه للمسافرين ثم هذا يقع على السمك خاصة • وعند الشافعي رحمه الله
كل حيوان في البحر فهو حلال لاطلاق هذا النص • ولما روي جابر بن عبد الله قال بعثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سرية وامر علينا ابو عبيدة بن الجراح نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر
بلياه وكان ابو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فكنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب الماء فيكفينا يومنا الى الليل فاتينا
على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم دابة ميتة تدعى العنبر فقال ابو عبيدة نحن رسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فاقمنا عليها شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد رايتنا
نغترف من وقب عينها بالقلال الدهن ونقتطع منها الفدر كالثور ولقد اخذ ابو عبيدة منا ثلاثة عشر
رجلا فاقعدهم في وقب عينها واخذ ضلعا من اضلاعها فاقامها ثم رحل اعظم بعير لنا فمر تحتها
وتزودنا من لحمها وشايق فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال

رزق اخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا منه فاكله وقد قلنا هذا نوع من السمك وهو انواع. وقال القشيري رحمه الله حكم البحر خلاف حكم البر واذا اغرق العبد في بحار الحقايق سقط حكمه فصيد البحر مباح له لانه اذا اغرق صار محوا فما دفع اليه ليس منه واليه اذ هو محو في نفسه والله غالب على امره. وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فمنهم من حمله على لحم صيد البر مطلقا حالة الاحرام وان لم يكن صاده محرم وعندنا هو على الاصطياد والنهي عنه فاما ما صاده حلال فذلك يأكله المحرم. وحديث ابي قتادة فيه مشهور قال اخذ ابو قتادة حمار وحش ونحن محرمون وهو حلال فاكلنا معه ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون قال ابن عباس رضي الله عنهما ان بني مدلج اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انا نتكلف الصيد فنصطاد من صيد البحر فربما مد البحر حتى يبلو الماء كل شيء ثم يرجع ويبقى السمك على الارض ويذهب الماء عنه فنصيبه ميتا فناكله فحلال لنا اكله فانزل الله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه ما حسر عنه الماء والقاه ولفظه متاعا لكم يقول منفعة لكم وللسيارة المسافرين وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله اي في الاصطياد في الحرم وفي الاحرام الذي اليه تحشرون تبعثون فيجزيكم باعمالكم. وقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام لما حرم الاصطياد في الحرم والاحرام وكان ذلك لحرمة البيت الحرام عقبه ذكره والكعبة سميت بها لتكعبها اي لتربيعها قال مجاهد وعكرمة. وقيل لكعوبها اي لتنوها من قولهم جارية كاعب اذا نتا ثدياها. وقيل لشرفها من قولهم هذا كعبة اي شرفه وهو من كعب القناة وهو انبوبها وكعوبها علوها وارتفاعها. وقوله البيت الحرام ترجمة وبدل عنها والقيام العماد والملاك وكذلك القوام وهو ما يستقيم به الشيء. وقوله تعالى والشهر الحرام هذا جنس اريد به الجمع وهو الاربعة اشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وقوله تعالى والهدي والقلايد فسرناهما في اول هذه السورة يقول جعل الله في حكمه وشرعه على السنة انبيائه الكعبة قواما لامور الناس ونظاما لها وكذلك جعل الاشهر الحرم والهدي والقلايد التي يوجهها الى الكعبة يامنون بقصد الكعبة ودخول هذه الاشهر وتوجيه الهدايا الى مكة شر كل ذي شر ويحتمل قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام اي جبل القلوب على ذلك وجمعهم عليه. قال مقاتل جعلها الله قياما للناس حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا وشدد الله ذلك بالاسلام. وقوله تعالى ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اي قد علم الله في الازل ان العرب يكون بينهم سفك الدماء والتناحي فجعل الكعبة مامنا ليستعملوها الى اقامة معايشهم ولا يتفانوا. وقوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب اي لمن كفر وعصى وازال الامن عن الناس مع هذه المعاني الا رجية واعتدى. وقوله تعالى وان الله غفور رحيم اي لمن امن واتقى وحفظ الحقوق وراعى. وقال القشيري رحمه الله شديد العقاب للخواص ان زاغوا عن الشهود لحظة غفور رحيم للعوام ان رجعوا اليه بتوبة وحرقة. وقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ اي تبليغ الامر والنهي والوعد والوعيد وليس عليه الحمل على الطاعة جبرا والمنع عن المعصية كرها. وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون اي بالالسنة وما تكتمون اي في الافئدة. وقيل تبدون من الطاعة وتكتمون من المعصية. وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي لا ضرر عليه في ترك القوم اجابته وهو كقوله تعالى فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين قال وفي الاية رد على من يقول لا ينجع قول القايل اذا لم يعمل بعلمه فان كان لا يعمل به ينجع قوله فانه ليس احد من الخلق اشد استعمالا للعلم من الانبياء فلم يعمل هو اعظم في بعض قومهم لسوء شهم وشدة تعنتهم. وقال في قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي من المكر به والقصد الى قتله قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فلما هموا به اطلع الله رسوله عليه وعصمه ورد كيدهم. وقال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله. وقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب قال السدي اي لا يستوي المشرك والمؤمن ولما اخبر انه يعلم ما تبدون وما تكتمون ذكر انه لا يسوي بين خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث ويثيب الطيب وان قل الطيب وكثر الخبيث وذلك قوله تعالى ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو خطاب الكل واحد من المخاطبين ونهي له عن ان يعجب بكثرة هولاء. وقال الكلبي وعطا لا يستوي الحرام والحلال وقوله ولو اعجبك كثرة الخبيث يريد ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى. وقوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب اي العقول الخالصة. وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي على رجاء الفوز بكل مطلوب والامن من كل مرهوب والاطماع من الله تحقيق. وقال القشيري رحمه الله الخبيث ما اكتسبه العبد حالة الغفلة عن الحق والطيب ما اكتسبه على شهود الحق. وقيل الخبيث ما لم يخرج منه حق الله تعالى والطيب ما اخرج منه حقه. وقيل الخبيث ما ادخرته لنفسك

قياما للناس

ينتج

والطيب

والطيب ما قدمته لامر ربك. وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء انما لم يصرف اشياء وان صرفت احياء واكفاء واسماء لان اصلها اشياء على وزن افعلاء وقالوا كان اصل الواحد شيء على وزن فعيل وجمعه افعلاء كالنصيب والانصباء ثم حذفت الهمزة تخفيفا وبقيت غير منصرفة لاجلها فاما الاحياء وغيرها فهي افعال وهي منصرفة. وفي نزول هذه الاية اقاويل فمنها ما روى ابو هريرة وانس بن مالك رضي الله عنهما انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسالة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسالوني عن شيء في مقامي هذا الا حدثتكم فاشفق اصحابه ان يكون حدث امر فبكوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه ويدعى الى غير ابيه فقال من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس السهمي فاخبرته بذلك فقالت عققتني بسوالك هذا فوالله ما كنت امنا ان تكون امك قارفت ما قارف بعض نساء الجاهلية فتفضحها على رؤس الخلايق فقال ما كان يطمئن قلبي فوالله لو الحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد حبشي للحقته وقام اخر فقال اين والدي فقال والدك مع النبي صلى الله عليه وسلم والدك معي والدي في النار وقام اخر فقال اين والدي فقال في النار ثم لم يزل يسال حتى اشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ثم قال يا رسول الله انا قريب العهد بالجاهلية والشرك فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل يقول حتى سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن غضبه ونزلت هذه الاية. وقال ابن عباس وجماعة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويخبر الناس بفرضية الحج ويقرا قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقام رجل من بني اسد وقيل هو الاقرع بن حابس وقال يا رسول الله افي كل عام فاعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه فاعاد السوال فاعرض عنه بوجهه فاعاد السوال فقال لو قلت لكل عام لوجب عليكم ولو وجب عليكم ثم تركتموه لضللتم ثم قال اتركوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه. وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتركوني ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم. وقال القفال رحمه الله ان المومنين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشياء من الغيب ومن المعجزات باشارة اليهود كما قال ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سيل موسى من قبل فنهوا عن ذلك وهو السوال عن امور لا حاجة لهم بها وعن اقتراح ايات بعد وقوع الكفاية بمعجزات ظهرت لهم من غير سوال. وقوله تعالى ان تبد لكم تسوكم اي ان تظهر لكم تحزنكم كما ظهر لذلك السايل ان اباه في النار وفي ظهور الايات المقترحة ايضا ما يسوهم فانهم لو لم يومنوا بعد ذلك اهلكوا كما قال في اخر هذه السورة ومن يكفر بعد منكم الاية وعلى هذا التفسير يكون قوله ما على الرسول الا البلاغ اي ليس عليه ايراد الايات على حسب الاقتراح. وقوله تعالى وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم اي وان تسالوا عن اشيا بعد نزول القران بها وفيها اشكال تبد لكم اي تظهر لكم وهذا اطلاق للسوال عند الانزال لحل الاشكال وتوبيخ لهم على السوال فيما لا حاجة اليه في الحال. وقيل فيه تقديم وتاخير وتقديره وان تسالوا عنها وهي مبهمة تبد لكم حين ينزل القران اي يظهر ذلك لكم في القران المنزل فيه بعد ذلك. وقوله تعالى عفا الله عنها اي عفا الله عنكم هذه السوالات التي سالتموها من غير حاجة. وقيل بل هي صفة لتلك الاسولة اي لا تسالوا عن اشيا قد عفا الله عنكم فيها اي خفف عليكم فلم يلزمكم ذلك وهو كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق. وقوله تعالى والله غفور حليم اي فلم يعاقبكم قبل الانذار. وروى ابو ثعلبة الخشني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى فرض فرايض فلا تضيعوها ونهى عن اشيا فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشيا من غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها. وقوله تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين اي سالوا ايات الاقتراح كقوم صالح سالوا الناقة ثم كفروا بها وعقروها وقوم طالوت قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقوم عيسى سالوا المايدة فقال لهم اتقوا الله ان كنتم مومنين ثم كفروا بها. وقيل اي سالوا فلما اخبروا بما كرهوا كذبوا الرسل. وقيل سالوا البيان فلما بين لهم لم يعملوا به وكانوا شددوا على انفسهم كاصحاب البقرة فلما شدد عليهم تركوا. وقال القشيري رحمه الله لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم اي اذا اسبل عليكم ستر اللطف فلا تتعرضوا لعلم ما اخفي منكم فينقض بالاخبار عليكم عيشكم ويقال لا تتعرضوا للوقوف على محل الاكابر والتسوي ذلك فيسوكم تقاصر رتبتكم. وقوله قد سالها قوم من قبلكم توهم قوم انهم محررون عن الناس فيما يعاملهم من مجاري المقادير وذلك منهم ظن كما قال بعضهم. تبين يوم البين ان اعتزامه. على الصبر من احدى الظنون الكواذب. وقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام اي ما شرع الله ذلك وما جعله من امور الدين والبحيرة الناقة التي تشق اذنها بحرت اذن الناقة ابحرها بحرا اي شققتها شقا واسعا ومنه البحر وهو اسم لا صفة ولذلك دخلت فيها الهاء في النطيحة والذبيحة والنسيكة وكانت الناقة اذا انتجت خمسة ابطن فكان اخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولم تطرد

عن ماء ولم تمنع عن مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها • وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن • وقال مقاتل ان كان ولدها الخامس ذكرا نحروه للالهة وكان لحمه للرجال لا للنساء وان كان انثى شقوا اذنها ولا يجز لها وبر ولبنها للرجال دون النساء فان ماتت اشترك في لحمها النساء والرجال • وقوله من بحيرة من لتاكيد النفي على العموم اذ لو قال ما جعل الله بحيرة وقع عند السامع انه ما جعل بحيرة واحدة بل جعل بحائر فنفى بكلمة من كل بحيرة والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت من قولهم ساب الماء اي جرى على وجهه والسائبة الحية كذلك وكان الرجل في الجاهلية اذا نذر لقدوم من سفر او برء من مرض ونحوه قال ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة وكذلك كان من كثر ماله سيب واحدة منها شكرا وكانت لا ينتفع بشيء منها ولا تمنع من ماء ومرعى الى ان تموت فيشترك في اكلها الرجال والنساء وكان الرجل اذا اعتق عبدا سائبة لم يكن بينهما عقل ولا ولاء ولا ارث والوصيلة هي التي للانثى من الغنم قال قتادة هي في البطن السابع وقال السدي الشاة اذا ولدت ثلاثة ابطن او خمسة وكان اخر ذلك جديا ذبحوه واهدوه للالهة وان كانت عناقا استحيوها وان كان جديا وعناقا استحيوهما جميعا وقالوا انها وصلت اخاها فهي فعيلة بمعنى فاعلة والحامي قال مسروق كان الفحل اذا ولد لولده قالوا قد حمى ما عليه فلم ينتفعوا بظهره وقالوا قد حمى ظهره • وقال قتادة وابو الاحوص اذا ادرك من ولده عشرة فحول قالوا قد حمى ظهره فلم يزم ولم يركب ولم يمنع من ماء ولا مرعى يقول ان الكفار لما التزموا هذه الاشياء في اموالهم وليس ذلك بشرع من الله يلزمهم الوفاء به كما يلزمهم الوفاء بالعقود بل هي طيبات حرموها على انفسهم وقد نهى الله عنها بقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم • وقيل اول من فعل كل ذلك عمرو بن لحي • وقال المقاتل هو عمرو بن ربيعة بن لحي بن قمعة بن خندف الخزاعي • وروى زيد بن اسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاعلم اول من سيب السوائب واول من غير عهد ابرهيم قالوا من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي لقد رايته يجر قصبه في النار يؤذي ريحه اهل النار واني لاعلم اول من بحر البحاير قالوا من هو يا رسول الله قال رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع اذانهما وحرم البانهما ثم شرب البانهما بعد فلقد رايته في النار وهما يعضانه بافواههما ويخبطانه باخفافهما • وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون اي يختلقون بقولهم ان الله امرنا بتحريمها واكثرهم لا يعقلون ان الله لا يحرمها وهم عوامهم المقلدون رؤساهم • وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اي قيل لاتباعهم هلموا الى حكم الله تعالى ورسوله بان هذه الاشياء محرمة • وقوله تعالى قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اي كافينا ذلك • وقوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الالف الف الاستفهام بمعنى الاستنكار والواو للعطف وفي اخره مضمر يتبعونهم اي كيف يجوز تقليد قوم لا علم لهم به ولا اهتداء لهم فيه • وقال القشيري رحمه الله اي اذا هتف بهم داعي الحق بالجنوح الى الصدق صدهم عن الاجابة ما ترنوا اليه من سهولة التقليد وان اسلافهم لم يكونوا الا في ضلال بعيد • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم نصب على الاغراء بمنزلة قوله احفظوا انفسكم بين الله تعالى في هذه السورة الحلال والحرام وما يلزم الوفاء من عقود الدين وما لا يلزم واخبر انه ليس على رسوله الا البلاغ فاذا بلغ فقد ادى ما عليه • وقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله اي الى حكم الله ورسوله ثم بالغ في ذلك بعذر اخبار اوليائه وكذا لا يضر المؤمنين ضلال الكافرين اذا كانوا في انفسهم مهتدين وهو ان يكونوا مؤمنين بكل الطاعات مطيعين وعن كل المعاصي ممتنعين فان الهداية تكون بالايمان والطاعات والاهتداء التام كذلك وبه يبطل قول من تعلق بظاهر الاية في انه لا باس بترك الامر بالمعروف فانه لا يضر المطيع معصية غيره لما قلنا ان الاهتداء المطلق هو العمل بكل الطاعات ومن ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي اذا امرتم ونهيتم • وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ايها الناس لا يغرنكم هذه الاية فيقول احدكم على نفسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم ثم لتدعن الله فلا يستجيب لكم • وفي رواية قال في اخر هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم لم يغيروا الا وشك ان يعمهم الله بعقابه • وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله هذه الاية اذل دليل على وجوب الامر بالمعروف فان قوله عليكم انفسكم معناه عليكم اهل دينكم • وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الاية فقال ما دام يقبل منكم فقولوها فاذا رد عليكم فعليكم انفسكم • وذكر قتادة عن واحد من الصحابة انه في اخر الزمان • وقال ابو امية سالت ابا ثعلبة الخشني فقال لقد سالت عنها خبيرا قال سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودع امر العوام فان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيه مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال بل اجر خمسين منكم • وقيل هذه الاية تتصل بما قبلها اي اذا

دعوتوهم

دعوتموهم الى حكم الله فلم يجيبوا وقلدوا اباءهم لم يضركم ذلك اذا اهتديتم انتم • وقال الكلبي ان المنذر بن ساوى وقيل المنذر بن عمرو الليثي كتب من هجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى والمجوس قبلوا الجزية فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم بذلك فطعن في ذلك المنافقون وقالوا عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وزعم انه رخص له في ان يقاتلهم حتى يعطوا الجزية فلا نرى محمدا الا وقد قبل من مشركي هجر ما رد على اخواننا من العرب فانزل الله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم دعوتم الى الاسلام فقد ابلغتم واعذرتم • وقوله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يجزي من ضل ومن اهتدى كلا على وفق حاله • وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون يعلمهم بما عملوا ثم يجزيهم على ما عملوا • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اختلفت الروايات في قصة نزول هذه الاية وتاويلات اهل العلم فيها • قال ابن عباس وابو موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح وابرهيم وعبيدة ومحمد بن سيرين ومجاهد وابن زيد رضوان السلم الله عليهم اجمعين الاية في الكافرين يحضره الموت في السفر فيريد ان يوصي ويدفع ماله الى الوصي فان حضره مسلمان اشهدهما على ذلك وان لم يجد مسلمين اشهد كافرين وشهادة الكافر على المسلم في مثل هذه الحالة جائزة • وقال بعضهم كان كذلك ثم نسخ ونفى شهادتهم على جنسهم بهذه الاية وقال الحسن وعكرمة وعبيدة السلماني والزهري بل الاية في شهادة المسلمين • وقوله تعالى ذوا عدل منكم اي من قبيلتكم وعشيرتكم • وقوله تعالى او اخران من غيركم اي من غير قبيلتكم وعشيرتكم ومنهم من حمل الشهادة فيها على الايمان واتصالها بما قبلها ان الله تعالى بين في هذه السورة المحرمات والمحللات ومنها الخيانات والامانات والاية فيها • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في ثلاثة نفر خرجوا تجارا من المدينة الى الشام وهم عدي بن بدي وتميم بن اوس الداري وهما نصرانيان وبديل بن ورقا بن حارثة مولى عمرو بن العاص السهمي وبديل كان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام مرض بديل بن ورقا بن حارثة مولى عمرو بن العاص السهمي هذا فكتب كتابا فيه واثبت فيه جميع ما معه من الامتعة والاموال ودسه في رحله ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم واشهدهما على وصيته وامرهما بان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا ومات فلما دفناه فتشا متاعه واخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب وهو ثلثمائة مثقال من فضة فغيباه فلما قضيا حاجتهما رجعا الى المدينة ودفعا المتاع الى اهله فلما فتح اهله متاعه وجدوا الصحيفة فيها تسمية ما معه وفيها الاناء فجاءهما المطلب بن وداعة وعمرو بن العاص وهما مسلمان من قرابة الميت فسالاهما الاناء فقالا الا هذا الذي نفضناه ودفعه الينا فقال المطلب وعمرو هل باع بديل شيئا من متاعه قالا لا قالا فهل طال مرضه فانفق على نفسه شيئا قالا لا انما مرض حين قدم البلد فلم يلبث ان مات قالا فانا قد وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية متاعه وانا فقدنا اناء من فضة كذا صفته قالا لا ندري انما دفع الينا دفعنا ما اليكم وما لنا بالاناء من علم فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية • وفي رواية معمر عن قتادة وابن سيرين وحجاج عن ابن جريج عن عكرمة في هذه القصة ذكر ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص انه هو الذي مرض واوصى ومات دون بديل بن ورقا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستحلفوهما بعد صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما قبضنا له غير هذا ولا كتمنا قال فمكثنا ما شاء الله ان نمكث ثم ظهر عليهما على اناء من فضة منقوش مموه بالذهب فقال اهله هذا من متاعه قالا نعم ولكنا اشتريناه منه ونسيناه ان نذكره حين حلفنا وكرهنا ان نكذب انفسنا فترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية الاخرى • وقوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من اهل الميت ان يحلفا انهما كتما وغيبا ثم ان تميم الداري اسلم وبايع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول صدق الله ورسوله انا اخذنا الاناء • وفي رواية اعترف تميم بالخيانة قبل الاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم يتجاوز الله عنك ما صنعت في شركك فاسلم وحسن اسلامه ومات عدي نصرانيا والشيخ الامام ابو بكر الشاشي القفال رحمه الله يحمل الاية على استحلافهما ويقول في هذه الرواية انه استحلفهما وكذلك في سياق هذه الاية انه استحلفهما • وقوله تعالى فيقسمان بالله وقوله ان ترد ايمان بعد ايمانهم قال والشهادة في القران جاءت لثلاث معان للبينة على دعوى المدعي كما في قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم ونحوها وللحلف قال تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وللحضور قال تعالى عالم الغيب والشهادة وتخريج الاية وتفسيرها على قوله هذا يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اي حلف ما بينكم واذا حذف ما خفض بينكم على الاضافة كقوله هذا فراق بيني وبينك • وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت وهو المرض لانه مقدمة الموت ويفضي اليه • وقوله تعالى حين الوصية اي في الايصاء وقت ضم الى وقت كما في قولك ايتني اذا زالت الشمس حين صلاة الظهر • وقوله تعالى اثنان ذوا عدل منكم اي يحلف اثنان عدلان من اهل ملتكم ايها المسلمون اذا كانا هما الموصى اليهما فالمدفوع اليهما

لنا المرض • وقوله تعالى او اخران من غيركم اي من غير ملتكم اذا كانا هما المدفوع اليهما المال لان الانسان يأتمن على ماله من شا كافرا كان او مسلما • وقوله تعالى ان انتم ضربتم في الارض اي سرتم وسافرتم • وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت اي اتصل الموت بالمرض • وقوله تعالى تحبسونهما اي تقفونهما للحلف امر خرج على صيغة الخبر • وقوله تعالى من بعد الصلاة قيل هي صلاة العصر فاهل الاديان كلها يعظمون ذلك الوقت • وقوله تعالى فيقسمان بالله اي يحلفان به • وقوله تعالى ان ارتبتم اي شككتم في امانتهما اعتراض شرط في تقدير التقديم • وقوله تعالى لا نشتري به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى فهذا كلام يتكلم به الحالف قبل حلفه تاكيدا لما له فيقول له القاضي اتق الله ولا تحلف به كاذبا تشتري به ثمنا قليلا فيقول معاذ الله ان اكون كذلك لا استبدل بالحلف او باسم الله عوضا يسيرا من الدنيا وان كان هذا الميت قريبنا • وقوله تعالى ولا نكتم شهادة الله اي لا نكتم شيئا بالحلف بالله والاضافة الى الله لما انه ثبت بشرعه وهو كقوله ان اجل الله اذا جاء اي الاجل الذي اثبته الله وشهادة نصب بنزع البا • وقوله تعالى انا اذا لمن الآثمين اي نأثم لو حلفنا على الكذب • وقوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما اي اطلع على خيانتهما وقد عثر على الشيء عثورا اي اطلع عليه واعثره غيره عليه اي اطلعه قال تعالى وكذلك اعثرنا عليهم واصله الوقوع على الشيء من العثرة بالرجل ويستعمل في الوقوف ايضا لذلك • وقوله تعالى فاخران يقومان مقامهما اي فان ظهرت خيانة المدعى عليهما اي ظهر الانا في ايديهما وادعيا انهما كانا اشترياه من هذا المريض قبل موته وصارا مدعيين على الوارثين وهما منكران بعد ما كانا مقام هذين فانهما صارا مدعا عليهما وصارت البينة على المدعيين واليمين على هذين الوارثين تقدما مقامهما فيصير الحلف عليهما • وقوله تعالى من الذين استحق عليهم الاوليان قرأ ابن كثير في رواية قرة وعاصم في رواية حفص بفتح التاء والحاء ومعناه استحق عليهم الاوليان رد الايمان والباقون بضم التاء وكسر الحاء على ما لم يسم فاعله • وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة الاولين على الجمع والباقون الاوليان على التثنية بالالف التي هي علامة الرفع • وقال الزجاج رفع لانه بدل من الضمير في يقومان على معنى فليقم الاوليان من الذين استحق عليهم • وقيل هو نعت لقوله فاخران يقومان وتقديره اخران اوليان وانما صح النعت بالالف واللام مع ان المنعوت بغير الالف واللام لانهما غير معينين فانصرف الكلام الى النكرة ووصفا بالقيام باليمين فصارا كالمعرفتين فنعتا بالمعرفة والاولى هو الاحق وقال سعيد بن جبير وابن زيد معناه الاحقان بالوراثة من سائر اقربا الميت • وقيل اي الاحقان باليمين واما قراءة الاولين على الجمع فنعتاه فتقديره فاخران من الاولين الذين استحق عليهم يقومان مقام الوصيين في اليمين وانما كانوا اولين لان ملك الانا كان للورثة في الظاهر فكانوا هم المتقدمين في ملك الانا • وقوله تعالى فيقسمان بالله اي الاخران الوارثان يحلفان ما نعلم ان مورثنا كان باع هذا الانا منهما • وقوله تعالى لشهادتنا احق من شهادتهما اي ليميننا احق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين • وقوله تعالى وما اعتدينا اي ما تجاوزنا الحق في يميننا • وقوله تعالى انا اذا لمن الظالمين اي ان حلفنا كاذبين • وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي شرع هذا الحكم اقرب الى ان ياتي الموصى الاوصيا بالايمان على وجهها اي بالحق دون الباطل وجمع ان ياتوا مع انهما كانا وصيين اثنين لانه ابتدا ذكر في حق الاوصيا • وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي وان يخافوا ان يحلفوا كاذبين وظهر ذلك ان ترد الايمان على الورثة بعد ايمان الاوصيا • وقوله تعالى واتقوا الله اي في الخيانة او اليمين الكاذبة • وقوله تعالى واسمعوا اي وعظ الله واعملوا به • وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يرشد الخارجين عن طاعته والذين حملوها على الشاهدين فالمعروف فتفسير الاية على ذلك ان يقال قوله شهادة بينكم هذا المصدر في معنى الشهود والتعريف وله العدد وتقديره عدد الشهود فيما بينكم اذا حضر احدكم الموت وقت الوصية اثنان عدلان من اهل دينكم او اخران من غير اهل دينكم فقد كان يوميذ من كان خارج المدينة كلهم كفارا فلا يوجد المسلم فيهم الا على السفر يقول فان لم يوجد المسلمان فيشهد الكافران • وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما اي هذين الشاهدين الكافرين • وقوله تعالى من بعد الصلاة اي صلاة العصر فيقسمان بالله ان ارتبتم اي شككتم في صدق شهادتهما فهو شرط التحليف • وقوله تعالى لا نشتري به ثمنا اي يحلفان انا لا نستبدل باسم الله عوضا يسيرا من الدنيا • وقوله تعالى ولو كان ذا قربى اي الشهادة الكاذبة تقع اما للرغبة في الرشوة او للميل الى ذي القرابة فينفيان هذين المعنيين لاثبات صدقهما في الشهادة وتحليف الشاهد كان في الابتدا ثم نسخ • وقد روي عن علي رضي الله عنه انه كان يرى ذلك عند الارتياب • وقوله تعالى ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة الحق التي شرعها الله تعالى انا اذا لمن الاثمين اي بكتمان الشهادة او تغييرها قال تعالى ومن يكتمها فانه اثم قلبه • وقوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما اي فان وقف على كذبهما في شهادتهما • وقوله تعالى فاخران

يقومان مقامهما اي في الشهادة وتقديره فشاهدان اخران يقومان مقام الذين استحق عليهم الاثم والاوليان نعتهما اي هما الاحقان بالشهادة والقبول وقراءة الاولين على التفسير نعت الذين ايضا اي يقومان مقام الاولين الذين استحق عليهم الاثم وانما جمع الذين استحق عليهم وهما اثنان وهما الوصيان لانه قال من اي هما من الذين استحق عليهم الاثم • وقوله تعالى فيقسمان بالله اي شهدا وقع الارتياب في صدقهما يحلفان ايضا لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في شهادتنا انا اذا لمن الظالمين ان شهدنا بالباطل ذلك اقرب الى ان ياتي الاولون بالشهادة على وجهها فلا يكتمون شيئا ولا يحرفون ولا يغيرون وان يخافوا ان ترد ايمانهم بايمان الاخرين وشهادتهم فاتقوا الله ولا تخالفوا امره ونهيه واسمعوا وعظه والله لا يرشد الى الاسلام القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته المختارين الكفر ما دام استواوه على اختيار الكفر • وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ذكر من اول السورة الى ههنا الاعمال وذكر ههنا يوم جزاء الاعمال ويوم نصب على الظرف لما قبله والله لا يهدي اي لا يهدي الى الجنة الفاسقين في ذلك اليوم • وقيل اضمر فيه واتقوا يوم يجمع عطفا على قوله واتقوا الله كما قال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله • وقيل اضمر فيه واذكروا يوم يجمع الله الرسل • وقوله تعالى فيقول ماذا اجبتم اي ماذا اجابتكم اممكم وهذا للاستشهاد فانهم شهدا على الامم قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ولا تقول في الابتدا للامم ماذا اجبتم المرسلين اهانة لهم كما قال واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت وقال لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقال للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • وقوله تعالى قالوا لا علم لنا اي يقولون وذكر بصيغة الماضي لانه كاين لا محالة فهو كالموجود الان وانما قالوا لا علم لنا عند بعضهم لغلبة الهيبة لما ذكر من الاهوال وخوف الاحوال • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لو كان كذلك لم يتهيا لهم الاجابة بقولهم لا علم لنا • وقوله تعالى انك انت علام الغيوب ولانهم شهدا فلا تصح الشهادة اذا زال العقل وخفي الحال ولكن لهذا وجهان احدهما انهم سئلوا عن حقيقة اجابتهم لهم بالضماير فقالوا انك لم تطلعنا على الضماير والغيوب فانت اعلم بذلك والثاني انهم كانوا احدثوا امورا من انفسهم وابتدعوها ونسبوا ذلك الى الرسل كما قال أانت قلت للناس الاية فيقولون لا علم لنا بذلك الذي ابتدعوه فلم نامرهم بذلك فتفضحهم به احتجاجهم وان لم يكن لهم احتجاج • وقيل يجوز ذلك في اول الوهلة لان طبع الانسان على انه اذا راعه امر تحير فاندهش وعلى ذلك خر موسى صعقا حين دك الجبل ويوم القيامة يجا بجهنم ولها زفير وتغيظ فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى بركبته فلا يبعد ان يلحقهم دهشة حينئذ ثم تزول فيجيبون بما علموا ويشهدون على ما شاهدوا • وقال القشيري رحمه الله يكاشفهم بنعت الجلال فتختطف فهومهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراءة عن تحقق العلم في الحال وكذا يكون الحال غدا من قال بشيء وصار بشيء مما يكون نعت المخلوق فعند ظهور اوايل الشرف لتلاشي الجملة فالملائكة يقولون ما عبدناك حق عبادتك والانبيا يقولون لا علم لنا • وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اي يعدد الله على عيسى يومئذ نعمه فيتغير بذلك الكفرة ويتبين بذلك بطلان قول النصارى في اتخاذه واتخاذ امه الهين والنعمة اسم جنس اريد بها الجمع فانه ذكر بعده اعدادا نعم الله والنعمة عليه ما ذكرنا وعلى والدته في حقها وفي حق والدته ما ذكر في سورة ال عمران فتقبلها ربها بقبول حسن الايات ودلت الاية على ان الشكر يجب على الولد بنعم الوالدين لان النعمة عليهما نعمة عليه • وقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس اي قويتك بجبريل عليه السلام • وقيل ايد بالاسم الاعظم وقد فسرناه في سورة البقرة على الكشف • وقوله تعالى تكلم الناس في المهد وهو ما قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية • وقوله تعالى وكهلا اي بعد ثلاثين سنة حين اوحى اليك بالرسالة • وقوله تعالى واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قيل الكتاب والحكمة هما التوراة والانجيل وفي كل اسم معنى اخر لشيء واحد • وقيل الكتاب كتب الاولين قبل التوراة والانجيل • وقيل هو الكتابة بالقلم والحكمة فهم الكتب • وقيل العمل بما علم علما • وقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور وتقدر باذني اي على صورة الطير • وقوله تعالى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني اي بتخليقي كما قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بتخليق الله موتها • وقوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني اي تنفع المولود اعمى والذي به برص • وقوله تعالى واذ تخرج الموتى باذني اي تخرجهم من قبورهم احيا وقد عددناهم في سورة ال عمران • وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات اي واذ منعت اليهود عن قتلك حين هموا به اذ اتيتهم بالعلامات الدالة على نبوتك • وقوله تعالى فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي فقال الجاحدون من بني اسرائيل ما هذا الذي جا به الا سحر مبين ظاهر وقرأ حمزة والكسائي ساحر وهو اشارة الى عيسى وقرأ الباقون الا سحر وهو اشارة الى ما اتى به وكيفية كف بني اسرائيل عنه ما حكيناه في سورة ال عمران • وقال القشيري رحمه الله تذكير وجوه النعم يستخرج خلاصة الحب والهيمان وحديث المذكور في كل وقت للاحباب معنى صار لهم حديثا يتلى من بعدهم اما عليهم واما عنهم • وقوله تعالى

وإذ أوحيت إلى الحواريين فسرنا الحواريين في سورة آل عمران وهذا الوحي إلهام أو وحي إلى نبيهم وبلغهم فصار كقوله
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أي إلى نبيكم فبلغكم • وقوله تعالى أن آمنوا بي وبرسولي أي عيسى • وقوله تعالى
قالوا آمنا واشهد يا عيسى بأننا مسلمون أي مؤمنون مخلصون • وقيل واشهد أي يا ربنا وكان هذا دعاءهم وهذا
من جملة ما عدد الله على عيسى من النعم قال عبيدة بن عمير كان قوله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إلى الآخرة في الدنيا
ولما خاطبه بعدد النعم لبس من الشعر وأكل من الشجر وبات حيث أمسى ولم يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء وكان
يقول مع كل يوم رزقه • وقوله تعالى إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة
من السماء قرأ الكسائي هل تستطيع بالتاء المخاطبة لعيسى ومعناه هل تقدر أن تسأل ربك على الإضمار • وقيل تستدعي
إجابة ربك والسين للسؤال وسؤال الطوع هو سؤال الإجابة فإن قولك سألتك أن تطاع لي أي أجابني وفعله
طايعا غير كاره والباقون بالياء المغايبة وربك بالرفع أي هل يجيب ربك وقد طاع له وأطاعه أي أجابه ولم يكن هذا
شكا منهم في قدرة عيسى على السؤال أو شكا في قدرة الله على الإعطاء ولكنه تلطف في السؤال والرجاء كقولك للآخر
أتستطيع أن تقضي حاجتي أو يستطيع فلان أن يقضي حاجتي بشفاعتك وفيهم منه أنك تكره هذا السؤال أو لا تكره
وفلان يكره الإجابة أو لا يكرهها وعلى هذا قوله ما كانوا يستطيعون السمع أي يكرهونه • وقوله أن ينزل علينا
مائدة من السماء قراءة التخفيف وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو على الأصل الإنزال وقراءة التشديد وهو قراءة الباقين
على أن المائدة بعد مرة على ما روي أو على أن الخامس سماء إلى سماء والمائدة الخوان عليها الطعام • وقيل معناها
المعطية وقد ماده أي أعطاه • قال رؤبة شعر •

نهدى رؤس المترفين الانداد • الى أمير المؤمنين الممتاد •

أي المستعطي يقال امتاد فلان سيده فماده أي استعطاه فأعطاه • وقيل ماد أي تحرك • قال تعالى أن تميد
بكم ومعنى المائدة فاعلة بمعنى مفعولة أي المحركة أو التي تميد الناس حولها أو هي على حقيقتها أي متحركة
قابلة للتحريك والنقل • وقوله تعالى قال اتقوا الله احذروا أن يكون سؤالكم سؤال شك • وقوله تعالى
إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم مؤمنين • وقيل هو على ظاهره ومعناه أن الإيمان يوجب التقوى • وقالوا الحكمة
في هذا الجواب من عيسى لهم كي يقولوا ما يدل على إخلاصهم وتصديقهم وأن سؤالهم لم يكن عن ارتياب فلا يقع
عند السامعين أنهم شاكون أو متعنتون وذلك قوله تعالى قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا كما قال
إبراهيم عليه السلام حين قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي تزول
الخطرات والوساوس والشبهات أو أن نأكل منها أن نكون مخصوصين بهذه النعمة • وقوله تعالى ونعلم أن
قد صدقتنا أي نعلم صدقك علم عيان كما علمنا علم استدلال • وقوله تعالى ونكون عليها من الشاهدين
أي على المائدة ونزولها شاهدين على الجاحدين بوقوع العلم بالمشاهدة ولما كان السؤال سؤال زيادة العلم
لا سؤال التعنت أجابهم إلى هذا ذلك • وقوله تعالى قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء
قال ابن عباس رضي الله عنهما قال عيسى لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألونه فيعطيكم
ما سألتم فصاموا ثم أن عيسى لبس الشعر وقام وصلى ودنا من كيفية ذلك في الغفلة إن شاء الله تعالى في
ثم دعا عيسى فقال اللهم أي يا الله أي يا ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا
تكون رفع لأنه مستقبل ذكر بطريق الصفة لا للجزاء ولو كان جزاء لجزم • وفي قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني
ويرث قرئ بقراءتين بالجزم للجزم وبالرفع على الصفة وتقديره مائدة كائنة لنا عيدا • وقوله عيدا أي [illegible]
يعاد إليه مرة بعد مرة • وقيل أي تكون ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا باقيا كالأعياد لأهل كل
[illegible] نعظمه ذلك اليوم وأضافه إلى المائدة فقال تكون [illegible] • وقيل إنها نزلت
يوم الأحد وهو عيد النصارى • وقوله لأولنا وآخرنا [illegible]
[illegible] والآخرون أي الذين يأتون من بعده • وقيل تكون المائدة طعاما لأولنا وآخرنا • وقيل [illegible]
ملتنا عليه [illegible] • وقوله تعالى وآية منك أي علامة شاهدة على صدقي في
[illegible] والوسواس • وقوله تعالى وارزقنا وأنت خير الرازقين أي أعطنا ما سألناك وأنت
خير المعطين [illegible]
وقوله تعالى قال الله إني منزلها عليكم [illegible]
منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وروي عن سلمان الفارسي

بند هذا

وحكاه

رضي الله عنه أنه قال إن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام أن يسأل الله أن ينزل لهم مائدة فقام عيسى بن مريم وألقى
الصوف عنه ولبس جبة من شعر وعباءة من شعر ثم وضع يمينه على شماله وصف بين قدميه وألزق الأخرى قدميه مع الأخرى
وسوى الإبهام مع الإبهام وطأطأ رأسه خاشعا وأرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وسدد
ومو[illegible] ويتضرع إليه إلى ربه ثم قال ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة
فوقها والأخرى تحتها مستقبضة في الهواء والناس ينظرون إليها وعيسى عليه السلام يبكي ويقول إلهي اجعلها
رحمة ولا تجعلها عذابا إلهي أسألك من العجائب فتعطيني إلهي أعوذ بك أن يكون نزولها غضبا ورجزا وأسألك أن
تجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة أو فتنة فما زال يدعو ويتضرع حتى استقرت بين يدي عيسى والناس
حوله يجدون طيب ريحها لم يجدوا قط ريحا أطيب منها فخر عيسى ساجدا وخر الحواريون معه وبلغ ذلك اليهود
فأقبلوا مغمومين مكروبين ونظروا إلى أمر عجيب فإذا سفرة مغطاة بمنديل فرفع عيسى رأسه واستوى
قاعدا ليتظرين كان خيرنا وأحسننا عملا عند ربه وأوثقنا بنفسه ليكشف عن هذه الآية حتى ننظر إليها
ونحمد لها عليها ونأكل منها فقال الحواريون فأنت أولانا بذلك وأحقنا يا روح الله وكلمته فقام عيسى وتوضأ
وضوءا حسنا وصلى صلاة حسنة وبكى بكاء طويلا ثم أقبل حتى جلس عند السفرة ثم قال بسم الله خير الرازقين
وكشف المنديل فإذا سمكة مشوية ليس لها فلوس ولا فيها شوكة يسيل السمن منها سيلانا وقد وضع حولها من ألوان
البقول إلا الكراث وخل عند رأسها وملح عند ذنبها وخمسة أرغفة على كل رغيف زيتون وخمس رمانات وتمرات
فقال شمعون وهو رأس الحواريين يا روح الله وكلمته أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى تركت
ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا فقال شمعون لا وإله بني إسرائيل ما أردت بما سألتك منه سوءا فقال عيسى نزلت وما عليها
من السماء وليس شيء منها من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة وهو مما ابتدعه الله تعالى بالقدرة البالغة
فقال لها كوني فكانت فكلوا مما سألتم واذكروا اسم الله عليه واحمدوا الحكم واشكروه يزدكم فإنه الفتاح على ما يشا
فقال الحواريون يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله بل يأكل منها الذي سألها
وطلبها وفرقا الحواريون أن يكون نزولها سخطة وفيها مثلة فلم يأكلوا منها فدعا عيسى أهل الفاقة والزمانة
من العميان والمجذومين والمختلين والمجانين ونحو ذلك من أنواع أهل البلاء من الناس فقال كلوا من رزق ربكم
ودعوة نبيكم وآية من ربكم وليكن مهنؤها لكم وبلاؤها لغيركم فأكلوا فصدر عن تلك السمكة والطعام ألف
وثلثمائة من بين رجل وامرأة شباعا من فقير جائع وذي فاقة وعيب فنظر عيسى إلى السفرة فإذا هي كهيئتها
حين نزلت من السماء ثم رفعت إلى السماء وهم ينظرون إليها صاعدة وينظرون إلى ظلها حتى توارت فاستغنى
كل فقير أكل منها يومئذ حتى مات وبرئ كل مبتلى فلم يزل صحيحا عنيا حتى مات وندم الحواريون وسائر الناس
ندامة شابت حواجبهم وأشفارها عنهم فكانت إذا نزلت بعد ذلك أقبلوا إليها من كل مكان يسعون يزاحم
بعضهم بعضا الأغنياء والفقراء والنساء والرجال والصغار والكبار وكل صحيح ومريض يركب بعضهم بعضا
فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوايب بينهم ثم كانت بعد تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما
وترد يوما فلبثوا بعد ذلك أربعين يوما تنزل ضحى فلا تزال موضوعة يؤكل منها فإذا فاء الفيء ارتفعت
صاعدة في السماء ينظرون إليها وإلى ظلها في الأرض حتى تتوارى عنهم ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام
أن اجعل مائدتي ورزقي لليتامى والزمنى والفقراء دون الأغنياء من الناس فتعاظم ذلك عند الأغنياء
وأذاعوا القبيح وارتابوا وشككوا الناس فيها حتى وقعت الفتنة في قلوب المرتاب حتى قال قائلهم يا روح
الله وكلمته أن المائدة لحق أنها تنزل من عند ربنا فقال عيسى عليه السلام ويلكم هلكتم العذاب نازل بكم
إلا أن يغفر الله ويرحم فأوحى الله تعالى إلى عيسى إني آخذهم بشرطي الذي اشترطت عليهم فإني معذب منهم من
كفر بعد نزولها عليهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فأخرهم بنزول العذاب عليهم فمسخ الله تعالى منهم ثلاثمائة وثلاثين
رجلا • وفي رواية ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا خنازير فأصبحوا يأكلون العذرة في الحشوش ويبتغون
الزبل في الطرق وكانوا باتوا أول الليل على فرشهم مع نسائهم في دورهم آمنين في أحسن صورة وأحسن رزق فأصبحوا
خنازير فأصبح الناس من بقي منهم فزعين خائفين من عقوبة الله تعالى وعيسى عليه السلام يبكي ويتضرع وهم لوم
يبكون معه عليهم وكانت الخنازير تمشي إلى عيسى عليه السلام إذا أبصرته ويطوفون إليه وينظرون حوله ويمشون
رحمة ويسجدون لدى عيونهم تسيل دموعا لا يستطيعون كلاما فيقوم عيسى عليهم فينادي بهم بأسمائهم فيقول يا فلان
ويا فلان فيقول برأسه نعم فيقول ألم أحذركم عقوبة الله فأحذركم فيقولون برؤوسهم نعم وذلك قوله تعالى لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل الآية وأنزل الله تعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
وقد خلت من قبلهم المثلات ثم أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يميتهم فأماتهم الله بعد ثلاثة أيام فما رأى أحد
من الناس لهم جيفة في الأرض وهذا العقوبة إذا نزلت من السماء استأصلت واختلفت الروايات في قدر الطعام

حلواء

الذي كان عليها او في نوعه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انزلت وعليها حيتان وارغفة • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما خبز وسمك • وقال وهب اقرصة من شعير وحيتان • وقال عمار وكعب الاحبار نزلت وعليها تمر من ثمار الجنة • وقال عطية العوفي نزلت وعليها سمكة فيها طعم كل شي • وقيل كان عليها كل شي الا اللحم • وقيل الا اللحم والخبز • وفي رواية خمسة ارغفة على احدها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقالوا لو اريتنا بهذه الاية اية اخرى فدعا الله تعالى فاحيا الحوت وعاد فيها فلوسها وشوكها ثم قال لها عودي باذن الله كما كنت فعادت • وفي رواية اكل منها الف رجل • وفي رواية خمسة الاف رجل • وروي انها نزلت يوما • وروي انها نزلت ثلاثة ايام • وروي سبعة ايام • وروي اربعين صباحا • وفي حديث الكلبي فلما اكلوا منها ورجعوا الى قراهم ومنازلهم ونشروا هذا الحديث ضحك الذين لم يشهدوها وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ومكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا • وقال ابن عمر رضي الله عنهما اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة آل فرعون ومن كفر من اصحاب المائدة والمنافقون من اهل النظر فالمائدة قال الله تعالى فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فالعيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الاية فله وجه آخر نذكره في موضعه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل ان قوما غير الحواريين سألوا الحواريين ان يسألوا عيسى ان يسأل ربه ذلك لانهم خواصه وهو كمن له الى السلطان حاجة فيرجع الى الخواص ليرفعوه اليه • وقيل ان الحواريين سألوا ذلك ولكن له وجوه احدها ما ذكرنا انهم ارادوا الطمانينة والثاني ان عيسى عليه السلام اخبرهم ان لهم منزلة عند الله فاحبوا ان يعرفوا ذلك بالاجابة والثالث انهم احبوا ان يعلموا به منزلة عيسى عند الله • وقال القشيري طلبوا المائدة لتسكن قلوبهم وكل يطلب على قدر حالته منهم من كان سكونه في فايدة من المطاعم يجدها • ومنهم من كان سكونه في فايدة من الموارد يرها ومنهم ومنهم من يجد الغنى عن برهاذ ما ملة ويان يتطلبه • وقال الشاذيني امة طلب نبيهم لهم سكونا بانزال المائدة عليهم وبين قوم بداهم الله بانزال السكينة عليهم من غير سوال احد فخيرهم • وقال لما وعدهم الانزال حذرهم بالعذاب ليعلم العالمون ان المراد اذا حصل فالخطر اشد في حقهم والخلاص الآفة اقرب فمهما كانت الرتبة اعلى كانت الآفة اخفى • وقوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى بن مريم قيل انتظامها بقوله فيقول ما اجبتم ويقول لعيسى هذا يوم القيامة ومابينهما بيان شرف عيسى انه مع منزلته هذه يخاطب يوم القيامة بهذه الهيبة • وقال السدي وقطرب قال الله تعالى له ذلك حين رفعه الى السماء • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل هذا ثلاثة اوجه احدها انه كان وهو في الارض بين اظهرهم ليكون ذلك حجة لمن اتبعه على من زاغ عن طريقته لانه تبرا ان يكون قال لهم ذلك ويحتمل انه قال له ذلك حين رفعه الى السماء وقرر عنده ان قومه يقولون ذلك بعده استعارفه ويحتمل انه يقول ذلك يوم القيمة ويكون قال بمعنى يقول كما في قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم فاكثرهم على هذا الان ما قبله وهو قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وما بعده وهو قوله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو في القيمة • وعن ابن عباس وعطا بن السايب كذلك قال عطا فارعد عيسى حتى سقط الى الارض وهو يقول سبحانك وروي انه تخلع مفاصله وتنفطر من كل شعرة منه نقطة دم وهذا حال من لم يذنب ويعلم ان الله يعلم منه انه لم يذنب فكيف حال من غرق في الذنوب اذا خاطبنا لعتاب علام الغيوب • وقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وانما خاطب بذلك عيسى دون النصارى لانهم في غاية البغض عند الله لغاية تعنتهم ما تكلموا به قال الله تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم • وقال الله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وهذا كقوله تعالى واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت ولان عيسى اصدق الناس كلهم عند النصارى فالزمهم كذبهم بقوله ثم صدقهم • وقوله تعالى قال سبحانك نزه الله تعالى عن كل سوء ثم قال ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي ما ينبغي لي ان اقول ذلك وهو ظاهر البطلان وقد قلت في الصغر اني عبد الله فكيف اقول بخلافه في الكبر • وقوله تعالى ان كنت قلته فقد علمته وهذا اعتذار حسن واضح • وقوله تعالى تعلم ما في نفسي اي في ذاتي • وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك اي في ذاتك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك • وقال المبرد اي تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وتعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي اي لا اطلع على معنى خطابك هذا • وقيل تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك • وقوله تعالى انك انت علام الغيوب وهو اسم المبالغة • وقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم اي وحدوه واطيعوه وكذلك اخبر الله عنه بقوله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم • وقال في سورة الزخرف وان الله ربي وربكم ونحوه في سورة مريم • وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي شاهدا على ما يفعلون ويقولون ما دمت فيهم مدة كوني فيهم امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر • وقوله تعالى فلما توفيتني اي قبضتني ورفعتني الى السماء • وقوله تعالى

كنت انت الرقيب عليهم اي الحفيظ والمطلع • وقوله تعالى وانت على كل شيء شهيد من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم • وقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك فان حمل هذا على خطابه حين رفع الى السماء فالكناية راجعة الى الكل ومعناه ان تمتهم على الكفر وتعذبهم بالنار فذلك ملك الحكم في ملكك وبملكك • ووجه آخر ان تعذبهم الحال فانهم عبادك وان تغفر لهم اي وان تؤخر العذاب عنهم في الحال الى الآخرة • وقوله تعالى فانك انت العزيز الحكيم المنتقم منهم في الآخرة وتأخير العذاب يسمى مغفرة قال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قيل على كفرهم • وقال تعالى وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب قال ومن عصاني فانك غفور رحيم على ذلك • وقيل وان تغفر لهم اي فان تعذبهم وتغفر لهم بذلك فانك انت المنيع في سلطانك الحكيم في امرك لا مانع لك عن مغفرتهم ولا شيء منك الا وفيه الحكمة البالغة وان حمل هذا على خطابه يوم القيامة فمعناه الخصوص من العموم فان قوله أأنت قلت للناس اتخذوني هذا عام وقوله ما قلت لهم كذلك ثم منهم من ثبت على مقالته الشنيعة ومنهم من اسلم ورجع عن ذلك وحضر الفريقان جميعا يوم القيامة فيكون قوله ان تعذبهم اشارة الى الكفار منهم وان تغفر لهم اشارة الى المؤمنين ثم في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم وهو ظاهر في نظم الاية فاما قوله فانك انت العزيز الحكيم اي مع مغفرتك انت العزيز الحكيم والعزيز في صفة الخلق المنتقم وظهور العز في الانتقام فيقول هاهنا عزك ظاهر وسلطانك قاهر وبرهانك باهر مع عفوك عن عبادك ومغفرتك ذنوب خلقك وعفو ملوك الدنيا قد يكون لضعف وعجز وعفوك لا يكون الا لفضلك واحسانك وكمال قدرتك وسلطانك فانت حكيم في كل امورك • وقال القشيري رحمه الله فانك انت العزيز الحكيم المتولي لهم بمغفرتك لهم • وقيل العزيز الذي لا يضرك ذنوبهم • وقيل العزيز القادر على الانتقام منهم والصفوح القدرة سمة الكرم • وقيل انت العزيز اي اعز من ان ينتفع بطاعة مطيع او تتضرر بزلة عاصي الحكيم تضع كل شيء موضعه • وقوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قرا نافع يوم بالنصب على الظرف اي يقول الله للانبياء ماذا اجبتم ولعيسى أأنت قلت للناس في يوم القيامة • وقرا الباقون بالرفع على الابتداء اي يقول الله ان هذا اليوم يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم في الدنيا • وقال مقاتل الصادقون الانبياء ينفعهم صدقهم وكان عيسى صادقا في الدنيا فيما قال فينفعه ذلك فكذلك ينفع النبيين فيما شهد به على اممهم يومئذ • وقال الكلبي اي ينفع المؤمنين ايمانهم والصادقون من اسماء المؤمنين قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله الى قوله اولئك هم الصادقون • وقال تعالى والذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون • وقيل الصادقون هم الموفون بالعقود التي امر الله تعالى بها في اول هذه السورة • وقوله تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم اي بالشيء المشكور • وقوله تعالى ورضوا عنه اي بالجزاء الموفور • وقيل اي بثوابه اياهم على الشيء المشكور • وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم فانه في الآخرة وهو باق والفوز في الدنيا حيز فاني • وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير اي عيسى وامه من جملة ذلك فهما مملوكان له فكيف يكونان الهين وهو قادر عليهما فهما مقدوران له فكيف يكونان ربين • وقال القشيري رحمه الله تمدح الله تعالى بتفرده بالقدرة الشاملة بجميع المقدورات الصالحة بجميع لايجاد المصنوعات فهو على كل شيء قدير من التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد والقبول والرد والاقبال والصد • وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المائدة شفع له عيسى عليه السلام واعطي مثل اجر حواري عيسى وكتب له بكل اية قراها مثل ثواب عابد بيت المقدس • والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الانعام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات • الرحمن الذي انزل من السماء ماء فاخرج به من النبات واكثر به الثمرات وانشا به جنات معروشات وغير معروشات • الرحيم الذي جعلنا خلايف الارض ورفع بعضنا فوق بعض درجات • وسورة الانعام مكية الا ثلاث ايات نزلت بين مكة والمدينة قل تعالوا الى قوله تتقون وهي مائة وخمس وستون اية • وقيل ست • وقيل سبع • وقيل ثمان • والاختلاف في اربع ايات وجعل الظلمات والنور ولست عليكم بوكيل كن فيكون الى صراط مستقيم • وكلماتها ثلاثة الاف واثنان واربعون • وحروفها اثنى عشر الفا واربع مائة وثلاثة وثلاثون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما سورة الانعام كلها مكية الا ست ايات منها نزلت بالمدينة وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلاث ايات نزلت في رد مقالة اليهود • وقوله تعالى قل تعالوا الى ثلاث ايات وتركت هذه السورة

الزجل بفتحتين اواز صوت كبي يقال سحاب زجل اي ذو رعد اكثري

حملة بمكة تشيعها سبعون الف ملك ولهم زجل بالتسبيح والتحميد حتى كادت الارض ترتج فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله وخر ساجدا ثم دعا بالكتاب وامر بكتابتها من ليلته تلك • وقال سعيد بن جبير لم ينزل من الوحي شي الا ومع جبريل اربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه رصدا الا سورة الانعام فانها نزلت ومعها سبعون الف ملك • وقال مجاهد نزلت معها خمس مائة الف ملك يحرسونها • وقال كعب الاحبار فتحت التوراة باول سورة الانعام الى قوله يعدلون وختمت في اخر سورة بني اسرائيل وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الى اخر السورة • وقيل ختمت باخر سورة هود • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا ثلاث ايات من اول سورة الانعام الى قوله يكسبون وكل الله به اربعين ملكا يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس في قلبه ضربه بها ضربة كان بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى له امش في ظل عرشي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل وانت عبدي وانا ربك • وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل علي سورة الانعام جملة واحدة تشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد • ومن قرا سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة • وانتظام هذه السورة بسورة المائدة ان تلك السورة في رد مقالات اهل الكتاب وهذه السورة في رد مقالات المشركين والثاني ان تلك السورة في بيان الاحكام وهذه السورة في بيان التوحيد وبهما تعبد الله خلقه • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك السورة بالملك وفتح هذه السورة بالحمد وقد قال تعالى له الملك وله الحمد وتقديره ان الحمد لله الذي له ملك السموات والارض هو المستحق للحمد • وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض بسطنا الكلام فيه في اول سورة الفاتحة ونختصره ههنا الثنا لله على افعاله كلها والشكر لله على نعمه كلها والرضا منا له بقضيته كلها وهو الممدوح بالصفات التي يستحقها ودل على ذلك كله الالف واللام في اوله وهما لاستغراق الجنس خلق السموات والارض اي تفرد بخلقهما ولا علاقة من فوقها ولا سلسلة من جوانبها والارض اي الارضين فقد قال ومن الارض مثلهن واسم الجنس يقع على الجمع • وقوله تعالى وجعل الظلمات والنور اي خلق ذلك كله وهو رد على الثنوية في اضافتهم خلق النور الى يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وعلى ذلك خلق كل خير وشر • وقال الحسن الظلمات الكفر والنور الايمان ودل ذلك على ان الله تعالى خالق كل افعال العباد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وجعل الظلمات والنور اي خلق الليل والنهار • وقال علي بن الحسين كل ما في القران الظلمات والنور فهو الكفر والايمان الا في هذه الاية فانه يريد بها الليل والنهار وكذا قال السدي • وقال قتادة وجعل الظلمات والنور اي النار والجنة • وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور يومئذ فقد اهتدى ومن اخطاه ضل • وقال ابن عباس خلق الله تعالى الظلمة قبل النور • وقال قتادة خلق الله السموات قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فلو لا خلق الله السموات اولا لانها اشرف من الارض وخلق الظلمة اولا لانها مثال للشك والحيرة ثم يجليها البيان والبرهان • وفي بعض التفاسير وجعل الظلمات والنور اي وقد جعل الظلمات والنور لان خلقهما كان قبل خلق السموات والارض قال وهب بن منبه اول ما خلق الله تعالى مكانا مظلما ثم خلق جوهرة فاضاء ذلك المكان ثم نظر الى الجوهرة نظر الهيبة فذابت فصارت ماء • وقيل انما جمع الظلمات ووحد النور لانه مصدر كالطول والعرض فيستوي فيه الواحد والجمع • وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وكلمة ثم كلمة تعجب تقول الرجل الاخر اني فعلت بك كذا وكذا ثم تجفوني اي من العجب هذا ونظيره في القران ثم انتم تمترون ثم يطمع ان ازيد كلا ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم ومعنى الاية ثم المشركون مع اقرارهم بان الله خلقهما يعدلون بربهم سواه اي يسوون به الاوثان • وقال قطرب يقال عدل الكافر بربه عدلا وعدولا اذا سوى به غيره فعبده والعدل التسوية عدل الشي بالشي اذا سواه به • وقال النضر بن شميل بربهم يعدلون اي عن ربهم يميلون وينحرفون وهو كقوله يشرب بها عباد الله اي منها • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يستغبهم عز وجل بما جعلوا له من الشركا على اقرارهم انه خالق السموات والارض ولم يجعلوا له شركا في تخليقهما وعلى علم منهم تتعلق منافع الارض بمنافع السماء بعد ما بينهما اي كيف جعلوا له شركا يشركونهم في العبادة والربوبية وهم يعلمون انه المنفرد بذلك كله • وقال النور ما يكشف عما استتر من ابصار الوجوه والقلوب والظلمة ما يغطي عن ابصار الوجوه والقلوب • وقال الربيع بن انس هذا اول السورة الى قوله يعدلون في التوراة ستمائة اية • وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين اي هو الله الذي خلق السموات والارض والظلمات والنور خلقكم من ادم وادم من تراب وخلط ترابه بالماء فصار طينا ثم صار حما مسنونا ثم صلصالا ثم بشرا سويا • وقال القشيري رحمه الله اثبت القوالب من الطين واودعها عجائب السرائر الطاهرة

علمها

علمها ما لم يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالاصل فالاصل تربة والوصل قربة فالاصل نطفة ونطفوة والوصل تحفة ونصرة وقوله تعالى ثم قضى اجلا اي قدر مدة • قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن هو اجل الدنيا • وقال الضحاك اجل العبد الى الموت وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وهو قول قتادة وعطا • وقوله تعالى واجل مسمى عنده قيل اي هو اجل مسمى عنده اي هذا الاجل المضروب معلوم عند الله لا يطلع عليه غيره قال تعالى وما تدري نفس باي ارض تموت واكثرهم على انه غير الاجل الاول فانه نكره ولو كان هو الاول لعرفه فان النكرة اذا اعيدت عرفت قال تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ثم اختلفت الفاظ المفسرين فيه • قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده الساعة والوقوف بين يدي الله • وقال الضحاك اجلا اجل العباد الى الموت واجل مسمى الاخرة والبعث بعد الموت • وقال قتادة ثم قضى اجلا اجل حياتك الى ان تموت واجل مسمى اجل بعد موتك الى ان تبعث • وقال الحسن ثم قضى اجلا اجل الدنيا من يوم خلقها الى ان تفنى واجل مسمى عنده يوم القيامة • وقال الضحاك ثم قضى اجلا اجل الموت لكل نفس اجل ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها واجل مسمى عنده اجل الساعة ذهاب الدنيا والافضا الى الله تعالى • وقال عطا قضى اجلا واجل مسمى عنده من مولده الى موته ومن موته الى بعثه ودلت الاية على ان الاجل واحد ودل ذلك على بطلان قول المعتزلة في الاجلين • وقوله تعالى ثم انتم تمترون اي وبعد هذا البيان انتم تشكون في البعث وثم ههنا للترتيب والتعقيب وفي قوله ثم قضى اجلا ليس للترتيب والتعقيب في الوجود بل في الاخبار اي ثم اخبركم انه قضى اجلا ولا يجوز ان يحمل على ترتيب الفعل لانه لا ترتيب في افعال الله تعالى فان القول به يوجب القول بالحدوث والله تعالى يتعالى عن ذلك علوا كبيرا او يكون هذا على ترتيب الاخبار كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة وقوله ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وقوله ثم كان من الذين امنوا • وقال القشيري رحمه الله جعل الله تعالى للامتحان اجلا وللامتنان اجلا فاجل الامتحان في الدنيا واجل الامتنان في العقبى قالوا ويقال للمريد للطلب اجلا وهو وقت المهلة ثم عقبه باجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة للمبتدي والوصلة للمنتهي • وقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض قال ابو روق هو معبود في السموات ومعبود في الارض • وقال ابن عباس هو اله واحد في السموات وفي الارض لا شريك له وهو كقوله تعالى وهو الذي في السما اله وفي الارض اله • وقيل اي هو المستحق للعبادة في السموات وفي الارض وذلك بشهادة السموات والارض بالالهية كما قال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض فلا يبطل انكار الهيته انكار من انكرها • وقيل اي هو المنفرد بالتدبير فيهما وهو كما يقال فلان هو الملك في بلد كذا او لا يراد به انه فيهما بالذات بل بالملك والتدبير • وقوله تعالى يعلم سركم وجهركم قيل هو متقدم في التقدير اي هو الله الذي يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل بل هو منفرد في موضعه وتفسيره ولما قلنا يعلم سركم وجهركم • قال مقاتل اي يعلم سر اعمالكم وجهرها • وقيل يعلم ما تسرون من القول وما تجهرون به وهو كقوله سوا منكم من اسر القول ومن جهر به • وقوله تعالى ويعلم ما تكسبون اي ما تعملون من خير او شر • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل اي يعلم سركم اي ما تضمرون في القلوب وجهركم ما تنطقون به ويعلم ما تكسبون من الافعال التي تعمل بالجوارح يعلم ذلك كله فيحصيه ويحاسبكم به ويجزيكم عليه • قال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله قال وقيل يعلم سركم اي ما خلق في اعضائكم من الاسرار كالسمع في الاذن والبصر في العين والشم في الانف والنطق في اللسان وجهركم اي ظواهر هذه الاعضاء والبشر لا يعرفون ماهية هذه الاسرار وحقايقها • وقوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من في الاولى لتاكيد النفي وتعميم المذكور وفي الثانية للتبعيض • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل من ايات توحيد الله وايات اثبات رسالة محمد ويحتمل ايات اثبات البعث بعد الموت بما اخبر الله خلقهم من طين فاذا ماتوا صاروا ترابا فاذا كان انشاهم من تراب يجوز اعادتهم من تراب قال ويحتمل ايات القران ويحتمل المعجزات • وقوله تعالى الا كانوا عنها معرضين اي منصرفين بقلوبهم عن تاملها فلا ينتفعون بها وانما ينتفع بها من تاملها وتفكر فيها وسورة الانعام نزلت في محاجة المشركين في اثبات الصانع وتوحيده واثبات البعث بعد الموت ولو لم يكن له معجزة اخرى لكان القران معجزة حيث عجز الكل من الاتيان بمثله وفيه دليل وجوب محاجة منكري التوحيد والزامهم بالحجة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من اية هي انشقاق القمر وكان بمكة الا كانوا عنها معرضين اي مكذبين ولذلك ذكر التكذيب فيما بعده وهو قوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم • وقال مقاتل فقد كذبوا اي ابو جهل والوليد وامية بن خلف • وقوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي اخبار ما كانوا يسخرون به من ايات الله تعالى بنزول العقوبة بمن جحدها • وقيل اي سيحل بهم من العقوبة ما ينتشر به الاخبار سمي ما يخبر به خبرا على المجاز • وقوله ما كانوا اي يظهر لهم عند حلول العقوبة عاقبة ما كانوا منهم وهو عقوبة

الماضي والآمن جميعا فقد جرى عليهم في يوم بدر وغيره ما جرى وقد قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وبيان
تفصيل ذلك في تلك الاية ان شا الله تعالى • وقال الامام ابو منصور رحمه الله بالحق اي ببعث محمد فان نبينا
عليه الصلاة والسلام من اول نشوه الى اخر عمره عصم فلم يات منه ما يستقبح فقد دل ان ذلك انما كان لما جعل
الله اية وموضعا لرسالته مع ما كان له من اية عظيمة واعلام عجيبة وقال في قوله فسوف ياتيهم انبا ما كانوا
به يستهزءون كان النبي صلى الله عليه وسلم يعدهم العذاب فقالوا عجل لنا قطنا • وقال يستعجلونك بالعذاب
وقالوا فامطر علينا حجارة من السما يقول الله فسوف ياتيهم سيدفعهم هذا الخبر • وقوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من
قبلهم من قرن نكرة في موضع النفي فعمت وصار كقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون والقرن اهل كل عصر
سموا به للاقتران من بعضهم ببعض • وقال الزجاج القرن اهل كل عصر فيه نبي وعالم عظيم سمو لذلك لاقترانهم
به وعلى ذلك لا يقع الاسم على اهل الفترة • وقيل مدة ذلك سبعون سنة • وقيل ثمانون سنة • وقوله تعالى
مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم التمكين في البلاد اعطا المكنة والمكانة والعلو والغلبة • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اعطيناكم ما لم نعطكم يعني وسعنا عليهم في كثرة العبيد والمال والانعام ومكنته ومكنت له
اذا قويته على الشي • وقوله تعالى وارسلنا السما عليهم مدرارا اي السحاب دارا بالمطر بكثرة علاقتهم
وبمنمو مواشيهم • وقوله تعالى وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي كثرت مياه الانهار بكثرة الامطار
تفجرة العيون • وقوله من تحتهم اي من تحت اشجارهم وقيل اي من تحت قصورهم وكانوا يجرونها حيث شاؤا
في السواقي الى المزارع والى الحدائق • وقيل اي من تحت قصورهم وهم مشرفون عليها ينظرون فيها • وقوله تعالى
فاهلكناهم بذنوبهم اي بتكذيبهم انبياءهم وتكفرانهم نعم الله ولم ينفعهم ذلك ولم يدفع عنهم العذاب • وقوله
تعالى وانشانا من بعدهم قرنا اخرين جمع للمعنى لانه اسم للطائفة ونحوها اي خلقنا بعدهم قوما اخرين
ليحذروا ان ينالهم مثل ما نال اولئك اذا فعلوا فعلهم وانما قال الم يروا مع انهم لم يدركوهم لانه عني به اقواما
قد تقرر عندهم اخبارهم من عاد وثمود واصحاب مدين ونحوهم فصار كانهم شاهدوهم ثم ادخل اللام في قوله
ما لم نمكن لكم ولم يدخله في قوله مكناهم لانهما لغتان مكنه ومكن له فجمع بينهما في اية كما جمع بين الامهال
والتمهيل في اية وهما لغتان في اية وهي كقوله فمهل الكافرين امهلهم رويدا ونظيره التمكين النبوية ده
وتعديه ذلك باللام وغيرها • قال تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت • وقال تبوئ المومنين مقاعد
للقتال فجمع بين اللغتين في ايتين • وقال القشيري رحمه الله يقول ان من تقدمهم كانوا اشد تمكنا
من امثالنا واكثر شيئا في الظاهر من الناس سهلنا لهم اسباب المعاش ووسعنا عليهم ابواب الانتعاش
فجبن وطغوا على كواذب المنى فلو بهم واد ركوا من احوال الدنيا محبوبهم ومطلوبهم فتحنا عليهم من
مكامن التقدير ما ابرزنا لهم من غوامض الامور ما فرعوا عليه سن الندم • وذاقوا دونه طعم الالم
ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين واورثناهم مساكنهم • واسكناهم اماكنهم • فلما انخرطوا في الغي في
سلكهم الحقناهم في الاهلاك بهم • سنة منا في الانتقام امضيناها على اعدائنا • وعادة في الاكرام
اجريناها لاوليائنا • وقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين قال الكلبي اي ولو نزلنا عليك كتابا اي القران في صحيفة اي مكتوبا في بياض فلمسو
بايديهم اي مسوه ولم يقل عاينوه بابصارهم لان ذلك ثابت مقتضى الانزال وهو مكتوب معاين فاراد
به المعتنين اي عاينوه بابصارهم ومسوه بايديهم لقالوا ما هذا الا سحر ظاهر نزلت في النضر بن الحارث
وعبد الله بن امية المخزومي ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله
جملة ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت هذه الاية ونهيا
نقطع طمعهم عن ايمانهم وهو في قوم علم الله منهم انهم لا يومنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وتقطيع هذا الاقتراح قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه • وقوله تعالى وقالوا لولا
انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون اي قالوا هلا انزل عليه ملك يشهد له
بالنبوة ولو انزلنا ملكا كما يلتمسونه ليشهد له بالنبوة ويكون معه نذيرا يشاهدونه فلم يومنوا به
لفرغ من امرهم بانزال العذاب المستاصل عليهم من جزائهم لهم وهو كقوله لوما تاتينا بالملائكة ان كنت
من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق اي حين يجي العذاب عليهم وما كانوا اذا منظرين • وقال
ابن عباس رضي الله تعالى انهم تعجبوا من ارسال محمد كما قال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا لولا بعث الله
بشرا رسولا والجواب عنه ان ذلك فلما لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين الاية وقال في هذه الاية
ولو انزلنا ملكا على صورته لمات الناس من هيبة رؤية صورته لان البشر لا يطيقون رؤية الملك على صورته
وقال مجاهد ولو انزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة اذ انزال الملائكة على صورهم انما يكون في الغيبة
ومنه قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لا يفهم فيهما سالوا لولا انا لو انزلنا ملكا لجعلناه في صورة

رجلا

رجل اذ لو انزلناه على صورة الملك لم يطيقوه على العادة التي اجراها للناس واذا لم يعاينوه لم ينتفعوا بكلامه ولقالوا الذي
انه صورة ملك او غيره ولو جاءهم باية لكان لهم ان يقولوا انما عجزنا عن معارضتك لانك غير جنسنا لا انه اية من الله واذا لم
يجز ان يكون على صورة ملك لهذا وجب ان يجعل في صورة رجل لهم ان يسالوا الدلالة انه ملك جعل رجلا • وقوله تعالى
وللبسنا عليهم ما يلبسون ولو وقع الالتباس ههنا كما يقع في ارسال البشر والالتباس والتلبيس تخليط الامر واضافته
اليه على معنى انهم لا ينكرون في محمد انه بشر ولا ينكرون انه رسول ولو انزلنا ملكا في صورة رجل لانكروا رسالته وانكروا
كونه ملكا وكان ذلك بانزالنا فيكون اللبس منا حينئذ • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ولا يجوز اضافة اللبس الى الله
تعالى ابتدا ويجوز على وجه الجزاء كما في الاستهزا والمكر والخداع • وقال القشيري رحمه الله اجرى الله تعالى من كمال
قدرته في ابتدا ما يريد بخليقته وانه يعذب ما قضى لهم الضلال فلو اشهدهم كل دليل وا وضح لهم كل سبيل ما ازدادوا
الا تماديا في الضلال والنفرة وانهماكا في الجهل والفتنة • وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قال الزجاج اي نزل بهم مكروه من جهة فعلهم وقال تعالى ولا يحيق المكر
السيئ الا باهله • وقال مقاتل فدار بهم وكانوا يستهزءون بوعيد العذاب فنزل بهم ذلك وفيه تسلية النبي صلى الله
عليه وسلم على انه ليس بمخصوص به فان سائر الانبياء فعل بهم كذلك وفيه وعد له بنصرته واهلاك عدوه • وقوله
سخروا منهم قيل اي من الانبياء تعدية لفعل السخرية • وقيل اي من الامم فان منهم من لا يسخر فهذا وعيد لمن يسخر
منهم على الخصوص • وقوله تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قال ابن
عباس رضي الله عنهما اي سافروا فاعتبروا بخراب بلادهم وزوال سلطانهم بتكذيبهم انبياءهم وهو كقوله تعالى
وانهما لبامام مبين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
اراهم ايات سمعية وعقلية فلم ينفعهم ذلك فامرهم بالنظر في الايات الحسية • وقال القشيري رحمه الله يقول
دوخوا الارض واستحوا الطول منها والعرض ثم انظروا اهل تقلت من حكمنا احد وهل وجد من امرنا ملتحد
وقوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله اي قل للكذبين المستهزئين لمن ملك ما في السموات والارض
وكانوا مقرين بان الله هو الخالق والمالك فليس لهم ان يجعلوا مع الله من خلقه وملكه شريكا وكذا اذا كان ذلك
كله له فهو قادر على ابتغاطهم بالعذاب وانشا لعذاب الاولين حديث الوجيبين • وقوله قل لله اي انهم يقولون
هم انه لله فقل انت انه لله • وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة اصله وجب ولكن لا يجوز الاجرا على ظاهره
فان العبد لا يجب له على الله شي لكن سبيله سبيل ما ذكر بكلمة على من قوله على الله رزقها علينا نصر المومنين
والمراد به انه وعد ذلك وعدا موكدا وهو منجزه لا محالة • وقال الحسن حكم على نفسه بالرحمة للتوابين ان
يدخلهم الجنة فانما يدخلونها برحمته لا باستحقاقهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله كتب ربكم على نفسه الرحمة
اي يجمع لهم الجمع يوم القيامة وفيه اثابة المطيعين وتعذيب العاصين وذلك داع في الدنيا الى التوبة
وترك المعصية وفعل الطاعة وهو من الرحمة • وقيل من رحمته تاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة وهذا
من رحمته في حق هذه الامة فان الامم الماضية عذبوا لما كذبوا • وقوله تعالى ليجمعنكم هذا قسم الى يوم القيامة
قيل الى زايدة وقيل الى بمعنى في • وقيل هي بمعنى اللام • وقيل اي ليجمعنكم في القبور الى يوم القيامة وهي
الغاية • وقيل اي ليجمعنكم في الدنيا بالحاق المتاخرين بالمتقدمين الى ان يجمعهم يوم القيامة • وقوله
تعالى لا ريب فيه اي لا شك في الجمع وله وجوه ذكرناها في اول سورة البقرة • وقوله تعالى الذين خسروا
انفسهم فهم لا يومنون الخسران ذهاب راس المال اي من فاته نفسه وهلكت في الحقيقة فهو الذي لا يومن
وقال القشيري رحمه الله قل لمن ما في السموات والارض سايلهم هل في الديار ديار يا وهل للكون بعد الحق بعتاد
فان نفوا هل جواب يشفي فقل الله في الربوبية يكفي • وقال في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي اخبر وحكم
واراد كما علم فمن تعلق بجانبه فله سبق بذلك نه حكم ومن علمه في ازاله انه يشقى بعبد رشقاية فيا له ليس يبتغي
وقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي وله
ما استقر في الليل والنهار من خلق • وقال ابو روق ان من الخلق ما يستقر نهارا وينتشر ليلا ومنها ما يستقر
ليلا وينتشر نهارا • وقيل اراد به سكون الاشيا بقدرته وحفظه • وقيل معناه وله ما سكن وتحرك لكن اكتفى
باحدهما لعلم المخاطب به اختصارا كما في قوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد • وقيل سكن اي تمكن وهو لكل
متحرك وساكن اخبر بمجموع كل الايتين انه خالق كل زمان ومكان وله ما يحويه الامكنة والازمنة • وقوله وهو
السميع العليم اي لما يقولونه العليم بما يفعلونه • وقال الكلبي ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد انا قد علمنا انه ما يحملك على هذا الذي تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجمع لك من اموالنا ما يغنيك
حتى تكون من اغنانا فنزل قوله وله ما سكن في الليل والنهار اي ما استقر في الليل والنهار من خلق • وقال
السميع لمقالة قريش العليم من حيث يرزقهم • وقال القشيري رحمه الله اي الحادثات لله ملكا وبالله ظهورا
ومن الله بدا والى الله رجوعا وهو السميع لانين المشتاقين العليم بحنين الواجدين • وقوله تعالى قل اغير الله اتخذ

وليا استفهام بمعنى التوبيخ اي قل يا محمد للمشركين اتجوزون ان تطلبوا مني ان اتخذ غير الله متوليا اي بالحفظ والكفاية والنصرة كما تعلمون انتم فاتخذتم من دون الله اولياء فيحتمل انهم دعوه الى موافقتهم على الشرك فنفى الله لهم ذلك ويحتمل انه تلطف في الجواب استدعا لهم الى الاجابة فان اريد اتتخذون انتم غير الله وليا • وقوله تعالى فاطر السموات والارض خفض لانه نعت لقوله اغير الله اي هو مبتدئهما ومخترعهما • قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا ادري ما الفاطر حتى رايت اعرابيين يتخاصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأت حفرها فعلمت انه ابتدا الخلق • وقوله تعالى وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق غيره ولا يرزقه احد يقال فلان مطعم للضيف اي يرزق منه وهذه طعمة فلان اي رزق له • قال ابو تمام • ومطعم النصر لم تكهم اسنته • يوما ولا حجبت عن روح محتجب • وهو كقوله لا نسئلك رزقا نحن نرزقك • وقيل هو على ظاهره اي هو الذي يغذي الخلق وهو غني بذاته عن كل شيء منزه عن الوصف بالطعم وهو غني والخلق فقرا اليه • قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله الاية • وقال القشيري رحمه الله له وصف الكرم فلذلك يطعم وحق القدم فلذلك لا يطعم • وقوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم اي مما يكون لي الا اتولى غير الله فقد امرت بهذا ومعناه ان اكون اول من خضع وانقاد من العرب او من اهل مكة او من اهل العصر والاسلام هو الاستسلام ولا تعلق به لمن قال ان الايمان لا يلزم الا بعد ثلاث او لثلثه • وقوله تعالى ولا تكونن من المشركين انما صلح عطف النهي على الخبر لان تقديره الا قيل لي اسلم ولا تكونن من المشركين وقد ذكرنا معنى النهي عن الشرك في حقه في مواضع • وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي قل يا محمد لاهل مكة اني اخاف ان عصيته فعبدت غيره عذاب يوم القيامة ووصفه بالعظيم لان فيه الامور العظام • وقوله تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر يصرف بفتح اليا اي من يصرف الله عنه العذاب يومئذ • وقرا الباقون بضم اليا على ما لم يسم فاعله اي من يصرف عنه عذاب يوم القيامة فقد ذكر العذاب في الاية الاولى • وقوله فقد رحمه اي رحمه الله • وقوله تعالى وذلك الفوز المبين لانه دايم لا زوال له فليس كفوز الدنيا انه ينقطع • وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ان يصبك الله بفقر او مرض او بلية فلا كاشف له الا هو • وقوله تعالى وان يمسسك بخير اي بغنى وسعة في الرزق وصحة في الجسم ونحو ذلك • وقوله تعالى فهو على كل شيء قدير من السعة والضيق وهو تحقيق قوله اني امرت ان اكون اول من اسلم فانقاد لله فاقر انه لا يتخذ غيره وليا وهو المالك للنفع والضر • وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير القهر القدرة على الغلبة والقهار مبالغة في صفة القاهر وفوق ليس بصلة لقوله وهو القاهر بل هما كلامان تامان وتقديره وهو القاهر وهو فوق عباده وفوق ليس للمكان فان الله خالق كل مكان وقد كان ولا مكان وهو الان على ما كان ولكن اريد به الجلال والعلو وهو مستعمل في اللغة لذلك • قال تعالى وانا فوقهم قاهرون عنوا به العظمة والجلال لا الارتفاع في المكان والحكيم العالم بتدبير الصنعة المانع عن الخلل والخبير العالم باسرار العباد وعلانيتهم بقول وهو القاهر القادر الحكيم في افعاله فتعالى العالم باحوال العباد فلا يستوي يوم القيامة بين من اطاعه ومن عصاه فلا ينبغي ان يتخذ ولي غيره ولا ينبغي ان يجعل له شريك ولا ينبغي ان تخاف المشركين اذ ينالوك بسوء • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه جميع ما يحتاج اليه اهل التوحيد في التوحيد لانه القاهر والخلق مقهورون ومن البعيد ان يكون بين القاهر والمقهور مشابهة ومشاركة وجميع التوحيد يدور على هذين • وقال القشيري رحمه الله وان يمسسك الله بضر الاية انما يحصل من البلاء ما يتصل بك في العنا • وقال في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده علت رتبة الاحدية صفة البشرية فهذا لم يزل وهؤلاء لم يكن فحصل ومتى يكون البقا للحدثان مع وضوح هذا السلطان • وقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك لما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فارنا من يشهد انك رسول كما تزعم فانزل الله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة ودل هذا على انه يجوز اطلاق اسم الشيء على الله عز وجل فانه عبارة عن الموجود والله تعالى موجود يعني قل يا محمد للمشركين اي شيء اعظم شهادة في الصدق والتحقيق فسيقولون الله لا انه هذا قولهم في الشرك • وقوله تعالى قل الله شهيد بيني وبينكم اي قل لهم بعد هذا هو الله شهيد بيني وبينكم على اني قد بلغتكم وتبرات من ان اتخذ وليا غيره • وقوله تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به اي فانما اوحي الي هذا الكتاب لاخوفكم من عذاب الله • وقوله تعالى ومن بلغ اي وجميع من بلغه هذا ممن غاب عن بلدكم اي تاخر عن عصركم وتحذف الكناية في الموصول يقال من اكرمت ابوك اي اكرمته • وقال مجاهد اي من بلغه من الاعاجم وغيرهم • وقال مقاتل ومن بلغه من الجن والانس • وقال سعيد بن جبير ومن بلغه القران فكانما راى النبي عليه السلام وهو في حق كل الخلق الى يوم القيامة • وقوله تعالى ايتكم

لتشهدون

لتشهدون هذا الى اخر هذه الاية متصل بما قبله • وقوله تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ هذا استفهام بمعنى التوبيخ • وقوله تعالى ايتكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد اي انكم انشهدتم بذلك فاني لا اشهد به • وقوله تعالى قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون معناه سلهم اتشهدون فان شهدوا فانه من العجب ان يشهدوا فاشهد بعد وضوح البيان فان لجوا وشهدوا فقل لا اشهد معكم وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وقد بينه في موضع اخر فقال فان شهدوا فلا تشهد معهم وهذه الشهادة من الله باقامات الدلالات ونصب المعجزات كما بينا ذلك في قوله تعالى شهد الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفي الاية دلالة على ان البشارة والنذارة يكونان ببعث اخرين بشيرا ونذيرا وهو دليل لقول اصحابنا ان من حلف اي عبد من عبيدي بشرني بكذا فهو حر فبشره برسول او كتاب عتق • وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال الحسن وقتادة والزجاج يعرفون محمدا اي ان اهل الكتاب الذين يرجع اليهم هؤلاء المشركون في السؤال يعرفون ان محمدا رسول حق كما يعرفون ابناءهم اولادهم لذكره في كتابهم وقد ذكرنا حديث ابن سلام فيه في سورة البقرة • وقال مجاهد يعرفون ان الاسلام دين الله وان محمدا رسول الله يجدون ذلك مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويجوز ان يكون معنى الذين اتيناهم الكتاب اي القران وقد ارادوا ان ياتوا بمثله فعجزوا وامتنعوا فلزمهم التحدي وثبتت لهم به المعرفة • وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم يجوز ان يكون نعتا لقوله الذين اتيناهم الكتاب ويجوز ان يكون مبتدا وخبره قوله فهم لا يؤمنون وقد فسرناه في هذه السورة • وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام بمعنى الكلام اي لا احد اظلم ممن افترى على الله فزعم ان له شريكا او ولدا او وصفه بما لا يصف به نفسه • وقوله تعالى او كذب باياته اي بالقران وبمحمد • وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوز المشركون واهل الكتاب بما اتوا على ظلمهم • وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اي لا يفلح الظالمون ايام الدنيا ويوم نحشرهم • وقيل اي واتقوا يوم نحشرهم اي نبعثهم ونجمعهم كافة ثم نقول للمشركين اين من اشركتموه بالله من الهتكم رجاء نفعهم اياكم عند الله اضاف الشركا اليهم في هذه الاية لانهم هم الذين جعلوها شركاء لله وهو كقوله في الاجل انه قال ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر • وقال فاذا جاء اجلهم اضاف الاجل الى نفسه في اية لانه هو الجاعل واضافه اليهم في اية لانهم هم المجعول لهم • وقوله الذين كنتم تزعمون اي تقولون • وقال القشيري رحمه الله يجمعهم يوم الحشر والنشر لكنه يفرقهم في الحكم والامر فالبعث يجمعهم قال الله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير • وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا قرا حمزة والكسائي بيا التذكير فتنتهم بالنصب وهو خبر كان والاسم قوله الا ان قالوا لان ان مع الفعل مصدر وتقديره الا قولهم بالرفع • وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر وابو عمرو بتا التانيث وفتنتهم بالنصب وعلى هذا يكون تقديره الا مقالتهم بالرفع فيكون اسما وفتنتهم خبرا • وقرا ابن كثير في رواية شبل وابن عامر وحفص عن عاصم بتا التذكير وفتنتهم بالرفع وهو اسم والتذكير لتقدم الفعل عليه ولان تانيثها غير حقيقي ولانه مصدر بمعنى الفتن • وقوله تعالى والله ربنا قرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء اي يا ربنا والباقون ربنا نعتا لقوله والله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ثم لم تكن معذرتهم حين قيل لهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فكذا قال قتادة وتسمية معذرتهم فتنتهم اي شركهم في الدنيا • قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة • وقيل سمي المعذرة فتنة لانها صارت بلية لزمتهم بها الحجة وعذابا • وقال الزجاج معناه ثم لم يكن عاقبة فتنتهم اي كفرهم الا تبريهم عنها بقولهم ما كنا مشركين • وقوله تعالى ما كنا مشركين اي عند انفسنا بل كنا موحدين باقرارنا ان الخالق والرازق واحد فانما عبدنا الاصنام ليقربونا الى الله زلفى • وقال الحسن هذا في المنافقين كانوا يكذبون في الدنيا ويروج كذبهم فيظنون في الاخرة انه يروج كذبهم فيقولون ذلك وهو كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم • وقال مجاهد هذا قول جميع المشركين اذا جمع الله الخلايق وراى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة الرسول للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فاذا قال الله تعالى لهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم فتشهد عليهم ايديهم وارجلهم • وقوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم قيل يقول الله تعالى حينئذ لمحمد انظر كيف كذبوا على انفسهم بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين • وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون اي تلاشى افتراؤهم انا نعبدهم ليشفعوا لنا فلم يحصل ذلك • وقيل اي اشتغل عنهم الالهة التي كانوا يفترون على الله بجعلها شركاء له فعلى الاول ما المصدر وعلى الثاني للاسم • وقال القشيري رحمه الله هذا الذي اخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا على ذلك الاقسام ولو كان لهم بالله علم لعلموا بانه يعلم سرهم ونجواهم فلا يخفى عليه شيء من اقوالهم واحوالهم لكن الجهل الغالب عليهم استنطقهم بما رجع بالفضيحة عليهم • وقوله تعالى

وقيل المشركون

اين الذين كنتم تزعمون

وسقط الى

ومنهم من يستمع اليك اي ومن هؤلاء الظالمين من يستمع اليك كالمظهر للقبول والانقياد وهو مصر على الجحود والعناد
وقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه اي اغطية جمع كنان وهو الغطاء وقد كن الشيء اي اصانه واكنه
اي غطاه • وقوله تعالى وفي آذانهم وقرا اي جعلنا في اسماعهم ثقلا وليس ذلك باجبار بل هو عقوبة على اختيارهم
الكفر على اصرارهم ويدل عليه ما بعده وهو • وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها اي كل آية اقترحوها وقيل
الآيات المعجزة وغيرها وهو في قوم علم الله منهم الاختيار للكفر على الابد اي يبدلون الشبهة فيها ويقولون لعلها
سحر ولعلها اساطير الاولين • وقوله تعالى حتى اذا جاؤوك يجادلونك اي يحاجونك • وقوله تعالى يقول
الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين قال ابن عباس رضي الله عنهما اي احاديث الاولين التي كانوا
يسطرونها اي يكتبونها • وقال ابو عبيدة واحدها اسطارة وهي الترهات • وقال الاخفش قيل واحدها
اسطارة كالاصبارة وقيل اسطورة كالاضحوكة قال وهي عندي لا واحد لها وهي كالعباديد والابابيل • وقال
الزجاج هو جمع جمع سطر واسطار واساطير • وقال الكلبي استمع ابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة
والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحارث بن عامر استمعوا
الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر بن الحارث ماذا يقول محمد قال والذي جعل الكعبة بنية
ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية
الاولى وكان النضر كثير الحديث عن القرون • وقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل
كلا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الى حديثك • وقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي غطاء وغشاوة
ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه • وقال الحسن اي لئلا يعقلوه كقوله يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول • وقوله
ولكن المنافقين لا يفقهون اي لا يعقلون عن الله • وقال محمد بن اسحاق كل ما في القرآن من ذكر الاساطير فهو
من قول النضر بن الحارث كان يسافر الى ارض العجم فيحفظ حديث رستم واسفنديار ويعارض به القرآن
وقوله تعالى وهم ينهون عنه اي هؤلاء الكفار ينهون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعن
الاستماع منه قاله مجاهد • وقوله تعالى وينأون عنه اي يتباعدون بانفسهم عنه • وقيل ينهون عن
القرآن والاستماع اليه وينأون عن التدبر فيه فقد سبق ذكره عند قوله ان يفقهوه وذلك كناية عن القرآن
وهذا قول قتادة • وقال الكلبي ينهون عنه عن محمد من سالهم عنه اي لم يقربوه ويتبعوه ويتباعدون عنه
فلا يتبعونه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ابي طالب كان ينهى اذا يؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وينأى عما جاء به • وروي ان قريشا لما همت بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وعلم به ابو طالب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم اعلمت ان قريشا همت بقتلك قال نعم قال ومن انبأك به قال هذا امر خفي قال
انبأني به ربي • قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية فقال ابو طالب نعم الرب ربك يا محمد فاوصيك
به ثم خرج ابو طالب فقال للملأ وهم مجتمعون يا قوم ان محمد ابن اخي وولدي ومن ضربه فانا ازهق
روحه فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ايمانه فجاء يعرضه على الايمان فقال ابو طالب • شعر

ودعوتني وزعمت انك ناصحي • ولقد صدقت وكنت قبل امينا •
وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا •
لولا الملامة او تكون مسبة • لوجدتني سمحا بذاك متينا •
والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا •
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر وقر بذاك منك عيونا •

نزلت فيه هذه الآية • وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم اي وما يهلكون بموردة العذاب
الا انفسهم • وقوله تعالى وما يشعرون اي وما يفطنون بعلمهم • وقيل وما يعلمون ما عليهم من
العذاب في الآخرة وهو نهي لهم بعد ذلك وهو اعظام له • وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على
النار اي حبسوا وهو متعد ومنه وقفته فوقف قال الاصمعي قال ابو عمرو ما سمعت احدا من العرب يقول
اوقفت الشيء الا اني لو رأيت رجلا بمكان فقلت له ما اوقفك ههنا لرأيته حسنا اي ما عرضك
للوقوف • وقوله تعالى يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم
في رواية حفص ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما على جواب التمني بالواو كما في الجواب بالفاء والتقدير يا ليتنا
نرد ولا نكذب وحتى نكون وعلى الرفع ابتداء ومعناه ان قوله نرد على التمني وما بعده ليس على ذلك بل على
الاخبار قطعا فهي عن الاول بالنصب • وقرأ الباقون بالرفع فيهما على الاخبار ابتداء وتقديره ولسنا
نكذب بآيات ربنا بل نكون من المؤمنين وقرأ ابن عامر برفع ولا نكذب وهو يكون اخبارا وابتداء
بين التمني وجوابه ونكون بالنصب جوابا للتمني بالواو ومعنى الآية ولو ترى يا محمد اذ وقفوا على النار
قال الزجاج اي اعلم على علمنا النار وتكون النار تحتهم وهو قوله يوم يدعون الى نار جهنم

وما وقيل اي اطلعوا عليها كما يقال وقفت على حقيقة هذا الامر واوقفني عليه غيري وذلك حين قربوا منها او هما
وعرفوها ويكون ايضا بعدما دخلوها وعرفوها فقالوا يا ليتنا نرجع الى الدنيا فنؤمن ولا نكفر لرأيت امرا عظيما هذا
محذوف وهو مقدر في جواب ولو • وقوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل بل رده للاول وهو ليس ما تمنوه
من الرجعة رغبة في الايمان لكن اظهر الله اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد يوم القيامة فتفضحهم كما قال وبدا لهم سيئات
ما كسبوا وقيل ما كانوا يخفون هذا من اهل النفاق وقد سبق ذكرهم • وقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وقيل اي
بدا للاتباع ما كان الرؤساء يخفون منهم من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حقيقة البعث يوم القيامة
وقيل هو اخفاء الضمائر يقال الله تعالى يوم تبلى السرائر • وقال وحصل ما في الصدور • وقيل اظهر لهم عقاب ما كانوا يخفون
من سيئات اعمالهم كقوله هذا ما كنزتم لانفسكم اي عقاب ما كنزتم • وقيل كان فريق من المشركين من اذا خوفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم العذاب يكفر ودخله خوف على سبيل الشك فيخفيه ولا يبديه فيبدو له ذلك في العقبة وقيل
بدا لهم اي لمشركي العرب ما كان اهل الكتاب يخفونه عنهم من قبل وقد سبق ذكرهم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما في قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اي ولو ردوا الى الدنيا لرجعوا الى ما نهوا عنه من الشرك • وقوله
تعالى وانهم لكاذبون اي في قولهم ونكون من المؤمنين • وقال ابو روق اذا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وختم
الله على افواههم وانطق جوارحهم فشهدت بما كتموا فذلك قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل • وروي
مكحول عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال يعتذر الله الى آدم ثلاث معاذير اي يلاطفه ثلاث ملاطفات اولاهن
ان يقول يا آدم لولا اني لعنت الكذابين وابغض الخلف والكذب لرحمت ذريتك اليوم من شدة ما اعددت لهم
ولكن حق القول مني لئن كذب رسلي وعصى امري لاملأن جهنم منهم اجمعين • ويا آدم اني لا ادخل النار الا من
علمت اني لو رددته الى الدنيا لم يتب ولم يراجع عما نهيته عنه ثم قرأ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه • ويا آدم
كنت انت اليوم بيني وبين ذريتك فقم عند الميزان فانظر الى ما رفع اليك من اعمالهم فمن زادت حسناته على سيئاته
مثقال ذرة فخذ بيده فادخله الجنة لتعلم اني لا ادخل النار الا كل ظالم ومن هو اهل لها • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وتعلقت الخوارج بظاهر هذه الآية وانهم لكاذبون ان المؤمن اذا قال لم اذنب ثم اذنب ظهر انه
كاذب في قوله الاول وقالوا في قوله يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين الآية انهن اذا
سرقن او زنين ظهر انهن بايعن على الكذب فلم يكن ايمانا ولا بيعة • وقالوا لما علم الله من هؤلاء انهم لو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وسماهم بذلك كاذبين للحال ثبت ما قلنا لكنا نقول ليس كذلك بل الكذب هو الاخبار عن الشيء
على خلاف ما هو به فاذا كان اعتقاد المخبر بما يخبر به لم يكن على خلافه فاما الآية فلها وجوه احدها انهم اضمروا
بخلاف ما اظهروا وهو كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون والثاني ان معناه وانهم لكاذبون اي ليكذبون في العاقبة ويخالفون ما قالوا كما يقال انه فاعل كذا
غدا والثالث انه سماهم كاذبين بكذبهم القديم كما سمى اهل النار كفارا بكفرهم القديم • وقال القشيري رحمه الله
بل بدا لهم عند تهتك الاستار وتظهر الاسرار فكم من متجمل بثوب تقواه حكم له معارفه انه زاهد في دنياه
راغب في عقباه محب لمولاه مفارق لهواه يكشف الامر عن خلاف ما توهموه وافتضح عندهم بغير ما ظنوه
وكم من متهتك ستره ما اظهر عليه ظن الكل انه خليع العذار مشوش الاسرار ظهر لذوي البصائر طهارة سره [illegible]
من خفايا سر حقيقته • وقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين اي قال هؤلاء
الكفار ما الحياة الا حياتنا القربى اي العاجلة ولا البعث بعد الموت احيا للجزاء • وقوله تعالى ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم اي حبسوا على حساب ربهم او على عذاب ربهم او على معنى اللام وتقديره وقفوا لربهم
كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين • وقيل اي حبسوا على ما يكون من امر الله فيهم • قال تعالى وقفوهم
انهم مسؤولون ويقال هذا الامر موقوف على فلان وعلى مجيء فلان وجواب ولو مضمر اي لرأيت امرا عظيما
وقوله تعالى قال اليس هذا بالحق اي قال الله تعالى او قال الملك بامره اليس البعث بحق • وقوله تعالى
قالوا بلى وربنا اعترفوا حقا بالقسم بعدما كانوا يقولون ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
وقوله تعالى قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي فلا ينفعكم في هذا الاقرار بعد دخولكم في هذا
العذاب بدل تلك الانكار • وقوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله الخسران الهلاك وذهاب رأس المال
وقد فات هؤلاء خلاص انفسهم ولزمهم هلاكها الذين كذبوا بلقاء الله اي بالبعث للحساب والجزاء ويكون
ايضا برؤية الله التي وعدها المؤمنين وقد كشفنا معنى الكلمة عند قوله يظنون انهم ملاقوا ربهم • وقوله
تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة اي حتى اذا اتتهم القيامة فجاة وسميت القيامة ساعة لسرعة الحساب
فيها قال الله تعالى وهو سريع الحساب كانه قيل وما هي الا ساعة حتى يحصل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
وقوله تعالى قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي يا ندامتنا على ما قصرنا في عملها اي في حق الغنيمة من
الاستعداد لها وتقديم الاعمال لها ساعة لاجلها وحقيقة فرطنا جعلنا غيرنا الفارط اي السابق الى الطاعة

الله فضلنا متخلفين • وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم اي وهم مع هذا الضرر يحملون اثقال اثامهم على ظهورهم وهو عبارة عن لزوم تلك الاثام لهم وكونهم مشتغلين بما هو سبب تعذيب الله • وقوله تعالى الا ساء ما يزرون اي يحملون • قال قتادة ياتي الكافر عمله الخبيث في اقبح صورة وانتن ريح فيقول طال ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فيركب على ظهره وتطلق الحمل على الظهر ما ذكر من جعله في العنق قال الله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وما روي يأتي احدكم بالشاة في عنقه • وقوله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من ارض طوقه الى سبع ارضين يوم القيامة وكل ذلك له وجهان احدهما نفي اللزوم والثاني انه يجعل يوم القيامة صورة يحمل على ظهره او يطوف في عنقه تعذيبا له • وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو يرجع الى قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا اي وما الحياة التي زعموا الناس اي التمتع فيها وتلهم الحياة غيرها في قصر مدتها وسرعة انقضائها في جنب الحياة الآخرة الا كلعب الصبيان ولهو الفتيان • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي الحياة الدنيا الدنيا خاصة لعب ولهو فاللعب هو الذي لا حقيقة له ولا مقصد فيه واللهو ما يقصد به قضاء الشهوة وهو كالعبث المذكور في قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا يقول لو لم تكن هذه الحياة لدار اخرى يرجى بها الثواب ويخشى بها العقاب لم يكن فيها حكمة بل كانت لهوا ولعبا وكذلك خلق البشر لو لم يكن للبعث والجزاء على العمل كان عبثا • وقوله تعالى وللدار الآخرة خير للذين يتقون قرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة على الاضافة ومعناه ولدار الآخرة او ولدار النشأة الآخرة على ما فسرناه عند قوله وبالآخرة هم يوقنون وعلى القراءة الظاهرة الآخرة نعت للدار ومعنى الآية ان نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا لانه لا يزول ولا يحول ولا ينتقص ولا يتنغص وخص به المتقين لانهم هم المنتفعون به والسابقون اليه • وقوله تعالى افلا تعقلون قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص بتاء المخاطبة والباقون بياء المغايبة اي افلا يعقل المشركون هذا فيعملوا به وهي كلمة استبطاء • وقوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون قد في الكلام في مثل هذا النظام لثلاثة اوجه احدها التوقع كقولك قد ركب الامير لقوم يتوقعون ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله عليهم يتوقع ما يخاطب به في امورهم فقيل هذا • والثاني التقريب من الحال كقولك ان كان القوم قد اتوا فقربني ويكون معناه ههنا تقريب حال الحزن من حال الخطاب • والثالث بمعنى التقليل في الاحيان كقولك قد يكون كذا او يكون معناه ههنا تقليل حزنه بذلك لتسلية الله عز وجل اياه • وقوله ليحزنك الذي يقولون • قال الحسن رحمه الله قول قريش انك ساحر كذاب مجنون • وقيل هو ما سبق ذكره ان هذا الا اساطير الاولين ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل انه كان يحزنه افتراؤهم وكذبهم على الله او كان يحزنه تكذيب اقاربه فاذا كذبوه انتهى الخبر الى الابعدين فكذبوه ايضا فيحزن لذلك او يحزن حزن طبع لان طبع كل احد ينفر عن هذا التكذيب او كان يحزن اشفاقا عليهم لما ينزل عليهم من العذاب كما في قوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والآية اخبار من الله عز وجل انه على علم منه بتكذيبهم اياه بعثه اليهم رسولا وانه لا عذر له بترك التبليغ وان كذبوه • وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك قرأ نافع والكسائي بالتخفيف من قولك اكذبت فلانا اي وجدته كاذبا • وقوله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يقول لا يجدونك كاذبا فيما تقول لكن الكافرين الظالمين انفسهم والواضعين الشيء غير موضعه ينكرون الحق مع علمهم به • وقرأ الباقون لا يكذبونك بالتشديد ومعناه لا ينسبونك الى الكذب وهذا مشكل مع بقية الآية لكن له وجوه صحيحة • قال ابن عباس رضي الله عنهما قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون من تكذيبهم اياك في العلانية فانهم لا يكذبونك في السر وقد علموا انك لصادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يجحدون القرآن في العلانية • وقال ابو ميسرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي جهل فقال له يا محمد ما نكذبك وانك عندنا لمصدق اي لا نصفك بانك رجل صالح كاذب بل نسميك امينا في سائر الاشياء ولكنا نكذبك فيما جئتنا به فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابو يزيد المدني لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل فصافحه فلقيه بعض شياطينه فقال له رايتك تصافحه فقال والله اني لاعلم انه لصادق ولكنا متى كنا تبعا لبني عبد مناف فنزلت الآية • وقال السدي لما كان يوم بدر لقي الاخنس بن شريق ابو جهل فقال الاخنس يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامي غيري وغيرك فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش • وقال مقاتل نزلت في الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا • وقال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله لحق وانه ما يمنعنا ان نتبع الهدى معك الا مخافة ان يتخطفنا الناس من ارضنا فنزلت الآية • وقال الحسن رحمه الله فانهم لا يكذبونك بان الله ليس بجاعلهم ولا برازقهم ولكن المشركين بدين الله الاسلام يجحدون • وقال الضحاك فانهم لا يكذبونك اي لا يمكنهم اثبات الكذب عليك ولا يقدرون ان لا يكون الرسول رسولا

وعلى ان لا يكون القرآن قرآنا وانما يكذبونك بالسنتهم • وفي تفسير مالك بن سليمان فانهم لا يكذبونك يعني المؤمنين ولكن الظالمين اي الكافرين بآيات الله يجحدون وهو نظير قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين • وقيل اي فان الكفار لا يكذبونك بحجة فلا تعتد بتكذيبهم فانه لا حقيقة له وهو كنفي الرمي في قوله وما رميت • وقيل اي لا يكذبونك في رد الوحي وانما يكذبونني لانك تخبر به عني • وقال القشيري رحمه الله نعلم ما قالوا فيك وانما قالوا ذلك بسببنا ولاجلنا وقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل ان اوقعنا عليك هذا الاسم وكانوا يسمونك محمدا الامين وانما اصابك ما اصابك لاجلنا فتغيرت لك ما عندنا وحالك فيك كما قيل شعر

اشاعوا لنا في الحي اشنع قصة • وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا •

وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين قال الكلبي رحمه الله ولقد كذبت رسل من قبلك كذبهم قومهم كما كذبتك قريش فصبروا على ما كذبوا واوذوا اذ انهم حتى اتاهم نصرنا اي عذابنا اهلكهم ولا مبدل اي لا مغير لكلمات الله اي المواعيد في القرآن انه سينصرك والذين آمنوا معك كما نصر الانبياء قبلك ولقد جاءك من نبإ المرسلين من خبرهم في القرآن كيف انجيناهم ودمرنا قومهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم آذاه قومه فكذبوه واهلكوا ونجا هو الى مكة فتعبد فيها حتى يأتيه الموت • وقال عكرمة ولا مبدل لكلمات الله يعني قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآية • وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي • وقوله من نبإ المرسلين هو للتبعيض • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يقول لست باول مكذب من الرسل بل كذب اخوانك قبلك فصبروا ولم يتركوا تبليغ الرسالة فعلى ذلك لا عذر لك في ترك تبليغها ثم وعدهم بالنصر يحتمل وجوها يحتمل نصرهم بالحجج والبراهين ويحتمل بالغلبة والقهر ويحتمل باهلاك الاعداء • وقال القشيري رحمه الله يقول ان من سلك سبيلنا صبر على ما اصابه وحديثنا والحزن فينا صفتهم والخفيف علينا احتمالهم وما قابل حكمنا من عرفنا الا بالمرج وما حملوا ما لقوا فينا الا على الحدة • شعر

ان الاولى ماتوا على دين الهوى • وجدوا المنية منهلا معسولا •

وقوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم اي ثقل • وقوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض اي سربا • وقال القتيبي مدخلا • وقال ابو عبيدة مالكا • وقوله تعالى او سلما في السماء قال قتادة درجا • وقال السدي مصعدا • وقوله تعالى فتأتيهم بآية اي مما يقترحون ذلك فافعل وهذا اضمر بقوله وقد ذكرنا ان سائر الانبياء صبروا فاصبر لتنصر كما نصروا فان تعذر عليك ذلك واستعجلت النصر فان قدرت على ان تأتي بذلك من الارض او من السماء فافعل وهذا بيان انه ليس بيده ذلك فلا معنى للاستعجال ودخله صبره ويقال هذا الكلام لمن يبعثه على الصبر فانه لا ينفعه الاضطراب وكان النبي صلى الله عليه وسلم موصوفا بالصبر والامر به وحثه كالامر بالتقوى والنهي عن الشرك وسائر مخاطباته بالاوامر والنواهي لحكم تذكيرا وتنبيها مرات • وقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال الامام ابو منصور رحمه الله اي جعلهم جميعا بحيث يختارون الهدى اي ولكن لما علم انهم يختارون الكفر على الهدى لم يشأ ان يجمعهم على ذلك ولا يجوز ان يحمل على مشيئة الجبر والقهر لان ذلك لا يكون هدى • وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى • وقيل من الجاهلين ان بعضهم يؤمن دون بعض • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وهذا وقوله فلا تكونن من الممترين يجوز خطابه صلى الله عليه وسلم لما عرف انه كان معصوما ولكن العصمة لا تزيل المحنة على ما عرف • وقوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون يقول انما يستجيب دعاءك الذين يستجيبون دعاءك للقبول والانقياد فاما من الف الشرك وتمادى في الطغيان فلا • وقيل يسمعون اي ينتفعون بالسماع • وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون قال مقاتل والموتى يعني كفار مكة يبعثهم الله في الآخرة ثم اليه يردون فيجزيهم باعمالهم • وقيل ابتداء وهو على حقيقة الموت • وقوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون اي وقال هؤلاء الكفار هلا انزل عليه آية نقترحها كآيات الانبياء الماضين مثل فلق البحر لموسى والناقة لصالح من نسف الجبال ولتسير لنا فتذهب وتفجير الينابيع واسقاط السماء كسفا والرقي في السماء وانزال الكتاب نقرؤه قل يا محمد ان الله قادر على ان ينزل آية التي اقترحوها ولكن اكثرهم لا يعلمون • قال مقاتل لا يعلمون ما لهم في نزولها • وقال القفال رحمه الله اي لا علم لهم بوجه تخصيص كل نبي بمعجزة وان موسى خرج في زمن السحرة فاتى بمعجزة من جنس ذلك وعرفوا ان ما اتى به ليس مما يدخل في وسع البشر وعيسى خرج في زمن الاطباء فاتى بمعجزة من جنس ذلك وعرفوا ان ما اتى به ليس في وسعهم ذلك فلم يمنهم به الحجة ومحمد صلى الله عليه وسلم خرج في زمن البلغاء والفصحاء فاتى بالقرآن وعجزوا عن معارضته ولزمتهم الحجة ولو اتى بجنس ما كان من المعجزات لسائر الانبياء لكان لاهل عصره ان يقولوا ليس هذا من جنس عملنا فلا نقدر على معارضته ولو قدرنا

لنبيا رسلك بمثله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ولكن اكثرهم لا يعلمون انه اذا انزلت الاية الاقتراحية ولم يؤمنوا
استوصلوا ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة فلا استيصال في زمانه ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله لا ينزل الاية
عند الحاجة بهم اليها ولا حاجة اليها فقد نزلت الايات العقلية والسمعية والحسية اي القران والاخبار عن الكاينات
وتكثير الطعام والشراب • وقيل لا يعلمون اي لا يطلبون بذلك العلم بل التعنت • وقوله تعالى وما من دابة
في الارض اي حيوان يدب على وجه الارض • وقوله تعالى ولا طاير يطير بجناحيه هو للتاكيد والتحقيق لان
الطيران قد يستعمل للسرعة مجازا فذكر الجناحين لاثبات حقيقة الفعل • وقوله تعالى الا امم امثالكم وقد ذكرنا
وجوه الامة عند قوله كنتم خير امة • وقوله تعالى امثالكم • قال الامام ابو منصور رحمه الله قال ابو هريرة رضي الله عنه
اي ستحشر يوم القيامة كما تحشرون انتم ثم يقتص للبهايم بعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا فعند ذلك
يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • قال وقيل امم امثالكم اي تعقل بعضها من بعض كما يعقل بعضكم من بعض قال
وقيل امثالكم في معرفة ما يؤذي وما يتقى ويحتمل الا امم امثالكم في الكثرة والعدد والخلق والصنوف تعرف
بالاسامي كما تعرفون انتم وهذا قول مجاهد رحمه الله • وقيل امثالكم مسخرة لكم ولئن يكون منهم ما يكون منكم من
العناد وتكذيب الرسل والخروج عليهم • قال ويحتمل امم امثالكم في معرفة وحدانية الله تعالى والرغبة
وفي حق الطاعة له قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو قول ابن عباس وعطا • وقوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تركنا من غير ان ذكرنا منهم في اللوح المحفوظ من اعدادهم
وارزاقهم واجالهم • وقيل الكتاب القران وعلى هذا التاويل قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء هو معترض
ههنا وموضعه بعد تمام الاية يعني كل ما خلق في الارض من ذي روح يدب على وجه الارض ويطير في
الهوى فهو اصناف مزدوجة ومختلفة وكل منها مسخر لما خلق له يجري عليه من غير امتناع وبنو ادم مخلوقون
لعبادة الله وتوحيده ومميزون له ومعترفون عليه ثم اكثرهم لا يجرون على ما خلقوا له بل يتخبطون في
الظلمات وهم الكفار فهم صم وبكم • وقوله من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم وما فرطنا
اي ما تركنا ذكر شيء في القران مما للخلق حاجة اليه مجملا او جاحدا منكم او مفصلا • وقوله تعالى ثم الى ربهم
يحشرون قيل اي يبعثون للحساب والجزاء وهم بنو ادم ولذلك جمع بالواو والنون • وقيل الحشر لكل
الامم لكن روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال حشر الحيوانات موتها • وقال عامة الصحابة والتابعين
منهم ابو ذر وابو هريرة والحسن حشرها بعثها يوم القيامة للقصاص بين الجماء والقرناء ونحو ذلك ثم تصير
ترابا وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت والدليل على ان الحشر هو البعث دون الموت • قوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة • وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا اي بالقران ويجحدون البعث
بعد الموت صم وبكم اي يتصامون عن سماع الحق ويتباكمون عن القول بالحق • وقوله تعالى في الظلمات
اي هم في ظلمات الكفر • وقوله تعالى من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي
من علم منه اختيار الضلال شا اضلاله وخلقه فيه ومن علم منه اختيار الهدى شا اهتداه وخلقه فيه
وقال القشيري رحمه الله وما من دابة في الارض تشاركت المخلوقات وتماثلت المصنوعات في الحاجة
الى المنشي في حالة الابتدا وكذا في حالة الابقا وكذا في جميع الصفات النفسية والنعوت الذاتية
فما من شيء من عين واثر ورسم وطلل الا وهو على وحدانيته شاهد وهو على كونه في نفسه مخلوقا دليل
ظاهر والذين فاتتهم العناية الازلية سد الحرمان اسماعهم وغشي الخذلان ابصارهم والارادة لا تعارض
والمشية لا تزاحم والحق سبحانه غالب • وقوله تعالى قل ارايتكم هذه كلمة استفهام وعند البصريين
يجري التوحيد والجمع والتذكير والتانيث والتثنية على الكاف وما بعدها والتا على حالها لا تزول واحدة
مفردة مفتوحة نحو ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتك بفتح التا وكسر الكاف ارايتكن وعند الكوفيين
يجري في التا ايضا فيقال ارايتك وارايتما وارايتموكم وارايتك بكسرهما وارايتكن بنونين مشددتين
وعلى الطريقة الثانية التا رفع لانه فاعل والكاف نصب لانه مفعول وعلى الطريقة الاولى الكاف
كالتا رفع على انه فاعل • وقوله تعالى ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم
صادقين اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعدلون بربهم اخبروني عنكم وعن ما ترون عليه انفسكم
ان اتاكم عذاب الله قيل هو ما اتاهم يوم بدر واحد والاحزاب • وقوله او اتتكم الساعة باهوالها
الى غير الله تلتجيون من الاصنام التي تعبدون ام الى الله تعرفون انه خالقكم ورازقكم • وقوله تعالى
بل اياه تدعون فيكشف الله عنكم البلا الذي تدعون الله اليه وهي كلمة ما تدعون اليه ان شا
وتنسون ما تشركون اي بل الله تدعون فيكشف الله عنكم البلا الذي تدعون الله اليه وهي كلمة [illegible]
[illegible] الفرج • وقوله ان شا اي انما يكشف بمشيئته لا بطلبكم اذ لا اكراه عليه • وتنسون ما تشركون
معطوفا على قوله بل اياه تدعون وتتركون ما كنتم تشركون بالله اي فما صنعتم عبادتكم الاصنام بعد هذا

وهي لا تفرج منكم الشدائد ولا تستجيب دعواتكم بالمقاصد • وقال القشيري رحمه الله ان توهمتم بنفوسكم
ان عند الكربة بعقولكم لم تجدوا من دونه احدا ولا عن حكمه ملجا فانتم تفزعون اليه في استكشاف الضر واستعطاف
البر كما قيل شعر • الى بابي تعودوا ان شاتت • دياري بعد معرفة الرجال •
وكما قيل شعر • قد تركناك والذي تريد • فعسى ان تملهم وتعود •
فاذا اجتمعت الكل وذقت الحلو والمر افضى بك الضر الى بابه فاذا رجعت بنعت الانكسار وشواهد الاضطرار
فانه يتغنى ما تريد ان شا اتاح اليسر وازاح العسر وان شا ضاعف الضر واذا ام الامر فله الخلق والامر • وقوله
تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباسا والضرا لعلهم يتضرعون اي ارسلنا اليهم رسلا فالقوم
رسم الحذف فلو صح المراد فاخذناهم بالباسا والضرا • قال الحسن رحمه الله اي بالفقر والمرض • وقيل بالباسا شدة
العطش والضرا الاوجاع • وقيل الجوع والقحط فعلنا بهم ذلك ليتضرعوا وهو لطف في الدعا اليه ولعل
كلمة ترجي ومعناه كان الانبيا يرجون منهم ذلك • وقوله تعالى فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي فهلا تذللوا
اذ جاءهم اي بلاؤنا وشدة الامر منا • وقوله تعالى ولكن قست قلوبهم اي غلظت فلم تكن للاتعاظ بسبب اصرارهم
على سوء اختيارهم • وقيل ما جفت العيون الا لقسوة القلوب ولا قست القلوب الا لكثرة الذنوب • وقوله
تعالى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي حسن لهم اعمالهم فلم ينزعوا عنها فقد ذكر ههنا لم يتضرعوا وقال
قبله بل اياه تدعون • وقال في ايات دعوا الله مخلصين له الدين والاختلاف بينهما لان تضرعهم كان عند احاطة
البلا بهم كما قال وظنوا انهم احيط بهم وكانوا يضطرون الى مثل هذا التضرع فاما عند نزول القحط والغلا
والمرض والبلا فكانوا يقولون هذا امر معتاد بين العباد • قال تعالى وقالوا قد مس اباءنا الضرا فليس هذا
بلا نزل لاجل ذنب وليس علينا فيه من عتب • وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي لم يتعظوا بما وعظوا ولم
يتضرعوا وقد امتحنوا • وقوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي وسعنا عليهم النعم ليشكروا فلم يشكروا
وقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي اشروا وبطروا • وقوله تعالى اخذناهم بغتة اي فجاة بالعذاب
المستاصل • وقوله تعالى فاذا هم مبلسون فحينئذ هم ايسون من كل خير • وقيل الابلاس انقطاع الحجة • وقيل
الحيرة عند حلول البلية • وقيل هو الاطراق من الحزن • وقيل هو تغير اللون • وقيل هو شدة الحسرة • وقيل
هو الاستسلام للهلاك • وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اهلكوا جميعا لان دابر من قولهم
دبر يدبر اي اتى بعده فاذا انقطع الجاي بعدهم فقد اهلكوا كلهم • وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين
قيل حمد نفسه اذ نصر اولياءه وقهر اعداءه • وقيل بل امر محمدا بان يحمد الله على ذلك • وقال الحسن اذا سمعت
بموت ظالم فاحمد الله بهذه الاية • وقيل اي الله محمود على كل حال لما كرر المواعظ والاذكار ولم ينزل بهم البلاء
الا بعد الاعذار والانذار • وقوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم ذكر اهلاك
الماضين واوعد الباقين فقال اعلمتم وهو تقرير يحتاج فيه معنى الانكار ان اصمكم الله واعماكم وسد
قلوبكم فلم يصل اليها فهم • وقوله تعالى من اله غير الله ياتيكم به استفهام بمعنى النفي اي فلا احد سوى الله
ياتي بالماخوذ وانما وحد به لهذا والفعل يدل على المفعول وهو كقولك من كذب كان شرا له فافاد ان المشركين لم تكن
تقدر على ذلك والقدرة على الكمال لله ذي الجلال لا لما يعبدون في الاشراك والضلال • وقوله تعالى انظر كيف
نصرف الايات ثم هم يصدفون اي انظر يا محمد كيف نبين ونكرر لهم الشواهد على بطلان الشرك وعلى حقيقة
الاسلام ثم هم يعرضون عنها اي عن تدبرها وقبولها وثم كلمة تعجيب • وقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون قال الحسن بغتة اي ليلا او جهرة اي نهارا اي قل يا محمد
اخبروني ان اتاكم عذاب الله فجاة من حيث لا تعلمون او علانية فلا يمكنكم ان تردوه من انفسكم فهل كنتم به
هل يكون ما نزل بكم من ذلك الا هلاكا نازلا بقوم ظلموا انفسهم بكفرهم بربهم • وقوله تعالى وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين قال الكلبي رحمه الله اي الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار وليس
اليهم الهدى وليس بايديهم انزال الايات التي تقترحونها • وقوله تعالى فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اي فمن امن بالله واصلح اعماله فلا خوف عليهم بدخول النار ولا حزن بفوت الجنة وهذا من تبشيرهم • وقوله
تعالى والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب اي يصيبهم فلا يفارقهم • وقوله تعالى بما كانوا يفسقون اي بما
يخرجون من طاعة الله بالكفر وهذا من انذارهم • وقوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي ولما اقترح المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات
ما ليس في مقدور البشر امر الله نبيه ان يخبر الكفار عن نفسه بهذه الجملة فقال لهم لا اقول لكم عندي خزاين الله
جمع خزانة وخزينة وهي ما يخزن اي يحرز بحيث لا ينال الا بيد من يحفظ فاسالكم ان انزل لما تقترحونه من الايات
او اتيكم بكنوز الاموال واجري لكم الانهار في الجنان كما قلتم لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه
كنز او يكون له جنة • ولا اقول لكم اني اعلم الغيب فاخبركم بكل ما تسالونه عنه مما لم يعلمنيه الله عز وجل ولا اعلم

الامر الذي اذا جئتكم به امنتم واعلم عواقب الامور. وقوله ولا اقول لكم اني ملك اقوى ما لم يقو عليه البشر فاقهركم على ما اريد منكم بقوتي وانما انا عبد مربوب بشر مثلكم اتبع ما يوحى الي ربي فابلغكم. وقيل انه لا انزل نفسي فوق ما انزلنيه الله فلا اقول عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا لي قوة الملك بل انا رسول من له الخزاين وله علم الغيب وله الملائكة وساير الخلق. وقيل معنى هذه الثلاثة يرجع الى شيء واحد وهو التبري عن العلم بالوقت الذي ياتيهم فيه العذاب الذي انذروا به يقول ليست عندي خزاين الله اي ما خزنه الله من العذاب الاليم في الغيب اي لم يطلعني الله على ما خزنه من هذا ولست اعلم الغيب بنفسي فاخبركم به ولست ملكا فاشاهد ما يشاهده الملك اذا انزل العذاب من السماء ما اتبع في العلم الا ما ينبئني به الوحي بوقت عذابكم وهذا كله جواب قولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل معناه لا اقول شيئا من هذا ولو قلت عندي خزاين الله وانا اعلم الغيب ولي قوة الملك كان اشد لاتباعكم لي وطاعتكم مني لكن اقول انا بشر مثلكم يوحى الي ما اتبع الا الوحي لتعلموا اني صادق في قولي محق في دعواي. وتعلقت المعتزلة بظاهره في تفضيل الملك على البشر وليس لهم به متعلق لما قلنا انه اراد به قوة الملك في البطش والخصاصة بمشاهدة ما في السماء دون الفضل والقدرة. وقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون اي فابصروا رشدكم بقبول انذاري فانه لا يستوي الاعمى عن الرشد والبصير بالرشد افلا تتاملون بقلوبكم ما فيه رشدكم. قال قتادة الاعمى والبصير الكافر والمؤمن. وقال سعيد بن جبير ومجاهد الضال والمهتدي. وقال مقاتل افلا تتفكرون انهما لا يستويان. وقيل هذا استفهام بمعنى الامر اي تفكروا. وقال القشيري رحمه الله اي لا اتخطى خطى ولا اتعدى حدي ولا اثبت شيئا من ذات نفسي وما اتبع الا امر ربي. وقوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم اي خوف بالقران فقد سبق ذكره ما فرطنا في الكتاب من شيء الذين يخافون وهم المؤمنون اي ان الكفار المقترحين ليسوا بقابلين انذارك فاصرف الان اذا امرت الانذار الى المؤمنين الذين يخافون البعث والحساب والجزاء. وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اي لا ناصر لهم جزاء ولا شافع يستوهب ذنوبهم اي الشفعاء انما يشفعون باذن الله فهو من الله تعالى في الحقيقة. وقوله تعالى لعلهم يتقون اي ليتقوا في المستانف ويثبتوا على الايمان. وقال مقاتل هم الموالي يعني فقراء العرب ليس لهم من دون الله ولي قريب ينفعهم ولا شفيع في الاخرة يشفع لهم لعلهم يتقون المعاصي وهم جماعة سموت يذكرون في الاية التي تليها. قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم وقيل وانذر به الكل وانما ينتفع به الذين يخافون كما قال انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب هدى للمتقين ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اي الكفار وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال الذين اتخذوا من دون الله اولياء. وقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي. قال مقاتل نزلت في الموالي عمار وبلال وصهيب وخباب وسالم ومهجع وسعد بن مالك وسلمان الفارسي وعامر وابن مسعود ونحوهم وذلك ان ابا جهل واصحابه قالوا انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا ورذالة الناس واوباش كل حي فذكروا ذلك لابي طالب فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لو طردت هؤلاء عنك لعل سراة قومك يتبعونك فانزل الله تعالى هذه الاية. وقال السدي جاء الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال وصهيب وخباب وناس من ضعفاء المسلمين فحقروهم فخلوا به فقالوا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاطردهم عنك فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم قال نعم قالوا فاكتب لنا بذلك كتابا فدعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تطرد الذين الاية ثم ذكر الاقرع وعيينة فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض الاية. وقال الجبائي ابن تغلب ان قريشا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك ارسلت الينا فاطرد هؤلاء السقاط عنك فنكون من اصحابك فركن اليهم فانزل الله وان كادوا ليفتنونك الاية وانزل ولا تطرد الذين الاية. وقال الكلبي قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاني الله عن طرد هؤلاء فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما فقال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الى قوله فرطا. وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بطرد هؤلاء فعاتبه الله في ذلك ولكنه بعيد سمج ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم الى افحش فعل واوحشه ولا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يقرب الاعداء ويبعد الاولياء ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعوا الناس الى الايمان به والتوحيد والاتباع له فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا الحرج مدفوع يعقله كل عاقل ولكن يجوز ان يكون هذا من الله ابتداء تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه ومعاملتهم واخبار عن عظيم قدرهم

عنده

عنده. وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي لا تبعده. قال ابن عباس رضي الله عنهما يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة وكذا قال الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وقال ابراهيم النخعي هو الذكر. وقال الامام ابو منصور رحمه الله بالغداة والعشي يشبه ان يكونوا يجتمعون الى النبي صلى الله عليه وسلم في كل غداة وعشي فيستمعون منه ثم يتفرقون كما هو المعتاد من الاجتماع عند الفقهاء ويحتمل ان يكون المراد به الليل والنهار كما في قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ويجوز ان يكونوا اصحاب مكاسب يجتمعون عنده بالغداة والعشي ثم يتفرقون للكسب ويحتمل ان يكون المراد به صلاة الغداة والعشي فانه لا يشهدها الا اهل الايمان فاما اهل النفاق فكانوا يشهدون غيرهما من الصلوات. وقوله تعالى يريدون وجهه اي يطلبون بدعائهم وذكرهم وصلاتهم وعباداتهم رضاه. وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ان حقائق امور العباد انما ترجع الى الاعمال التي يحاسبهم الله عليها يوم القيامة لا الى حسب ورياسة وضعة ودناءة بل الجميع سواء في حكم الله تعالى وانما عليك اعتبار احوال الناس في ايمانهم بك وكفرهم وهو كما اخبر عن نوح عليه السلام اذ قومه قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين. وقيل اراد بالحساب الجزاء. وقيل اراد به المؤنة. وقوله تعالى فتطردهم جواب الجحد بالفاء وهو قوله ما عليك. وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي بالفاء وهو قوله ولا تطرد الذين اي ان فعلت ذلك كنت وضعت التقريب والتبعيد غير موضعهما. وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويجوز ان يكون اولئك لم يكونوا اهل الحكمة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من وضع الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها من اهلها فقد ظلمهم وقد ذكرنا معنى النهي عن هذا وغيره انه تعليم لغيره ويجوز ان يكون له وان كان معصوما لان العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهي. وقال القشيري رحمه الله هذا وصية للنبي صلى الله عليه وسلم في باب الفقراء والمستضعفين وذلك انه ما فقرهم لسان المعارضة واستدفاع ما عرض لهم من اخلاق الرسول بجملته عنهم سكنوا لفقد ضياء تعلقهم بين يدي الله عز وجل داعين له بحسن الابتهال فتولى الحق سبحانه خصومتهم فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه لا تنظر يا محمد الى خرقتهم على ظواهرهم وانظر الى حرقتهم في سرايرهم كانوا مستورين فشهرهم الله ولولا ان الله سبحانه وتعالى قال يريدون وجهه فشهد لهم بالارادة والا فمن كان يجاسر ان يقول ان مخلوقا يريد الحق سبحانه وتعالى وقد تكلموا في الارادة فاكثروا وتحقيقها اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار عن العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدا ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون وصوله اليه سكونا ولا قرارا والمريد حمول كما قال قايلهم. شعر

ثم قطعت الليل في مهمه • لا اسدا اخشى ولا ذيبا
يغلبني شوقي فاطوي السرى • ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

وقيل يدعونهم بالغداة والعشي لانها من الاعمال الظاهرة وهي موقتة وادام ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم لانها من الاحوال الباطنة وهي مؤبدة. اصبحوا ولا سؤل لهم في دنياهم ولا مطلوب لهم في عقباهم ولا لهم سوى حديث مولاهم. وقوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض قال الحسن وقتادة اي امتحنا وابتلينا بعض هؤلاء القوم ببعض فامتحنا الرؤساء منهم بالصبر على قرب منازل الضعفاء من النبي صلى الله عليه وسلم وامتحنا الضعفاء بالصبر على الضعف والفقر وعلى اذى الرؤساء وهو كقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ثم اخبر بما انكشف عنه هذه الفتنة وهو ان الفقراء صبروا والرؤساء اضطربوا فقالوا وهو قوله تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال قتادة قال الوليد بن المغيرة والاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والعاص بن وايل والحارث بن قيس وعبد العزى بن عبد المطلب وعتبة وشيبة والاسود بن عبد الاسد والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام اهؤلاء الفقراء الضعفاء من الله عليهم انعم الله عليهم من بيننا فاعطاهم الايمان والتوحيد ولم يعطنا. قال الكلبي كان الشريف منهم اذا نظر الى الوضيع قد امن قبله حمي انفا ان يسلم ويقول هذا سبقني بالاسلام فلا اسلم. وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالنعم والحظ يعنون هؤلاء منه ولا النعم نحن ويحتمل من الله عليهم من بيننا بالتقريب في المجلس وجعلهم متبوعين من بيننا بعد ان كانوا اتباعا. وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين المطيعين لله الذين شكروا النعمة بارسال الرسول واتبعوه اكرمهم اولى باعطاء الاسلام ممن يرجع الى الحسب والغنى والمال الكثير والاعتقاد الامري ولا يؤمن بي. وقال القشيري رحمه الله وكذلك فتنا بعضهم ببعض اما الفاضل فليشكر واما المفضول فليصبر وليعلم السبيل المفضول على لسان المحنة الشكر والنقصان بشكوى عن شكر الفاضل وقال قايلهم في معناه. شعر

الا ان منك سبيل لي فبتي • البتجري بغيك اسمي فقعي
وقال اخر • وان فؤادا رعته لك شاكر • وان دما اجريته لك حامد

وقوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم اي واذا اتاك المؤمنون بالقران وساير

الآيات من العرب والعجم والروساء والاتباع فابداهم بتحية الاسلام وكلمة السلام وقل سلام عليكم وهو الدعا بالسلامة من الآفات كلها في الدين والنفس والمال ● وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي وعدكم وعدا موكدا ● وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي انه فانه كلاهما بالكسر على الاستيناف فيهما او على اضمار القول في الاول ● وقرا عاصم وابن عامر بالفتح فيهما ترجمة عن الرحمة اي كتب انه فانه ● وقرا نافع انه بالنصب فانه بالكسر وفتح كتب على الاول واستانف الثاني وان كلمة تاكيد وانما كررها لغة في التاكيد ولانه حال بين الاولى وخبرها حايل فاعيدت في موضعها كما في قوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون والجهالة هي حمل عاقبة الامر والتوبة الرجوع عن الذنب والاصلاح تحقيق التوبة باصلاح الاعمال ● وقيل هو قضا الفوايت ورد المظالم ● وقيل في نزول الاية لما نزل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم قال الروسا اجعل لهم يوما ولنا يوما نومن بك ونتبعك ونانف وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلام المشركين فشاور عمر في ذلك فاشار اليه بالاجابة ثم امرهم ان ياتيهم يوما فتهيبوا ولبسوا وتنظفوا وتجملوا وزينوا الدار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصدهم فقد قام الفقرا على الطريق في ثيابهم الرثة وقد جاء جبريل ونزل بين ايديهم وقال يا محمد الى اين فقال الى ملا من قريش واحدثهم رغبة في اسلامهم فوضع يده على صدره وصرفه وقرا عليه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية فانصرف وجعل عمر رضي الله عنه ودخل المسجد بالكبار وفارق موضعه المعروف حيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت في شان عمر واصحابه واذا جاءك الذين يومنون باياتنا الاية ● وقال عكرمة واذا جاءك الذين يومنون باياتنا اي الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابداهم بالسلام ● وقال انس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا يا رسول الله انا اصبنا ذنوبا كثيرة عظيمة فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ● وقيل نزلت الاية في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه لما جاء كان يستحيي من الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جنى في حق حمزة فامره الله تعالى ان يبديه بالسلام تسكينا لقلبه ● وقال اهل المعاني السلام كلمة امان فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يبدا بالسلام من اتى للاسلام اثباتا للامانه عند ايمانه ولما قرب خروج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا كان يهتم من انقطاع سلامه عن امته فقيل له ان جبريل ينزل كل ليلة قدر مع الملايكة فيسلم على كل مسلم وملك الموت واعوانه اذا نزلوا لقبض روح المومن سلموا عليه قال الله تعالى الذين تتوفاهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم وفي القيامة تستقبل الملايكة المومنين فيقولون سلام عليكم طبتم وعند دخول الجنة يقولون سلام عليكم بما صبرتم ويقول الله تعالى بلا واسطة سلام عليكم احبابي واوليايي وذلك قوله سلام قولا من رب رحيم ● وقوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وفي رواية حفص بالتاء وسبيل بالرفع لانها فاعلة وهي مونثة سماعا ● قال تعالى قل هذه سبيلي ومعناه ومنظر ● وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بالياء للتذكير وسبيل بالرفع وهو مذكر ايضا في لغة بني تميم ● وقال الله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا والتانيث لغة اهل الحجاز والقران نزل بهما ● وقرا نافع بالتاء للمخاطبة سبيل بالنصب على انه مفعول ومعناه ولتعلم يا محمد سبيل المجرمين يقول وكذلك نبين الايات ونفرق البعض بالبعض ونخاطبك معاملة الروسا والفقرا ليظهر ان كفر الكافرين لعنادهم لا لخفا الحق ● ومعنى الواو في قوله ولتستبين اضمار فعل قبله ثم العطف عليه وتقديره ليظهر الحق ولتستبين سبيل المجرمين وفي اخره اضمار ايضا ولتستبين سبيل المجرمين من سبيل المومنين وانما حذف اختصارا او بدلالة الحال كما في قوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد ● وقيل وكذلك نفصل الايات كما فصلنا لكم الايات نفصلها لغيركم ● وقيل كما فصلنا لكم الايات في محاجة المشركين نفصل لكم الايات في كل ما بكم اليه حاجة من امور الدين ● وقيل في قوله ولتستبين سبيل المجرمين فتجتنبوه من سبيل المومنين فتلزموه ● وقال الامام ابو منصور رحمه الله نفصل الايات يحتمل نبين الايات مع ما يعرف السامعون انها ايات من عند الله غير مخترعة من عند الخلق ويحتمل نبين من الايات ما يفصل بين المجرمين وبين المهتدين فيتبين سبيل هولاء من هولاء ● وقوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قال بعض المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم استلم بعض الهتنا حتى نومن بالهك فقال الله تعالى له قل يا محمد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي الاصنام والملايكة والشياطين والجن وتدعون اي تدعونه الها وقيل اي تعبدون ● وقيل اي تدعونه في مهمات اموركم للاجابة ● وقوله تعالى قل لا اتبع اهواءكم اي في هذا وفي طرد الذين يدعون ربهم وفي كل شي ● وقوله تعالى قد ضللت اذا اي لو فعلت ذلك لكنت ضللت طريق الحق وقوله تعالى وما انا من المهتدين اي الى طريق الحق ● وقال القشيري رحمه الله قل اني نهيت اي صرح بالامتناع

بجميع

بجميع ما خصصناك به من وجوه العصمة وانواع النعمة والجرم انك في كنف الايوا تتقلب في نفسه الصدود تتصرف فلا للهوى عليك سلطان ولا لك عن محل التحقيق تباعد ولا عن الحضور غيبة ● وقوله تعالى قل اني على بينة من ربي اي على بيان فاصل بين الحق والباطل وهو النبوة ونزول الوحي ● وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي على حجة تظهر ان ما يعبده هولاء يعبدون اتباعا لهوى انفسهم وهو يعبد الله اتباعا للحجة والعقل وما يتبع الهوى يجوز ان يترك صاحبه ويتبع غيره لما تهوى نفسه هذا بعد ذا قول واما ما يتبع بالحجة والعقل والسمع لا يجوز ان يترك اتباعه ويتبع غيره وفيه تسفيههم على التعريض ولهذا قال قل لا اتبع اهواءكم ● وقوله تعالى وكذبتم به ما عندي قال الزجاج البيان والبينة واحد فلذلك ذكر وهو كقوله هذا رحمة من ربي لانه بمعنى الانعام وقيل اي كذبتم بمدلول البينة ● وقيل اي كذبتم بربي لانه قد سبق ذكره ● وقوله تعالى ما تستعجلون به اي من العذاب ● وقوله تعالى ان الحكم الا لله اي ما القضا الا لله في انزاله وتاخيره وفي كل شي ● وقوله تعالى يقص الحق اي يتم الحق ● وقيل يحكم بالحق ومعنى قوله ان الحكم الا لله مع ان القضاة لهم احكام نافذة ان الحكم الذي يفصل الحقيقة من الباطل على الحقيقة هو لله عز وجل وحده ● وقرا ابن كثير وعاصم ونافع يقص الحق من قص يقص اي يخبر بالحق ولا خلف في خبره ووعيده ● وقوله تعالى وهو خير الفاصلين اي القاضين بين عباده لانه لا يخفى عليه الحق والصواب ● وقوله تعالى قل لو ان عندي ما تستعجلون به اي من العذاب قال الله تعالى يستعجلونك بالعذاب ● وقوله تعالى لقضي الامر بيني وبينكم بتعجيل ذلك لكم ● وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين وهو ينزل عليكم العذاب للوقت الذي يعلمه ادرع وامنع ● قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية والتي قبلها في النضر بن الحارث وروسا قريش كانوا يقولون ايتنا بالعذاب الذي تعدنا وقام النضر بن الحارث في حطيم الكعبة فقال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فاتنا بالعذاب فنزع ذلك بدر يوم بدر ● قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في النضر بن الحارث ثماني ايات وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ويستعجلونك بالعذاب ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة قل لو ان عندي ما تستعجلون به اتى امر الله سال سايل بعذاب واقع وقال القشيري رحمه الله اي قل ان الله تعالى لم يتخذ رني في نفر المطلب والتماس التخيير واعتاني عن كد الاستدلال ولوح لي شموس التحقيق ولين بغيتم وظلمة الالتباس فليس عندي قدرة على ازالة ما منيتم به من التحيير ونفي ما امتحنتم به من البرد ولو ان عندي لتعجيل ما طلبتم لاجبتكم الى ما سالتم لكن المنفرد بالحكم الله الحميد ولا ابعاد حتى فيما يريده ● وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو مفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو الاقليد الذي يفتح وفي قوله ما ان مفاتحه جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزانة التي فيها المال نفتح وتغلق ويتصل هذا بالاية الاولى ليس عندي علم وقت العذاب وعند الله مفاتح الغيب اي عند الله الاشيا التي يفتح بها المنغلق من الامور التي يغيب علمها عن الخلق ● وقيل اي هو العالم بكل شي من مبتداه الى منتهاه لا يعلمها الا هو لا يعلم الاشيا على حقايقها جملة وتفصيلا الا هو ● وقال عطا وعنده مفاتح الغيب ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وما يصير اليه امري وامركم ● وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا هو ان الله عنده علم الساعة الاية وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر والعباد يعلمون ان ما في البحر ماء وحيتان وفي البر رمل وحصى واشجار واوراق واغصان والله يعلم مقاديرها وظواهرها وبواطنها وما اودع فيها ● وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من شجرة في بر ولا بحر الا بها ملك موكل يكتب ما يسقط من ورقها ● وقال كعب وكل بها ملكان يكتب احدهما ما يسقط منها ويكتب الاخر ما يبقى ● وقال ابو بكر بن عبدوس ما تسقط من ورقة الا يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان سقطت على الارض ● وفي التاويلات قال بعض الحكما ما من ورقة او نبات الا وتغتذي بثلاثة اشيا بالهوا والارض والماء فلو اجتمع حكما العالم لم يدركوا ان الورق والنبات كم مقدار ما ياخذ من الهوا وما ياخذ من الارض وما ياخذ من الماء ولم يدركوا المعنى الذي به الحياة والتربية والله تعالى يعلم ذلك كله وكيف لا يعلم وبه احد ما احد وبه اجتمع وتغتذي وتربي ● وقوله تعالى ولا حبة في ظلمات الارض قال مجاهد اي في بطون الارض ● وقال سعيد بن جبير ما من حبة الا مكتوب عليها هذا رزق فلان ● وقوله تعالى ولا رطب ولا يابس اي الا يعلمها وهذا للتعميم ● وقوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي هو محفوظ كله عند الله ويحتمل ان يكون معناه في كتاب اي تقدير وحكم ● وقيل هو اللوح المحفوظ ● وقيل ما يكتب ليلة القدر او ليلة البراة من النسخ ويدفع الى الملايكة فالابعد الالتبس للاستثنا من الاستثنا بل الجمع بمعنى لوا وكقوله ما زيد الا عند عمرو الا في داره ● قال الحسن انما ذكر اثبات هذه الاشيا في اللوح المحفوظ ليعلم ابن ادم ان عمله اولى

وعنده مفاتح الغيب

بالاحصا لانه للحساب والجزا والتطهير قوله وعنده مفاتح الغيب قوله ان الله يعلم غيب السموات والارض وكذا قوله له
مقاليد السموات والارض ومن عنده مفاتح فله الخزاين وله الملك والعلم والتصرف • وقال القشيري رحمه الله وعنده
مفاتح الغيب فمن امن بغيبه اسبل الله الستر على عيبه • وقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم وهو
كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتوفي في اللغة هو قبض الشي على تمامه • وقوله تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي كسبتم وجوارح الصيد كواسبها وما علمتم من الجوارح من ذلك والاجتراح الاكتساب • قال تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيات والجوارح الاعضا لانها كواسب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس
فيه انه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا انه لا يتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشي في حال بالذكر لا يدل على سقوط ذلك
في حالة اخرى • وقوله تعالى ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم من منامكم في النهار وقوله تعالى ليقضى اجل مسمى
اي ليتم مدة الحياة • وقوله تعالى ثم اليه مرجعكم اي بالبعث بعد الموت • وقوله تعالى ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون وهذا وعد ووعيد • وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده قد فسرناه في هذه السورة مرة اي يبرزهم
كيف يشا من يقظة الى نوم ومن نوم الى يقظة ومن حياة الى موت ومن موت الى حياة لا كالاصنام التي
اتخذتموها الهة وهي لا تضر ولا تنفع • وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة اي ملايكة كراما كاتبين يكتبون
اعمالكم واقوالكم يحفظونها عليكم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر ارسال الحفظة بعد قوله وهو
القاهر ليعلم ان ارسالهم لم يكن لحاجة الى ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل الحكمة وهي امتحان الحفظة بما
امرهم به ولله ان يمتحن عباده بما شا والحري ليكون العباد على حذر وهذا ابلغ في الزجر لان من علم ان عليه
رقيبا كان اشد تحذرا وتحفظا وان كان يعلم ان الله يطلع عليه بدونه والحفظة ثم كتبة الاعمال عند
بعضهم وظاهر نظم الاية يدل انهم الذين يحفظون الناس ويدفعونها الى وقت انقضايها ثم يقبضون الروح
ويدل عليه ما بعده وهو • وقوله تعالى حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا اي قبضت روحه ملايكة ارسلناهم
فيرجعوا وهم اعوان ملك الموت • وقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي اي هو الموكل به وحده وهو الذي
يلي ذلك وهو الذي يتولاه • وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها اي هو المقدر ذلك • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما توفته رسلنا قبضته ملك الموت واعوانه سبعة من ملايكة الرحمة وسبعة من ملايكة العذاب فاذا
قبض ملك الموت نفسا مومنة دفعها الى ملايكة الرحمة واذا قبض نفسا كافرة دفعها الى ملايكة العذاب
وقوله تعالى وهم لا يفرطون قال ابن عباس لا يوخرونه طرفة عين ومعناه في اللغة لا يقصرون والمراد به لا يقدمون
ولا يوخرون • وقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اي رد المتوفون برد الملايكة • وقيل برد الاشيا بالبعث
والحشر مولاهم اي مالكهم الحق لا كموالي الدنيا المتسلطين ولا نجعل هذا في حق الكفار فقوله مولاهم مع قوله
وان الكافرين لا مولى لهم لان المولى هاهنا هو المالك والسيد وهناك المعين والناصر • وقوله تعالى الا له الحكم
اي ينفذ حكمه لا حكم غيره فيه • وقوله تعالى وهو اسرع الحاسبين اي اذا رد اليه للحساب والجزا لا يشغله
حساب احد عن حساب غيره ولا يكون فيه لبث ولا يدخله غلط ولا من العبد لجاج فيسرع حسابهم ويعجل
جزاهم • وقال القشيري رحمه الله استردهم الى نفسه وما غابوا عن قبضته لحظة ولا خرجوا من مشيته خطرة ولا
لحظة ولو رد الى من رد الخير من العاصي من اذاك • وقوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر استفهام
بمعنى النفي وظلمات البر والبحر شدايدها ويقال لليوم الذي فيه شدة يوم مظلم ويوم ذو كواكب وانشد
شعر • بني عمنا هل تذكرون بلادنا • اذا كان يوم ذو كواكب اشهب •
ويجوز ان يراد بها عين الظلمات فقد يقع ذلك في البر والبحر في اوقات النكبات ويجوز ان يراد بها عين
الظلمات في الليل في البر والبحر في السفر • وقوله تعالى تدعونه تضرعا وخفية قال ابن عباس رضي الله
عنهما اي علانية وسرا • وقال الحسن التضرع ما يرفع به الصوت والخفية ما يدعى سرا • وقوله تعالى لين
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين اي يقولون هذا واستعرفيه هذا لدلالة تدعونه على ذلك • وقرا اهل
المدينة وابو عمرو انجيتنا خطابا لله تعالى والباقون انجانا بالالف اي انجانا الله من هذه اي من هذه
الظلمة • وقال ابن عباس هي الاهوال والكربات • وقوله لنكونن من الشاكرين اي المومنين المودين شكر
الله على نعمه بطاعته • وقوله تعالى قل الله ينجيكم منها اي سلهم من ينجيكم منها واذا اقروا بذلك فقل هو كما قلتم
الله ينجيكم من تلك الظلمات فتهتدوا للطريق وهو ينجيكم من كل كرب اي غم ياخذ بالنفس وكذلك الكربة • وقوله
تعالى ثم انتم تشركون اي لا تخلصون حين تخلصون ولا تشكرون بل تشركون • وقوله تعالى قل هو القادر على
ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم اي الله الذي قدر على انجايكم هو قادر على اهلاككم بانواع العذاب ان شا بعث
عليكم العذاب من فوقكم بالطوفان والصواعق والقذف بالحجارة والريح والصيحة • وقوله تعالى او من تحت
ارجلكم وهو الخسف والزلزلة والاغراق • وقوله تعالى او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا والادية الاهوا
المختلفة • وقوله تعالى ويذيق بعضكم باس بعض اي الشدة والقتل • وقال الضحاك عذابا من فوقكم من قبل

كباركم او من تحت ارجلكم العبيد السوء • وفي تاويلات الامام ممن هو اسفل منكم او يلبسكم شيعا اي يجعلكم فرقا ه
ويذيق بعضكم باس بعض يسلط بعضكم على بعض بالقتل • وقال مجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة او من تحت
ارجلكم العبيد السوء • وفي تاويلات الامام ابي منصور قال ابن كيسان الاية في مشركي العرب لان الايات التي قبلها
وبعدها فيهم والسورة في محاجة المشركين • وقال ابي بن كعب هي في اهل الاسلام وقد جا اثنان بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وبقي اثنان لا بد واقعتان • وقال الحسن رحمه الله ثنتان في اهل
الاسلام الاهوا المختلفة والقتل وثنتان في اهل الشرك من اهل الكتاب وهما الخسف في الارض والحجارة من السما
وقال في قوله عذابا من فوقكم يحتمل اسقاط السما عليهم او من تحت ارجلكم طي الارض من تحتكم وخسفكم والاية حجة
في خلق افعال العباد • وروي ان خباب بن الارت قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة يصلي فلما فرغ قال
قلت له وقت الصبح لقد رايتك تصلي صلاة ما رايتك صليت مثلها قال اجل قال انها صلاة رغبة ورهبة سالت
ربي فيها ثلاثا فاعطاني ثنتين وزوى عني واحدة سالته ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم فاعطاني وسالته
ان لا يرسل عليهم السنة فيقتلهم جوعا فاعطاني وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فردها علي • وقال الكلبي لما
نزلت هذه الاية شقت على النبي صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فقال يا جبريل ما بقا امتي على ذلك فقال
انما انا عبد مثلك فادع ربك وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا وسال ربه ان لا يبعث على امته عذابا
من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم باس بعض فنزل جبريل عليه السلام وقال ان
الله تعالى سمع مقالتك وانه اجارهم من خصلتين اجارهم ان لا يبعث عليهم عذابا من فوقهم ولا من تحت
ارجلهم ولم يجرهم من ان يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض • قال يا جبريل فما بقا امتي قال سل الله لامتك
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا وصلى وسال ربه فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى
يقول انا ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فصدقهم مصدقون وكذبهم مكذبون ولم يمنعنا ان نبتلي الذين
زعموا انهم مومنون من بعد قبض انبيايهم بلا يترقب به صدقهم من كذبهم ثم نزل الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون الايات • وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة لهرجا قلنا وما الهرج قال القتل والكذب ثلاث مرات فقلنا يا رسول
الله اكثر من قتلنا الكفار فوالله انا لنقتل في العام الواحد كذا وكذا قال ليس بقتلكم الكفار ولكن قتل يكون
بينكم يا معشر اهل الاسلام حتى يقتل الرجل جاره ويقتل صاحبه واخاه واباه فقلنا يا رسول الله ومعنا عقولنا
وفينا كتاب ربنا قال لتذهب عقول اهل ذلك الزمان حتى يروا انهم على شي وليسوا على شي • وقوله تعالى انظر
كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون اي كيف نورد عليهم المواعظ المختلفة من بيان الحق واجابة الدعا
والانجا من الظلمات وتصريف الليل والنهار والامر والنهي والوعد والوعيد من اول السورة الى هاهنا
ليستنبط هولا المشركون منها بطلان قولهم وتناقض مذاهبهم • وقال القشيري رحمه الله ويذيق بعضكم
باس بعض لطما دوي من طمع الانسان اذ شيت في الولاية والمحبة فاذ شيت في العداوة والبغضة فمن بقي
بالمعصية مع اشكاله تنغص عليه عيشه في الدنيا ومن بقي بمحبة امثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن
صانه الله من الخلق فهو المحفوظ المعافى • وقوله تعالى وكذب به قومك قال الحسن والسدي اي بالقران
وقيل اي بتصريف الايات • وقوله تعالى وهو الحق اي الصدق • وقوله تعالى قل لست عليكم بوكيل اي
بحافظ اعمالكم حتى اجازيكم عليها بل الله يجزيكم بها • قال الحسن وقيل لست عليكم بمسلط اسخركم جبرا ان
تكفروا بل الي الدعوة والتبليغ • قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقيل لست عليكم بوكيل انما انا اتصرف فيكم على ما اريد وانقلكم عن اهوايكم • وقوله تعالى لكل نبا مستقر
اي لكل خبر استقرار وموضع استقرار فان اللفظة تصلح للمصدر والمكان ومعناه لكل خبر قرار على غاية ينتهي
اليها فيتبين حينيذ صدقه من كذبه وحقه من باطله • وقوله تعالى وسوف تعلمون حقيقة خبر ما كذبتم به
وهي كلمة وعيد فقيل انهم علموا بذلك يوم بدر ويجوز ان يكون بعض وعيدهم يتحقق في الاخرة او يتحقق
كله يومئذ • وقيل اي لكل وعد ووعيد من الله وقوع واستقرار وسوف تعلمون اذا نزل وهو كقوله ولتعلمن
نباه بعد حين • وقوله هل ينظرون الا تاويله • وقال الحسن اي لكل عمل جزا من عمل خيرا جوزي به الجنة ومن
عمل سوا جوزي عليه النار وسوف تعلمون اذا نزل وهو كقوله يا اهل مكة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
يحتمل ان يكون هذا صلة قوله قل لست عليكم بوكيل لكن لكل نبا مستقر اي لم اسلط على قتالكم الان ولكل نبا
مستقر اي انا اغنم اموالكم واسبي ذراريكم اذا ورد الامر بالقتال • وقوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قال الحسن وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير هو خوض
تكذيب واستهزا • وقال ابن عباس امر الله رسوله اذا رايت المشركين يكذبون بالقران ويلغون ويستهزون بذلك
فاترك مجالستهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى يكون خوضهم في غير القران • وقوله تعالى واما ينسينك

الشيطان ان شرط وما صلة والنون للتاكيد ومعناه وان ينسك الشيطان بعد النهي فقعدت معهم • وقوله تعالى
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين اي المشركين تقم اذا ذكرت • قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل المنافقون اذا راوا المسلمين جلوسا اتوهم فجلسوا معهم ثم استهزءوا برسول الله
وبالقران واذ هم نزل عليه بالمدينة وقد نزل عليكم في الكتاب اي بمكة ان اذا سمعتم ايات الله اي القران يكفر
بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان رضيتم بخوضهم اشارة الى هذه الاية
وقوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء فلما كان قوله فاذا رايت الذين يخوضون في اياتنا خطابا للرسول
صلى الله عليه وسلم والمراد به امته رد الخطاب اليهم فقيل وما على الذين يتقون الكفر والمعاصي من حساب
الكفار الخائضين شيء ولكن ذكرى قال الحسن والفراء والزجاج اي ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اي يعظوهم وقيل
اي يعرضون ذكرى لامر الله • وقوله تعالى لعلهم يتقون اي لعل الخائضين يتقون الدوام على الخوض • وقيل اي
ليذكروهم ان خوضهم يسوؤهم ليتقوا مساءتهم • وقيل اي وذكرا المؤمنين ليدوموا على تقواهم • وقيل هذه الاية
تتصل بقوله فاعرض عن الخائضين وما على المتقين حساب فانما ذكرهم الله الحساب ليتقوا المعاصي • وقوله تعالى
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يتصل بقوله ولكن ذكرى وبين ان التذكير يجب ان يكون بالقران وهو
كقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد • وقوله وذر اي اترك محاجة هؤلاء بابراد الحجج عليهم لانها انما تنفع لمن تدبر
وتفكر وطلب الحق بدلائله وهؤلاء الخائضون اتخذوا دينهم عبثا لا يقصدون طلب الحق ولا يطلبون دلائله ثم
ولا يتفكرون في معاد والجزاء والحساب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل التقديم والتاخير وذر
الذين اتخذوا اللهو واللعب دينا حتى لا يعارقوا ذلك كالدين الذي يتخذ للابد ويحتمل اتخذوا دينهم ما هوته
انفسهم ودعتهم اليه الشياطين ومن فعل ذلك فهو عابث لاعب • وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا اوهمتهم
الشياطين انما اعطوا فيها من رياسة على الضعفة وسعة لهم فيها من الرزق والطول لهم في البسطة انما
هو لكرامتهم على الله ويجوز ان يكون قوله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وعيدا كقوله ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون • وقوله تعالى وذكر به اي وعظ بالقران • وقيل خوف بالحساب
فقد سبق ذكره • وقوله تعالى ان تبسل نفس بما كسبت اي خوف الابسال • وقيل لئلا تبسل كما قال يبين الله
لكم ان تضلوا اي تبسل • قال الفراء اي ترتهن • وقال الحسن ومجاهد والسدي اي تسلم للهلكة • وقال قتادة
تحبس • وقال ابن عباس تفضح • وقال الضحاك تحرق • وعن ابن عباس في رواية تهلك وظاهره عند اهل
اللغة تسلم للهلكة • وقال عوف بن الاحوص الكلابي • شعر

وابسالي بني بغير جرم • بعوناه ولا بدم مراق

اي اسلامي • وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع اي للنفس ولي ينصرها ولا شافع يستوهب
ذنوبها • وقوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وان تفد كل فدية لا يقبل منها • وقوله تعالى اولئك
الذين ابسلوا بما كسبوا اي اولئك الخائضون والذين اتخذوا دينهم لعبا ارتهنوا واسلموا للهلكة وحبسوا
وفضحوا بما كسبوا من الشرك والخوض في الباطل والمعاصي • وقوله تعالى لهم شراب من حميم اي ماء حار شديد
الحرارة يصهر به ما في بطونهم وتتقطع امعاؤهم • وقوله تعالى وعذاب اليم اي وجيع • وقوله تعالى بما كانوا
يكفرون اي بكفرهم • وقيل لهم شراب من حميم بما شربوا من الشهوات وعذاب اليم بما نالوا من الشهوات • وقال
القشيري وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء اي من كان نقي الثوب عن ارتكاب الاثام كان بمعزل يوم
النشر عن ملاقاة تلك الالام • وقال في قوله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي كلهم الينا اختاروا ردا له
فانفذنا فيهم من حكمنا اذا احللنا بهم كرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والجهالة • وقوله
تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا اي انطلب النجاح ممن لا يملك لنا نفعا ولا ضرا وهي الاصنام
وقيل اي انعبد وهي متصلة بقوله قل من ينجيكم الايات • ويرجع الى قوله قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله والى الاقرب الى قوله ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وكان الكفار يتخذون الاصنام اولياء وشفعاء وقيل
لا ينفعنا ان اطعناه ولا يضرنا ان عصيناه • وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على الاول والاستفهام
بمعنى الانكار • وقال المبرد اذا قلت رد على عقبه فمعناه جاء ليتقدم فسد سبيله • وقيل اي نرتد عن ديننا
ونرجع الى ورائنا وهو عبارة عن الادبار والخيبة والدمار وهو كقوله نكص على عقبيه • وقوله تعالى بعد
اذ هدانا الله اي الى الدين الحق • وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران اي جرته الى المهاوي
وهي المساقط والمهالك كما يقال استزلته واستغوته اي جرته الى الزلل والغواية • وقرا حمزة استهواه والتقدير
المثل اي ان فعلنا كذلك كنا كرجل ذهبت به الشياطين في الفلاة متحيرا لا يهتدي الطريق يتخلص منه ويامن
به السقوط وذلك قوله في الارض حيران • وقوله تعالى له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا اي لهذا الرجل
اصحاب مشفقون يريدون الخير به يدعونه الى الصراط المستقيم ويقولون ائتنا ائتمر لقولنا لا اذ يدعونه

من ذلك اي يقولون له دع طريق الضلال وتعال الينا • وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي الطريق الذي هدى الله
اليه هو الطريق المستقيم • وقوله تعالى وامرنا لنسلم لرب العالمين اي امرنا الله تعالى ان ننقاد له ونسلم انفسنا اليه
فهو خالق العالمين وحافظهم ومدبر امورهم • وقوله تعالى وان اقيموا الصلاة واتقوه اي وقيل لنا ذلك او هو عطف
على قوله لنسلم باعتبار المعنى فان تقديره قوله وامرنا لنسلم اي قيل لنا اسلموا فيجوز ان يعطف عليه واقيموا اي ذللوا
له بالعبادة واتقوه ولا تخالفوا امره ونهيه بالمعصية • وقوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون اي للحساب
والجزاء ايها العادلون بالله • قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر وقد دعا اباه وهو في حال الكفر الى دين ابائه
وقال ابن عباس والسدي هو مثل يقوله مثل من يدعوا الى الكفر كمثل في الطريق يدعوه الغيلان في المفاوز باسمه
ونسبه واصحابه يدعونه الى الطريق السوي فان اتبع الغول هلك وان اجاب اصحابه اهتدى • وقال القشيري رحمه
الله اي قل يا محمد لن نؤثر الضلال على الهدى بعد طلوع شموس البرهان وندع الطريقة المثلى بعد ظهور البيان وترك
عقوة الجنة وقد نزلنا دارا وطلب منزلا في الجنة وقد كفينا ما ادخلنا بعيد من المعقول محال من الظنون وكيف
يساعد اتباع الشياطين من وجد الخلاص من صحبتهم وابصر الحق في صفتهم وان اقيموا الصلاة واتقوه اي امرنا
بملازمة الصلاة وحفظ المناجاة ولسان نعود نجوى السلطان متى ينطق بمكالمة اخسه اهل الزمان • وقوله
تعالى وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي للحق ولم يخلقهما باطلا • وقيل لمنافع العباد ولا ستشهاد
الشكر منهم • وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون متصل بقوله وان اقيموا الصلاة واتقوه يوم وهذا ابتدا
واضمر فيه واحذروا يوم يقول لذلك اليوم كن فيكون اي يكونه سريعا وعلى هذا تم هذا • وقوله تعالى قوله
الحق مبتدا وخبر • وقوله تعالى وله الملك كذلك وهما كلامان تامان مطلقان • وقيل هذا يتصل بالاول ويوم
يقول كن فيكون اي يوم القيامة يقول قوله الحق اي يتحقق قوله الصدق ويقع حكم الفصل وله الملك
يومئذ كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور تقديره قوله ويوم يقول
كن فيكون • وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة هو موصول بقوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق
وهو عالم الغيب والشهادة اي عالم ما غاب علمه عن الخلق وعالم ما يشهده الخلق ويحتمل عالم السر والعلانية
وقوله تعالى وهو الحكيم المصيب في افعاله وافعاله من الاماتة والاحياء والايجاد والافناء • وقوله تعالى
الخبير باعمال عباده ظاهرها وباطنها والعالم بجزائها • وقال القشيري رحمه الله في الاية الاولى اي انها من
على قدرته حدوث مقصود ولا يتقاصر حكم من نظر بغيره موجود • وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ازر اي اذكر
لهؤلاء العادلين بربهم قصة ابراهيم وهو ابو العرب وهم اولى الناس بالاقتداء به لانهم ذريته وبه مفاخرتهم
اذ قال ابراهيم لابيه ازر منكرا عليه ومتعجبا منه اتتخذ اصناما الهة اي اتجعل الاصنام معبودة لك تتخذها
الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين بعبادتكم ما دون الله ومن قال ان اسم والد ابراهيم تارخ في الروايات
المشهورة في نسبه لا ازر فانه يقال له يجوز ان يكون له اسمان او احدهما اسم له والاخر لقب له عرف به فنسب
اليه ومن قال ازر بالرفع وهو في بعض القراءات فله وجوه قيل هو نداء بمعنى يا ازر • وقيل معناه يا شيخ وقيل
معناه يا اعوج اي معوج عن الدين • وقيل على قراءة النصب انه اسم صنم لهم وتقديره اتعبد ازر اتتخذ اصناما
الهة • وقال وهب هو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن
نوح • وفي التوراة تارخ مكان ازر • وقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قيل
اي كما اريناه ضلال ابيه وقومه حتى قال اني اراك وقومك في ضلال مبين اريناه ملكوت السموات والارض
ونري مستقبل بمعنى الماضي كما في قوله واذ تقول للذي انعم الله عليه اي واذ قلت • وقيل اي وكما اريناك ملكوت
السموات والارض والايات كذلك ارينا ابراهيم وملكوت بمعنى الملك وهو السلطان وتقديره ملكوتنا
في السموات والارض • قال ابن عباس رضي الله عنهما صعد بابراهيم الى السماء فراى عبدا على فاحشة فدعا الله
عليه فاهلكه ثم راى عبدا اخر على فاحشة فدعا الله فقال الله له يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي فان
عبدي بين خلال ثلاث اما ان اخرج منه ذرية طيبة او يتوب فاغفر له او النار من ورائه او ما علمت ان من
اسمائي الحليم • وقال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت
له الارضون السبع كذلك فذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا اي ارى مكانه في الجنة • وقال قتادة حتى نظر الى اسفل
الارضين فذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا اي اري مكانه في الجنة • وقال قتادة اراه الله تعالى ملكوت
السموات والارض ملكوت السموات الشمس والقمر والكواكب وملكوت الارض الاشجار والجبال • وقيل نظر في المصنوعات
فراى ما فيها من الدلالة على الله والشهادة له بالحكمة والتعالي عن الاضداد والانداد وابطال ان يعدل به
شيء سواه • وقوله تعالى وليكون من الموقنين اي وليكون من الموقنين اريناه الملكوت • وقال الامام ابو
منصور رحمه الله الايقان بالشيء هو العلم بحقيقته بعد النظر والاستدلال فيه ولذلك لا يوصف الله بالايقان
ثم ليس هذا دلالة الشك في الابتداء والجهل بالحال لكن لبيان ايقاع العلم له ابتداء بجهة الدلائل كقوله نخ

قال ابن عباس وقال ابن عطاء ... فتحت له السموات حتى نظر الى ... ملكوت الارضين حتى نظر ...

السموات بغير عمد ترونها اي هذا رفعها من وضع وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور ليس هذا اخراجا عن ادخال وقوله
اني تركت ملة قوم لا يومنون ليس هذا تركا بعد شروع بل هذا كل اثبات ابتدا فكذلك ههنا • وقوله تعالى فلما جن عليه
الليل راى كوكبا قال ابن عباس ان ابرهيم ولد في زمن نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح وكان جبارا وكان له
كهان يخبرونه بما يكون في الارض فقالوا له انه يولد في هذه السنة غلام يفسد الهة الارض ويدعو الناس الى غير
دينهم ويكون هلاك ملكك على يديه • وقيل انهم وجدوا ذلك في كتب الانبيا • وقيل قالت المنجمة ذلك • وقيل ان نمرود
راى ذلك في المنام فهاله ذلك وقال الامر في هذا اذ يعزل الرجال من النسا ويتطوف كل حبلى في مملكتي فاذا ولدت
غلاما قتل واذا ولدت جارية تركت الى ان تمضي هذه السنة التي تعلم فعهد فعزل الرجال عن النسا وجعل على كل
عشرة رجلا فاذا طهرت امراة خلي بينها وبين زوجها الى ان تحيض فرجع ازر ابو ابرهيم الى امراته فوجدها قد طهرت
من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت فقال الكهان ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت امه الليلة فقال نمرود
كل امراة فقد استبان حملها خلوا سبيلها واحبسوا اللواتي لم يستبن حملهن وكل من ولدت غلاما فاقتلوه فلما
دنت ولادة ابرهيم واخذها الطلق خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس
ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفا ورجعت واخبرت زوجها بانها ولدت وانه في موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه
من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه
وترضعه فرضعته وقطمته حتى شب فاذا رجعت من عنده مصت ابهامه • وقال ابو روق لما دخلت ام ابرهيم
عليه وجدته يمص اصابعه فقالت ذات يوم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن
اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا • وفي حديث السدي لما عظم بطنها وخشيت عليه انطلق بها
ازر الى ارض بين الكوفة والبصرة فانزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها فولدت ابرهيم في ذلك
السرب وشب وكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين • وفي حديث محمد بن اسحاق لما بلغ ابرهيم خمسة عشر
شهرا قال لامه اخرجيني انظر فاخرجته عشا • وذكر حديث رويته الكوكب والقمر والشمس • وفي حديث
ابن عباس رضي الله عنهما قال لامه ذات يوم من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت
له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فاخبرته بذلك فاتاه ابوه فقال له ابنه من ربي قال امك قال فمن ربها
قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة • وقال مقاتل انطلق ازر بابرهيم حين غابت
الشمس فنظر ابرهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال في نفسه ما لهذه
بد من ان يكون لها رب وخالق وطلع المشتري وكانت تلك الليلة اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر فقال
هذا ربي فلم يمكث ان سقط الكوكب فلما افل قال لا احب الافلين يقول لا احب ربا يغيب ثم طلع القمر فراه
اعظم واضوا من الكوكب قال هذا ربي فلما افل قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واصبح وطلعت
الشمس فراها اعظم واضوا من القمر قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون ونود
اذا اسلم لرب العالمين فاسلم وكان لا يرى شيا الا قال لما هذا بد من ان يكون له رب واخذ في طعن الهتهم وجعل
ابوه يزينها له فلا يزداد لها الا بغضا ومنها بعدا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله روي في التفسير عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه ربي في السرب لم يكن نظر الى شي من خلق السما فخرج عند باب السرب في اول الليل فراى
الزهرة بضوها وتلالوها وكان في جبلته ان له ربا واني فلم ير اضوا منها ولا انور فقال هذا ربي فلما افل علم ان
الرب دايم لا يزول فقال لا احب هذا اي ليس هذا برب والافول الغروب عند اهل التفسير وهو عندنا على
غيبوبته في سلطان القمر سلطان النجم وفي سلطان القمر في سلطان الشمس والرب لا يغيب سلطانه لا يزول
قال فقال جماعة من اهل الكلام كان هذا منه في وقت لم يكن جرى عليه القلم يقولون الله خالق السموات
والارض ولله ما في السموات وما في الارض ثم راهم عبدوا الاصنام وسموها الهة فتاملها [illegible]
ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض [illegible]
وقال الحسن [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال الامام ابو منصور رحمه الله [illegible]

خلا القاهر جرى عليه القلم وهو عند الله تعالى كان بعده الغفلة حتى يتوهم ذلك في نجم وقمر وشمس مع ما يرى فيها من التهود
بعد ان لم يكن والافول بعد الطلوع ثم اثار التسخير والعجز عن التدبير يقول ذلك مع ما قال الله في حقه اذ جا ربه
بقلب سليم • وقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه • وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
فنقول ان ابرهيم كان مومنا في ذلك الوقت عارفا بربه حق المعرفة لكن كلم قومه كلام مستدرج باظهار المتابعة
لم ليكونوا به اوثق واليه اميل وذلك ابلغ في الحجاج والطف في المكيدة فبدا بتعظيم ما عظموه اذ هم كانوا
يعظمون النجوم وبالعلم بامرها اخبر قاصروه بولادة من يهلك على يديه هو وينزول ملكه ولذلك قال فنظر نظرة
في النجوم اي في مغايبها وعلمها لا انه نظر اليها قال والى هذا ذهب القشيري ثم ذكر وجوها لذلك ونحن نذكر
بعضها وبعض ما ذكرهم من الاقاويل الصحيحة فيها ان شا الله تعالى • وقوله تعالى فلما جن عليه الليل راى
كوكبا يقال جنه الليل واجنه واجن عليه اي ستره • وقيل جنه اي ستره وجن عليه اي اظلم عليه • وقال
الهذلي • شعر • وما وردت قبيل الكرى • وقد جنه السدف الادهم •
ومنه اشتقاق الجنة والجنة والجان والجنين والجنون والمجن • قوله راى كوكبا قيل الزهرة
وقيل المشتري • وقوله قال هذا ربي قيل في اوله الف الاستفهام وهو بمعنى الانكار وحذف الف الاستفهام
في كلام العرب سايغ قال الشاعر • رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع • فقلت وانكرت الوجوه هم هم •
اي اهم هم ونظيره في القران يخادعون الله اي ايخادعون عبادا امثالكم اي اعباد وتلك نعمة تمنها علي اي
اوتلك نعمة • وقيل اضمر فيه القول يعني يقولون هذا ربي واضمار القول في القران كثير فلما افل اي غاب
قال ذو الرمة • شعر • مصابيح ليست باللواتي تقودها • نجوم ولا بالافلات الدوالك •
والعرب من باب دخل وضرب جميعا قال لا احب الافلين اي لا اثني على الذي تتعاقب عليه الاحوال
وتعتريه التغير والزوال باستحقاق الربوبية ولا اعطيه المحبة التي تجب لله الذي يستحيل عليه الزيادة
والنقصان والذهاب والاتيان • وقوله تعالى فلما راى القمر بازغا اي طالعا بارزا وثم قوم يعبدون
القمر قال هذا ربي اي هذا في ظني وجرا للانكار اي ليس هذا ربي واضمر القول الماضي وقوله تعالى فلما افل
قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين اي لين لم يثبتني الله تعالى على هدايته لا اصيرن من
الذين ضلوا السبيل ولا يجوز ذلك على الانبيا فانهم معصومون لكنه تنبيه لغيره والهداية هي التثبيت
كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم • وقوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اي فلما اصبح وراى الشمس طالعة
بازغة وهناك قوم يعبدون الشمس اراد ان يبينهم ويبطل اعتقادهم قال هذا ربي اي هذا الطالع
او هذا النور وهذا الشخص وذلك لان الاشارة تقع على الشخص لا الى الاسم وهو استفهام بمعنى النفي
ايضا هذا اكبر اشار الى الشخص واراد انه اعظم شخصا ونورا من القمر والكواكب • وقوله تعالى فلما افلت
قال يا قوم اني بري مما تشركون اي فلما غابت وعرض لها ما عرض للاولين تبرا منها ظاهرا وبينهم ان
الصانع هو الذي لا يجوز عليه شي من علامات الحدث • وقال القشيري رحمه الله ان ابرهيم عليه السلام
كان يلاحظ الاثار والاغيار بالله ثم كان يرى الاشيا لله تعالى ومن الله ثم طالع الاغيار محوا في الله فصح
منه قوله هذا ربي اشارة الى الله • وقال فلما جن عليه الليل يعني اظلم به حجوف الطلب ولم يتجل له صباح
الشهود وطلع له نجم العقل فشاهد الحق سره بنور البرهان قال هذا ربي ثم زيد في ضيايه فطلع له قمر العلم
فطالعه بحقيقة البيان فقال هذا ربي ثم اسفر الصبح ومتع النهار وطلعت شموس العرفان فلم يبق للطلب
مكان ولا للتهمة قرار • وقوله قال يا قوم اني بري مما تشركون اذ ليس بعد العين ريب ولا بعد الظهور ستر
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينظر الى هذا كله وهو في السرب فلما افلت الشمس اتى باب السرب
فرفع الصخرة من بابه وخرج وهو ابن سبع سنين فنظر الى السما والارض فقال ربي الذي خلق هذا
ثم مضى حتى اتى الى قومه فاذا هم يعكفون على اصنام لهم فلما راهم قال يا قوم اني بري مما تشركون فقالوا
فمن تعبد انت فقال ادرك ذلك • وقوله تعالى اني وجهت وجهي اي اخلصت ديني وسلمت نفسي • وقوله تعالى
للذي فطر السموات والارض خلقهما جميعا مبتديا خلقهما • وقوله تعالى حنيفا اي مستقيما • وقيل
مخلصا • وقيل حاجا • وقوله تعالى وما انا من المشركين اي بالله شيا من خلقه • وقال الكلبي ومحمد بن
اسحاق كان ذلك لما اتت عليه خمس عشرة سنة • وقال القشيري رحمه الله اني وجهت وجهي اي افردت
قصدي لله وطهرت عقدي عن غير الله وحفظت عهدي في الله لله وخلصت وجدي بالله فانا لله وبالله
بل محو في الله فالله الله • وقوله تعالى وحاجه قومه اي خاصموه بالباطل وجادلوه وخوفوه بالهتهم
كما قال المشركين لنبيهم ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسو فاجابهم وذلك • وقوله تعالى قال
اتحاجوني في الله اي بالباطل وقد هدان اي هو لم يرخته ولا ترد شبهة على ما هداني له فاما الخوف فلست
اخاف الهتكم التي تشركونها بالله انها لا تضر ولا تنفع وذلك • وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به الا

وجن عليه

ان يشاء ربي شيئا الا ان يصيبني الله منها بضر فانه تعالى قادر على ان يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا فانه هو المالك للنفع والضر والقادر عليهما لا الاصنام فانها موات لا فعل لها وقيل كانوا القوم يعبدون النجوم والا وقيل كانوا صوروا اصناما على هيئة النجوم السبعة في السما وبنوا لكل واحد منها هيكلا على حدة كذلك • وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما فلا يعزب عنه شيء من ضر او نفع الا قد علمه فهو ان شا عصمني من ذلك • وقوله تعالى افلا تتذكرون اي افلا تتعظون بما اقول وتتفكرون احوال الاصنام فتعلمون انها لا تستحق العبادة وقيل الا ان يشاء ربي شيئا هو استثنا منقطع بمعنى لكن اي لكن لو شاء ربي ان يصيبني ضر بعد ذلك الذي اخافه • وقال القشيري رحمه الله وحاجه قومه فقال الخصم اتوهمون ستر الشمس باشيا لا احكام عليها وتريدون ان تجوزوا دينكم او تسدلوا سجوفكم على ضيا النهار وقد تعالى سلطانه وتوالى بيانه • وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا كيف هنا للانكار قال ابن عباس رضي الله عنهما خاصمه قومه وخوفوه اصنامهم فقال وكيف اخاف الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم عذرا في كتاب الله • وقيل لا حجة لكم على جواز اشراكه اذ لا حجة لهم في عبادة الجماد الذي لا يقدر على ضر ولا نفع • وقوله تعالى فاي الفريقين اي اهل الدينين انا وانتم احق بالامن ان كنتم تعلمون قالوا اما نخاف الهتنا فانت تشتمها قال ابرهيم ولا تخافون انتم منها قالوا لم ونحن نعبدها قال لانكم تسوون بين الصغير والكبير والذكر والانثى اما تخافون الكبير اذا سويتم بالصغير اما تخافون الذكر اذا سويتموه بالانثى ثم قال لهم امن يعبد الها واحدا احق ان يامن امن يعبد الهة شتى فقالوا من يعبد الها واحدا قال فانا اعبد الها واحدا لا شريك له وانتم تعبدون الهة شتى تفضلوا له على انفسهم • وقيل وكيف اخاف الاصنام وهي لا تضر ولا تنفع ولا تخافون انتم الله الذي خلقكم فاشركتم به • وقوله فاي الفريقين احق بالامن انا امن الهكم ام انتم من الهي • وقال القشيري رحمه الله وكيف اخاف ما اشركتم اي اي خوف يقع على قلبي ظله ولم الم بشرك ولم اجنح نظرا الى جحد وانتم ما شممتم رائحة التوحيد في طول عمركم ولا ذقتم طعم الايمان في سالف دهركم ثم بسوء غفلتكم عما تم وما ارعويتم وخسرتم فما باليتم فايتنا اولى بان يلاحظ بعين سر ما هو بصدده من سوء منكم وعاقبة امره • وقوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون هذا مبتدا واختلف في انه ممن قال ابن زيد وابن اسحاق هو من الله على فصل القضا بين ابرهيم وبين قومه • وقال ابن جريج رحمه الله هذا جواب قومه لما سالهم فاي الفريقين احق بالامن فقالوا هذا • وقال الزجاج رحمه الله هو جواب ابرهيم كما يسال العالم ويجيب بنفسه • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله واينا لم يظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو كقوله ان الشرك لظلم عظيم • وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فلم يجبهم حتى جاء رجل فاسلم فلم يلبث قليلا حتى جاهد فاستشهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا منهم • وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يفسره بالشرك • وعن عمر رضي الله عنه انه كان يفسره بالذنب والظلم يقع على ذلك كله فعلى تفسير الصديق معناه اولئك لهم الامن من العذاب المؤبد وعلى تفسير الفاروق معناه اولئك لهم الامن من العذاب المؤقت • وقال الحسن والكلبي اولئك لهم الامن في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا • وقال ابو روق اولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون للحجة • وقال القشيري رحمه الله اي الذين اشاروا الى الله ثم لم يرجعوا الى غير الله فان من قال الله ثم يرجع بالتفصيل عند حاجاته ومطالباته او شيء من حالاته الى غير الله فحظه في الدنيا والعقبى هو الله والظلم في التحقيق وضع الشيء في غير موضعه واصعبه حسبان الحدثان مما لم يكن فكان فان المنشي هو الله عز وجل والمجري هو لا اله الا الله واسقط ما سوى الله • وقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه اي وتلك الحجة التي حاج بها ابرهيم قومه حجتنا اتيناها اي ارشدناه اليها ووفقناه للوقوف عليها وقد ذكر في سورة اخرى ما حاج به قومه حين كسر اصنامهم وفي سورة اخرى ما قال للنمرود حين قال انا احيي واميت فيجوز ان يكون اسم الحجة شاملا هذا كله • وقوله تعالى نرفع درجات من نشاء قرا عاصم والكسائي وحمزة بالتنوين وهي مفعول نرفع ومن مفعول ثان ... وقرا الباقون بغير تنوين على الاضافة وافراد المفعول ومعناه نرفع مراتب من نشاء من عبادنا فنوتيه النبوة والملك والامامة في الدين ان ربك حكيم عليم اي انه يضع الاشيا مواضع استحقاقها ومن الحكمة ارسال الرسل وتخصيص النبيين بالرسالة وتاييد الرسل بالمعجزات وهو حيث يجعل رسالاته • وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب اي رزقناه جزاء على نصرة الدين ومحاجة المشركين اسحاق ولدا ويعقوب نافلة • وقوله تعالى كلا هدينا اي هدينا كل واحد منهم للحق ومن اجل الكرامة وتمام السرور ان يكون للمرء بعد وفاته ولد صالح خصوصا اذا كانوا ابنه في الدين مثله وهم انبياء • وقوله تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته قال

القرا

الفرا اي ومن ذرية نوح لانه نسق عليه ذكر يونس ولوط وليس من ذرية ابرهيم بل هما من ذرية نوح عليه السلام • وقوله تعالى داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وهو اعطا الذرية الطيبة المهدية • وقيل اي بالذكر والشرف والثنا الحسن وقيل بالثواب والدرجات في الاخرة • وقوله تعالى وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم قال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر في فريق انهم محسنون وفي فريق انهم صالحون وفي فريق فضلناهم على العالمين وفي فريق الهداية والاجتبا وهذا ليس على تخصيص كل فريق بما ذكر من الوصف ولكنه على الجمع انه كذلك ثم هذا التفضيل يحتمل انه بالنبوة ويحتمل انهم كانوا مفضلين على العالمين بالاحسان والصلاح وان لم يكن رسالة ولا نبوة قال وقوله ومن ابائهم هم من تقدمهم وذرياتهم من تاخر عنهم واخوانهم من قارنوهم • وقيل وذرياتهم محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل المؤمنون بعدهم والاجتبا يكون بالرسالة وهو خاص لهم ويكون بالتوحيد والاسلام وهو يعم الانبيا والمؤمنين ويحتمل انه برفع الدرجات والفضايل • وقوله تعالى ومن ابائهم وذرياتهم للتبعيض لان منهم من لم يجتبيهم • وقوله يهدي من يشا ونرفع درجات من نشا ينقض قول المعتزلة فانهم يقولون اعطى الكل من الهدى ما اعطى الانبيا والرسل وشا لكل احد ان يبلغ المبلغ الذي اذا بلغ ذلك يصلح للنبوة والرسالة لكنهم شاؤا ان لا يبلغون ذلك المبلغ فيجعلون المشية في ذلك الى انفسهم دون الله ودلت الايات ان من نال درجة وفضيلة فانما نال بفضل الله ومنته ثم ذكر عيسى فيهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام كما يثبت من قبل الاب لانه جعله من ذرية نوح وهو لا يتصل الا بالام • وحكي ان يحيى بن يعمر كان ينازع الحجاج في ان العلويين اولاد النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحجاج ينفي ذلك ويعدهم اولاد علي لا غير حتى احضره متهددا في يوم مظالم وقال لتاتيني بحجة ظاهرة على ذلك والا لانكلن فقرا يحيى هذه الاية وقال ان عيسى ما كان له اب ومع ذلك جعله من ذرية نوح بسبب امه وكذلك احتج بقوله فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم اذ دعا يومئذ الحسن والحسين فكانا من ابنائه فاطلقه • وقوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده اي ما ذكر في قوله كلا هدينا وفي قوله وهديناهم هو هدى الله ولانه يهدي به من يشاء من عباده • وقوله تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذا انبا عن الحكم فيهم ولو اشركوا الا انهم لم يشركون لان الله تعالى قد عصمهم واختارهم لرسالته وذكر هذا ليعلموا ان الحكم واحد فيمن اشرك بالله خيرا ووضيعا كان او شريفا وكذا قال في حق الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم • وقوله لحبط عنهم ما كانوا يعملون اي من الحسنات والخيرات قبل الاشراك • وقال القشيري رحمه الله بين انه لولا تخصيصه اياهم بالتشريف وتفضيله لهم على من سواهم بعناية التشريف لم يكن لهم استحقاق ذلك ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اي لو لاحظوا غيرا او شاهدوا من دوننا شيئا او نسبوا شيئا من الحوادث الى غير قدرتنا لتلاشى ما اسلفوه من عرفانهم واحسانهم فان الحق لا يغفر الشرك بحال وان كان يغفر ما دون ذلك لمن يشا ما يشا من عصيانهم • وقوله تعالى اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة اي الكتب من الصحف والتورية والانجيل والزبور ووحد لانه جنس واوحينا اليهم وجعلناهم الحكام على الامم وارسلناهم بالنبوة • وقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء اي فان يجحد هذه الاشيا اهل مكة • وقوله تعالى فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي قد هيانا للايمان بها قوما ليسوا بها جاحدين • قيل هم اهل المدينة وهو بشارة بايمان الانصار لان السورة مكية • وقيل هذا في المراعاة النبوة والشرايع والقيام بها هؤلاء الانبيا وقد ترتبوا بخروجك ويشتغلوا بها لك وهذا ارفع لقدرك من تصديق اشراف اهل مكة • وقيل الموكلون بها هم الملائكة وجملته انه لا تضعف في حالك بتكذيب اهل مكة فقد صدقك الانبيا والملائكة ومن امن من الجن والانس • قال الزمخشري هم العجم • وقال مجاهد هم الفرس وهو كالاول • وقال ابو روق هم علما اهل الكتاب الذين اسلموا والقول الاول انهم اهل المدينة والانصار قول ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي • وقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الاقتدا الاتباع وقد قداه يقدوه اي تبعه والقدوة بفتحها وضمها وكسرها الاسوة والهاء في اقتده امروا لها للاستراحة • وقال القشيري رحمه الله يعني اولئك الذين طهر الله عن الجحد اسرارهم ورفع عن الكافة اقدارهم فاقتف يا محمد مواطئ اثارهم فان من سلك الجادة امن العثار • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الهدى اسم لما يدان به وليس باسم الافعال لا يقال للتارك الصلاة والصوم والزكاة ضال ودل هذا على ان الانبيا كانوا على دين واحد والدين لا يحتمل النسخ والتبديل قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فاما الشرايع فهي مختلفة تحتمل النسخ • وقيل معناه ان الانبيا كانوا صابرين صالحين خاشعين عابدين زاهدين محسنين كما ذكرنا في اياتهم فكن كذلك كما قال واصبر وما صبرك الا بالله واتق الله واعبد ربك ونحوها • وقيل اراد به ما ابتدعها اي لم يكونوا ليتالون

الحجر من الامم على التبليغ فكن كذلك انت وقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا وكذا الانبيا كذلك قال في قصة هود يا قوم
لا اسالكم عليه اجرا الاية وقال في قصة صالح وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على الله وقال في قصة نوح وما اسالكم عليه
من اجر وقال في قصة شعيب وما اسالكم عليه من اجر فكذلك في حق نبينا في هذه السورة وفي سورة ص وقال
في سورة الطور ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون والاية دليل على ان اخذ الاجرة على تعليم القران والعلم ورواية
الاحاديث وعلى الامامة والاذان لا يجوز وقوله تعالى ان هو الا ذكرى للعالمين اي ما هو يعني القران الا عظة
للجن والانس قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فبهداهم اقتده اضاف الهدى الى الانبيا وفي قوله ذلك هدى الله اضافه الى نفسه
لان الله هو الهادي به والانبيا هم المهتدون به وهو كما قلنا في الاجل اذا جا اجلهم ان اجل الله اذا جا وقوله تعالى وما قدروا
الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قال مجاهد رحمه الله الاية في مشركي قريش لما قال ان هو الا ذكرى للعالمين
قالوا ما ارسل الله رسولا ولا انزل كتابا فقال الله وما قدروا الله حق قدره قال ابو العالية وما وصفوا الله حق
صفته وقيل وما عرفوه حق معرفته وقيل وما عظموه حق عظمته وقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جا به
موسى نورا وهدى للناس اي قل يا محمد للمشركين هذا الكلام فانهم وان كانوا لا يؤمنون بموسى والتوراة فانهم يرجعون
الى اهل الكتاب في كثير من امورهم ويصدقونهم فيها وقوله تعالى يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
قرا ابن كثير وابو عمرو فيهما بالياء المغايبة فيهما خبرا عن اهل الكتاب انهم يجعلون التوراة صحفا وكتبا والقراطيس جمع
قرطاس وهو الكتاب والصحيفة وقد قرطس اي كتب قال زهير شعر

لها اخاديد من اثار كاتبها ۞ كما تردد في قرطاسها القلم

وقيل اي طوامير وقال عبد العزيز بن يحيى قراطيس متفرقة وذلك ضرب من الاستخفاف والتهاون ولذلك
نهي ان يصغر حجم المصحف ويخفون كثيرا من العلامات التي نعت محمد صلى الله عليه وسلم والاسلام ويبدون
صحفا قد عزلوها من الجملة في مدح بني اسرائيل وتثبيت دين موسى عليه السلام وتاكيد امره ونحو هذا وقيل
يبدون قراة بعضها ويخفون قراة بعضها وهي في احكام لا يرضون بها كالرجم والقصاص ونحوهما مما ذكرنا
وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد هو خطاب للمسلمين من هذه الامة وقال الحسن
هو خطاب للعرب الكفار اي علمتم بهذا القران ما لم تعلموا انتم ولا علمه اباؤكم من اخبار ما يكون وما كان
ومن الاحتجاج على الكل ولا يجوز ان يعلمه محمد الا بوحي فمن اين جا ان كان الله لم ينزل على بشر من شيء وقوله
تعالى قل الله يعني اذا قلت من انزل الكتاب فلم يجيبوا فقل انت الله انزله وقيل اي هو الله وقيل اي
الله الحكم بيننا باضمار قبله او بعده والاصح هو الاول فانه تام بغير اضمار وقوله تعالى ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون اي دعهم وما هم فيه من التخليط والتكذيب بالكتب على غير معرفة فانهم انما يلعبون
فيا ليتهم انتهوا على خوضهم ولعبهم وهي كلمة وعيد وقيل هو امر بالكف عن القتال الى ان يؤمر به وقال ابن
عباس وقتادة ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن انس الاية في اليهود والنصارى والسورة
مكية لكن هذه الاية والتي تليها مدنية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان مالك بن الصيف راس اليهود
وكان سمينا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله
الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيما انزل الله تعالى ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فقال نعم
قال فانت الحبر السمين وقد سمنت من ماكلك التي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك ثم التفت
الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على
بشر من شيء فلما رجع مالك الى قومه قالوا ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فلذلك قلت
ما قلت قالوا له وكلما غضبت كفرت فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال ابن عباس رضي الله
عنهما في رواية اخرى ان اليهود قالوا يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السما
كتابا فانزل الله تعالى قل يا محمد من انزل الكتاب الذي جا به موسى نورا اي ضيا من الضلالة وهدى للناس
يجعلونه قراطيس اي يكتبونه في قراطيس مقطعة حتى لا تكون مجموعة ليخفوا منها ما شاوا ولا يشعر
بها العوام تبدونها وتخفون كثيرا بتا المخاطبة على قراة الاكثر لانه كان يواجههم بها وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم على هذا التاويل خطاب لاهل الكتاب ايضا علموا بالتوراة ما لم يعلموه هم ولا اباؤهم وقال
الامام ابو منصور رحمه الله لو كان هؤلاء اهل الكتاب في الحقيقة ما انكروا الرسل ولا الكتب لان اهل
الكتاب يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وان كانوا يكفرون ببعض لكن هؤلاء انكروا الرسل لما كانوا
اهل نفاق ويكون من اليهود اهل نفاق كما يكون من اهل الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لهم ويضمرون الخلاف لهم والموالاة لاهل الشرك ويظاهرون عليهم كما كان يفعل ذلك منافقو
اهل الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له ويظاهرون
المشركين عليه فاطلع الله رسوله على نفاقهم ليعلم قومهم نفاقهم وان ما كان من تحريف وكتمان كان منهم وقوله

تعالى

تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه البركة ثبوت الخير على الازدياد قال الشاعر

ولا ينجي من الغمرات الا ۞ بركات القتال او الفرار

ثبوت للقتال يعني وهذا القران كتاب كثير الخير موافق للتوراة التي كانت قبله وكانت نورا وهدى وقوله ولتنذر
ام القرى ومن حولها اي ولتخوف اهل مكة فاضمر اهلها كما في قوله واسال القرية التي وسميت مكة ام القرى لانها تجمع اهل
القرى كما تجتمع الاولاد الى الام وقال السدي لانها اول بيت وضع فكان القرى نشات عنها وقال الزجاج لانها اعظم
القرى شانا كتعظيم الام وقيل هي من الام وهو القصد لانها مقصد الخلق ومن حولها من البلاد والبوادي اي لتنذر اهل
مكة ومن حولهم من سكان كل المواضع انزلناه لتنذر ادخلت الواو على اضمار ذلك في اخره كما في قوله وليكون من الموقنين اي اريناه
ذلك في اخره وقيل تقديره ليصدق الذي بين يديه ولينذر به هؤلاء وقوله تعالى والذين يؤمنون بالاخرة
يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون اي الذين يصدقون بالاخرة من اتباع محمد وقد تدبروا هذا القران
فدلهم ذلك على انه منزل من عند الله فصدقوا به فهم به مؤمنون وللصلوات الخمس التي هي اعظم العبادات بعد
الايمان واجمعها للخضوع والخشوع وخصال الخير مؤدون وعليها مداومون وقوله تعالى به يرجع الى القران
وقال الفرا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الامام ابو منصور رحمه الله فان قيل ان اهل الكتاب يؤمنون بالبعث
ولا يؤمنون بهذا الكتاب فما معنى هذه الاية والجواب عنه من وجوه ان هذا في قوم مخصوصين منهم امنوا
بالبعث وامنوا به والثاني والذين يؤمنون بالاخرة بالعلم فالحجج امنوا بالقران اذ جا بايد حجج البعث وتاكيده فلا
يجوز ان يؤمنوا بما يوجبه القران ولا يؤمنوا بالقران والثالث انه اخبار عن اوائلهم انهم كانوا امنوا بالبعث
بالايات والحجج فلما جا محمد بالقران امنوا والرابع ان الاية في المؤمنين اخبر انهم امنوا بالاخرة وبالقران والخامس
ان معناه والذين يؤمنون بالاخرة يحق عليهم ان يؤمنوا بالقران لانه به يتزود الى الاخرة وقال غيره ان اهل
الكتاب وان امنوا بالبعث ولكن لا يعتد بايمانهم بالاخرة للجزا بالثواب والعقاب يدعوهم الى الايمان به
والمحافظة على الصلوات وسائر الطاعات وقال القشيري رحمه الله وهذا كتاب انزلناه كتاب الاحباب
عزيز المحل جليل الرتبة سلوة من غلبات الوجد ومن بقي عن الوصول تعلل بالرسول وقيل في معناه شعر

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي ۞ وفيها شفا للذي انا كاتم
كان ملحوظا من الحمى نشرة ۞ وهن حوالي الرقى والتمائم

وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء اي ومن اظلم لنفسه وعمله
واوضع للشيء في غير موضعه ممن اختلق على الله كذبا وادعى انه ارسله نبيا واوحى اليه ولم يكن اوحي اليه كمسيلمة
والعنسي وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ومن قال لو نشا لقلنا مثل هذا وهو عبد الله بن
سعد بن ابي سرح قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي وكذا قال مقاتل مسيلمة قال
زعم ان الله تعالى اوحى اليه وكان ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتلون لضربت اعناقكما وقال
جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي فقيل لي انفخهما
فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعا الاسود العنسي
قتله قيس بن مكشوح على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله سانزل مثل ما انزل الله وهو عبد الله بن
سعد بن ابي سرح من بني عامر بن لوي اخو عثمان من الرضاعة كان تكلم بالاسلام فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم
ليكتب له فكان اذا املى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزيز حكيم كتب ان الله غفور رحيم واشباه
ذلك فلما نزل قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية املى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتبها فكذا انزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا
لقد قلت كما قال ثم ارتد عن الاسلام ونعوذ بالله وقال السدي ولحق بمكة بالمشركين ووشى بعمار بن ياسر وجبر
ابن الحضرمي فاخذوهما وعذبوهما حتى كفرا باللسان وحدثت اذن عمار فانزل الله فيهم من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان يعني عمارا ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني عبد الله بن سعد بن ابي سرح
وقال عطا سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين والنضر بن الحارث واصحابه والمقتسمين قالوا لو نشا
لقلنا مثل هذا وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا
انفسكم اخبر عما يجري على هؤلاء الظالمين المذكورين في اول هذه الاية عند موتهم فقال ولو ترى يا محمد اذ
هؤلاء المشركون الظالمون انفسهم وغيرهم في شدائد الموت وسكراته التي تغمر عقولهم اي تزيلها وتغلب
عليها كغمرة الما ورجلها ما تراه تخاطر بنفسه فيها في الغمرات والملائكة الذين هم قابضو الارواح من
ملائكة العذاب وقوله باسطوا ايديهم بعنف وغلظة يقولون لهم وقوله اخرجوا انفسكم القولة هنا بمعنى

لذا لة الحال الحليّة اي لتخرجوا ارواحكم من ابدانكم • وقال الحسن رحمه الله اي اخرجوا انفسكم من هذه الشدايد لو قدرتم وهذا توبيخ وصيغته صيغة الامر ومعناه التقريع كقوله وذوقوا العذاب • وقوله تعالى اليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان والذل • وقوله تعالى بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون اي بترككم وكذبكم على الله وتعظمكم عن الانقياد عن الحق وجواب ولو محذوف وتقديره في اخره لرايت امرا عظيما ونحو ذلك وقال الحسن هذا في النار ومعنى قوله في غمرات الموت اي في شدايد العذاب ولم يرد به حقيقة الموت وهو كقوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وعلى هذا قوله اخرجوا انفسكم من هذه العقوبات والشدايد لا لقوا شدة العذاب كما يقال للواقع في الشدة والغيظ اخرج نفسك وانزع روحك • وقال القشيري رحمه الله في قوله او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي اذا الذين ينزلون منزلة المحدثين ولم يلق الي اسرارهم خصايص الخطاب فالحق سبحانه وتعالى منهم بري فالمتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور لا كارزني • وانشد في معناه

اذا اشتبكت دموع في خدود • تبين من بكى ممن تباكا

وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى يقال لهم في الاخرة هذا اخبر في او لدهنا او ذكره بصيغة الماضي والمراد به المستقبل كما ذكر في كثير من امور يوم القيامة لقربه وتحقيقه الحاقا بالماضي كالكاين المتحقق وفرادى يحتمل جمع فرد هذا قول الفراء وعند بعضهم جمع فريد كما يقال قرين وقرانى ورديف وردافى والالف بمعرفة الياء المرسلة الزايدة في اخر اي جيتمونا منفردين عن الاعوان والشفعا • وقيل عن الاموال والخدم والحشم • وقوله تعالى كما خلقناكم اول مرة اي بهذه الصفة جيتم لا يصحبكم ما تنكثرون به من الاعوان والانصار والاموال والامتعة ما كنتم تعبدون وتزعمون انهم شركا الله شفعا لكم • وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم ورا ظهوركم التخويل تمليك الخول اي الخدم والاتباع وواحدهم خايل • وقيل التخويل الاعطا على غير جزا اي خلفتم في الدنيا ذلك وتركتموه لا تنتفعون اليوم ولا تنتفعون كالمنبوذ ورا الظهر انما تنظرون الى اعمالكم التي قدمتموها • وقيل انكم لم تقدموا ما خولناكم فتنتفعوا به بل تركتموه لمن خلفكم من الورثة • وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركا اي اصنامكم التي قلتم انها شفعاكم وشركا لي • وقوله تعالى لقد تقطع بينكم اي تقطع الود بينكم والسبب بينكم قرا نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص بينكم بالنصب اي ما بينكم اي تقطع الود بينكم او السبب بينكم • وقرا الباقون برفع النون لانه في معنى الاسم ومعناه تقطع وصلكم • وقوله تعالى وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي بطل ما قلتم انها شفعاكم • وقال عكرمة قال النضر بن الحارث يشفع لي اللات والعزى فنزلت هذه الاية والاية الاولى وهيّا لهم عند الموت وهذا وعيدهم بعد البعث وبينكم بالرفع اي وصلكم والبين الفصل ايضا وهو من الاضداد وقال القشيري رحمه الله ولقد جيتمونا فرادى دخلت الدنيا بخرقة وخرجت منها بخرقة الا وتلك الخرقة لبسة وما دخلت الا بوصف التردد ولا خرجت الا بحكم التجرد ثم لا اثقال ولا اوزار ولا احمال ولا اوضاد لا يأتي علينا حصر ولا اعتذار فلا ما لكم اغنى عنكم ولا احوالكم يخرج منكم ولا الشفيع يطلبنا فيكم لقد تفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنكم وخاب سعيكم • وقوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى اي ان الله الذي انتم ايها المشركون معترفون به هو الذي فلق الحب اي شق الحب في الارض فاخرج منه النبات والزرع وفلق النوى اي شق النوى فاخرج منه الغراس والاشجار • وقيل اي يشق الحب اليابس فيخرج منه الورق الاخضر والحب جمع حبة والنوى جمع نواة • وقال مقاتل ان الله فالق الحب اي خالق البر والشعير والذرة والحبوب كلها والنوى يعني كل ثمرة لها نوى الخوخ والنبق والمشمش والعنبر والاجاص وما كان من الثمار لها نوى • وقيل هو ما يوجد من الشق في الحب والنوى ووجود ذلك على الهيية وفيه اعجوبة ودلالة على صنع صانع • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اخبر انه يشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منه نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلايق على اخراج مثله ما قدروا عليه والذي قدر على هذا يقدر على اعادة الخلق وبعثهم بعد موتهم وفيه دليل انه فعل صانع واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا شقه منعه الاخر وفيه دليل على انه بتدبير حرج لا جزافا حيث اتفق ذلك كله في كل عام على وجه واحد • وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس رضي الله عنهما اي الانسان من النطفة وقال الحسن اي المومن من الكافر • وقيل الطايع من العاصي • وقيل الطير من البيضة • وقيل السنبلة من الحبة والشجرة من النواة • وقوله ومخرج الميت من الحي وهو مخرج الميت من الحي النطفة من الانسان والبيضة من الطير والكافر من المومن والعاصي من الطايع والحبة من السنبلة والنواة من الشجرة ويخرج موصول بقوله فالق وبينهما يخرج لانه فعل دايم والاسم الماخوذ من الفعل يدل عليه تجانسا • وقوله تعالى ذلكم الله اي القادر على هذه الاشيا والمنعم بها هو الله وحده لا الاصنام • وقوله تعالى فانى توفكون اي فالى اين تصرفون عن هذا حتى تعدلوا به غيره • وقوله تعالى فالق الاصباح [illegible] بالنهار ومعناه والفلق الشق والاصباح الصبح • وقوله تعالى وجاعل الليل سكنا قرا حمزة وعاصم والكسائي

وجعل

وجعل وهو فعل والليل نصب لانه مفعول وسكنا وهو مفعول بالفعل الذي دل عليه قوله وجاعل • وقوله تعالى والشمس والقمر حسبانا بالنصب على القرائتين المتقدمتين اما على قراة من قرا وجعل فظاهر انهما معطوفان على قوله الليل فاما على قراة من قرا وجاعل الليل فنصبا وقيل وقوع جاعل على الليل لانهم يذهبون به بالفعل الدايم اذا اضافوه مذهب الماضي يقولون [illegible] حمزة اي الذي يخبل حمزة فاذا اشتغلوا على ما خفضوه بظاهر لفظة الاضافة نسقوا عليه بالنصب المعتقد منه في تاويل منصوب ومعنى قوله حسبانا انهما يسيران في الفلك بحساب معلوم لا يختلف على مرور الزمان وذلك قول الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما والحسبان جمع حساب كالشهبان جمع شهاب • وقيل اي بحساب ما يحتاج اليه العباد في معايشهم ومعاملاتهم اما الشمس فللثمار والحرث والنسل وفي ذلك قوام العالم واما القمر فلاجال الديون ومواقيت الاشيا كما قال في الاهلة هي مواقيت للناس وقال وهو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب • وقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم اي هو تقدير العزيز الذي لا يغالب والعليم بمصالح العباد وما يعبدون من دونه عاجز عن هذا كله وليس بعزيز ولا عليم فكيف يعدل بالله • وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وجعلت زينة للسما وليرمى بها الشياطين • وقال مقاتل جعل لكم النجوم لتعرفوا بها الطريق ليلا اذا ارتم في ظلمات البر والبحر • وقوله لكم ليس للملك بل للانتفاع • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفيه دليل وحدانية الرب وتدبيره وحكمته لانه جعل في السما ادلة يهتدون بها ويستدلون بها على معرفة الطرق مع بعد ما بين السما والارض من المسافة وسوى بينهما وعلق منافع بعضها ببعض ليعلم ان ذلك بواحد مدبر حكيم • وقوله تعالى قد فصلنا الايات لقوم يعلمون اي قد بينا العلامات الدالات على انتفا الاضداد والانداد لقوم يفهمون • وقيل تفصيل الايات انه يوتى بها فصولا حتى يفرد كل فصل بالتامل فيكون ابلغ في الاعتبار وابعد من الالتباس • وقال القشيري رحمه الله فالق الاصباح فلق صبح الكون فاشرقت به الاقطار كذلك فلق صبح القلوب فاستنارت به الانوار وكما جعل الليل سكنا يسكن فيه النفوس من كد التصرف في اسباب المعاش كذلك جعل سكنا للاحباب يسكنون فيه الى روح المناجاة اذا هدأت العيون من الاغيار كما قيل

الليل للعاشق ستر • يا ليت اوقاته تدوم

وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب معلوم على حد معلوم فالشمس بوضعها خلقت لم تنقص ولم تزد والقمر لا يبقى ليلة واحدة على حالة واحدة بل هو ابدا في الزيادة والنقصان فلا يزال ينمو حتى يصير بدرا ثم ينقص حتى لا يرى ثم يأخذ في الظهور كذلك دأبه ابدا الى ان ينقضي العادة فلا نقصان ولا زيادة • وهو الذي جعل لكم النجوم الاية فكما ان نجوم السما يهتدى بها في الفلوات فكذلك نجوم القلوب يهتدى بها الى معرفة رب الارض والسموات • وقوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هي ادم صلوات الله عليه وقد فسرنا ذلك في سورة النسا • وقوله تعالى فمستقر ومستودع قرا ابن كثير وابو عمرو فمستقر بكسر القاف وهو نعت ومعناه فمنكم مستقر ومنكم مستودع • وقرا الباقون بفتح القاف وهو مصدر او موضع ومعناه فلكم مستقر ومستودع فاختلف فيهما • روى عوف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لكل مخلوق قد فرغ من خلقه فهو المستقر والمستودع ما في الاصلاب الذي هو مودع ما لعدة وكتب حبر تيما الى ابن عباس يسأله عن هذه الاية فكتب اليه المستودع الصلب والمستقر الرحم ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشا • وقال ابن الحنفية على عكسه المستقر الصلب والمستودع الرحم لان في الاية تقديم ذكر المستقر على المستودع • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل فمستقر ومستودع في كل حال لانه مستقر الى ان ينتقل ومستودع لانه على شرف ان ينتقل ويحتمل مستقر في الليل ومستودع في النهار • وقال مقاتل المستقر حيث ياوي والمستودع حيث يموت • وقيل في الدنيا مدة حياته والمستودع القبر الى ان يبعث • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت اذا بعث قالت الارض التي كان مقبورا فيها اللهم هذا ما استودعتني والاستيداع جعل الشي في الشي للاحتفاظ به • وقال سفيان بن عيينة مستقرها في الدنيا حتى يلحق بصاحبه • وكان الحسن يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك • ولذلك انشد قول لبيد

وما المال والاهلون الا ودايع • ولا بد يوما ان ترد الودايع

وعنه ايضا انه قال المستقر من مات والمستودع انتم • وانشد لسليمان بن يزيد العدوي

فجع الاحبة بالاحبة قبلنا • فالناس مفجوع به ومفجع

مستودع او مستقر مدخلا • فالمستقر يزوره المستودع

وقيل المستودع ما دام في البطن لانه قليل اللبث ومختلفة الاحوال فاذا خرج فله مستقر في الارض على ظهرها ثم في بطنها ثم في الجنة او في النار قال تعالى انها سات مستقرا ومقاما • وقال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا • وقال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما المستودع في الصلب وفي الرحم وفي القبر والمستقر

يوم القيمة يجعل كل موضع للقرار فيه مستودعا وجعل المستقر في الاخرة • قال تعالى وان الدار الاخرة هي دار القرار • وقوله تعالى قد فصلنا الايات لقوم يفقهون اي يفهمون • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الفقه معرفة الشي بمعناه الدال على نظيره ولهذا لا يقال لله فقيه والعلم ما يعلم بنفسه والله تعالى عالم بالاشيا بذاته لا باعتبارها ونظايرها • وقال القشيري رحمه الله كما ان للنفوس والابدان مستقرا ومستودعا فان للضماير والاسرار مستقرا ومستودعا ومن عند مستقره حيث المسكن والمثوى وراء الورى • وقوله تعالى وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نقل الكلام من المغايبة الى الاخبار عن نفسه جمعا بخطاب الملوك وهو متعارف اهل اللسان قوله به اي بالما وهو المطر • وقوله تعالى نبات كل شي يعني نبات ما تنبته الارض من كل شي • وقيل اي غذا كل شي • وقوله تعالى فاخرجنا منه اي من النبات خضرا اي زرعا اخضر اول ما يظهر • وقوله تعالى نخرج منه حبا متراكبا اي من الزرع الاخضر حبا اي حبات كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض لاتفاقها والحب جمع حبة وانما لم يقل متراكبة لظاهر اللفظ الذي هو للواحد في الوضع • وقوله تعالى ومن النخل من طلعها قنوان دانية اي ومن طلع النخل وكرر من لان الاولى تقدمت موضعها فاعيدت في موضعها وطلعها اول ما يطلع من ثمرها والقنوان جمع قنو وهو الكباسة وقنوان بضم القاف لغة والدانية المتدلية القريبة من المتناول وهكذا عن ابن عباس والبرا بن عازب وقتادة والضحاك • وقال الزجاج وفيه حذف وتقديره منها دانية ومنها بعيدة كما في قوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد • وقال الحسن اي متدانية بعضها الى بعض • وقوله تعالى وجنات من اعناب بكسر التا وهو نصب وهي قراة العامة اي اخرجنا به نبات كل شي وجنات ايضا او عطفا على قوله نخرج منه حبا متراكبا وجنات من اعناب وبالرفع وهو رواية عن عاصم هي معطوفة على قوله قنوان او نضمر في اوله ومنه جنات او ولهم جنات • وقوله تعالى والزيتون والرمان بالنصب عطفا على جنات على قراة النصب او على قوله نبات كل شي او حبا متراكبا • وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه قال ابن عباس رضي الله عنهما مشتبها في المنظر وغير متشابه في الطعم • وقال قتادة مشتبها ورقه وغير متشابه ثمره • وقال مقاتل بن حيان مشتبهة ورق الزيتون ورق الرمان • وقيل اي يشبه كل بعضها في الخلقة والصورة والطعم واللون ويختلف بعضها • وقيل مشتبها في الالوان غير متشابه في الطعوم او على العكس وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهة لانه اراد به جنس الثمر كله واراد به المذكور وخص الرمان والزيتون بالذكر من بين ساير الاشجار لقرب منابتهما من القوم المخاطبين وعظم خطرهما عندهم • وقال الزجاج هما شجرتان تزعم العرب ان ورقهما يشتمل على الغصن من اوله الى اخره والبركة في ورق اشتماله على عوده كله • وقوله تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه قرا حمزة والكسائي ثمره بالضم وهو صيغة الجمع • وقرا الباقون بالفتح وهو صيغة المفرد وذكر فعله على التذكير لظاهر اللفظ وكذلك قال اثمر ولم يقل اثمرت ذهابا به الى المذكور او الى الذي سبق ذكره والينع النضج والبلوغ وقد ينع يينع فهو يانع ويقال وينعه وهو جمع يانع اي انظروا الى اليانع منه وهو كالتاجر وجمعه التجر • وقوله تعالى ان في ذلكم لايات لقوم يومنون اي فيما ذكرنا دلالات على ان لها صانعا عليما حكيما حيا قادرا وعلى تتابع نعمه على عباده وعلى البعث بعد الموت بما ترون من اعادة النبات بعد التلاشي وعلى وجوب الشكر له وبطلان اشراك غيره به وخص المؤمنين بها لانهم هم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله في هذه الاية بيان قدرته وسبوغ نعمته وفيه محاجة المشركين في ابطال اشراكهم بالله غيره وتوجيههم الشكر الى غيره • وقال في قوله خضرا ان الثمر اول ما يخرج يكون خضرا ثم يتحول الى لون اخر واراد به بيان النضرة بالما ولولاه ليبس • وقال في قوله حبا متراكبا هو اخبار عن لطفه وصنعه اي ليس في وسع البشر اخراجه وتركيبه على ذلك الوجه وفيه اثبات انشا الشي لا من شي لانه اخرج من الحبة والنواة نباتا اخضر ولم يكن في الاصل ذلك وفيه نقض قول الدهرية في كون الاشيا في شي واحد اذ لا يحتمل كون شجرة الا في نواة او حبة في نواة او حبة واحدة او الشجرة بطولها في النواة • وقال في قوله مشتبها وغير متشابه لما كان التراب والما واحدا واختلف الخارج علم انه بتدبير الله وتخليقه لا بالما والتراب وفي اخراج الثمار والحبوب على التناسب وانزال المطر على التقارب وقطرات لا تختلط مع كثرتها وازدحامها وتبددها ما لو اجتمع الخلايق على حفظه ما قدروا عليه دلالة انه بتدبير حكيم عليم وكذلك انتقال الثمر من حال الى حال الى حين ينعها على وجوه مختلفة دليل ما قلنا • وقال القشيري رحمه الله تجانست اجزا الارض وتوافقت اقطار الكون وتباينت النبات في الطعم واللون فذلك مخلوق بلسان فصيح وبيان صريح انه لا يستقل بنفسه وانه موجود بايجاد ربه • وقوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن اي جعل المشركون الجن شركا لله وهم الذين قالوا يزدان واهرمن وقيل هو رد على بني مليح قالوا ان الله صاهر الجن فولدت له الملايكة وهم بناته • وقوله تعالى وخلقهم اي هو خلق الكل • وقوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وافتروا عليه بنسبة البنين والبنات اليه قوله بغير علم اي جهلا • وقيل هم الذين قالوا عزير بن

الله

والمسيح

والمسيح بن الله • وقوله تعالى سبحانه اسم مصدر هو تنزيه عن ذلك ونصبه على المصدر • وقوله تعالى وتعالى عما يصفون اي تنزه عما يصفون اي من الشريك والولد • وقوله تعالى بديع السموات والارض اي مبدعها وقد فسرناه في سورة البقرة بما فيه هنا • وقوله تعالى انى يكون له ولد اي ابدع السموات والارض ومن فيهما وما فيهما من الملايكة والجن وكلهم اشرك هولا بالله فلا يجوز ان يسوى به شي من خلقه في العبادة ولا يجوز ان يكون له ولد لان الولد انما يحتاج اليه للاعتضاد به او للخدمة منه او للاستيناس منه او لبقا الذكر به بعد الموت والله تعالى يتعالى عن ذلك كله علوا كبيرا • وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة اي زوجة اي من اين يكون له ولد وكيف يكون له ولد فالولد انما يكون من ملاقاة زوج والملاقاة والمماسة والمحاذاة تستحيل في حق الباري جل وعلا والصاحبة لا تكون الا كفوا ولم يكن له كفوا احد وقوله تعالى وخلق كل شي اي خلق الاشيا كلها بتخليقه وفي ملكه وحكمه فلا كفو له من خلقه ولا حاجة له الى غيره وقوله تعالى وهو بكل شي عليم فله العلم والقدرة على الكمال فلا مثل له ولا مثال • وقوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي فاعبدوه وهو على كل شي وكيل اي الموصوف بكمال القدرة والعلم والملك والمنزه عن شبه المخلوقين هو الله ربكم وحده لا اله يستحق هذا واياه فاعبدوا • وقوله وهو على كل شي وكيل اي حافظ مدبر متصرف على ما يريد فلا يستحق العبادة غيره • وقال القشيري رحمه الله تعرف اليهم باياته ثم تعرف اليهم بصفاته ثم كاشفهم بذاته بقوله لا اله الا هو فقوله خالق كل شي تعريف العوام بالاستدلال وقوله لا اله الا هو تعريف الخواص والاكابر • وقوله تعالى لا تدركه الابصار اي لا تحيط به لان الاحاطة تكون بالمحدود والمتناهي والله تعالى منزه عن ذلك وحملت المعتزلة على نفي الروية وليس كذلك فان الادراك ليس باسم الروية ونفيه ليس بنفي الروية قال الله تعالى فلما ترا الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون • قال كلا ان معي ربي سيهدين نفي الادراك مع اثبات الروية فصح ما قلنا • وقوله تعالى وهو يدرك الابصار اي يحيط روية وعلما بالاشيا كلها فله كمال العلم والصفات والمخلوقات كلها تحت قدرته وسلطانه ومملكته • وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير قال الامام ابو منصور رحمه الله قيل اللطيف في تعاليه بالعباد والخبير العالم بالعباد واعمال العباد • قال وقيل اللطيف البار الرحيم • قال وقيل اللطيف العليم بخفيات الاشيا والخبير العليم بظواهر الاشيا • وقيل اللطيف الذي لا يخفى عليه شي • وقيل اللطيف العالم بدقايق الامور ومشكلاتها • وقيل اللطيف الذي اعطى فوق الكفاية وكلف دون الطاقة • وقيل اللطيف المحسن المتفضل الرفيق • وقوله تعالى قد جاكم بصاير من ربكم اي حجج ظاهرات • وقوله تعالى فمن ابصر فلنفسه اي فمن تدبرها واستبصر بها فلا تبعها فاقتبسها ابصر الرشد وكان نفعه له • وقوله تعالى ومن عمي فعليها اي من تعامى عنها فضرر ذلك على نفسه • وقال الكلبي قد جاكم بصاير من ربكم اي القران فمن ابصر صدق القران وامن بمحمد فلنفسه عمل واحرز الثواب ومن عمي فلم يصدق فعلى نفسه جنى العذاب • وقوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ اي قل يا محمد وما انا عليكم في هذه الحالة برقيب احفظ عليكم فتوكله بل ذلك الى الله ونسخته اية القتال • وقال القشيري رحمه الله اوضح السبيل والاح الدليل فان راح العلل وانار السبيل ولكن قيل في معناه شعر

وما انتفاع اخي الدنيا بمقلته • اذا استوت عنده الانوار والظلم •

وقوله تعالى وكذلك نصرف الايات اي وكما صرفنا الايات في هذه السورة نصرفها بعينها في ساير السور وقوله تعالى وليقولوا درست قرا ابن كثير وابو عمرو دارست بالالف • وقرا الباقون بغير الف بفتح التا على الخطاب الا ان ابن عامر فانه قرا درست بتسكين التا ودارست معناه ذاكرت اهل الكتاب وقارأتهم وهو عن ابن عباس وسعيد بن جبير ودرست بغير الف اي قرات عليهم وتعلمت منهم ودرست بتسكين التا اي هذه الاخبار قد درست وانمحت اثارها لتقادم العهد وهو عن الحسن • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكذلك نصرف الايات اي نبين الايات في القران في كل وجه نذرهم بها ونخوفهم وليقولوا يعني اهل مكة حين يقرا عليهم القران اي درست يقولون تعلمت من يسار ابي فكيهة وجبر مولى قريش وقرات علينا وتزعم انه من عند الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله واختلف القراات لاختلاف اقاويل الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من قال انما يعلمه بشر فهو ما قيل دارست ومنهم من قال ان هذا الا اساطير الاولين فهو ما قيل درست بالسكون ومنهم من قال ان هذا الا افك افتراه فهو ما قيل درست بالفتح ثم معنى الكل عند بعضهم ان فيها اضمار لا وتقديره وكذلك نصرف الايات لئلا يقولوا دارست اهل الكتاب او اخذت منهم او هذه اخبار قد مضت اذا تاملوا في الايات وعرفوا انه لا اثر ومثله الاضمار كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا • وقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيامة • وقوله ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير • وقيل هو بغير اضمار وهو بيان العاقبة اي صرفنا الايات فعاند بعضهم وقالوا ذلك وصار بيانا للعالمين وذلك قوله تعالى ولنبينه لقوم يعلمون اي المؤمنين العقلا فان الايات تنفع بيانا لهم وتزيدهم علما بالله وبدينه فاما المعاند وقد يقولون هذا شي اخذته من اهل الكتاب او هذه اخبار تجعلها كتابا من عندك فاستحق المعاند كذابا فاذا قالوا ذلك حق العذاب عليهم ثم الواو في وليقولوا ولنبينه اما ان تكون صلة او تضمر في اخره فعل اي وكذلك

ضربنا الايات كما مر في قوله وليكون من الموقنين وقوله ولنجعلك اية للناس • وقوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك
قال ابن عباس رضي الله عنهما دعا المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابايه فانزل الله تعالى اتبع ما اوحي
اليك من ربك من القران لا اله الا هو فاياه فارج واياه فخف • وقوله تعالى واعرض عن المشركين لا تقاتلهم الحال
الى ان يرد الامر بالقتال • وقوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا يبين انهم لا يشركون على خلاف مشية الله فهو انه وان
لو علم منهم اختيار الايمان لهداهم الى الايمان ولكن علم اختيار الشرك فشاء لهم الشرك فاشركوا بمشيته • وقوله تعالى
وما جعلناك عليهم حفيظا اي مراعيا لاعمالهم ماخوذا باجرامهم • وقوله تعالى وما انت عليهم بوكيل بمسلط
على اكراههم على الاسلام وليس عليك الا البلاغ الى ان نؤمر بقتالهم • وقوله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم السب الشتم والعيب والطعن ويدعون اي يعبدونه ويدعونه
الها فيسبوا الله نصب لانه جواب النهي بالفاء وعدوا اي تجاوزا عن الحق الى الباطل وهذه الاية تحقيق قوله واعرض
عن المشركين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا يا محمد لتنتهين من سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان
يسبوا اوثانهم • وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه ابو سفيان والنضر بن الحارث وابو جهل
وامية وابي ابنا خلف والاسود بن البختري وعمرو بن العاص فقالوا له انا نستحي ان نقتل محمدا بعد موتك
فتقول العرب كان ابو طالب يمنعه وانت كبيرنا وسيدنا وان محمدا اذانا واذى الهتنا فادعه حتى يدعنا
والهتنا وندعه والهه فدعاه فقال له ان هولاء قومك وبنو عمك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تريدون فقالوا ان ندعك والهك وتدعنا والهتنا فقال ابو طالب لقد انصفك قومك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تعطوني كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم قال ابو جهل نعطيكها وعشرة
امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فابوا فقال ابو طالب قل غيرها فان القوم
قد فزعوا منها فقال لا اريد غيرها فقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من يامرك به فنزل قوله
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله كيف
نهانا عن ان نسب ليلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا وقتل المومن
بغير حق منكر وكذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه قيل انه
السب لاوليك مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا فانه ينهى عما يتولد منه ويحدث
وما كان فرضا لا ينهى عن المتولد منه وعلى هذا يخرج الفرق لابي حنيفة رحمه الله فيمن قطع يد قاطع يده قصاصا
فمات منه فانه يضمن الدية لان الاستيفاء حقه مباح فاخذ بالمتولد منه والامام اذا قطع يد السارق فمات
لم يضمن شيا لانه فرض عليه فلم يؤخذ بالمتولد منه • وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اي كما زينا لهولاء
المشركين عتودهم وجحودهم طبعا باختيارهم ذلك واصرارهم على ذلك طوعا زينا لكل امة قبلهم عملهم والمعتزلة
يحملون هذا على وجه اخر فقالوا معناه زينا لهم الايمان والطاعة بالامر والدعوة لكنهم تركوا ذلك واتبعوا
ما زين لهم الشيطان من الكفر والمعصية وقالوا ان الله تعالى ذكر تزيينه في حق الايمان ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وذكر تزيين المعاصي من الشيطان
فقال وزين لهم سوء اعمالهم فلا يجوز ان يزين الله ما يزين الشيطان • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
التزيين على وجهين تزيين في العقول وهو تزيين من طريق الايات والبراهين وذلك لا يستعمل في الكفر
والضلال انه يكون من جهة الايات وتزيين في الطبايع والشهوات ويجوز ان يكون ذلك للكافر في الكفر والمعصية
من الله وليس ايضا في ذلك باكثر من اضافة الاغواء والاضلال اليه فقد ثبت ذلك ومعناه ما مر مرات
وقوله تعالى ثم الى ربهم مرجعهم فينبيهم بما كانوا يعملون اي ثم يكون الى جزا الله مصيرهم يوم القيامة
فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه • وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم اي حلف هولاء المشركون بالله
مجتهدين في الحلف مظهرين للوفاق • وقوله تعالى لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها اي كالايات الظاهرة التي
كانت لموسى وعيسى وغيرهما مما لا يمكن معارضته وانكاره • وقيل هي ما ذكر في قوله ان نشا ننزل عليهم من السما
اية فظلت اعناقهم لها خاضعين • وقيل هي ما اقترحوا مما ذكر في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا الايات قالوا لو جاءت هذه الاية لنصدقن ولنشهدن لك بالنبوة ولندعن عبادة الاصنام
وقوله تعالى قل انما الايات عند الله اي هي من عنده يجيء بها ان شاء لا انا • وقوله تعالى وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون قرا ابن كثير وابو عمرو انها بالكسر وهو على الابتدا ومعناه وما يدريكم انكم تؤمنون
ثم ابتدا خطاب المومنين فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون اي الكفار لانهم معاندون • وقرا عاصم في رواية
حفص وحمزة والكسائي بالفتح وله وجهان احدهما ان معناه لعلها اذا جاءت لا يؤمنون كما تقول للرجل ايت
السوق انك تشتري لنا شيا • وقال عدي بن زيد شعر

اعاذل ما يدريك ان منيتي • الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد •

والثاني

والثاني ما قاله الفراء الهمزة صلة ومعناه وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وهو كقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك • وقال الكلبي رحمه الله لما نزلت الاية [illegible] قال المشركون انزلها علينا ان كنت
من الصادقين حتى نؤمن بها فقال المسلمون يا رسول الله انزلها عليهم حتى يؤمنوا فانزل الله هذه الاية • وقوله تعالى
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة اي ونقلب افئدتهم عن قبول الحق وابصارهم عن رؤية الحق
عند نزول الاية التي اقترحوها فلا يؤمنوا بها [illegible] وليس هذا باجبار ولكن جزاهم على سوء الاختيار وعقوبة
لهم على الاصرار كما لم يؤمنوا به اي بالله [illegible] وقيل اي بما سبق ذكره من الايات اول مرة اي حين انشق القمر
وظهرت الايات [illegible] عند رؤية الاية كقوم صالح عند خروج
الناقة وقوم عيسى عند نزول المائدة [illegible] وقيل اي كما لم يؤمنوا اول مرة وهو ما عندهم بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم
ومجيء القران [illegible] لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
اي النصارى واليهود والمجوس فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا • وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون
اي نتركهم في [illegible] يتحيرون [illegible] وفيه اثبات الخلق من الله تعالى لفعل
من العبد وهو كقوله [illegible] في الارض بغير الحق [illegible] انهم كذبوا باياتنا
[illegible] وقيل
[illegible] وقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة اي الى هؤلاء المقترحين كل الملائكة [illegible]
لك وان كانوا سالوا ملكا واحدا بقولهم لولا انزل عليه ملك • وقوله تعالى وكلمهم الموتى اي [illegible]
نشهدوا لك وان كانوا سالوا الاموات احيا اثنين من موتاهم قصي بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين فيهم
صدوقين منهم قالوا لو احييتهما فتشهدا لك بالنبوة لنشهد نحن ايضا • وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا قيل اي بعثنا كل حيوان من الفيل الى البعوض اي اقمنا القيامة • وقيل اي جمعنا لهم كل الناس قبلا
قرا عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وابو عمرو بضم القاف والباء وهو جمع القبيل والقبيلة اي قبايل [illegible]
[illegible] فوجا فوجا [illegible] جيلا جيلا • وقيل هو جمع القبيل الذي هو الضمين كما قال او تاتي
بالله والملايكة قبيلا اي جمعنا لهم كل الناس ضمنا بصحة نبوتك وبالوفا بوعد الثواب • وقيل هو القبل الذي هو
ضد الدبر اي اتوهم من قبل وجوههم وهو قول الفراء وهذا يكون نصبا على الظرف والاول على الحال • وقرا نافع
وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء ومعناه عيانا ومقابلة ومنه المقابلة • وقيل اي وحشرنا عليهم كل ما غاب
منهم من ثواب الاخرة وعقابها قراوة ومعاينة • وقوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله اي لم يؤمنوا بعد مشاهدة
برؤية هذه الايات الا ان يشا الله ايمانهم فيؤمنوا وانه لا على عنادهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ودل هذا
على ان الاية وان عظمت فانها لا تضطر الى الايمان فلا اية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه ويكون معنى قوله ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اي ان نشا
اشان يخضعوا لها الاية تضطرهم الى ذلك لانهم اخبر انهم لم يؤمنوا لان الله تعالى لم يشا ولو شاء لامنوا ومن
علم الله منهم اختيار الكفر والاصرار عليه شا له ذلك ومن علم منه اختيار الايمان شا له ذلك • وقوله تعالى ولكن
اكثرهم يجهلون ولم يقل كلهم وان كانت جهالة الكفر تعمهم لان المراد والله اعلم ولكن اكثرهم يجهلون انه
لو اتاهم كل اية يقترحونها ما امنوا طوعا • وقال القشيري رحمه الله بين ان الايات وان توالت وشموس البرهان
فانه تعالت فمن قصمته العزة وكبسته القسمة لم يزده ذلك الا ضلالا فلم يستجلب الا الشقوة حالا • وقال الكلبي
رحمه الله المستهزون بالقران وهم خمسة رهط الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن عبد المطلب والحارث بن حنظلة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من اهل مكة فقالوا
يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل فنؤمن بك او ايتنا بالملائكة يشهدون
لك او ايتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا علينا ما تقوله انه الحق فنزلت الاية • وقوله تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن اي وكما جعلنا لك يا محمد عدوا من المشركين مجتمعين على
عداوتك يسالونك الايات المقترحة ويصورون عند اصحابهم انك عاجز عن الاتيان بها فكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا وهذه تسلية له وتعزية وشياطين الانس والجن هم الخبثا والبعدا عن الخير منهم • قال تعالى
واذا خلوا الى شياطينهم • وقال الكلبي ان ابليس قسم جنده فريقين فبعث منهم فريقا الى الانس وفريقا الى
الجن فشياطين الجن والانس اعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاوليايه وهم يلتقون في كل حين فيقول
شياطين الانس لشياطين الجن اضللت صاحبي بكذا فاضلل صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين
الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض • وقال قتادة من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحي بعضهم
الى بعض • وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن وذلك اني اتعوذ بالله فيذهب
شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيني فيجرني الى المعاصي عيانا • وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف

القول غرورا اي يوسوس ويخطر بالبال بزخارف الاقوال والزخرف الزينة اي يزينون لهم الكفر والمقام على دين الابا فيفسدون قلوب الضعفة بذلك فيمنعونهم من الايمان وهذا غرور من شيطان الجن بالوسوسة والتمويه ومن شيطان الانس بالقول كتزيين ابليس لابي جهل ما زين له وما عدوان النبي صلى الله عليه وسلم كما كان مثله لسائر الانبيا وهم صبروا حتى اتاهم الفرج فاقتد بهم يا محمد • وقوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه فدل ان كل ذلك بمشيئته وكذلك قوله وكذلك جعلنا دليل على ان افعال العباد كلها بخلق الله عز وجل فانه جعلهم عدوا بخلق العداوة في قلوبهم وعداوتهم كفر فدل ان الافعال كلها خيرها وشرها مخلوقة لله تعالى • وقوله تعالى فذرهم وما يفترون اي على الله وعليك فان الله يجزيك وينصرك ويخزيهم وهو كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية • وقال القشيري رحمه الله كلما كان المحل اعلى كانت البلايا اوفى والمطالبات اقوى ولما كانت رتبة الانبيا اشرف كانت العداوة معهم اشد واصعب • وقوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم وليميل الى زخرف القول الذين لا يصدقون بالبعث • وقوله تعالى وليرضوه اي وليحبوا ذلك وقوله تعالى وليقترفوا ما هم مقترفون اي وليكتسبوا من المعاصي ما يريدون ان يقترفوه كما قالوا فاقض ما انت قاض اي اعمل ما تريد ان تقضيه • وقيل اي وليجتهدوا في تكذيب الانبيا وصدا للناس عنهم ما في وسعهم فليس ذلك جنايتهم والصغو والصغو الصغي الميل وحرفه من باب صنع وعلم والاقتراف الاكتساب • قال تعالى ومن يقترف حسنة • وقيل تتصل هذه الاية بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا لينكشف بامتحانه ايمان المؤمنين وكفر الكافرين • وقيل ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم الاتباع وليقترفوا ما هم مقترفون الرؤسا اي ليشركوا في الكفر • وقوله تعالى افغير الله ابتغي حكما استفهام بمعنى الجحد وبمعنى التوبيخ ايضا • وقال الكلبي رحمه الله قل لاهل مكة اغير الله ابتغي ربا اعبده • وقوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا اي مبينا مفرقا في عشرين سنة سورة سورة واية اية • وقال عطية العوفي افغير الله ابتغي حكما اي قاضيا في نزول العذاب • وقال مقاتل حكما في نزول العذاب بكم فليس احد احسن قضاء من الله تعالى • وقيل قل للذين التمسوا الايات المقترحة بعدما اخبرتهم ان مجيئهم اليها اذهم مفتنون ان حكم الله فيمن اقترح اية ثم كذب بها اذا اتته اية مستاصلة قل لهم هذا حكم الله فيما سالتم افغير الله اطلب لكم حاكما وهو الذي كفاكم مونة مسالة الايات الذي حكمها هذا بما انزل اليكم من الكتاب المفصل الذي فيه ما في على تفصيل ما بكم الحاجة اليه في دينكم وهو الكتاب الذي اتى بما يفصل بين الصادق والكاذب وفصل فيه الحلال والحرام والامر والنهي والوعد والوعيد والايمان والكفر ونحو ذلك وهو الكتاب الشاهد بصدقي • وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق قيل اي اهل الكتاب الذين ترجعون في كثير من اموركم اليهم يعلمون ان القران منزل من ربك بالحق • قال عطا والمؤمنون الذين اتيناهم القران يعلمون ذلك • وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين انه من عند الله خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم واراد به امته اي وهو الذي يقيكم بحقيقته وله وجوه اخر بيناها في سورة البقرة • وقيل اي لا تكونن من الشاكين انهم قد علموا ما في كتبهم • وقوله تعالى وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم قرا عاصم وحمزة والكسائي كلمة ربك لان كلام الله واحد لا يتعدد • وقرا الباقون كلمات ربك على التعظيم والتعظيم والموافقة قوله لا مبدل لكلماته اي ما انزلته عليك من كلامي في الاحتجاج على المشركين قديم في معاني الصدق والعدل وزال عنه الكذب والجور في الاحتجاج فلا احد يقدر على تبديل شيء منه فيجعله جورا او كذبا ولو منه الجحد والله سميع لما يقولون عليم بما يريدونه • وقيل اراد به جميع ما ورد في القران من وعيدهم انها صدق وعدل فليستعدوا له ان لم يتوبوا منه • وقيل هو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم سبق القضا وجف القلم بالسعادة لمن امن واتقى والشقاوة لمن كفر وعصى وكلمات الله اقضيته • وقال قتادة هي كتاب الله لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون • وقال هو صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم • وقال الكلبي لا مبدل لكلمات الله هو قوله انا لننصر رسلنا الاية • وعن ابن عباس رضي الله عنهما وتمت كلمة ربك يعني لا اله الا الله صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا اله الا هو • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله صدقا وعدلا التفسير قوله وتمت كلمة ربك ولهذا قال اصحابنا من قال لامراته انت طالق تمام الطلاق انه طلاق واحد رجعي ولا يرجع الى تمام العدد بل الى تمام معنى العدل وموافقة الشرع • وقوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله اي تمت كلماتي على هؤلا المشركين فلا تطعهم وان كثر عددهم فانهم ضالون وان اطعتهم اضلوك عن دين الله • وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون الا الشك قيل هو قولهم هؤلاء شفعاونا عند الله • وقوله تعالى وان هم الا يخرصون اي وما هم الا يكذبون • وقيل اي في قولهم والله امرنا بها • قيل ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعبد الاصنام وهو في الحقيقة عبادة الله لانا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا يقولون هؤلاء شفعاونا عند الله وكانوا يرتكبون الفواحش ويقولون الله امرنا بها ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موافقتهم

وقوله

ونزلت هذه الاية • وقوله تعالى ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين كان المشركون يقولون نحن مهتدون وانتم ضالون فقال الله تعالى هذا وهو لطف في الخطاب وتحقيقه ان الله تعالى يعلم ان المشركين ضالون وان المسلمين مهتدون وهو كقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين الاية • وقوله ... ليحكم بينهما الذي يعلم وقال القشيري رحمه الله تعالى ... علوم الخلق عن ادراك غيبه الا بقدر ما عرفهم من امره وانه لا يخفى عليه شيء من امور خلقه • وقوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين قيل انما ... في محاجة المشركين ايضا قال عكرمة لما نزل تحريم الميتة كتب مجوس فارس الى مشركي قريش ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله وما ذبح الله بسكين من ذهب يعنون به الميتة فلا ياكلونه واما ما ذبحوه هم فياكلونه فكتب بذلك المشركون الى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوقع في انفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فنزلت الاية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الشياطين اهل فارس واولياؤهم قريش وكانت العرب لا تاكل ما مات حتف انفه وانما حملهم المجوس على المحاجة بهذا الظاهر لانهم كانوا مشركين وتعلق به المشركون لان المسلمين كانوا ... سنة ويستوفون على اكلها فاوردوا هذا النوع من الشبهة فعاب عليهم هذا ... وامرهم بان يعلموا ما احل الله ويحرموا ما حرم الله ومجموع ذلك في هذه الاية والايات التي بعدها • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان صرف اهل التاويل الاية الى اهل الكفر لهذه القصة والاشبه ان يصرف الى اهل الاسلام الذي ذكره في اخره ان كنتم بآياته مؤمنين ويكون هذا في قوم امتنعوا عن الطيبات كما قال في قوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم فهو خطاب لهم اي كلوا من الطيبات الاية وامروا بالاكل في هذه الاية واعلم الله تعالى ان قوما من المتقشفة المترهبة يحرمون ذلك على انفسهم فنهاهم عن ذلك وان حملت الاية على المشركين فمعنى قوله ان كنتم بآياته مؤمنين انما تعلمون ان الامر والخلق له وقد تبين في الايات ما تعلمون به ذلك • وقوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي واي عذر لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي عند الذبح • وقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل وحرم على ما لم يسم فاعله • وقرا نافع وعاصم في رواية حفص فصل وحرم على الفعل الظاهر اخبارا ان الله فعل ذلك • وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي فصل بفتح الفاء والصاد وحرم بضم الحاء وكسر الراء ومعناه وقد فصل الله ذكر اجناس المحرمات وهو الميتة والموقوذة والمنخنقة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع واحل المذكا وهو مالك الاعيان وشارع الحلال والحرام • وقوله تعالى وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم اي المجوس يحتجون بقولهم تاكلون ما امتم ولا تاكلون ما اماته الله وهذا حكم بالهوى والحكم في التحليل والتحريم لمالك الاعيان وهو الله تعالى فالحلال ما احله والحرام ما حرمه • وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بالمعتدين اي المتعدين من الحلال الى الحرام • وقوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه اصل كل الاثم الشرك وظاهره تكذيب اللسان وباطنه جحود القلب والسورة في محاجة اهل الشرك • وقيل هو تفسير للاعتدا المذكور في اخر الاية التي قبلها وهو ظاهر الاثم وباطنه وهو نظير قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن • وقال قتادة ظاهر الاثم وباطنه سره وعلانيته وقال عطا قليله وكثيره • وقال مجاهد العمل والنية • وقال الكلبي ظاهر الاثم الزنى وباطنه المخالفة • وقال السدي ظاهر الاثم الزنا في منازلهن المتخذة لها وباطنه الزنا في الصديقة سرا • وعن الكلبي في رواية ظاهر الاثم ما للاحيا رطلية الطلاح بوجه وباطنه ما هو بينك وبين الله لا وقوف لمخلوق عليه • قال وقيل باطن الاثم خفيات العقائد ومسترقات الالحاظ • وقيل باطن الاثم ما تلبسه على نفسك بنوع تاويل • قال النبي صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتاك المفتون • وقيل ظاهر الاثم ما يظهر لحسك وباطنه ما يختص به الملك الموكل بك • وقيل باطن الاثم على لسان اهل المجاهدات الركون الى تتبع الرخص • وقيل ظاهر الاثم الشرك الجلي وباطنه الشرك الخفي • قال وقيل اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فذروا الاثم ظاهرا وباطنا فان من شرط الشكر ترك استعمال النعم في مخالفة المنعم • وقيل ظاهر الاثم رؤية الافعال وباطنه طلب الجنة والتنعيم والركون اليها في السر باطنا • وقيل ظاهر الاثم طلب الدنيا وباطنه طلب الجنة والنعيم وهما يشغلان عن الحق وما يشغل عن الحق فهو اثم • وقال سهل اتركوا المعاصي بالجوارح وحبها بالقلب • وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون • وقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه اي عند الذبح وانه لفسق اي ان متروك التسمية عند ذبحه عمدا حرام وهو كقوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا وقال في اخر الاية تحريم الميتة ذلكم فسق وسمي به لان متناوله فاسق • وقيل اي تناوله فسق اي خروج عن الطاعة • وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اي يوسوس الشياطين الى المشركين ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما امتم ولا تاكلون ما اماته الله وقد ذكرنا ايضا عن عكرمة ان الشياطين هم المجوس يلقنون المشركين ذلك في محاجة اهل الاسلام • وقوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون اي اطعتم الكفار في استحلال ما حرم الله انكم لمشركون مثلهم والاية نص على تحريم متروك التسمية عمدا عند الذبح

وهو حجة لنا على الشافعي وتعلق بظاهره داود بن علي وحرم متروك التسمية ناسيا وعندنا يحل ذلك وعند ابن عباس وجماعة
ان الآية محمولة على تركها عامدا • وقوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها يتصل بقوله ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين • وقوله وان تطع أكثر من في الأرض
يضلوك عن سبيل الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه اي ولا تطيعوا المشركين فيما
يقولون فانهم يبيحون لكم الميتة وهم ضالون وليس الضال كالمهتدي • وقوله أومن الألف للاستفهام والواو للعطف
وهو استفهام بمعنى النفي ومعناه أومن كان كافرا فهديناه والموت هو الكفر والحياة هي الإيمان وقوله وجعلنا
له نورا قيل هو القرآن وقيل هو الإيمان • وقيل هو نور المعرفة • وقوله يمشي به في الناس يمضي به بين الناس يرشدهم
الى الهدى او يمضي به على السلامة في العقبى • وقوله كمن مثله في الظلمات قيل المثل صلة ومعناه كمن هو كقوله
مثل الجنة اي الجنة • وقيل المثل الصفة اي كمن صفته انه في الظلمات كقوله ولله المثل الأعلى • وقيل ذكر المثل
لانه ضرب به المثل اي مثله كمثل من كان في الظلمات • وقيل هي ظلمات الدنيا • وقيل ظلمات البطن • وقيل ظلمات
الغيبة اي ليسا يستويان • وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زين ضوء الكفر عليهم فعملوه
كما زين لهذا الكافر عمله • وقال الكلبي رحمه الله نزلت الآية في عمار بن ياسر صدق بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعلنا له نورا ايمانا يمشي به مع المسلمين كمن مثله في الظلمات يعني أبا جهل في ظلمات الكفر بالله ليس بخارج منها
ليس يؤمن أبدا كذلك زين للكافرين أبي جهل وذويه ما كانوا يعملون • وقال يمان بن رباب أومن كان ميتا فأحييناه
هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كمن مثله في الظلمات هو أبو جهل بن هشام وكانا جميعا يؤذيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهما فاستجيب له في عمر • وقال مقاتل نزلت في أبي جهل
وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان هذا مثل يضرب به عند التساوي
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن له ولا نتبعه أبدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله تعالى واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما أومن كان ميتا فأحييناه
يريد به حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات يعني أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث
وحمزة لم يؤمن بعد فخبر حمزة فاخبر بما فعل أبو جهل وبيد حمزة قوس فاقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس
وهو يقول له أبا يعلى يتضرع اليه ويستكين وقال يا حمزة أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف
آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله • وقيل الحياة أنواع حياة بالروح قال الله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم وحياة الأرض بالمطر
قال الله تعالى فأحيى به الأرض بعد موتها وحياة بالإيمان كما في هذه الآية وحياة بالطاعة كما في قوله اذا دعاكم لما
يحييكم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وجعلنا له نورا ينقض قول المعتزلة فانهم يقولون العبد
هو الذي يجعل لنفسه نورا يمشي به وهو تحريف لظاهر القرآن وعلى هذا قوله بعد هذا وكذلك جعلنا في
كل قرية أكابر مجرميها الآية وقوله كذلك زين اختلف فيمن زينها قال الحسن زينها الشيطان لهم وقال غيره
زينها الأكابر على الأصاغر • وقال قائلون زينها الله • وقال وما أضيف الى الشيطان فهو وسوسة وما أضيف
الى الكفار فهو دعوة وما أضيف الى الله فهو تخليق وقضية • وقال القشيري رحمه الله أهل الغفلة اذا الهموا
الذكر فقد صاروا أحياء بعد الممات وأهل الذكر اذا اعتراهم نسيان فقد ماتوا بعد الحياة والذي هو
في أنوار القرب وروح الاستبصار لا يدانيه من هو في أسر الظلمات ولا يساويه من هو رهين الآفات
وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها اي جعلنا في كل قرية مجرميها الأكابر ورؤساء الناس
واتصالها بما قبلها ان تقديره وكما جعلنا لمن أحييناه بالإيمان نورا يمشي به فكذلك جعلنا المجرمين أكابر
والأول توفيق والثاني خذلان • وقيل كما وسعنا على أكابر قريش في الدنيا حتى يرأسوا على أهل مكة فكذلك
فعلنا بكل قوم في كل قرية وهو ابطال لوهم الكفار انهم فضلوا على فقراء المسلمين بما أعطوا من الرياسة والسعة
والبسطة • وقوله تعالى ليمكروا فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ليقولوا الكذب وليخبروا أهل القرى
فيها ويعملوا بالمعاصي • وقيل اي ليظهر منهم ما علم منهم وقد علم الله منهم انه اذا جعلهم أكابر انهم يمكرون اي
يقصدون اهلاك الأنبياء في خفية والمعتزلة يقولون هذه لام العاقبة وما جعلهم الله أكابر ليمكروا
لكن وجد منهم في العاقبة كذلك وهو قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وما التقطوه
لذلك لكن صار كذلك • وقال الامام أبو منصور رحمه الله لم يجعلوا هذا انما بين ان الله خلقهم لغير المكر والضلال
وهو يعلم انهم يكونون لما خلقهم وذلك ليس بفعل حكيم ان يعمل عملا يعلم انه لا يكون وانما خلقهم لذلك وهو
لا يعلم انهم يكونون كذلك ويختارون ذلك • وقوله تعالى وما يمكرون الا بأنفسهم اي وما يرجع ضرر ذلك
الا اليهم وهو جعل العواقب هو الله تعالى عن ذلك والحق انه خلقهم ليكونوا على ما علم انهم يكونون
كذلك ويختارون ذلك • وقوله تعالى وما يمكرون الا بأنفسهم اي وما يرجع ضرر ذلك الا عليهم • وقوله

تعالى

تعالى وما يشعرون اي وما يعلمون انه وبال عليهم • قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله • وقال ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا • وقوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قد بينا قبل هذا
ان أبا جهل قال ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي اذا انزلت عليهم آية من السماء قال الوليد بن المغيرة وأبو
مسعود الثقفي لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله من الآيات فنكون أنبياء • وقيل اي نؤتى من الآيات
مثل ما اوتوا فيشهد لنا الناس بها وهو غاية سفهه اذ يقال للرجل آمن فيقول لا او حتى يجعلني الله نبيا • وقال
الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر الله عنهم بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة • وقال مقاتل قال الوليد بن المغيرة والله لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لاني أكبر منك سنا
واكثر منك مالا فأنزلت على أبي مسعود الثقفي نزل قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
اي مكة والطائف وتلاه قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته اي ليس اعطاء النبوة بالشهوات وانما هو
بتخصيص الله لمن رآه أهلا لها وهؤلاء الكفار محرومون وعن صفات الحمد مبعدون • وقوله تعالى سيصيب
الذين أجرموا صغار عند الله اي سينالهم ذلة وتصغير قدر عند الله تعالى • وقوله تعالى وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون قيل اي من عند الله • وقيل وهو قول الفراء انفتهم من اتباع الحق صغار لهم عند
الله • وقال الزجاج صغار في الآخرة ومجازاة الدنيا لهم ذلك اذا صاروا الى جزائه • وقيل صغار ثابت
لهم عند الله والصغار والصغر بضم الصاد هو الذل وصغر من باب علم ونعته الصاغر فاما الصغر
الذي هو نقيض الكبر فصغر فيه من باب شرف ومصدره الصغر بكسر الصاد وفتح الغين • وقوله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون وقد اصابهم ذلك يوم بدر • وقيل هو في المستهزئين به وقد قتل كل واحد بقتل غير قتل
صاحبه • وقال القشيري رحمه الله بعد ان احتج العلة وبيان الحجة وزوال الشبهة أقدام على سوء الأدب
وذلك محال من الحال فالتصدي لمساواة أهل الاستحقاق نوع من تسويلات النفس بل موجب لدوام
الهوان والرجس • وقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي فمن يشأ الله ان يرشده
ويثبت له صفة الاهتداء يوسع قلبه للانقياد للحق والتأمل في الآيات للقبول والأخذ بخفة عليه اتباع
من اختاره الله للرسالة ويخرج من ان يكون مجرما ينال له الصغار والعذاب الشديد في الدنيا والآخرة
وانما يريد ذلك في حق من علم منه اختيار الرشد • وقوله تعالى ومن يرد ان يضله اي يخذله ويثبت
له صفة الضلال • وقوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر حرجا بكسر
الراء اي بالغا في الضيق • وقال سيبويه بالفتح مصدر وبالكسر نعت هو أشد الضيق • وقيل هما واحد كالدنف
والدنف والوحد والوحد والفرد والفرد وللنعت كلاهما • وروى محمد بن جريج ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اتى على هذه الآية فدعا أعرابيا فسأله ما الحرج قال هو الشجرة التي لا تصل اليها الراعية
لالتفاف أغصانها واحدها حرجة • وقال عبيد بن عمير قرأ ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية فقال
هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي
لا طريق فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما كذلك قلب الكافر • وقال النضر بن شميل حرجا اي قلقا • وقال
قتادة ملتبسا • وقال مجاهد اي شاكا • وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ • وقوله تعالى كأنما يصعد
في السماء قرأ ابن كثير يصعد مخففا من الصعود وهو الرقي • وقرأ عاصم في رواية أبي بكر يصاعد والباقون
يصعد واصله يتصعد مشددة اي يتكلف الصعود فادغمت التاء في الصاد كما في قوله يذكر
واصله يتذكر فادغمت التاء في الذال • وقال مقاتل بن سليمان اي لا يقدر على الايمان من اضله الله عن
الهدى كما لا يقدر المتكلف على الصعود الى السماء وهذا الاضلال والخذلان في حق من علم الله منه اختيار
الضلال والآية دامغة المعتزلة في انكارهم الهداية والاضلال من الله تعالى • وقوله تعالى كذلك يجعل
الله الرجس على الذين لا يؤمنون اي العذاب • وقيل الاثم • وقيل اللعن قال الله تعالى قد وقع عليكم من ربكم
رجس وغضب • وقال القشيري رحمه الله من شرح الله صدره للاسلام فانه لا يعترضه في باطنه عرق
لمنازعة التقدير لان الاسلام يقتضي تسليم الكل ومن استثقل شيئا من التكليف او بقي فيه نفس لكراهة
شيء فهو غير مستسلم للحكم • ويقال نور في البداية هو نور العقل ونور في الوسائط هو نور العلم ونور في
النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع البرهان وصاحب العلم مع البيان وصاحب المعرفة في
حكم العيان • ويقال من وجد أنوار الغيب ظهر له خفايا الأمور ولم يشكل عليه شيء عند ظهور النور قال
النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله • ويقال أول آية أنوار الغيب في العبد
تنبيهه على نقائص قدره ومساوي عيبه ثم تشاغله من شهود نفسه بما يلوح له من شهود ربه ثم غلبات
الأنوار عليه حتى لا يشهد الا بعد ما كان يشهد كالناظر في قرص الشمس يستهلك أنوار بصره في شعاع
الشمس فكذلك يستهلك أنوار البصيرة حقائق الشهود فيقع خمود العبد بالكلية وبقاء الأحدية بنعت

الرمدية • وقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الاسلام وقد ذكرنا في الاية الاولى وقال ابن مسعود هو القران وقد ذكرنا قبله بايات ومستقيما نصب على القطع لانه نكرة ذكرت بعد معرفة • وقوله تعالى قد فصلنا الايات لقوم يذكرون اي يتذكرون ومعناه يتعظون • وقوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم اي للمتذكرين الجنة قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى والدار اضيفت اليه • وقال الزجاج اي دار السلامة الدائمة من كل افة وبلية • وقيل هي دار السلام الذي هو التحية قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام • وقوله عند ربهم اي مضمونة عند ربهم حتى يوصلها اليهم • وقيل اي هي لهم في الاخرة يعطيهم اياها • وقوله تعالى وهو وليهم اي حبيبهم • وقيل ناصرهم • وقيل متوليهم • وقيل حافظهم • وقوله تعالى بما كانوا يعملون اي من الطاعات اي يتولاهم بكرمه وفضله ونصرته جزاء لهم باعمالهم الصالحة • وقال الحسين بن الفضل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الاخرة بالجزاء • وقال القشيري رحمه الله لهم دار السلام دار السلامة ومن كان في رق شيء من الاعراض لم يجد السلامة واليه يشير ان القوم في الجنة لكنهم ليسوا في اسر الجنة ويقال من لم يسلم اليوم من الكونين لم يجد هذا السلام بكون الكونين • ويقال دار السلام غدا لمن سلم اليوم لسانه من الغيبة وجنانه من الغيبة وظاهره من الزلة وباطنه من الغفلة وعقيدته من البدعة ومعاملته من الجفوة واعماله من الريا والسمعة واحواله من العجب والملاحظة • ويقال قيمة الدار بالجار • قال قايلهم

اني لاحسد جاركم لجواركم • طوبى لمن اضحى لدارك جارا •
يا ليت جارك باع لي من داره • شبرا لاعطيه بشبر دارا •

والحقيقة وان كانت منزهة عن قبول الجوار وليس القرب منه بتداني الاقطار فاطلاق هذا اللفظ مونس لقلوب الاحباب وقاطع للوسايط والاسباب • وهو وليهم الذي اثرهم على اشكالهم فاثروه في جميع احوالهم وليهم في اولاهم ووليهم في اخراهم وليهم الذي يطلب رضاهم وليهم الذي لم يكلهم الى هواهم لا الى دنياهم ولا الى عقباهم • وليهم الذي يطلب رضاهم بافضاله بلطائفه وجماله وجلاله يكاشفهم وليهم الذي خلصهم من كل حظ ونصيب وحال بينهم وبين كل حميم ونسيب • وليهم الذي حررهم عن كل مرجو ومرهوب وممنوع وموهوب • وليهم الذي لبس لهم سواه • وليهم الذي لا يشهدون الا اياه لا في بدايتهم يفقدون خبره ولا في وسايطهم يشهدون غيره ولا في نهايتهم يجدون غيره • وقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا اي نحشرهم يوم نبعثهم جميعا • وقوله تعالى يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي ونقول هذا مضمر يدل عليه الحال يا معشر الشياطين قد اضللتم الخلق الكثير من الانس اشارة الى قوله ولاضلنهم لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا الى قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين • وقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين • وقوله تعالى وقال اولياؤهم من الانس اي اولياء الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض ان الرجل من الانس كان اذا سافر وخرج فصار بارض قفرة او اصاب صيدا من صيدهم فخاف على نفسه منهم قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم فهذا استمتاع الانس بالجن واستمتاع الجن بالانس انهم قالوا قد سدنا الجن والانس حتى عاذ الانس بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وكذلك قال عكرمة ومجاهد وجماعة • وقال عبد العزيز بن يحيى استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة واستمتاع الجن بالانس قولهم نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء اهله • قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقيل تعاونت بعضنا ببعض في المعصية والمخالفة هولاء بالدعاء وهولاء بالاجابة وقيل استمتاع الجن بالانس اذ عظمنا عظامهم واروثنا انعامنا علف دوابهم • وقوله تعالى وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال الامام ابو منصور رحمه الله قيل الموت وقيل البعث يوم القيامة لانهم كانوا ينكرون ذلك فاقروا به حينئذ • وقوله تعالى قال النار مثواكم اي قال الله تعالى جهنم مقامكم • وقوله تعالى خالدين فيها اي في النار • وقوله تعالى الا ما شاء الله اي الا مقدار وقوفكم خارجا منها للعرض والحساب فهم في هذا الوقت مستثنون من ذلك • وقيل اي معذبون الا ما شاء الله من تعذيبكم بغير النار وقال عطا الا ما شاء الله من سبق في علمه انه يؤمن كما في قوله واخرين منهم لما يلحقوا بهم فمنهم من امن قبل الفتح ابن وهب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وجبير بن مطعم وحدة ومنهم من امن بعد الفتح عكرمة بن عمرو بن الحارث بن هشام وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وضرار بن الخطاب وهبار بن الاسود وصفوان ابن امية وعبد الرحمن بن ابي خلف وابو سفيان بن الحارث وصخر بن حرب وابو قحافة وحدة • وقال الحسن الا ما شاء الله سكونهم في الدنيا بغير عذابه • وقوله تعالى ان ربك حكيم بما يفعل باوليائه واعدائه وقوله تعالى عليم بالمطيعين والعاصين يجزي كلا على وفق عمله • وقال القشيري رحمه الله ليتلذذ روبت بلاد يتنعمون ويصيحون فلا يسمع ولقد كانوا من قبل لو اتوا باقل منه قبل منهم لكن سبقت القسمة وحقت الشقوة

وقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون اي نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس في الاخرة اي نكل بعضهم الى بعض كما قال نوله ما تولى فلا ينفع بعضهم بعضا كقول ابليس ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي • قال تعالى ادعوا شركاءكم • وقيل نولي اي نسلط بعضهم على بعض فيلعن بعضهم بعضا ويتبرا بعضهم من بعض ويدعوا بعضهم بزيادة العذاب على بعض كما قال تعالى ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا • وقال قتادة اي نتبع بعضهم بعضا في النار • وقيل هو من الولاية فقال في حق المؤمنين وهو وليهم • وقال في حق الكافرين نولي بعض الظالمين بعضا اي نجعل بعضهم اولياء بعض كما قال في حقهم ذلك وان الله وليهم فهو ينصرهم ويعظمهم والكافرون اولياؤهم يصيرون يومئذ اعداء كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين • وقيل في قوله وكذلك يقضي شبها وشبها به اي كما نفعل بهؤلاء في الاخرة نفعل بهم في الدنيا • قال مالك بن دينار قرات في كتب الله المنزلة ان الله تعالى يقول افني اعدائي باعدائي ثم افنيهم باوليائي • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم منهما في القيمة • وقوله تعالى يا معشر الجن والانس اي يقال لهم يوم يحشرون • وقوله تعالى الم ياتكم رسل منكم استفهام بمعنى الاثبات اي ما عذركم في الكفر وقد اتاكم رسل منكم وهذا خطاب للجن والانس وقال الامام ابو منصور رحمه الله اختلف فيه قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كانت الرسل من الانس لكنه اضاف الى الفريقين جميعا كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح منهما وكما قال وجعل القمر فيهن نورا وانما جعله في واحدة منهن وكقول الناس في سبع قبايل مسجد واحد وانما يكون في واحدة منهن • وقال بعضهم كان من الفريقين جميعا الرسل من الجن جني ومن الانس انسي لان الجن يستترون من الانس وانما يرسل الى الجن رسل يظهرون لهم فيبعث الى كل فريق الرسول من جوهرهم • وقال بعضهم كان الرسول من الانس الى الفريقين جميعا وكان من الجن النذر قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين وقال الحبر الامام ابو منصور ان الرسل من الجن هم اولادهم الذين يستمعون من رسل الانس ويبلغون باسرهم الى قومهم وقال ابو العباس المبرد منكم اي من اهل الارض والانس والجن من اهل الارض بخلاف الملايكة لانهم من اهل السماء • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة الى معرفة الايات والحجج التي اتى بها الرسل وقد عجز عنها الجن والانس جميعا • قال تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فالجن اقوى على الاشيا من الانس فاذا عجزوا عنه ذلك ففيه اعجز • قال ويجوز ان يكون الرسل وان كانوا من الانس فان الجن يستمعون من الرسل فلزمتهم الحجة والعمل بها والتبليغ الى قومهم من غير ان يعلم الرسل • وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي اي يتلونها عليكم في الامر بالايمان والطاعة والنهي عن الكفر والمعصية • وقوله تعالى وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي يخوفونكم • وقوله تعالى قالوا شهدنا على انفسنا اي اقررنا بذلك كما قال الخبر عنه فاعترفنا بذنوبنا • وقال تعالى قالوا بلى قد جاءنا نذير • وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا يعني ان ما لحقهم الرسل انما كانت لانهم اغتروا بالحياة الدنيا وظنوا انها تدوم لهم وتوهموا ان ما اعطوه لكرامتهم على الله • وقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين • بتكذيبهم يتعوذ المشركين احذروا ان تكونوا هكذا مثلكم يوم القيامة • وقوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون اي ذلك الارسال الى الجن والانس للاجل ان ربك ليس من صفته ان يهلك القرى بظلم • قال الكلبي رحمه الله اي يعذب اهلها بظلم اي بشرك واهلها غافلون اي لم يكن ليهلكهم من قبل ان ياتيهم رسول فينهاهم فان رجعوا والا انزل العذاب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يعذب الله قوما الا بعد تقدم الوعيد ليلا يحتجوا فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين وان لم يكن لهم الاحتجاج بذلك لما مكن لهم وركب فيهم وما يعرفون به انعم بخلقهم عبثا او لتركهم سدى لكن سنته في الاولين قد مضت انه لا يهلكهم الا بعد الوعيد فضلا منه ورحمة لا انه لا يسع ذلك • وقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا اي ولكل عامل بطاعة او معصية درجات اي مراتب في الجزاء • قال الكلبي اي بعضهم اشد عذابا من بعض وكذلك في الفضائل بعضهم اعلاه درجة من بعض على قدر اعمالهم في الدنيا • وقال القشيري رحمه الله المحسن في روح الثواب متنعم والمسيء في نوح العقاب متالم • وتعلق ابو يوسف ومحمد رحمهما الله بظاهره في ان الجن لهم ثواب فانه قدم ذكر الجن والانس ثم قال ولكل اي من الفريقين • وقال ابو حنيفة رحمه الله الكلام في اكثر هذه الايات وكذلك في الاية التي قبل هذه الاية في مشركي الانس ومؤمنيهم فالظاهر انه فيهم والاصل ان الثواب لا يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله فلا نشهد به الا لمن سبق له الوعد به ولا نتيقن بذلك في حق الجن • وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون قرا ابن عامر بالتاء على المخاطبة ردا على قوله يا معشر الجن والانس والباقون بالياء على المغايبة ردا على الاية التي قبلها ومعناه عند الامام ابي منصور رحمه الله وجهان احدهما وما ربك بغافل عن اعمالهم التي يعملونها من المعصية ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه كما قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم الاية والثاني انه على علم

باعماله حين خلقهم لا من جهل بما اذ من اعمالهم يرجع اليهم لا اليه • وقوله تعالى وربك الغني فلا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر
بالمعصية • وقوله تعالى ذو الرحمة فلا يعاجل بالعقوبة • وقال القشيري رحمه الله يشير الى عزه وذو الرحمة يشير
الى لطفه اخبر بقوله الغني عن جلاله وبقوله ذو الرحمة عن افضاله فبجلاله يكاشفهم فيفنيهم وبافضاله يلاطفهم فيحييهم
وسماع غناه يوجب محوهم وسماع رحمته يوجب صحوهم فهم في سماع هذه الاية بين فناء وبقاء واصطلام واكرام
وتذويب وتقريب واحتياج وارتياح • وقوله تعالى ان يشا يذهبكم اي يهلككم • وقوله تعالى ويستخلف من بعدكم
ما يشا يجعل فيها من يخلفكم من غيركم من الناس او من غير جنسهم فانه قال ما يشاء ولم يقل من يشا فلا يختص بالعقلاء • وقيل
ما ههنا بمعنى من والمراد ويات بقوم هم اطوع منكم قال عطاء هم الانصار والتابعون باحسان • وقوله تعالى كما انشاكم
من ذرية قوم اخرين اي نسل قوم كانوا قبلكم • قال المقاتل من ذرية قوم اخرين اي نسل قوم كانوا قبلكم • قال المقاتل
من ذرية قوم اخرين يعني اهل سفينة نوح • وقيل من للبدل كما يقال اعطيتك من دينارك ثوبا اي انشاكم بدلا منهم
وقوله تعالى انما توعدون لات اي من مجيء الساعة • وقيل من العذاب في الدنيا والاخرة • وقيل من اظهار محمد
صلى الله عليه وسلم • وقال الكلبي لات اي لكاين لا خلف فيه • وقال القشيري رحمه الله الاشارة في هذه الاية
الى قصر الامل ومن قصر امله حسن عمله وكل ما هو ات فقريب اجله • وقوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين
اي يدرككم حيث كنتم وقد فضحت فلانا فاعجزني اي سبقني ففاتني • وقوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
قرا عاصم في رواية ابي بكر على مكاناتكم بالجمع لانه خطاب الجمع • وقراءة الباقين على مكانتكم على الواحد والمكانة
الطريقة والجهة اي الناحية وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن • وقال الزجاج هي من التمكن بمعنى
المكين وصيغته صيغة الامر ومعناه التهديد كما قال اعملوا ما شئتم • وقوله تعالى اني عامل اي قد انذرتكم
ونصحت لكم وانتم مقيمون على تكذيبي فاثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمعاصي وانا اثبت على الايمان والطاعة
والصبر على ايذائكم • وقوله تعالى فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار قرا حمزة والكسائي بالتذكير
لتقدم الفعل ولان تانيث العاقبة غير حقيقي • وقرا الباقون بالتانيث لانها مؤنثة لفظية اي فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة في دار السلام ويحتمل عاقبة دار الدنيا في النصر
والظفر ووراثة الارض • وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون وانتم ظالمون لا تفلحون • وقال مجاهد
من تكون له عاقبة الدار الظفر في الدنيا والفوز في الاخرة وعاقبة الشيء ومعقباه ومعقبه اخره ومنتهاه
وقال الكلبي اعملوا في منازلكم في امري اني عامل في امركم بالهلاك فسوف تعرفون من تكون له الجنة انه
لا يامن الظالمون • وقوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وهذا
مما يوحي شياطين الجن والانس من زخرف القول ومن ضلالات اهل الشرك وجهلهم وافترائهم على الله
وشرعهم ما لم ياذن به الله يقول سموا لله مما خلق من الزرع الذي تزرعونه ومن الحيوانات التي تقتنونها
من البقر والابل والغنم حظا فقالوا هذا لله بزعمهم • قرا الكسائي وحده بزعمهم بضم الزاي والباقون
بفتحها اي بقولهم الباطل وهذا لشركائنا اي اصنامنا وكانوا يجعلونها شركاء لله وانما اضافوها
الى انفسهم لاعتقادهم اياها كذلك ثم كان من حكمهم انما جعلوه لله من حرثهم فاختلط منه بالذي جعلوه
لاصنامهم قالوا ان هذا لالهتنا والله غني عن هذا ولم يردوه الى ما جعلوه لله وما اختلط منه شيء مما سموه لالهتهم
بالذي سموه لله اخذوه وردوه الى نصيب الهتهم وقالوا ان هذا كان لها فهي احق به وكانوا اذا زرعوا خطوطا
فقالوا هذا لله تزكونه وهذا لالهتنا واذا احصدوا فما وقع منه فيما جعلوه لالهتهم بانهبت به الريح ونحو
ذلك تركوه وما وقع منه فيما جعلوه لله اعادوه الى موضعه وكانوا اذا نما وحسن ما لله وانتقص ما لالهتهم
جعلوا ذلك النامي لالهتهم ولم يجعلوا ذلك في عكسه هذا في الحرث فاما في الانعام فكانوا يسمون بعضها
لله وبعضها لالهتهم فكانت اذا ولدت ما لله انثى ميتا اكلوه واذا جعلوه لالهتهم فولدت ميتا عظموه
فلم ياكلوه وبيان ذلك في تفسير البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي • وقال قتادة ان اصابتهم سنة
اكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لالهتهم • وقيل ما سموه للاصنام كانوا ينفقون عليها وما سموه لله يخرجونه
للاضياف والسؤال وكذلك امر الحرث • وقوله ساء ما يحكمون في شرع ما لم يشرع الله • وقيل اعني بتفضيل
الاصنام على الله في هذه المعاملة • وقيل ان الله تعالى قال لو كان معي شريك كما يقولون فهذا ليس بعدل
في القسمة ان تاخذ واعطي والقطوفي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه وجوه السفه منهم احدها
انهم كانوا مقرين ان الله خلق الاشيا كلها ثم جعلوا مما خلق نصيبا للاصنام ومنها انهم لم يستووا في هذه
القسمة على ما حكينا انه يبين الحكم وهو كما قال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى • ومنها ان
الاصنام لا تملك شيا ولا تعقل شيا فلا معنى لتعظيمهم هذا • وقال القشيري رحمه الله لما بنوا قاعدة
امرهم على موجب الهوى صار فرعهم لا بغير اصولهم فهو كما قيل •

• اذا كان الغضا الى ابن اوي • فتعديل الشهود الى القرود •

وقوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم اي كما زينوا لهم تحريم هذه الحروث
والانعام بخلاف حكم الله كذلك زين لكثير منهم شركاؤهم قتل اولادهم بغير امر الله به واذنه فيه والشركاء
الشياطين ههنا لا الاوثان فكانوا يطيعون الشياطين ويقبلون منهم فصاروا شركاءهم اشركوهم بالله من هذا
الوجه كما كانت الاوثان شركاءهم اوقعوا في قلوبهم بطريق الوسوسة قتل البنات خشية الاملاق ولحوق العار
وانما قال لكثير ولم يقل الكل لان بني كنانة كانوا لا يودون البنات روي ذلك عن الحسن ومجاهد والسدي
وله وجه اخر • قال الكلبي رحمه الله كان للاصنام سدنة وخدام هم الذين يزينون للكفار قتل اولادهم وكان الرجل
يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وشركاؤهم هؤلاء
وقتل الاولاد لهذا الزجر وهو مما لم ياذن فيه الله • وقوله تعالى ليردوهم اي ليهلكوهم وقد ردي يردى من
باب علم وارداه غيره ارداء • وقوله تعالى وليلبسوا عليهم دينهم اي يشبهوا ويخلطوا اي يدخلوا الشبهات
والغالط في الدين الذي شرع الله لهم فيتركوه • وقال الكلبي رحمه الله كانوا على دين اسمعيل ويحتمل
وليلبسوا عليهم دينهم الباطل وهو الشرك فيلزموه والدين يقع على الحق والباطل قال الله تعالى لكم دينكم ولي دين
وقوله تعالى ولو شاء الله ما فعلوه فثبت ان الكائنات كلها بمشيئة الله وبطل به مذهب المعتزلة • وقوله تعالى
فذرهم وما يفترون اي يكذبون من قولهم والله امرنا بها • وقرا ابن عامر زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركائهم بضم الزاي ونصب الاولاد وخفض الشركاء وتقديره قتل شركائهم اولادهم ففصل بين المضاف والمضاف اليه
وقد ورد مثل ذلك في الشعر قال قايلهم • فزججتها بمزجة • زج القلوص ابي مزاده • اي زج ابي مزادة
القلوص • واكثر النحويين على انه لا يجوز لان القران لا يحمل على الشاذ القبيح وقالوا انما حمله على هذه القراءة
لانها في مصاحف اهل الشام شركايهم بالياء ويجوز حمل ذلك على وجه احسن من هذا اولادهم بالخفض شركايهم
كذلك الله بدل عنه وسموا شركاء لانهم يشركونهم في النسب والنعم والميراث • وقال الفراء ويجوز شركايهم بالياء ورفع
الياء على لغة من قال عشاي في عشايا • قال الشاعر •

• اذا الثريا طلعت عشايا • فبع لراعي غنم كسايا •

وقال الامام ابو منصور رحمه الله ولو شاء الله ما فعلوه اي ولو شاء الله لا عصمهم فلم يفعلوا ذلك وقيل لا لجاهم
ومنعهم من ذلك • وقيل لو لا امر فتح فعلهم لم يفعلوا ولكن علم الله منهم انهم يختارون ذلك وشاء لهم ذلك
فذرهم وما يفترون فان ضرر ذلك الافترا عليهم ليس علينا ولا عليك • وقال القشيري رحمه الله ولو شاء
ربك ما فعلوه صرح بان المدار على المشية والاعتبار بالسابق القضية • وقوله تعالى وقالوا هذه انعام
وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم حجر حرام من الحجر وهو المنع وهذه الانعام والحروث هي التي ذكرت
قبل هذا في قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وقد فسرناها لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم
اي قولهم الباطل وهو ما ذكرنا من الاضياف والمساكين • وقال الكلبي رحمه الله اي الرجال دون النساء
وقوله تعالى وانعام حرمت ظهورها هذا في الحامي كان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا حمى ظهره فلا يركب
ولا يحمل عليه ولا يمنع من مرعى ولا ماء • وقوله تعالى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل هي انعام لا يحرمونها
ويبيحون الانتفاع بها لكن كانوا لا يذكرون اسم الله عليها عند حمل او ركوب او حلب او غير ذلك • وقيل
بل كانوا لا ينتفعون بها ولو انتفعوا بها لذكروا اسم الله عليها خصوصا اذا حجوا عليها فانهم كانوا يذكرون
اسم الله عليها بالتلبية وغيرها • وقال ابو وايل لا يحجون عليها • وقال السدي لا يذكرون اسم الله عليها اذا
ذبحوها • وذكر الامام ابو منصور رحمه الله بعض هذه الاقاويل وغيرها • قال قيل اي لا يذبحونها
للاكل ولا يذكرون اسم الله عليها عند الركوب وهو قوله سبحان الذي سخر لنا هذا الاية لانهم لا يركبونها
ولكن يسيبونها • قال والاقرب الى الصواب لا ينتفعون بها ليعرفوا انعم الله ويشكروا له عليها • وقوله
تعالى افتراء على الله اي كذبا على الله انه امرهم بذلك • وقوله تعالى سيجزيهم بما كانوا يفترون وهذا
وعيد • وقوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا قراءة العامة خالصة بالرفع
والتنوين وليست للتانيث بل يقال في الاسم خالص وخالصة • قال الشاعر •

• كنت اميني وكنت خالصتي • وليس كل امرئ بموتمن •

والخالص الذي لا شوب فيه • وقيل الهاء للمبالغة كما يقال راوية للشعر وعلامة ونسابة وغير ذلك
وقرا سفيان بن الحسين خالصة بالنصب والتنوين على المصدر كالعافية والعاقبة والطاغية
اي خلوصا لذكورنا • وقرا ابن عباس خالصه لذكورنا برفع الصاد وهاء الاضافة اي الخالص منه
وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما خالص لذكورنا على التذكير لانه نعت وكذا ما بعده ومحرم
معناه وقالوا ما في بطون البحيرة ونحوها من الالبان في قول ابن عباس والشعبي • وقيل من الاجنة

مباح لذكورنا فينا ولون منها ۰ وقوله تعالى ومحرم على ازواجنا اي اناثنا لان الاناث هن ازواج الرجال في الحمل فلا يحل لهن شي من ذلك ۰ وقوله تعالى وان يكن ميتة فهم فيه شركاء قرا ابن كثير بيا التذكير ميتة بالرفع وهو اسم كان والفعل مقدم ۰ وقرا ابن عامر وان تكن بتا التانيث ميتة رفع لانها مونثة لفظا وقرا عاصم في رواية ابي بكر وان تكن بتا التانيث ميتة بالنصب لانه خبر كان وان الاسم مضمر على التانيث وان تكن الانعام لان ما في بطون الانعام انعام ۰ وقرا الباقون وان يكن بيا التذكير ميتة بالنصب والاسم ما في بطون وهو مذكر معناه وان يكن ما في البطون ميتا فالذكور يحل اكله والاناث سواء ۰ وقوله تعالى سيجزيهم وصفهم ما تصف السنتهم من التحليل والتحريم قال تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب ۰ وقوله تعالى انه حكيم فيجزيهم عليم بافعالهم ۰ وروت عمرة عن عايشة رضي الله عنها قالت يعمد احدهم الى ما له فيجعله للذكور من ولده دون الاناث فتجي المراة العزبية فتتصبح في ما له وجعلت ابنته تمد عينها الى مال ابيها ما فعلوه الا كما اخبر الله عنهم خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ۰ وقال القشيري رحمه الله اخبر عن اشيا ابتدعوها على ما ارادوا وامور شرعوها على الوجه الذي اعتادوا وانهم اضافوا ذلك الحق بغير دليل والا من جهة اذن رسول والاشارة فيه ان من تابعوهم في زيادة شي في الدين او نقصان شي من شرع المسلمين فهو مضاهيهم في البطلان ومنخرط في سلكهم في الطغيان ۰ وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افترا على الله اي هلكوا وخابوا والسفه خفة الحلم بالعجلة الى ما لا ينبغي له ان يعجل اليه ومن السفه قتل النفوس المحرمة خصوصا من هو ولدك وبعض منك ومن لم يذنب اليك ولا الى غيرك ولا جناية وفيه قسوة قلب وقلة رحمة وقطيعة رحم واساءة الى بري وجراة على الله ۰ وقوله تعالى قد ضلوا وما كانوا مهتدين قال القشيري رحمه الله انسدت عليهم طرق الثقة بخالق العباد فحملتهم خشية الفقر على قتل الاولاد ومن حقايق اليقين كثرة العيال على قلة المال ۰ وقوله تعالى وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات بين تحريم المشركين بعض الحروث والانعام وبين في هذه الاية انها خلقت لنا وهي حلال ليست بحرام وانشا اي خلق وابتدا جنات بساتين ۰ وقوله معروشات ۰ قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي هي ما عرش من الكروم ونحوها وهو رفع بعض اغصانها على بعض ۰ وقيل هو رفع له حظار كالحايط والعرش في اللغة هو الرفع وسمي السرير عرشا لارتفاعه ۰ وقوله خاوية على عروشها اي اعاليها ۰ وقيل هي الكروم يجعل لها عرايش وهي كالسقوف والعرش السقف ۰ وقيل المعروش ما يقوم على الساق وغير المعروش ما ينبسط على الارض ۰ وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية المعروشات المسموكات وغير المعروشات ما خرج من الجبال والبرية من الثمار ۰ وقوله تعالى والنخل والزرع عطف على جنات وهي مفعولة بانشا ۰ وقوله تعالى مختلفا اكله نصب على القطع لانه نكرة هي صفة لمعرفة والاكل الثمر لانه يوكل والنخل الوان كثيرة وكذلك الزرع والها في اكله راجعة الى ما ذكر ۰ وقوله تعالى والزيتون والرمان عطف على جنات متشابها وغير متشابه نصب على القطع وتفسيره ما مر في قوله مشتبها والاشتباه والتشابه واحد يقال اشتبهت الامور وتشابهت ۰ وقوله تعالى كلوا من ثمره اي ثمر ما ذكر اذا اثمر اي استبيحوا اكله ولا تحرموه كتحريم المشركين ۰ وقوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده قرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي بكسر الحا والباقون بفتحها وهما لغتان كما في الجداد والصرام والقطاف وحصد الزرع يوم حصاده وقت بلوغه وفصله ۰ وقال الربيع هو لقاط السنبل ۰ وقال مجاهد اذا حصدت وحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته ودريته فاطرح لهم منه واذا عرفت كيله فاعزل زكاته اي عشره ۰ وقال الشعبي تعطي منه ضغثا ۰ وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فياكل منه الضيف ومن مر ۰ وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال يتصدقون عند صرامه فيقول الرجل لا امنع سايلا حتى امسي فعمد ثابت بن قيس ابن شماس الى خمسماية نخلة فجذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا فنزل ۰ وقوله تعالى ولا تسرفوا يعني في العطية ۰ وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين اسرف حتى لم يترك لاهله شيا ومن حمله على العشر فمعنى قوله واتوا التزموا ادا ۰ كما قال واتوهن اجورهن اي التزموا لانه لا يسلم حين يحصد حتى ينقى ۰ وقال سعيد بن جبير لا تسرفوا اي لا تمنعوا اكله ۰ وقال الزهري لا تسرفوا اي لا تنفقوا في المعصية ۰ وقال عبد الرحمن بن زيد هو امر للسلاطين اي لا تاخذوا فوق حظكم ۰ وقال مقاتل وعطية العوفي اي لا تشركوا الاوثان في الحرث والانعام ۰ وقال القشيري رحمه الله ولا تسرفوا الاية كل ما انفقته في حظ نفسك فهو اسراف وان كانت سمسمة وما انفقته في سبيله فليس باسراف ولو زاد على الالف ۰ وقوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا اي وانشا من الانعام حمولة وهي كبار الابل التي تطيق الحمل وفرشا اي صغارها وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد ۰ وقيل الحمولة ما حمل من الابل والبقر واما الفرش فهو الغنم وهذا عن الحسن في رواية وهو قول قتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد وعن ابن عباس

رضي الله عنهما في رواية ان الحمولة ما تحمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير واما الفرش فهو الغنم والحمولة تجمع الواحد فما فوقه لا من لفظها وسمي صغار الابل فرشا لاستوا اسنانها في الصغر ولانحطاطها كاستوا ما يفترش ۰ وقال ابو عمرو الحمولة الابل والفرش البقر والغنم يقول انشا من الانعام حمولة ينتفع بها بالحمل وصغارا ينتفع بها من وجوه اخر ۰ وقوله تعالى كلوا مما رزقكم الله اي استبيحوا اكل هذه الانعام وهي الابل والبقر والغنم ۰ وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي ولا تسلكوا سبيل الشيطان ولا تتبعوا اثاره في تحريمها ۰ وقوله تعالى انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ۰ وقيل اي مظهر العداوة فاتهموه على انفسكم واديانكم وابان لازم ومتعدي ۰ وقوله تعالى ثمانية ازواج ترجمة عن قوله حمولة وفرشا ۰ وقيل نصب لانه مفعول بقوله كلوا ۰ وقيل هو على الاغرا اي عليكم بها فانتفعوا بان الله اباحها لكم وثمانية ازواج اي ثمانية اصناف او ثمانية افراد كل ذكر وانثى زوجان ۰ وقوله تعالى من الضان اثنين قال الزجاج الضان جمع ضاين كالتجر جمع تاجر ۰ وقيل هي جمع لا واحد له من لفظه ويجمع على ضئين كعبد يجمع على عبيد ۰ وقوله تعالى ومن المعز اثنين قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بتحريك العين وهي جمع ماعز وهي التيوس والعنوز ۰ وفي مصحف ابي ومن المعزى وهي جمع ايضا ۰ قال امرؤ القيس

اذا ما لم تكن ابل فمعزى ۰ كان قرون جلتها العصي ۰

وقوله تعالى قل آلذكرين حرم ام الانثيين الالف الف الاستفهام ۰ وقوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي حوته وجمعته وانضمت عليه والارحام جمع رحم وهي المشيمة وهو موضع الولد وجمع الارحام وان اضيفت الى اثنين لان ما كان في الجسد عضوا واحدا فالاضافة الى الاثنين بالجمع قال تعالى فقد صغت قلوبكما يقول انشا لكم ثمانية ازواج من الغنم ذكرا وانثى ومن المعز ذكرا وانثى ومن الابل كذلك ومن البقر كذلك والذكر زوج للانثى وكل انثى زوج للذكر فهي ثمانية ازواج وهم كانوا يحرمون من هذه الاصناف الاربعة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحاجهم ويبطل وجه تحريمهم فقال قل آلذكرين حرم ام الانثيين اي الذكر من الضان والذكر من المعز حرم ام الانثى من هذه والانثى من هذه ام حرم الاجنة التي اشتملت عليها الارحام دون الاصول الذكور والاناث فان كان حرم الذكور فيجب ان يكون كل ذكر حراما وان كان حرم الانثى فيجب ان تكون كل انثى حراما وان كان حرم الجنين فيجب ان يكون كل جنين حراما وهم لا يقولون ذلك فتناقضت مقالاتهم وظهرت محالاتهم ۰ وقوله تعالى نبئوني بعلم اي اخبروني بحجة ما تقولون من طريق العلم ۰ وقوله تعالى ان كنتم صادقين في دعواكم ۰ وقوله تعالى ومن الابل اثنين اي ذكرا وانثى ايضا ومن البقر اثنين كذلك ۰ وقوله تعالى قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي من الابل والبقر كالاول ۰ وقوله تعالى ام كنتم شهدا اذ وصاكم الله بهذا قال في الاية الاولى نبئوني بعلم وحاصله ان العلوم ثلاثة استدلال وعيان وخبر فقد ابطل الاستدلال بالاية الاولى والعيان ايضا فانهم لم يقولوا اشهدنا الله امره به والخبر صدق من صادق فانهم لا يقولون بالرسل فثبت انه لا علم لهم اصلا في هذا فلم يبق الا الافترا وهو ظلم ۰ وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين روي ان مالك بن عوف بن النضري الجشمي وكنيته ابو الاحوص جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد بلغنا انك لا تحرم ما كان اباونا يحرمونه فقال له صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ثمانية ازواج وساق الكلام الى اخر الايتين ۰ فتحير مالك وعرف انه محجوج فقال كذلك فعل اباونا ۰ وفي رواية قال ان معي جماعة من قومي فاتيهم فاخبرهم فاتى قومه فقالوا له كيف رايته فقال رايته رجلا سمحا ۰ وفي رواية قال يا محمد فما هذه التي حرمها اباونا من البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي فنزل ۰ وقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا وصبه السايل فلا يحرم الدم الذي في اللحم ولا الكبد ولا الطحال ۰ وقوله تعالى او لحم خنزير فانه رجس اي نجس والها ترجع الى الخنزير تدل على انه نجس العين ۰ وقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به اي معنوفا به وهو المذبوح لاجل الصنم ۰ وقوله على طاعم يطعمه دليل على المحرم من الميتة اكلها فلا يحرم شعرها وعظمها وقرنها والجلد قبل الدباغ يحرم لانه قد يشوى فيوكل فاذا دبغ خرج عن الاكل وجاز الانتفاع به ۰ وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس بظاهر ولم يحرم شيا سوى ما ذكر في هذه الاية ۰ وقال في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور انه خبر الواحد فلا يترك به النص ولكنا نقول الاية في اخبار انه لا يجد فيما اوحي اليه يوم قال الا ذلك ثم نسخت حرمة اشيا بالقران وحرمة اشيا بقول النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الخبر مشهور تلقته العلما بالقبول فجازت به الزيادة على النص ۰ وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد اي اضطر الى شي من هذه المحرمات غير باغ مجاوزة قدر الحاجة ولا عاد بالتزود وقد بينا فيه اقاويل اخر في هذه السورة في سورة البقرة ۰ وقوله تعالى فان ربك غفور رحيم يغفر له الاكل عند الضرورة رحيم

بإثبات الرخصة • وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اخبر انه حرم على اليهود اشياء ببغيهم على انبيائهم و
وتعاندهم فيما بينهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم منها اكل كل ذي ظفر • قال ابن عباس و
وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط • وقيل
يدخل فيه انواع السباع والكلاب والسنانير وسائر ما يصطاد بظفره من الطير • وذكر القتيبي انه كل ذي مخلب
من الطير وكل ذي حافر من الدواب داخل فيه حكاه عن بعض المفسرين • وقوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما وحرم آخر عليهم شحوم البقر والغنم واستثنى من ذلك شحم الظهور والحوايا انه لم يحرم عليهم
ذلك • وقوله تعالى الا ما حملت ظهورهما او الحوايا جمع الظهور لانه فرد من اثنين اضيف اليهما كما في قوله
صغت قلوبكما • وقوله او الحوايا جمع حوية وحاوية والفعيلة تجمع على فعائل كالسفينة والسفاين والفاعلة
على فواعل كالقاصعا والقواصع وفي المعتل يجمع بالف في آخره كالبلية والبلايا والعطية والعطايا وفي فعله
وجهان قيل هو رفع عطفا على قوله ظهورهما وتقديره او حملته الحوايا من الشحوم • وقيل هو عطف على الا ما
اي الا شحوم الحوايا • وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي رضي الله عنهم الحوايا
المباعر • وقال اهل اللغة هي ما يحوى في البطن فاجتمع واستدار • وقوله تعالى او ما اختلط بعظم هو كل ودك
اتصل بعظم كالالية وما في القوائم او الجنوب والرؤس والعيون والاذان والمخ فانه مستثنى ايضا
ثم قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فيما اخبرنا به لا انتم فيما قلتم • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله قيل في قوله الا ما حملت ظهورهما هو سمين اللحم • وقيل هو غير ذلك وكذا اختلف في ذي الظفر
وفي قوله او ما اختلط بعظم وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة لان تلك شريعة قد نسخت ولكن بنا ان نعرف
ان ذلك التحريم كان ببغيهم ويبطل بذلك دعواهم نحن ابناء الله واحباؤه فان الاب والحبيب لا يحرم الحلال
على الابن والحبيب بادنى ظلم وفي هذه الاية دليل على صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه اخبرهم كانوا
يخفونه ولم يكن ذلك ظاهرا عند احد من غيرهم فدل انه بالله علم ذلك بوحي منه • وقوله تعالى فان كذبوك
اي فيما اوحيت اليك من هذا فقل لهم ان ربكم ذو رحمة واسعة ولهذا يمهل المكذبين ولا يعاجلهم
بالعقوبة • وقوله تعالى ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اي ان عذابه وان تاخر فاذا جاءهم لم يرد عن
المجرمين اي لا يمكن رده • وقيل ذكر قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي بالمصدقين ولا يرد باسه عن
المكذبين وفيه بيان تخصيص الاولياء بالكرامة والرحمة وتخصيص الاعداء بالطرد واللعنة فالصورة
الانسانية جامعة لهم والقسمة الازلية فاصلة بينهم • وقوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء
الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي يتعلقون بمثل هذا الكلام في تكذيبك وتثبيتهم على شركهم
وتحريمهم ما لم يحرمه الله • وقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي كتكذيبهم اياك كان تكذيب
المتقدمين رسلهم وتعلقهم بمثل هذا علم يبغيهم ذلك ولم يقولوا ذلك عن اعتقاد بل قالوه استهزاء
وقوله تعالى حتى ذاقوا باسنا اي لم يقولوا ابدا هذا الكلام حقا لكن قالوه استهزاء فذموا به لذلك وهو
كقوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
وكقوله قالوا نشهد انك لرسول الله والقول انه حقا لكن لم يقولوا ذلك عن اعتقاد فرد عليهم وذموا
به وهذا يكشف عن بطلان زعم المعتزلة ان الله عابهم بالاضافة الى المشية فذلك انه باطل لانا بينا وجهه
ولانه لم يقل كذلك كذب الذين بالتخفيف ليكون وصفا لهم بالكذب في هذا القول بل قال بالتشديد
فكان المردود عليهم تكذيبهم ولانهم جعلوا المشية حجة لهم على انهم معذورون به وهذا مردود لا الاقرار
بالمشية ثم المعتزلة من هذا الوجه شر من المشركين فان المشركين اقروا بمشية الله تعالى والمعتزلة نفوها
مع ان الله تعالى اثبتها في آيات ولو شاء الله ما اشركوا • ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى وكلها في هذه السورة وكذا قال تعالى بعد هذه فلو شاء لهداكم اجمعين • وقال الحسن ارادوا
بالمشية ههنا الرضى وقالوا لولا ان الله رضي لعاجلنا بالعقوبة فرد الله عليهم • وقيل كانوا يدعون
من هذا الوجه امر الله به كما قالوا والله امرنا بها فرد عليهم • وقوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا اي من حجة فهذا تقدير على ان مشيئة شرككم تبيح لكم المقام عليه وفي انه رضي به وفي انه امر به
اي فلا حجة لكم من جهة العلم بوجه يصح التعلق به • وقوله تعالى ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون
وقوله تعالى وان انتم الا تخرصون اي وما انتم الا تكذبون وظنهم وهمهم ان مشية الله عذر لهم
وقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة بيانها عليهم باوامره ونواهيه ولا حجة لهم عند الله بمشيئته
وارادته • وقوله تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين وهي كافية المعتزلة المبطلين • وقوله تعالى قل هلم
شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا هلم توحدها اهل العالية في كل حال واهل نجد يقولون هلم
هلما هلموا هلمي هلممن • وقال سيبويه هو ها التنبيه ضم اليها لم • وقال الاخفش هو هل ضم اليها ام و

يكون

يكون لازما كما في قوله هلم الينا ويكون متعديا كما في هذه الاية هلم شهداءكم اي قربوا واحضروا الذين يشهدون لكم قيل اراد به
الاصنام فانهم كانوا يسمونها شهداء قال الله تعالى وادعوا شهداءكم • وقوله تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا يتصور منها
الشهادة ولكن هذا مبالغة في النفي كما قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم • وقيل هلم شهداءكم
وانهم لا يجدون من يشهد لهم بذلك الا انفسهم فان شهدوا لانفسهم او بعضهم لبعض فلا تصدق شهادتهم ولا تسمع اليها
ولا تقبلها • وقوله تعالى ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا اي دعاويهم المبنية على الاهواء • وقوله تعالى والذين
لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون اي الاصنام كما افتتح به السورة • وقال القشيري رحمه الله اشار الى انه ما تجرد
عن برهانه بصحته وبيانه يوضحه فغير مقبول من قائله ولا معذور قابله • وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم هذه الاية والآيتان بعدها آيات محكمات كانت احكامها ثابتة في كل الامم لم تنسخ ولا تنسخ وهي جوامع اصول
الدين ومعالي الاخلاق وفيها مصالح الدارين يقول قل للمشركين احضروا اقرا عليكم ما حرم ربكم عليكم فهي المحرمة
دون ما تزعمون مما عندنا • وقوله تعالى ان لا تشركوا به شيئا قال الزجاج اي وصى ان لا تشركوا به شيئا فقد وصاكم
في آخر هذه الاية • وقيل تقديره وهو ان لا تشركوا به شيئا • وقيل يبينه علية حرم ويحذف لا وتقديره حرم عليكم
ان تشركوا به شيئا كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا • وقوله تعالى وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بالوالدين
احسانا وانما ذكره في المحرمات بمعنى القضاء • وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي من خوف فقر • وقوله
تعالى نحن نرزقكم واياهم اي نرزقكم ونرزقهم مما امنكم فما يحملكم على قتلهم ذكر حقوق الاولاد بعد حقوق
الوالدين • وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن اي اجتنبوا القبائح كلها ظاهرها
وباطنها فان الله مطلع على جميعها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من الكفار من لا يرى باسا بالزنا سرا
وكذا قال الضحاك والسدي • وقيل ما ظهر منها الزنا وما بطن منها المخالة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
قيل الظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الله • وقيل الظاهر بالجوارح والباطن بالقلب
وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اي بما يحق به قتلها وبين ذلك ما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق
وقوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون اي هذه الاشياء اكد الله الامر بها لتعقلوا عظمها عند الله فتمتثلوا
امره فيها • وقال الربيع بن خثيم لاخ له هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد ثم قرا قل تعالوا الى آخر الآيات • وقوله
تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده قيل هو جمع شد بفتح الشين وهو القوة
قال عنترة في رواية المفضل الضبي • شعر

• عهدي به شد النهار كانما • خضب البنان وراسه بالعظلم •

اي قوة ضحايه عند ارتفاعه • وقيل هو جمع شدة كالانعم جمع نعمة قاله ابن الاعرابي وهو بلوغ كالتوبة وعقل
وقال مالك وربيعة وعبد الرحمن بن زيد ويحيى بن يعمر هو ان يحتلم او يبلغ اوانه • وقال الشعبي هو حين
يكتب عليه عمله • وقيل اوانه بلوغ خمس عشرة سنة • وقيل ثماني عشرة سنة وهذا خطاب للقضاة والاوصيا
في حق الصغار والسفهاء الذين لا ابا لهم ان لا يتصرفوا في اموالهم الا بالمعروف التي هي احسن اي انفع وانظر
لهم الى وقت البلوغ ثم ينقطع عنه • وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي اتموا الكيل في المكيلات
والوزن في الموزونات اذا اديتم ما عليكم منها والميزان بمعنى الوزن كالميعاد بمعنى الوعد والميقات بمعنى
الوقت او الميزان اسم لما يوزن به والكيل ههنا اسم لما يكال به ويكون بمعنى المكيال وهو اطلاق اسم المصدر
على اسم الآلة وانما حملنا على الاول وهو المصدرية ليوافق الثاني وهو الالة بما ليستقيم ولا يختلف
والقسط العدل وهو التسوية في الايفاء والاستيفاء دون الازدياد في الاستيفاء والنقصان في الايفاء
فانه جور وفيه وعيد بقوله تعالى ويل للمطففين الآية لا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها فلا يؤاخذوا
بتقصير يقع في الكيل والوزن من غير قصد مع الاجتهاد في مراعاة العدل • وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا
وهذا في الشهادة • وقوله تعالى ولو كان ذا قربى ولو كان المشهود له او المشهود عليه ذا قرابة فلا ينبغي لكم
ان تميلوا وتتركوا العدل • وقوله تعالى وبعهد الله اوفوا اي باوامره ونواهيه وبايمانكم ونذوركم
وقوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون اي امركم به وآكد الامر لتتعظوا واصله تتذكرون فادغمت
التاء الثانية في الذال • وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما قرا حمزة والكسائي وان بالكسر على الابتداء
او على تقدير وقوله ان هذا صراطي مستقيما • وقرا ابن عامر بفتح الالف وتسكين النون عطفا على قوله ان لا تشركوا
به وان هذا • وقرا الباقون بفتح الالف وتشديد النون عطفا على ذلك ايضا وانما شدده لدخولها على الاسم
ههنا • وقيل هو متصل بقوله ذلكم وصاكم به وبان هذا وقوله مستقيما نصب على القطع لانه نكرة نعت
مضاف وهو معرفة لقوله لما تقدم ذكره وهو طريقي وهو مستقيم يفضي بسالكه الى الجنة • وقوله تعالى فاتبعوه
اي اسلكوه ولا تزيغوا عنه • وقوله تعالى ولا تتبعوا السبل اي ما سواه من الطرق الجائرة • وقال ابن عباس

رضي الله عنهما وان هذا صراطي اراد به دين الاسلام مستقيما اي قائما وهو الطريق الاعظم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل اي اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان • وقال مجاهد ولا تتبعوا السبل اي البدع والشبهات • وقوله تعالى فتفرق بكم عن سبيله اي تتفرق بكم عن هذا السبيل المستقيم فتجعلكم مفارقيه • وقيل فتفرق بكم اي فتفرق بعضكم من بعض بالاختلاف ومعنى عن سبيله اي بعد الاجتماع في سبيله كما يقال كسوتك من عري اي بعد عري • وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط باصبعه خطا يمينا وشمالا ثم قال هذه السبل مشتركة مستقيما وقال هذا صراط الله مستقيما ثم خط خطا يمينا وشمالا ثم قال هذه السبل مشتركة وليس من هذه السبل سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرا هذه الاية • وقوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون قال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر اولا لعلكم تعقلون ثم قال تذكرون ثم قال تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا فاذا تذكروا اي اتعظوا فاتقوا المحارم والمهالك • وقال القشيري رحمه الله قل تعالوا الايات هذه الاشياء عشرة تضمنتها هذه الايات اولها الشرك فانه راس المحرمات والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات وينقسم ذلك الى جلي وخفي فالجلي عبادة الاصنام والخفي ملاحظة الانام بعين الاعظام والثاني من هذه الخطة ترك التوقير للوالدين وترك الحقوق بحفظ ما يجب لهم من اكيدات الحقوق وبعد ذلك قتل الاولاد خشية الاملاق واراقة دمائهم بغير استحقاق ثم ركوب الفواحش ما بطن منها وما ظهر فما بدا منها وما استتر ويدخل في ذلك جميع الاثام ثم قتل النفس بغير حق وذلك انما يكون لفقد شفقة الخلق ثم مجانبة مال اليتيم والنظر اليه بعين الكريم ثم بذل الانصاف في المعاملات والتوقي عن جميع التبعات ثم الصدق في القول والعدل في الفعل ثم متابعة السبيل بما يشير اليه لوائح الدليل فمن قابل هذه الاوامر بجميل الاعتناق سعد في دار بقي وحظي بعظائم منزلته • وقوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب اي ثم اتل عليهم هذا • وقيل ثم ههنا لترتيب الاخبار لا الوجود اي ثم نخبركم انا آتينا موسى الكتاب كما انبأناك وهو ما يتلو عليهم وقد مرت لهم نظاير • وقيل هذا متصل بقصة الانبياء وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم وكذا ثم آتينا موسى الكتاب • وقوله تعالى تماما على الذي احسن قرا يحيى بن يعمر احسن برفع النون وقراءة العامة بفتحها • وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على الذي احسنوا • والذي احسن في معناه انه جنس فيصلح للجمع • وقيل الذي بمعنى ما وتقديره تماما على ما احسن ويكون معناه المصدر اي على احسانه وانعامه ثم في معناه خمسة اقاويل • قال الربيع والفراء تماما على احسان موسى بطاعته كانه قال ليتم احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الاخرة • وقال مجاهد تماما على المحسنين اي تماما للنعمة على المحسنين الذين احدهم • وقال ابن زيد تماما على احسان الله الى انبيائه • وقال الحسن وقتادة اي لتمام كرامته في الجنة على احسانه في الدنيا • وقال بعضهم تماما على احسان الله تعالى الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة ومن قرا احسن بالرفع فمعناه على الذي هو احسن • وقيل في وجه النصب انه خفض لكنه لا ينصرف نعم وتقديره انه بدل من الذي وتحريره كقولك مررت بالذي خير منك بالخفض وكذا يفعلون بمن قال الشاعر •

فكفى بنا فضلا على من غيرنا • حب النبي محمد ايانا •

بمعنى خير • وقال الحسن اي من احسن صحبته تمت عليه نعمة الله وكرامته • وقيل احسن بمعنى علم يقال فلان يحسن علوما كثيرة • وقال علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسنه • وقوله تعالى وتفصيلا لكل شيء عطفا على تماما ومعناه انما امنا لكرامته ونبيا لما لهم في كل ما يحتاجون اليه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل تماما بالنعمة والكرامة ويحتمل تماما بالبيان والحجة ويحتمل تماما بالعلم والحكمة • وقوله تعالى وهدى ورحمة لعلهم اي لعل قومه • وقوله تعالى بلقاء ربهم يؤمنون اي بالقيمة يصدقون • وقال القشيري رحمه الله يهون عليهم مقاساة التكليف بما ذكر من التعريف فان الذين كانوا قبلنا كانوا في الضعف والعجز مثلنا ثم صبروا فظفروا واخلصوا فتخلصوا • وقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك اي وهذا القرآن انزلناه مبارك كثير الخير لمن اتبعه انزلناه اليك كما انزلنا التورية الى موسى فاتبعوه اي اعملوا به واتقوا اي مخالفته لعلكم ترحمون اي لترحموا ولعل كلمة ترجي اي اتقوا على رجا الرحمة والرحمة وان كانت موعودة للمتقين على القطع فانما ذكر كلمة لعل لان حصولها بالختم على الايمان وفيه خطر فلذلك علقها بكلمة الترجي • وقوله تعالى ان تقولوا اي لئلا تقولوا كما قال يبين الله لكم ان تضلوا • وقوله تعالى انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي اليهود والنصارى وهذا على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب اذ لو كانوا كذلك لكانوا ثلاث طوائف • وقوله تعالى وان كنا عن دراستهم لغافلين اي وما كنا عن قراءتهم الكتاب الا غافلين لا علم لنا بشيء من ذلك • وقوله تعالى او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم اي ارشد واطوع من اليهود والنصارى وانما جمع منهم وهما طائفتان لانهما جماعات • وقوله تعالى فقد جاءكم بينة من ربكم اي بيان وقيل هو القرآن • وقيل محمد صلى الله عليه وسلم • وقوله وهدى ورحمة صفتان للقرآن وللنبي صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب بآيات الله •

استفهام

استفهام بمعنى النفي اي لا اظلم لنفسه ولا لاحد او وضع الشيء غير موضعه ممن كذب بالقرآن وقيل بحجج الله • وقوله تعالى وصدف عنها اي اعرض وقد صدف يصدف صدفا من حد ضرب اي اعرض • قال الهذلي • شعر •

صدفت امية لات حين صدوف • صدفت واذن حيرتي بعزوف •

وقوله تعالى سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون اي العذاب السيء وهو الموصوف بنهاية النكاية • وقوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض آيات ربك اي اقتناع حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وابطلنا ما يعتقدون من الضلالات ويذكرون من المقالات فما ينتظرون من ترك الايمان الا احد هذه الاشياء الثلاثة وهي اتيان الملائكة لقبض الارواح وذلك عند الموت او اتيان ربك اي او اتيان امر ربك كما صرح به في اية اخرى او ياتي امر ربك باقامة القيامة فانها تقوم بامره وقد قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه اي القيمة او اتيان بعض آيات ربك من اشراط الساعة • وقيل هي طلوع الشمس من مغربها اي ينتظرون ارتفاع الغيب باحد هذه الاشياء ووقوع العيان ولا قبول للايمان الا بالغيب • وقوله تعالى يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فيه تقديم وتاخير وتقديره لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ايمانها وخيرا اي طاعة • وقيل اخلاصا • وقيل اي كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق • وقد روى ابو هريرة وابو سعيد الخدري وجماعة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم ياتي بعض آيات ربك هو طلوع الشمس من مغربها وعليه عامة المفسرين • وروى صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من قبل المغرب بابا مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها من ذلك الباب فاذا طلعت منه ثم ردت اليه اغلق فلا ينفع نفسا ايمانها ولا توبتها بعد ذلك او كلاما هذا معناه • وقالت عائشة رضي الله عنها اذا خرج اول الايات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى بن مريم والدخان ودابة الارض وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الاية في قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون فايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايمانهم وقال هل ينظرون اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم مع اللعن والخطر فحينئذ يؤمنون قال • وقيل اي تاتيهم الملائكة يوم القيامة كما قال يوم يرون الملائكة او ياتي ربك اي عذاب ربك قال والاصل فيه ان ما اضيف الى الله تعالى في موضع الوعيد لا يراد به الذات لكن يراد به نقمته وعذابه كما قال ويحذركم الله نفسه • وقال فمن كان يرجو لقاء ربه اي يخاف عذاب ربه وقال والى الله المصير والى مرجعكم او ياتي بعض آيات ربك يحتمل الباس • قال تعالى فلما راوا باسنا لم ينفعهم ايمانهم حينئذ • وقيل هو طلوع الشمس من مغربها • وقيل خروج الدجال وخروج دابة الارض وروي فيه احاديث فان ثبت منها شيء فعليه الاعتماد وان الايمان حينئذ ليس بايمان اختيار في الحقيقة بل هو ايمان دفع العذاب عن انفسهم ولذلك قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذا كايمان فرعون عند الغرق وهو ما روي انه لا تقبل التوبة ولا الايمان بعد طلوع الشمس من مغربها ويدل ان الباقي في البعيد ان يدعوا الى الايمان والطاعات ثم اذا اتوا بها لا تقبل لكن معناه انهم لا يثابون عليها لانه لا ثواب بالوعد ولا وعد في هذه الحالة • وقوله تعالى قل انتظروا اي احدى هذه الثلاث وليس هذا امر تكليف بل هو تعريف ان العذاب نازل بهم كالمنتظر له • وقوله تعالى انا منتظرون اي مستيقنون انه نازل بكم • وقوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم قرا حمزة والكسائي فارقوا بالالف اي باينوه وزايلوه • وقرا الباقون فرقوا اي شتتوا • وقوله تعالى وكانوا شيعا جمع شيعة وهي الفرقة المتابعة بعضها بعضا وقد شايعه اي تابعه وشيعه اي اتبعه • وقال قتادة هم اليهود • وقال مقاتل والسدي هم اليهود والنصارى تركوا دينهم وكانوا فرقا قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة • وقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم • وقال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة • وقوله تعالى لست منهم في شيء اي لم تؤمر بقتالهم ثم امرت بقتالهم في سورة براءة • وقال مجاهد هم اهل الاهواء والبدع من هذه الامة وكذا روي عن ابي هريرة وعائشة وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين • وقال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين هم على ما انا عليه واصحابي ومعنى الاية في حقهم ليس اليك شيء من مجازاتهم اي العفو عنهم انما عليك انذارهم وتبليغ الوحي اليهم • وقوله تعالى انما امرهم الى الله ان شاء عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرها الى الاخرة وان شاء وفقهم للرجوع عنها فعفى عنهم • وقوله تعالى ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون اي في الاخرة ويجازيهم على ذلك • وقيل هم المشركون فارقوا دين ابرهيم وكانوا احزابا مختلفين كما عرف

وخسف بالمشرق

من اختلافهم اهوا مختلفة وكما اختلفوا في اتخاذ الاصنام واختيارها • وقال الامام ابو منصور رحمه الله بعدما ذكر هذه المقالات • وقيل هم الحرورية ولا ندري من هم على التعيين ولا حاجة بنا اليه بل الحاجة الى معرفة وعيد المؤمنين بذلك ومعنى قوله فارقوا دينهم الدين الذي امروا به ودعوا اليه • وقيل اي الدين الذي كانوا عليه في الاصل ثم فارقوه كما قال الكفرتم بعد ايمانكم ومعنى قوله لست منهم في شيء اي دينهم لان دينهم تقليد ابائهم ودينك دين الحجج والبراهين • وقيل اي لا تسال عن دينهم ولا تحاسب عليه كما قال ما عليك من حسابهم من شيء • وقال القشيري رحمه الله اي لا يجمعك واياهم معنى انت على حق وهم على باطل ولا اجتماع للضدين • وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها لم يقل من عمل ليعلم انه النظر الى ما ختم به وعلى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الاعمال بالخواتيم قال الامام ابو منصور رحمه الله والحسنة الفعلة الجميلة وهي الطاعة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها وذلك لمعنى التانيث وحذف الهاء في عشر • وقرا الحسن فله عشر بالتنوين امثالها بالرفع اظهارا لهذا المعنى وقال الامام ابو منصور رحمه الله لم يرد به النص على هذا العدد بل اراد به التفضل بالتضعيف قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كل عمل يعمله ابن ادم الحسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الا الصوم فانه لي وانا اجزي به قال الله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة الاية • وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة اي الفعلة القبيحة فلا يجزى الا مثلها اي واحدة بواحدة وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزادون في سيئاتهم • وروى ابو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفرها • قال سفيان الثوري لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زدني فنزل قوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية فقال رب زدني فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة الاية فقال رب زدني فنزل قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • وقال القشيري رحمه الله حسنة النفس توفي الخدمة وحسنة القلب حفظ الحرمة وحسنة الروح مراعاة اداب الخشية • وقيل حسنة الزاهدين ترك الدنيا وحسنة المريدين رفض الهوى وحسنة العارفين قطع المنى وحسنة الموحدين التخلي عن الدنيا والعقبى والاكتفا بوجود المولى • ويقال الحسنة المبتدئين الصدق في الطلب وحسنة المنتهين حفظ الادب فشرط الطلب ان لا يبقى ميسور الا بذلته وشرط الادب ان لا تسمو الهمة الى شيء الا قطعته ويقال للزهاد والعباد واصحاب الاوراد وارباب الاجتهاد جزاء محصور معدود ولاهل المواجيد لقا غير مقطوع ولا ممنوع • وقوله تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم لما بين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا امره ان يقول ارشدني الله الى الدين المستقيم • وقوله تعالى دينا قيما وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع قيما بالتشديد وهو نعت كالجيد واللين والهين • والباقون بكسر القاف قيما وتخفيف اليا وهو اسم كالعنب يراد به النعت ودينا على ارادة اعادة هداني وذلك يتعدى بغير صلة وباللام قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • وقوله تعالى ملة ابراهيم هو بدل من دينا وبيان ان الدين القيم هذا وانما ذكره لانه يحثهم على اتباعه لانه دين ابيهم وقوله تعالى حنيفا نصب على القطع لانه نعت بلفظ النكرة للاسم المعرفة • وقوله تعالى وما كان من المشركين بالله اشراككم يا معشر قريش • وقوله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين اي ان صلاتي كلها بالليل والنهار ونسكي اي حجي وعمرتي وقيل اي قرابيني • وقيل اي عبادتي • وقيل اي ديني ومحياي اي ما اعمله في حياتي ومماتي اي ما اوصي به بعد موتي انه يعمل به لله رب العالمين اي هو خالص له • وقوله تعالى لا شريك له في شيء من ذلك ولا اشرك به غيره • وقوله تعالى وبذلك امرت اي امرني الله • وقوله تعالى وانا اول المسلمين اي اول المنقادين لامره من اهل هذا الزمان • وقيل محياي ومماتي كلمة تفويض اي جميع ما اتقلب فيه ملك لله تجاري على حكمه • وقيل محياي في العمل الصالح ومماتي على الايمان كله لله اثبت الاخلاص لنفسه في الدين ونفي الاشراك وخص الحج والعمرة في الذكر لان المشركين كانوا يدخلون الشرك في التلبية في قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ومن حمله على القرابين فانما خصه لانهم كانوا يذبحون لالهتهم وهو شرك فنفى ذلك كله عن نفسه وبدا بقوله قل وختم بقوله وبذلك امرت بيانا انه يقوله ايتمارا لا افتعالا • وقال القشيري رحمه الله من علم انه لله لم يبق فيه نصيب لغير الله فاستسلم لحكم الله ولم يعترض على تقدير الله ولم يعارض باختياره اختيار الله ولم يعرض عن اعتناق امر الله • وقوله تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء استفهام بمعنى النفي اي لا يجوز في العقل السليم ان اطلب لي مدبرا وحافظا ومصرفا غير الله وهو مصرف كل شيء وهو رب اصنامكم وربكم • وقوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا يكون جناية نفس الا عليها • قال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون معناه ولا يقع عمل نفس الا على ويكون عليها لها لو تركت اختيارها لكن الله تعالى يوفقها ويعصمها وهو كقوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة

وهو المشيئة

غيره

بالسوء

بالسوء الا ما رحم ربي • وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى • قال عطا قال الوليد بن المغيرة اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فنزلت هذه • وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الايات التي فرقتموها اذا كان الامر بدا او عودا راجعا الى الله وحده فلا حذر في اختلاف سواه • وقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض جمع خليفة والخلفاء جمع خليف قال الكلبي اي وهو الذي جعلكم يا امة محمد خلائف الامم الماضية في الارض • وقوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي في الرزق والحال والعمر والخلقة وكل شيء • وقوله تعالى ليبلوكم في ما اتاكم اي ليختبركم فيما اعطاكم من النعم والشكر وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر • وقوله تعالى ان ربك سريع العقاب اي لاعدائه • وقوله تعالى وانه لغفور رحيم اي لاوليائه • وقال القشيري رحمه الله ستر التوبة اليكم وقسم حكم حضركم عليكم وفاوت الحالات ليختبركم بالمعاملات انحابه بكم لاحق وحكمه فيكم سابق والله اعلم

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انزل الكتاب على رسوله لينذر به وذكرى للمؤمنين • الرحمن الذي قص فيه انبا الاولين تنبيها للاخرين • الرحيم الذي وعد فيه الرحمة للمستمعين له والمنصتين • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الاعراف جعل الله بينه يوم القيامة وبين ابليس سترا وكان لادم شفيعا • وهذه السورة مكية كلها عند بعضهم • وقال علي بن الحسين بن واقد هي مكية الا من قوله واسالهم عن القرية التي الى قوله واذ نتقنا الجبل فانها نزلت بالمدينة • وهي مايتان وخمس ايات • وقيل ست ايات والاختلاف في خمس ايات المص كما بداكم تعودون مخلصين له الدين ضعفا من النار وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل • وكلماتها ثلاثة الاف وثلاثمائة وتسع عشرة • وحروفها اربعة عشر الفا وثلاثمائة واربعة وثلاثون • قوله تعالى المص قال قتادة اسم من اسماء القران • وقال الحسن هي اسم هذه السورة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي اختصار من الكلام فهمه النبي صلى الله عليه وسلم • وقال علي بن ابي طلحة هي قسم اقسم الله تعالى به • وقال عطاء بن ابي رباح هو ثناء اثنى الله تعالى بها على نفسه • وقال مجاهد الحروف المقطعة فواتح السور • وقال السدي هي هجاء المصور • وقال ابو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انا الله افصل • وقال سعيد بن جبير انا الله اصدق • وقال ابو روق انا الله الصادق • وقال ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم هو من اسماء الله تعالى مقطع • وقال محمد بن كعب الالف افتتاح اسمه احد اول واخر واللام افتتاح اسمه لطيف والميم افتتاح اسمه مجيد ملك والصاد افتتاح اسمه صمد صادق الوعد صانع المصنوعات • وقيل المص معناه الم نشرح لك صدرك • وقال الزجاج اراد بها جميع حروف الهجاء • وقوله تعالى كتاب انزل اليك اي هذا كتاب كقوله سورة انزلناها اي هذه سورة • وقوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه قال الحسن اي ضيق اي لا يضيق صدرك لتشعب التكذيب خوفا اي ان لا تقوم بحقه • وقال الفراء اي لا يضيق صدرك بان يكذبوك • وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي اي فلا يكن في صدرك شك اي الشك فيما الزمك به فانما انزل اليك لتنذر به • وقوله تعالى لتنذر به اي بالقران • وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين اي انزل للانذار الكافرين ولتذكير المؤمنين واعرابه نصب وهو كقولك جئتك للزيارة وشوقا اليك • وقال الزجاج هو رفع اي هو ذكرى • وقيل تقديره انذارا وتذكيرا ومعناه انزل اليك لتنذر الاعداء انه سريع العقاب وتذكيرا للاوليا انه غفور رحيم وهاب • وهو وجه انتظام اول السورة باخر تلك السورة واما انتظام السورتين فتلك في محاجة المشركين وهذه فيها مع زيادة التبيين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله المص يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابا خاطب الله تعالى بها رسله يفهمونها ولا يفهمها غيرهم على ما يكون للملوك بينهم وبين خواصهم اشارات يفهمونها ولا يفهمها غيرهم ويكون ذلك تعظيم الله اياهم كما قال انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فهي من المتشابه على غيرهم وليست بمتشابهة عليهم • وقال في قوله فلا يكن في صدرك حرج منه يحتمل انه على ان لا تقتل نفسك مما فيه فلا تكن كما قال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون • وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • وقال في اخر هذه السورة قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وفيه اثبات الامان له من خوفه من مكرهم وكيدهم • وقال القشيري رحمه الله كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه كتاب الحبيب تحفة الوقت وشفاء عما يلاقيه من الم البعد وهو للمحبين نزل وللوامق الشغل وعلى حفظ العهد دليل وهو للغليل تبديل • وقوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم قيل هو ابتدا خطاب المشركين • وقيل فيه اضمار قل يا محمد للمشركين اتبعوا ما انزل اليكم اي الى نبيكم لنفعكم • وقوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء اي اربابا وهم الاصنام • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم في التحريم والتحليل ولا تتبعوا

من دونه أولياء أي عظماءكم كالأرباب تتبعونهم فيما يحلون ويحرمون وهو كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا أي يطيعونهم فيما يأمرون وينهون. وقوله تعالى قليلا ما تذكرون قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بتشديد الذال على إدغام التاء في الذال وصفا. قليلا ما يتعظون بتذكير هذا الكتاب أي قليل من يؤمن منكم وقيل أي يتعظون بقليل من القرآن وهو بأخذ بعض ما ذكر فيه من مكارم الأخلاق دون التوحيد والشرائع وقيل أي لا يتذكرون به أصلا وهو من ألطاف في الكلام ينفى الشيء كله بذكر قليل منه. وقال القشيري رحمه الله اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أي استبدلوا المطالبات التقدير تقفوا حيث ما وقفتم وتحققوا بما عرفتم ثم وطالعوا ما به كوشفتم ولا تلاحظوا غيرا ولا تركنوا إلى علة ولا تظنوا أن لكم من دونه وسيلة. وقوله تعالى وكم من قرية أهلكناها وهذا من الإنذار والتذكار بما نزل بالماضين من الكفار ومعناه وكم من أهل قرية أضمر الأهل فيه كما في قوله واسأل القرية ويدل عليه آخر هذه الآية أو هم قائلون وهذه صفة الأهل. وقوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أي عذابنا المهلك وطعن بعض الملحدين على هذا وقالوا الفاء للتعقيب وكيف يجيء العذاب بعد تمام الإهلاك وعنه جوابات منها أهلكناها بحكمنا إياها بالمعاصي فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية والمعصية مهلكة. قال الأعرابي هلكت وأهلكت. وقيل أي أهلكناها تقديرا فجاءها بأسنا تحقيقا وقيل أهلكناها بتوجيه العذاب إليها فجاءها بأسنا. وقيل الفاء الأول للترتيب والثاني للتفسير. وقوله بياتا أي في حال بيتوتتهم بالليل. وقوله تعالى أو هم قائلون أي في حال قيلولتهم بالنهار وهما حالتا الغفلة. وقال الأزهري البيتوتة الاستراحة بالليل والقيلولة الاستراحة بالنهار نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم قال الله تعالى وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وإنما قال أو هم ولم يقل وهم لأن بعضهم أهلك في وقت وبعضهم في وقت ولا يصح الاجتماع في حق قوم وهو كقولنا فاتكم لما نزل الافتيات أو جرتم أمرا من عذاب الآن أصابهم وهو تنبيه للتحرز. وقوله تعالى فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين. قال الكلبي أي دعاؤهم يعني لما جاءهم أوائل العذاب اعترفوا على أنفسهم بالشرك والظلم ولم ينفعهم ذلك كما قال فرعون لما أدركه الغرق آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فقيل له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل دعواهم دعاؤهم على أنفسهم بالويل كما قال وكم قصمنا من قرية إلى أن قال قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين. وقيل هو الدعاء بالخلاص لكن ضاق الوقت فالتجأوا إلى الاعتراف فقام مقام الدعاء. وقال القشيري رحمه الله وكم من قرية أهلكناها ركنوا إلى الغفلة واغتروا بطول المهلة فباتوا في خفض الدعة وأصبحوا في ظل السعة فصادفتهم البلايا بغتة وأدركتهم القضايا فجاءة فلا البلاء كشف عنهم ولا الدعاء سمع منهم ولا الإقرار نفعهم ولا الصريخ منهم حين نادوا ولات حين ولا النشر ولا الذكر ولا الجزاء تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وإذا أنزل بأسه بالأعز بين فلا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا. وقوله تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين قال القشيري رحمه الله فلنسألن الأمم سؤال تعنيف وتعذيب ولنسألن الأنبياء سؤال تشريف وتقريب فلنسألن هؤلاء عن القبول فيستغيثون بذل الخجل ولنسألن هؤلاء عن البلاغ فيتكلمون بلسان الهيبة والوجل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما نسأل الناس جميعا عما أجابوا المرسلين ونسأل المرسلين عما بلغوا وقال الضحاك يعني الأمم الذين أتاهم الرسل هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم ولنسألن المرسلين يعني الأنبياء هل بلغتم قومكم ما أرسلتم به وماذا أجابكم قومكم. وقال [illegible] فلنسألن الذين أرسل إليهم من الأنبياء ولنسألن المرسلين هم الملائكة. وقوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين أي نخبر أن ما سألنا إنما هو ليست بمسألة استخبار واستعلام إنما هي مسألة تقريع وتقرير بأن يقول لهم ألم أفعل بكم كذا ألم [illegible] وفي الحديث يقول الله لهم ألم أجعل لك سمعا وبصرا ألم أجعل لك مالا وولدا وهذا الاقتصاص ما كان منه جل جلاله إليهم يقول فيخبرهم بما كان منهم بعلم منا بجميع أحوالهم لم نكن عنها غائبين [illegible] وقوله تعالى [illegible] إثبات العلم لله تعالى وهو حجة على المعتزلة النفاة للصفات وما ذكر في بعض الآيات [illegible] عن ذنبه إنس ولا جان [illegible] لنسألنهم فلا تنافي بينهما بل في القيامة مقامات [illegible] سؤال استعلام ويسألون سؤال توبيخ [illegible] وقال الإمام أبو منصور رحمه الله [illegible] يحتمل أنه سؤال [illegible]

وقال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ويحتمل أن يكون سؤال الرسل سؤال الشهادة عليهم. وقوله تعالى والوزن يومئذ الحق ذكر بعد السؤال الوزن للأعمال والوزن مبتدأ والحق خبره أي هو الحق الكائن المتحقق. وقيل الحق نعت الوزن ويومئذ ظرفه وفيه خبره أي الوزن العدل يكون يومئذ. وقال الحسن ميزان الآخرة لها كفتان وإن الحسنات والسيئات توزنان في كفة الميزان وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما قال فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان وهو الحق فتثقل حسناته على سيئاته فينجو به وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه فيرمى به في النار. وقال عبد الله بن عمر فيوضع صحائف الأعمال في الميزان فتوزن. وقال عبيد بن عمير يوزن الأشخاص فيؤتى بالرجل الطويل العظيم الأكول الشروب يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. وقال مجاهد الوزن في القيامة العدل وفي صفة الميزان أحاديث والإقرار بالوزن يوم القيامة من شرائط السنة والجماعة والله تعالى أعلم بكيفيته. وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه إنما جمع لأن الأعمال كثيرة فيحتمل أنه يوزن كل جنس فيكون ذلك موزونا بميزان ثم يوزن جنس آخر فتحصل موزونات كثيرة فلذلك جمعها. وقيل فمن ثقلت موازينه يحتمل معناه فالذين ثقلت موازينهم ومن للجنس فصلح للجمع ودليله أنه قال في خبره. وقوله تعالى فأولئك هم المفلحون فالمضاف إلى الجمع كان جمعا وقيل يعني الجمع إرادة الواحد من الجمع كما يقال فلان يخرج إلى مكة على الجمال وإن كان هو على جمل واحد ويخرج إلى البصرة في السفن وإن كان في سفينة واحدة. فأولئك هم المفلحون أي الفائزون بما أملوا والآمنون مما خافوا. وقيل والوزن يومئذ الحق أي الجزاء بالأعمال فيه بالاستحقاق أي على العدل وعلى تحقيق الوعد والوعيد على الأعمال. وقوله فمن ثقلت موازينه أي رجحت طاعاته فأولئك هم الناجون المنجحون. وقوله تعالى ومن خفت موازينه هم الكفار لا إيمان لهم يعتبر معه عمل خير فلا يكون في ميزانهم خير فتخف موازينهم ومن في هذا الجمع أيضا بدليل خبره. وقوله تعالى فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي غبنوا يعني أهلكوها وباعوها بعرض من الدنيا يسير ووقعوا بذلك في عذاب مقيم. وقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون أي بالكتاب والرسول يكفرون والظلم اسم للكفر كما قال تعالى والكافرون هم الظالمون. وقال إن الشرك لظلم عظيم ولذلك عداه بالباء بقوله بآياتنا وإن كان لا يقال ظلم به لأنه قام مقام لفظة الكفر. وقيل الآيات الحجج والظلم بها وضعها غير موضعها أي جحودها وترك الانقياد لها. وقال القشيري رحمه الله والوزن يومئذ الحق توزن أعمالهم بميزان الإخلاص وأحوالهم بميزان الصدق فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم تقبل أعماله ومن كانت أحواله بالإعجاب مشوبة لم ترفع أحواله وقوله تعالى ولقد مكناكم في الأرض أي جعلنا لكم في الأرض أمكنة تستقرون عليها وفيها كما قال جعل لكم الأرض قرارا. وقيل أي ملكناكم يا أمة محمد هو بيان للإنعام عليهم. وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش أي هيأنا لكم أسباب العيش جمع معيشة من المكاسب. وقوله تعالى قليلا ما تشكرون أي قد لزمكم الشكر بذلك ولا تشكرون وقال الإمام أبو منصور رحمه الله يقرون بأن الله خالقهم ورازقهم ويعبدون غيره. وقيل يشكر المؤمنون دون الكفار وهم قليل في جنب الكفار. وقيل ليس في وسعهم القيام بشكر جميع نعمه لكثرتها فما وجد منهم من الشكر وإن كثر فهو قليل. ومعايش لا يهمز لأن الياء فيه أصلية لم تعرض فيها علة كما عرضت في مدائن لأن الياء فيها زائدة. وقال القشيري رحمه الله قليلا ما تشكرون لاستعمالكم في الخلاف أبدانكم ولإنفاقكم في الإسراف أموالكم ولاستغراقكم في الحظوظ أوقاتكم فلا نعمة الفراغ شكرتم ولا من العقوبة حذرتم وما شعرتم. وقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قال الحسن ولقد خلقنا أباكم آدم أي أوجدناه ثم صورناكم والصورة البنية المخصوصة على هيئة ظاهرة وهي أحسن الصور. قال فإن الإنسان خلق في أحسن تقويم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والخطاب للأولاد بإنعام كان على أبيهم وهو كخطاب بني إسرائيل بما كان بأسلافهم وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور. وقال الزجاج رحمه الله أي ابتدأنا خلقكم بآدم. وقال ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والضحاك والسدي رحمهم الله ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناكم في ظهره ثم ذريته ثم إنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم. وقيل معناه ولقد قدرنا وجودكم ثم أوجدناكم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسونا العظام لحما إلى أن أكملنا هذه الصورة التي هي في غاية الحسن ثم نخبركم أن أكرمنا شيئا في حق أبيكم آدم بإسجاد الملائكة له وثم على هذا تكون لترتيب الأخبار لا الترتيب الوجود كما في قول الشاعر:

إن من ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد بعد ذلك جده

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في حديث خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح من يافوخه فلما أتى على عينيه أبصر ولا يعقل فلما أتى على قلبه عقل ولم يأت على أسفله فنظر إلى ثمار الجنة فتعرف أن هو قام دخلا لأن نصفه لحم ونصفه دم ونصفه طين فقال الله تعالى وخلق الإنسان عجولا. وقوله تعالى فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين فسرناه في سورة البقرة. وقوله تعالى قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك أي ما منعك أن تسجد ولا صلة مؤكدة. وقال الفراء المانع مقدم السجدة في أول الكلام أكد بلا كما قال أبو النجم

فما اللوم البيض ان لا تسخرا • اذا رأين الشمط المعتذرا • وقيل انه في المنع طرحا من القول فكانه قال من قال لك لا تسجد
وعلى هذا معنى هذا البيت لا ذا اللوم فوله • وقوله تعالى قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين اي النار فاعلا
والطين لا هبوط فعلى علية العلو توهم هذا ان الجواهر متفاضلة باعيانها ولم يعلم ان الله يفضل ما يشاء بما يشاء من
المنازل والملك وله الخلق والامر ولذلك قال ابن عباس اول من قاس ابليس وكفر بقياسه وذلك انه اخطا حيث
فضل النار على الطين والطين افضل منها بوجوه منها ان الطين جامع الاشيا والنار مفرقة لها ومنها ان التراب
يكون في الجنة تعذر ويقال ترابها مسك اذفر وليس في الجنة نار ومنها ان النار يعذب بها اعدا الله ولا تعذيب
بالتراب • ومنها ان النار لا بد لها من مكان ومكانها التراب والتراب لا حاجة له الى النار • ومنها ان النار تتعالى
وهو تكبر والتراب يتسفل وهو تواضع • ومنها ان من صفة النار الطيش والخفة ومن صفة التراب السكون
والرزانة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان جعلت النار لصلاح الاغذية فالطين جبل لوجود الاغذية
والصلاح فقد يعتج بغير النار من الشمس وغيرها والطين يقوم للنار ويطفيها ويتلفها والنار لا تقوم للطين
ولا تتلفه • وقال غيره الطين مؤتمن حافظ والنار محرقة غير حافظة • والطين يزيد والنار تنقص والطين
يربي والنار تفني • وقوله تعالى قال فاهبط منها قال مقاتل اي من الجنة • وقيل اي من السما لانه كان فيها
وقوله تعالى فما يكون لك ان تتكبر فيها فالسما مكان المتواضعين • وقيل منها اي من الارض الى جزائر البحور والا
مقر بني ادم والجزائر ليست بموضع قرار فقوله فما يكون لك ان تتكبر فيها اي في الارض على بني ادم بل تكون في الجزائر
على خوف وذل ولا تدخل في مساكن الانس الا كالمتلصص • وقوله تعالى فاخرج قال ابو روق اي من صورتك
التي انت فيها • وقال عطا اي من صورة الملايكة الى صورة الابالسة وكان في صورة حسنة فتحول من صورته
فصار ذقنه مما يلي جبينه وجبينه مما يلي ذقنه ومنخراه مما يلي عينيه وشعره مما يلي راسه وتحولت اصابعه مما يلي
زنديه واصابع رجليه مما يلي عقبيه وصار شعره نابتا في راسه منكوسا كانه اجمة • وقوله تعالى انك من
الصاغرين اي الاذلا وهذه المخاطبات لم تكن من الله له بعين فلسطة فلا يستحق ذلك بل كان على لسان ملك
او بما شا الله عز وجل • وقوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون اي امهلني الى يوم القيامة اراد الخبيث
ان لا يذوق الموت فلم يعطه الله ذلك لكن امهله الى اخر الدنيا وذلك قوله تعالى قال انك من المنظرين
وقال في حكاية اخرى الى يوم الوقت المعلوم ولم يبينه له وابهمه • وقال السدي انظرني الى النفخة الاولى
ومعناه اخر عقوبتي الى يوم القيامة لما خاف تعجيل العقوبة فانظر بها اشار بذلك الى انه سال الانظار فاجيب
اليه فلو سال المغفرة بالتوبة لم يرد • وقال القشيري رحمه الله اجاب دعاه في الحال ولكن كان ذلك شرا له لانه
مكنه من مخالفة امره الى يوم القيامة فلم يزد بذلك التمكين الا شقاوة على شقاوة ليعلم الكافة انه ليس كل
الاجابة للدعوة نعمة ولطفا بل قد تكون بلاء ومكرا • وقوله تعالى قال فبما اغويتني اي فبسبب ما اغويتني وقيل
البا بمعنى اللام اي لاغوايك اياي • وقيل البا للقسم اقسم باغوايك اياه كما اقسم بعزته بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين
واغويتني اضللتني • وقيل افسدتني كما قال وعصى ادم ربه فغوى اي فسد عيشه • وقيل اي خيبتني • قال
تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى اي ما خاب • قال الشاعر •

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لايما •

اي ومن يخب لما راي غواية نفسه جهد في اغوا غيره كما قال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء • وقوله
تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي في صراطك او على صراطك وهو جار مجرى الظروف فحذف
الصلة وهو مجاز عن التعرض لهم للمنع فان من قعد على الطريق منع المارة عن المرور فيه • وقال عكرمة معناه
لاصدنهم عن دينك الاسلام • قال تعالى فانهم ليصدونهم عن السبيل اي عن الاسلام • وقال ابن مسعود
رضي الله عنهما هو كتاب الله تعالى • وقوله تعالى ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم ذكر من في جهتين لان في قدام وخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة
وقال مجاهد لاتينهم من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون • وقيل اي من كل جهة يمكن الاحتيال عليهم بها
ولم يقل من فوقهم لان رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وكذا قال قتادة لا يستطيع
ان يحول بينك وبين رحمة ربك ولم يقل من تحتهم لانه موضع سجودهم وفيه وعد القربة من الله تعالى • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وابرهيم والسدي والحكم وابن جريج لاتينهم من بين ايديهم فاخبرهم
انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فازينها لهم وادعوهم اليها واخوفهم الفقر على انفسهم وعلى
من يخلفونهم من بعدهم فلا يصلون رحما ولا يؤدون زكاة وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فاثبطهم عنها وعن شمائلهم
فازين لهم السيات وامرهم بها • وروى حبان عن الكلبي من بين ايديهم الدنيا اطغيهم فيها ومن خلفهم الاخرة
اشككهم فيها فيكذبوا بها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم حتى يحبطها وعن شمائلهم اي سيئاتهم وفي رواية عنه وعن
ايمانهم من قبل الدين البس عليهم • وقال شقيق بن ابرهيم ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد

من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لي لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب
وآمن الاية واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين • واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
واللذات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون • وقوله تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين قال ذلك الخبيث ظنا تحقق ذلك
قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين • وقال الحسن قال لما استزل آدم فذريته
اضعف منه فانا على استزلالهم اقدر • وقوله قال اخرج منها اي من الجنة • وقيل من السما • وقيل من صورة الملايكة
وقوله مذؤوما • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ممقوتا • وقال ابو روق اي ممقوتا وهو كالاول • وقال ابو العالية
اي معيبا باشد العيب • وقال ابن زيد مذؤوما اشد الذم وقد ذامه يذامه اي ذمه • وقال ابن عرفة ذامه اي حقره
وابعده • وقال مجاهد اي منفيا • وقال الكلبي اي مبعدا • وقال الكسائي اي مقبوحا • وقال النضر بن شميل محقورا
وقوله تعالى مدحورا قال مجاهد اي مطرودا والدحر في اللغة الدفع عن وجه الهوان • وقوله تعالى لمن تبعك
منهم لاملان جهنم منكم اجمعين اللام للقسم • وقال القشيري رحمه الله اخرجه الله من درجته ومن حالته وتعلله
لما استوجبه من طرده ولعنته ثم يخلده في عقوبته ولا يذيقه ذرة من برد رحمته اصبح وهو مقدم على الجملة تقاسي
وهو بعد لزمره وهذه اثار قهر العزة فاعتكبد تسمع هذه القصة ثم لا تنفت لهذه السياسة • وقوله تعالى
ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اي
قلنا يا ادم وفسرنا الاية في سورة البقرة • وقوله تعالى فوسوس لهما الشيطان اي اورد عليهما الخواطر المزينة
لهما اكل الشجرة واصل الوسوسة الصوت الخفي يعني دعاهما على خفي • قال رؤبة وسوس يدعو مخلصا رب الفلق
وقوله تعالى ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما الابدا الاظهار والمواراة الستر والسوءة العورة
سميت بها لانه يسوء صاحبها ظهورها اي قصد بذلك اظهار عورتيهما • وقوله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين قرا يحيى بن كثير بكسر اللام اخذها من قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقرا العامة بفتح اللام وليس فيه تفضيل الملايكة على البشر وما رغبهما في ذلك لنيل هذا الفضل فان ادم
لما راى ان الملايكة امروا بالسجود له علم ان المسجود له افضل من الساجد او كان ابليس يعتقد بذلك
ولذلك قال انا خير منه فوافق اعتقاده اعتقاد المعتزلة فما كان يخفى على ادم ذلك ولكن قيل ان الملايكة لا يموتون
الى يوم القيامة فرغبهما في طول العمر • وقيل اراد به انقطاع الشهوة وسهولة الطاعة بحيث لا يلحقهم الفترة
وعدم الحاجة الى شي من المؤنة وقد اختار ذلك كله • وقوله تعالى او تكونا من الخالدين فلا تموتون ابدا • وقال
القشيري رحمه الله ما رغبا في الخلود لنصيب نفسهما بل للبقا مع الله وهذا اولى ما يظن بهما تنزيها لمحل
النبوة • وقد قيل ساعات الوصل قصيرة وساعات الفراق طويلة مما لبثا في دار الوصلة الا بمقدار نصف النهار
دخلا ضحوة النهار وخرجا نصف النهار وقال ان الفراق مبين نصيب اهل الوصلة وفيه قيل شعر

ان تكن عين اصابتك فلا • زالت العين نصيب الحسنا •

وقوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي حلف لهما اني بكسر الالف لان جوابه باللام • وقال قتادة
خدعهما فانخدعا وكذلك المؤمن • وقوله تعالى فدلاهما بغرور اي اوقعهما في المكروه بغرور وهذا الغنم
واصله من التدلية في البير اي الارسال وقد ذكرنا الدلو اذا ارسلتها في البير لاملائها وادليتها
اخرجتها ودليت فلانا في البير بحبل مغرور تدليه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش • وقوله تعالى فلما
ذاقا الشجرة اي اكلا منها وهو ينبي عن القليل منه • وقوله تعالى بدت لهما سوآتهما اي ظهرت لهما لانهما
وكانا لا يريان من انفسهما ذلك وكان عليهما لباس من الظفر فزال ذلك الا ما بقي على روس الاصابع • وقوله تعالى
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي ابتدايا يلزقان على انفسهما ورق التين فلا يتلزق • وقيل
الخصف التلفيق وقيل الضم • وقوله تعالى وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اي عن قربانها استفهام
بمعنى الاثبات • وقوله تعالى واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
نداهما يحتمل ابدا وحي بملك اليهما ويحتمل انه الهام الهمهما • وقيل جعلهما بهذا العتاب زاد على كل محنة وقيل
كان حالهما في اول اليوم واخره كما قيل شعر

لله دره من فتية بكروا • مثل الملوك وراحوا كالمساكين •

وقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا لما قال الله تعالى لادم وحوا الم انهكما الاية اعترفا بالخطية وتسارعا
الى التوبة فقالا ربنا ظلمنا انفسنا نقصناها ثواب الطاعة وعرضناها للعقوبة • وقوله تعالى وان لم تغفر لنا
وترحمنا اي وان لم تستر علينا ذنبنا ولم ترحمنا بقبول توبتنا • وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين اي الهالكين
الذين باعوا حظهم من الاخرة ببعض شهوة ساعة • قال الحسن هي الكلمات التي تلقاها من ربه وقد بينا الاختلاف
في الحادثين في تلك السورة فتقول توبتهما وفي الحديث ادم مشى حتى قام على الصفا وحواء من الجدة وقا

على المروة وجعلا يدعوان ويبكيان مائة سنة ، وفي رواية مائتي سنة ، وفي رواية ثلاث مائة سنة حتى قبلت توبته
يوم الجمعة ، وقال آدم يا رب من جاء من ولدي يرجو رحمتك ويخاف عذابك فاجره من عذابك قال الله ذلك
وفي الآية نقض قول المعتزلة إن الصغائر تقع مغفورة ولا يجوز العقاب عليها وآدم عليه السلام يقول
وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، وقوله تعالى قال اهبطوا قال أبو صالح الخطاب لآدم وحواء والحية
وقال السدي لآدم وحواء وإبليس لكن إبليس أهبط قبلهما وهذا إخبار عن هبوطهم جميعا وكان وقوع ذلك متفرقا
ومعنى اهبطوا انزلوا إلى الأرض ، وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو فسرناه في سورة البقرة وفيه عداوة آدم
وحواء عند كيد إبليس في الأرض كما كادهما في الجنة ، وقوله تعالى ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين مر
تفسيره أيضا وأراد به أنهم لا يخلدون في الأرض ، وقال القشيري رحمه الله اهبطوا لكن إبليس أهبط من رتبة
توقع في اللعنة وآدم أهبط عن بقعة فتداركته الرحمة ، وقيل لم يخرج آدم عن رتبة الفضيلة وإن أخرج من
دار الكرامة فلذلك قال ثم اجتباه ربه وأما إبليس فإنه أخرج من الحالة والرتبة فلم ينتعش فطاعته تلك
الساقطة ، وقوله تعالى قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو بكر
تخرجون بضم التاء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله من الإخراج ، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء على
الفعل الظاهر من الخروج يقول في الأرض تبقون أحياء وفيها تموتون فتبعثون في القبور إلى أن تبعثوا منها
يعلمهم أنهم لا يعودون إلى الجنة إلى أن يخرجوا من قبورهم ثم يصير السعيد إلى الجنة والشقي إلى النار وقيل
لما قال ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين حزن آدم وظن أن لا يعود إلى الجنة فقال فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون فتصيرون إلى الجنة ففرح بذلك ، وقوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا
يواري سوآتكم وريشا أي أنزلنا المطر الذي ينبت القطن ويعيش البهائم التي منها الأصواف والأوبار
والأشعار قاله الحسن ، وقيل أي أنزلنا مع آدم وحواء ما به صار اللباس فقد روي أنه أهبط معه ثمانية
أزواج من الجنة من الإبل ذكر وأنثى ومن البقر كذلك ومن الغنم كذلك ومن المعز كذلك وأتاه جبريل الجليل
وأمره أن يجز الشاة فغزل فغزلته حواء وحاكه آدم فاتخذ جبتين إحداهما لآدم والأخرى لحواء ووجه
ذكر هذه الآية بعد الآية الأولى ما ذكر أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة بتزيين الشيطان لهم ذلك فبين
الله تعالى بهذه الآية أن إبليس سعى في إعراء آدم وحواء عن اللباس ثم إن الله تعالى ألبسهما ثم سعى الشيطان
في إعرائكم عند الطواف وقد أنزل الله لكم اللباس فلا تنزعوه ولا تطيعوا الشيطان وريشا قال
ابن زيد الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطائر ، وقيل اللباس ما وارى العورة والريش ما وارى ذلك
مما يجمل الجنة ، وقيل اللباس من القطن والريش للتوري والقصب والملابس النفيسة ، قال النبي
صلى الله عليه وسلم الإيمان عريان لباسه التقوى وريشه الحياء وماله العفة ، وقال القتيبي الريش
والرياش ما ظهر من اللباس مثل اللبس واللباس والحرم والحرام والدبغ والدباغ ، وقيل الأثاث
من متاع البيت من فراش ودثار ونحو ذلك ، وقال ابن الأعرابي الرياش المال المستفاد ، وقيل الرياش
الخصب والمعاش ، وقيل هو المأكول والمشروب ، وقيل هو اجتماع كل ما يحتاج إليه الإنسان من أسباب
حياته ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى النابغة الجعدي مائة ناقة بريشها أي بجميع ما يصلحها
من آلاتها ، وقد ريش فلان أي صار له ما يعيش به ، قال الشاعر

وريشي منكم وهواي معكم • وإن كانت زيارتكم لماما

ولما كان ستر العورة أهم ذكره أولا ثم ذكر ما يستر كل البدن أو ذكر اللباس ثم سائر أسباب المعاش ، وقوله
تعالى ولباس التقوى قرأ نافع وابن عامر ولباس التقوى نصبا عطفا على لباسا وريشا ، وقرأ الباقون
بالرفع على الابتداء ، وقال زيد بن علي هذا الذي تلبسون يواري سوآتكم وريشا الجمال الذي تتجملون به
من الثياب ولباس التقوى الدرع والمغفر والساعدان والساقان يتوقى بها في الحروب ، وقال قتادة
والسدي وابن جريج هو الإيمان ، وقال الكلبي التوحيد والعفاف ، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير
رضي الله عنهم هو العمل الصالح ، وقال الحسن هو الحياء ، وقوله تعالى ذلك خير أي هذا أنفع لكم من
التعري ، وقيل لباس التقوى هو الكفاف الصوف والخشن من الثياب وهو خير من التجمل بالملابس
الفاخرة ، وقال القشيري رحمه الله لباس الظاهر يحمي آفات الدنيا ولباس التقوى يقي الآفات التي
توجب سخط المولى ولباس التقوى يجمع ظاهر العبد وباطنه فلباس التقوى للنفس لزوم الزهد بحقيقة
الورع ولباس التقوى للقلب صدق القصد بنفي الطمع ولباس التقوى للروح ترك العلائق وحذف
العوائق ولباس التقوى للسر الانتفاء عن المساكنات والتصون عن الملاحظات ، وقيل للعوام التقوى وللخواص
التقوى عن شهود التقوى ، وقوله تعالى ذلك من آيات الله أي تحصيل اللباس من الذي ينبت بالمطر آيات
وحدانية الله ودلالات على كمال قدرته وأيضا المنافع التي بالأرض نعمة بيسير بينهما دليل على أن منشئهما

ومدبرهما والحذر ومعرفة اللباس كيفية اتخاذ الملابس من ذلك لا يكون إلا ببيان الرسل فدل ذلك على إثبات الرسالة
أشار إلى ذلك كله الإمام أبو منصور رحمه الله ، وقوله تعالى لعلهم يذكرون أي يتعظون بالتفكر في هذه الآيات
وقوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان قال ابن عباس رضي الله عنهما أي لا يضلنكم ، وقيل أي لا يزلنكم أي تحرزوا
من الوقوع في فتنته ، وقوله تعالى كما أخرج أبويكم من الجنة أي تسبب ذلك بالاستزلال فيتسبب أيضا لكم الوقوع
في المخاوف بالاستزلال إن لم تتحرزوا عن ذلك ، وقوله تعالى ينزع عنهما لباسهما أي نزع بطريق التسبب كما في قوله
وإذ تقول للذي أنعم الله عليه أي وإذ قلت مستقبل بمعنى الماضي ، وقوله تعالى ليريهما سوآتهما أي قصد ذلك
وقوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله أظهر قوله هو ليصح عطف الاسم الذي هو بعده عليه ويكون عطف اسم على اسم
وقبيله عند الحسن نسله وكذا قال ابن زيد كما قال أفتتخذونه وذريته أولياء ، وقال أبو عبيدة أمته ، وقال
قطرب جموعه ، وقال المؤرج أشياعه ، وقال الزجاج أعوانه ، وقال القتيبي أصحابه ، وقال الكسائي جنده ،
وقوله تعالى من حيث لا ترونهم قال ابن عباس رضي الله عنهما صدر الإنسان له مسكن ويجري منه مجرى الدم
وقال مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله تعالى ، وقال يحيى بن معاذ الشيطان
قديم وأنت حديث والشيطان كبير وأنت سليم والشيطان يراك وأنت لا تراه والشيطان لا ينساك وأنت تنساه
ومن نفسك له عون وليس لك منه عون وأنت لا تنجو منه إلا بعون الله تعالى وفيه يقول شعر

ولا أراه حيث ما يراني • وعندما أنساه لا ينساني
يفديه أنا لم يبت سباني • كما سبى آدم من جنان

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله فإن قالوا كيف كلفنا محاربتهم ونحن لا نراهم وليس في وسعنا ذلك قلنا لم نكلف
محاربة أعيانهم بل دفع وسوستهم ويمكن الوقوف على ذلك بما وضع للفرق بين الإلهام والوسوسة فيما يقع في القلب
وقد علمنا كيفية دفع ذلك بقوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، وقوله وقل رب أعوذ بك من
همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، وقال ذو النون إذا كان هو يراك من حيث لا تراه فإن الله يراه من
حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه إن كيد الشيطان كان ضعيفا ، وقوله تعالى إنا جعلنا الشياطين أولياء
للذين لا يؤمنون أي خذلنا الكفار فاتخذوا الشياطين أولياء يطيعونهم ويجعلونهم بمنزلة من يتولى مصالحهم
وفيه إثبات خلق أفعال العباد ، وقوله تعالى وإذا فعلوا فاحشة قال الزجاج الفاحشة ما عظم قبحه
وقال غيره عبدة الأوثان والفاحشة الشرك ، وقوله تعالى قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها
وقال الحسن قالوا لو كره الله ما نحن فيه لنقلنا عنه فهو أمر منه لنا به ، وقيل توهموا أن آباءهم كانوا عليه بأمر الله
تعالى ، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي وإذا فعلوا فاحشة هي إبداء السوأة
في الطواف قال الشاعر منهم ، وقيل هو من قول امرأة منهم

اليوم يبدو بعضه أو كله • وما بدا منه فلا أحله

وقال الكلبي وإذا فعلوا فاحشة هي تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قالوا هو دين آبائنا وأجدادنا
نتبعها والله أمرنا بها ، وقوله تعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أي الفاحشة وهي الفعلة التي تثبت قبحها من كل
وجه عقلا وسمعا ودل على ثبوت قبح الأشياء قبل ورود السمع ولو كان القبح لا يثبت قبل ورود السمع لكان ما يؤمر
به لا يكون قبيحا فلا معنى لقوله إن الله لا يأمر بالفحشاء لو أمر به لم يكن فاحشة ، وقوله تعالى أتقولون على الله ما لا
تعلمون أي تدعون أن الله أمركم بها وأمر الله يعرف ببيان رسله أو الذكر في كتابه وأنتم لا تعترفون برسول الله ولا كتاب
فكان هذا دعوى بجهل وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ، وقال القشيري رحمه الله استروحوا في التعلل إلى سلوكهم
نهج أسلافهم فاستمسكوا بحبل واهي فتزلت بهم قدم الغرور فغرقوا في هذه المحنة ، وقوله تعالى قل أمر ربي
بالقسط أي بالعدل وهو التوحيد لا بما قلتم والله أمرنا بها ولما كان الشرك ظلما بالنص كان التوحيد عدلا ، وقوله
تعالى وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أي وجهوها إلى الله دون الأصنام ومنه قول المصلي إني وجهت
وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا ، وقوله عند كل مسجد أي موضع سجود ، وقوله تعالى وادعوه مخلصين
له الدين أي واعبدوه كما قال فادعوا الله مخلصين له الدين ، وقال إن يدعون من دونه إلا إناثا ، وقال ابن
عباس رضي الله عنهما قل أمر ربي بالقسط بلا إله إلا الله وأقيموا وجوهكم إلى الكعبة حيث صليتم ، وقال الضحاك
بالقسط التوحيد وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أي إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن
أحدكم أصلي في مسجدي وإذا لم يكن عند مسجد فليأت أي مسجد شاء ليصلي فيه وادعوه أي واعبدوه مخلصين
له العبادة ، وقوله تعالى كما بدأكم تعودون أي خلقكم ابتداء وأنشأكم ابتداء ويعني قال الله تعالى إنه هو يبدئ ويعيد
وقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده واتصال هذا بما قبله أنه يقول أخلصوا الطاعة له فإنكم مبعوثون مجزيون
على أعمالكم ثم ذكر الحجة على الإعادة وهو قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قيل نصب
فريقا على الحال للعود ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كما بدأكم تعودون سعيدا وشقيا وفي رواية قال

مؤمنا وكافرا كما بدأكم • قال الله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن • وقال السدي تعودون وفيكم ضلالا ومهتدين
وقيل عزة لك • وقال قتادة بدأ منهم من التراب ويعودون الى التراب ثم يبعثون من التراب • وقال الربيع بن انس
كما بدأكم عريا تعودون اليه عريا • قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة • وقال الحسن كما بدأكم احياء
تعودون احياء بالبعث • وقيل فريقا وفريقا نصب بقوله بدأكم وقيل تم الكلام بقوله تعودون ثم قال فريقا هدى
تفسيره هدى • وقوله تعالى وفريقا حق عليهم الضلالة نصبه بتقدير فعل متأخر عنه وهو اضل فان قوله حق عليهم
الضلالة معناه اضلهم وهو كقوله يدخل من يشاء في رحمته من نصب بتقدير يدخل ثم قال والظالمين اعد لهم عذابا اليما
نصبه لتقدير احد الفعلين اما يدخل الظالمين في عذابه او يعذب الظالمين عذابا اليما وانما حمل على الفعل المقدر
دون الظاهر لتصحيح المقابلة وهي من اقسام البلاغة • وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون
الله يطيعونهم ويتولونهم • وقوله تعالى ويحسبون انهم مهتدون قال الامام ابو منصور رحمه الله اي هم عند
انفسهم مهتدون ولم يكونوا كذلك وذمهم بذلك فدل ان الحجة والدليل يلزم فانه يرجع بعد ان يكون العبد
بسبيل من الوصول الى ذلك وهذا يرد قول من يقول ان فرايض الله تعالى لا تلزم العبد الا بعد علمه بها • وقال
في قوله واقيموا وجوهكم اي معناه توجهوا لله ولا تشركوا به شيئا • وقيل اي اقيموا دينكم لله ومنه قوله ومن يسلم وجهه
الى الله اي يخلص دينه ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن النفس ومعناه اقيموا انفسكم لله • ثم قيل على هذا
في قوله ومن يسلم وجهه الى الله اي ومن يجعل نفسه سالمة لله والاية حجة على المعتزلة في مسالة الهداية
والاضلال • وقال القشيري رحمه الله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد اشارة منه الى استدامة شهوده في كل
حال فان لا ينسى مقصده في كل ما ياتيه ويذره ويقدمه ويؤخره • وقال في قوله كما بدأكم تعودون من كانت قسمته
منه سبحانه وتعالى له السعادة كانت نطويه على السعادة ومن كانت فطرته على السعادة كانت خاتمته
السعادة ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته الى السعادة ومن كانت قسمته بالضد فحالته
بالضد • وقال الجملة العلم والقضاء والقدر انه يتحقق ان الله علم ما يكون انه كيف يكون وكما علم الحادثات ان تكون
اراد به ان تكون او لا يكون اخبر انه يكون او لا يكون وعلى الوجه الذي اخبر حتى على العبد وقدره • وقوله تعالى
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد اي لباسكم في المساجد كلها مع المسجد الحرام وكانوا يتعرون عند
في الطواف فنهوا عن ذلك وامروا باخذ اللباس للصلاة في المواضع كلها • وقوله تعالى وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا اي كلوا ما احل الله ولا تسرفوا اي لا تجاوزوا حد الشرع بتحريم ما احل الله من البحيرة
والسايبة ونحو ذلك • وقال طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج ولكن كان اهل الجاهلية يطوف احدهم
بالبيت عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد فان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه فنزلت الاية • وقال
الكلبي ان بني عامر من اهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء بالنهار وكانوا اذا قدموا
مسجد منى طرح احدهم ثيابه في رحله وهم قريش وكنانة وخزاعة وكانوا لا يصلون في ثيابهم ويقولون
لا نصلي في ثياب اذنبنا فيها ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك ان نفعل فنزلت الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا اللحم
والدسم ولا تسرفوا احل الله الاكل والشرب ما لم يكن فيه سرف ولا مخيلة • وقيل خذوا زينتكم هو التجمل بالجود
ما يجد اذا قصد المسجد تعظيما له ولذا استحب التجمل في الجمع والاعياد • وعن عطية العوفي وابو روق ان
الزينة هي المشط وهو ضرب من الزينة • وقيل في قوله ولا تسرفوا انه نهي عن الاكل والشرب في وقت الحظر
ومن مال الغير بدون الاذن وتناول ما وراء الحاجة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة • وقيل الاسراف الانفاق في المعصية • وقال مجاهد لو انفقت
مثل احد في طاعة الله تعالى لم يكن سرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله لكان اسرافا • وقيل لبعض
السلف لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير • وقيل ولا تسرفوا اي لا تشركوا بالله غير الله وانتم
تاكلون وتشربون من رزق الله • وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين لانه لا يحب الاسراف فان حمل هذا
على اسراف المسلم فان الله لا يحبه لاسرافه ويحبه لاسلامه وان حمل على الشرك فانه لا يحب المشرك مطلقا
بل يبغضه مطلقا • وحكي ان الرشيد كان له طبيب حاذق نصراني فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في
كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له علي بن الحسين قد جمع الله الطب
في كلمة واحدة من كتابه قال وما هي قال ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم في الطب شيء فقال
قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب كله في حرف واحد قال وما هو قال المعدة بيت الداء والحمية
راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا • وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اقلوا الشرب فان شركم من لا يبارككم الا عند الغايط وحين يفضي الرجل منكم الى اهله
فاستحيوا واكرموهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد اي صلوا

في كل

في كل سجود ولا تحضروا الصلاة متجردين والزينة نفس الصلاة فان العبادة زينة كل عابد • وقال القشيري رحمه الله
زينة العبد بحضور الحضرة ولزوم السدة واستدامة شهود الحقيقة قال ويقال زينة نفوس العابدين اثار السجود
وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرمة • وقوله
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق استفهام بمعنى الجحد ثم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم على الاسراف الذي نهى عنه في الاية وهو تحريم ما احل الله من الطعام واللباس
والزينة بمعنى المزين كالشهوة بمعنى المشتهى وزينة الله ما جعله زينة لعباده واباحه في شرعه والحرج
لعباده اي اوجد • وقيل اظهر • وقيل هو على حقيقته لانه كان في السما او في الارض فاخرجه منها لهم وجواب
هذا السؤال متروك لانه لا جواب لهم يصح لانهم ان اضافوا التحريم الى ابائهم فليس اليهم ذلك وان اضافوه الى
الله فلا دليل لهم عليه اذ لا تحريم من الله في كتاب ولا على لسان رسول • وقوله تعالى قل هي للذين آمنوا في الحياة
الدنيا هي ترجع الى الزينة والطيبات جميعا لانها للجمع اي هي للمؤمنين على الاصالة وللكفار بطريق التبعية
كما قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم هي في الجنة على الخلوص للمؤمنين لا يشركهم فيها غيرهم وذلك • وقوله تعالى
خالصة يوم القيامة قرا نافع بالرفع بهي والباقون بالنصب على الحال • وقيل في الحياة الدنيا صلة قوله الذين
آمنوا في الحياة الدنيا اي المؤمنون في الدنيا لهم الطيبات على الخلوص في العقبى يقول للمشركين استبيحوا
ما اخرجت لكم من ذلك في الدنيا واشكروا على النعم ولا تحرموها فانها لغيركم اي لمن استباحها المؤمنون في
الدنيا ثم خلص ذلك لهم في العقبى ولا شركة لكم معهم فيها • وقوله تعالى كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
اي كما نبين لكم هذه الاحكام في الحلال والحرام نبين لكم جميع ما بكم حاجة اليه من شرايع الاسلام • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله قال ابن كيسان قل من حرم زينة الله هي اللباس كما في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد
وقال الحسن هي المراكب كما في قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة والطيبات من الرزق البانها
ولحومها وكانوا يحرمون ركوبها واكلها والشرب من لبنها • قال وقال بعض اهل التاويل الزينة هي النبات
وما يخرج من الارض رزقا للبشر والدواب قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها • وقال حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت • وقال القشيري رحمه الله زينة القاصدين ترك العادة • وزينة العابدين
حسن العبادة • وزينة اللسان الذكر • وزينة القلب الفكر • وزينة الظاهر السجود • وزينة الباطن
الشهود • وزينة النفس حسن المعاملة • وزينة الروح دوام المواصلة • وقوله تعالى قل انما حرم ربي
الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم اي لم يحرم الزينة والطيبات وانما حرم القبايح كلها ظاهرها
وباطنها • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يرون بالزنا باسا وكانوا يستقبحونه علانية فنهوا عنهما
جميعا • وقال قتادة ومجاهد الظاهر نكاح الربايب والجمع بين الاختين والام وابنتها ظاهرا والباطن
الزنا • قال الكلبي الظاهر الزنا والباطن المخالة • وقال مجاهد الظاهر التعري في الطواف والباطن الزنا
وقوله والاثم اي الذنب بينك وبين الله فيما دون الزنا مما لا يوجب الحد • وقوله تعالى والبغي بغير
الحق اي الاستطالة على الناس بغير استحقاق فيكون انه من المظالم • وقال الحسن الاثم الخمر من قوله قل فيهما
اثم كبير فالبغي الاعتدا • وقوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة اي الشرك يكون بهذه
الصفة بل حاله لا ان يكون من الشرك ما به سلطان اي حجة وهو كما يقال اجتنب المذهب المعتل والتمييز
يلزم للتحقيق انه ابدا كذلك • وقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من تحريم هذه الاشيا التي
التي تحرمونها من الحرث والانعام • وقال عطا هو قولهم الملائكة بنات الله • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله قيل الفواحش الكباير لظهور قبحها عقلا وشرعا والاثم الصغاير والبغي هو اخذ ما اعتصم من مال
او نفس • وقوله بغير الحق هو كقوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا وهو الاكراه ونحوه فانه قال الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان • وقال القشيري رحمه الله ما ظهر منها الزلة وما بطن منها الغفلة • ويقال ما ظهر منها ارتكاب
المنهي وما بطن منها خطورها بالبال • ويقال ما ظهر منها ما كان ببيان الشريعة وما بطن منها ما كان
باشارة الحقيقة • ويقال فاحشة الخواص تتبع ما لا قسم فيه نصيب • ويقال فاحشة المحب الصبر
عن المحبوب • ويقال فاحشة قوم ان يلاحظوا الغير بعين الاستحسان • وقال قايلهم شعر

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت • بمنظر حسن مذ غبت عن بصري

ويقال فاحشة قوم ان تبقى لهم قطرة من الدمع لم يسكبوه للفرقة او يبقى لهم نفس ولم يتنفسوا في حسرة
وفي معناه انشدوا

لئن بقيت في العين مني دمعة • فاني اذا في العاشقين دخيل

وقوله تعالى ولكل امة اجل اي ولكل امة مكذبة للرسل مشركة بالله مدة معلومة عند الله يوقت فيها العقوبة
عند الله • وقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون

فكذلك اهل عصرك يا محمد وذلك الاية ان الاجل واحد • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقيل اجلهم ان يبعث اليهم رسول
فيكذبوه معاندين فيهلكون عند ذلك ويعذبون • قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا • وقال القشيري رحمه
الله لكل امة مدة فاذا انتهت تلك المدة زالت تلك الحالة ان كانت او شدة واذا سقط قرص الشمس زال سلطان
النهار فلا يزداد بعده الا تراكم الظلمة واذا انقرض عسكر الظلام بطلوع الشمس فبعد ذلك لم يبق لتعالي الليل رقعة
وقوله تعالى يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي اما كلمتان ان وما ان للشرط وما للتاكيد والنون
في اخره تاكيدا للشرط على مجرى القسم قيل هذا معنى قوله لادم ومن معه فاما ياتينكم مني هدى الاية لان خطابه يومئذ
كان خطابا لادم وذريته ولذلك جمعهم في الذكر • وقيل هذا كان خطابا لهم حين اخذ الميثاق • وقال مقاتل يا بني
ادم هذا الخطاب لمشركي العرب اما ياتينكم رسل منكم يعني محمدا وحده وسماه باسم الرسل تشريفا له • وقوله يقصون
عليكم اياتي اي يتلون عليكم القران وعلى القولين الاولين قوله اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي معناه ان
ياتيكم ومتى ياتكم انبياء من جنسكم ومن عشيرتكم وهو ادعى الى الالفة وابلغ في الثقة وهم يحدثونكم باياتي التي اوجبت اليهم
وقوله تعالى فمن اتقى واصلح اي اتقى الشرك والمعاصي واصلح العمل في الاسلام • وقيل اصلح ما كان افسده قبل
ذلك اي حافظ على ما يصلح في الدين دون ما لا يصلح اي استبدل النكاح بالسفاح واكل الحلال باكل الحرام والتعوذ
الصحيحة بالفاسدة والصلاة بتاركها اداءها دون الصلاة بالمكاء والتصدية ونحو ذلك • وقوله تعالى فلا خوف
عليهم اي من الوقوع في العقوبات ولا هم يحزنون بفوات الثواب وهذا لا يبطل مخافات القيامة لان المراد
به العاقبة وهو كقول الطبيب للمريض لا باس عليك ولا خوف وان كان في وجع وضعف • وقوله تعالى والذين
كذبوا باياتنا خلاف من اتقى واصلح • وقوله تعالى واستكبروا عنها اي تعظموا عن قبولها • وقوله تعالى اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون هذا وعيد المخالفين والاول وعد الموافقين ولا خوف عليهم ذكر على الجمع
مع ان الشرط في الواحد لان معناه الجمع • وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ثم اخبر عن هؤلاء الذين
خلدوا في النار انهم هم الذين اوردوا انفسهم النار بظلمهم • وقوله ومن اظلم استفهام بمعنى النفي اي لا اظلم
ممن افترى اي اختلق على الله كذبا • قال الكلبي اي جعل له صاحبة وولدا • وقيل اضاف اليه تحريم ما لم يحرمه
او احلال ما لم يحله • وقيل قال ان الله امرنا بها ونحو ذلك • وقوله تعالى او كذب باياته قال الكلبي بمحمد والقران
وقوله تعالى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي هؤلاء مع نهاية ظلمهم وهو وضع الشيء في غير موضعه ووصف
الله تعالى بما لا يليق به والاضافة اليه ما ليس منه ولا يحرمهم في الدنيا ما كتب لهم بل يصل اليهم حظهم بما كتب
لهم من الرزق يتمتعون في الدنيا بما كتب لهم في الكتاب السابق حتى اذا انقضت اجالهم وحضرهم ملائكة قبض الارواح
وذلك • وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وهو بسط قول الربيع بن انس نصيبهم من الكتاب ما كتب
لهم من الرزق وفيه اقاويل اخر للمفسرين • قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم نصيبهم من الكتاب ما كتب انهم يعملون
من خير وشر ويجزون بكل ذلك • وقال مجاهد نصيبهم من الكتاب ما وعدوا في الكتاب من خير وشر • وعن مجاهد
في رواية الاعمال التي لم يعملوها بعد لابد لهم من ان يعملوها • وقال عطية العوفي ينالهم نصيبهم من الكتاب
من السعادة والشقاوة • قال تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة • وقال الكلبي نصيبهم من الكتاب
من العذاب • وقال السدي زرقة العيون وسواد الوجوه • قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة وكذا قال الكلبي • وقال الزجاج نصيبهم من الكتاب ما اخبر الله من جزائهم فانذرتكم نارا تلظى
نسلكه عذابا صعدا • ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار • اذ الاغلال في اعناقهم • وقوله حتى اذا جاءتهم
رسلنا ملك الموت واعوانه من الملائكة يتوفونهم اي يقبضون ارواحهم • وقوله تعالى قالوا اينما كنتم تدعون
من دون الله اي تعبدون من الاصنام ترجون شفاعتهم ومعونتهم • وقوله تعالى قالوا ضلوا عنا اي
افتقدناهم فلا نرى لهم اعيانا ولا نرجو منهم مودة ولا اعوانا • وقيل اينما كنتم تدعون من دون الله اي الاكابر
الذين كنتم تستعينون بهم قالوا ضلوا عنا اي شغلوا عنا بانفسهم • وقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين اي اعترفوا بكفرهم بلفظة الشهادة التي هي تحقيق الخبر • وقوله تعالى قال ادخلوا في امم قد
خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي يقول الله تعالى لهم على السنة ملائكته يوم القيامة معلنين لهم
بما يفعلون فيه ادخلوا في جملة من كان قبلكم من كفار الجن والانس الذين هم في النار • وقال مقاتل في امم
اي مع امم كما في قوله فادخلي في عبادي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يقول في قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم يحتمل انه اراد به خزنة جهنم ومعنى يتوفونهم يعذبونهم بما فيه شدائد العذاب وان كانوا لا يموتون
كما قال ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فعلى هذا يكون الاتيان جميعا في ذكر حالهم يوم القيامة وعلى
التاويل الاول يكون الاولى في الدنيا والاخرى في الاخرة • وقوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها اي كلما دخلت
النار لعنت اختها اي الامة التي هي مثلها في الدين من سبق اليها وهي مجاز كما في قوله الا هي اكبر من اختها • وقال
مقاتل يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى ويلعن الاتباع القادة • وقال ابن عباس

رضي الله عنهما

رضي الله عنهما لعنت اختها اي دعت على الامة التي دخلت قبلها النار • وقوله تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا اصله
تداركوا وتفسيره تلاحقوا ومعناه اجتمعوا • وقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اي المتاخرون للمتقدمين
هؤلاء اضلونا اي هم كذبوا الانبياء فاتبعناهم في ذلك فلو صدقوهم لصدقناهم ويقولون ايضا انهم دعونا الى
ذلك وامرونا به • قال الله تعالى اخبارا عنهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا • وقوله تعالى فاتهم عذابا ضعفا
من النار اي يا ربنا اضعف لهم العذاب اي عذبهم عذابا مكررا لانا بدانا على عذابنا بضلالهم واضلالهم • وقوله
تعالى قال لكل ضعف اي لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف مكرر لا ينقطع لاشتراككم في الكفر • وقوله تعالى
ولكن لا تعلمون قرا عاصم في رواية بالياء للمغايبة ومعناه ما قال مجاهد لكل ضعف من القادة والرؤساء على عذاب
السفلة والاتباع ولكن لا يعلم الاتباع ولو علموا لكان لهم فيه تسلي وخفة ونوع سرور وليس لهم شيء من ذلك • وقال
الكلبي ان امرهم عذابا يري انه ليس في النار اشد عذابا منه • وقرا الباقون بتاء المخاطبة هؤلاء المعذبين ومعناه
لا علم لكم به في الحال وقال عطاء لا علم لكم في الدنيا حتى يحل بكم ذلك في الاخرة • وقيل ولكن لا تعلمون انه لا عذر لكم
والحجة ولا حجة بسبب تقدمهم وتاخركم اذ الحجة قائمة عليكم كلكم • وقيل اي لا تعلمون انتم ما عليهم لشدة ما
ما عليكم • وقوله تعالى وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي في عقل وتدبر فانكم سمعتم ما نزل
من الملامة فلم تعتبروا • وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الكفر كما نحن نذوقه بكسبنا • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله الاولى والاخرى يحتمل ان المراد به في الزمان اي في الامم المتقدمة منهم والمتاخرة ثم
ويحتمل ان يكون المراد بالاولى القادة الذين دخلوا النار اولا والاخرى الاتباع الذين دخلوا اخرا • وقوله
لعنت اختها دليل على ان الكفار اخوة بعضهم لبعض كما ان المؤمنين اخوة بعضهم لبعض • وقوله تعالى ان الذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها فسرناه في هذه السورة • وقوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء قرا ابو عمرو
بتاء التانيث مخففا لان اصل الفعل الفتح والابواب جمع • وقرا حمزة والكسائي بياء التذكير مخففا لتقدم الفعل
وقرا الباقون بتاء التانيث والتشديد في التفتيح وهو للتكثير والتكرير والتكثير ومعناه لا تفتح لهم ابواب
السماء المرفوعة لارواحهم اذا ماتوا • وروى البراء بن عازب وابو هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حديث طويل ان روح الكافر يستفتح لها في السماء فلا يفتح وترد الى سجين • وقيل اي لا يفتح لهم ابواب
السماء لرفع الاعمال كما يفتح للاعمال الصالحة • قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بل ترد الى
سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين • وقال ثم رددناه اسفل سافلين وهو قول ابن عباس والكلبي
رضي الله عنهم وجمع بينهما ابو العالية فقال لا تفتح ابواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله قال بعضهم اراد بها ابواب الجنان فان الجنة في السماء قال وفي السماء رزقكم وما توعدون اي الجنة
وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة لا ينبغي هذا التاويل ولا يكون للتكرير فان معناه لا تفتح لهم ابوابها ولا
يدخلونها • وقيل تمثيل لرفعة القدر • قال نابغة الجعدي

بلغنا السماء مجدنا وفعالنا • وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وقال ابو تمام الطائي • فتح تفتح ابواب السماء له • وتبرز الارض في اثوابها القشب

وقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط قال ابن عباس اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والسم
بفتح السين وضمها ثقب • وقرا ابن سيرين بالضم والعامة بالفتح والخياط والمخيط الة الخياطة وهو تحقيق
لهم عن دخول الجنة اي هذا لا يكون ابدا كما لا يدخل الجمل في سم الابرة ابدا والجمل بحاله والسم بحاله • وقرا ابن
عباس الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة وهو كبير غليظ • وقيل هو الحبل الذي يصعد
به النخل • وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين قال ابن عباس رضي الله عنهما اي وهكذا نعاقب المشركين
وقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قال الحسن مهاد فراش وغواش ظلل جمع غاشية وهي
المغطية وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل • وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
وقوله تعالى وكذلك نجزي الظالمين اي الظالمين انفسهم بالشرك بالله ووضعهم الشيء في غير موضعه • وقال
القشيري رحمه الله كما احاطت بهم الذنوب في الدنيا متدنس بالزلة ظاهرهم وبالغفلة باطنهم كذلك احاطت
العقوبات غدا بجوانبهم من فوقهم عذاب ومن تحتهم عذاب وفي قلوبهم استيلاء الوحشة وغلبة الدهشة
وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون ذكر ثواب المصدقين بعد عقاب المكذبين ولا نكلف نفسا الا وسعها قيل هو اعتراض الكلام
قبل التمام واولئك جواب والذين • وقيل هو جواب بعد جواب وتقديره والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا منهم الا طاقتها في الاعمال الصالحات في الدنيا واولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون في
العقبى • وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد اي الحقد لهم والحسد والتنافس • وقوله
تعالى تجري من تحتهم الانهار اي هم في مواضع في غاية النزاهة وقد زال عنهم الحسد فلا يتنافسون بتفاوت

المنازل ولم يبق ما كان بينهم في الدنيا من خشونة واذى • قال قتادة قال علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من اهل هذه الآية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم المؤمنون من الصحابة وغيرهم يكون بينهم العداوة في الدنيا فيموتون على ذلك فيغفرها الله لهم فاذا ادخلهم الجنة نزع ما كان في قلوبهم من غل فصاروا اخوانا على سرر متقابلين • وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا قال سفيان الثوري اي لعمل هذا ثوابه • وقوله تعالى وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق اي بالصدق وقيل بما هو حق في المعقول وصواب • وقيل اي بالدين الحق الذي يستحقه على عباده وهذا بيان منه في اعتقادهم وشكر لله على ارشادهم • وقوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون اي تناديهم الملائكة ان تلك الجنة التي اخبرتم عنها في الدنيا هي هذه اورثكموها الله اي اعطاكم باعمالكم وهي اعمالهم وطاعاتهم وسماه ميراثا لانه ليس مما يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله وعده من الطاعات كالميراث من الميت لا يكون عوضا مستحقا من شيء بل هو عطية خالصة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال بعض الناس ان المعتزلة خالفوا الله فيما اخبر وخالفوا الرسل فيما اخبروا عن الله وخالفوا اهل الجنة والنار وخالفوا ابليس اما مخالفة الله فانه قال يضل من يشاء ويهدي من يشاء • واما مخالفة الرسل فقد قال نوح ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم • واما مخالفة اهل الجنة فقولهم وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله • واما مخالفة اهل النار فقوله تعالى لو ان هدانا الله لهديناكم • واما مخالفة ابليس فقوله رب بما اغويتني فهو اعلم بالله من المعتزلة • وقال مقاتل رحمه الله في قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل وذلك ان اهل الجنة لما انتهوا الى باب الجنة اذا هم بشجرة ينبت من ساقها عينان فيميلون الى احداهما فيشربون منها فيخرج الله تعالى ما كان في اجوافهم من غل وقذر فيطهر اجوافهم بذلك وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يميلون الى العين الاخرى فيغتسلون منها فتطيب الله اجسادهم من كل درن وجرت عليهم نضرة فلا تشعث رؤسهم ولا تتغير وجوههم ولا تتغير اجسادهم ثم تبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها فنادوهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فلما استقروا في منازلهم قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لدينه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق بان هذا اليوم حق نصدقناهم وقيل لما نظروا الى اماكنهم بلذكروا منة الله بالهداية ذكر الله انهم ورثوها باعمالهم تفضلا لما فيه • وقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم قرا الكسائي نعم بكسر العين لما روي عن ابي عثمان النهدي ان عمر رضي الله عنه سالهم عن شيء فقالوا نعم فقال انما النعم الابل فقولوا نعم • وقرا الباقون بفتحها وهي لغة اهل الحجاز وعامة العرب ومعنى الآية ان اهل الجنة ينادون او يوبخ اهل النار لانهم مشرفون عليهم فان الجنة عالية وجهنم متسفلة فيقولون لهم انا وجدنا ما وعدنا الله من الثواب حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا قالوا نعم وانما يكون هذا تشفيا للقلوب المؤمنين وزيادة تعذيب الكافرين فانهم كانوا يؤذونهم ويعيرونهم كما قال الله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون • وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم اي نادى مناد وهو ملك او من شاء الله ان لعنة الله على الظالمين قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابن كثير بتشديد النون • والباقون بالتخفيف • قال ابو حاتم التخفيف اولى ليكون موافقا لقوله ان تلكم الجنة ان قد وجدنا ان سلام عليكم ان الحمد لله • وقال الاخفش التشديد اولى لانها ليست بالاسم ان لعنة الله على الظالمين اي حصلت على الكافرين دون المؤمنين وهو اخبار • وقيل هو ابتداء لعن منهم لهم من الله • وقوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن دين الله بالنهي والقاء الشبه • وقوله تعالى ويبغونها عوجا اي يطلبون لها تغييرا وامالة الى الباطل وقوله تعالى وهم بالآخرة كافرون اي كانوا بها جاحدين كله نعت الظالمين الذين عليهم اللعنة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فاذ قال لنا ذكر نداء اهل الجنة اهل النار ونداء اهل النار اهل الجنة وتكلم بعضهم بعضا لا يكون الا حيث يكون بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في وصف الجنة ان اقل ما يكون لواحد من اهل الجنة مثل عرض الدنيا وجاء ان الحور العين لو نظرت واحدة منهن الى الدنيا نظرة لامتلات الدنيا من نورها وعطرها • وجاء في وصف النار ان شرارة لو وقعت في الدنيا لاحرقتها فاذا كان بعضهم من بعض بحيث ليس من بعض الى ما ذكر اهل الجنة باهل النار فلا يتنعم اهل النار بنعيم اهل الجنة قلنا ان الله قادر على ان يرفع نداهم لا يمنع هو مع بعد ما بينهما ويسمع كل فريق نداء الفريق الآخر ويكون الله جعل بنية هذا الخلق غير هذه البنية مع ارتفاع الآفات والحجب فيسمع بعضهم نداء بعض من بعد ويبصر بعضهم بعضا لان في الدنيا المانع هو الآفات والحجب وقد ارتفع ذلك او تقرب الجنة من النار بحيث يسمع بعضهم بعضا ما ذكر من النداء • وقوله تعالى وبينهما حجاب قال بعض اهل التفسير هو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور

له باب باطنه فيه الرحمة الآية • وقوله تعالى وعلى الاعراف رجال هي جمع عرف وهو المكان المرتفع ومنه عرف الديك وذلك لانه بظهوره اعرف مما انخفض منه • وقيل سمي بذلك لان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة من اهل النار • وقيل ومعنى الآية اي وعلى اعالي الحجاب وهو السور رجال قيل هم ملائكة موكلون باعالي السور يميزون المؤمنين من الكافرين قبل ادخالهم الجنة والنار واسم الرجال وان كان في الظاهر لذكور بني آدم فغير منكر ان يقع على الملائكة كما اوقع على الجن قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وسموا رجالا لانهم في صورة الرجال • وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم اي الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون والمؤمنين بنضرة النعيم ونور الوجوه • وقوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يبشرونهم بالسلامة من كل مخوف والسلام التحية في الجنة • وقوله تعالى لم يدخلوها اي اهل الجنة بعد وهم يطمعون اي يرجون وهو طمع اليقين كقول الخليل والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا قول الحسن وابي مجلز • وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم اي ابصار هؤلاء الملائكة تلقاء اصحاب النار اي حذاءهم وهم جهة اللقاء • وقوله تعالى قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي قال هؤلاء الملائكة هذا بطريق الدعاء حين اشرفوا على اهل النار وهم متعبدون مكلفون كبني آدم فلا ينكر ان يدعوا الله لانفسهم بالامن • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل هم اهل كرامة الله اكرمهم بذلك فرفعهم على السور لينظروا الى حكم الله في الخلق وعدله فيهم وينظرون الى احسان الله فيمن يحسن اليه • قال وقيل هم الانبياء والاشبه ان يكون الانبياء يكونون على الاعراف ليشهدون على الامم • قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا • وروى عبد الرحمن المزني قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف قال ناس قتلوا في سبيل الله فمنعهم الجنة معصيتهم اباهم ومنعهم النار قتلهم في سبيل الله • وقال مجاهد هم اقوام رضي عنهم اباؤهم دون امهاتهم وامهاتهم دون ابائهم فلم يدخلهم الله الجنة لان اباءهم وامهاتهم غير راضين عنهم ولم يدخلهم النار لرضا اباءهم وامهاتهم عنهم فيحبسون على الاعراف الى ان يقضي الله تعالى بين الخلق ثم يدخلهم الله الجنة • قال الكلبي استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا عليه • وقال حذيفة هم قوم كانت لهم حسنات وسيئات فخالفت بهم حسناتهم عن النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة فكانوا كذلك حتى قضى الله فيهم ما قضى وعلى هذه الاقاويل المتاخرة لم يدخلوها وهم يطمعون اصحاب الاعراف وكذلك اذا صرفت ابصارهم الآية • وقال عبد الرحمن بن يحيى الكناني اصحاب الاعراف هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم • وقيل هم اولاد المشركين • وقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اي رجالا من الكفار يعرفونهم بسواد الوجوه ونحوه ما نفعكم جمعكم الاموال وتكبركم عن الايمان او تفضلكم على الناس بالرياسة ونحوها وهذا توبيخ للكفار بما فاتكم • وقيل جمعكم الاموال ... اهؤلاء الذين اقسمتم وهم ضعفاء المسلمين كان الكفار يستخفون بهم فيقول اصحاب الاعراف اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اي لا يصيبهم الله بكرامة فانظروا الى حالهم • وقوله تعالى ادخلوا الجنة اي يقول اصحاب الاعراف للضعفاء من المؤمنين ردا على الكافرين ما اقسموا به ادخلوا الجنة • وقيل يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قال الكلبي ينادون وهم على السور يا ابا جهل يا وليد بن المغيرة يا فلان يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم في الدنيا والولد وما كنتم تستكبرون عن الايمان بالله ثم ينظرون الى اهل الجنة فيرون فيها الضعفاء المساكين ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب واشباههم فنادوهم اهؤلاء الذين اقسمتم يعني الضعفاء والمساكين حلفتم وانتم في الدنيا • وقوله تعالى لا ينالهم الله برحمة يعني بالجنة يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم حين يخاف اهل النار ولا انتم تحزنون حين يحزن اهل النار • وقال ابو العالية يقول لهم اصحاب الاعراف ما اغنى عنكم جمعكم فانتم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فيقول الله تعالى اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة يا اصحاب الاعراف • وقال ابن مسعود رضي الله عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرا فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه الآية وان الميزان يخف بمثقال حبة او يرجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة والنار فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا انظروا الى يسارهم فنظروا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب الحسنات فيعطون نورا فيمشون به بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل امة نورا فاذا اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما راى اهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا واما اصحاب الاعراف فان النور كان في ايديهم فلم ينزع النور من ايديهم ومنعتهم سيئاتهم ان يمضوا فبقي في قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من ايديهم فذلك قوله لم يدخلوها وهم يطمعون ثم ادخلوا بعد ذلك

وكانوا اخر اهل الجنة دخولا • وقال ابن مسعود رضي الله عنه وهو على المنبر ان العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم يكتب عليه الا واحدة ثم يقول وقد هلك من غلب احاده عشراته • وقال القشيري رحمه الله اصحاب الاعراف اصحاب الاشراف خصوا بانوار البصاير اليوم فاشرفوا على مقادير الخلق باسرارهم فاشرفوا غدا على مقامات الكل بابصارهم وعرفوهم غدا بسيماهم التي وجدوهم عليها في دنياهم فاقوام موسومون بانوار القرب واخرون موسومون باثار الحجب • وقوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم سلموا اليوم عن المنكرة والجحود وسلموا غدا من فنون الوعيد وسعدوا بلطايف المزيد • وقوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء فلا صبر لنا على العطش • وقوله تعالى او مما رزقكم الله من الطعام فلا قرار لنا على الجوع • وقوله تعالى قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي الطعام والشراب جميعا كثير ولكن الله تعالى حرمهما فيحرمان الدار على الكافرين وهو تحريم منع لا تحريم تكليف كما في قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة • وفي تفسير المشافهات ان اهل النار ينادون اهل الجنة باسمائهم فينادي الرجل اباه وامه وابنه واخاه فيقولون انا لنا قد احرقت ابصارنا ان النار قد اصمت اسماعنا ان النار قد انضجت جلودنا ان النار قد اطلعت قلوبنا وانا خرجنا من الدنيا عطاشا وسكنا القبور عطاشا وخرجنا من القبور عطاشا وقد قطع العطش اليوم حلوقنا فافيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين • وقال القشيري رحمه الله انظر كيف لا يسقيهم قطرة مع استغنائه عن تعذيبهم وقدرته على ان يطيعهم يريدون ولكن قهر الربوبية والعزة الاحدية وانه تعالى لما يريد وكما لم يرزقهم اليوم من عرفانه ذرة لا يسقيهم غدا في تلك الاحوال قطرة • وانشدوا شعر

واقسم لا يسقيننا الدهر قطرة • ولو زخرت من ارضهن بحور

قال وقيل انما التمسوا الماء ليبكوا به لانه نفدت دموعهم وفي هذا المعنى انشدوا شعر

يا نار زحت دمعي تطفينه • هب لي من الدمع ما ابكي عليك به

وانشدوا ايضا شعر

نزف البكاء دموع عينك فاستعر • عينا لغيرك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها • ارايت عينا للبكاء تعار

وقوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا هو نعت الكافرين • وقيل هو قول اهل الجنة في وصفهم وقيل هو قول الله تعالى في حقهم بعد ذكر اهل الجنة ذلك في خطابهم ومعنى اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي على متابعة اهوائهم يحرمون ما شاؤا ويحلون ما شاؤا واعرضوا عن ايات الله ولا ينتفعون امره • وقيل كان دينهم دين اسمعيل فغيروه • وقال ابو روق اي عيدهم لهوا ولعبا اي باطلا وفرحا وكذا اهل كل دين له عيد والمسلمون اتخذوا عيدهم صلاة وطاعة • وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم ما كانوا فيه من زهرة الدنيا وسعتها وظنوا ان ذلك من كرامتهم على الله تعالى وان لهم مثل ذلك في الاخرة • وقوله تعالى فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا يقول الله تعالى فهذا اليوم الذين يستغيثون باهل الجنة نتركهم في النار كالمنسيين اي كما نسوا لقاء يومهم هذا كما تركوا التفكر في الاخرة والجزاء على الاعمال كالمتناسين لها • وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على كما نسوا اي وما كانوا يجحدون باياتنا فلا يصدقون انها من عندنا • وقال الحسن ومجاهد وابن عباس والسدي نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا وقال القشيري رحمه الله كما تركوا الطاعة نتركهم في العقوبة فما في عليهم الا خطاب فلا كشف عذاب ولا برد شراب ولا حسن جواب ولا اكرام خطاب ذلك جزاء من لم يعرف قدر الوصلة في اوقات المهلة • وقوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون اي نسوا امرنا وجحدوا باياتنا وقد كنا اتيناهم كتابا فصلناه اي جعلناه فصولا امرا ونهيا وتحريما وتحليلا ووعظا وضرب امثال بلسان عربي مبين على علم منا بايضاحه وتقريبه الى الافهام وعلى علم منا بما اودعنا وعلى علم منا بمن يتبعه وبمن لا يتبعه وجعلناه هدى ورحمة لمن صدقه وعمل به • وقال القشيري رحمه الله ولقد انزلنا اليهم من الكتاب فاوحينا اليهم من فصل الخطاب ما لو قابلوه بحسن الاصغاء وتلقوه على قدم الاستواء لخلصوا به من محنة البعاد ولسعدوا برتبة الوداد ولوصلوا به في الدنيا والاخرة الى المراد • وقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله استفهام بمعنى النفي اي ما ينتظرون الا عاقبته وما يؤول اليه الامر • وقوله تعالى يوم ياتي تاويله يرجع الى الكتاب اي عاقبة تصديقه وتكذيبه وهو يوم القيامة • وقوله تعالى يقول الذين نسوه من قبل اي تركوا العمل بالكتاب في الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق اي بالصدق في الدنيا • وقوله تعالى فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا حذف النون للنصب بالفاء جوابا للتمني ايضا غير الذي كنا نعمل فنصدق ونتبع فايسهم الله تعالى من هذا التمني فقال تعالى قد خسروا انفسهم اي قد غبنوا وصاروا

الى النار

الى النار • وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يكذبون وهو قولهم [illegible] بمعزلين؟ • وقيل اي بطل عنهم ما كانوا يعبدونه من الاصنام ثم يرجون الانتفاع بها بالشفاعة والتقريب الى الله زلفى وقال السدي يوم ياتي تاويله وقعة بدر • وقال القشيري اذا كشف لهم عن اسرار الغيب وتشعشعت عن قلوبهم اغطية الريب فهنالك لا دعاء لهم يسمع ولا البكاء لهم ينفع ولا شكوى لهم تدفع ولا البلوى عنهم تنقطع • وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض اي ليس ربكم وما لكم ومدبركم وصانعكم الا الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وما بينهما في ستة ايام وان لم يذكر في هذه الاية وما بينهما ولكن ذكر السموات والارض يدل على ذلك وقد نص عليه في الاية التي في اول سورة يونس وفي اخر سورة الفرقان وفي سورة ق قوله في ستة ايام قيل من يوم الاحد الى يوم الجمعة قيل هي كايام الدنيا • وقيل هي كايام الاخرة كل يوم الف سنة وكان قادرا ان يخلقها في اقل من لحظة انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون لما قال سعيد بن جبير انما فعل ذلك تعليما لخلقه التاني والتثبت في الامور • وقيل ذكر المدة عبارة عن احكام خلقهما واتقان صنعهما على ما تعارفه الناس فيما بينهم في الاخبار عن احكام الشي باضافته الى وقت ممتد • وقيل هو دلالة على ترك معاجلة العصاة بالعقاب لا لعجز عن ذلك لكن لاظهار الحكمة وتنبيها للعباد على الرجوع الى بابه وامهالا للعبد ليتمكن من اصلاح امره • وقيل فعل ذلك لاعتبار الملايكة بخلق شي بعد شي • وقيل هو دليل حدوث على انشاء شي بعد شي على ترتيب مما دل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيته • وقوله تعالى ثم استوى على العرش اي الملك يقال ثل عرش فلان اي زال ملكه والاستوا ظهور التمام قال تعالى ولما بلغ اشده واستوى ومعناه والله اعلم فيما اشار اليه الامام ابو منصور رحمه الله ان خلق السموات والارض كان في ستة ايام ثم في اليوم السابع خلق الممتحنين اي الذين يتوجه عليهم خطاب التكليف ولهم فضيلة العقل والتمييز وظهر لهم تمام ملك الله وعظمته وجلاله • وقيل ذلك لم يكن من له معرفة ذلك وهم المقصودون بالتخليق وغرضهم خلق لهم وجعل لهم بالتسخير فكان بهم تمام الملك ومعرفة النعم والوقوف على الحجج • قال ووجه اخر ما قال بعض اهل التفسير ان ستة ايام هي ستة ايام الاخرة كل يوم الف سنة فجاز ان يكون تدبير هذا العالم الى ستة ايام بمعنى ستة الاف سنة ثم يكون يوم السابع يوم القيامة وفيه ظهور تمام الملك فيقر كل ممتحن فيه بان الملك لله تعالى • قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال مالك يوم الدين وقال الملك يومئذ لله يحكم بينهم • وقال وبرزوا لله جميعا • وقال والامر يومئذ لله • وقال الذين يحملون العرش ومن حوله وقال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فيجوز ان تكون الاية اشارة الى ذلك وهذا الطف ما قيل فيه وقد بينا له وجوها اخر في سورة البقرة في قوله ثم استوى الى السماء فاما حمل الاستوا على التمكن والاستقرار وتفسير العرش بالسرير وتجويز الانتقال على الله على ما يقوله المشبهة فهو باطل لقول الله تعالى ليس كمثله شي وظاهره متشابه يحمل على المحكم واجراوه على ظاهره بدعة وتاويله على وفق الاصول لازم وبالله المعونة • وقوله تعالى يغشي الليل النهار قرا ابو عمرو واهل المدينة بالتخفيف من الاغشاء كما في قوله كانما اغشيت وجوههم • وقوله فاغشيناهم • وقرا اهل الكوفة غير حفص عن عاصم بالتشديد كما في قوله فغشاها ما غشى ثم لما ذكر الاستوا على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال الملكة والمراد تدبيره بين ذلك فقال تعالى يغشي الليل النهار اي يلبس الليل النهار بظلمته فيذهب نوره وقيل هذا مختصر وتمامه تقديره ويغشي الليل النهار اي يلبس النهار الليل بنوره فيذهب ظلمته وهو كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • وقوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وهذا الاختصار كقوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد • وقوله تعالى يطلبه حثيثا اي يتبعه سريعا ملوة ذلك جعل الله تعالى تعاقب الليل والنهار الى اخر مدة الدنيا ولو انقطعت الحركات المتعاقبة المتواصلة لانتقض العالم وهو قوله الشمس والقمر بحسبان • قال الامام ابو منصور رحمه الله اي يظهر النور في ابتداء النهار وخرجه من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينتشر ذلك في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما في قدر لحظة ما لو اريد تقديره ذلك لجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعلم ان الله على كل شي قدير • وقوله يطلبه حثيثا ليس على حقيقة الطلب لكن لما كان من كل واحد منهما للاخر ما لو كان ممن يكون له الطلب كان طلبا سماه طلبا كما قال وغرتهم الحياة الدنيا ولا غرور لها لكن معناه لو كان هذا ممن يكون منه الغرور كان غرورا فهذا كذلك • وقال القشيري رحمه الله تعرف الله الى العوام باياته الظاهرة الدالة على قدرته وهي افعاله وتعرف الى الخواص منهم باياته الدالة على افضاله واقباله واظهر لاسرار خواص الخواص بنعوته الذاتية التي هي بها له وجلاله فشتان بين قوم وقوم شتى كما يدخل في الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذلك يدخل القبض على البسط والبسط على القبض وعنده الاشارة الى ليل القلوب ونهارها فمن عبد احواله اجمع قبض ومن عبد احواله اجمع بسط ومن عبد

يكون مرة بعين القبض ومرة بعين البسط كما ان في العالم في بعض الاقطار نهارا ولا ليل وفي بعضها ليل بلا نهار وفي بعضها ليل يدخل على نهار ونهار يدخل على ليل • وقوله تعالى الا له الخلق والامر وبيده الخير والشر والنفع والضر وقوله تعالى تبارك الله رب العالمين والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره • قرا ابن عامر الكل بالرفع على الابتدا والخبر وقرا الباقون بالنصب عطفا على قوله خلق السموات اي ذلل هذه الاشيا لما خلقن له • وقوله تعالى بامره قيل اي بتسخيره • وقيل اي بامر الله يجرين ويسعفن الخلق • وقيل هو امر التكوين • قال تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون • وقوله الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اي له الخلايق ملكا وله ان يامرهم بما شا • قطعا تبارك الله اي تعالى الله • وقيل تعظم الله • وقيل كثر خيره ودام بره • اثنى على نفسه بما فعل في خلقه ودل بذلك على انه يلزم العباد الثنا عليه بذلك ثم صرح ذلك بما بعده وهو • وقوله تعالى ادعوا ربكم اي اعبدوه علانية وسرا وارفعوا اليه حوايجكم تضرعا اي تذللا وتخشعا والضراعة الذلة من خدع وخفية اي اخلاصا لان الخفي لا يدخله ريا • قال الله تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا • وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين اي المشركين اذا جعل الدعا بمعنى العبادة فاما على الدعوة والسوال فمعناه المجاوزين الحد في الدعا وفي غيره وهو نهي عن الجهر في غير موضعه • وروى ابو موسى الاشعري انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فاشرفوا على وادي فجعلوا يكبرون ويهللون رافعي اصواتهم فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لستم تدعون اصم ولا غايبا انكم لتدعون سميعا قريبا انه معكم • وقال الكلبي تضرعا علانية وخفية سرا في حوايجكم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اطيعوه سرا وعلانية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحب المعتدين الذين دعاوهم دعا الابرار وعملهم عمل الفجار • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون الاعتدا في الدعا هو ان يدعو بما لا يستحقه من كرامة الانبيا والاوليا • وقال القشيري رحمه الله الاعتدا في الدعا ان يترك الدعا ومن غاية ما يتقرب العبد من وصف كرمه ان جعل امساككم من الدعا وهو حاجته الذي لا بد له منه اعتدا منه فان الله علمهم الادب في الدعا ومن ادابه ان يدعوا بوصف الافتقار ونعت الانكسار ونشر الاضطرار • وقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال الحسن الافساد في الارض قتل المومنين والاعتدا على الخلق • وقيل هو العمل فيها بالمعاصي والاصلاح فيها العمل بالطاعات • وقيل هو الكفر والاصلاح الايمان • وقيل لا تفسدوا في الارض بتكذيب الانبيا بعد اصلاحها اي بعد ان اصلحها الله بانبعاثهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله بعد اصلاحها قيل بعد ما خلقها الله تعالى طاهرة عن الافساد وسفك الدما وغير ذلك • وقال عطية العوفي اي لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم فذلك فسادها بعد اصلاحها • وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين قال ابن عباس رضي الله عنهما ادعوه خوفا منه وطمعا فيه • ان اجابة الله قريب الى المطيعين • وقال الكلبي خوفا من عذابه وطمعا في ثوابه ان جنة الله قريب من المحسنين • وقريب على التذكير قيل لان الرحمة مصدر بمعنى الرحم ولان تانيثه غير حقيقي • وقال ابو عبيدة القريب والبعيد اذا كانا اسمين استوى فيهما المذكر والمونث فان بنيتهما على قربت وبعدت قلت قريبة وبعيدة • وقيل معناه بمكان قريب من المحسنين • وقال القشيري رحمه الله من الافساد بعد الاصلاح اهمال النفس من المجاهدات بخلع عذارها حتى تنهمك في هواها بعد كبح لجامها عن الركض في ميدان الخلاف ومن ذلك تفريق القلب في اودية المنى بعد جمعه على اوصاف الارادة ومن ذلك الرجوع الى الحظوظ بعد القيام بالحقوق ومن ذلك الاستشعار بحب المخلوق بعد تاكيد العقد مع المحبوب بان لا يحب سواه ولا توثر ما غيره على رضاه • ومن ذلك الجنوح الى تتبع الرخص بعد حمل النفس على ملازمة الاشق • ومن ذلك الرجوع عن حكم الارادة الى ما عليه اهل العادة ان رحمة الله قريب من المحسنين اي المحسنين عملا والمحسنين امدادا اما الاول في المومنين هـ والثاني في المقربين • وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح متصل بقوله الذي خلق السموات والارض الاية • وقوله تعالى نشرا قرا عاصم بشرا بضم البا وتسكين الشين منونا جمع بشيرة اي مبشرات وقرا حمزة والكسائي نشرا بفتح النون وله معنيان قال الفراء هي الريح الطيبة اللينة التي تنشي السحاب ومنه قولهم جارية طيبة النشر والثاني ان يكون مصدرا من نشر الشي الذي هو خلاف طوى اي ينشرها الله نشرا • وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وقرا ابن عامر بضم النون وتسكين الشين جمع نشور وهو المنتشر في النواحي • وقوله تعالى بين يدي رحمته اي قدام مطره وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يفهم من قوله بين يدي رحمته ما يفهم من قولك بين يدي فلان وكذا في قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذا في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله بل يداه مبسوطتان • وقوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا اي حملت سحابا جمع سحابة ثقالا جمع

ثقالا

ثقيلة • وقوله تعالى سقناه اي حملة السحاب من الكناية عن المعنى دون اللفظ • وقيل اي سقنا السحاب ولفظه واحد فوحد الكناية ومعناه جمع فوصفه بالثقال وهو كقوله اعجاز نخل خاوية بالهاء واعجاز نخل منقعر دون الها • وقوله تعالى لبلد ميت اي الى ارض قد محلت فلا تخرج نباتا • وقوله تعالى فانزلنا به الما اي بالسحاب • وقيل اي بالبلد • وقوله تعالى فاخرجنا به اي بالما من كل الثمرات اي الحبوب والفواكه فانها ثمار الارض • وقوله تعالى كذلك نخرج الموتى اي نحييهم ونبعثهم كما احيينا الارض واخرجنا الثمرات • وقوله تعالى لعلكم تذكرون اي تتذكرون البعث بما تشاهدونه من احيا الارض • قال الكلبي رحمه الله وذلك اذا مات الناس كلهم مطرت السما اربعين يوما كمني الرجال فينبتون في قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون امهاتهم ثم يخرجون في النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة • وقال القشيري في الاية اشارة الى انه رب مهجور يتمادى به الصد ويبرح به الوجد حتى انحل جسمه بل ابطل كله البعد وحتى ظن ان لا يستقبله حيث ما توجه الا الطرد فبينما هو كذلك اذ اتاه تباشير القرب ونسيم رياح الوصل فيعود عوده ثانيا طريا ويصير ارتحاله بعد الرثاثة قويا • كما قال قايلهم شعر

كنت لمن البين اكفانه • وقرب النعش من الملحد
فحال ما الروح في جسمه • ورده الاصل الى المولد
تبارك الله وسبحانه • ما كلهم صوبا بالترمذ

وقوله تعالى والبلد الطيب اي الارض الحرة الطين اي الخالصة الطين • وقوله تعالى يخرج نباته باذن ربه اي بحكم ربه • وقيل بعلم ربه • وقيل بتيسير ربه • وقال قتادة هو مثل المومن سمع كتاب الله فعقله ووعاه وانتفع به كمثل هذه الارض اصابها الغيث فانبتت وانتفع بها • وقوله تعالى والذي خبث لا يخرج الا نكدا قال هو مثل الكافر يسمع القران فلا يعقله ولم يفهمه ولم ينتفع به • وقوله الا نكدا اي عسرا على قول قتادة • وقال السدي اي قليلا لا ينتفع به • وقال اهل اللغة النكد الرجل الممتنع من اعطا الخير بخلا والذي خبث هو السبخة ونحوها • وقال الحسين بن الفضل شبه الله المومن والكافر بالارض وشبه نزول القران بالمطر فعلى قدر طيبة التربة وخبثها وردائتها زكا النبت وزيادته • وقوله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون اي كما بينا المثل في المومن والكافر نبين سايرما بالناس حاجة اليه • وقوله لقوم يشكرون اي ينتفع به الشاكرون لله بالايمان والطاعات على ما رزقهم من العقول وساير النعم • وقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك الى قومك وهو النظم فقال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه وافردوه بالعبادة لتفرده بالالهية • وقوله تعالى ما لكم من اله غيره • قرا الكسائي بالخفض نعتا لقوله اله • وقرا الباقون بالرفع لوجهين احدهما ما لكم غيره من اله • والثاني ان من للتاكيد وتقديره ما لكم من اله غيره فرفع على المعنى • وقوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي اخاف عليكم من الاصرار على الشرك عذابا من الله ياتيكم في يوم من ايام دنياكم عظيم الشان يذكر خبره في الاخرة وهو يوم تتساءلون فيه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله هو عذاب يوم القيامة • وقوله تعالى قال الملا من قومه اي الاشراف وهم الذين يملون المحافل • وقيل يملون الصدور رهابة • وقيل هم الملا بتغيير الاسو جمع ملي • وقوله تعالى انا لنراك في ضلال مبين من روية القلب وهي العلم • وقيل من الراي وهو غالب الظن والضلال الخطا والميل عن الصواب اي تدعونا الى عبادة اله واحد وهو خطا بين لانا وجدنا ابانا يعبدون الهة فقد ضللت انت عن هذا الطريق • وقوله تعالى قال يا قوم ليس بي ضلالة اي عدول عن طريق الحق ولم يقل ليست لتقدم الفعل لان الضلالة في معنى الضلال ولانه ليس بمونث حقيقي وهذه اللفظة في جوابهم تلطف وترفق وهكذا كان خطاب الانبيا امهم وهو انجع في القلوب وادعى الى القبول • وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين اي خالق الخلايق اجمعين اسلك طريقه الذي هداني له • وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم قرا ابو عمرو ابلغكم مخففا من قوله فقد ابلغتكم رسالة ربي وقوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم • وقرا الباقون مشددا من قوله بلغ ما انزل اليك من ربك والرسالة جملة من البيان يحملها القايم ليوديها الى غيره • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لم يبين فيما اذا كانت الرسالة في كتاب انزل اليه او وحي من غير كتاب او وحي اليه وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى تصديقه فيما بلغ اليهم ومعنى جمع الرسالات هو تفصيل ذلك في الازمان المديدة • وقوله تعالى وانصح لكم • قال الامام ابو منصور رحمه الله النصيحة هي الدعا الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الدين النصيحة والنصح كذلك وخلافه الغش • وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون قيل من نزول العذاب بكم اذا دمتم على ما انتم عليه وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان الله اتى الرسل العلم باشيا لم يوت ذلك غيرهم وهو كقول ابراهيم لابيه يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم ياتك فاتبعني • وقال القشيري رحمه الله اي اعلم واتيقن انه في تبليغ الرسالة فمن لم تسبق له العناية بالسعادة لا ينفعه نصحي ولا يوثر فيه قولي فان من استغلقته القسمة لم تنفعه النصيحة • وقال في قوله ليس بي ضلالة ان نوحا عليه السلام نسب الى الضلالة فتولى اجابتهم بنفسه فقال يا قوم ليس بي ضلالة

ونبينا عليه الصلاة والسلام نسب الى ما نسب اليه قول الله تعالى رداً عليهم ما ضل صاحبكم وما غوى نشأن
بين من دفع عن نفسه وبين من دفع عنه ربه • وقوله تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الالف للاستفهام بمعنى
التوبيخ والواو للعطف والعجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله ولما كان الشيطان زين لهم
عبادة الاصنام عجبوا من نهي نوح عليه السلام اياهم عنها فقال اتعجبتم ان جاءكم وعظ من ربكم وتذكير • وقوله
تعالى على رجل منكم اي من جملتكم • وقوله تعالى لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون اي ليخوفكم العذاب ولتحذروا
انتم فتتقوا الشرك والمعصية ولترحموا اذا اتقيتم وليس هذا مما يتعجب منه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
كانوا ينكرون ان تكون رسل الله من البشر فقالوا ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة
وما ينبغي لهم ان ينكروا لانهم كانوا اقروا بتفضيل بعض البشر على بعض ووضع الرسالة في الرسل تفضيل لهم وله
تفضيل بعض خلقه على بعض اذ له الخلق والامر على انهم قالوا ولو شاء الله لانزل ملائكة لو كان ذلك في غير
جوهرهم كان فيه لبس واشتباه • وقيل في اختلاف الجنس التنافر والتباعد وفي التجانس التسكين والائتلاف
وقال القشيري رحمه الله عجبوا من كون رجل منهم رسولاً لله تعالى ولم يتعجبوا من جعل الصنم شريكاً لله هذا
فرط في الجهالة وغاية الغباوة • وقوله تعالى فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك اي السفينة
واشتقاق ذلك من قولهم فلك ثدي المرأة اذا استدار وفلكة المغزل وفلك السماء من ذلك ايضاً سميت
السفينة فلكاً لانها تدور على الماء كيف ادارها صاحبها يقول فداموا على تكذيب نوح فخلصنا نوحاً والذين
امنوا اذ حملناهم في السفينة • وقوله تعالى واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي بالطوفان وقوله تعالى
انهم كانوا قوماً عمين اي جاهلين • وقيل عمي بعينه يعمى عمى فهو اعمى وعمي بقلبه فهو عم وهو الذي لا يبصر
بقلبه وعقله • وقيل هو الذي خفيت عليه طرق الهدى من قوله فعميت عليهم الانباء وجهلوا معالم الحق
لالفهم الباطل وتقليدهم الاباء ووقع لهم الياس من ايمانهم قال وهب بن منبه هو نوح بن لمك بن متوشلخ
ابن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم • وقيل كان اكلهم شعيراً
وكان نوح اطول الانبياء عمراً • قال الله تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً واختلف في تمام عمره والاصح
انه الف واربع مائة وخمسون سنة مائتان وخمسون سنة قبل الوحي وما يتان وخمسون بعد هلاك قومه
بالطوفان وتسع مائة وخمسون بين قومه كان اهل عصره كلهم كفاراً وكانت الدنيا في عصره عامرة فكانت
الارض تغني بالزراع فكانوا ينقلون التراب الى رؤوس الجبال فيبسطونها ويزرعون فيها وكان نوح عليه
السلام يسكن الكوفة وكان من خرج منها الى مكة مشى في ظل الاشجار وكان يدعو الناس الى الايمان طول
هذه المدة وكان يضربونه حتى كان يغشى عليه • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يضرب فيلف في لبد ويلقى
في بيته يرون انه قد مات ثم يفيق فيخرج فيدعوهم وجاء رجل يوماً ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا فقال
يا بني انظر هذا الشيخ لا يغرنك فقال يا ابت مكني من العصا فقال فاخذ منه العصا فقال ضعني بالارض فوضعه
فمشى اليه فضربه بالعصا فشجه شجة موضحة في راسه وسالت الدماء فقال نوح يا رب قد ترى ما يفعل
بي عبادك فان تكن لك في عبادك حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى ان تحكم وقوله وانت خير
الحاكمين فاوحى الله تعالى واياسه من ايمان قومه واخبره انه لم يبق في اصلاب الرجال ولا في ارحام النساء
مؤمن وقال يا نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن الاية • وقال واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال
يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء واغرق اهل معصيتي واطهر ارضي منهم قال يا رب
فاين الماء قال يا نوح اني على ما اشاء قدير فقال يا رب واين الخشب قال اغرس الشجر فقال فغرس الساج عشرين
سنة وكف عن الدعاء فكف عنهم وكفوا عنه الاستهزاء وكانوا يسخرون به فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها
وجففها ولقعها فقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور راسه كراس الديك
وجؤجؤه كجؤجؤ الطير وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة واجعل لها ابواباً في جنبيها وشدها
بدسر يعني مسامير الحديد وبعث الله تعالى جبريل يعلمه صنعة الفلك قال فكانوا يمرون به ويسخرون
منه ويقولون الا ترون هذا المجنون يتخذ بيتاً يسير به على الماء واين الماء ويضحكون منه فذلك قوله
وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فاوحى الله تعالى اليه ان عجل صنعة السفينة فقد اشتد غضبي على
من عصاني فانطلق نوح فاستاجر اجراء يعملون معه وسام ويافث وحام معه ينحتون السفينة
فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها وستين ذراعاً في الارض وعرضها ثلاث مائة ذراع وثلاثة وثلاثين
ذراعاً وطولها في السماء ثلاثة وثلاثين ذراعاً وامره بطليها بالقار من داخلها وخارجها ولم يكن في الارض
قار ففجر الله تعالى عين القار حيث تنحت السفينة تغلي غلياناً حتى طلاها فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة
ابواب واطبقها وجعل في الطبق منها السباع والدواب والقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب
ان لا يخرجن وجعل الوحوش والطيور في الباب الثاني ثم اطبق عليها وجعل الذرية معه في الباب الاعلا لئلا

اذ ابطلها

الورقة النقد العشرة ٣٢

اذ ابطلها اما الدواب وقال يا رب ما علامة ما بيني وبين الماء فقال اذا فار التنور • قال مجاهد فار التنور بارض الجزيرة
وقيل فار بالكوفة في مسجد الكوفة مما يلي ابواب كندة • وقال جعفر بن محمد فار التنور من دار نوح من تنور تخبز ابنته
وكان نوح يتوقع ذلك اذ جاءته ابنته فقالت يا ابت قد فار الماء من التنور فاعطي النجارين اجورهم الا النجار قال
لا اعطي اجري فقال اعطيتك اجرك على ان تركب معنا فقال الهتنا المجنون اعطني اجري فان وداً وسواعاً ويغوث
ونسراً سيغيثونني مما يريد الهلاك فاخذ نوح فضته من اصحاب السفينة ودفعها اليه وقال استعمل اين المجنون
اذا حل العذاب غداً واوحى الله تعالى اليه ان احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول
فكان ممن سبق عليه القول امراته والغة وابنه كنعان فقال يا رب هؤلاء قد حملتهم فكيف لي بالوحوش والبهائم
والسباع والطيور فقال انا احشرهم لك فبعث الله جبريل فحشرهم فجعل يضرب بيديه على الزوجين فتقع يده
اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيدخله السفينة حتى اذا حمل فيها مدة ما امره الله تعالى به قال فلما
جمعهم في السفينة رات البهائم والوحوش والسباع العذاب فجعلت تلحس قدم نوح وتقول احملنا معك
فقال انما امرت ان احمل من كل زوجين اثنين • قال قتادة فانفجرت الارض زبعين يوماً وليلة والسماء تهمي
مثل ذلك فكان ما خرج من الارض وما نزل من السماء سواء واحداً وجرت السفينة مائة وخمسين يوماً بعد
الاربعين التي مطرت وكان في السفينة مع نوح عليه السلام بنوه سام وحام ويافث ونساؤهم الثلاث
وكانت السفينة مطبقة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكان اخر ما حمل نوح الحمار وتعلق ابليس بذنب
الحمار وقد دخل بدا السفينة ورجلاه خارجتان ولا يستطيع ان يدخل فجعل الحمار يضطرب ونوح يقول
ويحك ادخل ولو كان معك الشيطان فدخل الحمار ودخل معه ابليس فقال نوح يا عدو الله ما ادخلك قال
الست قلت للحمار ادخل ولو كان الشيطان معك وجاء عوج وقال لنوح ادخلني معك فقال اخرج يا عدو الله
فاني لم اؤمر بك قال وطبق الماء على وجه الارض وما بلغ ركبتي عوج • قال ابن عباس وعاش عوج ثلاثة
الاف سنة وكان عسكر موسى عليه السلام فرسخاً في فرسخ فجاء عوج حتى نظر الى عسكره ثم اتى الجبل فنقر منه
صخرة قدر العسكر ثم حملها ليطبقها على عسكر موسى فبعث الله تعالى الهدهد ومعه الماس حتى قور الصخرة
فانثقبت ووقعت في عنق عوج فطوقته وصرعته فقتله موسى عليه السلام • وقيل ان عوجاً انما لم يهلك
بالطوفان لانه كان اعان نوحاً على حمل خشب السفينة فامهل مجازاة له على ذلك • وقيل بقاه مدة ليجانب
الاخرين مما شاهد ليعتبروا به • وقيل ان الذين معه في السفينة كانوا ثمانين • وقيل اربعين • وقيل
سبعة نفر • وقوله تعالى والى عاد اخاهم هوداً عطفاً على قوله نوحاً اي وارسلنا الى عاد وهم قوم سموا
باسم ابيهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم اي نبيهم هوداً وترجمة له
وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح • قال السدي كان
عاد قوماً من اهل اليمن بالاحقاف وهي الرمال • وقال محمد بن اسحاق ومقاتل وجويبر وسعيد ان عاداً
كانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله وذلك ان العرب عبدت اصنام قوم نوح بعد نوح فنقرقوا
في عبادتهم الاصنام وفرقوا اصنام قوم نوح بينهم وكانت هذيل بن مدركة بن خندف اتخذوا سواعاً الها يعبدونه
بدومة الجندل وكانت انعم وطي من اهل جرش من مذحج من اهل اليمن اتخذوا يغوث الها يعبدونه بجرش
وكانت خيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق الها يعبدونه من دون الله بارض همدان من اليمن وكانت
ذو الكلاع اتخذوا بارض حمير نسراً الها يعبدونه من دون الله وكان قوم هود وهم عاد اصحاب اوثان
يعبدونها من دون الله فاتخذوا اصناماً على مثال ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فاتخذوا صنماً
يقال له صمود وصنماً يقال له الهبا فبعث الله اليهم هوداً وكان هود من قبيلة يقال لها الخلود فبعثه
الله اليهم وكان من اوسطهم نسباً وافضلهم موضعاً واشرفهم نفساً واصبحهم وجهاً • وكان ابيض جعد
بادي العنفقة طويل اللحية فدعاهم الى الله وامرهم ان يوحدوا الله وان لا يجعلوا مع الله الهاً اخر وان
يكفوا عن ظلم الناس قالوا ولم يامرهم بغير ذلك من صلاة او شريعة فابوا ذلك فكذبوه بذلك • وقوله
تعالى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره كما مر في قصة نوح افلا تتقون استفهام
بمعنى الامر اي اتقوا الله • وقوله تعالى قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قال
الكلبي في جهالة • وقال مقاتل اي في حمق وفي اللغة هي خفة العقل • وقوله تعالى وانا لنظنك من الكاذبين
قال الحسن كان تكذيبهم على الظن لا على اليقين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل انهم قالوا وانا
لنظنك في ابتداء ما دعاهم لانه كان صدوقاً امينا عندهم قبل ذلك فلما اقام الدلالات واثبت حجته
عليهم عاندوا فقالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين • وقيل في تفسير الظن
انه قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حالة الثقة التامة وليس كالشك الذي هو وقوف بين النقيضين
من غير تقوية لاحدهما على الاخر • وقيل معناه وانا لنعلمك • قال الشاعر

• فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج • سراتهم في الفارسي المسرد •

اي اهلم من الكاذبين • وقال الكلبي اي في ادعائك النبوة • وقال مقاتل اي فيما تقول من نزول العذاب بنا
وقوله تعالى قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين هو كجواب نوح وقد فسرناه • وقوله
تعالى ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اي ناصح لكم امين على وحي الله وقد فسرنا سابقا في قصة نوح
عليه السلام ومعنى الامين على الوحي ان لا يغيره ولا يكذب فيه كما قال موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
وقوله تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وقد فسرناه • وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح اي سكان الارض بعدهم جمع خليف فاما الخلائف فهي جمع خليفة • وقوله تعالى وزادكم في الخلق
بسطة قيل هي بسطة اليدين بالتصرف • وقيل بالمال • وقيل هي بسطة الجسم في الخلقة • وقال مقاتل بسطة اي في الطول
وكان طول كل واحد منهم اثني عشرة ذراعا • وقال الكلبي بسطة اي فضيلة في الطول وكان اطولهم مائة ذراع واقصرهم
ستون ذراعا • وقال ابن عباس بسطة اي شدة يعني قوة على الخلق • وقال الزرقي بن القطامي كانوا يتكلمون بالعربية
وكانوا اعظام بسطة في الخلق لم يعط غيرهم وكان طول الرجل منهم ستين ذراعا وهذا اطولهم وكان اقصرهم
ست عشرة ذراعا • قال الله تعالى خبرا عنهم وقالوا من اشد منا قوة وكان لهم اموال جمة وقد قال الله تعالى
في قصة قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي بالمال
وهم عاد • وقوله تعالى فاذكروا آلاء الله اي نعم الله جمع الي على وزن معا • قال الشاعر شعر

ابيض لا يرهب الهزال ولا • يقطع رحما ولا يخون الي •

وقيل الا ينع الالف على وزن رحا • وقيل الي مثل وزن نحي يقول اذكروا بالسنتكم وقلوبكم آلاء الله اي انعام
الله باستخلافكم في الارض بعد اهلاك قوم نوح وباعطائكم عظم الاجسام وكثرة الاموال فاذكروا نعم الله
وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي لتفوزوا بكل مامول وتوقوا كل محذور • وقوله تعالى قالوا اجئتنا لنعبد
الله وحده اي على توحده • وقوله تعالى ونذر ما كان يعبد اباؤنا اي نترك ما عبده اباؤنا من الاصنام
قال الامام ابو منصور رحمه الله قرر الله سفههم بهذا تقريرا فانه اخبر عنهم انهم عجبوا بمجيء رسول الله صلى
الله عليه وسلم من البشر وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فلم يرضوا برسالة الله
ورضوا بالهية الخشب والحجر ثم قلدوا اباءهم في عبادة الاصنام التي لا تعقل ولا تضر ولا تنفع ولم يقلدوا
المؤمنين من قوم نوح الذين امنوا به فنجوا معه واتبعوا الكفار الذين اهلكوا بالطوفان فكان في حق
هؤلاء ايضا ما كان • وقال القشيري انهم طاحوا في اودية التفرقة واستطابوا سجية الاغيار فشق عليهم
حين طولبوا بهجران العادة والقرار في ساحات التوحيد حتى قالوا ما قالوا • وقوله تعالى فاتنا بما
تعدنا ان كنت من الصادقين اي بما توعدنا به من العذاب ان كنت صادقا في هذه الاخبار • وقوله
تعالى قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي قد قالوا ما هو قد وجب عليكم من ربكم عذاب
وجوابا لا خلف فيه فكانه قد وقع وهو كقوله اتى امر الله والرجس اصله النجس وهو المستقذر والرجس
عذاب يجتنبه اولوا الالباب • وقيل الرجس هو زيادة الكفر بالرين على القلوب كما في قوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم والغضب السخط • وقيل هو ارادة الانتقام • وقيل هو احلال العقوبة بمن يستحقها • وقوله
تعالى اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي اصنام هي جمادات
سميتموها باسماء لم يجعل الله لها شيئا من معاني تلك الاسماء ولم ينزل حجة في استحقاقها تلك الاسماء لا عقلا
ولا شرعا • وقيل السلطان العذر • وقوله تعالى فانتظروا قال الحسن اي مواعيد الشيطان اني معكم من
المنتظرين اي مواعيد الله • وقيل قالوا ننتظر موته فقال لهم انتظروا ذلك انتم فانا انتظر هلاككم بوعد
الله • وقوله تعالى فانجيناه والذين معه برحمة منا قال الامام ابو منصور رحمه الله هذا ينافي ويحتمل
انه كان لهم ذنوب لكن برحمتنا انجيناهم ولان النجاة لا تكون الا برحمة الله • قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينجو احد الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته • وقوله تعالى وقطعنا
دابر القوم الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبورا اذا ابرهم اي اتى
بعدهم وقطع ذلك يكون باستيصال الكل • وقوله باياتنا لم يبين اياته التي اعطاها هودا • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله فليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما اخبر انه ما حل بهم من العذاب
كان بتكذيبهم الرسل والايات • وقوله تعالى وما كانوا مؤمنين تاكيد قوله كذبوا باياتنا • وقيل اي لم
يكونوا ليؤمنوا وان لم نأخذهم العذاب • وقال محمد بن اسحاق فلما عتت عاد وتجبروا وافسدوا في الارض
كلها وقهروا اهلها امسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين فبعثوا وفدا الى مكة ليستسقوا لهم وكان
اهل مكة يومئذ العماليق اولاد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم اذ ذاك معاوية بن بكر وكان ابوه
حيا ولكنه كبر فلما قحطوا بعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل بن عتيل ومرثد بن سعد بن عفير

وكان

وكان مسلما يكتم ايمانه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا لقمان بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء
القوم برهط من قومه حتى بلغ عددهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة
خارج الحرم فاكرمهم وانزلهم وكانوا اخواله واصهاره فلما نزلوا عليه اقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان لمعاوية فلما راى معاوية طول مقامهم وقد اصابهم بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي اصابهم
شق عليه ذلك وقال هلك اخوالي واصهاري وهم ضيفي نزلوا علي والله ما ادري كيف اصنع واني لاستحيي
ان امرهم بالخروج الى ما بعثوا له وشكا الى قينتيه فقالتا له قل شعرا نغنيهم ولا يدرون من قاله لعل ذلك
ان يحركهم فقال معاوية بن بكر في ذلك ابياتا تغنيهم بها الجرادتان فلما سمع القوم ما غنتا به قال بعضهم
لبعض انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء وقد ابطاتم عليهم فقال قيل سيدهم ادخلوا الحرم على حرام شيء
اذهبت فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكنكم ان اطعتم نبيكم
وانبتم اليه سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك فقال له جلهمة الا من قبيل عاد وامك من ثمود فكيف
تامرنا ان نترك دينا هو دين ابائنا ودين ابائك ثم قالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد لا يقدم مكة معنا
فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة فلما نزلوها وصعدوا فاستسقى فقال قيل بن عنز يا اله هود ان
كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانا لم ناتك لمريض فتشفيه ولا لاسير نفاديه فانشا الله ثلاث سحابات
بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحابات فقال قيل اما البيضاء فلا ماء
فيها واما الحمراء فعارض واما السوداء فهي مظلمة وهي اكثرها ماء فقال اخترت السوداء فقال اخترت رمادا رمددا
لا يبقي من ال عاد احدا • وساق الله تعالى السحابة السوداء بما فيها من النقمة الى عاد فخرجت اليهم من واد فلما راوا
السحابة السوداء مقبلة استبشروا بها وقالوا قد جاءنا الغيث وقالوا لهود اين ما كنت توعدنا ما نرى الا
الامطار هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى لهود قل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء
بامر ربها واوحى الله تعالى الى الريح العقيم وهي في الارض الرابعة فخرجت بمقدار كيل على قدر منخر الثور حتى
رجفت الارض ما بين المشرق والمغرب فقال الخزان يا رب لن نطيقها ولو خرجت على حالها لاهلكت الارض
فاوحى الله تعالى اليها ان ارجعي فرجعت وخرجت على قدر خرت الخاتم واوحى الله تعالى الى هود ان يعتزل
بمن معه من المؤمنين في حظيرة فاعتزلوا وخط عليهم خطا فانبثت الريح فكانت لا تدخل حظيرة هود
ولا تجاوز الخط فانما يدخل عليهم منها ما تلذ به انفسهم فاوحى الله تعالى الى الحيات والعقارب
بان تاخذ عليهم الطرق فلم تدع عاديا يجاوزها وكانت الريح تحمل الماشية برعاتها فتنبذ بها في البحر
وكانت تدمغهم بالحجارة فلما عاينوا ما تصنع بهم الريح حازوا عيالهم واموالهم واولادهم ومواشيهم
في شعب بين الجبلين ثم قام فيهم رجال لهم شرف فتوامروا على حبس الريح ان تدخل الى داخل الشعب
وتعاقدوا على ان لا يفترقوا حتى يموتوا وان لا يفارقوا دين قومهم واستيقنوا بالعذاب وكان اول ذلك
يوم الاربعاء فهبت عليهم الى اليوم الثامن ولم يبق من رؤساء القوم الا الخلجان وهو رئيسهم واتاه هود عليه
السلام وقال له يا خلجان انه لم يبق من اصحابك غيرك وقد رايت ما صنع الله بمن اطاعك وعصاه والتوبة
مقبولة منك فيدفع الله بها عن بقية قومك فقال كيف بمن مضى منهم وهلكوا قال يعقبك مكان كل رجل
منك مائة رجل فقال الخلجان لا وابيك يا هود لا يجدني ربك اضعف اصحابي وما كنت لاجمع بين اثنين
الغدر باخيار وترك المواساة للاصحاب ثم قال يا هود اخبرنا عن هذه الابل التي تاتينا في الريح قال
تلك الملائكة يوكلها الله بمن شاء فقال الخلجان تلك التي تفعل بنا الافاعيل ثم قال اهل ربك معيذنا
منهم ان انا تبعناك قال هود وكيف يعيذكم اهل الطاعة لاهل المعصية ولكنه يعقب من بقي منكم بكل رجل
منكم مائة رجل فقال الخلجان اذا لم يعذنا منهم لم افعل فلما سمع هود قوله انصرف عنه فانبثت الريح
والخلجان قائم وحده على فم الشعب اخذ بجانبيه وهو يقول شعر

• لا خير في فزع اصيب اسنه • لو لم يجئني جئته احسنه • يا لك من يوم دهاني امسه •

فلما انتهت الريح اليه فقلبته على وجهه في الارض ثم قلبته وطرحته ميتا كان لم يكن شيئا ودخلت الشعب
فجعلت تقصمهم وتنزل لحمهم وتقتلهم فاستسلموا وقد هلكوا اجمعين • وقال الضحاك ضعفوا ضعفا وحفروا
تحت ارجلهم الى الركب واوثقوها بالثرى كي لا يزيلهم الريح وقالوا من اشد منا قوة فاهلكهم الله تعالى
ثمانية ايام ليعتبر عباده فكانت الريح تقصعهم وتضرب بعضهم على بعض ولا تلقيهم فلما كان في اليوم
الثامن دخلت من تحت ارجلهم فاحتملتهم فضربت بهم الارض فذلك قوله تعالى تنزع الناس كانهم اعجاز نخل
منقعر • وقوله بريح صرصر اي باردة فكانت تقع على الجلد فتخرقه بردا حتى يكشط من اللحم ثم يسيل اللحم
كتلطخ النار • وقال وهب ما اتت الريح على شيء من النبات والشجر الا جعلته كالرميم ونجا الله تعالى هودا
وعاد اصحاب هود على احسن ما كانوا عليه من الخصب واتاهم مرثد بن سعد فاخبرهم بخبر الوفد بكل شيء كان من

امرهم منهم في سبيلهم وما كان من امر السحاب وزاد المومنين ايمانا ويقينا واغتباطا وحمد الله تعالى على اكرامهم وقوله
تعالى والى ثمود اخاهم صالحا عطفا على قوله نوحا وهودا اي ارسلنا صالحا الى قومه ثمود وهو صالح بن عبيد
ابن جابر بن ثمود بن جاثر بن سام بن نوح النبي عليه السلام وكان رجلا احمر يضرب الى البياض سبط الشعر وكان
اعز قومه نفرا فبعثه الله تعالى اليهم وهو شاب وكذلك الانبيا يبعثهم الله تعالى في اشراف قومهم واعزهم وقوله تعالى
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره فسرناه في القصتين قبلها وكانوا يعبدون الاصنام وكان يدعوهم
الى التوحيد ويبالغ في ذلك فكان يدخل عليهم في بيوتهم ويقوم عليهم في مجالسهم وانديتهم ويقعد لهم على قوارع
الطرق ويقصد مجامعهم ثم يعرض عليهم في يوم عيدهم فلا يزدادون الا طغيانا وبعدا فقالوا له ارنا اية قال ان
اريتكم اية فلم تومنوا بها نزل عليكم العذاب وكان لهم عيد يجتمعون فيه باصنامهم فقالوا له تخرج معنا الى العيد
فندعو وتدعو قال افتدعون عبادة الاصنام اذا استجيب لي ولم يستجب لكم قالوا نعم فخرج القوم الى عيدهم
وخرجوا باصنامهم وخرج معهم صالح فاجتمعوا على ان يتمنوا عليه امنية وهم يرون ان سيعجز عنها وان ربه
لا يسعفه فيها فقالوا له ان اية ما بيننا وبينك ان تدعو ربك فيخرج لنا من هذه الصخرة ناقة من الابل
عشرا سودا ذات عرف وناصية وشعر ووبر عشرا سوجا فان فعلته امنا بك وصدقناك واتبعناك وان
عجزت عن ذلك فاكفف عنا فانا نكره اذاك وشتمك وقد كنت فينا مرجوا قبل هذا وانت في شرفنا وعزنا
وحسبنا فلما سمع قوله صالح به ذرعا وخاف ان لا يكون واعظم الله واجله ان يسأله ذلك او يتمنى عليه مثل
اماني القوم الذين لا يومنون بقدرته فلم يبرحوا من مجلسهم الذي سألوا فيه ذلك حتى زلزلت الصخرة
فنظروا اليها تمخض وتحرك كما تفعل الانثى للولادة فما لبثوا ان تفرجت عن امنيتهم التي سألوا بعينها
لم تغادر صغيرة ولا كبيرة فجاءت بناقة عشرا سودا ذات شعر ووبر وعرف وناصية عشرا سعة ما بين
جنبيها ماية واثنان وعشرون ذراعا ثم اقبلت تمشي حتى توسطتهم ثم بركت للنتاج فلم تقم حتى وضعت
سقبا قريبا منها في العظم وليس مثلها في العظم ثم انبعثت تطلب الكلا فسارت بهم في الماء والشجر ورعت
السهل والجبل ورعت المشتى والمصيف وكانت ترد الماء غبا فتستوعب الماء في يوم وردها وتسلك
الفج واردة فتسمها ثم ترجع فيه صادرة وقد تملات من الماء فيضيق عنها الفج حتى ينتج جنبها ثم ترد
فتصدر خلاوتها تتحلب لبنا فيتلقى بالمحالب والانية والاسقية فتفرغ لهم من اللبن مثل ما شربت من
الماء وكان لهم ركي عميق في الارض فاذا جاءت ارتفع الماء حتى يبلغ راسه فتشرع فيه وهو مماثل يفيض فلا
تزال تشربه وتدلي فيه راسها وعنقها حتى يغيب وحتى تستوعبه وطول الجب عشرون قامة وكان
الشرب مقسوما بينهم وبين الناقة لهم يوم ولها يوم وكانوا يشربون يوم الناقة من روس الجبال والمغارات
فشق ذلك عليهم ولو صبروا لفجر الله لهم الانهار والعيون ولكنهم استعجلوا وعصوا ربهم وقد كانوا يكتفون
من الماء بما يصيبون منه في يومهم الذي كان لهم فيه الشرب وانما حملهم على ما صنعوا الحسد والبغي والبغض
لناقة الله ولرسوله فلبثت بين اظهرهم زمانا فكرهوا ما يرون فيها من العجب وقطع السقيهم وهي
شعرا وبرا يخافت عنها الوبر اذا صافت فتوسعهم لحما ويخافت عنها الوبر اذا شتت فتوسعهم بيوتا
فلبثت فيهم ما شا الله وكانت الناقة تصيف في الجبل فتهرب منها المواشي اغنامهم وابلهم وبقرهم
فتهبط الى بطن الوادي في حره وجدوبته وكانت تهرب من الناقة لعظمها وكانت تشتو في السهل
فتهرب المواشي منها الى الجبل فاضر ذلك بمواشيهم للبلا الذي كتبه الله عليهم وكان في ثمود يوميذ
امراتان موسومتان بالجمال الفايق غنيتان بالمال لهما مال كثير من الشا والبقر ابنتم احداهما
تسمى صدوف والاخرى عنيزة وكان لهما خطابان من قومهما يالفانهما ويختلفان اليهما احدهما يقال
له قدار بن سالف والاخر يقال له مصدع بن مهرج وكان قدار رجلا احمر امعر اشقر ازرق سباطا قصيرا
وهو خطب صدوف وكان مصدع عزيزا منيعا في قومه وكان رجلا نحيفا طويلا اهوج مضطربا وهو
خطب عنيزة وكانت هاتان المراتان اشد قومهما عداوة لصالح واعظمهم كفرا بما جا به صالح من الله
وكانتا تحرضان قومهما على عقر الناقة لما قد ضرت لهما من المواشي ثم ان خطيبيهما زاراهما يوما من
الايام فقالت صدوف لو كان لنا مزاج لاسقيناكما خمرا ولكن هذا يوم ورد الناقة فلا سبيل الى الما
وقالت عنيزة بلى والله ان الى الما سبيلا واسعا لو كانت رجالنا رجالا وهل هذه الناقة الا واحدة
من الابل نظرة ونضرب وجهها كما تضرب الغريبة من الابل ولكن لا رجال في الوادي فقال قدار فما ذا لي
عليك يا صدوف اذا انا فعلت ما قالت عنيزة فكفيتك الناقة اليوم وخليت لك الشرب فاوردت
ماشيتك وترويت واصبت من الما حاجتك قالت لك اذا نفسي وتسفر عن وجهها فاذا احسن النسا
وقال مصدع فتوله طامح في صاحبته فقال لها ما لي عليك يا عنيزة اذا انا شاركت قدارا فيما قال قد شاركت
في الما صاحبتك قالت لك اذا نفسي وتسفر عن وجهها وجوه بناتها فقالت اخترهن فاذا هو حسن

ابلها الا الله قالا فان كنتما تريدان ذلك فاسقيانا الخمر فاما انا عليها الخمر صرفا بغير مزاج حتى اذا سكرا خرجا الى
احداثهما من سفها ثمود فاستغوياهم فاجابهما منهم سبعة فكانوا تسعة منهم قدار بن سالف ومصدع بن مهرج ودباب
بن مهرج والمزيل بن عنزوك وعيم بن عيم وعنيز بن كرغم وعاصم بن مخرمة وسليط بن صدقة ونشيط بن نعيق ثم
انطلقوا وسهم النبل والسيوف حتى قعدوا للناقة على باب الفج فلما وردت حملوا عليها بالنبل وبالسيوف فشدت
عليهم فانهزموا وكمن قدار من خلفها فتعاطى فعقرها الايمن بالسيف فعقرها فرغت وبمصدع بسهم للعرقوب الايسر
فخرت عقيرة ورجا قدار لبتها بالسيف فنحرها فلما راى الفصيل ما فعل بامه ولى هاربا منهم ثم صعد جبلا ثم رغا
رغا تقطعت منه قلوب القوم فلما سمع الناس بذلك تبادروا اليها فاقتسموا لحمها وصالح نازح منها في دار
قومه ولا علم له بها حتى بلغه الخبر وقيل له هل علمت ان ناقة ربك قد عقرت وتقسمت وقلت لحمها المراجل فخرج
نحوها ساريا في عصبة من قومه مومنين وجدها كذلك فاوعدهم العذاب لشومه وتفاقم الشر بينهم ونشبت
العداوة وقال لهم صالح التمسوا الفصيل فان انتم وجدتموه فلا اعلموا ان العذاب نازل بكم فانطلقوا
يطلبون الفصيل في الجبل فلما ارادوا ان يصعدوا في الجبل ازداد الجبل طولا في السما فلم يقدروا عليه فلما
راوا ذلك ايقنوا بالعذاب فقال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وذلك عندما يوم الاربعا
قال واية ذلك ان تصبحوا غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم ينزل بكم العذاب
فلما قال لهم ذلك تامروا في قتله فانتدب له اصحاب الناقة التي عقروها وهم تسعة وتعاقدوا على
بياته ليقتلوه واهله ثم انطلقوا يسيرون اليه في بعض الليل فلما انتهوا الى داره لقيتهم الملايكة فدمغوهم
فاصبحوا قتلى مصرعين فلما بلغ قومهم قتلهم ظنوا ان صالحا هو الذي قتلهم فخرجوا في جمع عظيم يريدون
صالحا فلما انتهوا اليه لقيتهم قوم صالح فقالوا لهم ماذا تريدون قالوا نريد نقتل صالحا وجماعة من قومه
من قتلنا فقال لهم قوم صالح لا تستعجلوا حتى تستيقنوا الموعد الذي وعدكم فان كان حقا فلا تزيدوا
ربكم عليكم غضبا وان كان ما وعدكم باطلا فانتم من وراء حكم امركم فانصرفوا وتركوهم فاصبحوا يوم الخميس
ووجوههم مصفرة ثم اصبحت محمرة يوم الجمعة ثم اصبحت مسودة يوم السبت فلما نظروا الى وجوههم
مسودة خدوا لهم اخدودا وتزملوا بالانطاع والعبا وسدوا ابوابهم ولزموا قعور البيوت فلما صبح
بهم عدوا فهدد عليهم ربهم ارسل عليهم عذابا فاهلكهم بذنوبهم فسواها الصغير والكبير اجمعهم لم يبق
منهم احد الا اخذتهم الصيحة بيانا ناس ليلة الاحد فاصبحوا في دارهم جاثمين وبقيا الان قدار لم يكن لوشدة
لم يهلك منهم غير جارية مقعدة وكانت شديدة العداوة لصالح ولمن امن به شديدة الكفر بالله فلما
اهلكهم الله اطلق لها رجلها ليعنيها الناس بها فاخذتهم الخبر الذي رات من العذاب فخرجت تسعى حتى
انتهت الى وادي القرى اخبرتهم الخبر فاستسقت من الما فلما شربت ماتت وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر صالح على ناقته يوم القيامة وقال صالح لقومه يا قوم ان هذه ارفد سخطا الله عليها وعلى
اهلها فاطعموا منها فانها ليست لكم بدار فقالوا لو رايناك فامرنا نفعل فالتحقوا بحرم الله وامنه
لا ارى لكم قرارا دونه فاهلوا من ساعتهم بالحج فاحرموا في العبا وارتحلوا فلا اصبحوا محطة نصبا الى من
ليث ثم انطلقوا يلبون احتى حرم الله حتى وردوا مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فتلك قبورهم في غربي
الكعبة بين دار الندوة والحجر وقوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم اي علامة تفصل بين الحق والباطل
هذه ناقة الله لكم اية هي الانثى من الابل واضافها الى الله تشريفا لها لانها لم تخرج من ناقة بل من صخرة
باخراج الله معجزة لصالح لكم اية اي علامة ظاهرة على رسالتي ونصبها على القطع لانها نكرة وصفت
بما معرفة وقوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله اي ذروها ترتع في ارض الله لا موونة عليكم في رعيها
وسقيها وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء اي لا تصيبوها بمكروه بعقر ونحوه فياخذكم عذاب اليم اي وجيع
وهو في الدنيا وقد قال في سورة اخرى فياخذكم عذاب قريب وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفا من
بعد عاد اي سكان الارض بعد الاهلاك عاد وبواكم في الارض اي مكنكم من منازل تاوون اليها وقوله تعالى تتخذون
من سهولها قصورا السهلة الارض اللينة والارض الحجر وهو ما بين الحجاز والشام وقوله تعالى وتنحتون
الجبال بيوتا اي تنحتون في الجبال بيوتا صرفها ونقبها وكانوا يتخذون القصور للصيف وبيوت الجبال
للشتا فاذكروا الا الله نعماه ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تبالغوا في الافساد فيها بالكفر وقيل
بالمعاصي وقوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم هو بدل
من الاول وهو بدل البعض من الكل لان من المستضعفين من لم يومن وقوله تعالى اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون سالوهم عن العلم فاجابوهم عن الايمان وهو خلاف جوابهم في الظاهر
وقال الامام ابو منصور رحمه الله وله وجهان احدهما ان معنى قوله اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اتومنون
لانه استفهام بمعنى الاستنكار وانما يستنكر على الانسان صنعه والعلم لا يقع له بغير صنعه لكن معناه اتعلمون

ذلك بعقولكم وتعتقدونه وتعرفون به فاجابوا بالايمان لان السوال كان عنه معنى والثاني ان في الجواب اضمارا وتقديره انا عالمون بذلك ومؤمنون به • وقوله تعالى قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون اخبروا انهم مخالفون لهم • وقال القشيري رحمه الله اجرى الله تعالى سنته انه لا يختص بافضاله وجميل صنعه واقباله في الغالب من عباده الا من يسمو اليه طرف بالاجلال ولا يوضع له قدر بين الاضراب والاشكال فانما كل نبي امامه ضعفاء وقته ثم ان من الحظهم من اهل الغفلة تعين الاحتقار فليس كما يذهب اليه الاوهام وانما يعتقد فيهم الانام بل الجواهر مستورة في معادنها ويتيمة اللآل في ساكنها • قال قائلهم شعر

وما ضر نصل السيف اخلاق غمده • اذا كان عضبا حيث وجهته يفري •

وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره • وقوله تعالى فعقروا الناقة هو قطع العرقوب والمراد به القتل • قال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر هاهنا فعقروا على الجمع • وقال في اية فتعاطى فعقر على الواحد • وقال اذ انبعث اشقاها على الواحد والتوفيق انه عقرها واحد بعون الجمع فكانهم عقروا ولذلك اوجبنا القصاص على الجماعة اذا اعانوا واحدا وكذلك الحد فقطع الطريق اذا قتل واحد ان يقتلوا لذلك • وقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قال مجاهد العتو الغلو في الباطل • وقيل هي مجاوزة الحد في الفساد • وقال الامام ابو منصور رحمه الله هو النهاية في التمرد ومعناه هاهنا لغوا المراد منها وتلقوه به مستكبرين غير قابلين له • وقوله تعالى وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين اي بالعذاب الذي تهددتنا به والوعد يذكر في الخير والشر ويعرف بالقرينة واذا اطلق فهو في الخير • وقوله تعالى فاخذتهم الرجفة قال مجاهد والسدي اي الصيحة وكذا في سورة هود فاخذتهم الصيحة • وقال ايضا انا ارسلنا عليهم صيحة • وقيل الرجفة الزلزلة الحركة والاخذ ضد الترك • وقال مقاتل اي العذاب من صيحة جبريل فيحتمل انهم ارجفوا بالصيحة ويحتمل انه اصابهم صيحة جبريل وزلزلة الارض ايضا فذكر احدهما في موضع والاخر في موضع وذكر الصاعقة في موضعين في حم السجدة وفي الذاريات • وقوله تعالى فاصبحوا اي بكرة يوم السبت في دارهم اي في بلادهم ولذلك وحد • وقيل معنى في دارهم اي منازلهم ووحد لانه جنس كقولك ان الانسان لفي خسر • وقوله تعالى جاثمين اي باركين على ركبهم موتى من جثوم الطير • وقال المبرد جاثمين ساكنين • وانشد لجرير شعر

عرفت المنتأى وعرفت منها • مطايا القدر كالحدا الجثوم •

وقال الكلبي رحمه الله فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة واحترقوا بالصاعقة فاصبحوا ميتين قد همدوا رمادا لا يتحركون • وقيل اتتهم نار من الهوا • وقيل خرجت من تحت ارجلهم • وقيل جاثمين لازقين بالارض • وقوله تعالى فتولى عنهم اي اعرض عنهم وفارقهم لما اوحى اليه ان يخلي بهم العذاب بعد ثلاث وقال حين فارقهم يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ويثقل النصح على من اتبع الهوى واجتنب الهدى • قال قائلهم

وكم سقت في اثارهم من نصيحة • وقد يستفيد البغضة المتنصح •

وقال الكلبي رحمه الله فتولى عنهم صالح اي خرج هو ومن امن معه من بينهم قبل نزول العذاب وهم مائة وعشرة وهو يبكي فالتفت فابصر الدخان ساطعا فعرف ان القوم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار فلما هلكوا رجع صالح ومن امن معه فسكنوا الديار حتى تولدوا وتناسلوا وماتوا فيها • وقال مقاتل كان مومنوا قوم صالح سبعين رجلا ومومنوا قوم هود كذلك فتفرقوا بعد موت صالح وهود فوقع مومنوا قوم صالح بجابلقا ومومنوا قوم هود بجابلسا وهم فيهما احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب واهل هاتين المدينتين نسلهم اضعاف ياجوج وماجوج وورا هما تاريس ومنسك وهاص وقد يافث وهما تسعة اضعاف جابلقا وجابلسا وكلهم اهل النار الا ما كان من بقية قوم صالح وهود في هاتين المدينتين وعلى كل جانب من هاتين المدينتين العظيمتين من باب الى باب فرسخ يحرس كل ليلة على كل باب سبعون الفا لا تصل النوبة اليهم ولولا بقية مومني قوم صالح وقوم هود ما انظرهم الله تعالى طرفة عين • وقوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه هو عطف على قوله نوحا وهودا وصالحا اي وارسلنا لوطا وهو ابن اخي ابرهيم الخليل صلوات الله عليهما وقال القتبي هو لوط بن هاران بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن الشرع بن ارعو بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام • وقوله تعالى اتاتون الفاحشة قال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر في غيره من الانبياء دعاهم الى التوحيد اولا ولم يذكر في حق لوط في هذه السورة لكن ذكر في سورة الشعرا كذبت قوم لوط المرسلين الى ان قال الا تتقون الله واطيعون فيحتمل ان يكون منهم ما كان في سائر الامم من تقليد ابائهم في عبادة الاصنام انا وجدنا اباءنا على ذلك فقال اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي تعملون اعمالا لم يعملها اباؤكم فلا تقلدونهم في ترك ذلك • وقوله اتاتون الفاحشة استفهام بمعنى التوبيخ والفاحشة الفعلة القبيحة واراد بها اللواطة ما سبقكم بها اي لم يفعلها احد قبلكم ومن صلة من لتاكيد النفي من العالمين اي من الخلائق • وقال الكلبي رحمه الله اول من فعل ذلك قوم لوط لان بلادهم تخصبت

تخصبت

فيها انزل البلاد تختص لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا الى دبره فنكح في دبره ثم عملوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله تعالى ان يصيبهم وامر الارض ان تخسف بهم وقال محمد بن اسحاق كانت الشام منازلهم وكانت لهم قرى وثمار لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذاهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ فقال ان فعلتم بهم كذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم فقصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم • وقال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء • وقوله تعالى اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء ابلغ التوبيخ الاول بمثله مبالغة وتفسيرا للاول • وقال الكلبي رحمه الله لتاتون الرجال ادبار الرجال شهوة اي اشتهاء اي ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء • وقوله تعالى بل انتم قوم مسرفون بل للاضراب والاول والثاني عيب فما وجه الاضراب عن الاول قلنا الاول ذكر عيب واحد والثاني بيان انهم يعيبون بكل عيب فان الاسراف مجاوزة الحد في كل شي • وقال الكلبي مسرفون اي مشركون يتعدون من الحلال الى الحرام • وقوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم جواب خبر كان وان قالوا مصدر تقديره الا قولهم بالرفع على انه اسم كان • وقوله اخرجوهم اي لوطا ومن يدين بدينه كنى عن معلومين غير مذكورين من قريتكم اي بلدتكم وهي من القري وهو الجمع وسميت بها لانها مجتمع الناس في الاقامة • وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون من مثل عملنا • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة عابوهم بما يمدح به ومعنى الاية انهم اعترفوا بكونها فاحشة مستقذرة • وقال بعضهم لبعض والاشراف للاتباع اخرجوا هولاء من هذه البلدة فانهم يرون هذا نجاسة ويستنهون فاجتنابه طهارة • وقوله تعالى فانجيناه واهله اي خلصناه واهل بيته واهل دينه ومنهم ابنتاه زعورا ورشا • وقوله تعالى الا امراته اي زوجته واسمها واهله وقيل واعله • وقوله تعالى كانت من الغابرين قال الحسن وقتادة اي من الباقين في عذاب الله ويقال غبر غبورا من حد دخل اي بقي • وقال الزجاج من الغابرين عن النجاة يقال غبر فلان عنا زمانا اي غاب ولم تكن من الغابرات لانها كانت من الرجال والنساء الباقين في الهلاك فغلب المذكرين عند الاجتماع • وقوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا اي حجارة وقد فسر ذلك في اية اخرى • وقوله تعالى فانظر اي بعين قلبك يا محمد • وقوله تعالى كيف كان عاقبة المجرمين ولم يقل كانت لتقدم الفعل ولان تانيثها غير حقيقي وكيف كلمة تعجيب والمجرمون المشركون • وقال السدي ان لوطا كان ابن عم ابرهيم الخليل عليه السلام في مدينة سدوم فنزلها وتزوج فيهم فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وكانوا ينكحون الرجال فدعاهم الى الاسلام والى ترك ما يعملون فابوا وكان لوط يضيف من مر به من الناس فقالوا لا تضف احدا فذلك قوله اولم ننهك عن العالمين واتى الرسل ابرهيم حين بعثوا الى قوم لوط فذلك قوله فلما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى سالهم ابرهيم اين تريدون وعرفهم انهم الرسل فقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية [illegible] الا امراته كانت من الغابرين فلما خرجوا من عنده [illegible] بجوار يستقين الماء [illegible] قوم لوط [illegible] يا قوم هولاء بناتي هن اطهر لكم [illegible] قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد [illegible] فقال جبريل عليه السلام انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل [illegible] اليس الصبح بقريب [illegible] حتى سمع اهل السماء اصوات الديكة والكلاب ثم قلبها [illegible] بالحجارة [illegible] قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد اي من ظالمي [illegible] وقال محمد بن اسحاق كانت المدائن [illegible] سدوم [illegible] وعامورا [illegible] والمارو [illegible] رسولا الى اهل الموتفكات [illegible]

وعبدوا غير الله فصرفوا الشكر الى غير المنعم ويحتمل ظلم الملأ الاتباع بمنعهم عن اتباع الرسل والتامل في الايات
ويحتمل ظلموا انفسهم بجحودها ثم ان قصة موسى اطول قصص الانبيا في القران وهي مكررة في سور منها وقد قالت
عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان الله تعالى اكثر ذكر موسى في القران فقال يا عائشة من احب شيا اكثر ذكره
اشار الى قوله والقيت عليك محبة مني وفي هذه السورة فصول من قصته والبداية ههنا بذكر مجيه فرعون
واداية الرسالة ولم يذكر ههنا قصة ولادته وتربيته وغربته وتزوجه بنت شعيب وعودته الى مصر وقد ذكر
ذلك كله في غير هذا الموضع فاخرنا نحن بيان قصصها الى مواضعها ونذكر ههنا ما روي في قصة مجيه فرعون
ودعوته الى الاسلام واظهار المعجزة وما كان من معارضة السحرة اياه وغلبته اياهم واسلامهم • وقال
القشيري رحمه الله في الاية لما انقرضت اياهم وتقاصرت من بساط الاجابة اقدامهم بعث موسى نبيه
وضم اليه هرون صفيه فتويدا بالتكذيب فسلك بهم مسالك اخوانهم في التعذيب • ذكر وهب ان موسى وهرون
لما دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها فقال لا اله الا الله الحليم الكريم
وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم اني ادرا بك في نحره
واعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فحول ما في قلب موسى من الخوف امنا وحول
ما في قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعا وهو خايف امنه الله تعالى ونفس كربته وخفف
عنه كرب الموت فتاملهما فرعون ساعة حتى عرف موسى فقال له من انت قال انا رسول رب العالمين فقال
اسالك عن اسمك ونسبك قال موسى عبد الله وابن عبده وابن امته اذل عباده وافقرهم الى ربي خلقني
من تراب ثم يعيدني فيه ثم ينشرني منه يوم الحساب وهذا النسب المعروف الذي اليه نسبي يا فرعون ومنه
خلقت وفيه نعود ومنه ننتشر واليه نصير الاولون والاخرون قال فرعون لغير هذا النسب وهذا
الاسم اولى بك والزم لك الا تقول عبد فرعون وابن عبده وابن امته الكافر لنعمه الناسي لحسانه الغادر
بيده الغني القاطع القاتل قال موسى تبارك الله رب العالمين هو اعز واجل واعظم من ان يكون معه اله او لعباده رب
غيره بل انت يا فرعون احق بما تقول وهذا اشبه بك قال فرعون الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت
فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين ومرت بعد ذلك اجوبة لا حاجة فيها بما نريد واجابة موسى بما اجاب
على ما نبين في سورة الشعرا ان شا الله تعالى • وقوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
اي مرسل اليك من رب الخلايق وقالوا ان هذا اخرج مخرج التمدح وهو منهي لانا نقول هو بيان المنة من الله تعالى
عليه بارساله والتمدح يكون من المرا بفعاله لا بما ناله من تكريم الله وافضاله ولانه عرفه ذلك لان من عادة الملوك
انهم لا ياذنون لرسل غيرهم اليهم بمكروه فبدا به ليلا ينالوه بمكروه • وقوله تعالى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
قرا نافع حقيق علي بتشديد اليا ومعناه واجب علي من قولك حق الشي يحق حقا فهو حاق وحقيق اي وجب
وقرا الباقون بالتخفيف ومعناه جدير بان لا اقول على الله الا الصدق نعت للرسول وعلى بمعنى البا قال الفرا
يقال جيت على حالة حسنة وبحالة حسنة ورميت على قوس وبقوس اي انا خليق بان لا اكذب على الله لمكاني من كرامته
ورسالته وعلى بانه ربي ورب العالمين وقال ابن الانباري مضمر اي انه لما قال اني رسول من رب العالمين كذبه
فرعون فقال حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق • وقوله تعالى قد جيتكم ببينة من ربكم قال الامام ابو منصور
رحمه الله اي بما يبين وحدانية الله والوهيته ويحتمل ببينة الرسالة اي ما يبين اني رسول رب العالمين
غير كاذب عليه • وقوله تعالى فارسل معي بني اسرايل اي اطلقهم ودع استعبادهم وخلهم حتى اخرج بهم الى ارض
الشام التي وعدها الله لهم • وقال مقاتل الى فلسطين • وقوله تعالى قال ان كنت جيت باية فات بها ان
كنت من الصادقين اي قال فرعون ان كنت صادقا في قولك قد جيتكم ببينة من ربكم فات ببينتك • قال
الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية على ان اللعين عرف نبوة نفسه وانه ليس باله حيث طلب منه الاية
على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه اله لقال لمن ارسلك ولم يطلب منه الاية • وقوله تعالى فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين اذا كلمة مفاجاة وقيل معناه ظهر • وقال ابو عبيدة الثعبان الحية وقال
ابن عباس الحية الذكر • وقال الفرا اعظم الحيات • وقيل الحية الضخم العظيم ماخوذ من ثعب الما اذا
جرى والمثعب موضع انثعاب الما سمي به لانه يجري كجريان الما عند الانثعاب • وقوله مبين اي بين انه حية
لا لبس فيه • قال ابن عباس رضي الله عنهما فاوقع موسى العصا وكان جبريل دفعها اليه حين توجه الى مدين
وقال لو كانت من الجنة حملها ادم منها الى الدنيا وهي من اس فاذا العصا حية اصفر اشعر ذكر اعظم
الحيات فلاحت دار فرعون فاذا فتحت فاها صار شدقها ثمانين ذراعا ثم شدت على فرعون لتبتلعه فوثب
فرعون عن سريره فهرب وهرب الناس فصاحوا واستغاث فرعون بموسى فاخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت
وقال وهب صار اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون اسود مدلهما يدب على قوايم قصار غلاظ شداد في مثل بدن
البختي العظيم الا انه اطول منه بدنا وعنقا ومشعرا ان له ذنبا غليظا يقوم عليه فيشرف على حيطان المدينة

راسه

راسه وعنقه ثم يضع على الارض فلا ياتي على شي الا حطمه وخدش بقوايمه الصخور والرخام والحيطان والبيوت
ويرمي بعضها على بعض يتنفس في البيوت والخزاين فيشتعل كل شي منها نارا وله عينان تتوقدان نارا ومنخران يخرج
منهما الدخان وقد صار المحجن عرفا على ظهره وشعر اسود اعلاها مثل الرماح الطوال لا يصيب منها شيا الا قطعه
وقد جعلت الشعبتان له فما مثل القليب الواسع يخرج منه رياح السموم لا يصيب احدا منه لفحة الا صار له اسود مثل
الليل المظلم وفيه اضراس وانياب في اعلاه ثمانون وتسعون ضرسا وفي اسفله مثل ذلك له صريف يسمع من سمعه
ما يسمع الرجل كلام جليسه اذا اضرب اضراسه بعضها على بعض وانه ليهدر مثل البعير يتزبد شدقاه زبدا ابيض
مثل لعابه فلا يقع منه نقطة على احد الا اشتعل برصا فادخل الثعبان احد شدقيه تحت سرير فرعون والاخر
فوقه وفرعون على سريره فسلح في ثيابه فلما عاين الناس ذلك من امر الثعبان وكان قد اجتمع اهل المدينة باسرهم
فلما راوا ذلك انهزموا وولوا ذاهبين وتزاحموا في الابواب وتضاغطوا ووطي بعضهم بعضا فمات يوميذ كثير
من الناس وقام فرعون عن سريره وكان الله قد املى له حتى مكث اربعين يوما لا يخرج من بطنه شي ولا يحدث
الا في كل اربعين يوما مرة فلما كان يوميذ احدث في ثيابه حتى علم جلساوه وكان ياكل ويشرب جاهدا ولا يبصق
ولا يمتخط ولا يتنخع ولا تذرف عيناه ولا يمرض ولا يصدع ولا يسقم ولا يهرم شاب السن وكان على هذا اربع
ماية سنة فلما كان يوميذ احدث وبصق وامتخط واخذه المرض والصداع واختلف بطنه اربعين مرة فلم
يزل بعد ذلك يختلف حتى مات عليه • وقال الحسن ولما عاين ذلك قال يا موسى ارجع يومك هذا وكف ثعبانك
هذا فارتاد وزرا اصحابه فقال لاصحابه ان هذا لساحر عليم • وقال له موسى الا رفقت بالامر فقلت خمسة وعشرين
الناس هذا امر ربك الذي بعثك قال يا فرعون اسالك واحدة واعطيك اربعا قال
وما الذي تسالني قال اسالك ان تعبد الله وحده ولا تشرك به شيا واعطيك الشباب لا تهرم والملك
لا ينازعك فيه احد والصحة لا تسقم والجنة خالدا فخشع له فرعون وقال حتى استامر اسية بنت
مزاحم فدخل عليها فقال لها يا اسية الا ترين الى موسى الى ما يدعوني وما يعطيني قالت وما هو قال يدعوني
على ان اعبد الله ولا اشرك به شيا واعطي الشباب لا اهرم والملك لا ينازعني فيه احد والصحة لا اسقم
والجنة خالدا قالت يا فرعون وهل رايت احدا يصيب هذا فيدعه قال اخرج فدعا هامان قال الحسن
وكان لا يعرف له نسب فذكر له ذلك واستشاره فقال له هامان انت تعبد بعد اذ كنت تعبد فتبدا الدود كر
امر الشيب فقال انا اردك شابا فخضبه بالسواد وهو اول من خضب بالسواد فدخل على اسية وقال
الا يا اسية الا ترين حسنت شابا قالت من فعل هذا بك قال هامان قالت ذاك اذن لم ينصحك • وقوله تعالى ونزع
يده فاذا هي بيضا للناظرين لما اراه اية العصا قال الا اية غيرها فنزع يده اي اخرجها من جيبه فاذا هي
منيرة لها شعاع كشعاع الشمس يكاد منها الابصار يسطع نورها في السما فاضاء ما حولها ودخل نورها البيوت
واضاء منها المدينة وراي من ورا الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى في كمه ثم اخرجها فاذا هي
على لونها الاول • وقال في اية اخرى من غير سوء قال اهل التفسير من غير برص • وقال الامام ابو منصور رحمه
الله معناه عندنا من غير ان تستقبح وتستقذر لان خروج الشي من خلقته وجوهره مما يستقبح ويستقذر
فاخبر انه لم يكن كذلك • وقال فان قيل لنا ما الحكمة في القا العصا ونزع يده من جيبه وتغييرهما بعد ذلك
ولم يغيرهما الله وهما على حالهما قيل والله اعلم ارادهم ذلك بعد اخراجه من سلطانه وتدبيره ليعلم انهما صارتا
كذلك بصنع الله لا بفعله فانها صارت حية بعد ما اخرجها من يده وصارت يده بيضا بعد ما غيبها عن بصره
ليعلم انهما صارتا كذلك باية لابه • وقوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تامرون اي قال الاشراف من قوم فرعون الذين كانوا حضورا ان موسى هذا لساحر حاذق
في سحره وانما قصده اخراجكم من ارضكم وان يغلبكم على بلادكم بقومه من بني اسرايل اذا انفذت هذه الحيلة
فماذا تامرون ايها الوزرا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون المراد به ولو اتبعتم موسى
واجبتموه الى ما يدعوكم اليه لاخرجكم من ارضكم فاضاف ذلك الى موسى بطريق التسبب قالوا ان الملا
المذكور في اول الاية جماعة دون الوزرا • وقوله فماذا تامرون خطاب منهم لاصحاب الارا من المقربين والوزرا
وذكر في سورة الشعرا قال للملا من حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فاخبر عن
فرعون انه قال ذلك للملا فقيل انه من المحتمل انه يكون فرعون قال ذلك اولا ثم الملا قالوا ذلك فاخبر
الله تعالى عنهم جميعا • وقيل قوله فماذا تامرون خطاب من الملا لفرعون بصيغة الجمع تعظيما له وكذا خطاب
الملوك • قال الكلبي وابو عبيدة والفرا هذا الخطاب من فرعون للملا يقول ماذا تشيرون علي في امره
وهذا على نظم سورة الشعرا ظاهر وعلى نظم هذه السورة فيه اضمار قال لهم فرعون • وقال اهل التحقيق تحير
هذا الملعون عند غلبة سلطان المعجزة فنسي دعوى الالهية ومرتبة كونه امرا ناهيا لهم فخاطبهم خطاب
الاذلا المقهورين المكلفين المامورين فماذا تامرون • وقوله تعالى قالوا ارجه واخاه قرا نافع غير قالون

وحمزة وعاصم في اكثر الروايات والكسائي وعباس عن ابي عمرو بغير همز الا ان حمزة يسكن الهاء وهم يكسرونها • وقرا الباقون
ارجئه بهمز وهما لغتان ارجات الامر وارجيته اي اخرته • وقيل في تفسيره احبسه يعني موسى واخاه يعني هارون وكان
معه فقد ذكرهما في موضع اخر فقالا انا رسول رب العالمين وانا رسولا ربك ودلت هذه الاية على ان قوله فماذا تامرون
من فرعون للملا فقد ذكر في هذه الاية جوابهم له فقالوا احبسه واخر امرهما حتى تنظر في امرهما فلا تقتلهما ولا تؤمن
بهما • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ارجئه اي اخره هذا يدل على تقدم شي فكانه هم بقتله فقالوا اخر قتله
واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا • ويدل على ذلك قوله وقال فرعون ذروني اقتل موسى • قال
عطا الخراساني ارجه اخره وهو الاصح لانه لا يثبت انه حبسهما ويدل عليه قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه • وقال القشيري رحمه الله توهموا لبا يسيرتهم بالتاخير وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشمير يغير
شيا من التقدير ولم يعلموا ان القضا غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم السلطان للعلم والفهم كلا بل هو
الله الواحد القهار • وقوله تعالى وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وفي قراة حمزة والكسائي
بكل سحار والمداين جمع مدينة والحاشر الجامع • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني وابعث الشرط ليجمعوا
السحرة من المداين وكان له السحرة في المداين عدة للاشيا اذا حزبه امر فقال فرعون لموسى اجعل بيننا
وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت وهرون ونجمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة وذلك
يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز فخرج موسى وهارون من عنده وارسل فرعون حاشرين
الى كل مدينة في سلطانه فاجتمع السحرة لميقات يوم معلوم فاجتمع خمسة عشر الف ساحر • وقيل كانوا اثني
عشر الفا • وقال الحسن رحمه الله كانوا خمسة وعشرين الفا وليس منهم ساحر الا وهو يحسن من السحر ما لا يحسن
صاحبه وكان كبراوهم الف ساحر وهم الذين عملوا بالعصي والحبال والساحر الفاعل للسحر والسحار الدوام
على ذلك • وقيل الساحر العالم المعلم به • وقوله تعالى وجا السحرة فرعون وههنا مضمر فارسل الحاشرين
فجمعوهم وجا السحرة فرعون • قال الكلبي فاتوه وكانوا سبعين ساحرا غير رئيسهم وكان يعلمهم رجلان مجوسيان
من اهل نينوى • وقوله تعالى قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قرا ابن كثير ونافع وعاصم
في رواية حفص ان لنا لاجرا من غير الف استفهام وهو مراد في المعنى • وقرا الباقون مع الف الاستفهام • وقال
الكلبي معناه اين لنا مالا تعطينا ان غلبنا موسى • وقوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين اي في المجالس
عندي اجابهم الى ما التمسوا وزادهم في الميعاد فقال انتم مقربون عندي في المنزلة فتكونون اول من يدخل
واخر من يخرج • وقال بعض المفسرين وعدهم ان ياذن لهم في كل اربعين يوما مرة واحدة ان يدخلوا عليه
وقيل اي حوايجكم عندي مقضية وشفاعاتكم لغيركم مقبولة ومرتبتكم في الدخول والخروج مرفوعة
وقيل هو راس كل كرامة فان من قرب من الملك وصل الى كل شي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله كان السحر
هو الظاهر الغالب في ذلك الزمان فجا موسى من الايات على رسالته بنوع ما يعملون به وجنسه ليعرفوا
بخروجه عن وسعهم ان ذلك ليس بسحر ولكنه اية سماوية وكذلك ما جا به عيسى عليه السلام من الايات
وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام جا بالقران الذي اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته وكان زمان
بلاغة وفصاحة • وقال وهب اجتمع السحرة وهم سبعون الفا ثم ميزهم حتى اختار منهم سبعة الاف ثم
ميزهم حتى اختار منهم سبع مائة ثم ميزهم حتى اختار منهم سبعين ساحرا من كبرائهم فجاوا بالعصي والحبال
فحملوها بين يدي فرعون قبل ان يلتقوا هم وموسى فلما راها فرعون تحولت كانها حيات وافاعي استبشر وطمع
في ان يظفر بموسى • وقال الضحاك وخرج موسى وهرون وبيد موسى عصى وعليه عباة حتى انتهوا الى الصفوف
وهم خمسة عشر صفا وخرج فرعون في عظما قومه فجلس في مجلس له على سرير له عليه خيمة الديباج ميل في ميل ومعه
هامان وزيره وقارون بين يديه واجتمع الناس في صعيد واحد يقول بعضهم لبعض ننظر من الغالب فنكون
معه وقال موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا الاية فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اي قال
بعضهم لبعض سرا ما هذا بقول ساحر لكن هذا كلام الرب الاعلى ثم نظروا الى فرعون وسلطانه وبهايه ونظروا
الى موسى وعصاه وكسايه فنكسوا على روسهم وقالوا ان هذان لساحران الاية • وقوله تعالى قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين اما للتخيير وتقديره اما ان تلقي انت اولا واما ان نلقي نحن اولا
دليله ما قال في سورة طه اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قيل اظهروا الاقتدار وقالوا ان بدات
انت او بدانا فلا خوف علينا ولا حذار • وقيل بل احترموا وببركة ذلك اسلموا • وقوله تعالى قال القوا اي
ستروون ما يحل بكم من الخزي ولم يكن هذا امرا بتنفيذ السحر ورضا به ولكنه تهديد • وقوله تعالى فلما
القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم اي قلبوا اعين الناس عن صحة الادراك
وقيل حيروا الاعين واسترهبوهم اي حملوهم على الرهبة وهي الخوف والسين للاستفعال للطلب والسوال
وذلك للارا وهما تسعى قال تعالى يخيل اليهم من سحرهم انها تسعى • قال الحسن القى كل رجل منهم ما كان في يده من

حبل

حبل او عصا وكانوا اخرجوا انك ثمانية وستين وستمائة من الحبال والعصي فلما القوا قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اي
القاهرون • وروي انها كانت عصيا مجوفة فيها الزيبق فلما اصابها حر الشمس تحركت وخيل الى موسى انها تسعى اليه وخاف
من حز ان بعضها يسعى اليهم فرهبوا وهربوا اذ كان سحرا عظيما اي هايلا لكثرة العدد والملقين • وقال الحسن ملاوا الدنيا
في اعينهم حيات وكان اول من خطفوا بصرهم بصر موسى وهرون ثم فرعون والناس وامتلا الوادي منها يركب بعضها
بعضا وهرب الناس منهم وانكشفوا واوجس موسى في نفسه خيفة قيل هو خوف طبع • وقيل ظن ان عصيهم صارت حيات
حقيقة كعصاه • وقيل وهو قول الامام ابو منصور رحمه الله خاف ان سحرهم يمنع او يلبس عن روية حقيقة ما جا به
فاوحى الله تعالى اليه لا تخف انك انت الاعلى وجا جبريل حتى وقف عن يمينه وقال له الق عصاك وذلك
قوله تعالى واوحينا الى موسى ان الق عصاك واضمر ههنا فالقاها فاذا هي تلقف ما يافكون قرا عاصم
في رواية حفص بالتخفيف ومعناه تبتلع من حد علم • وقرا الباقون بالتشديد واصله تتلقف وهو للتكلف
والتكرر واسقطت احداهما تخفيفا • وقوله ما يافكون تقديره ما يافكون به او فيه اي يكذبون فيقولون
هي حيات حقيقة او هي غالبة معجزة موسى • وقيل يافكون اي يصرفونه عن حقيقته بالتخييل من قوله فانى
يوفكون اي يصرفون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما القى عصاه فصارت ثعبانا راسه في السما واخذ شدقه
بالارض ثم ابتلع ما كان من سحرهم حتى ما ترك في الوادي من سحرهم شيا وانكشف الناس وولوا هاربين
والثعبان على اثرهم فمات بعضهم على بعض بعدد سبعين الفا • وقال عبد الله بن زياد بن سمعان حدثني رجال
من اهل العلم ان فرعون كان في خيمته اذ اقبل الثعبان في اثار الحيات حتى انقض على فرعون في خيمته فقام
فرعون من سريره وتردى بالارض وكان اعرج لم يعرف الا يومئذ ذلك فمشى يومئذ سبع خطوات فعرفوا انه اعرج
وقال وهب فلما وقعت العصا بالارض انكشف غطا سحرهم عن اعين الناس فنظروا اليها التقفت السحرة
عيدانا وحبالا فاقبلت حية موسى تبتلع حبالهم وتقتضم عيدانهم حتى التقفت ما يافكون سبع مائة عود
وسبع مائة حبل ولم يكونوا يلقون حبالهم وعصيهم بمرة واحدة ولكنهم يلقون كل مرة عشرة اعواد وعشرة احبل
فلما وقع على الارض منه شي التقمته حية موسى والناس يزدادون عجبا • وقوله تعالى فوقع الحق قال الحسن
ومجاهد اي ظهر • وقيل اي ثبتت الحجة • وقيل اي جا الحق • وقوله تعالى وبطل ما كانوا يعملون اي تلاشى
ما عملوه من العصي والحبال • وقيل اي بطل عملهم • وقوله تعالى فغلبوا هنالك اي غلب السحرة في ذلك
الموضع • وقوله تعالى وانقلبوا صاغرين اي رجعوا اذلا مقهورين • قال الامام ابو منصور رحمه الله اي
فرعون وملاوه واتباعه لا السحرة فانهم امنوا وعزوا بالايمان • وقوله تعالى والقي السحرة ساجدين اي
القاهم ما راوا من الاية العظيمة ساجدين اي دعاهم الى السجود لله تعالى والخضوع له • وقيل اي لم يتمالكوا
ان وقعوا ساجدين فكان ملقيا القاهم وقريب منه قول بعضهم اسرعوا ساجدين فكانهم القوا • وقيل
هو تنبيه على ان الله هو خالق افعال العباد وان الله تعالى هو الذي خلق فيهم ذلك فقوله ساجدين
اثبات فعلهم والقي اثبات خلق الله تعالى فعلهم ذلك • قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت السحرة بعضهم
لبعض لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وهذا امر من الله تعالى فخروا ساجدين لله تعالى • وقوله
تعالى قالوا امنا برب العالمين تبروا من كفرهم وامنوا بربهم ولما سمعوا من موسى وهارون حين اتيا
فرعون ما قالا انا رسول رب العالمين حفظوا هذا الاسم فنفعهم يوم القا العصا فتكلموا به وكان ينبغي
لمن سمع علما ان يحفظه وان كان لا يعمل به للحال لانه ينفعه في المال ولما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون
انا رب العالمين فقالوا رب موسى وهرون فبهت فرعون لردهم عليه • وقيل معنى قوله رب موسى اي
ارسل موسى وهرون الينا وهو ايمان منهم بهما والتصديق لهما • وقال ان من شرع في شي حق او باطل فليتقنه
فانه يرده الى الحق يوما الا ترى ان السحرة تعلموا السحر وهو صناعة فلما اتقنوه وتناهوا فيه وقفوا به على
ان ما ظهر على يدي موسى ليس من جنس ما يدخل في حيلة المخلوقين وانه من عند رب العالمين فاهتدوا الى
الايمان ونجوا من الخسران • وقوله تعالى قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم اي بغير امري واذني • وقوله
تعالى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها قال مقاتل ان موسى قال للساحر الاكبر تومن
بي ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولين غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر فلما امنوا قال انه لكبيركم
الذي علمكم السحر وهذا منكم مكر مكرتموه اي تواطاتم عليه لتدخلوا في دينه وتجتمعوا على اخراج بني اسرائيل
من المدينة ليكونوا عبيدا لكم وخدما وتبعا • وقال القشيري رحمه الله خاطبهم معتقدا انهم هم الذين كانوا
ولم يعلم ان تلك الاسرار قد حررت عن تلك الاشكال وان قلوبهم قد طهرت عن توهم التفرقة وان شمس العرفان
قد طلعت في سما اسرارهم فشاهدوا الحق بنظر صحيح لم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان ولا لشي من كلام
فيهم جولان والله المستعان • وقوله تعالى فسوف تعلمون هذا وعيد وهو ابلغ تهديد • قال مقاتل كان
راس السحرة شمعون • وقال ابن جريج يرحنه • وقوله تعالى لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف التقطيع

لتكثير التقطيع بكثرة المحال والخلاف ان يكون في اليد اليمنى والرجل اليسرى • وقوله تعالى ثم لاصلبنكم اجمعين هو
تكثير الصلب وهو للتشهير • وقال في سورة طه ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوعها • وقوله تعالى قالوا
انا الى ربنا منقلبون اي الى جزائه استسلموا لذلك وطيبوا انفسهم وقالوا اذا كان المصير الى الله طاب المصير الى
الله • وقيل اي اذا كان المصير الى الله فهو احق ان نتقي عذابه منك بما تهددنا به • وقوله تعالى وما تنقم منا
اي ما تعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهذا مما لا يعاب بل يثبت له الايجاب ولا يجوز لنا عنه
الانقلاب فلا سبيل الى ارضائك فقد استسلمنا ثم دعوا ربهم ان يصبرهم على ما ينالهم من فرعون وذلك
قوله تعالى ربنا افرغ علينا صبرا اي صبه علينا اي وفره لنا • وقوله تعالى وتوفنا مسلمين اي على دين
موسى وهرون • وقال القشيري رحمه الله لما علموا انه قد وفى الله فزعوا الفقد الى الله وطلبوا المعونة
من عند الله كذا السنة فيمن كان كله لله ان يكون كله على الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله ان هذا لمكر
مكرتموه هو تمويه وتلبيس منه على قومه لئلا يؤمنوا كما قال في الابتداء ان هذا لساحر عليم • وقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف هدد هم اولا باشد العقوبات ثم قال هذا وهو جهل منه لانه ليس من قطعهما من
جانب لان ذلك متلف وذا ليس بمتلف ولذا شرع هذا في الحدود وذلك يعجز عن الصعود وهذا يقدر
على الصعود • وقوله انا الى ربنا منقلبون اقرارهم بالبعث وهو ثقة بالوعد وهو تخويف لفرعون انا وانت
منقلبون الى جزاء الله فيثيبنا على ايماننا ويعاقبك على صنيعك بنا • وقوله وما تنقم منا وكان الحق علينا
وعليكم ان نؤمن بها • وقوله ربنا افرغ علينا صبرا قيل انزل علينا انما قالوا ذلك لتخوفهم انه لو فعل بهم
ما اوعدهم به فلعلهم لم يصبروا فيتركوا الايمان فسألوا الصبر عليه للثبات على الايمان وسألوا الوفاة
على الايمان وكذا كان دعاء الانبياء عليهم السلام وكذا يجب على كل اهل الاسلام • قال ابن عباس رضي الله
عنهما فصلبهم فرعون على جذوع النخل وهو اول من قطع الايدي والارجل من خلاف واول من صلب • وقيل
كان ذلك على شاطئ نهر مصر • وقال وهب صلبهم في جذوع النخل كل جذع اربعون ذراعا • وقال عطاء كان
رئيس السحرة باقصى مدائن الصعيد وكانا اخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر ابينا
فدلتهما عليه فاتياه فصاحا باسمه فاجابهما فقالا ان الملك قد وجه الينا لنقدم عليه لانه اتاه رجلان ليس
معهما رجال ولا سلاح ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك عن عزهما ومعهما عصا اذا القياها لا يقوم لها شيء
حتى تبتلع الحديد والحجر والخشب فاجابهما ابوهما انظرا اذا هما ناما فان قدرتما ان تسلا العصا فسلاها فان
الساحر لا يعمل سحره وهو نائم وان عملت العصا وهما نائمان فذلك امر رب العالمين ولا طاقة لكما بهما ولا
للملك ولا لجميع اهل الدنيا فاتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا • قال سعيد بن جبير
كانت العصا من العوسج وذكرنا قبل هذا وهو قول السدي انها كانت من اس الجنة • وقال وهب وقال
فرعون لموسى وقد انصرف والشياطين على اثره ينظر اليه الناس حتى دخل المدينة اعتزل الى عسكر قومك
واكفف عن الناس هذا الخوف الذي دخلهم فقد فرقتهم وشردتهم ولن يجتمعوا لك ابدا ولن يستجيبوا لك
ولن يؤمنوا بك وانا ناظر في امرك وجامع لك الجنود وسوف تعلم اذا التقى الجمعان فلا يزهدك ما سحرت
به اعين الناس فقال لموسى انا عبد مأمور اعمل بوحي الله ولا ازال اجاهدك عن منعتي حتى يحكم الله بيني
وبينك وكان الرسول فيما بينهما هامان وقرون فاوحى الله الى موسى اني انا الحليم الكريم وانا الغني
الحميد فدعه الى ان يجمع لك الجنود والناس ورايه محيط فاستعفه مجانبه واضرب بينك وبينه اجلا
وارجع الى عسكر قومك انت واخوك قال فعلنا ما امر به ربه فلما خرج موسى وهرون الى عسكر قومهما
والحية خلفه وتنصيص حوله وقد ملأ الله الناس منه رعبا فلما وصل الى عسكر قومه اخذ بشدق الحية فاذا
هي عصا يتوكأ عليها • وقوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ويذرك والهتك قال ابن عباس رضي الله عنهما ان سحرة فرعون لما غلبوا امن بموسى من بني اسرائيل ستمائة
الف فقال الملأ من قوم فرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرائيل ليفسدوا في ارضك بايقاع الفرقة
والصد عن دينك والدعاء الى مخالفتك ويذرك والهتك اي يتركك فلا يخدمك ولا يعبدك ولا يعبد
الهتك التي تعبدها • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون صنع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها
وقال انا ربكم ورب هذه الاصنام • قال سليمان التيمي كان فرعون يعبد البقر • وقال السدي كان يعبد
ما يستحسن من البقر • وعلى ذلك اخرج السامري عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم واله موسى • وقرأ
ابن مسعود رضي الله عنه والهتك اي عبادتك فلا يعبدك كما نعبدك نحن • وكذا قرأ ابن عباس وبكر بن
عبد الله والشعبي والضحاك وابن اسحاق • وقال مجاهد هو الصحيح لانه كان يعبد ولا يعبد • وقيل في جوابه
يحتمل انه كان يعبد ويعبد • وقوله تعالى ما علمت لكم من اله غيري وانا ربكم الاعلى هو على التخصيص لانه لم يقل
ما علمت من اله غيري وانا رب الاعلى • وقيل فيه ولي قراءة هؤلاء والهتك لم يرد به عبادتك بل الالهة اسم الشمس

ومن كان

ومن كان يعبد الشمس • قال الشاعر واعجلنا الالهة ان تؤوبا • وانما اعترضوا عليه بهذا وغار منه • وانكروا عليه فعله
مع انهم يعتقدون انه ربهم وهم عبيده لانه جرى على خلاف عادة الملوك في ترك السطوة عند ظهور المخالف الذي
يخاف منه على المملكة • وقوله تعالى قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون لما اغروه على موسى وقومه
وحرضوه عليهم وارادوا زيادتهم قال لن يكون ما تخافون من قهرهم لنا بازدياد عددهم لانا اعدنا عليهم قتل الابناء
واسترقاق النساء والاستخدام فيشغلهم ذلك عن التناكح فلا يزدادون والقائمون يهلكون فهم المقهورون
ونحن القاهرون وذكر انه يقتل ابناءهم ولم يذكر انه يقتل موسى لانه لم يطمع فيه لما راى من قوة امره وعلو شانه •
وقوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قال الملأ لفرعون ذلك اراد ان يكلفوا بني اسرائيل ما لا يطيقونه فيجيء الرجل
من القبط الى الرجل من بني اسرائيل فيقول له انطلق فاكنس حشي واعلف دوابي واستق لي ويجيء المرأة القبطية
الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم في ذلك فاذا انتصف النهار يقولون انطلقوا فاكتسبوا
لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى عليه السلام قال لهم موسى استعينوا بالله على دفع هذا البلاء واصبروا
على الدين الحق ان ارض مصر وكل الشام لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للموحدين • وقيل معناه
الارض كلها لله يصرفها كيف يشاء ويجعلها في يد من يشاء وفيه تسلية اي هي لا تبقى لاحد وتنتقل من قوم الى قوم
وفيه اطماع ايضا ان يورثهم الله ارض فرعون فيكونوا هم القاهرين لهم والوارثين بعدهم بلادهم وفيه نهي
عن النظر الى الحال والامر بالثقة بما يكون من التصرف والقهر للمتقين في المال • وقوله تعالى قالوا اوذينا
من قبل ان تأتينا قال وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فاما ذوو القوة منهم فيسلخون السواري من الجبال
فقد قرحت اعناقهم وعواتقهم وايديهم وذبرت ظهورهم من قطع ذلك ونقله وطائفة اخرى ينقلون
الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يلبنون اللبن ويطبخون الاجر وطائفة نجارون وحدادون
والضعفة منهم عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه
الى عنقه شهرا واما النساء فيغزلن الكتان وينسجنه • وقوله تعالى ومن بعد ما جئتنا اي هذا الايذاء باق
بعد مجيئك يا موسى بل ازيد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي كنا نظن اذا استعملونا من قبل ان تجيئنا
فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا • وقيل كانوا يكلفونهم قبل ذلك ضرب اللبن وبعد ذلك كلفوهم ضرب
اللبن بالتبن من عندهم وهذا يدل على قلة اهتمامهم فان موسى عليه السلام اطمعهم في ان الله يورثهم الارض
وتكون العاقبة للمتقين فقالوا اما تشاهد تهدد فرعون ايانا بقتل ابنائنا واستعباد نسائنا واخذ الجزية
منا كما كان قبل مجيئك منه في حقنا فكيف يورثنا ارضه وليس هذا سؤال الصحيح على ما قال فانه قال والعاقبة
للمتقين وقد تقرب مدة ذلك وقد تبعد وقد امرهم بالصبر الى مجيئها ولما تكلموا بهذا ابان لهم وجه زوال
قهر فرعون وكيفية العاقبة وذلك • وقوله تعالى قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض وعسى اطماع وهو من الكريم ايجاب اي اطمعوا في ان الله يهلكهم ويجعلكم سكان ارضهم ثم اخبر
ان الله عز وجل اذا اعطاهم ذلك استدام شكره بطاعته وذلك قوله تعالى فينظر كيف تعملون اي كيف
تشكرون نعمه • وقيل اي يمتحنكم بما يعطيكم فالدار دار امتحان لينظر كيف ايتماركم باوامره وانتهاؤكم بنواهيه
وشكركم على عطيته وصبركم على بليته • وقوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين اي ابتلينا قوم فرعون
بالقحط جمع سنة ويطلق على الجدب ولا يطلق على الخصب لان الجدب نادر وليس بغالب والنادر احق
بالافراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي تذريه يقال اصابتهم سنة اي جدب واسنتوا اي اجدبوا • وقوله
تعالى ونقص من الثمرات هذا في حق الاشجار والاول في الزروع • وقال ابن عباس رضي الله عنهما
السنون لاهل البوادي ونقص من الثمرات لاهل القرى وهما ايتان • وقوله تعالى لعلهم يذكرون
اي ليذكروا اي ليتعظوا ويرجعوا الى الحق فيخلصوا • وعن الحسن ان موسى عليه السلام لما اعتزل في عسكر
قومه ارسل الى فرعون ان اضرب بيني وبينك اجلا فارسل اليه فرعون ما هذا الامر فما افرغ منه في يوم
او يومين فاوحى الله اليه ان انظره واضرب بينك وبينه اجلا للحجة فانه ليس يعجزني فضرب اجلا اربعين
يوما فجعل فرعون يجمع الجموع ليقاتله فكلما اراد رجحا في مكيدة خذله ربه وشتت امره فلما انقضت الاربعون
ولم يصنع فرعون شيئا ابتلاه الله عز وجل بالايات فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات فاحتبس عنهم القطر واجدبت
ارضهم وهلكت مواشيهم وانعامهم • وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي النعمة والخصب
والسعة والعافية قالوا لنا هذه الذي نستحقها وقد تعودناها ولم تزل كانت لنا ولم يروا ذلك من الله عز
وجل ولم يشكروا الله عليه • وقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي جدب وضيق وبلية ومرض • وقوله تعالى يطيروا
بموسى ومن معه قال الحسن ومجاهد وابن زيد اي يتشاءموا بهم وكانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح
وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين فسمي تطيرا لانه زجر بالطير

وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي ان الله هو الذي ياتي بالخير والشر والنفع والضر وعند الله بمعني من عند الله لا من جهة موسى ومن معه • وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا علم لهم انها من الله وانه يمتحن عباده بالمحن ردعا عن المعاصي وحثا على الطاعات • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فان قيل ذكر انه اخذ آل فرعون بالسنين وكان فيهم بنو اسرائيل فما معنى التخصيص قيل لا يحتمل انه يكون ذلك لهم خاصة دون بني اسرائيل او كان الجدب يضر آل فرعون دون بني اسرائيل لانهم كانوا ياكلون للشهوة وبنو اسرائيل للحاجة ومن ياكل للحاجة كان اقل حاجة من ياكل للشهوة فاذا لم يجدوا ما ياكلون للشهوة كان ذلك اضر بهم • قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء • وقال القشيري رحمه الله الكفور لا يرى فضل المنعم فيلاحظ الاحسان بعين الاستحقاق ثم اذا اتصل به شي مما يكرهه يتجنى وحمل الامر على ما يتمنى • قال قايلهم • شعر

وكذا الملوك اذا اراد قطيعة • مل الانيس وقال كان وكانا •

الا انما طائرهم عند الله المتفرد بالايجاد هو الواحد ولكن بصايرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة • وافهامهم عن ادراك المعاني مردودة • وقوله تعالى وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها قال الخليل يعني اي شي واصله ماما الاولى اسم والثانية صلة وابدلت الالف بالهاء ليزول توهم التكرير وهو مبالغة في العموم • وقيل مه بمعنى اكفف وما شرط قاله سيبويه ومعنى الاية ان قوم فرعون قالوا لموسى اي شي اتيتنا به من اية تدعي انها من عند الله فانما هي سحر تريد ان تخدعنا به • وقوله تعالى فما نحن لك بمؤمنين اي فلا تشتغل باتيانها فما نحن بمصدقين لك انها من عند الله وهذا منهم غاية الجهل والضلالة اذ كذبوه بما ياتيه بعد واظهروا انهم مصرون على كفرهم ابدا غير منقادين للحق وان ظهر وبدا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية انهم كانوا معاندين قد علموا بكل اية جاءتهم قبل ذلك انها من عند الله تعالى وما كان امتناعهم عن الايمان لشبهة او ريبة • وقال القشيري رحمه الله جبلوا على الاصرار على الاستكبار شعارهم • وصرحوا بالسنتهم في العتو باسرارهم وقوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قيل هو السيل الشديد • وقيل هو المطر المتتابع المضر • وقيل هو الموت الذريع سلطه الله عليهم وقالوا تسلط على البكر من كل شي من الناس والبهايم • وقال ابو قلابة هو الجدري وهو اول عذاب بني اسرائيل وبقي في الارض والجراد وهو معروف والقمل قيل هو الدبا وهي صغار الجراد التي لا اجنحة لها في رواية ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول قتادة ومجاهد • وقيل وهو رواية عن ابن عباس وهو قول سعيد هو السوس التي تقع في الحنطة • وقال ابن زيد هي البراغيث • وقال ابو عبيدة هو الحمنان وهي كبار القردان • وقال الحسن وسعيد بن جبير هي دواب سود صغار واحدتها قملة • وقوله تعالى والضفادع جمع ضفدع بكسر الضاد والدال وهو معروف والدم معروف ايضا قال عبد الرحمن بن زيد سلط الله عليهم الرعاف واكثرهم على ان النيل صار دما ايات مفصلات نصب ايات من ثلاثة اوجه احدها بوقوع ارسلنا عليها والثاني على الحال والثالث على التفسير وايات مفصلات قال مجاهد اعلاما مبينات تفصل الحق من الباطل او منفصلا عما تقدم عليه وقيل مميزات بعضها من بعض بين كل ايتين فصل ومدة ليتاتى في كل واحدة حق التامل • وقيل كان اذا انتهت اية منها اقامت عليهم اسبوعا ثم تقلع عنهم شهرا ثم تاتيهم اخرى تاكيدا للحجة عليهم بعدما قالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لكنا تابعنا لهم الايات ولم نقطع عنهم البراهين بما اظهروا من الجهالات • وقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين اي تعظموا عن الانقياد للحق والايمان بموسى وكانوا قد اعتادوا الاثام والاجرام • واكتساب ما نعتهم العذاب اللزام • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الطوفان امر من امر الله تعالى طاف بهم ثم قرا فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ارسل الله عز وجل عليهم المطر الشديد حتى كانوا ان يهلكوا • وعن قتادة حتى قاموا فيه قياما وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم المطر فانبت الله حروثهم واحيا بذلك كل شي من بلادهم فقالوا والله ما احببنا انا لم نكن مطرنا هذا المطر فان كان الخير لنا فلن نرسل معك بني اسرائيل ولن نؤمن لك فبعث الله على حروثهم الجراد فاكل عامة حروثهم واسرع الجراد في فساده فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فانا مومنون لك ومرسلون معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم الجراد وكان الجراد قد ابقى لهم بقية فقالوا قد بقي لنا من حروثنا ما يكفينا فما نحن بتاركي ديننا ولن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فارسل الله عليهم القمل وهو الدبا الذي ليس له جناح فاتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم ونباتهم وكان القمل اشد عليهم من الجراد فجزعوا من ذلك وقالوا يا موسى كما قالوا في الاول والثاني فكشف الله عنهم القمل فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك الى اخره فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأ منها البيوت فليس لهم طعام ولا شراب الا فيه الضفدع فلقوا منها شيا لم يكونوا لقوا فيما مضى • وقالوا

يا موسى مثل ما مر فكشف الله عنهم الضفادع فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك الى اخره فارسل الله عليهم الدم فسالت الاودية دما وصارت انهارهم دما فكانوا لا يشربون الا الدم ولا يطعمون طعاما الا صار دما فلقوا من ذلك امرا شديدا اسوا مما كانوا لقوا قبل من البلا فسالوا موسى ان يدعو لهم ربه فكشف الله عنهم الدم فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك الى اخره وكانت ايات مفصلات بعضها على اثر بعض لتكون لله عليهم الحجة فانتقم الله منهم بعد ذلك فاغرقهم في اليم • وقال الكلبي كل اية من سبت الى سبت ثم الاخرى بعد ذلك بشهر • وقال ابو روق بعدها باربعين يوما وقال قتادة كان يجتمع سبطي وقبطي على اناء واحد فاذا الذي يلي السبطي ما صاف والذي يلي القبطي دم • وفي حديث السدي كان يخرج الدم من الرغيف اذا كسر • وفي حديث مقاتل تراكب الجراد قدر ذراع فلم تر الارض وكان كشفها باذن الله ببعث ريحا فاحتملتها فالقتها في البحر وكشف الضفادع بموتها وارسل الله تعالى مطرا جودا فقذفهن في البحر وذكر وهب هذه الاشيا على بسط الكلام وتطويله وذكر ان الطوفان هو الطاعون ووقع فيهم ومات من ابكارهم في ليلة ثمانون الفا ومن ابكار الدواب كذلك واخذ الفرعون يجمع بين ابكار القبط وابكار بني اسرائيل بين كل بكرين سلسلة فمات في الليل ابكار القبط دون ابكار بني اسرائيل • وذكر في الجراد ان الله تعالى امر موسى فاشار بعصاه شرقا وغربا فجا الجراد حتى ظهرت في الهوا كالغمام الاسود فسترت الشمس ثم غشيت الزروع فكان لا يرى منها شي فاكلتها واكلت الخشب من الابواب والجذوع والحديد من السلاسل والمسامير وكان كشفها باشارته بالعصا فذهبت كلها والقمل خرجت من الارض حيث نكت فيها بالعصا واكلت كل شي حتى السقوف وكل رطب ويابس والضفادع خرجت من النيل باشارته بامر الله تعالى فخرجت ودخلت المصر فامتلات منها السكك والدور والطرق فلا يوجد موضع قدم ولا اناء طعام وشراب الا وقد امتلا ذلك منها وضيقت عليهم وانتنت الارض من وجه الناس ايامها وكان لا يمكنهم اكل طعام ولا شرب شراب الا معها وكشفها بما ذكرنا والدم بان ضرب النيل بعصاه بامر الله عز وجل فصار دما عبيطا فاذا ورده قوم فرعون اختضبت ايديهم واسقيتهم بالدم واذا ورده قوم موسى استقوا منه ماء صافيا وكشفه كان بضرب العصا ايضا بامر الله تعالى وكان فرعون يعتذر الى موسى بعد كل اربعين يوما انا لم نتفرغ بجمع الجيوش لهذه الحادثة ويستنظر مدة اخرى ويامر الله تعالى موسى بان ينظره مدة اخرى الزاما للحجة • وقوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد اي العذاب • وقال سعيد بن جبير اي الطاعون فمات من القبط سبعون الف انسان • وقيل هو هذه الاشيا التي تقدم ذكرها • وقوله تعالى قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك قيل هذا العهد انه وعده الاجابة اذا دعاه • وقيل هو ان يكشف عنهم العذاب اذا امنوا • وقيل هو بعثه بالرسالة • وقوله تعالى لين كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك اي لين دعوت الله فكشف عنا بدعايك لنصدقنك • وقوله تعالى ولنرسلن معك بني اسرائيل اي لنطلقنهم ولنخلين عنهم • قال وهب قالوا له يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما ارسل اليك على زعمك انا لمهتدون لين كشفت عنا الرجز فقال الا ادعو وقد سميتموني ساحرا فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فدعا ربه فكشف عنهم • وقوله تعالى فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اي الى الوقت الذي جعله اجلا لهلاكهم • وقوله تعالى اذا هم ينكثون اي ينقضون العهد فلا يومنون • وقال مجاهد كانت الضفادع تسكن الجحرة فلما ارسلها الله تعالى عذابا الى فرعون وقومه وكانت تجي حتى تقذف نفسها في التنور المسجور وفي القدر وهي تغلي غضبا لله تعالى شكر الله تعالى لها فاسكنها الما فاعقبها التسبيح • وذكر الحسن هذا في احتمالها المياه بافواهها حين التي ابرهيم في النار فوجدت هذا بسبب ذلك • وقوله تعالى فانتقمنا منهم اي من الناكثين فاغرقناهم في اليم اي اهلكناهم بالما في البحر بانهم كذبوا باياتنا اي بسبب تكذيبهم بهذه الايات بعد تتابعها • وقوله تعالى وكانوا عنها غافلين معرضين عنها كالغافلين او متغافلين غير متاملين او غافلين عن النقمة ان او غافلين عن وقت نزول العذاب وقد بينا قصة الغرق في سورة البقرة ونذكر ايضا زيادة على ذلك في سورة يونس وسورة الشعرا • وقال القشيري رحمه الله جنى عليهم العقوبات لما جنوا ونوعوا فنون المخالفات فلا في التفكير رغبوا • ولا الى التطهير قصدوا • وكانت عقوبتهم بصرف قلوبهم عن شهود الحقايق ابلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البوايق ونعوذ بالله من السقوط عن عين الله • وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها اي لما اهلكنا فرعون وقومه اسكنا قوم موسى الذين كانوا يستضعفون اي يقهرون بقتل الابنا واستحيا النسا وتكليف الاعمال الشاقة ارض مصر وقيل ارض الشام مشارقها ومغاربها اي نواحيها الشرقية والغربية وهي الارض التي بارك الله فيها بكثرة الما والشجر وفنون النعم • وقيل بانها مساكن الانبيا والاوليا • وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا اي تنجز وعد الله وهي الكلمة الحسنى ثابتة الاحسن لبني اسرائيل باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وهو ما قال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية وسميت حسنى لانها وعد بما يحبون

وجعلوه

وقوله بما صبروا اي بصبرهم على اذى فرعون وقومه وعلى امر الله وثباتهم على الايمان والطاعة والعمل بقول موسى استعينوا
بالله واصبروا • وقوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون اي اهلكنا ما كانوا يصنعونه
من الابنية والمزارع والكروم • قال الحسن يعرشون الكروم اي يرفعون عرائشها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد يبنون من الدور والقصور • وقرا ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها
لغتان فصيحتان وقد عرش يعرش عرشا اي بنا بناء من خشب كذا قال في ديوان الادب • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله مشارق الارض ومغاربها • قيل كان في بني اسرائيل من بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها وهو ذو القرنين
وداود وسليمان • وقيل فضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها كما قال وفضلناهم على العالمين اي عالمي زمانهم
وقال في قوله وتمت كلمة ربك الحسنى قيل الجنة وقيل هي نعم الدنيا وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما كلمة
ربك اي نعمة ربك • وقال وهب ولما عبروا البحر ارسل موسى جندين عظيمين في كل جند اثنى عشر الفا ونقب
عليهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما اللذان انعم الله عليهما الى مداين فرعون وخزاينه وهي يومئذ خلو
عن اهلها قد هلكوا فلم يبق الا النسوان والصبيان والزمنى والمرضى فغنموا اموالهم من الذهب والفضة
والجواهر والامتعة ما لا يعلمه الا الله تعالى واورثهم الله ديارهم واموالهم فذلك قوله تعالى واورثناها
بني اسرائيل • وقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الذي غرق فيه فرعون وقومه فصاروا الى البر • وقوله
تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم اي يقيمون على عبادتها • وقوله تعالى قالوا يا موسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة اي قالوا لفرط غباوتهم وفساد طباعهم بطول العبودية لفرعون اجعل لنا الها اي انصب لنا
شيا نعبده كما نصب هولاء لانفسهم اصناما يعبدونها • وقوله تعالى قال انكم قوم تجهلون اي الالهية
والعبادة ولا تعلمون ما تقولون • وقوله تعالى ان هولاء اي هولاء الذين يعبدون الاصنام • وقوله تعالى
متبر ما هم فيه اي مهلك مدمر والتبار الهلاك والدمار • وقال ابو عبيدة معتمد وهو خبر مبتدا اي
هم في هلاك لا ينتفعون منها بشي • وقوله تعالى وباطل ما كانوا يعملون اي تبطل عبادتهم هذه الاصنام
فيذهب تعبهم هدرا • وقال الكلبي رحمه الله اي ضلال ما كانوا يعبدون • وقوله تعالى قال اغير الله
ابغيكم الها استفهام بمعنى الانكار والتقدير اطلب لكم غير الله معبودا • وقوله تعالى وهو فضلكم
على العالمين اي على عالمي زمانكم قاله الحسن وجماعة • وقيل اي جعل فيكم النبوة والكتاب والحكمة والملك
والايات التي لم يكن مثلها لغيركم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفيه تعليم انه كيف يامرون بالمعروف
وكيف ينهون عن المنكر وكيف يعامل مرتكب المنهي يعامل باللين والشفقة واللطف دون الغلظة والخرق
والعنف كما فعل موسى بهم مع ما استقبلوه من الامر المنكر يقول اما تستحيون من هذا القول مع ما لله عليكم من
النعم والطول ومن ذلك ما ذكر بعده وهو قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
اي يذيقونكم وقيل يكلفونكم اشد العذاب اي اشده واشقه • وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم اي يستبقون اناثكم ويتركوهن حيات • وقيل يستحيون اي يفتشون في حيايهن اي فروجهن هل بهن
حبل • وقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل وفي هذا الانجا نعمة عظيمة كما قال وليبلي المومنين
منه بلاء حسنا • وقيل اي في التقتيل والاستحيا محنة عظيمة واسم البلا يقع على كل واحد منهما لانه من الابتلا
وهو الاختبار وهو يقع بكل واحد منهما وقد ذكرنا قصة ذبح الابنا واستحيا البنات في سورة البقرة وهنا
حديث اخر طويل فيه • قال وهب راى فرعون في المنام ان الله واهب لعبد من عبيدك غلاما يسلبك
ملكك ويخرجك من ارضك ويبدل دينك ثم يغرقك الله وجنودك حتى يكون للخلائق حديثا فلما
استيقظ غشيت عليه رؤياه فاخبر عظما الذين حوله فبكوا بكا شديدا وقالوا يا سيدنا حلم باطل عشت دهرا
طويلا ولا ياتيك الا عدو ولا ياتيك الا همتا فارسل الى كهنتك ومنجميك فاخبرهم وحدثهم الخبر ثم قص
رؤياك هذه لهم فيخبروك بتاويلها وكان لفرعون الف كاهن والف منجم والف ساحر لا يموت منهم احد
الا استبدل مكانه غيره فارسل اليهم وخلا بهم ووعدهم الخير ثم قص عليهم رؤياه واخبرهم انه امتنع من الطعام
والشراب والنوم لذلك فسجدوا له وقالوا اعلمنا انا وقيل ما رايت فليس هو لنا شي ولكن اجلنا اجلا ننظر
في نجم هذا المولود فاجلهم اربعين يوما فخرجوا وصعدوا الجبل ونزعوا ثيابهم ولبسوا الشعر واكلوا
خبز الشعير ينامون على الرماد يقومون بالليل ويصومون بالنهار ويتضرعون الى شياطينهم ان يخبروهم
برويا الملك فاوحى الله تعالى الى حملة العرش اني خالق مولودا في بني اسرائيل يولد في الاسكندرية تحمل به امه
في ليلة الجمعة في شهر كذا هذا في ثلاث ساعات يذهبن من اول الليل فانطلق به حملة العرش الى السفرة الكرام
البررة الذين يودون الكتب الى الموكلين ببني ادم فانطلق به الموكلون وهم الحفظة الى سكان السموات
ان الله خالق بشرا في بني اسرائيل الى اخر ما ذكرنا وكانت عفاريت الجن والانس يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا فكان الجن يصعدون الى السما ويسمعون كلام الملايكة ويسترقون السمع ويلقونه الى الارض على السنة

الكهنة

الكهنة فلما سمع الجن ذلك من الملايكة هبطوا به الى الكهنة فاخبروهم بامر موسى كله ففشا ذلك ووصل الى الكهنة والسحرة
والمنجمين لتمام اربعين يوما فجاوا فرعون وقالوا يا سيدنا قد اتينا بنبا وتاويل رؤياك هو عبد من عبيدك يولد له بالاسكندرية
يسلبك ملكك ويبدل دينك ويقهرك ويعلوك ويخرجك من ارضك وانه يولد بالاسكندرية في شهر كذا في ليلة الجمعة لثلاث
ساعات يذهبن منها ولما قال فما الحيلة حتى نعرف امه فنقتلها فلا تحمل به ولا تلده فقالوا بيننا وبين الوقت الذي تحمل
هذا الشهر فلم يات على فرعون شهر اشد عليه منه ذاب جسمه وغلب كربه فلما عيل صبره ادخل منجميه وكهنته وقال ما عندكم
حيلة ان لا تحمل به امه قالوا نعم تعزل النساء عن الرجال فلا يقرب رجل امراته فقال وكيف الحيلة في ذلك قالوا
امران تخرج منبرك وتامر مناديك فلينادي في عبيدك ان يجتمعوا اليك فان عبيدك لم يروك ولم ينظروا في
وجهك قال كذب وكان الخبيث لا يظهر لاحد منهم وكان اذا اراد الركوب نادى مناديه حتى يدخلوا بيوتهم ويخلو
الفنا في مسيره امره ان يضع وجهه بالارض له قال وهب فلما قالت الكهنة له ذلك قال الملك ما حيلتي بامر
اشد علي منه قالوا اذا اخرجت منبرك وابرزت لهم وجهك فاحسن اليهم القول وبرهم بالخير وافتح لهم خزاينك
واخرج لهم من اصناف الاموال وابذلها لهم فانك اذا فعلت ذلك بهم طمعوا فيما عندك واجتمعوا اليك حتى لا يتخلف
منهم احد فقم على المنبر وقل لهم اني قد رضيت عنكم وعرفت نصحكم ورفعت عنكم الجزية ولذلك ابرزت لكم وجهي
وفتحت لكم بابي وبذلت لكم خزايني وقد رايتكم له اهلا مني فاعرفوا بذلك رضاي عنكم فابشروا واحمدوا الى غروب
الشمس ثم قل اني احب ان تبيتوا هذه الليلة عندي فان اصبحتم انصرفتم فاذا اظهرت ذلك بهم اجابوك فاذا باتوا
مكانهم كنت حبستهم عن اتيان النسا فظفرت بحاجتك فارسل فرعون مناديه في بني اسرائيل ان اجيبوا فرعون الملك
فانه نصب لكم منبره • واظهر لكم وجهه • وهو يريد بكم الكرامة • وهو يريد باخراج خزاينه ليعطيكم منها ما لم تكونوا
تاملونه فارتجت بنو اسرائيل الاجابة وسرحوا جميعا وخرج فرعون وخطبهم والان لهم القول ووعدهم الجميل
واعطاهم الاموال من الجواهر والنقود والكسوة على مراتب الناس وفرحوا به فرحا شديدا فلما امسوا قال فرعون
احب ان اصنع بكم افضل من هذا فبيتوا امكانكم حتى تصبحوا فتنصرفوا فقالوا لو كلفتنا ان لا نبرح شهرا لفعلنا
فباتوا ثم دعا فرعون بدابته فركبها ليدخل المدينة وركب معه هامان وعظماوه حتى اذا دنى من باب الاسكندرية
امر هامان والملا ان يرجعوا الى عسكر بني اسرائيل ويبيتوا معهم ويحرسوهم لئلا ينصرف احد وكانت مفاتيح الابواب
المدينة حينئذ مع عمران والد موسى فدعاه لياخذ المفاتيح منه ويخرجه من المدينة ويغلق ابواب المدينة
دونه وكان منزل عمران في الاسكندرية قال عمران يا سيدي ان دخل المدينة وحدك فلعلك يمكر بك بعض من يطمع
في ملكك قال نعم ما هذا بارك الله فيك فادخل معي فانت احق بذلك واوثق عندي من غيرك فادخل واغلق الابواب
وكان ذلك لطفا من الله تعالى لما اراد من امر موسى فدخل مع فرعون واغلق الابواب وبات جميع بني اسرائيل
في الصحرا ومعهم جند فرعون فقال فرعون لعمران لا تبرح من عتبة بابي ولا تنزع عنك ثيابك قال نعم يا سيدي
فدخل فرعون منزله واغلق عمران الباب دونه ووضع عمران راسه على عتبة الباب وعليه ثيابه وجعل سيفه
بين فخذيه فنام حتى اذا ذهبت ثلاث ساعات من الليل وذلك ليلة الجمعة بلغ امراة عمران ان فرعون قد دخل
المدينة ومعه عمران فلما احتبس عنها عمران خرجت نحو باب فرعون في طلبه فلما دنت من الباب ابصرت عمران نايما
فوقعت عليه تقبله فوثب عمران فاذا هو بها فقال لها ما جاء بك قالت سمعت انك دخلت المدينة فلما احتبست
عني خفت عليك سطوة هذا الجبار فاتيتك فضمها عمران الى نفسه فلم يتمالك ان واقعها فحملت مكانها بموسى
فقال لها عمران اعلمي انا نظن الامر الذي يطلبه فرعون وهذا المولود الذي يخافه ليس الا من اجتماعنا الليلة
فاكتمي هذا حتى ننظر ماذا يظهر ولما حملت بموسى طلع نجمه في السما ولا يولد نبي الا طلع له في السما نجم ونظرت
الكهنة والسحرة من الليل فاذا هم بنجم موسى قد طلع وكانت ليلة الجمعة فقاموا فخمشوا وجوههم وخدشوا
لحومهم ومزقوا ثيابهم ونتفوا شعورهم وولولوا جميعا بصوت شديد حتى رجت المدينة من اصواتهم فسمع
فرعون ذلك فذعر ثم اسرع الى الباب فقال لعمران ما هذا قال يا سيدي هذه اصوات بني اسرائيل فرحوا بما اعطيتهم
واكرمتهم بلقايك وكلامك فقال العلة كما تقول فلم يزل يختلف ليلته مقبلا ومدبرا كالذي نزعها المخاض فلما
اصبح قال يا عمران اخرج فانطلق ما بال اصحابي هم الليلة فخرج فسالهم فقالوا امكر عدونا وغلب مكرنا ومكر
سيدنا وحملت بذلك المولود البارحة ونظر اليهم فعل السحرة بانفسهم فسال ذلك فقال عمران ويلكم ما زعمتم سيدي
حتى اظهر للناس وجهه وفرق فيهم خزاينه ثم حشرهم عمران الى فرعون وهو يريد نفسه ما علم ما كان منه مع امراته
فلما دخلوا على فرعون وراهم على تلك الصفة وقد جعلوا الرماد والتراب على روسهم قال ويلكم ما لكم فخروا له سجدا
وقالوا يا سيدنا عشت دهر القاهرين قد غلبنا مكر عدونا ومكرنا وحمل بذلك المولود البارحة وطلع نجمه في السما
فقال لئن استخرجتم عن هذا بني ولا اصلبنكم اجمعين ولاحرقنكم بالنار عن زعمتم وقال كما قال عمران قالوا لا تعجل علينا
فان غلبنا حمله لا يغلبنا مولده نعرفه بعلامة فنقتله فان فعلنا ذلك والا فاصلبنا واحرقنا فانظروا الى مولد
موسى فلم تات عليه شهور الا طوال حتى ظنوا انه قد ولد فلم يبصر المنجمون كوكبه يرجمه قالوا انه قد ولد فلما سمع ذلك

طارت روحه وتغير لونه وطاش عقله وقال ما الحيلة قالوا امر منبرك حتى يخرج الى ذلك الموضع ثم مر مناديك ان لا تبقى امراة من بني اسرايل ولدت ولدا منذ شهر الا جاءت به الى الملك فانه يريد ان يكرمهن كاكرام ازواجهن ويعطيهن الحلي والحلل والذهب والفضة والجواهر فانهن يطمعن ويخرجن فاذا اجبنك باولادهن فاعطهن شيا قليلا من القول ثم اجعلهن في بعض مداينك ثم مرهن فلتخرج امراة امراة فانتزع منها ما اعطيتها ومر ان يوخذ ولدها فان كان ذكرا ذبح فاذا فعلت ذلك ظفرت بعدوك ورجع اليك ما لك ففعل ذلك وخرجن واعطاهن ثم جعلهن في بعض مداينه ثم امر بخروجهن فمن كان ولدها ذكرا ذبحه والام تنظر اليه لا تملك له شيا الا البكا فذبح يومئذ تسعين الف ولد فذلك قوله تعالى يقتلون ابناكم الاية • وقوله تعالى واوعدنا موسى ثلاثين ليلة اي لاتيان الطور ونوال الكتاب • وقوله تعالى واتممناها بعشر اي زدناها عليها • وقوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي الميقات الذي وقته لربه اضيف الى الله لتوقيته اياه كما في قوله ان اجل الله اذا جاء لا يوخر انه ثبت بتاجيله اربعين ليلة وهذا التكرير مع استفادة علمه بالاولى لازالة الاشتباه ان الاتمام بالعشر لم يكن من الثلثين فانه تدبيق ثم ذلك • وقال في سورة البقرة واذ وعدنا موسى اربعين ليلة وذلك يدل على ان المواعدة كانت بالاربعين جملة وهذا يشير الى انه كان بالثلاثين ثم زيد بالعشر والتوفيق بينهما على قول ابن عباس وسعيد بن المسيب فانهما يرون ان المواعدة كانت بالثلاثين ثم زيدت العشرة لما قالوا انه امره بصوم ثلاثين يوما ثم ياتي الطور فلما تم ثلاثون تسوك ليزيل الخلوف فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب من ريح المسك فلذلك زيد عشر ليصوم فيها ثانيا فيه الخلوف وما ذكر في سورة البقرة من مواعيد الاربعين فهو بيان الحاصل وجمع بين العددين • وقال الكلبي وجماعة كانت المواعدة بالاربعين جملة وانما ذكر عددين لانه ذو القعدة وعشر ذي الحجة فالثلاثون عدد الشهر والزيادة عدد ما اتصل به قال ذلك مجاهد وابن جريج ومسروق • وقال ابو العالية ان موسى وعد بني اسرايل وهم بمصر انه اذا اهلك الله عدوهم واستنقذهم من ايديهم اتاهم بكتاب يبين لهم فيه ما ياتون وما يذرون فلما فعل الله تعالى ذلك بهم سال موسى ربه الكتاب فامره الله ان يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة ليكمله فلما انسلخ ذو القعدة اكل من لحا الشجر امره الله بصيام عشرة ايام من ذي الحجة ليكمله بخلوف فمه ففعل ذلك ولما اراد الانطلاق الى الجبل امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوي الحجى ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى اياه ففعل واستخلف هرون اخاه على قومه وذلك قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي اي كن خليفتي عليهم • وقوله تعالى واصلح اي سر فيهم بالسيرة الصالحة لا فساد فيها وثبتهم على ما اخلفهم عليه من الايمان به واخلاص العبادة له وقوله تعالى ولا تتبع سبيل المفسدين اي ولا تسلك طريقة من يفسد في الارض باظهار المعاصي من نفسه والرضا من غيره باظهارها وتقريرهم على ذلك • وقال ابن عباس ومجاهد والكلبي مرهم بالصلاح ولا تتبع طريق العاصين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فان قيل ما معنى قوله اخلفني في قومي وهارون كان مبعوثا معه رسولا وشريكا له في الرسالة قال الله تعالى خبرا عن موسى انه قال واشركه في امري • وقال اخبارا عنهما انا رسولا ربك • وقال تعالى فاتياه فقولا انا رسولا ربك واذا كان هو رسولا كيف يحتاج الى الاستخلاف قلنا المامور ان بشي لا ينفرد احدهما بفعله الا بامر صاحبه فلذلك قال اخلفني في الحكم بينهم واصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك الى سبيل المفسدين ولان موسى كان اصلا فيهما وهارون معينا له • قال تعالى فارسله معي ردا يصدقني ولهذا كان هو المناجي على الخصوص والمعطى له الالواح • قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي وهو الذي قال اني انست نارا وهو الذي نودي فلذلك استخلفه • وقال القشيري رحمه الله ان الله تعالى اسمع موسى كلامه اول ما خاطبه بالرسالة من غير وعد ولا انتظار ثم وعده ان يسمعه كلامه مرة اخرى وعلله بالوعد معلقا بثلاثين ليلة بعدما اخذ السماع الاول بمجامع قلب موسى فعلق قلبه بميقات معلوم فاطاف قلبه بالميعاد فلما مضت المدة زاده عشرا في العدة وتاخير الوعد غير محبوب الا في طريقة الاحباب فان المطل عندهم اشهى من الانجاز وفي معناه انشدوا شعر

امطليني وسوفي • وعديني ولا تفي • وانشد الاخر في معناه شعر

سعاد لعمركم لا تنجزينا • ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا في غد ما شئت انا • نحب وان مطلت الواعدينا
فاما تنجزي عدتي واما • اومل منك حينا بعد حينا

قال ولما امر بالذهاب الى فرعون سال الله تعالى ان يشرك معه هرون ولما ذهب الى الطور للمناجاة خلفه في قومه واستخلفه وهو موضع الاعتراض في الظاهر ولكن لا اعتراض على الاكابر ومن الاشارة المعروفة في الاية ان موسى استخلف هرون واعتمد عليه في حفظ قومه فعبدوا العجل ورسولنا صلى الله عليه وسلم قال الله خليفتي على امتي فثبتهم الله عز وجل على الحق • وقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا قال الكلبي اي لميعادنا

اي لميعادنا واللام لبيان الوقت كما قال اقم الصلاة لدلوك الشمس • وقال وهب جا الطور سيناء ومعه جبريل عليه السلام تطهر وطهر ثوبه وكلمه ربه بلا واسطة بغير كيفية فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسال ذلك وهو قوله تعالى قال رب ارني انظر اليك وهو حجة اهل السنة والجماعة على جواز رؤية الله تعالى لان موسى صلوات الله عليه اعتقد جوازها فسالها ولو اعتقد مجوزا لما لا يجوز على الله كفر ومن جوز ذلك على موسى فقد نسب احدا من الانبياء الى الكفر وقوله تعالى قال لن تراني ولم يقل اني لا ارى ليكون نفيا لجواز الرؤية بل قال لن تراني اي لن تطيق ان تراني في الدنيا وهو كما قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اي لن تطيقوا ان تفعلوا وقال لن نصبر على طعام واحد اي لن نطيق ان نصبر والدليل على انه ليس لنفي جواز الرؤية بل هو لنفي طاقة موسى ما ذكر بعده وهو قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق الرؤية باستقرار الجبل وهو امر مقدور وذلك على تصور ما علق به • وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر يقال جلوت الشي جلا وتجليته تجلية اي اظهرته فانجلى وتجلى اي ظهر والمراد والله اعلم اعطى الجبل رؤية وحياة وعقلا حتى راه وهو دليل اخر على ان الله عز وجل جايز الرؤية • وقوله تعالى جعله دكا قرا اهل المدينة وابو عمرو دكا منونا مقصورا ههنا وكذا في سورة الكهف ومعناه مدكوكا اي مدقوقا فاصله مصدر بمعنى المفعول وقرا عاصم كذلك ههنا وقرا الذي في سورة الكهف ممدودة بلا تنوين والباقون قراوهما ممدودا بلا تنوين وهو تانيث الادك يقال ناقة دكا اذا ذهب سنامها اي جعلها مستوية بالارض كالكة بنا وقال الحسن وسفيان وابو بكر الهذلي ساخ في الارض • وقال ابن عباس رضي الله عنهما صار ترابا وتانيث الدكا ما له استقر الجبل وهو مذكر والنظر على معنى التشبيه بالناقة الدكا اي مثل الدكا اي جعله ارضا دكا • وقيل الدكا الفرعي من الرابية التي لا تبلغ ان تكون جبلا وجمعها دكاوات • وقال الحسن صار الجبل ثلاث فرق ساخت فرقة منها في الارض وطارت فرقة فوقعت في البحر وطارت فرقة فوقعت بعرفات فهو شاخص متشعب من مخافة الله • وقال ابو بكر الوراق فعذب اذ ذاك كل ما كان فيه كل حيوان وبرا كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وخمدت نيران المجوس وخرت الاصنام لوجوههن • وقال الحسن اوحى الله تعالى الى الجبل هل تطيق رويتي فصار الجبل وساخ في الارض وموسى ينظر حتى ذهب اجمع وقال وهب خمد كل شي حينئذ وانقطعت اصوات الملائكة وجعل الجبل يندك ويهتز ويضطرب من تحت موسى حتى اندك كله • وقيل صار الجبل ذرات في الهوا وهو الذي يرى في الشمس اذا دخل شعاعها الكوى بتلك الكثرة • وقوله تعالى وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه من الهيبة لما تجلى للجبل تطور اثارا له دالة عليه فلما افاق اي من غشيته قال سبحانك تبت اليك قال الامام ابو منصور رحمه الله يخرج هذا الكلام منه مخرج العادة عند روية الافزاع حسب ما يجري على لسنة الناس عند الخطاء وان لم يكن ذنب يذكرونه فيتوبون عنه ونظير هذا التسبيح قول عيسى عليه السلام قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق • وقول الملائكة قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم • وقول الملائكة الذين تكلموا في ادم عليه السلام لا علم لنا الا ما علمتنا وذكر التوبة من جهة سبق كقول ابرهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فاني لاتوب الى الله في كل يوم مائة مرة استغفره واتوب اليه • وقيل اني تبت اليك من سؤال الرؤية في الدنيا فانك انما وعدتها في الاخرة • وقوله تعالى وانا اول المؤمنين اي المصدقين بانك لا ترى في الاخرة بالوعد ولا وعد في الدنيا ومعنى الاول اي اول اهل هذا الزمان لا انه اول ذلك لنا لان الايمان الحق عليه الى الله لا يعطي الخلق رويته في الدنيا ثم جوازها بوعد منه سؤال الرؤية بنا على معرفته جوازها يحققه جواز الرؤية وسواله ذلك ليس بحجة قاطعة لاهل الحق على المنكرين ذلك من اهل البدعة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وتعلق نفاة الرؤية بظاهر قوله لن تراني انه نفي ذلك بلن وهو للتابيد وحملوا سؤال الرؤية على وجوه باطلة منها انهم قالوا معنى قوله ارني انظر اليك اي ارني اية قاطعة اراها ومنها انهم قالوا لم يسال رؤية الله لنفسه بل لقومه ارنا الله جهرة • ومنها انهم قالوا خفي عليه انه يرى او لا يرى فسال ذلك ليعلم والجواب ان نقول اما لن فهو نفي قدرته على رؤية الله مدة الدنيا لانه جواب سؤاله وسؤاله كان في حق رؤية الدنيا ومثله قوله ولن يتمنوه ابدا ثم هذا التابيد في الدنيا فانهم يتمنونه في العقبى قال تعالى خبرا عنهم يا ليتها كانت القاضية اي الموت • وقالوا ليقض علينا ربك • وقولهم انه سال الاية قلنا قد كان اراه الايات الكثيرة قبلها واراه ايضا في ذلك المكان دك الجبل وقد نفى بقوله لن تراني وذلك لا يحتمل اراءة الايات ونفي رؤيتها ولانه قال ارني انظر اليك واجيب بلن تراني وذلك لا يحتمل اراءة الايات ونفي رؤيتها وقولهم انه سال ذلك لقومه لا يستقيم لانه قال ارني انظر اليك ولم يقل ارهم لينظروا وقال لن تراني ولم يقل لن يروني ولانه لو كان لسؤال القوم لمنعهم ان يزجرهم منه ويجهلهم فيه كما فعل ذلك في حق الذين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة حيث جهلهم وسفههم بقوله قال انكم قوم تجهلون الايات واما قولهم خفي عليه ذلك قلنا لكون هذا جهلا بالله وهو كفر ومن ظن هذا بالانبيا

فهو كافر وبالله العصمة وقد روي في احاديث فيها ذكر نزول الملايكة والتعنيف على موسى بما سال ولكن ليس ورود مثلي
وخبر يصح ولا يجوز قبولها لانها لا تليق بحال الانبيا واقاويل الناس في الاية ايضا على وجوه تختلف والصحيح الموافق الاصول
ما قلنا وبالله المعونة • وقال القشيري رحمه الله ولما جا موسى مجي المشتاقين مجي المغلوبين جا موسى بلا موسى ولم يبق
من موسى شي لموسى والاف الاف رجل قطعوا مسافات وتحملوا مخافات فلم يذكرهم احد وهذا موسى خطا خطوات والى
القيمة يقرا الصبيان ولما جا موسى لميقاتنا ولما جا موسى باسط الحق بالكلام فلم يتمالك ان قال رب ارني انظر
اليك فان غلبات الوجد استنطقته بطلب كمال الوصلة من الشهود وقد قالوا في معناه شعر •

• وابرح ما يكون الشوق يوما • اذا دنت الخيام من الخيام •

وقالوا لا يواخذ المغلوب بما يقول وقالوا انه لا يشكوه منكر واشد الخلق شوقا الى الحبيب اقربهم من الحبيب
هذا موسى وقف في محل المناجاة وحفت به الكرامات وكلمة بلا واسطة ولا جهات قال رب ارني انظر اليك
كانه غايب وهو شاهد ولكن ما ازداد القوم شربا الا ازدادوا عطشا ولا ازدادوا قربا الا ازدادوا شوقا • وقال
سال موسى الروية بالكلام فاجيب لن تراني بالكلام واسر المصطفى في قلبه ما كان يرجوه من تحويل القبلة من ربه
فقيل له قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها • وقيل انه سال الله الروية فقال له لن تراني وقال
للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال له انك لن تستطيع معي صبرا فسما وجوابه لن من الحق ومن الخلق
ليبقي موسى بلا موسى ويصفوا موسى عن كل نصيب لموسى • وانشدوا فيه شعر •

• ابني ابينا نحن اهل منازل • ابدا غراب البين بيننا ينعق •

قالوا البلا الذي ورد عليه بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اشد من قوله
لن تراني لانه صريح في الرد وفي الياس ان اخره • وقوله فان استقر مكانه فسوف تراني هذا اطماع فيما منعه فلما اشتد
توقعه جعل الجبل دكا وكان قادرا على امساك الجبل لكنه قهر الاحباب ربه سبق الكتاب • وفي قوله انظر الى
الجبل بلا شديد لموسى لانه منع عن روية مقصوده وامر بروية حجر ولو امر في ان يغمض عينيه ولا ينظر الى
شي بعده لكان اه من اسهل عليه ولكنه قيل له لن تراني ولكن انظر الى الجبل ثم اشد من ذلك ان الجبل اعطي
التجلي ثم امر موسى بالنظر الى الجبل الذي قدم عليه في هذا السوال وهذا صعب شديد ولكن موسى عليه
السلام رضي به وانقاد لحكمه وفي معناه انشدوا شعر •

• اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد •

وقيل بل هو لطف به حيث لم يصرح برده بل علله عونا له على صبره • وقيل في معناه قد ربي اصبر
قليلا قليلا • ولما منع النظر رجع الى الامر فقال تبت اليك تقول يعني ان لم تكن الروية التي هي غاية
الرتبة فلا اقل من ان الامر وهو التوبة ثم عذا منه انا اخذ بعقوبة العبودية وشرطها ان لا تبرح عن محل الخدمة
ان حيل بينك وبين وجود القربة لان القربة حظ نفسك والخدمة حق ربك والان تكون بحق ربك اتم من ان
تكون بحظ نفسك • وقوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس لما قال تبت اليك قال
الله تعالى له يا موسى اني استخلصت على اهل عصرك • وقوله تعالى برسالاتي وبكلامي يعني بان ارسلتك
بما اوحيت اليك من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والاحكام والمواعظ وبان كلمتك بلا واسطة
وهذا يرد قول من يقول ان السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله لان في الاية بيان الاصطفا وهو
تنصيص على التخصيص • وقوله تعالى فخذ ما اتيتك اي التزم ما الزمتك • وقيل اي اقبل على ما انزلته
عليك وقيل اي اعمل به • وقوله تعالى وكن من الشاكرين اي انعامي بهذه الاشيا وغيرها بالاجتهاد في
الطاعة وتبليغ الرسالة والنصيحة للامة والصبر على اعباء هذه الامانة • وقيل اي دم على شكرك فقد
كان الانبيا كلهم شاكرين صابرين • وقال القشيري رحمه الله فيه تسكين قلب موسى بعد منع الروية كانه
قال ان منعتك شيا واحدا اعطيتك اشيا اصطفيتك بالرسالة واكرمتك بشرف الحال وكلمتك بلا واسطة
فاعرف هذه النعم واشكرني عليها • وقيل فيه اشارة لطيفة كانه قال ان منعتك عن مطلوبك فلا تشكني الى
قومك بعد رجوعك • وانشدوا في معناه شعر •

• اذا اعرضوا فهم الذين تقطعوا • كم قد وقعنا فاصبر لهم اذا انقطعوا •

وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي هي جمع لوح وهو الصحيفة المهياة للكتابة فيها اي انزلنا
عليه مع ذلك الواحا كتب له فيها كل شي والامة الحاجة اليه في مصالح الدين والدنيا ويراد بكل شي هذا
ويراد به ايضا تعظيم قدره وتفخيم شانه كما يقول الرجل دخلت السوق فاشتريت كل شي • وعند فلان كل
شي ومنه قوله تدمر كل شي واوتيت من كل شي انما هو مبالغة لسعة ملكها ووفور اسباب سلطانها وعرف
الالواح بالالف واللام لانها مشهورة عندهم • وقيل هو بمعنى الاضافة وتقديره في الواحه كما قال فان الجنة
هي الماوى اي ماواه • وقوله تعالى موعظة هي مفعول لها اي ليكون يتخذ بها عما لا ينبغي ان يفعل • وقوله تعالى

وتفصيلا لكل شي اي تبيينا • وقوله تعالى فخذها بقوة اي وقلنا له خذها بقوة اي نشاط وجد • وقوله تعالى وامر
قومك ياخذوا باحسنها قال ابن كيسان اي بالفرايض • وقال قطرب اي بحسنها وكلها حسن وهو كقوله ولذكر الله اكبر
اي كبير • وقال الحسين بن الفضل وهو ان يكون للكلمة معنيان او ثلاثة فيصرف الى اشبهه بالحق وهو قوله تعالى فيتبعون
احسنه • وقيل فيها فرايض وفضايل فالاحسن الجمع بينهما • وقيل اي بالعزايم دون الرخص وبالافضل الاعلى دون الادنى
الادني • وقيل اي فيها بيان تفضيل الاولين وبيان اقتداهم وفيها ذكر المحاسن دون المساوي • وقوله تعالى ساريكم
دار الفاسقين قيل سازيدكم يوم القيامة ماوى الخارجين من الطاعة وهو جهنم فتحذروا الله على ما انزلكم من الجنة
وقيل اي ساريكم ارض الشام التي كانت للجبابرة الفاسقين واورثكموها • وقيل ساريكم مصر وهي دار فرعون
وقومه خالية عنهم واورثكموها قاله يمان بن رباب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل الموعظة هي التي تحمل
القلوب على القبول والجوارح على العمل • وقيل هي التي تنهى عما لا يحل • وقال ابن كيسان هي التي تلين القلوب القاسية
وتدمع العيون الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة قال وعندنا هي التي تذكر العواقب وتحمل على العمل بها قال وقوله
بقوة دليل على ان الاستطاعة مع الفعل لانها لا تبقي زمانين فلو لم تكن مع العمل لم يكن الاخذ بقوة • وقال في قوله
ساريكم دار الفاسقين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي جهنم ويحتمل ان يكون الخطاب للفسقة ساريكم
يا اهل الفسق داركم • وقيل دار الفاسقين ما يمرون عليه اذا سافروا من منازل عاد وثمود والماضين وقال
السدي اي مصارع الفاسقين • وقال الحسن لما اراد الله ان يكتب في الالواح لموسى بعث جبريل الى جنة
عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة الواح وكانوا من زمرد اخضر طول كل لوح عشرة اذرع بذراع موسى
وكذلك عرضه فكتب التورية وموسى يسمع صرير القلم • وقال مجاهد كانت من زمردة خضرا • وقال سعيد
ابن جبير من ياقوت • وقال ابو العالية من برد • وقال وهب قطعها من صخرة صما من الجبل الذي كان عليه موسى
ولينها الله تعالى وسواها وكانت الالواح عشرا وكانت على طول موسى • وقال الحسن فوضعت الالواح على
السما فشكت السما الى الله تعالى ولم تطق حملها وقالت يا رب كيف اطيق اذا حملها وهل خلقت خلقا يطيق
حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل ان يحمل الالواح فيبلغها الى موسى فلم يطق حملها فقال يا رب ومن يطيق
حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فامدها الله بملايكة
يحملونها بعدد كل حرف في التورية ملك فحملوها حتى بلغوها موسى فوضعوا الالواح على الجبل فانصدع
الجبل وخشع وقال يا رب من يطيق تحمل هذه الالواح بما فيها وقد ضرب الله تعالى لهذا القران فقال
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله كما انزل التورية على الجبل لم يطق حملها
وقال الربيع بن انس نزلت التورية وهي سبعون وقر بعير لم يقراها كلها الا اربعة موسى ويوشع وعزير
وعيسى عليهم السلام • وقال قتادة لما اخذ موسى الالواح قال يا رب اني اجد في التورية امة هي خير الامم
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب
اني اجد في التورية امة سميتهم المتقين وسميتهم عابدين وصالحين قال هم امة محمد • قال يا رب اني اجد
في التورية امة هم الاخرون السابقون يوم القيامة قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في التورية امة
ياخذون صدقاتهم فياكلونها في بطونهم فيوجرون عليها قال هم امة محمد • قال يا رب اني اجد في التورية
امة هم المستجيبون والمستجاب لهم قال هم امة محمد • قال يا رب اني اجد في التورية امة يقاتلون اهل
الضلالة حتى يقاتلوا الدجال قال هم امة محمد • قال يا رب اني اجد في التورية امة اناجيلهم في صدورهم
قال هم امة محمد • قال اني اجد في التورية امة الجنة محرمة على الانبيا حتى يدخلها نبيهم وعلى الامم حتى
تدخلها امته قال هم امة محمد • قال اني اجد في التورية امة غفرت لهم قبل ان يستغفروك واعطيتهم
قبل ان يسالوك قال هم امة محمد • قال اني اجد في التورية امة رضوا عنك باليسير من الرزق ورضيت
منهم باليسير من العمل قال هم امة محمد • قال اني اجد في التورية امة هم الشافعون والمشفوع لهم
قال هم امة محمد قال فاجعلهم امتي قال انك لن تدركهم فقال موسى الوفد وفدي والحيا لامة محمد
فاجعلني من امة محمد فقال الله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الاية فرضي وزيد
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون • وفي رواية وهب عن كعب فيه زوايد قال اجد امة
مرحومة قال هم امة محمد ادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله • قال اني لا اجد امة يحشرون يوم القيمة
غرا محجلين وجوههم على صورة القمر ليلة البدر قال هم امة محمد • قال اني لا اجد امة اذا هم احدهم بحسنة
ولم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا الى ضعف سبع ماية واذا هم احدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب
عليه وان تركها كتبت له حسنة قال هم امة محمد • قال اني اجد في التورية امة يصلون لله اليوم خمس مرات
في خمس ساعات تفتح لهم ابواب السما وتنزل عليهم الرحمة قال هم امة محمد • قال اني اجد في التورية امة يصومون
لك شهر رمضان تغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال فاجعلني من هذا الشهر قال

هو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب وما شهر رمضان قال شهر اختصصته لنفسي وأعطيت فيه من الفضل لأمة أحمد وأمته ما لم أعط أحدا ولو أذنت للسماء لشفعت لهم ولو أذنت للأرض لشفعت لهم في ذلك الشهر ولو أذنت للملائكة لشفعوا لهم في ذلك قال يا رب إني أجد أمة يحجون البيت الحرام لا يقضون فيه وطرا يعجون إليك بالبكاء عجيجا ويرجون بالتلبية رجيجا فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يا رب فما تعطيهم على ذلك قال أزيدهم بالمغفرة ويشفعون فيمن وراءهم قال يا رب فإن فيهم من ليست نفسه بزاكية ولا عمله بصالح قال وما علمك يا موسى قال إن لم تعلمني لم أعلم قال يا موسى أشفع برهم في فاجرهم قال يا رب إني أجد أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يمحصون فتقول الملائكة يا رب هؤلاء أصحاب الدنيا والأموال والفروج غير أنهم أهل لا إله إلا الله فتدخلهم الجنة فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد • قال يا رب إني أجد أمة سنتها قليلة أخلاقهم يلعنون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع أحد اللقمة إلى فيه فلا تستقر إلى فيه حتى تغفر له يفتتحها باسمك ويختمها بحمدك فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد • قال يا رب بسطت الخير لأحمد وأمته اجعلني من أمة أحمد قال فقال الله تعالى يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الآية فرضي موسى وفي نفسه شيء فقال الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون • وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ويحتمل أنها متصلة بقصة بني إسرائيل ومعناه خذوا بأحسنها بجد ونشاط فإني أصرف عنها المتكبرين فلا تتكبروا لئلا تصرفوا عنها فتضيعوها ويحتمل أن يكون هذا كلاما معترضا خلال هذه القصة إخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم في حق آيات القرآن • وقال سفيان بن عيينة سأصرف عن آياتي أي أحرمهم فهم القرآن • وقال ذو النون أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن • وقيل أي سأمنعهم عن الاعتراض عليها والطعن فيها ويعم ذلك في حق آيات موسى وآيات محمد وهي القرآن • وقيل أي سأصرفهم على أن يفعلوا ما يمنع عن إبلاغها ويصح ذلك في حق موسى ومحمد عليهما السلام قال الله تعالى فخذها بقوة أي لا تتطير من نفسك ضعفا • وقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل إليك من ربك إلى قوله والله يعصمك من الناس • وقيل آيات الوحدانية • قال عبد الرحمن بن زيد سأصرف قلوبهم حتى لا يتفكروا في خلق السموات والأرض • قال ابن جريج الآيات خلق السموات والأرض أي أصرفهم عن الاعتبار بما فيها • وقال الحسين بن الفضل سأصرفهم عن آيات الآفاق حتى لا يتفكروا في خلقها ولا يعتبروا بها وعن الآيات في أنفسهم حتى لا يروا منافعها ويحجبوا بها • وقال المقاتل سأصرفهم عن التفكر في خلق السموات والأرض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والبحر والبر والنبات فيكون لهم عبرة في الآيات إنما خلق الله عز وجل الأشياء دالة إثبات انقياد العباد • وقوله الذين يتكبرون في الأرض أي يتعظمون عن الانقياد للأنبياء طلبا للعلو والرياسة • وقوله في الأرض بغير الحق أي بغير الاستحقاق • وقيل أي بغير علم • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله تكبروا على الرسل لأنهم لم يروهم أشكالا لأنفسهم وكذا كل من تكبر على آخر إنما يتكبر لما يرى مثلا لنفسه أو لما يرى نفسه سليمة عن العيوب ورأى في غيره عيوبا أو رأى لنفسه حقوقا عليه وإذا كان الخلق كلهم أكفاء بعضهم لبعض وفيهم العيوب والحاجات فلا يسع أحدا التكبر على أحد وهو الله تعالى فإنه لا مثل له وهو منزه عن العيوب والحاجات فلذلك كان له الكبرياء والعظمة بالحق • وقوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي عنادا وكذا قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين • وقوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا أي لأنفسهم فيسلكوه ويدينوا به وهو صفة المعاندين والرشد والرشد لغتان كالبخل والبخل والسقم والسقم والحزن والحزن • وقوله تعالى وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا أي لأنفسهم يسلكونه ويدينون به وهو صفة المعاندين المتكبرين المذكورين في أولها • وقوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا أي ذلك الصرف عن قبول الحق والانقياد له بتكذيبهم بآياتنا • وقوله تعالى وكانوا عنها غافلين قال الإمام أبو منصور رحمه الله أي غفلة إعراض وعناد لا غفلة جهل وسهو • وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم أصل اللقاء فيه المعاينة وهو لا كذبوا برؤية الآخرة استبعادا لها وإحالة لوجودها وحبطت أي بطلت وتلاشت • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله يحتمل هذا وجهين يحتمل أنهم كانوا مؤمنين ثم كفروا فحبطت الطاعات التي عملوها في الإيمان ويحتمل أن يراد به المعروف والصنائع من صلة الرحم والصدقات والخيرات التي عملوا بها في الكفر حبط ثواب ذلك حين لم يؤمنوا • وقوله تعالى هل يجزون إلا ما كانوا يعملون استفهام بمعنى النفي لا يجزون إلا بما عملوا من الكفر والمعاصي • وقال القشيري رحمه الله الذين يتكبرون في الأرض التكبر توهم استحقاق الحق ويقال من رأى لنفسه قيمة في الدنيا والآخرة فهو متكبر • ويقال من ظن أن به شيئا أو منه أو له أو إليه من النفي والإثبات الأصلي وحيز الاكتساب فهو متكبر • وقوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده أي من بعد انطلاقه إلى الطور عجلا أي أعدوه ليعبدوه والعجل ولد البقرة • وقوله تعالى من حليهم جمع حلي بفتح الحاء وتسكين اللام وهي الحلية وهي ما يتخذ من الذهب والفضة للتزين به والحلي بضم الحاء وكسر اللام والتشديد الياء جمعه

وتقديره الفعول الواو وضميرتيا لأنها لا تسلم معها وكسرت اللام لأن الياء أخت الكسرة وقد يقال حلي بكسر الحاء اتباعا لكسرة اللام ومن حليهم إضافة إلى قوم موسى • وفي آية أخرى قال حملنا أوزارا من زينة القوم فأضافها إلى قوم فرعون في آية بحكم الملك وأضافها إلى قوم موسى في آية بحكم العارية • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله فدل أن العارية يجوز أن تنسب إلى المستعير وفيه دلالة على أن من حلف لا يدخل دار فلان فدخل دارا له عارية حنث وقوله تعالى عجلا جسدا أي بدل عنه وترجمة له ومعناه جسما • وقال الكلبي جسدا الجسد البشر فيه روح وله لحم ودم وشعر • وقوله تعالى له خوار أي صوت وهو صوت البقر على الخصوص • وقيل إن السامري احتال بأن جوفه وقابل به الريح حتى جاء من ذلك ما يشبه الخوار فقط وظنهم أنه صار كذلك • وقيل بل صار عجلا له خوار حقيقة • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت فتنتهم في العشر التي زادها الله فلما مضت ثلاثون ليلة وكان السامري أخذ قبضة من أثر فرس جبريل عليه السلام في البحر فقال حين مضى ثلاثون ليلة يا بني إسرائيل إن معكم من حلي آل فرعون وهو حرام عليكم فهاتوا ما عندكم نحرقها فأتوه بها فصار عجلا جسدا له خوار فقذفها ثم ألقى الحلي في النار فلما ذاب ألقى القبضة من التراب فيها فصار عجلا جسدا له خوار فخار خورة واحدة فقال السامري إن موسى ذهب يطلب ربكم فهذا إله موسى وإلهكم فنسي أي أخطأ موسى الطريق وههنا الإله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فنسي أي ترك السامري ما كان عليه من الإسلام قال ولم يكن هو من بني إسرائيل في النسبة إنما كان وقع بمصر فدخل في بني إسرائيل وأظهر الإسلام وفي نفسه حب عبادة البقر واسمه موسى بن ظفر • وقال السدي جعل العجل يمشي كما يمشي العجل قال واسم السامري ميخا • وقال وهب لم يكن له حركة ولا خطوة إلا أن الخوار كان يسمع منه • وقال أبو هريرة رضي الله عنه لما قال الله تعالى لموسى إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري قال يا رب هذا العجل اتخذه السامري فمن كان صوته قال مني قال يا رب أنت فتنت قومي فقال إنما فعلت ذلك لأنك سلمتهم إلى هرون فقلت اخلفني في قومي وقد بينا بعض هذه القصة في سورة البقرة ونذكر تمامها في سورة طه • وقوله تعالى ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وهذا تعجيب من الله تعالى عباده من سفههم يقول من لا يكون له كلام يخاطب به ولا منه هداية يرشد بها كيف يكون إلها ثم ليس فيه أنه لو كلمهم أو هداهم يجوز أن يعبد قال ذلك الإمام أبو منصور • قال وقال في سورة طه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ليس فيه أنه لو ضرهم أو نفعهم جاز أن يعبد ليعلم أن ذكر حكم الخطر في حال لا يوجب إباحة ذلك في حالة أخرى وهو معنى قول مشايخنا تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه • وقوله تعالى اتخذوه وكانوا ظالمين أي اتخذوه معبودا وكانوا ظالمين أنفسهم وضارين لها بذلك وواضعين العبادة في غير موضعها والظلم يفسر بذلك • وقوله تعالى ولما سقط في أيديهم أي ندموا وأصله أن من ندم وضع ذقنه في يده فالذقن ساقط واليد مسقوط فيها وليس ذلك لتعدي الفعل لكن طريقه طريق قولك جلس زيد على البساط فيجوز أن يقال سقط في اليد • وقوله تعالى ورأوا أنهم قد ضلوا أي علموا وهو من رؤية القلب • وقوله تعالى قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا قرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب فيهما ونصب الباء من ربنا على النداء أي تابوا ودعوا ربهم فقالوا يا ربنا إن لم ترحمنا وتغفر لنا • وقرأ الباقون بياء المغايبة فيهما ورفع الباء من ربنا على أنه فاعل بفعله وهو يرحمنا ويعطف عليه ويغفر لنا • وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين أي الهالكين المغبونين في الدنيا والآخرة • وقال القشيري رحمه الله قوله لا يكلمهم فيه إشارة إلى مخاطبته سبحانه وتعالى عبيده وأن ملوك الخلق إذا جلت رتبتهم انقوا عن مخاطبة خدمهم بلسانهم قال قائلهم شعر

وما عجب تناسي ذكر عبد • على المولى إذا كثر العبيد •

والله تعالى بخلاف هذا أجرى سنته مع عباده الأولياء والأعداء فأما الأعداء فإنه يقول لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون وأما الأولياء فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان • وأنشدوا شعر

وما يزدهينا الكبرياء عليهم • إذا كلمونا أو تكلمهم نزرا •

وقوله تعالى ولما رجع موسى أي من الطور إلى بني إسرائيل الذين استخلف عليهم هرون وقد أخبره الله تعالى بما كان من قومه من عبادة العجل بقوله فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري رجع غضبان من ذلك أسفا متأسفا على ما كان منهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما حزينا • وقال أبو الدرداء شديد الغضب • وقوله تعالى قال بئسما خلفتموني من بعدي هي كلمة ذم أي بئس ما عملتم خلفي بعد غيبتي يقال خلفه في أهله بخير وسوء وكذا قال هرون اخلفني فههنا قال خلفتموني لأنه كان يجب على كل واحد منهم أن يحوط صاحبه ويحميه عن الضلال • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله رجع غضبان لله على قومه لعبادتهم العجل أسفا أي حزينا على قومه بما يلحقهم من العقوبة بذلك وكذا ينبغي لكل مؤمن أن يغضب لله إذا رأى ارتكاب منكر ويتأسف على ما ينال العصاة • وقد قال الله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين • وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فدل على حزنه وتأسفه

على ذلك وقال في قوله بئسما خلفتموني من بعدي له وجهان بئسما اخترتم من عبادتكم العجل على عبادة الله والثاني بئسما اخترتم اتباع السامري الى ما دعاكم اليه بعد ما اتاكم اياي واخي رسول الله هارون وامرنا اياكم بعبادة الله وقوله تعالى اعجلتم امر ربكم قيل استبقتم امر ربكم اي عبدتم العجل قبل ان ياتي به امر من الله اي لو كان هذا مما يجوز ان يفعل تقربا الى الله لامر الله به فلم فعلتموه قبل ان ياتي به امره • وقيل اي اعجلتم وعد ربكم فنقدنا في سورة طه الم يعدكم ربكم وعدا حسنا • قال الحسن كان موسى واعدهم ثلاثين ليلة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع قدروا انه قد مات وقيل كان واعدهم اربعين ليلة ولكن عدوا عشرين يوما وعشرين ليلة وقالوا ذلك • وقيل اعجلتم امر ربكم اي وعد ربكم بالثواب على عبادته حتى عدلتم الى عبادة غيره • وقوله تعالى والقى الالواح جاء عن قوم من المفسرين طرحها على الارض غضبا فرضخ منها كذا وبقي كذا • قال ابن عباس كسر منها لوحان فتطاير في السما بما فيهما من النور والبيان • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لكن لا يجوز ان يفهم من قوله والقى الالواح طرحها الا غير الا ترى انه قال والقى في الارض رواسي ليس يفهم منه الطرح وكذا قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ولا يظن بموسى عليه السلام ذلك لانه يشبه الاستخفاف لكن يفهم منه الوضع لانه قصد اخذ راس اخيه فكان لا يمكنه اخذه مع ان ه الالواح في يده فوضعها ثم اخذ ذلك • وقوله تعالى واخذ براس اخيه يجره اليه قيل فعل ذلك ليناجيه وليساله عن السبب الذي وقعوا في ذلك لاجله وعن الذي منعه من زجرهم وقتالهم عليه فتصور عنده هارون انه لغضبه وسياخذه عليه ياخذ لحيته وراسه يعاقبه به فلذلك قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فيتوهم القوم انك عاقبتني من غير ذنب كان لي واسمع عذري • وقيل انما فعل ذلك لا تغضبا عليه متعنتا بل كما يفعله المتوجع للمصيبة بالحادث على قومه كما هو عادة اهل المصيبة فان كثيرا من الناس يتعلق الواحد منهم عند المصيبة برقبة من يحل منه محل المصاب ويجعل الاخر يده في رقبته ايضا • قال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر في هذه السورة واخذ براس اخيه وفي سورة طه دليل على انه اخذ براسه ولحيته جميعا لشدة غضبه لله تعالى على صنيع قومه قال وفيه دليل انه اخذ شعر راسه لانه قال يجره اليه ولو اخذ غير راسه لم يحتج الى جره وذلك دل على ان من مسح راسه فوق الشعر ثم زال الشعر لم يسقط عنه حكم المسح كما قال اصحابنا واذا مسح على لحيته ثم زالت لحيته زال الحكم ووجب غسل ذقنه لانه سمي الشعر راسا وسمي اللحية لحية فسقوطها يسقط حكم المسح وسقوط شعر الراس لا يسقط ودلت الاية على ان الانبيا كانوا يعملون بالاجتهاد كما كانوا يعملون بالوحي فان موسى اخذ براس اخيه بالاجتهاد انكارا على هرون ترك التكبير على قومه ولو كان بالوحي لم يقل له هارون لا تاخذ بلحيتي وهارون اخيه ايضا عمل مع قومه بعد عبادتهم العجل بالاجتهاد لا بالوحي ولهذا اعتذر عنه وقال خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولو فعل شيئا بالامر لم يعتذر منه الى موسى • وقوله تعالى قال ابن ام قرا حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بكسر الميم واصلها يا ابن امي وحذفت اليا تخفيفا لكثرة الاستعمال في النداء كما في قوله يا قوم • وقرا الباقون ابن ام بالفتح • وقيل كثر استعمال هاتين الكلمتين فصارتا كاسمين جعلا اسما واحدا فبنيا على الفتحة كما في حضرموت وبعلبك وخمسة عشر • وقيل اصله يا ابن اماه على الندبة وسقطت الهاء والالف تخفيفا وهذا قول هارون لموسى ومعناه يا اخي وكان اخاه لابيه وامه وانما خص الام استعطافا لان ذكر الام يوجب ذلك • وقوله تعالى ان القوم استضعفوني اي لم يهابوني ولم يخشوني • وقوله تعالى وكادوا يقتلونني لكثرتهم وغلبتهم • وقوله تعالى فلا تشمت بي الاعدا اي لا تسر المخالفين بما يسوءني اذ لا شك انهم كفروا بعبادة العجل والكافر يفرح بمساة المومنين خصوصا بوقوع التشاجر بين اخوين رسولين لما في التباين من وقوع الوهن في الامر • وقوله تعالى ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي في عداد هولا القوم الذين ظلموا انفسهم بعبادة العجل ووضع العبادة في غير موضعها فاكون مثلهم في موجدتك وغضبك علينا • وقوله تعالى قال رب اغفر لي ولاخي ولما سمع موسى عذر هارون عليهما السلام عرف انه لم يكن منه تقصير فكف غضبه ودعا لنفسه ولم قال رب اغفر لي بما فعلته باخي مما اوهم ظاهره كثيرا من الناس انه كان موجدة مني عليه وعقوبة له ولاخي لا شي تقصيره انه كان منه شي من ذلك وان كان قد بذل الجهد في الوعظ والارشاد للقوم وكذا ينبغي للكامل المومن ان يستغفر لنفسه فيما يجب لله عليه فاولى الناس بهذه الحالة الانبيا عليهم السلام • وقوله تعالى وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ترحمني بيسير الشكر من عظيم النعم ويقبل العذر الواحد في حق ذنوب كثيرة • قال الكلبي رحمه الله لما رجع موسى الى قومه وراهم حول العجل يرقصون ويعبدونه قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام وكان اخاه من ابيه وامه لكنه قال ذلك ليرققه عليه ان القوم استضعفوني فقهروني وهموا بقتلي فلا تشمت بي الاعدا بعبادة العجل ولا تجعلني مع القوم الظالمين الذين عبدوا العجل قال موسى يا رب اغفر لي ما صنعت باخي وادخلنا في رحمتك اي نعمتك • وقوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل

اي معبودا سينالهم غضب من ربهم اي ارادة عقوبة لا عفو معها قيل قال الله تعالى لموسى قبل ان يتوب القوم توبتهم انفسهم • وقوله تعالى وذلة في الحياة الدنيا اي قتلهم انفسهم بايديهم فانه هوان وقبلت به توبتهم وقيل هذا في حق الذين لم يقبلوا قتل انفسهم بايديهم فلم يتوبوا واشربوا في قلوبهم حب العجل فالغضب وهو الانتقام في الاخرة لهم وذلة في الحياة الدنيا اخذ الجزية قاله الحسن ويدل عليه ما بعده وهو قوله والذين عملوا السيات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم • وقال مكحول قال موسى ان الذين اتخذوا العجل الاية فقال الله تعالى لصدق عبدي موسى • وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين اي الكاذبين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الاية في اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذين تولوا اباهم الذين فعلوا هذا لهم عذاب النار في العقبى واخذ الجزية في الدنيا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل قوله وذلة في الحياة الدنيا ذمهم بصنيعهم وثنا الشر عليهم والمفترون الكاذبون وقد كذبوا في تسميتهم العجل الها ومعبودا • وقال القشيري رحمه الله قوله سينالهم هذه السين للاستقبال ومن لا يضره عصيان العاصين لا يبالي بتاخير العقوبة عن الحال ولكنه يكون للامهال لا للاهمال ولا ينبغي لمن الم بذنب ثم لم يواخذ به ان يغتر بالامهال • وقوله تعالى والذين عملوا السيات يعني قوله عبادة العجل وغير ذلك • وقوله تعالى ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها اي بعد التوبة لغفور رحيم • وقال القشيري رحمه الله ذكر الايمان بعد التوبة والايمان الذي هو بعدها يحتمل انهم امنوا فانه يقبل التوبة او امنوا بان الحق لا يضره عصيان او امنوا بانهم لا ينجون بتوبتهم بدون فضل الله وامنوا اي عدوا ما سبق منهم من نقض العهد وتضييع الامر لسقطوا عن عين الله لولا فضله فامنوا من الراس واستداموا الايمان وامنوا بانهم لو عادوا الى ترك العهد وتضييع الامر لسقطوا من عين الله اذ ليس كل مرة تسلم الجرة • وقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب اي سكن ولما كان الغضب بفورته داعيا على ما في النفس للمغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به • وقال عكرمة اي سكت موسى عن الغضب على القلب • وقوله تعالى اخذ الالواح وقد كان وضعها ليتفرغ لما قصده لا لرغبة عنها فلما فرغ عاد اليها فاخذها • وقوله تعالى وفي نسختها هدى ورحمة اي وفيما نسخ فيها من اللوح المحفوظ والنسخ النقل ومنه نسخ الحكم ونسخ الشمس الظل فيقتضي نقل مكتوب من اصل اخر وقد يطلق على الكتابة وان لم يكن من اصل اخر قال تعالى انا كنا نستنسخ فعلى هذا يكون معناه وفيما كتب فيها هدى ورحمة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما انكسر منها اعيد له في لوح اخر • وعن عمرو بن دينار قال صام موسى اربعين يوما فاعطي الالواح فلما القاها وتكسر صام مثلها فاعيدت له مثلها وقد بينا ما في اصل هذا الكلام من الخلل • وقوله تعالى للذين هم لربهم يرهبون اي يخشون الله فياخذون بهداه ويقبلون ما فيه لينالوا رحمته وانما قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون ربهم لان المفعول اذا تقدم ضعف عمل الفعل فيه فصار كالذي يتعدى في دخول اللام عليه وهو كقوله ان كنتم للرويا تعبرون • وقيل هو في معنى من اجل ويجوز فيه اللام تقدم او تاخر كما قال ردف لكم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفي نسختها اي وفيما انتسخ بنو اسرائيل من الالواح هدى من كل ضلالة وبيان من كل عمى وشبهة ورحمة من كل غضب ولعنة للذين يخشون ربهم فيعملون به • وقال القشيري رحمه الله لما سكت عن موسى الغضب يشير الى حسن امهال الله العبد اذا تغير عن حاله وغلب عليه ما لا يطيق واذا كان الانبيا صلوات الله عليهم يغلبهم ما يصرفهم عن الاختيار فكيف الظن بمن دونهم • وقوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا اي من قومه ونزع الخافض جايز واذا نزع نصب الاسم قال الشاعر • ومنا الذي اختار الرجال سماحة • وجودا اذا هب الرياح الزعازع • اي من الرجال • وقيل قومه نصب بوقوع واختار عليه ثم قوله سبعين بدل عنه وهو بدل البعض عن الكل كما في قولك ضربت زيدا راسه • وقال الكلبي رحمه الله اختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا الى الجبل معه فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختار فاصبحوا شيوخا فاختار من كل سبط ستة رهط فصاروا اثنين وسبعين فقال لهم موسى انما امرت بسبعين رجلا فيتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد رجلان احدهما كالوب بن يوقنا والاخر يوشع ابن نون وخرج موسى بالسبعين معه الى الجبل وامرهم ان ينتظروا في اسفل الجبل وصعد موسى الجبل وذكرهم ما كان الى ان رجع موسى الى قومه غضبان اسفا استاع السبعين فلما راى السبعون ان بني اسرائيل اتخذوا العجل اتوا موسى فقالوا ان لنا عليك حقا فارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فاحترقوا من عند اخرهم فظن موسى انهم احترقوا بخطيئة اصحاب العجل فقال يا رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما بخلافه قال ان الله تعالى امره ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكانوا فيما دعوا الله تعالى ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا

من قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله تعالى ذلك من دعائهم فاخذتهم الصاعقة فقال موسى يا رب لو شئت اهلكتهم
الاية • وقيل في قوله لميقاتنا في هذه الاية ان الله تعالى وقت لموسى وقتا ياتيه فيه بسبعين رجلا من خيار بني اسرائيل
ليعتذروا مما كان من القوم لعبادة العجل وهذا غير الميقات المذكور في قوله ولما جاء موسى لميقاتنا فلما خرج
موسى معهم وكانوا في اسفل الجبل كان ما ذكر في هذه الاية وهو • وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة اي زلزلة الجبل
وقيل زلزلة ابدانهم فماتوا ثم ليس في هذه الاية بيان سببها واختلف فيه فقيل هو بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي نار محرقة فيها صوت فرجفوا بصوتها فالصاعقة والرجفة واحدة
وانما احرقوا لكفرهم بقولهم لن نؤمن لك لا بسؤال الرؤية او بسؤال الرؤية جهرا اي مقابلة وهي تشبيه
وهو كفر فاما اصل الرؤية فهو ثابت وليس فيه مقابلة • وقيل اخذتهم الرجفة بسؤالهم ما لم يؤذن لهم
فيه وهو ما روينا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا
وقيل بل ادعوا على الله على موسى انه قتل هرون • وقيل بل كانوا ممن عبدة العجل وموسى لم يعلم بذلك • وقيل
لم يكونوا عبدوا العجل ولكنهم لم يفارقوهم ولم ينكروا عليهم • وفي حديث وهب خلاف هذا كله وان اخذ
الرجفة لم يكن عقوبة بل محنة وهم خيار ليسوا جناة • قال وهب ان بني اسرائيل قالوا لموسى ان طائفة يزعمون
ان الله تعالى لا يكلمك ولو كلمك ما قمت لكلامه الم تر ان طائفة منا سالوا النظر اليه فلما سمعوا حس جنوده
ماتوا فلذلك قالوا لا نخرج طائفة منا حتى يكلمك فيسمعوا كلامه فيؤمنوا وتذهب التهمة فاوحى الله تعالى
الى موسى ان اختر من خيارهم سبعين ثم ارتق بهم الى الجبل انت وهرون واستخلف على بني اسرائيل يوشع
فاستخلف عليهم كما امر الله تعالى ثم انطلق بهم الى راس الجبل فنزل الغمام فالبس الجبل كله فلما راوا ما فيه
من الهيبة اخذتهم الرجفة وتقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما راى ذلك
موسى رحمهم وهم يومئذ احياء فدعا الله لهم وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وخاف عليهم الموت
واشتد عليهم مكثه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك قال اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام الله موسى وكانوا عليه
شهداء فانصرفوا وهؤلاء السبعون غير السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اولئك احرقتهم
الصاعقة ثم بعثوا وهؤلاء اخذتهم الرعدة ثم كشفت عنهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يدرى
من اولئك السبعون • وقوله تعالى قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال المقاتل وبقي موسى
يبكي ويقول يا رب ما اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم واياي معهم
من قبل ان يصحبوني • وقيل وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما اهلكتهم من قبل بما كان منهم واياي بقتل
القبطي • وقوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما اي اتهلكنا
عقوبة بما فعل السفهاء منا اي الجهال وهم اصحاب العجل ظن موسى انهم انما عذبوا باتخاذ بني اسرائيل
العجل وانما قال اتهلكنا على معنى ان اهلاك هؤلاء اهلاك لي ولبني اسرائيل لانهم خيارنا • وقيل لا يجوز ان
يظن موسى ان هؤلاء اهلكوا بفعل غيرهم لانه علم ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره وقد بين ذلك في كتابه ام لم
ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وليس معنى قوله اتهلكنا ان
هذا استفهام بمعنى النفي كما في قوله الهم ارجل يمشون بها اي انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء وقد ذكر
قبله لو شئت اهلكتهم من قبل واياي ومع ذلك لم تفعل وذلك فضل منك ثم قال اتهلكنا اي لا تهلكنا
بفعل السفهاء وهذا عدل منك • وقوله تعالى ان هي الا فتنتك اي ما هي الا فتنتك • قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي بليتك • وقال الكلبي عذابك • وقال الربيع بن انس ومقاتل بلاؤك وهو كقول
ابن عباس • وقيل هو راجع الى قول الله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هل
تلك الفتنة التي اخبرتني بها وهي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء • وقال تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة • وقوله تعالى تضل بها من تشاء اي من قال اخترهم ثم اهلكتهم • وقوله تعالى وتهدي
من تشاء اي من قال ان الله لا يعذب احدا من غير ذنب • وقيل تضل من تشاء بالفتنة من علمت منهم
اختيار الضلالة • وقوله وتهدي من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى • وقوله تعالى انت ولينا
اي متولي مصالح ديننا ودنيانا • وقوله تعالى فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين تمهل ولا
تعاجل وتغفر الذنب الكثير بالعذر اليسير ثم تجود بالعطاء الجزيل الكثير • قال القشيري رحمه
الله هم قوم اختارهم موسى ونحن قوم اختارنا الله تعالى قال وربك يخلق ما يشاء ويختار وشتان
بين قوم وقوم اولئك قوم قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة ونحن يقول الله تعالى لنا وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة • وقوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي اثبت لنا نعمة
وذكر الكتابة لانها ادوم • وقيل اي وفقنا في الدنيا للحسنات التي تكتبها لنا الحفظة • وقوله تعالى

وفي الآخرة اي فيها حسنة ايضا كما قال ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة • وقوله تعالى
انا هدنا اليك قال ابن عباس رضي الله عنهما اي انبنا اليك واصله الرجوع • وقيل اي ملنا اليك وليست
اليهودية مشتقة منه فانها اسم ذم والهود صفة مدح وقد قال تعالى ما كان ابرهيم يهوديا الاية فنفى الاسم عنه
لكنها مشتقة من يهوذا نسبوا اليه وغيرته العرب الذال في النسبة دالا • وقوله تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء
جواب قول موسى لو شئت اهلكتهم من قبل ومعناه اصيب بالعذاب من اشاء ان اصيبه به وهو الذي اشاء منه
الكفر والمعصية وهو الذي اعلم انه اختار ذلك • وقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء قال الامام ابو منصور رحمه
الله ما من مسلم والكافر الا وعليه من اثار رحمته في الدنيا وبها يتعيشون وبها يتوادون وبها يتقلبون لكنها
للمؤمنين خاصة في الآخرة • وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون اي ساجعلها في الآخرة للذين يتقون الشرك
والمعاصي ويحتمل ان يكون هذا جواب قولهم واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة سالوا الجنة اي الرحمة
تعالى هي للذين يتقون • وقال القشيري رحمه الله خص بالعذاب من يشاء وعم بالرحمة كل شيء وفيه مجال الامال
للعصاة لانهم ان لم يكونوا من المطيعين والعابدين والعارفين فهم شيء • وقوله تعالى ويؤتون الزكاة يحتمل
الزكاة المعروفة ويحتمل تزكية النفوس • قال الله تعالى قد افلح من زكاها اي طهرها بالتوحيد والطاعة • وقوله
تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون اي بما انزلناه على الانبياء قبلك وعليك وعلى الانبياء بعدك • وقال
القشيري الايات ما يكاشفهم بها في الاسرار مما يقفون عليها بوجوه الاستدلال وما يلاطفهم بها في الاسرار
مما يجدونها في انفسهم من فنون الاحوال • وقوله تعالى الذين يتبعون الرسول وخص من بينهم بتتابع رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم وهو بشارة له بمجيئه • وقوله تعالى النبي الامي يعني محمدا من النبوة وهي الرفعة وبالهمز
من النبا وهو الخبر ومعناه المخبر عن الله والامي فيه اقاويل قيل هو العربي لان الاميين هم العرب • وقيل لانه
كان لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب • قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك • وقال النبي
صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وكانه نسب الى الام لان النساء لا يكتبن او لان الولد يولد
من امه غير كاتب ولا قارئ ولا حاسب الى ان يتعلم • وقيل هو منسوب الى الامة اي هو لا من الامة والهاء تسقط
في النسبة كما في المكي والمدني • وقيل لانه كان من ام القرى • وقال القشيري رحمه الله اظهر الله انه لم يكن
شيء من فضائله وكمال علمه من قبل نفسه وتعلمه وتكلفه واجتهاده وتصرفه بل من الله تعالى فانه كان اميا
لا يقرأ ولا يكتب • وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل قد روينا في قوله قال يا موسى
اني اصطفيتك حديث ذكر رسولنا وامته وكذلك في الانجيل • وقال الكلبي لما نزل قوله ورحمتي وسعت كل شيء
فساكتبها للذين يتقون قال اهل الكتاب نحن المتقون واهل الكتاب الاول والعلم القديم فلما نزل ويؤتون
الزكاة قالوا نحن نؤتي الزكاة فلما نزل والذين هم باياتنا يؤمنون قالوا نحن امنا بموسى والتسع الايات فاكذبهم
الله تعالى واخرجهم منها بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يعني محمدا • وقوله تعالى يجدونه مكتوبا
عندهم باسمه وصفته خاتم الانبياء • وقوله تعالى يامرهم بالمعروف بالتوحيد وشرائع الاسلام • وقوله تعالى
وينهاهم عن المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله كان مكتوبا عندهم انه يامرهم
امر الله وينهى عما نهى الله • ويحتمل يامرهم بما هو معروف في العقل وشهادة الخلق وهو التوحيد وينهاهم عما هو منكر في العقل
وشهادة الخلقة وهو الكفر والمعاصي • وقال القشيري رحمه الله المعروف هو القيام بحق الله تعالى والمنكر
هو البقاء بوصف الحظوظ واحكام الهوى والتعريج في اوطان المنى وما يظهره العبد من تزويرات الدعوى • وقوله
تعالى ويحل لهم الطيبات قال ابان بن رباب هي ما احل الله من اللحوم والشحوم وكل ذي ظفر • وقوله تعالى ويحرم
عليهم الخبائث الميتة والدم ولحم الخنزير ونحو ذلك • وقوله تعالى ويضع عنهم اصرهم قرأ ابن عامر اصارهم
على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد لانه جنس فيصلح للجمع والاصر الثقل وهو العهد ايضا • وقيل ما وضع عليهم
من الامور الشديدة • وقيل هو ما جعلوه على انفسهم • قال تعالى ورهبانية ابتدعوها • وقوله تعالى والاغلال
التي كانت عليهم قال الحسن رحمه الله قالت اليهود يد الله مغلولة اي محبوسة عن عقوبتنا فقال الله تعالى
غلت ايديهم الى اعناقهم في النار فاخبر ان امة محمد لما امنوا به وصدقوه رفع تلك الاغلال عنهم • وقيل هو
الشرائع الشاقة والاحكام الغليظة كانت كالاغلال في اعناقهم تمنعهم من تخطيها • وقال سعيد بن جبير وتبع
منهم امرهم ما غلظوا على انفسهم من قطع اثر البول وتتبع العروق في اللحم وقالوا من الاصر والاغلال تحريم السبت
وتحريم الصلاة في غير المساجد وتحتم القصاص في القتل العمد من غير عفو ولا دية وقطع موضع النجاسة وفرض
صلاة الليل والزكاة ربع النصاب ووجوب قطع الذكر في الزنا وفقء العين في النظر الى الاجنبية وظهور
الذنوب في الرسم على ابواب البيوت • وقال عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لله لبسوا المسوح وغلوا ايديهم
الى اعناقهم تواضعا لله وخوفا من عذابه وطمعا في ثوابه فرفعها الله تعالى عن هذه الامة • وقوله تعالى
فالذين امنوا به وعزروه قيل عظموه • وقيل اعانوه • وقيل حموه • وقيل مدحوه واثنوا عليه • وقوله تعالى

ونصروه على عدوه • وقيل نصروا دينه • وقوله تعالى واتبعوا النور الذي انزل معه اي القرآن فعملوا به ولم يخالفوه • وقوله تعالى اولئك هم المفلحون اي الفائزون بكل خير والناجون من كل شر • وقال ابن جريج وروح بن عبادة لما نزل قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا شيء فنزل قوله فسأكتبها للذين يتقون الاية فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي الله ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات الله فنزل الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي الاية فخرج ابليس واليهود والنصارى منها وجعلها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم • وقال القشيري رحمه الله الذين يتبعون الرسول اي يروا استحقاق الرحمة باتباعهم • وقال في قوله ويضع عنهم اصرهم اي اثقالهم ولا شيء اثقل من كد التدبير فمن نقل من كد التدبير الى روح شهود التقدير فقد وضع عنه كل امر كبير • وقال في قوله وعزروه ونصروه احترموه بنصرة الرسول والانقياد للنبي كان له سنة حسنة ومن كان استقلاله بالحق لم يقف انتعاشه على نصرة الخلق • وقال عطية العوفي ورحمتي وسعت كل شيء ولكن لا تجب الا للذين يتقون الذين هم موصوفون بما في هذه الاية وذلك ان الكافر يرزق ويدفع بالمؤمن لسعة رحمة الله فيعيش فيها فاذا صار الى الاخرة وجبت للمؤمن خاصة كالمستضيء بسراج غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه • وقوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اي قل يا محمد يا ايها الناس من العرب واهل الكتابين وغيرهم اني رسول الله اليكم جميعا وقد قال ذلك للناس كلهم بعضهم مشافهة وبعضهم برسله وبعضهم بكتبه وبعضهم بنشر الدعوة حتى بلغ ذلك بعضهم بعضا لبلوغ الدعوة وهذا لان الخطاب من الغائب كالخطاب من الحاضر وان لسان الرسول كلسان المرسل وان ظهور الدعوة وكان كل نبي يبعث الى قومه ورسولنا الى الناس كافة بل الى الانس والجن • وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض صفة قوله الله في قوله رسول الله • وقوله تعالى لا اله الا هو يحيي ويميت كذلك • وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وذكر ايمانه بالله وامره بان يأمر الخلق بالايمان بالله وبه وكلماته قيل القرآن وقيل الامر والنهي والوعد والوعيد والاحكام لانها بالكلمات • وقيل الكتب المنزلة على سائر الانبياء قبله وهو صفة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يؤمن بذلك كله ومن قرأ وكلمته فهو عيسى عليه السلام اي يصدق هو بعيسى عليه السلام ايضا • وقال القشيري رحمه الله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا مصرح بما رفعناك اليه من المقام وافصح عما خصصناك به من الاكرام • وقل اني اليكم اجمعين مرسل • وعلى كافتكم مفضل ودين لم نخط ذلك واعتبر مفصل • والاله الذي له ملك السموات والارض لا شريك له ينازعه • ولا شبيه يضارعه • له حق التصرف في ملكه • بما يريده من حكم • ومن جملة ما حكم وقضى • ونعت به التقدير وامضى ارسالي اليكم لتطيعوه فيما يأمركم وتحذروا ارتكاب ما يزجركم وانما امركم به انه قال لكم آمنوا بالنبي الامي لتتخلصوا في الدنيا والعقبى وتستوجبوا الزلفى والحسنى وتتخلصوا من البلوى والسوأى • وقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وصف متبعيه في الاية الاولى ووعدهم بالفلاح وامرهم باتباعه في هذه الاية ليهتدوا ثم ذكر جماعة مهتدين من امة موسى وهو قوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي يدعون الناس الى الحق • وقوله تعالى وبه يعدلون وهم يعملون بالحق والعدل ايضا اي وامة منهم على خلاف ذلك وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في اجابة البعض دون البعض اي قوم موسى كانوا كذلك واختلف في هؤلاء من هم فقيل هم الذين كانوا متبعين لموسى عليه السلام في زمانه • وقيل هم قوم منهم كانوا على الحق في عصر محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل هم قوم باقون على الحق الى يوم القيامة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي والسدي هم خلف الصين • وروى وهب عن كعب انهم كانوا قوما كان عندهم اسم الله الاكبر فدعوا الله به فاستجاب لهم وساروا نحو المشرق واعتزلوا بني اسرائيل فجعل الله لهم سربا في الارض وجعل امامهم المصابيح تضيء لهم بالنهار فاذا امسوا نزلوا واظلم عليهم السرب فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح ومعهم نهر من ماء يجري واجرى الله عليهم رزقهم فساروا سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض طاهرة طيبة فنزلوها وهم مختلطين بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضا من اجل انه ليست لهم ذنوب ولا خطايا لا يرجمهم ولا يسبعهم سبعهم وهم متمسكون بالاسلام لا يعصون الله طرفة عين تصافحهم الملائكة • وكذا قال الربيع بن انس والضحاك وقال لما اظهر الحاسدون التباغي في بني اسرائيل بعث الله اليهم جبريل عليه السلام فادخلهم في نفق من الارض لا يوصل اليهم وجعل لهم فيه قناديل وجعل معهم نهرا فساروا من بيت المقدس الى مكانهم الذي هم فيه اليوم سنة ونصف سنة الفرسخ فهو في منقطع من الارض لا يوصل اليهم كانهم بنو اب واحد وليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون • وقال الربيع وقد قال من بعدهم لبني اسرائيل اسكنوا الارض يعني تلك الارض فاذا جاء وعد الاخرة اي وعد الثانية وهو عيسى بن مريم عليه السلام جئنا بكم لفيفا اي القوم عيسى ومحمد مما يحشرون جميعا في امة محمد • وفي تفسير مقاتل بن سليمان وهو لي باسناد يرويه عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ليلة المعراج اني احب ان ارى القوم الذين اثنى الله عليهم فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون

فقال

ان بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذاهبا وست سنين راجعا وبينك وبينهم نهر من رمل يجري كجري السهم لا يقف الا يوم السبت ولكن سل ربك فدعا الله النبي صلى الله عليه وسلم وامن جبريل عليه السلام فاوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام ان اجبه الى ما سأل فركب البراق فخطا خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وسألوه من انت قال انا النبي الامي قالوا انت الذي بشر بك موسى فمن هذا معك قال او ترونه قالوا نعم قال هو جبريل فاذا قبورهم على ابواب دورهم فقلت لهم ولم ذلك قالوا ذاك لنا حذرا ان نذكر الموت صباحا ومساء فقال اني ارى بنيانكم مستوية قالوا لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد احد على احد الريح والهواء قال فما لي لا ارى لكم قاضيا ولا سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق من انفسنا فلم نحتج الى قاض ينصف بيننا قال فما لي ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فياخذ كل رجل منا ما يكفيه ويدع الباقي لاخيه قال فما لي ارى هؤلاء القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت يضحكون سرورا بما قبض عليه من التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا قد ولد لهم مولود لا يدرون على اي دين يقبض قال فاذا ولد لكم ذكر فماذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم لله شكرا شهرين قال ولم قالوا لان موسى اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر على الذكر قال افتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد لو فعل ذلك احد لحصبته السماء من فوقه وخسفت به الارض من تحته قال افتربون قالوا انما يربي من لا يؤمن برزق الله قال افتمرضون قالوا لا نمرض ولا نذنب انما يذنب امتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال افلكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شريعته والحج قالوا وكيف لنا بالحج وبيننا وبينه مسافة بعيدة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وامن جبريل عليه السلام • قال ابن عباس رضي الله عنهما فطويت لهم الارض طيا حتى حج بهم مع الناس فاذا انقضى حجهم طويت لهم الارض فرجعوا الى بلادهم فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بحضرة من قومه وفيهم ابو بكر رضي الله عنه فقال ابو بكر فان قوم موسى بالخير فعلم الله ما في قلوبهم فانزل الله تعالى ومن خلقنا امة اي من هذه الامة امة يهدون بالحق وبه يعدلون فصام ابو بكر شكرا لله تعالى واعتق عبدا اذ لم يفضل الله امة موسى على امة محمد صلى الله عليه وسلم • وذكر الكلبي والضحاك ووهب وكعب ومقاتل وغيرهم مرور النبي صلى الله عليه وسلم بهم ليلة المعراج وتعليمه اياهم الصلوات الخمس والفاتحة وسورا من القرآن • وفي حديث الضحاك انهم كانوا يسبتون فامرهم ان يتركوه ويجمعوا • وقوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما تصرف الكناية الى قوله ومن قوم موسى امة اي فرقناهم اثنتي عشرة والتاء للتانيث لانها في عشرة واسباطا ليس بتفسير العدد فانه كذلك وفيه لغتان تسكين الشين وكسرها والتانيث من احدى عشرة الى تسع عشرة واسباطا ليس بتفسير العدد فانه يؤكد ولا يجمع لكن تقديره وقطعناهم اسباطا امما اثنتي عشرة قطعة وقطعة مضمرة وتانيث العدد لذلك ويدل عليه وقطعناهم ومعناه وفرقناهم اثنتي عشرة فرقة والاسباط جمع سبط وهم اولاد يعقوب وقد شرحناه في سورة البقرة والامم جمع امة اي جماعات وهو بدل عن قوله اسباطا وترجمة له والاية في بيان انعامه على بني اسرائيل يقول لما اخرجناهم من ارض مصر وادخلناهم البرية جعلناهم اثنتي عشرة فرقة متباينة لئلا يكون امر كل سبط مشتبها من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى فيما يحتاج اليه من تعرف احوالهم ويسهل عليه جمعهم اذا اراد جمعهم ويلي كل فريق من جمعهم في امورهم • وقوله تعالى واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا وكان ذلك في التيه والانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان اول ذلك بقلة ثم يكثر بالاتساع • وقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم فسرنا هذه الكلمات وبينا هذه القصة في قوله واذ استسقى موسى لقومه • وقوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي وقلنا لهم كلوا من طيبات مر كل ذلك في سورة البقرة • وقوله تعالى واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية اي قال لهم موسى بامرنا وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين مر ذلك في سورة البقرة • وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مر ايضا • وقوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اي سل اليهود يا محمد عن القرية التي كانت قريبة من البحر وعلى شاطئه وهي ايلة • وقيل مدين وكلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل طبرية • وقال محمد بن اسحاق هي مقنا بين مدين وعينونا ومعنى سلهم انه قد علم الحكم هذا فانهم يصدقونك • وقيل ليس هذا بامر السؤال لكنه تمثيل كانه قال لو سألتهم لقالوا كذا وهو كقوله تعالى سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة اي لو سألتهم لكان كذا الا جابوك انه كان كذا وكذا • وقوله تعالى اذ يعدون في السبت اي لو يتعدون حد الشرع في دينهم من ترك الاصطياد في يوم السبت وكانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من السبة عليهم فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كتموه وفضح ذلك وهو قوله تعا

اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا قال ابن عباس اي ظاهرة على وجه الماء من كل شارع • وقال السدي كان اذا
كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا خرج فيخرجن خراطيمهن من الماء فاذا كان يوم الاحد غبن • وقال الحسن
شرعا على ابوابهم كانها الكباش البيض • وفي رواية قال اذا كان يوم السبت جاءت الحيتان فتنبطحت بافنيتهم
كانها المخاض فاذا غابت الشمس ذهبت فلا تري الى السبت الاخر • وقوله تعالى ويوم لا يسبتون لا تاتيهم •
يقال سبت اذا دخل يوم السبت وسبت اي اقام السبت وعمل فيه ما يعمل في السبت وعلى المقابلة بقوله ويوم
لا يسبتون يكون قوله يوم سبتهم مصدرا ليكون مقابلة الفعل بترك الفعل وظاهره انه اسم للوقت في الاول
وقوله تعالى كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون اي كانت لا تظهر لهم في غير يوم السبت وكانوا يحتاجون الى
استخراجها عن مكامنها ومغايصها بالحيل كذلك نبلوهم مستقبل بمعنى الماضي اي امتحناهم بهم تغليظا للمحنة
عليهم بفسقهم وتجاسرهم بالمعاصي عقوبة لهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ابتلاهم بذلك بهذا النهي
ليري الخلق المطيع منهم والعاصي قال وقال قايلون ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في الاول ليكون
فسقهم وتعديهم ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله لئلا يقولون عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعد
وقد بينا القصة في سورة البقرة انها كانت في زمن داود فان ضمنها ايلة مجاورة البحر بين المدينة
والشام • وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية كانت بين مدين والطور فكانت الحيتان تظهر على وجه الماء يوم السبت
ولا تظهر في غيره وقد نهوا عن الاصطياد فيه ابتلاء حيث اختاروا السبت وتركوا يوم الجمعة فمكثوا ما شاء الله تعالى
ثم ان رجلا منهم اخذ حوتا فخزمه بخيط ثم شده الى وتد بالساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد اخذه فاكله
سرا ففعلوا مثل ذلك وهم ينظرون لا يتناهون الا بقية منهم نهوهم حتى ظهر ذلك في الاسواق وبيع علانية
وقوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا اخبر ان امة منهم اي
جماعة وهم الصالحون وعظوهم فقال لهم جماعة اخري لم تعظون هؤلاء مع اعراضهم عن القبول لنصحكم واستخفافهم
بوعظكم وقد اشرفوا على ان يهلكهم الله تعالى فيستاصلهم او يعذبهم عذابا شديدا غير مستاصل ويعجل هلاكهم
في الدنيا ويعذبهم في الاخرة • وقوله تعالى قالوا معذرة الى ربكم قرا عاصم في رواية حفص معذرة نصبا وهو
مفعول له اي اعتذارا اليه • وقرا الباقون بالرفع ومعناه موعظتنا معذرة الى الله تعالى • وقوله تعالى ولعلهم
يتقون اي قالوا انكرنا الوعظ اعذارا الى الله فيما يلزمنا من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتاميلا لرجوعهم
وانتفاعهم وانتهائهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا اثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما
الله مهلكهم وثلث اصحاب الخطيئة فما نجا الا الذين نهوا • وقال السدي يحفر الرجل حفيرة ويجعل
لها نهرا الى البحر فاذا كان يوم السبت فتح النهر فاقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها الى الحفيرة فلا
تطيق الخروج فاذا كان يوم الاحد جاء واخذ واكلوا وشووا وملحوا واكلوا وفشي ذلك فيهم فقال لهم
علماؤهم لم تصيدون قالوا انما نصيده يوم الاحد فلم ينتهوا فقال بعض الذين ينهون لبعضهم لم تعظون قوما
فاجابوا بما ذكرنا فلما قال المسلمون لا نساكنكم في قريتكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين
باب ولعنهم داود فيخرج المسلمون من بابهم والمعتدون من بابهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يخرج المعتدون
فلما ابطاوا تسور عليهم المسلمون الجدار فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض وذلك • وقوله تعالى فلما عتوا
عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء اي تركوا ما وعظوا
به ترك الناسي له يعني الذين اخذوا الصيد في السبت خلصنا الذين كانوا ينهونهم عن هذا الفعل السوء وقوله
تعالى واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بئيس على وزن فعيل اي شديد
والباس الشدة وكذلك البوس • وقرا نافع بيس على وزن بير غير مهموز • وقرا ابن عامر كذلك مهموزا • وقرا عاصم
في رواية ابي بكر بيئس على وزن فيعل • وعن مجاهد بايس على وزن فاعل وفيه قراءات اخر شاذة • وقوله تعالى
بما كانوا يفسقون اي بخروجهم عن الطاعة • وقوله فلما عتوا عما نهوا عنه • قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي ابوا ان يرجعوا عن المعصية • وقيل اي تمردوا • وقوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جعلناهم قردة
اذلاء مبعدين عن الناس وقد شرحناه في سورة البقرة • وقال عكرمة اتيت ابن عباس يوما وهو يبكي
والمصحف في حجره قلت ما الذي يبكيك قال هذه الورقات فاذا هو في سورة الاعراف قال اتعرف ايلة
قلت نعم قال كان بها حي من اليهود سيقت اليهم الحيتان يوم السبت شرعا بيضا سمانا فكانوا كذلك
برهة من الدهر ثم ان الشيطان وسوس اليهم فقال انكم نهيتم عن اكلها في يوم السبت فخذوها فيه وكلوها
في غيره • وقالت طايفة بل نهيتم عن اخذها واكلها وتغيرها في يوم السبت وكانوا كذلك حتى جاءت
الجمعة الاخرى قال الايمنون ويلكم لا تتعرضوا لعقوبة الله واعتزلت ذات اليمين وسكتت وقال الايسرون
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فقال الايمنون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فان
انتهوا فهو احب الينا ان لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فقد اعذرنا فمضوا على الخطيئة فقال الايمنون والله

ابواه

ثم قامت فلا يقدر عليها حتى يعرضوا عليها ابنا له وكانت تاتيهم يوم السبت

ما بالكم

ما بالكم الليلة في مدينتكم وما نرى ان تصبحوا حتى يصيبكم الله بخسف او قذف او ببعض ما عنده من العذاب فلما
اصبحوا ضربوا الباب عليهم ونادوهم فلم يجيبوا فوضعوا سلما واعلوا سورها رجلا فالتفت اليهم فقال يا عباد الله
قردة والله تعاوي لها اذناب ففتح الباب ودخلوا فعرفت القرود نسباءها من الانس فجعلت تبكي وتشم ثيابه فيقولون
الم ننهكم عن كذا فيقولون برؤسها نعم ثم قرا ابن عباس رضي الله عنهما فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء
فاسمع ذكر الذين نهوا ولا اسمع ذكر الذين سكتوا ونحن نرى اشياء ننكرها فلا نقول فيها فقال عكرمة فقلت جعلني
الله فداك الا تراهم قد كرهوا ما هم عليه فقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم • وفي رواية قال ابن عباس
لا ادري انجاهم ام لا ثم قال لم يقل اهلكتهم قال فرضي وامر لي فكسيت بردين • وعن ابن عباس ثلاثة اقوال احدها
انه اهلكهم كما اهلك المعتدين والثاني انه انجاهم كما انجى الناهين والثالث انه توقف فيهم • وقال الحسن نجت
فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان • وقال الحسن واي نهي يكون اشد من اثباتهم الوعيد والتخويف
بالاهلاك والعذاب الشديد بقولهم الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
لسنا نعلم انهم كانوا هالكين او ناجين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة ولو كان لنا اليه حاجة لبين لنا سوى انه بين
من نجا منهم بالنهي وعذب من اخذ الحيتان بالظلم والفسق • وقال القشيري رحمه الله اذا انتهت مدة الامهال
فليس بعد غير الاستيصال واذا سقط العبد من عين الله لم ينتعش بعده ابدا ومن اسقطه حكم الملوك فلا قبول بعد
الرد • وفي معناه انشدوا شعر • اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد • اليه بوجه اخر الدهر تقبل •
وقوله تعالى واذ تاذن ربك قال الحسن رحمه الله اي اعلم وهو قول الزجاج وقيل اقسم فاقسم • وقوله تعالى ليبعثن
عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب اي ليسلطن عليهم اي اذكر يا محمد اذ اعلم الله اسلافهم على
السنة انبيائهم انهم ان غيروا وبدلوا ولم يؤمنوا بالنبي الامي سلط الله عليهم العرب يقاتلونهم الى ان يسلموا
او يعطوا الجزية صاغرين وهو من سوء العذاب اي اشده واشقه • وقوله تعالى ان ربك لسريع العقاب
لا يحتاج الى احضار اسبابه واعداد الاته • وقوله تعالى وانه لغفور رحيم مع هذا لمن تاب واناب وقد حقق الله
ذلك بما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلائهم عن اوطانهم وقتلهم وسبي نسائهم وولدانهم ثم انهم
الى الان مقموعين وكذا يكونون الى يوم القيامة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما واذ تاذن ربك اي قال ربك
وقال عطاء اذ حتم ربك • وقوله تعالى وقطعناهم في الارض امما اي فرقناهم في البلاد فرقا • وقوله تعالى
منهم الصالحون ومنهم دون ذلك اي دون الصالح وبلوناهم اي اختبرناهم ومعناه عاملناهم معاملة
المختبر وان كان لا يخفى على الله شيء لكن ليظهر للناس ما كان علمه منهم • وقوله تعالى بالحسنات والسيئات
اي الاحوال الحسنة من السعة والخصب والاحوال السيئة من الضيق والجدب اي صيرناهم على احوال شتى
وقوله تعالى لعلهم يرجعون اي ليرجعوا عن الباطل الى الحق اي فلم يرجعوا • وقال الكلبي منهم الصالحون الذين
امنوا وبقوا وراء الصين وهم الذين ذكرناهم في قوله ومن قوم موسى امة ومنهم دون ذلك اي من هنا من
اليهود • وقال عطاء ومجاهد منهم الصالحون الذين امنوا بمحمد وعيسى ومنهم دون ذلك من لم يؤمن • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله وقطعناهم يحتمل تفريقهم في وقت واحد في اماكن ويحتمل تفريقهم في الاهواء ويحتمل قطعناهم
في الارض امما امة بعد امة وعصرا بعد عصر ولذلك قال فخلف من بعدهم خلف • وقال في قوله وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون هذا يخرج على وجوه اختبرناهم بالنعم ليرجعوا الينا بالشكر والثناء وبالمحن ليرهم فاقتهم
وقدرتنا فيرجعوا الينا بالتضرع والدعاء • ويحتمل وبلوناهم بهذا وبهذا ليتفكروا فيعلموا ان غيرهم املك بهم من
انفسهم فيرجعوا اليه بتسليم النفوس لامره وحكمه • ويحتمل وبلوناهم المؤمن والكافر بالحسنات والسيئات
في الدنيا • وفي الحكمة التفريق بينهم فيضطروا الى الايمان بالبعث لذلك • ويحتمل انه انما جعل النعيم في الدنيا
ليعرفوا لذة الموعود في الاخرة وكذلك الشدة ليعرفوا به الم العذاب في الاخرة فابتلاهم بالامرين ليرغبوا في نعيم
الجنة ويحذروا عقوبات النار • وقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اي جاء من بعدهم قوم سوء يخلفون الاولين ويستعمل
الساكن في الذم والخلف بفتح اللام قوم اخيار يخلفون الاولين ويستعمل هذا في المدح • قال لبيد •
وبقيت في خلف كجلد الاجرب • وقد جاء بالتسكين في المدح في شعر حسان •
لنا القدم الاولى اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع •
وقوله تعالى ورثوا الكتاب اي التوراة وهم علماء اليهود ورثوه من اسلافهم يتقولها بعضهم بعد الطبقة الذين
كان فيهم الصالحون ومنهم دون ذلك قوم اردياء مذمومون • وقوله تعالى ياخذون عرض هذا الادنى
العرض حطام الدنيا وما يصيب الانسان منها فهو شيء يعرض فيزول ولا يبقى وهذا الادنى يعني هذه الدنيا
وانما ذكر لانه لم يذكر الدار والحياة فكانه جعله صفة للمكان او للشيء يعني ياخذون الرشى لتغيير الاحكام
وتبديل الحدود من العلية والسفلة • وقوله تعالى ويقولون سيغفر لنا اي اذا اصروا على ذلك الامر مذنبين
بما يرجونه من سعة رحمة الله ويقولون سيغفر لنا • وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه اي يصرون على ذلك

ولا يستغفرون بل اذا وجدوا شيئا مثله لم يتركوه • وقوله تعالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
ودرسوا ما فيه استفهام بمعنى التقرير اي قد اخذ عليهم الميثاق في كتابهم ان لا يقولوا على الله الا الصدق وقرأوا ذلك
وان الله تعالى لما وعدهم في التوراة المغفرة مع الاصرار • وقال مالك بن دينار يأتي على الناس زمان ان قصروا عما
امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيرهم فيهم المداهن فهم من هذه الامة اشباه الذين
ذكرهم الله تعالى يقولون سيغفر لنا • وقوله تعالى والدار الآخرة خير للذين يتقون اي خير من اخذ العرض للذين
يتقون الشرك والمعاصي • وقوله تعالى افلا يعقلون بما في كتابهم انه كذلك • وقوله تعالى والذين يمسكون
بالكتاب قرأ عاصم في رواية ابي بكر بالتخفيف • والباقون بالتشديد والامساك والتمسيك والتمسك والاستمساك
كله الاعتصام والتعلق بالشيء ذكر الممدوحين بعد المذمومين تعالى والذين يتمسكون بالتوبة • وقال
مجاهد ومقاتل بن حيان والكلبي هم مؤمنو اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه احلوا حلاله وحرموا حرامه
ولم يحرفوه ولم يحرفوه ولم يكتموه • وقال عطا هم محمد والكتاب القرآن • وقوله تعالى واقاموا الصلاة اي
ويقيمون الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر • وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين وهي جواب اول
الآية لان معناه نوتيهم اجورهم لانا لا نضيع اجر المحسنين وهو تعليل تغني عن اظهار ذكر المعلول • وقال القشيري
رحمه الله في قوله سيغفر لنا من امارات الاستدراج ارتكاب الزلة والاغترار بزمان المهلة وحمل تأخير العقوبة على
استحقاق الوصلة • وقال في قوله والدار الآخرة خير يعني المعرض لنفحات فضله سبحانه خير لمن اثبت وجوده من
مقاساة التعب لمن بذل في تحصيل هواه مجهوده • وقال في قوله والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة •
التمسك بالكتاب ايمان واقامة الصلاة احسان فبالايمان وجدوا الامان وبالاحسان وجدوا الرضوان
وبقال التمسك بالكتاب نجاة واقامة الصلاة مناجاة والمناجاة في الحال والنجاة في المآل • وقال في قوله
انا لا نضيع اجر المصلحين من نقل الى بابه قدمه لم يندم في الاجل نعمه • ومن رفع الى ساحات جوده همة نال
في الحال كرمه • وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة الآية في تمردهم ايضا كالتي مضت ومعناه
واذ قلعنا الجبل من الاصل وحركناه ورفعناه فوق روسهم وقد نتقنا في الجراب اذا اقتلعته من اصله ونثره
ونتقت المرأة تنتق نتوقا من حد دخل وهي منتاق اذا اكثرت ولدها • واصله الزعزعة والنقض ونتقت
الدابة صاحبها صاحبها نتقا به اي حركته ورفعته • وقوله تعالى وظنوا انه واقع بهم اي علموا انه واقع
عليهم ان لم يقبلوا ما في التوراة قاله الحسن • وقيل غلب ظنهم بذلك • وقوله تعالى خذوا ما آتيناكم
بقوة اي قلنا لهم اقبلوا حين جاء موسى بالتوراة وفيها احكام شاقة فامتنعوا من قبولها ووعظهم
موسى فلم يقبلوا فامر الله تعالى برفع الطور الذي سمع موسى وهو عليه كلام الله واعطي الالواح وقيل
هو جبل من جبال فلسطين فرسخا في فرسخ • وقيل هو الجبل الذي عند بيت المقدس • وقيل لهم ان قبلتم والا
وقع عليكم فرضخكم فقبلوا • وقوله بقوة يدل على ان قوة العقل مع العمل تتقدم على الاخذ • وقوله تعالى
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقد بينا القصة وما يتعلق بها مستوفاة في سورة البقرة عند قوله ورفعنا
فوقكم الطور • وقال القشيري رحمه الله قصارى من ابي تجبرا ان ينكص على عقبيه طوعا كذلك اهل الكتاب
لما قبلوا الكتاب باجبار التكليف ما استواسى قابلوه بالتحريف • وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم
الآية • وقال القشيري رحمه الله اخبر بهذه الآية عن سابق عهده • وصادق وعده • وتأكيد وده • بتعريف
عبده • وفي معناه انشدوا شعر • افديك والايام ايضا كلها • يفدين ايا ما عرفتك فيها •
وقال الامام ابو منصور رحمه الله تكلم الناس في تأويل هذه الآية فمنهم من يقول ذلك عندما خلق آدم اخرج من يكون
من ذريته مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم قالوا بلى لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول جعلوا بالبلوغ الذي
يجري على مثله العقل وهو قول الحسن ومنهم من يقول عرض ذلك على الارواح دون الابدان • ومنهم من يقول انه
خلق صنفين فقال هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي • ومنهم من يقول عرض الكل على ما عليه
احوالهم وآجالهم في الدنيا والله اعلم كيف كانت القصة وكيف تؤدي احوال العقل والعي في الذر وكيف
قالوا هؤلاء في كذا ولا ابالي مع اجتماعهم على القول بلى لقوله الست بربكم قالوا بلى وقد رأينا في تلك الاخبار ما كان
حفظ الناس وبخاصة حفظ العوام واهل الضعف عن تبليغها الزم والخطر في النقل وابعد من الشبهة من
روايتها وتكلف الكشف عنها فنسأل الله العصمة عما به الهلاك والتوفيق للنصح بما به نجاة كل سامع ودفع
كل شبهة وحيرة فانه لا قوة الا به • ومنهم من ذهب في تأويل الآية الى ان المعروف من امر ذرية آدم هو الاخذ
عن الاصلاب والارحام على ما يكون الى يوم القيامة وطول وبين على وجه يتعذر ضبطه على اكثر اهل العلم
لكن ذكر الشيخ ابو بكر القفال الشاشي رحمه الله ان معنى ذلك ما فهمه وحفظه والوقوف على حاصله اسهل
واقرب قال ذكر الله تعالى في هذه الآية وفي الآيات التي قبلها ان الله بالغ في الزام الحجة وابلاء العذر بما
جمع لهم من دلايل السمع ودلايل العقل وذكر بعد اخذ الميثاق على بني اسرائيل اخذ الميثاق على الكل بالعقول التي

ركبها فيهم واشهدهم بها على انفسهم بقوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرجهم من اصلاب ابائهم
ونقلهم الى ارحام امهاتهم الى ان بلغوا بتقليب الاحوال عليهم من نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة الى ان
بلغهم الى الحال التي يصلحون فيها للتكليف بكمال عقولهم واشهدهم بما شاهدوه من آثار الصنعة فيهم وفي غيرهم على
انفسهم ان لهم صانعا قادرا حكيما عالما فردا ابتداهم بالنعمة وان له بحكم ملكه ان يستاديهم الشكر على نعمه بالطاعة
فيما يامرهم به ثم اتبع ذلك ارسال الرسل وانزال الكتب فيها من اوامره ونواهيه • وقال لهم تقديرا الست بربكم
قالوا بلى انت ربنا بما ظهر عليهم من آثار الصنعة وهو كما يتأول عليه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده • وقوله يسبح له
ما في السموات وما في الارض على معنى انه ما من شيء الا وهو بما عليه من آثار الصنعة ينزه الله عن الاضداد والانداد
فاقيمت شهادة الآثار مقام شهادة النطق كما قال ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون • وقال هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق فجعل ما لا لسان له نطقا وكلاما وهكذا اجمل ما يوجد كل انسان عليه في نفسه من تعاقب
الاحوال كالشهادة منه على نفسه وما اجراه الله تعالى عليه من ذلك كالتقرير له به وكانه قال لهم بما اجراه عليهم
الست بربكم وكانهم قالوا بلسان احوالهم بلى شهدنا وتم الكلام ههنا ثم قال ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين لما ربنا وصانعنا اذا حوسبتم يوم القيامة على التوحيد وعامة المفسرين وجمهور الصحابة والتابعين على
اخراج ذرية آدم من ظهره واخذ الميثاق عليهم في عصره • وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول وقد سئل عن هذه الآية فقال خلق الله آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته
فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار
وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق الرجل للجنة استعمله
بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل
النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار وذكر هذه القصة على البسط والاختصار والاقلال
والاكثار ابن عباس وابن مسعود وابي بن كعب والكلبي والحسن وعطا وابو العالية وسعيد بن جبير
وابن جريج ومعمر وعبد العزيز بن يحيى والسدي وعوف ومقاتل ومجاهد وابو مسلم الخولاني وعطا بن
يسار وعكرمة وابو قلابة وداود بن ابي هند رضي الله عنهم قال ابو العالية جمعهم جميعا يومئذ فجعلهم ارواحا
ثم صورهم ثم استنطقهم واخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قال فاني اشهد عليكم
السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة لم نعلم انه لا اله غيري
فلا تشركوا بي شيئا واني سارسل اليكم رسولا منذرا يذكرونكم عهدي وانزل عليكم كتبي قالوا نشهد انك الهنا
لا اله غيرك فاقروا يومئذ بالطاعة ورفع اليهم اباهم آدم فنظر اليهم فرأى منهم الغني والفقير وحسن
الصورة ودون ذلك فقال يا رب لو شئت لسويت بين عبادك فقال اني احب ان اشكر ورأى منهم الانبياء
مثل السرج وخصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة قال ورد هذا الميثاق قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها وقوله
هذا نذير من النذر الاولى • وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد • وفي رواية ابن جريج خرجت كل نفس خلقت للجنة
نقية بيضاء وكل نفس خلقت للنار ظلمة سوداء وهم امثال الخردل في صور الذر فقال يا عباد الله اجيبوا الله يا عباد
الله اطيعوا فقالوا لبيك اللهم لبيك فاخذ عليهم العهد بالايمان به وبامره واختلفت الروايات في مكان ذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ببطن نعمان وادي الى جنب عرفة • وقال الكلبي بين مكة والطائف • وقال السدي في السماء الدنيا حين اهبط من الجنة اليها • وقال سعيد بن جبير بنعمان السحاب عند عرفات • وقال
الكلبي بين مكة والمدينة والطائف • وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى بحراء خلف جبل عرفة • وروي
انه كان بعد ما رفع الى السموات على باب الجنة في صحراء من منها مسيرة ثلاثين الف سنة • وقال المقاتل ان الله
تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج
منه ذرية سوداء كهيئة الذر وهم الغامة فقال يا آدم هؤلاء ذريتك اخذ ميثاقهم على ان يعبدوني ولا يشركوا بي
شيئا وعلى رزقهم فقال نعم يا رب فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم افاض بهم افاضة القداح فقال لليمين هؤلاء
في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين واصحاب الميمنة وقال للسود هؤلاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب
الشمال واصحاب المشأمة ثم اعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق
كلهم من اصلاب الرجال وارحام النساء فمن مات منهم صغيرا دخل الجنة بمعرفته ومن بلغ العقل منهم اخذ
ميثاقه ايضا بالمعرفة بربه والطاعة له ومن لم يؤمن اذا بلغ العقل لم ينفعه الميثاق الاول شيئا وكانت
العهد الاول حجة عليه • قال الله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد • وقوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
تقديرها واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم وما رويناه انه اخذ من ظهر آدم فالتوفيق بينهما ان الاخذ من ظهر
آدم ان الله اخرج ذرية آدم بعضهم من بعض الى آخر الدنيا على ما يتوالدون فكان ذلك اخذا من ظهره وكان
ذلك في ادنى مدة كما يكون في موت الكل بالنفخ في الصور وحياة الكل بالنفخة الثانية وكما في تعليم الاسماء
الاشياء لآدم وما ذكر في الحديث مسح الله ظهره بيده فهو مسح ملك بامره وعلى هذا ما روي خلق الله تعالى الجنة

اعلام

عدن بيده وغرس شجرة طوبى بيده وهو كما يقال ضرب الامير فلانا اي ضربه ضارب بامره • وقوله تعالى ذريتهم اي ذرية بني ادم وهم ذرية ادم • قال ابن عباس رضي الله عنهما وابي بن كعب فجعلهم سامعين ناطقين عقلا مختارين فانه اشهدهم ولا يصح الاشهاد الا على الموصوفين بهذه الصفات ولانه خاطبهم فدل على سماعهم واجابوا فدل على كلامهم وقالوا شهدنا فدل على علمهم وعقلهم • وقال ان يقولوا يوم القيامة فدل على اختيارهم وليس بممتنع مستبعد وضع هذه الاشيا في الذر الصغار من قدرة الله اعتبارا بنمل سليمان وهدهده وكلام عيسى في المهد وشهادة الرضيع ليوسف • وقوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي فقال الست بربكم بمعنى التقرير كما في قول الشاعر • الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح •

وقوله قالوا بلى هو في سؤال النفي اثبات فكان اقرارا وكان من الكل وكان ايمانا منهم لانه اقرار وتصديق • الاقرار قولهم بلى والتصديق ثبت بمقتضى قوله قالوا شهدنا لان الاقرار بدون الاعتقاد لا يكون شهادة ولهذا رد الله تعالى على المنافقين قولهم قالوا نشهد انك لرسول الله فقال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقولهم هو رسول الله لم يكن كذبا لكن ذكروا انهم يشهدون به ولم يكن لهم اعتقاد فلم تكن لهم شهادة فكانوا كاذبين في دعوى الشهادة • وقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين اي فعلنا هذا لئلا يقولوا يوم القيامة • قرا ابو عمرو يقولوا بالياء بالمغايبة وكذا بعده او يقولوا لئلا يقول هولاء • وقرا الباقون بتاء المخاطبة خطابا لهولاء اي لئلا تحتجوا فتقولوا انا كنا غافلين عن ان لنا ربا صانعا • وقوله تعالى او يقولوا انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اي لئلا يقولوا يا معشر المشركين من العرب انما اشرك اباونا من قبل خلقنا وكنا اولادا صغارا من بعدهم فاتبعناهم ولم يكن لنا علم بانهم على الباطل وان الحق في غيره • وقوله تعالى افتهلكنا بما فعل المبطلون اي اباونا والعيب فهم لا انا يقول سد الله عليهم هذا الباب باخذ هذا الميثاق على قول عامة المفسرين وبنصب الدلايل العقلية السمعية على قول القايلين • وقوله تعالى وكذلك نفصل الايات اي كما بينا هذا نبين جميع ما يحتاجون اليه قطعا لعذرهم • وقوله تعالى ولعلهم يرجعون اي وليرجعوا عن الشرك الى التوحيد والواو زايدة عند بعضهم ومعترضة عند اخرين يتعلق باضمار قبلها او بعدها فان قالوا ما وجه الزام الحجة بقوله ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ونحن لا نذكر هذا الميثاق وان تفكرنا قلنا ان الله تعالى انسانا ذلك ابتلا لان الدنيا دار غيب وعلينا الايمان بالغيب ولو تذكرنا ذلك زال الابتلا وليس ما ينسى يزول به الحجة ويثبت به العذر • قال الله تعالى في اعمالنا احصاه الله ونسوه واخبر انه سينبينا به • وقال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك ولان الله تعالى جدد هذا العهد وذكرنا هذا المنسي بارسال الرسل وانزال الكتب بعده فلم يثبت العذر • وقال الشيخ يحيى رحمه الله وسم باجمل قوما فالزمهم بالاشهاد الحجة • واكرم بالتوحيد اخرين فاشهدهم واضح الحجة • وقال اسمعهم وفي نعتهم اسمعهم احضرهم لما اسمعهم اخذهم عنهم فيما احضرهم وقام عنهم فانطقهم بحكم التعريف وحفظ عليهم بحسن التولي احكام التكليف فكان سبحانه وتعالى لهم مكلفا وعلى ما اراد مصرفا ومما استخلصهم له معرفا • وبما رقاهم اليه مشرفا • وقال في قوله وكذلك نفصل الايات اذا سد دفعيونه البصيرة فما ينفع وضوح الحجة • وقوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها اتصالها بما قبلها انه ذكر ايمان الكل يوم الميثاق ثم اليوم تكفر بعضهم فبين ان ذلك الايمان ليس بمبق على الايمان فان ايمان بلعم مع الايات لم يكن مبقيا له على الايمان • واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية على اقوال • قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ومقاتل والكلبي ومجاهد ووهب وعطا وعبد الكريم بن ابي المخارق والضحاك هو بلعم واختلفوا في نسبه • قال ابن عباس والكلبي هو ابن باعورا • وقال ابن مسعود ومجاهد هو ابن ابر • وقال عطا هو ابن باعر • وقال مقاتل هو بلعم بن باعورا بن ماث بن لوط • وقال ابن عباس كان من مدينة الجبارين التي ذكرت قصتهم في سورة المايدة • وقال مقاتل كان من مدينة بلقا وسميت بلقا لان رجلا ملكها يقال له بالق وكان من قصته ان موسى عليه السلام اراد ان يغزو املكا فقال الملك لبلعم ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير فان ظهر علينا اهلكنا فادع الله ان يرده عنا فقال ان فعلت ذلك ذهبت دنياي واخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم قالوا فوقع موسى وبنو اسرايل في التيه بدعايه فلما انقضت المحنة قال موسى يا رب باي ذنب وقعت لنا هذه المحنة قال بدعا بلعم قال فكما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه فدعا موسى عليه فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه معرفته فخرجت من صدره كحمامة بيضاء وذلك قوله فانسلخ منها وهذا كلام مختل والاخبار في التيه كان يقول لهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون لا بدعا بلعم وكيف يستجاب دعا بلعم وقد انسلخ من الايات ولانه قد دعا على موسى وقومه

بالباطل

بالباطل وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الايمان وكان مبعوثا الى الناس ليدعوهم الى الايمان • وقال مقاتل قال له ملك بلقا ادع الله على موسى فقال انه من اهل ديني لا ادعو عليه فنصب خشبة ليصلبه فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني وهذه نار قد منعتني ان امشي فرجع فاخبر الملك بذلك فقال لتدعون عليه او لاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب وبلغ ذلك موسى فدعا عليه ان ينزع منه الاسم فنزعه • وقوله فانسلخ منها • وقال وهب لما نزل موسى ارض كنعان من الشام بين اريحا وبين اردن وجبل البلقا وانيه بين هذه المواضع ارسل بالق الى بلعم بن باعورا وكان يسكن قرية من قرى البلقا فقال انا رهبنا هولاء القوم لانه قد جاز البحر ليخرجنا من بلادنا ويتركها بني اسرايل ونحن قومك وليس لك بقا بعدنا والخير لك في الحياة وانت بعدنا رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع عليهم فقال بلعم ويلكم نبي الله معه الملايكة والمومنون كيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم فلم يزالوا يرفقون به ويتضرعون اليه وكانت له امراة اشب منه يحبها ويطيعها فدسوا اليها هدايا فقبلتها ثم اتوها فقالوا لها قد ترى ما نزل بنا فكلمي بلعم في هذا فقالت لبلعم ان لهولاء القوم حقا وجوارا وحرمة وليس مثلك اسلم جيرانه عند الشدايد وقد كانوا محسنين اليك وانت جدير ان تكافيهم وتهتم بامرهم فقال لها لولا اني اعلم ان هذا الامر من عند الله لاجبتهم فقالت انظر في امرهم فلم تزل به حتى ضل وغوى وكان الله عز وجل قد اراد امره على الرشد ففتنته فركب حمارة له متوجها الى الجبل الذي يطلعه على بني اسرايل فلما سار غير بعيد ربضت الاتان فنزل عنها فضربها فقامت فلم تسر الا قليلا ثم ربضت ففعل بها مثل ذلك فلم تسر الا قليلا حتى ربضت فضربها فاذن لها فكلمته فقالت يا بلعم اني مامورة فلا تظلمني انظر الى ما بين يديك الا ترى ان الملايكة امامي يردونني عن وجهي هذا يقولون اتذهب الى نبي الله والمومنين تدعو عليهم فخلى سبيلها ثم انطلق حتى اشرف على راس جبل مشرف على بني اسرايل فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشي من السو الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله لسانه الى بني اسرايل فقال له قومه اتدري ما تصنع فقال هذا ما لا املك وهذا شي قد غلب الله على لساني • وفي رواية فخانه لسانه فذهب بعضه فقال لهم قد ذهبت الدنيا والاخرة • وفي رواية فلما وقفت الاتان وكلمته قالت له انظر امامك فاذا ملك قد قطع عليه الطريق فخر ساجدا حتى انكشف عنه الملك فانطلق لوجهه حتى قدم على القوم فقرب قربانا فتقبل الله منه فاوحى اليه ان موسى خيرتي فانصرف فرجع فما زالوا به حتى فتنوه فقال لم يبق الا المكر والحيلة اعلموا انهم اهل كتاب فاذا اذنب مذنبهم ولم يغير عامتهم عمهم البلا فدسوا في عسكرهم النسا فاني لا اعلم فتنة اوشك صرعة للرجل من المراة فانظروا نسا لهن جمال فاعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ولا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى منهم رجل كفيتموهم ففعلوا فمرت كستى بنت صور امراة على زمري بن شلوم راس سبط شمعون بن يعقوب فاعجبته فاخذ بيدها فادخلها قبته فوقع عليها واظهر الله عليهما كاهن بن هارون وكان اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش فاخذ حربته فدخل عليهما وهو فوقها فطعنهما بحربته حتى انفذهما ثم رفعهما كذلك في الهوا واقبل الناس وانكروا وغيروا فرفع الله العذاب واقبل موسى وقومه وحاربوا اهل بلقا وغلبوهم وقتلوا منهم واسروا واتوا ببلعم اسيرا فقتل فيما قتل من الهدايا وهي عشر صحاف ذهبا مملوة ورقا وغيرها وذلك قوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا قيل هي اسم الله الاعظم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما العلم • وقال الحسن الدين الحق وما يذكر في بعض الروايات انها الوحي والكتاب وكان نبيا فيها لا ينبغي ان يقال ذلك او يقبل لان انبيا الله تعالى معصومون على العلم قال الله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين • وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ومن المحال ان يكون منهم الانسلاخ عن الدين وقيل الايات صحف ابراهيم يحفظها • وقيل هي الكرامات وكان اذا نظر الى السما راى العرش واذا نظر الى الارض راى الى ما تحت الثرى وكان وليا له كرامات فانسلخ منها اي ترك الايات وفارقها فكان كالمنسلخ الخارج من الشي • قال وهب الايات انه دعي مرة في المرة الاولى فعزم له على رشده ان لا يفعل والثانية كلام الاتان والثالثة مقام الملك والرابعة الخبر بان موسى خيرة الله وما ينبغي ان يدعى عليه وعلى قومه فانسلخ منها كلها • وقوله تعالى فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين اي لحقه فغره • قال الاخفش اتبع يتبع اذا سار معه وتبعه واتبعه بالتشديد اخذ في اثره ادركه او لم يدركه • قال الله تعالى في الاول بمعنى الادراك فاتبعوهم مشرقين اي ادركوهم • وقوله فكان اي صار كما في قوله فكان من المغرقين • وقوله واستكبر وكان من الكافرين او كان في علم الله تعالى انه ينسلخ من اياته فيكون من الكافرين حين ينسلخ • وقوله تعالى ولو شينا لرفعناه بها اي اعليناه درجته في الناس بتلك الايات وقال مجاهد لرفعناه الكفر عنه • وقال عطا لعصمناه من المعاصي • وقوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض قال سعيد بن جبير والسدي اي اعد ركن • وقال مقاتل اي رضي بالدنيا • وقيل اي احب الجاه في الدنيا وقد خلد اي دام واخلد اي سكن واطمان • وقوله تعالى واتبع هواه اي ترك هداه واتبع ما دعته اليه نفسه وهواه

من حب دنياه • وقال ابو روق اي اختار الدنيا على الاخرة • وقال الكلبي اي اتبع مسافل الامور وترك معاليها وقال
يمان بن رئاب اي اتبع امراته لانها حملته على الخيانة • وقال عطا اي اتبع شيطانه • وقوله تعالى فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اللهث من خروج هوا النفس الشديد الذي قد يلحق الانسان من شدة الاعيا وهو
في الكلاب طبع وقد يكون من العطش اي ان حملت عليه لتطرده لهث فسوا عنده الطرد وتركه فكذا هو الخبيث
سوا وزدت عليه واردات ايات الله او لم تزد فهو بحاله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الكلب منقطع
الفواد فهو يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه كذلك مثل الذي يترك الهدى لا فواد له • وقال عطا ان
تحمل عليه ينبح وان لم تحمل عليه فكذلك وقال الكلبي كل شي يلهث فانما يلهث من اعيا او عطش الا
الكلب فانه يلهث في الكلال والراحة والمرض والصحة والعطش والري ضرب الله مثلا للذين كفروا
باياته انه ضال وعظ او لم يوعظ نظيره قوله وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سوا عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون • وقوله تعالى ذلك مثل الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
اي ليتعظوا • وقوله فانسلخ منها دليل على انه شقا وانه كانت من جملته وهو انسلخ من الايات وكانت
مراعاتها لها حافظة له فلما تركها اتبعه الشيطان وهو كاللص لا يصل الى الغنم ومعهم الرعاة فاذا
فارقوهم وصل اليهم اللص ولما جهل قدرها واستخف بها حرمها وتغيرت عليه احواله بها • قال
تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وكان انسلاخه عنها بسبب طاعته امراته في
الميل الى الدنيا واخذ الحطام من اهل الزمان ولا شي اضر بالعالم من الطمع • قال تعالى ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل • وقال تعالى يأخذون عرض هذا الادنى • وقال
الانبيا ما اسألكم عليه من اجر • وقوله كمثل الكلب لم يسوه بالكلب فجعل مثله كمثل الكلب في المعنى
الذي ذكر ولا مساواة بينهما بل كلب واحد خير من الف او اكثر من بلعم فان الكلب عارف بالله موحد
لله لا يعاقب بالنار وبلعم كافر بالله خالد في عقوبة الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
قيل انما ضرب المثل بالكلب لان من عادة الكلب انه يذل ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال منه
ادنى شي ولا يبالي لما يصيبه من الذل والهوان وكذا المكذب بالايات لا يبالي بما يلحقه من الذل
بعد ان يصيب من الدنيا شيا ويشبه ان يكون وجه ضرب هذا المثل ان من عادة الكلب
انه اذا ظفر بالجيف ينكب لها حتى اذا دعي الى غيرها لم يلتفت فكذا الكافر • وقال القشيري
رحمه الله ان الحق سبحانه وتعالى قد يظهر الاعدا في لباس الخلة ثم يردهم الى السابق القسمة
ويبرز الاوليا بنعت الخلاف والذلة ثم تغلب عليهم مقسومات الوصلة • وقال في قوله
ولو شينا لرفعناه بها لو ساعدته المشية بالسعادة الازلية لم تلحقه الشقاوة الابدية ولكن
من قضمته السوابق لم تنعشه اللواحق • وقال في قوله ولكنه اخلد الى الارض اذ كانت مساكنة
ادم الجنة وطمعه في الخلود فيها اوجب خروجه عنها فالركون الى الدنيا متى يوجب البقا فيها
هذا كله بمشية من قال انها في بلعم • وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد
ابن اسلم وابو روق انها نزلت في امية بن ابي الصلت وكان ابتدا امره انه كان قد قرا الكتب
وعلم ان الله يرسل رسولا في ذلك الوقت وظن انه يكون ذلك الرسول فلما ارسل الله محمد صلى
الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر وفيها لهم فقيل قتلهم
محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالها عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اذ اتاه اثنان فقعد احدهما عند رجليه والاخر
عند راسه فقال الذي عند راسه اوعى فقال وعى قال ازكي قال ابي • وفي رواية الكلبي كشط
سقف البيت اثنان فنزل احدهما وشق بطنه ونادى الذي على ظهر البيت اوعى فقال وعى قال
ازكي قال ابي وسعد ابناه فذكرتا له فقال خير اريد بابيكما فلم يقبله • وفي رواية نزل طيران
فشق احدهما بطنه واخرج قلبه وشمه ثم ساله الاخر ذلك فقال ذلك وذكرت فارعة من شعره
لرسول الله قصيدة ثم انشدت هذه شعر •

عند ذي العرش يعرضون عليه •	يعلم الجهر والسرار الخفيا •
يوم ياتي الرحمن وهو رحيم •	انه كان وعده ماتيا •
يوم ناتيه مثل ما قال فردا •	ثم لا بد راشدا او غويا •
اسعيد سعادة انا ارجوا •	او مهانا بما اكتسبت شقيا •
ان يواخذ بما اجترمت فاني •	سوف الق من العذاب فريا •
رب ان تعف فالمعافاة ظني •	او تعاقب فلم تعاقب بريا •

فقال النبي صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه • وفي رواية ذكرت انه اتاها جبرئيل فالت فاتيته فوجدته منعوشا قد
بكى ذرفته منه فشهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما لا ذو مال
يفديني • ولا ذو اهل فيحميني ثم اغمي عليه فشهق شهقة فشق بصره ورفع صوته فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما
لا ذو برآة فاعتذر ولا ذو عشيرة فانتصر ثم اغمي عليه وشهق شهقة ونظر نحو السقف فقال لبيكما لبيكما ها انا
ذا لديكما • رب ان تغفر تغفر جما • واي عبد لك لا الما • ثم اغمي عليه ثم شهق شهقة فقال لبيكما لبيكما
ها انا ذا لديكما • ثم قال •

• كل عيش وان تطاول يوما •	صاير مرة الى ان يزولا •
• ليتني كنت قبل ما قد بدا لي •	في قلال الجبال ارعى الوعولا •
• ان يوم الحساب يوم عظيم •	شاب فيه الصغير يوما ثقيلا •

ثم مات قال النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل اخيك كمثل الذي اتاه الله اياته فانسلخ منها وفيه قول روي
ابو الجوزا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية نزلت في البسوس وكانت من قصته ان رجلا اعطي له ثلاث
دعوات مستجابات وكانت له امراة يقال لها البسوس وكان له منها ولد فقالت له اجعل لي منها دعوة واحدة
فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرايل فدعا لها فجعلت اجمل امراة
في بني اسرايل فلما علمت انه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل ودعا عليها فصارت كلبة نباحة وذهبت
فيها دعوتان فجاء اولاده وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة والناس يعيروننا بها ادع الله ان يردها على الحال التي كانت عليها فدعا
الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت الدعوات وبقيت البسوس • وقال عكرمة نزلت في اليهود والنصارى
ممن اتاه الله كتابه واياته فانسلخ منها • وقيل نزلت في ابي عامر بن النعمان الراهب الذي سماه النبي صلى
الله عليه وسلم الفاسق وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا الذي جيت به قال جيت بالحنيفية دين ابرهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست
عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا فخرج الى الشام
وارسل الى المنافقين استعدوا بالقوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر واتي بجند اخرج
محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني انتظار المجيء فمات بالشام
طريدا وحيدا فاستجاب الله دعاه على نفسه • وقال عبادة بن الصامت هي في قريش اتاهم الله اياته فانسلخوا
منها فلم يقبلوها فاهلكهم الله فيجزوا ان لا يكونوا امثالهم • وقال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى لمن عرض
عليه الهدى فابى ان يقبله • وقال الحسن هو المنافق لا يثبت الى الحق دعي فلم يدع وعظ فلم يتعظ كالكلب
يلهث طردا وترك • وقال ابن كيسان نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه
وسلم كما يعرفون ابناهم • وقوله تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ساء
بمعنى بيس ومثلا نصب على التمييز فانها تنصب النكرات تقول بيس رجلا زيد والقوم اسمه المرفوع ومعناه
ما اسوا هذا المثل الذي ضربناه الذين كذبوا باياتنا وانما استوجبوا هذا المثل لقبيح الحال بتكذيبهم باياتنا
وظلمهم انفسهم اذ جنوا عليها بما يوجب الذم في الدنيا والعقوبة في العقبى • وقيل لا اسوا في المثل انما السوء
في المثل ومعناه ساء القوم الذين مثلهم كمثل الكلب وهو كقوله مثل الذين حملوا التوراة الاية • وقال القشيري
رحمه الله اي صغر اذن من صغره من بلي بالاعراض الازلي واي نعت اعلى من نعت من اكرم بالقبول الابدي واي
حيلة تنفع مع من يخلق الحيلة وكيف تنفع الوسيلة الا بمن منه الوسيلة • وقوله تعالى من يهدي الله فهو
المهتدي اي من يهده الله ومن يضلل اي ومن يضللهم فاوليك هم الخاسرون كهولا الذين كذبوا باياتنا وانسلخوا
عنها وحد المهتدي وجمع الخاسرين لان من لفظة لفظ الواحد ومعناه جمع فيجوز التوحيد للفظه ان يختار ذلك
قال الامام ابو منصور رحمه الله فهو المهتدي في الخيرة والخاسر في الاخرة • وقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم
اي خلقنا كثيرا من الجن والانس وهم الكفار المعرضون عن تدبر ايات الله والله تعالى علم منهم اختيار
ذلك فشا منهم ذلك وخلق منهم ذلك وجعل مصيرهم الى جهنم لذلك • وقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها اي لا يفهمون الحق ولا يتفكرون فيه • وقوله تعالى ولهم اعين لا يبصرون بها اي الحق ولا ينظرون الى
الايات في الافاق والانفس نظر اعتبار واستدلال • وقوله تعالى ولهم اذان لا يسمعون بها اي لا يسمعون الى
ما يتلى عليهم من ايات الله والمواعظ لتركهم استعمال هذه الالات فيما خلقت لها كانهم عدموها • وقوله
تعالى اوليك كالانعام اي كالبهايم في انها لا تعقل والانعام هم اضل من الطريق المستقيم منها لانها مع عدم
العقول تجتنب مضارها والكفار لا يجتنبون مضارهم بل يتعقون على الكفر مع علمهم بانه يوردهم النار • وقال
الكلبي رحمه الله بل هم اضل لان الانعام تعرف ربها وتذكره وتطيعه والكافر لا يعرفه ولا يذكره ولا يطيعه
وكذا قال مقاتل اوليك هم الغافلون اي المتغافلون عما اعد الله لاوليايه من الثواب ولاعدايه من العقاب

وقال الامام ابو منصور رحمه الله بل هم اضل لانهم لا يهتدون وان هدوا والانعام تهتدي اذا هديت او هم اضل لانهم يضلون غيرهم
ويضلون غيرهم والانعام لا تضل غيرها او لانهم لا ينتفع بهم والانعام ينتفع بها اولئك هم الغافلون اي عن دينهم ما الذي
اليهم وامروا به وغافلون عما اوعدوا • وقال القشيري رحمه الله من خلقه الله لجهنم متى يستوجب الجنان ومن اهله الحق للسخط انى
يستحق الرضوان هم اليوم في جحيم الجحود والكفران مقرنين في اصفاد الخذلان ملبسين ثياب الحرمان • طعامهم ضريع الوحشة
وشرابهم حميم الفرقة • كما فسر في الكتاب شرح تلك الحالة • وقال في قوله لهم قلوب لا يفقهون بها اي ليس لهم تمييز بين
خواطر الحق • وهواجس النفس ووساوس الشيطان لا ينظرون الا من حيث الغفلة ولا يسمعون الا دواعي الفتنة
ولا يخرجون الا في سلك ركوب الشهوة اولئك كالانعام بل هم اضل لان الانعام رفع عنها التكليف فان لم يكن لها
وفاق الشرع فليس منها خلاف الامر • وقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال مقاتل ان رجلا من الصحابة
دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال رجل من المشركين اليس محمد واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال
هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى هذه الاية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وقال قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن رغما لانوف المشركين فانك اذا دعوته بهذه الاسماء فله الاسماء الحسنى • وقيل الحسنى هي الدالات على معانيها
حقيقة دون اسماء الاصنام التي هي القاب لا معاني لها ولا حقيقة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل انهم ظنوا
ان في اثبات هذه الاسماء اثبات عدد من الذات واجزائه ليس كذلك فانه يسمى الحركة حركة عرضا شيئا خلقا ولا يوجب
ذلك اثبات عدد فيها ويحتمل انهم وصفوا الله تعالى بما لا يحسن ان يوصف به واضافوا اليه اشيا لا يصلح ان يضاف
اليه نحو قولهم يا خالق الخنازير ويا خالق الخبائث ويا رب القردة ونحوه فامرهم ان يدعوه باسمائه الحسنى التي فيها
تعظيمه كما يقال يا رحمن يا رحيم يا كريم يا جواد يا لطيف يا هادي يا مرشد ونحو ذلك ويحتمل انه اراد بها ان الاسماء الحسنى
لله لا للاصنام فادعوا الله بها لا الاصنام • وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه قرا حمزة يلحدون بفتح اليا
والحاء من قولهم لحد اي مال والباقون بضم اليا وكسر الحاء من الحد اي امال والالحاد في اسماء الله تعالى تسمية الاصنام
باسمائه كما سموا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ومن الالحاد تحريف معاني اسمائه وتغييرها
وتفسيرها على خلاف حقيقتها ومن الالحاد فيه تسمية الله بما لم يرد به الشرع كالجوهر والجسم والعقل والعلة
وما يقوله المبطلون • ومعنى ذرهم دعهم فلا تكافهم بتسفيههم ولا تجازيهم باذيتهم اياك فان الله هو يجزيهم وذلك
قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون وقال القشيري رحمه الله الالحاد هو الميل عن القصد وذلك على وجهين
بالزيادة والنقصان فاهل التشبيه زادوا فالحدوا واهل التعطيل نقصوا فالحدوا فالمشبهة وصفوه بما لم يأذن
فيه والمعطلة سلبوه ما استحقه • وسئل ابو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال اثبات ذات غير مشبهة
بالذوات ولا معطلة عن الصفات • وقوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي وممن
خلقنا للجنة في مقابلة الاية الاولى ولقد ذرانا لجهنم • وقوله امة يهدون بالحق قال النبي صلى الله عليه وسلم
فيما روى ابن جريج هذه امتي بالحق ياخذون ويعطون وقد روينا قبل هذا انه لما نزل قوله تعالى ومن قوم موسى
امة تمنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحا في حق هذه الامة فنزلت هذه الاية • وقال القشيري
رحمه الله هداهم بالحق انهم يدعون الى الحق ويدلون على الحق ويتحركون ويسكنون للحق بالحق فهم قائمون
بالحق بصرفهم الحق للحق بالحق اولئك هم عنيات الخلق • وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الخليل بن احمد اي سنطوي عمرهم في اغترارهم • وقال الضحاك كلما جددوا لنا
معصية جددنا لهم نعمة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله انعم على عبده وهو مقيم على معصيته
فاعلم انه مستدرج ثم تلا هذه الاية والاستدراج استفعال من الدرج اي يدنيه الى الهلاك درجة فدرجة
في كتمان وخفية وقد درج الكتاب اي طواه شيا بعد شي ودرج القوم اذا مات بعضهم على اثر بعض ودرج
الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي • وقال عطا نزلت الاية في المستهزئين • وقال القشيري رحمه الله الاستدراج
ان يلقي في اوهامهم انهم من اهل الوصلة وفي الحقيقة سبقت لهم الفرقة في القسمة • وقيل الاستدراج انتشار
الصيت بخرق الخلق والانطواء على الشر في لزمه الحق • وقيل الاستدراج الرجوع عن نوع صفا الاحوال
الى ركوب قبيح الاعمال • وقيل الاستدراج دعاوي عريضة صدرت عن احوال مريضة • وقيل هو انساع
البر مع انتفاء الشكر • وقوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين قال الكلبي اي امهلهم والملاوة بفتح
الميم وضمها وكسرها القطعة من الدهر اي اؤخرهم العذاب مدة وهم يتوهمون انه توسعة عليهم واكرام لهم
وقوله ان كيدي متين • قال الكلبي اي اخذي شديد وقد قتلهم الله كل رجل منهم بنبلة قتل صاحبه وهو قوله
انا كفيناك المستهزئين وتفسير ذلك في تلك الاية ان شا الله تعالى • قال عطا قتلهم في ليلة واحدة والكيد
الاخذ على خفا او مجازاة كيدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والمتين القوي والمتانة القوة
وقوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة وهذا تعجب من الله تعالى عباده من مقام الكفار على
التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم وتسميتهم اياه مجنونا مع علمهم بما الجنون ووجودهم اياه منزها عنه وسنا ه

صاحبهم

صاحبهم انه بنبيهم بصحبتهم وبما لهم • قال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحذرهم عقوبة الله فقام
على الصفا ليلا وجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان الى الصباح فقال قايلهم ان صاحبكم هذا لمجنون
بات يصوت الى الصباح فنزلت الاية • وقوله من جنة اي جنون من مس الجن • وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين اي
ما هو الا مخوف ظاهر • وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض هو نظر القلب بالتفكر والملكوت
الملك الاعظم • وقوله تعالى وما خلق الله من شي عطف على السموات والارض معناه في جميع مخلوقات الله تعالى
من الاشيا • وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي وفي ان يكون اجلهم لعله اقترب وهذا تعجيب من الله
من مقام الكفار على التكذيب بالساعة والجزا والحساب يقول اولم ينظروا نظر استدلال في السموات والارض
وغيرهما الدالة على قدرة الله تعالى وملكه فيعلموا انه لم يخلقها عبثا ولا يترك عباده سدى وانه جعل لهم اقواتا
مدة كونهم في الدنيا ليعملوا بطاعة الله ثم ينقلهم الى دار الجزا فيميز بين المطيع والعاصي وان من مات فقد قامت
قيامته وان اجالهم لعلها قد قربت واذا كان كذلك فقد اشرفوا على الهلاك واذا اهلكوا فلا رجعة ولا تمكن التوبة
فيتوبوا • وقوله تعالى فباي حديث بعده يومنون اي باي كلام بعد اجلهم يومنون اي ليس بعد الموت
مستعتب ولا ايمان نافع ولا دافع للعذاب • وقال عطا قد اقترب اجلهم يعني يوم بدر واحد • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما فباي حديث بعد القرآن يصدقون يعني انه كلام الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
ولو اجتمعت الخلائق على ان ياتوا بمثله فاذا لم يقبلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فباي حديث يقبلون
وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله اولم يتفكروا دليل على ان الحق يلزم وان كان لا يعلم الا بالتدبر والتفكر
لما انه الحق به التهديد والوعيد الشديد • وقال القشيري رحمه الله لاح الله لقلوب الناظرين حقائق
التفضيل فمن لم يعرج في اوطان التقصير انزلته مراكب التيسير باحات التحقيق • وقال في قوله وان عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم الناس في مغاليط امالهم ناسون يوشك اجالهم فكم ناسج لا كفانه وكم بان لا مدانه
وكم زارع لا يحصد زرعه • وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم قرا حمزة والكسائي ويحيى
عن عاصم بالياء المغايبة وجزم الرا عطفا على موضع الفا في جواب الشرط وتقديره لا يهديه احد ويذره الله
وقوله تعالى في طغيانهم • وقرا ابو عمرو بالياء ورفع الرا على الابتداء • وقرا ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر
عن عاصم بالنون والرفع في طغيانهم اي في افراط تمردهم • وقوله تعالى يعمهون اي يتحيرون ومن تحيير
والبداية بالوجدان والعمه بالجمع لما مر انه من العلة واحد واريد به الجنس فصلح لذا وذا يقول من علم الله
منه اختيار الضلالة اضله ومن اضله لم يهتد بالنظر والتفكر • وقوله تعالى يسلونك كانك حفي عنها
اي كانك الحفي في طلب علمها واستقصيت السوال عنها فعلمتها وقد احفى فلان اي الح في المسالة • قال
تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا • وقال الفرا كانك فرح به يقال حفيت به حفاوة وتحفيت تحفيا اي فرحت
به وبششت وتقديره يسلونك عنها كانك حفي به • وقيل الحفي البر اللطيف • قال تعالى انه كان بي حفيا وتقدير
يسلونك عنها كانك حفي بهم اي بر لطيف • وروي انهم قالوا ان بيننا وبينك قرابة فاخبرنا عن وقتها اكراما
منك لنا وعطفا علينا للقرابة وان كنت تكتمها عن غيرنا • وقوله تعالى قل انما علمها عند الله ولكن اكثر
الناس لا يعلمون يتوهمون انه موجود علمها عند غير الله فقطع الله اطماعهم عن معرفتها بخبر من النبي صلى الله
عليه وسلم وانما اعاد قوله قل انما علمها عند الله بعدما قال قل انما علمها عند ربي لان ختم الاية بان الناس
لا يعلمونه فتقدم عليه اثبات علمه ولان الاول علم وقتها والثاني علم كنهها • وقالت عايشة رضي الله عنها كانوا
يراودون رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا السوال الى ان نزل قوله فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها
فكفوا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ان كان هذا السوال عن المكذبين لها فهو سوال استهزا وان كان
من المصدقين فهو سوال استعلام واشفاق ليتاهبوا لها فانهم لما سمعوه يقرا اقتربت الساعة
ويقول بعثت انا والساعة كهاتين وكادت الساعة تسبقني حملهم الخوف على هذا السوال ليعلموا فيستعدوا
وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي انها كاينة او لا يعلمون انك لا تعلم متى تكون او لا يعلمون ما لهم وما
عليهم فيها • وقال القشيري رحمه الله السايل عنها رجلان منكر يتعجب لفرط جهله وعارف مشتاق يستعجل
لفرط شوقه والمتحقق بوجوده ساكن في حاله • وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شا الله
اي انما علم الغيب من قيام الساعة وغيرها من يملك النفع والضر على الاطلاق وهو الله تعالى وانا لا املك
الامرين الا ما ملكني الله تعالى منهما • وقوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال الزجاج
اي ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من معرفته حتى لا يخفى علي شي • وقوله تعالى وما مسني السوء اي التكذيب
وقال الكلبي ولو كنت اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من الخير اي العمل الصالح • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله هذا ليس بقوي لانه لو وان كان لا يعلم متى يموت كان يستكثر الخير ولا يقصر • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح به او يخبرك بالارض

يسلونك عن الساعة ايان مرساها [illegible] ثقلت في السموات والارض [illegible] لا تاتيكم الا بغتة [illegible]

التي يريد ان يجذب فتوتحل منها الى ما اخصبت فانزل الله هذه الآية • وروى حيان عن الكلبي ولو كنت اعلم جدوبة
الارض وقحط المطر لهيأت لسنة القحط ما يكفيها وما مسني السوء اي الفقر والفاقة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
وهذا ايضا ليس بقوي لانه وان كان يمنع ذلك الاستكثار المال ولكن التأويل الصحيح والله اعلم متى قيام الساعة
متى يكون واخبرتكم به فصدقتموني وآمنتم بي لاستكثرت الثواب بايمانكم عند الله وما مسني السوء اي تكذيبكم
اي ولو كنت املك لكم نفعا وضرا لنفعتم ما غاب ودفع ما غاب اتبعتموني فكثر بذلك ثوابي وقيل لا اعلم الغيب
الا ما قدر وحي الي لاستكثرت من الخير ولو كنت اعلم الغيب من يصدقني ومن يكذبني اشتغلت بدعوة من يجيب
دون من لا يجيب فاستكثرت الاتباع والمطيعين قال وقيل في قوله وما مسني السوء اي الجنون جوابا لقولهم
انه مجنون وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة • وقوله تعالى ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون
اي هم المنتفعون بالنذارة والتبشير وتعلق هذا بما قبله اي لست بعالم الغيب بل انا رسول عالم الغيب
ارسلني نذيرا وبشيرا • وقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة بين الانذار وهو للمشركين وذكر
في آخر هذه الآية شرك الكافرين • وقوله من نفس واحدة اي من آدم • وقوله تعالى وجعل منها زوجها اي حوا
وقوله تعالى ليسكن اليها اي ليستأنس بها • وقوله تعالى فلما تغشاها اي وطيها واصله التغطية والرجل
لباس للمرأة والمرأة لباس للرجل فكان اجتماعهما تغشيا • وقوله تعالى حملت حملا خفيفا اي حين كان نطفة
وقوله تعالى فمرت به اي مضت بالماء الى الحفرة او بالحمل تقوم وتقعد وتمشي على سهولة • وقوله تعالى فلما
اثقلت اي صارت ذات ثقل بكبر الولد في البطن • وقوله تعالى دعوا الله ربهما اي سألا الله وقالا لئن
آتيتنا صالحا اي ولدا سوي الاعضاء وقيل صالحا في الدين • وقيل اي له صلاحية كل شيء مما يرجوه الآباء
والامهات من الاولاد • وقوله تعالى لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك • وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به
بتخفيف الراء من مرى يمري اي شكت انها حملت ام لا • وقيل اي شكت ان في بطنها بشرا مثلها او بهيمة • وقوله
تعالى فلما آتاهما صالحا اي ولدا سويا جعلا له شركا قرأ نافع وعاصم في رواية ابي بكر بكسر الشين ومعناه
نصيبا كما في قوله ام لهم شرك اي نصيب • وقرأ الباقون شركاء بضم الشين ومد الآخر وهو جمع شريك • وقوله
تعالى فتعالى الله عما يشركون اي تنزه الله عن الشريك • قال الكلبي ان ابليس اتى حوا حين اثقلت في صورة
رجل فقال لها ما هذا الذي في بطنك فقالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة وذلك اول ما حملت
فقالت ذلك لآدم فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد اليها فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله تعالى فولدت
انسانا اتسميه بي قالت نعم قال فاني ادعو الله فاتاها وقد ولدت غلاما فقال لها تسميه باسمي قالت
وما اسمك قال الحارث فسمته عبد الحارث وقد ذكر في هذه القصة روايات وكلها باطلة وقد ردها الامام ابو
منصور رحمه الله وغيره من الائمة اشد هذا الرد وابوا ان يكون آخر الآية المذكورة في الشرك في حقهما ولئن ثبت
انهما سمياه عبد الحرث فهو ليس بشرك فان المملوك يسمى عبد مالكه وهو ليس بشرك والتأويل الصحيح للآيتين هو
ما قال الحسن البصري رحمه الله ان اول الآية في حق آدم وحوا وهو كالكلام المعترض والآية الثانية المتصلة
بها في حق المشركين وسياقهما على قوله هو الذي خلقكم ايها الناس من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها
حوا ليسكن اليها فلما تغشى آدم حوا حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعا آدم وحوا ربهما لئن اعطيتنا
ولدا سويا صالحا في الدين لان آدم رأى حين اخذ الميثاق على ذريته جميع اولاده منهم السوي ومنهم غير السوي
ومنهم التقي ومنهم غير التقي فسألا ان يكون هذا الولد سويا تقيا وقالا لئن آتيتنا ذلك لنشكرن لك فاعطاهما
الله ذلك فشكرا لان آدم وحوا لم يكونا ليعبدا من نعتهما ذلك ولا يفعلا هذا مفهوم وان لم يذكر وتم الكلام
ثم قوله تعالى فلما آتاهما صالحا اي فلما اعطاهما بعدهما من اولادهما كل والد ووالدة من اهل الشرك ولدا
سويا الاعضاء جعل هذان الابوان لله شركاء فيما اعطاهما وذلك على وجوه منها انهم يسمون الاولاد عبد العزى
وعبد اللات وعبد مناة وعبد يغوث ونحو ذلك ومنها انهم كانوا ينوطون بالاولاد حال ما ولدوا فيمسحونها
بالاصنام ويسجدون لها شكرا على هذه النعمة • ومنها انهم كانوا يعلمونه اولادهم الشرك ويحملونهم عليه وانما
صرف قوله تعالى فلما آتاهما صالحا الى هذين الابوين لان اول الآية هو الذي خلقكم وهو خطاب اجمع
فتناول كل الناس فكان هذان الابوان فيهم ويدل عليه ما بعده قوله فتعالى الله عما يشركون وهو جمع فدل على
انه على المشركين دون آدم وحوا وفيه اقاويل كثيرة ووجوه مختلفة وما ذكرنا اصحها واسلمها • وقوله
تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اي الاصنام وانما ادخل فيها الواو والنون وذلك فيما
يعقل والاصنام جماد لانهم كانوا يعظمونها وينزلونها منزلة العاقلين المختارين فالحقوها بهم كما في قوله
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين • وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون قال مقاتل اي لا تقدر الاصنام منع السوء اذا نزل بعبدتها ولا تمتنع الاصنام ممن ارادها
بسوء من كسر ونحوه فكيف يعبدون من هذا حاله ويتركون عبادة الله وهو عطف على قوله ايشركون وهو استفهام

ولو كنت اعلم

ولو كنت اعلم الغيب اي ولا استكثرت من الخير

يعني

بمعنى التوبيخ • وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قرأ نافع بالتخفيف على الثلاثي • وقرأ الباقون بالتشديد
على الافتعال منه ومعناه وان تدعوا انتم هؤلاء المشركين الى الهدى لم يتابعوكم عليه • وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون اي ساكتون وهو كقوله ام لم تنذرهم لا يؤمنون وهو في قوم معاندين علم الله منهم ذلك وقيل
وان تدعوهم اي الاصنام التي تدعونها الهة عباد الله امثالكم وانما جعلها عبادا لله وهي جماد معناه مخلوقة وقد مر ذكر ذلك
في الآيات التي قبلها لم يكن منها جواب لانها لا تعقل فدعاؤها والصمت منها سواء • وقوله تعالى ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم اي الاصنام التي تدعونها الهة عباد لله امثالكم وانما جعلها عبادا لله وهي جماد لانها
مخلوقة وكل مخلوق لله فهو ذليل لله كالعبد • وقيل في قوله عباد الف الاستفهام مضمرة وتقديره اعباد امثالكم وانما اضمرها
بيانا كما في قوله يخادعون الله اي ايخادعون الله • وقوله هذا ربي اي اهذا ربي وهذا استفهام بمعنى النفي اي
ليسوا بعباد امثالكم بل هم دونكم ودليله ما ذكر في الآية التي بعدها الهم ارجل يمشون بها الآية اي لانها تعرفون
من عبادة ما هو دونكم فانها ليست لها جوارح عاملة ولكم ذلك • وقوله تعالى فادعوهم هذا الدعاء غير الدعاء
المذكور في اول الآية اي هذا دعاء السؤال اي سلوا حوائجكم هذه الاصنام • وقوله تعالى فليستجيبوا لكم
ان كنتم صادقين اي فليجيبوكم ان كنتم صادقين انها الهة وهو على وجه التوبيخ والانكار • وقوله تعالى
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها استفهام
بمعنى النفي اي ليست لهم صفات هذه الآلات ولهم صور هذه الجوارح بلا صفات ولكم الجوارح والصفات
فهي دونكم فكيف تعبدونها اياهم وهذا تسفيه لهم • وهو كقول ابرهيم يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا • وقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم اي اصنامكم جعلتموها شركاء لله واضافها اليهم لادعائهم
ذلك • وقيل اي الذين شاركوكم في الكفر • وقوله تعالى ثم كيدون فلا تنظرون اي قد ذممت اصنامكم وسفهت
عقولكم واحلامكم فاقصدوني بما شئتم من الكيد ولا تمهلوني فاني لا اخافكم في الله وهذا من صدق توكله على الله
وهكذا كان سائر رسل الله قال الله تعالى خبرا عن نوح عليه السلام فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم الى قوله
ولا تنظرون • وقال تعالى خبرا عن هود عليه السلام اني توكلت على الله ربي وربكم بعد قوله فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون • وقال خبرا عن ابرهيم عليه السلام قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله ربنا عليك
توكلنا • وقال القشيري رحمه الله صدق التوكل يوجب ترك المبالاة بغير الله وكيف لا يكون كذلك والمنفرد
بالقدرة على النفع والضر والخير والشر هو الله تعالى • وقوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب
يقول كيدوني فلا تنظرون فان ناصري وحافظي الله الذي اكرمني بانزال القرآن علي • وقوله تعالى وهو
يتولى الصالحين اي يكفي جميع مهمات جميع الصالحين ايضا • وقال القشيري رحمه الله من قام بحق الله
تولى الله اموره على وجه الكفاية فلم يحوجه الى امثاله واجرى اموره على ما يريده بافضاله فان لم يفعل
ما يهواه جعله راضيا بما يقضاه فيكون روح الرضا اتم له من نفع العطاء • وقوله تعالى والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون كرر هذا لان الاول للتقريع والثاني للتقرير ان وليي
الله الذي ينصرني ومعبودكم لا ينصركم • وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا قيل اي الاصنام
كما في قوله لا يتبعوكم وكذا قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يحتمل الوجهين فان حمل على الاصنام
فمعنى النظر المقابلة كما يقال دور بني فلان تتناظر اي تتقابل • وقيل معناه كأنهم ينظرون اليك وليست
لهم اعين باصرة وان حمل على المشركين فمعناه ينظرون الى صورتك ولا يبصرونك على صفاتك بحقيقتك
ولو رأوك كما انت لآمنوا بك واتبعوك • وقوله تعالى خذ العفو امر محمدا صلى الله عليه وسلم بعد
تزييف المشركين ان كيدهم لا يضره بمكارم الاخلاق الداعية الى الالفة والاتفاق فقال خذ من الناس اي
اقبل منهم ما عفا لك من اخلاقهم اي تيسر وسهل ولا تكلفهم الجهد من قولك اخذت حقي عفوا اي بسهولة ه
وروي انه سأل جبريل عليه السلام الاخذ بالعفو فقال ان تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك
وتحسن الى من اساء اليك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما خذ العفو اي خذ فضل اموال الناس من قوله
ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وذلك قبل فرض الزكاة • وقال الضحاك اي خذ ما عفا لك من اموال الناس
ولا تسألهم ما وراء ذلك وهو قبل فرض الزكاة وبعد ذلك امر ان يأخذ منهم طوعا وكرها • وقوله تعالى وأمر
بالعرف اي بالمعروف وهو ما عرف حسنه العقل والشرع وهو كالنكر بمعنى المنكر وقال الزجاج العرف تقوى
الله وصلة الارحام وصون اللسان عن الكذب ونحوه وغض البصر عن المحارم وكف الجوارح عن المآثم • وقوله
تعالى واعرض عن الجاهلين هو كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما واذا مروا باللغو مروا كراما
وهو تحمل الاذى والعفو عن الجاني والحلم عمن جفا • وقال عطاء وأمر بالعرف بلا اله الا الله ومنه قوله ه
والمرسلات عرفا اي الانبياء ارسلوا بلا اله الا الله • وقال مقاتل واعرض عن الجاهلين يعني ابا جهل واصحابه
والمنسوخة آية السيف • وقال عبد الرحمن بن زيد لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف

يا رب والغضب نزل قوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله اما كلمتان ان التي هي للشرط وما التي هي صلة زائدة والنون في ينزغنك للتأكيد والنزغ الازعاج للحركة الى الشر وقال مقاتل يعني وإما يفتننك من الشيطان فتنة وقال عطا وإما يعرضنك من الشيطان عارض ومعناه ان اعترض لك الشيطان بافساد شي من هذه الاخلاق التي امرتك بها ● وقوله تعالى فاستعذ بالله اي فاستعصم به من الشيطان الرجيم يعصمك ويثبتك هذا الجواب معتبر في الجزء ● وقوله تعالى انه سميع عليم اي سميع لكلامك عليم بمرادك وقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا قرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طائف بالالف والباقون طيف بغير الف وقرا سعيد بن جبير طيف بتشديد الياء وهما واحد عند بعضهم كالميت والميت والمايت فالميت وقيل الطيف مصدر والطائف نعت ● وقال الزجاج طاف الخيال يطيف بالياء وطاف عليهم يطوف اي دار بالواو ومن جعل هذا من الطوف الواوي قال الطيف اصله طيف بالتشديد ثم خفف وهو كالهين والهين والطيف والطائف ما الم بالانسان من عوارض الشيطان يقول ان المؤمنين المتقين الله اذا الم بهم طيف من الشيطان اي وسوسة باغراء وتنفيذ غضب وقوله تذكروا اي مواعظ الله ● وقوله تعالى فاذا هم مبصرون قيل ابصروا فانتهوا ● وقيل ابصروا الرشد فسلكوا طريقه فسلموا من نزغه وان ارتكبوا اثما ثم تذكروا وتابوا نغفر لهم اي يا محمد فكذلك فكن ● وقال القشيري رحمه الله وفيه دليل ان المتقين تذبذب لهم ذلك وهو في حال غفلتهم عن ذكر الله والذاكر قد يغفل ولكل صارم نبوة ● ولكل عالم هفوة ● ولكل جواد كبوة ● ولكل عابد شرة ● ولكل قاصد فترة ● ولكل سائر وقفة ● ولكل عارف حجبة ● قال النبي صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي ● وقال صلى الله عليه وسلم ان الحدة لتعتري خيار امتي اي قد يعتريهم ذلك مع علو رتبتهم فتخرجهم عن دوام الحلم ● وقوله تعالى واخوانهم اي واخوان الشياطين وهم الغواة ● وقوله تعالى يمدونهم في الغي اي الشياطين يدعونهم في الغي ● وقوله تعالى ثم لا يقصرون اي لا يكفون بعد ما مدهم الشياطين في غيهم اي من عمل ما يامرونه به الشياطين فان الشياطين يزيدون في غيهم ويلحون عليهم بالاغراء لا يمسكون عنه حتى يهلكوهم فلا يقصرون صفة الشياطين على هذا ● وقيل صفة الغواة المشركين انهم لا ينتهون عن الغي ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآيات تقديم وتاخير وتمام ينظرون اليك وهم لا يبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا اختلقتها من تلقاء نفسك الآية ثم بعدها ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الآية ● وقوله تعالى واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ان الشياطين ليمدونهم في الغي ومن ذلك انهم يحملونهم على ان يطالبوك بالآيات المقترحة فاذا سالوك احيانا مثل كلامهم وعوذك فلم تاته به قالوا لك هلا اخترت هذا الذي سالناك وانت تدعي انك رسول الله بزعمك والرسول معجزة فهلا تاتينا بالمعجزة التي نطلب منك ● وقال الكلبي رحمه الله اي واذا لم تات اهل مكة باية سالوكها تعنتا قالوا هلا تلقيتها فاتيتنا بها من قبل ان نسالكها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ● وقيل اذا لم تاتهم باية اقترحوها قالوا اما انت تتقوله فهلا اخترت شيا تقرؤه علينا من عند نفسك وما اعتذارك بابطاء الوحي عنك وليس ما تاتي به وحيا قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولا اختلقه من عند نفسي ● وقال مجاهد لولا اجتبيتها اي هلا ابتدعتها ● وقال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اي اقتلعته ● وقوله تعالى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اي هذا القران حجج ظاهرة يبصر بها الحق وهادي الى الطريق المستقيم ويرحم الله من عمل به فيدخلهم الجنة وهذا نفع يختص به المؤمنون ● وقوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ويتصل بقوله هذا بصائر يعني القران ● وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت هذه الآية ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة كان الرجل ياتي وهم في الصلاة فيسلم ويسالهم كم صليتم وكم بقي فنزلت الآية ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان المسلمون يتكلمون في الصلاة فحرم الكلام في الصلاة بهذه الآية ● وقال ابن مسعود وسعيد بن جبير وعطا ومجاهد وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم والقسم بن مخيمرة هذا في الخطبة ● وقال مجاهد في الخطبة والصلاة ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا في المكتوبة وقرا اصحابه خلفه فنزلت هذه الآية وكذلك روي عن ابي العالية وعلي بن احمد وهو نص على انه لا قراءة على المقتدي وان قراءة الامام قراءة له ● وقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول قال ابن عباس رضي الله عنهما عني بالذكر القراءة في الصلاة تضرعا جهرا باللسان وخيفة سرا في القلب ودون الجهر من القول اي لا جهرا مفرطا ● وقوله تعالى بالغدو والاصال اي العشيات وهو جمع اصيل وهو بين العصر والمغرب كاليمين والايمان ● وقيل الاصيل واحد وجمعه الاصل وجمع الاصل الاصال وهي جمع جمع ● وقيل الاصل اسم للواحد ايضا ● وقيل التضرع الاستكانة والخيفة الخوف والذكر هو ذكر اللسان والغدو والاصال في خو الصلاة

تخصيص

تخصيص لهذين الوقتين بالذكر كما في قوله طرفي النهار فاراد به الذكر على الدوام ● وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين غافلين واراد به امته اي لا تقتدوا بالغافلين لكن بالملائكة الذين لا يغفلون وذلك وقوله تعالى ان الذين عند ربك هم الملائكة وعند بيان قرب الكرامة دون المكان فان الله تعالى يتعالى عن ذلك ● وقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون اي فكونوا انتم كذلك وقال القشيري رحمه الله اثبت لهم عندية الكرامة وحفظ عليهم احكام العبودية لئلا يشغلهم حال جمعهم عن نعت تفرقتهم هذه سنة الله مع خواص عباده يلقيهم خصائص عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين التفرقة لئلا يخلوا باداب العبودية في اوان وجود الحقيقة ● الحمد لله رب العالمين ● وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

سورة الانفال مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم ● الرحمن الذي لم يعاجل بالعقوبة للقائلين امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ● الرحيم الذي وعد الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا بالمغفرة والرزق الكريم ● وسورة الانفال مدنية ● وقيل الا اية وهي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ● وقيل غير قوله يا ايها النبي حسبك الله فانها نزلت بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال وهي خمس وسبعون اية ● وقيل ست وسبعون اية ● وقيل سبع وسبعون اية ● والاختلاف في ثلاثة مواضع ثم يغلبون وكان مفعولا بنصره وبالمؤمنين ● وكلماتها الف ومايتان واربع وثلاثون ● وحروفها خمسة الاف ومايتان واحد وتسعون وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيعه يوم القيامة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملة العرش يستغفرون له ايام حياته ● وذكر في تفسير عبد بن حميد مسندا عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه من سورة الانفال فينا نزلت معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في الانفال وساءت فيه اخلاقنا فانتزعها الله من ايدينا فجعلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما انزل من قوله يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسمها على السواء ● ثم انتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة ان الله ختم تلك السورة بذكر عظماء السماء وهم الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بانهم لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ● وافتتح هذه السورة بذكر عظماء الارض وهم المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ● ووجه اخر انه ذكر في ختم تلك السورة الخيفة وفي افتتاح هذه السورة الوجلة وهما واحد ● ووجه اخر ذكر هناك الاستماع للقران والانصات وذكر هنا ما زاد في يقين المؤمنين اذا تليت عليهم تلك الآيات ● ووجه اخر انه ذكر هناك ان الذين اتقوا وذكر هنا واتقوا الله ● وانتظام هذه السورة بتلك السورة ان سورة الاعراف في بيان نصر المؤمنين ونجاتهم واهلاك الكافرين وعقوباتهم في ازمنة سائر المرسلين ● وهذه السورة في نصر المؤمنين ونجاتهم واهلاك الكافرين في زمن خاتم النبيين وما وقع ببدر بصناديد المشركين ● وقوله تعالى يسالونك قيل هو سؤال الاستفتاء وقيل سؤال الاستعطاء ● والانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصله الزيادة ومنه نوافل العبادات ● ونوافل الولادات والنفل بالسكون التطوع ● وقيل الانفال ههنا ما كان ينفله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغزاة على الخصوص من سلب المقتول ونحوه ● وقوله تعالى عن الانفال قل الانفال لله والرسول اي يسالك اصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها انت واصحابك يوم بدر لمن هي قل هي لله ولرسوله اي يجعل الله الامر فيه الى ما يراه رسوله لا حق لاحد منكم في شيء منها الا ما اعطاه الرسول وله البذل والحرمان والزيادة والنقصان روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما كان يوم بدر قال النبي صلى الله عليه وسلم من صنع كذا فله كذا فتسارع في ذلك الشبان وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله تعالى وكانت الغنائم جاؤوا يطلبون ما جعل لهم فقالت الشيوخ لا تذهبوا بها دوننا فقد كنا ردءا لكم فتنازعوا فنزلت الآية ● وقال ابو امامة الباهلي سالت ابا عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت به اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين ● وقال سعد بن ابي وقاص نزلت في هذه الآية وذلك اني اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيف فقلت يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله به من المشركين واني اصبته فاعجبني فهبه لي فقال ليس هذا لي ولا لك فقلت عسى ان يعطيه من لم يبل بلائي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفي فقلت يا رسول الله خفت ان يكون نزل فيّ شيء فقال ان السيف قد صار لي ونزل يسالونك عن الانفال الآية ● وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية اولا

ويتخلف انت فقال سعد لو كان غير الجنة لآثرتك اني لأرجو الشهادة في وجهي هذا فقال خيثمة آثرني به فاقم فابى سعد
فقال خيثمة انه لابد لاحدنا من ان يقيم فاستهما فخرج سهم سعد فمضى فاستشهد وفي اول الاية وجه آخر كما اخرجك ربك
من بيتك وهم كارهون فكان خيرا لهم فكذلك فاصلحوا ذات بينكم ولا تنازعوا في الانفال وان كرهتم ذلك فهو خير لكم
قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم قاله عكرمة وقيل هذا امر من الله لرسوله ان يمضي لامره في الغنائم على كره
من اصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون • وقيل الكاف بمعنى على اي امض على ما اخرجك
ربك من بيتك كما تقول لكن كما انت اثبت على حالك • قال الواقدي كانت وقعة بدر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان
على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة وكان عير قريش ترجع من الشام وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
فقال هذه عير قريش فيها اموالهم لعل الله يغنمكموها فاسرعوا فقال مقاتل كان فيهم ابو سفيان بن حرب وعمرو
ابن العاص وعمرو بن هشام ومخرمة بن نوفل الزهري في اربعين راكبا فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
بامر العير فندب النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فسارعوا وبلغهم ان النبي صلى الله عليه وسلم يريدهم فبعثوا
ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة مستغيثا فخرجت قريش واخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لاصحابه ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش فانتم تريدون فاشاروا اليه بالعير وكرهوا
القتال فقالوا انا لم نتخذ اهبة للقتال انما خرجنا الى العير فاعاد المشورة فاشاروا بالعير فقال سعد
ابن عبادة يا رسول الله انظر امرك فامض له فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ففرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك • وقال المقداد بن الاسود الكندي يا رسول الله انا لا نقول لك كما قال اوهم
بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون بل نقول امض لامر ربك فانا بين يديك مقاتلون
ما دامت منا عين تطرف فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال له خيرا • وفي رواية قال المقداد فوالذي نفسه
بيده لو سرت الى برك الغماد وهي مدينة بالحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بالخير • وفي رواية
الواقدي لما استشارهم قام ابو بكر فاحسن ثم قام عمر فاحسن ثم قال يا رسول الله انها والله قريش ما ذلت
منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لا تسلم ولتقاتلنك فتاهب اهبته واعد لذلك عدته ثم قام المقداد
وقال ما ذكرنا • ثم [illegible] المقداد وقال لما ذكرناه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس
وانما يريد الانصار وكان يظن ان الانصار لا تنصره الا في الدار وذلك انهم شرطوا له ان يمنعوه مما يمنعون
منه انفسهم واموالهم واولادهم فلما قال ذلك قام سعد بن معاذ فقال انا اجيب عن الانصار كانك
يا رسول الله تريدهم قال اجل قال انك عسى ان تكون خرجت على امر قد اوحي الله اليك فانا قد آمنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئتنا به حق واعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبي
الله لما اردت ونحن معك ما بقي منا رجل فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي
منا رجل وصل من شئت واقطع من شئت وخذ من اموالنا ما شئت وما اخذت من اموالنا احب الينا مما تركت
فلما فرغ سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصارعهم يومئذ هذا مصرع فلان وهذا
مصرع فلان فما عدا كل رجل مصرعه فعلم القوم انهم ملاقو القتال وان العير قد تفلتت ورجوا النصر لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة
مضت من رمضان فبعث عليا والزبير وسعد بن ابي وقاص وبسبس بن عمرو يتجسسون على الماء وقال ارجوا
ان تجدوا الخبر عند هذا القليب فجاؤوا فوجدوا على القليب روايا قريش فيها سقاؤهم فافلت عامتهم وكان
فيهم عجير فهذا اول من جاء قريشا بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فنادى في العسكر يا آل
غالب هذا ابن ابي كبشة واصحابه قد اخذوا سقاءكم فماج العسكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسقائين
قريش فقالوا ما خلف هذا الكثيب الذي ترى قال كم هم قالوا بين الالف والتسعمائة فقال من خرج من مكة
قالوا لم يبق احد الا خرج فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد القت افلاذ
كبدها وكان المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر ومعهم سبعون بعيرا وكان
يتعاقب على البعير الاثنان والثلاثة والاربعة فكان النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة وعلي يتعاقبون
بعيرا واحدا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين نزل بالمنزل الاول في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان
تنقلوا الى اصحابه فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم وجياع فاشبعهم وعراة فاكسهم وعالة فاغنهم من فضلك
فما رجع احد الا ومعه بعير او بعيران واكتسى من كان عاريا واصابوا طعاما من ازوادهم واصابوا فداء
الاسارى فاغنى به كل عائل وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت قبل قدوم ضمضم بن عمرو رؤيا افزعتها
فارسلت الى اخيها العباس بن عبد المطلب وقالت يا اخي رايت راكبا اقبل على بعير حتى وقف بالابطح
ثم صرخ باعلى صوته يا آل غدر انفروا الى مصارعكم في ثلاث فاتبعه الناس فدخل المسجد والناس

يتبعونه

يتبعونه اذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها ثلاثا ثم مثل به بعيره على ابي قبيس فصرخ مثلها ثلاثا ثم اخذ
صخرة من ابي قبيس فارسلها فاقبلت تهوي حتى كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة الا دخلته
منها فلقة وكان عمرو بن العاص يقول لقد رايت كل هذا ورايت في دارنا فلقة من الصخرة ولقد كان فيه عبرة
ولكن الله لم يرد ان نسلم يومئذ واخر اسلامنا الى ما اراد الله فاغتم العباس لذلك وخرج فلقي الوليد بن عتبة
ابن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه ففشا الحديث في الناس قال فغدوت اطوف بالبيت
وابو جهل في رهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة قال ابو جهل يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبأ رجالكم
حتى تتنبأ نساؤكم زعمت عاتكة انها رات في المنام كذا انفروا في ثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون
وان مضت الثلاث ولم يكن نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب فقال يا مصفر استه انت اولى
باللؤم والكذب منا فقال العباس فغدوت في اليوم الثالث وانا حديد مغضب ارى ان قد فاتني منه
امر احب ان ادركه فوالله اني لامشي نحوه وكان رجلا حديدا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب
بني سهم يشتد فقلت ما له لعنه الله اكل هذا فرقا من ان اشاتمه فاذا هو قد سمع صوت ضمضم وهو يقول يا معشر
قريش اللطيمة قد عرض لها محمد في اصحابه الغوث الغوث وتجهزت قريش فاخرجت اسلحتها واعانت قويهم ضعيفهم
وخرجوا واقبل ابو سفيان بالعير وخافوا خوفا شديدا حتى دنوا من المدينة واستبطؤوا ضمضما والنفير
فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر غشيتهم تلك الليلة ظلمة وكان اللذان بعثهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتجسس الخبر نزلا بدرا وسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها انما العير غدا او بعد غد فرجعا
واصبح ابو سفيان ببدر فراى ابعارا ففتها فاذا فيها نوى فقال والله هذه علائف يثرب هذه عيون محمد بامام
واصحابه ما اراهم الا قريبا فعدل بعيره وسار بهم الى مكة من طريق الساحل وترك بدرا فانطلق سريعا
وخرج اهل مكة ونزلوا حيث قلنا في حديث سؤال النبي صلى الله عليه وسلم السقاء قال لاصحابه اشيروا علي
في المنزل فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله ارايت هذا المنزل منزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه او نتاخر
عنه ام هو الراي والحرب والمكيدة فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الراي والمكيدة والحرب قال فان هذا
ليس بمنزل انطلق بنا الى ادنى ماء الى القوم فاني عالم بها وبقلبها بها قليب قد عرفت عذوبة مائه وماء كثير
لا ينزح ثم نبني عليه حوضا ونقذف فيه الانية فنشرب ونقاتل ونغور ما سواه من القلب فنزل جبريل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال الراي ما اشار اليه الحباب فقال صلى الله عليه وسلم الراي ما اشرت اليه •
ونهض صلى الله عليه وسلم وفعل ذلك فلما تحول الى المنزل ارسل عمار بن ياسر وابن مسعود فاطافا بالقوم
ثم رجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا القوم مذعورون فزعون ان الفرس ليريد ان يصهل فيضرب
وجهه مع ان السماء تسح عليهم فلما اصبحوا قال نبيه بن الحجاج وكان رجلا يبصر الاثر هذا اثر ابن سمية وابن
ابن ام عبد اعرفهما قد جاءنا محمد بسفهائنا وسفهاء اهل يثرب وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش
من جريد فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحا بالسيف فدخل النبي صلى الله عليه وسلم العريش
هو وابو بكر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدوة الشامية ونزلوا بالعدوة اليمانية ثم [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فنزل جبريل عليه السلام اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الاية
وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف فتقدم سواد بن غزية امام الصف فدفع النبي صلى الله
عليه وسلم في بطن سواد بقدح وقال استو يا سواد فقال اوجعتني والذي بعثك بالحق نبيا اقدني
فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه ثم قال استقد فاعتنقه وقبله فقال له ما حملك على ما صنعت
فقال حضر من امر الله ما ترى فخشيت القتل فاردت ان يكون آخر عهدي بك ان اعتنقك • وقال علي رضي
الله عنه هبت ريح لم ار مثلها قط شدة ثم ذهبت فجاءت مثلها اخرى ثم ثالثة فكانت الاولى جبريل في الف
من الملائكة فكانوا امام رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية ميكائيل في الف فكانوا في ميمنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي بكر والثالثة اسرافيل في الف ونزل على ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
في الميسرة ولما هزم الله اعداءه حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسه فجرت بي فلما جرت خررت
على عنقها فدعوت ربي فامسكني حتى استويت وما لي وللخيل انما كنت صاحب غنم فلما استويت طعنت
بيدي هذه حتى اختضب مني ابطي وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد
فاني احثكم على ما حثكم الله عليه وانهاكم عما نهاكم الله عنه فان الله عظيم شانه يامر بالحق ويحب الصدق
ويعطي على الخير اهله على منازلهم عنده به يذكرون وبه يتفاضلون وانكم قد اصبحتم بمنزل من منازل الحق
لا يقبل الله فيه من احد الا ما ابتغي به وجهه وان الصبر في مواطن الباس مما يفرج الله به الهم وينجي من الغم
تدركون النجاة في الاخرة فيكم نبي الله يحذركم ويامركم فاستحيوا اليوم ان يطلع الله على شيء من امركم يمقتكم عليه
فان الله تعالى يقول لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم انظروا الذي امركم به في كتابه واراكم في آياته واعزكم بعد

ذلة فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم وابلوا ربكم في هذه المواطن امرا تستوجبون به الذي وعدكم من رحمته ومغفرته
فان وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد وانما انا وانتم بالله الحي القيوم اليه الجأنا ظهورنا وبه اعتصمنا وعليه
توكلنا واليه المصير يغفر الله لي وللمسلمين ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا تصوب في الوادي وكان
اول من طلع زمعة بن الاسود على فرس له يتبعه ابنه فاستجال بفرسه يريد ان يتبوأ للقوم منزلا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انك انزلت علي الكتاب وامرتني بالقتال ووعدتني احدى الطائفتين وانت
لا تخلف الميعاد اللهم وهذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم نصرك الذي
وعدتني اللهم احنهم الغداة ولما نزل القوم ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب الى قريش فقال
ارجعوا فانه يلي هذا مني غيركم احب الي من ان يكونوا انتم واليه من غيركم احب الي من ان اليه منكم فقال حكيم بن
حزام قد عرض نصفا فاقبلوه والله لا تنصروا عليه بعدما عرض من النصف فقال ابو جهل والله لا نرجع بعد
ان امكن الله منهم ولا اطلب اثرا بعد عين ولا يتعرض لعيرنا بعد هذا ابدا فلما تزاحف الناس قال الاسود
ابن عبد الاسد المخزومي اعاهد الله لاشربن من حوضهم او لاهدمنه او لاموتن دونه فشد حتى دنى من الحوض
فاستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فقطع قدمه فزحف الاسود حتى وقع في الحوض وهدمه برجله
الصحيحة وشرب منه واتبعه حمزة فضربه في الحوض حتى قتله والمشركون ينظرون على صفوفهم وهم يرون
انهم ظاهرون فدنا الناس بعضهم من بعض فقال عكرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان تطع قريش صاحب
الجمل الاحمر يرشدوا يعني عتبة لانه قال يا معشر قريش لا تقاتلوا هؤلاء فانكم ان فعلتم لم يزل الرجل منكم
ينظر في وجه قاتل اخيه وابنه وابن عمه فان يكن محمد ملكا اكلتم في ملك اخيكم وان كان نبيا كنتم اسعد
الناس به وان يكن كذابا كفتكموه العرب فابوا ان يطيعوه فقال لا انشدكم الله في هذه الوجوه التي كانها
المصابيح ان تجعلوها كانها وجوه الافاعي فقال ابو جهل لقد انتفخ سحرك فقال عتبة يا مصفر استه ستعلم
اينا الجبان اللئيم المفسد لقومه ثم قال لاخيه شيبة وابنه الوليد قوما فخرج عتبة وشيبة والوليد
حتى فصلوا من الصفوف ثم دعوا للمبارزة فخرج اليهم فتيان ثلاثة من الانصار وهم بنو عفراء معاذ
ومعوذ وعوف فاستحيى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وكره ان يكون اول قتال لقي فيه
المسلمون المشركين في الانصار واحب ان تكون الشوكة ببني عمه وقومه فامرهم فرجعوا الى مصافهم و
وقال لهم خيرا ثم نادى منادي المشركين يا محمد اخرج لنا الاكفاء من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوموا يا بني هاشم فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله فقام
حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فمشوا اليهم
فقال عتبة تكلموا نعرفكم وكان عليهم البيض فانكروهم فقال حمزة انا حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد
رسوله فقال عتبة كفو كريم وانا اسد الحلفاء من هذان معك فقال علي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث
فقال كفوان كريمان ثم قال عتبة لابنه الوليد قم يا وليد فقام اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان
اصغر النفر فاختلفا ضربتين فقتله علي ثم قام عتبة فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فقتله حمزة ثم قام
شيبة فقام اليه عبيدة بن الحارث وهو يومئذ اسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب شيبة
رجل عبيدة بذباب السيف فاصاب عضلة ساقه فقطعها وكر حمزة وعلي على شيبة فقتلاه واحتملا عبيدة
فجاءا به الى الصف ومخ ساقه يسيل فقال عبيدة يا رسول الله الست شهيدا قال بلى ونزلت فيهم هذه الاية
هذان خصمان اختصموا في ربهم الاية واذ ابليس تصور بصورة سراقة بن جعشم يحرض المشركين انه لا غالب
لكم اليوم من الناس فلما ابصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون فتشبث
به الحارث بن هشام وهو يرى انه سراقة فلما سمع كلامه ضرب في صدر الحارث فسقط وانطلق ابليس
لا يرى حتى وقع في البحر ورفع يديه وهو يقول يا رب موعدك الذي وعدتني واقبل ابو جهل على اصحابه
يحضهم على القتال وقال لا يغرنكم خذلان سراقة اياكم فانما كان على ميعاد من محمد واصحابه سيعلم اذا
رجعنا الى قومه ما نصنع بقومه ولا يهولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا وبطروا حين
قاتلوا وايم الله لا نرجع اليوم حتى نفرق محمدا واصحابه في الجبال فلا الفين احدا منكم قتل محمدا ولكن
خذوهم اخذا حتى نعرفهم بالذي صنعوا بمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان عليه اباؤهم وكان اخفية من قريش
سبعة قد اسلموا فاحتبسهم اباؤهم فخرجوا معهم الى بدر وهم على الارتياب فلما رأوا قلة اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم الايات والتحم القتال ورسول الله صلى الله عليه وسلم رافع يديه
يسأل الله النصر وما وعده ويقول اللهم ان تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك ولا يقوم لك دين وابو بكر
رضي الله عنه يقول والله لينصرنك الله يا رسول الله وليبيضن الله وجهك فانزل الله تعالى الفا من الملائكة
مردفين وكان سيما الملائكة عمائم قد ارخوها بين اكتافهم خضرا وحمرا وصفرا من نور والصوف من نواصي

في مغافرهم وقلائدهم وكان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم ويقولون انا قد دنونا منهم
فسمعناهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا وذلك قوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا
واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرماهم بها وقال شاهت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل
اقدامهم فانهزم اعداء الله لا يلوون على شيء والمسلمون يقتلون ويأسرون واقبل عاصم بن عوف كانه ذئب فقال
يا معشر قريش عليكم بالقاطع مفرق الجماعات الاتي بما لا نعرف محمد لا نجوت ان نجا واعترضه ابو دجانة فاختلفا
ضربات وضربه ابو دجانة فقتله فوقف على سلبه يسلبه فمر به عمر وهو على تلك الحال فقال دع سلبه حتى
يجهض العدو وانا اشهد به لك ولما رأت بنو مخزوم مقتل من قتل اجمعوا على ان يلبسوا لامة ابي جهل رجلا
منهم فالبسوها عبد الله بن المنذر فقصده علي فقتله وهو يراه ابا جهل فضربه فقتله وهو يقول له خذها وانا
ابن عبد المطلب ثم البسوها ابا قيس بن الفاكه فقصده حمزة وهو يراه ابا جهل فضربه فقتله حمزة وهو يقول
خذها وانا ابن عبد المطلب ثم البسوها اخر فابى ان يلبسها يومئذ فقال معاذ بن عمرو بن الجموح نظرت
الى ابي جهل يومئذ في مثل الحرجة وهم يقولون يا ابا الحكم لا يخلص اليك فعرفت انه هو فقلت والله لاموتن
دونه او لاخلصن اليه فقصدته حتى اذا امكنتني منه غرة حملت عليه فضربته ضربة طرحت رجله من الساق فشبهتها
بالنواة تنزو من تحت المراضخ ثم اقبل ابنه عكرمة علي فضربني على عاتقي فطرح يدي من العاتق الا انه بقيت فانا
اسحب يدي بجلدة من خلفي فلما اذتني وضعت عليها رجلي فتمطيت عليها حتى قطعتها وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم نفل معاذ بن عمرو سيف ابي جهل وهو عند آله اليوم بعد ان ارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى عكرمة
فساله من قتل اباك فقال الذي قطعت يده ولما وضعت الحرب اوزارها امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يلتمس ابو جهل قال ابن مسعود فوجدته في اخر رمق فوضعت رجلي على عنقه فقلت الحمد لله الذي اخزاك
فقال انما اخزى الله عبد ابن ام عبد لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم لمن الدبرة قلت لله ولرسوله فاقتلع
بيضته عن قفاه فقلت اني قاتلك يا ابا جهل قال لست باول عبد قتل سيده اما ان اشد شيء لقيته اليوم في نفسي
لقتلك اياي فضربه عبد الله ضربة فوقع رأسه بين يديه ثم سلبه فنظر الى جسده كانها السياط واقبل بسلاحه ودرعه
وبيضته ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشر يا نبي الله بقتل عدو الله ابي جهل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم احقا يا عبد الله فوالذي نفسي بيده لهو احب الي من حمر النعم وذكرت ما به من الاثار
فقال ذلك ضرب الملائكة وقال انه اصاب جحش من دفعة دفعته في مأدبة ابن جدعان فجحشت ركبته فالتمسوا
فوجدوا ذلك الاثر وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم قد انجزت ما وعدتني فتمم علي نعمتك وقال اللهم اكفني
نوفل بن خويلد واقبل نوفل يومئذ وهو مرعوب قد رأى اصحابه قتلى وكان اول ما التقوا صاح بصوت له زجل
يا معشر قريش هذا اليوم يوم العلاء والرفعة فلما رأى قريشا قد انكشفت جعل يصيح بالانصار ما حاجتكم الي
دمائنا الا ترون من تقتلون اما لكم في اللبن من حاجة فاسره جبار بن صخر وكان يسوقه امامه واقبل علي فقتله
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكبر وقال الحمد لله الذي اجاب دعوتي فيه واقبل العاص بن سعيد
يبحث للقتال فالتقى هو وعلي فقتله علي وقال عكاشة بن محصن انقطع سيفي فاعطاني النبي صلى الله عليه وسلم
عودا فاذا هو سيف ابيض فقاتلت به حتى هزم الله المشركين فلم يزل عنده حتى مات وبينما حارثة بن سراقة
رضي الله عنه كارعا في الحوض اذ اتاه سهم غرب فوقع في نحره فلقد شرب اخر النهار من دمه فبلغ امه واخته
وهم بالمدينة مقتله فقالت امه والله لا ابكي عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان ابني
في الجنة لم ابك عليه وان كان في النار بكيته عليه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت وسألت
وقالت يا رسول الله قد عرفت موقع حارثة من قلبي فاردت ان ابكي عليه ثم قلت لا افعل حتى اسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان كان في الجنة لم ابك عليه وان كان في النار بكيته فقال صلى الله عليه وسلم او جنة
واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الاعلى فقالت لا ابكي عليه ابدا ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول امه واخته فشربتا منه ثم امرهما
ان ينضحا في جيوبهما ففعلتا فرجعتا وما بالمدينة امرأتان اقر عينا ولا اسر منهما ولما جمعت الغنائم
اختلفوا فيها على ما مر في اول السورة وترك ما قتلنا واخذ علي درع الوليد ومغفره واخذ حمزة سلاح
عتبة واخذ عبيدة بن الحارث درع شيبة بن ربيعة حتى دفعت الى ورثته وكانت في الغنائم ابل وانطاع
وثياب فقسمها بينهم فجعل يصيب الرجل البعير ورحله معه والاخر بعيران والاخر انطاع وكانت السهمان
ثلاثمائة وسبعة عشر سهما والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والخيل فرسان للراجل سهم وللفارس سهمان
وكانت ابل الغنيمة مائة وخمسين بعيرا وادم كثير حملوه للتجارة فغنموها وكان فيها اصابوا قطيفة
حمراء فقدت فقالوا لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فنزل وما كان لنبي ان يغل الاية
وكان غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم جمل ابي جهل فلم يزل عنده يضرب في ابله ويغزو عليه

حتى ساقه في هدي الحديبية فسالهم يومئذ المشركون الجمل بمائة بعير فقال لولا انا سميناه في الهدي لفعلنا واخذ ايضا ذا الفقار صفيا لنفسه وكان لمنبه بن الحجاج ولما اسر سهيل بن عمرو قال عمر يا رسول الله انزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيبا ابدا فقال لا امثل به ولعله يقوم مقاما لا تكرهه فقام سهيل حين جاءه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبهم بخطبة ابي بكر بمكة كانه كان سمعها فقام عمر حين بلغه كلام سهيل وقال اشهد انك رسول الله يريد حيث قال لعله يقوم مقاما لا تكرهه وامر بالقليب ان تغور ثم امر بالقتلى فطرحوا فيها كلهم الا امية بن خلف فانه كان سمينا انتفخ من يومه وتزايل لحمه حين جروه فقال اتركوه ونظر الى عتبة يجر وكان سمينا جميلا في وجهه اثر الجدري ورأى وجه ابنه ابي حذيفة تغير فقال يا ابا حذيفة كانك ساءك ما اصاب اباك قال لا والله يا رسول الله ولكني رأيت له عقلا وشرفا كنت ارجو ان يهديه الله تعالى للاسلام وقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل خد ابي جهل الاسفل فصرعه وشفانا منه ولما القوا في القليب وقف عليهم وناداهم يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس واخرجتموني واواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فقالوا يا رسول الله تنادي قوما قد ماتوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجدوا ما وعدهم ربهم حقا ولما صلى العصر بعد انهزام المشركين وصلى ركعة تبسم فسئل عنه فقال مر بي ميكائيل وعلى جناحه النقع وتبسم الي وقال اني كنت في طلب القوم واتاه جبريل على فرس انثى قد عصم ثنيته الغبار وقال ان ربي بعثني اليك وامرني ان لا افارقك حتى ترضى هل رضيت فقال نعم وامر النبي صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت ان يضرب عنق عقبة بن ابي معيط فجعل (فقدمه فضرب عنقه) يصيح علي ماذا اقتل فقال العداوة لله ولرسوله فقال من للصبية قال النار قدمه يا عاصم فاضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم بئس الرجل كنت والله ما علمت كافرا بالله ورسوله وكتابه موذيا لنبيه استوصيك فاحمد الله الذي قتلك واقر عيني منك وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقدم بالاسرى وام سلمة قيل لها اتي بالاسرى فقالت يا رسول الله ان بني عمي طلبوا مني ان يدخل بهم علي فاضيفهم وادهن رؤوسهم والم من شعثهم ولم احب ان افعل ذلك حتى استامرك فقال صلى الله عليه وسلم لست اكره شيئا من ذلك فافعلي من ذلك ما بدا لك وبلغ النجاشي مقتل قريش ببدر وما اظهره الله به نبيه فخرج في ثوبين ابيضين ثم جلس على الارض ثم دعا جعفر بن ابي طالب واصحابه فقال ايكم يعرف بدرا فاخبروه فقال النجاشي انا بها عارف قد رعيت الغنم في جوانبها ولكن اردت ان اثبت منكم قد نصر الله رسوله ببدر فاحمدوا الله على ذلك فقالت بطارقته اصلح الله الملك هذا شيء لم تكن تصنعه تلبس ثوبين وتجلس على الارض فقال انا من قوم اذا احدث الله لهم نعمة ازدادوا لها تواضعا وقال ان عيسى عليه السلام كان اذا احدثت له نعمة ازداد لها تواضعا ومشت نساء قريش الى هند بنت عتبة فقلن الا تبكين على ابيك واخيك وعمك واهل بيتك فقالت ابكي فيشمت بنا محمد واصحابه ونساء بني الخزرج لا والله حتى اثار محمدا واصحابه لم تمس دهنا ولا تقرب فراش ابي سفيان حتى كانت وقعة احد • وقوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم اصل احدى وحدى قلبت واوه همزة لوقوعها طرفا والاصل في احد وحد على هذا والطائفتان الجماعتان وهما عير قريش تغنمونها او الجيش تقاتلونهم • وقوله تعالى وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تحبون باتباع الطائفة غير ذات الشوكة وهي السلاح ورجل شاك السلاح اي تامه واصله الحدة ماخوذة من الشوكة المعروفة وهي التي تنبت في المفازة واراد بهذه الطائفة العير وانما كان كذلك لخروجهم من غير عدة فخافوا الطائفة ذات الشوكة • وقوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي يظهر الدين الحق بمواعيده في نصرته ونصرة اهله • وقوله تعالى ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم ودابر القوم اخرهم والاتي بعدهم وقد دبرهم يدبرهم من حد دخل اي اتى بعدهم واذا قطع اخرهم لم يبق منهم احد وقيل هو قطع المدد عنهم • وقوله تعالى ليحق الحق اي يامرهم بالقتال ليحق الحق هذا مضمر ويبطل الباطل عطف عليه ومعناه ليظهر حقية الحق وبطلان الباطل • وقيل اي ليثبت الحق ويزيل الباطل ولو كره المجرمون قال الكلبي اي كفار مكة • وقال الحسن نزلت هذه الاية قبل قوله كما اخرجك ربك الاية وهي في القراءة بعدها • وقال القشيري رحمه الله ابى الله ان يصل احد الى جلايل النعم الا بتجرع كاسات الشدايد والانسلاخ عن مالوف الحظوظ والعوايد واذا اراد الله تخصيص عبد بولاية قضى لطوارق نفسه بالافول وحكم لغصن شهواته بالذبول واتى لطوالع الحقايق الا اشراقها ويجوم الموانع الا انحرافها • وقوله تعالى اذ تستغيثون ربكم اي واذكروا اذ كنتم تستصرخون ربكم وتسالونه تفريج ما بكم من الخوف عند التيقن بوقوع القتال والاعدة لكم وتدعونه ان ينصركم عليهم ثم معنى الاستغاثة مع سبق الوعد باحدى الطائفتين وكذا الكراهة الطبيعية الشديدة حتى شبهت بالسوق الى الموت

ما ذكر

ما ذكره الامام ابو منصور رحمه الله الاية تحتمل وجوها احدها ان الله وعد نبيه عليه الصلاة والسلام ومن معه بين لم تعد • والثاني انه بين لهم لكن لم يعرفوا وقته فلم يامنوهم في الحال • والثالث انهم علموا ذلك بالوعد لكن هذا كراهة طبع لا تعلو النفس عنه مع التيقن الغلبة بالوعد • والرابع ان يكون النصر موعودا لهم بالتضرع والاستغاثة فكان خوفهم من التقصير في ذلك الشرط • والخامس انه محنة امتحنهم الله بها ليثابوا عليها كما قال الله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية • وقوله تعالى فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين قرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر بفتح الدال وقرا الباقون بكسرها وقدره فدائي جاءه وارده فيه غيره وقد يجي ارداف بمعنى ردف لازما

قال الشاعر • اذا الجوزاء اردفت الثريا • ظننت بال فاطمة الظنونا •

ثم تفسيره هنا • قال ابن عباس رضي الله عنهما مترادفين اي مردف كل ملك ملكا فعلى هذا هم الفان وقال قتادة والسدي متتابعين • وقال مجاهد اي ممدين للمؤمنين • وقيل لاحقين المشركين في انهزامهم وقد مر وجه الجمع بين ذكر الالف في هذه الاية وثلاثة الاف بقوله بثلاثة الاف ثم قوله بشرى اسم وقوله ولتطمئن فعل والتقدير الا بشرى لكم وطمانينة لقلوبكم منزلين وخمسة الاف في قوله بخمسة الاف من الملائكة مسومين في ال عمران في هذه الاية • وقوله تعالى وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ولم يجعل الله الا بشرى امدادكم بالملائكة الا البشارة لكم وطمانينة لقلوبكم ثم قوله بشرى اسم وقوله ولتطمئن فعل والتقدير الا بشرى لكم وطمانينة لقلوبكم او الا لتبشركم ولتطمئن به قلوبكم فيصلان فعلين او مصدرين ليتفقا • وقوله تعالى وما النصر الا من عند الله اي ليس ذلك بالملائكة بانفسهم وقول من قال ان الملائكة لم يقاتلوا يومئذ وانما ترك تسكينا للقلوب ليس بمستقيم فقد قال لهم فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وكذا ما ذكر الصحابة من رؤيتهم ضاربين لم يعرفوهم وقول المشركين ما انهزمنا في ايما قهرنا قوم لا نراهم الان • وقوله تعالى ان الله عزيز اي منيع لا يغالب حكيم في افعاله واحواله ينصر اولياءه ويقهر اعداءه • وقال القشيري رحمه الله بشرهم بالامداد بالملك ثم رقاهم عن هذه الحالة باشهادهم ان العون من الملك فلم يتركهم الى المساكنة الى الامداد وزرعهم ان النصر من عنده والانجاد ثم قال ان الله عزيز اي النجاة من البلاء حاصلة وعيون اللطايف متواصلة والدعوات مسموعة والاجابة ممنوحة ولكن الله عزيز والطالب واجد لكن لعطاياه • والطالب واصل لكن الى المبار والسبيل سهل لكن الى وجدان لطفه • فاما الحق فهو عزيز واكل فضل ووصل وقرب وبعد وما وصل احدا الا الى نصيبه وما بقي احدا الا الى نصيبه وما بقي احدا الا من حظه • وانشدوا

شعر • وقلن لنا نحن الاهلة انما • تضيء لمن يسري بليل ولا تقري •
فلا بذل الا ما تزود ناظر • ولا وصل الا بالخيال الذي يسري •

وقوله تعالى اذ يغشيكم النعاس قرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بضم الياء وتشديد الشين ونصب سين النعاس من التغشية وهي تعدية الغشيان • وقرا نافع بضم الياء وتخفيف الشين من الاغشاء وهو للتعدية ايضا وكذلك نصب هو النعاس ايضا • وقرا ابن كثير وقرا ابو عمرو يغشاكم بفتح الياء والتخفيف وضم سين النعاس من الغشيان وهو لازم فاعل والنعاس ابتدا حال النوم قبل الاستثقال يقول فاطمانتم اذا اتاكم النوم وغطى عيونكم فامنتم تلك الليلة مع علمكم بقتال العدو • وقوله تعالى امنة اي امنا من الله مما خفتم وقال ابن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وهو في الصلاة من الشيطان • وقال الكلبي نزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على غير ماء بجانب الوادي الادنى في كثيب ونزل المشركون بجانبه الاقصى على الماء والوادي بينهما وهو رمل تغيب فيه الاقدام ثم باتوا ليلتهم تلك وناموا ثم استيقظوا وقد اجنبوا وليس معهم ماء فاتاهم الشيطان عند ذلك فوسوس اليهم ويقول تزعمون انكم على دين الله وانكم تصلون محدثين مجنبين والمشركون على الماء فامطر الله السماء على الوادي حتى سال الماء فيه واشتد الرمل فاغتسل المسلمون وتوضؤوا وشربوا وسقوا دوابهم وبنوا على عدوته حياضا فنزل اذ يغشاكم النعاس امنة منه • وقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اي من الحدث والجنابة • وقوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وحقيقته العذاب ثم وتعذيبه كما في قوله فارسلنا عليهم الطوفان الى قوله ولما وقع عليهم الرجز الى قوله لئن كشفت عنا الرجز هو الابقاء والتعذيب • وقوله تعالى وليربط على قلوبكم اي يشدد ويقويها بالسكون وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب • وقوله تعالى ويثبت به الاقدام اي في المواقف الا انقطاع القتال • وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك وجماعة من المفسرين اي لبد الارض بالماء فصارت الاقدام تثبت فيها • وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم اي كان غشيان النعاس وما بعده حين يوحي الله الى الملائكة اني حافظكم وناصركم ومعينكم • وقوله تعالى فثبتوا الذين امنوا اي احملوهم على الثبات بحسن الكلام وكانوا يفعلون كذلك كما كتبنا في القصة يمشيهم يقولون لو حملوا علينا لانصرفنا • وقال مقاتل كان الملك يمشي امام الصف في صورة الرجل يقول ابشروا فانكم كثير وعدوكم قليل

والله ناصركم ويرى الناس انه منهم • وقوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي تثبتوا انتم بالكلام وقلوب المؤمنين وانا اخوف قلوب المشركين والرعب الخوف الذي ينقطع القلب من ترعيبه لسنام وهو تقطيعه والذي يملأ القلب ايضا من قولهم رعب السيل الوادي اذا ملأه • وقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان جمع بنانة • قال السدي والضحاك وابن جريج هي اطراف اليدين والرجلين وسنا • انه امر الملايكة بان يقتلوهم ويخرجوهم على وجه لا يمتنعون على من قصد اسرهم • وقال الزجاج اباح الله قتلهم بكل نوع يكون في الحرب وقال المبرد فوق العنق هو العنق وهو كقولك رايت نفس زيد هو زيد • وقال قطرب هو ما فوق العنق وهو وهو الراس • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي اضربوا الاعناق فما فوقها كما قال فان كن نسا فوق اثنتين اي اثنتين فما فوقهما • وقال يمان بن رياب فاضربوا فوق الاعناق اي الصناديد كما قال فظلت اعناقهم لها خاضعين واضربوا منهم كل بنان اي السفلة • وقوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك الذي تقدم ذكره من الضرب فوق الاعناق وضرب كل بنان بانهم خالفوا وعادوا الله ورسوله • وقوله تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي هذا حكم على العموم في كل من خالفني وعاداني وانا شديد العقاب • وقوله تعالى ذلكم فذوقوه اي تاسوا ذلك مفعول مقدم في الذكر • وقيل اي ذلكم حكم الله وذلكم عذاب الله فذوقوه • وقوله تعالى وان للكافرين عذاب النار اي هذا الذي احدث لكم في الدنيا من القتل والجرح والاسر على ايدي اوليائي ثم في الاخرة مع ساير الكفار عذاب النار الذي لا ينقطع ثم عطف بالواو والخبر على الامر ولا ينعقدان لان هذا الامر في معنى الخبر اي تذوقونه • وقال القشيري رحمه الله ذلكم العذاب تذوقونه معجلا واعلموا ان للكافرين عذاب النار مؤجلا وللعصيان عقوبتان معجل بنقد ومؤجل بوعد وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اي اذا وقع الالتقاء مع الكفار في حين المزاحفة وهي اذا استوت الصفوف وزحف بعضهم الى بعض اي سار سيرا ثقيلا يدنوا به قليلا قليلا على زحمة من الجانبين • وقوله تعالى فلا تولوهم الادبار اي فلا تجعلوا ادباركم الى اعدائكم وذلكم يكون بتحويل الوجه منهم وهو كناية عن الانهزام • وقوله زحفا مصدر بمعنى وهو الجمع ونصبه للحال وتقديره متزاحفين • وقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي ومن ارتكب هذا النهي حينئذ واليوم اسم لبياض النهار واذا اطلق فاذا قرن به فعل لا يمتد يراد به مطلق الوقت فصار قوله يومئذ بمنزلة قوله حينئذ والتولية تتعدى الى مفعولين • وقوله تعالى الا متحرفا لقتال اي مايلا يقال تحرف واحرف اي مال الى الجانب والحرف الجانب اي ينتقل من مكان الى مكان اخر للقتال ايضا • وقال السدي هو الاستطراد يريد العورة اي يطرد نفسه يطلب موضع اصابة العدو • وقوله تعالى او متحيزا الى فئة اي منضما الى جماعة يعني اذا كثر العدو ولم يكن له بهم طاقة فانصرف الى امامه او الى جماعة منهم يمتنع بهم ثم يقاتل هو وهم العدو ولم يكن من اهل الوعيد والتحيز تفعيل ولو كان تفعلا لكان تحوزا بالواو لان اصله الواو ويقال حاز الشي اي ضمه وجمعه والتحيز مجتمع القوم ينفعل من الحوز ولذلك صارت يا مشددة كما في الجيد والسيد والتحيز الانضمام اليهم والدخول في جملتهم وهو تفعيل من الحيز والفية الجماعة المنقطعة من غيرها من الفا وهو قطع الراس بالسيف • وقوله تعالى فقد باء بغضب من الله اي استوجبه وقوله تعالى وماواه جهنم وبئس المصير اي المسكن والملجا اي لا محالة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله كان هذا الوعيد مع كثرة الكفار وقلة المؤمنين في الابتدا حيث كان يجب للعشرين ان يصبروا للمايتين وللماية ان يصبروا للالف ثم خفف الله تعالى ذلك فكان الجهاد يومئذ لبذل النفس للهلاك فيجوز ان يكون ذلك مشروعا • قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم فجايز الامر به امتحانا وليس في وسع الواحد القيام لعشرة اذا احاطوا به ثم خفف ذلك وصار لا يجوز للواحد ان يولي عن اثنين فاما في هذه الاية فهو على العموم وكان في الابتدا كان امرا بالقتال لبذل النفس للهلاك على ما قلنا ويحتمل ان الله تعالى امر بذلك ليكون اية ويعرف كل واحد انه انما قام بالله لا بقوة نفسه • وقوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم والوجه الفا والوصل بها فلا تولوهم الادبار لكن لما انعم الله عليكم من اظفاركم عليهم فانكم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قال مجاهد كان يقول كل انسان انا قتلت فلانا فنزلت الاية صيانة عن الاعجاب وتنبيها لهم ان الله هو الذي هيا لهم هذه الاسباب وكذا قوله في خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال عكرمة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب اليهم فما وقع منها شي الا في عين رجل • وقال محمد بن كعب القرظي انهزموا بذلك الرمية • وقال قتادة اخذ ثلاثة احجار فرمى بها وجوه الكفار فانهزموا عند الثالثة • وقال عبد الرحمن بن زيد اخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرتهم وحصاة بين اظهرهم ثم قال شاهت الوجوه فانهزموا ثم ليس في الاية نفي وجود الفعل من العبد كما توهمت الجبرية بل اثبت الله تعالى الرمي فعلا

لنبيه

لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاية اذ رميت واثبت القتل من المجاهدين في ايات منها قوله يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون لكن معناه انكم ما انتم وما افنيتم الحياة وما ازهقتم الارواح بل الله تعالى خلق ذلك وانما جرحتم وقطعتم ولستم وهي مباشرة اسباب الاجسام يسمون بها فاعلين تزهق الروح عقيبها بخلق الله وكذا قوله وما رميت اي ما بلغت ذلك الى حيث بلغ بل بلغه الله ذلك وفايدته قطع دعواهم والاعجاب بها وان لا يعتمدوا عليها وان المقاتل حين ما ثبات التنظر الى انعام الله تعالى بهما • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل فلم تقتلوهم بتكبر جراحاتكم بحيث يهلك عقيبها خروج الروح ولكن الله تعالى لم يجعلها قاتلة مع ان هلاكهم لم يكن من مصيبة المقتل ويحتمل فلم تقتلوهم بجراحكم وجرحكم ايام قدرتكم على قتلهم لكن الله بلغ ذلك وكذا الرمي لا يبلغ انشاد مثل كف من تراب النكم بكل اعدايه ويحتمل ما قتلتم بانفرادكم بل بمعونتي كما قال ما استعملت ذلك ولكن فعله فلان اي بمعونة اي فعلت اشتداد ذلك ويحتمل انه جعل قتلهم … الرمي … مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زمينا عند نفسه تنزهنا انما هم باصابتها • وقوله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلا حسنا اي فعل ذلك ليبلي على المؤمنين انعاما • وقيل الانعام في اخره وليبلي المؤمنين منه بلا حسنا امرهم بالقتال والبلا يقع على النعمة والمحنة لان اصله الاختبار وذلك يتبين بالمحنة لاظهار الصبر وبالنعمة لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى اظهار ما علم كما هو لا لتحصيل علم ما لا يعلم • وقيل البلا الحسن توفيق الشكر في النعمة • وتوفيق الصبر في المحنة • وقال القشيري رحمه الله يحسن البلا انه من الله ويطيب لانه في الله • وقال وحسن البلا هو ان يشهد المبتلي في عين البلا • قال وقيل البلا الحسن ما لا ضجر فيه ان كان عسرا • ولا بطر فيه اذا كان يسرا • قال وقيل بلا كل احد على حسب حاله فاستمام ولاء • او فاهم بلاء • قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل • وقوله تعالى ان الله سميع عليم اي لدعائكم عليم بحاجاتكم ينصرف الى قوله اذ تستغيثون ربكم • وقال القشيري رحمه الله هذا ترويح لقوم • وتهييج لقوم ترويح للضعيف والهيف اي اسمع انينك • واعلم حنينك • وتهييج للعارف العاكف اي اسمع قالتك • واعلم حالتك • فاسكت واثبت • وقوله تعالى ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين قيل اي اعلموا ذلكم • وقيل اي اشكروا ذلكم وان الله معطوف على ذلكم بما ذكرنا من الفعلين وموهن كيد الكافرين • قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر مخففا ومنونا ونصبوا كيد • وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو مشددا ومنونا • وروى حفص عن عاصم مخففا مضافا والمخفف من الايهان والمشدد من التوهين وكلاهما تعدية الوهن وهو الضعف والاضافة للحال والتنوين للاخبار عن الاستقبال وايهان كيدهم بامور منها الاطلاع على عوراتهم ومنها ابطال حيلهم ومنها القا الرعب في قلوبهم ومنها تفريق كلمتهم ومنها نقض ما ابرموا من عزايمهم • وقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاكم النصر • وقيل ان تستكشفوا فقد جاكم الكشف • وقيل ان تستقضوا فقد جاكم القضا ونزوله في ابي جهل لعنه الله فانه قال اللهم اقض بيننا وبين محمد وانصر احب الدينين اليك وافلك اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاهلكه اليوم بدر • وفي رواية قال اللهم اخزنا اقطعنا للرحم • وقال السدي لما ارادوا الخروج الى بدر اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر احب الحزبين عليك فنزلت الاية ان تستفتحوا اي ان تستنصروا احب الدينين فقد جاء نصر الاسلام وان تستكشفوا فقد تم الكشف في الاعلام وان تستقضوا فقد ظهر الحكم بحقيقة محمد صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم يعني عن الكفر فهو خير لكم في الدارين • وقوله تعالى وان تعودوا نعد قيل وان تعودوا الى الكفر والتكذيب نعد الى الانتقام والتعذيب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وان تعودوا للقتال لمحمد نعد عليكم بالقتل والاخذ والاسر كما في يوم بدر • وقوله تعالى ولن تغني عنكم فئتكم شيا اي لن تنفعكم جماعتكم وكثرتكم شيا • وقوله تعالى ولو كثرت في العدد • وقوله تعالى وان الله مع المؤمنين في النصر لهم • قال عبد الرحمن بن زيد استعجل بالعذاب فعذب يوم بدر وكان استفتاحهم بمكة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فجاهم العذاب يوم بدر • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله دعا في الاية الاولى الكفار الى الايمان • ودعا في هذه الاية المؤمنين عامة الى ما يبقيهم على الايمان وهو طاعة الله وطاعة رسوله • وقوله تعالى ولا تولوا عنه اصله ولا تتولوا عنه فحذفت احدى التايين تخفيفا اي ولا تعرضوا عنه ولم يقل عنهما لانه صرفه الى الرسول خاصة لان التولي عنه تول عن الله وهو كقوله في هذه السورة استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه • وقوله تعالى وانتم تسمعون اي امره ونهيه وقيل تلاوته كتاب الله عليكم • وقيل اي تعقلون وتتاملون ما يورده عليكم اي هذه صفتكم فلا تعملوا خلاف ما تقتضيه حالكم • وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي كالذين قالوا سمعنا القران وامر الله والرسول ثم هم لا يعملون به كانهم

قال القشيري البلاء الحسن [illegible]

لم يكن اسماع او لم ينفع لهم سماع • وقيل اي لم ينتفعوا بما سمعوا فكانهم لم يسمعوا • وقيل اي وهم لا يقبلون وقد سمعوا اذ
كلام فلان اي قبله • وقيل هذا تحذير للمؤمنين ان يكونوا كاليهود والمشركين والمنافقين فان اليهود قالوا سمعنا
وعصينا والمشركون قالوا لا تسمعوا لهذا القران وقالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقال واذا تتلى عليه
اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا وقال في حق المنافقين طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو
صدقوا الله لكان خيرا لهم اي لم يصدقوا • وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
هو جمع دابة وهي كل حيوان دب على وجه الارض اي شر الخلق عند الله منزلة هم الذين لا ينتفعون بما يسمعون
ولا يعملون به كانهم صم بكم لا عقل لهم يتاملون به فيما يسمعون واختلف في المرادين به والصحيح قول ابن عباس
رضي الله عنهما انهم مشركوا قريش فان السورة في ذكرهم • وقال محمد بن اسحاق هم المنافقون • وقيل هم بنو عبد
الدار قتلوا باحد وهم النضر بن الحارث وابناه والحارث بن علقمة وطلحة بن عثمان ومسافع وابو الجلاس
وابو سعد والحارث والقاسط بن شريح وارطاة بن شرحبيل • وقال القشيري رحمه الله دواعي الحق بحسن
البيان ناطقة • والسنة البرهان فيما ورد به التكليف صادقة • وخواطر الغيب بكشف ظلم الريب مفصحة
وزواجر التحقيق عن متابعة الهوى للقلوب ملازمة • فمن صم عن ادراك ما خوطب به سره وعمي عن شهود
ما كوشف به قلبه • وخرس عن اجابة ما ارشد من مناجحة عقله وفهمه • فدون رتبة البهائم قدره • وفوق
كل خسيس من خلق الله صغره • وقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي لو كان في علم الله منهم اختيار
فهم الكلام الله لاسمعهم اسماع تفهيم • وقوله تعالى ولو اسمعهم اي اسماع تفهيم لتولوا عنه فلم يعملوا به اذ لم
يوفقهم الله لما علم من اختيارهم ترك العمل به • وقوله تعالى وهم معرضون الحالة • وقال الزجاج
لاسمعهم كل ما يسالونه ولو اسمعهم ذلك لم يعملوا به ولاعرضوا عنه • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم دعاكم فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موحد ولم يثن
مع ما سبق ذكر الله ورسوله لان دعا الرسول بامر الله فهو دعا الله ودل الموحد لذلك على المثنى لما يحييكم
اي الى ما يفيدكم الحياة الابدية وهو دعا الى الجهاد فانه سبب الشهادة والشهدا احياء غير اموات وانما
من هذا الوجه بما قبلها الا تخرجوا الى الجهاد كارهين واجيبوا الله ورسوله في الدعوة الى قتال المشركين
فانه حياة لكم ابد الابدين • وعن ابي بن كعب رضي الله عنه انه كان يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتم الصلاة ثم جا فقال صلى الله عليه وسلم هلا اجبتني اذ دعوتك فقال كنت في الصلاة فقال
اما سمعت قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وهذا يدل على عموم
الاية • وقيل قوله لما يحييكم اعلاما منه جل جلاله انه دعاه الى كل شي فيه حياة الدين وهو العلم فان الجهل
موت والعلم حياة • وفي الخبر ان الله تعالى يحيي القلب الميت بالعلم كما يحيي الارض الميتة بوابل المطر
وفي غير هذه الاية ذكرت الحياة للايمان والموت للكفر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا
فهديناه فيجوز ان يكون قوله لما يحييكم اي يبقيكم على الايمان الذي هو الحياة العظمى • وقيل اي لما يفيدكم
الحياة الطيبة في الدارين • قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
وحياة الكافر غير طيبة حالا فانه بما في الدنيا يستفيد زوائد عقوبات العقبى واذا صار في النار
فهو لا يموت فيها ولا يحيى فاذا ليست الحياة الطيبة الا للمؤمن والتقي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
لما يحييكم اي الى عمل الاخرة التي هي دار الحياة • قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان • وقيل لما
يحييكم اي الى الاعمال التي يحيي بها ذكركم ويبقى حمدكم وذكركم ويطيب بها ايضا في الجنة حياتكم • وقوله
تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي القلوب بيد الله فيمنع المرء من تقليب قلبه فيما
يشاؤه وهذا على اتصاله باول هذه الاية لانه تعجيل للعبد الى الاستجابة قبل ان يحدث الله له اشغالا
لا يتمكن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من اصلاح امره فيموت غير مستجيب لله ولرسوله
لم يتدارك ما يحييه ولذلك ذكر الحشر اليه بعده وهو • وقوله تعالى وانه اليه تحشرون اي تبعثون
وتجمعون اليه للجزاء • وقال قتادة اي هو اقرب الى قلبه منه وهو كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
لانه حال بينك وبين الشي فهو اقرب الى الشي منك واتصاله بما قبله وما بعده استجيبوا لله فان
الله لا يخفى عليه ما في قلوبكم واليه حشركم • وقال الضحاك يحول بين المؤمن والمعصية وبين الكافر والطاعة
اي لا يخلي المؤمن التام في الافعال ونقصد المعصية بل يعصمه وعلى قياسه عكسه • وقال مجاهد يحول
بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل به • وقال القشيري رحمه الله اي يصون القلوب عن تقليب
اربابها بما شا من اسبابها فيصون قلوب العباد عن الجنوح الى الكسل فيجدون في معاملتهم ويصون
قلوب المريدين على التعريج في اوطان الفشل فيصدقون في منازلهم • ويصون قلوب العارفين على حد
الاستقامة عن الميل فيتحققون بدوام مواصلتهم فالحق تعالى حائل بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لهم رجوع

الى الله فاذا اسمع لهم امر فليس لهم الى الاغيار سبيل • والا على قلوبهم تعويل وكم فرق بين من يرجع منه سواحه الى قلبه
وبين من لا يهتدي الى شي الا الى ربه • وقيل في معناه شعر

لا يهتدي قلبي الى غيركم • لانه سد عليه الطريق •

قال وقيل العلما هم الذين وجدوا قلوبهم قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والعارفون هم الذين
فقدوا قلوبهم قال الله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون • وقوله تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة النون لتاكيد الجزاء • وقيل التضييق القسم ومعناه واحذروا عذابا ينزل
بكم بظلمكم وهو تركتم الاجابة الى القتال وغيره لا يصيب الظلمة خاصة بل يعم الكل اذا لم يكون الظلمة عقوبة
ولغير الظلمة كفارة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في ترك الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب
الفسقة بفسقهم وغير الفسقة بتركهم الامر بالمعروف • وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب
اي اذا نزل عقابه فهو شديد لا يطاق ويجوز ان يراد بها فتنة الدنيا كما قال يفتنون في كل عام • ويجوز ان يراد بها
فتنة الاخرة كما قال يوم هم على النار يفتنون • وقال الحسن الاية في حق الصحابة علي وطلحة والزبير وعمار •
وقال الزبير بن العوام نزلت هذه الاية قالوا وما ندري زمانا انا من اهلها ونحن عنينا بها • وقال السدي نزلت
في حق اهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل • وقال الكلبي رحمه الله نزلت في رجلين من قريش اخبر الله نبيه صلى
الله عليه وسلم انها ستكون بعده في اصحابه وقد كانت تلك الوقعة بعده في اصحابه رضي الله عنهم • وقرا
ابن الزبير لتصيبن الذين ظلموا • وقيل لا زايدة كما في قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ومعناه
واتقوا عقوبة في الاخرة تكون للظلمة خاصة • وقوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل اي وتذكروا
واخطروا ببالكم اول حالكم يا معشر المهاجرين اذ انتم قليل في العدد • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
اي اذ انتم قليل ودل هذا على صحة قول ابي حنيفة رحمه الله فيمن قال هذا الشي لفلان اشتريته منه
انه يصدق ويصير كانه قال هذا كان لفلان • وقوله تعالى مستضعفون في الارض اي مقهورون في
ارض مكة • قال عبد العزيز بن يحيى اي في اول الاسلام قبل ان يكملوا اربعين • وقال الاخرون قبل
الهجرة • وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس التخطف الاخذ والانتزاع بسرعة اي يا خذونكم
ليتحكموا فيكم بما شاؤا من القتل والاسر وقوله يتخطفكم الناس قال الكلبي اهل مكة • وقيل اي من حولكم
من العرب خارج مكة • وقال وهب اي فارس والروم • وقوله تعالى فاواكم اي في المدينة بالهجرة
وقوله تعالى وايدكم بنصره اي بايدي الانصار • وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات اي
بما وسع لكم من المطاعم • وقيل اي بما احل من الغنائم • وقوله تعالى لعلكم تشكرون اي لتشكروا
نعم الله عليكم فتبذلوا انفسكم في اجابته والجهاد مع رسوله والخروج الى القتال من غير كراهة
ولا استثقال • وقال الكلبي وقتادة نزلت الاية في اهل بدر وحثا لهم على الجهاد • وقال القشيري رحمه
الله ذكرهم ما كانوا فيه من القلة والذلة وصنوف العلة وما نقلهم اليه من الامكان والبسطة
ووجوه الاحسان والحيطة وندبهم الى الشكر على هذه النعم وحقيقة الشكر الغيبة عن النعم
بالاستغراق في شهود المنعم • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول متصل
بقوله اطيعوا الله ورسوله • وقوله استجيبوا لله وللرسول والخيانة خلاف الامانة • وقيل اصلها
الانتقاص فقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور • وقيل هي منع حق ضمن اداؤه • وقال محمد
ابن اسحاق اي لا تظهروا للرسول ما يرضيه منكم ثم تخالفوه في السر ومن ذلك اظهار الطاعة في
كل شي ثم المحاباة في امر الغنيمة او الخروج الى القتال المامور به مع الكراهة او تسخط قدر
ما يعطى عند القسمة • وقوله تعالى وتخونوا اماناتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ولا تخونوا
اماناتكم وهو معطوف على الاول وجزمه بالنهي وعلامة الجزم حذف النون • وقال السدي رحمه الله
اي اذا خنتم الرسول فقد خنتم اماناتكم وهو على هذا واو الصرف وهي ناصبة وعلامة نصبه
حذف النون ومعناه ان حقوق الشرع امانات عنده فقد قبلها وضمن اداءها فاذا خان الرسول
فقد خان هذه الامانات • وقوله تعالى وانتم تعلمون اي انها امانة وما تعلمون خيانة اي وانتم
تعلمون اثم الخيانة وعقوبة الخيانة • وقوله تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة
يظهر بها مؤثر حق الله من مؤثر حق نفسه والحامل على الخيانة في الغالب حب الاموال والاولاد
وترك الخروج الى الجهاد طوعا وطبعا كذلك بين الله تعالى انها فتنة وداعية الى الخيانة
ومخلة بالامانة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا تخونوا الله والرسول اي ان اموالكم وانفسكم
لله وهي عندكم امانة استحفظكم فيها فلا تستعملوها في غير ما اذن لكم فيه لانه خيانة وتخونوا اماناتكم
اي ولا تخونوا اماناتكم التي فيما بينكم • ومعنى اخبار الله تعالى تنبيههم بما يرجع الى منافعهم فاذا خالفوا

فقد خانوا انفسهم فضروا انفسهم قال الله تعالى وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون • وقال ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها • وقال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها • وقوله تعالى وان
الله عنده اجر عظيم لمن تركها ولم يخن لاجلها • وراعى الامانة بشرطها • وقيل اي يا ايها الذين امنوا لا تخونوا
الله ورسوله • ولا تخونوا الله ورسوله والخيانة اظهار الايمان والنصح وابطان الكفر والغش
ودلالة المشركين على عورات المسلمين واطلاعهم على خفيات امور المسلمين • وقال جابر ان ابا سفيان
خرج من مكة فجاء جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه بذلك فقال لهم اخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا
يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه الاية • وقال الزهري والكلبي نزلت في ابي لبابة مروان بن
عبد المنذر من الانصار من بني عوف بن مالك حين حاصر النبي صلى الله عليه وسلم يهود قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني
النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام فابى ان يعطيهم ذلك الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان اهله وولده
كانوا عندهم فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فقالوا له ما ترى فاشار الى حلقه انه الذبح قال
فما زالت قدماي في مكانهما حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت هذه الاية التي بعدها
انما اموالكم واولادكم فتنة • وقال الزهري قال ابو لبابة والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اخر
مغشيا عليه ثم قيل له تاب الله عليك قال لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به • وقال السدي كانوا
يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين • وقال الكلبي كل احد مؤتمن
على ما افترض الله عليه ان شاء خانها وان شاء اداها لا يطلع عليه احد الا الله • وقال القشيري
رحمه الله خيانة كل احد على حسب ما وضع عنده من الامانة فمن اؤتمن في مال فتصرف فيه بغير
اذن صاحبه خيانة • ومن اؤتمن على الحرم فملاحظته اياهن خيانة فعلى الخيانة في الاعمال الدعوى
فيها بانها من قبلك دون التحقيق بان منشيها الله تعالى والخيانة في الاحوال ملاحظتك لها
دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق فاذا اخللت بسنة من السنن او ادب
من اداب الشرع فتلك خيانة الرسول والخيانة في الامانات بينك وبين الخلق بايثارك
نصيب نفسك على نصيب المسلمين فارادة الغلب فضلا من المعاملة بالفعل • وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله فخرجتم الى الجهاد يجعل لكم فرقانا نصرا يفرق بين الحق
والباطل والمحق والمبطل كما وعد ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون • وقيل اي ان تتقوا
الله في التزام جميع ما الزمكم من اول السورة الى هنا وجملته طاعة الله وطاعة رسوله
يجعل لكم فرقانا • قال ابن زيد وابن اسحاق اي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
وقال مجاهد اي مخرجا في الدنيا والاخرة • وقيل مخرجا عن الشبهات • وقال السدي نجاة وقال
الفراء فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان • وقيل نصرا وظفرا وثوابا لكم وخذلانا
وذلا وعقابا على اعدائكم وكذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة • وقوله تعالى ويكفر
عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وهذا في الاخرة والاول في الدنيا • وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم
يجزي بالعمل المنقطع ثوابا غير منقطع • وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا اي واذكر
اذ كان ذلك ذكر الله في هذه الاية من معاملة المشركين وجراتهم على الله ما يدعو المؤمنين الى
جهادهم وردهم عن سفههم وعنادهم اما بقتلهم او ادخالهم في الاسلام فقال واذ يمكر بك
الذين كفروا اي كفار قريش ومكرهم تدبيرهم في اهلاكه او افساد امره على جهة الاستتار حيث
لا يعلم الا عند وقوعه وجاء ان اول ما وقع من التدبير هو الحبس لديه الى ان يموت ثم انتقلوا
عنها الى اخراجه من البلد ونفيه ثم استقر تدبيرهم على قتله فنزل جبريل عليه السلام فاخبره
فنقض غزله وبطل تدبيرهم اصلا • وقوله تعالى ليثبتوك او يقتلوك فيه اقاويل • قال
ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة اي ليوثقوك بوثاق • وقال عطاء وعبد الله
ابن كثير والسدي اي ليحبسوك • وقيل اي ليسحروك فيجعلوك ثابتا في مكان • وقيل اي ليجرحوك
كما يقال اثبته في الحرب اذا جرحه جراحة مثقلة • وقال ابو طالب يا محمد ما يامرك قومك قال
يريدون ان يسحروني ويقتلوني قال من خبرك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك وذلك قوله

ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك اي من مكة • وقوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين اي
يجازيهم جزاء مكرهم ويصنع بهم ما هو فوق قصدهم والله خير الماكرين بانه يحق ولانه ماض لا محالة وقصته
ما قال الكلبي ومقاتل ان نفرا من قريش منهم ابو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وهشام بن عمرو وابو
البختري بن هشام من بني اسد وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود و
وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف اجتمعوا في دار الندوة يريدون المكر بالنبي
صلى الله عليه وسلم فاتاهم ابليس في صورة شيخ فجلس معهم فقالوا ما ادخلك علينا بغير اذننا
فقال انا رجل من نجد لست من اهل مكة رايتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فاحببت ان اسمع حديثكم
واشير عليكم فان كرهتم مجلسي خرجت عنكم • وفي رواية قال انا شيخ من الماضين احيانا لا الاف
لا عنتكم في تدبيركم فقالوا هذا رجل من نجد ليس من اهل تهامة فتكلموا فلا باس عليكم منه فقال
ابو البختري اما انا فاري ان تاخذوا محمدا فتجعلوه في بيت وتشدوا بابه غير كوة تلقون اليه
فيها طعامه وشرابه وتذروه فيه حتى يموت كما مات من قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو رجل
كاحدهم فنتربص به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي رايك تعمدون الى رجل له فيكم اسرة قد
سمع به من حولكم تحبسونه فيوشك قومه ان يقاتلوكم عنه فقالوا صدق الشيخ • وقال هشام بن عمرو
من بني عامر بن لؤي اما انا فاري ان تحملوه على بعير فتخرجوه حيث شاء ولا يليه غيركم فقال ابليس بئس
الراي رايك تعمدون الى رجل قد افسد جماعتكم وتبعه منكم طائفة فتخرجوه الى غيركم ليفسدهم
كما افسدكم • وفي رواية قال الم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه • والله ليستجمعن عليه قوم ثم
لياتينكم • فقال ابو جهل بن هشام اما انا فاري لكم ان تعمدوا الى كل بطن من قريش فتاخذوا رجلا
منهم ثم تعطوا كل واحد منهم سيفا فياتونه فيضربونه باسيافهم فلا يدري قومه من ياخذون به
وتؤدي قريش ديته فقال ابليس صدق والله الشاب ان الامر لك فتفرقوا على قول ابي جهل فنزل
جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بامرهم وامره بالخروج فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم من ليلته تلك الى الغار فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ثم لحقنا بعد قدومه المدينة ونزل ايضا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون • وقال
عكرمة لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه الى الغار امر علي رضي الله عنه
فنام في مضجعه فبات المشركون يحرسونه فاذا راوه حسبوه النبي صلى الله عليه وسلم وتركوه فلما
اصبحوا بادروا اليه فراوا عليا فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فركبوا الصعب والذلول
في طلبه فاقتصوا اثره فمروا بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن هذا فمكث فيه
ثلاثة ايام • وفي رواية الكلبي رحمه الله ثم قال لعلي رضي الله عنه نم في مضجعي وتسج ببردي فانه لن يخلص اليك
منهم شيء تكرهه ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب فاخذ الله ابصارهم عنه فلا يرونه وجعل
ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرا انا جعلنا في اعناقهم الى قوله فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث اراد فاتاهم رجل
حين اصبحوا فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله والله خرج عليكم وما ترك رجلا منكم الا
وضع على راسه التراب وانطلق لحاجته ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فدخله وابو بكر معه
وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وامانته • وقال الحسين
ابن الفضل رحمه الله السورة مدنية والله تعالى ذكر مكر المشركين به بمكة وهو معطوف على قوله واذكروا اذ
انتم قليل واذ يمكر بك الذين كفروا واذ قالوا اللهم الاية • وقال القشيري رحمه الله ومكر الله ان مكر الله
تعالى بجميع العوام شغلهم بالدنيا وصرف همهم اليها حتى نسوا امر الاخرة يوطنون انفسهم عليها الى ان ياتيهم
من امنهم ما ياخذهم بغتة ومكره بالخواص اغترارهم بما يظهر لهم من الصيت الجميل بين الناس وما يظهر على
ظواهرهم من صنوف الطاعات مع ملاحظتهم لها وسكونهم الى قبول الناس اياهم فلا تزال اسرارهم بالاغيار
منوطة وهي عن الله في الحقيقة محجوبة • وهذا لان اهم من اهل الكرامة وفي معناه انشدوا شعر

وكم حسد لي قرب داري منهم • وكم من قريب الدار وهو بعيد

وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين اي واذا
يقرا عليهم القران المعجز الذي لا يخفى اعجازه على عاقل متامل قالوا قد سمعنا ما تلوتم ولو نشاء لقلنا مثل هذا
انما هو حديث كاحاديث كسرى وقيصر والملوك الماضين هذه غاية تجراتهم على الله ونهاية وقاحة وجوههم
ومكابرتهم فان النبي صلى الله عليه وسلم تحداهم به سنين كثيرة لمعارضة سورة منه فاما اذ لم يكونوا اهلا لهذا
القول مكابرين لعقولهم او متجاهلين بادعائهم بما يظهر فيه افتراؤهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما
لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحارث بن علقمة اخو بني عبد

الدار لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطر الاولون في كتبهم فقال له عثمان بن مظعون ان محمدا يقول الحق قال وانا اقول الحق قال عثمان فان محمدا يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله لكن هؤلاء بنات الله يعني اللات والعزى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين قال النضر الا ترون ان محمدا قد صدقني فيما اقول يعني قوله ان كان للرحمن ولد فقال المغيرة بن الوليد والله ما صدقك ولكنه يقول ما كان للرحمن ولد ففطن لذلك النضر فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع فوقع به العذاب يوم بدر وقتل صبرا لم يقتل من الاسرا يومئذ غيره وغير عقبة بن ابي معيط وقد مر في القصة وفيه نزلت وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قال عطا لقد نزلت فيه بضع عشرة اية من كتاب الله تعالى • وقال سعيد بن جبير لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل النضر يوم بدر وكان المقداد اسره قال يا رسول الله اسيري قال انه كان في كتاب الله ما يقول فقال المقداد اسيري يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذي اردت وقال القشيري رحمه الله فرط جهلهم ستر على قلوبهم قبح دعواهم في القدرة على المعارضة للقران فانتصر عند الامتحان لعدم البرهان فالتجوا وسقطوا من انفسهم من الفصاحة والبيان • وقيل لما الحطوا القران بعين الاستصغار حرموا بركات الفهم فهذه من جملة اساطير الاولين وكذلك من لا يراعي حرمة اوليائه يعاقب بان تستر عليه احوالهم فيظنهم مثله فيطلق فيهم لسان الوقيعة وهو بذلك احق • وقوله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم اي واذكر اذ قال النضر بن الحارث وانما جمع لانه اراده واتباعه وكذا في الاية الاولى جمع حيث قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا اللهم ان كان ما اتى به محمد حقا من عندك وقد جحدناه فامطر علينا حجارة من السما ومطر في الرحمة وامطر في العذاب او ائتنا بعذاب اليم غير الحجارة من السما كقوله افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله اي من غير الماء • قال محمد بن اسحاق فامطر علينا حجارة من السما كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم او ببعض ما عذبت به الامم • وقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اخبار ان تاخير العذاب عنهم مع استيجابهم ذلك ان الله لا ينزل عذاب الاستيصال بقوم الا بعد خروج نبيهم من بينهم فقال وما كان الله ليعذبهم اي هذا التطاغي واشياعه وانت فيهم • وقوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يتوبون من كفرهم ويستغفرون منه • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فيهم امانان نبي الله والاستغفار فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار • وقال الكلبي وهم يستغفرون اي يصلون الخمس وقال عكرمة الاستغفار هاهنا هو الاسلام • وقال ابو مالك وابن ابي نجيح والضحاك وعطية وعبد الرحمن بن زيد وانت فيهم اي وانت مقيم بين اظهرهم نزلت اليه هذه الاية وهو بمكة ثم خرج من بين اظهرهم فاستغفر من بقي من المسلمين وانزلت عليه حينئذ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي فيهم واحد من المسلمين من النسوان او الولدان • قال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية فخرج المستغفرون من مكة فنزل قوله وما لهم الا يعذبهم الله فاذن الله في فتح مكة وهو العذاب الاليم الذي توعدهم به • وقال محمد بن اسحاق كان المشركون يقولون ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها حتى يخرج فقال الله تعالى لنبيه تذكرها لهم فقال يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك ويقولون وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ويقولون وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ورد عليهم كل ذلك بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي واي سبب يوجب ترك تعذيبهم بالسيف وهو حكم الله في المشركين حتى يسلموا وهم غير مستغفرين بل يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام اذا اتوه حاجين او معتمرين او مصلين مع اظهار المشركين تعظيمه وتفرزهم به وهذا التعجب منهم في تعظيم المسجد الحرام وهم يمنعون المؤمنين عن الحج اليه والصلاة فيه • وقوله تعالى وما كانوا اولياءه اي وليسوا اولياء الله وتاخير العذاب عنهم ليس لولايتهم • وقوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون اي ما اولياء الله سوى المتقين • وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك • وقيل وما كانوا اولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته وسقي الحجيج واطعامهم فيه وكانوا يرون انفسهم ولاة البيت لذلك وبذلك كانوا يصدون عنه من شاؤا ويأذنون فيه لمن شاؤا فابطل الله ان تكون لهم تلك الولاية واثبتها للمتقين • وقيل اي وما لهم الا يعذبهم الله في الاخرة اثبت للمشركين العذاب بنفي الولاية لقوله الله ولي الذين امنوا فاشار بذلك انهم انه لا يعذبهم ثم ولئن ثبت تعذيب مدة فانه اذا لم يتابد خف على الجسد وفي ذلك ينشد شعر

• اذا سلم العهد الذي كان بيننا • فودي وان شط المزار سليم •

وقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي الا صفيرا بالافواه كصفير الطير

وقد

وقد مكا يمكو مكاء وتصدية اي تصفيقا بالايدي كفعل الصبيان واظهار الصدي اي للصوت وقد صدي تصدية وفسرهما كذلك ابن عباس وابن عمر وعطية ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فانزل الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فامروا بالثياب وكانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزؤن به يصفرون ويصفقون فانزل الله هذه الاية • وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم عن البيت وعن الصلاة واصله التصديد وقد صدده وصداه قلبت احدى الدالين ياء تخفيفا كما في قولهم تمطط وتمطى وتظنن وتظنى وتقضض وتقضى وقال بعضهم كان المكا اذان لهم والتصفيق اقامة • وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى بمكة في المسجد الحرام قام مشركان من يمينه واخران من يساره يمكون ويصفقون ليخلطوا عليه صلاته وهم من بني عبد الدار فقتلهم الله ببدر • وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قيل قالت الملائكة لهم ذلك يوم بدر وقيل يقولون في جهنم • وقيل هو صيغة امر في معنى الخبر اي ذاقوا ذلك كما في قوله وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما • قيل كانوا يسيرون فيها كذلك • وقال الامام ابو منصور رحمه الله كان احسن حالهم التي هم عليها هي حال الصلاة فاذا كانت صلاتهم مكا وتصدية فكيف سائر الاحوال ثم ذكر صلاتهم على هذا الوجه وبيان ما قالوه في الشفاعة لو نشاء لقلنا مثل هذا ودعاؤهم بامطار الحجارة عليهم وجعل ذلك كتابا يتلى في الصلاة له وجوه ثلاثة من الحكمة احدها تعليم الحلم عن السفهاء • والثاني ترغيب المعاملة مع السفهاء عند ارتكاب المناكير من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انهم اذا اذوا وعنتوهم واستقبلوا بالمكروه والاذى ان لا يتركوا الامر بالمعروف ولا ييأسوا من خيرهم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم • والثالث اعلام الخلق ان حجة الله تلزم العباد وان كانوا قد جهلوها اذا كان التضييع جاء من قبلهم في ترك النظر والتفكر اذ لو علموا حقيقة العلم انه الحق لم يكونوا ليدعوا على انفسهم بالهلاك • وقال القشيري رحمه الله وما كان الله ليعذبهم اليوم وانت فيهم فيما بينهم احلال القدر واكراما لمحلك واذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستغفرون • ويقال الجوار حرمة فجار الكرام في ظل انعامهم والكفار لما لم يمتنعوا بقرب الرسول فقد ارتفع العذاب عنهم بمجاورته فيهم وفي معناه انشدوا شعر

• واحبها واحب منزلها الذي • نزلت به واحب هذا المنزل •

وقوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت الاية في انفاق الكفار يوم بدر • وقال الكلبي رحمه الله ان الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اي دين الله لانه طريق ثوابه والخلود في جنته لمن سلكه على ما امر به • وقوله تعالى فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة اي فسيقع انفاقهم حسرة اي ندامة وغيظا • وقوله تعالى ثم يغلبون اي يوم بدر • وقوله تعالى والذين كفروا الى جهنم يحشرون يبعثون ويجمعون بعد القتل • قال الكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا اطعموا الناس الطعام كل رجل منهم يطعم يوما منهم ابو جهل واخوه الحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وابو البختري ابن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش • وقال مقاتل ان رؤس كفار قريش استاجروا اعوانا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعموا اصحابهم في كل يوم عشرة جزور • وقيل هو انفاق الاموال التي كانت في العير في حرب احد وقد بيناه ذلك في اول قصة احد في اول سورة آل عمران • وقال سعيد بن جبير نزلت الاية في ابي سفيان استاجر يوم احد الفين من احابيش كنانة سوى من استجاشي من العرب تقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك • شعر •

• فجينا الى موج من البحر وسطه • احابيش منهم حاسر ومقنع •
• ثلاثة الاف ونحن نصية • ثلاث مئين ان كثرنا فاربع •

وقال سفيان بن عيينة قال قريش لا تنفقوا هذا المال الذي افلت الا في حرب محمد فنزلت الاية • وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الاية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عن عاقبة امرهم فكان كما اخبر به وهو غيب فثبت انه عرف ذلك بالله • وقال القشيري رحمه الله انهم فان انفاقهم اما لهم فالى الخيبة والى الذل اما لهم لن تغني عنهم اموالهم ولن تنفعهم عند الحاجة اعمالهم بل ختم بالشقاوة احوالهم • وقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب اي يجعل نفقاتهم حسرات عليهم ويغلبهم والى جهنم يحشرهم ليميز الكافر الخبيث الذي خبثت عقيدته واعماله من المؤمن الطيب الذي طابت عقيدته واعماله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليميز الله اهل الشقاوة من اهل السعادة • وقيل الخبيث ما لا يصلح لله والطيب ما يصلح لله • وقيل الخبيث ما حكم الشرع بقبحه وفساده والطيب

ما تهذ العلم بحسنه وصلاحه وقيل الخبيث ما يشغل صاحبه عن الله • وقوله تعالى ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم ركم الشي ركب بعضه على بعض ومنه السحاب المركوم • قال الحسن اي يركبهم مع ما انفقوا فيحتمل ان يكون الخبيث والطيب اسمين للكافر والمؤمن والركم للكفار واجمع لهم ويحتمل ان يكونا اسما للمال الخبيث والطيب والركم لنفقاتهم منهم كما قال يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية فان حمل الاية على الاول فقوله فيركمه جميعا على التوحيد يرجع على ظاهر اللفظ لانه فرد • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل هذا ان يكون معناه يجعلهم في دركات بعضها اسفل من بعض ويحتمل جعل بعضهم على بعض متفرقين في الاصفاد ويحتمل جعل بعضهم على بعض على التضييق قال تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا • وقوله تعالى اولئك هم الخاسرون يرجع الى المعنى لانه جمع فاول الاية يتعلق ان الذين كفروا • وقال عبد الرحمن بن زيد فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اي يجعل نفقاتهم في قعر جهنم ثم يقال لهم الحقوا بهم والاية في الذين قتلوا يوم بدر وما بعدها في من بقي منهم • وقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اي قل يا محمد لمن بقي من كفار قريش بعد قتل من قتل منهم يوم بدر ان تقلعوا عما انتم عليه من الشرك غفر الله لكم ما مضى من الشرك والمعاصي وقوله تعالى وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين اي وان يرجعوا الى قتال المؤمنين فان الله يفعل بهم ما هو سنة الاولين بنصر الاولياء وقهر الاعداء واضاف السنة اليهم في هذه الاية لانها يجعولها لهم واضافها الى نفسه في قوله ولن تجد لسنة الله تحويلا لانه هو الذي جعلها وهو كالاجل اضافه تارة الى نفسه بقوله عز وجل ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والى الخلق اخرى بقوله فاذا جاء اجلهم • وقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله • وقال الكلبي قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه ان ينتهوا اي يسلموا يغفر لهم ما قد سلف يتجاوز عنهم من الذنوب ما كان قبل الاسلام وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين بنصر الله رسله ومن امن على من كفر بقتلهم في الدنيا ولهم العذاب في العقبى • وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وعمرو بن العاص فان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة هرب عكرمة الى الجدة وركب البحر فهاجت الامواج وخيف الغرق فقال الملاحون لن ينجيكم الا الاخلاص وهو دين محمد فقال عكرمة فان كان لا ينجيني في البحر الا هذا لا ينجيني في البر الا هذا فعزم ان يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم فلما خرج من البحر سار الى المدينة فدخلها بغلس فراى عمرو بن العاص فقال له ما جاء بك يا داهية العرب فقال لما بقي من مكة الا ملته فلم يبق فعلمت انه الحق فجئت لاتابع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمعا على اتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسلام فاقبلا فلما قربا من الباب كان يقدم كل واحد منهما صاحبه فيتاخر حياء فلما دخلا بكيا فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيكما قالا كثرة جنايتنا فقال البشر فان الله يقبلكما ونزلت الاية • وقال القشيري رحمه الله قل لهم ان خلوا الطاق المناد اطلقناهم فقال العباد • وان ابصروا فتح ابوابهم جدنا عليهم باصلاح اعمالهم وان جنحوا للاعتذار خلعنا خلعة الاعتذار • وقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك • وقوله تعالى ويكون الدين كله لله اي حتى يخلص دين الاسلام فلا يعبد الا الله ويجتمع الناس كلهم على الطاعة والعبادة لله تعالى • قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وابن اسحاق وابن زيد حتى لا تكون فتنة اي شرك • وقيل اي لا يبقى شرك يفتتن به الجاهلون • وقال الربيع بن انس حتى لا يفتتن مؤمن عن دينه • وقوله تعالى فان انتهوا اي عن الفتنة والشرك وساروا الى دين الحق معكم • وقوله تعالى فان الله بما تعملون بصير يعني بما يعملون من ترك الكفر والمعصية وفعل الايمان والطاعة يرى اعمالهم فيجزيهم على وفق اعمالهم • وقوله تعالى وان تولوا اي اعرضوا عما اندرتهم فلم يتدبروا فيه ولم يقبلوه • وقوله تعالى فاعلموا ان الله مولاكم متولي اموركم وناصركم واعلاكم فثقوا بولايته وقوله تعالى نعم المولى ونعم النصير على العدو فتضوا به • وقال القشيري رحمه الله ان لم تكونوا له بحيث يقال نعم العبيد انتم فنعم المولى ونعم الناصر هو لكم • ويقال نعم المولى كان لكم يوم قسمة الفرقان • ونعم الناصر لكم هو لكم يوم قسمة الغفران • ويقال نعم المولى هو لك حين لم تكن • ونعم الناصر هو لك حين كنت • وقيل نعم المولى بالترتيب قبل التكليف • ونعم الناصر لك بالتخفيف والتضعيف يخفف عنك الطاعات • ويضاعف لك الحسنات • ويكفر عنك السيئات • وقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول اي اذا قاتلتم المشركين وقهرتموهم واخذتم اموالهم فانها ما كانت تحل للامم السالفة وقد احلت لكم اربعة اخماسها وليس هذا في هذه الاية بل فيها بيان خمسها فاما اربعة اخماسها فحلها لنا بما ذكر في اخر هذه السورة فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وما ذكر في هذه الاية فقد بينا انه ناسخ لما ذكر في اول هذه السورة قل الانفال لله والرسول • وقال ههنا فان لله خمسه قيل هو على تحقيق جعل سدس الخمس لله وهذا يصرف الى ستارة الكعبة وقيل الى اسلحة الغزاة وقيل

اي قوله فان لله خمسه وللرسول لحقهم سهم الله وسهم الرسول سهم واحد وهو سهم الرسول واضافه الى نفسه تشريفا له فانه صلى الله عليه وسلم كان بالله ولله فكان سهمه سهم الله وهو خمس الخمس واختلف في سهمه صلى الله عليه وسلم انه هل بقي بعد وفاته او سقط قيل سقط لانه لم يخلفه احد في الرسالة فلا يخلفه في سهمه • وقيل هو باق وهو لامير المؤمنين في كل عصر لانه والي المسلمين كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والي المسلمين • وقوله تعالى ولذي القربى هو القريب وليس فيه انه قريب من لكن اجتمعت الامة انه اريد به قريب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واحد بمعنى الجمع لانه جنس فكان سهم من الغنيمة لاقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم عالحياته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم وعرف بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه المراد به اقرباؤه وما كان يعطيهم كلهم • روي عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذوي القربى بين بني هاشم وبني عبد المطلب اعطيتهم وحرمتنا يعني بني عبد شمس وابن نوفل وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا اسلام اي في حال جاهليتهم وبعد اسلامهم وانما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد وشبك بين اصابعه وسقط سهم ذوي القربى بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمع عليه الصحابة لما اشار في هذا الحديث ان العطا كان معلولا بالنصرة وقد سقطت العلة فيسقط معلولها وعمل به الخلفاء الراشدون واتبعهم عليه الاخرون وهو قول علمائنا • وقال الشافعي رحمه الله هو باق • وقوله تعالى واليتامى والمساكين وابن السبيل وسهم كان لليتامى وهو جمع يتيم وهو الصغير الذي مات ابوه وسهم كان للمساكين وهو جمع مسكين وهو الذي اسكنته الحاجة وسهم كان لابن السبيل وهو الغريب البعيد عن ماله واحد اريد به الجمع لانه جنس وهو لاء مصارف هذا المال بسبب الحاجة فلا يحل للغني منهم ويجوز الصرف الى صنف واحد منهم وهو بيان الصرف دون الاستحقاق كما عرف في مصارف الصدقات وعندنا واربعة اخماسه يقسم بين الغزاة للفارس سهمان وللراجل سهم عند ابي حنيفة وهو قول اكثر الصحابة رضي الله عنهم وفيه اكثر الاحاديث وعند ابي يوسف ومحمد للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه وهو قول بعض الصحابة وفيه بعض الاحاديث ثم فيمن شهد الامر من لا يستحق السهم ويرضخ له ومنهم من لا يرضخ وفي موضع الرضخ ومقدار الرضخ والمال الذي منه الرضخ كلام وشرحه في الفقهيات وقد اشبعنا الكلام فيه على التهذيب والترتيب في خصايل مسايل الفقه • وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله يعني فاعلموا به وارضوا بهذه القسمة ان امنتم بالله فان الايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم • وقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا اي وصدقتم بما انزلنا على عبدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من الملايكة • وقوله تعالى يوم الفرقان يوم حرب بدر وهو يوم النصر ويوم وقوع الفرقان بين الحق والباطل • وقوله تعالى يوم التقى الجمعان المؤمنون والمشركون • وقوله تعالى والله على كل شي قدير من اذا مة علوكم ونصركم ما دمتم على طاعاتكم وتركتم قال جعفر بن برقان هو يوم سنة عشر وسبعة عشر او تسعة عشر من شهر رمضان • وقال عروة هو ابن الزبير هو يوم سبعة عشر او تسعة عشر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتال المشركين لاعلاء الحق والدين • وقوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا قرا ابن كثير وابو عمرو بكسر العين والباقون بضمها وهما لغتان وهي شفير الوادي والدنيا القربى تانيث الادنى والقصوى البعدي تانيث الاقصى يقول واذكروا اذ كنتم يا معشر المؤمنين من جانب شفير الوادي الادنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى اي الكفار بالجانب الاقصى منها الى جهة مكة • وقوله تعالى والركب اسفل منكم نصب على الظرف لا على النعت اي العير جمع راكب كالصحب جمع صاحب في مكان اسفل منكم نصب على الظرف لا على النعت اي بقرب ساحل البحر بينكم وبينهم ثلاثة اميال فلم يكن للمشركين ان يمضوا الى عيرهم فيحموها اذ كنتم في وجوههم ولم يمكنكم ان تمضوا الى العير فتستولوا عليها اذ كان المشركون في وجوهكم فتخلصت العير وحضرة الفريقان للقتال فنصركم الله واهلك صناديدهم واوهن كيدهم واعز الاسلام واظهر اهله • وقوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي ولو كان بينكم وبينهم تواعد للاجتماع في موضع معين ثم علمتم بكثرة عددهم وقوتهم وقلة عددكم وضعفكم لدعاكم الضعف الى التخلف • وقيل ولو تواعدتم ثم لم يمددكم بلطفه لاختلفتم بالعوايق والقواطع وقوله تعالى ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اي ولكن وقع ذلك من غير ميعاد ليتم الله امرا كان قد اراده وما اراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وعلو اهله وذل الكفر وقهر اهله وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اي صار الامر فيها اراده الله لان انقطع العذر ولزمت الحجة وظهر الحق والباطل فيضل من ضل على تمام البيان ويهتدي من يهتدي على كمال البرهان فالهلاك الكفر والحياة الايمان • قال تعالى اموات غير احياء • وقال او من كان ميتا فاحييناه • وقوله تعالى وان الله لسميع اي قول الفريقين عليم اي قصد الفريقين • وقرا عاصم في رواية ابي بكر

ونافع من حيي باظهار اليائين لامتناع الادغام في مستقبله يحيى • وقرا الباقون من حي على الادغام للزوم الحركة في الثاني مجرى مجرى رد • وقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا اي وان الله سميع عليم بما قالوا واضمروا فاريك يا محمد في نومك قلة عدد المشركين • ويحتمل انه راى في منامه ما كان تاويله ضعف امر العدو كانه راى منهم قليل العدد فتاويله ضعف امرهم ورؤيا الانبيا وحي فاخبر اصحابه به وقد قال اني رايت مصارع القوم هذا لتقوية نفوسهم وكانوا يخافون ويتحدثون بقلة عدد انفسهم وكثرة عددهم فاراه الله ذلك ولا يكون هذا اراءة الشي على غير ما هو به لان الرؤيا تخييل وتنبيه على شي يتمثل وقد صور نوع تاويل • وقوله تعالى ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي ولو رايت في منامك ما يكون تاويله قوة امرهم ثم اخبرت اصحابك بذلك لفشلوا اي جبنوا وانصرفوا • وقوله تعالى ولتنازعتم في الامر اي ولاختلفتم فلم تتفقوا على قتالهم وقوله تعالى ولكن الله سلم اي من الفشل والتنازع بما اراك • وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور اي بسراير القلوب اي فعلاه لك لما علم من حسن نياتكم • وقوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا وهذا لطف اخر قلل المشركين في اعين المؤمنين حين التقوا • قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحب لي الى جنبي كم تراهم سبعين قال اراهم مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسالنا قال كنا الفا وقلل المؤمنين في اعين المشركين فهان امرهم عليهم حتى قال ابو جهل خذوهم بالايدي اخذا ولا تقاتلوهم بالسلاح وكان ذلك سببا لحرص الفريقين على الملاقاة فقضى الله امره فيهم اذ كان امرا مفعولا ومعناه يكون لكن لما كان مما يكون لا محالة اخبر عنه بما كانه قد كان • قال الكلبي استقل المؤمنون المشركين والمشركون المؤمنين ليجترئ بعضهم على بعض • وقوله ليقضي الله كاينا في علمه بنصر الاسلام واهله وذل الشرك واهله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل التقليل من الجانبين ان المسلمين راوا الملايكة معهم فكان المشركون في مقابلة المسلمين والملايكة قليلا ولم ير المشركون الملايكة فكان المسلمون في مقابلة المشركين قليلا • وقوله تعالى والى الله ترجع الامور فيحكم فيها بما يريد • وقال القشيري رحمه الله واذا اراد الله بنصر عبد فلو كاده جميع البشر وارادوه بكل ضر لم يعقل من شانا بحجة جحد ولم يحصل بينه وبين صنايع لطفه له سد واذا اراد الله بعبد سوا فليس له رد • ولا ينفعه جد • ولا ينعشه بعد • ما اسقطه حكمه حد • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا اي لا فيتم جماعة من المشركين يقصدونكم فاثبتوا ولا تنهزموا • وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اي ادعوا الله في تلك الحالة ربكم واسالوه الثبات والصبر والعلو والنصر كالذين قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فانكم اذا فعلتم ذلك كان فيه فلاحكم وهو الظفر بالعدو وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية وان لقيتموهم فاثبتوا واكثروا ذكر الله فان اجلبوا وصيحوا فعليكم بالصمت • وقال سعيد بن جبير فاثبتوا اما في معكم واذكروا الله كثيرا فانهما خصلتان الغنيمة او الشهادة • قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين • وقيل امر الله بكثرة الذكر بكل حال وان غلب الهم والشغل بالنفس والمال فقال في حق النفس في هذه الاية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا الاية • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر ههنا واثبتوا وذكر قبل هذا فلا تولوهم الادبار فدل ان الامر بالشي نهي عن ضده والنهي عن الشي امر بضده • وقال القشيري رحمه الله جميع الخيرات في ثبات القلب وبه يتبين اقدار الرجال كما قال الصديق حين صدمته الفجيعة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت • وقوله تعالى واطيعوا الله ورسوله اي في التالف على نصرة الدين وقيل اطيعوا الله في الامر بالقتال ورسوله فيما يامركم به حال القتال من تقدم او تاخر او كف او اقدام او نحو هذا مما يوجبه تدبير قادة الجيوش • وقوله تعالى ولا تنازعوا اي لا تختلفوا والتنازع طلب كل واحد من صاحبه ان ينزع عما هو عليه • وقوله تعالى فتفشلوا اي فتجبنوا انتصب بالفاء في جواب النهي اي في التنازع قلة الاعوان وفي الجبن غلبة العدو • وقوله تعالى وتذهب ريحكم هي ريح النصرة • قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور • وقال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها • وقال مجاهد وقتادة ويذهب نصركم • وقال السدي جراتكم وحدتكم • وقال عطا جلدكم • وقال النضر بن شميل قوتكم • وقال الاخفش دولتكم • وقال اليمان بن رباب غلبتكم • وقال ابن كيسان ظفركم ورغب عدوكم منكم ويعبر عن الدولة بالريح يقال هبت لفلان ريح اذا جاءت دولته • قال بعض المتاخرين • شعر • اذا هبت رياحك فاغتنمها • فعقبى كل خافقة سكون • ولا تغفل عن الاحسان فيها • فلا تدري الركود متى يكون • وقوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين

اذ يعينهم

بينهم وحافظهم • وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس اي اشتغالا عن شكر النعمة بالنعمة والتطاول على الناس بازراء نعمة في غير رضى الله ونحوه وقد بطل بجحد علم • قال تعالى بطرت معيشتها • وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو قريب من الطغيان • قال الشاعر •

واذا غنيت فلا تكن بطرا • واذا افتقرت فتد على الدهر •

وقوله ورئاء الناس اي مراءاة لهم اي اخرجوا الى الجهاد محتسبين لا بطرين ولا مرائين كالمشركين فانهم خرجوا مرائين • وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي دين الله • وقوله تعالى والله بما يعملون محيط اي عالم بما يعملون • وقوله تعالى • زجر ووعيد وتهديد • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق خرج اهل مكة لحماية العير التي كانت مع ابي سفيان واخرجوا المعازف والقيان فلما نجا ابو سفيان ارسل اليهم ان ارجعوا فقد سلمت عيركم وهم بالجحفة فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وننحر جزرا ونشرب خمرا وتعزف علينا القيان ويرانا من غشينا من اهل الحجاز وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا • وروي انه قيل يا رسول الله الرجل يقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا • وقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي محيط بهم اذ زين لهم الشيطان اعمالهم اي حسن في قلوبهم ثباتهم على قتال المشركين واوهمهم القوة والغلبة والتشار الصيت في العرب والجلادة والمنعة وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اي من جيش محمد واني جار لكم اي مجير لكم وضامن لكم السلامة من اعتراض المعترضين والجار هو المجير الذي يعطي الخايف الامان وقد استجاره فاجاره اي استامنه فامنه • وقوله تعالى فلما تراءت الفئتان اي تراءت وراى بعضهم بعضا والفئتان جماعة المؤمنين وجماعة المشركين • وقوله تعالى نكص على عقبيه النكوص رجوع القهقرى يحوفا مما يرى اي ولى مدبرا حين نظر الى الملايكة مردفين زايدين على عدد المشركين • وقوله تعالى وقال اني بريء منكم اي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الامان وقوله تعالى اني ارى ما لا ترون اي لاني ارى الملايكة • وقوله تعالى اني اخاف الله والله شديد العقاب اي اخاف عقابه على ايدي من اراهم ولا ترونهم انتم والله شديد العقاب لا يرد عقابه بشي ولا يقاوم وقصته ما ذكرنا ان ابليس تصور لهم بصورة سراقة بن مالك بن جعشم وضمن لهم نصرهم حين نزلت الملايكة وكان هؤلاء المشركون تخوفوا من بني بكر بن كنانة اذ كانوا قتلوا منهم قتيلا فلم يامنوا يوم خروجهم الى بدر ان ياتوهم من ورائهم فتصور لهم ابليس بصورة سراقة وهو من بني بكر بن كنانة وقال اني جار لكم من بني بكر فركنوا الى قوله وساروا وهو معهم الى ان كان ما قلنا وهذا جايز في زمن النبوة ويكون علما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر اصحابه بذلك ويخبر بمن افلت من القتل من قريش فيكون ذلك دلالة على نبوته قاله ابن عباس والشعبي وقتادة وابن اسحاق • وقال قتادة قوله اني اخاف الله كذب والله ما به مخافة الله ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وتلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى التقى الحق والباطل اسلمهم شر مسلم وتبرا منهم • وقال الكلبي رحمه الله خاف اللعين ان ياخذه جبريل عليه السلام ويعرفهم حاله ولما نكص على عقبيه اخذ الحارث بن هشام بيده فقال الى هذه الحالة تخذلنا فقال اني ارى ما لا ترون فقال والله ما نرى الا جعاسيس يثرب قال اني اخاف الله • قال الحارث فهلا كان امس فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان • وقوله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم اي واذكروا اذ كان المنافقون او قال ابليس لك اذ يقول المنافقون وهم المعلنون للنفاق المرتابون على طبقاتهم والذين في قلوبهم مرض ممن دخل في الاسلام حديثا وفي قلبه بقية شك لا ينادي المسلمين ولا يعيب عليهم غر هؤلاء دينهم توهموا ان دينهم يغنيهم ونبيهم يحميهم وهم بهذه القلة والمشركون بهذه الكثرة والعدة • وقوله تعالى ومن يتوكل على الله اي يثق بالله فان الله عزيز لا يغالب حكيم لا يسوي بين وليه وعدوه • وقال مجاهد نزلت الاية في قوم كانوا مستضعفين بمكة فلما خرجت قريش اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتدوا فقتلوا جميعا منهم قيس ابن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا من مكة وهم على الارتياب • وقال محمد بن اسحاق هم ثمانية نفر من قريش حبسهم اباؤهم فخرجوا الى بدر معهم على الارتياب فلما راوا قلة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى اقدموا على

تقدموا عليه مع قلتهم وكثرة عددهم واسماء الخمسة قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس الحر وسيان والحارث بن زمعة بن الاسود بن مطلب وعلي بن امية والعاص بن منبه بن الحجاج وزاد فيهم مقاتل والوليد بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة وعمرو بن امية بن سفيان كان هولا اسلموا بمكة ثم اقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا فقتل هولا مع المشركين فضربت الملايكة وجوههم واذبارهم وذلك قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة قدم المفعول وهو الذين وهو منصوب بوقوع التوفي عليهم والملايكة ترفع منهم وهو تقبض ارواحهم يقول ولو ترى يا محمد اذ كان يتوفى الملايكة ارواح الكفار • وقوله تعالى يضربون وجوههم وادبارهم اي يضربونه بالات الحرب كل اجسادهم ما اقبل منها وما ادبر لرايت امرا عظيما جواب لو وهذا وهو محذوف وهذا ابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه كل مذهب وتم الكلام ههنا • وقوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق هذا في الاخرة اي يقول الملايكة لهم ذوقوا عذاب الاحراق • وقيل اي عذاب النار لان الحريق اسم للنار • وقيل كان مع الملايكة مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق اي قاسوا وجربوا • وقيل يجوز ان تكون هذه الاية في الذين لم يقتلوا ببدر واخبر الله عن احوالهم عند حضور اجالهم ان الملايكة تقبض ارواحهم بالضرب على وجوههم وادبارهم فيكون قبض ارواحهم مشاكلا لقبض ارواح الذين قتلوا ببدر ضربا وطعنا ومن خلف وقدام وفوق الاعناق وعلى كل بنان ويكون جواب لو لعلمت ان من مات حتف انفه ومن مات في الحرب يتقاربان في العذاب الشديد • وقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم اي وتقول الملايكة لهم في النار ذلك الاحراق والتعذيب جزاؤكم بما قدمت ايديكم من الكفر والمعاصي بانفسكم مباشرة • وقوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقبهم بغير ذنب منهم • وقوله تعالى كداب ال فرعون اي عادة هولا المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم كعادة فرعون واله بموسى عليه السلام • وقوله تعالى والذين من قبلهم من تلهم الكفار كفروا بايات الله اي بما انزل على نبيه فاخذهم الله بذنوبهم اي عاقبهم بها فاهلكهم ببدر كما اهلك اوليك بالاغراق في البحر • وقوله تعالى ان الله قوي لا يغلبه شي شديد العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده شي • وقوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم حذف النون من يكن تخفيفا لكثرة الاستعمال لان كان ويكون ام الافعال لان ضرب في معنى كان ضرب ويضرب في معنى يكون يضرب فلما كانت ام الافعال وكثر استعمالها للحاجة اليها احتملت هذا الحذف ولم يحتمله نظايرها من لم يصن ولم نحن يقول الله بكرمه لا يبتدي قوما بانزال العذاب عليهم حتى يسبق منهم ما يستحقون به العذاب فيوقعه بهم حينيذ كذا كانت سنته في الامم الماضية كاهل الاوثان من مشركي العرب غيروا ما انعم الله عليهم من ابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوه واخرجوه فغيرنا نعمتنا عليهم فانزلنا باسنا بهم • وقال السدي النعمة محمد صلى الله عليه وسلم انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار • وقال الكلبي انعم الله على اهل مكة فاطعمهم من جوع وامنهم من خوف وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم اليهم ولم يكن يعذبهم حتى يغيروا ما بانفسهم من النعم كفرانها وتركا لشكرها فغيروا ذلك فغير الله ما بهم • قال الله تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة الاية • وقوله تعالى وان الله سميع عليم اي وبان الله سميع لا يخفى عليه من كلام خلقه شي عليم بما في صدورهم • وقال القشيري رحمه الله اذا انعم الله على قوم واراد دوامها لهم اكرمهم بتوفيق الشكر فاذا شكروا نعمته فيدومها لهم واذا اراد ازالة نعمة من عبد اذله بخذلان الكفران فاذا حاد عن طريق الشكر فقد عرض النعمة للزوال وما دام العبد لشكر النعمة مقيما الا كان الله تعالى لانعامه عليه مديما فاذا قابل النعمة بالكفران انبتت سلك نظامه فيفقد ما يتردد في اصراره يزول الامر عن قراره • وقوله تعالى كداب ال فرعون اي صنيع هولا بك كصنيع ال فرعون بموسى والذين من قبلهم بانبيايهم وليس هذا بتكرار فان الاول في الكفر والمخالفة والمواخذة بالمعاقبة وهذا في كفران النعمة والابتلا بزوال النعمة • وقوله تعالى كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم على العموم واغرقنا ال فرعون على الخصوص وكل كانوا ظالمين قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه • وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون اي شر الخلايق الدابين على وجه الارض هم اهل الكتاب الذين الفوا الكفر فهم لا الفهم ذلك لا يومنون بك • قال مقاتل هم يهود بني قريظة وذلك ان اليهود نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال محمد واصحابه وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم الثانية فنقضوا العهد فذلك قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون عاهدت منهم اي اخذت العهد منهم • وقيل اي الذين عاهدتهم منهم اي من الذين كفروا من اهل الكتاب • قال الكلبي نزلت في بني قريظة

من

من اليهود منهم كعب بن الاشرف واصحابه الذين ينقضون العهد في كل مرة اي في كل حين وعام فنقضوا العهد يوم الخندق وحين ركب كعب الى اهل مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قال مجاهد وكان السبب في نقضهم العهد انهم كانوا سكان المدينة فلما راوا علو امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدوه فطابقوا المشركين واظهروا لهم المظاهرة اذا احتيج اليهم • وقوله تعالى فاما تثقفنهم اما كلمتان ان التي هي للشرط وما التي هي للتاكيد ولذلك ادخل نون التاكيد في تثقفنهم كما تكون في القسم لان كل واحد منهما للتاكيد والثقف الاخذ بسرعة يقول فان اظهروا نقض عهدهم فلا يشغلوك وبادرهم بالمحاربة فظفرت بهم • وقوله تعالى في الحرب فشرد بهم من خلفهم اي نكل بهم تنكيلا يكون سببا لشرود من خلفهم اي لغيرهم وصرفهم وتخويفهم • وقوله تعالى لعلهم يذكرون اي يتعظون فيمتنعون بهذا الخوف عن نقض العهد • قال عطا اثخن فيهم القتال ليخاف غيرهم من اهل مكة واهل اليمن • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا فشرذ بهم بالذال • وقيل هو في معناه • وقال قطرب الذال التنكيل وبالدال المعجمة التفريق • وقوله تعالى واما تخافن هي كقوله فاما تثقفنهم في انها كلمتان ونون التاكيد وهذا حكم من ظهرت منه دلالة خيانة لا كشف خيانة والاية الاولى في كشف الخيانة ونقض العهد على الابانة والخوف العلم اي وان علمت من قوم خيانة وهما بنقض العهد • وقوله تعالى فانبذ اليهم على سوا اي الق اليهم الخبر انك نقضت العهد الذي بينك وبينهم لتكونوا انتم وهم في العلم بالنقض على سوا اي على استوا اي مستويين فيه ولا تحاربهم قبل الاعلام لانه خيانة والله لا يحب ذلك قال تعالى ان الله لا يحب الخاينين وقد كانوا بنو قينقاع لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر اظهروا ما يدل على اضمارهم الخيانة الى ان انكشف امرهم بما فعلوه فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم فانزلهم على حكمه فكتفهم ليقتلهم فكلمه ابن ابي فيهم وكان امرهم والح عليه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموالهم ما احب ونفاهم فخرجوا الى اذرعات ولما كان يوم الاحزاب وظهر من قريظة مظاهرة ابي سفيان على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بهم ما فعل من قتل المقاتلة وسبي الذرية واخذ الاموال ثم كان من بني النضير ما كان واجلاهم بعد ان خرب ديارهم وقطع نخيلهم واخذ من اموالهم ما احب وكل هذا عقوبة غليظة تردع السامعين من فعل مثلها ويمنع بها الا تعاظر الذكر لمن عقل • وقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا قرا عاصم في رواية حفص وابن عامر وحمزة يحسبن بيا المغايبة وفتح السين • والباقون بتا المخاطبة وكسر السين اي يا محمد لا تظنن الكافرين سابقين وسبقوا في محل الحال وعلى يا المغايبة لا بد من اضمار اسم قبل الذين كفروا او بعد ذلك وتقديره ولا يحسبن احد وحاسب الذين كفروا سبقوا ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم ارقومهم او سلفهم سبقوا • وقال الزجاج رحمه الله تقديره لا يحسبن المومنون الذين كفروا سبقوا ومعنى الاية ولا يحسبن من بقي من المشركين بعد وقعة بدر ممن كان شهدها فافلتنا او لم يكن شهدها سبقوا اي فاتوا فلا يلحقهم عذاب الله • وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون • وقرا ابن عامر انهم بفتح الالف ومعناه لانهم يقال طلبت فلانا فاعجزني اي فاتني فعجزت عن ادراكه • وقال الحسن لا يعجزون الله اي لا يفوتون حتى يبعثهم الله يوم القيامة • وقيل اي لا يعجزونك يا محمد حتى يظفرك الله بهم • وقال القشيري رحمه الله كيف يعارض الحق او ينازعه من في قبضته تقلبه • وبقدرته تصرفه • وبتصريفه ابداء هذه وشانه • وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة اي صيروا للكفار ما قدرتم عليه ما نصب لانه مفعول به بقوله واعدوا ومن قوة اي من الاشيا التي تكون قوة لكم عليهم من الرجال والكراع والسلاح • وروي عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان القوة هي الرمي وهي لا تنفي غيره لكنه من جليل ما يعد لذلك • وروي ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مد الناس ايديهم الى شي من السلاح الا والقوس عليه فضل • وروي مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رمى بسهم في سبيل الله بلغ او قصر كان له عدل رقبة • وقال مكحول رضي الله عنه تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة • وروي عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل شي يلهو به ابن ادم باطل الا ثلاثا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته ثم قال ارموا واركبوا والرمي احب الي من الركوب ومن ترك الرمي بعد ما علمه فقد كفر من علمه • وعن ابي المنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ابناكم السباحة والرمي ونعم المدهني المغزل للمراة المومنة • وقوله تعالى ومن رباط الخيل هو مصدر رابطت العدو مرابطة ورباطا وهو ان يربط المسلمون خيولهم في الثغر مقابلة ربط الكفار خيولهم لعضدها المسلمين والمفاعلة بين اثنين او حزبين وهو عطف على قوله من قوة اي واعدوا ما قدرتم عليه من رمي ورباط الخيل • وقوله تعالى ترهبون به اي تخيفون بسبب الرباط الكفار وهم عدو الله وعدوكم وهو واحد اريد به الجمع كما في قوله هم العدو وهم الكفار من المشركين واليهود الذين هم يحاربون المسلمين ويحزبونهم • وقوله تعالى

وآخرين من دونهم اي وترهبون اعدا آخرين من دونهم اي سوى هولا. قال مجاهد هم بنو قريظة. وقال السدي
هم اهل فارس. وقال الحسن وابن زيد هم المنافقون. وقيل هم كفرة الجن وهم يفزعون من صهيل الخيل. وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انهم الجن ثم قال ان الشيطان لا يخبل احدا في دار فيها فرس عتيق. وقيل كل عدو. وقوله
تعالى لا تعلمونهم الله يعلمهم اي قد اعد لهم جزا امثالهم. وقوله تعالى وما تنفقوا من شي في سبيل الله يوف
اليكم وانتم لا تظلمون ما كلمة شرط ولذلك جزم فحذف النون في تنفقوا وحذف اليا في يوف وكل نفقة قلت
او كثرت تنفقونها في طاعة الله وخصوصا في الجهاد فاجره موفر عليكم بالواحد سبع ماية الى ما فوق ذلك
وانتم لا تنقصون من اجوركم اعمالكم شيا. وقال الامام ابو منصور رحمه الله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة اي التحرز
الى الحروب كما خرجتم الى بدر بغير السلاح لان حرب بدر كانت اية فامركم بالخروج اليها بغير سلاح ليتبين
بين الحق والباطل بهذه الاية وفي غيرها امر بالاستعداد تعلقا بالاسباب التي دبر بها امور العباد من قوة هي
الاستطاعة التي هي سلامة الالات ولذلك كانت قبل الفعل فاما القوة التي هي علة الفعل فانها تكون
مع الفعل. وقوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قيل هم الشياطين وهو كما قال انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم ويقع الارهاب بالخيل في خفتهم ما في ذلك من فتح اوليايهم او يكون فيه ارهاب
اوليايهم ويضاف اليه ويجوز ان يراد به كل عدو ويظهر من بعد ذلك الى يوم القيامة وذلك على قيام
فرض الجهاد الى يوم القيامة. وقال القشيري رحمه الله مختلفون في قوة القلب على حسب اختلاف
احوالهم فواحد يقوي قلبه بموعود نصره واخر يقوي قلبه بان الحق عالم بحاله واخر يقوي قلبه
بتحققه بانه بمشهد من ربه. قال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا. واخر يقوي قلبه بايثار رضى
الله تعالى على مراد نفسه. واخر يقوي قلبه برضاه بما يفعله مولاه. وقيل اقوى جنة العبد في مجاهدة
العدو وتبريه من حوله وقوته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بك اقاتل وبك احاول. وقوله تعالى
وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا الى الصلح فمل اليها جنحت السفينة اذا مالت وجناح الطائر
يقع به الميل في اخذ شقيه والجناح الميل الى الماثم. وقرا عاصم في رواية ابي بكر السلم بكسر السين والباقون
بفتحها وهما لغتان وهي مونثة اي سماعا اي استعد لقتالهم وقاتلهم واذا مالوا الى الصلح فصالحهم.
وقوله تعالى وتوكل على الله اي في خيانة يضمرونها او كيد يريدونه. وقوله تعالى انه هو السميع لما يجري
بينك وبينهم العليم بما يضمرونه من كيد وهو كافيك. وقال الامام ابو منصور رحمه الله وتوكل على الله
ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يطلعك عليه ويكفيك قال وقال الحسن رحمه الله نسخها
قاتلوا الذين لا يومنون بالله الاية. قال وقال بعضهم نسخها قوله اقتلوا المشركين. قال وقال بعضهم
نسخها ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون قال والوجه فيه ان الامام اذا راى الصلح والموادعة
للمسلمين انفع وهم طلبوا ذلك اجابهم اليه. واذا طلبوا هم منه الصلح وبالمسلمين قوة القتال والحرب
منهم لم يجبهم الى ذلك. وكذا قوله ولا تهنوا وتدعوا الى السلم هو نهي عن ان ندعوهم نحن الى السلم ونحن
الاعلون وبنا قوة وما ذكروا من نسخه فذلك لا نعرفه. وقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك
اي ان يريدوا بجنوحهم للسلم ان يخدعوك لضعف يكون فيهم في ذلك الوقت فيلتمسوا السلم ليتقووا
الى ان يقووا ويمكنهم انتهاز الفرصة منك. وقوله تعالى فان حسبك الله اي كافيك خداعهم وناصرك
عليهم. وقوله تعالى هو الذي ايدك بنصره بمدد الملايكة يوم بدر وبالمومنين الذين الف بين قلوبهم
على نصرتك ومجاهدة الكفار على طاعتك بعد تباين وتباغض كان بينهم. وقوله تعالى لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم هم الاوس والخزرج ما كان يطمع في تالفهم بانفاق الكثير
من الاموال. وقوله تعالى ولكن الله الف بينهم بفضله ولطفه انه عزيز لا يرد ما يفعله حكيم لا ينتقض تدبيره
ولا يختل سلطانه. قال الكلبي وان يريدوا ان يخدعوك يعني يهود بني قريظة يخدعوك بالصلح لتكف عنهم
فان حسبك هو الذي اعانك وقواك بنصره وبالمومنين يعني الاوس والخزرج يوم بدر والف وجمع
بين قلوبهم بالاسلام. وقوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله وليس بتكرار لان قوله فان حسبك الله معناه
فانه يكفيك خداعهم وهذا الثاني عام في كل كفاية يحتاج اليها. وقوله تعالى ومن اتبعك من المومنين
له وجوه احدها النصب بمعنى يكفيك ويكفي من اتبعك كما قال انا منجوك واهلك. وقال الشاعر

اذا كانت الهيجا وانشقت العصي • فحسبك والضحاك سيف مهند •

وهذا معنى قول الشعبي وابن زيد والثاني الرفع بالعطف على اسم الله وهو معنى قول الحسن ومعناه
كافيك الله وكافيك ايضا من اتبعك من المومنين واجاز الوجهين الكسايي والفرا والزجاج ويجوز
ان يكونا مرادين بالاية ومن اتبعك على قول اكثرهم للجمع اي ومتبعوك من المومنين يكفونك ايضا وعلى
القول الاول الله يكفيك ويكفي متبعيك من المومنين. قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية

بالبيدا

بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال وسورة الانفال مدنية الا هذه الاية فانها نزلت بالبيدا. وقال مقاتل ومن
اتبعك من المومنين الانصار. وقال عطا المهاجرون والانصار ومنهم من جعل ومن اتبعك للواحد ومن للتبعيض
وهو ما روي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان الاية نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه فان صح فالاية مكية في
السورة المدنية. وقوله تعالى يا ايها النبي حرض المومنين على القتال اي حثهم ورغبهم في القتال بذكر
ثواب الاخرة ووجوه النصر والظفر في العاقبة. وقوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين
يكن هنا تام لانه اسم ولا خبر له كما في قوله وان كان ذو عسرة وتقديره ان يحصل منكم العشرون. وقوله صابرون
نعت للعشرين وهو خبر بمعنى الامر اي ليثبت العشرون للمايتين ولا تولوا بمقاومة الواحد العشرة وكان هذا
في الابتدا. وقوله تعالى وان يكن منكم ماية يغلبوا الفا من الذين كفروا هو كذلك. قال ابن عباس
رضي الله عنهما كتب عليهم ان لا يفر الواحد من العشرة ثم خفف عنهم فامروا ان لا يفر الواحد من الاثنين
وطريق اثبات الامر بهذا الخبر انه ظاهر ان يصبر العشرون يغلبوا مايتين وتقديره فاصبروا تغلبوا. وقوله
تعالى بانهم قوم لا يفقهون الفقه هو استخراج ما لم يذكر بما ذكر يعني ان الكفار انما يقاتلون على الدنيا الا
لهم بما وعد الله عليه اذا كان على الحق من الجزا والعطا وانتم ايها المومنون تفقهون وقد سمعتم اثنية
المجاهدين واجرية المقاتلين فهذا يشجعكم ويثبتكم ويصبر قليلكم على قتال كثير المشركين. وقال محمد
ابن اسحاق رحمه الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي لا يقاتلون على بينة وحق ولا معرفة لخير ولا شر
وقال مقاتل بن حيان لما نزل حرض المومنين على القتال قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال من قتل قتيلا
فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وبعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثماية راكب ونزلت
هذه الاية ولما كان يوم بدر خفف الله عنهم فذلك قوله تعالى الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
قرا عاصم وحمزة بفتح الضاد والباقون بضمها وهما لغتان كالمكث والمكث اي كان الله عالما منكم في الازل
انكم تضعفون في هذه الحالة عن مقاومة الواحد العشرة وكان في اول الامر خواص اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم زيادة استبصار وقوة قلب فلما اختلط بهم سائر الناس وفيهم من يكون به حب الاهل والولد
والمال وانه يضعف القلب عن مقاومة الكثير من الكفار خفف عنهم وفرض ان يقاوم الواحد الاثنين
وقيل اي علم الان ضعفكم قد وجد كما كان علم في الازل انه يوجد فخفف عنكم. وقوله تعالى فان يكن منكم
ماية صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله هذا تقدير ثبات ومقاومة الواحد
الاثنين باذن الله اي بحكم الله وعلم الله. وقوله تعالى والله مع الصابرين اي وانما يقاوم الواحد
الاثنين اذا صبر فان الله معين الصابرين وحافظهم. وقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض قال الواقدي ولما حبس الاسرى ببدر واستعمل عليهم شقران فقالوا لو بعثنا الى ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فانه اوصل قريش لارحامنا ولا نعلم احدا اعظم عند محمد منزلة منه فبعثوا الى ابي
بكر فاتاهم فقالوا يا ابا بكر ان فينا الاباء والابناء والاخوان والعمومة وبنو العم وابعدنا قريب فكلم
صاحبك فيمن علينا او ليفادينا فقال نعم ان شا الله تعالى لا الوكم خيرا ان شا الله ثم انصرف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا وابعثوا الى عمر رضي الله عنه فانه من قد علمتم ولا نامن ان يفسد عليكم لعله
يكف عنكم فارسلوا اليه فجاءهم فقالوا له مثل ما قالوا لابي بكر فقال لا الوكم شرا ثم انصرف الى النبي صلى الله
عليه وسلم فوجد ابا بكر والناس حوله وابو بكر يلينه ويفثؤه ويقول يا رسول الله بابي وامي قومك فيهم الاباء
والابناء والعمومة والاخوان وابعدهم منك قريب فامنن عليهم من الله عليك او فادهم يستنقذهم الله
بك من النار فتاخذ منهم ما اخذت قوة للمسلمين ثم قام فتنحى ناحية وسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يجبه ثم جاء عمر رضي الله عنه فجلس مجلس ابي بكر فقال يا رسول الله هم اعدا الله كذبوك وقاتلوك واخرجوك
اضرب رقابهم هم روس الكفر وايمة الضلالة يواطي الله بهم الاسلام ويذل بهم اهل الشرك فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يجبه وعاد ابو بكر الى مجلسه فقال يا رسول الله بابي انت وامي قومك فيهم الاباء والابناء
والاخوان والعمومة وابعدهم منك قريب فامنن عليهم من عليك او فادهم قومك لا تكون اول من يستاصلهم
يهديهم الله خير من ان تهلكهم فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليه شيا وقام ابو بكر ناحية
وعاد عمر فجلس مجلسه فقال يا رسول الله ما تنتظر بهم اضرب رقابهم يواطي الله بهم الاسلام ويذل اهل الشرك
اشف صدور المسلمين فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فقام ناحية وجلس وعاد ابو بكر
فكلمه بمثل كلامه فلم يجبه فتنحى ناحية ثم قام عمر فكلمه بمثل كلامه فلم يجبه ثم قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل قبته فمكث فيها ساعة ثم خرج والناس يخوضون في شانهم يقول بعضهم القول ما قال ابو بكر
واخرون يقولون القول ما قال عمر فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تقولون في صاحبيكم
هذين دعوهما فان لهما مثلا مثل ابي بكر في الملايكة مثل ميكاييل ينزل بالرحمة ومثله في الانبيا كمثل ابراهيم

عليه السلام كان الين على قومه من العسل اوقدله قومه النار فطرحوه فما زاد على ان قال اف لكم ولما تعبدون من
دون الله افلا تعقلون وقال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك مثل عيسى اذ يقول ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم • ومثل عمر في الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخطة من الله والنقمة
على اعداء الله ومثله في الانبياء كمثل نوح كان اشد على قومه من الحجارة اذ يقول لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فدعا عليهم دعوة اغرق الله بها الارض جميعا وكمثل موسى اذ يقول ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وان بكم عيلة فلا يفوتنكم رجل من هولاء الا بفدا او ضربة عنق فقال
عبد الله بن مسعود يا رسول الله الا سهيل بن بيضا فاني رايته يظهر الاسلام بمكة فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
قال عبد الله بن مسعود فما مرت ساعة علي قط اشد من تلك الساعة فجعلت انظر الى السما اتخوف ان تسقط علي
الحجارة لتقدمي بين يدي الله ورسوله بالكلام فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه فقال الا سهيل
ابن بيضا فما مرت علي ساعة قط اقر لعيني منها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليشدد القلب فيه
حتى يكون اشد من الحجارة ويلين القلب فيه حتى يكون الين من الزبد فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفدا • وفي رواية قال عمر اري ان تمكننا منهم فتمكن عليا من عقيل حتى يضرب عنقه وتمكن حمزة من اخيه
العباس حتى يضرب عنقه حتى يعلم ربنا انه ليس في قلوبنا للكفار هوادة قال عمر فهوي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما قال ابو بكر رضي الله عنه فلما كان من الغد اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو
بكر يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكيان فان اجد بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي كان من اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابكم
ادنى من هذه الشجرة وهي قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو نجا منه احد لنجا منه ابن الخطاب
فانزل الله تعالى قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويغلب ويقهر
في ارض العرب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي وما كان لنبي ان ياخذ من الاسرى الفدا حتى يغلب
في الارض حتى اذا اخذ الفدا واطلقهم بعدما غلب في الارض يكون رجوعهم الى عز ومنعة وشوكة
وان لم يغلب في الارض ثم اخذ الفدا يكون رجوعهم الى منعة وذلك لا يحل وقال واهذا عتاب للنبي صلى
الله عليه وسلم باللطف وتحرفا نه لم يقل له ما كان لك ان تفعل بل اخبر انه لم يجعل لاحد من الانبيا ذلك ——— بالاجماع
ايجاد لم يشرع لهم وفي هذا من التعظيم لنبيه صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى تريدون عرض الدنيا
ولم يقل تريد خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم بل خاطب الناس وقيل ليس خطابا ايضا للكل فان ابا بكر
ومن كان بمثل حاله ما اشاروا الى اخذ الفدا رغبة في المال بل رجا اسلام الكفار لا قلوب منهم رغبوا
في المال فعاتبهم الله تعالى بقوله تريدون عرض الدنيا اي تختارون المال الذي هو شي قليل
عما قليل يزول • وقوله تعالى والله يريد الاخرة اي يختار لكم ثواب الاخرة دون عرض الدنيا • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله ان الله تعالى اراد لاهل بدر الاخرة وثوابها ومن اراد وا العين وعرض
الدنيا فكان ما اراد الله لهم لا ما ارادوه • وقوله تعالى والله عزيز حكيم اي فاريدوا الاخرة يعزكم
ولا تخافوا العدو فان الله يقهرهم وهو حكيم فيما يامر به ويختاره • وقوله تعالى لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قيل لولا حكم الله في المجتهدين انه لا يعاقبهم فيما يجوز
فيه الاجتهاد لاصابكم فيما اخذتم من الفدا عذاب عظيم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لولا كتاب
من الله سبق في تحليل الغنايم لكم لاصابكم العذاب • وقال الحسن ان الله تعالى اطعم هذه الامة الغنيمة
وانهم اخذوا الفدا من اسارى بدر قبل ان يومروا به فعاب الله ذلك عليهم ثم احله لهم • وقال محمد بن
اسحاق لولا كتاب من الله سبق اني لا اعذب الا بعد النهي ولم يكن نهاهم لعذبتكم فيما صنعتم
وقال سعيد بن المسيب لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر بالسعادة • وقال عبد الرحمن بن زيد سبق
من الله العفو عنهم والرحمة لهم • وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا اي فقد احللت لكم الغنايم
التي كانت محرمة على الامم قبلكم فكلوها حلالا طيبا اي حلالة قد زالت عنكم التبعة والاثم فيه
وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم تحل الغنايم لاحد من سود
الروس قبلكم كانت النار تنزل من السما فتاكلها • وقال علي بن ابي طلحة كان الله كتب في ام الكتاب
ان الغنايم والاسارى حلال لامة محمد صلى الله عليه وسلم فاخذوا الغنايم واسروا الاسارى قبل
ان ينزل في ذلك شي فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فلما نزلت
هذه الاية امسكوا عن مد ايديهم الى شي من الغنايم فنزل فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا • وقوله تعالى
واتقوا الله في الاتيان باوامره والانتهاء بنواهيه • وقوله تعالى ان الله غفور لما كان منكم قبل
هذا رحيم لم يعاجلكم بالعقوبة ولا يعذبكم بعد التوبة • وقوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى

قرا ابو عمرو من الاسارى • وقرا الباقون الاسرى امر النبي صلى الله عليه وسلم باستمالة الاسارى الذين اخذ منهم الفدا
ترغيبا لهم في الاسلام فقال قل يا محمد للاسارى الذين في ايديكم ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ان يعلم اعتقاد الايمان والتصديق
في قلوبكم موجودا كما علمه قبل وجوده • انه يوجد يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي يعطكم في الدنيا والاخرة اكثر مما اخذ منكم
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قال عكرمة وكان العباس ممن اخذ في الاسارى فاوثقوه ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمع انينه فامره الله تعالى ان ياخذ الفدا فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس افد قال ولم افتدي ولست املك شيا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاربعون دينارا التي دفعت الى ام الفضل يوم خرجت قال العباس ومن اخبرك بهذا فوالذي يحلف
به ما علم منه ما علم به احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني به ربي فقال العباس وربك يعلم ما تخفيه
نالكا فر العباس وقال ما استيقنت انك رسول الله الا الساعة • وروي ان فدا كل اسير كان عشرين اوقية
وفدى العباس باربعين اوقية عن نفسه وعن ابن اخيه عقيل قال العباس فابدلني الله تعالى خيرا منه
ولي اليوم عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب بعشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان يكون لي بها جميع اموال
مكة واني لانتظر المغفرة وليس شي افضل منها • وقوله تعالى وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل
قال الحسن وان يريدوا خيانتك مرة اخرى فيرجعوا الى الكفر بعدما مننت عليهم واطلقتهم من اسرهم
فلا يحزنك فقد خانوا الله من قبل اي خانوا اولياءه ونقضوا العهد وقاتلوك
فاعلم انك بالقتال لك والعون عليك فقد خانوا الله من قبل اي نكثوا ما اعطوا
فامكن منهم اي امكنك الله منهم اي اقدرك عليهم • وقال ابن كيسان خانوا الله من قبل اي فكفروا
من انفسهم عند البلا من العهد لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فامكن منهم اي اشفقهم فقتلهم
بما في المؤمنين وهم مع صناديدهم ورؤسايهم فكيف بعد ذهابهم بالقتل • وقوله تعالى والله عليم
بخلقه ما يستحقونه من عقابه حكيم في حكمه وامره • قال ابن عباس رضي الله عنهما وان يريدوا خيانتك
يعني العباس واصحابه في قولهم نشهد انك لرسول الله ولننصحن لك على قومنا يقول ان كان هذا خيانة
فقد خانوا الله من قبل فامكنك منهم وهذه الاية والتي قبلها في العباس وعقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث وكان العباس احد العشرة الذين ضمنوا الطعام اهل بدر ولم يكن بلغته النوبة حتى
اسر واخذت منه عشرون اوقية من ذهب كان خرج بها ليطعم الناس وامر قبل الانفاق واخذ منه ذلك
المال فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل تلك العشرين اوقية من الفدا فلم يفعل اما شي خرجت
به تستعين به علينا فلا اتركه لك واضعف عليه الفدا وكلفه فدا عقيل ونوفل فقال العباس يا محمد
تركتني اسال قريشا الدهر في كفي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقلت لها اني لا ادري ما ذا يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال له العباس وما يدريك
قال اخبرني ربي فقال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولم يطلع
عليه احد الا الله • وقوله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض لما ذم الخائنين الناقضين العهد مدح بعدهم
المهاجرين والانصار المؤمنين بالعهد فقال ان الذين امنوا وهاجروا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكة الى المدينة وجاهدوا بعد ذلك الكفار باموالهم وانفسهم مخلصين طالبين رضي الله
واهل المدينة الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ونصروهم على اعداء الله فهم
طبقة واحدة يجب على واحد من الصنفين موالاة الاخر وموالاته ومواساته ومواخاته وكذا
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة اخا بين المهاجرين والانصار فجعل لكل مهاجري
اخا انصاريا فجروا على ذلك حتى شاطروا المهاجرين اموالهم ودورهم وكان يكون لرجل من الانصار
داران فيخير منهما على اخيه من المهاجرين على ان ينزل له على ايهما شا وابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
وعبد الرحمن بن زيد وجماعة حملوا هذه الولاية على الوراثة وقالوا كان التوارث في الابتدا بهذه
المواخاة دون القرابة اذا لم يكن بينهما هجرة فكان لا يرث المهاجر من غير المهاجر ولا غير المهاجر من المهاجر
وان كانا قريبين حتى كان يوم فتح مكة فسقطت فريضة الهجرة ونزلت اية المواريث • وقوله تعالى
والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا اي لا يلزمكم موالاتهم ولا يجري
التوارث بينكم وبينهم • وقوله تعالى وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر اي الذين امنوا واقاموا
في بلادهم واوباديتهم ولم يهاجروا اليكم فقصدهم عدو من الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم • وقوله
تعالى الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي قوم من الكفار بينكم وبينهم موادعة فعليكم في هولا الوفا
بالعهد وترك الحرب ولم يلزمكم نصرة الذين امنوا ولم يهاجروا على هولا • وقوله تعالى والله بما تعملون

بسبب اي بما تتولون من موالاة من يجب موالاته وترك موالاة من لا يجوز موالاته وهو تهديد لمن تعدى حد الشرع
في الموالاة وتركها • وقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي لا تتولوا الكفار فليسوا باوليائكم بل
بعضهم اولياء بعض وليس معناه انه يلزمهم ان يتولى بعضهم بعضا كما في المسلمين لكن اريد به نفي الولاية بين الكفار
والمسلمين • وقوله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير الكلمتان ان التي هي للشرط ولا التي هي
للنفي وحذفت النون في اخر الفعل للجزم بالشرط • وقيل هو متصل بقوله فعليكم النصر الا تفعلوه تكن فتنة في
الارض اي كفر وفساد كبير تسافك دماء لان ترك التناصر في الدين يورث ذلك • وقيل هو مقرر في موضعه
ويرجع الى كل ما سبق ذكره • ومعناه ان خالفتم ما امرناكم به من التولي للمومنين والتبري من الكافرين ظهر الكفر
وترك العمل بالشرائع والمناهج وفساد الدين والدنيا • وقال عبد الرحمن بن زيد كان المهاجر المومن والمومن
الذي لم يهاجر لا يتوارثان وان كانا اخوين مومنين فلما كان يوم فتح مكة وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما
كانوا بالارحام • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وقوله تعالى والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اعاد ذكر صفتهم
ليبني عليه بيان مدحهم وجزاء فعلهم وهو قوله تعالى اولئك هم المومنون حقا قال ابن كيسان
اي الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل الاموال في دين الله • وقوله تعالى لهم مغفرة ورزق
كريم كما بين في اول هذه السورة الثناء الجزيل لهذه الطائفة ثم بين الذين يومنون ويهاجرون
من بعد وهو قوله والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي لاحقين
بحكم السابقين وهم من جملتكم وداخلون في ولايتكم • وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض اي بالتوارث وانتسخ بذلك ما كان من المواخاة بين الذين هاجروا والذين اووا ونصروا
وهو نص على توريث ذوي الارحام عند عدم اصحاب الفرائض والعصبات وهو حجة لنا على الشافعي
فانه لا يورثهم • وقوله تعالى في كتاب الله قال الزجاج في حكم الله • وقيل في اللوح المحفوظ • وقيل
اي في القران • وقوله تعالى ان الله بكل شيء عليم يقضي بين عباده بما شاء من احكامه • وقال
القشيري رحمه الله في قوله والذين امنوا من بعد وهاجروا يريد من سلك مسلكهم في الحال
ومن سيلحق بهم في الاستقبال فالالفة تجمعهم • والولاية والتناصر والمودة والتقارب • وقال
المومن للاجانب مجانب • وللاقارب مقارب • والكفار بعضهم اولياء بعض • وقد قيل شعر

طير السما على الافها تقع

سورة التوبة

روينا عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع
له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش
وحملة العرش يستغفرون له ايام حياته • وهي مدنية • واياتها مائة وتسع وعشرون اية • وقيل مائة
وثلاثون اية • والاختلاف في ايتين • ان الله بريء من المشركين • يعذبكم عذابا اليما • وكلماتها الفان
واربع مائة وثمان وسبعون • وحروفها عشرة الاف وتسع مائة وسبعة عشر • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم الى ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من
المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال
فقال عثمان رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا
نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب له فيقول له ضعوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا
وكذا وكانت الانفال مما انزل عليه بالمدينة وكانت براءة من اخر القران وكانت قصتها شبيهة بقصة
الانفال فظننا انها منها وقبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنا بينهما
ولم نكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا تدعيان القرينتين فوضعناهما في السبع الطوال
وقال سفيان بن عيينة وقد سئل لم لم يكتب في صدر براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال ان التسمية رحمة
والرحمة امان • وهذه السورة نزلت في المنافقين بالسيف ولا امان للمنافقين • وسئل علي بن محمد
العلوي الكوفي عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم سلم وبركة وبراءة مفتاح حرب وهلكة فلم
يجز افتتاح السلم والبركة بافتتاح الحرب والهلكة • وقال ابن كيسان نزلت براءة على تسع من هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم • وقال الزهري كان سعيد بن المسيب يقول الانفال وبراءة سورة واحدة
وقال ابن عطية كتب الناس عمر رضي الله عنه تعلموا سورة براءة وعلموا نساءكم سورة النور • وقال
البراء بن عازب اخر سورة انزلت كاملة سورة براءة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت براءة تسمى
الفاضحة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحت اقواما يوم الغزو وهو الحج الاكبر بما انزل

الله من شوائبهم وما كانوا يكتمون من غش النبي صلى الله عليه وسلم ومن المفسرين من سماها بسبعة اسماء سورة
التوبة والمبعثرة اي المظهرة لاسرار المنافقين من قوله اذا بعثر ما في القبور • والفاضحة • والمنكلة
والمشردة • والمخزية من قوله تعالى ويخزهم • والمدمدمة وهي المهلكة • وقوله تعالى براءة من الله ورسوله
اي هذه براءة اي انقطاع عصمة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين اي ملقاة الى المشركين
الذين عاهدتموهم • وقوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي قل لهم فسيحوا اي سيروا على
مهل على الامان من القتال اربعة اشهر من هذا الوقت الى تمام هذه المدة وكان الذين عهد لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على انواع منهم من بقي اقل من ذلك فجعل الكل على مدة اربعة اشهر وكان هذا
تفضلا من الله جل جلاله حيث لم يامر بمنابذتهم بالحرب لينظروا ولا يعجلوا بشيء • وقال محمد بن اسحاق
هم صنفان من المشركين احدهما كانت مدة عهدهم سنتين فنقص على اربعة اشهر وهم حرب
بعد ذلك يقتلون حيث ما ادركوا ويوسرون الى ان يومنوا • وقال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر
لمن كان عهده دون اربعة اشهر لمن نقض العهد فاما الذي لم ينقض ولم يظاهر احدا على المومنين فقد
امر باتمام العهد بينه وبينهم الى مدته بقوله تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم • وقال محمد بن كعب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم سنة تسع بالبراءة
ثم اتبعه عليا رضي الله عنه • قال جابر رضي الله عنه كنت مع علي رضي الله عنه حين اتبعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا بكر فلما كنا بالعرج ثوب بصلاة الصبح فلما استوى ابو بكر رضي الله عنه ليكبر سمع الرغاء فوقف
وقال هذه رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله
[illegible]
[illegible]

[illegible]

فكان بشارة للمؤمنين والمطيعين بالثواب وللكافرين بالعذاب. والحج الاكبر هو الحج والحج الاصغر هو العمرة. وفي يوم الحج الاكبر اختلاف. قال علي وابن عباس وابو هريرة وعبد الله بن عمر وابن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وابن مسعود وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم اجمعين هو يوم النحر وابن عمر والمغيرة رضي الله عنهما روينا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم لان الركن في باب الحج الوقوف بعرفة وطواف الزيارة ويجوز الوقوف بعرفة في ليله ويجب طواف الزيارة في نهاره ويجتمع اعمال كثيرة فيه من اراقة الدماء والحلق والرمي وفيه يحل المحرم. وقال عمر وابن عباس في رواية وعبد الله بن الزبير وجماعة من التابعين هو يوم عرفة لقول النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ولفوات الوقوف بعرفة فوات الحج. وقال مجاهد هو ايام الحج كلها لان افعال الحج تؤدى فيها ويطلق اليوم على الايام لانه جنس. وقال محمد بن سيرين الحج الاكبر العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق فيه حج الملل. وقوله تعالى **الا الذين عاهدتم من المشركين** قيل الاستثناء من الامر بسياحة اربعة اشهر ولهم تمام مدتهم. وقال الزجاج الاستثناء من براءة الله ورسوله الى المشركين وقيل من قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم والصحيح انه استثناء منقطع بمعنى لكن والبراءة والانذار بالعذاب في حق الكفار وتقديره لكن الذين عاهدتم من المشركين **ثم لم ينقصوكم شيئا** اي لم يطعنوا في دينكم ولم يدلوا على عوراتكم ولم يسعوا في نقيصة امركم. وقوله تعالى **ولم يظاهروا عليكم احدا** اي لم يعاونوا عليكم **فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم** فان حفظ تقوى قال الله تعالى بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين. وقوله تعالى **ان الله يحب المتقين** اي الحافظين العهد والاية نزلت في بني ضمرة وبني كنانة وكان بقي لهم من مدتهم تسعة اشهر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما مدة من كان له عهد من المشركين قبل ان تنزل براءة اربعة اشهر من يوم اذن بالبراءة الى العاشر من شهر ربيع الاخر فذلك اربعة اشهر فان نقض المشركين عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليه عدوا فقد امر ان يفي بعهدهم. وقوله تعالى **فاذا انسلخ الاشهر الحرم** اي خرجت ومضت هذه الاربعة اشهر التي قال فسيحوا في الارض اربعة اشهر لسائر المعاهدين وتسعة اشهر لبني كنانة وخمسون يوما من يوم النحر الى اخر المحرم لمن لم يكن له عهد وهو قول مجاهد. وقال الحسن وعمرو بن شعيب ومحمد بن اسحاق وجماعة وسميت حرما لانه حرم قتلهم فيها بحكم الامان. وقيل الاشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فيكون الامر بقتلهم عند. وقد روينا عن الزهري ان نزول براءة كان في اول شوال لا ذي القعدة وذي الحجة والمحرم فيكون الامر بقتلهم عند انسلاخ الاشهر الحرم الثلاثة بعد شوال. وقوله تعالى **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** اي في الحل والحرم **وخذوهم واحصروهم** اي ضيقوا عليهم المسالك ولا تدعوهم يتصرفون في البلاد بالتجارة وغيرها. وقوله تعالى **واقعدوا لهم كل مرصد** اي على كل مرصد وفي كل مرصد اي مرقب والمرصد الطريق الذي يرقب فيه العدو اي في كل طريق يظن مرورهم به لتاخذوهم وكل مرصد على هذا منصوب بنزع الخافض. وقيل هو نصب على الظرف لانه مكان القعود وهذا كله بتبعيدهم عن مكة ومنعهم عن دخولها والاجتماع مع المسلمين في الحج وهو تحقيق لان لا يحج بعد العام مشرك. وقوله تعالى **فان تابوا** اي رجعوا عن الكفر **واقاموا الصلاة واتوا الزكاة** اي التزموهما **فخلوا سبيلهم** اي لا تقتلوهم ولا تاسروهم ولا تضيقوا عليهم. وقوله تعالى **ان الله غفور رحيم** غفر لهم كفرهم ومعاصيهم بالايمان وترحمهم فلا يعذبهم. وقال الامام القشيري رحمه الله اذا اسلم الكافر بعد شركه ولم ينقض ما وجب عليه قيمي قتله وتركه حصل الاذن في تخلية سبيله وتركه قال الشاعر

ان وجدنا لما ادعيت الشهودا • لم نجد عندنا لحق جحودا •

ولما قرا علي رضي الله عنه هذه الايات قام رجل فقال ارايت لو جاء رجل منا من ليستمع القران اتقتلونه قال لو صبرت لبينت لك حكمه فيما انزل الله تعالى فانه مذكور فيما اقرا وهو قوله تعالى **وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله** تقديره وان استجارك احد من المشركين حتى يسمع كلام الله فاجره اي ان جاءك احد من المشركين الذين لا عهد لهم يسالك ان تؤمنه ويكون جارا لك من وثوب المؤمنين عليه حتى يسمع كلام الله ويتاملة فاجبه الى ذلك واجره وان جاء وسمع وتدبر ولم يؤمن فلا تقتله فقد امنته ولكن اوصله الى حيث يامن على نفسه وهو قوله تعالى **ثم ابلغه مامنه** وقوله تعالى **ذلك بانهم قوم لا يعلمون** اي الكفار جاهلون مغلوبون جارون على الالف فاذا التمس سماع كلام الله فاجبه فقد يكون مسترشدا فاذا استمع وتامل زالت عنه الشبهة فاسلم فان لم يفعل ورجع الى موضعه فلكم بعد ذلك اذا وجدتموهم قتلهم واخذهم لانكم ما غدرتم اليهم. وقال عطاء حتى يسمع كلام الله يعني ما اعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وما افترض الله عز وجل في دينه من الصلاة والزكاة والصوم

دخ

وابحد ذلك بانهم قوم لا يعلمون فاسمعوهم حتى يعلموا. وقال الامام القشيري رحمه الله اذا استجارك المشرك يوم لا بد حتى يسمع كلام الله فاذا استاذ المؤمن طول عمره من الفراق متى يمتنع عن سماع كلام الله ومتى يكون زمن من يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون. وقوله تعالى **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله** كيف استفهام بمعنى الانكار اي لا يكون للمشركين عهد عند الله يامنون من عذابه في الاخرة وعهد عند رسوله يامنون به على انفسهم عذاب الدنيا من القتل والاخذ. وقوله تعالى **الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** يجوز ان يكون بمعنى لكن اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فلا تنقضوا عهدهم ولا تتعرضوا لهم. وقوله تعالى **فما استقاموا لكم** اي على عهدهم **فاستقيموا لهم** على عهدكم **ان الله يحب المتقين** اي الذين لا ينقضون العهد. وقال السدي وابن جريج هم بنو خزيمة. وقال محمد بن اسحاق هم قبائل من بني كنانة عاهدوا يوم الحديبية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم قريش. وقال عبد الرحمن بن زيد هو لا قريش لم يستقيموا فضرب لهم بعد الفتح اربعة اشهر ليسلموا او ليلحقوا باي البلاد شاؤوا فاسلموا قبل اربعة اشهر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية انهم بنو ضمرة. وقال الحسين بن الفضل هم بنو خزيمة وكنانة. وقال مقاتل هم خزاعة وبنو مدلج وبنو خزيمة. وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي كيف يستحقون ان يعطوا العهد الذي بينهم وبين ربهم وهو عهد الخلقة اذ في خلقة كل احد الشهادة على وحدانية الله تعالى والوحدانية ونقضوا ما عهد اليهم في كتبهم من اظهار صفة محمد وبعثه للخلق ونقضوا العهود التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحفظوها فكيف يستحقون ان يعطوا عهدا مع هذا الا ان الله عز وجل تفضل اذن ان يعطوا العهود وما استقاموا لكم بالوفاء بالعهد فاستقيموا لهم بذلك. وقال القشيري رحمه الله كيف يكون المنافق في عرفانه كالمخلص في ايمانه وكيف يكون المحجوب عن شهوده كالمستهلك في وجوده فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان تمسكوا بحبل وفائنا احللناهم في ظل والائنا وان ناعوا عن عهدنا استلبناهم بصدنا ثم لم يبرحوا على بعدنا. وقوله تعالى **كيف وان يظهروا عليكم** فيه اضمار اي كيف يكون لهم عهد وهم ان يظفروا بكم ويغلبوكم وهو كقوله عز وجل فاصبحوا ظاهرين. وقوله تعالى **لا يرقبوا فيكم** اي لا يحفظوا **الا ولا ذمة** قال ابن عباس رضي الله عنهما الال القرابة والذمة العهد. وقال عبد الرحمن بن زيد كلاهما العهد. وقال مجاهد الال القرابة والذمة الميثاق. وقال قتادة الال الحلف والذمة العهد. وقال الحسن الال الجوار. وقال ابو عبيدة الال اليمين وهو ماخوذ من الاليل وهو البرق واللمعان. وقال الزجاج اصله التحديد من الالة الحربة. وقال المبرد كرر لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا وهو كقوله المبتلوا ان الله يعلم سرهم ونجواهم. وكما قال الشاعر • والفى قولها كذبا ومينا. وقوله تعالى **يرضونكم بافواههم** بحسن القول **وتابى قلوبهم** التصديق **واكثرهم فاسقون** عاصون ناقضون العهد. وقوله تعالى **اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله** قال عطاء كان ابو سفيان يعطي الناقة والطعام ليصد الناس بذلك عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى **انهم ساء ما كانوا يعملون** اي اعمالهم هذه في نهاية السوء. وقال القشيري رحمه الله من رضي من الله بغير الله ارخص في صفقته وخسر في تجارته فلا اشد من الله استبدال ولا ابعاد من اقتناع الا ذلك هو الخسران المبين. وقوله تعالى **لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة** قد فسرناه والاول في ناقضي العهد والثاني في صفة المشترين بايات الله ثمنا قليلا. وقيل الاول على الخصوص لانه قال فيكم والثاني على العموم لانه قال في مؤمن. وقوله تعالى **واولئك هم المعتدون** اي المجاوزون حدود الله تعالى وهذا حث على قتالهم لسوء اعمالهم وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. وقوله تعالى **فان تابوا** اي من الشرك **واقاموا الصلاة واتوا الزكاة** اي قبلوهما **فاخوانكم في الدين** اي فهم اخوانكم في الاسلام وقد زالت المعاداة وارتفعت المقاتلة والمباراة. وقوله تعالى **ونفصل الايات لقوم يعلمون** اي نبينها للذين يعلمون بعلومهم. وقوله تعالى **وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم** اي نقضوا **وطعنوا في دينكم** اي عابوه **فقاتلوا ائمة الكفر** ونقض العهد كاف لاباحة القتل ولكن ذكرا لطعن في الدين لزيادة تحريك المؤمنين على قتالهم وقيل معناه وان نكثوا ايمانهم بطعنهم في دينكم ويذكرا لفعلان دبرا وكلاهما والثاني غير الاول كقولك استخف فلان بحقي ورد في عما طلبت اليه. وقوله تعالى **فقاتلوا ائمة الكفر** اي قاتلوهم فانهم ائمة الكفر اي المقتدى بهم والمتبوعون لانه قيل اريد به بنو بكر الذين عدوا على خزاعة فاعانتهم قريش فانتقض عهدهم وغزاهم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم قريش واشياعهم وهم كان يقتدي سائر المشركين. وقوله تعالى **انهم لا ايمان لهم** اي انهم وقرا ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الالف وله وجهان احدهما انهم لا ايمان لهم بالله بل هم كفار والثاني انه اعطاء الامان اي لا تعطوهم الامان فانهم لا يستحقون ذلك. وقرا الباقون بنصب الالف وهي جمع يمين اي لا عهود لهم ولا اقسام. وقوله تعالى **لعلهم ينتهون** اي قاتلوهم لينتهوا عن

الطعن في دينكم والعمل كلمة ترج اي قاتلوهم مؤملين انتهاءهم ناوين بقتالكم ردهم عن الكفر ❊ وقيل لا ايمان لهم فلا ثقة
بايمانهم ❊ وقال ابن جريج ايمة الكفر سائر قريش وكذا قال الضحاك والسدي نكثوا العهد وهموا في اخراج الرسول
وقال مقاتل ايمة الكفر ابو سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل نقضوا العهد الذي كان بينهم
بالحديبية ولا يصح ما روي عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهم انهم ابو جهل وعتبة وشيبة وامية بن خلف ونظراؤهم
لانهم قتلوا يوم بدر وهذه الايات نزلت في فتح مكة ❊ وقوله تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهذا تحريك
لهم على قتال هؤلاء وهو استفهام بمعنى الاغراء وهؤلاء القوم هم قريش اي نقضوا ايمانهم التي كانت بالحديبية واعانوا
اعداكم بني بكر على حلفائكم خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة وهو قوله تعالى او يخرجوك وقوله من قريتك
التي اخرجتك وقوله تعالى ليخرجوك منها وقوله عز وجل وهم بدؤكم اول مرة ❊ قال مجاهد نقضوا العهد
باعانة بني بكر على خزاعة ❊ وقال اخرون بدؤكم بقتال بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم خرج للعير ولما احرزوا
العير لم ينصرفوا وقالوا نخرج الى بدر فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات وتهابنا العرب فكانوا هم
البادين ❊ وقوله تعالى اتخشونهم استفهام بمعنى النهي فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين اي ان
الايمان يوجب الخشية من الله تعالى في مخالفة امره فلا مدفع لحكمه ولا مرد لقضائه وانتم مؤمنون
فحققوا شرط ايمانكم وهذا ابلغ تحريك وتهييج ❊ وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم امرهم بقتال المشركين ووعد عليه هذه
الاشيا وجزم كلها لانه جزاء عليه ❊ وقوله تعالى ويتوب الله على من يشاء رفع لانه مبتدأ غير معطوف ولكنه
متصل بالاول معنى اي ومن فوايد القتال انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه والله عليم لا تكون عليه خفية
حكيم لا يلحقه خطا عليم بما كان منهم حكيم فيما امر فيهم ❊ وقال الامام القشيري رحمه الله شفا صدور
المومنين على حسب مراتبهم في الدرجات والمقامات فمنهم من شفا صدره في قهر عدوه ومنهم من شفا
صدره في نيل مرجوه ومنهم من شفا صدره في الظفر بمطلوبه ومنهم من شفا صدره في لقا محبوبه ومنهم
من شفا صدره في درك مقصوده ❊ ومنهم من شفا صدره في لقا معبوده وذلك ذهاب غيظ قلوبهم
مختلف اسبابه وتتنوع ابوابه ويتوب الله على من يشا حتى يكون اشتغاله بمحول الاحوال لا بصنيع
الاحوال ❊ وقوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا اي اظننتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الايمان باللسان ولا
تبتلون بالقتال ❊ وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي لم يوجد منكم جهاد المشركين
ولو وجد لعلمه الله موجودا لان الله يعلم في الازل ما يوجد انه يوجد ويعلمه موجودا حين يوجد لانه
يعلم كل شي على ما هو به وقد قررناه في سورة البقرة عند قوله الا لنعلم من يتبع الرسول ❊ وفي سورة ال
عمران في قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ووالوا الله ورسوله والمومنين ولم يتولوا غير الله
ورسوله والمومنين ولم يتخذوا من دون الله اوليا وخواص والوليجة البطانة الخاصة من الولوج
وهو الدخول والبطانة صديقك الذي تطلعه على ما في قلبك وصفة المومن المخلص ان لا يتخذ
بطانة من الكفار ولا يتولى غير الرسول والمومنين الابرار وذكر الله هاهنا لتاكيد الامر في موالاة
الرسول والمومنين بامره وشرعه وما ينبغي للمومن ان يتولى الكفار ❊ قال الله جل جلاله لا تتخذوا الكافرين
اوليا من دون المومنين ❊ وقال تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم ❊ وقال لا تتولوا قوما غضب
الله عليهم ❊ وقوله تعالى والله خبير بما تعملون من الموافقة والمخالفة وهو وعد ووعيد
وقال الامام القشيري رحمه الله من ظن انه يكتفي منه بالدعوى دون تحقيق المعنى فهو على غلط
من حسابه ومن غلب من حسابه بل المطلوب صدق المجاهدة في الله وترك الركون الى غير الله واذا اتخذ
وليجة من الكفار فشا في الاحد الاشرار ولي من يبصر لينا يطلع على الاسرار ولنفسه التي هي اعدا
عدوه ❊ حكي عن ابي يزيد انه قال في بعض اوقات مكاشفاته كيف اطلبك فقيل له فارق نفسك
وتعالي والحرية عزيزة قالوا قال قايلهم امني على الزمان محالا ❊ ان لا ترى مقلتاي طلعة حر
وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وانما الكفار ممنوعا منها ان الله حر وهذا تحريض على
قتال المشركين من وجوه وهذا وجه اخر من ذلك وهو انهم مكنوا لكم ومن ثم حتى فيها فلنكم وفيها
مفاخرتكم وقد استولى المشركون عليها واخرجوكم منها وقاموا بعمارة المسجد الحرام الذي هو ليس
باهلا ذلك فقاتلوهم واخرجوهم لتلك من ايديهم ❊ وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي
ان يتولوا عمارتها وفيما كان فيها نوي في منهم من البراءة الا يحج بعد العام مشرك وفي هذه الاية اشارة الى
الحمستهم عن قصدها والطواف بها واقامتهم الصلاة ومعنى الاية على هذا ليس في حكم الله تعالى ان
يعمر المشركون مساجد الله بالصلاة فيها والجهاد والطواف بها وهم عنها مؤمنين وقوله تعالى
شاهدين على انفسهم بالكفر وقيل هو اعتراضهم بعبادة الاوثان وان لم يصرحوا بالاعتراف بلفظ ❊

الكفر

الكفر والشرك ❊ وقيل هو قولهم في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك اي ليس لهم ان يعمروا
وهم قايلون في الحج هذا ❊ وقيل ما يدينون به دليل على كفرهم الا انهم يقولون نحن كفار وهو كقولك للرجل اذا كان كلامه
يشبه النبط انما كان العجمي ❊ وقال السدي ان النصراني اذا قيل له من انت قال نصراني وكذلك اليهودي والمشرك
والوثني ثم قوله مساجد الله يجوز ان يكون المراد به حقيقة الجمع اي في كل المساجد الحكم هذا ❊ وقال الحسن
هو المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها يقول ما كان للمشركين ان يذكروا فيكونوا من اهل
المسجد الحرام وطريقه طريق قولهم خرج فلان الى الحج على البغال او على الابل ويراد به الجنس لا الجمع ❊ قال
ابن اسحاق قالت قريش انا اهل الحرم وسقاة الحجيج وعمار هذا البيت لا احد افضل منا فقال الله جل
جلاله ذلك ❊ وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله
تعالى وقطيعة الرحم واغلظ علي للعباس القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال له علي رضي الله عنه الكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني
فانزل الله جل جلاله ردا على العباس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله الفايزون ❊ وقوله تعالى
اولئك الذين حبطت اعمالهم ما ذكروه من محاسنهم بطل ثوابها لشركهم ❊ وقوله تعالى وفي النار هم خالدون
لكفرهم اخبر الله تعالى انهم ليسوا بها اهلا لعمارتها ولا في قتالها ما يوجب الكف عن قتالهم لانهم مشركون حبطت اعمالهم
واستحقوا الخلود في النار ❊ وقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة
واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اي انما يستحق القيام بعمارتها من
كان بهذه الصفة فهو يعظم البيت حق تعظيمه ❊ وقوله ولم يخش الا الله فلم يتخلف عن قتال المشركين لخشيتهم
وهو اشارة الى ما قال اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ❊ وقال فلا تخافوهم وخافوني ❊ وقوله فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله اطماع واطماع الكريم ايجاب اي المستكملون هذه الخصال ثابتون على
الهداية خارجون عن الضلالة ❊ وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى في كتابه انما يعمر مساجد الله من امن
بالله ❊ وقال القشيري رحمه الله عمارة المساجد التي هي مواقف العبودية لا تاتي الا بتخريب اوطان
البشرية فالعابد يعمر المسجد بتخريب اوطان شهوته والزاهد يعمر بتخريب اوطان منيته ❊ والعارف
يعمر بتخريب اوطان علاقته ❊ والموحد يعمر بتخريب اوطان ملاحظته ولكل منهم صنف مخصوص
ولذلك رتبتهم في الايمان مختلفة فايمان من حيث البرهان وايمان من حيث البيان ❊ وايمان من حيث العيان
وشتان ما هم ❊ وقوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم
الاخر وجاهد في سبيل الله الحاج اريد به الجمع وتقدير الاية اجعلتم صاحب سقاية وعمارة المسجد الحرام
كايمان من امن بالله واليوم الاخر وجهاد من جاهد في سبيل الله لانه لا يصح مقابلة الفعل بالفعل او الفاعل
بالفاعل ويصح كذلك لهذا الاضمار وله طريق اخر انه جعل السقاية والعمارة وهما مصدران كالنعت
وتقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن وهو كالعدل يراد به العادل ويحقق هذا
قراة عبد الله بن الزبير وابي وجزة السعدي اجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام ❊ وقوله تعالى
لا يستوون عند الله في الدرجة والله لا يهدي القوم الظالمين قال مقاتل اي الى الرشد الى الحجة وقيل
الى الجنة ❊ وقيل اي الاسلام مع اختيارهم الكفر ❊ روي ان عليا والعباس وشيبة بن عثمان ❊ وقيل
طلحة بن شيبة تفاخروا فقال العباس انا اسقي الحجيج ❊ وقال شيبة انا اعمر مسجد الله ❊ وقال علي
ما ادري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية وعرفوا ان سقي الحجيج وعمارة البيت لا يعدلان الايمان والجهاد
وكان العباس وشيبة غير مسلمين يومئذ ❊ وقال النعمان بن بشير كنت عند منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفر من اصحابه فقال رجل منهم ما ابالي الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج ❊ وقال
اخر بل عمارة المسجد الحرام احب الي ❊ وقال اخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله
عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة فاذا صليت الجمعة
دخلت اليه فاستفتيته عما اختلفتم فيه ففعلوا فانزل الله هذه الاية ❊ وقال مرة الهمداني قال علي للعباس
يا عم الا تهاجر قال الست في افضل من الهجرة الست اسقي الحجيج واعمر المسجد الحرام فنزلت الاية
وقال مجاهد امروا بالهجرة فقال العباس انا اسقي الحاج ❊ وقال طلحة انا حاجب الكعبة لا اهاجر
فنزلت الاية ❊ وقال القشيري رحمه الله ليس من قام بمعاملة ظاهرة كمن استقام في تصحيح سرايره ولا
من استضا بسراج علومه كمن استبصر بشموس معارفه ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة كمن تمكن
في البساط من حيث القربة وليس من نصب من تكلف تعاقا كوصف من تحقق وفاقا بينهما بون بعيد

وقوله تعالى الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بلا ايمان وليسوا وليك درجة في الفضل لكن معناه انهم يستعدون لانفسهم
درجة فقال هولاء اعظم درجة على الحقيقة من اوليك على ما يتوهمونه لانفسهم • وقيل معناه اعظم درجة من المومنين
الذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا • وقوله تعالى فاوليك هم الفايزون اي الناجون • وقوله تعالى يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات اي عند الموت على السنة الملايكة وفي الجنة بلا واسطة • وقوله تعالى
لهم فيها نعيم مقيم اي الجنات • وقوله تعالى خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم هذا كله ظاهر
وقال القشيري رحمه الله بشارة العصاة بالنجاة وبشارة المطيعين بالدرجات وبشارة العصاة بالخلاص
وبشارة المطيعين بالاختصاص • ويقال بشر العصاة بالرحمة والمطيعين بالرضوان والكافة بالجنة وقدم
العاصي في الذكر وقدم المطيع بالبر والذكر قوله وهو قديم والبر طوله وهو عميم • وقيل بشرهم بنفسه لتزيد
في محبة عبده لان القلوب مجبولة على حب المبشر • يقول قايلهم •

لولا تمتع مقلتي بلقايه • لوهبتها لمبشري باتيانه •

وقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه عرفهم انهم برحمته وصلوا الى طاعته لا بطاعتهم وصلوا الى نعمته وقوله
تعالى لهم فيها نعيم مقيم قوم نعيمهم عطاياهم على وصف التمام وقوم نعيمهم لقا ربهم على نعت الدوام
فالعابدون لهم تمام عطاياه والعارفون لهم دوام لقايه • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاوليك هم الظالمون قال
ابن عباس رضي الله عنهما ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه
واخيه وامراته وقرابته انا قد امرنا بالهجرة الى المدينة فاخرجوا معنا فمنهم من يعجبه ذلك ويسارع
فيه ومنهم من يابى ذلك ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون له ننشدك الله ان لا تضيعنا
فيرق ويجلس ويدع الهجرة فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم الذين بمكة اولياء
في الدين والعون والنصرة ان استحبوا اي اختاروا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم بعد نزول هذه
الاية في الاقامة فانه منهم على الكفر واوليك هم الظالمون • وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين
ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم فقال ومن يتولهم منكم يا معشر المومنين فاوليك
هم الظالمون • وقال القشيري رحمه الله علامة الصدق في التوحيد قطع العلاقات ومفارقة
العادات وهجران المعارف والقرابات والاكتفا بالله على دوام الحالات • وقوله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين قال مقاتل قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة ان كان
المقام مع اباءكم وابنايكم واخوانكم وعشيرتكم واموال اكتسبتموها وتجارة ترجون حصول ارباحها
وتخشون كسادها ومساكن رضيتموها احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله ومن جهاد في نصرة دينه
فانتظروا حتى ياتي الله بامره بفتح مكة • وقال عطا بامره اي بقضايه • وقال الحسن بامره من
عقوبة عاجلة او اجلة • وقيل بعذابه كما قال اتاها امرنا • وقال القفال فظم وجوه العذر بهذا
التهديد والبسط من الكلام فلم يجز ترك الهجرة والجهاد في سبيل الله للميل الى الشي من الاسباب
المهلة ولم يجعل ما يشتمل على الانسان فرابه من اب بر وابن يتزين به واخ يعتضد به بمعونته وزوجة
يسكن اليها وعشيرة يتعززهم ويستعين على دفع الملمات بنصرتهم واموال
مكتسبة قد استعد في تحصيلها الواسع وانفق على جمعها العمر وتجشم على جملها الاسفار وخاف
عليها الضياع بالغيبة عنها وتجارة قايمة ترجو حصول ارباحها ومنازل قايمة عامرة ترجو منها الرفق
يتحصن فيها من اذى البرد والحر واعد فيها مواضع الشتا والصيف حجة في تخلفه عما امر الله تعالى
من الهجرة وجهاد الكفار واخبران من اثر طاعة الشيطان على طاعة الرحمن فليستعد لترول امر الله
فانه يتنزل به ما لا مدفع له ولا اعتصام منه بنصرة قرابة او عشيرة ولا بتحصن بما كن حريزة وليعلم ان
الله لا يرشد الفاسقين المتخلفين بدينه الى صواب في تدبيره ولا يهديهم الى طريق رضوانه ورحمته
ما داموا على اختيارهم لمخالفته • وقال الامام القشيري رحمه الله يتعنت اسواق دينه كسدت
اسواق حظوظه وما لم تخل منك منازل الحظوظ لا تعمر بك مشاهد الحقوق • وقوله تعالى لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة ويوم حنين قال قتادة هو واد بين مكة والطايف • وقال عروة هو واد الى جنب
ذي المجاز يقول لقد نصركم الله في مواطن كثيرة مثل بدر والاحزاب واعلاكم على عدوكم مع ضعفكم وقلة
عددكم في مقامات كثيرة من بين غزوة وسرية ويوم حنين اذ خطر عليكم امر الاباء والابناء والاخوان والعشيرة

ايسا فلبوهم

والاموال

وامن لوا اسباب المتعثر الدنيوية ولا تطلبوا النصر لها فانقطعوا الى الله بالكلية واطلبوا من عنده النصر والمعونة
وقال الامام ابو منصور رحمه الله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين كان فزعكم الى الله ايضا فنصركم ايضا • وقوله
تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم اي اعجبكم كثرة عددكم ووفور عددكم فلم تغن عنكم الكثرة شيا اي لم تنفعكم الكثرة شيا
وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مع الفعل مصدر وتقديره برحبها اي مع رحبها اي سعتها للطلب
العدو اياكم • قال الشاعر • كان بلاد الله وهي عريضة • على الخايف المطلوب كفة حابل •
اي حبالة صياد • وقوله تعالى ثم وليتم مدبرين اي منهزمين ابتليتم في اول الالتقا بالهزيمة لاعجابكم بكثرتكم
دون اعتمادكم على نصرة الله وعلى القايه الرعب في قلوب الاعدا لم ينفعكم العدد والعدد التي لم تكونوا على
مثلها في الوقايع التي نصرتم فيها مثل بدر والاحزاب وكانوا اثني عشر الفا فقالوا لن نغلب اليوم عن قلة وضاقت
عليكم الارض فلم تجدوا طريقا الى الخلاص الا بالهزيمة وذلك الامر اعجب بعددنا اعتمد عليها فلم يتفرع الى
الله تعالى فلم يسال الله النصر فحرم ذلك بترك التضرع والدعا • وقال الواقدي لما فتح الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم مكة مشت اشراف هوازن بعضهم الى بعض يتفق بعضهم بعضا وحسدوا وبغوا فقالوا
والله ما لاقى محمد قوما يحسنون القتال فاجمعوا امركم فسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فاجمعوا امرهم
على ذلك وسيد هوازن مالك بن عوف النصري وسيد ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي فاجمعوا المسير
بالناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا وا ومعهم نساوهم واموالهم حتى نزلوا باوطاس فعسكروا
دريد بن الصمة معهم وهو يوميذ شيخ كبير ابن ماية وستين سنة ليس فيه الا التيمن به ومعرفته
بالحرب فلما نزل الشيخ مس الارض بيده فقال باي واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن
ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغا البعير ونهاق الحمير وثغا الشا وخوار البقر وبكا الصغير فقالوا
ساق مالك بن عوف مع الناس ابناهم ونساهم واموالهم فقال اين مالك فقيل له هذا مالك فدعي
له مالك فقال يا مالك انك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن الى نحور الخيل شيا فارفع هذا الراي عنك
يا مالك فقال والله لا افعل ولا اغير امرا صنعته انك قد كبرت وكبر علمك وحدث بعدك من هو ابصر
بالحرب منك هل من راي غير هذا قال نعم تجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاهم الكمين
من خلفهم فقال يا مالك هذا الراي وانا افعله • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة لثلاث عشرة
بقيت من رمضان وغزا يوم السبت السادس من شوال واستعمل على مكة عتاب
بن اسيد يصلي بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في اثني عشر
الفا من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفين من اهل مكة • وقال الحسن كانوا ثمانية الاف
وقال عطا كانوا ستة عشر الفا فلما وصلوا قال رجل من الصحابة هو • قال السدي هو سلمة بن سلامة لا نغلب
اليوم عن قلة • وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربع ماية وخير
الجيوش اربعة الاف ولا تغلب اثنا عشر الفا عن قلة كلمتهم واحدة فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قول هذا الرجل فسا كلامه فتكلوا الى كلمة الرجل وانتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى حنين مسا
يوم الثلاثا وامر انيس بن مرثد الغنوي ان يحرسهم الليلة على فرسه على جبل وقالوا له حين اصبح
ما على هذا ان لا يعمل عملا بعد هذا وخرج رجال من مكة من اشرافهم وهم كفار قريش ينظرون الذين
لم يكونوا منهم صفوان بن امية وفيها كانت استعارة دروعه وفيه اغضبنا يا محمد • وقوله عليه السلام
بل عارية موداه • ولما وقعت الهزيمة اولا على المسلمين مر رجل بصفوان فقال ابشر فقد هزم محمد
واصحابه فقال لصفوان فض الله فاك قال لرب من قريش احب الي من رب من هوازن ان كنت مربوبا
واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في وادي حنين وهو حدور وقد مضت مقدمته على
تعبية وركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلته البيضا دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة
فاستقبل الصفوف وطاف عليها بعضا خلف بعض يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا
او صبروا • وقال انس رضي الله عنه ولما انتهينا الى وادي حنين وله مضايق وشعب استقبلنا
من هوازن شي لا والله ما رايت مثله في ذلك الزمان قط من السواد والكثرة قد ساقوا نساهم
وابناهم واموالهم فبينا نحن في غبش الصبح اذ شعرنا بالكتايب قد خرجت علينا من مضيق الوادي
فحملوا حملة واحدة وهم اربعة الاف قد جردوا سيوفهم وكسروا غمودهم • وقيل احرقوها فانكشف
اول الخيول مولية وتبعهم الناس مولين منهزمين لا يلوون على شي فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم
عن يمينه ويساره والناس منهزمون وقال يا انصار الله وانصار رسوله انا عبد الله ورسوله ولم
يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم الا العباس بن عبد المطلب وهو اخذ بلجام بغلة النبي صلى الله
عليه وسلم وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اخذ بثفر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان

وهو يوم حنين بعد ما ليتم قسمتم الانعام

العباس وكان صيتا فقال له عليه السلام اصرخ يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فاقبلوا كانهم الابل اذا حنت الى اولادها وهم يقولون الكرة بعد الفرة فما شرعوا الرماح • قال العباس رضي الله عنه حتى اني لا اخاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم رماحهم اشد من خوفي رماح المشركين يومئذ الصوت يقولون لبيك لبيك فلما اختلطوا او اجتلدوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا يقول الان حمي الوطيس ولا ينبغي لهم ان يظهروا ثم قال للعباس ناولني حصاة من الارض فناوله حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها وجوه المشركين وقال انهزموا ورب الكعبة وانهزموا بعد ذلك انه لم يبق منهم احد الا امتلات عيناه من التراب وكان من دعائه يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان فقال له جبريل صلوات الله عليه لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين وسبعة وستون من الانصار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا غاية شجاعته حيث لم يخف اسمه في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه وكان عثمان وعلي وابو دجانة وايمن بن عبيد رضي الله عنهم يقاتلون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكرت الانصار ووقفت هوازن قدر حلب ناقة ثم كانت الهزيمة وكان سعد بن عبادة يصيح بالخزرج واسيد بن حضير بالاوس فيا تون من كل ناحية كانهم النحل فما شرعوا في قتل الذرية فنهاهم عن ذلك قال انس وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربته امام الناس وهزمهم الله تعالى وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتل كل من قدر عليه ففعلوا وبعث ابا موسى الاشعري في اثار من توجه الى اوطاس وعقد له اللوا فقتل منهم كثيرا ثم استشهدوا وغنموا كل اموالهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالغنايم فغنمت ونادى مناديه من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يغل ورد عقيل بن ابي طالب ابرة كان اخذها وجا رجل بحبل فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعله له قال نصيبي منه لك فكيف نصنع باصابة المسلمين وفي سبايا اوطاس قال عليه السلام الا لا توطا الحبالى حتى يضعن حملهن ولا الحيالى حتى يستبرين بحيضة وفيها اخت النبي اخته الشيما النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه واكرمها وحياها • وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه امد الله نبيه بخمسة الاف ملك • وقال رجل من الاعدا بعد تقضي القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض ما كنا نراكم فيهم الا كهيئة الشامة وما قتلنا الا بايديهم فاخبروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملايكة • وقال الزهري بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان وقد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطلعك على ما في نفسي ولما انهزموا اتوا اوطاس وبها اموالهم وعيالهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اثرهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطايف وتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ واقام بقية الشهر فلما دخلوا القعدة وهو شهر حرام لا يحل به القتال انصرف عنهم فاتى الجعرانة واحرم منها بعمرة وقسم بها السبي والمال وكانوا اصابوا يومئذ ستة الاف سبي ثم جا قومهم واسلموا وقالوا في النبي عمايك وخالاتك ولو كنا ارضعنا النعمان بن المنذر لكنا نرجوا عايدته اليوم وانت خير الناس وابرهم وارحمهم واوصلهم للرحم فقال عليه السلام انما احب اليكم انسابكم او اموالكم فقالوا انسابنا فقام عليه السلام خطيبا وقال ان هولا جاؤنا مسلمين وقد خيرناهم فاختاروا انسابهم فمن كان بيده شي وطابت نفسه ان يرد فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فردوا واخذ اميرهم مالك بن عوف فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تريد اقتلك ام افاديك ام امن عليك ام تسلم فقال اما الاسلام فلا اسلم ابدا واما القتل فاقتلني قلت عظيما فان منت علي فاعتقتني منت على عظيم فقال امن عليك واطلقك تفعل فقال تعجبني من حسن خلقك ولا يكون هذا الا من نبي حق فاسلم وحسن اسلامه وقسم بالجعرانة غنايم حنين وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحارث ابن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقال الانصار امن الرجل واثر قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة ادم فقال يا معاشر الانصار ما هذا الذي بلغني عنكم الم تكونوا ضلالا فهداكم الله الم تكونوا اذلة فاعزكم الله الم الم فقال سعد بن عبادة ائذن لي اتكلم فقال تكلم فقال اما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكنا كذلك واما قولك كنتم اذلة فاعزكم الله فقد علمت العرب انه ما كان حي من احيا العرب امنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد اتدري من تكلم فقال يا عمر

رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادي الانصار ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ثم قال يا معشر الانصار اما ترضون ان ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون انتم برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا بالله ورسوله ما قلنا ذلك الا ضنا بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال اما ان خطيب الانصار لو قال لكنت طريدا فاويناك وكنت خايفا فامناك وكنت مخذولا فنصرناك وكنت وكنت لكان قد صدق فبكت الانصار وقالت لله اعظم علينا منا • وقال الامام القشيري رحمه الله المنصور من ايده من عصمه عن التوهمات ولم يكله الى تدبيره في الامور فاقامه مقام الافتقار متبريا من الحول والقوة متحققا بنصارى تقف القدرة ولما اعجبتهم كثرتهم تزق من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحال اكثر الاصحاب وكشف عن القوم جلابيب النسيان اضطربت القلوب وخانت القوى اصحابها فلم تغن عنهم كثرتهم فاستخلصهم الله اسرارهم بصدق الرجوع اليه فانزل سكينته عليهم وقلب الامر على الاعدا وخفقت رايات النصر ووقعت الدبرة على الاعدا فانقلبوا صاغرين قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اي الرحمة تسكن اليها القلب • وقيل هي الامنة والطمانينة • وقيل هي زوال الاضطراب الذي يعتري القلب وثبات القلب للحرب وفي هذه الاية تعظيم نزول المنزلة لانه سماهم مؤمنين بعد التولي قال الامام ابو منصور رحمه الله • وقوله تعالى وانزل جنودا لم تروها اي من الملايكة وعذب الذين كفروا بالهزيمة والقتل والسبي وذلك جزاء الكافرين اذا الاقوا المؤمنين ان تكون الدبرة على الكافرين والنصرة للمؤمنين • قال القشيري رحمه الله السكينة ثلج القلب عند جريان حكم الرب وخمود نار البشرية والرضا بما يبدو من الغيب من غير معارضة القضية والسكينة النازلة على المؤمنين اختطاف الحق اياهم ثم يستقر بهم رهبة من مخلوق وسكن عنهم كل ارادة واختيار وانزل جنودا لم تروها من جنود اليقين وزوايد الاستبصار وعذب الذين كفروا فبطوحهم في متاهات التدبير والسقوط في وهدة التحير والغيبة عن شهود التقدير • قوله تعالى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثم يوفق الله عز وجل للايمان بعد ذلك من يشا فيقبله ويغفر له وهو الغفور للمؤمنين الرحيم بهم اجمعين • وقيل ثم يتوب الله اي يقبل توبة المنهزمين اذا علم منهم الصدق والندم وهم المهاجرون والانصار ومن رجعوا الى الحرب في الظاهر ولهم نفاق وكفر في الباطن • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس اي انجاس وانما وحد لانه في الاصل مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث يقال رجل نجس ورجلان وامراتان نجس ورجال ونسا نجس ومعناه انهم انجاس في اعتقادهم وافعالهم واقوالهم لانهم يشركون بالله غيره ويريدون باعمالهم سواه فهم مستقذرون يجب اجتنابهم • وقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهذا من جملة ما وقع به الاذان يوم الحج الاكبر من البراءة من العهود ونبذ الانتظام اي فامنعوهم من الحج بعد هذا العام وكذا من دخول الحرم للتجارة وغير ذلك • وقال مالك رحمه الله لا يترك الذمي يدخل مسجدا ما لقوله تعالى انما المشركون نجس • وقال الشافعي رحمه الله يمنع من دخول المسجد الحرام خاصة لهذه الاية وعندنا لا يمنع من دخول المسجد الحرام ايضا والاية في دخولهم للحج لانهم كانوا يعملون في الحج اعمال المشركين فامر الله تعالى بتنزيه المسجد الحرام والحرم عن ذلك ايضا فاما نفس الدخول فغير ممنوع عنها • وقوله تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا قال تعالى ووجدك عايلا فاغنى • قال الشاعر • ولا يدري الفقير متى غناه • ولا يدري الغني متى يعول • وقوله تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قيل انهم كانوا يردون بمكة تجارا فيرتفق اهلها بهم ومعايشهم فلما امروا بمنعهم منها اشفقوا من ضيق المعاش وانقطاع التجارات فوعدهم الله تعالى الغنى من وجه اخر من فضله واسلم من الفقر • قال مقاتل اغناهم الله من فضله فاسلم اهل صنعا وجرش وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الدواب فامنهم مما كانوا يتخوفون • وقوله تعالى ان شا علق بالمشية قطعا للامال عن الاسباب وصرفها الى الله تعالى كما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين • وقوله تعالى ان الله عليم اي بمصالح العباد حكيم فيما فعل واراد • وقال الكلبي لما قال الله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال اياس بن بكر بن وايل من يحا لتجارنا اهل مكة اذا فعلتم هذا وما الذي نعطون من الشدة ومن اين تاكلون فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله • قال ابن عباس رضي الله عنهما فامرهما الله تعالى بقتال اهل الكتاب واغناهم من فضله • وقال عطا اغناهم الله تعالى بالجزية الجارية شهرا فشهرا عاما فعاما • وقال القشيري رحمه الله من اناخ بباب كرم مولاه • واستمطر من سحايب جدواه اغناه عن كل سبب وكفاه كل نصب • ونفى له كل ارب • واعطاه من غير طلب • وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم

لاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب بين في الاية
الاولى قتال المشركين وبين في هذه الاية قتال اليهود والنصارى ولو قال قاتلوا اهل الكتاب لكفى وانما جمع
هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمؤمنين على قتالهم لانها صفات توجب البراءة منهم والعداوة لهم وانما
قال لا يؤمنون بالله وهم يدعون الايمان بالله لانهم يؤمنون بالله الذي لم يولد وهو شبيه بالخلق وهذا ليس
بايمان بالله وكذا يصدقون بالله وكذا قال ولا باليوم الاخر وهم يدعون الايمان به لانهم لا يصدقون بما فيه
من الوعد والوعيد فيقولون لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويقولون ليس في الجنة مطاعم ومشارب
ومناكح ولا يكون هذا ايمانا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخمر والخنزير وتحريف الكتاب
وكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدينون دين الحق وهو الاسلام فان اليهودية والنصرانية
دين باطل فانه نسخ بعض احكام التوراة والانجيل وهم قد حرفوا البعض وقد قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه • وقوله تعالى حتى يعطوا الجزية اي الى ان يعطوا الجزية كما قال فان تابوا واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة اي فخلوهم مد وجوب القتال الى هذه الغاية وهي قبول الجزية وهذا حكم اهل
الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر وهو قوله عليه السلام سنوا في المجوس سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولا يجوز هذا في مشركي العرب لقوله عليه السلام لا يقبل منهم الا
الاسلام او السيف ويجوز في الهنود والاتراك والديلم عندنا خلافا للشافعي رحمه الله تعالى وتعرف
في المفصلات • وقوله تعالى عن يد قيل عن نقد فلا تؤخر عن وقتها من قوله يدا بيد • وقيل عن يد
من عليه فيحضر بنفسه ويؤدي ولا يرسل به رسولا ولا يبعثه على يد ولده او وكيله او عبده • وقيل عن
طيب نفسه فيعطي بيده من غير ان يكره عليه اي دليل قبوله طوعه دون ان يكره عليه فانه اذا احتاج
الى ذلك يعني القتل والقتال فالسبي ولا تثبت عقد الذمة • وقيل عن الغنى دون الفقير يقال اعطى فلان بيده
اذا استسلم وانقاد • وقيل اي عن رويتهم ذلك انعاما منكم عليهم بترك القتال بهذا من قولك
اصطنعت الى فلان يدا • وقوله تعالى وهم صاغرون اي اذلاء مقهورين ياتون للاداء مشاة لا ركبانا
ويؤدون قياما والاخذ قاعد ويكون يده تحت يد الاخذ تكبيبه عند الاخذ ويجرك ويقال اد الجزية
يا يهودي او يا نصراني • وقيل اي تقاصرت اليهم انفسهم مما احتاجوا اليه من بذل الجزية لحقن
دمائهم • وقال الكلبي نزلت في بني قريظة وبني النضير والجزية على ثلاث مراتب على المعتمل في السنة
اثنا عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى كامل الغنى ثمانية واربعون درهما كذلك
وضعها عمر رضي الله عنه وبهذه الجزية اعتاضهم عن العيلة وهو وجه اتصال هذه الاية بالاولى • وقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله قرا عاصم والكسائي ويعقوب
في رواية عزير بالتنوين لانه اسم مصغر فهو منصرف ولانه اسم خفيف منصرف وان كان اعجميا
كنوح ولوط ولانه اسم مبتدا وهو معرف غير منسوب وابن الله خبره • وقرا الباقون بغير تنوين لانه
اسم اعجمي معرف ولان ابن صفة له وتقديره عزير ابن الله معبودنا او نبينا على هذه القراءة ثم هذا
بيان قوله لا يؤمنون بالله فهم دعواهم لان هذا قولهم في الله • وقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم
اي هو قول يلوكونه بالسنتهم لا حجة لهم على صحته • وذكر الامام ابو منصور رحمه الله هذا ثم قال او قالوا
ذلك بافواههم من غير شبهة حملتهم على ذلك • وقوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
قرا عاصم بالهمزة والباقون بغير همزة والمضاهاة والمضاهاة المشابهة اي يشابهونه ومعناه عند
ابن عباس رضي الله عنهما شابهوا عبدة الاوثان في هذا القول • وقيل في قولهم الملائكة بنات الله
وقال الزجاج اي في تقليدهم اسلافهم في هذا القول • وقيل اي المشركين في اثبات الشركاء لله • وقوله
تعالى قاتلهم الله قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لعنهم الله وقيل اي قتلهم الله • وقيل اي عاداهم
الله • وقيل اي اهلكهم الله • وقوله تعالى انى يؤفكون اي من اين يصرفون عن الحق والصرف عن الحق
ضلال • قال مقاتل ان اليهود لعنهم الله قتلوا انبياءهم فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج
عزير يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال اين تذهب قال اطلب العلم فعلمه جبريل صلوات
الله عليه التوراة كلها فجاء عزير بالتوراة الى بني اسرائيل فعلمهم فقالوا لم يعلم عزير هذا العلم الا لانه
ابن الله وله طرق اخرى ذكرنا بعضها في سورة البقرة • وقال السدي ان العمالقة ظهرت عليهم فقتلوهم
واخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا كتب التوراة في الجبال وكان عزير غلاما
يتعبد في رؤوس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل بغير عالم فجعل يبكي
حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا بامراة تمثلت له عند قبر تبكي وتقول
يا مطعماه يا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك قالت هذا الرجل تعني زوجها قال من كان

يطعمك

يطعمك ويكسوك قبله قالت الله قال فان الله حي لا يموت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال
الله قالت فلم تبكي عليهم فلما علم انه خصم ولى مدبرا فقالت يا عزير اذا اصبحت فات نهر كذا فاغتسل فيه ثم اخرج
فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فما اعطاك فخذ منه فلما اصبح انطلق الى ذلك النهر فاغتسل ثم صلى ركعتين فجاء
الشيخ فقال افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا ثلاث مرات فرجع عزير وهو من اعلم
الناس بالتوراة فقال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل اصبع له قلما
وكتب باصابعه كلها فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها في جوالق فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها
مثلها فقالوا ما اعطاك الله هذا الا لانك ابنه • واما النصارى فقد قال الكلبي كان شركهم انهم كانوا على
الحق احدى وثمانين سنة بعدما رفع عيسى عليه السلام الى السماء يصلون الى القبلة ويصومون حتى وقع
بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس فقتل جماعة من اصحاب عيسى ثم قال لليهود
كان الحق مع عيسى فكفرنا وجحدنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال
فاضلهم حتى يدخلوا معنا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه فاظهر الندامة ووضع
على راسه التراب فقالت له النصارى من انت قال انا بولس عدوكم فنوديت من السماء ليست لك توبة
الا ان تتنصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة فدخل فيها سنة لا يخرج ليلا ولا نهارا حتى تعلم الانجيل ثم خرج
وقال نوديت ان الله تعالى قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور
وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة ثم توجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لم يكن عيسى
بانس فتانس ولا بجسم فتجسم وعلم رجلا يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا فقال له ان الله لم يزل ولا يزال
كان عيسى فلما استمكن منهم دعاهم اولا الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم انت خالصتي ولقد رايت
عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم اني غدا اذبح نفسي فادع الناس الى نحلتك ثم دخل المذبح
وقال انما افعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثالث دعا كل واحد منهم الناس الى نحلته فتبع كل واحد
منهم طائفة من الناس فاقتتلوا واختلفوا الى يومنا هذا فجميع النصارى من الفرق الثلاث • وقوله
تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله اي اطاعوا علماءهم وعبادهم فيما امروهم
به من الاعتقاد والعمل طاعة العبيد للارباب وهو كقوله حتى اذا جعله نارا اي كالنار • وعن عدي
بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت نصرانيا فقرا علينا سورة براءة فبلغ قوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله ما نعبدهم من دون الله قال اليس يحلون لكم ما حرم
الله عليكم فتستحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله لكم فتحرمونه فقلت بلى فقال تلك عبادتهم • وقال ابو
البختري انهم لو امروهم ان يعبدوهم من دون الله ما اطاعوهم ولكن امروهم فجعلوا حلال الله حراما
وحرامه حلالا فاطاعوهم فكانت تلك الربوبية • وقوله تعالى والمسيح ابن مريم اي اتخذوه الها معبودا
وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي الا ان يعبدوا الها واحدا كما قال وما امروا الا ليعبدوا الله
ليبين لكم وقد كشفنا عن حقيقته ثم بذلك امرهم الله في كتابه وبذلك امرهم عيسى عليه السلام
بقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه • وقوله تعالى لا اله الا هو سبحانه عما يشركون تنزيها له عن اشراكهم
به غيره • وقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اي يريد اهل الكتاب ان يبطلوا حجج الله
بل ادلته بجدالهم بالسنتهم من غير حجة • وقال الحسن والسدي نور الله القران والاسلام • وقيل
الدلائل والبرهان • وقال الضحاك اي يريدون ان يهلكوا محمدا واصحابه ولا يعبد الله بالاسلام وقال ويابى الله الا ان يتم
نوره اي لا يريد الا اتمام هذا النور اي الاسلام والايمان والقران وايضاح الحجج والبرهان
وفيه تخييبهم وقطع اطماعهم • وقوله تعالى ولو كره الكافرون اي على كراهية اليهود والنصارى
وكيدا وشططا • وقال القشيري رحمه الله من رام ان يطفئ سراج الشرع بفيه احترق به ومن رام ان يدفع
حكم السماء بحيل تدبيره او يستنزل نجوم الفلك بسهامه فقد تمنى مرامه ثم لم يحظ بمراده كذلك من توهم
ان يجحد التوحيد بتلبيسه بما حجج الشبه فقد احال قائله وافتضح في زعمه • وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
اي محمدا بالهدى اي بالتوحيد • وقيل بحجة الله على خلقه • وقال الكلبي اي بالقران الذي يهدي الى سبيل
ودين الحق اي الاسلام وانما قال دين الحق لان ثم اديانا احدها ان الحق هو اسم الله والمراد دين الله
والثاني ان الحق هو الاسلام لانه حق والكفر باطل ويجوز ان يقال دين الاسلام بمعنى طريقة الاسلام
وملة الاسلام وشريعة الاسلام • وقوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اي ليعليه
على الاديان كلها على كراهة المشركين ان ظهر الدين وان الغلبة لله تعالى فاصبحوا ظاهرين والدين
اسم جنس فيستغرق الجميع • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليظهره اي ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره ويطلعه
عليها والهاء عائدة الى النبي صلى الله عليه وسلم على هذا التاويل وهو كقوله واظهره الله عليه اي اطلعه

عليه وعلى التأويل الاول يعود الها الى الدين والاظهار بمعنى الاعلاء • وقال الكلبي هو الذي ارسل رسوله بالقرآن والايمان ليظهره يعني على الاديان كلها فلا يبقى دين الا ظهر عليه الاسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك • وقال الضحاك عند نزول عيسى فلا يبقى اهل دين الا دخل في الاسلام او ادى الجزية الى المسلمين • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل عيسى بن مريم فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يبقى على وجه الارض الا مسلم او مسالم • وقال الامام القشيري رحمه الله ليظهره على الدين كله ازاح العلل بما لاح من الحجج وازال الشبه بما اوضح من النهج فشموس الحق طالعة وادلة الشرع لامعة ولا نشدوا • هي الشمس الا ان للمشمس غيبة • وهذا الذي نعنيه ليس يغيب •

وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وصف الاحبار والرهبان الذين اتخذهم اهل الكتاب اربابا فقال لا تتوهموا في كثير من الاحبار والرهبان صلاحا ولا تغتروا بظاهر زيهم ونسكهم فان ذلك كله مصايد للمطامع واستجلاب للرياسة ومكايد للصد عن سبيل الله والجر الى الضلالة وذلك باخذهم الرشا من الاشراف والعامة وتحريف الكتاب وكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام • وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعون ويحتازون • وقيل اصله هو الكنز اي لا يخرجونها في طاعة الله ولم ينفقونها لانها لذا كالكنوز • وقيل اكتفى باحدهما عن الاخر ايجازا ومثله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقد اطلنا الكلام في نظايرها في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا • وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي وضع الوعيد بالعذاب الاليم موضع البشرى بالنعيم في حقهم ثم قوله والذين يكنزون الذهب قيل هو معطوف على ان كثيرا وهو من صفات اهل الكتاب جمع المال ومنع حقوق الله تعالى فيه والبخل وقد مرت آيات في اثبات غاية بخلهم • وقيل هو مبتدأ في مانعي الزكاة من المسلمين • وقيل هو عام يتناول الكل • وقال السدي هي في اهل القبلة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي خاصة عامة • وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية على معاوية في امر من الامور فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية في اهل الكتاب فقال ابو ذر رضي الله عنه انها لفينا وفيهم • وعن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفا عليه ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ادي زكاته فليس بكنز • وقال سالم بن ابي الجعد لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة قالها ثلاثا فشق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فقالوا اي مال نتخذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه • وقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم وهو ظرف لما قبله اي فبشرهم بعذاب يعذبون به يوم يحمى عليها اي يوقد على هذه الاموال وقد حمي بالنار من حد علم واحمى غيره احماء • وقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم اي فتوسم بالكنوز المحماة بالنار جباه الكافرين جمع جبهة صفيحة اعلى الوجه فوق الحاجبين وجنوبهم وهي جمع جنب وظهورهم وهي جمع ظهر وخصت بالكي هذه المواضع لان الكي على الجبهة يظهر للعيون فيكون ابلغ في التشهير والتعذيب وهو كقوله سنسمه على الخرطوم والجنوب مقابل فكانها اشد ايجاعا والظهور فيها القوة وفيه ازالة القوة بالكلية • وقال ابو بكر الوراق انما خصت بالكي هذه المواضع لان الغني المانع للزكاة اذا رأى الفقير انقبض وجهه واذا ضمه والفقير مجلس ازور عنه فعارضه بجنبه واذا امله قام وولاه ظهره • قال محمد بن علي الترمذي لانه يبذخ ويشمخ برأسه بسبب ماله ويتكئ على كتفه بجنبه ويتساند اليه بظهره • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الجبهة مقدمة الوجه وهم لم يقدموها الى الآخرة ولم ينفقوها في سبيل الله فيعذبوا على الجباه والجنوب لانهم اخذوها من كل جانب وعلى الظهور لانهم انفقوها في الصد عن سبيل الله وتولية الظهور عن الحق ويحتمل ذكر هذا احاطة العذاب بهم من كل الجهات لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكقوله عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل • قال تعالى احاط بهم سرادقها وجعل الله تعذيب اهل النار في الآخرة بالاسباب التي منعتهم عن طاعة الله تعالى ودعتهم الى مخالفة امره فيجمع بينهما في النار وهو كقوله تعالى يقيض له شيطانا فهو له قرين • وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم ونحو ذلك • وقال القشيري رحمه الله لما طلبوا الجاه عند الخلق بما لهم وبخلوا باخراج حق الله تعالى عنه شان الله وجوههم ولما لم يواجهوا بهم واسندوا ظهورهم الى اموالهم كوى الله جباههم وجنوبهم وظهورهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم اي لا يوضع دينار على دينار ولا درهم مكان درهم ولكن توسع جلودهم فتكوى لكل دينار ودرهم كية على جلده • وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله ماله يوم القيامة صفائح من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم

كان

كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه باخفافها وتنطحه بافواهها كلما مرت عليه اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب غنم لا يؤدي حقها الا اتى بها يوم القيامة تطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها ثم ذكر ما ذكر في الاول • وقوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اي هذا الذي ترونه هو الذي كنزتم في الدنيا اي جمعتم فلم تؤدوا حقه فذوقوا ما كنتم تكنزون اي جزاء ذلك وهو كقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا • وقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وبه يتم الحول وبتمام الحول تجب الزكاة في النصاب وهو وجه اتصالها بالآية الاولى ووجه اخر انها متصلة بجملة ما نزلت فيه السورة لان النبي عليه السلام اراد ان يحج عام نزول هذه السورة وكان الحج حينئذ على حسب النسيء في ذي القعدة وفي السنة الثانية في ذي الحجة ولهذا قال عليه السلام عام حج ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وابطل النسيء ووجه اخر للاتصال ان السورة في قتال المشركين ووصفهم انهم نجس وافعالهم كذا ومن قبائحهم النسيء وهو تغيير حكم الله تعالى • وقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي شهور السنة عند الله اي في حكم الله اثنا عشر شهرا لانها اسمان جعلا اسما واحدا وبني على الفتح لانها احد حركات وانما تدرت الشهور القمرية بالاثني عشر لان الشهور الشمسية كذلك لنزولها في اثني عشر برجا وتمام السنة الشمسية بذلك فجعلت السنة القمرية اثني عشر شهرا ايضا ليتوافقا على حساب واحد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان • وقوله تعالى في كتاب الله قال ابن عباس رضي الله عنهما في الامام الذي عند الله كتبها يوم خلق السموات والارض • وقال علي بن الحسين بن واقد اي في اللوح المحفوظ وهو كقوله في سورة الحج ان ذلك في كتاب وكذا في سورة الحديد • وقيل في قضاء الله وايجاب الله على خلقه من احكامها • وقوله تعالى يوم خلق السموات والارض ولم يزل الامر ثابتا على ذلك الى ان غيرت العرب وتركها ما غيرت منها • وقوله تعالى منها اربعة حرم اي من الاثني عشر شهرا اربعة اشهر حرم جمع حرام رجب وهو فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهو سرد كذا فسرها النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى الحرام انه يحرم فيها القتال والقتل وكانت العرب تعظمها حتى لو لقي الرجل منهم فيها قاتل ابيه لم يهجه • وقوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم كما قال مالك يوم الدين اي يوم الحساب ومعناه ان الشهور على حساب مستقيم فلا يغيرونها بالنسيء • وقيل الاحكام الدين المستقيم • وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي في جميع الشهور لانها شهود عليكم بما تعملون • وقال قتادة في الاربعة الحرم وظلم النفس هو المعصية لانها يضرها لنفسه وينتقص حظها وانما خص هذه الشهور الاربعة بالنهي عن ظلم النفس فيها مع انه حرام في كل وقت بيانا انه فيها اغلظ وهو كقوله تعالى في حق مكة ومن يرد فيه بالحاد بظلم الآية والظلم في كل مكان ووقت حرام • وقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وكل ذلك في كل وقت حرام • وقول النبي صلى الله عليه وسلم توعد من زنى بحليلة الجار فالزنا بكل امرأة حرام فالتخصيص دلالة التغليظ في كل ذلك • وقيل ولا تظلموا فيهن انفسكم بالبداءة بالقتال ولا بأس بقتال من بدأكم به فيها • وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا • وقيل اي لا تظلموا فيهن انفسكم اذا قوتلتم فيهن بان تتركوا القتال لكن قاتلوهم في هذه الحال • وقوله تعالى ان الله مع المتقين لا مع المشركين اي حافظ المتقين الذين يتقون الشرك • وقيل اي الذين يتقون هتك حرمة هذه الاشهر الذين يتقون الشرك بالقتال فيها • وقال عطاء الخراساني احل الله القتال في الشهر الحرام بقوله براءة من الله ورسوله الآيات وبقوله حل جلاله وقاتلوا المشركين كافة يقولون فيهن وفي غيرهن • وقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر اي التأخير قيل هو مصدر كالرحيل وقيل هو فعيل بمعنى المفعول ومعناه المؤخر اي الشهر المحرم من قولهم نسأ الشيء وانسأه اي اخره ومنه النسيئة في البيع وقوله تعالى زيادة في الكفر اي تأخير حرمة المحرم الى صفر بدعة زائدة على بدع سائر الكفار • وقوله تعالى يضل به الذين كفروا قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بضم الياء وفتح الضاد اي الاتباع يضلون به باضلال الرؤساء على ما لم يسم فاعله • وقرأ الحسن وجماعة بضم الياء وكسر الضاد يضل الرؤساء به الاتباع • وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الضاد يضل الرؤساء اي يتمون في الضلال بما يفعلون • وقوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما اي يحلون القتال في هذا الشهر مرة ويحرمونه مرة حذف من الظاهر الفعل كما يحذف في الاسم فقال الشهر الحرام والشهر الحرام اي فيه القتال • وقوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله والمواطاة الموافقة ومواطأة القوم على كذا اي توافقهم

ولا ينفقونها في سبيل الله

اي يحرمون صفرا مكان المحرم ويحلون المحرم ويقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر وقوله
تعالى فيحلوا ما حرم الله اي ليتوصلوا بهذه الجملة الى احلال الشهر الذي حرم الله • وقوله تعالى زين
لهم سوء اعمالهم قال الحسن الشيطان زين لهم ذلك • وقيل انفسهم زينت لهم ذلك • وقيل الله عز وجل
زينها بالتخليق امتحانا • وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الكافرين الى الحق حال اختيارهم الثبات
على الباطل • وقيل لا يهديهم طريق الجنة في الاخرة وقال الكلبي اول من نسأ الشهور رجل من بني كنانة
يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس بالموسم اذا هم الناس بالصدر قام فخطب فقال لا مرد
لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اخاف فيقول له المشركون لبيك ربنا ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا
يغزون فيه فيقول ان صفر العام حرام فحلوا الاوتار وانزعوا الاسنة والازجة وان قال
هو حلال عقدوا الاوتار فشدوا الازجة واغاروا على الناس وكان بعد نعيم رجل يقال له جنادة
ابن عوف بن امية الكناني وهو الذي ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل كان يلي ذلك عامر
ابن الظربان • وقال قتادة كان يفعل ذلك ابو ثمامة صفوان بن امية احد بني نعيم بن الحارث
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ابو ثمامة كنية جنادة بن عوف بن امية الكناني الذي قدمناه
وقال عبد الرحمن بن زيد هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس في الجاهلية وانشد ابو عبيدة
لبعض بني كنانة في الافتخار بهذا النسا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما • وقال
السدي كانت العرب يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر لا يغيرون فيها واذا ارادوا ان ينسئهم ان يغير
قال اني احللت المحرم وحرمت صفرا مكانه فيغير الناس في المحرم فاذا كان صفر غمدوا السيوف
ثم يقول في قابل احللت صفرا وحرمت المحرم • وقال عبد الرحمن بن زيد كانوا يحلون المحرم ويحرمون
صفرا ويحلون بعده صفرا ويحلون في هذا العام صفرين ثم يحرمون المحرم وصفر في القابل
ويجعلونهما المحرمين • وفي حديث الحسن انهم كانوا يغيرون الشهور كلها فيستغير شهر الحج ايضا
ولما فتح الله مكة سنة ثمان من الهجرة وكانت في تلك السنة غزوة حنين مضى النبي عليه السلام
منها الى الطائف ثم الى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين في ذي القعدة فلما كانت سنة تسع وقع الحج
في ذي الحجة وارسل النبي عليه السلام ابا بكر رضي الله عنه الى مكة واستعمله على الحج وعلمه المناسك
ونزلت سورة براءة بعد خروج ابي بكر فبعث النبي عليه السلام علي بن ابي طالب وامره اذا
خطب ابو بكر وفرغ من خطبته ان يقوم فيقرأ على الناس سورة براءة فقد نبذ الى المشركين عهدهم
وقال لا يحجن مشرك ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا وانما لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم
تلك السنة لمخالطة الكفار واخر ليكون حجه في السنة التي بعدها بدون المشركين وكان ابو بكر
رضي الله عنه هو الذي يخطب على الناس ويصلي بهم ويدفع بهم في الموقف فلما كان سنة عشر
اذن الله تعالى لنبيه في الحج فحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوقف بعرفة وقال
يا ايها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض فلا شهر ينسأ ولا عدة
تخطأ وان الحج في ذي الحجة الى يوم القيامة • وقال الامام القشيري رحمه الله قوله جل جلاله
منها اربعة حرم لما علم انهم لا يداومون على مداومة القرب افرد بعض الشهور بالتفضيل ليخصوها
باستكثار الطاعات فيها فاما الخواص من عباده فجميع الشهور لهم شهر رمضان وجميع الايام
لهم جمعة وجميع البقاع لهم مكة • وانشدوا في معناه

يارب ان جهادي غير منقطع • فكل ارضك لي ثغر وطرسوس

وقالوا في قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم امر العوام ان لا يظلموا فيها انفسهم وفي جميع الشهور بارتكاب
الزلة وامر الخواص ان لا يظلموا قلوبهم في جميعها باحتقار الغفلة فظلم النفوس بحمل
العبد نفسه على ما يبعد شهواتها ومن ظلم نفسه بارتكاب المحظورات اسلي
بالمغفرة في الطاعات ومن ظلم قلبه بالمساكنات امتحن بعدم الصفوة من سرور الاوقات
وقال في قوله عز وجل وقاتلوا المشركين كافة لا سلاح امضى على العدو من تبريك من حولك وقوله
وقال في قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر الدين ملاحظة الامر ومجانبة الوزر وترك
التقدم بين يدي الله تعالى في جميع احكام الشرع والاخلال في الطاعات مصرفة والتوقيف
في عرفانه منيع والصلاح في الاسرار الا قائمة على حد العبودية وترك الاعتراض والمعارضة على
الربوبية • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم هو حرف استفهام بمعنى التوبيخ اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اي اخرجوا الى الغزو وقد تقدم تفسيرنا من حدث حرب وسبيل الله طريقه طلب رضى الله وسمي
به لانه يفضي بسالكه الى الجنة • وقوله تعالى اثاقلتم الى الارض اي تثاقلتم وادغمت التاء في الثاء فلم يمكن ان

يبتدي بها وهي ساكنة فزيد قبلها الالف ليكون المبتدا بالمتحرك ومثله اداركوا وهذه معاتبة المومنين
حيث قيل لهم قاتلوا المشركين كافة فتثاقلوا فعوتبوا على ذلك وهو جواب لقوله اي ما السبب الذي له
قال لكم الرسول اخرجوا في الجهاد في سبيل الله تثاقلتم عنه الى الاقامة بارضكم لبلوغ الثمار وطلب
الظلال وتعب الخروج لشدة الحر • وقوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي بدلا عن
الاخرة ونعيمها الخالد الذي لا يبيد • وقوله تعالى فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل لان
هذا منقطع وذاك باق وهذا كله تقريع وتعجيب من سوء الاختيار • وقال مجاهد امروا بغزوة تبوك
بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين امروا بالنفير في الصيف حين اخترفت النخل وطابت الثمار
واشتهوا الظلال فشق عليهم الخروج فاعتلوا فقالوا لو اقمنا الثقيل وذو الحاجة وذو الضيعة
والشغل فنزلت الاية • وقال الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بالمدينة مرجعه من الطائف
فامر بالجهاد لغزوة الروم حين طابت ثمار المدينة واينعت فعظمت على الناس غزوة الروم
وقال قتادة لغزوة تبوك قبل الشام وذلك في زمان عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة من
الحر واحبوا الظلال والمقام في ثمارهم • وكان النبي صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا
كنى عنها الا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فامرهم بالجهاد واخبرهم
بالوجه الذي يريد فلما علم الله عز وجل تثاقل المسلمين انزل هذه الاية • قال الامام القشيري
رحمه الله الجنوح الى التكاسل والاسترواح الى التغافل من امارات ضعف الايمان اذ الايمان
من لوازمه لا يرضى من العبد بغير ممارسة الاشق وملابسة الاحق • قال اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره بل بايعناه على الموت ثم قال ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة هل يجمل بالعابد
ان يختار دنياه على عقباه ام هل يحسن بالعارف ان يوثر هواه على رضا مولاه وغيبة يوم من الدهر
من الاحباب بعد شهورا وغيبة لحظة من العارف من البساط تعدل شهورا ودهورا • وانشدوا

الالف لا يصبر عن الفه • اكثر مما نظرف العين
وقد صبرنا عنكم ساعة • ما هكذا نفعل المحبين

وقوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وجيعا لابدانكم وقلوبكم في الدنيا والاخرة • وقوله
تعالى ويستبدل قوما غيركم اي يجيء قوما اخرين في اتيانهم بدلا عنكم يحرصون على امره
ويحرصون على مجاهدة عدوه • وقال ابو روق وهم اهل اليمن • وقال سعيد بن جبير هم اهل فارس
وقيل الملائكة • وقال القشيري رحمه الله ليستبدل قوما غيركم بصرف ما كان عليكم من الاقبال
الى قوم غيركم من الاشكال وليس كل من حضر بيتا يشرب من معينها اسقي رياحين الحفاظ مدامعي
وسرائي في روض التواصل يرتع • وقوله تعالى ولا تضروه شيئا عطف على ما سبق وهو مجزوم
لانه جواب الامر وعلامة جزمه حذف النون في اخره وهو ظاهر انكم لا تضرون الله شيئا ولا تنقصون من ملكه شيئا • وقيل
معناه ولا تضروا رسوله واولياءه شيئا فان الله عز وجل ينصرهم بما شاء بدونهم • وقوله تعالى والله على كل شيء قدير
اي هو على نصر رسوله بغيركم وان تخلفتم رسوله الكفار بغير قتال احد قدير اذ هو القادر على كل شيء • وقال
القشيري رحمه الله العذاب الاليم الاهانة على تأخير الرجوع • وقيل العذاب الاليم ان يرضى العبد عن
الطاعات فلا يتوب ولا يكون معه طالب من التوفيق يرده الى الباب • وقيل العذاب الاليم ان الوعيد بسلبه حلاوة
النجوى اذا اب • وقيل العذاب الاليم الصدود يوم الورود • وقيل العذاب الاليم الوعيد بالفراق فاما نفس
الفراق فهو نفس التلف كما قال • وزعمت ان البين منك غدا • هذا لعمرك من يعيش غدا • وقوله
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله الكلمتان كامر اي ان لم تنصروا محمدا في هذه الحالة فما هو ممن يضيع فقد نصره
الله اضعف ما كان فلن يخذله الان • وقوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا اي حين مكر قريش فاضطر الى ان
خرج مستخفيا الى المدينة ليلا مهاجرا خائفا مشفقا من لحوق الطلب لا انيس معه ولا اليف الا رجل واحد
وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال ايضا اذ اخرجه الذين كفروا • وقال في اية اخرى وهموا باخراج
الرسول • وقال في اية اخرى كما اخرجك ربك والتوفيق انهم هموا باخراجه بانفسهم فاضطر الى الخروج بسبب
همهم فاذن الله له في الخروج وقدر ذلك عليه • وقوله تعالى ثاني اثنين نصب على الحال وهو حال من النبي صلى
الله عليه وسلم واثنين خفض بالاضافة وهو محمد المصطفى وابو بكر الصديق رضي الله عنه اي هو احد اثنين لم
يكن معهما ثالث • وقوله تعالى اذ هما في الغار وهو النقب العظيم في الجبل وهو جبل بمكة يقال له ثور قاله
قتادة وهو ماخوذ من غار يغور اي دخل في عميق • وقوله تعالى اذ يقول لصاحبه اي النبي صلى الله عليه وسلم
ابي بكر لا تحزن ان الله معنا اي لا تهتم ان الله معنا اي ناصرنا فانزل الله سكينته عليه قال الزجاج اي على

يدعوكم اذا

النبي صلى الله عليه وسلم كما قال في هذه السورة فانزل الله سكينته على رسوله • وقيل على ابي بكر لانه هو الخائف المحتاج
الى الامن فاما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان ساكنا بما وعد له من النصرة • وقوله تعالى وايده بجنود لم تروها
اي وقوى محمدا وهو عطف على قوله فقد نصره الله والجنود الملائكة ايدهم بهم في حرب بدر وحنين وقوله تعالى وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى قال الحسن هي الشرك وكلمة الله هي العليا وهي لا اله الا الله علت هذه الكلمات
الى قيام الساعة وكلمة الله رفع بالابتدا وهي غير معطوفة على الاولى لانه لم يجعل الجعل واقعا عليها بل استانف الكلام
وقال ابن كيسان وجعل كلمة الذين كفروا السفلى هي ما قدروا بينهم من الكيد به ليقتلوه فلم ينالوا املهم
وكلمة الله هي العليا وعد الله انه ناصره • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل وجعل اهل كلمة الذين كفروا هم
الاسفلين كما قال تعالى من الاسفلين • واهل دين الله هم الاعلين • قال تعالى وانتم الاعلون • وقوله تعالى والله
عزيز ذو انتقام اي في انتقامه حكيم في تدبيره واحكامه وقصته ان قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة يمكرون
بالنبي صلى الله عليه وسلم وتشاوروا في امره على ما مر تفسيره في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على فراشه ليلا وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه يتوجهان الى المدينة قالت
عائشة رضي الله عنها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاذن علينا وذلك في نحر الظهيرة متقنعا
في ساعة لم يكن ياتينا فيها • وقال حين دخل لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر رضي الله عنه انما هم اهلك
فقال انه قد اذن لي في الخروج للهجرة فقال ابو بكر رضي الله عنه فالصحبة يا رسول الله بابي انت وامي فقال
نعم قال فخذ احدى راحلتي هاتين فقال عليه السلام بالثمن وكان اشتراهما بثمانمائة فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم القصوى وكان يعلفها وكان يغزو عليها المغازي ويحج عليها حتى مات في خلافة ابي بكر
رضي الله عنه قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز لحم وخبز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء
بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فاوكت به الجراب فلذلك كانت تسمى ذات النطاق وقيل كانت تنطق بنطاقين
فخلعت احدهما فجعلته علاقة السفرة والاخر عصاما لفم القربة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ورابية
ونفر من قريش يرصدونه على الباب فاخذ حفنة من البطحا فجعل يذرها على رؤوسهم وهو يتلو يس والقران
الحكيم الايات ومر فلم يعلموا به وانتهى الى بيت ابي بكر الصديق رضي الله عنه فخرجا معا وكان ابو بكر
استاجر عبد الله بن اريقط فدفع اليه الراحلتين وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال واتاهما بهما حين
فارقا عليهما الى المدينة قال ابو بكر رضي الله عنه فاحيينا يومنا وليلتنا حتى قام قايم الظهيرة
فرميت ببصري هل ارى من ظل فناوي اليه فرايت صخرة فنزلنا فنظرت بقية ظلها فسويته واخذت
فروة كانت معي ففرشتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت اضطجع يا رسول الله حتى انفض ما حولك
فاذا غلام راعي قد اقبل في غنم له يريد من هذه الصخرة الظل فقلت لمن انت يا غلام قال لرجل من قريش وسماه
فعرفته فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم فقلت هل انت حالب لي قال نعم فاعطيته فحلب وقد رويت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اداوة منها فصببت على اللبن حتى وجدت برد الماء من تحت الاناء فاتيت
بها النبي صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ فقلت اشرب يا رسول الله فشرب منه ثم قلت قد ان
الرحيل يا رسول الله فارتحلنا والقوم يطلبوننا فادركنا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذا
الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا فلما دنا فكان بيننا رمحين او ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا
وبكيت قال ما يبكيك قلت انا والله ما على نفسي ابكي ولكن انما ابكي عليك يا رسول الله فدعا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه في الارض الى بطنها فوثب عنها
ثم قال يا محمد قد علمت ان هذا عملك ادع الله ان ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب
وهذه كنانتي فخذ سهما منها فانك ستمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في ابلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق راجعا الى
اصحابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا معه وكانت قريش جعلت لمن اخذ محمدا وابا بكر ديتهما
وسمع سراقة رجلا يقول رايت في الطريق سوادا اظنه محمدا فخرج مختفيا على ان يأخذهما فكان ما كان
وقال ابو بكر لعائشة رضي الله عنها لو رايتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ صعدنا الغار
فاما قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفطرتا دما واما قدماي فعادتا كانهما صفوان فقالت
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعود الحفية ولو رايتنا ونحن نصعد في الغار مرة
هو امامي ومرة انا امامه حتى سبقته الى الغار فدخلته فطلبت فيه جحرا فما وجدته فالتقمته عقبي
مخافة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فقال ابو بكر ان كانت لدغة لدغتني احب الي من ان تلدغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال ابو بكر حين انتهينا الى باب الغار
فقلت يا رسول الله الغار موضع المكاره فدعني ادخل قبلك فان كان فيه شيء مكروه كان لي دونك فدخل

من جحرة وكان عليه برد سابري ثمين فخرقه وحشا تلك الجحرة وبقي جحران فسدهما بعقبيه وقال ادخل يا رسول الله
فدخل وجاءت العنكبوت فنسجت على بابه بعشائش بعضها على بعض وارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باتا في اسفل
النقب وانبت الله على باب المغارة يمامة ومكثا فيه لثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام لقن ثقف
يدلج منهما عند السحر فيصبح مع قريش بمكة فلا يسمع امرا يكيدون به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط
الظلام وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه ياتي بمنحة بالليل بعدما يمشي فيبيتان في منحته فاذا انحر
ذبح وخرج الطلب من مكة وقفوا اثارهما الى باب الغار فقال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه
لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال واحد يدخل الغار فقال امية بن خلف ما اربكم الى الغار
ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد ثم جا فبال في صدغ الغار حتى سال البول بين يديه النبي صلى الله عليه وسلم
وان ابي بكر فنهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله تعالى • وفي رواية
قالوا حين راوا العنكبوت وبيض الحمام ولو دخله لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرفوا • وقال
الامام القشيري رحمه الله ان الله جعل رسوله امانا لاهل الارض بقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم ثم جعل في امان العنكبوت حين نسج على باب الغار ليعلم انه من عند الله دون الاغيار وقالوا ان للبقاع
دولا متى خطر ببال احد ان يصير ذلك الغار مثوى سيد الاولين والاخرين ولكن الله عز وعلا يختص
بنعمته من يشاء وفيه بيان فضل الصديق رضي الله عنه حيث جعله الله لرسوله صاحبه وعده ثانيه
ثم هو في القبر ضجيعه وفي الجنة رفيقه • وقال رجل من الشيعة ما ظنك في خمسة سادسهم جبريل • وقال
ابو يوسف ما ظنك باثنين الله ثالثهما • وقالت الروافض في قوله لا تحزن ان الله معنا لا يخلو اما ان
يكون حزن ابي بكر طاعة او معصية فان كان معصية فنهيه نقصانه لا فضله وان كان طاعة فلم نهاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلنا لم يكن حزنه سوء الظن بربه تعالى ولكن استبطاء النصر وشفقته على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحبه ولكن ذلك شيء يغلب على طبعه ولا نقص فيه مثله ثم نعارضهم بخوف
موسى وهرون عليهما السلام وقال الله تعالى لهما لا تخافا انني معكما الى اخر السؤال الاخير القدح بالقدح
على انهما قالا اننا نخاف وليس في القران ان ابا بكر رضي الله عنه قال اني احزن وقد قال ابو بكر رضي الله عنه

في شعره

قال النبي ولم اجزع يوقرني • ونحن في سدفة من ظلمة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا • وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره • كيد الشياطين قد كادت بكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا • وجاعل المنتهى منهم الى النار

وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا تحزن ليس بنهي عن الحزن بل هو تخفيف الامر عليه وتيسير الحال
التي هو عليها وهو كقوله تعالى ولا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله عنه فقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحزن عليهم ولم يكن حزنه معصية بل
كان شفقة فهذا مثله وقال القشيري رحمه الله كان حزنه لا لنفسه بل لله عز وجل لانه قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وحزن لا يذهب لا بمعية الحق ما يكون الا بحق الحق • وقوله
تعالى انفروا خفافا وثقالا اي انفروا على الحال والخفاف جمع خفيف والثقال جمع ثقيل • وقال
الحسن ومجاهد والضحاك شبانا وشيوخا • وقال ابو صالح اي اغنياء وفقراء • وقال الحكم فارغين
ومشاغيل • وقال ابن عباس ومجاهد نشاطا وغير نشاط بكسر النون جمع نشيط • وقال ابو عمرو ركبانا
ومشاة • وقال ابن زيد ذا صنعة وغير ذي صنعة وحمله على حال ضعف فيه التفتيش • وقال مرة الهمداني
اصحاء ومرضى • وقال ان ناسا كان بعضهم عليلا وبعضهم كبيرا فقالوا ان اثم علينا فنزلت الاية • وقال
حيان بن رباب عزابا ومتاهلين • قال وشهد ابو ايوب الانصاري بدرا ثم لم يتخلف الا عاما واحدا
تعلل فيه ثم تكلف وخرج وقال قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا
وخرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك صاحب ضرر فقال لا استنفر
الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع • وقوله تعالى وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم اي من تركه • وقيل ليس هذا للتفضيل بل لاثبات اصل
الخير اي ذلكم صلاح وخير لكم وتركه فساد وشر لكم • وقوله تعالى ان كنتم تعلمون الخير والشر • وقيل اي
ان كنتم تعلمون صدق الوعد على فعله وصدق الوعيد على تركه • وقيل اي اذ كنتم تعلمون بما تعلمون • وقال
الامام القشيري رحمه الله انفروا خفافا اي في حال حضور قلبكم لئلا يمسكم نصب المجاهدات وثقالا
اذا ارود تم اليكم في مقاساة تعب المكابدات فانا السعداء منكم في المنشط والمكره خفافا فاذا كنتم محمولين

في حال الجمع وثقالا اذا كنتم متثاقلين في اوان النفر تذخفنا فاذا اخرجتم من رق المطالبات وثقالا اذا كان عليكم ثقل الحاجات • وقوله تعالى لو كان عرضا قريبا اي لو كان المدعو اليه عرضا اي شيا من متاع الدنيا قليلا لانه ما وقيل اي غنيمة قريب متناولها كما قال في غنايم بدر تريدون عرض الدنيا • وقوله تعالى وسفرا قاصدا اي سهلا وسطا من الاسفار لاتبعوك اي هولا المنافقون المتاولون بتلك التبوك الي حيث قصدت ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة • وقيل هي قطعة من الارض يشق سلوكها على صاحبها لبعدها فلما لم يكن خروجهم لرضي الله تعالى بل لاجل نفع الدنيا تثاقلوا • وقوله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا زاد وراحلة لخرجنا على موافقتكم وهي استطاعة سلامة الالات وتهيي الاسباب فانها تتقدم الفعل فاما الاستطاعة التي يقع الفعل بها فانها مع الفعل عندنا ولا متعلق للقدرية فيها لما قلنا ان المراد بها استطاعة الاسباب • وقوله تعالى يهلكون انفسهم اي يوردونها نار جهنم بكذبهم والله يعلم انهم لكاذبون لا استطاعة لهم وهو ما ذكرنا من سلامة الالات وتهيي الاسباب اي فلا يقبل لهم عذرا وانهم لم يمتنعوا لوقوع العلم عليها لمكان اللام بعدها • وقال مجاهد انهم لكاذبون فيما يقولون لو استطعنا لخرجنا معكم ليس في قلوبهم ذلك وقال قتادة هم جماعة من المنافقين منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ودلت الاية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة لانه اخبر انهم سيحلفون كذا وكان كما اخبر وذلك لا يعلمه الا العالم بالعباد عالم الغيب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا اي لو كان نفعا حاضرا او غايبا من منافع الدنيا لاتبعوك فان صفتهم كانت اتباع المنافع • وقال الله تعالى في صفتهم ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية • وقال في قوله تعالى يهلكون انفسهم قيل يظهرون نفاقهم بترك الخروج بقوله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • وقال القشيري رحمه الله كان ذلك تقليدا ناشيا من اهل النفاق وكذا من كان غير متحقق في قصده غير مبالغ في جهده • وانشدوا •

وكذا الملوك اذا ارادوا • قطعة ملوا الوصالا •

قال كان وكان ومن صدق الطلب لم يعرج في اوطان الفشل يصل السير بالسرى ولم يبال من مقاساة العنا • شعر

ثم قطعت الليل في مهمه • لا اسدا اخشاه لا ذيبا •
يغلبني شوقي فاطوي الهوى • ولم يزل ذو الشوق مغلوبا •

وقوله تعالى عفا الله عنك قال الحسين بن الفضل هذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتتح الخطاب بالعفو لما كان يقوم بقوله لم اذنت لهم فطيب الله نفسه بتصديق العفو • وقال ابن الفضل ذكر الله في هذه الاية والايات التي بعدها احوال من تخلف عن غزوة تبوك وخلف غيره وسلامتهم باوصافهم وبدا بذكر شي عرفهم المسلمون وذكر ايمانهم وحججهم ومعاذيرهم الباطلة والمراد من ذلك والله اعلم ان يكون اوصاف من بعدهم من اهل النفاق معروفة عند العلماء بحلاوة كتاب الله تعالى يعرف بما يوجد منها في الاخلاق نفاق المنافقين منهم اذ كان فاتهم زمان النبوة وانقطع الوحي فاذا عرفوهم باوصافهم لم يغتروا بظواهرهم ولم يامنوهم على انفسهم ودينهم • وقوله تعالى لم اذنت لهم اي في التخلف عن الغزو حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل حتى يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك اية من ايات النبوة اذ لم تاذن لهم بالتخلف وان لم تاذن لهم يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون عنك ويفارقونك وان لم تاذن لهم والذين صدقوا لا يفارقونك فيتبين لك هولا من هولا ويظهر كذب المنافقين من صدق المؤمنين قال وفيه دليل ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لهم في التخلف ثم انما عوتب مع انه اجتهد وله ذلك لانه ترك الافضل وهو ترك الاذن حتى يتبين له الصادق من الكاذب وعتاب الانبيا يكون على ترك الافضل مع فعل الفاضل • وقوله تعالى لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين اي ان لا يجاهدوا كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لا يستاذنك في التخلف بغير عذر من كان يومن بالله فيطيعه بالامر بالجهاد وباليوم الاخر فيرجوا فيه ثواب الجهاد والله عليم بمن يتقيه ولا يخالف امره بالجهاد ولا يتخلف عنه • وقوله تعالى انما يستاذنك بالتخلف من غير عذر الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر فلا يرون لله طاعة ولا يرجون في القيامة مثوبة وارتابت قلوبهم اي شكت في حقيقة الاسلام • وقوله تعالى فهم في ريبهم يترددون اي يتقلبون قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الله تعالى في هذا في المنافقين الذين يستاذنون بغير عذر فاما المؤمنون الذين لهم عذر فقد قال الله تعالى فيهم واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه الاية • وقال مقاتل كان المستاذنون من المنافقين تسعة وثلاثين رجلا • وقال محمد بن اسحاق اذن لقوم كانوا من ذوي الشرف فيهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس لعلمه انهم ان خرجوا

اسد واقلبه الحيل • وقال الامام القشيري رحمه الله خشيات الاعدا مردودة • وسيات الاحباب مغفورة وانشدوا •

من ذا الذي ما ساء قط • ومن له الحسنى فقط •

وقوله تعالى ولو ارادوا الخروج اي معكم للغزو لاعدوا له اي لهيئوا للخروج عدة اي اهبة • قال عبد الله بن شداد عدة نكرة اليتين من الالات والعزم قبل وقت الخروج كاعداد المسلمين ذلك • قال القشيري رحمه الله تعالى لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة ولكن سقمت ارادتهم فحملت دون الخروج بلادتهم • ولذلك قيل • شعر

لو صح منك الهوى • ارشدت في الحيل •

وقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم وهو الانطلاق بسرعة يقال بعثته فانبعث • وقال الامام ابو منصور رحمه الله والذي لم يرض به هو ما ذكره بعده فلو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الاية • وقوله تعالى فثبطهم اي ثقلهم عن الخروج وحبسهم وقد تثبط من حد علم اي تثقل وثبطه غيره تثبيطا وفيه دلالة خلق الله تعالى افعال البشر • وقوله تعالى وقيل اقعدوا مع القاعدين اي ان تحبوا المتخلفين من الزمنى والصبيان والمجانين وهذا الامر يحتمل ان يكون من النبي عليه السلام حيث استاذنوه فاذن لهم ظنا ان لهم عذرا وهو ما قال في هذه السورة • وقوله تعالى فان رجعك الله الى طايفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين اي هو من الله تعالى لهم من التهديد والتوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم او الشيطان وسوس لهم وزين في قلوبهم ذلك ودعاهم اليه او قال بعضهم ذلك لبعض او معناه اقعدوا ناصح وهو اخبار بلفظ الامر كما في قوله تعالى وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض • وقال القشيري رحمه الله ان الله سبحانه بامر التكليف دعاهم ثم بامر التكوين ثبطهم واقصاهم • وقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وليس معناه انهم كانوا في فساد والمنافقون زادوا في فسادهم لكن معناه لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة ولكن اوقعوا فسادا بالتجبين والتهويل من الكفار وترديد الراي وتزيين الامر لفريق وتقبيحه لفريق ليختلفوا فتفترق كلمتهم لا ينتظم امرهم • وقال مرة الهمداني الا خبالا اي غشا • وقال يمان بن رباب الا مكرا • وقال عبد الرحمن بن زيد الا شماتة • وقال عطا الا ضعفا وجبنا • وقوله تعالى ولا وضعوا خلالكم من لام الفتنة دا وضع تعدية وضع اي اسرع • قال الشاعر •

يا ليتني فيها جذع • احب فيها واضع •

ومفعوله مضمر اي ولاوضعوا الابل خلالكم اي فيما بينكم كما قال تعالى وجعل خلالها انهارا اي لحشوا الابل مسرعين فيما بينكم في النميمة والافساد وانا البين والتخليط • وقوله تعالى يبغونكم الفتنة اي يطلبونكم والفتنة المحنة واصله اخراج خبث الذهب بالنار • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الفتنة الشرك ويحتمل القتل والاختلاف والقتل والجبن فيهم • وقال في قوله تعالى ولاوضعوا خلالكم يحتمل ولادخلوا وخالطوا بينكم حتى لا يصيبهم الاذى كانوا يتسترون بالمسلمين لئلا يصيبهم الاذى والشدة • وقوله تعالى وفيكم سماعون لهم قال قتادة اي وفي عسكركم من يسمع قولهم اعتبارا بظاهر احوالهم في النصح للمسلمين فينصرف عن القتال فيقتدي به غيره فيرجع • وقال مجاهد وجماعة وفيكم جواسيس للمنافقين ينقلون اليهم منكم ما يسمعون فيكم • وقال قتادة وفيكم من المؤمنين اهل محبة لهم يطيعونهم ويقبلون قولهم لشرفهم فيهم • وقوله تعالى والله عليم بالظالمين اي المنافقين فيكشف لكم عن مكنون سرايرهم لتحذروهم • وقيل اي عليم بمن يوجه افعاله عن وجوهها ويضعها غير مواضعها • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي لا عن جهل امهلهم على ما هم عليه لكنه اخرهم كما قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الاية • وقال القشيري رحمه الله اخبر الله تعالى في هذه الاية عن سابق علمه فيهم وذكر ما علم انه لا يكون انه لو كان كيف كان يكون • وقال لو ساعدوكم في الخروج لكان يلحقكم من وساوسهم في التخريب بينكم والنميمة فيكم والسعي فيما يسوءكم اكثر مما ينالكم بتخلفهم من نقصان عددكم ومن ضره اكثر من نفعه فعدمه خير من وجوده ومن لا يظهر من حضوره غير شروره فتخلفه خير من حضوره • وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل في الوقايع منها في حرب الخندق بقولهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وفي حرب احد بانصراف ابن ابي باصحابه وهم ثلاث ماية وبقي النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه وهم سبع ماية وقد مرت القصة وليلة العقبة ما بقي شي بين قوايم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل حتى تنفر وتلقي النبي صلى الله عليه وسلم وقوف اثني عشر منافقا ليلا ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فاخبره الله تعالى بذلك وبتجبين المومنين في الغزوات • وقوله تعالى وقلبوا لك الامور اي صرفوا فيك الاراء والحيل • وقيل نصبوا لك الغوايل وتذكروا ابدا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك • وقوله تعالى حتى جاء الحق اي الاسلام وظهر امر

الله اي كثر المؤمنون • وقيل اي نصر الله وهم كارهون اي المنافقون كارهون ظهور الدين ونصر المسلمين •
وقيل قولهم من قبل اي من قبل ان يقوى امرك ويكثر انصارك لم يبق لهم فيك شيء فكيف اليوم وقد ظهرت
قوتك وكثرت شيعتك • وقال محمد بن اسحاق لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك ضرب عسكره على
ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره في اسفل منه على جبل بالجبانة اسفل من ثنية الوداع فلما سار رسول
الله صلى الله عليه وسلم تخلف ابن ابي وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت واخوه زيد واوس بن قيظي وجماعة
من عظمائهم فنزلت هذه الاية • وقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني اي ومن المنافقين من يقول
ائذن لي في التخلف ولا تفتني اي ولا توقعني في الفتنة اي الكفر الا في الفتنة سقطوا اي وقعوا في
الكفر وقيل هذا قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين مشتملة عليهم لا يخرجون منها • وقيل اي جامعة
للمنافقين وسائر الكافرين كما قال الله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا • وقال محمد بن
اسحاق قال النبي صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس المنافق هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم فقال
يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني فوالله قد عرف قومي ما رجل اشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رأيت نساء
بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك ونزلت
الاية وقيل اراد بالفتنة الردة اذا دعوه الى النصرانية • وقيل اراد به انا اخشى ان يوقعهن قبل الفتنة
فوقعنا في الفتنة اي الاثم • وقيل اراد به انا نشتغل بهن ونفتتن بهن فيشغلنا ذلك عن طلب المعاش
وعن الخروج للجهاد واي ذلك اراد لم يعذر وبين انه قد وقع في الفتنة لمخالفة النبي صلى الله عليه
وسلم • قال ابو العالية كان الاصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فولدت له بنات لهن لم ير مثلهن
في الحسن • وقال الامام القشيري رحمه الله ابرز القوم قبح افعالهم في معرض التخريج وراموا
التلبيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين سوء نياتهم وخبث سريرتهم فبين الله تعالى
ان الذي فروا منه بزعمهم سقطوا فيه بفعلهم • وقوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم اي ان
تنالك غنيمة ونصر وعافية كما كانت يوم بدر يحزنهم ذلك اي هؤلاء المنافقين • وقوله تعالى
وان تصبك مصيبة اي نكبة وهزيمة • وقيل كما كانت يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي
تداركنا اخذنا احتطنا لانفسنا بالتخلف عنهم واخذنا امرنا بالوثيقة ويتولوا وهم فرحون بما
اصاب المسلمين • وقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال الكلبي اي يا محمد قل للمنافقين
لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي في اللوح المحفوظ • وقال الضحاك قضاه الله تعالى وقدره علينا
وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي الا ما جاء به القرآن ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم الاية • وقوله تعالى هو مولانا اي مالكنا ونحن عبيده • وقال الكلبي هو ناصرنا على
عدونا • وفي رواية عنه هو اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة • وقيل هو ولينا • وقيل هو متولي
امورنا وكفايتنا • وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليثق به الموحدون • وقال
الامام القشيري رحمه الله اذا علم العبد ان ما اصابه فبارادة مولاه ينقطع عن قلبه ما يهواه
واشتغل بروح رضاه وعذب عنده ما يصيب من بلواه • وانشدوا في معناه

ان كان يرضيكم ما قال حاسدنا • فما لجرح اذا ارضاكم الم •

وقال شهود جريان التقدير يخفف على العبد كل عسير • وقال اول التوكل الثقة بوعده ثم الرضا
باختياره ثم نسيان امورك بما يغلب على قلبك من ذكره • وقال نهاية التوكل سكون القلب عند
حلول الامر ونهايته التفويض وهما يستوي الحلو والمر والنعمة والضر • وقوله تعالى قل هل
تربصون بنا الا احدى الحسنيين هل استفهام بمعنى النفي والتربص الانتظار والحسنيين
تثنية الحسنى والحسنى تانيث الاحسن والاحسن تفضيل الحسن واريد به نعت للحالتين
او الخصلتين ومعناه قل يا محمد ما تنتظرون يا معشر المنافقين بنا الا واحدة من خصلتين وكل
واحدة منهما نهاية في الحسن غاية فيما يحمد العاقبة وهي الغنيمة والشهادة فليس بما يجري علينا
من جهتكم موضع شماتة • قال الكلبي احدى الحسنيين النصرة او الشهادة • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما اي اما نقتل ففيه الحياة والرزق واما ان نغلب فيؤتينا الله اجرا عظيما قال الله تعالى
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما • وقال الحسن هي الغنيمة في
الدنيا والجنة في الاخرة • وقال ابن كيسان شهادتنا او استيلاؤكم • وقال الامام ابو القاسم بن
حبيب سألني بعضهم كيف قال احدى الحسنيين والمؤمن ينتظر كلتا الحسنيين الفتح في الدنيا
والثواب في الاخرة بوعد الله تعالى هل ادلكم على تجارة الى قوله وفتح قريب فقلت هذا خطاب
المنافقين وكانوا يتربصون بالمؤمنين احد الامرين اما ان ينصروا واما ان يقتلوا فاخبرهم ان

غلبوا

غلبوا كانت لهم حسنى وان غلبوا فكذلك واما المؤمن فانه ينتظر في الجهاد كلتا الحسنيين • وقوله تعالى ونحن
نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا قال ابن جريج من عنده الموت او بايدينا القتل • وقال
الكلبي بعذاب من عنده مما اصاب الامم الخالية وبما شاء الله من العذاب والنقمة او بايدينا بالسيف
وقال ابن كيسان بعذاب من عنده فيعاقبكم في الدنيا في انفسكم وفي الاخرة بالنار او بايدينا ان اظهرتم
ما في قلوبكم • وقوله تعالى فتربصوا قال الكلبي اي انتظروا هلاكنا فانا ننتظر هلاككم • وقال الحسن
تربصوا مواعيد الشيطان فانه كان يمنيهم موت النبي صلى الله عليه وسلم فالامر يقول شاعر نتربص
به ريب المنون فانا معكم متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه • وقال الامام
القشيري رحمه الله ان ظفرنا بكم فنصر وغنيمة واعزاز للدين ورفعة وان قتلنا فشهادة ورحمة ووصول
من الله وزلفة وان اصابتنا هزيمة ونكبة فذلك سبب لنيل الاجر والمثوبة فاذا لا يستقبلنا
الا ما هو حسنى واما انتم فان ظفرنا بكم فتعجيل ذلك لكم وان قتلتم فعقوبة من الله وسخطه وان كانت
لكم اليد في الحال فمخذلان من الله وسبب زيادة عذاب ونقمة • وقوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين انفقوا امر صيغة ومعناه الشرط كقول الشاعر

اسيئي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت •

كانه قال ان اساءت او احسنت لم الامر فكذا هنا ان انفقتم طوعا بالاختيار او كرها بالاجبار
لن يتقبل منكم لانكم كنتم في القدم فاسقين منافقين خارجين عن الطاعة والاخلاص وانما
يتقبل الله من المتقين وطوع المنافق لا يكون لرجاء ثواب الله ولطلب رضا الله لكن ما يفعله
بطبعه فهو من طوعه وكرهه ما يطلب منه ويجبر عليه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في جد بن قيس حيث قال ائذن لي ولا تفتني واعينك بمالي فنزلت هذه الاية • وقال القشيري
رحمه الله المردود لا يقبل منه توسل ولا يغير حكم شقاوته تكلف ولا تحمل • وقيل تقرب العدو توجب
زيادة المقت وتحية الحبيب توجب زيادة العطف • قال الله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات • وقوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون
الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون منع يتعدى الى مفعولين يقول منعت زيدا
مرادة ورضاها احد المفعولين هم والثاني ان يقبل لانه في معنى المصدر وتقديره وما منع المنافقين
قبول نفقاتهم لا تقبل صلاتهم لكفرهم وهم لنفاقهم لا ياتونها الا متثاقلين لانهم لا يرجون بادائها
ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا ولا ينفقون شيئا الا على كراهة منهم ثم ذمهم على الكسل مع انهم لا صلاة
لهم ذم على النفاق الذي يبعث على الكسل وفقد الايمان الذي يبعث على النشاط • وقال
الامام القشيري رحمه الله فقدوا الاخلاص في اعمالهم واموالهم • وقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وقال الحسن هي على نظمها ومعناه يعذبهم بها
في الدنيا باخذ الزكوات منهم بغير طيبة نفس منهم والانفاق في سبيل الله كذلك • وقال زيد
اي بالمصائب • وقيل بكونهم مكلفين • وقد عذبوا بما يحترقون به من النفاق ويرونه من علو المسلمين
عليهم ولا سبيل لهم الى اظهار ما في نفوسهم ومعنى قوله ليعذبهم اي ان يعذبهم • وقيل فيه اضمار
انما يريد الله ان يملي لهم ليزدادوا اثما وان حملت الاية على المشركين فتعذيبهم في الدنيا قد يكون بالسبي
والاستغنام • وقوله تعالى وتزهق انفسهم اي تخرج ارواحهم وهم كافرون اي على حال الكفر وقيل
تزهق تذهب • قال تعالى وزهق الباطل • وقيل تهلك وزهق الباطل هلك • ودلت الاية على ابطال
القول بالاصلح لانه اخبر ان اعطاء المال والاولاد اياهم للتعذيب والاماتة على الكفر ودل قوله
تعالى يريد الله على ارادة الله افعال العباد كلها خيرها وشرها لان ارادة العذاب ارادة ما يعذب
عليه • وقوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم وطريقتكم وما هم منكم اي على دينكم
الاسلام ولكنهم قوم يفرقون اي يخافونكم على انفسهم ان يصرحوا لكم بما في قلوبهم فلذلك يحلفون
انهم لمنكم • قال الله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة • وقال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو • وقوله
تعالى لو يجدون ملجأ قال ابن عباس رضي الله عنهما اي حرزا • وقال قتادة اي حصنا • وقال
عطاء مهربا او مغارات جمع مغارة قال ابن عباس رضي الله عنهما اي غيرانا جمع غار وهو
الثقب الواسع في الجبل • وقيل المغارة المدخل الساتر • وقيل المغارات الاماكن التي يتوارى فيها
او مدخلا مفتعل من دخل وهو موضع الدخول • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي سربا • وقال
الضحاك ماوى • وقوله تعالى لولوا اليه وهم يجمحون اي يسرعون لا يردهم شيء من الفرس الجموح الذي
لا يرده اللجام يقول يحلفون لكم انهم لمنكم كاذبين حذرا من القتل لئلا يعذر خروجهم من بلادكم ولو

استطاعوا ان يدخلوه ودونهم وامولهم والملجا الحصن وقيل المغارات ابعض الحصون او المغيرات اي المواضع التي تستترهم عن رويتكم لتغلوه اشتقاقا للكم تذكرها للقايم وقال ابن كيسان لو يجدون ملجا يامنون فيه او مغارات خيرا يستترون فيها او مدخلا في اهل حربكم لانيا لهم منكم ما يخافون من القتل والاسر لاسرعوا الى واحد من الثلاثة وهم يجمحون يركضون رؤسهم لا يلوون على شي قال الامام القشيري رحمه الله ان المنافق في الحلة يتشبث عروة الكفر باضعف حبلة ان وجدوا زيبا اوزيا ليدوان امل نيل ما يتعلق به اتبعه واتكل عليه وقوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات قرا الحسن والاعرج يلمزك بضم الميم والقرا بكسرها وهما لغتان وقال الحسن اي يعيبك وقال الليث اللمز العيب مسارة والهمز العيب مجاهرة وقال الزجاج قال تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال قتادة يلمزك اي يطعن عليك وقال عطا اي يغتابك ومن المنافقين من يعيبك في اعطا الصدقات اهلها فيقول ان محمدا يفرق الصدقات على شهوته فيعطي مرة ويحرم اخرى ويعطي واحدا ويحرم اخر ويعطي الاغنيا المولفة قلوبهم ويمنع الفقرا فيلمزك لجهله بمواضع الحكام وقوله تعالى فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اي ان اعطاهم النبي عليه السلام ما ارادوا رضوا وذكروه بالجميل واثنوا عليه وان لم يعطهم منها غضبوا وطعنوا عليه قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها الا ذجاءه ابن ذي الخويصرة وهو حرقوص بن زهير التميمي عظيم من عظما المنافقين فقال اعدل يا رسول الله قال ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر رضي الله عنه ايذن لي اضرب عنقه فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته في صلاتهم وصيامه في صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وايتهم رجل اسود ذو ثدية مثل ثدي المراة يخرجون على فترة من الناس قال ابو سعيد رضي الله عنه سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا حين قتلهم جي بالرجل على النعت الذي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان هذا الطاعن كان رجلا مايل العينين كث اللحية مشرف الجبهة فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فانك لم تعدل فقال عليه السلام الا تامنوني وانا امين ربي ثم قال يخرج من ضئضي هذا قوم يقرون القران يقتلون اهل الصلاة فلما خرج قال النبي عليه السلام من يقوم الى هذا فيقتله فقال ابو بكر رضي الله عنه انا يا رسول الله فذهب فوجده قايما في الصلاة فرجع وقال يا رسول الله وجدته في القيام وقال عليه السلام من يقتله فقال عمر رضي الله عنه انا فذهب فوجده في الركوع فقال لم يقتله الصديق في القيام فكيف اقتله في الركوع ثم اعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عثمان رضي الله عنه انا اقتله فذهب فوجده في السجود فقال اذا ابا بكر وعمر لم يقتلاه بالقيام والركوع فكيف اقتله في السجود فرجع فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه انا اقتله فقال عليه السلام تقتله ان وجدته فلم يجده فرجع فقال عليه السلام لو قتلت انك لم تجده لكن هلاكه يكون على يديك وكان كذلك وقتل فيمن خرج بالنهروان ذلك على عهد علي رضي الله عنه وقوله تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي ما اتاهم رسول الله فانه يعطي بامر الله قال عليه السلام الله المعطي وانا القاسم وقال عليه السلام والذي نفسي بيده ما اعطيكم شيا ولا امنعكم انما انا خازن وقوله تعالى وقالوا حسبنا الله اي كافينا ورازقنا من حيث شا فيعطينا كفايتنا وان تاخرت وقوله تعالى سيوتينا الله من فضله فما اتانا وهو تفضل منه سوا كان بكسب العبد او بغير كسبه وقوله تعالى ورسوله اي يوتينا رسوله من فضله بامره وقوله تعالى انا الى الله راغبون اي في توسعة ارزاقنا علينا من حيث نشا وفي اخره مضمرا لكان خيرا لهم وهو ابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه كل مذهب والذكر تقتصر على ما ذكره دون غيره وقال الامام القشيري رحمه الله لو وقفت القوم مع الله بشرط الرضا لاتاهم نفوذ العطا ولو حفظوا مع رسوله الادب لسعدوا بوجدان الارب من غير معاناة تعب ولا مقاساة نصب لكنهم عرجوا في اوطان الطمع فوقعوا في الذل والحرب وقوله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين بين مصارف الصدقات من هذه الاية ورد على من عاب النبي صلى الله عليه وسلم في صرف الصدقات اي حيث كان يصرف واعلم ان الله عز وعلا امره بذلك وان الذين كانوا يطمعون فيها لم يكونوا مستحقيها فانهم كانوا اغنيا وان الله تعالى جعل مصارفها الفقرا انما الصدقات للفقرا وليست اللام دلالة الملك بينهم بالسوية فانهم مجهولون لو ان والمجهولون لا يصلحون للاستحقاق بطريق الملك بل هي لبيان ان الصرف لهم دون غيرهم كما يقال الخلافة لبني العباس وميراث فلان للقرابة اي ليست لغيرهم لا ان يكون بينهم بالسوية ثم الفقر هو شدة الحاجة والمسكنة في معناها لكن يدل على انكسار صاحبها ولذلك فان المسكين عند الناس اشم للرحوم والمغايرة في الاسم تدل على نوع تفاوت واختلف في ان الفقير اضعف حالا ام المسكين قال فقها العراق ابو حنيفة وغيرهم رضوان الله عليهم الفقير الذي لا يسال لان عنده ما يكفيه للحال اما التنغير الذي كانت حلوبة وفق العيال فلم يترك له سبد والمسكين

اضعف حالا منه وهو الذي يسال لانه لا يجد شيا قال الله تعالى او مسكينا ذا متربة اي لصق بالتراب لفرط فقره وهو قول عامة السلف وهو اختيار يونس البصري وابي العباس ثعلب الكوفي وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد ان الفقير المتعفف الذي لا يسال قال الله تعالى للفقرا الذين الى قوله لا يسالون الناس الحافا والمسكين الذي يسال وقد بينا ان المسالة تشير الى المذلة وهي ظاهرة في السايل وقال الشافعي رضي الله عنه الفقير اضعف لان الاسم من كسر الفقار وهو نهاية الاضطرار واما المسكين فهو الذي يسكن قلبه الى شي وهو معه وقد قال الله تعالى واما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وقيل الفقرا اهل الصفة وكانوا لا يخرجون ولا يسالون شيا ولا يملكون شيا والمساكين هم الطوافون السايلون ولذلك قال عليه السلام ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان لكن المسكين الذي لا يسال الناس شيا ولا يفطن لمكانه فيتصدق عليه وهو دليل على انهم يطلقون هذا الاسم على السوال الذي يتصدق عليهم بالكسرة واللقمة وروي عن السلف الفاظ مختلفة في الصنفين قال جابر الفقرا فقرا المهاجرين والمساكين الذين يتصدق عليهم بالكسرة واللقمة لم يهاجروا وقال قتادة الفقير الذي له دون النصاب والمسكين الصحيح المحتاج وقيل الفقير الذي له دون النصاب والمسكين الذي لا شي له وقال عبد الرحمن بن ابزى كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو وسماهم الله تعالى فقرا وجعل لهم سهما في الزكاة وقوله تعالى والعاملين عليها هم عمال الصدقات يصرف اليهم ما يكفيهم واعوانهم كفافا لا اسرافا وقوله تعالى والمولفة قلوبهم هم قوم من روسا العرب اسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتالفهم على الاسلام ويستديمهم عليه ويستدعي به اتباعهم وروى معمر عن يحيى ابن ابي كثير انهم من بني مخزوم الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بني امية ابو سفيان بن حرب ومن بني جمح صفوان بن امية ومن بني عامر بن لوي سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى بن عبد المطلب ومن بني فزارة عيينة بن حصن بن حذيفة ومن بني تميم الاقرع بن حابس ومن بني نصر بن مالك بن عوف ابن مالك ومن بني سليم العباس بن مرداس ومن بني ثقيف العلا بن حارثة ومنهم عدي بن حاتم الطايي والزبرقان بن بدر وزيد الخيل ومخرمة بن نوفل وعمير بن وهب وهشام بن عمرو وقيس بن عدي وابو السنابل ابن بعكك وعلقمة بن علاثة وجرين قيس وعمرو بن مرداس وقال الواقدي قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنايم الطايف وحنين بالجعرانة وكان غنم اربعة الاف اوقية فاعطى المولفة فكو بهم اول الناس وجا ابو سفيان بن حرب وبين يديه الفضة فقال يا رسول الله اصبحت اكثر قريش ما لا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو سفيان اعطني من هذا المال يا رسول الله فقال يا بلال زن لابي سفيان اربعين اوقية واعطوه ماية من الابل فقال ابو سفيان ابني يزيد اعطه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زنوا ليزيد اربعين اوقية واعطوه ماية من الابل فقال ابو سفيان والله انك لكريم فداك ابي وامي والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ثم سالمتك فنعم المسالم انت جزاك الله خيرا واعطى صفوان بن امية ماية من الابل وكان يطوف مع النبي صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنايم اذ مر بشعب فيه ابل وغنم كثيرة من الغنايم فجعل صفوان ينظر اليه متعجبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجبك يا ابا وهب هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا نفس احد قط الا نبي واشهد انك رسول الله عليك السلام واعطى عيينة بن حصن ماية من الابل والاقرع بن حابس ماية من الابل والعباس بن مرداس خمسين من الابل فعاتبه في ابيات

اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذا تدرا • فلم اعط شيا ولم امنع

فقال عليه السلام اقطعوا لسانه فهاب الناس ثم اعلموا انه اراد به قطع كلامه بزيادة العطية فاعطوه تمام ماية من الابل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم كذلك كل سنة فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر رضي الله عنه جاوا يستبدلون منه الخط بذلك فبذل لهم فجاوا الى عمر رضي الله عنه وعرضوا عليه الخط وطلبوا منه التقرير فاخذ ذلك منهم ومزقه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتالفكم على الاسلام فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فان الاسلام اعز من ان يرشى عليه فان ثبتم على الاسلام بغير رشوة والا فبيننا وبينكم السيف فعادوا الى ابي بكر فقالوا انت الخليفة ام عمر فقال هو ان شا فسقط سهم المولفة قلوبهم باجماع الصحابة رضي الله عنهم وقوله تعالى وفي الرقاب اي المكاتبين يعطون من الصدقات فيودونها بدل الكتابة فينالون العتق وقوله تعالى والغارمين اي المديونين الذين ليس لهم بعد قضا الدين ما يقع به الغنى وقوله تعالى وفي سبيل الله اي الغزاة

المحتاجين وان كانوا اغنيا باموالهم خلفوها في بلادهم • وقوله تعالى وابن السبيل اي الغريب من ساكنه البعيد عن ماله • وقوله تعالى فريضة من الله اي ايجابا من الله هو يصرف اليهم ولا يصرف الى غيرهم • وقوله تعالى والله عليم اي بمصالح عباده حكيم اي في احكامه ثم عند الشافعي رضي الله عنه لابد ان يصرف الى الاصناف السبعة فقد سقط سهم المؤلفة قلوبهم من كل صنف ثلاثة تحقيقا لمعنى الجمع وعندنا ان صرف الى صنف واحد او الى شخص واحد جاز لانهم ذكروا لبيان اسباب الحاجة الا ترى انه قال في اية اخرى وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم • وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه خذها من اغنيائهم وردها في فقرائهم فاوجب الصرف الى المحتاجين ثم بين هذا النص اسباب الحاجة فصار ذلك صنفا واحدا في التحقيق وهو مذهب عامة الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وحذيفة وغيرهم وكذا جماعة من التابعين سعيد بن جبير والضحاك وابو العالية وابرهيم النخعي وميمون بن مهران قال ابن عباس رضي الله عنهما اي صنف اعطيته جاز • قال حذيفة ان شئت جعلتها في صنف واحد اجزاك عنك وان شئت جعلتها في صنفين • وقال سعيد بن جبير لو وضعتها في صنف واحد اجزا عنك ولو نظرت الى اهل بيت المسلمين فقرا متعففين فخيرتهم بها كان احب الي • وقال الامام القشيري رحمه الله الفقير الصادق عندهم من لا سما تظله ولا ارض تقله ولا نسمة تتناوله ولا معلوم يشغله ولا علاقة تقطعه فهو عبد الله بالله يتردد الي التمييز في اوان العبودية وفي غير هذا الوقت مصطلم عن شواهده فان عن اختياره • وقيل الفقير بمكوه الغفار فهو عندهم من سقط اختياره وتعطلت عنده دياره واندرست فاستبك من اصطلحه اثاره وكانه لم يبق منه الا اخباره • قال الشاعر اما الرسوم فمخبرات انهم رحلوا قريبا • واما المسكين فهو الذي اسكنه حالته بباب معبوده لا يبرح عن تربه فهو معتكف بقلبه لا يفعل لحظة عن ربه وهي مراتب الحاجة والفقر والمسكنة ذو الحاجة من يرضى بدنياه ويسد الدنيا فقره والفقير الذي يكتفي بعقباه ويجبر الجنة فقره والمسكين الذي لا يرضى بغير مولاه لا الي الدنيا يلتفت ولا بالاخرة يشتغل ولا بغير مولاه يكتفي • وقوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي اي ومن المنافقين قوم يوذون النبي عليه السلام • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لم يبين بماذا يوذونه فيحتمل انهم كانوا يوذونه بتكذيبه وتركهم اجابته وطاعته ويحتمل انهم يوذونه بكلمات يسمعونه وطعن يطعنون به • وقوله تعالى ويقولون هو اذن قال ابو عبيدة هو الذي من قال له شيا سمعه ومن حدثه بشي صدقه والاذن التي هي جارحة السماع كذلك • وكان النبي عليه السلام يستمع الي الكلام كل من حدثه بشي لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه • وقيل اراد به انه يقبل كل عذر صدقا كان او كذبا • وكان النبي عليه السلام كذلك لكرمه وحسن خلقه فظن اولئك انه انما يقبله ويعاملهم به لسلامة قلبه وصغر همته وقصور رايه • وقوله تعالى قل اذن خير لكم وهو اضافة الشي الي صفته كقوله هو رجل خير اي قل يا محمد ان الذي يقبل العذر خير ممن لا يقبله فكيف يوذونه ويعيبونه • وقيل انه يسمع الخير ولا يسمع الشر • وقوله تعالى يومن بالله اي يصدقه ويومن للمومنين اي ويصدق المومنين بما شهدوا به عنده فلا يقبل الا ما ثبت صدقه باخبار الله عز وجل عنهم فيما قالوا وليس عندهم احد من المسلمين او بشهادة المومنين اذا قالوا ذلك بحضرتهم ولفظة الايمان تعديه بالباء واللام • قال تعالى وما انت بمومن لنا • فامن له لوط • وقيل كانوا يذكرون اشيا لو بلغه ذلك اذاه فاذا قيل لهم لا تفعلوا فانه يبلغه الخبر قالوا ناتيه فنعتذر اليه فيصدقنا لانه اذن فقال الله تعالى قل هو اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين فاذا اخبره الله تعالى بكذبكم او شهد المومنون بقولكم لم يصدقكم • وقوله تعالى ورحمة للذين امنوا منكم اي وانا رحمة لمن امن منكم مع انكم اذا اذيتموني يلزمكم العذاب فاذا امنتم بي فلكم الرحمة والثواب • وقوله تعالى والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم في الدارين • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حرام بن خالد والجلاس بن سويد واياس بن قيس ومخشي بن خويلد وسماك بن زيد وعبيد بن هلال ورفاعة بن عبد المنذر كانوا يقولون في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي فقالوا لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس انه اذن نقول ما شينا ثم نحلف له فيصدقنا فنزلت الاية وذكر مقاتل في جملتهم شاس بن قيس والمخشي بن حمير وعبيد بن مالك ورفاعة بن زيد ثم يقول الجلاس ذلك • وقال ابو حاتم سهل بن محمد هو نبتل بن الحارث وكان رجلا ادلم ثائر الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الي المنافقين فقالوا لم لا تفعل فقال انما هو اذن من حدثه بشي صدقه فنقول له هذا ثم ناتيه فنعتذر اليه • وقال الحسن قال المنافقون ما هذا الرجل الا اذن يقبل ما يسمع ليست له عزيمة فنزلت الاية قالوا ما به الجهال انما هو اية كرمه ونباهة حسن شيمه • قال عليه السلام المومن غر كريم والمنافق خب لئيم • وقيل العاقل هو الفطن المتغافل

وانشد

شذوا في مناقه • تلذ الكريم انية بجد نية • فرانية فيها نزوم ليسارع
ناشم بالنام مخادع جاهلا • اذا الكريم بفضله متقادع

وقوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم اي يعتذرون ويحلفون هؤلاء ويحلفون عليه كاذبين ليرضوا اصحابكم ان كانوا مخلصين فاذا فعلوا ذلك ارضوا الله ورسوله فيرضى الموسوم به لان الله تعالى اذا رضي عن العبد ارضى عنه الناس ثم قال ان يرضوه على التوحيد مع سبق ذكر الله ورسوله لانه اذا ارادوا ان يرضوا الرسول فارضوه ارضوا الله وقالوا اذا دخلوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم لان حكم الله لم يذكر بعده كما ان ذكر الله ورسوله كناية ترجع اليهما لانه تسوية بينهما ورا للتعظيم في حق الله عز وجل ولهذا قال النبي عليه السلام ثمن تكلم عنده • وقال من اطاع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت لكونه منه ذكرهما كناية واحدة راجعة الى اسم الله والى اسم رسوله • وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين منهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت ورجال اخرون وعندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس وفي رواية غير السدي هو زيد بن ارقم فحقروه وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب وكان والاحدوس المنافقين منهم من ياتي بعد ما سمع كلامهم ودفنه ان قد قدمت لخلوت مائة جلدة وانه لا يبلو فيما بيني فنزلت ومنهم الذين يوذون النبي ونزلت يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية • وقوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم استفهام بمعنى التوبيخ اي الم يعلم هؤلاء المنافقون ان من يعاد الله ورسوله قال ابن عباس رضي الله عنهما يخالف الله والمحادة بين اثنين ان يصير كل واحد منهما في حد غير الحد الذي عليه الاخر معاداة ومخالفة ومعانعة فان له نار جهنم وتكرار ان للمبالغة في التاكيد خالدا فيها دايما فيها بكفره ومن صار كذلك فقد عظم خزيه اي افتضح ابلغ الافتضاح وبلغ غاية الهوان والخزي الهوان بما يستحيى من مثله • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك وقد سمينا هم فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون فيحلفون فنزلت هذه الاية وغيرها • وقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحذر المنافقون خبر عن حذرهم عند الكثر المفسرين • وقال الزجاج هو بمعنى الامر • قال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ذلك اي ليحذر المنافقين ان تنزل عليهم اي على النبي عليه السلام فيخبرهم به فالمنزل على الرسول منزل على الامة بمعنى انه خطاب لهم بما فيه • وقوله تعالى تنبئهم بما في قلوبهم اي تخبرهم بذلك ولم يكن ذلك لاعلامهم فقد علموا به لكن للاخبار منه انه لا يخفى على الله ولا يخفيه من رسوله وليهتك استارهم للمومنين ليعلموا به وعلى القول الذي قالوا انه خبر عنهم فلكثرة ما كان يطلع الله رسوله عليه كانوا يحذرون ذلك والخبث اعتقادهم وشدة كفرهم كانوا يوذونه ويستهزون به • وذلك قوله تعالى قل استهزوا وصيغته امر وهو للتهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم • ودليله قوله ان الله مخرج ما تحذرون اي مظهر وقد اظهر احوالهم في هذه السورة ولذلك سميت فاضحة مبعثرة • وقال الحسن كانوا يسمونها حافرة لانها حفرت ما في قلوبهم فاظهرتها • وقال قتادة كانوا يسمونها المثيرة • وقال الكلبي ومقاتل نزلت في الجلاس بن سويد واصحابه • وقال عطا يسمونه رجلا ان الله تعالى اسماهم واسما ابايهم ثم رفعت برحمة على العباد لان اولادهم اسلموا واخلصوا • وقال السدي جا واحد من المنافقين اسمه مخشي بن غليظ • وقال اني اسمي واسم ابي من شر الاسما يا رسول الله فغيرهما لعل الله يغير حالي وكان منافقا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الرحمن فاسلم واخلص • وقال اللهم اني اسالك ان اقتل في سبيلك لا يعتذر لي على جثة ولا يعلم لي مقتل فقتل يوم قتل مسيلمة الكذاب • وقوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون اي ولين قلت لهم لم قلتم كذا حين اطلعك الله على ذلك قالوا انما كنا نخوض ونلعب اي لم يكن ذلك عن اعتقاد وشك في الدين لكن على العادة من الناس اذا اجتمعوا لم تخل احاديثهم عن ان يجري فيها القول على سبيل المساعدة والاستيناس من الهزل فقل يا محمد انكارا ابالله واياته ورسله تتفكهون هذا وهو لا يحتمل الا الجد والصدق دون الهزل واللعب • قال محمد بن اسحاق قالها وديعة بن ثابت • وقال مقاتل بن حيان نزلت في ثلاثة نفر معتب بن قشير ووديعة بن ثابت ومخشي بن حمير ولكن عبد الله بن عبد الرحمن لم يمالئهما في الحديث ولكنه كان يسير مجانبا لهما ويضاحكهما فقال وديعة لمعتب ايطمع هذا الرجل في الشام وقصورها هيهات وبطن الجلاد بن الاشهر حين فنزلت هذه الاية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر فقال لهم احترقتم احرقكم الله قلتم كذا وكذا فجاوا يعتذرون فانزل الله تعالى

هذه الاية • وفي رواية زيد بن اسلم نظرت الى هذا القايل متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية عبد الله بن عمر رايت عبد الله بن ابي يشتد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه
وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون
وعذر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يمايلهم حين اعتذر وهو عبد الله بن عبد الرحمن • وفي رواية مخشي
ابن حمير وفي رواية الحميري الحمير • وقال القشيري رحمه الله من استهان بالدين ولم يحتشم من ترك حرمة
الاسلام والمسلمين جعله الله في الحال نكالا وسامه في الاخرة صغارا واذلالا والحق سبحانه لا يرضي دون
ان يذيق العتاة باسه ويسقي كلا على ما يستوجبه كاسه • وقد ازاح الله للمنافقين عنان امهالهم ثم هتك
استارهم باقوالهم وافعالهم • وقوله تعالى **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** اي لا تتكلفوا بالعذر الباطل
فقد صرحتم بما يوجب الكفر بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان باللسان • وقوله تعالى **ان يعف عن طايفة منكم
نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين** قرا عاصم نعف بالنون وضم العين نعذب بالنون وكسر الذال طايفة بالنصب
اخبارا من الله تعالى عن نفسه بكلمة التعظيم • وقرا الباقون يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء وضمها
وفتح الذال طايفة بالرفع على ما لم يسم فاعله ومعناه ان تركنا العقوبة في الحال في حق بعضهم وهم العامة والاتباع الذين
لا اثر منهم على المسلمين لنفاقهم في الاخرة تعذب طايفة منهم الكبرا المعلنين بالاراجيف الساعين بين
المسلمين بالفساد بالقتل • قال الله تعالى جاهد الكفار والمنافقين لئن لم ينته المنافقون الى قوله تعالى
وقتلوا تقتيلا • وقوله تعالى فما لكم في المنافقين فيتين الى قوله عز وعلا واقتلوهم حيث وجدتموهم
انهم كانوا مجرمين وهو اسم نهاية الذم لانه يدل على انقطاعه عن كل الخيرات من الجرم • وقيل ان نعف
عن قوم منهم نعلم انهم يتوبون ويخلصون نعذب قوما منهم نعلم انهم على النفاق يدومون • وقيل ان
نعف عن طايفة منهم بالايمان نعذب طايفة بالموت على الكفر • وقيل ان نعف فلم نامر بالقتل في حق
قوم لم يظهر نفاقهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين كما قال جل جلاله لا تعلمهم نحن نعلمهم نعذب
بالامر بالقتل والتشهير من ظهر نفاقهم بهذه الاحوال • وقال محمد بن كعب القرظي نعف عن طايفة
منهم هي واحدة كما قال الله تعالى وليشهد عذابهما طايفة وهو الذي ذكرنا في الاية التي قبلها انه لم يمايلهم
واعتذر وعذر وتعذب طايفة وهم الذين خاضوا • وقيل هو الواحد ايضا وهو وديعة بن ثابت
وقوله تعالى **المنافقون والمنافقات بعضهم** اي يجتمعون على النفاق مطابقون على ايذا الرسول
والمومنين عن النفاق يامرون بالمنكر بما ينكره الشرع والعقل وينهون عن المعروف بما يرضاه الشرع
والعقل ومن المنكرات ترك الجهاد وهم به يامرون ومن المعروف الجهاد وهم عنه ينهون ويقبضون ايديهم
اي عن الانفاق في الجهاد وسبيل الطاعات من الزكوات ونوافل الصدقات • وقوله تعالى **نسوا
الله** اي تركوا ذكر الله وطاعته **فنسيهم** اي خذلهم **ان المنافقين هم الفاسقون** الخارجون عن
قبول امر الله والعمل به • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يامرون بالمنكر اي بتكذيب رسول الله وينهون
عن المعروف اي عن تصديقه واتباعه • وقال الضحاك يامرون بالكفر وينهون عن الاسلام • وقال
القشيري رحمه الله المنافق لصاحبه اشبه قوامه واصل به قيامه يعينه على فساده • ويعمي عليه
طريق رشاده والمومن ينصر المومن يبصر عيوبه ويفتح في عينه ذنوبه فهو على السداد يحثه
ومن الفساد يبعده والمنافقون يقبضون ايديهم لا ينفقون عن سبيل الله ولا يجدون في اعانة
عباد الله ولا ياخذون بايدي الضعفا لوجه الله ولا يرفعون ايديهم في طلب الحوايج الى الله نسوا
الله اي تركوا طاعته واثروا مخالفته فنسيهم تركهم وما يختارون كما قال وتركهم في ظلمات لا يبصرون
وقوله تعالى **وعد الله المنافقين والمنافقات** اي الذين يظهرون الايمان ويضمرون الكفر • وقوله
تعالى **والكفار** اي المجاهرين به **نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم** اي واقعة موقع ما استحقوه
من الجزا لهم النار في الاجلة والعذاب المقيم في العاجلة ذلك عذاب الحريق عذاب الحرقة
وهذه عذاب الفرقة • وقوله تعالى **كالذين من قبلكم** • وقيل فعلكم في الدنيا والاخرة كفعل
بالذين من قبلكم • وقوله تعالى **كانوا اشد منكم قوة** قال ابن عباس رضي الله عنهما اي منعة وبطشا
وقوله تعالى **واكثر اموالا واولادا** يتكثرون بالاولاد ويعتضدون بالاموال فلم يعتصموا بقوة
انفسهم ومعونة اولادهم وانصارهم وكثرة اموالهم حين كذبوا رسلي واستحقوا انزال باسي
وقوله تعالى **فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم** فعلتم انتم في الدنيا فعلهم
وقوله تعالى **وخضتم كالذي خاضوا** اي في ايات الله بالباطل فاذا كنتم في سو المعاملة مثلهم وفي
القوة والمنعة دونهم فما يومنكم ان يصيبكم من العقوبة ما اصابهم • وقوله تعالى **اولئك الذين
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة** اي انما الذين رضوا من اخرتهم بدنياهم بطلت اعمالهم في الدارين

يتنعمون بها امان الدنيا فقد قصدوا بذلك توهين الاسلام وقهر اهله وعلو انفسهم فابطل الله تعالى كيدهم
وخيب املهم • قال الله تعالى لا يهدي كيد الخاينين ولا يصلح عمل المفسدين كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله • وفي
الاخرة لا ثواب لهم ولا نجاة • وقوله تعالى **اولئك هم الخاسرون** ذهبت اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم ولو ذهبت
فيما لا ينفعهم ولا يضرهم كانت خسرانا فكيف وقد ذهبت فيما يضرهم ولا ينفعهم في الحياة الدنيا • وقوله تعالى **الم
ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والموتفكات** هي قريات
لوط وسميناها المنقلبات حيث جعل الله عاليها سافلها والف الاستفهام بمعنى التقرير • قال القفال اي قد اتاهم
خبر الامم السالفة سمعوا ذلك وعرفوه وشاهدوا اثار ايقاع الله بهم بما جعلهم نكالا وعبرة لغيرهم كما فعل
بقوم نوح صلوات الله عليه حين اهلكوا بالغرق وعاد بالريح الصرصر العاتية وثمود بالرجفة والصاعقة
وقوم ابراهيم بالتشتت وسلب الملك والنعمة اي من نمرود واصحاب مدين بعذاب يوم الظلة • وقوم لوط
بانقلاب الارض كل ذلك كان عدلا من الله تعالى وحكمة وعقابا لمن ظلم نفسه وعصى ربه وكذب رسله واستحق
عقابه فليحذر المنافقون ان يفعل بهم ما فعل باوليك • وقوله تعالى **اتتهم رسلهم بالبينات** يرجع هذا
الى كل هذه الامم وانصرف الى ما يليه وهي الموتفكات ورسول اهلها واحد وهو لوط عليه السلام فقد قيل
كان في كل قرية رسول من جهة لوط فلذلك الجمع • وقوله تعالى **فما كان الله ليظلمهم** اي ليس من صفة الله تعالى
ظلم العباد بتعذيبهم من غير ذنب • وقوله تعالى **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بايقاعها فيما يوجب العقوبة
وقوله تعالى **والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض** ذكر بمقابلة المنافقين والمنافقات
المخلصين والمخلصات وتنافي صفات الفريقين فالمخلصون ذكورهم واناثهم يتولون على الدين ويتناصرون
ويتعاونون حتى ان الرجل ليخرج الى الجهاد وامراته تهيي اسبابه وتخرج النسا مع الرجال فيداوين
الجرحى ويداوين المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء وكذا كل الخيرات في الدين • وقوله تعالى **يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر** وقد فسرناها في تلك الاية وهو خلاف صفات المنافقين هولاء يصلون
الصلاة ذكرا لله واوليك ذاهلون على نسيان الله ويوتون الزكاة وهو خلاف صفات المنافقين
فانهم يقبضون ايديهم **ويطيعون الله ورسوله** في كل الاوامر والنواهي فهو خلاف صفة المنافقين
ان المنافقين هم الفاسقون **اولئك سيرحمهم الله** بخلاف ما للمنافقين فنسيهم • وقوله تعالى **ان الله
عزيز حكيم** قال المعاتل عزيز في ملكه حكيم في امره • وقال القفال عزيز منيع قادر على مجازاة المطيعين
والعاصين حكيم في توفيق المومنين وخذلان المنافقين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر
في المومنين والمومنات بعضهم اولياء بعض وذكر في الكفار والذين كفروا بعضهم اولياء بعض لان المومنين
يتوالون ويتناصرون ويتعاونون على الدين الحق والكفار لهم دين ايضا وهو باطل وهم يتوالون عليه
ويتعاونون ويتناصرون فاما المنافقون فليس لهم دين يظهرونه ويمكنهم التوالي والتعاون والتناصر
عليه لكن بعضهم على صفة بعض فلذلك قال بعضهم من بعض • وقال في هذه الاية يجوز ان يكون هذا اخبارا
منهم انهم كذلك لانهم صاروا بالاسلام اولياء • قال الله تعالى اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا ويجوز ان يكون امرا من حيث المعنى اي ليكونوا اولياء بعضهم لبعض فيكون نهيا عن موالاة الكفار
لقوله لا تتخذوا الكافرين اولياء وبقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى فكان امرا لهم ان يكون بعضهم
اولياء بعض • وقال القشيري رحمه الله تعالى ان الله وصف المومنين بانهم يتحابون في الله ويقومون
بحق الله ويتصاحبون لله ويتعادون لاجل الله تركوا حظوظهم لحق الله واثروا على انفسهم رضا الله
اولئك الذين عصمهم الله في الحال وسيرحمهم في المال • وقوله تعالى **وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** وهو في مقابلة قوله وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها • وقوله تعالى **ومساكن طيبة** اي جزاء ما احتملوه من اذى الحرب وسوء
المنازل في اسفارهم للغزوات وتركهم مواطن الراحات • وقوله تعالى **في جنات عدن** اي اقامة وعدن
بالمكان عدنا والمعدن المقام اي هي مواضع اقامة وثبات لا يبغون عنها حولا وليس هذا بتكرار لقوله
خالدين فيها لان قوله جنات عدن اخبار بدوام نعمتهم فيما اعد لهم من المساكن • وقوله خالدين فيها
اخبار بدوام النعيم لهم في الجنان منهما معينان • وقال الاعمش عدن وسط الجنة • وقال عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي
او صديق • وقال الكلبي عدن اعلى درجة الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة وهي
مغطاة من يوم خلقها الله تعالى حتى ينزلها اهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن
شاء الله جل جلاله • وقال المعاتل ومساكن طيبة قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت
العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض • وقال عطاء عدن نهر في الجنة جنانه على حافتيه • وروي

ابو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك. وقال انس سالت ابا هريرة وعمران بن حصين عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين. وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي اعظم من هذه النعم قدرا واشرف منها ذكرا رضوان الله تعالى عن هؤلاء ومن رضوانه قبول اعمالهم اليسيرة وتيسير الحساب عليهم واثابتهم على الاعمال المنقطعة بما لا ينقطع فكل كرامة في الدنيا والاخرة. وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم اي الرضوان الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا اعظم منه لانه درك كل مطلوب ووصول الى كل مامول وامان من كل محذور. وقال الامام القشيري رحمه الله تعالى المساكن لا تطيب للساكن الا برؤية المحبوب الا انه قد يختلف بهم الهمم قوم تطيب مساكنهم بوجود خطابه وقوم تطيب انفسهم بشهود لقائه. قال القايل
واني لاهوى الدار ما يستفزني لها الود الا انها من ديارك.
وقال اخر
اجيراننا ما اوحش الدار بعدكم اذا غبتم عنا ونحن حضور.
وقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين لما وصف الله المنافقين والكفار وكشف له احوال المستترين منهم بالاظهار امره بالجهاد بجهادهم الذي هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من صفات المومنين وخلاف ذلك من صفات المنافقين. وقال عطا نسخت هذه الاية كل شي من الصفح والعفو. وقوله تعالى وجاهد الكفار اي بالسلاح في وقته وباللسان في وقته والمنافقين. قال ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود. وقيل بالسيف بعد ما ظهرت احوالهم. قال تعالى ايما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا. وقوله تعالى واغلظ عليهم اي ولا تداهنهم وايسهم من نفسك وقرر عندهم انه لا موادة بينك وبينهم وانما هو الاسلام او السيف. وقوله تعالى وماواهم جهنم غلبوا في الجهاد او غلبوا وبئس المصير جهنم. وقال القشيري رحمه الله المجاهدة اولها باللسان بشرح البرهان وايضاح الحجج والبيان ثم ان حصل من العدو جحد بعد ازاحة العذر والزجر بالجلاء فان لم ينجع الكلام ولم ينفع الملام فالقتال والحراب بالسيف واللسان. وقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا وهذا ينتظم لما سبق من ذكر مقابح المنافقين وطعنهم في الرسول وفي الدين. وقوله تعالى ولقد قالوا كلمة الكفر هي كل لفظة ترجع الى الطعن في الدين او في الرسول وقد بيننا بعضها. وقوله تعالى وكفروا بعد اسلامهم اي حكم لهم بالكفر بهذه اللفظة بعد ما حكم باسلامهم بظاهر اقرارهم واختلفت الروايات في هذا القايل. قال عروة وابن اسحاق ومجاهد هو الجلاس بن سويد بن الصامت وقد بينا قصته في الايات المتقدمة وصفا لنا انه كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من الحمير. وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكر هذا القول ايضا. وحكي عنه انه قال والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك. قال ويشبه ان يكون هذا متصل بقوله ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانوا يستهزؤن بالله وباياته ورسوله وهو كفر وقالوا قول كفر لم يبين الله لنا ذلك فلا نفسره انهم ماذا قالوا لما ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة. وقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا قال مجاهد هو عبد الله بن ابي لنخرجن الاعز منها الاذل. وقال مجاهد في رواية هو الجلاس بقتل من الكوملية قوله انه كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير على ما روينا. وقال الكلبي وهموا بما لم ينالوا يعني المنافقين ليلة العقبة هموا بقتل النبي عليه السلام في غزوة تبوك عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي وطعمة بن ابيرق والجلاس بن سويد ومجمع بن حارثة وابو عامر بن النعمان وابو الاحوص وكانوا خمسة عشر رجلا. وقال ابن كيسان لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به اذا علاها وعمم رجل مسلم فاخبر جبريل النبي عليه السلام بما قد دبروا وتنكروا له في ليلة مظلمة فامر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسل عليهم من يضرب وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوق به فقال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا غير اني عرفت جمل فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فيأتونك قال اكره ان يقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل بقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة قيل يا رسول الله وما الدبيلة قال شهاب من نار جهنم يضعه على نياط فؤاد احدهم

حتى

حتى تزهق نفسه. وقال ابو روق ذكروا ان اثنا عشر رجلا من المنافقين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته ليفتكوا به فاتاه جبريل فعرفه اياهم حتى عرفهم واخبر بعضهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثني عشر رجلا من المنافقين ايمنوا بالترحيب يالوه فليقوموا وليستغفروا فاستغفر لهم فلم يقوموا فقال قم يا فلان ثم يا فلان حتى اتى على اخرهم فقالوا يا رسول الله نستغفر الله ونتوب اليه مما كنا عليه من الكفر فقال الان ولم تجيبوني اخرجوا عني اخرجوا عني فاخرجوا مفتضحين فنزلت فيهم وهموا بما لم ينالوا. وقوله تعالى وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله اي ما عابوا. وقيل ما كرهوا ما طعنوا ومعناه ليس للمومنين عندهم ذنب يعيبونهم به ويتسخطون به عليهم الا ان اغناهم الله بالغنايم والصدقات ورسوله كان سببا لذلك وموصلا اليهم وهذا ليس مما ينقم به. وقوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم اي ان يخلص هؤلاء المنافقون فهو خير لهم في الدنيا والاخرة لنجاتهم من العقاب ووصولهم الى الثواب في العقبى وامنهم وعزهم وحسن ذكرهم في الدنيا. وقوله تعالى وان يتولوا اي عن التوبة يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا في اللعن وهتك الستر والجلاء والسبي والقتل وفي الاخرة بعذاب النار ابدا. وقوله تعالى وما لهم في الارض من ولي اي في الدنيا من ولي ولا نصير اي من يتولى الذب عنهم او ترك عذاب الدنيا ولا من ينصرهم فيمنع الله من تعذيبهم ولم يذكر الاخرة لان الملك يومئذ لله فلا ولي ولا نصير يومئذ لاحد فاما في الدنيا فقد يكون للانسان ولي ونصير وهؤلاء ليس لهم في الدنيا ذلك. وقيل اي ما لهم محبتهم ويتعصبون لهم ولا من اعوانهم والقايمين بنصرهم في هذه الدنيا التي يعرف فيهم العذاب في العقبى. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولما نزلت فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قام الجلاس فقال اسمع الله يعرض علي التوبة والله لقد قلت هذا وان الذي اخبر عني لصادق فتاب وحسنت توبته. وقال الامام القشيري رحمه الله تمنوا زوال دولة الاسلام فابى الله الا اعلاء امرها على الدوام. وما نقموا اي وما عابوا الا ما هو اجل الخصال فلم يحصلوا الا على الخزي والنكال. وقوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم التوبة خلع عقدة الاصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب. وقوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين اي ومن هؤلاء المنافقين من عاهد الله. وقد كتبنا هذه القصة في بعض مشايخنا [illegible] اسنادها عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه هو ثعلبة بن حاطب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال له الا ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقه مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها ثم جعل يصلي الظهر والعصر بجماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسالهم عن الاخبار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبروه بامره فقال النبي عليه السلام يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وانزل فرايض الصدقة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف ياخذان الصدقة واسنان الابل وامرهما ان يخرجا ويأخذا الصدقات من المسلمين وقال مرا بثعلبة وبفلان من بني سليم فخذا منهما الصدقة فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة فاقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ منك قال بلى خذوه فان نفسي بذلك طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا اخت الجزية فانطلقا حتى اري رايي فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي بالبركة فاخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله الايات وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا حتى اتى ابا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اقبلها فقبض ابو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها • فلما ولي عمر رضي الله عنه اتاه فقال يا امير المؤمنين اقبل
صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر وانا اقبلها فقبض عمر ولم يقبلها منه ثم ولي
عثمان رضي الله عنه فسأله ان يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر وعمر وانا
اقبلها منك فلم يقبلها منه عثمان وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه • وذكروا ان ثعلبة قبل سؤال المال
وحدوث هذا الحال كان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا وكان يلقب بحمامة
المسجد وكانت جبهته صارت كركبة البعير لكثرة سجوده على الارض • وقيل على الحجارة المحماة بالشمس وجعل
يخرج كلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفجر بالجماعة من غير لبث واشتغال بدعا فقال له عليه
السلام ما لك صرت تعمل اعمال المنافقين من تعجيل الخروج بعد الجماعة فقال يا رسول الله اني في غاية الفقر
والفاقة انا وامرأتي ثوب واحد وهو الذي علي فانا اصلي فيه ها هنا وهي عريانة في البيت ثم اتي
اليها فانزعه وهي تلبسه فتصلي فيه فسل الله ان يوسع علينا ثم تمام القصة على ما سقناها • وقوله تعالى ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله اي وسع علينا المال لنصدقن اي لنتصدقن فادغمت التا في الصاد
وشددت اي لنصرفن في وجوه الخير من الجهاد وغيره ولنكونن من الصالحين قيل مثل عثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف في البذل والسخا فلما اتاهم من فضله وسع عليهم الدنيا بخلوا به اي بالفضل فمنعوا
حقوقه وتولوا اي عن طاعة الله وطاعة رسوله في اداء حقوق الاموال وهم معرضون اي عن الاسلام
واحكامه فاعقبهم نفاقا قال مجاهد فاعقبهم نفاقا اي جعل عاقبة ذلك نفاقا في قلوبهم اي ترددا
واضطرابا في العقيدة وشكا في الاسلام وهذا من الله جزا لهم على بخلهم • وقال الامام ابو منصور رحمه
الله ويحتمل فاعقبهم ذلك دواما على نفاقهم فقد قيل كانوا منافقين فخذلهم الله وتركهم في ضلالهم لاختيارهم
ذلك • وقوله تعالى الى يوم يلقونه لم يثبت لهم حكم الاسلام ابدا هو حجة لنا في مسئلة خلق الافعال
ومسئلة الاصلح • وقال الحسن فاعقبهم بخلهم نفاقا اي صار سببا لذلك • وقوله الى يوم يلقونه اي يلقون
عملهم كما قال فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره • وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
وقوله تعالى بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فوعدهم عهدهم المذكور في اول الاية وكذبهم
قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين • وقيل ان من قال لافعلن كذا وهو ينوي ان لا يفعله كان كاذبا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من علامات النفاق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان
ومعناه اذا استحل ذلك او كانت هذه الاشيا في الدين لا في معاملة الخلق وذكر محمد بن جرير في تفسيره
عن سعيد بن ثابت انه قال في هذه الاية انما هو شي نووه في انفسهم ولم يتكلموا به يدل عليه ما بعده • وقوله
تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب استفهام بمعنى التوبيخ اي
يعلم ما اسروه في انفسهم يوم عاهدوه وما يتناجون فيما بينهم مما لا يشركهم في العلم به غيرهم من الطعن
على شرايع الاسلام من الصدقات اي من الغايبات عن الخلق ولا يغيب عن الله تعالى شي • وقوله تعالى
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات اي هم الذين يعيبون المطوعين ادغمت
التا في الطا وشددت وقوله من المؤمنين اي من المخلصين في الصدقات الزايدة على الزكوات اللازمة
فيقولون يراؤن بما يفعلون • وقوله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم اي ويعيبون الفقرا الذين
ياتون بالذي حالهم باكثر منه والجهد بالضم الطاقة والجهد بالفتح المشقة • وقال الشعبي الجهد
بالفتح في العمل والجهد بالضم في القوت • وقيل هما لغتان كالضعف والضعف والكره والكره وهما
الحمل على النفس بما يشق عليها • وقوله تعالى فيسخرون منهم اي يهزؤن • وقوله تعالى سخر الله منهم
اي جزاهم جزا سخريتهم وقد بينا نظايره في قوله تعالى يستهزئ بهم • وقوله تعالى ويمكرون ويمكر الله
وقوله تعالى ولهم عذاب اليم اي في الدنيا والاخرة • وقال الكلبي قال النبي صلى الله عليه وسلم
اجمعوا صدقاتكم فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاقرضت
ربي اربعة الاف وامسكت لنفسي اربعة الاف فقال عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت ثم عمر بنحو ذلك • وجا عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر • وفي رواية بمائة وسق فلمز
المنافقون وقالوا ما اعطاه الا ريا • وجا ابو عقيل بصاع من تمر فامره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يضعه فوق الصدقات فلمزه المنافقون وقالوا كان الله غنيا عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة • وقال مقاتل الذين لمزوا منهم معتب بن قشير وحكيم بن زيد وقال
عطا والذين لا يجدون الا جهدهم سهل بن رافع • وقيل ابو خيثمة • وفي رواية قال لعبد الرحمن اكثرت
يا عبد الرحمن هل تركت لاهلك شيا قال تركت لهم شطر مالي فدعا له بالبركة فيها • وقوله تعالى استغفر

لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم الاية قال الامام ابو منصور رحمه الله
قال عامة المفسرين لما مات عبد الله بن ابي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه فاخذ عمر بثوبه
فقال اما امرك الله بهذا قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم فقال لقد خيرني ربي فقال عمر رضي الله عنه انه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال لازيدن
على السبعين فعسى الله ان يغفر لهم لكن هذا يبعد ان يفهم التخيير من ذلك او يخرج ذلك على التحقيق وتكون
هذه منسوخة بالاية التي في المنافقين لانه وعيد والاية تحتمل النسخ والوجه فيه والله اعلم اذا استغفرت
لهم فان استغفارك ليس بالذي يرد والايجاب لانهم كفروا بالله ورسوله وقد نعلم من حكمي ان لا اغفر لمن مات
على ذلك فخرج ذلك على الاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك والنهي له عن الاستغفار كما قال
تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية وقد علم هو كفر المنافقين
اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم • وقال غيره قوله عز وجل
استغفر لهم ليس بامر • وقوله او لا تستغفر لهم ليس بنهي وليس بتخيير بل هو تسوية بين الفعلين انه لا ينفع
به المغفرة وطريقه طريق قول الرجل اطلب مني هذا او لا تطلب فان طلبت سبعين مرة لم اعطك هو بيان
انه لا ينفع في ذلك قول ولا اثر لذلك والتقدير بالسبعين ليس يقتصر عليه بل هو بيان الكثرة والمبالغة فيها فان
السبعين جمع السبع وعلى السبع اكثر الاعداد عدد السموات والارضين والاقاليم والبحار والاعضا
والارزاق بخادم وحلقهم والايام السبعة واسباع القران وايام الدنيا وغير ذلك والجمع نهاية فيه وعلى
ذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا وقوله سبعون ذراعا • وقول النبي صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة معناه انك وان انتهيت في عدد الاستغفار لم ينفعهم
ذلك • وقيل كان يستغفر لهم لطلبهم وكانوا يعتذرون بذلك • قال الله تعالى حكاية سيقول لك المخلفون
من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا الاية • ولذلك قال سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم اي سواء عندهم فليس ذلك منهم على الجد والتحقيق • وقيل معناه سواء عند الله في حقهم الاستغفار
وتركه لما ان ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن الايمان
المختارين للكفر والطغيان • وقال القشيري رحمه الله من عليه الشقوة لم تنفعه الشفاعة والدعوة
وصريح القدرة لا ينفعه الجهد والحيلة • وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى غزوة تبوك وتسميتهم
بذلك معناه احدهما ان الله تعالى خلفهم وهم الذين كره الله انبعاثهم فثبطهم • والثاني ان النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين لم يستوا بهم ولا عدوهم في جملة من يتكثر بمثلهم في العسكر او يعتمدهم في رأي
ومشورة لما علم ابتدا قلتهم عن الجهاد وتسميتهم بذلك على هذه الوجوه تعيير لهم وسب وذم
وفي معناه يقول الاخطل • تنحو اقوما تخلفون ويقضي الناس امرهم • وقوله تعالى بمقعدهم يجوز ان
يكون مصدرا كقوله تعالى حتى مطلع الفجر اي بقعودهم ويجوز ان يكون موضعا ومعناه فرحوا بالمدينة
بمنازلهم ورحابهم لما نالوا من الدعة والراحة • وقوله تعالى خلاف رسول الله ﷺ اي على مخالفته
بمعنى المصدر • وقيل اي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله عز وجل لا يلبثون خلافك
الا قليلا • وقرئ خلفك على المعنيين • وقوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله لما استثقلوا ذلك لكفرهم • وقوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض • وقيل قالوا
للمؤمنين لا تخرجوا للغزو فانه وقع في شدة حر لا يؤمن معها قلة المياه وكلال الظهور والضعف عن المشي
فعاب الله عز وجل هذا من قولهم وهددهم عليه بالنار وذلك قوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون اي اخبرهم يا محمد ان لهم على تخلفهم وتثبيطهم غيرهم نار جهنم اليها مصيرهم ونار جهنم
من حرها اشد من نار دنياهم بحر الشمس والهوا • وقوله تعالى لو كانوا يفقهون اي لو تدبروا وتفكروا
لعلموا ذلك من فهم وعقل ولو فقهوا او فهموا لاحتملوا قليل التعب والاذى في طاعة الله ليفضي بهم
ذلك الى النعيم المقيم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عسكره على
ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره اسفل منها لثنية وكان اعظم العسكرين فلما سار رسول
الله صلى الله عليه وسلم تخلف عبد الله فيمن تخلف من المنافقين فنزلت الاية • وقال مقاتل فرح
المخلفون اي رضي المخلفون بمقعدهم عن غزوة تبوك خلاف رسول الله وهم بضع وثمانون رجلا فمنهم
من اعتل بشدة الحر ومنهم من اعتل بالعسرة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم • وقال بعضهم لبعض
لا تنفروا في الحر مع محمد الى تبوك نزلت في بضعة منهم ابو لبابة واصحابه فان الحر شديد والسفر بعيد
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اي يعلمون • وقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا امر

لنساركم مداراتنا وكذبكم في معاذيركم • وقوله تعالى وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ان عملتم خيرا ونبتم الى الله من تخلفكم فسيرى الله عملكم
ورسوله فيما تستانفون ثم ترجعون الى عالم الغيب والشهادة اي الى جزاء الله لا يخفى عليه شي فيخبركم بما عملتم و
يجزيكم على ذلك وهو كقوله تعالى يحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم اي اعراض صفح فاعرضوا
عنهم اي اعراض مقت واظهروا لهم الاستخفاف بهم وعرفوهم انا قرناهم وامنعوهم من ان يلحقوا الصحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • وقوله تعالى انهم رجس اي انجاس بنجاسة كفرهم ونفاقهم • وقيل هو
كقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا • وقوله تعالى ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ولا
يجازهم في الدنيا وسخط عنهم • وقوله تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين اي يلتمس هؤلاء المنافقون المتخلفون بحلفهم ان يرضوكم وتطيب قلوبكم لهم فلا
ترضون عنهم وان اعرضتم عن عقوبتهم على تخلفهم ولكن ابغضوهم بقلوبكم ساخطين معاملاتهم اياكم فان
الله لا يرضى عنهم لعلمه بكذبهم وفسقهم ومأوى الفاسقين النار • قال الله تعالى واما الذين فسقوا ف
مأواهم النار • قال الامام القشيري رحمه الله من كان مسخوط الحق لا ينفعه ان يكون مرضي الخلق ولبئس
العيد بقبول غير الله انما المدار على ما سبق من السعادة في حكم الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
سمى الله الكفار والمنافقين فاسقين في ايات فان كان اسم الكافر والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق
لان اسم الفاسق يانف منه كل ذي دين فانه خروج عما يدين به فاخبر الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل
فاسقون في معاملاتهم خارجون عن ديانتهم مستوجبون لمذمتهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في جد بن قيس ومعتب بن قشير وكانوا ثمانين رجلا • وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي لعنه
الله وذلك انه حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه وليكونن معه على عدوه
وطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فنزلت الاية وحلف عبد الله بن ابي سرح لعمر بن الخطاب
ان يرضى عنه فنزلت الاية • وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم
وقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله
عليم حكيم يتصل بما سبق وجاء المعذرون من الاعراب اي سكان البوادي اذا كانوا كفارا ومنافقين ف
هم اشد كفرا ونفاقا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيبتهم عن مجالسته وقلة ما يرد عليهم
من مواعظ القران فهم بذلك احرى ان يجهلوا حدود العبادات والشرايع المنزلة من الله على رسوله
وقيل الحدود الاوامر والنواهي • قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها تلك حدود الله فلا تقربوها
وهو عليم بسرائر المؤمنين والكفار والمنافقين حكيم في تعريف اوليائه ذلك ليميزوا بين الاولياء
والاعداء وحكيم ايضا في كل ما يامر به في حق كل طبقة • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اعاريب
اسد وغطفان ومن حوالي المدينة منهم واجدر اي احرى الا يعلموا حدود ما انزل الله من فرايضه
في كتابه • وقال الضحاك هم اعراب مزينة • وقال ابن كيسان واجدر الا يعلموا حجج الله وتوحيده و
تثبيت رسالته لانهم لا ينظرون فيها ولا يتعلمونها • وقال يمان بن رباب حدود الحرام والحلال
والله عليم بما يسرون حكيم في احتجاجه • وقوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي
ومن هؤلاء الاعراب من يعد ما ينفق في نايبة او وجه بر وصدقة او في تجهيز غاز غرامة ولا يفعله
حسنة لانه لا يؤمن بالله ولا يصدق بالبعث والجزاء ولا ينال به عوضا في الدنيا ولا يخاف عقوبة
في الامساك • وقوله تعالى ويتربص بكم الدواير اي ينتظر بكم الحوادث • قال يمان بن رباب
اي ينتظر ان تنقلب الامور عليكم بموت الرسول وتظهر عليكم المشركون • وقوله تعالى عليهم دايرة
السوء اي عليهم يدور البلاء والخزي فلا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم • قرا ابن كثير وابو عمرو
دايرة السوء بضم السين والباقون بفتحها • قال الكسائي من ضم السين اراد بالسوء البلاء والشدة
وهو اضافة ومن فتح السين جعل السوء نعتا للدايرة فيكون كقولك رجل سوء وامراة سوء • قال
الامام القشيري رحمه الله خبثت عقايدهم فانتظروا للمسلمين ما تمنوه من حلول المحن بهم فابى الله
الا ان يحيق بهم مكرهم • وقد قيل في المثل اذا حفرت لاخيك فوسع فربما يكون ذلك مقيلك ويقال
من نظر الى رايه لم يوفق في كثير من تدبيره ورايه • وقوله تعالى والله سميع اي لمقالاتهم عليم اي
بنياتهم • وقوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر اي ومن هؤلاء الاعراب من يخالفهم
في الصفة ومن لم يجمع صافا لانه جمع اي ليسوا كفارا ولا منافقين بل هم مؤمنون بالله واليوم الاخر
مصدقون بالبعث والجزاء • وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول اي ينفقون
في سبيل الله ويرونه قربة اي طاعة مقربة الى رحمة الله يرجع اليهم ثوابها وينالون بها الدرجات

في الاخرة

في الاخرة ويكسبون بها صلوات الرسول وهو دعاؤه المتبرك به واستغفاره • وقوله تعالى الا انها قربة
لهم اي ما نووا وارجوا • وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته قال ابن عباس رضي الله عنهما اي في جنته
وقوله تعالى ان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويكفرها بهذه النفقات ويرحمهم ولا يعذبهم بالعقوبات
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم من اسلم من الاعراب اسد وجهينة وغفار واسلم • وقال مجاهد هم بنو مقرن
من مزينة • قال القشيري رحمه الله تنوعوا فمنهم من غش فلم يربح ومنهم من نصح فلم يخسر واما الذين ه
مر قوافهم في مهوات هواهم واما الذين صدقوا فهم في روح احسانهم • وقوله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وانتظامها بما قبلها ان الله تعالى ذكر في اول السورة اصنافا
اقسام الكفار وهم ثلاثة اهل الشرك واهل الكتاب واهل النفاق وقد ذكرهم على الترتيب لحاقا
ثم ذكر اقسام المؤمنين وهم ثلاثة المطيعون والعاصون التايبون والعاصون المصرون • اما المطيعون
فهو قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وهو ابتدا وخبره رضي الله عنهم الى اخر الاية
وقال الكلبي هم الذين سبقوا الى الايمان والهجرة والجهاد والنصرة والذين اتبعوهم باحسان هم
الذين جاؤوا بعدهم وعملوا اعمالهم الى قيام الساعة فعلى قوله الاية تتناول جميع المهاجرين وهم الذين
هجروا اوطانهم بمكة ورحلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وجميع الانصار وهم اهل
المدينة سموا به للنصرة والمهاجرون ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك اختص اهل
المدينة بهذا الاسم لما انهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه لما جاؤوهم فاووهم
ونصروهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرة النبي عليه السلام في الغزوات • وقوله تعالى من المهاجرين
ليس للتبعيض على هذا القول بل للتجنيس والذين اتبعوهم باحسان جميع متبعيهم بالاحسان في كل
عصر وزمن والاحسان قيل هو الاخلاص كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن • وقال النبي
صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • وقيل هو احسان
العمل • وقيل هو الاحسان الى الناس • وقيل الاية خاصة في السابقين من جملتهم ومن للتبعيض ثم
اختلف في ذلك • قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا
وقال الشعبي من بايع تحت الشجرة من الحديبية فهو من المهاجرين الاولين • وقال عطاء هم اهل
العقبة السبعون • وقيل هم السابقون من اهل كل قبيلة الى الاسلام والى العلم والى الشهادة وقرا
الحسن وسلام ويعقوب والانصار بالرفع عطفا على قوله والسابقون ويكون السبق صفة للمهاجرين
خاصة وقراءة العامة بالخفض عطفا على المهاجرين والسبق صفة لهم جميعا سبق اوليك بالهجرة
وسبق هؤلاء بالنصرة • وقرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذين اتبعوهم باحسان بغير واو نعتا
للانصار وبانهم اتبعوا المهاجرين باحسان • وروي عنه انه سمع رجلا يقرا والذين بالواو فقال
من اقراك هذا فقال ابي بن كعب فسال عنه ابيا فقال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابي رضي الله عنه وتصديق ذلك في سورة الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم • وقال الحسن قرا
عمر يوما والانصار الذين اتبعوهم باحسان وعنده ابي بن كعب فقال ابي والله لاقرانيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فيه الى فيّ وانك تبيع القرظ بالبقيع فقال عمر صدقت ولين شئت قلت
شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم ونابع صرابيا • وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه
قرا يوما بغير واو فقيل له ما هكذا وانما هو هذه واو عندي خير من الدنيا وما فيها يعني ثبوت
الشركة للمتاخر في فضل المتقدم • وقال عطا والذين اتبعوهم باحسان يذكرون المهاجرين والانصار
بالخير والرحمة والدعا اشارة الى قوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان • وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم هذا ظاهر التفسير • قال الامام ابو منصور رحمه الله
في الاية دلالة الرد على الروافض لانهم يجعلون ابا بكر وعمر وهو الا ظلمة وعلى غير الحق بتولية الامامة
في الخلافة ابا بكر وعمر وعثمان لان اخبار الله تعالى برضاه عنهم فيدل انهم كانوا على حق وصواب وان من
وصفهم بالظلم والتعدي فهو الظالم المتعدي وفيه دلالة وجوب تقليد الصحابة رضوان الله
عليهم والاقتدا بهم لانه مدح الذين اتبعوهم باحسان فدل انهم اخيار بخير وقالوا فهو لا يجب العمل
ولا يسع تركه • وقال الامام القشيري رحمه الله السابقون مختلفون فمن سابق بصدق قدمه
ومن سابق بصدق همته والسابق على الحقيقة من ساعدته العناية بالتوفيق واسعدته القضية
بالتحقيق فسبق لهم من الله تعالى رحمته وصدق لهم عنايته • ويقال ان سبق لهم عنايته بهم ثم نعتوا
بطاعتهم له ورضاه عنهم وصلوا الى رضاهم عنه ثم ذكر بعد ذكر الانصار وهم المخلفون من اهل المدينة

المنافقين وذلك قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ويتصل هذا بقوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا وممن
حولكم اي حول مدينتكم وهو المحيط بها • وقوله تعالى ومن اهل المدينة مردوا هو لسكانها وممن حولكم سكان
اطرافها والذين سبق ذكرهم في قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا سكان البادية وقوله مردوا على النفاق
صفة من في المدينة ومن حولها اي عتوا وطغوا وثبتوا عليه • وقال مقاتل وممن حولكم من الاعراب منافقون
يعني جهينة ومزينة واسلم وغفار واشجع كانت منازلهم حول المدينة ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي
ومعتب بن قشير والجلاس بن سويد ووحوح بن الاسلت وابو عامر بن النعمان الراهب سماه
النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق لا تعلمهم اي لا تعرف نفاقهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين عند الموت
بضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وفي القبر بمنكر ونكير ثم يردون الى عذاب عظيم في الآخرة • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اول العذابين بدر • والثاني عذاب القبر • والثالث عذاب جهنم • وقال
مقاتل العذاب الاول السيف يوم بدر • والثاني عند الموت • والثالث في الآخرة • وقال الكلبي وعذاب
القبر • وقال مجاهد الاول القتل والسبي • وقال الحسن الاول عذاب النبي عليه السلام يعني قوله
تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • والثاني عذاب القبر والعذاب العظيم في الآخرة
وقال عطاء الاوسط الخزرجي سنعذبهم مرتين الامراض في الدنيا وعذاب الآخرة وذلك ان مرض
المؤمن كفارة ومرض المنافق عقوبة وعلى هذا لا يكون قوله ثم يردون الى عذاب عظيم عذابا ثالثا
بل يكون اخبارا عن قدر العذاب في المرة الثانية • وقال الضحاك مصائب الدنيا وعذاب الآخرة
وقيل هو اخراجهم الى الغزو لقتل اخوانهم اختهم بالانفاق في الجهاد لتقوية اعدائهم على اوليائهم
ثم ما يرون من عز المسلمين وعلو قدرهم وازدياد غيظ انفسهم بذلك ثم العذاب العظيم في جهنم
وقيل الاول اخراجهم من المسجد • والثاني تخريب مسجد الضرار والعذاب العظيم في الآخرة • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك
منافق اخرج يا فلان فانت منافق اخرج يا فلان فانت منافق واخرجهم من المسجد باسمائهم
وفضحهم ولم يكن عمر شهد تلك الساعة فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فظن انهم قد صلوا فاختبأ
منهم حياء انه لم يشهد الجمعة واختبأوا من عمر وظنوا انه قد علم بامرهم فدخل المسجد فاذا الناس
لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين ابشر يا عمر فقد فضح الله المنافقين اليوم • وقيل سنعذبهم
مرتين على معنى متابعة العذاب عليهم في الدنيا دون تبيين العدد وهو كقوله تعالى ولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين • وقوله تعالى لا تعلمهم كان ذلك يومئذ ثم كشف احوالهم بالعلامات
قال الله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وبالتبيين ايضا كما مر • وقال الامام القشيري رحمه الله
الاول ظنهم انهم على شيء • والثاني خيبة امالهم • والثالث ظهور ما لم يحتسبوه • وقوله تعالى
وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي اقروا وهم القسم الثاني من اقسام المؤمنين الذين ذكرناهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في اقوام كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك لا على اعتقاد الخلاف
لكن لتأخرهم الاستعداد الى ان فاتهم اللحوق بالنبي عليه السلام وكان ذلك منهم ذنبا لا نفاقا
منهم فندموا على ذلك واعترفوا فتاب الله عليهم • وروي انهم كانوا ثمانية نفر • وقال الضحاك
سبعة • وقال قتادة تسعة منهم ابو لبابة الانصاري وهو من افاضل الصحابة • وروى حبان
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس
ابن ثعلبة ووديعة بن خذام تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجه الى تبوك
فلما بلغهم ما نزل فيمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم
على سواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنهم فذكر له
انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم • وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم ان لا اكون اول من حلهم الا ان اومر فيهم بامر فلما انزل
عسى الله ان يتوب عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى من الله واجب فقام اليهم فحلهم
فاتوا النبي باموالهم فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا قال ما امرت
فيها بامر فنزل خذ من اموالهم صدقة • وقال قتادة ذكر انهم تسعة وفيهم جد بن قيس واوس بن خذام
وثعلبة بن وديعة وعامر كلهم من الانصار • وقال الزهري ربط ابو لبابة نفسه بسارية وحلف
لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى يموت او يتوب الله عليه فمكث سبعا كذلك حتى غشي عليه
ثم تاب الله عليه وحله النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال عليه السلام يجزيك

الثلث • وقال سعيد بن جبير ومن اصحاب ابي لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن خذام ووديعة بن
ثعلبة وكان سبب تخلفهم ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج غداة يوم الخميس وكان قدم نفرا الصحابة وكان
الاغنياء والاقوياء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو لبابة واصحابه نمكث اليوم ونلحق بهم الليلة
فلما امسوا ثقل عليهم الشيطان الخروج وكذا من قصر في الطاعة قليلا سهل الشيطان عليه كثيرا فقالوا
نخرج سحرا فغلبهم النوم فلما اصبحوا خافوا ان يخرجوا فلا يلحقوا بالنهار بهم وفي الطريق اعداء فقالوا
نخرج في الليلة القابلة فلما امسوا قالوا لو ابعدوا علينا فلا يمكننا لحوقهم فقعدوا • وقوله تعالى
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا يقال خلطت الماء باللبن وخلطت الدراهم بالدنانير • وقال الكلبي خلطوا
عملا صالحا التوبة وآخر سيئا تقاعدهم عن القتال • وقال الحسن خلطوا عملا صالحا قبل هذا وخروجهم
الى جهاد معك وآخر سيئا تخلفهم عن تبوك • وقيل خرجوا مرة وقعدوا مرة • وقوله تعالى عسى الله ان
يتوب عليهم قال الكلبي عسى من الله واجب اي ما اطاع فاطاع الكريم واجب • وقوله تعالى ان الله
غفور رحيم هذا اطماع • وقال بعض العلماء المسيء منا الى مخلوق اذا خاف لم يخلصه من ذلك الا شيئان
الانكار والاقرار والمسيء في حق الله تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والفرار قال قائلهم

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا • واعلم بان جحود الذنب ذنبان

وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة فقد روينا ان ابا لبابة واصحابه لما تاب الله تعالى عليهم جاؤوا
باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتصدق بها كفارة لذنوبهم وشكرا لما انعم الله عليهم من
نزول التوبة فقال عليه السلام لم اومر فيها بامر ومن للتبعيض وقد روينا انه اخذ الثلث
وقوله تعالى تطهرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي تطهر نفوسهم من الذنوب وتزكيهم بها
اي تحصل لهم الثناء الحسن والرفعة بها والاضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التسبيب
وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي تطهرهم من الآثام وتزكيهم من البخل والمنع من اخلاق اللئام
وقال الامام القشيري رحمه الله اي تطهرهم من طلب الاعواض عليها وتزكيهم من ملاحظتهم اياها
تطهرهم عن شح نفوسهم وتزكيهم بان لا يستكثروا اموالهم بل يتعززون بالتجرد عنها ويرون عظيم منة
الله عليهم في التجرد منها ثم اختلف ان هذه الصدقة ما هي فقيل صدقة نفل والكلام مبتدأ منهم
مرتبط بما • وقيل هي صدقة حث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخروج الى تبوك وهي ما قلنا
في قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات فيرتبط هذا بذلك والآيات
نزلت في هذه القصة • وقيل هي صدقة ابي لبابة والمتخلفين والآية تتصل بالآية التي قبلها
وقيل هي الزكاة ويدل عليه ما روينا في قصة ثعلبة في قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن هذه الآية
لما نزلت بعث النبي صلى الله عليه وسلم المصدقين الى ثعلبة وغيره • وقوله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر
وقوله تعالى ان صلاتك سكن لهم قرأ عاصم في رواية حفص والمفضل وحمزة والكسائي وخلف على التوحيد
والباقون صلواتك على الجمع • وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع دعاءك عليم شفقتك • وقيل سميع
لما اظهروه لك من التوبة عليم بصدق نياتهم فيه ومعنى السكن طمأنينة القلب • وقيل كان اذا اتى رجل بصدقته
وهو مؤمن مخلص واذا اتى بها منافق لم يدع له وكان اذا دعا لمن اتى بالصدقة سكن قلبه الى انه مخلص • وقيل
لان المؤمن يسكن قلبه بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه يستجاب له فيه • وقوله تعالى الم يعلموا يجوز ان يكون
هذا الاستفهام بمعنى الاثبات ويجوز ان يكون بمعنى الامر كما في قوله الا تقاتلون قوما • وقوله تعالى ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده اي عن عباده كلهم اذا اخلصوا وياخذ الصدقات اي يقبلها ويثيب عليها • وقيل
جعل الله اخذ النبي صلى الله عليه وسلم اخذا له تشريفا للنبي عليه السلام • وقد روي ان الصدقة تقع في يد
الله تعالى قبل ان تقع في يد السائل فيربيها كما يربي احدكم فلوه وهذا ترغيب للعباد في فعلها وبيان انه قابلها
والمثيب عليها والمكثر قليلها • وقوله تعالى ان الله هو التواب الرحيم اي كثير قبول التوبة الرحيم
بترك العقوبة وهذا وعد لهؤلاء انه قبل توبتهم ورضي صدقتهم • وقوله تعالى وقل اعملوا اي لهؤلاء التائبين
اعملوا الطاعات بعد قبول التوبة واخذ الصدقة فسيرى الله عملكم فيثيبكم عليه ورسوله والمؤمنون
فيعلمون صدق توبتكم في اطواركم ولا يهاجرونكم كما يفعلون بالمنافقين • وقوله تعالى وستردون الى عالم
الغيب والشهادة اي ترجعون في القيامة الى جزاء من يعلم الظاهر والباطن فينبئكم بما كنتم تعملون اي
يخبركم به ويجزيكم عليه • وقيل اي لا تتكلوا لقبول التوبة واخذ الصدقة فتتركوا العمل بل اعملوا ما عشتم
وقيل اي اصلحوا اعمالكم في المستأنف واحذروا العود الى مثل ما كان منكم فان النبي عليه السلام والمؤمنين
يراعون اعمالكم ولا يخفى عليه نياتكم على التوبة او زوالكم عنها والله عز وجل لا يخفى عليه سرائركم وهو ينبئكم
باعمالكم ويجزيكم عليها وهو ترغيب وترهيب • وقيل هو خطاب للمنافقين وعيد لهم وقيل هو خطاب

المؤمنين • وقيل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله فيثيبكم ورسوله فيزكيكم والمؤمنون فيشهدوا لكم بالخير • وروى الامام ابو منصور رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم مروا عليه بجنازة فاثنوا عليها فقال عليه السلام وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال الملائكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قال وفيه دلالة ان اجماع الامة حجة • وقال الامام القشيري رحمه الله خوفهم برؤيته سبحانه اعمالهم فلما علم ان فيهم من يتغاسر حالا لذهن الاحتشام لاطلاع الحق قال ورسوله ثم قال لمن تزلت رتبته والمؤمنون وقد يستحي من لا يستحي الحياء ويتحفظ من عين الله من هتك جلباب الاتقا • وقال عليه السلام انما ادرك الناس من كلام النبوة اذا لم تستحي فاصنع ما شئت • قال الشاعر

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه • ولا خير في وجه اذا قل ماؤه •

وقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله قرئ بالهمزة وبغير الهمزة ومعناه موخرون موقوفون الى ان يظهر امر الله فيهم • وقوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم قيل الارجاء من العباد فكانت طائفة تقول ان الله يتوب عليهم كما تاب على ابي لبابة واشكاله وطائفة تقول ان الله يعذبهم ويرد توبتهم ويمنع الناس من مكالمتهم ويفرق بينهم وبين نسائهم ويأمر بقتلهم او نفيهم فنزل القرآن بقبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا • وقيل الارجاء من الله اذ اخرهم مدة ثم بين توبتهم على اجمل الوجوه حين قرن توبتهم بتوبته عليه السلام والمهاجرين والانصار على ما نذكر في تلك الآية • قال ابن عباس رضي الله عنهما وآخرون مرجون لامر الله ليقضي فيهم ما هو قاض وهم ثلاثة نفر كعب بن مالك من بني سلمة وهلال ابن امية الواقفي ومرارة بن الربيع الزيدي وكانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه وكانوا مرجون لامر الله لا يدرون ام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعذبوا منهم حتى نزلت وعلى الثلاثة الذين خلفوا وكانوا لم يوثقوا انفسهم بالسواري ولا يدروا ايتاب عليهم ام يعذبون وقال الضحاك كانوا من افاضل الصحابة فما نسيهم لم يتسع لهم العذر كما اتسع لابي لبابة فاخرهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقفهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم ومجالستهم وامر نساءهم بالاعتزال عنهم حتى شقهم القلق وتملكهم الحزن وضاقت عليهم انفسهم لاعراض الناس عنهم واعتزال الاهل والولد منهم وكانوا ممن شهد بدرا فتاب الله عليهم بعد خمسين ليلة • وقوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ذكر جماعة انهم طائفة من المنافقين بالمدينة كانوا بنوا بقرب قبا مسجدا يبارزون به مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بقبا وكانوا اثنا عشر رجلا كلهم من الاوس والخزرج حذام بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن حنيف وجارية ابن عامر وابناه مجمع بن جارية ويزيد بن جارية ونبتل بن الحارث ومخرج الضبعي وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت وكانوا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تأتينا فتصلي فيه فقال اني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا اتيناكم فصلينا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بوادي بينه وبين المدينة ساعة من نهار فاتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم اخا بني سليم بن عوف ومعن بن عدي واخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه واحرقاه فهدماه وحرقاه وتفرقوا ونزلت هذه الآية وروي انهم بنوه بكتاب ابي عامر بن النعمان المعروف بالراهب اليهم وذلك ان ابا عامر هو الذي حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف المشركون بما انصرفوا به خرج الى الشام يستنصر قيصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب الى هولاء المنافقين يأمرهم ببناء المسجد واخبرهم انه سيظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء صلى في هذا المسجد فنزل قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا اي يضارون به اهل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقصدون به الخير • وقوله عز وجل وكفرا اي كفرا منهم بالله لانهم اتخذوه لابي عامر المشرك وقصدوا به مخالفة الله والرسول • وقوله تعالى وتفريقا بين المؤمنين ليصلي بعضهم فيه جاهلين بالحال فيتفرق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتوفرون في مسجده • وقوله تعالى وارصادا اي اعدادا وقد ارصدته اي اعددته ورصدته اي ترقبت وقوله تعالى لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق • وقوله تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي لم نقصد الا الرفق بالضعفاء والتسهيل في الشتاء • وقوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم ان اردنا الا الحسنى وهذا المعروف بالراهب سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال للنبي عليه السلام ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا

خرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر فآتي بجند فيخرج محمدا واصحابه فمات الفاسق بالشام طريدا وحيدا كما دعا وابنه حنظلة غسيل الملائكة استشهد يوم احد • وقال الحسن لما التمس هولاء من النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتي مسجدهم فيصلي فيه فجعل ينتظر الوحي فجعل لا يأتيهم واولئك لا يأتونه يشتغلون بالصلاة في مسجدهم فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فبينما هو يزره عليه اذ جبريل نزل وانزل قوله لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه لا تقم فيه مسجد الضرار للصلاة ما عشت وهو كقوله تعالى لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسس لاحياء دين الله واظهار معالم شريعته التي لا يقوم بها الا من اتقى الله تعالى • قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وابي بن كعب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا • وقوله تعالى من اول يوم اي اول الايام التي اسس يوما يوما كما تقول اعطيت كل رجل من الدراهم اي كل الرجال اذا اعتبروا رجلا رجلا • وقوله تعالى احق ان تقوم فيه للصلاة من مسجد اسس على غير التقوى بل ضرارا وكفرا وتفريقا وارصادا وذلك ليس بحق فكيف يكون هذا احق قلنا هو مبالغة ومعناه لو كان ذلك حقا فهذا احق فكيف وذلك باطل وقيل هو مسجد قبا • وقوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي يخلصون يحبون ان يصلوا لله عز وجل متطهرين بابلغ الطهارة لا كاهل مسجد الضرار الذين يصلون صورة الحقيقة وهم مدنسون بالنفاق • وقيل هو التطهر عن الذنوب بالاخلاص لله تعالى • وعن جابر وانس وجماعة ان الآية لما نزلت دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مسجد قبا فقال ان الله قد اثنى عليكم بطهوركم قالوا انا نستنجي بالماء فقال فعليكموه • وقال عطا كانوا يستنجون بالماء لا ينامون بالليل على الجنابة • وقوله تعالى والله يحب المطهرين اي يحب هولاء ومن فعل مثل فعلهم • وقال يزيد بن سخبرة اتت الحمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة جارية سودا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قالت انا ام ملدم انشف الدم واكل اللحم واصفر الوجه وارقق العظم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مري فاقصدي الانصار فان لهم علينا حقوقا فاتت الانصار فلما كان من الغد قال ما لي لا ارى الانصار قالوا حموا عن آخرهم قال قوموا نعدهم فعادهم وجعل يقول ابشروا فانها كفارة وطهور فقالوا يا رسول الله فادع الله ان يديمها علينا ابدا حتى تكون كفارة لذنوبنا فانزل الله تعالى يثني عليهم فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي بالحمى عن معاصيهم والله يحب المطهرين قال مقاتل بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الضرار بعدما هدم واحرق ان يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف • وقال الامام ابو منصور رحمه الله في هذه الآية دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين فاطلع الله نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى وكذا قال في قوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون • وكذا قال في كثير من آيات هذه السورة فيما يرجع الى ابنا وهم السوء في حق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه • وقال الامام القشيري رحمه الله فيه رجال يحبون ان يتطهروا يتطهرون عن رجس المعاصي وذلك سمة التائبين ويتطهرون من الشهوات والاماني وذلك صفة الزاهدين ويتطهرون عن صحبة المخلوقين عن شهود انفسهم فيما به يتصفون وذلك صفة المحبين والله يحب المطهرين باسرارهم عن مساكنة المخلوقين وملاحظة المزخرفين • وقوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير قرأ نافع وابن عامر على ما لم يسم فاعله • وقرأ الباقون على الفعل الظاهر بنيانه بالنصب على انه مفعول به والالف استفهام بمعنى الانكار والبنيان البناء • وقوله تعالى على تقوى من الله ورضوان بحذف تنوينه لانه على وزن فعلى واصله وقوي • وقوله تعالى خير هو على التفضيل فترك ذلك وانما لم يدخل فيه الالف لان الخير والشر فيهما اشتراك فتقديرهما الاسم بدون التفضيل وقوله تعالى ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الشفا الطرف والجرف للوادي الذي يجرف بالماء اصله تشقي ناحيا وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشي من اصله والهار الساقط الواقع الذي يتداعى بعضه على بعض كما ينهار الرمل الرقيق والثلج الرخو قاله القطرب • وقال ابو عبيدة اي رخو سريع الانهدام ورجل هار اي ضعيف وقد هار يهور اذا انصدع انهار وهو هاير فلما قيل هار هنا لانه قلب مقلوب هاير كما يقال عاق يعوق فهو عائق ثم قيل في النعت عاق • وقول الشاعر

ولو اني رميتك من بعيد • لعاقك من دعا الذئب عاق •

ويقال ايضا هار فهو هار على الرفع وتقديره هور كما يقال رجل مال اي متمول وتقديره مول وعلى هذا لا قلب • وقوله تعالى فانهار به في نار جهنم اي تساقط وتناثر به اي بصاحبه فسقطا معا فيها والبا للتعدية والالصاق ومعنى الآية اي الفريقين اولى بالخيرية من اسس بنيان المسجد يريد به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد قبا او مسجد المدينة ام من اسس بناءه على النفاق والشقاق والكفر والتفريق

وانتظار الكفار ان ياتوه فيقصدوا به كيد المسلمين ويتدبروا في الاحتيال للمومنين الذين فلا يلبث احتيالهم
ان يبطل وظنونهم ان تخيب فيهدم البنا وينهار الاساس ثم تكون عاقبته دخول جهنم ولم يقل هو في نار جهنم
للحال لانه ما دام حيا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها • وقوله تعالى **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي
لا يهديهم للرشد وكلامهم به تدبيرهم الفاسد كما قال تعالى لا يهدي كيد الخائنين ولا يوفقهم للخير عقوبة لهم
على نفاقهم • وقال محمد بن اسحاق ان الذي كان يؤم في ذلك المسجد مجمع بن جارية فلما انزل الله في شانه وامر
النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه وتفرقت تلك الجماعة وذهب من كان يصلي من بني عمرو بن عوف في مسجدهم الى
المسجد الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء كلم بنو عمرو بن عوف عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن
لمجمع بن جارية فيؤمهم في مسجدهم فقال ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال المجمع يا امير المومنين
لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيهم والله اني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما
قاريا للقران وكانوا شيوخا ولم اعلم ما في انفسهم وكانوا لا يعرفون من القران شيا فصليت ولا احسب
ما صنعوا شيا الا في قلب يتقربون الى الله فعذره وصدقه وامره بالصلاة لقومه • وقوله تعالى **لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم** اي شكا وشبهة اي كان التقى اليهم ابو عامر انه يأتي مسجدهم فيصلي
فيهم ويكون له ولهم الظهور على المسلمين فلا يزال ذلك في قلوبهم • وقوله تعالى **الا ان تقطع قلوبهم** قرا
ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص بفتح التا واصله تتقطع فحذفت احداهما تخفيفا • وقرا الباقون
بضمها وهو ما لم يسم فاعله من التقطيع • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الموت • وقال عكرمة هو في القبر
وقال المبرد تقطع تشققه والضداعة ولا ينفع مع ذلك وهو كقوله تعالى ثم لقطعنا منه الوتين وهو نياط
القلب والحياة تنقطع عند انقطاعه وهذا اخبار بموتهم على نفاقهم واصرارهم عليه حال حياتهم • وقيل
معناه ان اختلاطهم واشتغالهم فيما قصدوه ببناء هذا المسجد لا يزول عنهم الا ان يموتوا فيستيقنوا بالموت
لانه حال زوال الشكوك • وقال المبرد اي ان الهدم بنيانهم غيظا في قلوبهم الى الموت • قال الشاعر •
تدفننا من تهامة كل ريب • وخيبر ثم اجمعنا السيوفا •
وقال الامام ابو منصور رحمه الله ريبة اي حسرة وندامة وهو على وجهين يحتمل انهم تابوا وندموا على
ما صنعوا • ويحتمل حسرة وندامة وهو على وجهين لما انتقض ما صنعوا • وقوله تعالى **والله عليم** اي
بضماير العباد **حكيم** في التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد • وقوله تعالى **ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم** بدا السورة بالبراءة من الكافرين ثم بالامر بقتال المشركين ثم بالحث
على الخروج على عزو عظيم اختلف فيه احوال المنافقين وذم فيه المتخلفين ثم مدح في هذه الاية
المجاهدين وذكر كرامتهم يوم الدين فقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم **بان لهم
الجنة** اخبر عز وجل انه اجر عباده المومنين على ابدانهم واموالهم بما اعد لهم من جنات النعيم عنده مع
ان الاشيا كلها ملكه لطفا منه بعباده كما قال تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وهو كما
قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا • وقوله تعالى **يقاتلون في سبيل الله** اي يبذلون انفسهم
واموالهم في طاعة الله والجهاد لاعدائه على اعلا كلمته **فيقتلون ويقتلون** اي هم تارة يقتلون
العدو وتارة يقتلهم العدو فاذا فعلوا ذلك فقد سلموا اما باعوا واستحقوا بوعد الله بثمن ما اعطوا
وهو الجنة وهذا مستعار من الكلام تشبيها بالبيع المعروف الذي حقيقته اعطا شي واخذ بدلا عنه
وقرا حمزة والكسائي فيقتلون بضم اليا وفتح التا على ما لم يسم فاعله ويقتلون على عكسه على الفعل
الظاهر وهذا ادل على ثبات قلوبهم وجراتهم على عدوهم وانهم لم يكسرها ما جرى على بعضهم كما قال
وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية • وقوله تعالى **وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل
والقران** وعدا نصب على الحال من قوله بان لهم الجنة او معناه بوعد عليه حق فنصب بنزع الخافض
ومعناه عهدا عليه لازما وحيه الى انبيايه واثبته في كتبه • وقوله تعالى **ومن اوفى بعهده من الله**
استفهام بمعنى النفي وهو بيان ان المراد من الوعد المذكور قبله هو العهد • وقيل بل المراد من هذا العهد
هو الوعد وهو بيان ان الشرا ليس على حقيقته وهو مبادلة صورة ومواخذة معنى • وقوله تعالى
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فافرحوا به فانكم تبيعون فانيا بباق وتاخذون ثمنا من شئتم
هو المالك للمبيع هو ملكه وخلقه ثم لا يخرج من ايديكم هذا المبيع الحياة منقضية فانية ومال قليل
تافه تتقاصرون عنهم حياة مهناة دايمة ونعما في جنات الخلد باقية • وقوله تعالى **وذلك هو الفوز
العظيم** وهذا الشرا على هذا الوجه لكم فيه ربح عظيم • وروي عن عبد الله بن رواحة انه قال
يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعوا به انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة

والربح المبيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الاية • وقال الحسن مر اعرابي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا
هذه الاية فقال كلام من هذا قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو
فاستشهد • وقال جعفر بن محمد الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها • وانشد الاصمعي
لجعفر الصادق •
اثامن بالنفس النفيسة ربها • فليس لها في الخلق كلهم ثمن •
بها يشترى الجنات ان انا بعتها • بشي سواها ان ذلكم غبن •
اذا ذهبت نفسي بدنيا اصبتها • فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن •
وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الانبيا يا بني ادم ما خلقتكم لاربح عليكم انما خلقتكم لتربحوا علي • وفي
التوراة الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فان ربحتم بالي فلكم وان خسرتم فعلي • وقال
الامام القشيري رحمه الله البايع لا يستحق الثمن اذا امتنع عن المبيع فلذلك لا يستحق العبد الجزا
الموعود الا بعد تسليم النفس والمال على موجبا وامر الشرع وقيل لا يكون في الشرع البايع والمشتري
واحدا فيتولى طرفي العقد الا الاب والجد لفرط شفقتهما وكمال نظرهما ولما كانت رحمة الله بالعبد اتم
ونظره له ابلغ وكان سبحانه وتعالى اولى بالمومن من نفسه بنفسه تولى العقد عنه عليه • وقيل علم
الله تعالى سو خلقك فاشتراك قبل ان وجدك وعالي بثمنك ليلا يكون لك حق الاعتراض عند
بلوغك • وقيل لا يصح للمومن ان يتعصب لنفسه بحال لانها ليست له حالا ومشتريها اولى بها من صاحبها
الذي هو اجنبي عنها • ويحكى عن الجنيد انه مرض مرضا فدعا الله ان يشفيه فنودي في السر يا فضولي
لم تدخل بيني وبين نفسك اما علمت ان نفسك لي اتصرف فيها كيف شيت • وقيل احبر انه اشتراها
ليلا يدعي العبد فيها ولا يساكنها ولا يلاحظها ولا يحتجب بها وانما قال انفسهم ولم يقل قلوبهم لانها فيها
ندخلت في الحكم معها • وقيل ذكرا النفوس والاموال وجعل الجزا عليهما الجنة فاما القلوب فعطاوها
رويته عز وجل • وقيل ذلك شرا النفوس والاموال لانها معيبة ولا يرغب المشترون في شرا المعيب
فاشتراهما ذلك بكرمه ترضيا لما كسد على العبد امتنانا عليه • وقيل اشترى النفوس منهم بالثمن
وهبوا القلوب له شكرا لذلك • وقيل القلوب ليست في ابدانهم فلا يقدرون على تسليمها والاشترى
ما لا يمكن تسليمه كالطير في الهوا والسمك في الما • وقال ابو علي الدقاق القلوب موقوفة على محبة
الله تعالى والوقف لا يشترى • وقال في قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ولم يقل بثمن
بيعكم ليعلم ان الاستبشار بزوال النفس والاموال عن حكمهم وخلاصهم عن افاتها • وقوله تعالى
التايبون وفي مصحف ابن مسعود التايبين نعتا لقوله من المومنين فاما الرفع فلوجوه احدها هم التايبون والثاني
فيقتلون ويقتلون ولذلك ضمير في اخره وهذا بدل ذلك الضمير والثالث هو مبتدا وخبره مضمر
في اخره لهم الجنة وكذا ما بعده وتوجيهه لما قلنا ولما مدحهم وزكاهم بما كان منهم ذكر خصالهم التي
هي صفات المتخلقين بالايمان ولذلك ختم بالايمان بقوله وبشر المومنين كما افتتح به بقوله اشترى
من المومنين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الصفات مما شرطها الله عز وجل على الجهاد واذا لم
يوفوا له بشرطه وفي لهم بشرطهم • وقال الحسن هذه اعمالهم قبل الجهاد • وعنه في رواية قال على هذا
الشرط اشترى منهم • واما تفسير التايبين فقد قال قتادة وعطا التايبون من الشرك ثم لم
ينافقوا في الاسلام • وقيل الراجعون عن المعاصي • وقال الامام القشيري رحمه الله التايبون
اصناف فمن راجع يرجع من زلته الى طاعته ومن راجع يرجع لاعن شهود نفسه الى شهود لطفه ومن راجع
يرجع عن الاحساس بنفسه لانها الى الاستغراق في حقايق حقه • وقوله تعالى **العابدون** اهل
العبادة والعبودية • وقال الكلبي المطيعون المخلصون • وقال عطا الموحدون لله • وقال الحسن
الذين عبدوا الله باتباع امره واثروه على من دونه • وقال القشيري رحمه الله العابدون الخاضعون
لله بكل وجه الذين لا تسترقهم كرايم الدنيا ولا تستعبدهم مطالبهم العقبى ولا يكون العبد عبدا على
الحقيقة الا بعد تجرده عن كل حادث • وقوله تعالى **الحامدون** اي المثنون عليه بالاية الشاكرون
له على نعمايه المادحون له بصفاته واسمايه • وقال القشيري رحمه الله الحامدون لهم الذين لا اعتراض
لهم على ما يحصل بتقديره ولا انقباض لهم عما يجب له من طاعته • وقيل هم الذين يحمدونه على منعه
وبلايه كما يحمدونه على صنعه وعطايه • وقوله تعالى **السايحون** اي الصايمون • قالت عايشة رضي
الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سياح امتي الصيام • وقال سفيان بن عيينة انما قيل
للصايم سايح لانه تارك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح كمن يسيح في الارض اي كمن يسير فيها
وقيل طلاب العلم الداخلون فيه • وقال الامام القشيري رحمه الله هم الصايمون عن شهود غير الله
الممتنعون عن خدمة غير الله تعالى المكتفون من الله بالله • وقيل السايحون في الارض على جهة الاعتبار

طلبا للاستبصار والذاهبون بعقولهم في مشارق الارض ومغاربها بالتفكر في جوانبها والاستدلال بآياتها على خالقها والجائلون باسرارهم في الملكوت فيجدون روح الوصال ويعيشون بنسيم الانس بتحقق ذي الجلال • وقوله تعالى **الراكعون الساجدون** اي المحافظون على الصلوات فرضها ونفلها لانه لا يليق وخشوعا • وقال بعضهم الراكعون الساجدون بنية صادقة بلا رياء والسمعة • وقال الامام القشيري رحمه الله الراكعون الخاضعون لله في جميع الاحوال بخمودهم تحت سلطان التجلي • وفي الخبر ان الله تعالى اذا تجلى لشيء خشع له فالساجدون بنفوسهم في الظاهر على بساط العبودية وبقلوبهم في الباطن عند شهود الربوبية • وقوله تعالى **الآمرون بالمعروف** اي الايمان والطاعة **والناهون عن المنكر** اي الكفر والمعصية • وقال بشار بن عبد الله الآمرون بالمعروف اي باقامة السنة والجماعة والناهون عن المنكر عن الهوى والبدعة • وقال الامام القشيري رحمه الله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم الذين يدعون الخلق الى الله تعالى ويحذرونهم عن غير الله تعالى يتواصون على الاقبال على الله وترك الاشتغال بغير الله تعالى • وفي زيادة الواو في قوله تعالى والناهون اقاويل الواو وتدخل للمبالغة في المدح للنعوت واحدا كان او جماعة • قال تعالى وسيدا وحصورا ونبيا وقيل لان الامر والنهي متقابلان والمعروف والمنكر كذلك فكانا كالمتعاندين فادخل بينهما حرف العطف كما في قوله تعالى ثيبات وابكارا • وقيل هي واو الثمانية لانها الصفة الثامنة والعرب تخص ذلك بالواو وكما في قوله تعالى ثيبات وابكارا • وقوله تعالى وثامنهم كلبهم • وقوله وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية ولا اصل لهذا القول عند المحققين فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك الاستعمال على الاطراد كذلك • قال الله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر بغير واو • وقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الآية بغير واو وفي التاسع • وقوله تعالى **والحافظون لحدود الله** قال الحسن هم اهل الوفاء ببيعة الله • وقيل حدود الله اوامره ونواهيه • قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها • وقيل هي معالم الشرع • وقال القشيري رحمه الله هم الواقفون حيث وقفهم الله تعالى الذين يتحركون اذا حركهم ويسكنون اذا اسكنهم يحفظون مع الله انفاسهم • وقوله تعالى **وبشر المؤمنين** الذين بايعهم الله ليستبشروا • وقال بنفسه فاستبشروا • وقال لنبيه وبشر لتضاعف الاستبشار • وقيل اي وبشر المؤمنين من المجاهدين وغيرهم لما حض المجاهدين بقوله فاستبشروا فاسكن قلوب القاعدين بعذر بقوله وبشر المؤمنين لئلا يقنطوا • وقوله تعالى **ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** واتصالها بما قبلها انها حث للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على قطع موالاة المشركين احياءهم وامواتهم قريبهم وبعيدهم تاكيدا لما امرهم به من الجهاد اذ لا يتهيأ ذلك مع الاقارب خصوصا الا بقطع الموالاة والود وما كان تاكيدا للنفي كما في قوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ما كان لله ان يتخذ من ولد وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وما كنا سارقين وتقديره ينبغي من احد منهم اذا يئسوا ان الله تعالى لا يغفر المشركين وان كانوا اقرباءهم بعد ان عرفوا انهم اعداء الله وانهم يستوجبون سخط الله والمستحقون عذاب الله • وقال بعض اهل التفسير من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ظهر لهم شركهم فقد قال ان الله لا يغفر ان يشرك به • وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك اي بعد ما ماتوا على شركهم فقد انقطع رجاء مغفرتهم وزال اهليتهم للمغفرة • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال اليس قد استغفر ابرهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية • وقال الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ان فلانا يستغفر لابائه وهم مشركون فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت هذه الآية فامسكوا عن الاستغفار • وقال سعيد بن المسيب لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقالا له يا ابا طالب اترغب عن ملة ابائك فلم يزالا به حتى قال اخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده باكيا وقال لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت هذه الآية • وذكر الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر امه في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما قام عند قبرها فاذا هو بجبريل عليه السلام فوضع يده على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون فما روي في يوم اكثر واشد بكاء من يومئذ • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا يصح حديث استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لعمه وامه فقد علم بكفرهما وموتهما عليه ولا يخفى عليه ان الله تعالى لا يغفر للمشرك اذ في العقل والحكمة

تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر له اذ في ذلك تسوية بين الولي والعدو وهو ليس بحكمة وجاز ان يكون استغفر لهم قبل ان يتبين له موتهم فلما تبين له كف والاستغفار للمشرك حال حياته يجوز على معنى سؤال الاسلام له والمغفرة بسببه فاما مع قيام الكفر فلا • وقوله تعالى **وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه** قيل لما ورد النهي عن الاستغفار قال الناس ان ابرهيم استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الآية ومعناها ولم يكن سؤال ابرهيم الله ان يغفر لابيه الا بسبب انه كان وعد لابيه لقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي فوفى بذلك الوعد وسأل الله ان يغفر له ومعناه ان يهديه للاسلام ويجعله اهلا للمغفرة ويغفر له بعد اسلامه وهو كقول هود لقومه واستغفروه ثم توبوا اليه وكقول نوح عليه السلام واستغفروا ربكم انه كان غفارا ليس هذا بامر لهم ان يقولوا استغفروا الله ولكن هذا امر بالاسلام ليصيروا اهلا للمغفرة لهم وكذا قول ابرهيم عليه السلام واغفر لابي اي اعطه السبب الذي تغفر له به وهو التوحيد وعلى هذا القول يكون قوله وعدها خبرا عن فعل ابرهيم • وقوله تعالى اياه كناية عن ابيه وقال بعض المفسرين بل قوله وعدها خبر عن فعل ابي ابرهيم انه وعد ابرهيم • وقوله اياه كناية عن ابرهيم وتلك المواعدة انه كان قال لابرهيم اني اسلم وقت كذا فكان يستغفر له ومعنى استغفاره سؤال المغفرة له بعدما اسلم او سؤاله اعطاء الاسلام الذي به يغفر له • وقيل كانت المواعدة موقتة فانتهى ابرهيم الى ذلك الوقت فظن انه اسلم فاستغفر له مطلقا ولذلك قال انه كان من الضالين اي قبل هذا كما قال سبحانك اني كنت من الظالمين اي قبل التوبة فلما ظهر انه لم يسلم تبرأ منه وعلى القول الاول **فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه** اي لما مات على الكفر تبرأ منه وهذه الجملة حاصل كلام الامام ابي منصور رحمه الله ثم اورد سؤالا على قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لما استثنى هذا من الاقتداء به علم انه لا يجوز وسؤال الهداية للكافر والمغفرة جائز بعد هذا فيما ذكرنا واجاب عن هذا حتى يعلم المراد من استغفاره اي اذا وقع عند السامع انه سؤال المغفرة مطلقا لا على الوجه الذي قلنا فلا ينبغي له ان يفعله مقتديا به في ظاهر الاستغفار • وقوله تعالى **ان ابرهيم لاواه حليم** الاواه في اللغة المتأسف وهو المتوجع والمتحزن • قال المثقب العبدي

• اذا ما قمت ارحلها بليل • تأوه آهة الرجل الحزين •

اصلها تأوه وبنائه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاواه التواب • وقال ابن مسعود رضي الله عنه الدعاء • وقال الحسن وقتادة الرحيم • وقال مجاهد الموقن • وقال كعب القائل اه عند ذكر النار وقيل المؤمن • وفي التأويلات عن النبي عليه السلام انه سئل عن الاواه فقال الدعاء الخاشع المتضرع وفيها عن ابن عباس رضي الله عنهما الاواه المؤمن • وفيها قيل الاواه الفقيه الموقن • وفيها قيل المسبح • وقال في الحليم هو الذي لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه • وقيل الحليم ههنا هو ان جهل الكافر لم يمنعه عن الدعاء الى الله تعالى وعن المواعدة الجميلة التي يرجو بها الحمل على الاسلام وذلك مثل ما ذكر في سورة مريم في مخاطبته ابيه في ايات • وقوله تعالى **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** قال مجاهد لا يحكم بضلالكم عن الحق باستغفاركم للمشركين الا بعد ان تبين لكم انكم منهيون عنه • وقال الكلبي لما انزل الله الفرائض فعمل بها الناس ثم جاء ما نسخها من القرآن وقد غاب الناس وهم يعملون بالامر الاول من القبلة والخمر واشباه ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية • وقال الكلبي يقال وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يتبين لهم الناسخ ونظيره وما كان الله ليضيع ايمانكم وقوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية • وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون والاضلال الاهلاك يقال ضل الماء في اللبن قال ابو روق وما كان الله ليترك قوما في الضلال وان عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم ما نسخ من القرآن ثم يعملون به بعد ذلك • وقوله تعالى **ان الله بكل شيء عليم** هذا ظاهر • وقوله تعالى **ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ينتظم بما مر من الحث على الجهاد ان له الخلق كله يصرفهم كيف يشاء ويغني ويفني فامضوا على نيتكم ولا يهولنكم كثرة الاعداء وتوكلوا على ما وفوا بالمبايعة انصركم فان لم توفوا فاخذلكم ثم لا يكون لكم ولي ولا نصير وعلى قول من يحمل الآية الاولى على النسخ فوجه الانتظام انه له ينسخ حكما بحكم ويأمر بامر ويحكم في اهل السموات والارض بما يشاء • وقال الامام القشيري رحمه الله ان الله له ملك السموات والارض وهو لا يتجمل بوجود مملوكاته ولا يلحقه نقص بعدم مخلوقاته يحيي من يشاء بعرفانه ويميت من يشاء بكفره وطغيانه يحيي من اقبل عليه بنفسه ويميت من اعرض عنه بنزغه • وقوله تعالى **لقد تاب الله على النبي** الآية • قال ابن عباس رضي الله عنهما

ولما نزلت هذه السورة وفي اياتها بيان معاملات المنافقين على التفصيل ظننا انه لا يبقى احد منا الا نزلت فيه قران الى ان نزلت هذه السورة وكانت السورة تدعى الفاضحة ولما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة • وقوله تعالى لقد تاب الله على النبي قال ابو عبيدة هو مفتاح كلام لما كان هو سبب التوبة على القوم ذكره معهم كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه عفا الله عنك لم اذنت لهم • وقوله تعالى والمهاجرين والانصار وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد وغيره • قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم • وقيل هو في حق هفوات كانت منهم في غزوة تبوك هموا ان ينصرفوا في غزوتنا الانصراف على غزاة ن لشدائد اصابتهم • قال ويجوز ان يكون اراد الادوام وامروا بالثبات على التوبة الماضية كما عرف في قوله هذا • وقوله يا ايها الذين امنوا امنوا به على الدوام والثبات دون الابتداء والانشاء • قال ويحتمل انهم حين صبروا على ما اصابهم من الجهد والشدة كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عنهم وجلا لهم اغطية كانت لا تنجلي لهم فازدادوا تقوى ويقينا وتسليما ورجوعا الى ربهم فذلك توبة الله عليهم وتوبتهم الى الله تعالى ثم الجمع بين المهاجرين والانصار وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا غاية التشريف لهم والتشهير حيث اشرك بينهم بينه وبينهم في التطهير • وقوله تعالى والذين اتبعوه في ساعة العسرة اي في غزوة تبوك وقد اصابتهم فيها مشقة شديدة من قلة الزاد والماء والمركب وهذا عن مجاهد وجابر وقتادة • قال عبد الله بن محمد بن عقيل كان ذلك عسرة من الماء وعسرة من النفقة وعسرة من الظهر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في شان العسرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع وحتى ان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده • فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء ثم سكبت فملاوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر • وقال قتادة ذكر لنا ان الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها هذا • وقال الحسن ومعمر كان الرجلان والثلاثة على بعير واحد يتعاقبون وكان زادهم التمر المسوس والشعير والاهالة المنتنة وفيها قصة دعائه بتمر قليل وجعله في قصعة والدعاء بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلاثين الفا ازوادهم والتمر بحاله وفيها كانت قصة وضعه كفيه في ما قليل والنفجار الماء من اصابعه الشريفة حتى شربوا وسقوا دوابهم وملاوا اوعيتهم • وقوله تعالى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم قرا حمزة وعاصم في رواية حفص يزيغ بالياء لتذكير لتقدم الفعل • وقرا الباقون بالتاء للتانيث بسبب الجمع كما في قوله تعالى وتطمئن قلوبنا • وقوله تزيغ اي تميل قلوب فريق منهم اي جماعة ولم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم بل قلوب فريق منهم وهذا في الزيغ يجوز ان يكون ميلا عن المضي قصدا للرجوع ويحتمل ان يكون وقوع الاضطراب في القلوب بقول تناهت به العسرة واشتد عليهم الامر حتى قاربوا ان يضطرب فتداركهم الله وكذا كان حال الانبياء واتباعهم من قبل قال تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقال لما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية • وقال هنالك ابتلي المومنون • وقوله تعالى ثم تاب عليهم اي وفقهم للرجوع اليه والاعتصام به وقيل ذلك منهم • وقوله تعالى انه بهم رؤوف رحيم والجمع بين الاثنين للمبالغة والتاكيد وانما كرر ذكر التوبة لوجوه احدها ان قوله لقد تاب الله هو للتوفيق للتوبة ثم قوله ثم تاب الله عليهم لقبولها • والاول لما سلف والثاني لما كان منهم في هذه الغزوة اما الاول للكل والثاني لمن كاد يزيغ قلبه على الخصوص • وقيل الاول العفو والثاني التخفيف حيث قفل بهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحرب قال الحسن وهو كقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي خفف عنكم فاسقطه منكم • وقال الامام القشيري رحمه الله كذا سنة الله مع اوليائه اذا اشرفوا على العطب وقاربوا من التلف وتمكن الياس من قلوبهم من النصرة ووطنوا انفسهم على ان يذوقوا اليا الياس والعسرة مطر عليهم سحاب الجود والنصر الموعود فيحييه عود الحياة بعد يبسه طريا ويرد ورد الانس عقيب ذبوله غضا جنيا • وقوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب ايضا على الثلاثة الذين خلفوا • قال قتادة اي عن غزوة تبوك وقال مجاهد اي عن التوبة • وقيل اي الذين خلطوا عملا صالحا • وقال تعالى واخرون

مرجون

مرجون لامر الله او عن المذكورين في قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار فابتهلوا ودعوا فتاب الله عليهم وللاول وجهان احدهما انه تقدمهم القوم فهم مخلفون بتقدم اولئك والثاني خلفهم الله اي خلق فيهم التخلف ودل ذلك على خلق الافعال • وقوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي اتسعت وقد رحب رحبا بضم الراء المصدر فهو رحب بفتحها من حد شرف وما مع الفعل مصدر تقديره برحبها اي بلغ بهم الغم والتاسف والندم مبلغا لا يجدون منه مخرجا ولا يهتدون لحيلة كما قال

الشاعر • كان بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل •

وقوله تعالى وضاقت عليهم انفسهم اي اشتد غمهم وضيق صدورهم رحبا وهم فصاروا كانهم لا يجدون موضعا يخفونها فيه • وقوله تعالى وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي ايقنوا انه لا معتصم من الله بالاباة ولا مخلص من عقاب الله الا عفو الله • وقيل كان ذلك حين كلموا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلم يجبهم بشيء وحتى اذا يقتضي جوابا وهو محذوف هاهنا وهو معطوف عليه ثم تاب عليهم وهو ان يقال خفف عنهم عليهم او رحمهم ونحوه ثم تاب عليهم • وقيل حتى اذا كلمة غاية وتقديره وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وعلى هذا الوجه لا حذف فيه • وقوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا • وقوله تعالى ان الله هو التواب الرحيم وهذا ظاهر والاية نزلت في كعب ابن مالك من بني سلمة وهلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع بن الزبيدي • وذكر محمد بن اسمعيل البخاري في الجامع عن عبد الرحمن بن عبد الله عن كعب بن مالك عن ابيه عن جده انه قال لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا غزوة تبوك وكان من خبري اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وعدوا كثيرا فجلى للناس امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فاخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن انه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول في نفسي انا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض شيئا من جهازي ولم يزل بي ذلك حتى اسرعوا وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم احزنني ان لا ارى الا رجلا مغموصا عليه النفاق او رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه • فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني انه توجه قافلا حضرني همي وطفقت اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت اني لم اخرج منه ابدا بشيء فيه كذب فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون وطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان ساخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت الا تكون قد اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما زالوا يونبونني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت

فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا ثم اصلي قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي اقبل الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلم اني احب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من انباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قراتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبي بمثل ذلك فقلت لامراتي الحقي باهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال كعب فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك كما استاذنت امراة هلال بن امية ان تخدمه فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء الفرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس والناس حوله فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قلت امن عندك يا رسول الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت اني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجو ان يحفظني الله تعالى فيما بقيت فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على النبي الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سبحانه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب وكنا خلفنا عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تبارك وتعالى فيه فلذلك قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا

والمهاجرين والانصار

وليس

وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه وقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** اي في الصادقين اي القائلين بالحق العاملين به ومع الصادقين في معنى من الصادقين او في الصادقين لان مع هو للمصاحبة وفي للوعاء ومن للتبعيض فاذا كانوا ادخلناهم فيهم فلهم المعاني الثلاثة وقيل هذا امر للصحابة رضوان الله عليهم اذا خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتقوا الخيانة في الغنيمة وان يكونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وافعاله وهو من قولك انا مع فلان على مذهبه ومعناه اتقوا الله في الدنيا لتكونوا مع الصادقين في الجنة في العقبى من قول الله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية وطريقه طريق قولك ايتني وخذ كذا اي لتاخذ كذا وفي قصة كعب التي سقناها ما يدل على ان الاية نزلت في المجاهدين فقد قال الله تعالى فيهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وليس هو مجرد القول بل هو التحقيق في الايمان قال الله تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فكان معنى الاية ولا تعودوا الى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيه لتكونوا قد صدقتم في ايمانكم وقال الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان يومئذ خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ظلالك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاخر فلم يكن له الا اهل فقال يا اهلاه ما بطاني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المغاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم واما الثالث فلم يكن له اهل ولا مال فقال يا نفس والله ما خلفني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حب الحياة لا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب ناقته ومعه زاده على ابطه فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما يا ايها الذين امنوا من اهل الكتاب اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اي مع [illegible] وقيل يا ايها الذين امنوا من اهل الكتاب بمكة ولم يهاجروا اتقوا الله وكونوا مع المهاجرين وقال الضحاك وكونوا مع الصادقين مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الامام ابو منصور رحمه الله اتقوا مخالفة الله فيما امركم به وكونوا مع الموافقين لامره ودلت الاية على ان اجماع الامة حجة لانه امرهم بالكون مع الصادقين ودينه نلزم قبول قولهم وقال يمان بن رباب وكونوا مع الصادقين اصدقوا كما صدق هؤلاء الثلاثة وقال ابن مسعود رضي الله عنه والله ما يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال عبد الله بن عامر اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا وانا صبي فخرجت العب فقالت امي تعال اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو لم تعطه فانت كذابة وقال قتادة وكونوا مع الصادقين الصدق في السر والعلانية النية والصدق في العمل والصدق في الليل والنهار والصدق في السر والعلانية وقال اهل المعرفة هو الصدق في الاحوال وفي الزبور كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني وقوله تعالى **ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** ثم حث جل جلاله ساكني المدينة من المهاجرين والانصار ومن حولهم من الاعراب مزينة واشجع واسلم وجهينة وغفار على ما حث عليه الانصار فقال ما ينبغي لهؤلاء ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استنفرهم واستنهضهم الى الغزو ولا ان يضنوا بانفسهم حتى ينفرد هو بتحمل المشقة دونهم بل يلزمهم جميعا ان يخرجوا معه وقوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ولا ان يرغبوا عطفا على الاول والرغبة طلب المنفعة وقولك رغب في كذا اي طلب المنفعة به وقولك رغب عن كذا اي طلب المنفعة بتركه ومعنى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي يطلبوا المنفعة بتوقية انفسهم دون نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قطرب اي لا يكرهوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه وقال ابو الهيثم البحري اي لا يكونوا اشفق على انفسهم منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن كيسان اي لا يرضوا ان يكونوا في خفض ودعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة ونصب وقال القشيري رحمه الله اي ليس لهم ان يؤثروا على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من اهل وولد ونفس وروح ولا يحرزون بذلك ثم وصل به ما يحركهم به عليه وهو قوله تعالى **ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله** اي ذلك الحث والترغيب بانهم لا ينالهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد وقوله تعالى **ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار** اي ولا يطؤون باقدامهم او خيولهم ارضا والموطئ يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون موضعا كالمرجع وقوله تعالى يغيظ الكفار اي يغيظهم وقوله تعالى **ولا ينالون من عدو نيلا** ومعناه لا يصيبون من احد منهم شيئا من جرح او قتل او ضرب او تشديد او اخذ مال وغنيمة ذلك وقوله تعالى **الا كتب لهم به عمل صالح** اي حصل لهم بكل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة وانما

قال بعد ذكر اشيا جملة انه لما ادخل بين شيئين لا بكون لا صار كل فعل منفردا بالذكر مقصودا بالوعيد وهو كما قال اصحابنا من حلف لا ياكل خبزا ولا لحما يحنث بواحد منهما ولو قال والله لا اكل خبزا ولحما لم يحنث الا بهما جميعا • وقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي هم محسنون والله لا يبطل ثوابهم • وقوله تعالى ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال ابن عباس رضي الله عنهما قليلة ولا كثيرة • وقيل صغيرة انما لفرس او خرز مطهرة او خصف نعل وكبيرة شراك كراع او سلاح او اعداد زاد • وقوله تعالى ولا يقطعون واديا قال ابن عباس رضي الله عنهما مقبلين ومدبرين • وقوله تعالى ولا يقطعون واديا • وقوله تعالى الا كتب لهم به عمل صالح كما مر مرة ويستقيم الا كتب لهم ذلك • وقوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي يامر بكتابة هذه الاشيا في كتبهم ليضع جحافهم يوم القيامة فيجزيهم على كل واحد منها جزا احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه بشكر لسعيهم وتوفيرا لاجرهم قالوا في الاية ان من قصد طاعة كان قيامه وقعوده ومشيه وحركاته فيها كلها حسنات مكتوبة له فما اعظم بركات الطاعات • وقال قتادة ما ازداد قوم في سبيل الله من اهاليهم بعدا الا ازدادوا من الله قربا • وقال القشيري رحمه الله ذلك بانهم لا يرفعون لاجله سبحانه خطوة الا قابلهم بالخطوة ولا ينقلون لله قدما الا لقاهم لطفا وكرما ولا يقاسون فيه عطشا الا سقاهم من شراب لطفه كاسا ولا يتحملون لاجله مشقة الا اعطاهم سرورا ونصرة • ولا ينالون من الاعدا ما يوجب وهنهم الا شكر سعيهم • وقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون قال الكلبي لما انزل الله تعالى في عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ولا سرية ابدا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بالسرايا الى العدو ونفر المسلمون رضي الله عنهم اجمعين جميعا وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة فنزلت الاية الكريمة الشريفة عليه صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تقتضي الاية لبين حكم المؤمنين رضي الله عنهم ان ينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اصحاب ويضيعوا اهاليهم واموالهم فهلا خرج من كل قبيلة جماعة منهم للغزو وقعدت طائفة ليتعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم القران والسنن والاحكام والتفقه التفعل من الفقه وهو طلبه وتحصيله والفقه هو وجدان المعاني المضمنة فيها من غير تصريح بالدلالة عليها ولينذروا المتفقهون قومهم الخارجين الى الغزو اذا رجعوا من الغزو اليهم ليحذروا مخالفة الشرع اذا سمعوا وعلموا او بحضرة قال ابن عباس رضي الله عنهما وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي وحده فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني السرايا ولا يخرجوا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله تعالى انزل على نبيكم بعدكم قرانا وقد تعلمناه • فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله تعالى على نبيهم بعدهم ويبعث السرايا اخر ليتفقهوا في الدين حتى يتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموه السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون • وذكر الامام ابو منصور رحمه الله هذا القول وقولا اخر عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج للغزو خرجوا جميعا معه فتبقى المدينة خالية من الرجال فنهى الله عن ذلك وقال وما ينبغي للمؤمنين ان ينفروا كافة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا لا نفر من كل عشيرة قوم ليتفقهوا في الدين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولينذروا قومهم اهل المدينة اذا رجع المتفقهون اليهم لعلهم يحذرون • وقيل ولينذروا اي وليخبروا الكفار المقيمين بالمدينة بما نصر الله به رسوله وقهر اعداه وليحذر الكفار عن ارتيابهم كذلك فيسلموا اوليه ذهب الحسن وابن كيسان وقال انسخت هذه الاية ما قبلها ما كان لاهل المدينة ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الاية في الظاهر بخلاف قوله انفروا خفافا وثقالا ولكن التوفيق بينهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج وفي اصحابه قلة فعلى الاخرين ان يخرجوا معه واذا خرج وفي اصحابه كثرة قعد البعض لحفظ المدينة والاهل والولد • وقيل احدهما اذا عم النفير والاخر اذا لم يعم وذكر ابو الليث انها في الوفود القادمين من الافاق للتعلم وقد روي ان حيا من بني اسد بن خزيمة اصابتهم سنة وشدة فاقبلوا بالذراري معهم والصبية حتى نزلوا المدينة وافسدوا طرقها بالعذرات واغلوا اسعارها فنزلت وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية وفيه تعليم لهم ان الواجب عليهم ان ينفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم يتعلمون ثم يرجعون الى مواضعهم فيعلمون اوليك وفي الاية دليل سقوط الجهاد عن الجماعة اذا قام به البعض وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد وان احتمل الغلط لان الطائفة تحتمل

اجتماعهم

اجتماعهم على الكذب او الغلط ثم الزم قومهم قبول خبرهم • وقال القشيري رحمه الله المسلمون على مراتب فعوامهم كالرعية للملك وكتبة الحديث كخزان الملك واهل القران كحفاظ الملك والدفاتر نفايس الاموال والفقها بمنزلة الوكلا للملك اذ الفقيه يوقع عن الله تعالى وعلما الاصول كالقواد وامراء الجيوش والاوليا كاركان الباب وارباب القلوب واصحاب الصفا كخواص الملك وجلسائه فيشتغل قوم بحفظ اركان الشرع واخرون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل كل قوم مفردين بحضور القلب وهم اصحاب الشهود وليس لهم شغل يراعون مع الله انفاسهم وهم اصحاب الفراغ لا يستغرقهم طلب ولا يهمهم امر فهم بالله لله يمحو ما سوى الله واما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون الى الله وانما يفهم الخلق عن الله اذا كان يفهم عن الله • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يقربون منكم ووليه يليه وليا اي جاهدوا الاقرب فالاقرب ولا تدعوا الاقرب وتقصدوا الابعد فيقصد الاقرب بلادكم واهاليكم واموالكم واولادكم وفيه انهم اذا امنوا الاقرب كان لهم مجاوزتهم الى الابعد قال ابن عباس رضي الله عنهما امر الله المؤمنين ان يقاتلوا الادنى فالادنى من عدوهم من اهل المدينة مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك • وذكر ان الذين يلونهم من الاعدا يوم نزول هذه الاية هم الروم الذين بهم ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك لان بلاد العرب كانت قد فتحت عليه وكانت مسافتهم الى الروم اقرب منها الى بلاد الاعاجم وكان الكلام متصلا بما تقدم من ذكر غزوة تبوك • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل كان هذا الامر اول بقتال الادنى فالادنى ثم ورد الامر بقتال الكل بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة • وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا انما يحارب كفارا كفارا ويقاتل الابعد لتكون اية لنبوته وانه لا يبالي ولا يخاف من تركه فنزلت الاية تعليما للمؤمنين امر الحرب كما علمهم ذلك في سائر الايات من الامر باخذ الحذر واعداد ما استطاعوا من قوة • وقيل هذا نهي عن دوام الجهاد مع الاعدا ابدا لانه كلما فتح ناحية صار الذين نقوا ورا هولا يلونهم • وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة قال الضحاك اي عنفا • وقال مجاهد اي شدة • وقال عطا اي شجاعة • وقال الحسن اي صبرا • وقوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم ان اتقيتموه في اوامره ونواهيه من الجهاد وغيره ومعكم اي معينكم وناصركم وحافظكم • وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي فمن المنافقين من يقول لاصحابه او لضعفة المؤمنين على سبيل الهزو والاستخفاف بالقران عند نزول السورة ايكم زادته هذه ايمانا اي هذه السورة تصديقا بما يدعيه محمد من الوحي في الشرايع التي فيها المشاق والمخاطرة بالنفوس والاموال والاولاد ثم اجيبوا عن هذا بما يذكر بعده • وقوله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون اي فاما المخلصون فان السورة صارت سببا لزيادة تصديقهم ويقينهم واخلاصهم وهم يفرحون بما نزل فيها من الوعد على الايمان والعمل حتى يتبين ذلك في وجوههم وبشرتهم • وقوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك • وقيل اي نفاق • وقيل غل وغش على المؤمنين • وقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم اي صارت سببا لزيادة كفرهم وتكذيبهم • قال تعالى انما المشركون نجس • وقيل الرجس الاذى وهو ما امتلا صدورهم من الغيظ بما يرون من علو المسلمين وقهر الكافرين والمنافقين • وقوله تعالى وماتوا وهم كافرون وهو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت وهو كقوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم • وقال القشيري رحمه الله انزل الله القران لقوم شفا ولقوم شقا فاما المخلصون فزادتهم السورة ايمانا فارتقوا من حد تامل البرهان الى روح البيان ثم من روح البيان الى انس العيان • فشموس العرفان طالعة على اسرارهم • وانوار التحقيق مالكة لارواحهم • فلا جرم تعب الطلب ولا عليهم سلطان الفكر والداب • ونهار شموس العرفان مستغرق لانوار العلم والبيان • نعوذ قايلهم

فلما استبان الصبح ادرج ضوءه • باسفاره انوار ضوء الكواكب

وقوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قرا حمزة اولا ترون بالتا المخاطبة للمؤمنين وقرا الباقون بالياء المغايبة خبرا عن المنافقين اي عجبا منهم كيف قست قلوبهم وعميت ابصارهم عما يتتابع عليهم من انواع المحن حتى لا يخلو كل عام من محنة او محنتين ثم لا يرجعون عن كفرهم ولا يتعظون بما يصيبهم • وقال الحسن وقتادة هذه الفتنة هي القتال والسبي ونصر المؤمنين • وقال مجاهد القحط والجوع • وقيل بهتك استارهم كاخراجهم من المسجد وطردهم عن المحافل • وقيل بالمرض والمحن وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل يبتلون بالجهاد والغزو فيتخلفون عنه فيظهر بذلك نفاقهم • وقال عكرمة ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون • وقال يمان بن رباب ينقضون عهدهم مرة او مرتين • وقال القشيري رحمه الله ثم ان سنة الله تعالى ان لا يخلي ارباب التكليف من دلايل الترغيب والترهيب لهم في كل

وقت بنوع من البيان • والتربيت في كل اوان • بضرب من الامتحان • فمنهم من لا يزداد بايضاح البرهان الا زيادة التردد
والحجبة عن فوايد البيان • واما اصحاب الحقايق فما يكون لغيرهم في كل عام مرة او مرتين فلهم في كل نفس مرات
وتارات لا يخليهم الحق سبحانه من زواجر توجب بصاير وخواطر وزواجر تتضمن تكليفات واوامر قال قايلهم

كان رقيبا منك حال بمهجتي • اذا رمت تسهيلا علي تصعبا •

وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هولا المنافقين الى بعض ايما بغمزة واستهزا
باشارته • وقوله تعالى هل يراكم من احد اي هل يشعر انصرافكم احد من المخلصين • وقوله تعالى ثم انصرفوا اي
اذا وجدوا غفلة من المومنين انصرفوا كراهية لاستماع القران • وقيل خوفا مما يرد من ذكر مقابحهم • وقيل
حذرا من نزول الامر بالجهاد وتكليف النبي صلى الله عليه وسلم اياهم بالخروج • واضطرارهم الى الاجابة اذا
خاطبهم به • وقيل هي كقوله تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا • وقوله تعالى
صرف الله قلوبهم حيث اختاروا الانصراف عن الايمان وعلم الله ذلك منهم صرفهم عنه وهو دليل خلق الافعال
وهو كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم • وقال الحسن ثم انصرفوا على عزم الكفر والتكذيب بمحمد
والقران • وقوله تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي استحقوا ذلك عقوبة لهم على تركهم التدبر
في القران كمن لا ينفعه ذلك • وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ختم السورة بذكر صفات
الرسول الذي انزل عليه القران • ومنه كان لهم البيان كما في هذه السورة وساير الفرقان • وقوله
تعالى من انفسكم اي ادمي مثلكم • وقيل هو للعرب اي من انفسكم عربي مثلكم وذلك اقرب الى الالفة
وابعد من اللجاجة واسرع اليهم الحجة • وقيل لما كان منكم وقد عرفتم صدقه وامانته لم يقع في قلوبكم
كذبه ولا خيانته • وقرا ابن عباس وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفسكم بفتح الفا
اي من اشرفكم وافضلكم من قولهم شي نفيس اي خطير • وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اي شديد
عليه عنتكم اي هلاككم • وقيل مشقتكم • وقيل اثمكم • وقيل العنت الاذى الذي يضيق به الصدر
ولا يهتدى للمخرج منه اي لشفقته عليكم يشق عليه ما يسوكم • وقيل اي لا يدعوكم الى شي فيه ذلك
بل الى الكل يسر وخفة • وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني عزيز نعته بالعزة على ربه ثم قال عليه ما عنتم
اي عليه الشفاعة فيما اثمتم كالدية على العاقلة • وقوله تعالى حريص عليكم اي على ايمان من لم يومن
منكم • وقوله تعالى بالمومنين روف رحيم الرافة اشد الرحمة والرحمة اعم من الرافة لانها استعملت
في كل نفع كالمطر والسعة والعافية وغيرها فكان المعنى في الروف الشفوق العطوف وفي الرحيم
النافع المفضل • وقال الحسين بن الفضل لم يجمع الله تعالى لاحد من الانبيا بين اسمين من اسمايه
الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال بالمومنين روف رحيم • وقيل لابرهيم حليم • وقال
لاسمعيل صادق الوعد • وليحيى وسيدا • وقوله تعالى فان تولوا اي فان تولوا بعد ما صنعنا لك عندهم
فان اعرضوا عنك ولم يصدقوك بل خالفوك وعادوك • وقوله تعالى فقل حسبي الله لا اله الا هو
فعرفهم ان الله الذي لا اله الا هو كافيك مكروههم وناصرك عليهم • وقوله تعالى عليه توكلت
اي اخبرهم انك فوضت امورك اليه • وقوله تعالى وهو رب العرش العظيم اي ذو القدرة والسلطان
والملك والعرش عبارة عن الملك يقال ثل عرشه اي زال ملكه وان حمل على العرش الذي فوق السموات
فذكره ذكر كل وانما اضافه الله اليه بيانا لخلقه وملكه وقدرته وعلمه وعظمته وسلطانه • وقال
القشيري رحمه الله لقد جاءكم رسول يشاكلكم في البشرية لكنه يباينكم فيما اوردناه به من الخصوصية
فالبشر لباس الرحمة عليكم والقناه بشواهد العطف والشفقة على جملتكم فذو كل محنة بشانكم
اكبر همته في ايمانكم • وقوله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله امره ان يدعو الخلق الى التوحيد ثم قال
فان اعرضوا عن الاجابة فكن لنا بنعت التجريد • ويقال قال له يا ايها النبي حسبك الله عين الجمع •
وقوله فقل حسبي الله تفرقة بل موضع الجمع اي قل ولكن بنا تقول فنحن المتولون عنك وانت
مستهلك في عين التوحيد فانت بنا ومحو عن غيرنا • وروي الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب
فلما انتهوا الى هذه الا ... صرف الله قلوبهم فكان رجال يكتبون يملي عليهم ابي بن كعب فلما انتهوا
الى هذه الاية صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون ظنوا انه اخر القران فقال لهم ابي بن كعب
ان النبي صلى الله عليه وسلم اقراني بعد هذه ايتين لقد جاءكم رسول الى اخر السورة وهذا اخر
ما انزل من القران فختم به الامر بما فتح الله به لا اله الا الله قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • وقال البرا بن عازب اخر سورة نزلت براة • وقال يحيى بن
جعدة كان عمر رضي الله عنه لا يكتب اية في المصحف حتى يشهد عليه رجلان فجاه رجل من الانصار
بالايتين من اخر سورة التوبة فقال عمر والله لا اسالك عليهما بينة كذلك كان رسول الله صلى الله عليه

فالنه

قد تمت هذه السورة بعون الله ولطافته وتوفيقه ورافته • والحمد لله رب العالمين •

سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انزل ايات الكتاب الحكيم • الرحمن الذي يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط
مستقيم • الرحيم الذي لا راد لفضله يصيب به من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم • وهذه السورة
مكية وهي ماية وعشر ايات • وقيل تسع • وقيل ثمان • والاختلاف في ثلاث ايات • مخلصين له الدين •
وشفا لما في الصدور • لنكونن من الشاكرين • وكلماتها الف وثمانماية وثلاث وثلاثون • وحروفها
سبعة الاف وسبعة وتسعون • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة يونس اعطي عشر حسنات بعدد من كذب بيونس وصدق به وبعدد من غرق مع فرعون • وانتظام
اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك بثنايه بقوله وهو رب العرش العظيم وبدا هذه السورة
باخر تلك السورة بالوصف منزل الكتاب الحكيم ولانه ذكر في ختم تلك تولي الكفار • وفي افتتاح هذه السورة
ذكر المنافقين والمشركين وحسن عاقبة المخلصين • وفي هذه السورة محاجة الكافرين وما ترك
بالكفار الماضين وخلاص المخلصين • وقوله تعالى الر قال ابن عباس رضي الله عنهما انا الله ارى • وروى
عكرمة عنه الر وحم ونون اذا اجتمعت فهي الرحمن • وقيل هي اسم السورة وهي اسم القران • وقيل هي ثلاثة
من اسما الله تعالى وهي الله واللطيف والرحيم • وقيل معناه الله بعث جبريل الى رسوله • وقيل الالف
الاوه واللام لطفه والرا رحمته • وقوله تعالى تلك قال ابو عبيدة اي هذه كما مر في اول سورة البقرة
ذلك الكتاب • وقال الزجاج اي الايات التي تقدم ذكرها قبل هذه السورة • وقيل لما كانت الر اسم
السورة فقوله تلك اشارة اليها وهو كقولهم هند الكريمة • وقوله تعالى ايات الكتاب الحكيم اي الاتي
بالحكمة • وقيل اي المحكم عن التنقيص والتغيير والتبديل • وقيل اي الحاكم كالعليم بمعنى العالم اي فيه
بيان الاحكام وهذا كله صفة القران • وقيل هو صفة اللوح المحفوظ كما قال تعالى وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم وعلى هذا تكون تلك اشارة الى الغايب على ظاهره وصفته اي هذه السورة تلك ايات
الكتاب المكتوبة في اللوح المحفوظ وكلنا بحفظها الثقات ثم اوحيناها اليك في اوقات • وقيل اي هذه
تلك الايات الموعودة لك يوم الميثاق • وقال الامام القشيري رحمه الله ذلك الكتاب الذي وعدتكم
به وقد حققنا لكم الميعاد • وواصلنا لكم اسباب الوداد • وانقضى عنكم زمان البعاد • فاستقيموا
على نهج الاحباب • وتمسكوا بوثايق الاسباب • وقوله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل
منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا اي اتعجب مشركوا مكة ان جعلنا الى رسولا اليهم هو من جنسهم
يفهمون عنه ويسكنون اليه ويعرفون صدقه وامانته ان انذر المشركين وبشر المومنين وهو كقوله
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم الاية ما سمعنا بهذا وليس بعجب لان الخلق خلقه والملك ملكه وله ان يرسل
اليهم رسولا ويامرهم بما يريد وينهاهم عما يريد وانما هذا في العقول فارسال البشر اولى واقرب الى ان
يسكنوا اليهم وان يعقلوا عنهم من ارسال الملايكة الذين لا يعاينونهم ثم ليس في نفس ما اتوا به مما تنكره
العقول انما هو حث على الشكر والطاعة للمنعم ودعا الى شرايع بها صلاح بينهم وتالف قلوبهم وارتفاع
التظالم منهم • وانذار لمن عصاه بالعذاب الاليم • وتبشير لمن اطاعه بالنعيم المقيم • وقوله تعالى
ان لهم قدم صدق عند ربهم قيل اي سوابق اعمال صالحة قدموها ذخرا لاخرتهم والقدم ما قدم من العمل
قال حسان رضي الله عنه لنا القدم العليا اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع • وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على البحر •

والصدق الحسن ويذكر على الاضافة بطريق المدح يقال رجل صدق وثوب صدق وفرس صدق • وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان لهم قدم صدق قال محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم يوم القيامة
وقيل يذكر اليد مكان الصنعة مجازا والقدم مكان السعي ايضا لان الكسب يقع باليد والسعي بالقدم
وقال تعالى وكان سعيكم مشكورا • وقال ابن عباس والحسن رضي الله عنهم قدم صدق عمل صدق يقدمون
عليه • قال تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق يعني الجنة • وقال عطا مقام صدق لا زوال عنه ولا بوس فيه
وقال الربيع بن انس ثواب صدق • وقال قتادة سلف صدق • وقال ابن رياب هو ايمانهم • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان معناه انه ثبتت اقدامهم ولا تزل • وقال تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما في رواية سبق لهم السعادة في الذكر الاول • وقال عبد العزيز بن يحيى هو قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • وقيل تقديم الله تعالى لهذه الامة يوم القيامة • قال النبي صلى الله عليه
وسلم نحن الاخرون السابقون • وقال عليه السلام ان الجنة محرمة على الامم ما لم تدخلها امتي • وقوله

تعالى قال الكافرون ان هذا لساحر مبين في اول منهم اي لما جاءهم وانذرهم قال الكافرون ان هذا الذي
لساحر وهو قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي اي يخدعنا بتخاييله ويقودنا الى الانقياد له ويريد نفسنا
واموالنا وان لا نقصد التلف في مجاهدة عدوه • وقرا الباقون لسحر مبين اي ان هذا الذي اتى به لسحر ظاهر • وقال
الاستاذ ابو علي الدقاق جوزوا لكفرهم ان يكون المنحوت من الخشب والمعمول من الصفر والشبه الها معبودا وتعجبوا
ان يكون مثل محمد في جلالة قدره رسولا مبعوثا هذا هو الضلال البعيد • وقال الامام القشيري رحمه الله ان لهم
قدم صدق هو ما قدموه لانفسهم من طاعات اخلصوا فيها وعبادات صدقوا في القيام لها • وقيل هو ما قدم لهم
يوم القيامة من عناية بشانهم وما قضى لهم من فنون احسانه • وقيل هو ما رفعوه من اقدامهم في بداياتهم
في زمان ارادتهم فان لاقدام المريدين المرفوعة لاجل الله حرمة عند الله ولايامهم الخالية في حال ترددهم ولياليهم
الماضية في طلبه وهم في حرقة تحيرهم حق يرعاه الله • قال الشاعر • من يبني حرمة دار فقد تحوطها • رب
الزمان فاني لست انساك • وقال اخر • تلك العهود بشدها مختومة • عندي كما هي عقدها لم يحلل •
وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش مر تفسيره في سورة
الاعراف • وقوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد يقضي الامر وحده والامر جنس اريد به الجمع اي يقدر الامور كلها
ويمضيها في الدنيا والاخرة من خلق افعال العباد وارزاقهم واجالهم واظهار الحوادث من الموت والحياة
والعز والذل والصحة والمرض والسعة والضيق والخير والشر واعطاء الذكور والاناث من الاولاد وتصريف
الليل والنهار والريح والسحاب والحر والبرد وكل شي قال تعالى كل يوم هو في شان ولما كان الموكلون على بعض هذه
الحوادث من الملائكة قال في بعضهم فالمدبرات امرا وكذلك امور الاخرة كلها من الثواب والعقاب
واللطف والعتاب • والعفو والحساب والكشف والحجاب بتدبيره وتقديره • وقوله تعالى ما من شفيع
الا من بعد اذنه اي لا يفعل شيا من هذه الامور بشفاعة احد • وقوله تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي هو
المستحق للعبادة فاياه فاعبدوا • وقوله تعالى افلا تذكرون اي افلا تتعظون بما يعظكم الله به من الايمان
به وترك الشرك • وقال القشيري رحمه الله في قوله تعالى في ستة ايام لا احتاج في فعله الى المدة كيف وخالق
المدة خلق السموات والارض في ستة ايام وتلك الايام ايضا من جملة ما خلق من الايام ثم استوى على العرش
معناه اتصافه بعز الصمدية وجلال الاحدية وانفراده بنعت الجبروت وعلاء الربوبية تقدس الجبار
عن الاقطار والمعبود عن الحدوث والديان عن المكان يدبر الاجزاء الحادثات صادرة عن تقديره حاصلة
بتدبيره فلا شريك يعضده ولا معارض تقضيه ذلكم الله ربكم تعريف • وقوله فاعبدوه تكليف فحصول التعريف
بتحقيقه • والوصول الى ما ورد به التكليف بتوفيقه • وقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي الى جزاء الله رجوعكم
جميعا يوم القيامة • وقوله تعالى وعد الله حقا نصب على المصدر على اضمار الفعل اي وعد الله ذلك وعدا
صدقا انه يبدؤا الخلق اي ينشئهم ثم يعيده اي يميتهم ثم يحييهم احيا يوم القيامة ليجزيهم والخلق اصله
مصدر ولم يجمع ومعناه الجمع فلذلك وحد الكناية بعده • وقوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط اي بالعدل وهو قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله بالقسط اي يجزي
المحسنين جزاء الاحسان والمسيئين جزاء الاساءة ثم يفصل بين العدو والولي في الجزاء وهو العدل ويحتمل ان يجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالفضل فقد قال تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله وسماه قسطا وهو العدل لان العدل وضع الشي في موضعه وهذا وضع الفضل موضعه
فكان عدلا من هذا الوجه ويحتمل ان يكون القسط صفة للعاملين اي عملوا الصالحات بقسطهم في الدنيا
اي عدلهم • وقوله تعالى والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار مغلي قد انتهى حره وهو في جهنم ومن
صفته انه كالمهل يشوي الوجوه انه يقطع امعاءهم • وقوله تعالى وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اي عذاب
يخلص وجعه الى قلوبهم بكفرهم • وقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء اي خلق الشمس فجعلها ضياء للخلق
بالنهار والقمر نورا اي خلق القمر فجعله نورا لهم بالليل والضياء نور معه حر والنور لا حر معه والضياء
اعم واتم من النور والضياء والنور مصدران جعلا نعتين • وقال الكلبي جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر
نورا بالليل يعني وجوههما لاهل السموات وظهورهما لاهل الارض • وقال الامام القشيري رحمه الله للعقول
نجوم وهي للشياطين رجوم وللعلوم اقمار وهي انوار واستبصار • وللمعارف شموس ولها على اسرار العارفين
طلوع ان شمس النهار تغرب بالليل وشموس القلوب ليس تغيب وكما ان في السماء شمسا وقمرا والشمس ابدا بشأنها
والقمر في الزيادة والنقصان ابدا وكما اشتد محاقه بعد ذلك حتى يكمل بدرا باشراقه • ثم ياخذ
في النقص الى ان لا يبقى منه شي لتمام انمحاقه ثم يعود جديدا وكل ليلة تجد مزيدا فاذا صار بدرا تماما
لم يجد اكثر من ليلة لكماله مقاما ثم ياخذ في النقصان الى ان يخفى شخصه وينمحي نقصه كذلك من الناس من
هو مردد بين قبضه وبسطه وصحوه ومحوه وذهابه وايابه لا فناء فيستريح ولا بقاء له دوام صحيح

قال الشاعر

قال الشاعر • كلما قلت قد دنا حل قيدي • قدموني فاوثقوا المسمارا • وقوله تعالى
وقدره منازل قيل اي وقدر القمر منازل فعل يتعدى الى مفعولين وهو كقوله والقمر قدرناه منازل يجري في كلها كل شهر
اي الشمس والقمر • وقيل معناه وقدرهما منازل يعرف الشهور باجتماعها تكون السنون •
من منازل القمر لانه هو الذي يعرف الشهور واحد كثيرا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه • وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله • وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا • وقوله واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وهذا لانه يعرف بالشمس ابتدا النهار وانتهاوه وباجتماع الايام والليالي تعرف الشهور
وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب فعدد السنين معرفة الشهور وتمام السنة والحساب هو الاجال
والمواقيت المقدرة بالشهور والسنين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله بالشمس تعرف اوقات الصلاة في الشتا
والصيف والربيع والخريف ولا يعرف ذلك بالقمر وبالقمر تعرف الشهور والسنون ولا يعرف ذلك بالشمس وفي مصحف
حفصة رضي الله عنها وقدرهما منازل • وقوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق اي الا وقد جعل فيه دلالة معرفة
وقال الامام الزاهد ابو منصور رحمه الله قال قايلون ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الشهادة له على الخلق
وهو شهادة الوحدانية له والالوهية • وقال بعضهم ما خلق الله ذلك الا للامر الكاين لا محالة وهو البعث
ويحتمل ما خلق الله ذلك الا بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما باطلا • وقوله تعالى يفصل الايات لقوم يعلمون قرا ابو عمرو بالياء بناء على قوله ما خلق الله
ذلك الا بالحق • وقرا الباقون بالنون بناء على قوله انا اوحينا ومعنى قوله نفصل نبين العلامات التي يستدل
بها على الحق وخص العالمين بذلك لانهم هم المنتفعون بها • وقوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق
الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون قال ابن عباس رضي الله عنهما قال اهل مكة ايتنا باية حتى نومن
لك فنزلت هذه الاية اي فيما يتعلق بما خلقنا من الشمس والقمر من اختلاف الليل والنهار وقت معلومة
على نسق واحد لايات لان في ذلك بقاء الدنيا الى حين وتدبير معايش اهلها فمن تدبر ذلك علم ان الدنيا مخلوقة
لكن الخلق فيها وخالقهم لم يهملهم بل جعلها لهم دار عمل فلا بد من امر ونهي ثم جزاء للفرق بين المطيع والعاصي
لمن تدبر هذا اتقى العاقبة وما فيها للعاصي من العقوبة فكان الانتفاع بالايات للمتقين فلذلك اضيفت
اليهم • وقال الامام القشيري رحمه الله اختصاص النهار بضيائه وانفراد الليل بظلمائه من غير استيجاب
منهما من غير استحقاق عتاب منه هذا دلالة على ان الرد والقبول والمنع والوصول ليس معلولا بسبب
ولا حاصل بامر مكتسب كلا انها ارادة ومشية وحكم وقضية والنهار وقت حضور العقلة في اوطان كسبهم
والليل وقت ارباب الوصلة لانفراد شهودهم • وقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا قيل اي لا يخافون
عقابنا • وقال مقاتل لا يخافون البعث كما قال ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة • وقيل اي
لا يطمعون في ثوابنا وهذه الكلمة من الاضداد وقد وضحنا ذلك في قوله وترجون من الله ما لا يرجون وانما
سمى ذلك لقاء الله لانه لا يقدر على ذلك الا الله فجعل لقاءه لقاء تفخيما لشانه كما جعل اتيان حامل ايات
الله اتيان الله لذلك • وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها اي سكنوا اليها فلم يتفكروا في
عقابه ولا الحساب ولا الجزاء • وقوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون اي لا يتدبرون فيها • وقوله
تعالى اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون اي من الكفر والمعاصي • فقال الامام القشيري رحمه الله
انكروا جواز الرؤية فلم يرجوها والمؤمنون امنوا بجواز الرؤية فاملوها • وقيل لا يرجون لقاءنا لانهم
لم يشتاقوا اليه لانهم لم يحبوه ولم يحبوه لانهم لم يعرفوه ولم يعرفوه لانهم لم يطلبوه ولم يطلبوه لان الله تعالى
اراد ان لا يطلبوه ولو اراد ان يطلبوه لطلبوا ولو طلبوا لعرفوا ولو عرفوا لاحبوا ولو احبوا لاشتاقوا
ولو اشتاقوا اليه لرجوا لقاءه ولو رجوا لقاءه لراوه • قال تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها • وقال
وقوله ورضوا بالحياة الدنيا فرضوا بالجنة والعباد والزهاد ركنوا الى الجنة ورضوا بها فبقوا في
مراتب الوصلة • وقال ولما كان الذين لا يرجون لقاءه ماواه العذاب والفرقة ثبت ان الذين يرجوا
لقاءه فمافيهم الانفراد والوصلة واللقاء والزلفة • وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
وهم يرجون لقاء الله يهديهم ربهم بايمانهم قيل يرشدهم بايمانهم في الدنيا الى الخيرات ويديم منهم الدوام عليه
والثبات وعلى هذا القول يكون قوله تعالى تجري من تحتهم الانهار اي وتجري باضمار الواو وباعتراف
تصيح كلاهما ابتداء غير الاول ايضا • وقيل يهديهم في الاخرة الى الجنة وعلى هذا الاضمار • قال مجاهد يهديهم ربهم
لهم نور يمشون به • وقال الضحاك يهديهم ربهم الى الجنة في الاخرة • وقال مقاتل يهديهم ربهم على الصراط الى
الجنة بالنور • وقوله تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم في البساتين كما قال قد جعل ربك تحتك سريا وما هو
كانت قاعدة عليه ولكن كان ذلك بين يديها وكذا قالوا في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي • وقيل بامرهم
ومشيئتهم كما يقال هذا تحت تصرفه وكذا قالوا • وقوله تعالى في جنات النعيم يتنعمون فيها من غير مشقة

ولا مونة . وقوله تعالى دعواهم فيها اي دعاؤهم وهو من دعا يدعوا كالشكوى من شكا يشكوا . وقوله تعالى
سبحانك اللهم اي كلام اهل الجنة تنزيه الله عما كان في الدنيا يضاف اليه من الاضداد والشركاء . وقوله تعالى واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اي واخر ما يتكلمون فيه من النعيم الحمد لله رب العالمين يحمدونه على ما اولاهم
من نعمه يبتدئون كل نعمة بالتسبيح ويختمونها بالحمد وهي في حقيقة الدعوى التي تكون من المدعي . قال الامام ابو منصور
رحمه الله قال قايلون اي تدعون في الاخرة من الايمان والتوحيد لله تعالى والتنزيه كما ادعوه في الدنيا من ذلك
فان التسبيح هو تنزيه الله تعالى وتنزيهه عن جميع العيوب التي وصفته المشبهة والملحدة . وقيل الدعوى هو التمني
قال الله تعالى ولهم فيها ما يدعون اي يتمنون ويشتهون . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال دعواهم فيها سبحانك اللهم كلما اشتهى اهل الجنة شيا قالوا سبحانك اللهم فاذا اسمع الخدام ذلك اتوهم بما
يشتهون بجام ما يشتهون . وقال الكلبي دعواهم فيها اي قولهم في الجنة سبحانك اللهم فاذا اسمع الخدام ذلك
اتوهم بما يشتهون . وقال مقاتل هذا علم بين اهل الجنة وبين الخدام في الطعام فاذا قالوا ذلك اتوهم
الخدام بالموايد توضع بين ايديهم على مايدة ميل في ميل . وقوله تعالى وتحيتهم فيها سلام اي تحية بعضهم
لبعض ذلك قال الله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما . وقال الكلبي يحيي بعضهم بعضا بالسلام وتاتيهم
الملايكة من عند ربهم بالسلام . وقوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال مقاتل اذا فرغوا
من الطعام والشراب حمدوا ربهم على ما اعطاهم . وقال ابن جريج اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك
اللهم فياتيهم فيقع عليهم فيزودون منه فاذا اكلوا احمدوا . وقيل دعواهم فيها هي دعوى اهل الدنيا وهي
ما بينهم في الحروب يا ال فلان ومعنى الاية انهم كانوا في الدنيا متباغضين متقاتلين فاذا صاروا الى الجنة
نزع ذلك من قلوبهم وصاروا اخوانا على سرر متقابلين فيكون تداعيهم بتسبيح الله وتحميده وذلك
وصله بقوله وتحيتهم فيها سلام . وقال الامام ابو منصور رحمه الله ثلاثة اوجه احدها انه بيان انه
ليس على اهل الجنة شي من العبادات سوى التوحيد وهي كلمة التوحيد . والثاني انهم يقولون ذلك لعظيم
ما يرون من النعيم وعجيب ما عاينوا . والثالث شكرا لما اعطاهم من الوان النعيم . وقال محمد بن علي الباقر
كلام اهل الجنة ثلاثة التسبيح والتحميد والتسليم بعضهم على بعض ورزق الله هذه الثلاثة للمومنين
في الدنيا في الصلاة يفتتحون الصلاة بالتسبيح ويفتتحون القراءة بالحمد ويختمون بالسلام . وقال
الحسين بن علي اذا ارادوا الطعام والشراب سبحوا واذا فرغوا حمدوا واذا اشتاقوا صلوا واذا التقوا
سلموا واذا افترقوا بعد التزاور فاخر دعواهم اي اخر كلامهم عند التفرق الحمد لله رب العالمين . وقال
الامام القشيري رحمه الله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم من الله عند اللقاء السلام يحمدونه
بحمد ابدي سرمدي وهو تحيتهم سلام عزي هو كلام ابدي من عزيز صمدي وحبيب احدي . وقوله تعالى
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وهذه متصلة بقوله تعالى الا يرجون
لقاءنا وهم عن اياتنا غافلون ولعلهم اذا انذروا استعجلوا العذاب جهلا منهم ولو عجل الله لهم
ذلك اذا استعجلوه بدعايهم كما يستعجلون بالخير لما قاموا لعذابه ولماتوا لان تركيبهم لا يحتمل ذلك
في الدنيا ومعنى اجلهم اي فرغ منه وقطع . وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود وصنع
السوابغ تبع . وقرا ابن عامر لقضى اليهم اجلهم بالنصب على الفعل الظاهر اي لقضى الله اليهم اجلهم
والباقون بالضم على ما لم يسم فاعله . وقال الامام ابو منصور رحمه الله تقرير الاية على هذا القول
ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لهلكوا واستعجالهم الشر ذكر
في ايات فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم . سال سايل بعذاب واقع . يستعجل بها الذين
لا يومنون بها . ويقولون متى هذا الوعد الى قوله الان وقد كنتم به تستعجلون . ويستعجلونك بالسيئة
ويستعجلونك بالعذاب . اتى امر الله فلا تستعجلوه . واستعجالهم بالخير في ايات . ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون . واذا مس الانسان الضر دعانا ونحوها . وعلى هذا قيل انها نزلت في النضر بن الحارث
حين قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا الاية . وقيل هو في دعا الانسان على نفسه وغيره
بالهلاك عند الغضب ونظيره قوله تعالى ويدعوا الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا
قال الكلبي ولو يعجل الله للناس الشر العقوبة اذا دعوا على انفسهم او على اولادهم اخزاهم الله ولعنهم
الله كما يعجل لهم بالخير اذا دعوه بالرحمة والعافية والفرج فيرزقهم ويدفع عنهم لماتوا وهلكوا . وقال
مقاتل لو استجيب لهم في الشر كما يحبون ان يستجاب لهم في الخير لهلكوا . وقال الامام ابو منصور رحمه الله
مع ذكر هذين القولين ويشبه ان يكون معناه ولو يعجل الله للناس الشر بما كسبا بهم الشر وارتكابهم اياه
كما يعجل لهم الخير بما اكتسابهم الخير لهلكوا . وقوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون وهذا ابتدا كلام معناه فنذر اي نترك الذين لا يخافون البعث في تماديهم يمضون متحيرين

دعوا

وقيل انه مضمر تقديره لا نفعل ذلك ونؤخر عذابهم الى الاخرة وندعهم في الدنيا كذلك . قال القشيري رحمه الله معناه
لو اجبناهم اذا دعوا على انفسهم واعزتهم عند غيظهم وضجرهم لعجلنا اهلاكهم لكنا نحملنا ذلك لا يحابهم ورحمنا عليهم
النعم بالاجابة دعاهم وربما يشكوا العبد بانه لا يجيب دعاه وترك اجابته لطف منه . قال الشاعر

اناس اعرضوا عنا . بلا جرم ولا معنى

اساؤا ظنهم فينا . فهلا احسنوا الظنا

وقوله تعالى واذا مس الانسان الضر اي واذا اصاب الواحد من المشركين البلاء والمكروه في بدنه وماله دعانا
لجنبه او قاعدا او قايما اي على حال كان من اضطجاع او قعود او قيام فلما كشفنا عنه ضره اي فاذا ازلنا عنه
بلاه مر اي استمر على شركه لا يرى لنا شيئا وعاد الى ما كان عليه كان لم يدعنا الى ضر مسه اي كانه لم يدعنا في بلاه
اصابه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون اي كالذي زين لهذا الانسان زين لسائر المشركين المجاوزين
حدود الشرع بالاشراك بالله وتكذيب الانبياء ووضع الاموال والانفس في المواضع الذي لا ينتفعون به
في عبادة الاصنام وغيرها ما كانوا يعملون من الدعا عند البلاء والنسيان عند الرخاء وهذا التزيين من الله
تخليقا ومن الشيطان وسوسة ومن الاصحاب دعوة وتلبيسا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في ابي
حذيفة هشام بن المغيرة . وقال عطا في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة . وقال الامام الزاهد ابو منصور
رحمه الله قال بعض اهل التاويل جميع ما ذكر في القران الانسان فالمراد منه الكافر يا ايها الانسان انك كادح
يا ايها الانسان ما غرك . ان الانسان لفي خسر وعندي من دخل في هذه الصفة من اهل الايمان وهي الدعا
عند البلاء وترك عند الرخاء فهو مراد بهذه الاية . وانشد القشيري رحمه الله في معنى قوله كان لم يدعنا
الى ضر مسه قول الشاعر

كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى . ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

وقوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا قال ابن عباس رضي الله عنهما بين القرنين ثمانون
وعشرون سنة لما ظلموا كفروا بالله وهو وضع الشي في غير موضعه وهو ظلم نفسه ايضا . وقوله تعالى
وجاءتهم رسلهم بالبينات اي وقد كانت جاءتهم رسلهم بالحجج الواضحة وما كانوا ليومنوا اي علمنا انهم
لا يومنون بعد مجي الرسل واظهار الايات . وقوله تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين اي كذلك نفعل بالمجرمين
الذين نعلم انهم لا يومنون فنحن قادرون على معاجلة هولاء المستخلفين بالشرك كما نمهلهم لعلمنا ان فيهم من
يومن وهو كعكرمة بن ابي جهل وخالد بن الوليد ونحوهما . وقوله تعالى ثم جعلناكم خلايف في الارض
اي سكانها من بعدهم لننظر كيف تعملون قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل جعلكم سكانا اولياء لهم
ملكهم وهو تذكير للنعمة . ويحتمل جعلكم خلايف اولياء في المحنة والعبادة اي امتحنكم بالامر والنهي
كما ابتلا اولياء . وقوله لننظر قال لم يزل الله عالما بما كان ويكون منهم من الطاعة والمعصية ولكن لنعلمهم
عصاة ومطيعين لان المعصية انما تكون بعد ما يكون النهي والطاعة انما تكون بعد ما يكون الامر
فيعلمكم كما علم عاصين كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم مطيعين كما علم انه يكون منكم طاعة . وقال
الامام القشيري رحمه الله من لم يعتبر بمن سبقه اعتبر بمن لحقه ومن لم يعتبر بما سمعه اعتبر به من تبعه
وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله
وهذا اخبار ببعض جهالات المشركين معناه واذا تقرا عليهم اياتنا في القران واضحات الاعجاز في النظم
والمعنى ليسمعوه ويتدبروه وقال الذين لا يومنون بالبعث والجزا للنبي عليه السلام ائت بقران غير
هذا ليس فيه شتم الهتنا ولا تسفيه احلامنا ولا وعيد بعذاب لنا ولا امر ولا نهي مما يشق علينا او بدل
القران فاجعل تبدل السب مدحا وبدل الوعيد وعدا والاتيان بغيره قد يكون مع قيامه وتبديله لا يكون
الا برفعه ووضع اخر مكانه او تغيير شي منه . وقوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي اي
من جهة نفسي لانه ليس قولي ولا كلامي وانما هو وحي الله تعالى الي وذلك قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى
الي اي ما اتبع الا الوحي . وقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي اخشى ان عصيت الله
بترك تبليغه اليكم او تبديله على مرادكم عذاب يوم القيامة . وقيل عذاب يوم هايل في الدنيا ينزل
العذاب فيه . قال قتادة هم مشركو مكة . وقال الكلبي هم المستهزءون بالقران وهم خمسة رهط
الوليد بن المغيرة . والعاص بن وايل . والاسود بن المطلب . وعبد يغوث . والحارث بن عيطلة
وقال مقاتل قال الذين لا يرجون لقاءنا عبد الله بن ابي امية المخزومي . والوليد بن المغيرة ومكرز
بن حفص وعمرو بن عبد الله بن قيس العامري والعيص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ائت بقران غير هذا القران ليس فيه ترك عبادة الاوثان واللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله
تكلم به من تلقاء نفسك قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي فاذا امرت بامر فعلت

اما امرك به او نزيهم بما اظهر عليك فاجرهم انك غير مستقل بك ولا موكول عليك انا القايم عليك المرشد لك وانت المتبع لما اجريه عليك غير مبتدع بما يحصل منك • وقوله تعالى قل لو شآء الله ما تلوته عليكم اي قل يا محمد لهولا لو شا الله ما قرائه عليكم بان لا ينزله علي ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم الله دريت الشي دراية اي علمته وادريته غيري ادراكا اي اعلمته • وقوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون قال الضحاك لقد لبثت فيكم قبل نزول القران عمرا طويلا اربعين سنة ولا اقول لكم شيا ولا اتيكم به افلا تعقلون انه ليس من قبلي • وقيل افلا تعقلون اني لو كنت اردت شيا غير طاعتي لربي فيما اوحاه الي لكان ذلك قبل نزول القران وهو وقت شبابي امكن وانا على ذلك حينئذ اقدر وعلى الدفع عن نفسي اقوى واذا تلوته عليكم فهذا الوقت فانما ذلك للوحي والخوف العذاب بالعصيان • وقال فقد لبثت فيكم عمرا قبل نزوله تعرفون حالي في مولدي ومنشاي وسفري وحضري لم اشتغل بتعلمه ولا اختلفت الي من يعرفه فاذا كانت هذه حالتي وجيتكم به من غير تعلم فاعلموا واعقلوا انه من عند الله تعالى • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل لبثت فيكم سنين لم تعرفوني كذبت قط فكيف افترى على الله واخترع القران من عند نفسي • وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون قال ابن عباس رضي الله عنهما فمن اظلم ممن اختلق على الله كذبا ان معه شريكا وصاحبة وولدا او عبد الاوثان او كذب بمحمد والقران انه لا يامن المشركون ويحتمل هذه الاية اوجه احدها انه اخبار من الله جل جلاله والصفة المذكورة في الاية من المشركين الكذب والتكذيب جميعا والثاني انه متصل بقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي امره الله تعالى به في الاية الاولى ان يقول ومعناه انه قال لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا اضاف اليه ما لم ينزله او بدل ما انزله ممن نفى ما انزله عنه فكذبه فيه اي لا اظلم من هذين احدهما ما ينفيه من نفسه والاخر ما يثبته للمشركين والثالث انه نفى الامرين عن نفسه اي اذا اتيت بغير هذا القران او بدلت هذا القران كنت قد افتريت على الله الكذب وكذبته فيما نزله على انه لا يفلح المجرمون اي لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مامول ولا ياسون من محذوره • وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ويعبدون من دون الله الاصنام التي لا تضر من عصاها ولا تنفع من اطاعها في معاش ولا رزق ولا غيره ويقولون يعني اهل مكة هولاء يعنون الاصنام شفعاؤنا عند الله • وقال الحسن اي في اصلاح المعاش لانهم كانوا لا يقرون بالمعاد • قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • وقوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض اي اتخبرون الله بما لا يعلمه موجودا لانه لو كان موجودا لكان معلوما له وجوده لانه عالم بكل شي وكيف يعلم وجود ما لا يعلمه • وقوله تعالى سبحانه تنزيه الله عن كل سوء وتعالى عما يشركون قرا حمزة والكسائي بتا المخاطبة كما قال تعالى اتنبئون والباقون على المغايبة كما قال تعالى ويعبدون ويقولون • وقال الامام القشيري رحمه الله من علق قلبه بالمخلوقين في استدفاع المضار واستجلاب المسار فهو كالمستبدل عبدة الاصنام اذ الموجد والمنشي للاشيا من العدم هو الله المتفرد بالازلية والقدم • وقوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قال ابو روق وما كان الناس الا امة واحدة على ملة الاسلام من لدن زمن نوح عليه السلام بعد الغرق فاختلفوا وتفرقوا ولولا كلمة سبقت من ربك بان جعل الدنيا مدة واجلا لقضي بينهم لانهم عليهم الساعة • وقال الكلبي امة واحدة كافرة على عهد ابراهيم عليه السلام فاختلفوا فتفرقوا مومنا وكافرا ولولا كلمة سبقت من ربك ان الله اخر هذه الامة فلا يهلكهم بالعذاب كما اهلك الذين من قبلهم لقضي بينهم فيما يختلفون من الدين • وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك في حكمه انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من الثواب والعقاب دون القيامة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين في الجنة باعمالهم والكافرين النار بكفرهم ولكنه سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة • وقال مجاهد والسدي كان الناس امة واحدة على الاسلام في زمن ادم صلوات الله عليه والاية تنتظم بقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تاخير العذاب عنهم • وقيل لقضي بينهم فيما فيه يختلفون باهلاك المبطلين وتخليص المحقين • وقوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه من الايات المقترحة كما قالوا وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات • وقوله تعالى فقل انما الغيب لله اي ما لك الاشيا الغايبة والعالم بها هو الله تعالى وهو اعلم بما ينزل عليكم من الايات وما لا ينزل وانما انا نذير مبلغ وقد بلغتكم ما نزل علي من القران الذي جعله اية لي فليس بعد هذا الا العقوبة المنتظرة • وقوله تعالى فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي فانتظروا هلاككم فانا منتظرون ذلك • وقال الحسن فانتظروا

مواعيد

مواعيد الشيطان فيما يغركم ويمنيكم اني معكم من المنتظرين لمواعيد الله • وقوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرا مستهم اي واذا اعطينا المشركين خصبا بعد جدب ومطرا بعد قحط وسعة بعد ضيق بعد عموم بذلك الياس الشكر • وقوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا اذا كلمة مفاجاة اي ظهر منهم مكر في اياتنا اي حملهم الطغيان على ان قصدوا السو باياتنا بان تصوروا اعلام الدعا الى الشكر منهم بغير صورتها وتغييرها من وجهها ويقولون هذا شي جانا باستحقاقنا وهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وكقوله ولين اذقناه نعما بعد ضرا مسته ليقولن هذا لي • وقوله تعالى قل الله اسرع مكرا اي هو استدراج منه لهم من حيث لا يعلمون واملا لهم وهو اسرع من فعلهم فلا حاجة لله في امضايه الى تلبث ويحتمل ان يكون معناه يستعتبون نعمة الله على الاحتيال على المومنين والانفاق في ابتغا الغوايل لهم فيوقف الله تعالى نبيه على ذلك قال واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله ويمكرون ويمكر الله • وقال مقاتل بن حيان اذا لهم مكر لا يقولون هذا رزق الله وانما يقولون سقينا بنو كذا وهو قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قل الله اسرع مكرا اي صنيعا فقتلهم الله يوم بدر • وقوله تعالى ان رسلنا الحفظة من الملايكة يكتبون ما تمكرون اي ما تقولون في الصد عن الايمان والتكذيب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قل الله اسرع مكرا اي اسرع الجزا المكر والجل اخذا لكم من حيث لا تعلمون انتم • وقوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر وفي قراة ابن عامر ينشركم اي يهيي لكم الانتشار • وقرا الباقون يسيركم اي يهيي لكم اسباب السير طلبا للمعاش ويهديكم الى ذلك وييسر لكم ذلك بالدواب وغيرها • وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن واشتقاقها من فلكة المغزل وفلك السما ومعناها الدوران في الما وهي تجي الجمع والواحد ويذكر ويونث وههنا للجمع • وقوله تعالى وجرين بهم والنون للجمع ثم رجع للمغايبة بقوله بهم بعد ذكر المخاطبة به حتى اذا كنتم وهو طريق مسلوك لاهل اللسان ومعدود في الفصاحة والبيان مع انه خطاب لمن كان في تلك الحالة واخبار لغيره من الناس وهو كقول لبيد بن ثابت

باتت تشكوا الى النفس مجهشة • وقد حملتك سبعا بعد سبعينا •

وقوله تعالى بريح طيبة اي جرت السفن براكبيها بريح لينة يستطاب هبوبها وتستقيم مرور السفن بها • وقوله تعالى وفرحوا بها اي سروا بهذه الريح واسرا السفينة لحالها • وقوله تعالى جاءتها ريح عاصف اي انقلبت الريح فصارت عاصفا شديدة الهبوب • وقوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم اي اشرفوا على الهلكة وغلب ظنهم انهم لا يتخلصون من الغرق • وقوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين اي بالاعتقاد والعلم انه لا يخلصهم منها غيره • وقوله تعالى لين انجيتنا من هذه اي قالوا ربنا لين خلصتنا من هذه الريح لنكونن من الشاكرين اي لنشكرن نعمتك ولا نعبد غيرك ولا نشرك بك شيا وقوله تعالى فلما انجاهم اي منها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اي عادوا الى خلاف الشكر واستطالوا في الارض على الناس بغيا وان يكون ذلك مباحا لهم فيكون نهبا وقهرا وهم ويسلبوهم ويقتلوهم ولتسوا عهدهم • وقوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي بغيكم يجلب الى انفسكم المكاره فهو راجع عليكم ضرا ابكم • وقوله تعالى متاع الحياة الدنيا قرا عاصم في رواية حفص بالنصب على الحال او القطع والباقون بالرفع على اضمار هو وذلك اي ومدة البغي وصاحبه مدة قليلة في الدنيا كالشي يتمتع به ثم ينقضي • وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم في الاخرة فننبيكم بما كنتم تعملون فنخبركم بذلك ونجزيكم عليه • وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم • ولا يحيق المكر السيء الا باهله • ومن نكث فانما ينكث على نفسه • وقال الامام القشيري رحمه الله يريد انهم يصبحون في النعيم يجرون اذيالهم ثم يمسون يشكون بلبالهم وقد يبيتون والبهجة ملكتهم ثم يصبحون وجفنا يا التعذيب اهلكتهم

افنا زماننا والعيون قريرة • ومن بعد عدنا والعيون سوافك •

فاذا رجعوا الى الله باخلاص الدعا • جاد عليهم بكشف البلا • فلما انجاهم • وبالاجابة دعاهم اذا هم في بغيهم يرجعون • وعلى منا هجهم في تمردهم يسلكون • وقال انما بغيكم على انفسكم اي تمتعكم في ايام قلايل ثم تلقون غب ذلك وبيلا • وتقاسون بذلك عذابا طويلا • وقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما ثم بين متاع الحياة الدنيا المذكورة في الاية المتقدمة انه مثل هذه الحياة او صفة هذه الحياة القريبة المدة كمطر انزلناه من السحاب فاختلط به نبات الارض اي فنبت نباتا مختلف الانواع مختلط بعضها ببعض وهو فيما لم ينبت بعد فينبت به ويجوز ان يكون في النبت الحادث اذا نزل به المطر اختلط بالمطر اي اتصل كل واحد منها بالاخر فاهتز وربا مما ياكل الناس من اللباب والانعام اي البهايم والمواشي وهو ما ليس قشورا وهو فيما يشتمل

على القشر واللب فتغذيت مما ياكل الناس كالحبوب وما ياكل الانعام كالحشيش • وقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها والزخرف الذهب • وقال قتادة بهجتها • وقال الضحاك حسنها • وقال ابو العالية جمالها • وقوله تعالى وازينت اي تزينت ادغمت التا في الزاي وزيدت الالف ليكون الابتدا بالمتحرك اي اكتست رونقا وجمالا باختلاف انواع النبات من صفرة وحمرة وخضرة وبياض ونحوها • وقوله تعالى وظن اهلها انهم قادرون عليها قيل اي على استصحاب تلك الحال وحصلوا على جني ثمارها الا ان النقاد عليهم وعليها اهلكها • وقيل اي قادرون على اخذ ما فيها من النبت والحب والثمر وعلى التغذية بزرعها والانتفاع بوجوه منافعها • وقوله تعالى اتاها امرنا ليلا وهو ما ينزله عليها من عذاب يستاصل نباتها من برد او ريح او عاصفة او نحو ذلك اي بالليل او نهارا اي بالنهار فجعلناها حصيدا اي مقطوعا ساقطا كان لم تغن بالامس اي لم تكن على تلك الصفة فيما قيل وقد غني بالمكان اذا اقام به من باب علم وقوله تعالى كذلك نفصل الايات اي فكما بينا هذا المثل نبين سائر الايات لقوم يتفكرون اي هم المنتفعون بها • وقال الامام الزاهد ابو منصور رحمه الله ضرب مثل الحياة الدنيا بالزرع من وجوه احدها انه يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي يتسارع الى الزوال والانقطاع بالافة والثاني انه يخبر عن تقلبها وانقلاب امرها كالنبات الذي يتغير لادنى مدة • والثالث انه ذكر حسرة صاحب الدنيا وابتهاجه بالحياة الدنيا فيما يتعبون فيها مثل صاحب الزرع الذي ينفق عليه لما يامل من المنافع ثم يكون ما ذكر ولقد علم ذلك في الابتدا لما فعل فكذلك صاحب الدنيا فيما فعل وقال الامام القشيري رحمه الله شبه الحياة الدنيا بالما الذي ينزل من السما ينبت به النبات وتخضر به الارض وتظهر الثمار ويوطن اربابها عليها انفسهم فتصيبهم جائحة سماوية بغتة وتصير كان لم تكن كذلك الانسان بعد كماله سنه وتمام قوته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه المنية وكذلك امور المنتظمة تبطل وتختل بوفاته كما قيل

فقدناه لما تم واعتز بالعلي • كذاك كسوف البدر عند تمامه •

ومن وجوه تشبيه الاموال الدنيوية بالما المنزل من السما ان المطر لا يستزاد بالحيلة كذلك الدنيا لا تساعد الا بالقسمة ثم ان المطر وان كان لا يجي الا بالتقدير فقد يستسقى كذلك الرزق وان كان بالقسمة فقد يلتمس من الله تعالى ويستعطي ومنها ان الما في موضعه سبب حياة الناس وفي غير موضعه خراب الموضع كذلك المال المستحق سبب سلامته وانتفاع المتصلين به وعند من لا يستحقه سبب طغيانه وسبب بلا من هو متصل به كما قيل نعم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام • ومنها ان الما اذا كان بمقدار كان سبب الصلاح فاذا جاوز الحد كان سبب الخراب كذلك المال اذا كان بقدر الكفاية والكفاف فصاحبه منعم فاذا زاد وجاوز الحد اوجب الكفران والطغيا ومنها ان الما ما دام جاريا كان طيبا فاذا طال مكثه تغير كذلك المال اذا انفقه صاحبه كان محمودا فاذا ادخره وامسكه كان معلولا مذموما • ومنها ان الما اذا كان طاهرا كان لا يصلح للشرب ويصلح للطهور والا ازالة الاذى واذا كان خبيثا صار فيها العكس وكذلك المال اذا كان حلالا وبعكسه اذا كان حراما • وقيل كما ان الربيع تتورد اشجاره • وتظهر ازهاره • وتخضر رباعه وتتزين بالنبات وتاس من البرودات وتلاحم ثم لا يؤمن ان تصيبه افة من غير ارتقاب وينقلب الحال بما لم يكن في الحساب كذلك من الناس من يكون لراحته لصاحبه واعمال بشرط الخلوص زاكية وغصون انسه متدلية • ورياض قربه مونقة • ثم تصيبه عين فيذبل عود وصاله وينسد باب عوايد افضاله كما قيل شعر

عين اصابتك ان العين صايبة • والعين تسرع احيانا الى الحسن •

وقوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام اي لا يدعوكم الى الركون الى الدنيا التي هي تتعرض للافات • بل الى الجنة التي فيها السلامة عن كل العاهات • قال الزجاج دار السلامة عن كل افة والسلام والسلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة • وقال الحسن وقتادة السلام الله وداره الجنة ومعنى الاية على القول الاول والله يدعوكم الى العمل ايا الاخرة التي يسلم صاحبها من الحزن والخوف ونعيمها من التغير والفنا • وقوله تعالى ويهدي من يشا الى صراط مستقيم اي من حسب اجابة بجه الله اليها هداه الى الطريق الذي يفضي به اليها فالدعا عام والهداية خاصة اذ الكل مدعوون والسعدا منهم مهديون • وقيل دار السلام دار الضيفة قال تعالى وتحيتهم فيها سلام وهي من بعضهم لبعض • قال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وهو سلام الملايكة • وقال تعالى سلام قولا من رب رحيم وهو سلام الله تعالى • وقال الامام القشيري رحمه الله

الذي كلفه • والهداية تعريفه فالتكليف على العموم والتعريف على الخصوص التكليف بحق سلطانه والتعريف بحكم احسانه • الدعا فوله والهداية طوله • ودار السلام دار السلامة من اهلها من الحرقة والفرقة وسلموا من الحرقة فتفضلوا في لذة عطايه وسلموا من الفرقة وسلموا في الجوار قربه • وقيل لا يصل الى دار السلام الا من سلمت نفسه من الذنوب والا وصاروا الصراط المستقيم طريق المسلمين وهذا للعوام بشرط علم اليقين ثم طريق المؤمنين وهو طريق الخواص بشرط عين اليقين ثم طريق المحسنين وهو طريق اشراف الخواص بشرط حق اليقين فهولا بنور العقل اصحاب البرهان وهولاء بكشف العلم اصحاب البيان وهولاء بيانا المعرفة بوصف العيان وهم الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمحسن من سلم الخلائق باجمعهم من قلبه وقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي للذين احسنوا الاعمال الحسنى • قال ابن عباس رضي الله عنهما الحسنى الجنة والزيادة عشرة امثالها • وعن علقمة قال والزيادة هي التضعيف وقال الحسنى وزيادة عشرة امثالها الى سبع مائة ضعف • وقال مجاهد الحسنى الجنة والزيادة هي المغفرة والرضوان • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وقال الامام ابو منصور رحمه الله الحسنى الجنة لانها جزا الاحسان كما سمي النار السوأى لانها جزا الاساة • قال وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد محبة الحبوب وهيبة كل احد من غير سلطان • وقيل هذا التضعيف حتى يكون عشرا وسبع مائة وما شا الله يدل عليه قوله تعالى في مقابلته والذين كسبوا السيئات جزا سيئة بمثلها • وقال قائلون الزيادة هي قبول حسناته مع ما فيها من الخلط بالسيئات • وقال قائلون الحسنى ما تمنته العقول وتدركها وتصورها الاوهام كما قال وفيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • وقال ابي بن كعب رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى • وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله جل جلاله ولدينا مزيد • قال يتجلى لهم ربهم • وعن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتجرنا من النار فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فينظرون اليه والذي نفس محمد بيده ما اعطاهم شيا هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم من النظر اليه والاية تنتظم هذه الاقاويل واولى التفاسير تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال به جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ابو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وابو موسى الاشعري وكعب بن عجرة وصهيب بن سنان وعبادة بن الصامت وابن عباس وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن ابي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة والحسن والضحاك والسدي ومقاتل وعطا وعامة المفسرين الزيادة النظر الى وجه الله تعالى • وروي قيس بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته وهذا التشبيه الروية بالروية لا التشبيه المرئي بالمرئي وهو القول الحق وعليه اهل السنة والجماعة • وروى منصور بن عمار عن يزيد بن شجرة قال ان من الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فيقولون ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم • وقوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اي لا يغشاهم القتار غبار • وقيل القترة غبرة معها سواد اي على وجوههم سيما الفرح والسرور كما قال تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة • وقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وهو خلاف وجوه اهل النار يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة • وقال ههنا كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما • وقوله تعالى ولا ذلة اي هوان • وقوله تعالى اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون هذا ظاهر • وقال الامام القشيري رحمه الله للذين احسنوا في الواجبات ولم يخلوا بالمندوبات • وقيل احسنوا لم يبق عليهم حق الا قاموا به انكا نحو الحق من غير تقصير وانكا نحو الخلق من غير تاخير • وقيل احسنوا في المال كما احسنوا في الحال فاستداموا ما فيه استقاموا • وقيل الحسنى في الدنيا توفيق بدوام وتحقيق في تمام وفي الاخرة غفران معجل وعياذ عن التابيد محصل • وقوله وزيادة قال اهل المعرفة الحسنى الرؤية والزيادة

دولهما وقيل الحسنى اللقا والزيادة البقا في حال اللقا • وقوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر اي لا يرد
من غير شهود الى روية غيرهم هم فيها خالدون في سوت اتصالهم في جميع احوالهم • وقوله تعالى والذين
كسبوا السيات قال الكلبي عملوا الشرك والمعاصي جزا سيئة اي لهم جزا سيئة بمثلها اي قصاص
بمثلها وهي النار هي مثلها اي هي موافقة لعملهم اعتقدوا الشرك على الابد فعوقبوا فيها على الابد • وترهقهم
ذلة اي تغشاهم الهوان والكارهية وحرمان وهو كقوله تعالى ووجوه يوميذ باسرة • وكقوله تعالى
ووجوه يوميذ عليها غبرة ترهقها قترة • وقوله تعالى ما لهم من الله من عاصم اي ما لهم مانع من عذاب
الله تعالى من جهة اصنامهم واعوانهم • وقوله تعالى كانما اغشيت وجوههم قطعا قرا ابن كثير
والكسائي بسكون الطا • وقال الاخفش معناه اي بعضا من الليل وقرا الباقون بفتح الطا وهي
جمع قطعة وقوله تعالى من الليل مظلما نصبه على الحال من قوله من الليل حال اظلامه وهو كقوله
وتسود وجوه • وقال القشيري رحمه الله وسموا ابدال الحجاب وعوقبوا بتابيد العذاب • وقوله
تعالى اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا ظاهر • ويوم نحشرهم اي نجمع الذين كسبوا
السيات وما عبدوهم من دون الله تعالى في الموقف • وقوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اي
للمشركين مكانكم نصب على الاغرا معناه الزموا مكانكم • وقوله تعالى انتم وشركاوكم انتم توكيد للاسما
المخاطبين بالامر بلزومهم مكانكم هم وشركاوكم عطف عليه واضاف الشركا اليهم لانهم القايلون لذلك
وقوله تعالى فزيلنا بينهم اي فرقنا بينهم وقد زلته ازيله فرقته وزيلته للتكثير والتكرير وليس من
الزوال ذاك واوي وهذا يايي • وقال تعالى لو تزيلوا • وجا في الحديث خالطوا الناس وزايلوهم
اي خالطوهم بالابدان وفارقوهم في الاعمال يقول للمشركين الزموا مكانكم والمتكم للحساب لا تتفرقوا
وقيل اي اثبتوا مكانكم مع شركايكم ليعينوكم ويشفعوا لكم ويعصموكم من عذاب الله وهي كلمة توبيخ
وقوله تعالى فزيلنا بينهم اي ميزنا بين العابدين والمعبودين اذ كانوا ملايكة فهم مميزين عن اهل النار
الى الموضع الذي التي هي مقاماتهم وقوله تعالى وقال شركاوهم قيل هم الملايكة ما كنتم ايانا
تعبدون وهو كقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملايكة اهولا اياكم كانوا يعبدون قالوا
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اي قالت الملايكة ان الجن وهم الشياطين
دعوهم الى عبادتنا ونحن منهم برا فانما عبدوا الشياطين لانهم اطاعوهم فيما امروهم وهو كقوله
ان لا تعبدوا الشيطان • وقال الكلبي ومقاتل ومجاهد شركاوهم الاصنام ينطقهم الله تعالى
فيقولون ما كنتم ايانا تعبدون ما علمنا بعبادتكم ايانا ولا امرنا بها ولا عبادة الا بامر المعبود وفي
هذا قوله فزيلنا بينهم اي فرقنا بين المشركين وبين اصنامهم وما كان بينهم من التواصل • وقيل
اي جعلنا الاصنام ترابا وجعلنا المشركين في النار • وقيل شركاوهم اعوانهم وقرناوهم في الشرك
وقوله فزيلنا بينهم هو قوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا الاية • قال مجاهد وقيل فرقنا بينهم فلم
يتناصروا • وقال تعالى وقفوهم انهم مسيولون ما لكم لا تناصرون • وقيل هو تفريقهم في الدركات
في النار لان بعضهم اسفل من بعض • وقوله تعالى فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم
لغافلين اي ما كنا عنها الا غافلين وشهيدا بيننا وبينكم اهم واحسن من قوله شهيدا لنا وكم او علينا
وعليكم لانفسنا • قال الكلبي لما قالت الاصنام لم نعلم بعبادتكم ايانا [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى هنالك
تبلو كل نفس ما اسلفت • قرا حمزة والكسائي تتلو بالتا من التلاوة اي تقرا كتابه وهو قول الفرا • وقيل تتبع
ابن زيد بيانه • [illegible] وقرا الباقون
تبلو بالبا [illegible] • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي تختبر [illegible] وهذا الموقف
تختبر كل نفس [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى وردوا الى الله
مولاهم الحق اي ورد العابدون والمعبودون الى حكم الله الذي هو مولاهم الحق [illegible]
[illegible] وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون اي [illegible]
يقولون [illegible] • وقال الامام القشيري رحمه الله [illegible]
[illegible]
[illegible] • وقوله تعالى قل من يرزقكم من السما والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون • وهذا محاجة لهم
بما يبطل اعتقادهم وقولهم بالشرك يقول قل يا محمد للمشركين من ينزل من السما ومن يخرج من الارض رزقكم

ومن يدبر الامر ذلك امن يملك اسماعكم وابصاركم يصرفها كيف يشا ولو اراد ان يسلبها احبها لفعل ومن يخرج
الولد الحي من النطفة الميتة وعلى القلب ويخرج الشجرة من النبات وعلى القلب والزرع من الحبة وعلى القلب
والمومن من الكافر وعلى القلب ومن يدبر امور الخلايق فسيقولون الله لان ذلك اعتقادهم فقل لهم افلا تتقون من
تعجيزكم اياه عن اعادة الاحيا الموتى احيا في الاخرة كما كانوا في الدنيا • وقال الامام الزاهد ابو منصور
رحمه الله افلا تتقون عقوبته ونقمته بالاشراك ويحتمل افلا تتقون عبادة غيره دونه فاشتراك غيره
في الاصنام • ويحتمل افلا تتقون صرف شكره الى غيره وقد اقررتم ان الله المنعم عليكم بهذه النعم • ويحتمل افلا
تتقون عصيانه ومخالفته وقد عرفتموه • وقال الامام القشيري رحمه الله فسيقولون الله ولكن قالوا
لا عن بصيرة ونطقا لا عن تصديق سريرة • وقوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق اي فاعل ذلك كله هو الله الحق
يحق له الربوبية والالاهية • وقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اي فليس بعد عبادته اذا عبدتم
غيره الا الضلال عن الحق • وقوله تعالى فانى تصرفون اي من اين تصرفون عن هذا الامر بعد المعرفة • وقال
مقاتل فكيف تصرفون عقولكم الى عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يخلق ولا يرزق • وقوله تعالى كذلك
حقت كلمة ربك قرا نافع وابن عامر كلمات ربك ههنا وفي اخر هذه السورة على الجمع والباقون على
التوحيد اي حق كلام ربك اي حكمه على الذين فسقوا وهم قوم بايمانهم خرجوا عن طاعة الله تعالى وعلم
الله منهم اختيار البقا على الضلالة انهم لا يومنون وهو كقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم
لا يومنون • وقوله تعالى قل هل من شركايكم من يبدا الخلق ثم يعيده فانى توفكون قال ابن عباس رضي
الله عنهما اي قل يا محمد لاهل مكة هل من اصنامكم من يبدا الخلق في بطن امه نطفة وعلقة ومضغة ثم
يعيده بعد الموت يبعثه بعد الموت فان اجابوك فقل الله والا فقل الله يبدا الخلق ثم يعيده بعد الموت
فمن اين تصرفون عن الحق استفهام بمعنى التوبيخ والافك اسم جنس يصلح للجمع وهو في الاصل مصدر ايضا
فلا يشي ولا يحيي • وقوله تعالى قل هل من شركايكم من يهدي الى الحق قال مقاتل قل هل من شركايكم اللات
والعزى ومناة والاصنام التي تعبدونها احد يهدي الى دين الاسلام اي فلا بد لهم ان يقولوا لا
انها لا تعقل ولا تميز ولا تبصر ولا تسمع فقل لهم انت وذلك قوله تعالى قل الله يهدي للحق اي الى الحق والهداية
تعدى على ثلاثة اوجه يقال هديته كذا وللكذا او الى كذا • افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى قرا ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع يهدي بفتح الها وتشديد الدال واصله
يهتدي فادغمت التا في الدال ونقلت فتحتها الى الها لئلا يجتمع ساكنان • وقرا ابو عمرو ونافع في رواية
غير ورش يهدي باختلاس فتحة الها وتشديد الدال • وقرا عاصم يهدي بفتح اليا وكسر الها وتشديد
الدال اتباعا لكسرة الدال بعد الها • وعن عاصم في رواية بكسر اليا لانكسار الها لتتفق الحركات
وقرا حمزة والكسائي يهدي باسكان الها وتخفيف الدال على الاصل الثلاثي واما معناه •
فقد قال عطا ان محمدا ادعا قومه الى الحق ولا يهتدي الا ان يهدى • وقال الحسن امن يهدي الى الحق
وذلك هو الله تعالى احق ان يتبع اي يعمل بامره امن لا يهتدي الى خير اي هو جماد لا يعرف هدى من ضلال
ولا خيرا من شر ولا نفعا من ضر • وقوله الا ان يهدى قيل هو استثنا منقطع ومعناه لكنه يهدى اي يحمل
وينقل من مكان الى مكان والهدية ما تنقل وتحمل من مكان الى مكان والهدي ما ينقل الى الحرم ويهدى
العروس نقلها الى بيت زوجها اي هو لا يستطيع ان ينتقل بنفسه فكيف يهدي غيره • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله ويحتمل الا ان ينطقه الله في القيامة ويهديه الى القول بالحق كما تقدم ذكره في قوله
ما كنتم ايانا تعبدون ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاذا انطق الله تعالى بهم صاروا كذلك ويكون معنا
الا ان يهدى اي يجعلهم الله بحيث يهتدون اذا هدوا او يجيبون اذا دعوا • وقوله تعالى فما لكم استفهام
بمعنى التوبيخ كيف تحكمون كذلك وقيل معناه كيف تقضون بالجور وصرف العبادة والشكر الى من لا
يملك شيا • وقوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي بغير دليل عرفوا فتقليدهم باسلافهم ظنا منهم
انهم مصيبون • وقوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيا لا ينفع في معرفة الحق نفعا ما اي لا يدل
عليه ولا يوجبه • وقوله تعالى ان الله عليم بما يفعلون من الشرك واتباع الظن وترك الحق فهو
يجازيهم على ذلك وهو وعيد لهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال بعضهم وما يتبع اكثرهم
الا ظنا هم كبراوهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هولا شفعاونا عند الله وقال
بعضهم هم اتباعهم فان الكبرا عرفوا البراهين وعاندوا والعوام قلدوا ظنا منهم ان الكبرا على
الحق • وقوله تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله قال الامام ابو منصور رحمه الله
هذا يخرج على وجهين احدهما ما كان هذا القران بالذي يحتمل الافترا من دون الله لخروجه عن طوق
البشر ووسعهم كذلك الا بحيل لكونه معجزا في نفسه والثاني لما اودع فيه من الحكمة والصدق

يدل على كونه من عند الله اذ كلام غيره يحتمل السقط(?) والكذب والاختلاف وهذه الاية تتصل بقوله ايت بقران غير هذا الاية قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي • وقوله تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه نصبه بكان اي بعد(?) هذا القران الكتب المتقدمة ولو كان محمد هو الذي افتراه من عند نفسه لم يخرج موافقا لها لان محمدا لم يعرف سائر الكتب فلما خرج موافقا لها دل انه من عند الله جا • قال تعالى وما كنت تتلو الاية • وقوله تعالى وتفصيل الكتاب اي ما كتب لهم وعليهم • وقال الحسن وتفصيل الكتاب الوعد لمن اطاعه بالنعيم المقيم والوعيد لمن عصاه بالعذاب الاليم • وقوله تعالى لا ريب فيه من رب العالمين اي لا شك فيه انه كلام رب الخلائق اجمعين وقوله تعالى ام يقولون افتراه ام بمنزلة على استفهام قبله فيتصل بقوله اكان للناس عجبا او بمضمر فالمعنى استفهام وهو انتعترفون بهذا ام تقولون افتراه • وقيل بل معناه كما في قوله ام يقولون تقوله • وقوله تعالى قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وهذا امر اعجاز اي انتم اصحاب لسان وبيان وانما انا رجل مثلكم فتكلفوا انتم ان تاتوا بسورة مثله اي مثل هذا القران في نظمه وصحة معانيه وزوال الاختلاف عنه فاستعينوا بمن استطعتم من خلق الله تعالى ان كنتم صادقين انه مفترى وان محمدا يقدر على الاتيان بقران غيره وتبديله • وقال القشيري رحمه الله استدعت بصايرهم فلم يزدادوا بكثرة السماع الا عمى على عمى كما ان اهل الحقيقة ما ازدادوا الا هدى على هدى فسبحان من جعل سماع خطابه سبب تحيرهم والخرس موجب تبصرهم • وقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله اي ليس تكذيبهم القران لكونه مفترى عندهم بيقين من غير احاطة علمهم به انه كذلك ولم ياتهم حقيقة ما يؤول اليه عاقبة من كذب به من نزول النقمة بهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما تاويله ما يكون منه في الدنيا وما يكون منه في القيامة من العذاب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل بل كذبوا بالبديهة مما لم يحفظوا نظره ولا العقله ولا نظروا فيه ولا تدبروا ليعلموا معناه وتاويله وتفسيره • وقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي الامم انبياءهم • وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم وعقولهم كيف نزل بهم العذاب فليتق هؤلاء ان تكون عاقبتهم كذلك وهو تسلية للنبي عليه السلام وتخويف للمكذبين • وقوله تعالى ومنهم من يؤمن به قال الكلبي ومقاتل ومن اهل مكة من سيؤمن بالقران ويصدق به ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق انه من عند الله وربك اعلم بالمفسدين في الارض بالمعاصي وقيل من يدوم منهم على فساد الكفر ممن يتوب منهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي على علم بما يكون منهم خلقهم لا من غفلة وجهل لا يضره فساد مفسد ولا ينفعه صلاح مصلح ويحتمل انه على الوعيد والتهديد • وقوله تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون اي فان كذبوك قيل ان يكونوا ايمانا منهم علم الله انه يومن فقل لهم لي عملي التبليغ والتنبيه ولكم عملكم الذي تورثونه لانفسكم وانتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون كل محاسب على عمله دون عمل غيره • وقال الكلبي ومقاتل نسختها اية القتال • وقال الامام القشيري رحمه الله برح الخفا وكشف الغطا فلا المحسن بجرم المسيء معاقب ولا المسيء بحكم المحسن مخاطب بل كل بما يعمله محاسب • وقوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك اي للرد للتعنت ومن اسم جنس يحتمل الجمع بمعناه • وقوله تعالى افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون استفهام بمعنى الجحد اي لست بقادر على اسماع من يتصامم عن سماع الحق فلا يعقله ولا يفهمه • وقوله تعالى ومنهم من ينظر اليك وحد الفعل لانه واحد في اللفظ وان كان جمعا في المعنى للجنس • وقوله تعالى افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اي كما ليس لك ان تسمع الصم فتجعل لهم اسماعا يعقلون بها عنك ما تقول فليس لك ان تهدي العمي الى طريق يسلكونه وهم لا يبصرون وهو كقوله انك لا تهدي من احببت الاية • وقال الامام ابو منصور رحمه الله نفي في الاول العقل وفي الثاني البصر لانه بالبصر يتوصل الى اهتدا الطريق والسلوك فيها وتتقي فيها المهالك ولا يعقل ما ليس لها سماع العقل مع سماعها الصوت فبظاهر البصر يبصر الاشيا وظاهر السمع بدون العقل لا تعرف الاشيا • وقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون اخبر ان ما حل باوليك من عذاب الاستيصال فانما حل بهم بظلمهم انفسهم والله تعالى منزه عن ان يظلم احدا من خلقه • وقيل ان الله تعالى لا ينتقص من ثواب العباد شيا ولكنهم ينقصون ذلك بفعلهم • وقوله تعالى ويوم يحشرهم اي اذكر يوم يحشرهم الى الموقف كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار وهي مقدار من الزمان تقسم به اليوم والليلة على اربعة وعشرين منها ذكرهم للقيامة وما فيها من الجزا ليخافوا ويتهيؤا لها • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة من نهار • وقال الضحاك تقربت الدنيا في قلوبهم من هول ما استقبلوا فكانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة • وقوله تعالى يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا ساعة ثم ينقطع المعرفة • قال تعالى ولا يسال حميم حميما • وقال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ

ولا يتساءلون

يتساءلون • وقوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله قيل هو حالهم حين حشروا • وقيل هو ابتدا وشهادة من الله بخسران المكذبين بالقيامة اغترارا بالحياة الدنيا وهذا حالها وما كانوا مهتدين حيث اغتروا التكذيب بالقيامة ويحتمل ان يكون قوله وما كانوا مهتدين عطفا على قوله كذبوا ويحتمل ان يكون عطفا على قوله قد خسروا وقال الامام القشيري رحمه الله الايام بعد مضيها في حكم اللحظة لمن امكن فيها ومضى يكون لما تزيد تنقضيها والآتي من الوقت قريب وكان الماضي من الدهر بعيدا كان لم يعرف • وقوله تعالى واما نرينك اصله وان ما ان للشرط وما صلة والنون للتوكيد ومعناه وان نرينك • وقال مقاتل واما نرينك في حياتك بعض الذي نعدهم من العذاب يعني القتل ببدر وسائر العذاب او نتوفينك قبل ان نريك ذلك فالينا مرجعهم بعد الموت فيجزيهم باعمالهم ثم الله شهيد على ما يفعلون لخبر ان الله شهيد على ما يفعلون من الكفر والمعاصي فيجزيهم عليها • وقوله تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون قال مقاتل ولكل امة فيما خلا رسول فاذا جاء رسولهم في الاخرة قضي بينهم بالعدل وهم لا يظلمون في اعمالهم ولا ينقصون من حسناتهم ولا يزادون على سيئاتهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاذا جاء رسولهم فكذبوه قضي بينهم وبين رسولهم يوم القيامة فيقول الله تعالى لهم الم ياتكم رسلي بكتبي فيقولون ما اتانا لك رسول ولا كتاب ثم يوتى بالرسول فيقول قد ابلغتهم كتابك ورسالاتك فيقول الله تعالى من يشهد لك فيقول الملائكة فتشهد الملائكة فيقولون نشهد انه قد بلغ • وقال عطية العوفي فاذا جاء رسولهم فبلغهم الرسالة فكذبوه قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا بالعدل فعذب المكذبون ونجا الرسل والمؤمنون وهم لا يظلمون لا يعذب احد بغير ذنب ولا بغير حجة • قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا • وقال الامام القشيري رحمه الله لم يخل زمان من شرع ولم يخل شرع من حكم ولم يخل حكم من مستحقه من ثواب او عقاب • وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال مقاتل لما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم يعني العذاب قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بنا فنزل هذا • وقوله تعالى قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ان يملكنيه وهكذا لا املك انزال العذاب بكم الآن • وقوله تعالى لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال مقاتل قل يا محمد لكفار مكة لا املك لنفسي دفع سوء عنها ولا سوق خير اليها الا ما شاء الله فيصيبني فكيف املك انزال العذاب بكم ولكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح المحفوظ فاذا جاء وقت عذابهم لا يستقدمون ساعة حتى يعذبوا ولا يستاخرون فكذلك هذه الامة والعذاب القتل ببدر • وقوله تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون قيل فيه تقديم وتاخير واضمار تقديره ما يردون وما يقولون ما يستعجل منه المشركون ان اتاكم عذابه الذي تستعجلونه اخذا بالليل لنهار او بالليل كيف تصنعون • وقال القشيري رحمه الله من عرف كمال القدرة لم يامن من اخذ الفجاءة • من خاف البيات لم يستلذ السبات • ومن توسد الغفلة ايقظته فجاءة العقوبة • ومن استوطن مركب الزلة عثرته بعجلة المحنة • وقالت بنت الربيع بن خيثم لابيها مالك لا تنام فقال ان اباك يخاف البيات • وقوله تعالى اثم اذا ما وقع امنتم به استفهام بمعنى التوبيخ اي بعد ما استعجلتم العذاب اذا وقع امنتم به وهو غير نافع لكم لانه ايمان باس • وقيل امنتم اي صدقتم بالعذاب وكنتم تستعجلونه استهزاء وتكذيبا وحين رايتم صدقتم به • وقوله تعالى الآن اي ويقال لهم ذلك والالف المنقطع عن اوله استفهام بمعنى التوبيخ والآن اصله من قولك آن لك ان تفعل كذا ادخلت عليه الالف واللام للتعريف وجعلا كالاسم وترك على الفتحة وهو فعل في الاصل وهو كما روي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال فجعلا كالاسم وتركا على ما كانا فعلين يعني يقال لهم الآن تؤمنون وترجون الانتفاع به وقد كنتم في مهل لو اردتم فيهم الايمان لامكنكم ولم تفعلوا والآن حين ارتفع البلاء ترجون الانتفاع بالايمان الذي لا اختيار لكم فيه على الغيب بل انتم اليه مضطرون اي ان هذا مما لا يكون وهذه اشيا لم تكن بعد واخبر واخبر عنها بفعل ماض تنبيها على انها كائنة لا محالة وهو كقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس • وقوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا انفسهم بالشرك والتكذيب ذوقوا عذاب الخلد فانما الذكم لا يزول تصيرون الى القبر فتعذبون فيه ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون فيها ابدا وهو جزا وفاق لكسبكم • وقوله تعالى ويستنبئونك احق هو اي ويستخبرونك يا محمد بعد هذا الاقتصاص منك عليهم احق ما تقول وانت فيه جاد مستيقن للصدق فيه اي انه هذا اجب • وقوله تعالى قل اي وربي اي قل نعم اقسم بالله انه لحق واي لا يقال الا مع القسم ولا يذكر على الافراد

وقد كنتم به تستعجلون

عذاب الخلد بما كنتم تكسبون

وقوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين • وقال الكلبي ويستنبئونك اى اهل مكة احق ما جئتنا به من نزول
العذاب بنا والبعث بعد الموت قل اي وربي اي ان العذاب نازل بكم وما انتم عليه بفائتين • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل احق ما تدعونا اليه من التوحيد وهو كقولهم لابرهيم عليه السلام اجئتنا
بالحق ام انت من اللاعبين • وقولهم لموسى عليه السلام اتتخذنا هزوا • وقوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت
ما في الارض لافتدت به قال الامام ابو منصور رحمه الله اخبر انه لو كان لكل نفس اشركت جميع ما في الدنيا
ملكا لها لافتدت به عند نزول العذاب بها لشدة العذاب طلبا للخلاص وان كان الذي منع الكفار
عن الايمان هو حبهم الدنيا وحرصهم عليها وبخلهم بها • وقال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا الاية • وقوله
تعالى واسروا الندامة لما رأوا العذاب هو ابتداء غير متعلق بلو ومعناه اخفوها اى عن اتباعهم وقيل
اى اضمروها على ما كان منهم من التكذيب • وقيل اي اظهروها فالاسرار لغة في الاظهار والاخفا
جميعا وهو من الاضداد وهو قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب ونحو ذلك • وقوله تعالى وقضي بينهم
بالقسط اي بالعدل اي يجزي المحسن على احسانه والمسيء على اساءته فلا ينقص من ثواب ولا يزاد على
عقاب • وقوله تعالى وهم لا يظلمون قوله واسروا وقضي ماض ومعناه المستقبل لانه من امور الاخرة
لكنها كاينة لا محالة فلذلك ذكر بصيغة التحقيق • وقال الامام القشيري رحمه الله اى لا تقبل منهم
صرف ولا عدل ولا ينفع فيما سبق من الوعيد خلف ولا تنفعهم ندامة وان صدقوها • ولا يبالهم كرامة ولو
طلبوها ولا يجري عليهم ظلم في الجزاء كلا بل هو الله العدل في القضاء الفرد في العلا بنعت الكبريا
وقوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض ليس للظالم ملك ما في الارض ليفتدى به بل لله هو
وجد اخبر انه قادر على تحقيق ما اوعد به لان له ما في السموات وما في الارض • وقوله تعالى
الا ان وعد الله حق اي كاين بالرحمة كان او بالعذاب • وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
قال الامام ابو منصور رحمه الله اي لا ينتفعون بعلومهم ويحتمل لا يكتسبون سبب العلم بالتامل
والنظر في الادلة • وقال في اول الاية انه دلالة البعث من وجهين احدهما ان من قدر على ايجاد
السموات والارض لا عن شيء قدر على احياء الخلق بعد فنائهم • والثاني ان خلق السموات والارض
وتعليق منافع بعضها ببعض والافضال على الخلق بانواع النعم من كمال الحكمة وقد اخبر انه ما خلقه
باطلا فلو كانتا للفناء لا للاحياء بعده كان يكون خارجا عن الحكمة • وقوله تعالى هو يحيي ويميت
واليه ترجعون تحقيق الاول • وقال الامام القشيري رحمه الله يحيي القلوب بانوار المشاهدات
ويميت النفوس بانواع المجاهدات • وقيل يحيي من اقبل عليه ويميت من اعرض عنه • يحيي
بالرجا • ويميت بالقنوط • وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم قال ابن عباس
رضي الله عنهما قد جاءتكم موعظة من ربكم في القرآن وهي ما دعا الى النسك والخشوع وصرف عن الاثم
والفسوق • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل هي النهي قال الله تعالى يعظكم الله ان تعودوا
لمثله اي ينهاكم قال وقيل هي التي تدعوا الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب • قال وقيل هي التي
تلين كل قلب قاس وتجلي كل قلب مظلم • وقوله تعالى وشفاء لما في الصدور الشفا كالدواء
لان له الدا وداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطباؤه اقل والشفا منه اجل • وقال
الامام القشيري رحمه الله شفا كل احد على حسب حاله فشفا المذنبين بوجود الرحمة وشفا
المطيعين بوجود النعمة • وشفا العارفين بوجود القربة • وشفا الواجدين بوجود الحقيقة
وشفا العاصين بوجود النجاة • وشفا المطيعين بوجود الدرجات وشفا العارفين بالقرب
والمناجاة • وقوله تعالى وهدى اي ارشادا الى الصواب ورحمة منة من الله تعالى على عباده
وبيان شرايع الدين والامور التي توصلهم لجنته ونعمته • وقوله تعالى للمؤمنين اى هم
الذين ينتفعون بها • وقيل ورحمة للمؤمنين اي تخليص من العذاب للذين لا يؤمنون به اى يصدقون
بانه من عند الله • وقال الامام القشيري رحمه الله الموعظة لارباب الغيبة ليتوبوا والشفا
لاصحاب الحضور ليطيبوا • قال وقيل الموعظة للعوام والشفا للخواص والهدى لخاص الخاص
والرحمة لجميعهم وبرحمته وصلوا الى ذلك • وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته الفضل الزيادة
في النعمة وفضل الله افضاله كالنبات يجيء بمعنى الانبات • قال الله تعالى والله انبتكم من الارض
نباتا اي قل يا محمد لهولاء الذين همتهم جمع الاموال واسباب الرفعة في الدنيا الا بالايمان بفضل الله
ورحمته افرحوا لا بالمال واسباب الجلال والجمال وهو كقوله تعالى فبذلك فليفرحوا قرأ الحسن بتا
المخاطبة وكان الكسائي يعيب هذه القراءة والفرا يجيزها لانه رد الى الاصل وهو قوله عليه السلام
لتاخذوا مصافكم • وقراءة العامة بيا المغايبة واللام في امر المغايبة لازم وفي المخاطبة جائز •

وقوله

وقوله تعالى هو خير مما يجمعون هو يرجع الى قوله فبذلك وذلك يرجع الى ما سبق ذكره وهو فضل الله ورحمته وقيل هما
يرجعان الى القرآن لانها تتصل بالاية الاولى وهي في ذكر القرآن وفيها الفضل والرحمة اما الرحمة فقد قال في الاية
الاولى وهدى ورحمة واما الفضل فقد قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته الى ان قال ذلك
فضل الله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة وجماعة فضل الله الاسلام ورحمته القرآن • وقال
الضحاك وعكرمة • وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله • وقال ابن عمر رضي
الله عنهما فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبكم • قال تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم • وقال
خالد بن معدان فضل الله الاسلام ورحمته السنة • وقال عبد العزيز بن يحيى فضل الله النعم الظاهرة ورحمته
النعم الباطنة • وقال ابو بكر الوراق فضل الله النعماء وهو ما اعطى وحبا ورحمته الالاء وهو ما صرف وزوى • وقال
سفيان بن عيينة فضل الله التوفيق ورحمته العصمة • وقال سهل بن عبد الله فضل الله الاسلام ورحمته
السنة • وقال الحسين بن الفضل فضل الله الايمان ورحمته الجنة • وقال ذو النون المصري فضل الله دخول
الجنان • ورحمته النجاة من النيران • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الله
وبرحمته قال بكتاب الله والاسلام • وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الثبات على الاسلام • وقيل فضل الله
تعالى الاسلام • ورحمته ان جعلنا من امة محمد عليه السلام • وقال الامام القشيري رحمه الله فضل الله
ما اباح لهم من الخيرات • ورحمته ما ازاح عنهم من الافات • وفضل الله ما اكرمهم به من اجزاء الطاعات • ورحمته
تمام التحقيق وفضل الله ما اختص به اهل الطاعات من صنوف احسانه ورحمته ما يختص به اهل الزلات
من وجود غفرانه وفضل الله المعرفة في البداية ورحمته المغفرة في النهاية • وفضل الله ان اتاك لتشهد الطلب
ورحمته ان اشهدك حكم البيان ان تراه عند الكشف العيان • فضل الله الرؤية • ورحمته ابقاؤهم
في حال الرؤية • وقوله تعالى فبذلك فليفرحوا اي بما اهلكم له لا بما تتكلفون من حركاتكم وسكناتكم وتتلون
اليه بنوع من تصنعكم وتعملكم هو خير مما يجمعون من الاموال الوافية وتتصفون به من الاحوال الزاكية
قال وقيل ان الذي لك منه في سابق القسمة خير مما تتكلفه من صنوف الطاعة والخدمة • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله وفي الاية ان الله تعالى بانزال القرآن متفضل اذ له ان لا ينزل وفيه ان اهل المعتزلة يواخذون به حال
نقضهم • وقوله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قال الامام ابو منصور
رحمه الله اضاف انزاله الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما ان اسبابها تتعلق بالسما
من المطر والشمس والقمر في الانبات والانضاج والتلوين • وقال تعالى وفي السماء رزقكم وهو على هذا
ويحتمل قوله انزل اي خلق كما قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج • وقوله فجعلتم منه حراما وحلالا
من البحيرة والسايبة والوصيلة والحامي • وقيل ما جعلوا لله من الحرث والانعام وقد مر بيان الامرين
وفيه دليل على ان الحرام من رزق الله كالحلال • وقوله تعالى قل آلله اذن لكم استفهام بمعنى الانكار ام على
الله تفترون بل على الله تكذبون • وقال الكلبي قل يا محمد لاهل مكة ارأيتم ما انزل الله لكم في الكتاب
من رزق حلال فجعلتم مما رزقكم الله حراما على النسا وحلالا على الرجال وهذا في شان البحيرة والسايبة
والوصيلة والحامي قل آلله امركم ام على الله تختلقون الكذب ما لم يامر به • وقال مقاتل قل لكفار مكة
قريش وخزاعة وثقيف وعامر بن صعصعة وبني مدلج وعامر والحارث ابني عبد مناة ارأيتم ما انزل الله
لكم من رزق يعني الحرث والانعام فجعلتم منه حراما وحلالا يعني ما حرموا للالهة من الانعام قل آلله
اذن لكم بتحريمه بل على الله تفترون الكذب يوم القيامة استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع
وما ظنهم بالله في يوم القيامة ماذا يفعل بهم جزاء على افترائهم عليه • وقال الامام الزاهد ابو منصور
رحمه الله فان قيل كيف اوعدهم بيوم القيامة وهم لا يؤمنون بالبعث قيل لانه يلزمهم الحجة على كون
البعث بما اقام من الدلايل وبما جعل في عقولهم من الايمان به اذ ليس من الحكمة خلق الخلق للفنا خاصة
وبعد فانه قد يوعد المرء بما لا يتيقن به ويخوف عليه وان لم يحط علمه به ومعنى لحق وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب لو خرج الامر حقا وظهر ما قاله من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقا
وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس قال الامام ابو منصور رحمه الله اي على كل الناس بما ساق
الى الكل من الرزق كما زعمهم ومنهم وبما اخر عنهم العذاب وبما بعث اليهم الرسول والكتب من غير ان كانت
منهم سابقة صنع يستوجبون به ذلك ومنه خصوص فضل الهدى على المؤمنين ولكن اكثرهم لا يشكرون
فضله وانعامه عليهم بجهلهم بمواقع النعم التي ساقها اليهم • وقوله تعالى وما تكون في شان فاتصاله
بما قبله ان الله لذو فضل على الناس في الامهال وليس امهاله لهم لخفاء احوالهم عليه لانك يا محمد ما تكون
في شان اي امر وما تتلوا منه اي وما تقرأ مما انزل عليك من قرآن ولا تعملون اي ولا تعمل انت وساير
الناس من عمل الا كنا عليكم شهودا عالمين به شاهدين عليه • وقوله تعالى اذ تفيضون فيه اي تشرعون

يوم القيامة

فيه وتنبسطون وتنتشرون وما يعزب عن ربك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يغيب • وقرأ الكسائي بكسر الزاي وغيره بالضم وهما لغتان ومعنى العزوب البعد والغيبة من مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة • وقيل الذر ما يتراءى في الهواء عند وقوع الشمس في الكوة ونحوها في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قرأ حمزة بالضم ردا على موضع • وقوله من مثقال ذرة الا من زايدة لتاكيد النفي وتقديره وما يعزب عن ربك مثقال ذرة الا في كتاب مبين • قال ابو روق هو اللوح المحفوظ • وقيل اي هو مثبت عند الله كتبه ملائكته واحصاه وتعالى ردهم الى كتابة ذلك عليهم لعدم اكتفائهم في الامتناع عما نهوا عنه برؤيته وعلمه • وقال الامام القشيري رحمه الله خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم في جميع احوالهم ورؤيته بما يعملونه من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم وهذه حالة المراقبة فالعبد اذا علم ان مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه • وانشدوا في معناه شعر

كان رقيبا منك حال بمهجتي • اذا رمت تسهيلا علي تصعبا • وقال اخر

اهابك عند النفس في كل خصلة • تبا ينبي فيها وانت مغيب • وقال في قوله

وما يعزب عنه مثقال ذرة فكيف يخفى عليه ذلك ويتقاصر عنه علمه وهو منشيه وموجده فيتعرض احكامه الجارية عليه مخصصة • وقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما خوف بيوم القيامة اعداه ذكر ما يعطي فيه اولياءه • قال ابن كيسان اولياء الله هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي اتاهم فتولوا القيام له بحقه والدعاء اليه عامة خلقه • وقيل هم الذين يتولاهم الله بثوابه وكرامته • وقال القشيري رحمه الله الولي على وزن فعيل مبالغة من الفاعل وهو من توالت طاعاته من غير ان يتخللها عصيان ويجوز ان يكون الفاعل الفعيل بمعنى المفعول هنا كالجريح والقتيل فيكون الولي من يتوالى عليه احسان الله وافضاله ويكون في معنى كونه محفوظا في عامة احواله من المحن واشد المحن ارتكاب المعاصي فيعصمه الله تعالى في دوام اوقاته عن الزلات • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اولياء الله فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله • وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى فقال رجل منهم يا رسول الله ومن هم وما اعمالهم فنحبهم بذلك قال رجال يتحابون بروح الله من غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطون بها بينهم فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وقال ابن زيد اولياء الله هم الذين وصفهم في الاية الثانية الذين امنوا وكانوا يتقون وقوله لا خوف عليهم من النار ولا هم يحزنون بفوت الجنة • وقال مقاتل لا خوف عليهم ان يدخلوا النار ولا هم يحزنون ان يخرجوا من الجنة • وقال ابن كيسان لا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم يحزنون من فوات ثواب الله • وقال الامام القشيري رحمه الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الحال ولا في المآل وحقيقة الخوف توقع محذور يصيب في المستقبل والحزن ترقب محبوب يزول في المستانف وهو بحكم الوقت ليس لهم تطلع في المستقبل والحزن من الحزونة وهم في الحال في روح الرضا بكل ما جرى الذين امنوا وكانوا يتقون • قيل هو نصب نعتا لقوله تعالى ان اولياء الله • وقيل هو مبتدا وخبره لهم البشرى • وقال الكلبي يتقون الشرك والمعاصي • وقال الامام القشيري رحمه الله امنوا اقاموا بعقولهم موجب المعارف وكانوا يتقون استقاموا بنفوسهم باداء الوظايف • وقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا من الملايكة عند قبض الارواح وفي الاخرة بتلقاهم للادخال الجنة • وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له • وقال الضحاك يعلم اين هو قبل ان يموت • وقال الزهري هي البشارة قبل الموت • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قوله لنبيه عليه السلام وبشر المؤمنين • وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه وفي الاخرة قوله تعالى يبشرهم ربهم • وقوله تعالى لا تبديل لكلمات الله اي لمواعيده في كتبه وعلى السنة رسله • وقيل لهذه البشارة • وقيل لما مضى من سنته في الاولين من الاهلاك والاستيصال للمكذبين وقيل لحججه وبراهينه • وقوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك التبشير وقيل اي ذلك الموعود هو الفلاح العظيم لانه نيل جميع ما يرجوا والامن من كل ما يخشى • وقال القشيري رحمه الله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة اذا اقاموا بما به امروا واستقاموا في ترك ما عنه زجروا فبشرتهم الشريعة بالخروج عن عهدة الالزام • وبشرتهم الحقيقة باستحقاق الكرامة بما كوشفوا به من اعلام هذه البشرى في عاجلهم واما في اجالهم فالحق يتولى ذلك قال يبشرهم ربهم • قال وتعالى البشارة العظمى ما يجدونه في قلوبهم من ظفرهم بنفوسهم وسقوط مآربهم والرضا بتقديره بهم هذه النعمة العظمى ووجدان هذه الحالة هي البشارة الكبرى • وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم اضاف النهي الى قولهم

لانه

لانه من السبب لحزنه ومعناه لا تحزن بقولهم وهو كقولهم لا ارينك هاهنا تضيف النهي عن الرؤية الى نفسك ومعناه لا تكن هاهنا فاراك • ومعنى الاية لا تحزن بقولهم متى هذا الوعد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولا يحزنك تكذيبهم • وقوله تعالى ان العزة لله جميعا هو ابتدا بمعنى فان العزة كلها لله المنعة والسلطان • وقوله تعالى هو السميع العليم اي يسمع اقوالهم ويعلم افعالهم وهو منزل بهم عذابه فلا يمتنعون عنه • وقال ابن المسيب ان العزة لله يعز من يشاء • وقوله تعالى فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين بالله جميعا فهي كلها لله • وقال مقاتل ولا يحزنك قولهم انك مفتر كذاب • وقيل في القران انه سحر وانه شعر وقيل في الله بما لا يليق من الصاحبة والولد • وقوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي كلهم عبيده يفعل بهم ما يشاء لا يمنع من نفذ من شا تعذيبه • وقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا له وجوه احدها انه استفهام ومعناه اي شي يتبع الذين يدعون الاصنام شركا لله ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون الا الظن وهو توهمهم شفاعة الاصنام لهم حتى قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • وقال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء وان هم الا يخرصون اي وما هم الا يكذبون • وقيل يقولون بالظن • والثاني انها بمعنى الذي ومعناه والذي يتبعون الذين تدعونهم شركا ما يتبعون فيهم الا الظن • والثالث انه مفعول يتبعون ليدعون اي الذين يتبعونهم ليسوا شركاء وانما يتبعونهم ظنا انها تنفعهم وهو ظن كاذب • والرابع ان ما للنفي وان نفي وهو تكرار للنفي بمعنى واحد للتاكيد وهو كتكرار قبل في قوله وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله • وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وهو اخبار عن قدرته على ما يعجز عنه اصنامهم يقول هو الذي جعل لكم الليل لتسكنون فيه اي لتستريحوا فيه مما لكم منصرفين من الحركة والاضطراب وطلب المعاش وجعل النهار ذا ابصار اي يقع فيه الابصار على المتاصلات ويكون فيه بروز الاشياء بعد الاستتار بظلمة الليل وهو كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضا وماء دافق اي ذي دفق وليل نايم اي ذي نوم فيه • وقال جرير شعر

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنايم

وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي لعلامات على قدرة الله تعالى ووحدانيته لمن يسمع الوعظ فيتدبره بقلب حاضر قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال الامام القشيري رحمه الله الليل لاهل الغفلة بعد وغيبة • ولاهل التوبة الندم توبة واوبة والمحبين زلفة وقربة • واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني • وقوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون وهذا تعجيب من الله تعالى من جرأة المشركين على الافترا على الله تعالى باضافة الاولاد اليه ومحاجتهم في ذلك فقال قالوا اتخذ الله ولدا وهو ما كانوا يقولون ان الملايكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال سبحانه تنبيها للعباد على تنزيهه ثم قال هو الغني له ما في السموات وما في الارض اي فلا حاجة به الى الولد الذي انما يتكثر به ويتعزز به في الحياة وبعد الوفاة فمن كان مالك السموات والارض لم يوصف بالحاجة الى التكثر والتعزز ثم اخبر انه لا سلطان لهم بهذا اي لا حجة • وقوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام بمعنى الانكار • وقال القشيري رحمه الله لا يجوز عليه التبني ايضا لتفرده وانه لا شبيه له • وقال الامام الزاهد ابو منصور رحمه الله في الشاهد من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحد وجوه ثلاثة اما لحاجة تمسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على اخر ممن يخافه فاذا كان له ملك السموات والارض وملك ما فيهما وكلهم عبيده واماؤه فلا حاجة تقع له الى الولد اذ هو الغني المالك • وقوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل اي ان الذين يقولون لله ولد لا ينجون في الاخرة من العقوبة ولا يصلون الى ما رجوا من الاصنام من الشفاعة • وقوله متاع في الدنيا اي هو متاع لهم اي تمتع وانتفاع بالدنيا الفانية القليلة مدة قصيرة • وقوله تعالى ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وهذا ظاهر • وقوله تعالى واتل عليهم نبا نوح هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما ناله من اذى قومه بالتكذيب واعلام للمشركين خبر نوح عليه السلام المستعجلين بالعذاب ان الامم الماضية استعجلوا فامهلوا الى ان حق القول بما احدثوا فليس امهال هؤلاء للعجز بل كما كانوا للاولين حين يقع الياس من ايمانهم ومعنى قوله واتل عليهم نبا نوح اي اقرا يا محمد على قومك المشركين خبر نوح عليه السلام • وقوله تعالى اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي اي شق عليكم وثقل مقامي اي ثباتي فيكم بحقوق الله تعالى وتذكيري بايات الله اي الحجج واحتها اي وجعلها علامات لحقيقة هذا الدين فعلى الله توكلت اي اعتمدت فاجمعوا امركم قرا نافع بالوصل من الجمع • وقرا الباقون بالقطع من الاجماع وهو العزم اي اعزموا

على امركم • وقوله تعالى وشركاءكم قال الفراء اي وادعوا شركاءكم اضمر فعلا آخر سوى الاول وهو كقول القايل شعر
علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا • وقال آخر • ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا اي ومعتقلا
رمحا • وقال الزجاج هو مفعول معه اي مع شركايكم • وقال بعضهم اجمعوا اي اعدوا فيقع على الاسمين جميعا
وقوله تعالى امركم وشركاءكم اي الهتكم • وقيل الذين يشاركونكم في الكفر • وقوله تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة
قال المبرد اي فرجوا عن انفسكم ولا تغموها • وقيل ضيقا وغما • وقيل مظلما ملتبسا قاله الاخفش وانشد لطرفة •

لعمرك ما امري علي بغمة • نهاري ولا ليلي علي بسرمد •

وهو من قولهم غم الهلال واصله ان من اضمر شيا تكون في امضايه • وانتهاز الفرصة فيه فهو في غمة والناس
لا تدري ايمضيه اذا امضاه ام لا • وقوله تعالى ثم اقضوا الي اي افرغوا الى ما تريدون في ومعناه امضوه وهو كقوله
تعالى فاقض ما انت قاض وادخال الى على معنى القوا الي ما استقر رايكم [illegible] • وقوله تعالى ولا تنظرون
اي ولا تمهلون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاجمعوا امركم قولكم وعملكم وشركاءكم واستعينوا بالهتكم ثم لا يكن
امركم عليكم غمة يعني اظهروا امركم ولا تكتموه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي لا تربصوا في اخذي • وقال الضحاك
اي امضوا الي ولا تؤخرون • وقوله تعالى فان توليتم اي فان اعرضتم فما سالتكم من اجر فتضيعوا به على الغرام
وقيل اي فلا ضرر على لاني لم ادعكم الى الايمان لاجر اخذه منكم يفوتني منكم اذ لم تؤمنوا فانما الضرر في ذلك عليكم
بما يفوتكم من ثواب الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسال لكم اجرا
على ذلك فيكون لكم عذر في الاعراض وهو كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون • وفيه دلالة على منع
اخذ الاجر على تعليم العلم لانه لو اجاز ذلك فكان لهم عذرا ان لا يبذلوا ذلك ولا يتعلموا شيا من ذلك وفيه
هدم شرايع الله تعالى واسقاطها • وقوله تعالى ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين اي
المنقادين • وقيل من المخلصين • وقوله تعالى فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلايف
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استخلفناهم في الارض بعد اهلاك الذين قبلهم واغرقنا المكذبين
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الذين انذرهم نوح صلوات الله عليه • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله كان انذر جميع قومه من امن ومن لم يؤمن فيحتمل ان يكون معناه فانظر كيف كان عاقبة من
اجاب ومن لم يجب • ويحتمل ان يكون معناه عاقبة الذين لم يقبلوا الانذار ولم يجيبوا وكانت
بالهلاك والاستيصال • وقوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم اي اقوامهم كصالح الى
ثمود وهود الى عاد وغيرهما فجاؤهم بالبينات اي بالمعجزات • وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا به من قبل [illegible] كذلك
نطبع على قلوب الظالمين المجاوزين الحد اي من علمنا منه اختيار الاصرار على الكفر خذلناه واوجدنا
منه ذلك • وقيل كان المتاخرون ليؤمنوا بما كذب به من قبلهم من الامم كقوم عاد وثمود • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما فلم يكونوا ليصدقوا بالرسول والكتاب بما كذبوا به في اخذ الميثاق عليه • وقال
الفراء لم يكونوا ليؤمنوا لك يا محمد بما كذبوا به في الكتاب الاول يعني اللوح المحفوظ • وقال الامام
الزاهد ابو منصور رحمه الله ويحتمل بما كذبوا به من قبل بعث الرسول ويكون دليلا على ان اهل الفترة
يواخذون بالتكذيب في حال الفترة ويحتمل فما كانوا ليؤمنوا به بعد اتيان البينات بما كذبوا به من
قبل اتيان البينات • وقال الامام القشيري رحمه الله قص الله تعالى عليه نبا الاولين وشرح له احوال
جميع الغابرين ثم فضله على كافة الخلق اجمعين فكانوا نجوما وهو البدر فانهار او هو البحر اعظم
وبنوره اشرق نهارهم وبظهوره ختم عددهم فكان كما قيل • يومك وجه الدهر من اجل حسن غرة الشمس
الاس • وقوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما
مجرمين اي ثم ارسلنا من بعد الرسل موسى واخاه هرون الى فرعون لعنه الله واشراف قومه ووزرايه
واهل مشورته باياتنا بالعصا واليد وغيرهما فتعظموا عن الانقياد لموسى واخيه وكانوا عتاة
ومردة لا يبالون من اكتساب الاثام • وقال ابن عباس رضي الله عنهما باياتنا التسع وكانوا قوما
مجرمين مشركين • وقوله تعالى فلما جاءهم الحق قالوا ان هذا لسحر مبين اي فلما جاءهم العصا التي
التقفت حبال السحرة وعصيهم وساير المعجزات قالوا هذا سحر ظاهر تخييل بين • وقوله تعالى قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم استفهام بمعنى التقريع • وقوله تعالى اسحر هذا وهو بلفظ الاستفهام
وقد ذكر عنهم انهم قطعوا القول بهم حين قالوا ان هذا لسحر مبين فيجوز ان يكونوا قطعوا القول به
مرة وكذلك بلفظ الاستفهام على وجه الانكار مرة يعني اتيتنا بهذا على مقابلة سحر مع كثرته وتعدد
حيلته فذكر الله تعالى ما ذكروا في الحالين اي اتقولون للحق لما جاءكم وتم الكلام وتعجب من قولهم
وليس حكاية لقولهم • وقوله تعالى ولا يفلح الساحرون اي لا يفوزون في الدنيا ولا في الاخرة

وقال الامام ابو منصور رحمه الله الفلاح الظفر بالحاجة والسحر باطل فيكون مغلوبا والحق غالبا ويحتمل والساحرون
في الدنيا لا يفلحون في الآخرة • ويحتمل ان يكون معناه ولا يفلح الساحرون بسحرهم في حال سحرهم وكذا لا يفلح
الظالمون ولا يفلح الكافرون فاذا تركوا ذلك افلحوا • وقوله تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا ولفت
لفته فالتفت اي صرفته فانصرف • وقوله تعالى عما وجدنا عليه اباءنا لا نعرف نبوة ولا ملكا ولا الها غير فرعون
وقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك في ارضنا فتتعظما علينا • وقوله تعالى وما نحن لكما
بمؤمنين اي بمصدقين في دعوة النبوة ووعيد العذاب اراد قطع اطماعهما في ايمانهم • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما عما وجدنا عليه اباءنا اي عما كان يعبد اباؤنا وكانت لفرعون اصنام ما صغار اصنعها لهم وامرهم
بعبادتها وتكون لكما الكبرياء اي السلطان والملك والشرف في الارض اي في ارض مصر • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله ويحتمل وتكون لكما الالوهية التي كان يدعي فرعون لنفسه لان عندهم ان من اطيع واتبع فقد عبد
ونصب الها • وقال الامام القشيري رحمه الله ركنوا الى التقليد فيما دانوا فاستحبوا الاستدامة ما عليه كانوا
[illegible] سوء العقيدة وسوء الطريقة حتى توهموا ان الانبياء انما دعوهم الى الله ليكون لهما الكبرياء على خلق
الله ولم يعلموا انما دعوهم الى الله لله بامر الله • وقوله تعالى وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم ولما جاء
موسى بالعصا واليد البيضاء وصارت العصا ثعبانا قالوا لفرعون انه سحر فاستشارهم فاشاروا عليه
بجمع السحرة فامر بذلك وانما قال لكل ساحر للتعاون ولئلا يفوتهم شي من السحر يتخيل البعض • وقوله
تعالى فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي تستظهرون ابطال الله تعالى ذلك
ولم يكن هذا امرا بالسحر ولا رضا به لكنه تهديد من الوجه الذي قلنا والواثق بالحجة يمكن الخصم من
الابتداء بالشبهة حتى اذا بلغ الغاية جاء الحق فدفع الباطل وليس لمن اعانه الله عز وجل غالب • وقوله
تعالى فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر قرا ابو عمرو بالمد على الاستفهام • وعلى قراءته ما جئتم
به استفهام اي اي شي جيتم به قال السحر اي هو السحر • وقرا الباقون بغير مد وعلى هذا ما جئتم به
بمعنى الذي جيتم به وهو مبتدا والسحر خبره ومعناه هذا هو السحر الذي اصطنعتموه الي ومعنى قراءة
الذين يجيئون بالسحر يقصدون معارضة السحر المعجزة وهو انكار عليهم • وقوله تعالى ان الله سيبطله
اي يجعله مغلوبا ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال الامام ابو منصور رحمه الله اي لا يجعلهم
باعمالهم الفاسدة صالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة • وقوله تعالى ويحق الله الحق بكلماته
قال الامام ابو منصور رحمه الله الحق حق وان لم يحق والباطل باطل وان لم يبطل وقد قال تعالى ليحق الحق
ويبطل الباطل ولكن معناه ليجعل الحق في الابتداء خفيا فيصير جليا ويجعل الباطل في الابتداء باطلا
فيكون اي بابطاله الباطل يكون باطلا وبتحقيقه الحق يكون حقا • وقوله تعالى بكلماته اي برسالات
رسله اذ بهم يظهر الحق وهم حجج الله في الارض وبالحجج يظهر الحق من الباطل ويحتمل باياته التي انزل عليه
بها ظهور الحق وبطلان السحر • ويحتمل بكلماته بمواعيده بظفر موسى وقومه وهلاك اعدائه • وقيل
احقاق الحق اظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والايات اللايحة حتى يرجع الطاعن عليه خسيئا
والناصب له كسيرا • وقيل في قوله بكلماته هي مواعيده بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض الاية • وقوله تعالى فلا يصلون اليكما باياتنا الاية • وقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين ثم بين الكلمة انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون • وقوله تعالى ولو كره
المجرمون قال المفسرون يعني الكفرة • وقال القفال اي فرعون وقومه لانه سماهم مجرمين في قوله
تعالى فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين والمجرم من اعتاد اكتساب المعاصي يقال فلان يجرم لاهله
اي دايم على اكتساب لهم • وقوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم
ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني لم
يصدق موسى الا قليل من قوم فرعون وهم سبعون الف بيت من القبط من آل فرعون والامهات
من بني اسرايل فجعل الرجل يتبع امه واخواله على خوف من فرعون وملايه يعني اشراف قومه وجنده
ان يقتلهم وان فرعون لعال في الارض لمخالف في ارض مصر وانه لمن المسرفين يعني من المشركين في النار
وهذه التسلية للنبي عليه السلام في قلة من امن به • وقيل معنى الاية فما صدق موسى الا اعقاب قوم
وهم بنو اسرايل كان الزمان بعد مجيء موسى حتى مات كثير من الاباء وبقي الاولاد فامنوا به وهو
قول مجاهد والصحيح فما امن لموسى من قوم فرعون الا ذرية من قومه حققوا اقوالهم وما نحن لكما
بمؤمنين الا يسير من قبلنا ان امهاتهم كن اسرايليات امنوا لانه من جهة قرابات الامهات
ومع هذا كانوا خايفين من فرعون وامرائه ان يفتنوهم عن دينهم اي يصرفوهم اذ كان فرعون الى ان
اهلكه الله عاليا في تلك الارض لاهلها بالغلبة والقهر مسرفا متجاوزا الحد في الكفر بادعاء الالهية

وقتل النفوس وقيل هولا النفر امراة فرعون وحزبيل مومن ال فرعون وخازن فرعون وامراة خازنه ثم قوله وملايهم
على الجمع لثلاثة اوجه احدها انه يرجع الى الذرية والثاني انه يرجع الى فرعون وكان ملكا فذكر مع اتباعه فيقال قدم
الخليفة مع اتباعه واذا اخاف السلطان اى اخافه واتباعه والثالث انه ذكر فرعون ومعناه ال فرعون اضمر
الال كما في قوله تعالى واسال القرية اي اهل القرية • وقال تعالى اذا طلقتم النسا اي يا امة النبي • وقوله تعالى
وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين احزان موسى لم يضعف قلبه لقلة من امن
من قوم فرعون بل قال لمن امن به منهم على الله توكلوا ولا تخافوا فرعون وملايه • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله فيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد لانه بدا بالايمان وختم بالاسلام فلما جمع بينهما لانه يشير الى
زيادة فائدة مع اتحاد الاصل واحد فان الايمان هو اعتقاد ترك تضييع كل حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق
ولان الايمان هو التصديق بكلية الاشيا فيما بينها الشهادة لله تعالى بالربوبية والالوهية والاسلام هو جعل
كل الاشيا لله تعالى سالمة • وقال الامام القشيري رحمه الله بين انه لا يكتفي بالاقوال بل لا بد من صدق الاحوال
وحقيقة التوكل توسل تقدمه تبتل ثم يتم الانجاح لفضل الله تعالى ليحصل الايما يا في به من التكلف والعمل
وقوله تعالى قالوا على الله توكلنا اجابوه الى ما امرهم به • وقوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال
مجاهد له معنيان احدهما لا تعذبنا بايدي قوم فرعون وهو كقوله تعالى على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم
والثاني لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا وما سلطنا عليهم فيفتنوا
فيه بكفر وضلال • وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي اخرجنا من بين اظهرهم فنامنهم ونعبدك
امنين • وقيل اي خلصنا من استعبادهم واخذهم بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة • وقوله تعالى واوحينا
الى موسى واخيه هارون ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا اي اتخذا وقيل اي تمكنا ومصر لا ينصرف لانه مونث
معرفة لانها بلدة او كورة او ارض لقومكما اي لاجلهما واجعلوا اي انتم وهم بيوتكم قبلة • قال مجاهد اي نحو
الكعبة • وقيل فيه اضمار اي اجعلوا بيوتكم قبلة الى الكعبة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان فرعون لما
اتاه موسى عليه السلام بالرسالة امر بمساجد بني اسرايل فكسرت كلها كانت المساجد ظاهرة فامرهما الله تعالى
ان يجعلا لقومهما مساجد في جوف البيوت ولا يظهروها واقيموا الصلاة حافظوا عليها بشروطها وبشر المومنين
اي يا موسى بنصرهم بقرب الاخلاص وخص به موسى لان هرون كان تابعا له وذلك ان موسى صلوات الله عليه كان
يامر فرعون بان يرسل معه بني اسرايل ليخرجوا من مصر الى الشام بوعد الله تعالى ان يورثهم اياها ويجعلهم سكانها
وكان فرعون يابى عليه وكان لذلك وقت معلوم فامرهما الله تعالى ان يقيما بمصر مطيعين متمكنين لا يستنفذه
وان يامرا بني اسرايل بذلك ويتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها سرا منتظرين للفرج وهكذا عادة المسلمين
اذا احدثهم امر فزعوا الى الصلاة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل هذا الامر الانفصال
من فرعون وقومه باتخاذ البيوت لهم في طرف من المصر حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا
على ذلك ولا يكون المرور عليهم وكان ذلك الانفصال من جهة القبلة • وقال الامام القشيري رحمه الله
مهدنا لهم لعبادتنا محالا وهي نفوسهم ولمعارفنا منازل وهي قلوبهم ولمحبتنا مواضع وهي ارواحهم
ولمشاهدتنا معاهد وهي اسرارهم فنفوس العابدين بيوت الخدمة وقلوب العارفين اوطان
المعرفة وارواح المهيمين مشاهد المحبة واسرار الموحدين منازل الهيبة • وقوله تعالى وقال موسى
ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ضاق صدر موسى من معاملة فرعون
وقومه فدعا عليهم فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة في حياتهم في المحافل واذا ركبوا او جلسوا
للناس واموالا من ذهب وفضة • وقوله تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك اي يا ربنا اعطيتهم ذلك
ليضلوا الناس عن طاعتك • وقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب اثارها لانهم
يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما امرتهم ان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك • قال
ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير
وقوله تعالى واشدد على قلوبهم قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل معنا وجهين واجعل على
قلوبهم قساوة وغلظة تمنعها الاتباع منهم ومن تقلدهم عن اتباعهم وتقليدهم فيكون ذلك اهون عليهم
استنفاد الاعوان وادعى للاتباع الى الايمان • الثاني لطبع على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب
الاليم وكان كذلك فانهم لم يومنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان ياس فلم يقبل • وقوله تعالى فلا يومنوا
يحتمل النصب جوابا للامر بالفا ويحتمل عطفا على قوله تعالى ليضلوا ويحتمل الجزم بالنهي على معنى الدعا
وهو كقول الشاعر • فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى • ولا تلقني الا وانفك راغم •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما واشدد على قلوبهم فلا يومنوا اي اهلكهم كفارا • وقال مجاهد واشدد
على قلوبهم بالضلالة فلا يومنوا بالله تعالى بما يرون من الايات حتى يروا العذاب الاليم • وقال

الامام

الامام ابو منصور رحمه الله هذا محمول على ان الله تعالى اخبر موسى عليه السلام انهم لا يومنون فيسعه هذا الدعا
كما اخبر الله تعالى نوحا انه لن يومن من قومك الا من قد امن فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاما
قبل ان يخبر بذلك فلا يسعه ان يدعو بمثل هذا الدعا وهو انما ارسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهذا
دليل على ان الدعا على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا ولا يكون رضا بالكفر ولا استحسانا له بل هو غاية استقباح
له فانه لا يدعو به على احد الا وعنده انه اخبث جناية وعليه اعظم عقوبة • وقوله تعالى قال قد اجيبت دعوتكما
والدعا كان من موسى عليه السلام وحده في الظاهر فانه قال وقال موسى ربنا وانما قال دعوتكما لوجوه احدها
انه يحتمل ان هرون دعا ايضا وانما ذكر موسى لانه كان اصلا ويحتمل ان هرون اقتدى به فيما دعي والتبع [illegible]
لكان الاصل لموسي فاضيف اليه ثم كانت الاجابة لهما والثالث ان موسى عليه السلام يدعو وهرون عليه السلام
يومن والتامين دعا فان معناه فلذلك فليكن • وقوله تعالى فاستقيما على ما انتما عليه من الابلاغ والوعظ
الى حلول الوقت ولا تستعجلا • وقوله تعالى ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فرعون وقومه • قرا ابن عامر
ولا تتبعان بتخفيف النون للتاكيد كما في الواحد لا تفعلن ولا يفعلن • وقال ابن عباس وابن جريج رضي الله عنهم
مكث فرعون بعد الدعوة اربعين سنة • وقال القشيري رحمه الله من شرط الدعا صدق الافتقار في الابتدا
ثم حسن الانتظار في الانتها وكماله بالرضا بجريان الاقدار بما يبدو في المسار والمضار فالاستقامة في الدعا
سكون القلب التقاضي على الغيب والجمود عن الاستعجال بحسن الثقة وجميل الظن • وقوله تعالى وجاوزنا
ببني اسرايل البحر اي اجتزنا بهم وامرنا بني اسرايل بالخروج للوقت المعلوم ويسرنا لهم اسبابه
باشتغال فرعون وملايهم والبحر استعدادهم للخروج لاخفاينا ذلك عنهم وصرفنا اياهم عنهم باشتغالهم
بدفن ابكارهم الذين ماتوا تلك الليلة • وقوله تعالى فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا لحاقهم وكذا
قوله فاتبعوهم مشرقين بغيا اي استطالة لهم عليهم وعدوا اي ظلما واعتداء • قال قيس كان مع موسى عليه
السلام ستمائة الف وكان مقدمة فرعون سبعمائة الف كل رجل على حصان على راسه بيضة وبيده حربة
وهو خلفهم في جمع كثير فلما انتهى بنو اسرايل الى البحر قالوا يا موسى اين ما وعدتنا هذا البحر بين ايدينا
وهذا فرعون على اثرنا وجنوده فقال موسى للبحر انفلق ابا خالد فقال لن انفلق لك انا اقدم منك
واشد خلقا فنودي موسى ان اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق البحر وكانوا اثنا عشر سبطا لكل سبط
طريق • قال وهب وارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وكانوا بني عم لا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع بعضهم
كلام بعض فاوحى الله تعالى الى الجبال ان تشبكي فظهرت مشبكات حتى راوا وسمعوا ومضوا فعاد البحر
على حاله فلما انتهى فرعون وجنوده هابت الخيل الحصان فرعون فرس عليه جبريل وفرعون لا يرى • فوجد الحصان
ريحها فانسل خلف فرس جبريل في الماء فقال فرعون هابنا البحر فلما دخل اخر جنود فرعون البحر وخرج اخر
بني اسرايل انطبق عليهم فلما الجمهم الغرق وذلك قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق بفتح الرا القرب من الهلاك
بغمرة الما والغرق بتسكينها الحلول فيها • وقوله تعالى قال امنت انه قرا حمزة والكسائي انه بالكسر
على الابتدا فقوله امنت كلام وقوله انه ابتدا كلام اخر وهو كالبدل من الاول • وقرا الباقون بفتحها لوقوع
امنت عليها • وقوله تعالى لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين اي المومنين وقيل
اي المخلصين • وقيل اي المنقادين • وقوله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين اي
قال جبريل الان استفهام بمعنى التوبيخ والمنكر لان امنت اي عند الغرق وهي حالة الباس وقد عصيت
امر الله بالايمان قبل هذه الحالة وكنت من المفسدين في الارض مصرا بالدعا الى عبادة غير الله • وقال الامام
القشيري رحمه الله اي بعد طول الامهال والاصرار على ذميم الافعال والركض في ميدان الاغترار وفوت
وقت الاعتذار هيهات هيهات لقد استوجبت اذ يرد عذرك في وجهك فلا لعذرك قبول ولا الى ما ترومه
وصول • وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما قال فرعون لا اله الا الله
اتاه جبريل فحشا فاه بالتراب خشية ان تدركه رحمة الله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لم يقبل ايمان
فرعون في ذلك الوقت لوجهين احدهما ان ايمانه عند خوف الهلاك ايمان دفع الباس لا ايمان حقيقة وهو
كايمان الكفرة في الاخرة • والثاني ان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى خالصا في وقت خرجت
نفسه من يده لم يكن مسلما نفسه الى الله تعالى اذ ليس نفسه في يده فيسلمها • وعن كعب الاحبار امسك
نيل مصر عن الجري فقالت القبط لفرعون ان كنت ربا فاجر لنا الما فركب وامر جنوده بالركوب وكان منادي
ينادي كل ساعة ليقف فلان بجنوده • فبدا لهم فجعلوا يقفون على درجات حتى بقي هو وحجابه ووزراوه
فامرهم بالوقوف فتقدمهم وخرج بحيث لا يرونه ونزل عن دابته ولبس ثيابا له فاتاه جبريل وهو وحده يستفتيه
ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته ولا سيد له غيره فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه
فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب بن ريان جزا العبد الخارج على سيده الكافر نعمه ان يغرق

في البحر فاخذه جبريل ومر فلما الجمه الغرق وايقن بالهلاك ناوله جبريل خطه وغرقه • قال كعب ورماه الما كانه ثور م
وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة من الارض ارتفاع ببدنك اي جسدا لا روح فيه • وقيل
اي مع درعك والبدنه والبدن الدرع • وقيل ننجيك من النجاة وهي الخلاص اي نخلصك وذلك ان البحر فخرجك
ولم ياكلك • وروي ان بني اسرائيل قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا فالقاه البحر اليها بامر الله تعالى الى الساحل
فرايتموه وايقنوا بموته • وقوله تعالى لتكون لمن خلفك اية اي لتكون لمن بقي من بعدك علامة فيزول
وساوس الشيطان وخدعه عن الضعفة من قومهم حياته او خلاصه من الهلاك اذ كان عندهم الها معبودا ويكون
لهم يستدلون بك على ما يلزمهم من الانقياد والاجابة لدعوتهم والاحل بهم ما حل • وقوله تعالى وان كثيرا من
الناس عن اياتنا لغافلون اي فعلنا ذلك ليعرفون مع تكبره واسرافه ودعواه الالهية نقض على اهلاك
هولا المشركين الذين هم دونه لقادرون ولو تفكروا لعلموا ذلك لكنهم غافلون • وقال السدي قال بنو اسرائيل
ان فرعون لم يغرق وانه يدركنا الان ويقتلنا فاخرجه الله تعالى الى البحر فقذفه فاخذ بنو اسرائيل ينظرون اليه وقال
ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن الما ينبذ الغريق قبل فرعون فلما غرق الله فرعون امر الله بنبذ الغريق وذكر في
قراة ابي حنيفة رضي الله عنه فاليوم ننحيك بالحا المهملة من نحيتها من التنحية وهي التبعيد بيديك تثنية
اليد لتكون لمن خلفك اية اي نبعدك من الرحمة بما كسبت يداك من الجفوة لتكون لمن خلفك لتلك الخلقة اية
وقوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق اي مكناهم بعد اغراق فرعون وقومه مكانا حسنا محمودا ا
وانزلناهم منازل فرعون وقومه واورثناهم ارض الشام وهي منازل الصدق قاله قتادة • وقال الحسن اي
مصر وهو منزل صالح خصب • وقال الضحاك مصر والشام • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل
قوله مبوا صدق اي صدقنا لهم فيما وعدنا بقولنا ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية
ويحتمل مبوا اصل صدق كما قال وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية • وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات
اي الاقوات والاطعمة المستطابة ويحتمل المن والسلوى • وقوله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم قيل
فما اختلفوا في نبوة محمد الى ان جاءهم هو فحينئذ كفر بعضهم به وامن بعضهم والعلم معرفتهم به قبل خروجه
قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به • وقيل بل كانوا مختلفين في امور دينهم قبل المبعث طلبا للرياسة
وبغيا من بعضهم على بعض حتى جاءهم ذلك الى القتال تعسفا في التاويل وتعصبا للمذاهب • وقوله تعالى
حتى جاءهم العلم اي الكتاب والاحكام فاختلفوا بعد فراقهم موسى على الوجه الذي قلنا • وقوله تعالى
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون تمييزا للحق من المبطل فيجزي كلا منهم على استحقاقه
وينزل منزلة استحقاب على حكم وعده ووعيده • وقيل اراد به اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه
وسلم ان لهم الله تعالى في منزلة كرامة وفضل فما اختلفوا في محمد حتى جاءهم العلم عيانا اي المعلوم وهو محمد عليه
السلام • وقال الامام القشيري رحمه الله يقول ادلنا لهم الايام واكثرنا عليهم الانعام واكرمنا لهم
المقام واتحنا لهم فنون الحسان وادررنا عليهم جميع الخيرات فلما قابلوا النعمة بالكفران • واصروا
على البغي والعدوان اذقناهم سوء العذاب وشددنا عليهم ما اتحنا لهم من التكريم والايجاب ذلك جزاء
من حاد عن طريق الوفاق • وجنح الى جانب الشقاق • وقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
يعني من قصة فرعون وموسى على ما اقتصصنا عليك فان كنت شاكا فيه فاسال المومنين من اهل الكتاب
عن ذلك • وقوله تعالى لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين وتكلم الناس في هذه
الاية واكثروا لان ظاهرها مشكل فان النبي عليه السلام لم يكن يشك فيما انزل عليه • قال اكثر المفسرين
الخطاب للنبي عليه السلام والمراد غيره ممن شك فيه والعرب تفعل كذلك وفيه المثل السائر اياك
اعني واسمعي يا جارة ومثله في القران يا ايها النبي اتق الله ويدل عليه قوله تعالى في اخر الاية ان الله كان
بما تعملون خبيرا على الجمع • وقال القتبي الخطاب لغيره وهو من شك قال كان الناس على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم اصنافا منهم كافر مكذب لا يدري كيف هو يقدم رجلا ويؤخر اخرى فخاطب الله تعالى هذا
الصنف من الناس فقال ان كنت ايها الشاك في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسال
الاكابر من اهل الكتاب والعلما الذين يقرءون الكتاب من قبلك مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي
وتميم الداري واشباههم يشهدون على صدقه ولم يرد المعاندين منهم • وقيل مخرج هذا الكلام مخرج
المبالغة في شيء وهو كقولك لعبدك ان كنت عبدي وتعلم انه كذلك فانته الى امري والا فاسال الناس
يخبرونك انك عبدي وهو لا يشك في عبوديته لسيده • وتقدير هذه الاية على هذا قد اخبرناك بما تعلم
انك لا تشك فيه فان كنت في شك فيه فاسال العلما به ثم يعود حقيقة الامر الى ما اخبرناك به من صدق
ينبغي للكفار ان يصدقوك فان لم يصدقوك فليسالوا غيرك من اهل الكتاب والامر اذا وقع فيها المبالغة
خرج الخطاب فيها الى ما لا يكون قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر • قال تعالى وان كان مكرهم لتزول منه

الجبال

الجبال • وقال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا اي لو جاز كون هذه الاشيا لكانت
هذه الحالة لتكذ اهدا امتنا • لو كنت ممن يلحقك شك فيما اخبرناك به فسال اهل الكتاب لانا نوا عنك الشك بتعريفهم
اياك فيما اخبرناك به وهو كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك اي لو كنت ممن يجوز ذلك عليك ليحبط عملك • وقيل
علم الله تعالى ان الرسول عليه السلام لا يشك فانما خاطبه بهذا ليقول انا لا اشك ليثاب على ذلك كما قال لعيسى
عليه السلام انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين ليقول سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ليثاب
على ذلك • وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل انا لا اشك ولا اسال • وقال الزهري نزلت الاية في
السما ومعنى قوله فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك الملايكة • وقال عبد العزيز بن يحيى اي فان كنت
في ضيق صدر من تعنت الكفار لما انزل عليك فاسال اهل الكتاب كيف صبر الانبيا على اذى قومهم وكيف كان
عاقبة امرهم • وقوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكونن من الخاسرين هو خطاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ظاهرا والمراد به غيره او هو خطاب غيره وهو على ما مر في الاولى وان حملت على خطابه فالارادة فقد
مر ان العصمة لا تزيل النهي بل قيام النهي شرط لتحقق العصمة • وقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة
ربك لا يومنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وهي تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان
ضيق صدره بتاخر اسلام قومه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله حقت عليهم كلمة ربك هو قوله عز وجل لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين • ويحتمل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الى قوله ما كانوا ليومنوا وحاصله
ان من علم الله منه اختيار الكفر واصراره عليه سلبه الكفر فلا يومن ابدا • وقوله تعالى حتى يروا العذاب الاليم
عند الباس فيومنون ولا ينفعهم او في القيامة فلا يقبل منهم • وقوله تعالى فلولا كانت قرية امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس الاية اي فهلا وهو تحضيض وقرية اي اهل قرية اي فهلا امن اهل قرية من الذين حلوا
بالعذاب فكان ينفعهم ايمانهم ويقبل منهم وتحاصنا مضر ولم يومنوا فضرهم كفرهم الا قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح صاحبه • وقال الحسن لم يكن ذلك
نبا خلا ان من يومن من اهل قرية بالباس حتى لا يشذ احد منهم الا قوم يونس اي فهلا كانت القرى كلها هكذا وقوله
تعالى ومتعناهم الى حين اي الى حضور اجالهم • واكثر المفسرين على ان ايمان قوم يونس لم يكن حين عاينوا العذاب
لكن يونس صلوات الله عليه اخبرهم بدنو نزول العذاب بهم وفارقهم وتلك حالة لم يزل التكليف فيها عنهم فراجعوا
عقولهم فابصروا وارشدهم فامنوا فانصرف العذاب الذي كان اشرف عليهم عنهم وكان ذلك بخلاف حال
فرعون حين ادركه الغرق لانه امن في حال معاينة العذاب وهي حال زوال التكليف عنه ثم ينفعه الايمان
كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا • وقوله تعالى كشفنا عنهم لا يدل على حصولهم في العذاب بل يفيد ذلك
على اشراف العذاب عليهم كما قال تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كان الانقاذ منها حالة الاشراف
عليها لا الحصول فيها • وقال قتادة ذكر لنا ان قوم يونس عليه السلام كانوا بنينوى من ارض الموصل فلما فقدوا
نبيهم قذف الله في قلوبهم التوبة فلبسوا المسوح وخرجوا على تل وفرقوا بين كل بهيمة وولدها وعجوا
اربعين ليلة فلما علم الله تعالى الصدق من قلوبهم كشف عنهم العذاب وتاب عليهم ومتعهم الى حين الموت
وقال وهب قال يونس لقومه ان اجلكم اربعين يوما وليلة فان لم تستجيبوا له عذبكم عذابا يغشاكم ربكم
قالوا ان اية ما بيننا وبينك الاجل فاذا راينا اسباب العذاب صدقناك فدخلوا مدينتهم يامترون
وينظرون في امره فلما مضى من الاجل خمسة وثلاثون يوما غامت عليهم السما غيما اسود هائلا يدخن
دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم حتى اسود اسطحتهم منه فلما راوا ذلك تتابع عليهم ايقنوا به
بالهلاك فلم يجدوا يونس اليهم فنزل بين اظهرهم وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم فعجوا الى
ربهم وفرقوا بين دوابهم واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها وفعلوا ذلك عند تخلط اصواتها
وحنينها بحنينهم ليرحمهم ربهم فرحمهم واستجاب لهم • وقبل توبتهم وكشف العذاب عنهم فذلك قوله تعالى
الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي • وقال مقاتل كان العذاب فوق روسهم قدر ميل فكشف
الله عنهم يوم عاشورا يوم الجمعة فخلا الله تعالى اهل مكة انا لا امنوا عند نزول العذاب لم ينفعهم كما لم ينفع
الامم الخالية الا قوم يونس • وقال الامام القشيري رحمه الله تداركتهم الرحمة الازلية فما اجرى عليهم
توفيق التضرع فكشف عنهم العذاب وبرحمته وصلوا الى تضرعهم لا بتضرعهم وصلوا الى رحمته • وقوله
تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين استفهام
بمعنى النفي اي لا تملك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان لان الايمان يكون بالاعتقاد والاقرار ولا يكون م
الاكراه عن الاعتقاد • وقيل كان هذا بمكة حين لم يومروا بالقتال ثم امروا بالمدينة بالقتال وهو اكراه
على الايمان • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلام ابي طالب
فانزل الله ذلك عليه الا من علم في سابق علمه انه يومن فانزل الله تعالى قوله وما كان لنفس ان تومن الا باذن

الله كنا بامرجلا . قال عطا اي بمشية الله تعالى وهو كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله . وقال عطية العوفي
اي بعلمنا الله وقدره . وقال عبد العزيز بن يحيى بامر الله . وقال ابو منصور رحمه الله لا تحتمل الاية الامر والاذن
الامر الاطلاق لانه كم من مامور بايمان لم يومن فلم يحتمل الامر ولا تحتمل الاباحة لانه لا يباح ترك الايمان في حال وقوله
تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يومنون هذا ابتداء وسنا وهو يجعل الاثم وقيل العذاب وقيل اي جزاء الرجس
اي الكفر . وقيل الرجس الشيطان . قال عليه السلام في دعا الخلا اللهم اني اعوذ بك من الرجس الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم اي ويسلط الشيطان على الذين لا يستعملون عقولهم ولا يعملون بما يدعوهم اليه . وقوله تعالى
قل انظروا ماذا في السموات والارض اي قل يا محمد للمشركين انظروا اي شي في السموات والارض من العبر
من مجي الليل والنهار ومجرى النجوم والافلاك ونتاج الحيوان وخروج الزروع والثمار وقوف السموات
والارض بغير عمد وكل ذلك تدبير تقتضي مدبرا لا يشبه الاشيا ولا يشبهه شي . وقيل اي فيهما عجايب الصنع
الذي انتم تعترفون بان الله تعالى خلقها فانكم اذا نظرتم علمتم انه من صنع من لا يجوز ان يكون له في ملكه شريك
وقوله تعالى وما تغني الايات والنذر يجوز ان تكون ما نفيا ويجوز ان تكون استفهاما والنذر الرسل عن
قوم لا يومنون اي وما ينفع ذلك اذا لم يستدلوا به فيومنوا . وقال الامام القشيري رحمه الله الدلائل وان
كانت كالنجوم فما تغني اذا كانت الابصار عن الادراك مصدودة كما ان الشمس وان كانت طالعة فما تغني اذا
كانت الابصار عن الادراك بالعمى مردودة وما الانتفاع اخي الدنيا بمغلقة اذا استوت عنده الانوار
والظلم . وقوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فلينتظر هولا المشتغلون بالهوى
والظن التاركون للنظر والاستدلال في الشرك والتكذيب الا ان ينزل عليهم من عذاب الله ما نزل على الامم
الخالية المكذبة انبياءها . وقال قتادة الا على مثل وقايع الله عز وجل في الاولين قوم نوح وعاد وثمود
وقال يمان بن رباب مثل ايام الذين خلوا اي مثل عذابهم والعرب تسمي العذاب اياما والنعيم اياما
قال الله تعالى وذكرهم بايام الله اي بنعم الله وكل ما مضى عليك من خير او شر فهو ايام او وقوعه في الايام وقوله
تعالى قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي انجاز وعدي في انزال العذاب اذا اقمتم على تكذيبي
وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل هل ينتظرون في يومنا من الهلاك الا مثل ما انتظر الذين خلوا من
قبلهم برسلهم من الهلاك ويحتمل هل ينتظرون في يومنا من نزول العذاب بهم الا ما انتظروا اولئك
من نزول العذاب بهم الا ما اخبرنا اوليك وهو يخرج من الاياس من ايمانهم . وقوله تعالى ثم ننجي رسلنا
والذين امنوا معه اي ثم نخلصكم النجي من سنتنا اذا انزلنا العذاب بقوم ان نخرج من بينهم رسولنا
والذين امنوا معه . وقوله تعالى كذلك حقا علينا ننجي المومنين اي ننجي المومنين من العذاب في كل زمان
حقا علينا ظاهرا واجبا علينا وحقيقة وعدا منا موكدا لا خلف فيه لان العباد لا يجب لهم على الله شي
وقال الامام ابو منصور رحمه الله ثم ننجي رسلنا اي انجينا لانه لا رسول بعد رسولنا محمد عليه السلام
فهذا مستقبل بمعنى الماضي وفي بعض الايات ماض بمعنى المستقبل . وقوله تعالى قل يا ايها الناس وهم
المذكورون في اول السورة الكان للناس عجبا ان كنتم في شك من ديني ما هو او في دين الاسلام الذي عليه
ما هو لكن شككم احق هو ام لا فانا اكشف لكم ما هيته وحقيقته اما الاول فذلك قوله تعالى فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام والجن والملايكة ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم وهو
الذي يحييكم فهو القادر على كل شي على الكمال فله استحقاق العبادة دون غيره وهو اشارة الى بيان
حقيقة دينه . وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان كنتم في شك من ديني الاسلام احق هو فشككم
في دينكم ايضا فانكم تجيبوني الى هذا الدين الذي لا شك فيه ودعوتموني الى دينكم مع الشك فيه فهو
سفه . ويحتمل ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به وادعوكم اليه فانه لا شك فيه فلا اعبد الذين
تدعون من دون الله هذا مضمر . ويحتمل ان كنتم في شك من ديني ما ادين به ولا ادين ما تدينون وهو
كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين . وقوله تعالى وامرت ان اكون من المومنين اي امرني الله تعالى به فقال
كن من المومنين ولذلك عطف عليه ما هو بصيغة الامر وهو قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا
ولا تكونن من المشركين قال ابن عباس رضي الله عنهما اي اخلص عملك لله اي قوم اقبا لك وتوجهك على الاعراض
به . وقيل اي اقم نفسك لله خالصة سالمة لا نصيب فيها لغير الله وهذا قول الامام ابي منصور رحمه الله
وقيل اي اقم وجهك في الصلاة نحو الكعبة . وقيل اي اقم نفسك ما عليها بشهادة خلقها او خلقة كل شي
تشهد على وحدانية الله تعالى والوحدانية . وقال ايضا اقم وجه امرك كما ندين به وصورة فلم يومن ونسميه
فقط يدل على انه ليس على الله شي فان الفضل هو فعل ما ليس عليه . وقال الامام القشيري رحمه الله قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني اي ان كنتم في غطاء من الذنب فانا في ضيا من الغيب انتم في ظلمة الجهل
وانا في شموس الفضل . انتم في شدة الضلالة وانا في خلعة الرسالة وعلى نور الدلالة . انتم في وهدة العوج

وانا

وانا في سمو النهج . وقال في قوله تعالى وان اقم وجهك اي وقيل لي اخلص قصدك للدين وجرد قلبك عن اثبات كل ما خلقه
بنور التكوين وقال في قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم الاية كما تفرد بابداع الضر واختراعه بلا شريك يعضده كذلك
توحد بكشف الضر حيث كان يفعله فما اوجب من الضر من الحزن والحروب ابدل مكانه اضافته الى فعله السرور
والطرب . وقوله تعالى قل يا ايها الناس اي المذكورون في اول هذه السورة وهم مشركوا قريش قد جاءكم الحق
من ربكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جاءكم محمد بالقران . وقيل اي ببيان ما يحق عليكم ان تعتقدوه
وتقولوا به وتعملوا عليه . وقال الامام ابو منصور رحمه الله بعدما ذكر ان الحق هو محمد . وقيل هو القران ويشبه
ان يكون هو الدين الذي شكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك ان لم تكابروا في الحجج والبراهين فمن
اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي فمن سلك سبل الرشاد المودي الى الحق الذي جيت به فانما يهتدي لنفسه
بما يفوز من رضا خالقه ومن ثوابه بالنعيم المقيم الذي لا يشوبه كدر ولا يلحقه ضير ومن ضل عن هذا
السبيل فوقع في غيره فانما يضل عليها على نفسه اي ضره على نفسه بما هو خارجه عن طريق الحق لا يضر خالقه
ضلاله كما لا ينفعه باهتدايه وما انا عليكم بوكيل قال الحسن اي بحفيظ احفظ اعمالكم انما انا نذير مبلغ
مرشد . وقوله تعالى واتبع ما يوحى اليك اي لست عليهم بمسلط على قلوبهم تتصرف فيها ولكنك مبلغ فاتبع
من ربك من دينه الذي بينه في كتابه ثم عزاه فقال واصبر على
وحيا . قال الحسن فاتبع ما يوحى اليك
ما تسمع منهم من الاذى والتكذيب حتى يحكم الله تعالى فيا تيك امره ونهيه وحكمه وما وعدك من اظهار
دينه الذي بينه ونصرك وهو خير الحاكمين في عدل حكمه وانجاز وعده وصدق كلماته . وقيل وهو خير الحاكمين الذي
لا يلحقه في حكمه زلل ولا خلل ولا يمنعه من امضايه مانع . وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان من حكمه امره
بالقتال ونسخ به وما انا عليكم بوكيل . وقال الضحاك حكم بالقتل يوم
بدر واخذ الاحزاب . وقال انس رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانصار فجمعهم
ولم يجمع معهم غيرهم . وقال انكم ستجدون بعدي اثرة
فاصبروا حتى تلقوني على الحوض قال انس رضي
الله عنه فلم يصبروا . وقال الامام
القشيري رحمه الله واصبر اي وقف
عند جريان احكامنا وانسلخ
عن مرادك بالكلية ليجري عليك
ما نريد من القضية . وقال
ابن عباس رضي الله عنهما
سورة يونس كلها مكية
الا قوله ومنهم من يومن به
ومنهم من لا يومن به
فانها مدنية
نزلت في اليهود

وبالله العون والتوفيق

تم النصف الاول من تفسير القران العظيم للامام
ابي حفص عمر النسفي الحنفي رحمه الله تعالى وغفر له ولكاتبه
وحسبنا الله ونعم الوكيل امين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انزل الكتاب المحكم المفصل المبين الرحمن الذي جعل العاقبة للمتقين الرحيم الذي لا يضيع اجر المحسنين • وروي
ابي بن كعب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى عليهم السلام وكان يوم القيامة ان شا الله من السعدا وهذه السورة
مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية • وقيل اثنان وعشرون • وقيل احدى وعشرون والاختلاف في سبع ايات يرجع الى قوله
يجادلنا في قوم لوط من سجيل منضود انا عاملون ان كنتم مومنين ولا يزالون مختلفين • وكلماتها الف وسبع مائة وسبع عشرة •
وحروفها سبعة الاف وسبع مائة وسبعة وثلاثون • وانتظام هذه السورة بسورة يونس ان هذه السورة تشتمل على
ما اشتملت عليه تلك السورة من محاجات المشركين وشبههم واذكارهم واقاصيص الامم الخالية وغيرها من المعاني وانتظام
اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ذكر هناك اتباع ما يوحى اليه وذكر هاهنا صفة الكتاب الذي اوحي اليه ولا
اختتام تلك ببيان ان له الفصل والاحكام وافتتاح هذه ببيان انه منه التفصيل والاحكام • وقوله تعالى الر مرت الاقاويل
فيه في تلك السورة • قال الامام القشيري رحمه الله الحروف الثلاثة قسم بثلاثة من صفات الله اي بانفرادي بالربوبية
ولطفي بمن عرفني بالاحدية ورحمتي على كافة البرية ان هذا كتاب احكمت اياته اي حفظت عن التغيير والتبديل ثم
فصلت ببيان نعوت الحق مما يتصف به من الجلال والصمدية وما تعبد به الخلق من احكام العبودية ثم ما لاح للقلوب المحبين
فيه من لطايف القربة في عاجلهم والبشرى بما وعدهم به من لقائه في اجلهم وخصايصهم التي امتازوا بها عمن سواهم وقوله تعالى
كتاب اي هذا كتاب وقيل اي هذه السورة المسماة الر كتاب احكمت اياته اي نظمت نظما محكما لا يلحقه خلل ولا انتقاض في اللفظ
والمعنى وقوله تعالى ثم فصلت اي جعلت فصولا حلالا وحراما وامرا ونهيا وترغيبا وترهيبا ومواعظ وامثالا لكل معنى
فصل غير مختلط بغيره حتى يتمكن من تدبرها كلها • قال الحسن احكمت اياته عن الباطل بالامر والنهي وفصلت بالثواب
والعقاب • وقال قتادة احكمت اياته من الباطل ثم فصلت بذكر اية اية وقيل فصلت اي بين فيها ما للناس اليه حاجة
في امور دينهم وقيل فصلت انزلت متفرقة شيئا بعد شيء • وقوله تعالى من لدن حكيم خبير اي انزله رب حكيم محكم للامور واضع كل شيء
موضعه خبير عالم بحقيقة الاشيا انزله الله تعالى اليكم بغيره محمد ولا تنزلت به الشياطين ولا الكهنة ولا الشعرا وقيل
خبير بوجوه المصالح فيها لم يبين لها بالجملة بل منفصلا لما قال وقال لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك
ورتلناه ترتيلا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما احكمت اياته اي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرايع بها وقيل فصلت
فرقت ثم في قوله من لدن انه صلة قوله تعالى احكمت ثم فصلت اي الاحكام والتفصيل من الله تعالى وهي صلة قوله كتاب اي هو
من عند الله • وقال الامام الزاهد ابو منصور رحمه الله تعالى احكمت فلا ياتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم فصلت بينت
ما يوتى وما يتقى وما لهم وما عليهم وفيه بيان جواز تاخير البيان لان ثم للتراخي وقوله تعالى الا تعبدوا الا الله اي ومما فصل
فيه الا تعبدوا ويجوز ان تكون نصبا بان وان مع الفعل مصدر ومعناه ترك عبادتكم غير الله مما فصل فيه ويجوز جزما
بالنهي وتقديره قل يا محمد الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت ومن تفصيله اني اقول لكم الا تعبدوا الا الله ولا تعبدوا
غيره فانني لكم من الله مخوف بالعذاب ان عصيتموه ومبشر بالثواب ان اطعتموه وقوله تعالى وان استغفروا ربكم عطف
على الاول وهو دليل ان الاول جزم على النهي وهذا عطف على الامر على النهي وهو اولى من نا وقيل وقد على اعراب النصب ومعناه
سلوا ربكم ان يغفر لما اسلفتم من الذنوب بالشرك ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالاخلاص والاستغفار ينتظم
الندم على ما سلف واحسان العمل في المستقبل حتى يكون الانسان راجعا بعمله الى ربه ولهذا قدم ذكر الاستغفار على
ذكر التوبة وتقديره اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف الاجرام والثبات على الطاعة في باقي الايام
وارجعوا الى الله تعالى بالاخلاص والاستدامة على الثبات والدوام • وقيل اطلبوا المغفرة بان تجعلوها غرضكم ثم
توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة واجعلوها سببكم فالمغفرة اول في الطلب واخر في السبب • وقيل معناه استغفروا ربكم من

ذنوبكم السالفة ثم توبوا اليه في المستانف مني وقعت منكم المعصية وقوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا هو جواب الامر وتقديره
ان تفعلوا ذلك يعمركم الله تعالى في الدنيا فتتمتعون بالارزاق المباحة والملاذ المحللة متاعا حسنا الا انكم تموتون فاتبعه كمتاع الركب
الى اجل مسمى وهو منتهى العمر لكل انسان • وقال الامام ابو منصور رحمه الله متاعا حسنا اي تتحظون في الاخرة ذلك التمتع واما
الكفار فانهم لا يتحظون في الاخرة مما تمتعوا به في الدنيا لان تمتعهم في الدنيا كان للدنيا وتمتع المسلمين كان للتزود للاخرة
واصل التمتع الاطالة الشيء والمدينة يقال جبل ماتع اي طويل ومتع النهار اي ارتفع • وقال الله تعالى خبرا عن نوح عليه السلام
اعبدوا الله واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويوخركم الى اجل مسمى • وقال تعالى واستغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم
مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وهذا كله من المتاع الحسن • وقال الفرا ثم توبوا اليه اي وتوبوا
اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة الاستغفار • وقال الكلبي استغفروا ربكم اي صلوا لربكم • وقال مقاتل فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة الى التوبة والاستغفار وعبادة الله تعالى فابوا فابتلاهم الله تعالى بالقحط سبع سنين
فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب ويوت كل ذي فضل فضله • قال ابو العالية اي من كثرت طاعاته في الدنيا زادت
درجاته في الاخرة لان الدرجات تكون بالاعمال وقيل اي يوفي كل ذي افضال على الناس جزا افضاله جزا الفضل فضلا كما يسمى
السية سية • وقيل اي ويوت كل ذي فضل فضله في الدين بعمل صالح جزا فضيلته وعمله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما
اي من زادت حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسياته كان من
اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة • وقال مجاهد هو ما يحتسبه الانسان من كلام يقوله بلسانه او عمل يعمله بيده ورجله او ما
يتهيا فيه من طاعة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ويوت كل ذي فضل ما اتاه بفضله ويحتمل كل ذي فضل في الدنيا
فضله في الاخرة وهو كما روي اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعرفة في الاخرة اي يجعلون اهل الشفاعة يصطنعون المعروف
اليهم • وقوله تعالى وان تولوا اصله تتولوا حذفت احدى التاءين تخفيفا اي وان تعرضوا عما فصل لكم من هذه المعاني وتصروا
على الشرك فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي عظيم شديد وهو يوم القيامة لما فيه من الاهوال وجزا الاعمال وقيل عذاب
يوم كبير قتلهم يوم بدر • وقوله تعالى الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير هذا وعيد يوم القيامة وقوله قدير اي على مجازاتكم
على اعمالكم وغير ذلك • وقال القشيري رحمه الله ابتدلوا باستغفاركم ثم توبوا ابرارا وزاركم والتنقي عن اصراركم • قال ويقال
استغفروا من الذنوب ثم توبوا عن توهم نجاتكم باستغفاركم لعلكم بان نجاتكم تكرمة لا باعمالكم • وقال ايضا استغفروا اي
اطلبوا حظوظكم من عفونا فاذا فعلتم ذلك فتوبوا من طلب ذلك الحظ والنصيب وارجعوا الينا واكتفوا بنا راضين بما نختاره
من البلا ونمنعكم او غير ذلك مما نختار لكم • وقال في قوله تعالى متاعا حسنا هو اعطا الكفاية مع زوال الحرص وقيل هو
القناعة بالموجود وقيل هو ان لا يحوجه ولا يجعل لاحد عليه منة لا سيما اللئيم وقيل هو ان يوفقه لاصطناع المعروف الى المحتاج
وقيل ان تقضى على يديه حوايج الناس وقيل هو ان لا يلم في حال شبابه بزلة ولا يضعف في حال شيبته عن الله بغفلة • وقيل هو ان يكون
راضيا بما يجري عليه في حالتي العسر واليسر • وقال في قوله تعالى ويوت كل ذي فضل فضله هو ان يستر عليه فضله حتى
لا يلاحظ حاله ومقامه بل ينظر الى نفسه والى ما لموهبه بعين الاستحقار والاستصغار • وقيل هو ان يرقيه عن التعريج
في اوطان البشرية الى مناجات شهود الاحدية فيتنقى من شح البشرية والتكدر بما يبدو من مفاجاة التقدير • وقال
في قوله تعالى الى الله مرجعكم تنقطع الدعاوي عند الرجوع الى الله تعالى وتفنى الظنون ويحصل الناس من غير الله تعالى
وتنقى العبد بعد الاضطرار في وصف الانتظار • وقوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم اخبر عن معاداة المشركين للنبي
صلى الله عليه وسلم وجهلهم بالله في ظنهم انهم يستخفون منه فقال الا اي تنبهوا على احوال المشركين وقفوا على جهلهم فانهم
يسيرون العداوة في قلوبهم ويطوونها طي الكشح ووجه ذلك اي ثني الشيء اي عطفه وطواه حتى في انثنائه ما يقع فيه
ويخفى باطن الشيء المطوي فجعله مثلا لاضمار العداوة في الصدر ليستخفوا منه اي ينقصدوا بذلك اخفا ذلك على الله
تعالى جهلا منهم • وقوله تعالى الا حين يستغشون ثيابهم اي اعلموا انهم حين يتغطون بثيابهم ويدخلون رؤوسهم فيها
يعلم ما يسرون وما يعلنون اي يعلم الله ما يضمرون فكيف وهم بارزون ولكنهم اهل جهل ومن كان هذا حاله لم يستبعد منه
ان يشرك بالله غيره • وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور اي سرايرها وضمايرها • ووجه اخر انهم كانوا اذا احتاجوا في امر
من الامور اي يمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم طاطوا رؤوسهم وتغشوا ثيابهم فيها الى ان لا يراهم النبي صلى الله عليه وسلم فيحتاجوا
الى الدخول عليه والتسليم عليه فاخبر الله عن ذلك وقال الا انهم يثنون صدورهم وهو عبارة عن شدة خفض الراس حتى
يحتاج صاحبها الى ان ينحني فيثني صدره فيعقلون الا حين يفعلون هذا ويضمون اليه في بعض الاحوال تغطية رؤوسهم بثيابهم
ليخفوا اشخاصهم من النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الله ويعلم ما يسرون في سترهم عليه وما يعلنون فيه • ووجه اخر يثنون
صدورهم لتخفض رؤوسهم وتتطامن اذانهم فلا يصل اليها ما يقرا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وهو كقوله
تعالى في قصة نوح عليه السلام واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما يثنون صدورهم اي يخفون ما في صدورهم من الشحنا والعداوة نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي كان رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكرهه
وقال قتادة اي يحنون صدورهم واخفى ما يكون الانسان اذا احنى صدره وتغطى بثوبه او ضمر همه في نفسه • وقال

مجاهد وعكرمة يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم شك في الله عز وجل وفي رسوله • وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم عنك من قولهم ثنيت عناني • وقال مجاهد يعلم ما يسرون من العداوة وما يعلنون من الوفاق انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب من الخير والشر • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليستخفوا منه ان كانت الاية في المنافقين فهو الاستسرار والاستتار من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يبالون بخلافهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعندهم ان الله لا يطلع على ما يسرون وفيه دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عن ضمائرهم فثبت انه علم ذلك بالله • وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين اي وما من شيء من الحيوانات التي تدب على الارض الا والله تعالى متكفل برزقها اي بما يقيمها اذ الحي من الخلق لا بد له مما يقيم حياته ولا قيام للحيوانات الا بتكفلها ومن رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ولكن ما كان من رزق فمن الله وعلى بمعنى من كقوله تعالى اكتالوا على الناس • وقوله تعالى ويعلم مستقرها ومستودعها اي ويعلم مستقرها ومستودعها من الارض حيث تاوي اليه وموضعها الذي تموت فيه او تدفن فيه فتستودع فيه الى حين تنبعث • وقال مجاهد مستقرها في الارحام ومستودعها في الاصلاب • وقوله تعالى كل في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ مكتوب • وقيل كتب الان موجودا كما كتب في اللوح المحفوظ مكتوبا وقيل معلوما يعني من كانت هذه قدرته وهذه صفته في الاحاطة في الاشيا كيف يخفى عليه ذلك ما يفعله هؤلاء المشركون من ثني صدورهم طاوين ان يخفى عليه ذلك • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل مستقرها بالليل ومستودعها بالنهار في معايشها ويشبه ان يكون هذا اخبارا عن علمه بها في كل حال من سكونها وحركتها يخبر انه لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض وما كان في الارحام وما استودع في الاصلاب كيف يخفى عليه اعمالكم التي عليها العقاب ولكم بها الثواب • وقال الامام القشيري رحمه الله اراح القلوب عن بث التقسيم والافكار عن بث الترحم في باب الرزق حيث قال الا على الله رزقها فسكنت القلوب بالتحقق ان الرزق على الله تعالى • قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احيل احدكم على ملي فليحتل ويقال اذا كان الرزق على الله فمن احال الطلب من غير الله فقد ولم ينل ما يشتهيه ومقدار ما يكفيه بل هو موكول الى مشيته من موسع ومن مقتر • وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام فسرناه عند قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام في سورة الاعراف وقوله تعالى وكان عرشه على الماء بين ان خلق العرش والماء كان قبل خلق السموات والعرش شبه سرير الملك لتطوف الملائكة به ويحفون حوله ويمجدون الله تعالى ويعظمونه من حوله كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش الاية وفي وقوف العرش على الماء والماء على غير قرار اعظم اعتبار على كمال قدرة الملك الجبار ولو شا لجعل العرش على غير قرار كما جعل الماء الذي هو ادعى للقرار واحوج اليه على غير قراره • وعن كعب الاحبار انه قال لما اراد الله تعالى خلق الماء خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء • وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق جميع ذلك ليعامل عباده معاملة المختبر لهم فيظهر في الاحتجاج عليهم ليمتثلوا امره ويؤدوا على نعمه شكره ويستدلوا بايانه على وحدانيته وقدرته على ما يشا وفي ذلك اثبات البعث ليجازي المحسن على احسانه والمسيء على اساءته ومعنى الابتلا فعل ما يظهر به الشيء وان كان معلوما الا ترى ان الرجل قد يخالف الرجل في جودة فضة وردائتها وهو عالم بحقيقة ما يقول فيقول لصاحبه تعال ندخلها النار فنظهر الجيدة من الردية وقوله ايكم احسن عملا • قال ابن عباس رضي الله عنهما ايكم اعمل بالطاعة • وقال مقاتل ايكم اتقى لله • وقال الحسن ايكم ازهد في الدنيا واترك لها • وقال الامام القشيري رحمه الله احسن الاعمال ما غاب عن ملاحظة عامله وقال هو ما ينظر اليه صاحبه بعين الاستصغار والاستقلال • وقيل احسن الاعمال ما لا يطلب صاحبه عليه عوضا وقيل ما غاب عنه صاحبه لاستغراقه في شهود المعبود • وقوله تعالى ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وصل هذا بما ذكر من خلق السموات والارض لان ذلك ذكر اساسا لهذا اي خلقناها على الاتساق والانتظام والا لذ على الخالق القادر وكان خلقها للممتحنين وما خلقت لانفسها الا انها للفنا ولو كان لذلك لا للابتلا كانت عبثا وبالابتلا ظهر المحسن والمسيء وجزاء ذلك بعد البعث ولو قلت يا محمد للمشركين انكم مبعوثون للجزاء على ما انكشف بالابتلا انكروا وتعجبوا وقالوا ما هذا القول الا سحر ظاهر اي خديعة منكم لنا ومنع عن لذات الدنيا وزينتها واحتيال الى الانقياد لكم والدخول في طاعتكم • وقال الامام الزاهد ابو منصور رحمه الله قوله تعالى انكم مبعوثون من بعد الموت نفس هذا الكلام لا يحتمل انه يسمى سحرا لكن معناه انه اذا اخبر به واقام الحجج والبراهين عليه قالوا للحجج والبراهين عليه هذا سحر ويحتمل وجها اخر وهو انه بيان سفههم انهم اعتادوا نسبة كل شي الى السحر حتى الاشيا التي لا تحتمل السحر وهي الاخبار لان السحر انما يكون في تقليب الاشيا فاما فيما يخبر عن شي يكون فلا • وقوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة اي حين معلوم ليقولن ما يحبسه اي استعجلوه على سبيل الاستهزا يعنون ان هذا الوعيد بالتعذيب على التكذيب ليس بحق ثم اخبر انه لا معنى لاستعجالهم وهو قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم اي بكثرة اعوان ولا بحيلة محتال ولا بقوة من يتلهم ولا من قبل المنهم • وقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي يحيق بهم يعني ينزل بهم ما من بمعنى المستقبل لانه كاين لا محالة فالحقه بالحاصل الموجود • وقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اعطينا المشرك المكذب بالله من رحل مناسبة في الدنيا وصحة في الجسم وتوسعة في الدنيا ليشكرها لنا ويستعين بها على طاعتنا • وقوله تعالى ثم نزعناها منه لكفرانه فاذقناه ضيقا وسقما ونقصا في المال والولد • وقوله تعالى انه ليؤوس كفور بنعمتنا وقال ما اعانني ربي فلا اعبده

يظهرون موافقته ويضمرون مخالفته وان كانت الاية في المشركين فهو على الاستخفاء والاستتار من الله عز وجل لانهم كانوا

ربنا

بالمستقبل كانه ييس من زوال ما حل به وهو لذلك معرض عن ربه لا يتوقع خيرا ولا يومل فرجا وجاء في التفسير ان الانسان هو عبد الله بن امية المخزومي • ولئن اذقناه رحمة منا رخاء ونعمة ثم نزعناها منه اي سلبناها منه انه ليؤوس في الشدة كفور في النعمة • وقوله تعالى ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور اي ولئن ازلنا البأساء بالنعماء ليقولن ذهبت البأساء التي كانت تسوئني اي كان ذلك سوء اصابني وذهب كما يكون هذا باكثر الاحوال ويصيب اكثر الناس تنقلون عليهم الامور فلا يصبر بما يمتحن به وبما يسم عليه فلا يقابل البأس بالصبر ولا النعمة بالشكر اعطا للعبودية حقها ولكنه في حال البؤس يحيل ذلك على ان الله تعالى اهانه وفي حال النعمة يعدها اتفاقا حسنا يجده عليه زمانه انه لفرح اي من عادته الفرح والبطر بالنعمة الفخر بها على الكافة حتى يخرج بذلك الى تكذيب الانبيا وجحود البعث والجزاء • وقوله تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات هو استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا على المكاره وصبروا عن المعاصي وعملوا الطاعات لهم مغفرة الذنوب واجر كبير ثواب عظيم ويجوز ان يكون على حقيقة الاستثناء ويكون الانسان المذكور في الاية الاولى بمعنى الناس لانه اسم جنس فيصلح للجمع فيكون معناه اكثر الناس على كذا وقوم مستثنى عنهم على القولين جميعا يخرج قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الى قوله الا المصلين الى قوله تعالى في جنات مكرمون • وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الاية • وقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل • قال مقاتل ان اهل مكة قالوا ايتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا ولا مخالفة ابائنا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع سب الهتهم فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وهذا على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو كما يقول الرجل لاخر لعلك تريد ان تفعل كذا وهو ينهاه عنه ويتضمن البشارة بالامن مما يخاف ان يلحقه من جهتهم ولزوم التبليغ وذلك ان الاخيار اذا ابتلوا بالاشرار فقد يوذن لهم بمفارقتهم وترك الامر فيهم فبين انه ليس له ذلك وعليه التبليغ مع ذلك • وقوله تعالى وضائق به صدرك الضائق يذكر للضيق العارض والضيق للضيق اللازم وكان ما لحقه من كلامهم امرا عارضا فلذلك قال وضائق به صدرك ان يقولوا اي بان يقولوا • قال مقاتل قاله عبد الله بن ابي امية لولا انزل عليه كنز وكان للمال عندهم خطر او جاء معه ملك اي ليصدقه بما يقوله • قال الله تعالى انما انت يا محمد نذير مخوف مبلغ ليس بيدك الاتيان بالاموال وانزال الملائكة • وقوله تعالى والله على كل شيء وكيل اي حافظ لكل ما يقولون فيك اذ هو الحفيظ عليهم لا انت • قال الله تعالى وما ارسلناك عليهم وكيلا ونظير هذه الاية لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين • وقوله تعالى ام يقولون افتراه ام كلمة عطف على استفهام بالف وتقديره ايكذبونك ام يقولون افتراه • وقيل ايكتفون بما اوحينا اليك ام يقولون افتراه والمفسرون يقولون معناه بل يقولون افتراه • وقوله تعالى قل فاتوا بعشر سور مثله اي مثل القران مفتريات اي على زعمكم ان القران مفترى وهذا امر تعجيز كما مر في سورة البقرة وهذه الاية نزلت قبل قوله تعالى قل فاتوا بسورة مثله ونزل اولا قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله وهو كل القران فلما ظهر عجزهم تحداهم بعشر سور ثم لما ظهر عجزهم عنها تحداهم بسورة فلما ظهر عجزهم لزمتهم الحجة بالكلية • وقوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله من الجن والانس ليعينوكم على الاتيان بعشر سور مثله في نظمه ومعانيه والاخبار الصادقة عن الامور الماضية والاتية والاطلاع على ما في ضمايركم فاتوا بها في هذه المعاني والاطلاع على ما في ضمير محمد ان كنتم صادقين انه افتراه من عنده ولسانكم مثل لسانه • وقوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون له وجهان احدهما فان لم يستجب لكم ايها المشركون احد من العرب ولا من غيرهم ممن استعنتم به علمتم بالعجز وانتم عاجزون ايضا فاعلموا حينئذ ان القران انزل من عند الله فان الله عز وجل انزله بعلمه اي وهو عالم بانزاله على ما يكون حجة على خلقه ويحتمل انه انزله بالانبا التي هو عالم بها يعلمها من شا من خلقه فاستدلوا بذلك على انه لا اله الا هو ويحتمل اذ عجزتم عن معارضته فاعلموا ان محمدا محق في دعوى الرسالة فلا يجوز ان يكون كاذبا يعجزكم به انه لا اله الا هو وحده دون اصنامكم فهل انتم مسلمون اذ لكم ان تؤمنوا بالله وتصدقوه • ووجه اخر فان لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يا محمد ويا اصحاب محمد الى ما دعوتموهم اليه من معارضة القران على نظمه فتيقنوا انتم بعجزهم واصرارهم ودوموا على علمكم بان القران من عند الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون لله مخلصون له اي دايمون على الايمان والاخلاص وقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اي الداعي لهؤلاء المشركون الى الدوام على الشرك الدنيا وزينتها • وقال الفرا تقديره من يرد الحياة الدنيا فله ذلك قال في جزائه نوف اليهم بحذف اليا للجزم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اختلف فيها • قال بعضهم الاية في الكفار يعملون اعمالا هي في الظاهر صالحة من التصدق على الفقرا وعمارات الطرق واتخاذ القناطر والرباطات تقول نوف اليهم جزاء اعمالهم في الاخرة وهم فيها لا ينقصون وهو ما وسع عليهم في الدنيا وجاز ان يكون نوف اليهم اعمالهم فيها اي نرد عليهم اعمالهم التي عملوها في الدنيا ريا وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون ما قدر لهم من الرزق الى انقضا مدتهم بشركهم بالله جل جلاله • وقوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار خالدين فيها بشركهم وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ما هو طاعة عندهم • وقال بعضهم في المؤمنين الذين عملوا الصالحات ريا للخلق نوف اليهم جزاء اعمالهم فيها من الذكر والشرف وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباهاة وغيرها وبطل ما كانوا يعملون في الاخرة لانهم عملوها لغير الله تعالى فلا يجزون

عندهم

ستعاونتم

باعمالهم تلك والى هذا ذهب ابن عباس رضي الله عنهما قال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل ما بال العبد المعروف بالخير يشدد عليه الموت والرجل المعروف بالشر يهون عليه الموت فقال المؤمن تكون له الذنوب فيجازى بها عند موته فيمضي الى الاخرة ولا ذنب عليه والكافر يكون له حسنات فيجازى بها عند الموت يخفف عنه كرب الموت ثم يمضي الى الاخرة وليست له حسنة او كلام هذا معناه ، وعلى هذا معنى الاية انهم لا يستوجبون بتلك الاعمال الا النار لانه اذا راءى بها لم يخلصها لله تعالى وضيع امره ومن ضيع فرايض الله تعالى استوجب التعذيب عليه وله العفو وليس في الاية انه لا محالة تعذيبهم بعمل المراءاة ، وقال الامام القشيري رحمه الله يقول من قنع منا بالدنيا التي الدناءة صفتها امضينا عليه باستمتاع ايام يقل مدتها تنقضي اذى كالحاثري ذوالها ويبقى طعم حسابها ثم حنظلها ، وقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه استفهام بمعنى النفي والاية في بيان عدم التسوية بين المؤمنين وهم المذكورون في الاية الاولى منا ، افمن كان على بينة من ربه اي حجة وبيان وهم المؤمنون بمحمد والقران فهم على حجة بمجيء محمد عليه السلام ، وقوله تعالى ويتلوه شاهد منه اي ويتبع محمدا الذي هو البينة شاهد منه اي من يشهد بصدقه وهو ما جاء به وهو القران ، وقوله تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اي ولهذا المؤمن مع هذا الشاهد شاهد قبله وهو كتاب موسى التوراة التي انزلها الله تعالى اماما لبني اسرائيل يقتدون به ورحمة لهم انقذهم الله تعالى به من النار في الاخرة ومن استعباد فرعون وقومه في الدنيا وفي التوراة الشهادة بمحمد والبشارة به والاخبار بصفته وصفة امته يقول افمن اجتمعت له هذه الحجج وهي البينة والقران والتوراة الشاهدة بمحمد والبشارة به والاخبار بصفته وصفة امته فامن بذلك كمن اعرض عن التذكير ومال الى الحياة الدنيا وزينتها فهذا هو الجواب المحذوف وبه انتظم بين الايتين ، وقال الحسين بن علي بن عبد الرحمن الشاهد هو النبي ومنه من الله تعالى ، وقال ابن عباس ومجاهد وابو صالح والفراء والزجاج هو جبريل يتلوا القران على محمد عليهما السلام ، وقال الحسن وقتادة شاهد منه النبي عليه السلام هو لسانه ، وقال مجاهد يتلوه شاهد منه ملك يحفظه ويسدده ، وقال ابن حبيب ورايت في بعض التفاسير الشاهد صورة النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان من كان له حس صحيح ونظر اليه علم انه ليس بوجه كذاب متخرص ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون ويؤيد هذا التفسير قوله منه ، وقال بعضهم ليس الذي هو على بيان من ربه كالذي موعده النار فجعل جوابه فيما بعده والاول جوابه فيما قبله وهو كقوله تعالى امن هو قانت قيل جوابه فيما قبله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وقيل فيما بعده قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ، وقوله تعالى اولئك يؤمنون به قيل هم اصحاب محمد وقيل هم اصحاب موسى الذين امنوا بمحمد عليه السلام ، وقوله به اي بالقران ، وقيل اي بمحمد ، وقوله تعالى ومن يكفر به فيها قولان ايضا كالاول من الاحزاب اي الفرق والاصناف وهم اليهود والنصارى والمجوس والمشركون ، وقوله تعالى فالنار موعده اي ان لم يسلم فلا تك في مرية منه اي شك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون ان الناس احق فيكون هينهم التصديق بما قامت به دلايله ، وقال الامام القشيري رحمه الله افمن كان على بينة من ربه البينة لاقوام برهان العلم ولاقوام بيان الحقيقة على القطع والجزم تشهدهم الحق بما يطلع عليه غيرهم فهم كما قيل ليلي من وجهك شمس الضحى وانما السدفة في الجو والناس في الظلمة من ليلهم ونحن من وجهك في الضوء ، وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم على نفسه وعقله ممن كذب على الله فنفوا عنه كلامه واضافوه الى غيره ، وقوله تعالى اولئك يعرضون على ربهم في موقف القيمة ويقول الاشهاد الملايكة الذين كتبوا اعمالهم وقيل الانبياء وقيل اهل الجمع هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قالوا ان له اضدادا وانداد ا ، وقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين هذا اخبار من الله تعالى وتعليم للخلق ان يلعنوهم وهم المشركون الواضعون العبادة في غير موضعها والضارون انفسهم ، وقال الامام ابو منصور رحمه الله اولئك يعرضون على ربهم اي تعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم كقوله تعالى اذ وقفوا على ربهم اي عند ربهم اذ الامر فالنهي كان لانفسهم فكان عرضهم لهم ، وقوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس من دين الله وطريق طاعته بالتحريف وادخال الشبه ويبغونها عوجا اي يطلبون لها اي للسبيل وهي مؤنثة سماعا تعوجا اي يطلبون ان يعدلوا بالناس عنها وهم بالاخرة هم كافرون اي جاحدون ، وقوله تعالى اولئك هو جواب قوله الذين يصدون عن سبيل الله ، وقوله تعالى لم يكونوا معجزين في الارض اي فايتين هربا اي لا يتخلصون من عذابه ولو ساروا حيث ساروا في الارض وما لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب متواصلا لا ينقطع ويزادون عذابا على عذاب ، قال تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا ، وقال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، وقال الكلبي يضاعف على الرؤساء ضعف ما على غيرهم من الاتباع ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي ما كانوا يستطيعون وما كانوا يبصرون اي كانوا يستثقلون ان يسمعوا القران وان ينظروا الى عجايب خلق الله تعالى بالاعتبار وفي متعارف الكلام ما استطيع ان اسمع كلام فلان او انظر الى فلان اذا كان مستثقلا وفي الاية ان الاستطاعة التي هي علة الفعل وهي قدرة الفعل حقيقة تكون مع الفعل فان الله تعالى نفى ذلك عنهم حيث انتفى عنهم الفعل فاما الاستطاعة التي هي سلامة الاسباب والالات فقد كانت ثابتة لهم فانهم كانوا ذوي اذان واعين ، وقوله تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي اوردوا انفسهم الهلاك والعذاب من غير ان اعتاضوا من انفسهم من اعراض الدنيا بدلا بل تعبوا في الدنيا بعبادة الاصنام ووردوا الاخرة وقد فقدوها ولم يحصلوا منها من عبادتها على نفع وكانوا متقربين في الهة

شفعاء وشهداء ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي بطل افتراؤهم فلم تجلب ثوابا ، وقوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون الجرم كلمة تقولها العرب بمعنى كسب كقولهم خزامهم ، وقيل جرم اي قطع اي لا انقطاع لهم عن الخسران ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا جرم نعم ، وقال الضحاك لا شك ، وقال المفسرون حقا ، وقال مجاهد حقا اي انهم في الاخرة هم المغبونون خسرانا لا اشد من هذا الخسران ، وقال الامام القشيري رحمه الله اولئك الذين خسرت صفقتهم وبارت بضاعتهم لقوا الهوان وذاقوا الياس والحرمان ، وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الاولياء بعد ذكر الاعداء واخبتوا اختلف المفسرون فيه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما اي انابوا الى ربهم ، وقال مجاهد اي اطمانوا الى ذكر ربهم ، وقال قتادة اي خضعوا وخشعوا ، وقال الحسن الاخبات والخشوع المخافة الثابتة في القلب ، وقيل الاخبات والخشوع سكون الجوارح خضوعا لله تعالى والخبت الارض المستوية الواسعة وقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع فالفريقان هما المذكوران في هذه الاية وهما المشركون والمؤمنون فالاعمى والاصم هو المشرك عمي بعين قلبه فلم ينظر نظر اعتبار وصم سمع قلبه فلم يسمع الى الوعظ والاذكار والبصير والسميع هو المؤمن ابصر الحق بعيون قلوبهم وسمعوا باذان القلوب مواعظ ربهم ، وقوله تعالى هل يستويان مثلا استفهام بمعنى النفي وانما ثنى وان ذكر اربعة اسماء وهي جمع لان الاعمى والاصم من صفة انسان واحد وكذا السميع والبصير لواحد فكانا اثنين ، وقوله تعالى افلا تذكرون اي تتعظون استفهام بمعنى الامر اي اتعظوا ، وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ذكر قصص الانبياء تثبيتا على ما يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصبر على اذى قومه المشركين وتحذيرا للمشركين ان ينزل بهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالاولين في تكذيب المرسلين وتبشيرا للمؤمنين بالنصر والنجاة والتمكين ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي نوحا لكثرة نياحه على نفسه وذلك انه مر بكلب فقال ما اقبحه فاوحى الله تعالى اليه اتخلق انت احسن منه فاخذ يبكي وينوح على نفسه حتى اوحى اليه يا نوح كم تنوح فاذا كان في طول عمره فعل فعلة واحدة او قال كلمة واحدة لم يؤذن له فيها فناح على نفسه الى ان سمي بالنياح فكيف حال من لا يذكر فيما مضى من عمره في مدة تكليفه الا على ذنوب كثيرة ، وقوله تعالى اني لكم قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي اني لكم بالفتح لوقوع فعل الارسال عليه وقرا الباقون بالكسر على الابتداء وتقديره فقلنا له قل لهم اني لكم نذير اي مخوف لكم مبين اي مظهر ذلك ، وقوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ، قيل لئلا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم قيل لئلا تعبدوا ثم هو يحتمل النهي ويحتمل النصب لوقوع فعل الارسال فالانذار على المصدر ، وقوله تعالى عذاب يوم اليم الاليم في الظاهر صفة العذاب وانما خفض ولم ينصب للمجاورة وقيل هو صفة اليوم وتقديره عذاب يوم اليم عذابه كما قيل لا اخشى عذاب يوم شديد عذابه وهو كقوله تعالى في يوم عاصف اي عاصف الريح وهذا اليوم يجوز ان يكون في الدنيا ويجوز ان يكون في الاخرة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الغرق والطوفان ، وقوله تعالى فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين اي قال اشراف قومه الذين يتكلمون عن دونهم ما نراك الا انسانا مثلنا والذي تدعيه من النبوة توجب فضلا لك علينا يلزمنا به ان نكون اتباعا لك وانما انت ادمي مثلنا ولم يتبعك من قومك خيارنا وعقلاؤنا فيلزمنا اتباعهم بل اتبعك سفلتنا وسقطتنا والرذل الحقير وجمعه الارذل وجمع الارذل الاراذل بادي الراي قرا ابو عمرو بادئ مهموزا ومعناه اول الراي اي اتبعوك باول رايهم من غير ان يستشيروا او يتاملوا وقرا غيره بادي الراي بغير همز اي ظاهر الراي اي بما ظهر لهم من غير تامل ، وقيل هم اراذلنا بادي الراي اي باول الروية وبظاهر الراي نعرف انهم اراذل وما نرى لك يا نوح ولمن اتبعك علينا فضلا نلزمه لمخالفتنا في ديننا فنتبعكم طلبا لذلك الفضل بل نظنكم كاذبين في دعويكم الرسالة ولا الاظهر ان الارذل جمع الاراذل فقد قال تعالى في سورة الشعراء اخبارا عنهم واتبعك الارذلون وقال الامام ابو منصور رحمه الله وهكذا كان الكفار يردون على الرسل لقولهم ان انتم الا بشر مثلنا وجواب ذلك ما قال اخبارا عنهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وجواب قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا ان هؤلاء لم يتبعوا الرؤساء الذين هم ارباب الاموال فانهم وانتبعوا الرسل الذين ظهروا في ايديهم ذلك دل انهم انما اتبعوهم بالحجج والبراهين ، وقوله تعالى بل نظنكم كاذبين وذلك انهم كانوا يردون الدلالات الباهرة بالظنون الكاذبة ، وقال الامام القشيري رحمه الله انكروا نبوته لمشاكلته اياهم في الصورة ولم يعلموا ان المباينة بالسرير والسريرة لا بالصورة ونظروا الى من امن به بعين الاحتقار وشاهدوهم بالاستصغار وما احد يرى بزوجة احد اخبارية العقل عليه الا سلطه الله عليه والمرء باصغريه وبالمعاني الانسان لا بالمباني ، قال الشاعر ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه رجل هزبر ، فان لك في شرارهم قليلا ، فان لك في خيارهم كثيرا ، وقوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اي قال نوح يا قوم اخبروني ان كنت على بيان وحجة ووضوح من ربي وكان الله اتاني رحمة من عنده بان جعلني رسولا اليكم وعمي النظر عليكم واشتبهت عليكم تلك الرحمة وخفيت حتى صرتم كالعمي عنها ايمكنني ان الزمكم اياها اجبركم واكرهكم على فهمها ورؤيتها

بأعمى قلوبكم وأنتم لها كارهون ويحتمل أن يكون المراد من الرحمة ما أنعم الله تعالى عليه من الهدى يقول إن كان الله تعالى هداني وأراد
أن أشرككم فيها وخفي عليكم هذا فظننتم أنه غير الحق أيتهيأ لي أن ألزمكم هذه وأوصلها إليكم على كره منكم • قال ابن عباس رضي
الله عنهما على بينة من ربي أي على دين • وقال الضحاك أي على بصيرة • وقال عطا على أمر ظاهر مكشوف • وقال مقاتل على معرفة
وآتاني رحمة من عنده • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسالة والنبوة الثانية • وقال مقاتل على معرفة وآتاني رحمة من عنده يعني
وقوله تعالى فعميت عليكم قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضم العين وتشديد الميم أي عماها الله تعالى عليكم أي أخفاها
والباقون بتخفيف الميم وفتح العين أي خفيت يقال عمي علي خبر فلان أي التبس • وقال الإمام القشيري رحمه الله إن كنت
على بينة من ربي الصبح لا خلل في ضيائه لكون الحاضرين عميانا والسيف لا خلل في إمضائه لكون مضاربه صبيانا • وقوله
تعالى ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون
أي لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة مالا فلا تتهموني على فيما أدعوكم إليه ولا أتصور في صورة من يطمع في أموالكم والرياسة
في أمور الدنيا عليكم فتنسبوني إلى الكذب وما أجري إلا على الله بوعد الله فإنه أعمل وعليه أرجو وما أنا بطارد الذين آمنوا
أي فأنتم تبغون في طردهم الإبعاد عني على وجه الهوان إذا كنت لا أسألكم شيئا من أموالكم فإن أدناكم وأقصاكم عندي
سوي لأني داع للجميع فمن أجابني قبلته وقولهم اتبعوك بادي الرأي فعلي العمل بظاهر ما أرى فأكتفي بظاهر إيمانهم وأكل
باطنهم إلى الله عز وجل فإنهم ملاقو ربهم وصائرون إليه فيسألهم عن أعمالهم فيجزيهم على وفق سنيهم ويطردهم من رحمته
إن استحقوا لمخالفة باطنهم ظاهرهم وقيل سألوه طردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم وهذا عن ابن جريج ثم قال ولكني
أراكم قوما تجهلون فتظنون أن الناس يتفاضلون بالأحساب والأنساب لا بالأعمال والأحوال وقيل يجهلون أنهم خير منكم
وقوله تعالى ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون أي من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم أفلا تذكرون
أي فتخطرون ببالكم فتعلموا أنه لا يجوز لي طردهم وأعمال توجب هذا • وقال الإمام القشيري رحمه الله طرد من قربه الله
وأدناه يوجب لصاحبه الخزي في دنياه والعقوبة في عقباه • وقوله تعالى ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب
ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين أي لا أقول
إن عندي خزائن الأموال فأبذلها لكم لتتبعوني وأستميلكم بها لتطيعوني • وقيل ما عندي خزائنه الخفية لأهديكم إليه
إلى الحق ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تشاءون من المعاصي
من المخاوف ولا أقول إني ملك من السماء أخبركم بأخبارها ولا أقول للذين تحتقرهم أعينكم وتدور أعينكم عليه وتزدريه أي
عيبه إذ زويت عليه أي تغربه أو زويته أي احتقرته • وقوله تعالى لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم
من الصدق وغيره أو عليه أخذ تأويلات • قوله تعالى الله أعلم بما في أنفسهم أي بما في قلوبهم إني إذا لمن الظالمين
أنفسهم بطردهم أمرت بقبوله • وقوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا أي خاصمتنا لنستفهم وقد
جادلتنا مجادلة إذا خاصمه ليرجع عما هو عليه وأصل الجدال الفتل وشدة الخصومة ما يثبت عندك مقدمة أو عزم رسالتك
فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين أي ما وعدتنا في ذلك • وقوله تعالى
قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين إنما كلمة تحقيق معنى تحقيقه أنه يكون له دون غيره أي ليس
الإتيان بالعذاب إلي وإنما يأتي الله به إن شاء وإن شاء أخره عنكم وما أنتم بفائتين عنه إن يأخذكم حتى يلحقكم بل
يلحقكم متى شاء • وقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون النصح
تخليص الغش وهو إخلاص الإرادة الخير الدلالة • وقيل هو إعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليتبع يقول نصحتكم ولكن
لا ينفعكم نصحي إذا لم تقبلوه وإن الله أغواكم هو الله ربكم أي مدبركم ومتعكم في الدنيا إلى وقت أجلكم ثم إليه ترجعون
فيحاسبكم ويجازيكم • وقوله تعالى أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون • قال مقاتل
هذا كلام اعترض في قصة نوح سلام الله عليه والمعنى يقول أهل مكة افترى محمد القرآن اختلقه من تلقاء نفسه
قل يا محمد إن اختلقته فعلي جزاء جرمي وأنا بريء مما تجرمون أنتم ثم رجع إلى قصة نوح عليه السلام • وقيل تقديره
وتلفيقه أفتريت أهل مكة بما أخبرتهم يا محمد من قصة نوح تعزيا لهالك أم يقولون اختلقه فإن قالوا ذلك
فقل إن افتريته فعلي عقاب ذنبي وأنتم بريئون من ذنبي أي جرمي لا تؤاخذون به وأنا أيضا بريء من جرمكم لا أؤاخذ
به • وقال الإمام أبو منصور رحمة الله عليه قال بعضهم هو قول قوم نوح إن نوحا افترى على الله أنه أرسله إليهم فأجابهم
بما أجاب فعلى هذا القصة متصلة • وقوله تعالى وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون أي أوحينا إليه فقلنا له لن يصدقك بعد هذا منهم إلا من قد آمن فلا تحزن والابتئاس هو حزن
في استكانة وهو افتعال من البؤس أي فلا ينقصر بعضوره من أصابه البؤس بما فعلوا بك الأجر بذلك وأيس نوحا فثم
دعا عليهم فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله دلت الآية أن الإيمان
حكم التجدد فإن قوله إلا من قد آمن استثناء من لا يؤمن في المستقبل فكان إثباتا للإيمان في حادث الوقت • وقوله
تعالى بما كانوا يفعلون يحتمل الكفر لأن الأنبياء كانوا يحزنون بكفر المشركين • قال الله تعالى لنبينا عليه السلام
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ويحتمل أنهم كانوا هموا بقتله والمكر به فقال لا تحزن بما كانوا يصنعون في

ذلك فإني كافيكم • وقوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا أي بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك • وقيل بأعين
أوليائنا من الملائكة الموكلين بك ووحينا أي أمرنا وتعريفنا صنعتها وقد صارت صناعتها ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تسأل النجاة وقيل
في البعض أهلك من جملتهم إنهم مغرقون أي كلهم حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون وبما اقترفوا يغرقون وهو تعريض للمشركين في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم المستعجلين العذاب بأن الله تعالى لا يعذبهم عذاب الاستئصال إلا إذا كان في معلوم الله أنهم لا يؤمنون ولا يخرج
من أصلابهم من يؤمن • وقال الإمام القشيري رحمه الله أي قم بشرط العبودية في صنع السفينة بأمرنا ونحن نشهد فالملك بمرأى منا
ومن علم اطلاعنا عليه لم يلاحظ نفسه ولا غيره ولا أشياء وقد تحقق بأن المجري هو الله سبحانه وتعالى ثم قال له داع حتى الأوب فيهم لم يكن
له إذن منا في الشفاعة لأحد فلا تخاطبنا فيه • وقوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا
فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون أي وكان يصنع السفينة أي يعملها وكلما مر عليه أشراف قومه سخروا منه أي من نوح • وقيل
من صنعه • قيل كانوا يقولون صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء • وقيل السخرية إظهار خلاف الإبطان على جهة يفهم منه
استصغار العقل من يسخر منه ومنه التسخير وهو التذليل والاستضعاف • وقيل لما كانت هائلة طويلة عريضة واسعة ولا ماء
هناك يحمل مثلها كانوا يتضاحكون ويتعجبون من عملها فقال لهم نوح إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم • قال الزجاج إن تستجهلونا فإنا
نستجهلكم • وقيل إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم في الآخرة فسوف تعلمون إذا نزل بكم العذاب • وقيل فإنا نظهر عاقبة العمل بما تعلمون
إذا نزل بكم العذاب • وقيل إنا نسخر منكم إذ إنكم حقيقة عملنا ولا تكشف لكم عما يراد بكم • قال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح
عليه السلام السفينة في سنتين وكانت من الساج فجعل لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض وجعل لها ثلاثة بطون فجعل
في البطن الأول الوحوش والسباع وجعل في البطن الأوسط الأنعام والدواب وركب هو ومن معه البطن الأعلى مع ما يحتاج
إليه من الزاد • وقال مقاتل وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء • وفي تفسير مقاتل بن سليمان الهروي أن
الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا فقال نوح صلوات الله عليه إنكما سبب الضر والبلاء فأنا لا أحملكما قالتا
احملنا فإنا نضمن لك أنا لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من
عبادنا المؤمنين ما ضرتاه • وقوله تعالى من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم متصل هنا بقوله فسوف تعلمون أي
يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم أي عذاب الآخرة • وهو قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا
نارا • وقوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما
آمن معه إلا قليل أي فعمل السفينة وفرغ ومضى زمان حتى إذا جاء أمرنا أي حضر وقت مجيء أمرنا بإهلاكهم وفار أي ارتفع الماء
من الأرض شدة ارتفاع التنور • قال الحسن كان تنورا من حجارة حتى صار إلى نوح فقيل له إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب
أنت وأصحابك السفينة • وقال مقاتل ومجاهد تنور الخبز في منزل نوح • وقال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد
بالكوفة وكان التنور على يمين الداخل فيه مما يلي باب كندة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما التنور وجه الأرض وبه قال الزهري
وسفيان بن عيينة • وقال قتادة التنور أشرف موضع في الأرض • وقال الضحاك وفار التنور أي انبجس من وجه الأرض • وقال
علي رضي الله عنه فار التنور أي طلع الفجر • وقال عطا وفار التنور أي طلعت الشمس • وقوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين في رواية حفص عن عاصم من كل بالتنوين أي من كل صنف من البهائم والسباع وذوات البحر والهوام والطيور زوجين
وهو مفعول اثنين وهو توكيد له • وقرأ الباقون من كل زوجين على الإضافة أي من كل صنف له ذكر وأنثى والزوج واحد له
شكل والزوجان ذكر وأنثى • وقال الحسن في قوله ومن كل شيء خلقنا زوجين السماء زوج والأرض زوج والشتاء زوج والصيف
زوج والليل زوج والنهار زوج حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء وكان الله أراد أن يكون عنده في السفينة
أصل لكل حيوان ليتناسل إذا زال الطوفان لأن الباقي كان يهلك بالغرق • وقوله تعالى وأهلك يعطف على الأول يعني واحمل
أهلك زوجها وأولاده ونساؤه إلا من سبق عليه القول منهم أي الوعيد • وقيل أي الحكم بالهلاك وهذا المستثنى ابنه كنعان
وامرأته ومن آمن أي واحمل من آمن عطف على الأول والجميع أي والذين آمنوا وما آمن معه إلا قليل • قال الأعمش سبعة
وقيل ابن جريج ثمانية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ثمانون نفسا فلما خرجوا من السفينة بالجودي سكنوا قرية وهناك
موضع يقال له سوق الثمانين • وقيل كانوا عشرة وهم نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم ونفر آمنوا به • وقال الكلبي كان في السفينة
ثمانون نفسا نوح وامرأته سوى التي غرقت وثلاثة بنين له سام وحام ويافث وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون إنسانا
سواهم • وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكن في السفينة مع نوح غير ثمانية نوح وامرأته وبنوه
ونساؤهم • وقال سعيد بن المسيب ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث وولد كل واحد منهم ثلاثة فولد سام العرب
وفارس والروم • وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة • وولد حام السودان والقبط والبربر • وقوله
تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها أي وقال نوح اركبوا في السفينة وهو الظاهر ويحتمل • وقال الله تعالى
اركبوا فيها وقولوا بسم الله مجراها ومرساها ويحتمل أن لا يكون هذا على معنى التكلم به ولكن على معنى ما يقال للرجل سر على اسم
الله وافعل كذا بسم الله تعالى أي افعله متبركا بالله تعالى • وقوله تعالى مجراها ومرساها قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
مجراها بفتح الميم ومعناه جريانها وبالضم موضع إجرائها ووقت إجرائها وفي إعرابه وجهان الرفع أنه خبر ابتداء والنصب
بنزع الخافض عند مجراها أو في مجراها ومرساها بالضم بالإجماع وهو من الإرساء وهو الإثبات وله ثلاثة معان أيضا الإثبات

وموضع الاثبات ووقت الاثبات واعرابه ايضا النصب والرفع على ما مر فالرفع على الخبار والنصب على الظرف والتكلم بالتسمية • وقال الضحاك كان نوح صلوات الله عليه اذا اراد ان تجري قال بسم الله مجريها واذا اراد ان ترسو قال بسم الله مرسيها والارساء امساك السفينة بما يقف به • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل انها بسم الله تجري وبه تقف وانها ليست كالسفن التي باهلها تجري وبهم تقف وهم الذين يتولون اجراءها ووقفها وسفينة نوح عليه السلام كانت جريها باسم ربه ورسوها لا بصنع لهم في ذلك وعلى ذلك قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال وما كان في تعرف الناس لم يجر في مثل هذه الحال سالمة • وقوله تعالى ان ربي لغفور رحيم اي غفور لنا رحيم بنا يستر علينا الزلات ويرحمنا بالنجاة • وقال الكلبي ركب فيها نوح عليه السلام لعشر مضين من رجب وخرجوا يوم عاشوراء • وقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال اي ركبوا في السفينة فجرت بهم في امواج عظيمة هائلة تشبه الجبال اي كانت الامواج ترفع السفينة وكانت السفينة كالموج العظيم الذي يشبه الجبال • وقوله تعالى ونادى نوح ابنه وكان في معزل اي كان معتزلا عنه يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ولم يقل من الكافرين لانه ما كانت ملتبسة عليه لانه كان دينا فقد وقيل علم كفره ولكن معنى ندائه يا بني اسلم ولا تكن ثابتا على الكفر مع الكفار واركب معنا تسلم • وقوله تعالى قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء اي قال ابنه كنعان سالتجي الى جبل يمنعني من الماء ويسكني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الذي تدرحنا بما اسنا من الغرق • وقيل لا عاصم اليوم اي لا معصوم كما في قوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية • وقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق • وقال الشاعر بطيء القيام رخيم الكلام امسى فؤادي به فاتنا اي مفتونا • وكذلك قوله تعالى الا من رحم الا من رحم الله وانما يرحم الله من اسلم فاسلم تسلم وكان هذا حين فار التنور قبل ان يسير الطوفان بحال يصير الغرقى بحال يعاينون اسباب الاخرة فيكون ايمانهم ايمان ياس • وقوله تعالى وحال بينهما الموج قيل اي حال بين كنعان وبين الالتجاء بالجبل الموج • وقيل حال بين نوح وبين ابنه الموج فكان من المغرقين قال الامام ابو منصور رحمه الله عليه اي صار من المغرقين او كان في علم الله تعالى انه يغرق لا انه كان من المغرقين • قبل ذلك وعلى هذين الوجهين قوله في ابليس وكان من الكافرين • وقال الامام القشيري رحمه الله اخطأ المسكين من وجهين احدهما انه راى الهلاك من الماء وكان من الله تعالى ورأى النجاة والعصمة من الجبل وهي من الله جل جلاله • قال وتعالى ان لو قيل له يا نوح عرفنا المام بدعائك فلا عليك ان عرفنا ولدالك في جملتهم • وذكر الشيخ الامام ابو بكر في تفسيره قال روي عن عكرمة انه قال لما قال نوح لابنه كنعان اركب معنا قال ساوي الى جبل اتخذ فيه قبة من صفر وحمل فيها الطعام والشراب وردم بابها فلما ملأ الماء فوقها القى الله تعالى عليه البول فجعل يبول ولا ينقطع حتى امتلأت القبة فغرق الله تعالى الكفار بالماء وغرقه ببوله • وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين • قال ابن عباس رضي الله عنهما وقيل يا ارض ابلعي ماءك اي نشفي ماءك الذي يخرج منك ويا سماء اقلعي احبسي ماءك وغيض الماء اي نقص ونشفته الارض وصار ما نزل من السماء هذه البحور وقضي الامر هلك من هلك ونجا من نجا واستقرت السفينة بعدما طافت الارض كلها ستة اشهر على الجودي وهو جبل بارض الموصل • وقيل بعدا اي سحقا للقوم الظالمين يعني قوم نوح الذين غرقوا • وقال معنى الاية جرت بهم السفينة الى ان تناهى الامر وبلغ هذا المبلغ والاقلاع الامساك والغيض النقص متعد ولازم والاستواء الاستقرار وقضي الامر فرغ منه والبعد الهلاك وما ذكر في الاية من القول فيحتمل ان تكون الملائكة قالت ذلك لفظا وقد وضع الله تعالى فيهما ويحتمل ان يكون عبارة عن بلوغ الامر وجريه على ما جرى كما في قوله تعالى ان تقول له كن فيكون وفي الاية من عجيب البلاغة وجوه كثيرة منها انه خرج مخرج الامر على معنى التعظيم لفاعله لانه غير مستعان ولا متعوب ومنها حسن تقابل المعاني ومنها حسن ائتلاف الكلام ومنها حسن البيان في تقرير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال ومنها سياق القصة في آخر [illegible] هذا الكلام من الحسن العجيب واللطف البديع • وقال الضحاك مطرت السماء اربعين يوما الليل والنهار وخرج ماء الارض اربعين يوما فارتفع الماء على كل جبل خمسة عشر ذراعا وسارت بهم السفينة وطافت بهم الارض كلها ستة اشهر لا تستقر على شيء حتى اتت الحرم وطافت اسبوعا ورفع البيت الذي بناه آدم الى السماء السادسة وهو البيت المعمور • وقال قتادة بعث نوح عليه السلام [illegible] لينظر [illegible] الزيتون فاعطيت الطوق في عنقها والخضاب في رجليها • وقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين اي دعا الله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاء اهلي ووعدك الصدق لا خلف فيه وانت الحاكم بالعدل [illegible] حكمك [illegible] لقلبي • قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] كان ابنه من صلبه • وقال مجاهد كان ابن امرأته • وقال قتادة [illegible] عنه الحسن فقال والله ما كان ابنه [illegible] الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه [illegible] من اهل الكتاب • وقيل ان نوحا قال ان ابني من اهلي [illegible] وان وعدك الحق [illegible] وانت احكم الحاكمين [illegible] بالنجاة [illegible] بالغرق • وقوله تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين

قال الامام ابو منصور رحمه الله كان عند نوح ان ابنه على دينه لما لعله كان يظهر الموافقة له والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي ويسأل له نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان سأل على الظاهر الذي عنده كما كان اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسولنا ويضمرون خلافه ولم يعلم بذلك حتى اطلعه الله تعالى فكذلك حال نوح عليه السلام ولم يكن قوله ليس من اهلك تكذيبا لقوله ان ابني من اهلي لكن معناه هو من اهلك على ما عندك وليس هو من اهلك الذي بشرتك بنجاتهم • وقوله انه عمل غير صالح اي كفر وما اسلم وافسد وما اصلح وقرأ الباقون انه عمل بالتنوين غير صالح بالرفع وله وجهان احدهما ان سؤالك هذا عمل ليس بصالح وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابراهيم • وقيل عمل نعت الابن مصدر اقيم مقام الفاعل قال الزجاج وانشد قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي مقبلة ومدبرة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس من اهلك الذين وعدتهم ان انجيهم • وقال الضحاك اي ليس من اهل دينك وولايتك فلا تسألني ما ليس لك به علم اي معرفة باطنه حتى اذن لك فيه اني اعظك ان تكون من الجاهلين باحكامي التي منها ان لا تسأل ما لم اذن لك فيه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اني اعظك ان تكون من الجاهلين هو كما قال لنبينا محمد عليه السلام فلا تكونن من الجاهلين وانا نعلم انه لا يكون من الجاهلين وهو لما ذكرنا مرارا ان العصمة لا تمنع النهي عن الشيء بل بالنهي تظهر العصمة • وقوله تعالى قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي ان اعود الى ما لا اعلم بالاذن في سؤاله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين اي وان لم تسترني على ما مضى من هذا السؤال ولم ترحمني بقبول انابتي اكن من الهالكين وهذا ثناء من الله تعالى على نبيه نوح وتعريف لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم للانبياء قبله امر الله وتوقيهم عن تقصير يقع منهم او انبساط وان قل • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله تعالى وترحمني اي بالعصمة عن العود الى مثله اكن من الخاسرين • وقوله تعالى والا تغفر لي وترحمني هو طلب المغفرة والرحمة بالكناية وهو آكد وابلغ من قوله اللهم اغفر لي وارحمني لان قوله والا تغفر لي وترحمني قطع رجاء المغفرة والرحمة من غيره واخبار انه لا يملك احد ذلك غيره وليس في قوله اغفر لي وارحمني قطع كون ذلك من غيره بل هو يدل على طلب المغفرة والرحمة لا غير وعلى ذلك سؤال آدم وحواء وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • وقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم اي قلنا له لانه قال بسلام منا • وقيل قالت الملائكة بامرنا يا نوح اهبط اي انزل من السفينة الى الارض • وقيل من الجودي الى قرار الارض سلام اي تحية كما قال سلام على نوح في العالمين وهو الثناء الحسن • وقيل اي بسلامة من الافات وبركات تجمع بركة وهي ثبوت الخير بنمائه وهو في حقه تكثير ذريته واتباعه وجعل اكثر الانبياء من ذريته وايمة الدين في القرون الباقية من نسله وساير المنافع وعلى امم ممن معك • قال الامام ابو منصور رحمه الله اراد الامم الذين كانوا من بعده فانه لم يكن منه يومئذ الا ترتيبه ولهذا ان دين الانبياء جميعا دين واحد وان اختلفت شرائعهم فانه جعله ممن معه على اختلاف شرائعهم ثم يجوز ان يكون هذا السلام ما سأل والا تغفر لي وترحمني والبركات ما سأل رب انزلني منزلا مباركا • وقوله تعالى وامم سنمتعهم هذا ابتداء كلام اي امم من الكفار من نسلك امتعهم في الدنيا الى انقضاء اجالهم ثم يصيبهم في الاخرة عذاب اليم في النار • وقوله تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين اي هذه الانباء من انباء الغيب اي من انباء الامم السالفة التي غيب العلم بها عمن لم يعرفه الله تعالى نوحيها اليك نقصها عليك لتقف عليها بعد ان كنت انت وقومك لا تعلمها اذ كنتم اميين ويحتمل ان يكون العرب لم يعرفوا خبر الطوفان اصلا فان بعض الملاحدة والفلاسفة ينكرون ذلك يومنا ويحتمل انهم عرفوا قصة الطوفان لشهرتها لكن لم يعرفوا قصة الابن الذي غرق وهذا اولى • وقوله تعالى فاصبر اي على ما امرت به ونهيت عنه • وقيل على اذى الكفار وقيل كما صبر الانبياء • قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ان العاقبة للمتقين • قيل اتقوا الشرك فانه ذكر هذا بمقابلة قوله وامم سنمتعهم وهم الكفار وقيل اي الذين اتقوا الشرك والمعاصي ولهم العاقبة الحميدة لطلقة وقد مر سياق هذه القصة بتمامها في سورة الاعراف • وقوله تعالى والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره وشرحه في سورة الاعراف ان انتم الا مفترون على الله في اشراككم اليه الشركاء • وقوله تعالى يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني اي خلقني افلا تعقلون ما اقول لكم فتتدبروه فيتبين لكم صدقي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله عليه ان انتم الا مفترون يحتمل في تسميتكم الاصنام الهة ويحتمل في قولكم الله امرنا بها ويحتمل في انكاركم الرسالة او البعث بعد الموت افلا تعقلون ان الله واحد قادر رب كل شيء • وقوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره في اول هذه السورة وقدم الاستغفار على التوبة لان المغفرة هي الغرض والتوبة سبب يتوصل به اليها فقدم ذكر الغرض على السبب • وقيل استغفروا بالايمان ثم ارجعوا اليه باعمالكم وامنوا لكم اليه دون غيره • وقوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل المطر في وقته مدرارا لا ينقطع والمدرار الكثير الذي لا ينقطع والمدرار الكثير المتتابع ومعناه صفة مبالغة كقولهم مهذار ومعطار ومفضال ومغوار • وقال ابن عباس رضي الله عنهما مدرارا متتابعا • وقال مقاتل بن سليمان بن حيان دائمة • وقال ابن كيسان غزيرا كثيرا • وقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم اي يهب لكم اموالا واولادا زيادة على ما حصل عندكم اليوم من ذلك فتقدروا على دفع اعدائكم بكثرة عددكم وكانوا في فتنة فوعدوا الزيادة على ذلك • وقال مقاتل حبس الله تعالى عنهم المطر

ثلاث سنين واعقم ارحام نسائهم فلذلك قال ذلك• وقوله تعالى ولا تتولوا مجرمين اى لا تعرضوا عن الايمان مذنبين• وقال
القشيرى رحمه الله ثم توبوا ابتداء الاستغفار من توهمكم ان نجاتكم باستغفاركم بل تحققوا انكم لا تجدون نجاتكم• وقوله يرسل
السماء عليكم مدرارا الاستغفار قرع باب الرزق فاذا رجع العبد الى الله بحسن نعته فتح الله تعالى عليه ابواب رحمته ويسر عليه
اسباب نعمته• وقوله تعالى قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى بحجة واضحة على دعوى رسالتك لنلزمنا تصديقك دو
ما لا نقبل ذلك وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك اى من اجل قولك كما يقال لكسوتك عن غيرى اى من قبل الآباء وعن ستار بابك
قال تعالى فاسأل به خبيرا اى عنه وقال لها هنا عن قولك اى بقولك وما نحن لك بمؤمنين اى بمصدقين• وقوله ان
نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم
لا تنظرون اى ما نقول الا اصابك بعض آلهتنا بجنون اى خبل فى عقلك قاله ابن عباس والحسن ومجاهد• وقيل اى ما نقول
وما نقول فيما بيننا اذا ذكرنا حديثك الا ان بعض اصنامنا التى نعبدها اصابك بجنون عقوبة لك على الذى قال فى
تركها ورفض عبادتها فقال هود ليس هو كما تقولون وانا اشهد الله تعالى واشهدكم انى برئ من شرككم غير مواثق لكم على دينكم
فاستعملوا الحيل انتم وآلهتكم التى تزعمون انها اعترتنى بسوء اى اساءت بى وايصال المكاره الى ثم لا تؤخروا ذلك المنظر
هل يمكنكم او يمكن آلهتكم ان تفعلوا بى شيئا من السوء وهذا دليل صحة نبوته لانه قال ذلك لثقته بوعد الله بحفظه ونصره
فان قالوا لم قالوا ان يقولوا الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وقد قالوا قولا غير ذلك قلنا معناه فى سبب الخلاف ويدل عليه
ظاهر الحال فان قالوا لم قيل شهدوا وليسوا باهل للشهادة قلنا لتقوم الحجة عليهم• وقوله تعالى انى توكلت على الله
ربى وربكم اى فوضت امرى الى الله تعالى مدبرى ومدبركم ومغنيى ومغنيكم لا اعتمد الا عليه ولا اخاف غيره اذ كل شئ
فى قبضته وقدرته وسلطانه• وقوله تعالى ما من دابة اى نفس تدب على الارض الا هو آخذ بناصيتها اى مصرف لها على ما يريد بها
والاخذ بالناصية كناية عن الاذلال والقهر وكانت العرب اذا اسرت رجلا فارادت اطلاقه جزت ناصيته ومثله
قوله تعالى فيؤخذ بالنواصى والاقدام• وقوله تعالى ان ربى على صراط مستقيم• قيل اى ان ربى يدل على صراط مستقيم
وقيل يحث عليه وقيل يحملكم عليه• وقيل هو بغير اضمار ومعناه ان ربى على الحق لا يعدل عنه• وقوله تعالى فان تولوا
اصله تتولوا فحذفت احدى التائين تخفيفا اى فان تعرضوا بعد هذا عن الايمان بالله لم يلزمنى من تبعة اعراضكم شئ
وقوله تعالى فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم من الدعاء الى الايمان• وقوله تعالى ويستخلف ربى قوما غيركم اى
ويهلككم الله بعد هذا ويجعل غيركم خلفا منكم• وقوله تعالى ولا تضرونه شيئا ولا يدخل ملكه باهلاككم نقص ولا
تقدرون على ان تضروه ولا ان تضروا اولياءه بكيدكم• وقوله تعالى ان ربى على كل شئ حفيظ اى لا يخفى عليه شئ
ولا يذهب عنه شئ ولا يفوته• وقيل اى بكل شئ حفيظ يحفظ انبياءه واولياءه• وقيل اى يحفظ الاعمال ليجازى
عليها• وقوله تعالى ولما جاء امرنا اى امرنا باهلاك عاد نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من
عذاب غليظ اى شديد واصله الكثيف الثقيل وهو هنا عبارة استعارة عن الشدة والهول وهو ما نزل بهم من
عذاب الدنيا• وقيل هو عذاب الآخرة ايضا فى حق المؤمنين• وقوله برحمة منا قال الامام ابو منصور رحمه الله
هذا يدل على ان من نجا نجا برحمة الله لا بعمله• ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته منه اى ببعث هود اليهم حتى اتبعوه فنجوا لذلك
ويحتمل برحمة منا اى بتوفيقنا اياهم للايمان حتى نجوا به• وقوله تعالى وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم بالنبى فانه
وعصوا رسله لانهم اذا عصوا هودا فقد عصوا كل الرسل لان كل الرسل يدعون الى الله تعالى فعصيان كل واحد
منهم عصيان الكل• وقوله تعالى واتبعوا امر كل جبار عنيد اى كل متكبر مخالف وهم رؤساؤهم• قال السدى
الجبار الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد• وقال عكرمة الجبار الذى يقتل على الغضب• وقال ابو عوسجة
الجبار المتجبر وهو المتكبر والعنيد هو المعاند المخالف• وقال القتيبى العنود والعنيد والمعاند المعارض لك
بالخلاف عليك• وقال ابو عبيدة العنيد والعنود والمعاند الجائر وفى الآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم
فيما كان يقاسى من البلاء وتقوية للمؤمنين اليه من حسن الرجاء والوعد بتبديل ما كانوا يلقونه من الشدة والرخاء
وقوله تعالى واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اى الحقوا بها اللعنة• اللعن الطرد ومعناه لعنوا فى الدنيا
والآخرة طردوا وابعدوا عن رحمة الله ثم بين السبب فقال الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود اى
هلاكا منصوب على المصدر باضمار الفعل وقد مر بيان القصة فى سورة الاعراف• وقوله تعالى والى ثمود
اخاهم صالحا عطف على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره• وقوله
تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها اى بدأ خلقكم من الارض بخلق ابيكم آدم من التراب وجعلكم عمارها
اى سكانها وعامر الارض ساكنها• قال الشاعر فانك من بيت لعينى معجب• واعجب فى عينى من البيت عامره•
وقيل اى القائمين بعمارتها بالزراعة والغرس والبناء والحفر• وقيل اى عمركم فيها اى جعلكم فيها اعمارا• وقيل اعمرها
اى جعلها لكم مدة عمركم• وقوله تعالى فاستغفروه اى اسألوا المغفرة بالايمان ثم توبوا اليه اى ارجعوا اليه
بالندم وسؤال الثبات• وقوله تعالى ان ربى قريب اى الى من رجاه مجيب لمن دعاه• قال ابن عباس رضى الله عنهما

واستعمركم فيها اى اعاشكم• وقال الضحاك اطال عمركم• وقال مجاهد اعمركم من العمرى• وقال قتادة اسكنكم فيها• وكان هود عليه
السلام سكن وادى القرى بين المدينة والشام وكانت عاد باليمن• وقوله تعالى قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل
هذا اى كنا نرجوك للانتفاع بك ونتوقع الخير فى ديننا من جهتك فاخلفت رجاءنا• وقيل كنت ترحم الضعفاء وتعود المرضى
ونحو ذلك قبل ادعائك النبوة فصرت تخالفنا وتسفهنا• وقوله تعالى أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا الذين كانوا اكمل عقولا
منا واخبر بالامور كلها وهو استفهام بمعنى الانكار• وقوله تعالى واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب اى فى كل شك مريب
موقع للريبة• وقيل اى التهمة اى ونحن فيما تدعونا اليه من ترك عبادة آلهتنا واقرار ربك بالعبادة مما يوجب اتهامك فيما
تضيفه الى الله تعالى اذ ليس يجوز ان يكون آباؤنا يجهلون الحق ويتركون الدين الذى يرضى الله به• وقوله تعالى قال يا قوم
أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير اى اجابهم من قولهم
واننا لفى شك مما تدعونا اليه فقال اخبرونى عنكم ان كنت محقا فى دعوى الرسالة وكنت على بيان من ربى فى انه لا اله غيره
وانه ارسلنى اليكم وامرنى بانذاركم وكان الله تعالى اعطانى من عنده كرامة خصنى بها من الايمان والرسالة أيجوز لى مع هذا
ان اعصى ربى فاقصر فى تبليغ رسالته واقابل رحمته بمعصيته فاستحق نزول عذابه وسخطه ومن ينصرنى حينئذ فيمنع عنى عذابه
فما تزيدوننى بهذا الاحتجاج غير ان اضللكم واضل آباءكم• قال ابن عباس رضى الله عنهما اى غير بصارة فى خسارتكم• وقال الحسن
ابن الفضل غير نسبتى اياكم الى الخسارة• وقال الامام الزاهد ابو منصور قال بعضهم فما تزيدوننى لجدالكم الا خسرانا• وقيل
فما تزدادون بمعصيتكم اياى الا خسرانا لانفسكم• وقال القتيبى غير تخسير غير نقصان• وقال ابو عوسجة هو من الخسران اى
ازيدكم الخسران• وقوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية• قال الامام ابو منصور رحمه الله اذا اضيفت جزئية الاشياء
الى الله تعالى فهو على ارادة تعظيم الله تعالى وتبجيله نحو قوله تعالى له ملك السموات والارض وله كل شئ• وقوله تعالى لكم
آية تقول ان شككتم فى امرى فهذه آية الله معجزة تبين لكم صدق نبوتى والآية فيها ان الله تعالى اخرجها لهم من الصخرة وهم
يشاهدونها واخرجت حاملا كما ذكر وكانت تشرب يوما تنفرد به ولهم يوم وتأتى فى المرعى يوما والوحش وقد مرت قصتها فى سورة
الاعراف• وقوله تعالى فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء قيل تمنع عن الشرب فقد قال ناقة الله وسقياها
وقيل بعقر• وقوله تعالى فيأخذكم عذاب قريب فيأتيكم عذاب اى عاجل ان مسستموها بسوء قيل تمنع عن الشرب• وقال
ابو موسى الاشعرى اتيت مصدرها الذى اصطرت اليه فلم يحتمله فاذا هو ستون ذراعا• وقوله تعالى فعقروها اى
نحروها اخر ثمود قدار بن سالف وصنعه مسطع بن مهرج• فقال تمتعوا فى داركم• وقيل ارادوا بالواحد الجمع كما فى قوله تعالى
ثم يخرجكم طفلا وتقديره ليتمتع كل واحد منكم فى داره والتمتع التلذذ بالمدركات الحسية تقول امهلكم الله ثلاثة ايام
بلا زيادة ثم تعذبون وهذا العذاب القريب الذى ذكرت لكم ذلك وعد غير مكذوب فيه• وروى انه قال لهم تمتعوا فى داركم
ثلاثة ايام ثم يجئ هلاككم فتصبح الوانكم فى اول يوم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث مسودة• ثم
استأصلوا فى اليوم الرابع فكان كما قال لانهم عقروا الناقة يوم الاربعاء واستؤصلوا يوم السبت• وقوله تعالى فلما
جاء امرنا اى بالعذاب نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا اى اخرجناهم من بينهم وقوله برحمة فسرناها فى قصة عاد
وقوله تعالى ومن خزى يومئذ• قرأ الكسائى ونافع فى رواية بنصب الميم على الظرف والباقون بالخفض على الاضافة
والخزى الفضيحة بالعذاب المهين المستأصل• وقوله تعالى ان ربك هو القوى العزيز اى القادر على اهلاك من يريد
المنيع سلطانه من ان تناله العبيد• وقيل القوى فى نصرة اوليائه العزيز المنتقم من اعدائه• وقوله تعالى واخذ الذين ظلموا
الصيحة قيل صاح بهم جبريل• ويقال الصيحة النداء بنزول العذاب ونزول الصاعقة• وقيل هو الصوت الهائل الذى
يجئ بلا نداء تنسلك له القلوب بل تنفطر وتنخلع فتموت السامعون لها• قال الامام ابو منصور رحمه الله• قيل الصيحة الصاعقة
وقيل هى اسم لكل عذاب ولا ندرى كيف كان ذلك عذابهم فقد صيحة من فزعة وقوعهم لو لاقوا العذاب صاحوا فيما بينهم
لما جاءتهم الصيحة ماتوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين اى صاروا وقيل كان العذاب بالليل فلذلك قال فاصبحوا فى ديارهم
جاثمين اى ساقطين على الوجوه• وقيل ساقطين على الركب• وقيل لازقين بالارض• وقال ابن عباس رضى الله عنهما ساكنين
وقال قتادة هلكى• وقال مجاهد خامدين• وقال ابن كيسان ساقطين كجثوم الطائر• وقوله تعالى كان لم يغنوا فيها
اى كان لم يقيموا بها يقال غنى بالمكان من حد علم اذا اقام به الا ان ثمود كفروا ربهم فبذلك استحقوا هذا العذاب الا بعدا
لثمود اى هلاكا• وقرأ الكسائى وحده بالتنوين والخفض موافقة للاول والباقون تركوا تنوينه وخفضه ونونوا الاول
لان ثمودا ان جعل اسم قبيلة لم ينصرف لاجتماع التعريف والتأنيث فيه وان جعل اسما للقوم انصرف لان العلتين لم يجتمعا
فلما جاز صرفه وترك صرفه اختير فى النصب دون الرفع والجر لان النصب اخف الحركات• وقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى رسلنا اى الملائكة• قال ابن عباس رضى الله عنهما جبريل وميكائيل• وقال الضحاك كانوا تسعة•
وقال السدى كانوا احد عشر ملكا على صورة الغلمان الحسان كانوا نزلوا لاهلاك قوم لوط وقراهم بنواحى الشام
وابراهيم كان ببلاد فلسطين فى رواية ولوط كان ابن اخى ابراهيم فجاءوا ابراهيم بالبشرى قيل البشارة بهلاك قوم لوط• وقال
الحسن البشارة ان الله تعالى يهب له اسحاق ولدا ويجعله رسولا الى العباد ومن بعده يعقوب نافلة• وقيل بسلامته
وسلامة قومه من هلاك قوم لوط• وقيل بدوام الخلة والوصلة• وقيل بالسلام وقيل هو سر بين الحبيبين لا اطلاع عليه

المغيرة • قال القايلون بين المحبين من ليس يغشيه قوله ولا قام للخلق بحكمه • وقوله تعالى قالوا سلاما نصب لوقوع الفعل
عليه كانه قال اظهروا سلاما او قدموا سلاما وما يجري مجراه • وقيل قالوا معقد من على نظم وسلاما منصوب باضمار الفعل كانهم
قالوا نسلم عليك سلاما او قالوا نسلم سلاما لان السلام بمعنى السلامة وهو كقوله تعالى فضرب الرقاب انه نصب
على اضمار الفعل • وقوله تعالى قال سلام اى عليكم سلام • وقال الفرا قال حين نكرهم سلام اى هو سلام اى سلامنا ان شا الله
من انتم • وقوله تعالى فما لبث ان جا بعجل حنيذ اى ولد البقرة سمي به لتعجيل امره بقرب ميلاده • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
اى نضيج • وقال الحسن اى مشوى • وقال ابن عرفة مشوى بالرضاف فالرضيف العجل المحمى وهو فعيل بمعنى مفعول وقد جاد
اى شواه تحت الارض بالحجارة المحماة • وقيل هو السمين الذي يسيل منه الودك ومعنى فما لبث اى فما مكث اذ كان عنده طعام
معد للاضياف كل يوم او عجل تقديم الطعام فان ذبح عجلا وحنذه وجعل قرب المدة سببا لتعجيل لعدم اللبث مبالغة
مجازا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه دليل على ان الادب اذا نزل الضيف هو تقديم الطعام قبل المحادثة
والمسايلة ولو كان ابرهيم عليه السلام اشتغل بذلك عرف انهم ملايكة فلم يشتغل باتخاذ الطعام • وقوله تعالى فلما راى
ايديهم لا تصل اليه نكرهم اي انكرهم لما رآهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام للاكل نكرهم اى انكرهم يقال نكروا انكروا واستنكر
قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا • وقال ابو العالية يقال نكر بقلبه
وانكر بعينه • وقوله تعالى فاوجس منهم خيفة اى اضمر وقيل اى احس وقيل انكرهم حين لقيهم • قال تعالى في سورة
الحجر قال السلام قوم منكرون وازداد ذلك حين لم ياتيا ولو اطعامه فاضمر في قلبه خوفا وكان القوم اذا نزل بهم ضيف
فلم ياكل طعامهم ظنوا انه لم يجي بخير وانه محدث بشر • وقوله تعالى قالوا لا تخف لما علمت الملايكة انه استشعر خوفا
منهم امنوه بان كشفوا له الامر فقالوا انا ارسلنا الى قوم لوط اى لاهلاكهم • وقيل انهم دعوا الله تعالى فاحيا العجل فطفق
حيا الى مرعاه اى وثب • وقوله تعالى وامراته قايمة هي سارة بنت هاران بن ناحور • وقيل كانت قايمة من ورا الستر
تنظر الى الملايكة والى ابرهيم • وقيل كانت قايمة على روسهم تخدمهم على الطعام وكانت عجوزا فلم يكن بذلك باس وحكاه
الامام ابو منصور رحمه الله وقال السدى تحاين كانت قايمة • وقوله تعالى فضحكت قيل ضحكت تعجبا لما اشرف من
العذاب على قوم لوط وهم غافلون فانه وصله بقوله انا ارسلنا الى قوم لوط • وقيل ضحكت سرورا بما زال من الروع من
وعن ابرهيم بظهور هم ملايكة • وقيل ضحكت تعجبا من امتناع الاضياف عن الاكل • وقال وهب ضحكت تعجبا من ان
يكون لها ولد وقد هرما وعلى هذا يكون في الاية تقديم وتاخير فبشرناها باسحاق فضحكت • وقال مقاتل ضحكت من خوف
ابرهيم منهم وهم عدد قليل وهو بين خدمه وحشمه • وقال عكرمة اى حاضت من خوف ابرهيم تقول العرب ضحكت الارنب
اذا حاضت • وقيل ضحكت سرورا بالبشارة بالولد وقد بلغت ثمانيا وتسعين سنة وابرهيم بن ماية وعشرين سنة
وقوله تعالى فبشرناها باسحاق اى على السنة الرسل وهم الملايكة بولدها سمه اسحاق ومن ورا اسحاق يعقوب • قرا
حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص ويعقوب بالنصب وهو على الابتدا ووجه النصب ان المعطوف على المخفوض
يخافض وبينهما حايل يحتاج فيه الى اعادة الخافض • فيقال مررت بزيد ومن بعده بعبد الله فاذا لم يات بالبا وعبد
الله نصبوه كانهم ارادوا واوردنا من بعده عبد الله • ووجه اخر ان قوله فبشرناها باسحاق بمنزلة قوله وهبنا له اسحاق
فعطف عليه بالنصب • وقيل الولد النافلة فان صح هذا فالافضل ما يفهم من ورا وهو الخلف يدل على البشارة بالنافلة
ايضا فانه يكون بعده ودلت الاية ان الذبيح هو اسمعيل فان الله تعالى بشر ابرهيم عليه السلام بان يكون لاسحاق
ولد وكان يعلم انه لا يموت حتى يولد له ذلك فلا يكون على هذا في الامر بذبح هذا الولد امتحان اذ يعلم انه لا يتحقق فيه
الذبح في الحال فتعين للابتلا الولد الاخر وهو اسمعيل • وقوله تعالى قالت يا ويلتا لما بشرت باسحاق تعجبت فقالت
يا ويلتا فافتتحت بالدعا بالويل على ما جرت به العادة وكانها قالت يا عجبا االد وانا عجوز اى مسنة لم تدخلها الا لانه
وصفت للانثى خاصة • وقوله تعالى وهذا بعلي شيخا اى زوجي ونصب شيخا على الحال او على القطع لانه نكرة نعت بها
معرفة ان هذا لشي عجيب ولم يكن هذا لقدرة الله تعالى بل هذا مما يردستله على النفس اذا سمع بنيته على ما عليه طبع
البشرية وقد يكون التعجب من جهة تمنيها لا من كون ذلك فتقول اترى يكون هذا متى يكون قريبا او بعيدا واحول شابة
وزوجي شابا او يكون على حالنا فانه عجب عادة • وقوله تعالى قالوا اتعجبين من امر الله اى لا تعجب ان يرزق الله مثلكما
ولدا • وقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم يحتمل ان يكون اخبارا اى انتم اهل بيت نزل الله عليكم الرحمة والبركات
بما انها النبوة ونعم من النعمة ويحتمل الدعا اى فاسل الله لكم يا اهل البيت وفيه رد على من انكر من الرافضة ان يكون
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من اهل البيت في قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت • وقوله تعالى
انه حميد مجيد • قال الحسن اى محمود كريم • وقيل اى محمود على نعمه عند خلقه وكريم منعم على عباده فانتم اولى بحفظ
النعمة اذ كنتم اهل خلته ومن الانبيا اول الضيفة قالوا سلاما • وفي هذه الاية ذكر الرحمة والبركات وهما تمام
التحية ولما قالوا رحمة الله وبركاته عليكم بقي هذا الدعا على السنة هذه الامة في الصلوات كما صليت وباركت
ورحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم فالبركة الزيادة والنمو فقد استجيب ذلك فبنوا اسرايل منهم وهم الخلق الكثير
والعرب من اولاد اسمعيل وهم الجم الغفير • وقوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع اى الخوف رايعته وعدا ذا

امرنه وخوفه وهو ما امروا واوجس منهم خيفة وجاته البشرى وهو ما شانا اضمر جواب لما هاهنا وهو ابسط لنا المعارضة ثم وصفنهم
وقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اى جعل يجادل رسلنا من الملايكة • واختلف في ذلك الجدال • قال الحسن هو قوله ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله • وقال قتادة ان العبد بوك ان كان فيهم خمسون من المومنين ان كانوا قالوا لا حتى ثم لم
الى عشرة فقالوا لا وذلك قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • وقيل جادلهم ليسل باى شي استحقوا عذاب الاستيصال • وقيل ذلك
لهم لامحالة اى على سبيل الاخافة ليقبلوا الى الطاعة • وقيل يجادلنا اي يسالنا امهالهم رجا ان يسلموا او تسماه حيا لا
انه كان يحرص في السوال اخرجها عن المجادلة • وقال القشيري رحمة الله عليه كانت مراجعة ابرهيم مع الله تعالى في امر قوم
لوط عن الله تعالى لا الحظ لنفسه فسلم له الجدال وهذا يدل على علو شانه حيث تجاوز عنه ذلك • وقوله تعالى ان ابرهيم
لحليم اواه منيب الحليم البطي الغضب والاواه الدعا • وقيل الرحيم وقيل المتاوه اسفا على ما فات قوم من الايمان والمنيب
الراجع الى الله جل جلاله بالاخلاص وهذا مدح له وبيان ان سواله كان رحمة ورقة ولم يكن معارضة ولا اعتراضا على قضيته
وقوله تعالى يا ابرهيم اعرض عن هذا اى قيل له تولى عن هذا الجدال والسوال لان العذاب نازل بهم لامحالة انه
قد جا امر ربك اى عذاب ربك • وقيل امر الله تعالى بالعذاب وانهم اتيهم عذاب غير مردود اى سيانيهم عذاب لا يرد
ولا يدفع بالشفاعة فسكن وترك السوال • وقوله تعالى ولما جات رسلنا لوطا سي بهم اى سا مجيهم اى حزنه والكافية
ترجع الى الرسل وضاق بهم ذرعا اى ضاق نفسه من هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة في الحقيقة وكانه
ذرع البدن مجازا اى بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع اى لما سار هولا الملايكة من عند ابرهيم الى لوط في صورة البشر
وزام حسان الوجوه خاف عليهم من قومه ان يقصدوهم في منزله ولا يمكنه دفعهم ولم يمكنه التفريج به للاضياف سا وضعف
نه احتماله • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان يكون قوله سي بهم وضاق بهم ذرعا لمكان الاضياف ويحتمل ان
يكون احدهما في هذا والاخر في ذلك • وقال هذا يوم عصيب اى شديد ولا تستعمل الا في الشر ماخوذ من العصابة كانه التف
الى الناس بالشر او لانه تعصب شره ببعض • وقيل هو من احاطة شره بالناس • ومنه عصابة الراس وعصبة الرجل قرابته
المحيطون به • وقوله تعالى وجاه قومه يهرعون اليه • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي اى يسرعون في المشي
وقال الضحاك يسعون • وقال الفرا هو مشي بين الهرولة والحمزى وانما اسرعوا الى الاضياف لما اعلمتهم امراة لوط وكانت
كافرة فقالت ما رايت احسن وجوها ولا اطيب ريحا ولا انظف ثيابا منهم • وقوله تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيات
كناية عن اتيانهم الذكران • قال هولا بناتي هن اطهر لكم • قال مجاهد بنات قومي لان النبي كالاب لقومه وازواجه
امهاتهم واولادهم كاولاده • وقال مقاتل وجماعة اراد بنات صلبه هن اطهر لكم اى احل لكم بالنكاح • وقال الحسن
بن الفضل اى على شرط اسلامكم • وقال اخرون لعله في ذلك الوقت كان يباح للمشرك المسلمة جايزة وكان ذلك
في ابتدا الاسلام جايزا في هذه الامة فالنبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع
وكانا كافرين ثم قوله اطهر لا يدل على ان اتيان الذكران كان طاهرا لكنهم اعتقدوا طهارة ذلك فبنى ذلك على زعمهم
وهو كما روي ان ابا سفيان بن حرب قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله اعلى واجل
وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون هذا تعريضا لهم بخبث ذلك الفعل ويكون معنى قوله هن اطهر لكم هذا الفعل
خبثا من ذلك اى الزنا بالبنات دون اتيان الذكران في الخبث وكانوا يعتقدون حرمة الزنا فبين ان هذا من دونها الذي
وذلك لا يزول بحال • وقوله فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اى لا تخجلوني في اضيافي ولا تفضحوني فيهم • وقوله تعالى اليس منكم
رجل رشيد اى يهتدي الى طريق الحق فينهاكم عن هذا ويدفعكم عن اضيافي • وقال عكرمة اليس منكم رجل رشيد يقول
لا اله الا الله • وقوله تعالى لقد علمت ما لنا في بناتك من حق • قال محمد بن اسحاق اى ليس لنا بهن حاجة • وقيل اى ما لنا
فيهن من حاجة يجعلوا تناولها الحاجة لهم فيه كناية وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكور • وقوله تعالى
قال لو ان لي بكم قوة اى عدة وجوابه محذوف وهو ابلغ لان النفس تذهب فيه كل مذهب • وقيل هو كلمة تمن اى ليت لي بكم
قوة • وقوله تعالى او اوي الى ركن شديد مجازا عن عشيرة يلحق بهم وأستغيث بهم • وفي الخبر ما بعث الله بعده نبيا
الا في كثرة من عشيرته ومنعة تنكيلا لقتلته • وقيل لو ان لي بكم قوة على عداوتكم لهديتكم وعن هذه المحالة انجيكم
وقوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك • قيل قالوا ان ركنك لشديد وانا رسل ربك ارسلنا لاهلاك
قومك فلا تخف فلن يصلوا اليك بسا فينا • قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان لوط عليه السلام اغلق بابه والملكية
داره وقومه على الباب يناظرونه فقال جبرئيل صلوات الله عليه انا رسل ربك فافتح الباب ففتح ودخلوا وذلك قوله ولقد
راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم اى اعميناهم او محوناها • وقوله فاسر باهلك • قرا ابن كثير ونافع فاسر بالوصل من
سرى والباقون بالقطع من اسرى وهما لغتان في الملازمة والتعدية ههنا بالباء تخرج واهله واولاده والمومنون معه
بقطع من الليل • قال ابن عباس رضي الله عنهما بطايفة من الليل • وقال الضحاك ببقية • وقال قتادة بعد هدو
وقال الاخفش بعد جنح • وقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك • قرا ابن كثير وابو عمرو امراتك بالرفع رفعا
بدلا عن قوله احد والباقون على النصب على الاستثنا والنهي عن الالتفات امر بالاسراع ليتباعدوا عن القوم فلا
يناله اثر عذابهم وقيل ان لا تشتغل قلوبهم بما خلفهم من المال والمتاع وامضوا مخفين مسرعين • وقوله تعالى انه مصيبها

ما اصابهم من العذاب لانها كانت قرية منكم فقال لوط لجبريل متى وقت هلاكهم قال ان موعدهم الصبح فقال لوط اريد اسرع من ذلك
فقال جبريل عليه السلام اليس الصبح بقريب استفهام بمعنى الاثبات • وقوله تعالى فلما جا امرنا اي العذاب الذي
امرنا به جعلنا عاليها سافلها اي حمل جبريل اعلى قريتهم سافلها بامرنا على ما مر سياق القصة في سورة الاعراف • وقوله تعالى
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل • قيل حجارة صلبة ليست من جنس حجارة البرد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
هو فارسي معرب وكان كالديباج والجاموس • وقال ابو عبيدة هو شديد من الحجارة • وقيل هو مثل السجل في الارسال
عليهم اي الدلو • وقيل السجل الارسال وقيل من السجل المشدد اللام وهو الكتاب اي حجارة كتب الله عليها ان الله تعالى
ان يعذبهم بها • وقيل الفراطين طبخ حتى صار كالارحا ومنضود اي يتبع بعضها بعضا كالمتاع المنضود بعضها على
بعض • وقيل كانت منضودة في السماء معدة • وقوله تعالى مسومة عند ربك نصب لانها نعت قوله تعالى حجارة اي
معلمة في خزاين الله تعالى التي لا تنصرف منها الا باذنه بعلامات تعرفها الملايكة اذا امطروها • وقال الحسن اي مختومة
وقال الربيع بن انس مكتوب على كل حجر اسم من رمي به • وكذا قال عكرمة • وقوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد اي
لم يكن لتخطيهم • وقيل اي بنت المتفرقين عنهم في الامصار والاسفار وقيل من مشركي قريش • وسال النبي صلى الله عليه
وسلم جبريل عن هذه فقال يعني من ظالمي امتك • وقوله ببعيد اي بمكان بعيد • وقوله تعالى والى مدين اخاهم
شعيبا عطف على قوله نوحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان كانوا
مشركين فدعاهم الى التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى ثم نهاهم عن ظلم الناس في الكيل والوزن وحذرهم سوء عاقبته
وقوله تعالى اني اراكم بخير اي اراكم في خصب وسعة الرزق وكثرة النعم ورخص الاسعار على وجه لا ضرورة بكم معه
الى التفضل الكيل والوزن فاستبقوا نعمة الله عليكم • وقوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي محيط بكم عذابه
كما قال عذاب يوم اليم ويوم شديد ويوم عصيب اي اخاف عليكم ان تغنيكم هذه النعم بالكفران وظلم الناس ان
يأتيكم عذاب يوم محيط بكم فلا تخلصون عنه • وقوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي اتموها
بالعدل اعاد الامر بالايمان بعد تقديم النهي عن ضده وهو كقولك صل قرابتك ولا تقطعها فيكون الامر الجمع بين
الامر والنهي عن ضده دليلا على تأكد وجوبه • وقوله تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي ولا تنقصوا الناس
ما استحقوه عليكم بالعقود • وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي المبالغة في الافساد من حد علم
وجعل هذه المعاملة افسادا في الارض لانه تبديل حكم الدين والله تعالى اصلح الارض بالامر بالمعاملات
التي اذا عملوا بها اعتدلت احوالهم وزال التظلم عنهم فمن غير هذا فقد افسده • وقوله تعالى بقية الله خير لكم اي
ما يبقيه الله تعالى لكم بعد ايفائكم حقوق الناس بالقسط في الكيل والوزن احمد عاقبة واكثر بركة مما تبقونه
لانفسكم من فضل الخيانة • وقوله تعالى ان كنتم مومنين • قيل هو متصل بقوله تعالى اوفوا ولا تبخسوا ان كنتم مومنين
ويحتمل انهم كانوا يقرون ان الله تعالى خالقهم ومالكهم كما قال في حق مشركي العرب ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله
والاقرار بالالوهية لله يوجب طاعته فيما امر ونهى ويحتمل انه متصل بقوله تعالى بقية الله خير لكم ان صدقتموني فيه
وعلمتم بحصول لكم هذا الخير • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل انما ابقى الله لكم من الثواب في الاخرة خير لكم من
الاموال في الدنيا • وقيل طاعة الله التي يبقى ثوابها خير لكم من هذا • وقوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ قال الست
اشهد بيايعاتكم حتى اعلم بخسكم وانما اعرف ذلك باخبار الله تعالى وفيه اثبات رسالته • وقيل وما انا عليكم بحفيظ
اي بمسلط عليكم اجبركم على هذا فانما انا مبلغ منذر • وقيل وما انا بمامور بحفظكم فاواخذ بعملكم • وقوله تعالى
قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء • قيل كان شعيب صلوات
الله عليه يصلي الصلوات وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن المساوي كما عرف
الله تعالى عباده بقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلواتك تامرك ان نترك
اي تامرنا بترك ما كان يعبد اباونا وان نترك التبسط في اموالنا بما نشاء من ايفاء ونقص • وقيل ارأيك يامرك بهذا
وسمي الدين بهذا لانها اعظم شرائع الدين وما خلت عنها شريعة احد من المرسلين • وقيل كانوا يكررون الدراهم
الصحيحة فكانت تيابهم بالمكسور عددا والصحاح وزنا فنهاهم عن هذا • وقيل كانوا يقطعون اطرافها فينتقصونها
الفراسات ويتبايعون بها في عددنا ته وزنا • وقوله تعالى انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال وهذا
التسمية على القلب على وجه الاستهزاء كما يقال للحبشي ابو البيضا وهو كقوله لخزنة جهنم ذق انك
انت العزيز الكريم • وقال الشاعر فقلت لسيدنا يا حليم انك لم تأس اسوا رفيقا • وقيل معناه انك عندنا حليم رشيد
ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك فتسفهنا وتشتمنا كما كان عليه اباونا وهذا ليس بفعل الحليم الرشيد
وهو كقول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا • وقوله تعالى قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي على حجة وبيان
في التوحيد والصلوات ورزقني منه رزقا حسنا اي اعطاني ذلك منه عطا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه بل لا امركم بشي الا عملته ولا انهاكم عن شي الا انتهيت عنه • وقوله تعالى ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
اي ما اريد الا الاصلاح في الارض ما قدرت عليه • وقوله تعالى وما توفيقي الا بالله اي الارادة والعمل مني له

والتوفيق من ربه وهو الجمع بين الطاعة والاستطاعة وهو مذهب اهل السنة والجماعة وهو خلاف قول القدرية والجبرية • وقوله
تعالى عليه توكلت واليه انيب اي عليه اعتمدت لا يتم شي الا بتوفيقه واليه انيب اي ارجع اليه في تمام ما اتوبه
وجواب هذا الكلام محذوف اي اتسعموني على ذلك كله وتشاقوني عليه وهو استفهام بمعنى التوبيخ • وقيل الجواب
على هذا التقدير ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا افا عدل عن عبادته مع هذه الحالة الداعية اليها
الموجبة لها • وقيل رزقا حسنا اي نبوة • وقيل توفيقا للاعمال الصالحة • وقيل اي كفاية في المعاش وهو كما مر واتاني منه
رحمة من عنده ان كنت على بيان اهتدي به الى امور الدين وكفاف اصلح به امور الدنيا فانا مستغن عن اموالكم فلا امركم
بالايفا ولا انهاكم عن البخس طمعا فيما لكم بل ارشادا لكم الى اصلاحكم • وقال الامام القشيري رحمه الله الرزق الحسن
ما كفى صاحبه كد طلبه ولم يمسه نصب بسببه • ويقال الرزق الحسن ما وجد عن غير تعب ولا محنة ولا مكتسب
ويقال الرزق الحسن ما تستوفيه شهود الارزاق • وقال في التوكل هو نزول الذي يرى شهود التقدير والثقة بالموعود
عند عدم الموجود وبين ذلك بانتفا الاضطراب عند عدم الاسباب • وقيل هو السكون والثقة بالمضمون • ويقال
سكون القلب بمضمون الرب • وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي • قال الحسن وقتادة اي لا يحملنكم • وقال الزجاج
اي لا يكسبنكم شقاقي اي معاداتي ومخالفتي وقد شاقه مشاقة اي صار في شق وخصمه في شق • وقوله تعالى ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح اي لا يحملنكم ذلك ان تصروا على الكفر فيصيبكم مثل ما اصابهم وما قوم
لوط منكم ببعيد اي لم يبعد العهد بما جرى عليهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذكرهم حال هذه الامم لانهم كانوا
يقلدون اباءهم فيقول فلو اولئك اصابهم ما اصابهم فاجتنبوا ذلك ويقول ايضا ان قلدتم الذين عبدوا الاوثان
فهلكوا فهلا تقلدوا الذين لم يعبدوها فنجوا • وقوله تعالى واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه فسرناه في هذه السورة مرارا
وقوله ان ربي رحيم بمن استغفر وتاب اليه ودود من الود وهو الحب ويجوز ان يكون بمعنى الواد ويجوز ان يكون بمعنى
المودود فان المفعول يصلح لهما • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي حق ان يود اذ منه كل احسان والناس جبلوا على حب
من احسن اليهم ويجوز ودود لمن توسل اليه • وقوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي لا نفهم لانك
تحيلنا على امور غايبة وانا لنراك فينا ضعيفا • قال الحسن اي مهينا • وقال سفيان اي ضعيف البصر • وقال سعيد بن
جبير وقتادة اي اعمى • وقيل اي ضعيف البدن • وقيل اي لا مال لك ولا اعوان فلا تقدر ان تحيلنا على مرادك ولا تمتنع
منا ان قدرنا ك • وقوله تعالى ولولا رهطك اي عشيرتك وهم على ديننا لرجمناك • وقيل لرميناك بالحجارة • وقيل لسببناك
وقيل لقتلناك • وقيل لطردناك كقولهم لنخرجنك يا شعيب وهو من قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين وهو
طردهم وابعادهم عن الاستماع • وقوله تعالى وما انت علينا بعزيز اي في نفسك وانما نعز رهطك ونكرم اخاهم فيك
وقوله تعالى قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله اي اكرم عندكم واعز من الله الذي بعثني اليكم فالزمكم اعزازي به
والانقياد لي استفهام بمعنى الانكار • وقوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا اي جعلتم امر الله ظهريا اي تستخفون به
فلا تسمعون مواعظه وتكذبون باياته ولا تاتمرون بامره وتعبدون غيره تقول العرب جعلت حاجتي بظهر عينك
والمام وجهك ومجاز جعله حيث لا يراه فيهتم به وينساه والظهري منسوب الى الظهر كالدهري بالضم منسوب
الى الدهر والسهلي بالضم منسوب الى السهل وتغيير الحركات في النسبة كثيرة • وقوله تعالى ان ربي بما تعملون محيط علم
بتفاصيلها والكلية يجازيكم عليها • وقوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اي اثبتوا على ما انتم عليه فاني عامل
على مكانتي اي تمكنكم العصيان ومنها للابلاغ وهو صيغة امر معناه التهديد • وقيل اي اعملوا فقد مكنتم في الدنيا
من العمل • وقيل اي على تمكن منكم من عملكم وتثبت فيه كما قال نوح صلوات الله عليه فاجمعوا امركم وشركاءكم • وقوله
تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب • وفي قصة نوح عليه السلام فسوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه ليتصل بالفا تفسير كالجواب وههنا بحذفها وهو استيناف اي سوف تعلمون الذي ياتيه عذاب
يفضحه والذي هو كاذب • وقوله تعالى وارتقبوا اني معكم رقيب اي وانتظروا ما يكون من حكم الله تعالى بيني وبينكم
اني معكم رقيب لكم • وقوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مر تفسير هذه الكلمات مرات
وقال ههنا واخذت على تانيث اللفظ • وقال في قصة صالح عليه السلام على تذكير المعنى فانه في معنى الصياح
ومر سياق القصة في سورة الاعراف • وقال الامام ابو منصور رحمه الله سوف تعلمون في العاقبة من ياتيه منا
عذاب يخزيه نحن او انتم وتعلمون ايضا من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين يدعي على الفريق الاخر الكذب
فارتقبوا اهلاكي وانا ارتقب هلاككم او ارتقبوا المنزلة العاقبة منا لنا ولكم • وقوله تعالى الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود هلك كل واحد من الفريقين بالصيحة • قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذب بعذاب واحد الا قوما قوم شعيب
وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم نشات لهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا به
كهيئة الظلة فيها ريح فلما راوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فسال عليهم العذاب من فوقهم فذلك قوله تعالى فاخذهم
عذاب يوم الظلة • وقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الايات والسلطان واحد عند بعضهم وهو

المعجزات كرر للاختلاف الصفتين لانها سميت ايات من جهة العبرة العظيمة وسميت سلطانا من جهة القوة العظيمة ● وقال
الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل ان تكون الايات هي الاوامر والنواهي والسلطان هو البراهين ● وقال الامام القشيري رحمه
الله الايات هي المعجزات الباهرة والسلطان المبين استيلاؤه على قلب من احبه كما قال الله تعالى والقيت عليك محبة مني فلم ير
احد الا احبه ولم ياخذه في الله فشل ولا ضعف لعظم وجه فرعون وهو رضيع وكذا القبطي حين اتى عليه واخذ برأس اخيه يجره
اليه ● وقال ان هي الا فتنتك ولم يبال انبياء الله تعالى في شيء من ذلك بل تجاوز رغبه لما اعطاه من السلطان والقوة ● وقوله الى
فرعون وملائه اي الاشراف من قومه وانما الارسال اليه يكون ارسالا الى العامة ● وقوله تعالى فاتبعوا امر فرعون في كل ما امر
به وما امر فرعون برشيد اي بهاد الى الحق والصواب ● وقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة اي يتقدمهم فيكون قدامهم
وهم خلفه لانهم رضوا بان يكون قائدهم في الدنيا الى خلاف ما دعاهم اليه موسى ● وقوله تعالى فاوردهم النار اي يوردهم اياها
وذكر بصيغة الماضي تحقيقا لما لكائن المستحق لانه يكون لا محالة والايراد الادخال ● قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في القران
من الورود في ذكر جهنم فهو الدخول فيها ● وقوله تعالى وبئس الورد المورود اي المدخل المدخول ● وقوله تعالى وان منكم
الا واردها ● وقوله تعالى انتم لها واردون ● وقوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا والله ليردنها كل بر وفاجر ثم ينجي
الله الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ● وقوله تعالى واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة يلعنون ايضا في النار
وقيل دخولها وهو لعن الخالدين ايام في الدنيا ثم الاخرة كقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا ● وقيل هو الطرد في الاخرة
عن الرحمة فلم يرحموا لا في عذاب الدنيا ولا في عذاب الاخرة ● وقال الامام القشيري رحمه الله هو الطرد في الدنيا عن الايمان
وفي الاخرة عن الجنان ● وقوله تعالى بئس الرفد المرفود وهو في اللغة من المعونة والعطية كما ذكر البشارة بالنار في حق
الكفار بمقابلة بشارة المؤمنين بالمسار والمبار ● وقوله تعالى ذلك من انباء القرى اي ذلك النبا وهو الخبر العظيم
نقصه عليك منها قائم وحصيد اي نخبرك باخبارها نتبع بعضها بعضا في القرى التي سكنها الامم الخالية منها ما هو الان
عامر قد باد اهله وخلفهم غيرهم كفار فرعون ومنها ما هو حصيد اي مستاصل خراب كقرى قوم لوط ونحوها ● قال ابن
عباس رضي الله عنهما قائم يرى له اثر وحصيد لا يرى له اثر ● وقال مجاهد قائم اي خاوية على عروشها وحصيد مستاصل
وقال قتادة قائم لم يذهب اصلا وحصيد قد ذهب اصلا ● وقال محمد بن كعب القرظي منها قائم جدرانها وحيطانها
ومنها حصيد ساقط ● وقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم بالشرك وتكذيب الرسل فما اغنت عنهم اي فما
نفعتهم ولا دفعت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي اصنامهم التي اعتقدوها الهة معبودة لما جاء امر
ربك اي العذاب الذي امر به وما زادوهم غير تتبيب ● قال مجاهد وقتادة اي غير تخسير ● وقيل اي غير اهلاك اي ما زادتهم
الاصنام الا الخسار والهلاك لان عبادتهم اياها اضطرتهم الى ذلك ● وقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد اي كما اخذنا هذه القرى التي سميناها اي اهلكنا ناخذ اهل سائر القرى اذا ظلموا بالشرك
وقوله تعالى ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة اي فيما فعلنا بهم واخبرنا عنهم عبرة لمن اتقى وخشي عقوبة العقبى ● وقوله
تعالى ذلك يوم مجموع له الناس اي يجمع فيه الناس وحد النعت للتقدم كما توحد الفعل والمراد جميع الناس وغيرهم فيه
من الملائكة والجن والشياطين والحيوانات لكن خص الناس بالذكر لانهم المقصودون بالجمع وذلك يوم مشهود اي
تشهده اهل السموات واهل الارضين ● وقوله تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود اي وما نؤخر هذا اليوم الا لاجل
معلوم العدد عندنا لانه لا تقدم ولا تاخر ● وقوله تعالى يوم يات ● قرا عاصم وابن عامر وحمزة بغير يا في الوصل والوقف
اتباعا لخط المصحف وهي لغة هذيل يقولون لا ادر ● وقرا الباقون بالياء في الوصل والحذف في الوقف الا ابن كثير فانه
يقف بالياء ايضا وعنده باضمار وذكر يوم وهو مضاف الى يات وهي اضافة غير محضة لانه الى الفعل لا الى الاسم وانما جاز
لان اليوم اسم زمان فالزمان مع الفعل يتناسبان من حيث ان الفعل لا ينفك عنه وينصرف بتصرفه ولا يكون موجودا
الا وقتا والحدا كالزمان لا يسبق ● وقوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه اي لا تتكلم حذف احدى التائين تخفيفا اي لا يشفع
احد الا باذن الله تعالى ● قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والهاء في قوله باذنه ترجع الى الله تعالى
كان قوله مجموع له وقد قوله وكذلك اخذ ربك ● وقيل ترجع الى اليوم كما قال تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة ● وقال تعالى فكيف اذا جمعناهم ليوم ● وقال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع لكن الجمع الى الله تعالى فكان
قوله الا باذنه راجعا الى ذلك المذكور ● وقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد اي ممن شهده وجمع له شقي ومنهم سعيد وحذف
تكرار منهم اختصارا كما في قولك منهم فلان وفلان ● وقوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لكل منهم [illegible]
نوع من نوع [illegible] لهم فيها زفير وشهيق ● قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
الشهيق [illegible] ● وقال الضحاك الزفير حين يهبق والشهيق حين يفرغ من نفسه ● وقال مقاتل
الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره ● وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر ● وقال الخليل الزفير
اخراج النفس والشهيق رد النفس ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الزفير صوت شديد والشهيق صوت
ضعيف ● وقيل الزفير [illegible] ● والشهيق [illegible] ● وقيل الزفير
تردد النفس من الحزن حتى ينتفخ الضلوع وزفرت النار اذا سمع لها صوت في شدة توقدها والشهيق [illegible]

النطع يخرج من الجوف بعد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق اي ممتنع طولا ● وقيل ذلك اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
فصاروا لا يتكلمون ولم يبق لهم الا اصوات منكرة لا حروف معها ● وقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض كله مذكور
للتابيد كقولك لا اكلمك ما حنت الابل وما اطت الابل وما اورق الشجر وما اينع الثمر وما جن ليل وما سال سيل وما طرق
طارق وما نطق ناطق الا ما شاء ربك ● قيل الاستثناء يرجع الى الموحدين منهم كان الاشقياء صنفين كفار مخلدون فيها وموحدون
مذنبون مخرجون منها بعد مدة ● قال ابن عباس رضي الله عنهما الا ما شاء ربك اي من كان منهم من اهل القبلة فاذا اراد الله
اخرجهم ● وقال قتادة ان قوما يصيبهم سفع من نار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم الله تعالى منها ● وقال ابن كيسان الا
ما شاء ربك في الفريقين من بعدهم في الدنيا قبل مصيرهم الى الجنة والنار ● وقال الزجاج في هذه الاية اربعة اقوال قولان
لاهل اللغة الكوفيين والبصريين ● وقولان لاهل المعاني فاما احد قولي اهل اللغة فهو ان الا هاهنا بمعنى سوى كما يقال
في الكلام ما كان معنا رجل الا زيد وفي عليك الف درهم الا الالفان التي عليك اي فيكون معناه على هذا ما دامت
السموات والارض سوى ما شاء ربك من الخلود فيها ابد الابدين حتى لا يخرجوا منها قط ما دامت عليها اضعاف مدة
السموات والارض الى ما لا ينقطع فيه الاوهام ● والثاني ان الاستثناء من الاخراج مع انه لا يريد ان يخرجهم انه لو شاء اخرجهم
ولكنه حكم انهم خالدون فيها ولا تبديل لحكمه ● واما القولان لاهل المعاني فاحدهما خالدين فيها ما دامت
السموات والارض من مقدار توقيفهم على رؤوس قبورهم للمحاسبة ● والثاني وقع الاستثناء على الزيادة في النعيم والعذاب
وتقديره خالدين ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من زيادة النعيم وزيادة العذاب ● وقيل الاستثناء
راجع الى العذاب المذكور في الاية وهو الزفير والشهيق اي لهم فيها زفير وشهيق مدة السموات والارض الا ما شاء ربك
من نقلهم من هذا الى نوع اخر من العذاب ● وقوله تعالى ان ربك فعال لما يريد اي حكمه ماض في الفريقين على ما يريد
لا اعتراض لاحد عليه في حكمه ● وقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة ● قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص
بضم السين والباقون بفتحها وسعد يسعد سعادة لازم من حد علم واسعده يسعده متعد من حد صنع ● وقوله تعالى
خالدين فيها ما دامت السموات والارض هو على ما فسرناه في الاية الاولى ● وقوله تعالى عطاء غير مجذوذ اي غير منقطع
وجذ جدا اي قطع ● وقال تعالى فجعلهم جذاذا اي قطعا اي اعطاهم الجنة عطاء غير مقطوع وذلك ان الاستثناء
ليس للنقصان فكان للزيادة ● وقوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل اي
لا تك في شك فيما يعبد هؤلاء المشركون من دون الله انه باطل فانهم ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل تشبها لهم
واتباعا لعادتهم لا لحجة ● وقوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم اي انصباءهم ووحد لانه جنس فيصلح للجمع اي من العذاب
غير منقوص من قدر استحقاقهم ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما نصيبهم من خير وشر والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به الامة ● وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي في الكتاب وهو التوراة والاختلاف
من قومه فيه كان من ثلاثة اوجه احدها انه امن به بعضهم وكفر بعض ● والثاني انهم زادوا فيه ونقصوا منه وغيروه
ما ذكر من التحريف ● والثالث في تاويله على ما احبوه ● وتعزيره على مقتضاه وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
يقول يا محمد ان اختلف فيما انزل عليك فلا تستعظم عليك فقد اختلف على من قبلك ● وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك اي قول سبق منه لانه لا يعاجلهم بالعذاب بل يمهلهم الى ان يبلغ الكتاب اجله ● وقوله تعالى لقضي بينهم اي
بالعذاب المستاصل ● وقال الامام ابو منصور رحمة الله عليه ويحتمل ولولا انه كان من حكمه انهم اذا اختلفوا في الكتاب
والدين وصاروا بحيث لا يهتدون الى شيء اذ يبعث رسولا يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى لقضي بينهم بالهلاك
ثم قوله بينهم يجوز ان يكون في كفار عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ● ويحتمل ان يكون في قوم موسى ● وقوله تعالى
وانهم لفي شك منه مريب اي من العذاب ● وقيل من الدين لانهم يقلدون اباءهم ومريب نعت شك وهو الموجب
اتهام الراعية ● وقوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم فيه اربع قراءات ● قرا ابن كثير ونافع بتخفيفهما
وقرا ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بتشديدهما ان وتخفيف لما ● وقرا عاصم في رواية ابي بكر بتخفيف ان وتشديد
لما اما تخفيفهما فان للتاكيد واصله التشديد وخفف للتخفيف فبقي ناصبا كما كان ولما لام التاكيد وما صلة زائدة
مؤكدة وليوفينهم لام توكيد ايضا وهو جمع بين تاكيدين وتقديره وان كلا من الامم المتقدمة والمختلفين في كتاب
موسى وكتابك يوفيهم ربك يا محمد جزاء اعمالهم والجزاء مضمر ولذلك تاول تشديد الاول وتخفيف الثاني ويجوز
على هاتين القراءتين ان تكون لما المخففة لام ابتداء وما بمعنى الذي ويكون نظير قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن
واما تشديدهما فان للتاكيد ولما بالتشديد له وجوه ● منها قول الفراء وهو ان اصله لمن ما فاجتمعت
ثلاث ميمات حتى ادغمت ثم خففت فصارت لما وتقديره وان كلا من المتقدمين والمختلفين لما ليوفينهم وتكرار لام
التوكيد في موضعين على طريق قولهم اني لبحمد الله لصالح ● ومنها قول الزجاج وان لما بمعنى جمعا من قولك لممت الشيء
الممه لما اي جمعته ولما على وزن فعلى بمعنى جمعا فلم يصرف كما تقول تترى وتقديره وان كلا جميعا ليوفينهم وعليه قراءة
الزهري لما بالتنوين ● ومنها قول المازني انها في معنى المخففة شددت للتاكيد فاما تخفيف ان وتشديد لما
فان للنفي كما في قوله ان كل نفس ولما في معنى الا كقولك سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وعليه قوله تعالى ان كل نفس لما

عليها حافظ وتقديره ها هنا ما كلهم الا ليوفينهم وهو اختيار الزجاج • وقوله تعالى انه بما تعملون خبير اى عالم وهو وعد
ووعيد للفريقين • وقوله تعالى فاستقم كما امرت اى استقم على طاعة الله عز وجل كما امرت به من التبليغ والاداء والوعظ
والصبر على مكابدته قال ذلك فادع واستقم كما امرت • وقال الامام ابو منصور رحمه الله هو المذكور في قوله تعالى قالوا
ربنا الله ثم استقاموا فقوله قالوا اقرار والاستقامة عليه ان يجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية والالوهية لله
جل جلاله وبان لي ما يجب ان يوفيه وينتهي عما يجب ان ينتهي عنه ويتبع امره ونهيه • وقوله تعالى ومن تاب معك اى
وليستقم من تاب من الشرك ورجع الى الله تعالى باعماله مخلصا بها على ايمانهم واخلاصهم • وقوله تعالى ولا تطغوا اي
لا تجاوزوا امر الله تعالى على مجاوزة امره • وقيل ولا تطغوا في الاستقامة فتخرجوا عن حدها بالزيادة عليها امرتم به
فرضا او نفلا • وقيل اى لا تطغيكم النعمة فتخرجوا عن الاستقامة والطغيان تجاوز المقدار في الفساد • وقوله تعالى
انه بما تعملون بصير يرى اعمالكم ويعلم اسراركم ويوفي جزاءكم • قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الاية ولذلك قال لاصحابه حين قالوا له قد
اسرع الشيب فيك يا رسول الله قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما • وقالت عائشة رضي الله عنها فاستقم كما امرت
اى على القران • وقال السدي الخطاب له والمراد امته • وقال الامام القشيري رحمه الله يحتمل ان يكون معنى قوله
فاستقم قم بها استقام واقام كما يقال استجاب واجاب • قال وقيل المستقيم من لا ينصرف عن طريق ارادته
ما لم يصل الى الله تعالى يصل سيره بسراه ووعده بمنواه ويبالغ في ترك هواه • قال وقيل الاستقامة النفوس
في نفي الزلة والاستقامة القلوب بنفي الغفلة والاستقامة الارواح بنفي العلاقة والاستقامة الاسرار بنفي
الملاحظة • واستقامة العابدين ان لا يرجعوا بنفوسهم عن العبادة ولا يخلطون بادابها بفتور وتقصير وتيسير
واستقامة الزاهدين ان لا يرجعوا الى الدنيا يتركون قليلها وكثيرها • واستقامة التائبين الا يلموا بالمنهى
التوبة بزلة فيدعون صغيرها وكبيرها • وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون من حد على الامالة
السكون الى الشيء بالمحبة له والميل اليه • قال ابن عباس رضي الله عنهما اى لا تميلوا • وقال ابو العالية
اى لا ترضوا باعمالهم • وقال قتادة اى لا تلحقوا بالمشركين • وقال ابن حيان لا تسكنوا • وقال السدي
اى لا تداهنوا • وقال سفيان الثوري من لاق لهم دواة او برى لهم قلما او ناولهم قرطاسا يكتبون عليه دخل
في هذا • قال الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اى واعوانهم • وقال الامام القشيري رحمه الله
لا تميلوا باعمالهم لا تداهنوهم على اعمالهم ولا تتركوا الامر بالمعروف عليهم لئلا تاخذوا شيئا من حرام اموالهم ولا تكونوا بهم
لاتخالطوهم لا تعاشروهم كل ذلك محتمل • وقوله تعالى فتمسكم النار جواب النهي بالفاء فنصب لذلك وفي النظم
تقديم وتاخير فتمسكم النار لا تنصرون اى لا تعانون بدفع العذاب عنكم وما لكم من دون الله من اولياء يواسونكم
ويدفعون عنكم • وقيل هو معتمد على نظمه ومعناه فتمسكم النار وما لكم اولياء ثم حينئذ تتولون ودفعه عنكم ثم
لا تنصرون • وقوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار • قال سعيد بن جبير الطرفان الغداة والعشي وصلاة
طرفي الغداة صلاة الفجر وفي طرفها العشا الظهر والعصر • وفي الخبر سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في احد
صلاتي العشي اما الظهر واما العصر • وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات • وقوله تعالى وزلفا
من الليل جمع زلفة وهي المنزلة وازدلفوا ازلفة ساعات الليل وهي كالمنازل والمراحل المزدلفة اى المقربة
واراد بذلك صلاة المغرب والعشا قال الحسن وقتادة • وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
قال ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وعطا والحسن اى الصلوات الخمس • وروى عثمان عن النبي
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات • وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارة الخطايا فاقرؤا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله نفل الصلوات نفسها تكفر الخطايا • وقيل ذكر ما ارتكب من الذنوب فذلك المكفر • وقوله
تعالى ذلك ذكرى للذاكرين اى عظة للمتعظين • وقيل النهى عن الركون الى الذين ظلموا والامر باقامة الصلاة
عظة للذاكرين الله بقلوبهم والسنتهم ثم يذكرون فضله وعدله وثوابه وعقابه فيرجعون ويخشعون فيتعظون
ويستقيمون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في ابي اليسر عمرو بن عرية الانصاري وكان رجلا يبيع
التمر فاتته امراة تبتاع تمرا فراودها عن نفسها ثم ندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
راودت امراة عن نفسها ونلت منها ما نال الرجل من امراته الا الجماع • فقال النبي صلى الله عليه وسلم انتظر
ما يامر فيه ربي فحضرت صلاة العصر فصلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فلما فرغ اتاه جبريل بهذه الاية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اين ابو اليسر فقال ها هنا يا رسول الله فقال اشهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال
فانها كفارة لما عملت فقام عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله اهذا له خاصة ام لنا عامة قال بل لكم عامة • وقال
مقاتل نزلت في ابي مقبل عمرو بن قيس لتمار اتته امراة في السوق تريد التمر فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد
وفي البيت تمر اجود من هذا فهل لك فيه قالت نعم فذهب بها الى بيته فقبلها وجعل يده ورجلها فالمراة تقول له اتق

الله ثم تركها وسقط في يده فاتى ابا بكر رضي الله عنه فسأل عن ذنبه فقال له ابو بكر رضي الله عنه استر على نفسك وتب الى الله
فاتى عمر رضي الله عنه فسأله فقال له مثل ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فانزل الله جل جلاله
هذه الاية • وقال الامام القشيري رحمه الله الحسنات ما يجود به الحق والسيئات ما يذنب به العبد • وقيل حسنات الندم
يذهبن سيئات الجرم • وقيل حسنات العرفان يذهبن سيئات العصيان • وقيل حسنات الديانة يذهبن سيئات الخيانة
وقوله تعالى واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين • قيل واصبر على امر الله والصلاة له كما قال تعالى وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها فانه احسان والله لا يضيع اجر المحسنين • وقيل واصبر على اذى ثقل الرسالة وعلى ما ينالك من
الاذى بتبليغها ولا تكافهم فانه احسان • وقيل اصبر على ترك المعاصي واحسن الاعمال ان الله لا يضيع اجر المحسنين
اى المصلين • وقال الامام القشيري رحمه الله الصبر تجرع كاسات التقدير من غير تعبيس • وقيل الصبر حبس النفس
على معانقة الامر ومفارقة الزجر فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى العاملين ان الاجر على الصبر والطاعة بفضل
الله لا بفعل العبد • وقوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا
ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين بين انه لم تهلك القرون التي ذكر قصصها الا بظلمهم
فقال فهلا كان من القرون الماضية ذو عقل وتدبير وبقية خير ينهون قومهم عن الفساد في الارض وهو اظهار
الكفر والمعاصي والتظالم والفساد وسفك الدماء ونهب الاموال وانتهاك المحارم لتنتهوا عن ذلك كله وتحقيق
هذا التوبيخ نفي وجود ذلك اى لم يوجد فيهم اولوا بقية يفعلون هذا الا قليلا منهم فلم تقبل الباقون قولهم وهذا
القليل هم المؤمنون بالانبياء الذين قال فيهم فانجينا الذين امنوا واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اى نعموا والترف
المنعم والمترفه المتنعم واتبع الظالمون اى ان المتنعمين الذين نشاوا في اللذات لم ينتهوا بانفسهم بل اتبعوا
ما اترفوا فيه من الاموال والاحوال وكانوا مجرمين مشركين مستكثرين من المعاصي ودلت الاية ان اكثر ما يميل
الى الكفر والباطل هم المترفون • قال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون
وقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اى ليس من صفة ربك ان يهلك القرى ظالما بغير ذنب منهم اى لم
يهلك اهل القرى التي عذب في هذه السورة وهو ظالم • قال تعالى وما ربك بظلام للعبيد • وقيل قوله بظلم اى
بظلم منهم اى بشرك بالله وهم مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ودل ان هذه القرى لو تكافت عن الظلم لم يهلكوا • وقال
الامام القشيري رحمه الله المصلح من قام بحق ربه دون حظ نفسه • وقيل المصلح من اهتم لنفسه فاثر نجاته على
هلاكه • وقيل هو المصلح قلبه لمعرفة سيده والمصلح سره لمشاهدة سيده • وقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة اى متفقة على الايمان والطاعات كما قال ولو شاء لجمعهم على الهدى • وقوله تعالى ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك اي ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك ولا يزالون مختلفين هكذا كما شاء الا من رحم
الله فعصمه عن الاختلاف لما علم منه اختيار الحق ووفقه للنظر والاستدلال فادرك الحق ولذلك خلقهم لما
هم عليه من الاختلاف • وقوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى قول ربك فيهم بما علم
منهم وهو كقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال عكرمة ومجاهد ولا يزالون مختلفين يعني اهل الاهوا الا من رحم ربك يعني اهل السنة والجماعة • وقال
عطا بن ابي رباح ولا يزالون مختلفين اليهود والنصارى الا من رحم ربك وهم الحنيفية وللرحمة خلقهم • وقال ابن
عباس والضحاك ومجاهد وقتادة وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم • قال الحسن وللاختلاف خلقهم وبه قال
مقاتل بن حيان ويمان بن رباب وعطا قال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له • وقال الامام
القشيري رحمه الله ولو شاء الحق لجعلهم ارباب الوفاق ثم لم يوجبوا للمملكة زينا ولو شاء لخلقهم ارباب الخلاف ثم لم
يوجبوا للجلال شينا ولا يزالون مختلفين لانه كذلك اراد بهم الا من رحم ربك في سابق حكمه فعصمهم عن الخلاف
وحاصل عمره ولذلك خلقهم كما قال لما اقامهم به ونصبهم له فاثبتهم فيه من وفاق وشقاق وجحود وتوحيد
وتمت كلمة ربك اى لا تبديل لقوله ولا تحويل لحكمه • وقوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك اى وكل القصص • وقيل اى وكل الذي تحتاج اليه نخبرك به من اخبار الرسل وما نثبت به فؤادك
بدل من كلا قاله الزجاج • وقيل وكلا اى ومن كل ومعنى الاية ونقص عليك الاقاصيص كلها من اخبار الرسل تثبيتا
لفؤادك اى تمكينا له وتقوية على الاستقامة وتبليغ الرسالة وتقرير الحجج والصبر على اذى الكفار والاستقامة
على الصبر باقامة الصلوات • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما نثبت به فؤادك يعني نسدد • وقال الضحاك
نقوي نصبر • وقال بعضهم نطيب • وقوله تعالى وجاءك في هذه الحق وعظة اي في هذه السورة في الدنيا
الحجج والبراهين • وقوله تعالى وموعظة وذكرى للمؤمنين اى المؤمنون هم الذين ينتفعون به • وقيل من همة
الايمان بالله والعمل بطاعته لا لمن اترف فيها واتبع ما اترف فيه • وقال الامام القشيري رحمه الله قص على نبينا
قصص الجميع ولم يذكر قصته لاحد تشريفا له وتخصيصا ولم يكن ثباته قلبه بما قص عليه ولكن كان استقلال
قلبه بمن كان يقص عليه وفرق بين من يستقل بما يسمع وبين من يستقل بمن منه يسمع وانشد لبعضهم وحدثني

باسعد عنه فرد تحتونا فرد فمن حديثك باسعد • وقوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون اي قل
يا محمد للمشركين اعملوا على تمكنكم ما احببتم انا عاملون وهذا اشد وعيد وتهديد • وقوله تعالى وانتظروا انا منتظرون
قال ابن جريج انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور فانا منتظرون ما يعدنا به الرحمن من النصر والعلو • وقال بعضهم
انتظروا ما اوعدتم به على الكفر فانا منتظرون ما وعدنا به على الايمان • وقوله تعالى ولله غيب السموات والارض اي
هو العالم بعواقب الامور وبغيب السموات والارض وهو ما غاب عن حس العباد فليس يخفى عليه شيء من افعال المشركين
واقوالهم فيحاسبهم ويجازيهم عليها • وقوله تعالى واليه يرجع الامر كله اي الامور كلها فهو حسن اي لا يتغير بها
الحكمة وهو المستحق لذلك الافراد بالعبادة فاعبده يا محمد باخلاص وتوكل عليه غير خايف سواه ولا راج غيره •
وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون فيثيب المؤمنين المطيعين ويعاقب الكافرين والعاصين • وقال الامام
القشيري رحمه الله عمي على العباد العواقب واخفى عليهم السوابق والزمهم القيام بما كلفهم في الحال فقال فاعبده
فارغ القلب وترحم الظن وتوكل عليه اي استدفع البلاء عنك بحسن الظن ودوام الرجا وما ربك بغافل عما
يعملون بل احاط بكل شيء علما وامضى في كل امر حكما • وقال كعب الاحبار فاتحة التوراة فاتحة سورة الانعام
الى قوله تعدلون وخاتمة التوراة خاتمة هود ولله غيب السموات والارض الاية وبالله العون اتممت هذه
السورة بتوفيق الله المعبود الرب الذي يحق له الركوع والسجود الرب الذي يرى بفضله الوالد والمولود ولا
يعزب عن علمه الموجود والمفقود نسأله الامان من وساوس المطرود • وخاتمة السعادة ببركات سورة هود •

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل احسن القصص قصة يوسف • الرحمن الذي جعل الملك بعد السجن حصة يوسف • الرحيم الذي
كشف بالنبوة والعبر غصة يوسف • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه اي امرئ مسلم تلا سورة يوسف وعلمها ما ملكت يمينه واهله هون الله عليه سكرات الموت واعطاه
الله تعالى القوة ان لا يحسد مسلما • وسورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية والف وسبع مائة وستة وسبعون كلمة
وسبعة الاف ومائة واثنان وستون حرفا • وانتظام اول هذه السورة باخر السورة التي قبلها انه افتتح هذه السورة
بقوله الر معناه انا الله ارى من العرش الى الثرى وعلى غيب السموات العلى والارضين السفلى ولست بغافل عما يعمل الورى
وختم اخواته قال في اخر تلك وكلا نقص عليك من انباء الرسل • وقال في اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن
القصص وهذه احدى القصص قد نعتت احسن القصص • وانتظام كل هذه السورة بتلك السورة ان السورتين
في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اصابه من الاذى والنوايب وفي تلك السورة ذكر ما لقي الانبياء من الاجانب
وفي سورة يوسف من الاقارب • وقوله تعالى الر ذكرنا فيها اقاويل المفسرين في اول سورة يونس • وقيل معناه
انا الله ارى من العرش الى الثرى • وقيل انا الله ارى ما نزل بيوسف من البلوى من الجب والسجن والشكوى ثم
جعلته ملك الدنيا وجمعته مع شيخه المبتلى • وقوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين • وقيل اي تلك الايات او السورة
المنزلة قبل هذه السورة هي ايات الكتاب • وقيل اي تلك الايات المكنونة في اللوح المحفوظ الموعودة لك او تلك
الايات التي اخبرت الانبياء بانزالها عليك هي ايات الكتاب • وقيل تلك بمعنى هذه كما مر في قوله تعالى ذلك الكتاب
لا ريب فيه فاوردناه ليله اي هذه السورة او هذه الايات او الر هذه الحروف التي هي اسم هذه السورة ايات
الكتاب المبين اي فيه بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني فيه بيان الحلال
والحرام • وقال قتادة فيه بيان الرشد والضلال • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فيه بيان الحق والباطل
والعذاب والثواب • وقال الامام القشيري رحمه الله في انزال الكتاب عليه وارسال الرسول اليه تحقيق احكام
المحبة وتاكيدا لاسباب الوصلة فان من عدم حقيقة الوصول استانس بالرسول ومن بقي عن شهود الاحباب
تسلى بورود الكتاب • وقوله تعالى انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا اي كلاما مجموعا بلسان العرب • وقوله
تعالى لعلكم تعقلون • اي لتعقلوا من الله خطابه فتتدبروه وتعملوا بما فيه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
لا ندري باي لسان كان في اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه انزله بلسان العرب • وهكذا كل كتاب انزل بلسان المنزل
عليهم لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم وما تاتون وما تذرون او لعلكم تعقلون ان هذه الانباء التي اخبركم بها محمد
من الله تعالى لانها كانت في كتبهم بغير لسانه فاخبر على ما كانت في كتبهم ولم يعرف ذلك الا بالله تعالى او لعلكم
تعقلون انه فيه عزكم [illegible] الناس [illegible]
لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم • وقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص • اي نخبرك احسن الاخبار
والقصص مصدر وهو اتباع الخبر بعضه بعضا على سياقه [illegible] فلان احسن الاقتصاص للحديث اذا كان
جيد السياق للحديث [illegible] • قال الله تعالى
وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره • وقال فارتدا على اثارهما قصصا اي اتباعا ويجوز ان تكون القصص سماعا

[illegible] • وقوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القران اي بوحينا [illegible] مصدر وكذلك اكرمك بما اكرمني اي باكرامك
اياي • [illegible] وجزاهم بما صبروا اي بصبرهم • وقوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين اي وقد كنت من قبل
هذا [illegible] عن هذه القصة ونحوها [illegible]
[illegible] • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وهذا يدل على ان الايمان [illegible] الانبياء والرسل
[illegible] ثلاثة انواع مذمومة ومحمودة وغير مذمومة ولا محمودة
[illegible]
روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله لو حدثتنا [illegible] فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو وعظتنا [illegible]
[illegible] وقيل انما [illegible] احسن القصص لوجوه [illegible]
[illegible] وقيل [illegible] الاوقات فيما بين اولها واخرها [illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] بين رؤيا يوسف عليه السلام ومصيره [illegible] اربعون سنة
[illegible] ثمانون سنة • وقيل احسن القصص عجيب القصص • وقيل لانها مجموعة في سورة وسائر القصص متفرقة في ايات وسور • وقيل لانها
[illegible] • وقال محمد بن يحيى الشاعر هي احسن القصص [illegible] احوال
[illegible] وقامة المروة [illegible]
النحر والسنة قراءات الطاعة عند الشدة بجدودها وشروطها وصوتها وحلاوتها في صفة صفت العبد من
اعجوبات اللطف والتوفيق وتحسين الاخلاق عند الجفاء والاذية وخصوصا بين الغرابة من اشرف مقامات
الاختصاص بالكرامة وبذل الثروة والسعة وفقت المحنة والحاجة من اعلامنا زل العبودية واصفى درجات
السخا • وقيل سماها احسن القصص لحسن مجاوزة يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضابه • وقيل انما كانت
احسن القصص لانا عن نقص وعليك نقص • وقال الامام القشيري رحمه الله انما كانت احسن القصص لخلوها
من الامر والنهي الذي سماعه يوجب اشتغال القلب لما فيه من الخوف من التقصير الواقع فيه • وقيل احسن القصص
لان فيه ذكر الاحباب • وقيل لما فيه من ذكر ترك يوسف هواه باعراضه عن زليخا عند مراودتها اياه عن نفسه
وقال في قوله بما اوحينا اليك اي لم تصل هذا بكدك وجهدك والا بطلبك وجدك ولكن بعطائنا وجدته لا بعنايتك
والتفضل الا بعنايتك وبتلطفنا لا بتكلفك وجهدك وبما لانك • وقوله تعالى اذ قال يوسف • قال الزجاج اي نحن نقص
عليك اذ قال يوسف • اي وقيل اي واذكر يا محمد اذ قال يوسف لابيه اي يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل
عليهم السلام يا ابت • قرا ابن عامر بفتح التاء على ارادة يا ابتاه على نداء الندبة • وقرا بعضهم بالضم لانه نداء معرفة
وقرا العامة بالجر على الاضافة بالياء وحذف الياء تخفيفا كما في قوله يا قوم • وقرا ابن كثير يا ابه بالهاء
ساكنة عند الوقف وزيادة الهاء في الاسم على الاب للتوفيق والعطف والحنين • وقيل للتعويض من الواو التي
من اصل الكلمة • وقيل للتعويض من يا الاضافة • وقوله تعالى اني رايت اي في النوم وقد راى بالعين يرى رؤية
وراى بقلبه يرى رؤيا في المنام • وقوله تعالى احد عشر كوكبا اسمان جعلا اسما واحدا فبنيا على الفتح • وقوله تعالى
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين كرر قوله رايت تاكيدا لما طال الكلام • وقيل معناه انه راهم في النوم وراهم
يسجدون له فالاول لرؤية العين يعني اعيانهم والثاني لرؤية فعلهم • فقال رايتهم ولم يقل رايتها ووصفهم بالسجود
الذي هو فعل العقلاء فالحق كنايتهم بكناية العقلاء • كقوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده • وفي سجودهم له وجهان • احدهما انه السجود المعهود على الحقيقة وكان تكرمة لا عبادة • والثاني انه بمعنى
الخضوع كما قال الشاعر • ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • وكانت الكواكب الاحد عشر مثلا لاخوته الاحد عشر والشمس
والقمر مثلين لابيه وخالته وكانت امه ماتت واسمها راحيل واسم خالته لايا وهما ابنتا لايان بن ناحر وناحر اخو ابرهيم
الخليل صلوات الله عليه ولايان بن ناحر خال يعقوب عليه السلام • وقال وهب بن منبه كان يوسف صلوات الله
عليه راى قبل هذه الرؤيا وهو ابن سبع سنين في نومه ان احدى عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدارة واذا عصى صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال له اياك ان تذكر هذا لاخوتك
ثم راى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك
على اخوتك الاية • وذكر ابو القاسم بن حبيب في تفسيره باسناده عن جابر بن عبد الله ان يهوديا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسماء الكواكب اللاتي سجدن ليوسف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان اخبرتك اتؤمن بي قال نعم فاتاه جبريل صلوات الله عليه فعلمه اسماءها وهي الحرثان • والطارق • والقابس •
والفروخ • والفيلق • والمصبح • والوثاب • والذيال • والعمودان • والفرغ • وذو الكتفين راهن يوسف والشمس

والقمر نزلت من السما فسجدت له فاخبرنا له فقال يا بني هذا امر مشتت وسيجمعه الله تعالى بعد • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما الشمس ابوه والقمر خالته واسمها راحيل وكانت امه ماتت واسمها لايان • وعن ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا
ان يوسف صلوات الله عليه كان نايما في حجر ابيه ذات ليلة فانتبه مرعوبا فقال له يعقوب عليه السلام حبيبي ما الذي
دعرك قال يا اباه رايت رويا عجيبا قال ما ذا رايت • قال رايت كاني على راس جبل شامخ وحوله اشجار وانهار ورياض
فبينا انا كذلك اذ رايت كواكب نزلت والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله دلت
هذه الاية ان اخوة يوسف كانوا علما فانه شبههم بالكواكب ولما يهتدى بها ذل انهم كانوا علما يقتدى بهم وشبه الابوين
بالشمس والقمر وبهما جميع منافع الخلق اذ بهما صلاح جميع الاغذية في الارض ونضج جميع الفواكه • ودلت الاية
على ان الرويا قد تخرج على غير ما راى فقد راى سجود الكواكب وخرجت الكواكب على الاخوة والسجود على عينه وهو
كروية ابرهيم صلوات الله عليه ذبح الولد فخرج الولد على الكبش على عينه فهذا اصل لنا ان الخطاب قد يخرج
والمراد به عينه وقد يخرج والمراد به غيره • وفيه جواز الاجتهاد وطلب المعنى في المخاطبات وما ظهر للناس من
تعبير الرويا على الاجتهاد ويدل ايضا على جواز العمل بالاجتهاد • ودلت الاية ايضا على ان اخوة يوسف كانوا علما
حكما وعارفين بتعبير الرويا فان يعقوب ابو يوسف عليهما السلام قال لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا وذلك لعلمهم بالتعبير • وقوله تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك يعني فقال يعقوب
يا بني لا تخبر اخوتك برؤياك وهم روبيل ويهودا • وشمعون • ولاوي • امهم ليا امراة يعقوب • ودان • وانسر
ونيحر • امهم ولفا جارية يعقوب • ونفتالي • وجاد وريالون امهم زلفا جارية يعقوب • وبنيامين امه راحيل
ومحام يوسف ايضا مع اخوات وكانت راحيل اخت ليا وهما بنتا لايان بن باهر خال يعقوب والجاريتان كانتا
هدية لايان لختنه يعقوب • وقوله تعالى فيكيدوا لك كيدا نصب بالفا لانه جواب النهي وعلامة نصبه حذف
النون تقول ان تاويل رؤياك ظاهر لا يخفى عليهم فلا نومن ان يحملهم ذلك على انه يبغوا لك الغوايل ويحفوا لك
الحيل ويدعوهم الى ذلك الشيطان • وذلك قوله تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة
ومظهرها • وهذا يدل على ان يعقوب كان قد علم من الاخوة حسدا ليوسف فقال له هذا • قال القتيبي الكيد
هو الاحتيال للاغتيال • وقيل هو طلب ايصال الشر به على غير علم منه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين بدا كل شر يكون من الشيطان يقذف في القلوب ويخطره في الصدور ثم
يكون العزيمة على ذلك والفعل من العبد وهو ما قال عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وفي الاية
ان الرؤيا حق وهي من المبشرات وهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة • وذلك ان اعوام الوحي ثلاث وعشرون
ونصف سنة اشهر في ابتداء الرؤيا الصادقة فكانت جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة وفيها ان شفقة
الاباء وافرة وحسد الاخوة ظاهر • ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله تقبل شهادة الاخ للاخ لانه لا تهمة • وفيها
ان عداوة ابليس لعنه الله لنا قديمة لله تعالى في ابقائه لطف عظيم فانه يحيل لمعاصينا عليه وذلك مذكور
في قصة كثير من الانبيا فان لهما الشيطان فوسوس لهما الشيطان وما انسانيه الا الشيطان هذا من عمل
الشيطان من بعد ان نزغ الشيطان واما ينزغنك من الشيطان نزغ لا يفتننكم الشيطان انما استزلهم
الشيطان • وقوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك اي كما دل رؤياك على اكرام الله تعالى اياك بتفضيلك على
اخوتك كذلك يختارك فيستخلصك بالنبوة ويعلمك من تاويل الاحاديث اي ويلهمك عما يؤول اليه ما ترا •
الناس في منامهم • وقيل تاويل الاحاديث اي يلهمك العلم بعواقب الامر بوحي من الله تعالى ويتم نعمته عليك
اي ويكمل ما ابتدا لك به من الانعام فالابتدا هو اخراجه من اصلاب الانبيا والاتمام بالنبوة والايحا وعلى آل
يعقوب اي اولاد يعقوب ودل على نبوة اولاده كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحاق بالرسالة والوحي
وقيل ويتم نعمته عليك بتخليصك من غوايل اخوتك وساير الناس كما جعل النار بردا وسلاما على ابرهيم وفدى
اسحاق بالذبح العظيم • وهذا كله كان بشارة من يعقوب ليوسف • وقيل كان دعا له بذلك كله كما قال في اخر
هذه السورة يغفر الله لكم وتقول يديم الله عزك ويطيل بقاك • وقوله تعالى ان ربك عليم حكيم عليم بما يجري
على يوسف من المنشا الى المختتم حكيم فيما حكم له وما به وللاخوة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله • قيل
تاويل الاحاديث تاويل صحف ابرهيم • وقيل تاويل الاحاديث العلم والكلام • وقال تعالى ان ربك عليم بما صنع
به اخوته او عليم بتمام الانعام حكيم يضع كل شي موضعه • وقال الامام القشيري رحمه الله قيل الاجتبا عصمته
من ارتكاب ما راودته امراة العزيز عن نفسه • وقيل من فضل الاجتبا انساه السوء على فعل اخوته حيث
قال وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر خلاصه من البير • وقيل من قضية الاجتبا توفيقه لسرعة العفو
عن اخوته حيث قال لا تثريب عليكم اليوم وتاويل الاحاديث هو معرفة قدر كل احد والوقوف على مقدار كل قايل
بالبيتهم من نطقه وحديثه بحدة الكياسة وصدق الفراسة واتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة • وقيل من اتمام

النعمة السرور عن شهود النعمة برؤية المنعم ومن تمامها صونها عن الزوال والتغيير ومن تمامها رفع الهمة عن مساكنة النعمة • وقوله
تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسايلين اي دلالات • وقرا ابن كثير وحده اية على الوحدان وهو في معنى الجمع ايضا
تقال هذا الشي علامة لامور كثيرة للسايلين اي للذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة روحاة اليهود
لعنهم الله قالوا للمشركين اسالوا محمدا لم انتقل يعقوب من مصر الى الشام فنزلت السورة فكانت اية على صدق نبوته • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الى قوم من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافق اتيانهم ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم قصة يوسف عليه السلام فتعجبوا منه وقالوا له من اين لك هذا يا محمد فقال علمنيه ربي وعادوا الى اليهود فقالوا
لهم ان محمدا العربي يذكر قصة يوسف كما انزلت في التورية فنزلت هذه الاية ايات للسايلين يعني اليهود • وقال
مقاتل سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فاخبرهم بها فلم يومن به غير حبر من اليهود وعبد عامر
الحضرمي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل انه ايات للسايلين الى اخر الدهر • وقوله ايات يحتمل ان المراد قصة
سورة تامة هي ايات الكتاب ويحتمل انه ايات صدق نبوته لان قصته في كتبهم كانت بغير لسانهم فجا به بلسانه من
غير زيادة ولا نقصان فدل انه بالله علم ذلك • وقال الامام القشيري رحمه الله في قصته ايات لكل ذي محنة حتى
يعلم انه كيف يصبر ولكل ذي نعمة حتى يعلم انه كيف يشكر قال في قصته دلالات كيفية العفو عن الزلة وكيفية الخجلة
عند اللقا لاهل الجفوة • وقيل في قصته دلالات لطف الحق سبحانه لاوليايه بالعصمة وايات ان المحنة لا تخلو عن المحنة
وقيل فيه ايات على ان من صدق في رعايته تخلص يوما من بلاية • وقيل ايات اي عجايب • قال الشاعر اية في اجمال الشي له
في اخلاق شبه وما له من نظير • وقيل السوال انواع والفوايد للسايلين فاذا جالست العلما فاسال بلسانك واذا جالست
الحكما فسل بعقلك وان جالست العارفين فسل بقلبك وان جالست المحبين فسل بسرك فاذا لقيت العالم فقدم
لسانك • واذا لقيت الحكيم فقدم عينك واذا لقيت العارف فقدم قلبك واذا لقيت المحب فقدم سرك وان اطلت
على غيب فقدم روحك • وقال بعض اهل العلم يمكن تمشيته في كل السايلين حكانه قال ان سالك العصاة ما يفعل الله
بهم فاقرا عليهم قصة يوسف وقل يغفر الله لكم كما عفا اخوة يوسف وان سالك الذين يوذون الاباء ويعقونهم ما يفعل الله
بهم اذا تابوا فقل يعفوا عنهم كما عفى عن اولاد يعقوب • وان سالك الممتحنون كيف حالهم فقل يصلون الى الحبيب كما وصلت
زليخا الى يوسف • وان سالك المحبوسون ما عاقبة امرهم فقل الفرج كما فرج الله عن يوسف • وان سالك الواقعون في
الحيرة وكذا فاجابهم بهذه القصة على التفصيل • وقيل ايات للسايلين لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى الله تعالى هذا احسن القصص قال لان المخبر عنه هو احسن القايلين قولا والمخبر
عنه احسن الناس وجها فان يوسف لم يكن بعده احد في الحسن مثله • فقالت عايشة رضي الله عنها هو احسن ام انت
يا رسول الله قال هو احسن خلقا وانا احسن خلقا فقالت عايشة رضي الله عنها فلم لا تخبر الناس به قال ان لم اقل انا
فقد قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فنزل جبريل عليه السلام وقال اخبر الناس ان نورك ونور يوسف انتزعا في صلب
ادم وصار الحسن والجمال ليوسف والذكر والشرف والنور والحبور والضيا والبها والعفاف والكفاف والهيبة والرفعة
والعلم والفضل والعدل والعزم والسيادة والسعادة والحوض والشفاعة والدعوة والاجابة والقضيب والناقة
والتاج والعمامة والسيف والهراوة والصبر والقناعة والنسك والانابة والرحمة والرافة والوقار والسكينة
والشريعة المرضية والاحكام الحنيفية والصلاة المكتوبة والزكوة المفروضة والسمع والطاعة والصف والجماعة
والتاذين والاقامة والتكبير والتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والحج والعمرة والبلد المحرم والمسجد
المعظم وزمزم والمقام والمشعر الحرام والقران الحكيم والخلق العظيم والايات المفصلات والكلمات المتلوات
والازواج الطاهرات والطوف الذي حباك والبراق في المعراج والمقام المحمود والحوض المورود والحشر المشهود
والافق الاعلى والمقام الادنى وسلام الله الاعلى هذه كلها لك • وقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه اللام بمعنى
القسم اي قالوا ان يوسف حقا واخاه لامه وهو بنيامين احب الى ابينا منا ونحن عصبة اي جماعة ينتصب بعضنا
لبعض وكانوا عشرة والعرب تطلق هذا الاسم على العشرة الى الاربعين اي نحن جماعة لا يعجز بالاحتيال عليه ليخلو لنا
وجه ابينا فيما ملنا بالمحبة والتعطف فما ذا الاحتيال لذلك • وقوله تعالى ان ابانا لفي ضلال مبين اي خطا بين
بايثار ابنين على عشرة مع استوايهم في كونهم اولادا له ومع اقتدار العشرة على الاحتيال لكل على واحد وابيهما صغير وغلط
في تدبير امر الدنيا اذ نحن انفع له من يوسف وبنيامين لانا نقوم في امواله ومواشيه وايضا لو انهم النظر لما من
سوء عاقبة هذا الاختيار لحاسد الاقارب وهذا عدول منه عن طريق الراي في استصلاح الاولاد • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله فيه دلالة انه لا باس للرجل ان يخص ولده بالمحبة لما ذا لم يقصد الجور على غيره من اولاده الاولاد
وخصه لمعنى اوجب ذلك كما فعله ابو بكر بعايشة رضي الله عنهما حيث نحلها جذاذ عشرين وسقا بالعالية ثم يحتمل
تخصيص يعقوب يوسف واخاه بالحب وجوها منها ما راى فيهما من الضعف في انفسهما والعجز في ابدانهما فازداد
شفقته عليهما لذلك وهذا ما يكون بين الخلق والثاني انه خصهما بذلك لفضل خصوصية كانت لهما اما من جهة
الدين والعلم او غيره امره الله تعالى بذلك او لانه لما بشر يعقوب بنبوة يوسف كان تفضله على ساير اولاده وبنوه

عليهم لذلك وانما قالوا ان يوسف واخاه احب الى ابينا منا بايثاره لهم علينا والاخفية المحبة لا تترجح • وقال الامام القشيري رحمه الله لما اخرجوا انهلوهم على ابيهم في تقديم يوسف عليهم في المحبة عاقبهم الحق سبحانه بان تركهم حتى بسطوا في ابيهم لسان اللوم ونسبوه بالضلال وهو من المحال وان كان المراد منه هو الذهاب في امر يوسف بكل حال • قال ويقال لما احتدوا في تقديم ابيهم يوسف عليهم لم يرض الحق سبحانه وتعالى حتى اقامهم بين يدي يوسف وخروا له سجدا ليعلم ان الحسود لا يسود • قال ويقال اطول الناس حزنا من اراد غصته من اراد تاخير من قدمه الله تعالى وتقديم من اخره الله تعالى انا اخوة يوسف ارادوا ان يجعلوه في اسفل الجب فرفعه الله تعالى فوق السرير • وقيل انما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وحتى يوسف وذلك يعقوب عليه السلام اعطى يوم عيد ثلاثة اشياء قميص ابرهيم الذي البسه جبريل وقد جاء به من الجنة يوم القي في النار ومزود ومنطقة بمنطقة اسحاق وتمنع في بني حضير انه جابها جبريل عليه السلام يوم ولد اسحاق فحسدوه وتخصيصه بها واسند الى محبة اباه • وقوله تعالى اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا قالوا انما الراي • قال وهب قال ذلك شمعون • وقال كعب قال دان • وقال مقاتل قاله روبيل وهو اكبرهم سنا • وقال بعضهم لما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا تراءى لهم الشيطان في صورة شيخ وقال ان يوسف يريد ان يستعبدكم فقالوا ما الراي فقال اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فقالوا له لو فعلنا ذلك كنا عاقين للاب عاصين لله تعالى فقال ثم تتوبون فتكونون قوما صالحين ثم غاب عنهم فثبتوا على هذا الراي بقولهم اقتلوا يوسف ليخلص مادة هذا الامر او اطرحوه اي القوه في ارض غربة بعيدة عن ارض يعقوب بحيث يخفى عليه موضع يوسف ويعمى دونه اخباره • وقوله ارضا اي الى ارض نصب بنزع الخافض كما في قوله تعالى واختار موسى قومه اي من قومه • وقوله تعالى يخل لكم وجه ابيكم • قال مقاتل اي يصف لكم حبه لا تنجوا الا الامر ولذلك حذفت واو تقول الا انهم يوسف في بره وعطفه واستيثاره • وقوله تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين عطف على وهو جزم ولذلك حذفت النون • وقال مقاتل اي يصلح امركم فيما بينكم وبين ابيكم يعني بصلاح امر الدنيا من بهجة التمكن من الاب • وقال ابن عباس والسدي اي وتتوبوا من صنيعكم وهو القتل او الطرح وعقوق الاب واذية الاخ وعصيان امر الله تعالى فيغفر لكم بتوبتكم فقد اعتقدوا التوبة قبل ارتكاب الذنب • قال الامام ابو منصور رحمة الله عليه وذلك ربما قيل من طلب الكل فاته الكل والله تعالى يقول فتولى عنهم • وقيل كان تضدم الاكوك يوسف • وقوله تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين لم تطب نفوسهم بان يذهبوا امر الله بالكلية فدبروا الحيل الرجى قبل ارتكاب مادة همتهم نفوسهم اليه وهذه صفة اهل العرفان بالله جل جلاله • وقوله تعالى قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف • قال قتادة وابن اسحاق قال ذلك روبيل • وقال الزجاج قال ذلك يهوذا قال ان قتل يوسف امر عظيم فلا تقتلوه • وقوله تعالى والقوه في غيابة الجب • قال الاصمعي اي في قعر البئر والغيابة في اصل اللغة القعر اي الموضع الذي يتغيب فيه صاحبه وكل ما غيب شيئا عن الحس يكون فيه فهو غيابة وللقبر ايضا ذلك قال الشاعر وان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل والجب البئر التي لم تطو سمي بذلك لانه غيب عنها ترابها اي قطع • وقال الاعشى لئن كنت في جب ثمانين قامة • ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم • وقوله تعالى يلتقطه بعض السيارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه اللقطة واللقيط والسيارة المسافرون وقيل مارة الطريق يقول القوه في اسفل بئر عميق قليلة الماء على ممر السيارة فالقوافل يلتقطه بعضهم فيخلو لكم مكانه من غير ارتكاب الامر العظيم وهو القتل ويحصل لكم المقصود الاخر وهو تبعيده ايام البلاد النائية من غير ان تحتاجوا الى التكلف بتغريبه بانفسكم فنصح هذا القائل الى الاخوة بهذا التدبير وكان مقصوده بعض رايهم في القتل وترجيحه الى الراي الثاني بتسهيل ذلك السبيل اليهم والعاقل اذا دفع الى شرين اختار اهونهما في غيابة الجب بالتعريف دون التنكير له معنيان يحتمل انهم اشاروا الى بئر قد عرفوها في اسفارهم ويحتمل ان يكون ذلك كقولك ادم به في الماء لا تريد به ماء بعينه انما تريد به الجنس • وقوله تعالى ان كنتم فاعلين اي ان كنتم تريدون تمام تدبيركم فافعلوا هذا فليس لكم او فوق منه • وقال الامام ابو الحسين محمد بن يحيى الساعدي في كتاب العصمة ان الاخوة تقتضي الشفقة لكن الميل الى الحظ النفس ربما يغلب على الشفقة فلا يعتد ... على اسنمها يعامل اخاه معاملة الاجانب والشفقة على حالها غير منسية لكنها غير فاعلة دليله قول احدهم للاخرين لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب وهذا كلام من هذا القائل على نظر الشفقة واجابتهم له مبنية على الشفقة ايضا انما بهم خطوظهم من ابيهم غلبت عليهم فلم يتركوه من غير اذى ومكروه والحقوه بما به ولم يخرجوا ايضا بالاهلاك على الاستيصال لان الالقاء في الجب مرجو منه الخلاص • وقولهم ايضا ان ابانا لفي ضلال مبين عنوا به لفي خطا بين حيث لا يسوي بيننا في المحبة لنا والاقبال علينا والبحث بنا فلم يعرفوا ان اقبال يعقوب الى يوسف لم يكن من جهة الولد فانما كان من معرفة صنع الله تعالى به في التقويم وبما وضع الله تعالى فيه من اللطائف وكانت محبته لما انكشف له من زيادة الاطلاع على صنع الله تعالى عز وجل فيه وكان لا يلزمه التسوية بينهم ولهذا قالوا ان للاب ان يزيد في الاحسان والبر لبعض الاولاد دون بعض لزيادة منقبة في الدين اكرمه الله تعالى بها وان كان الاولاد سواء في معاني الدين فعليه ان يسوي بينهم في الاكرام والبر فلم يكن يعقوب في خطا بين كما قالوا لولا انهم توهموا ان اكرم ابيه الولد فرايا انفسهم اولاده فنسبوه الى الخطا وفي المثابة انهم يستعطفون اقبال ابيهم عليه ويتمنون اكرامه اياهم ما كسوه ولو كانوا منها ... ابين الا الدعو ... عليهم لم يشتغلوا بتلك المماكسة مع ابيهم الا انهم جهلوا وجه المعاملة في ذلك فاوقعهم بعضهم مع بعض ومع ابيهم ومع اخيهم

علام

اراد اخوة يوسف ان يكون اقبال يعقوب بالكلية عليهم م

٤٢ يوسف عند ابيه فنا وراى غيبته فقالوا اما القتل واما النفي ولكن الباس بما يكون بعد الا يكون م

ولو عرفوا ان المعنى من لطائف اللدنية بكرمه لم ينسبوه الى الخطا م

من نحو قولهم ليوسف فتلوا ... وتكونوا من بعده قوما صالحين • وقولهم ما لك لا تامنا على يوسف ثم ترك المجاهرة بقتله مناقضة في ذلك كله دليل على صحة ايمانهم اذ لو لم يكن لهم ايمان لم يكن لهم مانع عن قتله من غير تدسيس واحتيال وفي ذلك كله دليل على ان بركة نبوة ابيهم واجدادهم كانت متعدية الى بواطنهم حتى لم يتيسر ... معاندين عناد المرتدين عن الحق بوجه الا انهم لم يكونوا في ذلك الوقت انبياء لم يعصموا من المحظورات كما فعلوا ثم فعلوا فيه حكمة بالغة علمها الله تعالى وعلم نفعها متصلا بهم وبابيهم وباخيهم وبالمسلمين فاجرى تلك المعصية وعقب تلك اللطائف والنعم فيهم وفي غيرهم • وقوله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ولما اتفقوا على التغريب صاروا الى ابيهم يعقوب عليهم السلام فقالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وفي الكلمة ثلاثة اوجه لا تامننا بنونين على الاظهار لان النونين من كلمتين ولا تامنا بنون واحدة على الادغام واشمام الضمة طلبا لما كان فيها من الضم وقد امنه يامنه اي ايتمنه • قال تعالى فان امن بعضكم بعضا قالوا لم تخاف علينا ان نناله بسوء وانا له لناصحون وهو اخونا وشقيقنا فنحن له ناصحون نريد ونرتد به الخير ظاهرا وباطنا لا موضع لاتهامك ايانا فيه ونصحهم له في السفر ان يحوطوه ولا يدعوه ياخذ بحاجة وبحاجته ولا يفردوه عن انفسهم ولا يكلفوه ما يخاف عليه منه ونحو هذا قال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير • قالوا ارسله معنا فقال اني ليحزنني ان تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وقال في كتاب عصمة الانبياء كانهم كانوا طالبوه مرارا حتى خاطبوه بهذا ما لك لا تامنا على يوسف ولو كان هذا ابتداء كلام ولم يظهر منه منع لم يصح هذا الخطاب وارادوا بتاكيد هذا الكلام استنزال ابيهم واستنزالهم بارسال يوسف معهم ثم قالوا وانا له لناصحون فظاهره كذب منهم لانهم اضمروا غشه الا ان فيه نوع نصح من وجهين احدهما انهم الاضمار باخيهم كانوا معتقدين للنصح لذلك لم يكفروا وهذا على مذهب السني ان مرتكب الكبيرة اذا لم يستحلها فهو في عقد الايمان صحيح فاخوة يوسف عرفوا النصح في باطنهم غير ان غلبة الشهوة في حظوظهم حملتهم على ذلك الفعل فلم يستعملوا النصح لتمكن والثاني انهم اعتقدوا بتغيبته من ابيه لا اهلاكه وفي ذلك طرف من النصح وهم كانوا مع هذا التاويل غير ناصحين بمكان ابيهم واخيهم لان قليل الاذى لمكان الوالدين كثير ولذا قليل قطع الرحم فكيف بما افضوا اليه • وقال الامام القشيري رحمه الله كلام الحسود لا ينبغي وعظه لا ينجع وان كان في معرض النصح فانه يطعم الشهد ويطعم الصاب ويظهر الصفاء ويضمر الوحشة قال ويقال العجب من يعقوب ما ضمنوه له من حفظ يوسف وقد تفرس فيما قال ليوسف فيكيدوا لك كيدا ولكن اذا جاء القدر عمي البصر • قال ويقال من قبل على محبوبه حديث اعدائه لقي ما لقي يعقوب في يوسف من اولاده • وقوله تعالى ارسله غدا نرتع ونلعب • قرا ابن كثير بكسر النون وكسر العين نرتع من ارتعت • وقرا نافع بالياء فيهما وجزم العين واجمعوا على جزم ونلعب قالوا ابعثه معنا الى الصحراء غدا ناكل جميعا ما يكون فيها بكثرة وسعة ونلعب فيها جميعا وذلك في اللعب المباح الذي قد يفعله الكبار مع الصغار وخصوصا اذا كانوا اخوة لا يحتشم بعض من بعض ويجوز ان يكون ذلك اللعب هو ما ذكر بعده من الاستباق في قولهم ذهبنا نستبق اي نرتمي بالقسي والسهام • وقيل نستبق بالاقدام وكل ذلك مباح في الشرع • قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اللهو مباح الا ثلاثة ملاعبة الرجل اهله ورميه عن قوسه وتاديبه فرسه • وقال عليه السلام ستكون لكم فتوح فلا يعجزن احدكم ان يلهو بقوسه واسهمه • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة على الاقدام • ومن قرا نرتع بتسكين العين فهو من رتع يرتع رتوعا • ومن قرا بالكسر فهو من ارعى رعيا وهما في المعنى واحد • ومن قرا بالياء فيهما فقد جعل الفعل ليوسف يسرح ويتقلب في الصحراء ويلعب لعب الصبيان وحده وانا له لحافظون في حين لعبه من ان يناله السوء وسعي ان يطوف بحيث يخاف عليه من الوحوش والهوام • وقال الامام القشيري رحمه الله اطمعوا يعقوب في تمكينهم يوسف مما فيه فرحه من اللعب وراحته فطابت نفسه باذهابه معهم وان كان يشق عليه فراقه ولكن المحب يؤثر راحة محبوبه على مشقته ولما ركن يعقوب الى قولهم وانا له لحافظون قبلهم حتى قالوا وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب كذلك يكون من سلم حبيبه الى اعاديه عمي بعيني بلائه • وقال في كتاب عصمة الانبياء ما معنى اجابة يعقوب لبنيه في ارسال يوسف معهم وقد سمع انهم للرتع واللعب يدعونه ويحملونه وهو نبي مرسل هلا حجز عن اجابتهم قلنا انه عليه السلام عاملهم بالعشرة فيما لم يكن محرما على يوسف في حال الصبا والرتع واللعب اللذان كانوا يدعونه اليهما لم يكونا معصية وان كانا مكروهين او لغوا الاعمال وان كان الانبياء والاصفياء لا يختارون من الاحوال الا افضلها ومن الامور الا اجملها لكنهم اذا استقبلهم ممن دونه لغو واصابه مكروه عاملوه على قدر احتمالهم فلم يكن من الجفا الاصفياء مذموما يحيل مرادهم في تحسين اخلاقهم استجلابا منهم الذين عاملوهم الى الحق والهدى فان قال قائل بان يحيى عليه السلام فيما يروى عنه عرف ذلك حتى دفع الاجابة للصبيان الى اللعب حتى مدحه الله تعالى فقال واتيناه الحكم صبيا وهو ابن اربع سنين حيث قال لهم ما للعب خلقت فهلا عرف يوسف عليه السلام حتى كان يدفعهم قلنا انه عرف انه للعب لم يخلق ولكن لم يدفع كلامهم تعظيما للاخوة الذين كانوا اكبر سنا منه ولم يظهر الاجابة بالكلام ولا بالعمل رتعا ولعبا فيما به باس من جنس حرمته • وقال الامام ابو منصور رحمه الله خاف يعقوب على نفسه الضيعة من جهة الجوع بتركهم حفظ اوقات الاكل فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم ونلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة وخاف عليه الضيعة بتركهم حفظه فامنوه عن ذلك بقولهم وانا له لحافظون حتى استنقذوه من يديه • وقيل ما لك لا تامنا هذا عتاب منهم لابيهم ومثله في القران وما لكم لا تومنون

لا تحقق احسب اليابا نا ... عصمة ومن نحو قولهم م

عليهم م

لا تامنا بنونين ولا تامنا بالادغام م

بالله • وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله • وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وهذا عتاب الله عز وجل مع عبيده • وقال نوح صلوات
الله عليه ما لكم لا ترجون لله وقارا وهذا عتابه مع امته • وقال تعالى وما لنا ان لا نتوكل على الله وهذا عتاب الصالحين مع
انفسهم وقالوا فيه لم ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون تكلموا ابهما في كلمات وفيها ثمانية انواع من الخطا قالوا
ارسله وهذا امر وامر الابن لاباه خطا وقالوا معنا وهذا منهم روية انفسهم وهي خطا • وقالوا غدا وهذا طول امل منهم وهو خطا
وقالوا نرتع وهذا حديث الاكل وحظ النفس وهذا من المتورعين خطا • وقالوا نلعب وهو من الانبيا خطا • وقالوا وانا
لحافظون انفسهم وهذا من الكبر خطا • وقالوا لحافظون راوا الحفظ من انفسهم وهو من الله جل جلاله فاضافته الى
العبد خطا • واطلقوا هذا الوعد ولم يقولوا ان شا الله خطا لكن ستر عليهم ابوهم مع علمه بخطايهم شفقة عليهم • وقال
اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون الحزن الم القلب بفوات المحبوب والخوف انزعاج
النفس لنزول المكروه • وقالوا لعل تلك المواضع كانت مسبعة فخاف ان يشتغلوا عنه بما يشتغل مثلهم فيغفلوا عنه
فيعدو عليه ذيب فياكله • وقال مقاتل وانما قال يعقوب ذلك لانه راى في المنام ان ذيبا انتزع يوسف من يده
وقال الامام ابو منصور رحمه الله وهذا لا يحتمل لان رؤيا الانبيا حق وصدق فلا يحتمل ان يرى ذلك ثم يقول واخاف
ان ياكله الذيب او يدعه يذهب معهم لكنه خاف عليه اكل الذيب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز اذا الخوف على
الصبيان منها والضياع عليهم يكون بالذيب اكثر من وجه اخر لانه جائز ان يفترسه سبع عند اشتغالهم بعمل • وقال
الامام القشيري رحمه الله يقول اني ليحزنني ان تذهبوا به لاني لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت
الحالة حالة السلامة فكيف ومع هذا اخاف ان ياكله الذيب • وفي الخبر انما يسلط على ابن ادم ما يخافه ولما خاف يعقوب
على ولده الذيب امتحن بحديث الذيب قالوا لين اكله الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون اي لين قدر على اكله الذيب
ونحن فرقة نحيط به ونحوطه فلا نعجز مثلنا عن ذب السباع عنه انا اذا لخاسرون اي مضيعون نخسر اخانا فيذهب
هدرا وكانا سلمناه الى الذيب وعرضناه للضياع والخاسر في اللغة لقب مذموم يقارب معناه معنى الهلاك
ومعنى الضياع كما قال تعالى فما تزيدونني غير تخسير قال الزجاج تضليل وكانه ضد المفلح والمفلح من نال المطلوب
وفاز بالخير والخاسر من لا خير فيه ولا فلاح له وحقيقته النقصان وضد الخسران الذي هو ضد الربح والخاسر هو
الناقص لعقل والتدبير • وقال الامام القشيري رحمه الله حق في اخوة يوسف ما وصفوا به انفسهم من الخسران
وان من باع اخاه مثل يوسف بمثل ذلك الثمن البخس لحقيق ان يقال خسرت صفقتك • وفي كتاب عصمة الانبيا فان قالوا
كيف كان يجوز من النبي المرسل الاشتغال بعادات الناس في كلامهم من نحو قوله اني ليحزنني ان تذهبوا به الى اخر كانت
الله عز وجل غير مبقي عليهما ذكره فكيف كان يحزنه امر يوسف قلنا هذا اظهار منه الشفقة على الولد والوالدان مامورات
بالشفقة على الاولاد والشفقة عليهم لا تزيل حق الحق عن اسرارهم لان الشفقة قايمة برحمة الله تعالى ورحمته صفته
لا تبعده عن الحق سرا وعلنا • قال الله تعالى لنبيه فبما رحمة من الله لنت لهم ولان كان باطنه مصغيا عن شوايب الشك
وروايب الميل الى الاسباب دليله قوله تعالى وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت اخبارا بان
ما يخاطبهم على قدر احتمال عقولهم على ما جرت به العادات فيما بين الناس من استعمال الاسباب لابلا الحذر وتسكين الخواطر
من لعل وعسى • وقال بعض الحكما قيل البلا موكل بالمنطق فكان بدا يعقوب من ذلك قال اني ليحزنني ان تذهبوا به وقال
اخاف ان ياكله الذيب فقالوا فاكله الذيب • وقال وانتم عنه غافلون فجعلوا ذلك عذرا لانفسهم • فقالوا وتركنا
يوسف عند متاعنا وكان يجتهد بذكر هذه الكلمات في حفظ الولد وحث الاخوة على ذلك فتكلم بما صار تلقينا لهم
ماذا يفعلون فقد كانوا لا يدرون ماذا يصنعون به وماذا يقولون له فتلقنوا من كلامه عذرهم • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال لما قال يعقوب واخاف ان ياكله الذيب قالوا ما سمعنا بذيب اكل انسانا فمن اين تقول هذا
قال رايت منذ ليال على قلة جبل ويوسف في بطن الوادي وقد احاطت به عشرة ذياب يريدون قتله فاردت النزول
لانقذه فلم اجد الى ذلك سبيلا فبينا انا كذلك انشقت الارض فسقط يوسف فيها فهالني ذلك فاستيقظت
فاذا يوسف في حجري فقلت الحمد لله • قال ابن عباس رضي الله عنهما فاجمل حال يعقوب والذياب اخوة يوسف
وانشقاق الارض ووقوعه في غيابة الجب • فقيل لابن عباس رضي الله عنهما وهل كان يعلم يعقوب تاويل الرؤيا
قال نعم قالوا فلم ارسله معهم • قال اما سمعتم اذا جا القدر عمي البصر • وقوله تعالى فلما ذهبوا به روي ان ابليس وهنا
محذوف اي فارسل يعقوب يوسف عليهما السلام فلما ذهبوا به • روي ان ابليس لعنه الله اتاهم وهو في صورة شيخ وكانوا
يريدون ذلك في الشتا ليس هذا وقت الخروج به الى الصحرا فامكثوا حتى يجي الربيع فقالوا للاب طاب الزمان وتزينت
الصحرا ويوسف في البيت لا يرى ما نرى فاذن له في الخروج معنا فيتفرج فلما جا الربيع جاووا الى يوسف فكلموه حتى حببوه
في ذلك فقالوا اذا سالنا ابانا ان ياذن لنا فاجتهدت معنا في الاستيذان ففعلوا فتضرع يوسف الى ابيه في ذلك
فاضطر فاذن له ليلا ان يخرج معهم غدا وكان طول الليل يبكي خوفا على فراقه فلما اصبح رجله وطيبه وتنقيل الثياب
بجملة وليس ثوبا به فخرج معهم غدوا وكان طول الليل يبكي خوفا من فراقه كما ذكرنا فخرج معهم يشيع يوسف فلما خرج من
درب كنعان الى شجرة كانت عندها وداع المسافر فعانق يوسف وودعه وبكا وقال لاخوته لا تلوموني فاني الى تسمع فيه
انار

الاراى وجدى وارحما يوسف وصايا فقال لا تخش الله تعالى بكل حال واذا وقعت في بلية فاستعن بالله واكثر من قول حسبي الله ونعم
الوكيل فان جدك ابرهيم حين القي في النار قال ذلك ولا تنسني فاني لا انساك ولا تقطع حتى تراني فاني لا انسك حتى اراك
وعاهد اخوة يوسف ان يطعموه ويسقوه عند الحاجة ويحملوه ولا يتعبوه فقبلوا منه ذلك فاحتمله روبيل على عاتقه ورجع
يعقوب فلما بعد واعنه القاه روبيل عن عاتقه وقال امش كما تمشي فشي واعيى فقعد وقال عطشت فاسقوني فلم يسقوه
وعجز عن المشي فاكرهوه ولما امتنع لطمه بعضهم وعنفوا عليه وقالوا اين روياك النجوم والشمس ما جاءت لك استغث بهم
واستنهم واستغلهم • وقوله تعالى واجمعوا قيل اي عزموا وقيل اتفقوا ان يجعلوه في غيابت الجب فذهبوا به واوحينا
اليه قيل بشرناه على لسان ملك • وقيل اوحينا ارسلنا اليه بالنبوة • قال الحسن اعطاه الله تعالى النبوة وهو في الجب
لتنبئنهم بامرهم هذا هذه بشارة مؤكدة تاكيد اليمين اي لتخبرنهم بما فعلوا بك وهو قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وهذا نوع توبيخ وهو بشارة له بمصير امره الى ذلك وهم لا يشعرون بحاله القايه في الجب ان الله تعالى اوحى اليه وبشره
به • وقال الامام القشيري رحمه الله حين انقطع عنه ملاطفة ابيه جاءه الوحي من باريه وهكذا سنته جل جلاله لا يفتح
على نفوس اوليائه بابا من البلا الا فتح على قلوبهم ابواب الصفا وفنون لطايف الولا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
ويشبه ان يكون قوله تعالى واوحينا اليه اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وذلك قوله اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه علم انه حي بذلك الوحي علاوة لك قوله تعالى اني لاجد ريح يوسف • وقوله تعالى الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
واختلفوا في جواب لما قال اهل البصرة هو محذوف تقديره عظمت فتنتهم او كرما قصدوا اليه • وقال اهل الكوفة الواو
من واجمعوا او من قوله واوحينا او من قوله وجاووا اباهم عشا يكون مقحمة زايدة ونظيرهذا الاقحام قوله تعالى فلما
اسلما وتله للجبين وناديناه • وقال امرؤ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل • وقيل
جوابه قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق من غير اقحام • قال وهب فجاووا به الى راس جب وارادوا ان يلقوه فيه فتعلق به
وتعلق براس الجب وتعلق قميصه بصخرة فخلعوا قميصه وتركوه عريانا والقوا به فيه لكيلا يتعلق بشيء ثم القوه فيها
فقال لهم ردوا علي قميصي استتر به في الجب فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر حتى يسترونك في الجب وكان
ذلك الجب بالاردن في وادي ادونها على راس ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وكان ماؤها غليظا كدرا فلما القي فيها
يوسف عذب ماؤها وصفا ووكل الله تعالى ملكا فوضع يوسف على صخرة ثابتة في الجب فقعد يونسه وبكى يوسف
واشتد بكاؤه وبكى الجب لبكائه وكل شيء سمع صوته من شجر او حجر او مدر وقيل شدوا وسطه بحبل وانزلوه به فيه فلما
توسط الجب قطعوا الحبل فكاد يسقط فامر الله جل جلاله ان يدركه فادركه واخذه وحجر من جعله كرسيا واجلسه
عليه • وقالت هوام البير بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبيا نزل بساحتكن فما تحركن الا الافعى
فانها قصدت يوسف فصاح بها جبريل فصمت وبقي الصمم في نسلها وعلم جبريل يوسف عليهما السلام هذا الدعا اللهم
يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد لا اله
الا انت سبحانك اسالك ان تجعل لي فرجا ومخرجا وان تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني
وترحمني يا ارحم الراحمين ثم رجع جبريل ولما غربت الشمس جا يهودا الى راس الجب ونادى يا يوسف يا يوسف احي
انت ام ميت فقال يوسف من انت فقال يهودا وكيف حالك قال كيف حال من ثكل امه وفقد اباه وجفاه اخوته
واغترب عن وطنه وهو جايع عطشان مهموم عريان ليس من الاحيا فوق الارض ولا من الاموات تحت الارض
فبكى يهودا وارتفع بكاؤه وقال له يوسف ان لكل ميت وصية ووصيتي اليك الا انظر الى شاب الا ذكرت شبابي
ولا الى يتيم الا ذكرت يتمي ولا الى غريب الا ذكرت غربتي فبكى يهودا بكا شديدا فسمع الاخوة بكاءه فاتوه فقالوا
لا تبكي عليه وسدوا راس الجب بصخرة عظيمة فبكى يوسف حينيذ وصاح صيحة بكى لها ملايكة السما وقالوا
يا ربنا ارحمه فبعث الله تعالى جبريل ومعه اطعمة واشربة من الجنة ونور الجب وكان القميص الذي البسه
جبريل ابرهيم عليه السلام وكان جعله في تعويذ وربطه على عضد يوسف فحله جبريل ففتحه واخرجه وكساه
وطيب قلبه بالبشارات وقال له بامر الله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال قايلهم الدهر لا يبقى على حاله
كذلك حال العبد في العسر • اما ترى يوسف وجبه في ضيق امره ثم في اليسر • وقوله تعالى وجاووا اباهم عشا
يبكون في اخر النهار الى الليل ويكون في معنى الحال اي يظهرون على يوسف ويحتمل انهم ندموا على ما فعلوا • وقوله
تعالى قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق • قال الزجاج اي نترامى بالسهام اينا اصوب سهما • وقيل اي نتعادى بالاقدام اينا
اسرع عدوا وتركنا يوسف عند متاعنا ايحلنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا فيما نقوله ولو
كنا صادقين اي عندنا لتاسي لاتهم بتضييع اخانا ولذلك لسوظنك بنا واتهامك لنا فيه • وقوله تعالى وجاوا على
قميصه بدم كذب اي مكذوب فيه اي مصدر اريد به المفعول به كالنفقة اذا الموثوق به اي اخرجوا له قميص يوسف
ملطوخا بدم كذبوا فيه • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد كان دم سخلة او جدي ورموه انه دم ابنه • قال بل سولت
لكم انفسكم امرا اي لم يصدقهم فيما جاووا به من الدم وما اخبروه به من اكل الذيب • وقال الكلبي لا ارى على ما تذكرون بل
زينت لكم انفسكم امرا تفعلونه وامرا كناية عن تضييعهم يوسف او هلاكهم اياه ولما لم يكن ذلك بينا عند يعقوب

كني فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتم ان يخلو وجه لكم فغيبتم يوسف عني • وقوله تعالى فصبر جميل اي فلي صبر جميل او فهي
كقوله تعالى فعدة من ايام اخر فدية مسلمة الى اهله اي فعليه ذلك • قال النبي صلى الله عليه وسلم فصبر جميل صبر لا شكوى
وقوله تعالى والله المستعان على ما تصفون اي استعين الله على كشف ما التبس علي من امركم • وعن الشعبي كانت قصة
يوسف كلها في قميصه لما القاه اخوته في الجب نزعوا عنه قميصه وعمدوا الى سخلة فذبحوها ولطخوا قميصه بدمها ثم
جاءوا به الى ابيهم فنظر يعقوب الى القميص وهو صحيح فقال لبنيه ان كان هذا الذيب لحليما حين اكل ابني ولم يخرق قميصه
ولما تخرق قميصه ولا شهد شاهد قال ان كان قميصه قد من دبر فكذبت الاية ولما اتى يعقوب بقميصه فالقي على وجهه فارتد
بصيرا • وفي القصة انهم لما ابطاوا على يعقوب كانت لجارية يقال لها الهاصر فقال لها خذي بيدي فانطلقي بي استقبل
يوسف فخرجا من كنعان وصعدا تلا ينتظران فلما اظلم الليل قال الهاصر يا والدي فقالت يا اولاد يعقوب هذا ابوكم
ينتظركم فسمعوا بذلك وهم في واد فمزقوا ثيابهم وجعلوا يقولون يا يوسفاه يا حبيباه • فقال يعقوب ما هذا
الصياح فاخبرته بما يقولون فخر مغشيا عليه ثم افاق فقال اي ذيب اكله • وفي هذه الرواية انهم كانوا اخذوا ذيبا فاخبروه
فقالوا هذا الذيب فقال للذيب لم اكلت ولدي فتكلم الذيب وقال انا والله ما رايته قط فكيف اكل ولدك قال
فهل هو في الاحياء قال نعم قال اين هو قال اسال جبريل قال انه لا يخبرني قال واذا لم يخبرك هو فكيف اخبرك • وقال الاولاد
اسمعتم قالوا اتصدق ذيبا وتكذبنا ونحن عشرة فقال لجبريل اي شي يدل على ذلك ويكون لي تذكرة عنه فقد جنوا وعادوا
عشا وقد حملوا قميصه ملطخا بدم شاة فاخذه ونظر فيه فاذا هو صحيح لم يخرق فقال اهل كان يوسف في هذا القميص
قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يخرق هذا مخلوقا فقال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا ثم توجه الى الوادي وهو يقول
يا ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي في اي جب طرحوك في اي بحر اغرقوك باي سيف قتلوك باي ارض دفنوك فبكى
لبكائه الملائكة فاتاه جبريل وقال لقد ابكيت بكائك الملائكة فقال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون • وفي
كتاب حضرة الانبياء قال اضاف فعلهم الى تسويل انفسهم ولم يصرح بالفعل منهم فلم يقل فعلتم ما فعلتم وانتم ظالمون
بل قال سولت لكم انفسكم وعقولكم للايمان خالية عن قبول تسويل انفسكم فصبر جميل اي فلي الصبر اذ انا علمت
فعلكم انكم تكابرون معتقدين ايذائي فصبر على تحمل اذاكم فاصبر صبرا جميلا وهو الذي لا جزع فيه وقد نقل
ذلك عند الصدمة الاولى • وفي حق الصبر اذ لوعة المصيبة عند حدوثها اشد فاذن لم تخالف وقد صبر الصبر
الجميل اذ لم يجزع الحال وجزعه من بعد ذلك • وقوله تعالى يا اسفا على يوسف للذي ناداه اكان فلا يزول بل الصبر
على ان الجزع لا يزيح الصبر • قال النبي صلى الله عليه وسلم في وفاة ابرهيم ولده القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب ابان ان صفة الانسان هي الضعف والعجز • قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا • ولان
جزعه كان لفوات تلك اللطايف التي كان اختص بها يوسف وكانت تؤثر في سر يعقوب عليه السلام فتحلي بتلك
اللطايف وهي كانت ربانية فالعبد فيما يفوته من نحو هذا اذ الجزع بما يحيي بصره ويديه وتحيته كان ممدوحا على تلذذه
على انجزعه انجل على فراق يوسف عليها قال يا اسفى على يوسف وحمل على ظاهره ولم يبعد من الحكمة والاشباح لها
حرمة فان الله تعالى رد على المعتزلة فان الجزع لفقد جسد اجل الله قدره فقد اجلها اجله الله عز وجل
فلم يكن جزعه كجزع الخايبين الغافلين لفقد الولد بحق الميل اليهم بهمة ورغبة في حظوظهم منهم • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله وفي الاية دلايل • احدها ان من ارتكب صغيرة فانه يخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرا
ومن ارتكب كبيرة لم يخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتله او طرحه في الجب والتغييب عن وجه ابيه والخلاف
عنه وذلك لا يخلو منهم اما ان تكون صغيرة او كبيرة فان كانت صغيرة فقد استغفروا عليها بقولهم يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب عليها وان كانت كبيرة فلم يخرجوا عن الايمان حيث صاروا
انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين دل ما ذكرنا على نقض قول المعتزلة في صاحب الصغيرة انه لا يعذب عليها
وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان وبعض قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب كبيرة وصغيرة صار به كافرا مشركا
وذلك بعض قول من يقول ان من كذب متعمدا او وعد فاخلف او اوتمن فخان ليصير منافقا لان اخوة يوسف اوتمنوا
فخانوا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذيب وما اكله لانه كذب وائتمنوا
فخانوا حين القوه في الجب ووعدوا انهم يحفظونه ولم يحفظوه فان قيل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلاث من علامات النفاق اذا حدث كذب واذا اوتمن خان واذا وعد اخلف فكيف توفق بين الاية والخبر قيل هو
لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان يكون هذا في قوم خاص او يمنوا ما اودع في التوراة من
نعت محمد صلى الله عليه وسلم فغيروا او وعدوا ان يبينوه فاخلفوا وكتموه وحدثوا انهم يبينوه فكذبوا او يصير
منافقا ولا يكون ذلك من اعلام المنافق والله تعالى اعلم • وقال في قوله تعالى فصبر جميل اي كف النفس عن الجزع
جميل لا مكافاة فيه فانهم بما فعلوا كانوا مستوجبين ذلك • وقوله تعالى • وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى
دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون • قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو يا بشراي كما
سلف مضافا الى الياء • وقرا الباقون يا بشرى غير مضاف والوارد السائر الى الماء للاستقاء منه وادلى دلوه ارسلها

قال م

ما ذكر اذ كان ذلك قبل النبوة فاما في غيره فانه يغير بمسافتهم

يلقاها

وادلى دلوه لما ايد لوها اخرجها ملأى ماء الاسرار الاخفاء والبضاعة قطعة من المال يحمل للطلب ربحا فيقولون [illegible] يسيرون الى موضع
تبا كوا يسيرون الى مصر جايين من الشام فانهم نزلوا بناحية بيت المقدس فاتجب هناك فارسلوا من يرد الى البير ليستقي لهم الماء [illegible]
الموارد فارسلوه الى البير فتعلق بالدلو يوسف قراءة الوارد [illegible] اصحابه وهم في القرب [illegible] فقال يا بشراي هذا
غلام [illegible] ومن قرأ يا بشراي [illegible] بالبشارة فنظروا اليه واسروه
الله بضاعة اي قالوا في انفسهم نبيع هذا الغلام من ملك مصر [illegible] هذا اسرها في انفسهم
جاعلين له بضاعة • وقيل معناه ان هذا الوارد ورفقته خافوا ان [illegible] بالحال [illegible] شركوهم فيه فاسرها
بينهم ان قولوا اذا سالكم اهل الماء عنه قالوا انه بضاعة استبضعناه بعض اهل الشام الى مصر ليبيع الغلام فمن غير
مزاحمة • وقيل واسروه بضاعة هو قول اخوة يوسف وكانوا بالقرب منهم جاءوا [illegible] وجعلوه عبدا جملوه بضاعة
لانفسهم بيبيعوه ولم يظهر يوسف خوفا على نفسه من القتل الذي [illegible] والله عليم بما كانوا [illegible] فالاخوة يعملون والملتقطون
ما اراد [illegible] ولو شاء الله لغيرهم [illegible] يوسف خلاصه [illegible] حكمه في وقتي علمه [illegible] الكل
اجلا كتابا فانهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيطلقه حينئذ • قال كانوا من مدين ومصر واخطأوا الطريق الوقفة الطريق فنزلوا
في بئر [illegible] فلم يجري الى الطريق [illegible] اغنامهم منها • وقال الامام القشيري رحمه الله
ارادة الله [illegible] يوسف من الجب [illegible] خواطر السيارة [illegible] الى الاستقبال يوسف الى
خلاصه • وقد يكون [illegible] في العالم [illegible] منه سكون واحد • وقيل رب ساع للقاعد • وقال وهب كان يوسف
صلوات الله عليه في الجب ثلاثة ايام واخوته بالقرب منه يحرسونه حتى جاءت السيارة وهم رفقة من اهل مدين ومصر للتجارة
وثلاث عشرة نفسا فنزلوا [illegible] فارسلوا واردهم وهو مالك بن دعر [illegible] فادلى دلوه • وقال عثمان بن عبد العزيز
العمري وكان سيد القوم مالك بن دعر الخزاعي من العرب • وقيل هو مالك بن دعر بن نويب بن عاد بن مدين بن ابرهيم من
امام مدين بن ابي شعيب واردهم بشير • وكان لمالك غلامان بشير وبشري فادلى بشير دلوه فتعلق بها يوسف فقيل له
فيها فامسك الحبل بيده فطلع الغلام في الدلو فتكلم ابن كلام السيارة ولم يروا مثله حسنا وجمالا وبصيرة وتماما فلما
نظر الى الغلام قال لاصحابه يا بشراي وقال لصاحبه يا بشراي فدعوا اسمه واسروه بضاعة كتموه من القوم وقالوا
لاهل القافلة بضاعة استبضعنا اهل الماء نبيعه لهم بمصر وكان ذلك باعين اخوة يوسف فجاءوهم وقالوا لهم هل لكم
ان تشتروا منا هذا الغلام قالوا او مملوك هو لكم قالوا نعم قالوا حاشا لله ما هذا بمملوك ولا موسوم بالعبودية
ولكنه موسوم بسيما الاحرار الكرام فما قصة هذا الغلام قالوا ولد في حجورنا ونشا بيننا وربيناه بايدينا فالحقه
ابونا فاكرمه واثره ونعمه وفضله فضرب وجهه وغلب عليه فادركنا ما يدرك الناس من الغيرة والحسد وغاضنا
ان يكون عندنا احب الى ابينا منا وليس بمملوك لابينا ولكنه ابن امة لامنا وقد وهبته لنا فاذنت لنا في بيعه وكرهت
قربه من اهلنا فلما سمعت السيارة مقالتهم تراءوا لهم وحسن ميتهم صدقوهم فاشتروه منهم فذلك قوله وشروه
بثمن بخس اي باعوه يعني اخوته • قال تعالى ومن الناس من يشري نفسه • وقوله بثمن بخس قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي قليل والبخس في اللغة النقص • وقال ابن حيان اي زيف رديء • وقيل اي حرام لان ثمن الحر حرام • وقوله تعالى
دراهم معدودة بدل من ثمن بخس • قال ابو بكر بن عبدش هذا يدل على انه كان من ثلاثة الى عشرة لان ما فوقه من العدد
لا يسمى دراهم • وقيل انها لقلتها عدت فلم توزن • وقيل كانت اربعين او ذلك وكانوا يعدون ما دون الاوقية
ويزنون ما فوقها والاوقية اربعون درهما واكثرهم على انها كانت عشرين وهو قول ابن عباس وقتادة وعكرمة
وعطية وكانوا عشرة واصاب كل واحد منهم درهمان • وقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين اي كانت الاخوة غير
راغبين في ثمنه • وقيل في بيعه • وقيل وكان المشترون في شراه غير راغبين لان الاخوة وصفوه بالاباق • وقيل
اي ما خطر ببال المشترين معه الفسق مع صباحته وسماحته • وفي القصة انهم لما عرضوه على البيع قال لهم مالك
ليس معي نقد كثير قالوا انا نسامحك بما معك فكان معه عشرون درهما للنفقة فاشتراه منهم بها فطلب مالك منهم كتابا
الشترى فكتب وقيل باسم الله ابرهيم هذا ما اشترى ابو دلامة مالك بن دعر الخزاعي مملوكا من آل يعقوب بعشرين
درهما نفقتها عشرة دراهم فاعطاهم عهده وميثاقه الذي اخذ على انبيايه ورسله امانة بان لا يلبسه الا المسح
ولا يطعمه الا قوته ولا يحمله الا على بعير بغير وكاف ولا يطلقه حتى يدخله مصر وتنقض ان يعقوب الثمن فاخذ مالك
العبد واشهدوا بذلك على انفسهم اصحاب العير من التجار • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل بثمن بخس اي ناقص
بثمن لا يباع مثله بمثله وكانوا فيه من الزاهدين • قيل اي المشترون لما خافوا ذهاب الثمن انه كان مسروقا • وقال
الامام القشيري رحمه الله ليس العجب ممن يبيع يوسف بثمن بخس انما العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس والحرمان
لا غاية له والبخس لا نهاية له • قال ويقال ليس العجب ممن يبيع يوسف بثمن بخس العجب ممن يبيع وقته الذي هو اعز
من الكبريت الاحمر بعرض خسيس من الدنيا • قال ويقال ان السيارة لم يعرفوا قيمته وزهدوا في شرايه بثمن بخس
والذين وقفوا على جماله وشيء من حاله غالوا في ثمنه حتى اشتروه بزنته دراهم ودنانير
مرات • وفي معناه انشدوا ان كنت عندك يا مولاي مطرحا • فعند غيرك محمول على الحدق • وقوله تعالى وقال

كعب م

في ذمته

الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا • قال وهب فانطلقت السيارة حتى وردوا به مصر فدخلوا سوقها
ثم عرضوه للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا وتنافسوا فيه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فوزن فبلغ أربعمائة
رطل وهو يومئذ غلام ابن ثلاث عشرة سنة • وقيل ابن ثماني عشرة سنة • وقيل ابن تسع عشرة سنة اشتراه بذلك رجل من القبط
يقال له قوطيفر وهو عزيز مصر وهو أمين أهل مصر في أنفسهم وأمين فرعون وخازنه على كل شيء بملكه وعونه وكاتبه وكان
قوطيفر مؤمنا مستترا بإيمانه وكان شرط على الملك أن لا يصده عن دينه ولا يدعوه إلى غيره ليعمل له وكان رجلا صالحا • قيل
والملك فرعون موسى • ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وهو غير بعيد لأن فرعون عاش أربع
مائة سنة • وقيل بل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وهو الوليد بن ريان رجل من العماليق • وقيل لما نقد العزيز
لمالك بن دعر هذه الأشياء قال يوسف لمالك لا تأخذ هذه الأشياء ثم شيئا فإني حر وبين نسبه فقال مالك للعزيز
بذلك فقال لا يمكن فإني العزيز وقال لا يصلح لمثلي وأنا تاجر من تجار ولايتك والمستظل بظلك ولكن أنا أربح عليك
وإني اشتريته بعشرين درهما فلا آخذ منك إلا مثل العدد ولولا أنك لا ترضى بامتناني عليك لم آخذ منك شيئا فأحسن إلى
هذا فإنه أهل للإحسان ثم أتى إلى يوسف وقال إني قد عملت بقولك وبيننا ما تعرف فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال
أنا رجل لا يولد لي فادع الله أن يرزقني ولدا فنظر يوسف عليه السلام إلى جبريل مستفهما يقول ادع الله للتاجر فإنه قريب
مجيب فقال ما أقول فقال قل يا من يعز ويذل يا من يضع ويرفع ويا من يعطي ويمنع يا من هو على كل شيء قدير ارزق الشيخ
أولادا ذكورا • قال ابن عباس رضي الله عنهما فاستجيبت له دعوته وكان لمالك بن دعر اثنتا عشرة جارية فرجع إلى اليمن
وبأرض من حملت كل جارية وولدت ذكرين فاجتمع له أربعة وعشرون ابنا الزعني والسندي والسدري • والأحيل
والبلندي • والمهذب • والمصعي • والأصغ • والغضنفر • والجشم • والمشرف • ومصدع • والسميدع • والرخال
والذيال • والسيفي • وتغلبي • ونهش • وعصعص • والغلمس • والعديس • والملامس • والعلاس • والعربدي • ولما
اشتراه العزيز وحمله إلى بيته قال لامرأته زليخا أكرمي مثواه أي أحسني مقامه وأنزليه منزلة من يكرم عسى أن ينفعنا
بالإعانة لنا على أمورنا التي يليها يكفينا بعض أشغالنا غير نفقة أو نفاق العبيد أو نتخذه ولدا أي نتبناه وهذا
يدل على أنهما لم يكن لهما ولد • ويحتمل أنه كان ولكنهما تمنيا الزيادة أو توسما في يوسف ما كان معدوما في أولادهما وكان
الله تعالى ألبس يوسف في تلك الحالة لباس مثله ممن قد أعده لاصطفائه • وقيل أصدق الناس فراسة ثلاثة
العزيز حين قال عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا • وابنة شعيب حين قالت يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوي الأمين • وأبو بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف عمر فقال له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه • قوله
تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي وكما خلصناه من كيد إخوته ومن الجب ملكناه أرض مصر ولنعلمه من تأويل
الأحاديث هو عبارة الرؤيا وغير ذلك مما قررناه أولا لسورة فيصير الملك بها والنبي المبعوث إليها • وقوله تعالى
والله غالب على أمره أي على من نفسه لا يغلبه على ما يريد إمضاءه أحد ولكن أكثر الناس لا يعلمون لإعراضهم عن التفكر
في آياته والاستدلال بها على كمال قدرته ونفاذ مشيئته • وقيل والله غالب على أمر يوسف يدبره بما لا يعارضه
فيه أحد ويبلغه المنزلة التي بلغها إياه • ويتحقق فيه رؤيا أبيه إذ قال له وكذلك يجتبيك ربك الآية ولكن أكثر
الناس لا يعلمون تدبير الله عز وجل فيه ويجهلون قدره عنده • وقال الإمام القشيري رحمه الله لما نودي على يوسف
بمصر ببيعه لم يرض الله عز وجل حتى أصابتهم العسرة حتى باعوا من يوسف جميع أملاكهم ثم باعوا أنفسهم منه في آخر
أمرهم طلبا للطعام فصاروا بأجمعهم عبيدا له ثم إنهم لما ملكهم من عليهم فأعتقهم فلئن مر عليه يوم بمصر نودي عليه
بالبيع أصبح بمصر يوما آخر وقد ملك جميع أملاكهم وملك رقاب جميعهم فيوم بيوم • قال الله تعالى إن مع العسر يسرا
يومان شتان ما بينهما ثم إنه أعتق جميعهم وكذا الكريم إذا قدر عفا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض إن من حسده
أراد أن لا يكون له فضل عليهم في ذات نفسه على إخوته وفيه وأراد الله تعالى أن يكون له ملك الأرض فكان ما أراد
الله تعالى لا ما أراد حساده • قال الله تعالى والله غالب على أمره وأرادوا أن يكون يوسف عبدا لمن باعوه منه
من السيارة والله أراد أن يكون عزيزا بمصر فكان ما أراد الله تعالى دون ما أرادوا والله غالب على أمره • وقوله
تعالى ولما بلغ أشده • قال ابن عباس رضي الله عنهما عشرين سنة • وقيل ثماني عشرة سنة تقول ولما بلغ يوسف شبابه
وكمال قوته ووفور عقله واهتدائه للأمور آتيناه حكما وعلما أي حكما بين العباد بالنبوة وعلما بالدين وبتأويل الأحاديث
وكذلك نجزي المحسنين وهكذا نجزي من أحسن عمله فلم يخلطه بشرك ولا معصية • قيل المراد به رسول الله صلى
الله عليه وسلم أعلمه الله تعالى أنه صائر إلى العلو على قومه ونفاذ الحكم والسلطان عليهم كما فعله بيوسف عليه
السلام • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكذلك نجزي المحسنين أي المؤمنين • وقال الضحاك أي الصابرين
على النوائب • وقال في قصة موسى صلوات الله عليه ولما بلغ أشده واستوى ولم يقل ههنا استوى لأن موسى
أوحي إليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة • وأوحي إلى يوسف عندما قال له وهو ثماني عشرة سنة • وقال
الإمام أبو منصور رحمه الله وكذلك نجزي المحسنين يحتمل إحسان الأعمال ويحتمل الإحسان إلى الناس ويحتمل
الإحسان إلى نفسه ويحتمل إحسان صحبة نعم الله والقيام بشكره • وقال الإمام القشيري رحمه الله من جملة الحكم الذي

أتاه

آتاه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه
على غيره • قال وقيل لما استوى شبابه وكان وقت استيلاء دواعي طلبات البشرية آتاه الله الحكم الذي أثبته على الحق وصرفه
عن الباطل • وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك • قال الإمام أبو منصور
رحمه الله دلت الآية أن البيت يضاف إلى المرأة وإن كان في الحقيقة لزوجها وهو دليل أصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل
دار فلان فدخل دار امرأته أنه يحنث لإضافتها إليه والمراودة فعل بين اثنين يراود أحدهما الآخر على شيء فيجري في ذلك
مدافعة وممانعة مأخوذة من الإرادة وهي المشيئة ومن الرود وهو الطلب تقول طالبت زليخا يوسف بمساعدتها على
ارتكاب الفحشاء منها ويجوز أن يكون مشتقا من الرويد وهو التمهل والترفق والمراودة هي المطالبة على الترفق والتمهل ومعنى
عن نفسه أي من أجل نفسه يقال فلان يخاصم عن فلان ويجادل عن فلان ويتكلم عن فلان أي من أجله وغلقت الأبواب للتشديد
لتكثير المحال وهي الأبواب وإنما غلقتها لئلا يفجأها أحد ولئلا يتخلص يوسف عنها ولترجو أن تجيبها وتكون أسباب الخلوة
حاصلة • وقالت هيت لك أي تعال وهلم إلى ما حولك وقد لا يوصل بك وقد لا يوصل به • وقد أنشد أبو عمرو بن العلاء
رحمه الله أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيت أن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيت وهي للذكر والأنثى والواحد
والجمع سواء • وقيل هي كلمة حث وإقبال على الشيء وأصله الجلب والصياح وقد هيت فلان بفلان • وقال الشاعر لقد
رابني أن الكرى أسكتا ولو كان معنيا بنا لهيتا • وفيه ست قراءات قرأ أهل العراق هيت لك بفتح الهاء والتاء • وقرأ
يحيى بن وثاب هيت لك بكسر الهاء وضم التاء • وقرأ نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر هيت بفتح الهاء وكسر التاء • وقرأ أهل المدينة
وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء هيت لك • وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء • وقرأ عكرمة هئت لك بكسر الهاء
وضم التاء وهمز الحشوة الحية أي تهيأت لك • وقوله تعالى قال معاذ الله أي أعوذ بالله أن أجيبك إلى هذا • وقوله تعالى
إنه ربي أي زوجها سيدي بحكم الشرا ظاهرا أحسن مثواي أي أكرم مقامي • وقال لامرأته أكرمي مثواه • وقال مجاهد
وابن إسحاق والسدي أي زوجها بسط يدي ورفع منزلتي • وكذا قال الحسن • وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه أن الله
ربي أحسن مثواي أي عودني الإحسان إلى حيث توليت منذ فارقت أبي فلن أظلم نفسي بالمعصية لذا إنه لا يفلح الظالمون
وعلى القول الأول فلا أخون العزيز وقد أحسن إلي فأكون ظالما له والمعنى أنه لا يفلح الظالمون ولا يفوزون بخير ولا حمد
من الناس • وقيل لا يفلح الظالمون أي لا يأمنوا من عذاب الله الزناة • قال الإمام أبو منصور رحمه الله لا يفلح الظالمون
ما داموا في ظلمهم فإن تركوه وتابوا عنه أفلحوا • وقال في قوله تعالى هيت لك يحتمل أن يكون معناه ها أنا لك • قال
وقيل ليست بعربية • ذكروا أن زليخا هويت يوسف وهامت بحبه فنحل بدنها وتغير لونها وذهب قواها ونومها وآل
أمل بدنها في أمرها فسألتها الظئر عن ذلك فبثت لها حالها واستعانت بها على بلوغ مرادها من يوسف فقالت لها الحرة
ما في قلبك وأعز مني عليه جمالك قالت إنه لا يدنو مني ولا ينظر إلي ولا يفتح عينيه إذا دخل الدار • قالت فأنا أحتال
لذلك لكن لا بد من مال كثير فبذلت لها ما سألت فاتخذت بيتا من رخام مملس على سقفه وحوائطه صورة يوسف
وزليخا فلما تم ذلك هيأت البيت بألوان الفرش وزينته بالأواني فأعلى ولبست الحلل وتوجت بتاج مرصع وجلست
على سرير من ذهب مرصع باليواقيت وعليها أنواع الحلي وزينتها وهو لا يعلم فلما دخل البيت أغلقت عليه الأبواب
وهي سبعة أبواب بعضها في بعض فقالت له يا يوسف ما أحسن وجهك قال في الرحم صورني ربي • قالت يا يوسف
ما أحسن شعرك قال هو أول شيء يتناثر مني في قبري • قالت ما أحسن عينيك قال بهما أنظر إلى ربي • قالت يا يوسف
ارفع بصرك فانظر إلي قال أخشى العمى في آخر عمري • قالت يا يوسف لم تتباعد عني قال أريد الاقتراب من ربي • قالت
يا يوسف القيطون فادخل معي قال أخشى أن يستر في من ربي • قالت يا يوسف فراش الحرير قد نضد لك قم فاقض حاجتي قال إذا
يذهب من الجنة نصيبي • قالت يا يوسف جعلت حجري على حجلي • قال أرجو بذلك مرضاة ربي • قالت يا يوسف
عبدا اشتريتك فأنت تتسلط علي • قال إخوتي وخطيئتي اشترتني • قالت يا يوسف ليتني لم أعرفك • قال ذلك فعل إخوتي بي
قالت يا يوسف ضع يدك على صدري • قال لا صبر لي على احتراق جسدي • قالت يا يوسف الجنة قد عطشت فاسقها
قال الذي بيده مفاتيحها يسقيها مني • قالت يا يوسف لأسلمنك على أيدي المعذبين فيبلون جسمك كما أبليت جسمي • قال
لا بأس إذا كان ربي راضيا عني • قالت يا يوسف بأي علة استغنيت عني • قال غني أنا بحق إلهي الذي في السماء ملكه
وهو سيدي الذي في الأرض سلطانه علي وعليك • قالت يا يوسف أما سيدك الذي في الأرض سلطانه فإني آخذ كأس
الزبرجد بيميني وإبريق الذهب بشمالي فأسقيه الكأس الأول فيسقط مخمورا بين يديه فأجعله في قطيفة فأدفنه تحت أساس
بيتي وأما الملك الذي في السماء ملكه فإن لي من الجواهر ما لا تطيق حمله دوابي فأتصدق به عنك فيغفر لك الملك الذي
يعوقني فغلبته بالكلام فلم يرد جوابا • فقال معاذ الله ولكن من ارتكب حراما سود الله في القيامة وجهه وهتك على
رؤوس الأشهاد سوءته وأحرق بالنار جسمه فلا تطلبيني ولا تسودي في القيامة وجهي ولا تخجليني يوم عرضي عند إلهي وأبي ولا
تخطي على ربي ولا تسلطي نار جهنم على جسمي فعند ذلك غلقت الأبواب وأرخت الحجب • وقال القشيري رحمه الله غلقت
عليه أبواب الحجرة ففتح الله عليه أبواب العصمة فلم يضره ما أغلقت بعدما أكرمه بما فتح • وقيل إن يوسف قال إن العزيز
رجا مني أن أنفعه حيث قال عسى أن ينفعنا فلا أخونه في حرمه ليظهر الخبث مني • وقيل لما احتفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب

منه اكرمه الله سبحانه بامداده بالعصمة في الحال ومكنه من مواصلتها في المال على وجه الحلال • وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين • قرا عاصم وحمزة والكسائي المخلصين بفتح
اللام والباقون بكسرها اي ولقد عزمت زليخا على ذلك وعقدت قلبها عليه فاما يوسف فلولا ان راى برهان ربه لهم بها فقوله هم
بها متعلق بالشرط المذكور بعده ولما اراه البرهان لم يكن له منه هم بها وصرف الله تعالى السوء والفحشاء عنه كما ذكره في اخر
الاية • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اما ما قاله اهل التفسير انها استلقت له وهم بها وحل ازاره وامثال هذا من
الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال والدلالة على فساد ذلك وجوه • احدها قوله تعالى هي راودتني عن نفسي • والثاني
قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء • وذلك قوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب • والرابع قولهن ما علمنا عليه
من سوء • والخامس قولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه فهذا كله دليل على انه لم يكن شيء من ذلك وليس في ظاهر الاية
ما قالوا من قليل ولا كثير اذ ليس فيه شيء سوى انها همت به وهم بها ثم تحتمل الاية وجوها عندنا احدها همت به هم عزم وهم
بها هم خطرة ولا صنع فيما خطر في القلب وهو قول الحسن • والثاني همت به هم الارادة والتمكين وهم بها هم دفع لكن
يدخل عليه لولا ان راى برهان ربه فلو كان همه هم دفع لم يكن لقوله لولا ان راى برهان ربه معنى لكن يشبه هم بها قتلا
او ضربا يتوهم انه يفضي الى القتل فراى برهان ربه فترك ذلك لما لا يحل له قتلها • والثالث انه معلق بالشرط لولا ان راى
برهان ربه وهو كقوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وعلى ذلك يخرج قوله تعالى بل فعله كبيرهم
هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان ينطق لفعل هو • واختلف في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه ماذا كان
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ناداه جبريل يا يوسف بن يعقوب اسمك في الانبياء مكتوب فلا تكن مثل عمل السفهاء
وقيل كان فيما ناداه انما الطير في جو السماء لا يقدر عليه فاذا مات لعب به الصبيان في الارض فانت الثور الصغير
لا يقدر عليه فاذا مات دخل النمل في قرنيه فذلك مثالك اذا قارفت الخطيئة • وقيل تمثل له جبريل في صورة ابيه يعقوب
عاضا شفته او اصبعه فهابه فبادر الباب • وقال مقاتل ومحمد بن كعب القرظي راى سقف البيت مكتوبا ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا • وقال مقاتل بن حيان سمع صوتا اياك وموافقتها فانك ان واقعتها مثلت
كالطير الوحدان في الارض القفار بلا ريش • وقال جعفر الصادق البرهان النبوة التي اودع الله صدره هي التي
حالت بينه وبين ما يسخط الله • وقيل نظر الى حائط فراى قلما يكتب على الحائط بسم الله الرحمن الرحيم ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فحول وجهه الى حائط اخر فراى القلم يكتب بعد البسملة كل نفس بما كسبت
رهينة فحول وجهه الى الثالث فراى ذلك القلم يكتب بعد البسملة وان عليكم لحافظين فحول وجهه الى الرابع فراه
يكتب بعد البسملة يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فنكس راسه فراه يكتب على الارض انني معكما اسمع وارى
فنظر الى السقف فراى صورة ابيه ينظر اليه عاضا مسبحته يشير اليه بالهرب فبادر الباب • وقوله تعالى كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء اي كذلك فعلنا لنصرف عنه الريا والسمعة والسوء في القران على وجوه • احدها الشدة
وقال تعالى يسومونكم سوء العذاب • والثاني العار والزينة والحرج • وقال تعالى يمسسكم سوء العذاب • والثالث
الشتم لربكم قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء • والرابع الذنب قال تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة • والخامس
القتل قال تعالى ولا تمسوها بسوء • والسادس العذاب قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين • والسابع
الشرك قال تعالى ما كنا نعمل من سوء • والثامن البرص قال تعالى تخرج بيضاء من غير سوء • والتاسع السب قال تعالى ويكشف
السوء • والعاشر بمعنى بئس قال تعالى ولهم سوء الدار • والحادي عشر الزنا قال تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء • وقوله
تعالى والفحشاء اي الفعلة القبيحة وهي الزنا وكرر لاختلاف اللفظين كما في قوله تعالى يعلم سرهم ونجواهم ويجوز ان يكون
السوء دواعي الزنا والفحشاء عينه والدواعي المس والقبلة والعناق ونحو ذلك ونحوه • وقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين
بكسر اللام هم الذين اخلصوا انفسهم وقلوبهم واعمالهم واقوالهم واحوالهم عن الشوائب وبفتح اللام الذين صفاهم الله
تعالى عن الكدورات واصطفاهم بالكرامات • وقوله تعالى واستبقا الباب اي تعاديا الى الباب ليطلب كل واحد
منهما السبق على صاحبه هي تريد ان تسبق فتظفر به وهو يريد ان يسبق فيتخلص منها • وقوله تعالى وقدت قميصه من
دبر اي تعلقت بذيل قميصه تجذبه فشقته طولا ورحل مقدود ذاهب في وجهه الطول على استواء ووقع ذلك منها
في قميصه من ورائه • وقوله تعالى والفيا سيدها لدى الباب اي وجدا زوج زليخا عند باب الدار والسيد الزوج
بلغة القبط • وفي الحديث تفقهوا قبل ان تسودوا اي تتزوجوا فتشتغلوا • وقوله تعالى قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا • قالت زليخا دفعا للتهمة عن نفسها ما جزاء من اراد باهلك سوءا تعني من هذا انه اراد بها فجورا ولم يكن كذلك
ولم تشهد صريح الكذب لكن بالتعريض وهو في الحقيقة استفهام عن جزاء من يريد باهله ذلك لا تحقيق انه فعل لما قالوا
خافت عليه القتل اذ علمت في زوجها الغيرة فقالت الا ان يسجن اي يحبس ثم علمت انه لا يرضى بهذا القدر من العقوبة
اذا وقع عنده انها ساد فقد قصدت الى ذلك الامر الحر فهذا يسعر فقد يكبر احيانا للتسكين • فقالت او عذاب اليم
ولما سمع يوسف ذلك وعلم ان السكوت يفضي الى وقوع الغم انه وجد منه ذلك الفجور وما ينبغي للمسلم ان يرضى لحوق
هذه التهمة اياه فكيف بالصديق بن الصديق والنبي بن النبي فصدق للاظهار براءة نفسه وتاسيس قواعد دعوته

يا ام الى التوحيد والشرائع فقال بل هي فعلت ذلك • وقوله تعالى قال هي راودتني عن نفسي • قال وهب فلما هرب منها اتبعته فقد كشف
عند الباب • وروي ان الابواب المغلقة والمقفلة كانت تسقط اقفالها ومغاليقها حتى خرج وادركته زليخا عند الباب
فاخذت بذيله وهو يجاذبها ليخرج وهي تجره من خلفه ليرجع فانشق قميصه من دبر والفيا سيدها اي زوجها عند الباب
فقال ما شانكما فقالت ادخلت بيتك لصا عاديا فايتمنته على اهلك فاغلق علي الباب وانا نائمة فلم اشعر الا وهو يريد ان
ياتي مني من اجل ما فعل بدخل فراشي فقمت اليه من نومي لاخذه فبدرني الى الباب فاردت ان ابقي منك من اجل ما فعل
لا تجزاه ابدا • قال العزيز اختنتني يا يوسف في اهلي وغدرتني بما كنت ارى من صلاحك وما كنت تظهر لي من امانتك
وعفافك • قال يوسف هي راودتني عن نفسي وغلبتني وعزتني وهذا قميصي مشقوق من خلفي حين وليت منها هاربا
وفي كتاب عصمة الانبياء انها لو كتمت ذلك لكان لا ينبغي ترها فلما احالت بالذنب عليه لم يجب ان يترفه خاينا فيسوء ظنه
به حتى اذا اعترف براءته علم ان امراته لم تباشر الفعل فيتغير طبعه عنها بل كانت منها المراودة لا المباشرة • ووجه
اخر انها لو كتمت لكان يوسف يظهر ما دبرها وانتما سامن زوجها التشنيع عليها ليدوم صيانتها في بيته • وقوله
تعالى وشهد شاهد من اهلها وهو اخوها وكانت زوجها وامينه وكان عدلا امينا فقال ان كان قميصه الاية • وقال
مقاتل كان الشاهد رجلا ذا لحية وكان ابن عم المراة • وقيل كان صبيا في المهد وكان ابن خال المراة • وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الصبيان تكلموا في المهد شاهد يوسف وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب
والقصة معروفة • وقوله تعالى ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين للتدليل على انه كان يقبل عليها وهو يريدها
وقوله تعالى وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انه كان هاربا منها وهذا دليل على ان نبا الحكم
على ظاهر الحال جايز عند عدم الوصول الى دليل الحقيقة وعليه كثير من مسائل اصحابنا رحمهم الله في التحري وقبول قول
الناس وقول من يشهد له الظاهر اذا اختلفا في متاع البيت ونحو ذلك • وقوله تعالى فلما راى قميصه قد من دبر قال
انه من كيدكن اي احتيالكن معاشر النساء على الرجال اذا اعلوا خلافه مراد كن قيل هو قول الزوج لها وقيل هو قول
الشاهد على قول من زعم انه رجل بالغ • وقوله تعالى ان كيدكن عظيم اي عظيم العزة • وقيل اي نافذ غالبا للتمويه
وسمى كيد الشيطان ضعيفا وكيد النساء عظيما لان ذلك للسر وهذا جهر وذاك وحده وهذا مع كيد الشيطان وذاك
يفر بالاستعاذة وهذا لا يعرف ذلك مع الله وهذا معك • وقوله تعالى يوسف اعرض عن هذا اي قال زوج زليخا
وقيل قال ذلك الرجل الشاهد يا يوسف اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد وهو سترها لها وهو المستحب
المندوب اليه ان لا يفشي سر اهل بيت خصوصا حرمه ونسائه • وقيل لا تبال له وطب نفسا فقد ظهر لي براءتك
وقوله تعالى واستغفري لذنبك اي قال لزليخا استغفري الله وهي وان كانت مشركة فهم يعرفون ان الله خالقهم
وانهم يعبدون الاصنام ليقربوهم الى الله زلفى فيعتقدون استغفار الله من الذنوب • وقيل بل قال لها الشاهد
واستغفري لذنبك اي اعتذري من زوجك وسليه ان يستر عليك • وقوله تعالى انك كنت من الخاطئين اي
الخائنين في حق الزوج • وقال الامام القشيري رحمه الله ليس كل احد اهلا للبلاء ان البلاء للارباب الولا فاما
الاجانب فيجاوزهم ويخلي سبيلهم لا لكرامة محلهم ولكن لحقارة قدرهم هذا يوسف عليه السلام كان بريء
الساحة وظهر للكل طهارة جانبه فابتلي هو هذا بالسجن • واما امراة العزيز فقد ظهر للعزيز سوء فعلها حيث
قال انه من كيدكن واقتصر في حقها ان تستغفر من ذنبها ولم ينزل بها شيء من البلاء ويفعل الله ما يشاء • وقوله
تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه اي انتشر خبر امراة العزيز وميلها الى
يوسف • وقال جماعة من النساء في مصر امراة العزيز اي زوجة خازن الملك وكان يسمى عزيزا للتلقيب للملك
اياه به او على معنى انه عزيز عند ملكه مكرم لديه او على منعته بكثرة خدمه واعوانه تراود فتاها اي عبدها
والعبد يسمى فتى والامة فتاة • قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل
فتاي وفتاتي واضيف اليها لطاعته لها وتصرفه فيما يصلح لها من اسباب المنزل وعلى هذا عرف الناس في اضافة
مماليك احد الزوجين الى الاخر وقد يضاف الى جميع اهل البيت فيقال عبدهم قال عمر في عبد سرق مراة زوجة مولاه
لم نقطعه عبدكم سرق متاعكم • وقوله تعالى قد شغفها حبا اي صار شغافها كما تقال كبده وراسه وبطنه
وظهره اي اصاب هذه الاعضاء • وقال الامام القشيري رحمه الله وابو عبيدة شغاف القلب غلافه وهو
جلدة عليه اذ دخلها الحب فاصاب القلب • وقال الحسن هو باطن القلب • وقيل وسط القلب • وقرا الشعبي
وابو رجاء العطاردي قد شعفها بالعين المهملة من تحتها ومعناه ذهب قلبها حبا اي بالحب تعب على القلب
وقوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي نراها في مراودة عبدها في ضلال من الراي وعدول من العقل اذا صارت
فجلا لها وعلوها لها تراود عبد زوجها بارتكاب الفاحشة • وقيل اراد بهذا الكلام التوصل الى النظر
الى يوسف • قال وهب كن اربعا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن
قال مقاتل كن خمسا فزاد امراة الحاجب • وقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن اي بحيلتهن ارسلت اليهن لترين
يوسف • وقيل انها كانت افشت اليهن امر يوسف واستكتمتهن فلما حدثن به ارادت انتقاما عنهن فيما كانت وقعت

فيه فدعتهن وفعلت ما فعلت • وقوله تعالى ارسلت اليهن اي تدعوهن الى دارها للطعام كامراة تضيف صواحباتها • وقوله
تعالى واعتدت لهن متكا اي هيات لهن مجلسا للطعام تتكين فيه على الوسايد ونحوها فعل المتنعمين من التكا قبل الطعام وبعده
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا • وقال مجاهد متكا بسكون التا يعني الترنج والمتك الاترج • وقيل الزماورد
وهو قول الضحاك • وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا • وقال القتيبي لانه يقطع بالسكين فهو عند العرب
متك وقد بتك ومتك اي قطع والتا والميم يتعاقبان يقال اعبطت عليه الحمى واغمطت اي لزمته وسمد راسه
وسبده اي استاصله بالحلق وضربة لازب ولازم • وقوله تعالى واتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا تعالج
به ما يحتاج الى قطعه مما قدمت اليهن من الطعام والفواكه وهكذا فعل الاطعام موضع كل من على المايدة سكين تقطع
به اللحم وغيره • وقوله تعالى وقالت اخرج عليهن وذلك في حال ما كن يعالجن بالسكين فلما خرج عليهن بهتن واعتراهن
من روعة جماله وهيبة جلاله ما قطعن بالسكين ايديهن • وقوله تعالى فلما رأينه اكبرنه اي فخرج فلما رأينه اعظمنه
وليس قول من قال اكبرن اي حضن بشي لانه غير معروف ولانه قال اكبرنه فعداه بالها والحيض لازم • وقوله تعالى
وقطعن ايديهن • قال قتادة اي اناملهن • وقيل العين معاصمهن • وقال مجاهد فما احسسن الا بالدم ولم يجدن
من حر اليد الما لشغل خاطرهن بيوسف • قال وهب كن اربعين امراة وبلغني ان سبعا من الاربعين متن في ذلك
المجلس وجدا بيوسف وحبا له • وقوله تعالى وقلن حاش لله اي معاذ الله ان نقول هذا بشر • وقوله تعالى ما هذا
بشرا • وقوله تعالى ان هذا الا ملك كريم اي ما هذا الا ملك مكرم على الله تعالى والناس اذا راوا امرا له روعة
وجمال قالوا كانه ملك كما يقولون في ضده انه شيطان • قال الشاعر • فلست بانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب
وفي قراة بعضهم ما هذا بشرا بكسر البا والشين والبشرى مصدر ومعناه المفعول اي ليس هذا بمشرى ان هذا الا
ملك بكسر اللام اي ليس بمملوك • وقال قايل غابت صفات القاطعات اكفها في شاهد هو في البرية ابدع • فقلن
من اوصافهن فلم يكن من نعتهن تلذذ وتوجع • وقوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لما رات امراة العزيز
انهن افتتن بيوسف وجدت موضعا للعذر فقالت فذلكن الذي لمتنني فيه وتحمل فهذا ذلكن الذي لمتنني فيه
وقلتن ما قلتن ثم اعترفت بانها راودته عن نفسه • فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي امتنع وتحفظ
عن اجابتي فهذا يبطل قول من قال قعد منها مقعد الرجل وحل ازاره ثم اعتذرها من افتتان النسوة به او لها ما يشبه المراوة
فقالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن اي ليحبسن في السجن وليكونا من الصاغرين اي الاذلا وجمع بين النون
المشددة وبين النون المخففة لانهما في معنى واحد وكتبت الثانية الفا لخفايها وسكونها فالوقف عليه بالالف
قال الاعشى • تلحين المشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا • وقيل لما بغت عليه واتهمته بما فيها
ابتلاها الله تعالى بان هتكت بلسانها سترها وكشفت امرها • وقال الامام القشيري رحمه الله كانت زليخا اتم
حالا في امر يوسف من النسوة فاثرت رويته فيهن ولم تؤثر فيها كما اثرت فيهن حيث قطعن ايديهن
وذلك لانه قوي حالها بطول الصحبة وصارت روية يوسف غذا لها فلم يؤثر فيها والتغير صفة اهل البدايات فاذا
دام المعنى زال التغير • قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد راى رجلا يبكي وهو قريب العهد بالاسلام هكذا
كنا حتى قست القلوب اي قويت وصلبت وكذا الخزف اول ما يجعل فيه الما يسمع له نشيش فاذا تعود بشرب الما سكن
فلا يسمع له بعد ذلك صوت • قال وهب ولما ظهر هذا فشت المقالة فيها وعيرها نسا الملوك وقلن لها لم تزل وقد راودت
عن نفسه فتفضحها وشغفها حبا وازرى بها وهو كاره لها يبغضها ويمقتها ويهرب منها ولو راى فيها خيرا لطاوعها
ولو كان لاحد منا الادلة فلما سمعت بسوقهن وازرايهن عليها احتالت لفضيحتهن واراده ان تصغر اليهن انفسهن
فبعثت الى اربعين امراة من عظمايهن لم تدع فيهن اشرف ولا اعظم منهن فصنعت لهن مادبة عظيمة فلما فرغت من
ذلك فرشت لهن واتكات ووضعت بين ايديهن الاترج والبطيخ والموز واعطت كل واحدة منهن سكينا ليقطعن
ما وضعت قدامها فلما انشان في قطع ذلك قالت لهن الا اريكن عبدي الذي عيرتمني به قلن بلى فان كان لك فيه عذر
عذرناك وساعدناك وان اخطات او قصرت رايك وعظناك وعرفناك ودللناك على الرشد والسداد فلما قلن
ذلك من قولهن قالت اخرج عليهن يا يوسف فلما وقف عليهن اعظمنه وبهتن وفي ايديهن السكاكين فاشتغلن به [illegible]
[illegible] فقطعن ايديهن [illegible] الانامل [illegible] ما هذا بشرا [illegible]
وانه الملك كريم [illegible] • قال وهب بلغنا ان يوسف صلوات الله عليه اعطي ثلث حسن الدنيا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عن نفسه فاستعصم • ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين • [illegible]
[illegible]

[illegible] حتى يحبس [illegible] في السجن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قد اذنت لك في سجنه • وقوله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه [illegible]
اشاق الفعل الى جميع صواحب النسوة لما رايهن شغفن به ودعته كل امراة منهن الى نفسها • وقيل انهن حرضنه على
اجابة زليخا ودعونه الى ذلك • وقوله تعالى والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن وقد صبا يصبو اصبوة وحذف
الواو من اصبوا للجزم لانه جواب الشرط واكن من الجاهلين باتباع الهوى وهذا سوال منه العصمة من ذلك
باللطف وجبر • وقال الامام القشيري رحمه الله الاختيار مقرون بالاخبار ولو تمنى العافية فيها لها وجد العافية
ولكن اثر السجن على ذلك فسجن وقالوا هذا امين التوحيد حيث راى ان المعصوم من عصمه الله تعالى فان نجاته
بعون الله تعالى ذلك لا بتكلفه ولما اثر تحمل المشقة في الله تعالى على لذة نفسه اثره الله تعالى على اخوته واهل
عصره حتى قالوا لقد اثرك الله علينا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قوله احب الي مما يدعونني اليه هي محنة
الاختيار لا الايثار في الدين لا محنة النفس والاختيار بها بل النفس تهوى ما يدعونه اليه دليله قوله اصب اليهن
ولان النسوة راودته عن نفسه • ولذلك قال الان راودت يوسف عن نفسه • وقوله تعالى فاستجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن ودعاوه والا تصرف عني كيدهن • وقوله تعالى انه هو السميع العليم اي السميع للدعوة
العليم بالنية • وقوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات اي ظهر لهم راي بخلاف الاول ومصدره البدا اي
لزليخا والعزيز واهل المشورة فيه من بعد ما راوا الايات اي العلامات الدالات على براة يوسف وصدق
مقالته من قد القميص من دبر ومن كلام الطفل وشهادته ببراته وما بين من الاستعصام ونحو ذلك ليسجننه اي حلفوا
ليسجننه حتى حين اي زمان تتقادم العهد فينسى هذا الحديث وينقطع • وقال الامام القشيري رحمه الله
لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براته القا على امراته ان تنهتك سترها حول الله تعالى ملكه وملكه اليه ثم في اخر الامر جعلها امراته
وذلك جزا الصابرين • وقوله تعالى ودخل معه السجن فتيان اي غلامان للملك • وقال الزجاج كانوا يسمون المملوك في ذلك
الزمان شيخا كان او شابا فتى اي امتعضا بابهم في سجنه فسجنوه ودخل معه اي بعده بزمان ومع كلمة قران واراد به اجتماعهم في
السجن لا قرانهم في الدخول وكان الفتيان احدهما الطباخ للملك واسمه مجلث والاخر ساقي واسمه بونا وقيل وهو قول
ابن عباس اسم الطباخ شرهابغم واسم الساقي شرحا سكم ولما دخل يوسف السجن فتح الله عليه عبارة الرويا فكان يعبر
لاهل السجن روياهم ودخلها ذان السجن بعده ومعه بمعنى بعده كما قال الله تعالى فان مع العسر يسرا • قال احدهما اي
الساقي اني اراني في النوم اعصر خمرا اي عنبا قاله الضحاك • وقال الزجاج اي عنبا خمرا والعنب يسمى خمرا في لغة عمان
وحكى الاصمعي عن معتمر بن سليمان انه راى اعرابيا معه عنب فقال ما معك فقال خمر • وقيل هو على ظاهره ومستقيم
معناه اعصر العنب خمرا كما تقولون عصرت الزيتون زيتا وسطه اعصر عنبا ليكون عصيره خمرا • قال عكرمة قال ذلك
الفتى اني رايت فيما يرى النايم اني غرست حبة عنب فنبتت فخرج منها ثلاث عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك
قال تمكث في السجن ثلاثة ايام ثم تخرج فتسقيه خمرا • وقوله تعالى وقال الاخر اي الطباخ اني اراني احمل فوق
راسي خبزا تاكل الطير منه اي رايت كاني اخرج من مطبخ وعلى راسي ثلاث سلال من خبز واري سباع الطير تاكل من
السلة العليا • وقوله تعالى نبئنا بتاويله اي بما يؤول اليه عاقبة المراة بهذه الرويا • وقوله تعالى انا نراك
من المحسنين اي تحسن الى اهل السجن لقيامك باموريهم وعنايتك باسبابهم فاحسن الينا بعبارة الرويا واصرف
عنا شغل القلب بتاويلها وتجزى بذلك على احسانك الى اهل السجن • وقيل كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد
في عبادة ربه • وهذا عن قتادة • وقيل كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود المريض وهذا عن الزجاج • وقيل
اي من المحسنين في عبارة الرويا وهو قول الفرا • وقال وهب بن منبه كان سبب وقوعهما في السجن ان جماعة من اهل
حمير خرجوا على الملك وارادوا المكيدة فاحتالوا فدسوا الى هذين وضمنوا لهما مالا ليسما طعام الملك وشرابه
فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته واحضر الطعام قال الساقي
ايها الملك لا تاكل فان الطعام مسموم • قال الخباز ايها الملك لا تشرب فان الشراب مسموم • فقال الملك للساقي اشرب
فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك
بهما الى السجن فكانا في السجن سنة والفا يوسف والفهما الى ان رايا روياهما كما قص الله تعالى عنهما • وقيل لما عبر رويا
الخبازين قالا لم نر شيا كنا نلعب فقال يوسف رايتما او لم تريا فاني ما قلت قد كان ذلك قوله تعالى
قضي الامر الذي فيه تستفتيان • وقال الشعبي انهما غالطا لتجربة يوسف • وقال محمد بن اسحاق كان احدهما صادقا
والاخر كاذبا • وقوله تعالى قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله • قيل اراد ان يعدل عنهما حلمه بعبارة الرويا
لما نقل اسس لدعوتهما الى التوحيد وكذا ينبغي للعالم اذا سيل عن شي ان يوسف لما علم منه ثم يكشف ثم يجيبه عما سيل عنه

فقال لا يأتيكما من عند الملك او من عند اهلكما او اصدقائكما ما تحتاجان اليه من الطعام في السجن الا اخبرتكما به قبل مجيئه وهو
قوله الا نبأتكما بتأويله وهو خبر عن الغائب وذلك كقول عيسى عليه السلام وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فكأنهما قالا
وكيف تعلم ذلك وهو غيب فقال ذلكما مما علمني ربي فكأنهما قالا ولم خصك ربك بالتعليم دوننا فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو الامتناع عنها اصلا واخبار انه لم يكن فيها قط ولا يعص [illegible]
لهذا النعم الذي هو كرامة من كفر به وتجحد بل يكرم به من آمن به وصدقه ووحده وعبده فكأنهما قالا له اذا لم تكن انت في هذه
الملة ففي اي ملة انت فقال واتبعت ملة آبائي ابراهيم وهو الجد جد الاب يسمى ابا لانه ابو ابي الاب واسحاق هو اب
الاب ويعقوب هو ابوه حقيقة فكأنهما قالا وكيف كانت ملتهم فقال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء فكأنهما قالا وكيف
اهتديتم اليها فقال ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون الخالق على نعمه
بالطاعة له في امره ونهيه وقيل لا يعلمون النعم من الله فيشكروا له عليها وقوله تعالى اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر واتبعت ملة آبائي يدل على بطلان قول المعتزلة في ان الفاسق خرج من ملة الاسلام ولا يدخل في ملة
الكفر فانه ليس بين الملتين ملة اخرى ودلت الآية ايضا ان الكفر كله ملة واحدة ثم انما ذكر يوسف آباءه في هذه الآية
لان الناس كانوا اعرفوهم واعتقدوا تعظيمهم وكانوا لا يعرفون يوسف فبين انه من صلبهم ليعتقدوا كلامه ويقبلوا
دعوته الى الدين الحق وقوله تعالى يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه وملازميه وهو كقوله لاصحاب الجنة واصحاب
النار أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار استفهام بمعنى النفي ثم الاخيرية في الارباب المتفرقين لكن قاله بناء
على زعم الكفرة اي انتم تعتقدونه خيرا فالزمهم على هذا الوجه انه خير ام التوحيد على وجه ظهر بطلان ما يعتقدونه
وهو كقوله تعالى الله خير اما تشركون ونحو ذلك وقد كشفنا عنه قوله تعالى قل أأنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
الآية ثم انه دل هذا على ان الخالق واحد فان الاله واحد وان الالهة لا بد ان تكون بينهم تفرق في الارادات فاما ان
يلزم العجز كلهم او بعضهم والعاجز لا يجوز ان يكون الها وهو معنى قوله عز وجل اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض وقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولان الالهة اذا تفرقت لم يمكن ارضاء جميعهم بالعبادة
وارضاء الواحد ممكن بالمداومة على عبادته والعمل بطاعته وقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم لما كانت الاسماء التي سموها لا تصح معانيها صارت كانها اسماء فارغة وجحود في عبادتهم لها فكأنهم يعبدون
الاسماء او لا اسماء لها من اله ورب وقوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان اي لم يجعل الله عز وجل دليلا على جواز عبادتها
ولا اقامة حجة على تعظيمها وقوله تعالى ان الحكم الا لله اي ما الحكم في الالهية والربوبية الا لله الواحد القهار امر
ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم المستقيم وقيل اي الذي قامت الدلالة على صحته ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قال الامام ابو منصور رحمه الله اي لا يتفكرون فيه ولا ينظرون فلا يعلمون ولو تفكروا فيه ونظروا لعلموا وهذا يدل
على ان المعرفة تلزم وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه ولا يعذر به او معناه لا ينتفعون بعلمهم مع انهم يعلمون به
وقوله تعالى يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا اي سيده وهو الملك يعني به الساقي واما الآخر اي الطباخ
فيصلب فتأكل الطير من رأسه اي الطيور فقضي الامر اي فرغ منه وأتم الذي فيه تستفتيان اي تسألان عن تأويله
قال وهب قال الساقي اني رأيت حبلة فيها ثلاث قضبان جرد فبينا انا انظر اليها اذا هي قد اورقت واخرجت
ثمرتها ونضجت عناقيدها واذا كاس فرعون في يدي فاخذت العناقيد فعصرتهن في الكاس فناولتها الملك فشربه
قال يوسف ما احسن ما رأيت تمكث في السجن ثلاثة ايام ثم يذكرك الملك فيدعوك ليسمع منك ويردك الى عملك
فتكون كما كنت فاذكرني عند ربك يعني الملك فاني حبست مظلوما لعله ان ينظر في امري ويخرجني من السجن قال
الخباز ما احسن ما عبرت فاني رأيت كان على رأسي ثلاث سلال من خبز في السلة العليا من الوان الاطعمة واذا سباع
الطير يأكل من السلة العليا قال يوسف اما السلال فالايام الثلاثة التي تكون في السجن ثم يدعوك الملك في اليوم
الرابع فيصلبك فتأكل الطير من لحمك قال الطباخ فاني لم ار شيئا انما كنت العب قال يوسف قضي الامر الذي
فيه تستفتيان اي الذي سألتماني عنه يعني الامر كما حدثتكما رأيتما شيئا او لم تريا وقوله تعالى وقال للذي ظن
انه ناج منهما قوله ظن يجوز ان يكون فعلا للذي ويكون على حقيقة الظن انه رجا بهذا النجاة وقيل ان كذلك ويجوز ان
يكون فعلا ليوسف اي للذي ظن يوسف انه ناج ويكون في معنى العلم واليقين كما في قوله تعالى تظنون انهم ملاقو
ربهم الله لانه ذلك بتعليم الله اياه فكان لا شك فيه وقوله تعالى اذكرني عند ربك اي ملكك وقوله تعالى فانساه
الشيطان ذكر ربه فقيل فانسى الشيطان يوسف ان يذكر الله ربه جل جلاله في سؤال هذا الخلاص ورجاه من عند الملك
وهو بعيد من حال الانبياء والصحيح قول الجمهور فانسى الشيطان الساقي ذكر حاله للملك والدليل عليه انه قال
بعد هذا وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة فاخبر انه ذكر بعد نسيانه وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين
البضع من البضع وهو القطع قال ابو عبيدة هو ما بين الواحد الى اربعة وقال قطرب ما بين الثلاث الى التسع وقال
الزجاج والقتيبي من الثلاث الى التسع وهو قول قتادة ومجاهد وعن ابن عباس رضي الله عنهما من الثلاث الى
العشر وقال وهب لبث في السجن بعد ذلك ثلاث سنين وكان لبث قبل ذلك سبع سنين وروي ان جبريل اتاه في السجن

اوان يوسف فقال يا اخا المنذرين ما لي اراك في منزل الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر يا ابن الطاهرين يقرأ السلام عليك رب
العالمين ويقول اما استحييت مني اذ استشفعت بالآدميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو بعد
ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب الاحبار قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن
حببك الى ابيك قال الله قال فمن آنسك في البئر قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا
قال الله قال فكيف استشفعت بآدمي مثلك وقال الشيخ ابو الحسين محمد بن يحيى الشاغري في كتاب عصمة الانبياء قال
بعض الناس انه استعان بغير الله فعوقب بمقامه في الحبس وهذا وحش من الكلام وقال الشيخ الامام ابو منصور
رحمه الله انه صلوات الله عليه لم يستعن بغير الله وانما استعمل الاسباب كاستعمال العبد في معاشه الاسباب التي هو بها
من نحو المكاسب واخذ الاسلحة وسائر ما تعبد المرء باستعماله من الاسباب فهو وان امره بالذكر عند ربه يعني سيده وانما
رأى سببا لخروجه من السجن وهو معتقد بان الله هو المخرج لكن ربما يجري على يدي ملكه فلذلك قال له اذكرني عند
ربك ولا بأس بهذا والثاني انه كان اظهر رسالته في السجن فاحب رفع امره الى سيده ليتدبر انه حابس نبيا رسولا ليخرجه
حتى يبلغ رسالته اليه رجاء اجابته منه حتى اذا اجاب هو اجاب اتباعه ولا تكون رسالته مقصورة على اصحاب السجن بل تكون
نافذة في القوم كلهم ورجا وقع عند يوسف ان حبسه من غير علم الملك فاذا اخبر بها لاخرجه وليس هذا منه استعانة بغير
الله تعالى ولكنه اجتهاد لمصالح الناس كسائر المكاسب وقال الشاغري ويحتمل قوله اذكرني عند ربك اذكر علي الذي علمنيه
الله من تأويل الاحاديث وحكم الرؤيا له لعله يرغب فيخرجه من السجن حتى يتخلص فينجو لشفقة منه عليه اذ هو كان عالما
بالفراعنة المتقدمين كيف هلكوا بايذائهم على الانبياء عليهم السلام فاحب ان يقف على حاله فيخرجه فيزول محنته قبل اهلاك
كاهلاك من تقدمه من مكذبي الانبياء وقيل انه لا يجوز صرف الآية الى استعانة يوسف بغير الله انه لو كان هكذا لم يكلف
الشيطان انساءه اذ الاستعانة بغير الله من غير رؤية سبب الله شرك والشيطان يعين على اقامة الشرك فلما انساه علم
انه يذكره التوحيد ويجعله رسولا الى الملك باختياره من دينه الخالص لله فاحب الشيطان ان لا يعلم الملك من حاله ودينه
شيئا فانساه وحقيقة الانساء من الله تعالى اذ هو المقدر لكنه اضيف الى الشيطان كما قلنا من اضافة القبائح الى الشيطان
لتكلفه وتحصيلها وقد يضاف الى المتكلف للشيء ذلك الشيء وان لم يكن هو المحصل في الحقيقة وما روي في الخبر ان جبريل
عليه السلام قال له في السجن يقول الله تعالى اما استحييت حين استعنت بغيري حكمت عليك بالسجن بضع سنين قال يوسف
يا جبريل اهو عني راض فقال نعم قال اذا لا ابالي بالسجن بعد ان يكون الله عني راضيا وما روي عن النبي عليه السلام رحم الله
اخي يوسف لو لم يستعن بصاحب السجن ما اغلق عليه باب السجن ساعة ان صحت هذه الاخبار فانا لا نشهد على صحتها اذ ليس
في القرآن شاهد لهذه الاخبار فان صحت فمعناها انه عوتب بالتقصير في الدعوة كان الكلام في دعوته فضيق لم يبق
عليه الذي نجا من السجن وتوهم انه يستغني بسيده وان كان هو محملا اياه رسالته الى الملك في التوحيد فعوتب انه لم ترج عليه
الكلام فتقصرت الدعوة لانها اخطأت موقعها دليله قول جبريل عليه السلام بان الله عنك راض لو كان في باطنه وظاهره
مستعينا بغير الله لم يكن الله عنه راضيا واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يوسف حمل الناجي من السجن دعوته حملها
غير مكشوفة تخفى فهم الناجي للاستعانة بسره لتخليصه واخراجه فعوتب لقصور الدعوة لا الخطأ من جهة الاستعانة
ومعنى قوله عليه السلام لو لم يستعن يعني لو لم يكله الى الاستعانة وان لم يكن مستعينا في الحقيقة اذ الانبياء كانوا مطالبين
بافضل الاعمال واشرفها واطيب الكلام واخلاصها والله الموفق وقوله تعالى وقال الملك اني ارى سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف اي قال ملك مصر وهو الريان اني ارى في المنام سبع بقرات سمان السمن زيادة البدن من الشحم
واللحم يأكلهن سبع عجاف اي سبع بقرات مهازيل جمع اعجف وعجفاء على غير قياس والعجف تبيين الهزال وهو فرط من حد علم
وقوله تعالى وسبع سنبلات اي واري سبع سنبلات خضر واخر يابسات اي سبع سنبلات اخر يابسات وقوله تعالى
يا ايها الملأ اي الاشراف الذين يرجع اليهم في الامور افتوني في رؤياي اي اخبروني بحكم رؤياي هذه وقوله تعالى ان
كنتم للرؤيا تعبرون اي ان كنتم او كان فيكم من يحسن تعبير الرؤيا وادخال اللام في الرؤيا مع ان فعل العبارة متعد
لان الفعل اذا تقدم عليه المفعول ضعف عمله فجاز ادخال حرف الاضافة لذلك فلا يجوز تعبرون للرؤيا وقال
الامام القشيري رحمه الله كان ابتداء بلاء يوسف في رؤيا رآها واظهرها فجعل الله سبب نجاته في رؤيا رآها الملك
فاظهرها ليعلم الجميع ان الله تعالى يفعل ما يريد وروي انه لما انتهت مدة اللبث في السجن ضاق عليه وقته ليلة فبكى
ورفع رأسه الى السماء وقال الهي انت الرب وانا العبد وانت الخالق وانا المخلوق وانت العزيز وانا الذليل اسألك
بحق ابرهيم خليلك وبحق اسحاق ذبيحك وبحق يعقوب اسرائيلك ان تغيثني وترحمني يا ارحم الراحمين فاذا هو بشاب
جميل نقي الثياب بين يديه يقول له السلام عليك يا يوسف فقال ومن انت ومن ادخلك السجن فوالله ان جداره محصنين
وان بابه لموثق وليس ينبغي لملك ان يحتبى قال انا الروح الامين ورسول رب العالمين قال يا اطيب الطيبين ورأس
المقربين ورسول رب العالمين ما ادخلك مدخل المذنبين ومنزل الخاطئين قال كيف يكون منزل الخاطئين وانت فيه
يا اطهر الطاهرين وقرة عين الصديقين قال يوسف كيف تشبهني بالصالحين وتعدني من الصديقين وقد دخلت مدخل
المذنبين وشبهت بالظالمين وحبست في سجن المجرمين قال جبريل يحبك رب العالمين وصبرك على كيد المفترين سماك الله

من الصديقين والحقك بآبائك الصالحين واوجب لك ثواب الصابرين قال لا تعرف حالي واخوتي • قال اما ابوك فباك محزون
واما اخوتك فمخافون نادمون قال وما بلغ من حزن ابي قال احزن مائة ثكلى وبلغ من صبره على ذلك ما استحق به اجر مائة شهيد
وهذا وقت ذلك عنك وزوال رقك وشرحك وتصديق رؤياك وليهب الله لك مصر وعزها وليلقي الله تعالى لك المودة في
قلوبهم وينكيك ربك حتى يبلغك بوجنته ما بلغ اباك الصالحين ويرى الملك رؤيا تفزع منها وتعبر رؤياه عليه ابّات
وابشر بانك صفي الله وابن صفيه وابن ذبيحه وابن خليله وبين له تمام الرؤيا وتاويلها وانصرف جبرائيل عنه فلم يلبث
يوسف عليه السلام في السجن الا ذلك اليوم فلما جن الليل نام الملك فرأى في تلك الرؤيا فلما اصبح جمع ملاء عظيما
من قومه فقصها عليهم فقال اني ارى سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان واكلتها فلم
يسمن في بطونها شيء ورايت سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات على ما نبين كيفيتها فيما بعد في بيان تفسير هذه الرؤيا ان
شاء الله تعالى • وقوله تعالى قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين الضغث من الحشيش المختلف وجمعه
الاضغاث اراد بها اخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها • قال قتادة اضغاث احلام • وقال مجاهد اهاويل الاحلام • وقال
ابو العالية احلام متلبسة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لان الحلم ما خرج عن الرؤيا وهو ما لا يصدق مما يرى في الخير وفي الخبر
الرؤيا من الله والحلم من الشيطان • وقوله تعالى وقال الذي نجا منهما اي الساقي الذي كان في السجن وادكر بعد امة اي
مدة • وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة اي بعد حين • كما قال تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
وقال الحسن اي بعد انقراض امة من الناس اي قرن • وروي نوفل بن ابي عقرب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ بعد
امه بفتح الالف وتسكين الميم وخلوصها اي بعد نسيان والفعل من حد علم • وقال ابو الهيثم فتح الميم الخطا في ذكره
فرج العريضين • وقوله تعالى انا انبئكم بتاويله اي اخبركم بتفسيره باحدى اباه من عنده من يعلمه فارسلون اي فاذنوا لي
بالخروج وخلوني لاتي من يعلم تاويله وامر حاجة فارسلوه فجاء الى يوسف وهو في السجن فسأله مستغيثا • وذلك قوله تعالى
يوسف اي يا يوسف ايها الصديق وهو الكثير الصدق والدائم عليه سماه به لانه لم يجرب عليه كذب • وقوله تعالى
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي اجبنا فاخبرنا بحكم رؤيا الملك
وهي انه راى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وراى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر يابسات • وقوله تعالى
لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون يعني افتنا فيهن لارجع الى الناس بفتواك فيهن فيعلموا تاويل رؤيا الملك
فانهم غير عالمين به • وقال وهب فلما لم يدر الملا تاويلها وعجزوا عنها فاعيتهم قالوا ايها الملك ان الاحلام
ليست تصدق كلها وكذبها اكثر من صدقها ونحن نرجو ان يكون هذا اضغاثا ومن ذا الذي يخاف ان
يدخل عليك في ملكك وسلطانك اعز من ذلك وحولك اكثر ورجالك اقوى واحوط له عليك وذكر غلام الملك
الذي كان مسجونا مع يوسف عليه السلام عندما كان من قولهم بذلك فامر يوسف فقال لا يدين ايها الملك اذل
بحبك وانك منه بتاويل رؤياك فان فيه رجلا حكيما من آل يعقوب فان يك عند احد من اهل الارض علم رؤياك
فهو عنده فان الناس يقولون انهم لم يروا مثله علما وحكما وقد كنت انا وصاحبي الذي قتلته يوم غضبت علينا
وسجنتنا حلمنا في السجن حلما فعبره لنا فكان كما قال اما انا فنجوت واما صاحبي فقتل وكذلك اخبرنا فارسلني
اليه ائتك بتاويل رؤياك فافرج عنك هذا الغم • فقال الملك لئن فعلت ما تقول لاكرمنك ولاعظمن حالك فانطلق
فقد اذنت لك فانطلق العبد حتى دخل على يوسف في السجن فاخبره خبر الملك وقص عليه رؤياه فعبرها له يوسف
عليه السلام • وقال الامام القشيري رحمه الله ان الله تعالى افرد يوسف عليه السلام بشيئين بحسن الخلق
وبزيادة العلم من بين اشكاله فصار جماله سبب بلائه • وصار علمه سبب نجاته ليعلم مزية العلم على غيره ولهذا
قيل العلم يعطي وان كان يبطي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله في قوله ارجع الى الناس لعلهم يعلمون يحتمل
وجوها يعلمون ان هذه الرؤيا حق وانها حقيقة وليست كما قالوا اضغاث احلام ويحتمل يعلمون فضلك على
غيرك من الناس ويحتمل يعلمون انك تصلح لحاجاتهم فيرفعون بها اليك كما صلحت لتعبير الرؤيا رؤياهم • وقوله
تعالى قال تزرعون سبع سنين دابا عبر الرؤيا للساقي فقال تزرعون سبع سنين زراعة متوالية في هذه السنين
بجد واجتهاد على عادتكم في الزراعة والداب العادة والداب الجد والتعب • وقوله تعالى فما حصدتم فذروه
في سنبله اي فاتركوه كذلك ولا تدرسوه فانه ابقى له من فساده الا قليلا مما تاكلون في العام فلا بد من دياسته
وتدريته وتنسيفه ثم ياتي من بعد ذلك اي بعد مضي سبع سنين في الخصب سبع شداد اي سبع سنين مجدبة فيها الضيق
والشدة ياكلن ما قدمتم لهن اي تاكل هذه السنون السبع المواضي الا قليلا مما تحصنون اي تحرزون في الحصن
اي احرزوا اضاف الاكل الى السنين لان اكل الناس يكون فيها وهو كما قال الشاعر نهارك يا مغرور سهو وغفلة •
وليلك نوم والردى لك لازم • لان النوم يكون فيه • وزجرا حزانه معتنا • يعني كقولك اكلتهم الدهر اي افناهم
وزجرا حزانه لما كان في الرؤيا سبع بقرات عجاف اكلن سبع بقرات سمان وكانت البقرات مثلا للسنين احتيج
العجاف في العبارة مطابقا للفظ السنين للمراعاة للبلاغة • وقوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس اي يمطرون الغيث • وقيل يعطون الغوث وقد غيث الناس واغاثهم الله عز وجل اي اعطاهم الغيث

وهو المطر واغيث الناس واغاثهم الله اي نجاهم وخلصهم وفيه يعصرون • قيل اي يعصرون الاعناب والثمار والسمسم والزيتون
وعنى بيان كثرة النعم وانتفاع الناس بها ومنه المعصر والعصارة والمعصر • وقيل يعصرون والمعصرة المنجا والاعتصار الالتجاء
وقال الشاعر • صاديا يستغيث غير مغاث • ولقد كان عصرة المنجود • وقال ابو زبيد الطائي لو كنت بالماء شرقي كنت
كالغصان بالماء اعتصاري هذا عن ابي عبيدة والزجاج وهو قول عن ابن عباس ومجاهد وقتادة • وقرأ حمزة والكسائي
تعصرون بالتاء على الخطاب ردا الى قوله تعالى ياكلن ما قدمتم لهن وقرأ الباقون بالياء على المغايبة ردا على قوله تعالى يغاث
الناس وهم اهل مصر قالوا ان الله تعالى ذكر من هذا الساقي ادبا ومن يوسف عليه السلام كرما • اما ادب الساقي فانه
لم يذهب الى السجن للسؤال الا باذن واما كرم يوسف صلوات الله عليه فانه عجل جواب سؤاله ولم يعاتبه على ما كان من
نسيانه ولم يقل له لم تذكرني بعد ما قلت لك اذكرني عند ربك حتى تخبث لكم هذه المهمة ولما سمع الساقي تعبيره للرؤيا
رجع الى الملك فاخبره باجابته وانكشف عنه كربه وحزنه • وقال ائتوني بهذا الرجل الحليم العليم اكرمه واشرفه وارفع
منزلته واقربه مني فانه ليس مثله يضيع ولا يهان ولا يعذب فعاد الساقي الى يوسف واخبره بذلك وادى رسالة
الملك قال لا ارجو اكرامه ولقد لبثت في سجنه عشر سنين وهو يعرف عذري وبرائتي ولم يرحمني ولم ينصرني ولم
ينصفني من ظلمني لا اتيه ابدا حتى يجمع النسوة اللاتي كذبنني وافترين علي وظلمنني فيوبخهن لكيدهن ومكرهن ويعزرن
له بذلك على انفسهن ويبين بيني براءتي وعذري • قال وهب قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف اذ
دعي الى الخروج من السجن فلم يفعل ان كان لحليما ذا اناة ولو كنت انا المحبوس لبادرت الباب يعني قوله وقال الملك
ائتوني به اي احضروه فلما جاءه الرسول اي الساقي قال ارجع الى ربك اي عد الى ملكك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن فكذبنني • وقوله تعالى ان ربي بكيدهن عليم اي خالقي • وقيل ان اراد به سيدي وهو العزيز اي
هو طاهر عند العزيز فاحب وضوح عذره عند الملك الاعظم ايضا فكيدهن مراودتهن اياه عن نفسه قال الجمهور
الملك وقال لهن ما ذكر الله تعالى وهو قوله تعالى ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه • قال وهب قال
لهن ما حملكن على ما فعلتن بيوسف اذ ما لاين عليه سيدته فامرتها ان تنصحنه وتهتينه وتعدنه ودعوتنه الى
انفسكن فلما اتين واستعصم قلن فيه الكذب والزور وطلبتم لهوا لتزيحي التقي المكذوب عليه قلن حاش لله ما علمنا
عليه من سوء ولقد قلتنا فيه الكذب والزور وانه لهو البريء التقي المكذوب عليه المظلوم • وقالت امرأة العزيز
الان حصحص الحق اي ظهر الحق وخلص وزالت الشكوك عنه وانقطعت من قولك حص شعره اي قصه وقطعه
واستاصله ومنه الحصة وهي القطعة من الشيء انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني
عن نفسي • وقال القشيري رحمه الله انها لم تكن متناهية في محبة يوسف في الابتداء فحملت ذنبها عليه فقالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا فلما تناهت في محبته اقرت بالذنب على نفسها فقالت الان حصحص الحق انا راودته عن
نفسه والمتناهي في الحب لا يبالي بما يناله لستر وظهور ابتر • وقوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قيل
هو متصل بقول يوسف عليه السلام ان ربي بكيدهن عليم ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب بغيبته فاذ اظهرت
براءتي عند العزيز ظهرت عند غيره وعند الملك • وقيل اي ليعلم الملك اني لم اخن الملك لان خيانتي لخازنه وخادمه
خيانة له • وقوله تعالى وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يفضي بكيدهم الى هدى واصابة مثل ما لم يهد كيد امرأة
العزيز والنسوة • وقال الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله ذلك ليعلم من قول زليخا وهو متصل بكلامها اي ليعلم اني
لم اخنه بالغيب اكذب عليه بغيبته ولم انسبه الى ما لا يحل بل اقررت بالذنب على نفسي • وقوله تعالى وما ابرئ
نفسي اي لا ازكي نفسي ولا ابرئها من هذه الجناية • وقوله تعالى ان النفس هي الجنس اي النفوس البشرية لامارة
بالسوء اي كثيرة الدعوة الى المعاصي لشهوتها وتهمتها • وقوله تعالى الا ما رحم ربي يسلم عصمها عنها • وقوله تعالى
ان ربي غفور ستار للعيوب رحيم بمواصلة البراهين والشهادات ويكون لحقيقة الاستثناء اي الا من رحم ربي
فرحمه وعصمه من ان تامره نفسه بسوء او يكون امره به في بعض الاحوال لا مارة اذا راضها الانسان رياضة بليغة فتبقى
المطمئنة دون العزيز • وفي بعض الروايات انه لما قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت قال
وما ابرئ نفسي • وفي كتاب عصمة الانبياء في قوله ارجع الى ربك ان يوسف عليه السلام اظهر السكينة والوقار
في الخروج من السجن كما لضجر القلق اذا وجد الخلاص بادر الى الخروج ليتبين ان راضيا بالقضاء المسلم الحكم والمفوض
للقدر من الساخط المغموم من المكاره والثاني جرى على انتظار الوحي ليلا يكون مستبدا برايه والثالث انه علم
استخلاص الملك اياه فاحب ان لا يستقي اثر تهمة من تلك الحادثة الفتاكات جرت حتى ينظروا اليه بعين الامانة ويعدوه من
اهل الصيانة فيصطفوه الاستخلاص منه • وقول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو كنت انا مكانه لبادرت
الباب اي ما كنت منتظرا للعذر بل كنت اريد الادخال والاخراج من الله جل جلاله فتكلم من مقامه من فراغ
الافكار عن المخلوقين من خلاصهم وتوها وان كان ليوسف هذا المقام لكن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اعلى واكمل فليس هذا عتبا على يوسف وانما هو ابانة لعلو رتبته عليه السلام في التسليم للحكم والثاني انه يوسف
صلوات الله عليه احب ظهور براءته ونظافته ليكون زوج المرأة ملاحظا له بعين الاجلال لا بعين الاستنقاذ

الخطب الامر العظيم اي ما شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه

كالمسجون من جهة انسان عزبجنة السلطان لحاجته اليه وخصمه كاره لخروجه فالخارج من السجن يكون قلبه منغمسا ومناظره
متوزعا مما يتمكن من استثقال الخصم وكراهته لخروجه ولحبسه ثانيا لاعادته الى السجن اذا اخرج بغير رضاه فاراد ان يكون
خاطره للاقامة مما يفوض اليه من الامانة من غير تشويش يقع في فكرته ولانه كان كريما ابن الكرام فكان لا يمكنه صنايع زوج المراة
فاحب ان يصفو قلبه اذا خامره شي من مقالات امراته لظهور صفوته مشاهدة وهذا في المروة والامانة مندوب اليه وما
قال الرسول عليه السلام وهو من اعلى درجات العبودية واشرف مقامات الاكتفا بالله تعالى بارضا عباده عنه من غير
تكلف وكل جرى على ما كشف له • وقوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وفيه دليل على ان الخصم يجب ارضاؤه وان
كان الله تعالى عنه غير راض وان ارضاه باظهار ما جرى بينه وبين الخصم فاحب ان يرضي الرجل فلا يداخله شي من حديثها
تكرما من يوسف عليه السلام واستعظاما عنه • وقوله تعالى وما ابري نفسي اقرار منه ان امتناعه عن اجابتها
لم يكن من قوة نفسه وانما الحول والقوة لله سبحانه وتعالى • وقوله الا ما رحم ربي اي لو تركت وطبع البشرية لكنت
عاملا بطبعي كما عملت هي لكن لما اقيم مقام العصمة عاملة الله تعالى بالرحمة فزالت طباع النفس الامارة بالسو
وهو ذكر منة الله تعالى عليه في التوفيق والعصمة وان منزلة الذي يتراى للناس انه عزه نبوي نفيه دليل على
ان معاملة الناس على الاستقامة تستتبع الرفعة والعز والثنا الجميل وذلك نعمة من الله تعالى وليس ينقص في
مقام النزاهة والصفوة وان الاستقامة في المعاملة افضل منها في الخلوة • وقوله تعالى وقال الملك ايتوني
به استخلصه لنفسي • قال ابن اسحاق قال لما ملك مصر وهو الوليد بن الريان لما اخبر النسا ما اخبرن جيوني به اجعله
خالصا لنفسي افوض اليه اموري لكني لما ظهر من علمه وصلاحه وها هنا مضمر فاتي به فلما كلمه قال انك اليوم
لدينا مكين امين قريب المكانة ظاهر الامانة • وقال الامام القشيري رحمه الله لما اتضح للملك طهارة جيبه
ونزاهة عينه استخصه لاستصفايه لنفسه واختصاصه لانسه فلما كلمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه وعظم
قدره واحسانه فقال انك اليوم عندنا ذو جاه وحال امين على خزاين الاموال • وفي القصة انه بعث حاجبا
وسبعين مركبا لاستحضاره وبعث اليه لباس الملوك وتاج الملوك فلبس الثياب وتوج التاج وخرج ليركب
وقام اليه اهل السجن يبكون لفقده وكانوا انسوا به وبعوائده واحسانه فدعا لهم فقال اعطاكم الله الصبر
في اليقين وثواب الشاكرين وطهركم من الذنوب وامنكم من الهوام والعقارب والحيات • وقال حين خرج
اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الانبا ولا تقطع عنهم الاخبار ولما خرج كتب على باب السجن هذه
منازل البلوى وجهنم الدنيا وقبور الاحيا وشماتة الاعدا ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره فلما كلمه وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلم يوسف بكل لسان فاجابه يوسف بكل ذلك حتى
اذا فرغ دعاله بالعبرانية ولم يكن الملك يحسنها فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل فازداد الملك عجبا
منه من يوسف واعجبه عقله وعلمه وحكمه وقال له اقصص علي رؤياي فاني احب ان اسمعها منك • قال يوسف رايت سبع بقرات
سمانا عظاما شهبا غرا كشفت لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن
ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل وغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حماته ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات
البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان
فافترسنهن افتراس السباع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب
اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والما فبينما انت تقول في نفسك انى هذا
وهولا خضر مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الما اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود
على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا اخر ما رايت من الرويا ثم انتبهت من نومك
مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرويا وان كان عجبا باعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق
قال يوسف عليه السلام ارى ان تجمع الطعام في سني الخصب وتبني الاهرا والخزاين فتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله
فيكون قصبه وسنبله علفا للدواب ويكفيك ويكفي اهل مصر ومن حولها الطعام في سني الجدب ويانيك الخلق من
النواحي فيمتارون منك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك • قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه
ويكفيني الشغل فيه • قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ
عليم اي ولني على خزاين الطعام والاقوات فاني حافظ لها عليم بوجوهها • وقوله تعالى قال اجعلني على خزاين الارض اي حفيظ
لما استحفظته عليم بوجوه التدبير فيه • وقال الربيع عليم بوجوه تصرفها • وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني
وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسنة • وقيل حفيظ للخراج عليم بالسنين • وقيل كاتب وحاسب • قال
وهب فقال الملك ليوسف صلوات الله عليه قد جعلت اليك السرير والخاتم والتاج فقال
احب • قال يوسف اما السرير فاشدد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابايي

لباسي

قال الملك فقد وضعته عن راسي اجلالا لك واقرارا بفضلك • قال فاتخذ الملك الخزاين والاهرا وامر بجمع الطعام انظارا
لسني الخصب فلما انتجت جاءت بشي لا يقدر قدره كثرة وسعة • وذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي كالذي انعمنا
يوسف من الملك مكنا له في الارض اي ارض مصر في التمكين الاقرار واعطا المكنة والمكانة • وقوله تعالى يتبوا منها حيث يشا اذ كان
خزاينها في كل بلاد واخذت تحت حكمه بعد ما كان ضيق عليه بالرق والحبس • وقوله تعالى نصيب برحمتنا من نشا اي بنعمتنا كما اصبنا
يوسف • وقوله تعالى ولا نضيع اجر المحسنين • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الصابرين • قال وهب وذلك بصبره في
البير وفي السجن وفي الرق وعما دعته اليه زليخا فيها في الدنيا • وقوله ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
اي الجنة ونزلها خير للذين امنوا واتقوا معاصي الله تعالى • وقيل في قوله ولا نضيع اجر المحسنين كما لم نضيع اجر يوسف
وكان يجلس الى اهل السجن فنظر للضعفا ويعتني بمصالح المرضى وغير ذلك وكان يحسن الصبر عن المحارم وايثار طاعة
الله تعالى والقيام باحيا دينه والنصح لعباده في كل حال • وقال الامام القشيري رحمه الله لما لم يمكن يوسف دواعي
الشهوات من نفسه مكنه الله تعالى من ملكه وهو كما قال الله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا • وقال تعالى ولا
نضيع اجر المحسنين ثم اخبر عن حقيقة التوحيد وبين ان ما يوتي عباده من الطاعة فبفضله لا بفعلهم وبرحمته لا بجدهم
فقال نصيب برحمتنا من نشا ثم فهمهم عما ادلاهم من النعم فقال ولاجر الاخرة خير وفيه جواز وصف الانسان نفسه بما هو
موصوف به فانه قال اني حفيظ عليم اذا لم يكن فيه ثنا على نفسه بل بيان ما يتعلق به من مصالح الناس • وفيه امر للانبيا
بالعمل للكافر والفاسق اذا امكن العامل من وضع الشي موضعه واعطا كل شي من العدل قسطه وكان فيه صلاح
العامة والخاصة • وقيل في قوله فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين • قال للملك ما بال الملك يتقلد بسيف
لا يقطع وما باله يمسك على بابه حراسا عميا بكما صما وما باله يزرع في ارض سبخة اما يعلم ان من زرع بارض سبخة فقد
ضيع بذره وعذب بعزه وابطل امامه • فقال الملك ما ادري ما تقول قال اما التقليد بسيف لا يقطع فهو الاعتماد
في الاعمال على عمال لم يجربهم واما الحراس العمي والبكم والصم على الباب فهو استعمال قوم لا يرون عيوبك ولا يذكرون
لك واما الزرع في السبخة فالبذر المعروف والسبخة الدنيا والثوران الليل والنهار فاعجبه كلامه • وقال وهب ولما ولي
يوسف مصر مات العزيز فزوجه الملك امراة العزيز فلما دخل عليها وجدها عذرا فقال اليس هذا خيرا مما كنت
تريدين فقالت له لا تلمني يا نبي الله فان الله كساك من الحسن والجمال ما لا يصبر احد وكان صاحبي لا ياتي النسا وكنت
ناعمة في ملك الدنيا وغلبتني شهوتي يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا
العبيد ملوكا وتزوجها وهو ابن ثلاثين سنة فولدت له افرايم وميشا ابني يوسف في اربع سنين من سني الخصب هذا
القدر مذكور من حديث تزوجها في كتاب وهب وذكر في القصص رواية انها افتقرت وضعفت وعميت فاتته تساله
زوجها فقال ما تشتهين قالت ان افتح عيني مرة فادعا وبكيت فبكا يوسف واتاه جبريل فقال ان الله تعالى يرد اليها
بصرها وشبابها فتزوجها فدعا الله تعالى لها فرد الله تعالى اليها جمالها وشبابها وذكرها اشيا ولا مزورة الى ذكرها ولا معنى
تمام سني الخصب امر الله جل جلاله جبريل عليه السلام سحرا • فقال يا جبريل الا تنظر الى عبادي واماي من اهل مصر وجرمهم
كيف ياكلون رزقي ويعبدون غيري اهبط فقد سلطت عليهم الجوع والقحط سبع سنين فهبط جبريل وصاح في الهوا
يا اهل مصر جوعوا سبع سنين فانتبه الرجال والنسا والصبيان ينادون الجوع الجوع • قال ابن عباس رضي الله عنه
لم يكن في تلك السنين اليابسة مطر ولا نبات ولا ريح عشب ولا حمار ينهق ولا ثور يصيح ولا دابة تحمل ولا طير يتخذ عشا
ولا فرخ وجاءت سنوا الجدب بامر مهول لم يعهد الناس مثله وقصد الناس مصر من كل اوب وناحية يمتارون فجعل
يوسف صلوات الله عليه لا يعطي احدا منهم وان كان عظيما اكثر من حمل بعير وتراحم اهل مصر فباعهم اول سنة بالدراهم
والدنانير حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبض عليه وباعهم السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في ايدي
الناس منها شي وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب والانعام حتى احتوى عليها اجمع وباعهم السنة
الرابعة بالعبيد والاما حتى لم يبق عبد ولا امة في يد احد • وباعهم السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور
حتى احتوى عليها • وباعهم السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم • وباعهم السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق
بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له • فقال يوسف صلوات الله عليه للملك كيف رايت صنع الله عز وجل بي وما خولني
من الملك فما ترى في قال الملك الراي رايك ونحن لك تبع وانا خولك فقال يوسف اني لم املك مصر باهلها لاحرمها
واملكهم ولم اوسع عليهم الطعام لاضيقه ولم ارزم لاجوعهم او تعرف بان لي عبيدا وخولا • قال فاني اشهد الله واشهدك
اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت اليهم اموالهم واملاكهم ورددت عليك ملكك على شريطة ان لا تخالفني
وتستن بسنتي • قال الملك فاذن لك • وقوله تعالى وجا اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون • قال
وهب وكان اشتد على يعقوب وولده واهل الشام القحط • فقال يعقوب لاولاده ان بمصر طعاما يباع وان هنا
الرجل الصالح الذي هو ملكهم بلغني منه خير وصلاح وحسن سيرة فامتاروا فان له سيرة تشبه سيرة ال
يعقوب واستغني اليكم ان شا الله عز وجل فانطلقوا فامتاروا منه فانطلقوا فلما دخلوا على يوسف مع الناس
وكان يوسف صلوات الله عليه يجلس لكل من اتاه ويتطلبه تذكرا يكون عيانا له على مقدمهم فلما دخلوا عليه عرفهم وهم

لمنكرون وكان الله تعالى عمى خبر يوسف وما صار اليه من الملك والتغير لونه وكلامه وهيبته وتقادم العهد وانطوا المدة
وقيل انهم لم يعرفوه لانه كان متنقبا • وقيل لم يعرفوه لانهم كانوا جياعا وهم في الجايع حيارى فلا تعرف ما يبصر • وقيل لانهم جاووا
طامعين والطمع تغطي العين • وقيل لانهم جفوه والجفا يزيل المعرفة • وقيل لان الله تعالى اخفى عليهم ذلك لمصلحة وكان
له فيه سر انهم نكسوا رؤسهم محترمين له فلم ينظروا اليه فلذلك لم يعرفوه • قال وهب ولما عرفهم امر فتيانه بانزالهم دار
ومنزل اكرامهم ومكث ثلاثا لا يكلمهم ثم قال لهم بعد ثلاثة ايام من انتم قالوا نحن اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم
من اهل كنعان فنظر اليهم فاكثروا دام فيهم النظر وصعد وصوب فيهم البصر ونظر اليهم جميعا وانما كان فرغ من
نظره الى الذي يليه ثم قال اعتزلوني حتى افرغ لكم وكان لا يصنع ذلك باحد من الممتارين وكان يعجل سراح الممتارين فلما
اعتزلوا عنه استرابوا من نظره اليهم وقال بعضهم لبعض لقد نظر الينا هذا الملك نظرا ما نظره الى غيرنا الذلك فما
ان يكون نظر الينا على وجه الغبطة اما لنبوة ابينا ابرهيم واسحاق ويعقوب ان الغبطة لابينا بما لا نرى من عددنا وجلدنا
وقوتنا وجماعتنا واما ان يكون تفرس فينا النبوة من بعد ابينا والوراثة لهم من بعدهم واما ان يكون بلغه فعلتنا
باخينا وتلك قاصمة ظهورنا وسبب خزيتنا وتشاغل عنهم يوسف يومه ذلك فامر لهم فانزلوا في ضيافته فاوصى بهم
خدمه وهم يتعدون عليه ويروحون وهو كالمعرض عنهم والمحتجب لهم فاذا صاروا الى ضيافته اكرموا واذا دخلوا اليه
اعرض عنهم فيقولون ومن العجب شان هذا الملك وعلمنا اذا احضرناه يحجبهم لنا واعرض عنا واذا امرنا الى المنزل اوصى
بنا في الغيب فلبثوا بذلك حينا ثم انهم دخلوا على يوسف يوما فقال لهم من انتم قالوا قد اخبرناك اولا يوم سالتنا
انا ولد يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم فقال يوسف ولدكم ثلاثة انبيا الخليل والذبيح والصديق قالوا نعم قال
ما انتم لذلك اشباه ولا لذلك نخلقا وما انتم موسومون بسيماهم ولا ارى من احلام ولا وقار ولا سكينة ظاهرة ولا
خشوع وما انتم بان تكونوا لصوصا اشبه او تكونوا جواسيس لكم بعض الملوك يخيم مرتادين تنظرون لهم في
العدة والقوة ثم تاتونهم بخبر ذلك فيسيرون الينا ليغالونا حسدا لما انعم الله تعالى علينا فاحبساوا انتم هذا
الشبه وايم الله لا تنفكون من حبسي بدا حتى اعلم عليكم فانتفوا ان بحث منهم حتى يبلغ به البحث نعلمهم التي فعلوا
بابيهم فقالوا انا انسا لك ايها الملك بالذي بلغك هذه المنزلة وفضلك هذه الفضيلة واكرمك هذه
الكرامة وانعم عليك هذه النعمة لما عجلت سراحنا الى ابينا فانه اليوم اعظم اهل الارض حقا على جميع اهل الارض
لانه نبي الله وابن ذبيحه وابن خليله فلا تنتقض بحقه ولا تنتقص في شي من امره فانك لو تعلم علمه وعلم كبره وضعفه
وحزنه على ابن له هلك منذ حين وكان احب الناس اليه واقرهم لعينه وعلم ما يموله ويعوله ويتصدق ويضيف
اذا لاشتدت له رحمتك ولدمعت له عينك وحزن له قلبك • قال يوسف عليه السلام ما اجد اليوم اعظم حقا
على وعلى جميع اهل الارض من يعقوب ولو نزيه على ظهري متقبلا ومدبرا لحق اخيه وعيا له مما بلغت بذلك حقه
ولا حق اباه على غد توفى ما الذي احزنه وهو في منزل الفرج اليس نبي الله وابن انبياه او ليس يظل اليكم في
مثل عددكم وجمالكم وجلدكم اليس الجنة مع ذلك بشراه ونصب عينيه املها فما الذي يحزنه بعد هذا ولعل حزنه
انما كان من قبل سفهكم وجهلكم وكذبكم قالوا حاش لله ما نحن كذلك ولكن كان له ابن وكان اصغرنا واحبنا اليه
فهلك فلم يزل بعده واهن العظم باكيا محزونا • قال يوسف عليه السلام اوكلكم لام واحدة قالوا لا قال فما الذي
حمل اباكم على ان ارسلكم كلكم هلا احتبس رجلا منكم يسكن اليه ويانس به قالوا قد فعل قد احتبس منا ولدا
هو اصغر ولده واحبهم اليه بعد الاول • قال يوسف لولا مخافة ان تكونوا صادقين لحبستكم اطول من هذا
ولعذبتكم عذابا شديدا فان كنتم صادقين فارجعوا الى ابيكم فبلغوه مني السلام وقولوا له فليصبر لي ما الذي
احزنه وابكاه واوهن عظمه وما الذي شيبه قبل اوان شيبه وليبعث الي بجواب هذه الرسالة مع ابنه
الاصغر الذي احتبسه • وقوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم اي حمل اسبابهم فاعطى كل واحد وقر بعير وكذلك
يبيع ولا يزيد لكل قادم على وقر لئلا يضر بالاخرين • وقوله تعالى ايتوني باخ لكم من ابيكم يعني بنيامين الذي
ذكروه له • وقوله تعالى وانا خير المنزلين اي المضيفين • وقوله تعالى فان لم تاتوني به اي بالاخ فلا كيل لكم
عندي اي فلا طعام لكم عندي يكال ولا تقربون اي لا تقربوا بلادي ملطف يوسف عليه السلام في استحضار
بنيامين بالترحيب والترغيب اما الترغيب فهو الذي فصل لهم قال الا ترون اني اوفي الكيل وفي اثرا لم
يجن الضيافة قالوا وانا خير المنزلين • واما الترهيب فقوله فلا كيل لكم ولا تقربون • وقوله تعالى سنراود
عنه اباه وانا لفاعلون اي نستلطف لابيه في طلبه منه واخراجه معنا كما امرت وانا لفاعلون بما امرت به غير
متخلفين لذلك ولم يريدوا انهم يفعلون بغير اذن ابيهم لكن ارادوا ما قلنا • وقوله تعالى وقال لفتيانه • قرا حمزة
والكسائي وعاصم في رواية حفص لفتيانه والباقون لفتيته وهما لغتان في جمع الفتى كالغلمان والغلمة والفتى
اسم للمملوك شابا كان او شيخا • وقوله تعالى اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وهي دراهمهم التي حملوها ثمنا لما امتاروه
من عنده • وقوله تعالى لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وادخل كلمة لعل فيه لانهم ذلك بمشيانهم عسى ان
ينظروا في رحالهم ووقوفهم على ذلك لعلهم يرجعون هذا يصلح للازم والمتعدي اي يعودون الينا ويردون

البضاعة

البضاعة علينا وقد رجعه رجيعا فرجع رجوعا وتكلم ان معنى رجا الرجوع بذلك • قيل معناه اذا عرفوا انها بضاعتهم تحرجوا عن
امساكها وتوهموا ان فتيان يوسف وضعوها في رحالهم غلطا فعادوا لردها • وقيل انما فعل ذلك ليستعينوا بها على الرجوع
لابتياع الميرة مرة اخرى اي لا يكون عند ابيهم غير ذلك • وقيل وهو احسن الوجوه في رد بضاعتهم اليهم لان يوسف عليه
السلام لم يستحسن ان ياخذ من اخوته ثمن طعام في تلك الحالة فامر ان يجعلها في رحالهم ولم يحب ان يصرح لهم بسبب الرد
وقيل ليرجعوا اليه بما يظهر لهم من كرمه في ردها عليهم في زمان الجدب فيكون ذلك ادعى لهم الى الرجوع في كتاب
عصمة الانبيا قال هلا اخبرهم بحاله وعرفهم من نفسه ليعظم سرورهم بوجوده • وقد علم ان ادخال السرور في قلب
المومن ما محله من الثواب عند الله خصوصا في قلب اخوته وفي ذلك صلة الرحم وايصال الخبر الى ابيه ليتفرغ
من حزنه فالجواب عنه انه لم يقدر ان يفعل من غير وحي ولانه علم ان انقضا المحنة بعد لم يات وقته فلذلك
تربص وتاخر الى وقته وقال في وقته هل علمتم ما فعلتم بيوسف • والثالث انه لو اخبرهم ساعة دخولهم عليه
وكان يلاطفهم المعاملة ويسامحهم في تلك الميرة ويرد عليهم بضاعتهم ربما لم يستطيعوا صنعه بمكانهم متغللين به
بالاخوة انها موجبة لخصايص المعاملة احب ان ينصرفوا والسنتهم رطبة بالثنا عليه متعجبين من حسن معاملته
في عام السنة لم يكن منقضيا بعد وحوايج الناس الى الطعام قايمة فلو احسوا بمكانه رجعوا ببشرا الخبر الى ابيهم
فكانت تنقطع المعاملة لعلية الاشفاق على الناس احب ان لا يعرف بمكانه حتى تنقضي السنة ويتفرغ قلبه عن كلوم
الجايعين ثم يستوفي حظه من السرور في الاجتماع مع ابيه واخوته • وقالوا في قوله ايتوني باخ لكم من ابيكم كيف استجاز
زيادة الحزن لابيه وشغل قلبه بسببه وهو عالم انه ممتحن بفراقه مهتم لفقده • قيل بانه قال ذلك عن وحي من الله تعالى
لم يفعله جزافا وعلم ان الله جل جلاله علم استكمال صفات يعقوب على سبيل الطبع المحنة فعامله على ما علم من الله تعالى
وقوله تعالى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل • قرا حمزة والكسائي يكتل بالياء
اي يكتل بنيامين لنفسه • وقرا الباقون بالنون اي نكتل نحن له ونكتل بعيرا اي لاجله • ومعناه ان الاخوة لما رجعوا
الى يعقوب عليه السلام قالوا منع منا الكيل لم يريدوا انه منع ما جاوا له ما اشتروه فعند قالوا الا ترون اني اوفي
الكيل بل ارادوا انه قال لنا فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فتقدير قوله منع منا الكيل ان اتيناه
بغير الاخ ولما شق عليه ذلك وخاف ضياعه قالوا وانا له لحافظون • وقوله تعالى قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل فالله استفهام بمعنى النفي اي لا اتكل على ضمانكم حفظه وان قلتم وانا له لحافظون ولكني اتكل على
الله جل جلاله • وقوله تعالى فالله خير حفظا • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حافظا على الحال • وقرا
الباقون حفظا على التفسير فالتمييز وهو ارحم الراحمين يرحمني فيرد علي ولدي لعلمه بوجدي به بعد فقدي
يوسف • قال وهب فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا جئناك من عند اعظم ملك على وجه الارض ما راينا او سمعنا
لا نرى انه كان في الارض اعظم منه حلما وعلما واشد هيبة وارهب درعا واعظم سلطانا وارق قلبا واكرم اخلاقا
واكثر رفقا واجمل نايلا لقد نظرنا في حكمه فما شبهناه الا بحكمك وفي وقاره فما شبهناه الا بوقارك وفي حلمه
فما شبهناه الا بحلمك ولكنا اهل بيت خلقنا للبلا فبلينا فاتهمنا وكذبنا ومنع منا الكيل وزعم انه لا يصدقنا
حتى نرسل معنا اخانا برسالة منك تخبره فيها عن حزنك ووهن عظمك وعن سرعة الكبر اليك قبل اوانه وما
الذي اورثك ذلك فحزن يعقوب عليه السلام حين علم هذا منهم واتهمهم وكذبهم وظن انه مكر منهم ليفعلوا
به مثل ما فعلوا باخيه • فقال هل امنكم عليه الاية • وقوله تعالى ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم ووضعت في رحالهم • قالوا يا ابانا ما نبغي • قال قتادة اي اي شي نطلب علي الاستفهام اي اي عذر لنا
في تركنا الرجوع اليه مع انه رد بضاعتنا ونقل ما ينبغي اي لا نظلم مما نقول ولا نكذب واختار الفراء والزجاج
الوجهين هذه بضاعتنا ردت الينا تحمل الطعام لنا مجانا ونمير اهلنا نحمل لهم الطعام فهذه الكرم لهذه
البضاعة ونحفظ اخانا من ان ينالنا له سو في سفره • وقوله تعالى ونزداد كيل بعير لاجل بنيامين وعده الملك
وقيل كان وعده ذلك بغير ثمن ذلك كيل يسير اي سهل لانه مجان او لان ثمنه ممكن من هذه البضاعة او لانه
وعدلنا بتحميل التسريح بسبب اخينا وفي حق ساير الناس حبس المدة وتاخير ترويج • وقوله تعالى قال لن ارسله
معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل • قال
يعقوب صلوات الله عليه لن ابعثكم به حتى تؤتوني عهدا تجعلونه لله على انفسكم لترجعن به الي الا ان يرد عليكم
امر يحال بينكم وبينه وتنزلوا على المحكمة ان حاولتم رده فلما اعطوه هذه المواثقة • قال كعب ووهب هم
في الكرة الاولى بغير ميرة ولذلك قالوا منع منا الكيل ولذلك تدع البضاعة لنزوم ان يرجعوا لطلب الميرة نسيقى
عنده الثمن بغير تسليم المبيع • وقال لا نجمع واطعام الميرة وتاويل كلمة المنع ورد البضاعة ماير • قال وهب
ولما وجدوا بضاعتهم قالوا لابيهم الا ان ذلك على عدل هذا الملك وزعم انه دس بضاعتنا في رحالنا مخافة ان
لا نرجع اليه لما راى من خوفنا فنبقي البضاعة في يده بغير حلها فاطمان قلب يعقوب لهذه الدلالة • وقال ان كان
لابد لكم من ان تذهبوا باخيكم فاذن لنا ارسله معكم حتى تعاهدوني لتاتنني به الا ان يحاط بكم فتضمن ذلك يهوذا وكان

ارجاعهم عنده وهو الذي تخيل فيه قال كبيرهم ولم يكن اسنهم لكنه اعقلهم واوثقهم فدفعه اليه فخرجوا • وقوله تعالى وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان بمصر اربعة ابواب • قال ابن عباس والضحاك والسدي
وقتادة خاف عليهم لما كان لهم من حسن الصورة وجمال الهيئة وتمام القوة • وقيل كان عام الجدب فلو دخلوا من باب واحد
مع الرواحل معا لربما شق على اهل البلد اذا راوهم مجتمعين فامرهم بذلك شفقة عليهم لئلا تدخل وحشة في قلوب
الناس بسببهم • وقيل احب ان لا يفطن بهم اعداؤهم فلا يعنتوا لولا اهلكهم وهو دليل عطفه على كل اولاده وانه لم يكن
له حقد عليهم بما سبق منهم في خيانته وهو مع هذا كله كان ناظرا الى حكم الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى وما اغني
عنكم من الله من شيء اي لا امنع ولا ادفع ان كان الله اراد بكم شيئا من ذلك • وقوله تعالى ان الحكم الا لله اي ما الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ومن الجائز ان يكون امر بذلك لئلا تظهر حاجتهم في اهل تلك البلدة
فينتشر حالة اضطرارهم وهو امر بالصيانة وكتمان الفاقة ويحتمل انه امر بذلك لئلا يقع في اوهام اهل البلدة انهم
حضروا لمقاتلة الملك لانهم كانوا اصحاب مناظر وعدد وكان بلغتهم دعوة يعقوب ويحتمل غير ما قلنا • واليه
اشارة في قوله تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وللاباء وصايا في حق الاولاد فيما يرجع الى الاحتياط ويعين
في كل ذلك منزه سره عن الاعتماد على غير الله تعالى معتكر فيما يكون • وقيل لم يخف عليهم الهلكة لكن خاف عليهم النكبة
وقوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب شتى ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان دخولهم
متفرقين مغنيا عنهم من الله شيئا اي دافعا لقضائه الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي لكن كان ذلك
اضطرابا في قلبه ازال ذلك عن نفسه بوصيته لئلا يقول تفرقت فلم ائتمن • وقوله تعالى وانه لذو علم لما علمناه
اي وان يعقوب لعالم بانه وا قضيته لتعليم الله تعالى اياه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما يعلم يعقوب • وقوله
تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه • قال الحسن وقتادة اي ضم اليه نفسه اخاه بنيامين وانزله معه
وقيل اجلسه معه على سريره • وقوله تعالى اني انا اخوك • قال ابن عباس رضي الله عنهما تعرف اليه واخبره انه يوسف
اخوه • قال وهب والسدي لم يقل له انا يوسف ولكن طيب نفسه وقال انا اخوك اي بدل اخيك المفقود • وقوله
تعالى فلا تبتئس • قال ابن عباس رضي الله عنهما فلا تحزن • وقال الضحاك فلا تبال • وقال قتادة لا تكترث وحقيقته
لا تظهر من نفسك البؤس بما اتاك • وقوله تعالى بما كانوا يعملون من الجفا وذكر بنيامين بجميل عنده مغابطة
لك • وقال وهب قال لهم يوسف صلوات الله عليه هل بلغتم اباكم ما قلت لكم قالوا نعم وقد رده اليك الجواب
مع ابنه هذا قال يوسف بماذا ارسل ابوك قال انه يقرا عليك السلام ويقول لك انك سالتني عن خوفي
وحزني وكبري وشيبي قبل اوان الكبر تذكر يوم القيامة وشيبي قبل اوان الكبر تذكر النار ووهن عظمي
قبل اوانه لضعف الحزن على يوسف واعمى بصري البكاء وانا اهل بيت اكرمنا الله تعالى بالبلاء وشرفنا ورفعنا
به فنحن مخصوصون بعظمه فلا تضعفوا لنا الدنيا ولا تنزل فيها مبتهجين مروحين وقد بلغني تحزنك لي واهتمامك
بامري وعرفت حقيقة ذلك حين سالتني عن حالي وسالك عني وكفى بالله مجازيا ومثيبا واعلم انك لن تكرمني
بكرامة اعظم في صدري وابلغ في سروري من ان تعجل الي ما تشبع عيالي به ثم تعجل الي سراح ولدي فتفعل بهم وصدق
وتونس بهم وحشتي فلما سمع يوسف عليه السلام قول ابيه ورسالته بكى سرا فاشتد بكاؤه وحزنه فاشتد حزنه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان بنيامين كتب على ثوبه في مواضع يوسف يوسف شوقا اليه وتسليا
بالنظر الى اسمه مكتوبا في ثوبه فقال له يوسف ما هذا فقال هو اسم اخ لي اكله الذئب وكتبته لتجعلت
اسمه تذكرة لي وتسكينا لغليلي فقال هل كنت هناك اذ اكله الذئب قال ولكن هؤلاء الاخوة ذكروا لي ذلك
فقال لهم اهو كذلك قالوا نعم قال سمعت فيكم ان فيكم من يقلع الشجرة باصلها ثم يعرفها برجله فيجعلها قطعا
قطعا اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا الى شمعون قال اكله الذئب وانت فيهم هذا محال ثم قال
سمعت ان فيكم من لو صاح على باب مدينة وضعت كل ذات حمل حملها ولو صاح اخرى وضعت كل بهيمة حملها
اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا الى يهودا قال اكله الذئب وانت فيهم هذا محال فسكتوا وخجلوا
ولذلك العاصي في الغيابة اذا لزمته الحجة • وفي القصة انه دعاهم بموائد وطعام فجلس كل اثنين منهم
على مائدة صغيرة وبقي بنيامين وحده فجعل يبكي فقال له يوسف لم تبكي قال لو كان معي اخي يوسف لم ابق منفردا
قال اترضى ان اكون لك اخا قال لا يقوم لي احد مقام اخي فقال اترضى ان اكون لك في الاكل مصاحبا فقال
ومن يجد ذلك فضمه الى نفسه واجلسه يواكله فلما اخرج يده لياكل بكى بنيامين فقال له يوسف لم تبكي قال
ما اشبه هذه اليد بيد يوسف فقال هذه يد يوسف وانا يوسف فذلك قوله اني انا اخوك فقال بنيامين واذ
وجدتك فلا افارقك ولا ارجع مع اصحابي فقال لقد علمت اغتمام الوالد بك وان حبستك ازداد غمه ولا يمكنني
لي وجه صالح الا بعد ان اشهرك بامر فضيع وانسبك الى ما لا يحمل لك جمالا قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك
قال فاني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال فافعل • وقوله تعالى
فلما جهزهم بجهازهم قضى حاجتهم مرة • وقوله تعالى جعل السقاية في رحل اخيه السقاية هي الاناء الذي يسقى فيه

تلاؤم

وروي قال يوسف اكله الذيب وانت فيهم هذا محال ثم قال انت فيكم اديبرك الحجر بعدوه فيشق حجر اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا واشاروا اليهم

دجي

وهي هاهنا صاع الملك فكان يشرب منه • وقيل كان من فضة قال ابن زيد كان من ذهب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان
من نحاس • وقوله جعل السقاية يحتمل ان يوسف وضعها بنفسه واخفاها عن الكل فلما افتقدوا طلبوا وباطلوا اتهموا • ويحتمل انه امر
بعض خواصه بذلك • وقوله تعالى ثم اذن مؤذن اي نادى مناد معلما مسمعا • وقوله تعالى ايتها العير • قال الفراء ركاب
الابل انكم لسارقون اي فيكم سارق او جماعة اشتركوا في السرقة • وقال الامام القشيري رحمه الله هان على بنيامين ما قيل
فيه من السرقة بعدما بقي مع يوسف • وقيل لم ينسب يوسف اخاه الى السرقة تهمة فقد تعرف اليه بقوله اني انا اخوك سرا
لكان محمولا على الملامة ظاهرا محمولا بوجدان الكرامة باطنا وانشد • اجد الملامة في هواك لذيذة • حبا لذكرك
فليلمني اللوم • قال وهب وامر يوسف بالصواع فدس في رحل بنيامين وكان ذلك الاناء الذي يشرب فيه وكان من نحاس
فلما فصلت العير وامعنوا ارسل الطلب في اثرهم فلم يشعروا حتى احدقت الخيل برواحلهم فقال ما خطبكم فاذن مؤذن الملك
ايتها العير انكم لسارقون • وقوله تعالى قالوا اي اخوة يوسف واقبلوا عليهم ثم رجعوا الى من ارسلهم يوسف ماذا تفقدون
اي اي شيء تفقدونه تطلبونه • وقوله تعالى قالوا نفقد صواع الملك اسم تلك السقاية وكان مما يكال به
الطعام ولمن جاء به حمل بعير اي ولمن رده علينا حمل بعير طعاما وانا به زعيم اي كفيل بتسليمه اليه والزعامة الكفالة
من جد وخل • وقال في كتابه عصمة الانبياء في قوله جعل السقاية في رحل اخيه فان قالوا لم استجاز يوسف هذا وهذا
يبدو فيما بين الناس من اسباب الخيانة والخديعة قلنا انه فعل ذلك بالوحي • قال تعالى كذلك كدنا ليوسف والله
تعالى اجرى في احوال يوسف واخوته وابيه من الاعجوبات ما تنقطع عنه علوم العباد ولا تقف على كنه معانيها حتى
رجعوا الى تسليم الغدرة وكان قصد يوسف بوضعه ذلك في رحل اخيه امساكه فلذلك لانه اخوه ولو حبسه من غير علة
ربما كانت تقع المهاكسة بين الاخوة ولم يكن وقت اظهار حقيقة الحال فعمل ما يجدون السبيل الى منعه الى ان ينقضي الامر
في حكم الله تعالى • وقول المنادي انكم لسارقون له وجوه احدها ما قال الامام الشيخ ابو منصور رحمه الله ان
المنادي به لم يكن يوسف وانما كان من خدمه او من القوم على اسباب مملكته وهم لم يراعوا حدود الكلام حتى تكلف
لتحسين كلامهم • وقال الامام الشاعري ان وضعه في رحله كان في منزل يوسف بحيث حملوا وصاروا هم مخرجين ذلك
الوعاء فعلوا وان لم يشعروا به من جهة عين الفعل على ذلك الوعاء سموا سارقين لاجتماعهم على اخراج الرحال من داره الزكي
في الاحكام من حلف لا يحمل من منزله ثوبا وقد كان الثوب في طرف فحمله انه يحنث في يمينه وان لم يشعر به وهو موجب
للضمان اذا حمله انسان وليوسف عليه السلام وان جعله في وعاء اخيه لم يامر باخراجه من الدار ولا امر برفع الرحل فما فعلوا
بغير امره ومن اخرج متاعا من دار انسان فهو في ضمان المخرج اذا كان بغير امره فلذلك سموا سارقين على هذا التاويل
وقيل على الاستفهام اي انكم لسارقون ومن الجائز ان يكون ظهر منهم عند يوسف من بدء امرهم الى اليوم ما يطلق عليهم تسميتهم
به وان لم يكونوا سارقين هذا الوعاء • وقيل كان تعريضا باخراج يوسف من عند ابيه كانهم ما قصدوا ان يفعلوا به
من تغييبه عنه • وقوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ارادوا به ما انتشر
به الخبر عنهم في طريقهم من جهة من صحبهم من صلاحهم وظهور اعمال الخير منهم وما علمه الناس بالانصاف والاحسان
وروي انهم كانوا في طريقهم لا ينزلون ارضا حمى ملك الغير ولا يرعون لاحد زرعا وكانوا جعلوا على افواه دوابهم
الاكمة لئلا تاكل الزرع ولانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم • قال وهب قالوا الاولاد يعقوب ما هكذا
كان جزاؤنا منكم الم نكرم ضيافتكم ونوف كيلكم ونحسن نزلكم ونفعل بكم ما لم نفعله بغيركم الم ندخلكم في منازلنا
وبيوتنا • فقالوا اما نعرف هذا ولا نوصف به تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما
جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين • قال فابتغوا نفتش رحالكم
فاناخوا وايقنوا بما يقولون من براءتهم شديدة السنتهم وقلوبهم فبدا برحل اخيهم الاكبر بالذي يليه حتى بلغ رحل
بنيامين فوجدا الصاع مدسوسا فلما استخرجه منه نكسوا رؤوسهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت السنتهم وخلوا
باخيهم وقالوا يا ابن المشومة واخا المشوم ما هذا الا من شوم امك وشوم ولدها من قبل ولولا انتم يا بني راحيل امرا
جار ما جرا علينا اعظم من جريرتك فما الذي حملك على ان تسرق صواع الملك فتفضحنا وتفضح نفسك وتزري
بابيك الصديق وليس هذا باول ما ساءنا امك بولدها حتى في يوسف حين صرف وجه ابينا عنا فحملنا شومكم على ان اخرجنا ابا نا
وبعنا اخانا ولو كنا نعلم ذلك بك لاسترحنا وخلا لنا وجه ابينا • فقال لهم بنيامين اسمعوا مني يا اخوتاه ولا تعجلوا
علي ولا تشتموني فاني سائلكم بوجه من الحق تعرفونه وتعرفون به براءتي وعذري الستم تعلمون ان البضائع قد دست
في رحالكم يوم صدرتم من عند هذا الملك من غير علم منكم فان كنتم انتم سرقتموها ودسستموها في رحالكم كنت انا
سرقت الصواع ودسسته في رحلي وان كنتم لا تدرون من دس البضائع في رحالكم فكذلك لست ادري من دس الصواع
في رحلي والا فاعلموا ان هذا الملك يريد بكم امرا فهو يمكر بكم من اجله فلما قال لهم هذا نظروا فيما قال فاخذ بانفسهم
وتسلق بقلوبهم وصدقوه فلما رجعوا الى يوسف قال لهم رايتم فراستي فيكم وعلى باب ركم الليس فقد اخبرتكم اول يوم رايتكم
انكم سراق فانكرتم وحلفتم وايم الله لا تبرحوا حتى تخبروني عن الصواع منكم فيضرب بحيرتكم فانه مضاف عليكم من اجل انكم
سرقتموه فهو خليق ان يفضحكم وان لا يستبقي شيئا من مساويكم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف

موم

البداء

ورجعوا عليه

في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون يعني اسوء صنيعا بما صنعتم بيوسف والله اعلم بما تصفون بما تقولون من الكذب بان اخاه يوسف سرق وانما عيروه بالسرقة لانه كان ليوسف جد لامه صنم يعبده فقالت ام يوسف ليوسف خذ هذا الصنم الذي يعبده جدك فغيبه لعله يترك عبادة الاصنام وكان صنما من ذهب فغيبه يوسف فلم يعذروا عليه من اجل الصنم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ثم قال يوسف لامينه سل هذا الصواع من خبر هؤلاء القوم وعن انبائهم شيئا من اسرارهم فنقره الامين ثم قال اخبر الملك بالذي سالك عنه فنقر الصواع ساعة والامين مصغ اليه باذنه فلما سكت الصواع قال الامين انه يقول لك ايها الملك ان هؤلاء القوم ليس هذا باول ما سرقوا انهم سرقوا قبل هذا ملك هذا غلاما حرا فباعوه قال فزده فسله عنهم وقل له يخبرني من اخبارهم فنقر المتاع فطن وهو مصغي اليه باذنه فلما سكت الصواع قال الامين انه يقول ان اخاهم الذي اخبرتك انه فقدتموه حي ولكنه مغترب بارض بعيدة وهو قاضي سلطنه وزعم الصواع انهم لم يصدقوك قال فزده فسله عنهم وقل له اخبرنا من اخبارهم فنقر الامين فطن وهو مصغي اليه باذنه فلما سكت الصواع قال الامين ايها الملك ان هؤلاء القوم اخبرتك انهم لام واحدة وقد كذبوا ولكنهم لعلات وانما جمع الغنم مدة عندهم وحانا بينهم ولولا ذلك لكان بينهم ما يكون بين اولاد علات قال فزده فسله عنهم وقل له يخبرنا من اخبارهم فنقره فطن وهو مصغي اليه باذنه فلما سكت قال الامين ايها الملك ان الصواع يقول ما على ظهر الارض من عصابة هي اكذب من هؤلاء القوم لقد كذبوا اباهم كذبة ما استقالوها بعد ولا عذرت لهم قال فزده فسله عنهم وقل له يخبرنا من اخبارهم فنقره فطن وهو مصغي اليه باذنه فلما سكت قال ايها الملك ان الصواع يقول ما دخل على ابي هؤلاء القوم منذ عقلوا امر والحزن والبلاء والبكاء الا من جهتهم وبسببهم وعلى ايديهم وبجرائرهم فلما خافوا ان يبلغ بهم الخبر والمسائل شان يوسف وفعلهم الذي فعلوه به وبابيهم اكبوا على يوسف فالتزموه يقبلون راسه وقدميه ويناشدونه بالله ويذكرونه ويقولون له نسالك بالذي فضلك على العالمين وشرفك بالنبيين لما سترت العورة واقلت العثرة وكنت عند حسن الظن بك والرجاء فيك وحفظت رسالة ابينا يعقوب اليك ووصيته فينا ورحمت ضعفه وكبره ووحدته بعدنا ووحشته بغيبتنا فرق حين ذكروا اباه واذكروا الرحمة لهم فقال اما والله لولا حرمة يعقوب ومحنته ووصيته ورسالته لنكلت بكم من خلفكم ولزودتكم السراق واللصوص فانطلقوا فقد عفوت عنكم فاعزموا فلا حاجة لي فيكم وعجلوا بسيركم الى ابيكم فانه فقدا ومدا الى ان اعجلكم قالوا فارحم كبره بابنه هذا الذي تريد ان تحبسه فانك لن تصله بصلة ابلغ منها وانك ان حبسته ضاعفت عليه البلاء • وقوله تعالى قالوا فما جزاؤه اي قال لطالبوا الصواع فما مكافات السارق • وقيل فما عوض الصواع ان ظهر كذبكم بوجود الصواع معكم • وقوله تعالى قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي قال اخوة يوسف جزاؤه من وجد في رحله قيل جزاؤه مبتدا • وقوله من وجد في رحله خبره ومعناه عوض المسروق سارقه اي يؤخذ بملك ويستعبد • وقوله فهو جزاؤه تاكيد للتذكير ومعناه انه الجزاء الاخير • وقيل من وجد في رحله شرط وقوله فهو جزاؤه جزاء وهذه الجملة خبر قوله جزاؤه في الابتداء • وقيل كان هذا حكم يعقوب في السراق فاجروا ايمانا في حكم بلادهم ولذلك قال كذلك نجزي الظالمين اي السراق اي هو حكم شريعتنا • وقيل لم يكن ذلك حكم يعقوب بل كان هو حكم اهل مصر فبادروا بالتزام هذا الحكم قبل ان يجبروا عليه • وقيل لم يكن حكم احد الفريقين وانما هو شيء اتفق لهم القول به ثقة منهم بانهم لم يسرقوا فنفوا التهمة عن انفسهم بالتزامهم اغلظ ما يكون رسما وحكما في السراق فكان ذلك امرا اراده الله تعالى اتماما لمراد يوسف من احتباس اخيه عنده فاجرى هذا القول على السنتهم • وقيل معنى قوله فهو جزاؤه اي هو الذي يجزي جزاء السارق دون غيره • وقوله تعالى فبدا باوعيتهم اي بدا المؤذن برحال الاخوة قبل رحل اخي يوسف وهو بنيامين والوعا الظرف الذي يوعى فيه الشيء اي يحفظ ثم استخرجها اي اخرج السقاية وقال الزجاج اي الصواع ويذكر ويونث فلذلك قال ولمن جاء به ثم قال ثم استخرجها • وقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف والكيد التعريض للضرر خفيا او فعلنا هذا النوع من الحال على اخوة يوسف ليوسف لاجل يوسف ليتهيأ له حبس اخيه بهذا النوع من السبب • وقوله ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله اي لم يكن يوسف لياخذ اخاه في حكم ملك مصر وعادة ملك مصر في الدين اسم لهما بتهمة السرقة وحبسه الا ان يسبب الله له التزام الاخوة في ذلك حكم شريعة ابيهم وهذا على قول من جعل الاسترقاق حكم يعقوب دون اهل مصر واما على قول من حكى هذا القول فتاويله كذلك كدنا ليوسف في اظهار السرقة على اخيه وما كان له اخذه في حكم ملك مصر الا بالسرقة فالمشيئة على هذا واقعة على وقوع السرقة منه ودلت الاية على ان افعال العباد حسنها وقبيحها بمشيئة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما كذلك كدنا ليوسف اي صنعنا • وقال الربيع بن انس اي الهمنا • وقيل قوله كدنا اي كما فعلوا في الابتداء بيوسف فعلنا بهم • قال تعالى لجزاعن يعقوب عليه السلام انه قال فيكيدوا لك كيدا وكان هذا جزاء كيدهم ذلك • وقوله في دين الملك • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي في سلطان الملك • وقال قتادة في قضاء الملك • وقال مجاهد في سنة الملك • وقوله تعالى نرفع درجات من نشاء اي بتعليم التلطف العلم وكلا باب والاتصال به الى المحاب • وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله تعالى فلا يكون فوقه عليم • وقوله

تعالى

تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اي قال الاخوة ان سرق هذا الاخ فقد سرق اخ له من قبل وهو يوسف وهذا اقتدى باخيه وقوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه اي فاخفى هذه المقالة يوسف في قلبه ولم يبدها لهم اي لم يظهرها لهم اي لم يقل انا يوسف وما سرقت قط فلم كذبتم علي • وقوله تعالى انتم شر مكانا اي قال في نفسه انتم اسوء حالا منه ان ثبت منه ما تقولون عليه فانتم جفوتم اباكم وبعتم اخاكم وقصدتم قتله • وقوله تعالى والله اعلم بما تصفون اي بما تصفونه من السرقة • واختلف في وجه اضافتهم السرقة اليه • قال ابن عباس ومجاهد كان لابراهيم منطقة كانوا يتوارثونها الكبير من الاولاد فورثها ابنه اسحاق ثم وقعت الى رحمة بنت اسحاق اخت يعقوب وكانت اكبر اولاد اسحاق فماتت ام يوسف راحيل فحضنت رحمة يوسف وكانت تحبه الى ان شب وكانت لا تصبر عنه ساعة فلما شب اراد يعقوب ان ينزعه منها ويرده الى منزله فعلمت بذلك اخته فشدت المنطقة على وسط يوسف وبعثت به الى يعقوب ثم اتت على اثره فقالت فقدت المنطقة ثم اجتمعوا ففتشوا ثياب يوسف فاذا المنطقة على وسطه وكانت سنة ال يعقوب استرقاق اللصوص والسراق ثلاثة اشهر فردت يوسف الى منزلها ثلاثة اشهر فذلك قولهم فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان يوسف سرق المنطقة • وقال وهب كان يخبا الطعام من المائدة للفقراء • وقال كعب كان يوسف في المنزل وحده فاتى سائل وكان في المنزل عناق وهو الانثى من الجدي فدفعها الى السائل من غير امر ابيه • وقال ابن اسحاق كان في منزل يعقوب جونة فيها صنم لجد ام يوسف فحمله يوسف فالقاه فيما بين الجيف وغطاه بالتراب وقد حكيناه عن وهب في سياق القصة اتم من هذا • وقال سفيان بن عيينة سرق يوسف دجاجة كانت في بيت يعقوب واعطاها سائلا • وقوله تعالى يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين العزيز المنيع وقوله كبيرا اي في السن او كبيرا في الاجله والكبير في القران لمعان هذا • والثاني الكبير لا تسامحوا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله يعني قليلا او كثيرا • والثالث العظيم قال تعالى الكبير المتعال • والرابع الطويل قال تعالى ان انتم الا في ضلال كبير اي شقا طويل • والخامس الشديد قال تعالى نذقه عذابا كبيرا • والسادس الاعلم قال تعالى انه لكبيركم الذي علمكم • والسابع الاعقل قال تعالى قال كبيرهم وهو يهوذا وكان روبيل اكبرهم سنا وانما استشفعوا بكون اباهم شيخا كبيرا ولم يقولوا رسولا نبيا لان الشيوخ لهم حرمة والكبير في الناس داع الى الرحمة فقالوا ذلك استعطافا كما قال في قصة شعيب وابونا شيخ كبير • وفي قصة زكريا وقد بلغت من الكبر عتيا • وقوله تعالى فخذ احدنا مكانه اي خذ واحدا منا عبدا بدله انا نراك من المحسنين اي احسنت الينا في الانزال والكيل وفي رد البضاعة وتحسن في معاملات الناس فاحسن الى ابينا برد هذا الولد اليه واحسن الينا بصرفه معنا فنبر ولا نوحشه ابينا عنا • وقال الامام القشيري رحمه الله ظنوا ان واحدا منهم يقوم مقامه فيما هو مقصوده ولا بدل عن المحبوب • قال قائلهم اي القلب لا حب ليلى وبغضت الى نساء ما لهن ذنوب • وقوله تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي نعوذ بالله ان ناخذ غير الجاني في خيانتنا • وقوله تعالى انا اذا لظالمون لو فعلنا ذلك • قال وهب قال لهم يوسف تزعمون انكم اولاد الانبيا افتجدون في حكم النبوة ان يؤخذ البري ويترك المذنب اهكذا حكم يعقوب فغضب يهوذا وكانت شعرة في ظهره كانت تقوم اذا غضب فلا تسكن تلك الشعرة حتى يمسه ابن من ولد يعقوب • فقال والله لترسلنه او لاصيحن صيحة لا تبقى حبلى في ملكك الا وضعت ما في بطنها فلما ام ان يصيح • قال يوسف لابنه اذهب فخذ بيده فاتني به فجاء به الى ابيه فمسه فسكن غضب يهوذا فقال والله لقد مسني كف ابن من ولد يعقوب فكف من هي قال كف ابن الملك • قال والله انه لينبغي ان يكون من ولد يعقوب • وقوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي ييسوا من رد اخيهم خلصوا نجيا اي خرجوا من بين الناس فخلصوا اسهم نجيا اي متناجين وهو مصدر في الاصل يصلح للواحد كما في قوله تعالى وقربناه نجيا والجمع كما في هذه وهو كقوله تعالى واذ هم نجوى • وقيل النجي جمع الناجي وخلصوا نجيا كالندي والغزي جمع الغازي والحجيج جمع الحاجي وخلصوا نجيا من فصيحات القران وخلصوا انفردوا واصله الصفا من الشوب اي لم يبق معهم غيرهم والنجي يجمع على الانجية • قال الشاعر اني اذا ما القوم كانوا انجية • واختلاف القوم اختلاف الارشية • هناك اوصيني ولا توصي بنيه يقولوا لما تنقطعوا من رده اليهم انفردوا خالصين لا عن خلط غيرهم يتناجون اي يتشاورون في الامر الذي عرض لهم ماذا يصنعون ايرجعون الى ابيهم ام يقيمون بمصر الى ان يبلوة خبر اخيهم او فيما نالوا يوسف في استنقاذ اخيهم • وقوله تعالى قال كبيرهم قيل اكبرهم سنا روبيل • وقال مجاهد هو شمعون ولم يكن اكبرهم في السن بل كان اكبرهم في العقل • وقال الكلبي وذهب هو يهوذا • وقال محمد بن اسحاق هو لاوي • وقوله تعالى الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله هو قوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم • وقوله تعالى ومن قبل ما فرطتم في يوسف ركح على الغاية وما فرطتم له ثلاثة اوجه احدها ما مع الفعل مصدر واعرابه الرفع وهو خبر من قبل اي ومن قبل هذا تفريطكم • وقيل نصب بوقوع الم تعلموا عليه اي الم تعلموا تفريطكم في امر يوسف اي تقصيركم في امره وتضييعكم • وقوله فلن ابرح الارض • وقوله لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين هما مستعملان في التقسيم فلن ابرح الاقامة من غير حاجة ولا ابرح السير يريدون المقام وانما صح ذلك لانهما استعملا ذا لان المعنى بها الازول فمعنى فلن ابرح فلن ازايل المقام ومعنى لا ابرح لا ازايل المسير • وقوله تعالى حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه

وقيل في القتال او يحكم الله لي بالرجوع بظهور عذري عند ابي فحينئذ ارجع او يصل الينا اخونا او يحكم الله بالسيف ان امارهم ه
واخذ الاخ منهم وهو خير الحاكمين لا خطا في حكمه ولا زلل ولا رشوة ولا حشمه • وقوله تعالى ارجعوا الى ابيكم قال هذا الكبير اخوهم
ارجعوا الى ابيكم فانا مقيم بمصر واوضحوا له عذركم وقولوا يا ابانا ان ابنك سرق اي حكم عليه بالسرقة • وقوله تعالى وما شهدنا
اي عليه بالسرقة عندك الا بما علمنا من الامر الظاهر بوجود المسروق في رحله وما كنا للغيب حافظين اي ولم نكن نحفظ الغيب
فندفع عنه فنقول انه لم يسرق اذ لم نعلم ان الامر في الباطن بخلاف الظاهر فسلمنا لما حكم عليه بالسرقة على الظاهر • وقيل
وما كنا نحفظ الغيب فنعلم انه سيسرق ولو علمنا ذلك لكنا لا نخرج به وكا ضمنا لك حفظه مما يمكننا ان نحفظه عنه من
الافات في الطريق فاما السرقة فمما لا يكون لنا الى حفظه منها سبيل • وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وما شهدنا الا
بما علمنا اي ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما علمنا من ذلك هو الواجب في الحكم ولم نعلم في الحقيقة
هل سرق ابنك ام لا الا انه وجد الصواع في متاعه • وقرا الضحاك ان ابنك سُرِّق بضم السين وتشديد الراء على ما لم
يسم فاعله اي نسب الى السرقة كقولك صدق وكذب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وما كنا للغيب حافظين اي
لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه • وقال ابن كيسان وما كنا للغيب حافظين اي لم نعلم انك تصاب
به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لم نحرق قلبك ولم نذهب به • وقال عكرمة وما كنا للغيب حافظين فلعلها
دست بالليل في رحله وقال ولا علم لنا به • وقال محمد بن اسحاق اي لم نطلع على انه سرق ولكنهم سرقوه • وقوله تعالى
واسال القرية التي كنا فيها اي وسل اهل القرية اضمر الاهل لدلالة الحال والعير التي اقبلنا فيها ومنا •
وسل اهلها فان العير اسم للابل والحمير التي تحمل الاحمال في المسير وانا لصادقون فيما نخبرك به انه سرق • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما القرية هي مصر والعير القافلة التجار • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها قرية
من قرى مصر كانوا اخرجوا منها الميرة اليها فلحقهم المنادي بها ثم بعد هذه الاية مضمر الى قوله تعالى قال بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر اي فرجعوا وقالوا ذلك فقال هو ذلك • قال وهب فلما رجعوا الى ابيهم فاخبروه الخبر
كذبهم فاتهمهم وساخطهم وقال الم ذلك كلما توجهتم وجها نقص منكم واحد وظن انهم تواطؤوا انما تخلف عنه
مكرا وحيلة ليصدقهم • فقال وهو قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا • قال قتادة اي زينت وقيل
سهلت اي ما هو عندي كما تقولون وانما زين لكم هوى انفسكم امرا هممتم به في هذا الامر كما فعلتم بيوسف • وقوله
تعالى فصبر جميل اي فلا اجزع الا الى الصبر الجميل الذي اكظم عليه ولا ابثه الى المخلوق • وقوله عسى الله ان
ياتيني بهم جميعا يوسف واخوه بنيامين ويهوذا انه هو العليم بحالي وبوجدي وبصبري وبصدقكم وكذبكم
وهو الحكيم فيما يدبره في امور عباده فليس يدبر امري الا بما هو صلاح لي وانفع في دنياي وديني فانا مسلم التدبير
وقيل المؤمن المحقق كلما ازداد بلاء ازداد رجاء • وقال الامام القشيري رحمه الله لما وطن نفسه الصبر الجميل
لم يمض عليه يوم حتى قال يا اسفا على يوسف ليعلم ان عزم الاحباب على الصبر منقوص غير محفوظ • وقوله تعالى
وتولى عنهم قال لولا ان يعقوب صلوات الله عليه في حال توجهه الى الاولاد يعتقد في كل سفر منهم ولذا فلما تولى عنهم
وجد المفقودين كلهم ليعلم العبد ان في توجهه الى الخلق قطع نفع الخلق وفي التوجه الى الله تعالى الوصول الى
كل شيء بقوله اعرض عن بنيه واقبل على بث نفسه فقال يا اسفى على يوسف • قال الحسن وقتادة والضحاك يا حزناه
عليه ولهف نفسي والاسف اشد الحزن على الغائب وهو اشد الغضب ايضا فيجوز ان يكون اجتمع له المعنيان
الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوة يوسف او على نفسه ببعث بنيامين معهم والصيغة صيغة نداء ومعناها
يا حزن هذا وقتك فاحضر والالف في اخره للندبة واصلها الاسفاه مع ها الاستراحة ثم حذفت الها للتخفيف
وقوله تعالى وابيضت عيناه قيل هو ذهاب بصره • قال مقاتل لم يبصر ست سنين • وقال الاستاذ ابو علي الدقاق
لم يقل عمي لانه لم يذهب بصره ذهاب فوات لكن كان محجوبا عن رؤية غير يوسف وكان اخوته غيبوه ليخلو لهم وجه ابيهم
فيخلص لهم نظره فلم يرضوا بنظره اليهم مع يوسف فما دام اصلا وكذلك من طلب الكل فاته الكل • وقال الامام
القشيري رحمه الله كان ذهاب بصر يعقوب في غيبة يوسف لطفا من الله تعالى بيعقوب في غيبة يوسف
حتى لا يحتاج الى رؤية غيره اذ لا شيء على المحب اشد من رؤية الاغيار • قال قائلهم لما تيقنت ان لست
ببصركم غمضت عيني فلم انظر الى احد • وقوله تعالى من الحزن اي الهم لتغليظ على النفس من الارض الحزن ه
بنقع الما الغليظة وهو كظيم اي مملوء كربا لقوله تعالى وهو مكظوم الكظام الشاة والسقاية المملوة ما وقيل كظيم
اي ممسك على غيظ اولاده بما فعلوا به او على نفسه بما فعل من ارسال بنيامين معهم هذا فعيل بمعنى فاعل كقوله
تعالى والكاظمين الغيظ والاول فعيل بمعنى مفعول • قال ابن عباس رضي الله عنهما كظيم مهموم • وقال
مقاتل مكروب يرده الحزن في جوفه • وقال مجاهد ساكت • وقال قتادة كظيم على الحزن اي لم يتكلم بسوء • وقال
عكرمة ممتلئ حزنا • وقوله تعالى تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ومعناه لا تزال قاله ابن عباس رضي الله عنهما
والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وصرفه من حد علم ومصدره الفتاء والفتوء على الفعل والمفعول
قال اوس بن حجر فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع اي فما زالت وحذفت لا من تفتا لانه جواب

القسم

القسم للنفي ولو كان اثباتا لكان باللام والنون • قال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا راسي لديك واوصالي
وقوله تعالى حتى تكون حرضا • قال ابن عباس ومجاهد اي باليا من المرض وتكون من الهالكين اي الميتين • وقال الحسن
وقتادة حتى تكون هرما واصل الحرض فساد العقل والجسم من الحزن والحب • قال العرجي اني امرؤ لج بي حب فاحرضني
حتى بليت وحتى شفني السقم • وحرضا مصدر لا يراد به النعت ولا يثنى ولا يجمع • وقال الربيع بن انس حرضا يابس الجلد
على العظم • وقال الكسائي فاسدا لا خير فيه • وقال الاخفش اي كالشيء المدقوق المكسور • وقال الامام القشيري رحمه الله
هدده بان يصير حرضا وقد كان حرضا وتهديده بما كان لا يبالي ان يصيبه في حكم الهوى حيث قالوا او تكون من الهالكين
وقيل لذا الاشيا في حكم الهوى لهالك في حب من يهوى • وقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله • قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي همي وهو الذي يبث وان كتم يتبين باثاره والحزن ما يغلظ على النفس احتماله • وقيل البث
الهم الذي يظهره صاحبه والحزن الذي يضمره • وقيل البث ابتداؤه والحزن انتهاؤه فقال اشكو ذلك كله الى الله
لا الى خلقه • وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون اي من سعة رحمته ولطف تدبيره بعباده ما لا تعلمون انتم يشير
الى حسن ظنه وقوة رجائه بربه جل جلاله ان يعيد اليه يوسف عليه السلام • وقيل انما رجا ذلك لما قص عليه يوسف
من رؤياه وعلم تاويله • وقيل اخبره بذلك ملك الموت عليه السلام • وقيل اخبره جبريل صلوات الله عليه • وقيل راه
في المنام • قال وهب ولما اراد الله تعالى ان يرفه عنه ويرحمه ويلحقه الى بنيه ارسل اليه ملك الموت قال اني كنت
امنى ان القاك منذ حين قال له لم ذلك قال لاسالك عن شي شان يوسف قال وما اي شانه تسالني قال انشدك
وانا لك بالذي ملكك الانفس وسلطك على الارواح واعطاك القوة في الاجساد هل قبضت روح يوسف
قال لا والذي نشدتني به ما قبضت روحه فاطلب ابنك فانه حي سالم فانتبه واصبح وقال لبنيه اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه • وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ليعقوب اخ مواخ له فقال له ذات يوم يا يعقوب
ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكا على يوسف واما الذي قوس
ظهري فالحزن على بنيامين • فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكوني
الى غيري • فقال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله • فقال جبريل اعلم بما تشكو يا يعقوب ثم قال يعقوب يا رب
اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمه قبل الموت ثم اصنع بي يا رب
ما شئت فاتاه جبريل فقال له يا يعقوب ان الله عز وجل يقريك السلام ويقول لك ابشر وليفرح قلبك فوعزتي
لو كانا ميتين لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي المساكين وتدري لم اذهبت بصرك
وقوست ظهرك وصنع اخوة يوسف بيوسف ما صنعوا لانكم ذبحتم شاة فاتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم
تطعموه منها فكان يعقوب بعد ذلك اذا اراد الغدا امر مناديا فنادى الا من اراد الغداء من المساكين فليتغد
مع يعقوب واذا كان صائما امر مناديا فنادى الا من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب • وقيل كان
فصل عجلا عن امه اياما • وقيل غير ذلك من الاسباب والصحيح انه غير منصوص على سبب وانما اراد به سبحانه وتعالى
له ان يمتحن عباده وخواصه بما شاء ليرفع لهم بذلك درجاتهم ويظهر صدقهم واخلاصهم • وقوله تعالى يا بني
اذهبوا فتحسسوا من يوسف اي اطلبوا خبره من الحس وهو العلم بالحاسة والتجسس بالجيم قريب منه وقيل
هما واحد • وقيل بالحا في الخير وبالجيم في الشر • وقيل التحسس بالحا الطلب لنفسه وبالجيم الطلب لغيره ومنه
الجاسوس • وقال الامام القشيري رحمه الله امرهم بطلب يوسف بجميع حواسهم يطلبونه بالبصر لعلهم يرونه
وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره وبالشم لعلهم يجدون ريحه توهم انهم مثله في الارادة • قال تعالى اخبارا عنه اني لاجد
ريح يوسف • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال اهل التاويل استخبروا عنه واطلبوا والاقرب ان يكون
معناه اذهبوا من هذا الجانب الذي كنتم فيه فانظروا اليه والى اخيه فانه حمل على الاستخبار في حق يوسف
لا يستقيم في قوله واخيه وهم يعلمون اين هو فمعناه ايقاع حاسة البصر على الذي راوه وهو لوقوع الرجا له
ان يوسف بمصر لكن لم يخبر بنيه بذلك انه مما لا علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فقال
ذلك تعريضا لا تصريحا • وقال الامام القشيري رحمه الله قال يعقوب في حق يوسف اني ليحزنني ان تذهبوا به
وقال في حق سائر اولاده اذهبوا ليعلم بنوه ما بينهم في المحل عنده • وقال وهب لما قال لبنيه ذلك قالوا كيف
تكلفنا ان نتحسس من اهل القبور اما يوسف فقد اخبرناك خبره اول انه اكله الذيب ولا عصبه اليوم الا رميما
تحت التراب واما ابناك اللذان ذهبا معنا فقد اخبرناك ان احدهما سرق فارتهن بسرقته واما الاخر فمقيم
لطلب فكاكه وقد اقسم بالله جهد يمينه والا على نفسه ان لا يبرح الارض حتى ياذن له او يقضي ذلك بموته او يحكم
الله بما شاء وهو خير الحاكمين ونحن راجعون ومتحسسون عن اخوتنا ومتعرضون للملك انا قد عهدناه ملكا
رحيما فلعل الله ان يكون قد احدث له رايا وراد له اليك رحمة • قال يعقوب فبلغوه عني السلام وقولوا له
ان ابانا يعقوب يقول لك بينا انك منتهم بمصيبة تعرفون عليه حتى يامره تبكي معه وتدعو له اذ تحسن بابنه
نا هذا امنك بمشيئة او لفعلك فارحم ترحم • وقيل انهم قالوا له اكتب اليه شيئا فامر فكتب اليه بسم الله هذا كتاب

من يعقوب اسرايل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى ملك مصر عبد الله اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا اسباب البلا اما جدي ابرهيم فالقي في النار فصبر لامر الله • واما ابي اسحاق فابتلي بالمذبح فصبر لامر الله • واما انا فاصغرهم وكان لي حيلة واعظمهم مصيبة بكيت على فراق ولدي يوسف حتى عمي بصري وان الذي اخذته سارقا بتشارف والله ما ولدت سارقا فمن على برده وخل سبيله واحذر دعوة المظلوم والسلام • وقوله تعالى ولا تيأسوا من روح الله اي رحمة الله وقيل اي من ترويح الله من الحزن انه لا ييأس من روح الله اي من تفريج الله عن المكروبين الا القوم الكافرون الذين لا يعرفون نعمة الله على ما يشاء ثم انهم توجهوا الى مصر فلما انتهوا اليها دخلوا عليه • وذلك قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا اي وقد جئناك اي اصابنا ونساءنا واولادنا الضيق والقحط • وقوله تعالى وجئنا اي وقد جئناك ببضاعة مزجاة • قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي ردية لا توخذ الا بوكس • وقال الحسن ومجاهد وابرهيم وقتادة وابن زيد اي قليلة • وقال الضحاك اي كاسدة غير نافقة في ثمن الطعام وقال وهب كانت دراهم نفاية • وقيل كانت صوفا وسمنا واقطا قاله الحسن واصل الازجا السوق والدفع قال الله تعالى يزجي لكم الفلك ومنه تزجية الامر كانها بضاعة تدفع ولا تقبل • وقوله تعالى فاوف لنا الكيل اي لا تنظر الى نقصان بضاعتنا واتمم باحسانك كيلنا • وقوله تعالى وتصدق علينا اي اسقط ما بين الجياد والردة من التفاوت • قال وهب كانت دراهم جيادا تفضلا منك ان الله يجزي المتصدقين • وقيل كانت بضاعتهم حبة الخضراء • وقيل كانت خلق الغرارة والحبل • وقيل تصدق علينا برد اخينا علينا • وقال الامام القشيري رحمه الله لما طالعوا فقرهم نطقوا بقدرهم فقالوا وجئنا ببضاعة مزجاة ولما شاهدوا قدر يوسف سالوا على قدره فقالوا فاوف لنا الكيل كانهم قالوا جئنا ببضاعة لا تستحق الا بهذه الحضرة فاوف لنا كيلا يليق بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا ثم تركوا هذا اللسان فقالوا وتصدق علينا نزلوا اوضع منزل كانهم قالوا ان لم يستوجب معاملة البيع والشرا فقد استوجبنا بذل العطا وعلى الله المكافاة والجزا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لانه كان امين الملك وهو اسم لامين ملك مصر كما قال وقال نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتاها ولانهم كانوا محتاجين اليه وكان هو غنيا عما في ايديهم وقوله تعالى وتصدق علينا اي بفضل ما بين الثمنين • وقيل ما بين الكيلين والصحيح انهم طلبوا الحط لان الصدقة لا تحل للانبيا ويجوز الحط لهم ويجوز حط من لا يجوز صدقته كالعبد الماذون له في التجارة وكان نبينا عليه السلام يجوز له الشرا بدون ثمنه ولا تحل له الصدقة ويجوز ان يكون معناه رد علينا اخانا • وقوله تعالى ان الله يجزي المتصدقين ولم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا بحال الملك ودينه فحردوا واطلقوا فقالوا ان الله يجزي المتصدقين وهم المومنون • قال وهب رحمه الله وخافوا ان يذكروا في اول ما لقوه حديث اخيهم مخافة ان يصيبهم التوبيخ والتعريض وقالوا ان كان في شفقة لابينا رقة فقد اخبرناه انا مضرورون محزونون مجهودون وعرضنا له ان كان يريد ان يخلي سبيل الغلام وكان يوسف عليه السلام سال اخاه بنيامين عن عدد ولده فقال لهم ثلاثة اسم الاكبر يوسف فقال ولم سميته يوسف قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي كلما دعي تحرك لذلك قلبي قال وسميت الاخر ذيبا قال ولم سميته ذيبا قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي فقد زعم اخوتي ان الذيب اكلك قال وسميت الاخر ما قال ولم سميته دما فقال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبي كلما دعي ذكرتك فبكى يوسف عند ذلك حتى كاد ينصدع قلبه من البكا ثم رفع يديه ودعا ربه ان يجمع اليه اباه وخالته واخوته فاستجاب الله له • وقال الاخوته بعد ما قالوا يا ايها العزيز الى اخره كيف تركتم يعقوب قالوا بكيا محزونا كظيما فقال يوسف على اي ابنيه حزنه وبكاوه اشد اعلى هذا السارق المرتهن لسرقته ام على الاول الذي اخبرنا الصاع جزه فقالوا اما الاول فقد نبيني منه ولنسيه وذهب عنه حزنه ولكنا بكاوه على هذا المحبوس عندك وقد ارسلنا فيه اليك رسالة [illegible] ومخافة ان [illegible] لم يملك نفسه بكاء وحزنا وبكى لحلى صوته وعند هاج لهم [illegible] وذلك قوله تعالى هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون • قال صاحب كتاب عصمة الانبيا هذا من يوسف [illegible] ما سبق من فعلهم بمكانه ليجهدوا في الاسا والاهتمام ولذكرا اخاه وما فعلوا به [illegible] اليه من سوء ما يلقيه [illegible] الاخوة [illegible] بمكانه عند استخراج الصاع [illegible] حسابا منهم ان اخاه كان قد سرق الصاع [illegible] اذ انتم جاهلون اعلم [illegible] قال الامام ابو منصور رحمه الله [illegible] جاهلون • قال بعضهم [illegible] يوسف [illegible] ما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا • وقيل هو تلقين لهم [illegible] الكرم والفضل وعلى هذا قول الله تعالى [illegible] وقالوا الكريم لا يبالي [illegible]

وكذلك فعل يوسف عليه السلام عاتبهم في المرة الاولى والثانية وعاتبهم في الثالثة على جفاوهم ليستقصي • وقيل الكريم ترك العتاب وترك الاستقصا في العتاب والتلقين العتاب في العتاب والتعريض بالعتاب وقد فعل ذلك كله يوسف في هذه المرة وبيانه في الاية وفي بعض القصص ان يوسف صلوات الله عليه اخرج لهم كتابا وقال هذا كتاب بالعبرانية فهل احد منكم يحسن قراتها قالوا نعم فاخرج كتاب بيعه من مالك بن ذعر فنظروا فيه فبهتوا في انفسهم وقالوا كان بدلنا عبد بعناه لمشتريه وهو من اهل مصر فلعله وقع عند الملك فقالوا هذا كتاب كتبناه في بيع عبد لنا بعناه فقال اقرأوا فقروا بسم الله ابرهيم هذا ما اشترى مالك بن ذعر الخزاعي من ال يعقوب غلاما يقال له يوسف بعشرين درهما وتعدلهم الثمن وضمنوا الدرك واشهد والله تعالى بذلك على انفسهم وكفى بالله شهيدا • فقال لهم يوسف كنتم تقولون ان يوسف اخونا وقد اكله الذيب وقد كنتم تعلمون انه غلامكم وقد بعتموه فقد ظهر لي انكم استرققتم اخاكم وعققتم اباكم واستوجبتم عقوبة شديدة وانا سافتلكم على فعل ذلك ومشتم منكم لابيكم ودعا بالسياف فصاحوا باجمعهم يتضرعون ويبكون ويقولون لو ان كنت قاتلنا لا محالة فابعث ثيابنا بدماينا وابعثها الى ابينا فلا حظ له من الاولاد الا الثوب الملطخ بالدم ورق لذلك يوسف واضطرب الناس وجا جبريل وقال يا يوسف قد بلغ التخويف النهاية في حق هولا الخبيثين فقد انقضت مدة المحنة فاظهر لهم نفسك فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون فتعلموا انه لما كان ابوهم قال لهم ابوهم فتحسسوا من يوسف واخيه عرفوه فقالوا أإنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي بنيامين لا عبدي تظلمونني فتاخذونه عبدا وليس كذلك بل هو اخي وعزيزي قد من الله علينا فيل اي بجمع ما فرقتم ووصلة ما قطعتم • وقيل اي من الله علي بالنجاة من البير والعصمة من الهم والتخليص من السجن وتمليك مصر • وقوله تعالى انه من يتق ويصبر فالتقوى تحمل الطاعات وترك السيات والصبر تحمل المكروهات وكان ذلك كله ليوسف • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من يتق الزنا ويصبر على العزوبة وتعذيره فهو محسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين • وقال الامام القشيري رحمه الله قالوا في خطابه قبل ان يعرفوه يا ايها العزيز فلما عرفوه قالوا أإنك لانت يوسف لان الاجنبية اذا ارتفعت سقطت تكلف المخاطبة وانشدوا فيه • اذا صفت المودة بين قوم ودام ولاوهم سمج الثناء • وقال الشيخ ابو علي الدقاق لما قال يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين واحال استحقاق الاجر على عمل نفسه لا جرم انطقهم الله تعالى حتى اجابوه بلسان التوحيد • فقالوا تالله لقد اثرك الله علينا يعني ان هذا ليس بتقواك وصبرك انما هو بايثار الله علينا فيه فتقدمت علينا لا بجهدك فقال يوسف صلوات الله عليه على جهة الامتنان والعفو لا تثريب عليكم اليوم فاسقط عنهم اللوم كما لم يرتقوا وصبره من نفسه حيث نبهوه عليه لم يرجعا منهم نطق عن عين التوحيد واخبر عن شهود التفريد • وقوله تعالى قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اي اختارك وفضلك علينا وان كنا لخاطئين ايما كنا الا خاطئين اي مذنبين بما صنعنا في حقك يقال خطي يخطى خطا من خطاء علم اي تعمد ما خالف الصواب واخطي يخطي اخطا اذا تعمد شيا فاصاب بغيره وفيه سوال الصفح والمعوعنه • وقوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم • قال ابن عباس رضي الله عنهما وسفيان لا تعيير عليكم • وقال الاخفش لا ملامة عليكم • وقال ابو عمرو بن العلا لا تعريع عليكم وقال الكسايي لا تعزير عليكم اليوم اي لا اقرركم بذنبكم وقال السدي لا اذكركم ذنبكم • وقيل لا افساد عليكم • وقال ابن كيسان لا اعيد عليكم ما فعلتم • وقال النضر بن شميل لا تخليط عليكم • وقيل لا توبيخ عليكم • وقوله اليوم ليس هذا للعفو عليه لكن اذا لم يوبخهم في اول الصدمة فما بعد ذلك اولى ان لا يوبخهم فيه • وقوله تعالى يغفر الله لكم هذا منه دعا لهم بالمغفرة عن جنسه وطلب لهم عفو ربه وهو كمال المروة والديانة • قال تعالى فمن عفا واصلح اعفا عن حق نفسه واصلح سال العفو عن ظالمه • وقيل انه قطع منه بان الله تعالى يغفر لهم بصدق توبتهم وهو ان كان حكما فهو عن وحي اليه به • وقوله تعالى وهو ارحم الراحمين اذ كل راحم يرحم برحمته • وقوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا امر اخوته ان يرجعوا الى ابيهم ويحملوا اليه مع اهاليهم واخبرهم بقميصه وهو الذي جا به جبريل عليه السلام الى ابرهيم حين القي في نار نمرود فالبسه ثم كان بعده لاسحاق ثم كساه اسحاق يعقوب فجعله في قصبة فعلقها في عنق يوسف فلما القي في الجب جاه جبريل عليه السلام واخرجه منها فالبسه فكان معه الى ان قال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي • وقال الامام القشيري رحمه الله قيل علم يوسف ان يعقوب لما بالمحنة من فرط الحزن لا يغطا وعرفوا احدا لقميص فقال القوه على وجه ابي يأت بصيرا قيل يعد بصيرا • وقيل يا بني بصيرا • وقوله تعالى واتوني باهلكم اجمعين من النسا والاولاد فانما دعا يعقوب واخوته واهاليهم الى نفسه ولم يات ابا ماخذا لا باخلاله بل ابقا على حاله لانه علم ان يعقوب لا يقوم بكفاية امر يوسف وتعظيره ذات يده منه فحملهم تخفيفا عليهم واحسانا اليهم واتما قال يات بصيرا بالوحي وكان ذلك معجزة له • وقال وهب ثم كسا يوسف اخوته واجازهم وحملهم وبعث الى ابيه بجايزة وكسوة وما يتبعه وجهازا وحمالا اطلبهم لنقلهم اليه • وقال لاخوته اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا • وخرج يهوذا مبشرا اسرعا بالقميص حافيا واحدا شكرا لله تعالى بالمشي فاتعبنا والرحلة ما بين مصر والشام وبينهما مسيرة ثمانية ايام ومع يهوذا القميص وسبعة ارغفة يزوده فلم ياكلها حتى ورد على ابيه ولما فصل من مصر استروح يعقوب ريح القميص وذلك قوله تعالى فلما فصلت العير اي خرجت من مصر ومصدره الفصول والفصال الفطام والفصل التمييز والفصل

الحكم وصرف كله من باب ضرب · وقوله تعالى قال ابوهم اي يعقوب اني لاجد ريح يوسف · قال الحسن وجدها من مسيرة شهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما من ثماني ليال · وقوله تعالى لولا ان تفندون لا تفندون تضعيف الراي والمفند ضعيف الراي قال الشاعر · يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من امر بمردود · قال ابن عباس رضي الله عنهما لولا ان تسفهون · وقال الحسن ومجاهد تهرمون · وقال ابن اسحاق تضعفون · وقال الضحاك تكذبون · وقيل تنسبون الى الخرف وقد يفنده الشيب اي حمله كثير الكلام من الخرف · قال يعقوب عليه السلام لمن حضر من اهله وقرابته دون ولده لانهم كانوا غيبا عنه بمصر لقربهم منهم انهم يلومونه فقال ذلك وهو مختصر وتقديره اني لاجد ريحا يشبه ريح يوسف لولا كراهية ان تفندون وهم لكن وجد شيا يبعد في العرف وجوده فيقول اني وجدت شيا اريد ان اخبركم به لولا انكم تكذبون · قال الامام القشيري رحمه الله العجب انه كان عند ابتدا المحنة ويوسف منه على اقل من مرحلة حيث القوه في الجب لا يجد ريحه واستتر عليه حاله وخبره ولما ادبرت ايام المحنة وجد ريحه وبينهما مسيرة شهر او مسيرة ثمانين فرسخا · وقيل انفرد يعقوب بريح يوسف ووجدانها لانفراده بمقاساة الحزن على فقد يوسف وانما يجد ريح من يجد وجد على فراق يوسف · ويقال لا يعرف ريح الاحباب الا الاحباب · وقوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي قال من حضره انك لفي ضلالك القديم اي في خطائك القديم · قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو يرجع الى قول بنيه في الابتدا ان ابانا لفي ضلال مبين · قال مجاهد انك لفي ضلالك القديم اي حبك القديم وكذلك الاول وعلى هذا قول الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي محبا فهداك الى شرايطه وطرايقه · وقال الحسن انك لذاهب من الصواب في امره ترجو لقاءه وقد مات من زمن طويل وفي كتاب عصمة الانبيا ليس من خصدته وصد ابدابه وانما هو التشبيه لهم لم يحسنوا نظم الكلام على ما كان يجب مقابلته به · وقال الامام القشيري رحمه الله ان البلا اذا هجم هجم بمرة واذا زال زال بالتدريج حل البلا بيعقوب بمرة حيث قالوا اكله الذيب ولما زال البلا وجد ريح يوسف اولا ثم قميص يوسف ثم يوم الوصول راى شبه حاجبا بين يدي يوسف قبل ان راى يوسف · ولما كان سبب حزن يعقوب قميصه كان فرحه ايضا بقميصه · قال وقيل ان وجود الريح مجاز عن وجوده لايل الوصال وامارته وهو كما يقال اني وجدت ريح الفتنة وقد هبت لفلان ريح · وقال الشاعر ولقد تنسمت الرياح لحاجتي فاذا لها من راحتيك نسيم · وكانه علم بمكان يوسف بوحي من الله بفقد حامل القميص · وروي انه لما اخرج قميصه قال من يحمله قال يهوذا انا اولى بحمله لاني حملت اليه قميصه الملطخ بالدم واخبرته بان الذيب اكله فكنت سبب حزنه فاحمل اليه هذا القميص فاكون سبب سروره · وقيل ان يعقوب كان يتعرف خبر يوسف من الرياح كثيرا ما الاذن للرياح بحمل ريحا اليه ومنه الاحباب مسايلة الديار ومخاطبة الاطلال ومراسلة الرياح · قال قايلهم شعر

واني لاستهدي الرياح نسيمكم · اذا اقبلت من نحوكم بهبوب
واسالها حمل السلام اليكم · فان هي يوما بلغت فاجيب

وقال الناس العجب ان يعقوب وجد ريح يوسف والذين حضروه لم يجدوا واعجب منه ان يهوذا الذي كان يحمله وهو في رحله كان لا يجد ريحه وكذا المومن يوم القيامة يجد ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام والكافر لا يجد ريحها · وقوله تعالى فلما ان جا البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا اي جا يهوذا بالقميص فالقاه على وجه ابيه رد بصيرا اي صار بصيرا كما كان قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي قال للذين حضروه ممن كانوا يفندونه ويقولون انك لفي ضلالك القديم الم اقل لكم وهو ما مر في قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وهو علمه بما يبتلي الله به عباده الانبيا من المحن التي تنكشف عن حميد العاقبة · قال كعب ووهب فالقى يهوذا القميص على وجه ابيه فعاد بصيرا الحال وقال يهوذا البشارة يا ابتاه ان الملك العزيز الذي ملك مصر واهلها هو ابنك يوسف وقد بعث اليك جهازا وما يليق براحلة وبينا لك ان تخرج انت ومن معك اليه وهو قوله تعالى واتوني باهلكم اجمعين فتهيا يعقوب للخروج وخرج معه اثنان وسبعون فبلغ يوسف ان اباه قرب من مصر فتلقاه في مواكبه وتلقاه فرعون في جنوده وتوسل يعقوب بصلاة فاخرة وجا يوسف بنفسه · وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا · قال اخوة يوسف لابيهم استغفر لنا الى يوسف ليعفو عنا · وقيل استغفر الله لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين مذنبين مسيئين اليك والى يوسف وعاصين لله قد تبنا لك · وقوله تعالى قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم · قيل اخره الى ان ينظر ما يقضي الله في امرهم وانما لم يبادر بالاستغفار والحزن لم يكن ليعقوب خاصة فاخرها الى ان يترسا ثم يستغفر لهم · وقيل اخره الى ان يقوم للصلاة فيستغفر لهم او تعهدها · وقيل الى وقت السحر · وقيل الى ليلة الجمعة · وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة · وروي ايضا ليفصل بين يعقوب وولاده وهاليتهم على راحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف تلقاه ومعه ثلاثمائة الف فارس كل واحد منهم معه حربة من فضة ورايات من ذهب الافراس مراكبه والفرسان عليه فتزينت الصحرا بهم واصطفوا صفوفا فلما صعد يعقوب تلاوه ولادته وحدثه وتطلع الى العسكر واهلها من الفرسان مزينة بالالوان نظرا لهم متعجبا فقال لجبريل انظر الى الهوا فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالك

لا تزالا باكين محزونين مدة لا ينفك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال اينهم ولدي يوسف فقال له جبريل هو ذاك الذي فوق راسه ظلة فلما بينا لك ان اوضح نفسه من المنبر فقال جبريل يا يوسف ان اباك يعقوب قد نزل اليك فانزل له فنزل عن فرسه وجعل كل واحد منهما يعدوا الى الاخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملايكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كانه يوم القيامة · وفي كتاب عصمة الانبيا وما روي انه لم ينزل من السرير لابويه ولا عن الدابة كلام لا معنى له لانه قد تلقاهم بدليل قوله تعالى وقال ادخلوا مصر ولذلك نزل عن الدابة على ما حكينا وما روي ان جبريل قال ليوسف لم تنزل لابيك فنقطع نسل النبوة منك فانه كلام باطل لا يجوز ان يذكر ويعتقد فان الانبيا من وضعهم التنظم على احد فضلا على الاب وعلى ان الانبيا من بعده كانوا من نسله كموسى وداود وسليمان ثم لما انتهيا الى السرير رفع ابويه مكرما لهما اخذا بايديهما مسكنا لهما على السرير ثم انه جلس دونهما وهو على الجلوس كما يجلس الولد بين يدي والده ولا بعد ذلك تركا للحرمة خصوصا اذا كان ولده نبيا مرسلا فان قالوا فلما صار الى ابويه لفقدا حقوقهما وما عمل ابوه من الهم والحزن في امره حتى اسنده ما ام الى حضرته قلنا انه لم يفعل ذلك من غير وحي والثاني انه اراد ان يأتوه جميعا فيعرف اهل مصر وجاهته وابويه ومنزلته ويعلموا انه لم يصر ملكا من غير اصل له منهم وليعاين اهله نعمة الله تعالى عليه بعد ما انقضت المحنة بين اعطا الملك ولو كان ترك الملك وسار اليهم لم يبلغ موقع الاعظام في الخبار اذ ليس الخبر كالمعاينة · وقوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اي يوم عاشورا اوى اليه ابويه اي ضم الى نفسه اباه وخالته راحيل لان امه كانت ماتت وتزوجها يعقوب والخالة ام والابوان اسم للاب والام تغليبا الذكر على الانثى قال السدي وقال الحسن ومحمد بن اسحاق كانت امه في الاحيا وقد اواهما جميعا اي ضمهما الى نفسه وانزلهما عنده وفي معه في موضع اعده للنزول ساعة خارج المصر ثم قال ادخلوا مصر ان شا الله امنين والاستثنا داخل في الامن لا في الدخول لانه امر بالدخول ووعد الامن والاستثنا يدخل في الوعد لا في الامر وكذا كانت مواعيد الانبيا عليهم السلام قال الله تعالى لنبينا عليه السلام ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وانما وعد الامن لانه كان بد لهم تنكدا وملكهم الذي اقام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا فوعدهم الامن معلقا بالمشية رجا لذلك من فضل الله · وقوله تعالى فلما دخلوا عليه كان دخولهم عليه مصر اربع مرات الاول فدخلوا عليه فعرفهم وانا في الثاني فلما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه · الثالث فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز · والرابع فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا اي قال لابويه ولمن معهما · قال الامام القشيري رحمه الله اشترك القوم في الدخول ولكن تباينوا في الايوا فانفرد الابوان به لبعدهما عن الجفا كذا غدا اذا وصلوا الى الغفران يشتركون فيه وفي دخول الجنة ولكنهم يتباينون في بساط القربة فيختص به اهل الصفا دون من اتصف اليوم بالجفا · وقوله تعالى ورفع ابويه على العرش اي لما دخلوا مصر ودخلوا داره رفع والده وخالته راحيل الى سرير الملك وخروا له سجدا قال وهب انحنوا له كما تفعل الاعاجم ولم يضعوا جباههم وانما توضع الجباه بالسجود وهذا كان تحية منهم له وكذلك فعلت الملايكة حين امروا بالسجود لادم ولم تزل تحية الناس السجود حتى جا الله بالاسلام فذهب بالسجود وجا بالمصافحة واكثرهم على انه وضع الجبهة على الارض وهو المتعارف للتعظيم عند اطلاقه · وقال ابن عباس رضي الله عنهما سجدوا لله شكرا له على ما انعم عليهم بالاجتماع والاظهر والاشهر انه كان ليوسف لا لله لورود كانت على ذلك قال رايتهم لي ساجدين وكان ذلك تحية الملوك الى ان نسخ في زمن نبينا عليه السلام وفي الاية دليل على انه لا باس بامساك السرير والجلوس عليه اذا لم يكن للتعظيم والمباهاة وانما كان للانتفاع والارتفاق به وللامساك الناس على حدود الاداب اذا نظروا اليه بعين المكانة والمنزلة والجاه سهل على الوجيه تنفيذ اسباب المعاملة · وقوله تعالى يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا · قال ابن عباس رضي الله عنهما اي عبارة رؤياي · وقال عكرمة تفسير رؤياي · وقال مقاتل بن حيان تحقيق رؤياي · وقال طاووس تصديق رؤياي اي التي قصصتها عليك قد جعلها ربي حقا بان اسجدكم لي في اليقظة كما رايته في المنام · ومنهم من قال سجد له اخوته دون ابويه وهذا لا يستقيم لان الرؤيا كانت على سجود الكل · قال الله تعالى اخبارا عن يوسف والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين فعلى ذلك تاويلها · وقوله تعالى وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن · وقال كعب اي سببا في احسني الموتة الدنيا ولا معتله اي تعلب وحروف الادوات تتناوب · وقيل هو على حقيقته اي احسن الي اهل الزمان في حيث ملكني ونفع الناس بحسن تدبيري · وقوله اذ اخرجني من السجن قال لا اشكر الجب ولكنه اشكر الخلاص من السجن وقالوا لم يذكر الخلاص من البير · وقيل لان مدة ذلك كانت قصيرة ومدة تلك كانت طويلة وقال البير كان بفعل اخوته فلم يرض بذكره لئلا يخجلهم وكان السجن من اهل مصر فلم يبال بذكره لذلك فعلهم · وقيل كان ايقاعهم اياه في البير لحسدهم ثم عفا اليكون عقوبة له او معاتبة بعد الخلاص منه غنيمة عظيمة وجا بكم من البدو اي من البادية التي يبدو فيها من كان دخلا فيها قال وجا بكم من البدو لانهم كانوا بادين بارض كنعان وهي بادية بلاد فلسطين · وقيل قال ذلك لانهم كانوا اهل مواش · وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي · وقال عطا حرش الشيطان وقال الحسن التهييج · وقال عكرمة افسد وهو حقيقته لغة اضافه اليه

قال يعقوب او كنت في الجب

قال ابن عباس القى الحسد في قلوب اخوتي وقال مقاتل بن حيان اغرى الشيطان بينهم

تميز العذر الاخوة واصل الفساد يكون من وسوسة الشيطان ثم يقبله الانسان فيتبع فيه او يمتنع فيه بالاجتهاد والاستعاذة
بالله فيسلم منه • وقوله تعالى ان ربي لطيف لما يشا اى لطف الله بي بهذه النعم انه لطيف لما يشا اى يوصل الى الشي بسهولة
وحسن موقع • وقيل اى عالم بدقائق الامور وحقايقها واسرارها وعللها انه هو العليم بنا وبا حوالنا الحكيم فيما اجرى بيننا
وقيل اى العليم بسرائر عباده • وقيل بمصالح عباده الحكيم يضع كل شي موضعه ويفعله لوقته • وقيل اى العليم
بما نعملوا الحكيم بما هو فعل بنا • وفى بعض التفاسير المنقولة ان يوسف لما جمع الله بينه وبين ابويه واخوته اخذ
بيد ابيه وجعل يعرض عليه الخزاين فعرض عليه خزانة الذهب والفضة والحلى والحلل والاسلحة حتى ادخله خزانة
القراطيس فراي يعقوب فيها شيا كثيرا فقال يا بنى ما اعقك لابيك كان عندك كل هذا من القراطيس وكنت مني على
ثمانية مراحل اربعين سنة فما الذى منعك من مكاتبتي قال امرني جبريل بهذا قال افلا تسأله قال يا ابت انت اقرب
انبساطا اليه منى فجاءه جبريل فسأله يعقوب انت نهيت ابنى عن مكاتبتى قال نعم قال ولم قال لان الله امرني
بذلك قال افلا تسأله قال نعم فمضى وسأل الله تعالى فقال قل لعبدى يعقوب انسيت يوم قلت انى ليحزننى ان
تذهبوا به واخاف ان يأكله الذيب فهلا خفتني يا يعقوب • قال وهب فلبث يوسف معه اخوته من يوم وردوا عليه
مصر الى يوم مات ابوه اربعا وعشرين سنة فى اغبط الغبطة واسر السرور لا يأتى عليه يوم وليلة الا والله تعالى
يحدث له فيه غبطة هى افضل مما قبلها ورجا هو افضل مما قبله وعافية هى وسع مما قبلها فقد جمع الله الغنم واقر
عيونهم وزجر الشيطان عنهم فلبثوا بذلك لا يفقدون احسان الله اليهم ونعمته التى انعمها عليهم • فلما حضر
يعقوب الوفاة جمع ولده وولد ولده فاوصاهم وعهد اليهم • وقال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون • وقال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك الاية • وقال يا بنى احفظوا خصلتين
ما انصرفت من مظلة نعزل ولا فعل ولا رايت من احد حسنة الا افشيتها • ولا رايت من احد سيئة الا كتمتها •
وقال له بنوه يا ابانا انا نخاف ان يحقد علينا يوسف بما صنعنا به بعدك فاستوهب لنا ذلك منه واوصه بنا
قال يعقوب يوسف يا بنى هب لى فعلة اخوتك بك ولا تحقد ها عليهم • فقال يوسف يا ابتاه قد عفوت عنهم
ووهبتهم لك • فاوصى يعقوب يوسف اذا هو مات ان يحمل جسده حتى يقبر مع ابويه ابراهيم واسحاق فى الارض
المقدسة فحمله يوسف على عجله الذى امره به ورجع الى مصر • قال وهب ويقال انه مات هو واخوه عيص
فى يوم واحد وقبرا فى يوم واحد وكان عمرهما مائة سنة واربعا واربعين سنة • فلما جمع الله سبحانه ليوسف
شمله واقر عينيه اموا لم اداموا رؤياه • تمنى الموت ودعا ربه وذلك قوله تعالى رب قد اتيتنى من الملك
الاظهر ملك مصر • وقيل هو ملك الجمال • وقيل هو ملك النسب فهو الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم • وقيل هو ملك القلوب فكان يحبه الحاضر بالنظر والغايب بالخبر • وقيل
هو ملك الالحزام فقد تقربت الهوام كلها حين القى فى البير احتراما له • وقيل هو ملك القيامة حين بلغت
قيمته يوم دخوله مصر وعرضه فى السوق للشرا اضعاف اضعاف زنة نفسه من كل ما يحطى • وقيل هو ملك
النفس حين اعتصم فلم يجب امراة العزيز • وقيل هو ملك الهمة حين اختار السجن على المعصية • وقيل هو ملك
النبوة فى ثمانى عشرة سنة من عمره • وقيل هو ملك الهيبة حتى هابته زليخا وذلت له وانقادت مع انها طاهر
حالها انها ملكة • وقيل هو ملك الاخوة ملكهم وذلوا له ثم من عليهم • وقيل هو ملك الجود فما كان فى الدنيا
اجود من يوسف فى سنة القحط • وقيل هو ملك الشفقة فقد كان يجوع حتى لا ينسى الجايع • وقيل هو ملك
العدل فقد سوى بين اهل ولايته والغربا كلهم فى سنة الجدب • وقيل ملك القميص اعارة نعرابية وكان
كل جميع قصته فى ثلاثة من القميص وجاوا على قميصه بدم كذب • وان كان قميصه قد من دبر • اذهبوا
بقميصى هذا • وقيل هو ملك الوصال فقد وجد وصال ابويه واخوته وكل قرابانه بعد ثمانين سنة من غير
ان نقص منهم واحد • وقيل هو ملك العبرة فقد قال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب • وقيل هو
ملك السوال وهو سواله الوفاة على الاسلام ولم يكن مثله فى غيره مثل حاله • ثم قوله من الملك من للتبعيض
لانه لم يكن ملك كل الدنيا • وقوله تعالى وعلمتنى من تاويل الاحاديث اى تعبير الرؤيا • وقيل فيه اقاويل
اخر قد ذكرناها فى اول السورة • وقوله تعالى فاطر السموات والارض اى يا خالق السموات والارض
من غير شي مبتدا خلقهما • وقوله تعالى انت وليى فى الدنيا والاخرة اى متولى امورى وكاف مهماتي
ومعادى الولى فى القران لعشرة معان للرب • قال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا • وللاله قال الله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء اى الهة • وللولد قال تعالى فهب لى من لدنك وليا • وللقريب قال
تعالى وما لكم من دون الله من ولى • وللصاحب قال تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا • وللقيم
قال تعالى فليملل وليه بالعدل وهو ولى المصالح • قال تعالى انت وليى • وللموالى فى الكفر قال تعالى لا تتخذوا
اليهود والنصارى اوليا • وللموالى فى الاسلام قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليا بعض
وللنصح قال تعالى لا تتخذوا الكافرين اوليا • وقال القشيري رحمه الله انت الذى فى دنياى تعرفانك

ولي عنايي بعرفانك فليس لى خيا لدارين غيرك • وقوله تعالى توفنى مسلما اى امتنى على الاسلام • وقيل لما انتظمت اسبابه
وانتظمت احواله اشتاق الى ربه • وقيل لما اعلم على الكمال علم انه اشرف على الزوال سأل السعادة الانتقال • قال قايلهم
اذا تم امر دنا نقصه • توق زوالا اذا قيل تم • وقيل هذا سوال التوفى على الاسلام المحال • وقيل هو سوال الختم على
الاسلام متى كان • وحكى عن الاستاذ ابى على الدقاق انه قال قال يوسف ليعقوب علمت انا نلتقى فى الاخرة بعد
الموت فلم بكيت كل ذلك البكا فقال يا بنى ان هناك طريقين خفت ان تسلك طريقا واسلك طريقا فقال يوسف
عند ذلك توفنى مسلما • وقيل لما جا البشير وبشر يعقوب بيوسف قال على اى دين تركته قال على الاسلام قال الان طاب
قلبى • وقال الشيخ ابو الحسن محمد بن يحيى الشاغري فى كتاب عصمة الانبيا ان من كملت نعمه الله وصفت سريرته لا
له معرفة اقدار الاشيا على هيئتها وكشف له من النظر الى عظمة الله وسلطانه ثم الى نفسه فجوهرها وبينها فلا تترك
شرط العبودية فى مقامه وان عظمت نعمة الله عليه بل يقوم بوفا الشكر للنعم لا للاعجاب بالنفس والامر على حالها
والثانى ان يوسف دعى به ليقتدى قومه به فيه ومن بعده من ليس يامن على خاتمته فلا يترك الدعا اشتا لا بدلا ان ظواهر
الانبيا كانت لنظر الامم اليهم ليتحلوا موضع الشكر من موضع الاستغفار • والثالث معنى الاسلام من مثله يحتمل
الاستسلام فاحب ادامة العصمة عليه باستعمال الخلق الحسن الى اخر عمره حسب ما جرى فى مختلف الاحوال التى جرت
عليه المحن والنعم اذ الاسلام قد يكون عبارة عن العقد فهو الدين وعن التسليم وهو صفو الحال • وقوله تعالى
والحقنى بالصالحين هذه الكلمة فى القران لمعنى منها المومن • قال الله تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم
ومنها العمل المرضى • قال تعالى وعملا صالحا • ومنها المطيع قال تعالى وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين
ومنها التائب قال تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين • ومنها الامين قال تعالى وكان ابوهما صالحا اى مودى
الامانة • ومنها الولد السوى الاعضا قال تعالى فلما اتاهما صالحا • ومنها الرفيق المنصف • قال تعالى ستجدنى
ان شا الله من الصالحين • ومنها الرفيع المنزلة قال تعالى وانه فى الاخرة لمن الصالحين • ومنها اسم للانبيا لكمال حالهم واجتماع
خلال الخير فيهم قال الله تعالى وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين • قال والارادة به هنا والحقنى بابائى الانبيا فى الجنة
ابرهيم واسحاق ويعقوب • وقيل اراد به الحقنى فى الدنيا بدرجات الصالحين المستكملين للصلاح المتنزهين عن
الفساد وفى ذلك سنة لكل مسلم ان يدعو بهذا الدعا وهو الختم على الاسلام والالحاق بالصالحين لانهم الصالحين الامن
والسكون والغبطة والحبور • قال وهب فلما حضرت يوسف الوفاة اوصى اخوته بمثل ما اوصى ابوه يعقوب ان يحملوه الى
الارض المقدسة فيدفنوه مع ابايه فحمل ودفن مع ابايه • وقال ابن عباس رضى الله عنهما مات يوسف فى اهل مصر ودفن بها
فلما بعث الله موسى عليه السلام تولى اخراج شخصه من مصر فانطلق به حتى دفنه عند تربة ابيه • قال وهب ودخل يعقوب
واولاده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامراة وخرج منهم الذين خرجوا مع موسى من منازلهم ستمائة
الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سويا لذريته وكانت الذرية الفا الف ومائتا الف سوى المقاتلة • وعاش يوسف
بعد موت ابيه نبيا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة وكان اول نبى من بنى اسرايل • قال وهب
ثم استخلف من بعده يهوذا ثم روبيل ثم لاوى ثم شمعون ثم صرم ثم زبالون ثم دسان ثم دان ثم نفيل ثم حاد ثم اسعد وولد
يوسف اثنان افرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف فولد لافرايم نون بن افرايم وولد لنون يوشع بن نون وهو نبى
موسى وولد لمنشا بن يوسف موسى بن منشا واهل التوراة يقولون هو الذى طلب الخضر وخرق السفينة وقتل
الغلام • وقال ابن عباس هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وكان بين دخول يوسف مصر الى يوم خروج
موسى اربعمائة عام • واوصى موسى ان يحمل شخصه ويدفن ببيت المقدس • واوصى يوسف كذلك • وقال وهب ان الله
لم ينزل كتابا الا ذكر فيه قصة يوسف تامة كما هى فى القران لا تزيد ولا تنقص • وقوله تعالى ذلك من انبا الغيب نوحيه
اليك اى هذا من الاخبار التى يغيب علمها عن العباد فلا يقف عليها الا من علمه الله تعالى فنحن نعلمك ونوحيها اليك
وقوله تعالى وما كنت لديهم اى لدى اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم اى احكموا الراى فى القائه على طرحه فى الجب
وهم يمكرون بيوسف اى يحتالون على ان يفرقوا بينه وبين يعقوب ليخلو لهم وجه ابيهم فتعلم قصتهم بمشاهدتك
اياهم وحضورك امرهم ولكن الله من عليك بتعريف قصتهم ولم ليعلم ذلك بك وهو يريد ان يخذلك ونصر اعدائك
عليك بل يعزك ويعلى شانك كما فعل بيوسف واخوته فاسكن الى هذا ولهين عليك اعراض قومك عنك فان اكثرهم
لا يومنون • وهو قوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين اى لا يومنون وان اشتد حرصك على ايمانهم لان هذا من الله
فلا يقدر عليه احد غيره نظيره قوله ليس لك من الامر شى والحرص طلب امر باجتهاد فى اصابته • وقيل وما اكثر الناس
من اهل مكة • وقال الامام ابو منصور هى فيهم وفى غيرهم ايضا • وقوله تعالى وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر
للعالمين تقول لست تطمع فى اموالهم ولا تسالهم عليه اى تبليغ القران تذهيب ذكره فى قوله نوحى اليك شيا فيسبق
الغفل الطاعنين العلوفى الارض والمال ولانت ايضا رسول بهذا القران اليهم وخدمتم بل القران ذكر اى القران
تذكير وموعظة لجميع العالمين الى قيام الساعة ويتضمن ما بهم الحاجة الى معرفته من امر دينهم يذكرون بما يشوق
وقيل ان هو الا ذكر للعالمين اى شرف لمن امن به من العالمين • وقوله تعالى وكاين من اية فى السموات والارض

يمرون عليها وهم عنها معرضون اي وكم من دلالة على وحدانية الله تعالى في السموات والارض • قال الضحاك ايات السموات
الشمس والقمر والنجوم • وايات الارض ديار الامم الهالكة وخرابها قال الله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل • ونزلات
الارض والجبال والبحار والانهار والاشجار ووجه الاعتبار بالايات التفكر فيما تقتضي من ان مدبرا قادرا عليها عالما بها
لا شبيه لها • وقوله تعالى يمرون عليها وهم عنها معرضون اي غافلون لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها ولا يتعظون بما
نال الاولون • وقال القشيري الايات ظاهرة والبراهين زاهرة وكل جزء من المخلوقات شاهد على انه الله واحد
لكن من غمض عينه لم يستمتع بضوء نهاره وكذلك من قصر في نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره • وقوله تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون هذا تعديد لقبائح اولئك المشركين وتبعيد ايمانهم بالقرآن • قال ابن عباس رضي
الله عنهما اراد انهم اذا سئلوا من خلقكم ومن ينزل من السماء ماء ليقولن الله فهذا ايمانهم ثم هم يعبدون الاوثان ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهذا شركهم • وقال مجاهد في التلبية يقولون لبيك
لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك قال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار ينسون ربهم في الرخاء فاذا اصابهم
البلاء اخلصوا في الدعاء • قال الله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين • وقال واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه الاية • وقال الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل
وما يؤمن اكثرهم بالله بالسنتهم الا وهم مشركون في الشكولة • وقال القشيري الشرك نوعان جلي وخفي والجلي ان يتخذ
من دون الله تعالى معبودا والخفي ان يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه مقصودا • وقيل شرك العارفين ان يتخذ من دونه
مشهودا او يطالعوا سواه موجودا • وقوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم
لا يشعرون • هذا وعيد لهم اخرج مخرج التعجب اي عجبا من غفلتهم اما يخافون ان تجيئهم عقوبة من الله تغشاهم
وتغشى مجالسهم ومعناه تعمهم كما جاءت من قبلهم من الامم العاصية او تاتيهم القيامة فجاة لا علم لهم باتيانها • وقوله تعالى
قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة اي طريقتي التي اسلكها ابتغي بها الجنة في الآخرة • وقوله ادعوا الى الله هو
بيان السبيل اي ادعوا الى الله وحده دون الشركاء والانداد الذي جعلها المشركون • وقوله تعالى على بصيرة انا
ومن اتبعني اي على بيان وحجة انا وكل من امن بي لا على تقليد والف عادة وما انا من المشركين واعترض في خلال هذا و سبحان
الله على معنى ادعوا الى الله وحده وسبحانه اي تنزيها له عن ان يكون معه اله غيره نصب على المصدر • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هذه سبيلي اي دعوتي • وقال الضحاك اي دعوتي • وقال مقاتل يعني ديني • وقوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى علم الله نبيه محاجة المشركين فيما قالوا لولا انزل عليه ملك
ونحو ذلك فقال وما بعثنا بالنبوة من قبلك الا رجالا لا ملائكة وكانوا من اهل القرى لا من سكان السماء فكذا انت
فلا يهولنك قولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك فانهم يجهلون سبيل النبوات ولا عذر لهم في تكذيبك وان كنت
بشرا كما لم يكن للذين كانوا من قبلك في تكذيب رسلهم بل كان عاقبتهم البوار والدمار • وقوله افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون اي
افما للمشركين عقول يتدبرون بها هذه الحجج والمواعظ فينجوا من الهلاك • وقيل معنى اهل القرى والامصار
دون البوادي لانهم اعلم واحلم • وقال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية قط ولا من الجن ولا من النساء
وقال الامام ابو منصور رحمه الله انما بعث الرسل من الامصار لا من البوادي لان اهل الامصار لهم اختلاط بالناس
الناس وتجارب فهم اعقل واعلم واهل البوادي لهم اختلاط بالبهائم فهم عن العلم ابعد ولان الرسل لهم اعلام تعقد
على وقت الرسالة تحتاج الى تظهيرة ذلك الخلق ليكون ذلك اسرع الى الاجابة لهم فاذا كانوا من اهل البوادي
لا تظهر ذلك للخلق [illegible] من الرسالة اظهارها للخلق في الآفاق من الامصار وفي الاماكن التي
يشاهدها الناس في التجارات وانواع الحاجات من الاطراف واما البوادي فالبوادي ليس يحضرها ولا يشاهدها
الا الشاذ من الناس ولا تقضى فيها الحوائج فلا تظهر في الخلق الرسالة وما يراد بها • وقوله تعالى حتى اذا
استياس الرسل اي وما ارسلنا قبلك الا رجالا مثلك يبلغون الرسالة ويدعون الى الله حتى اذا استياس
هؤلاء الرسل من ايمان قومهم [illegible]
وقوله تعالى وظنوا انهم قد كذبوا قرا عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف والباقون بالتشديد وللتشديد وجهان
احدهما وظن الرسل [illegible] وهو قول الحسن [illegible]
بمعنى اليقين كما قال الشاعر [illegible] • والثاني وظن الرسل
[illegible]
[illegible]
[illegible] وظن القوم انهم
[illegible] الرسل فيما اخبروهم به من نصر الله لهم واهلاك اعدائهم • وهو قول ابن عباس وابن
مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وقريب من هذا الوجه قول بعضهم وظن القوم انهم اي

الرسل

الرسل قد كذبوا بالتخفيف اي كذبهم من اخبرهم من الملائكة ونحوهم عن الله في وعد النصر على الكفار ونحو ذلك • ووجه اخر وظن الرسل
اي ايقنوا انهم ايضا لو تسل كذبوا من كذبهم من وعدهم من قومهم ان يؤمنوا بهم ويكون الكذب في معنى اخلاف الوعد كما يسمى انجاز الوعد
صدقا • قال الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده • وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • وقوله تعالى جاءهم نصرنا تقول
لم يكن يعاجل امم الرسل بالانتقام منهم على تكذيبهم بل كنا نمهلهم حتى اذا وقع الياس وضاقت الاحوال اتاهم نصرنا • وقوله
تعالى فنجي من نشاء • قرا عاصم وابن عامر فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله من نجا ينجيه اي
خلصه • وقرا ابو عمرو في رواية فنجي بنون واحدة وتسكين الجيم على حذف احدى النونين كحذف احدى التاءين كقوله ان البقر تشابه
علينا • وقرا الباقون فننجي بنونين على الاستقبال اي فننجي الانبياء واتباعهم ولا يرد باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين اي الكافرين
وقوله تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب اي في قصص يوسف واخوته وابيه • وقيل في قصص الانبياء كلهم عبرة اي
دلالة يعبر بها الى النصيحة لاولي العقول الخالصة اذا كان ذلك خاصا انه يخفى على العقلاء الا عند التنبيه • وقوله تعالى ما كان
حديثا يفترى اي لم يكن خبرا يختلق حتى يبنى للعقلاء ان يرفضوه ويعرضوا عنه • وقوله تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه
اي ولكن كان تصديقا للتوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله قاله الحسن ومجاهد وانما قال بين يديه لانه قد وجد فكانه
حاضر له • وقيل لانه قريب منه كقرب ما كان بين يدي الانسان • وقوله تعالى وتفصيل كل شيء وهدى اي الى الحق والصراط
المستقيم ورحمة من الله رحم بها المؤمنين • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وفي هذه القصة تصبير رسول الله صلى الله
عليه وسلم على اذى قريش يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين والنسب عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر
فصبر على اذاهم • وقال الامام الشاكري فيه دليل على صدق محمد عليه السلام حيث قص قصة يوسف وغيرها على
حسب ما يجدها اهل الكتب في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان مع معرفتهم انه لم يختلف الى احد يتعلم منه ولا نظر في الكتب
ناموا عن الوحي فلا وحي الا الى الرسل • وقال بعض المحققين ثم العبرة في هذه القصة ما حمل يوسف على صبره من المحن
من جهة اخوته من الطرح في الجب والبيع بالثمن البخس وما ابتلي به من الاسترقاق والحبس الطويل من غير جرم ولا استحقاق
فالعبرة بان الله يفعل ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه ثم صبر يوسف على هذه المحن كلها الى ان ختم له بالملك والعلو وليبان
على انه لا يجترئ على الصبر عند جريان المقادير عليه ثم ما فيه من التنبيه على ان من قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب
واعلائه بعد حبسه في السجن وتمليكه مصر بعد ان كان لبعض اهلها في حكم العبد وجمع بينه وبين ابويه واخوته على
ما احب بعد المدة الطويلة لقادر ان يعز محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلي كلمته وينصره على من عاداه من قومه ثم ما اختص
به ابوه من الوجد بفقده الى ان ابيضت عيناه من البكاء عليه الى ان جمع الله شمله ورد عليه ابنه تسيره للممتحنين
واطماع لهم في تبديل الحال وتعريض المحنة للزوال ثم فيما جرى على يوسف من جهة اخوته الذين هم اولى الناس بالشفقة
عليه والذب عنه ما ابتلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعداوة قومه واقاربه له ثم فيما فعله يوسف في السجن من دعا
السجنين الى الله تعالى واقامة الحجة عليهم للتوحيد وعلى بطلان الشرك ما يوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلوك طريقته في الصبر على الدعاء الى الله والقيام به في كل وقت يمكن وتسلية لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ما كان من يوسف من بسط العدل في ملكه عبرة للملوك وفي المن والاحسان الى الرعية لان يوسف لما ملكهم اعتقهم
ثم ما فيه من العبرة لارباب التقوى فان يوسف لما ترك هواه رقاه الله الى ما رقاه • ومنها العبرة لاهل الهوى في اتباع
الهوى من شدة البلاء كامراة العزيز لما تبعت هواها لقيت ما لقيت من الضر • ومنها العبرة للمماليك في حفظ حرمة
السادة ليوسف لما حفظ حرمة العزيز في زليخا ملك العزيز وصارت زليخا امراته حلالا • ومنها العفو عند
القدرة كيوسف حين نجا وعفا عن اخوته وغيره ذلك من اشارات سبقت في هذه النسخة وغيرها لاهل العلم والحكمة
وقال بعض الواعظين كان لله تعالى خليل يسمى ابراهيم فاعطاه ولدا يسمى اسحاق وله ولد يسمى يعقوب وولد ليعقوب
اولادا وخص الله بعض اولاده بكمال وجمال ولطف وهو يوسف فاثره ابوه بمحبته على اخوته فاخذوا اخاهم يوسف منه
وطرحوه في الجب ثم باعوه بالثمن البخس اليسير فقاسا يوسف شدائد الرق وابتليت به امراة العزيز بمحنة العشق
فراودته عن نفسه فاستعصم بعصمة الحق وبدا لهم حبسه في السجن فطال ذلك ثم بعد بضع سنين زال ذلك ثم افضى
به علم التعبير الى ملك مصر والجلوس على السرير ثم جاء اخوته مرات وامتار وامنه كرات ثم جمع الله بين يعقوب ويوسف
وزال التاسف والتلهف وجمع الشمل وبسط يوسف على اخوته الفضل فتنعموا اياما وشهورا واعواما ثم ماتوا
وباتوا وكانهم ما كانوا ولا بلاء يعقوب ولا بكاء ولا اخوة ولا جفاء ولا سجن ولا سجان ولا عزيز ولا زليخا ولا يوسف ولا احتيال
ولا حول ولا احباب ولا مملكة ولا اسباب ولا امرا ولا حجاب وهذه عبرة لاولي الالباب • وقيل هذه القصة مراة
كل مؤمن كان ليوسف جمال الظاهر فنظرت اليه زليخا وللمؤمن جمال الباطن ينظر اليه المولى وكان ليوسف حسن الصورة
فاشتراه العزيز • قال الله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر وللمؤمن حسن السيرة فاشتراه المولى العزيز ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم ولما اشتراه العزيز ادخله دار زليخا ولما اشترى الله المؤمن ادخله الدنيا فاوقعت
زليخا يوسف في التهمة واوقع الشيطان المؤمن في المعصية فنقل يوسف الى السجن والمؤمن الى القبر فسئل يوسف
في السجن عن تاويل الرؤيا ويسال المؤمن في القبر عن الله وعن الرسول والهدى فاجاب يوسف على الصواب فاكرمه [illegible]

ويجيب المومن على الصواب فيكرمه الديان ووصل يوسف الى ملك مصر والمومن يصل الى ملك الجنة • وقيل ليوسف انك اليوم لدينا مكين امين • ويقال للمومن ان المتقين في مقام امين • وختم قصة يوسف بقوله هدى ورحمة لقوم يومنون وقيل لمثل هذا فليعمل العاملون •

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم •

بسم الله الذي يعلم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار • الرحمن الذي بسط الرزق لمن شا الله فهو الخالق الرازق الواحد القهار • الرحيم الذي وعد المتقين جنات تجري من تحتها الانهار • وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الرعد كان له من الاجر وزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون عشر حسنات وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله ورسوله • وسورة الرعد مدنية في قول عكرمة والحسن وقتادة ومكية في قول ابن عباس رضي الله عنهما وعطا ومقاتل وسعيد بن جبير وهذه السورة ثلاث واربعون اية • وقيل اربع واربعون اية • وقيل خمس واربعون اية • وقيل سبع واربعون اية والاختلاف في خمس ايات لفي خلق جديد يستوي الظلمات والنور يستوي الاعمى والبصير سوء الحساب من كل باب • وكلماتها ثمان ماية وثلاث وخمسون • وحروفها ثلاثة الاف واربع ماية وثلاث وخمسون • وانتظام اول هذه السورة باخر السورة التي قبلها ان كل واحدة منهما في ذكر القران وصفته وانتظام السورة ان سورة يوسف في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما قص عليه ما نال يوسف من الاذى من الاقارب ليصبر هو على ما يناله من اذى الاجانب وختم السورة بتكذيب الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحودهم كتاب الله واعراضهم عن التفكر في ايات الله وحذرهم العقوبة في الدنيا والاخرة وذكر في هذه السورة ايضا تكذيبهم في ايات وصفة القران في ايات ونبههم على ايات وحدانيته في اياته وحذرهم عقابه واطمعهم في ثوابه في ايات • وقوله تعالى المر مرت في تفسيرها اقاويل وقيل معناه انا الله اعلم وارى • وقيل هو اسم هذه السورة • وقوله تلك ايات الكتاب اي هذه ايات الكتاب اي هذه ايات القران وهو كلام تام • وقوله تعالى والذي انزل اليك من ربك الحق كلام اخر تام مبتدا وخبر ومعناه وكل ما انزل الله على لسان امته على لسان جبريل اليك فهو الحق والصدق لا كذب فيه ولا خلف ووجه اخر ان قوله والذي انزل في محل خفض عطفا على قوله الكتاب وتقديره تلك ايات الكتاب وايات ما انزل اليك وهو كقوله تلك ايات الكتاب وقران مبين ثم قوله الحق اي بين الحق وذلك الحق وعلى هذا يكون الكتاب اسما للكتب المتقدمة وتلك اشارة الى الغايب ويكون وصفا لايات الكتاب انها الحق • وقيل الكتاب والذي انزل شي واحد وهو القران وانما عطف بالواو لان الموصوف له صفتان كتابة وانزال • وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بانه منزل من الله لاعراضهم من التدبر فيه • قال مقاتل هم مشركوا مكة قالوا ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه • وقيل هم اصناف الكفار فهم الاكثرون عددا والاقلون خطرا • وقوله تعالى الله الذي خلق رفع السموات اي خلقها مرتفعة لا ان يكون موضوعا فرفعها وقد مرت نظايره عن حجم الظلمات الى النور اذ ترك ملة قوم لا يومنون من الموقنين • وقوله تعالى بغير عمد هي جمع عماد ونظيره الاهاب والاهب • وقوله تعالى ترونها اي ترون السما لا عمد لها فهو من معاين مشاهد وهو طريق الكلبي ومجاهد • وقيل ترونها صفة العمد اي بغير عمد مرئية ولها عماد غير مرئي وهو القدرة والله تعالى يمسكها كذلك بقدرته وكانها عماد لها وظاهر الاية بغير عمد مرئية وتخفيفه بغير عمد مرئية تكلمة التي متقدمة في الذكر موخرة في المعنى • قال الشاعر ولا ارى اثر الظالمة عدت فرحة وسكوتها اي لا ارى الظالمة • وقوله تعالى ثم استوى على العرش مر تفسيره مرتين وهو هنا اخبار عن جريان الامور كلها على ما قدر وقضى • وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما طايعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما على شي واحد لمنافع عباده ومصالح بلاده لا يوجد بهما من الاقاليم الحبوب • وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى اي كل منهما يجري الى وقت مقدر فالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة لا تختلف جريتهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها • وقال والشمس والقمر بحسبان اي بحساب معلوم لا يختلف • وقيل كل يجري على ما سخره الله الى يوم القيامة ثم ينقضي فتكور الشمس وتخسف القمر وتنكدر النجوم • وقوله تعالى يدبر الامر اي يجري الامور كلها على علم عواقبها • وقوله تعالى يفصل الايات اي ياتي بالايات الدالة على وحدانيته وصدق رسله فصلا فصلا لتتمكن العباد من تدبر كل اية على حدة • وقوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون اي لتوقنوا بالبعث بعد الموت والمصير الى ثوابه وعقابه • وقيل لمن مات لقي الله • وقيل هذه الاية من جملة مائة وثمانين اية هي اجوبة لسوال المشركين رسول الله ان الرب الذي تعبده ما فعله وما صنيعه فانزل الله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الله يبدا الخلق ثم يعيده الله الذي خلقكم ثم رزقكم الاية ونظايرها • وقال مقاتل وعطا الاجل المسمى يوم القيامة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الشهر للقمر والسنة للشمس وقد رانا بهما • وقوله تعالى وهو الذي مد الارض ذكر السما وعجايبها ثم الارض كذلك دلالة على ربوبيته ووحدانيته ومد الارض اي بسطها طولا وعرضا • وقوله وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت رسا يرسو رسوا اي ثبت • وقوله وانهارا اي جعل فيها انهارا جارية فيها المياه العذبة وهي العذبة • وقوله ومن كل الثمرات اي وجعل فيها من كل الثمرات • وقوله تعالى وجعل فيها زوجين اثنين اي لونين اسود وابيض وحلوا وحامضا وصغيرا وكبيرا ورطبا ويابسا ونحو ذلك وانما اتبع زوجين بقوله اثنين لمعنيين احدهما ان الزوج قد يكون اسما للشفع وقد يكون اسما للفرد فاتبعه اثنين ليعلم انه زوج

له الشفع ولكن اراد به الفرد والثاني انه للتاكيد لتمكين المعنى في النفس • وقوله تعالى يغشي الليل النهار اي يغطي فيذهب بظلمته ويغشي النهار الليل فيذهب ضوءه وهو مختصر في الذكر مراد في المعنى بدلالة نظاير يولج الليل في النهار يكور الليل على النهار • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون بتعاقبه وتصرفه على نظام واحد ان له صانعا عليما حكيما قادرا ليس كمثله شي وان ذلك كله اذا كان مخلوقا لقوام العباد فلتنتفعوا بحكم على هذه النعم باخلاصها لعبادة له • وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله الارض على الماء فكانت تكفا كما تكفا السفينة باهلها فارساها الله بالجبال الثقال حتى استقرت • وقال وهب هذه الجبال الشامخة على وجه الارض طولها في الارض مثل طولها في الهوى فلذلك سماها اوتادا • وقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات اي متدانية صفات متغيرات تربتها واحدة وما وها واحد • وقوله تعالى وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية حفص كلها بالرفع عطفا على قوله قطع • وقرا الباقون كلها بالخفض عطفا على قوله من اعناب والصنوان هي النخلات التي اصلها واحد وهو قول ابن عباس والبرا بن عازب ومجاهد وقتادة والحسن وهو كذلك في اللغة والواحدة منها صنو وكل شجرة صنو لصاحبتها اذا كان اصلهما واحدا • وقال النبي صلى الله عليه وسلم العباس صنو ابي اي اصله واصلي واحد • وقوله تعالى تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل • قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو يسقى بما واحد بالياء التي هي للتانيث على ما لم يسم فاعله ونفضل بالنون ومعنى التانيث ان المذكوران قبله جماعة والنون اخبار الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك • قرا حمزة والكسائي تسقى بتا التانيث بامالة ويفضل بيا المغايبة وبكسر الضاد اثباتا للفعل الظاهر صفة الله تعالى المذكور في قوله الله الذي رفع السموات الى قوله وهو الذي مد الارض • وقرا عاصم وابن عامر يسقى بيا التذكير على معنى يسقى ما ذكرنا وكل واحد مما ذكر ونفضل بالنون اي الله تعالى يقول ونحن نفضل بعضها على بعض في الاكل اي بالثمر • ويقرا ويفضل بالياء وفتح الضاد على ما لم يسم فاعله • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي من استعمل عقله وتدبر فيه سلامته العقل من الافات المانعات عن كمال النظر علم ان لذلك صانعا موفرا بينهما وبين الجنس الواحد منها مع اجتماعها في المغرس والماء فدل على انه ظهور هذا الشي بالتربة والماء اذ لو كان كذلك لم تختلف الطعوم والمناظر وذلك ظهورها بانشا الله تعالى القادر على ما يشاء • وفي الاية وجه اخر من الحسن ومجاهد وذلك انه مثال قلب الخاطب وذلك ان الله انزل القران الذي هو حياة الناس في اديانهم فتفاضل العباد فيه والقران واحد كتفاوت الثمار والماء واحد ثم قرا هذا انه كما لو شاء سوى بين جميع الثمار فكذلك لو شاء لسوى بين قلوب العباد ولكنه يحكم ربوبيته فاوت بينهما فمن متكبر معرض عنه ومن متدبر مستنبط منه وانتظامها بالاولى على هذا التاويل انه جعل الارض وما فيها ايات لقوم يتفكرون • واخبر في هذه الاية ان الناس يتفكرون وفي التفكر يتفاوتون فمنهم من لا يتفكر ومنهم من يتفكر ولا يستقصي فلا يجني ثمارا ومنهم من يستقصي فيه فيرزق استنباطه وهو كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ثم ذكر في كل اية ان في ذلك لايات على الجمع لان في الشي الواحد ايات ودلايل وبينات فالسماء تدل على ان لها صانعا وعلى ان صانعها قديم وانه قدير مدبر مختار مريد واحد لا شريك له حتى تفضي ذلك الى اثبات جميع الصفات والى اثبات النبوات والبعث بعد الممات والثواب والعقاب • وقال القشيري رحمه الله وفي الارض قطع متجاورات فمن سبخ وسهل وحجر ورجل انواع مختلفة وازواج متفقة وزروع ونبات واشجار باسقات اصل كل واحد من اشجارها حبة متماثلة الاجناس متشاكلة الابعاض فاذا انبتها جعل بعضها اوراقا وبعضها اجذاعا وبعضها غصنا وبعضها اوراقا وبعضها ازهارا وبعضها قشرا وبعضها لبابا ثم لكل واحد طعم مخصوص ولون مخصوص • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقوله متجاورات يبطل قول من تاول قوله عليه السلام الجار احق بشفعته ان المراد به الشريك لانه ذكر التجاور وصفة القطع فاذا كانت الارض واحدة فلا تكون متجاورة بل التجاور للقطع المفرزة فلا زيد فدل ان المراد بالحديث هو الجار الملازق دون الشريك • وقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا اي ان تعجب يا محمد من انكار هولاء للاعادة مع اقرارهم اني انا الخالق لما قدمت ذكره من السماء والارض وعجايب ما فيهما واني انا المخترع للثمار المختلفة من الارض الواحدة بل من الحبة الواحدة فعجب قولهم اي بعد وصفت بالتعجب في موضعه لانهم اقروا بقدرتي على ابتدا هذه الاشياء انكروا اعادتها والذي انكروا فقدرتي عليه اولى ان يكون مقدورا عليه مما اقروا بقدرتي عليه • ووجه اخر ان الكفار كانوا اصنافا قوم منهم ينكرون الصانع ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث فاحتج على منكري البعث بهذه الايات الدالة على قدرته ووحدانيته ثم قال لنبيه وان تعجب من اقامتهم هولاء على الانكار مع قيام الدلايل على اثباته ووحدانيته وقدرته واعجب من الذين يقرون بالابتدا ثم ينكرون الاعادة ويقولون ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد • قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة بالاستفهام فيهما جميعا الا ان عاصما وحمزة يهمزان همزتين • وقرا ابن عامر يهمزان همزتين • وقرا نافع والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني الا ان الكسائي يهمز همزتين • وقرا ابن عامر على الخبر في الاول والاستفهام في الثاني في رواية • وقال الزجاج تقديره ائذا كنا ترابا نبعث ائنا لفي خلق جديد اي نبعث من بعد ان صرنا ترابا غير فيعاد خلقا جديدا كما كنا اول مرة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل وان تعجب من قولهم هذا شي عجاب يعنون بعثك رسولا فاعجب ايضا من قولهم ائذا كنا ترابا ثم العجب منا يكون لظهور ما لم يكن في الوهم ولا يجوز ذلك على الله تعالى فان حمل على الحقيقة وهو على تعجب النبي صلى الله عليه وسلم اي وان تعجب من

بكلامهم وسالك فنتعجب من انكارهم البعث ايضا وان تتعجب من انكار بعضهم الصانع فتعجب من انكار المقرين به البعث وان
جعلت معنى قوله فعجب قولهم من الله تعالى فمعناه الانكار على المنكرين هؤلاء كذا فقد انكر الله منهم قولهم ائذا كنا ترابا وكشف هذا
الكلام ان العجب مما يكون في موضعين في الاساءة ممن لزمه الاحسان فيقول اعجب من فلان احسنت اليه وطول الدنيا فاساء
الي وهو غاية الكراهة والانكار وفي الاحسان ممن كان لا يتوقع منه ذلك فيقول اعجب من فلان قام باموري واحسن الي وما كان
مني اليه شيء يقتضي ذلك ويكون ذلك غاية الرضا والحمد فوردت هذه اللفظة في هذين الموضعين في صفة الله تعالى
على ارادة هذين المعنيين • قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة اي يرضى عنه
غاية الرضا • وقال في هذه الاية فعجب قولهم • وقال في سورة الصافات بل عجبت ويسخرون على قراءة الضم وهو غاية الانكار
والكراهة وهو مجاز على ارادة منتهى الامر دون مبتداه • وقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم اي كفروا بانكار البعث بربهم
الذين هم مقرون بانه خالقهم • وقوله تعالى واولئك الاغلال في اعناقهم اي يوم القيامة فانه من عقوبة اهل النار وقال
تعالى اذ الاغلال في اعناقهم ولم يذكر الايدي مع الاعناق وان كان الاستعمال على هذا الوجه ان يكون الايدي مجموعة الى العنق
لانه معقول المعنى فوقع الاكتفاء بذكر احدهما عن الاخر • وقيل انهم ممنوعون عن الاضطراب والتشاغل بالمكروه الذي رانت
مقصود منهم لا السبيل لهم الى مسلك بشيء كالمغلول يداه الى عنقه • وقوله تعالى واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذكر
اولئك ثلاث مرات والمراد به هؤلاء وجاز ذلك لانه قصر الخبر عنهم بحرف الاشارة باولئك • وقوله تعالى ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة اي ومن عظيم جهالتهم انهم مع اصرارهم على الشرك ومعاندتهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعون الله
تعالى بانزال العذاب عليهم نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن قصي • قال ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم • وقوله تعالى بالسيئة اي بالعذاب • وقوله قبل الحسنة اي الايمان
والطاعة الذي يدفع به العذاب • قال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها • وقيل بالحسنة اي العفو والامهال • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ان يكون معناه ويستعجلونك بالسيئة منهم اليك اي الايذاء قبل الحسنة منهم اليك
وهي القبول والتصديق • وقوله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلات • قال ابن عباس رضي الله عنهما العقوبات • وقال قتادة
وقائع الله في الامم الخالية • وقال الكسائي الامثال • وقال الاخفش النظائر والاشباه يعني العذاب والمثلات
في اللغة العقوبات التي تزجر عن مثلها وقت الاجل اي قد مضت قبل هؤلاء وقائع الله في الامم الخالية اذ قالوا
لانبيائهم ائتونا بعذاب الله اذا اصروا على كفرهم واقترحوا الايات فعذب بعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف وبعضهم
بالقذف وبعضهم بالظلة وهؤلاء قد تقرر علمهم بذلك فكيف يستعجلونك به وليس معهم ايمان ينتفعون به • وقوله
تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم • قال السدي يعني المؤمنين وان ربك لشديد العقاب يعني على الكافرين
قال بعض اهل العلم مما جاء به في كتاب الله تعالى حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيل الظلم
وترفعها • وقيل هما جميعا في حق المؤمن وهو معلق بالمشية بينهما يعني يغفر لمن يشا ويعذب من يشا وهو ترغيب
وترهيب والاطلاق كالاطلاق في قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم • وقوله
تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه هي الاية المقترحة • وقوله تعالى انما انت منذر اي مبعوث
لتحذرهم العذاب لا مرسل لاكراههم ولا لاستعجال بعذابهم ولا مالك لعقابهم • وقوله تعالى ولكل قوم هاد اي انت
نذيرهم وداعي الخلق الى الحق وكذلك كان الانبياء قبلك اولا • وقال ابن عباس ولكل قوم هاد اي داع الى الحق • وقال
الزجاج ولكل قوم هاد اي هو يدعوهم بما يعطى من الايات لا بما يتحكمون به • وقال مجاهد وقتادة وهو نبي كل امة • وقال
الحسن في رواية وابو الضحى وعكرمة الهادي محمد رسول الله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وسعيد بن جبير
ومجاهد والضحاك الهادي هو الله تعالى • وقال انما انت منذر ولكل قوم هاد وانا الهادي دونك نظيره قوله
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء • وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير والمراد انما انت منذر
وهاد لكل قوم • وقوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى ينتظم بقوله الله الذي رفع السموات وبقوله وهو الذي مد الارض
ويجوز اخراجه خطابا للمتعلمين وتعريفهم ان الله لا يدع حكمته باستعجالهم ولا يخفى عليه وجه الصلاح فانه الذي يعلم
ما تحمل كل انثى اذكر هو ام انثى ابيض ام اسود واحدا ام اكثر تام او ناقص وما تغيض الارحام اي ما تنقص غاض يغيض
لازم ومتعدي وكذلك غاض الماء وغاضه الله اي غار واغاره الله قال تعالى وغيض الماء • وقال الحسن ما تغيض الارحام
اي تنقص عن تسعة اشهر فيضع الولد لسبعة او لثمانية وما تزداد على تسعة • وقال الربيع بن انس اي تزداد في
الولد الواحد الى اربعة وما تغيض هو السقط • وقال ابن كيسان وما تغيض اي تنقص من اعضا الولد كالخرج وما
اشبهه من نقصان يد او اصبع وما تزداد على الاعضا كزيادة اصبع ونحوها • وقيل وما تغيض الارحام اي تذهب الحبل
فلا تحمل ويكون عقيما وما تزداد تحمل وتلد الاولاد • وقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار اي جعل لكل شيء مقدارا معلوما
من الخلق والرزق والاجل والعمل فلا مستعجل لاستعجالهم بالعذاب • وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة نعت قوله تعالى
يعلم وقيل اي هو عالم الغيب والشهادة • وقال الحسن اي عالم السر والعلانية • وقيل اي هو عالم بما غاب من الخلق وما
شاهدوه لا يخفى عليه شيء منه في شانه وقدرته وسلطانه وكل شانه المتعالي عما لا يليق به • وقال الحسن المتعالي عما يقول

المشركون • وقال القشيري رحمه الله احاط الحق سبحانه بالمعلومات علما وامضى في الكائنات حكما فلا معلوم يعزب عن علمه ولا مخلوق
يخرج من حكمه تعالى عن سمات النقص وتقدس عن صفات العيب • وقوله تعالى سواء منكم من اسر القول اي اخفاه ومن جهر به
اي رفع به صوته ومن هو مستخف بالليل اي مستتر وسارب بالنهار • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذاهب • وقال الضحاك
ظاهر • وقال مقاتل بن حيان خارج • وقال مقاتل بن سليمان منتشر • وقال الكسائي اي راكب دابته • وقيل سالك
في سربه يسرب في هذا وهذا اي يضطرب في طرقه • وهذه الاقاويل متقاربة وهي في اللغة جريان في خروج لسرعته • وقيل
ذهاب على الوجه فقد سرب سروبا والسرب اسرابا • قال الاخطل وكل اناس قاربوا قيد فحلهم ونحن حللنا قيده فهو سارب
وقال الحسن وسارب بالنهار اي سايح بالنهار • وقال الزجاج هو جار في اللغة يقال انسرب الوحش والسرب اذا دخل كناسه
ومدح سبحانه في هذه الاية بسمعه وبصره كما تمدح في الاية الاولى بعلمه فقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به فليس قول عنده
اخفى من قول وليس سمعه كسمع المخلوق الذي يخفى عليه ما بعد من سمعه ويفهم ما قرب منه وليس سواء عنده في الرؤية من هو
مستخف بالليل ومن هو ظاهر بالنهار • وقيل تقديره ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار فحذف من في الثاني اكتفاء
لدلالة الماضي عليه • وقيل معناه اي الاستخفاء والسروب صفة الواحد لا الاثنين والمراد به انه يستوي حالتا هذا
الرجل في علم الله بخلاف قوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به لانهما صفتا رجلين • وقال القشيري سواء منكم من خاطبنا
بلسانه او وصف الله عاجزا ومن خاطبنا بقلبه ببيان الضجري من الكل واحد منهما اجابة منا اذا اسلمه المشية • وقيل
سواء في علم الله وقدرته وسمعه المسر والذي يجهر والذي يظهر بالبصر والكل والعلم شامل للجميع والحكم جاري على الكافة
وقيل نزولها في وهب بن عمرو بن وهب الجمحي كان جرح يوم بدر وهو مع الكفار جرحا ضعيفا وعالج وبرا • وقال يوما وهو
مع صفوان بن امية وهو في حجر الكعبة لولا عيالي وديني علي لتوليت قتل محمد قال صفوان وكيف تقتله قال [illegible]
فاقتله بسيفي غيلة واهرب فقال صفوان دينك علي وعيالك مع عيالي فافعل هذا فاتخذ وهب سيفا وسمه ودخل
مع صفوان بين باب الكعبة والستر وعاهده على ذلك فقال صفوان كيف تسير اليه والله يخبره بمسيرك فقال
استخفي بالليل اي استتر في ظلمته واسرب بالنهار اي ادخل السرب وكان ذلك عقيدة بعض الكفار في ان الله لا يعلم [illegible]
فر الله بمثل هذا ولما وصل الى المدينة ودخلها راه عمر رضي الله عنه فقال للصحابة اني رايت وهبا قد قدم فرابني قدومه
وهو رجل غادر فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما اقدمك قال
جئت افادي الاساري فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما الذي قلت لصفوان في الحجر لولا عيالي وديني لتوليت
قتل محمد بيدي فقال وهب ما قلت يا محمد اعده علي فاعاده فقال لكنا نكذبك في اخبار الارض فالان اخبرتنا بخبر السماء
هذا امر لم يطلع عليه احد من الناس وما اطلعك عليه الا الله بوحي من السماء • ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
انك عبده ورسوله • قال الضحاك وفيه نزلت سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية • وقوله تعالى له معقبات من
بين يديه قال الحسن وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وابو صالح وابراهيم ان لله ملائكة يتعاقبون
بالليل والنهار من بين يديه اي من بين يدي هذا الذي هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ومن خلفه اي من وراء ظهره
اي عليه حفظة من الملائكة حوله يحفظونه من امر الله • قال الحسن وقتادة اي بامر الله كما يقال اجابك من دعائك
اي بدعائك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي الملائكة هم من امر الله • وقال مجاهد وابراهيم من امر الله اي من الجن
والهوام وسمى الجن من امر الله لانها لا ترى كما قال قل الروح من امر ربي • وقيل اي من عذاب الله كما قال ولما جاء امرنا
وقيل من امر الله اي لامر الله كما قال اطعمهم من جوع وامنهم من خوف يعني ان هذا المستخفي والسارب ربما يمتنع من
نزول العقوبة به مع قبيح فعله لما وكل الله تعالى به من الحفظة لا انه يمتنع بقوة نفسه او لمكانة له عند ربه او الحفا
احواله وافعاله على الله تعالى ولكن لو حضر ازالة النعمة وعاقبته واتيان العقوبة وسطوته الى ان يغيروا ما بانفسهم
بالاصرار على الفساد والاقامة على الكفر فتزول المعقبات وتنزل العقوبات • وقال كعب لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون
عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذا لتخطفتكم • وقيل له معقبات اي للذي اسر القول الى اخره • وقيل اي لله
معقبات بين يدي الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن خلفه اي وللرسول معقبات فقد سبق ذكره
في قوله انما انت منذر اي حفظة يحفظونه بامر الله ممن يريده بسوء او يهم فيه بمكروه من قتل وغيره [illegible]
الرسل فقد قال ولكل قوم هاد اي ولكل قوم هاد وكل الله به من يحفظه والمعقبات جمع بالالف والتاء لان الملائكة
ذكران لانه جمع الجمع ملك معقب وطائفة معقبة وطوائف منهم معقبات وهو كالرجل والرجالات • وقوله تعالى ان
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي بالكفران اذا انعم الله على قوم بنعمة فشكروها ولم يكفروها ادام تلك
النعمة وادامها عليهم • واذا لم يشكروها وتلقوها بالكفران سلبها منهم وابتلاهم بضدها • وفيه يقول الشاعر

لم يشكروا نعمة ما خولوا • فبدلوا المالح بالعذب
صاح بهم من بينهم صائح • شتتهم في الشرق والغرب

وقوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا اي واذا حقت كلمة العذاب على هؤلاء بتغيير ما بانفسهم وحان وقت حلول النقمة
بهم وكانوا اهلا لذلك فلا مرد له اي فلا يقدر احد على رده عنهم • وقوله تعالى وما لهم من دونه

من وال اي ما لهؤلا القوم احد دون الله يليهم ويلي امرهم اي لا يعينهم الا الله ولا احد يملك امرهم الا الله فلا مانع ولا دافع ولا رافع
ولا شافع • وقوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا متصل بما قبلها في بيان قدرة الله تعالى على ما يشا • وقيل نزلت
سواء منكم من اسر القول هذه الاية وما بعدها في اربد بن قيس اخي لبيد بن ربيعة الشاعر انه جا الى النبي صلى الله عليه وسلم
مريدا له سوءا فعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اربد فارسل الله عليه في طريقه صاعقة فقتلته فنزلت هذه
تهديدا وعلم به على قدرته وعجز الهتهم عن مثله فقال هو الذي يريكم البرق اي الله هو الذي يريكم معاشر عباده البرق في الله
خوفا للمسافر يخاف اذاه املا بما له من مطر ان كان عنيه وطمعا للحاضر المقيم ان يكون عقيبه مطر فينتفع به • وقال الضحاك
خوفا من العذاب وطمعا في الغيث • وقال ابن عباس رضي الله عنهما خوفا للمسافر وطمعا للمقيم • وقال قتادة خوفا للمسافر
يخاف اذاه ومعرته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته • وقيل خوفا من هوله وصواعقه وطمعا في مطره والرعد والبرق
فيهما اقاويل كثيرة ذكرناها في سورة البقرة • وقوله وينشئ السحاب الثقال اي يخترع ويبدي والسحاب هنا جمع سحابة
ولذلك قال الثقال على الجمع اي الثقال بالمطر وهو واحد في قوله فتثير سحابا فيبسطه • وقوله تعالى ويسبح
الرعد بحمده • قال شهر بن حوشب الرعد ملك وصوته سبحان ربي العظيم • وقال الضحاك الرعد ملك والبرق نور
من نور مزجره السحاب • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ينشئ الله السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك
فمنطقه الرعد وضحكه البرق • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الرعد ملك يسوق السحاب والصوت الذي تسمعون
هو زجره السحاب • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الرعد الريح والبرق النار وهي مخاريق الملائكة • وقال
ابو الجلد الرعد والبرق الماء • وقال بعض اهل اللغة الرعد الصوت والبرق نار تكون مع السحاب • وقوله تعالى
والملائكة من خيفته • وقال مقاتل بن سليمان ميز الله بين الرعد وبين الملائكة كما ميز بين جبريل وميكائيل وبين
الملائكة وكما ميز بين الفاكهة وبين النخل والرمان • وقيل الرعد اصطكاك اجرام السحاب وتسبيحه دلالته على
وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن كل سوء وهو كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
في الاية خوفا وطمعا يحتمل خوفا لاهل البيان وطمعا لاهل الاثار ويحتمل طمعا في وقت المنفعة وخوفا في وقت
المنفعة خوفا من نزوله وطمعا في مضيه • ويحتمل خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار فالنور يطمع
في النور الموعود في الجنة والنار يخوف من النار الموعودة في جهنم • وقال في قوله وينشئ السحاب الثقال
قال ابو عوسجة اي يرفع • وقال في قوله ويسبح الرعد بحمده • روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اقبلت يهود
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من
نار يسوق بها السحاب حيث شا الله فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب اذا زجره حتى انتهى الى حيث امر
قالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو • قال وقيل الرعد ملك يسوق السحاب [illegible]
[illegible]
يقتل فيقتل من يصيبه او يذهبه • وقوله تعالى فيصيب بها من يشا وهم يجادلون في الله وهم المشركون فيهم
علمهم بان الله خالقهم هذا الوعد وما فيه من الخوف والطمع لا يخلصون العبادة لله بل يجادلون في الله اي يخاصمون النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فمرة يقولون الهتنا خير ام هو ومرة يقولون صف لنا ربك على ما روي ان عامر
ابن الطفيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الهك من اي جنس هو من جميع اجناس الالهة ام من خشب
ام حديد ام رصاص ام شبه ام صفر ام ذهب ام فضة فارسل الله عليه صاعقة فاحرقته فذهب • وقيل نزلت
في اربد بن قيس اخي لبيد بن ربيعة لامه وذلك ان عامر بن الطفيل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تجعل
لي من امرك ان اسلمت فقال اجعل لك الوبر فقال الا يسوى لك لي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تريد قال
اجعل لي الامر بعدك فقال ذلك الى الله تعالى لي فقال فاجعلني على اعنة الخيل فقال اليس ذلك لك المغافلة ذلك
فقال لاربد بن قيس اكفني امر محمد واكفيك امره قال اذا اشغله بالحديث حتى اقتله فاجابه الى ذلك فجعل عامر يشغل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اربد يشهد على سيفه ليضربه واختلفوا فيما بعد هذا فمنهم من قال شلت يده ومنهم
من قال استمسك السيف في القراب فلم يقدر على سله ومنهم من قال لكف من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه

السلام

السلام اللهم اكفني عامرا وقني عامرا فانصرف اربد فقال له عامر ما منعك من قتله قال كلما هممت بقتله رايتك بيني وبينه ثم
بعث صاعقة فاحرقته وجعلته فحما واما عامر فقد قيل انه دخل بيت امراة من بني سلول وظهرت على ركبتيه غدة وهو يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فوالله ما قتلني الا رب محمد وركب الفرس وبيده الرمح وهو يقول يا ملك
الموت تحارب مني مختفيا فاظهر لي وحاربني بالمحاربة نوايبي فما زال يطارده حتى سقط عن فرسه ومات وصار الى النار
ونزلت فيه الاية • وقوله تعالى وهو شديد المحال اي الله شديد العقوبة • وقيل قوي الكيد ولا يجوز في الابتداء وصف
الله به ويجوز على وجه المجازاة كما مر في المكر والخداع والاستهزاء وهو من قولك ماحل بالسلطان اي سعى به وذكر منه
حتى اوقع به ومنه في صفة القران هو شافع مشفع او ماحل مصدق • وقيل هو من الاهلاك وسنة المحل سنة القحط
المهلك • وقيل هو صفة عامر وهو شديد المحال اي المخاصمة والمنازعة والمماحلة كذلك • وقوله تعالى له دعوة الحق
قال ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة ان لا اله الا الله على اخلاص التوحيد وهو قول قتادة وابن زيد • وقال الحسن
الله الحق فمن دعاه دعا الحق • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل له عبادة الحق لانه المستحق للعبادة • وقيل
الى الله دعوة الحق وهي الاستغاثة به والدعا بكشف الضر واعطا السؤل وهي الحق ومن دعا الله وساله فهو على حقيقة
من دعوته لانه يدعو من لا يعجزه شيء ولا يلحقه بخل ولا تنقصه عطية • وقيل لله دعوة الخلق الى الحق ولمن دعا اليه
بامره وليس ذلك لغيره من الاصنام ليس لهم دعوة في الدنيا ولا في الاخرة • وقيل لله دعوة الربوبية فله عليها البراهين
الباهرة • وقوله تعالى والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء يعني الاصنام وجمع بالواو والنون وهي جماد
لان المشركين وصفوها بوصف الاحيا العقلاء الذين يعرفون وينفعون ويستجيبون للذين يدعون فاضيف الخبر
منهم اليها كما يضاف الى العقلاء كما في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين • وقوله ادخلوا مساكنكم ويحتمل انه اراد به
الملائكة وعزيرا والمسيح والجن لانهم لا يستجيبون لعابديهم بشيء ولا ينفعونهم الا باذن الله فاما ان ينفعوهم من عندهم فلا
وقوله تعالى الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه • قيل الاستثناء بمعنى لكن اي لا يستجيبون لهم اصلا ولكنهم كالذي يدعو الى الماء ليبلغ
الماء فاه وما هو ببالغه اي ليس يبلغ الماء فاه • وقيل هو على حقيقة الاستثنا ومعنى لا يستجيبون لهم بشيء الا كما يستجاب
لمن بسط كفيه الى الماء فانه كان لا يستجاب لهذا الباسط بشيء فكذلك لا يستجاب لهم وهو كقولك للرجل ترجو ان يجيء له
بما يعطيك فلان كما اعطى فلانا تريد انه لم يعطه شيا فكذلك لا يعطيك • وقال مجاهد الا كباسط كفيه الى الماء
يدعو الماء بلسانه ويشير بيده فلا ياتيه ابدا • وقال عطا هو انسان ينظر في قعر بئر كان لا يبلغ يده قعر الماء ولا يبلغ الماء
اليه فكذلك الاصنام لا تنفع العبد شيا • وقال ابن عباس هذا مثل المشرك الذي عبد غير الله فمثله كمثل العطشان
الذي ينظر الى خياله في الماء ليتناوله فلا يقدر عليه • وقال الفرا لا تجيب الاصنام داعيها الا كما ينال الظمآن المشرف
على الماء وليس معه الة الاستقا والعرب تضرب المثل لمن سعى فيما لا يدركه بالقابض على الماء • قال الشاعر

فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود • مثل القابض الماء باليد •

وقيل اي من بسط كفيه الى الماء عبثا من غير ان يرفعه الى فيه بكفيه او فانا لم يبلغ فاه • جعل الماسك للمعبود من دون الله
رجل بسط اليدين الى الماء توجيه الرغبة الى الموات المعبود الذي لا يعقل رغبة باسط الكف اليه واخبارهم فيما
يرجون من ذلك في ضلال وهو قوله وما دعا الكافرين الا في ضلال اي في غير استقامة وهدى فانه غير حاصل لهم
ما يرجون ولا الاجابة لهم من دعوه • وقيل هو مبتدأ اي وما دعا الكفار الاصنام الا ضلالا عن الهدى • وقيل اي ضل
الاصنام منهم فلا يجدونها ولا ينتفعون بها • قال تعالى اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا • وقال الشيخ
رحمه الله دواعي الحق صارخة في القلوب من حيث البرهان فتدعوا العبد بلسان الخواطر فمن استمع اليها بسمع الفهم
استجاب ببيان العلم وفي مقابلتها دواعي الشيطان وهي هاتفة بالعبد من المعاصي فمن اصغى اليها بسمع الغفلة استجاب
بسطوة النفي • وقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال اي الكفار
واذ دعوا من دون الله دعوة الباطل واستمعوا من دعوة الحق فكل من في السموات والارض من الملائكة وبني ادم والجن
والشياطين يسجدون لله اما طائعين واما كارهين وظلالهم تسجد له بالغدوات والعشايا والاصال جمع اصل والاصل
جمع اصيل وهو العشي وهو ما بين العصر الى غروب الشمس ويجمع على اصايل ايضا • قال ابو ذويب

لعمري لانت البيت اكرم اهله • واقعد في افنائه بالاصائل •

والسجود طوعا ظاهر والسجود كرها من اكره على الاسلام موجود ايضا اما ما فداها فتركيب صور الاعيان واختلاف
الاحوال عليها وتعاقب المتضادات من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق عليها وحاجة بعضها الى البعض في تمام
قوامها شاهد على ان لها صانعا صنعها لا يشبهها فهذا من الكافر شاهد منه بالربوبية وانه مستحق لدعوة الحق وان كان
الكافر كارها لذلك غير مريد له ولا معترف وذلك سجود من الكافر له وخضوع له كرها واما الظلال فساجدة لله بالغدو
والاصال لانها تميل من ناحية الى ناحية وليس ذلك باختيارها بل هو بفعل الله بها وتصريفه اياها على ما يشا من ذلك
ودلالة ذلك على انها مخلوقة مصرفة على ما يريد فيها صانعها ومدبرها وذلك شاهد منها لله بالقدرة والسلطان والوحدانية
وخضوع منها له وهو السجود ومن السجود كرها سجود الكافر لله اذا نزل به من الحوادث الحاجة الى ان يتواضع لله

ويسجد له يدعوه بها لحاجته بها • وقوله تعالى قل من رب السموات والارض اى قل للمشركين الساجدين لله كرها دلالة الخلقة من رب السموات والارض اى مالكهما ومدبرهما كانوا معترفين بان رب السموات والارض هو الله اى سلهم عن هذا فيقولون الله فحذف جوابهم لدلالة الكلام عليه لانهم كانوا معترفين بذلك • قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • وقوله تعالى قل الله اى واذا قالوا الله فقل انت ايضا الله تقريرا لهم وتاكيدا للاحتجاج عليهم • وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء تتولونهم وتعبدونهم وتوجهون الرغبة اليهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع اى قد علمتم بعد هذا التقرير فلم اتخذتم من دونه اولياء تتولونهم وتعبدونهم وتوجهون الرغبة اليهم وهم لا يملكون لانفسهم نفعا يجلبونه اليها ولا ضرا يدفعونه عنها واذا كان كذلك فهم من ملككم ابعد • وقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير وهو تقريع اخر اى هل يستوي الجماد الذي لا يبصر ولا يسمع والله الحي الذي يبصر ويسمع • وقيل هو مثل الكافر والمؤمن والمقر بان الله رب كل شيء ومن يعبد عبادة غير الله وتبيين ان من فعل ذلك فهو اعمى عن الرشد والمؤمن بصير به ولا يستويان • وقوله تعالى ام هل تستوي الظلمات والنور اى الكفر والايمان فالكفر ظلمة لا يهتدى فيها والايمان نور يهتدى فيه ولا يستويان • وقال القشيري رحمه الله ان الانوار اذا تلالات في القلوب نفت اثار الظلمة فنور اليقين ينفي ظلمة الشك ونور العلم ينفي تهمة الجهل ونور المعرفة يمحو اثر النكرة • ونور المشاهدة ينفي اثار البشرية وانوار الجمع تنفي اثار التفرقة وانوار الحقائق تنفي اثار الحظوظ • وقوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم وهذا تقريع اخر يقول او وقع عندهم ان الاصنام تخلق الاشياء فاختاروا عبادة الاصنام لوجود التخليق منها كما اختاروا عبادة الله لذلك لاشتراكهم في استحقاق العبادة له • وقوله تعالى قل الله خالق كل شيء وهذا تقرير انه لما لم يخلق غيره فلا يستحق العبادة غيره • وقوله تعالى وهو الواحد القهار اى الواحد الذي يقهر بقدرته كل شيء لا ثاني له ولا شريك له وهو الواحد القهار الذي يقهر بقدرته كل شيء ولم يقهره شيء وهو المستحق لرجوع الرغبات اليه والاستغناء به عن غيره • وقوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير والكبير بقدره فشبه نزول القران بالماء النازل من السماء وشبه القلوب بالاودية والانهار وقدر العلم على قدر علم وقدر الجهل على قدر جهله فهذا مثل ثم شبه وساوس الشيطان وتخاييل النفس والخطرات الفاسدة بالزبد يعلو الماء والرابي العالي مما ينفع في النفس من الوهم والفضول فيزد اذهانا الا من الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء يذهب تخاييل النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو فهذا مثل ثان والمثل الثالث قوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله اى خبث مثل زبد الماء فكذا انه يخبث الجواهر ويبقى خلاصها وصفوها كذلك يذهب الجهل والوهم ويبقى العلم والفهم فهذا المثل الثالث • وقال الامام القشيري الاية تشتمل على امثال شبه القران المنزل بالماء المنزل من السماء • وشبه القلوب بالاودية وشبه وساوس الشيطان وهواجس بالزبد الذي يعلو الماء • وشبه الحق بالجواهر الصافية من الخبث من الذهب والفضة والصفر والنحاس وغيره • وشبه الباطل بخبث هذه الجواهر ثم ان الاودية مختلفة في صغرها وكبرها فبقدرها يحتمل الماء في القلة والكثرة كذلك القلوب مختلفة في الاحتمال على حسب الضعف والقوة وكما ان السيل اذا حصل في الوادي يطهر الوادي كذلك القران يطهر القلوب وكما ان السيل يحتمل الزبد فيلفظه كذلك القران اذا حصل حفظه في القلوب نفى الوساوس والهواجس عنها وكما ان الماء قد يصحبه ما يكدره ويخلص بعضه عما يشوبه فكذلك الايمان وفهم القران في قلوب المؤمنين تختلط به نزغات الشيطان والخواطر الردية ثم يتبين صاف وكدر وكما ان الجواهر هي التي يتخذ منها الاواني اذا اذيب خلصت عن الخبث كذلك الحق يتميز عن الباطل ويبقى الحق ويضمحل الباطل ثم الجواهر التي يتخذ منها الاواني مختلفة فمن اناء يتخذ من الذهب واخر من الرصاص الى غيره فكذلك القلوب تختلف • وفي الجريان سدا والى ومحل القلوب فمريد قاصد • ومحب واجد • وعابد خايف • وموحد عارف • ومتعبد متقشف • ومتهجد متشرف • وانشدوا •

الوانها شتى الفنون وانما • تسقى بماء واحد من منهل •

وقوله تعالى انزل من السماء ماء مطرا فسالت اودية بقدرها جمع واد بقدرها على اقدارها من السعة والضيق والكبر والصغر فاحتمل السيل زبدا رابيا اى الوادي اذا سال احتمل السيل زبدا مرتفعا على ظهره وهو زبد الماء والغثاء الى الحق الذي انزله الله تلقته القلوب على قدر عقولها واذهانها والباطل يظهر احيانا ويكاد يعلو الحق ثم يتلاشى ويضمحل ولا تكون العاقبة الا للحق • وقوله تعالى ومما توقدون عليه في النار اى من الجواهر التي يستخرجونها من المعادن فيوقدون عليها ابتغاء حلية اى طلب الحلية ومتاع اى انية من الاواني فله زبد مثله اى خبث كزبد الماء ثم ينفى عندا وقل ما ... النار ولا ينتفع به اهله فكذلك الباطل يضمحل عنه ولا حجة تقوم به من حجج الحق والجواهر يبقى في الارض وهي مثل حجج تثبت وتقوى • وقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اى يبين فاما الزبد فيذهب جفاء اى يذهب بعد علوه السيل برفع الرياح اياه وقذف الماء به وتعلقه بالاشجار وجنبات الاودية وتدفعه ... وجنبات الغدران وجفا الوادي واجفى اى رمى بما علاه فيرمي الوادي بالجفاء الى الجانب ثم تعمل فيه الريح والشمس فيتلاشى وكذا الباطل • وقوله تعالى واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض اى المطر وجواهر المعادن تستقر في الارض فينتفع بها الناس عند الحاجة اليها والزبد يطير بعد ذلك ثم يتلاشى وكذلك الباطل واهله والماء والجواهر ينتقل صوره ويثبت ويبقى فكذلك الحق واهله والجواهر يستفيد بالنار صفاء وكذلك الحق يزداد ... المبطلين خلوصا وبقاء • وقوله تعالى كذلك يضرب الله الامثال اى يبين الاشياء ام

ليتضح الحق وادحاض الباطل • وقوله للذين استجابوا لربهم اى اجابوا دعوة الحق الحسنى اى المثوبة التي الحسن منها وهي الظفر والتمكين في الدنيا والنعيم المقيم في الجنة • قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اى الظفر والشهادة • وقال للذين احسنوا الحسنى اى الجنة • وقال الامام القشيري هي قوة استجابتهم لذلك من احد الاشياء عندهم ولا شيء اعز على المحب من قبول محبوبه منه شيئا • قوله تعالى والذين لم يستجيبوا له لم يستجيبوا لربهم في دعوة الحق فلا خلاص لهم بوجه من الوجوه • وقوله تعالى لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اى وضعف ذلك لافتدوا به لا ضطرهم بذلك من انفسهم ليطلقوا من العذاب ولا يقبل منهم قال كذلك في اية السؤال ومثله معه • اخزي وهذا مما علم الله ان الذي لا يكون انه لو كان كيف كان يكون • وقوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب اى يحاسبهم الله بكل مساويهم فيجازيهم عليها ولا يتجاوز عنها • وقوله تعالى وماواهم جهنم اى مرجعهم بعد المحاسبة النار وبئس المهاد اى بئس الفراش جهنم • وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى استفهام بمعنى النفي اى ليس الذي استجاب لله في دعوة الحق وعلم ما اوحى الله اليك انه حق صدق كالذي لم يستجب له وعمي عنه • وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب اى انما يتعظ بايات الله اولوا العقول فيعلمون انه وحيه الحق • قال ابو القاسم بن حبيب رحمه الله رايت في بعض التفاسير انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي ابي جهل لعنه الله • وقيل نزلت في عمار بن ياسر وفي ابي حذيفة بن المغيرة • وقال الامام القشيري رحمه الله لا يستوي البصير والضرير والمقبول والمردود والموصل للتقريب والممتحن بالتعذيب والذي افنيناه عن شهودنا والذي هديناه لوجودنا • وقوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق له وجهان على الثاني احدهما انه نعت قوله اولوا الالباب • والثاني ان تقديرهم الذين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يقيمون على الشهادة ولا ينقضون ذلك لا يشركون بالله تعالى • وقال مقاتل بن حيان هو ميثاق ذرية ادم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق اذا بلغوا الحنث • وقيل هو ميثاق اهل الايمان وقبول الاوامر والنواهي • وقيل هو ميثاق الخلقة وقد مر ذكرها وذكر اقاويل اخر في اول سورة البقرة • وقال الامام القشيري رحمه الله هو ما سبق من الرحمن واليقا شرايط الاحسان والسعي عن ارتكاب العصيان بذلك ابرموا العقد يوم الميثاق والضمان وميثاق قوم ان لا يعبدوا سواه وميثاق قوم ان لا يطلبوا سواه • وقوله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل • قال ابن عباس رضي الله عنهما امنوا من اهل الكتاب وصلوا الاقرار بكل الانبياء والكتب فلم يقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض • وقيل هو صلة ارحامهم • وقيل هو صلة رحم النبي صلى الله عليه وسلم • قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اى الا تودوني لقرابتي منكم وهو خطاب للعرب ويجوز ان يكون لاهل الكتاب ايضا فانهم بنوا اسرائيل وهم اولاد اسحاق والنبي عليه السلام واصحابه من اولاد اسماعيل فهم يصلونهم بعضهم لبعض • وقيل هو التواصل في الدين والتوالي عليه والتظاهر بعد الايمان بالله تعالى اعظم ثوابا من الحب في الله تعالى والبغض فيه • وقوله تعالى ويخشون ربهم اى في نقض الميثاق وقطيعة الرحم وكل شيء • وقوله تعالى ويخافون سوء الحساب اى مناقشته والمجازاة على كل المعاصي بغير عفو • وقال القشيري رحمه الله يصلون انفاسهم بعضها ببعض فلا يتخللها نفس لغير الله تعالى ولا في شهود غير الله ويصلون سرهم بسرائرهم في اقامة العبودية والتبري من الحول والقوة ويخشون ربهم والخشية لجام يقف به المؤمن عن الركض في ميادين الهوى وزمام يصرفه الى استدامة حكم التقوى ويخافون سوء الحساب اى يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وقوله والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم اى حبسوا انفسهم عما لا يجوز • وقيل اى جزعوا ... منع النفس هواها • وقيل صبروا على اداء الطاعات • وقيل صبروا على ترك السيئات ويجوز ان يكون هذا عطفا ويجوز ان يكون ابتداء وجوابه اولئك لهم عقبى الدار • وكذلك قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله يحتمل الوجهين • وقوله واقاموا الصلاة اى الصلوات باركانها وشروطها وادابها • وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اى في الزكوات ونوافل الصدقات والمندوب من النفقات سرا وعلانية لا علانية لفخر فيكون رياء • وقوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اى يدفعون اساءة من اساء اليهم من الناس بالاحسان اليهم عملا بقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة • وقيل اى يدفعون بالايمان الشرك • وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا • وقال ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا واذا هربوا انابوا فيدفعون بالتوبة عن انفسهم معرة الذنوب ونظيره قوله عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه اذا عملت سيئة فاتبعها بحسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية • وقوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار اى هؤلاء الذين وصفناهم الذين اعقبهم الله الجنان من دار الدنيا اى جزاء بما فعلوا فيها • وعن ابن المبارك انه قرا هذه الايات فقال هي ثماني خلال مشيرة الى ثمانية ابواب من ابواب الجنان • وقال القشيري رحمه الله ومما يجب الصبر عليه اهل الارادة هو الوقوف على حكم تعذر الحق جل جلاله فانه يتفضل على الكافة من المجتهدين ويتعذر حصول مبالي المريدين فيمتحنهم بالصبر فان ارادتهم فاذا صدقوا في صبرهم جاد عليهم بتحقيق ما طلبوا • وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها رفعها من وجهين احدهما البدل عن قوله عقبى الدار • والثاني انه مبتدأ وخبره يدخلونها اى بساتين اقامة يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم اى من امن بالله من والديهم وازواجهم واولادهم فيتمتعون وفيه اعظم اللذات واجل النعم والكرامات • وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • قال مقاتل يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من ايام الدنيا ثلاث كرامات معهم الهدايا والتحف • وقوله تعالى سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم وهو

فيهم

تحية وكرامة • وقيل اخبارهم انهم وصلوا الى السلامة التامة من كل افة • وقيل هو دعا منهم لهم بها • وقوله تعالى بما صبرتم في
الدنيا عن المعاصي وعلى الطاعة وعلى المحنة • وقوله تعالى فنعم عقبى الدار اي فنعم عقبى الدار وقد فسرناها • وقوله تعالى
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اي شانه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل هو بمقابلة ما ذكر في الايات
المتقدمة من الوفا بالعهد وصلة الرحم ويفسدون • قيل بالعمل بالمعاصي وقيل بالتنفير عن النبي صلى الله عليه وسلم والمنبهة
على المومنين • وقوله تعالى اولئك لهم اللعنة اي الطرد والابعاد عن رحمة الله ولهم سوء الدار اي يرون فيها ما يسوءهم
وقال القشيري رحمه الله نقض العهد الرجوع الى الاختيار والتدبير بعد شهود الافراد وملاحظة التقدير • وقوله
تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع الرزق لمن يشاء وليس التوسع على الكفار لكرامتهم ولا التضييق على
المسلمين لاهانتهم بل للمسلمين في الاخرة الجنة ونعيمها ونعم عقبى الدار وللكافرين في الاخرة اللعنة ولهم سوء الدار • وقوله
تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا اي سروا بها وبطروا اي المشركون ولم يعلموا ما عند الله للذين يومنون وما الحياة الدنيا
في الاخرة الا متاع • قال مجاهد اي نفع قليل ذاهب • وقال القشيري رحمه الله بسط الرزق للاغنيا وطالبهم بالشكر
وقبض عن الفقرا وطالبهم بالصبر ثم وعد الزيادة للشاكرين ووعد معيته للصابرين فللاغنيا الاموال بمزيدها
وللفقرا التجرد في الدارين عن طريقها وفرحوا بالحياة الدنيا فرح الاغنيا بزكاة اموالهم وفرح الفقرا
بصفا احوالهم وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع اي قليل بالاضافة الى متاع الاخرة فاموال الاغنيا وان كثرت
قليل بالاضافة الى ما وعدهم من شهود جماله وجلاله • وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه
اي يقول عبد الله بن امية واصحابه لولا انزل عليه اية من ربه وهي اية كانوا يقترحونها • وقوله تعالى قل ان الله
يضل من يشاء مع ظهور الايات ويهدي اليه من يشاء مع غموض الايات فهو الهادي والمضل فيهدي من اناب اليه اي
رجع اليه فانقطع بجملته اليه اي يهدي من علم منه اختيار الهدى والرجوع اليه تعالى • وقوله تعالى الذين امنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله هذا نعت من اناب وذلك بمعنى الجمع للجنس وتطمئن قلوبهم اي تسكن ولا تضطرب
ويزول عنها الشبهة • قال مجاهد الاية في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال مقاتل وتطمئن قلوبهم بالقران
الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني تسكن القلوب بالقران • وقال قتادة تهش الى ذكر الله وتستانس به • وقال
القشيري قوم قد اطمانت قلوبهم بذكر الله وفي الذكر وجدوا سكونهم وبالذكر وصلوا الى صفوتهم وقوم قد اطمانت
قلوبهم بذكر الله فاذا ذكرهم الله بلطفه اثبت الطمانينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم • وقيل اذا ذكروا الله
ذكرهم استروحت قلوبهم وانتشرت ارواحهم واستانست اسرارهم • وقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات
هذا مبتدا وخبره قوله طوبى لهم • وقيل لما قال في الاية الاولى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقبل جوابه اتى بكلام
معترض وهو قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب اي هكذا يجب ان يكون ثم انتظم الاول فاعاد الذين امنوا وعملوا
الصالحات وهو يرجع الى ما تقدم وبنى عليه جوابه طوبى لهم اي لهم طيب العيش وحسن ماب اي حسن مرجع ومنقلب
الى كرامة الله تعالى وطوبى فعلى من الطيب والواو اصلها اليا وصارت واوا لضمة ما قبلها • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما فرح لهم وقرة اعينهم • وقال قتادة حسنى لهم • وقال عكرمة نعم ما لهم • وقال الضحاك غبطة لهم • وقال
مجاهد اي الجنة • وقال ابرهيم اي كرامة لهم من الله • وقال مجاهد اي الجنة لهم • قال ابو هريرة هي شجرة في الجنة
وقيل هي تانيث الاطيب وهي صفة الجنة اي الاطيب لا شيا لهم وهي الجنة • وقال الزجاج اي العيش الطيب
لهم • وقال الربيع بن انس طوبى لهم هو البستان بلغة الهند • وقال مجاهد طوبى لهم هو الجنة بلسان الحبشة • وقال
سميط بن عجلان طوبى لهم دوام الخير • وقال ابو هريرة طوبى شجرة في الجنة يقول الله تعالى لها تفتقي
تتفتق عن الخيل بسرجها ولجمها • وتتفتق عن الابل برحالها وازمتها • وتتفتق عن الحلي والحلل وتتفتق عن الفواكه
وقال مقاتل طوبى شجرة في الجنة لو ركب رجل فرسا او نجيبة ثم لم يبلغ الموضع الذي ركب منه حتى يدركه الهرم
ولو ان طايرا من سائر فنانها ادرك فرعها حتى يدركه الهرم لها اوراق كل ورقة منها تظل امة على كل ورقة ملك يسبح الله
بانواع التسبيح ثمارها الحلي والحلل • وقال عبيد بن عمير طوبى شجرة في الجنة اصلها في دار النبي صلى الله عليه
وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل
وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة في الجنة مسيرة ماية سنة ثياب اهل الجنة
تخرج من اكمامها • وقال ابو امامة طوبى شجرة في الجنة ليس فيها دار الا وفيها غصن منها ولا طير الا وهو فيها ولا ثمرة
الا وهي فيها • وقال يزيد بن طوبى شجرة في الجنة عليها طير امثال البخت يقعد الولي على الخوان فياكل نصفه
شوا ونصفه قديدا فاذا فرغ من الاكل قام الطير فطار وذهب • وقوله تعالى كذلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها امم اي قد خلت من قبلك لهم رسلنا اليهم كما ارسلناك الى هذه الامة لتتلو • قوله تعالى لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك اي لتقرا عليهم القران فيتدبروه ويقفوا على اعجازه فتكون اية على صدقك اذ هم في غاية الفصاحة
والعلم باصناف الكلام فيستدلوا بعجزهم عن الاتيان بمثله انه من عند الله فيقفوا ايضا على اقاصيص الماضين
ليتفقوا انه من عند الله تعالى • وقوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن يعني يتلوا عليهم من القران المعجز • وقوله تعالى

قل هو ربي لا اله الا هو لا الكفرية كما تكفرون عليه توكلت اي اعتمدت واليه متاب اي مرجعي في الامور كلها • وقال مقاتل بن سليمان
نزلت في صلح الحديبية حين صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة منهم سهيل بن عمرو وذلك انهم ارادوا ان يكتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح فقال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ما نعرف الرحمن الا
صاحب اليمامة يعني مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم فانزل هذه الاية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ابي جهل
وذلك انه دعا جماعة من المشركين واتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان سرك ان نومن بك ونتبعك فسير لنا هذه الجبال
من مكة فنحن في ضيق حتى نتخذ قطايع نحيي اثارنا ونغرس ونزرع فلست اهون عند الله من داود • فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا اطيق ذلك قالوا فسخر لنا الريح لنركبها ونتجر في يوم الى الشام مسيرة شهر ونرجع من يومنا فلست اهون عند الله من سليمان
قال لا اطيق ذلك قال فان كنت لا تطيقه فاحيي لنا جدك قصيا حتى يخبرنا عن كونك تبعث وعن صحة امرك فلست باهون
عند الله تعالى من عيسى قال لا اطيق ذلك قال فان كنت لا تطيقه فلا تغضب بذكر الهتنا بسوء فانزل الله تعالى وهم يكفرون
بالرحمن الاية • وقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى جوابه محذوف وهو لكان هذا
القران وهو كقول القايل • واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك • ولكن لم نجد لك مدفعا •
وجوابه محذوف وهو لدفعناه • وقال الفرا يجوز ان يكون جوابه لكفروا بالرحمن لتقدم ما تقتضيه يعني انهم لتعنتهم لا يومنون
مع روية كل اية كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وهي منتظمة بما مر لولا انزل عليه اية من ربه يعنون مثل تسيير الجبال
وتفجير الانهار فلما اشير بهم الى القران انه اية معجزة قالوا ما نعل هذا بقرانك فنزلت ولو ان قرانا سيرت فكذا وكذا وجوابه
لكان هذا القران لكن ما انزل هذا القران لهذه الاشيا فليست هذه من القران ولا من محمد بل هي من الله تعالى ولو فعل بالقران
لكان ذلك من فعل الله تعالى بل الامر كله لله تعالى يفعل ما يشا لا يمتنع عليه شيء اراده ولكن لا يفعل على شهوات المقترحين
وقوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا استفهام بمعنى الامر • قال ابن عباس ومجاهد والحسن
وقتادة وابن زيد وابو عبيدة يعني افلم يعلم ومعناه فليعلم • قال الضحاك قولهم بالبعث اذا اسود ابني لم ييأسوا اي
ابن فارس زهدم • وقيل افلم ينقطع طمعهم من خلافه هذا اعلام لصحته والعلم بالشيء يوجب الياس من خلافه • وقيل
ان طايفة من المسلمين قالوا يا رسول الله اجب هولا الكفار الى ما سالوا لعلهم يومنون فقال الله تعالى افلم ييأس
الذين امنوا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا اي ان الله قادر على ان يهدي كل الناس ولكن لا تطمعوا انتم في ايمانهم
فاني لا اهديهم لعلمي باختيارهم الضلال • وقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة اي داهية مهلكة
من صاعقة كما اصابت اربد ونحو ذلك وكما اصابت المشركين بمكة على ما ثابت في قصته ان شا الله تعالى او تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم تخرج من المدينة وتنزل قريبا من دارهم فيخافون حتى ان امر الله بالقتال وعلى قول من قال هي مدنية
فالقارعة السرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة او تحل القارعة قريبا من دارهم حول مكة فالثاني هنا
النائبة وفي الاول الخطاب حتى ياتي وعد الله فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد • وقيل حتى ياتي وعد الله اظهار دينه
على الاديان كلها • وقيل حتى ياتي يوم القيامة والقارعة من القرع واصلها الضرب بشدة كقرع الباب فالضرب
بالمقرعة والقارعة اسم للقيامة لقرعها القلوب • وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم تقول ولقد فعل بالرسل من قبلك ما يفعل هولا المستهزون بك من الاستهزا
واقتراح الايات فامهلت المستهزين مدة ليومن من كان في علمي انه يومن او يزداد ايمانا ويكفر من علمت انه لا يومن ثم اخذتهم
بالعقاب فانظر كيف كان ذلك • وقوله فكيف كان عقاب كلمة تستعمل عند الاعلام بالقدرة وهو تهديد لهولا بمثله • وقوله
تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت هو تعجب من المشركين في اشراكهم بالله غيرهم وهو استفهام بمعنى النفي اي ليس
من هو قايم على كل نفس بما كسبت اي قايم بالتدبير في جزايها • وقيل بحفظها وادرار رزقها • وقيل افمن هو محاسب
مطالب كما قال الا ما دمت عليه قايما وحذف هنا لكن ليس كذلك لدلالة الكلام عليه ومثله في القران كثير افمن
شرح الله صدره للاسلام افمن هو قانت ودل على هذا الحذف ما بعده وهو قوله وجعلوا لله شركا ليسوا بقايمين
على الانفس وقيل المحذوف شي اخر وتقديره افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت بحفظها ورزقها في دار المحنة الى
مدة تمحيصهم ثم لا يجعل لهم دارا جزا اي هذا لا يكون وكلمة افمن ذكرت في القران في ست عشرة اية بعث في صفة الله
تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع الاية • وثلاث في حق
الرسول صلى الله عليه وسلم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سو عمله افمن اتبع رضوان الله كمن با بسخط من الله
افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم • وواحدة في حق الصديق رضي الله عنه افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه الاية • وواحدة في حق الفاروق رضي الله عنه افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا وواحدة
في حق عثمان رضي الله عنه امن هو قانت اناء الليل • وواحدة في حق علي رضي الله عنه افمن كان مومنا كمن كان فاسقا
وثلاث في حق المومنين افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق افمن شرح الله صدره للاسلام اومن كان ميتا فاحييناه
وثلاث في حق الكفار افمن حق عليه كلمة العذاب افمن يتقي بوجهه سو الحساب العذاب • افمن زين له سو عمله فراه
حسنا • وقوله تعالى وجعلوا لله شركا اي اشركوا ايضا مع انكارهم البعث فازدادوا كفرا • وقوله تعالى

قل سموهم قيل سموا هؤلاء الذين جعلتموهم شركا باسما حقيقية لها معاني تستحق بها ان تكون معبودة ثم ابعدوا ذلك فبطل نوكو ريبا
اذا سميتموها الهة فسموها باسما الله وهي الخالق والرازق ونسابها الاسما ولا يفعلون ذلك لعلمهم انه باطل فكذلك تسميتهم ايا
وقيل اذا جعلتم لي شركا فسموها من هم ولا شك انهم يسمون اصنامهم المعروفة باللات والعزى ومناة ونحوها فيعلم كل عاقل انها
جمادات لا تملك شيا ولا يكون منها شي الا معبود او هو كمن يقول انى لا اعلم لفلان شبيها فيقال له سمه فاذا سمى من يعلم انه
ليس تشبيه لمن يقول رد عليه قوله وبطل كلامه فكذا هذا • وقوله تعالى ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض اى اتخبرون الله بشركا
في الارض وهو لا يعلم ذلك اى لو كان لعلم بها على الحقيقة نفى لكونه لانتفا العلم وانه عطف على الالف في قوله ام من هو قائم
وقيل معناه مضمر بالالف ثم هذا عطف عليه بل سموهم انسموهم ام تنبئون الله بما لا يعلم في الارض • وقوله تعالى ام
بظاهر من القول • قال مجاهد وقتادة اي بظاهر من القول سميتموها الهة انها شركا من غير حقيقة • وقيل ام بباطل
من القول الذي ان الله على عباده فان ادعوا ذلك فقل هاتوا برهانكم • وقيل اى نطق من القول كالرجل يرى ظاهر
الشي وهو لا يعلم باطنه ولو تامله لبان له خلافه وهو كقوله وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي
وغير تامل اى بباطل من القول زايل ويقال لظهر عنى العيب اى زال • قال الشاعر وتلك شكاة ظاهر عنك عارها اى زايل
وقوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم اى ما اتوا من هذا ولكن زين الشيطان لهم اخذا منهم للضعفة • وقوله تعالى
وصدوا عن السبيل • قرا عاصم وحمزة والكسائي بضم الصاد اى وصرفهم الشيطان عن سبيل الله • وقرا الباقون بفتحها اى هم صرفوا
وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد هذا ظاهر • وقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا يحل بهم كما حل بالمستهزئين ويرون المشركين يوم
بدر ونحو ذلك • وقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشق اي اغلظ وابلغ • وقوله وما لهم من الله من واق اى اذا اخذهم لم يمنعهم مانع عنه
وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون قيل جوابه محذوف في اخره وهو اجل مثل • وقيل مثل الجنة اى صفة الجنة كقوله
وله المثل الاعلى وعلى هذا فيه مضمر تفسيره صفة الجنة التى وعد المتقون جنات عدن تجري من تحتها الانهار • وقيل
الاضمار في اوله وفيما يتلى عليك مثل الجنة ذكر وعد الاوليا بجنة كر وعيد الاعدا تجري من تحتها الانهار اى تحت قابلة الزهرة
والعرب كانوا في عون من الما كانوا يعدون هذا اعظم نزهة • وقوله تعالى اكلها دايم اى ثمرها غير منقطع وظلها كذلك
لا تنسخه الشمس تلك عقبى الذين اتقوا اى هذه عاقبة المتقين وعقبى الكافرين النار هذا ظاهر • وقوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب اى واهل الكتاب الذين اسلموا يفرحون بما انزل اليك اى بالقران لموافقته كتابهم في ذكر الرحمن ومن
الاحزاب من ينكر بعضه • قال مقاتل يعني بني المغيرة وبني امية وال ابي طلحة بن عبد العزى قالوا ما نعرف الرحمن الا
مسيلمة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان مومني اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذكر
الرحمن في التورية كثير ولسنا نرى ذلك في القران فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية • فقال
مشركو مكة كان محمد يدعونا الى اله واحد والان يدعونا الى الهين اثنين فانكروا اسم الرحمن فانزل الله تعالى ومن الاحزاب
من ينكر بعضه لانهم يقولون الخالق هو الله ثم يشركون به غيره • وقال ابن عباس في رواية ان اليهود امنوا بسورة
يوسف لوفاقها ما في التورية من قصة يوسف ثم ينكرون جميع القران سوى قصة يوسف والاحزاب جمع حزب
وهم الاخلاط من اليهود والنصارى والمشركين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اى تعاونوا
وقوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه ماب اى مرجعي في اموري كلها وهو
حسم لاطماعهم في مطابقتهم على شي من دينهم • وقوله تعالى وكذلك انزلناه حكما عربيا اى وكما انزلنا الكتاب
تدا انزلنا عليكم حكما عربيا اي كتابا بلسان العرب والحكم اسم القران سمي به لانه المحكم نزل • وقيل اى انزلناه حكما
دانت به العرب قديما وهو دين الحنيفية دين ابرهيم واسمعيل الى ان غيروه • وقوله تعالى ولين اتبعت اهواءهم
في اتباع ملة ابايهم المشركين وقد قيل في القبلة فقد قيل في ذلك نزلت حين دعاه اليهود الى الصلوة الى قبلتهم
بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق • وقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية اى زوجات واولادا اى كان سبيلهم كسبيل غيرهم من البشر ينكحون ويولد لهم
ما احل الله لهم من الشهوات لم يفارقوا غيرهم الا في الرسالة • وقوله تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
اى لم يكن في وسعهم الاتيان باية الا باذن الله تعالى • وقوله تعالى لكل اجل كتاب اي لكل شي وقت وقد قدر الله
فيها بالايات التي اقترحوها انما تكون في الوقت الذي اجله الله لها لا على اقتراحهم • وقيل ان الاية نزلت في اليهود
حين عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نرى له همة الا النسا والنكاح فانزل الله هذه الاية وقد
كان لداود عليه السلام ثلاث مائة مهرية وسبع مائة سرية وذلك يا محمد تسع نسوة فما لهم لا يعيبونهما ويعيبونك
وقوله تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت • قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت مخففا من الاثبات والباقون يثبت
مشددا من التثبيت • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمحو الله ما يشا من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب
ولا عقاب ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وذلك لان الحفظة تكتب على الانسان جميع ما يقول ويعمل فاذا كان يوم
الخميس والاثنين عرضت ذلك باللوح المحفوظ فيلقى من كتاب الحفظة ما لا جزا له من خير وشر ويثبت ما يوافق الكتاب
من ذلك الخير والشر والثواب والعقاب • وقال الضحاك يمحو الله ما يشا من القرون قال تعالى كم اهلكنا قبلهم

من القرون • وقال ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين • وقال سعيد بن جبير هذا في الفرايض والشرايع ينسخ ما يشا من فرضها وشريعتها
وقال قتادة هو قوله ما ننسخ من اية الاية يشير الى ان الناسخ هو المثبت والمنسوخ هو الممحو • وقال عكرمة يمحو الله ما يشا يعني
بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات • قال الله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات • قال تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ومحو الليل على وجهين • احدهما نقصان نوره عن نور الشمس
والثاني ما نرى من السواد في وجه القمر • وقال محمد بن كعب القرظي اذا ولد الانسان اثبت اجله ورزقه فاذا مات محي اجله
ورزقه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل محو اجله واحواله واماتة اضدادها من تحويل النطفة علقة ثم
مضغة الى اخرها ويحتمل محو الاعمال اذا كان كافرا ثم اسلم في اخر عمره محيت الاعمال التي كانت في حال كفره فابدلت حسنات
واذا كان مسلما ثم كفر في اخر عمره محيت اعماله التي كانت صالحة فلم ينتفع بها • وقيل هو محو السعادة واثبات الشقاوة
وعكسهما • وعن عمر رضي الله عنه انه كان يدعو بهذا الدعا اللهم ان كتبتني في ديوان الاشقيا فامحه من ديوان الاشقيا
واثبته في ديوان السعدا فانك قلت وقولك الحق يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب • وقيل هو الاجل المنظم
لكل اجل كتاب اى لكل وقت قضا مكتوب في اللوح المحفوظ فكان في ايام الماضين اذا سالوا اية مقترحة اتاهم ذلك
فاذا لم يقبلوها استاصلهم كالناقة لصالح والمايدة لعيسى وكان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الاتيان بالايات
الدالة على حقيقته من غير اقتراح منهم ولم يوتهم ما اقترحوه لان ترك الايمان يوجب الاستيصال والنبي صلى الله عليه
وسلم بعث رحمة للعالمين يمحو الله ما يشا ويثبت يمحو ايتا الايات المقترحة ويثبت ايتا الايات المبتداة المحكمة
• وقال الامام القشيري رحمه الله يمحو من قلوب الزهاد حب الدنيا ويثبت بدله الزهد فيها • ويمحو من قلوب
العارفين الحظوظ ويثبت بدلها ايثار حق الله • ويمحو عن قلوب الموحدين شهود الخلق ويثبت بدلها شهود الحق • وقيل
يمحو العارفين عن شواهدهم ويثبتهم بشاهد الحق • وقيل يمحو العبد عن اوصافه ويثبته بالحق • وقيل يمحو عن قلوب
الاحباب ذكر الخلق ويبدل بدله غلبات الغفلة بهواجم النسيان • وقيل يمحو اوصاف الزلة عن نفوس العاصين واثار
العاصين عن ديوان المذنبين ويثبت بدله لوعة الندم وانكسار الحسرة والخمود عن متابعة الشهوة • وقيل يمحو
نضارة الشباب ويثبت صفة الشيب وللمقال مجال في هذا الباب • وقوله تعالى وعنده ام الكتاب اى اللوح المحفوظ
الذي اثبت فيه ما سبق علمه وحكمه بما لا تبديل له ولا تغيير • وقيل هو اشارة الشامل لكل معلوم • وقوله تعالى واما
نرينك اما كلمتان ان للشرط وما للتاكيد والنون في نرينك لذلك بعض الذي نعدهم هو قوله لهم عذاب في الحياة الدنيا
ولا يزال تصيبهم بما صنعوا قارعة • وقوله فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم نقول فاما نرينك بعض ما نعدهم من الانتقام
اى من هولا المستهزيين بك المكذبين لك في حياتك • وقوله تعالى او نتوفينك اى اماتتك قبل ذلك ونعلن بهم ذلك
بعد موتك او اخرت عقوبتهم الى يوم القيامة فليس عليك في ذلك نقص في نبوتك • وقوله تعالى فانما عليك
البلاغ اي تبليغ الرسالة لا الوعيد لا تعجيله لهم وعلينا الحساب اي والينا مراعاة اجلها المعلوم والايقاع
بهم عند الوقت المحتوم • وقوله تعالى اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اى تاخير العذاب عنهم ليس
للعجز لانا قد اريناهم النقصان في اطراف بلادهم بخراب ما حولهم من القرى وخلوها عن اهلها والسبي وزوال
سلطانهم عنها وضرب الجزية عليهم • وقوله تعالى ناتي الارض اى ناتي امرنا بالعذاب كما قال فاتى الله بنيانهم من القواعد
وقال اتاها امرنا ليلا او نهارا ونظير هذه الاية قوله ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى • وقوله تعالى افلا يرون
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها انهم الغالبون وهذا التاويل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والضحاك
وقال مجاهد هو بموت اهلها • وقال ابن عباس في رواية ومجاهد بموت اهلها وخيارها اهلها • وعلى القول الاول
النواحي • وقال ابن عباس في رواية بخرابها • وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو موت العلما
وقيل معنى الاية اولا يرى ما لوا انا نفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حول مكة من بلاد المشركين ما نفتح لك
من قرام وازيد في بلاد الاسلام فيعلموا انه لا يكون لهم حسن مآب اي العاقبة بعد ان نقصها من اطراف ارضهم • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله ما روي انه موت علمايها وذلك لان العلما هم عمار الارض واهلها هم صلاح الارض فوصف
الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما قال ظهر الفساد في البر والبحر • وقال المسند الارض والارض لا تنقص
بنفسها بل وصفت به لفساد اهلها فلذلك لا تنقص ولكن وصفت به لذهاب عمارها ثم يحتمل ذلك علما اهل الكتاب
المتقدمين والمراد بذكر ذلك انهم اذا ذهبوا فلا بد من رسول يعلمهم الشرايع والاداب ويجدد ما درس من الايات
وان اراد به علما هذه الامة ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والتعزية له بما يصيب امته • وقوله والله يحكم لا معقب
لحكمه اي لا ناقض له ولا راد والتعقيب اعقاب الشي بما يبطله • وقوله تعالى وهو سريع الحساب اي اجل العذاب
اذا جاكم لا يتاخر عن وقته بل هو سريع عاجل • وقال القشيري النقص من اطرافها هو موت الاوليا الذين اليهم مفزع
الخلق • وقيل هو ذهاب اهل المعرفة حتى اذا جاء مسترشد في طريق الله من يجد من يهديه الى الله • وقوله تعالى وقد مكر
الذين من قبلهم اي بانبيائهم باستهزائهم والتماس ايات الاقتراح كما مكر بك هولا وصوروا عند الضعفة ان دعوتك لو كانت
حقا لجيتهم بما يلتمسونه من الايات المقترحة • وقوله تعالى فلله المكر جميعا اى ان الله تعالى يرد ضرر المكر على الكفار

فلا يصطون من مكرهم على شيء ويوضح الله حجته للعبادة فيعود اثر مكرهم عليهم • قال الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين • وقيل تحصيل هذا الكلام ان الله مالك مكر العباد ولا يضر الماكرون احدا الا باذن الله وقد ضمن الله نصرة اوليائه فلا يعود ضرر مكر المشركين الا عليهم • وقوله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس اي من خير او شر فيجازيها بجنايتها • وقوله تعالى وسيعلم الكفار اي عن قريب يعلمون • وقرا ابو عمرو وسيعلم الكافر وهو معرفة فكان للجنس فيعني معنى الجمع • وقوله تعالى لمن عقبى الدار اي يعلمون لمن يكون عاقبة الدار وهذا وعيد • وقال القشيري رحمه الله مكر الكفار اظهار الموافقة مع ابطان المخالفة ومكر الله بهم ايهامهم انهم محسنون في اعمالهم وان لهم شيا من افعالهم • وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو كعب ابن الاشرف ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وربيعة بن عمرو ويجوز ان يكون جمع كفار عصرهم • وقال مقاتل يعني مشركي العرب • وقوله تعالى لست مرسلا • قيل جواب هذا ورد منصوصا عنه في ايات منها قوله يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين • ومنها قوله وربك يخلق ما يشا ويختار • ومنها قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم معنى قولهم لست مرسلا ما انت برسول من الله الينا لانك عاجز عن اتيان ما التمسنا منك من الايات • وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي كفى بالله شهيدا لي عليكم اقامه من الدلايل على صحة دعوى النبوة والرسالة بالمعجزات التي اظهرها على يدي وبما ابديه من الاخبار عن الغيوب وغير ذلك وكفى بذلك شهادة لانه مما لا ينتهي الاحد من البشر ان يعارضها بمثلها او ينقضها بضدها • وقوله تعالى ومن عنده علم الكتاب عطف على قوله بالله • وقيل اريد به عبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي والنجاشي وعلما اهل الكتاب الذين اسلموا • وقرا بعض المتقدمين ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال ومعناه من عند الله علم الكتاب وكان يقول حمله على هذا اولى لان حمله على علما اهل الكتاب لا وجه له هنا والسورة مكية واسلامهم كان بعد ذلك لكن لترك القراة المشهورة والاكثر على ان السورة مدنية والله اعلم •

سورة ابراهيم عليه السلام •

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الله الذي يضل من يشا ويهدي من يشا وهو العزيز الحكيم • الرحمن الذي يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات النعيم • الرحيم الذي يغفر للمؤمنين يوم يقوم الحساب وهو الغفور الرحيم • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبدها وهذه السورة مكية الا ايتان نزلتا بالمدينة في قتلى بدر الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الايتين وهي احدى وخمسون اية • وقيل اثنان وقيل اربع • وقيل خمس • وقيل سبع لانهم اختلفوا في هذه المواضع من الظلمات الى النور قومك من الظلمات الى النور وعاد وثمود ويات بخلق جديد وفرعها في السما وسخر لكم الليل والنهار عما يعمل الظالمون • وكلماتها ثماني ماية وثلاثون وحروفها ثلاثة الاف واربع ماية وثلاثة وستون • وانتظام اول هذه السورة بختم تلك السورة بذكر الكتاب ومن عنده علم الكتاب • الر كتاب وانتظام هذه السورة بتلك السورة ان تلك السورة في بيان وحدانية الله تعالى وصفاته وبيان القران وبيان عقلا المؤمنين وبيان المعاندين من المشركين وبيان اقتراحهم وتكذيبهم • وقولهم في اخرها لست مرسلا وهذه السورة مكية لها على ذلك في اولها بيان انزال الكتاب عليه ومدحه وبيان ارسال الرسل من قبله وصبرهم على ايذا قومهم وبيان عاقبة الفريقين ووعد الموافقين بالجنة ووعيد المخالفين بالنار وبيان مثل الايمان ومثل الكفر كما كان في سورة الرعد والامر بالصلاة والزكوة كما وعد في سورة الرعد على الصلاة والزكاة وعظم قدر الصلاة بذكرها في قصة ابرهيم وذكر القيامة فيها كما ذكر في تلك السورة وختمها بقوله هذا بلاغ للناس كما قال في تلك السورة فانما عليك البلاغ • قوله تعالى الر قد مرت الاقاويل فيها الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور اي ظلمات الكفر الى النور اي نور الايمان باذن ربهم اي بفعل هداهم بامره بهم اياك به • وقوله تعالى الى صراط العزيز الحميد هو ترجمة قوله الى النور اي الى طريق دعا اليه الله العزيز في ملكه الحميد عند جميع خلقه بجلاله وافضاله وحميد فعاله • وقال القشيري رحمه الله لتخرج الناس من الظلمات اي ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات الشك الى نور اليقين • ومن ظلمات التدبير الى نور شهود تقدير • ومن ظلمات دعاوي النفس الى نور معارف القلب • ومن ظلمات التفرقة الى انوار الجمع ومن ظلمات الابتداع الى انوار الاتباع باذن ربهم بارادته ومشيته وسابق حكمه وقضيته الى صراط الله وهو نعت التوحيد بشواهد التفريد • وقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض • قرا نافع وابن عامر الله رفعا بالابتدا وخبره الذي وقرا الباقون بالخفض نعتا للعزيز الحميد • وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد اي واذا كان لله ما في السموات والارض وهو خالقهما ومدبرهما وهو المستحق للعبادة فمن اشرك به غيره فله الوعيد الغليظ بالعذاب الشديد في الاخرة • وقوله تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة اي يوثرون الحياة القريبة المدة وشهواتها ولذاتها على الحياة الاخرة الباقية التي لا ينقطع نعيمها

دعو

وموصفة الكافرين الذين لهم العذاب الشديد • وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس عن سلوك طاعة الله الذي يهدي الى رضوانه وجنانه ويبغونها عوجا اي يطلبون لها تعويجا وتحريفا عن وجهها ويبغضونها مما الراغبين فيها ادخال الشبه والتانيث لان السبيل مونث سماها ويبغونها بمعنى يبغون لها قال تعالى يبغونكم الفتنة اي يبغون لكم اولئك في ضلال بعيد عن الحق • وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اعلم رسوله في الاية الاولى انه ارسله وانزل عليه كتابا للناس ثم قال وكذلك كانت الرسل قبلك ارسلوا بلسان قومهم ليبينوا لهم ثم وان كان كذلك لم يتفقوا على قولهم بل اختلفوا فضل قوم واهتدى قوم فيضل الله من يشا ويهدي من يشا وهو العزيز فيما يريد الحكيم فيما يفعل • وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي كما ارسلناك • وقوله ان اخرج قومك اي بان اخرج • وقيل ارسلنا بمعنى اعلمنا وامرنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور هو في مقابلة ما قال لرسولنا صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات الى النور • وقوله تعالى وذكرهم بايام الله • قال الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير اي بنعم الله • وقيل اي بنقم الله بعاد وثمود وغيرهم من الامم الضالة • قال عمرو بن كلثوم •

وايام لنا غر طوال • عصينا الملك فيها ان ندينا •

قيل فيه قولان النعم والنقم من اعدائنا • وقال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قيل لا يخافون وقايع الله التي اوقعها باعدائه • وقيل وذكرهم بايام الله في الامم الخالية فيها ايات من حيث انه عاقب قوما واحسن الى اخرين على الطاعات منهم والمعاصي والتصديق والتكذيب ليعملوا بما يدخلون به في زمرة التائبين الناجين ويخرجوا من طبقة المعاقبين الهالكين • فقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي لكل من استكمل خصال الاسلام فقد روينا الايمان نصفان صبر وشكر فترك كل المعاصي صبر وفعل كل الطاعات شكر وكانه قال الايات لكل كامل في ايمانه فهو الذي ينتفع بها كقوله هدى للمتقين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ايام الله نعماه بان ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق البحر ونحوها • وقيل هو اهلاك قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب • وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس هذا في النعم • وقولهم من يرى يوما يرى به هذا في الشدة • وقول الشاعر فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نسا ويوما نسر بجمع المنيين • وقال القشيري رحمه الله ايام الله هي ما سبق للارواح من الصفوة وتعريف التوحيد قبل حلولها بالاشباح • قال قايلهم •

سقيا لها ولطيبها ولحسنها • ايام لم يلج النوى بين العصا ولحائها •

وقيل هي ما كان وقت الميثاق وبعده • وقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فسرناها في سورة البقرة وهذه من ايام الله • وقوله تعالى واذ تاذن ربكم اي اعلم وتاذن واذن واحد كقولك توعد واوعد وهو قول الحسن والفرا لئن شكرتم لازيدنكم وهو وعد بابقا النعمة فالزيادة تكون بعد بقا اصلها ولئن كفرتم ان عذابي لشديد عليكم وان جعل من الكفر فمعناه ان جحدتم النعم من عندي فعذابي للكفار شديد لانه بالنار دايم او ان جعل من الكفران فمعنى ان عذابي بازالة النعمة عنكم لشديد عليكم وان جعل من الكفر فمعناه ان جحدتم النعم من عندي فعذابي الكفار شديد لانه بالنار دايم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله واذ تاذن ربك اي وعد ربكم ولعل ربكم لم يبين ما الشكر وما النعمة وما الزيادة وما الكفر وما العذاب ويشبه ان يكون معناه لئن شكرتم لي بالتوحيد بما خلقتكم وركبت فيكم ما تتلذذون به وتتنعمون به في الدنيا وبما قومتكم في احسن التقويم لازيدنكم النعم الدايمة في الاخرة وهذا قول ابن عباس وقريب منه الاخرى قال ولئن كفرتم ان عذابي لشديد اي ولئن صرفتم شكر نعمتي الى غيري • ويحتمل ان تكون كل نعمة تشكرها يزيده من نوعها في الدنيا ويديم له ذلك • وقال القشيري لئن شكرتم انعامي زدتكم اكرامي ولئن كفرتم احساني عذبتكم اليوم بامتحاني وغدا بعذابي وهجراني لئن عرفتم قدر افضالي لارقينكم من وجود نوالي الى شهود جمالي وجلالي لئن شكرتم توفيق العبادة لازيدنكم تحقيق الارادة لئن شكرتم وجود الطافي لازيدنكم شهود اوصافي لئن شكرتم صنوف نعمي لازيدنكم كشوف كرمي ولارقينكم الى شهود قدمي لئن شكرتم مختصر نعماي لازيدنكم منتظر الاي لئن شكرتم ما خولتكم من عطاي لازيدنكم ما وعدتكم من لقاي ولئن كفرتم نعمي بان توهمتم استحقاقها لحرمتكم ما تستمرون مذاقها • وقوله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد • قال القشيري اي قال موسى لقومه لئن جمعتم انتم ومن حضركم ومن غاب عنكم والذين يخلفون اثركم على ان تكفروا بالله جميعا واخذتم كل يوم في الشرك امرا فطلبتما او جيتم لم نرنا شينا ولو شكرتم واستنتم ما حصلتم للمكان لنا فالحق بنعوته ووصف جبروته على وعن العالم باسره غني • وقوله تعالى الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاتهم رسلهم بالبينات قيل هو كلام موسى لقومه وقيل هو ابتدا خطاب من الله تعالى لاهل عصر محمد يقول الم ياتكم يا معاشر الكفار خبر الامم الذين هلكت بتكذيبهم لرسلهم ما احل الله بهم من نقمته وهم في الكثرة على ما لا يعلم عددهم واسماهم الا الله تعالى • وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يدعون علم الانساب في الاسلاف والله تعالى يقول لا يعلمهم

الا الله خاتمهم رسلهم اي رسلنا واضاف اليهم لانهم ارسلوا اليهم بالبينات اي الحجج والمعجزات • وقيل اي الشرايع الواضحات اعني حججها على المدعين • وقوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم اي انفسهم يعضون بها غيظا اذا كان فيه تسفيه احلامهم وشتم اصنامهم وهو كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وابن زيد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي فردوا ايديهم انفسهم في افواههم انفسهم اي وضعوا الايدي على الافواه اشارة الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل والحسن في افواه الرسل يسكتونهم بذلك وهو كما فعل عتبة بن ربيعة حين قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم حم السجدة حتى بلغ قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب فوضع يده على فم رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يقرا الباقي وقال خشيت اذا اتم الاية ان تاتيني صاعقة من السما فتحرقني وقال مجاهد ردوا نعمتهم بافواههم • وحكي عن ابي عبيدة ان هذا مثل ومعناه انهم كفوا عما امروا بقبوله من الحق ولم يومنوا به ويقال للرجل اذا امسك عن الجواب فلم يجب رد يده في فيه وكان مجاز هذا انه سكت فاه بيده اي عما لم يدخل قلبي وليس له عندي جواب • وحكي عن غير ابي عبيدة ان العرب تقول كلمت فلانا في حاجة فرد يده في فيه اذا سكت عنه ولم يجب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل ردوا ايديهم في افواههم استهزاء بهم • وقوله عز وجل وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي من التوحيد وترك الشرك وانا لفي شك اي من صحة ما تدعوننا اليه مريب اي موقع للريبة والتهمة لكم بالكذب فيه • وقوله تعالى قالت رسلهم افي الله شك اي في ان العبادة لا تجوز الا له فاطر السموات والارض نعت قوله افي الله اي لا يقدر على انشايهما غيره فلا شريك له فيهما فكيف يجوز الاشراك به • وقوله تعالى يدعوكم اي على السنتنا الى عبادته ليغفر لكم من ذنوبكم • قال ابو عبيدة من زايدة • وقال سيبويه لا تجوز ذلك في الاثبات وانما ذلك في النفي ولكن من للبدل اي بدل ذنوبكم التي كانت في الشرك • وقيل للتبعيض وهي ذنوب حالة الشرك فاما ما تفعله بعد الاسلام فهو صاله لا تغفر الا بتوبة او بفضل الله تعالى لاهل الاسلام ويوخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى اعماركم فلا يعاجلكم بالعقوبة والهلاك وهو جواب قوله ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا تقول اذا اسلمتم لم تتخطفوا وبلغتم الى اجالكم المسماه • قال الامام ابو منصور رحمه الله وقوله تعالى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا اي ما انتم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا فاتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة • قال الامام ابو منصور رحمه الله في قولهم تناقض من وجهين احدهما انهم تركوا طاعة رسلهم واتباع رسلهم لانهم بشر مثلهم ثم اطاعوا اباهم واتبعوهم في عبادة الاصنام وهم بشر مثلهم • والثاني انهم لم يروا الرسل متبوعين لانهم بشر مثلهم لا يخلون هم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين فاتبعوا غيرهم ممن هو دونهم اذ كانوا اتباعا لغيرهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وذلك تناقض • وقوله تعالى فاتونا بسلطان مبين سالوا الحجة على ما ادعوا من الوحدانية لله تعالى فوحدانيته او على ما ادعوا الرسالة من الله وفي كل شيء دلالة وحدانية الله تعالى والوحدانية وكذلك الرسل اتتهم بالحجج على دعوى الرسالة وكانوا معاندين في قولهم فاتونا بسلطان مبين وقوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ان اجتماع الكل في صفة البشرية لا يبطل التفاضل لانه يوجب ان لا يكون في الدنيا من يفضل غيره في رياسة وملك ونفاذ وحسن قول وحسن وجه وفضل مال وسلامة بدن وصحة عقل وجودة تمييز وهذا مما لا يخفى استحالته لانه يخلق البشر ويفضل بعضهم على بعض في الاحوال والاموال وغيرها فيمن عليه بذلك والحكمة في دار المحنة ان لا يكون الناس سوا لا يفضل بعضهم على بعض فيبطل حينيذ موضع الشكر والصبر اللذين هما جملة الايمان فاما السلطان المبين من جملة الاعجاز فذلك انما يحتاج اليه في اثبات صدق النبي في دعوى الرسالة لا في اثبات حق ما يدعوا اليه النبي اذ اثبت نبوته بالاعجاز كان جميع ما يدعوا اليه حقا وما يحكم به صوابا ولا قدرة للرسل على ايراد معجزة الا باذن الله اي باعطا الله اياه ذلك • وقوله وعلى الله فليتوكل المومنون اي قال الانبيا وعلى الله فليعتمد الذين امنوا به في كف شر من خالفهم وفي ايضاح دعوتهم واقامة حججهم • وقوله تعالى وما لنا الا نتوكل على الله اي واي عذر لنا في ترك التوكل على الله في كفاية كيدكم عنا وقد هدانا سبلنا اي وقد وفقنا لسلوك سبيل الحق فينصرنا عليكم ايضا ولنصبرن على ما اذيتمونا اي على ايذايكم وكان هذا قبل الامر بالانتصار منهم وحال قلة المومنين وكثرة الكافرين وعلى الله فليتوكل المومنون اي فعليه فليعتمد المعتمدون دون غيره • وقال القشيري رحمه الله وما لنا الا نتوكل على الله وقد حقق لنا ما سبق به الضمان من وجوه الاحسان وكفاية ما كلفنا من الامتحان ولنصبرن على ما اذيتمونا والصبر على البلا يهون اذا كان على روية المبلي • وانشدوا •

كل ما مر بي لاجلك حلو • وعذابي لاجل حبك عذب

وقوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا اي ولنصيرن الينا ولم يريدوا حقيقة الرجوع فانهم ما كانوا قط فيها وقد مر شرحه في سورة الاعراف ولعلهم اشتغلت قلوبهم بهذا القول

اي تنقيصه لهذا البشر [illegible] الله تعالى في ذلك قوله فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم اي بعد هلاكهم مساكنهم [illegible] • وقوله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد اي هذا [illegible] على الانبيا واتباعهم [illegible] مقامي وخوفهم وعيدي [illegible] وقيامهم للعرض على الله تعالى [illegible] • وقوله تعالى واستفتحوا • قال عبد الرحمن بن زيد استفتحوا الكفار بالبلا • وقال الحسن ومجاهد وقتادة اي استفتح الرسل بالنصر [illegible] والفتح الحكم والفتاح الحاكم وذلك قوله تعالى [illegible] ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق [illegible] • وقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد [illegible] • وقيل هو المتكبر [illegible] • وقال ابن كيسان هو الشامخ بانفه • وقال ابن عباس ومجاهد هو المعرض [illegible] • وقوله تعالى من ورايه جهنم اي وراء هذا الجبار العنيد جهنم اي امامه كما قال وكان وراءهم ملك • وقال الشاعر •

اترجوا بنو مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائيا

وقال مقاتل من ورايه اي من بعده والوراء يستعمل للخلف وقدام واصله انه كلما وارى عنك شيا من خلف وقدام فهو وراء • وقيل انه يجوز في الزمان على تقدير انه كان خلفهم لانه ماتي ليلحقهم • قال الاخفش ويقال هذا الامر من ورائك اي انه سياتيك • وقال الشاعر • عسى الكرب الذي امسيت فيه • يكون وراءه فرج قريب • اي لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى • وقوله تعالى ويسقى من ماء صديد • قال قتادة هو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه • وقال الربيع بن انس ومحمد بن كعب هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر • وقيل هو الحميم اغلي حره • وقال اهل اللغة هو القيح الذي يسيل من الجرح • وقيل في التفسير هو ما يسيل من جوف الكفار من القيح والدم ثم قوله من ماء صديد اي من ماء هو صديد اي لونه لون الماء وطعمه طعم الصديد وهو كقوله قوارير من فضة اي لها صفا الزجاج وبياض الفضة وقوله تعالى يتجرعه اي يزدرده باستكراه واستثقال لعطشه وحاجته الى الماء ولا يكاد يسيغه اي لا يمر به ولا يقارب احالة حلقه يقال ساغ الى الشراب واسغته اي ادخلته جوفي بسهولة • قال النبي عليه السلام في تفسيره يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من دبره • قال تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم • وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب • وقوله تعالى وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت • قال ابن عباس يعني في النار من كل ناحية اي ليس في جسده موضع شعرة الا والموت ياتيه منها من شدة العذاب حتى يجد طعم الموت وكربه • وقيل ياتيه غم الموت من كل عضو ومفصل وما هو بميت لا يموت حقيقة فيستريح • قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى • وقيل من كل مكان من جهات بدنه الستة من فوقه وتحته ووراءه وامامه وعن يمينه وعن شماله كما قال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ومن ورايه عذاب غليظ اي امامه اي يتجدد له كل ساعة بعد ما كان يصيبه عذاب غليظ اي اغلظ من الاول • وقوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد يتصل بقوله وخاب كل جبار عنيد اي لم ينتفعوا بما عملوا اسا وعملهم كذا • قال الفرا اضاف المثل الى الكفار والمثل للاعمال ونظيره مثل اعمال الذين كفروا ونظيره الذي احسن كل شيء خلقه اي احسن خلق كل شيء • وقوله ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اي ترى وجوه الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة • قال وان شيت جعلت المثل صلة فقلت الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد • وقال بعضهم اي قال سيبويه في الكلام اضمار ومعناه ومما نقص عليك مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اي تحبط اعمالهم ولتلك شي فلا ينتفع بها احد منهم بل تطير اعمالهم اي تذهب وقد سال الانسان عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اين هو فيقول لطار وكان ريحا فذكر قوله كرماد اشتدت به الريح اي كرماد هاجت به الريح الشديدة في يوم كثير الرياح فرقها فلا شك انه لا يبقى من ذلك الرماد شي يمكن ان يوجد ويتعلق به فكذلك هولا بما كسبوه في حال شركهم من قرى ضيف وصلة رحم وصدقة على محتاج او شي بعد تفرقها او سعوا في جمع مال او اعداد عاد ينتفع به في دين او دنيا فان ذلك تبطل عنهم فلا يقدرون منه على شي اي لا يجدون له نفعا ذلك هو الضلال البعيد اي سوء تدبير وضعف راي وذهاب عن الصواب الى ما يتباعد عنه حتى لا يكون فيه موضع في استصواب والاقرب من هدي • وقال الفرا في يوم عاصف ان شيت قلت في يوم ذي عصوف وان شيت في يوم عاصف الريح • وقال ابو حاتم سهل بن محمد هذا من كلام العرب ونظيره في القران بل مكر الليل والنهار وهما لا يمكران والنهار مبصرا انما يبصر فيه ويمكر في الليل والنهار ويقال يوم ماطر ومغيم وليل فلان قايم ونهاره صايم على معنى ان هذه الافعال تكون فيها فاضيفت اليها وهو كقولهم يوم حار

ويوم بارد واليوم لين مما يلحقه فيحس منه الحر والبرد لكن يكون فيه حر الاشيا وبردها والعصوف شدة هبوب الريح • وقوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض • قرا حمزة والكسائي خالق السموات والارض وهو نعت • وقرا الباقون خلق وهو فعل وهو ترجيح وحدانية الله تعالى والم تر بمعنى الم تعلم يا محمد ومعناه الاثبات اي قد علمت او الامر اي اعلم وهو تعليم غيره اذ الله خلق السموات والارض بالحق • قال مقاتل اي لم يخلقهما باطلا عبثا بل بالحق اي لامر كاين وهو البعث والجزا • وقال القشيري رحمه الله بالحق اي له ذلك بحق ملكه وخلقهما بقوله الحق فجعل كل جزء منها على وحدانيته دليلا ولمن اراد الوصول الى ربه سبيلا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال عامة اهل التاويل بالحق اي للحق اي للكاين اعمالا وهي الاخرة لان المقصود من خلق العالم الاول هو الخلق الثاني • وقال وقيل اي للحق الذي وجب عليهم بعضهم لبعض بالامتحان • وقيل بالحق اي بالحكمة • وقوله تعالى ان يشا يذهبكم اي يهلككم ويفنيكم ويات بخلق جديد اطوع له منكم وما ذلك على الله بعزيز اي غير ممتنع ذلك عليه وهو اذهابكم والاتيان بغيركم • وقيل وما ذلك على الله بعزيز اي شديد كما يشتد على ملوك الدنيا اذا ذهب اهل المملكة اذ لا زيادة في ملكه ولا نقصان من خلقه • وقوله تعالى وبرزوا لله جميعا ماض بمعنى المستقبل لانه من امور الاخرة وهي كاينة لا محالة فاخبر عنها كما يخبر عن الكاين الموجود المحقق فالبروز الخروج والظهور • وقال تعالى وترى الارض بارزة اي ظاهرة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الخلق اليوم كلهم بارزون لله تعالى وانما ذكر يوم القيامة لان الكفار لا يعتقدون ذلك ولا يقرون به ويوم القيامة يقرون بذلك ويعلمونه وهو كقوله لمن الملك اليوم • وقوله تعالى مالك يوم الدين • وقوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اي فيقول الاتباع للرؤسا وهم كل جبار عنيد انا كنا لكم تبعا اي اتباعا والتبع جمع تابع كالغيب جمع غايب والخدم جمع خادم والسلف جمع سالف والخلق جمع خالق • وقال الزجاج ويجوز ان يكون مصدرا وصف به فيستوي الواحد والجمع فيه • وقوله تعالى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شي • قال الامام ابو منصور رحمه الله قال فايلون اي دافعون عنا عذاب الله انا نعون لنا ولكن هذا بعيد ان تطلبوا منهم دفع العذاب فقدرا وهم في العذاب ولو قدروا على دفع العذاب عنهم لدفعوا اولا عن انفسهم الا ان يكون بهم حيرة وعمي والاشبه انهم يطلبون دفع بعض العذاب عنهم وحمله منهم وكان ذلك متعارفا في الدنيا ويدل عليه قوله فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار • وقوله تعالى قالوا لو هدانا الله لهديناكم • قال الامام ابو منصور رحمه الله عليه قال بعض اهل العلم ان الاتباع والمتبوعين من الكفار اعلم بالله من المعتزلة يقولون لو هدانا الله لهديناكم ولذلك ابليس اعلم بالله منهم يقول رب بما اغويتني وهم يقولون لا يغوي الله احدا ومعنى هذه الاية لو وفقنا الله للايمان فاهتدينا في دار الدنيا لهديناكم اي بينا لكم طريق الهدى وقيل اي لو هدانا الله الى طريق التخلص من العذاب لهديناكم اليه • وقوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص الجزع انزعاج النفس لورود ما يغم وهو نقيض الصبر • وقال الشاعر •

فان تصبرا فالصبر خير مغبة • وان تجزعا فالامر ما تريان •

اي يقولون لا حيلة لنا فيما وقعنا فيه وسواء علينا اجزعنا ام صبرنا لا يخفف عنا العذاب بالصبر ولا يرق لنا بالجزع • وقال مقاتل يقولون ذلك في النار فيقولون اولا تعالوا نجزع لعلنا نرحم فيجزعون خمسماية سنة فلا ينفعهم الجزع ثم يقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسماية سنة فلا ينفعهم الصبر فيقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ويحتمل انهم يقولون ذلك حين يقال لهم اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم • وقوله تعالى ما لنا من محيص اي منجاة • وقيل مخلص • وقيل من نجاة • وقيل من فرار • وقيل من رواغ والمحيص في اللغة المحيد يقال حاص يحيص حيصا ومحيصا وحيوصا وحيصانا اي حاد لما قالوا في الدنيا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين قيل لهم في النار سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون وهم قوم صفتهم سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وسواء عليهم ادعوتموهم ام انتم صامتون • وقوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر اي ولما قال الضعفاء للذين استكبروا ما ذكرنا واجابوهم اوليك بما حكينا اجتمعوا كلهم على ملامة ابليس فهو الذي زين لهم الكفر فيقول لهم ابليس هذا • وقوله تعالى لما قضي الامر اي فرغ من سوق اهل النار الى النار وسوق اهل الجنة الى الجنة واستقر كل فريق في منزله والشيطان مشرف عليهم في النار بحيث يرونه ويسمعون كلامه • وقال مقاتل يوضع له منبر في النار من نار فيقوم عليه ويجتمع عليه الكفار بالملامة فيقول لهم ان الله وعدكم وعد الحق يعني كون هذا اليوم كما ترون فصدقكم وعده ووعدتكم انه غير كاين فاخلفتكم وعدي • وقيل وعد الحق اي الصدق وتقديره وعدا صدقا فالاضافة اليه بمعنى نعته كقولك حق اليقين وهو وعد الثواب على الايمان والطاعة ووعدتكم على الشرك والكفر الصاب والمعونة فاخلفتكم وهو قوله لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وكل مواعيده اماني وغرور قال تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما كان لي عليكم من سلطان اي ملك اقهركم به على ما دعوتكم اليه وقيل اي حجة بل الحجج كانت للانبيا الا ان دعوتكم فاستجبتم لي استثنا منقطع اي لكن دعوتكم بما اوردته على قلوبكم من الوساوس فقبلتم ذلك مني واعتقدتموه فلا تلوموني ولوموا انفسكم على استجابتكم لي ولوم النفس على الاساة امر صحيح كما يصح حمدها على الاحسان • قال الشاعر • تبيت اذ عينه عليها عشاوة • فلا انجلت نفطمت نفسي لومها •

وقوله تعالى فلا تلوموني ولوموا انفسكم ليس انه لا يستحق اللوم لكن لو همكم انفسكم باجابتكم لي طوعا ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم ينجيكم مما انتم فيه بالك اغاثتكم وما انتم بمصرخي • قرا حمزة بكسر اليا والباقون بالفتح والمصرخ المغيث والصارخ المستغيث • وقوله تعالى وهم يصطرخون فيها اي يستغيثون بالصياح والصراخ والصريخ اسم المصرخ والمستصرخ جميعا • وقال تعالى فلا صريخ لهم اي لا مغيث والصارخ الذي له صياحة • وقوله تعالى اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي في العبادة مع الله في الدنيا وهو التبري من ذلك • قال تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اي يتبرا ثم هذا يحتمل وجهين الاخبار عنه ذلك انه كان يتبرا منه ذلك في الدنيا والثاني انه يتبرا من ذلك يوم القيامة ان الظالمين لهم عذاب اليم • وقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ذكر حال المومنين في نيلهم الجنة بعد ذكر الكافرين ووقوعهم في النار تحيتهم فيها سلام • قيل اي يحيي بعضهم بعضا به وهو السلامة من كل خوف وحزن • وقال الضحاك هو سلام الملائكة عليهم • وقيل هو سلام الله تعالى • قال تعالى سلام قولا من رب رحيم • وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام • وقيل يوم يحييهم الملك وقوم تحييهم الملايكة • وقوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا اي الم تعلم كيف بين الله مثلا • وقوله تعالى كلمة تدل عنه وترجمة له طيبة كشجرة طيبة هذا مثل كلمة التوحيد كشجرة طيبة اي زاكية مستطابة الثمر اصلها ثابت اي اصلها ثابت في الارض ليشرب من الارض بعروقه وفرعها في السما اي نسقيها السما من فوقها بمطرها فهي تنمو بذلك وتطول فروعها حتى تكون في نهاية طول الاشجار تؤتي اكلها كل حين باذن ربها اي تثمر كل حين باذن الله اي بايجاد الله ذلك والاكل ما يوكل منها فهذا مثل كلمة الايمان وهي طيبة في لفظها جنتها المتكلم بها لانها حمد وتنزيه الخالق البارئ المصور الواحد الموصوف بالصفات الحسنى وشهادة له بالحق وهي كينة فيما تثمر لانها تثمر في الدنيا الثنا الحسن والمودة في صدور الاخيار والاسما الجميلة وتثمر ايضا في الدنيا التوفيق الخصوص من الله للطاعات وانشراح الصدر للحق والعمل به وتثمر في الاخرة رضوان الله عليهم والنعيم المقيم في جوار الانبيا والصديقين والشهدا والصالحين وهي ثابتة الاصل في الارض ليس معتقدها مذبذبة ولا هو من دينه في لبس ولا هي ماخوذة تقليدا من غيره بل برهان تصاحبها من الاستماع لها واصابة الحق منها على بصيرة وبينة ثم فرعها في السما لان عمل صاحبها متقبل مرفوع الى الله تنتهي به عليه الملايكة ويذكره الله تعالى بها في الملا الاعلا وهي تؤتي اكلها كل حين لان شهادة المومن لله تعالى بالوحدانية وثنايه عليه وتحميده له وشكره له على النعم السابغة والالا نعمة لا ينقطع في الاوقات بل هي منه على ذكر اما بلسانه واما بقلبه وكذلك اعماله الصالحة متصلة وتتابع في الاحايين كلها وهذا تمثيل في غاية الحسن والصدق • وقوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون اي وانما يضرب الله الامثال للناس ليتذكروا بها لان الناس اشباه الاشيا الغايبة بالاشيا الحاضرة فاذا كانت الاشيا الحاضرة المضروب بها الامثال بينة مفهومة اعرفوا بها كالهدى الذي هو في معنى الشي الغايب لانه يدرك بالدليل والضلال الذي هو كذلك اذا ضرب المثل للهدى بالنور قرب من القلب كقرب النور منه واذا ضرب مثل الضلال بالظلمة ابعده من القلب كبعد الظلمة منه ثم الشجرة الطيبة قيل هي النخلة • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوما اخبروني عن شجرة مثلها مثل المومن • قال ابن عمر فوقع الناس في شجر البوادي ووقع عندي انها النخلة فاردت ان اقول هي النخلة فنظرت فاذا في القوم ابو بكر وعمر فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فذكرت ما وقع في قلبي لعمر فقال لو كنت قلته كان احب الي من الدنيا وما فيها او كلاما هذا معناه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي شجرة في الجنة • وقوله تعالى كل حين • قال مجاهد وابن زيد هما السنة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وسعيد بن جبير والحسن ستة اشهر من وقت الطلوع الى وقت الصرام • وقال ابن عباس في رواية غدوة وعشية • وقيل اكل النخل الطلع والبسر والرطب والتمر وهو دايم لا ينقطع على هذه الصفة وهذه حالة المومن لا يخلو وقتا من الاوقات من خير • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله خير ان اصابه خير حمد الله وان اصابه ما يكره صبر فكان امره كله خيرا • وقيل كلمة طيبة هي القران وكلمة خبيثة هي الكتب التي احدثها الناس شبه القران بالشجرة الطيبة التي هي تثمر والشجرة الطيبة هي باقية الى اخر الدهر ينتفع بها الناس بجميع انواع المنافع لا يقطعونها فهي تدوم وتبقى فكذلك القران ينتفع به الناس وهو دايم ابدا اصلها ثابت لا فزار وهو ثابت بالحجج والبراهين والكتب المحدثة باطلة لا حجة فيها ولا برهان كالشجرة الخبيثة التي هي غير مثمرة ليس لها قرار ولا ثبات • وقال القشيري شبه الله تعالى معرفة المومن بشجرة طيبة اصل تلك الشجرة ثابت في ارض زاكية وفروعها باسقة عالية وثمرات تلك الشجرة دانية تؤتي اكلها كل حين وينتفع بها اهلها كل وقت فالايمان كذلك اصله المعرفة الصحيحة بالادلة والبراهين وفروعها الاعمال الصالحة التي هي اداء الفرايض ومجانبة المعاصي في الايمان كصيانة الشجرة مما يضرها من قشر وقطع عرق وامتلاء غصن وما يجري مجراه وانوار تلك الشجرة قيامه باداب العبودية وازهار تلك الشجرة اخلاقه الجميلة وثمار تلك الشجرة حلاوة الطاعة ولذاذة الخدمة ثم الثمار تختلف في الطعم والطبع والرايحة والصورة كذلك ثمرات الطاعات وهي المعاني التي يجدها العبد في قلبه وهي مختلفة من حلاوة يجدها في الطاعة وهي صفة العابدين وبسط يجده في وقته وهو صفة العارفين

ولوعة في ضميري وهي صفة المريدين والنس تاله في سره وهو صفة المحبين وكلى واهتياج يجده ولا يعرف سببه والمحبة سبيلا
الى سكونه وهو صفة المشتاقين الى ما لا يعرف شرحه نطق ولا يستوفيه بيان وذكر من لوايح ولوايح ولوامع وطوالع وسوارق
وطوارق ثم هذه الشجرة تزيد بالعناية وتروى بالكفاية وتثمر بالرعاية [illegible]
هذه الشجرة الندم والحيا والتلهف والحرقة والانابة والخشوع والانس والدموع ثم ثمرات الاشجار [illegible]
هذه الشجرة في كل لحظة كذا كذا فهي كثمرات الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقلوب اهل الحقائق عنها [illegible]
محجوبة • وقال ابو بكر الوراق المعرفة شجرة في المؤمن اساسها غصون تنتهي الى قلبه وثمرته [illegible]
ينتهي الى لسانه وثمرته صدق المقالات وغصن ينتهي الى عينه وثمرته الغض عن المحرمات والنظر للعبرة في الكائنات
وغصن ينتهي الى رجله وثمرته المشي الى الجماعات • وغصن ينتهي الى يده وثمرته اعطا الصدقات • وغصن ينتهي الى [illegible]
والبطن وثمرته اكل الحلال وترك الحرام وترك الشبهات • وغصن ينتهي الى النفس وثمرته ترك الشهوات • وقال [illegible]
عبد الله لها اربعة اغصان احدها ينتهي الى قصر الامل والثاني الى الاخلاص في العمل والثالث الى [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الكلمة الخبيثة الكفر كشجرة خبيثة غير زاكية كما قال والذي خبث لا يخرج الا
نكدا وخبيثة ايضا [illegible] اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار [illegible]
[illegible]
بذلك انفسهم وهذا الوعيد لهم ما داموا مختارين لذلك فاذا تركوا الظلم ورجعوا الى الحق يتوب عليهم الله سبحانه
ويفعل الله ما يشا يتوب على الظالم ان شا فيغفر له ويهديه ويغفر له ان شا ايمانا ان لجميع ولم يومنوا فلم يقدر
ان يفعل ذلك • وقوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا • قال الحسن يعني ابا جهل واصحابه الذين بدلوا
نعمة الله عليهم بمحمد وبالايمان فكفروا به وكذبوه فاحلوا قومهم دار البوار اي دار الهلاك جهنم هو بدل عنها
وترجمة لها فاخرجوهم الى قتال محمد يوم بدر فقتلهم الله فدخلوا النار فالنعمة هي محمد صلى الله عليه وسلم في هذه
الاية وكذلك في قوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها • وقيل دار البوار هي بدر اهلكوا بها • وقوله تعالى جهنم
يصلونها جهنم تكون منصوبا لقوله يصلونها وهو كلام غير الاول • وقيل النعمة هي جميع ما انعم الله تعالى عليهم
كفروها فاستحقوا بها العقاب • وقوله تعالى يصلونها اي يدخلونها جهنم وبيس القرار اي بيس المستقر جهنم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما الناس بدلوا نعمة الله [illegible] قريش • وقال علي رضي الله عنه هم بنو المغيرة وبنو
امية اما بنو المغيرة فاستاصلوا يوم بدر واما بنو امية فتمتعوا الى حين • وقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اي

اشكالا واشباها من الاصنام سموها اللات والعزى كما ان من اسما الرب جل جلاله الله والعزيز ليضلوا عن سبيله اي ليضلوا بذلك
عن سبيل طاعة الله غيرهم كما ضلوا بانفسهم قل تمتعوا اي قل لهم يا محمد تمتعوا في الدنيا ما شيتم فان مصيركم الى النار اي مرجعكم
وعاقبة امركم الى جهنم ويجوز ان يكون تمتعوا دليلا على قلة تمكنهم في الدنيا فان المتاع اسم لذلك • قال تعالى قل تمتع بكفرك
قليلا وان اجرى على املايه وطول زمانه فقد قال افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون • وقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة اي قل لهم اقيموا الصلاة فيقيموا الصلاة مجزوم
بالجواب للامر المحذوف الذي دل عليه قل • وقيل هو بمعنى امر باضمار اللام فيه اي ليقيموا الصلاة وجاز ذلك
لدلالة ظاهر الكلام عليه ويجوز مثله في الكلام قل له اضرب زيدا وهذا امر للمؤمنين بان يخالفوا الذين بدلوا نعمة
الله كفرا اي قل يا محمد للذين حققوا عبوديتهم لي بالايمان بي ومخالفة الذين اشركوا بي غيري اقيموا الصلاة
بابدانكم وانفقوا في اقامة ديني ومواساة عبيدي اموالكم • وقوله تعالى وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
فعل المخلصين دون المرايين الذين ينفقون في العلانية مراة للناس لا غير • وقوله تعالى من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلال وهو يوم القيامة لا يجزى فيه تبايع الناس فيشتري نفسه من العذاب بمال يعطيه ولا مصافاة
تشفع خليل لخليله فيخلصه • قال تعالى لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة • وقال
الامام القشيري رحمه الله عليه امرنا بالصلاة التي فيها المناجاة وبانفاق ما رزقه وهو انفاق اللسان على
ذكره والبدن على طاعته والوقت على شكره والقلب على عرفانه والروح على حبه والسر على مشاهدته ولا يكلف
الله نفسا الا وسعها انما نطالبك بان تحضر الباب وتقف على البساط فيقول العبد المسكين لو كان لي نفس اطوع من
هذه لاتيت بها ولو كان لي قلب اوفي من هذا لاحضرته ولذلك الروح والسر • قال القايل شعر •

يفديك بالروح صب لو يكون له • اعز من روحه شي فداك به •

وقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وفي هذه الاية تعداد النعم ويتصل بقوله بدلوا نعمة الله كفرا •
وقوله تعالى انزل من السما ما هو المطر فاخرج به من الثمرات من فواكه الاشجار وزروع الارض رزقا لكم اي قوتا لكم
وقوله تعالى وسخر لكم الفلك اي ذلل لكم السفن والفلك اسم للواحد والجمع ويذكر ويونث لتجري في البحر
بامره اي بتسخيره وتكوينه كقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان يكون تكوينا • وقوله تعالى وسخر لكم الانهار جمع نهر
وقوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دايبين اي متصلين السير كما نهاية ابدا اي يجتهدان في ذلك ليلا عن جارا امر
الله • قال ابن عباس رضي الله عنهما دوبهما في طاعة الله تعالى انهما سخرا على صون من امر شي فاداب نفسه في طاعة
امره • وقوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لصالحكم • وقوله عز وجل واتاكم من كل ما سالتموه قراة
العامة بغير تنوين على الاضافة وقرا المنذر بن سلام من قرا البصرة والحسن والضحاك من كل بالتنوين فالاولى
اعطيكم من كل شي سالتموه وهو للتكثير لا للاستغراق الجنس كما تقال اشتريت في السوق كل شي • وقوله تعالى تدمر
كل شي بامر ربها واوتيت من كل شي وفتحنا عليهم ابواب كل شي وهو جواب من سال لان كل انسان لم يعط كل شي والانه
نال من كل ما سالتموه وهو للتبعيض ومعنى قراة التنوين من كل شي ما سالتموه ما ان يجعل بمعنى الذي فهو كالاول
وان يجعل للنفي فمعناه من كل شي لم تسالوه اي اعطاكم ما سالتموه وما لم تسالوه كالشمس والقمر والليل والنهار
وما عدى هذه وكذا من المصالح ما يخفى على العبد سواله فالله يعطيه من غير ان يسال سواله • وقوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها • قيل اي لا تطيقوا شكرها كما قال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا اي لن تطيقوا
وقيل اي لا تستوعبوها كما قال لو احصاها دخل الجنة فاقل الناس نعمة لو تكلف عد ما انعم الله عليه نعما وقدما
لم يمكنه ايقاع عدده وبلوغ حده • وقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار لظلوم لنفسه في معصيته كفار لربه في نعمته
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع • وقوله تعالى واذ قال ابرهيم اي اذكر يا محمد ابرهيم
اذ لم يستعجل العذاب لمن كذبه واذاه فكذلك فافعل بامر من حضرك واتبع في ذلك اباك • وقوله تعالى ومن عصاني
فانك غفور رحيم وقدم على ذلك واخر عنه دعوات فيما قدم قوله تعالى رب اجعل هذا البلد امنا اي اخرج للناس
ان يكون هذا البلد وهو مكة امنا اي ضامنا • وقيل ما مونا فيه • وقيل ذا امن وهو كقولهم ليل نايم ونهار صايم
وكقول الله والنهار مبصرا • وقوله تعالى واجنبني وبني اي بعدني واولادي وقد جنبته من دخل وجنبته تجنيبا
للمبالغة واجتنب وتجنب لازم وحقيقته اجعلني في جانب كما يقال جنبتها اي اجعلني في جانب اي في ناحية
ان نعبد الاصنام ان مع الفعل مصدر اي عبادة الاصنام وهذا لتعليم الامة ولان العصمة لا تزيل المحنة
فيجوز فيه الدعوة كما مر في قوله تعالى توفني مسلما رب انهن اضللن كثيرا من الناس اي حصل بهن كثير من الناس
اضاف الاضلال اليهن بطريق التسبب اي الى الاصنام كما في قوله تعالى حتى انسوكم ذكري • قال القشيري رحمه
الله كان ابرهيم عليه السلام بين شهود فضل ربه وشهود فقر نفسه فلنظره الى فضل ربه قال واخفظ اي في [illegible]
الى فقر نفسه قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال قيل شاهد عز الله واستثناه فقال واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام بفضله ورحمته ولطفه فقال واعترافا الى انه كان من الضالين • وقوله تعالى فمن تبعني فانه مني

أي من كان على ديني في توحيدك فانه مني أو على أو من جملة أصحابي كما قال في قصة طالوت ومن لم يطعمه فانه مني • وقوله تعالى ومن عصاني فانك غفور رحيم تستر عليه ذنبه رحيم ترحمه فتتوب عليه • وقيل أي تمهله ولا تعاجله بالعذاب فهو كقوله يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فالمغفرة في هذه الآية على ستر ذنوبهم وامهالهم • وقال ومن عصاني ولم يقل عصاك وان كان من عصاه فقد عصى الله مراعاة للأدب في الخطاب

وقوله تعالى ربنا اني أسكنت من ذريتي أي بعضهم في وادي وهو اسماعيل مع امه هاجر فاسكنتهما أي جعلتهما ساكنا بواد غير ذي زرع هو وادي مكة وهو الابطح والوادي سفح الجبل وغير ذي زرع أي لا ماء فيه فتزرع الارض عليه عند بيتك المحرم وهو الكعبة والاضافة الى الله تعالى للتشريف والتحريم ثم اثبات حرمته وحرمة ما يحل من غيره فيه • وقال القشيري رحمه الله في قوله تعالى بواد غير ذي زرع هو اخبار عن صدق توكله وصدق تفويضه • وقوله تعالى عند بيتك المحرم هو بيان اندراج الرفق لهم في الجوار لا في المنازل قيل هذا كان بعد بنائه البيت • وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله أبان له موضع البيت فصحت اشارته اليه • وقوله تعالى ربنا ليقيموا الصلاة أي أسكنتهم به ليعبدوك ويقيموا الصلاة لك مخلصين غير مشركين • وقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم • قال ابن عباس تنزع اليهم وقال الضحاك تشتاق اليهم والهوى لغة هو الانحطاط بسرعة يقول حبب هذا البيت الى عبادك ليأتوه فيحجوه وقال مجاهد قال افئدة من الناس تهوي اليهم ولو قال افئدة الناس لازدحمت الروم والترك والهند • وقوله تعالى وارزقهم من الثمرات أي التي تكون في بلاد الناس فتجبى اليه الثمرات من النواحي فيوجد به ما يوجد بها لعلهم يشكرون ليشكروا لك • وقيل لعل ها هنا للترجي أي ارجوا انهم اذا استغنوا بهذه النعم فيه سكنوه واستوطنوه واقاموا مناسكك فيه شكرا لك على نعمك فاستجاب الله دعاءه بثمرات الطايف • وقال القشيري رحمه الله يقول اسكنتهم هذا الوادي ولا استغلق من الاعيان لقلوبهم ولا التفات لافكارهم واسرارهم فهم مطرحون ببابك متمنون بحضرتك جارين فيهم حكمك ان راعيتهم كفيتهم وكانوا اعز خلقك وان اقصيتهم ونفيتهم كانوا اذل خلقك • وقوله تعالى ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن أي لا يخفى عليك قولي ولا ادني في ارادة الخير بعبادك عموما وبذريتي خصوصا العلي بسعة رحمتك واراد ذلك الخير بمن آمن بك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل ما نخفي وما نعلن من الوجد باسماعيل وامه وغربتهما وكونهما بواد غير ذي زرع • وقوله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء يجوز ان يكون هذا من كلام ابرهيم ويكون انتقالا من المخاطبة الى المغايبة وهو اسلوب من اساليب البلاغة ويجوز ان يكون هذا كلاما معترضا من كلام ابرهيم وهو كلام الله تعالى أي صدق ابرهيم فيما قال لا يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء أي علم الله قصده بهذا الدعاء واستجاب له في البيت وذريته • وقوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق أي الشكر لله على ان وهب لي هذين الولدين على كبر سني وكبر سن امرأتي كما قالت سارة أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا • قال ابن عباس رضي الله عنهما ولد اسمعيل لابرهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة • وقال سعيد بن جبير وهو ابن سبع عشرة سنة ومائة سنة • وقال مقاتل ولد اسمعيل لابرهيم وهو ابن اربع وستين سنة وولد له اسحاق وهو ابن سبعين سنة • وقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء أي قد سمع دعائي رب هب لي من الصالحين • وقيل انه اراد به سمع دعائي في حق البيت وفي حق ذريتي • وقوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي أي وفقني وأولادي لاداء الصلاة واقامتها على شرائطها في اوقاتها ربنا وتقبل دعاء أي عبادتي قال الله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين أي فاعبدوه ويحتمل انه عدد نعماه لذريته وللمؤمنين عملا صالحا يثاب عليه فسال بقوله • وقوله تعالى ربنا اغفر لي ولوالدي • قال الامام ابو منصور رحمه الله قال الحسن كانت امه مسلمة بدليل قوله واغفر لابي انه كان من الضالين ولم يصف الام بالضلال • قال ابو منصور ولسنا نعلم ذلك وسؤال المغفرة للاب الضال وللام ان كانت ضالة هو سؤال الهداية المغفرة وهو الاسلام وقد شرحنا ما تم من هذا في آخر سورة براءة • وقيل اراد به آدم وحوى • وقوله تعالى وللمؤمنين دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين ايضا ويدخل فيه الامة فهو دعا لنا ونحن ندعوا له بالصلاة بامر الله به اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الآخرين • وقوله تعالى ويوم يقوم الحساب أي يجيء وقت الحساب كما يقال قامت الصلاة وقامت الحرب • وقيل هو عبارة عن العدل في الحساب يقال قام هذا الحساب أي اعتدل فيه • وقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون يخاطب نبيه به تسلية له واخبارا ان ابرهيم لم يستعجل ليصبر هو كما صبر ابرهيم وبيانا للمشركين ان ابرهيم لم يكن راضيا بفعلهم بهذا القول وان تأخر العذاب عن الكفار في الدنيا الشديدة عليهم في العقبى • وقال القشيري رحمه الله الظلم على وجوه ظلم على النفس بوضع المعصية مكان الطاعة • وظلم على القلب بتمكين الخواطر الردية منه واخطار الغير بالبال • وظلم على الروح بمحبة المخلوقين • وقوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار أي تأخير عذابهم ليس لخفاء حالهم على الله تعالى بل يؤخرهم ليوم القيامة الذي ترتفع فيه ابصارهم ارتفاعا لا تزول لما توعدوا به ولانفتاح ابواب السماء وتنزل الملائكة مهطعين أي مسرعين على خوف لما انهم مساقون الى النار مقنعي رؤسهم أي رافعيها حتى لا يبصروا مواضع اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم أي لا تغمض عيونهم ووحد الطرف لانه في الاصل مصدر طرف بصره يطرف طرفا

وتحير بين الاضطراب والاقناع على معنى انهم يكونون مسرعين الى الداعي اذا دعاهم والى ان يدعوهم يكونون مقنعي رؤسهم • وقوله تعالى وافئدتهم هواء • قيل هي خالية لا تعي شيئا ولا تعقل من الخوف • وقيل خوف لا عقول لها • وقيل نزعت افئدتهم من اماكنهم الى حلوقهم قاله مقاتل ومجاهد والضحاك • وقال الحسن أي خالية كهواء ما بين السماء والارض • وقيل افئدتهم خالية من كل سرور وكل خير لما يعاينوه من الاهوال ويتوقعوه من الاحوال كقوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا • وقوله تعالى وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب المعد للظالمين فيسألون الرجعة فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب أي ردنا الى الدنيا وامهلنا مدة قدر عمرنا الذي كان لنا في الدنيا نجب دعوتك جواب قولهم اخرنا وجزم لذلك ونتبع الرسل أي رسلك • وقوله تعالى أولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال اضمر ما صنعتم في الحشر وبيان ذلك ان الدلالة الحال عليه أي قد كنتم في الدنيا تحلفون انه ما لكم من انتقال عنها الى دار الجزاء انما هو ان تموتوا فتصيروا ترابا لا بعث لكم ولا حساب عليكم • وقيل ما لكم من زوال من هذه الحالة ورجوع الى الدنيا وقد تم الكلام الاول أولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وهذا ذكر من قولهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • وقوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم قيل هو متصل بهذا الخطاب في القيامة وسكنتم بلاد من كان قبلكم من الامم المكذبة لانبيائها وتبين لكم كيف فعلنا بهم أي مع عندكم بظهور الآثار وتواتر الاخبار كيف اهلكناهم فلم تعتبروا بهم وضربنا لكم الامثال أي وصفنا لكم الغير فلم تعتبروا بهم وقد مكروا مكرهم أي احتالوا لاحتيالهم • وقيل وسكنتم خطاب مشركي مكة ولا تنفصل من الاول وقوله تعالى وقد مكروا أي وقد مكروا بك يا محمد اهل مكة مكرهم أي مكروا وتلك الامم قبلهم بانبيائهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول أي علم ذلك عند الله وهو محفوظ عليهم • وقيل ذلك عند الله جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قرأ الكسائي بفتح اللام الاولى ورفع اللام الثانية وله وجهان وقد كان مكرهم تزول الجبال وربما كان مكرهم لا تزول منه الجبال وقد مر شرحه في قوله تعالى وان كنتم من قبله لمن الضالين على الطرفين وهو تعظيم لمكرهم أي كاد من شدته وعظمته يكون كذلك وهو كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لكنه يبعد ولم يضر الاسلام واهله بنصر الله تعالى فيكون معنى الكلام وان كان مكرهم يكون بحيث تزول منه الجبال كما قال وبلغت القلوب الحناجر أي كادت وهكذا عامة ما يطلق من الالفاظ في تكثير الشيء وتفخيمه بما يحيط العلم بان مثله لا يكون وانما هو على معنى كاد يكون لو جاز كونه • وقد قرأ عمر وعلي وابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهم وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال بالدال • وقرأ عامة القراء لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى ونصب الثانية وهو للنفي أي وما كان مكرهم مكرا عظيما يبعد ويزول منه الجبال كما نوا اذا احتقروا الشيء وصغروه بمثله • قال الشاعر •

لما اتى خبر الزبير تضعضعت • سور المدينة والجبال الخشع •

وقيل الجبال مثل الاسلام وآيات القرآن في ثباتها وثبوتها تقول لم يؤثر مكرهم في توهين شيء من ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل في نزولها ان نمرود بن كنعان كان اول من ملك الارض كلها فحمله تجبره على ان قال ان كان ما يقوله ابرهيم حقا ان في السموات الها فلا استقر حتى اعلم صدق ما يقوله فاتخذ تابوتا وعمد الى اربعة من النسور فعلق كل جانب من التابوت نسرا منها واقعد في التابوت رجلين وجعل له بابين من اعلى ومن اسفل وجعل على جوانب التابوت من فوق لحما شديد الحمرة وجياع النسور ثم خلى عن النسور فاخذن طمعا في اللحم حتى ابعدن في الهواء فقال احد الرجلين للآخر افتح الباب الاعلى فانظر هل ازددنا من السماء قربا ففتح ونظر وقال انها كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل ففتح فقال انظر الى الارض كيف تراها قال اراها كالجنة البيضاء ثم اغلق الباب وارتفعت النسور حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح الباب الاعلى فانظر ففتح وقال ان السماء كهيئتها ثم فتح الباب الاسفل وقال ان الارض سوداء مظلمة فقال لصاحبه نكس اللحم فنكسه على قوائم التابوت متدليا فتصوبت النسور طمعا في اللحم حتى قربت من الجبال فسمعت الجبال هفيف التابوت والنسور ففزعت انه قد حدث فيما حدث من السماء فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال • وقوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يتصل بقوله وعند الله مكرهم وهو وعيد الكفار ووعيد الرسل يقول فلا تظن يا محمد ان الله مخلف رسله ما وعدهم من النصر والعلو في الدنيا والانتقام لهم من اعدائهم في العقبى والاخلاف مصدر تطلب فعله اثنين والمتكلم في مثله يضعه الى ايهما احب وتنصب الآخر يقول الرجل انا اعطي المال زيدا ومعطي زيدا المال • وقوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام أي منيع لا يغالب ذو انتقام من اعدائه لاوليائه • وقوله تعالى يوم تبدل الارض أي ينتقم يوم تبدل الارض • وقيل لا يخلف وعده رسله يوم تبدل الارض • وقيل احذروا يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال الحسن هي هذه الارض وهذه السموات وتبديل الارض تسوية جبالها واخاديدها واكامها واشجارها وتمديد الاديم وتبديل السماء تكوير شمسها وتناثر نجومها قال وهذا من كلام العرب لمن تراه تغير عن حاله قد تبدلت بعدي وهو هو بعينه • قال ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تبدل اوصافها ثم انشد •

فما الناس بالناس الذين عهدتهم • ولا الدار بالدار التي كنت اعرف •

وقال علي رضي الله عنه تجعل ارضا من فضة والسموات من ذهب • وكذا قال الضحاك • وقال عكرمة ومحمد بن كعب

هي كرامة النبي وقيل ارض بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها بالمعاصي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل هذا وجهين تبديل اعطاء وتبديل عينها واضمار الاهل اجابر كما في قوله واسأل القرية فتبديل اهلها ان يكونوا كلهم مستسلمين خاضعين في ذلك اليوم ولم يكونوا كذلك • والثاني ان الاولياء يكونون في النعيم المقيم والاعداء في العذاب الاليم وتبديل عينها بما قال ابن عباس الارض تبدل والثاني تغييرها وصفاتها وهي على الاحوال وان ارض الجنة مسك وزعفران وارض جهنم نار وزمهرير • وقوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار اي خرجوا من قبورهم لمحاسبة الله الواحد الذي لا اله غيره القهار الذي لا يعترض عليه فيما يريده • وقوله تعالى وترى المجرمين يومئذ اي هؤلاء الظالمين المشركين مقرنين قرنت ايديهم بالغل الى اعناقهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما قرنوا بالشياطين في الاغلال والسلاسل • قال عطاء في قوله واذا النفوس زوجت قال قرنت نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين • وقوله تعالى في الاصفاد اي في القيود والواحد صفد وقيل هو الغل وقيل هو السلسلة • وقوله تعالى سرابيلهم اي قمصهم جمع سربال من قطران هو ما يهنأ به الابل الجربى اي يطلون به فيصير كاللباس لهم • وقرأ عكرمة من قطر آن بكسر القاف وتنوين الراء ومد الالف وهما كلمتان اي من نحاس وصفر مذاب وآن اي انتهى حره كما قال وبين حميم آن وتغشى وجوههم النار اي تعلوها لان القطران عليها فيلتهب النار في كل ابدانهم والقطران اسرع الاشياء للنار ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي يفعل الله ذلك بهم جزاء لهم على فعلهم لا ظلما عليهم ان الله سريع الحساب لا يشغله فيه تأمل وتتبع هذا بلاغ اي هذا القرآن كفاية للناس في كل ما يحتاجون اليه في امر دينهم ودنياهم ولينذروا به جعلناه بلاغا وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له وليذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به اولو العقول الخالصة • وقال القشيري الحجج ظاهرة والاشارات لائحة والداعي مسمع والمهلة متسعة والرسول مبلغ والتمكن من القيام بحق التكليف مساعد ولكن القسمة والتوفيق عزيز والرب سبحانه وتعالى فعال لما يريد والحمد لله رب العالمين

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل في السماء بروجا وزينها للناظرين • الرحمن الذي جعل الجنة للمتقين يدخلونها بسلام آمنين الرحيم الذي امر رسوله بخفض جناحه للمؤمنين • روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار • والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذه السورة مكية وهي تسع وتسعون اية وستمائة واربع وخمسون كلمة والفان وثمانمائة وستة عشر حرفا • والانتظام اول هذه السورة بآخر سورة ابراهيم انهما جميعا في صفة القرآن • والانتظام السورتين جملة ان سورة ابراهيم في بيان وحدانية الله تعالى ودعوة الانبياء اليها وتكذيب الكفار اياهم وتوكل الانبياء على الله تعالى ونجاتهم وهلاك مكذبيهم وبيان مثل اعمالهم وبيان مثل توحيد المؤمنين ومثل كفر الكافرين ثم تقسيم من كفر فقيل لهم تمتعوا فان مصيركم الى النار ومن آمن قيل لهم قل لعبادي الذين آمنوا وختم السورة بان القرآن بلاغ وتنبيه وانذار وتذكرة وافتتاح هذه السورة بان من لم يتذكر في الاخرة يتحسر ويود ان لو كان آمن وما كفر ثم بيان تكذيب الاولين واستهزائهم ثم بيان خلق آدم وانقسام اولاده الى من تبع الشياطين ومن تبع الرحمن وبيان نجاة هؤلاء وجزاء هؤلاء وتحقيق هذين المعنيين الى ختم السورة • وقوله تعالى الر مرت الاقاويل فيه تلك آيات الكتاب وقرآن مبين اي تلك الآيات المنزلة قبل هذه السورة او جعل تلك اشارة الى الغائب وهذه الآيات التي في هذه السورة ان كان تلك اشارة الى الحاضر فالمعنى يصلح لهما آيات القرآن • وقوله تعالى الكتاب والقرآن هما واحد وسمي باسمين لاختلاف المعنيين فهو كتاب لانه يكتب ليكون مدونا مجلدا وقرآن لانه جمع فيه ما بنا اليه حاجة اليوم وغدا • وقوله تعالى المبين • قال القشيري رحمه الله يبين للمؤمنين ما تسكن قلوبهم وللمريدين ما يقوي رجاءهم • وللمحبين ما يهيج اشتياقهم وللمشتاقين ما يثير لواعج اسرارهم • وقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين اي كثيرا ما يتمنى هؤلاء الكفار ان لو كانوا مسلمين منقادين لحكم هذا الكتاب وكلمة رب موضوعة للتكثير مما تخرج عنه وهي تدخل اسم النكرة واذا وليت الفعل دخلها ما ليصير مصدرا فتصيره داخلة في الاسم معنى وتقديره هذا رب وداد الذين كفروا وفي ربما قراءتان قرأ عاصم ونافع بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما لغتان قال الشاعر

ازهير ان يشب القذال فانني رب هيضل مرس •

لففت بهيضل وقيل هذا التمني يكون عند الموت عند نزول ملائكة العذاب • وقيل يكون عند البعث • وقيل يكون عند الحساب • وقيل يكون عند دخول النار • وقيل يكون فيها • وقيل يكون في كل الاحوال التي تخطر بالبال ظهور بطلان ما كانوا فيه من خلاف الاسلام • قال ابن عباس يعذب الله قوما ممن كان يعبده وقوما ممن كان يعبد غيره فيجمعهم في النار فيعير الكفار المؤمنين فيقولون ما اغنى عنكم توحيدكم وانتم معنا في النار فيأمر الله باخراجهم فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • وقال مقاتل بن حيان يجمع طائفة من اهل التوحيد وطائفة من الكفار في بعض دركات النار فيقول الكفار للمؤمنين اما نحن فعلوم كفرنا وشركنا وتكذيبنا ولذلك وقعنا في النار واما انتم فكنتم مؤمنين مصدقين فما احلكم النار قال فيغضب الله تعالى للمؤمنين فيقول

ومن لا يخرج منهم ثم يأمر الشفعاء حتى يشفعوا لهم • وقال القشيري اذا عرفوا عمن بقوا علموا كيف شقوا واي كأس سقوا • وقيل لو علموا عمن بقوا لرأوا انفسهم اهلا لما من العقوبة لقوا • وقيل اذا اصابت المعارف بضرورة احترقت اقوام بعقوبة وتقطعت قلوب آخرين حسرة • وقال الفراء والكسائي اصله للماضي ربما قال انفقته وقد تستعمل في المستقبل على معنى التقريب له كما ان اذ موضوعة للماضي ثم قد تستعمل في المنتظر تقريبا له كقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون الآية ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ولو ترى اذ وقفوا وذلك لان ما اوعد الله تعالى به فهو قريب ات لا محالة فجعل في معنى ما وجد • وقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل يتمتعوا بلذاتهم ويلههم يشغلهم وقد لهي يلهى من حد علم اي ذهل عن الشيء وشغل عنه والهاه غيره وهذا تهديد للكفار وتسلية للنبي عليه السلام تقول دعهم يا محمد يتقلبوا في الدنيا ويتمتعوا بها ويشغلهم طول الامل عن التفكر في القرآن فسوف يعلمون اذا نزل بهم عذاب الاخرة والتعب في الدنيا ان ما كانوا فيه من الاشتغال في الدنيا بالاستمتاع بها لم يكن شيئا وانه لا ينفع عند الله الا الايمان والعمل الصالح • وقوله تعالى يأكلوا جزم لانه جواب الامر وكذا ما بعده • وفي قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لم يجزم لانه حال لا جزاء وتقول العرب دع زيدا ينم ودع زيدا ينام فاذا كان خبرا ينام تقول دع زيدا ينم جوابا للامر واذا كان حالا تقول دع زيدا ينام اي تركه على حالة النوم • وقوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم يتصل بما قبله فسوف يعلمون اي العذاب نازل بهم لكن في وقته الذي جعلناه اجلا له وما اهلكنا اهل قرية الا ولها اجل معلوم اخرناها الى اجلها اذا كان في علمنا ايمان من يؤمن منهم او حدوث اولاد يخرجون من اصلابهم يؤمنون فاذا بلغ الكتاب اجله وجبت كلمة العذاب على الكافرين فلم يتأخر العذاب عنهم • وقوله تعالى ما تسبق من امة اجلها اي لا تتقدم امة ومن مؤكدة وما يستأخرون اي لا يتأخرون عن وقتها ووحد تسبق بالتاء لظاهر كلمة امة وجمع قوله وما يستأخرون بالواو والنون للمعنى • وقال القشيري الآجال معلومة والاحوال مقسومة والمشية في الكائنات ماضية ولا يخفى على الله خافية • وقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه اي قال هؤلاء المشركون يا ايها الذي نزل عليه القرآن على زعمه قالوا على وجه الاستهزاء به انك لمجنون يخيل اليك الشيطان فتظنه ملكا لو ما تأتينا بالملائكة اي هلا تأتينا بالملائكة رسلا من الله يخبروننا بصدق رسالتك وتنزيل الذكر عليك ان كنت من الصادقين في الدعوى • وقيل تزعم ان الملائكة يأتونك بالوحي فهلا ظهرت لنا اذا اتوك لننظر اليهم فنعرف صدقك ولوما ولولا واحد قال ابن مقبل •

لوما الحياء ولولا الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري •

اي لولا ولولا بمعنى هلا قال تعالى لولا انزل عليه ملك ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين • قرأ ابو عمرو واهل المدينة ما تنزل بنصب التاء ورفع الملائكة بمعنى تتنزل وحذفت احدى التاءين تخفيفا • وقرأ عاصم واهل الكوفة ننزل بنون ونصب الملائكة اخبارا من الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جمعا والملائكة نصب لانه مفعول وفي القراءة الاولى رفع لانه فاعل • وقوله تعالى الا بالحق اي العذاب الذي يحق على الجناة وما كانوا اذا منظرين اي اذا جاءهم العذاب لم يمهلوا • وقيل اي لا تنزل الملائكة الى الارض بشهوات العباد وسؤال الاقتراح انما تنزل بالحق اي وحيا الى الانبياء او لقبض الارواح او لامر من امرنا • وقيل الا بالحق اي بالموت الذي هو كائن لانهم لو رأوا الملائكة لماتوا اذ ليس في وسعهم رؤية الملائكة وهو قوله وما كانوا اذا منظرين وعلى هذا قوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر • وقيل الا بالحق اي بالحجج على الرسل وهؤلاء ليسوا رسلا ولا اهلا لذلك • وقيل اي لا تنزل الملائكة الا بالوحي الى الانبياء او تعذيب الكفار وهؤلاء ليسوا كذلك فليس وراءه الا نزول العذاب وذلك اذا حق القول به وليس بعده نظرة • وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن وانا له لحافظون تولى حفظه فلم يغير ولم يبدل ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واستحفظ اهل الكتاب التوراة والانجيل فحرفوا وبدلوا • وقيل انا له لحافظون باعجاز نظمه ومعانيه من ان يعارضه معارض بمثله • وقيل انا نزلنا الذكر على محمد وانا لمحمد لحافظون من التقول علينا وهما وصفتموه به من الجنون • وقيل لحافظون من ان يكاد ويغتال فيها الحال مراده • وقوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين والشيعة الفرقة المتتابعة وهي التي تتبع بعضها بعضا وشيعة • وقوله تعالى وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كما يستهزئ بك هؤلاء • وقوله كذلك نسلكه اي ندخل الاستهزاء والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي بالرسول او بالكتاب وسلك لازم ومتعدي وتقول اسلك يدك • وقال الامام ابو منصور اي مثل الذي سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الآيات والحجج والتصديق بها لما علمنا انهم يختارونه ذلك نسلك في قلوب المجرمين من تكذيب الآيات والحجج وردها لما علمنا منهم ذلك • وقوله تعالى وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب والمعاندة والاستهزاء والجهل وقد خلت سنتنا في الاولين بتخليص الانبياء والمؤمنين واهلاك المكذبين والمعاندين • وقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه الملائكة ينزلون ويعرجون اي يصعدون العروج والكون فيه كذلك بدون النزول وكان ذكره وكان حذفه اختصارا واكتفاء بظاهره اشارة • وقيل معناه ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فعرجوا فيه بانفسهم لم يؤمنوا بل لقالوا بضرب آخر من الباطل تعالوا انما سكرت ابصارنا اي سحرت ومنعت من النظر وسدت والسكر السد والتسكير للتكثير والتكرير • وقرأ ابن

كثير بالتخفيف على الاصل قال ابن عباس ومقاتل سكرت ابصارنا سدت• وقال الحسن سحرت• وقال قتادة اخرب• وقال الكلبي اغشيت• وقال ابو عمرو بن العلا غطيت• وقوله تعالى بل نحن قوم مسحورون اي سحرنا محمد وخيل الينا ان هولاء ملايكة وسحرنا بفتح باب السما بصف عبادتهم• وقوله تعالى ولقد جعلنا في السما بروجا ثم ذكر بعد عنادا المشركين دلايل قدرته وعجز اصنامهم فقال ولقد جعلنا في السما بروجا اي كواكب عظاما ظاهرة• ومثله قوله والسما ذات البروج• وقوله ولو كنتم في بروج مشيدة اي ابنية عالية واصله الظهور• ومنه قوله تعالى غير متبرجات اي ظاهرات• وقال قتادة البروج الكواكب• وقال مجاهد هي دراري النجوم يعني عظامها وبيضها• وقال الضحاك هي كبار النجوم• وقال الكلبي عن ابن عباس هي الحصون وهي منازل الشمس والقمر اسماوها الحمل• والثور• والجوزا• والسرطان• والاسد• والسنبلة• والميزان• والعقرب• والقوس• والجدي• والدلو• والحوت• وقوله تعالى وزيناها للناظرين• اي جعلنا السما مزينة بالكواكب• وقوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم اي حرسنا السما من كل شيطان مرجوم بالنجوم اي يرما بها• وقوله تعالى الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين• قيل هو استثنا منقطع ومعناه لكن من استرق السمع اي صعد من الشياطين الي السما ليسمع كلام الملايكة فيما يتحاورون بينهم مما يريد الله احداثه في الارض فانه يخبرهم بما يشا من ذلك ثم يوحيه الى انبيايه ما يشا فتصعد الشياطين لتسمع ذلك فترجم بالنجوم فيلحقها من ذلك شهاب مبين اي واضح واتبعه اي لحقه كما قال فاتبعوهم مشرقين وهو كقوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب• وقيل هو حقيقة الاستثنا ومعناه حفظنا السما من الشياطين ان تسمع الوحي وهو كقوله انهم عن السمع لمعزولون اي سماع الوحي الا من استرق السمع اي سماع خبر اهل السما دون الوحي فانا لا نحفظها من ذلك فيسترقون ما ليس بوحي فيقذفونه الي كهنتهم ثم نتبعهم الشهب فتضلهم او تخبلهم• قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب مبين فاذا اصابه احرقه وان اخطاه خبله فصار غولا يضل الناس في البراري ودليله قوله تعالى وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها الاية• وقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا الاية• وقوله والارض مددناها اي بسطناها على الما والقينا فيها اي في الارض رواسي جبالا ثوابت وقد رسا يرسو رسوا اي ثبت ليلا تتكفا الارض باهلها وانبتنا فيها اي في الارض من كل شي موزون اي مقدر بقدر معلوم على حسب حاجة الناس والصلاح به في معايشهم• وقيل وانبتنا فيها اي في الارض من كل شي موزون اي من الاشيا الموزونة من الذهب والفضة والنحاس والرصاص وساير جواهر المعادن كلها وزينة• وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش اي في الارض معايش جمع عيشة وهي وجه يقام به العيش من حرفة او تجارة او زراعة• وقوله تعالى ومن لستم له برازقين عطف على معايش اي وجعلنا لكم عبيدا ودوابا لكم رزقها وسائر رزقها ومن تستعمل في العقلا وهنا لبني ادم وهم عقلا والدواب على التبعية عند الاجتماع كما في قوله فمنهم من يمشي على بطنه الاية لما بدا الاية بقوله والله خلق كل دابة من ما• وهو يتناول كل حيوان ومنهم البشر وغيرهم من الخلق والعظم من المشاركة• وقيل فيه دليل على ان الانسان يزاد في رزقه بالخدم والنعم• وقيل ومن لستم له برازقين عطف على قوله وجعلنا لكم اي جعلنا الخدم والدواب ايضا معايش فان الدواب من الانعام والوحوش والطيور نصيب فيما يرتفع من الارض من الزروع والاشجار وغير ذلك فهو من المعايش لها ايضا• وقال القشيري ومن الرواسي التي تثبت بها الارض الاوليا الذين هم اوتاد الارض بهم المدافع واليهم المفزع• ومن الرواسي العلما فبعلما الاصول قوام اصل الدين وبالفقها قوام نظام امور المسلمين• وقال في قوله وجعلنا لكم فيها معايش مختلفة فعيش المريدين بيمن اقباله• وعيش العارفين بلطف جماله• وعيش الموحدين بكشف جلاله وكل مربوط بحاله ولكل نصيب من افضاله والحق غني بذاته وصفاته وافعاله• وقوله تعالى وان من شي اي ليس من شي مما يحتاجون اليه الا عندنا خزاينه اي الاصل ما تكون له قادرون عليه فاعز اي جمع خزانة وهي المواضع التي تخزن فيها الملوك املاكهم لياخذوا منها ما يحتاجون اليه بقدر الحاجة ويكون ابدا في محلها لوقت الحاجة فاستعير هنا لما يخرج الله تعالى للعبادة عندما يحتاجون اليه• وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم وما يخرج من ذلك للخلق الا بقدر معلوم للكفاية• وقال القشيري من عرف القسمة وان خزاين الاشيا عند الله تعالى رفع خطاه من التردد الى منازل الاغيار في طلب الارفاق وعن التطواف في الافاق في طلب الارزاق وسقط ماله من الخلق تسفر قلبه لله وتجرد عن التعلق بغير الله• وقال في قوله وما ننزله الا بقدر معلوم من عرف القسمة استراح عن كد الطلب فان المعلوم لا يتعدى والمقسوم لا يتقلل ولا يتكثر• وقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح اي لا قحات بالما اي حاملات وقد لقحت الناقة اذا حملت من حدعلم وهو قول عبد الله بن مسعود فالرياح حوامل بالما وبما يكون فيها من خير وضد هذه الريح العقيم وهي التي لا تحمل الما وبالنظر الي هذه الضد علم انه يمكن اجراوها على ظاهرها انها لواقح بانفسها لا ملقحات غيرها وكذا في النحي اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملتها دليل على ان صنعها انها حوامل

مستقيم

مستقيمة• وقال قتادة وابرهيم والضحاك هي بمعنى لواقح جمع ملقحة وهي ملقحة للشجر وللسحاب بحملها الما فيها كالفحل يكون ملقحا للناقة ماده فيها ثم جعل اللاقح بمعنى الملقح بطريقين احدهما ان المتعب يرد الى الثلاثي لانه هو الاصل• والثاني ان اللاقح بمعنى ذات اللقاح وهذين الطريقين كان الناصب بمعنى المنصب في بيت النابغة•

كليني لهم يا اميمة ناصب• وليل اقاسيه بطي الكواكب•

اي منصب ومنصبا الى ناصب• وقوله تعالى فانزلنا من السما ما فاسقيناكموه قيل سقي انه بمعني ذي نصب او رد نصب الى منصب واستقى بمعني وقيل سقاه بمعني اشربه واسقاه بمعني جعل له شربا فتسقيه على هذا فجعلنا لكم ذلك المطر سقيا لارضيكم ومواشيكم• وقوله تعالى وما انتم له بخازنين اي ليس في وسعكم ان تخزنوا الما بقدر حاجتكم اليه• وقال ابو بكر بن عياش لا تنقطر قطرة من السحاب الا بعد ان تعمل فيه هذه الرياح فالصبا تهيجه والدبور تلقحه والجنوب تدره والشمال تفرقه• وقوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت اي نحيي النطف ونميت اي الاحيا عند انقطاع اجالهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد فنا الخلق والمالكون ما في العالم وكان لله تعالى كل شي ولكن كان للخلق تصرف فينقطع تصرفهم بالموت ويخلص لله كل شي بلا وجود تصرف غيره وهو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد• وقوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين استقدم بمعنى تقدم واستاخر بمعنى تاخر وهو كقولهم استيقن وتيقن واستعجل وتعجل واستكبر وتكبر ومعناه ولقد علمنا من تقدم في الموت فمات قبل هذا اليوم وعلمنا من تاخر موته فيموت بعد هذا فلا يفوتنا احضارهم فنحن نحييهم جميعا ونميتهم ونحشرهم جميعا ان ربك حكيم في تدبيره من الحيا والاماتة والحشر وغير ذلك عليم بخلقه وباعمالهم وجزايهم• قال عكرمة ولقد علمنا الاية من تقدم خلقا واخر خلقا فعلم من تقدم وعلم من اخر• وقال مقاتل ولقد علمنا المستقدمين منكم من مات من لدن ادم والمستاخرين من بقي الى يوم القيامة والمستاخرين من بقي في اصلاب الرجال• وقال مجاهد المستقدمون هو ادم ومن مضى من ذريته والمستاخرين من بقي في اصلاب الرجال• وقال قتادة المستقدمون السابقون الى الطاعات والمستاخرون المبطئون عنها• وقال الحسن المستقدمون السابقون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد• وقال علي بن ابي طلحة هذا في الصفوف وذلك ان النسا كن يخرجن الى الجماعات فتقوم النسا خلف صفوف الرجال فكان يتاخر من في قلبه ريبة الى الصف الاخر وتتقدم بعض النسا في الصف لذلك لتقرب من الرجال وكانت امراة من احسن النسا وجها تصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فربما ينظر الرجل من تحت ابطه اليها فنزلت الاية• وذكر ابن عباس رضي الله عنهما هذه القصة كان بعض المسلمين يتقدم في الصف الاول لئلا يبصر هذه المراة وبعضهم يتاخر فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت اقدامهم فنزلت• وقال مقاتل بن حيان نزلت في القتال• وقال سفيان بن عيينة يعني من يسلم ومن لا يسلم• وقال الربيع بن انس حض النبي صلى الله عليه وسلم على الصف الاول في الصلاة فازدحم الناس عليه وكانت بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد فنزلت هذه الاية وفيهم نزلت ايضا انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم اي خطاهم الى المساجد• وقال القشيري انا نحن نحيي القلوب بالمشاهدة ونميت النفوس بالمجاهدة يحيي المريدين بالذكر• ونميت الغافلين بالغفلة• وقال في قوله ولقد علمنا المستقدمين العارفون يستقدمون بالهمم والمستقدمون بالندم والتايبون بالندم• وقوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي يبعث كلا على الوصف الذي خرجوا عليه من الدنيا من سنن القلب بربه ومن منطرح في اودية التفرقة ثم يجازيهم على ما يستوجبونه• وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال ثم ذكر ابتدا خلق الانس والجن اثباتا للاية الوحدانية ومظاهر الشكر النعمة وبينهما على اصل الخلقة• وقال ابن عباس سمي انسانا لانه عهد اليه فنسي• وقال العينية هب قوم الى استقامة هذا وان اصله انيسان ولذلك يقال في التصغير انيسان• وقال البصريون هو من قولهم انس اي ابصر• قال تعالى اني انست نارا سمي به لظهوره وقد رد الله البصريون اباه وزيدت اليا في تصغيره كما زيدت في تصغير رجل فقيل رويجل وفي تصغير ليلة لويلة والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل اي يصوت اذا نقر لشدة يبسه وهو كقوله من صلصال كالفخار وهو الخزف شبه به ليبسه وهو كقوله من حما مسنون والحما الطين الاسود المنتن والمسنون قيل هو المصبوب وهو اشارة الي رطوبته قبل ان يجف فيصير صلصالا• وقيل معناه انه كان رطبا سيالا فصار حما منتنا سيدا وقد سن الما على وجهه اي صبه• وقيل المسنون المنتن الريح• قال تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه• وقيل هو من قولك سننت الحديدة على المسن اذا غيرتها بالسن• وقال ابن عباس والحسن وقتادة الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت• وقال مجاهد الصلصال المنتن من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن فالصلصال بنا النتن بالنقع وبالكسر بنا المصدر قال تعالى وزلزلوا زلزالا شديدا• وقال ابن عباس رضي الله عنهما من حما مسنون اي رطب• وقوله تعالى والجان خلقناه• قيل هو ابليس• وقيل هو ابو الجن وابليس ابو الشياطين من قبل اي من قبل الانسان وهو ادم من نار السموم اي نار لها لهب• وقال ابن عباس رضي الله عنهما نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السما والحجاب فاذا احدث الله امرا اخرقت الحجاب فهوت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب والسموم في اصل اللغة الريح الحارة كالحرور الا انه

الحرور يكون بالليل والنهار جميعا والسموم لا يكون الا بالنهار ويحتمل ان نار السموم نار تلتهب التهاب السموم • ومنه قوله ووقانا
عذاب السموم اي عذاب اللهب • وقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون بشرا اي جسما تاما
البشرة لا شعر عليه ولا وبر ولا صوف • وقيل حيوانا اي يباشر اي يلمس فان الحيوان لا يلمس فاذا سويته اي صورته بشرا سويا ونفخت
فيه من روحي اي روحا من الارواح مفضلة على سايرها واضافتها الى نفسه للتفضيل والتشريف والنفخ الادخال فقعوا له ساجدين
اي خروا له ساجدين سجود تحية وهذا يدل على انه كان وضع الوجه على الارض دون الانحناء وحده • وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم
اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ايضا وهنا خالفت ادم فسجد له الملائكة كلهم للاستيعاب فدل انه كل الملائكة الا
دون ملا واجمعون ليبين انهم لم يكونوا متفرقين بل يدل على ان الاجتماع في السجود اي سجدوا في حالة واحدة مجتمعين لا متعاقبين متراد فين هذا
قول المبرد • وقال سيبويه هو تاكيد بعد تاكيد • وقوله تعالى قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين اي شي سبب لك
في هذا وهذا استفهام بمعنى الانكار • قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون اي هو دوني فانا من نار
قال فاخرج منها اي من البناء • وقيل من الملائكة اي تميز عنهم وقيل من الجنة • وقيل من هذه الصورة الحسنة فانك رجيم
قيل ميشوم • وقيل ملعون • وقيل مرمي • وقيل مهلك • وتقدم ذلك في شرح سورة البقرة وكذا تفسير الايات وما بينها
والقصة وان عليك اللعنة الى يوم الدين الى يوم القيامة واذا امتد اليوم تنقطع وهي لعنة الله فقد قال في اية
اخرى وان عليك لعنتي • وقيل هي لعنة المؤمنين اياه كما ذكرانهم لعنوه • قال رب فانظرني الى يوم يبعثون وهو يوم
القيامة قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم • قيل هو وقت فنا الدنيا وموت اهلها وتاخير العذاب
الى تلك الحالة لم يكن كرامة له بل املا له ليزداد اثما • قال رب بما اغويتني من تفسيره في الاعراف لازينن لهم في الارض
اي لاحسن اليهم معاصيك ولاحببها اليهم ولاغوينهم اجمعين اي ولاضلنهم فقوله معاصيك مضمرة فيها واضمر
فيه ما اري لازينن لهم الارض وهي الدنيا وهو كقوله واصلح لي في ذريتي اي ذريتي الا عبادك منهم المخلصين من قرا
بفتح اللام فمعناه عبادك الذين اخلصتهم بتوفيقك وعصمتهم من فتنتي من قوله انا اخلصناهم بخالصة ومن قرا
بالكسر فمعناه الا عبادك الذين اخلصوا دينهم لله • وقوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم قيل هذا الذي تلت
يا ابليس لازينن لهم ولاغوينهم طريق مل من سلكه علي ومصيره الي فاجازي كلا منهم على عمله ومستقيم نعت للصراط وليس
المراد منه استقامته في نفسه بل المراد به انه لا يمكن العدول عنه بل يستقيم سالكه الى وعلي • وقيل هو اشارة الى
الطريق الحق وقد سبق ذكر الا عبادك منهم المخلصين فالاخلاص طريق مستقيم • وقوله علي اي علي والى الهداية
اليه ودفع الشبه عنه • وقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي ان عبادي الذين قاموا بحق العبودية
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك • وقيل تزينك واغواءك من الغاوين من الضالين • وسيل سفيان بن عيينة
عن هذه الاية فقال معناها ليس لك عليهم سلطان تلقيهم الى ذنب يضيق عنه عفوي يعني ما احول بينهم وبين الشرك
وما دون الشرك لا يضيق عنه عفوي • وقوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين اي موعد متبعيك لها سبعة ابواب
قيل سبعة طباق بعضها في بعض لكل باب منهم جزء مقسوم اي نصيب من المتبعين قد جعلهم على حسب مراتبهم في كفرهم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله وضع الجنان على العرض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض
فاسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها السعير وفوقها الهاوية • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لكل باب منهم جزء مقسوم اي حظ معلوم فجهنم لمن ادعى الربوبية من الخلق ولظى لعبدة النيران
والحطمة لعبدة الاصنام • وسقر لليهود • والسعير للنصارى • والجحيم للصابيين • والهاوية للموحدين • وقيل
جهنم من قول العرب بير جهنام اي بعيدة القعر • ولظى من التلظي وهو التوقد • والحطمة لانها تحطم عظام الكفار
اي تكسرها • وسقر لانها تذيب عظامهم ولحومهم وقد سقرته الشمس وصقرته اذا اذابته • والسعير لانها سعرت اي
اتقدت • والجحيم لانها نار عظيمة • وهاوية لانها تهوي بهم اي تسقطهم • وقال القشيري اذا اسمى الله واحدا بالعبودية
كان من جملة الخواص فاذا اضافه الى نفسه فهو خاص الخواص فهولا خواص عباده الذين محاهم عن شواهدهم
واختطفهم عنهم وصانهم من اودية التفرقة وجردهم عن حولهم وقوتهم وحفظ عليهم اداب الشرع ويلبسهم لباس الحيا
في حالة الانتباه ثم اخذهم عنهم باستهلاكهم في شهوده واستغراقهم في وجوده فاي سبيل للشيطان عليهم واي يد
للعدو عليهم ومن اشهده الحق حقايق التوحيد وراى العالم مصرفا في قبضة التقدير حاشا ان يكون نهبا للاغيار
او محلا للاكدار • وقوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون لما ذكر مصير العادين اتبعه ذكر ما اعد للمخلصين
وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي فاجزاهم في بساتين فيها عيون وقد سميت في القرآن وقوله تعالى ادخلوها
بسلام امنين اي يقال لهم ادخلوا الجنات امنين اي سالمين • قال القشيري رحمه الله لم يذكر من يقول لهم ذلك
وقوم يقول لهم ذلك الملك • وقيل اذا اتوا باب الجنة بعد مقاسات الشدايد والاهوال ويختلف الاحوال في حقهم
ان يستعدوا دخولها فقد ابيحت لهم لكنهم يقفون احتراما وانتظارا للاذن ولعل قوما اذا قالت لهم الملائكة
ادخلوها لم يدخلوا حتى يقول لهم الحق ادخلوا وفي مثله قالوا •
• ولا البر الثمي وعزك مطلبي • ولا اقبل الدنيا وعزك واصب •

اعلام لكم وقد وتخصصهم

وقال ان الجنة درجات بعضها ارفع من فوق بعض ولهم اليوم كذلك فدرجة قوم حلاوة الخدمة ولذاذة الطاعة ولقوم البسط
والزاجر ولاخرين الرجا والرغبة • ولاخرين الانس والقربة • وقد علم كل اناس مشربهم ولزم كل فريق اليوم مذهبهم • وقوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي اخرجنا ما في قلوب اهل الجنة من غش وخيانة وحقد وضغينة من بعضهم على بعض لما دي
بينهم بعضا ولا يعرف احدهم احدا ولا يحسد لا بنعمة صارت اليه • وقوله تعالى اخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين يقابل
بعضهم بعضا لا يستدبرون فينظر في قفا حيث ما التفت راى وجها يحبه • قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه فينا نزلت اهل
بدر • وروى عنه انه قال اني لارجوا ان اكون انا وطلحة والزبير من اهل هذه الاية • وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى قلت
لعلي كانطق ان هذه الاية نزلت فيك وفي طلحة والزبير فقال لا اعلم ان تيما وعديا كان بينهما في الجاهلية دما وجراحات
وتقاتل وتجادل فلما جا الله بالاسلام واسلم من اسلم من تيم وعدي طفقت قريش تقول اهل تيم وعدي ان الشحنا
التي كانت بينهم تزول عنهم فانزل الله تعالى هذه الاية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر في تكملة اربعة
عشر نفسا وقرا عليهم الاية قرا ان من قلوبهم ما خامرها من الشحنا والبغضا • وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان اهل الجنة يدخلون الجنة بما في صدورهم من الشحنا والغل فاذا تواقفوا وتقابلوا نزع الله ذلك من
صدورهم وذلك قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية • وقال مجاهد لا يرى الرجل من اهل الجنة قفا زوجته
ولا زوجته ترى قفاه لان الاسرة تدور بهم حيث شاوا حتى يكونوا في جميع احوالهم متقابلين • وقوله لا يمسهم فيها
نصب اي تعب وما هم منها بمخرجين اي من الجنان ونعيمها بمخرجين بل هم فيها مخلدون • وقوله تعالى نبي عبادي
اني انا الغفور الرحيم لمن تاب وان عذابي هو العذاب الاليم لمن لم يتب • وقال لما ذكر ثواب المتقين وعقاب
الغاوين ذكر انه غفور رحيم لهولاء وعذابه اليم لهولاء • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فراى اصحابه
يضحكون فقال لهم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فاخذوا يبكون فنزل جبريل بهذه الاية • وقال القشيري
لما ذكر حديث المتقين وما لهم من رفيع المنزلة علم انكسار قلوب العاصين فتدارك قلوبهم • وقال نبي عبادي
العاصين اني انا الغفور الرحيم للعاصين • وفي الاخبار لما نزل قوله وان جهنم لموعدهم اجمعين • ووصف جبريل عليه
السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما في جهنم احتجب عن الناس ايا ما يبكي وجا سلمان فاطمة واخبرها به فجاءت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابتاه ما الذي اصابك فذكرها نزول هذه الاية ونعتها وما وصف له جبريل
من ذلك وقال ان حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرابها الحميم والصديد وثيابها مقطعات النيران
لو ان مثل خرق ابرة فتح منها لاحرق اهل الدنيا ولو ان ثوبا من ثياب اهلها علق بين السما والارض لماتوا من حرها
ونتنها ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله في القرآن وضع على جبل لذاب الى الارض السابعة ولو ان رجلا
بالمغرب يعذب لاحترق الذي بالمشرق لها سبعة ابواب بعضها اسفل من بعض من باب الى باب مسيرة سبعين سنة
وكل باب منها اشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا تساق اعداء الله اليها فاذا انتهوا الى ابوابها استقبلتهم
الزبانية بالاغلال والسلاسل فتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى الى عنقه وتدخل يده
اليمنى في فواده وتنزع من بين كتفيه ويسحب على وجهه ويضرب بمقامع من حديد فلم يحتمل قلب فاطمة سماع ذلك
فخرت مغشيا عليها ولما افاقت بكت وصاحت وقالت يا ليتني لم الد • وسمع ابو بكر الصديق رضي الله عنه ذلك
خارج الباب فقال وهو يبكي ليتني كنت شاة تذبح • وقال عمر رضي الله عنه ليتني كنت شجرة تعضد • وقال عثمان
رضي الله عنه ليتني لم اخلق • وقال علي رضي الله عنه ليتني لم اولد وهرب مالك بن سلمة الى الفيافي وهو يصيح
النار النار وبكى الناس لبكايه وخرجت الصحابة يطلبونه فوجدوه في جبل يصيح فردوه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فناشده ان يقراها عليه مرة اخرى تفعل وصاح وخر ميتا وكانت له بنت صغيرة فاخبرت بموت ابيها فخرجت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت اباها ميتا فقالت ما اصابه فذكروا لها انه سمع اية فاشتد خوفه وخرجت روحه
فقالت اقروا علي تلك الاية فقروها عليها فصاحت فخرت ميتة فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وولده وكبرا
الصحابة والطاهرون من اهل عصره خائفون جهنم هذا الخوف فكيف ينبغي لنا ان نغفل بعده • وقوله تعالى ونبيهم
من ضيف ابرهيم انتظام بقية السورة بهذه الاية التي قبلها انه قال نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم فذكر رحمته
وقال ان عذابي هو العذاب الاليم فذكر عقوبته ثم ذكر في بقية السورة تاثير رحمته في حق ابرهيم ببشارة الولد
اسحاق وفي حق لوط واتباعه بالنجاة وفي حق النبي عليه السلام ومن امن باعطا السبع المثاني والقرآن العظيم
وتاثير عذابه في حق قوم لوط واصحاب الحجر والمقتسمين والمستهزين • وقوله تعالى عن ضيف ابرهيم اي اضيافه
فقد قال اذ دخلوا عليه وصيغته صيغة المصدر فصلح للجمع والضيف هو النازل على غيره طلبا عنده اولم يطلب نزل
الطعام او الميرة يقول اخبرهم عن ضيف ابرهيم وهم الملائكة الذين ارسلوا لاهلاك قوم لوط اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما اي سلموا عليه سلاما قال انا منكم وجلون اي قال ابرهيم انا منكم وجلون اي قال ابرهيم انا منكم خايفون
قال هذا بعدما رد عليهم السلام وقدم العجل اليهم فلم يتناولوه فخافهم على نفسه حيث لم يتحرموا بطعامه وذليل
هذا الاضمار • وقوله تعالى في سورة اخرى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة ولا يتناول ذكره

خبيرهم بالعمدة

الا انك انت الشكور الكريم بالمطيعين فاني انا الغفور الرحيم

قوم

في سورة الذاريات قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم ذكر تقديم العجل بعد الانكار فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين لانا نقول ذلك الانكار المرة
اي لا اعرفكم لا انكار الخيفة • وقوله تعالى قالوا لا توجل اي لا تخف انا نبشرك بغلام عليم اي اذا كبر وسارت البشارة بشارات
بوجوده وبقائه الى ان يعلم وبعلمه واي فرح فوق هذا الولد وعيشه وعلمه قال ابشرتموني على ان مسني الكبر اي بعدما اصابني
كبر السن فبم تبشرون • قرا ابن كثير بتشديد النون وكسرها واصله تبشرونني فادغم احدى النونين في الاخرى وقرا نافع بكسر
النون وتخفيفها على اسقاط النون الاولى تخفيفا • وقرا الباقون بفتح النون وتخفيفها على اثبات الفعل يريدون الايقاع
على نفسه يعني اي بشارة تكون على راس الكبر اي تقليل حين بشارة وهذا التعجب والاستبعاد منه لذلك • وقوله قالوا
بشرناك بالحق اي بما لا كذب فيه ولا خلف بل هو جد وحق ويقين فلا تكن من القانطين اي لا تياس من رحمته باعطا الولد
على الكبر • قال ومن يقنط من رحمة ربه • قرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون من باب ضرب والباقون بفتحها من حد علم وهما لغتان
واجمعوا في قوله من بعد ما قنطوا على فتح النون الا الضالون اي المخطئون سبيل الصواب وهو استفهام بمعنى النفي وتقديره
ولا يقنط من رحمة ربه الا الضالون اخبر انه عرفنا نعم من رحمته لا استكثر لقدرته قال فما خطبكم اي امركم ايها المرسلون لما
بشروه بخلاف العادة علم انهم ملائكة فخاطبهم بهذا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وهم قوم لوط اجرموا اي كسبوا القبيح
بشركهم وفواحشهم العقوبة الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين اي ارسلنا لاهلاك قوم مجرمين الا اتباع لوط فانا ما بعثنا
لاهلاكهم بل لانجائهم الا امراته استثنوها من غير المهلكين • وقوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين اي قالت الملائكة اعلمنا
تقدير الله تعالى كونها من الغابرين اي الباقين في العقوبة وقد عرض من باب دخل اي بقي وانما كسرت لوقوع اللام
في الجواب وقدرنا اي علمنا بالتقدير كقوله لاهب لك اي لاعلمك بانه وهبه لك • وقوله تعالى فلما جاء ال لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم وهذا سواء الا ان يعرفوه انفسهم لتطمين اليه قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
اي بل نحن رسل الله جئناك بما كان يشك قومك في نزوله بهم من العذاب الذي يحذرهم اياه واتيناك بالحق اي بالعذاب
المتيقن كما قال ما تنزل الملائكة الا بالحق • وقوله تعالى وانا لصادقون اي في اخبارنا باهلاك قومك فاسر باهلك
يسري واسرى سار بالليل لازم والباء معداه بقطع من الليل اي ببقية وهو كقوله نجيناهم بسحر • وقوله تعالى واتبع
ادبارهم اي كن وراء اهلك اي قدمهم وسر خلفهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وعلى ذلك الواجب على كل والي امر
الجيش ان يتبع اثرهم او يامر من يتبع اثرهم ليلحق بهم من تخلف منهم ويحمل المنقطع منهم وليكون ذلك احفظ لهم
ولا يلتفت منكم احد اي لا تلتفتن انت وراءك ولا احد ممن معك امروا بالمبادرة في السير وان لا يعرجوا على
شيء حتى يبتعدوا عن القرية قبل ان يجيء الصبح وينزل بالمجرمين العذاب وامضوا حيث تؤمرون اي سيروا
الى حيث يامركم الله قيل هي صغر يا احدى قريات قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر اي اوحينا الى لوط واعلمناه
كما في قوله وقضينا الى بني اسرائيل وذلك الامر هو العذاب الذي قالوا واتيناك بالحق ان دابر هؤلاء ان دابر
عن قوله الامر ودابر القوم من يجيء بعدهم واذا انقطع ذلك فقد هلك الكل • وقوله تعالى مقطوع مصبحين اي
يقطع مصبحين اي في حال اصباحهم • وقوله تعالى وجاء اهل المدينة اي قوم لوط وهم اهل مدينة سدوم يستبشرون
اي يظهرون اثار السرور في بشرات وجوههم اذ سمعوا ان عند لوط اصباحا حسانا فطمعوا منهم في ركوب الفاحشة
قال ان هؤلاء ضيفي اي اضيافي فلا تفضحون اي لا تهتكوا حرمتي فيهم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله فلا
تفضحون في ضيفي فانهم انما نزلوا بنا على امن منا وحمل فلا تفضحوني في الخلق فانهم يقولون في بيت لوط تفعل
بالاضياف كذا واتقوا الله ولا تخزون اي لا تخجلوني ولا تلحقوا بي العار فيهم • قالوا اولم ننهك عن العالمين اي قال
لم قومه اولم ننهك ان تضيف احدا من الناس كلهم • قال هؤلاء بناتي اي بنات قومي لان كل نبي هو ابو امته ازوجكموهن
ان كنتم فاعلين اي قابلين ما امركم به • وقيل اي طالبين الاستمتاع • وقيل اراد به بنات نفسه وكان يزوجهن منهم
اذا اسلموا وقد شرحنا تمام من هذا في قوله هؤلاء بناتي هن اطهر لكم • وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذه
القصة وما قبلها من القصص في هذه السورة وغيرها ورودها بالفاظ مختلفة في ايات دليل على ان العبرة لاتفاق
المعاني فان هذه المخاطبات لم تكن مرارا بل مرة ومع ذلك وردت على وجوه فدل ان اختلاف الالفاظ وتغيرها
لا يوجب اختلاف الحكم بعد ان لا تتغير المعنى وذلك ان اعجاز ادى معناه على اختلاف لفظه فانه يجوز وكذا
اذا قرئ بغير اللسان الذي انزل به • وقوله تعالى لعمرك وهذا كلام اعترض في خلال القصة مخاطبا به نبينا
محمدا عليه السلام فيقول لعمرك هو قسم بحياة رسوله والعمر العمر البقاء والحياة واللام للتاكيد وعمرك رفع بالابتدا
وخبره مضمر وهو قسمي او يمينك يا محمد • وقال الضحاك هذا قسم بدينه ان قومك من قريش لفي سكرتهم اي حيرتهم
وضلالتهم التي هي كحال السكران يعمهون اي يترددون في الباطل غافلين عما احدث تعالى لاهل المعصية
تطييرا لما انزله بقوم لوط وهكذا كرجل يذكر قصة خروج على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة
وهو يريد ان يسمعه قوم يمثلهم فعلوا كذلك ولم يبقوا بعد فقال قبل تمام القصة انهم فانهم في غفلة
لا يدرون ما فعل بهم ثم يعود الى تمام القصة • وقيل هذا قول الملائكة للوط انه لما دعاهم الى نكاح البنات فلم
تنجع فيهم الموعظة قالت الملائكة لعمرك انهم لا يعلمون ماذا ينتظرهم صباح ليلتهم فلا تخف فانهم لا يصلون اليك

ومن الشاعر القول الاول اصح قال ابن عباس رضي الله عنهما والله ما خلق الله شخصا اكرم عليه من محمد عليه السلام وما سمعت الله اقسم
بحياة احد الا بحياته • وقوله تعالى فاخذتهم الصيحة اي الملائكة صاح بهم اي المتلازمة اعملها مشرقين اي داخلين في وقت شروق
الشمس اي طلوعها اي في هذه الحالة وكذلك قوله مصبحين اي داخلين في الصباح وهو هذه الحالة فجعلنا عاليها سافلها
اي قلبها جبريل بامرنا وامطرنا عليهم اي ارسلنا عليهم حجارة من فوق كالمطر نازلة من السماء من سجيل ذكرنا الاقاويل فيه في سورة
هود ثم الامطار مع التقليب قيل قذفوا بالحجارة اولا ثم قلبوا وقيل التقليب كان للحاضرين والامطار لمن شذ منهم • وقوله
تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين • قال مجاهد اي للمتفرسين • وقال قتادة اي للمعتبرين • وقال ابن زيد للمتفكرين • وقال
الضحاك اي للناظرين اي للمتبصرين • وقيل الناظرين في السمة الدالة على المراد يقول في هذه القصة لدلائل للمعتبرين
المستدلين على ان عواقب من عصى الله مثل ذلك وان الاصل المعقول الموافق للاصول ان كل متشابهين فحكمهما من حيث اشتبها
واحد • وقوله تعالى وانها لبسبيل مقيم اي ان هذه المدينة التي جعلنا عاليها سافلها بطريق واحد ثابت يراها المار بها
ممن سار الى الشام في الاسفار لا يزول عن اماكنها ولا يخفى امرها فاعتبروا بها • وقوله تعالى ان في ذلك لاية للمؤمنين اي
للمنتفعون بها • وقوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين الايكة الشجر الملتف • وقيل الغيضة ذكر هلاك
قوم اخرين وهم قوم شعيب وقد مرت قصته في الاعراف وفي هود ومعنى الاية وما كان اصحاب الايكة الا ظالمين
انفسهم واضعين الشيء في غير موضعه فانتقمنا منهم اي عاقبناهم وانهما اي المدينتان مدينة قوم لوط ومدينة
قوم شعيب لبامام اي لبطريق يؤتم ويتبع ويهتدى به وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن مبين
اي بين واضح يمر بها المشركون في اسفارهم ويطلعون على اثارهم • وقوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر هو مدينة
ثمود قوم صالح وبينها وبين وادي القرى ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام وكانت منازلهم وما نزل بهم معروفا
عند العرب فذكرهم الله تعالى ليعتبروا بهم • قال عمر رضي الله عنه مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم ما اصابهم ثم زجر حتى خلفها • وقوله
تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين اي رسولهم صالحا وفي تكذيبه تكذيب كل الرسل واتيناهم اياتنا فكانوا
عنها معرضين اي جئناهم بادلتنا وحججنا فكانوا عنها معرضين اي لم يتفكروا فيها ولم يعتبروا بها ثم جمع الايات
يحتمل ان يكون اعظام ايات سوى الناقة ولم يذكر في القرآن • ويحتمل ان تكون الناقة وحدها ايات فهي انها
كانت من الصخر وتحركت الصخرة لخروجها وورودها يوما وتركها يوما والانتصاب لهم حتى غلبوها وصدر وردها
في طريق غير الطريق التي وردت لانه كان يضيق عنها وعجزة لكل من امورها كل ذلك ايات وكل واحد من ذلك
اية • وقوله تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا اي لانفسهم لشدة قوتهم امنين من الموت عند انفسهم وقيل
من نزول العذاب بهم في ظنهم كقولهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم • وقيل امنين ان تخر عليهم وتخرب لاحكام
سقفها فاخذتهم الصيحة اي الهلكة مصبحين اي داخلين في صباح اليوم الرابع الذي اوعدوا فيه العذاب
وهو كقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام • وقوله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي ما نفعهم ما كانوا
يكسبون من الاموال وغيرها من الجبال والبيوت في الجبال • وقوله تعالى فما اغنى يحتمل الاستفهام ويحتمل
النفي وهو تنبيه لاهل مكة يقول كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا فلم يغن ذلك عنهم شيئا فكيف حالكم • وقوله
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ان الامم الذين عرفتموهم يا معاشر العرب وساكنهم على ممركم
لما لم ينقادوا للحق اهلكوا لان الله تعالى ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية للجزاء
وجميع ما خلق يرجع الى عاقبة وتدبيره ونظم اجزائه بين في اول السورة خلق السموات والارض وذكرها
الحكمة في خلقهما فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالحق الذي يجعل لنفسه على
اهلها والحق الذي لبعضهم على بعض • وقيل الا لشهود الله بالحق على اهلها • وقيل الا ليمتحنهم بالعبادة فيها
وقيل بالحق اي لحق كائن وهو البعث بعد الموت للجزاء • وقوله تعالى وان الساعة لاتية اي ان القيامة لكائنة
تجزى كل عامل على وفق عمله • وقوله فاصفح الصفح الجميل اي فاعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين اعراضا جميلا
كما قال واهجرهم هجرا جميلا اي لا تكافيهم بما اذوك بالسنتهم وفعلهم فان الساعة اتية وانا اكافيهم ووصفه
بالجميل على معنى لا تترك نصيحتهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك • وقيل كان هذا امرا بالاعراض عن قتالهم ثم نسخ
باية القتال وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك • وقيل ليس هذا بمنسوخ بل هو كان مامورا بالصفح
في موضعه وبالقتال في موضعه كما قال فاعرض عنهم وعظهم فهو امر بالاعراض في موضعه وبالوعظ في موضعه
وقوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم اي بخلقه لا تخفى عليه افعالهم واقوالهم وضمائرهم ويجزيهم يوم
القيامة على استحقاقهم • وقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني ذكر منته فيما اعطاه ليسهل عليه
تحمل ايذاء المشركين اياه فقال ولقد اتيناك اي اعطيناك سبعا من المثاني • روى ابي بن كعب وابو هريرة
وابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي فاتحة الكتاب وكذا فسره علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وعلى هذا قوله سبعا اي سبع ايات من المثاني ومن ليس للتبعيض بل هي للتجنيس هنا كقوله فاجتنبوا الرجس

وقال ابو عبيدة اي للمتبصرين

ذكر قصة اخرى

وما دفع عنهم

عنك

من الاوثان وهي المثاني الفاتحة لانها تثنى في كل سورة وصلاة ولان معانيها من اولها الى اخرها على المثاني على ما مر شرحه في سورة الفاتحة ولانها اثنية على الله تعالى ولانها فيها اثنان • وقيل المثاني اسم القران ومعنى سبعا اي سبع ايات الفاتحة وهي من المثاني اي من القران الذي هو مثاني قال تعالى كتابا متشابها مثاني وسمي به لانه تثنى فيه الاقاصيص والامثال والترهيب والترغيب تاكيدا للحجة وابلاغا في الافهام • وقيل هو من قولهم ثنى عنانه وثناه عن كذا اذا اصرفه وهي مصارف عن المعاصي لمن عمل فيها • وقيل سبعا اي سورا من المثاني اي من القران • قال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجماعة من التابعين هي السبع الطوال والاول اصح قال الربيع بن انس نزلت هذه السورة بمكة قبل ان ينزل من الطوال افردها بالذكر تخصيصا وتشريفا له كما في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقيل القران العظيم هو الفاتحة ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب هي السبع المثاني والقران العظيم وهو بعض القران ولكن بعض القران يسمى قرانا • قال تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له • وقال الضحاك سبعا من المثاني السبع هي سبعة الاسباع وهي كل القران • وقوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم • قيل قدمت لابي جهل لعنه الله في يوم واحد سبع قوافل للتجارة معها مال كثير وطعام ومطاعم وثياب وكان باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عري وجوع فخطر بقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصحابه ليس لهم قدر الحاجة وللمشركين هذه الاموال بجمع الكثرة فنزلت الاية ولقد اتيناك سبعا من المثاني بدل ما اعطيناهم من القوافل وهم لا يهدون ايديهم الى هذه السبع مع عظمها فلا تمدن عينيك الى دنياهم مع خساستها • وقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به اي لا تتمنن يا محمد ما جعلناه من زينة الدنيا متاعا للاغنياء من هؤلاء المشركين بما قد جعلنا مثله لاشباههم ومعنى قوله ازواجا منهم اي اشباها • وقيل اي افرادا فان الزوجين فردان اي اعطيناك ذلك واحدا بعد واحد لان الغنى خاص في الناس واذا كان متاعا كان زايلا عن قريب • وقوله تعالى ولا تحزن عليهم • قيل كان تمنيه ذلك لفقر اصحابه فقيل لا تحزن لاجلهم • وقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم فتواضعك خير من زوائد الدنيا وتطيب بذلك قلوبهم وتزول كروبهم • وقيل لا تحزن عليهم اي على الكفار بما اصابوا من نعيم الدنيا وقيل لا تحزن بفقد ايمانهم بالله وطاعتهم له ومتابعتهم لك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولا تحزن عليهم اي على هلاك الكفار فللهلاك خلقتهم واخفض جناحك للمؤمنين • قيل اصل هذه الكلمة ان الطاير اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه له ثم خفضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا لتقريب الانسان اتباعه وتعطفه عليهم • وقال القشيري لا تمدن عينيك فان الحق سبحانه على عين حبيبه ان تستعملها في النظر الى المخلوقات ولما لم يكن في الدنيا الدونية الحبيب سبيل امره بغض بصره عن غير الحبيب • شعر

• لما تيقنت اني لست مبصركم • غمضت عيني فلم انظر الى احد •

وتادب بهذا الادب فلم ينظر في ليلة المعراج في الحضرة الكبرى فاثنى عليه في قوله ما زاغ البصر وما طغى • وقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين اي قل يا محمد المشركين بعد خفض الجناح اي انا المخوف بالعذاب المصرح به • وقوله تعالى كما انزلنا على المقتسمين اي بمثل عذاب نزل بهؤلاء وضع قوله انزلنا بعد قوله اي لان معنى قوله وقل اني انا النذير المبين اي فانذرتكم تستتيم اذ نيقال وانذرهم عذابا كما انزلنا • وقال الحسن هو عطف على قوله ولقد اتيناك كما انزلنا اي تفضلنا عليك بهذا كما تفضلنا بهذا • قال ابن عباس المقتسمون من مشركي العرب وكانوا اثني عشر رجلا • وقال مقاتل كانوا ستة عشر رجلا بعثهم المغيرة في ايام الموسم حتى قعدوا على انقاب مكة وطرقها وابوابها فاذا جا الحجاج قال فريق منهم لا تغتروا بالخارج منا المدعي للنبوة فانه مجنون وقالت طائفة اخرى انه كاهن • وقالت طايفة ثالثة على طريق ثالث انه عراف • وقالت طايفة اخرى شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما فاذا سيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدق هؤلاء المقتسمين فسموا مقتسمين لانهم قسموا انقاب مكة • وقال مقاتل بن حيان المقتسمين الذين اقتسموا القران فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب • وقال بعضهم اساطير الاولين • وقيل هم اهل الكتاب اقتسموا القران وعضوه وامنوا ببعضه وهو ما كان فيه ذكر موسى وعيسى وفضايل بني اسرائيل وكفروا ببعضه مما انهم حرفوه من كتبهم وهو ما قال خبرا عنهم امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وعليه قوله الذين جعلوا القران عضين جمع عضة وهو من العضية وهي التفريق ومن ذلك العضو والاعضا والعضة حذفت الواو من اخرها كالبرة والثبة والكرة والعزة • وقيل العضة اصلها العضهة حذفت هاؤها تخفيفا كالسنة اصلها السنهة حذفت هاؤها تخفيفا وكذلك الماء والشاه اصلها الماه والشاهة ودليل ذلك التصغير والفعل مويه وشويهة وشابهت فلانا وموهت السكين وهاهنا ايضا يقال للعضهة والعاضه والباهت وعضهت الرجل رميته بالباطل والعضيهة البهت ومعناه انهم عاقوا كتاب الله باعضيه قايلين بالباطل انه سحر وانه كهانة وانه كذب وانه مفترى وانه اساطير الاولين • وقال الفرا العضه السحر

والشد

والشد للناس حسادهم اي من سحر منهم • وقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من الاقتسام وتعضيه القران والشرك والمعاصي وهو سؤال التقريع والتوبيخ لا سؤال الاستفهام والاستعلام • وقال القشيري يسل قوما عن تصحيح اعمالهم وقوما عن تصحيح احوالهم ويسل قوما عن حركات ظواهرهم واخرين عن خطرات سرايرهم • يسال الصديقين عن تصحيح المعاني تشريفا لهم ويسل المدعين عن تصحيح الدعاوى تعنيفا لهم • وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر • قيل اي اظهر ما تؤمر به والصدع في اللغة هو الشق والفراق والفتح وتصدع القوم اي تفرقوا ويقع به الاظهار • وقيل اي فرق الباطل بالحق اي الذي انزلناه عليك والشق يقع به ذلك • وقيل اي امض بما تؤمر اي بامر الله واراد به تبليغ الرسالة الى جميع الخلق ومنه شق الحايل بهي المعنى وبما تؤمر بمعنى المصدر على هذا القول كما في قوله بما غفر لي ربي • وقال القشيري فاصدع بما تؤمر كن بنا وقل بنا واذا كنت لنا بنا فلا تشتغل بغيرنا وصرح بما خصصناك به واعلن بمحبتنا لك • شعر •

• بح باسم من تهوى ودعني من الكنى • فلا خير في اللذات من دونها ستر •

وقوله تعالى واعرض عن المشركين اي عن مكافاتهم • وقيل عن قتالهم ونسخ هذا باية السيف • وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين اي نكفيك فذكره بصيغة الماضي لقربه وتحقيقه كانهم بالموت لقيام منه ذكرته اكثرها بصيغة الماضي لهذا قال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير انهم كانوا خمسة نفر ذوي انساب وشرف في قومهم من بني اسد بن عبد العزى بن قصي بن الاسود بن المطلب بن اسد ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه لما كان يبلغه من اذاه واستهزائه فقال اللهم اعم بصره واثكله ولده ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ومن بني سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي بن العاص بن وايل بن هشام بن سهم ومن بني خزاعة الحرث بن طلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان فلما تمادوا في الشر واكثروا الاستهزاء انزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر الى قوله فسوف تعلمون وكان من امرهم ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي به • ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا • ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى اثر جرح باسفل كعب رجله كان اصابه قبل ذلك بسنين فانتقض به فقتله • ومر به العاص بن وايل فاشار الى اخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطايف فربض به على شبرقة فدخلت في اخمص رجله منها شوكة فقتلته • وكان راسهم الوليد بن المغيرة هو الذي جمعهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسة الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب • وقال مقاتل كانوا سبعة وزاد على هؤلاء بعكك واصرم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكان جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر الوليد ابن المغيرة فقال جبريل ما تقول فيه يا محمد فقال اقول فيه انه عبد سوء فاشار جبريل الى اخمص رجله وقال قد كفيت امره سار فتدرعت شظية فتعلقت ببرده وكان عليه برد يتبختر فيها فمنعه الكبر ان ينتزعها منه فضربت الريح فاستغطه على يديه فاصابته الحكة فمات منه • ومر به العاص فقال جبريل عليه السلام ما تقول فيه فقال عبد سوء فاشار الى ظهره وقال قد كفيت امره فخرج مستنزها مع بنيه في شعب من شعاب مكة فصاح وقال قد لدغت ففتشوا فلم يجدوا شيا ومات منه • ومر الحارث بن قيس فقال جبريل عليه السلام ما تقول فيه فقال عبد سوء فاشار الى بطنه وقال قد كفيت امره فاكل سمكة مالحة فعطش فجعل يشرب ولا يروى حتى انفطر بطنه • ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل عليه السلام ما تقول فيه قال عبد سوء فاشار الى عينه فعمي فوجئت عينه فجعل يضرب راسه في الجدر حتى هلك • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم بصره • ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل عليه السلام ما تقول فيه قال عبد سوء فاشار الى جسده فخرج الى البادية ونحج فقد اسود وجهه وجلده كله فقرع الباب فانكره اهله فلم يفتح له حتى مات • قال مقاتل واما بعكك فاخذته العربية ومات واما اصرم فاخذته ذات الجنب فمات فماتوا في يوم وليلة فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وقوله تعالى الذين يجعلون مع الله الها اخر هي صفة المستهزئين فسوف يعلمون ما ينزل بهم عاجلا واجلا وذلك قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون هؤلاء المشركون فيك وفي القران من التزيد والباطل وتحزنك لك فلا يضيق صدرك ولتكشف عنك حزنك ولكن مفزعك اليه ذكرنا وعبادتنا وذلك قوله فسبح بحمد ربك وهذا قوله وكن من الساجدين اي المصلين وهذا فعل • وقوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين من وعد الله بما ينزل الله من هؤلاء وسمي العذاب يقينا كما سمي حقا في ايات • وقيل اليقين الموت وهو قول الضحاك وغيره • وروي ان عثمان بن مظعون لما توفي جاءه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اما هذا فقد جاءه اليقين • وقال الحسن المدا ومة وان الله تعالى لم يجعل لعمل ابن ادم حدا الا الموت • قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين • وسمي الموت يقينا لوجهين احدهما انه بمعنى المتيقن مصدرا بمعنى المفعول

والثاني انه يزول به كل شك ولما نزلت هذه الاية قال عليه السلام ما اوحى الي ان اجمع المال واكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد
ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين • وقال القشيري رحمه الله يقول ان ضاق قلبك بسماع ما يقولون في
ذمك فارتع بجنانك في رياض تسبيحنا فان اشتغالك بنا يكون ذلك سببا لزوال الضيق عن صدرك وسلوة لقلبك واعبد ربك تق على
بساط العبودية معتنقا للخدمة الى ان تجلس على بساط القربة وتطالب باداب الوصلة ويقال التزم شرائط العبودية والله
لا اذعي الا ساعد ها فانه اصدق اسماعي • والحمد لله رب العالمين •

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي تعالى عما يشركون • الرحمن الذي جعل لعباده السمع والابصار والافئدة لعلهم يشكرون • الرحيم الذي هو مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون • وسورة النحل مكية الا ثلاث ايات نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله وان عاقبتم الى اخر السورة وهي مائة وثمان وعشرون اية والف وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة
الاف وستمائة وتسعة وثلثون حرفا • وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله
يوم القيمة بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات من يوم تلاها او ليلة تلاها كان له من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية
وانتظام اول هذه السورة باخر سورة الحجر انه ختم تلك السورة بقوله حتى ياتيك اليقين ثم قرن ذلك الاتي فقال
اتى امر الله وانتظام السورتين انه ذكر في تلك السورة دلايل التوحيد ووعيد الكافرين ووعد المومنين وذلك كله دعا
الى التوحيد وذكر في هذه السورة نعمه على عباده وهو استدعا للشكر من العبيد وهو الايمان والطاعة على التابيد استبقا
النعمة واستجلابا للزيد • وقوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه اي اتى عذاب الله ووعيد الله فلا تستعجلوه وقوعه • قالت
النضر بن الحارث بن علقمة اللهم ان كان ما يقوله محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما نزلت هذه الاية جوابا له وهذا من الجواب
المفصول وكذا قوله سال سايل بعذاب واقع اي عذابنا • وقوله تعالى اتى امر الله اى دنى مجي عذاب الله كقوله اتاها
امرنا ليلا او نهارا اي عذابنا • وقيل امرنا بالعذاب • وقيل اي عذابنا الماموربه • وقيل هو عذاب الساعة • قال
ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اقترب للناس حسابهم الاية اشفق المشركون فانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الايام
قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر • فقالوا يا محمد اين ما تعدنا به من نزول العذاب
فنزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم حذرا من وقوع الساعة فنزل فلا تستعجلوه فاطمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وقال مقاتل بن حيان لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بالساعة كذبوا بها فانزل الله تعالى اتى
امر الله فلا تستعجلوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني واشار باصبعيه
قال ابن جريج اتى امر الله اى السيف والامر بالقتال • وقال الضحاك يعني ما كانوا يستعجلونه من الفرايض والشرايع
وقوله تعالى سبحانه اي تنزيها لله تعالى عما يقول المشركون • وقيل اي هو سبح مقدس على السنة الملايكة والمومنين
من الجن والانس • وفي شهادة الخلق لذلك بالفطرة من اهل السموات والارضين كما قال سبح لله ما في السموات
وما في الارض • وقال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده • وقوله تعالى عما يشركون
قرا الكسائي بالخطاب بنا على قوله فلا تستعجلوه • وقرا الباقون بالياء المغايبة ومعناه تباعد عن شرك المشركين
لا يجوز وصفه بالشركا والانداد • وقوله تعالى ينزل الملايكة • قرا ابن كثير وابو عمرو بالياء المغايبة والتخفيف ونصب
الملايكة اى ينزل الله الملايكة • وقرا الباقون بالتشديد من التنزيل وهو كالانزال • وروى ابو بكر عن عاصم ينزل
على ما لم يسم فاعله بالياء والتشديد ورفع الملايكة بالروح بالكتاب الذي فيه حياة القلوب من موت الضلالة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما الروح الوحي • وقال عطا النبوة • وقال قتادة الرحمة • وقيل جبريل عليه السلام
قال ابو عبيدة بالروح اي مع جبريل • قال الله تعالى نزل به الروح الامين من امره شرايعه واحكامه على من يشا من
عباده يختارهم للرسالة ان انذروا قيل اي بيان انذروا اي ينزل لهذا او يامره بهذا انه لا اله الا انا فاتقون
المعاني انه عماد ايمان الله ينزل على عباده الانبيا ويوحي اليهم ويامرهم ان خوفوا عبادي عذابي وغضبي على شركهم بي فاني
لا اله الا انا فاخشون ولا تجعلوا معي الها غيري • وقيل اتى امر الله اي نزل كتاب الله فلا تستعجلوه لا تقولوا لم لا
اجتبيتها ثم قال على مشاكلته ينزل الملايكة • وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق فسرنا الحق في قوله وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فبهذا اورد تعالى عما يشركون فسرناه الان وهو قامة دلالة
التوحيد ولتقبيح الشرك والضلال البعيد • وقال القشيري خلق السموات والارض وما بينهما بالحق بقوله
الحق وحكمه الحق وله الحق وخلقهما للامر بالحق من تكليف الخلق وما يعقب التكليف من الحشر والنشر والثواب
والعقاب تقدس وتنزه عن ان يكون له شريك او معه مليك • وقوله تعالى خلق الانسان من نطفة اي ماء يخرج
من صلب الرجل وترايب المراة فاذا هو خصيم مبين اي فتنقله اطوارا الى ان ولد ونشا فصار بحيث يدفع عن نفسه
مخاصمته في امر الساعة ومحاجته بقوله من يحيي العظام وهي رميم نزلت في امية بن خلف الجمحي جا بالعظم الرميم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما رم وتعيده خلقا جديدا بعد البلا فانزل

الله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه الايات • وقال ابو حاتم الخصيم من يخاصم بالحق والخصيم بالباطل • قال تعالى ولا تكن للخائنين
خصيما • وقيل الخصيم المخصوم والخصم المتعنت • وقوله تعالى والانعام خلقها الانعام الابل والبقر والغنم من الحسن سميت
نعما لين مشيها وخرج من ذلك الحافر لصلابته وقيها لكم فيها دفء • قال ابن عباس اي لباس • وقال ايضا هو النسل والالبان
وسيرت الشعر والوبر • وقال الكلبي الدفء حواشي الابل يعني صغارها • وقيل هو ما يستدفا به من اوبارها واصوافها
واشعارها عن الحسن والدفء من السخونة وقد دفؤ ليلتنا من باب شرب اي سخنت وهو في الرجل بالثوب من حد علم
واستدفا بالثوب وراه فاه الثوب • وقوله تعالى ومنافع اي من الالبان والسمن والركوب والولد • وقيل هو ما ذكر في قوله
وجعل لكم من جلود الانعام الاية • وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها
تاكلون اي من لحومها وشحومها وخص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود • وقوله ولكم فيها جمال حين تريحون اي تردونها
الى منازلها بالليل وقد راحت هي رواحا واراحها صاحبها اراحة من الرواح وهو العشي وهو نقيض الصباح وحين
تسرحون اي ترسلونها الى المرعى وقد سرحت سروحا لازم وسرحها صاحبها سرحا متعدي وهو كالرجوع يعني انها اذا راحت
الى المنازل راجعة من مسارحها بالعشي ممتلية ضروعها منتصبة اسنمتها رافعة روسها فبها جمال لان الانسان
يتجمل بماله • قال تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا • وفي الخروج الى المرعى كذلك وقدم الابتدا بالاراحة
لزيادة الجمال وحسنها • وقيل على حين الربح • وقيل هو جمال يظهر في الوجه من السرور بها • وقيل هو جمال الفرح للاغنيا
وقيل هو جمال الغنام عن الناس وحاجتهم اليهم • وقوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
اي تحمل احمالكم وما يثقل عليكم حمله من المتاع الى البلدان البعيدة التي لا تبلغونها الا بشق الانفس اي الابدان
والشق المشقة • وقيل هو التكره التي تكاد تنشق منه النفس ان ربكم لرءوف رحيم لكم خلق لكم هذه الاشيا وسخرها
لكم • وقيل ذكر هذا لترحموا هذه الانعام بالاتفاق عليها والاحسان اليها • وقوله تعالى والخيل والبغال والحمير
عطف على قوله والانعام لتركبوها وتحجز ابي حنيفة رحمه الله في حرمة اكل لحم الخيل وبه استدل عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان الله تعالى ذكر هذه الاشيا بطريق تعداد النعم والامتنان بها لو كان يحل اكلها لم يكن من الحكمة ترك
ذكره وترك ما دونه في كونه نعمة وعرضا مقصودا ودلت الاية على حل اتخاذ البغال اذ لو حرم ذلك لم يكن من النعم
التي يمتن بها • وقوله تعالى وزينة يحتمل ان يكون تقديره وللزينة اي للركوب او للزينة او يكون تقديره لتركبوها
ولتكون زينة لكم كما ذكر في الانعام ان فيها جمالا لكم يحتمل احدى الكلمتين على موافقة الاخرى • وقوله تعالى ويخلق
ما لا تعلمون اي يخلق سوى هذه البهايم اشيا لا تعلمونها من انواع الحشرات في المفاوز والهوام تحت الارض وفي
البر والبحر ما لم يره البشر ولم يسمعوا به • وقيل هو ما يخلق في الجنة من ذلك لاهلها وفي النار لاهلها ما لم تروه
ولم تسمعوا به • وقال قتادة هو السوس في النبات والدود في الفواكه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله ليس لنا
ان نتكلف علم ذلك • وقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل اي في خلق ما ذكرنا عبرة ودلالة على الهدى وعلى الله
بيان قصد السبيل اي الطريق القاصد وهو المستقيم وهو طريق الحق وهو كما قال ثم ان علينا بيانه وليس ذلك
للوجوب فانه لا يجب على الله شي لكن نقول من الحكمة البيان منا للصواب من الخطا والرشاد من الضلال لتتبعوا
الرشاد وتجتنبوا الضلال وهو فعلنا ذلك ومنها جاير اي ومن الطرق طريق مايل عن السداد وقد بيناه كما بينا
الطريق المستقيم ولو شا لهداكم اجمعين اي اعطاكم الاهتدا لو علم منكم اختيار ذلك • وقيل معنى وعلى الله اي
وبه كما قال ومن ذبح على النصب اي للنصب • وقيل اي الى مرضوان الله ووصول قاصدي السبيل ومنها جاير اي من
هذا السبيل جايرون مايلون لا يقصدون رضا الله ولا ينتهون الى الله فمرهم على الشيطان • وقيل اي ممر القاصد
والجاير على الله كقوله ان ربك لبالمرصاد اي لا يخرج احد عن قبضته اي طريق سلك • وقال قتادة وعلى الله قصد
السبيل اي بيان الحلال والحرام • وقال السدي بيان الهدى ومنها جاير اي طريق الشيطان • وقال مجاهد قصد
السبيل طريق الحق ومنها جاير زايغ • وقال ابن المبارك قصد السبيل السنة ومنها جاير البدعة • وقال سهل
ابن عبد الله هو كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل • وقال القشيري قوم هداهم الله
السبيل وعرفهم الدليل وصرف عن قلوبهم خواطر الشك وعصمهم عن الجحد والشرك واطلع على قلوبهم شموس العرفان
وازاهم بنور البيان واخرون اضلهم واغواهم وعن شهود الحق اعماهم وفي سابق حكمه اذلهم واخزاهم ولو شا
لرفعهم وهداهم • وقوله تعالى وهو الذي انزل من السما ماء لكم منه شراب ومنه شجر هذا ايضا من اثار قدرته
وانواع رحمته اي مطرا منه تشربون ومنه ينبت الشجر والنبات والمرتعية فيه تسيمون اي ترعون مواشيكم
وقد سامت هي تسوم سوما اي رعت واسمتها انا اسامة ينبت لكم به الزرع اي ينبت الله لكم بالمطر الزرع
المختلفة من الحبوب التي تقتاتونها والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية اي فيما خلق
لعلامة على الوحدانية وقدرته وانعامه لقوم يتفكرون في الدلايل • وقوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره • قال الامام ابو منصور رحمه الله وجه تسخيرها ان الله تعالى خلقها وجعل فيها
منافع للخلق يصل اليهم شاوا او ابوا احبوا او كرهوا • وقوله بامره ليس هو امر تكليف بل هو امر تكوين • وقوله تعالى

ان في ذلك لآيات اي دلايل واضحة على قدرته لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في التامل فيها • وقوله تعالى وما ذرا لكم اي خلق
لكم ماذرا لكم اي خلق لكم في الارض من الملابس والمطاعم والمشارب والمراكب والمناكح والخدم والالات والارزاق والزينة
وغيرها مختلفا الوانه نصب على الحال ووحد ذلك لتقدمه على المنعوت فصار كتقدم الفعل على الفاعل وهو في تقدير الفعل
ايضا فلذلك رفع الوانه وتقديره تختلف الوانه واختلاف الوانها انه لا تشبه بعضها بعضا ان في ذلك لاية لقوم
يذكرون اصله يتذكرون اي يتعظون بمواعظ الله والايات للكل لكن الانتفاع لهؤلاء فخصوا بالذكر وبدا بقوله يتفكرون
ثم بقوله يعقلون ثم بقوله يذكرون ثم بقوله يشكرون وكذا الترتيب في الوجود فانه يتفكر اولا فيها فيعقل فيتذكر
فيشكر الله على نعمه • وقوله تعالى وهو الذي سخر البحر هو للجنس فيقع على كل البحار لتاكلوا منه لحما طريا اي السمك
بالاصطياد وتستخرجوا منه حلية تلبسونها اي اللالي والمرجان تجعلونها في حلي الذهب والفضة فتتزينون بها
وترى الفلك اي السفن مواخر فيه جمع ماخرة يقال مخر يمخر اي من حد دخل وصنع اي جرا تشق الماء مع صوت ولتبتغوا
من فضله تركبونها في الاسفار للتجارات ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا الله على هذه النعم وتسخير البحر بذليله
على ما هو عليه من كثرة الماء الحامل للسفن الثقال التي كانها الجبال تحمل انواع الاحمال فتجري فيه بالرياح وبالالات
التي الهمنا الله اتخاذها وعلمنا وجوه اجرائها وفيه قطع المسافات البعيدة في المدة اليسيرة فتقطع المسافات وتحمل
الحمولات في الماء بالسفن وفي البر بالدواب ومنه هديه كما من بذلك فيما تقدم وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس • وفي الاية دلالة اباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدايد • وقوله تعالى
والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بكم كما قال يبين الله لكم ان تضلوا اي ليلا تضلوا والميد التكفؤ
وقيل الاضطراب • وقيل الدوران • وقيل التحرك يمينا وشمالا • وقال كعب الاحبار لما خلق الله الارض جعلت
تكفا فخلق الله ملكا يقال له صاعديابيل فوضع رجله عليها فاستقرت ثم ارساها الله بالجبال • وقال وهب لما
خلق الله الارض جعلت تمور وتضطرب فقالت الملايكة انها غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد رست
بالجبال فلا تدري كيف ارسيت • وقوله تعالى وانهارا عطف على الاول اي والقى انهارا اي واضمر فعل اخر وجعل انهارا
انهارا كما يقال تقلدت سيفا ورمحا اي واعتقلت رمحا • وقوله تعالى وسبلا اي وجعل فيها طرقا تضلون بها الى
مقاصدكم كل مقصد طريق به توصل اليه في الحج والغزو والتجارات وساير الحاجات • وقوله تعالى لعلكم تهتدون
اي لتهتدوا الى المقاصد • وقيل اي لتهتدوا الى المراشد بالنظر في الادلة والشواهد • وقيل انما قال لعلكم
لانه لابد من الاستدلال في بعض المواضع للاهتداء الى المقاصد • وقوله تعالى وعلامات اي وجعل للطرق
علامات وهي معالم وسمت لها • وقيل هي الجبال والرياح ونحوها • وقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون اي بالنجوم
وهو اسم جنس تصلح للجمع كما يقال لفلان كثير الدرهم والدينار وهم يهتدون رجوع الى المغايبة بعد الابتداء
بالمخاطبة وهو احد انواع البلاغة والتوسع في الكلام • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وبالنجم هم يهتدون الى
الطرق • وقال السدي بالثريا والفرقدين وبنات النعش والجدي يهتدون الى الطرق • وقال محمد بن كعب
وعلامات اي الجبال بالنهار وبالنجم يهتدون بالليل • وقال قتادة انما جعل الله النجوم لثلاثة لتكون
زينة للسماء ومعالم للطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد اخطا الاية • وقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
استفهام بمعنى الانكار ومعناه استوى من يخلق ومن لا يخلق واراد به الاصنام وانما قال كمن ولم يقل كما لانه ذكر
فعل الخلق وهو ممن يعلم ولان من بمعنى ما موجود في القران فمنهم من يمشي على بطنه • وقوله تعالى افلا تذكرون
بعقولكم انه لا يستوي بين القادر والعاجز والخالق والمخلوق في العبادة • وقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها وادخلها ذكر ما مضى من الايات في بيان قدرته ونعمته ثم انكر على الكفار اشراكهم
بالله العاجز وبين بهذه الاية عجزهم من شكر نعمته بل عن عد نعمه • وقوله تعالى ان الله لغفور ساتر للذنوب
يمهلكم ولا يعاجلكم رحيم يكتفي منكم من الشكر بقدر وسعكم ويرضى بيسير الشكر على كثير النعم • وقوله تعالى
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون • قرا عاصم في رواية حفص يسرون ويعلنون والذين يدعون كلهن بالمغايبة
والباقون كلهن بالمخاطبة اي لا يخفى على الله شيء من عباده اسروا او اعلنوا • وقوله تعالى والذين يدعون
من دون الله اي من الاصنام لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون اي وهم مخلوقون لله اموات
غير احياء اي هي جماد لا حياة لها ولا جارحة لا علم لها • وقوله وما يشعرون ايان يبعثون اي وما تدري
هذه الاصنام متى تحشرون ومعناه ان هذه الالهة تحشر يوم القيامة فتجعل مع عبادها في جهنم كما قال انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون • وقيل اموات صفة المشركين اي اموات بالكفر غير احياء
بالاسلام وما تشعرون ايان يبعثون • وهو كقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا • وقوله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا اي لا يؤمنون بالغيب ولا يعرفون وقته ولا يعتقدون قربه ولا يستعدون له • وقوله تعالى الهكم
اله واحد اي المستحق لعبادتكم وتعظيمكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة اي لا يصدقون بالبعث قلوبهم منكرة
اي للتوحيد وهم مستكبرون اي معظمون عن الايمان لا جرم • قال الخليل هي كلمة تحقيق ولا تكون الا جوابا يقال فعلوا

كذا

كذا فيقال لا جرم انهم سيندمون فالمعنى على هذا حقا انهم لفي النار • وقيل لا رد لكلامهم وجرم بمعنى حق ووجب • وقيل جرم اي كسب
كفرهم ولا يجرمنكم اي كسب فعلهم لهم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي علمنا منهم فاعدها لهم جزاء عملهم • وقوله تعالى انه لا يحب
المستكبرين اي المتعظمين عن الانقياد للرسل • وقوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم اي من الوعيد اي ذكر لهم ان ربكم
انزل فيكم الوعيد فكيف تصنعون اذا حل ذلك بكم قالوا اساطير الاولين اي هي اساطير الاولين هم سطروها لا ان الله انزلها
وهذا رفع وقوله اساطير الاولين لانهم لم يقروا بانزال القران لكن فعل الانزال وافقنا عليها على زعمهم بل ابتدوا بذلك وصفه
وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة هي لام العاقبة اي فعلوا ذلك وتصير جزاؤهم في العاقبة انهم يحملون
ما حملوه من اثامهم كلها ومن اوزار الذين يضلونهم اي واثام الذين اتبعوهم وضلوا باضلالهم وانما قال من لانه
للتبعيض وفي حق انفسهم معاقبون بكل ذنوبهم • وفي حق الذين ضلوا باضلالهم فيما تبوءوا بالذنوب التي اذنبوها
باضلالهم دون سائر الذنوب • وقوله تعالى بغير علم اي بل هو عيب لهم بالجهل والسفاهة ومعنى نفي العلم اي لم يعلموا
انهم يضلون باضلالهم اولم يعلموا ماذا يلحقهم بهذا الاضلال اولم يعلموا ان اثام الذين ضلوا عليهم الا ساء ما يزرون
اي بيس ما يحملون من الاوزار • وقيل الاية نزلت في المقتسمين الذين قعدوا على الطريق يمنعون الناس عن اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغرونهم على الشرك والضلال وهو عام في حق كل مضل • وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيامة • وقوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم اي مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم
كما مكر بك هؤلاء فلم يضر ذلك بالانبياء فاتى الله بنيانهم من القواعد اي ابطل الله مكرهم واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون اي من الوجه الذين لا يشعرون انه ياتيهم من جهته وفي الوقت الذي لا يعلمون انه ياتيهم فيه • وقيل هو
على حقيقته البنا ومعنى قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد اي الاساس فخر عليهم السقف من فوقهم فالخرور لا يكون
الا من فوق وذكره للتاكيد كما في قوله يقولون بافواههم ومعنى التاكيد انه للتحقيق لا المجاز فقد يقول الرجل
خر على منزلي ولا يريد سقوطه عليه فاذا اراد ذلك قال خر علي من فوقي فهنا اراد انه سقط عليهم وهم تحته
فاهلكهم الله • وفي التفسير ان هذا البنا كان لبخت نصر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن اسلم
وهو صرح نمرود • وقال ابن عباس كان طول البنا في السما خمسة الاف ذراع • وقال كعب كان طوله في السما فرسخين
وبه قال المقاتل قال فهبت ريح فالقت راسه في البحر وخر عليهم الباقي من فوقهم وهذا الاثبات باجماع اهل اللغة
ليس باثبات انتقال وكذا في قولهم فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا في حق بني قريظة والنضير وهو حجتنا على
المجسمة في تاويل قوله وجاء ربك وهل ينظرون الا ان ياتيهم الله • وقوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم اي يفضحهم
ويذلهم مع ما اهلكهم في الدنيا وابطل مكرهم بالانبيا وهو تلبيسهم في تضرعهم بالباطل عند الضعفة وسعيهم
في هلاك الانبيا • وقوله تعالى ويقول اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم اي توبخهم فيقول اين الالهة التي
كنتم تجعلونها الهة وتعادون الانبيا بسببها اين هم فيدفعوا عنكم ما نزل بكم قال الذين اوتوا العلم اي المومنون
الذين اعطوا العلم بالله وبدينه ان الخزي اليوم اي الفضيحة والمذلة • وقوله تعالى والسوء اي المكاره التي
تسوءهم على الكافرين اي المشركين بالله وهم يومئذ ان يظهر الله منازل الانبيا والاوليا منهم ويسرهم فيذكروا ذلك
وذكروا حال الكفار • وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم نصب على الحال فالقوا السلم اي
الاستسلام اي انقادوا وهو ماض بمعنى المستقبل والحق الماضي لانه كاين لا محالة ما كنا نعمل من سوء اي يقولون
وهذا مضمر لدلالة الحال عليه • وقوله تعالى من سوء اي كفر يتبرون منه • وقيل معناه ما كان ذلك عندنا سوء
فيقال لهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون لا تجهلون الاسوا فالله عليم بما كنتم تعملون فلم ينفعكم انكاركم ولا جهلكم
بالسوء اذ كانت الادلة واضحة والبراهين لايحة فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها لا خروج منها ولا خلاص
منها فلبيس مثوى المتكبرين على الله وعلى اوليايه وقد سبق ذكر تكبرهم بقوله قلوبهم منكرة وهم مستكبرون فان
كان هذا القول لهم عند الموت فمعناه فادخلوا ابواب جهنم اذا بعثتم وابوابها طبقاتها ودركاتها وهي بعضها فوق
بعض ولعل هؤلاء يستحقون العذاب في الدرك الاسفل او في الدرك الرابع فلا يصلون اليه الا بمجاوزة
الابواب اجمع ويجوز ان يكون لكل طبقة بيوت ولكل بيت باب ويجوز ان يكون هذا اخبارا لهم عند الموت بحال
القبر لانه باب من ابواب جهنم للكافر • وقوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اخبر بعد الخبر
من الكافرين عن المومنين الذين اتقوا الشرك انهم اذا سيلوا من كتاب الله ماذا انزل الله فيه قالوا خيرا اي انزل
خيرا لان القران خير فيه هدى ونفع وشفا لما في الصدور ويستدل به على الله وعلى انبيائه وشرايع دينه ومعجزاته
لا يحصى • وقيل اي انزال الشرايع ومكارم الاخلاق ونصب خيرا بوقوع فعل الانزال عليه • وفي الاول قالوا
اساطير الاولين بالرفع لانهم لم يقروا بالانزال قالوا هي اساطير الاولين • وقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى في هذه الدنيا حسنة اختلفوا انه قولهم او ابتدا الكلام من الله فاجاز الحسن فيه الوجهين وكذلك
الزجاج والاظهر انه كلام الله تعالى لانه ابلغ في الدعا الى الاحسان ولانه اذا لم يفهم الدليل القاطع انه حكاية عنهم

في الدنيا
نعت للكفار
كنتم
انبياءهم

بنو من كلام الله تعالى ثم معناه للمحسنين حسنة في الدنيا وهي التوفيق والعصمة والنجاة من العذاب المعجل الذي نزل بالمشركين ولدار الآخرة خير اي ولدار الحياة الآخرة او النشأة الآخرة خير لهم مما اصابوه في الدنيا ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعم كلمة مدح فنعم الدار الجنة اذ لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها دائم وصاحبها خالد جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن هي صفة تلك الدار كذلك يجزي الله المتقين ثم وصف المتقين فقال الذين تتوفاهم الملائكة طيبين اي طيبي الاعمال والقلوب من دنس الشرك يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي اذ بعثتم وقوله تعالى هل ينظرون اي ما ينتظر مشركوا قريش الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وهم ظالموا انفسهم او يأتي امر ربك بعذاب ينزل بهم في الدنيا مثل ما نزل بمن قبلهم استعجلوا العذاب وما ظلمهم الله اي ما عذبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون يوردون انفسهم موارد الهلكة بالشرك وينقصون حظوظها من الجنة فاصابهم سيئات ما عملوا اي الجزية السيئة باعمالهم السيئة وحاق بهم نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن العذاب الذي كانوا يستهزؤن به ويجحدونه هزوا • وقوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين • انما انكر الله هذا القول على المشركين وهو حق في نفسه اذ الكائنات كلها بمشية الله تعالى لان بعض المشركين من العرب كانوا يقولون هذا القول ويقصدون ان ينفوا عن انفسهم الملامة والمذمة بالكفر من الشرك والمعاصي وكانوا يقولون لا لوم على عاصي فاكذبهم الله تعالى وبين انه لا عذر لهم ولا يسقط اللوم عنهم لان مشية المعاصي من الله معناها انه اراد ان تكون معصية قبيحة منهم ملوما عليها مرتكبها معاقبا بها ولا اكراه منه لهم على ذلك فلم يسقط عنهم اللوم وقد شرحنا ذلك في سورة الانعام باتم من هذا • وقوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ المبين الظاهر وقد بلغوا ان مشية الله ليست بعذر لهم • وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه واجتنبوا الطاغوت اي الشيطان والصنم وكل ما يدعوا الى الشرك والضلالة فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي اختلفت الامم فمنهم من هدى الله اختاروا تصديقهم واتباعهم فارشدهم الله لذلك ومنهم من اختاروا تكذيبهم ومخالفتهم فخذلهم بسبب كفرهم وحقت لهم الضلالة • وقوله تعالى فسيروا في الارض معاشر المؤمنين فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم وجعلها لمن بعدهم وكذلك نفعل بمن فعل فعلهم • وقوله تعالى ان تحرص على هداهم اي يا محمد ان جهدت على هدايتهم فليس الامر اليك فان الله لا يهدي من اضله فعلم اختيارا الضلالة منه وقرأ الباقون لا يُهدى بضم الياء على ما لم يسم فاعله والهاء العائد في آخره اي من يضلل اي من اضله الله لا يهدى ابدا اي لا يهديه احد وما لهم من ناصرين جمع لان من يصلح للجمع لانه جنس يعني وما للضالين ناصرون يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي اعد لهم وينزله بهم • وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم اي وحلفوا بالله مجتهدين في ايمانهم مظهرين من انفسهم انهم بارون فيها لا يبعث الله من يموت وهو وصف منهم لله بالعجز من بعث الموتى بلى وهو رد عليهم قولهم وعدا عليه حقا هو قادر عليه وقد اخبر به وهو محقق هذا الوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون كمال قدرته وبلاغ حكمته في بعثه بعد اماتته ليبين لهم الذي يختلفون فيه اي يبعثهم ليبين لمنكريه ما يختلفون فيه فمنهم من كان يقطع القول بكونه ومنهم من كان يشك فيه ومنهم من كان يقطع القول بنفيه ويحتمل الاختلاف في امور اخر من امور الدين فيبين لهم ليظهر الحق من الباطل وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في تكذيب الرسل وجحود البعث وهذا اثبات الجهل للكل وليس هذا عذرا بالجهل لانهم كانوا متمكنين من النظر في الدلائل ليعلموا • وقيل معنى الاية وليعلم الذين كفروا اي الاتباع انهم اي الرؤساء المعاندون بعد العلم كانوا كاذبين فيما ادعوا والاتباع الى ذلك دعوا في تقليده واقامة سنوا • وقيل بعد بيان الاختلاف معنى مضمر وهو قوله ثم يجزي المحق والمبطل في الاختلاف كلا على وفق عمله • وقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي بعث الموتى علينا يسير لا يحتاج فيه نصب انما هو ان نقول له كن فاذا هو كائن وهو عبارة عن سرعة الايجاد ثم معنى قوله انما قولنا لشيء وتسميته شيئا انه يصير بعد وجوده وسمي به لقربه من حالة الوجود • وقوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله من بعد ما ظلموا وهذا مدح المؤمنين بعد ذم الكافرين اي والذين هجروا اهاليهم واوطانهم في احياء دين الله ونصرة رسول الله بعد ما ظلمهم هؤلاء المشركون وعذبوهم وراودوهم بالعقوبة الى الكفر لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي لنمكنن لهم في الدنيا منازل حسنة يرضونها ابدا لا عن دورهم التي هجروها وقد فعل ذلك حيث اواهم بالمدينة وجعل لهم انصارا واعوانا على اعدائهم وانسوهم بالنفوس والاموال فاثروهم على انفسهم بكل شيء ولاجر الآخرة اكبر ولاجر الدار الآخرة وهو الثواب الذي يؤتيهم فيها اكبر واعظم قدرا من الذي يعجل لهم في الدنيا من حسان الاوطان والامن على الدين والابدان لو كانوا يعلمون اي لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ما اعد الله للمهاجرين في الآخرة من النعيم لكن بجهلهم يظلمون فلو علموا لم يفعلوا بل وافقوهم لينالوا في الآخرة ما ينالونه هؤلاء وقول القائل هو خير لك لو علمت لاشتدت رغبتك فيه • وقوله تعالى الذين صبروا هو نعت المهاجرين اي صبروا على

ايذائهم وعلى ايذاء عدوهم في الله وعلى ربهم يتوكلون اي في امورهم ويرجون الظفر بعدوهم • وقيل نزلت الآية في ابي جندل بن سهيل ابن عمرو • وقيل نزلت في ستة نفر بلال بن رباح • وصهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان • وخباب بن الارت مولى ام انمار وعمار بن ياسر مولى ابي حذيفة وعابس وجبر اخذهم المشركون فعذبوهم ثم تخلصوا فهاجروا فنزلت الآية في شانهم • وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم • قيل نزلت في ابي جهل والوليد بن المغيرة وعبد الله بن ابي امية المخزومي قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هلا بعث الينا ملكا يصدقك بما تقول فنزلت ومعناه ما ارسلنا قبلك ملائكة انما ارسلنا رجالا آدميين يوحى اليهم على لسان ملك فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتب المتقدمة لانهم اهل المعرفة بما ذكره الله لهم من فرائضه وشرائعه واقاصيص انبيائه ان كنتم لا تعلمون انتم بالبينات والزبر قيل متصل بقوله وما ارسلنا قبلك بالبينات والزبر الا رجالا ارسلناهم بالبينات والزبر والبينات المعجزات • وقيل الشرائع الواضحات والزبر الكتب جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب وانما امر المشركين بسؤال اهل الكتاب لانهم كانوا يرجعون اليهم ويقبلون قولهم فاثبت الحجة عليهم بجنس ما يركنون اليه • وقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر اي الكتاب الذي فيه ذكر ما يحتاج كما انزلنا على من قبلك لتبين للناس ما نزل اليهم لتوضح لهم معاني ما شرع لهم ولعلهم يتفكرون اي وليتفكروا فيك وفيما انزل عليك فيستدلوا بذلك على صدقك وهو معنى كلمة لعل لانها في الاصل للترجي وهو ما يكون ولا يكون وكذا ما يقع بالاستدلال وقوله تعالى افامن الذين مكروا السيئات استفهام بمعنى اثبات الذم لهم بذلك ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى النهي اي لا تأمنوا ذلك فانهم قد استحقوه ومكروا السيئات له معنيان احدهما انهم اخفوا الاعمال السيئة عن العباد والله مطلع منهم عليها والعزم مكروا بالنبي عليه السلام ما كان سيئة وهو انهم هموا بالنبي صلى الله عليه وسلم ذلك • وقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من السماء بغتة كما كان لقوم لوط ويوم او يأخذهم في تقلبهم اي في اسفارهم وتصرفاتهم في امورهم فما هم بمعجزين بفائتين وقد اعجزني الشيء فاتني فعجزت عن اخذه والتقلب هنا ثلاث معان في السير في البلاد كما قال لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والتصرف بالليل والنهار بالاقبال والادبار والذهاب والمجيء في الامور المعهودة كما قال وتقلبك في الساجدين والتدبير في وجوه المكر والكيد كما قال وقلبوا لك الامور فخوفهم الاخذ في بعض هذه الاحوال • وقوله تعالى او يأخذهم على تخوف • قال سعيد بن جبير بينما عمر بن الخطاب على منبره قال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله تعالى او يأخذهم على تخوف فسكت الناس فقام شيخ فقال يا امير المؤمنين هذه لغتنا بني هذيل التخوف التنقص فقال عمر فهل تعرف ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرها ابو كبير الهذلي •

تخوف الرحل منها تامكا صلبا • كما تخوف عود النبعة الصلب •

فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم • وذكر ابان بن تغلب عن ابن عباس قال كنت اقرأها ولا اعرف معناها حتى شكا اعرابي الى خاله فقال ان اباه هلك وترك ابلا فاحوا فيها بعيرا بعيرا حتى اذهبها فقلت انه التنقص وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ان معناه على تنقص ومعناه انه يأخذ الاول فالاول حتى لا يبقى منهم احد وللهلاك حالة يخاف منها الهلاك والفنا • وقال الحسن يهلك القرية فتخاف قرية اخرى • وقيل كقوله افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها فمعنى قوله او يأخذهم على تخوف اي تنقص من نواحيهم واطرافهم حتى يتم الهلاك لجميعهم بعضهم على اثر بعض ومعناه انه لا يأتيهم بل يأخذ القرى التي حولهم حتى تخلص الامر اليهم فيهلكهم • وقيل معناه انه يأخذهم بتنقيص اموالهم وانفسهم دون العذاب المستأصل • وقيل معناه يهلك ما جاورهم من البلاد ويدعهم على خوف ان يأخذهم ثم يأخذهم فيكون اخذا بعد تنغيص العيش عليهم زمانا بتخويفهم كل وقت ان ينزل عليهم • وقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء تتفيؤ ظلاله • قال ابن عباس رضي الله عنهما تتميل والفيء الظل الذي بعد الزوال لانه يفيء اي يميل عن الجانب الذي كان الى الجانب الآخر • ووصل الرؤية بكلمة الى لانها بالنظر متصل فصار كذكر النظر كانه قال اولم ينظروا الى كل ما خلقه الله من شيء صغير او كبير تتفيؤ ظلاله اي يرجع ظل كل شيء من موضع الى موضع يمينا وشمالا على حسب تحول الشمس مشرقة ومغربة تختلف ذلك باول النهار وآخره وما للبلدان لتصريف الله اياه • وقال عن اليمين على الواحد ثم قال وعن الشمائل بالجمع لوجوه احدها انه بدأ بقوله ما خلق الله ولفظه لفظ واحد فالحق عليهم ولام يحيزون على الجمع وتقديره عن يمين كل واحد من ذلك وعن شمائل الجميع • وقيل اكتفى في الاول بالواحد لانه جنس يصلح لارادة الجمع به كما قال ويولون الدبر ثم يخرجكم طفلا وجمع في الشمائل لتحقيق الجمع المراد بالاية سجدا لله قيل ظلالها والسجود الخضوع لله بالخلقة والدلالة على وحدانية الله تعالى بالصنعة • وانشد اهل اللغة شعرا ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • جعل الاكم اذ لم يمتنع لها الامتناع من وطي الحوافر اياها سجدا لها فكذلك ظلال الاشياء لما لم يكن فيها الامتناع من التصرف على ما يصرفه الله تعالى اليه جعلت ساجدة لله وهم داخرون اي صاغرون • وقوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة وهم لا يستكبرون اما من كان منهم عاقلا مؤمنا فطاعته بالامر وما كان لا يعقل فبالتسخير بدلالة الخلقة واما الكافر الغافل فما كان فيه من آثار الصنعة ودلائل الحدوث يشهد لله

باستحقاق العبادة له فكلهم يسجد لله من هذا الوجه وهو معنى قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال • وقوله تعالى وهم لا يستكبرون اي الملائكة يخافون ربهم من فوقهم اي الذي هو فوقهم عليهم ان يخافوه ويفعلون ما يؤمرون خوفا له وعلما بعظمته ونفاذ سلطانه وقدرته • وقيل يخافون عقاب ربهم من فوقهم لانه يأتي من فوق وقوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اي بهذا امر الله تعالى لا تتخذوا الهين • وقيل هو على نظمه وهو توكيد لا تتخذوا الهين اي لا تجعلوا لله ثانيا وهو واحد وذلك قوله انما هو اله واحد فاياي فارهبون اي خافون ولا تخافوا غيري وهو رجوع عن المغايبة الى الاخبار عن نفسه وهو من التوسع في الكلام • وقوله تعالى وله ما في السموات والارض اي خلقا وملكا وله الدين واصبا • قال ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد اي دائما وقد وصب يصب وصوبا من باب ضرب • قال الدولي لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه • يوما بذم الدهر اجمع واصبا • والوصب عن الاعيا بدوام العمل وقد وصب يوصب اصوبا فهو وصب من باب علم افغير الله تتقون استفهام بمعنى الانكار اي ينبغي لكم ان تتقوا غيره او تعبدوا غيره وتطيعوا غيره وله الدين واصبا فهو الباقي الدايم الذي لا يزول ولا يحول فلا تستطع الطاعة لما قد يزول عاله • وقوله تعالى وما بكم من نعمة من سعة رزق وصحة جسم وانبساط حياة وكثرة مال ووفور اتصال واعوان وساير حسنات الدنيا فذلك كله من الله وقوله تعالى ثم اذا مسكم الضر اي السقم والضيق والبلاء فاليه تجأرون تضجون بالدعا والمسألة والجوار رفع الصوت بالتضرع والسقم كلها والفرج كله به والقدرة بكماله فما ينبغي ان تبتغي غيره اي تعبد غيره • وقوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون اي بالاصنام التي لا تنفع ولا تدفع فلا ترجون ادرار النعم ولا كشف الضر الا منه ثم تشركون به غيره مما لا يكون منه شي من ذلك وهذا كفران لنعمة الله تعالى منهم • وذلك قوله ليكفروا بما اتيناهم اي من النعم • وقيل اي ليجحدوا ما اتيناهم من الايات وقوله تعالى فتمتعوا فسوف تعلمون اي عيشوا في دنياكم وتلذذوا بها قليلا ثم تنقضي • وقوله تعالى فسوف تعلمون ما يترك بكم من الخزي والهوان • وقوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ومرجعها الا انهم انهم يسمون الاصنامهم اشيا من انعامهم وزروعهم اي يجعلون مما رزقناهم وهم لا يعلمون لها هذا النصيب وهو ما ذكر في قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية وتحتمل لما لا يعلمون اي الاصنام لا تعلم انه جعل لها نصيب وجمع فعلها بالواو والنون وهي جماد لان الكفار احلوها محل من يعقل • وقوله تعالى تالله لتسألن عما كنتم تفترون وصرف الكلام عن المغايبة الى المخاطبة وهو من وجوه الكلام واذا سيلوا عن ذلك لم يكن لهم حجة على ذلك فعوقبوا به • وقوله تعالى ويجعلون لله البنات اي ويضيفون له ذلك فيقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيها لله عن ذلك اي هو منزه عنه ولهم ما يشتهون من البنين يجوز ان يكون ما رفعا على انه جزء اللام ويجوز ان يكون نصبا عطفا على البنات بوقوع ويجعلون عليها اي اذا حملت امراة احدهم تمنى واشتهى ان يكون ولدها ذكرا وهو كقوله ام له البنات ولكم البنون • وقوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو اي متغيرا من الغم وهو كظيم • قال ابن عباس اي حزين • وقيل هو المغموم الذي يطبق فمه لا يتكلم للغم الذي به ماخوذ من الكظامة تقول اذا اخبر احدهم بولادة بنت له اسود وجهه تغيرا وغيرا من الانفة والذل وبقي ممتلي القلب من الغيظ ساكت اللسان عن الغم لا فرح له بما اصابه • وقوله تعالى يتوارى من القوم اي يستخفي حياء منهم وكراهة ان يهنى بها ويفكر في نفسه ايمسكه على هون اي يمسك ما بشر به على هوان لسقوط قدره عنده ام يدسه في التراب اي يخفيه وهو الموؤدة وهو دفنها حية الا سا ما يحكمون اي بئسما حكمهم يختارون لانفسهم البنين ويضيفون الى الله البنات ويرضون لربه الا يرضون به لانفسهم • وقوله تعالى للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء اي صفة السوء وهو ما ذكر عنهم • وقوله تعالى ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا في الملك والسلطان والعزة والتنزه عن الشركا والانداد وهذا لا يخالف قوله فلا تضربوا لله الامثال فنهى عن ذلك مطلقا وذكر له المثل الاعلى هنا لان ذلك نهي عن الوصف بالاشباه وهذا اثبات للصفة العليا وهو العزيز المنيع على من رام منعا لنفسه من تعذيب من اراد تعذيبه الحكيم في امهال العباد الى ان يحق بهم القول • وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم اي ولو يعاقب الله الكفار بظلمهم انفسهم وعتوهم وعبادة الله بصدهم عن الحق • وقوله تعالى ما ترك عليها اي الارض كناية عن شي لم يسبق ذكره لكنه معلوم فهو كما في قوله حتى توارت بالحجاب • وهو كقول لبيد •

حتى اذا القت يدا في كافر • واجن عورات الثغور ظلامها •

يعني الشمس وقوله تعالى من دابة اي لادى ذلك الى انه لا يبقى على الارض من يدب اي لهلك اهل الارض من سكانها وهذا يدل على ان الله تعالى لو يعاجلهم بالعقوبة وان كان في المعلوم انه لو اخرهم لتابوا عن المعاصي خلافا للمعتزلة القايلين بالاصلح ولكن يؤخرهم اي برحمته لا يعاجلهم ولكن يمهلهم الى اجل مسمى عنده اما في الدنيا اذا شا ان يهلكهم اهلكهم واما في الاخرة وهو وقت الحساب وهو الاجل المسمى لحساب الخلايق اجمعين واي وقت الاجلين حل لم يتاخر العذاب عنهم وهو قوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون • وقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات • وقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ترجمة عن الكذب

والحسنى نعت بانه • قال الزجاج تصف السنتهم بان لهم الحسنى من الله تعالى اي العقبة الحسنى وهي البنون اي فيضيفون البنين ويجعل لله البنات • وقيل ارادوا بالحسنى الاحوال الحسنة في الاخرة وهو كقوله ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • ولين ردت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا • وقرا ابن عباس السنتهم الكذب بضم الكاف والذال والبا نعتا للالسنة وهي جمع كذوب كالرسل جمع رسول • وقوله تعالى لا جرم ان لهم النار حق ورد لكلامهم وجرم اي كسب قولهم هذا ان لهم النار فانه كفر وكذب وانهم مفرطون • قال سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك متروكون في النار منسيون فيها من قول العرب ما افرطت ورائي احدا اي ما خلفت وما تركت • وقال الحسن وقتادة في رواية معجلون الى النار متعجلون اليها وهو من قول العرب افرطنا فلانا في طلب الماء فهو مفرط اي قدمناه لطلبه وفرطا هو فهو فارط من حد دخل اي تقدم وجمعه افراط • وقال القطامي شعر • واستعجلونا وكانوا من صحابتنا • كما تعجل فراط لوراد • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض • وقرا ابو جعفر فانهم مفرطون بكسر الرا وتشديدها اي مفرطون في الواجب • وقرا نافع في رواية ورش مفرطون باسكان الفا وكسر الرا اي المجاوزون حدود الشرع المسرفون في الذنوب • وقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد وهو تسلية له في تكذيب قومه اياه فزين لهم الشيطان اعمالهم اي الشرك والمعاصي فهو وليهم اليوم فالشيطان ولي المشركين المتقدمين فهو ولي اوليك القوم ولهم عذاب اليم اي وقيل فاوليك عذاب اليم في الاخرة لا يدفعه عنهم فهو بولايته وكيف وهو لا يمكنه الدفع من نفسه فكيف من غيره • وقوله تعالى وما انزلنا عليك القران الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي من امر الاخرة والبعث ومن امور الدين وهدى ورحمة نصب بالنسق على موضع اللام من قوله لتبين لان معناه الا لارادة تبيينه لقوم يؤمنون هم الذين ينتفعون دينا لا بد الذي ولو قبله • وقوله تعالى والله الذي انزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها وهو من النعم التي عددها عليهم • وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يسمعون القول فيتدبرونه بعقولهم وهو كما قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد • وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بها في قدرة الله تعالى على احيا الموتى والعبرة تمثيل الشي بالشي لتعرف حقيقته من طريق المشاكلة ثم بين هذه العبرة بقوله نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين اي نعطيكم شرابا من بطون ذوات الالبان من الانعام وهي الابل والبقر والغنم لبنا خالصا يخرج من بين فرث ودم فلا يتعلق منها شي يؤثر في لونه وطعمه بل يكون سايغا هنيا سهل الجري لمن شربه النعض به فكذلك يقدر على اخراج ما تبدد من ابدان الموتى من حيث تبدد مما اختلط به حتى يخلصه من جميع ذلك بدنا كما كان في الدنيا لا يختلط به من غيره شي • وقرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بفتح النون • وقرا الباقون بضمها وبالفتح من سقى وبالضم من اسقى وهما لغتان في معنى واحد • قال لبيد •

سقى قومي بني مجد واسقى • نميرا والقبايل من هلال •

وقيل سقاه اي اشربه واسقاه اي جعل له سقيا اي شرابا دايما من نهر او لبن او غيرهما • وقوله تعالى في بطونه ولم يقل من بطونها وهي جمع لان الانعام والنعم في معنى واحد فصارة كرها ذكره فجاز توحيده وهو كقول الشاعر ومات الباب اللقاح نزدردا الى اللبن لانه بمعناه • او يحمل كناية عن ما يعني بطون ما ذكرنا او عن اي تقديره من بطون ايها كان ذبية اللبن والفرث الثفل الذي ينزل الى الكرش • وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب عطف على قوله ما في بطونه اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب سكرا او نحو ذلك • وقيل ونفصل من تتخذون ثم اعاد من مع الهمين تقديمه الاولى استغنا بانها اتصلت بهذا الفعل • وقيل ومن ثمرات النخيل والاعناب عبرة • وقوله تتخذون منه سكرا منه توحيد كتوحيد بطونه بوجوهه والسكر هو خمر التمر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وابن جريج والشعبي وابو رزين والحسن ومجاهد وقتادة والسكر ما حرم من الشراب والرزق الحسن ما احل منه • وقيل السكر الطعم • قال الشاعر جعلت عيب الاكرمين سكرا اي طعما • وقيل هو العصير الذي لو نزلت ابا ما يسكر فابيح شربه قبل ان يبلغ حد السكر ومن الله تعالى به والرزق الحسن هو الزبيب والرب والخل وما يتخذ من العنب والتمر وراء هذا • وقيل هو خل التمر كما قلنا وكان هذا قبل قرار تحريم الخمر وهو اول الايات نزولا فيها ولم يميز السكر من الرزق الحسن فلما نسخوا عن شربها ثم تلت سايرا الايات على الترتيب الذي ذكرناه في سورة البقرة ثم اتضا لهذا باول الاية انه قال ومن ثمرات النخيل والاعناب تستخرجون منه عصيرا يخرج من قشر قد اختلط به وكذلك ستخلصون ما تبدد من الميت مما هو مختلط به فانكم اذا استخلصتم العصير من العنب والرطب بتعليم الله اياكم لم ينبغ ان تنكروا امثاله من الله تعالى • وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في الله فيها • وقوله تعالى واوحى ربك الى النحل اي الهمها ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي يتخذون من عرايش الكروم الهمها الله ان تتخذ بيوتا في هذه المواضع ثم كلي من كل الثمرات • قيل هي للتمكين كما في قوله ثم كلي شي بامر ربها فاسلكي سبل ربك ذللا اي السبل التي ذللها الله لك والطريق الذلول التي لا ينوعر على سالكها وهذا عن مجاهد والذلل على هذا صفة السبل • وقال قتادة ذللا اي مطيعة جمع ذلول وهي على هذا صفة النحل • وقوله تعالى يخرج من بطونها هو رجوع من المخاطبة الى المغايبة توسعا في الكلام اي من بطون النحل

وهي تجيء على شراب مختلف الوانه فمنها ابيض واصفر واحمر اي في الشراب وهو العسل شفا للناس اي ممادوا بهم وعامة الادوية
المعجونة لا تخلو منه وان زعم زاعم انه قد يهيج الصفرا فليس من شي الا وقد يضر وينفع وانما المقصود ما فيه من غالب الشفا
وروي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخي قد اشتكى بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه عسلا فما زاده
الا استطلاقا فعاد الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال صدق الله وكذب بطن اخيك • وقال الحارث
بن الاعور جا رجل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فشكا اليه سوء الحفظ فقال ارجع الى اهلك قال نعم فقال الرجل ما تملك
من مهرها درهمين عن طيب نفس فاشتر بهما لبنا وعسلا واشربهما مع شربة من ما المطر على الريق ترزق حفظا فسئل الرجل
عن هذا فقال اخذه من قول الله تعالى وانزلنا من السما ما مباركا وفي اللبن خالصا سايغا للشاربين وفي العسل فيه
شفا وفي المهر فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة والشفا والهني والمري والخالص السايغ فلا عجب ان ينفع •
وقوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي للذين تفكروا فعلموا ان النحلة مع صغر جثتها وضعف خلقتها لا تهتدي
لصنعة العسل بنفسها وان ذلك بصانع صنعها وخالف بينها وبين غيرها من الحشرات الطايرة فاستدل بذلك على انه
واحد لا شريك له ولا شبيه • وقال القشيري ان الله تعالى عرف عباده في هذه الاية ان التفضيل ليس من جهة
فان النحل مع خساسته وقلة قيمته وصغر جثته جعل ما وراه عسلا هو شفاء للناس فالانسان في كمال الصورة
وتمام عقله وفطنته وعلو رتبته وان منهم الانبيا والاوليا في خصايص كثيرة سواها ثم جعل فيها ورا ما هم من الوحشة
ما لا يخفى فاي علة اوجبت للنحل هذه الفضيلة واي ذنب للانسان اوجب هذه الوحشة ليس ذلك الا فعل الحي
وقال ان الله تعالى اجرى سنته ان يخفي كل شي عزيز في شي حقير جعل الابريسم في الدود وهو اصغر الحيوانات
وجعل الدر في الصدف وهو اوحش حيوان من حيوانات البحر واودع الذهب والفضة والعنبر وضع في الحجر كذلك
اودع المعرفة والمحبة له في قلوب المومنين ومنهم من يعطي ومنهم من يبتلي والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل
العمر اي ارداه وقدر ذل وردا له من حد شرفه • وقال علي رضي الله عنه هو اذا بلغ سبعين سنة يتعطل عن العمل والتصرف
والاكتساب والحج والغزو ونحوها ويخرف فينكر عقله وذلك قوله لكيلا يعلم بعد علم شيا مما كان يعلمه • وقوله
تعالى ان الله عليم بالعباد قدير على ابقايهم وافنايهم وتقليبهم من حال الى حال من الصبي والشباب ثم الى
الكهولة ثم الى الشيب ثم الى الخرف • وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فجعل منهم الغني والفقير
والمستكثر والمقل • وقوله تعالى فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سوا اي فليس الاغنيا
المفضلون في المال على غيرهم برادين ما رزقهم الله على مماليكهم اي جاعلين لهم في اموالهم شركا حتى يكون المالكون
والمملوكون سوا في التبسط والانفاق منه وحتى شركوهم في بساتينهم واملاكهم فاذا كنتم لا ترضونه بهذا من انفسكم في املاككم
فكيف تحكمون به في املاكي وهم خلقي وعبيدي فتجعلوهم لي شركا • وقوله تعالى افبنعمة الله يجحدون اي اذا اشركتم بي غيري فقد
جحدتم نعمتي لان النعم كلها مني والعبادة والشكر والطاعة لا تحق الا لي • وقرا عاصم تجحدون بتا المخاطبة كما قال في قوله
فضل بعضكم على بعض وبالياء من بيا المغايبة كما قال برادي رزقهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في نصارى
نجران قالوا ان عيسى ابن الله فقال الله انتم تشركون عبيدكم معكم في املاككم فاذا لم ترضوه لانفسكم فكيف ترضونهم به
لي • وقيل نزلت في قول المشركين في التلبية فانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك • وقوله
تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وهذا ذكر نعمة اخرى اي امهن حوى خلقت من ادم • وقيل من انفسكم اي بشرا
مثلكم كما قال لقد جاكم رسول من انفسكم • وقوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة • قال ابو عبد الله وابو
الضحى وابراهيم وسعيد بن جبير اختانا • وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وطاوس بني خدمنا وعلى هذا
قولهم بنين وحفدة هم واحد والخدم من البنين • وقيل هم ولد الولد • وقيل هم النوافل • وقيل هم الاعوان • وقال
جميل حفدة الولايد حولهن واستسلمت باكفهن ازمة الاجمال واصل الحفد الاسراع في العمل ومنه السعي يحفد حفدا
ومنه قول الداعي في القنوت واليك نسعى ونحفد • وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات اي الاطعمة الشهية • وقيل
الحلال افبالباطل يؤمنون اي فيما جعل لكم الشيطان من تحريم بعض الطيبات في الزروع والانعام تؤمنون فتجعلونه
دينا وهو باطل وبنعمة الله التي انعم عليهم في احلال هم يكفرون فهذا منكر عجيب • وقوله ويعبدون من دون الله ما لا
يملك لهم رزقا اي جمادا لا يملك لهم رزقا اي ترزيقا من السموات والارض شيا مفعول به نوع فعل الرزق عليه
اي لا يقدرون ان يرزقوهم من السما مطرا ولا من الارض نباتا • وقوله تعالى ولا يستطيعون اي بانفسهم والا ان
لا ملك اي لا يملكون الامر بنفي السلطان والقدرة عنهم جميعا وقد يملك الانسان ما لا يعطي لكنه يستطيع ان
يعطي اذا اراد فنفى عن الاصنام الملك والقدرة بهاتم وحد بيان العظما وجمع يستطيعون لمعنى ما لانه اريد به الجمع
وقوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال اي لا تصفوا الله بالاشباه ان الله يعلم صواب الامثال من الشياطين ما يفعلون
من تحريمهم وتحليلهم ان الله يعلم المصالح والحكم فيما احل وحرم وانتم لا تعلمون فحللوا وحرموا • وقيل ان الله يعلم
وعيدا اي يعلم ما تصنعون قولا وفعلا وعقدا فيجازيكم على ذلك كله • قال القشيري تعليق القلب بالشخص وسبب
مثله في العبادة للاصنام من حيث انه يضيع الوقت فيما لا يعنيه وفيه استحق من الله في التضييق مقته • وقوله تعالى

وفي الزمان فيما لا يجري على صاحبه بشي ولا يعنيه ومن ضيع وقته فيما لا يعنيه وفيه استحق من الله في التحقيق مقته • وقوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا • قال ابن جريج من عطا عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر
الصديق • وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم يعني ابي بن خلف الجمحي هل يستوي هو ومن يامر بالعدل يعني حمزة وعثمان
بن مظعون • وقيل عثمان بن عفان • وقال مقاتل عبدا مملوكا هو هشام بن عمرو والحارث بن ربيعة القرشي كان رجلاه
قبل الغزو يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رزقناه منا رزقا حسنا يعني المومن • وقوله احدهما ابكم لا يقدر
على شي هو ابو العيص بن امية بن عبد شمس وهو كل على مولاه اي ثقل وله عيال عليه • وقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شي وهذا مثل ضربه لنفسه سبحانه وللاصنام • وقيل هو مثل للمومن والكافر اما الاول فقوله ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون يقول ان من يعبد الوثن
ارضيا من دون الله فانما يعبد عبدا من عباد الله وخلقا من خلقه لا يقدر لعابده على جزا ولا ثواب ومن يعبد الله فانما
يعبد من يقدر على كل شي ومن بيده كل رزق حسن فهو يجازي به العابد له هذا معنى قول الحسن والتمثيل بطرده
في كل معبود من دون الله من جماد وذي روح لان جميع خلق الله كالعبد للادميين ولا يملك شي منه ما يملكه الله تعالى
ولا يقوم بتدبير العالم في ارزاقهم يقول اذا كنتم معاشر عبادي لا تسوون بين المملوك منكم الفقير المعدم وبين
الحر الغني الموسر فكيف تسوون بيني وبين غيري في العبادة وانا الغني القادر ومن دوني فقير عاجز واما الثاني
فهو ان المثل للكافر الذي قد حرمه الله التوفيق فهو لا يصلح منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب الطاعة فهو
كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شي يوتى منه في باب تكرمة او قضا حق • ومثل المومن الموفق للطاعات الذي
من حيث تعم الناس ومن حيث لا يعلمون في الانفاق وقد يعبر به عن العمل وذهب بعض المفسرين في قوله لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون اي حتى تعملوا الطاعات وقيل لمن اكثر الكلام امسك عليك نفقتك والسر والجهر
مثلان للاعمال التي يجهر بها كالصلوات المفروضة والاعلان بالشهادة لله في التوحيد والاذكار التي امر الناس
باجهارها ومنها الحج والجهاد والاعمال التي تظهر للناس والسر والنوافل التي يخلو بها المرء في بيته وحيث لا يعلم
به كذا السر • وقوله الحمد لله اي المستحق للشكر والثنا والمدح كله هو لله لان النعم في الدين والدنيا كلها منه وقوله
بل اكثرهم لا يعلمون بل رده لما قالوه من استحقاق الاصنام العبادة والشكر انها ليس فيها انعام عليهم تستحق ذلك منهم
واكثرهم لا علم عندهم انما هم مقلدون جهال استحسنوا عبادة غير الله على غير بصيرة اتباعا للابا • وقوله وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط
مستقيم الابكم الاخرس والكل العيال ومولاه ابن عمه او قريبه وهذا المثل الثاني ضربه الله لنفسه وللاوثان فالذي
كالابكم الذي لا يقدر على شي اي لا يقوم باسباب نفسه وتدبير امره فهو كل اي عيال على مولاه اي قريبه وابن عمه الذي
يدبر امره او يتولى من الاجانب امره ويقوم باسبابه اينما يوجهه مولاه في امر تعرض او حاجة تقع او رسالة تودي
فانه لا ياتيه بخير لانه لا يعبر عن نفسه ولا ينطق فيترجم نطقه عما في ضميره فالمستنيب به خايب من نفعه لانه لا ياتيه
ولا ينهي ولا يفصح عن حق ولا باطل فكذا الوثن انما يقوم بامر غيره فيحمل وينقل من موضع الى موضع ويصلح ما يتشعب
منه ويماط عليه ما يعلق من قذى واذى وكل ما يناله عابده ويدعوه له ويرجوه من ما يعبده بعبادته لا يصل عنده لانه
لا يعقل ولا يتكلم فهو كل على عابده يتكلف مونته ولا يرجو معونته • وقال الكلبي احدهما ابكم لا يقدر على شي مثل
الوثن ومن يامر بالعدل هو الله تعالى يامر بشهادة ان لا اله الا الله وهو على صراط مستقيم يعني بذلك على طريق
مستقيم • وفي قوله ومن يامر بالعدل فيه اثبات جميع ما نفاه عن الاول بان قوله تعالى احدهما ابكم نفي الكلام وفي
الامر بالعدل اثبات الكلام • وقوله لا يقدر على شي والامر قادر على كل شي • ثم قوله وهو كل على مولاه نفي مكون كلا
عليه وهو يمونهم ويقضي حوايجهم • وقوله ولله غيب السموات والارض يجوز ان يتصل بقوله ان الله يعلم وانتم
لا تعلمون • وقيل ان المشركين كانوا ينكرون البعث ويقولون متى الساعة فاذا قيل لهم هو مكتوم قالوا لو كان لكان
لوقت معلوم فقال ولله غيب السموات والارض ويملك اظهار ما غاب من ذلك كله فيملك اظهار الساعة كما قال
لا يجليها لوقتها الا هو • وقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اي كنظر البصر اي انها تاتي بغتة في اسرع وقت كما قال
لا تاتيكم الا بغتة • وقوله تعالى او هو اقرب ليس هذا للشك بل معناه مثلوها فانها شيتم فهو صواب كما قيل للجالس
الحسن وابن سيرين • وقيل هو لشك المخاطب كونوا في كونها على هذين الوصفين • وقال ابن عباس وهو اقرب
اي بل هو اقرب • وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير مر هذا ظاهر • وقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم ومن النعم
التي عدها هذا • وقوله تعالى اخرجكم لا تعلمون شيا فانا خلقتكم • وقوله هديناه النجدين • وقيل من الهداية الى
رضاع الثديين • وقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون راجع الى هذا اي جعل لكم الات
العلم والفهم وفي اثبات السمع واثبات النطق لان من لم يسمع لم يقدر على ان يتكلم بعقول خلقتكم واعطاكم هذه الاعضا
السليمة واودعها هذه المعاني لتكلفكم شكره بما اعطاكم وتتعبدكم بشرايعه لتشكروا على صنايعه • وقال القشيري
جعلت لكم السمع لتسمعوا خطابي والابصار لتعتبروا بافعالي والافيدة لتعرفوا حقي ثم تشكروا عظيم انعامي

بما انعم عليك من هذه الحواس • وقوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما وهذا تنبيه على الاعتبار بما يرونه من الطير
وهو جمع طاير مسخرات اي مذللات في الهوا المرتفع من الارض واضاف الجو الى السما لان المراد ما ارتفع من الهوا الى جهة
السما ما يمسكهن الا الله اي ما يمسك هذه الطيور في الهوا الا الله بما اثبت لها من الاجنحة وتسخيرها للطيران ان في ذلك لايات
لقوم يومنون لانها تدل على انا لو خلقنا لا تشبه خلقته وتسخيرها بقدرته فانها ما سارت كذلك بانفسها بل بمسخر سخرها وخص
المومنين بها لانهم هم المنتفعون بالتفكر فيها • وقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي من بيوت الحجر والمدر وغيرها
موضعا تسكنون في الحضر وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم وهي الفساطيط والخيم
وقباب الادم والانطاع يخف عليكم حملها ونقلها في الاسفار وما دونها خارج القرى والامصار يوم ظعنكم
والظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم اقامتكم قراركم في منازلكم • وقوله تعالى ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين اي وجعل لكم من اصواف الانعام واوبارها واشعارها اثاثا اي امتعة وثيابا
تصلح للحضر والسفر منها ثياب تلبس ومنها ثياب تفرش ومنها ما ينصب كاخبية الشعر واللبود والاصواف للضان
والاوبار للابل والاشعار للمعز ومتاعا الى حين اي يجعلون منها اثاثا ينتفعون به ايام الحياة والاثاث متاع
البيت الكبير من قولهم شعر اثيث اي كثير واثاث البيت يات اثا اذا اكثر والتف وكذلك الشعر ولا واحد للاثاث
وقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا كالشجر وما يستظل به وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو الستر اي سترا
من الايذا وغيرها وهي الكهوف يلوذ فيها من المطر والحر والبرد • وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر • قال قتادة هي
السرابيل القمص من القطن والكتان والصوف • وقال الزجاج كلما لبسته فهو سربال وانما قال تقيكم الحر ولم يذكر
البرد وان كان ما يقي البرد اعظم في المنة لان الذين خوطبوا بهذا اهل حر في بلادهم فحاجتهم الى ما يقي الحر اشد
قاله عطا ولان ذكر احدهما ذكر للاخر تبعا الناس وهو كقول الشاعر •

وما ادري اذا يممت ارضا • اريد الخير ايهما يليني •

اي الخير وكني من اثنين وهما الخير والشر • وقوله وسرابيل تقيكم باسكم اي ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح
عدوكم في قتالكم والباس شدة الحرب كذلك يتم نعمته عليكم فلا يدع شيا مما بكم الحاجة اليه في دينكم ودنياكم
الا اعطاكموه وانما نعم بهذه الكفاية لعلكم تسلمون اي لتسلموا وتخلصوا لله وتجعلوا انفسكم سالمة له مسلمة اليه
وقوله فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين اي فان اعرضوا عن تدبر ما عددت من النعم والايات وخبث ذلك
بالدعا الى الاسلام لعلهم يسلمون وعن قبوله والايمان بك فما اوتيتم به منه فلا تبعة عليك في ذلك ولا الوزر
ولان الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت • وقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون
اي يعرفون بقلوبهم نعمة الله عليهم بك يا محمد ثم ينكرونها بالسنتهم فيجحدون نبوتك واكثر هولا المشركين هم الكافرون
النعمة اي انوها بك وهو وصف للمعاندين منهم كما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما • وقال يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم • وقال الحسن واكثرهم الكافرون اي وجميعهم وهو كقوله فلا يومنون الا قليلا اي فلا يومنون وهو كقول
العرب هذه الارض قلما تنبت الكلا اي فلا تنبت شيا • وقيل بل هو على حقيقته لانه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن
لم يبلغ حد التكليف او هو ماوف • وقال بعض المفسرين يعرفون نعمة الله هي محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل هي جميع
ما سبق تعديده في هذه السورة وانكارهم هذه النعم مثل ما حكي ان بعضهم ذكر هذه النعم فقال ورثناها ابانا اي
الانعام والاثاث • وكان بعضهم يقول نلناها بشفاعة الهتنا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعرفون نعمة الله
حين سالهم من خلقهم ومن نزل من السما ما قالوا الله ثم ينكرونها بقولهم للاصنام هولا شفعاونا عند الله • وقال
عون بن عبد الله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها هو قول الرجل لولا فلان ما اصبت كذا • وقوله تعالى ويوم نبعث
من كل امة شهيدا ثم لا يوذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون اي واذكر يا محمد يوم نبعث من كل امة شهيدا وهو النبي
يشهد على ان الامة من كان منه اجابة من اجاب ورد من رد ومعنى الشهادة مع ان الله تعالى عالم بجميع ذلك ان هذا
القول في النفوس واشد في الفضيحة واردع اذا تاملها المحوف بها • وقيل الشاهد ما قبلها يعرفون نعمة الله
ثم ينكرون ذلك ايضا • وقيل هو موصول بقوله يعرفون اي يتعرفون بذلك يوم القيامة • وقوله تعالى ثم
لا يوذن للذين كفروا اي في الاعتذار لما كان منهم في الدنيا من الانكار كما قال ولا يوذن لهم فيعتذرون ومعنى
لا يوذن لهم اي لا يسمع عذرهم ولا يقبل • وقيل لا يوذن لهم اي يحجبون عن ربهم كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ويجاز قولهم اذن السلطان للعاذن وخرج لهم الاذن اي بالدخول عليه ولقايه • وقوله تعالى ولا هم
يستعتبون اي لا يومرون بالكف عن معصيته التي كانوا يرتكبونها لانه ليس بيوم تكليف والاستعتاب في الدنيا
كذلك فانه قال اتيتنا اي فلان تعتب عليه ما اظهرت الموجدة فما تنبه بذلك اذا ذاكرته واستعتبته اي
سالته وطلبت منه ان يمتنع عن ذلك لترضيني عندي اي ارضنا في تركه ذلك والعود الى ما احبه • وقوله تعالى
واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ظلموا اي اشركوا ووضعوا العبادة في غير موضعها
وضرها بذلك انفسهم ونقصوها حظها وراوا العذاب الذي اعد لهم في الاخرة وذلك اذا دخلوا الى جهنم

فلا

فلا يهون عليهم ولا هم يمهلون للايمان • وقيل لا يخفف عنهم ساعة فيستريحوا ولا يمهلون للدخول اذا انتهوا اليها واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم اي اذا راوا اصنامهم التي اشركوها في عبادتهم اياها مع الله وقد حشرت معهم ليوبخوا بها قالوا ربنا اي يا ربنا
هولا شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك اي هم اضلونا فافعل بهم كذا فالقوا اليهم القول اي فقال الشركا في جوابهم انكم
لكاذبون في قولكم انا الهة وفي اضافتكم الاضلال الينا والقوا الى الله يومئذ السلم اي فاستسلم هولا المشركون لحكم الله
ودلوا وسقط تكبرهم وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم هم شفعاونا وبطل ذلك القول فلا شفعا عن ولا نصرة • وقوله
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي هم كبرا المشركين كفروا نعمة الله وصدوا الناس بالتمويه عن دين الله زدناهم عذابا فوق
العذاب اي ضاعفنا لهم العذاب بما كانوا يفسدون الناس بالصد عن سبيل الله فلهم عذاب اليم وعذاب اضلالهم الناس
وقال ابن عباس رضي الله عنهما زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون الناس بالصد يعني خمسة انهار من
صفر مذاب يسيل من تحت العرش يعذبون بثلاثة منها على مقدار الليل في الدنيا وباثنين منها على مقدار النهار
وقال سعيد بن جبير يزاد وزنحيات على امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احدهم اللسعة فيجد حرها
ساجها جميعا اربعين خريفا وقيل صوا الحرب (?) • وقوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم اي نبيهم
وجئنا بك شهيدا على هولا يعني امتك وهو تخصيص بعد التعميم كما قال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي مما هم فيه الان او ما يوول اليه امرهم في الاخرة وكشفنا ذلك كله
واوعيناه كما يحتاجون اليه من امور الدين والدنيا وهدى وبشرى للمسلمين اي دلالة الى الحق ورحمة لهم حتى
لا يهلكوا وبشارة بالجنة لمن اسلم • وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية هو متصل بقوله تبيانا
لكل شي وقد بين ذلك كله في هذه الاية فانه امر بثلاثة اشيا هي جامعة جميع ما نهى الله عنه في القران وكذلك يقراها كل
خطيب على المنبر في اخر كل خطبة هذه الاية لاشتمالها على كل مامور ومنهي لتكون عظة جامعة للناس كلهم • وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال اجمع اية في القران هذه الاية • وعن علي رضي الله عنه قال جماع التقوى في قول الله عز وجل
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية • وقال عثمان بن مظعون كنت اسلمت استحيا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكثرة ما كان يعرض علي الاسلام ولم يقر الاسلام في قلبي فكنت ذات يوم عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حال تامله فشخص بصره نحو السما كانه يستفهم شيا فلما سري عنه سالته عن حاله فقال نعم بينا انا احدثك
رايت في الهوا جبريل فاتاني بهذه الاية وقراها علي فقر الاسلام في قلبي فاتيت عمه ابا طالب فاخبرته فقال يا ال قريش
اتبعوا محمدا ترشدوا فانه لا يامركم الا بمكارم الاخلاق فان كان ابن اخي صادقا او كاذبا فانه ما يامركم الا بخير
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقوله ففرح بذلك فقال ثم يامر الناس بالتناهي ولا تنتهي فانزل
الله تعالى انك لا تهدي من احببت فاتيت الوليد بن المغيرة وقرات عليه الاية فقال ان كان محمد قاله فنعم
وان كان قاله ربه فنعم ما قال فانزل الله تعالى افرايت الذي تولى الايات • وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
اي بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك المظالم وايصال كل ذي حق الى حقه والاحسان الى من اسا اليكم • وقيل
هو التفضل الزايد على العدل وايتاء ذي القربى اي اعطا ذي القربى وهو صلة الرحم وبر الاقارب وينهى عن
الفحشا عن الذنوب المفرطة في القبح والمنكر هو كل ما ينكر العقول ولا يعرف في سنة ولا عقل • وقيل الفحشا
ما يتعلم فيجده فيما يفعله الانسان في نفسه ولا يظهره والمنكر ما يظهر للناس ويجب عليهم انكاره والبغي اي وينهى عن
الاستطالة على الناس بفضل القوة وحقيقته طلب ما ليس له طلبه ولا يكون البغي الا من الفاعل في غيره واما الظلم
فقد يكون في نفسه يعظكم لعلكم تذكرون اي يحذركم مكروه العواقب في مخالفة امره ونهيه لعلكم تذكرون
اي لتتذكروا بعقولكم فتتعظوا بمواعظ الله • وقيل ان الله يامر بالعدل فيما بينكم وبين ربكم اولا وليس من العدل
ان يعدل بالشكر عن المنعم الى غير المنعم ولا ان تشرك في الشكر غير المنعم وهذا يوجب ترك عبادة الاوثان فالتوحيد
عدل لان الشرك ظلم • قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم • وقيل الاحسان ان ياتي بما امر به من الاعمال حسنا على
التمام • وقيل الاحسان اشارة الى الاخلاص فيه فاما ما روي في تفسيرها عن السلف فقد قال ابن عباس رضي
الله عنهما العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيها وعنه في رواية العدل التوحيد والاحسان
اداء الفرايض • وقال علي العدل الانصاف والاحسان التفضل يعني المروة • وقال المقاتل العدل التوحيد والاحسان
العفو عن الناس • وقال عطا عن ابن عباس العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه • وقيل العدل
في الافعال والاحسان في الاقوال • قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا • وقيل ان تحب للناس ما تحب لنفسك • وقال
ابو بكر الوراق العدل ان ينصف وينتصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف • وقال سفيان بن عيينة الفحشا
ما لغة القول والفعل والمنكر الشرك والبغي التكبر وعنه في رواية العدل استوا السريرة والعلانية
والاحسان ان تكون السريرة احسن من العلانية والفحشا والمنكر ان تكون العلانية احسن من السريرة • وقال
الامام القشيري امر العبد بالعدل فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخلق فالذي بينه
وبين نفسه منعها مما فيه هلاكها • قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى والعدل بينه وبين ربه ايثار حق

الله على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواها والتجرد مع جميع الزواجر والتفرد بملازمة جميع الاوامر والعدل الذي بينه وبين الخلق ترك النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف لهم بكل وجه وان لا يسيء الى احد لا بالقول ولا بالفعل وصفة العوام منه بذل الانصاف وكف الاذى وصفة الخواص بذل الانصاف وترك الانتصاف واسداء الانعام وترك الانتقام وكف الاذى عن الناس والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى • فاما الاحسان للناس فيكون بمعنى العلم • قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه قيمة كل امرء ما كان يحسنه • والعلم مامور به في كل المواطن • وهو علم الانسان بحدوث نفسه وقدم محدثه بصفات جلاله ثم العلوم الدينية على حسب مراتبها واما الاحسان في الفعل فالحسن من افعالنا ما امر الله به واذن لنا فيه وحكم بمدح فاعله وجعل في كل فعل حسنة والاحسان ايضا ان تقوم بكل حق وجب عليك حتى لو كان طير في ملكك لا تقصر في تعهده • وقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم اي اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله فالايمان التي تحلفون بها ولا تنقضوا الايمان اي لا تنكثوها بالحنث بعد توكيدها اي بعد احكام عقدها على انفسكم وقد جعلتم الله عليكم كفيلا على فان من حلف بالله ليفعلن كذا او لا يفعل كذا فقد منع نفسه عن الخلاف بذكر اسم الله تعالى لمهابة ان يهتكه فكانه جعل تعليقه ذلك بحقه كفيلا اقامه على نفسه بالزامه لتوفيه كالذي اقام على نفسه كفيلا بما التزمه فاذا لم يؤد ما عليه فقد استخف بكفيله فكذا من ترك البر وحنث فقد استهان بالله تعالى ان الله يعلم ما تفعلون من البر والحنث فيجازيكم به • وقوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا جمع نكث بالكسر وهو ما نقض من الغزل والنكث بالفتح مصدر وهما كالنقض والنقض والعطف والقطف والذبح والذبح اي ولا تنقضوا ما عاهدتم الله عليه فيكون مثلكم كمثل امرأة تبرم غزلها حتى اذا فرغ ما دنت عليه تنقضه فيكون مثلكم وهذا قبيح لا يخفى عليكم قبحه • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في امرأة حمقاء من قريش يقال لها رابطه • وقال مقاتل ريطه بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد بن مناة بن تميم وكانت بلغت مجرة وكانت اتخذت مغزلا بمقدار ذراع وفلكة على قدرها وكانت لها جواري تامرهن بالغداة الى نصف النهار ثم امرتهن بنقض ما غزلن فهذا دابها يضرب الله تعالى بها مثلا لناقض العهد • وقوله تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم الدخل ما ادخل على الشيء للفساد والمعنى فالله اعلم يدخلون في الايمان الغرور وهو الفساد ومن بينكم الغدر بحلفهم لهم • وقيل الدخل الدغل والخديعة • وقيل الغل والغش • وقيل هو ان يكون داخل القلب على الجفا والظاهر على الوفا وقيل معناه ان تخلفوا غير معتقدين للوفا بما حلفتم • وقوله تعالى ان تكون امة هي اربى من امة اخبر بالسبب الذي يفعلون هذا لاجله فقال ان تكون امة هي اربى من امة اي من اجل ان طايفة من الناس يكونون اكثر عددا من طايفة اخرى ويكونون اكثر اموالا وازيد اسبابا في القوة والمال فينقضون اموالكم وايمانكم اذا رايتم الكثرة والسعة في الدنيا في اعدايكم من المشركين وهذا لمن دخل في الاسلام وناقض اهله ليستعين بهم ونتسع في اسباب الدنيا وتظفر على اعدايه فاذا لم يحصل ذلك عاجلا نقض العهد وارتد الى الكفار لما يرى من كثرة عددهم واموالهم فنهاهم ان يكون دخولهم في العهد فيكونوا قد اتخذوا اسلامهم دخلا خديعة للمسلمين لا اخلاصا في الدين • وقوله تعالى انما يبلوكم الله به اي يجري احوال المومنين في بعض الاوقات على الضعف والقلة والنقصان ليختبرهم اي يعاملهم معاملة المختبر ليظهر صبرهم فيجازيهم عليه احسن الجزا وهو لا محالة ينصرهم ويظفرهم بعدوهم ويطيب لهم عيشهم وله ذلك في عباده • وقوله تعالى وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اي ليميزن المحق من المبطل يوم القيامة فيثيب المحق ويعاقب المبطل وهذا وعد لهم على حفظ العهد واليمين وعلى الصبر على الشدة وعلى الثبات على الدين • وقال القشيري رحمه الله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم لكل قوم عهد مخصوص عاهدوا الله عليه وهم مطالبون بالوفا بعهده فالزاهد عاهده ان لا يرجع الى الدنيا فاذا رجع الى ما تركه منها فقد نقض عهده فلم يف به والعابد عاهده فترك الهوى والمريد عاهده في ترك العادة والعارف عاهده في التجرد له وانكار ما سواه والمحب عاهده في القول بترك نفسه معه ولكل وجه فكل منهم مامور بالوفا بعهده منهي عن نقضه ومن نقض عهده فقد هدم بفعله ما استبناه لنفسه وقلع بيده ما غرسه وكان كما قال الله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا فان السالك اذا وقفت له فترة والمريد اذا حصلت له في الطريق وقفة والعارف اذا حصلت له حجبة • والمحب اذا استقبلته فرقة فهي محن عظيمة ومصايب محنة شديدة • وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على ملة واحدة وهي الاسلام ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء من علم منه اختيار الضلال اضله ومن علم منه اختيار الهداية هداه • وقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون يوم القيامة مجزون به • وقال القشيري رحمه الله سعادتهم لوجهم وعن المعاصي عصمتهم ودوام ذكره الهمهم ولكن سبقت العصمة فجات العبرة وما احسن شعر

شكا اليك ما وجد • من خانه فيك الجلد
حيران لو شيت اهتدى • ظمان لو شيت ورد

وقوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم اي لا تعقدوا الايمان بالانطوا على الخديعة والفساد فتزل قدم بعد

ثبوتها عبارة عن المصير من الامن الى الخوف ومن الرشد الى اعتقاد الغي ومن الصواب الى الخطا ومن الحق الى الباطل وتذوقوا السوء بما نالكم في الدنيا من السوء على ايدي المومنين بما صددتم عن سبيل الله اي اعرضتم عنه من الصدود ومنعتم عنه غيركم من الصد ولكم عذاب عظيم في الاخرة مع ما نالكم من السوء في الدنيا • وقوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا اي ولا تستبدلوا بنقض العهد والايمان عرضا يسيرا وهو عرض الدنيا فانه يسير خسيس فان وانما الثواب بحفظ العهود واليمين باق وهو قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون اي تنتفعون بالعلم • وقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق اي يفنى وما عند الله باق لا يفنى فلا تنقضوا العهد واليمين طمعا في المال الذي عندكم وهو ما يفنى فيفوتكم الثواب الذي عند الله تعالى وهو باق ولنجزين الذين صبروا على حفظ العهد واليمين وتحملوا المشقة والفاقة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا وهي ما عملوه في حال اسلامهم فاذا جازاهم به في الجنة فلا شك انه غفر لهم من الشرك والذنوب في الاسلام • وقيل نزلت الاية في عبدان بن الاسود الحضرمي وامرء القيس الكندي وقد ذكرنا ذلك في سورة آل عمران • وقال القشيري ما عندكم اوقاتكم وافعالكم معلومة واحوالكم مدخولة وما عند الله فثواب مقيم ونعيم عظيم ما منكم من معادكم ورعاياتكم اثار متناهية وصفات متفاوتة احيانها غير باقية وان كانت احكامها غير باطلة والذي هو وصف الحق من رحمته بكم ومحبته لكم وثنايه عليكم صفات ازلية ونعوت سرمدية • وقال في قوله ولنجزين الذين صبروا اجرهم جزا الصبر الفوز بالطلبة والظفر بالبغية والطلبات مختلفة • وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة يتصل بقوله ان تكون امة هي اربى من امة نبههم على ان التوسع في الدنيا الذي يحصل به في الحقيقة طيب عيش الا للمومنين لئلا يدعوهم الطمع في المال الى نقض العهد ثم العمل الصالح لا يكون من غير المومن وانما اراد بقوله وهو مومن بيانا ان معناه من عمل صالحا في الحال وهو مومن في المال لان الاعتبار بمآل الحال بوفاة المال والامور بخواتيمها • قال القشيري وهو مومن اي مصدق ان عمله الصالح بتوفيق الله تعالى وقيل اي مصدق ان نجاته بفضل الله لا بفعله • وقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة اي فلنطيبن عيشه وذلك بوجوه قد يكون بالقناعة وهو معنى قول الحسن وقد يكون بفتح بلاد الكفر وتوسعهم بالغنايم وقد يكون بتيسير وجوه طيب الكسب واكتسابه من ذلك الوجه خلاف كسب المشركين الحرام وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل هو ان يعمل بطاعة الله فيكون حياة طيبة في الحقيقة لانها تؤديه الى رضوان الله بخلاف عيش الكافر • وقال القشيري الطيب لا يعرف بالنطق بل بالذوق وقوم قالوا هو حلاوة الطاعة وقوم قالوا هو صدق القناعة • وقال قوم هو الرضى • وقال قوم هو لذاذة النجوى • وقيل هو نسيم القرب والكل صحيح ولكل واحد اهل • وقيل الحياة الطيبة ما يكون مع المحبوب وفي معناه انشدوا

نحن في اكمل السرور ولكن • ليس الا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا اهل ودي • انكم غيب ونحن حضور

وقيل الحياة الطيبة للاولياء ان لا يكون لهم سوال الا الحقيقة ولا امنية الا الصدقة • واما الخواص فالحياة الطيبة لهم ان لا يكون لهم سوال ولا حاجة ولا ارب ولا مطالبة وكم بين من المراد فيه تمتع وبين من لا ارادة له الاولون قايمون بشرط العبودية والاخرون متحققون بشرط الحرية • وقوله تعالى ولنجزينهم اجرهم بعد التوحيد مرقيا الى المعنى لا تخص اجرهم باحسن ما كانوا يعملون قد فسرناه الان وليس بتكرار لان الاول في حق الذين عاهدوا رسول الله فحفظوا عهودهم وهذا في كل مومن عمل صالحا • وقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وانتظامها بالاولى انه قال باحسن ما كانوا يعملون وهو العمل بما في احسن الحديث وهو القران وقيل هو متصل بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء • ومعنى قوله فاذا قرات اي فاذا اردت قراءة القران كما في قوله اذا قمتم الى الصلاة اي اردتم القيام اليها • وقال اذا طلقتم النساء فاستعذ بالله اي فامتنع به واعتصم وقد قررنا العياذ والشيطان والرجيم في اول الكتاب انه ليس له سلطان على الذين امنوا صدقوا الله في وعده وعلى ربهم يتوكلون في دفع وساوس الشيطان وتفويض الامور كلها الى الله والتبري عن الشرك انما سلطانه على الذين يتولونه انما تعمل وسوسته ويعتقد عونه الى الضلال على الذين يتولون الشيطان فيجعلونه عمدة لهم ويرجون نصره وعونه ويتوقعون كفايته ويتعلقون اليه والذين هم به مشركون اي بسبب الشيطان بالله والها على هذا راجع الى الشيطان وهو قول الربيع • وقال الضحاك به مشركون اي بسبب الشيطان • وقيل اي بالله مشركون • قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان ان عبادي ليس لك عليهم سلطان • وقال الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان وفي جملتها انه يتسلط على كل من اقبل اليه لا على من ادبر عنه • وقال القشيري شيطان كل احد ما شغله عن ربه فمن سلط عليه نفسه حتى شغلته عن ربه ولو بشهود طاعته واستحلاء عنه او ملاحظة حاله فذلك شيطانه والواجب عليه ان يستعيذ بالله من شر نفسه ومن شر كل ذي شر • وقوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية نسخنا باية منسوخة والله اعلم بما ينزل هو اعتراض الكلام قبل التمام وهو من محاسن الكلام اي والله اعلم بمصالح العباد وبما ينزل من الناسخ والمنسوخ قالوا انما انت مفتر اي متقول من نفسك تكذب على الله بل اكثرهم لا يعلمون الناسخ والمنسوخ

كلاهما من الله • وقيل لا يعلمون حسن النسخ وجوازه بما فيه من الحكمة والمصلحة • وقوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين اي قل لهم يا محمد انما نزل القرآن كله ناسخه ومنسوخه روح القدس وهو جبريل من ربك بالحق اي من عند الله بالحق اي بالصواب ليثبت الذين آمنوا اي ليثبت به الذين آمنوا بالله فيصدقوا بالناسخ بالمنسوخ ويعتقدون ان الكل حق في وقته فيوفقهم الله للثبات على الايمان وليكون ما نزله هدى للمؤمنين الى طريق الجنة وبشارة بالجنة اذا عملوا بالطاعة في العالمين • وقوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يقول الله تعالى لا يخفى علينا قولهم انما يعلم محمدا هذا المتلو بشر • قيل اراد به جبرا • وقيل يسارا وكانا غلامين لابن الحضرمي يهوديين قال ابو روق عن الضحاك نزلت في عبيد لاهل مكة منهم يعيش وسلمان وجبر ويسار • وقال السدي كان بمكة رجل نصراني يقال له ابو ميسرة يتكلم بالرومية فربما يقعد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل هو نصراني حداد بمكة يسمى بلعام وكان اعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فانزل الله هذه الآية • وقوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي اي الذين يميلون اليه القرآن ليس بعربي وهذا لسان عربي مبين • وهذا القرآن منظوم بالعربية • وقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي بالقرآن لا يهديهم الله ما داموا مختارين للكفر ولهم عذاب اليم على شركهم في الآخرة • وقوله تعالى انما يفتري الكذب اي على الله الذين لا يؤمنون بآيات الله اي الكافرين يعني ان المستحق لاسم المفتري هم لا انت واولئك هم الكاذبون كذلك • وقوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه • قيل هو متصل بقوله واولئك هم الكاذبون كذلك والصحيح انه مبتدأ ومعناه الذين كفروا بالله بعد ايمانهم ومن هنا للجمع لانه جنس فيصلح للجمع الا من اكره هو استثناء منهم يعني الا من اجبر على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان اي ساكن به معتقد له فانه ليس في حكمهم وتقدير الآية على التقديم والتأخير الكافرون بالله بعد ايمانهم به المشركون لقبول الكفر واعتقاده صدرا عليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم • وقيل فيها ابتداءان ولهما جوابا واحد احدهما من كفر بالله من بعد ايمانه والثاني ولكن من شرح بالكفر صدرا وجوابهما فعليهم غضب وهو كقوله ولولا رجال مؤمنون لو تزيلوا وقوله تعالى لعذبنا جوابهما • وقيل نزلت الآية في عمار بن ياسر خرج مهاجرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة فاخذهم كفار مكة وقالوا انكم تريدون محمدا وعذبوهم واكرهوهم على الكفر فصبر بعضهم حتى قتل وتكلم عمار بما اكرهوه عليه وقلبه مطمئن بالايمان فخلوا عنه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره بذلك فنزلت الآية وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعد • وقال في قوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به هو ان يكره عليه فهو عذره وبرهانه • وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاعة وابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي وهم المستضعفون بمكة وهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت لاجلهم في الفجر اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفيهم نزل بعد هذا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فنجاهم الله من ايديهم فآمنوا وصبروا فاثنى عليهم • وقوله تعالى ذلك بانهم اي ذلك الغضب والعذاب بانهم استحبوا الحياة الدنيا اي آثروا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا مختارين للكفر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلا يتدبرون ولا يتفكرون وهذا عقوبة لهم على اصرارهم وخذلان لميلهم الى الكفر ولختمه وعلى سمعهم فلا تصغي الى المواعظ وعلى ابصارهم فلا تنظر طرق الرشاد ولا تعتبر بمشاهدة عجائب الخليقة واولئك هم الغافلون اي المتغافلون عن آيات الله كانهم لم يأتهم شيء من هذا لا جرم اي حقا انهم في الآخرة هم الخاسرون او كلمة لا نفي لقولهم وجرم بمعنى كسب فعلهم لهم خسران الآخرة خسروا انفسهم اهلكوها وباعوها بعرض الدنيا فغبنوها • وقوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من مكة الى المدينة من بعد ما فتنوا اي عذبوا بمكة واكرهوا على الكفر ثم جاهدوا المشركين بعد الهجرة وصبروا على الجهاد ان ربك اعاد كلمة ان بعد ما ذكرها مرة لطول الكلام من بعدها اي من بعد هذه الفعلة او بعد هذه الافعال لغفور رحيم غفر لهم ما كان منهم في حالة الفتنة من التكلم بكلمة الكفر رحيم لا يعذبهم على ما قالوه حالة الاكراه • وقوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها • قيل معناه اي اذكروا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها اي تحتج وتخاصم عن نفسها فيما كانت تعتقد من دين كما قالت ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الآية • وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتقول تجادل ولا ينفع الكافر جداله • وقوله تعالى وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اي يلقيهم جزاء ما كسبت وهم لا يعاقبون بغير ذنب • وقيل معنى قوله تجادل عن نفسها اي لا تتفرغ للجدال عن غيرها ولا للشفاعة له وتوفى كل نفس ما كسبت من خير وشر وهم لا ينقصون من جزائهم شيئا • وفي تفسير ابي القاسم بن حبيب ان احدى النفسين في هذه الآية الروح قال ان النفس والروح يجيئان يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيختصمان فتقول النفس للروح كنت كالثوب الملقى ما لم تدخل في لم اقترف ذنبا وتقول الروح للنفس كنت مخلوقة قبلك بدهور لم اذنب الذنب الى ان دخلت فيك فيرد كل واحد منهما على صاحبه فيمثل الله لهما اعمى مقعدا وكرما على جدار وعنبه والناس ينظرون فيقولون لهما انا نقطفها من هذا العنب فيقول الاعمى انا لا ابصر ويقول المقعد الرجل لي فامشي اليه فيقول المقعد اركب على الاعمى فيحمله

الاعمى

الاعمى حتى يتقطف المقعد العنب فيقول الله لهما هذا مثلكما جميعا انكما صار العنب مقطوفا بكما جميعا فكذلك الذنب صار موجودا منكما جميعا • وقد روي معنى الخبر • وقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة لما عذب اهل مكة المسلمين واكرهوهم على الكفر لما ذكرنا دعا النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الفجر اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالسنين حتى اكلوا العهن وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل فذكر الله ذلك فقال وضرب الله مثلا اي بين شبها لكفار اهلها قرية بدلا عن مثل اي وصف وبين قرية وهي مكة كانت آمنة لا تخاف اهلها مطمئنة ساكنة لا يحتاجون الى الانتقال عنها يأتيها رزقها رغدا من كل مكان اي تحمل اليها الاطعمة والثمار من كل مكان بالبلاد فكفرت بانعم الله اي كفر اهلها نعم الله • قيل الانعم جمع نعم بالضم كالبؤس والابؤس جمع البأساء فاذاقها الله عنهم النعم بالكفر فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون اي ابتلاهم بالجوع مع الخوف بصنيعهم والذوق مجاز عن الاصابة كالنيل • قال الله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم • وقال فذاقت وبال امرها وقال ليذوق وبال امره • وقال انكم لذائقوا العذاب الاليم

وقال الشاعر • وان الله ذاق حلوم قيس • فلما راء خفتها قلاها •

وهو في معنى وجد ويقال ذقت حلوا وذقت مرا • وكان الحسن يذهب بالاذاقة الى تقديم العذاب • وقيل الاستيصال كما قال ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وكذلك الذوق في الطعام واما اللباس فهي مجاز قولهم البسك الله العافية وقد تستعمل في الاختلاط كما قال النابغة الجعدي

لبست اناسا فافنيتهم • وافنيت بعد اناس اناسا •

وعلى هذا قوله هن لباس لكم وانتم لباس لهن • وقيل معنى اللباس في الجوع انهم ظهر عليهم الهزال وتغير اللون وسوء الحال وهو كاللباس • وفي حق الخوف كذلك ويحتمل ان يكون اللباس ها هنا مصدرا في معنى الملابسة اي اذاقها الله ملابسة الجوع والخوف • وقوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم وهو من اجل النعم لانهم قد عرفوا مولده ومنشأه وصدقه وامانته فيكون اقرب لهم الى تصديقه والاهتداء به فلم يعرفوا حق هذه النعمة فكذبوه فاخذهم العذاب في الدنيا وهم ظالمون انفسهم جائرون عليها • وقيل فضرب المثل لمكة عبرة لغيرها من البلاد التي سلك اهلها طريقهم في الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لما تلقى اهل مكة نعم الله بالكفر امتحنوا بالجوع والخوف مع علمهم من المجاورة ببيت الله وعمارة مسجده وغير ذلك فغيرهم ممن لا حرمة له لهم كحرمة اهل مكة اولى بذلك وقوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا • قيل فكلوا يا معشر المشركين من غير اهل مكة مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون وذلك انهم مع عبادة الاصنام كانوا يدعون انهم يعبدون الله قبل ان كان كما يدعون فلا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي بجعل بعض زروعكم وانعامكم لاصنامكم لانه لم يشرعه الله تعالى ولا تحرموا ما شرعه الله تعالى دون ما شرعه الشيطان • وقيل اي وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا على ما يؤديه محمد صلى الله عليه وسلم اليكم عن الله واشكروا نعمة الله به ان كنتم تعبدون الله فلا تكذبوه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى اهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد ان وصف اثر اذاقهم الجوع وكلوا مما رزقكم على يدي محمد حلالا طيبا بدلا عما كنتم تأكلونه محرما خبيثا من الاموال الخبيثة المأخوذة من الغارات والمغصوب وخبائث الكسوب • وقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • فسرناها في سورة البقرة وسورة المائدة اجزاء المحرمة هذه الاشياء دون ما حرموه • وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم • قرأ ابن عباس تصف السنتكم الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء كانه جمع كذوب نعتا للالسنة وقراءة العامة بالنصب لوقوع الوصف عليه • وقرئ الكذب بخفض الباء بدلا من قوله لما تصف تقول لا تصفوا بعض الانعام بانه حلال وبعضها بانه حرام كذبا على الله فان الكاذب على الله لا يفلحون ابدا وما انتم فيه من النعم قليل متاعه في الدنيا وعقوبته في الآخرة عذاب وجيع • وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل هو ما قال في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية • وقد فسرناها هنالك وكان ذلك التحريم تغليظا عليهم لظلمهم وبغيهم كما قال ذلك جزيناهم ببغيهم • وقال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات • وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفران النعم • وقوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم اي اعرفك يا محمد بعد بيان حكم المشركين ان لكل من عمل ذنبا بكونه جاهلا ثم تاب عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليه واصلح العمل في المستأنف • وقوله من بعد ذلك اي بعد العمل وما قال في الآية المتقدمة وفي هذه الآية ايضا من بعدها اي بعد الجهالة • وقيل بعد الفعلة فان غفور رحيم استر ما مضى من معاصيه وارحم فلا اعذبه اي فتوبوا ايها المشركون اي المفترون فنقبل توبتكم ونغفر لكم وان ربك اعيد لطول الكلام ووقع م الفصل • وقال مقاتل بن سليمان نزلت الآية في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر ثم ندم وتاب

وقال مجاهد نزلت في اناس ارتدوا عن الاسلام ثم تابوا وامنوا فقبل الله توبتهم وايمانهم • وقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله
امر بالشكر في الاية الاولى ومدح ابرهيم بالشكر في هذه الاية ونظم اخر ان الله رغب المشركين في اتباع ابيهم ابرهيم الذي به
تحرمون وبيت الله الذي بناه تعزهم • فقال ان ابرهيم كان امة قانتا اي اماما يقتدى به • وقيل اي بنفسه وحده اي
بالخيرات التي تكون من امة تامة قانتا لله اي مطيعا مواظبا على طاعته حنيفا عادلا عن الباطل مستقيما على منهاج الحق
ولم يكن من المشركين لم يكن دينه مادين به ايها المشركون شاكرا لانعمه باخلاص الكلمة العبادة له اجتباه اي اختاره
واختصه لنفسه واصطفاه وهداه الى صراط مستقيم ارشده الى طريق الحق المفضي الى الجنة واتيناه في الدنيا حسنة
قال الحسن اي النبوة • وقال مقاتل بن حيان اي الصلاة عليه على لسان هذه الامة في خلواتهم وقيل الثناء وقيل
هو ان جعل محمدا صلى الله عليه وسلم من ذريته وعلى ملته • وقال قتادة ليس من اهل دين الا وهو يتولاه ويرضاه منتقد
به وهو اسم جامع لكل حالة جميلة تبينا ولكل خصايصه المذكورة في النصوص • وقال القشيري رحمه الله واتيناه
في الدنيا حسنة حتى كان لنا بالكلية ولم يكن فيه لغيرنا بقية • وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في
عداد من يأتي وقد انتفى عنه وعن اعماله الفساد فاستحق كل منزلة رفيعة ودرجة عالية • وقد فسرنا في سورة
البقرة باتم من هذا • وقيل سماه امة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في كثرة المكذبين به من قومه اذ كان ابرهيم امة
واحدة في الايمان لم يكن معه غيره ثم كثر الله ذريته وكان منهم الانبياء الى قيام الساعة فكذا يفعل الله بك في
تكثير امتك ونشر دعوتك • وقوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين مدح
الله بخمسة اشياء سماه امة قانتا لله حنيفا غير مشرك شاكرا واكرمه بخمس كرامات اجتباه وهداه واتاه حسنة الدنيا وكرامة
الاخرة وامر محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع ملته ثم الامر بالاتباع لا يدل على انه دون ابرهيم في الفضيلة بل هو صلى الله عليه وسلم
افضل الانبياء ولما امر باتباع كل الانبياء المتقدمين في قوله فبهداهم اقتده لانهم سبقوه والاتباع هو سلوك سبيل المتبوع وكان
اتباعه لهم لمجيئه بعدهم لا لكونه دونهم • وقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ونظمها بالاولى ان الله تعالى
امر محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع ابرهيم وامر امته بذلك ايضا بقوله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا في متابعة الانبياء
رحمة واحدة وفي مخالفتهم والاختلاف عليهم محنة وشدة كان لاصحاب السبت وفي الاية وجوه احسنها واوضحها ما حكاه الامام
ابو منصور رحمه الله فقال قال بعضهم ان موسى امر بني اسرايل ان يتفرغوا في كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم الجمعة
ويتركوا فيه عمل دنياهم فقالوا نتفرغ يوم السبت ثم قال فريق منهم انظروا الى ما يامركم به نبيكم فخذوا به فذلك
اختلافهم فيه فجعل لهم يوم السبت على ما سالوا فاستحلوا فيه المعاصي فذلك قوله تعالى انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه ولو اتبعوا نبيهم ولم يختلفوا عليه لم يشدد عليهم هذا التشديد ولم يبغوا فيها ويعتدوا فيه • وقال الحسن
وقتادة انما جعل السبت اي انما لعنوا في السبت ومسخوا قردة وخنازير الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم ان حرمه
بعضهم واستحله بعضهم • وقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يميز المحق من المبطل
بالثواب والعقاب • وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة اي ادع يا محمد الناس الى سلوك
الطريق الذي هو يؤدي الى طاعة الله ربك وكلما اضاف الله الى نفسه فذلك دليل تشريفه وتفضيله كبيت الله
وشهر الله فكذلك سبيل الله ومعناه تفضيله والحث على سلوكه • وقوله بالحكمة والموعظة الحسنة اي واحسن وعظ
من تدعوه بالترغيب الجميل والتنبيه البليغ • وقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي اجمل اي
بالمحاجة التي ليس فيها مماراة ولجاج ومكافاة على قبيح بنزوله الخصم • وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين في المجادلة لا تخفى عليه مقاصدها فيها فاذا الزمت فاكتف به واضبط نفسك عن المقابلة
بالمخاشنة • وقيل نزلت هذه قبل نزول الامر بالقتال ونسخت باية السيف • وقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به • قيل الاول خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص وهذا خطاب للامة واباحة لهم بالمكافاة
على المساواة والاول امر بالفضل المحض ومعناه اذا قال لكم الخصم دينكم باطل فقولوا بل دينكم باطل ولين صبرتم فلم
تجيبوا فهو خير للصابرين من المكافاة بالمثل واصبر وما صبرك الا بالله هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على
الافراد وهو تاكيد الامر الاول بالمجادلة بالتي هي احسن • وقوله تعالى الا بالله اي بتوفيق الله ويحتمل ان يكون
قوله وان عاقبتم خطاب له ولهم جميعا والافراد في قوله ادع وجادلهم لما انه هو المخصوص بالامر بالدعوة الى الدين
والجدال عليه فقد يجري بين المؤمنين والمشركين كلام يؤديهم في غير الدعوة الى الدين واطلق لهم المعاقبة بالمثل
وقال لين صبرتم لهو خير للصابرين ثم خص النبي صلى الله عليه وسلم فقال واصبر اي على الدعا الى الله وما صبرك
الا بالله اي بتوفيقه فاسل التوفيق منه ولا يكون هذا نهيا للنبي صلى الله عليه وسلم عن المعاقبة بالمثل بل يكون قوله
واصبر ارشادا الى الافضل • وقيل انها نزلت في قصة حمزة رضي الله عنه حين مثل به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لامثلن بسبعين منهم فامر بالاقتصار على المثلة بواحد منهم ثم نسخت المثلة • وقوله تعالى ولين صبرتم لهو خير للصابرين
اي الصبر ودل عليه قوله ولين صبرتم • وقوله تعالى ولا تحزن عليهم اي على المشركين بتركهم الايمان فانهم استحقوا
سخط الله وعقوبتهم بذلك وكان ذلك لكمال شفقته وهو كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • وقوله العلما

كادم

فان الله تعالى لم يخلق يوم السبت شيئا

سقط واصبروا وما صبرك الا بالله تم

انفع نفسك • وقيل ولا تحزن على قتلى احد فانهم وصلوا الى رضوان الله تعالى وجنته ولا تك في ضيق مما يمكرون اي ضيق صدر وهو
في معنى الضيق كاشف واكشف والرطل والرطل بالفتح والكسر لغتان • وقرا ابن كثير بالكسر • وقيل الضيق بالكسر مصدر والضيق بالفتح
نعت كالميت والميت • ومعناه في امر ضيق من مكرهم اي لا يضيق بك الامر لمكرهم وعلى الاول لا يضيق صدرك لمكرهم فانه لا يسند
ملك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي حافظهم وناصرهم وانت سيد المحسنين فيحفظك وينصرك • وقيل هو على العموم
والذين اتقوا اي توقوا من السيات والذين هم محسنون اي عاملون بالطاعات • وقال القشيري اتقوا رؤية النفوس من غير
واحسنوا العبادة كانكم ترونه • والحمد لله رب العالمين

سورة بني اسرايل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى • الرحمن الذي له الاسما الحسنى • الرحيم الذي نزل القران
شفا ورحمة لمن اهتدى • روى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة بني اسرايل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية الاوقية خير من الدنيا وما فيها • وسورة بني اسرايل مكية
وهي مائة واحدى عشرة اية • وقيل عشر ايات الاختلاف في قوله للاذقان سجدا وهي الف وخمس مائة وست وخمسون كلمة
وستة الاف واربع مائة وتسعة وعشرون حرفا • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه في اخر تلك السورة
الامر بالصبر • وفي اول هذه ثمرة الصبر صبر في الله جميلا فاعطي ليلة المعراج عطا جزيلا • وانتظام تلك السورة بجميع
السورة ان تلك السورة في بيان وحدانية الله وبيان نعمه واكثر اياته محاجة المشركين وفي قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
تتم جميع الاوامر والنواهي وفي هذه السورة ذكر في الاية الاولى اراءة الايات وفيها بيان كمال القدرة وتمام النعمة
وبعدها ايات جامعة لجميع الاوامر والنواهي وفي نعتها محاجة المشركين ووعيدهم ووعد المومنين ذكر سعيد بن
جبير عن ابن عباس انه قال ان التوراة كلها في خمس عشرة اية من بني اسرايل ثم لا تجعل مع الله الها اخر الايات • قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا • روى طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا فقال تنزيه الله من كل سوء • قال الفراء هو نصب على المصدر وهو على معنى الامر اي نزهوا الله
وبرئوه من قول المشركين واسرى اي سار بالليل وفيه لغتان سار واسرى وهو لازم وهنا متعد بالبا التي في قوله تعالى
بعبده وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلا ظرف اي بالليل من المسجد الحرام هو الذي يحيط بالكعبة واراد به جميع الحرم فقد
روي انه اسري به من بيت ام هاني وهو في مكة خارج المسجد الحرام عنه وعلى هذا قوله فلا يقربوا المسجد الحرام هو على جميع الحرم
وكذا قوله وصدوكم عن المسجد الحرام • وقوله تعالى الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس لانه ابعد مسجد في الارض
معظم في الزيارة لو شد الرحال اليه وليس وراءه في تلك الجهة مسجد مثله • قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد مسجدي هذا والمسجد الاقصى والمسجد الحرام • وقوله تعالى الذي باركنا حوله اخبر عن نفسه بعدما ذكر الفعل على وجه
المغايبة بقوله اسرى بعبده وهو احد اقسام التوسعة في الكلام والبركة درور الخير وثبوته والمبارك ثبت وهو ان يكون
دينيا او دنيويا • قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجعلني مباركا وهذا ديني • وقال تعالى لفتحنا عليهم بركات من السما
والارض وهذا دنيوي والبركة حول المسجد الاقصى بهما جميعا فانها مستقر الانبيا والاوليا وفيه قبور ابرهيم واسمعيل
واسحاق وفيه كثرة الما والاشجار والاطعمة والثمار • وقوله لنريه من اياتنا اي اسرينا به لاراءة الايات وهو البراق وطي
وقطع المسافة البعيدة في المدة اليسيرة وسير الانبيا وعجايب الملكوت انه هو السميع بمقالات المصدقين والمكذبين
بحديث المعراج البصير بجزاء كل على وفق عمله وحديث الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى في ليلة
ثابت بنص الكتاب والعروج به الى السما في تلك الليلة الى حيث شا الله كذلك وفيه احاديث كثيرة صحيحة وقد
قبلها اهل السنة والجماعة وردها المعتزلة خذلهم الله وممن روى ذلك ورواه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر
الفاروق رضي الله عنه وعثمان ذو النورين وعلي المرتضى وعبد الله بن مسعود وانس بن مالك وابو هريرة وابو سعيد
الخدري ومالك بن صعصعة وعمران بن الحصين وعبد الله بن عمرو ابو سلمة وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن الزبير
وابو ايوب الانصاري وجابر بن عبد الله الانصاري والعباس بن عبد المطلب وعبد الله بن ابي اوفى وابو سلمى
راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال الحبشي وابو امامة الباهلي
واسامة بن زيد وعياض بن عبد الرحمن بن غانم وابو الدردا وعايشة وام هاني بنت ابي طالب وابو ذر الغفاري
وبلال بن سعد وابو حية الانصاري وابي بن كعب وغيرهم منهم من ساق الحديث كله ومنهم من روى شيا منه وقد جمعنا
احاديثهم في كتاب افردناه له وامليناه على اهل العلم ومن انكر هذا فهو منكر لما قدرة الله تعالى وفعل النبي صلى
الله عليه وسلم وكل ذلك باطل • وقال مقاتل كانت ليلة الاسرا قبل الهجرة بسنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة نايما في دار ام هاني بنت ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي المغيرة المخزومي فلما اصبح قال لها الا اخبرك
بالعجب قالت بلى قال اصليت هنا صلاة العشا والفجر وذهبت فيما بينهما الى بيت المقدس وصليت بالنبيين وصليت
بهم فلما اراد ان يخرج تشبثت ام هاني بثوبه فقالت له ما ورائك فاني اخشى ان يكذبك قومك قال اذا كذبوني

امّ هاني من كيفية عروجه فقال اتاني جبريل ومعه ميكائيل بالبراق وهي دابة دون البغل وفوق الحمار ووجهها كوجه الانسان
وذنبها كذنب البقرة وحافرها كظلف البقر خطوها مدّ البصر فركبتها فاذا هممت بها سارت وان هممت بها طارت فدخلت بيت
المقدس فاذا النبيون بها ثم اتى المسجد الحرام وفيه صناديد قريش فقال الا اخبركم بالعجب قال الوالبي قال صليت صلاة
الغيرصنا وذهبت فيما بينهما الى بيت المقدس وقص عليهم القصة فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف واجرماه
من هذا الكذاب انه عيرنا انه خرج من مكة الى بيت المقدس في اربعين يوما تشق الانفس وقد خرجت اليها في ساعة اشهد
انك كذاب ثم اخبر بذلك ابو بكر الصديق رضي الله عنه فاتاه وسأله وقال له ماذا الغيث على يمينك حين دخلت بيت
المقدس وعلى يسارك وسأله عن العيرة فاجابه فصدقه فسمي الصديق وفيما كتبناه في الامالي مسندا عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا جبريل كذبني قريش فقال لي جبريل ان ابا بكر الصديق هو يصدقك ثم
اتيه قريش فقالت له يا ابا بكر صديقك اخبر انه اسري به الى السما في ليلة واحدة قال لصدق نصدقه اصدقه بوحي السما على
مسيرة خمسماية عام في ساعة افلا اصدقه انه اسري به فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه
السلام فقال لصدق ابو بكر فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرني قال الله قوله فقال له جبريل سماه الصديق فلذلك
سمي الصديق قال وانا اقول في ذلك شعر •

• لا يجحد المعراج بعد نصوصه • الا عنيد كافر زنديق •
• ويصدق اهل الهدى وامامهم • بالحق في تصديقه الصديق •

وتمام القصة نقلا بطرقه في كتاب وسميناه بكتاب ما ورد من الاخبار في ذكر معراج النبي المختار وفوايده ولطايفه
في مجالس جمعناها وتكلمنا بها في مجالس الوعظ في تمام شهر • وقال القشيري لما اراد الحق سبحانه ان يعرف العباد
ما خص به رسوله ليلة المعراج من علو رفعاه لبه ولقاه اياه ازال الاعجوبة بقوله اسرى به ونفى عن بنيه خطر الاعجاب
بقوله بعبده لان من عرف الالهية وهو استحقاق كمال العز لا ينعجب منه ان يفعل ما يفعل ومن عرف عبودية نفسه وانه
لا يملك شيا من امره لا يعجب بحاله فاوجبت الاية شيئين نفي الاعجاب من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفي التعجب
من فعل الله • وقال جعل المعراج بالليل على غفلة من الرائب وغيبة من الاجانب ومن غير ميعاد سبق ولا استعداد تقدم
لكونه بربه ابيز تقشع وهذه غاية حال المحبوب وكان مجي موسى للميقات بعد ان بعين ليلة ليصطنع كذلك قال ولما
حض بقيام الليل بقوله فتهجد به نافلة لك اكرم بالمعراج خصوصا بالليل وقال ارسله الحق الى اهل الارض ليتحمل
منه العبادة ثم رفعاه الى السما ليتعلم الملايكة منه اداب العبادة • قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى ما طمع في مقام
ولا نظر الى اكرام بل عز عن كل مطلب وادب وقال لنريه من اياتنا اراه تلك الليلة ما عرف به انه ليس من الخلايق مثله
صلى الله عليه وسلم في علو حاله وجلاله رتبته • وقوله تعالى واتينا موسى الكتاب اي التوراة وجعلناه هدى
لبني اسرائيل وجعلنا موسى وعمل الكتاب هاديا اي دليلا وداعيا الى الحق والصواب اي اعطينا موسى الكتاب
حين جاء لميقاتنا واسرينا بمحمد واريناه اياتنا • وقوله تعالى ان لا يتخذوا من دوني وكيلا قرا ابو عمرو بيا
المغايبة ورجع الى بني اسرائيل والباقون بتا المخاطبة اي قلنا لهم في التوراة ذلك ان لا يتخذوا من دوني احدا
وليا يتكلون عليه في ان يخلصكم من العذاب ويقوم بامورکم ويراعي مصالحكم وهذه صفات الوكيل في معاملات
الناس وهو ابطال التوكل ما تقدم لا ليقربونا الى الله زلفى وليشفعوا لنا • وقوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح
انه كان عبدا شكورا اي كثير الشكر على نعمائي مطيعا لي يقول لا تتخذوا من دوني وليا يا ذرية من حملنا مع نوح انه
كان عبدا شكورا اي كثيرا الشكر لي على نعمائي مطيعا لي اي تكونوا كذلك ولا تخالفوه • روي انه كان لا ياكل
ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم والطاعة له في امره ونهيه وهو
عام للنعم كلها صغيرها وكبيرها قولا وعملا وعقدا • وقال مجاهد كان عبدا شكورا كان يحمد ربه قائما وقاعدا
ومتكيا ومستلقيا وراكبا وماشيا • وقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اعلمناهم في التوراة كما قال
وقضينا اليه ذلك الامر واصله الاحكام والاتمام اي اعلمناهم اعلاما محكما منها لتفسدن في الارض اي لتفسدن
اخلاقكم • وفي قوله واذا قتلتم نفسا اي واذا قتل اسلافكم في الارض اي البلاد التي تسكنونها من بيت المقدس
وما يضاف اليها من الشام • وفي قوله ان فرعون علا في الارض اي في البلاد التي يجري سلطانه عليها وعلى
اهلها • وفي قوله انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي البلاد التي يسكنها المشركون ومنها الافساد هو العصيان
وارتكاب المحظور من الدما والاموال مرتين اي دفعتين في زمانين مختلفين ولتعلن علوا كبيرا هو غلبة
المعتدين على المستضعفين افراطا وتجاوزا في الغدر علنيا في الذكر والمراولة هو العلية بحق كان او باطل فاذا جا
وعد اولاهما اي الوقت المعلوم الموعود لاولى المرتين من الافساد والعلو وما اوعدنا عليه من العذاب بعثنا
عليكم عبادا لنا خلقنا يجري عليهم سلطاننا العبودية ولا يتمكنون الا بتمكيننا • وقوله تعالى اولي باس شديد
اي علما بالقتال صابرين عليه والباس الحرب والقتال • قال تعالى ولا ياتون الباس الا قليلا فجاسوا خلال الديار
اي افسدوا وقيل وطلبوا • وقيل تخللوا • وقيل طافوا • وقيل هموا الاستقصاء في الطلب • وقيل هموا التردد بالذهاب

والمجي للاستقصاء في طلب الشي ومعناه يسئلون عليكم واذا انهزمتم اتبعوكم ودخلوا بلادكم بالسيوف ويدخلون البيوت فيقتلون
من يجدون وياخذون ما يجدون وهو اشد ما يكون من استيلاء الاعدا • وقوله تعالى وكان وعدا مفعولا اي كان ذلك موعودا
من الله كاينا لوقت معلوم عند الله يفعله فهو مصدر بمعنى المفعول ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي ثم جعلنا لبني منكم الدولة
عليهم لم يقتل الدولة عليهم وامددناكم باموال وبنين اي زدناكم اموالا واعطيناكم اولادا وجعلناكم اكثر نفيرا اي
اعوانا وانصارا من اهل زمانكم ينفرون في قتال عدوكم والنفير جمع نافر كالغزي جمع غازي والحجيج جمع حاج • وقيل جمع النافر
المنزل المسكون ثم النفير جمع الجمع كما يجمع الراكب ركبا وكما يجمع العبيد عبدا • وقيل النفير واحد لكنه ذكر في موضع التفضيل
يبلغ عبارة الواحد عن الجميع كما يقال عشرون درهما وهو اكثر الناس مالا ودرهما ودينارا • وقوله تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم اي ان اخلصتم الشكر لله على نعمه بالطاعة له في اوامره ونواهيه كان نفع ذلك راجعا اليكم حسا لكم
المزيد وان اسأتم فلها اي ان اسأتم بكفران النعمة كان ضرر ذلك راجعا اليكم بزوال النعمة وبزوال العقوبة وبوقوع الذلة
والمسكنة واللام للاستحقاق كما قال لهم عذاب اليم في الحياة الدنيا • وقيل معناه فاليها اي فعندما سأتم اليها وهو كقوله
وحيها اي اوحى اليها • وقيل هو بمعنى على والحروف تتناوب ثم قيل ان قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم يحتمل انه
في التوراة خطابا لهم ويحتمل انه خطاب مبتدا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان في اخلافهم من عصره ويحتمل انه خطاب
للمشركين انهم لو احسنوا فلانفسهم احسنوا وان اساؤوا فعلى انفسهم فعلوا • وقوله تعالى فاذا جا وعد الاخرة اي وقت
المرة الاخرة بالعود الى الافساد بعد زمان واضمرها هنا بعثنا عليكم ثم قوله ليسوؤا وجوهكم • قرا ابن عامر وحمزة
وعاصم في رواية ابي بكر ليسؤ بيا المغايبة على الواحد اي ليسو لقاوهم وجوهكم وليسوا بعضا وجوهكم • وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية حفص ليسؤوا وجوهكم على الجمع اي ليسو هؤلاء وجوهكم • وقرا الكسائي بالنون
اخبارا من الله تعالى عن نفسه اي نحن نفعل ذلك ويسو بمعنى يحزن ومعناه ان القادم لا يرضيهم بل يخزيهم وخص الوجوه
لان اثره يظهر في الوجوه • وقيل اي ليقتلوكم فيسو الوجوه وتقبح بعد زوال الحياة عن الاجسام • وقوله تعالى
وليدخلوا المسجد اي الاقصى وليدخلوه الا بعد دخول البلد فمعناه انهم يستولون على بلدكم كما دخلوه اول مرة
وليتبروا اي وليهلكوا ما علوا مفعول اي ما علوه وظهروا به وقيل ما غاية اي ما داموا غالبين مستولين ومعنى ليتبروا
اي وليهلكوكم تتبيرا اي اهلاكا والتبار الهلاك وذكر المصدر للتاكيد عسى ربكم ان يرحمكم بارسال محمد اليكم وان
عدتم الى الافساد بتكذيب محمد عليه السلام عدنا الى تعذيبكم في الدنيا وهو ما يذيق العرب بجموعها اربابكم في المرتين
وجعلنا جهنم للكافرين اي لكم ولمثالكم حصيرا اي حبسا للمومنين منكم على كفره • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن
زيد الحصير المحبس والحصير الحبس ويقال للملك حصير لانه محجوب فكانه محبوس بالحجاب • وقال الحسن حصيرا اي مهادا
كما قال لهم من جهنم مهاد يذهب الى ان الحصير المرمول واللامات في قوله ليسوا وليدخلوا وليتبروا لامات العاقبة
لان تخريب المسجد ما لا يجوز ان يامر الله به ثم الخطابات في هذه يرجع بعضها الى الاسلاف وبعضها الى الاخلاف لانه
تقص فرون • وقال ابن عباس وقتادة سلط الله عليهم في الكرة الاولى جالوت ثم ارسل الله لهم حين احسنوا داود
عليه السلام فقتل جالوت وكان ملكهم طالوت • وقال سعيد بن المسيب هو بخت نصر • وقال سعيد بن جبير هو
سنحاريب • وقال الحسن هم العمالقة وكانوا كفارا • فاما حديث بخت نصر فقتل علماوهم واحرق التوراة وخرب
المسجد والقى فيه الجيف وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم استنقذهم الله على يدي
ايطانوس الرومي ثم عادوا الى الفساد وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فانتقم الله منهم بالمغناس ثم قتل
منهم ماية وثمانين الفا على دم يحيى بن زكريا وخرب بيت المقدس وقتل العلما واحرق التوراة والقى في المسجد الجيف وكانت خرابا
الى ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمرها المسلمون • وقيل بعث عليهم في الكرة الاولى جالوت وفي الثانية بخت نصر
وقيل كان في المرة الاولى بخت نصر وجنوده وفي الثانية كردوس المجوسي وجنوده وهي كانت اعظم الوقعتين وهو قول
محمد بن اسحاق وفي انجيل النصارى ان الملك الذي كان عليهم في الثانية بيت المقدس حين بعث عيسى عليه السلام كردوس
المجوسي • وقيل في قوله وان اسأتم فلها اي العقوبة • وقيل فلها الوعيد • وقيل فلها الجزا • وقيل فلها التوبة
وقيل فلها الرجا • وقيل فلها المهلة الى ان تتوب • وقال الحسين بن الفضل اي فلها رب يغفرها • قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان العبد اذا اذنب فقال رب اغفر لي قال الله تعالى علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت
له • وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وان عدتم عدنا اي الى الاجابة وان عدتم الى السوال عدنا الى النوال وان
عدتم الى المعذرة عدنا الى المغفرة وان عدتم الى التفصيل عدنا الى التفضيل وان عدتم الى الاعتراف عدنا الى
غفران الاقتراف • وقال القشيري ان عدتم الى ما يليق بكم عدنا الى ما يليق بكرمنا قل كل يعمل على شاكلته وكان يخطر على
قلب العاصي انه اذا غفر العصاة فمن يكون في جهنم • وقال وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا • والجنة للمومنين مصيرا
وقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم اي يرشد الى الملة التي هي اقوم الملل وهي القيم وهي المستقيم وهي ملة
الاسلام ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا اي تنفع به لهم البشارة بالثواب العظيم وان الذين
لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما اي ويبشر الكفار بهم العذاب الاليم وفيه ذكر فعل واحد وبعد •

معقولان والثاني شعر لرجل اخر كما قال فاجمعوا امركم وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم وكما انشدوا علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها
ماء باردا وقد تقع البشارة عليها فقد ذكر البشارة في حق العذاب في قوله فبشرهم بعذاب اليم على معنى انه يوثر في البشرة ايضا
بالحزن والخوف كما يوثر الخبر السار بالسرور والسرور ولابد قايم في حق الكفار مقام البشارة في حق المومنين وقيل معناه بشر
المومنين ايضا بان اعداهم الكفار اعد الله لهم عذابا اليما • وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي الكفار
يعرضون عن قبول هذا القران الذي هو تذكرة ولا يصدقون بالعذاب الاليم الذي ينذرهم ويستعجلون هذا العذاب
فيقولون ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ومتى هذا الوعد ان كنتم صادقين والانسان جنس والمراد به
الناس وهم المشركون هنا يدعون بالعذاب وهو الشر دعاءهم بالخير كما يدعوا بالسلامة والعافية والنعمة • وقوله تعالى
وكان الانسان عجولا اي عادته في اصل تركيبه العجلة وترك التثبت والاعراض عن التدبر • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما وقتادة ومجاهد هو دعاء الانسان على نفسه وولده عند غضبه اللهم العنه واغضب عليه اللهم اهلكني
وارحني • وقال ابن عباس رضي الله عنه وكان الانسان عجولا هو ادم عليه السلام لما نفخ فيه الروح وبلغت الى
رجليه قبل ان يجري فيهما رام النهوض فسقط • وقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ذكر بعد ذم
المشركين اية من ايات وحدانيته حجة على المشركين فقال وجعلنا الليل والنهار ايتين اي خلقنا الليل والنهار
علامتين للتعيش والاضطراب لتحصيل الاقوات التي بها قوام الابدان الاجسام والاستراحة من التعب الذي يقع
بهذا الاضطراب اذ لا قوام للابدان الاجسام بها لغنا بين الايتين فجعلنا الاية التي هي الليل ممحوة اي مذهبة النور
فان القمر لا نور له في نفسه وانما ياخذه من الشمس والاية التي هي النهار مبصرة اي مضيئة وقيل اي اهله بصرا فيه
كما يقال رجل مخبث اي اصحابه خبثا ورجل مضعف دوابه ضعفا وكذا قوله والنهار مبصرا اي اصحابه بصراء • وقوله
تعالى لتبتغوا فضلا من ربكم بالنهار ولتستريحوا بالليل ولم يذكرها هنا وذكره في رواية اخرى وجعلنا الليل لباسا
وجعلنا النهار معاشا لتسكنوا ولتبتغوا من فضله اي رزقه وسماه فضلا لانه ما يعطيه الله العبد فضل ولا يجب
للعبد على الله شيء وهو حجتنا على المعتزلة في مسالة وجوب الاصلح • وقوله تعالى ولتعلموا عدد السنين والحساب
بانفصال الليل من النهار فيعرف به حساب الساعات والايام والشهور وباجتماعها تصير سنة ثم يجتمع عدد السنين
في التواريخ فيعرف بها ازمنة الحوادث والحساب لما دون السنة والعدد للسنين المجتمعة • وقوله تعالى وكل
شيء اي مما بهم الحاجة اليه • وقوله تعالى فصلناه تفصيلا اي بيناه تبيينا والمصدر للتاكيد اي هو حق يلزم
العمل به ثم قوله وجعلنا الليل والنهار ايتين يدل على انهما في انفسهما ايتان ثم قال فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
اضاف الاضافة الى الليل والى النهار وهي اضافة الشيء الى نفسه كقولك نفس الشيء وعين الشيء ومحو الليل
اخلاؤه عن النور وابصار النهار ضياؤه • وقيل بل اية الليل غير الليل وهي القمر ومحوه انه لا نور له في نفسه ونوره
من الشمس واية النهار غير النهار وهي الشمس وابصارها نورها الذي يقع به الابصار ومبصرة بمعنى ذات
بصر كقوله في عيشة راضية اي ذات رضى • وقال ابن عباس رضي الله عنهما مبصرة مضيئة • وقال الضحاك
فمحونا اية الليل يعني السواد الذي في وجه القمر ثم ذكر في الليل والنهار انهما ايتان وقال وجعلنا ابن مريم وامه
اية فجعلهما اية واحدة فان الاية كون الولد منها بغير اب وهو معنى واحد قام بهما وههنا الليل اية والليل
والنهار بخلاف ذلك • وقيل معناه وجعلنا ابن مريم وامه كل واحد منهما اية كما قال كلتا الجنتين اتت اكلها
اي كل واحدة منهما • وقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه والزمناه لا والى انه فصل الاعمال تفصيلا
في اللوح المحفوظ والزم كل انسان عمله في عنقه اي عمله في عنقه وهو عمله في الخير والشر • قال مقاتل بن حيان
طائره يعني ما كان من خير وشر لا يفارقه حتى يحاسب به • وقال الحسن يعني يمنه وشومه وسعادته وشقاوته
واصله ما يتطير به ويتفاءل به من الطائر السانح البارح فالذي يجيء من ذات اليمين يتيمن به والذي يجيء
من ذات الشمال يتشاءم به ثم يتوجه ويجعل الزام العمل والزام جزاء العمل • وقيل طائره اي قسمته تعالى طيرت
المال بين القوم وطار لفلان كذا ولفلان كذا وهو ظهور قسمته • وقوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا اي ونخرج له الطائر وهو عمله الذي عمله ونحمل الطائر الذي عمله كتابا مكتوبا اي في كتاب
يلقاه يراه • وقرا ابو جعفر يلقاه بضم اليا وتشديد القاف اي يلقيه الملك ذلك منشورا بعد ما كان مطويا
مختوما ليقراه • وقوله تعالى اقرا كتابك اي يقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا
وقال الحسن لقد انصفك من جعلك حسيب نفسك • وقال الامام القشيري رحمه الله الزم كل احد ما الي
حده من عنده من خلاصه ولابد له من لزومه مناصا وهو حكم السعادة لقوم وحكم الشقاوة لقوم فالذين هم
اهل السعادة اسرج لهم مراكب التوفيق تسير بهم الى ساحات النجاة والذين هم اهل الشقاوة ربطتهم
شقلة الخذلان فاقعدتهم عن النهوض الى نهج الخلاص واوقعتهم في وهدة الهلاك • وقيل من حاسبه بكتابه
وجد كل زلة ومهلكة ومن حاسبه بكتاب نفسه ففي كتابه سبحانه المغفرة والرحمة فالواجب

بفي

على العبد ان يبتهل في دعائه فيقول اللهم حاسبني بكتابك على ما قلت كتب ربكم على نفسه الرحمة لا بكتابي فانه مشتمل على القبايح
والفضايح • وقوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى • قال الامام
ابو منصور رحمه الله هو كله تفسير قوله الزمناه طائره في عنقه فعمل كل انسان في عنقه ويكون هو المواخذ به لا غيره والوزر
الحمل ومعناه لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والاثام احمال واثقال • قال تعالى وليحملن اثقالهم الاية • وقوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا • قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل وما كنا معذبين تعذيب استيصال في الدنيا الا بعد قطع
الشبه ورفعها من الحجج من كل وجه وبعد تمامها وان كانت الحجة لزمتهم بالمعقول بدون بعث الرسل ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه
او يكون قوله وما كنا معذبين في الاخرة حتى نبعث رسولا في الدنيا تفضلا منا ورحمة وان كان العذاب قد لزمهم والحجة قد
قامت عليهم والاشبه هو الاول وعذاب الاستيصال في الدنيا ليس هو بجزاء على الكفر بل جزاء الكفر عذاب الاخرة الذي
لا ينقطع وانما هو جزاء المعاندة بعد لزوم الحجة من كل وجه • وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
اي امرنا متنعميها وجبابرتها بالطاعة • وقوله ففسقوا فيها اي خرجوا عن الامر وعصوا وقرئ بالتشديد امرنا اي وليناهم
وسلطناهم الامارة وقرئ امرنا بالمد اي اكثرنا ويوثره ايماء • قال الشاعر •

ان تغبطوا يهبطوا وان امروا يوما • يصيروا للقل والنقل •

وقوله تعالى فحق عليها القول اي وجب عليها الوعيد • وقوله تعالى فدمرناها تدميرا اي اهلكناها واستاصلناها
اخبر انه لا يعاجل بالعقوبة امهلها حتى يعتذروا ليهم غاية الاعذار • وقوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد
نوح اي وما اكثر ما اهلكنا من القرون وهي جمع قرن وقال محمد بن القاسم المازني هو مائة سنة • وقال عبد الله
ابن ابي اوفى هو مائة وعشرون سنة • وقيل اربعون سنة من بعد نوح • وقوله تعالى وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا • قال القشيري رحمه الله هذه تسلية للمظلومين اذا استبطاوا هلاك الظلمة وتمنوا قصر
ايديهم عنهم فاستعجلوا انقضاء دولهم واياهم فاذا افكروا فيمن مضى منهم كيف بنوا مشيدا واملوا بعيدا فبادوا جميعا
علم ان الاخرين يسقطون عن قريب في سلكهم ويمضون بمثل شانهم فاذا تغيبت شمائلهم بسحاب الوحشة
فاروا الى طلب شهود التقدير فتزول عنهم الوحشة وتطيب لهم الحياة وتنوف اسباب البهجة • وقوله تعالى من كان
يريد العاجلة اي من كان يريد بعمله الدنيا عجلنا له فيها في العاجلة ما نشاء تعجيله لمن نريد تعجيله له ما يشاء
العاجل وما يريده العاجل • وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم يصلاها يدخلها مذموما مدحورا مطرودا • وقوله تعالى
ومن اراد الاخرة اي ثواب الاخرة بعمله وسعى لها سعيها عمل عمل الاخرة من اداء الفرايض واجتناب المحارم • وقوله
تعالى وهو مومن اي مصدق لله في وعده ووعيده • وقوله تعالى فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا عند الله
مرضيا محمودا مثابا عليه الكثير الحظير على اليسير الحقير من العمل • وقوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك
تعطي وتوسع هؤلاء ترجمة عن قوله كلا • وقوله تعالى وهؤلاء من عطاء ربك رجوع من الاخبار عن نفسه الى الخطاب
وهو من وجوه الكلام • وقوله تعالى وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده • وقوله تعالى انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض في النعمة في الدنيا وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اشد تفاوتا وتفضلها اكثر قدرا
من التفضيل الواقع في الدنيا • وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا نزلت في ثلاثة من ثقيف مرثد بن ثمامة
والعاص بن البختري وحيد كانوا حراصا على الدنيا • وقوله تعالى ومن اراد الاخرة نزلت في بلال بن رباح مولى
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وقال القشيري رحمه الله وهو مومن
اي مصدق بان نجاته بفضل الله لا بسعي نفسه • وقال في قوله وللاخرة اكبر درجات قوم تفاضلوا بصدق القدم
وقوم تفاضلوا بعلو الهمم ومنهم من يتفاضل بما لا يبان بصفته ولا عبارة ولا ترشيد ذكره ولا اشارة ومنهم من يراه
في الاسبوع مرة ومنهم من لا يغيب عنه لحظة وقد يجتمعون عند الرؤية ثم يبقوا وتوت في النصيب فليس كل من يراه
يراه بالعين التي يراها صاحبه وانشدوا ليسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا • وقوله تعالى لا تجعل
مع الله الها اخر اي جرد التوحيد فلا تعتقد من يستحق العبادة غيره • وقوله تعالى فتقعد اي فتبقى وتمكث مذموما
بكل لسان مخذولا موكولا الى من اتخذته غير الله معبودا لا نصر عنده ولا عون والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره وهذه الايات متصلة بعضها ببعض واولها وكل انسان الزمناه طائره اي عمله في الخير والشر ثم ذكر تفاصيل
ذلك وتفاوت الفرق فيها وذكر تفاوت الناس في الدنيا في الاعمال وتفاوتهم في الاخرة في الحال وذلك على
حسب الاعمال ثم فصل تلك الاعمال وبدا بالتوحيد وهو في هذه الاية ثم اتبعها خصال الاسلام الحسنة وما يضادها
من الاعمال السيئة • وقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه • قال ابن عباس وقتادة وابن زيد وامر ربك
واصل القضاء فصل المعنى بالامر على احكام • وفي مصحف عبد الله ووصى ربك ان لا تعبدوا نصب لوقوع قضى عليه
لا تعبدوا نهي ولما امر الله تعالى بالتوحيد وقدمه لانه به تقبل الاعمال اتبعه بالاحسان الى الوالدين وهو اعظم
حقوق البشر ثم امر بعد ذلك بصلة الرحم ومواساة المحاويج بالمقدار المعقول في الانفاق المحمود ثم نهى عن قتل
الاولاد وهو من صلة الرحم ثم اتبعه النهي عن الزنا رغبة حفظ الانساب ليتوصل الى صلة الارحام اذ في الزنا

احتلاط الارحام والجهل بوجوه القرابات ثم النهي عن قتل النفس المحرمة اذ لا ذنب بعد الشرك اعظم منه ثم النهي عن تضييع
مال وافساده ثم الوفا بالعهود ثم ايفا الكيل والوزن بالقسطاس حفظا للتبخ والبخس والفواد عن خلاف الحق ثم الامر بالتواضع
وترك التكبر والتعظم والمرح على الناس كل ذلك مسوق على قوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ولا شك ان من استوى في هذه
الخلال فقد بين طايره وسعد جده • وقوله تعالى وقضى ربك اي حكم ربك بالامر للعباده وثبت القول عليهم فيما تعبدهم به ان يفردوه
بالعباده فلا يشركوا به احدا غيره • وبالوالدين احسانا اى وان تحسنوا بالوالدين اي الى الوالدين كما قال وقد احسن بي • وقوله
تعالى اما يبلغن عندك الكبر اما كلمتان ان للشرط وما للصلة والنون للتاكيد • وقرا حمزة والكسائي وخلف يبلغان على
التثنية لسبق ذكر الوالدين في صدر الاية وعلى هذا قوله احدهما بدل البعض كقولك جاءني القوم بعضهم او هو تفصيل فقد قال
احدهما او كلاهما • وقرا الباقون على الوحدان لانه فعل قوله احدهما في ظاهر النظم وعطف عليه او كلاهما تقول ان يبلغ عندك الكبر
الذي هو ارذل العمر وهما حينيذ في الحاجة الى من يكفيهما ويقوم بمصالحهما كالولد في صغره حين حاجته اليهما فلا تستثقل
اذيل منهما ما كانا يليانه منك ولا يظهر لهما شيا من التكره والتضجر قولا ولا فعلا وهو قوله فلا تقل لهما اف وفيه ست لغات
الحركات الثلاث منونين وغير منونين اما الكسر فعلي اصل الحركة لالتقا الساكنين والفتح طلبا للخفة في المضاعف والضم
تشبيها بحيث لانه يوقف عليه من غير فصل بغيره وهو كقولك قبل وبعد والتنوين للتنكير وتركه للتعريف وفيه ثلاث قراات
اف بكسر الفا من غير تنوين وهي قراة ابي عمرو والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر وحماد والثانية اف بفتح الفا من غير تنوين
وهي قراة ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب وعاصم في رواية المفضل والثالثة اف بالكسر والتنوين وهي قراة نافع وابي
حفص وعاصم في رواية حفص وهي كلمة تدل على التضجر والعرب تقول افا وتفا وقيل الاف وسخ الاظفار والتف ما رفعت
بيدك من حصى الارض • وقيل معنى اف النتن • وقيل التبرم • وقيل الاف ما يكون في المغارف من العرق والتف ما يكون في
الاصابع من الوسخ • وقال سعدون المجنون اف للدنيا وتف كل من فيها يلعب • وقوله تعالى ولا تنهرهما النهر والانتهار
الزجر باغلاظ وصياح • وقوله تعالى وقل لهما قولا كريما شريفا في نفسه اعرض فيه عن القبح واللغو • قال تعالى واذا
مروا باللغو مروا كراما اي معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الاصغا اليه واصل الكرم الصفح • وقوله كتاب كريم
الذي يظهر محاسن حبيبه ويخفي القبايح • قال الشاعر •

• ان الكريم اذا احباك مودة • ستر القبيح واظهر الاحسانا •

وقال الضحاك هو ان لا يسميهما باسمهما تقول يا ابتاه • وقال الزهري لسعيد بن المسيب وقد عرفت ما في القران
الا قوله وقل لهما قولا كريما فما هو قال قول العبد المذنب للسيد الفظ • وقوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
حاصله التواضع والتلطف والدعابه • وقال عطا في تفسيره لا ترفع اليهما يديك ومجازه ان الطاير اذا اراد ضم
فرخه اليه خفض له جناحيه فكذا قيل للولد اكفل والديك وضمهما الى نفسك كما انهما يفعلان بك في صغرك • وقيل
اذا نزل الطاير الى ولده المتروك في وكره من طيرانه خفض جناحيه ولم يرفرف بهما لئلا يوذي الولد فلذلك
فكذا الولد امر ان يتقدم الى والديه على لين وتواضع لا ياخذهما ولا يرفعهما اذا احتاجا الى رفعه على قلة مراعاة
وعلى حملهما كما يحمل الاحمال كيلا يشق عليهما ولا يوذيهما • وقيل خفض الجناح ترك الطيران وبسطهما للطيران والتباعد
فهذا امر للولد ان لا يبرح من خدمتهما ولا يسفر عنهما ولا يتباعد • وقوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا •
والرحمة تجمع كل الخيرات في الدين والدنيا الى ان يدخلهما الله المرحوم الجنة ويغفر لهما خطاياهما تقول يا رب افعل بهما
هذا النوع من الاحسان كما احسنا الي في تربيتهما اياي والتربية هي التنمية وهذا من حقوقهما بعد موتهما وهو الدعا
لهما • وقيل نزلت الاية في سعد بن ابي وقاص حين اسلم وعلمت بذلك امه فتجردت والقت نفسها في الرمضا فاخبر
سعد بذلك فقال لتموتن فلم يرض الله بذلك وانزل ووصينا الانسان بوالديه حسنا [illegible]
وعلى هذا قوله وقل رب ارحمهما نسخها قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين • وقوله تعالى ربكم
اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا • قيل لما نزلت الاية خاف بعض الناس مما يقع منهم
في حق الابوين من التقصير على غير قصد فنزلت اي ان الله عالم بقصد قلوبكم فان تكونوا صالحين غير قاصدين للعقوق
بل نادمين على ما يقع من غير قصد راجعين الى الله غفر الله تعالى لكم ما قد سلف • وقيل هو في حق العاقين اذا
تابوا وتداركوا ذلك بالعذر والبر • وقيل هو على العموم في حق جميع ما سبق ذكره في السورة من الامر والنهي
وقال سعيد بن المسيب الاواب التواب كلما اذنب بادر بالتوبة • وقال سعيد بن جبير ومجاهد الاواب الراجع
الى الله فيما ينوبه • وقالت عايشة رضي الله عنها الاواب الذي يذنب ثم يتوب • وقال سعيد بن جبير الاواب
المسبح • قال تعالى يا جبال اوبي معه اي سبحي • وقال قتادة الاواب المطيع • وقوله تعالى وات ذا القربى
حقه اي اعط ذا القرابة منك وهو المتصل بك بابيك وامك حقه الواجب عليك من الصلة والمواساة وات
المسكين ايضا وهو الفقير وابن السبيل ايضا وهو الغريب • وقوله تعالى ولا تبذر تبذيرا اي ولا تسرف
اسرافا واصله التفرق من البذر الذي يلقى في الارض وهو تفرقه وحباته • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود
وقتادة رضي الله عنهما هو انفاق المال في غير حقه • وقال مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وذكر المصدر للتاكيد

لان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي جارون على مذهبهم لانهم لازمون لافعالهم والعرب تسمي الملازم اخا له فتقول اخ المكارم
واخو الجود واخو السفر اذا كان ملازما له وكان الشيطان لربه كفورا اي كثير الكفران لنعمه بجحود الحقوق وهو كذلك كان دينه
من عادته ومذهبه في القدم • وقيل اخوان الشياطين قرناوهم في الدنيا والاخرة • قال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين
وقال احشروا الذين ظلموا وازواجهم قيل وقرناوهم من الشياطين • وقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها
اي وان عرضت للنبي حاجة احوجتك الى الاعراض عن هولا المحتاجين وهو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي ميسورا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الاية اذا سيل ولم يكن عنده ما يعطي سكت انتظارا للرزق يا بني من الله كراهة الرد
فنزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سيل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله وذلك قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي لا تسكت فيكون ذلك ايحاشا لهم والتوبيخ فيكون ذلك ايلاما لهم • وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك اي ولا تمتنع العطية تمر ومنع البخل فالغل كناية عن المنع ولا تبسطها كل البسط اي لا تجاوز الحد في الاعطا فتقعد
ملوما اي فتبقى ملوما الناس على ذلك • وقوله تعالى محسورا اي منقطعا عن الطاعة • وقوله تعالى ان ربك يبسط الرزق
لمن يشا اي الله هو الذي يوسع الرزق على من يشا من عباده ويقدر اي يضيق على ما يعلم من صلاح المبتلا للعجز لا البخل بل
قد يعطي ليمتحن بالشكر وقد يمنع ليمتحن بالصبر • وقوله تعالى انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما بعباده ومصالحهم بصيرا
احوالهم واعمالهم • وقيل نزل قوله واما تعرضن عنهم الاية في مهجع وبلال وسالم مولى ابي حذيفة وخباب بن الارث وصهيب
ابن سنان كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه فان كان لا يجد لهم شيا اعرض عنهم
حيا منهم فانزل الله هذه الاية • وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قاعدا بين اصحابه اذ اتاه صبي فقال يا رسول
الله ان امي تستكسيك قميصا ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة
يظهر فعاد الصبي الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك القميص الذي عليك تتبرك به فدخل النبي صلى الله عليه وسلم
داره ونزع قميصه وقعد عاريا فاذن بلال للصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلب الصحابة فدخل عليه بعضهم فراه عاريا فانزل
نزلت الاية • وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا يجوز ان يكون
هذا مجزوما عطفا على قوله ولا تجعل يدك ويحتمل ان يكون منصوبا عطفا على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه
وقتل الاولاد من اشد الحقوق وقد امر الله تعالى ببر الاولاد كما امر ببر الوالدين وفي التفسير لا برادهم الذين
يرثون الاباء والابنا واذا كان ذلك خوفا من الفقر فهو اشد لما فيه من سوء الظن بالله تعالى وكان ذلك نهيا عن
واد البنات وعقوق الاباء والامهات وذكر الاولاد على العموم مع ان عادتهم كانت في البنات على الخصوص تغليبا
ان البنات والاولاد كالبنين وكان واد البنات خوف الفقر فان البنات عاجزات عن الكسب وكانوا يتخيشون
الغارات ويأخذون اموال الناس في المحاربات والبنات عن ذلك عاجزون وربما لا يرغب كفو في البنت فتضطر
الى تزويجها من غير كفو فيلحقها العار بذلك فكانوا يادون البنات تحرزا عن ذلك فقال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق اي فقر نحن نرزقهم واياكم اي علينا ارزاق الكل فلا تهتموا لذلك • وقوله ان قتلهم كان خطا كبيرا
قرا ابن كثير خطا بكسر الخا ممدودة مهموزة • وقرا ابن عامر في رواية ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطا باسكان الطا والخا
مصدر خطي يخطا خطا كالحذر والحذر والشبق والشبق وقد خطى اثم واخطا ضد تعمد والخطا بالكسر لا يكون الا التعمد
والخطا بالفتح قد يكون عمدا وغير عمد • وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا والفاحشة الفعلة
المتناهية في القبح وسا سبيلا اي وما افسده والنهي عن القربان مبالغة في المنع عنه • وقوله تعالى ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق اي كل نفس عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد فلا تقتلوها الا بالحق اي الا بحق يوجب
قتلها كالقصاص والرجم ونحو ذلك وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لا يحل دم امري مسلم الا باحدى
معان ثلاثة زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق • وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا
لوليه سلطانا اي ولاية القصاص ووليه وارثه فان القصاص موروث بين الورثة على السهام • وقوله تعالى
فلا يسرف في القتل • قرا حمزة والكسائي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بتا المخاطبة جزما وهو
نهي للولي خطابا • وقرا الباقون بيا المغايبة جزما وهو نهي مغايبة ويرجع الى الولي • وقوله تعالى انه كان منصورا
قال قتادة اي ان الولي باستيفا القصاص وعلى الايمة والمسلمين نصره باعانته • وقال مجاهد اي ان المقتول
منصور على قاتله في الدنيا بالقصاص وفي الاخرة بما يجري على صاحبه من العذاب الشديد ومعنى النهي عن
الاسراف ان لا يقتل ولي المقتول غير قاتل وليه وكان عادة العرب قتل غير قاتله والزيادة على ذلك بقتل النفوس
بنفس واحدة وقيل هو مجاوزة الحد الذي جعل في القصاص من المثلة وقطع الاطراف ونحو ذلك • وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وعلى هذا قوله انه كان منصورا اي
القاتل فان الله تعالى ينهى عن قتله باكثر من قتله • وقيل والسرف في القتل نهي القاصد عن القتل اي لا تقتل فان نفس
القتل اسراف • قال تعالى من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا • وقال تعالى انه كان
من ابناء المسرفين • وقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالجهة التي هي احسن اي اصلح وانفع

وقوله تعالى حتى يبلغ اشده اى كمال عقله وقوته وهو اذا احتلم وبلغ السن على ما فسرناه في سورة الانعام • وقوله تعالى واوفوا
بالعهد اى بعهد الله وهي اوامره ونواهيه وبنذور العبد وايمانه كما قال اوفوا بالعقود اي بعهد الله • وقال واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم • وقوله تعالى ان العهد كان مسئولا اى مطلوبا كما يقال لسا لك حتى اي طلبته ولذلك لم يقل مسئولا عنه • وقوله
تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم اى سلموا ما استحق عليكم كيلا بكيل تام • وقوله تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم اى سلموا
ما استحق عليكم وزنا على استقامة والقسطاس الميزان صغر او كبر قاله الزجاج • وقيل هو القبان وهو قول الحسن وقال
مجاهد هو العدل بالرومية وكان القسط اصل وهو العدل والباقي مزيد عليه والمستقيم المعتدل • وقرا حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص بكسر القاف والباقون بضمها وهما لغتان • وقوله تعالى ذلك خير واحسن تاويلا • قال قتادة
واحسن ثوابا في العاقبة وهو من الاول وهو كقوله وخير مردا وخير عقبا • وقوله ذلك خير اى في الدنيا فانه اما نة
وهو يوجب الثنا والمحمدة ورغبة الناس في معاملته وهو انفع من كل كسب واحسن تاويلا في الاخرة فقد جمع نفع
الدارين • وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم • قال قتادة اى ولا تقل سمعت ولم تسمع ولا رايت ولم تر ولا علمت
ولم تعلم واصل القفو اتباع الاثر وكانه يتبع قفا المتقدم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد جميع امته • وقيل
هو النهي عما كان عليه المشركون على التقليد من غير علم كما قال تعالى ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان
ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس • وقال بل هم في امر مريج بل هم في لبس بل هم في شك بل هم منها عمون • وقال ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين • وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله • وقال لا تتبعوا بغير علم فعلى هذا قوله ولا تقف
ما ليس لك به علم اى لا تتبع في الاعتقاد وتقليد من يلزم تقليده • وقوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اوليك
كان عنه مسئولا • قيل كل اوليك اى كل العباد كان عنه اى عن قفوهم ما ليس لهم به علم وعن استعمالهم هذه الجوارح
فيما استعملها فيه • وقيل كل اوليك اى كل هذه الاشيا وهي السمع والبصر والفواد كان ذاي كان كل واحد منها عنه مسئولا
انه عما عمل صاحبه اى يسال الشهادة على ذلك كما قال اليوم نختم على افواههم الاية • وقال تشهد عليهم سمعهم • وقال
يوم تشهد عليهم السنتهم الاية • وقيل كان عنه مسئولا عن شكر هذه الالات قيل ان العبد مسئول عما يكتسبه سمعه وبصره
وقلبه من الامور لان الله في جميع هذه الجوارح عباده حتى لا يجوز لهم استعمالها فيسال عنها اي يحاسب عليها ويجازي
بها • وقيل اعتقاد الدين يقع بالقلب والمرء مسئول عنه كالموصي الى باطل او نطق بباطل او نظر الى باطل • وقيل
ولا تقف ما ليس لك به علم هو نهي عن قذف المحصنين والمحصنات وكانوا يتناجون في الاشعار بالقول في الاباء والامهات
ونهوا عن ذلك وهذا يروى عن مجاهد وعكرمة • وفي الجزء منقا مشتملا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة
الخبال ونفاه القياس يتعلقون بهذه الاية وقلنا هو طلب العلم بدليله بالاسباب التي جعل الله لنا الوصول
اليه • وقوله تعالى اوليك تجوز الاشارة بهذه الكلمة الى جميع ما لا يعقل • قال الشاعر •

ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اوليك الايام •

وقوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا • قيل هو شدة الفرح • وقيل هو الخيلاء والكبر قاله قتادة • وقيل المرح البطر
والاشر • وقيل هو تجاوز الانسان قدره مستخفا بالواجب عليه • قال تعالى واقصد في مشيك • وقال بعده
ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور فدل على انه مشي المختال المتكبر • وقوله تعالى انك لن تخرق
الارض اي لن تشق الارض بشدة مشيك اى لا تقدر على ذلك ولا ينبغي لك ذلك • وقوله تعالى ولن تبلغ الجبال
طولا اى برفع راسك ونصب عنقك لن تنال الجبال اي فليس من احد الا وهو يقدر على هذا الضرب من المشي
فلا معنى للتكبر فالتواضع والقصد في المشي وقد مدح الله تعالى به عباده فقال الذين يمشون على الارض هونا
وقيل انك لن تخرق الارض اى لن تقطعها طولا وعرضا حتى تشتق في قطعها انما تمشي بقدر قوتك الضعيفة
ولا ترتفع الى الجبال فلا تسرع اسراع المختال ولا حاجة لك الى ذلك كله بل سر على هينتك بقدر حاجتك • وقيل
لا تمش مرحا تتوهم انك تتطاول كل جبل فيكون عاليا عليه وتخرق كل ارض فيكون خارجا عنها بل كيف ما احلت فانت
محاط من فوقك وتحتك بشيين من الجمادات هما خلق الله انت اضعف منهما والمحاط به مغلوب لانه كالمحصور
فكانه قال تواضع ولا تتكبر ولا تختل فانك خلق من خلق الله ضعيف محصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل
المقتدر القوي • وقوله تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها • قرا ابن كثير ونافع وابو جعفر وابو عمرو
ويعقوب سيئة منونا غير مضاف اى خصلة سيئة ويرجع الى المنهيات • وقال كان ذلك هاهنا الى قوله كل ذلك لفظا
وكذلك قال مكروها على التوحيد والتذكير • وقرا الباقون سيئه بالرفع والاضافة الى النبي منه لانه سبق ذكر
المامور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه لا كله فكان قوله سيئه اسما لكان • وقوله تعالى مكروها خبر له • وقوله تعالى
ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي جميع ما ذكر فيه من القصص والامر والنهي واداب الدين هو مما اوحاه الله تعالى
اليك على يد جبريل لم يات به شيطان كما قال في سورة الشعرا بعد اقتصاص مكذ وما تنزلت به الشياطين وبين انه من
الحكمة اي من الاشيا الموضوعة في مواضعها الموصوف بعدها في العامل بها بصواب الاعتقاد والقول والعمل
وقوله تعالى ولا تجعل مع الله الها اخر اعلاما بعظم محله فتلقى في جهنم ملوما مدحورا فالملوم المعنف على الشي يفعله

والذخيرة المطروحة المهانة • وقال القشيري رحمه الله ولا تمش في الارض مرحا الخيلا والبغي والمرح التكبر كل ذلك نتايج الغيبة
عن الذكر والحجبة عن شهود الحق فان الله تعالى اذا تجلى لشي خشع له فذلك ورد الخبر فاما في حال حضور القلب واستيلاء الذكر
وسلطان الشهود فالقلب مطرق وحكم الهيبة غالب ومنت المدح وصفة النفس وهو اسباب التفرقة كلها ساقطة والناس في
التكبر مع عنه التكبر اصناف واصحاب الاعتبار واهل الحرفه يتكلفون من خلطة اشخاص وحاملون في تعلم ما يجهلون
ويصيرون في الحد الى ما يصيرون نزع ذلك عنهم التكبر واما الجرد فاما اربابه الحضور فليس في طلوع الحق الا عاشر النفس
وقوله افاصفاكم ربكم بالبنين استفهام بمعنى التوبيخ اي افضلكم ايها المشركون ربكم بالبنين من الاولاد واتخذ من الملايكة
اناثا اتخذ لنفسه البنات • وقيل استنابكم بذلك اي اختاركم واصطفاكم اختار لنفسه • قال ابن عباس اصطفى البنات على البنين
وقالوا الملايكة بنات الله • وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون • وقال تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى • وقال ويجعلون لله ما يكرهون
وقوله انكم لتقولون قولا عظيما اي كذبا عظيما وهذا كما قال هذا بهتان عظيم وعظمه لان السموات يتفطرن منه الاية
وقوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا اي صرفنا في هذا القران القول في بطلان ما يقولونه ويعتقدونه
كما قال ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون بالقول مرة بعد اخرى • وقوله ليذكروا اي ليتذكروا وليتعظوا
فيرجعوا عن ذلك وبطلانه فيتنبهوا عنه • وقوله تعالى وما يزيدهم الا نفورا اي ما يزيدهم التذكير الا نفورا عن الحق
الاية على بطلان قول المعتزلة في الاصلح فان تصريف القول لما كان زيادة النفور لم يكن صلاحا لهم ومع ذلك فعله الله تعالى
وقوله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا يتصل بقوله ولا تجعل مع الله الها اخر اي قل يا محمد
للمشركين لا تجعلوا مع الله الهة فانه لو كان مع الله الهة اخرى في الارض كما تقولون والالهية تقتضي نفوذ القدرة
وسعة السلطان والانفرا د بالحكم لما احتملت الحكم وهي في الارض اذا لغلبة لملك السماء ولكانت توجب ان تكون هذه
الالهة تمانع اله السماء وتنازعه في سلطانه وانتم تعترفون بانها لا تقدر على منازعته في ذلك ولا على دفع ما يرد عليها من قهر
وهذا خارج عن صفة الاله وهذا معنى قوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي اذا لطلبوا الى الله ذي العرش العظيم في
السما سبيلا لازالة ملكه ولقهره واذا لم تكن الهتكم هكذا بل هي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تنفع ولا قدرة معها على
رد من يروم قهرها فقد وجب انها مربوبة مخلوقة • وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اي هو منزه عن
ذلك بعيد عنه وسبحه امر للعباد بتنزيهه عما يقول هولا الظالمون • وقوله تسبح له السموات السبع والارض ومن
فيهن اي تشهد له بالالهية والوحدانية والتعالي عن الاضداد والانداد السموات السبع والارضون وما فيهن من حي
وجماد بما في كل شي منها من دلايل الحدوث واثار صنع الصانع • وقوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده اي وما من
شي الا ينزه الله تعالى بما قلنا ويحمد على نعمه اي يظهر وجوب الشكر على خلقه بما اسبغ عليهم من نعمه والثناء عليه
بما يستحقه بذاته وصفاته وافعاله • وقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم هذا خطاب للمشركين اي انتم لاصراركم
على الكفر واعراضكم عن التدبر في الايات لا تفقهون هذه الشهادة فانتم تستحقون العذاب • وقوله تعالى انه كان
حليما غفورا ولكنه لا يعاجلكم بالعقوبة لحلمه وستر عليكم الذنوب فلا يهتك استاركم الحال • وقيل غفورا اي
يغفر لكم اذا امنتم فلا يعذبكم بما كان منكم ومنهم من حمل هذا التسبيح على النطق به وهو عندنا جايز على ان يخلق الله تعالى
فيها حياة ونطقا وقد سبح الحصا في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك تصدع الجبل من خشية الله وهبوط
الحجارة من خشية الله • وقال ابو امجد حدثني رجل من ولد خباب بن الارث ان يحيى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ذيل تسبح تسبيح ذلك القوم فتحيروا وفزعوا وقالوا يا رسول الله كيف يسبح هذا العود اليابس فانزل الله تعالى
تسبح له السموات السبع والارض الاية • وقال عطا الشجر والنبات تسبح فاذا انقطعن تركن التسبيح لانهن احيا
ما لم يقطعن فاذا انقطعن صرن في عداد الاموات • وقال الحسن التراب يسبح فاذا ابن ترك التسبيح • وقوله تعالى
واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
قال بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبليغ الرسالة فانزل الله هذه الاية
ناخبر انه جعل بينه وبين اوليك حجابا مستورا ومكنه من التبليغ اليهم بالحجاب الذي ذكر ثم اختلف في ذلك الحجاب
قال بعضهم شغلهم في انفسهم بامور واشغال حتى بلغ اليهم • وقيل القى في قلوبهم الرعب حتى لم يقدروا على منعهم
ذلك • وقيل سترهم بحيث كانوا لا يرونه ويسمعون قراته ولم يقدروا على ايذايه والاضرار به فبلغهم • قال ويجوز
ان يكون ما ذكر من الحجاب حجاب الفهم وذلك انهم كانوا ينظرون اليه بالاستخفاف له والاستهزاء به فحجبوا عن الفهم
وهو كقوله ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ويدل عليه قوله ما بعده وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه • وقوله تعالى حجابا مستورا • قيل معناه ساترا كقوله كان وعده ماتيا اي اتيا • وقيل اي مستورا به كقولهم
ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف الصلة عند هاهنا وهو عن وفي الاول احذف الصلة وهي لنا • وقيل
معناه مستورا عن اعين الخلق لا يرونه ولذلك ما نياهو على حقيقته لان ما اتاك فقد اتيته • وقوله تعالى
وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية جمع كنان اي غطا ان يفقهوه اي لا يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا وعلى ذلك

إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وإن الطاعات والمعاصي كلها بمشيئة الله وإنما فعل الله ذلك في حق من علم منه اختيار الكفر
كأمر شرح مرات • وقوله تعالى وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أي وإذا قرأت عليهم ما فيه ذكر التوحيد
وذم الشرك أعرضوا نافرين عنك مفارقين مجلسك والنفور جمع نافر كالقعود جمع قاعد • وقيل هو مصدر وذكر تأكيدا
لقوله ولوا لأن التولية وقد يؤكد الفعل بمصدر من خلاف لفظه • قال القطامي

ألم يحزنك أن حبال قيس • وتغلب قد تباينت انقطاعا •

وتقديره تباينت تباينا • وقوله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به • قيل أي يستمعون إليه وحروف الأدوات تتناوب • وقيل الباء
بيان السبب أي نحن أعلم بالسبب الداعي لهم إلى الاستماع أي يستمعون إليك أي حين يستمعون إليك وإذ هم نجوى أي وهم
متناجون بالطعن في القرآن مصدر يراد به نعت الجمع قد اشتغلوا بتناجيهم عن الإنصات والتدبر ثم بين تناجيهم وهو
قوله إذ يقول الظالمون أي المشركون الواضعون الشيء في غير موضعه • وقوله تعالى إن تتبعون إلا رجلا مسحورا مخدوعا
مغلوبا على عقله بأنه الشيطان فخدعه بنطقه ملكا • قال قتادة نجواهم أن زعموا أنه مجنون وأنه ساحر وأنه أتى بأساطير
الأولين وكان منهم الوليد بن المغيرة والمسحور قيل هو المخدوع • وقيل هو الذي عمل به السحر واختلط عليه أمره • وقيل أراد
أنه له سحر أي ينفخ السين أي رئة يعنون أنه لا يستغني عن الطعام والشراب فهو بشر مثلكم ليس بملك • وقوله تعالى انظر
كيف ضربوا لك الأمثال أي انظر منهم كيف وضعوا لك الأشباه والأوصاف يسمونك بكل اسم سوء فضلوا سبيل الحق
عليك وتحيروا في وجه صدا للناس عنك • وقوله تعالى فلا يستطيعون سبيلا • فما يجدون إلى شيء من ذلك سبيلا •
وقيل في نزوله أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يتخذ لأبي جهل وأبي البختري بن عمرو بن
هشام وزمعة بن الأسود وحويطب بن عبد العزى لعنهم الله تعالى طعاما فيدعوهم إليه ففعل ودخل عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا لا إله إلا الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فقال النضر بن الحارث ما أرى محمدا يقول
شيئا إلا أنه يحرك شفتيه • فقال أبو جهل لعنه الله هو مجنون • وقال حويطب هو كاهن • وقال زمعة هو ساحر • فقال الله
تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك حين تدعوهم إلى الشهادة • وقوله تعالى وإذ هم نجوى أي إذ هم متناجون
وقيل وإذ للحين وهما حينان لأمرين مختلفين الاستماع إذا حضروا والتناجي إذا تفرقوا • وقوله تعالى أإذا كنا عظاما
ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا • قال مجاهد ورفاتا ترابا • وفي اللغة هو الحطام وهو ما تحطم من الشيء • قال
مجاهد يكسر وقد رفت يرفت رفتا من باب ضرب أي كسر فأراد والبه رميما وهذا مما تناجوا به فقالوا أإذا متنا وكنا
ترابا نحن الأرض نبعث خلقا جديدا كما نحن عليه الآن وهذا استفهام بمعنى الاستبعاد أي إن هذا لا يكون • قوله
تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم أي عرفهم أنهم لا يعجزونني وإن صاروا عظاما ورفاتا
أي لو كانوا حجارة أو حديدا أي خلقا أشد من خلق البشر وأصلب وأبعد من أن يمكن تعرفه على الأحوال المختلفة
من الإعدام والإيجاد والإبقاء والإفناء مثلا كالحديد والحجارة أو غيرهما مما يكبر في صدوركم تعظيره عن صيانة أي يعظم
وتستكبر مثل السموات والأرضين والجبال ونحوها أي لو كنتم في نهاية القوة والامتناع نيل الإعادة على قدرتنا
فقيل لم كيف تقهره على قوته وصلابته فيقول قل لم كن حديدا أو حجرا أي فإني لا أبالي به بل أقهره وأصل إلى غرضي فيه
وقال مقاتل كونوا حجارة في القوة أو حديدا في الشدة أو خلقا مما يكبر في صدوركم • وقال مجاهد الجبال
وقال ابن عباس ومقاتل والضحاك والحسن الموت • وقوله تعالى فسيقولون من يعيدنا أي من الذي يفعل بنا
هذا • وقوله تعالى قل الذي فطركم أول مرة أي خلقكم وأنشأكم وهو كقوله تعالى قل من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي أنشأها أول مرة • وقوله تعالى فسينغضون إليك رؤوسهم أي فعل المستبعد للشيء والمتعجب
والإنغاض التحريك والنغضان التحرك من حد ضرب والنغض الظليم لتحريكه رأسه • وقوله تعالى ويقولون متى هو أي
البعث قل عسى أن يكون قريبا أي لن تطول مدة كونه ولا يبعد بل هو قريب لأن كل ما هو آت قريب • وقوله يوم يدعوكم
أي نعيدكم خلقا جديدا يوم يدعوكم قيل يدعو إسرافيل بأمره فيقول في نفخ الصور أيتها اللحوم المتمزقة وأيتها الأوصال
البالية وأيتها العظام النخرة وأيتها العروق المتمزقة وأيتها الشعور المتبددة قوموا إلى محاسبة رب العالمين
قاله قتادة • وقوله فتستجيبون بحمده أي تبعثون قائلين سبحان الله وبحمده • وقيل يدعوكم للمحاسبة فتستجيبون
إليه قائلين ذلك • وقيل يوم يدعوكم أي يبعثكم فتستجيبون بحمده أي لا تمتنعون على الله بل تجيبون بإحيائه
معترفين مما كنتم عليه من الباطل حامدين بالثناء عليه بالقدرة على ما يشاء وبإنعامه عليكم بخلقكم وتركيب العقول فيكم •
وقوله تعالى وتظنون إن لبثتم إلا قليلا أي ما لبثتم وهو كقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم • وقال كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا
عشية أو ضحاها • وقال تعالى كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار • وقال الحسن كأنك بالدنيا لم
تكن وبالآخرة لم تزل • وقيل لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور • وقال قتادة هو احتقار أمر الدنيا
لطول لبثكم في الآخرة حين عاينوا يوم القيامة • وقال الحسن إن لبثتم إلا قليلا في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة • وقوله
تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن أي قل يا محمد لعبادي المؤمنين يقولوا للكفار إذا حاجوهم في إثبات التوحيد
وإثبات البعث التي هي أحسن أي الكلمة التي هي أحسن أو المقالة التي هي أحسن وهو كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن أي بالحجج

تقديره ولوا

والمجادلة

والمجادلة إلى السفاهة بل قولوا كما قلت في ردهم • وقوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا وقلت
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة • وقوله تعالى إن الشيطان ينزغ بينهم أي يغري بين المؤمنين وبين المشركين فتعادي
المشركين المؤمنين بالكلام السيء • وقوله تعالى إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا أي ظاهر العداوة للناس مؤمنهم
وكافرهم ويغري بعضهم ببعض ثم يتبرأ منهم كما قال كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك • وقوله تعالى
ربكم أعلم بكم أي لا يخفى عليه من ظواهركم وبواطنكم إن يشأ يرحمكم إن تبتم وإن يشأ يعذبكم إن أقمتم على كفركم فيعذبكم في النار أبدا
وقوله تعالى وما أرسلناك عليهم وكيلا عاد الكلام إلى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بدأ بقوله قل وهو خطاب له
تقول بلك بتبليغ هذا وليس عليك هداهم ولا أنت قادر على أن تحملهم على الإيمان والإجابة • وقيل قل لعبادي هم عباده
الخلفة وهم الكفار فقولوا التي هي أحسن كلمة التوحيد إن الشيطان ينزغ بينهم يحملهم على الشرك ويغوي بينهم وبين المؤمنين
بالعداوة • وقوله تعالى ربكم أعلم بكم فإن علم منكم توبة باستماعكم مواعظ الله وعملكم رحمكم وما أرسلناك يا محمد عليهم
مسلطا مكرها على الإيمان إنما عليك البلاغ • وقيل هو خطاب المؤمنين • وقول الحسن هو الكلام الحسن إذا أوذوا وكا
قالوا ويدارون بالحسنة السيئة • وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من العرب فنزلت هذه الآية وأمره الله
تعالى فيها بالعفو والصفح • وقوله وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود
زبورا يعني وربك أعلم بمن في السموات والأرض من الملائكة والبشر لا يخفى عليه منهم أحد فلا أعلم به وأفضليته لما اختير له ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض أي إن أنكر هؤلاء المشركون اختصاصنا إياك بالنبوة فعرفهم أن الله فضل بعض الأنبياء على
بعض بما آتاهم من الآيات وأجرى على أيديهم من المعجزات وعرفهم أنه فضلك على جميع الأنبياء بما آتاك من الآية الباقية إلى
قيام الساعة وهي القرآن المعجز وإن حاجك اليهود بأن لا كتاب بعد التوراة فعرفهم أن الله تعالى قد آتى داود زبورا بعد
موسى فبطلت دعواهم • وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا إلى أحد
ولا تحويلا أي نقله عنكم إلى غيركم من شخص وكانوا لا يدعون لكشف الضر عنهم غير الله • قال الله تعالى قل أغير الله تدعون إن كنتم
صادقين بل إياه تدعون وكان قوله قل ادعوا أمر تقريع وتوبيخ • وقوله تعالى أولئك الذين يدعون أي الملائكة الذين
يسمونهم هؤلاء الجنة وهذا دقائق ثمية • وقوله تعالى يبتغون إلى ربهم الوسيلة أي هؤلاء الملائكة ينادون إلى
طلب القربة إلى الله تعالى ويجتهدون في العبادة لطلب الفضل والدرجة على غيرهم ينظرون أيهم أقرب درجة
إلى الله ويرجون رحمته أي طاعته ويخافون عذابه إن عصوه إن عذاب ربك كان محذورا يعلمون أن عذاب الله مما
ينبغي أن يحذره كل مكلف نبيا كان أو ملكا أو غير ذلك وإذا كان الملائكة كذلك كيف تكون الجنة وأنتم معاشر المشركين أحق
أن تحذروا عذابي بمخالفتي وتكذيب رسلي • وقال ابن عباس رضي الله عنهما أولئك الذين يدعون يعني عيسى وأمه
وعزيرا • وقال الضحاك وعطاء يعني الملائكة • وقيل فلا يملكون كشف الضر يعني ما أصابكم من القحط سبع سنين • وقال
القشيري رحمه الله يعني إذا كانوا يرجون ويخافون فكيف يدفعون عنكم • قال تعالى في المثل تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون
بالمسجون والفقير إذا انضم إلى الفقير ازدادت الفاقة والضرير إذا قاد الضرير سقطا جميعا في البئر والشدة فيه
إذا التقى حرب واحد يستويان أعمى وبصير وإن بعضهم قائدا لكلهم سقطا في البئر • وقوله تعالى وإن من قرية أي من أهل
بلدة إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بكفرها وإصرارها أو معذبوها عذابا شديدا بما دون الاستئصال
وقوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا أي في اللوح المحفوظ يجوز أن يكون انتظامها بقوله إن عذاب ربك كان محذورا
فليحذره المشركون فليست من قرية إلا أهلها مستحقون لكفرهم استئصالا أو تعذيبا بما دون ذلك من قتل أكابرهم
وتسليط المؤمنين عليهم يسبونهم ويغنمون أموالهم وتستخدم الكفار بالذمة ويؤدون الجزية • وقال تعالى وإذ تأذن
ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب • وقيل هو القهر وأخذ الجزية ويجوز أن يكون انتظامها
بقوله قل عسى أن يكون قريبا وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أما صالحة فبالموت وأما طالحة فبالعذاب
وقال الحسن أو معذبوها عذابا شديدا هو الموت الذريع الشنيع • وعن مقاتل بن سليمان قال قرأت في كتاب الضحاك
ابن مزاحم في تفسيرها وهي الكتب المخزونة عنده في قوله وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها الآية
قال تعالى ما من قرية إلا يصل بها العذاب قبل يوم القيامة فأما أم القرى فيخربها الحبش وذلك عذابها وأما المدينة
فبالجوع • وأما البصرة فبالغرق • وأما الكوفة فبالترك • وأما الجبال فبالصواعق والرواجف • وأما خراسان فخرب
بأصناف العذاب • وأما مدينة بلخ فتصيبهم هدة ثم تغلب عليها ... فيهلك أهلها • وأما مدينة حسان فيبعث عليها الترك
يخربونها ويتركونها كجوف الحمار الميت يتأذى بها الناس بالنتن من موتهم • وأما مدينة حلم فإنه يصيبها لهاسا فلها • وأما
ترمذ فإن أهلها يموتون موتا بالطاعون • وأما الصغانيان أي وادي الشجر فيقتلون بقتل ذريع ويغلب عليها
وأما سمرقند فإنه يغلب على مدينتهم بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذلك فرغانة والشاش وإسبيجاب
وخوارزم فتصير من المدن من النتن شيء كأنها جيفة حمار • وأما بخارى فهي أرض الجبابرة تصيبهم الغرق ويموتون
أرض خوارزم يموتون قحطا وجوعا • وأما مدينة مرو فإنه يغلب عليها الرمل ويهلك بها العباد والعلماء • وأما مدينة
هراة فإنهم يمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وتقتلهم قتلا • وأما مدينة ... فتصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم

رحمكم

ولا تحويلا

وأما مدينة الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيدخلونها مرة هؤلاء ومرة هؤلاء فيقتلون ثم فتلا • وأما ارمينية وادرعان فيهلكهما سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف • واما مدينة همدان والديلم يدخلها ويخربها فلا همدان بعد واما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فتمسخ اهلها قردة وخنازير • واما اهل الكوفة فانه يقصدها رجل يقال له عنبسة من بني ابي سفيان فيا خذ جاريته حسنا وشابا فيقتلهما ويصلبهما للناس ويقول هذا علي بن ابي طالب وهذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج رجل من جهينة يقال له ناجية يدخل المصر فويل لاهل مصر وويل لاهل دمشق • وويل لاهل افريقية • وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس يمنعه الله تعالى بحوله وقوته • واما اهل سجستان فتصيبهم ريح عاصف اياما ثم هدة يا تيهم منها الجبال وتموت فيها عالم كثير • واما كرمان واصبهان وفارس فيا تيهم عدو فاذا قربوا منهم صاحوا صيحة تخلع منها القلوب منها وتموت الابدان وذلك قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة • قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا المنع وجود ما يتعذر به وجود الفعل من القادر ولا يجوز ذلك على التحقيق في صفة الله تعالى ولكن اطلاقه ههنا على المبالغة في انه لا يقع منه هذا الفعل كما لا يقع من الممنوع ومعناه انا لم نرسل الآيات لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم فيستحقوا عذاب الاستيصال وقيل لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قالوا انه ارسل الرسل فائتنا بالآيات فانا سامعوا الله فقد فانا ثبت بمثل تلك الآية ومثل فلق البحر لموسى فقال الله تعالى وما منعنا ان نرسل بهذه الآيات المقترحة الا ان الاولين من الامم كذبوا بالآيات التي سالوها فاعطوها كان حكمهم الاستيصال لانهم صاروا مكابرين معاندين وما كانوا سالوا سؤال مسترشدين وهكذا حكمي في هؤلاء اي استاصلهم لو كذبوا بها اذا انهم لما دموا وقد علمت منهم مكذبون وقد وعدت محمدا فضلا ورحمة الا اعذب هؤلاء عذابا هؤلاء اي عذاب الاستيصال يكون لقوم اعلم انه لا يؤمن منهم احد كقوم نوح وهؤلاء يكون من نسلهم من يؤمن فلم استاصلهم وحكي الاستيصال فيمن كذب بالآية المقترحة فلم اعطهم ذلك فلم اعطهم من الآيات الكبيرة التي لا توجب الاستيصال • قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر • وقوله تعالى ولقد آتينا ثمود الناقة مبصرة اي في الآية التي التمسوها مثل آية ثمود فقد آتيناها ثمود من صخرة بينة شاهدوها ثم كفرت ثمود بها فاستحقوا الاستيصال فكيف يتمنى هؤلاء على سبيل الاستقراح • وقوله تعالى فظلموا بها اي جحدوا بها • وقوله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وكل آية نرسل بها نبيا اي آية كانت فانها من حيث تخويف بالعذاب لمن يكذب بها • وقيل وما نرسل بهذه الآيات التي تجريها على يديك يا محمد الا تخويفا لهم ليؤمنوا • وقيل وما يظهر الآيات من كسوف الشمس والقمر وغيرهما الا تنبيها للناس وتحذيرا عن العذاب وتحريضا على التوبة • وقوله تعالى وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وهو منتظم بقوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا اي نرسل منك الآيات ومنها انا قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي وعدناك العصمة من الناس وهذا تخويف لهم وكذا المعجزات وما ذكرنا في القرآن من كون شجرة الزقوم في النار فكان فتنة لهم وفيها تخويف وكذلك في هذه الآية وتخويفهم فهذا وجه انتظام بعضها ببعض ومعنى قوله ان ربك احاط بالناس له قولان احدهما علم مكر الناس فيحفظك كما قال وكان الله بكل شيء محيطا اي عالما وقال والله محيط بالكافرين والثاني انه غالب لهم قادر عليهم كما قال ولكن اغنيا انهم احيط بهم فمعناه انه يعصمك من كلامهم ويهزمهم ويجعلهم غنيمة بيدك واستيلايك بقتلك بعضهم ودخول بعضهم في الاسلام ينشطه بذلك على تبليغ الوحي والصبر على اذاهم حتى يأتي وعد الله فكان هو منظر لهم ذلك وعلى مرور الزمان يتحقق ذلك فكان تخويفا لهم • وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وهذه آية اخرى وهي مما افتتح بها هذه السورة وهي قصة المعراج وهذه رؤية عين وان ذكرت بلفظ الرؤيا لانها كانت بالليل فسميت رؤيا وان كانت بالعين [illegible] وان لم يكن ذلك نوما [illegible] وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد [illegible] والضحاك [illegible] رؤية عين وهم ارباب اللسان • وقال الجمهور [illegible] الرؤيا المذكورة في هذه الآية [illegible] الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين [illegible] حين قصد مكة [illegible] المشركون [illegible] عند البيت [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ابو بكر رضي الله عنه [illegible] الملعونة في القرآن [illegible] شجرة الزقوم [illegible] وقوله تعالى ان شجرة الزقوم [illegible] الجحيم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تاكل الشجر [illegible] المنافقين [illegible] على معنى [illegible] الله [illegible] وقال ابن عباس رضي الله [illegible] الا ترون [illegible] الزقوم

فقال

فقال عبد الله بن الزبعرى يخوفنا الزبد والتمر فقال ابو جهل لعنه الله يا جارية زقمينا فاتت بالزبد والتمر فقال لها زقوا فان هذا ما يخوفكم به محمد فنزل قوله في صفتها انه شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم • وقوله تعالى ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا اي عتوا عظيما ومجاوزة للحد واضافة الزيادة للطغيان الى التخويف كاضافة النفور الى القرآن كما مر وقوله تعالى في القرآن اي المذكورة في القرآن لقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها اي هي مذكورة في كتاب • وقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس هو متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي حين امر الملائكة بالسجود فسجدوا الا هو • وقوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا استفهام بمعنى الانكار اي أأسجد لمن خلقت طينا اي ذريته وهو طين ليكون انسانا اذا نفخت فيه الروح فصيرته لحما ودما وكذا وكذا • وقوله تعالى ارأيتك هذا الذي كرمت علي اي اخبرني لم فضلت هذا علي ولم جعلته اكرم عليك مني وارأيت لفظة استفهام على معنى اخبرني عنك والكاف خطاب وقد كشفنا عن حقيقته في سورة الانعام • وقيل ههنا فعل الاراة واقع على شيئين الكاف وهذا وقيل ارأيتك كلمة تامة منفصلة عما بعدها لما وضعت له وهذا الذي كرمت علي مبتدا وما بعده خبره • وقيل طريق هذا طريق الرجل يقول لآخر ارى هذا الا فعلن به كذا وكذا • وقوله تعالى لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا اي استاصلن يقال احتنك الجراد والزرع اذا اكله كله واستاصله واحتنكت السنة اموال الناس اي اذهبتها كلها

قال الشاعر

نشكو اليك سنة قد اجحفت جهدا الى جهد بنا واضعفت واحتنكت اموالنا وجلفت

وقيل لاقودنهم الى المعاصي كما تقاد الدابة بما جعل في حنكها من حبل • ومعنى الا قليلا منهم بالاغواء فلا يبقي منهم من ذريته نجي كالنبي الذي يتخلص من اصله • وقوله قال اذهب اي قال الله على لسان ملك اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا نصب على المصدر والموفور المكمل ووفر موفور لازم ووفر وفرا نصب على المصدر والموفور مستعد • وقال زهير ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم وذهب دلالة الاستهانة والوعيد له ومعنى الموفور انه لا نقصان فيه من عذاب واستحقاق • وقيل هو الذي لا يزول ولا ينقطع • وقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك اي استخف وازعج في المعاصي وقد استفزه الغضب او الفرح اي استخفه بصوتك اي بدعائك تقول صوت بما استطعت منهم حتى يزيلهم عن رزانة العقل الى خفة الجهل وهو قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الصوت الذي يدعو به الى المعصية • وقال مجاهد هو الغنا واللهو • وقوله تعالى واجلب عليهم اي اجمع بخيلك ورجلك • وقيل الاجلاب هو السوق بجلبة من السائق اي بصياح والرجل جمع راجل كالركب جمع راكب ولابليس جند واتباع وجيشه فمنهم فرسان ومنهم رجالة ويجوز ان يكون لهم من وجوههم مراكب يركبونها فصد ذلك بعضهم فيكون فارسا والاخرون بعضهم فيكون راجلا • ويجوز ان يكون ذلك على ضرب المثل للتكثير من الاتباع • ويجوز ان يكون خيله ورجله من بني آدم • قال قتادة كل راكب في معصية فهو من خيل ابليس وكل ماش في معصية فهو من رجله • وقوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال ابن عباس رضي الله عنهما اما الاموال فالحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما حللوا وما حرموا واما الاولاد فاولاد الزنا • وقال عطا وشاركهم في الاموال اي على جمع الحرام والاولاد بمعنى الادعيا • وقال الحسن وشاركهم في الاموال يعني على جمع الحرام حتى يكسبوها من غير وجهها وينفقونها في غير حقها والاولاد اي الاولاد الحرام وعن بعض السلف قال وشاركهم في الاموال اي كل من اطعمتهم مالم يذكروا اسم الله عليه عند الاكل وفي الاولاد خالطهم اهاليهم عند وطيهم اذا لم يذكروا عند ذلك الفعل • وقيل يدخل في الاموال الربوا وما ذبحوه لالهتهم وفي الاولاد ما نشاوه على الكفر والمعاصي كصنيع اهل الكفر من النصارى والمجوس وغيرهم باولادهم ويدخل فيه ما كانوا يسمونه اولادهم من الاسماء المضافة الى الشياطين والاصنام كعبد ود وعبد العزى وعبد اللات وعبد مناة • وقوله تعالى وعدهم هو ما يمنيهم من الاماني الكاذبة من النصر على مخالفيهم في الدنيا وانه لا بعث ولا نشور وان كان فهو الحسنى لهم كما قال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو كلام معترض ثم عاد الى الخطاب به ان عبادي ليس لك عليهم سلطان • قال سفيان بن عيينة ليس لك عليهم سلطان اي تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وقيل ان خواصي ليس لك عليهم سلطان الوسوسة لاستنادهم الي ودوام استعاذتهم بي كما قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا الآية • وقال القشيري رحمه الله قوله ان عبادي انما يكون عبده من لا يكون في اسر شيء فاما من استعبده واستمكن من قلبه الاطماع واسترقه كل خسيس ونفيس فلا يكون من جملتهم • قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الخبر • وقيل عباده هم المتحققون بطلب عنايته لتبريتهم عن الحول والقوة وانفرادهم بالله بحسن التوكل ودوام التفويض ثم قوله اذهب واستفزز واجلب هذه الالفاظ الخارجة على صيغة الامر على معنى تعجيز ابليس وتعريفه ان ذلك لا يضر الله شيئا ولا ينقص من ملكه وان سلطان ابليس انما يجري على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى عن جملة من شرفهم بعبوديته • وقوله تعالى وكفى بربك وكيلا اي كافيا لك ومعتمدا لك في امورك وفي الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال رب اسالك ان تعينني على آدم قال يا ابليس لا يولد له ولد الا ولد لك عشرة قال يا رب زدني قال تجري فيه وفي ذريته مجرى الدم • قال يا رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك

وشاركهم في الاموال والاولاد فاستغاث ادم بالله وقال انك جعلت بيني وبينه عداوة وقويته علي فاعني عليه يا رب فقال اذا عملت حسنة فلك بها عشرة وان عملت سيئة فواحدة قال يا رب زدني قال لا اغلق باب التوبة على احد من ذريتك حتى يغرغر قال يا رب زدني قال اغفر ولا ابالي فقال ادم حسبي يا رب • وقوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر • قال ابن عباس وقتادة وابن زيد يزجي والازجا في اللغة السوق • قال تعالى يزجي سحابا وانتظامها بما قبلها انه هذا في تفسير قوله وكفى بربك وكيلا وذكر اخرا به بيان وحدانية الله تعالى وبيان انعامه على خلقه وفيه اظهار قبح شركهم واكثر السورة فيه يقول هو ربكم المتفضل عليكم باياته بمسايتكم الذي يسوق لكم السفن في البحر يسوقها لينا رفيقا بريح طيبة تقطع بكم المسافة البعيدة في المدة القريبة • وقوله تعالى لتبتغوا من فضله اي من رزقه انه كان بكم رحيما اي لم يزل بارا بكم يوصل اليكم المنافع والمواهب الدينية والدنيوية • وقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر اي اذا اشتد بكم البلا في البحر حتى تشرفوا على الهلكة • وقوله تعالى ضل من تدعون الا اياه اي بطل وتلاشى عنكم الهتكم التي تدعون من دون الله فلا يستغيثون الا بالله فلما نجاكم الى البر اي خلصكم من هول البحر فاخرجكم الى البر • وقوله تعالى اعرضتم عن اخلاص العبادة لله واقبلتم على عبادة غيره • وقوله تعالى وكان الانسان كفورا وكان الانسان عادة اي عادة الانسان كفران النعم والمراد بها الناس لانه اسم جنس يشمل الجميع ثم اخبر ان قدرته عليهم في البر كقدرته عليهم في البحر وهو كقوله تعالى افامنتم ان يخسف بكم جانب البر يقول عجبا منكم كيف امنتم ان يغور بكم في الارض بجانب من جوانبها او يرسل عليكم حاصبا ريحا ترميكم بالحصى وهي صغار الحجارة ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي يكفيكم ما حل بكم • وقوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى اي تسبب لكم سببا يضطركم الى العود الى ركوب البحر مرة اخرى فيرسل عليكم عند ذلك قاصفا من الريح يكسر السفن فيهلككم عقوبة لكم على كفران نعمه بتخليصكم في المرة الاولى • وقوله تعالى ثم لا تجدوا لكم اي لانفسكم علينا به تبيعا اي من يتبعنا بدمائكم ويخاصمنا عنكم بهلاككم والتبيع المطالب والتبعة والتباع المطالبة بالجناية واتباع الطلب قال تعالى فاتباع بالمعروف • وقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ذكر في الايات المتقدمة كفران النعم من الكفار وبين في هذه الاية انعامه على بني ادم وحثهم بذلك على الشكر فقال ولقد كرمنا بني ادم اي فضلناهم على كثير من اصناف الحيوانات وجعلناهم احق بالكرامات منها ويدخل فيها خلقه اياهم على هذه الهيئة التي يصلحون بها للتكليف والتمييز بين الاشيا والاهتدا الى اسباب المعاش وما جعل لهم من المقامات المنتصبة وحرم دمائهم ولحومهم وسخر لهم ما في الارض وجعلهم المقصودين بالخلق والامتحان واستعمال السما والارض والشمس والقمر والنجوم والبحار والقفار والجبال وجميع الصنعات والسداد في حوائجهم بما لا يتهيا لغيرهم ذلك واسجد لابيهم الملائكة وقوله تعالى وحملناهم في البر والبحر على الدواب وفي البحر على الفلك في الرطب على اليابس وفي اليابس على الرطب وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ من الحبوب والثمار ولحوم الحيوانات النافعة المقوية هي والاشربة العذبة • وقوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي فضلناهم بهذه الاشيا على ساير الحيوانات وجعلنا ساير الحيوانات مسخرة لهم وخلقنا لهم اله المناولة والتناول وكرمنا ابلغ من اكرمنا لانه تقتضي التكرير والتكثير • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كرمناهم بالعقل • وقال الضحاك بالنطق والتمييز • وقال عطا بالمد القامة وتعديلها • وقال يمان بن رباب بحسن الصورة • وقال محمد بن كعب بان جعل محمدا صلى الله عليه وسلم منهم وقال مقاتل كرمنا بني ادم بالاكل بالايدي • وروى هذا عن ابن عباس ايضا • وقال الاصمعي دخلت على الرشيد وبين يديه جام خبيص وبيده ملعقة ذهب ياكل بها فقال يا اصمعي تعال فقلت حدثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن جدك عبد الله بن عباس في قول الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم بالاكل بالايدي فرمى بالملعقة • وقال القشيري رحمه الله هذا ظاهر على العموم والمراد به المومنون على الخصوص لانه قال في وصف الكفار ومن يهن الله فما له من مكرم والتكريم التكثير من الاكرام فاذا احرم الكافر اصلا الاكرام فمتى يكون له تكريم ثم انما قال بني ادم ولم يقل المومنين ولا العابدين ولا المجتهدين تعديتا للتكريم من ان يكون مقابلا بفعل او معللا بتوفيق او مسببا باستحقاق وذلك التكريم انهم متى شاوا وقفوا على بساط المناجاة ومن التكريم انك على اي وصف كنت من الطهارة وغيرها اذا اردت ان تخاطبه خاطبته واذا اردت ان تسأله سألته ومنه ان العبد اذا تاب ثم نقض توبته ثم تاب قبلت توبته ولو تكرر جرمه تضاعف له قبول التوبة وعفوه ومنه اذا عثر احد بيده واذا قال لا اعود قبله بقوله وان علم انه سيعود ومنه انه زين ظاهرهم بالمجاهدة وحسن باطنهم بالمشاهدة • ومنه انه اعطاهم قبل سؤالهم وغفر لهم قبل استغفارهم كذلك ورد الخبر • ومنه انه قال لهم اذكروني اذكركم ولم يقل ذلك للملائكة ولا الجن وكذا قال يحبهم ويحبونه • وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه • ومنه قوله في حقهم ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما • وقوله وحملناهم في البر والبحر فالمحمول الكرام لا يضيع ولو وقع احد بيده ولما حمل بنو ادم الامانة حملناهم بان قال وحملناهم في البر والبحر وشتان ما بينهما • وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات الرزق الطيب ما كان على شهود الرازق فمن لم يكن غايبا بقلبه ولا غافلا عن ربه استطاب كل رزق وانشدوا

انه ما ندست ركاب • والذي يسقيه شراب •

لا عافنا ساو لو سقيت لي • من كفك العلقم والصاب •

وقوله تعالى وفضلناهم جعلناهم جميعا بالخلق الحسن ثم فضل بعضهم على بعض بالخلق الحسن • وقوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قيل هو على الاغرا اي احفظوا يوم ندعوا او على الابتدا اي اذكروا يوم ندعوا • وقال الزجاج اي ونعيدكم يوم ندعوا وقيل يتصل بقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا يوم ندعوا • وقيل يتصل بقوله فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا يوم ندعوا • وقيل يتصل بقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يوم ندعوا كل اناس بامامهم • روى علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في تفسيره بكتاب ربهم وسنة نبيهم والامام هو المقتدى وكتاب الله هو الذي يجب ان يقتدى به فيقال هذا مدعي يا اهل القران يا اهل التوراة يا اهل الانجيل • وقيل اي بامامهم المبعوث اليهم يا امة محمد يا امة موسى يا امة عيسى • وقيل يدعى كل امة نبيها ليشهد عليها • وقال علي بن ابي طلحة بامامهم في الخير والشر كما قال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وجعلناهم ائمة يدعون الى النار • وقال محمد بن كعب بامامهم بامهاتهم • وقال بعضهم بمذاهبهم لانهم كانوا يتمسكون بها • وقيل بحرفهم • وقيل باحوالهم وبمقاماتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الحامدون الله على كل حال • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في حديث فينعقد لاولية ثم ينعقد لوا اخر وينادي مناد اين الساعون للمكروه ثم ينعقد لوا اخر وينادي مناد اين الراضون بالمقدور فيقومون ثم ينعقد لوا اخر وينادي مناد اين الصابرون على المحذور فيقومون فهذه هي المقامات الى ان يتم اربع وسبعون من الالوية • وقيل وهو الاظهر والاوفق للنظم بامامهم اي الى كتابهم الذي كتب فيه اعمالهم وسمي اماما لان المرجع اليه في تعرف اعمالهم كما يسمى مصحف عثمان اماما لان المرجع اليه ويدل عليه ما في هذه وهو قوله فامن اوتي كتابه بيمينه وهو كتاب اهل السعادة فاولئك يقرون كتابهم مشتملا على ما كان منهم وهم لا يظلمون فتيلا اي ولا ينقصون شيا من ثواب اعمالهم وان كان شيا حقيرا يسيرا مقدار ما يفتله بين اصابعه من الوسخ فهو الفتيل • وقيل الفتيل الذي يكون في شق النواة • وقال القشيري رحمه الله فاولئك يقرون كتابهم بما لهم فيهم من تبشيرهم وتوددهم لا يقرون كتابهم ما اشار اليه في قوله فامن اوتي كتابه بيمينه فيقولون هاوم اقرؤا كتابيه الايات • ثم قال وامن اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم يذكر القراة وقوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا • قرا ابو عمرو ونصير عن الكسائي وورش عن يعقوب والكوفي من ابي بكر اعمى الاول بالامالة والثاني بالتفخيم • وقال هو للتفضيل بدليل قوله واضل سبيلا • ومعناه اشد عمى من القلب • وقرا بالتفخيم فيهما ابن كثير ونافع وابو جعفر وابن عامر ليكون افعل للتفضيل لا للافعال النعت • قال تعالى بل هم منها عمون • وقرا بالامالة فيهما حمزة وعاصم غير الكوفي ويحيى وحماد ومعناه • ومن كان في هذه اي الدنيا في النظر الى عيانها والاستدلال بها على ما جعلت دلايل عليها اعمى فهو في التفكر في امور الاخرة لانها غيب واضل سبيلا اي اعدل عن الحق • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي ذكر النعم قبله ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر وكذا وكذا • ثم قال ومن كان عن هذه النعم التي تعاين وتشاهد من امور الاخرة اعمى ومن كان عن ايات اخرى الدنيا فهو عن الذي غيب فيه من امور الاخرة اشد عمى ومن كان في الدنيا عن سبيل النجاة بالتوبة اعمى فهو في الاخرة اعمى عن رؤيته • وقيل من كان في الدنيا لا يتصور رشده ما مد له في المهلة فهو في الاخرة لهذه الحالة ايضا لا سبيل له الى التوبة • وقيل من كان في هذه الدنيا اعمى عن حجج الله بعث يوم القيامة على وجهه اعمى وهو على العمى المعنوي بالبصر عقوبة لهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من كان في هذه الدنيا اعمى عن حجته فهو في الاخرة اعمى عن جنته • وقال الامام القشيري رحمه الله ومن كان في هذه اعمى عن مشاهدته ببصيرته فهو في الاخرة اعمى عن رؤيته ببصره • وقيل لما نزلت هذه الاية جاء عبد الله بن ام مكتوم وكان ضريرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا • وهذا من اعلامه في الدنيا • قال ابن عباس رضي الله عنهما جاء وفد ثقيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نواصل اخوالك واصهارك وجيرانك فاعطنا ما نريد فقال ما تريدون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تريدون فقالوا نريد ان لا نحشر ولا نعشر ولا نجبي وكل ربا لنا على الناس فهو لنا وكل ربا للناس علينا فهو موضوع عنا ومن وجد وادينا وج يعضد شجرها واصطاد صيدها منعناه وضربناه وان تمتعنا بها اللات سنة لتظهر كرامتنا وفضلنا وان لا نكسرها بايدينا وكل ربا فهو لكم واما قولكم لا نجبي فلا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود واما قولكم متعنا بها اللات سنة فانا انظر امر الله تعالى فيها فقالوا ان لا تامن العرب بذلك فقل امرني الله بذلك فقال لهم عمر رضي الله عنه لكم احرقتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احرق الله اكبادكم لولا نعم عسى لا يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم صنما بارض العرب نعبده فانزل الله تعالى وان كادوا ليفتنونك اي ما كادوا الا ان يفتنوك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره وهو قولهم قل امرني الله به واذا لاتخذوك خليلا يعني لو فعلت ذلك لصادقوك وطاوعوك • وقالوا يا رسول الله استلم وجوه اصنامنا بيدك حتى نمكنك ان تستلم الحجر الاسود • وقيل هو في التماس المشركين ان يخلي لهم المجلس وان يطرد الفقرا عنه • وقوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي وفيه اثبات العصمة له حتى لم يهم بذلك اصلا ولم يكد يفعل ذلك لانه علق ذلك بالشرط وهو قوله ولولا ان ثبتناك اي على الحق والصواب لكان منك ذلك وهو كما قلنا في قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه انه لما ذكر معلقا بالشرط كان نفيا له اصلا • وقوله ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله • وقال الامام القشيري رحمه الله معناه لو تركناك ونفسك ورفعنا

استفهام بمعنى التوبيخ

نغرقكم بما كفرتم م

صح

اعمى م

سلوك م

عليك ظل العصمة لالمت بشي مما ايجوز من مخالفة امرنا ولكنا امرنا عليك برادفات العصمة واويناك في كنف الرعاية وحفظناك عن الخطاب با اتباع هواك فالزمه منك مع هذا الحال والافتقار في نفسك عن موهوم • وقال قتادة لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين • وقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى لو ركنت اليهم لاذقناك ضعف الحياة وضعف عذاب الممات فمن كانت درجته ارفع ونعم الله عليه اسبغ كان وعيد الله في حقه ابلغ ولذلك قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة تضعف لها العذاب ضعفين • وقوله تعالى ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ما نعاقبنا عنك معنا لك وانما جاز اضمار العذاب في الضعف في هذه الاية لان اذاقة العذاب بالضعف في اية اخرى فعرف هاهنا انه هو المراد به • قال تعالى في فزده عذابا ضعفا في النار • وقال تعالى لكل ضعف وقوله تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض اى ليستخفونك ويستجهلونك قيل نزلت في حيي بن اخطب ورؤسا اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لتعلم ان الحجاز ليست بارض الانبيا وانما مقام الانبيا ارض المحشر بالشام فان كنت نبيا فاخرج الى الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافتك من الروم فتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الشام الى ذي الحليفة فاتى جبريل بهذه الاية فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل المراد الاخراج المذكور في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وهو ما ائتمروا به في دار الندوة • وقوله تعالى واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا • قرا ابن كثير ونافع وابو جعفر وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر وحماد خلفك والباقون خلافك ومعناهما واحد لو فعلوا ذلك لم يكن لهم بقا بعدك الا قليلا قدر ما ينزل بهم العذاب لانه ما فارق نبي قومه الا عذبوا ونزل بهم الاستيصال وقوله تعالى سنة من قد ارسلنا اي كسنتنا فيمن قد ارسلنا قبلك من رسلنا انه ما فارق نبي قومه الا عذبوا ونزل بهم الاستيصال وقوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لا تجد سبيلا الى تبديل سنة الله التي كتب على عباده • وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم • وقال تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم ويجري على اهل مكة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم عنها الى المدينة بسبب مكرهم قتل صناديدهم ببدر وبعد سنتين ثم فتح مكة واخراج من بها من المشركين • وقوله تعالى اقم الصلاة اي فان ثقل عليك اذاهم فافزع الى الصلاة ففيها الفرج والمخرج • قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين • وقوله تعالى لدلوك الشمس قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في رواية وابن زيد لغروبها اي بعد غروبها وهي صلاة المغرب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الحسن ومجاهد وقتادة هو زوالها فاصله الميل وهو ينتظم الامرين • وقوله تعالى الى غسق الليل هو اول ظلمة الليل • وقيل هو ظهور ظلامه وقد غسقت القرحة اذا انفجرت وظهر ما فيها تقول اقم الصلاة لزوال الشمس الى ظلام الليل وهو ينتظم صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشا • وقوله تعالى وقران الفجر صلاة الفجر سماها قرانا لان القراة من اركانها كما سميت الصلاة ركوعا وسجودا وكذلك قال عليه السلام اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين • وفي بعض الروايات حتى يسجد سجدتين • وقد سمى الله تعالى المصلين ركعا وسجدا • وقيل قران الفجر اي قراة الفجر اي اقم قراة الفجر القراة المفروضة فيها فعلى هذا تكون الاية جامعة للصلوات الخمس • وقوله تعالى ان قران الفجر كان مشهودا اي صلاة الفجر وما يقرا فيها تشهدها ملايكة الليل والنهار لفضيلة هذه الصلاة في نفسها • وقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى اشهد بالقران بقراة في صلاة الليل نافلة لك زايدة على تلك الفرايض المذكورة في الاية فتلك فرايض وهذه نوافل وقيل غنيمة لك • وقال الحسن نافلة لك اي خالصة لك وخلوصها له انه لا يغفل عن شي منه في حال وغيره من الناس قد يغفلون فيه عن اشيا • وقيل انما قال نافلة لك لانه كان مغفورا له فيما يعمل فيكون نافلة له واما غيره من الناس فان ما يعمل من الخيرات تكون كفارة لذنوبه فلا يكون نافلة له فاذا ثبت انه نفل في حقه ثبت انه نفل في حق امته لان المشروع في حقه مشروع في حق امته حتى تقوم دليل التخصيص وكان قيام الليل فرض في الابتدا ثم نسخت فرضيته • وقيل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله نافلة لك اي زايدة على عدد الخمس فرضا عليك دون غيرك • وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي يقيمك مقام الشفاعة فيحمدك عليه الخلق والمحمود المرضي ايضا والمقام هو الموضع الذي يقوم فيه الانسان لجلائل الامور كالمقامات بين يدي الملوك وفي مجالس العشاير لتسكين النايرة لبيد ومقام ضيق فرجته بلساني وبياني وجدك وقال وان لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها وفي هذه المقامات تتبين فضل السادة وتكتب لها اسباب السادة ونظيرها الذكر في الناس • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة المقام المحمود هو مقام الشفاعة • وقيل هو اعطاء لوا الحمد • وقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المدخل والمخرج بفتح الميم موضع الدخول وموضع الخروج وبالضم موضع الادخال وموضع الاخراج ويكون مصدرا ايضا وهو نفس الادخال ونفس الاخراج والصدق اريد به صدق الوعد اي بصدق فيه ما وعدني كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ويحتمل ان يكون معناه الحسن الجميل كما يقال فلان خليل صدق ورجل صدق اي يرضي الخلق ومنه ان لهم قدم صدق عند ربهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة هو ادخال المدينة بعد الاخراج من مكة

وقال القفال معناه ادخلني فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه • وقال القفال علمه ما يدعو به في صلاته من اخراجه من بين ظهراني المشركين الى الحالة المحمودة من السلامة والكفاية والعز والعافية فاخرجني من مكة اخراج صدق • وقوله تعالى واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اى واذا ادخلتني مكة بالحرب فسلطني على المشركين واحمني عليهم وانصرني سلطانا اي اجعل سلطاني عليهم منصورا والنصر يعني المنصور • وقال اهل اللغة الاية منصورة يريد بها ان صاحبها منصور على اعدايه والنصر اليمين من الانتصار من العدو وقد استجاب الله تعالى ذلك يوم الفتح • وقوله تعالى وقل جا الحق وزهق الباطل اى بشر اصحابك بدنو دولتهم وبطلان دعوة اعدايهم • وقوله تعالى ان الباطل كان زهوقا اي لم يزل مضمحلا اي لا بقا له سوى ظهوره ثم يتلاشى وانما الثبات والدوام للحق وهذا مستقبل بصيغة الماضي كقوله تعالى اتى امر الله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة يوم فتح مكة وجد فيها ثلاثماية وستين صنما فجعل يطعنها بيده ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيحتمل ان تكون هذه الاية امرا له ان تقول اذا دخل مكة وفيه تحقيق للبشارة للفتح وهذا التاويل اقرب الى النظم في الانتصال بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها وفيه تاويل اخر • قيل معناه امتني اماتة صدق وابعثني يوم القيامة مبعث صدق فيتصل بقوله مقاما محمودا ويكون الادخال في القبر والاخراج منه • وقيل اي ادخلني في الامر الذي اكرمتني به من النبوة ما دمت حيا مدخل صدق واخرجني منه اذا امتني مخرج صدق وهذا معنى قول مجاهد • وقال القشيري رحمه الله ادخلني في طاعتك مدخل صدق على روية المنة واخرجني منها مخرج صدق على روية التبري من الحول والقوة • وقيل ادخال الصدق ان يكون دخوله في الاشيا بالله لله لا بغيره واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حتى لا الاحظ دخولي ولا خروجي والحق ما كان لله تعالى والباطل ما كان لغيره والحق من الخواطر ما دعا الى الله والباطل ما دعا الى غير الله • وقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين يتصل بقوله فتهجد به اي بالقران وبقوله وقران الفجر ومن القران ليس للتبعيض بل هو كقوله لي من هذا الرجل اخو صدق اي هذا الرجل اخو صدق والقران كله شفاء من وجوه احدها ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك ومرض الجهل ومنها انه برهان من جهة النظم والتاليف على انه معجز يدل على صدق من اتى به ومنها انه يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار والامراض • وقد روي برى من قري عليه فاتحة الكتاب ومنها ما في تلاوته من الثواب واستحقاق العقاب واضافة الزيادة الى القران بطريق التسبب على ما مر مرات • وفي قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض اي المشرك وسبب اعراضه تنزيل القران اى اذا انعمنا على الانسان اي المشرك باعطا المال والعضو والامان وكثرة الولد لنمتحنه بشكر نعمتنا وادا طاعتنا اعرض عن تدبر اياتنا • وقوله تعالى ونا بجانبه اى تباعد بجانبه عن المومنين فلم يكن لهم وهو عبارة عن التكبر يقال فلان لين الجانب اذا كان متواضعا سمح الاخلاق وصعب الجانب اذا كان متكبرا عسر الاخلاق ولا يوصل اليه بسهولة كالشي البعيد • ويحتمل ونا بجانبه اي تباعد في اعراضه كما قال مر كان لم يدعنا وهو يقال اذا ركب فلان راسه وشمخ بانفه وصعر خده ولوى شدقه • وقوله تعالى واذا مسه الشر كان يؤوسا اى فاذا اصاب هذا الكافر شدة يئس من رحمة الله فلم يصبر على المحنة في الحالة الاولى ولم يشكر على النعمة وهو كقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا • وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته اي كل انسان يعمل في دينه على ما يشاكل عقله من تدبر القران والاستغنا به عن غيره في دينه بالحجة ومن اعرض عنه عمل على ما يوجبه تقليد الابا في الضلالة • وقوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا من الفريقين ويجازي كل فريق على وفق اعتقاده والعمل والشاكلة الخليقة • وقيل الطريقة • وقيل الطبيعة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما على شاكلته اى على ناحيته • وقال ابن عباس رضي الله عنهما على طريقته • وقال مقاتل على طبعه • وقال الحسن وقتادة على نيته • وقال المبرد على مذهبه • وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح • وقيل في نزول هذه الاية انه هؤلاء المشركون المعرضون عن التدبر في كتابك يمتحنونك في سوالك وجوابك • وقيل في نزول هذه الاية ان النضر بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار قال يا معشر قريش قد نزل بكم امر ما تقدرون تدبره فانظروا في امركم فاجتمع رايهم على ان يبعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وابي بن خلف الى احبار يهود بيثرب فاتوهم وسالوهم عن محمد وامره فخرجوا حتى اتوا يهود بني قريظة وقينقاع ثم سالوهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوهم قوما حسدا فقالوا اسالوا الرجل عن ثلاثة اشيا فان اخبركم عنهن فانه رجل مرسل وان لم يفعل فان الرجل متقول وقد اظل زمانه بني فاسالوه عن طواف قد بلغ المشرق والمغرب قد كان له خبر نبيه وقصص واسالوه عن الروح فان اخبركم عنه فانه كاذب وان لم يخبركم عن الروح فهو كما قال واسالوه عن اصحاب الكهف فان عجز عنها فهو متقول فخرجوا حتى انتهوا الى فدك فقالوا لهم مثل هذا سوا الا انهم قالوا هذه صفته ونجد مخرجه من بلادكم ونجد مهاجره بيثرب فرجع النفر الى مكة فلما قدموا على قريش قالوا جيناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا اهل الكتاب ان نساله عن امور فان اخبرنا عنها فهو كما قال وان عجز عنها فهو المتقول فمشت قريش مع هولا الرسل حتى وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الكعبة فقد فرغ من صلاته فقالوا انا نريد ان نسالك عن اشيا وتقدم النفر

الذين كانوا قد واقفوا فسالوه عن تلك الخصال الثلاث فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله اي ولم يستثن فمكث الوحي عن النبي صلى
الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا ياتيه جبريل عليه السلام فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وارجف اهل مكة وقال
بعضهم لبعض ان رجلا معقول وبطل ما كان يقوله وعدنا ان يخبرنا عما سالناه عنه فقال غدا اخبركم فاليوم خمس عشرة ثم ياتنا
بخبر ما سالناه عنه ثم جاءه وانسالوه عن حديث اصحاب الكهف فقص عليهم قصتهم ثم جاءهم بحديث الطواف وهو ذو القرنين
فاخبرهم بذلك كله وقص عليهم ثم سالوه عن الروح فقال قل الروح من امر ربي فانصرفوا وقد جاءت هذه الامور كلها وهم
لا يومنون ● وقوله تعالى ويسالونك عن الروح اي عن الروح التي يحيى بها الحيوان ما هي كما يسال عنها من يدعي الفلسفة
قل الروح من امر ربي اي هو المنفرد بعلم كيفيتها كمن سال عن شيء لا يقف على حقيقته ● وقيل من امر ربي اي وجودها
فيقول هذا من امر استادي اي هو الواقف على حقيقته وقيل من امر ربي اي وجودها بتكوين ربي كما قال تعالى انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا جواب مقنع كاف لمن انصف فانما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان
ما يحتاج اليه من امر الدين وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي ولعله علمكم بمواقع حجج الله ومراتب دلائله يلتمسون دلايل
صحة دعوى النبوة من جهة العلم بالروح ونحو ذلك وليس كذلك ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الروح الذي
سالوه عنه هو جبريل قال الله تعالى نزل به الروح الامين ● وقيل هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون
الف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك وهذا من علي رضي الله عنه وقال هو حافظ على الملائكة كالملائكة حفاظ على
بني ادم وهو في قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ● وقال الحسن سالوه عن الروح الذي هو القران
قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ● وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وبدل عليه ما قبله وما
بعده وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ● ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ● قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية اي قالوا ما هذا الروح اي القران الذي سمي روحا من اين لك
هذا وانزل عليك فانا نراه مباينا لضروب الكلام من الشعر والاساجيع والخطب فقال هو من امر ربي انزله الي
ولو تدبرتموه لعجبتم به من سوق الجمل ولكن لقلة علمكم تركتم ذلك وقلتم من اين جاء ومن جاء به وهو قوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا ● وقيل لما قال قل الروح من امر ربي ولم يفسر قالوا انه لو يعلم فسر وما اوتيتم من
العلم الا قليلا ● وقيل سمع النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يقولون علم كل شيء في التوراة فقرا عليهم هذه الاية
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقالت اليهود نحن مخصوصون بهذا الخطاب او انتم معنا فيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل نحن وانتم ولم نوت من العلم الا قليلا قالوا ما اعجب شانك تارة تقول ومن يوت الحكمة من
يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى ردا عليهم ولو
ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ليبين لهم ان علوم الخلايق تتلاشى
في علم الله تعالى ● وقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك عدد نعمه عليه صلى الله عليه وسلم بما
اتاه من القران ثم قال ونحن قادرون على ان نذهب به بان ننسيكه والناس جميعا ونرفعه من صدوركم ثم لا تجد لك
علينا وكيلا اي لا تجد من يرده عنه وكيلا لك بذلك اي قائما به معتمدا عليه ● وقوله الا رحمة من ربك وهذا استثنا
منقطع يعني لكن من اراد الله بقاه من الرحيم بعباده فلم يذهبه وما في سعة فضله هو الذي يبقيه عليكم ● وقوله تعالى
ان فضله كان عليك كبيرا اي ان فضله من سابق علمه بما اراده من ارسالك الى الناس كان كبيرا ● وقوله تعالى قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا
اي وان تظاهروا وتعاونوا وتقوى بعضهم ببعض لم يقدروا على ذلك هو جواب قول النضر بن الحارث الذي قال
لو نشاء لقلنا مثل هذا ● قال السدي لا ياتون بمثله لانه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله ● وقوله لا ياتون انما
رفع ولم يجزم بجزا الشرط لانه غلب جواب القسم على جواب الشرط لوقوعه في صدر الكلام ويجوز ان يجزم على
الجواب للشرط ● قال الاعشي ●

لان منيت بنا عن غب معركة ● لا يلفنا عن دما القوم ننتفل ●

والاصح الافصح الرفع ● وقوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل اي صرفنا في هذا القران المعجز
القول بكل نوع من الترغيب والترهيب ليتدبروا وليتفكروا فابى اكثر الناس الا كفورا وهم قريش والعرب
الا كفورا اصرارا على الكفر وتماديا على الطغيان وكفرانا للنعم ● وقوله تعالى وقالوا لن نومن لك اي لن نصدقك
وان اتيتنا بهذا القران المعجز حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ● قرا عاصم عن المفضل وابن غالب وحمزة والكسائي
وخلف ويعقوب تفجر بالتخفيف لان الحال واحد وهو قوله ينبوعا والثلاثي منه متعد فتفجرا اي شق العين ●
واسال الماء ● وقرا الباقون بالتشديد لانه للتكثير والتكرير والينبوع العين التي ينبع منها الما اي يفور وهو قوله
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا بالتشديد بالاجماع لكان الانهار من الارض اي ارض مكة ينبوعا اي عيونا فينبت لنا بها
الزراعة ونغرس الاشجار وتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اي تكون ذلك في خاصة نفسك
اذ زعمت انك رسول الله لكريم عنده فيصلك بالجنات التي فيها النخيل والاعناب فتفجر فيها الانهار المطردة او تسقط

السما كما زعمت علينا كسفا ● قال ابن عباس ومجاهد اي قطعا والكسف القطع وهو مصدر بالفتح والكسر القطعة ويجوز جمعها
عند الفا كالسدر جمع سدرة ● وقوله كما زعمت يعنون قوله عز وجل ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السما او يروا كسفا من السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم ● وقوله او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي وهو مقابل وهو كالكيل
بمعنى الموكل والجليس بمعنى المجالس واحد بمعنى الجمع كقوله عز وجل يخرجكم طفلا اي اطفالا ● وقيل قبيلا جمع قبيلة اي مجتمعين
وقيل القبيل الكفيل اي تاتي بهم كفلا ضامنين يضمنون عنده ما يدعونا اليه ويعدنا من نصر الملك لمن امن بك على من
عاداك واحد بمعنى الجمع وطريق استعماله ان يراد به ان تاتي بكل واحد منهم قبيلا اي كفيلا ● وكذلك قوله ثم
يخرجكم طفلا اي يخرج كل واحد طفلا ● وقوله او يكون لك بيت من زخرف ● قال ابن عباس رضي الله عنهما من ذهب
والزخرفة التزيين والتحسين ● قال الله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها ● وقال الحسن الزخرف
النقوش اي او يجعل الله لك بيتا مبنيا بالذهب كما تكون بيوت الملوك للروم وفارس وغيرهما فان الناس ابتغاء ولن
لك على ما بك من الفقر ● وقوله تعالى او ترقى في السما اي تصعد ولن نومن لرقيك اي لصعودك حتى تنزل علينا كتابا
من قرطاس ● وقيل اي على كل واحد منا كتابا كما قال بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة ● وقوله تعالى قل سبحان ربي
اي تنزيها لربي ان يعجز عن شيء من هذا هل كنت الا بشرا رسولا والبشرية لا تقتضي القدرة على هذه الاشيا من غير اقدار
الله تعالى والرسالة لا تقتضي الاتيان بها لا محالة فانما ارسل الرسل وما اتى كل رسول بهذه الاشيا ● وقيل انا رسول وليست
بيدي فاني احرق البيوت واغرس الجنان انما انا رسول اليكم ابلغكم رسالات ربي ● قال ابن عباس رضي الله عنهما طلب
هذه الامور من رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من قريش وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو سفيان
والاسود بن المطلب بن اسد وربيعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابو جهل وعبد الله بن امية وامية بن خلف
والعاص بن وايل ونبيه بن منبه ابنا الحجاج السلمي ● وقيل اجابهم عن هذا في سورة الانعام ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة الاية واعلم نعظهم ذلك لان ما جا به الرسول من الايات كانت ادلة ● وقيل قوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا
رسولا اي امرها الى الذي ارسلني وهو اعلم بالتدبير وبما يقتضيه من الدليل ● وقوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا ●
اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا لما قال هل كنت الا بشرا رسولا قالوا ابعث الله بشرا رسولا واذا
كنت بشرا مثلنا فكيف تلزمنا الانقياد لك ثم رد عليهم هذه الشبهة فقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
اي يسكنونها مستوطنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون اليه فاما
انتم فبشر فبعثنا اليكم بشرا مثلكم لتكون قلوبكم اليه اسكن وانتم لكلامه افهم ● وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي قل يا محمد لهولا المشركين المكذبين لك قد اوردت عليكم الايات وبلغت
الرسالات وانا اشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا عالما بصيرا شاهدا افعالكم
وانما اليه هو الشهيد علينا يوم القيامة بالتبليغ وعليكم بالاعراض والتكذيب فيجازي كلا بفعله وهو وعيد
شديد ● وقوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتدي اي ومن يهده الله ذلت الاية على خلق افعال العباد ● وقوله تعالى
ومن يضلل الله اي ومن يضلله الله فلن تجد لهم اولياء من دونه اي من يتولى هدايتهم وهو بمعنى الجمع لانه جنس
ولذلك جمع بعده وهو قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم اي يسحبون عليها ● قال ابن عباس رضي الله عنهما
لما نزل هذا قال المشركون كيف يمشون على وجوههم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي امشاهم على اقدامهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما حين يحشرون ثم يرد ذلك عليهم بدليل قوله وراى المجرمون النار ● وقال
دعوا هنالك ثبورا ● وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا ● وقيل عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صما عما ينفعهم كذا هم
قال ابن عباس والحسن وهو جزا على ما كانوا يتغافلون في الدنيا عن روية الحق ويتباكمون عن التكلم به من الحق ويتصامون
عن سماع الحق ● قال الله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ● وقال مقاتل ذلك في جهنم حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
وقوله تعالى ماواهم جهنم اي مصيرهم ومقرهم ● وقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها وقد خبا يخبو
خبوا والتا للتانيث زدناهم سعيرا اي لهبا وقد سعر النار يسعرها من حد منع اي الهبها ● وقيل كلما خبت اي ارادت
ان تخبو كما قال فكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ● وقوله تعالى ذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا
كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا فسرناه في هذه السورة يقول لم نعذبهم ظلما بل جزاهم على كفرهم وانكارهم
البعث ونحييهم بعد ارمامهم وتفتيت عظامهم ● وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم فاذا اقدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم خلقا جديدا اولم يروا ذلك افلم يعلموا ذلك مما يقوم
مقام العيان في حق الاتقان ● وقوله تعالى وجعل لهم اجلا اي مدة طويلة نظرا لا نعلمهم لا ريب فيه لا شك
فيه اي في مضيه ● وقوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا اي كفرانا بهذا الانعام بهذا الامهال ● وقيل جعل لهم اجلا
هو البعث لمحاسبتهم على كفرهم فابوا في الدنيا الا الكفور لهذا الوعيد في الاخرة ● وقيل في الاية تقديم وتاخير
خلق السموات والارض وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو مدة العمر قادر على ان يخلق مثلهم ● وقوله تعالى قل لو
انتم تملكون خزاين رحمة ربي خاطب المشركين وخزاين رحمة ربي اي مفاتيح رزقه اذا لامسكتم خشية الانفاق

خشيتم

على انفسكم خشية الاملاق اي لخوف الفقر قال ابن عباس رضي الله عنهما واللغة كذلك • وقيل خشية الانفاق عن ان يذهب ذلك
اموالكم وكان الانسان قتورا • قال الحسن اي بخيلا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي ممسكا • وقال الضحاك ضيقا واصله
تضييق النفقة وقد قتر يقتر قترا من حد دخل وضرب جميعا وقتر تقتيرا بالتشديد اي ضيق النفقة فان قيل فلم قال وكان
الانسان قتورا وفي الناس الجواد قلنا الاغلب ذلك لان المقتصد والبخيل الينا بجواد ولان طبع الكل الظن على عجزه بما في
نفع نفسه • وقال الحسن اراد به المشرك وهو لا يرجو الثواب فلا يجوز ذلك • وقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات واصلنا لها حجج فلم يقبلوها ولم ينقادوا لها كما فعل قومك باياتنا التي وصلناها لك وتسع ايات • وقال
ابن عباس والضحاك هي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم • وقال محمد بن
كعب القرظي هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والعصا والطمسة والحجر • وقوله تعالى فسئل بني اسرائيل
اذ جاءهم اي اعلم بني اسرائيل علي الخبر حين جاءهم ايجا اسالهم موسى فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي سحرت
فاثر في عقلك وحسك ذلك الحسي اصيبك ذلك ان تدعي ان لك الها فوقي ارسلك الي لا ادخل في طاعتك • وقيل مسحورا
اي مخدوعا • وقوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر • قرا الكسائي اي علمت بضم التا
قال موسى علمت انا • وقرا الباقون بالفتح للتا اي علمت انت يا فرعون انه عاند مع علمه قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا يقول انك لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم انما جيت به من الايات ليس بسحر والا انا فيها مخدوع بل هي
حجج الله جل جلاله التي من تاملها استبصر فيها وتيقن انها من عند الله • وقوله تعالى واني لاظنك يا فرعون مثبورا اي اهلك
بالاستدلال لا مهلكا • وقيل ممنوعا من كل خير • وقوله تعالى فاراد ان يستفزهم من الارض اي هم ان يستخفهم ويزعجهم من ارض
مصر • فاغرقناه ومن معه جميعا من اعوانه واهل دينه جميعا لم يبق منهم احد • وقوله تعالى وقلنا من بعده لبني اسرائيل
اسكنوا الارض اي اسكاهم ارض مصر اعزكما في قوله سيروا فيها ليالي واياما امنين • وقوله تعالى فاذا جا وعد الاخرة
جينا بكم لفيفا اي اخرجنا انكم ممتنعون في الارض الى الموت فتفارقوا الدنيا وتنقلوا الى الاخرة للحساب والجزا
فاذا جا ما وعدنا من البعث حشرناكم مختلطين من قبايل شتى وبلدان مختلفة • وقيل اراد به جميعا لا نغادر منهم احدا
وقيل اراد به اختلاط الناس بعضهم ببعض لفزع القيامة العرب بالعجم والجنس بخلاف الجنس بلا نظام لاجتماعهم
كما قال تعالى كانهم جراد منتشر • وروي صفوان بن عسال المرادي ان يهوديين مرا بالنبي صلى الله عليه وسلم فسالاه
عن هذه الاية فقال اوحى الله تعالى الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بي شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تاكلوا الربا ولا تشربوا الخمر ولا تسحروا ولا تسرقوا وتقذفوا وعليكم خاصة ايها اليهود
ان لا تعدوا في السبت فجا الي النبي صلى الله عليه وسلم فقبلا رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقالا نشهد انك نبي مبعوث
قال فما يمنعكما عن الايمان بي قالا نخاف ان يقتلنا اليهود • وقوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي القران
وقد سبق ذكره في ايات انزلناه بالحق لا بالباطل وبيانا للحق • وقوله وبالحق نزل اي كما انزلناه لم نبدله حتى
بل ولا حرفا شيا منه • وقوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي فامضي لما ارسلناك له ولا تنتظر الى تكذيب
المكذبين • وقوله تعالى وقرانا فرقناه قيل اي فرقنا فيه وانتنا لتقرا اي دلالة على امور الطريقين ومميزا به الحق
من الباطل • وقيل بيناه كما قال فيها يفرق كل امر حكيم • وقيل احكمناه • وقيل هو لمعنى التفريق اي انزلناه متفرقا في
سنين لتقراه على الناس على مكث اي على تثبت وتوقف ليحفظه في صدورهم • وقيل اي من غير عجلة كما قال لا تحرك به لسانك
لتعجل به • وقال ولا تعجل بالقران • وقوله تعالى ونزلناه تنزيلا اي شيا فشيا على حسب الحوادث • وقيل نزلناه اي
جعلناه منازل ومراتب درجنا الناس عليها ولم ناخذهم بجميع الفرايض جملة لئلا يشق عليهم فيتفرقوا • قال ابن
عباس رضي الله عنهما على مكث اي على تؤدة • وقال عطا على مهل • وقال مجاهد ومقاتل ترسل • وقيل على مهنة •
وقوله تعالى قل امنوا به او لا تؤمنوا اي قل يا محمد لهؤلا المشركين الذين يقولون لك لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الايات
امنوا اي بالقران او لا تؤمنوا وليس بتخيير لا يجمع بين الامرين لنهي لكنه وعيد واخبار انهم ان امنوا فلا نفع
لنا وان لم يؤمنوا فلا ضرر علينا النفع لكم والضرر عليكم وليس في ترككم الايمان ما يبطل الحق الذي نزل به وقد امن
به من يقرا القران وهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه اذا تلي عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا جمع الذقن وهو مجمع اللحيين واراد بها الوجوه وهذا من ابن عباس وقتادة • وقيل انما ذكر الاذقان
لان اول ما يقع في الارض من الوجه ذلك ويقولون اي في سجودهم سبحان ربنا تنزيها عن المعايب • وقوله تعالى
ان كان وعد ربنا لمفعولا اي ما كان وعد ربنا الا كاينا • وقوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون اي يخرون سجدا
لذلك ويكون فيه بخلاف تغضبهم ويزيدهم اي القران حين يتلى عليهم خشوعا وتذللا • وقوله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن • قال الضحاك قال اهل الكتاب وهم الذين مر ذكرهم ان الذين اوتوا العلم من
قبله يا رسول الله انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله هذا الاسم في التوراة فانزل الله تعالى هذه الاية فرقه
اهل الكتاب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا
عن الهين اثنين وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية • وقال مقاتل دعا رجل من الصحابة بيسم الله ودعا ثانيا

باسم الرحمن فسمعه ابو جهل لعنه الله فقال نهيتمونا عما تتعاطونه • وقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسما الحسنى هذا شرط ولذلك
جزم وحذف النون • وقوله تعالى فله الاسما الحسنى اي التسميات الدالة على الصفات باي اسم دعي به فهو واحد وليس اختلاف
الاسما لاختلاف المسمى • وقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بدعايك كما قال وصل عليهم اي ليكن دعاؤك ما بين الجهر الشديد
والمخافتة الشديدة وذلك بان تسمع نفسك ويفهم عنك من يقرب منك فيؤمن على دعايك او يقتدي بك فيه وهو تعليم
للدعا وهو اوفق للنظم • وقيل هو عين الصلاة المعهودة ومعناه لا تجهر بالقراة في صلاتك كل الجهر ولا تخافت كل
المخافتة وهي خفض الصوت وكان هذا بمكة لان المشركين لعنهم الله كانوا يؤذونه اذا جهر ولا يسمع من خلفه اذا خافت وهذا
عن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم • وقال الحسن ولا تجهر بالصلاة باشاعتها عند من يؤذيك ولا تخافت بها عند من
يلتمسها منك • وقيل ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بجميعها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة
النهار وبين ذلك في معنى بين ذينك كما مر في قوله عوان بين ذلك • وقال الضحاك ولا تجهر بصلاتك ريا الناس ولا تخافت
بها مخافة الناس • وقال الحسن ولا تحسن صلاتك في العلانية وتسيها في السر • وقال علي وعايشة رضي الله عنهما هذا
في الدعا تقول لا تجهر باستغفارك وتوبتك فيسمعه غيرك فيلومك بذنبك • وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا جهر في صلاته سبه المشركون ولغوا فنزلت الاية ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون ولا تخافت بها حتى
لا يسمع اصحابك ومر النبي صلى الله عليه وسلم بابي بكر وهو يخافت بالقراة ومر بعمر رضي الله عنهما وهو يجهر بالقراة فلما
اجتمعا ذكر لهما ذلك فقال الصديق رضي الله عنه كنت اسمع من اناجيه • وقال الفاروق كنت اوقظ الوسنان واطرد
الشيطان فامر ابا بكر ان يجهر قليلا وامر عمر ان يخفض قليلا • وقوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا • قال
الحسن رحمه الله اي الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا • وقيل اي المستحق للحمد والثنا على ذلك هو الله تعالى الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك على الاول اي عرفني ذلك وعلى الثاني اي المستحق للحمد والثنا على ذلك وعلى
هذين قوله ولم يكن له ولي من الذل • وقيل اي لم يكن له حبيب من اهل الذل وهم اليهود والنصارى بل اولياؤه المؤمنون
وقوله تعالى وكبره تكبيرا اي عظمه تعظيما حقا والمصدر للتاكيد والتحقيق اي حتى لا يكون في قلبك شي اعظم منه
ولا اهيب اي قل بلسانك الله اكبر وفي قلبك تحقيق ذلك • وقيل اي كبره على كل ما لا يجوز في وصفه • وقيل اي صفه
بانه اكبر من كل شي القادر الذي لا يخفى عليه شي الغني عن كل شي مستقلا له بقلبك عاملا عليه فيما يلزمك • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله ولم يكن له ولي من الذل اي لم يتخذ الاوليا ليتعزز بهم من الذل انما اتخذ اولياء رحمة منه
وفضلا ليتعززوا هم بذلك وكبره تكبيرا اي صفه بما وصف به نفسه واعرفه بما ذكر فاذا عرفته كذلك فقد
عظمته وكبرته • وقال القشيري رحمه الله اي بان تعلم انك تصل اليه بك لا بتكبيرك والحمد لله رب العالمين بجاه
من رحم الخلق امين • اللهم اني اسالك بحق نبيك المصطفى وختنه وابن عمه المرتضى وساير اصحابه الاجلة
والكرام وبضعته فاطمة الزهرا • يا ناصر الضعفا والفقرا والغربا • ادفع عن المسلمين رجم الخلاق والوبا

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الخلق ليبلوهم ايهم احسن عملا • الرحمن الذي فطر الاشيا من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلا
الرحيم الذي جعل للذين امنوا وعملوا الصالحات جنات الفردوس نزلا • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه
انه قال من قرا سورة الكهف فهو معصوم ثمانية ايام من كل فتنة تكون فان قرا وخرج في تلك الايام الدجال عصمه الله
تعالى من فتنة الدجال • وقال صلى الله عليه وسلم من قرا عند مضجعه اخر سورة الكهف قل انما انا بشر مثلكم الى اخر
السورة كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فان كان
مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يصبح • وسورة الكهف
مكية وهي ماية وعشر ايات • وقيل ست • وقيل عشر الاختلاف في اثنتي عشرة زدناهم هدى الى قليلا الى فاملا ذلك
بينهما زرعا ان تبيد هذه ابدا من كل شي سببا ثم اتبع سببا عندها قوما بالاخسرين اعمالا • فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا • وكلماتها الف وست وسبعون • وحروفها ستة الاف واربع ماية وسبعة وثلاثون • وانتظام اول هذه السورة
باخر تلك السورة انه ختم تلك بالتكبير وافتتاح هذه بالتحميد وهما من الثنا على الله تعالى ولانه قال هناك ايضا
وقل الحمد لله فكانا حمدين واما انتظام السورتين فانه ذكر في تلك السورة سوالهم عن الروح وفي هذه السورة سوالهم
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وكانت هذه السوالات في دفعة واحدة • وقوله تعالى الحمد لله اي جميع انواع
الشكر والاثنية والرضا لله الذي انزل على عبده اي محمد المصطفى الكتاب اي القران المعجز المشتمل على مصالح الخلق
في دينهم ودنياهم • وقوله تعالى ولم يجعل له عوجا قيما اي لم يجعل فيه تناقضا واختلافا قيما اي مهيمنا على الكتب
التي قبله نسخ منها ما نسخ واثبت منها ما اثبت • وقيل قيما على ساير كتب الله تعالى يصدقها وينفي الباطل عنها • وقيل
قايما بحجج الله تعالى الى يوم القيامة • وقوله تعالى لينذر اي الكفار • وقوله تعالى باسا شديدا اي باسا شديدا من لدنه
اي لعذاب شديد من عنده ينزله بهم في الدنيا والاخرة اذ ما توا على كفرهم بالكتاب والرسول • وقوله تعالى ويبشر

اي وليبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا اي ثوابا جميلا في الجنة • وقوله تعالى ماكثين فيه ابدا اي خالدين لا ينتقلون عنه ولا ينقطع عنهم • وقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وخص هولاء بالانذار وتعميما عم الجميع بقوله لينذر باسا شديدا لغاية فحش هذا الشنع وهو قول المشركين الملائكة بنات الله مالهم به من علم اي هو جهل منهم وكذب وباطل جعله خارجا من العلم لدخوله فيما تخيله العقول • وقوله تعالى ولا لابائهم كبرت اي قلدوا اباهم واباوهم مثلهم في الجهل اذ لا دليل يجوزه من حس او عقل او خبر • وقيل هو قول النصارى المسيح ابن الله • وقوله تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم اي يقولونها بالسنتهم وهي في افواههم اي يعولونها • وقوله تعالى ان يقولون الا كذبا انما يقولون ذلك الا كذبا يقولون على الله ما لم يعقل • قال مقاتل بن زعمت اليهود ان كان ما يقول محمد حقا ان الله تعالى انزل عليه الكتاب مثل ما كان التوراة مفصلا على حياله فان الله تعالى اي احمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فيا خبر مختلف ولم يجعل له عوجا لم ينزل ملتبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ادعوكم الى الله فمن تاب منكم من اليهود كفرت عنه سيئاته واعطي اجره مرتين قالوا قل عزير ابن الله نومن بك فقال اعوذ بالله من ان اقول عزير ابن الله انما هو عبد الله داخر اصنافا عرقا قالوا انا نجد ذلك في كتابنا وحدثت به اباونا وانما قال ذلك كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب واخوه جدي بن اخطب فاهتم النبي صلى الله عليه وسلم وحزن فقال له ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وزيد بن حارثة رضي الله عنهم لا يحزنك يا رسول الله قولهم فان الله معنا وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات يعني ابا بكر والذين سمينا هم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني كعب بن الاشرف واصحابه • وقوله تعالى ما لهم به من علم ولا لابائهم جواب لقولهم حدث اباونا • وقال القشيري رحمه الله الباس الشديد هو الانقطاع عن الله والاستلاء بغير الله والصالحات من العمل ما يصلح للقبول وهو يودى على الوجه المامور • وقيل العمل الصالح الذي لا يستعمل عليه صاحبه حظا في الدنيا من اخذ عوض وقبول قوم ونفاذ رياسة والاجر الحسن ما لا يجري مع صاحبه استقصا في العمل • وقيل هو ما يزيد في تقدار الامل • وقيل هو ما لا يذكر صاحبه تقصيره في العمل بل يستر عليه عيوب عمله • وقوله تعالى فلعلك باخع نفسك • قال قتادة اي قاتل نفسك • قال ذو الرمة •

الا ايها الباخع الوجد نفسه • لشيء نحته عن يديه المقادر •

هو قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما يجد من الحزن بكفر المشركين فقال فلعلك مهلك على اثارهم اي اثار الكفار وهو كناية عن اعراضهم كانهم اذا اعرضوا من الايمان نظر اليهم وهم يعرضون ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا قال قتادة اي القران قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث • وقال الله تعالى ومن احسن من الله حديثا • وقيل بهذا الحديث اصحاب الكهف اي سالوك عنه فاخبرتهم عنه فلم يجعلوه دليل صدقك ولم يومنوا بك اسفا • قال قتادة والثوري غضبا كما قال تعالى فلما اسفونا • وقال الحسن حزنا وكل واحد منها صحيح في اللغة مستقيم في المعنى فان معنى الاول فلعلك لشدة غضبك لله تعالى تقتل نفسك لعصورك منهم ومعنى الثاني فلعلك لوفور شفقتك وحرصك على ايمانهم تقتل نفسك اغتماما بكفرهم • قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم • وقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي انا زينا الدنيا باصناف ما خلقنا فيها من المخلوقات من اللباس والنبات وضروب الحيوانات وغيرها فالارض مزينة بجملة ذلك وان كان عند التفصيل قد يكون منه الشيء لو افرد عن الجملة لم يكن زينة • ووجه اخر ان المعنى واقع على ما هو زينة في نفسه دون ما ليس بزينة والكلام قد يطلق عاما والمراد به الخصوص كقول الرجل ما احسن مشاهدة البلاد وان كان لا يخلو من ان يكون فيها بخلاف ذلك وتقديره انا خلقنا كثيرا مما في الارض زينة لها وهو ما زين للناس من حب الشهوات من النساء الاية • وقال تعالى ولكم فيها جمال الى ان قال وزينة • وقال تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا • وقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة • وقال تعالى وازينت • ووجه اخر انا جعلنا ما جعلناه زينة للابتلاء والامتحان وجاز هذا الاطلاق اذ ليس المقصد الاخبار بتفضيل ما هو زينة مما ليس بزينة بل المقصود الاخبار بان ما ذكر منها انما زين للابتلاء ولذلك قال اهل الاصول الخطاب يحمل في غير المقصد ويفصل في المقصود • ووجه اخر ان ما عليها من الحيات والعقارب وغيرها فكل ذلك عند التامل دليل على صانع قادر وزخرف عالم لا يشبه الاشياء وفيها عبر واعاجيب ومنافع فكان حسنا في نفسه وزينة ومزينا لغيره لدلالته على ما قلنا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال زينة لها اي الرجال • وقال مجاهد العلماء • وقال الكلبي النبات فانه يقول ثم تصير هشيما لذلك وقال مجاهد في رواية وابن جريج ما عليها من شيء ومن حمله على النبات فانه يقول ثم تصير هشيما فذلك تذكير وتنبيه • وقوله تعالى ليبلوهم ايهم احسن عملا اي يختبرهم ويمتحنهم بالعبادات ويتعبدهم تعاملهم معاملة من يختبر ويختبئه لتظهر منهم ما علمنا انه يكون منهم وقد اشبعنا القول فيه في مواضع • وقوله تعالى ايهم احسن عملا • قال الحسن اي ايهم ازهد في الدنيا واترك لها • وقال مقاتل بن حيان ايهم اعف واصلح فيها وانفى من المال • وقال الامام القشيري رحمه الله عليه ايهم اصدق نية واصلح طوية • قال وقيل احسنهم عملا اشدهم استقباحا لفعله واكثرهم استصغارا لطاعته لنظره الى تلاشي افعاله في جنب ما يستوجبه الحق من امره • وقوله تعالى وانا لجاعلون

ما عليها صعيدا جرزا • قال السدي رحمه الله الصعيد الاملس والجرز الميت • وقال ابن زيد الصعيد المستوي كما قال تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا والجرز الذي ليس فيه زرع • وقال مجاهد صعيدا جرزا يابسا لا نبات فيه • وقال ابن جريج عن مجاهد قاعا بلقعا • وقال ابو عبيد جرزا غليظا لا ينبت شيئا • وقيل جرزا يابسا لا نبت فيه ولا زرع • يقال جرزت الارض فهي مجروزة وجرزها الجراد والسنون اجرازا اذا كانت يابسة لا شيء فيها وسنة جرز وسنون اجراز اذا لم يكن فيها مطر • قال الراجز قد جرفتهن السنون الاجراز والجرز العقوم اذا اصابت ارضهم جرازا وجرزت ارضهم اذا اكلوا نباتها كلها • ويقال رجل جروز اذا كان كثير الاكل لا يبقي شيئا من الطعام وسيف جراز قطوع ياتي على كل شيء ومعناه وانا لمعنون الدنيا بعد حصول الامتحان وتمييز المحسن من المسيء وناقلون اهلها الى دار البقاء والجزاء فيجزي كل واحد منهم بما يستحقه فلا تهتمن انت لذلك فليس لك عليل يشفي صدرك بما ينالهم • وقوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا فليس كذلك بل كل اياتنا عجب وفي اياتنا ما هو اعجب من ذلك • روي العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال المعنى الذي اتيتك من العلم والكتاب والسنة افضل من شان اصحاب الكهف والرقيم • وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما هم عجب وغيرهم ممن خلقت اعجب منهم الشمس والقمر والجبال والسماء والارض والنهار والليل وقال لا تعجب انهم اعجب اياتنا فقد خلقنا ما هو اعجب من هولاء • وروي كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يقول ما انعمت عليك من غيرهم اعجب اي منهم • وقيل الحسبان بمعنى العلم ومعناه اعلمت ان هولاء كانوا عجبا اي فاعلم انهم عجب كقولك اشرف ان زيدا فعل كذا اي فاشعر والحسبان في الاصل ظن والظن في القران بمعنى العلم كثير • وقال الامام القشيري رحمه الله يقول لا تتعجب من قصصهم فشانك اعجب من قصصهم في ذهابك الى قاب قوسين في بعض الليل • وقال ازال موضع الاعجوبة من وصفهم حيث اضافها الى نفسه بقوله من اياتنا وتقليب العادة من الله تعالى ليس بمستبدع وقد روينا في التفسير عن قوله تعالى ويسالونك عن الروح سبب النزول وطريق اخرها هنا ما روى الكلبي عن صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بلغنا ان قريشا بعثوا ثمانية رهطا الى المدينة فقالوا اسالوا اليهود عن محمد وامتدحوا نعته • وقوله ثم ايتونا فاخبرونا فانطلقوا حتى اذا قدموا المدينة وجدوا فيها اليهود من كل ارض اجتمعوا لعيدهم وسالوهم عنه فقال لهم حبر من احبار اليهود ان هذا نعت النبي الذي تحدث عنه انه ناعته في هذه الارض قالت رسل قريش انه كاسل يتيم لم يتبعه من قومه الا الضعفاء ولم يتبعه من اهل الراي احد الا من ذوي الالباب فضحك الحبر وقال كذلك نجد قالت له رسل قريش انه قايل قولا عظيما يذكر الرحمن الذي باليمامة قالت لهم علماء اليهود اذهبوا فاسالوا صاحبكم عن خلال ثلاث فان الذي باليمامة قد عجز عنهن فاما الاثنان من الثلاث فانه لا يعلمها الا نبي فان اخبركم بهما فقد صدق واما الثالثة فلا يجتري عليها قالت رسل قريش اخبرونا بهن قالوا اسالوه عن اصحاب الكهف وقصوا عليه وصفهم وسلوه عن ذي القرنين وحدثوه بامره وسلوه عن الروح فان اخبركم فيها بشيء فهو كاذب فرجعت رسل قريش فاخبروهم بذلك ففرحوا بذلك فارسلوا الى نبي الله فلقيهم فقالوا يا محمد انا سائلوك عن خلال ثلاث فان اخبرتنا بهن فانت صادق وان لا فلا تذكر الهتنا بسوء قال ما هن قالوا اخبرنا عن اصحاب الكهف فانا قد انبانهم باية واخبرنا عن ذي القرنين فانا قد انبينا فيهم بامرين واخبرنا عن الروح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروني حتى انظر ما يحدث لي فيه ربي قالوا انا ناظروك ثلاثا فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا ياتيه جبريل ثم اتاه فقال يا جبريل قد ابطيت ما سالني عنه قريش ثم لم تاتني بعد فقال له جبريل عليه السلام وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا الاية • ثم قال ان الله يقول ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا • ثم قال ان اصحاب الكهف والرقيم الاية • ثم قال ويسالونك عن ذي القرنين الايات فلقيهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث فقص عليهم ذلك فتعجبوا وغلب عليهم الشيطان ان يصدقوه • وقوله تعالى والرقيم • روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سال كعبا عن هذا فقال هو اسم القرية التي خرجوا منها وعن عرسه عنه وقال الكهف الذي كان فيه القوم والرقيم المدينة • وقال قتادة والضحاك هو الوادي الذي كان فيه الكهف • وقيل هو الجبل الذي فيه الكهف • وقال عطية هو واد بين ايلة وعسفان • وروي سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هو لوح من رصاص فيه اسامي اصحاب الكهف والرقيم الكتاب • وقيل الرقيم المرقوم اي المكتوب • وقال سعيد بن جبير هو لوح من حجارة فيه اسامي الفتية • وقال السدي كتبت اسماوهم على صخرة على باب المدينة • وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه الرقيم كلب اصحاب الكهف • وحكي مالك بن سليمان صاحب التفسير عن سعيد بن جبير انه قال الرقيم قوم بالسراة مثل اصحاب الكهف • وقال ابن زيد حدث الله تعالى عن اصحاب الكهف وترك اصحاب الرقيم لم يحدث عنهم شيئا • وقيل هم اصحاب الغار الذي انطبق على ثلاثة نفر فذكر كل واحد منهم اصلح عمله وسال الله تعالى ان يكشف عنهم فاجابهم الله تعالى وكشف عنهم وفتح لهم الغار فخرجوا منه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث فيه طول فاما قصة اصحاب الكهف قال وهب بن منبه رحمه الله انهم كانوا فتية من الروم امنوا بربهم وكان ذلك عبرة وتفكروا منهم في عظم الله جل جلاله وملكه وقدرته الهمهم ذلك وحي ولم يعرفوا به كتابا ولم يدركوا زمان نبوة وكانوا في زمن فترة قبل ان يبعث الله عيسى عليه السلام

وكانوا شبابا متقاربين في الاسنان من قبيلة واحدة وكانوا في حسب عظيم من اولاد عظما الروم وكان للروم فيهم هوى وميل وكان
ملك الروم في ايامهم ينتقل في فضيلتهم اكثر من اربع ماية عام حتى انقرضت تلك الفضيلة وكان الروم يتمنون ملك هولا لما يلزمهم
في زمان ملك سلفهم من الحفظ والدعوة والعافية والامن والسعة وكان ملوك العسرة تثقل عليهم مكانهم تخفوهم وخزموهم
وحرموهم وامروا لهم مخافة على انفسهم فلم يزل تلك حالهم حتى اراد الله تعالى بهم ما اراد من هداهم دنورا لله تعالى الايمان في
قلوبهم فقال قايل منهم اني قد رايت رويا في قلبي فلست اصبر عنه فاسمعوا اعرض عليكم اني تطرقت في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والاحيا والاموات والاشجار والنبات
والصغار والكبار والغنا والشدة والرخا والنعمة وتقلب الدنيا باهلها والاحوال المختلفة من الموت والحياة ه
والنقص والزيادة والغنى والفقر ومدة الصغير وهرم الكبير واشباه هذه كثيرة لا يشبه بعضها بعضا انما
نظرت فيها اجمع راي على ان لها خالقا بديعا ابدعها وربا يملكها ويدبرها ويخلقها ويرزقها ويغنيها ويفقرها
ويرفعها ويخفضها وبيمينها تنقلب في قبضته ويعيش برزقه فلما تم لي الامر نظرت في عظمته وقدرته فاذا ليس من هذا
الخلق شي يعونه واذا قدرته محيطة بكل شي فما تقولون قالوا قد قلت قولا عظيما ووصفت امرا عجيبا والحمد
الا وقد اصبت فيه النظر ونصدقنك وتابعناك ورايناك وانا كنا نرى مثل ما رايت ويخطر على قلوبنا
مثل ما خطر على قلبك لكنا لم نشرح منه ما شرحت لما ان الله هداك واكرمك وعلمك ذلك حدثنا عما نسال عنه
هل ينبغي لهذا الرب ان يكون له شريك في ملكه او حاجة الى شي من خلقه او هل يغلبه شي يستعين به عليه بغيره قال
لو كان له شريك في ملكه او حاجة الى شي من خلقه لكان مثلهم ولو كان يستعين على شي يغلبه بغيره ما بلغت قدرته
حيث بلغت قالوا له صدقت وعزمنا على ما تقول وثبت في قلوبنا ذلك حدثنا ما بال خلقه يشركون به وهم يرزقونه
قال لانه خلق فيهم الاهوا وطبع قلوبهم على الشهوات وجبلهم على الضعف وثبت معهم الشيطان فمن قبل هذا عدلوا به
وهم يعرفون ان الذين يدعون من دونه لا يجيبونهم ولا يخلقونهم ولا يرزقونهم ولا يبصرونهم ولا ينفعونهم فعند ذلك
اجمع رايهم على ان يأووا الى الكهف وان يعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله فعند ذلك قالوا ربنا رب
السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هولا قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون
عليهم بسلطان بين يقولون فما يمنع هذه الالهة التي تعبد من دون الله ان كانت كما تزعم اصحابها لا ياتون بسلطان
بين مثل الذي وصفنا فيه ربنا ومثل الذي يقدر عليه ربنا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فلما اعتزلوهم واووا
الى الكهف رجا ان الا يبشر لهم ربهم من رحمته ويهي لهم من امرهم مرفقا ان الله تعالى القى عليهم السبات فنومهم
في مدينة من مداين الروم يقال لها افسوس وملكهم يومئذ دقيانوس وهم سبعة نفر وكان ابن عباس يسميهم
ويقول لا يعلمهم الا قليل وانا من اوليك القليل فرطالوس ديونوس وداينوس وسرابنوس واسطاطانوس
ومطيليس وصانوس وهو الذي بعثوه بورقهم ليأتيهم بالطعام وكانوا قوما يطلبون الصيد لما يسهم ما لم يكن
ليس لهم معيشة غيرها وهم يومئذ في الجبل الذي فيه الكهف يطلبون الصيد معهم كلابهم وبزاتهم وقسيهم ونبلهم
فلما اجمع رايهم على ان ياووا الى فتية يقيمون مع قومهم على شركهم او يفارقونهم فيختارون ناحية من الارض يخلون
فيها ويوحدون الله ربهم فيها فبينما هم على ذلك القى الله تعالى عليهم السبات واخفى الله على جميع خلقه مكانهم فليس
يبصرهم احد ولا يفطن بمكانهم ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعا حتى انقرضت الامة التي كانوا فيها
والملك الذي كانوا عليه وخرج من بعدهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فامن به الناس فاتبعوا ملته ودفعه
الله اليه وذهب زمانه وزمان اهل ملته وهم في كهفهم وكان عيسى قبل ان يرفع حدث عنهم وعن ايامهم وزمانهم
وكيف ناموا في كهفهم وكيف اخفى الله تعالى مكانهم ولا ينبغي لاحد ان يهتدي اليهم وكان يخبر انه سترد اليهم
ارواحهم ويدل على كهفهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم فرد الله تعالى اليهم ارواحهم بعد ما رفع عيسى بعد هذه السنين
ولزمهم كلب من كلاب صيدهم فلبث فيهم كلبا معهم باسطا ذراعيه بفنا الكهف ولم يطعم ذلك الكلب ولم يشرب
ليكون اية فلما رد الله تعالى اليهم ارواحهم قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه الى قوله اذا ابدا
وهم حينئذ يظنون ان قومهم احيا وانهم على ما يعهدون من ظلمهم وشركهم فانطلق تمليخا وكان اشدهم قوة حتى
اذا خالط ارض المدينة انكرها وانكر كل شي خلقه الله تعالى من انسان ودابة اودار وبنا ووجد الناس على
حال لم يكن يعهدها ووجدهم يتبايعون بورق لا يشبه الورق الذي معه فتحير وانكروا قيل وادبروا نطلبا
على اصحابه حتى خافوا عليه وظنوا انه قد فطن به وقدر عليه فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحية اخرى
خفية فوجدها واهل المدينة على اهل الرفض في كل شي فلما التبس عليه عمد الى مشيخة اهل المدينة توسم فيهم
الخير ليخبروه ويستمع من قولهم فوجد معهم الانجيل يقرونه فسمع ما فيه من توحيد الله وشرايعه وحلاله وحرامه
فعرف ذلك واذعن له وانصت يستمع حتى اذا فرغوا من قراتهم سالهم عن كتابهم فقالوا امنا كتاب الله الذي انزل
على عيسى عليه السلام قال وابن عيسى قالوا قد رفعه الله اليه قال وكم لبث فيكم قالوا ثلاثا وثلاثين سنة قال

ما رئيسه وادركم زمانه قالوا لا كان زمانه قبل ان نولد ووجدنا كتابه في ايدي ابائنا قال فكل اهل هذه المدينة تقرون بالكتاب
وبهذا النبي ويعمل بما فيه قالوا نعم الا المستخفيا بذنب او ظالما لنفسه قال فهل سمعتم بالملك الذي يقال له دقيانوس قالوا
نعم قال فكم له منذ هلك قالوا اكثر من ثلثماية سنة قال فهل بقيت له ذرية او احد من اهل بيته يعمل بعمله وعمل قومه قالوا لا
قال فلو اراد احد ان يعمل مثل عمله قالوا نقتله او نخرجه من بين اظهرنا فلما امنهم واطمان اليهم وراي سمة الاسلام عليهم
وتفهم الله تعالى مسايلهم عنها قال اخبروني هل كان نبيكم عيسى عليه السلام يخبركم عن سبعة رهط خرجوا من هذه
المدينة في زمن دقيانوس وقومه هربا الى الله تعالى بانفسهم ودينهم وفرارا من دقيانوس وقومه ودينه حتى اووا
الى الكهف من هذه الجبال قالوا نعم كان يخبرنا عنهم فلعلك منهم فانا انكرنا حالك كله قال فهل كان عيسى يسمي فيما بلغكم
اصحاب الكهف قالوا نعم وسموهم فلما ذكروا تمليخا قال فانا تمليخا فانا احدهم فخروا له سجدا كما صنع اخوة يوسف بيوسف
يوم دخلوا عليه كانت تحيتهم ذلك ثم ادخلوه مسجدهم وعظموه واكرموه ورفعوه وجمعوا له اهل مدينتهم وعلماهم
ينتحوا به كلهم وجعلوا له عيدا عظيما واقاموا اياما بين اظهرهم ثم انه قال لهم ان اصحابي الا ارانهم الا قد خافوا علي
وساء ظنهم وهم يظنون ان دقيانوس حي وان الزمان زمانه وان الدين دينه فانطلقوا نعلمهم كيف اهلكهم الله
تعالى وطهر الارض منهم وكيف استبدل تعالى بهم امة يوحدونه ويهدون بالحق وهم يعدلون فانطلقوا حتى انتهوا
الى الكهف فوجدوا كلبهم باسطا ذراعيه بالوصيد قالوا هذا الكلب ايضا من علامات التي كان يحدثنا عنها
عيسى عليه السلام وقد كان يحدث انه لا ينظر اليهم احد من خلق الله من يوم يدخلون الكهف الى ان ينزل عيسى
الا الى رجل منهم وهو الذي يدل على مكانهم وانت هو فدخل على اصحابه فاخبرهم بما راى وسمع ثم كان اخر العهد منهم
وابتدر الناس فيهم وتساوموا حتى اجمعوا ان يتخذوا عليهم مسجدا يبنونه حول الكهف ويجعلون الكهف وسطه
ويكتبون قصتهم في حيطانه فذلك قوله قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ه قال وهب وبلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبشر اصحاب الكهف عند نزول عيسى عليه السلام ويخرجهم من كهفهم
وقوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا اي اعطنا
من عندك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا اصابة الطريق المودي الى الجنة وكذا الرشد والرشاد وصرفه من
ابن دخل وعلم جميعا فاستجاب الله دعاهم ه وذلك قوله عز وجل فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا
اي انمناهم ومنعناهم السماع ويجاز ضربنا السنون على اذانهم ه قال القتيبي هذا من فصحات القران التي
اقرت العرب بالقصور فيها عن الاتيان بمثلها لان هذا لو نقل بالفظ الى لفظ احكم ليعنهم منه ذلك وان قيل
انمناهم فهو ترجمة للمعنى دون اللفظ ه وقوله تعالى عددا ه قال الفرا اي معدودة فالعدد المصدر والعدد
اسم المعدود كالنفض بمعنى المنفوض والرفض بمعنى المرفوض ويصلح للواحد والجمع ه وقال الزجاج عددا اي
بعددا الكثرتها لان القليل تعلم مقداره من غير عد فاذا كثر عد فاما قولك دراهم معدودة فهي على القلة لانهم
كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير وقوله تعالى ثم بعثناهم اي ايقظناهم من نومهم لنعلم اختلافا فيما موجودا
وانما كان علما قبل وجوده انه يوجد وقد شرحناه مرات ه وقيل اي ليس لهم ولغيرهم اي الحزبين لا يعصيان قبله
مدة لبثهم في الكهف كقولك سامهلكم تتفكرون في هذا الامر لنظر كيف استخراجك له او لاعلم كيف تنزلك به ه
وهو بريد اي افعل لتظهر انك لا تفرقه ه وقيل اي لنعلم اوليا اي واي الحزبين ه قال مجاهد اي الفريقين من
قوم الفتية اهل الهدى واهل الضلالة ه وقال السدي اي اليهود والنصارى ه وقيل هم من الفتية انفسهم
حيث قالوا كم لبثتم ه وقيل الحزبان احدهما اصحاب الكهف والاخر اصحاب الرقيم وهم الذين كتبوا اسما اصحاب
الكهف بعدهم ه وقيل هما طايفتان من المسلمين اختلفوا في ذلك ه وقوله تعالى احصى لما لبثوا اي علم وتحقق
كما قال تعالى احصاه الله ونسوه ه وقوله تعالى امدا اي غاية مفعول احصى وتقديره احصى امدا لما لبثوا اي
امدا للبثهم وهو نظير قولك ضرب لزيد غلاما اي غلاما لزيد وحاصله غلام زيد وهو قول المحققين ه وقال
الفرا احصى افعل التفضيل اي اعلم بمقدار لبثهم وامدا نصب على التفسير ه وقالوا هذا غير خارج على ظاهر اللغة
لان ما كان فعله من افعل لا يقال فيه افعل من لان ابنا يقال الاشد اعطا لا افعال لا يقال ان بنيا الاشد احصا ه وقال
الزجاج امدا نصب بلبثوا اي هو نصب على المصدر ه وقوله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق اي بالصدق
انهم فتية اي شبانا ه وقال مجاهد لقد حدثت انه كان على بعضهم اوضاح الورق من حداثته ه وقوله تعالى انهم
امنوا بربهم اي صدقوا بوحدانيته ه وقوله تعالى وزدناهم هدى اي ثباتا ويقينا ه وقوله تعالى وربطنا
على قلوبهم اي شددناهم وقويناهم والهمناهم الصبر ه وقوله تعالى اذ قاموا ه قال قتادة اي قاموا من
رقدتهم ه وقال السدي قاموا بباب البلد ه وقال مجاهد قاموا يقصدون الخروج ومفارقة القوم ه وقوله
تعالى فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها اي لن ندعو غيره معبودا ه وقوله تعالى لقد
قلنا اذا شططا اي قلنا جورا وعدوانا لو دعونا غيره الها ه وقوله تعالى هولاء قومنا اتخذوا اي اعتقدوا
من دونه الهة ستقليدا من غير حجة ه وقوله تعالى لولا ياتون عليهم بسلطان بين اي هلا يقيمون على الهتهم ه وقوله

والجبال

ثم

في انفسهم

اسماء

منه

سلطان بين اي حجة بينة ان عبادتها حاجة او واجبة • وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اختلفوا فقال الزمخشري • وقال الامام القشيري رحمه الله سماهم فتية لانهم امنوا على الوصلة بلا مهلة لما اتاهم من دواعي الوصلة • وقيل سماهم فتية انهم قاموا بالله وما استقروا حتى وصلوا الى الله • وقال في قوله وزدناهم هدى لاطفناهم باحساننا ثم كاشفناهم في اسرارهم بما زدنا في انوارهم • وقال في قوله وربطنا على قلوبهم اي اغنيناهم عن الاغيار وفنا وليناهم من الانوار الاستبصار • وقيل ربطنا عليها بما استقر فيها من شواهد الغيب فلم يختلج فيها خاطر الريب • وقال في قوله اذ قاموا اي قاموا لله ومن قام لله فقد عمي عما سوى الله • وقيل من قام بالله لم يقعد حتى يصل الى الله • وقيل قعدت عنهم الشهوات فصح قيامهم لله • وقوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله اي سوى الله • وقيل معنى الاستثناء انه كان فيهم من يعبد الله وقالوا كان فيهم رجلان يكتمان ايمانهما وهما كتبا اسماء الفتية وقت مفارقتهم قومهم اي قال بعضهم لبعض واذ فارقتم قومكم والهتهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته يبسط لكم ربكم ما يصلح لكم دينكم ومعاشكم • وقوله تعالى ويهيئ لكم من امركم مرفقا • قرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر مرفقا بفتح الميم وكسر الفا • وقرا الباقون بكسر الميم وفتح الفا وهما لغتان فيما يرتفق به اي ينتفع به • وقيل اراد به الغدا وكانوا يحتاجون اليه ويخافون الخروج والطلب فدعوا الله ان يهيئ لهم ذلك • وقيل واذ اعتزلتموهم خطاب من الله لهم الهاما واخبارا انه فعل بهم ذلك كما قلنا في قوله فقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض اي اسكناهم فقلنا هنا اويناهم في الكهف وكفيناهم امر القوت كما فعلنا بمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا • وقيل به على الطريقين • وقوله تعالى وترى الشمس الاية • قال القشيري رحمه الله من تبرا من اختياره واحتياله وصدق رجوعه الى الله في احواله ولم يستعن بغير الله في اشكاله اواه الى كنف نعماه وكفاه جميع اشغاله وهيا له محلا يتنعم فيه من ظلال اقباله • وقوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين • قرا ابن عامر تزور مثل تحمر • وقرا عاصم وحمزة والكسائي تزاور خفيفة • وقرا الباقون تزاور مشددة واصله تتزاور فعلى الادغام تشدد وعلى الحذف تخفف والازورار الميل والانحراف • وقوله تعالى واذا غربت تقرضهم ذات الشمال تعدل عنهم وتميل يسرة • وقال ابو عبيدة تخلفهم وتجاوزهم وتقطعهم وتتركهم عن شمالها • قال ذو الرمة •

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف • شمالا وعن ايمانهن فوارس •

وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان الكهف تقابل بنات نعش وكانت الشمس تميل عن كهفهم في طلوعها وغروبها وجريها الا ان مطلعها كان على يمينهم ومغربها على شمالهم فلم يكن في حال يدخل عليهم فتوذيهم بحرها وتغير الوانهم وتبلي ثيابهم وكانوا في فجوة اي في متسع فينتفي بذلك عنهم غمة الغار وكربه • وقوله تعالى ذلك من ايات الله اي ما اختاره الله تعالى لهم من هذا الموضع هو لطف من الله باوليائه • وقيل بل كان عدول الشمس عنهم في طلوعها وغروبها وجريها خارجا عن العادة تخصيصا لهم ليكون ذلك من ايات الله كرامة لهم وتغيير العادة بطريق الكرامة جائز لاولياء الله عند اهل السنة والجماعة وكان هذا في حقهم كابقائهم احياء في طول هذه المدة من غير غذاء وابقاء ثيابهم على حالها كذلك وقوله تعالى وترى الشمس خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد به حقيقة الرؤية لكن معناه تحصيل العلم بالاخبار عن احوالهم • وقوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي يعني اولا الفتية ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا من يواليه ويتولاه ويرشده الى المصالح • وقيل ذلك من ايات الله ما اخبر ناس قصتهم انه صدق دعوتك النبوة فمن هداه الله تعالى لها صدقك ومن اضله الله تعالى كذبك • وقوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود جمع يقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان قيل اذ لا تنضم اعينهم حال نومهم • وقيل اي لكثرة تقلبهم كما يتقلب اليقظان وقوله تعالى وهم رقود اي نيام • وقوله تعالى ذات اليمين وذات الشمال اي جعلناهم يتقلبون يمينا وشمالا واضاف التقليب الى نفسه لانه بتخليقه • وقيل كانت الملائكة تقلبهم بامر الله تعالى وهذا في رقدتهم قبل ان يشعر بهم قومهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولولم يقلبوا لاكلتهم الارض • وقال ابن عبد ربه كانوا يقلبون في كل عام مرتين • وكذا عن سعيد وقال الكلبي وجماعة في كل سنة على جنب • وقال مجاهد مكثوا ثلثمائة سنة على شق واحد وكانوا يقلبون في تسع سنين • وقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه • وقيل كان لهم كلب فتبعهم • وقيل لاحدهم فتبعه • وقال ابو روق لم يكن الكلب من شانهم لكنهم مروا براعي غنم فقالوا اين تذهبون فقالوا نفر بديننا من هذا الجبار فقال الراعي ما انا اعنى عن ديني منكم وترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه • قال ابن جريج وكان كلبه احمر اسمه قطمور • وقوله تعالى بالوصيد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك بالفنا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية بالباب ولم يكن له باب ولكن اراد موضع الباب وكذلك قال ابو روق هو الشعب وقال ابن جريج بمسك عليهم • وقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا • قرا ابن كثير لمليت بالتشديد للمبالغة • وقرا الباقون بالتخفيف على اصل الفعل الثلاثي المتعدي رعبا اي خوفا وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد به اطلاعه حقيقة لكنه الاخبار على تقدير ان احدا لو اطلع عليهم كان كذا تقول لو نظرت اليهم في كهفهم نظرا من فوقهم لهربت منهم ولمليت منهم رعبا اي خوفا • وقيل في معناه وجوه احدها لو رايتهم لظننت انهم يريدونك لان اعينهم كانت مفتوحة • وقيل هذا وصف وحشة مكانهم اي لو نظرت الى موضعهم لهالك

وحشة

وحشة مكانهم وكان الله تعالى لطف بهم بهذا الموضع الوحش لتنفر الناس عنهم ولا يقربوهم لطلبهم او يكون مدخلهم مرضا منهم من هذا الموضع • وقيل كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لئلا يصلوا اليهم • وقال الامام القشيري رحمه الله كما ذكرهم ذكر كلبهم ومن صدق في محبة احد احب من ينسب اليه • وقيل كلب خطا مع احبابه خطوات فذكره الله تعالى في كتابه ايرى انه من يصحب اولياءه من وقت شبابه الى مشيبه يرده يوم القيامة خائبا • وقيل قالوا للراعي اصرف الكلب عنا فقال لا يمكنني اني اربيته ولما ضربوه قال لا يمكنني ان انصرف لانه رباني • وقيل كلب بسط يديه على وصيد الاولياء فالى القيامة وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قيل وغيرنا مسلم الى الله خمسين سنة يردها خائبة فهذا لا يكون • وقال يقول الله تعالى في حقهم سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ويقول في حقنا ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الاية فشتان ما بين المنزلتين • وقال المحاورون الكلب قدره وضع على الوصيد يديه بقي مع الاحباب وكذا من حفظ ادب الخدمة • وقوله تعالى وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا عليهم ابدانهم وثيابهم وكذلك ايقظناهم ليتساءلوا بينهم اي كانت عاقبة امرهم ان يتساءلوا بينهم اي كانت عاقبة امرهم عن مدة لبثهم في النوم • وقال قائل اي رئيسهم كم لبثتم قال انما سالوهم لانهم راوا ما فاتهم من العبادة في ذلك النوم عند انتباههم وقالوا لبثنا يوما • قال الحسن دخلوا الكهف اول النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو اخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم راوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم فكان عندهم كذلك فلم يصفوا انفسهم بالكذب ولم يواخذوا • وقوله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما استدل بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لانه قال في الاية قال قائل منهم وهو واحد وقال في جوابه قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا فعل الجمع واقله ثلاثة ايام ثم بعده قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع اخرين سواهم لانه قال قالوا وهذا جمع • وقال ابعثوا احدكم وهذا خطاب الجمع منهم ثلاثة اخرون فصاروا سبعة • وقوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة • قرا ابو عمرو وحمزة وعاصم في رواية ابي بكر بورقكم بسكون الرا • وقرا الباقون بورقكم بكسر الرا • وعن ابي عمرو ادغام القاف في الكاف وتفسيره بفضتكم هذه وكانوا اخذوا فضة للحاجة اليها في طريقهم • وقوله تعالى فلينظر اي هذا المبعوث ايها ازكى طعاما فليشتر وفيه دليل جواز الوكالة والزكاة في اللغة عبارة عن النما وعن الطهارة واختلف في تفسيره هنا • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي احل ذبيحة وكانوا يذبحون للطواغيت • وقيل كانوا يذبحون الخنازير • وقيل كانوا ياكلون الميتة • وقيل ازكى طعاما ما لا غصب فيه ولا ظلم • وقال سعيد اطيب طعاما والذ • وقيل اكثر ريعا • وقيل ارخص واجود تقال الطعام زكي اي رخيص جيد • وقوله تعالى فلياتكم برزق منه عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وهو عن علي رضي الله عنه ايضا انه الارز وعلى هذا قوله ازكى طعاما اي اكثر ريعا فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير قليل البضاعة • وقوله تعالى وليتلطف اي وليستعمل دقائق التدبير في دخول المدينة وشراء الطعام ليخفي مكانه فلا يعلم به في ذهابه وايابه • وقوله تعالى ولا يشعرن بكم احدا اي لا يعلمن باخباركم ويحتمل تركنا التلطف فيشتهر به فيكون ذلك اشعارهم • وقوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم اي يقتلوكم • وقوله تعالى او يعيدوكم في ملتهم اي يردوكم الى الكفر • وقوله تعالى ولن تفلحوا اذا ابدا اي ولن تفوزوا بخير ابدا اذا عدتم • وقوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما اطلعنا عليهم • وقيل اظهرنا وهو قول ابن جريج واصله ان من عثر برجله على شيء وهو غافل نظر اليه حتى يعلمه فاستعير العثور للظهور ومعنى وكذلك اي لما كانت قصتهم اطلعنا عليهم الناس • وقيل كالذي اخفينا اثارهم على اهل عصرهم اشعرنا بذلك من بعدهم لما كان فيه من الحكمة • قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما بعثوا تمليخا ودخل المدينة انكر اهلها ولم يعرف منهم احدا وكان ظهر على البلد ملك مسلم يقال له استيحا وحملهم على الاسلام ومحوا الاصنام فاتى تمليخا الى حانوت خباز فاخرج ورقه فانكر الخباز فقال له انك وجدت كنزا وهذه الدراهم من ضرب دقيانوس فان اعطيتني من ذلك الكنز والا رفعت امرك الى الملك قال اتى بها مع اصحاب لي من البلد فرفعه الى الملك فقال له الملك من اين جئت بهذا الدراهم قال خرجت به من هذه البلدة عشية امس فقال الملك تريني انك مجنون تخبرني من اين جئت بهذا الدرهم او لاقتلنك فقص عليه القصة وكان هناك شيوخ فقالوا ايها الملك حدث اباونا ان فتية سبعة فروا بدينهم من دقيانوس ولعل هذا صادق فاركب حتى نخرج معك ننظر الى الكهف ولعلهم فلعل هذا امر يريد الله ان يظهرك عليه فركب الملك وركبوا حتى اتوا باب الكهف فسبقهم تمليخا وقال لهم اتاكم الملك فظنوا انه دقيانوس الكافر وخافوا على انفسهم فدخل عليهم الملك والناس وسالوهم فبينما هم يحدثونه اذ سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا لعجب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم نبني عليهم بنيانا • وقال بعضهم نتخذ مسجدا على باب الكهف وقد روينا انهم لم يدخلوا عليهم وعمي عنهم مكانهم حين دخل تمليخا وانما علم اهل مصر خفية البعث استدلالا باخبار تمليخا منهم وثبت عندهم صدقهم بما شاهدوا من افعاله وما معه • وقوله تعالى ليعلموا ان وعد الله حق اي استدلوا بذلك على ان وعد الله حق وانه قادر عليه وان الساعة اتية لا ريب فيها

لا شك فيها فيما بها • وقوله تعالى اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم يتنازع اهل ذلك العصر في امر الساعة فيقر به بعضهم
وينكره بعضهم ليعرفوا جميعا ان البعث حق بهذه الدلالة ومعنى امرهم اي الامر الذي فيه تنازعهم ويتنازعون بمعنى تنازعوا
او كانوا يتنازعون وقيل كان تنازعهم في البنا فقالوا ابنوا عليهم بنيانا نعرف كما يبنى على قبر الرجل المذكور • وقيل كان باب
الكهف قد دفع بعد ما كان مردودا فقالوا ابنوا عليهم ما يسترهم فلا يدخل عليهم احد • وقيل قال الكفار يبنى بنا الكفار انهم
من عشايرنا فالمسلم على ديننا فقال الله جل جلاله ربهم اعلم بهم كما وصفنا • وقوله تعالى وقال الذين غلبوا على امرهم
عظماؤهم • وقيل مسلموهم لنتخذن عليهم مسجدا نتعبد فيه لانهم مسلمون فيتبرك المسلمون بالصلاة في مسجدهم لهم عندهم
وقوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم اي سيقولون بعض اهل الكتاب هم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم اي ويقول بعض ذلك رجما بالغيب • قال قتادة قذفا بالظن وذلك ان الغيب ما غاب عن الانسان
وما غاب انما يدرك بالاستدلال ولا يكون كالعيان في افادة الاتقان والرجم بالكلام وهو التكلم من غير تدبر • قال
وقال قطرب يقول فيه رجم اي يقول فيه بالظن وقوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم اي ويقول بعضهم ذلك
يعني اذا كانوا يختلفون انهم لا يتيقنونه فكيف يخبرونك به • وقال الكلبي قدم العاقب والسيد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالهما عن عدد اصحاب الكهف • قال السيد واصحابه ثلاثة رابعهم كلبهم • وقال العاقب
واصحابه خمسة سادسهم كلبهم • وقال بعضهم سبعة وثامنهم كلبهم فنزلت الاية وذهب ذاهبون الى ان الله تعالى بين
فيه للنبي صلى الله عليه وسلم عددهم بقوله سبعة وثامنهم كلبهم لانه ذكر القولين والحق بهما رجما بالغيب وذكر القول
الثالث وحققه بقوله وثامنهم لان الواو عطف على قوله وهو اخبار من الله تعالى وليس بعده رجما بالغيب • وقوله
تعالى قل ربي اعلم بعدتهم فنهوا لصدق دون ما قالوه بالظن وكذا قوله ما يعلمهم الا قليل هذا اثبات علم قليل
من الخلق • وقال جماعة منهم الامام منصور رحمه الله لم يبين الله تعالى ذلك لا لاهل الكتاب ولا للنبي عليه السلام
ولو كان اعلمه لم يقل ولا تستفت فيهم منهم احدا لان كلمته تغنيه عن السوال عنهم • وقوله تعالى وثامنهم كلبهم
خبر لقوله رابعهم كلبهم سادسهم كلبهم • وقوله وثامنهم كلبهم لا فرق بين ذلك الواو وطرحها قال قل ربي اعلم بعدتهم
وهو قطع عليهم • قال تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم • وقال تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون • وقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اثبت الواو في بعضها دون بعض وقوله
تعالى ما يعلمهم الا قليل يبين من يعلمهم من هو الملائكة او غيرهم ويجوز ان يكون هذا نفيا لعلم الكل كما قال تعالى
فلا يؤمنون الا قليلا اي لا يؤمنون اصلا • وقد قال السدي لا يعلمهم الا قليل اي ليس احد يعلمهم كعزلهم
هذه الارض فلما تثبت اي لا تثبت اصلا • وقوله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي لا تجادل في اصحاب الكهف
اهل الكتاب الا جدالا ظاهرا اي قل لهم انكم تقولون هذا بغير حجة ولا خبر من عند الله ونحو هذا ولا تستفت فيهم
في اصحاب الكهف منهم من اهل الكتاب احدا اي قل لهم انهم لا يعلمون ذلك • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وليس
بنا الى معرفة عددهم واسمائهم حاجة لو كان لنزل الله تعالى ذلك في كتابه • وقال كعب اسماؤهم مكسلمينا وهو
كبيرهم ثم تمليخا وهو الذي بعثوه لشراء الطعام ونواس وصدار ويليبوس ومرطيوس • قال عبد الله بن عمر
واذا وقع الحريق في موضع نكتب هذه الاسماء على قطعة قرطاس وطرحه في النار الحريق طفي باذن الله تعالى • وقد
روينا عن وهب في اول القصة طريقا اخر في اسمائهم • وقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله • قال الاخفش والكسائي والفراء اي الا ان تقول ان شاء الله وحذف القول ثانيا تخفيفا لذكره في
صدر الكلام • وقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي صل لربك اذا نسيت الصلاة حتى فاتت • وقوله تعالى
وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا • قال اي عسى ان يخبرني ربي عما سالتموني قبل فيكون ذلك رشادا
وهذا ارشد منه • وقال محمد بن اسحاق ولا تقولن لشيء اذا فعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فانك لا تدري ما انا
صانع وقل عسى ان يهديني ربي بخبر ما سالتموني عنه ويبين لكم ولي افضل مما سالتموه • وقيل كان ما امروا
ان يقول هذا الكلام ليصاحبين وعدهم بما نفعل غدا اي قل وعدتكم ان افعل كذا غدا او اخبركم عن كذا اذا اخبرني
الله تعالى بذلك ولو كان الاقرب الى الرشاد ان لا اخبر بذلك هذا في الى ذلك فليس كما اسال له يجيبني الى ذلك
بل يفعل ما يريد واذا قال ذلك خرج من الخلف اذا لم يفعل وقد بينا في هذه القصة سبب نزول هذه الاية
واختلفت الروايات في مدة ابطاء الوحي عليه ففي بعضها خمس عشرة ليلة وفي بعضها اربعون ليلة وفي
بعضها ايام قليلة وقال له جبريل عليه السلام حين سال عن ابطاء الوحي وما نتنزل الا بامر ربك • وفي
رواية قال انا لا ندخل بيتا فيه كلب وصورة وكان في البيت جرو الكلب • وقال الامام القشيري رحمه الله
واذكر ربك اذا نسيت نفسك فاذ ذكرك نفسك يمنعك عن استغراقك في شهود مذكورك • وقال ايضا
واذكر ربك اذا نسيت ذكرك فان العبد اذا كان ملاحظا الذكر كان ذكيرا لذا كرلمذكوره • وقيل اذا نسيت
خلقك منه • وقيل واذكر ربك اذا نسيت غير ربك • وقال ذو النون من ذكر الله حقيقة نسي كل شي فحفظه الله
بكل شي وكان له عوضا عن كل شي • وقوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين • قرا حمزة والكسائي ثلثمائة

سنين بغير تنوين فوقع ثلثمائة على الافراد واتبع الجمع اخلا الافراد اختصارا لدلالة على الجمع بما سبق من ذكر المدة
وقرا الباقون ثلثمائة سنين منونة على تقدير ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة فالاول طرف والثاني ترجمة وهو كقول
زهير • وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا • على صير امر ما يمر وما يحلي
اي على اثرات من تسعة • وقيل هذا اخبار من قول اهل الكتاب انهم يقولون ذلك ثم قال قل الله اعلم بما لبثوا فرد
علم ذلك الى الله تعالى • وقوله تعالى وازدادوا تسعا • قيل تسع سنين • وقيل هو مبهمة لا ندري انها سنون او شهور او ايام
او ساعات • وقيل كانت ثلاث مائة سنين شمسية وازدادوا عليها التسع سنين قمرية • وقوله تعالى له غيب السموات
والارض اي ما لك عليها والعالم به وهو ما غاب عن حواس الخلق • وقوله تعالى ابصر به واسمع اي ما اسمعه وما
ابصره على له وما يكون منه ومنها لغة وصفه بالسمع والبصر • وقوله تعالى ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه
احدا من حكم الانفراد بعلم الغيب والعلم بمدة لبثهم عنده فليس لاحد ان يحكم فيه بشي • وقيل
هو قول مجاهد هذا الاخبار من الله تعالى ان لبثهم كان ذلك ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا اي اعلم بما من خلقه
الذين يدعون علم ذلك من اهل الكتاب اي هذا الاخبار من الله بل هو احق الصواب لان الله تعالى اخبر به وهو عالم
ذلك له غيب السموات والارض • وقيل ما لهم من دونه من ولي يرجع الى اصحاب الكهف اي لم يكن لهم على تلك الحالة
حافظ الا الله تعالى • وقيل يرجع الى اهل الكتاب ان ليس يرد عنهم عذاب الله ان جعلهم واختلافهم • وقرا ابن
عامر ولا تشرك بالتاء على المخاطبة والجزم على النهي وهو عطف على قوله ... ومن عداهم ولا يشرك في
حكمه احدا اي لا تسال احدا اخبرك الله تعالى به عن عدد اصحاب الكهف ومدتهم فان الله قد اخبرك عنه
وقوله تعالى واتل ما اوحي اليك من ربك اي اقرا واتبع القرآن الذي اوحاه الله اليك • وقوله تعالى لا مبدل لكلماته
اي لا مغير لما فيه ويدخل في هذه الجملة ما اخبر به عن اصحاب الكهف مما يختلف فيه اهل الكتاب وغير ذلك مما اخبر به
وقوله تعالى ولن تجد من دونه ملتحدا ملجا تعدل عنه اليه الا لزوم كتابه والعمل به فانك ان خالفته لم يعصمك من عذابه
بلا رسول له ومن قبله فلا رب له ومن قربه فلا بعد له • وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي ولما اخبر بقصة اصحاب الكهف وكانوا قالوا له ان اخبرتنا بما سالناك عنه صدقناك واتبعناك
فلما اخبرهم قالوا اطرد عنك الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبعك فانزل الله تعالى هذه الاية في نهيه
عن ذلك • وروي عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر
والاقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم
سلمان وابا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك واخذنا
عنك فانزل الله تعالى واتل ما اوحي اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا يهددهم بالنار فقام النبي صلى
الله عليه وسلم يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا والممات • وعن الحسن ان مشركي العرب كانوا يقولون للنبي صلى الله
عليه وسلم اذا اردت ان نجالسك فاطرد عنا هؤلاء فانا قوم لنا اخطار واحساب فانزل الله واصبر نفسك
الى قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وقد ذكرنا طرفا في هذا في سورة الانعام • وقوله تعالى واصبر نفسك
اي احبس نفسك معهم ولا تطردهم بقول المشركين فهم احق بمجالستك اذ هم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه قاصدين التوحيد اليه طالبين رضاه وقد فسرنا الدعا ومعنى الغداة والعشي في سورة الانعام
وقوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم اي ولا تجاوز عيناك عنهم الى اوليائك • وقوله تعالى تريد زينة الحياة
الدنيا هو على الحال وتقديره مريدا التزين باولئك الاغنياء الاشراف • وقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا اي جعلناه غافلا عن ذكرنا ودل هذا على خلق الله تعالى افعال العباد • وقوله تعالى واتبع هواه اي
عبد ما استحسنه من الاصنام بهوى نفسه • وقوله تعالى وكان امره فرطا • قال اهل اللغة اي مجاوزا فيه الحد
بمعنى المفعول وهو من الافراط • وكذلك قال الكلبي فرطا اي افراطا كافراط عيينة واصحابه قالوا انا رووس
مضر ان نسلم يسلم الناس • قال ابو عبيدة فرطا اي تفريطا اي تضييعا • قال القتبي فرطا اي سرفا واصله
العجلة والسبق يقال فرط منه قول قبيح اي سبق وفرس فرط اي متقدم ومجاوز حد ضياعا • وقال قتادة ضيع
ماله واضاع دينه • وقال الخباب فرطا هلاكا • وقيل ندامة • وقال ابو مسلم اي عجلة • وقال محمد بن جرير وكان
امره في سرف واحتقار اهل الايمان سرف وتجاوز وحده • وقال النعمان افرط انا له واحب ان يرتفع عند الله
تعالى بغير تقوى • وقال الامام القشيري رحمه الله في الاية واصبر نفسك ولم يقل قلبك لان قلبه مع الحق
فامره بصحبة الفقراء جهرا بجهده واستخلص قلبه سرا لنفسه • وقال يريدون وجهه لا الدنيا هم كانوا بها ولا العقبى
بطلابيها • وقال ولا تعد عيناك عنهم لما نظروا بقلوبهم الى الله امر رسوله بان لا يرفع بصره عنهم وهذا جزاؤهم
في العاجل كانه قال لحيطنا نظرك اليوم عليهم ورعية لهم الينا وعلما بما يعوقهم اليوم من نظرهم الينا فلا نقطع منهم
اليوم نظرك اليهم فانا لا نمنع غدا نظرهم الينا • وقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي شغلناه عنهم

فيما لا يعنيهم • وقيل السيئات هم مما فاتهم من الحق لا يجتهدوا على ذلك وقالوا من امارات الغفلة طول الامل وسوء العمل والتفريط
في اوقات الكسل • وقيل هي ترجمة الوقت في غير تضييع الفرض وادامة الشغل • وقوله تعالى وقل الحق من ربكم وهو الايمان به
فلا ينبغي ان ينظر بضعفا اهله وفقرهم بل يعرف هو بنفسه • وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اي فقد بان الحق
فليختر لنفسه ما شاء من الايمان به والكفر به على علم بان من كفر فجزاؤه ما ذكرنا في هذه الاية ومن امن فجزاؤه ما ذكرناه
في هذه الاية التي بعدها وهذا صيغة صيغة امر وفي الحقيقة هو اشد تهديد وابلغ زجر • وقيل الحق من ربكم هو امر
بالصبر مع هولاء • وقيل الحق من ربكم هو الوعد والوعيد المذكوران في هذه الاية والتي بعدها • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال معناه من شاء الله له الايمان امن ومن شاء له الكفر كفر وهو كقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله • وقوله
فليؤمن في هذا صيغة امر بمعنى الخبر كما روينا اذا لم تستحي فاصنع ما شئت • وقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا اي
هيانا لمن ظلم نفسه فكفر نارا وهي الجحيم احاط بهم سرادقها هو ما احاط بالبناء من الستر كالحائط ونحوه لك اخبار النار
شبهها بذلك يحيط بهم من كل وجه اي لا تخلص لهم منها ولا يخرج ولا فرجة يستروحون بالنظر الى ما وراءها • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو حائط من نار • وقال الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بهم كالحظيرة • عن الكلبي هو دخان يحيط
يشوي الوجوه • بالكفار يوم القيامة وهو الذي قال الله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب • وقوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا
بما كالمهل • وقوله تعالى يغاثوا اي يوتوا بما كالمهل مكان ما يغاث به المستغيث من العطش وهو مجاز كقول الشاعر تحية
بينهم ضرب وجيع • وكقول اخر

ليس بيني وبين قيس عتاب • غير طعن الكلى وضرب الرقاب •

وقوله تعالى بئس الشراب اي هذا المهل بئس الشراب وساءت مرتفقا اي ساءت النار مجتمعا للرفقة لان فيها هم الشياطين
والكفار الملاعنين • قال مجاهد وساءت مرتفقا مجتمعا • وقال ابو عبيدة متكا من المرفق • قال ابو ذويب

بات الخلي وبت الليل مرتفقا • كان عيني فيها الصاب مذبوح •

وهو مجاز كانه قال بئس موضع طلب الراحة كما قال بئس المهاد • وقيل هو من الارتفاق الذي هو الانتفاع والمرتفق موضع
الانتفاع وهو مجاز ايضا كانهم طلبوا الشراب لينتفعوا به ويبرد واظماهم فسقوا هذا مكان ما طلبوا • وقوله تعالى ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات قيل جوابه اولئك لهم بالمنازل العالية واعترض بينهما انا لا نضيع اجر من احسن عملا • وقيل
جوابه انا لا نضيع اجر من احسن عملا لكن بضم فيه منهم اي من احسن منهم فتعود الها الى المبتدا • وقيل انا لا نضيع اجر من احسن
عملا بدل عن المبتدا الاول والجواب له ويكون جوابا للاول تقديرا وهو كقول الشاعر •

ان الخليفة ان الله سربله • سربال ملك به ترجى الخواتيم •

يقول ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي بالحق الذي جاءهم من ربهم • وقوله اولئك لهم جنات عدن اي اقامة
من ذهب • تجري من تحتهم الانهار اي تحت قصورهم واشجارهم وسررهم • وقيل بامرهم • وقوله تعالى يحلون فيها اي في الجنان
من اساور جمع سوار يقال سوار وجمعه اسورة وجمع الاساور وهي حلية تلبس في اليد • وقوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا
من سندس واستبرق السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه واصله فارسي معرب استبرق • قال المر [illegible]

تراهن يلبسن المشاعر مرة • واستبرق الديباج طورا لباسها •

وقوله تعالى متكئين نصب على الحال فيها اي في جنات عدن • وقوله تعالى على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة
لا يسمى بها الا ان يكون كذلك والحجلة البيت في الكلة • وقوله تعالى نعم الثواب اي الجزاء • وقوله تعالى وحسنت مرتفقا
اي وحسنت الجنة مجتمعا للرفقاء كما قال وحسن اولئك رفيقا • وقيل وحسنت الارائك متكا [illegible] • وقال القشيري رحمه
الله انا لا نضيع اجر من احسن عملا من حط حظوظه الينا وجد حظوة لدينا • من نقل الينا قدمه • غفرنا له ما قدمه • من النجي
الى كرمنا • اوتيناه الى الظل نعمنا • من شكا فينا قليلا • مهدنا له في ذري فضلنا مقيلا • وقوله تعالى وقال من احسن عملا
اي غاب عن رؤية احسانه • وقوله تعالى اولئك لهم جنات هم اصحاب الجنات في رغد عيش وسعادة الابد وكمال الرفد
يلبسون حلل الوصلة • ويتوجون بتاج القربة • ويحلون بحلي المباسطة متكئون على الارائك الروح يشمون رياحين
ونعم • الانس يتنعمون في مجال الرفعة يسقون شراب المحبة ياخذون بيد الزلفة ما يتحفهم الحق بغير واسطة فسقاهم
ربهم شرابا طهورا يطهر قلوبهم عن محبة كل مخلوق نعم الثواب ثوابهم ونعم الرب ربهم الدار دارهم ونعم الجار جارهم
ونعم الحال حالهم • وقوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين هذا تاكيد ما سبق من النهي عن ترك الاقبال على ضعفاء المؤمنين
والتجاوز عنهم الى اقوام المشركين وتعليم للناس صحبة اهل الخير والدين • وقوله تعالى واضرب لهم مثلا هذا تاكيد
اي صف يا محمد شبها رجلين ترجمة عن مثلا وكانا اخوين احدهما مسلم والاخر كافر جعلنا لاحدهما وهو الكافر • وقوله
تعالى جنتين من اعناب اي بساتين فيها اعناب • وقوله تعالى وحففناهما بنخل اي كان يحيط بهما نخل • وقال
ابو عبيدة اي اطفنا هما من حافيهما وهو من قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش اي محيطين به والحفاف
جانب الشي وحف به القوم اي صاروا في احفته جمع حفاف ودل على فضل العنب على الرطب حيث جعل النخل محيطا
به والمحاطة هو المقصود والاصل • وقوله تعالى وجعلنا بينهما زرعا اي بين الجنتين ارضا مزروعة • وقوله تعالى

كلتا

كلتا الجنتين اي كل واحدة منهما • وقوله تعالى اتت اكلها اي اعطت ثمرها ويجوز في الكلام اتت اكلها وهو كلمة كل مضاف
الى جمع فيفرد فعلها ويجمع • قال الله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة فردا • وقال تعالى وكل اتوه داخرين • وقوله تعالى ولم تظلم
منه شيئا اي لم تنقص من الاكل شيئا اي الثمر • وقوله تعالى وفجرنا خلالهما اي وسطهما نهرا كبيرا • وقرا يعقوب وفجرنا
بالتخفيف لان النهر واحد والباقون بالتشديد لما قلنا • وقوله تعالى وكان له ثمر قرا ابو عمرو بضم الثاء وتسكين الميم وقرا
عاصم بفتح الثاء والميم • وقرا الباقون بضم الثاء والميم فمن فتحهما فهو الثمر المعروف الذي يكون على الشجر ويجوز جمع ثمرة كالشجر
جمع شجرة وكان له اي لهذا الكافر في جنته كل ثمر بالضم فقد قال الكسائي هو جمع جمع يقال ثمرة وثمار وثمر وهو كالحمار والحمر
ويخفف ويثقل كما في الكتب • وقال غيره ويجوز ان يكون بالضم جمعا للثمر بالفتح كالخشب والخشب والاسد والاسد
وقيل بالضم هو المال المثمر • وقال مجاهد والسدي وقتادة اي كان له الذهب والفضة وكل مال وكذا كان ابن عباس رضي الله
عنهما يقرا بالضم ويقول هذه انواع المال • قال ابو عمرو والثمر المال والولد وانشد للحارث مهلا فداك الاقوام كلهم وما اثمر
من مال ومن ولد لحملته كثرة المال على الطغيان • وقوله تعالى فقال لصاحبه اي للاخ المسلم وهو يحاوره اي يراجعه الكلام
والحوار الرجوع • وقال تعالى انه ظن ان لن يحور • وقوله تعالى انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي امنع اصحابا فالنفر عشيرة
الرجل واصحابه الذين ينفرون بالذب عنه وينفرون الى عدوه الذي يقصده • ودخل جنته اي هذا الكافر اي بستانه
وهو ظالم لنفسه استغنى بنعم الله على الكفر به وجحود قدرته على البعث • قال تعالى ما اظن ان تبيد هذه ابدا اي [illegible]
ان هذه الجنة تهلك قط • وقيل هذه اشارة الى الدنيا اذ تبيد اي تفنى هذه الدنيا ابدا • وقوله تعالى وما اظن الساعة
قائمة اي ولا احسب البعث وما يذكر من الحساب والثواب والعقاب ما يكون • وقوله تعالى ولئن رددت الى ربي ولئن
كان الامر كما تصف انه كائن لاجدن خيرا منها منقلبا اي منصرفا يعني يعطيني الله تعالى في الاخرة افضل من هذين الجنتين
ظن انه اوتي في الدنيا بمحل له عند الله فكذلك يوتى في الاخرة كذلك • وقيل ظن انه كما تهيا له ان يكتسب ما اتخذ به هذه
الجنة في الدنيا تهيا له ذلك في الاخرة والاول اوجه ولهذا على انه كان شاكا في البعث كافرا لا قاطعا بنفسه وكذلك
ذكر ما يعتقد وفي مصاحف اهل الحرمين خيرا منهما رجوعا الى قوله ودخل جنته ويحتمل انهما كانتا جنتين متصلتين فيصح اي اخوه المؤمن
ان تسمى جنة وتسمى جنتين • وقوله تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق ادم الذي
هو اصلك من تراب ثم خلقك من نطفة ابيك ثم سواك رجلا اي خلقك من النطفة مع مهانتها وضعفها رجلا سويا
بنقله اياك من النطفة الى العلقة ثم الى المضغة ثم الى العظم ثم سواك لحما ونفخ فيك الروح فاخرجك من الموات الى
الحيوانية ثم من الطفولية الى ان صرت رجلا فاحتج المؤمن على الكافر بهذا وارادوا الى ان ما اقر به من قدرة الله تعالى
هو اعجب وابدع مما انكر من البعث والاعادة • قال الكلبي وهو يحاوره اي يجادله كما قال قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها الى قوله تحاوركما • وقال الصنعاني وهو يحاوره يسالهم عن ماله فيما انفقه وهو يقول انفقته في طاعة الله
رجا ثوابه لكنا هو الله ربي • قرا نافع في رواية الاصمعي وابن عامر لكنا • وروى ورش عن نافع بغير الف في الوصل
كقراءة سائر القراء السبعة ولم يختلفوا في الوقف انه بالالف واصله لكن انا تركت همزة انا فالتقت نونان فادغمت
احداهما في الاخرى وحذفت الالف الاخيرة كما حذفت في التكلم فانك تقول انا فتتكلم بالاخيرة • وقوله تعالى
هو الله ربي اي الذي خلقني من تراب ثم من نطفة ثم سواني رجلا هو الله ربي يعرفني كيف يشاء ان شاء اغناني وان شاء
افقرني • وقوله تعالى ولا اشرك بربي احدا اي لا اري الفقر والغنى الا منه ولا اراه من نفسي ولا من غيري من خلقه
ويحتمل ان اخاه الكافر كان عابد صنم فنفى عن نفسه ذلك • وقوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك اي هلا قلت
اذ دخلت بستانك ما شاء الله وله اضمار في اوله واخره اما في اخره ما شاء الله كان واما في اوله هذا ما شاء الله اي حصل
هذا بمشية الله وما هاهنا بمعنى الذي • وقوله تعالى لا قوة الا بالله اي ما قدرت على تحصيله الا بعون الله • وروي
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من راى شيئا يعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره • وقوله تعالى ان ترني
انا اقل منك مالا وولدا انا عماد للنون في ترن ومحله نصب لانه مفعول فاقل مفعوله ثاني • وقوله تعالى وولدا دليل على ان
المراد من قول اخيه واعز نفرا اي اعوانا من الاولاد وغيرهم يقول ان كنت تراني الان اقل مالا وولدا وانصارا منك
في الدنيا الفانية فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك في الاخرة الباقية ويحتمل في الدنيا اي يعطيني كما اعطاك • وقوله
تعالى ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا من السما اي عذابا واصل الحسبان المرمي والنبل الصغار وكانه قال سهاما
من السما شبه حسبانا لانها نبل معدودة محسوبة بجمع فيرمي بها • قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم حسبانا اي
عذابا • وقيل نارا تحرقها • وقال السدي بردا • وقال الزجاج عذابا هو حساب ما كسبت يداك لان الحسبان
هو الحساب • وقوله تعالى فتصبح صعيدا زلقا املس لا نبت عليها والصعيد وجه الارض والزلق الذي تزل عليه
القدم مكوسة وتصبح دليل على ان الحسبان ياتي ليلا وهو كقوله فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت
كالصريم او يصبح ماؤها غورا اي غائرا في الارض فيبيس • وقوله تعالى فلن تستطيع له طلبا اي لا تقدر ان تطلبه
فترده الى موضعه • وقوله تعالى واحيط بثمره تحقق ما ظنه الاخ المسلم واحيط بها جنته ليلا اي استؤصلت ما به
وقيل اهلك ما له كله الجنان وغير ذلك من امواله • قال مجاهد بثمره من ذهب وفضة وكل شي يملكه • وقال الضحاك

احاط به امر الله فهلك • وقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه اي احداهما على الاخرى يعني الكافر • وقال قتادة يصفق كفيه على ما انفق فيها اي في الجنة • وقوله تعالى وهي خاوية على عروشها • قال الكلبي ساقطة على سقوفها اي سقطت الاشجار على السقف • وقال ابو عبيدة اي خالية على بيوتها فاعوى الخلاء والعرش البيت • وقال الخليل خوت الدار اذا ماتت اهلها وهي قائمة بلا عامر ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا لما راى قدرة الله تعالى لا يموت • وقوله تعالى ولم تكن له فئة اي فئة الكافر فرقة ترجع اليهم وتلجئ ينصرونه اي يمنعون عنه عذاب الله من دون الله اي من المخلوقين ومن دون الله اي غير الله لا نصرة الا منه • وقوله تعالى وما كان منتصرا اي لم ينصره غيره ولا ينصر نفسه • وقيل لم يكن له ناصر فينتصر بنصرته وفي قراءة حمزة والكسائي ولم يكن بالياء لتذكير لتقدم الفعل ولوجود الحائل • وفي قراءة الباقين بالتاء للتانيث لانه تقل الفئة • وقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق قرا حمزة الولاية بكسر الواو والباقون بفتحها وهما لغتان كالرضاعة والرضاعة قال الفراء • وقيل بالكسر السلطنة وهي مصدر الوالي وبالفتح مصدر الولي ومعنى الفتح اي في مثل ذلك الوقت والمقام فانه هنالك لهما جميعا تكون الولاية لله جميعا يوالي اولياءه ويعليهم على اعدائه • وقيل يتولى امرهم ونصرهم ويكل الكفار الى انفسهم واعوانهم • وقيل اي هنالك يتولى العبد اليه فيرجع اليه ويعتصم به دون خلقه ومعنى الكسر الملك والسلطان والقهر والغلبة ونفاذ الامر وحده • وقوله تعالى لله الحق قرا ابو عمرو والكسائي الحق صفة للولاية • وقرا الباقون خفضا صفة لله عز وجل • قال تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق • وقوله تعالى هو خير ثوابا اي في الاخرة لمن امن به والتجا اليه • وقوله تعالى وخير عقبا اي عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه • وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع والكسائي عقبا مثقلة • وقرا عاصم وحمزة عقبا مخففة وهما لغتان كالشغل والشغل • وقيل هنالك الولاية اشارة الى يوم القيامة وجزاء الاخوين فيه • روي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم قال بلغنا انهما كانا اخوين ورثا مالا فاصاب كل واحد منهما اربعة الاف دينار • فاما احدهما فاتخذ بها الارضين والدور والبساتين واما الاخر فاعطى ماله اليتامى وابن السبيل فلما نفد ماله واحتاج الى الخدمة تعرض لرئيس له فقال له اخوه واين مالك قال اقرضته ربي وقدمته لنفسي قال ولكني اتخذت به لولدي ولنفسي وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وانا اكثر منك مالا وولدا واعز نفرا فكان بينهما ما قصه الله تعالى في كتابه وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في الصافات قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين • وقيل انهما كانا في بني اسرائيل • وقيل ضرب الله مثلا لرجلين اخوين من اهل مكة من بني مخزوم احدهما مؤمن وهو ابو سلمة ابن عبد الاسود بن عبد ياليل واسمه عبد الله وكان زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد بن عبد ياليل برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مؤمن والاخر كافر • قال ابن عباس رضي الله عنهما المؤمن يهوذا والكافر مطروس وساق القصة على نمرة • وقوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا يتصل بما تقدم من قصة المشركين على فقراء المؤمنين كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي هي المطر انزلناه من السماء • قوله فاختلط به نبات الارض اي سقى المطر النبات فالتف به النبات فزها النبات واهتز وحسن منظره ثم انقطعت المادة من ذلك عنه فيبس ثم تفتت • وقوله تعالى فاصبح هشيما اي صار هشيما مكسورا متفتتا • وقوله تعالى تذروه الرياح تقلبه وتطيره وترميه وقد ذرته الريح تذروه ذروا وذرته تذريه اذراء • وقوله تعالى وكان الله على كل شيء مقتدرا ينشئه ويفنيه اذا شاء ثم يعيده ويكره اذا شاء يعني ما يناله الانسان من هذه الدنيا من عزها وغناها زائل عن قريب كهذا النبات الحسن الذي يروق ثم يفنى ويزول فما ينبغي للعاقل ان يثق ولا يكترث بها • وفي قوله اختلط به نبات الارض وجه اخر وهو ان اختلاط النبات التفافه وكثافته اي التفت النبات وكثفت اي بسببه • ووجه اخر وهو ان الاختلاط اختلاف الالوان من ابيض واحمر واصفر واخضر وهو كقوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج • وتتصل هذه الاية بما قبلها من وجه اخر وهو ان ذلك الاخ الكافر قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فبين انها تصير هشيما فكذا سائر الدنيا • وقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا اي نتزين بها وتتجمل مدة قليلة ثم تزول وتنقضي • وقوله تعالى والباقيات الصالحات اي اعمال الخير هي باقيات يبقى اجرها ونفعها وصالحات لا ينقضي الفساد منها • وقوله تعالى خير عند ربك ثوابا ومما تؤمل بها خير من المال والبنين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ومحمد بن كعب وسعيد بن جبير ومسروق وعمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج • وقال ابن عباس في رواية وهو قول عثمان بن عفان وابن عمر ومجاهد وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيب هي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله • وعن النبي صلى الله عليه وسلم في طرق كثيرة انها فسرها بذلك فمنها ما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ولا حول ولا قوة الا بالله • ومنها ما روي انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه خذوا جنتكم من النار وقولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله هن المنجيات وهن المعقبات وهن سراج في الحسنات وهن الباقيات

الصالحات • وفي حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة وهي هن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وهن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة • وقال الضحاك الباقيات الصالحات هي الفرائض • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الكلام الطيب • وفي رواية عنه هو جميع اعمال الجنة • وقوله تعالى ويوم نسير الجبال قرا اهل الكوفة نسير بالنون والجبال بالنصب اخبارا من الله تعالى عن نفسه انه يفعل كذا • وقرا الباقون تسير بالتاء ورفع الجبال على ما لم يسم فاعله ثم القيامة وما فيها من الاهوال ويجيء الناس يومئذ منفردين عن الاموال مجزيين على الاعمال فيما لهم عن التكبر والترفع على الفقراء اي ضعفا بالثروة وحسن الاحوال فقال يوم نسير الجبال اي واذكر لهم يا محمد يوم نسير الجبال ونسيرها في الهواء كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهذه احوال متعاقبة تظهر في الجبال يومئذ وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكانت هباء منبثا وتكون الجبال كالعهن المنفوش وترى الارض بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل او شجر • وقيل ابرزت ما في بطنها من الموتى • وقيل لا مستتر فيها ولا اسمعا فيها • وقيل اي ترى اهل الارض بارزين • وقوله تعالى وحشرناهم اي جمعناهم بعد البعث للحساب • وقوله تعالى فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك احدا من الاولين والاخرين وهو ماض بمعنى المستقبل • وقوله تعالى وعرضوا على ربك اي يعرضون على ربك صفا قيل صفا واحدا • وقيل صفا بعد صف مستديرين كصفوف المصلين حول الكعبة • وقال الكلبي والصاغاني صفا بعد صف اي جمعا • وقيل صفا اي قياما كما قال فاذكروا اسم الله عليها صواف اي قياما • وقوله تعالى لقد جئتمونا فرادى اي يقال للمشركين المفتخرين بالاموال على الفقراء لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة في بطون امهاتكم حفاة عراة بلا اموال ولا اولاد ولا اعوان بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا • قال ابو عبيدة ان العرب اذا كانوا في كلام فارادوا الاخذ في غيره بداوه • وقيل تقديره ولقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بعد تعززكم بالاموال والاولاد وعاعدا فقد كنتم تقولون شرا من هذا لا بعث ولا نشور ولا موعد وهو ميقات بعث فيه • وقوله تعالى ووضع الكتاب اي ويوضع كتاب كل انسان في يده وهو واحد اريد به الجمع لانه جنس • وقوله تعالى فترى المجرمين اي المذنبين • وقيل هو قول السدي اي المشركين • وقوله تعالى مشفقين مما فيه اي خائفين مما في الكتاب • وقوله تعالى ويقولون يا ويلتنا لما رأوا اعمالهم محصاة عليهم فيه فعلموا انهم يجازون ثم عليها فنادوا بالويل • وقوله تعالى ما لهذا الكتاب وهي لفظة تعجب • وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يترك فعلة نحصيه دقيقة ولا فعلة جليلة الا اثبتناها بقدرها • قال السدي الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة • وقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا اي في الكتاب ذكره • وقوله تعالى ولا يظلم ربك احدا اي لا يعاقب بغير ذنب ولا ينقص ثواب طاعة • وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اي واذكر يا محمد قصة ادم وابليس اذ امرناه بالسجود لادم في جملة من امرناهم بالسجود له من الملائكة فسجدوا الا ابليس فانه فسق عن امر الله تعالى اي خرج بتكبره كتكبر هؤلاء المشركين بما اداه اليه تكبره وتعلموا انهم يفسقون بتكبرهم ايضا على فقراء المؤمنين • وقوله تعالى كان من الجن قيل هو جنس من الملائكة سموا به لاجتنانهم عن اعين الناس وهو كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اي الملائكة بقولهم الملائكة بنات الله وهذا قول محمد بن اسحاق • وقال قوم كان من الجن اي من خزان الجنان وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه كان من قبيلة يصوغون الحلي لاهل الجنة • وقيل بل كان من الجن الذين في الدنيا وهم المذكورون في قوله يا معشر الجن والانس ونحوها من الايات وقد بينا الاختلاف بين العلماء في ذلك وحجج الفريقين في سورة البقرة عند قوله الا ابليس ابى واستكبر ان هذا الاستثناء متصل ام منقطع وذكرنا المعتمد عليه في تلك السورة بحمد الله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني استفهام بمعنى التوبيخ والانكار اي تتولون ابليس واولاده بالطاعة لهم والاقتداء بهم • وقوله تعالى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا اي ابليس واولاده الواضعين التولي غير موضعه بدلا عن الله • وعن الشعبي رحمه الله انه قال سالني رجل فقال الاهل لابليس زوجة فقلت ان ذلك لعرس ما شهدته ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته اولياء فقلت لا تكون ذرية الا من زوجة • وروي ابو العلاء عن مجاهد في قوله افتتخذونه وذريته قال هم خمسة ثبر والاعور وزلنبور ومسوط وداسم اما ثبر فصاحب المصائب واما داسم فهو الذي في البيوت يا كل مع الناس اذا لم يسموا واما ثبر فصاحب شق الجيوب على المصائب كقولهم ويلاه وواثبوراه واما الاعور فصاحب الزنا يحمل كله على الناس واما مسوط فصاحب الكذب الذي يلقي ما لا اصل له • وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا • قال قتادة اي اعوانا اعتضدت به اي استعنت به وعضدا بمعنى الاعضاد كما في قوله سبحانه مثلا ويخرجكم طفلا وفيه وجوه قيل ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي لم استعن في خلق ما خلقته الى شيء من عونهم واشارتهم فكيف يكونون شركائي • وقوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا اي وما كنت اعتضد في شيء من تدبير خلقي بمن اعلم انه لا يريد بهم خيرا بل يريد اضلالهم • وقيل هذا رد لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله اي انهم يضلون عبادي وهم الجن • قال الله تعالى اخبارا عن الملائكة كانوا يعبدون

الجن اي المشركون كانوا يعبدون الشياطين اي لا اجعلهم شفعاء ولا يكونون عضدا لهم ويكونون نقديرين وما كنت متخذ المضلين
عضدا لعضلون بشفاعتهم مع انهم مضلون • وهذا خرجا شهدت هولاء المشركين الذين يهوون النبي صلى الله عليه وسلم
عن مجالسة الفقراء والضعفاء • وقوله خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي لم استعن بهم في شيء من تدبيري ولا
تقديري بل هم مخلوقون انا خلقتهم من ما مهين وما كنت لا تخذهم وهؤلاء لهم عضدا لانهم مضلون فلا اعتضد بهم
فيه بينا فلا تلتفت يا محمد الى قولهم لو اسلمنا اسلم الناس باسلامنا فانا مستغن عنهم • وقوله تعالى ولا خلق انفسهم
وان كان لا يتصور شهود الانسان خلق نفسه للاحاطة لانه مبالغة في النفي فلا تقتضي التصور وكانه قال ما خلقوا
انفسهم ولا اعانوا على خلق غيرهم • وقال محمد بن جرير اي ما اشهدت بعضهم خلق بعض فاستنصر ونزايه بل انفردت
بخلق جميع ذلك بغير معين وهو كقوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا يلمز بعضكم بعضا • وقوله تعالى فسلموا على انفسكم
اي فليسلم بعضكم على بعض • وقوله تعالى ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم • قرا
حمزة نقول بالنون والباقون بالياء اي واذكر لهم يا محمد احوالهم واحوال الهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم
نادوا شركاي اي ادعوا من زعمتم انهم شركاي وعبدتموهم دوني اي ادعوهم لينفعوكم ولينصروكم • وقوله تعالى
فدعوهم اي فعلوا ذلك فلم يستجيبوا الى ما دعوهم اليه • وقوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا • قال ابن عباس وقتادة
والضحاك وابن زيد رضي الله عنهم اي مهلكا وقد وبق وبوقا من حد ضرب وعلم جميعا اذا هلك وابنه غيره
اذا اهلكه وعلى هذا قول الكلبي معناه وجعلنا وصلهم هلاكا لهم • بعدا نقدروا نفعها وشفاعتها • ويحتمل ان يكون معناه
وجعلنا بينهم وبين الهتهم من الشياطين مهلكا بالنار والعذاب اي ادخلنا كلهم النار العابدين والمعبودين كما قال
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم • وقال مجاهد وابن جريج موبقا هو واد في جهنم • وقال عمرو البكالي هو
واد عميق يفصل بين اهل الجنة واهل النار • وقال عكرمة هو نهر في النار عليها حيات كالبغال يعني جعلنا بينهم
وبين معبودهم من الملايكة وعيسى وعزير هذا الوادي والنهر فهولاء في الجنة وهولاء في النار يدعونهم فلم
يستجيبوا لهم • وقال الحسن موبقا اي عداوة يوم القيامة اي يتلاعنون يوم القيامة ويتبرا بعضهم من بعض
وهو من الهلاك ايضا فكان الموبق عداوة مهلكة على هذا • قال قطرب موبقا اي محبسا يقال اوبقته اي
حبسته • وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المارين على الصراط ومنهم الموبق بذنوبه اي المحبوس • وقوله تعالى
وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها اي علموا او ايقنوا انهم داخلوها • وقيل حين يجا بالنار لها تغيظ
وزفير وعلموا ان ما تاتيهم فتاخذهم • وقوله تعالى ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا • وقوله تعالى ولقد صرفنا
في هذا القران من كل مثل اي صرفنا القول في كل نوع من الامور واثبتنا فيها بضروب الامثال فضربنا مثل البعث
بابتدا الخلق وباحيا الخلق والارض بعد موتها وضربنا مثل الشرك بالشركاء المتشاكسين ورجلا سلما لرجل
وضربنا الامثال للحق والباطل والمثل لمن اغتر بالدنيا وتعززه بينها من المال والولد • وقوله تعالى وكان
الانسان اكثر شيء جدلا اي والمشركون مع هذه الامثال يكثرون الجدال من غير علم • وعن ابي زيد قال هو خصومة
القوم لانبيائهم وردهم عليهم ما جاؤا به • وقرا ان هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
الايات يريد ان يتفضل عليكم الايات • وقوله تعالى لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات • وقوله
تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم اي وان يستغفروا والهدى القران
والاستغفار التوحيد تقول لم يمنع هولاء الكفار حين جاءهم الكتاب الهادي الى الرشد ان يومنوا به
ويستغفروا ما سلف من ذنوبهم • وقوله تعالى الا ان تاتيهم سنة الاولين اي الا التماسهم ان ينزل عليهم من
الايات ما حكي في مثلها انهم اذا لم يومنوا بها انزلت عليهم عذاب الاستيصال التي هو سنتي في الاولين من
السنة اليهم لانها سنة الله فيهم • وقوله تعالى او ياتيهم العذاب قبلا • قرا عاصم بضم القاف والبا وقرا
حمزة والكسائي ايضا جمع قبيل بمعنى ضروبا من العذاب • وقرا الباقون بكسر القاف وفتح البا بمعنى مقابلة
ومعاينة • وقوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي لهذا نرسل المرسلين لا بما التمسوه
من الايات التي تضطر الى الايمان فلا يكون لها ثواب ولا ينفع به تبشير • وقوله تعالى ويجادل الذين كفروا
بالباطل ليدحضوا به الحق اي انما تقترح الكفار الايات تعنتا ومجادلة بالباطل وقصدا منهم ان يبطلوا
بجدالهم الحق الذي انزله الله تعالى • وقوله ليدحضوا اي ليزيلوا به الحق من موضعه من قولهم دحضت رجله
اي زلقت وزلت ومكان دحض اي زلق • وقوله تعالى واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا اي انذارهم ما هزوا ايا
وقوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي ومن اظلم لنفسه وعقله ممن وعظ بالقران المعجز ولم يتعظ • وقوله
تعالى فاعرض عنها اي عن التدبر فيها • وقوله تعالى ونسي ما قدمت يداه اي بترك التدبر فيما تقدم من سوء
اعماله • وقوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية مما نعي من ان يفقهوه اي يفهموه وهو الخذلان لما علم
الله اختيارهم الضلال منهم • وقوله وفي اذانهم وقرا اي وجعلنا في اذانهم ثقلا مانعا ان يستمعوا الحق ويقبلوا
حذلانا لهم على سوء اختيارهم • وقوله تعالى وان تدعهم الى الهدى اي وان اجتهدت في دعائهم الى الايمان فلن يهتدوا

اذا ابدا اي فلن يرشدوا ابدا وهذا في قوم باعيانهم المتمردين المتعنتين الذين علم الله تعالى منهم انهم لا يومنون • وقوله تعالى
وربك الغفور ذو الرحمة اي الساتر لذنوب العباد الرحيم بترك التعجيل في العقوبة • وقوله تعالى لو يواخذهم بما كسبوا
لو اراد اخذهم بما فعلوا من الذنوب لعجل لهم عذاب الاستيصال في الدنيا بل لهم موعد اي وقت العذاب اذا جاء ذلك
الوقت لم يتاخر عنهم • وقوله تعالى لن يجدوا من دونه موئلا • اي من دون الله ملجا يلجاون اليه ويمتنعون به اذا نزل بهم
العذاب • وقيل اي من دون العذاب اي لن يجدوا شيا يلتجيون اليه سوى العذاب • وقيل كان هذا العذاب يوم
بدر • وقال السدي هو يوم القيامة • وقوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا اي اولئك اهل البلاد اهلكناهم وهي
القرى التي عرفتموها من قرى قوم لوط وشعيب وعاد وثمود ونحوها • وقوله تعالى وجعلنا لمهلكهم موعدا • قرا
عاصم بفتح اللام والميم • وروى حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام اي لهلاكهم موعدا اي اجلا • وقال الحسن لم يعد
الله قوما الا بموعد لو اعدهم الا بسمعه تقول تمتعوا في داركم ثلاثة ايام • وقوله تعالى في ذلك وهذا غير مكذوب
وتقول ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب • وقوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح اي واذكر يا محمد لهولا
المشركين المتكبرين على فقراء المسلمين قصة موسى وتواضعه الذي ذهب اليه ليتعلم منه فيه تقريعهم على تكبرهم
ومدح المومنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريف اهل الكتاب والمشركين ان معنا حال اصحاب الكهف وذي القرنين
على محمد صلى الله عليه وسلم وما خرا لوحيه لا يدل على انه ليس بنبي فان موسى عليه السلام كان نبيا اصطفاه الله
تعالى لكلامه ثم ذهب طلبا من العلم ما علمه غيره حتى احتاج الى الارتحال اليه وطلبه منه • وقوله تعالى واذ قال
موسى اي موسى بن عمران وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وعامة المفسرين رضوان الله عليهم اجمعين • وقوله
لفتاه وهو يوشع بن نون وطلبه الاكثر وهو ابن اخت موسى • وقال الحسن لفتاه اي لعبده • وقال محمد بن اسحاق
هو موسى بن ميشا بن يوسف وكان نبيا في بني اسرايل • وقيل موسى بن عمران وزعم اهل التوراة انه هو الذي طلب
العلم عند الخضر • وقيل لابن عباس رضي الله عنهما كذب نوف حدثني ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان موسى بن عمران صلوات الله عليه سال ربه فقال يا رب ان كان في عبادك احد اعلم مني فادللني عليه فقال له نعم
في عبادي من هو اعلم منك ثم نعت مكانه واذن له في لقايه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون وذكر الحديث
وقال محمد بن اسحاق يوشع بن نون هو الذي نباه الله في زمن موسى وبعده وهو الذي افتتح اريحا وقتل جبابرتها
ورد له الشمس يومئذ • وقوله تعالى لا ابرح اي لا ازال اسير • وقيل لا ازال سيري • وفي قوله ولن ابرح
الارض اي لا ازال مقيما حتى ابلغ مجمع البحرين • قال قتادة بحر الروم مما يلي المغرب وبحر فارس مما يلي المشرق
وقال محمد بن كعب طنجة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما مجمع البحرين الخضر والياس وهما بحران في العلم • وقوله
تعالى او امضي حقبا • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي دهرا • وقال قتادة زمانا • وقيل هو سنة بلغة قيس •
وقال مجاهد سبعون سنة • وقال عبد الله بن عمر ثمانون سنة قيل لما اعلمه الله حال الخضر ولم يعلمه موضعه بينه
وانما جعل له علامة اجرانه قد وطن نفسه على طلبه وان احتاج الى قطع مسافة بعيدة ويرجيه مدة طويلة •
وقوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما اي انطلقا حتى بلغا مجمع البحرين • وقوله تعالى نسيا حوتهما اي دخل البحر الحوت
الذي كانا يرجوانه وشاهد ذلك يوشع وكان موسى بحيث لم يره فارتحلا من ذلك الموضع ونسي يوشع ان يذكر ذلك
لموسى ثم قوله نسيا مع ان الناسي يوشع وحده فعند العرب طريقه طريق قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وهو
يخرج من الملح دون العذب • وقوله تعالى يا معشر الجن • وقيل كانا معا تزودا الحاجة التي في سفرهما وفي هذا وكانا
يدا احدهما تضاف اليهما الا تقال تعقل الرجل كنا في سفر كذا ومعناه من الزاد كذا في يد من يقوم بامر الرفقة لا لتعافهم
على ذلك • وقوله تعالى فاتخذ سبيله في البحر سربا اختلف في معناه • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي جعل سبيله
في البحر كالسرب اي النفق الذي يدخل فيه فيسلك منه الى موضع • وقال ابو عبيدة وقطرب والاخفش سربا اي
مسلكا ومذهبا يسرب فيه كما قال وسارب بالنهار وقد سرب سروبا اي مضى وذهب • وقيل صار طريقه كالطاق
وقيل بل جمد طريقه حتى سلك فيه • وقيل بل صار حجرا مضى عليه • وقال ابن زيد حيي الحوت في البطحا بعد موته
ثم مشى على البطحا الى البحر • وذلك هو السرب اي الطريق على البطحا الى البحر ثم انغمس فيه • وقيل كان يغسله
على الشط فوثب فانسرب في الماء • وقال ابو مالك اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان لي عبدا هو اعلم منك
فاطلبه قال وما علامته قال ستطلق معك بزاد وتخرج في طلبه فاذا ابعث في سفرك • وفي حديث سفيان عن
عمرو قال لنا خذ حوتا فتجعل في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فانطلق موسى ويوشع وحملا معهما خبزا
وحملوا قبلا من الشام حتى اخذا بحرا رمينية • وفي حديث ابي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما تزودا الرغيفة
ارغفة في مكتل وسمكة مالحة • وفي حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوحى الله اليه ان ابت البحر فانك
تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شط البحر فاذا نسيت الحوت فتجد العبد الصالح الذي
تطلبه تجده عند الصخرة فانتهيا الى الصخرة ثم وضع موسى راسه فنام يوشع وقال لو اني غسلت هذه السمكة
من هذا الماء ما كل منها نبي الله فغسلها وكانت عين في البحر تدعى عين الحيوان فلما غسلها اضطرب الحوت فوقع في الماء

اهلكناهم

لموسى

والتمس

وشؤم اصرارهم

فذهب فاجاب الماء فصار مثل السرب • وفي حديث السدي فصار اثره في الماء جامدا • وفي حديث سفيان عن عمرو فامسك الله جرية
الماء عليه مثل الطاق • وقوله تعالى فلما جاوزا اي تعديا ذلك الموضع الذي سرب الحوت في الماء قال لفتاه اي قال موسى لصاحبه
يوشع آتنا غداءنا اي ائتنا بغدائنا • وقوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا والجوع يتبع معه • وفي حديث
سفيان عن عمرو فانطلقا يمشيان فلما كان من الغد وجد موسى النصب ولم يجد النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله تعالى
به قال اي يوشع ارأيت استفهام بمعنى التقرير وظاهره اعلمت ومعناه اعلم انه كان كذا • وقوله تعالى اذ اوينا الى الصخرة
اي التجانا اليها للاستراحة • وقوله تعالى فاني نسيت الحوت اي نسيت امر الحوت ان اذكره لك • وقوله تعالى وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره بالقاء الخواطر في القلب واتخذ سبيله في البحر من كلام يوشع في الاخبار عن حال الحوت
وقوله تعالى عجبا له وجوه فقيل هو تمام كلام يوشع اي اتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا وهذا ما يتعجب منه اذ صار كالطاق
وقيل قوله عجبا قول موسى اي يا عجبا من هذا • وقيل عجبا من نسيانك هذا الامر العجيب ان تذكره لي • وقال الحسن بينهما
وقف حسن لهذا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قوله واتخذ من كلام الله تعالى واتخذ فعل موسى معناه واتخذ موسى
سلوك الحوت في البحر هذا الطريق عجبا وكذا التفسير عن مجاهد • وقال موسى تعجب من اثر الحوت • وروى ابي بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان البحر للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا • وقيل واتخذ هو فعل يوشع اي وعجب يوشع
موسى من سرب الحوت في البحر • وقوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغي اي قال موسى ليوشع هو الذي كنا نطلبه لان
ذهاب الحوت كان جعل علامة على وجود الخضر وذلك يصلح اشارة الى سراب الحوت فانه جعل علامة وتصلح اشارة الى
المكان فان وجود الخضر كان فيه • وقوله تعالى فارتدا على آثارهما قصصا اي فرجع موسى ويوشع على آثارهما اي
على طريقهما الذي جاءا منه • وقوله قصصا اي اتباعا لذلك الاثر لا يزولان عنه • وقوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا
اي وجدا هناك ذلك المطلوب • وقوله تعالى آتيناه رحمة من عندنا قيل اي نبوة كما قال ام يقسمون رحمة ربك
وقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما اي علما من علمنا لم يعلمه غيره وهو دليل على نبوته • وكذلك قوله وما فعلته عن امري
وقيل العلم اللدني ما يحصل للعبد من طريق الالهام • وقال الامام القشيري رحمه الله هو ما لا يجد صاحبه سبيلا
الى جحده فكان دليلا على صحته • وقال الضحاك لما رجعا واتيا تلك الصخرة التي جلسا عندها فاذا البحر فيه الحوت
فرجع الحوت مدبرا فاتبعه ثم ابتلع ثم انطلق فاتبعه موسى فلما احرك في الماء سالك حجرا وتبعه موسى حتى انتهى الى
العبد الصالح • وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما فاذا رجل على شاطئ البحر ملتف بكساء • وفي حديث ابي العالية
وجده قائما في جزيرة من جزائر • وقال الكلبي وجده قائما يصلي • وفي حديث عثمان بن ابي سليمان رآه على طنفسة
خضراء على وجه الماء • وفي حديث ابي مالك وجده قائما يصلي فمدرعه صوف وكساء يصلي على الصخرة واذا العشب
تذبذب وعليه ذنبه وسمي الخضر لذلك لانه حيث كان تنبت الخضرة • وقال وهب قال موسى يارب هل انبئت عبدا من
عبادك من العلم ما لم تؤتني فاوحى اليه نعم هو عبد من عبيدي يقال له ايليا يعبد في جزيرة من جزاير البحر وذيما ما
له قال يارب تأذن لي في لقيه فاذن له وذلك في زمان التيه فانطلق مع يوشع حتى انتهى الى البحر وتكل الله تعالى
حوتا من حيتان البحر يدلهما على مكانه فسايرهما في البحر كانه كوكب دري واوحى اليه انا اذا انفلت الحوت فان
صاحبك حيث يتغيب عنك الحوت وذكر القصة الى ان قال فدخلا في السرب حتى انتهيا الى موضع الخضر فاذا
هو في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائم يصلي فسلم موسى ويوشع فرد عليهما السلام • وفي رواية قال وعليك
السلام يا نبي بني اسرائيل ومن ادراك بي فقال ادراك بي ربك ودلك علي فما الذي جاء بك قال
جئتك لتعلمني مما علمت رشدا وذلك قوله تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وفيه
تعليم التواضع لمن طلب العلم من غيره فانه غاية التواضع من موسى فانه بدأ بالاستفهام والاستئذان ووصف
نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم واظهار الرغبة [illegible]
في التوراة علم وفي بني اسرائيل شغل • ثم قال انك لن تستطيع معي صبرا اي [illegible]
[illegible] وكيف تصبر على ما لم تحط
به خبرا [illegible]
[illegible]

يحيون وكان البحر الذي فيه ما بين بحر فارس والروم وكان جلندا ملكا يأخذ كل سفينة غصبا • وقوله تعالى قال اخرقتها
لتغرق اهلها • قرأ حمزة والكسائي ليغرق بالياء التذكير والغائبة واهلها بالرفع اسنادا للفعل اليهم • وقرأ الباقون لتغرق
بضم التاء التي هي للخطاب اهلها بالنصب اضافة للفعل الى الخضر • وقوله تعالى لقد جئت شيئا امرا • قال مجاهد وقتادة
نكرا • وقال ابو عبيدة اي داهية عظيمة • وانشد لقد لقي الاقران مني نكرا • داهية دهياء اذا امرا • قال ابي
بن كعب رضي الله عنه اخرج منقارا له ومطرقة ثم عمد الى ناحية منها فضرب فيها حتى خرقها ثم اخذ لوحا فطبقه عليها
ثم جلس يرقعها فقال له موسى ذلك • وقال الكلبي اخذ فاسا ومنقارا وفعل ذلك • وقال مقاتل خرق بعد دوم • وقال
شعيب بن الحبحاب خرقها وكان الخضر لا يراه غير موسى الا من اراد الله تعالى ان يريه اياه فخرقها ولم ير الا موسى ولو راه
القوم حالوا بينه وبين ذلك وروي بوجوه اخر • قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا اي تحقق ما قلت لك
وقوله تعالى قال لا تؤاخذني بما نسيت • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي بما تركت من شرطك • وقال ابي بن كعب
هو النسيان حقيقة ولعله نسي ذلك لشدة ما ورد عليه من خرق السفينة • وقيل هو تعريض فانه لم يقل نسيت
هذا الشرط منك ولكن انطلق • وقيل لا تؤاخذني بما نسيت وهو يحتمل نسيانا آخر سوى هذا • وقوله تعالى ولا
ترهقني من امري عسرا اي لا تعسر علي وقد رهقه الشيء اي غشاه وادركه وارهقه غيره • وقوله تعالى فانطلقا حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا • قال وهب انتهوا الى الملك وكان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا فنظر
الى سفينتهم مخروقة فدعا بوهها فخلى عنها فلما جاوزهم سد الخضر السفينة وسلمها اليهم وخرجا من السفينة ثم
انطلقا على وجوههما حتى اتيا ايلة وهي من قرى الروم فاذا الغلمان عشرة يلعبون وفيهم غلام هو اصغرهم والبسهم
فيهم اظرف ولا اضوا منه فاخذ الخضر بيده الغلام واخذ حجرا فرضخ به راسه وقتله • وفي رواية سعيد بن جبير
فاقتلع راسه بيده • وفي رواية كعب فوكزه فقتله فرأى موسى امرا عظيما لا صبر على مثله فقال اقتلت نفسا زاكية
قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي زكية • وقرأ الباقون زاكية اي طاهرة بريئة من الذنوب بغير نفس اي من
غير ان قتلت نفسا • وقوله تعالى لقد جئت شيئا نكرا • قال قتادة النكر اشد من الامر لان الاول كان فيه توهم
الهلاك وفي هذا حقيقة الاهلاك • وقيل بل الامر اشد لان الامر العظيم وكان ذلك اتلاف نفوس كثيرة غالبا
وهذا اتلاف نفس واحدة • وقوله تعالى قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا اذكره ما كان • قال ان
سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة او بعد هذه المسألة ونحوها • وقيل اي بعد النفس التي قتلتها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اي صرت معذورا بمفارقتي • قال الحسن كان ذلك الغلام رجلا كافرا اي
بالغا وسمي غلاما لاغتلامه اي شدة شبقه فكان اسما للشاب وكذلك يقال للشيخ خير من شهد الغلام
يقاتل الشيخ به ويقاتله الشاب دون الصبي • وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
كافرا • وقال الكلبي كان فتى بين قريتين ابوه من عظماء اهل احداهما وامه من عظماء اهل القرية الاخرى وكان
يقطع الطريق بينهما ويأخذ المتاع فيلجأ الى هذا وكان يقتله يقطع الطريق • قال وهب كان اسم ابيه ملاس واسم امه رحمى
وعن ابي اسحاق انه كان جبرا بالغ وكان طبع كافرا ولو ادرك لرهق ابويه طغيانا وكفرا • وقتل الصبي انما لا يجوز
لعدم اذن الشرع به وكان الله تعالى اذن للخضر بذلك • وكذلك قال وما فعلته عن امري وليس الامر بقتله
اكبر من اماتته والله تعالى يميت الصغار وله ان يحكم في عباده بما يشاء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
كان غير بالغ • وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها • قال وهب كانت قرية من قرى الروم
حين غربت الشمس وكانت ليلة شاتية شديدة البرد فانطلقا فطلبا الى اهل القرية ان يضيفوهما فابوا ان
يضيفوهما اي امتنعوا ان ينزلوهما ضيفين ويطعموهما • وقوله تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
اي فوجدا فيها حائطا على ظهر الطريق مائلا يمر تحته اهل تلك القرية ويعرض الطريق لهم عبره وكان بناه رجل صالح
لم يزل يرث ذلك الحائط قرنا بعد قرن حتى ورثه ابو الصغيرين وكان سمك الحائط في السماء مائتي ذراع بذراع ذلك
القرن وطوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فمال الحائط من اسفله حتى كاد يسقط وذلك
قوله يريد ان ينقض اي يقارب ان ينكسر ويسقط وذلك مجاز وتشبيه بحال المريد للفعل في الثاني • قال الشاعر
يريد الرمح صدر ابي براء • ويرغب عن دماء بني عقيل • والانقضاض السقوط • وقوله فاقامه اي قومه • وقوله
تعالى قال لو شئت لتخذت عليه اجرا • قرأ ابن كثير وابو عمرو لتخذت من باب علم فاما فعل ذلك اي الخضر
الجدار رفع الجدار بكتفيه ويديه حتى اقامه فقال له موسى عليه السلام استطعمناهم فابوا ان يطعمونا لو شئت
لتخذت عليه اجرا في عملك حتى يكون قوتا على سفرنا هذا وتتصدق ببعضه • وقوله تعالى قال هذا فراق بيني وبينك
قيل القرية ارمينية • وقيل انطاكية • وقيل برقة • وقيل ارض بربر • وقيل حروان • وقيل ماحروان • وقيل هي بناحية
الاندلس • وقوله تعالى فابوا ان يضيفوهما قيل لم يدعوهما ينزلان في القرية • وقال كعب وجاءت امرأة اليهما بطعام
وقالت ان رجالنا في اخلاقهم شدة فلم استطع ان اضيفكما فهذا طعامي فكلا منه فدعا الخضر لنسائهم بالبركة
ولعن رجالهم • ثم قال الخضر لموسى اما اذا لم تستطع ان تصبر فنحن فراق بيني وبينك اي سبب فراق

وسنا وتوسلت ● وقوله تعالى سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ● وفي رواية اخذ موسى بطرف ثوبه فقال حدثني ● وقال اما السفينة فكانت لمساكين وهم من ذكرنا من الاخوة العشرة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب لئلا يأخذها الملك الغاصب وهو قوله وكان وراءهم ملك ● قال ابن عباس والسدي وقتادة والفراء وابو عبيدة اي امامهم كما قال تعالى ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ● وقال ومن ورائهم جهنم ● قال لبيد ● اليس ورائي ان تراخت منيتي ● لزوم العصا تحنى عليها الاصابع ● وقيل هو ما توارى عنك خلفك او قدامك والملك قيل كان ملك عمان ● وقال الكلبي هو جلندا ● وقيل هو جلند بن كركر وقيل الجليدي المستكبر بن الارقم بن الاند ● وقال ابن جريج هو هدد بن بدد يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة ابي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وهو محمول على التفسير دون التنزيل ● وروي ان الملك مر بها فراها معيبة فتركها ومر فقال الخضر لموسى كيف رايت عاقبة صنع الله بما اخرقني عن خرق السفينة احسنت ام اسات فقال بل احسنت واصبت واجرت وقوله تعالى واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ● قال سعيد بن جبير فخشينا ان يحملهما حبه على ان يدخلا معه في دينه ● وقال ابن جريج كذلك ● وقال الكلبي كان غلاما لصا غاديا يقتل ويسرق ثم يجيء برفقته الى ابويه فاذا جا من يطلب حلف ابواه انه لم يفعل وكانا في عز وشرف ● وقال مقاتل بخوا من ذلك وهو مما يخشى منه الوقوع في الكفر ● وقيل يحتمل ان يكون يدخل عليهما شبهة في دينهما وتزيين الكفر والطغيان اليهما ● وقوله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ● قرا نافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم يبدلهما بالتشديد والباقون بالتخفيف اي يعطيهما ولدا اخير ولدا عنه ● وقوله تعالى خيرا منه زكاة دينا وصلاحا وطهارة وهو في مقابلة قول موسى نفسا زاكية واقرب رحما ● قال قتادة اي ابر بوالديه والرحم مصدر كالرحمة والمرحمة ● وعن سعيد بن جبير قال هما ارحم به منهما بالاول ● وقيل اي اقرب الى ان يرحماه اي يطيع ولا يعصي ولا يحمل ابويه على الكفر والطغيان ● قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الرجل الصالح يحفظ في ولده وولد ولده والدوائر من حولهم وحول دارهم ولا يبرحون شيا ● وقوله تعالى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اسطاع لغة في استطاع وهو تخفيف بحذف التاء ثم ذكر في الاول فاردت لانه ذكر بعده اذا عيبها فاضاف ذلك الى نفسه ثم قال فاردنا ان يبدلهما جمعا لانه بينه على ان في اثباته الفعل الى نفسه على الانفراد دون التنبيه وذكر الجمع ادخالا لنفسه في الجملة ثم بينه على ان الاشيا كلها بارادة الله تعالى فقال في الثالث فاراد ربك ولانه ذكر الفضل والرحمة فاضافه الى الله تعالى دون غيره ● وقيل قال الخضر لموسى عليهما السلام حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قال له لغدا لعتك امك في اليم فلم تغرق فلم خشيت الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى لهم ● ولما قال له اقتلت نفسا زاكية بغير نفس قال له انك قتلت القبطي بالوكزة فلم يأتينوك فلم تعانبني بهذا ● فلما قال له لو شئت لاتخذت عليه اجرا ● قال له انك سقيت لابنتي شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلما بادر في ذلك فكان له وجوه ستة في هذه القصة ● قال وهب ثم انطلق الخضر وموسى عليهما السلام حتى نفدا على الصخرة فاقبل طاير فغمس منقاره في البحر ثم اخرجه فنفضه على جناحه فقال له الخضر انه يقول ما علم الخلق في علم الله تعالى الا بقدر ما حملت بمنقاري ● وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصني فقال يا ابن عمران اياك واللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطين بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد ● وقوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين ذكرنا في اول السورة ان المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقين اهل الكتاب عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فانزل الله جل ذكره وجلا له جواب ذلك كله واختلف في معنى تسميته بذي القرنين وفي انه نبي وغير نبي وفي نسبه ● روي ان ابن الكوا سأل عليا رضي الله عنه عن ذي القرنين املك ام نبي فقال له رضي الله عنه ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا احب الله تعالى فاحبه الله وناصح الله تعالى فناصحه الله فضرب على قرنه الايمن فمات فبعثه الله تعالى ثم ضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله تعالى ● وقال ابو العالية سمي ذا القرنين لانه قرن ما بين مطلع الشمس ومغربها ● وقال وهب اختلف فيه اهل الكتاب فقال بعضهم كان ملك الروم وفارس وقال بعضهم كان في راسه شبه القرنين ● وقال الحسن سمي به لانه كان في راسه ضفيرتان تطاعليهما ● وعن وهب قال كانت صفحتا راسه من نحاس ● وقال وهب راى رؤيا انه دنا من الشمس حتى اخذ بقرنيها شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسمي بذي القرنين ● وقيل عاش قرنين ● وفي رواية وهب عاش خمسماية سنة ● وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ادري ذا القرنين كان نبيا ام لا ● وقال ابن عباس وعبد الله بن عمرو وابو هريرة كان نبيا ● وكذلك قال مجاهد وقال علي رضي الله عنه لم يكن نبيا ● وعن الحسن وعن وهب في رواية كذلك ● وقال اسمه اسكندروس ● وقيل اسكندر روس ● وقيل اسم بن نونا ● وعن محمد بن اسحاق اسمه مرزبان مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح ● وفي تفسير الصنعاني انه رومي من ولد العيص بن اسحاق وروى عقبة بن عامر الجهني ان قوما من اهل الكتاب استاذنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فدخلوا

ومعهم مصاحف فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئتم اخبرتكم ما اردتم ان تسألوني عنه وان شئتم فاسألوني قالوا بل اخبرنا بما جئنا له قبل ان نتكلم فقال جئتم تسألوني عن ذي القرنين وساخبركم بما تجدونه في كتبكم مكتوبا ان اول امره انه كان غلاما من الروم اعطي ملكا فسار حتى اتى ارض مصر فابتنا عندها مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك فقال ارى مدينتي وحدها لا ارى غيرها فقال له الملك تلك الارض كلها وهذا السواد الذي تراه محيطا بها البحر وانما اراد الله تعالى ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها فسر في الارض فعلم الجاهل وثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم اتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد ثم سار فوجد ياجوج وماجوج يقاتلون قوما وجوههم كوجوه الكلاب ثم قطعهم فوجد امة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم كوجوه الكلاب ثم قطعهم فوجد امة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار ثم قطعهم فوجد امة من الحيات تلتقم الحية منها مثل الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نحن نشهد ان امره كان كذا وانا نجد هذا مكتوبا في كتبنا ● وقال وهب ان ذا القرنين نشا في ادب حسن وحلم ومروة وعفة وكان يتخلق بمكارم الاخلاق ويسمو لمعالي الامور وكان نحلم حلما انه دنا من الشمس واخذ بقرنيها وقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين ولما بلغ مبلغ الرجال ابتدت همته وعلا صيته وعز في قومه فالقى الله تعالى عليه الهيبة وحدثت نفسه بالاشيا كلها وكان اول ما اجتمع عليه امره انه امر قومه فبنوا له مسجدا طوله اربعماية ذراع وعرضه مايتان ذراع وامرهم ان لا ينصبوا فيه سواري فقالوا كيف نصنع سقف ما بين الحايطين فقال اكبسوه بالتراب الى رؤس الحوايط وزرعوا على الموضع قدرة وعلى المقتر قدره من الذهب والفضة ثم اقطعوا ذلك مثل قلامة الظفر واخلطوا بذلك الكلس واحملوا له جذوعا من النحاس كل جذع مايتا ذراع للهواء على الحايط من الجذع اثنا عشر ذراعا من جانب ومثله من جانب فاذا تم فقولوا للمساكين اخرجوا التراب وما فيه من الذهب والفضة فهو لكم ففعلوا وتم ذلك على احسن الوجوه واحسنها واوحى الله تعالى اليه رسولا اني قد رسلتك الى جميع الخلايق من مطلع الشمس الى مغربها فانت حجتي عليهم وهذا تاويل رؤياك وقد بعثتك الى جميع اهل الارض وهم سبع امم امتان بينهما طول الارض وامتان بينهما عرض الارض كله وثلاث امم في وسط الارض مختلطون وهم الانس والجن وياجوج وماجوج اما اللتان بينهما طول الارض فانه عند مطلع الشمس احداهما ناسك والاخرى بحيالها منسك واما اللتان بينهما عرض الارض فانه في القطر الايمن وهو هاويل والاخرى في قطر الايسر وهي تاويل فقال لبيك الهي انك ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره غيرك فباي قوة اكابدهم وباي صبر اقاسيهم وباي لسان اكلمهم وكيف افقه لغاتهم وباي حجة اخصمهم وباي عقل اعقل عنهم وباي حكمة ادبر امرهم وباي معرفة افصل بينهم وباي حلم احصيهم وباي يد اقدر عليهم فاوحى الله تعالى اليه اني ساطوقك ما حملتك واشرح لك فتسع كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وافتح لك سمعك فتعي كل شيء واكشف لك عن نظرك فتنفذ كل شيء وادبر لك امورك فتستيقن كل شيء واحصي لك فلا يعزبك شيء واشد لك ظهرك فلا يهدك شيء واشد لك قلبك فلا يهولك شيء وابسط لك يديك فتسطوا فوق كل شيء واشد ذرايك فتضيب في كل شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما جندين من جنودك النور يهديك من امامك والظلمة تحوطك وتحرس الامم من ورايك فانطلق ذو القرنين فايده الله تعالى بما وعده فلا يمر بامة الا دعاهم الى الله تعالى فان اجابوا قبل ذلك منهم وان لم يجيبوا له اغشيتهم الظلمة فالبست مدائنهم وبيوتهم واغشت ابصارهم ودخلت افواههم وانفهم واذانهم واجوافهم فيتحيرون ويحيبون وذكر بلوغ المغرب على ما يبتق في تفسير تلك الاية ان شا الله تعالى وقوله تعالى قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اي سأقرا عليكم منه خبرا فيه ذكر قصته وحاله ● وقوله تعالى انا مكنا له في الارض اي ملكناه الدنيا واعطيناه امكان ضبطها ● وقوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا اي من كل شيء يحتاج اليه في سياسته ما به يتوصل الى المراد واصل السبب هو الحبل يتوصل به الى الما وغيره ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما سببا علما وهو قول قتادة وحميد بن يحيى وابن زيد ● وقال مجاهد منازل وطرقا ● وقال الحسن بلاغا الى حاجته ● وسيل ابن عباس رضي الله عنهما كيف وصل الى المشارق والمغارب قال سخر له السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عنده سوا ● وقوله تعالى فاتبع سببا ● قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالتشديد ومعناه اقتفى ● والباقون بالقطع ومعناه لحق وانما لم يعرف الثاني باللام مع انه اعاده بعد المذكور لان المراد من الاول الكل ● وقوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا اي الاسباب كلها والمراد من الثاني سبب منها ومعناه امتثل وتجهز من وجوه الاسباب اي ما شاء له مع طريق المغرب ● وقيل اتيناه من كل شيء علما فاتبع طريقا ● وقيل اتيناه الاسباب اي الاقطار فاتبع سببا اي قطرا منها اي قصدا اولا الى قطر بعينه وهو المغرب ليصلحه ● وقوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي انتهى الى اخر العمارة من جهة المغرب وجدها ● وقوله تعالى تغرب في عين حمئة اي راها في مراى العين تغيب في عين حمئة ● قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية حفص حمئة اي ذات حماة كذا قراها ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن جبير رضي الله

وعرضه حائط اثنان وعشرون ذراعا وطول الحائط مائة ذراع

عينهما وانحما الطين الاسود • وقرأ الباقون حامية اي حارة والعين موصوفة بهما جميعا هي طينة سوداء وهي حارة
انتهى الى عمارة كان اذا نظر اي بعينه عينا حمية وكانت الشمس تغيب من تلك الحمية كالواحد منا اذا كان على شط البحر
وغربت الشمس اذا راها تغرب في البحر • وقوله ووجد عندها قوما اي عند الشمس اي تغرب رؤية غروب الشمس
ويجوز عند العين الحمية اي بقربها • وقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل واما ان تتخذ فيهم
حسنا اي بالمن وقيل بالاسر والاسترقاق وكان اذا انكار التخيير فيهم بين الامرين كما خير نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى فاما منا بعد واما فداء وبقوله في حق اهل الكتاب فاحكم بينهم او اعرض عنهم ليجتهد فيختار الاصلح في الدين
وقوله تعالى قال اما من ظلم اذا اصر على الكفر فسوف نعذبه اي بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فظيعا في الاخرة واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى • قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص جزاء
بالنصب والتنوين • وقرأ الباقون جزاء الحسنى بالرفع والاضافة وتقدير القراءة الاولى فله الحسنى جزاء والحسنى
الجنة • قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وجزاء نصب على المصدر وتقديره يجزى به جزاء • وقوله تعالى وسنقول
له من امرنا يسرا اي سنأمره بما هو يسير • وقال السدي كانت له ابار يصيب فيها الصفرة فياتي بالرجل فيطرح
فيها فيعذبه فبان ذلك قوله فسوف نعذبه • وقال ابن جريج وجد عندها قوما قال لمدينة لها اثنا عشر الف باب
اصوات اهلها تمنع الناس وجوب الشمس حين تجب واسمها رومية • وفي رواية للشمس صوت مرها في السماء كصوت
المنشار في الخشب قال وهب فلما بلغ المغرب وجد عنده الاعصيهم الا الله تعالى وناسا لا تطاق والسنة مختلفة
واهواء مشتتة فكابدهم بالظلمة تغشيهم من كل جانب فاسلموا كلهم فاخذ منهم جندا عظيما فقادهم والظلمة تسوقهم
حتى سار الى ناحية الارض اليمنى الى هاويل فقطع البحار حتى اتاهم • وقال السدي وبلغ ارض الظلمة من قبل
المغرب فدخلها بالخيل وراى تحت حوافرها حصى كالنار فقال لمن اخذ منها ندم ومن لم ياخذ ندم فاخذ من اخذ
ومن لم ياخذ ترك فلما خرجوا فاذا هو ياقوت في ايدي الناس • وقوله تعالى ثم اتبع سببا اي طريقا اخر وهو الى
المشرق اي حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا • قال الحسن كانت ارضهم
ارضا لا تحمل البناء فكانت الشمس اذا طلعت عليهم تغوروا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما
ترعى البهائم • وقال سمرة بن جندب لم يبن فيها بناء قط فاذا طلعت عليهم الشمس دخلوا اسرابا لهم حتى تزول
وقالوا انما لا تحمل البناء لانه لا جبال فيها فتميد ولا تستقر • وقال مالك بن سليمان هم قوم صغيرة اجسامهم
وطعامهم ما خرج عند البحر من السمك فاصابه حر الشمس واستوى فياكلونه • وقيل لا جبل لها ولا شجر ولا ماوى
ولا بيوت تسترهم • وقال مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند طلوع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
وقال وهب هم الزنج وبها ذهب ينبت نباتا • وقوله تعالى كذلك قيل كذلك فعل ذو القرنين اتبع الاسباب
وقوله تعالى وقد احطنا بما لديه خبرا اي وقد علمنا بما لديه من الصلاح كذلك وقيل كذلك جعل الله تعالى
امره هو لا على ما اعلم رسوله والثالث اتبع سببا بلغ به المشرق كما اتبع سببا بلغ به المغرب وقد احطنا بما لديه
خبرا علمنا كل ما فعل من جميع الجيوش والالات والسياسات كذلك كانت حاله مع اهل المغرب • وقيل كذلك
علمنا هولاء القوم كما وجدهم وعلمنا ايضا ما كان عنده من التدبير فيهم • وقال الحسن كذلك كما نحن ثم ابتدا
وقد احطنا بما لديه خبرا وعلى هذه الاقاويل كلها الهاء في لديه كناية عن ذي القرنين • وقال محمد بن جرير وقد
احطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق واحوالهم واسبابهم ثم اتبع سببا اي طريقا
اخر حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا • قال الضحاك ومجاهد السدان
جبلان بين ارمينية واذربيجان • وقوله تعالى وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما • وقوله تعالى
قوما اي امة من الناس • وقوله تعالى لا يكادون يفقهون قولا اي لا يعرفون الكلام الا بلسانهم دون لسان
ذي القرنين ويكادون مثله زائدة • وقرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف ومعناه ما قال
السدي لا يفقه انسان كلامهم • قال ابن جريج هم الترك • وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية حفص
بين السدين بيننا وبينهم سدا بالفتح • وقرأ الباقون بالضم • وقال عكرمة وابو عبيدة ما كان من صنعة
بني ادم فهو بالفتح وما كان من صنعة الله تعالى فهو بالضم • وقال ابو عمرو السد بالفتح الحاجز بينك
وبين الشيء وبالضم الغشاوة في العين • وقيل وهو قول الكسائي هما لغتان كالضعف والضعف والمكث قالوا يا ذا
القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض • قرأ عاصم بالهمز والباقون بغير همز ذا القرنين وفهمه
قولهم بعد وصفهم بانهم لا يفقهون قولا وهو من الاسباب التي اتاه كما علم سليمان منطق الطير وترجم عنه بنطق
اخر • قال وهب لما كان عند منقطع ارض الترك قالت له امة من الانس صالحة ان بين هذين الجبلين خلقا كثيرا
فيهم مشابه الانس وهم اشباه البهائم ياكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش وياكلون الحيات
والعقارب وكل ذي روح وليس لله خلق ينمي نماءهم ويوشك ان يملؤوا الارض ويجلوا منها اهلها وليست
تمر علينا سنة منذ جاورناهم الا ونحن على خوف ان يطلع علينا اوائلهم فهل نجعل لك خرجا • قرأ حمزة والكسائي

خراجا والباقون خرجا • قال عطاء وقتادة اجرا • وقال السدي جعلا • وقال الحكم مالا • وقال اهل اللغة الخرج ما يخرج من المال
والخراج ما يخرج من الارض على ان تجعل بيننا وبينهم سدا سالوه ان يجعل بينهم حاجزا على ان يعينوه بما لهم وذلك لفسادهم في الارض
قال السدي كانوا يخرجون فياخذون ويقتلون ثم يرجعون • وقال الكلبي كانوا يخرجون الى ارضنا ايام الربيع فلا يدعون
شيا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وادخلوه ارضهم • وقيل كانوا يتعدون من معايشهم واموالهم وازواجهم • وعن وهب
انهم يلوطون بالرجال • وقال سعيد بن عبد العزيز كانوا ياكلون لحوم الناس • وقوله تعالى ما مكني فيه ربي خير قال السدي اي
اعطاني ربي من الدنيا ما هو خير مما تعرضون علي من المال • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي العلم الذي اعطاني ربي بالاسباب
التي تبلغ بها التمكين خير من جعلكم • قرأ ابن كثير مكنني بنونين على الاظهار والباقون بنون واحدة مشددة على الادغام
وقوله تعالى فاعينوني بقوة اي برجال واله ولا حاجة لي الى المال • وقيل اي اعينوني بما امرته في الالة لا الجعل لي والاجرة
وقوله تعالى اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو كاشد الحجاب • وقال الكلبي لما قال
فاعينوني بقوة قالوا ما تريد قال الة العمل قالوا ما هي قال اتوني زبر الحديد اي قطعه • قال ابن عباس ومجاهد والربيع
والسدي وعطاء زبر الحديد قطع الحديد • وقال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة والازبر الضخم • وقيل الزبرة
الجملة المجتمعة من قولك زبرت الكتاب اي كتبته وجمعت حروفه حتى اذا ساوى بين الصدفين وها هنا مضمر تقديره
فاتوه بها فساوى بها بين الصدفين اي الجبلين يعني وضعها بينهما حتى صارت مساوية لهما كالحشو فيما بينهما
وقيل حتى وازى رؤوسهما • وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال • وقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم
في رواية حفص بفتحهما • وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بضم الصاد وتسكين الدال وهي ثلاث لغات قال انفخوا اي وضع
المنافخ واوقد النار في الحديد ثم امر بالنفخ فيها حتى اذا جعله نارا اي نفخوا حتى ذاب الحديد كله وصار كالنار في
منظرها • وقوله تعالى اتوني افرغ عليه قطرا • قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر ائتوني من الاتيان المذاب
الذي يقطر سوى السدي • وقرأ الباقون بالمد اي اتوني بقطر افرغ عليه والقطر النحاس • وقيل هو المذاب الذي يقطر
قال السدي وضع الحديد ثم وضع عليه الحطب ثم قال انفخوا حتى اذا جعله نارا ثم امر بالصفر فاذيب فصب عليه فصار
طريقة حديدا وطريقة صفرا • وقال وهب امرهم بجمع الحديد والصخر والنحاس ... ورا حالهم وقاس ما بينهما
فكان بعد ما بينهما مائة فرسخ ورجع عنهم وحفر اساسا حتى بلغ الماء جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخر
وطينه النحاس المذاب وصار كانه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فما اسطاعوا ان يظهروه اي
يعلوه من فوقه لعلوه وملاسته فما استطاعوا له نقبا من اسفله فيخرجوا منه لكثافته وصلابته قال هذا اي ما
اتاني الله تعالى عليه من هذا الردم رحمة من ربي على خلقه وهو سبق الى الميقات فاذا جاء وعد ربي وهو الوقت الذي
وقته لخروجهم في اخر الزمان جعله دكاء على قراءة المد مستوية على الارض من قولهم ناقة دكاء اي لا سنام لها وهي
قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو وابن عامر والتانيث راجع الى موضع مضمر قال جعل الارض دكاء • وقرأ الباقون غير
ممدودة بالتنوين ومعناه مدكوكا اي مدقوقا ملزوقا بالارض مصدر بمعنى المفعول كقوله هذا خلق الله وهذا
الدرهم ضرب الامير اي مضروبه وكان وعد ربي حقا اي صدقا • وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم • وولد يافث ياجوج
وماجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم • وولد حام القبط والبربر والسودان • وفي الحديث المرفوع ولا يموت
احدهم حتى يولد لصلبه الف رجل • وقال ابو سعيد هم خمس وعشرون قبيلة من وراء ياجوج وماجوج طولهم اشبر
وشبر • وفي حديث ابن عباس شبر وشبران وثلاثة اشبار • وقال كعب هم اصناف صنف منهم اربعة اذرع
طولا وعرضا • وصنف يفترشون احدى اذانهم ويلتحفون الاخرى • وقال الحسن هم امم في كل امة اربع مائة الف
امة لا تشبه امة اخرى • وقال الكلبي طعامهم التنين لا يزرعون انما يقع في بياتهم امثال الجبال منها فياكلونها
وقال وهب توسط ذو القرنين بلادهم فاذا لهم مخاليب واضراس وانياب كانياب السباع وافواههم واحناك
كاحناك الابل تسمع لها حركة اذا اكلوا وعلى ابدانهم شعور يتوارون بها ويتقون الحر والبرد بها ولكل واحد
منهم اذنان عظيمتان على ظاهر احدهما وباطنها وبر وعلى ظاهر الاخرى وباطنها زغب يتصيف في احداهما
ويشتي في الاخرى يعلم كل ذكر وانثى وقت موته وهو انه لا يموت حتى يولد له الف ولد واذا مطروا اخصبوا وسمنوا وشبعوا
زنوا الدواذا لم يمطروا هزلوا وعجزت الذكور وحالت الاناث يتعاوون عواء الذئاب ويتسافدون حيث
التقوا تسافد البهائم • وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ياجوج وماجوج
يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا فيعيده الله تعالى
اشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم حفروه حتى كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان
شاء الله تعالى فاستثنى قال فيعودون اليه فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس ويستقون
الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا اهل
الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكهم الله تعالى به قال والذي نفسي بيده ان دواب

الارض تتسمن من لحومهم • وقوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض يزدحمون ويتنادرون • وقال القطوية يختلط بعضهم
مقبلين مدبرين حيارى • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الجن والانس يموجون عند خروج ياجوج وماجوج اذ هو علم
الساعة • قال تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الى قوله واقترب الوعد الحق • وقوله تعالى ونفخ في الصور اي نفخ
اسرافيل فيه • قال ابن زيد وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض هو اول يوم القيامة وهذا الموج هو ازدحامهم واختصامهم
فجمعناهم جمعا للعرض والحساب والجزا كما قال وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا • وقوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا اي ابرزنا جهنم لهم يرونها قبل ان يدخلوها بما فيها كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى • وقوله تعالى الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري صفة لقوله للكافرين مجاز عن احتجابهم عن النظر في العواقب والتفكر فيما ذكرهم الله تعالى
به • وقال مجاهد في غطاء عن ذكري اي في غفلة كما قال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد وكانوا لا يستطيعون سمعا اي يستثقلون سماع ذكر الله تعالى • وقوله تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي
من دوني اولياء اي افظن هؤلاء الكفار والمشركين الذين اتخذوا الانبياء والملائكة الهة انهم ان تولوهم ينصرون لهم
بذلك اوليا ينصرونهم ويشفعون لهم ويقربونهم الى الله زلفى وهذا استفهام بمعنى التوبيخ والانكار اي ليس كذلك
وعبادي اضافة التخصيص فدل على ما قلنا وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما قال هم عيسى والملائكة • وقيل عبادي
اي الشياطين والجن وهي اضافة التخليق ولا يكونون اوليا قال الله تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
وقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر الاية • وقوله تعالى انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا للعابدين والشياطين
جميعا • وقال مقاتل تتخذوا عبادي اي الاصنام كما قال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم • وقوله تعالى
نزلا اي جعلناها منزلهم لينزلوها • وقال الزجاج نزلا اي منزلا والنزل الطعام المهيا للنازل • وقوله تعالى قل
هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا يجوز ان يكون الذين نعتا للاخسرين ويكون جوابه
اولئك الذين كفروا ويجوز ان يكون الذين جوابا وتقديره هم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا • وقوله تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اي تلاشى عند الله ثواب ما عملوا في الدنيا وهم مع هذا يظنون ان ما يصنعونه
من موالاة الكفار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السؤالات صنع حسن • وقوله تعالى اولئك الذين كفروا
بايات ربهم اي اولئك كفروا بالتورية بجحد ما فيها ولقائه اي البعث بعد الموت • وقوله تعالى فحبطت اعمالهم
اي بطلت فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اي لا نجعل لها قدرا • وقوله تعالى ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا
اياتي ورسلي هزوا يهزؤن بذلك ثم بعده ذكر جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين وهو قوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا اي بساتين الاعناب وكل شيء من الثمار والازهار وسائر ما يلذ ويمتع
وهو بلسان الريانية في الاصل وصارت عربية باستعمال العرب • وقوله تعالى نزلا اي ثوابا معدا للنازلين
لها • وقال ابو امامة الفردوس سرة الجنة وافضلها • وقوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا لا يطلبون
منها تحويلا • قال الزجاج هو مصدر حال كالصغير والكبير ومعناه لا يتمنون التحول عنها لانه لا يكون لكرامته
اولوجود افضل منه وليس كذلك ولان الانسان انما يطلب التحويل اذا احول وهم لا يحولون • وقوله تعالى قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا • لما سالوا عن الروح وكذا
وكذا ونزل هو جواب الروح في اخر الاية وما اوتيتم من العلم الا قليلا • قالت اليهود انه يقول ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم يقول هذا فكيف يجتمعان فنزلت الاية اي وان كانت الحكمة وهي القران خيرا كثيرا
وقد اتاكموه الله تعالى وكل كلمات الله تعالى لا نفاد لها ومعلوماته لا يحاط بها كثرة فما اوتيت انا من القران
ولا انتم من التورية في جنب ذلك الا قليلا • وقال السدي قل لو كان البحر مدادا فكتب به ما وصف الله تعالى
في الجنة للمؤمنين مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وما في النار للكافرين وقد سبق ذكرهما
في الايات لنفد قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا ببحر اخر مثله لنفد ايضا اي فني • وقال عكرمة لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي اي ثواب من ثوابكم بكلمات ربي يعني لا اله الا الله قال تعالى وكلمة الله هي العليا • وقوله
تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي اي مثلكم في البشرية وافارقكم في انه يوحى الي فلا اعلم الا ما علمني ربي
وقد اوحى الي ان الهكم • وقوله تعالى انما الهكم اله واحد فلا تتخذوا من دونه اوليا • وقوله تعالى فمن كان
يرجوا لقاء ربه اي يؤمل ثواب الطاعة • وقيل يخاف عقاب المعصية والرجا اسم لهما عند لقاء ربه اي يوم
القيامة • وقوله تعالى فليعمل عملا صالحا خالصا من الشرك والريا • ولا يشرك بعبادة ربه احدا • وقيل ولا يرائي
بعمله لله احدا من خلقه • وقيل لا يشرك بالله في العبادة شيئا من الاصنام وغيرها • والحمد لله رب العالمين

رب نجنا من القوم الظالمين • واجعلنا من عبادك الصالحين بلطفك امين

سورة مريم عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي وهب لزكريا يحيى على وهن العظم واشتعال الراس من الشيب • الرحمن الذي وعد جنات عدن

عباده

عباده بالغيب • الرحيم الذي احب عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وجنبهم الى جياد خلقه مع ما بهم من العيب • وروي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب بزكريا وصدق
به ويحيى وعيسى وابرهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس عشر حسنات وبعدد من دعا لله ولدا
وبعدد من لم يدع لله ولدا • وهذه السورة مكية • وهي تسع وتسعون اية • وقيل ثمان وتسعون اية • وقيل سبع وتسعون
اية الاختلاف في ثلاث ايات • كهيعص في الكتاب ابرهيم فليمدد له الرحمن مدا • وكلماتها تسع ماية كلمة وتسعون • وحروفها
ثلاثة الاف وثمان ماية وستون • وانتظام اول هذه السورة بسورة الكهف انه ختم تلك بقوله ولا يشرك بعبادة
ربه احدا • ثم بين في اول هذه السورة الكافي على الكمال فلا مستحق للاشتراك في عبادته ونفى عنه غيره لحوقه اولدا
وانتظام السورتين في المعنى ان تلك السورة في ذم المشركين ووعد المؤمنين والزام الحجة عليهم بقصص الاولين
وختم تلك السورة بوعيد المشركين ووعد المؤمنين • وهذه السورة كذلك • وقوله تعالى كهيعص • قال قتادة
هو اسم للقران • وقالت جماعة هو اسم لهذه السورة • وقال السدي هو اسم الله الاعظم • وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى
بكفايته وهدايته ويمنه وعلوه وصدقه • وقال ابن عباس في الكلبي ومقاتل والضحاك هي اسما الله تعالى
كاف هاد يمين عالم صادق • وقال سعيد بن جبير كريم هادي يده مبسوطة بالعدل والفضل عليم صادق • وقال الامام
القشيري رحمه الله في هذه الحروف تعريف الاحباب اسرار معاني الخطاب بحروف خفي الحق سبحانه المخاطب بها
بينهم معانيها فللاغيار سماعها وذكرها وللرسول فهمها وسرها • قال وقيل في الكاف اشارة الى كتابته الرحمة على
نفسه قبل كتابة الملائكة الزلة على عباده والهاء تشير الى هدايته المؤمنين الى عرفانه وتعريفه هويته لاستحقاقه
جلال سلطانه وتعريف هيبته للمؤمن ما له عليه مما يستحق بحكم احسانه والياء اشارة الى نعمه بعد محنته والى يده
المبسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده والعين تشير الى علمه باحوال الخلقة سرهم وجهرهم قليله وكثيره حاله وماله
والصاد تشير الى انه الصادق في وعده • وقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا قيل كهيعص مبتدا وهذه جزء
وقيل كهيعص كلام تام ثم معناه هذا ذكر رحمة ربك كقولك هذا ذكر فلان بن فلان وهذا بيان ذكر رحمة ربك
الله زكريا وهو نبي الله زكريا بن ماثان قاله ابن عباس وزكريا بن يوحنا قاله مقاتل ثم بين ذلك بقوله اذ نادى ربه
اي دعا وناجى وكان ذلك في الصلاة كما قال تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي وهو ابلغ في التضرع • وقوله
تعالى نداء خفيا عن الخلق وهو ابعد من الريا واقرب الى الصفا • وقيل اخفاه لكي لا يستحيي من الناس ولو فيما ان
يلام على سؤال الولد وهو ابن خمس وثمانين سنة • وقوله تعالى اني وهن العظم مني اي ضعف وهو نهاية الضعف
واشتعل الراس شيبا اي التهب يعني عم الشيب راسي كالنار تشتعل في الحطب فتنتشر فيه وهو مجاز ولم اكن بدعائك
رب شقيا اي قد عودتني الاجابة ابدا فلم تكن تشقيني قط بالرد اذا دعوتك وتقول العرب سعد فلان بحاجته اذا
ظفر بها وشقي اذا خاب فلم ينلها ولان الشقا هو التعب • قال تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ومن سعى لشيء فلم
يدركه ظهر له التعب واذا ادركه زال التعب • وقال الامام القشيري رحمه الله اني وهن العظم مني نعت لضعفي
عن خدمتك على ما لي جنة والقوة بعدما الشيب فهب لي ولدا ينوب عني في عبادتك • وقوله تعالى واني خفت الموالي
من ورائي الموالي ابن العم والعصبة وجمعه الموالي ومن ورائي قال ابو عبيدة اي من جهة الموت الذي هو قدامي
قال الشاعر • اترجوا بنو مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائيا • اي خفت عصبتي الذين هم
موجودون الان لا يقومون مقامي في الدين بعد موتي كانه لم يرى فيهم من الخلال ما يصلحون لذلك فسال الله
تعالى ولدا صالحا لذلك • وقيل اي خفت بني عمي الذين من بعدي وهم شرار بني اسرائيل • وقوله تعالى فهب لي من
لدنك وليا • قيل اي ولدا وقيل اي من الموالي من يصلح لذلك فان هؤلاء الموجودين لا يصلحون له قال هو لا ولم يسال
ولدا فقد قال وكانت امراتي عاقرا اي عقيما لا تلد وكانت عبارة عن تقادم العهد وهو ممن لا يرزق لها ولدا فكان
ويستبعد منه لها بذلك للحال ايضا فكان لا يطمع في الولد منها وانما سال عصبة تصلح له واستدلوا بقوله انى
يكون لي غلام وهو تعجب منه ولو كان استوهب الولد ثم بشر به لم يستعظمه قالوا فاذا معنى قوله فهب لي من
لدنك وليا اي موليا فان المولى والولي واحد والاكثر على انه سال الولد • وقوله تعالى وليا اي ولدا هو ولي من
اوليائك • وقوله تعالى يرثني ويرث من ال يعقوب • قال ابن عباس والحسن والضحاك يرث المال • وقال
ابو صالح يرث النبوة • وقال السدي ومجاهد والشعبي يرثني المال ويرث من ال يعقوب النبوة • وقد روي ان
الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ حظا وافرا • قال تعالى ولقد اتينا داود
وسليمان علما الى ان قال وورث سليمان داود ويدل عليه انه وهب له يحيى وهو لم يرث المال وانما ورث العلم
ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لها بان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث بغير وحي • وقوله تعالى من ال يعقوب
قيل هو والد يوسف عليهما السلام لان زكريا كان تزوج اخت مريم بنت عمران وهي ترجع بنسبها الى يعقوب لانها من
ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب ثم زكريا نفسه من ولد هرون اخي موسى وهرون وموسى من ولد
لاوي بن يعقوب وكانت النبوة في سبط يعقوب • وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران وكان ال يعقوب اخوال يحيى بن م

زكريا وهذا قول الكلبي ومقاتل. قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا راس الاحبار يومئذ فاراد
ان يرثه ولده حبورته ويرث مواليه من بني ماثان ملكهم. وقوله تعالى واجعله رب رضيا. قيل هو بمعنى فاعل اي راضيا
عنك وراضيا بتقديرك. وقيل بمعنى مفعول اي مرضيا عندك. وقيل اي مرضيا في امته لا يتلقى بتكذيب ولا بخلاف لما
ياتي به. وقيل مرضيا عندهم لا يعاب بشيء ولا ينسب الى عيب. وقال القفال فبين ان من اراد ان يسال الله
تعالى حاجة ان يبلغ ما امكن بلوغه من اخلاص المسالة والانقطاع بالرغبة اليه وتاكيد اسباب التضرع باظهار
الفاقة والعجز عن نيل ما يريد الا بفضل الله تعالى لان الله تعالى اخبر عنه انه دعاه دعاء خفيا في صلاته وهي
اقرب احوال العبد الى ربه ثم اظهر العجز عن نيل الولي بكبر سنه ووهن عظمه وعقر امراته وما يخافه من رد الله تعالى
اياه من مصير ميراث النبوة ورياسة العلم في الاباعد منه ثم توسل الى الله تعالى بما عوده من الاجابة في كل ما كان
يدعوه به وفي ذلك طرف من الشكر لانه اعتراف بتقدم المنة فينبغي لمن اراد الدعا ان يقدم امام دعائه هذه
المعاني واشباهها. وقوله تعالى يا زكريا اضمار فقلنا يا زكريا. وقوله تعالى انا نبشرك وكانت البشارة
على لسان جبريل عليه السلام كما في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك
وقوله تعالى بغلام اسمه يحيى اي قد سميناه يحيى. وقوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا. قال ابن عباس وقتادة
والحسن ونوف البكالي سميناه يحيى قبل ان نخلقه وسائر الانبيا انما سماهم اباؤهم وامهاتهم سميناه يحيى
بعد ولادتهم تخصيصا بتسميته اياه وتسميته قبل خلقه. وقال قطرب لم نجعل له من قبل سميا اي نظيرا ومثلا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم تلد قبله العواقر ولدا وقيل سمي يحيى لانه به حيي عقر امه. وقال لان الله تعالى
احيى قلبه باليقين. وقوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام اي كيف. وقيل اي من اين فليس هذا باستعظام
ولا تعجب بل هو استكشاف انه باي طريق كما مر في سورة آل عمران. وقال الحسن سال كيف يوهب له وهو
وامراته على حالهما ام يحولان شابين. وقوله تعالى وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا. قرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم بكسر العين. والباقون بضمها. والعتي هو بلوغ نهاية الكبر وقد عتا يعتو عتوا
وعتيا فهو عات وهو الذي عجز من طول الزمان الى حال اليبس والجفاف. وقال ابو عبيدة كل مبالغ في كبر
او فساد او كفر فهو عات. وقال نفطويه اراد به بلوغ العمر الطويل يقال ليل عات اي طويل. وقيل اراد زكريا
بهذا انه مع شدة حاجتي كبير لا يولد لمثلي وامراتي عاقر لا يولد لمثلها وانت القادر على ما تشاء وان تهب
لنا الولد مع ما بنا وكان هذا استخبارا انه يولد لنا على هذه الحالة او بعد الاحالة. وقوله تعالى قال
كذلك اي انت وامراتك كما قلت هو علي هين خلق هذا الولد علي سهل وقد خلقتك من قبل اي ابتداء من قبل
اخبار بذلك عن خلق يحيى. وقوله تعالى ولم تك شيئا اي بشرا كما انت الان او هو نفي الخلق عن شيء في الابتداء
فان ما خلق الله في الابتدا خلقه لا من شيء ثم الان وان كان ترى اي تخلق الولد من نطفة وخلق النبات من الحب
لكن الاصل ما قلنا ودلت الاية ان المعدوم ليس بشيء وهو حجة على المعتزلة. وقوله تعالى قال رب اجعل لي
اية اي علامة اعلم بها انه علق لازيد في الشكر ودعا السلامة قال ايتك ان لا تكلم الناس اي لا تطيق ان تكلم
الناس. وقوله تعالى ثلاث ليال اي بايامها سويا اي حال كونك سويا الاعضاء واللسان لا اخرس به ولا آفة
ولا ضعف ولا سقم قاله قتادة وجا انه كان يقدر على القراءة والذكر ويعجز عن كلام الناس. وقوله تعالى
فخرج على قومه من المحراب اي من موضع صلاته. وقيل كانت له غرفة يصعد اليها بسلم وقد بيناه الا وقد قيل فيه
في سورة آل عمران وبينا القصة وقيل كان موضعا لا يدخلونه الا باذنه فاجتمعوا ينظرونه فخرج اليهم وهو لا يتكلم
وقوله تعالى فاوحى اليهم اي اشار ان سبحوا اي صلوا بكرة اي صلاة الفجر وعشيا اي صلاة العصر قال له
ابو العالية فيحتمل انهم كانوا يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين وكان يخرج اليهم فياذن لهم بالدخول
بلسانه فلما اعتقل اذن لهم باشارته. وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاوحى اليهم اي كتب على الارض. وقال
مجاهد اوحى اليهم اشار اليهم وهو الاشبه لقوله الا رمزا فان ذلك لا يكون كتابة. وقوله تعالى يا يحيى خذ
الكتاب بقوة واضمار هنا فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته في حال طفوليته يا يحيى خذ الكتاب قيل
اي التوراة. وقيل اتاه كتابا خصه به بقوة اي بجد ومواظبة واخذه قبوله والعمل به. وقوله تعالى
وآتيناه الحكم صبيا اي اعطيناه الذكا وشدة الفهم حال الصبا. قال معمر ان الصبيان قالوا ليحيى وهو
ابن ثلاث سنين اذهب بنا نلعب فقال لما للعب خلقنا فذلك قوله وآتيناه الحكم صبيا. وقيل الحكم النبوة.
وقوله تعالى وحنانا من لدنا اي رحمة وشفقة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا ادري ما الحنان
والرقيم والغسلين ثم روي عنه انه قال اراه التعطف والرحمة وهذا معطوف على قوله وآتيناه الحكم
وحنانا اي وعطفا على العباد وشفقة وزكاة اي طهارة. وقيل وتزكية فانه من زكاة الزرع وهو نماؤه. وقيل
وحنانا اي ورحمة منا له وزكاة اي تزكية منا اليه اي تشريفا وترفيعا كتزكية المزكي للشهود وعلى هذا تكون الواو
في قوله زائدة اي بعثنا بعده فضل اي والرحمة منا عليه وتزكية منا اياه فضلناه باتينا الحكم والكتاب في صباه على كثير

من نبيا. وقال عطا بن ابي رباح وحنانا من لدنا اي تعظيما. وفي حديث ورقة بن نوفل حين راى بلالا يعذب وهو يقول احد
احد الله قال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتمسحن به ولاجعلنه ممن يعظم ويشهر امره ويجعل قبره مزارا. وقيل وهو
قول قتادة وحنانا من لدنا اي رحمة على زكريا استجبنا له واعطيناه هذا الولد ويتصل بقوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا
وقوله تعالى وكان تقيا اي يحيى وبرا بوالديه وهو احد وجوه التقوى. وقوله تعالى ولم يكن جبارا عصيا اي متكبرا
متسلطا على عباد الله. وقيل اي متمردا على الله. وقيل الجبار الذي يقتل على الغضب ومن قتل اثنين فهو جبار في الارض
قال الله تعالى خبرا ان تريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض. وقيل الجبار الذي
يعاقب على غضب نفسه لا على استحقاق الجاني. قال الله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين. والعصي المبالغ في
العصيان وهو مخالفة الامر. وقوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا هي كلمة مدح وثناء
قال الله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين وهو اخبار بطيب مولد يحيى وحسن خاتمته وفوزه يوم القيامة والمعنى
ان السلامة والطهارة والبراءة من خلاف الجميل مقرونة به في احواله هذه لم يجر عليه ما يدخله عيب ونقص وذم
وقيل وسلام عليه اي امان له من الله يوم ولد ان يناله الشيطان. وقوله تعالى ويوم يموت اي وامان له من
فتان القبر ويوم يبعث حيا اي وامان له من العذاب يوم القيامة قاله ابن جريج. وقال ابن عيينة اوحش
ما يكون الخلق في ثلاث مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم
ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فاكرمه الله تعالى بالسلامة فيها. قال نفطويه فهذه ثلاث الاعظم
منها سلمه فيها. وقوله تعالى واذكر في الكتاب مريم وانتظام هذه القصة بقصة زكريا عليه السلام ان سوال
زكريا الولد كان عند مشاهدته حال مريم على ما قال هنالك دعا زكريا ربه الاية. واذكر يا محمد في الكتاب
اي القران مريم اي اقرا عليهم في القران قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها من ولادة عيسى فيعتقدوا
ذلك فيسلموا من شرك النصارى ويعرفوا قدر الصلاح والتقوى عند الله من كان ذكرا او انثى. وقوله تعالى
اذ انتبذت من اهلها اي قومها الذين هي فيهم. وقوله تعالى مكانا شرقيا موضعا على مشرق الشمس. قال ابن
عباس رضي الله عنهما انما اتخذت النصارى المشرق قبلة وزعموا انه لو كان شيء من الارض خيرا من المشرق لوضعت
مريم عيسى به وانما انتبذت به عند بعضهم لانها عطشت فخرجت الى المفازة تستقي. وقيل حاضت وطهرت
فخرجت من بيتها لتطهر وتمتشط وقد اعتزلت في المسجد الى جانب المحراب في شرقيه لتخلو للعبادة. وقوله تعالى
فاتخذت من دونهم حجابا. قال السدي من الجدران. وقال ابن عباس رضي الله عنهما حجابا يسترها من الشمس. وقيل
حجابا تستتر به من الناس في الاغتسال. وقوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اي جبريل قاله الحسن وقتادة والسدي
وابن جريج ووهب بن منبه والاضافة للتشريف. وقوله تعالى فتمثل لها اي فتصور لمريم بشرا آدميا سويا اي
صحيح الاعضا لتطيق مريم النظر اليه. وفي القصة انها رات شابا صبيحا عليه ثياب بيض قالت اني اعوذ بالرحمن
منك خافت منه وظنت انه رجل يريدها بسوء وعلمت انها لا تقدر على دفع ذلك بنفسها فاستعاذت بالله وقالت
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا والتقي يبعد من استعاذ بالله وغير التقي لا ينفع ذلك عنده وهو كقوله تعالى
وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين. وقوله تعالى قال انما انا رسول ربك امنها مما خافت واخبرها ليس بادمي يخاف
منه بل هو رسول الله اليها تعالى. وقوله تعالى لاهب لك غلاما زكيا. قرا ابو عمرو ونافع ليهب لك اي بسبب هبة
الله لك ذلك وهو ما كان من نفخه في جيبها بامر الله عز وجل. وقيل اضمر القول ههنا انما انا رسول ربك يقول الله
تعالى لاهب لك غلاما زكيا اي ابنا صالحا طيبا طاهرا. وقال عكرمة كانت مريم تكون في المسجد ما دامت في الطهر
فاذا حاضت خرجت الى بيت خالتها حتى عرض لها جبريل في صورة غلام امرد وضي الوجه فلما راته مريم قالت اني
اعوذ بالرحمن منك الاية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ونفخ جبريل في جيب درعها فحملت. وقيل نفخ من بعيد
فوصل اصل الريح الى جسدها. وقوله تعالى قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي بالحلال ولم اك بغيا
اي زانية ولا يكون الولد في العادة الا من احد هذين الوجهين فانى يكون لي ولد اي كيف ومن اين وهو استعظام
لا استثناء. وقيل هو سوال وجهه انه يكون بزوج تتزوجه او يخلق الله تعالى في ذلك بغير زوج. وقوله تعالى
قال كذلك اي قال جبريل بل هو كما قلت. وقوله تعالى قال ربك هو علي هين اي خلقه من غير اب يسير علي. وقوله
تعالى ولنجعله اية للناس ورحمة اي نهبه لك من غير اب لنجعله معجزة. وقيل اي نجعل هذا الولد اية للناس
دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته. وقوله تعالى ورحمة منا نرحم به عبادنا. وقوله تعالى فحملته اي حملت
الولد في البطن بالنفخ فانتبذت به اي تنحت بالحمل. وقوله تعالى مكانا قصيا اي بعيدا عن الناس وقد قصا
يقصو قصوا فهو قاص وقصي اي تباعد واقصى غيره اي ابعده. وقيل انتبذت خوفا على نفسها من القتل
وقيل خوفا على ولدها لو ولدته فيما بين اظهرهم. وقيل كما حملت اخذها المخاض فتفكرت فيما يقول لها الناس ان
انتبذت. وقيل مكثت بعد الحمل مدة واستبان الحمل وقالوا فيها ما قالوا فتنحت حينئذ فاخذها المخاض
في طريقها. وقوله تعالى فاجاءها المخاض بجذبه جا. وقيل الجاها قاله الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة المخاض

ونجع الولادة وتحقيقه اضطراب الولد للخروج • وقيل تمخض اي تحرك • وقوله تعالى الى جذع النخلة اي اصلها وكان يابسا
وتعريف النخلة قيل انها كانت نخلة معروفة مشهورة • وقوله تعالى قالت يا ليتني مت قبل هذا • قيل لما ضربها الطلق تمنت
الموت وهذا كلام يستعمله الصالحون عند الشدائد طلبا للحط لقضاء الله تعالى لا تشكيا فيعذرون • وقيل
كرهت مقالة الناس وطعنهم فيها • وقيل قالت ذلك شفقة على قومها انهم يأثمون بما يقولون فيها ويعاقبون عليه • وقيل انما
قالت ذلك يا ليتني مت قبل هذا حتى لا اسمع ما يقولون مريم زوجة الله وعيسى بن الله • وقال القشيري رحمه الله يا ليتني مت
قبل هذا قالت كنت منفردة لله فاخاف ان يتعلق بعض قلبي بالولد • وقوله تعالى وكنت نسيا منسيا • قرا حمزة في رواية
حفص نسيا بفتح النون والباقون بكسرها وهما لغتان وهو الشيء المتروك كانه نسي • قال الشاعر كان لها في الارض
نسيا تقصه • اذا ما عدت وان تكلمك تبلت • وقال قطرب هو الشيء يبقى العوم من حبل او اداوة • وقال يونس كانوا اذا
ارادوا الرحيل عن منزل قال احفظوا انساكم • وقال بعضهم وكنت نسيا منسيا اي حيضة ملقاة اي خرقة حائض لانها
تلقى فتنسى ولا تذكر • وقيل النسي بالفتح مصدر وبالكسر اسم للمنسي المتروك وهو كالنشر والنشر والعطف والعطف ونحو
ذلك • وقوله تعالى فناداها من تحتها • قرا حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص من بكسر الميم • والباقون من
بفتحها بمعنى الذي تحتها واضمر قبل هذه الاية فولدت فناداها قيل ناداها جبريل وقيل ناداها عيسى من تحتها قال
نوف البكالي من اقصى الوادي • وقال عكرمة كانت على رأسه حين ولدت • وقيل من تحت النخلة وكانت المناداة مخاطبة
لها لا رفع الصوت كما قال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا • وقيل من تحت مريم عيسى وقد وضعته على الارض بلا قابلة
وقوله تعالى ان لا تحزني اي لا تهتمي بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس قد جعل ربك تحتك سريا • قال
البراء بن عازب جدولا • وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم نهرا • وقال ابراهيم نهرا صغيرا
وهو الجداول • وقال الحسن سريا اي ولدا سريا اي فاضلا • وحكي انه قرا هذه وعند حميد بن عبد الرحمن الحميري
فقال ان كان لصبيا لسريا كريما فقال له حميد انما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجالستك ولكن غلبنا عليك
الامرا • وفي رواية قال له خالد بن صفوان ان العرب تسمي الجدول سريا فقال الحسن صدقت هو كما قلت ورجع الى
قوله وهزي اليك اي حركي • وقوله تعالى بجذع النخلة الباء زائدة كما في قوله تنبت بالدهن • وقوله تعالى تساقط
عليك رطبا جنيا • قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر تساقط بالتاء المفتوحة وتشديد
السين واصلها تتساقط فادغمت الاولى في الثانية • وقرا حمزة بتخفيف السين مع فتح التاء على حذف احدهما
قال امرؤ القيس • فلو انها نفس تموت سريحة • ولكنها نفس تساقط انفسا • وقرا ابو حفص عن عاصم تساقط
بضم التاء وكسر القاف مخففة السين من المساقطة • وقوله تعالى رطبا جنيا مجنيا اي يلتقط بحول الله تعالى
جذع النخلة اليابسة مثمرة كرامة لها وكان ذلك في الشتاء ودلت الاية على جواز الكسب فان الله تعالى امرها
بهز جذع النخلة ليكون ذلك بكسبها • وقوله تعالى فكلي اي من الرطب الجني واشربي من ماء السري • وقوله تعالى
وقري عينا اي بالولد لترضي وهذا كله لازالة الحزن عنها كما قال ولا تحزني • وقوله تعالى فاما ترين من البشر احدا
اما اصله ان ما كلمة شرط مؤكدة بما ترين النون المشددة للتاكيد • وقوله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا وامساكا عن الكلام • وقيل اي حقيقة صوم وكان صومهم فيه الصمت فكان ذكره والتزامه التزامه
ثم قيل لما التزمت الصمت فلم قالت اني نذرت للرحمن صوما وهذا كلام وترك الصمت الذي نذرته وجوابه
ان بعضهم قال قالت ذلك اشارة لا نطقا وقد تسمى الاشارة على الشيء كلاما وقولا • قال الشاعر في وصف
القبور وتكلمت عن اوجه تبلى • وقال الاخر وصفا لناقته تقول اذا ارتاب لها وضيني اهذا دينه ابدا ودني
لكل الدهر حل وارتحال اما يبقى علي ولا يقيني • وقيل كانت مامورة بذلك فقولي اني نذرت للرحمن صوما
فلن اكلم اليوم انسيا فكان وجوب الصمت في تلك الشريعة وقد نسخ ذلك فينا • روي زيد بن وهب
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه دخل على امراة لا تتكلم فقال ابو بكر رضي الله عنه ان الاسلام هدم هذا
فتكلمي • وقوله تعالى فاتت به قومها تحمله اي بعيسى قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا • قيل عجيبا • وقال
مجاهد وقتادة والسدي عظيما ويجوز ان يكون الفري بمعنى المفترى اي في زعمك انه ليس بزنا ولا نكاح •
وقوله تعالى يا اخت هرون • قال قتادة اي يا اخت هرون بن عمران في الصلاح • وقيل كان اخوها من ابيها يسمى
هرون • وقيل كان هرون في زمانها رجل سوء [illegible] • وقيل كان رجلا صالحا [illegible] • وقوله تعالى ما كان
ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا اي زانية والبغا الزنا [illegible] • قال الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا
اي فكيف انت بهذا الولد وقد كانت معروفة بالصلاح وولد الابوين الصالحين • وقوله تعالى فاشارت اليه اي
الى عيسى ان يكلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا [illegible] • وقيل كان [illegible]
[illegible] والمهد [illegible] المهد [illegible] قال تعالى [illegible]
[illegible] كيف نكلم [illegible] • وقيل [illegible]
من هو في المهد • وقيل [illegible] في المهد [illegible]

رب نسيا اي هو من اهله وان كان الوضع حال الاحياء وقولها اسكت بامره تعالى لسانها [illegible] انطق الله تعالى لسانه
[illegible] • وقوله تعالى اني عبد الله بدأ بالاقرار بالعبودية لله جل جلاله وهو قطع لكلام النصارى وابطال لمقالتهم • وقوله
تعالى اتاني الكتاب قيل الكتاب اي [illegible] الكتاب وهو الانجيل • وقوله تعالى وجعلني نبيا اي يرسلني الى الخلق رسولا وجعلني
مباركا اي وجعلني نفاعا للخلق • وقوله تعالى واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا اي [illegible]
[illegible] قوله تعالى يوم ابعث حيا ثم لم يتكلم بعد ذلك الى ان بلغ مبلغ كلام الصبيان فكان ذلك اية اظهرها
الله تعالى كرامة لامه [illegible] وكان ذلك اخبارا [illegible] هذه الصفات الكمال
وكان الله تعالى اعطاه في تلك الحال العقل الكامل والفهم النافذ • وفي الخبر ان خمسة تكلموا قبل اوان الكلام عيسى بن
مريم وشاهد يوسف وولد ماشطة بنت فرعون • وولد المراة التي احرقت في الاخدود • وصاحب جريج • وروي الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسلمت ام عيسى عيسى الى الكتاب فقال له المعلم اكتب فقال عيسى ابن اكتب قال
اكتب ابجد فقال له عيسى لا اكتب شيئا لا ادري ما هو قال اكتب كما نومرنا ان كنت لا تعلم فانا اعلمك قال اي شيء ابجد
قال عيسى الالف الاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله والدال الدال على الحق الى اهله • وعلى هذا قوله اتاني الكتاب
اي اوحي الى الانجيل • وقيل اي علمني في بطن امي التوراة والزبور • وروي انه كان يقرا وهو في بطن امه وهي تسمعه
وتانس به • وجعلني نبيا بما اوحي الي وجعلني مباركا قيل موديا اسماء • وقيل هاديا مهديا • وقيل نفاعا • وقيل البركة
الزيادة في منافع الدين من الله تعالى للدعاء الى الله والعمل بامره والدلالة على سبيل النجاة واوصاني بالصلاة
والزكاة امرني باداءها اذا قدرت عليها والزكاة اي امرني باداءها اذا امتلكت النصاب وحال عليه الحول • وقيل
بالصلاة اي بالدعاء والثناء على الله تعالى للحال والزكاة اي يطهر من الغش الا دناس اي ابقاها على طهارة • وقوله
تعالى وبرا بوالدتي اي وجعلني عاطفا عليها موديا حقها • وقوله تعالى ولم يجعلني جبارا شقيا اي متعظما على عباد
الله لا يرى لاحد منهم على حقا • وقيل جبارا اي عاقا والذي يتكبر عن اداء حقها شقيا لان الجبار يكون كذلك • قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع الرحمة الا من شقي • وقيل جبارا اي متعظما عن عبادة الله تعالى وطاعته ومن استكبر
من ذلك الشقي كالشقي ابليس بابائه واستكباره • وقال قتادة قالت امراة لعيسى حين رأته يحيي الموتى ويبرئ الاكمه
والابرص الى غير ذلك طوبى لبطن حملك وطوبى لثدي رضعك فقال طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى واتبع ما فيه •
وقوله تعالى والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا اخبر ان الله تعالى حكم له بالسعادة والسلامة
في هذه الاحوال من كل افة وعيب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسلام علي يوم ولدت من الهمزة واللمزة من
الشيطان ويوم اموت من ضغطة القبر ويوم ابعث حيا في الاخرة من العذاب • وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اي
ذلك الموصوف بانه عبد الله وكذا وكذا هو عيسى بن مريم هو بهذه الصفة لا كما قال النصارى انه ابن الله او هو
الله او هو ثالث ثلاثة ولا كما تقوله اليهود انه لغير رشده وانه ابن يوسف النجار • وقوله تعالى قول الحق • قرا
عاصم وابن عامر قول الحق بنصب اللام على المصدر اي اقول قول الحق • وقرا الباقون برفعها اي هو قول الحق الذي
فيه يمترون يجوز ان يكون الذي خفضا نعتا للحق ونصبا نعتا للقول على قراءة من نصبه ورفعا نعتا للقول
على قراءة من رفعه او نعتا لعيسى ويمترون اي يختلفون ويختصمون وقيل يشكون والمرية الشك والمراء الجدال
فاليهود مع النصارى يختلفون فيه فيما بينهم والنصارى يختلفون فيه فيما بينهم ايضا • قال قتادة اجتمع بنو
اسرائيل فاخرجوا اربعة نفر فاخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال احدهم هو الله هبط الى الارض
فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث
قل فيه فقال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان منهم كذبت ثم قال اثنان منهم للاخر قل فيه فقال هو
ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصرانية قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله
وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين فذلك قوله تعالى ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس الاية وهم الذين قال الله فيهم فاختلف الاحزاب من بينهم فصاروا احزابا
وزدنا فيه طريقا اخر عند قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وزدنا هذا في سورة المائدة في حديث
طويل ان جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه قرا سورة مريم على النجاشي بحضرة اساقفته فقال النجاشي واخذ عودا
من الارض ما عدا عيسى ما جاء به محمد مقدار هذا او كما قال • وقوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ليس من صفة
الله اتخاذ الولد سبحانه اي هو منزه عن ذلك • وقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي ان كون عيسى من
غير اب لا يوجب ان يكون الها او ابن الله لان الله تعالى لا يتعذر عليه خلق ما يريده من غير اصل بل اذا اراد شيئا
خلقه كما يريد وقيل وهو الاوجه • وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق اي هو هذا القول الحق وهو
ما ذكر في الاية ويكون هذا من كلامه واخباره فكذا اوله • وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وان الله بفتح الهمزة
وله وجوه • قال ابو عمرو وقضى ان الله ربي • وقيل واوصاني ان الله ربي • وقرا الباقون وقيل ذلك عيسى بن مريم
وان الله قال له الفراء • وقيل اي وقال ان الله ربي • وقرا الباقون وان الله بكسر الهمزة على الاستئناف • وقوله تعالى

وحكمه

قال قتادة

لتجنم

وابن عامر

طرياء

لها

النزرت للرحمن صوما اي

وكلثوم بن [illegible]

تاعبد وهذا صراط مستقيم اي فاعبدوا عبادتكم عليه ولا تشركوا به شيئا وهو الطريق السوي المفضي بسالكيه الى الجنة • وقوله
تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اي اصحاب عيسى وهو ما ذكرنا • وقيل من بين قومه وقيل من جهله ومعنا • فاختلف الاحزاب
بينهم وهكذا في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه • وقوله تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يجوز ان يكون المشهد
موضعا ومصدرا اي فويل لهم اذا شهدوا يوم القيامة وتبرا عيسى منهم وقال لما قلت لهم الا ما امرتني به الاية • وقيل
مشهد يوم عظيم هو اجتماعهم للتشاور فيه فاجتمعوا على الشرك وجعله عظيما لفظاعة ما جرى فيه وهو كقوله تعالى
هذا بهتان عظيم • وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اي فظيعا منكرا • وقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا
اي ما يسمعهم وما ابصرهم ذلك اليوم وهو كلمة تعجب ومعناه انهم حلوا في هذا محل من يتعجب منه اي سيسمعون و
يبصرون يومئذ ما يصدع قلوبهم ويرون ما يسوءهم • وقيل ان صمما عن استماع الحق وعميا عن روية الحق في الدنيا فيبصرون
بخلاف ذلك فيسمعون صفتهم ويبصرون عاقبتهم • وقوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اي لكنهم اليوم
في الدنيا بظلمهم انفسهم ووضعهم العبادة في غير موضعها في ضلال مبين عن الحق ظاهر بين من نفسه لوضوح
وهو اعتقادهم عيسى الها معبودا مع ظهور احواله • وقوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة قيل هو يوم الموت • وقيل
هو يوم القيامة • وقيل هو يوم يذبح الموت • وقيل هو يوم الخروج يخرج اخر فريق من المسلمين من النار فتشتد
طبقاتها والحسرة اشد الندامة وهي التي تقطع الابل وقيل تقطع نياط القلب نصحوبها تقول خوفهم يا محمد يوم
الندامة حين قضي الامر وفرغ منه فان كان عند الموت فقد صار بحيث لا يتدارك وان كان في القيمة فهو حين
يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فلا اخراج بعده وان كان ذبح الموت فلا امل في النجاة وفي الخروج
للكفار وان كان حين اخرج اخر المومنين فكذلك • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيقال يا اهل الجنة فيشرئبون فينظرون فيقولون
نعم هذا الموت ثم يوضع فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم
يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون وحالهم في الحال اي غافلون عما يبال الكافرين
يوم القيامة وهم لا يومنون وهذا وصفهم في الحال اي انذرهم اليوم في هذه الحالة قبل ان يصيروا الى الاخرة
فيقضى الامر ولا تنفعهم الندامة • وقوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون اخبر ان يوم القيمة
كاين لا محالة وان الله تعالى ينزع الملك من كل من اتاه ملكا في الدنيا فكل من يغلب على شي منه وانهم الى الله و
يرجعون فلا يكون لهم يومئذ ملك ولا رياسة ولا حكم ولا امر ولا نهي • وفي هذا تحذير لهم من الاغترار بما ينالونه
من الرياسة في الدنيا وتنبيه لهم على التدبر في خطا ما هم فيه • وقوله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه
كان صديقا نبيا وانما اطابها قبلهما ان قصة مريم وعيسى في رد قول اليهود والنصارى في هذه القصة
كذلك فانهم يدعون ان دينهم دين ابرهيم قال الله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا وبين في هذه القصة ان
ابرهيم ودينه [illegible] فيما نزل عليهم من القران امر ابرهيم انه كان نبيا صادقا الصديق كثير الصدق
وكل ما جاه من عند ربه [illegible] في الملائمة والنساية
وكثرت طلبنا [illegible] والوقف [illegible] واجاز الزجاج الوقف بالها وقيل بالتاء عوض عن الهاء
وفي قراءة ابن عامر يا ابت بالفتح على ارادة يا ابتاه على الندبة • وقوله تعالى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا من الله شيئا وهذه صفات تقتضي عجزه فلا يستحق صاحبها العبادة ولو ان انسانا خدم مثله في الدنيا
مع علمه بعجزه عن ان يدفع عن خادمه ضرا او يجلب له نفعا او يمنع عنه من يخذله لكان هذا الانسان سفيه
الراي عند العقلاء فكيف حال من هو ادنى من هذه الاحوال من حجر نحته بيده او خشب اتخذه معبودا له • وقوله
تعالى يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك اي انا في العلم والمعرفة فوقك بما خصني الله تعالى به من النبوة
فانا اعلم بما يغنيني من الضلال ما انت فيه من عبادة الاصنام • وقوله تعالى فاتبعني اي اقتد بي في العبادة
واعبد من اعبد انا وهو الذي لا يخفى عليه شي ولا يعجزه شي فانك اذا فعلت هذا كنت على الصراط المستقيم
المستوي وهو قوله تعالى اهدك صراطا سويا • وقوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه ولا تطعه
بالايتمار له وقبول وساوسه • وقوله تعالى ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي هو متعاد في العصيان لله الذي
خلقه فهو لا يريد لك الخير ومن هذه صفته فحقيق ان لا تقبل قوله اختياره لنفسه • وقوله تعالى يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا اي اخشى ان يصيبك من الله عذاب في الاخرة ان دمت
على طاعتك للشيطان وقوله فتكون للشيطان وليا اي قرينا في جهنم لان الوليين لا يكادان يفترقان في محبوب
او مكروه فجعله وليا في هذه الحالة لما قلنا وان كانا متنافيين يومئذ كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وقال اخبارا عن الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل • وقيل ان يمسك عذاب في الدنيا وهو
خذلانه فتكون حينئذ مواليا للشيطان فيتركك الله اليه ويتبرا منك ولا يتولاك • قال الله تعالى ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ومن كان الشيطان وليا له فهو ولي الشيطان لان الموالاة تقوم بالطرفين وهو

فعن

الفتيهم

بعد الخطاب وكل ما يحتاج اليه من اسبابه فان ابرهيم عليه السلام افتتح بمحاجته على عبادة الاوثان وبين نقايصها
ثنى بالدعا الى ما جا به من العلم وهو امر بالنظر وترك التقليد ثم ثلث ان التقليد وترك النظر من عمل الشيطان وطاعة
الشيطان غير جايزة في المعقول ثم ختم بالوعيد الزاجر عن المعصية الباعث على الانقياد للحق وفيه دليل على ان العالم م
لزمه الدعا الى الحق القريب والبعيد والمبالغة في النصح والافصاح للبرهان وفيه دليل وجوب احترام الاب
وان كان كافرا فانه خاطبه مرات بقوله يا ابت لم تعبد الاية • وقوله تعالى قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم اي زاهد
انت من عبادة الهتي وتعظيمها وتاركها بسو فيها مال فيما دله عليه وامره على مناديه في ضلالته وجهالته وانكر عليه
اتباع الحق والدعا اليه وقد رغب في الشي اي اراده واقبل عليه ورغب عن الشي اي اباه واعرض عنه ورغب
في الشي اي اراده واقبل عليه • وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك • قال السدي وابن جريج والضحاك لارمينك
بالعيب والذم ومعناه قول بعضهم لاشتمنك • وقال الحسن لارمينك بالحجارة حتى تتباعد عني • وقيل لارجمنك
بالحجارة عقوبة لك على فعالك • وقوله تعالى واهجرني مليا اي اجتنبني دهرا طويلا فلا تكلمني وهو قول الحسن
ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي مليا اي دهرا طويلا • وقيل اراد به انه ادبه انه اذا اتم مرارة هجره مدة كي
يعود الى هوا فتنة في عبادة الهته • وقيل بل اراد هجره ابدا لان الدهر الطويل هو الذي العمر والابد • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وعطية والضحاك واهجرني مليا اي سليما عن عقوبتي من قولهم فلان مملي
عمره ما عاش سالما • وقوله تعالى قال سلام عليك اي قال ابرهيم مصاحبا له بالمعروف ومحسنا في المعاشرة
مظهرا لما وصف به من الحلم لقوله تعالى ان ابرهيم لاواه حليم سلام عليك اي امان لك مني لك ان اكافيك
على اذايك ولو حققت بفعالك ما ذكرته بقولك لارجمنك • وقيل هو خطاب وداع اي هجرتك كما امرتني به
وقيل هو على معنى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي لا اخاطبك بمثل ما خاطبتني به من الخشونة
وهو قوله تعالى ساستغفر لك ربي اي اسال الله تعالى ان يجعلك من اهل المغفرة بان يرزقك الاسلام • وقوله
تعالى انه كان بي حفيا اي لطيفا • وقيل بارا • وقيل رحيما • وقوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي
اهجرك واهجر من على دينك ولا اعبد ما تعبدون من الاصنام اي تدعون وتعبدون • وقوله وادعوا ربي اي
اعبد ربي عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا اي راجيا ان تقع عبادتي متقبلة فلا اشقى بردها السلامة منها
من الافات ويحتمل وادعوا ربي اي اسال الله ان يهديك راجيا ان يرد دعوتي فيك • وقيل وادعوا ربي
ان يرزقني ولدا واهلا اتكثر واتقوى بهم بعد مفارقتكم وقد دعا بذلك في ذريته واستجيب له بدليل عليه
ما بعده • وهو قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا • قيل اعتزلهم بخروجه من ارض بابل الى ارض الشام كما قال تعالى اني مهاجر الى ربي سيهدين • وقوله
تعالى ووهبنا له من بكثرتهم في القلة واستانسهم من الوحشة اسحاق ولدا ويعقوب نافلة • وقوله تعالى
وكلا جعلنا نبيا اي كل واحد منهما اماما للناس • وقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا اي من نعمتنا • قيل
هي المال والولد اي كثرناهم وباركنا فيهم ووسعنا عليهم وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي ثناء حسنا وهو
الصلوات على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في الصلوات الى قيام الساعة ووصفه بالصدق لانه ثناء حسن لا كذب
فيه عليا اي عاليا هو نعت لسان • وقيل لسان صدق هو دعاؤهم الناس الى الله تعالى في الرسالة في ولاد
ن الدعا اليهم • وقوله تعالى واذكر في الكتاب موسى نبي ذكر قصته رد قول اليهود ايضا لانهم على جبرهم كان
عليهم موسى • وقوله تعالى انه كان مخلصا • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتح اللام اي اخلصه الله
تعالى • وقرا الباقون بكسرها اي اخلص هو العبادة لله تعالى • وقوله تعالى وكان رسولا نبيا اي جمعنا له
الوصفين • وقوله تعالى وناديناه اي ليلة خرج لاقتباس النار ناديناه بالنبوة والرسالة • وقوله تعالى
من جانب الطور الايمن الطور الجبل وليس للجبل ايمن وايسر لكنه راجع الى يمين الذي ياتيه اي الجانب الذي
كان على يمين موسى وهو متوجه اليه • وقوله تعالى وقربناه نجيا اي ادنيناه بتقريب المنزلة عندنا نجيا
اي مناجيا اي كلمناه عالم بما يكلم به غيره • وقوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اي برحمتنا بعبادنا وهو كما تقول
اعطيتك هذا من كرمي وجودي اي لكرمي وجودي • وقيل من رحمتنا اي من نعمتنا اي من جملة ما انعمنا به عليه •
وقوله تعالى اخاه هارون نبيا اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري
وقال القشيري نصره الله وفقه الحق وناداه ثم قربه وناجاه وفي الحال النبي تولاه • وقوله تعالى واذكر في الكتاب
اسمعيل انه كان صادق الوعد • قال مجاهد ان اسمعيل لم يعد شيئا الا وفى به وهو كلام جامع للقيام بالفرايض
كلها لان الله تعالى اخذ على عباده العهد بها والانبياء وعدوا من انفسهم الوفاء بها وهذا وصف جميع الانبياء
لكن هذا لا يمنع اختصاص بعضهم بالمدح • وقيل كان وعد من نفسه الصبر على ذبح ابيه اياه لله تعالى فوفى به
وصبر الى ان فدي بالفدا • وقيل يحتمل انه كان نذر شيئا ووفى به فكان ذلك صدق وعده • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال لرجل واعدا اسمعيل قوما في موضع ان يلقوه فيه فاتى ذلك الموضع واخلف القوم واقام اسمعيل

وزهد في الشيء اي اباه واعرض عنه وزهد عن الشيء م

اي لئن لم تمتنع عن سبك [illegible]

عليه السلام ثلاثا في ذلك الموضع وما له طعام الا ثمر الشجر وورقه حتى تشقق شفتاه ثم جاء القوم فاثنى الله تعالى عليه
بصدق الوعد • وقوله تعالى وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة اي امته • وقيل اي اهل بيته بالصلاة والزكاة وهذا
يشتمل على امره اياهم بالعبادة البدنية والمالية جميعا • وقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وهذا اجل صفاته وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه وكان نبيا مرفوعه فانه حمل على اهل بيته فهو امام وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام وامر
اهلك بالصلاة واصطبر عليها • وقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين • وقال لكل المؤمنين قوا انفسكم واهليكم
نارا • وقوله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا • روى انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه رفعه الى السماء الرابعة • وكذلك روي عن كعب ومجاهد وابي سعيد الخدري • وعن ابن عباس
والضحاك انه رفعه الى السماء السادسة وادريس هو اخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم
عليه السلام وسمي ادريس لكثرة درسه ذكر الله تعالى • وروي انه كان خياطا فكان لا يغرز ابرة في الثوب الا قال
سبحان الله ولا يخرجها حتى الا قال الحمد لله ورفعناه مكانا عليا الى الجنة • وقيل رفعناه بالنبوة في المنزلة والفضيلة
وقال وهب كان يرفع لادريس كل ليلة من العمل ما يعمل اهل الارض واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته
فاذن له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس عليه السلام يصوم الدهر كله فلما كان وقت افطاره دعاه
الى طعامه فقال لست اسيغه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس فقال له الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم
انت قال انا ملك الموت قال فلي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فاوحى الله اليه اقبض روحه ورد ها
اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض روحك فقال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون
له اشد استعدادا ثم قال ادريس له لي حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها فاذن الله تعالى
له في رفعه الى السماء فلما قرب من النار قال لي حاجة اخرى قال وما تريد قال تسال مالكا حتى يفتح لي ابوابها
فاراها ففعل ثم قال فكما اريتني النار فارني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح له رضوان فادخله الجنة
ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا يقضي في قولهما
فقال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى
وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت
باذني دخل وبامري يخرج فجاء به ملك الموت الى السماء السادسة • وقال الاخرون الرابعة وهو حي هنالك وذلك
قوله ورفعناه مكانا عليا • وقوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اي هؤلاء المذكورون في هذه
السورة الذين تفضل الله عليهم من النبيين من ذرية ادم اي من ولد ادم • قال ابن جريج زعموا ان هذه لادريس
خاصة • وقوله تعالى وممن حملنا مع نوح اي في السفينة مع نوح هو ابرهيم ومن ذرية ابرهيم اسمعيل واسحاق
ويعقوب • وقوله تعالى واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
لان امه مريم من ذريته وكلهم من ذرية ادم ولكن جعل من قرن ادم من ذريته وكلهم من ذرية ادم لكن جعل من
بعده منه من ذرية من قرب منه فقال لكل واحد بات بقرن منه ثم يرجعون الى ادم فيشتركون في هذه الفضيلة
ويتفاضلون فيما خصوا به • وقوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اي وهم ممن هديناهم واصطفيناهم
وهو جمع بين فضيلتين كقولك زيد من نسل فلان ومن قوم صالحين وهذا كله في محل المبتدا ثم خبره في قوله اذا
تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا اي سقطوا على وجوههم سجدا اي ساجدين لله وبكيا اي باكين من
خشيته والرقة قلوبهم عند تلاوته وبكي على وزن فعول وهو وصف لهم بالخشوع والوجل والعبادة لله تعالى
وقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اي فخلف من بعد هؤلاء المفضلين اقوام اردياء والخلف بتسكين اللام
البدل السيء والخلف بفتح اللام البدل الصالح • قال الشاعر خلفت خلفا ولم تدع خلفا ليت بهم كان لا بك
اكفا اضاعوا الصلاة • قال القرظي تركوها • وقال عمر بن عبد العزيز اخروها عن وقتها والصحيح الاول
فانه في حق الكفار بدليل قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل فاستثنى المؤمنين فدل ان المستثنى منهم هم الكفار
وقوله تعالى اتبعوا الشهوات اي المشتهيات فلم ينظروا بعقولهم الى العواقب ولم يتحملوا مشاق العبادات
ومالوا الى ما يخف على الطباع من طلب الراحات والصلوات اريد بها الجنس وهي الصلوات ولعل السورة
سبقت وهذا المعتقد فان المشركين كانوا يانفون من السجود حتى كان بعضهم لشترط عند ارادة الاسلام ان
لا يصلي اي لا ينحني للركوع والسجود فذكر الله تعالى ان جميع الانبياء والاولياء كانوا خاشعين لله ساجدين
راكعين فذكر زكريا اولا ودعاءه في صلاته وخروجه من المحراب وهو موضع الصلاة والاشارة ان سبحوا بكرة
وعشيا وهو الصلاة وقال في ولده يحيى ولم يكن جبارا اي متكبرا عن العبادة لله والصلاة له • وقال في مريم
اذ انتبذت من اهلها وكان ذلك للاعتزال للصلاة ومن خطابه لمريم يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع
الراكعين • وقال تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وهو موضع الصلاة • وقال في حق عيسى واوصاني بالصلاة
وقال في ابرهيم صلوات الله تعالى عليه انه نهى اباه عن عبادة الاوثان وامره بعبادة الرحمن • وقال في موسى

عليه السلام وناديناه من جانب الطور الايمن وكان في ذلك النداء انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري
وقال في حق اسمعيل عليه السلام وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة • وفي تتمة كرمه فقوله خروا سجدا وبكيا فذكر من كلهم هذا
ثم ذم من جاء بعدهم وخالفهم بترك الصلاة واتباع الشهوات وهذا كله تحريض لهؤلاء على اتباعهم ومخالفة الجماعة من
ابائهم • وقوله تعالى فسوف يلقون غيا اختلف اهل العربية واهل الاثار في الغي فقال بعض اهل اللغة هو الهلاك • وقال
جرير نال الزبير وقتيم جيرانه غيا لمن قتل الزبير طويلا • وقال بعضهم هو الشر قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • وقال بعضهم هو الخيبة • وقال بعضهم هو الضلال وعلى هذين معناه فسوف يلقون
جزاء الجهالة والضلالة وعلى هذا قوله يلق اثاما اي جزاء الاثم • واما اهل الاثار فقد قال ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهم هو واد في جهنم • وقال بعضهم هو الخسران • وقال بعضهم هو العذاب • وقال حميد بن هلال
ان في جهنم بين اصبعها كضيق الزج تسيل فيها ودما تسمى غيا • وعن ابي عبيدة من ابيه الغي عند في النار • وقال
وهب الغي نهر في النار بعيد قعره خبيث طعمه • وقال مقاتل فخلف من بعدهم خلف يعني اليهود اضاعوا الصلاة
المفروضة واتبعوا الشهوات استحلوا نكاح الاخت من الاب • وقال مجاهد هم النصارى • وقيل هم مشركوا العرب
وهم من اولاد اسمعيل • وقيل هي في حق المسلمين الذين يؤخرون الصلاة عن اوقاتها • وقد مر عن عمر بن عبد العزيز ذلك
وقال فروة بن خالد امنوا من الامراء صلاة العصر • وقال الضحاك اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الاية والله
ان ادركها احب الي من ان اضيعها • وقال ابن جبير اضاعوا الصلاة اي لم يصلوها لوقتها • وقال الزهري المنافقون
شاربون للشهوات لعابون بالكعاب التابعون للشهوات التاركون للجماعات الرقود عند العتمات المفرطون
في الصلوات ثم تلا هذه الاية • وروى ابن جريج عن مجاهد قال هذا عند قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الامة
ينزو بعضهم على بعض في الازقة نزوا • وقوله تعالى الا من تاب وامن اي رجع عن كفره وامن على شرطه • وقوله تعالى
وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول من حمل الاية على المسلمين وامن اي دام على ايمانه وتاب من ذنبه • وقوله تعالى فاولئك
يدخلون الجنة ولا يدخلون النار • وقوله تعالى ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من ثواب عملهم في المستقبل بما
عملوا من الذنوب في الماضي • وقوله تعالى جنات عدن ترجم عن قوله يدخلون الجنة وهي في محل النصب وانما ترجم
عن الجنة بالجنات لانها اجناس وهي بمعنى الجمع اي هي جنة واحدة مشتملة على الجنات التي وعد الرحمن عباده اي
العباد التائبين المؤمنين العاملين الصالحات فقد سبق ذكر الصفات ولانه اضافهم اليه وهو اختصاص
واهل الاختصاص هؤلاء بالغيب بالوحي الى نبيه وتلك الجنة غائبة عنهم فصدقوه ووثقوا عليهم بالتصديق انه
كان وعده اي موعوده • وقوله تعالى ماتيا اي ياتيه الموعود له ويليه ومن جعله بمعنى الاتي فهو خلاف الوضع
وما قلنا احسن لان مراعاة الوضع فما اتاك فقد اتيته • وقوله تعالى لا يسمعون اي في الجنة • وقوله تعالى لغوا
اي هذرا من الكلام وما حقه ان يلغى اي يبطل ويطرح ولا يصغى اليه وقد ذكر الله تعالى كلامهم في ايات قال دعواهم
فيها سبحانك اللهم الا يتين • وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي هدانا الاية انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين الاية وكلام الثانية الملائكة لهم سلام عليكم بما صبرتم الاية • وقوله تعالى الا سلاما استثناء منقطع
اي لكن سلاما من اللغو وسلاما عليهم بالتحية التي بيناها • وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي مطاعمهم
ومشاربهم على ما يحبونه في الدنيا من الاكل في هذين الوقتين يؤتون به بمقدار هذين الوقتين ولا بكرة فيها ولا
عشي • وقال قتادة كانت العرب اذا اصاب احدهم الغداء والعشاء عجب له فاخبرانهم في الجنة ذلك • وقيل
لما كان اعتدال احوال المطاعم وابعدها من العزنا الغداء والعشاء عرفهم جل جلاله اعتدال احوال اهل الجنة فيما كلهم
وضرب لهم البكرة والعشي مثلا لذلك • وقيل لهم ذلك غير منقطع فيوافق حاجتهم وتقول الرجل انا اصبح وامسي
في ذكرك وبني فلان يغدوا الي ويروح اي لا ينقطع تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اي نجعلها
للاتقياء دون الذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات واراثتها مصيرها لهم وايتائهم فيها كما قال تعالى
واورثكم ارضهم وديارهم • وقوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك اي ويقول جبريل حين استبطات نزوله وما
نتنزل نحن معاشر الملائكة الا بامر ربك واضمار القول في القران كثير منها انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
اي قل ذلك وقد بينا في سورة الكهف انه تاخر نزول جبريل اياما حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح
واصحاب الكهف وذي القرنين ويحتمل ان يكون تاخر نزوله بعد هذه الايات التي فرغنا من تفسيرها اياما
فلما نزل سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب التاخير فنزلت الاية في ذلك فانتظمت لما نزولها بعدها •
وقوله تعالى له ما بين ايدينا اي قبل ان خلقنا وما خلفنا اي من الدنيا بعد بعثتنا • وقوله تعالى وما بين ذلك
حال حياتنا • وقوله تعالى وما كان ربك نسيا اي تاسيا يعني الوقت الذي فيه الصلاح فاخر النزول حينئذ
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك من الازمان والاوقات فهي كلها لله خلقها وهو يدبرها ويدبر امرنا
بينهما بما شاء من تقديم انزال وتاخيره • وقيل ما بين ايدينا الاخرة وما خلفنا الدنيا وكل واحد منها له وجه في
الاستعمال يقال السنة التي بين ايدينا على معنى انا متوجهون اليه والسنة خلفنا اي مضى بعد هذا وكذا ما يقابله

فيها م

اي سالما م

خاشعين م

وقيل له ما بين ايدينا اي ما مضى من امورنا وما خلفنا ما يكون منا بعد هذا وما بين ذلك ما نحن فيه الان اي هو المالك
لامورنا كلها والمتصرف لها كيف شاء • وقال الاخفش الكلام في قوله له ما بين ايدينا لبيان العلم وهو في معنى قوله تعالى
اعلم بما لبثوا له غيب السموات هو للعلم • وقوله تعالى وما كان ربك نسيا بين ذلك اي بين ذلك وقد وقتنا له نزلة
تعالى هو ان بين ذلك • وقال في قوله وما كان ربك نسيا اي ناسيا لك وذلك حين قالوا لعل ربك نسيك • وقوله
رب السموات والارض وما بينهما اي هو رب السموات والارض • وقيل هو ترجمة قوله وما كان ربك نسيا فاعبده
بالصلاة ونحوها • وقوله تعالى واصطبر لعبادته اي اثبت عليها ولا تجزع لتاخير الوحي عنك • وقوله تعالى هل تعلم له
سميا اي هل تعلم احدا يستحق ان يسمى باسمائه ويوصف بصفاته فيكون خالقا ورازقا ومحييا ومميتا قادرا على كل
شيء قادرا على كل شيء اي قد علمت ان احدا ليس كذلك فالزم عبادته • وقيل هل تعلم له سميا اي مثيلا • وقال القشيري
رحمه الله هو رب الاكابر وهو ايضا رب الاصاغر وقيمة العبد لمالكه وقدره لا لشيء في نفسه وجوهره • وقوله تعالى
ويقول الانسان اءذا ما مت لسوف اخرج حيا استفهام بمعنى التعجب والانكار • وقوله لسوف اخرج حيا اي من القبر
وقيل هو ابي بن خلف الجمحي اي يقول الانسان المنكر للبعث وهو الذي يرتفع عن الصلاة والخدمة لله تعالى
مخالفا للانبياء الذين ثبتوا هم اتقيا الذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات لانكارهم البعث ولولاه ما فعل
كذلك • وقوله تعالى اءذا امت لابعث واخرج من القبر مستعظما له منكرا لكونه • وقوله تعالى او لا يذكر الانسان
قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يذكر بتشديد الذال والكاف واصله يتذكر فادغمت التاء في الذال
اي افلا يتذكر ويتصور بقلبه • وقرا الباقون مخففا من الذكر الحاضر في القلب • وقوله تعالى انا خلقناه من قبل ولم
يك شيئا وهذا احتجاج على المعتزلة في ان المعدوم ليس بشيء حال عدمه اي ما وجدنا • والاعادة كذلك وهو كقوله
قل يحييها الذي انشاها اول مرة • وقوله تعالى فوربك لنحشرنهم اقسم بنفسه واضاف نفسه الى نبيه وهذا
تعظيم لقدره وهو تاكيد الخبر عن البعث بعد اقامة الحجة عليهم لنحشرنهم اي لنبعثنهم ولنجمعنهم يوم القيامة
والشياطين يوم القيامة الشياطين معهم وهم اولياؤهم فنقرنهم في السلاسل في جهنم • وقوله تعالى ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا • قال الكلبي اي جماعات • قال الاعشى وهي حملة كبدر طالع برب الخلق جثيا بالجمال • اي جميعا
وقيل اي جاثين على ركبهم وذلك يكون للاختصام كما قال ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون • وقال النظر
يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون جمعا للجاثي • وقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا • قال الخليل رفع ايهم على الحكاية تقديره فيقال لهم ايهم اشد عتيا فليخرج • وقال سيبويه اي الذي
هو اشد ولما حذف هو اعرب ايهم باعرابه ومعنى الاية ثم لنخرجن للنار من كل فرقة متشايعة اي متعاونة
على الكفر اشد على الله عتوا اي تمردا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما جراة • وقال مجاهد فجورا • وقال
مقاتل علوا اي نبدا بالاعتى فالاعتى ادخالهم النار فندخل الرؤسا اولا ثم الاتباع كما قال يقدم قومه
يوم القيامة الاية • وقوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ثم هاهنا للترتيب الاخبار لا الترتيب
الحكم اي نحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي بمن هو اولى بزيادة العقوبة من قولهم صليت بالحرب اي
قاسيت شدتها فالاية الاولى في بيان الاحق بالبداءة وهذه في بيان الاحق بزيادة التشديد • وقوله تعالى
وان منكم الا واردها اي وليس منكم ايها الناس من المؤمنين والكافرين الا وهو وارد جهنم • قال ابن عباس
رضي الله عنهما والله لاردنها واني لارجو ان اكون من الذين قال الله تعالى فيهم ثم ننجي الذين اتقوا وتكون
انت من الذين قال الله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا ويحك يا ابن الازرق اما تقرا كتاب الله تعالى وما
امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار اقرا ويحك اما اقامهم على شفيرها والله
تعالى يقول ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قال فسكت • وعن بكر بن عبد الله المزني قال لما نزلت هذه الاية
ذهب ابن رواحة الى بيته فبكى فجاءت المراة فبكت فجاء الخادم فبكت وجاء اهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقطعت
عبرته قال يا اهل البيت ما يبكيكم قالوا لا ندري ولكن رايناك فبكينا لبكائك قال انه انزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينبئني ربي اني وارد النار ولم ينبئني اني صادر عنها فذلك الذي ابكاني • وقال
الحسن قال الرجل لاخيه اي اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال
ففيم الضحك اذن قال فما رئي ضاحكا حتى مات • وقيل هو مرور الكل على الصراط وسلامة المؤمنين وسقوط
الكافرين • روي عن كعب انه قال ان جهنم يجاء بها يوم القيامة كانها متن اهالة يعلوها البر والفاجر
فيقول الله تعالى لجهنم خذي اولياءك ودعي اوليائي قالت فاني اعرف بهم من الام بولدها فتاخذهم وينجو
المؤمنون منها ندية ثيابهم وهو قول الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا • وعن خالد
ابن معدان انه قال اذا دخل المؤمنون يقولون الم يعدنا ربنا انا نرد النار فيقال لهم بلى ولكنكم مررتم بها وهي
جامدة • وسئل السدي عن هذه الاية فقال حدثني مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ليس احد من الناس الا سيردها ثم تصدرون منها باعمالكم فيكون اول صادركم كلمع

البرق ثم يكون الصادر كالريح المارة بهم ثم يكون الصادر كالطير ثم يكون الصادر كاشد الفرس ثم يكون كاشد الراحلة ثم
يكون الصادر كاشد الرجال ثم يكون الصادر كالمشي واخرهم يتجوان يحبو حبوا • وعن سعيد بن هلال قال بلغنا ان الصراط
يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع ثم فائدة ادخال المؤمنين النار مع ان الله
تعالى ينجيهم من النار تشديد الحسرة على الكفار بدخولهم فيها وتعذيبهم بها وبقائهم فيها • وعن جابر رضي الله عنه
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها ثم تبرد على المؤمنين كما كانت بردا
وسلاما على ابراهيم وبعض الناس جعل هذا الورود حضورا وهو كقوله ثم لنحضرنهم حول جهنم الاية • وقال تعالى
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا • قرا الكسائي بالتخفيف من الانجاء • والباقون من التنجية وهما لغتان
اي نخرج منها الذين اتقوا الذنوب كلها قبل ان تعذب والذين اتقوا الكفر ووقعوا في المعاصي اما قبل التعذيب
واما بعد التعذيب فنصيرهم الى الجنة في العاقبة ونذر الظالمين اي ندع المشركين فيها ابدا جثيا اي جماعات
كامر • وقيل جاثين على الركب للتخاصم كما قال واذ يتحاجون في النار وقال ان ذلك لحق تخاصم اهل النار • وقوله
تعالى واذا تتلى عليهم اي على هؤلاء المنكرين للبعث اياتنا اي القران • وقوله تعالى بينات نصب على الحال اي
حججا واضحات • وقوله تعالى قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما • قرا ابن كثير بضم الميم وهو
موضع الاقامة والباقون بفتحها وهو موضع القيام • وقوله تعالى واحسن نديا اي مجلسا ومجتمعا وندوة
القوم اذ دوم نديا اي جمعهم في مجلس والنادي المجلس • قال تعالى فليدع ناديه والاندية المجالس جمع ندي
كالاقفزة جمع قفيز ويجمع جمع نادي كالاودية جمع وادي يقول عجزوا عن المعارضة والاعتراض فعدلوا عن
المحاجة الى المعاندة بادخال الشبه على الضعفة فقالوا اي الفريقين منا ومنكم ايها المؤمنون خير منزلة
واحسن مجالس اي اينا اكثر مجالس ما لا واحسن في اسباب الدنيا حالا توهموا بذلك ان من كثر ماله وحسنت
حالته وانبسطت يده وكثرت اعوانه فذلك دليل على انه محق في دينه ومن خالفه في هذه الصفة من سوء الحالة
ورثاثة الهيئة وقلة الخدم والحشم فهو مبطل في دينه • وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا
ورئيا الاثاث المتاع • وقيل ما تزين به المنزل من انواع الامتعة والرئي المنظر من المروة • وقرا نافع
وابن عامر ريا بغير همز • وقرا غيرهما بالهمز على الاصل ومن ترك الهمز فله وجهان احدهما تليين الهمز او ادغام
تخفيفا او لموافقة فواصل الاي والثاني انه من روي يروى ريا من حد علم اي روت الوانهم وجلودهم وارتوت
من النعمة والخصب ذكر هذين الوجهين الكسائي والاخفش وقطرب يقول ليس هؤلاء في المخالفين المكذبين
من كانوا اكثر من هؤلاء مالا وابسط يدا وابعد صوتا وابهى منظرا وانعم عيشا واكثر انصارا وكان هذا متعلقا
عندهم من هلاك عاد وثمود وغيرهم نزلت الاية في النضر بن الحارث وذويه • قال مقاتل كانوا يرجلون شعورهم
ويدهنون رؤسهم ويلبسون جياد ثيابهم مفتخرين بشاراتهم وهيئاتهم على فقراء الصحابة • وقوله تعالى فليمدد
له الرحمن مدا اي قل لهم يا محمد من كان في الشرك والجحود فليعش ما شاء من المدة الطويلة واضاف المد الى
نفسه لانه هو الذي يعمر ويبقي في الدنيا اهلها فان طول عمره لا يمنع الله تعالى مما يريد بهم عاجلا او اجلا
وقيل اراد به المد في الضلالة كقوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون • وقوله انما نملي لهم ليزدادوا ا
اثما وهذا صيغته صيغة امر ومعناه الخبر كقوله قل كونوا حجارة وقالوا من عادة العرب تاكيد الخبر
بصيغة الامر • قال تعالى وخطاياكم • وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون اي على ترتيبهم من احد هذين اما
العذاب اي العاجل واما الساعة اي القيامة • وقوله تعالى فسيعلمون اي فسوف تعلمون في القيامة من
هو شر مكانا اهم ام المؤمنون • وقوله تعالى واضعف جندا اي اقل ناصرا لا ينبغي لهم ناصر ولا مقام ولا ندي كانوا
يقولون اي الفريقين خير مقاما والمقام هاهنا هو ذلك المقام اي يعلمون انما اوتوه من المقام والندي
لم يكن لعزهم وشرفهم عند الله بل المؤمنون هم اشرف عند الله محلا • وقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ثباتا
على الاهتداء كما يمد الضالين المصرين على ذلك في الضلال • وقوله تعالى والباقيات الصالحات اي الاعمال
الحسنة التي يبقى ثوابها خير مردا اي احسن عاقبة من الاعمال السيئة كعبادة الاوثان والمعاصي والافتخار بالدنيا
والاثاث والرئي والمقام والندي • وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير مردا اي مرجعا ومنقلبا • وقوله تعالى
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا • قرا حمزة والكسائي وولدا بضم الواو وهو لغة في الولد
كالحزن والحزن والعدم والعدم والبخل والبخل • وقيل هو جمع الولد كالاسد بالضم جمع الاسد والباقون ولدا
بفتح الواو واللام وهو واحد • وروي عن خباب بن الارت انه قال كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل
حق فاتيته فقال لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك فقال دعني حتى اموت
وابعث فاوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت الاية • وهذا دليل على انه قال ذلك استهزاء • وقيل نزلت في الوليد
ابن المغيرة • وقيل في ابي بن خلف • وقوله تعالى افرايت يا محمد هذا العجب من هذا الكافر الذي يقول لاعطين
مالا وولدا • وقوله تعالى اطلع الغيب الف الاستفهام بمعنى الانكار والتوبيخ • قال ابن عباس رضي الله عنهما انظر

في اللوح المحفوظ ، وقال مجاهد هذا علم الغيب والاطلاع في اللغة هو الاشراف على الشيء والنظر اليه ، وقوله تعالى
ام اتخذ عند الرحمن عهدا اي ميثاقا انه يدخله الجنة ويؤتيه المال والولد ، وقيل عهدا اي توحيدا ، قال ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل اي عملا صالحا كلا اي ليس كما توهم وما اطلع الغيب وما اتخذ عند الرحمن عهدا ، وقوله تعالى
سنكتب ما يقول اي ستكتب ملائكتنا بامرنا كتابا فنخرج له يوم القيامة فيجازى به ، وقيل اي سنثبت ، وقيل
اي سنحفظ ، وقوله تعالى ونمد له من العذاب مدا اي نزيد ونصل بحيث لا ينقطع ، وقوله تعالى ونرثه ما يقول
اي نميته ونرث ماله وولده وهو كقوله انا نحن نرث الارض ويأتينا فردا من المال والولد ، وقوله تعالى واتخذوا
من دون الله آلهة اي اتخذ هؤلاء المشركون اصناما يعبدونها ، وقوله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بها
في الاخرة عند الله بما ذكروا من رجاء الشفاعة وتقريبهم الى الله زلفى ، وقوله تعالى كلا اي ليس كما ظنوا ، وقوله
تعالى سيكفرون بعبادتهم اي تتبرأ الآلهة عنهم كما قال يكفر بعضكم ببعض ، وقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا
قيل اي اضدادا كما قال تعالى ثم يخرجكم طفلا قالوا انما وحد لانه اراد كل واحد منهم يكون ضدا ، وقيل
ذكره بمقابلة قوله ليكونوا لهم عزا وهو المصدر يصلح للجمع ومعناه يكونون خلاف ما توهموا انهم يشفعون
ويشفعون وان حمل على الملائكة وعيسى وعزير فكونهم ضدا قولهم بل كانوا يعبدون الجن وتبرأهم منهم ، وقوله
تعالى الم تر انا ارسلنا الشياطين اي خليناهم وهو كارسال الكلب ، وقوله تعالى على الكافرين اي على
هؤلاء المشركين الذين اتخذوا الهة تحريضا للشيطان اي خذلناهم فلم نمنع تزيين الشيطان عنهم ، وقوله
تعالى تؤزهم ازا تزعجهم وتغريهم بالمعاصي ، وقال ابو عبيدة تهيجهم ، وقال قطرب هو قولك ازه قدرك
اي اوقد تحتها كانه قال تحركهم على الكفر والمعصية بالدعوة والتزيين تقول خليناهم ولم نمنعهم لتتم المحنة
فيستحق المخزي عند الثواب وقد نهيناهم عن اتباع الشيطان واكملنا عقولهم التي يمكن بها التمييز بين
الحق والباطل ، وقيل فيه مضمر فعلنا ذلك ليجاهدوا وليحذروا فلم يفعلوا ، وقوله تعالى فلا تعجل
عليهم بطلب عذابهم ، وقوله تعالى انما نعد لهم عدا اي نعد مدتهم وهو عبارة عن المدة تعالى الايام
معدودة والانفاس معدودة ، وقيل ما دخله العدد فقريبا ينفد ، وقيل معناه لا تعجل عليهم فانا نؤخرهم
لا لعجز نريد بهم ولكن ليزدادوا اثما ، وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قيل يتصل بقوله
ويكونون عليهم ضدا يوم نحشر اي نبعث المتقين الى الرحمن اي الى جنات الرحمن ويطلق على البعث
الى دار الملك ويبدا الكلام بالاخبار عن نفسه ثم بصيغة الجمع ثم المغايبة وهو من اقسام البلاغة وطريقة
طريق قول الامير نزلكم دار الامير يعني نفسه وهو كقوله مهاجرا الى الله ورسوله ، وقيل الى الرحمن
اي الى موقف الحساب وفيه تيسير الحساب وتوفير الثواب وفدا اي وافدين مقدرين ادبه تبعث
الجمع كالضيف والوفود ، وقيل جمع وافد كالركب ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وفدا اي ركبانا فانه
من خصائص الوفود قال يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فيركبوا عليها
حتى يضربوا ابواب الجنة وفي تسميتهم وفدا اشارة انهم يتوجهون الى الجنة مسرورين ويحدون الاهل
والخدم بتقدومهم مسرورين كالوفد يتوجهون الى السلطان مسرورين ويكونوا السلطان وحشمه يوردونهم
وقوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ، قال اهل التفسير اي عطاشا وهو في اللغة ورود الماء ولكن
لا يكون ذلك الا عن عطش فجعل مجازا عنه ودليلا عليه ودل ذكر ورود جهنم هاهنا ان يقابله من ذكر الوفود
هو دخول الجنة ، وقوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي لا يملك احد من اهل
المحشر ان ينفع احدا بشفاعته الا ان يكون الشافع ممن اتخذ عند الرحمن عهدا اي وثيقة بعمل صالح قد
يستحق به رتبة الشفعاء ويحتمل الا من اتخذ عند الله عهدا العهد اي لا تكون الشفاعة الا في حق المؤمن
وقيل العهد الايمان ، وقيل الطاعة اي الصلاة ، وقيل الذكر والعهد جامع لذلك كله ، وروى ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال كل صباح ومسا اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا اني اشهد انك انت الله الذي لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي طرفة عين فانك ان تكلني الى نفسي
تقربني من الشر وتباعدني من الخير فاني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيامة
انك لا تخلف الميعاد طبع عليه طابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين
لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة ، وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، قال اكثر العرب الملائكة بنات
الله ، وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد اي منكرا عظيما ويحتمل
ان تكون الاية عامة فيهم وفي النصارى وزعمهم المسيح ابن الله ، وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
قرا نافع والكسائي بالياء التذكير لتقدم الفعل والباقون بالتاء للتانيث وينفطرن ، قرا ابن عامر وابو عمرو
وحمزة في رواية وعاصم في رواية ابي بكر بالنون من الانفطار والباقون بالتشديد من التفعل اي قارب

السموات

السموات ان يتشققن من هذا الشيء وتنشق الارض لذلك ، وقوله تعالى وتخر الجبال هدا ، قال القتيبي سقوطا ، وقال
الفراء كسرا ، وقال قطرب زلزلة وكسرا ، وقال الكسائي رضا ، وقال الخليل هدما مع صوت شديد والهدة صوت
شديد يسمع من سقوط ركن او ناحية جبل وهذه الاشيا عند قيام الساعة وزوال بنا العالم ، قال تعالى اذا السما
انفطرت ، قال جل جلاله رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانه قال كاد العالم ينتقض لفظاعة ما قالوا
وقوله تعالى ان دعوا للرحمن ولدا اي لان سموا له ولدا اي ما يصلح هذا لان كل من في السموات والارض عبد واضافوه
وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما يصلح هذا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن
عبدا اي ليس احد من اصناف الخلق من الانبيا والملائكة والجن والانس والشياطين وغيرهم الا وهو يأتي
عبد يوم القيامة واذا كانوا عبيده وقد خلقهم فكيف يكون احدا منهم ولدا له وهذه الاية تقول اذا ملك الاب
ولده عتق عليه لانه لا يجتمع النبوة والعبودية ، وقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا اي قدر عليهم وعلم
مبلغ عددهم وكلهم اي كل واحد منهم ولذلك وحد قوله آتيه فاما قوله وكل اتوه داخرين فعلى جميعهم فلذلك
جمع الخبر يوم القيامة فردا اي منفردا عن الانصار والاموال فلا يحجزه عما يستحقه من عذاب الله تعالى حاجز
ولا يشفعه الا ما قدمه من عمل صالح ، وروى ابن المبارك رحمه الله عن عوف بن غالب بن عجرد قال حدثني رجل من اهل
الشام في مسجد منا قال ان الله تعالى لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة ياتيها بنو آدم
الا اصابوا منها منفعة وباتوا لهم فيها منفعة فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني آدم تلك الكلمة العظيمة
قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الارض وشاك الشجر ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الجبل يقول
للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله تعالى فان قال نعم سر به ثم قرا عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد
جئتم شيئا ادا حتى اذا بلغ ان دعوا للرحمن ولدا قال افتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير وهذا اذا وضع
الله تعالى فيها الحياة والعلم وذلك جائز عندنا وذلك وعلى ذلك تصدع الجبل من خشية الله تعالى في قوله
من خشية الله تعالى ، وقال قطرب الاد الداهية والامر الفاحش وجمعها الاداد وقد اديد ادا وئود وانشد
يا ايها الناعم امرا ادا ، ان كنت توجهنا فناطح حدا ، وقال رؤبة ويبتغي الفحشا والاباطلا ، والاد الاداد والعضاب
وقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذكر المؤمنين بعد ذكر الكافرين سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة
في صدور عباده المؤمنين فيحبهم ويحببهم الى خلقه وكان نزول هذا بمكة قبل هجرة الحبشة والمدينة وحقق الله
لهم هذا الوعد بجعل في قلب النجاشي هذا الود وذا المؤمنين حتى امنوا في بلاده ووصلوا الى بره على ما مضى ذكره
من حديث جعفر بن ابي طالب وهجرة الصحابة اليه وقراءته هذه السورة عليه ورده قصد المشركين عندهم
ثم بعد ذلك جعل لهم الود في قلوب اهل المدينة حتى اووهم ونصروهم واستقبلوا بالقرآن ثم بالسيف ثم الف الله تعالى
بين قلوب الاوس والخزرج فجعل لهم الود حتى اتفق الفريقان على نصرة الحق ثم تتابع هذا حتى دخل الناس
في دين الله افواجا وجاء نصر الله والفتح واورث الله تعالى المسلمين مقام الكفار وبدلهم فظهر دين الله وهم
كره المشركون وفي ذلك اوضح دليل على صدق دعوى النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وقيل معناه سيجعل
للمؤمنين مودة لبعضهم من بعض فيتوادون ويتعاطفون ويتعاضدون ويتناصرون فينتقم بذلك اعداؤهم
بالسيف او بالحجة ، وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اي يسرنا القرآن كناية لم نسقه صريح كما في قوله انا انزلناه
في ليلة القدر ، وقيل يسرنا ما قصصنا عليك في هذه السورة بلسانك الذي هو لسان العرب حتى فهموه وعقلوه
ووقفوا على اعجازه ، وقوله تعالى لتبشر به المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي بما قلنا سيجعل لهم الرحمن
ودا ونحو ذلك ، وقوله تعالى وتنذر به قوما لدا اي المشركين المذكورين في هذه الايات واللد جمع الالد
وهو شديد الخصومة ، قال تعالى وهو الد الخصام واللد مصدر اللدد ، وقال ابو عبيدة هو الذي لا يقبل الحق
ويدعي الباطل ، وقال الخليل وهو الشديد الخصومة العسر الانقياد وكان مشركوا قريش كذلك ، قال تعالى
بل هم قوم خصمون ، وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هون على النبي صلى الله عليه وسلم خصامهم وعنادهم
وقال وكثيرا اهلكنا قبل هؤلاء من قرون كثيرة مثل قوم نوح وصالح وقوم لوط وقوم شعيب وجزيهم لما كذبوا
انبياءهم ، وقوله تعالى هل تحس منهم من احد اي هل تبصر ، وقوله تعالى او تسمع لهم ركزا هو الصوت الخفي
في الحركة اي قد ذهبوا وبادوا فلا عين لهم ولا اثر فكذلك هؤلاء ايضا اذا اعرضوا عن تدبر ما يسرناه بلسانك منهم
من القرآن الذي لهم فيه الشفاء والبيان فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم ، وقال الامام القشيري
رحمه الله اوجدهم واحياهم وعلى ما شاء فطرهم وافناهم ثم بعد ذلك بما شاء اماتهم وافناهم فبادوا باجمعهم
وهلكوا عن آخرهم فلا كبير منهم ولا صغير والجليل والحقير وسيطالبون يوم النشور بالنقير والقطمير والى
جزاء الله المصير ، والحمد لله العلي الكبير السميع البصير اللطيف الخبير حمدا لا يحصى عدده ولا يعرف
امده ، واشكره على ما وفقني في اتمام هذه السورة وصورني بعد ذاته في احسن الصورة ، وصلى الله على
سيدنا محمد سيد الانبيا وخيرته والرضوان على اهله وعترته وعلى الصالحين من امته اجمعين

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الارض والسموات العلى • الرحمن الذي لا اله الا هو له الاسماء الحسنى • الرحيم هو غفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين • وسورة طه مكية وهي مائة واثنان وثلاثون اية • وقيل اربع وثلاثون وقيل خمس وثلاثون • وقيل اربعون • والاختلاف في احدى وعشرين اية طه كي نسبحك كثيرا محبة مني ولتصنع وفتناك فتونا في اهل مدين واصطنعتك لنفسي ولقد اوحينا الى موسى ما غشيهم غضبان اسفا وعدا حسنا وكذلك القى السامري واله موسى فنسي اليهم قولا اذ رايتهم ضلوا قاعا صفصفا مني هدى زهرة الحياة الدنيا وهي الف وثلثماية وخمس وثلاثون كلمة وخمسة الاف ومايتان وثلاثة وثمانون حرفا • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك السورة بذكر القران وانزاله • وانتظام السورتين انه ذكر في تلك السورة قصص الانبيا وذكر فيهم موسى وذكر انه من ذرية ادم وختمها بذكر الموافقين والمخالفين • وذكر في هذه السورة قصة موسى وختمها بقصة ادم ثم بذكر الموافقين والمخالفين • وقوله تعالى طه • قرا ابن كثير وابن عامر ونافع في رواية بتفخيم الطا والها • وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر باما لتهما • وقرا ابو عمرو في رواية بتفخيم الطا وامالة الها • ونافع في رواية بين الامالة والتفخيم • واما تفسيره فقد قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة معناه يا رجل وهي بالسريانية • وقيل بالنبطية • وقيل بلغة عك • قال الشاعر شعر • ان السفاهة طه من خلايقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين • وقال مقاتل بن حيان طه اي طا الارض بقدميك يريد به التهجد فانه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم في الصلاة على اطراف اصابعه فامر ان يطاها باخمص قدميه وعلى هذا يكون قوله طا امر من وطا يطا ولينت همزته وها كناية عن الارض • وقال القرظي اقسم الله تعالى بطهارة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ويطهركم تطهيرا • وقيل هو كناية عن طاهر وهو اسم الله تعالى • وقيل طا طوبى وها هاوية وهو قسم بالجنة والنار • وقال سعيد بن جبير رضي الله عنهما الطا افتتاح اسمه طاهر وطيب والها افتتاح اسمه هادي • وقيل هو خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يا طالب الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الله • وقيل الطا طيبة والها هيبة والطيبة طيبة والهيبة غالية • وقيل الطا طاعته والها هيبته وقيل الطا تسعة والها خمسة وجملتها اربعة عشر وهو اشارة الى تسمية بدر كانه قال يا بدر ليلة اربعة عشرة • وقال مجاهد هو اسم هذه السورة • وقال بعضهم هو اسم القران • وقال الامام القشيري رحمه الله الطا اشارة الى اهتدا قلبه الى الله تعالى • وقال ايضا معناه طوينا عن سرك ذكر غيرنا وهدينا لك سبيل الثنا وقال ايضا طاب عيش من اهتدى بك • وقيل الطا طلب الموحدين والها هرب الجاحدين فمن طلبه وجده ومن هرب منه ادركه • وقيل الطا طرب اهل الجنة بعشرة اشيا ينادي مناد لكم حياة لا موت بعدها وصحة لا سقم بعدها • وشباب لا هرم بعده • وعز لا ذل بعده • ونعمة لا محنة بعدها • وامن لا خوف بعده • وفرح لا حزن بعده • وكرامة لا هوان بعدها • وغنا لا فقر بعده • وملك لا عزل بعده • وسعادة لا شقا بعدها والها هوان اهل النار بعشرة اشيا ينادي المنادي وهي عشرة على قلب هذا • وقوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام ربط صدره بحبل كي لا ينام • فانزل الله تعالى هذه الاية • وقيل قام حتى تورمت قدماه فنزلت • وقيل زاد في اجتهاده فقيل له في ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا • وقال القشيري رحمه الله يقول ليس المراد من وحينا اليك تعبك انما هذا استفتاح طلب الوصلة وتمهيد بساط القربة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية قال القوم لقد شقي هذا الرجل بربه فنزلت الاية لتشقى اي لتتعب كما قال فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي تتعب بالكسب وظاهره انه نزل امرا بالتخفيف على نفسه ويحتمل وجها اخر وهو ان الكفار لما عيروه بذلك ان الله تعالى الزمه اجتهادا شقي به في دنياه بالتعب والسهر وارادوا ان ينفروه اتى الله تعالى بهذا ليبين له ليس اشقا بل هو سعادة به ويقتدي به غيره فيكون له مثل اجورهم فيكون هذا امرا بالثبات عليه والازدياد ويحتمل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتبقى هكذا قليل الاصحاب كثيرا الاعدا بل ننصرك ونظهر اعلامك وتكثر غنايم اصحابك وتحسن عاقبة الكل ولذلك وصل بهذا قصة موسى عليه السلام انه قاسي من فرعون وقومه ما قاسي ثم كانت له العاقبة والنصرة والعلية والفرج والسعادة الكبرى • وقيل هذا من احد العجب وجوامع الكلم التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه اذا قال لتشقى فنفى ان يكون انزال القران عليه للشقاوة فقد بين انه كان للسعادة وهي جامعة لكل مراد فكانه قال انما انزلنا عليك لتسعد بكل ما تريد وتروم في الدنيا والاخرة • وقوله تعالى الا تذكرة لمن يخشى اي ما انزلناه الا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيقبل على الله ويومن به ويوحده ويخشاه وخص بذلك وان كان الانذار للكل لانه هو المنتفع

...ر كقوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد • وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها • وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب • وقيل معناه ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتدوم في العبادة فلا تتفرغ للتبليغ والتذكير بل انزلناه على وجه لتتفرغ به على وجه لا يمنعك من التبليغ • وعلى هذا فسر بعضهم قوله تعالى فاذا فرغت فانصب وقوله تعالى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ثم العليا الرحمن على العرش استوى فسرناه في سورة الاعراف وقيل معناه قهر هذا العرش على مراده وسخره على تدبيره فكان كما اراد وكذلك ساير المخلوقات • وقال الشاعر قد استوى مروان في سلطانه • وابن الزبير خاذل من شانه • اي قهر • وقيل خاطب الله تعالى عباده بما يتعارفونه بينهم ولما كان الملك منهم اذا كان جليلا جلس على سرير اعده لنفسه يدل بذلك على عظمته ومباينته لمن سواه ثم اتسع الامر فيه حتى قيل قد جلس فلان على سرير الملك وان لم يكن منه جلوس ولكن يعبر به عن كون الملك له وعن بينونته في الجلالة فخاطبنا الله تعالى في انفراده بالملك والعظمة بذكر العرش والاستوا عليه • وقال سعيد بن زايدة الخزاعي في النعمان بن المنذر ملك العرب قد نال عرشا لم ينله نايل جن ولا انس ولا دنيا واني ما كان • وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما اي ذلك كله ملكه وفي قبضته وتحت قهره وقدرته وامره لا يمتنع شي منه عما تصرف عليه • وقوله تعالى وما تحت الثرى اي وما تحت الارض لان ظاهر الارض من تراب جاف وما هو اسفل منه اذا كثر من تراب مبتل وهو الثرى تقول يعلم ما تحت الارض مما بطن فيها كما يعلم ما ظهر منها • وقد ذكر وهب ان الارضين السبع على عاتق الملك والملك قدماه على الصخرة وهي ياقوتة من الجنة والصخرة على قرني ثور من الفردوس والثور على ظهر حوت من الكوثر والحوت على البحر على جهنم وجهنم على متن الريح على حجاب من ظلمة والحجاب على الثرى والى الثرى انتهى علم الخلايق من اهل السموات واهل الارض فذلك قوله له ما في السموات وما في الارض وقوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • قيل وان تجهر بالدعا في الصلاة وخارجها فان الله تعالى يعلم ذلك ولا يخفى عليه ويثيبك عليه لانه يعلم الجهر وما دونه وهو السر وما هو اخفى من السر فدم على ما انت عليه • وقيل وان تجهر بالقول فان الله يعلم ما دون ذلك فما حاجتك الى الجهر واتعابك نفسك به وما ينالك من اذى المشركين بسببه وهو امر بخفض الصوت والقول هو القراة عند بعضهم وقد سبق ذكر القران • وقيل الدعا واذا حمل على الصلاة كانت جامعة لهما والسر ما لا يرفع به صوته واخفى منه ما يحدث به نفسه ولا يتلفظ به • وقيل السر ما حدث به غيره خافضا صوته واخفى ما خطر بباله او كلم به نفسه • وقيل السر ما اضمره الانسان في قلبه واخفى ما وسوس اليه ولم يضمره • وقيل السر ما تفكرت به واخفى منه ما لم يخطر ببالك وعلم الله تعالى ان نفسك تحدث به بعد زمانه • قال ابن عباس رضي الله عنهما انت تعلم اليوم ما اسررت ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ذلك كله • وقال الضحاك واخفى يعلم ما لم تعلم وانت عامله • وقوله تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فسرناه في اخر سورة الاعراف بقوله ها هنا باسماء الله تعالى دعوته في الصلاة وخارجها فهو حسن جميل • وقوله تعالى وهل اتاك حديث موسى وهذا حث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصبر على عبادة الله تعالى وعلى ما اذى تلومه والحدق في ادعايهم فان موسى فعل كذلك فكان له حسن العاقبة • وهل استفهام بمعنى التقرير فان كان هذا اول ما نزل من قصته فمعناه لم ياتك حديث موسى الى الان فقد اتاك الان فاستمعه فاعتبر به وان كان نزل قبله منه شي فهذا تذكير لك • وقوله تعالى اذ راى نارا وذلك حين سار باهله وكانت ليلة شتا فاظلم عليه وراى من بعيد نارا • وقوله تعالى فقال لاهله اي لزوجته وهي صفورا بنت شعيب ولم يكن معه ويدل على انه كان معه جمع وقد خاطب الجمع • قال وهب كان معه اهله وولده وعبده • وقيل ولدت صفورا منه ولدين جرشون وابليعازار امكثوا • وقوله تعالى اني انست نارا اي ابصرت والانسان مشتق منه لانه يبصر والجن من الاجتنان وهو الاستتار • وقوله تعالى لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة نار في طرف عود او قصبة • وقوله تعالى او اجد على النار هدى اي عند النار هاديا الى الطريق الذي ضللنا عنه • وقال القشيري رحمه الله الح له النار حتى اخرجه من اهله لطلبها وكان المراد اخراجه من بينهم فكان موسى يقول والنار تنادي قال لاهله امكثوا فتنا لوا نتركنا والوادي مني فقال لاجلكم افارقكم لعلي اتيكم منها بقبس • وقوله تعالى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك • قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو اني بفتح الهمزة لوقوع الندا عليه • وقرا الباقون بكسرها على الابتدا كالقول اي ناداه ربه فاسمعه كلامه • وقوله تعالى اني انا ربك مالكك ومدبرك ومصرفك على ما اريد • وقوله تعالى فاخلع نعليك اي انزعهما • وقوله تعالى انك بالوادي المقدس طوى اي المطهر • وقيل المبارك فقيل امره بنزعهما لانهما كانا من جلد حمار غير مدبوغ فنزه الوادي المقدس عن ذلك • وقيل امره بذلك ليباشر تلك التربة بقدميه فيصل اليه بركتها • وقيل امره بذلك تادبا وتخشعا وتواضعا عند المناجاة • وقيل امره بذلك اعظاما واحتراما لذلك المقام كما امر المريد بدخول الحرم حافيا اعظاما له • وقوله طوى قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد هو اسم ذلك الوادي • وقيل هي ارض وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بضم الطا بغير تنوين • وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بضم الطا منونة

اي اذا فرغت من الدعوة فانصب في العبادة م

عنوان العرش لما كان اعظم المخلوقات نبه بذكره على ما دونه من ساير المخلوقات م

لغيره م

وما بينهما م

والبحر م

الذي م

وتذكرة لمن يخشى م

ونسبه واقتتح سنه بذكر القران م

وابو عمرو في رواية عباس م

بحوله وهدايته وقال جعفر الصادق اقسم الله تعالى م

مجرورة • وروى ابو زيد عن ابي عمرو طوى بكسر الطاء من جرها جعلها اسما للوادي وهو مذكر ومن لم يجرها جعلها اسما للارض
وهي مؤنثة فاذا اجتمع التانيث والتعريف امتنع الصرف • وقال القشيري رحمه الله فاخلع نعليك اي فرغ قلبك من
ذكر الدارين • وقيل اخلع نعليك فان بساط الحق لا يوطا بنعلين • وقيل النعلان عصاك يا موسى فاخلع نعليك واتم عندنا
هذه الليلة ولا تبرح • وقيل تبرّ عن نوعي افعالك وانمحِ عن شهود جنسي احوالك من قرب وبعد ووصل وفصل وارتياح
واحتياج وفنا وبقا وكن بوصفنا قايما بحقنا • وقوله تعالى وانا اخترتك • قرا حمزة وانا اخترناك على الجمع اي اصطفيناك
على الجميع • والباقون وانا اخترتك اي اصطفيتك للرسالة • وقوله تعالى فاستمع لما يوحى اي فاصغ لما اوحيه
اليك لتعرفه وتحفظه فتؤديه كما امرك به • وقوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وهو اول
ما اوحي اليه يقول لا يستحق العبادة غيري فافردني بعبادتك • وقوله تعالى واقم الصلاة لذكري اي وحافظ بعد
توحيدي على الصلاة مقيما لها بما هو مشروع فيها من افعال واقوال ودل انه لا فريضة بعد التوحيد اقوى منها
وقوله لذكري اي لتكون بها ذاكرا لي اي بالاذكار التي فيها او تذكرني افعالها معا في تتقرب بها الي وتتذلل بها
لي • وقيل ذاكرا لي ولعظمتي بتلك عن غيرها فلا عني • وقيل لاذكرك وامدحك واثني عليك كما يقال [illegible]
لاعطيك • وعلى هذا اقاويل ولذكر الله اكبر اي ذكر الله للمصلي اكبر من ذكر المصلي لله تعالى • وقيل اي اقم الصلاة
حين تذكرها اذا نسيت صلاة لم تسقط عنك بالنسيان بل اذا ذكرتها فعليك قضاؤها • روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري
اي لامري بها فقولي فاعبدني • وقوله تعالى ان الساعة اتية اي اعبدني وصل لي فاني اجزيك بما يكون منك
في القيامة وهي اتية لا محالة • وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى اي تعمل ان خيرا فخير وان شرا فشر ولتجزى
صلة قوله اتية اي تاتي الساعة بجزاء الاعمال واعترض هاهنا كلام وهو قوله تعالى اكاد اخفيها واكاد صلة
زايدة وهو في الشعر كثير • قال ابو النجم • وان اتاك نعي فاندبن ابا • فقد كاد يصطلح الاعداء والخطبا •
وهو للتحقيق وان حمل على المقاربة ضعف المدح وعلى هذا قوله لم يكد يراها اي لم يرها • وقيل اكاد اريد وهو
تحقيق ايضا لا مقاربة • قال الشاعر • كادت وكدت وتلك خير ارادة • لو عاد من لهو الصبابة ما مضى •
تفسير بالارادة ودل على انه هو المراد • وقيل اخفيها من الاضداد للكتمان وللاظهار كالاسرار في قوله واسروا
الندامة فسر بالمعنيين جميعا • وقد قرئ هاهنا اخفيها بفتح الهمزة ومعناه اظهرها يقال خفى يخفي خفيا
من حد ضرب اي اظهر • قال امرؤ القيس • فان تدفنوا الداء لا نخفه • وان تبعثوا الحرب لا نقعد •
الشدو باعراب على معنيين ومعنى الاية على هذا اكاد اظهرها ليحذرها الناس لقرب وقتها ودنو اتيانها
وقوله تعالى فلا يصدنك عنها اي لا يردنك عن الساعة وذكرها • وقوله تعالى من لا يؤمن بها اي لا يصدق
بها فيهونون عليك امرها ويبعد عليك شانها • وقوله تعالى واتبع هواه اجترا للتكذيب بها انما هو من اتباع
الهوى لان اصله مبني على استثقال الشرايع والاعراض عن النظر • وقوله تعالى فتردى اي فتهلك ان اتبعت
[illegible] ملكت وهذا خطاب لموسى عليه السلام والمراد امته كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لين اشركت
ليحبطن عملك والمراد به امته وان العصمة لا تزيل المحنة كما مر شرحه • وقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
اي وما تلك التي بيمينك فحذف التي كما قال الشاعر • عدس ما لعباد عليك امارة • نجوت وهذا تحملين طليق •
اي وهذا الذي تحملين وعدس زجر للبغلة وهو كقولك انت الرجل اخيك اي الرجل الذي • وقيل الحكمة في هذا
السؤال انسه فقد كانت الهيبة قبضته فقالوا انما قال بيمينك ولم يقل بيدك لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل
لمعنى في الجواب للاستثناء • وقوله تعالى قال هي عصاي اتوكا عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا وقفت
[illegible] الغنم • وقوله تعالى واهش بها على غنمي اي اخبط ورق الشجر [illegible] فاذا طالت
الشجرة تناول غصنها بالمحجن • وقوله تعالى ولي فيها مارب اخرى اي حوائج سوى ما ذكرت [illegible]
المارب مآربة بفتح الراء وضمها وكسرها لغات وكذا الارب والاربة الحاجة • قال وهب كانت [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] الرشا لها الاستقا
[illegible] بها العدو [illegible] الذيب [illegible] وقال ابن عباس رضي الله عنهما المارب
[illegible]
[illegible]
[illegible] كانت معجزة [illegible]
كرامة • وقيل [illegible]
قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى [illegible]
[illegible]
هذه الاية [illegible] الثعبان الذي

كانت في العصا • وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى اي سنردها الى كونها عصا والسيرة الطريقة تنتفع بها كما
[illegible] • فان قيل سماها هاهنا جانا وفي قوله كانها جان والجان اصغر ما يكون من الحيات • وقال في اية اخرى فاذا
هي ثعبان مبين وهي اكبر الحيات • وقال في هذه الاية فاذا هي حية تسعى قلنا قال ابن عباس رضي الله عنهما صارت
اولا جانا ثم لا تزال تتورم حتى صارت ثعبانا والحية اسم يقع على الكبير والصغير • وقال القشيري رحمه الله ان
موسى استنزلت عليه الهيبة فسكنها بقوله وما تلك بيمينك يا موسى فلو ترك لعله كان لا يبقى بل تلاشى ثم قال
هي عصاي وجعل يعدد منافعها فقيل له القها يا موسى فانك تحت التوحيد وتقف على بساط التفريد فكيف
لك هذا ومتى سلم لك ان يكون لك معتمد تتوكا عليه او مستند تستند اليه • وقيل اول قدم في الطريق ترك
كل سبب والتبري عن كل طالب • وقيل التوحيد من علاماته صحة سقوط الاضافات باسرها فلا جرم لما قال موسى هي
عصاي امر بالقائها • وقيل لما باسطه الحق سبحانه بسماع كلامه اخذته اريحية سماع الخطاب فاجاب عما سئل
وعما لم يسال • وقال ولي فيها مارب اخرى وما اعظم مارب لي فيها انك قلت وما تلك بيمينك يا موسى • وقوله تعالى
واضمم يدك الى جناحك قيل اي جيبك • قال الراجز • اضممه للصدر وللجناح • وقيل الى عضدك • وقال ابو عبيد
الجناحان الناحيتان • وقال الخليل يدا الانسان جناحاه • وقوله تعالى تخرج بيضاء اي مضية • قيل كالثلج
وقيل كالبرق • وقوله تعالى من غير سوء اي افة من البرص وغيره • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ادخلها ثم
اخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق تخروا على وجوههم • وقوله تعالى اية اخرى سوى معجزة العصا لنريك من
اياتنا الكبرى نعت الايات على التوحيد كقوله ولي فيها مارب اخرى • وقال ابو عبيدة تقديره لنريك الكبرى
من اياتنا اي لنريك الاية الكبرى من اياتنا فهي نعت الواحدة على هذا • وقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اي
اذهب اليه لتدعوه الى الايمان [illegible] لتمرده انه قد جاوز الحد في ذلك وهو ما قال ان فرعون
علا في الارض الاية • فدعا موسى بهذه الدعوات استعانة من الله تعالى على القيام بما امر به وهو قوله قال
رب اشرح لي صدري اي وسعه للقيام به حتى اصبر على ما ينالني فيه فلا اضيق به صدرا كما قال ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني • وقيل اجعل صدري واعيا لما اوحيته الي • وقيل اي شجعني لاجترئ على مخاطبة
فرعون بما نصب • وقوله تعالى ويسر لي امري اي سهله واحلل عقدة من لساني قيل كانت به رتة وانعقاد
في اللسان بسبب الجمرة التي تناولها في طفوليته عند فرعون على ما عرف قاله سعيد بن جبير ومجاهد
والسدي • وقيل لا يجوز ان يتناول هذا فانه يرجع الى اثبات نقص في خلقة الانبيا لكن معناه ان مخاطبة
الخلق بعد مخاطبة الله تعالى مما يشق على الانسان وينعقد اللسان فسال معونة الله تعالى على
اجرا لسانه بذلك • وقوله يفقهوا قولي جزا قوله واحلل اي ليفهموا قولي ويعلموا بما اريد به • وقوله تعالى
واجعل لي وزيرا اي معاونا استشيره في اموري واتقوى به على ادا ما امرتني به والوزير من الوزر وهو
الثقل فكان الوزير يحمل بعض ذلك عن صاحبه • وقوله تعالى من اهلي الوزير من الاهل يكون اتم نصحا
واوفر شفقة واكمل عونا • وقوله تعالى هرون نصب لانه ترجمة عن قوله وزيرا • وقوله تعالى اخي لذلك
وكان موصوفا باللين والتودد وطلاقة اللسان فاعتضد به واستعان • وقوله تعالى اشدد به ازري
قرا ابن عامر اشدد بفتح الالف على الجزا اي انا اشدد بذلك ظهري وكذلك قرا هو واشركه في امري
بضم الالف على وجه الجزا اخبارا عن نفسه • والباقون اشدد بضم الالف على وجه الدعا واشركه
بفتح الالف على الدعا ايضا اي اجعله يا رب شريكا لي في النبوة وقوّ به ظهري • وقوله تعالى كي نسبحك
كثيرا اي نجتمع للصلاة لك والتنزيه لك • وقوله تعالى ونذكرك كثيرا في الصلوات وخارجها بالثنا
والحمد • وقوله تعالى انك كنت بنا بصيرا اي عالما بنا مريدا لمصالحنا فانك كنت تعلم انه اصلح لي
ولاخي فاعطنا سولنا • وقوله تعالى قال قد اوتيت سولك يا موسى اي اعطيناك سوالك ومسولك
وعده بالاجابة • وقال القشيري رحمه الله لما كان وقت دعايه الى فرعون سال ان يصحبه اخوه ولما وجب
لسماع كلام الله تعالى فواعده اربعين ليلة اخلفه في قومه لان المحبة توجب التجرد والانفراد وليس للغير
مع المحب مساغ • وقال في قوله قال قد اوتيت سولك يا موسى اعطيناك ما سالت ونيلك ابتدا حالك
حين حفظناك في اليم ونجيناك من الغم وربيناك في حجر العدو فاين كان سوالك واختيارك ودعاوك
وقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى اي مننا عليك الان بانيالك سوالك وقد سبقت منا منن اخر
عليك ثم فسرها فقال اذ اوحينا الى امك ما يوحى اي الهمناها ما قال الحسن • وقوله تعالى ان اقذفيه
في التابوت اي ارميه هذا هو اللغة ومعناه ضعيه فيه فاقذفيه في اليم اي البحر وذلك لحين كان
فرعون لعنه الله يامر بقتل الذكور من الولدان وخافت امه عليه فالهمها الله ذلك • وقوله تعالى فليلقه
اليم بالساحل اي بالشط واليم النيل وهو كقوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اي نحمل خطاياكم ومعناه
يسيره الما على الجانب لا في وسطه فيغرق • وقوله تعالى ياخذه عدو لي وعدو له فكل من اخذه من الما من

خدم فرعون وقيل هو فرعون لان الخاصة الخذه كان عنده • وذكر محمد بن اسحاق ان فرعون راى التابوت فامر باخذه
فاضيف اليه المرضية • وقوله تعالى والقيت عليك محبة مني اي احببتك وحببتك الى عبادي • قال قتادة
جعل ملاحة في عيني موسى ما راه احد الا علق بقلبه حبه فكان ذلك سببا لحب امراة فرعون وهو كما قال
القى الله عليه جمالا والبسه حسنا • وقوله تعالى ولتصنع على عيني اي لتربى على رويتي كما احب ومجازه ان من
صنع لانسان شيا وهو ينظر اليه صنعه له كما يحب ولا يتهيا له خلافه • فقال تعالى ولتصنع على عيني اي لترى
كما اريد كان الذي يربك برويتي • وقيل على عيني اي على حفظي اي وانت في حفظي • وقال الخليل يقال صنعت
الفرس وهو فرس صنيع وهو الذي احسن اهله القيام عليه وسيف صنيع فقد احسن صقله • وقوله تعالى
اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله وكانت تمشي لتعرف حال موسى وراتهم يطلبون له مرضعة فقالت
هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى نفسه فتربيه واردت بذلك المرضعة فانما ذكر الفعل لفظ من فرجعناك
الى امك اي اجابوا اخت موسى الى ذلك واسترضعوا ام موسى له فرجعوا اليها ورجعناك بعدما هنا • وقوله
تعالى كي تقر عينها بروئتك ولا تحزن لفرقتك • وقوله تعالى وقتلت نفسا بعد كبرك وهو القبطي الذي
استغاثه عليه السبطي فوكزه فقضى • وقوله تعالى فنجيناك من الغم اي غم قتله وخوفه وفتناك فتونا • قيل في معنى
هذه الاية • وقال مجاهد اخلصناك اخلاصا • وقيل هو جمع اي ابتليناك ببلية قال ابن عباس رضي الله عنهما هو ما سبق في
بالتابوت التخليص لتحيه والخلاص التصفية • وقيل خلصناك تخليصا من قولهم فتن الصايغ الذهب والفضة
وكنت عند شعيب سنين • وقوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اي خرجت اليهما فبقيا
عشر سنين يرعى غنمه مهر الصغرى ابنت شعيب • وقال وهب لبث بمدين ثمانيا في
وعشرين سنة عشر سنين مهر الصغرى ابنت شعيب قال وهب وثماني عشرة سنة حتى ولد منها الاولاد • وقوله تعالى
ثم جئت على قدر يا موسى اي انتهيت الى الوقت الذي اردت ابتعاثك فيه بالرسالة • قال ابن كيسان اي
على راس اربعين سنة وهو القدر الذي بعثت فيه الانبيا عليهم السلام • وقوله تعالى واصطنعتك
لنفسي اي اختصصتك لامر استكفيكه • وقال القشيري رحمه الله جئت على قدر اي عدد ايام كونك
في مدين وكان اعلم حضرتنا الملايكة الذين عرفوا شرفك منتظرين لك تجي على قدره • قال وذكر ان فرعون
لعنه الله كان يسمي ابا موسى ولم يكن ابا له وكانت ام موسى تسمى ظئر موسى وما كانت ظئرا له وحيث كان الدعوى
لم يكن معنى وحيث كان المعنى لم يكن دعوى ولكن كانت القصة وقد بينا بعض قصة موسى في سورة الاعراف
ونذكر هاهنا بعض ما يتصل بهذه الاية قال ان موسى لما قضى الاجل الذي كان بينه وبين شعيب وفاه
عشر سنين فصل من ارض مدين يوم الشام ومع موسى امراته وولده وعبيده فانطلق يسير في برية الشام
واكبر همه يطلب اخيه هرون واخته مريم وهما بمصر في مملكة فرعون همه لقاوهما والحيلة لخروجهما من مصر
ان استطاع فسار غير عارف بالطريق حيرانه يوم المغرب وتجانبه توجه الى مصر فلم يزل على ذلك حتى انتهى الى
الى جانب الطور الغربي في عشية شاتية شديدة البرد ذات رياح وامطار وجليد فنزل حين امسى وجنه
الليل واشتد عليه الظلام والبرد والريح واخذ امراته الطلق فعمد الى زناده فقدحه فلم يور شيا فاجتهد
فلم يزدد الا الحاحا فالقاه وجعل ينظر يمينا وشمالا على يسمع صوتا او يرى احدا وقد اختلف على الراي واخطا
الطريق فبينما هو كذلك اذ راى نارا من بعيد فلما نظر اليها قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي
اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى اي دلالة على الطريق فانطلق يومها فغشيتا عد عنه مرة وتقرب
اخرى فلما طال ذلك الامر اذ يرجع عنها فاذا ذكر الحاجة انطلق اليها فلم يزل كذلك حتى وصل اليها وما كاد
فاذا انار عظيمة بيضا ليس لها حر ولا دخان وهي على ذلك تشتعل النار تتوقد في جوف شجرة عظيمة شديدة
الخضرة لا تزداد النار الا تضرما ولا الشجرة الا خضرة وحسنا فاعجبه ولم يدر ما يصنع وظن انها شجرة
اوقد عليها موقد فنالها الوقود فوقف وطمع ان يسقط منها شي فيقتبسه فلما طال ذلك عليه وخاف
تزيده فاستانس عليها وصاحها ثم عاد اليها فلم يزل يطمع فيها ويدور حولها كلما دنا منها تاخرت اليه كانها
ثم خمدت حتى لم تكن فتعجب من ذلك غاية التعجب ووقف متحيرا لا يدري ايرجع ام يقيم وتنظر الى علاها
فاذا هي اشد ما كانت خضرة والاربح عليها شعاع منها كشعاع الشمس يكل عنها البصر فخر مرعوبا لا يملك
من نفسه شيا اذ نودي يا موسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وهو اسم الوادي وكان نعلاه
من جلد حمار ميت فاسرع الاجابة وتابع التلبية لبيك لبيك استيناسا بالكلام وسكن رعبه وقال اسمع
كلامك ولا اراك فاين انت قال انا فوقك وامامك وخلفك ومحيط بك واقرب اليك من نفسك فلما
سمع موسى هذه الصفة علم انها لا تنبغي الا لله قال كذلك انت الهي قال رحمه الله هذا الايراد به اثبات
المكان والجهة بل هو اخاطر العطور خبر الكرامة • وقال الله جل جلاله ادن فجمع رجليه في العصا وتحامل حتى

وقام

قام وما كاد رعدت فرايصه وانقطع لسانه وانكر قلبه وفترت قوته وصار كالميت الا ان روح الحياة تجري فيه ثم زاد فيه خوفا
وارتعشت قدماه ثم اراد ان يدنو المشي فلم يستطع وارسل الله ملكا فشد له ظهره وعضديه فزحف نحو الشجرة وهو خايف
مكروب فقال الله تعالى له وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي قال وما تصنع بها قال اتوكا عليها واهش بها على غنمي
ولي فيها مارب اخرى قد علمتها وفي التوراة بهذه الزيادة والمارب عددناها في تفسير الاية • قال القها فظن موسى انه يقول
ارفضها والقها فتنفض بها فالقاها على وجه الارض خلفه ثم سمع حسا فالتفت فاذا هي قد خلقها الله تعالى حية
وهي اعظم ثعبان نظر اليها الناس اسود في مثل بدن البختي العظيم بل اعظم منه تدب على اربع قوايم غلاظ شداد وقد
صارت شعبتاها فما سعته اثنا عشرة ذراعا فيه اضراس وانياب لها صريف وقد تحلق المحجن له والعينان تلمعان كالبرق
تلفح منها ريح السموم لا تصيب شيا الا احرقته فتمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها والصخور في جوفها تتقعقع وتمر بالشجرة
العظيمة فتقطعها بانيابها وتقضمها وجعلت تسعى كانها تطلب شيا تريد ان تاخذه فذهب موسى على وجهه مدبرا ولم يعقب
ولا يلوي على شي فناداه ربه فقال الا تستحي من ربك يكلمك وتهرب منه قال انما اهرب من الموت قال وهل يملك احد
موتا او حياة دون الله تعالى قال وقد رجع والحية على حالها • قال الله تعالى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى فلما
اراد ان يدنو ولها لف يده بثوبه من مخافتها فقال الله تعالى اكشف عن يدك ثم ادخلها بين اضراسها وانيابها فان القدرة
التي كونتها كما ترى تصرف عنك ما تحاذر منها وكيف تخلي فكشف موسى عليه السلام عن يده ثم ادخلها بين لحييها
حتى وجد اضراسها فلما قبضها اليه تحولت عصا كما كانت ويده في موضعها المعتاد بين الشعبتين فقال الله تعالى له
وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سو اي من غير برص فادخلها ثم اخرجها فلما بنور يلتهب ويكل عنه البصر فانس موسى
وسكن وذهب عنه الرعب • فقال الله تعالى له اسمع قولي واوع عهدي واحفظ وصيتي فاني اوقفتك اليوم موقفا
لا اجعل لاحد من خلقي سلطانا عليك ولا ينبغي لبشر من بعدك ان يقوم مقامك مني قربتك حتى سمعت كلامي وعلى موسى عليه
السلام يومئذ جبة من صوف ومدرعة من صوف ونعلان والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له انطلق برسالتي فانك
بعيني وان معك يدي وبصري واني البستك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري فانت جند عظيم بعثتك الى
خلق من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وعبد دوني وزعم انه لا يعرفني واني
احلف باليوم واي شي مثلي اذ لولا الحجة والعدل الذات وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب
لغضبه السما والارض والجبال والبحار فاذا اذنت للسما حصبته واذا اذنت للارض ابتلعته وان اذنت للجبال
دمرته وان اذنت للبحار غرقته ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت عن خلقي انا
الغني لا غني غيري فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وتوحيدي وذكره نعمتي وذكره بايامي وانذره انه لا يقوم
شي لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولا يروعنك ما البسته من لباس الدنيا فان ناصيته
بيدي واخبره اني انا الغفور والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة وقل له اجب ربك انه واسع المغفرة فقد امهلك
مدة كذا وكذا في كلها انت مبارزه للمحاربة تصد عباده عن سبيله وهو يمطر عليك السما وينبت لك الارض ولم يسلبك
العافية لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شا لم يفعل لك ذلك ولكنه ذو حلم عظيم ثم لم يتممه شيا من ذلك
سبعة ايام ولياليها وهو في ذلك المقام ثم قيل له بعد سبع اجب ربك يا موسى فيما كلمك قال رب اشرح لي صدري
ويسر لي امري الى قوله انك كنت بنا بصيرا • وقوله تعالى قال قد اوتيت سولك يا موسى فجاهد بنفسك واخيك
وانتما محتسبان بجهاده فاني لو شيت ان اتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم هذا الذي اعجبته نفسه وجموعه
ان الفية القليلة ولا قليل مني تغلب الفية الكثيرة باذني فلا يعجبكما زينته ولا ما متع به ولا تمدا الى ذلك اعينكما
فانها زهرة الحيوة الدنيا ولو شيت لازينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون لو ينظر اليها ان مقدرته تعجز عن بعض
ما اوتيتما فعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازويه عنكما وكذلك افعل باوليايي لاذودهم عن نعيم الدنيا ورخايها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراعي الهلكة واجنبهم عن ذلك كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما
ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا كرامتي اعلم يا موسى انه لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا وانه لم يتقرب
الي المتقربون بمثل الورع عما حرمت وانه لم يتعبد العابدون بمثل البكا من خوفي • قال وهب فانطلق موسى الى فرعون
وشيعته الملايكة يصافحونه وخلف موسى اهله في الموضع الذي تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين حتى مر بهم راع
من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بنو اسرايل البحر وغرق فرعون وقومه
فبعث بهم شعيب الى موسى بمصر ثم مضى موسى صلوات الله عليه منطلقا على وجهه لا علم له بالطريق وليس معه زاد
ولا حمولة ولا صحبة ولا شي الا العصا تظله صايما وبيت طاويا يصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيا قليلا حتى
ورد ارض مصر فاوحى الله تعالى الى هرون عليه السلام يبشره به ويخبره انه قادم عليه وقد جعله وزيرا له ورسولا
الى فرعون وقومه واذا كان يوم السبت لعشر ذي الحجة قبل طلوع الشمس فاذكر الى شط النيل فانها الساعة التي
تلتقي انت واخوك فيها فاقبل موسى في ذلك الوقت وخرج هارون من عسكر بني اسرايل حتى التقيا على شط النيل وكان
لفرعون لعنه الله اسد يحرسونه في غيضه محيطة بالمدينة من حولها وكانت ترد الماء غبا فصادف موسى عليه السلام

يوم وردها وكان فرعون في مدينة حصينة عليها سبعون سورا بين كل سورين رساتيق وانهار ومزارع واسعة في عرض كل سور سبعون الف مقاتل ومن دون المدينة غيضة ملتفة غرسها فرعون وسقاها بالنيل ثم اسكنها الاسد فتناسلت وكثرت ثم جعلها جنودا من جنوده يحرسونه وجعل خلال الغيضة طرقا كل طريق يفضي من يسلكه الى باب من ابواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها من اخطاها وقع في الغيضة فاكلته الاسد وكانت اذا وردت النيل ظلت عليه يومها ثم تصدر ليلا فالتقى موسى وهرون يوم ورودها فلما راتهما فتحت افواهها وتروسها وشخصت ابصارها صغارها وكبارها وذعرت منهما ذعرا شديدا فانهزمت على الغيضة يتلو بعضها بعضا وهي تضغو ضغاء الثعالب وتعوي عوي الكلاب ونزع الله جبنتها واذهب زئيرها وكان لها ساسة يسوسونها فلما راوا ذلك سقط من ايديهم وهم لا يشعرون من حيث لم فانطلقا في ذلك المشغلة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذي هو اقربها الى دار فرعون فلما انتهيا وجدا حراسه مشتغلين بشان الاسد وذلك ليلة الاثنين الثامن من ذي الحجة فاقاما عند الباب بغية العشرة لا يمكنهما الدخول لمنع الحراس وهم في كرب شديد بحال الاسد وبها جراءه وتهاونهم فكلمهما واحد منهم متهزئا وقال ما هذه الجراءة اما تدريان بباب من انتما فقال موسى علم ذلك ولو شئت اخبرتك من ربه قال من هو قال موسى ان هذا الباب وما دونه وما خلفه وانا وانت وفرعون وجميع اهل الارض واهل السماء عبيد لرب العالمين فقال له ذلك فذكر للاخرين فقال هذا اعظم من مصيبتنا في الاسد وما نقل ذلك الا من جهتهما وسحرهما فرفعوا ذلك الى من هو اكبر منهم واقرب الى فرعون واخبر بعضهم بعضا حتى انتهى الخبر الى فرعون فدعا بهما فدخلا عليه ثم القصة على ما مر في سورة الاعراف • وقوله تعالى اذهب انت واخوك اى هرون باياتي اي بحججي ودلائلي • قال الكلبي والضحاك الايات هي اليد والعصا وانما جمع لان الاية الواحدة علم على امور كثيرة فيجمع الجمع اذا صح ذلك في الواحدة ففي الاثنين اولى • وقيل معناه اذهبا فاني امركما بايات بعد هذا وهو كقول الملك للامير اذهب فان جندي يمدك اي امدك بهم اذا احتجت • وقوله تعالى ولا تنيا في ذكري اي لا تفترا ولا تضعفا وقد وني يني ونيا فهو وان اي فتر وتوانى في الامر اي قصر • وقوله تعالى ذكري يحتمل ذكرهما جلال الله تعالى عند فرعون ودعاءهم الى توحيده ويحتمل الوعظ اي عظاهم بوعظي ويحتمل مواصلة ذكر الله تعالى ولا لينا عليه فان الله تعالى ناصر من ذكره ويحمل الذكر بالقلب فان ذلك يقوي العزيمة على الامور • وقوله تعالى اذهبا الى فرعون في هذا التكرار زيادة الصيغة فائدة الاجتماع عند الذهاب اليه والاول هو قوله اذهب انت واخوك يحتمل الاجتماع ويحتمل الافتراق ويحتمل ان يكون الاول الى الكل والثاني الى فرعون على الخصوص انه طغى فتربا • وقوله تعالى فقولا له قولا لينا اي ارفقا ولا تغلظا فان الجبابرة المترفين اذا اغلظ لهم في الوعظ ازدادوا عتوا وتكبرا • وقوله تعالى او يخشى بمعنى ويخشى وقد بين في اية اخرى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وهذا من القول اللين وذكر هاهنا منه وهو قوله فاتياه فقولا انا رسولا ربك الاية • وقوله لعله يتذكر او يخشى ما له على الله جل جلاله فانه عالم بما يكون وبما لا يكون انه لو كان يكون كيف يكون لكن امرهما بالدعاء على الرجاء واذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعاء وذلك ابلغ في الزام الحجة • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله هو على غير فرعون ومعناه لعله يتذكر او يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس • وقال ابو بكر الوراق لعل من الله تعالى واجب وقد كان ذلك لكن فعل ذلك حين ادركه الغرق وكان في حالة الياس فلم ينفعه • وقال السدي فقولا له قولا لينا كنياه قولا له يا ابا العباس وقيل قولا له ايها الملك • وقيل معناه والطف به يا موسى فانه رباك ويمنى بذلك اباك فاحسن مراعاته والتم مكافاته ولا تواجهه بمكروه في اول قدومك عليه • وقال السدي رحمه الله هذا رفقه بمن جحده فكيف بمن رفقه بمن وحده هذا رفقه مع الكفار فكيف رفقه مع الابرار • وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الهي هذا رفقك بمن يقول انا ربكم الاعلى فكيف رفقك بمن سجد لك على التراب وقال سبحان ربي الاعلى • وقوله تعالى قالا اي قال موسى وهرون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى اي ان يعجل علينا فرعون بعقوبة او لا يسمع منا او لا يتركنا نبلغه • وقيل يفرط علينا فلم موسى وهرون او ان يطغى على بني اسرائيل • وقيل يفرط بالضرب او ان يطغى بالقتل • وقوله تعالى قال لا تخافا ذلك انني معكما اي ناصركما ومعينكما وحافظكما قال الحبر لا تحزن ان الله معنا اسمع وارى ما يجري بينكما من كلام او فعل اسمع ان فرط في القول واري ان فرط في الفعل فامنع ذلك منكما • وقوله تعالى فاتياه اي فرعون فقولا انا رسولا ربك اليك فارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم من الاستعباد كما يقال ارسلت الصيد • وقوله تعالى ولا تعذبهم بالاستعمال في الاعمال الشاقة وكان يفعل ذلك • وقوله تعالى قد جئناك باية من ربك اي معجزة ظاهرة على صدق دعوانا انا رسولاه • وقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى اي السلامة من المكاره والعقوبة في الدنيا والاخرة من الله تعالى لمن اتبع هدى الله اي ارشاده فقبله وسلك طريقه والسلام بمعنى السلامة وهما كالرضاع والرضاعة وعلى بمعنى لمن • وقوله تعالى انا قد اوحي الينا اي واوحى الله الينا اي اعلمنا ان عذاب الله الذي لا فتور له ولا انقطاع انما هو على من كذب بايات الله وتكذيبك بما جئناك به من

الايات • وقوله تعالى وتولى اي اعرض عن طاعة الله كاعراضك • قال المقاتل هذه الاية ارجى اية في القرآن والسلام على من اتبع الهدى ان العذاب على من كذب وتولى • وقال القشيري رحمه الله • قوله قالا ربنا اننا نخاف دليل على ان الخوف الذي تقتضيه جبلة الانسان لا يلام صاحبه عليه قال ولم يخافا على انفسهما شفقة عليها ولكن قالا نخاف ان يحل بما كرم من جهته فلا يحصل منا ما نامر به من القيام بامرك فكان ذلك الخوف نحو الله تعالى لا لحظ نفسهما وقالا لم يخافا من فرعون ولكن خافا من تسليط الله تعالى اياه عليهما ولكنهما راعيا اداب الخطاب • وقال الالطاف في استجلاب هذا الخطاب من الحق سبحانه وتعالى والالطاف بالخوف لمن بعثه الله تعالى نبيا وقربه نجيا • وقوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى وفي الكلام اضمار انهما اتيا فرعون فقالا له ما امرهما الله تعالى به ان يقولا • وقيل الاضمار عند قوله فقولا انا رسولا ربك فاتياه فقالا له ذلك وقالا ايضا فارسل معنا بني اسرائيل الى اخره فقال فرعون فمن ربكما حين قالا انا رسولا ربك وقال يا موسى مقتصرا عليه لانه علم ان الرياسة لموسى وهو كقول القائل من رب هذا العالم يا فلان قال ربنا الذي اي قال موسى مجيبا له حيث خاطبه فرعون على الخصوص الذي اعطى كل شيء خلقه • قال مجاهد رحمه الله اعطى كل شيء صورته التي خلقها اي تدبرها ثم هداه الى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه ومرقب هدايته • وقال هدى كل شيء الى ما يصلحه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اعطى كل شيء خلقه اي مثله ونظيره في شكل خلقته وهيئته ه كل جنس من الحيوانات نظيرة ذكورها واعطى بمعنى ملكه منه • وقوله تعالى ثم هدى ثم الهمه ما به التناسل والنما والاغتذاء واسباب البقاء الى حين الفناء • وقال الضحاك اعطى اليد البطش والرجل المشي واللسان النطق والعين البصر والاذن السمع • وقال سعيد بن جبير هدى الذكر لاتيان الانثى من كل جنس • وقيل خلقه اى جوارحه والاته ومعاونه التي خلقها ثم هداه لاستعمالها في مواضعها حتى تم له المعاش بها • ويقال فلان حسن الخلقة اى حسن الجوارح والتركيب • وقيل فيه تقديم وتاخير اعطى كل شيء اي اعطى مخلوقه كل نعم الدنيا ثم دلهم على توحيده وقوله تعالى قال فما بال القرون الاولى عبدوا غير ربك وسلكوا غير طريقك وهو اعتراض فاسد وتقليد بغير حجة وقوله تعالى قال علمها عند ربي قال موسى علم تلك القرون عند ربي اي شركا ولئك وكفرهم ليس يخفى على ربي بل هو عالم بهم • وقوله تعالى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى اي اثبت ذلك في كتاب عنده ينشره يوم القيامة ه ويثبت ذلك عليهم ويجزيهم عليه • وقيل اعترض على قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بال القرون الاولى وقد كذبوا وتولوا قال معاصيهم محفوظة عنده فسيجزيهم بها ويعذبهم عليها • وقوله لا يضل ربي اي الكتا ولا ينسى اي ما فيه • وقيل اي لا يضل عن علم الاشيا اي لا يعدل عنها ولا ينسى ما علم اي لا يذهب عن ذكره وقيل لا يضل لا يخطئ ولا ينسى لا يترك • وقيل لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم ولا ينسى ثوابهم وعقابهم • وقيل لا يخطئ في العطاء والقسمة ولا ينسى في المدة والمهلة • وقيل لا يخطئ في الاقوال والافعال • ولا ينسى الارزاق والاجال • وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا • قرا عاصم وحمزة والكسائي مهدا بغير الف والباقون مهادا وهما لغتان كالفرش والفراش • وقيل المهد في الاصل مصدر والمهاد اسم وهذا صفة الاول ولعله كان شرع في هذا الكلام فقطع عليه فرعون بهذا الاعتراض فاجابه ثم عاد الى تتميم الكلام الاول ويجوز ان تم الكلام الاول ثم يكون هذا تقريرا لقوله لا يضل ربي ولا ينسى لانه هو الذي جعل لكم الارض مهادا الاية ومن هذا صفته فانه لا يضل ولا ينسى لانه هو الذي جعل لكم الارض مهادا اى ربي هو الذي جعل لكم الارض مواضع قرار اى مواضع فراش كالمهد الذي ينام عليه ويستقر عليه والمهاد الذي يجلس عليه وقد وصفها الله تعالى بكونها فراشا وبساطا وقرارا • وقوله تعالى وسلك لكم فيها سبلا اى وجعل لكم فيها طرقا والمسلك الطريق والسلوك الدخول والسلك الادخال وتقديره وطرق لكم فيها طرقا تدخلونها وتمشون فيها الى مقاصدكم في حوائجكم وقوله تعالى وانزل من السماء ماء وهو المطر الذي يكون به الزرع والثمار • وقوله تعالى فاخرجنا به صرف الكلام من الحكاية الى الاخبار عن نفسه وهو من اقسام البلاغة • وقيل تم كلام موسى ثم هذا ما اخبر الله تعالى به وصل بكلام موسى • وقيل هذا كلام موسى فاخرجنا عني بالحراثة والغرس لك • وقوله تعالى به اي بالماء ازواجا اي الوانا واصنافا من نبات شتى اي مختلفة المناظر والطعوم والارايح مع اتحاد الماء والتربة وذلك دلالة على قدرة الله تعالى على ما يشاء • وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم امر بمعنى الاخبار اي لتاكلوا منها انتم وترعوا انعامكم منها وهذا كقوله متاعا لكم ولانعامكم اللباب لكم والقشور لانعامكم • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لاولي النهى اي العقول جمع نهية لانها تنهى عن القبيح ولانها ينتهى اليها في امضاء الامور وخص بكونها ايات لاولي النهى لانهم اهل التفكر والاعتبار والتدبر وهذا كله احتجاج من موسى على فرعون في اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما • وقوله تعالى منها خلقناكم وهذا ايضا على قوله فاخرجنا على قول من جعله خبرا من الله عن نفسه فان جعله ذلك خبرا من موسى فهذه الاية ابتداء الاخبار من الله تعالى عن نفسه منها اي من الارض خلقناكم اي اباكم ادم من تراب • وفي الخبر ان ملك الارحام يمسح النطفة على كفه ويجعل فيها تربة من موضع قبره فاذا مات دفن في موضع رفع تلك التربة وفيها اذا متم ودفنتم • وقوله تعالى ومنها نخرجكم اي ومن الارض نبعثكم يوم القيامة • وقوله

تعالى تارة اخرى اي كما خلقناكم اول مرة منها • وقوله تعالى ولقد اريناه اياتنا اي فرعون اياتنا كلها يجوز ان يكون
هذا خبرا عن الاية التي اراها اياه اول ما اراه من قلب العصا حية وهي وان كانت واحدة فهي تدل على ما يدل عليه
كل الايات ايجاد المعدوم واعدام الموجود وقد اجتمع في العصا وقلبها حية واعادتها الى حالها الاولى كذلك
معنى • وقيل اراد به كل الايات التي كانت لموسى وهي كقوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وقد اراه كلها
الايات في تلك المدة حين اتاه الى حين اغرقه الله تعالى في البحر فالاية اشارة الى ذلك • وقوله تعالى فكذب اي لم يصدق
بالايات وابى الانقياد لها قال اي فرعون اجئتنا يا موسى استفهام بمعنى التوبيخ • وقوله تعالى لتخرجنا من ارضنا اي
ارض مصر • وقوله تعالى بسحرك يا موسى اي بتخييلك وتسمية الايات لتخدعهم بها فيجتمعون معك على حاربتنا
واخراجنا من ارضنا وهذا لا يتم لك ولا ندعك تفعله • وقوله تعالى فلنأتينك بسحر مثله اي فلنعارضنك
بسحر مثل سحرك ليتبين للناس ان ما اتيت به ليس من عند الله حيث امكننا معارضته • وقوله فاجعل بيننا
وبينك موعدا اي نتواعد يوما نلتقي فيه لابراز ما تدعي انت انه معجزة وابراز ما اذكر انه معارضة منا • وقوله
تعالى لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى • قال قتادة والسدي اي عدلا بيننا وبينك • وقيل مستويا يتبين
للناس ما بيننا فيه قاله ابن زيد • قرا ابن عامر وحمزة وعاصم بضم السين • والباقون بكسرها وهما لغتان ومكانا
ترجمة عن موعدا • وقيل معناه اي لمكان • وقال الحسين بن الفضل هذا غاية عجزه وحمقه ادعى الربوبية ثم لم يمكنه
ان يقول للساحر لا اريك دمك بل قال لاجمعن سحرة يعارضونك بالتمويه والتخييل • وقوله قال موعدكم يوم
الزينة اي قال موسى الوقت الموعود اي الاجل المضروب يوم الزينة وهو يوم معروف كان لهم يتزينون فيه قيل
كان يوم عاشورا • وقيل كان يوم النيروز • وقيل كان يوم سوق لهم • وقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى اي
يخرجهم يوم العيد الى الخروج فكانهم خرجوا فيه الا ان حاشرا حشرهم • وقيل بل اتفقوا على ان يحشر حاشر
ليلا يتخلف احد وخص الضحى لان النهار حينئذ اضوأ فيكون الناس فيه ابصر للحاجات اتبين • وقيل اراد
ان الامر قد يمتد بينهم فيتسع الوقت لامرهم وان طال • وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع قيل اعرض عن قبول
الحق الذي اتى به موسى • وقيل من كل امر الا هذا • وقيل ترك ما كان فيه وقصد جمع امره • وقوله تعالى فجمع
كيده اي سحرته المختارين مصدر بمعنى النعت ليجمع • وقوله تعالى ثم اتى اي اتى الموعد مع سحرته • وقيل جمع
كيده اي مكره اي حيله اسبابه • وقوله تعالى قال لهم موسى اي لفرعون وسحرته • وقوله تعالى ويلكم اي
وعيدا لكم • وقوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا باطنا فتكم اليه امرا فتدعوكم على احداث الاعيان وقلبها
بما تخيلونه • وقوله تعالى فيسحتكم بعذاب • قال قتادة وابن زيد والسدي اي يستاصلكم • وفي قراءة
حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي حفص بضم اليا وكسر الحاء من اسحت والباقون بفتح اليا والحاء من سحت
وهما لغتان • وقوله تعالى وقد خاب من افترى اي حرم خير الاخرة من كذب على الله • وقوله تعالى فتنازعوا
امرهم بينهم اي فتشاوروا كما قال اذ يتنازعون بينهم امرهم وهو اخذ بعضهم القول من بعض كقوله
يتنازعون فيها كاسا هو اخذ بعضهم الكاس من بعض • وقوله تعالى واسروا النجوى اي اخفوا ذلك
التشاور بحيث لم يسمعه موسى وهرون وقالوا في ذلك • وقوله تعالى ان هذان لساحران قال السدي ان النجوى
ما ذكر بعده • وقال قتادة قالوا ان كان هذا ساحرا فستغلبه وان كان من السماء كما زعم فسترون • وقال وهب
الهوي انهم لما سمعوا قوله لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى قالوا ما هذا بقول
ساحر • وقوله تعالى ان هذان لساحران قرا ابو عمرو ان هذين بالياء وهو الظاهر من لغة اكثر
العرب قالوا انه مذهبه ان يترك هذا في المصحف كما كتب بالالف وان اقراها بالياء وعن عثمان رضي الله
عنه ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب بالسنتها فقالوا له الا تغير المكتوب فقال دعوه كما ذكر هذا
وانه كما اخبره • وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر ان هذان بالتشديد وهذان بالالف
وقرا عاصم في رواية حفص ان هذان بالتخفيف • وقرا ابن كثير ان هذان بالتخفيف وهذان بالالف
والتشديد في النون فاما التخفيف فمعناهما ان ما هذان لساحران اي الساحران وتشديد هذان من اجل كثرة
للفرق بين الاسما المتمكنة وغير المتمكنة في التثنية فاما تشديد ان والالف في هذان وهو المكتوب في
المصاحف وعليه اكثر القراء فله وجوه احدها انها على لغة كنانة وبني الحارث بن كعب انهم يجعلون التثنية
بالالف على كل حال فيقولون جاء الرجلان ورايت الرجلان ومررت بالرجلان • قال شاعرهم فاطرق اطراق
الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما • وقيل تقديره انه هذان فلم يعمل في هذان • وقيل ان بمعنى نعم
وقيل بعضها للشاعر [illegible] ويلمنني والومهنه ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه • قال الشاعر [illegible] وعلى هذين القولين اللام في لساحران
لام [illegible] تاكيد الخبر • وقوله تعالى يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما كما قال فرعون اجئتنا لتخرجنا من
ارضنا بسحرك يا موسى • وقوله تعالى ويذهبا بطريقتكم المثلى اي يصرفا وجوه الناس والسادات من قومكم الى انفسهما

من ارضكم الى انفسهما ويذهبا بهم اي يميلاهم الى انفسهما فيهتما الرياسة وهو كقولهم اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا
عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض • قال الفرا تقول العرب هؤلاء طريقة قومهم وطريق قومهم قال انما يخبر عنهم
كالطرايق قددا او يقولون في الواحد هذا طريقة قومه ونظيرة قومه وجمعه الطرايق والنظاير والمثلى تانيث الامثل
وهو الافضل والطريقة مؤنثة لفظا فلذلك انث نعتها • وقيل معناه انهم يقولون ارسل معنا بني اسرائيل لسنا
نريد ان به تخليصهم عن الاستعباد بل يريدان ان يخرجاهم من بينهم فيكثرا بهم فانما سموهم الاشراف مع انهم كانوا
مستعبدين ونهم بشرفهم بالانتساب الى الانبيا • وقيل اراد فانه ويذهبا بدينكم المختار من قولهم فلان حسن الطريقة
اي المذهب وهو كقول فرعون اني اخاف ان يبدل دينكم والامثل على هذا هو الاصح من قولهم تماثل المريض اي صح
وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم • قرا ابو عمرو فاجمعوا بالف الوصل من الجمع وهو كقوله فجمع كيده • وقرا الباقون بقطع
الالف من الاجماع وهو العزم • قال الشاعر يا ليت شعري والمنى لا تنفع • هل اغدون يوما وامري مجمع • ومعنى الاول
لا تدعوا من كيدكم شيئا الا جئتم به • ومعنى الثاني فاحكموا امركم حتى لا يتبين لما يفعله موسى فضل على ما تفعلونه
وقوله تعالى ثم ائتوا صفا • قيل اي صفا واحدا لا انفاذا لكم وعصبكم تتواصلوا واهيب • وقيل معناه ثم
صفوا فانه كان فيهم كثرة اي صفا صفا • وقيل صفا اي موضعا تتواعدونه كمصلى العيد للمؤمنين • وقوله
تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اي غلب فاجتهدوا ان تستعلوا او تغلبوا لتفلحوا اي تفوزوا بما ترجونه
من الزينة والعز عند فرعون وقومه وقد كانوا قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن
المقربين فيحتمل انهم ارادوا بالفلاح الاجر والقربة • قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
اي منا ومن هذا على وجه الاقتدار عند انفسهم وقيل كان بل كان للاحترام فيما لم يمكنه • وقوله تعالى قال بل القوا
اي انتم مبتدؤون فسترون فكان وعيدا على السحر لا امرا به • وقوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم اي فالقوا
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه اي يمثل عنده من سحرهم اي احتيالهم وتمويههم • وقوله تعالى انها تسعى
الحيات • وقيل بالياء التي هي للتذكير لكونه فعل السعي فان تعتدي يخيل سعيها او كونها ساعية • وقوله تعالى
فاوجس في نفسه خيفة قيل احس ووجد وقيل اضمر • وقوله في نفسه الكناية ترجع الى موسى وقد ذكر بعده
فاوجس في نفسه خيفة موسى فهو في الظاهر يسبق الكناية على المكني لكن قوله فاوجس فعل وهو دال على الفاعل
فكان مراده معنى على التقديم وان تاخر لفظا فقيل كان خوف طبيعة والعاقل قد يخاف طبعا عند رؤية
الاشيا العظيمة في اول وهلة ثم يتامل فيسكن • وقيل لم يخف موسى ان يغلبوه لكن لما شاهد الكثرة خاف
ان يظن بعض الناس ان الغلبة لهم فامنه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى • وقيل
كان لا يلقي العصا الا بوحي فلما ابطا الوحي خاف تفرق بعض الناس قبل ان يومر بالالقا فلا يتم تغلبه
كل الناس • وقوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى اي عاليا كما قال الشاعر فتلك طريق لست فيها باوحد
اي بوحيد فانه لم يكن في السحر طولا حتى يكون هو اعلى منهم • وقيل بل كانوا يعلمون على الذين لا يعلمون السحر
عند الناس فتبين انه هو الاعلى وانه الغالب لا المغلوب • وقوله تعالى والق ما في يمينك وهو العصا تلقف
ما صنعوا • قرا ابن عامر بالتشديد ورفع الاخر نعتا له لا جزا • وقرا عاصم في رواية حفص بالتخفيف وجزم
الاخر على الجزا • وقرا الباقون بالتشديد والجزم اي تلتقم وتبتلع ما عملوا من الحبال والعصي • وقوله تعالى
انما صنعوا كيد ساحر اي لا حقيقة له وهو تخييل • وقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى اي لا ان الذهاب
والاتيان نعبر بهما عن الكون يقال اينما ذهبت محروم • وقوله تعالى فالقي السحرة سجدا ما هنا مضمر
اي القى موسى عصاه فتلقفت فالقي السحرة سجدا اي فوقعوا لله ساجدين • قال الاخفش من سرعة ما سجدوا
كانهم القوا يعني علموا انه ليس بسحر بل هو معجزة فامنوا بالله وسجدوا لله • وقوله تعالى قالوا امنا برب موسى
وهرون الذي ارسلهما فكان ايمانا بالله ورسوله • وقوله تعالى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انكر عليهم ايمانهم
توهما انه بلغ في سلطانه ونفاذ امره مبلغا الذي لا يجب ان يعتقد دين الا باذنه وهذا غاية جهله وعظمته
عند نفسه • وقوله تعالى انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
التقطيع تكثير القطع وتكريره والخلاف ان تكون اليد اليمنى مع الرجل اليسرى خلفه تشديدا وفتح تخفيفا
وقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع وعما تشهيرا لعقوبتكم وخص النخل لطول جذوعها وتشبه
المفرط الطول بالنخلة السحوق • وقوله تعالى ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نوثرك اي لن نختارك
ولن نوثر رضاك • وقوله تعالى على ما جاءنا من البينات من الشواهد البينة ان موسى عليه السلام نبيه
وقوله تعالى والذي فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع وامض ما انت ممضه معناه وان
صنعت ما صنعت فلسنا براجعين • وقوله تعالى انما تقضي هذه الحياة الدنيا وهو منقطع سراعا ونحن نمضي
الى النعيم اي كل ما تصنعه وتمضيه بسلطانك اليوم فانما تصنعه في الحياة الدنيا وهو منقض زايل ونحن
نمضي الى النعيم الباقي الدايم • وقوله تعالى انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا اي بالكفر والسحر وسائر المعاصي

وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا ولهذا الاكراه وجهان احدهما ما قال الحسن ان دعوة السلطان اكراه انهم لو لم يكونوا لم يأتوه اشارة الى قوله فارسل في المداين حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فكانه حشرهم اكراها والثاني ما قال ابن عباس رضي الله عنهما قال الغلمان له كان دفعهم الى السحرة ليعلموهم السحر فلم يكن اكراها على عين الفعل ليرد بهم الاثم وانما كان الاكراه في الاصل وكانوا مختارين في الفعل فكان ذنبا فرجوا مغفرته بالايمان والله خير ثوابا لمن اطاعه وابقى عقابا لمن عصاه وهو رد قول فرعون • وقوله تعالى ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى • وقيل خير وابقى يرجعان الى الثواب • وقيل والله خير منك وابقى سلطانا منك وقوله تعالى انه من يأت ربه مجرما اي وافى القيمة مشركا • وقوله تعالى فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة ينتفع بها • وقوله تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات اي ومن وافى القيمة وقد عمل الصالحات بعد الايمان فاولئك لهم عند الله الدرجات العلى ثم فسرها فقال جنات عدن اي اقامة لا خروج عنها • وقوله تجري من تحتها الانهار خالدين فيها دايمين فيها • وقوله تعالى وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من المعاصي وشرف بالطاعات قيل انتهى كلام السحرة عند قوله والله خير وابقى وما بعده ابتدا كلام من الله تعالى • وقيل كله كلام السحرة وانما سمعوا هذا مع قرب عهدهم بالايمان اما لسماعهم موسى كان حين دعاهم الى الايمان اخبرهم هذا واما من بعض بني اسرائيل فيما كانوا عرفوه به من كلام سلف من الانبيا وقد مرت قصة موسى مع السحرة في سورة الاعراف بفوايدها • وقوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي اوحينا بعد ان اتينا الايات الى فرعون فلم يزدد الا عتوا اي ان اخرج بني اسرائيل ليلا • وقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اي اتخذ لهم طريقا يابسا في البحر بضربك البحر بعصاك فينفلق فيصير فيه طريقا • وقوله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى اي وانت امن من ان يدركك فرعون ولا تخشى غرقا • وقرا حمزة لا تخف مجزوم النهي ثم قوله ولا تخشى على الاستيناف كما قال تعالى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون مرفوع ولو قيل ولا تخشى على قراءة مجزوما ايضا على النهي جاز بطريقين احدهما ان الالف بعد الشين للاشباع والثاني ان يجعل يا حذف حرف العلة للجزم قال الشاعر هزي اليك الجذع يجنيك الجني • وقوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده اي كاد يلحقهم • وقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اي فاتاهم منه ما اتاهم • وقيل عظام منه ما عظام وهو عبارة عن تعظيم الامر يقال اصاب فلان ما اصابه ويقال اذا كان فلان يقضي فقد جرى عليه ما جرى وهو قريب من قولهم فلان ما فلان ونظيره في القران الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة وهذا بيان انه ليس بكلام لا يفهم وقيل هو اشارة الى ما ذكر قبل نزول هذه الايات من مواضع اخر من بيان قصتهم الحصر عن قوله وغشيهم البحر وهذه اشارة الى انه اصابهم ما بيناه في مواضع اخر من بيان قصتهم قبل هذا ويكون هذا اذا كان للتفصيل المتقدم وقد بينا هذه القصة ايضا في سورة الاعراف • وقوله تعالى واضل فرعون قومه وما هدى اي عدل بهم عن سبيل الرشاد وما هدى اي ما هداهم الى الحق اي ما ارشدهم • وقيل هذا اشارة الى قوله ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فقلده فرعون في ذلك فاضلوا • وقيل وما هدى تقرير قوله فاضل • وقوله تعالى يا بني اسرائيل ثم بعد ما انجاهم من فرعون من قومه وغرق فرعون وقومه وانعم عليهم في التيه بما انعم ذكرهم الاءه وحثهم على شكرها فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب قد انجيناكم من عدوكم فرعون • وقيل منه ومن قومه ويكون العدو جمعا بمعنى الاعداء كما قال انهم العدو • وقوله تعالى وواعدناكم • قرا ابو عمرو ووعدناكم • وقرا حمزة والكسائي انجيتكم ووعدتكم • وقرا الباقون انجيناكم وواعدناكم • وقوله تعالى جانب الطور الايمن وهو حين امر موسى عليه السلام باختيار سبعين رجلا يحضرون معه الطور لنزول التورية والايمن نصب لانه نعت قوله جانب وقوله تعالى ونزلنا عليكم المن والسلوى اي في التيه • وقوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم اي اللذايذ فقد كانا كذلك • وقيل كلوا من حلاله لانه فقد كانا بين لانه لم يجر عليهما يد انسان بعقد به حرمة او شبهة • وقوله تعالى ولا تطغوا فيه • قيل لا تظلم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه • وقيل لا تاخذوا منه فوق الحاجة • وقيل لا تاخذوا فوق قوت اليوم • وقيل لا تدخروا لغد الا ما نزل يوم الجمعة فانه كان يدخر منه لغد فانه كان لا ينزل ذلك يوم السبت وروي انهم وجدوا ذلك يوما اسمن واحلى من كل يوم فادخروا لغد فنفسد كله • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل ما دود طعام ولا خنز لحم يعني به هذا • وقيل لا تحرموا طيبات ما احللت لكم فانه طغيان كاستحلال الحرام • وقيل الطغيان كفران هذه النعمة • وقوله تعالى فيحل عليكم غضبي • وقرا الكسائي بضم الحا ومن يحلل بضم اللام اي ينزل • وقرا الباقون فيحل بكسر الحا وهو وعيد على الطغيان ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك • وقيل اي سقط في النار • والاول من الثاني فان اصله السقوط من علو الى اسفل من غير تمكن تمسكه في مهواه فالاول تخلص منها وهو كقوله اذا تردى في المهلكين • وقوله تعالى واني لغفار لمن تاب اي كثير المغفرة انما جمع الوعيد والوعد وعلى ذلك اكثر ايات القران ليكون العبد بين الخوف والرجا قال ابن عباس رضي الله عنهما لمن تاب من الشرك وامن اي وحد وعمل صالحا وادى فرايضه ثم اهتدى ثم لم يشك • وقال قتادة تاب من الذنوب وامن اي دام على ذلك وعمل صالحا اخلص ثم اهتدى لزم الاسلام حتى يموت • وقال ابو فضيل الانصاري ثم اهتدى

لزم

لزم السنة والجماعة • وقال الضحاك ثم استقام • وقال في رواية ثم اهتدى لكتاب الله وسنة رسوله • وقال ابن زيد علم كيف يعمل اي عمل على وفق العلم • وقيل ثم علم ان له ثوابا على عمله • وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما • وقال القشيري رحمه الله واني لغفار كثير المغفرة بتقليل التوبة لمن تاب من الزلة وامن لم ير اعماله من نفسه بل من توفيق الله وعمل صالحا لا خطر عمله بعين الاستصغار ورحاله بعين الاستقذار ثم اهتدى لبابنا • وقوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى متصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن واضمر ها هنا فتعجل موسى فقلنا له وما اعجلك عن قومك • قيل كان اختار سبعين رجلا للميقات بامر الله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى اي عمن اخترتهم وهم السبعون فقال هم اولاء على اثري يلحقونني • وقيل كان وعد الله ان يؤتيهم الكتاب ويكلمهم فيلحقوه فقال الله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري اي يجيئون على اثري • وقوله تعالى وعجلت اليك رب لترضى اي الى الموضع الذي وعدت لترضى اي حرصا على وجود رضاك بالتعجل الى وعدك • وقيل هم اولاء بالقرب مني مع ما عرفوه فما تخلفت عليهم وعجلت الا • وقال الحسن هم اولاء على اثري اي ينتظروني من بعدي ما اتيتهم به يعني انهم يتبعونه ومعنى ما اعجلك اي كيف سبقتهم • وقوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك الذين خلفتهم مع ما عرفوه عاملناهم معاملة المختبر ليظهر منهم بفعلهم ما كان في علمنا انهم يفعلونه • وقوله تعالى واضلهم السامري دعاهم الى عبادة العجل واتخاذه الها ونسب الضلال اليه لانه سببه • وقوله تعالى فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي على قومه بما صنعوه من عبادة العجل اسفا شديد الغضب وقيل حزينا على ما نالهم بسببه • وقوله تعالى قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا فهو انزال التوراة لتنفقوا بها على ما عليهم ولهم في دينهم ويستحقوا بالعمل بها الكرامة ويتخلصوا به من العقوبة وهو اشارة الى قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن • وقيل الوعد الحسن الذي لا خلف فيه • وقيل سماه حسنا لانه كان فيه رغبتهم ونفعهم • وقيل الوعد هو العهد وهو قوله ولا تطغوا فيه فيحل عليكم الاية بدليل قوله افطال عليكم العهد • وقيل معناه اوطال عليكم الزمان كما يقال كان ذلك في عهد فلان فنسيتم بسبب طول الزمان ما امرتم به ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ام تعمدتم ذلك من غير نسيان وفعلتم ذلك فعل من يريد ان يقع عليه غضب الله تعالى فيقصد خلافه • وقيل افطال عليكم العهد بنعم الله عليكم من الانجاء والاعطاء من المن والسلوى وتظليل الغمام وساير النعم التي توجب عليكم ان تشكروا له وتعبدوه لا ان تعبدوا من دونه عجلا وهو كقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ام اردتم مع قرب العهد بان يحل عليكم غضب من ربكم • وقيل اوطال عليكم انتظارا لوعد انهم لما انتظروا عشرين يوما بلياليها عدوا ذلك اربعين فكانهم استطالوا الاربعين • وقوله تعالى فاخلفتم موعدي • قال مجاهد عهدي ولهذا وجهان ما عاهدتموني من الصوق في غيبتي فلم يفعلوا • الثاني ما عاهدتموني من الاقامة على الدين وعبادة الله تعالى فلم يفعلوا ويجوز ان يجري هذا المعنى على حقيقة الوعد وعلى هذين المعنيين يجوز اضافة الوعد الى موسى كنت واعدتكم [illegible] فاخلفتم موعدي • وقوله تعالى قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا • قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر الميم • وقرا نافع وعاصم بفتحها • وقرا حمزة والكسائي بضمها • وقيل الفتح والكسر لغتان [illegible] والملك والسلطان [illegible] ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم [illegible] فرعون [illegible] وقوله تعالى فقذفناها [illegible] فكذلك القى السامري [illegible] فقالوا هذا الهكم واله موسى [illegible] قال السامري فنسي موسى [illegible] الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا [illegible] النسيان بمعنى الترك [illegible] في سورة الاعراف [illegible] القشيري [illegible] اذا سكت [illegible]

فلم يبغش ذلك السوك بما فتيش الورع يخشى ان يلقي صاحبه يوما فتنته • وقوله تعالى ولقد قال لهم هرون من قبل اي الذين عبدوا العجل من قبل رجوع موسى اليهم • وقوله تعالى يا قوم انما فتنتم به اي انما جعل الله تعالى هذا العجل فتنة تختبر به ثباتكم على الايمان وقوله تعالى وان ربكم الرحمن فاتبعوني اي كونوا على ديني الذي هو الحق • وقيل فاتبعوني في مسيري الى موسى • وقوله تعالى فاطيعوا امري بذلك وقوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال على هذا العجل مقيمين نعبده • وقوله تعالى حتى يرجع الينا موسى فننظر هل يعبده كما عبدناه • وهل صدق السامري فيما قال هذا الحكم • وقوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا يعني فتركهم هرون حتى رجع موسى وخاطب قومه بما ذكرناه ثم عاتب هرون فقال ما منعك يا هرون اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني فتلحق بي مع من اطاعك وقيل ان تتبعني فيما قلت اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين • وقوله تعالى قال يا ابن ام • قرا عاصم في رواية حفص يا ابن ام بالفتح على معنى يا ابن اماه وقرا الباقون بالكسر على معنى يا ابن امي • وقوله تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي قال فاخذ موسى ذلك منه كما قال في سورة الاعراف واخذ براس اخيه يجره اليه فحذف ها هنا اختصارا فقال له هرون لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ثم اعتذر بقوله اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اي خشيت ان الحقت بك مع الذين لم يعبدوه وخلفت هولاء ان تقول لي فرقتهم وكان هذا لكلا معتذرا اذ قالوا لن نبرح عليه عاكفين • وقيل خشيت ان لو امرتهم ان يتبعوني في اللحاق بك ان يتبعني طائفة وتصير مع العابدين طائفة وتشك طائفة • وقال ابن جريج خشيت ان لو عنفت عليهم ان يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا • وقوله تعالى ولم ترقب قولي اي لم تحفظ قولي واصلح اي لم تنتظر امرا حادثا به • وقوله تعالى قال فما خطبك يا سامري اي ما شانك العظيم اي ما هذا العظيم الذي دعاك الى ما صنعت اقبل عليه فساله عن الامر موبخا له بعد ما خاطب هرون بما خاطب • وقيل معناه ما خطبت وما طلبت بما فعلت قال بصرت بما لم يبصروا به • قرا حمزة والكسائي بتا المخاطبة يخاطب به موسى وقومه • وقرا الباقون بيا الغائبة يعني القوم • وقيل معنى كلامه علمت بما لم تعلموا به وبصرت بما لم يبصروا به اي صرت بصيرا اي عليما فالبصارة والبصيرة العلم من بصر القلب • وقيل اي رايت ما لم تروه من بصر العين ومعنى القولين رايت ترابا حافر فرس جبريل صلوات الله عليه في البحر ولم تروه وعلمت انه يحيي الجماد اذا القي فيه ولم يعلموا او علمت صيغة العجل من الذهب ولم تعلموه • وقوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب فرس جبريل ه وقرا الحسن فقبصت قبصة بالصاد المهملة من تحتها والاول بجميع الكف وهذا باطراف الاصابع • وقوله تعالى فنبذتها اي القيتها في العجل • وقوله تعالى وكذلك سولت لي نفسي اي زينت نفسي ان افعله ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف بالخطا واعتذار منه • قال وهب وكان السامري ابصر جبريل على الرمكة فقبض قبضة من تراب قدمها وصيرها في ثوبه وحدثته نفسه ان اخذ من موطئها كان حقيقا ان يكون فيه عجيبة وكان السامري من بني اهل باجرم من بني اسرائيل وكان فرعون يعبد البقر وقومه كذلك قبل ان يقول انا ربكم الاعلى وكانوا لا يعبدون الا كل بقرة فتية حسنة فاذا كبرت اخرجوها وجاوا بافتى منها ولما مضى عشرون يوما وعشرون ليلة ولم يرجع موسى اليهم جاءهم الشيطان وقال ان موسى ليس من شانه الخلف والكذب ولو كان موسى حيا لرجع اليكم فقد مضت عشرون يوما وعشرون ليلة وذلك اربعون فاتخذوا الها فانه قد مات فلما وقع هذا فيهم اختلفوا وتنازعوا واجتمع اكثرهم على ان يتخذوا عجلا من البقر يعبدونه فقال لهم السامري فلو جعلتموه من الذهب كان احسن والطف فاتفقوا على ان ياتي كل واحد منهم بذهب مثل عين الجراد ليشتركوا في ذلك فاتخذ السامري منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخار فقال لهم السامري هذا الحكم واله موسى فاحتوشوه واطافوا به وهو في ذلك لا يتحرك ولا يخطوا الا ان ذلك الخوار يسمع منه فعكفوا عليه واحبوه ما لم يحبوا شيا قط مثله ورجع موسى وراى ما عليه القوم فقال للسامري ما قال كما حكي هذه الايات ثم قال السامري فاذهب واخرج من عسكر بني اسرائيل فان لك في الحياة ان تقول لا مساس اي لا تمسني ولا امسك وبين الناس لا مخالطة ولا مواكلة ولا مشاربة ولا معاملة تشديدا عليه وعقوبة كما يفعل بالجاني الذي الجا الى الحرم من شرعنا وقيل كان قد مسه ذلك على الحمى العظيم وقت جرمه • وقيل كان ماسوا يهيم في البرية مع الوحوش والسباع • وقوله تعالى في الحياة اي ما عشت ان تقول لا مساس اي لا اخالطك جاهلا حاملا ذكره بهذا • وقيل لا مساس لمن مسك • وقيل كان هذا حالا لولده • وقيل بقي في قرية ولا حياء لهم جزم في ذلك ايضا جزم • وقوله تعالى وان لك موعدا لن تخلفه بكسر اللام • قال الاعشى حبيب لها طلب من قبيلة موعدا • وقرا الباقون لن تخلفه بفتح اللام على ما لم يسم فاعله اي لن يخلفك الله وهو عذاب الاخرة • وقوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اصله ظللت حذف احد اللامين للتخفيف كراهية اظهار التضعيف وهو كقولك احسست به • وقوله تعالى لنحرقنه بالتشديد اي بالنار وبالتخفيف على قراءة من باب دخل وهو

طريق

طريق تحرقه فان النار لا تعمل في الذهب بالتحريق الا بهذا الطريق • وقيل قد يجعل عليه شي اذا عمل في النار عملت فيه وصيرته رمادا وليس قد لك اهل الصنعة • وقوله تعالى ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم اي البحر • وقوله تعالى نسفا تاكيد له بالمصدر وقد نسف الطعام بالمنسف اذا دراه ليطير عنه قشوره • وقوله تعالى انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما اي علم يعلم كل شي ولا يخفى عليه خافية فهو المستحق للعبادة لا العجل الذي لا علم له ولا قدرة قال وهب لما وقف موسى على العجل حمل مجرفة فسحله بها ثم كسره ثم وضعه في مرجل نحاس ثم لم يزل يوقد حتى احرقه ثم طحنه وجمع اليه عبدته وقال لهم انظروا الى ما كان الهكم لو كان الها كان يعلم ما احترق ولا انطحن ولا اطاقه موسى ثم امر السامري فبال عليه في ذلك ليصغره اليهم ويحقره عندهم قالوا ادع لنا ربك يتب علينا ان يغفر لنا فاوحى الله الى موسى ان في قلوبهم مرضا من حب العجل لم يخرج منها بعد فانبذ طحين العجل في اليم ثم مرهم فليشربوا منه فان ذلك يبين لك امرهم ففعل وشربوا فلم يبق منهم احد كان في نفسه حب العجل الا اصفر لونه وورم وجهه وحتى بطنه فقالوا يا موسى لا نخرجنا منه الا توبة خالصة فمرنا بما شئت فانك لو امرتنا ان نقتل انفسنا لفعلنا وكان ذلك هينا علينا لرضا ربنا فاوحى الله تعالى اليه اني قد حكمت عليهم بالتوبة التي حكموا على انفسهم لا اقبل منهم توبة غيرها وان لم يفعلوا مددت لهم في هذا السخط وعمرتهم فيه لا ابيتهم ولا ام اخفف عنهم فلما راوا الجد فاشتد عليهم السخط اخذوا الخناجر فنحروا انفسهم فكانت مدة فقتل منهم يوميذ سبعين الفا وبقيت طايفة رحموا وكشف عنهم وجعل الله تلك الليلة شهادة لمقتولهم وتوبة لمن بقي منهم • وقوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اي يا محمد كما قصصنا عليك هذه القصة نقص عليك قصص من سبق من الانبياء والامم لتعلمك ما لم تكن تعلم انه لك مسلاة وتنبيها • وقوله تعالى وقد اتيناك من لدنا ذكرا اي وقد اعطيناك من عندنا كتابا فيه ذكر ما بالناس من حاجة اليه من امر دينهم ودنياهم وفيه وعظ لمن يتذكر وشرف لقومك اذ هو بلسانهم والذكر اسم لكل ذلك • وقال الامام القشيري رحمه الله قوله كذلك نقص عليك انبا ما قد سبق لتعلم انا لم نبلغ احدا مبلغك وانا لم نكن منا الاحد مثل ما لك عظم امرك ونخفي امرك ونطلعك على احوال الكافة ولم نطلع احدا على امرك • وقوله تعالى من اعرض عنه اي عن هذا الذكر فلم يقبله ولم يعمل به فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي حملا ثقيلا وهو اثم الكفر بالقران • وقوله تعالى خالدين فيها اي مؤبدين في عذاب ذلك الوزر او العذاب مستمر • وقيل فيه ذلك الوزر وهو الحمل • وقوله تعالى لا يخفف عنهم وساء لهم يوم القيامة حملا اي وما اسوا هذا الموزر حملا اذا اعرض عنه • وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور بدل عن قوله يوم القيامة حملا وهو بيان النفخة الثانية التي للبعث • وقرا ابو عمرو بالنون مفتوحة لموافقة ما بعده • وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي ازرقت عيونهم من شدة العطش وقيل عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا كانها ترى زرقا وهي عميا • وقيل اي تشوه خلقتهم وتسود وجوههم وتزرق عيونهم • وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يتسارون فيما بينهم • وقوله تعالى ان لبثتم الا عشرا اي ما لبثتم في الدنيا الا عشر ليال بايامها اي لعظيم ما عاينوا من الاهوال يخيل الى بعضهم انهم لم يعيشوا في الدنيا الا عشرة ايام • وقوله تعالى نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما اي لا يخفى علينا ما يتسارون به واذ كان هذا اذ يقول افضلهم حالا واوفرهم عقلا عند نفسه وعند اصحابه في العلم والحفظ والتذكر • وقوله تعالى ان لبثتم الا يوما وهو كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وكقوله قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم • وقال الحسن يقللون لبثهم في الدنيا لطول ما هم لابثون في النار • وقوله تعالى ويسالونك عن الجبال اي ويسالونك عن الجبال ما يصنع ربه فيها في هذا اليوم كذلك • قال الحسن ان مشركي العرب سالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا كيف هذه الجبال في اليوم الذي يذكر انها تزلزل الارض فقيل ينسفها ربي نسفا وكذلك اجاب بالفا وتقديره اذا سالوك فقل واما في سائر السوالات فلم يذكر الفا في الجواب ويسالونك عن المحيض قل هو اذى ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وعن الخمر والميسر قل فيهما وعن الساعة ايان مرساها قل انما علمها وعن الروح قل الروح وعن ذي القرنين قل ساتلوا لانها سؤالات تقدم جوابها ولم يكن فيه معنى الشرط والجزا فلم يذكر الفا ينسفها • قال الخليل يقلعها • وقال ابو عبيدة يستاصلها ويطيرها • وقيل يذهب بها ولا يبقى منها شيا وقيل يجعلها كالرمل ويطيرها كما في قوله ثم لننسفنه في اليم نسفا وهو كقوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقوله تعالى فيذرها قاعا صفصفا اي فيدع مواضعها قاعا ارضا ملساء صفصفا مستوية • قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد قاعا صفصفا مستويا املس لا نبات فيه ولا حجارة ولا حصى • وقوله تعالى لا ترى فيها عوجا عوجا ولا امتا اي تعاديا بارتفاع وانخفاض • وقيل اضطرابا يمينا لا معدله حتى ما ترك فيه امتا وملا سقاه حتى ما ترك فيه امتا اي ابتنا • وقال الشاعر في اعراب سيره من امت • وقيل الامت ملطم موضع وسهو لمن موضع يعول ليستريحها اودية والجبال تحت ينظر الناظر فيها فلا يرى بعضها او يسيها السير فيها

يحتاج الى ان يميل يمنة او يسرة • وقال مجاهد قاعا لا تراب فيه • وقيل قاعا صحرا صفصفا لا شجر فيه ولا جبل
وقيل عوجا بالشقوق وامتا بالتلال • وقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي اي داعي الله تعالى الى الموقف قيل
هو اسرافيل بالنفخ في الصور على صخرة بيت المقدس • وقوله تعالى لا عوج له اي لا انحراف عنه بل يستقيمون
سراعا اليه كما قال مهطعين الى الداعي فقال سراعا كانهم الى نصب يوفضون • وقوله تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن اي خضع الناس وسكنوا لهيبة الرحمن فلا تعلوا اصواتهم فلا تسمع الا همسا قيل اي صوتا خفيا
كما قال تعالى يتخافتون بينهم • وقيل الا انفاسا • وقيل الا انينا • وقيل اي صوت اقدامهم مشيا الى الداعي فاما
ان ينطقوا فقد تشغلهم هيبته ذلك اليوم عن النطق وهذا في حال اجابة الداعي ثم يتكلمون في موقف السوال
وقال مجاهد الهمس صوت الاقدام • قال ابو زبيد الطائي فباتوا مدلجين وبات يسري بصيرا بالدجى هاد
هموس • وقال الامام القشيري رحمه الله تعالى في قوله وخشعت الاصوات للرحمن قال تنقطع الاوهام
وتقف الافهام وتتحير العقول وتندرس العلوم وتتحير المعارف وتتلاشى نعوت الخلق وتستولي سلطان الحقيقة
فعند ذلك لا عين ولا اثر وفي الحروس خرس وفي البساط فنا الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا اي رضي ما يقوله
من الشفاعة بان يكون شفاعته لمن يجوز ان يغفر له وهو المسلم دون الكافر وهو كقوله من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه • وقيل لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن الله بالشفاعة فيه ورضي للمشفوع له قولا اي يكون
المشفوع له ممن رضي الله قوله في الدنيا وهو ان كان قائلا كلمة الشهادة فتنفعه وهو كقوله ولا تنفع الشفاعة
الا لمن اذن له • وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى • وقيل هذا في رد من تعبد الملايكة طمعا في شفاعتهم وهو
كقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى • وقوله تعالى
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم هم الملايكة ما بين ايديهم الساعة وما خلفهم الدنيا • وقوله تعالى ولا
يحيطون به علما اي بعلم ذلك وهو مذكور في قوله يعلم دلالة • وقيل به اي بما احاط به علم الله • وقيل به اي بمن
تقدم ذكره • وقيل اي لا يحيطون به علما بالله فانه ليس بمحاط به بل يعلمون الله بما تبلغه عقولهم وما اعلمهم من ذلك
وقوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم اي خضعت وذلت وكنى بالوجوه عن الناس لان اثار الخضوع
والذل في الوجوه كما قال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة للحي القيوم لله الواحد
القهار الحي القيوم الذي لا يموت وهو قايم بتدبير خلقه • وقايم على كل نفس بما كسبت • وقوله تعالى
وقد خاب من حمل ظلما اي ييس من رحمة الله وثوابه من حمل الى موقف القيامة ظلما اي شركا وهو وضع العبادة
في غير موضعها • وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما • قال
الضحاك هو ان زاد في سياته ولا هضما اي ينقص من حسناته وقد هضمني فلان حقي اي نقصني وامراة هضيم
الحشا اي ضامرة والهضم نقصان عن حد غيره وقد هضمت المعدة الطعام اي غيرته ونقصته • وقرا ابن كثير
فلا يخف على النهي وهو معناه • وقوله تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا اي وكالذي قصصنا ذكره انزلنا عليك
هذه السورة قرانا بلغة العرب ليعقلوه • وقوله تعالى وصرفنا فيه اي القول من الوعيد بانواع الوعيد
وقوله تعالى لعلهم يتقون ما خوفتهم به • وقوله تعالى او يحدث لهم ذكرا او يجدد لهم ذكر نعم الله • وقيل
تذكروا عقابا ظاهرا • وقيل شرفا وقيل او بمعنى الواو • وقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق وهو الغني الذي الحمد
حاجته وملوك الخلق محتاجون فليسوا ملوكا على الحقيقة • وقوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضي
اليك وحيه • وهو كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وكان لحرصه على اخذ القران عن جبريل يتعجل بقراته
قبل استتمام جبريل ايحاه اليه • قال الله تعالى لا تعجل به الى ان يتم وحيه والقاوه اليك • وقيل ولا تعجل
بقراته على اصحابك قبل ان يبين لك معناه • وقل رب زدني علما بقراته • وقال الامام القشيري رحمه
الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم البشر ومن شهد له الحق بخصايص العلم بقوله وعلمك ما لم
تكن تعلم • ثم قال وقل رب زدني علما ليعلم ان ما خص الله تعالى به انبياءه واولياءه من لطايف العلوم
لا حصر له • وقال طلب موسى زيادة العلم فاحيل على الخضر وكان اول ما قال انك لن تستطيع معي صبرا واخره هذا
فراق بيني وبينك ولما احتاج نبينا صلى الله عليه وسلم لزيادة العلم قال له وقل رب زدني علما ولم يحل الى غيره
فشتان ما بين المنزلتين ولما قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخشاكم له وقل رب زدني علما فنقله عن التعلم
الى التضرع • وقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل اي من قبل هولا الذين صرفنا لهم الوعيد في القران وهذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريف له ان طاعة بني ادم للشيطان وتركهم التحفظ عن قديم وسنة امر قديم
فلا يهمنك ولقد عهدنا اي وصينا وامرنا وهو قوله ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
اي يخفى عليه الحال • وقوله تعالى ولم نجد له عزما اي قصدا ومنهم من قال فنسي اي ترك ولم نجد له عزما اي ثباتا
على العهد وقد بينا في سورة البقرة تفسير الزلة واقاويل الناس فيها وما هو الصحيح منها • وقوله تعالى
واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس فسرناه في سورة البقرة ايضا • وقوله تعالى فقلنا يا ادم ان

هذا

هذا عدو لك ولزوجك لم يسجد لك ولم يرض فضلك فصار عدوا لهما بعداوتك • وقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة اي
لا تكونن سبب الخروج كما بان تطيعاه فيما يوسوس اليكما في مخالفة امري • وقوله تعالى من الجنة اي هذه الجنة التي انتما
فيه فتشقى اي تتعب في الدنيا بالكسب ولذلك قال فتشقى ولم يقل فتشقيا لان الكسب على الزوج خاصة • وقوله تعالى
ان لك الا تجوع فيها اي الجنة ولا تعرى اي عن الملابس اي هي معدة فيها ابدا وكذا الطعام • وقوله تعالى وانك لا تظما
فيها ولا تضحى • قرا عاصم في رواية ابي بكر ونافع وانك بالكسر عطفا على قوله الا تجوع فيها ولا تعرى ولا تعطش لوجود الاشربة
فيها ولا تضحى اي لا تبرز للشمس لانك في منازل الجنة وفي ظل ظليل لا شمس فيها ولا زمهرير • وقوله تعالى فوسوس
اليه الشيطان وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فسرناه في اول سورة الاعراف • وقوله لا يبلى اي لا يضعف
ولا يستفلج كالثوب اذا ابلي • وقوله تعالى فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسرناه هناك
ايضا • وقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد
يكون خطا فيكون زلة • وقد اوضحنا ذلك في سورة البقرة فغوى اي خسر حاله عليه • قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس
امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لايما • جعل الغي في مقابلة لقا الخير • وقيل فغوى اي جهل موضع الخطا • قال امرو القيس
تالله يمين الله ما لك حيلة • وما ان ارى عنك الغواية تنجلي اعا جهالة • وقوله تعالى ثم اجتباه ربه اي اختاره
وقال القشيري رحمه الله انا الذي اصطفاه اولا بلا علة اجتباه ثانيا بعد الزلة فتاب عليه ووفقه للرجوع اليه
وقوله تعالى وهدى اي وهداه الى الاعتذار والاستغفار • قال تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات • وقال فتاب
عليه • وقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو • وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فسرناه ايضا هناك في الاعراف فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة • وقيل لا يضل من الجنة ولا يشقى في النار
وقيل هذا لمن اتبع الهدى اي الكتاب • وقيل اي الرسول • وقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري اي كتابي فلم يقبله
ولم يعمل به بخلاف من اتبع الهدى • وقيل هو الاعراض عن قراته حتى نسيه • وقيل عن توحيدي كما قال حتى نسوا الذكر
وقيل عن طاعتي كما قال تعالى اذكروني اذكركم • وقيل عن العلم كما قال فاسالوا اهل الذكر • وقيل عن الذكر باللسان
كما قال اذكروا الله ذكرا كثيرا • وقيل عن الذكر بالقلب كما قال ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم • وقيل اي عن وعظي
كما قال او يحدث لهم ذكرا • وقيل عن الصلاة كما قال تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله • وقوله اني احببت
حب الخير عن ذكر ربي • وقوله فاسعوا الى ذكر الله • وقوله تعالى فان له معيشة ضنكا اي ضيقة • قال مجاهد
اي في الدنيا ومعناه انهم اذا كانوا لا يعتقدون الخلف في الانفاق شحوا على انفسهم في الانفاق واذا انفقوا
لم يرجوا خلفا فشق عليهم الغلوب والمومن يقنع قلبه في ذلك لرجا الخلف والثواب ويطيب بالقناعة
وقال ابو سعيد الخدري وابو هريرة رضي الله عنهما هي عذاب القبر • وقال قتادة هي النار • وقوله تعالى
ونحشره يوم القيامة اعمى • قيل اي عن الحجة والحيلة والاهتدا الى ما ينفعه • وقيل نحشره بصيرا الى ان يحاسب
ويقرا الكتاب ثم يصير اعمى وقد كنت بصيرا اي يا رب لم عاقبتني بهذا وباي ذنب اعميتني يبين له انه لم يكن له
ذنب • وقيل هذا قبل ان يظهر خطاياه ما كان عليه في الدنيا وقد كنت بصيرا بعيني في الدنيا وعلى القول الاخر
لم جعلتني لا اهتدي لشي وقد كنت عالما بوجوه الحيل مهتديا اليها • وقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى اي تركتها وتناسيت عليها فكذلك اليوم تنسى اي تترك في العقوبات كالمنسي لا يذكر ولا
يخلص • وقوله تعالى وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه وجاوز الحد في المعصية حتى انتهى الى الشرك • وقوله
تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى من المعيشة الضنك في الدنيا وفي القبر ومن العمى في القيامة • وقوله تعالى
افلم يهد لهم اي اولم يبين لهم استفهام بمعنى الاثبات • وقوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
كقولك اتت الرجل احبه اي الرجل الذي احبه اي يمشي هولا المشركون في مساكن اوليك المهلكين وهم عاد وثمود
وقوم لوط وشعيب وكانت العرب تسير للتجارة وغيرها في بلادهم • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لاولي النهى اي العقول
اي يتفكرون فانهم كفروا وعصوا فاستوصلوا فلا يفعلوا كذلك فيفعل بكم كذلك ذكر اهلاك الاولين ثم اخبر عن
سبب تاخر اهلاك الاخرين • فقال ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فيه تقديم وتاخير ومعناه ولولا
قول سبق من ربك انه لا يعذب هذه الامة بالاستيصال في الدنيا ولولا اجل مسمى وهو الساعة التي سبق القول
بتاخير العذاب اليها لجاءهم العذاب عاجلا ولادهم وهو كقوله يستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب
وقيل الاجل المسمى في الدنيا وسماه ولولا كلمة سبقت من ربك في ان لا اهلاك هولاء وقتا معلوما قد جعله وقتا
لذلك وسماه له لكان العذاب لزاما فاهلاك مضرور لزاما اي ملازما عاجلا وقد حل ذلك الاجل فاهلكهم •
قال ابن عباس رضي الله عنهما ولولا ما بين الامة محمد ونعته الى ابن مريم في الصحف والى موسى في التوراة والى عيسى
في الانجيل انه يستخلفهم ويمكن لهم لعجل لهم العذاب بذنوبهم • وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون اي هولا المشركون
فان الله تعالى من لا الباطل • وقوله تعالى وسبح بحمد ربك اي صل مسبحا لربك حامدا له • وقوله تعالى قبل طلوع الشمس
صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة العصر • وقوله تعالى ومن اناء الليل اي ساعاته جمع اني وهي صلاة العتمة لانها

تصلي بعد مضي اناء الليل • وقوله تعالى فسبحه اي فصل له • وقوله تعالى واطراف النهار واتى الجمع ثلاثة وان ارادها فقط
صلاة الظهر والمغرب وصلاة الظهر في اخر طرف النهار الاول وفي اول طرف النهار الاخر وهي طرفين منه والطرف الثالث
غروب الشمس وعندها يصلي صلاة المغرب • وقوله تعالى لعلك ترضى قرا الكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بضم التاء اي
يرضيك الله وقيل ان تكون مرضيا عند الله بطاعتك كما قال وكان عند ربه مرضيا • وقرا الباقون بفتحها اي يعطيك من الثواب
ما تريد فترضى كما قال ولسوف يعطيك ربك فترضى ولعل من الله تعالى ايجاب اي ولعل الله يرضيك بالاعلاء عليهم في الدنيا
وترضى بذلك • وقوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اشكالا اي رجالا امثالا كثيرين في الذهاب
عن الصواب والتمتع تكثيرا للامتاع والامتاع الالتذاذ بالمناظر الحسنة والاصوات المطربة والروايح الطيبة والمنافع
الموافقة • وقوله تعالى زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وحسنها ونصيبه متمتعا • وقوله تعالى لنفتنهم فيه اي لنختبرهم
بما اعطيناهم تقول ولا تنظرن الى ما وسعنا على هولاء المشركين في الدنيا متاعا لهم الى حين فان ذلك هو من زينة
الدنيا الى ان تنقضي • قال ابو رافع استسلف النبي صلى الله عليه وسلم من يهودي طعاما فابى ان يسلفه الا برهن
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى هذه الاية • ورزق ربك خير وابقى اي وما يعطيه الله تعالى
رسوله والمومنين في الاخرة من الثواب على صبرهم وقمعهم انفسهم من النزاع الى ما متعنا به هولاء خير وابقى من ذلك
لانه باق ولانه يودي الى رضا الله تعالى وهذا يودي الى سخط الله • وقوله تعالى وامر اهلك بالصلاة اي امر نفسك
واصطبر عليها واثبت ودم عليها • وقوله لا نسالك رزقا اي لا نسالك ان ترزق نفسك في ايامك • وقوله تعالى نحن
نرزقك في ايامك • وقيل لا نطلب منك ما تحتاج الى الاختيار في تحصيله مع ضيق اسبابه عليك بل نكلفك عملا لك
ونثيبك عليه ثوابا لا يعدله ثواب • وقوله تعالى والعاقبة اي العاقبة المحمودة للتقوى اي لاهل التقوى •
وقيل العاقبة الجنة • وكان بكر بن عبد الله المزني اذا اصاب اهله خصاصة يقول قوموا فصلوا فان الله تعالى
امر رسوله به ويقرا هذه الاية • قال الامام القشيري رحمه الله لما قال ولا تمدن عينيك فادبه في ان لا ينظر
الى زينة الدنيا وقف على وجه الارض بقدميك ولاهل هذه المجاهدة وكل هذا ادب حتى تقف بقدم امره
وقال في قوله نحن نرزقك ما شيا ان وجود الرزق وشهود الرازق فوجود الرزق قوت النفوس وشهود الرازق
قوت القلوب • وقال حفص علي الفقر اعتنا ثانه الشرونا حز الرزق بقوله نحن نرزقك • وقوله تعالى لولا ياتينا
باية من ربه اي قال هولاء الكفار هلا ياتينا محمد باية من ربه بعلامة تدل على صحة نبوته فلبسوا بهذا الكلام على
ضعفتهم • وقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي الاية الدالة على نبوته لما وجد في الكتب
المتقدمة من البشارة وذكر نبوته ووصف اصحابه وامته وهذا اذا كان في اهل الكتاب وهو ظاهر وان كان
في مشركي مكة فانهم كانوا يسالون اهل الكتاب عن ذلك فيخبرونهم به • وقيل هذا في سوال البعث ومعنى الاية
اولم تاتهم بيانه في الكتب ان الامم السابقة لما سالوا الايات وكفروا بها يستاصلهم • قوله تعالى ولو انا اهلكناهم
اي هولاء بعذاب يستاصلهم به من قبله من قبل ارسال الرسل وانزال الكتب • وقوله تعالى لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت • وقوله تعالى فنتبع اياتك جواب الاستفهام بالفا فنصب • وقوله
تعالى من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب فقد قطعنا هذا العذر بما ارسلنا وما انزلنا • وقيل كان الذل يوم
بدر والخزي يوم القيامة • وقيل الذل في يد ملك الموت والخزي في يد مالك • قل يا محمد لهم كل متربص منا
ومنكم مترقب عاقبة امره • وقوله تعالى فتربصوا اي انتم عاقبة امركم فنحن متربصون موتنا لتستريحوا
منا ونحن نتربص بكم العذاب • وقوله تعالى فستعلمون اي عند الموت من اصحاب الصراط السوي اي الدين
بالدين المستقيم • وقوله تعالى ومن اهتدى اي ومن المهتدي اهم ام انتم • روى الحسن عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يقرا اهل الجنة من القران شيا سوى يس وطه • والحمد لله على كثير نعمائه • ونشكره على
سوابغ الكرامة • والصلاة على افضل انامه • محمد الابطحي • والرسول العربي • واله واصحابه • المستحقين
لاحسانه وامتنانه • اللهم صن هذه السورة واياتها • نجني من النار ودركاتها • والحمد لله رب العالمين

سورة الانبيا عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي قصم القرى الظالمة وانشا بعدها قوما اخرين • الرحمن الذي انزل القران ذكرا مباركا لكنتم
له منكرين • الرحيم الذي ارسل المصطفى محمدا رحمة للعالمين • وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة الانبيا حاسبه الله حسابا يسيرا وسلم عليه كل نبي ذكر فيها اسمه • وسورة الانبيا مكية
وهي مائة واثنا عشرة اية • وقيل احدى عشرة الاختلاف في اية ما لا ينفعكم ولا يضركم • وهي الف ومائة وخمس
وستون كلمة • واربعة الاف وثمان مائة وتسع وتسعون حرفا • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة
انه قال فتربصوا فستعلمون وهذا الحكم حين يقترب للناس حسابهم • وانتظام السورتين ان سورة طه في ذكره
تعالى وقدرته وجلاله وذكر القران وانه له وارسال الرسل ونصرتهم وتوبيخ الكفار وعقوبتهم ونفع الطاعة

وضرر المعصية وهذه السورة كذلك • وقوله تعالى اقترب للناس حسابهم اي دنا للناس وقت حسابهم على اعمالهم
وهو يوم القيامة وهو تنبيه على قصر ما بقي من مدة الدنيا ليستعدوا للاخرة ولا تركنوا الى الدنيا • وقوله تعالى ما ياتيهم
من ذكر من القران محدث لم يكن قبل ذلك مما هو ذكر ووعظ واذكار لما يلزمهم التفكر فيه وذكر لما بهم الحاجة اليه
من امر دينهم ودنياهم • وقوله تعالى الا استمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يتلوه • وقوله تعالى وهم يلعبون
يستهزئون به يشتغلون عنه بامور دنياهم لا يتفكرون فيه • وقيل نزلت الاية في اهل مكة ابي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما
وكانوا ينكرون البعث والحساب • وقال انس بن مالك رضي الله عنه لما نزلت اقترب للناس حسابهم عمد ثابت بن ابي
قيس الى نخل له فصرمها وتصدق بها وترك عياله بلا شي فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا • ولما نزلت اقتربت الساعة وانشق القمر اراد المهاجرون والانصار ان يتلفوا
اموالهم فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اي شي نزل ننفق فانزل الله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل
العفو • وقوله تعالى محدث • قال مقاتل يحدث الله الامر بعد الامر • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله الذكر هاهنا
هو الرسول بدل عليه قولهم بعده هل هذا الا بشر مثلكم ولو كان الذكر القران لقالوا هل هذا الا اساطير الاولين
ونحوه ونظير هذا قوله وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو
الا ذكر للعالمين • وقوله تعالى لاهية قلوبهم اي متشاغلة عن التامل فيه من قولهم لهيت عن الشي الهى عنه من حد
علم اي غفلت عنه • قال لا تلهكم اموالكم ولاهية نصب على الحال من قوله يلعبون او حال مع حال وتقديره الا
استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم • واسروا النجوى الذين ظلموا اجمع الفعل المتقدم على الاسم وله وجوه • قال
الكسائي فيه تقديم وتاخير وتقديره والذين ظلموا اسروا النجوى • وقال الفراء بل تقدم الاسم • وقيل هذا
مستعمل في العربية ايضا وموجود في اشعارهم • قال قايلهم واهتدين النبال للاعراض • وقال ابو تمام واصحب
ابا بي يصرحون لي عواذله • والضمير مثل انه صفة • يقولون يعرضون عنه بانفسهم ويموهون على ضعفتهم
يتسارون فيما بينهم ويقولون هل هذا الا بشر مثلكم استفهام بمعنى النفي اي ما هو الا ادمي مثلكم ياكل ويشرب
ويكون منه ما يكون منا فكيف صار رسولا من بيننا افتاتون السحر وانتم تبصرون استفهام بمعنى التوبيخ
والاستنكار اي يقولون للضعفة ليس هو برسول بل هو ساحر افتاتونه لاستماع هذا الكلام الذي هو سحر وهذا
منكم خطا وسفه • وقيل وانتم تزرونه بشرا مثلكم وسموا كلامه سحرا على معنى انه يزوق وياخذ القلوب • وقال القشيري
رحمه الله وهم في غفلة الغفلة على قسمين غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وغافل عن حسابه لاستهلاكه
في مولاه فالاولون لا يستفيقون من غفلتهم الا بشوق مقلق او خوف مزعج والاخرون لا يستفيقون من غفلتهم
الا برؤية المولى • وقوله تعالى قل ربي يعلم القول في السما والارض قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص قال ربي وكذا في مصحف اهل الكوفة • وقرا الباقون قل اي يا محمد قل للذين اسروا النجوى ربي يعلم قول
كل قايل هو في السما او الارض • وقوله تعالى وهو السميع العليم وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم
واسرارهم ووجه القراة الاولى قال لهم محمد حين قالوا متسارين هل هذا الا بشر مثلكم ان الله يعلم ما تقولون
ويجازيكم عليه بل قالوا اضغاث احلام اخبر باضطراب اقوالهم وهاهنا منهم قالوا هل هذا الا بشر مثلكم ثم
لم يثبتوا على هذا بل قالوا اضغاث احلام اي هذا ليس وحيا بل تاويل من الرويا راها في نومه فيزعم انه وحي من الله
ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا بل افتراه اي اختلقه من نفسه وكذب به على الله تعالى ثم لم يثبتوا على هذا بل قالوا
شاعر وما اتى به شعر كلام ينظمه هو • وقيل اسروا النجوى فقال بعضهم هو سحر وخالفهم فريق فقالوا كذا وفريق
قالوا كذا فلياتنا باية كما ارسل الاولون لما كانوا يعرفون الكلام وكانوا يعلمون انه ليس بسحر ولا بشعر ولا رويا
تحكموا واقترحوا فقالوا فلياتنا باية اي بمعجزة كمعجزة موسى وعيسى وغيرهما فاما هذا القران فانا لا نرضى
به اية فرد الله عليهم هذا فقال ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها وقد قصصنا عليكم اخبارهم مع مجي الايات
التي اقترحوها انهم يومنون اي هولاء المقترحون يومنون لو اتيناهم بما اقترحوا وهي استفهام بمعنى النفي
وقيل ما امنت قبل هولاء قرية قد سبق لها الهلاك على الكفر افاهل مكة يومنون وقد سبق لهم انهم يموتون على
الكفر • وقيل قوله فلياتنا باية قاله عبد الله بن ابي امية المخزومي • وقال القشيري رحمه الله وهو السميع العليم
يسمع انين المذنبين سرا من الخلق حذارا ان يفتضحوا ويسمع مناجاة العابدين بنعت التسبيح اذا تهجدوا ويسمع
شكوى المحبين اذا مسهم البرحا والشدة الا اشيا فصيحوا • وقوله تبارك وتعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
يوحي اليهم هو رد قولهم هل هذا الا بشر مثلكم استبعدوا الرسالة من البشر فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فنزل
وما ارسلنا الرسل قبلك الا رجالا بشرا لم يكونوا ملائكة يوحى اليهم اي مع ذلك كان ياتيهم الوحي من عندي على
السن الملايكة • وقوله تعالى فاسالوا اي يا اهل مكة اهل الذكر اهل الكتب المتقدمة ممن نقرا التوراة والانجيل
والزبور وذلك لانهم كانوا يذكرون اقاصيص الانبيا والامم فكان اولئك يسمون اهل الذكر وكان اهل مكة
يعتمدون على قولهم فامرهم بسوالهم ليقع لهم العلم باخبارهم بان الانبيا قبله كانوا من البشر • وقيل اهل الذكر هو

اهل الكتاب • وقال علي رضي الله عنه نحن اهل الذكر العلما بالقران • قال تعالى وهذا ذكر مبارك وهذا دعا الى مسايلة
اهل العلم من المومنين ومناظرتهم والاجتماع معهم على البحث والنظر ليخرجوا بذلك عن التقليد • وقوله تعالى وما
جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام كما قال تعالى ثم يخرجكم طفلا اي يخرج كل واحد منكم طفلا لا ياكلون الطعام اي
كانوا في طباع البشر محتاجين الى ما يقيم ابدانهم • وقيل الجسد كناية عما يبصر ولا يتحرك ولا يحتاج الى الغذا وما
كانوا خالدين لا يموتون اي فكذلك انت يا محمد والرسالة لا توجب الخروج من البشرية ثم صدقناهم الوعد
من النصرة والنجاة وانجيناهم مما اهلكنا • بنوتهم المكذبين وقوله تعالى ومن نشا اي وانجينا من نشا وهم
المومنون بهم • وقوله تعالى واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد والشرك ودل الخبار باهلاك المسرفين انه من
نشا غيرهم • وقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي الى نبيكم والانزال الى النبي انزال الى امته لانهم
مخاطبون به • وقوله تعالى كتابا فيه ذكركم اي شرفكم من قولهم فلان مذكور في الناس وانما صار شرفا لهم لانه منزل
هو منهم على رسول هو منهم والمنزل بلسانهم والناس يتفاخرون بكتب موالفها لهم حكما فكيف بكتاب انزله الله
تعالى على شريف منهم • وقوله تعالى افلا تعقلون افليستم عقلا يعرفون مواضع حظوظكم فكيف غفلتم عن
تحصيل الشرف بالايمان بهذا الكتاب وعما وتندمنا فيه • وقيل فيه ذكركم اي ذكر ما بكم اليه حاجة • وقال
ابن جريج فيه حديثكم • وقال الحسن فيه دينكم • وروي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي
للعالم ان يسكت عن جهله وقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون • وقوله تعالى وكم قصمنا من
قرية وهذا تعجيب بعد ترغيب اي وكم كسرنا وهو عبارة عن الاهلاك • وقال الضحاك دمرنا • وقال ابو العالية
خربنا • وقال ابن كيسان هدمنا وقتلنا • وانشد قول تبع اليماني • ولقد قصمت يهود خيبر كلهم • فتركت خيبر غير
ذات يهود • وقال الفرا القصم بالقاف بينونة والفصم بالفا كسر بغير بينونة • وقوله تعالى من قرية
كانت ظالمة اي من اهل قرية كانوا ظالمين اي مشركين • وقوله تعالى وانشانا بعدها اي خلقنا قوما
اخرين غيرهم • وقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي راوا عذابنا اذا هم منها يركضون اي اخذوا يهربون خارجين
منها يحركون دوابهم باقدامهم هدفا والركض ذلك • وقوله تعالى لا تركضوا اي قيل لهم لا تفروا وارجعوا الى
ما اترفتم فيه اي الى نعمكم التي خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم • وقال الخليل
المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ومساكنكم اي وارجعوا مساكنكم لعلكم تسئلون • قال قتادة يعني
عن دينكم ومعناه يطلب منكم الايمان وتومرون به وذكره بكلمة لعل وبكلمة السوال استهزاء بهم وتوبيخا كانه
قيل ارجعوا حتى ياتيكم رسولكم فيسئلكم ان تومنوا به وتحققه فقد فاتكم ذلك بترككم التدبير في وقته
وتتمنون ان تكون كذلك ولا يكون ولعلكم تسئلون من دنياكم شيئا وهو استهزاء بهم ايضا اي قيل لهم ارجعوا
الى مسا لتكم لعلكم ياتيكم رسولكم محتاجا الى ما في ايديكم فيطلب منكم ذلك فتعطونه فيمتنع عن دعائكم الى
الايمان • وقال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم هذه قرية باليمن تسمى حاصورا قتلوا نبيهم حنظلة عليه
السلام فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم فلما استحر فيهم القتل هربوا فانهزموا فقالت لهم
الملايكة على طريق الاستهزا ولا تركضوا اي لا تعتذروا لعلكم تسئلون من سبب كفركم لم كفرتم ولا تكون لكم حجة
وقوله تعالى قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اي انفسنا بكفرنا فلا ينفعهم هذا الاعتراف • وقوله تعالى فما زالت
تلك دعواهم اي تلك الكلمة او تلك الدعوى دعواهم اي دعاهم كقوله تعالى دعواهم فيها اي دعاوهم
فيها بالويل على انفسهم • وقوله تعالى حتى جعلناهم حصيدا خامدين اي محصودا بالسيف كحصيد الزرع
ووحد كما في قوله جسدا او معناه حصيدا فيكون جمعا والفعيل اذا كان للمفعول لم تدخله الهاء وان كان عند
بغير السيف فمعناه الساقط لانه يقابل القايم • قال تعالى منها قايم وحصيد وخامدين ميتين كخمود
النار • وقوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين اي وما خلقت ذلك وانا اريد به اللعب
بل خلقت الخلق للابتلا بالامور والنهي ثم ابعثهم بعد الموت لاجازيهم في الاخرة على الخير والشر وهذه
الاية في اثبات وحدانيته وما قبلها في اثبات رسالة رسوله وحقيقة كتابه ثم ذكر بعدها تنزيهه عن الصاحبة
والولد فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا • قال الحسن ومجاهد زوجة • وقال قتادة اللهو بلغة اهل اليمن
المراة لانها تلهي بها وتصرف الهم • وقيل يقع اللهو على الزوجة والولد • وقوله تعالى لاتخذناه من لدنا اي لكن
ذلك من اهل الارض من الاجسام الارضية والاخلاط القذرية بل من الجواهر الكريمة الشريفة الذي منها
خلق اهل السما • وقيل الاول اصح لان الجواهر لا تتفاضل لاعيانها • وقوله تعالى ان كنا فاعلين قيل هو
على الشرط لو جاز ذلك لفعلنا لكنا لسنا فاعلين لاستحالة ذلك • وقال مجاهد وقتادة وجماعة تم الكلام
عند قوله لاتخذناه من لدنا ثم قوله ان كنا فاعلين معناه ما كنا لنفعل ذلك وان للنفي كما في قوله ان انت الا
نذير • وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل اي ليس الامر كما يتوهمون من قوة الباطل وانكم تتركون على
ضلالكم وتمويهكم على الضعفة بل نقذف اي لكن نقذف بالحق اي نرمي بالحق على الباطل فيدمغه فيقهر الحق الباطل

ويعلوه

ويعلوه كما يفعل القاتل بالمقتول اذا اصابه دماغه • وقوله تعالى فاذا هو زاهق اي الباطل زاهق اي هالك ذاهب كما يجي م
تزهق نفسه فيموت • وقوله تعالى ولكم الويل مما تصفون اي الوعيد والعذاب الشديد في الاخرة مما تصفون اي
تصفون الله تعالى بما لا يليق به • وقوله تعالى وله من في السموات والارض اي هم خلقه وملكه فكيف يكون شي منه
شريكا له او ولدا او صاحبة ومن عنده اي الملايكة الذين عنده وهو بيان قرب المنزلة دون قرب المكان فانه
الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وهم الذين تعبدهم كثير من المشركين لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها
ابدا ويداومون عليها • وقوله تعالى ولا يستحسرون اي لا يكلون ولا يملون ولا يعيون يسبحون الليل والنهار على
المواظبة لا يفترون لا يضعفون ولا يعيون • وقوله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اي يحيون
الموتى استفهام بمعنى التوبيخ وام بمعنى الف الاستفهام لانه لم تتقدمه الف الاستفهام ليكون عطفا عليه
وقيل هو عطف على ذلك تقديره وجه اخلقنا السما والارض لعبا ام الملايكة الذين يعبدونها في انها
معبودين ام هل ما اتخذوه من الاصنام من الارض يحيي الموتى ويضر وينفع فيكون في ذلك موضع شبهة وقيل
يجوز يكون ام في هذه الاية عطفا على قوله افلا يعقلون ويجوز انتقال الكلام من المخاطبة الى المغايبة
وقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اي لو توهم وجود السموات والارض بصانعين لفسدتا
لما يجري بين الصانعين من التمانع لانهما لا يخلوان من ان يكونا قادرين او عاجزين او احدهما عاجزا
والاخر قادرا والعاجز لا يكون الها وفي كونهما قادرين مع جواز ممانعة احدهما صاحبه مما يوجب
استحالة فعلهما اذ يحتاج كل واحد الى موافقة صاحبه لحصول مراده والحاجة نقص يستحيل معها
الالهية فاذا لم يكونا الهين خلا العالم عن مدبر له وفي ذلك مما يوجب انتقاض امور العالم وفي وجود
العالم على ما عليه من الاتفاق دليل صانع واحد • وقوله تعالى فسبحان الله اي نزهوا الله رب العرش
العظيم عما يصفون من الولد والشركا • وقوله تعالى لا يسئل عما يفعل اي من افعاله الربوبية وهم
يسئلون عما كلفوا به من العبودية • وقيل انما يسئل من يحتمل وقوع الخطا في فعله ولا يحتمل ذلك
في فعل الله تعالى فلا يسال واشراك الكفار بالله الاصنام ووصفهم اياه بالصاحبة والولد ضلال
وخروج عن الصواب والحكمة فيسئلون • وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملايكة الذين هم متعبدون
مسئولون محاسبون فكيف يكونون شركا لله • وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة قيل الاعادة لتجديد
فايدة فان الاول انكار عليهم من حيث العقل والثاني من حيث الخبر اي تقولون ذلك عقلا وهم يرون
الاموات فيقع لهم شبهة ام يقولون من جهة الخبر انا اخبرنا في الكتب انهم الهة وليس كذلك فلا اثارة لا
اخبار وذلك قوله تعالى قل هاتوا برهانكم على انه في الكتب هذا ذكر من معي وذكر من قبلي وهو التوراة
والانجيل ليس ذلك في شي منها بل كلها دالة على التوحيد ونفي الصاحبة والولد والشريك فقد بطل
اتخاذ الالهة من الجهات كلها بل اكثرهم لا يعلمون الحق من اين يعرف ومن اي جهة يطلب فهم معرضون عن
الحق كذلك • وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تقرير ذلك
اي لم نرسل قبلك رسولا الا اوحينا اليه بالتوحيد وتجريد العبادة لله دون الشريك الذي يدين به
هولا وهذا كله كلام واحد • وقيل تم الكلام عند قوله قل هاتوا برهانكم ومعناه ولا برهان لهم ثم ابتدا كلاما
فيه حث على التوحيد وزجر عن الشرك قل يا محمد هذا القران ذكر من معي اي بيان حال اهل عصري اي من
امن وكفر فالى ماذا يصيرون وذكر من قبلي بيان من امن بالانبيا ووحد وبيان من كذبهم واشرك انهم الى
ماذا صاروا • وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي ليس بهم رغبة معرفة الحق فهم معرضون عنه
وكذلك ما ارسلنا من قبلك كلام اخر في تنبيههم • وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اي قال
طايفة من العرب اتخذ الله الملايكة بنات سبحانه اي تنزه الله تعالى عن ذلك وتقدس • وقوله تعالى
بل عباد مكرمون اي ليس كما قالوا لكنهم عباد لي مكرمون اي اكرمتهم ورفعت منازلهم • وقوله تعالى
لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون شيا لم يوذن لهم فيه • وقيل هو ابطال لظن المشركين فانهم كانوا يعبدون
الملايكة طمعا في شفاعتهم فقال لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون شيا لم يوذن لهم فيه ثم قال وهم
بامره يعملون ذكرها عنهم في القول والعمل جميعا • وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم ما لم يعملوه بعد
ما يعملون فيه اي ويعلم ما مضى من ازمنتهم لخلقهم وما عملوا فيه اي احصى ذلك عليهم وحفظه لمحاسبتهم
فهم مستعبدون محاسبون فكيف يتقدمون بين يدي الله فيشفعون لهم بلا اذن لهم فيه ولا يشفعون الا لمن
ارتضى اي لمن هو مرضي عند الله بالتوحيد ومن شفاعتهم لمن ارتضى هو استغفارهم لان قال تعالى
ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما الاية • وقوله تعالى وهم من خشيته مشفقون
اي خايفون ومن يقل منهم اني اله من دونه اي من دون الله فذلك القايل نجزيه جهنم على ادعايه الشركة
في الالوهية • وقوله تعالى كذلك نجزي الظالمين اي هكذا نفعل بمن ادعى ما ليس له ان يدعيه وهذا الوعيد

في حقهم مع العصمة كوعيدنا للانبيا وقد مر تاويله مرات • وقال ابن عباس وقتادة والضحاك الوعيد يتحقق في ابليس
خاصة • وقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهذا بيان دلالة التوحيد
والرتق السد ومنه الرتقا وهي المراة التي فرجها ملتحم والفتق الشق وفعلهما من باب دخل ونصر • اولم ير الكفار
بالابصار وهو استفهام بمعنى الاثبات اي فقد راوا ان السما والارض كانتا اي يكونان من متوقفين مصدر اريد به
النعت فلم يثن كذلك فانما ثني كانتا مع ان السموات جمع لانهما صنفان ففتقناهما اي فتفتق السما بالمطر والارض
بالنبات قواما للعالم • وقوله تعالى وجعلنا من الما كل شي حي اي وجعلنا من ما السما كل شي على وجه الارض افلا
يؤمنون اي افلا يصدقون بان ذلك لم يكن بنفسه بل بمكون كونه والى هذا ذهب عطية وعكرمة وابن
زيد وجماعة والرؤية على هذا من رؤية بصر القلب وهو العلم اي فليعلموا ذلك • وقيل السموات كانت طبقة
واحدة ففتقها الله تعالى فجعلها سبعا وكذلك الارضين وعلى هذين القولين ينبني قوله افلا يؤمنون اي افلا
يصدقون بهذا وقد اتاهم الخبر به عن الله تعالى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سيل عن الليل اكان قبل
النهار او النهار قبل الليل فقال الليل ثم قال فهل تعلمون كان بينهما الا ظلمة • وقوله تعالى وجعلنا في الارض
رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تضطرب بهم لينتم استقرارهم فيها والتمكن فيها • وقوله تعالى
وجعلنا فيها فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج ومنه تفاج اي فتح ما بين رجليه للبول • وقال ابن عمر رضي الله
عنهما كانت الجبال مصمتة فلما اغرق الله قوم نوح فرزها فجاجا وقيل فيها اي في الارض فتعم الجبال والسهول
وقوله تعالى سبلا اي مسالك وهو كقوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا • وقوله تعالى لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى
البلاد المقصودة ودخل فيها لعل لانه قد ينقطع الاستدلال وقد يقع فيه الخطا • وقوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا
اي مظلا عليهم كالسقف محفوظا في موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه • وقال تعالى
وسع كرسيه السموات والارض وهم عن اياتها معرضون لا يتفكرون فيها بخلاف المومنين الذين يتفكرون في خلق
السموات والارض ويقولون سبحانك ما خلقت هذا باطلا • وهو الذي خلق الليل والنهار الليل ليسكنوا فيه والنهار
ليتصرفوا فيه والشمس والقمر احدهما سراج الليل والاخر سراج النهار وليعلم بهما الشهور والسنون وتقوم بهما مصالح
العباد وهذا كله ايات يستدل بها على وحدانية الله تعالى ونعم يجب بها الشكر لله تعالى • وقوله كل في فلك يسبحون
اي كل من الشمس والقمر والنجوم في فلك • قال الضحاك اي هذا المجرى الذي يجري فيه الشمس والقمر • وقال الحسن الفلك
طاحونة كهيئة فلكة المغزل وقيل هو مكفوف فلذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الما • وقيل يجرون • وقيل يدورون
وجمع بالواو والنون لانه وصفها بالفعل الذي يكون مثله من العقلا • وهو كقوله تعالى والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
وكقوله لقد علمت ما هولا ينطقون • وكقوله ادخلوا مساكنكم • وقال النابغة يمرها والديك يدعو صباحه
اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا • وقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لما ذكر لهم هذه الايات قالوا انما اتي
به اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر نتربص به ريب المنون اي الموت يموت كما مات شاعر بني فلان وفلان
منه ومن سبقه لاسلافنا ونتبعه لاخلافنا فنزلت وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي الخلود في الدنيا فليس في الموت
ما يبطل النبوة • وقوله تعالى افاين مت فهم الخالدون استفهام بمعنى النفي اي لا يخلدون بل يموتون كما تموت
وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اي نفس حيوان ذائقة الموت اي تذوق الموت لا محالة • وقوله تعالى ونبلوكم
اي نختبركم في الدنيا • وقوله تعالى بالشر والخير اي بالمحنة بالمكروه والمحبوب • وقوله تعالى فتنة اي امتحانا
وتعبدا بالصبر في المكروه والشكر في المحبوب • وقوله تعالى والينا ترجعون بالموت والبعث فنجزيهم بما عملوا •
وقوله تعالى واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا يستهزون بك • وقوله تعالى اهذا الذي يذكر الهتكم استفهام
بمعنى التعجب اي يقولون اهذا الذي يعيب الهتكم وهو كقولهم سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم • وقيل يذكرهم
بالذم والسو • وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي ينكرون عليك ذكر الهتهم بالسو وذكر الله تعالى
بصفاته الحسنى • وقيل بذكر الرحمن اي توحيده كما قال واذا ذكر الله وحده كفرتم • وقيل الذكر اسم للقران ها
هاهنا ومعناه هم بكتاب الله كافرون فقال وهم بذكر الرحمن هم كافرون لان الاول اشارة الى المشركين بمكة
بمنزلة تسميتهم والثانية لاصنامهم بهذا القول كقولك زيد هو الذي فعل كذا اي اختص به وانفرد • وقوله تعالى
خلق الانسان من عجل اي عجولا وقد ذكر ذلك في انه وهو كقوله خلقكم من ضعف • وقال وخلق الانسان ضعيفا وهو
كقولك خلقت من الشر اي خلق مستعجلا ما يشتهيه ويريده بطبعه وهولا المشركون يستعجلون ايضا في طلب
الايات قال ساريكم اياتي التي تطلبونها دلالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا تستعجلون في سوالها
وقيل فلا تستعجلون العذاب بقولهم ويقولون متى هذا الوعد • وقيل هذا في حق النضر بن الحارث • وقوله ساريكم
اياتي اي محاسني وعقوبتي فلا تستعجلون ذلك وكان ذلك يوم بدر ثم النهي عن الاستعجال مع انه طبع على العجلة
لمخالفة الطبع وعليها الثواب كما في الشهوات • ويقولون متى هذا الوعد اي الموعود ان كنتم صادقين هو احد
وجهي استعجالهم وذلك قوله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون

حيام

وتاويل ... كون ان السموات والارض كانتا ملتصقتين ففتقناهما بالهوا ... قول الحسن وقتادة وجماعة

وقرا ... الخير

وقال ابن عباس فيها اي بين الجبال صح

الاية وقيل محفوظا بالشهب من الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله تعالى

موج

وقال في ابنه ... شعر

اي لو علموا الحال انهم اذا دخلوا جهنم وهم حينئذ لا يمكنهم ان يمنعوا عن انفسهم ما يصطلون من النار في وجوههم وظهورهم لعظم ما
ونزل بهم ولان ايديهم مغلولة حينئذ ولا ينصرهم غيرهم اي لا يمنع العذاب عنهم والنصرة المنع قال الله تعالى فمن ينصرني
من الله ان عصيته • وقيل لا ينصرهم الالهة التي رجوها وجوابه محذوف وهو ابلغ لما مر مرات واحد وجوه الجواب هاهنا
لم يستعجلوا • وقيل اضمار الجواب بعد تمام الاية التي تليها بل تاتيهم بغتة اي النار فجاة • وقوله تعالى فتبهتهم اي فتحيرهم
وقيل وتحيرهم وتبلغ وجوههم وظهورهم عيانا كالرجل يبهت الرجل في وجهه • وقوله تعالى فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون اي يمهلون اي لا يوخر عنهم طرفة عين والجمع بين هذه الصفات غاية شدة عذابهم • وقوله تعالى
ولقد استهزي برسل من قبلك فحاق اي نزل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون • وقوله تعالى قل من يكلوكم اي قل
يا محمد لهولا المستعجلين من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من عذاب الرحمن وكانوا مشركو العرب مقرين بان
الله تعالى هو الخالق والرازق والحافظ فاذا سالتهم عن ذلك واعترفوا بان لا حافظ من عذاب الله ثبت انه قادر
على ان يعجل لهم العذاب فانه لا يوخر لعجزه ولكن ليبلغ الكتاب اجله • وقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون وفيه
اضمار ليصدق عليه بل ليسوا جاهلين الا اني الهم من عذاب الله تعالى بل هم عن تدبر ذكر الله اي وعظه معرضون • وقوله
تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا وفيه اضمار ليكون ام على حقيقتها ايستعجلون العذاب ظنا منهم انهم ممنوعون
من عذاب الله تعالى بانفسهم ام لهم الهة تمنعهم من دوننا ثم رد عليهم ذلك فقال لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون اي يجارون ويحفظون يقال في الدعا صحبك الله اي كان الله لك مجيرا وحافظا • وفي الحديث
اللهم اصحبنا بصحبة واقلبنا بذمة • وقوله تعالى بل متعنا هولا واباءهم حتى طال عليهم العمر اي ليس لهم الهة تمنعهم
من دوننا ولا اجار يجيرهم من عذابنا ليكون اصرارهم على الكفر لذلك لا املهم لكن متعناهم بالحيوة الدنيا وبسطنا لهم
في عمرها الدهر فقست قلوبهم فلما جاهم من يدعوهم الى خلاف ما استقلوا من كرمه ما هم عليه وظنوا انعامهم فيه
لا يزول عنهم فاعرضوا عن التدبر في خطابهم ذلك فقال افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي
اولا يشاهدون ما ننقصه على محمد من بلاد الكفر مما حول مكة فتنقص من قرام ونزيد في ملك محمد وما يملك من روسا
هولا افهم الغالبون اي الكفار بمكة يغلبون بعد ان ننقصها من اطرافهم اي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينصره الله تعالى وفي ننقص الاطراف اقاويل اخر ذكرناها في سورة الرعد وهذا القول
هاهنا اقرب الى النظم • وقيل نقص الاطراف تنبيه على ذهاب الكل قال قايلهم طوى العصر ان ما نشرا مني
فابلى جديدي نشر وطي اراي في كل يوم في انتقاص ولا يبقى مع النقصان شي • وقوله تعالى قل انما انذركم بالوحي
اي قل يا محمد للمستعجلين انما انذركم بالعذاب بوحي لا من تلقا نفسي • وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعا اذا ما
ما ينذرون وقد اصمهم الاغترار بالمهلة • وقيل معناه انما انذركم بالوحي والله تعالى ينزل العذاب متى شا
ولكنكم صممتم وانتم معرضون عن التدبر • وقرا ابن عامر ولا تسمع بالتا مضمومة على خطاب النبي صلى الله عليه
وسلم الصم بالنصب على انه مفعول اي لا تستطيع انت ان تسمع الصم الدعا • وقوله تعالى ولين مستهم نفحة من عذاب
ربك اي شي قليل وهو من قولهم نفح الورد اذا فاح شي من رايحته • قال الشاعر وعمرة من سروات النسا تنفح
بالمسك اردانها • ونفح لفلان من عطاه اي اعطاه شيا منه • قال ابو تمام وانفح لنا من طيب خيمك نفحة •
ان كانت الاخلاق مما توهب • يقول ولين اصاب هولا المستعجلين بالعذاب نفحة اي شي قليل من عذاب
ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لاقروا على انفسهم بظلمهم عليها ولنادوا بالويل جزعا مما اصابهم
اخبر انه لا طاقة لهم باحتمال قليل العذاب فكيف بالكثير • وقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
اي ونحضر الموازين التي لا تجور بينها بل هي كلها قسط اي عدل لوزن الاعمال يوم القيامة فلا تظلم نفس شيا
اي لا ننقص شي من عمله ولا يحمل عليه ذنب غيره وان كان مثقال حبة من خردل • وقوله تعالى اتينا بها احضرنا
تلك الحبة فوزناها وحاسبنا عليها • وقوله تعالى وكفى بنا حاسبين اي محصين مبينين مقدار ما عملوا لا حاجة
بنا الى غيرنا في محاسبة يومئذ • وقيل كفى بنا حاسبين في الدنيا محصين لاعمالهم • ومعنى الجمع في الموازين تعظيم
شانها وان كان الميزان واحدا كقوله تعالى يا ايها الرسل يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولان اعمال كل واحد
توزن به ففي ميزان في حقه وميزان في حق كل واحد فصار جمعا باعتبار هذا فعدل الى الجمع ولان الميزان مجموع اشيا بها
كلها يقع الوزن فكل شي منها له وزن فكان ميزانا فكان بجملته موازين معنى ولان الموازين يجوز ان يكون جمع
الموزون فكان جمعا للموزونات لا للميزان والقسط نعت الموازين • وقال الفرا هو مصدر يصلح نعتا للجمع
كالرضا والعدل • وقال الفرا ليوم القيامة في يوم القيامة • وقيل معناه ليوم اهل القيامة ثم القول
بحقيقة الميزان مذهب اهل السنة لورود الكتاب والاحاديث الصحيحة فيه • وقال الحسن الميزان لسان وكفتان
توزن به الاعمال ويحتمل ان يجعل في احدى كفتيه صحف الحسنات وفي الاخرى صحف السيات او كما شا الله • وقال
الامام القشيري رحمه الله توزن الاعمال بميزان الاخلاص فما فيه الريا لا يقبل وتوزن الاحوال بميزان الصدق
فما فيه العجب لا يقبل • وتوزن الانفاس بميزان الصفا فما فيه الحظوظ لا يقبل • وقد مر في قوله والوزن يومئذ

الغوى

ولا يسر يوم القيامة

يوم القيامة

الحق زوايد وفوايد ● وقوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضيا اقتص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم اخبار كثير من الانبيا وما قاسوه مع قومهم في اقامة دين الله تعالى وما انعم الله عليهم من حميد العاقبة تسلية بذلك وبشرة الله تعالى بانه كاحدهم فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا قيل هذه الثلاث كلها في التوراة هي فرقان يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال وضيا يهتدى بها الى الحق ويتوصل به الى سبيل النجاة وهي ذكر اي تعريف لما بالناس من حاجة اليه ووعظ وتنبيه وعطف بعض هذه الصفات على البعض كما عطف في قوله تعالى وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ● وقيل بل الفرقان هو نصرهما على العدو والفرقان النصر قال الله تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان او فرق البحر قال الله تعالى واذ فرقنا بكم البحر والضيا اسم للتوراة والذكر الوعظ ● وقوله تعالى للمتقين وفي الحقيقة الضيا والذكر للكل لكن انتفع بذلك المتقون فخصهم بالاضافة اليهم كما قال انما انت منذر من يخشاها ● وقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب هو وصف المتقين ● قال القطربي يخشون ربهم بالغيب اي لم يروه ● وقيل يحذرون ما حذرهم الله تعالى وبلغه الانبيا من الاشيا التي تكون في القيامة وهي غيب ● وقيل بالغيب اي بالسر حين تغيب عنهم الناس يطيعون الله تعالى ويخافون عقابه ● وقوله تعالى وهم من الساعة مشفقون ● اي حذرون من قيام الساعة وما يظهر فيه من معاصيهم وتفضيحها اياهم ● وهذا ذكر مبارك وهو القرآن المنزل عليك ذكر مبارك من تبرك به اتصلت له البركات من الاهتدا الى المراشد والنجاة من العقاب والوصول الى الثواب ● وقوله تعالى افانتم له منكرون ● قيل اي جاحدون انه منزل من عند الله تعالى استفهام بمعنى التوبيخ ● وقيل منكرون اي مستنكرون نزوله على محمد ● قال تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي لا معنى لانكاركم فقد انزلنا التوراة على موسى وهرون وارسلنا رسلا الى قومهم على ما ذكره بعده ● وقال القشيري الخشية بالغيب اطراق السريرة في اوان الحضور باستشعار الوجل من جريان سوء الادب والحذر من التبعيد واما الغيب بشي مما يوجب حجبة العبد ● وقوله تعالى ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل اي ولقد آتينا اعطينا ابرهيم الخليل هداه ● قيل وفقناه للحق وعصمناه من عبادة الاوثان من قبل اي من قبل الوحي اي دللناه على معرفتنا بالآيات حين جن عليه الليل راى كوكبا ثم القمر ثم الشمس على ما مرت قصته ● وقيل يعني محاجة القوم قبل الوحي ● وقيل اي الهمناه العقل قبل البلوغ ● وقيل اي من قبل موسى وهرون والرشد على قول هؤلا النبوة ● وقوله تعالى وكنا به عالمين اي بصلاحه للنبوة اي على علمنا بذلك اتيناه النبوة وهو كقوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين ● وقيل كنا عالمين بطاعته لنا اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اي الاصنام المصورة وتماثيل الناس التي انتم لها عاكفون اي على تعظيمها وعبادتها مقيمون ● وقوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين كعبادتنا لها ● قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين اي ظاهر ● وقيل اي مظهر من نفسه انه ضلال وهو لازم ومستند ووجه ظهور هذا الضلال انكم عبدتم خشبا وطينا وحجارة لا تعقل ولا تضر ولا تنفع ولا تدفع عن نفسها شيا ● وقوله تعالى قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين اي محقق انت هذا القول جاد فيه ام لاعب مازح استعظاما منهم انكاره عليهم ● وقوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض اي لست بلاعب فيما قلت بل انا جاد فيه محقق له لان هذه التماثيل ليست بربكم بل ربكم ومدبركم والقايم عليكم هو خالق السموات والارض ومدبرهما وممسكهما لما فيهما من الدلايل انها مصنوعة لصانع واحد قادر عليم لا يشبه المصنوعات بوجه من الوجوه كاصنامكم هذه التي هي مصنوعة الذي فطرهن اي انشاهن من غير شي ● وقوله تعالى وانا على ذلكم من الشاهدين اي انا اشهد انه المستحق للعبادة والربوبية هو خالق السموات والارض ● وقوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم اي احلف بالله لاحتالن في اصابة اصنامكم بالمكروه ولم يرض بالمجادلة باللسان حتى قصد الفعل [illegible]

وبالكسر جمع جذيذ وهو من الجذ اي القطع ● قال تعالى عطاء غير مجذوذ ● وقال الخليل هو القطع المستاصل ● وقال ابو عبيدة فعلهم جذاذا اي مستاصلين ● قال جرير بن المهلب جذ الله دابرهم فلا اصلا ولا طرفا ● وما هنا مضمر وقوله تعالى فتولوا عنه مدبرين كادا اصنامهم فجعلهم جذاذا اي فتاتا الا كبيرا لهم اي الاصنام كبير الجثة وقوله تعالى لعلهم اليه اي الى كبيرهم يرجعون على عادتهم في الرجوع من العيد في السجود له ● وقيل للاكل عنده وكانوا اذا خرجوا الى العيد وضعوا في بيت اصنامهم طعاما واذا رجعوا اكلوا ذلك وقالوا بركة الاصنام عليه اي كان رجا ان يرجعوا اليه فيشاهدوا هذه الحالة فيبحثوا عن السبب فيجد سبيلا الى تنبيههم على ضلالهم واذا راوا كبرها وعجزها عن الدفع تنبهوا على جهلهم في عبادتهم ● وقيل لعلهم اليه يرجعون اي الى دين الله ● وقيل الى قول ابرهيم قالوا من فعل هذا بالهتنا الله وها هنا مضمر ايضا اي ورجعوا اليها وراوا ما فعل بها فقالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي قد ظلم نفسه من فعل هذا وهو يعلم انا اذا علمنا به اهلكناه ● وقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي قال الذين سمعوا منه قوله وتالله لاكيدن اصنامكم ● وقيل سمع ذلك واحد والخبر عن واحد وذكر جمعا لان الجمع رضوا بقوله فكانهم قالوا ذلك وهو كقول السلولي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ويحتمل ان السامع الواحد اخبرهم بذلك جمعا فقالوا ذلك باخباره ● ويحتمل ان واحدا سمع منه هذه الكلمة واخر في موضع اخر غيبا منه لها فصاروا جمعا وذلك قوله فتى يذكرهم اي يعيبهم وهو كقوله اهذا الذي يذكر الهتكم اي فاذا كان هو يعيبهم فالظاهر انه فعل بهم ذلك ● وقوله تعالى يقال له ابرهيم اي اسمه هذا ● وقوله تعالى قالوا فاتوا به على اعين الناس اي احضروا ابرهيم فاشهروه للناس لينظروا اليه ومعنى على اعين الناس اي بحيث يرونه ويشاهدونه ● وقوله تعالى لعلهم يشهدون ● قيل اي يؤدون الشهادة عليه انه هو الفاعل ذلك فتكون لنا حجة في اخذه فهؤلاء الكفار لم يقبلوا في كفرهم ما يعتقدونه الهتهم قول طاعن الا بحجة فكيف حال من يقبل من الملوك قول النمام على رجل لم يثبت ذلك عليه ● وقوله لعلهم يشهدون على كسر الاصنام ● وقيل لعلهم يسمعون منه حين احضر لها طعنا في اصنامهم فيستدلون بذلك على انه فعل ذلك او قد يعترف بذلك فيشهدون اي يصيرون شهدا عليه ● وقيل معناه يشهدون ما نعاقبه به اي يحضرون ويشاهدون فكان له ثلاث تاويلات والاخر قول ابن اسحاق قال يشهدون ما نصنع به ● وقوله تعالى قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم وها هنا مضمر ايضا اي فاحضروه فقالوا له اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم يحتمل ان يكون هذا استخبارا منه لانهم لم يتيقنوا ابته ويحتمل ان يكون استنكارا عليه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسلوهم ان كانوا ينطقون اوهمهم ان كبير الاصنام كسر سايرها والفاس على عنقها دليله فامرهم بسؤالهم ان كانوا ينطقون ويشهدوا له بما يدعي وهذا من معاريض الكلام ولا كذب فيه وله ثلاثة اوجه احدها فيه تقديم وتاخير تقديره فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسلوهم علق فعله بنطقهم يعني فان نطقوا فهو فاعل ذلك وان لم ينطقوا فليس هو بفاعل ذلك والثاني بل فعله ها هنا وقف اي فاسلوهم ان كانوا وهذا كلام اخر تام والثالث بل فعله كبيرهم هذا عني به نفسه ثم قال [illegible] هذا وها هنا وقف وهو مبتدا وخبر فاسلوهم ان كانوا وهذا كلام اخر وانما اتى بهذا التعريض تمهيدا لالزامهم الحجة ● وكذلك قوله اني سقيم كان من المعاريض ثم نوى به سقم السقم وهو انه اذ به انه سيسقم في المستقبل فيتخلص عنهم ويمهد ذلك لكيد الاصنام فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا في انفسهم فيما قال لهم راجعين الى عقولهم فقالوا انكم انتم الظالمون هذا الرجل في مسالته فاتركوا مسالته واسالوا الهتكم فهي حاضرتكم ● وقال ابن اسحاق فرجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرهن الى انفسهم فلاموها فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال ● وقيل فرجعوا الى انفسهم فلاموها فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون ابرهيم حين تزعمون انه كسرها والفاس على عنق الصنم الاكبر فهو اولى ان يكون كسرها ثم نكسوا على رؤسهم فصارت رؤسهم سفلا وارجلهم علوا وله معان احدها القهر والغلبة والذل حيث لزمتهم الحجة والثاني انتكاس الامر عليهم ارادوا ان يحتجوا لانفسهم فصارت لك حجة ابرهيم عليهم قالوا لقد علمت ما هؤلا ينطقون وهذا على قصدهم رد كلامه وامره بالسؤال فصار ذلك اعترافا بعجزها فصار حجة ابرهيم عليهم ● والثالث التحير والتكلم بالهذيان يقال هذا كلام منكوس ● وقيل معنى قوله ثم نكسوا على رؤسهم اي ثم ردوا على رؤسهم امورهم من الجهالة والضلالة والبطالة ● وقوله تعالى لقد علمت ما هؤلا ينطقون ● قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اي جمادا لا ينطق ولا ينفع ولا يضر اف لكم كلمة توبيخ واستثقال وكراهية ● وقيل قذرا لكم ● وقوله تعالى ولما تعبدون من دون الله اي انتم وهم مكروهون عند العقلا افلا تعقلون ان عبادة من هذا وصفه لا تجوز ثم قوله في صفة الاصنام ينطقون لما انهم وصفوها بصفة العقلا ● وقوله تعالى قالوا حرقوه ● قال ابن عمر رضي الله عنهما اشار به عليه رجل من الاكراد فارس هيزن ● وقوله تعالى وانصروا الهتكم بالانتقام من يعيبها ويعيبها ● وقوله تعالى ان كنتم فاعلين ناصرين الهتكم ● وقوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وها هنا ايضا مضمر وهو قوله فاوقدوا له نارا والقوه فيها فقلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وقصة ذلك

ان ابرهيم عليه السلام لما بين لهم عيب اصنامهم قال لهم نمرود لعنه الله ارايت الهك ما هو صفه لي فقال ربي الذي يحيي ويميت
الى اخر تلك القصة ثم حبسه نمرود اللعين سبع سنين فدعا اهل السجن الى الايمان والاسلام فاسلم كثير منهم ثم اخرجوه
واتفقوا على تحريقه بالنار وبنوا له بنيانا طويلا طوله ستون ذراعا ونادى نمرود في الناس بجمع الحطب فاشتغل كل
الناس بجمع الحطب وحمله على كل الدواب اربعون يوما فملوا البنيان منه وبلغوا جدرانه وسدوا ابوابه بالنحاس المذاب
وقذفوا فيه النار فاشتعل لهبها وسطع دخانها فملا كل شي حتى غشي مدينتهم وما حولها واظلم عليهم وسمع من النار
اصوات امثال وقع الحديد على الحديد وتطاير شررها كالصخر وكان ينبع وهجها على سبعة ليلة ولم يقترب شي منها الا
احترق بحرها ثم بنوا بنيانا شامخا ونصبوا فوقه منجنيقا ثم وضعوا ابرهيم عليه السلام في المنجنيق فقذفوا
به في النار فلما وقع فيها ابرهيم وهي كالجبال اطفاها الله تعالى فخمدت ونشت نشيش النار التي نصبت عليها الا
قالت وهب فبلغني ان السما والجبال والبحار وما فيهما من الخلق ضجوا الى الله تعالى ضجة واحدة الا الثقلين
قالوا ربنا ابرهيم في ارضك من يعبدك ويوحدك غير ابرهيم يحرق بالنار من اجلك فاذن لنا في نصرته فاوحى الله
تعالى اليهن ان استغاث بشي منكن فلينصره وليغثه وان استغاث بشي من خلقي فليغثه ولينصره وان دعاني
فانا وليه وناصره امنعه منهم واحول بينه وبينهم ● وقال محمد بن اسحاق فبدوه ورموه به من الجدار من شرف
شامخ فاستقبله جبريل في الهوا فقال له يا ابرهيم الك حاجة قال اما اليك فلا فاتاه ميكايل وقال ان اردت
اخمدت النار فان خزاين الامطار والميا بيدي قال لا اريد فاتاه ثم سالني وهو خازن الريح فقال ان شيت
طيرت النار في الهوا قال لا حاجة لي اليكم حسبي من سوالي علمه بحالي ● وقال كان من دعايه سبحانك رب العالمين
لك الحمد لك الملك لا شريك لك ● وقال وهب قال ابرهيم يا احد يا صمد بك استعنت وبك استغيث وعليك
التوكل حسبي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل يا رب انك تعلم ايماني لك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني
من النار فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فبردت يوميذ على اهل المشرق والمغرب فلم ينضج
بها كراع وقال كعب ما انتفع احد من اهل الارض يوميذ بنار ولا احرقت النار شيا الا وثاق ابرهيم ● وقال
وهب بقيت كذلك سبعة ايام ● وقال السدي فلما اشرف ابرهيم على النار صارت كالاكليل واخذت الملايكة
بضبعي ابرهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ما عذب وورد احمر ورياحين وكان ابرهيم في ذلك الموضع
سبعة ايام ولم يقدر احد ان يقرب من النار وما شكوا في موته واحراقه فلما جاوا يستطلعون فاذا هو
قايم يصلي وقيل بقي فيها اربعون يوما ● وقال وهب وجعل الله ما حوله روضة خضرة وفرش له ما يشتهي
والبسه وبنى فوقه قبة وجعل بينه وبين النار حجابا من ثلج وكانت النار تتوقد فوق ذلك وحول ذلك
حتى نظر الى ضوها اهل الشام وذاب النحاس الذي سدت به الابواب واحترق الجدار وصار رمادا
وخرج منها ابرهيم صحيحا سالما فانطلق يمشي حتى قعد الى امه وهي في مجمعهم واسلمت سارة يوميذ وهي اول
من امن به وارسل الله تعالى ريحا عاصفا فنسفت رماد تلك النار عن وجه الارض وذراه في وجوههم
وعيونهم وقام ابرهيم داعيا الى الله فقال لابيه وقومه ما تعبدون ● وعن عايشة رضي الله عنها انها
كانت تامر بقتل الاوزاغ وتقول انهن كن ينفخن على ابرهيم عليه السلام ● وقوله تعالى يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم كما قال كونوا قردة خاسين ● وقيل خاطبها وركب فيها تمييزا وامرها ان تسلم على ابرهيم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل وسلاما لاهلكته النار ببردها ● وقوله تعالى وارادوا به كيدا
اي قوم نمرود ارادوا ان يكيدوا بابرهيم اي يحتالوا لاهلاكه ● وقوله تعالى فجعلناهم الاخسرين لانه اذا
سعى ولم يدرك ما طلبه فقد خسر سعيه ● وقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي خلصنا ابرهيم وابن عمه لوطا من نمرود وقومه وارضهم واخرجناهما منها الى ارض الشام ● وقيل كانوا
مكوثا في ارض العراق فخرج مهاجرا الى ارض الشام وفيها بركة الدين لانها منزل الانبيا وبركة الدنيا لكثرة
الما والاشجار هذا قول قتادة ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما الى مكة قال الله تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا ● ووهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب نافلة اي زايدة على ما دعا فانه قال رب هب لي من الصالحين
وهو سوال الولد ● وقوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اي ابرهيم واسحاق ويعقوب صالحين في الدين وقيل
صالحين للنبوة والسفارة ● وقوله تعالى وجعلناهم ايمة في الارض يوتم بهم يهدون بامرنا اي يهدون عبادي
الى الحق بامرنا اياهم به ● وقوله تعالى واوحينا اليهم اي امرناهم ● وقوله تعالى فعل الخيرات اي الطاعات
واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانوا لنا عابدين لا للاصنام فانتم يا معاشر العرب اولاد ابرهيم فاتبعوه
في ذلك كله ● وقوله تعالى ولوطا اتيناه حكما على الناس في الخصومات وعلما معرفة بامور الدين ● وقيل
حكما على العباد وعلما بالحكم ● وقوله تعالى ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث اي من اهلها وهي
سدوم وهي مدينة ويدخل فيها ما حولها من القرى والخبايث الكفر واتيان الذكران والمنكر الذي كانوا
ياتونه في ناديهم من التضارط وحذف المارة بالحصى ونحو ذلك وهذه خبايث لنفور القلوب عنها ونبحها

والعقول السليمة وعجانه منها ما هي حروخته منها حتى لم يصبه عذاب اهلها ● وقوله تعالى انهم كانوا اي قوم لوط فاسقين اي خارجين
عن طاعة الله تعالى ● وقوله تعالى انه من الصالحين اي ثوابا له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا لهم على فسادهم وقيل
ادخلناه في النبوة انه كان من الصالحين لها ● وقوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي واذكر نوحا وقيل اي ونجينا
نوحا ● وقيل ورحمنا نوحا والاصح واتينا نوحا رشده عطفا على قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده اذ نادى اي دعا ربه
كما قال فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وسايرنا ذكر من دعايه من قبل اي كان هو قبل ابرهيم واسحاق ويعقوب
ولوط ● وقوله تعالى فاستجبنا له اي دعاه فنجيناه واهله اي المومنين به من ولده وقومه ● وقوله تعالى من
الكرب العظيم اي الغم الذي ياخذ النفس ● وقيل الغرق وهو ههنا الطوفان ● وقيل هو اذى قومه ● وقوله
تعالى ونصرناه اي منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا وهم كفار قومه اي من شرهم ● وكذلك قوله من ينصرني
من الله من ينصرنا من باس الله ● وقيل اي فانتقمنا له من القوم الذين كذبوا باياتنا ● وقال ابو عبيدة واعناه
على القوم انهم كانوا قوم سو فاغرقناهم اجمعين وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالخلاص
وقوله تعالى وداود وسليمان عطف على ما مر ● وقوله تعالى اذ يحكمان في الحرث اختلفت الروايات في هذه
القصة ● روي محمد بن اسحاق عن الزهري ان رجلا ادخل ماشيته في زرع رجل فافسدته والنفوش الرعي
ليلا فارتفعا الى داود عليه السلام فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع فانصرفا فمرا على سليمان وكان سليمان
يوميذ ابن احدى عشرة سنة فقال بما ذا قضى بينكما نبي الله فقال قضى بالغنم لصاحب الزرع فقال ان الحكم غير
هذا فانصرفا معي فاتاه اباه فقال يا نبي الله قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع قال نعم قال يا نبي الله ان الحكم
غير هذا قال وكيف يا نبي الله قال تدفع الغنم الى صاحب الزرع فيصيب من البانها وسمونها واصوافها وتدفع
الزرع الى صاحب الغنم ليقوم عليه فاذا عاد الزرع الى الحالة التي اصابته الغنم عليها ردت الغنم الى صاحب
الغنم ورد الزرع الى صاحب الزرع فقال داود عليه السلام لا يقطع الله فمك وقضى بما قضى به سليمان ●
وقوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم اي دخلت فيه ليلا فرعته واكلته وافسدته قال الخليل النفش
النوافش التي ترعى بالليل في المراعي بلا راعي وهي كالهوامل بالنهار ● وقال قطرب نفشت اذا تفرقت بلا راعي
ومنه العهن المنفوش اي المتفرق ● وقوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين اي الحكم الذي يجري بين داود وسليمان
وجمع لتثنية لانها اول الجمع وقيل فانه كان له اخوة اي اخوان ● وقوله تعالى ففهمناها اي القضية سليمان
دون داود ● وقيل الحكومة لدلالة يحكمان عليها ● وقوله تعالى وكلا اتينا اي كلا من داود وسليمان اعطينا
حكما اي النبوة التي ينفذها على الامة ● وقوله تعالى وعلما اي ومعرفة بموجب الحكم ويحتمل وكلاهما من ساير
الانبيا المذكورين في هذه السورة ● وقوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير كان داود عليه السلام
اذا سبح سبحت الجبال والطير معه فيسمع تسبيحهن وكان ذلك معجزة له ● وقوله تعالى يا جبال اوبي معه
والطير اي تسبح الجبال والطير معه [illegible] ● وكنا فاعلين [illegible] ● وقيل كنا فاعلين ذلك
بالانبيا الذين نخصهم بالمعجزات ● وقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم اي اتخاذ الدروع بالالة الحديد
[illegible] ● وقوله تعالى لتحصنكم من باسكم [illegible]
[illegible] وفيه ثلاث قراات بالياء والتاء والنون [illegible]
والنون على قوله وعلمناه والباس الحرب اي تمنعكم في الحروب من القتل والجراح كما قال تعالى وسرابيل تقيكم
الحر وسرابيل تقيكم باسكم واللبوس ما يلبس من ثوب او درع قال الشاعر البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها
واما بوسها ● وقوله تعالى فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر ● [illegible]
[illegible]
[illegible] ● وقوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة [illegible]
[illegible] ● وقوله تعالى عاصفة اي شديدة الهبوب [illegible]
[illegible] ● وقال في اية اخرى تجري بامره رخاء اي لينة [illegible]
[illegible]
تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها [illegible]
[illegible] وكنا بكل شي عالمين [illegible] ● وقوله تعالى ومن الشياطين
من يغوصون له [illegible] في البحار لاستخراج الجواهر [illegible] ● ويعملون عملا دون ذلك [illegible]
[illegible] ● وقيل كانوا يعملون له من الصناعات [illegible]
[illegible]
[illegible] ● وقوله تعالى وكنا لهم حافظين [illegible]

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب أي بتعب وعذاب [illegible]
[illegible]
على الجزع والشكاية [illegible] وكان [illegible]
وقلنا اركض برجلك أي اضرب بها [illegible] قال الحسن فركض برجله [illegible] هذا مغتسل بارد وشراب أي [illegible]
[illegible] وهبنا له أهله ومثلهم معهم قال [illegible] كان لأيوب سبع بنات وثلاثة بنين في المكتب يعلمهم معلم التوراة

أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين • قال الحسن آتاه الله أهله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم من نسلهم في الدنيا
وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم • وقال الكلبي آتاه الله ذلك في الآخرة • وقال القاسم بن أبي بزة بعثني مجاهد
إلى عكرمة أسأله عن قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال قيل له أهلك في الجنة فإن شئت أحييناهم لك وإن شئت كانوا
لك في الجنة قال بل يكونوا لي في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا • وقال وهب كان له سبع بنين وسبع بنات فأحياهم الله تعالى
ورزقهم عليه مع الأموال وولد له مثلهم وكذلك قال كعب • وقال القشيري سمي أيوب لكثرة إيابه إلى الله تعالى • وقال الله
تعالى إنا وجدناه صابرا ثم إنه قال مسني الضر فلم يكن جزعا وتركا للصبر بل إظهارا للعجز البشري وقال إنما قال ذلك شكوى الشكاية
ومعناه مسني الضر الذي تخص به أولياءك وذلك برحمتك وأنت أرحم الراحمين • قال وقيل اشتبه عليه وجه البلاء أنه
تطهير أو تأديب أو تعذيب أو تهذيب أو تقريب أو تخصيص فقال مسني الضر خوفا أن يكون تعذيبا • قال وقيل أوحى
الله تعالى إليه أن تسعين من الأنبياء طلبوا مني هذا البلاء وأنا اخترته لك فلما أراد الله كشفه قال مسني الضر لفقد
الصبر • قال وقيل ألف الاستفهام مضمرة في أوله مسني الضر قال وذلك نعمة ومعناه أيكون هذا أمس الضر وأنت أرحم
الراحمين أشاهد فضلك ورحمتك أي ليس يمس ضر • وقوله تعالى وإسماعيل وإدريس وذا الكفل اختلف فيه • قال الحسن
هو اسم نبي بدليل أنه ذكر في عداد الأنبياء • وقيل هو إلياس • وقيل هو زكريا بن مريم • وقيل كان خليفة نبي في قومه بعد
وفاته • وقال قتادة ومجاهد ومعمر وابن جريج وهو مروي عن أبي موسى الأشعري لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا
كفل بأمور خير • فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في بني إسرائيل ملك فقتل ثلثمائة نبي في أول النهار وأقام سوق بقلهم
آخر النهار استخفافا بهم وجرأة على الله تعالى فانفلت منهم ما يأتي بحكمائهم ويخبأهم عنه نسي به • وقيل اسمه عويد
ابن أزر • وقوله تعالى وأدخلناهم في رحمتنا أي النبوة إنهم من الصالحين لذلك • وقيل أي في رحمتنا في الآخرة
إنهم من العاملين بطاعتنا • وقوله تعالى وذا النون إذ ذهب عطف على ما مر والنون الحوت وهو كقوله كصاحب الحوت
وهو يونس بن متى • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم سبعة
أسباط ونصف سبط وبقي سبطان ونصف سبط فأوحى الله إلى شعيا النبي عليه السلام أن سر إلى حزقيا الملك وقل
له حتى يوجه نبيا قويا أمينا فإني ألقي في قلوب أولئك الرعب حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فمن ترى
وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال يونس فإنه قوي أمين فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج فقال يونس هل أمرك
الله بإخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا قال فها هنا أنبياء أقوياء أمناء فخرج مغاضبا للملك فأتى بحر الروم
فإذا هو بسفينة مشحونة فركبها فلما لجت السفينة تكفأت حتى كادوا يغرقون وذكر حديث القرعة • وروي سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بعث يونس إلى قريته فردوا عليه ما جاءهم به فأوحى الله إليه أني مرسل
[illegible]

[illegible]

سوة الشياطين وأعدادهم وأعمالهم حافظين أي يوود ناحفظ ذلك • وقال الحسن حفظناهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوا قال ولم يكن
سليمان يسخر في هذه الأعمال إلا الكفار منهم • وقيل كنا لهم حافظين أي يمتنعوا عليه • وقيل وكنا للأنبياء حافظين • وكانوا أبدا
وقوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه عطف على ما تقدم نادى ربه أي دعاه • وقوله تعالى أني مسني الضر أي نالني وبدني ضر
وهو ما أصابه من المرض والبلاء والمصيبة في ماله وأهله • وقوله تعالى وأنت أرحم الراحمين لا أحد أرحم منك أي فارحمني
واكشف عني الضر الذي مسني • وقوله تعالى فاستجبنا له أجبنا دعاءه وكشفنا ما به من ضر نعماه عليه • وقوله تعالى وآتيناه
أهله • قال وهب إن أيوب عليه السلام بن موص بن رعويل [illegible] كان زوج إليا بنت يعقوب • وقيل رحمة بنت
يعقوب وأبوه موص كان ممن آمن بإبراهيم يوم ألقي في النار وكانت أم أيوب بنت لوط النبي عليه السلام وكانت لأيوب
البثنية كلها شرقها وغربها وسهلها وجبلها وهي ولاية بالشام تقرب من دمشق وكان موسعا عليه غنيا كثير الضيافة فرحا بالصدقة
الصدقة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكان إبليس يومئذ يصعد إلى السموات فيسمع الملائكة يقولون إن الله
تعالى عبدا في الأرض يقال له أيوب من فضله كيت وكيت فقال إبليس لعنه الله لو سلطني الله عليه لاضطره إلى
الجزع والشكاية فسلطه الله تعالى على ماله فنزل إلى الأرض واستغوى جنوده وذكر لهم ما وقع له وكان لأيوب يومئذ
ثلاثة آلاف بعير في كل خمسين منها عبد له يرعاها ولكل عبد امرأة وولد ومال الحسن وخمسمائة أتان لها أولاد وخمسمائة
فدان بالآلة كل فدان في يد عبد له وله أهل وأولاد ومال وكل أتان تحمل الدقدان فقال عفريت لي من القوة ما إذا شئت
تحولت إعصارا من النار أحرق كل شيء فقال له ائت الإبل ورعاتها فجاءها فأحرقها كلها ورعاتها وجاء إبليس متمثلا براعي
من رعاتها فنادى أيوب وقال يا أيوب هل علمت ما صنع ربك بإبلك قال إنها ليست بإبلي ولكنها عارية عندي وهو مال
ذلي فهو أولى بها مني قال لما قبضها قبضا جميلا لكن أرسل لها شواظا فأحرقها ورعاتها وترك الناس فيما عليها
مبهوتين منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وإنما كان في غرور ولو كان له رب يقدر على أن يمنع شيئا لمنع وليه
ومنهم من يقول بل ربه الذي عبده ولو كان عليه هو الذي فعل به ليسخط به أحباؤه ويشمت به أعداؤه • ومنهم من
يقول بل كان أيوب مرائيا ولو كان صادقا ما جازاه الله تعالى هذا الجزاء • فقال أيوب عليه السلام الحمد لله حين
أعطى وحين أخذ والحمد لله حين أعار والحمد لله حين نزع عاريته خرجت من بطن أمي عاريا وأرد إلى التراب وأصير
إلى الله ولو علم الله فيك خيرا لقبض روحك مع تلك الأرواح فاستشهدك وأجرني فيك ولكنه علم منك شرا
فأرجع عني مذموما مدحورا فرجع إلى أصحابه فرجالا واستشارهم فقال آخر أنا أصيح صيحة لا يبقى حيا ذو روح
إلا مات فسلطه على الغنم فصاح بها فماتت وماتت رعاتها وعاد هو إلى أيوب وقال له ما قال في المرة الأولى وأجاب
بما أجاب فرجع إلى جنوده وأخبر آخر أنه يصير ريحا تنسف كل شيء فسلطه الله على الحراثين والفدادين فأهلك
الحروث والفدادين والحراثين وعاد إبليس بالقصة كالأول فسأل الله تعالى أن يسلطه على ولده ففعل ذلك فأتى
قصور أولاده وهم رجال ونساء وكهول وشباب ومرد وأطفال ومراضع وحواضن والمعلمون فزلزلها حتى
تداعت من قواعدها ثم شدخهم بالخشب والجندل ورفع القصور فقلبها ثم جاء على صورة معلم يصيح ويبوح لجرح
بما أصاب الله أولاده فأجاب كذلك فقضي إبليس وقال إن أيوب يرى سلامة نفسه فيهون عليه هلاك ماله
وولده ولو سلطني الله تعالى على جسده فجاء وهو ساجد فدخل تحت وجهه ونفخ في أنفه نفخة من لهب النار
اشتعل منها جسده واسود وجهه وتمعط شعره ونضح دماغه وظهر في جسده مثل [illegible] الشاه فاحتك
فجعل يحكها بأظفاره وبالعظم والخزف فوقعت فيه الأكلة والدود وسالت منه الصديد وتأذى به الجيران فبنوا له
عريشا ونقلوه إليه فلبث فيه ثلاث سنين في أشد الجهد وقطعه القريب والبعيد وكانت امرأته تدور في القرية
وتعمل للناس وتجيء بقوته ولم تجد عملا يوما فباعت ذوابتها برغيفين فأتته بهما فقال لها أين ذوابتك قالت
بعتهما برغيفين فحينئذ قال مسني الضر • وقال بعضهم ضعف عن العبادة فقال مسني الضر كذلك • وقيل إنما قال
ذلك لأن الشيطان تمثل لهم وقال لهم لا تستعملوا هذه المرأة فإنها تمس بيدها هذا المريض فتعدي فلم تستعملوها
فلم تجد شيئا فرجعت إليه بغير شيء فأخبرته بذلك فقال ذلك • وقيل تراءى لها وقال أنا طبيب فاسقيه خمرا ليبرأ
فذكرت له ذلك فقال ذلك • وقيل إنه تمثل لأيوب وقال إنها أحدثت في فاحشة فقطعت ذوابتها لذلك
فاحتاج لذلك فقال ذلك • وقيل جاءه خليلان له بطعام فلما نظرا إليه قالا لو كان فيه خير لم يصبه كذا
وكذا ولم يطعماه • وقيل إنما قال مسني الضر حين وصل الدود إلى قلبه ولسانه فخشي أن يمنع عن الذكر والشكر
وقيل مسني الضر من شماتة الأعداء • وقيل إنما قال ذلك حين قال إبليس لامرأته اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك
المال والأولاد وأعافي زوجك فأتت فعلت ذلك بكم فذكرت المرأة له ذلك فقال مسني الضر من طمع إبليس
في سجود امرأتي له • وقيل إنما قال ذلك حين سقطت من جسده دودة فأعادها فعضته عضة فجزع من الصبر
عليه لا الجبارة ذلك • وقيل مكث في بلائه ثلاث سنين • وقيل سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع
ساعات • وقيل ثماني عشرة سنة ثم في تسليط إبليس عليه وعلى ماله وولده زيادة غيظ إبليس وإظهار صدق
أيوب ورفع درجاته وتضعيف كراماته وقصة عاقبته تذكر في سورة ص إن شاء الله تعالى • وقوله تعالى وآتيناه

أي وكشفنا ضره م
عفريت م
ومخدم

أهله

قتادة في الظلمات والظلمات ثلاث على ما ذكرنا في القصة • وقيل ابتلع الحوت الذي ابتلع يونس حوت اخر ثم ابتلع ذلك الحوت حوت اخر فكان في بطون الحيتان الثلاثة قاله سالم بن ابي الجعد • وقوله تعالى ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهذا توحيد وتنزيه • وقوله تعالى اني كنت من الظالمين وهذا اعتراف بالزلة • وقد فسرناه في سورة البقرة عند ذكر زلة ادم وهي فعل الفاضل وترك الافضل وكان الافضل ان يرجح شفقته على قومه وان كان ذهابه فاضلا لانه غاضبهم في ربه • وقوله تعالى فاستجبنا له دعاه وهو ما ثبت في ضمن ثناه • وقوله تعالى ونجيناه من الغم في غم الحبس • وقيل غم الزلة • وقوله تعالى وكذلك ننجي المومنين الذين يدعونني اذا ابتلوا • وقيل وكذلك ننجي من نكم بهذه الكلمات • وقيل نجيناه من البلا لطاعته في الرخا وكذلك ننجي من المحنة من كان مطيعا لنا في النعمة • قال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون قالوا اخذته الزلة برجله فسفلته في البحر واخذته الطاعة بيده فاعلته الى الساحل وكذلك معصية كل عاص تسفله في النار اسفل سافلين وطاعته في اعلا عليين • وقيل وكذلك ننجي المومنين من الظلمات الثلاث ظلمة الدنيا وظلمة القبر وظلمة النار • قال النبي صلى الله عليه وسلم دعوة ذي النون ما دعا بها مومن الا استجيب له • وقيل صحب يونس الحوت ست ايام فلزمه الاسم فلا يفارقه والمومن صحبه الايمان سبعين سنة فكيف يفارقه الاسم • وقوله تعالى وزكريا عطف على ما تقدم • وقوله تعالى اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين اي بلا ولد يعينني على اقامة دينك • وقوله تعالى وانت خير الوارثين اي اعلم انك لا تضيع دينك ولا تخلي الدنيا بعدي عن قايم بحقك وهذا على وراثة النبوة • وقيل معناه رب لا اسال ولدا يرث مالي نفاسة على احد ميراثي من غير ولدي فان الاموال كلها صايرة اليك وارث سواك وانت خير الوارثين لان الموروث ملكك وعطيتك ومنك كان واليك عاد • وقيل معناه ان تفضلت بهبة وارث لي فهو منك وانعامك والا فكفى بك وارثا والله اعلم بما اراد • فاستجبنا له دعاه ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه • قيل عن العقم • وقيل اصلح اخلاقها • وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات الكناية عن زكريا وامراته واهل بيته • وقوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اي في الشدة والرخا • وقوله تعالى والتي احصنت فرجها عطف على ما تقدم وهي مريم احصنت اي احرزت فرجها من السفاح فنفخنا فيها اي جبريل في جيبها من روحنا من روح خلقناه اعني بعيسى على الخصوص وهي اضافة تخصيص كبيت الله وناقة الله ذكر مريم وهي ليست من الانبيا بعد ذكر الانبيا ليتم ما اريد من ذكر عيسى الا برها • قال وجعلناها وابنها اية للعالمين فجعلهما معا اية واحدة لان الاية كانت باجتماعهما وهي الاعجوبة للخلق والدلالة على نفاذ قدرة الله تعالى على ما يشا اذ ولد عيسى من غير اب • وقوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة • قيل هو خطاب هولا الانبيا ان هذه دينكم دينا واحدا نصب على القطع وكان الانبيا كلهم على دين واحد في التوحيد والطاعة وربما اختلفت شرايعهم واحكامهم وهو كقوله جزا عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وهي من الام وهو القصد وكل ذي دين قاصد الى ما يدين به وانا ربكم فاعبدون اي وحدوني واطيعوني اي اثبتوا على هذا وتقطعوا امرهم اي تقسموا وتوزعوا امرهم في اديانهم يعني بعضا منهم فصلوا ذلك فدانوا باديان مختلفة يهودية ونصرانية ومجوسية واشراك كل الينا راجعون فيجازى كل جزا مثله • وقيل هذا خطاب للمشركين • وقوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة اي انتم على دين واحد وهو الكفر وانا ربكم فاعبدون امنوا بي ووحدوني واطيعون وتقطعوا امرهم بينهم فاختلفوا يهودا ونصارى ومجوسا ومسلمين كل الينا راجعون فيجازيهم • وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه اي فان سعيه مشكور مقبول وانا له لحافظون كاتبون اي نحفظ عليه اعماله فنجزيه بها • وقيل نكتبها ملايكتنا بامرنا فنخرج لهم الكتب يوم القيامة فنحاسبهم بها • وقوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر وحرم • وقرا الباقون وحرام والمعنى واحد • وقوله تعالى انهم لا يرجعون اي كل قرية اهلكناها بكفرها اي اهل قرية فحرام عليهم اي هم ممنوعون منه ان يرجعوا الى قريتهم او الى الدنيا فيتلافوا ما فرطوا اي فليحيدوا قبل الهلاك اذ لا تدارك بعد الهلاك ولا زايدة في قوله لا يرجعون كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وهذا كقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون • وقرات عايشة رضي الله عنها وعكرمة بن حزم وحرم على قرية اي واجب وعزم وعلى هذا التاويل لا ليست بزايدة بل هي ثابتة اي ثبت هذا وتحقق انهم لا يرجعون الى الدنيا • وقوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهو السد • وقوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون اي من كل مرتفع من الارض يسرعون وينسلون يعدون من باب ضرب • وقوله تعالى واقترب الوعد الحق • قيل الواو زايدة معناه اقترب جوابا لقوله حتى اذا والوعد بمعنى الموعود والحق الصدق • وقيل الواو للعطف والجواب في قوله يا ويلنا على اضمار قالوا يا ويلنا • وقيل جوابه محذوف ندموا وعلموا • وقوله تعالى واقترب العطف على الجواب المحذوف فاذا هي قيل هي اشارة الى الابصار المذكورة بعدها ابتدا بالكناية ثم صرح بعدها بالاسم • وقيل هي عماد وتقديره فاذا ابصار الكفار شاخصة [illegible] وهو مرفوع بما اضافت اليه اي فعلى

رانه مرفوع يقول ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا اي ارتفعت خوفا مما نالهم وتوقعا لذلك يا ويلنا اي يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ذكروا اولا ما يشبه العذر كنا في غفلة كمن لا يعلم بالشي فيستعد له ثم يقولون بل ادركنا الرسل فظلمنا انفسنا بالتكذيب وترك استعدادنا لهذا • وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي ترمى بكم في النار يقال حصبته بالحصبا اي رميته بها اي ترمون انتم والاوثان في النار كالحصب يرمى بها • وقال الفرا الحصب الحطب بلغة اهل اليمن • وقال الهيثم بن عدي بلغة الحبشة • وقرا ابن عباس رضي الله عنهما بالضاد المنقوطة فوقها وهو ما هيجت به النار • وقال قطرب بالضاد المعجمة تحتها ايضا الوقود • وقوله تعالى انتم لها واردون الاوثان والعباد فيها داخلون وهذا للتعدية للفعل كما في قوله لفروجهم حافظون لاماناتهم وعهدهم راعون وقران الاصنام بهم لزيادة العذاب بهم لانها حجارة تحمى فيعذبون بها ولزيادة حسرتهم فانهم عبدوها رجا نفعها فيرونها المهم بها زيادة • وقوله تعالى لو كان هولا الهة ما وردوها اي لامكنها دفع النار عن انفسها فلم توقعهم فيها خالدون العابدون والمعبودون • وقوله تعالى لهم فيها زفير اي للكفار وهم فيها لا يسمعون اي صوتا لصممهم وفي السماع نوع تفريج فلم يعطوا ذلك • وقيل لا يسمعون ما يسرهم • وقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون • روى محمد بن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجا النضر بن الحارث حتى جلس معهما وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله ابن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب انفا وما قعد وقد زعم انا وما نعبد من دون الله من الهتنا هذه حصب جهنم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا اكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملايكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى وراوا انه قد خاصم واحتج فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده انما تعبدون الشياطين ومن امرهم بعبادته فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى قوله خالدون ان عيسى بن مريم وعزيرا ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا في طاعة الله ثم من تعدهم من اهل الضلالة اربابا من دون الله وانزل فيما ذكروا انهم يعبدون الملايكة لانها بنات الله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله كذلك نجزي الظالمين ثم اعتراضهم ان كان على ظاهر الاية فهو فاسد لانه قال وما تعبدون وذلك لما لا يعقل ولا يتم الملايكة بل يقتصر على الاصنام اما لو قالوا كل معبود من دون الله هل يكون مع عابده في النار وعنده من اليقين ان الكل لكن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده ينتفي احتجاج هولاء لانهم لا يرضون بذلك فلا يلزمه كلامهم وكان نزول هذه الاية الثانية بعد سوالهم زيادة ايضاح لهم وكان نوعها انهم بما سبقت لهم من الله الحسنى الجنة كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ومعناه سبق لهم الوعد بها لايمانهم وطاعتهم • وقوله تعالى اولئك عنها اي عن النار مبعدون لا يعذبون فيها • وقيل الحسنى السعادة يعني من سبقت له السعادة في الازلية اي الحكم منا بالسعادة • قال الجنيد سبقت العناية في البداية وظهرت الولاية في النهاية • وقوله تعالى لا يسمعون حسيسها اي صوتها وهو تلهبها اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا • وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وذلك في الجنة لهم فيها ما يشتهون • وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر اي فزع القيامة فهو اكبر الافزاع • وروي ان الفزع الاكبر اذا ذبح الموت • وقيل اذا اطبقت النار على اهلها • وقيل اذا امر بالعبد الى النار • وروي اذا نفخ في الصور النفخة الثانية • وقال ذو النون المصري هو فزع القطيعة • وروي ان ينادي المنادي الا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا شقاوة بعدها ابدا الا ان فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا سعادة بعدها ابدا • وقوله تعالى وتتلقاهم الملايكة اي تستقبلهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي تعدون فيه الكرامة من الله تعالى • وقوله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل اي لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم نطوي السما كما قال والسموات مطويات بيمينه وهو عبارة عن نقض تركيبها • وقوله تعالى كطي السجل للكتاب • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية للكتب على الجمع وقرا الباقون للكتاب على الواحد والسجل هو الكتاب • وقيل هو اسم كاتب مخصوص وهو رجل • وقيل هو ملك من الملايكة ومعناه كما يطوي الكاتب الصحيفة فيصيرها بالطي بعد طولها وعرضها وعلى هذا فكذلك نجعل السما على طولها وعرضها وعلى هذا يكون قوله للكتب داخلا في المفعول كقولك اكرمتك اكرام زيد لعمرو اي عمرا وقيل السجل الصحيفة ومعناه كما تطوى الصحيفة ويكون هذا اضافة المصدر الى المفعول والاول كان اضافة الى الفاعل وكلاهما للكتاب ثم قوله للكتاب له ثلاثة معان للكتابة فيكون مصدرا وللمكتوب

اي لاجل ما كتب فيه واللام بمعنى على كما قال وان اسأتم فلها اي فعليها كما بدانا اول خلق نعيده اي كما ابتدانا اما اولت
ما خلقناها نعيد خلقها في القيامة • وقيل نجعلها سماء واحدة كما كانت • قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وهو
قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وهو قول الحسن نعيدها بعد اهلاكها • وقيل هو مستانف اي نعيد الخلق
يوم القيامة كما خلقناهم اول مرة حفاة عراة غرلا كما كانوا في بطون امهاتهم وهو قول الفراء يدل عليه ما بعده قوله
وعدا علينا وكان ذلك للخلق كما قالوا واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا • وقوله تعالى
وعدا علينا اي وعدا كاينا لا محالة وعلى كلمة تحقيق انا كنا فاعلين اي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا
صالح الاعمال للخلاص من الفزع الاكبر • وقال القشيري رحمه الله كانت السماء سقفا مرفوعا للاولياء الا انا
نطويها والارض فراشا ممهدا لهم عليها فاذا ارتحل الاحباب طوينا الفراش ونقضنا السقف • وقوله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور • قرا حمزة بضم الزاي وهي جمع زبر بكسر الزاي وهو الكتاب فيكون جمعا • وقرا الباقون بفتحها
فكان واحدا وهو الكتاب اثبتنا في الكتب المنزلة على الانبياء انه في زبور داود اذا كان على الواحد وفي كتاب
اخر مما انزل من بعد الذكر اي بعد الكتابة في اللوح المحفوظ • وقوله تعالى ان الارض اي ارض الجنة يرثها
عبادي الصالحون وينصرف الى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • وقيل الصالحون هم امة محمد صلى الله عليه
وسلم • قال وهب كذلك قرات في عدة من كتب الله تعالى واضيفت اليهم لانهم اكبر اهلها فقد روي ان هم
ثلثا اهل الجنة • وقيل معناه ان ارض الشام يرثها الصالحون اي مومنوا بني اسرايل كما قال ويستخلفكم في
الارض وقيل معناه ان ارض الدنيا يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ليستخلفنهم في الارض وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي
منها • وقوله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين يعني ان فيما قصصناه عليك لوصولا الى الحق والصواب
واحراز للثواب لقوم عابدين اي للذين هم عبادة اسدوا للدين والبلاغ يعني البلوغ كالصلاح والصلوح
والبنات والبنوت • وقيل البلاغ اي الكفاية • قال الشاعر برح من دنياك بالبلاغ • وقيل اي في هذا القران
وقيل لقوم عابدين اي موحدين • وقيل مطيعين • وقال كعب والذي نفس كعب بيده هم اهل الصلوات
الخمس اي لكل بشر لانهم عباد الله • وقوله تعالى وما ارسلناك ذكر بعد انزال القران ارسال الرسول الا
رحمة للعالمين لانه بعث داعيا الى الله ومرشدا الى دينه من الضلالة ومنبها على ما فيه الفوز بالنعيم
المقيم والنجاة من العذاب الاليم وذلك رحمة عامة للمومنين والكافرين • وقال تعالى وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا فالتبشير والانذار رحمة اجراها الله تعالى على يديه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما تمت
الرحمة لمن امن به في الدنيا والاخرة فمن يومن به عوفي مما اصاب الامم من قبله • وقال عكرمة قيل يا رسول الله
الا تلعن قريشا بما اوتوا اليك فقال لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة للعالمين يقول الله وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وما اتي به من القتال للدعوة الى الاسلام ومن الحدود للزجر عن الاثام فهو استصلاح لهم كاستصلاح
الوالدين الولد بالمعالجات في الاسقام بالكي والجرح والحجم لبعضها الالام فكان تحقيقا للرحمة والانعام •
وقوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد وهو اصل ما ارسلت به اليهم فهل انتم مسلمون هو كلمة استنبطا
وفيه ابلغ تلطف في الدعوة الى الاسلام وهو كقوله فهل انتم منتهون وتحقيقه فانتهوا وكذلك هاهنا
فاسلموا فان تولوا اي اعرضوا فلم يسلموا فقل لهم اذنتكم على سواء اي لا مسالمة بيني وبينكم فقد اعلمتكم ذلك
ظاهرا مكشوفا مستويا انا وانتم في علمه سواء وهو كقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء
اي اعلمهم انك قد نقضت ذلك العهد حتى تستويا انت وهم في علم ذلك سواء وهذا الانذار كان اعلاما بالمحاربة
وقيل كان اخبارا انه لا يوافقهم على ما هم عليه وكانوا يطمعون في مداهنته اياهم فقطع بهذا طمعهم وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون به من العذاب على توليكم عن الاسلام ام بعيد ذلك وعلمه عند الله وهو كقوله
اقريب ذلك ام بعيد • وقيل ما توعدون من الساعة اي اذنتكم بالحرب في الدنيا وما ادري متى تكون الساعة
فتعذبون في الاخرة زيادة على عذاب الدنيا القتل في الدنيا • وقوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ما تجهرون
به من القول بشرككم ويعلم ما تكتمون من ذلك فليس تاخير العذاب عنكم لخفائها لكم بل هو معذبكم في الوقت
الذي قدره كذلك وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين اي لعل امهالكم وتاخير العذاب عنكم
تشديد للمحنة عليكم بزيادة المعاصي الموجبة لزيادة العقوبات فلا تظنوه خيرا • وقوله تعالى ومتاع
الى حين اي تمتع الى مدة وهي وقت نزول العذاب في الدنيا فاذا كان هذا تخويفا بعذاب الاخرة فالحين
هو الموت • وقوله تعالى وقل رب احكم بالحق • قرا عاصم في رواية حفص قال رب خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال هذا الدعاء • وقرا الباقون قل امر له بذلك اي فوض الامر الى الله وقل رب احكم بالحق بيني وبين
هولاء بنصرتي عليهم واظهار حقي على من ظلمني وانزل نقمتك عليهم وهو كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وعلى هذا الحق هو ما تستحقونه • وقيل استجيب هذا فيهم يوم بدر • وقيل معناه احكم بحكمك وهو الحق

بذكر

بذكر النعت مكان المنعوت • وقال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق • وقوله تعالى
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون • قرا ابن عامر في رواية بالياء للمغايبة • والباقون بالتاء للمخاطبة امره بان يخاطب
الكفار فيقول لهم ربنا الرحمن المستعان على ان له ما تصفون من الشرك وما تقولون في صفتي وصفة القران هل هو الا
بشر مثلكم افتاتون السحر افتراه بل هو شاعر اتخذ الرحمن ولدا هو المستعان على تغيير هذا والحكم بيني وبينكم
بالحق ويكون قل في اول الاية امرا بتشنيع اي قل داعيا رب احكم بالحق • وقيل هو عند الكفار ربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون من قرا بالمغايبة فمعناه وقل للمومنين مبشرا لهم ومطيبا قلوبهم ربنا الرحمن يرحمكم وينصركم المستعان
على ما تصف الكفار من الباطل • وقيل بقية الاية تتمة الدعاء ايضا • وقل رب احكم بالحق واعترف في دعائك هذا
ان الله هو الرحمن والمستعان على ما تصفون وهو ثناء من الدعاء • والحمد لله على تمامه • والشكر على عموم الآيه •
والصلاة على خاتم انبيائه • وسلم انبائه • وعلى الباذلين مهجهم في قمع اعدائه •

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

لبسم الله الذي يميت الاحياء ويحيي الموتى وهو على كل شيء قدير • الرحمن الذي رزقنا من بهيمة الانعام وامرنا
باطعام البائس الفقير • الرحيم الذي يتولانا وينصرنا • فنعم المولى ونعم النصير • روى ابي بن كعب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحج اعطي من الاجر بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي •
وسورة الحج مكية الا ست ايات منها فقال انها نزلت بالمدينة يوم بدر في اليوم الذي اقتتلوا فيه هذان خصمان
اختصموا في ربهم الى قوله صراط الحميد • وقيل هي مدنية الا ايات منها قال انها نزلت بمكة وما ارسلنا قبلك من
رسول ولا نبي الى قوله عذاب يوم عقيم • واياتها اربع وسبعون • وقيل خمس • وقيل ست • وقيل سبع • وقيل ثمان
والخلاف في خمس ايات الحميم والجلود وعاد وثمود وقوم لوط • وكلماتها الف ومايتان واربع وسبعون • وحروفها
خمسة الاف ومايتان وتسعة وثلاثون • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه قال ما توعدون
وهي الساعة وذكرها في اول هذه السورة • وانتظام السورتين ان تلك السورة في ذكر الايمان والطاعة
وثوابهما وفي ذكر الكفر والمعصية وعقابهما • وهذه السورة كذلك • قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم
اي فلا تخالفوه فيما امر ونهى واذكروا جزاء ذلك في الاخرة يوم القيامة • وقوله تعالى ان زلزلة الساعة
شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة وهي تضعيف الزلة قيل اراد بها شدة ايذائها واهوالها
كما قال مستهم الباساء والضراء وزلزلوا • وقيل هي زلزلة الارض كما قال اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت
الارض اثقالها اي ان حركة الارض باهلها للبعث شيء عظيم ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئا
لان هذا اسم لها حالة وجودها • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة المصطلق [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم هذه الاية [illegible] فاجتمع اليه الناس [illegible]
[illegible] فقال اتدرون اي يوم هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله تعالى
لادم يا ادم ابعث بعث النار [illegible] فيقول ادم عليه السلام وما بعث النار [illegible] من كل الف
تسع مائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة [illegible]
[illegible] فقال [illegible] ياجوج وماجوج [illegible]
[illegible] الكفار والمنافقين • وفي رواية ابي سعيد [illegible]
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] الجنة [illegible]
[illegible] الاسود • وفي رواية الحسن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عكاشة بن محصن
الاسدي [illegible] رسول الله
[illegible] فقال سبقك بها عكاشة • وقيل هي الزلزلة قبل يوم القيامة وهي من اشراط الساعة • وقوله تعالى

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت اي تنسى ولدها وتسلوا عنه • وقيل الذهول عن الشي هو الذهاب عنه وتركه ونسا
من حد صنع والمرضع التي ترضع والمرضع لها ولد رضيع • وقوله تعالى وتضع كل ذات حمل حملها اى تسقط الحبالى ولادها
من الفزع والحمل بالفتح ما كان في البطن وبالكسر ما كان على راس او ظهر قالوا وتدل على ان هذا الولد في الدنيا لانه لا حمل ولا ارضاع
بعد البعث • وقيل بل هو يوم القيامة وان من ماتت حاملا بعثت حاملا تضع حملها للهول • وقيل هو مثل اي هو على وجه لو كان مثله
في الدنيا لوضعت الحوامل وذهلت المراضع من شدته • وقوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى خطاب لغير
معين اي رايتها سكارى وما هم بسكارى • قرا حمزة والكسائي سكرى فيهما • والباقون بالالف فيهما وهما جميعا جمع سكران
وسكرى كالكسلان والكسالى وكسلان وكسلى كالعطشان والعطشى اى تراهم من الدهش على حال يشاكل السكر وما هم
بسكارى على الحقيقة لا من الشراب • وقوله تعالى ولكن عذاب الله شديد فازال عقولهم وحير قلوبهم • وقوله
تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ومن الناس المامورين بالتقوى في اول هذه السورة من يخاصم خصومة
شديدة في الله اي في دين الله • وقيل اي يجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عن الله انه يبعث العباد ويجازيهم
فيقول ما هذا الا اساطير الاولين • ومن يحيي العظام وهي رميم • وان هي الا حياتنا الدنيا ونحوه مما حكي عنهم
وقوله تعالى بغير علم اى بغير حجة ولا شي يصح من جهة العلم • وقوله تعالى ويتبع كل شيطان مريد اى ياخذ هذا الانكار
وهذا الجدل من الشيطان بوسوسة من شياطين الانس يدعوهم وقد قيل نزلت الاية في النضر بن الحارث وكان ياخذ
من الاعاجم وعن اليهود والنصارى ما يطعن به على الاسلام وهم شياطين الانس • وقوله تعالى كتب عليه انه اي
حكم على هذا الشيطان لمرده انه من تولاه اي اتبعه ووالاه • وقوله تعالى فانه يضله اي الشيطان يضل هذا المتولي
ويهديه اي يدله الى عذاب السعير النار الموقدة وفتح الالف في قوله فانه لوقوع كتب عليه انه يضل من تولاه الا انه لما
قدم السبب الذي يكون به الاضلال والتي عليه قوله كتب ذكر بعد ما يقع عليه الفعل فعطفه • وقوله تعالى يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث خاطب المجادلين في الساعة وحاجهم بوجهين من الحجة اما احدهما فقال ان كنتم في ريب
من البعث اى شك في ان الله يبعث الموتى فانا خلقناكم من تراب اي ابتدانا خلق ابيكم منه ثم من نطفة ثم خلقناكم في
بطون امهاتكم من النطفة وهي ماء مهين خارج من علقة ثم جعلنا النطفة علقة وهي الدم الجامد ثم من مضغة
ثم جعلنا العلقة مضغة وهي لحمة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة • قال ابن عباس رضي الله عنهما مخلقة ما كان
حيا وغير مخلقة ما كان سقطا وهي نعت المضغة فما نفخ فيه الروح فهو مخلوق وما سقط بغير روح فهو ليس بمخلوق
والتخليق في الاصل التقدير فما صور اعضاءه فهو مخلوق وما سقط وهو لم يجتمع فهو ليس بمخلق والتفعيل للتكثير
فما تكرر فيه الفعل فهو مخلق وما لا فلا • قال تعالى خلقا من بعد خلق وقال ثم انشاناه خلقا اخر لنبين لكم • قال
الحسن اي هذا الخلق • وقيل لنبين لكم قدرتنا على ما نشا • وقيل اخبرناكم بما يزول به الريب في امر البعث • وقوله
تعالى ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى اي من قضينا له حياة اقررناه في رحم امه الى وقت معلوم وهو وقت
الولادة وانما قال ما نشاء ولم يقل من نشاء لانه اراد به الحمل • وقيل هو بيان المدة اي ما شئنا ان نقره فيه تسعة
اشهر او اكثر • وقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي صغارا لا يعقلون بامور انفسكم ولا يعقلون شيئا وانما وحد
لانه على صيغة المصدر فيصلح للجمع • وقيل اي نخرج كل واحد منكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم ننقلكم من حالة الى
حالة الى ان تبلغوا كمال القوة بالبلوغ وقرا عاصم في رواية ثم نخرجكم بالنصب وكذا نقر عطفا على لنبين لكم
وقرا العامة بالرفع على الاستئناف ثم قال ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اخسه وهو الهرم والخرف • وقوله
تعالى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي يزول عقله فلا يعقل شيئا وان كان عاقلا قبل ذلك هو احدى وجهي الحجة
والثاني في قوله وترى الارض هامدة قيل دارسة بالية • وقيل يابسة لا نبات فيها اي في الشتاء • وقوله تعالى
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي المطر اهتزت اي تحركت بالنبات وربت اي انتفخت • وقيل
اضعفت النبات بالمطر وانبتت اي اخرجت النبات من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن • وقيل فيه تقديم
وتاخير ربت واهتزت ربت اولا ثم تهتز • وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اي يصرف الاحوال بالانسان
وبالارض ليدل على ان لها صانعا خالقا لا صانع غيره يقدر على ما يشاء • وقوله تعالى وانه يحيي الموتى وانه
على كل شي قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي الذي قدر على انشاء البشر مما
ذكر واحياء الارض الهامدة بالمطر قادر على بعث الموتى واقامة القيامة ومجازاة الخلق على ما عملوا في الدنيا
يوم الحشر والنشر • وقال القشيري رحمه الله وانه يحيي الموتى يحيي النفوس بتوفيق العبادة والقلوب
بانوار المشاهدة والاحوال المريدين بحسن اقبالهم عليها والاوقات لموافقة الامر بجميل الرضا وسكون الجأش
عند جريان التقدير • وقوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وهؤلاء طائفة اخرى من الجهلة ليس
بنظام حرف العطف • وقيل هي في النضر بن الحارث ايضا والتكرير للمبالغة في الذم والتقريع كقولك للاخر
انت فعلت ذلك كذا انت فعلت كذا او لان في كل اية بيان نوع جدل وكان يجادل في اوقات في اشيا • وقيل نزلت
في شانه بضع عشرة اية • وقوله في هذه الاية بغير علم نعاقبه ما بعقول ولا هدى ولا دليل يكون معتقده مستندا

هذام

اي تراهم دهشى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

يتوفى اي يتوفاه الله تعالى بالموت شابا او طفلا ومنكم من

مرجعه ولا الى النظر ولا كتاب منير ومن غير ان يشهد له على قوله كتاب منزل بثبوت الدعوى • وقوله تعالى ثاني عطفه نصب
على الحال ومعناه معرضا متكبرا او ترجمة ضارب لحيته وجنبه • وقوله تعالى ليضل عن سبيل الله اي يجادل ليستزل عباد الله
عن دين الله • وقوله تعالى له في الدنيا خزي عقوبة مهينة فاضحة وقد قتل صبرا يوم بدر وقوله تعالى ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق بنار جهنم ذلك بما قدمت يداك اي يقال له ذلك في النار • وقيل هذا حين عذب به في الدنيا اي ذلك
الوعيد لك بكسبك الذي قدمته • وقوله تعالى وان الله اي وبان الله ليس بظلام للعبيد اي يواضع الثواب والعقاب
في غير موضعهما • وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على وجه واصله الطرف والجانب لا غير فان اصابه خير
اطمان به سكن على الايمان وان اصابته فتنة محنة • وقوله تعالى انقلب على وجهه ارتد عن الاسلام • قال ابن عباس رضي
الله عنهما كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امراته ولم تنتج
خيله قال هذا دين سوء • وقيل على حرف على شك • وقيل على وجل • وقيل على انتظار • وهذه الاقاويل متقاربة في المعنى
لان من كان على طرف شي لم يكن مستقرا فيضطرب ويخاف السقوط وينتظر ما يكون الحال • وقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة
خسران الدنيا انه ارتد لشدة لحقته وبالكفر لا تزول تلك الشدة المقدرة بل زادت لو اخذ بقبل لردته ثم عذاب
الاخرة من ورائه فيجمعهما جميعا • وقوله تعالى ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد • وقوله تعالى
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وهو الصنم فانه بعد الردة تعمل كذلك • وقوله تعالى ما لا يضره اي
في الدنيا ان لم يعبده ولا ينفعه في الاخرة ان كان عبده • وقيل لا يضره في الدارين ولا ينفعه في الدارين • وقوله
تعالى ذلك هو الضلال البعيد اي في الغي ورجاء النفع والضلال فانه يتعب ولا يثمر بنفعه قط • وقوله تعالى
يدعوا لمن ضره اللام لام القسم تقديره يدعوا والله من ضره اقرب من نفعه وهذا في القيامة اي من ضره بادخاله
النار اقرب من نفعه بالشفاعة التي كان يرجوها ولم يرد به ان الشفاعة موجودة لكنها بعيدة بل اراد انها معدومة
اصلا وهذا خارج مخرج كلام الناس في الشي يرجوه الانسان وذلك مما لا يكون فيقال لعدمه هذا اقرب من وجوده
والاقرب للعدم • وقوله لبيس المولى ولبيس العشير اي يرجوا الانسان النصر والعون من مولاه وهو ابن عمه
ومن العشيرة وهو صاحبه ومعاشره فالوثن بيس موضع رجاء النصرة والعون فانه مما لا يكون • وروي انها نزلت
في قوم من بني اسد بن خزيمة قدموا المدينة فاسلموا فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وقالوا يا رسول الله اتاك
العرب بانفسها واتيناك باهالينا واولادنا فمنوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يمنون عليك
ان اسلموا فكانوا اذا ارتفع مرادهم وصحت اجسامهم ونما مالهم قالوا هذا دين صالح فان كان ضره قالوا دين
سوء • وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا رجل من المنافقين كان يظهر تصديقنا ويكرمنا كان
يبعث الى النظر ايدي المنافقين فيقول ان كانت الدائرة على محمد واصحابه فانا معكم وان كانت الدائرة عليكم
والظفر لمحمد واصحابه فانا منهم فهو قوله على حرف • وقوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد وهذا وعد من الله على التعقيب لما ذكر من عبد الله على حرف
وقوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة • قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم ينصره الله
اي محمدا صلى الله عليه وسلم اي من ظن من اعدائه الذين يعبدونه من دون الله ان الله لن ينصر محمدا على اعدائه
واحبابه [illegible] فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى السماء ليقطع نصر الله عن
محمد صلى الله عليه وسلم الذي ينزل من السماء • وقوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ [illegible]
[illegible]
بسبب الى السماء [illegible] ثم ليقطع [illegible] هل يذهب غيظه [illegible]
[illegible] • وقال مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهم في رواية ان لن ينصره الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكذلك انزلناه
ايات بينات [illegible] وان الله يهدي من يريد [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا فسرناه في سورة البقرة [illegible]
يفصل بينهم يوم القيامة [illegible]
[illegible]

لهم [illegible] على [illegible]

وعما يعتقدونه ويعملون به • وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم اي يقضي بينهم يوم القيامة فيما هم فيه مختلفون فيميز
المحق منهم من المبطل ويجزي كل واحد على وفق عمله • وقوله تعالى ان الله على كل شي شهيد عالم به حاضر له لا يعزب عنه
شي فهو حافظ لذلك كله حتى يوصل الى كل واحد منهم يوم القيامة جزاوه اي فليحتط كل امري ما يعتقد وما يقول وما
يفعل وهو ابلغ وعيد • وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض اي الم تعلم يا محمد العلم الذي
يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض من الخلايق ومن في الارض منهم والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب وسجود هذه الاشيا ما كان فيها من امارات الحدث وامارات الحاجة الى مدبر
يمسكها ومغير يغيرها لولاه لبطلت ولم تثبت طرفة عين • وقيل سجود هذه الاشيا ظلها كما قال تتفيا ظلاله عن اليمين
والشمايل سجدا لله • وقيل سجودها خضوعها فمن كان من اهل السموات وهم الملايكة واهل الارض من المومنين فخضوعهم
بالصلاة وساير وجوه التذلل ومن كان كافرا فيسجد ظله وهكذا سجود الشمس والقمر والنجوم بتسخير الله واما
الجبال والشجر والدواب فيسجدها سجود ظلها • وقوله تعالى وكثير من الناس والمومنون يسجدون بوجوههم اختيارا
وهو خصوص من عموم قوله ومن في الارض وذلك عموم سجود الظلال في المومنين والكفار جميعا اعتبارا
فيجتمع للمومن [illegible] • وقوله تعالى وكثير حق عليه العذاب هم الكفار • وقيل هو مستانف • وقيل هو داخل في السجود
ايضا • وقال عليه ولم يقل عليهم للفظه وهو واحد كالكثير • وقال وكثير منهم فاسقون فجمع لمعناه • وقوله تعالى
ومن يهن الله فما له من مكرم من احد يكرمه في الدنيا بالايمان ولا في الاخرة بنوع كرامة ان الله يفعل ما يشاء من
اكرام واهانة وكل شي • وقوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم المذكورون في هذه الاية وفي الايات التي قبلها
فالحاصل فريقان مومنون وكافرون فهذان الفريقان خصمان كل فريق خصم للاخر يخاصمه في دينه • وقوله تعالى اختصموا جمع
لان كل فريق جمع فهما جمعان • وقوله تعالى في ربهم ففريق يقرون به ويوحدونه ويصفونه بصفاته وينزهونه وفريق يكفرون
ويصفونه بما لا يليق به ثم بين جزا الخصمين كل فريق فقال فالذين كفروا وقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات الى اخره • وقوله اختصموا اي يختصمون في الله تعالى ويتحاربون فيه ويدعي كل فريق انهم المحقون ومخالفوهم
هم المبطلون وهذا القول على العموم • وقيل هو على الخصوص • قال ابن سيرين نزلت في القوم الذين تبارزوا يوم
بدر ثلاثة من المسلمين كانوا واسطة القلادة علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد
المطلب وفي ثلاثة من المشركين كانوا واسطة القلادة من القلادة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس واخوه شيبة
ابن ربيعة بن عبد شمس والوليد بن عتبة بن ربيعة فبارز علي بن ابي طالب رضي الله عنه الوليد فقتله علي
رضي الله عنه وبارز حمزة رضي الله عنه عتبة فقتله حمزة وبارز عبيدة رضي الله عنه شيبة فاختلفا ضربتين
فانعقر كل واحد منهما صاحبه ومال علي رضي الله عنه على شيبة فقتله ثم احتمل علي وحمزة رضي الله عنهما عبيدة
حتى اتيا به النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا وعتبة
وشيبة والوليد الاية ونزل في علي وحمزة وعبيدة ان الله يدخل الذين امنوا الاية • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في المسلمين واليهود فقال المسلمون ليس لله ولد • وقالت اليهود عزير ابن الله • وقيل نزلت
في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابي جهل لعنه الله • وقوله هذان خصمان اختصموا في ربهم مثل قوله وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا ثنى الاسم لانهما فريقان وجمع الفعل لانهما جمعان • وقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب
من نار اي تقطع وذكر بصيغة الماضي لانه كاين لا محالة فهو كالثابت المتحقق وتقطيع الثياب استعارة عن اتخاذ
الملابس لهم في النار • وقيل هي من نحاس ونضيرنار اي باشتعالها بالنار وثياب الدنيا تقطع وتخاط فذكر لهم ذلك
ويجوز ان يكون هذا ما ذكر في قوله سرابيلهم من قطران تصب من فوق روسهم الحميم اي الما الحار المغلي بالنار •
وقوله تعالى يصهر به ما في بطونهم من الشحوم والاكباد والامعا والافيدة ونحوها وهو وصف الحميم بغاية شدة
الحرارة تصب على الراس ويذوب به ما في البطون • وقوله تعالى والجلود ظاهره عطف على الاول ومعناه
تحرق وتحرق الجلود باضمار فعل يشاكلها لانها لا تذوب كما قالوا ذلك في قول الشاعر علفتها تبنا وما
باردا اي وسقيتها ما باردا • وقوله تعالى ولهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي المدقة يقمعهم بها اي يضرب بها
الزبانية روس الكفار ولهم بمعنى اعدلهم يضربون بها • وقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها
ذكروا له وجوها عند قوله يريدون ان يخرجوا من النار • ويروى ان جهنم تجيش فتلقي من فيها الى اعلا ابوابها
فيريدون الخروج منها فتعيدهم الزبانية فيها بضرب المقامع • وقال الكلبي ومقاتل فيه تقديم وتاخير
قطعت لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق روسهم الحميم فيصل الى الجوف فيذيب ما فيه
وقوله وذوقوا عذاب الحريق اي يقال لهم ذلك في النار • وقوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وهو بيان جزا الفريق الاخر يحلون فيها من اساور من ذهب
هو جمع سوار واسورة واساورة • وقال في سورة هل اتى وحلوا اساور من فضة • وقيل يجمع لهم الذهب
والفضة جميعا وهو اجمل • وقيل بعضهم حلي بالذهب وبعضهم بالفضة • وقيل الفضة للرجال والذهب للنسا

وقوله

وقوله تعالى ولولوا قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ولولو خفضا عطفا على من ذهب • وقرا عاصم ونافع ولولوا
نصبا على معنى ويحلون لولوا • قال سعيد بن المسيب ليس من اهل الجنة احد الا في يديه ثلاثة اسورة واحدة من فضة
واخرى من ذهب واخرى من لولو • وقوله تعالى ولباسهم فيها حرير [illegible]
[illegible] ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • وقوله تعالى وهدوا الى الطيب من القول وهدوا
الى صراط الحميد طريق دار الاسلام كما قال يهديهم ربهم بايمانهم • وقيل الطيب من القول هو البشارات في الاخرة
وقال القشيري رحمه الله في القول [illegible]
[illegible]
[illegible] • وقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله عاد الكلام الى المشركين العرب
قال ابن عباس ومقاتل نزلت في عبد الله بن خطل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلين احدهما انصاري
والاخر مهاجري [illegible] فقتل عبد الله بن خطل الانصاري [illegible]
كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله ابو برزة الاسلمي وسعيد بن حريث القرشي وظاهر الاية
عام [illegible] • وقوله تعالى ويصدون عطف على كفروا وهو مستقبل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن دين الله والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام
[illegible] • وقوله تعالى الذي جعلناه للناس سوا يصلون فيه ويطوفون به ويقيمون فيه [illegible]
العاكف فيه المقيم بمكة والباد الجاي الساكن في البدو والاتي اليه ليس لاحد ان يمنع احدا عنه • وقيل
المسجد الحرام هو الحرم كله والناس سوا في النزول بمكة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ابي حنيفة رضي الله عنه انه يجوز وهو قول ابي يوسف • وقوله تعالى سوا قرا عاصم في رواية حفص سوا بالنصب [illegible]
[illegible] وقرا الباقون بالرفع على الابتدا • وقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم الباء زايدة [illegible]
بالدهن • وقيل الارادة بمعنى الهم [illegible]
هو استحلال الحرام • وقيل هو احتكار الطعام بمكة • وقيل هو ظلم الناس والالحاد في اللغة هو الميل وهو في
الشرع الميل عن الحق الى الباطل فكان عاما في الشرك وكل معصية • وقوله بظلم قيل البا اداة تعدية وقيل هو بيان
الوجه اي وجه الظلم • وقوله تعالى نذقه من عذاب اليم جزا قوله ومن يرد وهذا وعيد على الارادة فكيف بالفعل
واختلف في جواب اول الاية وقد ذكرنا وجهين والثالث ان احزه جواب الكلامين جميعا ونظيره ولولا رجال
مومنون وبعده لو تزيلوا • وقوله لعذبنا جوابهما وهذا لان قوله ان الذين كفروا في تقدير من يكفر • وقوله تعالى
واذ بوانا لابرهيم مكان البيت وهو المسجد الحرام المذكور في الاية الاولى تقوله واذكر يا محمد اذ مكنا لابرهيم مكان
البيت اي موضعه حتى بناه على ما اريناه منه وهو البيت الذي تعبد قومك فيه غيري ويصدونك واصحابك عن عبادتي فيه
ان لا تشرك بي شيا وقد بينا في سورة البقرة اصل البيت وكيفية بنا ابرهيم ذلك • وقوله تعالى وطهر بيتي
للطايفين قيل طهره من الانجاس وقيل عن الاوثان • وقيل هو عام فيهما وذكر ذلك للطايفين اي لاجلهم والقايمين
والركع السجود هم المصلون وفصل بين الاول وبين الاخرين بالواو وجمع بين الاخرين بغيرها ولان القيام تعظيم
لله تعالى والركوع والسجود بذلك له فاتخذ هذان وغايرهما الاول • وقوله تعالى واذن في الناس بالحج اي ناد
فيهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما لما فرغ ابرهيم من بنا البيت الكعبة قال رب فرغت من بنا الكعبة قال فاذن
في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس ان الله بنى
تعالى بيتا فحجوه • وفي رواية ان الله جل جلاله بنى بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه • وفي رواية قال ان الله تعالى
قد كتب عليكم حج البيت العتيق فحجوه فاجابوه من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك لبيك • وروي ان الله
تعالى اسمع صوته من قضى انه يحج فاجابوه • وقال مقاتل بن حيان هذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي
بالحج وفعل ذلك في حجة الوداع • وقوله تعالى ياتوك رجالا وعده بذلك وهو جزم لانه جواب واذن والرجال
جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبان على الابل وغيرها من الدواب وقد ضمرت لطول السفر • وقوله تعالى ياتين من
كل فج اي طريق واسع عميق اي بعيد وقدم الرجال على الركبان لاظهار فضيلتهم • وروي ان الراكب له بكل
خطوة سبعون حسنة وللماشي سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كل حسنة مائة الف حسنة • وقال مجاهد حج ابرهيم
عليهما السلام ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما • وقال القشيري رحمه الله قوله ياتين من كل فج عميق

واسمعيل

هذا وذكر على وجه المدح لهم وسبيل الشكر عنهم ذكرهم في المسافة للدنيا بأجمعها لكن جعل القصد الأعظم والمطلب سعيهم وعواطفها بفضله وكرمه معهم • وقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم أي ليحضروا أداء فرضه مشاهد ينتفعون بها في دينهم ودنياهم كعرفات ومنى والمشعر الحرام وغيرها وفيها الثواب في الآخرة والثناء المقبول في الناس وسعة الرزق ببركته وحصول الأرباح بالتجارة فيها ولذلك اختلف عبارات المفسرين فيها • قال بعضهم هي منافع التجارة • وقال بعضهم هي الأجر في الآخرة • وقال بعضهم هي مناسك الحج • وحج بعض الصالحين فكان عند الميل يصلي ركعتين ويقول قال الله تعالى ليشهدوا منافع لهم • وقال تعالى ويذكروا اسم الله في أيام معلومات • وقال الحسن وقتادة هي أيام العشر والأيام المعدودات هي أيام التشريق وعليه أكثر السلف وقيل الأيام المعلومات هي أيام النحر • وقال هؤلاء ذكر فيها اسم الله على الأنعام وهو يختص بها • وقال الأولون جعل الله الأيام العشر وقيل المنافع والذكر على الذبائح ثم للمنافع أيام مخصوصة منها وهو يوم عرفة كعرفات ويوم النحر للأفعال والطواف بالبيت بمكة فكذا الذكر على الذبيح يختص بيوم النحر منها • وقوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وقد فسرناه في سورة المائدة وهي الإبل والغنم والبقر • ويتقربوا إلى الله بالذبائح والضحايا فيذكروا اسم الله عليها بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ونحو ذلك ويحمل الشكر لله على هذه النعم فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير الذي به بؤس أي شدة • وقال الخليل البائس الذي نزلت به بلية أو فاقة فيرحم لبأسه • وقيل البائس الذي به ضر الجوع والفقير الذي لا مال له • وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم واللام لام الأمر والتفث الوسخ والدرن في اللغة • وقال نفطويه معناه ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم • وقال القتيبي التفث الأخذ من الشارب والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة • وقال الكسائي هو حلق الرأس وقص الأظفار وأشباه ذلك • وقال الفراء هو نحر الإبل والبقر والغنم وحلق الرأس وتقليم الأظفار وأشباهها • وقيل ما بقي من الحج بعد الذبح والنحر من الحلق والتقصير • وقيل ما عليهم من الحج • وقيل مواقف الحج ومناسكه كلها • وقيل هو عمل الحج كله هذه أقاويل المفسرين وتوجيهها على المعنى أن التفث اللغوي الذي هو الشعث والغبرة هو شعار الحج • قال النبي صلى الله عليه وسلم الحاج الشعث التفل وتقديره على هذا ثم ليقضوا تفثهم أي وليتموا أعمال حجهم مستديمين بذلك الشعث والتفل • وقوله تعالى وليوفوا نذورهم أي ومن كان عليه نذر هدي فليف به وليس كل أحد يلزمه هدي فلذلك ذكر النذر وقيل النذر الالتزام ومن شرع في حج بعد أفعاله فهذا أمر بإتمام الحج • وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وليوفوا بالتشديد والتوفية والإيفاء بمعنى • وقوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق وهذا أمر بالطواف وهو ركن فيه والطواف الأول طواف التحية وهو سنة والطواف الآخر طواف الصدر وهو واجب وهذا الطواف طواف الزيارة وهو ركن للحج بدونه الكعبة • وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت العتيق قال أعتق من الجبابرة فلا يأتيه جبار أبدا • وقال ابن عيينة لأنه لم تملكه الجبابرة قط • وقال الكلبي أعتق فلا يناله جبار أبدا • وقيل أعتق من الغرق زمان الطوفان • وقال بعض المفسرين عتق في الجاهلية من أن يخرب أو تقتل أهله • وقال الحسن وابن زيد العتيق القديم وهو أول بيت وضع للناس في الأرض • وقال مجاهد خلق الله تعالى البيت العتيق قبل الأرض بألفي عام • وقيل العتيق الكريم وفرس عتيق أي كريم وسمي لأنه كريم على الله تعالى • وقوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله ذلك أي ما قدم ذكره من أمر الحج فهو كما قدمته فالتزموه ولا تخالفوه مبتدأ حذف خبره اختصارا • وقيل معناه افعلوا ذلك أو الأمر في أوله أو هو منصوب على الإغراء فالزم بغير إضمار ومن يعظم حرمات الله أي الحج والعمرة والبيت فرائضها ولم يتعد حدودها فهو خير له عند ربه أي أنفع له من أن لا يعظمها لأنه يثاب على فعله ويعاقب على تركه وهذا ترغيب وترهيب وعمومه يشمل الحج وغيره والحرمات جمع حرمة وحقيقتها ما حرم انتهاكها ومنع من ارتكابها • وقيل هو خير ليس للتفضيل أي تعظيمه خير له عند ربه يجازيه • وقوله تعالى وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فسرناه في سورة المائدة أن المستثنى ما ذكر في قوله حرمت عليكم الآية • وقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان من للتبيين ههنا لا للتبعيض أي اجتنبوا هذا النوع من الرجس فكله خبيث أي اجتنبوا الأوثان فلا تعظموها فتذبحوا لها وتذكروا على ذبائحكم أسماءها • وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور أي الكذب وهو ما يقال على الذبائح من ذكر الأصنام وما يتصل بها من كلمات هي شرك • وقوله تعالى حنفاء لله نصب على الحال أي مستقيمين في تلك الحال على الدين الحق غير مشركين به أي بالله ختم الآية بوعيد الشرك يقول أمركم بالحج لتتقربوا به بالقرابين إلى الله تعالى لا لتذبحوا للأصنام وتتكلموا بكلمة الشرك • وقيل واجتنبوا قول الزور أي تسميتها آلهة • وقيل واجتنبوا قول الزور في التلبية وهو قولهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذا قول مقاتل بن حيان وهذا على نظم أول الآية تأويلها في أمور الحج • وقيل هو ابتداء كلام فاجتنبوا الرجس أي المأثم من الأوثان وهو عبادتها وتعظيمها واجتنبوا قول الزور أي الكذب في كل شيء • وروي

عن جرير بن وائل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما قال عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله تعالى ثم قرأ هذه الآية • وقوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء • قيل أي فمثله في بعده من الهدى والحق وهلاكه كمن خر من السماء فتخطفه الطير أو تسلكه برعتها أو تهوي به الريح أي تسقطه في مكان سحيق أي بعيد وهو قول قتادة • وقيل هو مثل حال الكافر في القيامة يريد به أنه يكون يومئذ بهذه الصفة لا يملك لنفسه ولا يملك أحد من الخلق له نفعا ولا ضرا ولا يمتنع من عذاب الله فهو بمنزلة من خر من السماء فهو يهوي من غير أن يقدر لنفسه على خلاف ذلك أو بمنزلة من تحمله الريح من موضع مرتفع فترمي به من مكان بعيد وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما • وقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي ذلك الذي عرفتكم من أمر الشرك هو كما عرفتكم ومن يعظم شعائر الله جمع شعيرة والشعائر هي أمور الحج • قال ابن زيد هي مناسك الحج كلها والرمي والسعي بين الصفا والمروة ونحو وقال مجاهد هي البدن أسمنها واستحسانها • قال تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ودليل القول الأول قوله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله فإنها أي هذه الفعلة وهي تعظيمها من تقوى القلوب هي تصحيح النية وتحريرها للتقرب إلى الله تعالى • وقوله تعالى لكم فيها منافع إلى أجل مسمى على القول الأول أن الشعائر هي أمور الحج هذه المنافع فسرناها في قوله ليشهدوا منافع لهم وهي مشاهد المنافع ثم محلها إلى البيت العتيق أي محل إحرامها بالبيت أي بعده • وعلى القول الثاني إذا الشعائر البدن فالمنافع ركوب ظهورها عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة ثم محل الشعائر إلى البيت العتيق أي نحرها يكون في الحرم بالبيت العتيق عبارة عن كل الحرم كما قلنا في المسجد الحرام • وقوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا • قرأ حمزة والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها ومعناهما واحد أي لكل أهل دين سلفوا قبلكم شرعنا قرابين • وقوله تعالى ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي ليتقربوا بها ويذبحوها على اسم الله دون أسماء الأصنام فإلهكم إله واحد أي الحكم والإله الأمم كلها واحد والواجب أن يتقرب إليه ويذكر على الذبائح اسمه دون اسم غيره • وقوله تعالى فله أسلموا أي انقادوا بالعبودية وبشر المخبتين أي المطمئنين إلى عبادة الله الخاضعين له المخبت وهو المطمئن من الأرض • وقال الخليل ما اتسع من بطون الأرض فعلى هذا المخبت هو الواسع الصدر في احتمال المكاره • وقوله تعالى الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت من عظمته فعظمت شعائر الله وحذرت مخالفته • وقوله تعالى والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون في الزكوات والصدقات تقول سرة هؤلاء بكل جزء كله تفسير المخبت ولا يقدر على هذه الأشياء إلا الخاشع لله تعالى بالعبودية • وقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله هي جمع بدنة كالثمر جمع ثمرة وهي الإبل التي تهدى سميت بها لبدانتها أي ضخمها ونصبها بالفعل المذكور بعدها على تقدير التقديم كما في قوله تعالى والقمر قدرناه من شعائر الله أي من أعلام دين الله • وقوله تعالى لكم فيها خير وهو نفع الدين والدنيا وقال السيوطي رحمه الله الخيرات فيها كثرة الركوب والحمل وشرب الألبان والانتفاع بالأوبار ثم بالاعتبار بخلقتها كيف سخرت للناس على قوتها وصورتها ثم كيف تنقاد للناس في النزول والحمل والركوب والبروك وصبرها على العطش في الأسفار واكتفائها بقليل العلف ثم ما في طبعها من اللطافة حتى تستريح بالحداء مع كثافة صورتها إلى غير ذلك • وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف جمع صافة وهي القائمة شرطا الزكاة وتسمية الله تعالى دون جعلها للأصنام كفعل الكفار • وقوله تعالى فإذا وجبت جنوبها أي سقطت على الأرض بعد نحرها قائمة • وقوله تعالى فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر • قيل القانع الذي يرضى بما يعطى بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه • وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة القانع الذي لا يسأل والمعتر الذي يسأل • وقال الحسن وسعيد بن جبير القانع يسأل والمعتر يتعرض ولا يسأل وعليه أهل اللغة فيقال قنع يقنع قنوعا من باب صنع أي سأل وقنع قناعة من باب علم إذا رضي بما رزق • قال الشماخ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع أي السؤال • وقال مجاهد القانع جارك الغني والمعتر الذي يعتريك من الناس • وقيل القانع الحر والمعتر الكلب أي لجعلوا لهامته نصيبا والهر يتقاضا بنباحه والكلب يقوم ساكنا • وقوله تعالى فكلوا منها ولو لم يأكل منها جاز • وقوله تعالى وأطعموا ندب لصرف كله إلى نفسه لم يضمن شيئا وهذا في كل هدي هو نسك لا كفارة وكذا الأضحية فأما هدي هو كفارة تعلقه بالتصدق بجميعه وما أكله ضمنه وكذا ما أطعمه للأغنياء وإنما مصرفه الفقراء فأما هدي النسك والأضحية فيحل لصاحبه والأغنياء والمستحب في ذلك أن يكون نصفه للأكل وإطعام أهله ونصفه للصرف إلى غيره • وقيل يجعل أثلاثا ثلث يأكله ويطعمه أهله وأضيافه في هذه الأيام وثلث يدخره لما بعد وثلث يدفعه للناس • وكان الحسن البصري رحمه الله يجعله أرباعا الربع لنفسه وأهله • والربع للمساكين • والربع لليتامى • والربع لأهل النجود ونياول قوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا • وقوله تعالى كذلك سخرناها لكم أي كالذي أمرتكم بنحرها ذللناها لكم مع عظم أجسامها فلا تمتنع عليكم ولو أعطيتها ما أعطيت السباع لصعبت عليكم نحرها

اي لا يبلغ رضاه ولا يكون
مقبولا عنده اعيانها
ولكن يناله التقوى

وقوله تعالى لعلكم تشكرون اي فعلت ذلك بكم لتشكروا نعمي بذلك • وقوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم وهو قصد الائتمار وطلب الرضا والاحتياط في ذلك والتحرز عن الحرام والشبهة وقيل لما ازم
باكلها ظنوا انها زدت اليهم وصارت لهم لا لله فاخبر ان الله من عبده ما اخلص له من النية والعمل دون اعيان ما تقرب
بها • وقال مجاهد كان اهل الجاهلية يذبحون ويشرحون اللحم فيضعونه على انصاب حول الكعبة وينضحون ما اقبلها
بدمائها فلما كان الاسلام ذكر المسلمون فعلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت حتى نزلت هذه الاية • وقوله تعالى
كذلك سخرناها لكم اي كالذي ذكر هذه البدن لك • وقوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم اي لتعظموا الله على ما
اي ارشدكم اليه من دينه واعاد ذكر التسخير لمعنى غير الاول فان الاول للشكر والثاني للتعظيم • وقوله تعالى وبشر
المحسنين في امور الحج والشعاير وساير الشرايع • وقال الحسن بن الفضل رحمه الله ولتكبروا الله على ما هداكم فتقولوا
الله اكبر على ما هدانا • وقال القشيري رحمه الله لا عبرة باعيان الافعال لكن العبرة لقرانها من الاخلاص واذا
انضاف الى اكتساب الجوارح خلاصات القصود وتجردت عن ملاحظة اصحابها الاعيان صلحت للقبول • وقال
في قوله وبشر المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فامارته سقوط العتب عن صاحبه بالقلب فلا يستثقل
شيئا فان الله لا يلتزم شيئا • وقوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا • قرا ابن كثير وابو عمرو ان الله يدفع
ولولا دفع الله الناس • وقرا نافع ان الله يدافع عن الذين امنوا ولولا دفاع الله الناس • وقرا عاصم وحمزة والكسائي
ان الله يدافع ولولا دفع الله • وعاد الكلام الى ذكر المؤمنين والكفار وبشارة المؤمنين بالفتح والنصر والعود
الى مكة التي صدهم المشركون عنها وهذه الاية في ذكرها وما يتصل من الحج والقرابين بها ان الله يدافع عن الذين
امنوا بشارة بدفع ضرر الكفار عنهم وهو كما قال لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار • وقال وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا • وقيل كان هذا قبل الهجرة فدفع عنهم باذن لهم في الهجرة الى المدينة
واعانهم وقواهم بالانصار واذن بالقتال وجهاد الكفار باعادتهم الى الكفر • وقيل تدفع عنهم شدايد الاخرة
وكثيرا من شدايد الدنيا • وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور العبادات امانات فمن خالفها فقد خان
وقيل المشركون كانوا يتقربون بالذبايح ثم يعبدون غيره وهذه خيانة • وقيل كل انسان يظهر الشفقة على نفسه
وارادة الخير لها فاذا فعل بها ما يهلكها فقد خانها والخوان الكافر على هذا والكفور الذي يكفر نعمة الله عليه
ومعنى لا يحب لا يريد بهم الخير ولا يحصل لهم العاقبة المحمودة بل يكون ذلك للمؤمنين بالدفع عنهم • وقال القشيري
رحمه الله يدفع عن صدورهم نزغات الشيطان وعن قلوبهم خطرات العصيان وعن ارواحهم طوارق
النسيان • وقوله تعالى اذن للذين يقاتلون • قرا ابن كثير وحمزة والكسائي اذن بفتح الالف يقاتلون
بكسر التاء ومعناه اذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون الكفار ان يحرصون على قتالهم بالقتال فمعول العادة
هنا مضمر وهذا طريق الدفع عن الذين امنوا • وقرا عاصم ونافع في رواية اذن بالضم على ما لم يسم فاعله
يقاتلون بفتح التاء على ما لم يسم فاعله وهم المؤمنون ايضا لان الكفار يقاتلونهم • وقرا ابو عمرو وعاصم في
رواية ابي بكر اذن بالضم يقاتلون بالكسر • وقرا ابن عامر اذن بالفتح يقاتلون بالفتح ايضا • وذكر بعض المفسرين
ان الصحابة لما اشتد عليهم اذى الكفار قبل الهجرة استاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتل من قدروا على
قتله سرا فلم يوذن لهم ووعدهم الله تعالى بالدفع عنهم • وقال ان الله لا يحب كل خوان كفور لما هموا به من
قتلهم سرا فلما هاجروا وقووا اذن لهم • وقوله تعالى بانهم ظلموا اي بسبب ان المشركين ظلموهم في صدهم عن
المسجد الحرام واظهار دينهم وان الله على نصرهم لقدير يعدهم بذلك وعدهم ويشفي به صدورهم وهو
اشارة الى البشارة بذلك وهذه الاية اول اية نزلت في الامر بالقتال الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
وهو بيان لقوله بانهم ظلموا الا ان يقولوا ربنا الله وهو استثناء منقطع بمعنى لكن اي اخرجوا بغير حق اي
من غير ان يستحقوا ذلك وحق عليهم ذلك لكن لانهم قالوا ربنا الله وحده لا شريك له على خلاف قولهم
وهذا الاخراج من مكة الى المدينة ان كانت الاية نزلت بعد الهجرة اليها وان كان قبلها فالاخراج من
مكة الى الحبشة اي الجاوهم اياهم الى ان هاجروا منها اليها ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا
شرع الله للانبياء والامم من الجهاد لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا اي
لغلب اهل الشرك اهل الايمان اي وعطلوا ما بنته اهل الديانات من مواضع عبادة الله تعالى • قال
مجاهد الصوامع للرهبان • وقال قتادة البيع للنصارى • وقال مجاهد البيع كنايس اليهود • وقيل
صلوات هي مواضع صلوات المسلمين في منازلهم والمساجد للجماعات وقيل صلوات اي وتركت من صلوات على
ارادة اعيانها دون مواضعها • وقال الزجاج اي لهدمت صوامع في ايام شريعة عيسى وبيع في ايام شريعة
موسى ومساجد في ايام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل ذكرت الصوامع والبيع وان كانت تلك لغير
اهل الاسلام وذلك لان النصارى ينكرون امر الجهاد ويرونه شنيعا في الحكمة والصابئون لا يرونه
فنبهوا على حسنه في العقول اذ فيه بقاء اثر هذه الديانات التي يعتقدها اصحابها قوله ولولا دفع الله

الناس

الناس هم الكفار بعضهم بدل ببعض هم المؤمنون المقاتلون فالدفع يقع بهم • وقيل معناه ولولا دفع الله باهل هذا الدين
عن الاديان كلها اي لولا اقماع عبدة الاوثان واهل التعطيل بخوف سيوف المسلمين لتغلبوا على اهل الاديان كلها
وفيه تعريف توفيق من الله تعالى لما عاد على اهل الاديان كلها من النفع بدين الاسلام • وقوله يذكر فيها اسم
الله كثيرا اي في المساجد هو الصحيح فان الذكر في البيع ونحوها ممنوع غير مستحق • وقيل يدفع الله بالمقاتلين عن القاعدين
وبالشاكرين عن الكافرين وبالصابرين عن الجازعين وبالمصلين عن التاركين وبالمصدقين عن المانعين وبالمطيعين
عن العاصين وبالذاكرين عن الناسين • وقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز هذا خاص
وقوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض هو نعت الذين يقاتلون اي اذن بالقتال لهؤلاء الذين ان اعطيناهم
المكنة والمكانة في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واقاموا الدين
بالسنتهم وايديهم والزموا الناس ما هو مستحسن في العقل والشرع ومنعوهم ما هو مستقبح في العقل والشرع
وقوله تعالى ولله عاقبة الامور اي خاتمتها الي لنصرهم العلو والغلبة خاتمة من نصر دين الله وحمى بيته وان
تاخرت مدة لحكمة فهي موعودة لهم وهذا تطييب لقلوبهم وتثبيت على الصبر وقيل اي مرجع الامور
الى الله في الاخرة وهو المثيب والمعاقب وهذا تحريك لهم على الاعمال المذكورة في الاية وكثير من المفسرين على ان
هذه الاية في الخلفاء الراشدين الاربعة • وقال الحسن هي في حق هذه الامة • وقال القشيري رحمه الله الذين
ان مكناهم في الارض اذا طالت بهم المدة وساعدهم العمر لم يستفرغوا اعمارهم في استجلاب حظوظهم ولا في اقتناء
محبوبهم في الدنيا ومطلوبهم ولكن قاموا باداء حقوقنا اقاموا الصلاة في الظاهر واداموا المواصلات
في الباطن • وقيل اقامة الصلاة الوقوف بادابها تعلم بين يدي من انت قائم له وتناجي من والرقيب عليك من
والقريب منك من واتوا الزكاة الاغنياء منهم يؤتون زكاة اموالهم فزكاة المال من مايتين خمسة للفقراء والباقي
لهم وزكاة الاحوال ان يكون من مايتي نفس مائة وتسعون وتصف لله تعالى ويصفح من مائتين لك • وقوله
تعالى وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يبتدئون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بانفسهم ثم باغيارهم
فاذا اخذوا في ذلك لم يفرغوا من انفسهم الى غيرهم • وقيل الامر بالمعروف حفظ الحواس عن مخالفة امره
ومراعاة الانفاس معه اجلالا لقدره ومن وجوه المنكر الرياء والاعجاب والمساكنة والملاحظة • وقوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب
موسى وهذا بيان لقوله ولله عاقبة الامور وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بما ناله من جهة الكفار من المكروه
والمحذور يقول ان نسبك هؤلاء الى الكذب فقد فعلت قوم نوح بنوح كذلك والتانيث في كذبت لارادة القبيلة
والامة والجماعة وكذلك ما ذكر بعده كذبت كل امة نبيها وكذب موسى على ما لم يسم فاعله ولم يقل وكذب قوم
موسى لان قومه بنو اسرايل وهم صدقوه فانما كذبه فرعون وقومه • وقوله تعالى فامليت للكافرين اي طولت
الزمان للحجة عليهم • وقوله تعالى ثم اخذتهم اي عاقبتهم على كفرهم وتكذيبهم ومعاصيهم • وقوله تعالى فكيف
كان نكير اي انكاري وتغييري عليهم ام ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا
وكذلك حال قومك • وقوله تعالى وكاين من قرية اي وكم من اهل قرية اهلكناها وهي ظالمة اي اهلكناهم وهم
ظالمون انفسهم بالكفر واضعون العبادة غير موضعها • وقرا ابو عمرو اهلكتها على موافقة امليت ثم
اخذتهم • وقرا الباقون اهلكناها فهي خاوية على عروشها في القرية ساقطة سقوفها اولا ثم ساقطة
حيطانها على سقوفها • وقوله تعالى وبير معطلة اي وكم من بير معطلة تعطلت اهلها اندفنت وصارت
لا واردة لها فالاشارة منها باندفانها وغور مائها • وقوله تعالى وقصر مشيد • قال عكرمة ومجاهد
اي مبني بالجص والشيد الجص • وقال قتادة اي مرفوع وقد شاد البنا اي رفعه وطوله • وقيل اي
مزين وقد شاده اي زينه اي خلا عن سكانه وتداعى للخراب بذهاب اهله فهذا تنبيه لهم ووعظ عما كان
قبلهم ممن كان اطول منهم عمارا واقوى اثارا اهلكهم الله تعالى لعتوهم وتمردهم • وقال الضحاك ان هذه
البير كانت في حضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة الاف ممن امن بصالح ونجوا من العذاب
اتوا حاضورا ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي حضرموت لان صالحا لما حضر مات فبنوا حاضورا وقعدوا
على هذه البير وامروا عليهم رجلا يقال له جليس بن جلاس بن سويد وجعلوا وزيره سحاريب بن سوادة
واقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا ثم عبدوا الاصنام فارسل الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان
فقتلوه في السوق فاهلكهم الله عن اخرهم فعطلت بيرهم وخرب قصر ملكهم • وقيل ان ملكا كافرا كان له
وزير مسلم ومعه اربعة الاف وزير مسلم من خواصه فغضب عليه الملك يوما فهجره الوزير وذهب معه
خواصه الى ارض طيبة فنزلوها وحفروا ابارا وقيل خرج من كلها ماء ملح ومر بهم رجل فامرهم ان يحفروا
في موضع اخر ففعلوا فخرج ماء عذب فوسعوها وبنوها حجرا ذهبا وحجرا فضة وجعلوا لها حظيرة ولها
اربعة الاف باب بعدد ذلك الرجال واتخذوا منازل وطالت بهم المدة فاتاهم شيطان في صورة عجوز

صالحة ومكث عندهم ودلت النساء على السحر عند غيبة الازواج فظهر ذلك فيهن واتاهم في صورة شيخ صالح بعد ذلك
رجالهم على اتيان البهايم اذا غابوا عن ازواجهم فنشا ذلك فيهم واتاهم ذلك النبي • وقيل بنى اسمه مخافة فلم ينتهوا الى
ساوهم فنفرعوا النبي حتى عاد فعاد الماثم يومنوا بخوفهم اتيان العذاب بعد سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام
وسبع ساعات فاتخذوا قصرا مشيدا لبنة ذهبا ولبنة فضة وركبوا فيها اليواقيت وتحصنوا ولم يومنوا فلما انهت
هذه المدة وهو عيده لهم التخويف كل ساعة فلم يتنبهوا امر الله تعالى جبريل فخسف بهم وبها • وقوله تعالى افلم يسيروا في الارض
افلم يسافر هولاء في الارض فيشاهدوا هذه القرى ويروا وقايع الله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان
يسمعون بها اي يدعوهم ما يشاهدوا الى سماع المواعظ وهذا استفهام بمعنى الاثبات اي قد سافروا اليها وشاهدوا
ثم لا يعتبرون بها باعراضهم عن التدبر فهم متعامون متصامون • وقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار قيل فان النعمة
والحاته وقيل فان الابصار ثم اعاد الابصار بتفسير الكناية وان الف الانتباه اي لا تعمى الابصار ابصارهم
عن روية هذه الاشيا الا اثار عيانا ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن التفكر في الحقيقة عمى القلوب لا منفعة
بصر العين لا يهلك بعد بهما صاحبها وعدم بصر القلب يهلك صاحبه وهذا كما يقال ليس الغنى عن المال انما الغنى غنى
النفس ونحوه ثم القلب لا يكون الا في الصدور ومعنى بعده تحقيقه تحاسنه لا يميزه عن غيره كقوله يقولون بافواههم
يطير بجناحيه • وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب اي يقولون متى هذا العذاب الذي توعدنا به ويذكرانه كان
للامم السالفة ولن يخلف الله وعده فانه تعالى من خلف الوعد والكذب وهو ان لا محالة لكن لوقته الذي جعله
له • وقيل نزلت في النضر بن الحارث واتاه الوعد يوم بدر فقتل • وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد فان يوما من ايام الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اي فلا معنى
لاستعجالهم وهم يصيرون الى الاخرة ويعذبون فيها هذه المدة الطويلة • وقيل ان يوما من ايام العذاب في الثقل
والطول كالف سنة مما تعدون في السلامة كما قالوا ايام الهموم طوال وايام السرور قصار فلا معنى لاستعجالهم وقيل
ان يوما من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض كالف سنة ولكنت قادرا على ان اخلق جميع ذلك في لحظة
واقل ولكن خلقته في المدة الطويلة ولم اعجل فلذلك انا قادر على انزال العذاب بهم ساعة عصوني ولكن لا اعجل
ويدل عليه انه قال في سورة اخرى وكم اهلكنا قبلهم من قرن ذكر عقيبه ولقد خلقنا السموات والارض في ستة
ايام ثم ذكرها بعده هلا كهم اشارة الى هذا فكذا هذه الاية • وقيل هو اشارة الى ما ذكر في قوله يدبر الامر من السما
الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فالملك ينزل مسيرة خمسماية سنة وهي من السما الى الارض
ويصعد كذلك في ساعة وهي الف سنة تقول لما كان في قدرتي هذا فكيف اعجز عن اهلاك هولاء لكن تاخيري
لحكمة • وقوله وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها اي في الدنيا والي المصير اي المرجع في عذاب
الاخرة فما ينبغي لهولاء ان يغتروا بامهالي قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اي جعلني الله الانذار وان
انزال العذاب فلا يستعجلون به فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة للذنوب ورزق كريم حسن في الجنة
هذا لمن خاف بانذاري فانتهى • وقوله تعالى والذين سعوا في اياتنا معجزين اي اجتهدوا في ابطال الحق بالابطال
والتكذيب وصدوا الناس عنها معاجزين متعالبين مقدرين انهم يغلبوننا فيفوتوننا • وقرا ابو عمرو وابن كثير
معجزين اي مثبطين عجزا الانبيا والمومنين بذلك على زعمهم • وقال الكسائي معاجزين معاندين ومعجزين مثبطين
وقال الخليل عاجز فلان ذهب فلم يوصل اليه • وقوله تعالى اولئك اصحاب الجحيم اي الدايمون في النار الموقدة
وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا قيل الرسول صاحب الشريعة والنبي هو الذي يتبع الرسول
في الشريعة كهارون لموسى ولوط لابرهيم عليهم السلام • وقيل الرسول المرسل بالوحي اليه او بالوحي الى رسول
امرانيا مره بالتبليغ او بالرويا • وقيل هما واحد في الاية جمع بينهما في الارسال فقال وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته وهذا متصل بقوله سعوا في اياتنا معاجزين اي ان مشركي مكة
يسعون في اياتنا المنزلة عليك وكذا كان كل رسول يسعى الشيطان في الالقا في قراته • وقوله تمنى اي تلا
وقوله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته • قال الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة • واخرها لاقى حمام المقادر •
وروي في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا سورة النجم في الكعبة او في المسجد الحرام بحضرة المومنين
والمشركين فلما انتهى الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في قراته تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما فرغ سجد وسجد المشركون والمسلمون وبلغ الخبر من كان عند النجاشي من المهاجرين
فرجع كثير الى مكة لما توهموه من دخول المشركين في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ اصحاب الظواهر بظاهر
وحملوه على قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وتكلمه بلسانه بهاتين الكلمتين وهذا باطل على ما نبين •
فاما الغرانيق فقد ذكر في ديوان الادب ان الغرنوق الشاب الناعم • وذكر في شرح الغريبين انه احسن الغالي وقيل
هو رئيس القوم • وقال الخليل الغرنوق والغرناق الشاب الابيض • وقال الاصمعي هو الكركي • وقال ابن الانباري
هو الذكر من الطير وفي الغريبين ايضا الغرنوق والغرناق والغرنيق الشاب الناعم والطير وكان المشركون يزعمون

ان الاصنام تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم اليه فشبهوها بالطيور التي تعلو وترتفع الى السما • وقال الحسن ان ثبت تكلم
النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات فهو على الانكار عليهم على تقدير اثبات الف الاستفهام في تلك الغرانيق
العلى كان قوله هذا ربي في الصحيح المعتمد ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه تكلم بها فلا يخلو من
ثلاثة اوجه اما ان تكلم بها من جهة نفسه عمدا اختيارا وهو كفر ولا يجوز ان يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
فانه جا داعيا الى الاسلام ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها واما بالقا الشيطان ذلك على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك
في من غيره فكيف يقدر على ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم واما ان يقال ذلك على لسانه سهوا وغفلة من غير
قصد ولا يجوز ذلك ايضا لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف يجوز عليه هذه الغفلة خصوصا
في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد والتصديق واحتمال الغلط والخطا قايم ولان الله تعالى قال
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فبطلت الوجوه كلها
ولم يبق الا وجه واحد وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر
فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
هو الذي تكلم بها ويكون هذا القا في قراة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم ويسمع كلامه كما ذكر عنه في اليوم الذي مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وابليس ظهر يوم
احد على صورة شيخ نجدي ونادي الا ان محمدا قد قتل • وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
وقيل لما استعجلوا بالعذاب تمنى ان يعجل الله لهم العذاب فابطا فالقى الشيطان في امنيته كما قال حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم كذبوا وقال وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله • وقوله تعالى
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يزيله عن القلب ثم يحكم الله اياته اي يلهمه مواعيده وعلى التاويل الاول
يبطل الله تعالى ما تكلم به الشيطان اي يظهر بطلانه بالوحي بعده ثم يحكم الله اياته فيثبتها ويحفظها عن لحوق
الزيادة من الشيطان بها والله عليم حكيم عليم بوقت انزال العذاب وتمييز الشيطان حكيم لا يدعه حتى
يكشفه ويزيله • وقوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض اي نفاق والقاسية
قلوبهم اي وللقاسية قلوبهم وهم الكفار صار ذلك فتنة لهم اعتقدوا كلام الشيطان كلام النبي صلى الله
عليه وسلم وحفظوا اشغاء عنها ونقلها وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي وان المشركين لفي خلاف الحق بعيد
منه • وقوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم اي اعطوا العلم بالله وبدينه وبالايات انه الحق من ربك اي كما
نسخ ما يلقي الشيطان • وقيل ان القران الحق من ربك فيومنوا به اي فيصدقوا به • وقوله تعالى فتخبت له
قلوبهم اي تلين وتطمين وان الله لهادي الذين امنوا اي لمثبتهم على الهدي • وقوله تعالى الى صراط مستقيم
دين الاسلام ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك من القا الشيطان • وقيل من القران حتى تاتيهم الساعة
القيامة بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم قيل يوم للحرب وللفرح كالريح العقيم التي لا تلقح سميت فالسه
الضحاك • وقيل يوم لا ليلة بعده كالعقيم لا ولد لها واختلف في ذلك اليوم • قال قتادة هو يوم بدر تعقلوا فيه
فلم يكن لهم بعده ليلة في الحياة والشك يزول للكافر اذا مات ويزول ايضا بالقيامة • وقال ايضا سعيد بن
جبير وعكرمة هو يوم القيامة لا ليلة بعدها ومعنى الجمع بين الساعة وبغتة ان الاول ذكر الفتنة والثاني
ذكر عذاب يوم القيامة • وقيل الساعة هي النفخة الاولى وهي موت الخلايق وبه يزول الشكوك • والثاني
هو يوم البعث والجزا • وقوله تعالى الملك يوميذ لله اذا قامت القيامة زالت علية المتغلبين ومنازعة
المعاندين وهو كقولك مالك يوم الدين • وقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار يحكم بينهم كل واحد
من هذين الفريقين منزلة • وقوله تعالى فالذين امنوا في جنات النعيم هذا حكم احد الفريقين • وقوله تعالى
والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وهذا حكم الفريق الاخر والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا في الجنة وان الله لهو خير الرازقين هو تخصيص قوم
من الفريق الاول وهو خير المعطين لانه لا يعطي احد عطاه في الكثرة والجلالة والدوام وزوال الشوايب
وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه الجنة وهذا وصف لكل جميل لانه ما وقع موقع الرضا فقد كمل وقرا
نافع مدخلا بفتح الميم وهو موضع الدخول • وقرا الباقون بضمها وهو موضع الادخال وان الله لعليم بالحوال
المهاجرين حليم بتاخير العذاب عن المشركين • وقوله تعالى ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه
الله اي ذلك للمهاجرين كما احللنا كم به ولهم مع ذلك اي النصر في الدنيا على من بغى عليهم • وقال مقاتل البغي
جماعة من المشركين جماعة من المومنين وقد بقي من المحرم يومان فقال بعضهم لبعض ان اصحاب محمد لا يقاتلون
في الشهر الحرام فقاتلوا فناشدوهم وتقتلهم فلما اضطرهم المشركون قاتلوهم وغلبوهم ثم حدثوا انفسهم بهتين بما
صنعوا في المسجد الحرام فنزلت الاية ووعدهم الله • وقوله تعالى ان الله لعفو غفور يعفو عنهم ويغفر لهم وقوله

ابي الدرداء
وعظوا
فيها ولا اعتبار بما وقيل معناه وان العين لا يبصر ولا
وساوسهم
صدقهم
وعلى الصالحين
الموعودة

تعالى ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي ذلك الذي اخبرتكم اني قادر
باني قادر على ما اشا ادخل الليل في النهار وادخل النهار في الليل بنقصان احدهما وزيادة في الاخر واني انا السميع عالم
للاصوات والبصير بالمبصرات لا يخفى علي شي ولا يخفى المطيع من العاصي والمومن من الكافر والمهاجر القاعد ومتبع الشاهد
من المخالف فيكل لاحد جزا مني على وفق عمله لا عجز عنه • وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل
اي ما ذكرته من اياته فقد رفي باني انا الله المستحق للالهية ومن كان الها حقا كان قادرا على كل شي متصرفا كل شي على ما اراد
وان ما يدعون من دونه • قرا نافع وابن عامر بتا المخاطبة • والباقون بيا المغايبة هو الباطل اي الاصنام خالية
عن هذه الصفات فبطل وصفها بالالهية وان الله هو العلي اي العالي على كل شي بالقهر والسلطان دون توهم المكان
الكبير بالجلال والقدرة والكمال • وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اي فتصير بالنبات
خضرة فمن قدر على هذا قدر على انشا الاجسام وعلى احيا الموتى وهو على كل شي ان الله لطيف عالم ببواطن الاشيا
خبير بظواهرها وقيل لطيف بارزاق خلقه خبير عالم بمصالحهم له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وان الله
لهو الغني المستغني عن ذلك كله الحميد المحمود على جميع الافعال المنزه عن صفات الذم • وقيل اي المستحق للحمد
وان ضل عن حمده الضالون • وقوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض وهذا بيان نعمته بتسخيره ما في الارض من
الحيوان وغيره لتاتموا بما حاجة اليه في معاشنا فلا اصلب من الحجارة والحديد وقد ذللهما لنا نتخذ منهما ما نريد
والفلك تجري اي ولانا الفلك او يكون عطفا على ما في الارض اي سخرها لكم تجري في البحر بامره اي بتسخيره اي بمنعها عن الوقوع
وتصييره اياها كذلك علمكم صنعها لتقطعوا بها المسافات البعيدة في المدة القريبة • وقوله تعالى ويمسك
السما ان تقع على الارض الا باذنه اي بارادته وتخليته فيقع اذا لم يمسكها • وقوله تعالى ان الله بالناس لروف
رحيم لرافته ورحمته فيا لهم هذا كله وهو الذي احياكم وانتم كنتم نطفا وعلقا وعظاما ولولا الحياة لكنتم
جمادا فضلكم بذلك وسخر لكم هذا كله ليمتحنكم بالشكر ثم يميتكم لاجالكم ثم يحييكم للحساب والجزا • وقوله تعالى نعمة
ان الانسان لكفور للنعم في الغالب وقليل من عبادي الشكور • وقوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
قال ابن عباس رضي الله عنهما اي عيدا • وقال مجاهد وقتادة اي متعبدا في اراقة الدم وغيره • وقيل هو
جمع العبادات واصل النسك العبادة والناسك العابد والمنسك المتعبد ويطلق على الحج لانه منها وعلى
القربان كذلك فيل لما نبه الله تعالى على قدرته وعلمه وعلى انه الاله الحق • وقيل ذلك لمن جاهد في دينه
النضر بعد ان اذن لهم في القتال وامرهم بالجرح امر رسوله صلى الله عليه وسلم باخذ في الدعا الى الدين
وصرفه وجه معاملتهم والاحتجاج عليهم فقال ولكل جعلنا منسكا هم ناسكوه اي شرعنا لكل منهم ضربا من العبادة
هم متمسكون به ماخوذ من عليه وهو كما قال ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • وقوله تعالى فلا ينازعنك اي
فليس لاحد من بقايا تلك الامم ان ينازعك في الامر اي فيما تامر به امتك من الشرايع اذ قد كانت لهم شرايع تخالف
بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة فانها خالفت تلك الشرايع فليس لهم ان ينازعوك فيها • وقوله تعالى وادع الى
ربك اي الى دين ربك انك لعلى هدى مستقيم اي دلالة على سبيل رشد • وقوله تعالى وان جادلوك
ليدحضوا بباطلهم حقك فلا تمارهم فقل الله اعلم بما تعملون من الكفر والجدال بالباطل والتعنت بعد
ظهور الحجة الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فيجزي المحق على حقه والمبطل على باطله • وقيل
ولكل امة جعلنا موضع قربان يتقربون بذلك الى الله تعالى فاهل الملل متقربون بذلك فليس لهم ان ينازعك
فيما تاتيهم به من الذبايح لا تعاقبهم على شرعها فلا ينبغي لهم ان ينازعوك في ذبايح مكة • وقوله تعالى وادع الى
ربك اي الى طاعته فيما امرته من الحج والنحر فهذا الجدال على هذا كان من اهل الكتاب المنكرين فضل مكة وكون
الكعبة قبلة • وقيل هو جدال المشركين المذكور في قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم وهو
قولهم تاكلونه مما قتلتم ولا تاكلون مما اماته الله تعالى • وقال الزجاج فلا ينازعنك في الامر اي فلا تنازعهم
وهو مستقيم في كل فعل يكون بين اثنين ونهي احدهما نهي للاخر تقول لا تخاصمنك فلان اي لا تخاصمه وانما
نهي عنه فانهم ما كانوا يجادلونه لطلب الحق بل للتعنت • وقوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض اللاشي من
فلا يخفى عليه حال المجادلين ويجزيهم على ذلك • وقوله ان ذلك في كتاب اي كل ما في السما والارض فهو مكتوب
في ام الكتاب عنده قبل خلقهما • وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير اي اثباته في الكتاب سهل عليه لا تلحقه
فيه مونة كما تلحق كتبة الخلق • وقيل اي الحكم بينهم يوم القيامة يسير لا يلحقه ما يلحق قضاة الخلق الى الحاجة
من استنباط وجه الحكم ونحو ذلك • وقيل نزلت في بديل بن ورقا الخزاعي وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس من
بني الحارث بن عبد مناف بن تميم قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون ما تقتلون
بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى فنزل فلا ينازعنك في الامر • وقال القشيري رحمه الله جعل لكل فريق شرعة
هم واردوها ولكل جماعة طريقة هم سالكوها ومنازل هم سكانها ومحال هم قطانها ربط كلا بما اهله له واوصل كلا
الى ما جعله محله فبساط العبد موطوا باقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد معمورة باصحاب الكلفة من المجتهدين

وبساط

وبساط احباب المعارف مانوسة بلزوم العارفين ومنازل المحبين ماهولة بحضور الواجدين • وقوله تعالى ويعبدون من
دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة لانهم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وهذا ما لا حجة لاحد في عبادته
ولو كانت في ذلك حجة لانزلها الله تعالى في كتابه • وقوله تعالى وما ليس لهم به علم اي يعبدونه ذلك مقلدين اباهم من
غير علم بذلك وما للظالمين من نصير • وهذا وعيد لهم اي واذا نزل بهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لم يكن لهم منه
مانع • وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا قرئ على هولا الذين يعبدون الاوثان كتابنا الذي
جعلنا اياته اعلاما للناس الى ما بهم اليه حاجة ووجدوها واضحات لا لبس فيها ولا موضع اعتراض فيعجزوا عن
معارضته • وقوله تعالى تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي التغير لسماعهم والكراهة والاغتياظ لتلاوته يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي يبطشون بهم ويثبون عليهم • وقوله تعالى قل افانبيكم بشر من ذلكم النار الله صح
اي ما كرهتم سماعه من القران عندكم • وقيل شر من ذلكم اي اشر واغلظ النار اي ذلك هو النار وعدها الله الذين كفروا وانتم
منهم • وقوله تعالى وبيس المصير اي وبيس المرجع النار • وقوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ينتظم بقوله له اي استمعوا الدعو
تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا تقول يا ايها الناس جعل لي مثل اي تمثل وهو كالشبه والشبيه
اي جعل الكفار لي الصنم شبيها فاستمعوا حال ما شبهوه بي لتقفوا على جهلهم ان الذين تدعون من دون الله
ايها المشركون اي يدعونهم الهة • وقيل اي تعبدونها • وقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلق اي لو استلب الذباب من منه الاصنام شيا صح
ذباب مع صغره وقلته ولو اجتمعوا له مع كثرتهم • وقوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه
اي لا يقدروا على ان يخلصوه منه وجزمه بكونه جزا الشرط والجمع بالواو والها والميم وهي لا تعقل لما انهم
انزلوها في هذه منزلة العقلا كما في قوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين • وقوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب
ضعف الصنم الذي سلبه الذباب شيا فصار طالبا لما عند الذباب ياخذه منه والمطلوب الذباب يثب عليه ما سلب
ويرجع عليه الطالب • وقيل معناه على هذا ضعف كل واحد منهما فلا فرق بين هذا وذاك بل الذباب اقرب الى القوة
والقدرة من الصنم الذي لا يدفع سلب الذباب عنه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين كانوا يلطخون
اصنامهم بالعسل في كل سنة مرة ويغلقون ابواب البيوت فيدخل الذباب من الكوى فياكل ذلك العسل
فاذا راوا ذلك قالوا اكلت الهتنا العسل فقيل هذا الطالب الذباب والمطلوب الصنم • قال ابن كيسان
وابن زيد كانوا يحلون الاصنام بالجواهر واليواقيت فربما سقط منها واختفى احدها طار به ذباب فلا تقدر
الالهة على استردادها فالطالب في هذا القول الطابع والمطلوب الصنم • وقيل هذا منقطع عن الاول
وهو الذباب ومعناه ضعف الطالب من بني ادم حاجة الى الصنم والراجي منه نفعا او شفاعة او صلاحا
يزل جامدا لا يدفع ولا ينفع وضعف الصنم المطلوب منه الحاجة وهو معنى قول الضحاك ضعف العابد والمعبود
كانوا يطلبون في عبادتهم الثواب وما وصلوا اليه • وقوله تعالى ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق
عظمته • وقيل ما وصفوه حق صفته • قال الفرا هو كما تقول في الكلام ما عرفت لفلان قدره • وقوله تعالى ان
الله لقوي عزيز على خلق ما يشا من صغير وكبير عزيز اي منيع لا يقدر احد ان يسلب من ملكه شيا • وقيل يا ايها
الناس ضرب مثل اي بين مثل لعبادة الكفار الاصنام ثم بينه في هذه السورة وبين في قوله مثل الذين
اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت • وقيل ما ذكرنا هنا مثل ايضا تقديره يا ايها الناس مثلكم مثل من
عبد الهة اجتمعت لان تخلق ذبابا لم تقدر عليه وان سلبها الذباب شيا لم تستنقذه منه • وقوله تعالى الله
يصطفي من الملايكة رسلا اي يختار منهم رسلا يوحي على السنتهم كجبريل وميكايل ونحوهما ومن الناس نحو ما
رسلا منهم محمد صلى الله عليه وسلم للتبليغ ما في هذه السورة وسائر ما لا ان الله سميع بصير عالم بكل
شي فهو يعلم مواضع الاختيار والاصطفا • قال الله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم بعد ان خلقهم • قال الكلبي ما بين ايديهم من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا • وقيل على عكسه
وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي الى علمه وتدبيره • وقيل الى الله ترجع الامور في الاخرة فيجزي كلا
بما عمله وهو تحريض على طاعة الرسل وقبول ما يودونه • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
اي صلوا وداوموا عليها وخص الركوع والسجود بالذكر من بين افعالها لانهما المقصودان والاصلان
في التذلل والخشوع الذي لذلك شرعت واعبدوا ربكم يقول اقصدوا بالخدمة وردوا بالعبادة ربكم
لا كما يفعله هولا المشركون من عبادة الاصنام الذين جعلوا لله شبيها • وقوله تعالى وافعلوا الخير اي ما هو
محمود في عقولكم من العدل والاحسان وايتا ذي القربى ونحوها لعلكم تفلحون على رجا الفلاح والتعليق
بالرجا لاحتمال الخلل الذي يقع فيها • وقوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده • قيل اي استفرغوا جهدكم
في احيا دين الله • وقيل جاهدوا انفسكم بردها عن الهوى واتباع الشهوة • وقيل وجاهدوا الشيطان
في رد وساوسه • وقيل جاهدوا الكفار • وقيل اطلاقه يصلح لهذا وللكل وهو بلوغ اقصاه • وقيل هذا
في الايتمار والامر • وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته نزلتا بنواحيه هو اجتباكم اي اختاركم للذب عن دينه

والجهاد مع اعدائه • وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وان كان امر بالجهاد فلا تضييق فيه ولذلك ازال الحرج في الجهاد عن الاعمى والاعرج وعادم النفقة والراحلة والذي لا ياذن له ابواه ثم هكذا كل امور الدين • وقوله تعالى ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين اي الله شرفكم بهذا الاسم • وقوله تعالى من قبل اي من قبل ان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لانه كان سمي من اتبع ملة ابرهيم حنيفا • وفي هذا اي القران وقيل من قبل اي في اللوح المحفوظ وقيل هو سماكم المسلمين اي ابرهيم لقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك • وقيل اي ملة ابيكم خطاب للعرب لانه ابوهم في النسب • وقال الحسن هو خطاب لكل الامة وهو ابوهم وحرمته عليهم كحرمة الاب وكذلك في الشفقة وهو كما قال تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم • وقوله تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا اي في القيامة بانكم قبلتم ما اتى به وظهرت بذلك هدايتكم وتكونوا شهداء على الناس للانبيا على اممهم بتبليغهم اليهم الرسالة فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة ودوموا على ذلك والصلاة بذل لله تعالى والزكاة مواساة لضعفى عباد الله • وقوله تعالى واعتصموا بالله هو مولاكم اي ثقوا بالتوكل على الله • وقيل تعلقوا بدين الله • وقيل امتنعوا عن اعدايكم بالله هو مولاكم اي متولي اموركم ومصالح دينكم ودنياكم • وقيل دينكم • وقيل ناصركم فنعم المولى لان من تولاه لم يضع بحال • وقوله تعالى ونعم النصير فان من نصره لم يخذل بحال • وقال القشيري رحمه الله المجاهدة على اقسام بالنفس وهي ان لا يدخر ميسورا الا لله في طاعته ومجاهدة بالقلب وهي صونه عن الخواطر الردية مثل الغفلة عنه والعزم على مخالفته ومجاهدة بالمال بذل المال والجود والايثار في حق خليقته • وقال هو اجتباكم ومن حق اجتبايه اياكم ان تعطوا امور مولاكم • وقال علم قبل خلقك ما يكون منك ولم يمنعه عن ذلك اجتبايك فلا يمنعه ما يكون منك من العصيان من مغفرتك • وقال فاعتصموا بالله بالتبري من الحول والقوة والانقطاع الى استعانته • وقال فنعم المولى اخبار عن عظمته ونعم النصير اخبار عن رحمته • قال وقال لسليمان وايوب نعم العبد وقال لنا نعم المولى ونعم النصير وهذا ارجا لنا واطيب لقلوبنا • والحمد لله رب العالمين • والصلاة على محمد خاتم المرسلين • واختم لي يا مولاي بالايمان مع المومنين

وتكونوا شهداء عليكم

سورة المومنون

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الانسان من سلالة من طين • الرحمن الذي يرزق البر والفاجر وهو خير الرازقين الرحيم الذي يغفر ويرحم وهو خير الراحمين • وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المومنين بشرته الملايكة بالروح والريحان وما تقر عينه عند نزول ملك الموت • وهذه السورة مكية وهي مائة وثماني عشرة اية • وقيل تسع عشرة بالخلاف في قوله ارسلنا موسى واخاه هرون • وكلماتها الف وثمانية واربعون • وحروفها اربعة الاف وثلثمائة وسبعة وتسعون • وانتظام اول هذه السورة باخر سورة الحج انه قال فاعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وفرد ذلك الكيفية السورة حيث امر بالمجاهدة فيها ومدحهم وافتتح هذه السورة بذكر ذلك الفلاح وتفاصيل العبادة ومدحهم بها • وانتظام السورتين ان هذه السورة مشتملة على ذكر صفات المومنين ومحاجة الكافرين والترغيب والترهيب للغافلين وكذلك تلك السورة • وقوله تعالى قد افلح • قال ابن عباس رضي الله عنهما قد فاز بما رجا وامن مما خاف المومنون • وقوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون • قيل متذللون • وقيل خايفون • وقيل ساكنون • وقيل الخشوع في الصلاة سكون الاطراف وترك الالتفات والاشتغال بها عما يشغل عنها • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال اما ان هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه • قال ابو العالية بلغني ان الله تعالى لما خلق الجنة اذن لها في الكلام فكان اول ما نطقت ان قالت قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات فانزل الله تعالى بها قرانا • وقال عمر رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي سمع عند وجهه دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال لقد نزلت على عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا علينا قد افلح المومنون الى قوله خالدون • وعن ابن سيرين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يرفع راسه الى السماء حتى نزلت هذه الاية قد افلح المومنون الى قوله خاشعون فخفض رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ونظر الى موضع سجوده • وقال مجاهد الخشوع خشية القلب وغض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء اذا صلى هاب الرحمن ان يمد بصره الى شي او يحدث نفسه بشي من شان الدنيا • وقال القشيري رحمه الله الخشوع في الصلاة اطراق السر على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوب تحت سلطان الكشف والانمحاء عند غلبات التجلي • وقوله قد افلح اي قد ادرك ثمرات القرب وفاز بكمال الانس من وقف على بساط النجوى بنعت

الهيبة

الهيبة ومراعاة اداب الحضرة ولا يكمل الانس بملاقات الحبيب الا عند فقد الرقيب واشد الرقبا والزمهم تنغيصا للقرب النفس فلا راحة للمصلي مع حضور نفسه فاذا حبس نفسه منه طاب له العيش وتمت له النعمى في محل له البشرى • وقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الحلف والكذب • وقال مقاتل هو الشتم والاذى • وقال الحسن والضحاك هو الباطل • وقيل هو ما لا يجدي خيرا معرضون اي لا يشغلون انفسهم به • وقيل هو فضول وما لا يحسن من القول والفعل • وقال القشيري رحمه الله ما شغل عن الله فهو سهو وما ليس لله فهو حشو وما ليس بمسموع من الله او مقول مع الله فهو لغو وما فيه حظ للعبد فهو لهو • وقوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون اي مؤدون • وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم • قال الفرا الا من ازواجهم اي زوجاتهم او ما ملكت ايمانهم اي اماؤهم • وقوله تعالى فانهم غير ملومين اي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم من نسايهم واماييهم فهذا حلال وما وراء هذا حرام • وقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك اي طلب قضاء شهوة من غير هاتين فاولئك هم العادون اي المتعدون حدود الله • وقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • قرا ابن كثير لامانتهم والمراد بها الجنس وهذا يشتمل على حقوق الله تعالى وحقوق عباد الله من فرايضه وشرايعه وامانات الخلق ظاهرة وهي داخلة فيها فالعهد يقع على ما يوثق الله تعالى به على عباده بان يقوموا به • قال تعالى واوفوا بعهد الله ويقع على النذور والايمان ايضا وعلى عهود الخلق فيما بينهم • وقوله راعون اي حافظون جميع ذلك • وقال القشيري رحمه الله الامانات مختلفة فامانة قوم الوظايف بظواهرهم وامانة اخرين اللطايف في سرايرهم وامانة قوم معاملتهم واخرين منازلاتهم • واخرين مواصلاتهم وكذلك عهودهم متفاوتة فمنهم من عاهده ان لا يعبد سواه • ومنهم من عاهده على ان لا يقصد سواه • ومنهم من عاهده على ان لا يشهد سواه في الكونين سواه • وقوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون • قرا حمزة والكسائي على صلاتهم والباقون على صلواتهم يحافظون اي يداومون في اوقاتها على شرايطها ومراعاة حدودها وحقوقها ومعانيها • وقال القشيري رحمه الله لا تفادهم اوقاتها غير مستعدين لها ولا يدعوهم المنادي لها وليسوا الباقية منهم في الصف الاول بظواهرهم وكذلك في الصف الاول بسرايرهم • وقوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس اي الواجدون ثمرات اعمالهم والفردوس من الجنة بلسان الحبش • وقال السدي هو البساتين عليها الحيطان بلسان الروم • وقال مجاهد فردوس جبل في الجنة من اصله تتفجر انهارها • وروى سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس ربوة الجنة العليا وهي اوسطها واحسنها • وقوله تعالى هم فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها • وقال القشيري رحمه الله الارث على حسب السبب والنسب في استحقاق وعد الجنة بالايمان في الاسلام ثم الطاعات في الفضل واستحقاق الارث على تفاوت في السهام وبالفرض والتعصيب كذلك في الطاعات فمنهم ومنهم ثم ان الله تعالى وعد الفلاح بالايمان والطاعات في اول السورة ونفى الفلاح بالكفر في اخر هذه السورة انه لا يفلح الكافرون ولولاه لوقع عند العصاة ان الفلاح اذا كان بالايمان مع الطاعات وفات الطاعات فات الفلاح فسكن قلوبهم وذكر ان عدم الفلاح بالكفر لا بالمعاصي • وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان بين في هذه الاية خلق الانسان وذكر اخره الموت ثم البعث للجزاء وهو ترغيب على الايمان والطاعات التي بها ينالون الفردوس • وقوله ولقد خلقنا الانسان الادمي من سلالة من طين اي من طينة مستلة من كل تربة لان ادم خلق منها فكان اصلا لاولاده فجاز ان يضاف خلقهم اليها اذا كان اصلهم مخلوقا منها • وقوله تعالى ثم جعلناه اي الانسان وهو ولد ادم بعد ان كان اصله الطين في اصلاب الاباء وارحام الامهات يقذفه في الصلب حالة الالتقاء ثم الى رحم المراة في قرار مكين هو الرحم اي في مقر مكين لذلك اي مهيا له • وقيل معناه ولقد خلقنا الادمي من سلالة اي نطفة مسلولة من طين اي مخلوقة من طين وهو ادم لان النطفة سلت منه والسلالة تقع على النطفة • قال تعالى من ماء مهين وقد يقع ولقد خلقنا الانسان من سلالة ادم • قال الشاعر • هل ابنك الا من سلالة ادم • لكل على حوض المنية مورد • وقيل ولقد خلقنا الانسان اي ادم من سلالة من طين اي من طين ادم قبض عليه انسل من بين الاصابع • وقوله تعالى ثم جعلناه نطفة فاضمر واختصر ههنا وبسطه في موضع اخر فقال وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين والنطفة المني لما القليل ونطفة القربة مرجحا اي قطرة ثم خلقنا النطفة علقة اي نقلنا النطفة فجعلناها علقة اي دما قليلا فخلقنا العلقة مضغة اي نقلنا العلقة فجعلناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما • قرا عاصم في رواية ابي بكر وابن عامر عظما فكسونا العظم لحما على الواحد موافقة لما • وقرا الباقون عظاما فكسونا العظام لحما لان الموجود كذلك اخبر انه تعالى خلق الانسان وتدرجه قدرة الى ان صارت النطفة التي هي كالماء عظاما بما ابدع فيها عرضا بعد عرض ثم انشاناه خلقا اخر اي نفخنا فيه الروح فصار روحانيا حيوانيا بعد ان كان جمادا • وقيل هو نبات الشعر • وقيل هو تصريفه اياه بعد الولادة في الطفولية وما بعدها • وقال ابن عمر رضي الله عنهما خلقا اخر هو استواء الشباب • وقيل هو خلقه ذكرا او انثى • وقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين قيل تعظم • وقيل دامت نعمه وبركاته على خلقه • وقيل هو دوام بقايه اي المقدرون والمقدرون ليسوا الجنة الصنعة ولذلك قال بعده ثم انكم بعد ذلك لميتون اي والبقا للخالق دونكم • وقوله تعالى احسن الخالقين اي احسن

ابتداءه

نطفة ثم

اي جعلناه

بنيانا ثم

المقدرين • قال زهير وانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري • وقال تعالى احسن كل شيء خلقه اي خلقه حسنا مطابقا
للارادة • وقوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد نفخ الروح فيكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون اي للجزاء بالاعمال
اذ خلقتكم للتعبد فاعلموا انكم لم تخلقوا عبثا كما قال في هذه السورة افحسبتم انما خلقناكم عبثا • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان عبد الله بن سعد بن ابي سرح اخا لعثمان من الرضاعة وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
املى عليه وكان الله عليما حكيما كتب سميعا بصيرا • واذا املى عليه سميعا بصيرا كتب رؤوفا رحيما فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يملي عليه هذه الاية فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر خطر بباله فتبارك الله احسن الخالقين فلما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتبارك الله احسن الخالقين قال عبد الله ان كنت نبيا يوحى اليك فانا نبي يوحى الي فارتد
ولحق بمكة كافرا • وقال القشيري رحمه الله ولقد خلقنا الانسان من سلالة عرفهم اصلهم كي لا يعجبوا • وقيل عرفهم
نسبتهم لئلا يمتزجوا عن حدهم ولا يغلطوا في انفسهم • وقيل بسط عذرهم عند الكافة فان المخلوق من سلالة والبهائم
العرفان وموضع المحنة ومتعلق العناية ومن قال بحبهم ويحبونه ثم جعلناه نطفة قطرة اجزاؤها متماثلة وابعاضها
متشاكلة ثم جعل بعضها لحما وبعضها عظاما وبعضها شعرا وبعضها ظفرا وبعضها عصبا وبعضها جلدا وبعضها
مخا وبعضها عرقا ثم خص كل عضو بهيئة مخصوصة وكل جزء بكيفية معلومة ثم انشاناه خلقا آخر محتملا من سمع وبصر
وفكر وعضب وارادة وقدرة وعلم وكتابة وصداقة وملاحة وجبن وحقد وحرد الى غير ذلك من الاوصاف التي
يتقاصر عنها الحصر • وقيل هو ان هيامهم لاحوال عزيزة يطرحها عليهم بعد بلوغهم اذا استووا وحصل لهم كمال التمييز من
فنون الاحوال ولقوم يتحرزون عن رق البشرية ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية فتبارك الله احسن الخالقين خلق
السموات والارض والعرش والكرسي مع سائر المخلوقات من الجنة بزينتها ومن النار باهوالها وخبر عنها ولم يعقبها
بهذا التمدح الذي ذكره بعد خلقه بني آدم تخصيصا لهم • وقيل لما ذكر محنتك وتارات حالك ولم يكن لك لسان تشكر
ينطق ولا بيان تمدح ينطق ناب عنك بالثناء على نفسه فقال فتبارك الله احسن الخالقين ثم قال انكم بعد ذلك
لميتون آخر الامر ما يرى الحد والقبر والثرى كسر على اهل الغفلة سطوة غفلتهم وقال فيهم سيحصلونهم بقوله
ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون • وقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ثم بين
انه خلق ما به قوام معايشهم وما يتوصلون به الى اداء ما عليهم • قال الفراء سبع طرائق سبع سموات كل سماء طريقة
سميت بها لان بعضها فوق بعض من قولهم طارق بين الشيئين جعل احدهما فوق الآخر • وقيل سميت بها لانها طرائق
ملائكته للنزول والصعود • وقوله تعالى وما كنا عن الخلق غافلين اي عما يحتاجون اليه في اقامة مصالحهم
وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر الايات في بيان ما يحتاجون اليه • وقيل ما كنا غافلين عما يفعله
الخلق من الشكر على هذه الانعام ومن كفران ذلك وعلى هذا كانا رائية وتقديره ولسنا عن الخلق غافلين كما في
قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا • وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر اي بمقدار ما علمناه كافيا لهم
مصلحا لغلاتهم فاسكناه في الارض في العيون ونحوها • وقوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون اي على اذهابه
ودفعه على الارض وتغويرا لعيون فلا نسقي لكم ما تشربونه وتسقونه دوابكم وزروعكم وحبا لكم تهلكون
عطشا لقادرون لان القادر على الانشاء التي قادر على افنائه يعرفهم منته في انشائه وافنائه فانشانا لكم
به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة من الجنات • قيل اي من الرطب والعنب • وقيل فواكه
كثيرة من الجنات من جميعها فواكه ومنها تاكلون من فواكهها وجميع الاطعمة فالفاكهة في الذكر وشجرة تخرج من
طور سيناء • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد اي من جبل • وقال قتادة والضحاك اي جبل الحسن
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو كثير الشجر وهو الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام • وقيل هو
فيعال من السنا اي الرفعة • وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بكسر السين • والباقون بفتحها وخص هذه
الشجرة بالذكر للعبرة لانها تخرج الثمرة التي منها الدهن التي يعظم به الفائدة وتكثر المنفعة • وقوله تعالى
تنبت بالدهن قرا ابن كثير وابو عمرو بضم التاء • والباقون بفتحها ووجه الفتح ان الفعل معدى بالباء ووجه الضم
انه متعد والباء زائدة ومعنى انبات الدهن انبات ثمر الدهن اي تنبت هي ومعها الدهن اي في ثمرها ما اذا استخرج
مما ينتفع به وهو كقصبي الخمر عصيرا ما يصير من خارج الخمر • وقيل تنبت بالدهن اي تنبت هي ومعها الدهن
كما يقال جاء فلان بالسيف اي ومعه السيف ومعنى معها الدهن اي في ثمرها ما اذا استخرج مما ينتفع به انتفاع
كان دهنا وصبغ للآكلين اي ادام يصطبغ به والصبغ هو الدهن وانما ادخل الواو والاجتماع معنيين معنى
الادهان ومعنى الاصطباغ وتقديره تنبت بالدهن للاستصباح والتداوي والادهان وينتفع به انتفاع
الادام بالغمس في الطعام وخص النخيل والاعناب والزيتون ها هنا لان العرب في الحجاز كانوا يرون هذه
الاشياء • وذكر اخراج هذه الشجرة من طور سيناء تعريف ببركتها فان هذا الجبل مبارك وقد قال في صفة
الزيتون شجرة مباركة زيتونة • وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة اي ما تعتبرون به اي تستدلون به
على قدرة الله تعالى وعجيب صنعه • وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها قرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية

ابي بكر بفتح النون من السقي والباقون بضمها من الاسقاء وهما واحد تقول نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا خالصا من بين فرث ودم
ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان وهي منافع الاصواف والاوبار والاشعار والجلود وغيرها • وقوله تعالى ومنها تاكلون
وهي لحمان الازواج الثمانية وشحومها ونحوها • وقوله تعالى وعليها وعلى الفلك اي وعلى الانعام في البر وعلى الفلك اي وعلى
السفن في البحر تحملون في اسفاركم كما تحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الاية • وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
ذكر بعد بيان بدء الخلق انه هيا لهم اسباب القيام بما لاجله خلقهم من تمام ما يقوم به المعاش ومواترة الرسل لبيان
ما به يتعبدوا وبدا بقصة شيخ الانبياء صلوات الله عليه فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي اتقوا فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف في دونهم ما هذا الا بشر
مثلكم انكروا كون الرسول من البشر واختصاصه بالرسالة من بينهم مع تساويهم في البشرية وقالوا يريد ان يتفضل
عليكم اي يريد ان يكون ذا فضل وعلو في المنزلة عليكم • وقوله تعالى ولو شاء الله اي ان لا نعبد غيره لانزل ملائكة
للدعاء الى ذلك لا بشرا مثلنا • وقوله تعالى ما سمعنا بهذا في آبائنا اي بما يدعونا اليه نوح من التوحيد وترك الشرك
في آبائنا الاولين • وقوله تعالى ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولو كان عاقلا لما ادعى الرسالة لان الله تعالى لم
يبعث البشر رسولا • وقوله تعالى فتربصوا به حتى حين اي هو مجنون فلا تعجلوا بعقوبته بل دعوه الى مدة فاما
ان يموت او يرجع عن هذا او يفعلون به ما شئتم • وقوله تعالى قال رب انصرني بما كذبون اي انصرني عليهم وخلصني
من شرهم • وقيل انصرني بتحقيق قولي لهم في العذاب انه نازل بهم بما كذبون من العذاب الذي انذرتهم به ان لم
يؤمنوا • وقاله هذا حين ايس من ايمانهم حين اوحي اليه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن • وقوله تعالى فاوحينا
اليه اي اجبنا دعاءه وارسلنا اليه رسولا من السماء ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا اي اتخذ السفينة
بمرأى منا وبما اوحي اليك من صنعتها وبعث جبريل عليه السلام حتى علمه ذلك وحقيقة قوله باعيننا ووحينا اي
واعلم انا حافظون لك ومرشدوه اليك بما تحتاج اليه في اتمامه • وقوله تعالى فاذا جاء امرنا اي عذابنا بامرنا
وقوله تعالى وفار التنور ذكرنا الاقاويل فيه في سورة هود • وقوله تعالى فاسلك فيها اي فادخل في الفلك
من كل زوجين اثنين اي من كل ذكر وانثى من الحيوانات ذكرا وانثى اراد ان لا ينقطع نسلها • قال قتادة والحسن
لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض واما البق والذباب والدود فلم يحمل معه شيئا منها انما يخرج هذا
من الطين • وقرا عاصم في رواية حفص من كل بالتنوين زوجين اثنين اي من كل صنف زوجين ذكرا وانثى • وقوله
تعالى واهلك اي وادخل اهلك ايضا وهم نساؤه واولاده الا من سبق عليه القول منهم اي بالهلاك فلا تدخله
الفلك • وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي ولا تسالني نجاة الذين كفروا والدخول
في السفينة فاني اغرقهم في الطوفان • وقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك • قال ابو عبيدة اي
في الفلك اي تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اي من عذابهم • وقيل هو امر بالحمد
على اهلاكهم وفي ضمنه نجاة المؤمنين • وقوله تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا • قرا عاصم في رواية ابي بكر بفتح
الميم وكسر الزاي • والباقون بضم الميم وفتح الزاي وبالفتح النزول وموضع النزول وبالضم الانزال وموضع
الانزال ويصلح كل منهما مرادا • وقوله تعالى وانت خير المنزلين تكفي من انزلته كل ما به اليه الحاجة وغيرك لا يتهيا ذلك
وقيل امر بهذا الدعاء ان يقوله اذا انزل ومعناه انزلني منزلا مباركا اجعله منزلا تتابع به الخيرات علي وعلى من معي حتى يكثروا
في الدين فاجاب ذلك فقال يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك • وقال القشيري الانزال
المبارك ان يكون لله وبالله من غير غفلة عن الله ولا مخالفة لامر الله • وقوله تعالى ان في ذلك لآيات اي في الاقتصاص
لآيات لعلامات على الحق يعرف بها وجوب متابعة الانبياء واستحقاق العقوبة على مخالفتهم وان الله لا يعذب
الا بعد انها الحجة وان من فعل فعلهم جوزي جزاءهم • وقوله تعالى وان كنا لمبتلين له وجهان في اللغة وما كنا
الا مبتلين وقد كنا مبتلين • قال قتادة قد ابتلى الله الناس قبلكم وكشفه اي لم يزل الله يبتلي الامم ليظهر المطيع
من العاصي فمن اطاع نجا ومن عصى هلك • وقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلا • وقيل وان كنا لمبتلين من بعد قوم نوح كما ابتليناهم • وقيل اي بارسال الرسل الى الامم كان للابتلاء
وقوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ولم يسمه • قيل هو صالح • وقيل هود
عليهما السلام • وقوله تعالى ان اعبدوا الله اي ارسلنا اليهم بهذا ما لكم من اله غيره افلا تتقون • وقال
الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اي البعث ولقاء ما وعد الله في الآخرة واترفناهم في
الحياة الدنيا اي وسعنا عليهم وتنعمناهم • وقوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون اي يحتاج الى هذا بعينه كما تحتاجون انتم ولو كان نبيا لكان ملكا مستغنيا عن هذا • وقوله تعالى
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي الانبياء والمثل والرضا بان يكون دونه خسران • وقوله تعالى
ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون خبران المذكورة اولا قوله مخرجون وان الثانية مكررة
للتاكيد • وقيل انكم مخرجون تام جعلت خبرا للاول وهو كقوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار

جهنم ومعناه ايعدكم هذا المدعي للنبوة انكم بعد ان تصيرون ترابا وعظاما بالية لا لحوم عليها ولا جلود تخرجون
من قبوركم وهذا استفهام بمعنى الانكار • وقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون اي بعيد هذا الموعود اي هو
مما لا يكون • وقوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا هذه الحياة القربى التي نحن نموت فيها ونحيى
قيل هذا على التقديم والتاخير نحيى مدة ونموت بعد ذلك • وقوله تعالى وما نحن بمبعوثين بعد الموت وعلى الترتيب
على النظم معناه يموت بعضنا ويحيى بعضنا • وقوله تعالى ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اي كذب على الله
وما نحن له بمؤمنين بمصدقين • قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين اي فاوحى الله اليه
عن قريب وهو القليل وهو الزمان وما صلة ليصبحن قومك اي ليصيرن نادمين على تكذيبهم اياك اذا اخذهم
العذاب ولا تنفعهم الندامة فاخذتهم الصيحة العقوبة الهائلة او حقيقة الصيحة من جبريل بالحق اي باستحقاقهم
ذلك • وقيل بالامر من الله وهو الحق • وقوله تعالى فجعلناهم غثاء اي موتى بالين كالغثاء وهو ما يأتي على وجه
السيل من القصب والحشيش شبهوا بالغثاء في البلاء وتفرق الاوصال • وقيل انهم صاروا لا ينتفع بهم بوجه
وقوله تعالى فبعدا للقوم الظالمين اي هلاكا • وقيل فبعدا من كل خير الاول من باب علم والثاني من باب ترف
الظالمين المشركين • وقوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرونا اخرين امما في ازمنة شتى وههنا اضمار كذبوا
انبياءهم فاهلكناهم والاختصار مما ذكر فيما اخره كلما جاء امة رسولها كذبوه • وقوله تعالى ما تسبق من امة اجلها
اي ما كان متقدم امة من هؤلاء القرون الوقت الموقت لعذابهم وما يستاخرون عنه • وقوله تعالى ثم
ارسلنا رسلنا تترى كلما اي تتابعا متصلين كلما جاء امة رسولها كذبوه جهلا منهم وتقليدا لاسلافهم واستخفافا
للشرائع فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك • قال المهلك الاولين الايات وجعلناهم احاديث اي صيرناهم
الى حال يتحدث الناس بعدهم بذكرهم ويتعجبون منهم فبعدا لقوم لا يؤمنون • وقوله تعالى ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا بالاعلام الدالة على صحة نبوتهما وسلطان مبين اي حجة ظاهرة • وقيل
الايات المعجزات والسلطان القدرة والقوة والملك • وقيل السلطان ايجاب الانقياد الى فرعون
وملائه • وقوله تعالى فاستكبروا اي تعظموا عن الانقياد لهما • وقوله تعالى وكانوا قوما عالين اي كانوا
قد قهروا من في ناحيتهم من الناس واستعبدوهم • وقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا اي انصدق ادميين
مثلنا في ادعاء الرسالة منا مستحق وجوب الانقياد لهما علينا وقومهما لنا عابدون اي وبنو اسرائيل
لنا مطيعون يرون انفسهم لنا عبيدا نكون نحن مطيعين لهما • وقيل عابدون دائبون فكذبوهما فكانوا
من المهلكين فصاروا من المغرقين في اليم ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم يهتدون اي
ليهتدوا بها الى الحق وجعلنا ابن مريم اي عيسى وامه مريم اية ولم يقل ايتين لانهما باجتماعهما
اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير اب • وقال وجعلنا الليل والنهار ايتين لان كل واحد منهما اية على
حدة ومعنى هذه الاية وجعلناهما اية اي علامة تستدل بها على قدرتي على اختراع الاجسام من غير
اصل كما خلقت عيسى من غير اب وعلى اني المنفرد بالخلق والاختراع لا خالق غيري وعلى صدق عيسى في دعوى
النبوة فلم اخل الناس في كل وقت من رسول يدعوهم الى الحق • وقوله تعالى واويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين اي وجعلنا ماواهما مكانا مرتفعا والربوة بفتح الراء وضمها وكسرها المكان المرتفع على
ما حوله واختلف فيها اين كانت قال ابو هريرة رضي الله عنه هي الرملة من فلسطين • وقال سعيد بن المسيب
هي دمشق وقال ابن زيد هي مصر • وقال وجدتها على الربى ولولاها غرقت بالماء وهو قول الكلبي ايضا • وقيل
هي بيت المقدس وهو قول قتادة وهو ابن الارض • قال كعب هي ادنى الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا
وقوله تعالى ذات قرار اي ذات استواء تستقر عليها • وقال قتادة ذات قرار ذات ثمار اي لاجلها تستقر
فيها سكانها • وقوله تعالى ومعين ماء جار ظاهر للعيون • قال سعيد والضحاك ومعين مفعول من عانه
اعينه اي اصبته بعيني • قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا الاول كان عند الولادة وهو كما ذكر في سورة
مريم قد جعل ربك تحتك سريا الايات • وقيل كان هذا حين فرت مريم بابنها فكانا بها سنين ثم رجعت به الى الطا
بعد ما مات الملك الذي كانا هربا منه • وقوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما
تعملون عليم واضمار القول في القرآن كثير • وقيل كان هذا خطابا لعيسى عليه السلام على اضمار القول وتسمية
الواحد بالجماعة تشريف له • وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك بغير اضمار وتسميته بالرسل لكونه
افضل الرسل وسيد الرسل اني بما تعملون عليم لا يخفى علي ما تعملونه فانا مجازيهم عليه فاجتهدوا في الطاعات
وهي الصالحات وتجنب الحرام واكل الحلال وهو الطيبات فان ذلك للانبياء وللعبيد على الخصوص من سوائم
اولياء • وقوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة • قرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الالف وهو ابتداء وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ونافع بفتحها عطفا على قوله اني بما تعملون عليم وبان هذه امتكم قال الكسائي وابو عبيد
والفراء في قول وعنه انه قال اضمر في اوله واعلموا ان هذه بقوله هذا الذي تقدم ذكره من وصية الله للرسل

بالتوحيد

فقالوا

بالتوحيد والطاعة وهي وصية الرسل لاممهم هو دينكم وملتكم وهي واحدة لا اختلاف في اصلها فالزموها وتمسكوا بها وانا ربكم
وحدي فاتقون اي فخافوا عقابي في مخالفتكم امري وقد مضى هذا في سورة الانبياء • وقيل الامة الجماعة والفريق
اي هذا الذي ذكرتهم جماعتكم وفريقكم الذي ينبغي ان تعتقدوا بهم فتكونوا من جملتهم امة واحدة نصب على القطع ومعناه
هم فرقة مجتمعة على التوحيد • وقوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا عن تفرق اهل الكتاب في دينهم نقول فصار هؤلاء
الذين امروا بالاجتماع على الدين الحق فرقا في امرهم اي في امر دينهم زبرا بضم الباء اي كتبا دانوا بها وكفروا بما سواها
كاليهود في قبول التوراة وكفروا بالانجيل والقرآن وكالنصارى في قبول الانجيل وكفرهم بالقرآن • وقرأ ابن عامر
زبرا بفتح الباء جمع زبرة اي جماعات كقطع الحديد اي تقسموا جماعات مختلفة متفرقة • وقال القشيري رحمه
الله فتقطعوا امرهم بينهم فمستغنم ملتصقه وتايه في غيه ومصر على عصيانه وفسقه ومقيم على احسانه وصدقه
كل مربوط موقوف على حده وموقوف على ما قسم له في البداية من شانه كل يتحمل طريقه ويدعي لحسن طريقته
حقيقة وعند ضيع سما قلوب ارباب التوحيد لا عنادي الطريق وهم على يقين معاد فهم فلا ريب تخالجهم ولا
شبهة واهل الباطل في عمى جهلهم وعناد جحدهم وظلمة تقليدهم وصحة شكهم • وقوله تعالى فذرهم
في غمرتهم حتى حين اي فدع يا محمد هؤلاء الضلال المتقطعين امرهم بينهم في ضلالتهم وغفلتهم والغمرة ما يغمر
القلوب وتغطي عليه فيغفل صاحبه من النظر لنفسه ومنه الرجل الغمر ومنه غمرة الماء ومنه قولهم دخل في غمار
الناس اي في زحمتهم بحيث يستتر عن الابصار • وقوله تعالى حتى حين اي الى وقت نزول العذاب بهم ولا ينفك
تلك بتاخير العذاب عنهم وذلك الوقت قد يكون بالموت فيعرفون ذلك وقد يكون بنزول العذاب ولا
ينفعهم الندم كما وقع بفرعون حين ادركه الغرق • وقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون استفهام بمعنى الانكار اي ايظنون انما نعطيهم من الاموال نسارع لهم في الخيرات
اي نجعله ثوابا وكرامة معجلا لهم على حسن صنيعهم عندنا بل هو رد ما قبله اي ليس كذلك لا يشعرون لا يعلمون
ان ذلك بالشكر وان التوحيد لتنبيههم بالطاعة • وقيل نفعله استدراجا لهم وهو كقوله فلا تعجبك اموالهم الاية
واضمار في قوله نسارع لهم في الخيرات كالاضمار في قوله ويفعلون ما يؤمرون اي به • وقوله بربهم يعدلون
اي باستعجزه • وقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اي من عذابه • وقال الضحاك يخافون ان ينزع
منهم الايمان • وقوله والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا
امرهم بينهم وهم اهل الكتاب • وقوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون كشرك العرب والذين يؤتون ما اتوا
اي يعطون ما اعطوا من اموالهم في حقوق الله وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اي خايفة ان لا تقبل
ولا تنفعهم ذلك اذا رجعوا الى جزاء الله يوم القيامة وقرأ ابي والذين ياتون ما اتوا اي يفعلون ما يفعلون وقالت
عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ام الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر
قال لا هم الذين يصلون ويزكون ويحجون ويصومون ويخافون ان لا تقبل منهم • وقال كعب لو ان رجلا كان
له مثل عمل سبعين نبيا يخشى ان لا ينجو من عذاب يوم القيامة • وقال الحسن لقد مضى بين ايديكم اقوام
لو ان احدهم انفق عدد هذا الحصى لخشي ان لا ينجو من عظم ذلك اليوم وقال الحسن لقد عمرت اقواما كانت
صدرا من الناس فوالذي لا اله الا هو لهم فيما احل لهم كانوا ازهد منكم فيما حرم عليكم وهم لحسناتهم ان لا يقبل
كانوا اشد خوفا منكم لسيئاتهم ان يؤاخذوا بها • وقوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات اي هؤلاء الذين يبادرون
هم فيها لا الذين تقطعوا امرهم بينهم وهم لها سابقون اي الى الخيرات واللام بمعنى الى كما في قوله بان ربك
اوحى لها اي اوحى اليها • وقيل لها اي لاجلها اي من جهة خيراتهم هم سابقون الى الجنة • وقال القشيري اولئك
يسارعون في الخيرات اي مسارعة تعدمه من حيث الطاعات ومسارعة هم من حيث المواصلات ومسارعة
تقدم من حيث الحرمات والكل مصيب ولكل من اقباله على ما يليق بحاله نصيب • وقوله تعالى ولا نكلف نفسا
الا وسعها اي لا نحمل من الخيرات احدا شيئا الا ما في وسعه وهو دون طاقته • قال القشيري رحمه الله
مطالبات الشريعة مقصمنة بالسهولة فاما الحقيقة فقد قالوا ليس الا بذل الروح والا فلا تشتغل بالترهات
قال للمستضعفين وما جعل عليكم في الدين من حرج • وقال لاهل الحقائق وجاهدوا في الله حق جهاده
ولدينا كتاب ينطق بالحق اي كتب الملائكة فيها اعمال العباد • وقوله تعالى ينطق بالحق اي يثبت جميع ما عمله
العبد على الصدق فهذا الكتاب محفوظ عند ملائكة الله واضافه الى نفسه لانهم يحفظونها بامره ويخرج
يوم القيامة ويحاسب عليه ويجازى به • وقوله تعالى ولدينا كتاب كتبناه فيما سبق ما هم عاملون فهم
يعملون ذلك ونحن نجازيهم به وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثوابهم ولا يعذبون من غير ذنب بل قلوبهم في غمرة من
هذا بل رد للكلام مضمر كانه ليس تركهم الايمان لقصور في البيان لكن قلوبهم في غطاء وغفلة للحمية الجاهلية
والف التقليد وترك التدبر من هذا اي العذاب • وقيل اي مما سبق ذكره • وقيل من الكتاب الذي عندنا
ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون قبل اي سوى ذلك يعني هم عاملون اعمالا لا تنضم ذلك الى عملهم فيها

عائشة

علي الكل • وقيل دون ذلك اي ادنى من ذلك وهو المعصية والاول هو الكفر • وقيل دون ذلك اي يعملون ذلك فيما بينهم من الكل
وقيل معناه ولهؤلاء المشركين اعمال اخرى اقبح من هذه الاعمال التي ذكرناها عنهم هم بعملونها لم نذكرها لكم • وقيل بل هذا اخبار عن
ما يعملون بعد هذا ولهم مدة يعيشون الي ان ياخذهم اجلهم وتوفيهم • وقيل معناه من دون ذلك اي من نزول العذاب بهم • وقوله
تعالي حتي اذا اخذنا مترفيهم بيان غاية ذلك • وقيل ولهم اعمال من دون ذلك اي قلوبهم في غفلة من طلب الحق ولهم اشغال سوي
الحق هم بها مشغولون منصرفون عن الحق • وقال القشيري رحمه الله لا يصلح لهذا الشان الا من كان فارغا من جميع
الاعمال واكثر اصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم وارباب العقبي بعقباهم واهل النار فيما لديهم والداعين عن سؤال
خير الفراغ عزيز • قال تعالي ان اصحاب الجنة اليوم في شغل • وقوله تعالي حتي اذا اخذنا مترفيهم اي منعميهم ذوي الثروة
اي يستغيثون ويضجون ضجيج من نزل به ما لا يقدر على دفعه ونزل هذا بهم يوم اخذ الله رؤساء مكة بالسيف فجاء اهل مكة
لذلك • وقوله تعالي لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون اي لا تضجون بالاستغاثة الي غيرنا فلا مانع لكم من عذابنا وعجل
لا تضجوا الينا فلا نصرة لكم عندنا والمراد بذلك النهي اخبار انكم وان ضججتم فلا نصرة لكم • وقوله تعالي قد كانت اياتي تتلي
عليكم اي القران فكنتم علي اعقابكم تنكصون اي ترجعون القهقري مستكبرين به • قال الكثار المعترين به اي بالبيت • وقوله
تعالي سامرا تهجرون اي متكلمين بالسمر ليلا حول الكعبة تعزلون الحجر وهو الهذيان الذي في حجرانه يهجر ويرفض وسامرا
واحد بمعنى الجمع والثاني انه موضوع للجمع والثالث ان الفاعل قد يستعمل للمصدر ثم المصدر يصلح نعتا للجمع والرابع
ما قال ابو عمرو الشيباني في تعال المجلس القوم بالنهار النادي وبالليل السامر ثم ذكر المجلس يكون ذكر الاهله • قال
تعالي فليدع نادية اي اهل نادية • وقال الشاعر لهم مجلس صهب السبال اذله • سواسية احرارها وعبيدها • وكانوا
يجتمعون بالليل حول الكعبة ويتحدثون بالقبح في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم • وقرا نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم
وهما لغتان هجر واهجر • وقيل في القراءة الاولي اي تهجرون الحق بالاعراض عنه او تهجرون النبي صلى الله عليه وسلم
او القران • وقوله به كناية عن مكي لم تسبق ذكره وهو كقوله ما ترك علي ظهرها من دابة ثم يجوز ان يكون به اي
بالبيت صلة الاستكبار ويجوز ان يكون صلة السمر • وقيل به اي بالنكوص المذكور في قوله تنكصون • وقال الضحاك
حتي اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب يعني الجوع وذلك حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم علي مضر في القنوت اللهم
اشدد وطاتك علي مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فالقي الله عليهم الجوع حتي اكلوا الجيف والاولاد •
وقوله تعالي افلم يدبروا القول اي افلم يتدبروا القران ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين وهذا توبيخ لهم
بلفظ الاستفهام كانه قال ما عذرهم في الاعراض عن استماع القران من الرسول والنكوص علي الاعقاب اهولانهم
لا يتدبرون القران الذي يخاطبون به والتفصيل منهم ام يقولون لو كان لله رسول الي العرب لاتي ذلك اباءنا
الاولين واذا لم ياتهم لم ياتنا وهذا ليس بحجة ايضا لانه قد اتي غيرهم من الامم رسل كثيرة قد سمعوا ذلك
وشاعت به الاخبار المتواترة اليهم وهي اخبار صالح وشعيب وهود وهم رسل الله الي العرب ام لم يعرفوا
رسولهم فهم له منكرون ام يحتجون في ترك سماعه من محمد انه مجهول فيهم فلم يعرفوه بالصدق والعقل وشرف
الاصل وليس كذلك بل قد عرفوا مولده ومنشاه وصدقه وامانته وصفاته المحمودة فما الذي ينفرهم عنه وهو
اشارة الي ما وهبه الله له عليه السلام قبل ان يبعثه من اسباب القبول من حسن التربية وتمام العصمة
من اول حاله الي مبعثه لم يتعلق به امر شاين ليكون ذلك ادعى الي الركون اليه والقبول منه ام يقولون به جنة
اي جنون فليس من خصته ان يسمع كلامه وليس كذلك بل جاءهم بالحق اي ليس لهم شيء من هذا لكن جاءهم بالحق
والانقياد للحق ينفر عنه طباعهم اتباعا عليه ميلا منهم الي الرياسة في الدنيا والانهماك في لذاتها وذلك
قوله واكثرهم للحق كارهون • وقيل الحق التوحيد ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن
اي لو كان الحق تابعا لاهواء الناس لبطل نظام العالم لان الاهواء مختلفة وطبايع الناس شتي متضادة فتتهاوا
تتضاد وتتنافي واجتماع المتضادات محال ولو اتبع الحق اهواءهم لافضي ذلك الي وجود ما لا يتوهم وجوده
في العقول وهو باطل ولان اهواءهم داعية الي القبيح والحق يدعو الي المحاسن فلو اتبع اهواءهم لانقلبت
الادلة وصارت الدلالة علي القبيح دليلا علي الحسن والدلالة علي الحسن دليلا علي القبيح وفي انقلاب
الادلة انقلاب المدلول وسقوط حكم الادلة وفي ذلك فساد العالم فان بقاء العالم ببقاء احكام الحق وبقاء
الاحكام ببقاء ادلتها • وقيل لو اتبع الحق اهواءهم فيما يعتقدون من الالهة لفسدت السموات والارض كما قال
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا • وقوله تعالي بل اتيناهم بذكرهم اي بما فيه شرفهم وعزهم فهم عن ذكرهم معرضون
بسوء اختيارهم • وقيل معناه بذكر ما لهم الحاجة اليه في الدين وهذه الاية علي القولين يتصل بقوله واكثرهم
للحق كارهون اي وما ينبغي ان يكرهوه وفيه شرفهم وفيه ذكر ما يحتاجون اليه ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير
قرا ابن عامر بغير الف فيهما • وقرا حمزة والكسائي بالالف فيهما • وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ونافع خرجا
بغير الف فخراج ربك بالالف • قال ابو عبيد وابو معاذ هما لغتان • وقال الحسن هو الاجر علي العمل يقول
ام يتهمونك فيما تدعوهم اليه انك تسالهم عليه اجرا فيظنون انك تطمع في اموالهم وهو كقوله ام تسالهم اجرا

فهم من مغرم مثقلون فخراج ربك خير اي فيما يوتيك الله من الاجر علي طاعتك له في الدعا اليه خير من عرض الدنيا • وقوله وهو
خير الرازقين اي خير من اعطي عوضا علي عمل لان ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكدر وقد علمت ذلك ورضيت به فما معني اتهامهم لك
بالطمع في اموالهم وهذا كله اخبار انهم متعنتون محجوبون من كل وجه في ترك الاستماع اليك والتدبر الذي جئتهم به • وقوله
تعالي وانك لتدعوهم الي صراط مستقيم تحقيق ان يستجيبوا لك • وقوله تعالي وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط
لناكبون اي عن هذا الصراط المستقيم لعادلون مجانبون • وقال الامام القشيري رحمه الله زاغوا عن المحجة المثلي فبقلوبهم
تونوا في حجيم الفرقة وستزل اقدامهم من الصراط فيقعون في نار الحرقة فهم ناكبون في دنياهم وعقباهم • وقوله تعالي
ولو رحمناهم متصل بقوله اذا هم يجارون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الجوع في طغيانهم يعمهون اي لتمادوا في
غيهم يترددون اي لعادوا الي الطغيان الذي به اخذناهم بالعذاب وهو كقوله تعالي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم اي لقد اخذنا مترفيهم بضرب من العذاب فما تذللوا لربهم استكبارا منهم
علي الله وتجراوا ثم اخبر عن عنادهم فقال وما يتضرعون اي في الشدايد فلا يظهرون تذللا وانكسارا • وقوله تعالي حتي
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون لا يدرون ما يصنعون • وقيل ايسون من الفرج
قيل ولقد اخذناهم بالعذاب هو سبع سنين في الجوع والقحط وهو قول مجاهد وهو قوله قرية كانت امنة مطمئنة الاية
فما استكانوا لربهم ما زادوا علي قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون علي الوعد لا علي التحقيق كقول قوم فرعون
لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك حتي اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الاخرة في النار • وقوله تعالي
وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون عدد نعمه وبين قدرته تنبيها علي استغنائه عن
طاعة خلقه وان ارساله الرسل والامتحان لم يكن للحاجة فقال وهو الذي اي وربكم الله الذي خلق الاسماع والابصار
لادراك الاصوات والالوان والافيدة للتمييز بين الحق والباطل • وقوله تعالي قليلا ما تشكرون الا قليلا يقول لكم
هو الصانع ثم تشركون به غيره • وقيل اي لا تشكرون له اصلا يقول العرب هذه ارض قلما تنبت اي لا تنبت اصلا
وقوله تعالي وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم في الارض وبثكم فيها واليه تحشرون اي تبعثون وتجمعون للجزاء
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي هو المالك والفاعل بمجيء الليل والنهار واحدهما بعد الاخر
كما قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة • وقيل الاختلاف هو التفاوت بالزيادة والنقصان وهو الفاعل
ذلك بهما افلا تعقلون ان اختلافهما دليل حدوثهما وان لهما محدثا لا شريك له فالماقادر لما يريد بل قالوا مثل ما قال
الاولون قالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون اي لم تعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر
علي هذه الاشياء قدر علي بعث الموتي فلا تستبعد وا ذلك بل قالوا مثل ما قال الاولون اي سلفهم اينا متنا وصرنا
ترابا وعظاما بالية انبعث وهذا محال • وقوله تعالي لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل اي قبل مجيء محمد صلى
الله عليه وسلم ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا ما سطره الاوايل من الاحاديث • وقيل نزلت الاية في اربعة من
طلحة منهم طلحة وشيبة وابو سعيد وشافع وارطاة بن شرحبيل والنضر بن الحارث وابو الحارث بن علقمة بن كلدة
هم الذين قالوا هذا القول • وقال القشيري رحمه الله ليس اختلاف الليل والنهار كله في ضيائهما وطولهما وقصرهما
بل ليالي المحبين تختلف في الطول والقصر وفي الروح والنوح فمن الليل ما هو اصفي من النهار ومن النهار ما هو
اشد ظلاما من الليل يقول قايلهم • وكم لظلام الليل عندك من يد • وقال اخر • ليالي وصالٍ قد مضين كانها
لالي عقود في نحور الكواعب • وايام هجر اعقبتها كانها • بياض مشيب في سواد الذوايب • وقوله تعالي قل لمن
الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فاجيبوا سيقولون لله واقرارهم انها لله اقرار بانه انشاها فاعلموا ما الهها قل افلا
تذكرون كانه نبي كانوا عالمين به لوضوحه فنسوه فذكروه بالتنبيه عليه فقال افلا تذكرون فيعلموا بذلك ان من قدر عليها
قدر علي احيا الموتي • وقيل افلا تتعظون بذلك فتتركوا الاشراك بالله اذ هو القادر علي هذا والاصنام عاجزة
عليه • وقيل افلا تتعظون بذلك فتتركوا جحود البعث اذ خالق هذه الاشياء لم يخلقها عبثا بل ليستادبكم بشكره عليها
ليميز بين المطيع وبين العاصي وفي ذلك اثبات البعث والثواب والعقاب • وقوله تعالي قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم • قيل العرش الملك ها هنا وكانت العرب تقر بالملايكة وسكان السماوات فقرروا علي ذلك
واما العرش الذي هو سرير فتثبته عند اهل الكتب • وقيل كان ذلك مقررا عند اهل العرب ايضا باخبار اهل الكتاب
سيقولون لله • وقرا ابو عمرو في هذا وفي الذي بعده سيقولون الله وهذا ظاهر موافق للابتدا • وقرا الباقون
سيقولون لله • قال الفرا وقطرب هو محمول علي المعني لان قولك من رب هذه الاشيا ولمن هذه الاشيا جواب صحيح وانشد قال
اخبرني لمن المال فقال انا لفلان كما معناه من ان يقول مولاي فلان وانشدوا في ذلك اذا قيل من رب العتاب بموقف
ورب الجياد الجرد • قيل لخالد وانشدوا في مكسة شعرا فقالوا السائلون لمن حرثتم فقال المحرثون لهم وزين اي فله
هو الذي يحرثه • وقوله تعالي افلا تتقون اي عذاب الله في اتخاذكم غير الله الها معه وانتم مقرون انه خالق هذه
الاشيا • وقوله تعالي قل من بيده ملكوت كل شيء اي يملك هذه الاشياء كلها • وقال مجاهد ملكوت كل شيء خزاين كل
شيء وهو يجير اي يمنع من يشا من عباده ممن قصد الاضرار به ولا يجار عليه ولا يمتنع ولا يمكن منع من اراده الله تعالى بسوء

بلواهم

من وجوه احدها انه جمعٌ بمعنى الجمع

يوم بدر وقيل الاول عذاب الدنيا بالشدايد وقوله ذا عذاب شديد هو م

الاكاذيب م

يخبران الماء لويس يكذب م

وما الهها والاصنام لا تملك شيا منها ولا تخلقه وقيل افلا تتقون في جحودكم قدرته علي احيا الموتي مع اعترافكم بقدرته علي خلق هذه الاشياء م

ان كنتم تعلمون فاجيبوا • وقيل هو يؤمن من اخافه غيره ومن اخافه هو لم يؤمنه غيره سيقولون لله وتوجيهه ما مر اي لله ذلك
ذلك وسلك ذلك فاجيبوا • وقوله تعالى فانى تسحرون اي فمن اي وجه يخيل لكم الباطل حقا حتى تشركوا به غيره • وقيل
فكيف تخدعون عن الحق بل اتيناهم بالحق اي ليس كذبهم على الله بنسبة الولد اليه لغفلة بالبيان فقد اتيناهم بالكتاب
المبين ذلك واعطيناهم العقل الذي به يتوصل الى بطلان ذلك وانهم لكاذبون في قولهم اتخذ الله ولدا • وقوله تعالى ما اتخذ
الله من ولد اي لم يتخذ الله الملائكة بنات له • وقوله تعالى وما كان معه من اله اي ليس معه شريك في الالوهية اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اي ولو كان معه الهة لتميز كل اله بما خلقه وحده ولم يتركه مختلطا بخلق
غيره وظهرت المنازعة واذ لا منازع في شيء من المخلوقات للتمييز بطل قول المشركين ولعلا بعضهم على بعض فان الالهين
لو توهما فاما ان يكونا اذا اراد احدهما شيئا واراد الاخر خلافه يحصل مرادهما جميعا الا ان الضدين لا يتفقون واجتماعهما
فلو لم يحصل مرادهما جميعا فهما عاجزان فلا يكونان الهين واذا حصل مراد احدهما دون الاخر فالذي يحصل مراده هو
القادر والاخر عاجز فبطل ان يكون الها وهو معنى قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا على ما قدرناه • وقوله تعالى
سبحان الله عما يصفون اي تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء • وقيل هو بمعنى الامر فنزهوه • وقوله تعالى عالم الغيب
والشهادة • قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص بالخفض وصفا لقوله سبحان الله • وقرا الباقون
بالرفع على الابتدا اي هو عالم الغيب والشهادة فلن يخفى عليه شيء فعزه هو الحق دون قول هولا فتعالى الله عما يشركون
تقدس عن الشركا الذين يقولون • وقوله تعالى قل رب اما تريني ان شرط وما صلة والنون المشددة تاكيد وكانه
قسم • وقوله تعالى ما يوعدون اي من العذاب ويجوز من اوعد ويجوز من وعد كما قال وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون • وقال او نرينك الذي وعدناهم • وقوله تعالى رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي معهم وفي جملتهم
في العذاب اخبر انه يعذبهم وامره ان يدعو بهذا وهو كما روي عنه انه كان يقول واذا اردت بقوم فتنة وانا
فيهم فاقبضني اليك غير مفتون والفا في فلا تجعلني جواب قوله اما تريني ولولاه لم تدخل الفا في الابتدا وانا على
ان نريك ما نعدهم لقادرون اي على ان نعذبهم قبل ان نقبضك فنراه • وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
اي بالمعاشرة التي هي اجمل السيئة اي معاملتهم القبيحة اي فاحسن معاملتهم الى ان تومر بقتالهم لتسلم
بذلك الناس اذا هم نحن اعلم بما يصفون من الشرك فنجازيهم عليه وتامرك بقتالهم لوقته • قال القشيري رحمه الله
ادفع ما هو حظك بما هو حقه وقد فعل ذلك حين شج جبينه وادمى وجهه وكسرت رباعيته والسخنة على راسه
فقال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون • وقيل الاحسن ما اشار اليه العقل والسيئة ما دعت اليه النفس وقوله
تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين • وقيل نزغاته اي وساوسه واصله الطعن وهو طعن في القلب
وقد يكون في النفس فيمتح به الصرع ونحوه • وقيل هو ما يوقعه الشيطان في القلب من ترك دفع السيئة بالاحسن
واستعجال العذاب واعوذ بك رب ان يحضرون اي ياتوني • وقيل هو حال حضرة الموت واخوف ما يكون
حضور الشيطان في تلك الساعة وهو لتعليم الامة • وقوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت يقول اذا ذكر
بالاخرة والبعث قالوا اءذا كنا ترابا الى اخر هذا قولهم الى ان يجي الموت فيستيقن بصدقه وجها للذي في مقالته
وقوله تعالى قال رب ارجعون يستغيث بالله فيقول رب ثم تقول الملايكة الذين حضروه لقبضها ارجع
وقوله تعالى ارجعون اي ردوني الى الدنيا لعلي اعمل صالحا ولعل اضافة للتاييد وها هنا لليقين وهو لا لا
لفظ الطمع في معنى اليقين في اياته فيما تركت له وجوه احدها في تركتي اودي حقوق الله فيها واتقرب بها
كما قال لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق • والثاني فيما تركت في الموضع الذي تركت اي الدنيا تركت فيها التوحيد
والطاعة فالان اعمل صالحا في الدنيا التوحيد والطاعة • والثالث فيما تركت اي فيما تركت العمل به من الصالحات
كلا ردعا لما سال او لا رجوع • وقيل اي ردعا لما بعده اي لو ردوا اليها لا يفي بها كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
انها كلمة هو قائلها قيل انها رب ارجعون كلمة يقولها الكافر • وقيل انها قوله كلا للرد كلمة هو اي الله قائلها وهو
حق صدق لا خلف له وهو قوله ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون اي امامهم
حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع قال ابن زيد هو الحاجز بين الموت والبعث • وقال مجاهد حاجز بين الميت والرجوع
الى الدنيا • وقال الضحاك هو الحاجز بين الدنيا والاخرة ومن ورايهم جمع بعده كراحدهم لا ان احدا اضيف
الى الجمع فانصرف الى هذا اليا اوليك الجمع الى يوم يبعثون من قبورهم للحساب والجزا • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هذا في الكافر اذا حضره الموت وراى ما حل به من نقمة الله سال الرجعة الى الدنيا لانه علم ان الله تعالى
لا يقبل توبة بعد الموت لعلي اعمل صالحا اقول لا اله الا الله مخلصا كلا هيهات ان هذا كلام تقوله عند موته
لندامته • وقوله تعالى فاذا نفخ في الصور للبعث فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في ذلك الموضع
لتفرح بعضهم بعضا بالنسب ولا يتفاخرون ايضا بالانساب كما فعلوا في الدنيا ولا يتساءلون بعضهم بعضا
عن حاله كما يتساءلون في الدنيا على سبيل التعاطف • وقيل هذا حال الكل على العموم بدليل انه فصل بعده حال
الفريقين • قوله تعالى فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ولا يشكل هذا بقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون

ان ذلك قولهم من بعثنا من مرقدنا ثم يتساءلون في الموقف ولا يتساءلون • وقيل اذا نفخ في الصور اي النفخة الاولى فينقطع
التواصل والقرابات والتساول عن الحالات • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا نفخ النفخة الاولى هلك كل شيء الا ما شا
الله وتقطعت الانساب وذهبت المسايلة ثم نفخ النفخة الثانية فقاموا جميعا لرب العالمين • فاقبل بعضهم على
بعض يتساءلون • وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دارة منه كعرض السما والارض ويقول اسرافيل في النفخة الثانية
ايتها الاجساد البالية والجلود المتمزقة والعظام النخرة والعروق المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا فان الديان
قد قام للقيامة فيحيون جميعا في اقل من لحظة • وفي الخبر ان بين النفختين اربعين سنة تمطر السما وتنبت الارض
وهي فصول السنة وليس في السما والارض حيوان • وقيل لا يتساءلون في القيامة عن الانساب انما يتساءلون عن
الاعمال • قال الله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون • وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون فيهما الاتيين في الاعراف وغيرها • وقوله
تعالى تلفح وجوههم النار اي تحرقها وهم فيها كالحون الكلوح تقلص الشفتين عن العبوس حتى تبدو الاسنان وتغير
بذلك مناظرهم وتقبح صورهم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تتقلص شفة الكافر العليا حتى تبلغ وسط
راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته • وقوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم اي تقال لهم في النار الم
تكن اياتي تتلى عليكم اي الم يكن كتابي المنزل على رسولي يقرا عليكم فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من الله •
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا • قرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالالف وفتح الشين • وقرا الباقون شقوتنا
بكسر الشين وحذف الالف ومعناه قال اهل النار غلب علينا ما سبق لنا في سابق علمك وكتب في ام الكتاب من
الشقاوة • وقوله تعالى وكنا قوما ضالين في الدنيا عن طريق الهدى وهو كقوله حقت عليه كلمة ربك • وقيل
اي غلبت علينا الاعمال الردية والامور القبيحة التي شقينا بها وكنا في فعلنا ضالين عن الحق والصواب
وليس هذا باعتذار بل هو اعتراف منهم بسو الصنيع • وقوله تعالى ربنا اخرجنا منها اي من جهنم فان عدنا اي
في الكفر والمعصية فانا ظالمون بالعود اي فلا نعود • وقوله تعالى قال اخسئوا فيها اي ابعدوا في النار ولا تكلمون
وهو ابلغ ما يكون من الاذلال قال الحسن وهو اخر كلام اهل النار فلا يقدرون على الكلام بعده فلا يبقى لهم
الا زفير وشهيق • وقال ابو الدردا يرسل على اهل النار الجوع حتى ينسيهم ذلك العذاب فيستغيثون فيغاثون
بالضريع فيتشبث في حلوقهم فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالشراب فيستغيثون بالشراب
فيسقون الحميم فاذا ادنوه من وجوههم شوى وجوههم واذا دخل بطونهم قطع امعاهم فيدعون خزنة النار
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم • وقوله تعالى اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك
قال فيجابون بعد الف سنة • وقوله تعالى انكم ماكثون فيقولون ادعوا ربكم فليس احد خير لكم من ربكم فيقولون
ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله ظالمون • وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فلا يجابون قدر الدنيا
مرتين ثم يقول الله لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فاييس القوم بعدها فلا احد يتكلم بكلمة الا الزفير والشهيق في نار
جهنم اصوات كاصوات الحمير اولها زفير واخرها شهيق • وفي حديث محمد بن كعب القرظي فيقبل بعضهم على بعض
ينبح نباح الكلب واطبقت عليهم • وقوله تعالى انه كان فريق من عبادي وهم المومنون • وقوله تعالى ربنا
امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا • قرا حمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها
وهما لغتان • وقيل هما بمعنى الهزو • وقيل بالضم من التسخير وبالكسر من الهزو اي تشددتم يا معاشر الكفار هولا المومنين
بالاستهزا والقهر حتى انسوكم ذكري اي نسيتم ولو عكم بذلك ذكر الله واضاف اليهم بطريق التسبب وهو كقوله
في الاصنام انهن اضللن كثيرا من الناس • وقوله تعالى وكنتم منهم تضحكون مستخفين بهم اني جزيتهم اليوم
بما صبروا انهم هم الفايزون • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية انهم بالكسر على الاستيناف وجزيتهم تمام
ما جوزوا به الجنة او الكرامة • وقرا الباقون انهم على وقوع الجزا عليه اي جزيتهم الفوز من العذاب
ونيل الثواب قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي ان بعثتم يخاطبهم توبيخا لهم على انكار البعث واستبعاده
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم تقليلا لمدة الدنيا كما قال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وقيل نسيانا له لعظم ما هم فيه • وقوله تعالى فاسال العادين اي العادين عدد ذلك فانا قد نسيناه وعلى
تاويل القليل لا يتيقن بمبلغ عدد السنين فاسال من يعرف ذلك • وقيل المراد الحفظة لانهم كانوا يحفظون
ذلك • وقال مجاهد وعكرمة وغيرهم فاسال الملايكة الذين جعلهم الله حفظة يكتبون ايام الدنيا ويحصونها
وقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي افظننتم في انكاركم البعث انا خلقناكم لعبا بغير ان نكلفكم في الدنيا
وان نبعثكم في العقبى • وقوله تعالى وانكم الينا لا ترجعون • قرا حمزة والكسائي بفتح التا والباقون بضمها
الاول لازم والثاني هو ما لم يسم فاعله من التعدي فتعالى الله الملك الحق اي جل عن الاتلاد والشركا والاولاد
اي الملك الحق الذي يحق له الملك دون غيره • وقوله تعالى لا اله الا هو رب العرش الكريم الجليل في نفسه

الخطيئ في ذاته بجعل الله لذلك الوصف • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الكريم الشريف • وقوله تعالى ومن يدع مع الله
الها اخر لا برهان له به اي لا حجة عليه لان البرهان عقلي او نقلي وليس في واحد منهما ما يجوز ان يكون معه اله اخر
وان كان ما ذكرنا في موضع الصفة فليس لتمييز من يدعي ذلك بلا برهان بل هو صفة تحقيق لا صفة تمييز في
قوله النبيون الذين اسلموا • وقوله تعالى فانما حسابه عند ربه وهو جزاء هذا الشرط اي قد علم الله ذلك منه وا عدله
جزاءه ثم هو لا يفلح ابدا • وقوله تعالى انه لا يفلح الكافرون • وقيل معنى قوله فانما حسابه عند ربه اي هو الذي
يحاسبه يوم القيمة ويجازيه انه لا يفلح الكافرون ذكر عدم فلاح الكافرين في اخر السورة • وقيل هذا في حالة الاكراه
وقوله تعالى ومن يدع اي يتكلم به لا برهان له به اي لا حجة له في هذا التكلم وهو ان يكون مختارا فاذا كان مكرها فلا حجة
لان الله تعالى استثنى حالة الاكراه بقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فالمذكور في الاية هو الدعوة وذلك
قوله باللسان وذلك مع الاكراه لا يكون كفرا ولو كان مكان كلمة الدعوى ما يدل على الاعتقاد لم يمكننا الحمل على
هذا التاويل • وقوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين نفى الفلاح للكافر مطلقا ووعد المؤمن المطيع
مطلقا ولما كان المؤمن العاصي على خوف التعذيب مده امر نبيه عليه السلام بهذا الدعا تعليما لامته عليه
السلام ان يقولوا ليغفر الله تعالى لهم ذنوبهم فيصلوا الى الفلاح وهو امر له ان يقول رب اغفر اي للمؤمنين •
والمؤمنات وارحم اي وارحمهم فيكون الدعا منهم ويكون لهم • وروي ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض طرقات المدينة اذا برجل قد صرع فدنوت فقرات في اذنه فاستوى جالسا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قرات في اذنه يا ابن ام عبد قلت فداك ابي وامي قرات افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون • فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق لو قراها موقن على جبل لذاب

والحمد لله رب العالمين • ربنا ادخلنا الجنة امين •

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي حرم السفاح • الرحمن الذي احل النكاح • الرحيم الذي وعد على السمع والطاعة الفلاح
روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النور كان له عشر حسنات
بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي • وعن ابي عطية قال كتب الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا
سورة النور وهذه السورة مدنية • وهي اثنتان وستون اية • وقيل اربع والاختلاف في اثنين بالغدو
والاصال يذهب بالابصار • وكلماتها الف وثلثماية وستة عشر • وحروفها خمسة الاف وستماية وستة
وثلاثون • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه امر في اخر تلك السورة بسوال الرحمة ونيل
الرحمة باداء الطاعة دون فعل المعصية فقد قال في اول هذه السورة في حق من عصى الله ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله وانتظام السورتين انه بدا تلك السورة بخلق الانسان بما انعم عليه ثم بالامر بالتوحيد وعاقبة
اهله وذكر الشرك وعاقبة اهله وختم الامر بالدعا وبين في هذه السورة المعاملات والجزاء على الموافقات
والمخالفات وهو ترتيب معقول تشهد بحسنه الاصول • وقوله تعالى سورة اي هذه سورة اي قطعة
ودرجة من الكتاب الذي وعدت ان انزله عليك • وقوله تعالى انزلناها اي انزلناها اليك من السما • وقوله تعالى
وفرضناها • قرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد • والباقون بالتخفيف فرضنا العمل بها فاضاف الفرض اليها
اختصارا لوضوح المراد • قال الضحاك اوجبناها ومعنى التشديد انزلنا فيها فرايض مختلفة وفرضناها عليكم
وعلى من بعدكم الى يوم القيامة والتفعيل في الفعل الثلاثي المتعدي يكون للتكثير والتذكير • وحكي عن ابي
عمرو انه قال لست بفريضة واحدة ولكنها فرايض • وقال غير واحد من المفسرين بيناها • وقال مجاهد
بينا حلالها وحرامها • وقوله تعالى وانزلنا فيها ايات بينات اي واضحات لعلكم تذكرون اي لتتعظوا بها
واكثر هذه السورة ترجع احكامها الى الستر والتعفف وما علمنا فهو من مقتضاها ومن جملة مواضع
احكام هذه السورة من جملة امور الدين ما ذكر عن ابي وايل رضي الله عنه قال خطبنا عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة النور واخذ يفسرها فقال رجل ما رايت كاليوم كلاما خرج من ذا من رجل
والله لو سمعت هذا الترك لاسلمت وفي بعضها لو سمعت هذا الديلم لاسلموا • وقوله تعالى الزانية والزاني
اي المراة التي مكنت من الزنا وهو الوطي الحرام الخالي من النكاح وشبهته وملك اليمين وشبهته والزاني اي
الرجل الذي زنى فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة اي اضربوا كل واحد منهما ماية ضربة بالسوط ونحوه ماخوذة من الجلد
فان الضرب يلاحقه وفيه اشارة الى انه لا يبالغ حتى يصل الى اللحم بالجرح والخطاب لجميع الامة لاذا قامة الحد من
الدين وهو على الكل ثم يقيمون اماما ينوب عنهم لانه لا يمكنهم الاجتماع عليه وعموم الاية يتناول المحصن وغير
المحصن ثم خص منه المحصن بحديث الرجم وهو رجم ما عز وبينا ولد الاحرار والمماليك ثم المملوك يحد خمسين
جلدة بقوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب • وقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله

اي طائفة • وقيل في حكمه وانما الرافة الطبيعية الاسلامية التي لا تدعو الى تعطيل الحد فلا اثم به • وقيل هذا امر
بالجماعهما ولا تخفف رقة عليه فلا يحصل المقصود ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب الايتمار بامر
الله • وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • قال ابن عباس رضي الله عنهما اقله واحد • وقال مجاهد اثنان
وقيل ثلاثة • وقيل اربعة وهو عدد شهود الزنا • وقيل عشرة • وقال قتادة امر الله تعالى ان يشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين ليكون ذلك عبرة وموعظة ونكالا • وقال الحسن امر الله تعالى بذلك لتعظيم الحدود • وقال
نصر بن علقمة اما ان ذلكم لم يرد الفضيحة ولكن ليدعا لهما بالتوبة والرحمة • وقال الحسن رحمه الله وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين اي ليكون ذلك عليه اشد وليكون ذلك اشد تخويفا للمتعاطي ذلك الفعل ثم من حق الذين يشهدون
ذلك الموضع ان يذكروا نعمة الله عليهم اذ لم يفعلوا مثل فعله كيف عصمهم من ذلك وان كان قد جرى عليهم شي من ذلك
ذكروا نعمة الله عليهم اذ لم يهتك سترهم ولم يفضحهم ولم يقمهم في الموضع الذي اقامه فيه وسبيل من شهد ذلك لا يعيب
صاحبه ولا ينفي حكم الله في ابدانه على حرمته • وقال الجبرة يعني جلد غير المحصن ورجم المحصن ان الحبس يحرم الناس
على الحمر والكلاب ليس عمل العقلاء المميزين فيضرب بالخشب ضرب الحمر ويرمي بالحجارة رمي الكلاب • وقوله تعالى الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك • روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان
المهاجرين اتوا المدينة فضاقت عليهم معيشتهم في ذات ايديهم لغلاء الاسعار بها وكان في المدينة نسا فواجر زوان
محسنات متمعات في ذات ايديهن فقال المهاجرون لو تزوجنا هن فاحسنا هن فاذا استغنينا عنهن طلقناهن
فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية • وفي الاية اقاويل كثيرة وللناس فيما تحمل
بها مذاهب مختلفة • وعن سعيد بن المسيب ان الاية كانت على ظاهرها في تحريم نكاح الزانية على الزاني وغيره
وان الامر كان على ذلك الى ان نسخ ذلك وابيح لها ان ينكح من شاء من الزاني وغيره والنسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم
واصح الاقاويل فيها انها ترغيب في نكاح البغايا وتاويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لا يرغبوا الا في
المسلمات العفايف فالزاني انما يميل الى من هي على مذهبه في الزنا والهتك والى من لا يعتقد الايمان فهو لا ينكح
الا العفيف والزانية ايضا انما تميل الى احد رجلين اما الى زان مثلها واما الى مشرك شرههما اي فالزنا مذيل الترك
فانه قبيح واهل الايمان بمعزل عنه فان الايمان قرين العفاف والحصن قايم مقام الراغبين في البغايا ان كنتم مؤمنين
حقيقون بالزهد فيمن مذهبها بمعزل عما يوجبه مذاهبكم في الايمان وهو نظير قوله في تاويل بعضهم الخبيثات
للخبيثين الاية • وقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين اي حرم الزنا • وقيل الشرك • وقيل نكاح البغايا فقصد التكسب
بما يجدونه في الزنا • وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات اي يقذفون بالزنا العفايف ثم لم ياتوا باربعة شهدا
على زنا المقذوفة فاجلدوهم ثمانين جلدة فاقيموا حد القذف عليهم هذا وهو خطاب للامة ويتولى الامام عنهم كما
قلنا في الزنا • وقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وهو الحكم في الحد ايضا وهو مشروع على التابيد عندنا لا تقبل
بحال وان تاب • وقوله تعالى واولئك هم الفاسقون خارجون عن الطاعة بقذف المحصنة • وقوله تعالى الا الذين
تابوا من بعد ذلك اي بعد الرمي وهو القذف واصلحوا اي اصلحوا احوالهم بعد التوبة واظهروا الاعمال الحسنة فان
الله غفور رحيم يغفر ذنوبهم ويرحمهم فلا يعذبهم والاستثنا لزوال اسم الفاسقين عنهم لا لبطلان حكم رد الشهادة
فانه مؤبد من جملة الحدود وذلك لا يبطل بالتوبة واما الفسق فيزول بالتوبة ثم النص في قذف المحصنة وحكم قذف
المحصن كذلك والاحصان في المقذوف يثبت بخمسة اشيا العقل والبلوغ والاسلام والحرية والعفة فاذا فات
شي منها لم يكن محصنا ولا حد على قاذفه واحصان الزاني الذي يرجم بالعقل والبلوغ والاسلام والحرية والنكاح
الصحيح والدخول بالمنكوحة في النكاح الصحيح ويعرف ذلك في الفقهيات • وقوله تعالى والذين يرمون ازواجهم
اي يقذفون زوجاتهم بالزنا ذكر هذا بعد ذكر حكم قذف الاجنبيات • وقوله تعالى ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم اي
لم يكن شهود اربعة يشهدون على دعواهم فاستثنى انفسهم لتحليفهم اللعان واللعان شهادات موكدة بالايمان فكانوا
شهودا باللعان • وقوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص
اربع بالرفع لانه خبر المبتدا • وقرا الباقون بالنصب لوقوع فعل الشهادة عليها اي فيشهد احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين يحلف اربع مرات انه صادق فيما رماها به من الزنا بعد التكلم بلفظة الشهادة اشهد اني
صادق فيما رميتها به من الزنا • وقوله تعالى والخامسة ان لعنة الله عليه • قرا نافع ان مخففة لعنة الله بالرفع
وقرا الباقون بتشديدان ونصب اللعنة • وقوله تعالى ان كان من الكاذبين اي يقول في المرة الخامسة لعنة الله
علي ان كنت كاذبا فيما رميتها به من الزنا • وقوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب اي يدفع عن المراة الحبس والجبر على
اللعان فانها اذا امتنعت حبست واجبرت عليه حقا للزوج ان تشهد اربع شهادات اي هذا يدفع عنها الحبس والحد
وقوله تعالى بالله انه لمن الكاذبين اي تقول عند القاضي اشهد بالله ان زوجي هذا كاذب فيما رماني به من الزنا
وقوله تعالى والخامسة ان غضب الله عليها • قرا عاصم في رواية حفص والخامسة بالنصب عطفا على قوله ان تشهد
اربع شهادات وتشهد الخامسة • والباقون بالرفع وكذا لفظة الخامسة ان غضب الله عليها اذ بالتخفيف قراءة نافع

وبالتشديد بقراءة الباقين ان كان من الصادقين اي يقول في المرة الخامسة غضب الله علي ان كان صادقا فيما رماني به من
الزنا ○ وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم حذف جواب لولا وهو ابلغ لان النفس تذهب في تقدير
جوابه كل مذهب ○ وقال الكلبي جوابه لاظهر المذنب وفضحه ○ وقال الحسن لعاجلكم بالعذاب فاهلككم ○ وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما
نزل قوله تعالى والذين يرمون المحصنات قراها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي
الانصاري فقال جعلني الله فداك ان راى رجل منا مع امراته رجلا فاخبر بما راى جلد ثمانين جلدة وسمي فاسقا ولا تقبل
شهادته ابدا فكيف لنا بالشهداء ولو التمسنا الشهداء لكان الرجل قد فرغ من حاجته وكان لعاصم ابن عم يقال له عويمر وله امراة
يقال لها خولة بنت قيس بن محصن فاتى عويمر عاصما فقال لقد رايت شريك ابن السحما على بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم
واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سالت في الجمعة
الماضية في اهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك فقص عليه القصة وكان عويمر وخولة وشريك
كلهم بنو عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة
عمك فلا تقذفها فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى
من غيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمراة اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا
رجل غيور وانه راني وشريكا نطيل السهر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لشريك ما تقول فقال ليس كما تقوله المراة فانزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني
لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ○ ثم قال في الثالثة
اشهد انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ○ ثم قال في الرابعة اشهد اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين
ثم قال لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود ثم قال لخولة قومي فقامت
فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ○ ثم قالت في الثانية اشهد انه ما راى شريكا على
بطني وانه لمن الكاذبين ○ ثم قالت في الثالثة اشهد اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ○ ثم قالت في الرابعة
اشهد انه ما راني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ○ ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان عويمر
من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا الايمان لكان لي في امرها راي ثم قال
تحينوا بها الولادة فان جاءت باصهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو
لغير الذي رميت به ○ وقال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت باشبه خلق الله بشريك ثم كان اللعان شهادات مؤكدات
بالايمان وانما يجري بين الزوجين اذا كانا من اهل الشهادة مسلمين حرين عاقلين بالغين غير محدودين في قذف لقوله
تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله استثنى انفسهم من جملة الشهداء فسمى ذلك
شهادة ولانه يشترط لفظة الشهادة ولفظة بالله فدل على ان الشهادة مؤكدة باليمين ○ وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا لعان بين اهل الكفر وبين اهل الاسلام ولا بين العبد وامراته ولا بين الحر وامراته اذا كانت امة ○ وقال
الشافعي هي ايمان فيجري بينهما اذا كانا من اهل اليمين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذا الخبر لولا الايمان ولان
الفاسق والاعمى من اهل اللعان بالاجماع ولا شهادة ○ وقلنا بل فيه معنى اليمين ومعنى الشهادة ايضا والفاسق
والاعمى لهما شهادة ولهذا ينعقد بهما النكاح عندنا لكن في ساير المواضع لا تقبل للتهمة والتهمة هاهنا غير مانعة
لان القذف للملاعن وهو متهم ثم ايهما نكل حبس حتى يلتعن لانه حق مقصود ○ وعند الشافعي رحمه الله ايهما نكل حد لان
قذف الرجل موجب للحد عليه ومسقطه عنه اللعان ولعان الزوج موجب للحد عليها ولعانها يسقطه عنها ○
قال تعالى ويدرا عنها العذاب اي الحد كما قال وليشهد عذابهما طايفة ○ وقلنا لا معنى
لاقامة الحد عليها بقول الزوج ولا بنكولها لان الحد لا يقام بالنكول واما العذاب فيحتمل الحبس والحجر ولا تقع
الفرقة عندنا من غير تفريق القاضي حتى لو مات احدهما ورثه الاخر ولو اكذب نفسه فهي امراته ولا يفرق بينهما وعند
مالك وزفر رحمهما الله عليهما اذا فرغا وقعت الفرقة ○ وعند الشافعي رحمه الله تقع الفرقة بلعان الزوج ثم لعان
المراة لدرا الحد عنها ثم هما لا يجتمعان ما داما متلاعنين فاذا اكذب الزوج نفسه او بطلت اهلية الشهادة
احدهما فان النكاح بينهما الا عند ابي يوسف رحمه الله والدليل تعرف في الفقهيات ○ وقوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك
عصبة منكم الاية ويتصل بما تقدم من ايجاب حد القذف ونزول هذه الايات في حق عائشة الصديقة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وقصته ما روى الزهري قال اخبرني عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص
وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها حين قال فيها اهل الافك ما قالوا فبراها الله تعالى
وكلهم حدثني من حديثها طائفة ○ وقال بعضهم كان اوعى لحديثها من بعض زعموا ان عائشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يخرج الى سفر اقرع بين نسائه ايتهن خرج سهمها اخرجها معه فاقرع
بيننا في غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما انزل اية الحجاب قالت فانا احمل

فداء

في الخامسة

لهما

اي لحد كما قالوا

في هودج

في هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل
فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع
فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري
الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رفعوه
فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت
منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني ويرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت
وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني
حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله
ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا
الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى امر الافك عبد الله بن ابي بن سلول لعنه الله
فاشتكيت حين قدمت المدينة شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو
يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي
انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى
خرجت بعدما نقهت وخرجت معي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك
قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها
عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي زينب ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف وام صخر بنت عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وام ابي بكر ام الخير بنت صخر بن عامر
ابن عمرو وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فاقبلت انا وام مسطح قبل بيتي حين فرغنا
من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت
اي هنتاه اولم تسمعي ما قال قالت قلت وماذا قال قالت فاخبرتني بقول اهل الافك قالت فازددت
مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان
اتي ابوي قالت وانا اريد حينئذ ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجئت ابوي فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله ما كانت امراة
قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت
فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ○ قالت ثم اصبحت ابكي فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله
قالت اما اسامة فقال يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا قالت واما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله
عليك والنساء سواها كثير واسال الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال
لها اي بريرة هل رايت من عائشة شيئا يريبك قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا
اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن فتاكله قالت فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا ○ ولقد
ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي ○ قالت فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله
انا اعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا
ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو
ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك رجل منافق تجادل عن المنافقين ○
قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقا لي دمع ولا اكتحل
قالت فاصبح ابواي عندي وقد بكيت يومين وليلتين لا اكتحل بنوم ولا يرقا لي دمع يظنان ان البكا فالق
كبدي قالت فبينما هما عندي وانا ابكي استاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي قالت
فبينا نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس في البيت ولم يجلس عندي منذ قيل لي
ما قيل وقد لبث لا يوحى اليه في شاني شيء فتشهد حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني عنك كذا
وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه ○ قالت فلما قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما قال فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا

فقمت حين اذنوا بالرحيل

فقدمنا المدينة

فاشار علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود

بنوم

لامي اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت

الزينة فهذا مضمر ومعناه لان اظهار غير الزينة وهي الحلي وغيرها غير منهي عنه بل اريد بها مواضعها لا اظهار مواضعها الا ما
عليها الا ما ظهر منها وثق سترة واختلف في تفسير هذا المستثنى الذي لا يحرم كشفه على المحارم والاجانب جميعا فقيل
الزينة الثياب كما في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد اي لباسكم فقد كانوا يتعرون وقوله تعالى الا ما ظهر منها من الملاءة
والبرقع والخفاف فعلى قول القائلين بهذا لا يحل النظر الي شي منها ومن ثيابها الا الى ملاءتها وبرقعها وخفها الظاهرة
عليها ولا يحل لها اظهار شي منها الا هذا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقيل الزينة الحلي مواضعها الاعضاء
المخصوصة بها ومواضع الزينة المطلقة منها هذه الاشيا الراس لانه موضع الاكليل والشعر لانه موضع العقاص
والدبيهات والاذن لانها موضع القرط والعنق لانه موضع القلادة والصدر لانه موضع الوشاح والعضدين
لانهما موضعا الدملوجين والذراعين لانهما موضعا السوار والساقين لانهما موضعا الخلخال ويحل النظر اليها
للمحارم لما ذكر في هذه الاية بعد هذا القسم واما اذا لم يكن شهوة بهذا الاستثنا وهو قوله الا ما ظهر منها فالوجه
والكفان عند عامة العلما وقال جماعة من الصحابة رضي الله عنهم الا ما ظهر منها الكحل والخاتم والخضاب
فالكحل زينة الوجه والخاتم زينة الاصبع والخضاب زينة الكفين وقال بعض الناس الكحل للعين خاصة
والخاتم للاصبع خاصة ولا يباح غيرها وقالت عايشة رضي الله عنها هي مضطرة الى كشف عين واحدة
للمشي ولا ضرورة في غير ذلك ولا يباح لها الابدا ولا لغيرها النظر الا في عين واحدة وقلنا انها تنسطل الى الخروج
للبيع والشرا وتحتاج الي الاخذ والعطا وتحتاج الى كشف العينين في المشي وفي كشفهما كشف بعض الوجه
وفي المناولات كشف الكفين وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن اي وليلقين اغطية روسهن على
مواضع جيوب دروعهن اي قمصهن وكن في الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فكانت تنكشف صدورهن واذانهن
فامرن ان يلقين اطراف خمرهن على جيوبهن وهي في مواضع صدورهن لتغطى بذلك اعناقهن وشعورهن واذانهن
وقوله تعالى ولا يبدين اي مواضع الزينة الباطنة الا لبعولتهن اي ازواجهن او ابايهن ويدخل فيهم
الاجداد وابا بعولتهن فقد صاروا محارم او ابنايهن ويدخل فيهم النوافل وقوله تعالى او ابنا بعولتهن
فقد صاروا محارم ايضا وقوله تعالى او اخوانهن او بني اخوانهن ويدخل فيهم نوافل الاخوة والاخوات
ايضا واذا ثبت في هولا المحارم ثبت في ساير المحارم من الاعمام والاخوال وفي المحارم بالرضاع لان ذكر بعضهم
تنبيه على سايرهم وقوله تعالى او نسايهن اي الحراير المسلمات وقوله تعالى او ما ملكت ايمانهن اي اماوهن
ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع ومن الناس من اجاز ذلك لهذه الاية وقال او ما ملكت ايمانهن
يتنا ول الغلام والجارية جميعا وقلنا قال سعيد بن جبير لا يغرنكم هذه الاية فانها نزلت في الاما وقوله
تعالى او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر غير بالنصب على الاستثنا
والباقون بالخفض على النعت والاربة الحاجة ومعناه الرجال الذين هم اتباع هذا البيت ممن لا يشتهي النسا
ولا يحتاج اليهن وليس هذا بواقع على الخصي والمجبوب والمخنث لانهم يشتهون ويشتهون وقوله تعالى
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا اي الاطفال لانه جنس يصلح للجمع لم يظهروا على عورات النسا
قال القتيبي اي لم يفهموا ذلك ولم يعقلوا عليه من قوله انهم ان يظهروا عليكم وقال الفرا اي لم يبلغوا ان يطيقوا
النسا يقال لصارع فلان وظهر عليه وقال تعالى فاصبحوا ظاهرين ولا يضربن بارجلهن اي على الارض لتحدث
وقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن وهي الخلخال وقال جابر بن زيد هو الحلق الصعاب لان في ذلك فتنة
وقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اي التزموا الاوامر والنواهي ثم توبوا الى الله لانكم لا تخلون من سهو
واعتقاد وتقصير فيها فلا تتركوا التوبة في كل حال وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي لتفلحوا وقال احمد
بن جرير ارجعوا ايها المومنون الى طاعة الله فيما امركم به ونهاكم عنه من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت
غيركم الا باذنه وغير ذلك وقال القشيري رحمه الله التوبة الرجوع عن المذمومات من الافعال الى اضدادها
وجميع المومنين مامورون بالتوبة عن الزلة وهي توبة العوام وعن الغفلة وهي توبة الخواص وتوبة على مخافة
العقوبة وتوبة على ملاحظة الامر وقيل امر الكافة بالتوبة والعاصين بالرجوع الى الطاعة عن المعصية
والمطيعين من روية الطاعة الى روية التوفيق وخاص الخاص من روية التوفيق الى روية الموفق وقيل
امر الكافة بالتوبة كيلا يخجل العاصي من الرجوع على الانفراد وقيل مساعدة الاقويا مع الضعفا من
امارات الكرم وقوله تعالى لعلكم تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة لينتفعوا هم بذلك لا ان يكون للحق
سبحانه وتعالى حاجة بذلك وقيل احوج الناس الى التوبة وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهو
تخفيف للتشديد والعفة ايضا والايم كل ذكر لا انثى معه وكل ذكر لا انثى معها ولهذا سميت الحية ايما بالتشديد
والتخفيف كالميت والميت لانها لا تكاد تجرها الا وحدها قوله وانكحوا الايامى منكم اي زوجوا من لا زوج له
منكم ويدخل فيه الرجال والنسا فيزوج الرجل وليته بالولاية ويزوج من يخطبها اليه من الرجال كما روي انه قال
ابا هند وانكحوا اليه اي زوجوه واخطبوا اليه وقوله تعالى والصالحين من عبادكم وامايكم بولاية الملك

دلو

وهو امر بتحصين المماليك وذكر الصلاح للترغيب في تحصين من هو منهم للتحصين وليس بشرط لصحة العقد وذلك كما ذكر
بعده فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وهذا للترغيب في تحصين اهل الخير عن مشقة الرق وليس بشرط في صحة الكتابة وقوله
تعالى ان يكونوا فقرا يغنيهم الله من فضله اي لا ينظروا الى فقر الخاطب او فقر المخطوبة ففي فضل الله ما يغنيهم والمال
غاد ورايح وقد يتبع الغني فليس الفقر بمانع من الرغبة في النكاح وليس المراد به الوعد والغنا على وجه يكون
لا محالة ومنهم من قال هو وعد به قال عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنى في النكاح ما رايت مثل من يقعد ايا بعد هذه الاية
وقد يتفق ان يستغني بالنكاح بالمهر والنفقة وقد يتيسر بالكاد ويتعاونان على المعاش فيستغنيان وقوله
تعالى والله واسع اي قادر على اغنايكم عليم بمصالح عباده فيغنيهم اذا راى الصلاح في الغنى وقيل عليم بنياتكم
في انكاح عبيدكم وامايكم انه للاعفاف او غير ذلك فيجزيكم على نياتكم ويروى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم
انه كان منكحا حاططا فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى وعد الغنى في ذلك فقال ان يكونوا فقرا يغنيهم الله
من فضله وقال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله
من فضله اي لا يقدرون عليه كقوله فلم تجدوا ما فتيمموا يقول ومن لم يجد سعة للنكاح فليصبر وليصن فرجه عن الحرام
فانه اذا احسن في الكف عن الحرام اغناه الله تعالى من فضله فان يرزقه الله ما لا يتزوج به او يقيض له امراة
ترغب فيه مع فقره باليسير من الصداق او باذن لعضمه ويزيل عنه شدة الشهوة وما عند الله خير ومن ترك شيا لله
عوضه الله ما هو خير منه وقوله تعالى والذين يبتغون الكتاب اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة وهو
العقد للعتق على مال منجم على العبد يوديه على النجوم فيعتق اذا ادى الجميع فكاتبوهم اي اجيبوهم الى ذلك ان علمتم
فيهم خيرا وقد بينا معنى كلمة الشرط فيا ولهذه الاية وقيل ان علمتم فيهم قوة على الاكتساب وامانة يحفظ ما
يكتسبون فيودونه فيعتقون وسمي هذا العقد كتابا لان بدل الكتابة منجم والمال المنجم يكتب فيه كتاب على من عليه
المال غالبا فاختص هذا العقد بهذا الاسم لاختصاصه بهذا الوصف وهذا امر ندب لا حتم والنصا له هذا
بالاول انه اذا كان فيه فانما يطلب الكتابة ليجتهد فيكتسب فيودي فيعتق فيصير اقدر على تحصيل ما يتزوج به
فيصل الى التعفف ان لم يزوجه المولى وقوله تعالى واتوهم من مال الله الذي اتاكم اي اعطوهم قال الشافعي
اي حطوا من بدل الكتابة شيا قل او كثر وهو واجب وحط ذلك من اخر نجومه وعن بعض السلف يحط عنه
ثلثا او ربعا وقال سفيان ان يحط ربعا او اقل منه وهو ندب لا حتم وعندنا هذا اكسابا للناس ان يعطوهم
من الزكاة لان الله تعالى قال وفي الرقاب وهم المكاتبون وهو الصحيح لان الايتا هو التمليك فلا يقع على
الحط وقال الامام القشيري رحمه الله واذا كانا مامورين بكل هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين الى
العتق فبالحري ان يقوى الرجا للعبد بالعتق من النار بفضل الله وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا
ان اردن تحصنا اي لا تجبروا اماءكم على الزنا بالاجرة ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يعني
اجورهن واولادهن وقيل ان الزاني يفدي ولده من المزني بها بماية من الابل يدفعها الى سيدها ان اردن
تحصنا ليس على اذن ذلك مباح اذا طاوعن لكن على معنى ان الاما اذا رغبن في التحصن فانتم احق بذلك
وقال الحسين بن الفضل في الاية تقديم وتاخير وتقديرها وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا
فتياتكم على البغا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا وقال مقاتل بن سليمان نزلت في معاذة ومسيكة وامينة
وعمرة وقيلة وارو كن ايامى عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لعنه الله لما نزل تحريم الزنا اتين النبي
صلى الله عليه وسلم فشكون اليه فنزلت وفي رواية قالت معاذة لمسيكة ان كان هذا الامر خيرا فقد
استكثرنا منه وان كان شرا فقد ان لنا ان نتوب فنزل قوله فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم قال الحسن
لهن والله لهن والله وقال عكرمة وغيره كان هذا الاثم بالضرب والتعذيب ودل ان الاكراه يتحقق في الزنا
والانتشار لا يدل على الطواعية وقوله تعالى ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات قرا حمزة والكسائي وابن
عامر وعاصم في رواية حفص بالكسر اي مرشدات هاديات وقرا الباقون بالفتح اي قد بينا ما فيها
قد اوحينا اليكم في هذه السورة وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون وقوله تعالى ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم اي ما احللنا بالماضين فجعلناه مثلا لمن بعدهم يعلمون انهم اذا فعلوا مثل فعلهم عوقبوا
وموعظة للمتقين اي هم المنتفعون بها وان كانت الموعظة للكل وقوله تعالى الله نور السموات والارض ذكر انزال الايات
البينات واقامة الدلالات وجلا البينات وان من ضل عن الحق فليس لخفا الدليل واشتباه السبيل
فقال الله نور السموات والارض قال الكلبي الله هادي اهل السموات واهل الارض الى ما بهم الحاجة اليه
من صالح دينهم وصلاح دنياهم وهي كلمة مطلقة في هذا المعنى يقال فلان نور بلده اي به يهتدون الى امورهم
وعن رايه يصدرون الى مصالحهم وقوله تعالى مثل نوره اي صفة دلايله التي يهتدي بها عباده فسمى دلايله
نورا لان الناس يسلكون بها طريق النجاة وقد سمى الله تعالى كتابه نورا بقوله قد جاكم من الله نور وكتاب
مبين لانه يهدي الى الحق فالله هاد وكتابه هاد وكل ذلك نور واضافته الى الله اضافة تشريف كما اضاف

بعضنا لشهوته وبعضنا الايام الى نفسه ترتيبا لها • وقوله تعالى كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة اي صفة نوره كمثل كوة غير نافذة وضع فيها مصباح في قنديل من اصفى زجاج يكون نقيا وقد باصفى زيت يكون فاجتمع في المشكاة ضوء المصباح وضوء الزجاجة الى ضوء الزيت فصار ذلك نورا على نور فاجتمعت في المشكاة هذه الانوار فصارت كانورما يكون وكذلك براهين الله تعالى في وضوحها وسنا نورها هي على غاية ما يكون تلبيس ضلال الضالين من جهة نقصان البيان وضعف البرهان بل بتعاميهم وتماديهم في معاصيهم • وقال الهيثم بن عدي المشكاة حبشية • وقوله الزجاجة كانها كوكب دري • قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص بضم الدال وتشديد اليا وهو منسوب الى الدر شبه به في صفائه وريانه وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر الدال والمد والهمز وهو فعيل من الدرء اي يدفع به الشيطان والنجوم التي يرجم بها الشياطين هي دراري • وقرا حمزة وعاصم في رواية ابي بكر بضم الدال والمد والهمز وقيل لا وجه لذلك فليس في اللغة فعيل بضم الفاء وتشديد العين • وقوله تعالى توقد من شجرة مباركة • قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح التا والدال على انه فعل ماض من التوقد وهو التلهب والفعل للمصباح • وقرا حمزة وعاصم في رواية ابي بكر بضم التا والدال وهو فعل مستقبل لم يسم فاعله من الاتقاد وتا التانيث راجعة الى الزجاجة لانها المضعفة من الاتقاد وفعله للمصباح على ما لم يسم فاعله مستقبلا • وقرا الباقون بيا التحتية مفتوحة وتشديد القاف وضم الدال واصله تتوقد فعاد للزجاجة وحذف التا الثانية تخفيفا كما في قوله تعالى تميز من الغيظ • وقوله من شجرة مباركة لكثرتها وكثرة انتفاع اهل الشام بها ولكونها في ارض الانبيا والاوليا • وقوله تعالى لا شرقية ولا غربية كقولك فلان لا مسافر ولا مقيم على هذا المعنى قال وهي نبتت على قلعة من الارض لا يستتر عنها من الشمس شي وهو اجود لزيتها • قال ابو عبيدة لا شرقية تضحى الشمس ولا تصيب ظلا ولا غربية تكون في الظل ولا تصيبها الشمس بل هي شرقية غربية تكون في الشمس وتكون في الظل وهو احسن الشجر وصار حاصل جواب اهل التفسير فيها على ثلاثة اوجه احدها ان من الشجر بحيث لا يصيبها الشمس بالغداة والعشي لالتفاف الشجر حولها وتغطيتها اياها • والثاني انها بارزة للشمس في وقت خافية عنها في وقت فقد اخذت من الشمس والظل حظا كاملا والثالث انها بارزة للشمس كل النهار فتزكوا ويكثر زيتها وتصفو زيتها حتى يكاد ضياؤه يغني عن النار وهو قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار • وقال الحسن هذه ليست من شجر الدنيا انما هي من شجر الجنة فلا تكون شرقية ولا غربية وجملة ما ذكر هذه الاشيا جميعا بيان قوة حجج الله تعالى واكتناف النور لها من جوانبها وتتابعها من جهة العقل في جهة التوفيق والوعد والوعيد وتكرار المواعظ والوعد والوعيد وضرب الامثال وذكر المشكاة وهي الكوة التي لا منفذ لها كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج واهل اللغة على معنى في استجماع النور لان المصباح اذا كان في موضع لا نافذ له انتشر ضياؤه • وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي ان حجج الله لوضوحها بحيث يحيى لمن اعرض عنها وان لم ينبه عليها منبه ولم يتول به كتاب وقوله تعالى نور على نور اي برهان بعد برهان ودلالة على اثر دلالة يريد به تضاعف الانوار وكثرتها لا الاقتصار على نورين كما يقال فلان يضع درهما على درهم لا يراد به درهمان وكما يقال فعلت هذا مرة بعد مرة لا يراد مرتين • وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء اي يوفق الله لاتباعه لايله واصابة الحق بالتدبر لها من يشاء من علم منه اختيار ذلك • ويضرب الله الامثال للناس كما ضربها لكم في هذه الاية يعرفكم بها مواقع حججه ويحركهم على تاملها • وقوله تعالى والله بكل شي عليم من الهداية لمن يهدي الى الحق الى من ارشدهم وبكل شي • وقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع فهذا المصباح في مساجد عظمها الله وامر بتنظيفها فما مر بذلك ثم ذكر صفتها وصفة اهلها والمهتدين بالدليل والضالين عنها في ايات • وقال ابي بن كعب والضحاك مثل نوره اي مثل النور الذي في قلب المومن بهداية الله تعالى هذه الها كناية عن المومن ولم يسبق له ذكر عرف معناه وهو كقوله انا انزلناه • وقوله ما ترك عليها من دابة • وقوله تعالى توارت بالحجاب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثل نوره اي نور الله الذي هدى به المومن • وقال الحسن الله هاد واهل السموات والارض ونوره الذي هو القران مثل نوره اي مثل هذا القران في القلب ومثل القلب كمشكاة الى اخره • وقيل هو مثل قلب المومن والمشكاة صدره والمصباح القران والزجاجة قلبه والمصباح المعرفة في القلب فكما ان المشكاة نورا والزجاجة انور منها والزجاجة نور والمصباح انور منها فكذلك نفس المومن نور وقلبه انور منها وقلبه نور والمعرفة انور منه تجلى نور من ربه قال وجعلنا له نورا يمشي به في الناس • وقيل هذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم يعني كان احد هو هذا المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة فكذلك الاصل لهذا المومن هذا الاقتدا ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم النار التي هي كشجرة الزيتونة لا دخان لها لزيتها بخلاف سائر الادهان وكذا النبي صلى الله عليه وسلم لا شبهة في منه ولا ريبة في دينه • وقيل المشكاة مثل لفمه والمصباح مثل اللسان والزجاجة مثل لصدره والكوكب الدري مثل القلب والشجرة المباركة هي ابرهيم عليه السلام لا شرقية ولا غربية اي لم يكن ابرهيم مصليا الى المشرق كالنصارى لقوله تعالى مكانا شرقيا ولا الى المغرب كاليهود لقوله وما كنت بجانب الغربي • قال تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا • وقيل المشكاة مثل جوف محمد والزجاجة مثل القلب والمصباح مثل

زيتونة بدل من شجرة ... مباركة

وهما ولا غربية ... كقولك مررت برجل لا ظالم ولا مظلوم ... قال الفراء وهو ...

النور

للنور الذي فيه • وقيل الشجرة هي النبي صلى الله عليه وسلم لا شرقية ولا غربية اي ليست شجرة نابتة على الارض لكون شرقية او غربية بل ظهرت بركة دينه في الارض في الدنيا كلها وينتشر نوره في الافاق كلها • وقوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار اي يكاد منطق محمد صلى الله عليه وسلم يدل على نبوته وان لم يتل قرانا او لم يقم برهانا قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شعر • لو لم تكن فيه ايات مبينة • كانت بديهته تنبيك بالخبر • وقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع وهذا في صفة الصحابة رضوان الله عليهم وعبادتهم وتلاوتهم في المساجد وكذا من بعدهم من العلما واهل القران في كل عصر الى ان لا الاية الى في على مثل القراة وذكر المساجد ابدا لذكر اهل القران القايمين به في المساجد وان حملت على نور المعرفة فهي على القراة القايمين بالشرايع في بيوت الله عز وجل وميزة تلك وان حمل قوله الله نور السموات والارض على معنى الله مزين السموات والارض فزينة السموات بالملايكة وزينة الارض باهل المساجد وانما لفظ المفسرين في هذه الاية فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما الله هاد لاهل السموات واهل الارض • وقال الضحاك الله منور السموات والارض • وقال ابي بن كعب رضي الله عنه مزين زين اهل السموات والارض • وقال مجاهد وعبد العزيز بن يحيى مزين السموات بثلاثة اشيا الشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بثلاثة اشيا بالانبيا والعلما والمومنين فانوار السما متفاوتة وكذلك انوار الارض وانوار السما منها ما ينفع وبعضها لا ينفع بعضهم بعض وكذلك انوار الارض وانوار السما بعضها للنفع وبعضها للرجم وهي رجوم الشياطين والكواكب وكذلك انوار الارض قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن لينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر والكواكب نجوم لاهل الارض وقلوب المومنين نجوم لاهل السموات • وقيل نور السموات العرش والكرسي واللوح والقلم وسدرة المنتهى وجنة الماوى والبيت المعمور والمقامات • ونور الارض بالكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد الكوفة وطور سينا والمساجد والمتعبدات • وقيل زين السما بالبروج الاثني عشر والارض بالشهور الاثني عشر • وقيل زين السما بالكواكب وبالروحانيين والصافين والحافين وزين الارض بالانبيا والمرسلين والعلما والمتعلمين • وقيل زين السموات بالملايكة وعبادتهم وزين الارض بالمومنين وطاعتهم • وقيل زين السموات بجبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل • وزين الارض بابي بكر وعمر وعثمان وعلي • وقيل زين السموات بتسبيح المسبحين وتقديس المقدسين وركوع الراكعين وسجود الساجدين وتلاوة التالين • وزين الارض بتلبية الحجاج والمعتمرين وتكبير الغزاة والمرابطين وضجيج القانتين ه والمستغفرين وحنين العارفين المشتاقين وبكاء العاصين النادمين • وقوله تعالى كانها كوكب دري • قال السدي هو احد الكواكب الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد • وقال محمد بن كعب مثل نوره يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اباؤه كمشكاة وهي ابرهيم فيها زجاجة يعني اسمعيل فيها مصباح وهو النبي صلى الله عليه وسلم سماه مصباحا كما سماه سراجا في قوله وسراجا منيرا نورا على نور يعني نور ابرهيم ومحمد عليهما السلام وقال الضحاك شبه عبد المطلب بالكوة وشبه عبد الله بالزجاجة وشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح وقال القشيري رحمه الله زين السما بنور الشمس ونور القمر وزين القلوب بنور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد ولكل شي من هذه الانوار مطلع شعاع بقدره في الزيادة ه والنقصان • وقوله تعالى نور على نور كسبوه بجهد بسطوهم الى استدلالهم ونور وجدوه بفضل الله لا بافعالهم واقوالهم • قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • وقال نور المطالبة يحصل في القلب ابتدا فيحمل صاحبه على المحاسبة بالملامة وحرج كاسات الندامة فيرتقي عن هذا باستدامة قصده والتنقي عما كان عليه في اوقات جهله فاذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة فيعلم دايما انه سبحانه مطلع عليه ثم بعد هذا نور المحاضرة وهي لوايح تبدو في سرايرهم ثم بعد ذلك نور المكاشفة وذلك بتجلي الصفات ثم بعده انوار المشاهدة فيصير ليله نهارا ونجومه اقمارا واقماره بدورا وبدوره شموسا ثم بعد هذا نور التوحيد وعند ذلك يحقق التجريد بخصايص التفريد مما لا يتناوله عبارة ولا يدركه اشارة فالالسنة عند ذلك خرس والشواهد طمس وشهود الخلق عند ذلك محال فعند ذلك اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السما انشقت وانفطرت وما ظهر لهم من العدم صار الى العدم جلت الاحدية وعزت الصمدية وتقدست الربوبية وتنزهت الوحدة ثم انما شبه المعرفة بالمصباح وهو من ابيح الالطاف وقلب المومن بالزجاج وهو سريع الانكسار ثم شبهها بالشمس لانه الالطاف ولا قلب المومن بالاشيا الصلبة التي لا تنكسر تنبيها انه على خطر وجدير ان يحذر وقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وتجوعها في النظم وجه اخر وهو عظة المتقين وهم رجال لا تلهيهم تجارة الى اخره • وهو في بيوت اذن الله ان ترفع اي امر الله ان تعظم وهو كقولك انا ارفعك ان ابسط اليك اي اجلك واعظمك • ويجوز ان يراد به رفع البنا واعلاه تعظيما له • قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل • وقوله تعالى ويذكر فيها اسمه • وقيل هو التوحيد وقيل هو الثنا والدعا وقوله تعالى يسبح له فيها • قرا ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بفتح البا على ما لم يسم فاعله • وقرا الباقون

وقيل معناه لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها بل شرقية غربية

بكرها على الفعل الظاهر وفاعله قوله رجال وعلى الاول الجار خبر قوله في بيوت اي في المساجد رجال صفاتهم كذا و
والتسبيح هو الصلاة • وقيل هو تنزيه الله تعالى عن كل سوء كذا كلمات التسبيح • وقوله تعالى بالغدو والاصال
قيل هو الذكر بعد الفجر وبعد العصر كما قال وسبحوه بكرة واصيلا • وقيل هي الصلوات الخمس بالنهار والليل والغدو
عبارة عن كل النهار والاصال عبارة عن كل الليل وقيل هو الذكر على الدوام بقال المبارك متصلة لنا بالغدو
والاصال اي على الدوام • وقوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وصف بالرجولية ثلاثة فرق رجال
يحبون ان يتطهروا • ورجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • ورجال لا تلهيهم تجارة اي لا تشغلهم تجارة اي في الاسفار
بالاستعداد لا بيع اي في الاسواق في الحوانيت وحملناها على هذين لكون لزيادة افادة لا لمجرد اعادة عن
ذكر الله اي خارج الصلاة • واقامة الصلاة اي وعن اقامة الصلاة في وقت الصلاة حذف الها للاضافة
اذا كانت الها عوضا عن الواو وكان اصله اقوام صارت الها عوضا عن الها قال الشاعر • ان الخليط اجدوا البين
فانجردوا • واخلفوك عن الامر الذي وعدوا • اي عدة الامر وكانت الها عوضا عن الواو في اوله وهو مصادرة
الاضافة عوضا عن الهاء • وقوله تعالى وايتاء الزكاة اي وعن ايتاء الزكاة بين انهم ليسوا بزمني لا ابدان لهم ولا نزرا
لا اموال لهم لكون لحبهم بالذكر لعجزهم وفقرهم بل فالهم ابدان يقيمون الصلاة بها واموال يؤدون الزكاة
عنها ثم لا يشغلهم ذلك عن خدمة الله تعالى وذكره • وقيل معناه لا يشتغلون بتجارة وبيع يشغلهم ذلك عن اقام
الصلاة وايتاء الزكاة واكثرهم على انهم يتجرون ويبيعون ويشغلهم ذلك عن خدمة الله تعالى • قال الحسن
يبيعون ولكن اذا حضر حق الله تعالى بدوا بحق الله تعالى • وقال سعيد بن الحسن هم قوم في بياعاتهم وتجاراتهم
يقومون للصلاة في اوقاتها • وقال الكلبي وعطا بن ابي رباح يبيعون ويشترون ولا تلهيهم تجارة عن
الصلاة في اوقاتها • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه راى قوما من اهل السوق سمعوا الاذان فتركوا
بياعاتهم وقاموا الى الصلاة • قال هؤلاء من الذين قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة • وقيل اراد به كل الشرايع وخص الصلاة والزكاة بالذكر لانهما من اعظم
الشرايع • وقيل لان الصلاة حق الله تعالى وفي الزكاة حق العباد ونبه على انهم يكونون مؤدين حقوق الله
تعالى وحقوق عباده • وقال بعض اهل المعرفة لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة • وهذا اشارة الى قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الى قوله فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به يقول لا تركنون الى هذا البيع ووجود الجنة بهذا العقد بل يخافون العاقبة ولا يمنعهم
سبق هذا العقد البيع عن المجاهدة في الاعمال الصالحة • وقوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه اي
الحامل لهم على اقامة هذه الاشيا فانها خوف القيامة • وقوله تعالى يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار اي لهيبة ذلك اليوم كما قال وافئدتهم هواء • وقال وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى
الحناجر كاظمين • وقال شاخصة ابصار الذين كفروا • وقال تشخص فيه الابصار • وقال محمد بن جرير
تتقلب يمنة ويسرة من اين يؤتى كتابه ومن اين يذهب به • وقيل الى الكتب والموازين والخصما • وقيل من
الخوف الى الرجا ومن الرجا الى الخوف • وقوله تعالى ليجزيهم احسن ما عملوا • قيل معناه اي يجزيهم بكل
ما عملوا من اعمالهم جزا الحسن اعمالهم اي يجزي على الادنى جزا الاعلى ويزيدهم من فضله على الجزا الموعود
على العمل • وقوله تعالى والله يرزق من يشا بغير حساب اي يثيب من يشا ثوابا لا يدخل في حساب الخلق •
هذه صفات المهتدين بنور الله تعالى • فاما الذين ضلوا عنه فالمذكورون بعد • وهو قوله والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة السراب شعاع يتخيل ما يجري على الارض في المفازة نصف النهار عند شدة
الحر • واما الال فهو شعاع يرتفع بين السما والارض كالما ضحوة النهار وسمي سرابا لانه ينسرب اي يجري
جريان الما والقيعة جمع قاع وهو المنبسط الواسع من الارض والقيعان جمعه ايضا يقال قاع وجمعه
قيعة وقيعان كما يقال جار وجيرة وجيران • وقوله تعالى يحسبه الظمان ما اي يظنه العطشان ما حتى
اذا جاءه لم يجده شيا اي تكلف المسير اليه لم يجده شيا نافعا كما يقال ما عملت شيا وهذا ليس بشي تراد به
نفي نفعه وهذا اذا احمل قوله حتى اذا جاءه اي جا الموضع على انه جا السراب • وقوله لم يجده شيا اي لم يجد
السراب شيا نافعا وان احمل قوله حتى اذا جاءه اي جا الموضع الذي بدا له فيه السراب فمعنى لم يجده شيا
اي لم يجد في ذلك الموضع شيا كان يترااي له لانه لا يرى ذلك اذا حضره كذلك الكافر اذا قدم على
اعماله التي هي حزازت عنده يوم القيامة لم يجد لها نفعا ولا يراها فقد صارت هبا منثورا ووجد الله
عنده وهو كفوله اذ ذلك لبالمرصاد وتقديره ووجد عقاب الله لكفره وسياته عنده بيطل حسناته
وسيبقي عقاب سياته معدا له عند قدومه • وقوله تعالى فوفاه حسابه اي اتم حسابه على ما عمله واعطاه
واعطاه جزاءه على وفق ما فعله • وقوله تعالى والله سريع الحساب اي لا يطول الزمان في حسابه اذ هي
كلها محصلة بمجموعة لا حاجة الى جميع تفاريعها ولا الى اقامة الحجة عليها ولا ينهيها العبد بجحده ولا يشغله

حساب

حساب عن حساب • وقيل هو وعيد بقرب وقته كما قال اقترب للناس حسابهم • وقوله تعالى او كظلمات وهو مثل
لمن اعمال الكفار وللتخيير في ضرب المثل بايهما شيت كقوله تعالى او كصيب • وقوله تعالى في بحر لجي اي عميق واسع
اللجة وهو معظم الما ووسطه وموضع العمق منه ويكون الظلمة فيه اكثر • وقوله تعالى يغشاه اي يغطي هذا
البحر موج وهو ما يضطرب من معظم الما من فوقه موج اي موج اخر اعلى منه واهول من فوقه سحاب اي من فوق
الموج غمام • وقوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض اي هذه الظلمات • وفي التفسير ان قوله او كظلمات اي ظلمة
الليل وظلمة عمق البحر وظلمة الموجين وظلمة السحاب فلا يرى فيها شي فكذا الكافر في تحيره وخطئه وكفره كالحاصل
في هذه الظلمات وهو مثل الكافر في الدنيا في عمه في طغيانه وكذلك في الاخرة في حيرته وخسرانه • وقوله تعالى
اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقارب ذلك اي لا يكاد يرى يده اذا اخرجها من شدة هذه الظلمات فيضيق
صدره وتشتد حيرته • وقيل لم يكد يراها اي لم يقارب ذلك وهو ابلغ من النفي اصلا اي لم يرها ولم يقارب
رؤيتها • وقيل تقديره التقديم والتاخير اذا اخرج يده يراها لم يكد اي اذا اخرج يده ليراها لم يقارب ذلك
وقال الفراء قيل هو مثل ومعناه يراها ولكن لا يراها الا بطيا كما يقال ما كدت ابلغ اليك وانت قد بلغته بجهد
وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يهتدي به الى الايمان لم يهتد اليه ومن لم يجعل الله له يوم القيامة
نورا يمشي به الى الجنة لم يصل اليها • وقال مقاتل نزلت الاية في عتبة بن ربيعة بن امية بن عبد شمس بن عبد
مناف كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المدرعة والمسوح ثم كفر بعد مجي الدعوة الى الاسلام • وقال
القشيري رحمه الله ظلمات الحساب وغيوم التفرقة والليالي بجحد وحنادس الشك اذا اجتمعت فلا سراج لصاحبها
ولا نجوم ولا اقمار ولا شموس ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اذا لم يسبق لعبد نور القسمة ولم يساعده
نور الرحمة بجهده وكده وسعيه وجده عصم من ثمراته مؤنس من نيل بركاته والبدايات غالبة للنهايات فالقبول
اهله غير مجتلب والرد لاهله غير مكتسب • وقوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض الم تعلم
يا محمد العلم الذي يقوم مقام العيان في الاتقان انه يسبح له من في السموات والارض اي الم تعلم ذلك هم
الملائكة والجن والادميين وتسبيحهم تنزيه الله جل جلاله عما لا يليق به نطقا • وقوله تعالى والطير صافات
اي هي معطوف على الاول وصافات نصب على الحال اي في حال بسطها اجنحتها اي وهي تسبح الله اي تنزهه
باصواتها • وقيل بما فيها من امارات الحدوث الشاهدة على حاجتها الى محدث احدثها وخلقها على ما هي عليه
ويجوز ان تضاف التسبيح الى الكل وتختلف معانيها في التفصيل كما في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه • وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اي عبادته فعلا وتنزيهه قولا والها
على هذا القول راجعة الى كل • وقيل اي كل جنس قد علم عبادة الله وتنزيهه • وقيل اي كل جنس علم ذلك اي
عبادة نفسه وتنزيه نفسه لله تعالى • وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي لا يعزب عنه شي منهم
وجمع بالواو والنون وان كان فيهم الطيور وهي لا تعقل لانه جمع بينها وبين ما يعقل ولانه وصفها بوصف
العقلا وهو التسبيح والصلاة • وفي حديث مسند عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه انه لما حضر ادم ع
الوفاة دعا بابنه شيث فعهد اليه عهده وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منهن ولد
لكل ساعة صنفا من الخلق فالساعة الاولى من النهار حين يسجد بنو ادم من الضحى والثانية صلاة الملائكة
والثالثة صلاة الطير والرابعة صلاة الهوام والخامسة صلاة الحوام الحيوان والسادسة صلاة
الملائكة المقربين حين يستغفرون لبني ادم • والسابعة صلاة الملائكة حين يحفون العباد الى الصلاة كلها
والثامنة صلاة السموات والارضين • والتاسعة صلاة الذين حول العرش • والعاشرة حين ينزل الريح على
الما وهو البحر من حول الما ولولا ذلك لافسدت الشياطين على بني ادم الما • والحادية عشر حين تعرض ارواح
النبيين والصديقين الى الله تعالى والثانية عشر عند غروب الشمس التي تصلون • والساعة الاولى صلاة
الجن • والثانية صلاة لكل دابة في البحر • والثالثة من تحت الارض من الخلق • والرابعة صلاة الصابرين
والخامسة صلاة الذي فوق السما من الخلق • والسادسة صلاة الغمام • والسابعة حين سقل العين
بهذا الخلق • والثامنة صلاة الشجر • والتاسعة صلاة الملائكة الذين هم في السما • والعاشرة حين
تفتح ابواب السما ونغض الملائكة اجنحتها ويصيح الدجاج في الارض وحينئذ من سال الله تعالى شيا اتاه اياه • والحادية
عشر حين يخرج ما في الارض من اهلها • والثانية عشر صلاة الصبح • وقال ادم صلوات الله عليه لشيث كذلك كنت
اسمع وابصر وانا في الجنة • وذلك قوله الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات • وقال وان من
شي الا يسبح بحمده الاية • وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض والى الله المصير هذا ظاهر • وقوله تعالى الم تر ان
الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه وهذه دلالة اخرى بعد ما ذكر ما في السموات والارض وهو وجه انتظام هذه
الاية بالاولى يزجي سحابا اي يسوقه الى حيث يريد • وقوله تعالى ثم يؤلف بينه اي بين بعضه ببعض ويجمع
متفرقه ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه على بعض ومن ثم تكرر وهو سحاب مركوم • وقوله تعالى فترى الودق يخرج

من خلاله جمع خلل • وقراءة ابو عمرو في رواية من خلاله على الواحد اي بكينه في الاول من اثنائه • وقوله تعالى وينزل من
السماء من جبال فيها من برد ذكر من ثلاث مرات فالاول ابتدا الغاية • والثاني للتبعيض والثالث للجنس • قال
بعضهم خلق الله جبالا في السماء من برد فذلك قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد اي الجبال مجموعة من برد
وقيل ذكر الجبال للتشبيه وتقديره من السماء بردا كثيرا امثال الجبال من الجنس فيصيب به فيعذب بالبرد من
يشاء من الناس في نفسه او زرعه فيهلك ذلك ويصرفه عمن يشاء اي يدفع ضرره عمن يشاء فلا يصيبه • وقوله
تعالى يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار يعني يكاد لفعلها لنا اي تقارب البرق اذ يزيل ابصار
العيون • وقوله تعالى يقلب الله الليل والنهار اي يذهب هذا ويجي هذا • وقيل يقلب احوال الناس من الظلمة
والضيا فيهما بجعل ذلك تقليبا لهما توسعا • وقوله تعالى ان في ذلك اي في ازجا السحاب وانزال الودق
والبرد وتقليب الليل والنهار لعبرة اي دليلا يستدل بها على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته وعلمه
وقوله تعالى لاولي الابصار اي لذوي البصاير والعقول ثم بين دلالة اخرى وهي قوله والله خلق كل دابة
من ماء اي من ماء الذكر والانثى • وقيل اي من الطين والطين من الماء لان اصل الارض ماء • وقيل كل حيوان
لا يخلوا من رطوبة فيه ولان حياة الحيوانات بالماء • وقيل خلق اكثر الدواب من ماء فاسم الكل قد يطلق
على الاكثر • قال تعالى واتاكم من كل ما سالتموه • وقال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي • وقال تعالى واوتيت
من كل شي • وقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه قال منهم ولم يقل منها وقال من ولم يقل ما لان قوله كل دابة
تناول من يعقل ومن لا يعقل فغلب من يعقل في الكناية يمشي على بطنه كالحيات والحيتان والديدان
وقوله تعالى ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطير • ومنهم من يمشي على اربع كالبهايم والسباع ولم
يذكر من يمشي على اكثر من اربع لانه اذا مشي اعتمد على اربع جهات لا اكثر فكانه يمشي على اربع • وقوله تعالى
يخلق الله ما يشا وهو قادر على ما يشا وعالم بما يشا لا يبعد عليه شي • وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير
من هذا وغيره ذكر انه خلق هذا من ماء ثم هو مختلف هذا الاختلاف فدل ان للجميع خالقا مدبرا انشاها
على الاختلاف كما شا والا لم يختلف بل كان يتفق الاصل وهو كقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الاكل ان في ذلك لايات • وقوله تعالى لقد انزلنا ايات مبينات اي نورا للناس وبيانا والله
يهدي من يشا الى صراط مستقيم فهو هاد لكافة اهل السموات والارض وهديا عادة ما تقدم مرة • ولقد
انزلنا اليكم ايات مبينات اي هو الايات ليتنظم هذا ابتداء • وقوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول
ذكر انزال الايات وتقدير ولما صار الناس ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المؤمنون
ثم ذكرهم جميعا ها هنا على الترتيب وبدا بالمنافقين فقال ويقولون امنا بالله وبالرسول اي بالسنتهم
واطعنا كذلك • وقوله تعالى ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن الانقياد لحكم الله وحكم رسوله ومن
منهم كان الاعراض من بعضهم والرضا باعراضه من كلهم فصاروا جميعا غير مومنين • وقوله تعالى وما
اولئك بالمومنين اي وما المعرضون بالمومنين • وقيل وما كلهم بمومنين لاعتقادهم جميعا ما يعتقده
هولا والاية نزلت في المنافق واليهودي اللذين اختصما الى كعب بن الاشرف وقد ذكرا لقصة عند
قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت • وقوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم لان الدعا
الى الرسول دعا الى الله لانه يحكم بينهم بامره • وقوله تعالى اذا فريق منهم معرضون اي ممتنعون من المحاكمة
الى رسوله وقوله تعالى وان يكن لهم الحق اي علموا ان الحق يكون لهم دايما اذا اختصموا ياتوا اليه اي الى
الرسول مذعنين اي مسرعين منقادين طلبا منهم لحقهم لا رضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقوله
تعالى افي قلوبهم مرض ام نفاق ام ارتابوا اي شكوا وهو استفهام بمعنى التقرير اي يخافون ان
يحيف الله عليهم ورسوله اي يجور وها هنا افي قلوبهم مرض ام ريبة ام ليسوا كذلك بل هم
مخلصون خبرا انهم يخافون ان يجور عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لكونه لانه معصوم بعصمة
الله بل اولئك هم الظالمون اي هم الكافرون • وقيل هو مخاطبتهم وكان المراد ان يقول لهم افي قلوبكم
نفاق فلا ترضون بحكمي ام تشكون في صحة حكمي فلا تقبلونه ام تخافون جوري فتحذرونه فاذا
قالوا لا شي من ذلك قيل لهم فانتم الظالمون خصومكم بترك التحاكم الى من غير مانع • وقوله تعالى
انما كان قول المومنين قيل كلمة ما زايدة • وقيل معناه ان هولا لو كانوا مومنين كانوا يقولون لكان
قولهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي سمعنا قولك واطعنا امرك
واولئك هم المفلحون • وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله اي يخاف ان يخالفه حذرا
من عقابه ويتقه ان يحذر عن معصيته فاولئك هم الفايزون اي الناجون • وقوله تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم اي هولا المنافقون جهد ايمانهم اي مبالغين في تاكيد حلفهم • وقوله تعالى لين امرتهم
ليخرجن اي اذا امرتهم خرجوا • وقوله تعالى قل لا تقسموا اي لا تحلفوا كاذبين فما نفعني اي في قلوبكم غير

ما في

اي على السنتكم طاعة معروفة • وقيل هو رد عليهم دعواهم الطاعة كقولك لمن قال لك انا منقاد لك مطيع لامرك انا عارف
بطاعتك وانقيادك • وتقديره ها هنا ما هو طاعة عندكم انا في دعواكم معروفة عندنا انه خلاف ونفاق • وقيل انما
الذي منكم طاعة معروفة اي عرفها الشرع والعقل طاعة وطاعة معروفة منكم خير من يمينكم الباطل • وقوله تعالى ان
الله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول اي اخلصوا طاعة الله والرسول واتركوا هذا
النفاق • وقوله تعالى فان تولوا اي فان تتولوا حذفت احدى التايين تخفيفا اي فان تعرضوا عن طاعة الرسول
فيما امركم به ونهاكم عنه • وقوله تعالى فانما عليه اي على الرسول ما حمل اي الزم من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم
اي الزمتم من طاعته اي لا ضرر عليه في خلافكم فانه لا يوخذ بذنوبكم وان تطيعوه تهتدوا فترشدوا • وقوله تعالى
وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر ليس اليه الهداية والاضلال ثم ذكر المخلصين فقال
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض اي ليجعلنهم خلفا في الارض اي سكانها
والمسلطين عليها كما استخلف الذين من قبلهم • قرا عاصم في رواية ابي بكر كما استخلف على ما لم يسم فاعله • والباقون
على الفعل الظاهر اي بني اسرائيل قال لهم ويستخلفكم في الارض اي ارض الشام وفعل كذلك • وقوله تعالى
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم اي وليعزنهم وليغلبنهم على اعدائهم فيظهر دينهم الاسلام الذي
ارتضاه لهم اي متمكنين في الارض مستولين عليها وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا اي وليجعلن لهم بدل
خوفهم امنا وهو الخوف من الاعدا والامن منهم بغلبتهم عليهم • وقرا ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر
وليبدلنهم مخففا • والباقون مشددا والابدال والتبديل لغتان • وقوله تعالى يعبدونني لا يشركون
بي شيا اي يعبدونني يظهرون دينهم • وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اي بعد تحقيق هذا الوعد
وقوله تعالى فاولئك هم الفاسقون خارجون عن الطاعة ومن هذه الاسماء الصالحة • وقيل اي
الخارجون الى محض الكفر • وقيل ومن كفر هو من كفران النعمة فاولئك هم الفاسقون الخارجون بسبب
الكفران ودلت الاية على صحة دعوى النبوة من النبي صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عما هو كاين فكان
كما قال وعلى خلافة الخلفا الراشدين الاربعة • قال الله تعالى وعد الله يستخلفهم في الارض ولم يستخلف
فيها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين كانوا مومنين في وقت نزول هذه الاية الا هولاء
الاربعة رضي الله عنهم اجمعين • وقال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية حزن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كانوا موقنين بدخولهم مكة لرويا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما رجعوا محزونين اطعمهم الله تعالى غنايم خيبر ووعدهم ان يدخلوا مكة في العام القابل
وانزل وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الاية • وقوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا
الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي لترحموا ثم ذكر الكافرين وذلك قوله ولا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض اي فايتين حتى يعجزوا ونهى عن احدهم وها هنا مضمر تقديره بل هم مقدور عليهم
ويحاسبون وماواهم النار ولبيس المصير اي ولبيس المرجع النار • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم عاد الكلام الى ذكر اداب النساء والعفف وتخللها ترجع الايات لتقول
الزموا ومروا اصحابكم واماءكم • وقوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي والصبيان الذين لم يحتلموا
ولم يبلغوا • وقوله تعالى منكم اي من الاحرار اي ليستاذنكم للدخول عليكم فلا يدخلوا عليكم من غير اذن
منكم ثلاث مرات اي في ثلاث اوقات من الليل والنهار من قبل صلاة الفجر هذا واحد وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة اي حين تتجردون فتنزعون ثيابكم في وقت شدة الحر وهو وقت القيلولة وهذا ثان
ومن بعد صلاة العشا اي العتمة وهذا ثالث ثم نبه على المعنى فقال ثلاث عورات لكم بالنصب ردا
على ثلاث مرات • وقرا الباقون بالرفع على اضمار هذه تقول هذه اوقات التجرد وظهور العورة لان
ما قبل صلاة الفجر وقت انتها النوم في الاغلب الاكثر ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار
ووقت الظهيرة وقت التجرد للقايلة وبعد صلاة العشا وقت ابتدا النوم والتجرد من ثياب النهار والتغشي
بثياب النوم • ولان الله تعالى جعل الليل سكنا ولباسا • وقوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي لا اثم
عليكم ولا عليهم بعد هذه الاوقات الثلاث في الدخول عليكم بغير اذن • وقوله تعالى طوافون عليكم اي هم
خدمكم اي المماليك والصبيان ومن يشق الاحتراز عنهم اي الحرج مدفوع عنكم وعنهم في دخولهم بغير اذن
في غير هذه الاوقات الثلاثة لارتفاع الحشمة ولان الغالب في ذلك التغطي وانما نفي الحرج عن الطرفين لان
الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين • وقوله تعالى بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض للخدمة والخادم
محتاج الى المخدوم في الحاجات • وقوله كذلك يبين الله لكم الايات اي كالذي يبين الله لكم من حكم الاستيذان
يبين لكم غيره من الايات التي بكم اليها حاجة والله عليم بمصالح عباده حكيم بوضع الامور مواضعها • وقوله
تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي من الاحرار احتلموا فليستاذنوا في كل الاوقات للدخول كما استاذن الذين

من قبلهم أي الكبار والأحرار • وقيل هم الداخلون في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم • وقوله تعالى حتى تستأنسوا
وقيل نسخ هذا إلى قوله هذه الآية أي ليستأذنكم الأطفال إذا بلغوا في كل الأوقات كما استأذن المماليك والأطفال في الأوقات
الثلاثة كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم قد فسرناه • قال ابن عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فقال
يا رسول الله وددت أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان فنزلت • وعن عمر وافقني ربي في ثلاث في الاستئذان وفي
الحجاب فاسألوهن من وراء حجاب وفي اتخاذ من مقام إبراهيم مصلى • وقال مقاتل بن حيان نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها
غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في
حال نكرهها فأنزل الله تعالى هذه الآية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الذين ملكت أيمانكم الإماء • وقال مجاهد العبيد
والإماء • وقال يزيد بن أسلم ولما نزلت آية الاستئذان قال فتى يا رسول الله إن أمي عجوز كبيرة أفأستأذن عليها
قال نعم قال فقال إنه ليس لها أحد غيري فلا أستأذن عليها فقال أليس لها زوج ولا خادم قال أتحب أن تراها عريانة
قال لا قال فاستأذن عليها • وقال سعيد بن المسيب ثلاث آيات ترك الناس العمل بها وهو واجب آية الاستئذان
وقوله تعالى إنا خلقناكم من ذكر وأنثى • وقوله تعالى وإذا حضر القسمة أولوا القربى الآية • وقوله تعالى والقواعد
من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا أي العجائز اللاتي قعدن عن التماس النكاح لكبرهن جمع قاعد لأنها من صفات
النساء المخصوص كطالق وحائض • وقيل قعدن عن الحيض والولد اللاتي لا يرجون نكاحا أي لا مطمع لهن في الأزواج
فليس عليهن جناح • وقوله تعالى أن يضعن ثيابهن أي جلابيبهن وأرديتهن ومقانعهن التي فوق رؤوسهن
وفوق الدروع والخمر عند الأجانب كما يحل ذلك للشواب عند المحارم • وقوله تعالى غير متبرجات بزينة
أي من غير أن يردن من وضع ذلك عنهن أن يبدين ما عليهن من الزينة من الرجال وينكشف لهم وإنما يفعلن ذلك
للتخفيف عن أنفسهن والمتبرجات المتكشفات وأن يستعففن أي يستترن فلا يضعن جلابيبهن وأرديتهن
خير لهن وأفضل لهن وأدفع للريبة عنهن والله سميع عليم أي لا يخفى عليه ما يقلن بألسنتهن ويفعلن بأنفسهن
وهو أبلغ تحذير • وقوله تعالى ليس على الأعمى حرج الآية • وقال سعيد بن المسيب كان المسلمون يخرجون مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعطون مفاتحهم الأعمى والأعرج والأقارب ويقولون لهم أحللنا لكم ما أكلتم
مما في بيوتنا فيقولون والله لا يحل لنا ما في بيوتكم شيء فإن أحلوه لنا حتى يرجعوا إلينا وإنما الأمانة أو تمنا
عليها ثم يتوالوا على ذلك حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فطابت أنفسهم لما أحل الله لهم • وعن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة قال كانوا يرون المريض والأعرج والأعمى في بيوتهم فلما نزل ليستأذنكم الذين ملكت
أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم أخرجوهم من بيوتهم فنزلت هذه الآية تقول ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج
حرج ولا على المريض حرج في أكلهم من بيوت الذين أذنوا لهم بذلك بالمعروف من غير إسراف ولا على أنفسكم أن
تأكلوا من بيوتكم قيل هو على ظاهره ومعناه أنه لا بأس بأكله مما في بيوت القرابة أقربائه هؤلاء كما لو أكل من بيت
نفسه • وقيل معناه أن تأكلوا من بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة والأولاد ثابت دلالة
وقيل معناه تأكلوا من بيوت أولادكم لقوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك • وقال صلى الله عليه
وسلم إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه • وقوله تعالى أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم
أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم والإذن
ثابت في هؤلاء وكذلك أو ما ملكتم مفاتحه • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الوكيل يدفع الرجل إليه ضيعته
فله أن يأكل من طعامها ويشرب من ألبانها • وقيل بيوت العبيد والإماء وما في يده لمولاه • وقال عبيد الله بن عبد
الله بن عتبة هو الغازي يدفع بيته إلى غيره ويسلطه عليه ويأذن له في الأكل من بيته • وقيل هي بيوت الأجلة
والعارية • وقوله تعالى أو صديقكم أي أصدقائكم • قال الشاعر • إذا قل مال المرء قل صديقه • وضاق
به عما يريد طريقه • قال قتادة هو الرجل يأتي منزل الرجل فيقول أصاحبنا فلان فيقول أهله لا فيقول لهذه
صبونا الرجال إلى دابته أعطوني ثوبه فيفعلون ذلك فيجيء الرجل فيقول أهله جاء أخوك فلان فقدمنا له
وعشيناه وأرحنا له دابتك وأعطيناه ثوبك فلا يقع في قلبه إلا كما قيل لرجل أبوك أو أخوك أو عمك
فعلنا بذلك فذلكم الصديق وجاء فتح الموصلي إلى صديق له فوجده غائبا من منزله فقال لجاريته هاتي كيسه
في البيت فقالت نعم فاستخرج كيسه فأخذ منه درهمين ورد الباقي عليها فلما جاء سيدها أخبرته بذلك
فقال لها إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله كذا كان الصالحون فيما سلف وأما الآن فقد غلب الشح على
القلوب فلا يأكل إلا بإذن • وقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا • قال قتادة كان بنو
كنانة بن خزيمة يرى أحدهم عارا في الجاهلية أن يأكل وحده حتى كان أحدهم يمتنع وهو جائع حتى يجد من
يؤاكله ويشاربه • وعن أبي صالح وعكرمة قال كانت الأنصار يستبدون في عقلنا فكان إذا أضاف أحدهم
ضيف لم يأكل إلا مع ضيفه فنزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا • وقال سعيد بن جبير كان

العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مواكلة غيرهم خوفا من الاستقذار وضيق المكان على الناس فنزلت الآية
وعن مجاهد قال ليس على الأعمى حرج إذا دعا إلى وليمة أن يستتبع قائده معه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
الآية في الحارث بن عمرو خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا
في الدين حالة فقال تحرجت أن آكل من طعامك إلا بإذن منك فنزلت هذه الآية • وقيل لما نزل قوله لا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم توقوا الأكل من بيت هؤلاء وتوقوا الاجتماع على الطعام لاختلاف
أحوال الآكلين في القلة والكثرة وتفاوت اختلاف أهل البيت فنزلت الآية ودل قوله أن تأكلوا جميعا على جواز
التناهد في الأسفار • وقوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا قيل بيوت هؤلاء للأكل • وقيل كل بيت وقيل هي المساجد • وقوله
تعالى فسلموا على أنفسكم تحية أي على جنسكم ممن كان فيها وهو كقوله ولا تقتلوا أنفسكم فإن لم يكن في البيت أحد ولا
في المسجد فليقل السلام من ربنا أو ليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أو ليقل السلام على من اتبع الهدى
وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة قيل يحييكم بها استقبالا بالسلام علينا من ربنا • وعن بعض السلف أنه كان إذا
دخل المسجد والناس فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة • وقيل هي بيان صفة
السلام فسلموا على أنفسكم تحية فهو مصدر لا من غير لفظه كقول الشاعر يعجبه السخون والبرود • والتمر
حبا ما له مزيد • وقوله تعالى مباركة أي كثيرة الخير طيبة أي تستطيبه الخلق • وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم
الآيات أي كما بين ما بين من سائر الآيات وقوله تعالى لعلكم تعقلون أي لتعقلوا أمره ونهيه فتعملوا بذلك فتؤجروا
عليه • وقوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وينتظم هذا بما قبله من الاستئذان وإذا كانوا معه
على أمر جامع أي مع الرسول على أمر جامع أي يشتمل جمعهم كالغزو والجمعة والعيد لم يذهبوا أي من عنده حتى
يستأذنوه فيأذن لهم إن الذين يستأذنونك رجع من المغايبة إلى المخاطبة وهو من وجوه الكلام أولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فيأتمرون بأمر الشرع • وقوله تعالى فإذا استأذنوك لبعض شأنهم أي لبعض أمورهم
التي رأوا فأذن لمن شئت منهم قيل وجعل المشيئة إليه في ذلك كما في قوله ترجي من تشاء منهن الآية وفيه رفع
شأنه • وقيل أي تأذن لمن رأيت المصلحة في ذلك فلا يكون في رجوعه ضرر على الناس دون من كان في رجوعه
خلو ضرر لأنا نعلم أنه لا يأذن إلا لمن هذا وصفه فحملناه على هذا • وقوله تعالى واستغفر لهم الله أي وادع لهم
بالمغفرة لسالف ذنوبهم ولتقصيرهم جبرا لهم على إجابتهم لك كما قال خذ من أموالهم صدقة ثم قال وصل عليهم •
وقوله تعالى إن الله غفور رحيم يغفر لمن استغفر له ويرحمه نزلت الآية يوم الخندق • وكان المنافقون يرجعون
إلى منازلهم من غير استئذان فنزلت الآية • وقوله تعالى إن الذين يستأذنونك نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله
عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجوع إلى أهله في غزوة فأذن له وقال ارجع فلست بمنافق فعيره
المنافقون فنزلت الآية وهذا خلاف قوله في سورة براءة إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك في حق المنافقين وكان استئذانهم نفاقا من غير عذر • وقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا أي لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء واحد منكم غيره إلى أمر تستحيون في التخلف عنه والانصراف بعد
المجيء بغير إذن فإنه أمر حتم ولا يجوز تخلافه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم
إذا أسخطتموه كدعاء غيره لأن دعاءه مستجاب لا محالة • وقال جماعة من المفسرين لا تجعلوا دعاءكم الرسول كدعاء
بعضكم بعضا فتدعوه باسمه يا محمد ولا ترفعوا عليه الصوت بل ادعوه بتعظيم وخفض صوت ولين • قال الله تعالى
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي • وقال تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات والقصة تذكر في سورة
الحجرات إن شاء الله تعالى • وقوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم أي يخرجون ويخرجون أنفسكم من بينكم
أيها المؤمنون • وقوله تعالى لواذا أي ملاذة وهي الستر بشيء مخافة أن يراه أحد • ويقال تعاذا وقيل تباعدا
وقيل روغانا • وقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره وهو قيل عن رأيه • وقيل معناه يعرضون عن أمره
وقيل أي يخالفونه بعد أمره وعن بمعنى بعد • وقال الشاعر • ما زلت أرحل منهلا عن منهل • حتى أنخت بباب
عبد الواحد • أي بعد منهل أن تصيبهم فتنة أي كفر كما قال والفتنة أشد من القتل ودل على أن أمر النبي
صلى الله عليه وسلم للفرض حتى كان تخالفه كفرا ألا إن لله ما في السموات والأرض ملكا وخلقا وتصرفا لا يمتنع
أحد عن عقابه قد يعلم ما أنتم عليه من المعصية • وقوله تعالى ويوم يرجعون إليه • قرأ أبو عمرو في رواية بفتح
الياء وكسر الجيم على الفاعل الظاهر • والباقون بضم الياء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله أي ويعلم يوم تردون
إلى جزائه وثوابه وهو يوم القيامة كما قال تعالى فينبئهم بما عملوا بعد عليهم ذنوبهم تعريفا وتعذيبهم عليها
عذابا وجيعا والله بكل شيء عليم من أعمالهم وأعمال غيرهم جميعا •

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • الرحمن الذي له الملك الحق يوم القيامة

وكان يوما على الكافرين عسيرا • الرحيم الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • روى ابي بن كعب رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الفرقان بعثه الله يوم القيامة وهو موقن ان الساعة آتية
لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب يعني الاعيا • وسورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اية وثمانمائة واثنتان
وسبعون كلمة وثلاثة الاف وسبعمائة وستة وسبعون حرفا • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة ان اخر
تلك السورة الا ان لله ما في السموات والارض وقال في افتتاح هذه السورة له ملك السموات والارض وانتظام
السورتين ان تلك السورة في معرفة الله وصفاته • وذكر الكفر وبطلانه وبيان العبادة والمعاملة والوعد والوعيد
وهذه السورة كذلك الا ان تلك ذكر المعاملة فيها اكثر لانها مدنية • وبيان التوحيد في هذه السورة لانها مكية
وقوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان قيل عظم وقيل تعالى وقيل كثر خيره وبره • وقيل تبارك اسمه الذي اوحى القرآن
الى عبده المصطفى محمد ليكون نذيرا • وقيل ليكون عبده • وقيل ليكون الفرقان للعالمين لاهل الدنيا كلها • وقيل القرآن
كلها الى يوم القيامة نذيرا مخوفا بالقيامة وما فيها لمن خالفه • وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض اي الخلق
هو الذي يخلقها فلا شريك له فيهما ولم يتخذ ولدا كما تقول اليهود عزير بن الله والنصارى المسيح بن الله ومشركوا العرب
الملائكة بنات الله ولم يكن له شريك في الملك كما يقول المشركون ان الاصنام الهة وخلق كل شيء وحده لا كما تقول المجوس
والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن والمعتزلة على ان الافعال مخلوقة للعباد • وقوله تعالى فقدره
تقديرا اي هياه على ما اراد لم يمتنع عليه شيء ولم يتعدا الى زيادة ونقصان اي فوحدوه واطيعوه فهو المنفرد
بالالوهية والربوبية والملك والخلق والتقدير والتدبير ولا تكونوا كالمشركين وهم الذين ذكرهم من بعد
وهو قوله واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا
ولا حياة ولا نشورا اي وجعل المشركون لانفسهم سوى الله الهة من الاصنام يعظمونها ويعبدونها وهي جماد لا تقدر
لهذا جمع يخلقون ويخلقون بالواو والنون وهو فعل الجماد لانهم اعتقدوها الهة عالمة قادرة • وقوله تعالى ولا يملكون
لانفسهم ضرا ان يدفعوه من انفسهم ولا نفعا يجرون اليها ولا يملكون اماتة احد ولا احياء ولا انشاءه بعد
موته والله تعالى يقدر على ذلك كله • وقيل وهو الصحيح دخل في ذلك الملائكة والانبياء ولذلك جمع افعالهم بالواو
والنون ويدل عليه ما ذكر بعده ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء
وعلى هذا يكون قوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي لا يملكون ذلك بانفسهم بل بتمليك الله جل جلاله
وقوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اي ما هذا الذي جاء به محمد الذي يزعم انه من عند
الله الا كذب اختلقه واخترعه من عند نفسه • وقوله تعالى واعانه عليه قوم اخرون قالوا قراوا الكتب المتقدمة
واقاصيص الاولين وقال الله تعالى في ردهم فقد جاءوا ظلما وزورا اي اتوا جورا وكذبا ووضعوا التكذيب
غير موضعه • وقيل هو من كلام المشركين في صفة النبي صلى الله عليه وسلم والقوم الاخرين اي جاءوا بكلام وهو
ظلم وزور والزور القول المائل عن القصد • وقوله تعالى وقالوا اساطير الاولين اي هو اقاصيص
المتقدمين وما سطروه قاله النضر بن الحارث وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما • وقوله تعالى اكتتبها
اي كتبها محمد عن اليهود ولم يزد على ما في كتبهم ولو اختلقه من عند نفسه لامكنهم مثله • وقوله تعالى انه كان
غفورا رحيما يستر على عباده ذنوبهم ويرحمهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ويعذر اليهم باقامة البراهين وارسال
المرسلين • وقيل عنوا بقولهم واعانه عليه قوم اخرون عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى عامر
ابن الحضرمي وجبر مولى عبد الله بن الحضرمي وابو فكيهة • وقيل قوله اساطير الاولين احاديث رستم واسفنديار
وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في النضر بن الحارث ثماني ايات فيها ذكر اساطير الاولين قام يوما وقص
قصص رستم واسفنديار وملوك فارس وقال محمد باحسن حديثا مني وما حديثه الا اساطير الاولين • وقوله
تعالى وقالوا ما لهذا الرسول اطلقوا له هذا الاسم اما استهزاء او بناء على زعمه ياكل الطعام كما ياكل البشر ويخرج
منه كما يخرج من البشر انكروا ان يكون البشر رسولا كما قالوا ابعث الله بشرا رسولا ويمشي في الاسواق كما يمشي الناس
فاي فضل له علينا • وقيل هو انه طلبه المعاش لفقره • وقوله تعالى لولا انزل اليه ملك اي هلا انزل على محمد
ملك فيكون معه نذيرا اي نبيا معه منذرا كما ينذر هو فيكون اذا الملك معه تصديقا له وشهادة على
نبوته • وقوله تعالى او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه من السماء فينفقه بيننا او يلقى اليه كنز من الارض فيستغني
به فانه انما يفعل ما يفعل طلبا للدنيا والرياسة او تكون له جنة اي بستان ياكل منها ويشبع بثمرها اي
[illegible] • وقرا حمزة والكسائي ناكل منها بالنون [illegible] • وقوله تعالى وقال
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا [illegible]
ولو كان عاقلا لم يدع [illegible]
في قوله مسحورا [illegible] وكلام الشيطان وحيا • وقوله تعالى فلا يستطيعون سبيلا
فلا يجدون [illegible] • وقيل فلا يستطيعون سبيلا الى [illegible]

تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك من الجنة الواحدة التي قالوها والكنز الذي ذكروه جنات اي بساتين
في الدنيا كثيرة • وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار اي تمر في اصول اشجارها المياه في انهارها ويجعل لك قصورا انكها
ومساكن الكبار العالية كما قد اتى سليمان وغيره وهو قادر على ذلك لكن لا موضع للتعظيم بالدنيا والتكثر بها
وزهرتها والتقلل منها اليق بزينة النبوة • وقيل يجعل لك جنات ويجعل لك قصورا في الجنة وتعليق ذلك بالمشيئة
بيان انه بفضل من الله تعالى لا واجب عليه • وقيل معناه اذ شاء كما قال ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم بل كذبوا بالساعة
في اوله اضمار اي ما كذبوك لانك تاكل الطعام وتمشي في الاسواق وليس لك كنز وجنة ولم ينزل معك ملك لكنهم
يكذبون بالقيامة وما فيها من الجزاء فركنوا الى الدنيا واستثقلوا ما جئتهم به من الشرائع لتكذيبهم بالثواب
والعقاب • وقوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي اعددنا لمن جحدها نارا تسعرهم • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ان ابا جهل لعنه الله جمع الملاء من قريش في الحجر ثم ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انت
ابن اخينا وابن عمنا ومن اشرافنا ولكنك فقير عائل وقد علمنا ان الله تعالى غني جليل وكان حقك ان تغير من
حالك ثم مع ذلك انك تمرض كما نمرض وتصيبك البلاء والمصائب كما تصيبنا وتاكل الطعام وتمشي في الاسواق
كما ناكل ونمشي فنزلت الاية • وقيل لولا انزل عليه ملك عبد الله بن امية المخزومي • وقوله تعالى اذا راتهم من
مكان بعيد قيل من مسيرة مائة سنة • وقيل خمسمائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا عليهم اي صوت غليان
وفوران والتهاب كالتهاب الرجل المغتاظ وهي كما قال تكاد تميز من الغيظ اي تتقطع غيظا عليهم • وقيل
معناه سمعوا فيها تغيظا وزفيرا للمعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق واللام وفي يتعاقبان تقول افعل هذا
في الله ولله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اي في يوم القيامة وعاد في كذا ولكذا • وقوله تعالى واذا القوا
منها مكانا ضيقا مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال • وقيل اي قرن كل رجل بشيطانه • وقوله
تعالى دعوا هنالك ثبورا اي نادوا وابلاه وا ثبوراه وا هلاكاه • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
الثبور الويل • وقال الضحاك الهلاك • وقال المبرد الثبور هلاك على هلاك من قولك ثابر فلان على
كذا اي داوم عليه • وقوله تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والثبور المصدر وهو
جنس يصلح للواحد والجمع اي تقول لهم الملائكة ذلك وليس هذا امرا لهم به لكن بيانا انهم وان كثروا من
ذلك لم يتخلصوا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن عمرو بن العاص ان جهنم تضيق على الكافر
كضيق الزج على الرمح • وقوله تعالى قل اذلك خير اي قل يا محمد ما سلف من ذكر النار خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون وعد الله الذين يتقون الشرك والمعاصي كانت لهم جزاء ومصيرا • وقوله تعالى
لهم فيها ما يشاؤون اي ما تشتهيه الانفس وتلذ به الاعين خالدين فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها
وقوله تعالى كان على ربك وعدا مسؤولا اي كان خلودهم فيها ومصيرهم اليها وعدا على ربك اي وعدا
حقا كما قال وعدا عليه حقا مسؤولا اي كانوا يسالونه في الدنيا بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك
وقيل هو سؤال الملائكة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم • وقيل هو امر بالسؤال اي وعدتكم
ذلك وانا منجزه لا محالة فسلوني ذلك • وقوله تعالى ويوم يحشرهم اي واذكر يا محمد يوم يحشرهم وما
يعبدون من دون الله من الانبياء والملائكة وما بمعنى من وهو كقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فيقول
ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء المشركين حتى عبدوكم ام هم ضلوا السبيل اي انتم زينتم لهم ذلك بادخال
الشبه وهو استفهام بمعنى التقريع قالوا سبحانك اي انت منزه عن الشركاء • وقوله تعالى ما كان ينبغي
لنا اي لا يجوز لنا ولا يصلح ان نتخذ من دونك من اولياء اي انا لم نامر هؤلاء بعبادتنا فيكون بذلك
قد اتخذناهم اولياء لانهم اذا والونا بامرنا فقد والينا ام نحن رضينا بعضنا اولياء بعض وتلخيصه ما كان
لنا ان نتخذ من دونك من يوالينا فنعبدناه ونكن ومعناه التبري من الرضا بشرك هؤلاء والانتقام منهم
وقوله تعالى ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر فاشركوا بك وعبدوا غيرك وكانوا قوما بورا اي صاروا
قوما هلكى • وقيل كانوا في سابق القضاء كذلك والبور • قيل هو جمع بائر من البوار وهو الهلاك وهو
كقولهم هائد وهود وحائل وحول • وقيل هو لفظ يصلح للواحد والجمع وهو في الاصل مصدر كالدور
والبور • وقال ابن الزبعرى في الواحد • يا رسول المليك ان لساني • راتق ما فتقت به اذ انا بور • وقوله
تعالى فقد كذبوكم بما تقولون يحتمل انه كلام الله تعالى في خطاب المشركين يوم القيامة اي كذبكم الملائكة
ايها المشركون فيما كنتم تقولون انهم ارباب يريدون منكم ان تعبدوهم • وقوله تعالى فما يستطيعون صرفا
اي فما تستطيع الملائكة وعزير وعيسى صرف العذاب عنكم ولا منعا لمن يعذبكم • وقيل ثم خطاب الله تعالى
للمشركين لقوله بما تقولون ثم قال فما تستطيعون اي الكفار صرفا للعذاب عن انفسهم ولا نصرا ولا منعا لمن
يعذبهم وعذابا سوا من تعبدوهم ونصرتهم ثم خاطب الكفار في الدنيا فقال ومن يظلم منكم نذقه عذابا
كبيرا • ويحتمل ان قوله فقد كذبوكم خطاب من الله تعالى للرسول وللمؤمنين فقد كذبكم الكفار بما تقولون

انه قال في جهنم [illegible]

وقيل دايما [illegible]

قال مجاهد اليهود وقال الحسن [illegible]

[illegible] هولاء المشركون [illegible]

انظر [illegible] الامثال [illegible]

من الحق في الايمان بالله وتوحيده وخلع الانداد فما يستطيعون صرفا للعذاب الذي استحقوه بذلك عن انفسهم ولا نصرا لانفسهم
لا من انفسهم ولا من بعضهم لبعض في دفع ما نزل بهم ● ووجه اخر فقد كذبكم ايها المومنون هولاء المشركون فما يستطيعون
لكم صرفا عن الحق الذي هداكم الله له ولا نصرا لانفسهم من عذاب ينزل بهم ● وقوله تعالى ومن يظلم منكم نذقه
عذابا كبيرا اي من يشرك بعد ايمانه نذقه عذابا كبيرا لا يجد له ناصرا فاستديموا على ايمانكم فانهم لا يستطيعون صرفكم
عن الحق الذي اوضحه الله تعالى لكم ● وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق تقول وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الى الامم الا وهم كانوا بشرا ياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وذلك ادعى الى الموافقة واسمع لما يلقى اليه للمناسبة فانهم بكسر الالف لانه موضع ابتداء وتقديره الا هم
ياكلون وليست الكسرة للام لان دخولها وخروجها هاهنا سواء وهو كما قال ما قدم علينا اميرا لا انه مكرم لي بالكسر
وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون فتوجروا او لا تصبرون فتعاقبوا اي محنة اي الدنيا دار
ابتلاء وامتحان فلا بد من المخالفة بين احوال اهلها واحواج بعضهم الى بعض وتفضيل بعضهم على بعض ليشكر
الفاضل ويصبر المفضول من غني وفقير ورئيس ومرؤوس ثم كل بشر فكذلك رسول ومرسول اليه كل نسبه
والرسول ممتحن بالشكر على ما اوتي من الرتبة وبالصبر على تحمل اعباء الرسالة والمرسل اليه ممتحن بالانقياد له والطاعة
لامره ● وقيل معناه امتحنا بعضكم ببعض فجعلت محمدا نبيا وبعثناه اليكم ولم اعطه الدنيا وجعلته يطلب
المعاش في الاسواق واختبرتكم في اجابتكم اياه الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه منه لاني لو اعطيته
الدنيا لتسارع كثير منكم الى اتباعه طمعا في دنياه ان ينال منها ● وقال مقاتل نزلت الاية في ابي جهل والوليد والعاص
والنضر بن الحارث وذلك انهم لما راوا اباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلال بن حمامة وصهيب بن سنان وعامر
ابن فهيرة وابن ابي فاسط ومهجع مولى عمر وجبر غلام الحضرمي وذويهم قالوا انسلم فنكون مثل هولاء فانزل الله
تعالى هذه الاية يخاطب هولاء المذكورين اتصبرون على الشدة والفقر ● وقوله تعالى وكان ربك بصيرا اي
بمن يصبر ومن يجزع [illegible]
منهم من غني وفقير ● وقيل وكان ربك بصيرا بمن يصلح ان يكون فاضلا او مفضولا ● وقوله تعالى وقال الذين
لا يرجون لقاءنا اي الذين لا يومنون بالبعث ولقاء الله [illegible]
وقال لا يخافون عذابنا ● وقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة ● وقوله تعالى لولا
انزل علينا الملائكة اي هلا انزل الله علينا الملائكة ويحتمل ان يكون معناه هلا جعل الرسول من الملائكة
دون البشر ويحتمل هلا انزل علينا فيشهدوا ان محمدا محق في دعوى الرسالة او نرى ربنا فيخبرنا هو
برسالته ● وقوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي لقد تعظموا في نفوسهم حتى تحكموا على الله في هذا
التحكم وعتوا عتوا كبيرا اي تمردوا وغاية التمرد في تجبرهم على الله تعالى [illegible]
والمجاهلة [illegible] ● قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي حدا لا يطمع في نيل الولد ● وقوله
تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين اي يوم لا يرون الملائكة في الدنيا وانما يرونهم في الآخرة
حين يبشرونهم بالعذاب ويقولون حجرا محجورا ● قيل هو يوم القيامة ● وقيل هو عند الموت لا بشرى يومئذ
للمجرمين [illegible] ويقولون اي تقول الملائكة لهم حجرا محجورا
اي حراما محرما عليكم البشرى انما البشرى للمؤمنين [illegible]
[illegible] حجرا محجورا [illegible] ● وقيل المجرمون يقولون
ذلك للملائكة وهي كلمة استعاذة وكان الرجل اذا لقي من يخافه على نفسه قال حجرا محجورا اي حراما
عليك التعرض لي قاله مجاهد وقتادة والحسن والخليل ● وعن مجاهد [illegible] حجرا محجورا
كلام الله تعالى اي منع هذا الكلام ان ينفعهم ● وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا اي ابطلنا جميع اعمالهم لكفرهم وهذا الكلام وهو لفظ القدوم مجاز اريد به المبالغة في احباطه
[illegible]
[illegible]
ذكر هذه الكلمات [illegible] ● وقال تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان
وقال تعالى ثم استوى الى السماء [illegible] فجعلناه هباء منثورا اي غبارا والهباء
كذلك منثور متفرق لا يمكن جمعه وهو استعارة عن جملة بحيث لا يمكن الاجتماع ولا يقع بها الانتفاع
وهو كقوله كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ● وقيل الهباء ما يرى في شعاع الشمس [illegible] وهو كقوله
فكانت هباء منبثا اي منتشرا ● وقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا الذي يستقرون في الجنة بعد
الفراغ من العرض والحساب واحسن مقيلا [illegible]
ذلك الوقت وليس في الجنة بكرة وعشي [illegible] بالارزاق على مقادير الاوقات المعهودة في الدنيا

ويستريحون

ويستريحون في مثل الاوقات الدنيا ● وقيل ان اهل الجنة لا يمكثون في عرصات القيامة الى وقت الدخول في الجنة
الا مقدار اول النهار الى وقت القايلة في الدنيا فهذا اشارة الى ذلك ● وقيل المقيل هو موضع التمكن ● قال القايل
شعر ● ونضرب بالسيوف رؤس قوم ● ازلنا هامهن عن المقيل ● ثم قوله خير مستقرا واحسن مقيلا ليس للتفضيل بعد
الاشتراك في صفة الخيرية والحسن وهو كقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ● وقوله اذلك خير ام جنة الخلد
لكنه على التوبيخ كالرجل يفسد فيما وقف عليه واخر يصلح فيثاب عليه فيقال للمفسد اهذا الذي فعلت خير
ام ما انت فيه ● وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام [illegible] وتشقق اصله تتشقق حذفت احدى
التايين تخفيفا والسماء اي السموات بالغمام ● وقيل هو فوق السموات السبع وهو سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات
السبع ويمسكه الله تعالى اليوم وثقله اثقل من ثقل السموات واذا اراد الله عز وجل ان تشقق السموات التي ثقله عليها فانشقت
وذلك قوله بالغمام اي بثقل الغمام [illegible] ونزل الملائكة تنزيلا في الغمام [illegible] وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة [illegible] لمحاسبة الخلق ● وقيل ونزل الملائكة السموات تنزيلا لزوال السموات [illegible]
اماكن الملائكة فيصيرون في مكان اخر ● وقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن اي الملك الحق يوم القيامة للرحمن على
الخلوص لا يبقى مدعي ملك يومئذ ● قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ووصفه بالحق لان ملك الخلق مجاز و
هو لله تعالى على الحقيقة لا يزول لمالكه ولا يرد حكمه ● وقوله ويوم يعض الظالم على يديه [illegible] كل مشرك يعض على يديه تحسرا
وهو واحد بمعنى الجمع كما قال ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ● وقال عز وجل وكان الكافر على ربه ظهيرا ● وقوله تعالى
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي مع محمد وصلة بالايمان به وسلوك طريقه ● وقوله تعالى يا ليتني لم اتخذ
فلانا خليلا اي احدا غير الرسول خليلا اي صديقا ينادي على نفسه بالويل لعلمه بما وقع فيه بمعاداة الرسول وموالاة
من عاداه وفلان عندهم كناية عن واحد مجهول وهو مستعمل في كلامهم يقول الرجل للاخر ما تصنع بصحبة فلان وفلان وقال
قائلهم شعر ● اسئل بالله عن فلان وعن فلان وعن فلان ● وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر بعد
اذ جاءني من الله على لسان رسوله وتبليغه الينا عن القران بعد اذ جاءني ● قال تعالى وانزلنا اليك الذكر بعد اذ جاءني من الله على
رسوله وتبليغه الينا ● قوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي يخذل اولياءه يوم القيامة ويتبرا عنهم ● قال
تعالى اني بريء منك ● وقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر الاية ● وقال مجاهد فلانا خليلا اي الشيطان ● وقيل
نزلت في معين واكثر القران نزل في اسباب خاصة ثم تكون عام المعنى [illegible] ● قال الضحاك يعض الظالم
على يديه اي على اطراف اصابعه فياكلها حتى ينتهي الى مرفقيه [illegible] ● وقال ابن السماك يفعل ذلك اربع مائة سنة
ياكلهما ثم يعيدهما الله تعالى الى ان يجيء وقت الحساب ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما وهو عقبة بن ابي معيط بن امية
ابن عبد شمس بن عبد مناف وكان رجلا يجالس النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى كلامه من غير ان يومن به وكان ابي بن
خلف صديقه فقال وجهي لوجهك حرام ان كلمته او صادقته ما لم تنطلق فتبصق في وجهه ففعل فانزل الله هذه
الاية ● وقال مقاتل والسدي كان عقبة رجلا سخيا فكان اذا رجع من سفره اضاف اشراف قومه فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل حتى تشهد شهادة
الحق فشهد بلسانه وهو مضمر الكفر ● وكان ابي بن خلف غايبا فلما رجع اخبر بذلك فاتاه عقبة زايرا فقال له اني
صبوت قال لا والله قال فقد انقطعت العصمة بيني وبينك ان لم تتفل في وجهه ففعل فقتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابي بن خلف يوم احد وذلك انه طعنه طعنة فرجع الى مكة فمات منها ولم يقتل بيده غيره ● واما عقبة فقتله
عاصم بن ثابت بن اقلح الانصاري يوم بدر صبرا ● وقال ابو رزق جمع البراق فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بين اصحابه فرمى بالبراق فانصرف البراق وصار [illegible] على خده [illegible] فكان فيهما اثره الى ان قتل
● وقوله تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي متروكا لا يسمعونه ولا يتدبرونه ولا
يعملون بما فيه ويقولون مرة هو سحر ومرة هو مفترى ومرة هو اساطير يعني يقول الرسول يوم القيامة ذلك ليشهد
عليهم بذلك كما قال ويكون الرسول عليكم شهيدا ● وقال بعضهم يقول كسائر ما ذكر من احوال يوم القيامة واخراجه
على صيغة الماضي لتحقق كونه يومئذ فالحق بالكاين المتحقق ● وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
اي كما نعاديك هولاء المشركون ويقولون فيك ما يقولون فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا من المجرمين مثل
اعدائك من الكافرين فصبروا فاصبر انت [illegible] ● وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا اي حسبك
الله موفقا الى الحق كافيك به وناصرا لك على اعدائك ● وقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة
واحدة وهذا طعن اخر منهم قالوا هلا انزل على محمد القران دفعة واحدة مجتمعا كله كذلك لنثبت به فوادك اي
كذلك انزلناه متفرقا وكذلك نزلنا [illegible] لتحفظه فتعلمه فيكون فوادك ثابتا به غير مضطرب ولو انزلناه عليه
جملة واحدة وهو امي لا يكتب لتعذر عليه حفظه ● وقيل لان فيه ناسخا ومنسوخا فلم يستقم انزاله جملة واحدة ●
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم في دار المحبة وسكون قلب المحب المحجوب بان يتوصل الى كنف المحبوب فجعله
متفرقا تثبيتا لقلبه وترويحا لروحه وتسكينا لشوقه ● وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا اي فرقناه تفريقا غير

متباعد. وقيل نا بعناه ولم ننقله قطعا ضعف بذلك قلبك. ولما نزلت التوراة جملة واحدة تركوها جملة. ولما نزل القرآن
نزل منفصلا ثبت في القلوب منزلا واتصل. وقوله تعالى ولا يأتونك بمثل أي لا يأتيك هؤلاء المشركون بمثل أي شيء مما كان
من الأمم السالفة من محاجة أنبيائهم وتعنت رسلهم إلا جئناك بالحق أي أتيناك بما يحق الأمر به ودون الباطل الذي لا حقيقة
له. وقوله تعالى وأحسن تفسيرا أي أحسن بيانا مما عند هؤلاء السائلين لأنهم لم يكونوا أيما بينا لونه يعرفون من تلك الأمور
مثل الذي كان الله يعرفه نبيه صلى الله عليه وسلم وكان التحريف غلب على أهل الكتاب وكان المشركون يرجعون إليهم وأخذوا
منهم ثم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخبرهم على الوجه الذي أخبره الله تعالى به فكان أحسن تفسيرا مما هم يذكرونه
الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا أي هؤلاء المشركون الذين يعادونك ويتعنتونك يحشرون
يوم القيامة على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم. وقيل يسحبون على وجوههم
إلى النار كما ورد ذلك في آية أخرى أولئك شر مكانا في الآخرة فإنهم في النار وأضل سبيلا من الجنة. وقيل أولئك شر
منزلة في الدنيا وأضل عن طريق الحق كما قال يوسف عليه السلام أنتم شر مكانا ومعنى كل الآية ولا يأتونك بمثل إلا جئناك
في جوابه بالحق فأنت منصور عليهم في الدنيا بالحجة الواضحة ثم هم محشورون على وجوههم إلى جهنم وذلك الخزي لك
في الآخرة وحدك لأن لهم وأخزاهم في الدارين جزاء على ضلالهم وهم أسوأ مكانا وأضل سبيلا وليس هذا التفضيل بعد ثبوت
التسوية في الطرفين بل طريقة ما قلنا في قوله خير مستقرا وأحسن مقيلا. وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
يقول لست كذب بل قد أعطينا موسى التوراة وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فترناه في حمله. وقوله تعالى فقلنا
اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فرعون وقومه. وقوله تعالى فدمرناهم تدميرا أي قد ذهبا إليهم فدعوهم
فعصوهما فأهلكناهم إهلاكا بالغرق في اليم. وقوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا أي ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل
أي نوحا ومن قبله من آدم وشيث وإدريس أي وأخبرهم نوح أن الله يبعث بعدي رسلا فكذبوهم أيضا كما كذبوا
أو أراد به تكذيب نوح منا وحده ويطلق اسم الجمع على الواحد يقال لمن يخرج فلان على البغال وإن خرج على بغلة واحدة
وقوله تعالى أغرقناهم أي بالطوفان وجعلناهم للناس آية أي لمن بعدهم علامة على قدرتنا وربوبيتنا وانتقامنا
ممن كذب الرسل لأن الطوفان عم الدنيا كلها فصار عبرة للكل. وقوله تعالى وأعتدنا للظالمين عذابا أليما أي
وكذلك هيأنا لكل ظالم نفسه بالكفر في الآخرة. وقوله تعالى وعادا وثمودا أي ودمرنا عادا وثمودا قوم
هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قيل هم الذين بعث إليهم صاحب يس حبيب النجار المذكور في قوله إذ أرسلنا
إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقتلوه في بئر بأنطاكية ورسوه بالحجارة أي أثبتوه فيها ولهذا كذلك
قال كعب الأحبار ورواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل هم فرقة من ثمود. وقيل هم باليمامة. وقيل كانوا بين
المدينة ووادي القرى. وقيل الرس البئر المطوية. وقيل الرس ما بين نجد وبين أسد. وقال عكرمة الرس بئر رسوا
فيها نبيهم. وقال قتادة هي قرية باليمامة يقال لها الفلج. وقال أبو عبيدة هو المعدن. وقوله تعالى وقرونا بين
ذلك كثيرا. قال إبراهيم القرن أربعون سنة. وقال بعضهم سبعون سنة. وقيل هم أهل عصر مقترنون ومعناه
وأمما بين ذلك كثيرا. وقوله تعالى وكلا ضربنا له الأمثال أي وصفنا له الأشباه من الأمم التي كانت قبلهم
فأهلكت بتكذيب الأنبياء فحذرنا كل أمة أن ينزل بها ما نزل بمن كان قبلها. وقوله تبرنا تتبيرا أي أهلكنا إهلاكا
وهذا كله تعريف للنبي صلى الله عليه وسلم أذى الأنبياء قبله فقد لقوا من أممهم نحو ما تلقاه وأن الله تعالى جاعل العاقبة
المحمودة له على من كذبه تطييبا لنفسه وتثبيتا لقلبه. وقوله تعالى ولقد أتوا على القرية التي أمطرت
مطر السوء أي هؤلاء المشركون قد أتوا في أسفارهم على قرية قوم لوط وهي سدوم أمطر أهلها الحجارة عقوبة لهم
على معصيتهم نبيهم لوطا عليه السلام وارتكابهم الفاحشة بإتيانهم الذكران وبعد ذلك لم يكونوا يعتبروا بها أي
فكان ينبغي لهم أن يؤمنوا عند مشاهدة تلك الآيات. قوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا أي قد رأوا أهل
هذه القرية سمعوا بأخبارها ولكنهم كانوا لا يخافون الآخرة ولا يرجون ثوابا ولا عقابا فأكفرهم بالبعث أمروا
على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعتبروا بأولئك. وقوله تعالى وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا
أي ما يتخذونك إلا سخرية لا يرونك أهلا للتعظيم ويقولون أهذا الذي بعث الله رسولا أي بعثه الله رسولا
إلى الخلق نزلت في أبي جهل لعنه الله تعالى كان إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول أهذا الذي بعث الله
رسولا. وقوله تعالى إن كاد ليضلنا عن آلهتنا. وقيل ما كاد إلا ليضلنا عن آلهتنا أي قارب أن يصرفنا عنها
وعن عبادتها بالسحر الذي أتى به والخداع الذي يزعم أنها آيات من عند الله تعالى لولا أن صبرنا عليها أي لولا
حبسنا على عبادتها وتركنا الإصغاء إلى ما يدعونا إليه محمد لكاد محمد أن يصرفنا عنها إلى إلهه حتى وأحسبنا نعم
الأصنام رشادا واعتقد وأصرفهم عنها ضلالا فأوعدهم الله تعالى فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب
وقوله تعالى من أضل سبيلا أي عن قريب يعلمون إذا رأوا العذاب في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما من أضل
سبيلا أهم أم من كان يدعوهم إلى تركها. وقوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أي مما هواه نزلت في الحارث
ابن قيس السهمي كان يعبد ما هواه يتخذ صنما يعبده ثم يرى غيره أحسن فيتخذه ثم يقول كذا كان ذاية. وقوله تعالى أفأنت تكون

عليه

عليه وكيلا أي أرأيت من عبد ما يهواه من غير حجة ولا دليل أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه أنه ليس
بمعذور للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو المنفرد به إذا شاء فعله بمن شاء وأنه ليس عليه إكراههم على الإسلام بل عليه التبليغ
لا غير. وقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أي أم تتوهم أن أكثر هؤلاء المشركين يعملون عمل من يسمع الوعظ أو
عمل من يعقل وأم لا تكون إلا بعد ألف الاستفهام وهو ثابت هاهنا تقديرا أتعلم أنهم يسمعون أو يعقلون أم تحسب ذلك
منهم. وقوله تعالى إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا منها لأن البهائم إن لم تعتقد صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد
بطلانهما. وقوله تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل أي قد شاهدت الظل كيف مده الله تعالى أي بسطه فعم الأرض
وذلك من حين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإن الظل منطبق للأرض من غير شمس ولا دليل وهذا قول عامة المفسرين
وهو كقوله في صفة الجنة وظل ممدود أي لا شمس معه ولا ظلمة. وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا أي مستقرا دائما لا تنسخه
الشمس فتنسخه. وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أي نسخناه بالشمس ثم جعلنا زوال الظل بالشمس دليلا
على أنه مخلوق لنوجده إذا شئنا ونعدمه إذا شئنا. وقوله تعالى ثم قبضناه قبضا يسيرا أي قبضنا ذلك الظل
الممدود أي أخذناه إلينا أي إلى حيث أردنا قبضه من الأرض قبضا يسيرا أي قليلا قليلا شيئا بعد شيء بطلوع وقيل
قبضه بغروب الشمس لأنها ما لم تغرب فالظل فيه بقية فإنما يتم زواله بمجيء الليل وعلى هذا قوله قبضا يسيرا أي سهلا
علينا لا مؤونة فيه علينا كقوله ذلك حشر علينا يسير. وقيل قبضنا يسيرا أي سريعا. وقيل كالا وقليلا قليلا
لأنه يذهب شيئا فشيئا إلى أن يجتمع كل الظلام وهذا بيان القدرة ومن آيات الوحدانية وإلزام الحجة على أهل الزيغ
والضلالة وكذا ما بعده وهو قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا أي سترا وغطاء للأشياء كلها بظلامه فتسكن
الأشياء فيه. وقوله تعالى والنوم سباتا أي راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال وأصل السبت القطع. وقوله
تعالى وجعل النهار نشورا أي حياة من موت المنام لتنتشر الناس فيه لمعاشهم كما قال وجعلنا النهار معاشا. وكان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور. وقال القشيري رحمه
الله روي النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بعض أسفاره وقت القيلولة في ظل شجرة وكان معه خلق كثير فمد الله
تعالى ظل تلك الشجرة حتى وسع جميعهم ونزلت الآية وكان ذلك من معجزاته. وقال مد الظل على أوليائه فقوم
في ظل الحماية. وآخرون في ظل الرعاية. وآخرون في ظل العناية. وآخرون في ظل الكفاية. وقال في قوله وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا قال هو وقت سكون القوم ووقت انزعاج المحزونين فأرباب الغفلة يسكنون وأصحاب
المحبة يسهرون إن كانوا في روح الوصال لم يناموا لكمال أنسهم وإن كانوا في ألم الفراق لم يناموا لكمال وجدهم
وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو نشرا بضم النون و
الشين وهي جمع نشور أي ناشرات للغيم تنشره وتبسطه في السماء تحركها كما تنشر الشيء المطوي. وقرأ ابن عامر
وأبو عمرو في رواية بضم النون وسكون الشين. وقال الكلبي هو الريح الطيبة مأخوذ من نشر المسك. وقيل
أي حياة. وقرأ عاصم بالباء مضمومة من البشارة بين يدي رحمته أي مطره وهو من بيان قدرته ونعمته أيضا. وقوله
تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا نقل الكلام من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه كخطاب الملوك جمعا وهو من وجوه
تشريف الكلام والطهور بالغة في الطهارة. وقيل هو ما يطهر به كالوضوء ما يتوضأ به والسحور والفطور والنور
كذلك. وقوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا بإنبات النبات وإخراج الثمار. وقوله تعالى ونسقيه مما خلقنا أنعاما
وأناسي كثيرا جمع إنسي أي نمكنهم من أن يشربوه ويسقوا به دوابهم. وقوله تعالى ولقد صرفناه بينهم قيل أي صرفنا
الماء الطهور وهو المطر أي قسمناه بين العباد فجعلناه سنة هطلا وسنة قطرا ينقص حولا القوم ويزاد لقوم
وقوله تعالى ليذكروا. قرأ حمزة والكسائي ليذكروا بالتخفيف والباقون بالتشديد ليتذكروا نعمتي فيشكروا لي
ومعنى القراءتين الذكر والتذكر بالقلب. وقيل الذكر الشكر باللسان والتذكر كذلك إحضار القلب بالذكر. وقوله
تعالى فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي كفرانا للنعم لأنهم يضيفون النعمة والمطر إلى الأنواء فيقولون مطرنا بنوء كذا. قال
تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون. وقال الحسن ليذكروا أي ليتذكروا بالمطر الذي أنزله فأحيى به الأرض أنه
قادر على أن يحيي الموتى فأبى أكثر الناس إلا كفورا بالبعث. وعلى هذا تصريفه إمطاره في كل البلاد مرة هاهنا
ومرة هاهنا ليشترك الكل في التذكير به. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما من عام بأقل مطرا من عام ولكن الله تعالى
يصرفه حيث يشاء. وقرأ هذه الآية. وقيل ولقد صرفنا الذكر في القرآن في السور كلها بين الناس ليذكروا أي ليتعظوا
وينتبهوا فأبى أكثر الناس إلا كفورا بالنعم وكفرا بالمنعم. وقوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع
الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا أي ولو شئنا لأرسلنا في كل مصر نبيا ولكن لم نفعل فجعلناك نذيرا للجميع
فاشكر نعم الله عليك. وقوله تعالى وجاهدهم به جهادا أي بالقرآن أي حاججهم وجادلهم به وقرعهم بالعجز عنه
وقيل جاهدهم بالسيف والصحيح الأول لأن السورة مكية وكان الأمر بالقتال بعد ذلك. وقيل ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا تكثيرا للآيات ولكنا اخترناك وخصصناك بالدلالات فلا تطع من كذبك بل جاهدهم بالقرآن فقد لزمتهم
الحجة كما قال أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم. وقيل ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا لضعف بذلك

المؤونة ولكنا حملناك ثقل تبليغ الرسالة الى كل القرى لتنال بصبرك ما اعد الله لك من الكرامة والمثوبة فلا تطع الكافرين
فيما يدعونك اليه من عبادة الهتهم وجاهدهم بالقرآن جهادا كبيرا بليغا كما قال تعالى نذقه عذابا كبيرا • وقيل جهادا كبيرا
بليغا اي عظيما موقعه عند الله وعلى حسبه الثواب عليه • وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين وهو بيان نعمة وقدرة
ايضا اي خلاهما وارسلهما في الارض • وقوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا
اي احد البحرين عذب اي طيب فرات اي شديد العذوبة والاخر ملح فيه ملوحة اجاج مر قيل ارادنه الانهار العظام
يعني ارسل في الارض المياه • على ضربين احدهما عذب والاخر ملح وكل واحد منهما بحر فالفرات العذب كالنيل والفرات
ودجلة وسيحان ونحوها والملح الاجاج كالبحار المعروفة وجعل بينهما برزخا اي حاجزا وحجرا اي سترا مانعا محجورا
اي مستورا ممنوعا • وقيل محجورا اي محرما محدودا كما يقال الحد محدود وحرام محرم وذلك هو الحواجز في البلاد
فلا يختلط احدهما بالاخر كذلك فيفسد على الناس مياههم فاذا قامت الساعة زال الحاجز فاختلطت قال تعالى
واذا البحار سجرت وهو قول الحسن • وقيل بحر الارض وبحر السماء • وقيل بحر تحت الارض والبرزخ الارض وقيل
هو بحر واحد من البحار المعروفة يجتمع فيه الماء العذب والماء الملح في مكان واحد فلا يختلطان فيفسد العذب
بالملح وجعل بينهما برزخا حاجزا من القدرة قاله قتادة • وقيل برزخا هو مدة الدنيا فاذا قامت الساعة اختلط
بالاخر وذلك قوله واذا البحار سجرت وسياتي بيان ذلك في سورة الرحمن قيل هما بحر الهند وبحر الروم • وقيل
هو بحر العراق وبحر الشام • وقوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا وهذا ايضا بيان قدرته ونعمته بشرا
قيل خلق ادم من الطين واصله الماء فجعله نسبا ادم وصهرا حوى • وقيل خلق من النطفة ولد ادم فجعله نسبا
اي قرابة وصهرا اي مصاهرة وهي الوصلة بالنكاح من الانساب لان التقارب والتواصل بها والمصاهرة
لان التوالد والتوالد يكون بها • وقيل فجعله نسبا لمن ولد منه ولمن يولد منه وصهرا لمن يتزوج به • وقال الخطابي
الصهر ابو زوج البنت وما كان من قبل زوج البنت فهم اصهار وما كان من قبل المراة فهم احماء وكان ربك قديرا
على كل شي • وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي الله مالك النفع والضر وهؤلا
المشركون بجهلهم يعبدون من دونه جمادا لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوا عبادته • وقوله تعالى وكان
الكافر على ربه ظهيرا • قال عطية العوفي والشعبي ومجاهد نزلت في ابي جهل بن هشام لعنه الله • وقيل هو
اسم جنس يقع على كل كافر ظهيرا • قال قتادة ومجاهد ان الكافر اذا اتى بالكفر والمعاصي كان معينا للشيطان
على الاعوان على الكفر والاستكبار • وقيل على ربه اي على اوليائه • قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة اي يعين الكافر الشيطان على معاداة اولياء الله • وقيل اي يستظهر
الكافر بالاوثان وعبادتها وعبدتها على مغالبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • وقيل الظهير المهين
المخلف الظهر اي وكان الكافر على ربه هينا حقيرا • وقيل على ربه معناه على ما يعتقده ربا وهو الصنم وسما
وكان الكافر على ربه ظهيرا اي قويا قادرا او متسلطا وتاويل الاية ان الصنم لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شي وعابد
الصنم قادر على الصنم يعمل به ما شا وينقله حيث شا وهو بيان جهلهم انهم يعبدون ما هو عاجز وهم قادرون
عليه • وقوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي للموافق ونذيرا للمخالف قل ما اسالكم عليه من اجر
اي على التبليغ • وقيل على التبشير الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا من شا ان يتخذ الى ربه قربة بانفاقه
فليفعل والاستثنا منقطع بمعنى لكن • وقيل هو استثنا حقيقة الا من اتخذ السبيل الى ربه بالتوحيد فانه اجري
اي يا جري في الله تعالى بدعوتي اياه واجابته اياي • قال تعالى فكتبت ما قدموا واثارهم • وقيل اتخاذ
السبيل الى الله تعالى هو بالايمان به • وقيل اي مودة رسول الله لقرابته كما قال الا المودة في القربى • وقيل
اي لا اطلب لكم به الاجر • وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت بالتبليغ فانه يحفظك ويحرسك • وقوله
تعالى وسبح بحمده اي نزه الله تعالى عما يصفه به هؤلا واحمده اي صفه بصفاته الحميدة • وقيل اي صل لله
تعالى حامدا له فيها • وقوله تعالى وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي عالما بمعاصي هؤلا المشركين فهو يجزيهم
عليها • وقوله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فقد فسرنا هذه الكلمات
سالفا وهذا كله صفة قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت • وقوله تعالى الرحمن اي هو الرحمن او ثم استوى
الرحمن على العرش استوى او كان ربك الرحمن قديرا وهو خبر المبتدا والمبتدا قوله الذي خلق السموات
والارض • وقوله تعالى فاسئل به خبيرا • قيل فاسئل يا محمد الرحمن عن ذلك فانك تسال خبيرا بما خلق وخبيرا
مفعول سل وبه بمعنى عنه كما قال سال سايل بعذاب واقع اي عن عذاب والخبير صفة الله تعالى وهو معنى قول
الحسن ان سال الله فهو خبير بالعباد • وقيل معناه فاسئل الله اي عن الله خبيرا اي عالما وهو الله تعالى العالم
بحوايجك ومصالحك وبه على هذا له معنيان احدهما انه صلة خبيرا اي خبيرا به والثاني ان يكون بمعنى سل
الله بالله كما تقول اعوذ بك منك واهرب منك اليك • وقوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اي صلوا لله
واخضعوا لامره قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له انسجد لما تامرنا بيا المغايبة في قراة حمزة

والكساي

والكسائي ابا مرنا بانى يدمحمد من غير ان نعرف • وقرا الباقون بالتا اي لما تامرنا انت يا محمد استفهام بمعنى الاستنكار • وقوله
تعالى وزادهم نفورا اي زادهم هذا الامر شرودا عن الاسلام • وقوله تعالى تبارك الذي جعل في السما بروجا قيل
قصورا • وقيل هي البروج التي هي حدود السور والحصون • وقيل هي البروج الاثنا عشر المعروفة الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت • وقوله تعالى وجعل فيها سراجا
اي وجعلنا [illegible] من البروج • قال تعالى وجعل الشمس سراجا وقمرا منيرا بالليل • ومن قرا سرجا فهي النجوم التي
يهتدي بها فهي كالمصابيح • وقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قيل اي مختلفين يجي هذا ويذهب
ذلك ويجي ذلك ويذهب هذا ثم يجعلهما [illegible] ليعلم الناس عدد السنين
والحساب ويكون الانتشار في المعاش وقت معلوم وللقرار والسكون وقت معلوم وفيه تنبيه على قدرته
ونعمته وذلك قوله لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ذلك • وقوله تعالى او اراد شكورا اي اراد شكر الله تعالى
بما انعم عليه • وقيل اي جعل الليل والنهار خلفة اي مختلفين في اللون ليتميز احدهما عن الاخر قال تعالى
فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا الاية • وقيل جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف
كل واحد منهما صاحبه فيكون خلفا عنه ووحد لانه مصدر قال زهير بها العين والارام يمشين خلفة واطلاوها
ينهضن من كل مجثم • كانه قال جعل كل واحد منهما خلفا عن الاخر [illegible]
في الاخر فيكون [illegible] توسعة الامر على عباده في نوافل الطاعات ما فاته في الليل يقضيه في النهار
الطويل الذي بعده وكذا الاحق له الحسن • وقيل اما خلفه في النقصان والزيادة ينقص احدهما ليزيد في
الاخر وهو كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • وقوله تعالى وعباد الرحمن اي وعباد
الله الذين رضي الله عنهم [illegible] باضافتهم اليه بالعبودية تشريفا لهم [illegible] كما يقال بيت
الله وناقة الله وشهر الله • وقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا اي اذا خرجوا يمشون بين يدي الناس
بما لا يدلهم من [illegible] وخشوع [illegible] وقارا وسكونا ومتواضعين لا بالتجبر ولا بالاختيال
ودق اقدام على الارض فهذا امشي ممدوح وقد ذكر المشي المذموم في قوله ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب
كل مختال فخور واقصد في مشيك • وقال ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سدادا من القول اي اذا خوطبوا بما يكرهونه لم يجيبوه
بسفاهة ومشاتمة بل صانوا انفسهم عن ذلك بل خاطبوهم بالذي يسلمون به من اذاهم ومن معصية الله تعالى
وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما اي يمضون ليلهم متهجدين لله تعالى قياما على ارجلهم
في موضع القيام وسجدا في موضع السجود ومع ذلك يخافون الله تعالى وذلك قوله تعالى والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما • وقيل ملكا • وقيل دائما لازما • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اي شديدا • وقوله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما اي ان جهنم بئس موضع قرار وموضع الاقامة والاستقرار
اقل من الاقامة وجهنم مستقرا للعصاة ومقاما للكفار • وقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا والاسراف مجاوزة الحد في الانفاق والاقتار التقصير عن الحد فيه وقد قيل من جاوز حد العدل وضرب
واقتر من باب دخل وهذا من صفات عباد الرحمن ايضا • قال ابراهيم السرف مجاوزة الحد في النفقة والا
التقصير عما لا بد منه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاسراف الانفاق في معصية الله تعالى قل او كثر
والاقتار منع حق الله تعالى من المال • وقوله تعالى وكان بين ذلك قواما اي بين ذينك قواما اي عدلا والقوام
بالفتح العدل والقوام بالكسر ما يدوم به الامر ونظامه وملاكه وهذا في المطعم والمشرب وكل شي
وقيل اي لم يتكلفوا فوق الطاقة ولم يقصدوا عن الحاجة • وقيل واذا تكلموا لم ياتوا بالفضول ولم يسكتوا عن
الحق واذا عملوا لم ياتوا بالمعصية ولم يتركوا الطاعة • والذين وقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها
اي لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله وهي النفس المسلمة والذمية • قال ابن مسعود رضي الله عنه
قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك ثم قال اي قال ان تقتل ولدك خشية
ان ياكل معك ثم قال اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر
الاية • وقال القشيري رحمه الله من النفوس المحرمة نفسك المسكينة وقتلها بغير حق تمكينك اياها من اتباع
ما فيه هلاكها وان السعيد اذا لم يبده ماثور ثم قوله الا بالحق دليل على جواز قتلها بحق وذلك بذبحها بسكين
المخالفات وما افلاحك الا بقتل عدوك واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك • وقوله تعالى ومن يفعل
ذلك يلق اثاما اي هذه الاشيا الثلاثة يلق اثاما اي يجزا اثمه • وقيل الاثام العقاب • قال الشاعر
جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام • اي عقابا • وقال قتادة الاثام النكال • وقال
مجاهد واد في جهنم من قيح ودم فيه حيات وعقارب كالبغال • وقوله تعالى يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا • قرا عاصم في رواية ابي بكر برفع الفاء من يضاعف ورفع الدال من يخلد على الاستئناف وقرا

ابن عامر يضعف بالتشديد مرفوعا • وقرا الباقون بجزمها على جزاء الشرط الا ابن كثير يقرا يضعف بالتشديد ومعنى يضاعف له العذاب اجتماع هذه المعاصي الثلاثة فيكون لكل معصية قسط ويخلد فيه مهانا اي يبقى في العذاب مهانا اي مذلا مستخفا به كما قال اخسئوا فيها ولا تكلمون • وقوله تعالى الا من تاب رجع عن ذلك وآمن بالله ورسوله وعمل صالحا اي في الطاعات • وقيل لما نزل هذا • قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منا الا وقد فعل هذا في الجاهلية فانزل الله تعالى الا من تاب • وقيل نزلت في قوم من المشركين عملوا هذه الاشياء جبنوا عن الدخول في الاسلام خوفا ان لا يقبل منهم • وقيل هو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في وحشي بن حرب غلام مطعم بن عدي بن عبد مناف • وقيل غلام جبير بن مطعم وذلك انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم انك تدعونا الى دينك وتقول ومن يدع مع الله الها اخر ويقتل النفس التي حرم الله ويزني يلقون من اهل النار واني قد فعلت هذا كله فهل من توبة فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال ان الله تعالى شرط المشية ولا ادري ايشاء الله تعالى ان يغفر لي ام لا يشاء فنزلت هذه الاية الا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال العمل لا اصل الى العمل الصالح فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال لا ارى في هذا شرطا فجاء فاسلم • وقال تعالى فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات قال الحسن اي في الدنيا يبدل الله العمل السيء بالعمل الصالح الشرك اخلاصا والكفر ايمانا والزنا عفافا واحصانا وقال قتادة هو طاعة الله تعالى بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر • وقال علي بن الحسين وابن هيثم(?) وابو يعلى هو في الاخرة يجعل سياته حسنات • قال سلمان يعطى رجل يوم القيامة صحيفة فيقرا اعلاها فاذا سياته اكثر فاذا كاد يسوء ظنه ينظر في اسفلها فاذا حسناته ثم نظر في اعلاها فاذا هي بدلت حسنات • وروي مثله عن ابن مسعود وعن ابي عثمان النهدي رضي الله عنه ان المومن يعطى كتابه في ستر من الله تعالى فيقرا سياته فاذا قراها تتغير لونه حتى يمر بحسناته فيقراها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سياته بدلت حسنات فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤوا كتابيه • وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما لمن تاب واليه اناب • وقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا الاول وهو قوله الا من تاب وامن في حق المشرك وهذا في حق المومن المذنب يقول ومن تاب من ذنوبه واتبعه عملا صالحا فانه يصادف توبته الى الله فله ما للاول من المغفرة وتبديل السيات حسنات • وقيل بخلاف ذلك • قال عبد الرحمن بن زيد والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية • قال هذه صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى المشركون والله ما كان هولاء الذين مع محمد الا معنا بالامس في هذا فانزل الله الا من تاب وامن ثم قال للمشركين ومن تاب اي منكم وعمل صالحا فان له مثل ما لهولاء فانه يتوب الى الله متابا لم يحظر التوبة عنكم • وقيل فانه يتوب الى الله اي يرجع الى الله يوم القيامة والى ثوابه • وقوله تعالى والذين لا يشهدون الزور • قال قتادة اي الكذب • وقال الضحاك الشرك • وقال ايضا اعياد المشركين • وقال محمد بن الحنفية الغناء واللهو ويشهد بمعنى يحضر ولذلك لم يقل لا يشهدون بالزور لانه ليس لاداء الشهادة ومن حضر الزور يشهد بها ايضا وثبت نقضا • والزور تمويه الباطل بما يوهم انه حق والتزوير فعل ذلك • وقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اللغو الفعل الذي لا فائدة فيه اي اذا مروا بقوم يفعلونه او يقولون ما لا يعنيهم مروا مر الكرام الذين لا يرضون به ويكرمون انفسهم ان يدخلوا فيه او يختلطوا باهله • وقال قتادة اي يباعدوا اهل الباطل على باطلهم • وقال مجاهد اذا مروا بمن يوذيهم صفحوا عنه • وقال ابن جريج اي اذا مروا بالباطل فسمعوه او راوه مروا كراما والكرم في بعضه ذلك ان لا يسمعوه كالغناء وفي بعضه ان لا يجيبوا وهو اذا سمعوا فحشا وفي بعضه ان ينهوا عنه بان يروا منكرا وفي بعضه ان يضاربوا بالسيوف كقطع الطريق ونحوه ويقال مات فلان كريما اي مدافعا عن نفسه واهله وقومه فلم يكن الكرم على وجه واحد • وقوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • قال الفضل(?) اي والذين اذا قرئ عليهم القران لم يقعدوا على حالتهم الاولى كانهم لم يسمعوا ولم يروا فاريد بذلك الخرور وقيل اي لم يخروا اي لم يلبثوا ولم يثبتوا • وقال القتيبي لم يتغافلوا عنها كانهم صم عمي • وقال الزجاج خروا سجدا وبكيا ولم يخروا صما وعميانا • وقيل لم يكونوا كالذي ولى مستكبرا كان لم يسمعها بل كانوا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه والذين اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا • وقوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا اي نسائنا واولادنا • قرا حمزة والكسائي على الواحد وذريتنا اي ولدنا • وقرا الباقون وذرياتنا على الجمع اي اولادنا • وقوله تعالى قرة اعين وحد القراءة لانها مصدر وهي تردد(?) ... وذلك من السرور وهذا الدعاء معناه اذ رزقتنا مومنين مطيعين فيه نتم السرور والراحة وهكذا وان كان من الذين لم يسلم ازواجهم ولا اولادهم سالوا الايمان ومن اسلم اهاليهم واولادهم سالوا الابقاء على الايمان • قال جبير بن نفير جلسنا الى المقداد بن الاسود يوما فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لوددنا انا راينا ما رايت وشهدنا ما شهدت فقال فاستغضب فجعلت اعجب وما قال الا خيرا ثم اقبل اليه فقال ما يحمل الرجل على ان يتمنى محضرا غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوام كبهم الله على مناخرهم في النار لم يجيبوه ولم يصدقوه او لا يحمد

انه اذا خرجكم لا تعرفون الا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم وقد كفيتم البلاء بغيركم والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على اشد حال بعث عليها نبي من الانبياء في فترة وجاهلية ما يرون دينا افضل من عبادة الاوثان فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى ان كان الرجل ليرى والده او ولده او اخاه كافرا وقد فتح الله قلبه للايمان يعلم انه ان هلك دخل في النار فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار وانها التي قال الله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين • وقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما هو سوال الرياسة في الدين على وفق السوال الاول والامام واحد يصلح للجمع وهذه درجة عليه • قال تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون • وقال ابراهيم عليه السلام اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين • وقال مجاهد اجعلنا ممن ياتم بمن قبلنا حتى ياتم بنا من بعدنا • وقال ابو روق واجعلنا للمتقين اماما في الجنة • وقيل اجعلنا ايمة للمتقين يوم الدين نتقدمهم في المضي الى الجنة • وقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اي هولاء يجزون بافعالهم وافعالهم(?) الغرف في الجنة بما صبروا على هذه الاخلاق والغرفة جنس يصلح للجمع • وقال تعالى وهم في الغرفات امنون • وقال تعالى لهم غرف من فوقها غرف • وقال القشيري رحمه الله استكثر القليل من عبادة فعدد افعالهم في ابان واستقل الكثير من نفسه فعدد الجنة بما فيها على كثرتها غرفة • وقوله تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما • قرا حمزة والكسائي بفتح الياء وتخفيف القاف وهي قراءة عاصم في رواية اي يكبرون فيها ويحيون فيها • وقرا الباقون يلقون بضم الياء وتشديد القاف اي يلقيهم الملايكة ذلك كما قال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم • وقيل يلقى بعضهم بعضا كما قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما • وقوله تعالى خالدين فيها اي في الغرفة حسنت مستقرا ومقاما • وقوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاوكم • قال مجاهد وابن زيد ما يصنع بكم • وقيل ما يفعل بكم • وقوله تعالى لولا دعاوكم اي دعاوه اليكم الى التوحيد والطاعة وقد دعاكم اليه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل لولا عبادتكم اياه اي لو لم يكن هذا ما بالى بكم • وقوله تعالى فقد كذبتم رسولي الذي دعاكم فسوف يكون تكذيبكم عذابا لازما لكم وذلك قوله تعالى فسوف يكون لزاما قيل ذلك يوم بدر وقيل هو عذاب الاخرة • وقال الضحاك ما يعبا بمغفرتكم لولا دعاوكم معه الها اخر فقد كذبتم فسوف يكون لزاما والحمد لله رب العالمين • والصلاة على خير البرية اجمعين • نسالك اللهم الايمان تماما • واعطاء الجنة انعاما واكراما • ونتقلد وجوه(?) احسانا وابتناما(?) • نومرك من الخير بلا نقصان • فانك انت الجواد والفضل والامتنان • نجني وولدي من الخزي والهوان • وعن السلاسل والاغلال والنيران • وان تنزلنا في جوارك في غرفات الجنان • مع الاولاد والاخلاء والاخوان •

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انزل ايات الكتاب المبين • الرحمن الذي نصر المرسلين واهلك المكذبين • الرحيم الذي امر نبيه بخفض جناحه لمن اتبعه من المومنين • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة طسم الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به • وهذه السورة مكية الا اربع ايات نزلت بالمدينة والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر السورة نزلت في حسان وكعب بن مالك(?) وابن رواحة وهي مايتا اية وست وعشرون • وقيل سبع وعشرون الاختلاف في قوله وما تنزلت به الشياطين • وكلماتها الف وثلثماية وتسع عشر • وحروفها خمسة الاف وخمسماية وسبعة وعشرون • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه قال لولا دعاوكم وكان الدعا بايات الكتاب المبين • وعلى لسان المصطفى الامين فلم يستجيبوا فشق عليه فقال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين • وقال فقد كذبتم • وقال ههنا فقد كذبوا • وقال فسوف يكون لزاما • وقال ههنا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون • وانتظام السورتين ان تلك السورة في بيان انزال الكتاب وارسال الرسول والدعا الى التوحيد ووعد الموحدين ووعيد الجاحدين وكذلك هذه السورة وفيها بسط القول بارسال الرسول وتكذيب الامم وعاقبة الفريقين • وقوله تعالى طسم • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قسم اقسم الله تعالى به • وقال قتادة هي فاتحة السورة • وقال مجاهد هي اسم هذه السورة • وقال الحسن هي اسما الله مقطعة الحروف • وقال محمد بن كعب القرظي اقسم الله تعالى بطوله وسنايه وملكه انه لا يعذب احدا من هذه الامة عاذ به بلا اله الا الله مخلصا من قلبه • وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عجزت العلماء عن علم تفسيرها وقيل طا شجرة طوبى • سين سدرة المنتهى • ميم محمد المصطفى اقسم الله بها • وقيل طا طوبى للمومنين • سين سلام على المومنين • ميم ملكه المومنين(?) • وقيل طا طهارة ابدان الصالحين • سين سلامة قلوب الزاهدين • ميم مشاهدة ارواح العارفين • وقيل طا طرب المشتاقين • سين سرور العارفين • ميم مناجاة المحبين • وقيل طا طول قيام المصطفى في خدمة رب العالمين • سين سوال العفو لامته من رب العالمين • ميم مقامه المحمود في شفاعة الخلق من رب العالمين • ميم مقامه المحمود الذي وعده ايضا • وقوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين اي هذه ايات • وقيل تلك

الايات التي تقدم نزولها ايات الكتاب اي القران المبين المظهر دلايل وحدانيتنا وصدق رسالاتك وما بالناس اليه حاجة
وقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين اى قاتل نفسك وهو مثل لحرصه على ايمانهم • وقيل الناسف على كفرهم قال
تعالى في سورة الكهف فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا • وقيل شفقة عليهم • وقيل غضبا
لله وهو كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • وقوله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
اى صارت رقابهم لنا خاضعة منقادة وجمع باليا والنون لانه وصفها بالخضوع وهو صفة من يعقل • وقيل الاعناق
الكبرا والسادة يقال هولا وجوه القوم واعناق القوم يعني اذا اسلم القادة اسلم الاتباع تبعا لهم • وقيل الاعناق
الطوايف • وقيل اي يخرج عنق من النار اي قطعة وطايفة • قال الامام ابو منصور رحمه الله ومعناه ان نشا ايمانهم
نزل عليهم من السما اية فامنوا به والمعتزلة حملوا ذلك على مشية القهر وانه الاضطرار وهو باطل لان الاية تضطر الى الايمان
بدون الاختيار • قال الله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية وانهم يقولون يوم القيامة والله ربنا ما كنا مشركين
ولا اية فوق روية احوال يوم القيامة • وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من وعظ في القران محدث في النزول والوصول
وقيل من ذكر من شرف يحصل لهم لانهم اذا قبلوه وعملوا به صار بعلمهم ذكرا في الناس الا كانوا عنه معرضين متولين على عادتهم
وقوله تعالى فقد كذبوا اى اقاموا على التكذيب فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزءون اي اخبار ما استهزءوا به وهو
القران واتيان الخبر عبارة عن حلول العقوبة تقول تفعل كذا وسيبلغك الخبر عن فعلك • وقيل فسياتيهم وهم
في النار اخبار الذين امنوا بما كانوا هم به يستهزءون او عند البعث او قبيل الوصول الى العذاب • وقيل هو الاخبار
بظهور هذا الدين وانتشار احكام هذا القران الذي كانوا به يستهزءون • وقيل سياتيهم يوم بدر • قال مقاتل
نزلت قوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين في ابي جهل وامية بن خلف وابي بن خلف اذ اذوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضاق بذلك صدره فنزلت عدة ايات لعلك باخع نفسك فلعلك باخع نفسك فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك ولقد نعلم انك يضيق صدرك • وقوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا
فيها من كل زوج كريم اي صنف حسن ولون حسن نفيس مما ياكله الناس والانعام افلا يعلم هولا المكذبون بهذا
الذكر ان ذلك لم يخلق عبثا وانما خلق لصلاح معاشهم قواما لهم مدة مقامهم في دار الامتحان • وقوله تعالى
ان في ذلك لاية اى في انبات كل زوج كريم لعلامة لوجوب شكره عليكم واقراركم له بالوحدانية واخلاص العبادة
وما كان اكثرهم مومنين وقد سبق في علمي وارادتي ان اكثر هولا المشركين لا يومنون • وقوله تعالى وان ربك
لهو العزيز الرحيم المنيع الذي لا يغالب فليس بعجزه وضعفه امهل العتدة هولا في الشرك والعتو الرحيم بل
بحلم بعقوبتهم اذ لا يخاف الفوت ويقبل توبة من تاب منهم قبل الموت ومن رحمته ايضا ارسال الرسل وانزال
الكتب لارشادهم وتنبيههم على مصالحهم ومفاسدهم • وقيل العزيز المنتقم من اعدايه الرحيم المنعم على اوليايه
وقوله تعالى واذ نادى ربك موسى اي واذكر يا محمد لقومك اذ دعا ربك موسى ليعرفوا بقصة موسى وما بعد
من قصص ساير الانبيا ان الله واصل الحجج لعباده ودعاهم الى توحيده وطاعته والانبيا صبروا على
اذى الامم وان كان النصر والفرج للموافقين والهلاك والعقوبة على المخالفين فكذلك انت وقومك
وقوله تعالى ان ايت القوم الظالمين اي قال له ذلك قوم فرعون بدل وترجمة عن الاول وذكر في بعض الايات
الارسال الى فرعون وملايه • وفي بعضها الى فرعون وملايه وبين هاهنا انه كان مبعوثا الى كل قومه • وقوله
تعالى الا يتقون استفهام بمعنى التوبيخ وهي كلمة استبطا وحث • وقوله تعالى قال رب اني اخاف ان يكذبون
اي لا يصدقوني فيردوا امرك • وقوله تعالى ويضيق صدري اي بتكذيبهم ولا ينطلق لساني بضيق صدري
وقوله تعالى فارسل الى هرون ولهم علي ذنب اي اجعله رسولا معي وعونا لي وشرحا لصدري واطلاقا للساني
وتقوية لي على القيام بامرك على الوجه • وقيل يضيق صدري غضبا لك لان اذا اشتد الغضب ضاق الصدر
ولم ينطلق اللسان • وقوله تعالى ولهم علي ذنب اى دعوى ذنب بقتل القبطي بالوكزة دفعا عن السبطي • وقوله
تعالى فاخاف ان يقتلون بذلك فاكفني ذلك في الاثنين قال كلا اي قال الله تعالى لا يقدرون على قتلك • وقوله
تعالى فاذهبا اي اذهب انت واخوك فقد اجبتك الى ما سالت من ضمه اليك • وقوله تعالى باياتنا اي ببراهيننا
وهي اليد والعصا وغيرهما باياتنا اى مع اياتنا كقولك دخل بسيفه اي مع سيفه • وقيل اي فاذهبا وانا
امدكما باياتي اى بحججي عند المحاجة • وقوله تعالى انا معكم مستمعون اي انا معك ومع هرون ومع فرعون وملايه
لما يجري عليكم وبينكم لا يخفى علي شي من ذلك والاستماع في غير هذا الموضع الاصغا للسماع ولا يجوز حمله هاهنا على
ذلك فحمل على السماع والافتعال بمعنى الفعل كثير يقال كسب واكتسب وسلب واستلب وخطف واختطف ونهب
وانتهب • وقوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين انما وحد لانه في معنى الرسالة وهي مصدر
فلا تثنى قال الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول • اي برسالة • وقوله تعالى
ان ارسل معنا بني اسرايل اي بان اطلق بني اسرايل عن الاستعباد وخلهم يذهبوا حيث شاوا وهو كان رسالة الحقيقة
وقوله تعالى قال الم نربك فينا وليدا اشهرها ما ... فقال له ذلك فقال الم نربك اي الم ... ناك في

الم فاستوصفنا لك وعددناك فينا اي بيننا وفي منازلنا وليدا طفلا مولودا • وقوله تعالى ولبثت فينا من عمرك سنين
وفعلت فعلتك التي فعلت كناية عن قتل القبطي • وقوله تعالى وانت من الكافرين من اهل كفران نعمتي اذ قتلت رجلا من
شيعتي قيل اي وانت الان تكفر بنعمتي وتدعوني الى طاعتك وتدعي ان لك الها غيري وتامرني ان افسد على ملكي بارسال
بني اسرايل معك • وقوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين اي ضربته وانا من الجاهلين بما يؤول اليه الضرب
لم اعلم انه ليصير قتلا والضال عن الشي هو الذاهب عن معرفته • وقال نفطويه اردت اني ضللت [illegible]
ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك الاية فخرج منها خايفا يترقب فوهب لي ربي حكما اي نبوة عنه • وقوله تعالى ففررت
منكم لما خفتكم ان تقتلوني وذلك حين قال له مومن ال فرعون ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك الاية فخرج منها
خايفا يترقب فوهب لي ربي حكما اى نبوة لان صاحبها يحكم على الناس بشرايع الدين فيلزمهم طاعته • وقوله تعالى
وجعلني من المرسلين ارسلني اليك والى قومك • وقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل • قال
الزجاج هذا اقرار من موسى لفرعون بمنته بما رباه • وقوله تعالى ان عبدت بني اسرايل اي استعبدتهم ولم
تستعبدني بل ربيتني في دارك وادخلتني في جملة اهلك قال وهذا كما يضرب الرجل احد عبديه ويترك
الاخر فيقول المتروك هي نعمة علي ان ضربت فلانا وتركتني ثم تحذف وتركتني لان المعنى قايم معروف ثم تقريب
هذا الكلام ان المنة تقتضي شكرا ومقابلة بالجميل فاذا نبهتك على رشدك وخلصتك من عذاب ربك
ودعوتك الى صلاح دينك ودنياك فقد شكرتك وقابلت نعمتك بما لا شي اجمل منه ونقل هذا من موسى ابطال
ان يكون ما امتن به عليه نعمة وفي اوله مضمر وهو استفهام وتقديره او تلك نعمة تمنها علي ان اتخذت بني
اسرايل عبيدا وهم اهلي ورهطي ولو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم فليس هذا موضع امتنان منك
والموضع اعتقاد مني له منه • وقيل معناه انك احسنت ما كان لك علي من المنة حيث عبدت قومي
كمن يمن على الرجل بشي يسير بعد اذ اسا اليه في اشيا كثيرة فيقول كيف تمن علي باذ رضيتني درهما وقد اخذت
مني الوفا • وقيل معناه انك تمن علي بان استعبدت بني اسرايل حتى ربوني وهم قومي واعراض علي من يربيني وذلك ان
امه هي التي ارضعته والذين ربوه من دونها فهم من نسا بني اسرايل دون نسا القبط فقال له اي منة لك
علي في التربية وانما تولى ذلك مني من لو لم يكن انت لكان هو يربيني ثم ان فرعون سار مع موسى الى المسالة في
قوله انا رسول رب العالمين فقال له وما رب العالمين قيل لرؤيته اي شي هو ومن اي الاجناس هو ظن ان
الذي يذكره موسى من احد اجناس الاجسام فاعرض موسى عن الجواب من هذا الوجه وصار الى الدلالة على
الله تعالى بافعاله التي تشهد لذوي العقول على الصانع العالم القادر فقال رب السموات والارض وما
بينهما اي مدبر ذلك ومصرفه فاليه ادعوا لا الى من له مائية • وقوله تعالى ان كنتم موقنين بما تعاينونه
رب العالمين ربما وقع عند فرعون انه لم يجبه عما ساله وانه اخبره بشي لم يعرف حقيقته • وقوله تعالى
قال لمن حوله الا تستمعون ما اساله عنه وما يجيبني عنه فعاد موسى الى مثل قوله الاول فقال وهو قوله
ربكم ورب ابايكم الاولين اي هو خالقكم ومصرفكم ومدبركم على ما يريد وخالق ابايكم الاولين ومدبرهم
ومصرفهم اى ليس الطريق الى معرفته ما سالتني عنه من المائية انما الطريق الى معرفته الاستدلال عليه
بما قلت فلما راه فرعون ثابتا على مثل جوابه الاول لا يجيبه عن المائية قال وهو قوله تعالى ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون مستهزيا به يقول ان هذا الذي يزعم انه رسول الله ارسله اليكم لمجنون لا يعقل ما يقال
له ويسال عن شي ويجيب عن غيره فعاد موسى ثالثة الى مثل كلامه الاول بالدلالة على الله تعالى بافعاله
فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما اي رب العالمين هو الذي يطلع الشمس ويغربها وهو خالقهما ومصرفهما
على هذا الانتظام والاسباب الذي ترون وتشاهدون ان كنتم تعقلون ما يقال لكم وكانت لكم عقول تعقلون بها
على الكلام والمقصود فرب العالمين هو المدلول عليه بهذه الاشيا لظهور اثار الصنعة فيها وشهادتها ان لها
صانعا عالما قادرا لا يشبهها فلما اوضح موسى عليه السلام ما اراد ترك مسايلة موسى اذ لم يتهيا له ان يدفع ظهور
اثار الصنعة مما ذكر فاشتغل بوعيده بالحبس فقال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين اي لاجعلنك
مع من سجنتهم لسعيهم في فساد مملكتي وتفريق شمل رعيتي • وقيل لما قال موسى انا رسول رب العالمين سال فرعون
عن مقدار ملك من ارسله على ما اسال عنه من الملوك اذا وردت رسلهم فيقول هذا ما صاحبك اي ما مقدار
ملكه وسلطانه فقال موسى صلوات الله عليه هو رب السموات والارض وما بينهما فتعجب جلساوه من جوابه
وقال فرعون الا تستمعون ما يقول موسى من سعة ملك من ارسله على ما اسال عنه اي متى يكون هذا فاوضح
موسى وقال ربكم ورب ابايكم الاولين وكان فيه تضليل هولا الذين يعبدون من دون الله فكان هذا
اشنع من الاول عندهم وابعد من وفاق فرعون فيما يدعي من الربوبية فقال هو مجنون اذ يزعم ان له الها غيري
فزاد موسى عليه السلام في بيانه فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فاعقلوا وميزوا بين
من يملك الدنيا كلها من شرقها الى غربها وبين من لا يعدو ما ملكه حدود مصر فقال لين اتخذت الها غيري اي امرت

على عبادة قوله لاجعلنك من اهل السجون وكان اذا سجن احدا لم يخرجه من سجنه حتى يموت قطعا للاستفادة • وقوله تعالى قال
اولو جئتك بشيء مبين اي ارايت لو جئتك بشيء يبين لك صدق دعواي الرسالة وانه مالك الملوك اتجعلني من المسجونين
ان عبدت هذا الا الله فلم يتهيا له دفعه • وقوله تعالى قال فات به ان كنت من الصادقين في دعواك • وقوله تعالى
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي فتحولت عصاه ثعبانا ابان عن نفسه انه ثعبان • وقال في اية اخرى كانها جان
والجان الى الصغر ما هي فالتوفيق بينهما انه صار ثعبانا في خلقته جانا في خفته • وقوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء
كالثلج للناظرين لمن نظر اليها • قال فرعون للملا حوله اي للاشراف ليلبس عليهم ان هذا لساحر عليم اي في السحر
وقوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره اي يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب به بعضكم
فيخرجكم من بلادكم • وقوله تعالى فماذا تامرون اي يشيرون به في امره من حبس او قتل او غير ذلك • وقوله تعالى
قالوا ارجه اي اخره وقيل احبسه واخاه هرون كذلك وابعث في المداين حاشرين اي امصار مملكتك حاشرين
رجالا يحشرون السحرة اي يجمعون ويحضرون ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وهو يوم
الزينة يوم عيد ويوم نيروز وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي اجتمعوا في هذا اليوم • وقوله لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين اي ان الغلبة تكون لهم فاجتمعوا ليتبعهم اي ليكون من جملتهم وعلى دينهم وقيل دين فرعون
ولعل للتحقيق ههنا كما في قوله تعالى واتقوا الله لعلكم ترحمون اي لترحموا فلما جاء السحرة اي خاف فرعون
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اي جعلا ان كنا نحن الغالبين لموسى وهرون قال فرعون نعم لكم جزاء عندي وانكم
اذا لمن المقربين اي ويكونون مع ذلك مقربين عندي في المنزلة والجاه فيكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج وقيل
يدخلون علي من غير اذن • وقيل تقبل شفاعتكم فيمن تشفعون لهم • وقوله تعالى قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي
ما تريدون ان تلقوه من الحبال والعصي فتعلمون بطلانها وغلبة الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون • قال ابو القاسم بن ابي برة كانوا سبعين الف ساحر والقوا سبعين الف حبل وسبعين
الف عصا فجعلت تسعى فتعاظم ذلك عندهم وتوهموا انهم غلبوا موسى بكثرتها فقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون • وقوله تعالى فالقى موسى عصاه اي بامر الله تعالى فاذا هي تلقف ما يافكون فصارت ثعبانا فجعلت
تلتقم ما القوه يوهمون به الانقلاب زورا وبطلانا • وقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين وصاروا كالمضطر
القوا قالوا امنا برب العالمين وكانوا احتفظوا الاسم حين قال انا رسول رب العالمين فقال فرعون تعنونني
فقالوا رب موسى وهرون وفيه اقرار برسالتهم فلما راى فرعون ذلك تحير وقال امنتم له اي صدقتم موسى قبل
ان اذن لكم بذلك انه لكبيركم الذي علمكم السحر اي الاستاذ لكم الذي علمكم السحر وهذا تلبيس منه على العامة
ثم قال فسوف تعلمون وهذا تهديد • وقوله تعالى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين اراد
به ترهيب العامة ليلا يتبعوهم في الايمان قالوا لا ضير اي لا يعدد ذلك الضر علينا فانه تعب ساعة ثم نصير
الى كرامة الله تعالى • وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون • وقيل هل علمنا الا ان تقتلنا فينقلبنا الى ربنا وقيل
انا وانت منقلبون الى ربنا فيجزي كلا على عمله • وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا المتقدمة ان
كنا اول المومنين به وبرسوله في هذا المحل وقد مرت القصة وفوايدها • وقوله تعالى واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي اخبرنا الا انه امر فرعون وقومه من الهلاك بالغرق وامر موسى وقومه من العلو والنصر
فقال واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي سر ببني اسرايل ليلا وسماهم عبادة لايمانهم بنبيه انكم متبعون
اي يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم ويحاربوكم ان لم تنصرفوا وكان هذا بعد سنين من امر السحرة فارسل فرعون
اي ففعل ذلك موسى وخرجا فاخبر فرعون بذلك فارسل فرعون في المداين اي امصار عمله حاشرين
اي شرطا يحشرون الاجناد اليه للاتحاد • وقوله تعالى ان هولاء لشرذمة قليلون قال فرعون حيث تبعهم
قومه بجنوده ونظر اليهم فاستقلهم وكانوا ستماية الف وسبعين الفا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
وفرعون في الف الف فارس والشرذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة • وقيل الطايفة والشرذمة كل شي
لفيفة القليلة • قال الراجز جا الشتاء وقميصي اخلاق شراذم يضحك منه التواق • وقوله تعالى وانهم لنا
لغايظون فعلوا ما يغيظنا ويسخطنا وهو خروجهم من مصرنا • وقيل بحملهم الحلي الذي استعاروه وهاموا به
للعيد وانا لجميع حاذرون • قرا حمزة والكسايي وعاصم بالالف • والباقون حذرون بغير الف ومعنى وانا
لجميع اي مجتمعون متفقون الاراء • قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى • وقال تعالى ام يقولون نحن جميع
منتصر حذرون ناخذوا السلاح وحذرون متيقظون متاهبون وقوم موسى لا سلاح معهم ولم يتاهبوا القتال
فيحض بذلك قومه • وقال العبدي حذرون عالمون بالحرب • وقوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون
اي فاخرجناهم من مصر فلم يرجعوا اليها من جنات بساتين وعيون كثيرة المياه وكنوز من ذهب وفضة
ومقام كريم • قيل هو جمع مقامه وهي مقامات كانت تقوم بها اشرافهم ورؤساهم في المحافل التي يجتمعون فيها
لجلايل الامور كما كانت العرب تفتخر بذلك • وقيل هي منابر كانوا يذكرون عليها ملكهم فرعون ويثنون عليه وكان

بلوم

بلوم عليهم ذلك ويعظم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت بمصر الف منبر يثنون عليها على فرعون • وقيل هي الدور الواسعة
وقيل هو المسكن الحسن الشريف • وقوله تعالى كذلك اي كذلك كان الامر اخرجناهم منها ولم نعدهم اليها • وقوله تعالى
واورثناها بني اسرايل اي ومكناها بعدهم قوم موسى وقيل ردت بنو اسرايل الى ارض مصر فسكنوها • وقيل ملكوها فنقلوا ما فيها
وذهبوا به الى الشام وسكنوا الشام • وقيل ملكوا بعد ذلك بلاد مصر وكنوزهم ومداين فرعون بعد ذلك بزمان في عصر داود
وغيره • وقوله تعالى فاتبعوهم اي فلحقوهم اي لحق فرعون وقومه موسى وقومه وقد تبعتهم اي قفا اثره واتبعه اي لحقه • وقوله
تعالى مشرقين اي حال شروق الشمس وهو طلوعها وقد روينا ان قوم فرعون اشتغلوا بدفن موتاهم من ابكارهم الى ان بسطت
الشمس ومشرقين في الظاهر حال قوم فرعون • وقيل هو حال قوم موسى في ضيا الشمس فلحقوهم فوجدوهم في ضيا الشمس
فلما ترا الجمعان اي تلاقيا فصار كل جمع يرا الجمع الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قرب قوم فرعون منا بحيث
يدركوننا فوراء ذلك • وقوله تعالى كلا اي قال موسى ليس كذلك نحن ادنا كهم اياهم وفيه حجتنا على نفاة رؤية الله
تعالى الذين يتعلقون بقوله لا تدركه الابصار ورينا ولونه لانراه فانه نفي الادراك مع اثبات الرؤية بقوله فلما
ترا الجمعان فعلم انه ليس المنفي في قوله تعالى لا تدركه الابصار دون الرؤية • وقوله تعالى ان معي ربي سيهدين اي
سيعرفني الطريق الذي في سلوكه نجاتي ونجاة من معي • وقوله تعالى واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
هو بحر القلزم فانفلق ههنا مضمر اي فضرب فانفلق اي فانشق فصارت فيه طرق كل فرق من الماء • وقوله تعالى
كالطود العظيم والفرق بالفتح مصدر قال تعالى واذ فرقنا بكم البحر والفرق بالكسر الاسم كالفسق والنشر والتلف
اي ارتفع ما كل طريق في الهوا فصار كجبل وكانوا اثني عشر سبطا فصار اثني عشر فرقا فسلك كل سبط فرقا فجاوزه
حتى اضحوا وازلفنا اي قربنا ثم اي هنالك من البحر • وقوله تعالى الاخرين اي قوم فرعون فدخلوه على ان يسلكوا
فيه كما سلك موسى وقومه فانضم عليهم البحر وصارت الافراق كلها شيا واحدا • قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم
وازلفنا اي قربنا قال تعالى وازلفت الجنة • قال ابو عبيدة اي جمعنا ومزدلفة لجمعها • وقال الحسن ازلفنا
اي اهلكنا اي قربناهم الى الهلاك • وقوله تعالى وانجينا موسى ومن معه اي قومه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
قوم فرعون بعد اخراج قوم موسى وفيه ابطال القول بتاثير الكواكب في الاجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا
في الهلاك مع اختلاف الطوالع • وقوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
تدفنا ذلك كله مرة • وقوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم اهل كتاب ومشركين اهل
الكتاب بقصة نبيهم موسى وخالج المشركين بقصة ابيهم ابرهيم فلذلك جمع بين القصتين • واتل عليهم اي واقرا عليهم
خبر ابرهيم • وقوله تعالى اذ قال لابيه ازر وقومه ما تعبدون اي اي شي تعبدون قالوا نعبد اصناما تماثيل مثله
فنظل لها عاكفين وخدمتنا طول النهار وهذا ظاهر الكلمة ويجوز ان يكون عبارة عن فيكون كم تستعمل كلمة اصبح
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عند نعم الله ومنته عليهم فكان الادب في ان لا يضيف المكروه الى المنعم • وقوله تعالى فهو يشفين ليس معناه انه يشفي الحال
لكن معناه اذا مرضت ثم شفيت فالله هو الذي شفاني دون غيره • وقوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين اي هو الذي
اماتني واحياني بعد موتي • وقوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين تلطف في سوال المغفرة واحسن
في الثناء على الله وتنبيه المشركين على ضلالتهم في عبادة الاصنام وان معبودي هو الذي ان اخطات كان هو الذي ارجوا
منه المغفرة لسعة رحمته فلا حاجة الى عبادة شي من دونه ارجوا ان يشفع لي عنده يوم الدين اي يوم الحساب والجزا
ومنهم من حمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا وهذه اختي ولم تكن هذه الكلمات خطيات وهي معاريض
جايزة لكن معناه ما ذكرنا انه ليس لتحقيق الخطيئة لكن لرجا المغفرة منه لو وقع في الخطيئة ما لم يقع من الانبيا ما يعاتبون
عليه فهو زلة فليس بذنب ولا معصية وقد عرف ذلك في موضعه ان شا الله تعالى • وقوله تعالى رب هب لي حكما وهو
دوام العلم والفهم فكان هذا سوال الادامة كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم • وقيل هذا سوال اصواب الحكم الذي
يحكم به وقبول ذلك في قلوب الخلق • وقوله تعالى والحقني بالصالحين اي الانبيا اي توفني على ما توفيتهم واجعل لي
لسان صدق في الاخرين اي وابق لي الثنا الحسن على السنة عبادك الى اخر الدهر ففعل الله تعالى فكل اهل الاديان
يتولونه وينسبون اليه • وقيل معناه اجعل في اخر الزمان من ذريتي من يقول بالحق ويقوم بالدين ويدعوا الناس اليه
وذلك راجع الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه • وقوله تعالى واجعلني
من ورثة جنة النعيم اي من الباقين فيها • وقوله تعالى واغفر لابي اي اجعله اهل المغفرة باعطا الاسلام • وقوله
تعالى انه كان من الضالين للحال رجا اسلامه فسال الله تعالى ان يعطيه ذلك وكان وعده من نفسه ذلك • قال
تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية • وقوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون اي
لا تخجلني بتفضيحي يوم القيامة • وقيل اي لا تخطي البني بصدق الخلة فاستجاب الله دعواته فقال اولئك الذين
اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة • وقال وانه في الاخرة لمن الصالحين • وقال وجعلنا لهم لسان صدق • وقال
ان الارض يرثها عبادي الصالحون • وقال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه • وقوله تعالى يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم استثنا منقطع بمعنى لكن ينفع من اتى كذلك نفعه بقلب سليم
اي سالم عن الشرك والنفاق فالسليم المخلص والميت الكافر والمريض المنافق تنبيها بسلامة البدن وبرء
وصونه • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القلب السليم المنزوي من بغض اهل بيتي واصحابي
وازواجي • قال الحسين بن الفضل رحمه الله بقلب سليم من افة المال والبنين • وقال الجنيد السليم في اللغة
اللديغ وهو لا يستقر فالقلب السليم الذي اقلقه الحب فلا يستقر • وقال الاستاذ ابو القاسم بن حبيب
القلب السليم الذي سلم من ذكر غير الله وسلم الامر الله واسلم نفسه الى الله وسالم ربه اي رضي بقضا الله وسلم
اي انقاد لحكم الله • وقال مقاتل بن سليمان اي خالص وخلص من حب الدنيا • وقيل هو السالم من الهوى والبدع • وقيل
هو السالم من الذنب والزلة • وقيل هو السالم من الحسد والخيانة • وقيل هو الذي لا هم فيه غير الله • وقيل هو
الذي لا شك في الله ولا في الدين ولا في الرزق ولا في الوعد • وقال ابو سليمان الداراني هو الخالي عما سوى الله
وقال الشيخ ابو القاسم الحكيم هو الذي لا يوذي الخلق ولا يتاذى منهم ولا يسوقه الاحسان على احسانه اليهم
وقيل السليم هو الذي لا يزيل تغير الاحوال يقينه ولا يقطع جفا الخلق شفقته • وقال القشيري رحمه الله ان
ابرهيم الخليل حقق مقام الخلة بان قال فانهم عدو لي الا رب العالمين جمع ابوهم واخوهم في اسم واحد يطلق على البا
على المرد تقليلا لهم ثم اعرض واشتغل بذكر الله فقال الا رب العالمين ثم لما اخذ في وصفه كاد لا يسكت
ومن امارة المحبة كثرة ذكر المحبوب والاعراض عن ذكر غيره • وقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين من صفات
قوله يوم يبعثون اي قربت لهم لدخولها • وقوله تعالى وبرزت الجحيم اي اظهرت للغاوين اي للضالين • وقيل
للخايبين من رحمة الله تظهر لهم قبل ان يدخلوها ليجد الاجاعهم وافزاعهم كما قربت الجنة للمتقين لافراحهم
واستاعهم • وقوله تعالى وقيل لهم اي للغاوين اينما كنتم تعبدون من دون الله وهذا تعبير لهم وتوبيخ هل ينصرونكم
او ينتصرون اي هل يمنعونكم من العذاب او يمتنعون بانفسهم وهو استفهام بمعنى النفي اي يدخلون النار معكم
لتشديد العذاب • وقوله تعالى فكبكبوا فيها اي كبوا والقوا على رووسهم فيها اي في الجحيم هم المعبودون • وقوله
تعالى والغاوون اي عابدوهم الضالون وجنود ابليس اجمعون اي اعوانه كلهم سوى هولا • وقيل الغاوون
الشياطين وجنود ابليس الذين عصوا الله ودعوا الى المعصية • وقوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون اي الاتباع
والمتبوعون فهو كقوله واذ يتحاجون في النار • وقوله تعالى تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي قال عبدة الاصنام والله
ما كنا الا في غواية ظاهرة اذ نسويكم ايها الاصنام برب العالمين في العبادة واعتقاد الربوبية • وقوله تعالى
وما اضلنا الا المجرمون الذين دعونا الى ذلك فما لنا من شافعين من الاباعد ولا صديق حميم من الاقارب نخلصنا
فلو ان لنا كرة فيا ليت لنا رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين بالله ورسوله • وقوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين بالله ورسوله • وقوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة قوم نوح فلذلك انث • وقوله

قالوا تالله ان

المرسلين

المرسلين اي نوحا في دعوته الى رسالته والدعا الى توحيد الله تعالى وطاعته والى ذلك دعا من قبله من الرسل ومن بعده فكان تكذيبه
في ذلك تكذيبا لهم الكل • وقوله تعالى اذ قال لهم اخوهم اي كذبوا اذ قال لهم اخوهم اي نبيهم نوح الا تتقون الله فتتركوا عبادة
الاصنام استفهام بمعنى الامر • وقوله تعالى اني لكم رسول امين اي امين عليكم غير خاين لكم • وقيل امين الله على وحيه •
وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لاني رسول امين فيما امرتكم به وما اسالكم عليه من اجر اي منكم على تبليغ الوحي ان اجري
اي ثوابي الا على رب العالمين اي من رب العالمين بوعده • وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون كرر لتكرار الداعي الاول
فاتقوا الله واطيعون لاني رسول امين والثاني فاتقوا الله واطيعون لاني لا اسالكم عليه من اجر فكل واحد منهما يقوي
الصدق ويدعوا الى التصديق • وقوله تعالى انومن لك واتبعك الارذلون • قال المفضل اي السفلة • وقال عكرمة اي
الحاكة والاساكفة • وقيل الحجامون • وقيل ناقصوا العقول اي انصدقك فيما تدعونا وننقاد لك وانما اتبعك الخسا
منا الفقرا والضعفا مما تستنكف منه ولم يعلموا ان الفضل لمن فضله الله تعالى بالدين لا لمن له المال والرفعة في الدنيا
قال وما علمي بما كانوا يعملون • وقيل ولا حاجة الى علم ما كان هولاء يعملونه من الاعمال التي استرذلتموها ان حسابهم اي
ما حسابهم الا على ربي لو تشعرون لو تعلمون انه كذلك • وقيل قالوا انما اتبعوك ليكون ذلك شرفا لهم ورفعة
واتبعوك طمعا في مال الدنيا لا انه منهم التصديق لك وانما ياتوك وباطنهم بخلاف ظاهرهم فقال وما علمي بما كانوا يعملون
في الباطن وكان زايدة كما في قوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا • وقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وهو يجازيهم
على حقيقة امرهم وانا على الظاهر وهم في الظاهر مومنون مصدقون وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير مبين
فاذا قبلوا ما انذرتهم لم يكن لي ان اطردهم قالوا لين لم تنته يا نوح اي من ادعا الرسالة وعن سب الهتنا • وقوله
تعالى لتكونن من المرجومين • قيل اي من المشتومين • وقيل اي من المقتولين بالحجارة او غيره فشتمهم او رجمهم • وقوله
تعالى قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاقض بيني وبينهم قضا اي اهلكهم ونجني ومن معي
من المومنين اي هو حكمك فاحكم بهذا الحكم وهو انجاز الموعود • وقوله تعالى فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون اي السفينة المملوة • وقال مجاهد المفروغ منه تحميلا • وقال الحسن الموقر • وقال عطا المثقل • وقال
الربيع بن انس اي المملوة والفلك يذكر ويونث • وقوله تعالى ثم اغرقنا بعد اي بعد انجاينا نوحا والمومنين
الباقين من قومه بالطوفان ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره • وقوله
تعالى كذبت عاد المرسلين اي هودا ومن قبله ومن بعده من الرسل اذ قال لهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره • وقوله تعالى اتبنون بكل
ريع اية تعبثون • قال قتادة بكل طريق • وقيل بكل سوق • وقيل بكل مكان مرتفع اية اي علامة • قيل نفى البنا العالي
وقال مجاهد اي حصونا مشيدة • وقال قتادة حياضا والمصانع الحياض والمصنعة البنا • وقيل معناه انجعلون
بكل موضع عال مشرف علامة تبنونها لا تحتاجون اليها لسكناكم انما تريدون بها المباهات والمراياة • وذلك عبث
وقيل ما كانوا يبنون بالطريق والمواضع المشرفة بروج الحمام ليلعبوا بها فذلك عبثهم • وقيل كانوا يجتمعون في
ذلك للهو واللعب • وقوله تعالى لعلكم تخلدون اي تتخذون دورا وقصورا اتخاذ من يومل الخلود في الدنيا
بحكم ويتزود لذلك ويحصن ويتقن • وقوله تعالى واذا بطشتم اي اخذتم احدا بالعقوبة بطشتم جبارين قهارين
بالسيف والسوط فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم اي تابع عليكم بما تعلمون • وقوله تعالى امدكم بانعام
وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان دمتم على هذا عذاب يوم عظيم في الدنيا وهو يوم اهلاككم واخرى عذاب
النار يوم القيامة وهو يوم عظيم • وقوله تعالى قالوا سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فلسنا نصغي اليك
ولا نقبل منك فتتعاملون في الناس بمثله فيقال لهم اصبروا او لا تصبروا سوا عليكم فيقولون اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص • وقوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين • قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الخا اخلاق الاولين
اي كذبهم قال ابن مسعود رضي الله عنه • وقيل هو من الخلق الذي هو التخليق وهو معنى قول قتادة اي هلك الا كان
الناس يحيون ما عاشوا ويموتون ولا بعث عليهم ولا حساب • وقرا الباقون بضم الخا واللام ومعناه الا عادة
الاولين اي اتخاذ البنيان والبطش وغير ذلك اي نفعله كما فعل الاولون وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعد
البعث فلا بعث • وقوله تعالى فكذبوه اي هودا فاهلكناهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم مر تفسيرها • وقوله تعالى كذبت ثمود المرسلين
اي صالحا وسائر الانبيا اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيرها • وقوله اتتركون فيما هاهنا امنين اي اتظنون انكم تتركون في
الدنيا في دياركم هذه امنين لا تخافون عذابا ولا موتا في جنات وعيون في بساتين نزهة وعيون جارية وزروع
اي حروث ونخل طلعها هضيم • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي قد نضج واينع وبلغ • وقال الضحاك اي قد
ضمر بركوب بعضه بعضا من قولهم هضيم الكشح اي لطيفه • وعن الضحاك في رواية هو ان يكثر حمل الثمرة حتى هضم بعضه
بعضا اي يكبر ويتفتق • وقال مجاهد هضيم اي هشيم متهشم يتفتت اذا مس • وقال عكرمة اي لين رطب • وقال

اخوهم

وتتخذون مصانع

في ديوان الادب يقال للطلع هضيم ما لم يخرج من كفراه • وقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين • قرا ابن كثير وابو عمرو فرهين • والباقون فارهين والفره والفاره الماهر في الصنعة الحاذق في الامر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال فارهين حاذقين • وفي رواية عنه اشرين بطرين • وقال الضحاك كيسين • وقال ابن زيد قويين • وقيل مرحين • وقيل فرحين • وقيل كما يقال مرح وبطر اي فلا تطيقوا ذلك فانكم لم تخلقوا للبقاء بل للابتلاء والامتحان في دار المحن فاتقوا الله ان تعرضوا عن هذه السنة واطيعون فيما ادعوكم اليه ولا تطيعوا امر المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم في تمردهم على الله وهم تسعة رهط الذين يفسدون في الارض بالكفر والمعاصي والظلم ولا يصلحون بالايمان والعدل • وقوله تعالى انما انت من المسحرين اي من المسحورين سحرك غيرك ففسد عقلك فلا تدري ما تقول هذا قول مجاهد وقتادة • وقيل من المسحرين اي المخلوقين قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو الذي له السحر اي الرئة • وقيل اي المعللين بالطعام والشراب • قال لبيد • فان تسألينا فيم نحن فاننا • عصافير من هذا الانام المسحر • وقال الفراء المسحر المجوف • وقوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا فات باية اي بعلامة على صدق دعواك الرسالة وعلى انك داع الى الحق ان كنت من الصادقين فيما تدعي • وقوله تعالى هذه ناقة لها شرب اخرجها الله تعالى من ناقة وهي اية عظيمة لها شرب اي حظ من الماء ولا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم فيه • وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم يوم نزول الهلاك بكم • وقوله تعالى فعقروها اي نحروها وقد عرفنا قدار على ما ذكرنا القصة في سورة الاعراف وهم معينون له راضون به فاضيف اليهم فاصبحوا نادمين اي فصاروا نادمين على عقرها • وقيل على فوت ولدها لم يقتلوه • وقوله تعالى فاخذهم العذاب اي الصيحة بعدما تمتعوا ثلاثة ايام ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قد مر تفسيره • وقوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين اي جماعة المرسلين لوطا وسائر الانبياء اذ قال لهم اخوهم لوط اي نبيهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين مر تفسيرها • وقوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين استفهام بمعنى التوبيخ اي اتاتون الذكران من الناس وهي كناية عن الفاحشة وتذرون اي وتتركون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهي الزوجة وهذا يحتمل وجهين احدهما وتتركون النساء اللاتي خلقهن للتزوج فلا تتزوجوهن والثاني وتتركون زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن وتاتون غيرهن وتتركون القبل من زوجاتكم اي ادبار الرجال والنساء • وقوله تعالى بل انتم قوم عادون اي ليس لكم قضاء وطر النكاح بذلك الحاصل بالنساء بل انتم متجاوزون الحد متعدون امره • وقوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط اي لئن لم تمتنع عن هذا القول لتكونن من المخرجين اي لنصرفنك من ارضنا كما قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم • وقوله تعالى قال اني لعملكم اي اتيانكم الذكران وسائر المعاصي من القالين اي المبغضين وقد قال القلى اي البغضة وبين الكلمتين تجنيس وهو من انواع الكلام التجنيس • وقوله تعالى رب نجني واهلي مما يعملون من ان اكون على دينهم وعملهم اي اعصمني من ذلك وقيل لما قالوا لتكونن من المخرجين اظهر انه لا يسوءه مفارقتهم فقال اني لعملكم من القالين فلا اكره مفارقتكم ولا ارضى بمجاورتكم ثم قال رب نجني واهلي مما يعملون اي اخرجنا من جملتهم فنجوا من مجاورة من يعمل بمعاصيك فنجيناه واهله اجمعين اجابة لدعوته فاخرجناهم من جملتهم • وقوله تعالى الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب فلم تنج منه • وقوله تعالى ثم دمرنا الاخرين اي بعد اخراجهم اهلكنا من سوى لوط ومن نجا من اهله اي عياله واولاده فاهل بيته فجعلنا قريتهم عاليها سافلها بمن فيها وامطرنا عليهم مطرا اي حجارة من سجيل وقوله تعالى فساء مطر المنذرين اي بئس المطر الذي اصاب المجرمين بالعذاب ان امروا على تكذيبهم • قال الله تعالى ولقد انذرهم بطشتنا • وقوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • وقوله تعالى ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين اي سكان الغيضة وهم اهل مدين قال ابن عباس رضي الله عنهما • وقال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك وناعم الشجر • وقيل بعث شعيب صلوات الله عليه الى قوم هم اصحاب بادية واصحاب قرى واصحاب البادية هم اصحاب الايكة واهل مدين هم قومه وعشيرته ولذلك قال والى مدين اخاهم شعيبا في الاية التي ذكر اصحاب مدين واهل الايكة غير قومه وعشيرته ولذلك لم يقل في هذه الاية اذ قال لهم اخوهم بل قال اذ قال لهم شعيب وقد بعث الى كل واحد منهما على الانفراد احدهما بعد الاخر • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا ندري ذلك اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين بين سبحانه ان جميع الانبيا كانوا على طريق واحد في الدعوة الى الله تعالى وطاعته ومعاملة الخلق • وقوله تعالى اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي اتموا الكيل في قضاء حقوق الناس ولا تنقصوهم حقوقهم وزنوا بالقسطاس المستقيم • قال الحسن اي القبان • وقيل الميزان • وقال ابو عبيدة اي العدل والسواء ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا • وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تبالغوا فيها بالافساد وهو بالكفر والظلم • وقوله

تعالى

تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي الخليقة الماضين واذا كان هو خالق انفسكم واعمالكم كان هو عالما بكم قادرا على ان يجازيكم على وفق عملكم • وقيل معناه ان الذي خلقكم هو الذي خلق الاولين وقد رايتم عقوبته للاولين حين عصوا رسله وظلموا عباده فاتقوه فانه خالقكم وقادر عليكم قالوا انما انت من المسحرين تقدم تفسيره • وقوله تعالى وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين اي ما نظنك الا من الكاذبين في دعوى الرسالة • وقوله تعالى فاسقط علينا كسفا من السماء جمع كسفة اي قطعة قال ابن عباس رضي الله عنهما ان كنت من الصادقين وهذا قد يكون على معنى ان يقع قطعا من السماء فينظروا اليه كما قالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرة وهو كما قال ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا وما اشبهه ويحتمل ان يكون على معنى التماس العذاب اظهارا منهم للاستبعاد وتكذيب الرسول كما قال اخبارا عن النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اي بين انه ليس كذلك قال ربي اعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي فهو مجازيكم عليه فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وهو العذاب الذي اهلكهم الله به من ظلة اي لها فوق رؤوسهم فالهبها عليهم فماتوا من حرها فقد قيل اصابهم الحر حتى اقلقهم فاخرجهم من بيوتهم ورفعت اليهم سحابة فانطلقوا اليها فلما استظلوا بها ارسلت عليهم فلم يفلت منهم احد • وقوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • وقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين اي ان القران منزل من رب العالمين وقد تقدم ذكره في اول السورة طسم تلك ايات الكتاب المبين مما بينهم من ذكرهم والسورة كلها في معنى واحد وابتدا ذكر القران وتكذيب المشركين الرسول عليه السلام فيه ووصل به تكذيب سائر الامم رسلهم ثم عاد الى ذكر القران فقال وانه لتنزيل رب العالمين وهذا مصدر بمعنى المفعول كقولهم هذا الدرهم ضرب الامير لنقول وهو معنى اول السورة واخرها على التقدير وان هذا القران يتلوه على هؤلاء المشركين فيستهزئون به ويعرضون عنه هو منزل رب العالمين وما كان منه تحقيق بالاصغاء اليه والتدبر فيه ليس هو مما تتقوله علينا ولا مما تنزلت به الشياطين ولا هو شعر بل نزله جبريل من عند الله وهو قوله نزل به الروح الامين • قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بالتشديد والروح بالنصب اي نزل الله جبريل مع القران • وقرا الباقون بالتخفيف الروح بالرفع على ان الفعل لجبريل يعني نزل جبريل ومعه القران اذ هو نزل القران لان الباء تستعمل للتعدية يقال ذهب به اي اذهبه وتستعمل للقران يقال دخل مع سيفه والروح جبريل سمي به لما يجري على يديه من الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة والامين صفته لانه امين الله على وحيه علم الله انه لا يغيره ولا يبدله • وقوله تعالى على قلبك اي لقنك حتى تلقنته وحفظته بقلبك فصار قلبك وعاءه فكانه نزل على قلبك • وقوله تعالى لتكون من المنذرين اي لتنذر الناس به فتكون من المرسلين الذين كانوا انذروا قومهم • وقوله تعالى بلسان عربي مبين اي بلغة العرب وهو يبين ما يراد به لفصاحته ويبين للناس ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم • وقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين اي في كتب المرسلين الماضين المنزلة من الله عليهم كما قال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى اي فيهما ودلت الاية على صحة قول ابي حنيفة رحمه الله ان القران لا يتبدل بتبدل اللسان وان قراءة القران بالفارسية جائزة فان الله تعالى جعله في الصحف الاولى وفي زبر الاولين قرانا وكان ذلك بمعناه لا بنظمه ولفظه بالعربية • وقوله تعالى اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقراءة العامة اولم يكن بالياء التذكير اية نصب على انه خبر كان واسمه ان يعلمه لان ان مع الفعل مصدر وتقديره اولم يكن لهم علم بني اسرائيل اية وقرا اولم تكن بالتاء التانيث اية بالرفع على انه اسم كان وعلى هذا ان يعلمه يجوز نصبا خبرا لكان ويجوز رفعا ترجمة لقوله اية وعنى عبد الله بن سلام وسلمان ونحوهما وكانوا يرجعون في كثير من الامور الدينية الى علماء اهل الكتاب وكان ذلك لان ما لهم وقيل ان قوله لفي زبر الاولين • وقوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل اي ترجع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب • وقوله تعالى ولو نزلناه اي القران على بعض الاعجمين والاعجم الذي لا يفصح عربيا كان او غيره • وقيل هو الذي يمتنع لسانه من العربية والعجم غير العرب نسبة وولادة والعجمي منسوب الى العجم وهو من الولادة والاعجمي منسوب الى انه من الاعجمين الذين لا يفصحون فقوله ولو نزلناه القران على بعض الاعاجم الذين لا يفصحون الكلام بلسان العربية وجعلنا القران بلسان ذلك الاعجم فقراه عليهم اي على العرب ما كانوا به مؤمنين لانهم لا يعرفونه • وقيل معناه ولو نزلناه على رجل من العجم يحسن لسان العرب بالعربية وكانت العرب لا تؤمن به ولا تتبعه لانفتهم من اتباع العجم اي لم نجعله كذلك بل جعلناه من انفسهم والقران بلسانهم ليفهموه وليكونوا اليه اسكن وبه اوثق ومع ذلك يعرضون عنه فدل على عنادهم • وقوله تعالى كذلك سلكناه اي ادخلنا الكفر وهو مدلول • وقوله تعالى بما كانوا به مؤمنين في قلوب المجرمين اي المشركين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه وهو حجتنا على المعتزلة في مسالة خلق افعال العباد خيرها وشرها وهو كقوله ختم الله على قلوبهم طبع الله عليها بكفرهم ام على قلوب اقفالها فاصمهم واعمى ابصارهم ونظائرها لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم اي الهلاك المستاصل الذي ينزل بهم في الدنيا ويكون ذلك ايمان ياس فلا ينفعهم • وقيل هو عذاب يوم القيامة وقيل انه الرجز حين جيلبهم

ويندمون ولا ينفعهم • وقيل هو قيام الساعة ودليله ما بعده فتاتيهم بغتة اي فجاة وهو الساعة وهم لا يشعرون اي لا يعلمون فيقولوا هل نحن منظرون ونصب فيقولوا وحذف النون منه عطفا على قوله حتى يروا فتاتيهم اي ليتنا لو تنا الرحمة فلا نجاب اليها افبعذابنا يستعجلون لتوبيخ لهم وانكار عليهم امطر علينا حجارة من السما لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السما ونحو ذلك ثم بين سفههم في هذا الاستعجال فقال افرايت ان متعناهم سنين قيل هو سنوا الدنيا • وقيل هي سنو عمر كل واحد منهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون معناه ان عمر الانسان انما يكون سنين وان تفاوتت فانما هي سنون معدودة فما ابقى الفرح بذلك وهو منقضي عن قريب ثم وراءه عذاب غير منقضي وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اي رسل يخوفون بعذابنا ان لم يؤمنوا ذكرى اي بذكره وعظا وما كنا ظالمين معذبين بغير ذنب وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد شرحنا تلك الاية في موضعها على الوجه وما تنزلت به الشياطين اي بالقران كما تقول هؤلاء انه كاهن والكاهن يلقي عليه الشيطان بل هو تنزيل رب العالمين وما ينبغي لهم اي للشياطين ان ينزلوا به اي لم يجعلهم الله لهذا المحل فانهم ارجاس وانما جعل ذلك للملائكة المطهرة الكرام البررة وما يستطيعون اي الشياطين انهم عن السمع لمعزولون اي ان الشياطين قيل عزلوا عن الامكنة التي كانوا يستمعون فيها من الملائكة اخبار السما برجمهم بالكواكب قال تعالى اخبارا عن الجن وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين اي فينزل بك من العذاب نحو ما نزل بالذين قصصنا خبرهم وانذر عشيرتك الاقربين اي ابدا بانذارهم قطعك للادنين ان لم يؤمنوا انك تحسم اطماعهم واطماع الابعدين في تركهم وما هم عليه وان هم اجابوك كانوا عدة لك على غيرهم فكان اقوى للامر واهيب للعدا لك فاستعن به • قال ابو هريرة رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية دعا قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني كعب يا معشر بني عبد مناف يا معشر بني هاشم يا معشر بني عبد المطلب يقول لكل معشر انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني والله ما املك لكم من الله شيئا • وفي حديث عروة بن الزبير يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم • وعن ابي هريرة يا بني عبد المطلب ويا بني عبد مناف ويا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيا • يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشتروا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيا • فقال السدي قال يا بني هاشم يا بني عبد المطلب اني رسول الله الى الناس عامة واليكم خاصة • وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب اصنع طعاما وادع لنا بني هاشم ثم دخل عليهم فدعاهم الى دينه • قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا قبيس فدعا احياء العرب فقال يا ال غالب ويا ال مرة ويا ال تميم حتى اجتمعوا فقال ما تقولون في قالوا امين صدوق قال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا كنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني رسول الله اليكم ادعوكم من عبادة الاوثان الى عبادته فقام ابو لهب فقال الهذا دعوتنا تبا لك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب • وقوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين • قال ابن عباس الن جانبك لهم واراد به التواضع واللطف • وقال محمد بن علي اي حسن خلقك • وقوله تعالى فان عصوك اي عشيرتك اي المؤمنون فقل اني بري مما تعملون فلم يقل منكم بل اني بري من اعمالكم لا ارضى بها • وقيل ليس علي من اعمالكم تبعة انتم المؤاخذون بها وقيل اني بري منها لا املك لكم فيها شفاعة عند الله ولا دفعا لما يحل بكم من العقوبة وتوكل على العزيز الرحيم اي فوض امرك في منابذة عشيرتك وغيرهم الى الله تعالى المنيع الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اولياءه وثق به الذي يراك حين تقوم اي وحدك من فراشك او من مجلسك الى الصلاة تبتلاوة كلامه ومناجاته وتقلبك في الساجدين حين تتقلب بين المصلين في الجماعة انه هو السميع الذي لا تخفى عليه الاصوات العليم الذي لا تعزب عنه الطويات وهذا تاويل الحسن وجماعة • وقيل اي يراك في تصرفاتك في حالاتك ومجالستك اهل الصلوات ليست بمعاشرة اهل الخصومة والكهانة والشعر اقدم على معاشرة هؤلاء ومجانبة اولئك • وقال عكرمة في الساجدين في اصلاب الرجال • وعن ابن عباس وتقلبك في الساجدين نبي بعد نبي • وقال القشيري وتوكل على العزيز الرحيم اي انقطع الينا واعتصم بنا وتوسل الينا بكرمنا ولنا وتوكل على العزيز بعد العرفان فاذا العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي يقرب من تقرب اليه ويجزل البر لمن توسل به اليه • وقوله تعالى يراك حين تقوم اقتطعه بهذا عن شهود الخلق فانه من علم انه بمشهد من الحق انقطع بالكلية عن شهود الخلق • وقوله تعالى وتقلبك في الساجدين هون عليه معاناة مشاق العبادة حين اخبر برؤيته له ولا مشقة على من يعلم انه يعمل بمرأى من مولاه • وقيل وتقلبك في الساجدين من اصحابك فهم نجوم وانت بدر وهم بدور وانت شمس وهم شموس وانت للشموس شمس • وقوله تعالى هل انبئكم ايها المشركون على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كذاب اثيم عاص مرتكب للاثام وهو الكاهن الذي

كيف تنزل الشياطين بالكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم وهو يشتم الافاكين الاثمين والشياطين ويذمهم ويلعنهم ويلعن من اتبعهم والكاهن كان كذابا يخلط الاكاذيب بما يلقيه الشيطان ولدعواه علم الغيب يلقون السمع • قال الكلبي يستمعون القول اي الشياطين يلقون اسماعهم للاستماع من الملائكة ثم يخلطون به كذبا كثيرا فيخبرون به الكهان • وقيل يلقون ما سمعوه من الملائكة الى الكهان فعلى الاول السمع للاذن بمعنى الجمع وعلى الثاني السمع بمعنى المسموع واكثرهم كاذبون خلطا للاكاذيب بذلك • والشعراء يتبعهم الغاوون فكيف يكون محمد شاعرا ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب جد وصدق واصحابه مهتدون هداة الم تر انهم اي الشعراء في كل واد في كل طريق من الكلام يهيمون يمضون على وجوههم جائرين عن القصد من مدح بكذب وهجا بباطل واخبار على غير تثبت وانهم يقولون ما لا يفعلون يكذبون في الوعد والوعيد والمدح والذم بالقبائل وهذا في شعرا الجاهلية عبد الله بن ابي عروة وامية بن ابي الصلت كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويرمون الاسلام ويحرضونه على الشرك وعبادة الاصنام • وقال عبد الله بن رواحة لما نزلت هذه الاية لقد خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فاستثنى شعرا الاسلام وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وجماعة من الصحابة كانوا ينشدون الاشعار وغير ذلك وذكروا الله كثيرا في الشعر وغير الشعر وانتصروا من بعد ما ظلموا اي اجابوا شعرا الجاهلية الذين يهجوهم بشعر قالوه في هجائهم فهؤلاء مستثنون من اولئك الشعراء فان اولئك هائمون في كل واد ذامون للدين الحق وللرسول عليه السلام وللمؤمنين وهؤلاء ليسوا هائمين بل يذمون الدين الباطل والمشركين • وقال ابو منصور رحمه الله ذكر ان شاعرين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام اشعارا واتبعهما غواة من قومهما في ذلك فاستاذن شعراء الاسلام والمسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجائهما فاذن لهم قالوا فنزلت الاية فيهم • وقوله تعالى الا الذين امنوا يجوز ان يكون مستثنى من الشعراء اي هؤلاء ليسوا منهم مؤمنين ويحتمل ان يكون مستثنى من قوله يتبعهم الغاوون اي المؤمنون لا يتبعون شعرا الجاهلية • وقوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا من الشعراء وغيرهم اي منقلب ينقلبون في منقلب الظلمة وهي النار اي يعلمون علم البيان اذا تركوا النظر في الدنيا فلم يعلموا علم الاستدلال وعملوا على الاستدلال في الدنيا وعاندوا فيعلمون علم العيان في الاخرة والله تعالى اعلم

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الهادي بايات القران واثر الهدى • الرحمن الذي يجيب المضطر اذا دعاه في الشدائد واهوالها • الرحيم الذي يجعل لمن جا بالحسنة عشر امثالها • روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ طس سليمان كان له من الاجر حسنات عدد من كذب بموسى وصدق به وسليمان وصالح ولوط ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله • وسورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون اية • وقيل اربع • وقيل خمس • والاختلاف في اثنتين اولوا باس شديد وممرد من قوارير • وكلماتها الف ومايتان واثنان وخمسون • وحروفها اربعة الاف وسبعماية وخمسة وتسعون • وانتظام اول هذه السورة باخر السورة التي قبلها انهما جميعا في بيان القران منزل من عند الله معجزة لرسول الله هاديا الخلق الى الله • وانتظام السورتين انهما جميعا في بيان وحدانية الله تعالى وابطال الشرك بالله وذكر قصص الدعاة الى الله • وقوله تعالى طس مرت الاقاويل فيه تلك ايات القران اي هذه ايات القران وكتاب مبين وهو القران وانما جمع بينهما لاجتماع الوصفين • وقيل هو اللوح كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وانما عرف الاول ونكر الثاني لان الاول كالاسم العلم له والثاني كالصفة له • ويجوز في صفة العلم التعريف والتنكير زيد رجل عاقل وزيد الرجل العاقل • وقال في سورة الحجر الر تلك ايات الكتاب وقران مبين عرف الكتاب ونكر القران وهاهنا على عكسه لان كل واحد من الاسمين جعل اسما مطلقا وفيه معنى الصفة وانما جعل اسما والاخر صفة هدى وبشرى • قال الفرا يجوز ان يكون نصبا على القطع ورفعا على الاستيناف على تقدير هو هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون خصهم باضافة الهدى والبشرى اليهم لحصول نفع ذلك لهم على ما مر شرحه في اول سورة البقرة واذا ايقنوا بالاخرة كانوا مشفقين من التعذيب كما قال والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون • وكذلك قال اذا ايقنوا بالجزا كانوا اشد في الطاعة واحرص عليها كما قال ويدعوننا رغبا ورهبا • وقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة بعد ما ذكر المؤمنين بها وذكر صفتهم فقال زينا لهم اعمالهم اي الاعمال التي يعملونها بما ركبنا فيهم من الشهوات والاماني حتى راوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وهو كالختم والطبع وفيه اثبات خلق الله تعالى افعال العباد • وفي قوله في اول الاية لا يؤمنون وفي اخرها يعمهون اثبات الافعال لهم فثبت بذلك صحة مذهب اهل السنة والجماعة فهم يعمهون اي يترددون في الضلالة متحيرين اولئك الذين لهم سوء العذاب بما كان منهم من سوء الاعمال وسوء العذاب اشتداده وامتداده • وقيل هو قتلهم يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون تكرار كلمة هم للتحقيق والتاكيد وكذلك في الاية الاولى وهم بالاخرة هم يوقنون والاخسرون اي

الخاسرون كما في قوله الله اكبر وهو اهون عليه انه بمعني الكبير والهين • وقيل هو علي حقيقته للتفضيل ومعناه هم الاخسرون
من الخاسرين في الدنيا اي الاعظمون هلاكا والامتحنون خسرانا لانهم خسروا الجنة ومجاورة الانبيا والاوليا واكتسبوا سوء
العذاب ومجاورة الشياطين والكفار ممن اظهر عنادا منهم • وقيل قد يكون في النار خاسرين وهذه الطبقة اخسرهم
وقال القشيري زينا لهم اعمالهم اغشيناهم فهم لا يبصرون وعميناهم عن سوء السبيل فهم عنه لا يدلون اوليك
الذين في ضلالتهم يعمهون وهم في حيرتهم يترددون اوليك لهم سوء العذاب وهوان يجد الالام ولا يعرف المبتلي فيبتلي
بمعرفته ويخف عنه البلا بمشاهدته وهو للكفار كذلك واما المومنون فيخفف عنهم العذاب في الاخرة بحسن رجايهم
بالله ثم تفرغهم الى الله ثم فضل الله معهم بالتخفيف ثم بتبعيد ايامهم عن الاحساس حالة التعذيب • وقوله تعالى
وانك لتلقى القران من لدن اي تلقنه وتعلم من لدن حكيم عليم اي من عند الله الذي هو مصيب في افعاله واقواله
عليم بكل شي واحواله • وقوله تعالى اذ قال موسي لاهله اي واذكر اذ قال موسى لاهله لزوجته وولده ومن كان
منه في سفره اذ خرج من مدين يقصد الشام اني انست نارا اي ابصرت اي امكثوا ها هنا وانا اذهب اليها ساتيكم
منها بخبر اي بدلالة على الطريق كما قال او اجد على النار هدي وكان ضل الطريق مع وجود البرد او اتيكم بشهاب
قبس • قرا عاصم وحمزة والكسائي بشهاب منونا غير مضاف والشهاب الشعلة والقبس ما اقتبس من نار كثيرة علي
طرف خشبة والتنوين علي ان الثاني بدل وترجمة من الاول وترك التنوين علي الاضافة وهو قد يكون اضافة الشي الي
غيره لعلكم تصطلون اي تستدفعون بالنار من البرد الذي اصابكم فلما جاها اي النار نودي ان بورك من في النار
قال الفرا والكسائي تقول العرب باركك الله وبارك فيك وبارك لك وبارك عليك • قال الشاعر فبوركت
مولودا وبوركت ناشيا • وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب • ونودي جاءه الندي وهو الكلام المسموع
والمنادي هو الله تعالى كما قال وناديناه من جانب الطور الايمن ان بورك من في النار الملايكة الذين احضرهم
الله ذلك المكان اكراما لموسي عليه السلام كالملك منا اذا اراد اكرام رجل من اوليايه او ارساله في
وجه جليل الخطر استحضر لذلك الموضع خواصه وعظما حشمه ومن حولها الملايكة ايضا بارك الله عليهم اي
تابع لهم الخيرات ليعلم موسي انه نبيا في ذلك المقام لامر عظيم احضر المقربين من الملايكة وكانه قال بركات الله علي
من في النار ومن حولها علي وجه الدعا وحقيقته راجعة الى الاخبار من الله تعالى بفعل البركات بهم ولم يكن للنار اثر
فيهم كما في خزنة جهنم علي ان هذه النار لم يكن لها احراق ولذلك تعرضت في الشجرة الخضرا • وقيل دخل موسي في هذه
البركة منهم ايضا الا انه كان مع من حولها • وقيل يجوز ان يكون المراد بمن في النار من دنى منها وان لم يكن فيها كما يقال
وردنا البلد وصرنا في البلد اي قربنا منها وهم الملايكة ايضا الذين يقربها وحولها • وقيل من في النار اي في
طلب النار وهو موسي ومن حولها الملايكة • وقيل يجوز ان تكون من في معناها كما في قوله ومنهم من يمشي على بطنه
ومعناه بورك ما في النار وما حولها من امر الله اي ما دل الله بهذه النار عليه من الامر الذي يجعله فلما لموسي
على نبوته امر مبارك لان فيه نجاة من الجهل وهدي من الضلالة وتخليصا للعباد المستضعفين وعزم من جلايل
الامور • وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين اي والله منزه عن ان يكون له شريك او يوصف بما لا يليق
به يا موسي انه انا الله العزيز اي المنيع فلا اغالب الحكيم في اقوالي وافعالي الحكمتي اخترتك لرسالتي وانه
الها للعباد كما في قوله انه كان فريق من عبادي والق عصاك اي اخرج العصا الخ بيدك فلما راها تهتز كانها
جان اي فالقاها فراها تتحرك كانها جان اي حية ولي مدبرا اي هرب خوفا من وثوب الحية عليه ولم يعقب اي
لم يرجع ولم يحول عقبه متوجها الى عصاه يا موسي لا تخف اي قلنا له يا موسي لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
اي عندي ومعناه في حال الخطاب اي يا م ولا تخاف اي ولا تخاف ما دون الا من ظلم اي لكن من زل من المرسلين
فجا منه غير ما اذن له به ثم بدل حسنا اي اتبع توبة وندما بعد سوء اي زلة فاني غفور رحيم اقبل توبته واغفر
زلته وارحمه فاحقق امنيته والا بمعني لكن على هذا التاويل • ووجه اخر لا يخاف عند خطابي احد من رسلي الا من
ظلم اي بذلة فانه يخاف ثم ها هنا مضمر ومن اظلم ثم بدل حسنا بعد سوء اي تاب بعد زلة فاني غفور رحيم • ووجه
اخر لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم وتم هذا الكلام ثم بدل اي ثم ان بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم له فالمضمر
فيه كلمة ان • وقيل لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخايف الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه مع ابداله الحسني
بعد السو يخاف فيقول انا غفور رحيم امنه من خوفه وارحمه واغفر له قالوا وهذه اشارة الى ان موسي انما خاف
في الموضع الذي لا يخاف سائر الانبيا لما سبق منه من قتل القبطي وان كان من غير قصد كما قال فوكزه موسى فقضي
عليه قال هذا من عمل الشيطان الى قوله ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له • قال وقد خاف موسي لزلة واحدة لم يتعمدها
واحسن العذر فيها وعفا الله عنه ذلك الخوف وذلك بعد سنين كثيرة حتى خاف في الحال التي لا يخاف فيها سائر
الرسل فما حال من عصى الله تعالى معاصي كثيرة في طول عمره كيف لا يخاف عند الموت وهذه حالة تخاف فيها كل
الخلايق • وقوله تعالى وادخل يدك في جيبك اي في جيب قميصك تخرج بيضا من غير سوء اي افة من برص وغيره
في تسع ايات اي هما معجزتان عصاك ويداك في جملة تسع معجزات او تليهما وقد عددناها في الخ سورة بني اسرايل

الى فرعون

فرعون وقومه اي مبعوث بهن انت الي فرعون واشراف قومه حذف لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر • رانتي بحبلها
اضرب تحانه • وفي الحبل روعا الفواد فروق • اي رانتي مقبلا بحبلها انهم كانوا قوما فاسقين اي هم متعادون الفسق
وهو الخروج عن طاعة الله • وقوله تعالى فلما جاتهم اياتنا اي المعجزات التي اتيناها موسي مبصرة اي واضحة بينة ومبصرة
ذات ابصار اي فيها ابصار لمن نظر اليها قالوا هذا سحر مبين اي قالوا المعجزة هذا تخييل لا حقيقة له ظاهر لمن
تامله وجحدوا بها اي انكروها واستيقنتها انفسهم اي وقد تيقنت بصحتها قلوبهم ظلما لانفسهم وللايات الله
بوضعها غير موضعها وعلوا تكبرا من اتباع موسي وترفعا على الناس فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي فانظر
يا محمد نظر اعتبار بقلبك كيف كان تختم امرهم في الدنيا الهلاك ثم لهم في الاخرة اشد العذاب وذلك حال
نزول • وقوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما اتبع قصة موسي قصة داود وسليمان وفي الاولى البلا
والصبر • وفي الثانية العطا والشكر تنبيها لمحمد صلى الله عليه وسلم على فضلهما ودعا له اليهما واقتدا منهما
قال الله تعالى اوليك الذين هدي الله فبهداهم اقتده • وقوله تعالى ولقد اتينا اي اعطينا داود وسليمان
علما اي بالدين والحكم وغير ذلك قال وعلمناه صنعة لبوس لكم قال والنا له الحديد ان اعمل سابغات • وقال
في سليمان وعلمناه منطق الطير واوتينا من كل شي • وقال ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما
وعلما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين بما اتانا ودلت الاية على خلق افعال العباد
وعلى فساد القول بالاصلح فان الحمد لا يجب على اداء ما عليه فدل على انه كان متفضلا بما اعطاهما فاعلاما ليس عليه
وورث سليمان داود ملكه وعلمه وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير اي تفضل الله علي بزيادة علينا وزينة من ابي
من النبوة والملك والعلم بان علمني منطق الطير والمعني ما يقول الطير واوتينا من كل شي اي اعطانا الله الكثير
من خيرات الدنيا ونعمها وهو للتكثير لا الاستيعاب كقوله تدمر كل شي بامر ربها واوتيت من كل شي • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله واوتينا من كل شي سالناه اذ يوتينا او نبينا من كل شي يوتاه الانبيا والملوك مما يحتاجون
اليه ان هذا لهو الفضل المبين فبين عن نفسه ولا يخفي على من شاهده مجلاله قدره وحشر لسليمان جنوده من الجن
والانس والطير اي جمع ويسبق فيسبقه ما تاخر له من جنود الانس والجن والطير فهم يوقفون فيهم كما يستوي الملك
عسكره • قال محمد بن كعب القرظي كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش فهم يوزعون اي فعليهم وزعة يحبسون اي قائم على احزمهم اذا انفرقوا حتى
يجتمعوا في سيرهم وذلك احسن في الهيبة واهيب في الرؤية • وقال ابو عبيدة يوزعون اي يساقون • وقال
القتبي يوزعون اي يدفعون والوزع الكف والمنع والوزعة جمع وازع وهو الذي يكف الجيش من التفرق والا
يكف العامة عن المظالم والافساد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران • وقوله
تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل اي على واد فيه نمل كثير وهو كما يقال هذا بلد الابل اي الابل فيه كثيرة وكذا هذا
بلد النمل وكان النمل يكون في غير ذلك الوادي ايضا لكن كانت به كثيرة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم اي
سمع سليمان نملة تقول يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم سليمان وجنوده اي خيل سليمان
وجنوده بارجلها ولا يكسرنكم بذلك وهم لا يشعرون بمكانكم قالت النملة ذلك على وجه العذر ووصفت سليمان
وجنوده بالعدل وقوله وهم لا يشعرون قول الله تعالى ومعناه سمع سليمان ذلك وجنوده وهم لا يشعرون بذلك
وهو قول ابن عباس وقيل والنمل لا يشعرون ان الجنود من في الهوا ام تنزل الى الارض فتدفنهم وتجمع ادخلوا الواو
ومساكنكم بالجمع وكذلك لا يحطمنكم وهو خطاب العقلا وكنايتهم لانها وصفتهم بصفات العقلا فتبسم ضاحكا من
قولها تعجبا منها وسرورا بما اعطاه الله من فهم كلامها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي من النبوة
والعلم والملك وغير ذلك وعلى والدي والانعام على الوالدين انعام على الولد • وقوله تعالى وان اعمل صالحا ترضاه
في بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي فادخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين وهم
الانبيا ومن تبعهم من اهل الجنة وذلك برحمة الله وهو دعا حسن للعاقبة كدعا يوسف توفني مسلما والحقني
بالصالحين • وقال المفسرون نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان
يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبيا
على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير
باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح
الى الصباح • قال ابن عباس كانت النمل اذ ذاك كالذياب والكلاب • وقال مجاهد كانت نملة ذوات اجنحة
وفي نسخة الشيخ ابو القاسم بن حبيب عن وهب قال قرات في بعض الكتب ان سليمان ركب ذات يوم مركب
الريح فلما قرب من وادي النمل سمع قول النمل وكان يسمع قولها من ثلاثة اميال فامر الريح حتى وقفت فقال
للنملة لا يحطمنكم فكيف احطمكم وانا على الهوا فقالت اني لم ارد حطم الارجل انما اردت حتى لا ينظروا الى
ملكك فيتمنونه فيكونوا ذلك خطا القلب بهم • وفي رواية خفت ان يشتغلوا بالنظر الى ذلك فيغفلوا عن التسبيح

الريح ثم قالت يا سليمان ما سالت ربك قال سالته ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قالت فما اعطاك قال اعطاني خاتما
جعل ملكي فيه قالت انه يقول لا تفتخر به فانه حجر قالت وما اعطاك ايضا قال مركب الريح قال ركبت مركبا غدوه شهر
ورواحه شهر قالت فاين انت من مركب يوصلك في ساعة الى العرش ثم قالت ان جندي اطوع لي من جندك لك قال
فلم قالت لانهم يريدون منك الرزق ويعصون ربهم وجندي مطيعون لله ولا يسالون مني الرزق ثم قالت يا نبي
الله انك تحلم صغيرا باسم ابيك داود واسمك سليمان قال لا قالت لان اباك داوى جرحه فود وانت سليم ان لك
ان تلحق بابيك فعند ذلك تبسم سليمان ضاحكا من قولها • وفي رواية قالت لكما سخرت لك الريح فرد الخاتم يدرك
كزوال الريح • وعن ابي الصديق الناجي قال ركب سليمان يوما فعدل عن الطريق واخذ في غيره فقيل له في ذلك
فقال جاءت خطافة فقالت اني اخرجت فراخي املها الطيران وان اخذت على طريقك حطمتهن فعدلت عنهن
وحكي ان الناس قحطوا على عهد سليمان فجمع سليمان الناس فخرج بهم للاستسقا فلما رجعوا مروا على نملة رافعة
يديها تدعو الله وتقول اللهم لا تحبس عنا رزقنا بخطايا بني ادم فاوحى الله الى سليمان اني قد استجبت لهذه
النملة فامطر الناس فقالوا هذه بدعوة نبي الله سليمان فقال لهم سليمان انها ليست بدعوة سليمان ولكن الله
قد استجاب للنملة • وقوله تعالى وتفقد الطير اي تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد وكان هذا في مسير سليمان
وظاهر نظم هذه الايات يدل على انه كان في مسيره الى وادي النمل • وقال الخليل التفقد طلب ما غاب • قال
ابن عباس رضي الله عنهما كان لسليمان يوضع له ستمائة الف كرسي ثم يجي اشراف الناس حتى يجلسوا ما يليه ثم يجي
اشراف الجن حتى يجلسوا ما يلي الانس ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم ثم يسير في الغداة الواحدة
مسيرة شهر فبينما هو كذلك في مسيره اذ احتاج الى الما وهو في فلاة من الارض فيدعو الهدهد فينقر الارض فيدلهم على موضع
الما فتجي الشياطين الى ذلك المكان فيسلخونه كما يسلخ الاهاب فيخرجون منه الما فقال له نافع بن الازرق قف يا وقاف ارايت
قولك ثم يجي الهدهد فينقر الارض فيصيب موضع الما كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخ يجي اليه حتى يقع في عنقه • فقال ابن عباس
ويحك ان القدر حال دون البصر • وقيل كان يرى الما في الارض كما يرى الما في الزجاج • وقيل كان يرى الما في الارض الظل كان
يرى جنوده من الطير وغيرها فتفقد الغايب منهم والحاضر فانه كان ياتيه من كل صنف واحد فلم ير الهدهد
وقيل كانت الطير تظله حتى تستره عن الشمس بتقارب اجسامها فانحصر ما بينها اذ الشمس سقطت عليه من مكان
الهدهد فنظر الى الطير فوقه فلم يره فقال ما قال • وقيل كان يبلغ عدا كل واحد بنفسه الكبير ونطلبه ليسلم الى عدا
لم يجده • وقوله تعالى فقال ما لي لا ارى الهدهد بدا اولا بنفسه ثم قال ام كان من الغايبين • قال الكسائي ام بمعنى
اي بل كان • وقيل ههنا مضمر فيه الف الاستفهام ثم عطف عليه ارد الشجار بصري عنه بسبب ام كان من الغايبين
ولقوله كان وجوه احدها انها زايدة والتقدير ام هو من الغايبين كقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا والثاني
ام صار كقوله فكان من المغرقين • والثالث ان كان فيه هذه الساعة غايبا فلغيبته لم اره الساعة • وقوله تعالى
لاعذبنه عذابا شديدا • قيل اي لانتفن ريشه ولاطرحنه في الشمس وهو قول ابن عباس ومقاتل ابن سليمان
وقال مقاتل بن حيان لاطلينه بالقطران ولاشمسنه • وقيل لامنعنه من خدمتي • وقيل لافرقن بينه وبين الفه
وقيل لاغيبنه عن وطنه • وقيل لاضمنه الى خلاف جنسه • وقوله تعالى او لاذبحنه ثم جعل لنفسه مخرجا ما توعد
به فقال او لياتيني بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة له فيها عذر ظاهر في غيبته • وقيل اي جبريل عليه السلام
قال الله وبعني شي لم يفعله او لا عفو عنه وهو الايق بالكرام والاقرب الى التقوى هذا في حق طير غاب من خدمة
سليمان ساعة فكيف بالعصاة الهاربين من الباب • وقوله تعالى فمكث غير بعيد اي لبث الهدهد زمانا قليلا
وقيل لبث سليمان فجا الهدهد فقال احطت بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلم • وقيل رايت ما لم تر • وقيل ادركت
ما لم تدرك • وقيل اي شهدت ما لم تشهد ثم فسره فقال وجيتك من سبا وهي قرية بلقيس بنبا يقين اي بخبر يقين
والبا للتعدية وسبا ينون ويكون مذكرا لانه اسم رجل وهو اصل القبيلة او اسم المكان ولا ينون ويكون مونثا
ويكون اسما للقبيلة او للدرب اني وجدت امراة تملكهم اي تملك اهل سبا واوتيت من كل شي اي مما تحتاج اليه الملوك
من الرجال والاموال والالات وصنوف النعم ولها عرش عظيم اي سرير عظيم تجلس عليه كما تجلس الملوك على الاسرة
تعظما • قال ابن عباس كان عرشها ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا طوله في الهوا ثلاثون ذراعا معمول من ذهب
قوايمه من لولو وجوهر • وقال مقاتل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهوا ثمانين ذراعا مكلل بالجواهر
والدرر واليواقيت • وعن وهب شرحه على ما ينبغي من بعد ان شا الله تعالى • قرا ابن كثير وابو عمرو من سبا غير
مصروف • والباقون مصروفا • وقال الزجاج سبا مدينة تعرف بمارب من اليمن بينها وبين صنعا مسيرة ثلاثة
ايام فان صرف فعلى البلد وان لم يصرف فعلى المدينة وجدتها وقومها يسجدون للشمس اي يعبدونها من دون الله
وزين لهم الشيطان اعمالهم اي حبب اليهم كفرهم ومعاصيهم فصدهم عن السبيل اي فعدلهم عن الطريقة المستقيمة
وهي التوحيد واخلاص العبادة لله والحق السبيل لان السبيل الذي لا يجوز سلوكه ممنوع منه فكانه ليس بسبيل
فهم لا يهتدون لذلك السبيل الرشد الا يسجدوا لله • قرا الكسائي بالتخفيف ومعناه الا كلمة تنبيه ويا اسجدوا المعنى

الا يسجدوا

يا اسجدوا يا ايها المنادى مضمر اي يا هولا اسجدوا لله • قال ذو الرمة • الا يا اسلمي يا دار مي على البلى • ولا زال منهلا بجرعايك
القطر • وقرا الباقون بالتشديد وله وجوه احدها وزين لهم الشيطان الا يسجدوا • والثاني وزين لهم الشيطان اعمالهم
لئلا يسجدوا • والثالث فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا • والرابع فهم لا يهتدون ان لا يسجدوا ومعناه ان يسجدوا
ولا زايدة • كما في قوله ما منعك ان لا تسجد اي تسجد والخامس فهم لا يهتدون بفتح ان لا يسجدوا لله كما قالوا في قوله
يبين الله لكم ان تضلوا على الاضمار • وقوله تعالى الذي يخرج الخبا في السموات والارض ان يريد الخبا المستور المكنون
الذي في السموات والارض مصدر بمعنى المفعول وخبا السموات المطر والريح وخبا الارض الشجر والنبات • وقيل يدخل
في ذلك معادن الارض وحقيقته ينزل من السما الغيث ويخرج من الارض النبات بعد ان كانا مستورين مخزونين اي
على ذلك واوجده بعد ان كان معدوما اقامة لاسباب معاش العباد وعمارة البلاد ويعلم ما يخفون وما يعلنون
قرا الكسائي وعاصم في رواية حفص بتا الخطاب بنا على قوله الا يسجدوا • والباقون بيا المغايبة على ان اليا في يسجدوا
للمغايبة الله لا اله الا هو رب العرش العظيم فهو المستحق للعبادة دون الشمس قال ابن زيد الى هاهنا كلام الهدهد
وقيل هو خطاب الله للمشركين بعد تمام كلام الهدهد وهو كلام معترض ثم اتصل به قوله قال سننظر قال سليمان للهدهد
سننظر حقيقة ما اخبرتنا به عن سبا وملكها واهلها هل اخبرت بالصدق فتعذر في غيبتك ام اخبرت بالكذب فتودب
على فعلك وذلك قوله تعالى اصدقت ام كنت من الكاذبين وكنت بمعنى انت • وقيل معنى ذلك ام كذبت على الماضي
اذهب بكتابي هذا اي فكتب سليمان كتابا الى ملكة سبا وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا وهو ما ذكر بعده فالقه اليهم
اي اطرحه اليهم لان الطاير لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولة ثم تول عنهم ليلا تؤخذ وكن قريبا منهم بحيث تسمع كلامهم ماذا
يجيبون • وقوله تعالى فانظر ماذا يرجعون اي يردون من الجواب • وقيل ثم تول عنهم اي اسرع الرجوع منهم الينا
وعلى هذا فيه تقديم وتاخير فالقه اليهم فانظر اي فانتظر • وقوله ماذا يرجعون اي بما يرجعون بينهم الكلام كما
قال يرجع بعضهم الى بعض القول ثم هاهنا مضمر فذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليها قالت يا ايها الملا اني القي الي
كتاب كريم اي قالت ملكة سبا لاشراف قومها اني القي الي كتاب كريم وهو هذا الكتاب فدعت بوزرايها فقالت لهم
اني القي الي كتاب كريم اي شريف فاضل • وقيل الكريم الحقيق بان يومل فيه كل خير وبركات اشارة لك في هذا الكتاب
فلذلك قالت ما قالت • وقيل سمته كريما لانه كان مختوما • وقيل كان مكتوبا بالذهب • وقيل كان من ملك تطيعه الجن
والانس والطير والوحش • وقيل سمته كريما انه لحسن ما فيه من افتتاحه ببسم الله الرحمن الرحيم والدعا فيه الى الاسلام
دون مجازة الخطاب فيه مع اتيانه على المراد • وقيل لما وصل اليها الكتاب على خلاف العادة من غير باب بعد اغلاق الها
البيوت والابواب توهمت انه من السما فسمته كريما لذلك • وقوله تعالى انه من سليمان • قيل كان هذا عنوان الكتاب
وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين هذا مضمونه • وقيل انه من سليمان كان في اول السطر
وان الاخر وانما بدا به لانه كان لا يامن ان تستخف به بلقيس فقالوا استخفت به بلقيس كان نبا يبتدي الا باسم الله وكان ذلك
تعظيما لاسم الله لا تقديما لاسمه • وقوله تعالى الا تعلوا علي ولا تتعالوا واتوني مسلمين خاضعين لله منقادين له
متدينين له بالدين الحق ويحتمل مستسلمين منقادين لامري • قال وهب بن منبه في قوله وتفقد الطير كانت
غيبة الهدهد انه ذهب في طلب موضع الما فلقيه هدهد من ارض سبا فقال الذي تشتغل قال اطلب الما
لسليمان اي نبي الله فاني مسخر له فساله عن سليمان وجنوده فاخبره الهدهد بخبر سليمان وما سخر له من الريح والشياطين
والجن والانس والطير فاخبره عند ذلك الهدهد عن ملكة سبا وجنودها وكان الهدهد يومئذ مثل البطة العظيمة
فانطلق الهدهد حتى اتى ارض سبا فنظر الى بلقيس وملكها فمكث غير بعيد ثم رجع الى سليمان فقال احطت بما لم
تحط به وساق ما ذكرنا على نظم الايات وكان ملكة سبا اسمها يلقمة بنت شراحيل وبلقيس بنت شراحيل وكان ابوها
ملكا من ملوك اليمن الى اربعين اباكلهم ملوك وكانت امها امراة لها نسب في الجن فكان رغب شراحيل من ان يتزوج
في الانس تعظيما وزعم انه ليس له كفو لكان اباه الملوك فخطب الى الجن فزوجوه ريحانة بنت السكن فولدت له
بلقيس فكان الجن اخوالها فلما انقرض اباؤها ورامت الناس الى بيعتها فاختلفوا في امرها فتركتهم فملكوا ملكا
تلعب بنسائهم فلما اكثر من ذلك وعجزوا عنه اذ ركبتها الغيرة والحمية فارسلت اليه تخطبه لنفسها تحتذر
لتتمكن منه فتقتله فاجابها الم يمنعني ان ابتداك بالخطبة الا الناس منك لعلي بشرفك وموضعك ولكن حيث
انك تريدني فتستطيع قدري فارسلت اليه ما عنك رغبة وانك لكفو كريم فاذا اصبحت فاجمع رجال قومك
واخطبني اليهم فاني فاعلة ما تريد فقال لهم انها ابتدات بي تطلب ذلك فقالوا لو فعلت ما ذكر الملك قالت نعم طالت
علي الامة والتعرض اهل بيتي واحببت الولد والذرية ولم اجد احدا اشرف منه فقالوا قد رضينا فتزوجها فلما
زفت اليه خرجت في بشر كثير من خدم وحشم حتى ملوا منزله من كثرتهم فلما خلى بها سقته الخمر حتى اذا اسكرته
قطعت راسه فلما انصرفت من بها ومن كان معها خرجت وخدمها لا يفطن لها ولا يظن الناس الا انها قد تخلفت عند
زوجها فاصبح الملك قتيلا واصبح راسه منصوبا على باب دارها فلما نظر اليه الناس عرفوا ان فعلتها كانت
حيلة منها ومكيدة فاعجبهم ذلك فمالوا اليها وقالوا انا نعلم اليوم لك مثلا انك عمدت الى سلك الارض الذي

كان يزني وافسد نسابنا فقتلته باهون امرك وقد عجز عنه جميع من ترين فلا احد احق بهذا الملك منك الذي يسأل من
ابايك قالت لولا ما خشيت علي وعليكم من العار ما فعلت ذلك ولا كان لي اليها في يدي حاجة فملكوها عليهم فامرتهم
ان يصنعوا لها منزلا فاخرا لم يصنع مثله لملك قط فوصفت لهم عمله فعمدوا الى تل مشرف من صفا صلد فغرزوا على ظهره
خمس مائة اسطوانة ثلاثون ذراعا وبين كل اسطوانتين خمسة اذرع ثم جعلوا من فوق الاسطوانة سطحا من الواح
الرخام وضموا بعضها الى بعض حتى صارت كانها لوح واحد ثم بنوا في السطح بيوتا من رخام وقبابا من ذهب وفضة
مبوبة بابواب مرصعة بالجواهر الملونة ثم احاطوا على السطح بحائط باطنه من رخام وظاهره من نحاس وله اربع زوايا
على كل زاوية قبة من ذهب على قبتها ياقوتة حمراء تلتهب فاذا اطلعت الشمس سطع ضوء الياقوتة على القبة وبرقت
ثم جعل للقصر حين فرغ منه اربع سراي عن يمين وشمال وشرق وغرب في كل سراي مائة درجة من فضة في اعلاها
باب من نحاس ثم جوف الصفا فجعل جوفه خزاين وجوف بعض الاسطوانات حتى افضى الى الخزاين من السطح فكان
طريقا الى الخزاين التي تحت الصفا ثم بنى تحت كل اسطوانة مجلسا من رخام للحراس والقواد ولم يكن في الارض
ملك بعد سليمان وذي القرنين وفرعون وموسى اكثر منها جنودا كان لها اثنا عشر قائدا يقود كل واحد منهم
اثني عشر الف مقاتل وكان تحت يدها اربع مائة ملك من اشراف اليمن امرت كل واحد منهم على كورة معلومة وتحت
عليه اربعة الاف مقاتل وكان تحت يدها اربع مائة منجم ما احتاجت فلما فرغوا من عمل قصرها وهو عرشها العظيم امرت
بالمدينة والحيطان والرياض فبنى ذلك النحو قصرها حتى صارت في وسط ذلك واشرف قصرها على ما حوله حتى كان يرى
من مسيرة يوم وكانت تكلم الناس من وراء الحجاب لا يرى وجهها فاذا وقعت حرب حسرت لهم عن ذراعيها • قال وهب
فلما جاء الهدهد الى سليمان بخبرهم كتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود نبي الله الى بلقيس اما بعد
فان كنت من الانس فقد صيرتني وان كنت من الجن فقد سخرت لي فاقبلي انت وقومك ولا تعلوا علي واتوني مسلمين
فاخذ الهدهد الكتاب برجله فانطلق يهوي به حتى انقض عليها من كوة البيت فوضع الكتاب في يمينها وهي قاعدة
على عرشها فغلبت من ذلك العجب ثم ارتفع الهدهد فقالت من ارسلك قال ارسلني اليك فوقع فوق الحائط فلما
وجدت في الكتاب اسم سليمان خرجت الى الهدهد فقالت من ارسلك قال ارسلني اليك ملك الجن والانس والطير
والريح والشياطين قالت ما اراك كذبت لولا انه كما تقول ما اطعته له بالرسالة ثم جمعت قومها من قوادها واهل
مشورتها واسفرت عن وجهها والهدهد مكانه فقالت لهم ما كنت احسب ان فوق ملككم ملكا حتى جاءني رسول
ملك الجن والانس والشياطين والطير والريح قالوا لها فاين هو الرسول الذي جاءك قالت هو هذا واشارت
الى الهدهد فاقبلوا عليه يكلمونه فلم يجبهم وقرات عليهم كتاب سليمان وسالتهم عن الراي وذلك قوله تعالى
يا ايها الملأ افتوني في امري اي اشيروا علي فيما حدث لي من هذا الامر ما كنت قاطعة امرا اي
منفذة عزما حتى تشهدون انتم اي تحضرون فاشاروا واصحابه على اتفاق منكم استعطفتهم وراعتهم
فاخبروها فقالوا وذلك قوله تعالى نحن اولوا قوة واولوا باس شديد قادرون على القتال اذا احتيج اليه
لوفور عددنا وعددنا والامر اليك في الانقياد لصاحب الكتاب ومحاربته فانظري ماذا تامرين به قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية اي استولوا على مدينة افسدوها وسعوا فيها بالفساد والتخريب لتزول وتطرد
اطماعها وجعلوا اعزة اهلها اذلة سلبوا نعمهم واموالهم واعوانهم وكذلك يفعلون اي سليمان وقومه ان
دخلوا مدينتكم فكان اول الاية على عموم الملوك واخر الاية على خصوص هولاء • وقيل هذا قول الله وكذلك
يفعلون اي كذلك تفعل الملوك كما قالت هي واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون اي من راي
ان لا اعجل بالقتال الذي قد يكون علينا ولكن اتعرف احوالهم فارسل هدية فانظر ما يكون منهم وبماذا يرجعون
من عندهم رسلي بان يجعلوا رد الهدية بالقوم طالبوا دين لا يكفهم عنا الا الاتباع ولا طاقة لنا بقتالهم
وقال القراء ذكروا انها ارسلت واحدا ولذلك قال بعده فلما جاء سليمان وقال ارجع اليهم وانما قال المرسلون
تعظيما للرسول او هذا من متعارف اللسان يقول الملك ارسل الى فلان رسله وهو يريد الواحد ويجمع
للتعظيم اولانه يكون معه اتباع ثم قال فلما جاء قال ارجع خطابا لرايسهم واختار امرا من كبرايهم فقالت لهم ان كان
ان هو طلبكم انه يريد لكم ويستعبدكم ويتبع جنوده فراركم وحريمكم وساستخبره ايهما احب الدنيا قالوا بماذا قالت
اعرض عليه الدنيا فان قبل الدنيا قاتلناه عن ملكنا فكتبت الى سليمان اني قد سمعت كتابك وانا ناظرة في امرك
ومعجلة اليك رسلي ليعلموا علمك واهديت اليه الفا من عرابي سابق ليس فيها الا ما احرز الحلبة وهي كلها
على شية واحدة ليس منها الا ادهم ازرق اعور محجل مع كل فرس عبد يسوقه في راس كل فرس من ذهب عذارها
مفصص بالجوهر ومقودها سلسلة من حلق الذهب والفضة حلقة من ذهب وحلقة من فضة وعليه سرج من
جوخ ملبس ارجوانا احمر مرصعا باللولو نصفها ذكور ونصفها اناث واهدت له خمس مائة وصيف ووصيفة
في يمين كل وصيفة سوار من ذهب فيه ياقوتة وفي عنق كل وصيفة طوق من ذهب فيه ياقوتة وفي اذنيها قرطان
في كل قرط درة وعلى كل وصيف منطقة منظومة باللولو وجهزت الى رسلها اذا هم عرضوا على سليمان هديتها

ان يحملوا الوصفا على ذكور الخيل والجواري على اناثها • وقال زيد بن اسلم وجعلت مع هذا كله لبنا من ذهب فامر سليمان بعد ذلك فقال
الشياطين مهدوا لهم الارض ذهبا الا موضع لبنة في الطريق فلما قربوا من بلد سليمان نظروا ان الارض مفروشة بلبن ذهب
وراوا الطريق موضع لبنة خاليا فقال رئيسهم حملنا الى هذا الرجل لبنا من ذهب فاذا ارضه ذهب كلها الا موضع لبنة
فيلينا ان نبقي هذه اللبنة في هذا الموضع والا نسبنا الى السرقة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها وجهت غلمانا وجواري
وجعلت الغلمان على زي الجواري في اللباس والشعر وقالت للغلمان اذا كلمكم فليلينوا الكلام وقالت للجواري اذا كلمكن
فاغلظن الكلام وبعثت بحقة فيها جواهر وامرت عليهم رجلا يقال له المنذر بن عمرو • وقال القاسم بن حبيب رايت
وبين النخاس كانت ثلاثة جواهر احدها مثقوب والثاني غير مثقوب والثالث ثقب نصفه ولم ينفذ وقالت
ان كان نبيا ميز بين الوصفاء والوصايف ويخبركم بما في الحقة وان كان غير نبي امكنكم عليه فميز بين الوصفاء والوصايف
بالوضوء وذلك انه امرهم ان يتوضوا فجعل الغلمان يحدرون الماء على اليد فالرجل حدرا وجعلت الجواري يصببن من
اليد اليسرى على اليد اليمنى ومن اليمنى على اليسرى فميز ذلك بينهم واخبرهم ان الجواهر ثلاثة احدها مثقوب والثاني
صحيح والثالث مثقوب النصف • وقوله تعالى فلما جاء سليمان اي جاء الرسول • وقيل جاء ما اهدت • وقوله تعالى
قال اتمدونن بمال استفهام بمعنى الانكار اي اتبعثون الي ما لا اقدر به الزيادة في مالي ونعمتي فما اتاني الله اي
فالذي اعطاني الله من الملك والنبوة وسخر لي الطير والوحش والجن والانس خير مما اتاكم اي افضل واكثر مما اعطاكم
فلا افرح به بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل تفاخر وتكاثر بالدنيا ارجع اليهم ايها الرسول بهذه الهدية فلا حاجة
لي فيها ولا امتنع عن دعوتكم الى الاسلام فان لم ياتوني طايعين فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بها اي
ولا يمكنهم دفعها ولنخرجنهم منها اي من قريتهم وقد سبق ذكر القرية اذا دخلوا قرية جعلوا اعزة اهلها اذلة اي تسلبهم
العز بالاستيلاء على اموالهم وعيالهم وقهر انصارهم • وقيل مغلولة ايديهم الى اعناقهم وهم صاغرون مهانون
قال يا ايها الملأ • قال وهب يعني ملأ الجن ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين اي قبل ان يرجع اليهم رسلهم
ينذرونهم مسلمين فاذا اسلموا فليس عليهم سبيل ولا يحل لي حينئذ ان اخليهم من بلادهم • قال ابن عباس كان
سليمان هذا اخبر الهدهد فاستخف وجاء اصف بالعرش ثم كتب اليه الكتاب ولولا ذلك لم يكتب اليها بقول الهدهد
من غير ثبوت • وقال وهب بن منبه قال ذلك عند مجي الرسل بالهدية • وقيل قال ذلك حين لم يبق بينها وبين سليمان
الا قدر فرسخ • وقيل انما طلب ذلك ليختبر عقلها اذا اتته وراته اتثبته ام تنكره وهذا عن عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم وفعل ذلك ليثبت عندها انه رسول وملكه سماوي فتنقطع هي وقومها الى الاسلام • وقوله تعالى قال
عفريت من الجن قيل داهية وقيل هو قول الفراء هو القوي النافذ • وقال القتيبي هو الشديد الوثيق • وقيل هو
المارد • قيل كان اسمه صخرا • وقيل كان عمرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك فسماه مقاما
لانه تقوم فيه بالقضايا بين الناس كالمقامات التي تكون للخطباء والروساء • وقيل اي من مجلسك وسماه مقاما
لان عاقبته القيام عنه واني عليه لقوي اي قادر امين على ما فيه من ذهب وجوهر لا اخون في ذلك قال الذي
عنده علم من الكتاب هو اصف بن برخيا • وقيل اصف بن يوسف • وقيل ضبه والدبي ضبه من العرب وقد ادعى
ذلك بنو ضبة وكان اصف وزير سليمان وعلم من الكتاب اي من الكتب المنزلة • وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وكان مستجاب الدعوة • وفي تفسير الثعلبي الذي عنده علم من الكتاب
جبريل عليه السلام قال لما رجع رسل بلقيس اليها وعلمت انها لا قبل لها بجنود سليمان اقبلت اليه فاعلمه جبريل بذلك
واحب سليمان ان يؤتى اليه بعرشها • قال عفريت من الجن ما قال فقال جبريل انا اتيك به قبل ان ينزع من ذلك وسمعه
جبريل بان عنده علم من الكتاب الذي هو ام الكتاب قبل ان يرتد اليك طرفك قيل ان يرجع اليك طرفك بحركه
كانه يغمض بصره لينظر الى شي فيسطر اليه ثم يرده بحركه على النظر • وقال ابو عبد الله الازدي وهو في معنى هذا اي
اذا امددت طرفك ناظرا الى ان ترد جفنك ردته بين يديك • وقال قتادة والكلبي والفراء يريد قبل ان ياتيك
الشي من مد بصرك وحاله من قبل ان يرجع اليك من ينظر اليه منتهى بصرك فلما راه مستقرا عنده قيل دعا الله
اصف فرغ سليمان نظره ثم رده فاذا هو عنده • وقال مجاهد دعا الله فاخرج له من نفق في الارض حتى وضع بين
يديه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال يا حي يا قيوم • وقال عبد الله بن سلام قال اللهم اني اسالك بانك
انت الله الذي لا اله الا انت الحي القيوم الطاهر المطهر نور السموات والارض عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال • وروي عن جابر انه قال في الدعا يا الله يا الله • وقال عمرو بن عدي دعا فقال يا ذا الجلال والاكرام
والفضل العظيم والعز الذي لا يرام • وقيل قال اهيا شراهيا وكان ذلك من كرامة اصف وكرامة الاوليا حق
عند اهل السنة والجماعة وهو في الحقيقة معجزة لذلك الرسول الذي هذا من امته • وقال وهب كان اصف
من الجن وجمع عفاريت من الجن حتى اقتلعوا منزلها الاعلى الذي فوق الاسطوانات بساكنه وجميع ما فيه
وهي فيه على فرشها لم تفقدنا ان تحول منها حتى وضعت بين يدي سليمان وكان حليها وثيابها وطيبها تحرز ونامها
ومنزلها فاتي بذلك كله فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر اي بان ما فعله ربي

من القا الرعب في قلبها اقبلت الى مع قومها في تلك الرواية ومن احضار عرشها في هذه المدة من مسيرة شهرين على
هذه الرواية من فضل ربي اي من افضاله علي من غير استحقاق مني ليمتحنني اشكر اي انعامه ام اكفر لم نعمل ذلك
اي لا استعين به على معاصيه كما فاخريه ● وقيل نظر بيانه انه ظهر هذا لآصف ثم رد الخاطر وقال انه من فضل الله
علي حيث جعل في امتي من له هذه المنزلة وهو كشكر الاب بما يظهر لابنه من كرامة ينفرد بها ولا يكون ذلك الا بت
لقوله تعالى ومن شكر فانما يشكر لنفسه لان المزيد يحصل له به وحق النعمة تقضي به ومن كفر النعمة فان ربي غني
عن شكره كريم لا يبخل بعفوه عمن كفر نعمه ● وقوله تعالى قال نكروا لها عرشها اي غيروا والتنكير التغيير ننظر
اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفة ذلك وتعقله ام لا تعقله ولا تعرفه ● وقيل اتهتدي الى الاسلام
بهذه الاية وهو حملها اليه في هذه المدة اليسيرة ام لا تهتدي اليه والتغيير يكون بالزيادة والنقصان او المكن
قال وهب قال للجن نكروا لها عرشها فنكس وبنت الشياطين فوقه قبابا اخرى هي اعجب من تلك القباب
وهو مقلوب قد جعل اسفله اعلاه وانما اراد سليمان ان يعلمها ان مستقر ملكها عنده ملكه وتنظم هذه الآيات
بضعف قول وهب حملوا عرشها وهي عليه لان التنكير والمجي والنظر اليه يخالف كونها عليه فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك لما انه حمل على الريح مقلوبا وصوب الهوا لا يقع على الارض وقد صنع فيه ما هو اعجب
والخوما كان فيه انكرته فقيل ذلك قالت كانه هو قالوا ان الشياطين خافت ان يتزوجها فيولد له منها
ولد وهي جنية فتطلع الجن ولده منها فيدوم له الملك ويبقون مسخرين لابن سليمان فقالوا انها ضعيفة
العقل حمقا وان رجلها كرجل حمار فامر بتنكير عرشها ليمتحن عقلها فقال نكروا لها عرشها ففعلوا وقالوا لها
اهكذا عرشك قالت كانه هو ولم تعرف ولم تنكر ذلك لما بعد عنها ان يكون هو هو لانها خلفته في بيت لها ثم وكلت
به من وكلت فلم تقل هو هو لما رات فيه من التغيير ولم تقطع ايضا على انه ليس هو لما رات فيه من المشابهة
فقالت قولا بين النفي والاثبات تحرزا عن الكذب بالقطع على احد جانبيه غير تثبت وامر بادخالها الصرح لتكشف
عن ساقيها لما توهم انه لجة فينظر رجلها ففعلت وانكشف عن احسن ساق وقدم فرد التلبيس الشياطين وقوله
تعالى واوتينا العلم من قبلها ● قيل اي قالت واوتينا العلم من قبلها من قبل صحته وكنا مسلمين اسلمنا قبل
ان تجي ● وقيل هذا قول سليمان على وجه الشكر اي اوتينا العلم به من قبل هذه المراة وكنا مسلمين منقادين لله وصدها
اي ومنع المراة ما كانت تعبد من دون الله في موضع الرفع اي عبادتها الشمس من دون الله عن عبادة الله ●
وهو مفعول ثاني ● وقيل صدها عن العلم والاهتدا انها كانت من قوم كافرين اي فانها كانت كذلك ● قيل هذه
الاية قول سليمان ● وقيل هو قول الله تعالى ● وقيل وصدها اي ومنعها سليمان ● وقيل ومنعها الله ما كانت
تعبد من دون الله اي من عبادة غير الله وهو في موضع المفعول ● قيل لها ادخلي الصرح ● قال ابو عبيدة
وقيل اي القصر ● وقال الزجاج اي عرصة الدار ● وقيل هو البنيان المرتفع فلما راته حسبته لجة هي
موضع الما ● قال وهب وامر سليمان الشياطين فصنعت له من القوارير بيضا يترجرج كانه الما
وجعل فيها تماثيل سمك تسبح فيها وصرد تحت استدبر هب فجعلت تنظر الى تمثالها في الزجاجة كانها المراة
المصقولة وعليها حلة من حرير ابيض ملحمة من الذهب الاحمر فجعلت تنظر الى نفسها ولباسها وكل شي عليها في ارض
تلك القارورة ثم قيل لها ادخلي الصرح وهو من ذلك فظنت انها خاضته من ما حين نظرت الى تماثيل السمك
تسبح فيها فلما كشفت عن ساقيها قيل لها انه ليس بما ولكنه صرح ممرد من قوارير اي مملس من قوارير فاسلمت
عند ذلك وقالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ظلمت نفسي بالشرك ● وقيل ظننت
ان سليمان مكر بها ليقتلها ● قال محمد بن كعب القرظي لما بصرت بالصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلني
به الا الغرق فلما وقفت على الحقيقة قالت ظلمت نفسي بما اسات به الظن ● وقيل امر سليمان بتنكير العرش
واتخاذ الصرح كانها اذا نظرت الى ذلك فتعلم فضل ملكه على ملكها وان الله هو الذي خصه له وهيا ذلك
كله له فان ذلك لا يكون الا اية لنبوته ورسالته فتهتدي بذلك الى الاسلام ولذلك اسلمت ● وقيل كان
هذا معارضة له اياها فيما فعلت وامر الوصفان والوصايف وتنكيرها اياهم وكذا احالة الجواهر ففعل بها
كذلك فاهتدي هو اليها النبوة ولم تهتدي هي اليه فاستبان لها حاله فاطاعته واسلمت ● وقيل الحكمة في تمكين
هذه الملكة على سليمان مع قرب ولايتها منه ومع ان الدنيا كلها كانت مملكة له ليكون ذلك عند ظهور هذا
الهدهد من جنايته وما ذكر سليمان في حقه لاعذبنه او لاذبحنه كان تاديبا وتهذيبا لا عقوبة وتعذيب
وذلك جائز كما في الدواب وضربها عند الحراب وضرب الكلاب وغيرها للتعليم وهو للتقصي عن اعتراض قال
كيف استحال ذلك فيما لا يخاطب ولا يعاتب ولا يعاقب ● وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وهذه
قصة اخرى في معنى ما مضى ان اعبدوا الله اي ليقول لهم وحدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون فصدقه بعضهم
وكذبه بعضهم فصاروا فريقين وقال يختصمون على الجمع لان الفريقين جمعان معناه خاصم كل فريق الاخر
في مخالفته ومحاجته في اثبات قول نفسه هو مثل ما قال في سورة الاعراف قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين

استضعفوا

استضعفوا الايات قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة وكان من عادة الامم المكذبة استعجال العذاب كقولهم
ايتنا بما تعدنا او نحو ذلك ● وقيل معناه لم تفعلون ما تستحقون به ان تعاجلوا بالعذاب من الكفر والمعاصي ولم يرد به
السؤال لولا تستغفرون الله اي هلا تتوبون الى الله قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا بكم فلا ننتفعكم لانه اصابنا
المكاره في انفسنا واولادنا واموالنا واموالنا اليسوع عن ايمانهم ● وقيل قحطوا فقالوا هذا بشومكم قال طائركم
عند الله اي ما اصابكم من مكروه او محبوب فمن الله لا مني وكان الكفار اذا اصابتهم شدة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا هذه من شومه واذا اصابتهم نعمة قالوا هذه باستحقاقنا كما ذكر الله ذلك عن قوم موسى فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ● وقال المشركون لنبينا عليه السلام ما ذكر عنهم
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ● وقيل طائركم عند الله اي ما ينزل بكم من العذاب في الاخرة امارة بنبيكم
بتكذيبكم اياي في الدنيا ● وقيل طائركم عند الله هو تجزيكم به العذاب الدنيا او الاخرة بل انتم قوم تفتنون
اي تمتحنون مرة بالشدة ومرة بالرخا ● وقيل اي بل الكفار يفتنونكم من العذاب بالدعوة الى الثبات على
الكفر والتطير ● وقيل معناه بل انتم قوم تعذبون بذلك في الاخرة ● قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون
اي يعذبون ● وقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون ● قال ابن عباس
رضي الله عنهما كانوا من اولاد الاشراف وكانوا فساقا ● وقيل هم قدار بن سالف ومصدع بن دهر واسلم ودهمي
ورهيم ورعمي ورعيم وقتال وصداف قتلوا الناقة اي عقروها يوم الاربعا فاهلكهم الله يوم السبت قالوا
تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن ● قرا حمزة والكسائي بيا الخطاب على الجمع اي قال بعضهم تقاسموا
على الامر اي احلفوا لتاتينه ليلا فنقتلوه ولتقولن لوليه اي لاولياية وهو جنس يشمل الجميع وهو كقوله فقد جعلنا
لوليه سلطانا ● وقرا الباقون بالنون اخبارا عن انفسهم اي احلفوا فقولوا كذا ويجوز ان يكون تقاسموا امرا
ماضيا ويكون تفسيرا لقوله قالوا ويكون بمعنى الحال اي متقاسمين ما شهدنا مهلك اهله ● وقرا عاصم في رواية
ابي بكر مهلك بفتح الميم واللام ومعناه الهلاك اي موضع الهلاك ● وفي رواية حفص بفتح الميم وكسر اللام وهو
كذلك ● وقرا الباقون بضم الميم وفتح اللام وهو الاهلاك وموضع الاهلاك وانا لصادقون فيما قلنا ومكروا
مكرا فقصدوا قتل صالح واهله في خفية ومكرنا مكرا اي جازيناهم جزاء مكرهم باهلاكهم في خفية وهم لا يشعرون
حين قصدوا ذلك انه يعود قصدهم اليه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة مكرهم اي اهلكناهم اندمرناهم ● وقرا الباقون
بالكسر على الاستيناف وتمام الاول دمرناهم اي اهلكناهم اي التسعة وقومهم اجمعين اي سائر قوم صالح
واختلفت الاثار في كيفية هلاك هؤلاء ● قال ابن عباس ارسل الله ملائكة ليلة فامتلات بهم دار صالح فاتى
التسعة الدار شاهرين سيوفهم ليقتلوا صالحا فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يرون الملائكة فقتلتهم
وقيل خرجوا نهارا من المدينة يظهرون انهم يسافرون وعادوا اليها خفية ونقبوا الجدران ليدخلوا داره فتعلق
فرمتهم الملائكة من السطح فقتلوهم ● وقال مقاتل نزلوا في شعب من الجبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم
عليهم الجبل فاهلكهم ● وقال السدي خرجوا ليأتوا دار صالح فنزلوا خرقا من الارض ليكمنوا فيه فيه
فانهار عليهم ● وقال قتادة خرجوا مسرعين الى صالح فسلط الله عليهم فرود اصخرا فقتلتهم ● وفيهم يقول الشاعر
كانت تسعة رهط في مساكنهم قد وكلا ذا عوام رجل يدعى قدار فلما اذ هم عقروا لربهم ناقة والذين ما قتلوا الا هم
ربهم من حيث ما علموا بجزيهم فاداهم عن ما عملوا ● وقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية اي خالية ● وقيل ساقطة
وهي نصب على القطع لانه نعت نكرة لاسم معرفة بما ظلموا اي بظلمهم ان في ذلك لاية لقوم يعلمون بيانا مثلوا غيرنو
يستطون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون فيزنا بين المحسنين والمسيئين ● وقوله تعالى ولوطا عطف على
صالحا اي وارسلنا لوطا الى قومه اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة وهي اتيان الذكران
وانتم تبصرون اي ترون قبحها بعقولكم وهو العلم ● وقيل ينظر بعضكم بعضا على ذلك ● وقيل تبصرون اثار من قبلكم
وهذا في ولا تنتهون بنهيي ايكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ وكذلك
الاول وهو قوله اتاتون الفاحشة بل انتم قوم تجهلون اي ليس ذلك منكم لوجود الشهوة في الرجال وعدمها في النسا
بل لفرط جهلكم تفعلون ذلك ● فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم اي لوطا ومتبعيه انهم
اناس يتطهرون ● وقيل ارادوا به الاستهزا كما في قولهم انك لانت الحليم الرشيد ● وقيل اي يتطهرون عند انفسهم
وفي زعمهم ● وقيل اي يتنزهون عن مثل عملنا وعملا فوسنا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
قرا عاصم في رواية ابي بكر بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما بمعنى واحد ● قال الله تعالى فقدرنا فنعم القادرون
من الغابرين اي الباقين في الهلاك وامطرنا عليهم مطرا حجارة من سجيل من السما فسا مطر المنذرين ● وقوله
تعالى قل الحمد لله اي قل يا محمد الشكر لله على اهلاك الاعدا وانجا الاوليا ● وقيل على بيان ايات الوحدانية
وابطال الكفر والنكر وسلام على عباده الذين اصطفى اي الانبيا والمومنين ● وقيل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى هذا امره يا محمد على اعلا الرسالة والسلام على الصحابة ثم حمله محاجة المشركين فقال الله خير

اما تشركون استفهام للتقرير اي الله القادر على الاهلاك والانجا على كل شي خيرام الاصنام التي تشركونها بالله وهي عاجزة
جماد اي بل الله هو المستحق للعبادة دونها • وقوله امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما لو وجهان احدهما
ابتدا سوال على معنى التقرير كما في قوله ولين سالتهم من خلقهم فانهم اذا سيلوا من هذا اعترفوا لزمهم وجوب العبادة له لا لمن
دونه وغيره والثاني باضمار لخبر الاية الاولى اما تشركون خير امن خلق السموات والارض فانبتنا به حدايق ذات بهجة ترك
الكلام عن المغايبة وهو قوله وانزل الى المخاطبة نفسه • وهو قوله تعالى فانبتنا وهو من اقسام البلاغة حدايق
بساتين ذات بهجة اي حسن وزينة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ليس من شانكم القدرة على انباتها • وقيل ما ينبغي لكم
ان تنبتوها الا بالماء الذي انزلنا الا بنصاحوا حكم اله مع الله استفهام بمعنى النفي اي لا اله مع الله وهو المتفرد
بالالوهية والربوبية وكمال القدرة بل هم قوم يعدلون اي الكفار يميلون عن الحق وقيل اي يعدلون بالله غيره اي
يسوون الاصنام به بالاشراك ام من جعل الارض قرارا استقرار الخلق ولو وجهان كالاول وجعل خلالها انهارا اي وسطها
وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت لتسكينها عن الاضطراب وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزا مانعا عن
الاختلاط وقد فسرناه في سورة الفرقان اله مع الله تفعل كذلك وهو بمعنى النفي بل اكثرهم لا يعلمون الكناية عن
قوم النبي صلى الله عليه وسلم واقلهم علموا وامنوا واكثرهم لم يعلموا بترك التامل في الدلايل فاصروا على الكفر امن
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وجهان ايضا كما مر ويجعلكم خلفاء الارض اي ساكنيها بعد ذهاب السلف
وكانوا مقرين بذلك كله فكانوا اذا اضطروا واصابهم سوء يفزعون في ازالة ذلك الا اليه • وقال القشيري الاجابة
بالقول وكشف السوء بالفعل الاجابة بالكلام والكشف بالانعام وما دام العبد يتوهم من نفسه شيا من الحول والقوة
او شيا يعتمد عليه او يستند اليه فليس بمضطر الا ان يرى نفسه كالغريق في البحر والضال في المتاهة والميت
في يد الغاسل لا يرى لنفسه استحقاقا للاجابة اله مع الله فسرناه قليلا ما يذكرون اي ما يتعظون بمواعظ الله
امن يهديكم اي يرشدكم في ظلمات البر والبحر للطرق الى المقاصد وله وجهان كما مر ومعناه هو الذي يهديكم
اليها بالنجوم والعلامات المجعولة لها والاستدلال بالدلايل ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته بينا معناه
والقراة فيه في سورة الفرقان اله مع الله تعالى الله عما يشركون وهذا اظهر امن يبدا الخلق كانوا مقرين بان
الله هو الذي يبدا الخلق فاما قوله ثم يعيده فهم وان جحدوه فهم محجوجون بالنشاة الاولى فلزمهم الاقرار
والخلق بمعنى المخلوق وهو واحد فلذلك قال ثم يعيده • ومن يرزقكم من السماء اي المطر والارض اي من الارض
بالنبات اله مع الله فسرناه قل هاتوا برهانكم حجتكم على ما تقولون من ان الاصنام شركاء الله ان كنتم صادقين
في هذه الدعوى فانا قد اقمنا البرهان على قدرة الله وربوبيته والاهيته ووحدانيته • وقيل طران قالوا
انه يفعل ذلك معه غيره فقالوا حجتكم على ذلك ولا يجدون فلزمهم الانقياد للحق • وقوله تعالى قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله سال هولاء المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيامة متى هي وكان
يوعدهم بذلك فقال الله تعالى قل يا محمد لا يعلم ملايكة السما ولا الجن والانس في الارض غيبا وهو مما استاثر الله
بعلمه وهذا من الغيب وما يشعرون اي ما يعلم اهل السماء والارض ايان يبعثون متى يحشرون بل ادرك علمهم في الاخرة
قرا ابن كثير وابو عمرو بل ادرك علمهم في الاخرة والباقون ادارك ومعناه تدارك ادغمت التاء في الدال وسكنت
فادخلت في اولها الالف ليبتدا بها فمن قرا ادرك فمعناه عند بعضهم بلغ علمهم في الاخرة اي حظر على قلوبهم ان
البعث كاين ثم التبس ومعناه بل هم في شك منها انه يكون او لا يكون بل هم منها عمون جاهلون لا يعلمون كونها ولا هم
يستعدون ذلك • وقيل هذه الصفات الثلاث لفرق ثلاث منهم فرقة علمت بها وفرقة شكت وفرقة انكرت ومن
قرا ادارك فمعناه تتابع واجتمع ثم له وجوه احدها تتابع زعمهم الذي هو علم عندهم في الاخرة انها لا تكون وهذا
في ابتدا القول بل هم في شك منها انها تكون او لا تكون بعد التاويل بل هم منها عمون باطبق على الجهالة لم يجهدوا في
النظر حتى يعرفوا كونها • وقيل ادارك علمهم اي تتابع علم المومنين على كونها بل هم اي المنافقون في شك منها بل هم
اي المشركون منها عمون • وقيل ادارك ماض بمعنى المستقبل كما يرماذكر من احوال القيامة اذ قال الله يا عيسى
ابن مريم وعرضوا على ربك ونفخ في الصور اي تدارك علمهم في الاخرة يعني تتابع يوميذ علمهم ويجتمع
على اليقين بعد ما هم في شك وعمى في الدنيا وهو كقوله اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
وبعضهم قالوا الف الاستفهام في اوله مقدرة فيكون بمعنى النفي مع ان ظاهره الاثبات والفاظ السلف على هذه
الاقاويل دالة • وقال السدي بل ادرك علمهم في الاخرة اي ما عمي عليهم من ذلك في الدنيا علموا في الاخرة • وقال
مجاهد يدرك علمهم في الاخرة اذا عاينوها • وقال مجاهد في رواية لم يدرك علمهم في الاخرة • وقال القتبي علمهم
في الاخرة ظن بل هم في شك يقولون تارة يكون وتارة لا يكون • وقوله تعالى وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا واباونا
اينا لمخرجون اي من القبور احيا لقد وعدنا هذا نحن واباونا من قبل اي قبل هذا ان هذا الا اساطير الاولين كاذب
سطرها الاولون قل يا محمد لهولاء المشركين سيروا في الارض في البلاد فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اهل الكذب
ولا تحزن عليهم يا محمد ان يهلكوا فانهم مستحقون لذلك ولا تكن في ضيق اي لا يضيق عليك امرك مما يمكرون اي من مكرهم

ان يتلو ظفرهم بك فان الله ناصرك ومهلكهم ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم قيل
يخاطبون به النبي واصحابه قل يا محمد عسى ان يكون ردف اي دني منكم ودنا اليكم من ورايكم وهذا فعل يتعدى باللام وغير اللام
وما ردف الشي فقد قرب منه بعض الذي تستعجلون من العذاب في الدنيا الاسر والقتل • وقيل القحط • وقيل عذاب
القبر وما فيه من الاخرة من عذاب النار وان ربك لذو فضل على الناس على الكفار بتاخير العذاب عنهم • وقيل يبعث
الرسول ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يودون شكر نعمه بالايمان وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي تستره تكنه وما يعلنون
اي يظهرون بالقول والفعل فليس تاخير العذاب لخفا ما يضمرونه ويظهرونه وما من غايبة اي خصلة غايبة عن علمكم
او علمكم في السماء والارض الا في كتاب مبين اي مثبتة في اللوح المحفوظ • وقيل معلومة عند الله محفوظة ان
هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون • قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلفوا فصاروا
احزابا فانزل القران بتبيان ذلك واختلفوا ايضا في النسخ وفي صفة عيسى وفي تعيين المبشر به في الكتاب
انه نبي اخر الزمان واشيا كثيرة وانما قال اكثر الذي هم فيه يختلفون لانه نفى اختلاف كثير لم يبينه الله تعالى
وانما بين كثيرا من ذلك وهذا تحريك للمشركين على اتباع القران فانه لما كان فيه بيان لاهل الكتاب وانتم ترجعون
اليهم في كثير من اموركم فلم تركتم انتم هذا الكتاب وهو منزل على نبيكم بيانا لكم وانه اي القران لهدى اي ارشاد
ورحمة للمومنين بما اتبعوه ان ربك يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بحكمه الحق في الاخرة بمجازاة كل احد على
وفق عمله انه هو العزيز فلا يعارض من حكمه العليم فلا يخفى عليه المطيع من العاصي • وقيل يقضي بينهم في الدنيا
بحكمه فيما اختلفوا فيه انه هو العزيز فلا يرد باسه عن من خالف امره حكيم العليم فلا يخفى عليه الصواب فتوكل على
الله يا محمد فانه ناصرك على من خالفك انك على الحق المبين اي الظاهر لمن نظر اليه بعين قلبه انك لا تسمع
الموتى اي ما في طاقتك ادخال الايمان في قلب من لا يتدبر القران ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اي
الذين تصاموا عن سماع الحق وولوا عنه وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم • وقرا حمزة تهدي بالتا خطابا له
بالفعل والعمي نصب لانه مفعول ان تسمع اي ما تسمع الا من يومن باياتنا يصدق بها فهم مسلمون منقادون
للحق فالميت هو الكافر والاصم والاعمى هو المعرض عن روية الحق وسماعه وليس في وسع النبي عليه السلام
هداية الكافر وهو اثبات فعل المهتدي الاهتدا له والله تعالى هو معطي الاهتدا وموصل العبد الى سماع الحق
وروية وانما يعطيه من علم منه اختيار الحق فاما من علم منه اختيار الباطل فانه يخذله ويدعه وما يختاره •
وقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة اي وجب العقاب عليهم ونزول العذاب الموعود بهم
ومعناه قرب قيام الساعة وظهرت الايام التي لا تقبل فيها الايمان كما قال يوم ياتي لا ينفع بعض ايات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها اخرجنا لهم دابة من الارض علما من اعلام الساعة تكلمهم اي تخبرهم وتقول ان الناس على
قراة الكسر ومن فتح فعلى وقوع الفعل عليه كانوا باياتنا لا يوقنون اي الكفار الذين حق عليهم القول كانوا
باياتنا لا يصدقون ويشكون فقد لمن ما انزال الشكوك عنهم واشرفوا على العقاب الذي كانوا يوعدون •
وقال المقاتل من الارض اي من ارض مكة وهي دابة لها زغب وريش وجناح • وقال قتادة تخرج من واد من
اودية مكة • وقال علي تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها • وقال المقاتل بن حيان لا يخرج
الا راسها ورأسها تبلغ عنان السما • وقال الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام والناس ينظرون وهي
تسير سير الشمس • وقال السدي ثم تعود الى ما كانت عليه قبل خروجها • قال عبد الله بن عمرو لو شيت لانتعلت
بنعلي هذه ثم قمت فاريتكم الموضع الذي تخرج منه الدابة وهو يوميذ بمكة • وقيل تخرج من بين الصفا والمروة
وقال وهب تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتمسح وجه المومن بعصى موسى فيبيض وتختم بين عيني الكافر
بخاتم سليمان فيسود وجهه فلا يبقى الا مسود الوجه وابيضه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما تنكت في وجه
المومن فيبيض وجهه وفي وجه الكافر فيسود وجهه ولا يكون حينيذ الا كافر ومومن فيقول المومن يا كافر اقض
حقي ويقول الكافر للمومن يا مومن اقض حقي • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لها ثلاث خرجات تخرج اول
من اقصى اليمن فيفشو ذكرها في اهل البوادي ولا يدخل ذكرها مكة ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم
المساجد حرمة واكرمها عند الله عند المسجد الحرام فما يهولهم الا خروجها من بين الركن الاسود حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فيتفرق الناس فقوم يهربون وقوم يقفون للنظارة • وقال ابن الجوزي سال عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر • وقال الكعب صورتها صورة
حمار • وقال وهب وجهها وجه رجل وساير خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون • وقوله
تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا هو قيام الساعة بعد ذكر هذه الاعلام فقال اذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبيا فرقة ممن
يكذب باياتنا المنزلة على الانبيا وبالايات الدالة على وحدانيتنا في الافاق فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم ليجتمعوا ثم
يساقون الى موضع الحساب وهي ثقال ثم لنبزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا حتى اذا جاوا اي اجتمعوا ولحقوا
قال اكذبتم باياتي اي قال الله عز وجل موبخا الكذبتم باياتي المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها علما الا الفا المذكورة في الاول

مقدرة في الثاني منقولة عن الاول معنى الاول معنى اكذبتم باياتي اي لم تحيطوا بها علما انها من عندي وهو كقولهم له ابن
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الالف مقدرة في الثاني منقولة عن الاول معنى اماذا كنتم تعملون في تكذيب اياتي وقيل
معناه علمتم ما علمتم من الكفر والمعاصي ووقع القول عليهم اي حق وعيد العذاب عليهم بما ظلموا اي اشركوا فهم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم في التكلم بالعذر الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا وهذه الاية ظاهرة بينة لانهما
لم تجدهما والخلاف فيهما والتكذيب بها كيف كذبوا باياتي وهي بهذه الحالة ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اي
لمن كان همه الايمان • وقيل الم يروا اي الم يعلموا العلم والفهم الذي تقوم مقام العيان انا جعلنا لهم الليل ليسكنوا
فيه والنهار مبصرا فوا معاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب
وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى وفي ذلك صحة البعث • ويوم ينفخ في الصور قيل النفخة
الاولى ففزع من في السموات ومن في الارض فزعا يموتون منه كما قال فصعق من في السموات ومن في الارض • وفي تفسير
ابن حبيب ينفخ ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع ثم بعده باربعين يوما نفخة الصعق ثم نفخة البعث • وقال
ففزع بعد قوله ينفخ والاول مستقبل وهذا ماضي لان تقديره فاذا نفخ في الصور الا من شاء الله هم الشهداء الاحياء
احيا عند ربهم يرزقون • وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل • وقيل المراد دليل النبي عليه السلام وقيل
هم الحور العين في الجنة وخزنتها وخزنة اهل النار في النار • وقيل يوم ينفخ في الصور هو يوم القيامة وهي النفخة
الثانية • وقوله تعالى ففزع هو من هيبتهم من اهوالها كما قال تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية الا من شاء الله
هم المؤمنون المطيعون كما قال في اخر هذه السورة من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون • وقيل
هم الشهداء • وفي تاويلات الامام ابو منصور عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اعطي ادمي بعد النبوة افضل
من الشهادة لا يسمع الشهداء الفزع يوم القيامة الا كرجل قال لصاحبه اتسمع قال اسمع كاذين الصلاة • وقوله تعالى
وكل اتوه داخرين • قرا حمزة وعاصم في رواية حفص مقصورا على انه فعل والباقون ممدودا على انه نعت الفاعل
وانما جمع لانه اراد به الجمع • وقال في ليتبصر وكل اتيه على الانفراد لانه اراد به وكل واحد منهم فان الكلمة عامة
عموم الانفراد داخرين اي صاغرين منقادين والفعل من باب صنع وترى الجبال تحسبها جامدة اي واقفة
في مرأى العين لكبرها وهي تمر مر السحاب تسير سيرها بعدما قال فقل ينسفها ربي نسفا • وقال وكانت
الجبال دكا • وقال ويوم نسير الجبال وكل كبير متكاثف اذا تحرك لم تتبين حركته • قال الشاعر يصف جيشا
بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج • وقوله تعالى صنع الله اي هذا من صنع الله وهو
ما حدث بالجبال اتقن كل شيء اي احكم يقول هو الله الذي خلق الاشيا فاتقن خلقها على ما ينبغي ويبقيها الى
الوقت الذي شاء ثم يفنيها ويزيلها عن هياتها فيفعل في كل حين بكل شيء ما يشاء انه خبير بما يفعلون اي عالم
بما يفعله من في السموات ومن في الارض • وقوله تعالى من جاء بالحسنة اي من جاء يوم القيامة بالحسنة اكثر
المفسرين على ان الحسنة هنا كلمة الاخلاص والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال في ضدها فكبت وجوههم في النار
فله خير منها • قال مقاتل في الاية تقديم وتاخير وله فيها خير اي لا يريد به التفضيل فلا افضل من الايمان لكن
اراد به له فيها نفع وخير اي ثواب وكرامة بخلاف قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات الاية هنا لمعناه فله افضل منها اي التضعيف بالعشر والزيادة كما قال فله عشر امثالها
وقيل الحسنة عامة الحسنات وراسها كلمة الاخلاص اي من جاء بالايمان والاعمال الصالحة فله من ثواب
الله افضل من عمله فان الثواب فعل الله والايمان والعمل الصالح فعل العبد وهو سبحانه يثيب العبد بافضل
من عمله تفضلا منه • وقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون • قرا حمزة والكسائي وعاصم من فزع بالتنوين
يومئذ بفتح الميم • وقرا الباقون بغير التنوين وخفض الميم على الاضافة وهذا الوعد في حق المومن المطيع على
الاطلاق وفي حق المومن العاصي هو الامن من الفزع الاكبر وهو نداء القطيعة والاخبار بالتخليد في النار
ومن جاء بالسيئة اي الشرك فكبت وجوههم في النار وهو كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم هل تجزون الا
ما كنتم تعملون اي تقول لهم الملائكة يومئذ هذا • وقيل هو خطاب الله لهم في الدنيا اي هل تجزون يومئذ الا على
وفق عملكم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها اي قل يا محمد انما امرني الله ان اعبد رب هذه البلدة
اي مالك هذه البلدة وهي مكة التي بها تحج العرب على تباين الناس وبها يسمون اهل الله وسكان بيته فانتم اولى
بموافقته على ملك الذي صفة الرب حرمها وجعل لها حرمة وله كل شيء هو مالك كل شيء غير البلدة فانه مالك
الدنيا والاخرة ورب العالمين وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له والمتدينين بدينه الحق وان اتلو
القران لاعرف الحلال والحرام وسائر الاحكام وما يقتضيه الاسلام واعرفكم ذلك فمن اهتدى الى الحق فانما
يهتدي لنفسه فله نفعه ومن ضل عن الحق فقل انما انا من المنذرين ما عندي الا النذارة وليس الي اكراهه
على الحق وخلق الكل واجباره • وقل الحمد لله على هدايتنا ونسب الدلالات على الحق في حق الكل سيريكم اياته في
المستقبل مع ما اريكم منها في الماضي • وقيل هي الايات التي هي اشراط الساعة • وقيل اي سيريكم اعلامه الدالة على

عظم

خلقة ... تلوتها ونطقوا بها وجحدوا ... وما ربك بغافل عما تعملون • قرا ابن كثير وابو عمرو بالياء على المغايبة
والباقون بالتاء على الخطاب وهم اهل مكة • والله تعالى اعلم بالصواب

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي من على الذين استضعفوا في الارض فجعلهم ائمة • الرحمن الذي جعل للعرب حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء
تفضلا منه ونعمة • الرحيم الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة وما كان يرجوا ان يلقى اليه الكتاب الا رحمة
وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ طسم القصص كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بموسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيامة انه كان صادقا ان كل شيء هالك
الا وجهه له الحكم واليه ترجعون • وسورة القصص مكية الا قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد فانها
جحفية ليست بمكية والمدنية • وهي ثمانون وثمان اية والف واربعمائة وثلاث كلمة وخمسة الاف وثمانمائة حرف
وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه بين في اخر تلك السورة اختصاص الحمد بالقدرة والعلم • واثنى على
نفسه في اول هذه السورة بالطول والثناء والملك • وانتظام السورتين انهما جميعا في الاحتجاج على المشركين والوعظ
لهم وبيان وعد الجنة وحسن العاقبة للمؤمنين ووقوع الهلاك بالكافرين وبيضاح ذلك بقصص الماضين ثم هذه
السورة فيها قصص موسى وفرعون وقارون ومعنى [illegible]
عليه النعم [illegible]
وقيل مدار هذه السورة على الحث والتسامح في الارض وترك العلو والفساد فيها فانه قال في اولها ان فرعون
علا في الارض الى قوله كان من المفسدين • وقال في اخرها تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا • وقوله طسم قد مر بيانه تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك اي يقرا عليك جبريل بامرنا ووحينا من نبا
موسى وفرعون اي من خبرهما ومن للتبعيض فان المذكور هاهنا بعض خبرهما • وقوله تعالى بالحق اي بالصدق لقوم
يؤمنون اي من اجلهم ليعلموه وينتفعوا به • وقيل لقوم يؤمنون اي لقوم همتهم الايمان والتصديق بما ينفع بيانه
ليتدبروه فيعلموه وعلى الاول بشارة وتعريف للذين امنوا اذا تاملوا في هذه القصة وعلى الثاني تنبيه للذين هم
منهم ذلك في المستقبل لتنفعهم الحجة • وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وهذا ابتداء القصة اي ان فرعون هلك
في زمانه في ارض مصر لان ملكه لم يعد مصر اي ارتفع وعلا بكثرة امواله وابنائه وجعل اهلها شيعا اي فرقا يستضعف
طائفة منهم اي يستذل وهم قومه ويكرم طائفة يذبح ابناءهم اي الصغار من الذكور ويستحيي نساءهم اي يستبقي
الصغار من اناثهم • وقيل اي يسترق • وقيل اي يامر بتفتيش حيا النساء ابحثوهن هل بهن ولد وقد اوضحنا
الكلام في سورة البقرة • وقيل يذبح ويستحيي تفسيرا للاستضعاف فليس بينهما حرف عطف • وقيل بل الاستضعاف
الاستعباد والاستخدام والاستعمال في الاعمال الشاقة القذرة وهو في حق كل بني اسرائيل منه ويذبح ويستحيي
نعاد اخرا منه بالصغار منهم • وقيل طائفة منهم هم كل بني اسرائيل والطائفة الاخرى هم القبط وكان الاكرام
لهم • وقيل بل الطائفتان من بني اسرائيل انه كان من المفسدين اي في الارض باظهار الكفر والمعاصي واستعباد
الاحرار وقتل الابناء والتعذيب ونريد ان نمن اي كان فرعون يفعل بهم ذلك ونحن نريد ان نتفضل على بني اسرائيل
المستضعفين في الارض اي في بلاد مصر ونجعلهم ائمة اي قادة في الخير وهداة الى الدين يقتدى بهم ونجعلهم الوارثين
ونورثهم ارض مصر • وقد قال فاورثناها بني اسرائيل ونمكن لهم في الارض اي ونجعلهم متمكنين على الارض وعلى
اهلها حتى يستولوا على اهلها وهي ارض الشام ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي يخافونه
من بني اسرائيل من سلبهم ملكهم واستيلائهم على بلادهم على ما قال الكهنة ومنجموهم انه يصيبكم ذلك حتى دعاهم ذلك
الى قتل ابنائهم واستحياء نسائهم على ما مر بيانه في سورة البقرة وسورة الاعراف • وقوله تعالى واوحينا الى
ام موسى • قيل كان اسمها يوحنا بنت لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم عليهم السلام ان ارضعيه اي
الهمناها وقذفنا في قلبها وهو قول الحسن وقتادة • وليس هذا وحي رسالة • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله ويجوز ان يكون برسالة رسول اليها اخبرها به ولا تكون هي رسولا كارسال جبريل الى مريم ولم تكن مريم
بذلك رسولا ان ارضعيه اي اسقيه اللبن فاذا خفت عليه ان يعلم به فيقتل فالقيه في اليم اي فاطرحيه
في النيل وهو بحر مصر وبين كيفية الالقاء في سورة طه اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم ولا تخافي عليه
الضيعة والهلكة ولا تحزني ولا تهتمي لفراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اي فاني ارده اليك سالما
والبسه مثلما يصلح للرسالة فاجعله رسولا الى فرعون وقومه فيكون زينا عليهم وان لم ينقادوا له فاهلكهم
وبين الزيادة عليه في تلك السورة فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له • وقوله تعالى فالتقطه
ال فرعون وهاهنا مضمر فارضعته وخافت عليه فالقته في اليم فالتقطه ال فرعون اي اخذوه وفقدوه
من غير طلب هو معنى الالتقاط وكذلك اخذ اللقطة واللقيط ليكون لهم عدوا وحزنا • وقال الكوفيون هي

لام كي وقال البصريون هي لام الصيرورة • وقيل لام العاقبة اي صاروا في العاقبة كذلك وحقيقته كان في علم الله ان التقطوه فكان لهم عدوا وحزنا عدوا لمخالفتهم في الدين وحزنا لما يجري من المكاره بسببه عليهم اجمعين وهو كما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي اثمين بالكفر والمعاصي فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه • قال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس ولم يطلع على حملها احد وكان فرعون بعث القوابل يفتشن النسا ولم تنتفخ بطن ام موسى ولم يتغير لونها وكن لا يتعرضن لها فولدته ليلا ولا رقيب عليها فلم يطلع عليها احد الا ابنتها مريم وكانت اسن من هرون وهرون اكبر من موسى بثلاث سنين وكانت مريم تحت كالب بن يوقنا واوحى الله اليها ان ارضعيه الاية فكتمته امه ثلاثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت على نفسها وعليه عملت له تابوتا على عمل سفن البحر خمسة اشبار في خمسة اشبار وقفل التابوت يطفو في الما فالقى البحر التابوت في الساحل في جوف الليل فلما اصبح فرعون وجلس في مجلسه جلس على شاطى النيل فبصر بالتابوت فقال لمن حوله من خدمته ايتوني بهذا التابوت فاتوه به • وقال مقاتل كانت امه تتبع التابوت وترمقه ببصرها وتخاف عليه الغرق وكان يرفعه مرة ويخفضه اخرى والجوارى فرعون خرجن يستقين من النهر فراين تابوتا تجريه الما فاخذنه • وقال كعب كان فرعون وامراته قاعدين على شط بركته في الداخل فاذا هما بالتابوت فامر باخذه ففتح راسه فاذا هما بغلام كاحسن ما يكون فاتمه فلما راياه لم تتمالك اسية حبا له • وقال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعدا وغاظه ذلك وقال كيف اخطا هذا الغلام الذبح • وكانت امراته اسية بنت مزاحم من بني اسرايل وهي من خيار النسا ومن بنات الانبيا وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون ان هذا الولد اكبر من ابن سنة وانما امرت بذبح الولدان في هذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك فذلك قوله تعالى وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لي ولك رق قلبها له واهلها كانت من فرعون ما وقع عندها ان قلبه صار كذلك فقالت ذلك فترجوا ان يكون لنا كالولد لغربة اعيننا لا تقتلوه اي لا تذبحوه كما تذبحون ابنا بني اسرايل عسى ان ينفعنا كما ينفع الخادم او نتخذه ولدا اي نتبناه ولم يكن لفرعون ابن وهم لا يشعرون بكرامته على الله • وقيل وهم لا يشعرون انه من بني اسرايل فقد قالت اسية انما جا التابوت من غير مصر فليس هو من بني اسرايل • وقيل وهم لا يشعرون اي بنوا اسرايل لا يعلمون ان ال فرعون التقطوه • وقيل هو تمام كلام اسية اي نتخذه ولدا والناس لا يشعرون انه ملتقط بل يظنونه انه مولود • قال وهب ووقفه فرعون واستحياه والقى الله عليه محبته ورافته • وقال لاسية عسى ان ينفعك واما انا فلا اريد نفعه • قال ابن عباس لو ان فرعون قال في موسى كما قالت اسية لنفعه الله به ولكنه ابى ذلك للشقا الذي كتبه الله عليه • وقوله تعالى واصبح فواد ام موسى فارغا • فقيل خاليا من الصبر كما قال وافئدتهم هوا • وقيل فارغا عن كل شي الا هم موسى • وقيل فرغ قلبها حين علمت انه حي في يد فرعون ان كادت لتبدي به اي ما كادت الا تبدي به اي قربت ان تظهر ذلك وتبدي به بمعنى تبديه كما قال تلقون اليهم بالمودة اي المودة والباء صلة زايدة • وقيل اي لتبدي القول به اي عجزت عن الاحتمال وقاربت من الاظهار • وقيل لفراغ قلبها وزوال خوفها ارادت ان تظهر • وقيل فارغا بوعد الله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وكادت تبدي هذه البشارة • وقيل كادت تبدي انه ابنها حين اخذ ثديها لولا ان ربطنا على قلبها اي شددنا قلبها وثبتناه بالصبر وحفظناها عن الاظهار وفيه دليل خلق الله افعال العباد لتكون من المومنين اي المصدقين بوعدنا • وقالت اي ام موسى لاخته اي لاخت موسى وهي مريم • وقيل كلثم قصيه اي اتبعي اثره وامشي خلف التابوت على الشط فبصرت به اي راته عن جنب اي بعد وهم لا يشعرون اي ال فرعون لا يعلمون ان اخته تقصه • وقيل راوها ولم يعلموا انها اخته وانها تتعرف امره • وقال وهب لما سمعت ان ال فرعون التقطوا التابوت قالت لاخته قصيه تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به فخرجت تقصه ودخلت مع القوابل على اسية فلما رات وجدهم بموسى وحبهم اياه ورقتهم عليه وقد دعوا بالمراضع وكان لا يقبل الرضاع ولا يسكت بكا والايام حتى شق ذلك على فرعون واحزنه وذلك بسبب ما اراد الله تعالى بموسى وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه من ان يرضع وليس هو تحريم نهي وتكليف والمراضع يصلح جمع مرضعة ومرضع بضم الميم وهي المراة ويحتمل ان يكون جمع مرضع بفتح الميم وهو الثدي من قبل اي من قبل ان نرده الى امه • وقيل قبل حضور اخته • وقيل اي قبل وجوده للقضا السابق فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون اي هل لكم حاجة الى ان ارشدكم الى اهل بيت يكفلون موسى يضمون امساكه ويضمونه الى انفسهم للتربية والارضاع لكم من اجلكم وبسببكم وهم له اي للصبي ناصحون لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته وغذايه لا يخونكم فيه • وقال وهب قالت لهم هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون اي ينصحون الملك في كفالته ويحرصون على مسرته • قالت لها اسية نعم قالت اتخذ امراة عمران قد ولدت غلاما وان الملك بذبحه وهي حزينة اللبن طيبة النفس ان ترضع لكم هذا الغلام لحزنها على ابنها

فدلتهم

فدلتهم على ام موسى فبعث اليها فرعون فلما جات عليه ناولها الابن فسكن بكاوه فلما وضعته في حجرها ووجد ريحها التقم ثديها فرضع حتى روي ونام فمكث موسى عند امه بعدما كفلته حتى فطمته ثم ردته اليه • وقوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها فالمحب لا تقر عينه الا بلقا المحبوب ولا تحزن الا بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق على عباده فقد كانت علمت ذلك على خبر وهو ما قال لها انا رادوه اليك ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي الكفار يتوهمون خلف الوعد وقال وهب وكان من لطف الله ان عطف الله فرعون على موسى فاقام موسى في حجر فرعون واسية يربيانه بايديهما وقد اتخذاه ابنا وولدا فاكرماه ونعماه فبينما هو يلعب بين يدي فرعون يوما وبيده قضيب خفيف صغير يلعب به اذ رفع القضيب فضرب راس فرعون فغضب فرعون وتطير من ضربه وقال لامراته الا ترين الى هذا الغلام كيف يتناولني بالقضيب وقد كنت قلت لكم انه من الاعدا فاراد قتله فقالت امراة فرعون ايها الملك لا تغضب ولا يشقن عليك هذا فانه صبي صغير لا يعقل شيا وليس ينبغي للملك ان يغضب من مثل هذا فجربه ان شيت فاجعل في هذا الطست جمرة وذهبا فانظر الى ايهما يقبض فامر فرعون بجمرة وذهب فوضعهما في طست بين يدي موسى فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها الى الجمرة فقبض عليها موسى فالقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت اسية لفرعون الم اقل لك انه لا يعقل شيا فكف عنه فرعون وصدقها وترك قتله وكان يقال ان العقدة التي كانت في لسانه اثر تلك الجمرة وهي التي قال موسى واحلل عقدة من لساني • وقوله تعالى ولما بلغ اشده اي شدة بدنه وقوته واستوى اي تناها شبابه وتم خلقه • وقيل الاشد جمع شد بالفتح كالبحور والاجور • وقيل جمع شدة بالضم كالنعم والانعم • وقيل لا واحد له من لفظه استعمالا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلغ اشده بلغ مبلغ الرجال وقيل هو اثنى عشر سنة • وقيل ثماني عشرة سنة • وقال قتادة بلغ اشده ثلاثا وثلاثين سنة واستوى اي بلغ اربعين سنة وقيل بلوغ الاشد من ثماني عشرة الى الثلاثين ثم منها الى الاربعين الاستوا • وقالوا خرج موسى من مصر الى مدين وهو ابن اثنى عشر سنة • وكان عند شعيب ثماني وعشرين سنة وخرج باهله الى مصر وهو ابن اربعين سنة حين اوحي اليه وقوله اتيناه اي النار من جانب الطور اتيناه حكما وعلما • قال محمد بن اسحاق نعني فهما في دينه وعلما بشرايع دينه وكان له من بني اسرايل شيعة يستمعون منه ويقتدون به ويطيعونه فلما عرف ذلك راى مفارقة فرعون وقومه حق عليه في دينه فتكلم وعابهم على ذلك حتى تكروه منه فاخافوه وخاف حتى كان لا يدخل مدينة فرعون الا مستخفيا وكذلك نجزي المحسنين اي وكذلك نجزي من الانبيا كل من احسن عمله لا وصبر على طاعتنا كما فعل موسى من مفارقتهم وعيبه لهم نفعل ذلك فانبيناه ما اتيناه جزا له على احسانه • وقوله تعالى ودخل المدينة اي ودخل موسى مدينة فرعون على حين غفلة من اهلها • قال اكثر المفسرين نصف النهار وقت القايلة وخلو الطريق • وقيل بين المغرب والعشا • وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يختصمان هذا من شيعته اي احدهما من شيعة موسى اي مشايعته وهم بنوا اسرايل وهذا من عدوه اي والاخر من اعاديه وهم قوم فرعون • قال مجاهد هذا اسبطي وهذا قبطي • وقال ابن اسحاق هذا مسلم وهذا كافر • [illegible] كانا كافرين وكان احدهما اسرايليا [illegible] قاله قتادة • وقيل يقتتلان في الدين احدهما اسرايلي بدين التوحيد والثاني [illegible] فاستغاثه الذي من شيعته [illegible] على الذي من عدوه [illegible] فوكزه موسى [illegible] فقضى عليه [illegible] قال هذا من عمل الشيطان [illegible] انه عدو مضل مبين [illegible] رب اني ظلمت نفسي [illegible] فاغفر لي [illegible] انه هو الغفور الرحيم • قال رب بما انعمت علي [illegible] فلن اكون ظهيرا للمجرمين [illegible] فاصبح في المدينة خايفا يترقب [illegible] فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه [illegible] قال له موسى انك لغوي مبين [illegible]

اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي القبطي ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي ما تريد الا ان تكون قتالا • وقيل
متجبرا وما تريد ان تكون من المصلحين في الارض • وقيل اي ممن اصلح بين متشاجرين فانما يدفع احدهما عن الاخر لا ان يقتل
احدهما وكان امر قتل القبطي بالامس قد شاع لكن خفي قاتله فلما سمع القبطي في اليوم الثاني ذلك من السبطي لموسى علم ان
ان موسى هو قاتل القبطي بالامس فذهب فاخبر فرعون وطلبوه ليقتلوه وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة
وقال الحسن قوله اتريد ان تقتلني قول القبطي وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى • قال محمد بن اسحاق هو حزقيل بن
ابن عم فرعون وهو مؤمن آل فرعون يسعى اي يسرع قال يا موسى ان الملأ اي اشراف القوم يأتمرون بك يتشاورون فيك
ليقتلوك بالقبطي الذي قتلته فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا على نفسه منهم • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اي خائفا ان يضل عن الطريق يترقب اي ينتظر هل لحقه طلب فيوخذ ثم التجا الى الله تعالى فقال رب نجني من القوم
الظالمين اي احفظني فلا يلحقني الطلب فانهم ظالمون بقتلي • وقال الامام ابو منصور دل هذا على صحة قول ابي حنيفة
رحمه الله ان القتل بالمثقل لا يوجب القصاص فان موسى جعلهم ظالمين بطلب القصاص بقتله بالوكزة والوكزة من
موسى وله قوة اربعين رجلا كانت مفضية الى القتل ولم تكن موجبة للقصاص حتى عده موسى عليه السلام ظلما
وفي تفسير مالك بن سليمان الهروي ان الرجلين المقتتلين كان احدهما السامري واسمه ميخا والاخر طباخ فرعون
واسمه فليثون خبزا للسامري يحمل الحطب الى المطبخ وكذلك قال وهب في المبتدا فخرج موسى من مصر لا يدري الى
اي وجه يسلك خائفا ليس معه زاد ولا حمولة ولا صاحب متوجها تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
اي ارجو ان يرشدني الى وسط الطريق فسار موسى من مصر الى مدين ثلاث ليال وقد تفطرت قدماه دما وكان
قوته من اكل ورق الشجر ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون • وقيل كان قصده مدين وهو
طريقها فتوجه نحوها على رجا ان يصل اليها • وقيل لم يقصد مدين لكن اخذ طريقا يرجو ان تؤديه الى مامن ولما
وصل الى مدين وهو بئر لهم وجد عليه امة من الناس يسقون اي جماعة يسقون مواشيهم ووجد من دونهم اي
اسفل من الجماعة امراتان تذودان • قال السدي اي تحبسان غنمهما • وقال قتادة اي تطردان الناس عن شائهما
وتذودا يذود ذودا وذيادا اي تحبس ابله وغنمه او نحو ذلك عن الشي بمنعها عنه • قال الشاعر
عجبت من نفسي ومن اشفاقها • ومن ذيادي الطير عن ارزاقها • في سنة قد كشفت عن ساقها • حمراء
تبري اللحم عن عراقها • قال ما خطبكما اي ما شانكما فانكما لا تسقيان كسائر الناس • قالتا لا نسقي اي نحن
لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء • قال ابن عباس رضي الله عنهما لا قوة لنا على الاستقاء فانما ننتظر فضول الماء
في الحوض وكذا قال ابن اسحاق وقتادة • وقيل كان تاخرهما لمنع الناس • وقيل لحيائهما من مزاحمة الناس
وليجنبهما عن مخالطة الناس • وقرا ابو عمرو وابن عامر حتى يصدر الرعاء بفتح اليا وضم الدال اي يرجع وهو
لازم • وقرا الباقون بضم اليا وكسر الدال من الاصدار وهو متعدي والرعى جمع راعي كالقيام جمع قايم والرعا
هم الذين يرعون الناس وهم الولاة ومعنى الاول حتى ينصرف الراعون فيصدروا من ورود ومعنى الثاني حتى
يردوا ماشيتهم اصدارا من ايراد وابونا شيخ كبير لا يستطيع حضور الماء فيسقي غنمه بنفسه وليس له عون غيرنا
فسقى لهما اي فسقى موسى غنمهما لاجلهما قبل صدور الرعاء ثم تولى الى الظل اي توجه الى ظل شجرة • وقيل كانت
سمرة • وقيل كان ظل حايط • ودل على ان البير كانت في الشمس ودل انه لا باس بالجلوس تحت الظل فقال رب اني
لما انزلت الي من خير فقير اي يا رب اني الى ما تنزل الي من رزق محتاج • قال ابن عباس رضي الله عنهما سال
ما يسد به جوعه فقد كان جايعا ثمانية ايام واللام بمعنى الى كما قال اوحى لها اي اليها ويقال لمدينة الله لكنا
او الى كذا • وقيل معناه ما انزلت الي اي اعطيتني من الخير اي من كل خير فقير الى خير اخر وهو الطعام • وقيل كان
خبز الشعير بشكل هذا سلف ورسال في المؤتنف والشيخ الكبير هو شعيب بن نوب بن مدين بن ابرهيم عليه
السلام وسميت تلك البلدة مدين باسم جد مدين بن ابرهيم وكان لابرهيم اربعة بنين اسماعيل واسحاق و
مدين ومداين واليهما نسبت البلدتان مدين ومداين هذا قول ابن عباس ومقاتل والضحاك ومجاهد
والسدي انه شعيب • وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير هو يثرون بن اخي شعيب مات بعد ذلك بعد
ما كف بصره ودفن بين المقام وزمزم • وقال محمد بن اسحاق المراتان اكبرهما صفورا والاخرى ليا • وقيل
صغرى والاخرى صفيرا • وقال وهب الكبرى صفورا والصغرى صفوفا • وقوله تعالى فسقى لهما • قال ابن
شريح رفع لهما حجرا لا يقدر على رفعه الا عشرة رجال • وقيل اربعون رجلا • وقال مجاهد ماية رجل • وكان الدلو
لا ينزعها الا اربعون رجلا • وقال ابن اسحاق زاحم القوم حتى صار في راس البير فسقى لهما • وقال
القشيري لما احس موسى من نفسه قوة ماية رجل خاف العجب على نفسه فقال اني لما انزلت الي من خير
فقير اي فقير وفاقة اي وانا تعاطيت ما تعاطيت مما في من القوة فما في فقيرا اليك والى رحمتك اي
لم احمل الا بقوتك • ولما سقى موسى غنمهما قبل سقي الناس اسرعتا الرجوع الى ابيهما فقال ما لكما اسرعتما الرجوع
فحكيا له ذلك فامر احداهما ان تدعوه ليجزيه اجر ما سقى لهما فجاءته احداهما تمشي على استحيا • قال ابن عباس رضي

الله عنهما اي مستترة بكم درعها • وقيل جاءت الكبرى ساترة وجهها • وقال سعيد بن المسيب كانت خية لم تكن خراجة ولاجة
وقيل لجانة احداهما تمشي هاهنا وقفت ثم قالت على استحياء • فكان ابتداء الكلام قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا
اي ليعطيك ثواب ما عملت لنا وفيه دليل ان المكافاة على الصنعة لازمة ويستحب للمصطنع ان لا يطلب مكافاة ولا يطلب
بفعله الفضل ولو قبل عند الحاجة فلا باس به لان موسى قبل ذلك لحاجته • وقوله تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص قال
لا تخف نجوت من القوم الظالمين • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ليس لفرعون سلطان بارضنا وهو اجابة لدعوته
رب نجني من القوم الظالمين • قال وهب ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون اهل شا ونعم ووجد
من دونهما امراتين تذودان غنمهما عن الماء فرق لهما موسى حين نظر اليهما ورآهما ضعيفتين لا يصلان الى الماء
لكثرة من عليه من الناس فقال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير لا يقدر على ان يمشي ياتي
بنفسه لضعفه وكبرسنه ويقال انه ضرير البصر ونحن ننتظر الرعاء فاذا فرغوا من سقي مواشيهم تقدمنا فسقينا مواشينا
ثم انصرفنا الى ابينا فلما سمع موسى مقالتهما رق لهما فاخذ دلوهما ثم تقدم فزاحم القوم حتى افرجوا له فجعل يسقي لهما
ماشيتهما وكان رجلا قويا كاقوى الرجال فلما فرغ من سقيهما تولى الى ظل شجرة فقال رب اني لما انزلت الي من خير
فقير وما سبقته يومئذ شيء من طعام وكان على راس البئر صخرة لا يرفعها اقل من ثلاثين رجلا فرفعها وحده
فانصرفتا الى ابيهما في ساعة لم يكونا ينصرفان اليه فيها فسالهما فاخبرتاه الخبر وكيف سقى لهما موسى وكيف
زاحم الرجال على الماء فقال شعيب لصغرى ابنتيه وهي احداهما انطلقي فادعي هذا الرجل فجاءته تمشي على استحيا
فوجدته قاعدا في الظل فقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فقام موسى معها فقال لها امشي
امامي وانا خلفك الى اهلك فجاءت الريح فرفعت ثيابها وموسى منكس لا ينظر اليها يخشى ان يخرج منه نظرة فقال
امشي خلفي وانا لا انظر في ظهور النساء فهذا يوم ريح فتعيبت له في الطريق ومشت خلفه فلما دخل على شعيب
ساله عن حاله فاخبره موسى بخبره فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين • قالت احداهما يا ابت استاجره
اي لرعي غنامنا وسقيها والقيام بمصالحها ان خير من استاجرت القوي الامين اي خير من استاجرته وهذا
قوي امين • روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اما قوته فرفع الحجر لا يطيقه الا جماعة واما امانته
فانه قال لها امشي خلفي وصفي لي الطريق فاني اكره ان تصيب الريح ثيابك فينظر الى جسدك قال فزاده فيه رغبة
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج يعني على ان تاجرني نفسك فتكون اجيري
ثماني سنين ترعى غنمي والحجة السنة لان في كل سنة حجة فسموها بها لتقيمها اياها تعطيها لها فان اتممت عشرا
فمن عندك اي فان زدت على الثمانية فاتممت السنين عشرا فذلك تطوع من عندك لا يلزمك ذلك لي بعقد الاجارة
وما اريد ان اشق عليك اي احمل عليك ما يشتد عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي ممن يفي بالشرط فلا
يتعدى ولا يطالب بما وراء الشرط ومن فعل ذلك فهو صالح قال ذلك بيني وبينك اي هذا شرط بيننا على كل واحد
منا الوفا به لصاحبه ايما الاجلين قضيت اي اي المدتين وفيت العمل فيهما فلا عدوان علي اي فليس لك ان
تلزمني اكثر منه متعديا علي • وقيل ذلك بيني وبينك اي ما ذكرت من الاجلين فهو امر بيني وبينك افعل منه
ما احببت لا شرط علي فيه والله على ما نقول وكيل اي على ما نعقد عليه حفيظ • وقال وهب رعى موسى لشعيب
ثماني حجج فادخل عليه ابنته وعوضها ليدا امره ثم رعى موسى بعد ذلك سنتين واتمها عشرا فقضى اوفى الاجلين
واتمهما • وعن وهب انه لما قضى الاجل انكحه اكبرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل اي الاجلين قضى موسى
واي الابنتين تزوج قال تزوج اصغرهما وقضى اوفاهما • وقيل خيره شعيب فيهما فقال اختار التي مدحتني فكيفما
بمن مدح الله تعالى بكل حاله • وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما افرس الناس ثلاثة ابنة شعيب في قولها
يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين والذي تفرس في يوسف عليه السلام عسى ان ينفعنا وابو
بكر حين تفرس في عمر رضي الله عنه فاستخلفه • وروي ان شعيبا قال لموسى صلوات الله عليهما حين جن الليل
ادخل ذلك البيت فاخرج منه عصا كان آدم اخرجها من الجنة فلما نظر شعيب اليها قال له اخرج غيرها فاخرج
فنبذها والقاها في العصي حتى فعل ذلك سبع مرات فعلم شعيب ان لموسى شانا فلما اصبح قال سق هذه الاغنام الى
مفرق الطريق ثم خذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ولا تاخذ عن يسارك وفيها عشب كثير لكن فيها تنين يقتل
المواشي فساق موسى المواشي الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر على ضبطهن ومرحن في الكلاء
فنام موسى فخرج التنين فقامت العصا فصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتلته وعادت
الى موسى فلما انتبه راى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعيب فمس الاغنام
فاذا هي امثل ما كانت فسأله عن العصا فاخبره ففرح بذلك شعيب واراد ان يجزي موسى عليها فقال له كلما ولدت
الاغنام في هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد في تلك السنة كلها سود الجازها وفي السنة
الثانية شرط ذلك في البيض فولدت كلها بيضا جازها • وفي السنة الثالثة قال كل ولد ولدله لونان سواد
وبياض فهو لك فكان الكل كذلك فجازها كلها وعلم شعيب ان لموسى عند الله منزلة • وقوله تعالى فلما قضى موسى

الاجل قيل عشر سنين سار باهله وخرج باذن شعيب مع امراته واولاده وعبيده يريد مصر ليزور اخاه واخته وهم لها انس من جانب
الطور اي ابصر قال لاهله امكثوا اي اثبتوا مكانكم اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر في الدلالة على الطريق او جذوة من
النار اي قطعة غليظة من الحطب فيها النار وفيها ثلاث لغات فتح الجيم وضمها وكسرها فالفتح قراءة عاصم والضم قراءة
حمزة والكسر قراءة الباقين • وقال قتادة الجذوة الشعلة من النار لعلكم تصطلون اي تدفؤون وكانت ليلة شاتية
ذات برد ومطر فلما اتاها نودي من شاطي الواد الايمن اي جانبه الايمن تحت الشاطي وهو عن يمين المتوجه اليه
في البقعة المباركة اي في القطعة المفردة من ذلك الوادي والمباركة صفتها على ما مر في قوله بورك من في النار
والوادي هو الوادي المقدس طوى من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك اي ونودي
ان الق عصاك فلما راها اي فالقاها فراها وهذا مضمر فلما راها تهتز تتحرك كانها جان اي حية خفيفة في سرعتها وهي
ثعبان عظيم في جثتها ولى مدبرا ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اقبل ولا تخف اي قيل له يا موسى انك
من الذي تهرب منه انك من الامنين مما تخاف اسلك يدك اي ادخلها في جيبك اي في جيب قميصك تخرج
بيضاء متلالاة لها شعاع من غير سوء اي افة من البرص ونحوه واضمم اليك جناحك من الرهب اي يديك
واليدان للادمي كالجناحين للطير • وقيل كان يبسطها اتقاء الحية فقيل له ضمها ولا تخفها • وقال الضحاك
والفراء جناحك اي عصاك • وقيل اي اضمم يدك الى صدرك تسكينا للقلب • وقيل اي تغطيها للرعب فانه
من الخشوع والتواضع من الرهب • قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع من الرهب بفتح الراء والهاء وقرا ابن عامر
وعاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بضم الراء وجزم الهاء • وروى حفص عن عاصم بفتح الراء وجزم الهاء
وهي لغات في الرهب • وقيل هو متصل بقوله انك من الامنين • وقيل الرهب الكم بلغة بني حنيفة حكاه مقاتل بن
سليمان فذانك برهانان من ربك • قرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد وذلك للتاكيد • والباقون بالتخفيف
برهانان اي حجتان من ذلك على صدق نبوتك الى فرعون وملائه اي على ارسالك الى فرعون واشراف قومه انهم
كانوا قوما فاسقين متمادين في الفسق وهو الخروج عن طاعة الله قال رب اني قتلت منهم نفسا اي القبطي
الذي مر ذكره فاخاف ان يقتلون به وهو خوف الطبع واخي هرون هو افصح مني لسانا اي ابين كلاما فارسله
معي اي اجعله رسولا اليهم معي ردءا اي عونا على تبليغ الرسالة يصدقني قرا عاصم وحمزة برفع القاف على
الصفة • وقرا الباقون بالجزم على الجزاء اني اخاف ان يكذبون فاذا كان معي اخي قمنا بحجاجهم • قال سنشد
عضدك باخيك اي نقويك به وهو مجاز ونجعل لكما سلطانا اي حجة • وقيل قوة ومنعة فلا يصلون اليكما اي
فلا يصيبونكما بمكروه باياتنا • قيل هو متصل بقوله ونجعل لكما سلطانا باياتنا • وقيل هو متاخر وتقديره انتما
ومن اتبعكما الغالبون باياتنا وهي المعجزات ويجوز ان يكون باياتنا مقرونة في موضعها فلا يصلون اليكما بسبب
اياتنا وكان له ثلاثة اوجه وقد مرت القصة مرات فلما جاءهم موسى باياتنا اي بمعجزاتنا بينات اي واضحات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مختلق لا حقيقة له وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ما دعونا اليه التوحيد
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون اجمل الكلام لطفا
في الخطاب ومعناه ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربي عالم بذلك وانتم ظالمون وحسن العاقبة لي في الدنيا
والاخرة ولمن اتبعني لا لكم • وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فلا تسمعوا قول موسى ولا تجيبوا
الى التوحيد • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين قوله انا ربكم الاعلى وبين قوله ما علمت لكم من اله غيري
اربعون سنة • وقال الحسن لهذا امهل الله لفرعون ما بين الكلمتين اربعين سنة • وقيل في قوله فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى اي الكلمة الاخرة والكلمة الاولى وهما هاتان فاوقد لي يا هامان هو وزيره على الطين
اي فاطبخه فاجعله اجرا • قال قتادة هو اول من طبخ الاجر وبنى به فاجعل لي صرحا اي اتخذ لي منه قصرا
عاليا لعلي اطلع الى اله موسى اي اجعل لي مراقي ارتقاها فارى اله موسى او قال فاسال الى اله موسى ظن اللعين
ان موسى يقول ان الله في السما لا طيفان [?] نزول الوحي عليه من السما فقال اصعد فانظر اليه وقد ناقض
اللعين في كلامه من وجوه قال اولا ما علمت لكم من اله غيري ثم اقر فقال اله موسى ثم ذكر من نفسه الظن فقال
واني لاظنه من الكاذبين اي اظن موسى يكذب في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا يدعونا الى توحيده
وعبادته • وقوله تعالى واستكبر هو اي تعظم في الاستسلام والاسلام هو وجنوده في الارض اي ارض مصر
بغير الحق اي بالباطل وظنوا انهم الينا اي الى حسابنا وجزائنا لا يرجعون يوم القيامة وليس هذا نفيا [?] لذلك
لهم بل ذم بالجهل وترك التامل في الايات حتى يعلموا فاخذناه وجنوده • اي عاقبناهم فنبذناهم في اليم اي
القيناهم في البحر فاغرقناهم على ما مر من قصته فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين فليحذر قومك
ان يجري عليهم مثل ذلك وجعلناهم ايمة اي قادة في الشر والضلال ليقتدي بهم فيها امثالهم يدعون الى
النار وفيه دلالة خلق الله تعالى افعال العباد ودلالة الارادة ويوم القيامة لا ينصرون اي لا يمنع العذاب
منهم مانع • وقوله تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي الزمناهم طردا وابعادا من كل خير • وقيل هو

من لعن الناس اياهم بعدهم ويوم القيامة هم من المقبوحين • قال ابن كيسان اي من المهلكين • وقال الخليل قبحه الله اي نحاه
من كل خير • وقيل من المشوهين والتشويه تقبيح الخلقة • وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى اي بعد ما هم قد مضت اهلكناها بكفرها بصائر للناس اي حججا للناس وهم بنو اسرائيل والتوراة
جعلت بصائر لهم يبصرون بها الرشد وهدى الى الحق ورحمة لمن اتبعها وعمل بها لعلهم يتذكرون اي ليتعظوا بها
وما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل الغربي • وقيل اي الوادي الغربي • وقيل هو اضافة الشي الى نفسه
لان الغربي هو الجانب وهو كقوله ولدار الاخرة اذ قضينا الى موسى الامر اي كلمناه وقربناه نجيا فاتممنا
امرنا [?] وامرناه به وما كنت من الشاهدين اي من الحاضرين ذلك ولكنا انشانا قرونا اي لم تكن هناك ولا
حضرت ما جرى من الامر فيكون اخبارك به من مشاهدة ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وفترت
النبوة وكادت الاخبار تخفى والشرايع تدرس وتحى كتبها منها التحريف ثم ما هنا مضمر فارسلناك مجددا لها
مبينا ما وقع فيها من التحريف لعلهم يتذكرون كما فعلنا ذلك بموسى ومنهم من قال وما كنت من الشاهدين عليه
لان الحضور مستفاد بقوله وما كنت بجانب الغربي ومنهم من حقق الاول وقال وما كنت بجانب الغربي عبارة
عن الوجود وما كنت من الشاهدين عبارة عن الشهود فلم تكن ثم اخبارك عن ذلك ولم يشهده دليل على صحة
دعواه الرسالة عما عرف وما كنت ثاويا اي ولم تكن ايضا مقيما في اهل مدين انهم لم تكن انت الرسول اليهما الى
اهلها ايها تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا فيهم شعيبا وارسلناك في اخر الزمان
لتكون خاتم الانبيا • وقال الفرا معناه وما كنت ثاويا في اهل مدين مع موسى مقيما تراه وتسمعه وما كنت
تتلوا عليهم اياتنا فهو منقطع عن الاول اثباتا للحال لا نفيا في الماضي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وما
كنت ايضا بجانب الطور اذ نادينا موسى اذ جا الميقات لتمام السبعين فكلمناه واعطيناه الالواح وذلك رحمة
من ربك اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا اظهارا لنبوتك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وهم العرب لعلهم
يتذكرون يتعظون • وقد روي في قوله اذ نادينا قال نودي يا امة محمد اعطيتكم قبل ان تسالوني واستجبت لكم قبل
ان تدعوني • وقال مقاتل بن حيان اي نادينا امتك وهم في اصلاب ابائهم • وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا
قال لن تصل اليه وان شئت ناديت امته فاسمعتك صوتهم • وقيل في قوله ولكنا انشانا قرونا معناه ان قومك
يا محمد حدثوا في الدنيا بعد موسى وسائر الانبيا بدهر طويل فلم يعرفوا ارسال الرسل اليهم فانكروا • وقيل كانت
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسين سنة • وقوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت
ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين اي لولا انا لو عاجلناهم بالعقوبة
بما ارتكبوه من المعاصي لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا فكنا نؤمن به ونتبع القران الذي نزلته مصدقا
به لما ارسلنا اليهم رسولا هذا الجواب محذوف لدلالة ظاهر الكلام عليه • وقوله تعالى فلما جاءهم الحق
من عندنا النبي المرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القران المنزل وهو القران تحكموا على الله تعالى قالوا
لولا اوتي اي محمد مثل ما اوتي موسى من الايات كفلق البحر ونحوه • وقيل هلا انزل عليه القران جملة واحدة
كالتوراة اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل محمد • وقيل من قبل هذا القول • وقالوا سحران تظاهرا قراءة عاصم
وحمزة والكسائي سحران بغير الف اي التوراة والقران سحران تعاونا على خديعة الناس وهم فيهم خديعة
اليهم • وقرا الباقون ساحران تظاهرا اي موسى وهرون تخادعا الناس تعاونا على ذلك اي ما اتي قولهم
لولا اوتي مثل ما اوتي موسى وهم بموسى كافرون كلهم بمحمد فقالوا انا بكل كافرون اي بكل من السحرين اي الساحرين
وقيل هذا اشارة الى من كفر بموسى من القوم الذين بعث اليهم والمعنيان نزول التوراة على موسى جملة واحدة
لم يمنع كثيرا من اوليك من الكفر به حتى قالوا موسى وهرون ساحران تظاهرا وكلاهما ساحران تظاهرا
تكفر مشركي العرب كذلك قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما فيكون ذلك عذرا لكم في الكفر بهما ان كنتم
صادقين اي فان كذبتم يا معشر العرب بذلك الكتابين فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ان كنتم فيكون
ذلك عذرا لكم في الكفر بهما ان كنتم صادقين في انهما سحران الاهتدا به فيهما ويلزمني بذلك ايضا اتباع ذلك
الاهدى وترك ما انزل الله علي وعلى موسى وهذا دليل على ان اولى القرانين ساحران تظاهرا فان لم
يستجيبوا لك اي فان لم يجيبوك الى الايمان بالكتابين مع عجزهم عن الاتيان باهدى منهما فاعلم انما يتبعون اهواءهم
وليس بهم طلب الحق ومعرفته واتباعه ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله استفهام بمعنى النفي اي لا احد
ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهم هؤلاء • ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون اي ولقد تابعنا
والتوصيل تكثير الوصل وتكريره اي اتبعنا لهم الوعد والوعيد والاخبار عن الامم الماضين بعضه
بعضا ليتذكروا اي فعلنا ذلك ليستعظم الايراد شي في ملكنا [?] • وقوله لهم اي لمشركي العرب • وقال التطويه [?]
وصلنا اي انزلناه شيا بعد شي ليكون لهم اوعى وهو جواب قولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من التوراة جملة • وقال ابن
عباس رضي الله عنهما فصلنا بينا • وقال قتادة احكمنا • وقال الفراء انزلناه يتبع بعضه بعضا • وقال ابن زيد القول يعني

الخير عن امر الدنيا والاخرة • وقوله والذين اتيناهم الكتاب اي التوراة بني اسرائيل من قبله اي من قبل القران • وقيل قبل محمد
هم به اي بالقران يؤمنون اي يصدقون وهم عبد الله بن سلام واصحابه ومن امن من اهل الكتاب • وقيل هم اربعون نفرا
اثنين وثلاثون نجيا قدموا مع جعفر بن ابي طالب من ارض الحبشة فامنوا وثمانية نفر من الشام بحيرا وابرهة والاشرف
وتمام وادريس وايمن ونافع وتميم وهولاء حجة على من خالفهم ممن كانوا يرجعون اليهم ويعتمدون على قولهم وفي ذكرهم
اياهم بيان انهم معاندون واذا يتلى عليهم اي القران قالوا امنا به اي صدقنا انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
دائنين بدين الاسلام معتقدين له عالمين بصحته لما كان من ذكره في كتابنا اولئك يؤتون اجرهم مرتين اي هولاء
الذين كانوا امنوا بالكتاب الاول والرسول الاول ثم امنوا بك وبكتابك يعطون ثوابهم مرتين بما صبروا اي
ثبتوا على الحق فلم يبدلوه ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون ما ينالهم ممن يخالفهم في الدين مكروه وشتم
ويجزونه بالحسنة اي الاحتمال والصبر والقول الجميل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الطاعات ولا يخلون ثقة
بوعد الخلف والثواب لا كالمشركين • واذا سمعوا اللغو اي الباطل من المشركين اعرضوا عنه فلم يصغوا اليه ولم
يجيبوا عنه وقالوا لنا اعمالنا رضينا بما نحن عليه من الدين ولكم اعمالكم التي رضيتم بها سلام عليكم اي امان
منا لكم ان نقابل لغوكم بمثله لا نبتغي الجاهلين لا نرضى بمجاورة الجاهلين ومعاشرتهم والتخلق باخلاقهم انك
لا تهدي من احببت اي لا تملك اهتداء الناس على محبتك ولكن الله يهدي من يشاء يخلق فعل الاهتداء في من يشاء
وهو اعلم بالمهتدين اي يسبق علمه بمن يختار الهداية فيهديه والاية عامة الصيغة • وقيل انها نزلت في عم ابي طالب
على الخصوص • قال ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلامه لتكفله اياه في صباه
وذبه عنه في كبره حتى قال ابو طالب لقريش حين هموا بقتله شعر • كذبتم وبيت الله لا تقتلونه • ولما نطاعن
حوله ونقاتل • ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن ابنائنا والحلائل • وكان يقول لقريش صدقوا ابن اخي
وامنوا به ترشدوا وتفلحوا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له انا ارضى بالنصيحة ونزل بالعم النفس وحضر
عنده مونة فقال ابو طالب ما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تشهد بشهادة الحق اشفع لك بها عند الله وكان
عنده ابو جهل وجماعة من كفار قريش فقالوا له يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب ترغب عن ملة ابائك
فما زالوا به حتى كان اخر ما قال ابو طالب يا ابن اخي اني اعلم انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت
ولولا ذلك لاقررت عينك به ولكن اموت على ملة اشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقصي وقام عليه
السلام من عنده باكيا ونزلت هذه الاية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما انك لا تهدي من احببت اي لا تقدر
تنور قلب من احببت ولكن الله يفعل ذلك • وقيل له انك شفيع الجناية لا شريك الهداية • وقوله تعالى ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا اي نخرج منها • وقال المشركون يا محمد ان نتبع الهدى الذي معك وهو القران يجتمع
العرب على محاربتنا ليخرجونا من ارضنا والتخطف الاستلاب بسرعة وهو تعلل فاسد منهم تعللوا به عند عجزهم
عن معارضة حجته ورده • اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم في حرم امن اي يامنون فيه وامن في معنى
ذي امن لا يسبون فيه ولا يغار عليهم فيه ولا يتعرض لهم بمكروه ثم هذا الحرم في موضع لا زرع فيه ولا ضرع يجبى
اليه ثمرات كل شيء ويجلب اليه ثمرات كل بلد • وقيل اي يحمل اليه من كل شيء ارفعه وانفعه كما يقال ثمرة الكلام
رزقا من لدنا اي عطية من عندنا تفضلا منا اي فمن فعل ذلك بكم في حال كفركم فهو قادر على ان يمنعكم حال
اسلامكم ولكن اكثرهم لا يعلمون لا يتاملون فيعلمون هذا • وقيل نزلت في شان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد
مناف • قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم انك صادق ولكن العرب بينهم كثرة ونحن في جنبهم اكلة راس
فان امنا بك اذونا واخرجونا فنزلت الاية وكم اهلكنا من قرية اي من اهل بلدة بطرت معيشتها اي طغت في معيشتها
واغفلت شكرها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي فتلك منازلهم في البلاد باقية الاثار يشاهد
في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم قد خربت من بعدهم ولم يسكنها احد الا قليلا منها لم
يخرب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق يوما او ساعة • وقيل لم يسكنها
الا العطاف والهوام وكنا نحن الوارثين اي صار امر تلك البلاد واهلها الينا وزال عنها سلطانهم اي اني
قادر على ان افعل بكم كذلك ولا ينفعكم حرمكم من ان يتخطفوكم وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها
رسولا يتلوا عليهم اياتنا اي لم يكن الله ليهلك البلاد التي حول مكة حتى يبعث في امها رسولا وهي مكة لان ام
القرى لانها اصل البلاد فانها اول ما خلق منها • وقيل لان الارض دحيت من تحتها رسولا وهو محمد يتلوا عليهم
اياتنا اي القران اي ما كنت لاهلك العرب مع كفرهم حتى الزم الحجة عليهم بالرسول والكتاب • وقيل هي عامة
اي لم يكن الله ليهلك القرى فيما مضى حتى يبعث في سرة تلك البلاد اي معظمها نبيا فيعلمه من سواهم وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي ما اهلكناهم بالانتقام الا وهم مستحقون العذاب بظلمهم واصرارهم
على كفرهم بعد الاعذار اليهم وما اوتيتم من شيء اي وما اعطيتم في الدنيا من شيء من الاموال ونحوها فهو اسم
به على الضعفة وتركتم به الايمان فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي وهو شيء ينتفع به في الحياة القريبة التي تنقضي

قريبا

قريبا ينقضي المتاع بانقضاء الحياة الدنيا وهو زينة في زمن الدنيا وما عند الله اي ما اعده للمومنين خير من متاع الدنيا
وابقى افلا تعقلون افليست لكم عقول تعلمون بها الاولى بالاختيار افمن وعدناه وعدا حسنا اي فمن وعدناه على الايمان والطاعة
وعدا حسنا وهو الجنة وما فيها من الثواب فهو لاقيه رائيه فوثق بوعدنا واجتهد في طاعتنا فصيرناه اليها كمن متعناه
متاع الحياة الدنيا فاغتر به واشتغل به عن طاعتنا واستعان بما اعطيناه على مخالفتنا ثم انقطع ذلك ثم هو يوم
القيامة من المحضرين للعرض والحساب والعقاب اي ليسوا سواء وما ينبغي لمن عقل ان يشتغل بمتاع الدنيا ويترك العذا
قال ابن عباس رضي الله عنهما افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه اي مدركه ومصيبه هو النبي عليه السلام • وقال
السدي بلغني عن ابن عباس انه قال هو عمار بن ياسر • وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في علي وحمزة كمن متعناه متاع
الحياة الدنيا يعني ابا جهل • ويقال الوليد بن المغيرة • وقوله تعالى ويوم يناديهم اي يخاطبهم وهو عطف على قوله
ثم هو يوم القيامة فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اين الذين كنتم تدعون انهم شركاءي فينصروكم ويشفعوا
لكم ويجاروكم على عبادتكم اياهم • قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب الذي اوعد الله به ربنا هولاء
الذين اغوينا اي هولاء الذين اغويناهم اي دعوناهم الى الشرك واتبعونا اغويناهم كما غوينا اي ما دعوناهم الى
ما كنا عليه نحن من الكفر تبرانا اليك من ان يكونوا لنا اولياء او نحن نكون لهم اولياء او ان ننصرهم ما كانوا ايانا
يعبدون ما كانوا يعبدوننا • وقيل ادعوا شركاءكم اي قيل للاتباع ادعوا شركاءكم اي استنصروهم فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم بالنصرة ثم لهذه الجملة وجهان احدهما ان الذين حق عليهم القول هم الشركاء المعبودون وهم
الشياطين فان قيل للمشركين اين شركاءي بزعمكم قال الشياطين ربنا اغوينا هولاء المشركين كما اغوينا لم
نامرهم بعبادتنا لكن زينا لهم الشرك فاشركوا ما لم نامرهم بعبادتنا فلا نصرة لهم عندنا ما كانوا ايانا يعبدون
قصدوا اتباع اهواءهم لا عبادتنا • وقيل ما كانوا يعبدوننا باكراهنا اياهم عليها لكن بالوسوسة كما قال وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والثاني ان الذين حق عليهم القول اي الدعاة الى الشرك وشركاءهم
غيرهم وهي الاصنام فيقال لهم اين شركاءي ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي الاصنام فتقول الشياطين عند هذا
خوفا على انفسهم ان يزاد في عذابهم باغوايهم ربنا هولاء الذين اغوينا انا ما امرناهم بعبادتنا وما عبدونا ومثل هذا
ما يقول من يكون منه سبب في جناية غيره فيقول اما انا فلم اجن هذه الجناية ولا امرت بها وما كانت مني كذا اشفاقا ان
يؤاخذ بها الجناية • وقوله تعالى وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون • وقيل ههنا مضمر وهو لو كانوا مهتدين
الى الاسلام في الدنيا • وقيل الاضمار في اخره لو انهم كانوا يهتدون لخرجوا من العذاب الذي راوا • وقيل بل المضمر
في اخره لو كانوا يهتدون لما راوا العذاب • وقوله تعالى ويوم يناديهم عطف ايضا على الاول فيقول ماذا اجبتم
المرسلين الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم
جواب يعتذرون به فهم لا يتساءلون اي فلا يسال بعضهم بعضا عن حاله لانه مشغول بامر نفسه • وقال مجاهد اي
لا يتساءلون بالانساب اي لا يمكنه ان يقول اقض لقرابتك شيئا فاما من تاب اي من شركه وامن بربه وبما جاء من
عنده وعمل صالحا فيه فعسى ان يكون من المفلحين وعسى من الله ايجاب لانه اطماع واطماع الكريم ايجاب وهذا
ترغيب للكفار في الاسلام وبشارة للمسلمين على الاسلام • وقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة اما قوله يخلق ما يشاء فهو على العموم ودل على الاعيان والافعال كلها وكان حجة لنا على المعتزلة • وقوله
ويختار منهم من وقف ههنا وجعله ويختار ما يشاء ثم قوله ما كان لهم الخيرة اي ليس الاختيار اليهم وهو رد على
الذين قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وعلى الذين اتخذوا الاصنام شركاء وشفعاء يقول
ليس لهم ان يختاروا شيئا من ذلك للعبادة والشفاعة • وقيل هو بمعنى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي الامر ملازم ولا اختيار للمامور ان يفعله ومنهم من وقف عند
قوله وربك يخلق ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة ويكون ما اسما اي ويختار للعباد ما هو مختار في نفسه
حسن مرضي • وقوله تعالى سبحان الله وتعالى عما يشركون اي تنزه الله وتقدس عن اشراك المشركين وربك
يعلم ما تكن صدورهم اي تستر وما يعلنون بالقول والفعل وهو ومدبره وعبده وهو الله لا اله الا هو له الحمد
في الاولى والاخرة اي هو المحمود وحده في الدارين اليه مرجعكم اي مرجع شكر كل شاكر ومدح كل مادح لانه
احسان المحسنين بتوفيقه فهو المنعم على الحقيقة دون خلقه وله الحكم وحده لا شريك له ولا شريك في حكمه احد
واليه ترجعون في الاخرة فيجازي كلا على وفق عمله • وقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم
القيامة اي قل يا محمد لهولاء المشركين ارايتم ان جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار بعده من اله غير الله اي هل
اله غير الله ياتيكم بضياء بنهار مضيء فاذا كنتم مقرين انه لا يقدر على ذلك غيره فلم تشركون به افلا تسمعون ام انتم
فان فعلكم هذا افعال من لا يسمع قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة اي دائما من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه من تعب اشغالكم بالنهار افلا تبصرون اي انتم لا تبصرون الليل والنهار وما فيهما
فتعتبروا بذلك ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

الذين تزعمون هم

عن الحجة التي يحتج بها اذ يعلم
انه لا يجاب ذلك عند احد وقيل
لم يلتفتوا الى الانساب لبعضهم
بعضا هم

ولتشكروا له على هذه النعمة • وقوله تعالى ويوم يناديهم اعاد الكلام الى التخويف بيوم القيامة فيقول اين شركاي الذين كنتم
تزعمون قررناه ومعنى التكرار زيادة اعلم انه يامر مزيد عذابهم او لا فيدعون فلا يستجيبون فيظهر حبوط عملهم وخيبة املهم ثم
يخاطبهم به فيسكتون وهو توبيخ لهم وزيادة في خزيهم وعن ابن عباس كل امة شهيدا عليهم بما اجابوا به رسلهم كما قال فكيف اذا جينا
من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا • وقال وجي بالنبيين والشهدا • فقلنا هاتوا برهانكم اي علموا انها [illegible]
حجتكم على كفركم فعلموا ان الحق لله اي ان الحق هو ما كان الله ارسل به انبياءه اليهم وان الصدق هو ما كان اخبرهم به
وقيل ان الحق اي الالهية لله وحده وضل عنهم باطلا ما كانوا يفترون شركهم الذي كانوا يفترون به على الله • وقوله تعالى
ان قارون كان من قوم موسى هو قارون بن صافر بن ماهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم عليه السلام
وكان ابن عم موسى فانه موسى بن عمران بن ماهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم وانتظام هذه القصة
بما قبلها ما مر في اول السورة • ووجه اخر ان هذا يتصل بقوله وما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
ووجه اخر ان اغلب ما كان يخالف انبياءهم الاغنيا الذين بطروا بغناهم وكذلك في عصر كل نبي ومنهم قارون في زمن
موسى فبغى عليهم اي طلب الفضل عليهم وان يكون فوقهم • وقيل بغى عليهم بكفره • وقيل بكبره • وقيل كان عاملا لفرعون
فبغى على الناس باخذ اموالهم حتى صار اغناهم • وقيل استخف بالفقرا وازدرى بالناس ومنع الحقوق المالية
وقيل زاد في ثيابه قدرا من الطول واتيناه من الكنوز اي اعطيناه من كنوز الاموال ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة اولي القوة قيل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو بيت المال او الصندوق الذي فيه المال وهو
موضع الفتح • وقيل هو جمع المفتح بكسر الميم اي المفتاح الذي يفتح به بيت المال او الصندوق لتنوء يقال
ناه ينوء نوءا اي حمل على ثقل ونهض به على مشقة وهو لازم وصار ههنا متعديا بالبا الذي في قوله بالعصبة
والعصبة جماعة وهي من عشرة الى اربعين • وقال الفرا العصبة ههنا اربعون رجلا فمن جعل المفاتح جمع
مفتح بالفتح فمعناه اعطيناه من الاموال ما كانت خزاينه وصناديقه التي فيها امواله ما بلغ مقداره ان
العصبة وهي الجماعة الاقويا اذا حملوها عجزوا عن حملها فمالوا لثقلها كالرجل الذي يحمل الشي فيعجز عن حمله
فيميل تحته وكان قارون وقوم موسى غير متمكنين في بلد بمنزلة السيارة ينتقلون من بلد الى بلد فكانت اموالهم
في صناديق ونحوها تحمل من مكان الى مكان ومن جعلها من المفتح الذي هو المفتاح • قال كانت اقفال خزاينه
ومفاتيحها التي تفتح بها بيوت امواله وصناديقه في الكثرة بحيث تعجز عن حملها الجماعة الكثيرة • وقال
مجاهد كانت مفاتيحه من جلود الابل كل مفتاح على قدر اصبع وكل مفتاح يفتح به خزانة • وعن خيثمة قال كان
يحمل مفاتيح خزاين قارون ستون بغلا محجلا اذ قال له قومه لا تفرح • قال مجاهد اي لا تبطر وهو سوء احتمال
الغنا والطغيان بالدنيا ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اكتسب بها
ثواب الاخرة دون التجمل والتكثر بالدنيا والتكبر على اهلها ولا تنس نصيبك من الدنيا اي خذ بنصيبك
في الدنيا من العمل الصالح الذي يوصلك الى ثواب الاخرة فهو نصيب المومن من الدنيا واحسن بمالك الى
عباد الله كما احسن الله اليك بما وسع عليك وبسطه لك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
هذا ظاهر قال انما اوتيته على علم عندي قال انما اعطيت هذا المال لفضلي على غيري بعلمي وكان من السبعين
الذين اختارهم موسى للميقات وكان احد العلما المذكورين يومئذ • وقيل اي اتاني الله على علم منه بفضلي
ورضا منه عني وهو علم الكيميا به اكتسبته ليس هو من انعام الله علي بل هو كسبي وكد يدي هذا • وعن سعيد بن
المسيب كان موسى يعلم الكيميا فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه
فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ياخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون الماضية من هو اشد منه قوة اي بالانصار والاعوان والالات
المحصنة واكثر جمعا للاموال او قوما مثل نمرود ولو كان اعطا ذلك للفضل والعلم والاستحقاق لم يعطهم
ذلك ولان ذلك لم يدفع عنهم باس الله فكذا قارون ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون اي والله عالم بهم لا يحتاج
الى السوال عنهم فيهلكهم في الدنيا ويعاقبهم بالنار في الاخرة • وقيل لا يسالون عن ذنوبهم يوم القيامة
بل يدخلون النار بغير حساب • وقيل الملايكة لا تسالهم عن ذنوبهم بل تعرفهم بسيماهم • وقيل معناه ولا يسال
عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة فخرج على قومه في زينته التي يتعظم بها من اللباس والمراكب
والخدم ونحوهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج على بغلة شهبا عليها سرج من ذهب وقطيفة
ارجوان • وقال وهب خرج في اربعة الاف غلام على بغال شهب ثيابهم الارجوان • وقال كعب خرج في ثلثمائة
غلام عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره عليهم الوان الثياب • وقال الحسن في زينته يعني الحمرة والصفرة
قال الذين يريدون الحياة الدنيا اي يريدون زينة الحياة الدنيا الفانية ولا يرغبون في الحياة الباقية
في الجنان العالية • وقال قتادة يعني ناسا من اهل التوحيد قالوا غبطة وتمنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون من الاموال لننفقها في طاعة الله انه لذو حظ عظيم اي جليل نفد تمتعه على ما يريد من الدنيا • وقال

الذين اوتوا العلم بالله وصفاته واسمايه واحكامه ويلكم ثواب الله اي قالوا للذين تمنوا ذلك ثواب الله خير وابقى لانه افضل
من اعراض الدنيا لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يلقى هذه الكلمة ولا يوفق للعمل بها الا الصابرون عن
الدنيا الحابسون انفسهم على طاعة الله تعالى اي لا يلقاها الا هولا • وقال مجاهد ذلك لا يلقى الجنة ولا ثوابها اي لا يوتاها
الا الصابرون على طاعة الله • وقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض اي غيبناه في الارض نغوص فيها ونسوخ وفعلنا
بداره كذلك فما كان له من فية اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه عنه عذاب الله وما كان من المنتصرين
هو بنفسه وقوته • وقيل وبداره وباهل داره • وقيل بعين داره لانه كان زينها بصفايح الذهب • وقيل بما فيها
من الكنوز والاموال ولما خسف بقارون قال المنافقون من بني اسرايل دعا موسى على قارون فخسف به ليرث
موسى خزاينه فدعا موسى على خزاينه فخسف الله به وبداره وبصامت ماله بعد ثلثة • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لما امر موسى قومه بالزكوة جمعهم قارون وقال هذا جاكم بالصلوة وباشيا تحتملونها افتحتملون ان تعطوه
اموالكم فقالوا ما نحتمل ان نعطيه اموالنا فما ترى قال ارى ان ارسل الى بغي بني اسرايل فترسلها اليه وتامرها
ان ترميه بانه ارادها على نفسها ففعلوا فرمت موسى على روس الناس انه ارادها على نفسها فدعا الله عليهم فامر
الله الارض ان تطيعه • وقال السدي كانت امراة من بني اسرايل تسمى سبحا ارسل اليها قارون فقال انك
تزينين بالدرهم والدينار والثوب فهل لك ان اعطيك الف دينار على اني اذا ارسلت اليك تخبرين ان موسى
زنى بك قالت نعم فوزن لها قارون الف دينار فلما اصبح واجتمع بنو اسرايل قال قارون يا موسى كيف انزل
[illegible] قال الرجم قال [illegible] فلما جات قال لها [illegible] بني اسرايل ما صنع بك
موسى قالت دعاني قارون فاعطاني الف دينار على ان افتري على نبي الله موسى فاعوذ بالله من ذلك فغضب
موسى فدعا الله عليه • وفي حديث وهب قال نافق قارون وحسد موسى كما نافق السامري فدعا مومسة
وبين يديه طست من ذهب مملو دنانير وقال هذا كله لك [illegible] قالت كيف قال تقومين غدا وانا مع موسى
على [illegible] فتقولين للناس ان موسى دعاني البارحة ليفسق بي [illegible] بماية وجاهه مجمعة على ذلك فلما
انبعث اذ ركبها رحمة الله فتابت وبنوا اسرايل حضور فقالت يا موسى احذر هذا فانه دعاني امس وذكرت
القصة فقام قارون مستورا اي نحو موسى وقال ان الله جعل الارض مطيعة لك فقال موسى يا ارض
خذيهم فاخذتهم الى اعقابهم فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى ثم قال خذيهم فاخذتهم الى ركبهم فقالوا يا موسى
يا موسى فقال خذيهم فاخذتهم الى حجزهم ثم كذلك الى اعناقهم ثم خسفتهم فاوحى الله الى موسى سالك
عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم اما وعزتي لو انهم دعوني لاجبتهم • وقوله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه
بالامس اي وصار الذين يتمنون ان يكون لهم من الاموال مثل ما له يقولون من بعد ما كان منهم ويكان الله
[illegible] ويكان كلمة واحدة [illegible] وقيل ويك [illegible]
[illegible] وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال • وقيل وي
كلمة يتعجب بها وبعدها كان التي للتشبيه وهي ههنا بمعنى الظن والحسبان • [illegible] ان الله يبسط الرزق لمن
يشا ويقدر [illegible]
[illegible] لولا ان من الله علينا لخسف بنا [illegible]
[illegible] ويكانه لا يفلح الكافرون [illegible]
[illegible] تلك الدار الاخرة [illegible]
[illegible]
[illegible] نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا [illegible]
[illegible] والعاقبة للمتقين [illegible]
ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] وقوله تعالى من جا بالحسنة فله خير منها [illegible]
[illegible] ومن جا بالسيئة [illegible]
[illegible] فلا يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد [illegible]
[illegible] المشركين [illegible]
[illegible] فرض عليك القران قال محمد بن كعب [illegible]
[illegible] وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرادك [illegible]
[illegible]
[illegible]
وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه ابو بكر رضي الله عنه متوجها الى المدينة فنزل

عن الطريق مخافة الطلب فلما امن عاد الى الطريق فنزل الجحفة واشتاق الى مولده ومولد ابائه فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى مولدك ومولد ابائك ومسقط راسك قال نعم قال فان الله تعالى انزل عليك ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد يعني الى مكة ظاهرا من غير خوف • وقال الحسن يعني القيامة لانها مرجع الخلق • وقال الزهري يعني الجنة قالوا انه عليه السلام فيها في صلب ادم وايضا ليلة المعراج ويجوز ان يسمى معادا من غير ان كان فيها مرة كما قال في الكفار ثم ان مرجعهم لالى الجحيم • وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يعني الموت واليه تعود الخلق • قال تعالى وفيها نعيدكم • وقوله تعالى قل ربي اعلم من جا بالهدي يصلح فيه من النصب بكونه مفعولا والرفع بكونه مبتدا على الاستفهام • وقوله تعالى ومن هو في ضلال مبين يفيض على المهتدي وغيره الضال فيدخل المهتدي الجنة والضال النار فيثيب المهتدي ويعاقب الضال فيسعد المهتدي ويشقى الضال على اختلافهم في تفسير المعاد • وقوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي يوحى اليك القران الا رحمة من ربك لكن الله رحمك وانعم عليك به فلا تكونن ظهيرا للكافرين • وقوله تعالى ولا يصدنك عن ايات الله هو على الجمع اي لا يمنعك هولاء عن اتباع القران بعد اذ انزلت اليك اي الايات وادع هولاء وغيرهم الي ربك • وقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو لا يحملك شوقك الى وطنك على مداهنة هولاء ومواقفتهم في شي لتمليك المقام فيها فاني معيدك اليها غالبا عليهم كل شي هالك الا وجهه اي الا اياه • وقيل معناه كل عمل باطل الا ما اريد به وجهه اي رضاه له الحكم واليه ترجعون هذا ظاهر •

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هو غني عن العالمين • الرحمن الذي وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات الجنة ونعم اجر العاملين • الرحيم الذي هدى المجاهدين فيه سبله وان الله لمع المحسنين • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين • وهذه السورة مكية الا قوله في قصة سعد ووصينا الانسان بوالديه حسنا • وقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فانهما نزلتا بالمدينة وهي تسع وستون اية وسبعماية وستة وسبعون كلمة واربعة الاف ومايتان وتسعة وثلاثون حرفا • وقوله تعالى الم مر ذكر الاقاويل فيه في اول سورة البقرة ومنها ان معناه انا الله اعلم وهو وصف الله تعالى بكمال العلم وختم تلك السورة بذكر نفاذ الحكم وذلك تمام النظم • وانتظام السورتين انهما جميعا في بيان وحدانية الله ودلايلها ومدح المومنين ومواعيدهم وذم الكافرين ووعيدهم • وقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون يعني اظن الناس وهم الذين شكوا اذى المشركين ان تقتصر منهم على ان يقولوا امنا بالله ورسوله ويتركون اي لا يختبروا بالامر بهجرة ديارهم وجهاد عدوهم والصبر على ايذائهم ويدخل في ذلك المصايب والامراض والشدايد وهو استفهام بمعنى الانكار اي لا يكون ذلك ولا بد ان يفتنوا بانواع المحن في الدين فيخلصوا على الامتحان ويظهر بذلك صدق من صدق فيه وكذب من كذب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية اغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذ تبعث عليكم عذابا من فوقكم كما بعث على قوم لوط لم يبق منكم احد وان خسف بكم كما خسف بقارون لم يبق منكم احد وان البسكم شيعا واذاق بعضكم باس بعض كيف يكون حالكم فاتاه جبريل عليه السلام وقال له ان الله تعالى يقول قد ارسلنا قبلك رسلا الى قومهم فصدقهم مصدقون وكذبهم مكذبون فسمينا المصدقين منهم مومنين وسمينا المكذبين منهم كفارا ثم لم يمنعنا مع فتنتنا للانبياء ان نبتليهم لنبين الصادق منهم من الكاذب فانزل الله هذه الاية • وقال الشعبي نزلت في اناس مومنين من اهل مكة كتب اليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لا ينفعكم ايمانكم الا ان تهاجروا [illegible] ام حسب الذين يعملون السيئات اي المعاصي

بجزيهم

يجزيهم عند الفتنة واضمارهم النفاق والشك وغير ذلك ان يسبقونا اي يعجزونا فيفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم فلذلك لا يصبرون ولا يجاهدون ولا يهاجرون ساما يحكمون هذا الحساب • وقيل الاول في المومنين وهذا في الكافرين اي احسب الذين قالوا امنا ان نكتفي منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب الكفار انهم يعجزونا فتركوا لاجل ذلك الايمان فالحسبانان باطلان • وقيل نزلت الاية في بني عبد شمس وعتبة والوليد وحنظلة وابي سفيان وعبيدة بن سعيد بن العاص وعقبة بن ابي معيط والعاص بن وايل هولا الذين بارزوا عليا وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم من كان يرجوا لقا الله اي يومل ان يلقى الله فيثيبه على عمله • وقيل اي يخاف ان يلقى الله فيحاسبه على عمله والرجا يحتملهما فان اجل الله لات لا محالة وهو قريب وهو اسم للموت وللقيامة ايضا • قال الله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم اي فليجتهد في صالح الاعمال وليجتنب سيي الافعال وهو حث على الصبر على اذى المشركين والجهاد مع اعدا الله لاعلا الدين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين اي جاهد عدو الله وجاهد نفسه وجاهد الشيطان فنفع ذلك يرجع اليه لا الي الله تعالى وهو غني عن العالمين كلهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي ان المومنين اذا عملوا الصالحات من الصبر على نفسه ومجاهدة العدو وتحمل الاذا وغير ذلك ليمحون الله معاصيه التي سلفت ولنجزينه على احسن اعماله ثم يلحق سايرها به • وقيل اي من امن من الكفار وعمل صالحا في الاسلام يغفر الله له ما كان من سياته في كفره ويجزيه في الاسلام على الصالح من عمله • وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ثم ذكر بعض ما يفتن به الانسان في ايمانه وهو ان يامره ابواه بالشرك والمعصية فلا يحتمل قلبه معصيتهما مع وجوب برهما شرعا وعقلا ولجرانه لا طاعة لهما في ذلك فقال ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي امرناه ان تفعل بهما حسنا وان جاهداك اي قلنا له بما اوحينا الى رسولنا وان الحا عليه ان يامره به وان استفرغا جهودهما لك لتشرك بي ما ليس لك به علم انه لي شريك فلا تطعهما في ذلك الي مرجعكم في القيامة فانبيكم بما كنتم تعملون اجزيكم باعمالكم واجازيكم عليها الولد المومن المطيع على ايمانه وطاعته والوالدان الكافرين العاصيين على كفرهما ومعاصيهما نزلت الاية في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة بنت سفيان بن امية بن عبد شمس وكانت مشركة واسلم ابنها فحلفت لا تاكل ولا تشرب ولا تظلها ظل حتى يرجع سعد عن دينه فابى عليها فلم تزل كذلك حتى غشي عليها فاتاها بنوها فسقوها فافاقت وانزل الله هذه الاية يامر سعدا بالاحسان اليها وان لا يطيعها في الشرك • والذين امنوا وعملوا الصالحات • قيل اي والذين امنوا بعد كفرهم واصلحوا بعد افسادهم لندخلنهم في الصالحين لنتقبلن ذلك منهم ولنجعلنهم من جملة المومنين المصلحين • وقيل اي ولندخلن المومنين المطيعين الجنة مع عبادي الصالحين • وقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وهذه صفة المنافق الذي يمتحن في دينه يقول بلسانه امنت بالله وصدقت بوعده ووعيده فاذا اوذي في الله اي ناله مكروه بسبب دين الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الذي هو باق لا ينقطع اي يترك الاسلام اذا خاف ايذا الكفار اياه كما يترك المسلم المعصية اذا خاف كذلك عذاب الله وسمي الاذى فتنة لانه محنة يشتد احتمالها وهذا تشنيع من الله تعالى فعل هذا المنافق وذم لسو اختياره وقوله تعالى ولئن جا نصر من ربك اي للمسلمين ظفر وغنيمة ليقولن انا كنا معكم اي في الدين فاشركونا فيما اصبتم • وقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي بما في قلوب الخلق من الايمان والكفر والاخلاص والنفاق فكيف يتوهم هذا المنافق انه يخفى على المسلمين ولا يخفى على الله وهو عالم به وهذا تهديد لهم • وقوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين اي وليمتحن الله الفريقين وليظهرن اخلاص المخلصين ونفاق المنافقين وليميزن بين الفريقين ليعرفهم المومنون فيجازوهم على حسب استحقاقهم • قال عكرمة قال ناس بمكة نشهد ان لا اله الا الله فلما خرج المشركون الى بدر اخرجوهم معهم فقتلوا فنزل قوله الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم الى قوله عفوا غفورا وكتب بها المسلمون الذين بالمدينة الى المسلمين الذين بمكة فخرج ناس من المسلمين حتى اذا كانوا ببعض الطريق طلبهم المشركون فادركوهم فمنهم من اعطى الفتنة طايعا فانزل الله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة الى المسلمين الذين بمكة فقال رجل من بني ضمرة لاهله اخرجوني الى الروحا وكان مريضا فاخرجوه حتى اذا كان ببعض الطريق مات فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية ونزل في اولئك الذين لم يعطوا الفتنة ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الاية ثم في اولاد الاية من يموت على التوحيد وكذلك فاذا اوذي في الله جعل ثم قال ليقولن على الجمع لان من اسم جنس فجاز توحيده للفظه وجمعه لمعناه • وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه وذلك انه اسلم وهاجر الى المدينة قبل هجرة رسول الله فحلفت امه ان لا تقوم من الشمس ولا تغتسل راسها حتى يعود عياش وكانت هي بنت مخرمة بن ابي جندل بن نهشل المخزومي فخرج اخواه ابو جهل والحارث ابنا هشام يطلبانه من الغار والشام حتى رداه فاوثقاه وضربه كل واحد منهما ماية جلدة وقالا له انت تدعي ان في دينك بر الوالدين وان امك بمكة والمدينة واحد فرجعاه فاراد امره الى ان كفر • قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم اسلم بعد ذلك بدهر

وحسن اسلامه ● وقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم صيغته امر ومعناه جواب
الامر على صيغة الامر للتقابل وهذا ايضا مما يفتن به المومن عن دينه الخديعة التي يتفق مثلها على الصيغة تقول قال
مشركوا مكة للمومنين اتبعوا ديننا ونحن نتحمل عنكم اثامكم في الاخرة ان كان اتباعكم اثاما وكانت القيامة حقا ● وقوله تعالى
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء اي لا يحمل هولاء القايلون من اثام هولاء المقول لهم شيا لانه لا تزر وازرة وزر اخرى
انهم لكاذبون في قولهم انا نحمل خطاياكم وليحملن اثقالهم واوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزار المضلين
باضلالهم ● وقوله تعالى وليسئلن يوم القيامة اي هولاء الخادعون عما كانوا يفترون اي يكذبون بهذا الوعد
وهو حمل الخطايا عنهم فكان هذا الخداع منهم داخلا في اوزارهم التي يحملونها ويعاقبون عليها ● وقيل عما كانوا
يفترون من الشرك بالله والكذب على كتاب الله ورسوله ● وقيل نزلت الاية في ابي سفيان بن حرب وامية بن خلف
الجمحي قالا لعمر بن الخطاب وخباب بن الارت اتبعوا سبيلنا الاية ● وقال محمد بن الحنفية كان ابو جهل وصناديد
قريش يتلقون العرب ويصدون الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم لا تعرفون لمحمد
ولا تدخلوا في دينه وعلينا اوزاركم ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدعو الى خير الا اعطاه الله مثل
اجر من اجابه لا ينقصه ذلك من اجورهم شيا وما من عبد يدعو الى شر فيتبع عليه الا جعل الله عليه مثل اوزار الذين
اتبعوه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا وذلك لان الله تعالى يقول وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ● وقوله
تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ثم ذكر بعض قصص الانبيا وتحملهم اذى القوم وجهادهم اياهم في الدعوة الى
الحق بدا بقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما اي مكث في قومه يدعوهم الى
الله تسع مائة وخمسين سنة ● قال الواقدي كان عمره هذا وهذا غلط هذا مدة مقامه فيهم من وقت الوحي الى
وقت هلاكهم بالطوفان ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث نوح لاربعين سنة وكذا كان بعث كل نبي الا عيسى
عليه السلام وعاش بعد الطوفان ستين عاما فذلك الف وخمسون ● وقال وهب كان عمر نوح عليه السلام
الفي سنة واربع مائة سنة ● وقوله تعالى فاخذهم الطوفان اي الماء الكثير وهم ظالمون اي مشركون ● وقوله
تعالى فانجيناه اي انجينا نوحا واصحاب السفينة اي والذين حملهم نوح في السفينة ● وقوله تعالى وجعلناها
اية للعالمين اي علامة لهم دالة على صدق قول الانبيا ونجاة من امن بهم وهلاك من كذبهم ● وقال قتادة ابقاها
الله تعالى اية فهي على الجودي ● وقيل وجعلناها اي العقوبة بالطوفان عبرة للعالمين يعتبرون بها ● وقوله
تعالى وابرهيم عطف على قوله نوحا اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي انفع لكم
واصلح ان كنتم من اهل العلم بالامور والتفكر في بواديها وعواقبها ● وقوله تعالى انما تعبدون من دون الله
اوثانا اي اصناما من خشب وحجر وتخلقون افكا وتفتعلون كذبا اي تسمونها الهة كذبا ● وقيل تخلقون تنحتون
ما تكذبون فيه بتسمية الها ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما وتصنعون كذبا ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم وجمع بالواو والنون فعل الاوثان لانه وصفها بصفات من يعقل
وقوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق اي فاطلبوا الرزق من عند الله ثم بين طريق الطلب فقال واعبدوه اي
في الحال واشكروا له اي لما مضى من انعامه ● وقوله تعالى اليه ترجعون فيجازيكم بما عملتم من الشكر والكفران
والعبادة والطغيان وهو وعد ووعيد ● وقوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول
الا البلاغ المبين قيل من هاهنا الى قوله فما كان جواب قومه كلام معترض وهو خطاب من الله تعالى لمشركي
العرب ومعناه على الوصل لما قال ابرهيم عليه السلام هذا كذبوه وكذلك قوم نوح عليه السلام كذبوا نوحا
وان تكذبوا يا معشر العرب فقد كذب امم من قبلكم انبياهم فاسوة لك بالانبيا بل من المكذبين فاهلكهم الله تعالى
وانجى الانبيا والمومنين وليس على الرسول الا البلاغ الظاهر ● وقوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم
يعيده استفهام بمعنى الاثبات اي قد راوا ذلك وعلموه ● وقوله ثم يعيده ليس هذا مما يقع في رويتهم لكنه اخبار
ودليل ثبوته ابداوه ● وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير اي سهل لا يتعذر عليه انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
واكد هذا بما بعده ● وقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم
واختلاف طبايعهم والوانهم والسنتهم وصناعاتهم فتستدلوا بذلك على انه لم يخلقهم عبثا بل ليمتحنهم فلا بد
من دار الجزا والحساب ● وقوله تعالى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ● قرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد
والباقون بالقصر وهو كالرافة والراءفة اي كما بدا ايجادهم في الدنيا مختلفي الحال والاعمال فكذلك
يعيدهم في الاخرة مختلفين في الجزا وجزاء لهم في الافعال ● وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير من الابتدا والاعادة
وكل شيء يعذب من يشا ويرحم من يشا في النشاة الاخرة واليه تقلبون والى جزايه تردون وترجعون ● وقوله
تعالى وما انتم بمعجزين اي بفايتين في الارض ولا في السما ● قال الفرا ولا من في السما فاضمر كلمة من وهو جايز
قال حسان رضي الله عنه فمن يهجوا رسول الله منكم ● ويمدحه وينصره سواء ● اي ومن يمدحه وينصره ● وقيل
هو خطاب لاهل السما والارض جميعا وما انتم يا اهل الارض بمعجزين الله هربا في الارض ولا في السما لو صعدتم

الانبيا

الى السما ولا يمكنكم الهرب الينا ويكون في معنى قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ● وما لكم من دون الله من ولي يتولى اموركم ولا نصير يمنعكم من عذاب ينزل
بكم فالى الله فافزعوا واياه فاعبدوا ● وقوله تعالى والذين كفروا بايات الله ولقايه اي بالقران والبعث والحساب
وقوله تعالى اولئك ييسوا من رحمتي اي فاولئك القانطون من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم وهو تفسير قوله
يعذب من يشا واذا كان الياس من الرحمة لهولاء كانت الرحمة للمومنين المخالفين لهولاء ثم عاد الكلام الى قصة
ابرهيم وجواب قومه ● وقوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اي الا قولهم بالرفع اسما لكان وعلى هذا
يكون الا ان قالوا ايضا خبرا لكان ونظيره ثم كان عاقبة الذين اساوا السوءى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا
على قرائتين على الوجهين اقتلوه او حرقوه لما الزمهم الحجة اعرضوا عنها وعارضوه بقصد الاهلاك فقال
بعضهم لبعض اقتلوه بالسيف ونحوه او حرقوه بالنار فانجاه الله من النار اي من اذاها ومكروهها بعد
القايهم اياه فيها ● وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يومنون اي لعلامات للمومنين على ان العاقبة المحمودة
لاهل الاديان ● وقوله تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي لتوادوا بينكم
على عبادتها وتحابوا وتواصلوا عليها ● وقوله تعالى مودة بينكم فيه اربع قراات ● قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي
مودة بينكم بالرفع والاضافة ● وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر وعامر مودة بينكم منونا منصوبا ● وقرا
عاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر مودة مرفوع منون بينكم نصبا ● وقرا حمزة وعاصم في رواية حفص مودة
نصبا غير منون مضافا فامن ترك التنوين فقد اضاف وكذلك خفض بينكم ومن نون فقد ترك الاضافة
ونصب بينكم على الظرف ومن رفع مودة فله وجهان احدهما ان يكون ما موصولا ويكون حرفا واحدا ويتم
الكلام عند قوله اوثانا ثم قوله مودة بينكم تفسيرها اي هي مودة بينكم ومن نصب مودة فلوقوع الاتخاذ
عليها وعلى الاوثان لانه فعل يطلب اثنين تقول اتخذتموها للتواد وعليها وهي في الدنيا ● وقوله تعالى ثم
يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اي تتبروا ويلعن بعضكم بعضا كما قال كلما دخلت امة لعنت اختها وماواكم
النار وما لكم من ناصرين حينئذ ● وقوله تعالى فامن له لوط اي صدقه لوط هذا التنبيه واقامة الحجج من بين
القوم الكثير ● وقوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي قيل هو قول لوط ● وقيل هو قول ابرهيم وفي رواية انهما هاجرا
معا من ارض السواد الى الشام ومعناه اني تارك وطني وبلدي ومفارق من خالفني من اهلي متقربا بذلك الى ربي
وقيل لما صدقه لوط من بين قومه لم يهنيا له المقام بينهم فقالا انهما هاجرا الى حيث امرني ربي من المواضع التي
امرنا بها ● وقوله تعالى انه هو العزيز اي المانع الذي من لجا اليه منعه من اعدايه الحكيم الذي يمتحن اوليا
باعدايه ثم يجعل العاقبة المحمودة لاوليايه ● وقال محمد بن اسحاق خرج ابرهيم ولوط عليهما السلام مهاجرين
وقد تزوج ابرهيم سارة بنت عمه فرارا بدينهم والتماسا للتمكن من عبادة ربهم حتى نزلوا حران فمكثوا بها
مدة ثم خرجوا الى مصر ثم الى الشام فنزل ابرهيم فلسطين من قرى الشام ونزل لوط المؤتفكة على مسيرة
يوم وليلة فبعثه الله نبيا اليهم ● وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب اي في اعقابه ونسله لان موسى وداود عليهما السلام وغيرهما من انبيا بني اسرايل كلهم من
ذرية يعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل وهو ابن ابرهيم ولهم النبوة والكتاب ووحد
الكتاب لانه مصدر كالنبوة فصلح للجمع ● وقوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا اي ثواب قيامه باداء
الرسالة وصبره على اذى القوم ومهاجرته الى ربه فاراد به في الدنيا من كثرة الاولاد وكون الانبيا
فيهم والزام الناس اتباع ملته وابقا ذكره على السنة الاخرين ● وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين
نبيل في جنتنا ● قال الحسن لمن اهل الجنة ● قال تعالى وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين ● وقوله تعالى
ولوطا عطف على قوله ونوحا وبين صنيعه على اذى قومه اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة
المتناهية القبح وهي اتيان الذكور ● وقرا نافع وحفص انكم في الموضعين بغير استفهام ● وقرا حمزة
والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بالاستفهام في الحرفين ● وحفص عن عاصم في الاول بغير استفهام
وفي الثانية باستفهام وهو استفهام بمعنى التوبيخ والانكار ● وقوله تعالى ما سبقكم بها من احد من العالمين
لم يفعلها احد من الناس قبلكم ● وقوله تعالى اينكم لتاتون الرجال اي تاتونهم وهو تفسير تلك
الفاحشة وتقطعون السبيل ● قيل تقطعون طرق الناس وتاخذون اموالهم وكانوا يفعلون كذلك ● وقيل
كانوا يفعلون الفاحشة لمن مر بهم من الغربا فكانوا كذلك لا يمرون بهم فينقطع الطريق لذلك ● وقيل
كانوا يحذفون المارة بالحصى فكان الناس يمتنعون من المرور بهم ● وقال الفرا ويقطعون سبيل الولد
لتعطيلكم النسا ● وقوله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر ● قال السدي كانوا يحذفون بالحصى من مر بهم ● وقال
مجاهد كانوا ياتون الذكران مجاهرة ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الضراط ● وقيل هو كل فعل قبيح
مجاهرة فعل اهل المجون والذي يلحق الحيا لهم ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبندق

وزرقة الاصابع ومضغ العلك وحل الازرار وفحش المزاح • وقوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين وهو غاية وقاحتهم وعنادهم قال رب انصرني على القوم المفسدين سأل الله ان
يمنع اذاهم عنه وان ينزل العذاب عليهم فاستجاب الله ذلك بما ذكر بعده • وقوله تعالى ولما جاءت رسلنا اي الملائكة
المرسلون جبريل وجماعة من الملائكة ابرهيم عليهم السلام بالبشرى باسحاق ويعقوب بعده قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية وهي قرية قوم لوط اي مهلكيهم فقد امرنا الله بذلك • وقوله تعالى ان اهلها كانوا ظالمين اي هم معتادو
الكفر والمعاصي قال اي قال ابرهيم اتهلكونهم وفيها لوط قالوا نحن اعلم بمن فيها اي ليس يخفى علينا ذلك اذ
فيها لوطا ومؤمنين معه اعلمنا الله تعالى بذلك قلنا العلم به حقيقة وعندنا من البشر من علمهم كذلك فانما
نبني على الظاهر دون الحقيقة • وقوله تعالى نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله اي لناجون لوطا ومن معه
اي نخرج من معه من المؤمنين من القرية بامر الله ايانا بذلك فيخرج فينجو بذلك مما يحل بقومه • وقوله
تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في الهلاك • وقال ابو عبيدة معنى من الذين طالت
اعمارهم فبقيت بعد موت الاتراب ثم اهلكت • وقوله تعالى ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي لما جاء
هؤلاء الملائكة ساءه مجيئهم اي احزنه وضاق بهم ذرعا • قال في ديوان الادب الذرع قدر الرجل الذي يبلغه وضاق
بهم ذرعا اي ضاق قلبه ولم يحتمل ذلك وسعه وذلك لانه لم يعلم انهم ملائكة فظن انهم ضيوف اضياف وخاف عليهم
من قومه ما يكون منهم بالرجال من الفاحشة • وقوله تعالى قالوا لا تخف ولا تحزن اي لا تخف علينا وصولهم الينا والقرب
ولا تحزن من ظهور حال يحزنك بسببنا من الفضيحة واظهروا انهم ملائكة ارسلوا لانجائه واهلاك قومه كما ذكر
في سورة هود انا منجوك واهلك اي انا ننجيك وننجي اهلك ونصبه بهذا التقدير ولم يخفض عطفا على الكاف
المخفوضة بالاضافة لان المكنى المخفوض لا يحسن العطف عليه الا باعادة الخافض على ما مر في قوله تساءلون به
والارحام الا امرأتك كانت من الغابرين اي الباقين في الهلاك • وقوله تعالى انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء اي عذابا وهو امطار الحجارة بما كانوا يفسقون اي بفسقهم المتقادم • وقوله تعالى ولقد
تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون • قال قتادة هي الحجارة التي امطرت عليهم ما من احد مر منهم من المدينة
الى الشام الا راها في قرية سدوم • وقيل هو عفو اثارهم من ظهور هلاكهم تقول ولقد القينا في قرية قوم لوط
علامة واضحة على قدرتنا وعلى انتقامنا من اعدائنا لاوليائنا لقوم يعقلون الايات فيتدبرونها
وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله نوحا فقال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوا الله واطيعوه
وارجوا اليوم الاخر • قال الحسن اي صدقوا به ومعناه انهم كانوا لا يصدقون به فلا يرجون كونه فكان قال
وارجوا كونه • وقيل معناه فاعملوا الصالحات راجين ثوابه في الاخرة • وقيل اي خافوا عذاب الله يوم
القيامة على المعاصي فلا تعصوه والرجاء يقع على الامل والخوف جميعا على ما مر • وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي ولا تبالغوا في الافساد في الارض بالكفر والمعاصي من نقص كيل او وزن وغير ذلك • وقوله تعالى
فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة التي اصابتهم يوم الظلة رجفت بهم الارض مع اخذ الحر فهلكوا • وقوله
تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين ميتين لاصقين بالارض • وقال ابو عبيدة وقتادة ساقطين بعضهم على
بعض • وقيل جاثمين على الركب • وقوله تعالى وعادا وثمودا قيل عطف على الهاء والميم في قوله فاخذتهم وقيل
اضمر قوله واهلكنا • وقيل اي واذكر عادا وثمودا • وقوله تعالى وقد تبين لكم من مساكنهم كيف خربها الله
تعالى واخلاها عن اهلها كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وزين لهم الشيطان اعمالهم الكفر والمعاصي
بالوسوسة • وقوله تعالى فصدهم عن السبيل اي صرفهم بالدعوة عن الطريق المستقيم وهو الدين الحق
وكانوا مستبصرين • قال قتادة اي صاروا ذوي بصائر في دينهم عند انفسهم لعجبهم بضلالتهم • وقال
مجاهد وكانوا ذوي بصائر يمكنهم تمييز الحق من الباطل ولكنهم اغفلوا ولم يستعملوا بصائرهم • وقوله تعالى
وقارون وفرعون وهامان عطف على قوله وعادا وثمودا • وقيل فصدهم وصد قارون وكذا ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض بالترؤس على اهلها واستعباد ضعفائها • وقوله تعالى وما كانوا
سابقين اي فائتين اخذنا • وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه اي فاخذنا كلا من هؤلاء بذنبه اي بكفره
ومعصيته فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا حجارة كقوم لوط • وقوله تعالى ومنهم من اخذته الصيحة كقوم
صالح ومنهم من خسفنا به الارض كقارون • ومنهم من اغرقنا بالطوفان كقوم نوح وبالبحر كفرعون وقومه
وقوله تعالى وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالمعاصي المنزلة بهم الهلاك • وقوله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا اي مثل من اشرك بالله الاوثان وتولاها
في ضعف احتيالهم وسوء اختيارهم كمثل العنكبوت حين اتخذت لها بيتا وان ذلك البيت لا يكن من حر ولا برد
ولا يغني ما يغني البيوت فكذلك الاوثان هؤلاء لا تنفعهم ولا تغني عنهم في الدارين • وقوله تعالى وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اي واعتمادهم على الاوثان اضعف شي لو كانوا يرجعون الى علم والعنكبوت

ان فيها لوطا

ابو عبيدة

مونثة

مؤنثة في الاية وقد ذكرها بعض الشعراء • على هطالهم منهم بيوت • كالعنكبوت قد ابتناها • وقوله تعالى ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء • قرا ابو عمرو وعاصم في رواية بالياء المغايبة • والباقون بتاء الخطاب اي ان الله يعلم ما يعبدون
من دونه من صنم او ملك او جن او شيطان وهو العزيز المنيع الذي لا ترى له الحكيم في ترك المعاجلة بالعقوبة • وقوله
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اي هذا المثل وسائر الامثال نبينها للناس وتذكيرا وما يعقلها الا العالمون
اي وما يفهمها ويعرف حقائقها الا اولوا العلم الذين يضعون الاشياء مواضعها فاما من الف الجهل وترك
التدبر فما ينتفع بها انتفاع من يعقل • فان قيل فلم يقل وما يعقلها الا العاقلون والعقل يسبق العلم قلنا
لان العقل الة يستدرك بها معاني الاشياء بالتامل فيها ولا يمكن التامل فيها والوصول اليها بطريقها الا بالعلم
ودلت الاية على فضل العلم على العقل ولا عالم منا الا وهو عاقل واما العاقل فقد يكون غير عالم • وقوله خلق
الله السموات والارض بالحق اي لم يخلقها باطلا ولا جزافا بل بحكمة بالغة وهو الامتحان ثم ذلك يقتضي دارا
اخرى للحساب والجزاء على الاعمال ان في ذلك لاية اي لدلالة على قدرة الله تعالى وربوبيته وحكمته للمؤمنين
والدلالة للكل لكن انتفع بها المؤمنون فاضيفت اليهم • وقيل لاية للمؤمنين اي حجة للمؤمنين على الكافرين
في التوحيد والاسلام • وقوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءة كلامه وليقف
على ما امر الله تعالى به ونهى عنه وعلى ما يعامل به الكفار • وقيل اي اتل على الكفار وانذرهم به وادعهم اليه •
وقوله تعالى واقم الصلاة اي اذا فرغت من انذارهم به • وقيل دم على تلاوة الكتاب واقامة الصلوات
وقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اي ان الصلاة تشتمل على قراءة القران وفيه الوعظ والوعيد
والوعد وذلك مانع عن الفحشاء اي الفعلة القبيحة والمنكر اي ما ينكره العقل والشرع والنهي يكون
بالقول ولكن هذا مجاز عن المنع فلان الصلاة تشغل المصلي عن ذلك كله فان المصلي يناجي ربه فاذا اراد ان
يصلي الصلاة حقها وجب عليه ان يقبل عليها بقلبه ويشعر قلبه الخشية لله والمراقبة له وذلك يمنعه عن
المعاصي بعدها • قال ابو هريرة قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي الليل كله فاذا اصبح سرق فقال
سينهاه او ستنهاه ما تقول • وقال ابن عون ان الصلاة تنهى • قال اذا كنت في صلاة فانت في معروف وطاعة
وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر • قال ابن عباس رضي الله عنهما اقامة الصلاة اتمام وضوئها وقيامها
وركوعها وسجودها وقراءتها ومراعاة الخشوع فيها فمن كان هكذا مواظبا على هذا يرجو ان تنهاه عن الفحشاء
الزنا والقبيح من الاعمال وعن المنكر البغي والظلم • وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ومن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد اطاع الصلاة • قال ابو هريرة انما
صلاة التي لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا • وقال بعض اهل المعرفة معناه ان الصلاة
[illegible] • وقوله تعالى ولذكر الله اكبر • قيل ولذكر الله جل جلاله بتلاوة القران
والاذكار في الصلاة اكبر من كل شيء • وقيل ولذكر الله [illegible] • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] ولذكر الله اكبر [illegible] • وقال ابن ربيعة
قال لي ابن عباس ارايت قول الله ولذكر الله اكبر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • وقوله تعالى والله يعلم
ما تصنعون [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
[illegible]
[illegible]
[illegible] • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
الاية في وفد نجران [illegible]
[illegible]
[illegible] • وقوله تعالى وقولوا امنا بالذي انزل
الينا وهو القران وانزل اليكم وهو التوراة والانجيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • وقيل معناه [illegible]

الا بالجميل ● وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم الا من ظلم رجل الحق له قبله كانه يوخذ بذلك الحق ولو بالاغلاظ له في القول
وقيل معناه ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدثكم اهل الكتاب من كتابكم فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ● وقوله وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي وكما انزلنا الكتب على الانبيا
المتقدمين فكذلك انزلنا اليك القران وامرناك ان تحاجهم به فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به اي والذين اتيناهم
الكتاب من قبلك من بني اسرائيل يومنون بهذا الكتاب لايمانهم بالانبيا الذين بشروهم بك وباسمك وبالكتاب المنزل
عليك ومن هولاء من يومن به اي ومن اهل عصرك من بني اسرائيل من يومن به كعبد الله بن سلام واصحابه ● وقوله تعالى
وما يجحد باياتنا اي القران الا الكافرون بالله وكتبه فلا تضيقن صدرك بكفر هولاء فقد امن بك وبكتابك
اوليك وما كنت تتلو من قبله من كتاب يدل على صحة كتابه وتقول وما كنت تقرا من قبل هذا الكتاب المنزل عليك
كتابا من الكتب المنزلة المتقدمة فيكون قد وقفت بذلك على قصص الاولين ● وقوله تعالى ولا تخطه بيمينك
اي وما كنت تكتب كتابا بيمينك فتكون قد وجدت كتابا من الكتب المتقدمة فنظرت فيه وحفظت القصص
منه بل كنت اميا في بلد الاميين لا تقرا ولا تكتب ● وقوله تعالى اذا لارتاب المبطلون اي ولو كنت تتلو كتابا
او تخطه لشكوا اذ اواذا لم يكن كذلك فلا وجه للارتياب في ان ما تتلوه عليهم هو وحي من السما والمبطلون الكفار
وقيل اهل الكتاب ● وقيل معناه لو كنت تقرا الكتب لقالوا اخذ القصص منها ولو كنت تخطه بيمينك لقالوا
نظمته وانفقته من عندك ● وقيل منع الخط والقراة كان معجزة له وهما من الفضل لغيره وقد اكرمه الله بذلك
في اخر عمره ● وروي عون بن عبد الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرا ● وقوله تعالى
بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم اي القران وقيل لرد ما سبق وتقديره ليس هذا القران كما قال
المبطلون انه سحر وشعر وكهانة بل هو ايات بينات دلايل واضحات وحجج نيرات تعرف بها دين الله واحكامه
وقوله تعالى في صدور الذين اوتوا العلم اي هي كذلك في قلوب اصحاب العلما يحفظونها ويعتقدونها فمن
وصفه بغير هذا الوصف فهو من اهل الجهل فلا يبالى بقوله ● وقيل بل هو اي بل محمد صلى الله عليه وسلم ايات
بينات اي رسول لحق ظاهر الدليل وجمع الايات لوجوه احدها انه علم على اشياء كثيرة من امور الدنيا فهو اية
واحدة لذاته ايات كذلولة وهو قوله فيه ايات بينات مقام ابرهيم على قوله نجعل مقام ابرهيم تفسير الما وترجمة
عنها ● وقيل كل صفة كانت صفته اية فكانت من اولها نشا الى اخر امره ايات لما ذكر من النور في وجه ابيه
ما دام في صلبه ثم في وجه امه اذ وقع في رحمها ثم من ضيا الليلة التي ولد فيها ثم من ظل السحاب الذي اظله واشباهها
وهي كثيرة في صدور الذين اوتوا العلم اي اوتوا منافع العلم فهم الذين يعتقدونه ويصدقونه ● وقيل الذين
اوتوا العلم اهل الكتاب وجدوه في كتبهم وعلموه وما يجحد باياتنا يجحد الا الظالمون انفسهم ● وقيل الواضعون
التكذيب في غير موضعه وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه كايات الانبيا موسى وعيسى وغيرهما كفلق البحر واحيا الموتى
واخراج الناقة من الصخرة ● وقوله تعالى قل انما الايات عند الله اي هو يا تي بها على ما يعلمه صلاحا لكل نبي ولكل
قوم لا املك شيا منها وانما انا نذير مبين مخوف بالقران اذ يا تيكم عذاب اذا اصررتم على شرككم وعنادكم ● وقوله
تعالى اولم يكفهم استفهام بمعنى الاثبات اي لقد كفاهم ● وقوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب وهو معجزة فهو
اية كافية يتلى عليهم بلسانهم ولقد تحديتهم ان ياتوا بسورة مثله فعجزوا ● وقرا ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر
وحمزة والكسائي اية من ربه ● والباقون ايات من ربه لانهم كانوا يقترحون ايات كما قال وقالوا لن نومن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ومن وحد فهو للجنس فيودي معنى الجمع وهو كقوله فليا تنا باية كما ارسل الاولون
وقوله تعالى ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يومنون اي ان في ذلك الكتاب المنزل عليك لرحمة وموعظة
لمن همته الايمان بما قامت دلالته ● وقيل هو متصل بقوله ولا تجادلوا على تاويل من قال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم
بما يخبرون به من كتابهم قال اولم يكفهم ما في الارض من القران ● وروي ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان
في يده رق فيه شي من كتبهم ● فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا قال كتبته من كتبهم لازداد علما على علمي
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا
ان يرغبوا عما اتاهم به نبيهم الى غيره فانزل الله هذه الاية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم شاهدا بصدقي فيما ادعي
من الرسالة وانزال القران علي ● وقوله تعالى يعلم ما في السموات والارض لا يخفى عليه شي مما فيهما وهذا وعيد
لهم بتعريض والذين امنوا بالباطل بالجبت والطاغوت وكفروا بالله اشركوا اولئك هم الخاسرون ● قيل الهالكون
وقيل المغبونون حرموا الجنة واستحقوا الخلود في النار ● وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ● ولما قال وانما
انا نذير مبين اي بالعذاب قالوا متى هذا الوعد ● وقال النضر بن الحارث ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا الاية فنزل هذا يستعجلونك بالعذاب ● ونزل سال سايل بعذاب واقع ● ونزل وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
وقوله تعالى يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ● ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب اي لكل عذاب ينزل بالعصاة
اجل معلوم عنده لا يقدمه قبله ولا يوخره بعده ● وقوله تعالى وليا تينهم اي العذاب بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون

شهيدا

بونن

لمحيطة بالكافرين

بن تجيد ● وقوله تعالى يستعجلونك بالعذاب وان جهنم وهي قد احاطت بهم اي هم في المعنى كالمحصورين فيها اي لا يجد
عنها ● وقيل اي ستحيط بهم في الاخرة لا محالة فلا معنى لاستعجالهم في الدنيا ● وقوله تعالى يوم يغشاهم العذاب اي
تحيط بهم يوم ياتيهم ويغطيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومن كل جهاتهم وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ● وقوله تعالى ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ● قرا ابن كثير وابن عامر بالنون ردا على قوله انا انزلنا ● وقرا
الباقون بالياء ردا على قوله قل كفى بالله اي نقول لهم الملايكة بامر الله تعالى هذا جزاوكم فذوقوه اي فقاسوه ● وقوله
تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة اي يا عبادي الذين امنوا بي وبرسولي وخافوا اعداهم وخافوا
الفتنة منهم وان لا تصبروا على اذاهم ● وقوله تعالى ان ارضي واسعة اي الارض التي خلقتها للمعاش خلقتها
كبيرة لا تضيق عنكم فهاجروا اليها فاياي فاعبدون لا ما يدعوكم اليه المشركون ولا يشقن عليكم احتمال الغربة
الى فان الحياة الدنيا منقضية والبقا فيها منتهية ومرجعكم الي وذلك قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت ثم الينا
ترجعون ● وقيل ان ارضي اي ارض الجنة واسعة فاعبدوني حتى اوتيكم ذلك ● وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوينهم ● قرا ابن كثير والكسائي بالثا المثلثة فوقها بثلاث وهو الاقامة والاثوا بعد سه ● وقرا الباقون
بالبا من التبوية وهي الانزال من الجنة غرفا وهي اعالي المنازل لها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها وقصورها
المياه في الانهار وهي انزه ما يكون ● وقوله تعالى خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون منها نعم اجر العاملين وصفهم
فقال الذين صبروا اي ثبتوا على الايمان مع الفتنة وتحملوا اذى الكفار ومفارقة الديار ● وقوله تعالى وعلى ربهم
يتوكلون اي يعتمدونه في ارزاقهم وجهاد اعدايهم وكفاية امورهم على ربهم ● وقوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها واياكم اي وكم ذات حياة يدب على وجه الارض ليس معها رزقها مدخرا يرزقها الله تعالى كما يرزقكم ● وقوله
تعالى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه الاصوات الذي احاط علمه بالخفيات نزلت في الذين امروا بالهجرة
من المستضعفين فقالوا كيف نهاجر الى المدينة وليس لنا بها دار ولا عقار ولا احد يوونا ويطعمنا ويسقينا
فنزلت هذه الاية ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يخبا القوت الا الانسان والفارة والنملة ● وقوله تعالى
ولين سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ولين سالت هولاء المشركين من خالق
السموات والارض على كبرهما وسعتهما وكثرة عجايبهما وما علق الله تعالى بهما من قرار هذا العالم على كثرتهم ومن الذي
سير الشمس والقمر غير منتقصين عما خلقهما له من منافع العباد وما علق بهما من اسباب المعاش لاقروا ان فاعل
ذلك كله هو الله وحده لا شريك له ● وقوله تعالى فانى يوفكون اي فاين يصرفون فالى اين يذهبون عن الاخلاص له
مع اقرارهم بهذا كله ومن اين يجوز مع هذا ان يكون من عبدها لو هذه الاشيا يعاقبه الله بالتقتير عليه ومن
اشرك به غيره يسره الله تعالى بالتوسع عليه ● وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له اي ان الله
المستحق العبادة وحده وهو الموسع للرزق على من يشا وهو المضيق له والمعطي بقدر الكفاية ● وقوله تعالى
ان الله بكل شي عليم هو العليم بمصلحة كل عبد فيعطي كلا ما فيه صلاحه ● قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو
افقرته لافسده ذلك اني ادبر امور عبادي بعلمي بهم من الخير تمام معنى الاية ان الله يبسط الرزق فلا يمنعكم خوف
الفقر والضيق في الغربة على ترك الهجرة فان الله هو رازقكم اين كنتم ● وقوله تعالى ولين سالتهم من نزل من السما
ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ● وقوله تعالى قل الحمد لله اي فاذا كانوا معترفين بان فاعل ذلك
هو الله وهو القادر عليه وعلى كل شي فلا يقدر على اغنا المومنين قل الحمد لله على ما اوضح لنا من الحجة ونصرنا
بالحماية وانقذنا من الجهالة ● وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما يتم من الايات
ونقيم من الدلالات فصاروا بذلك كمن لا يعقل ما يقال له ولا ما يقول ● وقيل لا يعقلون ما يلزمهم بهذا الاقرار
وقوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اي ما يعطيه الله تعالى لهولاء الاغنيا من السعة في دنياهم
تلبيس هو في سرعة انقضايه الا كاللهو وهو الشي الذي يتلذذ به الانسان فيلهيه ويروحه ساعة ثم ينقضي وكاللعب
الذي لا حقيقة له ● وقوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي والدار الاخرة هي للثواب والعقاب لهي الحيوان
اي فيها الحياة الباقية اي هي حياة في الحقيقة لانها حياة لا تنتقض ولا ينقضها بالموت لو كانوا يعلمون اي
لو كان هولاء المشركون المغترون بالدنيا يعرفون حقايق الاشيا ● وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك اي للامر
من امور المعاش فاصابتهم شدة يخافون منها الغرق والهلاك ● وقوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين لا يدعون
في تلك الحالة احدا يفرج عنهم ذلك غير الله وحده ● وقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فاذا خلصهم من البحر الى البر واستووا
اذا هم يشركون اي عادوا الى الشرك بالله ● وقوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا ● قرا ابن كثير وحمزة
والكسائي بتسكين اللام وليتمتعوا على الامر وعلى هذا ليكفروا يكون على صيغة الامر وهو للتهديد كما قال
اعملوا ما شيتم ● وقال ومن شا فليكفر فدل على انه للتهديد ● وقوله تعالى فسوف يعلمون يعني في الاخرة اذا
عوقبوا على ذلك ● وقرا الباقون بكسر اللام وعلى هذه القراة يجوز ان يكون على صيغة الامر وتاويله ما مر ويجوز

اذ يكون بمعنى كي ويتصل بقوله اذا هم يشركون كي يكفروا بنعمتنا ويتمتعوا بالدنيا وسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تعذيبهم وندمهم ● وقوله تعالى اولم يروا استفهام بمعنى التقرير ● وقوله تعالى انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم اي وباتوا اهل بلاد العرب يستلبون بالاغارة والسبي انعاما مني على اهل الحرم وقد خلصتهم في البحر الى البر كما خلصتهم في البحر فكيف صاروا يشركون بي في البر ولا يشركون بي في البحر فيدعون لي مخلصين ● وقوله تعالى افبالباطل يؤمنون بما يعبدونه من دون الله وبنعمة الله يكفرون وهو الرسول والكتاب استفهام بمعنى التوبيخ ● وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم منه او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام بمعنى الاثبات ● وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا اي اعدائي ● وقيل الشيطان ● وقيل انفسهم لاجلنا وفي طلب رضانا ● وقوله تعالى لنهدينهم سبلنا اي لنثبتنهم على الحق ● وقيل لنوفقنهم سبلنا وسبيل الله واحد وجمع لذكر المجاهدين فصار السبيل جمعا لاجتماع السالكين ● وقال الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا ● وقال اسمعيل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ● وقال الواسطي والذين جاهدوا فينا لنهدينهم الينا ● وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين اي حافظهم وناصرهم والحمد لله رب العالمين ● اللهم يا مستعان اسالك الثبات على الايمان ● بحق كتابك الفرقان ● واياتك والتبيان ● واياديك والاحسان ● على انبيائك وعلى اهل التوحيد والايمان احفظنا يا رحيم يا رحمن ● من المعاصي والطغيان ● ومن شر الجن والانسان والشيطان ● وادخلنا بفضلك دار الجنان ● وامنا من دركات النيران ● مع الاباء والامهات ● والمؤمنين والمؤمنات ● من الاخوة والاخوات والابرار والاصحاب والاقارب من الطغيان والغفلات ● بحق نبيك وجبريل خير البرية والانسان ●

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي يفرح المؤمنين بنصره ● الرحمن الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بقدرته ● الرحيم الذي يحيي الارض بعد موتها باثار رحمته ● روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته وهذه السورة مكية وهي ستون اية ● وقيل تسع وخمسون الاختلاف في بضع سنين ● وكلماتها ثمانماية وتسع عشرة وحروفها ثلاثة الاف وثلاث ماية وتسع وتسعون ● وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه قال في ختم تلك السورة وان الله لمع المحسنين ● وقال في اول هذه السورة الم انا الله اعلم بالمحسنين وغير المحسنين ● وانتظام السورتين ان كل واحدة منهما مكية متضمنة ذكر التوحيد وعجز المشركين وبيان العاقبة للمؤمنين والكافرين ● وقوله تعالى الم حروف الالفاظ وقيل فيه في اول سورة البقرة غلبت الروم في ادنى الارض اي غلبت فارس الروم في اقرب ارض الشام الى حدود ارض فارس والروم قال مقاتل هو قول ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض الاردن وفلسطين ● وقال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس ● وقال عكرمة هي اذرعات وكسكر ● وقال مقاتل بن حيان هي ريف الشام ● وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم اي والروم بعد ان صاروا مغلوبين وهو اضافة المصدر الى المفعول سيغلبون اي سيصيرون غالبين لغالبيهم وهم فارس ● وقال الفراء يقال غلب عليه وسقطت الهاء ههنا للاضافة كما في قوله واقام الصلاة ● وقال الزجاج الغلب مصدر كالغلبة كالجلب والجلبة ● والبضع القطعة من العدد وتستعمل في الثلاث الى العشرة قاله الخليل والقتيبي ● وقال الحسن لما نزلت الم غلبت الروم فقال كفار قريش والله لا يكون ذلك ابدا ان تظهر الروم على اهل فارس اهل الباس والشدة والعدة فانزل الله تعالى في بضع سنين اي تظهر اهل الروم على اهل فارس فقال الكفار قريش ان كنتم صادقين فراهنوا قال فتراهنوا على خمس قلايص وجعلوا بينهم من الاجل خمس سنين فتولى قمار المسلمين ابا بكر الصديق رضي الله عنه وتولى قمار المشركين ابي بن خلف فمضت خمس سنين ولم تظهر اهل الروم على اهل فارس فقال المشركون اعطونا القمار فاشتد ذلك على المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ان الله عز وجل قال في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشر فزايدوهم في القلايص وزايدوهم في الاجل فزادوهم في الاجل خمس سنين وفي القلايص خمسا فلما كان في السنة السابعة ظهر اهل الروم على اهل فارس فانزل الله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ظهر اهل الروم على اهل فارس قال فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولم يقبض القمار فانزل الله تحريم الخمر والقمار في قوله انما الخمر والميسر الاية ● وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه التقينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركو العرب والتقت الروم وفارس في ذلك اليوم فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله اهل الكتاب على المجوس فذلك قوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون ● وقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي الامر في غلبة فارس وغلبة الروم لفارس لله تعالى لو شاء ان يهلك الفريقين معا لفعل وليست غلبة فارس للروم على ما توهم المشركون من ان من لا كتاب له ولا نبوة فدينه الحق ودين من له

بنو

بنصر من يشاء

نبوة وكتاب باطل وكما غلبت فارس الروم فكذلك يغلب مشركو قريش المسلمين بل كلا الفريقين مبطل ولو شاء الله لمنع احدهما عن الاخر فله الامر من غلبة فارس للروم ومن بعد ذلك ● وقيل اي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء ● وقوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اي يوم غلبت الروم فارسا يفرح المؤمنون لا بالنصرة للنصارى ولكن بتحقيق الله وعده اذ لا نبي صدق نبيه فيما اخبرهم ● وقيل بنصرة الله المسلمين على المشركين على ما روينا انه كان ذلك في ذلك اليوم ● وقيل كان ذلك عام الحديبية ● وقوله تعالى وهو العزيز المنيع بسلطانه لا يغلب على امره ولا يعجزه في خلقه الاماني يريد الرحيم لا يعاجل العصاة بالعقوبة ● وقوله وعد الله لا يخلف الله وعده نصب على المصدر كانه قال وعد الله ذلك وعدا وهو لا يخلف وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي المشركون جهال لا يعلمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء لم يؤيدها بالمعجزات الا ليدل على صدقهم فلا يكذبون فيما يخبرون فاذا اكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن غلبة الروم فارسا فجهلهم كذبوه ● وقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا اي همتهم دنياهم فيعرفون تدبيرهم وتفكرهم وتعلمهم الى امور الدنيا فيعلمونها وهم عن الاخرة غافلون لا يتفكرون فيها وما يكون لهم فيها من الحساب والعقاب ● وقيل يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا اي انما يعلمون ما يشاهدونه ولا يعرفون ما يدل عليه من الامور الاخروية في الايتين نفي العلم عنهم بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون واثبات العلم لهم بقوله يعلمون ظاهرا ولا تناقض فيه فان الاول نفي العلم بامور الدين والثاني ثبوت العلم بامور الدنيا وان الاول نفي الانتفاع بالعلم بما ينبغي والثاني صرف العلم الى ما لا ينبغي من العلم القاصر على منافع الدنيا يعني ان الانسان شابه في تعلم امور الدنيا وهو لا يشفق بوصوله الى ذلك الوقت ويقصر في امور دينه واستعداد معاده الذي لا بد له منه ● وقوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم هي كلمة استبطاء ومعناها هلا تفكروا اذا اخروا التفكر وتركوه ● وقوله في انفسهم قيل اي في خلق انفسهم كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون ● وقال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اي لو تفكروا في خلق انفسهم افادهم ذلك علما في الاخرة وزوال الغفلة عنهم وقد تم الكلام ثم قوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق كلام مبتدا ● وقيل هو متصل بالاول والتفكر واقع عليها ومعنى الكل على هذا القول اولم يخلوا بانفسهم فيتفكروا في الحياة الدنيا التي يتمكن معها الانسان من عقل ان ما خلق الله السموات والارض الا بالحق باضمار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا على هذا واضمار ان للوصل جائز كما في قوله في هذه السورة ومن اياته يريكم البرق خوفا اي ان يريكم البرق وقد صرح بان في هذه الاية في قوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا فيكون معنى هذه الاية على هذا الوجه اولم يتفكروا في خلق السموات والارض ان الله تعالى لم يخلقهما عبثا ولا جزافا ولكن ليعتبر بهما عباده ويستدلوا بهما على وحدانيته وكمال قدرته فانه انما خلقهما لمنافع عباده بل ادعاهم في دار التكليف ليحاسبهم في دار الجزاء وهو معنى قوله بالحق اي للحق وهو هذا واجل مسمى وهو يوم القيامة الذي يحاسبهم فيه ويجازيهم على اعمالهم فيه وقد جعل الله اجلا لذلك فيخرجهم هذا التفكر عن الغفلة ● وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اي تركوا هذا التفكر فلم يعلموا البعث والجزاء ● وقيل في قوله واجل مسمى اي خلقهما في الوقت الذي كان سبق خلقهما فيه على علم وارادة اي لم يخلقهما على شهوة وغفلة ومجازفة بل على مقدار معلوم ● وقيل واجل مسمى اي وقت معلوم موقت اذا بلغت ذلك الوقت افناهما وبدل الارض غير الارض وغير السموات ● وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض وهذا تنبيه اخر عن الغفلة اولم يسيروا في الارض في اسفارهم للتجارات وغيرها فينظروا الى اثار القوم الذين كانوا قبلهم فعصوا الله وكذبوا انبياءهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وهم هؤلاء كانوا اشد منهم قوة اي مشركو قريش واثاروا الارض للزراعة وعمروها بانواع الابنية اكثر مما عمروها اي مشركو قريش فلم يعصمهم شيء من اموالهم وحصونهم مما نزل بهم فكيف يمتنع هؤلاء من مثل ذلك ● وقوله تعالى وجاءتهم رسلهم بالبينات نزل بهم هذا بعد ان جاءتهم رسل الله اليهم بالحجج الواضحة ● وقوله تعالى فما كان الله ليظلمهم اي ليعذبهم من غير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون بمعاصيهم فعوقبوا كذلك ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى اي كذبوا انبياء الله وردوا البينات السوءى اي العقوبة الغليظة التي تسوء صاحبها ويحتمل ان يكون ذلك في الدنيا والاخرة في الدنيا الدمار وفي الاخرة عذاب النار ● وقيل السوءى تانيث الاسوء اي العقوبات ● وقيل السوءى اسم لجهنم كالحسنى اسم للجنة ● قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ● وقوله تعالى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون اي بل كذبوا بها واستهزءوا منها ● ووجه اخر ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى فعلوا الفعلة السوءى وهي بمعنى السيئة ويكون مفعولا اساءوا وان كذبوا ويكون هنا اسم كان مع الفعل مصدر وهو بمعنى التكذيب اي كان عاقبة اساءتهم التكذيب بايات الله اي القاهم شؤم معصيتهم في الكفر وهو كقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية ● وقوله تعالى الله يبدا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ● قرا ابو عمرو في رواية بياء المغايبة ● والباقون بتاء المخاطبة ● قيل يبدا الخلق اي المخلوق من الماء ثم يعيدهم من التراب ● وقيل اي التراب وكان خلقه من التراب ● وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون

وما بينهما

اي تقنط المشركون من رحمة الله ومن شفاعة الشفعاء • وقال سعيد بن جبير يبلس ييئس • وقال الاخفش يندم • وقيل
يدهش • وقوله تعالى ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين اي فيكونون عن اصنامهم متبرين حين راوها
لا تشفع • وقيل اي الملائكة والجن والشياطين يتبرون عن المشركين وهو كقوله يكفر بعضكم ببعض اي يتبرا بعضهم
من بعض ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون • قيل فريق في الجنة وفريق في السعير • وقيل يتفرقون في المنازل ذكرهم ويجتمعون
فيتناصرون وهو تاكيد للاية التي قبلها • وقيل يتفرقون في الاحوال والمحال على ما فسر بعدها • وقوله فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي يصار بهم الى الجنة فيكونون فيها في رياض يحبرون اي
يسرون والحبرة السرور • وقيل اي ينعمون • وقال وكيع هو بالسماع والحبار والحبر الاثر والحبور سرور
يظهر اثره في الوجه • وقال ابو بكر بن العباس اي يتوجون على رؤسهم من فوقهم ذهب حبير ونظره اي بهاؤه
وجماله • وقال ابن كيسان يزينون والحبر الزينة • وقوله تعالى واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
فاولئك في العذاب محضرون اي احضروا جهنم ليعذبوا فيها • وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون اي صلوا لله مصدر بمعنى الامر كقوله تعالى فضرب الرقاب والتسبيح الصلاة قال الله تعالى فلولا
انه كان من المسبحين وهي راس الاعمال الصالحة التي ذكرت في الاية المتقدمة اي مساء وهي صلاة المغرب • وقيل
صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون اي صلاة الفجر وعشيا هي صلاة العصر وحين تظهرون هي صلاة الظهر
وقيل اظهر اي دخل في وقت الظهيرة • قال امرء القيس يقطع غيطانا كان متونها • تحكي ملاء منشرا • وقوله
تعالى وله الحمد في السموات والارض اي وهو المحمود عند جميع خلقه من سكان سمواته وارضه يحمدونه على نعمه
ويثنون عليه بصفاته • وقيل تحمده الملائكة في السموات والمؤمنون في الارض • وقوله تعالى يخرج الحي من الميت
اي البشر من النطفة والطير من البيضة والشجرة من الحبة والمؤمن من الكافر والعالم من الجاهل • وقوله تعالى
ويخرج الميت من الحي النطفة من البشر والبيضة من الطير والحبة من الشجرة والكافر من المؤمن والجاهل من العالم
ويحيي الارض بعد موتها بالنبات في الربيع • وقوله وكذلك تخرجون اي يخرجكم الله من قبوركم دل بها
على البعث بعد الموت • وقوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب عدد في هذه الايات بعض الايات المنبهة على
كمال قدرته الدالة على وحدانيته المبطلة قول من اشرك بالله شيئا من خليقته • فقال ومن اياته اي ومن علامات
ربوبيته ووحدانيته ان خلقكم من تراب اي خلق اباكم كما قال واذ قتلتم نفسا اي قتل اباؤكم ولان الولد فرع
الوالد فكان مخلوقا مما خلق اصله • وقوله تعالى ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ادميون عقلاء ناطقون
تتصرفون فيما فيه قوام معاشكم فلم يكن الله ليخلقكم هكذا عبثا بل ليتعبدكم بشكره ثم يجزي المحسن باحسانه والمسيء
على اساءته فاذا تفرد بخلقكم فهو المتفرد باستحقاق العبادة له • وقوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا اي نساء تزدوجون معها لتسكنوا اليها اي لتكون نساء لكم سكنا لكم تطمئنون الى معاشرتهن وتقضا
اللذات منهن • وقوله تعالى وجعل بينكم مودة اي في النساء وحال قيام الشهوة ورحمة اي في حال الكبر وقدم
الصحبة يود كل احد من الزوجين صاحبه حال الشباب ويرحمه ويعطف عليه حال الكبر • وقوله تعالى من
انفسكم اي من نطفة الرجال • وقيل اي حوا خلقت من نفس ادم والاولاد راجعون الى الاصل • وقوله تعالى
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لانه اذا تفكروا بالعقل السليم تبين له بذلك انه لم يكن كذلك الا لقوام الدنيا
بوقوع التناسل فيها الى الاجل المعلوم وذلك انما هو لان الدنيا دار عمل وامتحان ولابد بعدها من دار حساب
وجزاء ومن ذلك اثبات البعث ويندرج بذلك الى اثبات الانبيا والشرايع • وقوله تعالى ومن اياته خلق
السموات والارض وكانت العرب معترفين بان الله تعالى هو المنفرد بخلقهما ومن قدر على خلقهما على ما فيهما من
عجايب الصنعة وبدايع الخلقة لم يعجزه البعث بعد الموت ولم يجز ان يشرك به من لا يمكنه خلق مثلهما ثم في
ذلك دلالة ان لهما صانعا مدبرا لما فيهما من اثار الصنعة وعلامات الحدوث واذا استحال ان يكون خلقهما
احد من البشر واستحال ان يكونا بانفسهما من غيرهما ثم دل على ان لهما خالقا وهو حجة على كل ملحد ومشرك • وقوله
تعالى واختلاف السنتكم والوانكم اي الالسنة اللغات والاصوات والالوان الصور والهيئات وذلك ايات
الدلالات فان الاصل واحد وهو التراب والما وفي الحال لحم ودم وعظم وعصب وعرق وجلد وتختلف النغمات
واللغات وتتفاوت الالوان والكيفيات بحيث لا يشبه وجه وجها على اتحاد الصورة ولا يشبه نغمة نغمة على
اتحاد الالة فدل ذلك على كمال قدرته ونفاذ مشيته وفيه اثبات خلق الافعال والاقوال والحكمة في اثبات
هذا الاختلاف وقوع التعارف وتميز الاشخاص ليتم اسباب التعامل في الدنيا • وقوله تعالى ان في ذلك
لايات للعالمين • قرا عاصم في رواية حفص بكسر اللام اي فيه حجج لقوم يعلمون اي يرجعون الى علم في دلائل
الامور ولا يقصرون همهم على علم الظاهر من الحياة الدنيا • وقرا الباقون بفتح اللام فيه حجج واعلام على الخلق
للخلق كلهم جنهم وانسهم وملائكتهم وشياطينهم لان كلا منهم متعبد • وقوله تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله اي ومن علامات وحدانيته وكمال قدرته ومجازاته العباد في الاخرة نومكم الذي هو راحة

ابدانكم وتمام معاشكم ليدوم لكم البقا في الدنيا الى اجالكم بالليل والنهار ايضا على حسب الحاجة فاذا انتبهتم من منامكم
انتشرتم لمعاشكم تطلبون من فضل الله وهو القوة وعزه الذي به قيام الحياة • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
اي يصغون الى هذا التذكير ويتدبرون فيه • وقوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ما فيحيي
به الارض بعد موتها يعني اذ يريكم يقول ومن اعلامه ما يتراى من المطر من السحاب ليخرج به النبات من الارض متاعا لكم
ولانعامكم لحاجتكم الى ذلك في تعيشكم ومعاشكم وتقدم قبل المطر بشارة به وفيه طمع من الغيث وخوف من الصواعق
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يتفكرون بعقولهم في جميع ما ذكرنا من وجوه الدلالة بهذه الايات • وقوله تعالى ومن
اياته ان تقوم السما والارض بامره • قال الفرا اي يدومان قايمتين بامره بلا عمد ثابتين تماما لمنافع الخلق وقيل
اي بامره بالعدل • وقيل اي بنعت ويشكيا قامتنه • وقيل بامره اي امرهما الله بذلك • وفي الخبر بالعدل قامت السموات
والارض • وقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي وهو القادر على ان يخرجكم من الارض احيا
للحساب بعد الموت لا تمتنعون عليه كما لا تمتنع السموات والارض عن القيام بامره • وقيل معناه اذا دعاكم دعوة
وانتم في الارض اموات اذا انتم تخرجون احياء كما يقول الرجل لاخر دعوتك من البستان فلم تخرج اي وانت في البستان
وقيل هو موضوع • وقيل تقديره اذا انتم تخرجون من الارض اذا دعاكم بوسع ومعناه اذا اخرجكم لانهم ليسوا هنالك
لحل وتومرون وتنهون • وقيل هي النفخة الاخرى • قال تعالى واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم
يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج • وقوله تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون اي مطيعون
قال ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون في الحياة والنشور والموت عاصون في العبادة • ويتصل بقوله اذا دعاكم
دعوة من الارض • وقيل كل له قانتون اي مطيعون باقرارهم بانه ربهم وخالقهم • قال قتادة وهذا في مشركي العرب
فاما من انكر فعنوته لله شهادة خلقته على انه الله خلقه • وقيل هو في حق اهل السما على العموم وفي حق اهل الارض
على الخصوص • وقيل كل له قانتون يوم القيامة فتقدم ذكره بعد قوله اذا انتم تخرجون • وقال مقاتل بن حيان اذا
دعاكم دعوة يعني نفخة اسرافيل بالبعث يقول في الصور ايتها الاجساد البالية والعظام النخرة والعروق المتمزقة
واللحوم المتلاشية قوموا الى محاسبة رب العزة • وقوله تعالى وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
اي يسير • قال الشاعر تمنى رجال ان اموت وان امت • فتلك سبيل لست فيها باوحد • اي بواحد • وقال الفرزدق
ان الذي سمك السما بنا لنا • بيتا دعائمه اعز واطول • اي عزيزة طويلة • وقيل الاعادة ايسر من البداية في
تقاريركم فيما تتعدبون فعله وتعيدونه • وقيل اي فيما تتصورون في انفسكم من ابتداء الشي من غير شيء ثم اعادته
بعد ان بلى وتفرقت اجزاؤه وهو اهون عليه بما تنصرون كقولك للرجل تريد ان تصف له سهولة الامر وخفته
هو اهون علي من ذلك ثم يحذف من ذلك • وقيل وهو اهون عليه اي على المخلوق من الابتداء خلق نطفة ثم علقة على
[illegible] ثم مضغة ثم عظاما [illegible] ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا فاما الاعادة فانه يبعث بشرا
قائما فهذا اهون عليه في المتعارف • وقوله تعالى وله المثل الاعلى اي الوصف الارفع • [illegible]
[illegible] • قال قتادة وله المثل الاعلى في السموات والارض قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له وهو العزيز
في انتقامه من اعدائه الحكيم في تدبير خلقه • وقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم [illegible]
المشركون [illegible] • وقوله تعالى هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركا في ما رزقناكم
[illegible] فانتم فيه سوا [illegible]
[illegible] تخافونهم كخيفتكم انفسكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • وقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا [illegible]
كلا [illegible] الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

اي قد بان لكم بطلان الشرك بما اوضحنا لكم من الآيات فلا تلتفتوا الى اهله واقيموا وجوهكم للدين الحق مستقيمين عليه
اي اقبلوا بقلوبكم على ذلك واعرضوا عن غيره من الاديان كمن قصد موضعا بعينه وجهه الى سمته عالما انه لو اعرض عنه
ضل عن مقصده • وقوله تعالى فطرت الله التي فطر الناس عليها اي خلقة الله نصب على الاغراء اي الزموا هذا الدين
الحق فانه فطرة الله التي فطر الناس عليها اي خلقهم عليها اي على خلقة تشهد ان لها صانعا وتدل على التوحيد • وقيل
اي فطر الناس لها وهو قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واللام وعلى متعاقبان تقول ما على هذا بعثتك
وما لهذا بعثتك • وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي لا ينبغي لاحد تبديل هذه الخلقة وتغييرها عن هذه الدلالة
بالقاء الشبه على ضدها انما تورد الناس الشبه على الحجج ليستدلوا بها الناس فمن تاملها بان له بطلانها • وقيل
معناه خلق الله العباد ليامرهم بالاسلام فلا يمكن تبديله ذلك وجعلهم بعيدة لك الدين القيم المستقيم وهو
ما ذكر • وقوله تعالى ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ولكن الجهل غالب على كثير من الناس
لتقليدهم الاسلاف وتركهم التامل • وقيل اي ذلك تبيانا لا علم لهم فلذلك ضلوا عن هذا الدين ولو كانوا علما
لم يدينوا بغيره • وقوله تعالى منيبين اليه اي اقم وجهك للدين انت وامتك راجعين الى الله بما لكم مقبلين
عليه بقلوبكم وانما الكم وهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن لان امر النبي عليه السلام
امر لامته • وقوله تعالى واتقوه اي اتقوا الله واحذروه يعني مخالفته في الامر والنهي واقيموا الصلاة اي
ادموها لاوقاتها ولا تكونوا من المشركين اي ممن يشرك به اي اتقوه واحذروه وانيبوا اليه وحده ولا تكونوا ممن
يشرك به غيره في العبادة • وقيل هذا يتصل بما قبله واقيموا الصلاة ولا تتركوها فتكونوا ممن تركها قد تفضي الى الكفر
قال محمد بن اسلم الطوسي بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب
الله تعالى فان وافق كتاب الله فاقبلوه وان خالفه فردوه فطلبت هذا الحديث في القرآن ثلاثين سنة حتى
وجدته في هذه الآية ثم وصف هؤلاء المشركين فقال من الذين فرقوا دينهم اي عبدوا اصناما متفرقة كل قوم
يعبدون صنما غير صنم الآخرين واختار قوم اليهودية وقوم النصرانية وقوم المجوسية وكذا فرقهم فارقوا
دينهم اي جانبوا الدين الذي فطرهم الله تعالى عليه وشهد خلقهم له فلما فارقوا دينهم اتبعوا الاهواء على
غير علم فاختلفوا وكانوا شيعا اي صاروا فرقا كل فرقة تتابع من وافقها على هواها • وقوله تعالى كل حزب
بما لديهم فرحون مسرورون لتوهمهم انهم على حق وان من خالفه باطل وليس كذلك بل كلهم على باطل • وقال
ابو العالية فطرت الله التي فطر الناس عليها يعني اخذ الميثاق عليهم حين اخرجهم من صلب ابيهم آدم عليه السلام
وقال لهم الست بربكم قالوا بلى • وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة هل تحسون فيها من جدعاء ثم قال ابو هريرة
رضي الله عنه اقرؤوا ان شئتم فطرت الله التي فطر الناس عليها • وقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم
منيبين اليه اي واذا اصاب هؤلاء المشركين بلاء من مرض ونحوه استغاثوا بالله في كشف ما نزل بهم مقبلين
بالدعاء اليه وحده دون الاصنام لعلمهم انه لا فرج عندها • وقوله تعالى ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي ثم اذا اعطاهم
من ذلك الضر عافية اذا فريق منهم بربهم يشركون به في العبادة • وقوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم
اي يفعلون ذلك لا لشيء ليكونوا كفارا بما انعم عليهم من كشف الضر وابدالهم العافية فيجحدون ذلك فتمتعوا
يا معاشر المشركين فسوف تعلمون عاقبة امركم من عقوبة الله • وقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا اي ما انزلنا
استفهام بمعنى النفي وقد نابها هنا الف الاستفهام ثم عطف عليه بام يقولون ايتقولون هذا بحجة جاءتهم من
السماء انزلناها عليهم فهم لذلك معتذرون في الشرك في الرخاء مع اخلاصهم في الشدة اي فليس كذلك
انما الشرك هوى لا حجة عليه والسلطان الحجة وذلك فيكون الكتاب من السماء • وقوله تعالى فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون اي فهذا السلطان يوضح عذرهم في الاشراك بالله ويامرهم بذلك فان كان السلطان رسولا
فكلامه حقيقة وان كان كتابا فكلامه على وجه التوسع والمجاز لانه للابانة كالكلام • قال ابو العتاهية
وعظتك احداث صمت • ونعتك ازمنة خفت • وتكلمت على اوجه تبلى • وعن صور سبت • وارتك
قبرك في القبور • وانت حي لم تمت • وقوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة خصبا وسعة برحمة منا فرحوا
بها اي اظهروا الفرح واشروا وان تصبهم سيئة اي تسوءهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم اي بسبب معاصيهم
وقيل باليد لان اكثر العمل واظهره باليدين • وقوله تعالى اذا هم يقنطون اي وجدتهم يجزعون عن رحمة الله
ييأسون ولم تدخل الفاء في قوله اذا هم لما قلنا ان تقديره وجدتهم واذا كان الجواب بالفعل لم يحتج الى
الفاء • وقوله او لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق فليس يجب ان يدعوهم التضييق
في الرزق الى القنوط من رحمة الله • وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يعلمون اي العلامات يؤمنون م
لاهل الايمان على ان التضييق في الرزق والتوسعة عنه على ما سبق من علمه وارادته • وقوله تعالى فآت
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل اي فاعط قريبك حقه من البر والصلة والمواساة واعط الفقير

والقريب

والقريب حقوقهم فليس فقرهم وغناك الا لان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي وليس فقر الفقير لهوانه على الله ولا
غنى الغني لكرامته على الله لكن امتحن عباده بالفقر والغنى وانهم حقوقهم من مال الله قبلك فانه وان كان فقيرا عليهم نقد
اوجب مقدار كفايتهم عليك ذلك خير وهو اينا اهو الذين حقوقهم خير لك من بخلك بما لك • وقوله تعالى يريدون وجه
الله اي يطلبون به التقرب الى الله وقيل ثوابه واولئك هم المفلحون اي الفائزون ببقاء الابد ودرك الطلب • وقوله
تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله اي وما اعطيتم احدا من شيء طلب للازدياد به لتزيدوا
من اموالهم في اموالكم وهو ان يكون العطاء طلبا للمكافاة في الدنيا فلا مكافاة لكم عند الله • وقوله تعالى وما آتيتم
من زكاة اي وما اعطيتم من شيء تلتمسون به الطهرة من الذنوب والجزاء في الآخرة لا في الدنيا وهو قوله تريدون
وجه الله اي التقرب الى الله فاولئك هم المضعفون اي الواجدون الضعف او الاضعاف بالواحدة العشرة الى سبع
مائة ضعف • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي هبة الرجل يهب الشيء يريد ان يثاب افضل منه فذلك الذي
لا يربو عند الله اي لا يوجر فيه صاحبه ولا اثم عليه وما آتيتم من زكاة قال هي مال الصدقة تريدون وجه الله
فاولئك هم المضعفون • وقوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم رجع الكلام الى محاجة
المشركين تقول هذه قدرة الله لا يعجزه شيء فهو الخالق وحده والرازق وحده والمميت وحده والمحيي وحده
وقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اي هل ممن جعلتموهم شركاء اشركتموهم بي • وقوله تعالى
سبحانه وتعالى عما يشركون لله من يفعل شيئا من ذلك اي فاذا كانوا لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف اشركتموهم بي
وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون اي تقدس الله وتنزه عن ان يكون له شريك وهو امر بتنزيهه سبحانه
وقوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
اي اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم كل ذلك ليذوقوا الشدة بذنوبهم في العاجل ويتصل هذا
بقوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وبقوله ثم رزقكم وضيق الرزق بشوم المعصية • قال تعالى
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآية وسعة الرزق بالايمان والطاعة • قال تعالى ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وعلى هذا الفساد بمعنى عقوبة الفساد كجزاء السيئة
تسمى سيئة • وقيل ظهر الفساد اي ظهر اهل الفساد كما قال تعالى واسأل القرية اي اهل القرية وكم من قرية
اي اهل قرية بما كسبت ايدي الناس اي بسبب معاصي الناس وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اغضب
الله على قوم سلط الله عليهم شرارهم في البر والبحر • قيل هما البر والفيافي والبحر مواضع الماء الكثير •
وقال مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر ما في البر فهو قتل ابن آدم اخاه وما في البحر فهو حملة الملك الذي
كان ياخذ كل سفينة غصبا • وقيل البر بلاد ليس فيها انهار والبحر بلاد فيها انهار • وقوله تعالى
ليذيقهم بعض الذي عملوا اي يعاقبهم في الدنيا على بعض ما عملوا فيها من انتهاك المحارم وكمال الجزاء يكون
في الدار الآخرة • وقوله تعالى لعلهم يرجعون اي ليرجع من سوى هؤلاء المعذبين اتعاظا بمن عذب
من جنسهم • وقيل اي ظهر اثر الفساد وهو عقوبة اهل الفساد في البر كهلاك القرى وفي البحر بغرق فرعون
وقومه ولذلك قال بعضهم قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين
اي قل لاهل مكة سافروا فانظروا في بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها كيف اهلكناهم وخربنا ديارهم • وقوله
تعالى فاقم وجهك للدين القيم يقول قد بلغ الاعذار مبلغه فلا تهتمن باعراض هؤلاء واقصد الطريق
الذي يسلك بك الى الدين المستقيم وهو ما تقدم ذكره فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين
القيم • من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله واذا لم يرده هو لم يستطع احد رده وهو آت
لا محالة وهو يوم القيامة فاستعدوا له يومئذ يصدعون اي يتفرقون واصله يتصدعون وهو كقوله
يومئذ يصدر الناس اشتاتا الآية ومنه ما هنا ايضا • فقال من كفر فعليه كفره اي جزاء كفره وعقوبة كفره
في دار الجزاء • وقوله تعالى ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون مهاد انفسهم في القبور وفي الجنة
وقوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتصل بقوله يومئذ يصدعون ليجزي كما قال يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم تقول انهم يتفرقون في المنازل ليتميز الكافر من المؤمن ليجزي الذين آمنوا بالله وحده
وعملوا الصالحات له وحده من فضله اي بفضله انه لا يحب الكافرين فيلحقهم بالمؤمنين بل يبغضهم فيميز
بينهم وبينهم فيعاقب الكافرين عذابا غير منقطع وذلك عدل منه ويثيب المؤمنين ثوابا غير منقطع وذلك
فضل منه • وقوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ثم عاد الكلام الى ذكر الآيات فقال ومن الاعلام الدالة على قدرته
ارسال الرياح مبشرات اي بالمطر لانها تتقدمه ويطمع فيه على العادة نرسلها ليبشركم بها وليذيقكم من رحمته
اي يرزقكم من نعمته التي يرحمكم بها ولتجري الفلك في البحار بامره بهذه الرياح ولتطلبوا من فضله بالتجارة
في البحار والجهاد فيها واصل لكم هذه النعم لتشكروا الله عليها فتستحقوا نعم الآخرة بشكركم على نعم الدنيا اذا كان

فعل ذلك ليستاديهم شكره فلابد من التمييز بين من اطاعه بذلك وبين من عصاه واذا لم يميز في الدنيا وقع ذلك في دار
الاخرة وفي ذلك اثبات البعث • وقوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم للدعا الى الايمان وشكر النعم
فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات فامن بهم البعض وكفر بهم البعض • وقوله تعالى فانتقمنا منهم اي من الذين اجرموا اي
كفروا بالاهلاك في الدنيا وكان حقا علينا نصر المومنين اي ونصرنا المومنين بهم فانجيناهم من العذاب ومنعناهم
من الكفار اذ كنا وعدناهم ذلك وكان حقا علينا بوعدنا الذي لا خلف فيه ان ننصر المومنين فعلنا ذلك بالاولين
وكذلك نفعل بالاخرين وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين • وقوله تعالى الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا اي فتنشا هذه الريح السحاب اضاف الفعل اليها بطريق التسبب • وقوله تعالى فيبسطه في السما
كيف يشا اي يبسطه الله في السما في اي موضع شا وعلى اي قدر يشا فيكون المطر في ذلك الموضع على ذلك
القدر • وقوله تعالى ويجعله كسفا اي ويجعل الله السحاب قطعا ويركب بعضه على بعض حتى يكثف • قرا ابن عامر
كسفا ساكن السين • وقرا الباقون بفتحها والواحدة كسفة والجمع كسف بفتح السين وتسكينها • وقوله تعالى
فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي وسط السحاب مع كثافته وغلظته وقيل فيبسطه في السما مرة
ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة • وقيل فيه تقديم وتاخير يجعله كسفا اي قطعا متراكمة ثم يبسطه
في السما كيف يشا • وقوله تعالى فاذا اصاب به من يشا من عباده اي يصيبه به اذا هم يستبشرون به اي فرحوا
وحالهم يظهر ذلك في بشرات وجوههم طمعا في الخصب ثم من هذا الموضع ام يشركون به غيره ممن لا يقدر على ذلك
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم الودق من قبله لمبلسين اي وما كانوا من قبل ان ينزل عليهم الودق من ظهور
السحاب الا مبلسين باحتباسه عنهم اكتياب الايس من الشي حتى يظهر ذلك في وجوههم • وقوله تعالى فانظر
الى اثر رحمة الله • قرا حمزة والكسائي في رواية حفص الى اثار رحمة الله على الجمع • وقرا الباقون الى اثر على التوحيد
والمعنى واحد لان المراد اثر المطر وهو يودي معنى الجمع فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد
موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير اي فانظروا بعقولكم الى ما اثر المطر من انبات العشب
واصناف النبات كيف حييت الارض بذلك بعد ان كانت ميتة اي كيف اهتزت بعد ان كانت هامدة
فاستدلوا بذلك على ان الذي قدر على احيائها يقدر على احيا الموتى ايضا لانه قادر على كل شي • وقوله
تعالى ولين ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون اي ولين ارسلنا ريحا فراوه مصفرا على ذلك
مفسدة فراوا اثر المطر مصفرا لزرع قد اصفر بتلك الريح المفسدة لظلوا من بعد استبشارهم يكفرون بربهم
وهو تعجيب من جهلهم وخفة عقولهم في عبادتهم لله تعالى كما قال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير
اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه • وقيل كانوا اذا استبطاوا المطر سالوا الله فاذا احتبس عنهم كفروا
بالله تعالى • وقوله تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين يقول بعدما اقام
الحجج وامتنع المشركون عن الايمان فانك يا محمد لا يمكنك ان تسمع من لا روح فيه من الاموات وهولا الكفار بمنزلة
الاموات كما قال تعالى اموات غير احيا ولا يسمع الصم الدعا اي ولا يتهيا لك اسماع الصم ما تدعوهم اليه
اذا اعرضوا عنك وتباعدوا عن السمع منك وهولا الكفار كذلك • وقوله تعالى وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم اي ولا يتهيا لك يا محمد ان تهدي الاعمى الى الطريق قد ضل عنه باشارة منه له اليه مع ذهاب
بصره ان تسمع الا من يومن باياتنا اي ما تسمع سماعا الا المومنين الذين ينفع الله تعالى اسماعهم المصدقين
بايات الله فهم مسلمون اي خاضعون منقادون لاحكام الله • وقوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة • قرا عاصم وحمزة بفتح الضاد في جميعهن والباقون
بالضم • وعن عاصم بالضم في رواية • وعنه في رواية ضم الاولين وفتح الثالثة • وقيل الضعف بالضم
ما كان اصليا وبالفتح ما كان عارضيا فقوله الله الذي خلقكم من نطفة ضعيفة كما قال تعالى من ماء مهين
وقيل اي خلقكم على ضعف في الاول وهي حالة الصغر والطفولية ثم جعل من بعد ضعف قوة اي حالة الشباب
وبلوغ الاشد ثم جعل من بعد قوة ضعفا وهي حالة الهرم • وقوله تعالى وشيبة اي بياض شعره • وقال
تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق فيعود في ضعفه وانقطاعه عن المعرفة الى ما كان عليه في حال الطفولية
فمن قدر على ذلك قدر على احيا الموتى وكما يرد الحي في حال حياته الى اول خلقه فغير بعيد ان يرده بعد
موته الى ما كان عليه في اول امره • وقوله تعالى يخلق ما يشا من صغر وكبر وضعف وقوة وشباب
وشيبة وهو العليم بمصالح خلقه وبلوغ من بلغ منهم الشباب والكهولة والهرم ومن انقطع منهم قبل
ذلك والعليم بوقت البعث القدير على كل شي • وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة من نهار • وقيل ما لبثوا في قبورهم الا ساعة اي يستقلون مدة كونهم في القبور وكونهم في الدنيا
لطول القيامة وطول مقامهم في الاخرة وشدة العذاب فيها • قال الامام ابو منصور رحمه الله يقولون
لم نلبث في الدنيا الا ساعة كيف عملنا فيها المعاصي وهذا انكار منهم للذنوب كذلك كانوا يوفكون اي يصرفون

عن الصواب يوم القيامة ما لا يعلمون كما كانوا يقولون في الدنيا ما لا يعلمون والتشبيه من هذا الوجه لا في تعمد الكذب
وقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي قال المومنون بالبعث
العالمون للكفار لقد لبثتم الى يوم البعث كما اخبر الله تعالى في كتابه ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فقد
لبثتم مدة طويلة الى ان حضر يوم البعث فهذا يوم البعث كما اخبر الله تعالى ولكنكم كنتم لا تعلمون اي لا ترجعون
الى العلم ولا انتم تدبرون فكنتم تكذبون بالبعث كذلك • وقيل في كتاب اي في حكم الله • وقوله تعالى فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم اي كفرهم وعذرهم ولا هم يستعتبون اي لا تطلب منهم الاعتاب وهو الارضا لانه لا يتقبل
بل تطلب • وقوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل اي على التوحيد وعلى البعث وغير ذلك
ولين جيتهم باية اي معجزة او اية من القران ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اتون بالباطل لا يويدون
عن الدعوى بعدما قامت البرهان منكم كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فسر الطبع والختم في اول
سورة البقرة ومعناه هاهنا كذلك يخذل الله الذين لم ينظروا في اسباب العلم فلم يعلموا وهذا في حق من علم
الله منهم اختيار الضلالة ودل ذلك على خلق الافعال • وقوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر على اذاهم
ان وعد الله بنصرك حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون بالاخرة على الخفة والعجلة في الدعا عليهم بالعذاب
وقيل اي ولا يستفزنك هولا ولا يغضبنك فتمتنع عن تبليغ الرسالة لذلك والحمد لله علام الغيوب • الذي
ستر علينا قبايح الذنوب • واسبل علينا ذيل فضله • ولم يفضحنا بين خلقه • بسبب المعاصي والعيوب

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الذي اتى لقمان الحكمة • الرحمن الذي اسبغ علينا النعمة • الرحيم الذي ينزل الغيث ويكشف
الغمة • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة لقمان كان
لقمان له يوم القيامة رفيقا واعطي عشر حسنات بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر • وهذه السورة
مكية الا ايتان نزلتا بالمدينة ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى قوله سميع بصير • وهي ثلاث وثلاثون
اية • وكلماتها خمسمائة وثمان واربعون • وحروفها الفان ومائة واربعة عشر حرفا • وانتظام اول هذه
السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك بذم الكفار بانهم لا يوقنون • وافتتح هذه السورة بمدح المومنين
بانهم يوقنون • وانتظام السورتين بانهما مكيتان وكل واحدة منهما في بيان وحدانية الله وبيان حقية الكتاب
والرسول ومدح المومنين وبيان حسن عاقبتهم وذم الكافرين وبيان سوء خاتمتهم • وقوله تعالى الم
[illegible] • وقيل فيه تلك ايات الكتاب الحكيم اي هذه ايات القران الحكيم من قوله احكمت • وقيل ذي
الحكمة • وقيل اي الحاكم [illegible] اذ فيه بيان الاحكام • وقوله تعالى هدى ورحمة للمحسنين • قرا حمزة
بالرفع على الاستيناف اي هو هدى ورحمة • وقرا الباقون بالنصب على القطع لانه نكرة جعل نعتا للمعرفة
ومعنى هذه الايات [illegible] السبيل الحق ورحمة [illegible] عباده [illegible]
ومصالح دنياهم فصاروا لذلك محسنين اي يحسنون العبادة لله تعالى وخصهم بالهدى لانهم هم المختصون
بالانتفاع بها • وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون صفة المحسنين
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون • وصفهم انهم على الرشاد في الدنيا واولئك الفوز في العقبى
وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث اي ومن الناس من يختار على حفظ الكتاب الذي [illegible]
صفته ومدح منفعته وتقدم عليه في الدنيا والاخرة حديثا باطلا اي ملهيا [illegible] كما حادثة ملوك
فارس والروم فيقطع الزمان بمثله ويدعو الناس الى الملاهي • وقوله تعالى ليضل عن سبيل الله اي عن
دينه • وقيل سبيل الله ها هنا القران وذكر الله وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما بغير علم اي جاهلا
منه [illegible] بما يفيد نفعا في مصالح الدارين وبين ما يفيد وزرا وخسرانا في الدارين • وقيل بغير علم
[illegible] من الوزر به في الاخرة • وقيل [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى ويتخذها هزوا اي ويتخذ سبيل الله هزوا [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى اولئك لهم عذاب مهين [illegible]
[illegible]
العذاب [illegible] في الاخرة • وقوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا [illegible]
مستكبرا [illegible]
[illegible] كان في اذنيه وقرا [illegible] • وقوله تعالى فبشره بعذاب اليم [illegible]
[illegible] الحارث بن علقمة [illegible]
[illegible] كتب الاعاجم [illegible] ويقول لقريش [illegible]

بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث كسرى وبهرام ● وقال الفقال كان يحدث قريشا بحديث رستم واسفنديار وكانوا يستملحون حديثه فيصدهم بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ● وقيل اللهو في هذه الاية الغناء وما يتصل به من الملاهي وكان منهم من يشتري المغنية القينة وتغنيه فينقطع بذلك ايامه وحسن الاستماع اليه ويستكبر عن استماع مواعظ الله تعالى وهو قول ابن عباس ومجاهد ● وروى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل بيع المغنيات ولا التجارة فيهن وثمنهن حرام ● وانما نزلت هذه الاية في هذا ومن الناس من يشتري لهو الحديث والذي نفسي بيده لا يرفع الرجل عقيرته بالغناء الا اكتنفه شيطان من هذا الجانب وشيطان من هذا الجانب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقال قتادة هو كل لهو ولعب ● وقال عطاء هو الترهات وفضول الكلام ● وقيل لهو الحديث هو الشرك لانه يلهي عن الطاعات لله ويجره صاحبه يوم الحساب ● وقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم هو في مقابلة وعيد اولئك بالعذاب الاليم خالدين فيها اي في جنات النعيم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها وعد الله حقا اي وعد الله ذلك وعدا صدقا وهو العزيز المنيع الذي لا يغالب فيما يفعل باوليائه واعدائه الحكيم فيما يفعل من التمييز بينهم وبينهم ● وقوله تعالى خلق الله السموات اي العزيز الحكيم خلق السموات فاقامها بغير عمد وانتم ترونها انها بغير عمد ● وقيل جعل لها عمدا ولكنكم لا ترونها وهي القدرة ● وقوله تعالى والقى في الارض رواسي اي خلق فيها جبالا ثوابت ان تميد بكم اي لئلا تضطرب بكم كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا ● وقوله تعالى وبث فيها اي فرق فيها من كل دابة من انواع الحيوانات التي تدب على وجه الارض وهذا كله على المعاينة ثم قال وانزلنا من السماء ماء وهذا اخبار عن نفسه كخطاب الملوك على الجمع وهو من تلوين الخطاب وهو احد انواع البلاغة ● وقوله تعالى فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل صنف من النبات حسن مونق ● وقوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوق الله فاروني معاشر المشركين ماذا خلق الذين من دونه من الاصنام والملائكة والشياطين فيستحقوا بذلك العبادة ● وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين بل رد لما قبله زجرا او تقديره ها هنا ليس اشراكهم(?) بالله لان ما اشركوا لا خلق شيئا بل هم واضعون العبادة في غير موضعها على سبيل ضلال عن الحق ظاهر وجلي ● وقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة ذكر قصة لقمان وامره ابنه بتجنب الشرك وملازمة الاخلاص وغير ذلك من الامور التي كان مشركوا قريش [illegible] لان لقمان كان مشهورا عند اهل الكتاب بقصته وكانوا مشركوا العرب يرجعون اليهم فكان تصديق اهل الكتاب بقصته حجة على المشركين واختلف في لقمان هل كان نبيا ام لا ● قال الواقدي كان عبدا حبشيا مجدعا مصكك الركبتين مصفح القدمين قاضيا في بني اسرائيل ● وقال وهب هو ابن اخت ايوب صلوات الله عليه ● وقال مجاهد كان عبدا نوبيا غليظ الشفتين ذا اشافير(?) ● وقال محمد بن اسحاق هو لقمان ابن باعور(?) بن ناحور بن تارخ وهو آزر والد ابراهيم عليه السلام ● وقال قتادة كان حكيما من غير نبوة ● وقال عكرمة كان نبيا وتفرد بهذا القول ● وقال مجاهد الحكمة هي العقل والاصابة في القول والعمل ● وقال وهب هي العلم والفهم والفطنة من غير نبوة ● قال وكان عبدا لرجل من بني اسرائيل فاعتقه واعطاه مالا فبارك الله له فيه وكان لا ياتيه سائل الا اعطاه ولا ينزل به ضيف الا اضافه ● وكان في زمن داود عليه السلام فنور الله قلبه بالايمان واطلق لسانه بالحكمة وعمر عمرا طويلا فبعث الله تعالى طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدات العيون للقائلة فدخلوا عليه بيته يسمع كلامهم ولا يرى صورهم فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا انا رسل ربك يجعلك خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق ● قال لقمان ان جبرني ربي على ذلك سمعت له(?) وخضعت لطاعته ورجوت ان يعينني ويسددني عليه فاذا اعفاني قبلت العافية ولم اتعرض للفتنة لان الحكم بين الناس باشد المنازل واكثرها مواقع للفتن والحاكم اذا لم يحكم بالحق خذل واذا حكم بالحق امين وفيه خطر عظيم ومن اخطا الحق اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا حقيرا خاملا كان اهون عليه يوم المعاد ويوم تبلى السرائر ويوم تجزى كل نفس بما كسبت فتعجبت الملائكة من حكمته ورضيها الله تعالى قوله فلما امسى لقمان وجنه الليل واخذ مضجعه غشاه النعاس وانزل عليه الحكمة نصبها عليه صبا وحشاها جوفه واظهرها على لسانه فاستيقظ وهو احكم اهل زمانه فلا يلقى احدا الا وعظه وذكره واتى الله تعالى داود عليه السلام الخلافة وبينما لقمان يوما يعظ الناس وهم مجتمعون عليه اذ مر عظيم من عظماء بني اسرائيل فاقبل ينظر في وجهه فاذا رجل اسود فتحول حتى اتاه من خلفه فاخذ بركبته فهزها ثم قال انت لقمان قال انا لقمان قال انت راعي بني فلان قال نعم قال فما الذي بلغك ما ارى وانت انت قال صدق الحديث واداء الامانة وتركي ما لا يعنيني قال صدقت ثم وعظ ابنه [illegible] بعشرة الاف حكمة ● وقيل انه لما فرغ منها خرجت روح ابنه لما ثقلت من حملها ● وقوله تعالى ان اشكر لله ● وقيل ان اشكر ترجمة لقوله الحكمة وهو بيان ان راس الحكمة للمخلوقين شكرهم نعم الله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي نفعه يعود اليه بتمام النعم ودوامها وزيادتها والثواب على شكرها ومن كفر النعمة فان الله غني عن شكر عباده ولا يتكثر بشكرهم ولا يتضرر بكفرهم حميد على العامة لان اثار انعامه ظاهرة على كافة بريته ● وقوله تعالى واذ قال لقمان لابنه اي واذكر يا محمد اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه تصغير يا بني على جهة

الشفقة والتلطف لا تشرك بالله اي لا تجعل لله شريكا في العبادة ● ان الشرك لظلم عظيم من المشرك على نفسه عظيم لانه يورده [illegible] ولانه وضع العبادة غير موضعها وهو ظلم عظيم اي شنيع منكر في العقول ● وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه قيل هو عطف على قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ووصينا الانسان ● وقيل هذا كلام معترض في قصة لقمان الى قوله بما كنتم تعملون ثم عاد الكلام الى قصته ● وقيل هو متصل كله وهاهنا مضمر تقديره ● وقلنا له اي للقمان ووصينا الانسان بوالديه ● قيل اي ببر والديه وقد صرح به في آية اخرى بوالديه حسنا وبوالديه احسانا ثم نبه على المعنى الموجب لبرهما ● فقال حملته امه وهنا على وهن اي ضعفا على ضعف يزداد كل يوم ضعفا على ضعف لان الحمل في البداية خفيف ثم يثقل شيئا فشيئا ● وقيل معناه ان المرأة ضعيفة في الخلقة ثم يضعفها الحمل الثقيل ● وقوله تعالى وفصاله في عامين اي فطامه عن الرضاع لتمام عامين اي انها ترضعه وتربيه في هذه المدة وهذا مما يوجب لها حقا ويلزمه شكرا ● وقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك ● قيل هو متصل بقوله ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر لي على الايجاد ولهما على التربية ● وقوله تعالى الي المصير وهو ترغيب وترهيب ● وقوله تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما اي وان كنت عظمت عليك حرمتهما فلا يجوز لك طاعتهما فيما يامرانك به من الاشراك بي وان اجتهدا عليك في ذلك وهذا كله ترغيب(?) لحول المشركين شدة في الامر في الشرك فانه لا مساح بحال وانتظمت هذه الاية بالاولى في هذا المعنى فانه قال هناك لا تشرك بالله وهاهنا قال وان جاهداك على ان تشرك بي فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا اي في امور الدنيا بالمعروف بمثلهما وهو الطاعة لهما فيما لا يفسد عليك دينك واتبع سبيل من اناب الي اي واتبع ايها الانسان طريق من اناب الي ثم الي مرجعكم اي رجوع جميعكم في الاخرة فانبئكم بما كنتم تعملون اي اخبركم بما لكم واجازيكم عليها ● وقيل نزلت الاية في سعد بن ابي وقاص وذلك ان امه حمنة بنت سفيان بن امية بن عبد شمس نذرت ان لا تاكل ولا تشرب حتى يمس سعد اسافا ونائلة وهما صنمان كانا على الصفا والمروة ● وقال سعد بن ابي وقاص نزلت في ثلاث آيات هذه الاية وآية الوصية وآية تحريم الخمر وقد ذكرناها مبسوطة في قوله انما الخمر والميسر الاية ● وقوله تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبة ● قرأ نافع مثقال رفعا وعلى هذا قوله انها ان تك عماد كما في قوله انه من يات ربه مجرما وتانيثه ردا الى القصة او الحادثة او الواقعة وان تك مثقال حبة بالرفع يكون رفعا بكان وهو تام لا خبر له وتانيثه مع ان المثقال مذكر لانه مضاف الى حبة ومثقال الحبة هي الحبة حقيقة وهو كقول الشاعر ● طول الليالي اسرعت في نقضي لان طول الليالي هي الليالي حقيقة ● وقرأ الباقون مثقال حبة بالنصب وعلى هذا قوله انها تكون كناية عن الفعلة ونحوها اي ان كانت فعلة الانسان مقدار خردلة في الوزن الثقل والوزن من خردل وتكن في صخرة ● قيل في جبل ● وقيل في حجر او في السموات او في الارض مع سعتهما يات بها الله اي يحضرها الله مع صاحبها كما قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي وما عملت من سوء حتى توفيه جزاءها ان خيرا فخير وان شرا فشر ان الله لطيف اي عالم بكل دقيق وجليل من الاشياء خبير اي عالم بالاشياء في حقائقها وبواطنها لا يغيب عنه ما تعمله العباد من ظواهرها ● وقال ابو معاذ هذا في الرزق اي وان كان للانسان رزق قدر مثقال الحبة من خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها الى من هي رزقه كانه قال لا تهتم للرزق اهتماما يشغلك عن اداء الفرائض ● يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف ما عرف حسنه عقلا وشرعا وانه عن المنكر ما انكره الشرع والعقل ● وقوله تعالى واصبر على ما اصابك اي من اذى من امرته ونهيته ● روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابا هريرة مر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك فان ذلك من وثائق الامور فقال يا رسول الله امر بالمعروف وانه عن المنكر وقد يتم كما اوذيت الانبياء ليس احدا يامر بالمعروف وينهى عن المنكر الا سيؤذى في الدنيا ● وقيل هو مبتدا اي واصبر على ما اصابك من شدائد الدنيا من الله تعالى مثل الامراض والفقر وهو ان لا تجزع ويعلم ان الله تعالى انما يفعل به ذلك تاديبا او تمحيصا او ليثيبه عليه في الاخرة ● وقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور اي هذه الاشياء مما عزم الله به على عباده اي امرهم به امرا حتما فعليهم الثبات عليه واعتقاد وجوبه ● وقيل من عزم الامور من الامور التي تدل على ان صاحبها ثابت في دينه قوي في طاعة ربه عالم بصحة ما يدين به مستبصر في امره وفلان من اولي العزم هو هذا ● وقوله تعالى ولا تصاعر خدك للناس اي لا تمله معرضا عن الناس تكبرا واستخفافا بمن يقبل عليك بكلامه بل اقبل عليه بوجهك متواضعا وقرئ ولا تصعر هما لغتان في معنى واحد وهو من الصعر وهو داء ياخذ البعير في عنقه فيميله والتصعير والمصاعرة كالتضعيف والمضاعفة ● وقوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا ان الله لا يحب كل مختال فخور والاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها ● وقوله تعالى واقصد في مشيك هو المشي في لين وتواضع كما قال تعالى يمشون على الارض هونا ● وقوله تعالى واغضض من صوتك اي واخفض صوتك اذا تكلمت ولا تفرط في رفعه كفعل المتغيظ ● وقوله تعالى ان انكر الاصوات اي اقبح الاصوات واشنعها عند السامعين لصوت الحمير جمع حمار ولو كان في ارتفاع الصوت فضيلة لم يستشنع صوت الحمار الذي هو ارفع الاصوات والانكر بمعنى اقبح كقولهم هذا رجل منكر الوجه اي قبيحه ● قال عمر بن عبد العزيز لرجل رفع صوته في الكلام

من خردل

لا ترفع صوتك فانه يجب من الكلام ما اسمع جليسه او صاحبه • وعن عبد الله بن رحر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعجبه ان يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون جهوري الصوت • وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
وما في الارض وهذا تعجب من الله عباده من هولاء المشركين بعد انقطاع حججهم وزوال عذرهم في الشرك واعترافهم
بما يبطله • قال الم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين ان الله خلق لكم ما في السموات وما في الارض من شمس
وقمر ونجم ونبات وبر وبحر مما جعله الله مذللا لكم غير ممتنع عليكم منفعة لكم وفيها ما لحياتكم في دار الامتحان • وقوله
تعالى واسبغ عليكم اي اتم عليكم نعمه • قرا نافع وابو عمرو وعاصم في رواية حفص نعمه جماعة مضافة • والباقون نعمة
واحدة منونة اي غير مضافة اي انعم عليكم نعما ظاهرة تظهر وتشاهد ونعما باطنة لا تظهر للابصار ولا تشاهد
قال الظاهر ما يرى على العبد من نعمة المال والمال وحسن الصورة وسعة العيش وتمام الجاه وثناء الناس والعلم
والمعرفة بالامور والتوفيق للايمان والاعمال الصالحة والباطن ما يجده الانسان في نفسه من الاستبصار في
دينه والعمل لربه وما ينزه الله من عيوبه وذنوبه وما يدفع الله عنه من بلياته وما ينعم عليه وعلى سائر الناس
وستر قرانه على الوجدان فقد قال المفسرون هي نعمة الاسلام ظاهرة بالاقرار باطنة بالتصديق ويجوز ان يكون
هذا الواحد دالا على الجمع كما يقال حوله الله مالا وفي النعمة الظاهرة والباطنة اقاويل كثيرة وبعض ذكرنا
ذلك في كتابنا الموسوم بكتاب بحر علوم التفسير على بحر سوم التذكير عند قوله صراط الذين انعمت عليهم نعمة
قولا على البسط والتطويل ونذكر هاهنا بعضها على الاختصار فنقول • قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا
من مخزون في الذي سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة
فقال يا ابن عباس اما ظاهرها فالاسلام وما سوى من خلقك وما افضل عليك من الرزق واما ما بطن
فستر مساوي عملك • وقيل الظاهر الجوارح والباطن المصالح وهي الصفات القائمة بها • الظاهرة التصوير
والباطنة التنوير • الظاهرة الاقرار والباطنة الاعتقاد • الظاهرة الدعوة الى الايمان والباطنة الهداية
الى الايمان • الظاهرة الدعا الى الاسلام والباطنة الدعا الى دار السلام • الظاهرة النفع والباطنة
الدفع • الظاهرة التوفيق للايمان والطاعات والباطنة العصمة عن الكفر والجفوات • الظاهرة اظهار
الطاعات والباطنة اخفا السيئات • الظاهرة التخفيف والباطنة التضعيف • الظاهرة النطق والباطنة
العقل • الظاهرة التبيين للناس وتبيين اياته للناس والباطنة التزيين وزينه في قلوبكم • الظاهرة التكليف
ادخلوا في السلم كافة والباطنة التاليف فالف بين قلوبكم • الظاهرة تعديد الحسنات التائبون العابدون
الاية ان المسلمين والمسلمات الاية قد افلح المومنون الايات الا المصلين الايات الصابرين والصادقين
الايات والباطنة اجمال السيات وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون • الظاهرة الاوصاف والباطنة الاسرار
الظاهرة الافعال المرئية والباطنة الضماير المطوية • الظاهرة الاقوال والافعال والباطنة المقامات
والاحوال • الظاهرة الشخوص والاشباح والباطنة القلوب والارواح • الظاهر حسن الصورة والباطن
حسن السيرة • الظاهرة الرسوم والباطنة العلوم • الظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق • الظاهرة
وجود النعمة والباطنة شهود المنعم • الظاهرة الدنيوية والباطنة الدينية • الظاهرة بدن بلا زلة
والباطنة قلب بلا غفلة • الظاهرة في الاموال ونمائها والباطنة في الاحوال وصفائها • الظاهرة توفيق
الطاعات والباطنة قبول الطاعات • الظاهرة التسوية والباطنة النفخة • الظاهرة صحبة الصالحين
والباطنة حفظ حرمتهم • الظاهرة الزهد في الدنيا والباطنة الاكتفا بالمولى • الظاهرة الزهد والباطنة
الوجد • الظاهرة توفيق المجاهدة والباطنة تحقيق المشاهدة • الظاهرة وظايف النفس والباطنة
لطايف القلب • الظاهرة اشتغالك بنفسك عن غيرك والباطنة اشتغالك بربك عن نفسك • الظاهرة طلبه
والباطنة وجوده • الظاهرة ان تصل اليه والباطنة ان تبقى معه • الظاهرة الخدمة والباطنة الحرمة •
الظاهرة الامر والباطنة الاجر • الظاهرة ما سمي من نعيم الجنة والباطنة ما اخفاه منها فقال فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين • الظاهرة المال والثروة والباطنة العلم والحكمة • يكى را مال بسيار دهد
يكى را علم بى شمار دهد يكى را فضل بى كمال دهد يكى را باغ وبستان وخانه وكاه دهد يكى را علم فراوان
وهنر نيكو اندر دهد يكى صدر دار ومهر دار ونبل سلسله ندا دهد يكى صدر هر اوسله دارد وتك درم بدار داري يكى
نعمات نسب رستكاري سودا • الظاهرة حفظ القران والباطنة فهم القران • الظاهرة محكم القران
والباطنة متشابه القران • الظاهرة تفسيره والباطنة تاويله • الظاهرة الترغيب والباطنة الترهيب
الظاهرة الترغيب والترهيب والباطنة التزيين والتحبيب • قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم • الظاهرة انك تحبه والباطنة انه يحبك • الظاهرة انك مريد والباطنة انك مراد •
الظاهرة النعم المتقادمة والباطنة النعم الموعودة • الظاهرة الحضرة والباطنة المنتظرة • الظاهرة
النصر على الاعداء في الحروب والباطنة القاء الرعب في القلوب • الظاهرة الصحة والباطنة العلة • تعدد

في الاعمال الصالحة في محنك ويكتب لك ثواب الاعمال من غير عمل في علتك • الظاهرة الشباب والباطنة الشيب الشباب
سرور والشيب نور • الظاهرة ادامة النعمة عليك لتشكر فتنال ثواب الشاكرين • والباطنة سلب النعم عنك لتصبر
فتنال ثواب الصابرين • الظاهرة الاعطا بالمسئلة والباطنة الاعطا من غير مسئلة • الظاهرة الرزق والباطنة توفيق
الرزق • الظاهرة قوله والزمهم كلمة التقوى والباطنة قوله وكانوا احق بها واهلها • الظاهرة التعليم والباطنة
التفهيم • الظاهرة الرزق والباطنة البركة في الرزق • الظاهرة سلام النبي عليه السلام ظاهرا والباطنة سلام
الملائكة ليلة القدر وعند الموت وفي القيامة وفي الجنة ثم سلام الرب بلا واسطة • الظاهرة اولياوك
والباطنة اعداوك • تستعين على امورك باوليائك وتستعيذ بالله من اعدائك تذكر وليك محاسنك فتزدهيها
وذكر عدوك مساويك فتغار فيها بعينك وليك فيكثر لك الحسنات • وظالمك عدوك فتصير فتغفر لك السيات
الظاهرة الزوجة المساعدة والباطنة الزوجة المخالفة تلك تسرح بالسرور صدرك وهذه تنظم بالاحتمال
اجرك وقدرك • الظاهرة الجار المرضي والباطنة الجار الموذي ذاك تعزك في دارك فتعيش في الرخا وهذا
يزعجك عن وطنك فتنال فضيلة الغربا • الظاهرة قبول القلوب والباطنة نفرة القلوب في ذلك وجود بر
الابرار وفي هذا زوال رحمة الاخيار • الظاهرة الجاه والرفعة والباطنة الخمول والضعة في ذلك تيسر
عليك فتثاب بكل ما عمل به احد من الامة وفي هذا سلم دينك فلا تتبع في دنياك السمعة • الظاهرة الولد البار
والباطنة الولد العاق • ذلك يكثر الاعداد وهذا تنقطع عن الخلق الاعتماد • الظاهرة ولادة الولد والباطنة
موته ذاك فرح وهذا فرط • الظاهرة النهار والباطنة الليل • قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
الظاهرة البحار والانهار والباطنة العيون والابار • الظاهرة الصلوات والباطنة الصوم • الظاهرة
سنن الماضين علينا لنعتبر والباطنة ترك فضيحتنا على غيرنا لنستتر • الظاهرة اختلاف الهيات والباطنة
اختلاف الهمات لو استوت الهيات لم تتميز الذوات فلو وطئت الهمم لم يشتغل احد بالحرف الخسيسة فتعطلت
الحاجات • الظاهرة في التمكين ملكوت الارضين والباطنة التبديل وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا • الظاهرة التحسين
والباطنة التحصين • الظاهرة التصريف والباطنة التعريف • الظاهرة حسن العمل والباطنة صدق
الوجل • قال الله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة • الظاهرة الحمد على النعمة والباطنة الشكر
على النعمة والحمد ثناء اللسان وذكره والشكر معرفة الاحسان ونشره • الظاهرة المنح والباطنة المحن
الاموال للتصرف والاعمال للتشرف والثياب للتجمل والعيال للتمتع والمحن الخزائن والنقصان والادوا
والاسوا النوايب والمصايب وعاقبتها وبشر الصابرين والموعود عليها الصلوات والرحمة ودوام الهداية
الظاهرة العروق المتحركة والباطنة الساكنة • الظاهرة التربية بعد الولادة والباطنة التربية قبلها
قال تعالى واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم • الظاهرة ما يكتسب والباطنة ما ياتيه من حيث لا يحتسب
الظاهرة الامر بمحاربة الكفار والباطنة الامر بمحاربة الشيطان ذلك لئلا يستولي على نفسك وهذا
لئلا يزيلك عن دينك • الظاهرة الامر بالصدقة والباطنة الخلف على النفقة • الظاهرة العمل
والباطنة النية • الظاهرة الاطعام والاشفا والباطنة الاشباع والارواء • الظاهرة اساغة الطعام
والشراب والباطنة اخراجهما بسهولة من ذلك الباب • الظاهرة الاشباع والارواء والباطنة الجاعة
والظما • الظاهرة انزال الامطار والباطنة اخراج الحبوب والثمار • الظاهرة ما يستفاد بالتجارات
والصناعات والباطنة ما يستفاد بالزراعات وهذا اكثر ربحا لانه معاملة مع الله تعالى • الظاهرة صيود
البر والباطنة صيود البحر • الظاهرة ما يكتسب في الاسواق من الدرهم والدينار والباطنة ما يستخرج
من المعادن والبحار • الظاهرة التجارات لاصلاح المعاش والباطنة ان لا تشغلك هذه التجارات
من اصلاح المعاد • قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله • الظاهرة العمل الصالح والباطنة
العمل النافع • الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر الجنان • الظاهرة انك تدعوه والباطنة انك تريده
قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه • الظاهرة البسط والباطنة القبض • قال
تعالى والله يقبض ويبسط • الظاهرة النوم للسكون والراحة والباطنة التهجد للمناجاة والخلوة
الظاهرة الصيف فالنعم ظاهرة في الكروم والباطنة الشتا فالنعم باطنة في البيوت • الظاهرة
احسان العبادة والباطنة روية منة الله في التوفيق للعبادة • الظاهرة شريعة الرسول والباطنة
شفاعة الرسول • الظاهرة السمعيات والباطنة العقليات • الظاهرة اعيان النصوص والباطنة
دلايل النصوص • الظاهرة العبارات والباطنة الاشارات • الظاهرة التمكين والباطنة التسكين ولقد
مكناكم انزل السكينة • الظاهرة ما يوكل ظاهره ويلقى باطنه كالتفاح والكمثرى والسفرجل ونحوها والباطنة
ما يوكل باطنه ويلقى ظاهره كالرمان والجوز واللوز ونحوها • الظاهرة الاختبار ونبلوكم والباطنة الاختيار
هو اجتباكم • الظاهرة المناداة والباطنة المناجاة • الظاهرة حياة النبي والباطنة موته عليه السلام

قال عليه السلام خياركم ومولى خيركم الحديث • الظاهرة قضا غيرك حاجتك والباطنة قضاؤك حاجة غيرك
قال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي واذا اتاك طالب حاجة فاعلم انها نعمة ومنة من الله تعالى عليك حين اراد ان يغفر
ذنبك ويقضي حوايجك • الظاهرة الامن في الدنيا والباطنة الامن في العقبى • الظاهرة صحة الابدان • والباطنة
صحة الاديان • الظاهرة البدن السليم • والباطنة القلب السليم • الظاهرة غنى المال والباطنة غنى الحال
الظاهرة اخراجنا بعد الانبياء والامم ليلا يطلعوا على قبايحنا • والباطنة ذكرنا الانبياء بعد مجيئنا باوصافنا الحسنا
الظاهرة الرواية • والباطنة الرعاية • الظاهرة ركوب الانعام • والباطنة ركوب السفن العظام • الظاهرة
المراكب في حياتك • والباطنة المناقب بعد وفاتك • الظاهرة المال والبنون • والباطنة الحرفة والمسنون
وهما في قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير • الظاهرة قوله تعالى [illegible]
والباطنة قوله تعالى يبشرهم ربهم • الظاهرة الحياة • والباطنة الموت • قال الشاعر قد قلت اذ مدحوا الحياة
فاكثروا • للموت الف فضيلة لا توصف • منها امان لقايه بلقايه • وفراق كل معاشر لا ينصف • ثم ذكر النعمة
استدعى لشكرها والشكر يكون من جنس النعمة فاذا عرفت ان الله اسبغ نعمه عليكم ظاهرة وباطنة فشكر ذلك
ان تعمل بقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه • وقوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير يقول هذه نعمي على عبادي ثم منهم من يجادل في توحيدي واخلاص طاعتي يريد بذلك اثبات الشرك
والتعطيل بغير علم منه بما يخاصم به انما هو مقلد ولا هدى ولا دلالة عليه نظرا وعقلا ولا كتاب منير والكتاب
انزله الله تعالى بصحة ما يدعوا اليه ويدعيه • وقيل ان الاية نزلت في النضر بن الحارث • وقوله تعالى واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله اي واذا قيل لهولاء المجادلين في الله انه ليس معكم من الله هدى ولا كتاب يدل على ما تقولون
فتعالوا الى الكتاب الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا الاولين والاقدمين الذين كانوا يعبدون الاوثان
والشرك كما اشركوا تقليدا لهم اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير • وقال ابو عبيدة لو هاهنا محذوف
الجواب اي اولو كان الشيطان يدعوهم الى الكفر الذي يفضي الى عذاب جهنم يتبعونه وهذا استفهام بمعنى
التوبيخ • وقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله اي ومن يخلص عمله لله ويتوجه الى طلب رضا الله وهو محسن فيما
يعمل تاركا للاساءة فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي تعلق بالركن الاوثق الذي لا وثوق منه
فهو مخلصه من العذاب الذي لا انقطاع له والى الله عاقبة الامور اي ومصير الامور في اواخرها الى الله
وهو يحاسب بها ويجازي عليها • وقوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره اي ومن كان لم يسلم وجهه لله وكفر به فلا
عليك امره ولا يحزنك كفره فلا يرجع الا اليه الينا مرجعهم يوم الحساب فننبئهم بما عملوا اي فنخبرهم بذلك
وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور اي عالم بضماير القلوب فكيف بعلانية الاعمال فهو يجازيهم بما اظهروا
وبما اضمروا وانزلت الاية في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا يفتري على الله فحزن لذلك فانزل الله هذه الاية
وقيل عليم بذات الصدور اي يعلم بما في قلبك من الحزن لكفرهم • وقوله تعالى نمتعهم قليلا اي نمتعهم في الدنيا
فيتمتعون بالبقاء فيها مدة قليلة وهي مدة اعمارهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ اي ثم ندخلهم كرها في عذاب
غليظ اي شديد الايلام عظيم المكروه والاضطرار الالجاء وهو متعد وجمع في هذه الاية ووحد في الاية
الاولى لان من اسم جنس يصلح للواحد والجمع • وقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
اي اذا سئل هولاء المشركين من خالق السموات والارض اعترفوا بانه هو الله قل الحمد لله على ما هدانا وجعلنا
من اهل العلم به واوضح حجتنا على من خالفنا فيه او فرزهم بما فيه الحجة عليهم • وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون
يعلمون اي يتركون التدبر في الدلايل فيفوتهم العلم بسعيهم • وقوله تعالى لله ما في السموات والارض اي له
ذلك كله وهو مالكه وخالقه ولا حاجة له الى ايمان هولاء ان الله هو الغني الحميد اي ان الله هو المستغني عن خلقه
المحمود لشهادة خلقه كلهم بوحدانيته وقدرته والهيته لشهادة الخليقة • وقوله تعالى ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر • قرا ابو عمرو والبحر نصبا عطفا على ما والناصب كلمة ان
وقرا الباقون والبحر رفعا على الاستيناف يقول لو ان ما في الارض من شجرة جعلت بالبري اقلاما ليكتب بها
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فكان البحر مدادا او مدة اي زاد فيه سبعة ابحر فكتب بها كلمات الله وفي الحجة
الحجج على عباده وضرب الامثال لهم وتنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم وذكر اقاصيص من سلف قبلهم من الامم وغير ذلك
من ضروب ما يشتمل عليه كلامه وما اختص العلماء به من معاني كلامه وما استاثر الله به دون خلقه لم يفن
كلام الله وذلك قوله ما نفدت كلمات الله ذكر ان بعض المشركين قال فيما تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا كلام سينفد فنزلت هذه الاية • وقيل نزلت جوابا لليهود اذ قالوا اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة
فنزلت الاية قاله ابن عباس رضي الله عنهما • وقوله تعالى ان الله عزيز اي منيع في ملكه فلا يرد امره ولا يغالب
حكيم يطلع عباده على ما يشا ويفعل ما يشا ويضع كل شي موضعه • وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في ان امري اذا اردت شيا ان اقول له كن فيكون فلا يلحقني

نصب

نصب كثرة والمحنة على خلقه وقدرتي على الكل كقدرتي على الواحد فانا قادر على الجميع قادر • وقوله تعالى ان
كنفس واحدة [illegible] كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران الذي يغشى عليه ان الله سميع لاقوال المشركين
على انه لا بعث والنشور بصير باعمالهم فهو يجازيهم عليها • وقوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وهذا احتجاج على المشركين اي الم تر ان الله [illegible] وهو كقوله يكور
الليل على النهار وسخر الشمس والقمر لمنافع العباد • وقوله تعالى كل يجري الى اجل مسمى اي الى ان يكون الاجل المسمى وهو يوم
القيامة [illegible] • وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق [illegible]
على ما شاهدوه [illegible] وان ما يدعون من دونه الباطل لا يستحق العبادة
[illegible] وان الله هو العلي الكبير [illegible]
وكل شي • وقوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اي الم تر ان السفن تجري في البحر
[illegible]
في ذلك لايات لكل صبار شكور [illegible] الصبر والشكر
الشكر [illegible] • وقوله تعالى واذا
غشيهم موج كالظلل [illegible]
دعوا الله مخلصين له الدين [illegible] فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد [illegible]
[illegible] الاقتصاد
وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور [illegible]
من [illegible]
ونجيته من الاهوال الكفور لانعام الله عليه • وقيل فمنهم مقتصد موف بما عاهد الله عليه في البحر قاله ابن عباس رضي الله
عنهما • وقيل فمنهم مقتصد اي قاصد السبيل الاسلام • وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم [illegible]
الموعظة وترهيبهم بيوم القيامة توكيد الامر لمخالفة المشركين في جحد البعث فقال يا ايها الناس اتقوا [illegible]
تخالفوا امره ولا نهيه • وقوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اي لا ينوب فيه والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيا اي نايب • وقوله تعالى ان وعد الله حق اي بالبعث والحساب والجزا فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي
لا تغتروا بهذه الحياة الدنيا القريبة فتهلكوا انفسكم وترتكبوا المعاصي مستعدين للقيامة [illegible]
المشركين اعدا جاحدين له فان الحياة الدنيا قريبة الانقضا تنقضي لذاتها وتبقى تبعاتها • وقوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور
اي ولا يخدعنكم عن التوقي من عذاب الله من يغريكم ويدعوكم الى المعاصي ويوهمكم ان لا بعث ولا حساب ولا جزا • وقيل الغرور
اسم الشيطان والاسم صالح لكل من عمل هذا بالعبد من شيطان وغيره • وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة اي وقت
قيام الساعة عند الله لا يعلمه غيره فاياكم ان تاتيكم بغتة وانتم مغترون بالحياة الدنيا • وقيل نزلت الاية في الحارث
ابن عمرو بن حارثة بن محارب رجل من اهل البادية اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الساعة ووقتها • وقال
ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وامراتي حبلى فمتى تلد واني اعلم ما عملت امس فما اعمل غدا واني اعلم اين
ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية • وقال النبي صلى الله عليه وسلم خمس لا يعلمهن الا الله وتلا هذه الاية
ان الله عنده علم الساعة وهو يعلم متى تقوم وينزل الغيث هو الذي ينزله للوقت الذي يعلمه لاصلاح امر عباده
وبلاده ولا تعلم العباد ذلك ويعلم ما في الارحام هو الذي يعلم ذلك اذكر هو ام انثى احي هو ام ميت وعلم جميع صفاته
وصفته ووقت ولادته وما تدري نفس ماذا تكسب غدا اي ما تعمل في مستقبل العمر من خير وشر وما تدري نفس
باي ارض تموت اي باي بلد • وقيل باي قدم تموت • وقوله تعالى ان الله عليم خبير اي هو العالم بظواهر الاشيا
وبواطنها بتفاصيلها وجملها ما كان وما يكون وما لا يكون وجاز ان يكون ان لو كان كيف كان يكون • وقال الزهري
اكثروا من قراة سورة لقمان فان فيها اعاجيب • الحمد لله الذي اذا دعي يجيب • الرحمن الذي هو القايل للمنيب
الرحيم الذي هو من حبل الوريد قريب • وصلى الله على محمد المنطيق للمعجم والغريب

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام • الرحمن الذي انشا لنا السمع والبصر والافئدة
والافهام • الرحيم الذي يسوق الماء الى الارض الجرز فيخرج به زرعا تاكل منه البشر والانعام • وروي عن ابي بن
كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا الم تنزيل وتبارك فكانما احيا ليلة القدر • وروي
جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا في ليلة سورة تنزيل السجدة وسورة تبارك الذي بيده
الملك او في يوم بنى الله له بيتا في الجنة وكان ذكرها فوق ليلة القدر وحفته الملايكة وحفته سورة الم تنزيل
السجدة وشفعت من ملايكة العذاب • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر

وسورة السجدة مكية الا الثلاث ايات نزلت بالمدينة افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الى قوله كنتم به تكذبون نزلت في علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وعقبة بن ابي معيط على ما نبين ان شاء الله تعالى • وهي تسع وعشرون اية وثلاثون في قول
والاختلاف في قوله لفي خلق جديد • وكلماتها ثلاث مائة واثنان وسبعون • وحروفها الف وخمسمائة واربع وعشرون
وقوله تعالى الم مرت الاقاويل فيه وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه قال في ختم تلك ان الله عليم • وقال
في افتتاح هذه الم ومعناه انا الله اعلم وانتظام السورتين انهما في بيان وحدانية الله تعالى وذكر الكتاب والرسول
ومحاجة المشركين ومدح المومنين وبيان عاقبة الفريقين • وقوله تعالى تنزيل الكتاب لا ريب فيه لا شك فيه انه
من عند الله • وقيل لا ريب نزول من رب العالمين اى هو من رب العالمين وهو كقوله تعالى تنزيل من رب العالمين قيل
هو جواب الم • وقيل اي هذا تنزيل الكتاب لا ريب فيه • وقوله ام يقولون افتراه • قيل ايقولون افتراه محمد ويجوز
ان يقدر قبله استفهام لم يعطف عليه بام ايقولونه هو اساطير الاولين ام يقولون اختلقه محمد • وقوله تعالى بل
هو الحق من ربك اي ليس كما يقولون انه مفترى بل هو الحق من ربك يا محمد رجع من المغايبة الى المخاطبة وهو من
الخطاب • وقوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي لم ياتهم رسول منذر وهم مشركوا العرب لم ينذروا
اي لتنذرهم العذاب اذا اصروا على كفرهم فيسلموا او يهتدوا الى الحق • وقوله تعالى الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش فسرناه في سورة الاعراف • وقوله تعالى ما لكم من دونه من
ولي ولا شفيع اي ليس لكم سوى الله ولي يتولى اموركم ولا شفيع لكم اليه يشفع ان متم كافرين اي فافزعوا اليه
فلن ينفعكم احد دونه كما توهم المشركون من ولاية الهتهم وشفاعتها • وقوله تعالى افلا تتذكرون افلا تتعظون بمواعظ
الله • وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض اي يدبر الامر من السماء فينزل به بعض ملائكته فيلقي ذلك
الى الذي امر بالقائه اليه من الرسل ثم يعرج اليه اي يعرج الملك اليه الى الموضع الذي امر بالعروج اليه من
السماء • وقوله في يوم كان مقداره في نزول الملك الى الارض وعروجه منها الى السماء الف سنة مما تعدون
من ايامكم في الدنيا لان ما بين السماء الى الارض مسيرة خمس مائة عام فاذا قطع الملك ذلك في يوم واحد
نازلا وصاعدا حصل له مسيرة الف سنة في يوم واحد وهو التدبير هو ما يكتب في اللوح المحفوظ للملائكة
الموكلين به حتى اذا راوا ذلك قد وجد في اللوح المحفوظ عرفوا انه اراد ان ينزلوا به الى نبيه في الارض فينقلون
ذلك ثم يرجعون الى مكانهم الذي كانوا فيه • وقوله يعرج ظاهره يرجع الى الامر فهو المذكور قبله وسماه عروج
المامور بتبليغ ذلك الامر • وقوله تعالى اليه ظاهره يرجع الى الله تعالى ومعناه العروج الى المكان الذي كان
الخطاب الاول فيه والامر بالعروج اليه • وقيل اليه اي الى السماء فقد ذكرها قبله وهو يذكر ويونث • قال الله
تعالى السماء منفطر به • وقال الشاعر فلو رفع السماء اليه قوما لكنا في السماء مع النجوم • وقيل في يوم
كان مقداره • قيل كان زائدة كما في قوله من كان في المهد صبيا • وقيل معناه ان هذا ماض تمسوه من قبل فاما قوله
في سورة سال سائل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فهو يوم القيامة وذلك مقداره • وقوله تعالى ذلك
عالم الغيب والشهادة اي الموصوف بما مر عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه وبما شاهدوه لا يخفى عليه شيء من
ذلك العزيز المنيع لسلطانه فلا يغالب الرحيم بخلقه بايصال المنافع ودفع المضار الذي احسن كل شيء خلقه
قرا نافع وحمزة والكسائي وعاصم خلقه بتحريك اللام وهو فعل ماض ومعناه اتقن كل شيء • وقيل اي علم كل شيء قد خلقه
من قولهم فلان يحسن كل شيء ما يحسنه اى علم قبل ان يخلقه انه كيف يكون اذا خلقه وعلم مآله ومبدئه ونهايته وما يكون
منه وما يحتاج اليه الى انقضائه • وقيل علم ما خلق فلم يحتج ان يحتذيه على مثال سبق • وقيل اي جعله
حسنا على معنى انه خلق ما له ان يخلقه ومن فعل ما له ان يفعله فقد احسن او جعله حسنا على ما علق به من الحكمة
وجعل فيه من الدلالة • وقرا ابن كثير وابو عمرو احسن كل شيء خلقه بتسكين اللام على انه مصدر والفعل واقع
عليه والتقدير احسن خلق كل شيء ثم هو يقع على الاتقان وعلى العلم وعلى التحسين على ما مر وظاهر لفظه انه كان
مفعولا به وهو خلقه بدل منه وهو كقوله ضربت زيدا راسه • وقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين
اي بدا خلق ادم من طين وهو التراب المبلول بالماء ثم جعل نسله اي نسل ادم من طين وهو ما ينزل منه من الذة
من سلالة اي من ما يسيل من اصلاب الرجال من ماء مهين ضعيف السلالة انها نطفة ضعيفة رقيقة لا خطر لها عند
الناس • وقوله تعالى ثم سواه اي عدله ويجوز ان يرجع الهاء الى الماء مهين ويجوز ان يرجع الى النسل ونفخ فيه من
روحه اي ودخلت فيه الروح الذي خلقه له والاضافة له للتشريف كبيت الله وناقة الله وشهر الله • وقوله
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة اي جعل لكم معاشر الناس ما تسمعون به فتميزون به بين الاصوات وما
تبصرون به فتميزون به بين الاشخاص والالوان والافيدة حتى تعقلوا بها الامور وتتدبروها قليلا ما تشكرون
وهذا حث على الاستكثار من الشكر على ما ابتدا من هذه النعم لنيل دوام النعيم في الجنة ايضا • وقوله تعالى
وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد اي وقال المشركون المنكرون للبعث الاحياء بعد ما بلينا في الارض
وهلكت اجسادنا فلم يتبين للناظر ترابنا كما يضل الماء في اللبن فلا يتبين فيه ائنا لفي خلق جديد فنحيى كما كنا قبل

اي انكم تعجب منكم فهو استفهام بمعنى الانكار بل هم بلقاء ربهم كافرون بل رده لما قبله صريحا او تقديرا وتقديره ما هذا ليس
بجحود قدرة الله تعالى على البعث والاعادة لانا نبهناهم بالايات على قدرتنا لكن هذا اعتقدوا الا دار الحساب والجزاء فهم
لذا ينكرون البعث والحيا بعد الموت • وقوله تعالى قل يتوفاكم اي يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم للحساب
اعمالكم وقبض ارواحكم وهو عزرائيل ثم الى ربكم ترجعون في القيامة فيحاسبكم على اعمالكم ويجازيكم عليها واضاف التوفي
ههنا الى ملك الموت والى الملائكة في قوله تتوفاهم الملائكة والى نفسه في قوله الله يتوفى الانفس والجمع بينهما
ان الملائكة هم اعوان ملك الموت ينزعون الروح الى الحلقوم ثم يقبضه ملك الموت والله تعالى هو الامر بذلك
وهو الخالق لافعال العباد والاضافة اليه بالامر وبالتخليق ايضا • وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم
اي ولو ترى يا محمد اذا المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم هذا بيان حالهم اذا رجعوا الى الله يوم القيامة وهم الذين
قالوا ائذا ضللنا في الارض ناكسوا رءوسهم حياء وخوفا عند ربهم عند حساب ربهم والعرض على ربهم • وقوله تعالى
ربنا ابصرنا وسمعنا اي يقولون يا ربنا ابصرنا الان ما لم نكن نبصر في الدنيا وسمعنا ما لم نكن نسمع اي تيقنا بالبعث
وزالت الشكوك فارجعنا اي الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة انا موقنون بالبعث والحساب وانه لا ينفعنا
عبادة من كنا نشركهم بك • وقيل ربنا لك الحجة علينا فقد ابصرنا رسلك واياتك وحدانيتك وسمعنا كتابك ووعظ
انبيائك فلا حجة لنا عليك لكن بنا حاجة اليك وهو ان ترجعنا الى الدنيا لنطيعك تيقنا انه لا ينفعنا عندك الا
العمل الصالح وجواب ولو ترى محذوف وتقديره لرايت منظرا هائلا كقولك لو رايت فلانا وقد اخذته السياط •
وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها • قال الامام ابو منصور رحمه الله اي ولو شئنا لاتينا كل نفس ما عندنا
من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا ولكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار غير ذلك وعلى قول
المعتزلة شاء ان يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها لكنها لم تهتد فقولهم مخالف للاية لانهم يقولون شاء ان
يهتدي كل نفس واتى كل نفس ما تهتدي به لكنهم يقولون المشية ههنا ليست مشية الجبر والقسر يعني الجبر زعمهم
انه قد شاء ان يهتدوا واتاهم ما يهتدون به فلم يهتدوا ولم تنفذ مشيته فكيف يقدر ويملك ان يشاء مشية
يقهرهم ويجبرهم حتى يهتدوا وكيف يومن على ذلك هذا اللفظ وقيل يعيد على قولكم ايضا الهم ايضا ان الايمان مع
والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون ايمانا لان القهر والجبر يخرج الفعل عن فاعله ويحوله عنه فكيف تاويلكم
هذا • وقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي وجب القول مني لما علمت
انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون الكفر والتكذيب • وقوله تعالى فذوقوا
بما نسيتم هذا الكلام الى خطاب المجرمين في القيامة وكان قوله ولو شئنا الاية كلاما معترضا وقيل هو متصل قال
محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار اذا قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون رد الله عليهم
[illegible]

وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم ينادي مناد سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم اين الحامدون لله في السراء والضراء
فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ● ثم ينادي مناد سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم اين الذين لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يحاسب من سواهم من الناس ● وروى
ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ● قال ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين ● وقوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ذكر وعيد الكافرين ووعد المؤمنين ثم عجب عباده
ما بين الفريقين فقال افمن هو استفهام بمعنى النفي يقول افمن كان متقلدا الايمان كمن كان فاسقا خارجا
من طاعة الله منهمك في الخيانة فيما بينه وبين الله اي ان هذا لا يكون وقال لا يستوون ولم يقل يستويان لان من جنس
يصلح للجمع والاية نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط وكان بينهما تنازع في شيء
فقال الوليد لعلي رضي الله عنه الى كم هذه فوالله اني لاحد منك سنانا واشجع منك جنانا وابسط منك
لسانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت يا فاسق فانزل الله هذه الاية تصديقا
لعلي رضي الله عنه ونزل ايضا قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ في الوليد ● وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون هو تفصيل قوله لا يستوون فان المؤمنين في جنات المأوى
ناعمون نزلا اي رزقا وعطاء لهم باعمالهم الصالحة واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها اي اذا رفعهم لهب النار الى اعلاها ردوا الى مواضعهم فيها تضربهم الزبانية اياهم بمقامع
الحديد قاله الحسن وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اي ويقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون والتذكير راجع الى العذاب وان جعل راجعا الى النار فلان تأنيثها ليس بحقيقي
والحقيقي يجوز التذكير فيه للفظه ● وقوله تعالى ولنذيقنهم اي هؤلاء الفساق من العذاب الادنى اي
العذاب في الدنيا من القتل والسبي ● وقيل هو يوم بدر ● وقيل هو مصائب الدنيا وشدائدها في النفوس
والاموال والقحط ● وقيل هو عذاب القبر دون العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة اي يجمع الله لهم
العذابين ونظيره ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء
محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ● وقال الحسن العذاب الادنى البلايا دون العذاب الاكبر اي العذاب
المستأصل يعني لا يكون ذلك لهذه الامة فعلى قوله العذاب الادنى في الدنيا لعلهم يرجعون اي ليرجعوا اذا
انتهوا بالعذاب الادنى وهذا اذا حمل الادنى على ما دون القتل فان حمل على القتل فمعنى قوله يرجعون اي
لعل الآخرين يعتبرون بهم فيرجعون ● وقوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه اي وعظ بها ثم اعرض عنها
فتولى عنها فلم يقبلها فلا احق بالعذاب في الدنيا والآخرة من هذا انا من المجرمين منتقمون اي انا من هؤلاء
الفساق المشركين منتقمون تمييزا بين المحسن والمسيء ● وقال القشيري افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
اي امن كان في حلة الوصال يجر اذيالها كمن هو في مذلة الفراق يعاني وبالها امن كان في روح اقبالنا عليه
كمن هو في محنة اعراضنا عنه امن يبقى معنا كمن يبقى عنا ● امن هو في ضياء العرفان وبهاء الاحسان كمن
هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان والهجران لا يستويان ولا يلتقيان ● امن ايد بنور البرهان واطلع
على شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان ● وقيل العذاب الادنى الخذلان في الزلة والاكبر
الهجران عن الوصلة ● وقيل العذاب الادنى لقوم محن الدنيا والاكبر عقوبة العقبى ولقوم العذاب
الادنى فترة تداخلهم في عباداتهم والاكبر قسوة تصيبهم في قلوبهم ● ولقوم العذاب الادنى وقفة في
سلوكهم تمنيهم والاكبر حجبة من مشاهدتهم ● قال قائلهم ● ادبتني بانصرافك عني ● انظر الي فقد
احسنت تاديبي ● وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة اي كما اعطيناك القرآن فلا تكن في مرية
من لقائه اي في شك من التلقاء يوم القيامة وتكونان مع سائر الانبياء في المراتب العالية التي اعدت
لكم ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي فلا تكن في شك في انك لقيته ليلة المعراج واكرمك الله بالاجتماع
معه وارانا مشاهدة ملكوت السموات فشق بكى امتك على الله وامض لما انت عليه من الدعاء الى دين الله
صابرا عليه ● وقيل معناه ولقد آتينا موسى الكتاب فلقيه من قومه الاذى فاصبر عليه فلا تكن في مرية في ان
تلقى بما لقي هو واصبر كما صبر هو بحيث العاقبة كما حمد هو ● وقال الزجاج فلا تكن في مرية من لقاء موسى
الكتاب ● وقيل هذا يتصل بكلام متقدم وتقديره ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل وهو
المعترض يتصل بقوله أإذا ضللنا في الارض الى قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون فلا تكن في مرية من لقائه ● وقال
عطاء فلا تكن في مرية من لقاء موسى الجبل كما عندنا سؤاله الرؤية ● وقال الشيخ ابو القاسم بن حبيب روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فلا تكن في مرية من لقائه ليلة هذا ورؤيته لنا ● وقوله تعالى وجعلناه هدى
قيل اي وجعلنا موسى هاديا ● وقيل الكتاب هاديا الى الحق لبني اسرائيل وجعلنا منهم اي من بني اسرائيل ائمة

قادة يقتدى بهم ● وقوله تعالى يهدون بامرنا اي يدلون الناس على الطريق المستقيم بامرنا اياهم به وهم انبياء
بني اسرائيل وغير الانبياء ايضا لما صبروا ● قرأ حمزة والكسائي لما صبروا بكسر اللام والتخفيف اي لصبرهم ● وقرأ
الباقون لما صبروا بفتح اللام وتشديد الميم يعني حين صبروا ● وقيل على الجوع والصوم كما قال وجزاهم بما صبروا
وقيل اي على تحمل البلايا واذى الاعداء ● وقيل على طاعة الله ● وقيل اي عن محارم الله وفيه دليل على ان الصبر
ثمرته امامة الناس ● وقوله تعالى وكانوا بآياتنا يوقنون عطف على صبروا والآيات التوراة ● وقيل المعجزات
التي كانت لموسى عليه السلام ان ربك هو يفصل بينهم اي يقطع الحكم بين هؤلاء المذكورين وهم المؤمنون والكفار من بني
اسرائيل وغير ذلك في الآخرة وهو قوله يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدنيا والدين فيميز بينهم في الثواب
والعقاب فيبين احسان المحسنين واساءة المسيئين وحق المحق وباطل المبطل ● وقال القشيري رحمه الله ان ربك
هو يفصل بينهم يوم القيامة بعد ذلك يتبين المردود من المقبول والمهجور من الموصول والذميم من الرضي والعدو
من الولي فكم من بهجة ظاهرة هنالك وكم من مهجة ذائبة عند ذلك ● وقوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون
اولم يبين لهم اهلاكنا القرون من قبلهم فيتعظوا ويرتدعوا عن الشرك يمشون في مساكنهم اي يمشي هؤلاء في مساكن
المهلكين في اسفارهم وهي بلاد قوم صالح وشعيب ولوط كما قال وانكم لتمرون عليهم وانهما لبامام مبين ان
في ذلك لآيات ان من فعل فعلهم جزي جزاءهم افلا يسمعون ما فعلنا بهم ● وقيل افلا يسمعون ما يوعظون به ●
فيتعظون به ● وقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء وهو المطر الى الارض الجرز اي اليابسة التي لا نبات
فيها لانقطاع ذلك لانقطاع الامطار وهو من قولهم سيف جراز اي قطاع ● وقوله تعالى فنخرج به زرعا
تأكل منه انعامهم اي مواشيهم من الحشيش ونحوه وانفسهم من الاطعمة والفواكه افلا يبصرون هذا فيعلمون
انه لا بد من ان يعيد من قدر على احياء الارض بعد موتها قادر على احيائهم بعد موتهم ● وقوله تعالى ويقولون
متى هذا الفتح ان كنتم صادقين اي ويقول هؤلاء المنكرون للبعث متى هذا الفتح اي الحكم والقضاء والفصل
بيننا وبينكم على ما تذكرونه والفتح الحكم والفتاح الحاكم ان كنتم صادقين انه كائن فبينوا لنا وقته ● وقوله
تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم لان ايمانهم اضطرار وقد قال الله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بتأخير العذاب ● وقيل هو فتح مكة وكان موعودا للنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فكانوا يذكرون ذلك للكفار فقال الله تعالى مجيبا لهم قل يوم الفتح لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وكان القائلون هذا قوم من خزيمة فلما فتحت مكة هربوا فلقيهم خالد بن
الوليد رضي الله عنه فاظهروا الاسلام فلم يقبله خالد منهم وقتلهم فكان ذلك قوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ذكره الكلبي رحمه الله وغيره وقالوا هذا غير صحيح لان اكثر اهل مكة آمنوا يومئذ فنفعهم ايمانهم وذكرت
[illegible]

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي وكفى

بسم الله الذي اعد للكافرين عذابا اليما • الرحمن الذي وعد المؤمنين اجرا كريما • الرحيم الذي قال ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر • وسورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وسبع وثمانون كلمة وخمسة الاف وستمائة واربعون حرفا وانتظام اول هذه السورة باخر سورة السجدة بانه امر رسوله ثم بالاعراض عن الكافرين ونهاه هاهنا عن طاعة الكافرين والمنافقين • وانتظام السورتين ان تلك السورة في محاجة المشركين والصبر على اذى المؤذين فقد قال لما صبروا • وقال فاعرض عنهم • وهذه السورة في تعداد ضروب اذى عناه من الكافرين والمنافقين وبعض المؤمنين فطعنهم عليه في زيد وتزوج امراته والاستكثار من النساء والتوسع في المناكح والامتنان على نسائه عليه في طلب الزينة ودخول بعض المؤمنين بيوته وانتظارهم طعامه وتعرض بعض المنافقين بعض نسائه وايذائهم المؤمنين • وختم بذكر ايذاء قوم موسى وذكر في السورة لفظة الاذى ودفع اذاهم ان ذلكم كان يؤذي النبي وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ان الذين يؤذون الله ورسوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ان يعرفن فلا يؤذين لا تكونوا كالذين اذوا موسى • وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما • روي في نزول هذا ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين وجد ابن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاهم الامان على ان يكلموه ومعهم طعمة بن ابيرق وعبد الله بن سعد بن ابي سرح فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل انها تشفع وتنفع لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة يعني هؤلاء الستة النفر المسمين • وقال الضحاك انهم حملوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان ينقض العهد الذي كان بينه وبين قوم من العرب فنهاه الله تعالى عن ذلك • وقوله تعالى اتق الله اي ادم على تقواك ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعونك اليه • وقال ابن كيسان الخطاب له والمراد به جميع المؤمنين فانه ختم الاية بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا على الجمع • وقوله ان الله كان عليما اي بما يؤذيك من قولهم حكيما في ان لا يعاجلهم بالعقوبة على فعلهم • وقال الامام القشيري رحمه الله يا ايها النبي اتق الله اي يا ايها المرتقي الى اعلى الرتب المتلقي بالسنى القرب • يا ايها المخبر عنا المأمون على اسرارنا المبلغ خطابنا الى احبابنا اتق الله الا تلاحظ غيرنا معنا او تساكن شيئا سوانا والتقوى رقيب على قلوب اولي الالباب يمنعهم من انفاسهم وحركاتهم وسكناتهم ان ينظروا الى غيره التقوى لجام يكبحك عما لا يجوز • وزمام يقودك الى ما تحب وسوط يسوقك الى ما امرت به وشخص من الله يحملك على القيام بحقه وحرز يعصمك من وصول اعداء اليك وعوذة تشفيك من داء الخطا • وقوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك من اوامره ونواهيه • وقيل واتبع احكام الله التي يوحيها اليك دون احكام الجاهلية في الظهار والتبني ولا تخالفها ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا اي عليما فخطاب له وللامة وتوكل على الله اي اعتمد عليه وفوض امورك اليه مما تخافه من ضرر اذى الكفار وكفى بالله وكيلا اي وحسبك الله قائما بامورك • وقال الامام القشيري رحمه الله واتبع ما يوحى اليك من ربك كن لنا لا لك وقم بنا لا بك وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقيدة وتخلق باقامة الشريعة وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية • وقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يذكر ما كان المنافقون يقولون يقول لم يجعل الله لرجل في جوفه اي في بطنه قلبين انما جعل له قلبا واحدا • وقوله تعالى من قلبين كلمة من زيدت للتاكيد كما في قوله فما منكم من احد عنه حاجزين • وقيل هو في ابي معمر جميل بن معمر الاسدي الفهري وكان حافظا لما يسمع واهدى الناس للطريق وسمته العرب ذا القلبين وكان هو يقول ان لي قلبين احدهما اعقل من الاخر وكان يوم بدر انهزم واحدى نعليه في رجليه والاخرى في يديه وكان يعدو وفي رجل ونخنف في رجله ويقول اين نعلي ولا يعقل انها في يده فانزل الله هذه الاية في شانه تكذيبا لهم في تسميته بذلك وروي انه تلقاه ابو سفيان بن حرب فقال له ما فعل الناس فقال انهزموا فقال له ما بال

تعالى

واهل بيته

وسبعة صح

وقوله تعالى صح

تعالى في بدنك قال ما شعرت الا انها جميعا في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده • وقيل كان بعض المنافقين يزعم ان للنبي صلى الله عليه وسلم قلبين • وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه رواية انه قال كان رجل من قريش يسمى ذا القلبين لدهائه فنفى الله تعالى عنه هذه التسمية كما نفاهم الله تعالى ان يسموا الزوجة اما بالظهار وان يسموا الدعي ابنا فانتظمت الالفاظ هذه الثلاث ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وهو قول مجاهد وقتادة • وقال الحسن هذا تكذيب للرجل كان يقول ان لي قلبين قلبا يامرني بكذا وقلبا ينهاني عنه • وقيل كان المنافقون يقولون [illegible] فقال في قلبان تلك مع هؤلاء وقلب مع هؤلاء [illegible] ويتصل بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي ان معناه لا يجتمع طاعة الكافرين والمنافقين والجامع الايمان بالله في قلب كما لا يجتمع قلبان في جوف [illegible] اعتقادان متنافيان يجتمعان في قلب • وقال الامام ابو منصور رحمه الله الحكمة [illegible] يجعل لواحد قلبين وجعل لواحد سمعين وبصرين [illegible] بالسمع والبصر يكون بالمشاهدة [illegible] وما يدرك بالقلب [illegible] بالاجتهاد وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان [illegible] • وقوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي قرأ ابن كثير ونافع اللاء بهمزة مكسورة ليس بعدها ياء • وقرأ ابو عمرو كذلك الا انه لين الهمزة • وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بهمزة بعدها ياء وهي لغات وهو جمع التي تظاهرون منهن امهاتكم • وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو تظهرون بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء بلا الف وقرأ عاصم تظاهرون بضم التاء من المظاهرة • وقرأ حمزة والكسائي تظاهرون بالالف وفتح التاء وتخفيف الظاء • وقرأ ابن عامر تظاهرون [illegible] واصله تتظاهرون فادغمت التاء في الظاء [illegible] احدى التاءين • وهذه الكلمة [illegible] قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وكان ذلك طلاقا في الجاهلية فابطل الشرع هذا الحكم وجعله سبب الحرمة موقتة بالكفارة [illegible] بقوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم • وقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي لم يجعل الله من تدعون بنوته [illegible] ذلكم قولكم بافواهكم اي قولكم [illegible] هو قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له في اعتقاد القلوب [illegible] زيد بن حارثة كانوا يسمونه زيد بن محمد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان تبناه والله يقول الحق [illegible] وهو يهدي السبيل اي يرشد [illegible] فاتبعوا ما شرعه في الاسلام وكان في الجاهلية اذا اعجب احدهم جلد رجل ضمه الى نفسه وتبناه وجعل له مثل نصيب احد الاولاد [illegible] زيد بن حارثة بن شراحيل [illegible] ينسب الى ابيه • وقوله تعالى ادعوهم لابائهم الذين ولدوهم [illegible] • وقوله تعالى هو اقسط عند الله اي اعدل • وقوله فان لم تعلموا اباءهم [illegible] فاخوانكم في الدين ومواليكم [illegible] يا عبيد الله يا عبد الرحمن ونحوه من اسماء اهل الاسلام [illegible] انسانا ابن تبناه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي فتطمئن ذلك بعد سماع النهي وكان الله غفورا رحيما الا يواخذ بالخطا ويقبل التوبة من المتعمد • وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدرا تبنى سالما وانكحه ابنة اخته هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الانصار كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وكان من تبنى رجلا في الجاهلية دعاه الناس اليه وورث من ميراثه حتى انزل الله تعالى ادعوهم لابائهم الاية فردوا الى ابائهم فمن لم يعلم له اب كان اخا في الدين • وقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي احق بالمؤمنين بان يحكم عليهم من انفسهم فيما يكون به لا انفسهم مما يخالف حكمه • وقيل من انفسهم اي من بعضهم لبعض كما قال فلا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم • وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وسمع هذا يعني لا يرث احد من امته الا بالقرابة فكذلك الادعياء لا يرثونكم الا بالقرابة بينكم • وفي مصحف ابي النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم اي ان نساء النبي كامهات المؤمنين في وجوب تعظيمهن وبرهن • وقيل فان الله حرمهن عليهم كما حرم عليهم امهاتهم • وقيل انهن مستحقات عليهم مزيدات الخير لهم كالامهات ثم هذه الامومة لا توجب ميراثا فالامومة التبني من ايجاب ذلك ابعد واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي ولاية الميراث

يوابنكم صح

وكاهه

يا عبيد الله صح

اي صح

تقع بالارحام لا بالتبني • وقال الفرا كان المسلمون متواخين وكان الرجل اذا مات عن الحية الذي اخاه ورثه دون
عصبته وقرابته فانزل الله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وليس بينهم فكيف يرث المتواخي اخاه وانزل واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض • ووجه اخر قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مومن من نفسه
فايما مومن مات وترك عليه دينا فعلي او وصيته فالي وان ترك مالا فلورثته • ووجه اخر ان الله تعالى عاب عليهم
التسمية بالابوة بالتبني والتسمية بالامومة في الظهار ثم كانت ها هنا مسيلتان صالحتين للنبي ولازواجه
فيقال للنبي ابو المومنين ولازواجه امهات المومنين فعرفنا الله بذلك الخروج هذا من جملة ما عابه فقال النبي
اولى بالمومنين من انفسهم هو اب لهم وازواجه امهاتهم فلا باس عليكم في هذه التسمية في هذا الموضع واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض يعني لكن التوارث فيما انزلت في كتابي لا يقع الا بالقرابة والرحم • وقوله تعالى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اي في حكم القران • وقيل اي في حكم الله الذي كتبه لهم من المومنين والمهاجرين
اي بعضهم احق بميراث بعض من الذين تواخوا على الايمان والهجرة وكانوا يتوارثون بهذه المواخاة • وقيل كانت
المواخاة بين الانصار والمهاجرين فالمومنون هم الانصار والمهاجرون هم الذين هاجروا اليهم • وقيل كانت مواخاة
احدا بين المهاجرين اخا فيها النبي بين حمزة وزيد وبين ابي بكر وعمر وبين نفسه وعلي والاخرى بين المهاجرين
والانصار بين ابي بكر وخارجة وبين عمر وعاصم وبين عثمان وعلي وبين سهل بن حنيف وعبد الرحمن وبين سعد
ابن الربيع وعثمان وبين اوس بن ثابت وبين الزبير الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اي الا ان توصوا لمن
احببتم ممن هو لا يرث فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث • وقيل معروفا بالصلة لهم والمعونة بالبر والفعل
منهم ونحوها هذا وجه • ووجه اخر قاله قتادة في هذه الاية وفيه تقديم وتاخير واولوا الارحام من المومنين
والمهاجرين بعضهم اولى ببعض بالميراث دون الكفار منهم الا ان تفعلوا الى اوليائكم اي قراباتكم من غير المومنين
معروفا بالوصية في الموت او بالصلة في الحياة كان ذلك في الكتاب مسطورا اي التوارث بالارحام في اللوح
المحفوظ كان مسطورا • وقيل اي في القران وهو اية المواريث • وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
يعني كان ذلك في الكتاب مسطورا حين كتب الله تعالى ما هو كاين وحين اخذ مواثيق الانبياء وهو لتعظيم
الامر فيه وتاكيد قطع الولاية بين المسلمين والكفار وتعريف المومنين ان ذلك مما لا تختلف فيه شرايع الانبياء
في الجملة وان كان في تفصيله اختلاف وذلك ان الناس في اول الاسلام كانوا يتوارثون بالهجرة اذ هي من اكبر
اسباب الديانة وبالمواخاة اذ هي اجتماع على نصرة دين الله ثم في الاخر توارثوا بالايمان مع القرابة وذلك الاجتماع
في الدين بحمد الله تعالى فلم تخل هذه الشرايع كلها من تعليق التوارث بسبب ولاية الدين • وقيل في نظمه وجه
اخر النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم كان ذلك في الكتاب مسطورا وما اخذ به المواثيق من الانبيا
وقوله تعالى ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا • قال سعيد بن جبير
هم باخذ الميثاق على الدين والشهادة وخص الخمسة المذكورين في الاية بتبليغ الرسالة والقيام بالتحمل لانهم
اصحاب الكتب والامم وهم اولوا العزم وبدا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان هو الاول في خطاب العهد ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اول الانبيا خلقا واخرهم بعثا الى الخلق • قال ابن عباس رضي الله عنهما
اخذ ميثاق نوح على ان يبشر بابرهيم واخذ ميثاق ابرهيم على ان يبشر بموسى واخذ ميثاق موسى على ان يبشر بعيسى
واخذ ميثاق عيسى على ان يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم • ثم قوله تعالى ومنك ومن نوح الى اخره دليل على ان الواو
للجمع المطلق لا للترتيب ثم هذا التفصيل باسما هولا بعد الاجمال اشعار انهم اصحاب كتب وشرايع وهم المذكورون
في اول الاية في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية • ثم قوله واخذنا منهم ميثاقا غليظا يحتمل ان يكون هو
الميثاق المذكور في اول الاية وانما اعيد ليرتب عليه تغليظه اي توثيقه وتاكيده • ويحتمل ان يكون الاول
ميثاق الاقرار والشهادة والثاني ميثاق التبليغ والبشارة • وقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم
اي الانبيا وهم الصادقون عن صدقهم فيما دعاهم لامتهم ماذا اجيبوا فيه وهل اطيعوا وانزلوا منزلة
الابا من امتهم حتى كان الانبيا احب اليهم من انفسهم واهاليهم واولادهم • وروي ان كل نبي ابو امته وفي
لفظ هؤلاء بناتي هن اطهر لكم انه اراد بنات امته فكان كالاب لهم • وقيل معناه ليسالهم هل بلغوا ما امروا
بما امروا به فيحاسبون على ذلك ويثابون على تبليغهم فاذا كان الانبيا يحاسبون ويسالون فكيف من سواهم
وقيل اذا كان الصادق يسال عن صدقه فكيف الكاذب • وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما اي للكافرين
من امم هولا اي من شهد عليهم الانبيا بالكفر • وقال الامام القشيري رحمه الله سوال الصادقين سوال تشريف
لا سوال تعنيف والصدق ان لا يكون في احوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في اعمالك عيب • وقوله
تعالى يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم وهذه قصة تشتمل على ذكر الكافرين والمنافقين الذين ذكرهم
في اول هذه السورة يقول اذكروا ايها المومنون منة الله عليكم اذ جاتكم جنود اي حين جاتكم جنود من المشركين
اهل مكة وفزارة وغطفان في الحابيش وظاهرهم على ذلك اهل الكتاب من بني قريظة وذلك ان ابا سفيان

ابن حرب

والانصار هم

ابن حرب وعيينة بن حصن ظاهروا يهود قريظة على النبي فسمع به النبي صلى الله عليه وسلم فحفر الخندق باشارة سلمان
فارسلنا عليهم اي على هذه الجنود ريحا قطعت خيامهم واكفات قدورهم فلم يمكنهم القرار فيمن اصيبهم وجنودا
يعني الملائكة لم تروها • قرا ابو عمرو في رواية بيا الغايبة اي لم يرها المشركون • وقرا الباقون بتاء الخطاب
للمؤمنين وكان الله بما تعملون بصيرا • قرا ابو عمرو وابن كثير بيا الغايبة اي بما يعمله جنود المشركين من التحزب على النبي
في اطفاء نور الله تعالى وهو وعيد لهم • وقيل اي بما يعمله جنود الله اي يعلمه تعلو ما فعلوا وكان ارسالهم لذلك
وقرا الباقون بتاء الخطابة اي لم يخف على ربها المؤمنون ما عملتم من التحصن والثبات على معاونة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو وعد لهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما لما كان يوم الاحزاب انطلقت الجنوب الى الشمال
فقالت انطلقي بنا ننصر الله ورسوله فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فارسل الله عليهم الصبا فلذلك قوله فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا وهم الف من الملائكة كانوا يكبرون من ناحية العسكر وكانت هذه الريح من معجزات النبي لانه لم
يكن بين العسكرين الا شيء قدر يسير يرى بعضهم بعضا فارسل الله الريح على المشركين وهي باردة شغلتهم بانفسهم
وقلعت اخبيتهم وما لهم يصيبها ما لم ينتهيا لهم القرار وكان النبي والمؤمنون في عافية من ذلك • وقوله تعالى اذ جاؤكم
من فوقكم ومن اسفل منكم • قيل هو وصف لهم بالكثرة والتوجه اليهم من كل جهة وذلك اهول ما يكون • وقيل من فوقكم
ما يلي مكة ومن اسفل منكم ما يلي المدينة • وقيل من فوقكم من فوق الوادي من قبل المشرق وعليهم عوف بن مالك
النصري ومن اسفل منكم ما يلي المدينة يعني ابا سفيان بن حرب وعيينة بن حصن على اهل مكة ويزيد بن حيش
على قريش ومن قبل الخندق طلحة بن خويلد اليهودي ثم الفقعسي ومعه يهود بني قريظة واذ زاغت الابصار
اي مالت عيونكم عن كل شيء فلم تلتفت الا الى العدو متحيرة قاله الفراء • وقيل عدلت عن مقرها وشخصت طامحة
من شدة الفزع وبلغت القلوب الحناجر قيل اي كادت قلوبهم تبلغ الحلاقيم • وقيل ان الرية تنتفخ عند الخوف
فتدفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة • وقيل اي صار بعضهم من الرعب يضطرب فواده فلم يستقر مكانه
بل يبلغ بحركته واضطرابه الى الحلق • وقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا • قرا ابن كثير والكسائي وعاصم
في رواية حفص الظنونا بالالف بالوقف دون الوصل • وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر بالالف
في الوصل والوقف • وقرا ابو عمرو وحمزة بغير الف في الحالين • وفي المصحف بالالف في هذه الثلاث الظنونا
والرسولا والسبيلا وهو الاول في موافقة المكتوب ولمطابقة رؤس الاي وهو الصحيح في اللغة مستعمل
في الكلام وزيادة الالف اشباع الفتحة ومعنى هذا الكلام وتظنون بالله ظنونا مختلفة يظن الخلص ان الله
تعالى منجز نبيه وعده في اعلائه وقهر اعدائه ويظن المرتاب او ضعفاء البصيرة غير ذلك لما يرى من كثرة العدو
وضيق الامر بالمسلمين يقول لو كان الله يريد ان ينصرهم لما بلغ الامر هذا المبلغ وهو قوله واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا • وقوله تعالى وكانوا اي المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله • وقيل هذا خطاب للمؤمنين اي تظنون مرة ان الله سيكفيكم ويقويكم
ويحميكم وتظنون مرة انه يبتليكم ويخليكم ويخطر الشيطان مع ذلك قلوبكم الخواطر هنالك ابتلي
المؤمنون اي امتحن المؤمنون فبان صبرهم وثباتهم وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا تحريكا شديدا
بليغا بالفتنة والتمحيص • قال محمد بن اسحاق ان الحال لما اشتد وجاءت قريش مع قادتها حتى نزلت
بدومة وغطفان مع قادتها ونزلت الى جانب احد وكانوا عشرة الاف والمسلمون ثلاثة الاف وبلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان حيي بن اخطب لم يزل يفتل من كعب بن الاشرف في الذروة والغارب حتى نقض العهد
وعظم بذلك البلاء واشتد الخوف وظن المؤمنون الظنون ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا ان ناكل من كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يامن ان يذهب الى الغائط فاقام النبي صلى الله عليه وسلم بضعا
وعشرين ليلة فبينا الناس على ذلك من الخوف والبلاء ولم يكن بين الناس قتال الا الحصار والرمي بالنبال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قايدا غطفان فاعطاهما
ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا ومن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكتبوا الكتاب
ولم تقع الشهادة فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة
فذكر لهما ذلك واستشارهما فقالا يا رسول الله امر تحبه فنصنعه ام شيء امرك الله تعالى به لا بد لنا ان نعمل به
فقال لا بل لكم والله ما اصنع ذلك الا لاني رايت العرب قد كالبتكم من كل جانب ورمتكم عن قوس واحد
فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله
وعبادة الاوثان لا نعرف الله ولا نعبده وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا بقرى او بيعا فحين اكرمنا
الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة فوالله لا نعطيهم الا السيف حتى
يحكم الله بيننا وبينهم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك وتناول صحيفة العهد ومحاها
وقوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض • قيل ان المنافقين معتب وهم كانوا غير مؤمنين

لم تروها

لم شي يصنعه الناس
من هو

والذين في قلوبهم مرض وهم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبهة عليهم ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا اي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر ولم تظهر امارة ذلك بل ظهر خلاف ذلك فليس ما وعدنا
الا غرورا اي الا شيئا يخدعنا به لنتبعه من غير ان يكون له حقيقة والقائل بذلك قال الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
ذلك عن الله تعالى وكان وعده وعد الله • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب بالمعول في الخندق فبرقت
اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشرهم بانها ستفتح عليهم وهم يومئذ في جهد شديد وخوف عظيم
فقال معتب بن قشير • وقيل اوس بن قيظي يعدنا محمد هذا ونحن لا نستطيع ان نبرز للخلاء فنزلت الاية • وقيل
ما كان قولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الا من اقربائه ولربما لا ياتيكم هذا لكن لما وعدهم محمد صلى الله
عليه وسلم ذلك قالوا هذا غرور فاخبر تعالى انهم انما وصفوا بالغرور ما هو وعد الرسول ووعده وعد الله
وقوله تعالى واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا اي يا اهل المدينة ليس لكم موضع قيام
وقرا عاصم في رواية حفص لا مقام لكم بالضم اي موضع اقامة اي ضيق عليكم الاحزاب الموضع فارجعوا من
العسكر الى المدينة • وقوله تعالى ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة اي منكشفة الظهور وقيل
اي خالية • وقيل اي ضايعة • وقيل اي ممكنة للعدو ونحتاج الى ان نرجع فنحفظها لقرب العدو منها • وقيل
خارجة من عمران المدينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها فلم يكن كذلك • وقوله تعالى وما هي بعورة
ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون الا الفرار من العسكر حذرا من الحرب وارادة الكفر قلوب جبرهم • وقوله
تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها اي من نواحيها • وقوله تعالى ثم سئلوا الفتنة اي الكفر كما قال تعالى اي المدينة صح
حتى لا تكون فتنة لاتوها اي لاعطوها من انفسهم وكفروا وهذا على قراءة المد • وقرا ابن كثير ونافع لاتوها
بالقصر اي لجاؤها وفعلوها من قولك اتيت امر كذا • والباقون بالمد من الايتاء وهو الاعطاء • وقوله
تعالى وما تلبثوا بها الا يسيرا اي ما تلبثوا عن الاجابة الا وقتا قليلا وهذا وصف لهم بضعف النية
فيما يظهرونه من الاسلام واخلال اعتقادهم في الايمان يقول لو دخل الاحزاب الابواب قبل ان يصلوا الى
البيوت لثبتوا ما قدموا على اظهار الكفر • وقيل لو سئلوا اثارة الفتنة على المخلصين لفعلوا وما تلبثوا فيها
الكفار • وقال الحسن رحمه الله وما تلبثوا بها الا يسيرا اي لو نقضوا اي المكرم لم يلبثوا بالمدينة الا قليلا حتى
يعاجلهم الله تعالى بعذابه فيهلكوا • وقوله تعالى واذ قالت طايفة منهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو
حارثة • وقال مقاتل هم بنو سالم • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود قالت لعبد الله بن ابي واصحابه
ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة ويستاذن فريق منهم النبي اي
في الرجوع الى المدينة وهم بنو حارثة • وقوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان
عهد الله مسئولا اي مسئولا عنه اي فينقضوا عهدهم والله يسائلهم عن ذلك وكان بنو حارثة عاهدوا الله ان
لا يحدثوا ابدا لا يولوا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من اهل مكة • وقال مقاتل رحمه الله هم السبعون الذين
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا له اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط
لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم واولادكم ذلك صح
قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا • وقال محمد بن اسحاق
رحمه الله عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد على الا يفروا بعد ما نزل في الفارين وقوله تعالى
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا اي ان كان حضر اجلكم لن ينفعكم
الفرار وان كان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة اعماركم وذلك قليل لانه ينقضي
عن قريب اي فصبركم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجاهدة الكفار خير لكم من الفرار على كل حال
وقوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم مما يريد الله انزاله بكم • وقوله تعالى ان اراد بكم
سوءا اي في انفسكم من قتل او هزيمة او مكروه • وقوله تعالى او اراد بكم رحمة اي اطالة عمر في عافية
وسلامة اي هل احد يكله الا من الله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي ولا يجد المنافقون
العقوبة من عذاب الله من يتولى حفظهم ولا من ينصرهم على من يريد ايقاع مكروه بهم • وقيل ان اراد بكم سوءا اي من صح
هزيمة او اراد بكم رحمة اي ظفرا على الاعداء ثم الجمع بين الامرين واحدهما مكروه والاخر محبوب
والمذكور في هذا الكلام هو العصمة يشكل ظاهره لكن تقديره في الثاني ومن يمنع الله ان يرحمكم ان
اراد بكم رحمة • وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين المشغلين الناس عن شهود الحرب
واصل التعويق المنع وقد عاقه يعوقه اي منعه والتفعيل للتكرير والتكثير وهم طايفة من المنافقين
والقائلين لاخوانهم طايفة اخرى منهم • وقيل هؤلاء اليهود يقولون لاخوانهم اي للذين تواخوهم
على الكفر هلم الينا اي اقبلوا الينا وصيروا في جملتنا ودعوا عسكر محمد ولا تشهدوا معه القتال
ولا ياتون الباس الحرب الا قليلا يقولون لاخوانهم ان اصحاب محمد لا يحضرون الحرب الا طايفة قليلة

منهم

منهم لا يقاتلون الاحزاب فهم معاونون لا يكونون معهم وهذا هو النفاق • وقيل اي ولا ياتي هؤلاء القايلون لاخوانهم هذا
الحرب الا قليلا اي لهم الوضعان جميعا هم يثبطون غيرهم ويتخلفون في اكثر الاحوال بانفسهم • وقيل اي يحضرون ساعة
رياء وسمعة ويتقون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون كالذين لا ياتون الصلاة الا وهم كسالى يراءون الناس •
اشحة جمع شحيح وهو البخيل ونصبه على الحال وبيخل يقوله ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم اي بخلاء عليكم
بالنفقة في الغنيمة والخير ومعونة الضعفاء فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه
من الموت اي كدوران عين الذي يذهب عقله عند ظهور سكرات الموت يقول اذا كانت الغنيمة فهم اشح الناس
واذا جاء خوف القتل فهم اجبن الناس ويدهشون من الفزع ويقلبون اعينهم يمينا وشمالا وينظرون اليك
يلوذون بك احدا انهم تضطرب في رؤسهم كما يكون ممن حضره الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد
قال الفراء اي عضوكم واذوكم بالكلام وقال قطرب سلقت المراة وصلقت اي صحبت واصله رفع الصوت
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من حلق او سلق اي حلق شعره عند المصيبة او رفع صوته بالنياحة
بالسنة حداد اي ذربة بالقول بعد ان كانت حصرة بالخوف • وقيل اي يطعنون فيكم ويرمونكم بالمعايب كذبا
وزورا • وقيل اي يكثرون القول عليكم في الغنيمة اعطونا اعطونا الحاحا منهم وتوهما انكم تستاثرون به
وقيل اي اثنوا عليكم نفاقا برفع الصوت بعد ما كانوا يثبطونهم في حال الحرب • وقوله اشحة على الخير • وقيل
اي بخلاء عليكم بالغنيمة والاول بالمعونة لبلادهم • وقيل اي اشحة بكلام الجزاء اي بسوء القول عنكم ولا
يحسنونه • وقيل الاول على الخصوص فانه قال اشحة عليكم وهذا على العموم اي في حق كل الناس لشرههم
وسوء طباعهم وخبث اعتقادهم • وقيل اشحة على الخير اي بالطاعات والخيرات • وقيل الخير المال اي اشحة
باموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله ولا يؤثرون ولا يواسون اولئك لم يؤمنوا اي في الحقيقة بل بالالسنة
فاحبط الله اعمالهم اي ابطل باضمارهم الكفر ما اظهروه من الاعمال وكان ذلك على الله يسيرا اي احباط
اعمالهم • وقوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي يظنون ان الاحزاب وهم قريش وغطفان ومن معهم لم يذهبوا
اي لم ينصرفوا مع انهم انصرفوا وهو بيان لجبن هؤلاء المنافقين وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون
في الاعراب اي ولو رجع الاحزاب الى المدينة بعد ان انصرفوا الى مواضعهم تمنى هؤلاء المنافقون لجبنهم
لو كانوا في البوادي مع الاعراب وهم سكان البدو ليامنوا على انفسهم يسالون عن انبائكم اي يودون لو انهم
في البدو يسالون هناك عن اخباركم من اتاهم من المدينة اي يتمنوا ان يكونوا بعيدة منكم لا يعلمون بحالكم
الا بالسؤال لضعفهم عن القتال ومن جبنهم جبنا منهم • وقيل يسالون عن انبائكم ليس مبني على الاول ومعناه
ان من كان منهم في اطراف المدينة لم يحضر الخندق يسالون الناس عن انبائكم متوقعين غلبة جند المشركين
عليكم ولو كانوا فيكم اي ولو كان هؤلاء السايلون في عسكركم ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة لا نفع لكم فيه
وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة • قرا عاصم اسوة بضم الالف والباقون بكسرها وهما لغتان
في القدوة وتذكير كان لتقدم الفعل اي لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قد كان لكم قدوة برسول
الله حين خرج لحرب هؤلاء وبذل نفسه لنصرة دين الله مع ما قاساه من البلايا من البرد والجوع وحفر
الخندق وغير ذلك فكان ينبغي لهؤلاء ان يتاسوا به ولا يتخلفوا عنه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي من
يامل ثواب الله ويخاف عقاب الله والرجاء اسم لما يحبه وذكر الله كثيرا بالتعظيم له في كل الاحوال فهذا هو
الذي يرغب في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله اي اخبرنا الله انه يكون بلاء وشدة في ايات ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا الم
احسب الناس ان يتركوا الايات ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه الاية ونحوها وصدق الله ورسوله
ظهر صدقهما وما زادهم ما راوا الا ايمانا وتصديقا وتسليما وتفويضا وقالوا لما ظهر صدق وعد الله في اصابة
البلا فكذلك يظهر صدق وعده في النصر والفرج • وقوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه • قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من الصحابة لما سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف
شهداء بدر وما لهم من درجاتهم في الجنة وثوابهم عند الله تعالى قالوا لئن ارانا الله مثل ذلك اليوم قتلنا وقتلنا
فلما ابتلوا بيوم احد صاروا فرقا فمنهم من استشهد مثل حمزة ومصعب بن عمير وغيرهما ومنهم من جرح
ومنهم من انهزم فوصف الذين ثبتوا في الحرب فقال من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نحبه اي نذره • وقال ابن عباس ومقاتل اي اجله • وقال الضحاك يعني الموت ومنهم من ينتظر
يعني الوفاء بالعهد وما بدلوا تبديلا • وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال
بدر فقال غبت عن اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن شهدت مشهدا مع رسول الله
ليرين الله ما اصنع وهاب ان يقول غير ذلك فلما كان يوم احد وقتل من المسلمين من قتل وانهزم من انهزم
قال اللهم اني ابرا اليك مما صنع هؤلاء يعني المنهزمين واعتذر في العدو وجعل يضرب بسيفه حتى قتل قال انس

فقتل بنا فاف الجسد بضع وثمانون جراحة من ضرب بالسيف وطعن بالرمح ورمي بالسهم فلم يعرفه احد حتى عرفته اخته ببنانه
وفيه انزل الله فمنهم من قضى نحبه يعني انس بن النضر ومنهم من ينتظر قيل هو طلحة بن عبيد الله فانه بذل نفسه واصابته
الجراح في يده • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لطلحة ممن قضى نحبه وانما قال ذلك لانه كان بذل نفسه وما بدلوا
تبديلا اي ما نقضوا العهد • وقوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهو
متصل بما قبله قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله انه يمتحننا بالشدائد من الكفار فيتعبدنا بجهادهم ثم ليتبين بذلك
الصادق من الكاذب فيجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء وهو اذا مات المنافق على نفاقه
او يتوب عليهم يقبل توبة من تاب منهم واخلص ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب فانه اليه اناب • وقوله تعالى ورد الله
الذين كفروا بغيظهم اي مع غيظهم لم يشتفوا اي صرفهم عن المدينة وكفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لم
ينالوا خيرا اي ظفرا وكفى الله المؤمنين القتال اي لم يحوجهم في ردهم عنهم الى قتال بل ردهم عنهم بالريح فلم يستطع
احد منهم ان يلجم دابته وجالت خيلهم في عسكرهم وتقطعت اطنابهم فانهزموا سريعا وكان الله قويا عزيزا قادرا منيعا
وقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اي عاونوا المشركين وهم يهود بني قريظة من صياصيهم اي
حصونهم جمع صيصية والصيصية قرن البقرة وشوكة الديك • وشوكة الحائك قال الشاعر كوقع الصياصي
في النسيج الممدد • وكانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد باستدعاء ابي سفيان وكانوا محاربة
المسلمين فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح سمع وجبة على باب
الحجرة فنظر فاذا هو بجبريل عليه السلام على فرس ابلق وعلى ثناياه اثر النقع فقال يا رسول الله وضعت السلاح
ونحن ما وضعنا اسلحتنا بعد فقالت عائشة رضي الله عنها فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح الغبار عن وجه جبريل فقلت يا رسول الله هذا دحية الكلبي فقال هذا جبريل فقال ان الله يامرك ان لا تصلي
العصر الا ببني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في المسلمين فخرجوا وحاصرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحاصرهم احدا وعشرين يوما ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم
ونسائهم وتغنم اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى فيهم ففعل ذلك
ومن الله على المسلمين فقال وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
اي القى فيها الخوف فريقا تقتلون وهم الرجال المقاتلون وتاسرون فريقا وهم الصبيان والنساء واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم اي جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطؤوها اي لم تصيروا اليها بعد فاصدق قتال اهل الشرك
على اموالهم فيها وهذا وعد لهم بان ارضهم يصلوا اليها بعد • قيل هي ارض فارس والروم وهذا قول الحسن
وقال قتادة هي مكة • وقال ابن زيد ويزيد بن رومان هي خيبر • وقيل هي فدك وخيبر • وكان الله على كل شيء قديرا
اي لم يزل الله قادرا على استئصال الكفار وان كان لا يعاجل بالعقوبة وكان حرب الاحزاب وتسمى حرب الخندق
بعد حرب احد بسنة في السنة الخامسة من الهجرة واستجاش ابو سفيان سبعة جيوش وقد كان تابع بحرض
فارس ونصارى الروم وكان الاحزاب تحالفوا الذين يستاصلوا المدينة واهلها ويهدموا البنيان بحيث
لا يبقى لها اثر وكان في صميم الشتاء وشدة البرد واهل المدينة في عزة من الطعام وقلة من اللباس وضعف من البدن
وكانوا يحفرون الخندق وهم شادون الاحجار على اوساطهم والنبي صلى الله عليه وسلم شاد حجر الحمل لبطنه وفي اليوم
الاول قتل عمرو بن عبد ود من اكابر المشركين • وفي اليوم الثاني شغلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الوسطى
وفاتته اربع صلوات وقضاهن من الليل وفيه دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام قليل وهو صاع
من شعير وشاة فجمع كل اصحابه واتاهم فكفاهم كلهم ذلك الطعام وفضل عنهم • وقوله تعالى يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الاية • روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قسم غنائم بني قريظة
بين اصحابه وعائشة رضي الله عنها تنظر وكان للنبي الخمس من كل الغنيمة فقالت عائشة رضي الله عنها في نفسها
اليوم يوم خماري ومقنعتي ويصرف النبي الخمس اينما الى الناس فلم يحصل لعائشة شيء فجادلت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك وابو بكر الصديق حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
دعها فانها صغيرة ثم وضع يده على كتفها وقال اخرج يا شيطان منها • وقيل قال اخرج يا خبيث من هذه الطاهرة
فتلفت وقالت والذي بعثك بالحق لقد خرج ونزلت هذه الاية في عتابهن وفيها تخييرهن وهو انتظام حسن
وقيل انتظامها بما قبلها انه نوع اذى كان منهن في حق النبي فالا ان ذلك نوع اذى من الكفار والمنافقين • وقال
عكرمة نزلت الاية في غيرة غارتها عائشة رضي الله عنها • وقيل ان بعض نسائه استزادته في النفقة • وروي
انه امر اولا باعتزالهن فآلى ان لا يدخل عليهن شهرا ثم لما مضى شهر انزل الله هذه الاية وامر بتخيير نسائه فبدأ بعائشة
وقال لها اني ملق اليك امرا فلا عليك ان لا تعجليني حتى تستامري ابويك قالت عائشة وكان النبي علم ان ابوي
لا يامراني بفراقه ثم تلا عليها الايتين • قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله افي الله ورسوله استامر ابوي
فاني اخترت الله ورسوله والدار الآخرة ولكن لا تخبر بقولي سائر نسائك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدخل على نسائه [illegible] عائشة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة • وقوله تعالى ان كنتن
تردن الحياة الدنيا وزينتها [illegible]
[illegible]
ركن في الدنيا والآخرة ومشاهدات افعال النبي واقواله واحواله بالليل والنهار ان اتقيتن هذه الفضيلة
لكن ان اتقيتن المعاصي ومخالفة الله ورسوله والرغبة في الدنيا وزينتها فلا تخضعن بالقول فلا تلن بالكلام
اذا كلمتن الرجال من وراء حجاب كما يكلم الانسان من يخضع له بالطاعة وينقاد له فيما يريد فيطمع الذي في قلبه مرض
جواب النهي بالفاء فنصب فيطمع فيكن من في قلبه مرض اي نفاق • وقيل فجور والمرض المطلق ضعف في البدن
وهذا ضعف في الديانة او الاعتقاد او الصلاح وقلن قولا معروفا يرضاه الشرع بان يكون كلاما يعرف انه كلام
النسايات الصالحات • وقوله تعالى وقرن في بيوتكن • قرا نافع وعاصم بفتح القاف واصله واقررن
من باب علم من القرار وهو مستعمل من باب ضرب وعلم جميعا • قال الزجاج حذفت احدى الرائين ونقلت فتحتها
الى القاف فسقطت الالف المجتلبة لزوال الضرورة والحاجة اليها وهذا الحذف كالحذف في قوله فظلتم • وقرا
الباقون وقرن بكسر القاف من الوقار وهو السكون والطمانينة اي الزمن بيوتكن بذلك اسكن فيها واحرى ان لا تركن
اجنبي بحالكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى • قال قتادة هو التبختر اذا خرجت من بيتها • وقال مجاهد اذا
هي تجوب في بيتها لمن دخله من الرجال فامرت بالستر والتقنع في اعاليهن • وقيل هو التزين والتكشف
واصل الكلمة السعة والظهور ومنه البرج وهو العظم والبرج في العين وهو سعة الحدقة والجاهلية الاولى
المتقدمة على الاسلام • وقيل ان الله تعالى كان اعلم نبيه افتتاح البلدان لامته واتساع اصحابه في المال
فهي نساءه ان لو يكن ان يتبرجن فيكون ذلك منهن جاهلية وهي حالة فسق كالجاهلية قبل الاسلام وهي
حالة كفر • وقيل الجاهلية الاولى في زمان ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس من الدروع ذرع اللؤلؤ غير مخيط
الجانبين وتلبس الثياب الرقاق التي لا تواري بدنها واقمن الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وآتين الزكاة
فانها مواساة اهل الحاجة واطعن الله ورسوله في كل امر ونهي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اي انما يريد الله تنبيهكم يا اهل بيت محمد على ما يشدكم عنه الا وامر ان يذهب عنكم نجاسة
الآثام ويطهركم عنها فتطهروا بها • وقيل اهل البيت الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم • قال انس
رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر ببيت فاطمة وقت الفجر فيقول الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • قالت ام سلمة رضي الله عنها ان هذه نزلت على النبي وهو في بيتها فدعى
الحسن والحسين وعليا وفاطمة فجللهم بالكساء فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وقال ابن عباس وعكرمة هم ازواج النبي على الخصوص لان ما قبلها وما بعدها فيهن • وقال الحسين بن الفضل
وهو الصحيح وبه قال الامام ابو منصور رحمه الله ان الاية في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من الازواج
وغيرهن وفي حديث ام سلمة انها قالت يا رسول الله وانا من اهل البيت قال نعم والخطاب بالكاف والميم لشموله على
الذكران والاناث • وقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله قيل هو ذكر النعمة للشكر عليها • وقيل

هو التلاوة والذكر باللسان • وقيل هو الحفظ بالقلب والصيغة صالحة للكل من آيات الله اي القرآن والحكمة اي بيان
معاني القرآن • وقيل الحكمة سنة الرسول وهي كلامه والحكمة من الاحكام وهو الاتقان وسنة الرسول ايضا محكمة واجبة
الحفظ كالكتاب ان الله كان لطيفا خبيرا • قيل اللطيف العالم بغوامض الاشياء الخبير العالم بحقايقها اي هو عالم بافعالكن واقوالكن
فاحذرن الكذب ومجاوزة الحكم بعلمها فاحذرن مخالفة امره ونهيه ومعصية رسوله • وقيل لطيفا اي بان جعلكن خبيرا اي عالما بمواضع
الاختيار لكن فاشكرن النعمة عليكن • وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية • قال قتادة لما ذكر الله تعالى ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن ذكرتن ولم نذكر ولو كان فينا خير لذكرنا فنزلت هذه الاية •
وقالت ام سلمة يا رسول الله ما للنساء لا يذكرن مع الرجال فانزل الله هذه الاية ذكره مجاهد وذكر مقاتل هذا عن ام سلمة
وانيسة بنت كعب قالتا قالتا يا رسول الله ما لنا لا نذكر بخير في القرآن فنزلت • وقال عكرمة ان ام عمارة اتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت ليس فينا معشر النساء خير قال ولم قالت لان الله تعالى لا يذكرنا بخير في القرآن فنزلت • وقال مقاتل بن حيان
رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار
قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فنزلت ان المسلمين والمسلمات اي الخاضعين لله بالطاعة
والخاضعات والمؤمنين والمؤمنات اي المصدقين لله ورسوله والمصدقات والقانتين والقانتات اي المطيعين
لله والمطيعات والصادقين والصادقات اي في العهود والاقوال والمعاملات والصابرين والصابرات اي
على الطاعة وعن المعصية وفي البلية والخاشعين والخاشعات والخشوع سكون الظاهر وخوف الباطن والتذلل لله
والمتصدقين والمتصدقات فرضا ونفلا والصائمين والصائمات فرضا ونفلا ايضا • والحافظين فروجهم
والحافظات اي فروجهن واختصر لدلالة صدر الكلام عليه ومعناه الحافظين عن الحرام فروجهن والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اي الله كثيرا وهو بالالسنة والقلوب اعد الله لهم مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما على طاعاتهم
هو جوار الابد وعظم الامر بكثرته ودوامه • وقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان
يكون لهم الخيرة من امرهم وانتظامها بما قبلها انه قال واطعن الله ورسوله ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات
لله ورسوله وبين في هذه الاية وجوب طاعة الله ورسوله ووعيد من عصى الله ورسوله • ووجه اخر ان الايات
المتقدمة في ذكر نساء النبي وسائر النساء وهذه الاية في ذكر زينب وزوجها زيد ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم • ووجه اخر انه قال من آيات الله والحكمة والايات القرآن والحكمة السنة وفي هذه الاية وعيد لمن خالف
الكتاب والسنة • وقيل نزلت الاية في زيد وزينب خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رياب
ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان امها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب
ابن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن عمران بن النعمان بن عبد ود بن كنانة بن عوف بن مالك
ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فابت
لمكان انها قرشية وبنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مولى فامرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
بامر الله فالاية تدل عليه فكانها ملكات ولعل زيدا امتنع ايضا لاباها فانزل الله تعالى هذه الاية انه لا اختيار
لهما في ان يفعلا او لا يفعلا مع ان الله ورسوله امرهما بذلك وما بعد الاية يدل على ان الاية في هذين •
وقد قيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط عرضت نفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لينكحها
فزوجها زيد بن حارثة فكرهاه فنزلت • وقرا عاصم وحمزة والكسائي ان يكون لهم الخيرة من امرهم بالياء للتذكير لتقدم
الفعل وللحايل بين الفعل والاسم والباقون بالتاء للتانيث على لفظ الخيرة • وقوله تعالى اذا قضى الله ورسوله امرا
اي امر الله ورسوله امرا كما قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه • وقوله تعالى الخيرة اي الاختيار بين الفعل
والترك ودل ذلك على ان الامر للوجوب • وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فان كان
عصيان رد وامتناع من القبول فهو ضلال وكفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر والنهي واعتقاد الوجوب
فهو ضلال وخطا كما في قوله انك لفي ضلالك القديم • وقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي واذكر اذ
ذكرت تقول للذي انعم الله عليه اي بالاسلام وانعمت عليه بالاعتاق وهو زيد وكان عبدا لخديجة موهوبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكان هو من بني كلب فاغار على بني كلب قوم من العرب فسبوه وباعوه في سوق
عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام وهو ابن اخ خديجة في التجارة فاهداه لها فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم وجفي
خاله على ابيه سنين ثم اخبروا انه عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابوه وعمه وطلباه من النبي صلى الله عليه وسلم
ان يبيعه من ابيه بثمن عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اختار ان يكون معكم دفعته اليكم فخيروه فاختار
المقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركاه وذهبا فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وكان
من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه في التوريث وفي حرمة نكاح امراته على الاب المتبني وكان النبي

صلى الله عليه وسلم ابطل هذا الحكم واراد الله ان يقرر هذا الحكم بقول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله عندهم ليكون ذلك اقطع
لزعمهم واقطع لعاداتهم وكان الله تعالى امر رسوله بذلك واسس ذلك بان امره ان يخطبها لزيد ويزوج بينهما ثم بعد
مدة يتفرقان ثم يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتحقق عندهم تقرير هذا الحكم وكان يخفيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نفسه الى ان يظهره في وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة وقعت بينهما خشونة فجاء زيد يشكوها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر ترفعها عليه وامتناعها من مساعدته وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك
زوجك اي جاملها وبالخلق الحسن عاملها ولا تطلقها وهكذا يجب على المتوسط بين الزوجين ان يدعوهما الى حسن
المعاشرة واتق الله اي يا زيد اتق الله وراع حقوق النكاح وتخفي في نفسك يا محمد ما الله مبديه اي مظهره اي
ما اعلمك الله انك تتزوجها اذا طلقها زوجها برضاه واختياره وانقضت عدتها وتخشى الناس اي تكره قالة
الناس انه تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه فتفعل ما اباحه لك واذن لك فيه فلما قضى زيد منها وطرا اي
حاجة وهي كناية عن تمام الاستمتاع بها على قدر رغبته فيها ثم مفارقتها عند كراهة صحبتها زوجناكها اي جعلناها
زوجة لك • قال انس فكانت زينب تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن اهلوكن وزوجني الله
تعالى قال وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخطبها فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى او امر ربي فقامت
الى مسجدها فنزل القرآن ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اذن لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي
ضيق في ازواج ادعيائهم اي في نكاح زوجات الذين تبنوهم اذا قضوا منهن وطرا اي استوفوا منهن حاجتهم وفارقوهن
وانقضت عدتهن وكان امر الله مفعولا اي وكان ما امر الله به مما يجب ان يفعل • وقوله تعالى ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له اي لا اثم ولا ضيق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح الذي احله الله له وامره به وهو
نكاح زينب وهو كقوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم • وقيل فيما فرض الله له اي قدر له من عدد النساء والفرض
التقدير سنة الله في الذين خلوا من قبل اي هو كسنة الله للانبياء الذين مضوا من قبله في زوال الحرج منهم وعن
امهم فيما اباح لهم وانهم لا ينبغي لهم ان يخشوا من الناس فيما اباح الله لهم من الملاذ • قال الله تعالى ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وكان امر الله قدرا مقدورا اي وكان ما امر الله به قضاء مقدرا
لا بد من كونه • وقيل اي موضوعا على الحكمة كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر اي على قدر مقدر لا ينحط عنه ولا يتجاوز
ومعنى دخول كان عليه انه تعالى لم يزل كذلك لا يتغير ولا يتبدل الذين يبلغون رسالات الله كقوله واتبعوا ما تتلوا
الشياطين اي ما كانوا يتلونه ويخشونه اي في امر الله ولا يخشون احدا الا الله اي سوى الله فكن اتباعا يا محمد كذلك
وكفى بالله حسيبا اي حافظا لاعمال خلقه محاسبا لهم عليها مجازيا فهو احق بان يخشى وقد تحلوه وقد تكلم الناس
في الاية بوجوه وهذا اقواها واسلمها • وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ابا النسب لاحد من الرجال
البالغين • وقيل ابا الرجل لم يلده فاما ابوة الشفقة ومراعاة الحرمة فثابتة بقوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم ولكن رسول الله يعمل بامره وخاتم النبيين • وقرا عاصم وخاتم النبيين بفتح التا
ومعناه الختم • وقرا الباقون بالكسر وهو فاعل الختم اي هو اخر النبيين وشريعته ناسخة لشرائع المرسلين فتمسكوا
بها ولا تعترضوا عليه في شيء منها وكان الله بكل شيء عليما من مصالح العباد وكل شيء • وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اشكروه على النعم التي مرت وخيرها والكثير الذي لا ينقطع • قال الله تعالى وفاكهة
كثيرة ثم فسرها لا مقطوعة • وقيل الكثير ما كان من اخلاص فيقبل ويكثر ثوابه فاما ما لا اخلاص فيه فقد قال
الله تعالى فيه ولا يذكرون الله الا قليلا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال اهل التاويل اذكروا الله
في كل الاحوال وفي كل وقت ذكرا كثيرا باللسان ويحتمل ان يكون تاويله اذكروا نعم الله لتشكروه واذكروا اوامره
لتوتمروا بها واذكروا النواهي لتنتهوا عنها ووعيده لتخاف ووعده لترغب فيها واذكروا عظمته وجلاله وكبرياءه لتهابه
وسبحوه بكرة واصيلا اي ونزهوه • وقيل صلوا له بالغداة والعشي • قال ابن عباس هي الصلوات الخمس بكرة يعني
الفجر والظهر والعصر واصيلا اي المغرب والعشاء • وقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم اي يرحمكم وملائكته
اي ويامر ملائكته بالاستغفار لكم والدعاء • وقيل الصلاة الثناء الجميل اي ان الله يشيع في عباده ذكره اياكم
كما قال فاذكروني اذكركم ليخرجكم من الظلمات الى النور اي ليديمكم خارجين من الظلمات اي من الضلالات الى النور
الى الهدى • وقيل اي من الجهالات الى العلم • وقيل اي من الشكوك الى اليقين • وقيل اي من البدع الى السنة
وقال ابو عبيدة هو الذي يصلي عليكم اي يبارك عليكم • وقال الفراء هو الذي يغفر لكم وتستغفر لكم ملائكته
وقيل ليخرجكم من الظلمات الى النور اي ليهديكم الى الجنة وينجيكم من النار • قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم وكان بالمؤمنين رحيما اي يرحمهم فلا يعذبهم اذا اطاعوه واطاعوا رسوله • وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام اي يوم يرونه اي يسلم بعضهم على بعض ويقولوا امنا وسلمنا من عذاب الله ابدا • وقيل يحييهم الله بسلام منه
وقيل هو سلام الملائكة اذا دخلوا عليهم من كل باب واعد لهم اجرا كريما اي ثوابا خطيرا عظيما • وقوله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك منتظم بقوله وكان بالمؤمنين رحيما ومن رحمته ارسال محمد رحمة للعالمين ارسلناك شاهدا

نسخة قوله الذين خلوا من قبل ونعتا الذين
كانوا يبلغون رسالات الله

فعليكم الذكر الكثير

اي على الامة كما قال وجئنا بك على هولاء شهيدا اي على الامة وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا • وقيل ارسلناك شاهدا
بوحدانيتنا ومبشرا اهل طاعتنا ونذيرا ومخوفا اهل مخالفتنا وداعيا الى الله كما قال ادع الى سبيل ربك باذنه اي بامره
وقيل بعلمه اي وهو يعلم ما يكون منك ومما يكون ممن ارسلت اليه وسراجا منيرا اي مصباحا مضيا من ظلم الضلالة الى نور
الهداية وهو كما قال المصباح في زجاجة • وقيل اي شمسا مضية كما قال وجعل الشمس سراجا سماه شمسا في هذه الاية
وبدرا في قوله طه ونجما في قوله والنجم اذا هوى اي نزل من السما في ليلة المعراج فاما معنى تشبيهه بالمصباح على
قول من فسره به فان المصباح الواحد يشعل منه مصابيح كثيرة والاول بحاله لم ينتقص منه شي فكذا للمطهرين فوايد
علومه علما امته في امته وهو بحاله وان ضوء المصباح اذا جا ذهبت الظلمة واذا جات متابعة المصطفى ذهب
البدعة وان المقصود ان يوجد بضوء المصباح وكذلك الضالون يهتدون بالمصطفى وان المصباح يحرق الفراش
ويضي للابعد وكذلك المصطفى كان يحذر عشيرته الاقربين ويبشر الانصار والمهاجرين وان المصباح يرى
به وجوه الاحبا فكذا بمتابعة المصطفى يوصل الى صحبة الانبيا والشهدا والصديقين والصلحا وان المصباح
تمامه باربعة اشيا المسرجة والفتيلة والدهن والنار وكذا تمام امر المصطفى كان بالخلفا الراشدين الاربعة
وان المصباح يضي من كل جانب وكان النبي نبيا نافعا في كل مقاماته واما وجه تشبيهه بالشمس على قول من فسره
بها فان الشمس تضي من المشرق الى المغرب والنبي صلى الله عليه وسلم اضا من الثرى الى الثريا وان الشمس لا ثاني
لها وانا لا نظير والنجم له نظير وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له نظير وان الشمس تنكسف ثم تنجلي وكذلك
النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتحن ثم ينجلي وان الشمس تغرب ثم تطلع والنبي صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة الى
المدينة ثم عاد الى مكة وان الشمس تضي لمن لا سراج له وتدفي لمن لا ثوب له وتنضج لمن لا نار له وكذلك النبي
صلى الله عليه وسلم يشفع لمن لا طاعة له ويرفع لمن لا عبادة له وينفع لمن لا خدمة له • وقوله تعالى وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا اي ثوابا يتفضل به عليهم عظيما وهو الملك الكبير والنعيم الكثير ولا تطع الكافرين
والمنافقين قد تقدم هذا في اول السورة ودع اذاهم اي لا تؤذهم مكافاة لهم • وقيل اي اجعل ايذاهم اياك
في جانب كانه لم يكن ولا تفكر فيه فتضيق مكانيهون كامرت • وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا كافيا وناصرا وحافظا
ودافعا • وقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن • قيل اي قبل
ان تجامعوهن وتحمل المني بشهوة ايضا فما لكم عليهن من عدة تعتدونها • قيل اي تعدونها بها يقال عددت واعتد
كما يقال صب واصطب • وقيل اي تستوفونها يقال عددته فاعتد كما يقال وزنته له فاتزن وكلته له
فاكتال فمتعوهن المتعة الواجبة ان كان المهر غير مسمى فان سمي فالواجب نصف المسمى والمتعة مستحبة وسرحوهن
سراحا جميلا اي لا تمسكوهن ضرارا وهو في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وهو ان يتركها حتى تنقضي
عدتها • وقيل هو ان يرجعها الى بيتها من غير منع حق اما ذكر الاية في النكاح والطلاق فتتصل بالايات التي
في المنكوحات • وقوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اي زوجاتك اللاتي اتيت اي فعلت كما
هو في قوله حتى يعطوا الجزية اجورهن اي مهورهن وهذا بيان احلال النسا اللاتي كن عنده وما ملكت
يمينك اي واحللنا لك ما ملكته ملك يمين • قيل هي مارية القبطية ام ابراهيم مما افا الله عليك اي غنمك
من غنايم المشركين احل لك ان تضمها الى نفسك بالملك دون النكاح • وقيل اي صفية بنت حيي وجويرية بنت
الحارث فانهما افا الله عليك اعتقتهما وتزوجتهما وبنات عمك من بنات العباس وغيرهن من اولاد عبد المطلب
وبنات عماتك من ولد بنات عبد المطلب وبنات خالك وبنات خالاتك من اولاد عبد مناف بن زهرة وافرد
العم والخال للتخفيف والمراد بهما الجمع وجمع العمات والخالات للتخفيف وجمعها بزيادة الف فلم يثقل بمثل ذلك
احللنا لك في المستانف ان تتزوج بهن من هولا اللاتي هاجرن معك ومع ليس لغرابة الفعل بل لوجودها في
الاصل كما في قوله واسلمت مع سليمان وفيه انه لا يحل له غير المهاجرة منهن • وروي عن ام هاني رضي الله عنها
بنت ابي طالب قالت [illegible]
[illegible]

وقوله تعالى خالصة لك
من دون المؤمنين

[illegible]
وقوله تعالى ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء [illegible]
[illegible]
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه [illegible]
[illegible]

من الحق اي لا يترك بيان الحق ● وقال الحسن حسبك من الثقلاء ان الله لم يجوز في امرهم فقال فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين
لحديث ● واذا سالتموهن متاعا اي سالتم ازواج النبي ولم يسبق ذكرهن صريحا لكن ثبت ذلك دلالة ● وقوله تعالى بيوت النبي
لان فيها نساءه ● متاعا اي شيئا من الامتعة بالاستعارة ونحوها ● وقيل اي سالتموهن شيئا تنتفعون به في الدين من رواية
الحديث ونحوه فاسئلوهن من وراء حجاب اي بينكم وبينهن ستر ● وقيل هذا في حق كل النساء ● ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي
ابعد من خواطر الشيطان وعوارض الفتن التي تدعوا اليها الطباع من ميل النساء الى الرجال والرجال الى النساء ● قال عمر
رضي الله عنه وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فانزل الله اية المقام وقلت يا رسول
الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين ان يحتجبن فانزل الله اية الحجاب وبلغني ان النبي صلى
الله عليه وسلم عاتب ازواجه فاتيتهن فوعظتهن حتى انتهيت الى امراة منهن فقالت يا عمر اما في رسول الله ما يعظ
ازواجه حتى تعظهن انت فانزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية ● وقوله تعالى وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله اي بما مر ● وقيل باي اذى كان ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي لا يجوز بعد وفاته ولا
يجوز بعد فراقه في حياته بطلاق او نحوه كما قال ليتما خلعتموهن من بعدي وكان لا يجوز لان نساءه امهات المومنين وكان
زايدة عند ابي عبيدة وحماد ● وقيل اي كان ذلك في حكم الله الذي لا يتغير فلا يتبدل ان ذلكم كان عند الله عظيما اي عظيم
الاثم ● وقيل اي منكرا في العقل والشرع ان تبدوا شيئا اي من اذى الرسول او تخفوه في انفسكم من ذلك فان الله كان
بكل شيء عليما ● قال ابن عباس رضي الله عنهما قال بعضهم لئن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزوجن بعايشة
فانزل الله هذه الاية ● وقوله لا جناح عليهن في اباءهن ولا ابناءهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن لما امرهن بالاحتجاب
استثنى من يجوز لهن ان لا يحتجبن منهم من اباءهن وابناءهن واخوانهن وابناء اخوانهن لانهن محارم لهن ولا نساءهن
نساء المومنات ولا ما ملكت ايمانهن من اماءهن ولا يدخل ذلك في عبيدهن عند عامة العلماء وهم كالاجانب ودخل
في هذا الاستثناء باقي المحرمات المذكورين في الاية في سورة النور واتقين الله خطاب لنساء النبي وامر لهن بالتقوى
ان الله كان على كل شيء شهيدا اي شاهدا عليه عالما به مجازيا على وفقه ● وقوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي
وهذا تعريف المومنين منزلة النبي والصلاة من الله تعالى الرحمة والمغفرة والرضوان ومن الملايكة الدعاء له [illegible]
ومن المومنين ذكر الصلاة عليه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي قولوا صلى الله على محمد او اللهم صل على محمد وسلموا
تسليما اي حيوه تحية اي قولوا اللهم سلم على محمد ● وقيل اي انقادوا لامره وحكمه انقيادا كما قال فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك الى قوله ويسلموا تسليما ● وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الاية قلنا يا نبي الله قد علمنا السلام
عليك فقد عرفنا فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد ● وعن الحسن رحمه الله قال لما نزلت هذه قالت الصحابة فما لنا فانزل الله تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملايكته ثم بين تشريفه من وجه اخر وهو وعيد من اذاه فقال ان الذين يوذون الله ورسوله
وذكر الله للافتتاح به والتيمن كما في قوله فان لله خمسه ولان عصيان الرسول عصيان الله فكان ايذاء وكذلك ايذاءه
لعنهم الله في الدنيا والاخرة اي ابعدهم الله عن رحمته وطردهم في الدارين لان ايذاءه كفر واعد لهم عذابا مهينا في
الاخرة مع الاخزاء والذين يوذون المومنين والمومنات وهم رجال امته ونساوهم بغير ما اكتسبوا فعلوا
ما يستحقون به الايذاء بالحد والتعزير والاسماع فقد احتملوا بهتانا اي كذبا مختلقا وهذا في الايذاء بالقول واثما
مبينا ظاهرا مظهرا من نفسه انه اثم جعل ايذاء المومنين والمومنات معصية وايذاء الله والرسول كفرا ● وقيل ايذاء
الله هو تصوير التماثيل الحيوانية مضاهاة لله في الخلق ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين يوذون
الله اليهود والنصارى والمشركون قالت اليهود يد الله مغلولة ● وقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير ● وقالت
النصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة ● وقالت المشركون الملايكة بنات الله والاصنام شركاوه ورسوله حين
شج في وجهه وكسرت رباعيته وحين قيل انه ساحر وكاهن ومعلم ومجنون ● وقيل يوذون الله يلحدون في اسمايه
ورسوله يبتدعون في شريعته ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى شتمني ابن ادم ولم ينبغ له ان يشتمني
واذاني ولم ينبغ له ان يوذيني اما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وانا الله الاحد الصمد واما ايذاوه فقوله
ان الله لا يعيدني كما بداني ● وقال مقاتل والذين يوذون المومنين الاية نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وذلك ان ناسا من المنافقين كانوا يوذونه ويسمعونه ● وقال الضحاك والسدي نزلت في الزناة الذين
كانوا يتبعون النساء الريبة وهن كارهات فيتاذين منهم ويدل على هذا ما بعده وهو قوله يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المومنين ● قيل اي زوجات المومنين ● وقيل اي الحراير يدنين عليهن من جلابيبهن اي يغطين
روسهن ووجوههن في بروزهن من البيوت في حوايجهن واي مستورات قبل اتخاذ الكنف في البيوت ليلا او نهارا
بملاحفهن وارديتهن بخلاف الامة التي تخرج مكشوفة الراس ● قال الخليل الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الرداء
تغطي به المراة راسها وصدرها ● وقال قطرب الجلباب الملحفة ● وقال ابن سيرين عن ابي عبيدة ادنى الجلباب
ان ترد المراة رداها على راسها ثم تضعه على حاجبها ثم تديره فتضعه على طرف انفها ثم تديره من الجانب الاخر حتى

وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد صح

والمومنات

حتى تضعه على طرف انفها وتكشف احدى عينيها وتغطي الاخرى قال ابن سيرين حدثتني اختي انها رات امراة من المهاجرات
او الانصاريات قد انتقبت هكذا ● وقالت صفية بنت شيبة قالت ام سلمة لما نزلت يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء
الانصار كان على روسهن الغربان من اكسية سود كن يلبسن ذلك ادنى ان يعرفن اي يعرفن انهن حراير فلا يوذين اي
لا يوذيهن اهل الريبة توهما منهن انهن اماء فانهم كانوا يتبعون الاماء وكان زي الامة والحرة واحدا وهو قميص وخمار
وربما اذى الرجل منهم الحرة بالرفث من الكلام فامر الله بهذا ليزول ذلك عنهن ولكن ما جاءت عن الزجر والاماء كن يزجرن
بالكلام ● وقيل ذلك ادنى ان يعرفن بالعفاف فانه غاية الستر فلا يوذين فلا يتعرض لهن حين علم انهن عفايف
وكان الله غفورا رحيما غفور لما سلف قبل هذا من ترك ادناء الجلابيب رحيما لا يواخذهم بما ارتكبوه على جهل ورحيما
بهم انهم على ما يزول به الاذى عنهم ● وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
اي لئن لم يكف عن ايذاء المومنين والمومنات هولاء الثلاثة اصناف المنافقون وهم الذين يضمرون الكفر اعتقادا
ويظهرون الايمان قولا والذين في قلوبهم مرض اي شك فلا يعتقدون احد الدينين والمرجفون في المدينة المسلمين
الذين يحركون القلوب بايقاع الاخبار الكاذبة ● وقيل كان من المنافقين التحزيب ومن الذين في قلوبهم مرض الميل
الى الزنا واتباع النساء والاماء بالليل والتعرض لهن بكلام الرفث والمرجفون المخبرون بان فلانا يتبع فلانة وفلانة
تطاوع فلانا وفلانة وهو اذاعة الفاحشة ● وقيل كان من الطبقة الثالثة الاخبار بان جموع المشركين انهم اجتمعوا
ولهم عدد وعدة ليضر بذلك المسلمين ● وقيل كان من المنافقين ايقاع الشكوك والشبه في قلوب الضعفة من
المسلمين ● وقيل الثلاثة صنف واحد وهم المنافقون وهذه صفاتهم والواو لتغاير الصفات لا لتغاير الذوات
كما في قوله ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ● وانشد الفراء فانا رشيدا وابن مروان
لم يكن ليفعل حتى يصدر الامر مصدرا ● وقوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم ولنامرنك بنفيهم
يعني انهم لم يكفوا عن ايذاء المومنين وخرجوا الى المكاشفة والتصريح بما هم عليه وبمعاملة المومنين من التخريب
وايقاع الشبه والسعي في اشاعة الفاحشة فيهم وتشتيت امورهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي في المدينة
الا زمانا قليلا بل يضطرون الى الجلاء عنها الى ارض اخرى ● وقيل الا قليلا اي اذلاء مقهورين ملعونين فان
القلة توضع مكان الذلة فيكون نعتا لهم على هذا القول وعلى هذا قوله ملعونين يكون نعتا لهم ايضا على الحال
كانا قال اي مشتومين مبعدين عنكم وعن مجالسكم ومساجدكم واذا احمل الاول على قلة الزمان فقوله ملعونين
يكون نصبا على الذم كما في قوله حمالة الحطب اينما ثقفوا اي وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا هذا حكمهم اذا اظهروا
حالهم وقد حقق معنى قوله ملعونين اي مشتومين مطرودين لما نزلت سورة براءة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم
قم يا فلان فاخرج من المسجد فانك منافق وقم يا فلان وقم يا فلان على ما ذكرنا في تلك السورة سنة الله في الذين
خلوا من قبل اي سن الله هذا سنة في المنافقين الذين كانوا في سائر الامم انهم كانوا اذا كاشفوا سلطت عليهم
انبياوهم فاجلوهم واسروهم وقتلوهم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي لطريقة الله التي اجراها لهم تغييرا بل هي
تجري مجرى واحدا في الامم قبلها ● وقوله تعالى يسالك الناس عن الساعة لما قال في وعيد الموذين لعنهم
الله في الدنيا والاخرة قالوا متى الاخرة وكان ذلك كالانكار منهم كما قال فسينغضون اليك روسهم ويقولون
متى هو فاجاب الكفار عن هذا السوال بقوله قل انما علمها عند الله هو الذي يعلمها لا انا وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا اي وما يعلمك لعل ما تنتظرونها قريب وليس قوله قريبا صفة للساعة فلم يونثها لكنه
صفة للزمان اي في زمان قريب ان الله لعن الكافرين اي ابعدهم من رحمته في هذا اليوم واعد لهم سعيرا
اي عينا لهم نارا مسعرة موقدة خالدين فيها ابدا اي في هذه النار لا يجدون وليا ولا نصيرا من يلي دفعها عنهم ويمنعهم
من العذاب لهم ● وقوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف حالا بعد حال ولونا بعد لون بما يمسهم
من لفحها واشتعالها فيها فتسود مرة وتخضر اخرى ويجوز ان يكون في معنى قوله يوم يسحبون في النار على
وجوههم ويجوز ان يكون هذا في معنى ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فينظر من يمينه فلا يرى الا النار وينظر
اليساره فلا يرى الا النار وينظر فوقه فلا يرى الا النار وينظر تحته فلا يرى الا النار يقولون يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسولا الالف في اخره اشباع الفتحة لتشاكل الفواصل وهذا اخبار انهم [illegible] وتمنوا في ذلك
لكفرهم بالله ورسوله وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وهذا اشباع ايضا الفتحة
بالالف والسادة جمع السيد وهو الذي يملك تدبير السواد الاعظم والكبراء الروساء العظماء ويجوز ان يكون
الكبراء علماوهم كما قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر ويجوز في معنى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله ● وقوله تعالى ربنا اتهم ضعفين من العذاب اي عذاب الضلال والاضلال والعنهم لعنا كبيرا
قراءتهم كبيرا بالباء من الكبر وهو العظم ● وقرا الباقون بالثاء من الكثرة وهما قريبان لان ما كثر عظم واختار
ابو حاتم الكثير اي انهم يلعنون مرة بعد مرة وتلعنهم الملايكة فيشتمونهم على ضلالهم واضلالهم لعنا كثيرا اي
متتابعا متصلا ● وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى اي لا توذوا النبي صلى الله عليه وسلم

ولا المؤمنين ولا تكونوا في ذلك كالذين آذوا موسى فقالوا فيه ما لم يكن فيه فبرأه الله مما قالوا اي اظهر براءته معناه والله
اعلم ايها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى فقالوا فيه ما ليس فيه وكان عند
الله وجيها اي ذا جاه ومنزلة. قيل كان رميه بقتل هرون فاحيى الله هرون فاخبرهم انه لم يقتله ثم مات • وقيل براءه الله
معناه ان موسى عليه السلام كان لا يدخل عيون بني اسرائيل معهم فقالوا لا يمنع نبينا موسى عليه السلام ان يدخل معنا
في هذه العيون الا انه آدر او ابرص فاراد الله تعالى ان يبرئ نبيه من مقالتهم فوضع موسى ثيابه على صخرة يوما
ودخل العين فاوحى الله تعالى الى الصخرة ان امضي بثيابه حتى توسطي بها محلة بني اسرائيل فمضت واتبعها موسى عليه
السلام حيث قال الحادري على ثيابي فقالت انا مامورة يا رسول الله حتى توسطت بثيابه محلتهم فراوا احسن الناس
خلقا وطولا فبرأه الله مما قالوا ورجعوا عن مقالتهم • وقيل لا تكونوا في اذى محمد فانها مكم اياه بالعذر كعب بن
الاشرف كالذين آذوا موسى باتهامهم اياه في قتل اخيه هرون فان الله يبرئه باراءته اياهم هرون حيا ميتا • وقيل برأه
بالبرص • وقيل بالادرة وكان البرص عندهم فظيعا روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال كان موسى رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شي استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر
هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله عز وجل اراد ان يبرئه مما قالوا وان موسى
عليه السلام خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه
فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن
الرجال خلقا وبرأه الله مما كانوا يقولون قال وقام الحجر فاخذ ثوبه ولبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر
لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله هذا وحش من القول وتاويل بعيد والاشبه ان يقال ان كل قوم نسبوا رسولهم الى الجنون والى السحر
والكذب والخزي ونحو ذلك على علم منهم انه رسول الله وكانوا يؤذونه بذلك الا ترى الى قول موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فكذا في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم • وقيل كان موسى اذا
تقدم القوم في المسير قالوا انه يتكبر علينا فاذا توسطهم قالوا يخاف على نفسه فيحتمي بنا واذا تاخر عنهم قالوا
يسوقنا كما يسوق الراعي الغنم واذا مشى على جانب منهم قالوا يا نفس من صحبتنا فكانوا يؤذونه بكل حال • وقوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله امر رسوله بتقواه في اول السورة وامر امته بها في آخرها • قيل اتقوا
الله في ايذاء الله ورسوله والمؤمنين وقولوا قولا سديدا صوابا فاذكروا المؤمنين والمؤمنات بالجميل • وقيل
اتقوا الله في الشرك • وقيل في المعاصي وقولوا قولا سديدا • قال ابن عباس رضي الله عنهما قولوا لا اله الا الله
وقال ابن حبيب وقولوا قولا سديدا يسد عنكم باب النيران ويفتح لكم ابواب الجنان • وقال مقاتل بن حيان
وقولوا قولا سديدا يعني في شان زيد وزينب وقولوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سديدا اي جميلا
ولا تنسبوه الى ما لا يحل • وقيل قولوا قولا سديدا هو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل القول السديد
البري من الكذب والتمويه واللغو يصلح لكم اعمالكم اي يوفقكم لصالح الاعمال • وقيل اي يثيبكم عليها ثوابا
جزيلا لا فساد فيه ولا ضرر ولا اذى • وقيل اي يرفع النقص بعد الزلل والخطا من طاعتكم ويغفر لكم ذنوبكم
اي يمحوها ويكفرها ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما • اي نجا من كل ما يخاف ووصل الى كل ما يرجوا •
وقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ضمن هذه السورة ما ضمنها من الامر والنهي
ثم ختم السورة بتعريف امر الفرائض والامانات ليكونوا على علم فيستفرغوا مجهودهم في القيام بها ويخافوا
تضييعها واختلف في تاويل الامانة • قال ابن عباس رضي الله عنهما الامانة الطاعة لله • وقال سعيد بن
المسيب الامانة الفرائض • وقال مجاهد الامانة الدين والفرائض الحدود • وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
اول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة
والعين امانة • واليد امانة • والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له • وقال زيد بن اسلم الامانة ثلاثة
اشيا الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة • وقيل هي العقد الذي يجب الوفاء به • قال تعالى اوفوا بالعقود
والروايات الظاهرات فيه منها ما روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال الله تعالى
للسموات والارض والجبال ان احسنتن جوزيتن وان اسأتن عوقبتن والامانة هي الاعمال التي امر الله الخلق
ان يعملوها ولا يتركوها وعلى كل مسلم ان لا يغش مسلما ولا معاهدا • وقال الضحاك قال الله تعالى لآدم عرضت
الامانة على السموات والارض فلم تطقها فهل انت قابلها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت
وان اسأت عذبت قال قد حملتها بما فيها فلم يلبث في الجنة بعد ما حملها الا قدر ما بين الصلاة الاولى والعصر
حتى خرج منها • وقال الحسن ومقاتل بن حيان رحمهما الله ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع الانس والجن والسموات
والارض فعرض عليهن الامانة وهي الطاعة وقال لهن تحملن هذه الامانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب
في الجنة فقلن لا نستطيع ذلك فعرض على الارضين فقلن كذلك ثم عرض على الجبال فقلن كذلك ثم عرض على

آدم فقبل ذلك فقال لك مني الكرامة والفضل ان احسنت واطعت ورعيت الامانة وان عصيت فلم ترع الامانة فاني
معذبك قال رضيت فحملها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا باخذها • وقال الضحاك جهولا غرا بامر الله
تعالى • وقال الكلبي ظلوما حين خالف امر ربه جهولا لا يدري ما العقاب في تركها • وقال الحسين بن الفضل كان ظلوما
جهولا عند الملائكة لا عند الله • وقيل ظلوما لنفسه بخطاه وعنه حوا جهولا بتفريق الله بينه وبينها • وقال الحسين بن
الفضل كانت الامانة على السموات والارض والجبال عرضا وكانت على آدم فرضا • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
قال بعضهم اي خلقنا السموات والارض والجبال لخلقة لا تحتمل ذلك وحملها الانسان اي خلقناه خلقة تحتمل ذلك
قال بعضهم هو على حقيقة العرض لانه على التخيير بين ان تقبل وتفي بذلك فيكون لها الثواب او لا تفي فيكون لها العقاب
في الآخرة وبين الا تقبل فتكون كسائر الموات تفنى بفناء الدنيا لا ثواب لها في الآخرة ولا عقاب ولا يجوز ان يعرض عليهن
ما ذكر من غير لزوم وهن يابين ذلك وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع في آيات منها قوله قالتا اتينا طائعين
وحملها الانسان فكان له الثواب ان قام بها وعليه العقاب ان لم يقم بها • قال وقال بعضهم انا عرضنا الامانة على
اهل السموات واهل الارض واهل الجبال فلم يحملوها الا الانسان منهم فانه حملها وكان عرض الامانة على هذه الاماكن
وفيها الملائكة تعبدوا لله تعالى ومعنى عرضها عليهم تعريفه اياهم ان في اداء الامانة ثوابا وفي تضييعها عقابا
فقالوا ان كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب لنطيعك ولا نعصيك طرفة عين وكان هذا
اباء امتناع للخوف لا اباء رد ولذلك قرنه بالاشفاق وهو الخوف • قال وقال بعضهم عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها اي يحتملن وزرها بالخيانة فيها يعني اطعنا الله وحفظنا الامانة وما خناها وهو
كقوله ليحملوا اوزارهم • وقوله وليحملن اثقالهم ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وحملها الانسان اي خانها
ولم يحفظها الانسان وهو الكافر على هذا القول انه كان ظلوما جهولا هو صفة الكافر ايضا واما من حمل الامانة على
انه لم يقبلها وقبلها الانسان فالانسان اسم جنس لآدم ولاولاده ثم قبلوا • وقوله بعد ذلك انه كان ظلوما جهولا
الى الكافر وهو صفة بعضهم وهو الكافر فان الانسان اسم جنس فيقع على الجميع • قال تعالى ان الانسان لفي خسر هذا
للجميع حتى صح الاستثناء منه بقوله الا الذين آمنوا فكذلك ما هنا يرجع قوله ظلوما جهولا الى الكافر ولا يجوز ان يجعل
هذا صفة لآدم عليه السلام فانه لا يجوز ان يسمى ظالما جاهلا فكيف يسمى ظلوما جهولا وهو ابلغ فاما في حق الكافر
فيصح هذا لان الله تعالى سماهم ظالمين بقوله والكافرون هم الظالمون وجاهلين بقوله افغير الله تامروني اعبد
ايها الجاهلون فيجوز وصفهم بالظلوم والجهول لانهم ثابتون على الظلم والجهل دائمون عليهما • وقوله تعالى ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وهذا دليل على هذا القول لانه ذكر الصنفين جميعا فدل ان الاثم
كان لهما ومعنى هذه الآية والله اعلم [illegible] المنافقون والمنافقات والكافرون [illegible]
وقبلها المؤمنون ويتوب الله على المؤمنين [illegible] • وكان الله غفورا رحيما • يغفر ذنوب التائبين
ويرحم عباده المؤمنين والحمد لله رب العالمين

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض آية لكل عبد منيب • الرحمن الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
من عدو وحبيب • الرحيم الذي هو السميع القريب • روي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا
سورة سبا لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا • وسورة سبا مكية وهي خمسون وخمس آيات • وقيل اربع
آيات • وكلماتها ثمان مائة وثلاث وثمانون • وحروفها ثلاثة آلاف [illegible] • وانتظام هذه
السورة بما قبلها ان تلك السورة ختمت بمدح الله ووعده في جزائه • وانتظام السورتين ان تلك مدنية في بيان
الفاضلة وهذه مكية في بيان العقيدة [illegible] عباده • واشتملت السورتان على مدح الموافقين وذم
المخالفين وعقابهم • وقوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض يحتمل فيه ثلاثة اوجه
الامر بالحمد على اضمار قولوا [illegible] والاخبار استحقاق الحمد لله • وقوله وله
الحمد في الآخرة اي هو المحمود في الآخرة وهو المستحق للحمد فيها كما هو مستحقه في الدنيا اذ هو المالك في الآخرة قال
تعالى مالك يوم الدين [illegible] وهو المنعم على المطيعين بالجنة [illegible]
وهو الحكيم العليم [illegible] الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن [illegible]
[illegible] • وقيل وله الحمد في الآخرة اي [illegible]
حكمة خلق الآخرة ولولاها لكان خلق الدنيا عبثا وهو الحكيم [illegible] المصيب في افعاله
[illegible]
[illegible]

من عصاه بالعقوبة ويغفر لهم بالتوبة فهو المستحق للحمد بذلك • وقوله تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي
لتأتينكم اي وقال المنكرون للبعث الواصفون الله تعالى بضد ما مر ذكره من القدرة والحكمة والعلم لا تأتينا الساعة وكلام
ذلك اما ان يكون لانه ليس في قدرة الله تعالى في معتقدهم وقد بينت قدرته بخلق السموات والارض او لانه ليس بحكمة وان من العبث
لمجازاة المطيع والعاصي حكمة او لانه لا يعلم باعمال العباد ليجازيهم على وفق عملهم وقد بين انه حكيم عليم فبطل قولهم بما ذكره
من عدم اتيان الساعة ثم زاد في البيان تعالى فقال قل بلى وربي لتأتينكم نفي قولهم وانتم على كونها واكد باللام والنون • وقوله
تعالى عالم الغيب • قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الميم نعتا للرب والباقون بالرفع على معنى هو عالم الغيب لا يعزب
عنه اي لا يبعد ولا يغيب • وقرا الكسائي لا يعزب بكسر الزاي والباقون بضمها وهما لغتان مثقال ذرة اي وزن نملة
صغيرة • وقيل ما يرى من شعاع الشمس اذا وقعت في كوة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك من مثقال
ذرة ولا اكبر من ذلك الا في كتاب مبين • قيل هو اللوح المحفوظ وما يرجع منه الى اعمال العباد فهو في كتاب الحفظة
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات متصل بقوله لتأتينكم ليجزي اولئك لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن خطير
في الجنة والذين سعوا في اياتنا معاجزين اي في ابطال اياتنا بالاقاويل سابقين معتقدين انهم يفوتوننا
اولئك لهم عذاب من رجز اليم بخلاف الجزاء الاولين • وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد اي مثبطين
الناس عن تأملها او لرجز العذاب المؤذي المؤلم • وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم اليم رفعا نعتا لقوله عذاب
والباقون بالخفض نعتا لقوله من رجز • قال مقاتل قال ابو سفيان بن حرب وحلف باللات والعزى لا نبعث
عن كان بن فامر الله رسوله ان يحلف ردا عليه بقوله قل بلى وربي لتأتينكم • وقوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم
الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ويرى بقلبه وهو العلم الذين اوتوا العلم
وهم اصحاب رسول الله • وقيل مؤمنوا اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك وهو القرآن هو الحق مفعول ثان
بقوله ويرى اي هؤلاء يرون القرآن حقا ويعلمونه صدقا وانه يهدي الى طريق الحق وهو طريق الله تعالى •
ودين الله العزيز الذي لا يغالب الحميد المستحق للحمد • وقوله تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد اي وقال هؤلاء المنكرون للساعة لاخوانهم الموافقين لهم على
الانكار هل ندلكم على رجل يعنون النبي ينبئكم اي يخبركم انكم بعد ان تبلوا في قبوركم وتتقطع اجسادكم فيها او تاكلكم
السباع والمزق للخرق والتمزيق للتكثير والتكرير منه انكم تعودون خلقا جديدا احياء كما كنتم قبل البلى والتقطع
وهذه لفظة تعجب بصيغة الاستفهام كقولك هل رايت مثل هذا افترى على الله كذبا الف الاستفهام دخلت
على الف الوصل فاسقطتها للاستغناء عنها ام به جنة اي جنون وهذا قولهم ايضا يقولون لا ندري ان ما يخبر به
وينسبه الى الله تعالى اهو على جهة الافتراء على الله تعالى فهو امر فظيع ام به جنون فهو يتكلم بما لا يدري فابطل
الله تعالى فقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد اي ليس هو مفتريا على الله تعالى ولا به
جنون ولكن المنكرون للبعث في العذاب في الاخرة اذا صاروا اليها وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا • وقيل
في العذاب اي في العنا الذي لما يجتهدون فيه من اضلال الناس وصدهم عن الحق مع بطلان سعيهم • قال
عبيد بن الابرص • والمرء ما عاش في تكذيب • طول الحياة له تعذيب • وحكى ابو معاذ عن بعضهم في العذاب
اي الشقاء الطويل • وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اي كيف هو محيط بهم
ومن كل جهة رموا بابصارهم اليهما راوهما وهم محصورون بينهما فيستدلوا بذلك على انهم في سلطان الله تعالى
يجري عليهم احكامه ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء لا يمتنعون من شيء من ذلك فيحذروا
الافتراء على رسولي ويتركوا الاشراك بي والتعجب مني من اعادتهم بعد موتهم ويستدلوا بقدرتي على خلقهما على
قدرتي على بعثهم بعد موتهم وهو كقوله قال من يحيي العظام وهي رميم الى قوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى • وقوله تعالى ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اي راجع الى الله مقبلا عليه
متدبرا في اياته فهو المنتفع بها • وقوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا ثم بين قصة اب وابن كانا منيبين
الى الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وبه وقع الانتظام بين هذه الاية والتي قبلها وفي اثبات رسالتهما
اثبات رسالة محمد عليه السلام وصدق ما اخبر به من البعث وغيره ومعنى الاية ولقد اعطينا داود النبي منا امرا
فضلناه به على غيره من اهل عصره وهو ما قال يا جبال اوبي معه اي قلنا يا جبال رجعي معه ما يأتي به من ذكر الله
وتسبيحه • وقيل اي سبحي معه وكانت تسبح معه • وقيل التأويب سير النهار كله وكانت الجبال تسير معه بالنهار
حيث سار وهو معجزة بعضهم والطير • قال قتادة وكانت الطير تسبح معه اذا سبح • وقرا نافع وعاصم في رواية
والطير بالرفع عطفا على قوله يا جبال وهو كقول الشاعر يا طلحة الكامل بالرفع للظاهر فانه كان لا ينادي وحده
بالرفع • ووجه اخر يا جبال اوبي معه انت والطير رفعا عطفا على انت ووجه اخر والطير كذلك اوبي والطير
مثلك • وقرا الباقون بالنصب لوجوه احدها ان الثاني معرفة والاول نكرة واسمها الاعرب فيهما كذلك • قال
الشاعر • الا يا زيد والضحاك سيرا • فقد جاوزتما خمر الطريق • واعمهما واراك من تجرد وغيره وكذلك يسئلون

في المنادى والمفرد • قال ذو الرمة • الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر • وان كان حيانا عدا اخر الدهر • وقال اخر يا زيد زيد
اليعملات الذبل تطاول الليل عليها فانزل • والثاني ما قال الكسائي تقديره وسخرنا الطير • والثالث ما قال الفرا
والمنادى الطير وحقيقته ان المنادى منصوب لانه مفعول بالنداء والمفرد المعرفة مضموم بنا لا اعرابا ولذلك لا ينون
وان المنادى المضاف والمفرد النكرة منصوبان لما قلنا • وقوله تعالى والنا له الحديد اي جعلناه لينا في يده • قال
قتادة كان الحديد في يده مثل الشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا مطرقة وكان يتخذ منه الدروع وهو اول
من عملها وكانت قبله صفائح • وقوله تعالى ان اعمل سابغات اي دروعا تامة تعم الانسان ما دون راسه بالتغطية
حتى تقرب من الارض وقدر في السرد اي في النظم والوصل والنسج اي اجعل المسامير على قدر الحلق لا تقلق
فتخرق ولا تدق فيها فتنقلق واعملوا صالحا اي انت واهلك عملا يوافق امر الله ويكون طاعة له وهو في معنى ما ذكر
بعده اعملوا ال داود شكرا اني بما تعملون بصير اجازيه واعلمه واقدر على المجازاة به وهذا ترغيب وترهيب • وقال
الامام القشيري ولقد اتينا داود منا فضلا هو ما ذكر بعده من مساعدة الجبال والطير اياه متغنيا
له على حزنه وبكائه • وقيل هو توفيق الرجوع له الى الله تعالى بالاعتذار • وقيل هو شهود موضع ضرورته وانه
لا يصلح امره غيره • وقيل هو طيب صوته عند قراءة الزبور • وقيل هو حلاوة صوته في المناجاة • وقيل هو حسن
خلقه مع الذين اتبعوه • وقيل هو توفيقه للحكم بين الناس من امته بالعدل • وقوله تعالى ولسليمان الريح
قرا عاصم بالرفع على الابتداء • والباقون بالنصب على تقدير وسخرنا له الريح • وقيل هو على ظاهر قوله والنا له
الحديد ولسليمان الريح والتسخير تذليل وتلطيف وذلك قوله رخاء حيث اصاب وكذلك قوله تجري بامره • وقوله
تعالى غدوها شهر ورواحها شهر اي كانت تغدو به مسيرة شهر وتروح به مسيرة شهر اخر • قال الحسن
كان يغدو فيقيل باصطخر ويروح فيبيت ببابل واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس فاجريناها
له حتى سالت باسالتنا كما النا لداود الحديد دلالة على نبوته • وقال ابن عباس وقتادة واهل اللغة القطر
النحاس • وقال قطرب الصفر • وقال مجاهد سال له من صنعا ثلاث ليال بايامها • وكذلك قال عكرمة وقيل كان النحاس
يجري له في الشهر ثلاثة ايام وكل ما هو في ايدي الناس فانما هو مما كان يجري في ايامه • وقوله تعالى ومن الجن
من يعمل بين يديه اي بحضرته ومراى عينه باستعماله باذن ربه اي بامر الله ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
السعير • قال السدي كان مع سليمان ملك بيده سوط من نار فما استعصى عليه من الجن ضربه بذلك السوط
من حيث لا يراه الجن • وقيل نذقه من عذاب السعير في الاخرة لانهم مكلفون كبني ادم يعملون له ما يشاء من محاريب
قال ابن كيسان اي المجالس الشريفة والمنازل الرفيعة • وقال الاخفش المحاريب صدور المجالس • وقال ابو عبيدة
المحاريب اشرف موضع في البنا وتماثيل • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يصنعون تماثيل الانبياء والصالحين
ليقتدي بهم • وقال ابو العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما وانما حرم على هذه الامة • وقوله تعالى
وجفان كالجواب اي صحاف كبيرة كالحياض والواحدة جابية ومثناه مجامعة للماء وحذفت الياء من الجوابي
تخفيفا وقدور راسيات اي ثابتات غير زائلات عن امكنتها • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يقعد على
الجفنة الف رجل • وقيل كان يطبخ في كل قدر الف شاة ونحوها وكانت تتخذ من الجبال لا تنزل عن موضعها
قال وهب رحمه الله كانت اعمال الجن هذه بارض اليمن اعملوا ال داود شكرا اي وقلنا لهم اعملوا لله على الخلوص
شكرا للنعمة عليكم وقليل من عبادي الشكور • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي من يشكر على الاحوال كلها • وقال
السدي اي قليل من يشكر على الشكر • وقال بسام بن عبد الله قليل من يرى عجزه عن الشكر • وقيل وقليل
من يشكر بلسانه فيحمد وبقلبه فيرى نعمة الله عليه وببدنه فيستعمله في طاعة ربه • وقال الامام القشيري
رحمه الله الشكور من زاده شكره على شكر امثاله والشاكر من يشكر على الرخاء والشكور من يشكر على البلاء
والشاكر من يشكر على العطا والشكور من يشكر على المنع وقليل من عبادي من يأخذ النعمة مني فلا يحملها على الاسباب
فيشكر الوسائط ولا يشكرني والاكثرون ياخذون النعمة من الله ثم يتقلدون المنة من غير الله فيشكرون
لغير الله تعالى • وقوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض اي ما دل الجن • وقيل
ما دل ال داود وقد سبق ذكر الكل ودابة الارض هي الارضة التي تكون في الخشب تاكل منسأته اي
عصاه من قولك نسأت البعير وغيره اذا زجرته ليزداد في سيره • ويقال نسا اي ساق فلما خر اي سقط تبينت
الجن اي علمت • وقيل اي ظهر حال الجن للانس ان لو كانوا اي الجن يعلمون الغيب ما لبثوا من حياته ما لبثوا
في العذاب المهين في استسخار سليمان الجن في هذه الاعمال • قال مقاتل رحمه الله كان داود عليه السلام
اسس بنا بيت المقدس موضع فسطاط موسى وكانت بقيت له سنة حتى يفرغوا من بنائه وخاف سليمان الموت
فقال لاهله لا تخبروا الشياطين والجن بموتي حتى يفرغوا من بناء المسجد ودعا ربه فقال اللهم اعم على الشياطين
والجن موتي حتى تعلم الناس ان الجن والشياطين لا يعلمون الغيب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الشياطين
والجن تدعي علم الغيب وما يكون في غد فابتلوا بموت سليمان • وقال الواقدي كان ملك الموت صديقا لسليمان

فسأله عن آية موته فقال إن آية موتك أن تخرج من الأرض شجرة يقال لها الخروبة فإذا وجدتها فقد حضر أجلك فبينا سليمان
في منزله ذات يوم طلعت شجرة فقال لها سليمان ما اسمك قالت الخروبة فعرف سليمان أنه ميت فاتكأ على عصاه وقبضه الله
تعالى فكان كذلك سنة جرداً • وقال مجاهد لما رأى الشجرة تخرط وتكفن وصعد كرسيه واتكأ على عصاه • وقال الضحاك
مكث كذلك سنة والشياطين والجن يدأبون في العمل ويدخل كل يوم رئيسهم عليه فيخرج ويقول لأصحابه جدوا فإنه
قائم يصلي فيجتهدون في العمل إلى أن فرغوا ثم أتت الأرضة فأكلت عصاه مما ولي الأرض فانكسرت العصا فخر
سليمان فحينئذ تيقنوا بموته • وقيل كان قائماً في محرابه فجاء ملك الموت ليقبض روحه فقال أمهلني حتى أوصي إلى
أهلي فقال لا زمان فقال أتركني حتى أجلس قال كذلك قال فكيف تقبضني قال اتكئ على منسأتك فاتكأ عليها فقبضه
فبقي كذلك حولاً ثم أكلت الأرضة أسفل عصاه فانكسرت فخر سليمان فظهر ذلك لهم • وقوله تعالى لقد كان لسبأ
في مساكنهم • قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنصب غير منون لأنها اسم قبيلة أو أرض • والباقون بالخفض منوناً لأنه اسم
أب • في مسكنهم • قرأ الكسائي وخلف بكسر الكاف موحداً • وقرأ حمزة وحفص بفتحها موحداً • وقرأ الباقون مساكنهم
على الجمع فقوله مسكنهم أي أرضهم وبلدهم ومساكنهم أي منازلهم • ذكر قصة سبأ المشركي العرب وكانت معروفة
لهم يحذرهم أن ينزل بهم بشركهم وكفرهم ما نزل بأولئك على كثرتهم وقوتهم من جهة أضعف خلق الله ووجه النظام
أن الأولى في مدح الشكور والثانية في بيان مجازاة الكفور يقول لقد كان لأولاد سبأ في ديارهم وهو سبأ بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان وأولاد سبأ سبعة حمير وكهلان وعمرو والأشعريون وأنمار ومر وعاملة هم بنو سبأ وكثر نسلهم
حتى أن خزاعة والأوس والخزرج وغسان من جملة من تمزقوا في البلاد لما جرى على بلاد سبأ ما جرى آية أي علامة
تدل على أن لهم إلهاً خلقهم وأنعم عليهم لأن ما أعطاهم من أنواع الشجر وألوان الثمر خارج عن وسع البشر جنتان عن
يمين وشمال هي ترجمة قوله آية • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب
البلاد وأطيبها وأكثرها ثمراً حتى كانت المرأة تضع على رأسها مكتلاً فتطوف فيما بين الأشجار وقد امتلأ المكتل
من ألوان الثمار من غير أن تمس بيدها شيئاً وكانت مياههم تخرج من جبل فبنوا فيه سداً بالصخر والقار وجعلوا
له ثلاثة أبواب أعلى وأوسط وأسفل وكانوا يخرجون المياه إلى أشجارهم وكرومهم منها وكان عن يمين الوادي
ويساره بساتين وكروم وأنهار وكان بين اليمين واليسار مسناة وهي موضع رفيع فيما بين النهرين فأرسل
الله إليهم ثلاثة عشر نبياً أو رسل فكذبوهم وكفروا بهم وبطروا النعمة وقالوا للرسل ما نعرف لله علينا من نعمة • وقال
الضحاك كان ذلك في الفترة بين عيسى وبين نبينا وكانت الفترة ستمائة سنة وقيل الخمسمائة وخمسين سنة
وقال أنس بن مالك رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال كان سبأ رجلاً ولد له عشرة من
الأولاد فتيامن منهم أربعة وتشاءم ستة فأما الذين تيامنوا فقضاعة والأزد وخزاعة وعاملة وأما الذين تشاءموا
فكلب ولخم وجذام وغسان وطسم وبالأ • وقوله تعالى جنتان أي بستانان من جانب وبستانان من جانب
عن يمين وشمال • قيل عن يمين البساتين بينهما وعن شماله • وقيل عن يمين الوادي وعن يساره • وقيل عن يمين
مساكنهم وعن يسارها • وقيل كانت بين جبلين كلوا من رزق ربكم واشكروا له أي قلنا لهم ذلك وهو أمر إباحة
واشكروا له وهو أمر إيجاب • وقيل كان هذا على ألسنة رسلهم • وقيل هو إخبار عن إباحتهم وإكرامهم من غير كلام
كما في قوله وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض • وفي قوله لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً الآية بلدة طيبة
ورب غفور أي لكم بلدة طيبة الماء والهواء والتربة مسلاة مخرجة للنبات والثمار ورب غفور لعباده إذا
تابوا إليه وشكروا له فآمنوا به واشكروا له وأطيعوه يغفر لكم • وقوله فأعرضوا أي فتولوا عن الواجب عليهم
من الشكر وكفروا فأرسلنا عليهم سيل العرم السيل الماء الجاري الكثير الذي لا ينضبط فعيل لعظمه والعرم
قيل هو السكر • وقيل هو المطر الشديد • وقيل هو اسم واد • وقيل هو الجرذ الذي هو نقب السكر • وقيل كانت
أسنانها من الحديد فلما أرسل الله عليه سيلاً نقله وهدمه وخربه • وقيل كان الماء يحبس هناك متمايا أي من
أمطار السنة وكان واديهم ينصب إليه الماء من سائر الأودية وكانوا يحبسون الماء في السد ويجرون إليها
بقدر الحاجة فبعث الله جرذاً فخرقت السد فسال الماء المجتمع فلم يمكن رده وكبس الجنات حماة وتراباً وطيناً
حتى علت الأشجار • وقيل غرقت لك • وقيل سال الماء منها عنهم وغاض في الأرض فجفت جناتهم لفوات الماء
وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط ذواتي تثنية ذات لأنه نعت جنتين والأكل الثمر • وقرأ أبو عمرو أكل خمط
مضافاً • وقرأ الباقون منوناً وخمط بدلاً عنه وترجمة له • وقيل الخمط كل نبت مر لا يمكن أكله قال الزجاج
وقال أبو عبيدة كل شجرة ذي شوك • وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك هو الأراك • وقيل البربر
وقال الحسن الأثل الخشب • وقيل السمر • وقيل الطرفاء وشيء من سدر قليل فيل السدر شجر النبق • وقال محمد
ابن إسحاق صار ما فيها أشجارهم الدوم وهو المقل ثم قوله من سدر قليل هو نعت السدر والسدر كان في الجنات
الأول ورغب فيه وبقي شيء منه في الجنات المبدلة يتذكرون به ما كانوا يحسرون عليه • وقيل هو نعت الأكل
أي بدلت لهم جنات الخضرة لها ولا الثمرة إلا شيء قليل لا يعبأ به ولا يكتفى به من الخمط والأثل والسدر جميعاً فكان

تمتاز لكل من هذه الأشياء الثلاثة • وقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا أي ما فعلنا بهم من إهلاك جناتهم ومساكنهم
جزاء كفرهم في الدنيا وهل نجازي إلا الكفور • قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص نجازي بالنون الكفور بنصب الراء إخبار
من الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جمعاً وهو متعد ناصب للمفعول • وقرأ الباقون يجازى بالياء والضم على ما لم يسم
فاعله وقوله استفهام بمعنى النفي أي لا يكون إلا أن الذي النعم الأجزاء الكفور وهذا في الدنيا والآخرة على أعيان ما قال تعالى كذلك
العذاب ولعذاب الآخرة أكبر الآية • وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة • قال مجاهد وقتادة
القرى التي باركنا فيها الشام • وقال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما بيت المقدس • وقال قتادة قرى ظاهرة أي متواصلة
وهي أن تظهر الثانية من الأولى لقربها منها وقدرنا فيها السير قيل أي المقيل والمبيت بين كل قريتين ثلاثة فراسخ أو أربعة فراسخ
وقيل سوينا مسيرة ما بين كل قريتين فكانت لا تتفاوت سيروا فيها ليالي وأياماً أي قال لهم رسولهم ذلك أو معناه
كانوا يسيرون كذلك كما مر في قوله كلوا من رزق ربكم آمنين أي من الجوع والعطش وتعرض الناس فقالوا ربنا بعد
بين أسفارنا • قرأ عاصم وحمزة والكسائي ونافع ربنا بالنصب باعد بالألف مكسورة العين مجزومة الدال على الدعاء
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر بعد بغير ألف مجزوماً أيضاً وهما لغتان كقوله لا تصاعر ولا تصعر
أي بطروا وسئموا السيرة وحملوا قدر النعمة والعافية وسألوا الله تعالى أن يبعد أسفارهم • روي أنهم قالوا ليت
أن أسفارنا تباعدت فكنا نركب الجمال ونحمل معنا الأزواد ونقطع المفاوز متعرضين ولزيادة الأموال بالتجارة
متكسبين وهذا كجهل قوم موسى في قولهم لن نصبر على طعام واحد وسؤالهم ما سألوا في ما مضى على قول بعضهم بأن
أوائلهم إنه كان لهم جنتان وكانت منازلهم إلى الشام في الأسفار متقاربة متيسرة فلولا ذلك وسألوا تباعد الأسفار
نبدلهم الله بجنتيهم جنتين وأيبس بلادهم وغور مياههم وأهلك أموالهم وفرقهم في البلاد وبعد أسفارهم وذلك
قوله وظلموا أنفسهم بحبوطهم حظوظهم من النعمة والعافية والدعة فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بعدهم بما جرى
عليهم يتمثلون به فيقولون تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبا • قال الشاعر من صادر ووارد أيدي سبا • وقال
كثير عزة أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم • فلم يحل للعينين بعدك منظر • وقوله تعالى ومزقناهم كل ممزق أي
فرقناهم في البلاد كل مفرق • قال الشعبي أما غسان فلحقوا بالشام وأما الأنمار فلحقوا بيثرب • وأما خزاعة
فلحقوا بتهامة • وأما الأزد فلحقوا بعمان • وقيل كان أول حالهم ما ذكر في الآية الأولى وزال ذلك بسيل العرم
وبدل الله تعالى جنتيهم بما بدل فقالوا لنبيهم أو لأنبيائهم سلوا الله تعالى حتى يحيي لنا أسبابنا فنشكره ولا نكفره
فجعل الله بينهم وبين الشام قرى ظاهرة سهل عليهم الأسفار وقربت عليهم الأسفار فلم يشكروا وسألوا تبعيد الأسفار
وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا • وقرأ نافع برفع الباء في قوله ربنا على الابتداء وباعد على الفعل الماضي أي شكوا الله وسموا
بعد أسفارنا بعيدة وعادوا إلى الكفران فتفرقوا بالتمزيق في البلدان وجعلوا أحاديث أن في ذلك لآيات لكل
صبار شكور أي لكل مؤمن مستكمل خصال الإيمان فإن الشكر والصبر خاصيته أي هو المنتفع بهذه الآيات بالتأمل
فيها وإن كانت الآيات للكل على العموم • وقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه • قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف
صدق مشدداً أي حقق على هؤلاء العصاة الذين أنكروا البعث وأعرضوا عن شكر الله تعالى وكفروا إبليس ظنه
فيهم حيث قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين لأحتنكن ذريته لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم وأشباه ذلك فلم
يقل ذلك عن ثقة بأنه سيكون كذلك فإنه لم يصب به ولا كان عالماً بالغيب لكن استدل لما استزل آدم وحواء • وقال
تسلطي على أولادهما أخلق كما تعدت فيهما وحقق ذلك الظن بجهده في الإغواء والتزيين فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين
إن جعل من للتبيين فمعناه فاتبعوه في الكفر إلا المؤمنين وإن جعل من للتبعيض فمعناه فاتبعوه في المعاصي إلا فريقاً
من جملة المؤمنين لم يتبعوه في معصيته وهم المخلصون المطيعون • وقرأ الباقون صدق بالتخفيف أي صدق إبليس
في ظنه وخروج كما ظن • وقوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان أي لا ولاية ولا حجة على فعل • وقيل أي تجبر على ما يريد هو
إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الاستثناء لكن أي ولكنا ابتليناهم المكلفين بوسوسته ليعلم المؤمن المخلص
من الشاك في البعث وهو استثناء منقطع • وقيل هو على حقيقة الاستثناء وهذا سلطان التخلية أي ما كان له عليهم من
سلطان بالتخلية بينه إلا لنعلم المؤمن من الكافر أي إلا لنفع المحنة لأنها تنفع إذا كان للمحن داع يدعوه إلى الباطل
وداع يجذبه إلى الحق ليجاهد بعقله هواه فنظر حينئذ طاعة المطيع ومعصية العاصي ثم قوله إلا لنعلم أي النعلم
المعلوم بوجوده أو ليعلمه موجوداً حال وجوده كما علمناه قبل وجوده أنه يوجد أو ليعامل معاملة من يختبر المطلوب
أو ليعلم أولياؤنا ذلك وقد كشفنا ذلك كله في نظائره فيما مر • وقوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ عالم بأن يحفظ
على صاحبه ليجازيه بجزاء مثله • وقيل أي رقيب • وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي قل يا محمد
للمشركين ادعوا هؤلاء الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء ليظهروا شيئاً مما تأملتم كما ظهرت وهذا توبيخ
لهم وتقريع وزعمتم بمعنى ظننتم ههنا كما قال الشاعر • زعمتني شيخاً ولست بشيخ • إنما الشيخ من يدب دبيبا • لا يملكون
مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض أي الأصنام وما لهم فيهما من شرك أي نصيب • فعيل أي شركة مع الله تعالى وما له
منهم وما له من الأصنام من ظهير أي معين على خلق شيء ولا تنفع الشفاعة عنده أي عند الله إلا لمن أذن له وهو إلا بإذن

لهم في الشفاعة الا للمؤمنين ويكون لهم على هذا التأويل المشفوع له ويجوز ان يكون الشافع اي لا يشفع الا من اذن الله له به
بالشفاعة للاصنام • وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو اذن له بالضم على ما لم يسم فاعله • والباقون على الفعل الظاهر نسقا
الى الله تعالى • وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم اي ازيل الفزع عنها وقد فزع اي خاف وافزعه غيره اي اخافه وفزع عنه
اي خوفه عنها كقولك قذيت عينه اي وقع فيها القذى وقذاها غيره اذا وقع فيها القذى وقرب منه مرض فمرضه
وامرضه غيره جعله مريضا ومرضه اذا قام عليه وداواه وعالجه وهذا وصف الملائكة والتقدير الا لمن اذن له اي
الا للذين اذن الله لهم من الانبياء والملائكة ومن الجنس فصلح للجمع وفزعوا حين ورد عليهم كلام الله تعالى بالاذن لهم
بالشفاعة وهم الملائكة وهذا الفزع من هيبة ما يفتتون به من الامر الهائل او لما يخافون من وقوع التقصير منهم
في شفاعة الذين يشفعون لهم لانه كان على الاجمال دون التعيين فتشتبه احوال المشفوع لهم حتى اذا كشف عنها الفزع
قالوا الملائكة الذين فوقهم وهم المبلغون ذلك اليهم ماذا قال ربكم اي امركم به وهو كلام الخاضع المتذلل قالوا
اي اولئك الملائكة الحق اي قال الله الحق اي امر بالحق • وهو العلي الكبير اي المتقدس بالجلال المتفرد بالكمال
فلا يامر الا بالحق يعني مع منزلتهم هذه يفزعون ويشفعون على شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر الله يعملون فكيف
يشفعون للكفار • وقيل هذه الشفاعة قولهم ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك • وقيل
هو في الاخرة عند الله الامر الاذن له في الشفاعة من الملائكة الذين يفزعون لما يرد عليهم من كلام الله تعالى ووجه
بالتضييق حتى اذا ازال الله عنهم الفزع قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ان الشفاعة لهؤلاء الاصنام
والشياطين والجن • وقيل قولهم قالوا الحق هذا الاجمال في وحي لم يؤذن للاكابر بيانه للاصاغر فاما اذا كان امرا
يحق اظهاره فروي لهم والروايات فيه كثيرة • وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى اذا قضى الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها كضرب السلسلة على الصفوان فذلك قوله حتى اذا فزع عن
قلوبهم قال فيسمعها مسترقوا السمع وهم كذلك وربما ادرك الشهاب الاول قبل ان يرمي بها الى صاحبه وربما لم يدركه
حتى يرمي بها الى صاحبه فيرمي بها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى يلقي على فم ساحر او كاذب فيكذب معها فيصدقونه
الم يخبرنا يوم كذا بكذا فوجدناه حقا وهي الكلمة التي سمعت في السماء • وقال مسروق سالنا عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه ولولا عبد الله ما وجدنا احدا يخبرنا به قال اذا تكلم بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة
على الصفوان فيرون انه من امر الله تعالى فيفزعون فاذا سكن قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
وفي رواية عنه فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل عليه السلام فيفزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل
ماذا قال ربنا فيقول الحق فينادون الحق الحق • وفي حديث شعبة فيرون انه الساعة • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما لم تسمع الملائكة الوحي في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد وهو قريب من ستمائة سنة فلما بعث الله جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم سمعت الملائكة الوحي فسقطوا مغشيا عليهم فظنوا ان القيامة قد قامت • وقال
السدي سالت الملائكة جبريل الى من بعثت قال الى محمد فقالوا الله اكبر قد قامت القيامة لانهم كانوا يقولون ان
محمدا من اشراط الساعة فلما علموا اية الساعة قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق • وعن عائشة رضي الله
عنها ان الحارث بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينزل عليك الوحي فقال يأتيني الملك احيانا
في صورة الرجل فيقول لي فاعي ما يقول لي وياتيني احيانا في مثل صلصلة الجرس فينفصم عني وقد وعيت ما قال
وهو اشد علي • وقوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض اي قل لهؤلاء المشركين من يرزقكم من خلق لكم
الارزاق الكائنة في السموات والارض من الامطار وما يصلح بالشمس والقمر والنجوم وما في الارض من النبات
ولا يقدرون ان يضيفوا شيئا من ذلك الى الهتهم فيسكتون لانقطاع الحجة فقل انت الله يفعل ذلك وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين وانا لعلى هدى بالايمان بالله تعالى والاخلاص له وانتم في ضلال مبين باشراككم به
غيره وانما جمع بين الكلامين تعريضا بتضليلهم وتخلصا الى المقصود بكلام هو في غاية الحسن والانصاف كالرجل
يريد تكذيب صاحبه فيقول احدنا كاذب فيكون هذا الطف من ان يقول انت كاذب وقد امر الله تعالى في دعاء
الكفار الى الاسلام كذلك الالتواء فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ونحو هذا الكلام قول حسان اتهجوه
ولست له بند • فشركما لخيركما الفداء • وقيل هو التقسيم الذي هو من اقسام البلاغة مما تبدا لها جزاين فيتصل
كل خبر بمبتداه وتقديره وانا لعلى هدى واياكم لفي ضلال مبين وهو كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا ولتبتغوا من فضله وهو كقول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي
اي الرطب كالعناب واليابس كالحشف البالي • وقوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون اي انما ادعوكم
لنفعكم ودفع الضر عنكم لا لنفعنا ودفع الضر عن انفسنا فانكم لا تؤاخذون باجرامنا ونحن لا نؤاخذ باجرامكم
قل يجمع بيننا ربنا اي في القيامة ثم يفتح بيننا بالحق اي يقضي فيجزي كل فريق على وفق عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر
وهو الفتاح اي القاضي العدل العليم باعمال العباد وبوجوه القضاء • وقوله تعالى قل اروني الذين الحقتم به
شركاء اي قل يا محمد للمشركين اروني اي عرفوني الذين الحقتم به بالله اي بالله شركاء اي في العبادة هل خالقوا

ذلك يستحق العبادة • وقيل شركاء اي في الخلق فيستقيم وصفها بكونها شركاء مع الله او مستوجبة له وهذا لا يكون فاذا عجزوا
من ذلك فقل انت كلا بل هو الله العزيز الحكيم اي لا معبود الا الله وهو الله المعبود المستحق للعبادة العزيز الذي لا يرام
والحكيم الذي له تنفيذ الاحكام ومنه الاتقان والاحكام واراءة الايات والاعلام • وقوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ذكر انكارهم رسالته في اول هذه السورة وقال هاهنا وما ارسلناك الا كافة وفيه
تقديم وتاخير وتقديره وما ارسلناك الا بشيرا ونذيرا للناس كافة اي جميعا وكفة الثوب جمع ما تفرق من اطرافه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم المشركون لانهم اكثر من المؤمنين والمخلصين لا يعملون بعلمهم او لا يتاملون في الايات
ليعلموا ويقولون متى هذا الوعد وهو شامل لما يقترن به التبشير والانذار ان كنتم صادقين في ذلك قل لكم ميعاد
يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي بالموت يأتيكم ما توعدون به قبل قيام الساعة • وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القران اي لن نصدق بما نزل به القران على محمد ولا بالذي بين يديه التوراة والانجيل
جحدوا التوراة والانجيل حين احتج عليهم بقول علماء اهل الكتاب واخبارهم عن ذكر النبي فيهما فجحدوا الكتب
كلها اصلا حسما منهم • وقيل ولا بالذي بين يديه هو قيام الساعة ثم بين حالهم ذلك اليوم • فقال ولو ترى اذ
الظالمون موقوفون عند ربهم اي محبوسون في موضع الحساب والسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتراجعون
الكلام بينهم باللوم واللعن والبراءة من بعضهم من بعض يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا اي يقول الاتباع
للسادة الذين من صفتهم استضعافهم ورجوعهم الى مرادهم لولا انتم اي لو لم يكن تسلطكم علينا وقهركم ايانا
واصطناعكم لنا لكنا مؤمنين بمحمد متابعين له • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم استفهام بمعنى الانكار ومعناه ما منعناكم عن اتباع الهدى بعد اذ جاءكم وما كان لنا ولاية القهر لو اتيتم ان تمنعكم
بل كنتم مجرمين ثابتين على الكفر باختياركم • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي بل كان
سبب كفرنا مكركم بنا في الليل والنهار على الدوام كنتم تخادعوننا عن الهدى وتمكرون بنا ابدا واضاف المكر الى الليل
والنهار لوقوعه منهم فيهما وهو كقول الشاعر • لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنائم • وقيل
كان الليل والنهار يمكران بطول السلامة فيهما والاصح الاول ويدل عليه ما بعده اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا اي اشباها من الاصنام فنعبدها دونه • واسروا الندامة اي اضمروها في قلوبهم واستتروها في قلوبهم
وقيل اخفوها اي السادة من الاتباع • وقيل اي اظهروها بقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونحو ذلك
فالكلمة من الاضداد • قاله العتبي وقطرب • وانشد للفرزدق • فلما راى الحجاج جرد سيفه • اسر الحروري الذي كان اضمرا •
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي لما راوا العذاب ولما جعلنا اي ندموا حين راوا الاغلال جعلت في ايدي
الكفار الى اعناقهم ويحتمل ان يكون معطوفا على قوله واسروا وجعلنا الاغلال في اعناق المستضعفين والمستكبرين
جميعا فانهم كفار هل يجزون الا ما كانوا يعملون استفهام بمعنى النفي للتقرير اي لا نجزيهم الا باعمالهم وامثل في اخر هذه
الايات جواب قوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم لرايت منظرا هائلا ونحو ذلك كما عرفت نزلت
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران وما بعدها في الاسود بن عبد يغوث الزهري وفي زمرة بيان اخوين من
بني حارث بن عبد مناف • وقوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اي وما بعثنا قبلك في بلدة
من رسول منذر للناس عاقبة الشرك والكفر الا قال متنعموها وهم اصحاب الاموال والاعوان مستكبرين ممتنعين
من زوال رياستهم انا بما ارسلتم به كافرون اي جاحدون وهم قوله ارسلتم به انه عم جميع اهل القرى اي كان جواب
مترفي كل قوم لرسولهم كذلك واللفظ واحد في قرية وكذلك من نذير ولكن معناه الجمع فصح قوله ارسلتم وكذلك
قال اهل مكة لك يا محمد وفيه تسلية له • وقوله تعالى وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي من الانبياء فنحن اكرم على
الله واولى بالحق وما نحن بمعذبين اي ولا يعذبنا الله على تكذيب الرسل لانه فضلنا عليهم • وقوله تعالى قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لا لتفضيل لمن يوسع عليه لكن لما يري
من الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون لا يقفون على مواضع الحكمة • وقوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى اي قربة • وقيل درجة ومنزلة الا من امن وعمل صالحا اي لكن من امن وعمل صالحا فاولئك
لهم الزلفى واولئك لهم جزاء الضعف اي الاضعاف والضعف هو المثل الى ما زاد عليه وهو جنس يصلح للجمع
ويدل عليه قوله فله عشر امثالها • وقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة بما عملوا اي باعمالهم وهم في الغرفات اي
في غرفات الجنة امنون من كل مخوف والا على هذا القول استثناء منقطع بمعنى لكن • وقيل هو استثناء متصل
ومعناه الا من امن وعمل صالحا في امواله واولاده فانفق ماله في نصرة دين الله واقام نحو دين الله واستظهر
باولاده على طاعة الله ومتابعة رسل الله فاولئك لهم جزاء الضعف فيضاعف غيرهم من ابناء الهم واولادهم • وقيل
جزاء الضعف هو دوام التنعم في الجنة بالتضاعف وقتا بعد وقت بلا انقطاع • وقوله تعالى والذين يسعون
في اياتنا معاجزين اي في ابطالها وفي صرف الناس عنها معاجزين ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون
اي في النار يحضرهم العذاب اللازم لا انهم في غرفات الجنة امنون • وقوله تعالى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

ويعذر له فلا تتكلوا على ما اعطاكم من اسباب العزوا لتوسع في الدنيا ولا تستغنوا بها من طاعته بل انفقوه في طلب رضاه وما انفقتم من شيء فهو يخلفه يعطي خلفه في الدنيا مع ما يثيب عليه في الاخرة وهو خير الرازقين اي المعطين لانه قادر على مواصلة رزقه وزيادته ما شا لمن شا فيه بغير حساب وليس اعطا العباد كذلك ولانه يعطي ملك نفسه ورازق يوجد المرزوق وغيره ويعطي رزق الله تعالى ويحوله من موضع الى موضع ولا رازق في الحقيقة الا الله تعالى ولا خالق ايضا غيره لكن معنى خير الرازقين هذا واحسن الخالقين اي احسن المصورين والمقدرين • وقيل معنى تكرار هذه الاية ان الاولى لخطاب الكافرين وهذه خطاب المومنين ثم قوله وما انفقتم من شيء اي في وجوه البر وذلك والاثم يذكر فالانفاق هذا الذي لا يثمر هذا كالانفاق كالعلم الذي لا ينفع نبيه جهات وكذلك وصف الكفار بانهم صم بكم عمي لانهم لا يعقلون لعدم انتفاعهم بهذه الالات • وقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا اي يجمعهم للحساب في العرض ثم نقول بحضرتهم للملايكة اهولا اياكم كانوا يعبدون اي اهولا المشركون كانوا يعبدونكم في الدنيا قالوا سبحانك اي ننزهك تنزيها ان يكون معك اله انت ولينا من دونهم اي انت الهنا وحافظنا ومتولي امورنا ومصالحنا انت الذي نتولاك ونلتمس قربك باخلاص العبادة لك من دونهم اي من دون هولا المشركين الذين يزعمون انهم يتولوننا ونتولاهم بل انت ولينا وحدك وهم ليسوا لنا اولياء ولا نحن لهم اولياء بل كانوا يعبدون الجن اي بل كانوا يتولون الجن ويطيعون انهم يتولوننا ويعبدونهم ويتوهمون انهم يعبدوننا اكثرهم بهم مومنون اي كلهم كقوله واكثرهم كاذبون وهو كقوله يصبكم بعض الذي يعدكم وكقوله فقليلا ما يومنون اي لا يومنون اصلا وهذا توفيق للكلام بمنزلة قولك ابيل وعلي لعلك تفلح ولا تريد به الشك لكنه توفيق للكلام • قيل كان بنوا مليح من العرب يعبدون الملايكة ويقولون هم بنات الله من مصاهرة الجن • قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • وقيل معناه بل كانوا يطيعون الشياطين في عبادتهم ايانا فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي يقال لهم اليوم لا تجدون منه هولا الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ضرا ولا نفعا ما كنتم ترجون من شفاعتهم لكم ونقول للذين ظلموا هولا الكفار ولسانهم ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وتقولون مستهزئين متى هذا الوعد • وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا يقرا على هولا اياتنا ايات القران بينات واضحات دالات على اعجاز القران ما هذا يعنون محمدا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم اي يصرفكم عن دين ابايكم وقالوا ما هذا اي القران الا افك اي كذب مفترى اي مختلق • وقوله تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاهم ان هذا الا سحر مبين اي تخييل ظاهر تحيروا فمرة قالوا هو كذب ومرة قالوا هو سحر ويحتمل ان يكون قوله سحر من قول الاتباع • وقوله افك مفترى من قول السادة وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي وما اعطينا هولا المشركين كتبا يدرسونها فيدعون انهم وجدوا فيها ما شاهد القولهم وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي ولم نرسل اليهم قبلك رسولا يا محمد يخبرهم عن الله بابطال امرك فليست عندهم حجة على ما يقولونه في القران وفيك وهو كقوله ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم وكذب الذين من قبلهم اي وقد كذب الذين من قبلهم من الامم والرسل فاهلكناهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي اي ان هولا المشركين لم يبلغوا في القوة والمال والاولاد عشر ما بلغه اوليك فاذا لم يمتنع اوليك من هذا اي كيف يمتنع هولا والمعشار العشر كذلك المرباع الربع ولا يستعمل بمثله الا في هذين قال الرتسطرب فكيف كان نكير قيل التكير جزا المنكر • وقيل هو الانكار اي التغيير اي فانظروا كيف كان تغييري احوالهم من المحبوب الى المكروه وتعذيبي ونكير حذفت اليا تخفيفا واكتفى بكسرة الرا لاتفاق الفواصل • وقوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة ثم اذ انه تعالى بعد ان حاجهم فيما وصفوا به الكتاب والرسول وعظهم ودعاهم الى النظر وتخالفه سبيل الامم الخالية في التقليد وبين وجه النظر على ابلغ وجه وابينه • فقال قل يا محمد لمشركي مكة انما اذكركم بكلمة واحدة او خصلة واحدة او موعظة واحدة واكتفي بها منكم وهي ان تقوموا لله مثنى وفرادى وهي قيام القصد الى الشيء دون النهوض والانتصاب لله اي لوجه الله والتماس التقرب الى الله تعالى لا لحمية وعصبية بل لطلب الحق مثنى وفرادى اي مجتمعين ووحدانا لان ما يراد تعرفه للنظر لا يخلو اما يكون بما يدركه الناظر وحده اذا امعن نظره لوضوح وجهه او يكون مما لا ينجلي الشبهة فيه عنه بانفراده لغموضه حتى يستعين بغيره فالحوطر هو النظر في الامر بالوجهين ثم تتفكروا اي تستعملوا فكركم بالتدبر في امر محمد اي في شي من احواله من مبتداه الى وقت اخباره بنزول الوحي عليه اشتباه في امره او اختلاف في حاله يوجب لم ردهم او يوجب عليه خلته بما لا يجوز معه في العقل ان يكون رسولا ومل جربتم عليه كذبا او رايتم في عقله ضعفا او شاهدتم منه مخلطات الجن يدعي سحرا او يكون منه اقاصيص الاولين فياخذ منها التعلم والتعبد ثم تحديكم على مثلا ومثله في صورة فتعجزوا ايد الطاقة ان يكون هذا الكتاب من عنده فاذا لم يكن كذلك فاعلموا انه ليس بمجنون وانه نذير لكم بين يدي عذاب شديد امام عذاب قد امره الله تعالى بتكذيب رسوله وجاحدي كتابه ومشركي غيره بذلك حذروا ايضا في الدنيا لكم هذا العذاب الشديد فقد اشتملت هذه الاية مع قلة حروفها على اثبات النظر

وجنونه ثم قوله ما بصاحبكم يحتمل وجهين احدهما ثم تتفكروا اي شيء بصاحبكم من الجنون اي من اثار الجنون فيتصل الكلام والثاني ان يتم الكلام بقوله ثم تتفكروا اي في الامور التي عددناها ثم يكون قوله ما بصاحبكم ابتدا ويكون ما للنفي اي ليس به جنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد اي ما هو الا مخوف لكم امام عذاب شديد • وقوله قل ما سالتكم عليه من اجر فهو لكم اي كلما طلبت منكم على ما ادعوكم اليه من الايمان من جعل فهو لكم لا حاجة لي اليه ولا اطلب منكم شيا ان اجري الا على الله اي ما ابتغي عليه الا الثواب من الله تعالى وقد وعده بي وعدا موكدا لا خلف فيه وهو على كل شيء شهيد اي شاهد على شيء عليكم مشاهد افعالي وافعالكم وهو كقولك لمن نصحت فيجزي كلا على وفق عمله وهذا تاكيد انه لم يسالهم شيا وهو كقولك لمن نصحت له فلم يقبل ما اعطيتني على نصيحتي لك فخذه مني اي لم تعطني شيا ولم اسله منك والاية وجه اخر قال الكلبي لما قال الله تعالى لنبيه قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال لا توذوا محمدا في قرابته فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهتهم بعد ذلك قالوا ما انصفنا محمد يسالنا ان لا نوذي اقاربه فنفعل وهو يذكر الهتنا فنزلت هذه الاية قل ما سالتكم من اجر فهو لكم اي ان شيتم فاذوهم فرد عليهم اجرهم الذي كان سالهم ان لا يوذوا اقاربه وفيها وجه اخر ما سالتكم من اجر وهو الكف عن اقاربي فهو لكم اي فذلك الاجر لكم اذا فعلتموه كان ثوابه من عند الله لكم • وقوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقي الحق الى عباده المومنين على وجه لا يقع عليه اعتراض متوجه بل يبطل به الباطل علام الغيوب اي هو علام الغيوب لا يخفى عليه حقايق الاشيا والمذهب عليه الصواب في الحجج قل جا الحق اي الدين الحق لوضوح اياته ودلالاته وما يبدي الباطل وما يعيد اي فلا يبقى للباطل اي الشرك ابتدا ولا عودا • وقال ابو عبيدة يقذف بالحق اي بالحق • وقال نفطويه اي يلقي الحق في قلب من يشا وعلى لسانه • وقيل هو ما قال في اية اخرى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق • وقيل هو ما قال في قوله قل جا الحق اي القران • قال الضحاك قل جا الحق اي القران وما يبدي الباطل وما يعيد اي ما يخلق ابليس احدا ولا يبعثه • وقال الحسن وما يبدي الباطل لاهله خيرا في الدنيا ولا يعيد عليهم خيرا في الاخرة فالباطل ما عبد من دون الله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي اي ان تركت الحق الذي اتيت به واتبعتكم فقد ضللت والحيت الضر بنفسي وان اهتديت ثبت على حق فيما يوحي الي ربي فيه بيان نجاتي من ربي انه سميع لما اقوله لكم قريب مني ومنكم يجازيني ويجازيكم • وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم • وقال ابن عباس والضحاك هو يوم بدر حين اخذتهم سيوف الملايكة • وقال الحسن هو حين يخرجون من قبورهم اذ فزعوا اي خافوا • وقيل خافوا خوفا شديدا وقيل الفزع انزعاج النفس بتوقع المكروه فلا فوت • قال الضحاك اي لا مهرب • وقيل فلم يفوتوا ما نزل من العذاب بهم واخذوا من مكان قريب اي من قرب فلم يفوتوا وهو تمثيل لسرعة الاخذ • وقيل هو تاكيد قوله فلا فوت ومن حمله على يوم بدر قال اخذوا في الدنيا قبل ان يصيروا الى الاخرة وهو المكان القريب • وقال الحسن فاخذوا يوم القيامة من مكان قريب من بطن الارض الى ظهرها وقالوا امنا به يجوز ان يكون راجعا الى قوله قل جا الحق ويجوز ان يكون الى الوحي فقد قال فيما يوحي ويجوز ان يكون الى الرب فقد قالوا امنا بالله وحده • وقال وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته وان كان في القيامة فكل الكفار يومنون به ويتبرون عن الكفر حينيذ • وقوله تعالى وانى لهم التناوش من مكان بعيد وهو تمثيل ومعناه ليس هذا وقت نفع الايمان ولا مكان قبول الايمان كان ذلك في الدنيا وقبل معاينة هذه الاحوال • وقرا ابو عمرو وحمزة والكسايي وعاصم في رواية ابي بكر والسوسي والبرجمي التناوش مهموزا ممدودا • قال الزجاج هو من النايش وهو الحركة في ابطا اي من اين لهم ان يتحركوا فيما لا حيلة فيه • وقرا الباقون التناوش بغير همز وهو التناول والتنوش كذلك • قال الشاعر فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا • وقال ثعلب التناوش بغير همز التناول من قرب وبالهمز التناول من بعد • وقيل في الاية وكيف لهم تناول ما في الدنيا من الاخرة وهي بعيدة عن الدنيا وقد كفروا به من قبل اي من قبل حالة الياس وقبل يوم القيمة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اي يرمون بالظن المغيب عنهم من مكان بعيد اي يظنون ان ايمانهم في الاخرة انما لزا الياس ينفعهم حملا منهم في الاخرة وحالة الياس كما كانوا جاهلين في الدنيا وفي غير حالة الياس فهم الجهل في الحالين • وقيل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد هو ابتدا الكلام في وصفهم في الدنيا ومعناه ويرمون بالظن فيقولون لا بعث ولا جزا وهو رجم بالظن من مكان بعيد وهو اضعف ما يكون من الظن لبعد المكان عن الطاقة • وقيل هذا البعد عن القلب • وقيل عن العقل • وقيل هذا الظن البعيد منهم كان في القران وفي الرسول فكانوا يصفون كل واحد منهما بصفات مختلفة • وقيل المكان البعيد تمثيل كقوله تعالى اوليك ينادون من مكان بعيد • وقيل هو الوصف منهم في الدنيا لكنه متصل بالاول باعتبار كانوا اي لا ينفعهم الايمان لانهم كفروا به من قبل وكانوا يقذفون بالغيب من مكان بعيد في الدنيا • وقيل ويقذفون بالغيب اي يرمون بالاخرة من مكان بعيد اي يبعدون امرها فلا يعتقدون كونها كما قال تعالى هيهات هيهات لما توعدون وهذا معنى قول الضحاك • وقيل ويقذفون بالغيب اي يرمون اجالهم من مكان بعيد اي يقدرونها بطول فيسوفون بالتوبة

وهذا معنى قول عكرمة • وقوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي من الانتفاع بالايمان والتوبة كما فعل باشياعهم من قبل
اي بالذين شايعوهم على الكفر من الماضين كان لا يقبل ايمانهم عند الباس • قال الله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين • وقيل وحيل بينهم حينئذ وبين ما كانوا يشتهون وهو الاموال والاولاد
والاسباب التي كانوا يتنعمون بها ويتعززون في الدنيا بها وهو كقوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
الاية • وقوله تعالى انهم كانوا في شك مريب اي في شك من القران والرسول والايمان والبعث وكل ذلك
سبق ذكره • وقوله تعالى مريب اي مشكك وهو مبالغة كقولهم عجب عجيب وشاب شائب وليل اليل • وقيل
المريب الاتي بالمكروه • وقال الهذلي لشاعر كنت اذا اتوه من غيب كانني اربته بريب اي هولاء الكفار الذين
كانوا في عصرك والكفار الماضون من قبلك كانوا كذلك فعذبوا لذلك وقد وردت احاديث في هذه الاية انها
في السفياني • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولو ترى اذ فزعوا في السفياني الذي يظهر في اخر الزمان فيقصد
الكعبة في ثمانين الفا ليخربها فيخسف بهم في البيداء واخذوا من مكان قريب خسف بهم من تحت ارجلهم • وقال
مقاتل يبعث في ثلاثين الفا الى مكة عليهم رجل يقال له عمرو بن نجيلة مغلوب وجهه الى قفاه يمشي القهقرى على
عقبيه حتى ينتهي الى السفياني الخبيث فانما هلك لنغمة اشهروا كثيا ناعة كلب يخبر الناس بما اصابهم • وقال
مقاتل بن سليمان يخرج السفياني من الوادي اليابس في اخواله من بني كلب يخطبون على منابر الشام فاذا
بلغوا عين التمر محا الله الايمان من قلوبهم فيخرجون حتى ينتهوا الى جبل الذهب فيقاتلون قتالا شديدا فيقتل
السفياني سبعين الف رجل عليهم السيوف المحلاة والمناطق المفضضة ثم يدخل الكوفة فيصير اهلها ثلاث
فرق فرقة تلحق بهم وهم شرار خلق الله وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء وفرقة ثالثة تلحق بالاعراب وهم
العصاة ثم يغلب الكوفة فيفتض اصحابه ثلاثين الف عذراء فاذا اصبحوا كشفوا شعورهن واقاموهن
على السوق يبيعوهن فعند ذلك كم من لاطمة خدها وكاشفة وجهها وناتفة شعرها بدجلة او شاطئ الفرات
فيبلغ الخبر اهل البصرة فيركبون اليهم في البر والبحر فيستنقذون اولئك النساء من ايديهم فيصير اصحاب
السفياني ثلاث فرق فرقة تنزع نحو الري وفرقة تبقى بالكوفة وفرقة تاتي المدينة وعليهم رجل من بني زهرة
فيحاصرون اهل المدينة فيقتتلون جميعا فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة حتى يبلغ الدم الراس المقطوع
ويقتل رجل من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وامراة واسم الرجل محمد واسم المراة فاطمة فيصلبونهما
ما بين فعند ذلك يشتد غضب الله عليهم فيبلغ الخبر ولي الله فيخرج من قرية من قرى جرش في ثلاثين رجلا
فيبلغ المومنين خروجه فياتونه من الارض ويحنون اليه كما تحن الناقة الى فصيلها فيجي فيدخل مكة فتقام
الصلاة فيقال تقدم يا ولي الله فيقول لا افعل ثم يصلي بهم رجل ثم يتداكون عليه بالبيعة تداك الابل الهيم
يوم ورودها حياضها فيبايعونه فاذا فرغ من بيعة الناس بعث خيلا الى المدينة عليهم رجل من اهل بيته
فيقاتل الزهري فيقتل من كلا الفريقين مقتلة عظيمة فيرزق الله وليه الظفر فيقتل الزهري ويقتل
اصحابه فالخائب يومئذ من خاب من غنيمة كلب ولو بعقال فاذا بلغ الخبر السفياني يخرج من الكوفة في سبعين
الفا حتى اذا بلغوا البيداء عسكروا بها وهو يريد قتال ولي الله وخراب بيت الله فبينما هم كذلك بالبيداء
اذ نفر فرس لرجل من العسكر فخرج الرجل في الطلب في اثره ويبعث الله جبريل فيضرب الارض برجله ضربة فيخسف الله
عز وجل الارض بالسفياني واصحابه فيرجع الرجل يقود فرسه فيستقبله جبريل فيقول ما هذه الضجة في العسكر

فيضربه جبريل بجناحه فيحول وجهه مكان القفا فيمشي القهقرى فهذه الاية نزلت فيهم

سورة الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي يزيد في الخلق ما يشاء • الرحمن الذي يخشاه من عباده العلماء • الرحيم الذي بحكمته
تمسك الارض والسماء • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي الابواب شئت وهذه السورة مكية
وهي ست واربعون اية • وقيل خمس واربعون • وكلماتها سبعمائة وخمس وسبعون • وحروفها ثلاثة الاف
ومائة وخمس واربعون • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ذكر في اخر تلك السورة ان الكفار
في شك مريب لتركهم التامل في تلك الايات وذكر في اول هذه السورة من الايات ما لا يبقى معه ريب عند
التامل فيه وهو خلق الارض والسموات • وانتظام السورتين انهما مكيتان وهما في محاجة المشركين ومدح
الموافقين وذم المنافقين المخالفين • وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقهما من غير شي جاعل
الملائكة رسلا الى النبيين اولي اجنحة يطيرون بها ينزلون من السماء الى الارض ويعرجون منها الى السماء
في يوم واقل منه ومسيرة ما بينهما الف سنة نزولا وعروجا ولولا ما قواهم بذلك لما امكنهم ذلك مثنى وثلاث
ورباع اي من الملائكة من له جناحان كالطيور التي في الهوا ومنهم من له ثلاثة اجنحة ومنهم من له اربعة

اجنحة يزيد في الخلق ما يشاء اي ويزيد بعضهم على بعض فقد روي ان جبريل صلوات الله عليه له ست مائة جناح لو نشر جناحا لملا
ما بين الخافقين ولبعض الملائكة اكثر من ذلك وهذا عام في زيادة كل شي ولذلك قال ان الله تعالى على كل شي قدير
وهذا حديث ارسال الرسل وبعث الخلق يوم القيامة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابو هريرة رضي الله عنه
انه قال في الاية انه الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في اجنحة الملائكة
وقال ابن كيسان في الجسم والعرض والطول كما قال وزاده بسطة في العلم والجسم يعني طالوت • وعن قتادة انه قال
الملاحة في العينين • وقيل الكياسة في الطبيعة • وقيل الفصاحة في المنطق • وقيل الفهم من الله تعالى • وقيل
الحياء • وقيل الرضا بالتقدير • وقيل علو الهمة • وقيل التواضع في الشرف • وقيل القناعة في الفقر • وقيل الظرف
في الشمايل • وقيل المحبة في القلوب • وقيل خفة الروح • وقيل سلامة الصدر من الشر • وقال الامام القشيري
التعطف على الخلق • وقيل الشوق الى الحق • وقيل تحرر القلب من رق الحدثان • وقيل الا يطلب لنفسه منزلة في الدارين •
وقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة قيل هي النبوة كما قال اهم يقسمون رحمة ربك فلا ممسك لها لا يستطيع احد رد ما
لا معارض لها وما يمسك اي يقطع في زمان الفترة فلا مرسل له من بعده اي لا يمكن احدا فتح هذا الباب وقال فلا ممسك
لها بالتانيث لسبق ذكر الرحمة وقال فلا مرسل له بالتذكير لسبق ذكر قوله وما يمسك ويجوز في العربية التانيث فيهما
لذكر الرحمة فيهما ويجوز التذكير لذكر ما فيهما • وقيل الاية عامة لكل نعمة ويدل عليه ما بعده يا ايها الناس اذكروا نعمة
الله عليكم والرحمة في القران جاءت للمطر • قال تعالى نشرا بين يدي رحمته وللرزق قال تعالى واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك وللاشياء قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار • وقال تعالى ان ارادني الله بضر هل
او ارادني برحمة وعلى هذا ايات وهو العزيز في ملكه وجلاله الحكيم في اقواله وافعاله • وقوله تعالى يا ايها الناس
قيل هو خطاب للمشركين اذكروا نعمة الله عليكم اي تذكروا • وقيل اي احفظوها بما من الله به عليكم من انواع النعم
هل من خالق غير الله • قرا حمزة والكسائي غير الله بالخفض على ظاهر قوله من خالق وهل ما لو غير الله فان من زائدة مؤكدة
فاذا حذفت رفع خالق وهو استفهام بمعنى النفي يرزقكم من السماء والارض بالمطر والنبات وغير ذلك واذا لم يكن
خالق ولا رازق غيره فلا اله غيره ولذلك قال بعده لا اله الا هو • وقوله تعالى فانى تؤفكون اي كيف تصرفون ومن
اين تصرفون من هذا الحق الى غيره والافك بالفتح الصرف والافك بالكسر الكذب وهو الكلام المصروف عن
الصواب ويخرج الكلام على ما لم يسم فاعله على مذهب العرب في قولهم للرجل اين تذهب بك اي اين تذهب فكذا هذا معناه
فكيف ومن اين تصرفون من الحق الى الباطل وهو استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ • وقال الامام القشيري رحمه الله
من ذكر النعمة فهو صاحب عبادة ونائل زيادة • ومن ذكر المنعم فهو صاحب ارادة ونائل زيادة وفرق بين زيادة وزيادة
فزيادته عطاؤه وهذا زيادته لقاؤه • وقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من عرف انه الرازق غير الله
لم يتعلق قلبه باحد في طلب شي والتذلل للارتفاق بمخلوق وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه من نفسه ايضا فيتخلص
من ظلمات احتياله وتوهم شي من اشكاله وامثاله • وقوله تعالى وان يكذبوك يا محمد فلا يضيقن صدرك فلست
باول من كذب من الرسل فقد كذبت رسل من قبلك كذبهم اممهم والى الله ترجع الامور اي والى حكم الله تصير الامور
في عواقبها فيجعل العاقبة المحمودة للانبياء والمرسلين والمومنين • والعاقبة المذمومة للمكذبين وهذا
وعد ووعيد • وقوله تعالى يا ايها الناس وهو عام للمكلفين ان وعد الله حق اي بالثواب والعقاب جميعا
كقوله والى الله ترجع الامور والوعد يقع على العذاب • قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا فلا تغرنكم
الحياة الدنيا اي لا تغتروا بهذه الحياة العاجلة فانها زايلة وانتم مبعوثون للعرض والحساب والجزاء ولا يغرنكم
بالله الغرور قيل الدنيا • وقيل الشيطان بما يمنيكم على الله من المغفرة مع الاصرار وبما يزين لكم من المقام على
الكفر ان الشيطان لكم عدو قديم من وقت ابيكم ادم عليه السلام وامكم حوى فاتخذوه عدوا ولا تتابعوه ولا تطيعوه
فتهلكوا انما يدعوا الى طاعته حزبه اي طايفته ليكونوا من اصحاب السعير ليسوقهم الى نار جهنم فيكونوا من اصحابها
اي اهلها الذين لا يفارقونها وخص حزبه بالذكر وان كان يدعو كل الناس لانهم هم الذين اجابوه • وقيل يدعو
حزبه على الخصوص دون الذين علم ان الله اخلصهم ومنه خلصهم • وقيل يدعو حزبه الذين اجابوه الى الدوام
فيه يخلدون في النار الذين كفروا لهم عذاب شديد وهم الذين اطاعوا الشيطان والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير وهم الذين عادوه وهذا هو تحقيق قوله ان وعد الله حق هو وعد الكافرين بالعقاب
ووعد المومنين بالثواب • وقوله تعالى افمن زين له سوء عمله اي الكفر والمعصية فراه حسنا زينت له ذلك
نفسه باتباع الشهوات وترك النظر في الحجج او الشيطان بالوسوسة واتباع الشبهة او الله تعالى بالتخليق
والمشية وتحقيق الابتلاء والمحنة واضمرها هنا كمن فتح له فانتهى عنه اي ليسا سواء استفهام بمعنى النفي فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء من علم منه اختيار الضلال اضله الله ومن علم منه اختيار الايمان هداه • فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات اي لا تهلك نفسك تاسفا عليهم وتحزنا وهو كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مومنين وقد بينا وجوه ذلك في تلك الاية • وقيل الاضمار هاهنا افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ذهبت

قال اذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا يفلت منهم الا رجلان من جهينة فلذا يقال عند جهينة الخبر اليقين

وابو جعفر وقرا الباقون بالرفع ... على غير الله ... الخالق

لنفسك حسرة عليه فلا تذهب نفسك عليه حسرة فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا ثم هذا الموصوف قيل هو الذي زين له سو
عمله والذي يكتفي يوم القيامة بجنانه ورفع درجاته فقد زين له سو عمله لانه غفل عن حلاوة مناجاته • وقوله تعالى والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا اي تهيجه باثارته من مواضعه فسقناه الى بلد ميت اي تسوقه الرياح بامرنا وتقديرنا فاحيينا به
الارض بعد موتها اي بالسحاب بمظاهره ومعناه بالمطر الذي في السحاب وتثير مستقبل وسقنا واحيينا ماضيان
والاول اضافة الى الريح وهذا الى نفسه وهذا من تلوين الكلام ومن اقسام البلاغة والبيان كذلك النشور اي البعث
بعد الموت • وقوله تعالى من كان يريد العزة يتصل بقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا والتعزز بالمال والسلطان والترف
في الدنيا فلله العزة جميعا هو العزيز بذاته والمعز من يشا من خلقه وانما يعز المومنين والمطيعين بالايمان والطاعة
لا الكفار المترفين بالمال والسلطنة فقد قال قل اللهم مالك الملك الى قوله وتعز من تشا • ولله العزة ولرسوله
وللمومنين ولا يعارض هذه الاية تلك الاية لان عز الرسول والمومنين باعزاز الله فلله العزة جميعا على الحقيقة
وقال الامام ابو منصور رحمه الله من كان يريد العزة بعبادة الاصنام كما قال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم
ينصرون فلله العزة جميعا على الحقيقة اي بتوحيد الله ينال العز كما قال من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة • وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب هو كل قول مرضي عند الله لا خبث فيه والعمل الصالح يرفعه هو كل
فعل حسن لا فساد فيه وذكر في الاول الصعود اليه وفي الثاني الرفع اليه وتقديره والعمل الصالح يرفعه الله اليه ولا يوهم
فيهما المكان تعالى الله عن ذلك لكن المراد قبولها ووجه ذلك ان اعمال العباد تكتبها الحفظة ويرفعونها في السما الى
حيث امر الله تعالى فتوضع للحفظة ثم يجاء بها يوم القيامة للقراءة والحساب بها والجزاء عليها وذلك قوله كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وتقدير الاية الى السما يصعد كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح يرفع الله كتابه الى السما وذكر
احدهما صعوده والاخر رفعه ومعناهما واحد • وقيل تقديره اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ايضا
فالصعود لهما جميعا ثم قال يرفعه اي الله تعالى هو الذي يرفع ذلك ويرفع المذكور كما قال عوان بين ذلك اي ما
مر تقدم ذكره اثنين والثاني ان الكناية قد ترجع الى احد المذكورين لفظا ومعناه وترجع اليهما كما في اية
ولا ينفقونها في سبيل الله ثم يرفعه بريا انفضوا اليها • وقيل في العمل الصالح يرفعه اي يرفع الكلم الطيب
يريد به ان اعتبار الكلام الحسن بالفعل بالعمل الحسن ولا ينفع قول بغير عمل قاله المبرد • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله اليه يصعد الكلم الطيب اي الوعد الحسن والعمل الصالح يرفعه اي انجاز ذلك الوعد وتحقيقه وقيل
يرفعه اي الكلام الطيب هو الذي يرفع العمل الصالح والكلم الطيب هو كلمة التوحيد وبها قبول الاعمال ورفعها
حكاه ابو معاذ من بعض اهل العلم • وقيل والعمل الصالح يرفعه الله على الكلام الطيب اي العمل افضل من الكلام
وقيل والعمل الصالح يرفعه انها ترجع الى قوله من كان يريد العزة اي من اراد العز فليعمل الاعمال الصالحة فانه هو الذي
يرفع العبد • وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات قيل يعني والمتعززون بالدنيا الذين يمكرون بالضعفة اذا
اشتد عليهم وهي السيئات لهم عذاب شديد في الاخرة ومكر اولئك هو يبور اي يهلك احتيالهم ويبطل والبوار
الهلاك • وقال ابو العالية والذين يمكرون السيئات هم الذين مكروا بالنبي عليه السلام في دار الندوة ليقتلوه
او يثبتوه او يخرجوه لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور • قيل هو قتلهم ببدر • وقوله تعالى والله خلقكم
من تراب اي قدر كونكم في الابتدا من تراب ثم من نطفة الابوين وهو معنى قول من قال الخلق ادم الذي انتم
متفرعون عنه وهو اصلكم من تراب وهو قول من قال ذلك ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا للتناسل
والبقا في الدنيا الى حينه وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ثم اذا وقع التناسل فما يكون من حمل على اي وصف كان
او الوضع في اي وقت كان فذلك بعلمه وتقديره وتدبيره ولا يخرج شي من ذلك عن حكمه ولا يعزب عن علمه وما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب • اي هو يعلم اعمار الخلق ومقاديرها طالت او قصرت وهي عنده في كتاب
في اللوح المحفوظ كتبه لمن اراد تعرفه من الملائكة وغيرهم والمعمر من اطيل عمره وما ينقص العمر من لم يطل عمره فيشكل
قوله من عمره مضافا الى المعمر ولا يجتمع طول العمر ونقصانه في شخص واحد لكن له معنيان احدهما وما يعمر من عمر
لا يمضي شي منه فينقص مما قدر له الا ذلك محفوظ عند الله كم مضى وكم بقي وكم مضى ظاهر للناس وكم بقي باطن لا يعلمه
الخلق فاخبر انه يعلم كل ذلك كما قال وما تحمل من انثى وهو باطن ولا تضع وهو ظاهر والله تعالى يعلم كل ذلك
والثاني وهو قول الفرا وغيره ولا ينقص من عمره اي من عمر اخر وهو كقولك عندي درهم ونصفه او لك عندي
ثوب ونصفه فيكون النصف من درهم اخر وثوب اخر لكن لما كان لو اظهر فقال لك عندي ثوب ونصف ثوب
ودرهم ونصف درهم صلح ذلك فجاز اذ قيل ونصفه فكذا ههنا ان ذلك على الله يسير اي كتابة ذلك في الكتاب
يسير على الله تعالى لا يتعذر عليه شي منها لكثرتها وطولها كما يتعذر على العباد كتابة مثلها انما امره اذا اراد
شيا ان يقول له كن فيكون • وقيل اي حفظ ذلك على الله بدون الكتابة يسير وهذا كله بيان قدرته واستشهاد
به على قدرته على بعث الخلق بعد موتهم • وقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح اجاج • قال الخليل البحر سمي به لاستبحاره اي انبساطه وسعته وشق الاذن سمي بحرا لاتساعها وتبحر فلان

في العلم اي توسع فيه والفرات المتناهي في العذوبة والملح الماء الذي فيه ملوحة • والاجاج هو الذي اشتدت ملوحته يلتهب
وبعد الاجت النار اي التهبت والاجيج شدة الحر • وقيل الفرات البارد والاجاج الحار وسائغ شرابه اي سهل انحداره
في الحلق لا يتكرهه الشارب نفى الاستوا بين البحرين بتفاوت الوصفين وفيه نفي الاستوا بين الصالح والطالح وذكر
التفرقة بينهما واذا لم تقع التفرقة بينهما في الدنيا فلا بد منه في البعث والقيامة • وقوله تعالى ومن كل تاكلون اي من كل
واحد من البحرين لحما طريا اي السمك والطري الغض وتستخرجون منه حلية تلبسونها اي تغوصون على الدر والمرجان و
تتخذون من ذلك الحلية للنسوان اذا انضم ذلك الى سائر الالوان ويباع ذلك بانفس الاثمان وهو بيان المنة والقدرة
وابطال الطبيعة وهو كقوله وفي الارض قطع متجاورات الى قوله تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
وقوله يخرج منهما اللولو والمرجان ويدل ايضا على استخراجهما منهما • وقيل بل يستخرج من الملح واضيف اليهما لانه منهما وهو
كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل من الانس فاضيف اليهما لان الانس منهما فكذلك الملح منهما وترى
الفلك اي السفن فيه اي في كل واحد منهما مواخر جمع ماخرة • قال ابو عبيدة مخرت السفينة الماء اي شقته اذا استقبلت
بالريح والفرس يستمخر الريح ويمتخرها اي يستقبلها استرواحا • وقال المفضل مواخر مقبلة ومدبرة ترى سفينتين
احداهما مقبلة والاخرى مدبرة تجريان بريح واحدة لتبتغوا من فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون اي تشكروا
هذه النعمة • وقوله تعالى يولج الليل في النهار اي يدخل في احدهما هذا ويزيد في الاخر ويولج النهار في الليل كذلك
وسخر الشمس والقمر اي ذللهما في المسير بالطلوع والغروب لا يمتنعان عما سخرهما له وعلق بهما معايش العباد ومصالحهم
كما علق ذلك بتفاوت الليل والنهار في الفصول كل يجري لاجل مسمى اي كل من الشمس والقمر يجري الى وقت قد جعله الله له
والقمر يقطع السما في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة • وقيل كل يجري اي الليل والنهار والشمس والقمر يجري الى وقت
قد جعله الله له فالقمر ينقطع في العادة في الدنيا اي انه يجري الى الاجل المسمى عند الله تعالى في نقض هذه العادة بانقضا
الدنيا فيخسف القمر ويجمع الشمس والقمر وتنفطر السما وتنتثر الكواكب وتكور الشمس ذلكم الله ربكم
له الملك لا يخرج شي من السموات والارض وما بينهما عن ملكه وملكه فاياه فاعبدوه دون الاصنام والذين تدعون
من دونه اي من دون الله لا يملكون من قطمير وهي القشرة التي على النواة فاذا لم يملكوا هذا القدر على حقارته
وصغره فما فوقه ابعد ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد ولو سمعوا ما استجابوا لكم اي
ما امكنهم اعانتكم لانهم لا يقدرون على كشف المكروه • وقيل ولو كانوا سامعين لما تدعونهم على المكروه ويوم القيامة
يكفرون بشرككم اي يتبرون منكم ويجحدون انكم عبدتموهم فان كان هذا في الاصنام فيحييهم يوم القيامة بان ينطقهم
الله تعالى يومئذ فيجحدون ان يكونوا اهلا للعبادة وان تكون عبادة المشركين في الحقيقة لها او يجحدون ان تكون
تلك العبادة نفعا وانما ذكر تعالى بالواو والنون لانه وصفهم بصفات العقلاء فصار كما في قوله والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين وان كان هذا في الملائكة والانبيا فمعنى قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لغيبتهم عنكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون ذلك ويوم القيامة يكفرون بشرككم فيقولون ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يعبدون
الجن او يجحدون ان يكونوا امروهم بذلك او ان يكون ذلك حقا • ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك
عن الغيوب مثل من يعلم حقيقتها وهو الله تعالى اي قد اخبرتك بما يكون من احوال هولا يوم القيامة فتيقنه
وقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله اي المحتاجون اليه في انفسكم والله هو الغني عن عبادتكم الحميد
اي المستحق للحمد بما انعم اي لم يامركم لحاجته اليكم بل لحاجتكم اليه لتنتفعوا بذلك لكم وضرره عائد اليكم • ووجه اخر
انتم الفقرا الى الله لا الى الاصنام فاياه فاعبدوا • ووجه اخر لا يحتاج الخلايق ولا الصديقين بكلهم محتاجون الى الله
لا يحتاجون اياه • فاسلموا ان يشا يذهبكم كلكم بتزيغكم ويهلككم ويات بخلق جديد • ويوجد الان لمقطوع الخلق واحد واصله
مصدر يعني مصنوعا وبخلايق وما ذلك على الله بعزيز اي بمتعسر وهو اهلاككم • وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى اي ولا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى يوم القيامة فلا تغتروا بقول كبرائكم المتجبرين في الدنيا القايلين
لكم ولنحمل خطاياكم ولا يجازي نفس عن نفس شيئا وان تدع مثقلة اي نفس مثقلة بالذنوب الى حملها اي حمل
ذنوبها الى ان يحمل عنها لا يحمل منه شي والكناية ترجع الى الحمل ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ممن قرب اليها من اب وام او اخ
او اخت او نحو ذلك فكل امري منهم له شان يغنيه • وقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اي انما
انذارك انما ينفع به من يخشى الله في خلوته في الغيب فاما من لم يخشه فلا ينتفع بالانذار فكانه لم يبلغه
انذارك وكانك لم تنذره وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب • وكقوله هدى للمتقين الذين
يومنون بالغيب • وقال ابن عباس يخشون ربهم مقام الذين يخشاه • وقوله تعالى واقاموا الصلاة ذكره بلفظ الماضي وقد ذكر
قبله بلفظ المستقبل للدلالة على ان صفتهم الدوام والصلاة مفروضة لها اوقات مخصوصة فتنبه بتقديمها
وتخصيصها ومن تزكى اي تطهر من الاثام فانما يتزكى لنفسه فمنفعته له والى الله المصير اي مرجع الكل فيجزي
المخبتين الصالحين وغيرهم • وقال بعض اهل المعرفة في قوله انتم الفقرا الى الله • وقيل الفاقة هي صفة الفقر وكمال الفقر
والفاقة فيه تغير بخلقه واعوز خلقه • وقال الامام القشيري رحمه الله الفقر الحقيقي الذي لا يرجع بعض

للفقر الى الله مستغني بالله والمستغني بالله مفتقر الى الله ومن اداب الفقير الصادق اظهار التكبر عند كمال التكبر
وقال ان الحق لم يتم عبادة فقرا ازدراء بهم فان كرمه يتقدس عن ذلك لكن اراد به تقوية رجائنا في وجوده وكرمه
واعطائنا • وقال ان ذا لم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنا او لان ما يغنيك واعطاك فوق ما يكفيك • وقوله
تعالى وما يستوي الاعمى والبصير مثل للضالة والمهتدي • ولا الظلمات ولا النور مثل للضلالات والهدى • ولا
الظل ولا الحرور مثل لجزاء المهتدي وجزاء الضالة • وقيل الظل الجنة • قال تعالى وندخلهم ظلا ظليلا والحرور
النار واصل الحرور السموم وهي الريح الحارة في الشمس والظل للراحة والتعب والشدة • وقال الفرا الحرور
يكون بالليل والنهار والسموم لا يكون الا في النهار • وفي ديوان الادب الحرور شدة الحر بالنهار • وقيل بل هي
بالليل والسموم شدة الحر بالليل وقيل بل هي بالنهار كذا قاله الشك فيهما • وقوله تعالى وما يستوي الاحياء ولا
الاموات • قيل هي مثل المومنين والكفار • قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه • وقيل هو مثل
العلماء والجهال واما تكرار لا في قوله ولا الظلمات ولا النور فقد قال الاخفش هي زائدة تقديرها ولا الظلمات
والنور وكذا ما بعده • وقال غيره هي مفردة ومعناها ولا الظلمات تساوي النور ولا النور يساوي الظلمات وكذا
ما بعده والاصل اثباتها في كل موضع • فاما الاول وما يستوي الاعمى والبصير فلا بينهما مقدرة على هذا وتقديره
وما يستوي الاعمى والبصير ولا البصير والاعمى والاية تقرير لما قبلها فانها في بيان الفريقين • وقوله تعالى
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور فانه انت لا الذين يقول انك يا محمد قد انذرت الكفار
وما انت بقادر على ان تسمع الموتى في القبور اي تدخل الايمان في قلوب الكفار بل ذلك من عند الله تعالى
ولو شاء لهداهم اجمعين ليس اليك الا الانذار وقد انذرت • وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
اي بالدين الذي يحق اعتقاده بشيرا بالجنة لمن امن ونذيرا بالنار لمن كفر • وقوله تعالى وان من امة
وما من امة قبل امتك الا خلا فيها نذير مضى فيها رسول ما اخليناها من رسول • وقوله تعالى فان يكذبوك
اهل عصرك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج • وقيل اي بالمعجزات • وقيل اي بالشرائع
التي بانت صحتها وحسنها في العقول وبالزبر اي بالاخبار عن الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء قبلك
وبالكتاب المنير اي الكتاب المنزل عليه المنور الموضح لما يحتاجون اليه • وقوله تعالى ثم اخذت الذين
كفروا اي استاصلت الذين كذبوهم فكيف كان نكير اي تغييري عليهم • وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء
ماء مطرا وهذا من محاجة المشركين ايضا يقول الم تشاهد يا محمد عجائب صنع الله تعالى فيما خلق وهذا
خطاب له وللامة معناه الم تعلم ان الله انزل من السماء مطرا فاخرجنا به ثمرات رجوع من المغايبة الى الاخبار
عن نفسه وهو من تلوين الكلام • وقوله تعالى مختلفا الوانها نصب لانه نعت ثمرات وهي منصوبة لانها
مفعول بها ولم يقل مختلفة لانه في معنى تقديم الفعل على الاسم لان تقديره اختلف الوانها مع اختلاف الوانها
مع اتفاق الماء والتربة دليل على ان الفاعل بها ذلك هو الله الحكيم القادر الذي لا يعجزه شيء • وقوله تعالى
ومن الجبال جدد بيض اي طرائق جمع جدة اي طريقة كالمدة والمدد • وقوله تعالى بيض وحمر مختلف
الوانها وتذكير المختلف لما ذكرنا انه متقدم على الاسم ورفع هذه الكلمات بالابتداء والجدد وقرن العطف على الاول
بايقاع الفعل عليها • وقوله تعالى وغرابيب سود جمع غربيب وهو الذي لونه لون الغراب ولذلك
قال بعدها سود لان الاول دلالة على السواد والثاني في افصاح وتفسير وهي من صفات الجدد وبيان
اختلاف الوانها بالبياض والحمرة والسواد • وقوله تعالى ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كذلك وهو ابتداء ايضا ومختلف الوانه على التذكير في قوله الوانه لما ان كلمة من للتبعيض و
ان يكون تقديره ما يختلف الوانه فانصرف الى البعض وكلمة ما وهو واحد في اللفظ • وقال الوانه ولم
يقل لونه للمعنى وهو جمع ويختلف كذلك الوان الناس والدواب وهو جمع دابة وهي في الاصل اسم لكل
ما يدب على الارض وعند الاطلاق يقع على الخيل والبغال والحمير عند ذكر الركوب والانعام
وهي الابل والبقر والغنم وقد تقع على الابل خاصة على كثرة اصنافها واجناسها وانواعها ولا يجوز ان
يكون كونها بانفسها واختلافها بذواتها بل بصانع قدير عالم مريد خلقها كذلك ومن قدر على ذلك قدر
على احياء الموتى ولا يكون من احكم ان يترككم سدى بل يبتليهم ويامرهم واذا خالفوه او وافقوه فلابد
من دار اخرى ان يجازيهم على ذلك واذا لم يجازهم في دار الدنيا فلابد من دار اخرى يجازيهم فيها
فمن كان عالما بهذا كله خشي الله تعالى وهو معنى قوله بعده انما يخشى الله من عباده العلماء وهم الذين
لا يخشون لجهلهم بالله • قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخشاكم له • اعلمكم بالله و
لله ان الله عزيز منيع لا يعترض عليه فيما يفعل باهل الجهل غفور لا يعاجل بالعقوبة ويغفر ذنوب
اهل التوبة • وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله ويشتغلون بمواعظه ويتقون بوعده ووعيده
وقيل هو التوراة والانجيل وهو مدح من اسلم من اهل الكتاب واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم

اي الساوي الاعمى البصير ولا البصير الاعمى

مختلف ونحو قوله

اي القران وهم العلماء الذين يخشون الله ويقرون كتاب الله

عطف

... الماضي على المستقبل وهو سائغ والمعنى فقد اطاعوا الله في الماضي ويطيعونه في المستقبل ايضا • وقوله تعالى
سرا وعلانية يجوز ان يكون في حق الانفاق خاصة وقد قال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويجوز ان يكون في حق الصلاة ايضا كذلك وحاصله ان الفرائض يجهرونها والنوافل يخفونها وقوله يرجون
تجارة لن تبور هي الحال اي يرجون بها ما قال الله تعالى تجارة لن تكسد ولن تفسد وليسوا قاطعين القول بما يعملون من
الطاعات انهم يثابون عليها لانهم يخشون ضدها قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة • وهذا يبطل
قول المعتزلة انه يجب على الله ان يقبلها ويثيب عليها ومعنى لن تبور انهم يرجون فيها لان التجارة
الكاسدة على صاحبها لم يحصل فيها البور • ثم اجورهم اي يثابون ويضعفون ويصلون بها ويستحقون ليتم اسلم ما وعدهم
من الثواب على الطاعات ويزيدهم من فضله على الموعود فقد قال وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما انه غفور للذنوب الكثيرة شكور للطاعات اليسيرة يرضاها ويقبلها ويثني عليها ويحب صاحبها • قال
تعالى اولئك كان سعيهم مشكورا • وقوله تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب اي القران الذي يتلونه هو
الحق اي الصدق مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من التوراة والانجيل وسائر الكتب في التوحيد والعبادة
والاخبار عن الامور الكائنة ونصب على القطع لان النكرة نعت بعد به المعرفة ان الله بعباده لخبير يعلم ما يضمرون
بصير يرى ما يظهرون وقال اهل قوله يتلون كتاب الله على التوراة والانجيل فقوله واقاموا الصلاة وانفقوا
مما رزقناهم على الماضي اي وقد صلوا وزكوا قبل مجيء محمد • وقوله تعالى ويزيدهم من فضله هو ما قال اولئك
يؤتون اجرهم مرتين اي ضعف ما كان منهم قبل الايمان بمحمد مشكورا لايمانهم به والذي اوحينا اليك من الكتاب
هو الحق يعني القران لا يخالف ذلك بل يوافقه ان الله بعباده لخبير بصير بعلمه بهم وبمصالحهم انزل عليكم
وعليهم الكتب ببيان مصالح الدين والدنيا • وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اي ثم بعد كتبهم انا اعطينا الكتاب
اي هذا الكتاب وهو القران • وقال الامام القشيري سماه ميراثا لانه بغير كسب والارث يستحق بنسب وسبب
والنسب ما هو الايمان والسبب الطاعة فبقي الاولياء بالصالحين الفرض وقد يقل نصيبه فكذا اصحابنا اما الظالم
ونصيبه اقل من نصيب الحزين • وقوله تعالى الذين اصطفينا اي هذه الامة الذي اخترناهم من عبادنا اي هم
من خواصنا وهم ثلاث طبقات فمنهم ظالم لنفسه وهو الذي يقترف الذنوب غير مستحلها والجاحد غير داخل
ومنهم مقتصد وهو الذي لم يبلغ النهاية من الطاعات مستكثرا منها بل يسلك القصد في اعماله فاتى بالفرائض
دون النوافل او بقليل من النوافل كالمقتصد في النفقة الذي لا يسرف ولا يقتر او خلط عملا صالحا واخر
سيئا • ومنهم سابق بالخيرات اي مبادر الى كلها مستكثر منها مستفرغ وسعه في مواصلتها باذن الله اي بتيسير
الله ذلك عليه لا باستبداده • وقال الامام القشيري رحمه الله كانه قال يا ظالم ارفع راسك فانك وان ظلمت
فما ظلمت الا نفسك ويا سابق اخفض راسك فانك وان سبقت فما سبقت الا بتوفيقي وقد كثرت الاقاويل فيها
ما روي في الحديث ونقل عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم • قال عمر رضي الله عنه سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له • وقال عثمان رضي الله عنه سابقنا اهل الجهاد منا • ومقتصدنا اهل حضرنا • وظالمنا
اهل بدونا • وقالت عائشة رضي الله عنها السابق بالخيرات من مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه
شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة والرزق والمقتصد من اتبع اثره من اصحابه والظالم لنفسه
مثلي ومثلك ومن اتبعنا • وقال الربيع بن انس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق
المجتنب للصغائر والكبائر • وقال السدي السابق هو السابق الى الاسلام والهجرة والمقتصد هو السابق
الى الهجرة والظالم الذي اسلم بعد الهجرة قبل فتح مكة • وقال عكرمة السابق اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمقتصد من يليهم من التابعين والظالم قوم يكونون في اخر الزمان • وقال عطاء رحمه الله السابق
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقتصد التابعون والظالم من يجيء بعد التابعين • وقال مقاتل بن
حيان رحمه الله الظالم يعذب بذنبه ثم يخرج من النار والمقتصد ينجو بالشفاعة والسابق ينجو برحمة الله
وقال سفيان الثوري رحمه الله الظالم اكل الحرام والمقتصد اكل الشبهة والسابق اكل الحلال • وقال الحسن
رحمه الله الظالم من رجحت سيئاته على حسناته • والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته • والسابق من رجحت حسناته
على سيئاته • وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم • وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد
طالب العقبى والسابق طالب المولى • وقيل الظالم الذي يسعى للمعاش والمقتصد الذي يسعى للمعاش والمعاد
والسابق الذي يسعى للمعاد • وقيل الظالم الذي ظاهره خير من باطنه • والمقتصد الذي ظاهره مثل باطنه
والسابق الذي باطنه خير من ظاهره • وقيل الظالم الذي يجمع الحرام والمقتصد من يجمع الحلال والسابق الذي
لا يجمع شيئا • وقيل الظالم الذي يرائي في كل الاعمال • والمقتصد الذي يرائي في بعضها ويخلص في بعضها والسابق
الذي يخلص في كلها • وقيل الظالم الذي اذا انعم عليه يبخل به والمقتصد الذي اذا انعم عليه جاد به والسابق
الذي اذا منع شكر عليه • وقيل الظالم المصر والمقتصد التائب والسابق المتقي • وقيل الظالم الذي يعبد

الله ليخلص من الناس • والمقتصد الذي يعبد الله ليدخل الجنة • والسابق الذي يعبد الله لانه عبده • وقيل الظالم الذي يعظ
بقوله • والمقتصد الذي يعظ بفعله • والسابق الذي يعظ بسره • وقيل الظالم الذي يجزع في البلية • والمقتصد الذي
يصبر فيها • والسابق الذي يتلذذ بها • وقيل الظالم الذي يفرح بوجود الدنيا • والمقتصد الذي يتمنى زوالها عنه
والسابق الذي لا يخطر بباله الدنيا • وقيل الظالم الذي يعتمد على فعله • والمقتصد الذي يعتمد على دينه والسابق
الذي يعتمد على ربه • وقيل الظالم الذي هو في الطريق • والمقتصد الذي هو على الباب • والسابق الذي هو على
البساط • وقيل الظالم الطالب • والمقتصد الواجد • والسابق المطلوب • وقيل الظالم الذي هو يلازم ذكره والمقتصد
الذي هو مع الذكر • والسابق الذي مع المذكور • وقيل الظالم الذي ينظر الى الطاعة • والمقتصد الذي ينظر الى
التوفيق • والسابق الذي ينظر الى الموفق • وقيل الظالم الذي يعاقب • والمقتصد الذي يعاتب • والسابق الذي
يعتذر منه • وقيل الظالم الضاحك • والمقتصد المتبسم • والسابق الباكي • وقيل الظالم صاحب الاقوال والمقتصد
صاحب الاحوال فعال • والسابق صاحب الاحوال • وقيل الظالم الذي يعمر البيت • والمقتصد الذي يعمر [illegible] والسابق
الذي يعمر القلب • وقال الامام القشيري الظالم من جاد بنفسه • والمقتصد من جاد بقلبه • والسابق من جاد بروحه
وقيل الظالم من له علم اليقين • والمقتصد من له عين اليقين • والسابق من له حق اليقين • وقيل الظالم طالب
النجاة • والمقتصد طالب الدرجات • والسابق طالب المناجاة • وقال اسامة بن زيد وابو سعيد الخدري رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية انه قال كلهم في الجنة • وقدم رجل من الشام الى المدينة فلقي
ابا الدرداء فقال ابو الدرداء رضي الله عنه الا احدثك حديثا اتحفك به ما حدثت به غيرك سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمعته تلى هذه الاية الى قوله ذلك هو الفضل الكبير قال يدخل السابق الجنة بغير حساب ويحاسب
المقتصد حسابا يسيرا ويحبس الظالم لنفسه في طول الحبس ثم يتلقاهم الله جميعا برحمته فعند ذلك يقولون الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • وروي عن ابي اسحق [illegible] رضي الله عنه ان رجلا من اهل الكتاب
اسلم فقال له الناس ما حملك على الدخول في ديننا فقال رغبتي فيكم وساعدتكم ايها الامة انكم تدعون يوم القيامة
على ثلاث فرق فاما فرقة فيدخلون الجنة بغير حساب • واما فرقة فيحاسبون حسابا يسيرا • واما الثالثة فيقول
الملائكة فيقولون ربنا هؤلاء اصحاب الدماء الحرام والاموال الحرام والفروج الحرام عرفانا وجدناهم لا يشركون
بك شيئا فاقال فيقول اجعلوا خطاياهم على اهل النار وادخلوهم الجنة ذلك هو الفضل الكبير اي توفيق الله تعالى
السابق الى الخيرات بالسبق افضال من الله كبير • وقيل ايراث الكتاب هو الفضل الكبير • وقيل هو اصطفاؤهم
وقيل هو اصطفاؤهم الى نفسه بقوله من عبادنا • وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها اي بساتين اقامة اي هذه الفرق
الثلاث يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وفي ذلك اللذة والزينة وقد بينا تفسيره والقراءة
فيه في سورة الحج • وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن • قيل هو حزن الحبس في موقف الحساب على ما رويناه
وقيل هو حزن الفزع الاكبر كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر • وقيل هو حزن الدنيا والاهتمام بالقوت ونحو ذلك
قال عطاء الخراساني رحمه الله هو حزن الحشر وهو عام ويجوز ان يكون كل ذلك مرادا • وقيل هو حزن الاخذ بنقص
الطاعات والعقوبة على فعل الجنايات ويدل عليه ما بعده ان ربنا لغفور شكور اي غفر الجنايات الكبيرة • وقبل
الطاعات اليسيرة • وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله قيل هو نعت قوله ان ربنا لغفور • وقيل هو عطف
على قوله شكور • وقيل تقديره هو الذي احلنا دار المقامة لا يمسنا فيها نصب اي تعب من حد علم • وقوله تعالى ولا يمسنا
فيها لغوب اي لا يصيبنا فيها اعياء وهو فرد من باب دخل اي لا يستولى عليهم في اسباب المعاش فلا تعب ولا اعياء فلا يهتم
قلوبهم بعدم مراد فلا مشقة ولا عناء • وقال الامام القشيري رحمه الله اذا ارادوا ان يروه لم يحتاجوا الى قطع
مسافة ولا الى تحديق مقلة نحو جهة • وقوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم هو وعيد المخالفين بعد وعد
الموافقين لا يقضى عليهم اي لا يموتون فيستريحوا لانها كانت القاضية اي الموت • وقوله فوكزه موسى فقضى
عليه اي اماته ولا يخفف عنهم من عذابها فيستريحوا بعض الراحة ولا يعارضه قوله كلما خبت لان الالام لا تنقطع
وان خبت احيانا ثم تفسير الفرق الثلاث على المؤمنين في الاية الاولى قول عامة المفسرين وهو نظير قوله
والسابقون الاولون وبعدها واخرون اعترفوا بذنوبهم وبعدها واخرون مرجون لامر الله وبعضهم حملوها
على غير هذا • قال ابن عمر رضي الله عنهما هذه الثلاثة كما في سورة الواقعة فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون السابقون وفي اخر السورة فاما ان كان من المقربين واما ان كان من اصحاب اليمين واما ان
كان من المكذبين فعلى قوله الظالم هو الكافر • قال ابن عباس رضي الله عنهما ايضا في هذه الاية فمنهم ظالم
لنفسه هو الكافر • وعن الحسن هو المنافق فعلى قول هؤلاء قوله فمنهم لا يرجع الى قوله الذين اصطفينا وانما
يرجع الى قوله من عبادنا اي خلقه كافر وكذا وكذا • وقوله تعالى يدخلونها يرجع الى قوله الذين اصطفينا لا الى عموم
قوله من عبادنا والى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق ويكون قوله والذين كفروا لهم نار جهنم بيانا لموضع
الظالم لنفسه ويستقيم ايضا على نظمه وظاهره • وقوله تعالى كذلك نجزي كل كفور مبالغة في الكافر • هو

الذي

يدخلونها

الموت يقولون ذلك حين يذبح الموت
وقيل هو حزن هم

فيموتوا

اي من عبادنا

الذين يجحد الله او رسله او كتبه او البعث او شيئا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه كائن • وقوله تعالى وهم يصطرخون فيها
اي يستغيثون في النار بصوت عال والصراخ الصوت العالي في الاستغاثة ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نعمل هذا بيان صراخهم يقولون ردنا الى دار الامتحان نعمل الطاعات غير الذي كنا نعمل من المعاصي اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وهذا رد عليهم ويضمر في اوله فيقال لهم اولم نجعل لكم من العمر في الدنيا ما يمكن التذكر والاتعاظ فيه بالكتب ومقالات
الرسل وهذا استفهام بمعنى التقريع والتوبيخ والتعذير قوله من تذكر اي من اراد ان يتذكر وجاءكم النذير اي الرسول المنذر
وقيل هو الزام الحجة عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع • وقيل في قوله اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر انه سبعون سنة • وقيل ستون سنة • وقيل اربعون سنة • وقال الحسن عشرون سنة • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ثماني عشرة سنة • وقيل يوم واحد فما فوقه • وقيل وجاءكم النذير اي الشيب فذوقوا فما للظالمين من نصير وهذا يقوي
قول من حمل قوله فمنهم ظالم لنفسه على الكافر لانه ختم وعيد الكفار بتسميتهم بهذا الاسم • وقوله تعالى ان الله عالم غيب
السموات والارض يعلم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا غير الذي كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور اي بخفيات القلوب
يعلم انكم كاذبون في هذا الكلام • وقيل الاية مبتداة عامة شاملة للترغيب والترهيب • وقوله تعالى هو الذي
جعلكم خلائف في الارض كما اورثكم الكتاب اورثكم الارض فجعلكم خلفا لمن تقدمكم فيها فجعل سلطانها لكم انتم عليكم بذلك ان
تشكروا له • وقوله تعالى فمن كفر فعليه كفره اي فضرر كفره انما لنفسهم راجعة الينا اي الى الكافر ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا اي بغضا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي هلاكا • وقيل الاعتبار بذهاب رؤوسهم قل ارأيتم
شركاءكم وهذا من محاجة المشركين ايضا يقول قل يا محمد للمشركين اخبروني عن الاصنام التي جعلتموها شركاء في الذين تدعون
من دون الله اي تدعونهم الهة • وقيل تعبدونهم • وقيل اي تدعونهم في حوائجكم وتستغيثون بهم اروني ماذا
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام خلقوا شيئا في السموات فكان لهم فيها شركة او نصيب بذلك ام آتيناهم
كتابا فيه تصويب شركهم وان الاصنام شفعاؤهم فهم على بينة منه اي حجة وبصيرة فلا يمكنهم ان يدعوا شيئا من ذلك
فان الحجة لهم عقلا ولا سمعا فالعقل ان يخلقوا الخلق والسمع ان يرد بذلك كتاب فاذا عدما لم يكن لهم الا ضلالا
وجهالة بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي ما يعد وهو وعد الشيطان للكافر كما قال يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا ما هم ان تشفع لهم اصنامهم وتقربهم الى الله زلفى • وقيل هم المشركون يقول بعضهم
لبعض ان الهتنا هذه تشفع لنا عند الله • وقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي فان لم يكن لالهتهم
شرك في السموات والارض فيستحقوا ان يعبدوا فاعلموا اني انا المستحق لها لاني انا خالقهما وحافظهما • قال الله
تعالى ولا يؤده حفظهما ولو لم امسكهما لزالتا • وقوله تعالى ان تزولا اي من ان تزولا • وقيل لئلا تزولا كقوله ان
تميد بكم اي لئلا تميد بكم ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي ما امسكهما احد من بعد امساكه اياهما • وقيل
اي بعد زوالهما • وقيل اي غيره • وقوله تعالى انه كان حليما غفورا تعليل بمعنى تنضاؤه قوله تعالى ان امسكهما
من احد من بعده اي ولو زالتا لردهما الله تعالى الى مكانهما وامسكهما كما كانتا لمصالح العباد لانه كان حليما فادنا
لا يعاجل بالعقوبة غفورا ساترا الذنوب العباد مريحا لها اذا تابوا • ووجه اخر في تفسير تمام الاية ان الله يمسك
السموات والارض ولو لم يمسكهما لزالتا لعظم قول المشركين في الله وهو كما قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا يمهل
الكفار بالعقوبة ويستر عليهم في الدنيا • وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم اي وحلف هؤلاء المشركون قبل ان يبعث الله محمدا بالله ايمانا بالغوا في تاكيدها على انفسهم
لئن جاءهم رسول من الله ينذرهم كما جاء من قبلهم من الامم لنكونن اهدى من احدى الامم اي اشد اتباعا له من اهل
الكتاب لانبيائهم وذلك ان اهل الكتاب كانوا يظهرون الفضل لانفسهم على العرب بالكتاب والنبوة فيهم فكان العرب
يسوءهم ذلك لما كانوا عليه من الانفة والحمية فكانوا يتمنون ان يكون منهم رسول فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ما زادهم الا نفورا اي ما ازدادوا مع مجيئه الا نفورا عن الحق وهو كقوله فزادتهم ايمانا فزادتهم رجسا
والسورة لا تزيد ايمانا ولا رجسا لكن المراد هنا والاضافة الى النذير والسورة للتسبب • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما لما بلغ قريشا ان اليهود والنصارى كذبوا رسلهم وجحدوهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لئن
جاءنا رسول لنكونن اهدى منهم ونظيره قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها • وقوله لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم • وقوله تعالى استكبارا في الارض اي نفروا عنه لتكون لهم الكبرياء والعلو
في الارض اي في بلادهم ومكر السيئ اي وليخدعوا الضعفاء التابعين لهم بالاحتيال ويصدوهم بذلك عن
الايمان ليكونوا اعوانا لهم كما كانوا يقولون نحن اكثر اتباعا واعز نفرا واضافة المكر الى السيئ اضافة الشيء الى نفسه
كاضافة الحق الى اليقين ونحو ذلك ووصفه بالسيئ لانه كان للصد عن الحق وقد يكون المكر حسنا اذا كان احتيالا
للدعاء الى الحق ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اي لا ينزل الا بهم • وقال الزهري بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا فان الله يقول

اي نزلنا عليهم كتابا

انما بغيكم على انفسكم ولا ينكث والنكث النقض كما قال الله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه • وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين استفهام بمعنى النفي اي فما ينتظرون الا طريقة الاولين ان ينزل عليهم ما نزل بالاولين حين كذبوا انبياءهم ومكروا بهم وهو كقوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي ان الله تعالى لا يبدل هذه الطريقة في الكفار ولا يحولها عنهم اضاف السنة اليهم مرة والى نفسه مرة لانها سنة الله فيهم وهو كقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وقوله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة • وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة فيعرفوا كيف كان سنة الله فيهم وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض اي ليس من صفة الله العجز عن شيء من انزال العذاب بالاعداء ونصرة الاولياء انه كان عليما قديرا عالما بكل شيء قادرا على كل شيء ثم بين ان تأخير العذاب ليس للعجز بل لحكمة فقال ولو يؤاخذ الله الناس اي يعاقبهم بما كسبوا اي من الكفر والمعاصي ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض ولم يتقدم ذكرها لكنه معلوم والمراد من دابة اي حيوان يدب على وجه الارض لان الناس اذا اهلكت عنهم الارض وكان سائر الحيوانات خلقت لهم اهلكوا ايضا ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى معلوم عنده لكل قوم فاذا جاء اجلهم وفنيهم عذبهم فان الله كان بعباده بصيرا عالما بهم وبوقت عذابهم •

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

يس الله الذي انزل الكتاب الحكيم • الرحمن الذي من خشيه بالغيب له مغفرة واجر كريم • الرحيم الذي اولياؤه في جنة سلام قولا من رب رحيم • وهذه السورة مكية وهي ثلاث وثمانون اية • وقيل اثنان وثمانون اية والاختلاف في يس انه اية عند الكوفيين • وكلماتها سبع مائة وخمس وعشرون • وحروفها الفان وسبع مائة وستة وسبعون • روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء قلبا وان يس قلب القران ومن قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القران اثنتي عشرة مرة • وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بعدد كل حرف في سورة يس عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويشهدون دفنه • وايما مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ويبعث يوم القيامة وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان • وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة يس كان كمن قرأ القران عشر مرات • وقال الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة لا يقرؤون من القران الا يس وطه • وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر الله له تلك الليلة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي اكثر من قراءة سورة يس فان فيها خصالا من البركات ما قرأها جائع الا اشبعه الله وما قرأها خائف الا امنه الله وما قرأها ملهوف ولا مكروب الا فرج الله عنه وما قرأها ظمآن الا روي ولا عريان الا كسي ولا فقير الا استغنى ولا عزب الا تزوج ولا مسافر الا اعين على سفره ولا مديون الا قضى الله عنه دينه ولا محبوس الا اخرج • ولا قرئت عند ميت قط الا خفف عنه ولا يجد تلك الساعة من كرب الموت • وما قرأها رجل ضلت له ضالة الا ردها الله عليه ووجدها • ومن قرأها صباحا كان في امان الله حتى يمسي ومن قرأها مساء كان في امان الله حتى يصبح • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ يس امام حاجته قضيت له • وانتظام اول هذه السورة باخر سورة الملائكة ان ختم هذه بقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ومن كسبهم تكذيب الرسل • وفي اول هذه السورة بيان ارسال الرسول ومن اواخر تلك السورة لئن جاءهم نذير وما بعده في تكذيبهم ذلك • وفي اول هذه السورة بيان ارسال النذير • وانتظام السورتين انهما في محاجة المشركين المنكرين بعث الرسل في الدنيا وبعث الموتى في العقبى وفي ذمهم ووعيدهم وفي مدح المؤمنين المقرين بذلك ومواعيدهم • وقوله تعالى يس قيل هو اسم من اسماء الله تعالى وهذا قسم به • وقيل هو اسم القران • وقيل هو اسم هذه السورة • وعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك وجماعة معناه يا انسان • وقال الهيثم بن عدي هو يا انسان بلغة طي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو بالسريانية • وقيل معناه يا سيد المرسلين • وقيل يا يوم الميثاق وسر بين سر الله مع احبابه • والقران الحكيم قسم بالقران المحكم فلا يلحقه تغيير • وقيل اي ذو الحكمة • وقيل اي الحاكم بما فيه من الاحكام • انك لمن المرسلين خطاب لنبينا محمد وقسم على ارساله الى الخلق • على صراط مستقيم لوجهان احدهما انك على صراط مستقيم • والثاني انه صفة للمرسلين اي انك منهم ودليل الاول قوله فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم • ودليل الثاني قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم • تنزيل العزيز الرحيم • قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر تنزيل بالرفع اي هو وهذا تنزيل او هو مصدر بمعنى المفعول اي تنزيل الله العزيز المنيع المنتقم من اهل معصيته الرحيم باهل طاعته • وقرأ الباقون بالنصب

علي

على المصدر اي والقران المنزل تنزيلا من العزيز الرحيم • وقوله تعالى لتنذر قوما اي انك لمن المرسل لتنذر اي لتخوفهم عذاب الله قوما ما انذر اباؤهم له وجهان • احدهما ان ما يكون اسما اي لتنذرهم بالذي انذر الرسل المتقدمون اليهم اباءهم والثاني ان ما للنفي اي قوما لم ينذر اباءهم احد من الرسل اي لم يأتهم رسل كما قال وما ارسلنا قبلك من نذير فهم غافلون اي عن التدبر في انذار الرسل الماضين وعلى القول الثاني اي عن التدبر بالعقول فيما يلزمهم من توحيد الله وفيما جاء به رسولهم هذا • وقيل اي غافلون عما اعد لهم من العقاب كالرجل يعد له ما يكرهه وهو لا يعلم به فيقال انه لغافل عما يراد بك • وقيل ما انذر اباؤهم اي بما انذر اباؤهم قاله الفراء وهو كقوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود • وقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون اي لقد تحقق قول الله على اكثر من اباءهم على الكفر فهم لا يؤمنون وهو في قوم علم الله منهم اختيار الكفر والاصرار عليه فشاء منهم ذلك واخبر عنهم بذلك فهم كذلك • وقيل حق القول عليهم هو قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فتلك الاية موعدها بشرط الاتباع وفي هذه الاية بين ذلك وسقط الشرط لعلم الله منهم بالاتباع ووجود الاقلاع وهو كقوله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار وهو كقوله اولئك الذين حق عليهم القول • وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون الذقن مجتمع اللحيين والمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه • وقال مجاهد هو الذي رفع رأسه وخفض بصره فالغل ما يشد به اليد الى العنق للتعذيب والغل من الحديد غير الجد وتقديرها انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فالاغلال مع الايدي مجموعة الى العنق وهو عبارة عن منع التوفيق حتى صاروا متكبرين مستثقلين الحق لان المتكبر يوصف بانتصاب العنق والمتواضع يوصف بضده • قال تعالى ثاني عطفه اي لي اعناقهم لها خاضعين ويقول المستثقل للامر ما استطيع ان انظر اليك والذي جمعت يداه الى عنقه الى الذقن منتصب الراس فجعل ذلك مثلا للمتكبرين عن الحق والغاض بصره مثلا للمستثقل الحق • وقال عكرمة انا جعلنا في اعناقهم اغلالا يعني بني المغيرة بن مخزوم امسكنا ايديهم عن الانفاق في الخير • وقال السدي ان الاية نزلت في قوم من قريش اجتمعوا وكان النبي جالسا عند البيت في نفر من اصحابه فقال قريش انطلقوا نأخذ محمدا واصحابه فنرتقي بهم فوق ابي قبيس فاما محمد فنضرب عنقه واما اصحابه فايما رجل افتدته عشيرته بديته خلينا سبيله والا ضربنا عنقه فاقبلوا فجعل الله من بين ايديهم سدا وظلمة ومن خلفهم سدا وظلمة وغلت ايديهم الى اعناقهم بغير حديد فهم مقمحون • وعن عكرمة قال كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض لو قد رأيت محمدا لفعلت به كذا وكذا ويقول بعضهم لو قد رأيته لفعلت به كذا وكذا فاتاهم النبي وهم في حلقة في المسجد فوقف عليهم فقرأ عليهم يس والقران الحكيم حتى بلغ فهم لا يبصرون ثم اخذ ترابا فجعل يذريه على رؤوسهم فما يرفع اليه رجل منهم طرفه ولا يتكلم بكلمة ثم جاوز النبي فجعلوا ينفضون التراب من رؤوسهم ولحاهم وهم يقولون والله ما ابصرنا والله ما سمعنا والله ما عقلنا • وقيل هذا شيء يفعل بهم في القيامة كما قال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون وكذلك السد من بين ايديهم ومن خلفهم والاغشاء هو في معنى قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما واللفظ ماض وهو في معنى المستقبل لانه كائن لا محالة فالحق بالموجود المتحقق • وقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا على التأويل الاول اي منعناهم الالطاف فانسدت عليهم المسالك فلم يقدروا على النفوذ منها فاغشيناهم اي اعمينا هم وغطينا ابصارهم فهم لا يبصرون وهذا من اشد ما يقع به المنع من النفوذ وهو انسداد المسالك مع عدم البصر فقيل هو تمثيل لتحيرهم وترددهم في ضلالتهم • وقال الحسن وجعلنا من بين ايديهم سدا اي البعث فلا يقرون به ومن خلفهم الدنيا فلا يطيعون الله فيها • وقال الضحاك على قلب هذا ما بين ايديهم الدنيا لانها حاضرة ومن خلفهم الاخرة لانها اتية من بعد • وقوله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هم قوم علم الله منهم ذلك • انما تنذر من اتبع الذكر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وخشي الرحمن بالغيب اي انما ينتفع بانذارك من اتبع الذكر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وخشي الرحمن بالغيب • وقيل من اتبع انتفع بذكرك ووعظك وخشي الرحمن بالغيب قبل العذاب الغيب الذي اخبر به • قال قتادة يقول خشي عذاب الله وناره • وقيل خشي حين يغيب عن ابصار الناظرين • وقيل خشي بالقلب الذي هو غيب عن الناس فبشره يا محمد بمغفرة لان الله تعالى يغفر له ما سلف في شركه • واجر كريم ثواب خطير في الجنة • وقوله تعالى انا نحن نحيي الموتى في الاخرة بالبعث للحساب والجزاء • ونكتب في الدنيا ما قدموا من الاعمال الصالحة والسيئة • واثارهم ما خلفوه مما يضاف اليهم من الاموال والاولاد وسائر الاثار • وقيل ما سنوه من الخير والشر فاتبعهم على ذلك من بعدهم لهم اجر ذلك ووزر ذلك • وكل شيء احصيناه اي عددناه وحفظناه • في امام مبين • قال ابن عباس ومقاتل والضحاك وعكرمة والسدي اي في اللوح المحفوظ والامام ما يؤتم به اي يعمل به ويتبع ولا يخالف وكل شيء اي من المقدم والاثار وغير ذلك وكل نصب بفعل مقدر دل عليه المظهر بعده • وقيل واثارهم خطاهم في الخير والشر • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الانصار منازلهم بعيدة من المسجد فارادوا ان ينتقلوا قريبا من المسجد فانزل الله

ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا بل نمكث مكاننا • وقال المغيرة بن شعبة والضحاك نزلت الآية في بني عذرة وكانت
منازلهم بعيدة من المسجد وكان يشق عليهم حضورهم الجماعات فانزل الله ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني خطاهم الى المسجد
وقال الضحاك انا نحن نحيي الموتى اي نهدي الكفار ونكتب ما قدموا في الشرك وآثارهم ما عملوا في الاسلام • وقوله تعالى
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية امر نبيه صلى الله عليه وسلم بانذار هؤلاء المشركين ان ينزل بهم في الدنيا ما نزل بكفار
اهل انطاكية القرية فقال واضرب لهم مثلا اي صف لهم شبها يمتثلونه في امرك واذكر لهم اصحاب القرية ترجمة عن قوله
مثلا وهي انطاكية • اذ جاءها المرسلون رسل الله • وقيل رسل المسيح • اذ ارسلنا اليهم اثنين اي ارسلنا في الابتداء
رسولين • وقال محمد بن اسحاق احدهما باروص والاخر ماروص عليهما السلام • وقال مقاتل بن سليمان تومان
وما لوص • وقال وهب بن يحيى ويونس فكذبوهما اي اهل القرية جحدوهما • فعززنا بثالث اي قويناهما برسول ثالث
صدقهما كما قال سنشد عضدك باخيك • وقيل تعززهما بالثالث كان يتلطف الذين في القصة ان شاء الله تعالى
انا اليكم مرسلون اي قال الثلاثة لاهل القرية قد ارسلنا الله اليكم فصدقونا • وقال ابن عباس ومقاتل
وجه عيسى رسولين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا
رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الله فقال امعكما اية قالا نعم نحن نشفي المرضى
ونبرئ الاكمه والابرص فقال بعضهم كان لهذا الشيخ ابن صاحب فراش منذ سنين • وقال بعضهم كانت له بنت
مجذومة الصفة فقال الشيخ لهما ان لي عليلا قالا ومن هو منك قال هو ولدي قالا فانطلق بنا الى منزلك نتطلع
حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى وشفاه الله تعالى وفشا الخبر في الناس
وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يقال له شلاحن فانتهى الخبر اليه فقال لهما من انتما قالا
رسولا عيسى عليه السلام قال وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى قال وفيم جئتما قالا جئناك
ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال شلاحن ولنا اله سوى الهتنا قالا نعم
من اوجدك والهتك قال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما في السوق وكان اسم
الشيخ الذي ذهب بهما الى منزله حبيب النجار قال مقاتل لما اخذوا الرسولين وضربوهما بعث عيسى
رسولا ثالثا • قال وهب ومحمد بن اسحاق اسمه شمعون وكان من الحواريين • وقال مقاتل اسمه شمعان وهو
الذي قال الله تعالى فعززنا بثالث • وقال وهب بعث عيسى صلوات الله عليه يحيى ويونس الى انطاكية
فاتيا حانوتا فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب
الملك وامر بهما فاخذا وحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ثم بعث عيسى شمعون على اثرهما لينصرهما
فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به وانس بهم فرفعوا خبره الى الملك
فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن
وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك
قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى هاهنا
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك قال لهما شمعون فصفاه واوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد • قال شمعون وما ايتكما قالا ما يتمناه الملك قال فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين
موضع العينين كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعا
في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارايت ان تسال الهك حتى
يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر ان الهنا الذي نعبده
لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيرا
ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك اعاهدنا مثل هذا الغلام مطموس العينين فامر حتى اخذ
مثل ذلك الغلام فصنعا به مثل ما صنعا بالاول ففرح الملك بذلك ثم قال لصاحبيه اني سايلكما مسالة
قالا هاته قال ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال
الملك ان هاهنا ميتا مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان
غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير واستنشر فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا
فبينما فقام الميت وقال لهم اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من نار وانا
احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء
الثلاثة • قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون
ان قوله قد اثر في الملك اخبر الملك بالحال ودعاه فامن قوم وكان الملك ممن امن وكفر اخرون فصاح بهم
جبريل صيحة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون • وقوله قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا • قال اهل انطاكية ما انتم ايها الثلاثة الا آدميون مثلنا فمن اين يجب علينا طاعتكم ادعيتم

انه رسله الينا وما انزل الرحمن من شيء من وحي من السماء ان انتم الا تكذبون اي ما انتم الا كاذبون في دعوى الرسالة قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون ويشهد لنا على صدق دعوانا والاستشهاد بالله تاكيد تحقيق وتقريع في النفوس وما علينا
الا البلاغ المبين اي ليس عندنا من طاعته الا ان نبلغ رسالته اليكم ولا سلطان لنا على احيائكم على الايمان وان نوقع في
قلوبكم العلم بصدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم اي سمعنا منكم ما هو من جهة الفال تدبيركم وقلنا في انفسنا
او في اهلينا واموالنا او خرق الشيء اسبابنا وامورنا فكفوا عن هذا الكلام والمعاودة وتاذيه لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
اي لنقتلنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم اي غليظ شديد وجيع فان كان الاول القتل فهذا ما دون القتل
وقيل لنرجمنكم لنطردنكم ولنعذبنكم اي ولنخرجنكم من قريتنا • وقيل في قوله انا تطيرنا بكم يحتمل الذين هؤلاء
عموا بما جرى على الامم قبلهم كذبوا رسلهم فاهلكوا فخافوا مثل ذلك وهو معنى قول قتادة • وقيل الخطو اتفاق
للرسل اصابنا هذا من شؤمكم كما في قصة موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه • قالوا طائركم معكم اي
ما تطيرتم به من المكروه فذلك شيء الزمه الله تعالى اعناقكم وكتبه عليكم فهو جار لكم ووقع بكم لا من جهتنا • وقال
اهل التفسير الطائر ها هنا العمل والحظ من الخير والشر • وقيل طائركم معكم اي انما المكروه الواقع بكم بسوء اعمالكم
لا من جهة غيركم اين ذكرتم اي اين ذكرتم تطيرتم اي افيكون هذا دابكم لا تتدبرون وعظا ولا تتفكرون في تنبيه
ولا تردون قولنا بحجة اي فليس هذا فصل العقلاء • وقيل معناه اين ذكرتم بالله فكذبتمونا بالرجم والتعذيب بل
انتم قوم مسرفون اي ليس لكم التطير لعللكم بانا صادقون ولكنكم قوم اسرفتم على انفسكم في ارتكاب المعاصي اي انتم
من ذلك وجاوزتم الحد في قلة النظر لانفسكم • وقوله تعالى وجاء من اقصى المدينة تثبت الثلاث القرية كانت
مدينة متباينة الاطراف رجل يسعى • قيل هو حبيب النجار الذي ذكرنا ان الرسولين شفيا ولده • وقيل كان رجلا
مجذوما يتردد ناحية من المدينة • وقيل كان حراثا يعمل في حرثه خارج المدينة يسعى اي يعدو • وقيل يقصد
وجه الله بالذب عن رسله وضمن قوله ويسعى فيما يسعى بها • وروي ان القوم عزموا على قتل هؤلاء الثلاثة الرسل
فسمع هذا الرجل بذلك فحضرهم وكان يكتم ايمانه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين باح باسلامه ليشغل القوم عن
الرسل ويا قوم دلالة واظهار منه انه لا مباينة بيننا ولا تهمة في الدلالة السوء بكم اتبعوا هؤلاء الذين ارسلهم
الله اتبعوا من لا يسالكم اجرا اي لا يقصدون بدعائكم اخذ الاجر منكم وهم مهتدون اي على دين حق يدعونكم
اليه • وقيل خرج هذا الرجل بما لا يستخف به من داء كان به فدعوا الله فشفاه الله تعالى فاعظم ذلك المال
لم يقبلوه فقال لذلك اتبعوا من لا يسالكم اجرا • وما لي لا اعبد الذي فطرني اي واي شيء يمنعني من ان اعبد
الله الذي هو ابتدا خلقي واليه ترجعون انتم للعرض والحساب والجزاء ولم يقل وما لكم لا تعبدون الذي فطركم
ترفقا بالكلام وتلطفا في الدعاء لانه اذا ذكره في حق نفسه فقد ذكره في حقهم وحصل المقصود من غير تعنيف
ولا تشديد • أأتخذ من دونه الهة اي اصناما ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
اي لا يخلصون من ذلك انهم كانوا يعبدونه اصناما اني اذا لفي ضلال مبين اي ان فعلت ذلك كنت ضالا بين الضلال
لكم • اني امنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا علي بالايمان ايها الرسل • وقيل فاسمعون اي فاطيعون يا قوم
قيل ادخل الجنة وهاهنا اضمار اي فقتل فقيل له ادخل الجنة ودل ذلك على ان الجنة مخلوقة وعلى ان الشهداء
روحه من رياض الجنة او يخبرهم من حضر النار • قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي [illegible]
فغفر الله لي تمنى ان يعلم قومه بانه غفر له بايمانه فيرغبوا في الايمان • وقيل بما هو بمعنى الذي اي بالذي غفر لي
وهو الايمان ليؤمنوا هم ايضا وهذه مرتبة اولياء الله يريدون الخير لمن اراد بهم الشر ويتمنون ان لا يكونوا
له عاتبين • وجعلني من المكرمين بالجنة • وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة
وقال غيره قتلوه فلما دخل نقله الله الى الجنة • قيل لما قال هذا القول وثبوا عليه فقتلوه • وقيل رجموه بالحجارة
كما قالوا للرسل لنرجمنكم • قال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه • وقيل
توطؤوه بارجلهم حتى خرج المعي ونشا بعلمه يخلص الرسل • وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من
جند من السماء وما كنا منزلين اي لم ينزل على قوم الرجل جندا من السماء لتعذيبهم كما صنع الملوك من البشر
ولا نحتاج باهلاكهم الى ذلك • وقيل وما كنا منزلين اي وليس في صفاتنا الحاجة الى ذلك • وقيل وما كنا منزلين
اي والذي كنا منزلين على من قبلهم من الطوفان والقذف والصاعقة • ان كانت الا صيحة واحدة اي ما كانت
العقوبة الا صيحة واحدة من جبريل عليه السلام • فاذا هم خامدون اي ميتون خمدت ارواحهم وسكنت
انفاسهم كالنار اذا طفئت من الايقاد • وقوله تعالى يا حسرة على العباد اي ندامة تكون من العباد على انفسهم
اذا عاينوا ابه الاجل ورأوا ثواب اهل الطاعة فيقولون يا حسرتنا على ما فرطنا فيها والحسرة هي بلوغ النهاية
في التلهف حتى يبقى القلب حسيرا لا موضع فيه لزيادة التلهف كالبصير الحسير الذي لا قوة فيه للنظر والبعير
الحسير الذي لا قوة فيه للسير • وقيل هذا قول الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى • وقيل هو قول رسلهم حين
راوا ما نزل بهم • وقيل هو قول المعذبين حين راوا نزول العذاب • وقيل هو ابتداء الكلام من الله تعالى ايما انهم كما

اي ما يأتي العباد رسول الا كانوا به يستهزئون اي يسخرون الم يروا اي كفار قريش كم اهلكنا قبلهم من القرون في تكذيب
الرسل فيعتبروا بهم انهم اليهم لا يرجعون قراءة العامة بفتح الالف لوقوع يروا عليها اي فيدركوا انهم لا يرجعون
الى الدنيا بل هم نوم فصعق حتى في قبورهم الى ان يبعثوا فيحاسبوا ويجازوا باعمالهم ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء اي حكمنا
انهم لا يرجعون الى الدنيا وانما يبعثون يوم القيامة وكذلك حال هؤلاء ودلت الاية على بطلان قول القائلين
بالتناسخ والقائلين بالرجعة وبها استدل ابن عباس في رد من قال بالتناسخ والرجعة بان عليا مبعوث والينا
مردود ● وقوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون قرئ لما بالتشديد وله معنيان احدهما وان كل اي وما كل
الا لدينا محضرون كقوله ان كل نفس لما عليها حافظ اي ما كل نفس الا عليها حافظ والثاني ان ان الخفيفة التاكيد
كالمشددة ولما بمعنى لما حذفت الميم الاولى تخفيفا كما في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا على قول من قال ان كلمة
تاكيد وقرئ بالتخفيف وعلى هذا ان للتاكيد ولما اللام للتاكيد ايضا في جواب ان وما صلة وتقديره وان
كلا لجميع لدينا محضرون يعني في موقف حسابنا يوم القيامة محضرون للعرض والجزاء ● وقوله تعالى واية لهم
الارض الميتة احييناها اي ومن العلامات الدالات على كمال قدرتنا على احياء الموتى وجزائهم انا نحيي بالماء
الذي ينزل من السماء الارض التي قد ماتت فصارت لا نبات لها ولا حركة بها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون
اي اخرجنا منها انواع الحب من الاطعمة كالحنطة والشعير والاقوات فمنه اي من ذلك الحب ياكلون غذاء
لكم وجعلنا فيها اي في الارض جنات بساتين من نخيل واعناب وهما اعلى الثمار وخصهما بالذكر لذلك وفجرنا
فيها من العيون في الجنات عيون الماء ليحسن مناظرها ويبلغ ثمارها لياكلوا من ثمره ليكون لهم ثمار ياكلونها
وقوله تعالى من ثمره من ثمر ما ذكرنا ولم يثنها لذلك ورجع الثمار الى نعمة الاطعمة وما عملته ايديهم فان الله ٨
اخرجها لهم وهو كقوله انتم تزرعونه ام نحن الزارعون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون ● وقيل هو بمعنى
الذي اي ومن الذي عملته ايديهم وهي اصناف الاشربة والحلاوات كما قال تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا
ويدخل فيها العصير والخل والرب وغيرها ● وقيل وما عملته اي ما غرسوه من الجنات واخرجنا منها جالهم
بغرسوه افلا يشكرون كلمة استبطاء وحث على الشكر سبحان الذي خلق الازواج كلها اي تنزيها لله تعالى
عما لا يليق به من قول الكفار ● وقيل اي عجبا من الكفار وما يشركون مع ظهور هذه الاثار ● قال الشاعر
اقول لما جاءني فخره ● سبحان من علقمة الفاخر ● اي عجبا خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع من كل شي
مما تنبت الارض اي تخرج من الحب والنخل والاعناب ومن انفسهم اي ومن البشر ومما لا يعلمون من اصناف
خلقه في البر والبحر وقعور الارض وفي السموات وفي ذلك تعريف انه اذا كان خالق الاصناف كلها من غير ان
يشركه فيه غيره وجب تنزيهه عن الشركاء الذين لا يخلقون كخلقه وفيه بيان وجوب النظر في علم الاصول
والاستدلال بالدلائل المعقول ● وقوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي ومن علامات قدرتنا وعلمنا
ورحمتنا ما ترونه من مجي الليل والنهار خلفة نسلخ من الليل النهار اي نزيل منه الضوء الذي يكون بالنهار فاذا هم
مظلمون اي داخلون في الظلمة بمجي الليل وذلك ان الليل كان قبل النهار وان الظلمة كالاصل والنور
دخيل عليه فاذا سلخ منه اي نزع النور من الظلمة خلصت الظلمة فكان الليل واذا انبتت الظلمة النور كان
النهار ● قال الله تعالى يغشي الليل النهار اي يلبسه فاذا وصف بالالباس جاز ان يوصف بالسلخ الذي هو ضده ٨
فيقول فهذا شي ترونه متسقا لا يتغير فدل ذلك على علم فاعله وحكمته ● والشمس تجري لمستقر لها اي الى مستقر
لها كما يقول يجري فلان لغاية كذا والى غاية كذا وله ثلاثة اوجه احدها استقرارها فقطع حركاتها بتهافتها
امرها عند انقضاء الدنيا ● والثاني قول قتادة لمستقر لها لوقت واحد لها لا تعدوه ● والثالث تجري الى
ابعد منازلها في الغروب ثم ترجع فمستقرها بلوغها الموضع الذي لا تجاوزه كالانسان يقطع مسافة
لا يسكن فيها حتى يبلغ اقصى مقصوده فيستقر هناك على معنى انه لا يجاوزه ثم يرجع ● وقال الحسن ان للشمس
في السنة ثلثمائة وستين مطلعا تنزل في كل يوم في مطلع منها ثم لا تنزل الى الحول فهي تجري في تلك المنازل
فهي مستقرها ● وقيل مستقرها هو الوقت الذي يحبس الله فيه الشمس عن الطلوع ذلك تقدير العزيز العليم
اي من تامل احوال مجي الليل والنهار ومجاري الشمس علم ما يجب من دلائل الحدوث واثار التدبير انها
مقدرة مدبرة لمدبر عالم عزيز لا يغالب ولا يمنع مما يريد امضاءه في خليقته ● وقوله تعالى والقمر قدرناه
منازل ● قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو والقمر بالرفع على الابتداء ● والباقون بالنصب باضمار فعل مقدم مقدر
دل عليه المظهر المؤخر وهو قوله قدرناه يقول وفي القمر دلالة ذلك ايضا لله فهو يسير لا زم لطريقة واحدة
لا تختلف بل ينزل كل ليلة منزلا معروفا فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ثم يطلع هلالا ومنازله
ثمان وعشرين بها حتى عاد كالعرجون القديم العرجون العرق الذي فيه الشماريخ فاذا تقادم عهده حتى
يبس تقوس فيه دق القمر في ليلة ثمان وعشرين حتى يصير كالعرجون المتقادم في الدقة والتقوس لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ● قيل اي خلقهما الله تعالى على صفة يستحيل ادراك الشمس واجتماعهما ما بقيت الدنيا

شمس العالم وقامت القيامة جمع الشمس والقمر ● وقيل اي لا يصلح ان تدرك الشمس القمر فيغلب ضوءها ضوءه فيذهب
اية الليل وتضييع الاوقات كلها نهارا ولا الليل سابق النهار اي ولا يصلح ان يكون الليل غالبا للنهار فتكون الاوقات كلها
ليلا بل يتعاقبان لمصالح اهل الدنيا وكل في فلك يسبحون اي كل واحد من الشمس والقمر والنجوم التي هي منازلها يجرون
في الفلك بنزهة وكل واحد مسخر مقصور على ما لا يتعداه ● وقيل اي القمر اسرع سيرا واقطع للفلك من الشمس وهو
يسبق الشمس والشمس لا تدركه فيبطل سلطانه والليل لا يسبق النهار فيجي في غير الوقت المقدر له ● وقال الحسن و
الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ليلة الهلال اي لا ينبغي لها ان تبقى حتى يطلع القمر والشمس طالعة لكن اذا وجبت
الشمس ظهر القمر ● وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون جمع بالواو والنون لانه وصفهما بصفات العقلاء والواو
الله هذه الطوالع بالسباحة والسبق والادراك توسعا ان لا اختيار لها في افعالها لكنها مسخرة بفعله للجاعل
وهو كقوله يريد ان ينقض الحائط ونحوه ● وقوله تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ● قرأ نافع وابن عامر
ذرياتهم جمعا والباقون ذريتهم على الوحدة اي ومن علامات قدرتنا ودلائل وحدانيتنا انا حملنا ذرية هؤلاء
المشركين من اهل مكة في سفينة نوح المملوءة بالناس وبما يحتاجون اليه والفلك يذكر ويؤنث وهو الواحد
والذرية الاولاد وتقديره ذرية اصلهم اي ادم وهو كقوله خلقكم من تراب اي خلق اصلكم وهو ادم ● وقيل
اراد بالذرية الاسلاف لانه من الذر وهو الخلق فيصلح اسم للاصل والنسل لان بعضهم خلق من بعض ● وقيل
اي حملنا ذرية هؤلاء مع نوح في السفينة لان ذرية ادم كلهم كانوا في اصلاب اولئك وكانوا محمولين كلهم
يعرفهم المنة بان سلم اباءهم وسلمهم واخرجهم لصبيان والنسوان في الفلك اي في السفينة التي تكون
في اخر الزمان وهم بانفسهم عاجزون عن قطع المسافات وخلقنا لهم من مثله اي مثل الفلك المشحون وهو سفينة
نوح ما يركبون من السفن في كل زمان وهذا معنى ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه ● وفي رواية عنه
مثله ما يركبون هي الانعام هذه في البر وتلك في البحر للحمل والنقل من مكان الى مكان وهو كقوله وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون ● وقوله تعالى وان نشا نغرقهم في البحر مع السفينة فلا صريخ لهم اي
لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي لا يخلصون ● وقيل فلا صريخ لهم اي لا يجد وقد في البحر صريخا وان وجدوا لا يقدر على انقاذهم
وقيل فلا صريخ لهم يحفظهم ان يغرقوا ولا هم ينقذون اي ليس لهم من يخلصهم بعد ان غرقوا الا رحمة منا الا ان رحمتهم نحن
فنخلصهم ومتاعا الى حين ونمتعهم بالبقاء الى انقضاء اعمارهم ● وقوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
لعلكم ترحمون وجوابه محذوف وهو اعرضوا ● قال الكلبي واذا قيل لهؤلاء المشركين اتقوا ما بين ايديكم من الاخرة
فاعملوا لها وما خلفكم من الدنيا اتقوها فلا تغتروا بها ● وقيل اتقوا ما تقدم من معاصيكم وما تاخر مما انتم
تعملونه من بعد ● وقيل ما بين ايديكم ما سلف قبلكم من عقوبات الله للامم الخالية ان ينزل بكم مثلها وما خلفكم من
العذاب في الاخرة بعد هلاككم ● وقيل ما بين ايديكم اي اتقوا الكفر بايات الله التي نزلت بكم وبايامه التي نزلت بمن
خلفكم وامنوا بها حتى يسلكم ترحمون اي لترحموا وجوابه ما قلنا وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين
وهذا يدل على ان المضمر اعرضوا من اية من ايات ربهم من للتاكيد ومعناه وما تاتيهم اية ● قال مقاتل هي انشقاق القمر
بمكة نصفين ● وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله ● قال مقاتل بن سليمان ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا للمشركين اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله مما ذرا من الحرث والانعام فسبيلهم نصيب الله من
اموالهم فجرموهم فقالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه اي انعطي من لو يشاء الله اعطاه وهذا استفهام بمعنى الانكار
ان انتم الا في ضلال مبين اي ما انتم ● وقيل هو قول الكفار للمؤمنين اي انكم تقولون ان الله قادر على ان يوسع على عبده
ثم يتركون مسالته وتسالوننا ● وقيل هو خطاب للكفار ان انتم الا في ضلال مبين في التكلم بهذا على وجه الاستهزاء بالحق
وفي التعلق بهذا في ترك الانفاق على المحتاجين فانهم كانوا يقولون لكم قلتم انفقوا مما رزقكم الله واذا كان الله
يرزقنا فهو قادر على ان يرزقكم فما معنى التماسكم الرزق منا فهذا اجهل منهم لان الله تعالى اذا رزق عبدا شيئا وملكه
اياه لم ينقطع ولا وجب فيه حقوقا امره باداءها فليس للعبد ان يمتنع منها كالمالك منا اذا اعطى عبده مالا ثم امره
ان ينفق منه في كذا فليس له ان يقول اعطيتني هذا فاعط فلانا ايضا من عندك فالامر فيه فيما هو مالي ومن يجد
ايضا ان يقول العبد لا اعطي من لم يعطه الله ● روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قال لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير
فيكم ولو شاء لجعلكم فقراء لا اغنياء فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض لينظر كيف عطف الغني وكيف صبر الفقير
وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يتصل بقوله اتقوا ما بين ايديكم اي الساعة قالوا الساعة
التي تعدوننا بها فقد مات على اباءنا الدهور الكثيرة ثلاثا فاجيبوا من ذلك ما ينظرون الا صيحة واحدة اي ما
ينتظرون عليهم فتهلكهم وهي النفخة الاولى وهم يخصمون اي وهم في حال اختصامهم ● قرأ ابن كثير وابو عمرو وهم
يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد الا ان ابا عمرو يختلس حركة الخاء واصله يختصمون فادغمت التاء في الصاد
ونقلت فتحة التاء الى الخاء ● وقرأ نافع يخصمون بفتح الياء وتسكين الخاء وتشديد الصاد وجمع بين الساكنين مرورة
الادغام ● وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد بتحريك الساكن الى الكسر

لانها حركة ضرورية • وقرا حمزة يخصمون بفتح اليا وتسكين الخا على الاصل الفعل الثلاثي لعدم تا الافتعال صورة
تاتيهم الساعة وهم يتخاصمون في امور دنياهم واسباب معايشهم في الاسواق وغيرها فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون وهم بحضرتهم ولا الى اهلهم يرجعون يتمكنون من الرجوع اليهم وهم على غيبة منهم اي لا يمهلون بل يهلكون في اماكنهم
وقيل ولا الى اهلهم يرجعون هو من رجع الكلام اي لا يمكنهم ان يراجعوهم الكلام • وقال ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لتقومن الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة والرجلان
قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتى تقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه فيرفعه فما يرفعه حتى تقوم الساعة
والرجل يرفع اكلته الى فيه فما يصل الى فيه حتى تقوم الساعة وهو نفخة الصعق ثم نفخة البعث • وقوله تعالى
ونفخ في الصور اي نفخ اسرافيل في القرن للبعث فاذا هم من الاجداث اي القبور والواحد جدث الى ربهم ينسلون اي
الى موضع حساب الله يسرعون والنسلان العدو وفعله من باب دخل وضرب وهو كقوله يوم يخرجون من الاجداث سراعا
كانهم الى نصب يوفضون • وقوله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا اي من ايقظنا من موضع رقادنا اي
نومنا والفعل من باب دخل • روي انهم يخفف عنهم فيما بين النفختين فيستريحون استراحة النائم ثم يبعثون
فيقولون هذا القول • وقيل اذا راوا اهوال يوم القيامة عاد عليهم ما كان عليهم من عذاب القبر حتى كان ذلك
كالنوم فوجب ما صاروا اليه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • قال عبد الرحمن بن زيد يرون اليقين
الذي لا يمكن دفعه فيقولون معترفين شاهدين على انفسهم بالكذب في الدنيا هذا ما وعد الرحمن ومواقفة
للحساب والجزا وصدق المرسلون • وقيل هو قول الملايكة لهم حين قالوا من بعثنا من مرقدنا وفيه توبيخهم
وقيل هو قول المومنين لهم ثم قوله هذا عند بعضهم يوصل به من مرقدنا اي من هذا المرقد وجوابهم ما وعد
الرحمن وعند بعضهم يبتدا من قوله هذا ما وعد الرحمن ان كانت اي ما كانت اعادتهم • وقيل اي النفخة الا
صيحة واحدة اي الا نفخة واحدة في الصور فاذا هم جميع لدينا محضرون اي مجتمعون لدينا قد احضروا موقف
الحساب بسرعة لم يتخلف منهم احد فاليوم لا تظلم نفس شيا اي لا ينقص من ثواب طاعته ولا يحمل عليه معصية
غيره ولا تجزون الا ما كنتم تعملون من خير وشر • وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم اي الذين وعدهم
الله الجنة على الايمان والطاعة في شغل اي عما فيه اهل النار من العذاب وفي شغل مما هم فيه من التقلب في النعيم
وانواع الملاذ من افتضاض الابكار والتلذذ بالاحاديث الطيبة والتعلل بالفواكه الشهية في الاماكن البهية
ومن زيارة الملايكة مع الكرامات ومن ملاقاة الاحبة والقرابات • وقيل في شغل عن ذكر اهل النار ولو خطر
ذلك ببالهم وفيها احد من اقاربهم او معارفهم تنغص عليهم ما هم فيه • وقوله فاكهون قال الحسن ناعمون • وقيل
معجبون • وقيل فرحون وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل ذوو فاكهة كما يقال لابن وتامر قال
الشاعر وغررتني وزعمت انك لابن في الصيف تامر • وقيل الفاكه المازح من الفاكهة والفكه الطيب
النفس • وقيل هما واحد كالحاذر والحذر ومن كان في الدنيا في شغل كان في تعب فقال في شغل فاكهون ليعلم انه
ليس بشغل فيه تعب هم وازواجهم • قيل نساوهم التي كن لهم في الدنيا • وقيل من الحور العين • وقيل يجوز ان
يكون الكل مرادا • وقوله تعالى في ظلال جمع ظلة • وقيل الظلال الستار عن وهج الشمس لا حر فيها ولا برد • وقيل
اي خالون بحيث لا يقع عليهن ابصار غيرهم والجمع بينهم وبينهن اتمام لسرورهم • وقال مجاهد وعكرمة وازواجهم
اي اخلاوهم فهو كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم على الارايك متكيون جمع اريكة • وقال عكرمة هي
الحجال على السرر • وقيل هي الفرش • وقيل هي الوسايد وهي حمل الازواج على الاخلا فهو كقوله اخوانا على سرر
متقابلين لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اي يتمنون • قال ابن عباس رضي الله عنهما يتمنى احدهم في نفسه
فيفكر شيا فيضع بين يديه من غير ان ينطق بلسانه سلام اي ولهم سلام اي تحية قولا من رب رحيم اي خطابا
من الله تعالى بغير واسطة • وقيل بتبليغ من الله على السن الملايكة كما قال والملايكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم سلام عليكم طبتم وهو بشارة بدوام السلامة لهم • وقيل سلام اي خالص لهم يتمنونه
قولا من رب رحيم • قيل تقييده باسم الرحيم دليل على ان العاصي ينال ذلك ايضا • وقال الامام القشيري ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل • قيل لو علموا عمن شغلوا لما تهنوا بما فيه شغلوا • وقيل شغلهم تاهبهم لروية مولاهم
وقيل هذا خطاب من الله لمن بقي من العصاة في العرصات يقول الله لهم ان اصحاب الجنة اليوم لا يتفرغون لكم
لاشتغالهم ولا اهل النار لاهوالهم فليس لكم اليوم الا نحن وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي يقال لهم تميزوا
من اهل الجنة فانهم يجزون على صدقاتهم • وقيل هو اخبار عن تميزهم من اهل الجنة كما قال سيروا فيها ليالي
واياما امنين قالوا وقلنا من بعده لبني اسرايل اسكنوا الارض • وقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين اي يقال لهولاء المشركين عند دخولهم النار توبيخا لهم الم اوص اليكم الم امركم
على السنة رسلي يا اولاد ادم ان لا تطيعوا الشيطان ولا تعطوا امره ولا تنقادوا له بالانقياد لما يوسوس اليكم
من اتباع الشهوات وترك الديانات انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وان اعبدوني فاني خالقكم ورازقكم

هذا

هذا صراط مستقيم فانه طريق سوي من سلكه استقام به الى رضواني والوصول الى جناني • وقوله تعالى ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا • قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بضم الجيم والبا خفيفة اللام • وقرا نافع وعاصم بكسر الجيم
والبا وتشديد اللام • وقوله تعالى اضل منكم اي اغوى • وقيل اهلك افلم تكونوا تعقلون انه فعل ذلك فتحذروا
مثله هذه جهنم التي كنتم توعدون بها على شرككم اصلوها اليوم اي ادخلوها بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم اليوم
نختم على افواههم اذا قيل لهم الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان جحدوا وقالوا ما عبدناه فيختم الله على
افواههم اي يفعل بافواههم ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا بالسنتهم وابن عباس فسره بالخرس وبعضهم حمله على قوله
اني اكلم تدعون يوم القيامة مفدمة افواهكم حتى ان اول ما يبين عن احدكم لفخذه وكفه وتشهد ارجلهم بما كانوا
يكسبون • وقال في اية اخرى حتى اذا ما جاوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم • وقال يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم فذكر شهادة الالسن في هذه الاية مع ذكر الختم على الافواه في تلك الاية وذكروا له وجوها
واوضحها قول الامام ابي منصور رحمه الله انهم اذا جحدوا انطق الله الجوارح فتشهد ثم انطق الله السنتهم حتى
تعاتب الجوارح على نطقها وذلك قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
قال وفيه دليل على ان النطق الذي يكون من اللسان لا يكون لانه لسان ولكن اللطف الذي يجعله الله في اللسان
ينطق بحيث ما يجعل الله ذلك اللطف الذي يجعله في اللسان في اي جارحة نطقت ولو كان النطق لنفس اللسان
لكان يجب ان ينطق لسان كل ذي لسان لما له لسان فاذا لم ينطق دل انه اللطف الذي يجعل فيه وكذلك عمل كل جارحة
من السمع والبصر والذوق والشم وغير ذلك • وقوله تعالى ولو نشاء اي في الدنيا لطمسنا على اعينهم اي على
اعين هولاء الكفار اي لاعميناهم ومحونا نور ابصارهم فاستبقوا الصراط اي فبادروا في اول العمى الى الطريق
ليسلكوه الى منازلهم او مقصد لهم فلم يقدروا على ذلك هذا مضمر فانى يبصرون اي فكيف يبصرون بعد ما اعميناهم
ولو نشاء لمسخناهم اي لبدلنا خلقتهم وقلبنا بنيتهم فصيرناهم حجارة على مكانتهم اي مكانهم كالمقام والمقامة
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون • قرا عاصم في رواية ابي بكر على مكاناتهم على الجمع لان الممسوخين جماعة ولكل
واحد مكانة يقول نقدر ان نفعل بهم ذلك في الدنيا كما انطقنا جوارحهم في العقبى ويستحقون ذلك لكفرهم لكنا
انما نمهلهم ليتوبوا ويشكروا نعمتي عليهم • وقيل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لحولنا ابصارهم عن الضلال الى الهدى
فاستبقوا الصراط فاهتدوا الى طريق الحق فانى يبصرون لكن كيف يبصرون ولم اشا ذلك فلم افعل بهم ذلك ولو نشا
لمسخناهم على مكانتهم • قيل لاقعدناهم على ارجلهم فلم يستقدموا فلم يتاخروا • وقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو والكسائي بفتح النون الاولى وتسكين الثانية وتخفيف الكاف وضمها
على الفعل الثلاثي • وقرا حمزة وعاصم بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها على التفعيل
ومن نعمره جزم على الشرط بكلمة من يقول من اطلنا عمره صيرناه الى حالة الهرم التي تشبه حالة الصبا في ضعف
العلم والقوة ونقصان الجسم والبنية افلا يعقلون انه كذلك قرا نافع بتا المخاطبة • والباقون بيا المغايبة
وهو كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر • وقوله خلقكم من ضعف الاية • قوله وقد خلقكم اطوارا يقول فمن قدر على رد
الانسان في كبره الى اول حاله قدر على اعادته بالبعث الى اول حاله ويقدر على طمس عينه ومسخ خلقه • وما علمناه
الشعر وما ينبغي له يقول ان الذي علمناه محمدا مما يتلوه عليكم ويحاجكم به ليس بشعر كما يقوله بعضكم • قال مقاتل
نزلت في عقبة بن ابي معيط لعنه الله قال انما يقوله محمد شعر فانزل الله هذه الاية وما ينبغي له ان يقول الشعر
ولو كان شاعرا لدخلت الشبهة على كثير من الناس في امره انه انما يقدر على مثل هذا الكلام لانه شاعر صاحب نظم
الكلام ان هو الا ذكر اي ما القران الا ذكر كذكر الله به • وقيل شرف لكم لانه بلسانكم وقران مبين اي وكتاب يقرا مبين
ما تحتاجون اليه لينذر من كان حيا اي ليخوف من كان حي القلب اي هو الذي ينتفع به ويحق القول اي يتحقق
وعيد الله بالعذاب على الكافرين • وسيلت عايشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل
بشي من الشعر فقالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل بشي من الشعر الا ببيت طرفة ستبدي لك الايام
ما كنت جاهلا • ويأتيك بالاخبار من لم تزود • فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضي الله عنه ليس
هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي • وقوله تعالى او لم يروا الالف للاستفهام وهو بمعنى الاثبات
والواو للعطف ومعناه الم يروا مع ساير ما راوا من اياتنا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا خلقه
بغير شريك لم يشاركنا فيه احد انعاما الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون متصرفون فيها على ما يشاوون بالقهر
بتسخيرنا اياها لهم ولولا ذلك لما اطاقوها لقوتها وعظم اجسامها كما قال لتستووا على ظهوره الى قوله وما كنا له
مقرنين وذللناها لهم اي ليناها وسخرناها فمنها ركوبهم هو ما يركب ومنها ياكلون من لحومها وشحومها ولهم فيها
منافع من قوله لتركبوها وزينة وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ومشارب من البانها افلا يشكرون لخالق
هذه النعم بالاخلاص والطاعة واتخذوا من دون الله الهة مع ما راوا من اياتنا في خلقنا لعلهم ينصرون اي يرجون
نصرهم اي منعهم من العذاب لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون • قيل اي والمشركين للاصنام

جند محضرون في النصب لها والذب عنها • وقال مجاهد محضرون عند الحساب اي لشفع لهم تتكذبهم وتتبرا منهم كما
قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا • وقيل وهم اي الاصنام لهم
اي للمشركين جند محضرون اي هم معتقدون انهم يعينونهم يوم القيامة كانهم جند لهم • وقيل ان كل من عبد شيا من دون
الله فانه يوم يوم القيامة بالموتى بمعبوده فعبدة الاصنام يجعلون يوم القيامة جندا لهم يحضرون النار محضرون
للنار جميعا • قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون • وقيل وهم اي والمشركون لهم اي للاصنام
جند منتصبون لهم في الدنيا محضرون النار يوم القيامة لا ينفعهم فيما نصبهم لها فلا يحزنك يا محمد قولهم فيك انك
شاعر وساحر وكاهن وكاذب وسائر وجوه الاذى بالقول انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اي انا نعلم سرهم وعلانيتهم
اضمارهم واظهارهم لك وسنكافيهم على ذلك • وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة • قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو ابي بن خلف بن كلدة لعنه الله اتى النبي بعظم حائل ففته بين اصبعيه في يوم شديد الريح على
صفاة بجبل الجبال اي المفاحيج تهب به الريح فقال يا محمد اتزعم ان الله يحيي هذا وهو رميم كما ترى وهو البالي
الذي لا شيء اشد بلى منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ثم يميتك ثم يبعثك ثم يدخلك نار جهنم فانزل
الله هذه الاية اولم ير الانسان اولم يعلم هذا الكافر انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين الى اخره الى ان
صار عاقلا جدلا محاجا في احيا الموتى مظهرا ذلك • وضرب لنا مثلا بين لنا شبها لامر البعث ونسي خلقه نسي
امر خلقه كيف كان وانه لم يكن شيئا كما هو الان وانما كان نموا نامياحيا • قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية • قل
يحييها الذي انشاها اول مرة اي خلقها اولا وجدها فاذا قدر على ايجادها بدا فقدر على اعادتها وهو بكل خلق
عليم ثم قرن هذا بما هو ابلغ منه في الدلالة على كمال القدرة فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر اي الرطب نارا فاذا
انتم منه اي من الشجر توقدون • ومن قدر على ان يجعل في الشجر الذي فيه الرطوبة نارا فاذا رطوبة الشجر تطفيها والنار
تحرق الشجر فقدر على احيا الموتى • قال ابن عباس هما شجرتان المرخ والعفار فمن اراد منهم النار قطع منهما مثل السواك
وهي خضر يقطر منها الما فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فتخرج منهما نار باذن الله • وذلك قوله افرايتم
النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشيون وقالوا في كل شجر نار الا العناب ومن مثل العرب في كل شجر
نار واستمجد المرخ والعفار ثم نبههم على ما هو اعظم من هذا فقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم اي امثال هولاء المنكرين للبعث بدا واعادة اي من قدر على الاكبر فقدر على الاصغر بلى
وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون اي يكونه في اسرع وقت لا يعجزه شي ولا يمنعه
شي فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي اي تنزهوا الله عما اضافه اليه هولاء المشركون فهو الذي بيده ملكوت
كل شي اي هو مالك كل شي ومصرفه واليه ترجعون • فيحاسبكم ويجازيكم على طاعاتكم ومعاصيكم • والحمد
لله رب العالمين

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اقسم بالملايكة المكرمين • الرحمن الذي يجزي المحسنين • الرحيم الذي سلم على المرسلين
روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والصافات اعطي عشر
حسنات بعدد كل شيطان وجن وتباعدت عنه مردة الشياطين وتشهد له حافظاه انه مومن بالمرسلين
وهذه السورة مكية وهي ماية واحدى وثمانون اية • وقيل اثنتان وثمانون الاختلاف في اثنين وما كانوا
يعبدون وان كانوا ليقولون • وكلماتها ثماني ماية واثنان وستون كلمة • وحروفها ثلاثة الاف وثماني ماية
وعشرون حرفا • وانتظام هذه السورة بالتي قبلها السورة انه ذكر في ختم تلك ان الله بيده ملكوت كل شي
فاقسم في اول هذه السورة على انه اله واحد لا يشبهه شي • وانتظام السورتين انهما في محاجة المشركين وفي اثبات
الرسالة والبعث يوم الدين والتنبيه بقصص الاولين • وقوله تعالى والصافات صفا هو قسم بالملايكة
على ان الله اله واحد • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وجه القسم بهم ان الله تعالى قد عظم شان
الملايكة في قلوب اوليك الكفرة حتى قالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر • وقال فرعون
لعنه الله او جاء معه الملايكة مقترنين • وقولهم لولا انزل علينا الملايكة وما وصفهم الله سبحانه انهم لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون فانهم عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون كذلك اقسم
بهم تعزيزا لذلك في قلوبهم • وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم الصافات والزاجرات والتاليات
كلهم الملايكة وكذا قال مجاهد والسدي وجماعة والصافات نحن صفوا والقسم وسميت بها لانهم صافون
في السموات في الصلوات • وقيل لانها تصف اجنحتها في الهوا اذا نزلت للوحي وينتظر فالزاجرات زجرا التاليات
بما هو زجر الخلق عن المعاصي والتاليات ذكرا الغاديات على الرسل ذكرا اي وحيا من الله والوصل بالفاء
يدل على انها في صفات جماعة يبتنى بعضها على بعض ومعنى التاليات ذكرا كمعنى الملقيات ذكرا عذرا او نذرا ثم

والنجم بالالف وانما لما انهم طوايف كل طايفة صافة زاجرة تالية والجمع صافات زاجرات تاليات • وقيل صافات
بالنزول بسورة الانعام جملة والصادر فيها للتاكيد للوصف والتاليات ذكرا • قيل اي تلاوة والتبديل بالذكر
يتغير روي الاي وهو كقول الشاعر • الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا اي تباينا • وقيل ذكرا
اي كتابا وقرانا • وقيل الذكر الذي نسخ منه القران في السما • وقيل فالزاجرات هي التي تزجر السحاب سوقا • وقال
قتادة والصافات صفا الملايكة صفوف في السما فالزاجرات زجرا هي اي الكتاب التي زجر الله بها عباده عن
مناهيه فالتاليات ذكرا يعني ايات القران تتلو اذكر ما مضى وذكر ما نحن فيه وذكر ما بقي • وقيل والصافات
صفا جماعات المومنين اذا اصطفوا للصلاة فالزاجرات زجرا الرافعات الاصوات بتلاوة القران فان الزجر
الصيحة في معنى واحد • قال الله تعالى فانما هي زجرة واحدة • وقال ان كانت الا صيحة واحدة • وقيل هي صفوف
الغزاة • قال الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فالزاجرات زجرا خيولهم فالتاليات ذكرا التكبير
وقوله تعالى ان الهكم لواحد المقسم عليه رب السموات والارض نعت له وما بينهما تثنية والسموات جمع لان السموات
جنس والارض جنس فهما جنسان ورب المشارق اي وما لها مطالع الشمس في كل يوم من ايام السنة والمدة لها
وقال في اية اخرى رب المشرقين ورب المغربين مرادا مشرق الشتا ومشرق الصيف ومغربيهما • وقال في اية رب المشرق
والمغرب لانه اراد به الجهة والجهة واحدة ولم يذكر المغارب في هذه الاية لطول الاية بذكرها وحصر ونحوها مع حذفها
من نشاكلة قدر الايات قبلها وبعدها وكانت المطالع دالة على المغارب لانها تطلع بعد الغروب والمصالح المتعلقة
بطلوعها اكثر من المصالح المتعلقة بغروبها • وقال مقاتل ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله
على ان الاله واحد • وقيل ان المشركين قالوا كيف تقوم الله واحد بحوايجنا ولنا ثلثمائة وستون الها لا يقضي حوايجنا
فاقسم الله على ان الههم والذي في السموات والارض وقاضي حوايجهم واحد • وقوله تعالى انا زينا السما الدنيا
هي تانيث الادنى اي الاقرب وهي التي تلينا وتدنو اليها بزينة الكواكب • قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر
بزينة الكواكب مضافة اي بالزينة القايمة بالكواكب وقرا عاصم في رواية حفص بزينة منونة الكواكب خفضا
على البدل وقرا عاصم في رواية ابي بكر بزينة منونة الكواكب نصبا على ان الزينة مصدر بمعنى التزيين والكواكب
نصب لانه مفعول بوقوع التزيين عليه وحفظا اي وحفظناها حفظا • وقيل وجعلناها حفظا كما قال وجعلنا
رجوما للشياطين من كل شيطان مارد اي متناه في الفساد والافساد • وقيل اي متجرد عن كل خير كالامرد والشجرة
المردا اي المتجردة من الاوراق لا يسمعون • قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتشديد اي لا يتسمعون ادغمت التا
في السين كما في المزمل والمدثر اي لا يتعرضون للسماع بالاصغا وقرا الباقون بالتخفيف من السماع ومعناه
لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب ارتفع كما في قوله قل افغير الله تامروني اعبد اي ان اعبد • وقال كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به الى الملا الاعلى اي الملايكة ووحد الاعلى لنظام لفظ الملا كما يقال
السلف الصالح • وقال ابو معاذ في قولك بمعنى استمعت اليه يقول انا حفظنا السما بالكواكب الراجمة من
الشياطين ان يتعرضوا السماع الوحي من ملايكة السما الذين هم الزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا في انزال الوحي
على الرسل وتحرسه من تغييرهم ويقذفون اي يرمون بنجوم الرجوم معطف على قوله لا يسمعون من كل جانب
اي من جوانب السما دحورا اي طردا وابعادا ولهم عذاب واصب اي دايم في الاخرة لكفرهم واضلالهم
الناس وايهامهم اياهم انهم يعلمون الغيب كالانبيا طمعا في افساد النبوات الا من خطف الخطفة اي سلب
السلبة ومعناه اخذ شيا من كلامهم بسرعة طالبا للغفلة • وقيل هذا الاختطاف ليس في حق الوحي فقد ذكر انه
حفظه عنهم لكنه في تسمعهم كلام الملايكة في اشيا اخر سوى الوحي فاذا اخذوا شيا من ذلك رجموا فذلك قوله
فاتبعه شهاب اي لحقه شهاب اي نجم رجم ثاقب اي مضي • وقيل نافذ الثقوب المتوقد من باب دخل • وقيل
نجوم الرجوم غير نجوم الزينة تلك ثابتة وهذه ثايرة منتشرة • قال الشعبي لم تقذف النجوم حتى بعث محمد
صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم ويعتقون رقايقهم يظنون انها القيامة
فاتوا عبد يا ليل الثقفي وكان قد عمي فقال لو انه قد سيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم قال لم قالوا ان النجوم
تهافت من السما فقال الهم لا تعجلوا فان كانت نجوما تعرف فهي عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر
حدث فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف قال فما مكثوا الا يسيرا حتى اتاهم النبي عليه السلام فاستفتهم اي
فاسال المشركين يا محمد اهم اشد خلقا ام من خلقنا من الامم الماضية الذين كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
واولادا فان اجابوك انهم اشد ممن سلف فقل لهم انا خلقناهم اي خلقنا جميعهم من طين لازب اي لازق باليد
والفعل من باب دخل يعني خلق اصلهم منه وكيف توهموا الشدة لهم مع ان نعتهم انهم يعجزون وانا خالق جميعهم
وموجدهم من العدم • وقيل ام من خلقنا من الملايكة والشياطين والسموات والارض وما بينهما وهو كقوله
انتم اشد خلقا ام السما الايات • وقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وذكر بكلمة من لانه جمع بين
ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل يقول فاذا قدرنا على خلق ما هو اشد منهم فنحن نقدر على اعادتهم بعد موتهم

وقال مقاتل نزلت في ابي الاشدين وسمي به لشدة بطشه واسمه كلدة بن اسيد • وقال محمد بن اسحاق اسمه ابي بن اسيد
بل عجبت ويسخرون • قرا حمزة والكسائي بضم التا والباقون بفتحها خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وبل للنفي ما قبلها
واثبات ما بعده اي ليست بهم هذه الجراة على انهم يتوهمون انهم يغوثونني لكن اغواشركهم وقلدوا اسلافهم واعرضوا
عن التدبر فهم لذلك على جهل انت يا محمد تتعجب منهم وهم يسخرون منك اذ تدعوهم الى الايمان بالله وبالرسل
والبعث بعد الموت وقراة الضم اخبار من الله تعالى عن نفسه وهو مجاز عن الانكار والكراهة ولا يجوز حقيقته
على الله تعالى فانه لظهور ما لم يكن في الوهم لكن من ظهر له ذلك وهو قبيح في نفسه كرهه وانكره فاريد به ذلك
هاهنا • قال قطرب اي كبر عندي وعظم فان الواحد منا انما يعجب من الشي اذا كبر عنده وعظم • وقوله تعالى
واذا ذكروا اي واذا وعظوا لا يذكرون اي لا يتعظون • وقيل اذا ذكروا انهم خلقوا من طين لازب • وقيل اي
ذكروا ما احل الله بالمكذبين الماضين • وقيل ما يعاقبون به في القيامة • وقيل ما انعم الله به عليهم والزمهم
شكره لا يذكرون اي اعرضوا عن ذلك كانهم لا يذكرونها ولا يحفظونها واذا راوا اية اي معجزة يستسخرون
قيل اي يسخرون بها قاله قطرب وابو عبيدة وجماعة فهو كقولهم قر واستقر وعجل واستعجل ويقن واستيقن ونكر واستنكر وقيل
اي يعدونها سخرية كقولك استحسنت كذا واستقبحت كذا واستجهلت فلانا واستحمقته • وقيل اي يدعون
الناس الى السخرية بها يريد بذلك التمويه على الضعفة • قال الله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
وقالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا تمويه ظاهر • وقوله تعالى ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي رميما اينا
لمبعوثون يسخرون بهذا ايضا منكم او اباونا الاولون الالف للاستفهام والواو للعطف ورفعه من وجهين
احدهما اواباونا يبعثون ايضا • وقيل تقديره اضن واباونا نبعث قل نعم تبعثون وانتم داخرون اي اذلا
صاغرون والواو للحال فانما هي زجرة واحدة • قيل صيحة واحدة • قال الحسن هي النفخة الثانية فاذا هم
نيام اي من قبورهم ينظرون الى ما يرونه من الاهوال • وقوله تعالى وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اي يوم
الجزا • وقيل الحساب • وقيل القضا • وقيل اي يقضي لدين الحق هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون • قيل
هو قول بعضهم لبعض • وقال الكلبي هو قول الملائكة هذا يوم الفصل • قيل اي القضا فانه يفصل الخصومة
وقيل هو القضا الحق لانه هو الذي يفصل به الخصومة فاما القضا بغير حق فيرد ولا يقع به الفصل
وقيل هو تمييز الفريقين بالطريقين • وقيل هو يوم الفصل اي يوم تفريق الاحبة والاقارب بعضهم من بعض
باختلاف الاجنية والامكنة • وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا اي يقال للملائكة اجمعوا الذين كفروا
وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو وضع العبادة في غير موضعها وازواجهم قرناهم • وقيل اي اصنامهم
وقيل وازواجهم اي قرناهم من الشياطين • قال تعالى وقيضنا لهم قرنا فزينوا لهم • وقال نقيض له شيطانا
فهو له قرين • وقيل ازواجهم اي زوجاتهم • وهو قول الحسن يعني كل كافرة ومنافق ومنافقة وهو
الغالب في الاستعمال • قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • وقيل احشروا الذين ظلموا اي كبرا الظلمة
وازواجهم اتباعهم حتى روي انه يرى لهم قلما او الاقلام لهم دواة او دنا ولهم قرطاسا حشر معهم • وقال تعالى
واذا النفوس زوجت اي قرنت باشكالها • وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم • قال ابن عباس رضي
الله عنهما دلوهم • وقال الضحاك ادعوهم • وقال ابن كيسان تقدموهم الى صراط الجحيم اي طريق جهنم
وقفوهم ايها الملائكة في موقف العرض والحساب انهم مسؤولون قال ابن عباس رضي الله عنهما عن قول لا اله
الا الله • وقال الضحاك عن خطاياهم • وقال كعب عن اقوالهم وافعالهم • وقوله تعالى ما لكم لا تناصرون
قيل هو تفسير قوله انهم مسؤولون وهو سؤال توبيخ وتقريع ايما لكم لا ينصر بعضكم بعضا • وقيل هو ابو جهل لعنه
الله اذ قال يوم بدر نحن جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون اي ليس احد يقدر على نصر احد بل الكل منقادون
لما يراد بهم واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسال كل واحد صاحبه سؤال توبيخ يقول هذا لم اغويتني
ويقول هذا لم قبلت مني • وقيل هو في معنى قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار • وقوله تعالى واذ يتحاجون في النار
وقيل هذا التسال هاهنا بين السادة والاتباع قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين • قال العطوي كنتم تمنعوننا
عن الدين الحق وعن الطاعة وتلبسون ذلك علينا يقال اتاه عن يمينه اذا اتاه من الجهة المحمودة والعرب
تنسب الفعل الجميل الى اليمين وما ضاده الى الشمال • وقالوا الميمنة من اليمن والمشامة من الشوم • وقال الفرا
اي كنتم تاتوننا من قبل الدين فتخدعوننا عنه باقوى الوجوه وقوة الرجل بيمينه وتسمى القوة يمينا كذلك
قال الشماخ • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • وقيل معناه كنتم تصدوننا عن طريق الجنة
وسبيل النجاة قال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين • وقيل هو ما ذكر في قوله ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فالشياطين ياتونهم من كل الجهات فمن اتاه الشيطان من جهة اليمين
اتاه من قبل الدين وتلبس عليه الحق • ومن اتاه من قبل اليسار حبب اليه الشهوات ومن اتاه من بين يديه انساه
الاخرة ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على اعقابه قالوا بل لم تكونوا مومنين قال لهم السادة ما كان ذلك منا

اعتزلناهم وقيل اصنافهم فانهم على طرق وقوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وقيل ازواجهم صح

بل انتم لم تومنوا • وقوله تعالى وما كان لنا عليكم من سلطان اي تسلط بحجة ولا قهر بل كنتم قوما طاغين مجاوزين
حدود الشرع • وقوله تعالى فحق علينا قول ربنا اي وعيد ربنا لاملان جهنم الاية • وقوله تعالى انا لذائقون
قيل يقع على هذا قوله فحق علينا قول ربنا وكررت وسكت عن ذكر المذوق لوضوحه كما في قوله ذق انك انت العزيز
الكريم فانهم يومئذ في العذاب مشتركون اي السادة والاتباع سوا في استحقاق العذاب انا كذلك نفعل
بالمجرمين وهم مجرمون • وقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتعظمون عن قبولها
ويانفون منه ويقولون اينا لتاركوا الهتنا اي نترك عبادة اصنامنا استفهام بمعنى النفي لشاعر اي لقول
رجل ياتي بكلام منظوم مجنون لا يعقل ما يقول لانه يخبر بالبعث بعد الموت وهو لا يعقل ونحن لا ندع دين ابائنا
لقول يعنون هذا يعنون محمدا فرد الله عليهم ذلك فقال بل جا بالحق اي ليس بشاعر ولا مجنون بل هو رسول جا
بما يجب على العقول السليمة وصدق المرسلين اي حقق بشارات الانبيا الماضين به ووافق دينهم وما
جاوا به من توحيد الله وطاعته انكم لذائقوا العذاب الاليم اي انكم يا اهل عصر النبي المكذبين به تصيرون
الى النار فتذوقون عذابها الوجيع وما تجزون الا ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي الا عباد الله المخلصين
من قرا بفتح اللام فهم الذين صفاهم الله تعالى عن الشرك والمعاصي ومن قرا بكسرها فهم الذين اخلصوا العبادة
لله فلم يشركوا به فلم يعصوه وهذا استثنا من يومن منهم بعد هذا • وقيل هو استثنا منقطع بمعنى لكن اي
هولا المكذبون بالنار يعذبون لكن المومنين بالجنة ينعمون اولئك لهم رزق معلوم اي عطية معلومة
يعلمون دوامها لهم فواكه ترجمة عن قوله رزق • قيل لم يرد بها الفاكهة المعروفة في الدنيا لكن الفاكهة
المعروفة في الدنيا ما يتفكه به اي يتنعم به اي رزقهم مما يتنعم به في الجنة وليس ذلك كقوت الدنيا
الذي يتناوله من يضطر اليه ويضيق قلبه لتاخره عنه وهو اشارة الى انه يتناول الماكولات التي يتنعم
بها وهو كقوله ولحم طير مما يشتهون اي يتناولونها مشتهين لها لا مضطرين اليها وكارهين لها وهم
مكرمون اي بانواع الكرامات مع ذلك في جنات النعيم على سرر متقابلين هو نصب على الحال وهو صفة
لهم لا للسرر وهم والتقابل اتم للانس واجمع للروية والسر للحديث • قال مجاهد متقابلين لا ينظر بعضهم في
قفا بعض يطاف عليهم بكاس هي القدح الملان شرابا من معين • قال الحسن وقتادة والضحاك والسدي
اي من خمر جارية في انهار ظاهرة للعيون • قيل هو مفعول من عانه بعينه اي نظر اليه بعينه • وقيل هو فعيل
من المعن وهو الامعان في الجري اي الشدة والزجة بيضا صفة للكاس وبياضها نصفا ما فيها لذة
اي لذيذة واللذة نعت كاللذيذ كالطب في معنى الطيب والها للتانيث للشاربين اي لشاربيها ليست
كخمور الدنيا في كراهة الطعم لا فيها غول • قال قطرب اي لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا اي لا تذهب بها واصله
الاهلاك في الخفا وقد قتله غيلة واغتاله اي قتله في خفية • وقيل غول اي غايلة اي ما يكره ولا هم عنها
ينزفون • قرا حمزة والكسائي بكسر الزاي اي لا ينفد خمورهم • وقرا الباقون بفتحها اي لا تغتال عقولهم وقد
نزف على ما لم يسم فاعله فهو منزوف ونزيف ونزف البير استخراج ما بها من باب ضرب وعندهم قاصرات
الطرف اي نسا قد قصرن ابصارهن على روية ازواجهن لحبهن اياهم ولعفافهن وحسن عشرتهن والطرف في
معنى الجمع ووحد لانه في الاصل مصدر عين جمع عينا وهي الواسعة العين الحسنة العين والفعل من باب
علم كانهن بيض مكنون اي مصون • وقيل اي مستور • وقيل اراد به المصون من الكسر اراد به انهن عذاري
خفيات • قال الفرزدق • خرجن الي لم تطمث قبلي • وهن اصح من بيض النعام • وقال الحسن وابن زيد
شبههن ببيض النعام يكن بالريش من الريح والغبار • وقوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتسالون اي فاقبل
بعض اهل الجنة وهم المخلصون على بعض يتحدثون بما انعم الله عليهم من حين كانوا في الدنيا الى ان صاروا
الى الجنة • قال قايل منهم اني كان لي قرين اي صاحب مقارن كافر بالبعث يقول اينك لمن المصدقين هو
بالبعث استفهام بمعنى الانكار ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون اي لمجزيون من قولهم
كما تدين تدان • قيل كانا اخوين وهما المذكوران في قوله واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من
اعناب وقد بينا القصة في سورة الكهف قاله الكلبي • وقيل كانا شريكين اراد به قرينه من الشياطين
كان يوسوس اليه بالتكذيب بيوم البعث يقول اينك لمن المصدقين الايات • قال ابن عباس كانا شريكين
احدهما قطروس وهو كافر والاخر يهوذا وهو المومن فاستجمع لهما ثمانية الاف دينار فكان احدهما محترفا
والاخر لا حرفة له فقال المحترف لصاحبه ليست لك حرفة وما اراني الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه
ثم فارقه ثم ان قطروس اشترى دارا بالف دينار وقد دعا صاحبه فقال كيف ترى هذه الدار قال احسنه ثم
خرج وتصدق بالف دينار وقال يا رب اسالك دارا في جنتك ثم ان الكافر تزوج امراة فانفق عليها الف
دينار وقد دعا صاحبه فقال كيف ترى زوجتي قال لما احسنها ثم خرج وتصدق بالف دينار وسال ان يزوجه
زوجة من الحور العين ثم اشترى صاحبه بالفي دينار بستانين فدعا صاحبه فقال كيف تراها قال احسنهما

انا لذائقون قوله انا اليقين اى ان تحقق علينا انا لذائقوا العذاب صح

وخلف والفضل عن عاصم

وانما البيض شبه ... والبيض لا ... ودون الولد ان يكون ... سنة المعروف ... الى ذا العز ... الفرح لمن ... للذوق والبيض ...

حسنين ثم خرج فتصدق بالفي دينار وسأل ربه ان يرزقه بساتين في الجنة ثم توفيا فاخذ الملك فانطلق يوم القيامة بالمتصدق الى
الجنة وبوأه دارا امينة لدور وجنة حورا وسأل لد بساتين في الجنة فقال الجنيد ان كان لي قرين يعني في دار الدنيا يعني بركة
الكافر • قال هل انتم مطلعون يقول لاصحابه هل انتم تطلعون معي في النار لعلنا نرى هذا القرين واسمعها فقالوا انتم
فاطلع هذا المؤمن فرآه في سواء الجحيم اي في وسط النار الموقدة • وقيل في الجنة كوى شارعة الى الجحيم فاذا ارادوا
النظر الى اهل النار نظروا ونظروا اليها قال تالله ان كدت لتردين اي اقسم بالله لقد كنت قاربت ان تهلكني باضلالك ورجح
الحوما اردت الا ان تهلكني ولولا نعمة ربي اي انعامه علي بالتثبت على الحق والعصمة عن قبول قولك لكنت من المحضرين م
النار معك وهو كلمة شكر كقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى وما نحن بمعذبين • قيل معناه انه يقول في الجنة لاصحابه اوقد امنا الموت بعد اذ احيانا الله من الموتة الاولى التي
كانت في الدنيا انتقلنا منها الى دار الجزا • وقوله تعالى الا موتتنا الاولى اي سوى الموتة الاولى وما نحن بمعذبين اي
وقد امنا العذاب مع تقصيرنا فالحمد لله على هذا • وهو كقوله عند العجب وكل هذا النعم لنا لا يكون انكارا بل يكون تعجبا
وشكرا • وقيل يكون هذا توبيخا لقرينه وكان في الدنيا اذا توعده • قال وما نحن بميتين وما نحن بمعذبين ويكثر هذا
القول فيذكره في هذه الحالة ويقول هكذا تقول الآن ما نحن بميتين الا موتتنا الاولى حين كنا نطفا ثم احيانا الله وما
نحن بمعذبين بعدما نموت اي لا ننبعث بعده او لا نعذب تقولنا لا بعث لانه حق وصدق • وقيل وما نحن بميتين بمهلكين بعقاب
الله في الدنيا كما نتوعده وما نحن بمعذبين في الاخرة لانه لا اخرة ثم قرا بعضهم ءامعنا انك لمن المصدقين ءاذا متنا
اءنا لمدينون بالاستفهام في المواضع الثلاثة على ان كل واحد سؤال تام قرينا لاستفهام • وبعضهم قرا انا لمدينون
على ان الاول تام وهذا الاخير داخل في الاستفهام الثاني • وقيل داخل في الاستفهامين جميعا وحذفه انا بالنصب
لكن كسر اللام في قوله انا لمدينون ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون • قيل هذه الكلمات
الاخيرات من قول هذا الرجل • وقيل هما من كلام الله تعالى بعد تمام كلام الرجل • وقيل تم كلام الرجل عند قوله ان
هذا لهو الفوز العظيم • ثم قال الله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون فكل ذلك له وجه صحيح • وقوله تعالى اذلك
خير نزلا ام شجرة الزقوم اي اهذا الذي ذكرناه لاهل الجنة خير اي افضل مما يعد نزلا للنزال ام شجرة الزقوم
التي اعددناها لاهل الشرك انا جعلناها اي هذه الشجرة فتنة للظالمين اي جعلنا ذكر كون هذه الشجرة
في النار محنة افتتن الكفار به في دينهم فقالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تاكل الشجر • وقيل لما نزل ثم انكم ايها
الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم • قال بعضهم ما الزقوم فقال بعضهم هو التمر والزبد فقالوا لو الجوفنا
محمد بالتمر والزبد فصار فتنة لهم من هذا الوجه • وقيل معنى قوله انا جعلناها فتنة اي عذابا كما قال يوم هم
على النار يفتنون اي يعذبون يقول يعذب الكفار بها في النار • وقوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
اي تنبت في ارض جهنم وهو جواب قولهم كيف تبقى الشجرة في النار يقول اذا كان اصلها من النار تبقى في النار
كما ان سائر الحيوانات الماء تبقى في الماء • وقوله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين وهو جواب قولهم هو التمر
والزبد يقول ليس كذلك بل هي شجرة ثمرها في القبح كرؤوس الشياطين والشيطان وان لم يره الناس فقد علموا
انه في نهاية القبح • وقيل الشياطين الحيات هاهنا ورؤوس الحيات متكرهة مستقبحة فانهم لاكلون منها
فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها اي بعدها لشوبا من حميم لمزجا وخلطا من ماء حار قد
انتهى حره ولهذا الكلام وجهان احدهما انه يخلط الحميم بالزقوم فيجعلانه معا في بطونهم ويكون عليها بمعنى معها
على هذا القول والثاني انهم يجوعون فيستطعمون فيطعمون الزقوم فيغصون به فيستسقون فيسقون الحميم
وعلى هذا يكون بمعنى بعدها والشوب اختلاطهما معا في البطون على التنافي وله تعالى فيا وهو على مقابلة ما ذكر
من المزيج لاهل الجنة ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ومزاجها كافورا يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك • قوله تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم • قال كعب الاحبار يعذبون في الجحيم فاذا جاعوا جاؤا الى الزقوم
فاذا عطشوا جاؤا الى الحميم وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فيسلون اذ يردوا الى الجحيم فهم كذلك يردون
في العذاب • وقوله تعالى انهم الفوا اباءهم ضالين اي انما صاروا الى النار لانهم كانوا وجدوا اباءهم على ضلال
فهم على اثارهم يهرعون اي فهم بهم يقتدون وعلى اثارهم يهرعون • قال ابو عبيدة يستحثون من خلفهم • وقال
المبرد يقال جاء فلان الى النار يهرع اي يستحثه البرد ومعناه الذين يسيرون على اثارهم سراعا كانهم يساقون
اليه ويحثون • وقوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين سيقتدي العين فيزيد التسلط والتاسي ولقد ارسلنا
فيهم منذرين رسلا مخوفين • وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذرهم رسلنا فلم يخافوا
ولم يقبلوا كيف اهلكناهم الا عباد الله المخلصين ان حمل على حقيقة الاستثناء فالانذار كان للكل فمن قبل الانذار
امن واخلص منها وتخلص ومن لم يقبل منهم واصر على كفره اهلكه الله تعالى بجرمه وان حمل على الاستثنا المنقطع
بمعنى لكن فالمنذرون هم الكافرون وهم مهلكون لكن المؤمنين مخلصون • وقوله تعالى ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون وهذا تفصيل المنذرين والمنذرين تقول ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون دعانا نوح كما قال فدعا

ربه

ربه اني مغلوب فانتصر • وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلنعم المجيبون فاجبنا دعاءه ونعم المجيبون نحن وقوله
تعالى ونجيناه اي وخلصناه واهله واولاده واهل بيته ومن امن به من الكرب العظيم من الغم الذي كان فيه من اذى القوم
وقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين اي اولاده هم الذين بقوا في الارض فتناسلوا وتوالدوا فالناس بعد طوفان نوح
من ذريته الى اليوم فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبة من اولاد يافث بن نوح والسودان من
اولاد حام • وقوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي وابقينا عليه ثناء جميلا ومدحا له وانتما اليه في الذين اتوا بعده
وقيل في الاخرين اي في امة محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل في الانبياء فانه لم يبعث بعده نبي الا امر بالاقتداء به • قال
تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والمتروك مضمر وهو ما بينا • وقيل المتروك هو المذكور بعده سلام على نوح في العا
اي ابقينا عليه هذا السلام ورفع على الحكاية فانهم يتكلمون به على هذا النظم وهو كقولك قرات الحمد لله رب العالمين
بالرفع على الحكاية فانهم يتكلمون على هذا ونظيره قول حسان • لتسمعن وشيكا في دياركم • الله اكبر يا ثارات عثمانا •
وعلى القول الاول سلام ابتداء له وتحية اخبار ان السلام عليه وتعليم ان يتكلم به كما مر في قوله الحمد لله رب العالمين
انا كذلك نجزي المحسنين فنبقي لهم الثناء الجميل • وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين • وفيه بيان عظم حسن العبودية
وصدق الايمان وهو حقيقة الاحسان ثم اغرقنا الاخرين اي ثم بعد ما انجيناهم اغرقنا بالطوفان الاخرين من قومه
وهم الذين لم يؤمنوا به • وقوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اي من متبعيه يعني نوحا ابراهيم الخليل • وقال الفرا
وان من شيعة محمد لابراهيم وفيه بعد يقول ان ابراهيم اتبع نوحا في عقيده وصبر على ما نال في نفسه وولده كما تحمل
نوح اذى قومه وفيه تفضيل نوح بجعل ابراهيم من اشياعه ومدح لابراهيم بحسن اتباعه • وقوله تعالى اذ جاء ربه
بقلب سليم اي خالص له وهو في معنى سالم له • وقيل سالم عن كل افة • وقيل هو السالم من الغل في حق الخلق اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون ان اذ زمان وصفه بالسلامة واذ في الاول زمان المتابعة وهذا سؤال توبيخ كقولك
لمن لا ترضى عمله ماذا تعمل ايفكا الهة دون الله تريدون فيه تقديم وتاخير تريدون ان تتخذوا من دون الله
الهة اي اصناما افكا اي كذبا في تسميتكم الاصنام الهة وهو استفهام على وجه الانكار فما ظنكم برب العالمين
اي فما ظنكم بمن هو رب العالمين اذا لقيتموه يوم القيامة وانتم موقوفون للحساب حسابه ماذا يصنع بكم وقد اشركتم
به • وقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم • قيل كان اهل زمانه اصحاب نظر في علم النجوم يستدلون به على حوادث الامور
من جهتها وكان ابراهيم قد كلمهم في الاصنام انها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وانها جماد لا تعقل ونهاهم عن
عبادتها فلم ينجع ذلك فيهم فاحب ان يريهم ذلك من اوضح وجه بان يكسرها وكان يحتاج في ذلك الى خلو موضع يمكنه
فيه ذلك فانتهز الفرصة وانتظر عيدا لهم يخرجون فيه الى الصحراء جملة فدعوه يومئذ الى الخروج معهم فاعتل
للتخلف عنهم وهيا عذرا يتركونه له • وقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم في تعرف امر يريد معرفته من جهتها
وقوله تعالى فقال اني سقيم اوهمهم ان النجوم تدل على اني سأسقم غدا في مخرجي ان خرجت فانا اتخلف
في منزلي ليلة بتداوي مما يحدث بسبب الحركة فوقع عندهم انه عذر فتولوا عنه مدبرين فاعرضوا عنه مولين
الادبار وكان مراده في قوله اني سقيم ساسقم سقم الموت فان العبد لا يخلو عنه او اراد اني سقيم الحال فان
الانسان لا يخلو كل ساعة عن ضعف ببدنه بعارض من وجه وزوال الاعتدال من السقم فالاعتدال • وقيل ان
اسم السقيم يقع على المطعون وهو الذي به الطاعون وكانوا يتشاءمون به ويفرون عنه فلذلك تولوا عنه
فما اراد به ما قلنا فلم يكن كذبا ولا ضرورا بل كان ذاحيا لا لاظهار الحق وابطال الباطل فكان عملا مبرورا و
سعيا مشكورا • وقيل كان يعرض له كل ليلة حمى وعارض نحوها في ساعة من الليل فنظر نظرة في النجوم لا في
علم النجوم لكن في عين النجوم في السما وهي تدل باعيانها في المشارقة على ساعات الليل فقال لقربت ساعة سقمي
بدلالة تسير هذا النجم واذا وقع ذلك ضعفت عن الخروج فلم اخرج وكان في نيته فقصد كسر الاصنام لكن لم يكن
كاذبا فيما اظهر من الكلام فلم يلحقه به شي من الملام • وقوله تعالى فراغ الى الهتهم اي فمال في خفية الى اصنامهم
التي كانوا يسمونها الهة وهو من روغان الثعلب اذ افسده الكلب فقال الا تاكلون • قال السدي ثم رجع من
الى بيت الاصنام فاذا هي في بهو عظيم واذا هم قد جعلوا الطعام فوضعوه بين ايديها وقالوا اذا كان حين
يرجع رجعنا وقد تركت الالهة في طعامنا فاكلنا فلما نظر اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال الا تاكلون
وهذا على وجه الاستهزاء وهو وان كان خطابا للجماد لكنه صحيح الاعتبار لانه تحريك الخاطر وبعث على الاستدلال
فلما لم يجيبه الاصنام قال ما لكم لا تنطقون والجمع بالواو والنون لما انه خطاب من يعقل • وقوله تعالى فراغ عليهم
ضربا باليمين • قيل اي باليد اليمنى لانها اقوى على العمل من اليسرى • وقيل اي بالقسم الذي كان قال وتالله
لاكيدن اصنامكم • وقال الفراء اي بالقوة • قال تعالى لاخذنا منه باليمين • وقوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون
قرا حمزة عن المفضل عن عاصم يزفون بضم اليا من الازفاف وهو الاسراع اي فاقبل القوم اليه يسرعون
حين سمعوا انه فعل باصنامهم ذلك • وقرا العامة يزفون من الزفيف والزفيف الاسراع من باب ضرب
وقوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون فالهمهم بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الانبياء قالوا

من فعل هذا بآلهتنا الى قوله افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا • وقال هاهنا اتعبدون ما تنحتون بنحت الخشبة
بزعمها يقول اتعبدون اصناما تعملونها انتم وتتركون عبادة الله الذي خلقكم واوجدكم • وقوله تعالى والله خلقكم وما
تعملون اي من الاصنام ويقع ايضا على الاعمال وهو دليل خلق الافعال • وقوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا لما الزمهم
الحجة وعجزوا عن محاجته صاروا الى قصد هلاكه معاندين في مخالفته فتشاوروا فيما بينهم فاتفق رايهم على ان
يبنوا له بنيانا يملؤنه حطبا فيضرمونه فيلقونه فيه • وقوله تعالى فالقوه في الجحيم اي النار الموقدة • وقوله تعالى
فارادوا به كيدا اي قصدوا ان يكيدوه كما كادهم باصنامهم فجعلناهم الاسفلين اي اعليناه بالظفر عليهم بالظفر
والنجاة من قصدهم فجعلنا النار عليه بردا وسلاما • وقد بينا قصته في سورة الانبياء • وقوله تعالى وقال اني
ذاهب الى ربي • وقال ابرهيم حين خلصه الله من النار اني مهاجر الى ربي من بلد قومي ومن مولدي الى حيث امكن من
عبادة ربي سيهدين اي الى الصواب فيما اتيه فيبلغني الى حيث اصل فيه الى ما اريد قيل خرج الى بيت المقدس وخرج
اولا الى حران فاقام بها مدة وظاهره يحتمل وجهين احدهما انه يكون قصد موضعا بعينه واراد بقوله سيهدين
اي سيرشدني الى مقصدي ويحتمل انه قصد المهاجرة ولم يعين موضعا واراد بقوله سيهدين اي يبين لي بخيار
موضعا هو اهدى لي ويبلغني اليه • وقيل قال ذلك حين رمي به في النار فقال اني ذاهب الى ربي اي وطنت
نفسي على موتي ولقاء ربي سيهدين اي يثبتني على صبري • وقوله تعالى رب هب لي من الصالحين سال الله ان
يرزقه ولدا صالحا يستانس به في غربته ويتفرج به عن كربته وتقديره هب لي صالحا من الصالحين اي ولدا صالحا
يصلح لما يصلح عليه له فيصبر على البلاء كصبره ويقوم في الذب عن دين الله كقيامه فاستجاب الله له فوهب
له ولدا كذلك فبشرناه بغلام حليم اي بولد ذكر يكون حليما اذا كبر اي لا يعجل في الامور ويحتمل المشاق وفيه دليل
على ان الولد هبة من الله وان سؤال الولد من الله تعالى جائز لكنه يسال له صالحا في الدين لا للذة النفسية وعونا
على امور دنياه • قال زكريا فهب لي من لدنك وليا • وقال ابرهيم هب لي من الصالحين • وقال زكريا ايضا هب
لي من لدنك ذرية طيبة • وقال عباد الرحمن ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين • وقوله تعالى فلما
بلغ معه السعي اي فبشرناه بولد صالح ورزقناه ذلك فلما بلغ الولد المبلغ الذي يسعى معه في اموره ويعينه
على اشغاله التي تستعين الآباء فيها بابنائهم وذلك وقت اغتباط الآباء بالابناء • وقيل المبلغ في كونه مع
ابرهيم ان يسعى لله في العبادات والطاعات وذلك باذا ادرك وصار مكلفا وما بعده في الاية دليل قال
يا بني اني ارى في المنام اي رايت فيه اني اذبحك اي بالامر ولا يحتمل غير ذلك • وقوله تعالى فانظر ماذا ترى
وهو من الراي اي كيف رايك فيه الامضاء او التوقف وهذا امتحان منه للولد ونظر في حاله انه هل يجيبه
بالسمع والطاعة فيتحقق عنده انه وهب له صالحا ويقيم امر الله فيه بمعاونته وان اجابه بغير ذلك امضاه
ايضا على كره منه • وقرا الكسائي وحمزة ماذا تري بضم التاء وكسر الراء اي بما تشير وماذا تظهر من نفسك قال
يا ابت افعل ما تؤمر اي ما امرت به والحواجه على صيغة المستقبل على معنى افعل ما انت مامور به الان •
وقوله تعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين اي سأصبر على الذبح بتوفيق الله وعونه • قال ابن عباس
رضي الله عنهما لما كانت ليلة التروية راى ابرهيم في المنام كان قائلا يقول قال له ان الله يامرك ان تذبح
ابنك هذا فلما اصبح روى في نفسه اي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم
سمي يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة والموضع
عرفات • وقال وهب فلما اراد ابرهيم ان يذهب باسمعيل الى المنحر قال لهاجر البسي اسمعيل احسن ثيابه فاني ذاهب
به الى ضيافة فالبسته ودهنته وحمل معه حبلا وسكينا ولم يكن ابليس من يوم خلقه الله اشغل ولا اكثر ترددا
منه في ذلك اليوم فكان اسمعيل يعدو امام ابيه ويلعب فجعل ابليس يقول لابرهيم الا ترى الى قوامه وشبابه
وحسنه فيقول ابرهيم امرت بذبحه فلما ايس من جانبه اتى هاجر فقال اذهب ابرهيم بابنك ليذبحه فقالت
لم يذبحه قال يقول امرني بذلك ربي قالت فهذا احق ان اطيع ربي فلما ايس من جانبها اتى اسمعيل فقال له
انك تنزو وتلعب ومع ابيك حبل وسكين يريد يذبحك قال ولم قال يزعم ان ربه امره بذلك قال فاني لا اريد
خلاف ربي فلما انتهى به الى منى قال له يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين • قال الامام ابو منصور رحمه الله فيه دلالة انه لا كل مامور يامر من الله شاء الله ان
يفعل ما امره به حيث اخبر انه سيجده من الصابرين ان شاء الله وكان ابرهيم مامورا بذبح ولده فاذا امرهم
بالذبح امر الولد ان يصبر عليه ثم اخبر انه سيصبر ان شاء الله فدل على ما ذكرنا وهو حجة لنا على المعتزلة خذلهم
الله • وقوله تعالى فلما اسلما قيل اي انقادا لامر الله • وقيل اي سلما انفسهما للابتلاء • وقوله تعالى وتله
للجبين اي وصرعه على الجبين اي جانب الجبهة وللانسان جبينان يكتنفان الجبهة وكان هذا اضجاعا على الجنب
كاضجاع الشاة • وقال المفسرون صرعه على جبينه لئلا يراه حين يذبحه ولئلا ينظر الابن الى ابيه وهو يذبح
فيورث ذلك رقة وخيفة فيفضي الى الطاعة • وقوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم • قال الفراء وغيره الواو مقحمة

اي ناديناه جوابا لقوله فلما اسلما وتله للجبين وهو كقوله حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها • وكقوله فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه • وقوله تعالى قد صدقت الرؤيا اي حققت ما امرناك به
في المنام من تسليم الولد للذبح • وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين نوفق للاحسان من نوى الاحسان وحسن
النية واخلصها وصححها وصممها • وقوله تعالى ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر لاظهار ما علم الله على
ما علم الله ويستعمل البلاء في المكروه والمحبوب اي المحنة والنعمة ويصلح هذا لكل واحد منهما اي قولنا له قد
صدقت الرؤيا فاسقاط حقيقة الذبح عنك نعمة وامرنا اياك بذبح ولدك محنة • وقوله تعالى وفديناه اي
الولد بذبح عظيم اي بما يذبح مكانه وهو عظيم في هيئته وعظيم في خطره ورفعته لانه كان يرعى في الجنة اربعين عاما
قال عثمان بن حاضر هبط عليه الكبش من ثبير وكان رعى في الجنة اربعين سنة • وقيل ثمانين سنة • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال نزل عليه تيس من ثبير فيه قرن له ثغاء وهو الكبش الذي قربه ابن ادم فتقبل منه وكان مخزونا في الجنة
قال الكلبي فاخذ ابرهيم الشفرة ليذبحه فقال اسمعيل يا ابه اوثقني فاني اخاف ان اجذب السكين فاضطرب
فاشق فاصرف وجهك عني فاني اخاف ان ترحمني فتشق علي • وفي حديث وهب قال له اشدد وثاقي فاني اخاف
ان يغادرني عقلي او يتحرك مني عضو فيؤذيك وانا اكره ان اختم عمري بذلك فاذا فرغت من امرك فاقرا على امي
مني السلام وقل لها لا تجزعي فان الله قد اخرني لابنك في الجنة خالدا مخلدا فلما وضع السكين عليه ليذبحه
نودي يا ابرهيم ارفع راسك فاذبح هذا الكبش الذي ينحدر عليك مكان ابنك فرفع ابرهيم راسه فاذا هو
بكبش ينحدر عليه من الجبل المشرف على مسجد منى اقرن املح فقام اليه ابرهيم ليذبحه فهرب الكبش فاتبعه
ابرهيم فانتهى به الى الجمرة العقبة فاضطر عندها ثم اخذه ثم اقبل به حتى انتهى به ما بين الجمرتين فرمى بنفسه
ثم اطلقه ابرهيم فذبحه مكانه فصار الذبح هناك ثم جاء الى ابنه فحله • وفي حديث وهب فاذا بكبش مثل
بدن الفيل العظيم تدلوي قرنه الايمن على ساق شجرة غليظة لم يكن ليحبسه الا ذلك ولما ذبح الكبش اوحى
الله الى هذا الولد ان ادع فان لك دعوة مستجابة فقال اللهم اني ادعوك ان تستجيب لي ايما عبد من الاولين
والاخرين لقيك لا يشرك بك شيئا ان تدخله الجنة فقال لك ذلك • وقوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين
اي على ابرهيم ثناء حسنا في الاخرين في الانبياء بعده • وقيل في الامم بعده • وقيل في امة محمد فكل ينتمي اليه
ويصلي ويسلم عليه • وقيل ترك مناسكه ونسايكه فيمن بعده • وقيل هو ما استجاب من قوله واجعل لي لسان
صدق في الاخرين • وقيل هو ما بعده • وقوله تعالى سلام على ابرهيم على ما شرحنا في قصة نوح من هذه
السورة • وقوله تعالى كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين هو على ما فسرنا في قصة نوح وكرر
قوله كذلك نجزي المحسنين في حق ابرهيم لاختلاف الاحسانين والجزائين وهو ما ذكرنا وهاهنا قوله
تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين • قيل وجزيناه على صبره في حق اسمعيل ان بشرناه بولد اخر
وهو اسحاق نبيا نصب على القطع لانه نكرة نعت به معرفة من الصالحين كالولد الاول • وقوله تعالى
وباركنا عليه اي على ابرهيم وعلى اسحاق ولده اي ادمنا عليهما البركات وكثرنا نسلهما • وقوله تعالى ومن
ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين لما ذكر البركة عليهما ومنها كثرة نسلهما وظاهره للثناء بهما ذكر ان من
ذريتهما محسنا وله جزاء المحسنين ومسيئا فله جزاء المسيئين وانه يميز بينهما وان كانا من نسلهما ليعرف عباده
ان الجزاء لا يستحق بصلاح الآباء وانما يستحق بالاعمال الحسنة ثم اختلفوا في ان الولد المامور بذبحه
اسمعيل او اسحاق • قال الحوات بن جبير وسعيد بن المسيب ويوسف بن مهران وعمر بن عبد العزيز وسعيد
ابن جبير وابو الخالد وعطا والضحاك وابو صالح والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وعلي بن الحسين وابو
جعفر محمد بن علي وزيد بن علي ومعاوية وابن عباس ومجاهد وابن عمر وابو هريرة والحسن ووهب
ابن منبه رضي الله عنهم انه اسمعيل • وقال العباس وعمر وعثمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام وجابر
ابن عبد الله وابي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وابو سعيد الخدري وابو الدرداء وكعب
الاحبار وعبد الله بن عمير وعبد الله بن ابي الهذيل وابو ميسرة وابن سابط والسدي ومسروق وعثمان
ابن حاضر وقتادة وعكرمة وعطا الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وابو اليمان هو اسحاق
فمن جعله اسحاق احتج بما روي في الخبر ان يوسف صلوات الله عليه كان يقول انا يوسف صديق الله
ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله • ومن جعله اسمعيل احتج بقوله عليه السلام
انا ابن الذبيحين وعنى باحدهما اباه عبد الله وقصته معروفة وبالثاني اسمعيل • وبقوله وبشرناه باسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب فلما بشرت سارة بان لها من ولدها اسحاق نافلة هو يعقوب وعلم بذلك ابرهيم
كان يتيقن ان اسحاق لا يذبح قبل ان يتحقق الابتلاء منه بذبحه ثم قال في هذه السورة بعد تمام قصة الولد
وبشرناه باسحاق فكان التبشير باسحاق بعد مضي هذه القصة • وقال الامام ابو منصور رحمه الله لا حاجة
بنا الى معرفة ذلك الولد بعينه ولو كانت بنا حاجة اليه لبين الله تعالى لنا ذلك • قوله تعالى ولقد مننا على

موسى وهرون اي تفضلنا عليهما باتينا النبوة والرسالة وغير ذلك مما يكثر قال الله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى
الى قوله ولقد مننا عليك مرة اخرى الايات • وقوله تعالى ونجيناهما وقومهما اي بني اسرايل من الكرب العظيم اي الغم
الذي ياخذ بالنفس من الاستعباد من فرعون وسائر المحن • وقوله تعالى ونصرناهم اي موسى وهرون وقومهما على
فرعون وقومه فكانوا هم الغالبين بالحجة والقوة ووجوه النصرة واتيناهما اي موسى وهرون الكتاب المستبين
اي البين الظاهر الواضح وهي التوراة • وقوله تعالى وهديناهما الصراط المستقيم اي ارشدناهما الى الدين
الحق ثم امرناهما بدعاء الناس اليه • وقوله تعالى وتركنا عليهما في الاخرين الى وجهانه كما مر في ذكر نوح عليه السلام
وقوله تعالى سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وقد فسرناه في ذكر نوح
وقوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله استفهام بمعنى الامر • وقوله
تعالى اتدعون بعلا • قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي البعل الرب في لغة اهل اليمن يقال من هذا بعل
هذا الثوب اي ربه • وقال الحسن والضحاك وابن زيد هو اسم صنم له وبلادهم كانت بعلبك بنواحي الشام
وقيل ان البعل كانت امراة يعبدونها • وقوله تعالى وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون عبادة الله
الذي هو احسن المقدرين والمصورين ولا خالق الا الله والخلق حقيقة هو الاختراع ويستعمل في التقدير
والمراد به ها هنا ذلك الله ربكم ورب ابائكم الاولين • قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب لانه نعت
قوله احسن الخالقين • وقوله تعالى وقرا الباقون بالرفع على الابتدا والخبر وعلى اضمار هو فكذبوه فانهم لمحضرون
اي استحقوا الحضار عذاب النار • وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين استثنا الذين اخلصوا العبادة لله
والذين اخلصهم الله بالايمان منهم وبين انهم لا يحضرون العذاب ويجوز ان يكون الاستثنا منقطعا اي لكن
هولا لا يحضرون النار • وقوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين فسرناه • وقوله تعالى سلام على الياسين
قرا نافع وابن عامر على آل ياسين • والباقون على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
فسرناه • قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الياس هو ادريس • وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن
نسي بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران والقيم بامور بني اسرايل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا
ثم حزقيل من بعده ولما قبض حزقيل كثرت الاحداث في بني اسرايل وتركوا عهد الله الذي عهد اليهم
في التوراة وعبدوا الاوثان وبعث الله اليهم الياس نبيا في عهد ملك من ملوك بني اسرايل يقال له اخاب
فكان الياس يقيم له امره وكان سائر بني اسرايل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل
فاما قوله سلام على الياسين فله وجهان احدهما ان الياس زيد في اخره يا ونون لتستوي الفواصل كما في
قوله وطور سيناء وطور سينين • وفي اية اخرى من طور سيناء والثاني ان الياس ومتبعوه صار جمعا بهم كما يقال
المهلبون للمهلب واتباعه • ومن قرا آل ياسين • وقد قيل هم اهل القران وياسين سورة منه فالاضافة
اليها اضافة الى كل القران معنى كما قال عليه السلام في حديث حرب حنين يا اصحاب سورة البقرة • وقيل
ياسين اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل ياسين آل محمد • وقوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ
نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين قد فسرناها مرات ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وانكم
يا معشر العرب لتمرون عليهم اي على بلادهم مصبحين نصب على الحال اي داخلين في وقت الصباح وبالليل
اي وتمرون عليهم بالليل ايضا فكانت مداين قوم لوط في ارض العرب وكانوا يسافرون ويتكرر مروركم
عليها بالليل والنهار وهو داع الى الاعتبار • وقوله تعالى افلا تعقلون افليس لكم عقول تتاملون بها
انهم ماذا فعلوا وماذا فعلنا بهم كذلك فتتقوا امثال فعلهم كيلا تجازوا امثال جزائهم • وقوله تعالى وان
يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون الاباق الفرار الى حيث لا يهتدي اليه الطلب اي خرج
من بين قومه حين كذبوه من غير علم قومه بخروجه • قيل هو في معنى قوله اذ ذهب مغاضبا • وقيل فر بدينه
الى حيث يسلم • وقيل خرج خايفا على نفسه منهم • وقيل خايفا نزول العذاب الى الفلك المشحون اي
السفينة المملوة وهو واحد ههنا مذكر والاسم يصلح للجمع والواحد ويؤنث • وقوله تعالى فساهم اي قارع
بالقاء السهام فكان من المدحضين اي من الذين خرجت عليهم القرعة فالتقمه الحوت اي فالقى نفسه
في البحر لوقوع القرعة عليه فابتلعه السمك • وقوله تعالى وهو مليم اي اتى بما يلام عليه وهو الخروج
قبل ان يؤمر به وذلك قوله فلولا انه كان من المسبحين • قيل اي من المصلين قبل ذلك وكان كثير الصلاة
قاله قتادة • وقيل اي من المرزمين الله بكلمة التسبيح وكان كثير الذكر لله تعالى والتسبيح • وقيل فلولا
انه صار من المسبحين كقوله فكان من المغرقين وهو قوله في الظلمات سبحانك اني كنت من الظالمين
قاله سعيد بن جبير للبث في بطنه اي بقي في بطن الحوت الى يوم يبعثون اي يوم تبعث الخلايق وهو يوم
القيامة اي لبقي فيه حتى يحشر يومئذ من بطن الحوت وسائر الناس من القبور • وفيه دليل على ان الاخلاص
العمل في الرخاء سبب خلاص العبد حالة البلاء • وقوله تعالى فنبذناه اي القيناه يعني اخرجناه من بطن

الحوت والقيناه بالعراء اي الفضاء وهو الصحراء الخالية عن البناء والاشجار وما يظل من النحو اي • وقوله تعالى وهو سقيم اي
سقيم البدن قد رق بدنه وضعف ولطف وصار لا يطيق حر الشمس وهبوب الريح وانبتنا عليه شجرة من يقطين قال
اهل اللغة هو كل شجرة ليس لها ساق ولها ورق عظيم عريض • وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد وسعيد
ابن جبير هو القرع ماخوذ من قطن بالمكان اي اقام به وهي اقامة زوال لا اقامة رسوخ • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله القرع اسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا في السما في مدة لطيفة ويقرب الوصول الى الانتفاع بها
اكلا واستظلالا • قال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيل له انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي
يونس بن متى وهي تزيد في العقل • قال السدي لبث في بطن الحوت اربعين يوما • وكذا قال الكلبي ومقاتل
وقال عطا سبعة ايام • وقال الضحاك عشرين يوما • وقال ابن حيان ثلاثة ايام وعن الحسن كذلك • وقال
الشعبي ما مكث يوما كاملا التقمه ضحى فلما كان بعد العصر تثاوب الحوت فراي يونس ضوء الشمس فقال لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذه وقد صار كانه فرخ • وقيل كانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها الا تفارقه
وعن الحسن انه قيل له اليقطين هو القرع فقال وما يجعل القرع احق به من البطيخ والقثا • وقال مقاتل مر الزمان
على الشجرة فيبست فبكى يونس جزعا فاوحى الله اليه بكيت على شجرة يبست جزعا ولا تبكي على مائة الف في يد الكفار
وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي بل يزيدون • وقيل هو ابهام
من الله تعالى على السامعين وتقديره ارسلناه الى احد هذين العددين • وقيل هو تشكيك المخاطبين • وقيل
هو اي عند الناظر اليهم كذلك لا يظن انهم دون مائة الف او زيادة على ذلك • وقيل او بمعنى الغاية كما في قوله
تقاتلونهم او يسلمون فكانه قال وارسلناه الى مائة الف حين ارسلناه اليهم وكان فيهم الى ان ازدادوا
على ذلك واختلف في هولا وفي وقت الارسال اليهم فقيل هم القوم الذين خرج منهم والارسال كان قبل الخروج
منهم وتقديره وكنا ارسلناه الى مائة الف او يزيدون فامنوا به بعد مفارقته اياهم فمتعناهم الى حين وقد
بينا تلك القصة عند قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الاية • وقيل القوم هولا وارسلنا
منا اي فارسلناه اليهم بعد الخروج من بطن الحوت اي اعدناه اليهم فامنوا بالتجدد والايمان به فمتعناهم
الى حين اي انقضا اجالهم وقد ذكرنا قصة الخروج الى السفينة والخروج من بطن الحوت في سورة
الانبيا • وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يونس كان اوعد قومه العذاب
واخبرهم انه يانيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا فجاروا الى الله تعالى واستغفروه
فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس ينتظر العذاب فلم ير شيا وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فانطلق
مغاضبا حتى اتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت والسفن تسير يمينا وشمالا
فقال ما لسفينتكم قالوا ما ندري قال يونس ان فيها عبدا ابقا فانها والله لا تسير بكم الا ان تلقوه فقالوا
اما انت يا نبي الله فلا والله لا نلقيك • قال لهم يونس فاقترعوا فمن قرع فليقع فقارعهم يونس فقال لمن قرع ثلاثا
فليقع فقرع يونس ثلاث مرات فوقع وقد وكل به الحوت فلما وقع ابتلعه فاهوى به الى قرار الارض فسمع
يونس تسبيح الحصا فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ظلمة بطن الحوت
وظلمة البحر وظلمة الليل • قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه
ريش وانبت الله عليه شجرة من يقطين وكان يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله اليه
اتبكي على شجرة ان يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان تهلكهم فخرج فاذا هو بغلام يرعى
غنما فقال ممن انت يا غلام قال من قوم يونس قال فاذا رجعت اليهم فاقرا عليهم السلام واخبرهم انك لقيت
يونس فقال له الغلام ان تك يونس فقد تعلم انه من كذب ولم تكن له بينة يقتل فمن يشهد لي قال يونس تشهد
لك هذه الشجرة وهذه البقعة فقال الغلام مرهما فقال لهما اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم
فرجع الغلام الى قومه فاتى الملك فقال اني قد لقيت يونس وهو يقرا عليكم السلام فامر به ان يقتل فقال
ان لي بينة فارسل معه فانتهوا الى البقعة والشجرة فقال لهما الغلام انشدكما الله هل اشهدكما يونس
قالتا نعم فرجع القوم مذعورين فاتوا الملك فحدثوه بما راوه فتناول الملك بيد الغلام فاجلسه في
مجلسه فقال انت احق بهذا المكان مني قال عبد الله بن مسعود فاقام به الغلام اربعين سنة وذكر
ان الله اوحى الى يونس عليه السلام بعد نجاته ان قل لفلان الفخاري يكسر الجرار الذي عملها هذه السنة
كلها فقال يونس يا رب انه عمل مدة في اتخاذ ذلك فكيف امره ان يكسره كله فقال يا يونس يرق قلبك لخراب
ما عمل سنة واردت ان اهلك مائة الف او يزيدون من عبادي يا يونس انك لم تخلقهم ولم توجدهم ولو كانوا
من عملك لرحمتهم • وقوله تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون اعاد الكلام الى محاجة المشركين في
وصفهم الله تعالى باتخاذ البنات يقول فاسال هولاء المشركين عن قولهم ان الملائكة بنات الله وانهم عبدوهم
لهذا السبب تعريضا بهم الى الله ما حجتهم من العقل او السمع في مقتضى العقل ان يكون لله البنات وللمشركين

البنون فيكون لكم افضل نوعي الاولاد ولله ادونهما وهو كقوله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة
وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون اي يدعون انهم شهدوا خلقنا الملائكة اي حضروا فرأوا انا
انا خلقنا الملائكة اناثا وهو كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم وهذا الذي
ادعوه واذا ابطل هذا بالعقل والمشاهدة ثبت كذبهم وذلك قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون
والافك الكلام المصروف عن الحق الى الباطل وقوله تعالى اصطفى البنات على البنين دخل الف الاستفهام على
الف الافتعال وهو استفهام بمعنى الانكار يعني تقولون انه اختار البنات على البنين مع نقصانهن ورضا
بالاخس فما حملكم على ذلك وقوله تعالى ما لكم وهو استفهام في معنى التوبيخ اي وما ذا يحملكم على هذا القول
بغير حجة كيف تحكمون كذلك وقوله تعالى افلا تذكرون اي افلا تتذكرون ما في عقولكم افلا تتعظون بها
ام لكم سلطان مبين اي حجة ظاهرة من كتاب فأتوا بكتابكم اي الكتاب الذي انزل عليكم وفيه حجة ذلك ان كنتم
صادقين في هذه الدعوى فاذا ابطلت الدلالة بالعقل او المشاهدة او السمع سقط ذلك وبطل وروي ان
جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله وقال مقاتل بن حيان زعموا ان الله وابليس
اخوان وقال الكلبي زعموا ان الله صاهر ابليس فولدت الملائكة فاتخذهم الله بنات وقوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا قيل قالوا ان امهات الملائكة بنات سروات الجن اي سادتهم فقد جعلوا آباء الجن
امهات والملائكة بنات وهو نسب وقوله تعالى ولقد علمت الجنة وهم الجن انهم لمحضرون اي يحضرون الحساب
يوم القيامة وفعل العلم واقع على ذلك وانما كسر انهم ولم ينصب للجواب باللام لمحضرون وانما قال علمت لانهم
مؤمنين فانهم اتوا النبي وامنوا به على ما ذكر في سورة الجن وذكر مجاهد وغيره ان القائلين بمصاهرة الجن
مشركوا العرب وقال قتادة هم اليهود وقيل معنى قوله بينه وبين الجنة اي الملائكة وهو قولهم ان الملائكة
بنات الله والجنة من الاجتنان وهو الاستتار وصفة الملائكة كذلك وعلى تأويل بعضهم وقوله تعالى
الا ابليس كان من الجن اي من الملائكة وقوله تعالى ولقد علمت الجنة اي الملائكة انهم اي القائلون بهذا
لمحضرون الحساب والعذاب يوم القيامة سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عن قولهم وقوله تعالى
الا عباد الله المخلصين استثنى المؤمنين الخالصين من المحضرين العذاب وقوله تعالى فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال الحسن فانكم ايها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه
من الاصنام ما انتم على عبادة الاوثان بمضلين الا من قدر عليه انه يصلى الجحيم وقال الفراء ما انتم عليها اي
به ويرجع اليها وقيل معناها اي من اجله كقولك اشتريت هذا على فلان اي من اجله اي تقصدكم اضلال الناس
يكون من جهة الاصنام لكونها العبادة لها وقوله تعالى الا من هو مفعول لوقوع فعل الفتنة عليه وهي
الاضلال اي لا يقدرون على اضلال احد الا من علم الله منه اختيار الكفر والاصرار عليه ودخول النار وصلي
النار دخولها وقيل قرأ الحسن صال الجحيم بالرفع قال الاصمعي كان الحسن اعلم باللغة وافصح من ان يقرأ هكذا
وقالوا ان ثبت ذلك عنه فعلى القلب كما يقال شاك السلاح فاصله شائك السلاح وقوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم اكثر المفسرين على انه خبر عن الملائكة انهم يقولون هذا وفيه اضمار ليتصل بالاول وتقول
الملائكة الذين جعلتموهم بنات الله تعالى وما منا الا له مقام معلوم في السماء للعبادة لا نتقدمه ولا نتأخر
عنه فضلا عن ... لابنائه وانا لنحن الصافون للخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به من الصفة
وقيل هو قول النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما منا الا له مقام معلوم اي ليس منا ومنكم ايها المشركون
احد الا له مقام معلوم في الاخرة للحساب وانا لنحن الصافون في الدنيا للصلاة وانا لنحن المسبحون لله
المنزهون له وان كانوا ليقولون اي ولقد كان هؤلاء المشركون يقولون قبل اذ يبعث اليهم محمد وقوله
تعالى لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من الرسل الاولين اي لو ارسل الينا رسول وانزل علينا كتاب
لكنا عباد الله المخلصين مؤمنين مخلصين غير مشركين فكفروا به اي فقد جاءهم الذكر وهو القران فجحدوه
فسوف يعلمون عن قريب ما يحل بهم من العذاب فلا يضق صدرك يا محمد بكفرهم واباءهم وقوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا اي فقد تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين وقوله تعالى انهم لهم المنصورون
لاجل اللام مع ان الفعل واقع عليه ويجوز ان يكون مبتدأ على الحكاية اي سبق للانبياء قولنا لهم ذلك
وكذلك يكون لك يا محمد وقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون جمع لان معنى الجمع وقال جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب فوحد لان لفظه واحد فتول عنهم يا محمد اعرض عنهم فانهم حتى حين نزول الامر بالقتال
وابصرهم فسوف يبصرون اي فانتظر ما ينزل بهم وهو كقولك انظر ما اصنع بفلان وقيل ابصرهم حين
ينزل بهم العذاب فسوف يبصرون وانك على بصيرة من ذلك من امرك فسوف يبصرون حين لا ينفعهم وقوله تعالى
افبعذابنا يستعجلون قبل حينه وهو توبيخ فاذا نزل اي العذاب بساحتهم اي بعرصتهم وهو نزل بهم فساء
صباح المنذرين نزل بهم ما يسوءهم وكانت عادتهم مفاجأة الاعداء صباحا فقيل ههنا كذلك ... وقوله

تعالى وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون قيل التكرير للتأكيد والتقرير وقيل الاول حين القتال او
عذاب الدنيا والثاني للاخرة وقوله سبحان ربك اي تنزيها لربك يا محمد عما وصفه به المشركون من الاولاد
والشركاء رب العزة اي له العزة بذاته فلا حاجة له الى التعزز بالاولاد وهو كما قال فلله العزة جميعا وقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقيل اي مالك العزة التي تكون للعباد من الظفر والنصرة وغير ذلك
منه التمس العزة وسلام على المرسلين اي تحية من الله عليهم وقيل اي وامان لهم ان ينصر عليهم اعداؤهم
في الدنيا او ينالهم عذاب في العقبى اي هو المستحق للثناء والحمد وانتظمت هذه الخاتمة تنزيه الله تعالى
من كل صفات المشركين الذين معهم المحاجة في هذه السورة والثناء على المرسلين الذين بلغوا رسالات الله
الى امتهم على ما ذكروا في هذه السورة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى
من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هزم الاحزاب الرحمن الذي انزل الكتاب المبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب الرحيم الذي
وعد المؤمنين جنات عدن مفتحة لهم الابواب وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وهذه
السورة مكية وهي ثمان وثمانون اية وقيل ست وثمانون وقيل خمس وثمانون الاختلاف في قوله ذي الذكر وقوله وكل
بناء وغواص وقوله قال فالحق والحق اقول وكلماتها سبع مائة واثنتان وثلاثون وحروفها الفان وتسع مائة و
... وتسعون وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك السورة باسمه رب العالمين وفتح هذه
باسمه الصادق وانتظام السورتين انهما في ذكر المشركين ومحاجتهم ووعظهم وتنبيههم وتسلية للنبي وبشارة بحسن
العاقبة بما ذكر من قصص المرسلين والامم الماضين وقوله تعالى ص قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قسم باسم من اسمائه
تعالى وقال السدي هو قسم بحرف من حروف المعجم وقال الضحاك معناه صدق الله وقال قتادة هو اسم القران
وقال محمد بن كعب القرظي هو افتتاح اسماء الله صمد وصانع وصادق وقال عكرمة سأل نافع الازرق عبد الله بن عباس
عن ص فقال ص كان بحرا بمكة وكان عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا نهار وقال سعيد بن جبير بحر يحيي الله به الموتى بين
النفختين وقيل هو اسم محمد اختصار من المصطفى وقيل معناه صد اهل مكة عن الحق وقيل معناه صاد محمد
قلوب الخلق وقال الحسن صاد اي عارض القران بعملك وهو امر من المصاداة وعلى هذا ذكره وقيل على هذا معناه
دار الخلق والطف بهم والمصاداة المداراة قال كثير صادى على القلب حتى تود لي فؤادك اوردي على فؤادي
ويجوز فؤاديا وقال الزجاج اي قاتل الناس وخادعهم وهي مسكنة على قراءة عامة القراء لانها حرف ومفتوحة عند
بعضهم لاجتماع الساكنين كاين وكيف ومضمومة عند بعضهم بمنزلة الاسم المبتدأ ومكسورة عند بعضهم لانها حركة
موزونة وصد بعضهم على ما بينا وقيل الامر على ما بينا وليست باية بالاجماع لانها لا تجاوز كلمة وهي كقوله ق ون وقوله
والقران هو قسم ذي الذكر اي الوعظ وقيل اي ذكر ما تحتاج اليه وقيل الذكر الشرف وقيل العلم وقيل
ذكر اسماء الله تعالى وصفاته والذي وقع عليه القسم محذوف عند بعضهم والمذكور بعده دال عليه وهو
قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وذلك المحذوف لقد جاء الحق وقيل بل المحذوف ما الذين كفروا في طلب
حق بل هم في تعزز عند ... انفسهم عن طلب الحق اي ترفع وتكبر وفي شقاق اي ومشاقة لمحمد وهي المعاداة
والمخالفة وكلمة بل تدل عليه لانها لنفي ما مضى ذكره واثبات ما ذكر بعده والحذف في مثله ابلغ من ذكره لان
الذكر يقتصر على ما ذكر وفي الحذف تذهب النفس كل مذهب وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل بل جوابه
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وروي ان كفار مكة جاءوا الى ابي طالب في مرضه فقالوا انه قد حضرك ما ترى
وقد علمت ما بيننا وبين ابن اخيك فادعه فخذ لنا منه وله منا فيكف عنا ونكف عنه فدعاه ابو طالب فكلمه
في ذلك فقال انما اريدهم على كلمة وهي ان يقولوا لا اله الا الله فنفروا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا فنزل
قوله ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا اي بالاستغاثة
وطلب التوبة ولات اي وليس وهو في لغة اهل اليمن وقيل هي لا زيدت عليها التاء كما في قوله ثم وثمة واختيار
الكسائي الوقف عليها بالهاء والقراء بالتاء وقوله حين مناص اي وقت مفر فقد ناص ينوص نوصا اي فر وراغ
وقال الفراء النوص بالنون التأخر والبوص بالباء التقدم وقد جمعهما امرؤ القيس في بيت واحد امن ذكر سلمى
اذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص وقال الحسن اي ليس هذا وقت نزو وقال ابن عباس كان كفار
مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل عليهم العذاب
ببدر قالوا مناص فانزل الله ولات حين مناص وقيل معناه كم اهلكنا قبل مشركي العرب من القرون الخالية

بتكذيبهم فلم يقدروا على دفع الهلاك عن انفسهم ولما اخذهم العذاب رفعوا اصواتهم بالاستغاثة والتوبة وطلبا النجاة فلم ينفعهم ذلك لانه كان حالة الياس • وقوله تعالى وعجبوا اي اظهر هولآء المشركون التعجب ان جاءهم منذر منهم اي رسول منذر رجل منهم ينذرهم عذاب الله • وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اي خادع بكلامه المموه كذاب في دعوى الرسالة اجعل الالهة الها واحدا اي احكم ان الالهة التي نتعبدها انما يستحق منها العبادة اله واحد وهو الذي يذكر انه ارسله وانزل عليه كتابه ان هذا لشيء عجاب اي عجيب وقيل هو نهاية العجب يقولون هو اعجب العجب اي يخفى الحق علينا وعليه ويظهر له والطوال ابلغ من الطويل وكذا الجمال ابلغ من الجميل • وقوله تعالى وانطلق الملأ منهم اي ذهب اشراف هولآء الكفار من عند النبي • وقال قطرب وانطلق الملأ منهم اي وجعل الملأ وهو لابتدا الامر دون الذهاب ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض اي امضوا على ما كنتم عليه ولا تقيموا على استماع كلام محمد وان بمعنى اي التي للتفسير • وقال الزجاج معناه بان امشوا واصبروا على الهتكم اي واحبسوا انفسكم على عبادة الهتكم التي كنتم انتم واباؤكم على عبادتها انشق ذلك ان هذا لشيء يراد اي ان كلام محمد هذا لشيء به يجركم الى الانقياد له وليحكم في انفسكم واموالكم واولادكم واهاليكم بما يشاء وهو كلام يذكر على الابهام للتحذير ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة اي ان قوله لا اله الا الله ما سمعنا به في اديان قومنا التي هي الملة المتاخرة عن الملل المتقدمة ان هذا الا اختلاق اي ما هذا الا ابتداع كذب • وقال مجاهد الملة الاخرة ملة قريش • وقال ابن عباس الملة الاخرة اليهودية والنصرانية وجعلتا ملة واحدة على معنى انها ملة اهل الكتاب يعنون ان اليهود يقولون عزير بن الله والنصارى يقولون المسيح بن الله وثالث ثلاثة كانهم قالوا التوحيد شيء كان يقوله المتقدمون اختلاقا فكذلك قولهم ان هذا الا اختلاق وهو كقولهم ان هذا الا خلق الاولين ان هذا الا اساطير الاولين ثم ان تعين المتاخرون وهم اهل الكتاب على خلاف ذلك وترك ذلك • وقوله تعالى أانزل عليه الذكر من بيننا اي القرآن استفهام بمعنى الانكار اي كيف خص به دوننا بل هم في شك من ذكري اي ليس ردهم قولك الانكار كونك صادقا في سائر كلامك لكن يشكون فيما انزلته عليك من الذكر هل هو من عندي انكارا للاختصاص اياك بالرسالة فيما انزلته عليك من الذكر • وقوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب اي وقد ذاقوا مع ذلك امهالي لهم اياهم وتاخير العذاب عنهم فظنوا ان ذلك لرضاي بشركهم ولما يذوقوا بمعنى ولم يذوقوا وما زائدة موكدة كما في قوله فبما رحمة من الله وعذاب بمعنى عذابي على الاضافة ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب اي اعند هولآء المشركين خزاين رحمة الله فيقسمون منها ما يشاؤون ويعطوا النبوة من يريدون اي فليس لهم ذلك بل هو لله يعطيها من يشاء وهو كقوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء • وقوله ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ام يدعون ان تملك السموات والارض وما بينهما من الهواء لهم فهم قادرون على انزال ما يريدون من الوحي الى من يريدونه ان تكون النبوة له وعلى المنع من نزول الوحي على من لا يريدون حتى يمنعوا ملايكتي من النزول بالوحي على محمد فان كانوا يدعونه فليرتقوا في الاسباب اي فليصعدوا الى السماء من ابوابها وطرقها الموصلة اليها فليمنعوا من نزول الوحي على محمد اذ لا يمكنهم ان يدعوا ذلك وهي لي كان لي ان انزله على من اشاء • وقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب • قيل اي لو كان هولآء يطيقون الصعود اليها لكانوا جندا مهزوما هنالك اي في موضع الارتقاء فكيف وهم لا يطيقون الارتقاء اليها • وقيل هذه الآية تتصل بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق ولا يعزنك ذلك فانهم جند منهم وافر جمعهم وتخربهم واحلهم اسارك وقيل اي هم مهزوم مردود من الاحزاب فكيف يرتقون في الاسباب وقوله تعالى من الاحزاب قيل من قبايل شتى تجمعوا على معاداتك • وقيل اي هم من جملة الاحزاب المتقدمين وهم المذكورون في الآية التي بعدها اولئك الاحزاب وهذا قول مجاهد • ووجه آخر لان الآيات المتقدمين الكفار انكروا نبوة محمد وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم له املاك واموال فقال الله لهم ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب التي لا تنقطع ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليعطوا بذلك من يريدون لهم لتفضل على محمد فاذا لم يكن لهم ذلك وانما يملكون اموالا لا تزوج وتنفد وتزول عن قليل فليس لهم موضع تعظيم تستحق به النبوة ولو كان ذلك بالملك لم يكن بملك الاموال بل بملك السموات والارض فليس لهم ذلك فليصعدوا الى السماء فينظروا هل يمكنهم انزال النبوة عمن ارادوا بل لا املاك وهذا كلام يذكر للتبعيد كما قال فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية • وقيل فليرتقوا في الاسباب معناه فان كان لهم ملك السموات والارض فليصعدوا اليها فيدبروها لان من ملك ولاية اشرف عليها وتعهدها واذ ليس يمكنهم ذلك دل انهم لا يملكونها • وقيل لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون • فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش امشوا الى ابي طالب واثبتوا على الهتكم وكانوا خمسة وعشرين رجلا منهم الوليد بن المغيرة وهو اكبرهم سنا وابو جهل بن هشام وابي وامية ابنا خلف وعمير بن وهب وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وعبد الله بن ابي امية والعاص بن وائل والحارث بن قيس وعدي

بن والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام وقرظ بن عمرو وعامر بن خالد ومخرمة بن نوفل وزمعة بن الاسود ومطعم ابن عدي والاخنس بن شريق وحويطب بن عبد العزى ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والوليد بن عتبة وهشام بن عمرو بن ربيعة وسهيل بن عمرو لعنة الله عليهم فقال لهم الوليد امضوا الى ابي طالب فاتوا ابا طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولآء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي فدعاه فقال له بشهد منهم يا ابن اخي هولاء قومك فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يريدون مني قالوا يقولون ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل من بينهم يا محمد لنعطيكها وعشر امثالها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فقاموا ونفروا من ذلك فقالوا اجعل الالهة الها واحدا اي الالهة التي لنا والالهة التي لغيرنا الها واحدا ان هذا الذي يقوله محمد لشيء عجاب اي لامر عجيب • وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح رسولهم نوحا وعاد هودا وفرعون موسى ذو الاوتاد • قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة كانت له ملاعب من اوتاد • وقال السدي والربيع بن انس كانت له اوتاد يعذب بها • وقال مقاتل كان يامر حتى يمد رجلا الرجل الى سارتين ثم يعذبه • وقال مقاتل بن حيان كان يامر ان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد بالاوتاد • وقال السدي كان يمد الرجل بين الاوتاد ويرسل عليه الحيات والعقارب • وقال الضحاك البنيان الثابت • وقيل ذو الاوتاد اي ثابت اركان الملك • وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد • وقيل هي اوتاد خيام الجيوش وكانت كثيرة تعرف بها • وقوله وثمود اي كذبت صالحا وقوم لوط اي كذبوا لوطا واصحاب الايكة اي قوم شعيب كذبوا شعيبا وقد فسرنا الايكة في قصته • وقوله تعالى اولئك الاحزاب اي تحزبوا على انبيائهم اي تجمعوا على تكذيبهم وايذائهم • وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل اي ما كل • وقوله تعالى فحق عقاب اي فوجب عليهم عقابي واهلكتهم بما مر ذكره في قصصهم فكذلك انكل بمكذبيك يا محمد • وقوله تعالى وما ينظر هولاء المشركون الا صيحة واحدة اي هذا بانها وهم ينتسالهم يقال اصاح بهم الزمان اي هلكوا • قال الشاعر • صاح الزمان بال برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان • وعلى هذا هو كقوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم وقيل هذه الصيحة هي النفخة الاولى في الصور فهو كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون اي اذا لم يذوقوا عذابي في الدنيا فموعده عذابهم يوم القيامة • وقوله ما لها من فواق • قرا حمزة والكسائي بضم الفاء والباقون بفتحها • وقال قتادة والسدي ما لها من فواق اي ما للصيحة من افاقة اي رجوع الى الدنيا • وقال ابن زيد اي ما لها من فتور كما يفيق المريض • وقيل ما لها من راحة ولهذا قريب بالفتحة وما لها من مكث مقدار ما بين الحلبتين وهذا اذا قريب بالضمة وهذا فرق ابي عبيدة • وقال الكسائي والفراء وابو عبيدة والاخفش هما لغتان في فواق الناقة بين الحلبتين • وقال قطرب بالفتح الافاقة وقد فاق فواقا وفاق افاقة واما فواق الناقة فبضم الفاء وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اي استعجلوا العذاب كما ذكر ذلك عنهم والقط الصحيفة الاعمال التي يعطاها الناس يوم القيامة عن ايمانهم وشمائلهم اي عجل لنا هذا ان كان صدقا • وقيل هو كقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة • وقيل القط النصيب من القط وهو القطع وهو ما قطع من الكل فجعل لصاحبه فكانهم قالوا عجل لنا نصيبنا من العذاب من النار ان كان الامر على ما تقول وهو كقوله فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم • وقيل اراد عجل لنا نصيبنا من الجنة والثواب الذي تعدنا على الايمان لن نؤمن بك ونحن نريد في الدنيا لا في الاخرة يستهزؤن بذلك • وقيل على هذا عجل لنا ما كتب جوائزنا من الله بذلك ككتب جوائز الملوك • وقال المبرد القطوط اصلها الصحف بالجوائز ثم قيل لكل نصيب قط • قال ابو العالية لما نزل في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه وشماله قراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا على جهة الاستهزاء عجل لنا قطنا يعنون هذا الكتاب • وقيل قايل هذا الكلام ابو جهل • وقيل قاله النضر بن الحارث • وقوله تعالى اصبر على ما يقولون اي من قولهم هذا ساحر كذاب وقولهم اجعل الالهة الها واحدا وقولهم عجل لنا قطنا وغير ذلك فانا نجعل لك العاقبة الجميلة ولهم العقوبة الوبيلة كما كان ذلك للانبياء المتقدمين ومكذبيهم وبين قصصهم هذا الحد معا في ربط قصة داود عليه السلام بهذا الكلام • ووجه اخر انا اخترنا اليك كما اخترنا الى داود ولو شئنا لاعطيناك من الدنيا كما اعطينا داود عليه السلام واكثر من ذلك ولكن اخترنا لك ما هو اعود عليك ووجه اخر واذكر عبدنا داود وما اتيناه من النبوة والملك ثم لم نترك عتابه على ادنى زلة كانت منه فتنبهوا بذلك على انه من عصاني ووجه اخر واذكر قصصهم ترها لك على صحة نبوتك بقوله فاصبر على اذاهم ولا تجزع منه واقبل على الانذار وايراد البراهين واذكر عبدنا داود ذا الايد اي ذي القوة في امرنا والصبر على الدعاء الينا فاقتد به انه اواب اي رجاع الى طاعتنا وطلب مرضاتنا • وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق اي في طرفي النهار والعشي وقت العصر

الي الليل والاشراق وقت اضاءة الشمس وقد شرقت اي طلعت واشرقت اي اضاءت • وقيل العشي وقت صلاة العصر والاشراق
وقت صلاة الضحى • قال كعب الاحبار لعبد الله بن عباس اني لاجد في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال اجد
لها في كتاب الله في قصة داود قال وما هي قال يسبحن بالعشي والاشراق وليس الاشراق طلوع الشمس انما هو صفاؤها
وضوؤها • وقوله والطير محشورة عطف على قوله الجبال وحشرها جمعها اليه حتى تحضره وتسبح معه وتسمع تسبيحه
قال محمد بن اسحاق رحمه الله لم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود عليه السلام حتى اذا كان قرا الزبور تدنو له
الوحوش حتى يوخذ باعناقها وانها المصيخة لتسمع صوته وحشرها يجوز ان يكون من الملايكة او من كبارها الصغارها
وقد كان الله تعالى يجعل كبارها مستفادة له مطيعة لامره كل له اواب يعني كل من الطير له مطيع راجع الي طاعته
وقوله تعالي وشددنا ملكه اي قوينا سلطانه قيل بكثرة الرجال • وقيل بصنعة الدروع • وقيل بالقا الرعب
في قلوب اعدايه • وقيل باسباب المنعة • وقيل كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل • وقيل شددنا ملكه
اي قوينا سلطانه بنصرنا له ودفعنا عنه • وقيل اي بالعدل في الرعية والحق بالقضية • وقيل اي بنقض ايدي
الظلمة • وقيل اي بذبها المستضعفين • وقال الامام القشيري شددنا ملكه بان رايي لنصرنا وتبرينا حوله
وقوته • وقيل اي بوزرا صالحين • وقيل اي بتيقظه وحسن سياسته • وقيل بقبوله الحق من كل احد • وقيل
برجوعه الينا في عموم الاوقات واتيناه الحكمة قيل اي النبوة • وقيل العلم بالشرع • وقيل احكام الامور وقيل
وضع كل شي موضعه • وفصل الخطاب اي اسباب القضا بين الخصوم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو بيان
الكلام • وقال الضحاك اي القضا • وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو القضا بين العباد وكان لا يتتعتع
في قضايه ويفصل علي الوجه الحق بين المتخاصمين • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه البينة على المدعي
واليمين على المدعى عليه • وقال شريح والشعبي هو قوله اما بعد وهو اول من قالها • وقال المبرد الخطاب
المخاطبة وفصله الخروج من مخاطبة الي مخاطبة وفصل قضية بعد قضية وخصومة بعد خصومة • وقوله
وهل اتاك نبوا الخصم كلمة تستعمل للتنبيه على جلالة القصة لتكون داعية الي الاصغا اليها والاعتبار بها
لانها في المعني تقرير للمخاطب بانه لم يسمعها وفي اعترافه بذلك اقرار منه انه محتاج الي سماعها فيقول له حينيذ
فاسمعها فقد كان كذا وكذا نبا الخصم اي خبر الخصوم هو في الاصل مصدر فيصلح للجمع والدليل انه جمع قوله اذ
تسوروا المحراب اي علوه وتسلقوه لانه كان محتجبا عن الخصوم متفرغا للعبادة متخليا لها فنزلوا اليه من حال
والمحراب موضع صلاته • وقيل كان غرفته والمحراب قد بينا الاقاويل فيه في سورة آل عمران اذ دخلوا على داود
اي حين دخلوا عليه بالتسور ففزع منهم اي خاف من دخولهم عليه بغير اذن ومن غير الباب ومع قيام الحجاب
او ظن انهم لصوص مكابرون او انهم ملايكة جاوا لامر عظيم قالوا لا تخف فانا لم ندخل لريبة لكن لوقوع
خصومة بيننا ووقوع الخلل في التاخير في تلافيها وعلمنا رضاك باصلاح ما فيها فتفرغ داود لهم فقالوا
خصمان اي نحن خصمان • وقيل اي فينا خصمان وقد كانوا جماعة بدليل قوله تسوروا المحراب دخلوا قالوا
منهم والجماعة مدع ومدعا عليه وشهود فانه لا يقول لقد ظلمك بسوال نعجتك الي نعاجه بمجرد دعوي
المدعي فالظاهر انه قال ذلك بعد شهادتهم للمدعي بغى بعضنا على بعض اي تعدي وظلم فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط اي لا تباعده عن الحق • وقيل اي لا تجور • وقيل اي لا تسرف وقد شط شطوطا من باب دخل وضرب
اي بعد واشطط اي باعد في السوم والشطط مجاوزة القدر في كل شي واهدنا الي سوا الصراط اي وارشدنا
في قطع خصومتنا الي قصد السبيل فان السوا الصراط الوسط والوسط العدل وهذا كله كلام استعطاف
وقوله تعالي ان هذا اخي يعني صاحبي وهو ديني له تسع وتسعون نعجة النعجة الانثى من الضان ولي نعجة
واحدة فقال اكفلنيها اي اعطنيها واجعلها كفلي اي نصيبي • وقيل اي منها الي واجعلني كافلها وعزني
في الخطاب اي غلبني بعز سلطانه وهو من باب جعل يقال من عز بز اي من غلب سلب • قال الامام ابو منصور
رحمه الله وشهد له الشهود بذلك فقال لقد ظلمك بسوال نعجتك الي نعاجه اي مضمومة الي نعاجه • وقيل
اقر خصمه بذلك فلذلك قال لقد ظلمك ان كان الامر كما تقول فلقد ظلمك وان كثيرا من الخلطا هو جمع خليط وهو
الذي يكون له مع الاخر خلطة اي اختلاط بشركة او معاملة اخرى ليبغي بعضهم على بعض اي يطلب الفضل لنفسه
ويظلم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يبغون وقليل ما هم ما زايدة موكدة اي هم قليل وظن داود
انما فتناه اي علم داود بالدليل انا امتحناه فلم يصبر على المحنة حتى سال ان يخلف ما هو بيد اوريا وقرا ابو عمرو
في رواية العباس فتناه بالتخفيف على ان الخصمين فتناه اي اظهرا له ما جنى عليه فاستغفر ربه ذلته
وخر راكعا واناب اي رجع الي الله مما وقع فيه فغفرنا له ذلك اي زلته وان له عندنا لزلفى اي القربة
في المنزلة يوم القيامة وحسن ماب اي مرجع وهي الجنة والدليل على انه الركوع سجود ان النبي عليه السلام
سجدها • وقال سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرا وهذه قصة زل فيها كثير من الناس وقالوا في نبي الله
داود عليه السلام ما لا يليق بحال الانبيا فان الله تعالي يقول في حقهم ولقد اخترناهم على علم على العالمين ذم

هداة البشر وشفعا الجناة يوم القيامة وكانوا في غاية الطهارة وكمال الفراغ في حق انفسهم والذي انتشر من ذلك اكثره مردود بما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان داود عليه السلام جزا الدهر اربعة اجزا يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما
للاشتغال باشغاله ويوما يجمع بني اسرايل فيبكيهم ويبكونه وكان في المحراب يوم عبادته اذ وقع بين يديه طاير الفتنة • وعنه
في رواية ان داود قال يا رب اجعلني مع اجدادي في رتبتهم فاوحى الله اليه اني لم ابتليك بما ابتليت به اجدادك فاما ابراهيم
فابتليته بالمال والنفس والولد فلم ار منه ما اكرهه واما اسحاق فابتليته بالذبح فسلم لقضايي واما يعقوب
فابتليته بالحزن على ولده فرضي وصبر فان شيت ابتليتك وجعلتك بمثابتهم فقال داود فابتلني بما شيت فاوحى
الله اليه اني مبتليك في شهر كذا في يوم كذا فاما هو في ساعة وامراة فتحيز اوقات الشهر واليوم وخلا ذلك بنفسه
وجعل الحرس على بابه وكانوا ثلاثين الفا • وقال مقاتل ثلاثة وثلاثين الفا • وقال القرظي اربعة الاف موكل الحرس
ولبس الصوف ودخل المحراب ونشر الزبور فوضعه بين يديه فبينما هو في نسكه اذ وقع طاير بين يديه حسبه داود
من ذهب فمد يده ليتناوله فيدفعه الي بجله صغير فوثب الطاير وجثم في موضع اخر فقام اليه داود فطار
وجثم على كوة فقام داود اليها فوقع بصره في بستان فيه اشجار فراي امراة لم ير الراوون مثلها جمالا وحسنا
وكان اقصير داود فاعجبه جمالها ازات ظله فانتفضت في شعرها فغطت نفسها به فازداد داود بذلك عجبا
فنزع وكان له تلميذ من بني اسرايل فدعا احدهما فقال اذهب فتامل حالة المراة والبستان وهل هي ذات زوج
ام لا فذهب ورجع وقال انها تتشايخ امراة اوريا بن حنانا وكان غايبا في غزاة • وقال مقاتل كان اوريا
في غزاة مع البلقا مع ايوب بن صوريا بن اخت داود فكتب داود الي ايوب ان مر اوريا حتي ياتي البلقا
فيقاتل اهلها حتى يفتحها او يقتل فقاتل حتى قتل • وقال الكلبي لما تخاصم الملكان وقال داود لقد ظلمك
بسوال نعجتك الي نعاجه نظر احدهما الي صاحبه فضحك وعلما ان داود لم يفهم القضية فقاما من بين يديه
وصعدا الي السما حيال وجهه فعلم داود عند ذلك انه مبتلى في ذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه
قال سعيد بن جبير وابن المسيب سمعت عليا رضي الله عنه يقول من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين لانه حد الفرية على الانبيا فاضعفه • وقيل كانت زلته انه تمنى انه يتزوج بامراة
اوريا لكن صبر ولم يطلب والتفتت عينه او ريا في غزاة استشهد فيها من غير قصد من داود فاخبر بذلك
ثم يجزع عليه كالجزع على غيره فعوتب عليه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله اما وقوع الطاير بقرب
منه ونظره اليه واجابته به والهم بأخذه فيحتمل ان يكون وكذا الذهاب لطلبه والنظر اليه انه من اين والي
اين والي ماذا صار فذلك يحتمل ان يكون ثم هو معذور في ذلك لما كانت الطيور حشرت اليه وسخرت في التسبيح
معه والطاعة له فجاز ان يكون له البحث عن حال ذلك الطاير على حسب ما كان من سليمان • قال تعالي وتفقد
الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد وكذلك وقوع بصره على تلك المراة فكان بلا قصد منه فكان معذورا فيه
وميل قلبه اليها لحسنها وجمالها فذلك من غير تكلف فاما ادامة النظر الي ما لا يحل النظر اليه وكذا ابعث
زوجها في القتال ليقتل فهذا ايضا غير محتمل لكنه يحتمل بعثه ليجاهد اعدا الله تعالى وكان ذلك فرضا
عليه • وقيل فيه من غير ان يتوهم منه قصد قتله وهلاكه • قال فان قيل كيف عوتب كل هذا العتاب حتى بعث
الملايكة بالخصومة عنده تمثيلا لحاله وتقريرا لذلك عنده ثم اخبر انه غفر له بعد طول المدة ان كان معذورا
في ذلك غير مواخذ به • قيل ان الانبيا عليهم السلام كانوا يواخذون بادنى شي كان منهم مما لا يواخذ غيرهم
بذلك بل يعد ذلك منهم من ارفع الاعمال واجلها عوما عوتب يونس عليه السلام في خروجه من بين قومه
ليسلم له دينه او نفسه لكنه خرج بلا اذن من الله فعوتب كذلك فعلي ذلك جاز ان يكون عتاب داود عليه
السلام لانه ما فعل فعل بغير اذن من الله تعالى ثم في بعث الملايكة اليه وجوه من الحكمة وانواع من الفايدة
احدها جواز الحجاب والحرس حيث دخلوا عليه من غير الباب والثاني رفع الحجاب بين الخصوم والجلوس
للقضا في وقت حاجة الخصوم لا على وقت اختيار نفسه حيث دخلوا عليه من غير باب الخصومة بلا اذن منه
والثالث قدرة الملايكة على التصور بصورة البشر وذلك يرد على الفلاسفة قولهم بخلافه ثم قول الخصمين
بغى بعضنا على بعض وكذا وكذا ولم يكن عنهما ليس بكذب بل هو تمثيل وتشبيه اي لو كان اخوان لاحدهما كذا
وكذا نعجة وللاخر نعجة واحدة فغلب صاحب النعاج الكثيرة على صاحب النعجة الواحدة فاخذها
اليس يكون ظالما فيكون تمثيلا لا تحقيقا • وقال غيره هو من معاريض الكلام ومعنى قوله خصمان اي ضن
في صورة خصمين بغى احدهما على الاخر وذكر التسع والتسعين نعجة تمثيل لنسا نبي الله داود عليه السلام
فقد كانت نساوه بهذا العدد والعرب تكني عن النسوة بالنعاج والبقر والنوق • وقال عنترة • يا شاة
ما قنص لمن حلت له • حرمت علي وليتها لم تحرم • وقيل لم يكن منه الا خطبتها اذ ليس في الاية الا قوله اكفلنيها
وليس فيه انه اخذها وكذلك قوله لقد ظلمك بسوال نعجتك ولم يقل باخذ نعجتك وكذلك قال وعزني
في الخطاب فلم يقل في الاستيلا • وقيل كانت زلته انه سال عنها فقيل فارغ فخطبها وكان خطبها غيره قبله

وكان خطبة على خطبة اخيه فعوتب لذلك وعلى هذا قوله وعزني في الخطاب اي في خطابها بالخطبة • وقال محمد بن جرير
الطبري القصة على ظاهرها والخصمان كانا من الانس وقعت لهما هذه الخصومة على الحقيقة فاستعجلا في الوصول
الي نبي الله بالتسور في المحراب ولم ينتظرا خروجه ولا اذن الحجاب وكان هذا من سوء الادب فاستنكره داود عليه السلام
وتسخط عليهما بما اقلقه الى المدعي لترتيبه في الكلام فتعجل في الحكم فقال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الي نعاجه فكان ذلك زلة منه اذ كان الواجب عليه الاستماع منهما وان لا يعجل في القضاء • وقوله تعالى
وظن داود انما فتناه اي وقع له في غالب الظن انه اخطأ فيما فعل وانما فتناه بذلك فاستغفر ربه فغفرنا له ذلك
دليل ايضا على ما قلناه فان قوله ذلك اشارة الى المذكور قبله وهو ما ذكر في الاية دون شيء اخر وكذلك
ما بعده • وقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى يؤيد ذلك واذا كان ما ذكرنا محتملا ولم يرد
خبر عمن يجب تقليده بخلافه كان لزوم الظاهر اولى من غيره ولم يثبت خبر ان الخصمين كانا ملكين ولا انه كان
من داود عليه السلام ما ذكره اهل الروايات من قصة تلك المراة • قال الامام ابو منصور رحمه الله فان قيل
ما الحكمة في ذكر زلات الرسل والله تعالى وصف نفسه بانه عفو اي ستور وقد امرنا بالستر على من ارتكب
كبيرة ذنبا فكيف ذكر هو زلات انبيائه حتى تقرا انهم في المساجد والمكاتب باعلى صوت الي يوم القيامة قلنا
لذلك وجوه احدها ان تكون لرسالته لان قلوب الخلق لا تحتمل ذكر مساوي الاباء والاجداد وذكر مساوي
انفسهم فاذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك دل على انه من امر من الله بذكر ذلك • والثاني ذكر لانهم
امتحانا منه عباده انه كيف يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلات وكيف ينظرون اليهم بعين الرافة والرحمة
يمتحنهم بذلك على ما امتحنهم بسائر انواع المحن • والثالث ليعلم الخلق ان الرسل كيف عاملوا ربهم عندما
فيعاملون هم ربهم عند ذنوبهم كذلك من البكاء والتضرع والفزع الى الله والتوبة • والرابع ان يكون ذكرها ليعلم
ان ارتكاب الصغائر لا تزيل الولاية ولا تخرج من الايمان ردا على الخوارج • والخامس ان يكون ذلك ليعلم ان
الصغيرة ليست بمغفورة ولله ان يعذب عليها ردا على المعتزلة • وقد جاء في التفسير في قوله وخر راكعا
انه خر ساجدا اربعين يوما وليلة حتى نبت العشب من دموعه فاوحى الله اليه انا قد غفرنا لك • وروي انه
ما شرب مدة كثيرة ماء في اناء الا وثلثاه دمع والثلث ماء • وقيل اغلق داود يوم خوف الابتلاء على نفسه
ابواب الدار لكن لم يمكنه ان يغلق على نفسه ابواب الاقدار • وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في
الارض اي صيرناك في الارض حاكما بين العباد خليفة عمن كان قبلك فيها من الانبياء • وقوله تعالى فاحكم
بين الناس بالحق اي فامنع المتنازعين بعضهم من بعض بما امرك الله تعالى به من ذلك فانه الحق اي الذي يحق ان
تعمل به • وقوله تعالى ولا تتبع الهوى اي هواك المخالف لامر الله فيضلك عن سبيل الله نصب بالفاء لانه
جواب النهي اي تعدل بك الهوى واتباعه عن الطريق المفضي بسالكه الى رضوان الله • وقوله تعالى ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب نصب يوم لوجهين احدهما انه ظرف قوله عذاب
شديد اي لهم ذلك يوم القيامة بما نسوا اي تركوا سلوك سبيل الله والثاني انه مفعول نسوا اي نسوا يوم
الحساب الذي فيه حكم الله بين عباده بالحق فحكموا في الدنيا بغير الحق وهذا النسيان هو التناسي والتغافل
ثم هذا الخطاب من قوله يا داود الى هاهنا يحتمل الاستخلاف بعد التوبة عليه ويحتمل ان يكون معناه يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاثبت على ذلك فاحكم بين الناس بالحق • وقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا هو تذكير من نسيان يوم الحساب يقول وما خلقت السماء والارض وما بينهما من المكلفين اهملهم
فلا امرهم ولا انهاهم بل خلقتهم لامتحنهم واكلفهم واذا كلفتهم ميزت بين محسنهم ومسيئهم بالثواب والعقاب
وذلك يوم الحساب • وقوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا اي ظن خلق السماء والارض وما بينهما باطلا هو
ظن الكفار • وقوله تعالى فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام بمعنى الف الاستفهام او هو عطف على الف استفهام مقدر على ما مر تقديره مرات وهو استفهام
بمعنى النفي وهو تحقيق معنى الامتحان والتمييز بين اهل الاساءة والاحسان • وقوله تعالى ام نجعل المتقين
كالفجار اي كالعصاة الذين يفجرون اي يميلون عن الحق الى الباطل • وقيل هذا متصل بقوله ام عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وعطف بعضها على بعض بام • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني عليا وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم كالمفسدين
في الارض يعني عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة لعنهم الله • وقال مقاتل ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات يعني بني هاشم بن عبد مناف كالمفسدين في الارض يعني بني عبد شمس • وقوله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك اي هذا الكتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته اي الذين امنوا وعملوا الصالحات
والمفسدون والمتقون والفجار اي ليتفكروا بعقولهم ما فيه من العلامات الدالة على الحق والباطل وليتذكر
اولوا الالباب اي وليتعظوا بعظاته ويتذكروا بذكره فان القران ذو الذكر كما ذكر في اول السورة • وقوله تعالى

ووهبنا

اذ عرض عليه

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي رزقناه ولدا اسمه سليمان • وقوله نعم العبد اي سليمان انه اواب اذ كان رجاعا الينا
في اموره مستغفرا من زلته • وقوله تعالى اذ عرض عليه صلة قوله نعم العبد انه اواب • وقوله تعالى بالعشي اي اخر
النهار وهو وقت العصر الصافنات الجياد عرضت عليه الخيل لينظر اليها اظهارا منه الحب للجهاد والحرص عليه
والحث للناس على الاقتداء في ارتباطها والصافنات الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد اقامت قائمة على طرف
الحافر من يد او رجل من باب ضرب ومصدره الصفون • وقال القتبي الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل
وغيرها • قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان تقوم له الرجال صفونا فليتبوء مقعده من النار • وقوله
والجياد جمع جواد وهو الذي يجيد السير ويتسع في العدو وهما وصفان احدهما حسن هيأتها في وقوفها
والثاني جودة سيرها حال ركضها • قال الكلبي غزا سليمان بن داود عليهما السلام اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهم الف فرس فكانت الخيل تعرض عليه وقت العصر فعرضت عليه منها تسع ماية فغفل عن صلاة العصر
نادى الصلاة فاتته فقتلها فامر بها فعرقبت وبقيت منها ماية وهي التي تناسلت الى اليوم • وقال مقاتل ورث
سليمان من ابيه الف فرس كان ابوه اصابها من العمالقة فصلى الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض
عليه ففاتته صلاة العصر فضرب سوقها واعناقها • وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر
لها اجنحة فكانت تعرض عليه وقت العصر حتى فاتته الصلاة • وقوله تعالى فقال اني احببت حب الخير اي
اثرت كما قال فاستحبوا العمى على الهدى • وقوله حب الخير اي حبي للخير كما قال يحبونهم كحب الله اي كحبهم الله
والخير • قال قتادة والسدي اي الخيل • قال النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة
وقيل اي حب المال كما قال وانه لحب الخير لشديد • وقوله تعالى عن ذكر ربي اي على ذكر ربي ويجوز عن عبادة
ربي قال تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اي على نفسه • قال الشاعر اذا رضيت عني بنو قشير
لعمر الله اعجبني رضاها • وقيل اي احببت حب الخير عن ذكر ربي اي احببت الخيل حبا شغلني عن ذكر ربي وقيل
احببت اي قعدت وتاخرت يقال احب الجمل اي برك واحب الاسد اذا اطال الاسد وسكن • قال الشاعر
محب كاحباب السقيم وانما به اسف الا يرى من يساوره • يصف الاسد وتقديره اي قعدت وتاخرت بحب
الخيل عن ذكر ربي والذكر الصلاة • كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله واراد بقوله عن ذكر ربي صلاة العصر
وهذا عن علي وقتادة والسدي • وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب اي توارت الشمس بالحجاب ما عن الابصار
ولم يسبق ذكرها لكن تعرف انها المراد لانه ذكر العشي ولا شيء يتوارى حينئذ غيرها وهذا كقوله ما ترك على ظهرها
من دابة • وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم انها ترمي بشرر كالقصر • قال لبيد حتى اذا القت يدا في كافر
واجن عورات الثغور ظلامها • يعني الشمس • وقال حاتم الطائي اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت
يوما وضاق بها الصدر • يعني النفس • وقوله تعالى ردوها علي اي الصافنات الجياد • وقوله فطفق
اي اخذ وابتدا مسحا اي يمسح مسحا • قال ابو عبيدة اي يقطع يقال مسح علاوته اي ضرب عنقه وكذا قال
الكسائي والفراء والخليل وجماعة من المفسرين انه القطع بالسيف وهي جمع الساق والاعناق جمع العنق اي
جعل يضرب سوقها ويقطع اعناقها واختلفوا في وجه ذلك على هذا القول • قيل فعل ذلك تلهفا على فوت
الصلاة فانه لما فاتته الصلاة بسبب الاشتغال عن ذكر الله تعالى وهو كمن شغله ثوبه عن الصلاة فحرقه حسما لطمع
الشيطان في عوده مالعله الى مثله وللانسان اتلاف ماله في غرض صالح • وقال الامام ابو منصور رحمه الله
ان ثبت هذا فلوجهين احدهما انه كان ذلك في شريعته جائزا وان كان لا يجوز في شريعتنا اتلاف الحيوان وتعذيبه
وهو كتعذيبه الهدهد حين تفقده ولا يجوز تعذيب الطير في شريعتنا او يكون ذلك منه قبل نهيه
عن المثلة ثم نهي عنها فحرم ذلك عليه وعلينا • والثاني ان يكون ذلك عبارة عن الذبح لتفرق لحومها
على الناس فتكون كفارة لما كان منه وهذا وجه ما حكى الله جماعة انه ذبحها فاطعمها الناس فدل ذلك على
ان الخيل كانت ماكولة في شريعته ولم يكن ذلك تعذيبا للخيل بل رياضة للنفس وتقربا الى الله تعالى باحب
الاموال اليه ولهذا ضرب السوق لئلا تسفر ويتمكن من ذبحها وقطع الاعناق كانت ذبحا وذكاة وشرعه
وشكر الله سعيه ذلك فاثنى عليه به وابدله مكانها ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فزاد في المعونة ورفع
المؤنة • وفيه قول ان احرق سوقها لقطع والذبح احدها انه مسح السوق اي كواها وكوى على الاعناق ومسح
ايضا وجعلها في سبيل الله للغزاة واعلمها بالكي وليس المسح اسم للقطع لا محالة فانه عبارة عن المسح وذلك
يتم بما دون القطع والاحراق انه كان مجرد مسح للسوق والاعناق • قال ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح
اعراف الخيل وعراقيبها حبا لها • وقال الزهري مسح الغبار عنها وليس يابى نفار الرجل والنجل مقدار وعن
تعهد الخيل بنفسه • وقيل ايضا كان يمسح هذه المواضع ينظر هل حدث بها عيب فيستعمل • وقيل على هذا
الوجه عرضت عليه بعضها ثم تذكر الصلاة ثم امر برد ما بقي فجعل يمسح سوقها واعناقها وذلك قوله ردوها
على ان يرد كل ما عرض عليه مرة فرآها ثانيا ومسحها اظهارا لحبها وحثا على ارتباطها • وقيل على هذا ليس في الاية

ذكر فوت الصلاة وطالما قيل الخراد عرضت عليه بالعشي الخيل فنظر اليها الى غروب الشمس حبا للخيل ورغبة في امساكها للجهاد
في سبيل الله تعالى واظهارا للناس بقوله انزجها بامر الله تعالى فان قوله اني احببت حب الخير اي الخيل اي احببتها حبا
من ذكر ربي اي بما ذكر لي ربي في الزبور ان ارتبطها فارتباطها مما يرضى به الله تعالى ● وقال ردوها علي فجعل يمسح
مسحا اظهارا لحبها ● وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان اي اختبرناه كما قال وظن داود انما فتناه والقينا على كرسيه
جسدا هو بيان تلك الفتنة ثم اناب هو الى الله اي رجع اليه كما رجع ابوه واناب واستغفر الله تعالى بمغفرة فسأل الملك
الذي لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه كما جعل اباه خليفة في الناس وزعم اهل الزيغ وحسن مآب وزل في تفسير هذه الاية
بتركيبين ورووا فيه روايات مختلفة ● قال قتادة ان سليمان غزا ملكا من الملوك فقهره وسبى ابنة له وشغف بها واختصها
من بين نسائه وكان اسمها جرادة فقالت لسليمان ان رايت ان تاذن لي حتى اتخذ صورة على صورة ابي فعلت [illegible]
اليه فاذن لها فاتخذت صنما تعبدته في دار سليمان اربعين يوما ● وقيل خمسين يوما فابتلى الله سليمان بسبب ذلك بنقل
ملكه عنه والقا جسد على كرسي مملكته ● وقال مقاتل هو شيطان اسمه صخر بن عمير بن عمرو بن شرحبيل قال له سليمان كيف
تفتنون الناس قال اعطني خاتمك حتى اخبرك فاعطاه خاتمه فرماه في البحر فانتقل ملك سليمان عنه لزوال الخاتم
وقيل تختم صخر به فصار الملك له ● وقال السدي كان لسليمان ثلاث مائة نسوة مهيرة وكان اثر نسائه عنده امراة يقال
لها جرادة وكان سليمان اذا اجنب او دخل الخلا نزع خاتمه فدفعه اليها لا يامن عليه سواها فدخل الخلا يوما ودفع
الخاتم اليها فجاء شيطان اسمه اشبري على صورة سليمان واخذ منها الخاتم فظننته سليمان وقعد الشيطان على كرسيه
وخرج سليمان من الخلا فطلبه منها فقالت الم اعطكه الآن فخرج سليمان وغاب وقعد الشيطان يقضي بين الناس وذكروا
اشيا لا تقبلها العقول السليمة وتردها العقايد المستقيمة ولا يجوز على نبي الله سليمان ولا على سائر الانبيا الرضا بعبادة
الاصنام والترك بعد العلم فان فعلت ذلك امراته فما معنى عتاب سليمان به وهو لا يعلم به وكيف يجوز تسليط الشيطان
يحكم بين الناس بالباطل وياتي النسا ويصورانه بنحو ان احكامه احكام الله تعالى وهذا التلبيس على المسلمين بطريق
الدين فكيف تصور بصورة سليمان والناس لا يمان بسليمان والشيطان تصور بصورة سليمان وهم يعتقدونه
نبي الله ولا يصلون الى حقيقة ذلك البتة هذا محال من القول وكيف يسلب الله سليمان ملكه في حياته وقد بقا
عليه سنة كاملة بعد وفاته وكيف ينزعه منه وهو يقول هذا عطاؤنا واستجاب له في قوله وهب لي ملكا لا
ينبغي لاحد من بعدي ● وعند بعض المفسرين كان له الملك قبل هذه الفتنة ● قال مقاتل فتن سليمان بعد ملكه
عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ومنهم من قال سؤال هذا الملك كان بعد الفتنة ويدل عليه نظم الاية
لكن بعض ما ذكرنا من الدلايل كافية ولما قال هولا نافية ● وقيل انه كان لسليمان ثمانية امراة فقال لاطوفن الليلة
على نسائي تحمل كل واحدة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فما حملت منهن الا واحدة ولدت شق غلام
وقيل ولدا ميتا فجي به وهو على كرسيه فوضع في حجره فذلك قوله والقينا على كرسيه جسدا ● وقال النبي صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاما يقاتلون في سبيل الله تعالى فرسانا
اجمعين فكانت فتنته هذه وعتابه لترك الاستثنا ● وقال الشعبي ولد لسليمان ولد ابن فاجتمعت الشياطين و
وكانت تقدر ان راحتنا في موت سليمان فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة
فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان بذلك فامر السحاب حتى حملته الريح وغذا ابنه في السحاب خوفا من
معرة الشيطان فابتلاه الله تعالى لاجل هذا الخوف بموت هذا الولد فالقي ميتا على كرسيه ● وقوله تعالى قال رب
اغفر لي اي زلتي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يسال ذلك نفاسة على غيره وطلبا للاستيثار بمثله لكن اراد
ان يكون ملكه على هذا الوجه اية لنبوته يتبين بها عن غيره من ملوك الارض في عصره ● وقيل اراد به ان يكون علامة
لقبول توبته ● وقال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل انه اراد ان يستسلم له الخلق في الاجابة الى ما يدعوا اليه
من توحيد الله تعالى وعبادته لما راى ان اجابة الناس وانقيادهم الى من عنده السعة والغنا اسرع ورغبتهم فيه اكثر
فاذا كان ما ذكرنا كان في سؤاله نجاة الخلق كلهم لما يستسلمون له ويجيبونه الى ما يدعوهم اليه ويحتمل انه سال
ذلك ليبقى له الذكر والثنا الحسن في الخلق وكذلك كان الناس المرسلين قال ابرهيم عليه السلام واجعل لي لسان
صدق في الاخرين ● وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن تفلت
علي البارحة ليقطع صلاتي وان الله امكنني منه ولقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا
فتنظروا اليه كلكم ● وفي رواية حتى تلعب به صبيان المدينة فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسيا ● وقوله تعالى انك انت الوهاب اي المعروف بكثرة اسباب الهبات ● وفيه
دليل على ان الاهم بالمومن تقديم سؤال المغفرة على كل سؤاله ● وقيل انما سال سليمان هذا الملك لينال ثواب الملوك
العادلين ● قال النبي صلى الله عليه وسلم عدل ساعة خير من عبادة سنة ● وقيل سال ذلك لعلمه بانه لا يقوم به احد
مثله لينصف المظلوم من الظالم وليعمر البلاد ويعيش العباد ويظهر الرشاد ويقطع الفساد ● وقيل سال ذلك
ليظهر من نفسه عند كمال الملك في الدنيا كمال العبودية للمولى فيزداد خشوعا وشكرا لله تعالى بنيا دعا الله له

والملك

والملك والرفعة ولذلك كان ياكل خبز الشعير من عمل الخوص ويأكل من كد يده ويجلس مع المساكين وكان يقول مسكين جالس
مسكينا ● وقوله تعالى لا ينبغي ● قال ابو عبيدة اي لا يكون ● وقيل هو فعل لازم كقولهم بغى اي طلب بغية فانبغى اي فحصل
فاستجاب الله دعاه هذا وذلك فيما قال فسخرنا له الريح اي ذللناها له تجري بامره رخاء اي سهلة لينة حيث اصاب
اي حيث اراد سليمان من البلاد والمواضع يقال اصاب الصواب فاخطا الجواب اي اراد الصواب ● وقال قتادة رخاء
اي ريحا طيبة حيث اراد ● وقال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل ● وقال مجاهد والضحاك
والسدي حيث اصاب اي حيث اراد والشياطين عطف على الاول اي وسخرنا له الشياطين ● وقوله تعالى كل بناء
وغواص من جنهم عنده اي فسخرناهم له فبعضهم كانوا يبنون له الابنية العظيمة المرتفعة البديعة وبعضهم يستخرجون
له من البحار الجواهر واللالي والحلي النفيسة ● وقال مقاتل كان سليمان اول من استخرج اللولو من البحر وآخرين اي
من الشياطين مقرنين اي مقيدين من القران والتشديد للتكثير والتكرير في الاصفاد اي الاغلال والواحد
صفد بفتح الفا ● وقال السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل ● وقال الامام ابو منصور رحمه الله كان من
امتنع منهم عن العمل له بالبنا والغوص وغير ذلك قيده بالغل ليدفع شره عن الخلق ● وقوله تعالى هذا عطاؤنا اي
لما اعطيناه هذا كله قلنا له هذا عطاؤنا فامنن اي اعط منه ما شئت ومن شئت او امسك اي امنع منه ما شئت
ومن شئت بغير حساب اي بغير تبعة عليك فيه ولا سؤال عنك لم اعطيت ولم امسكت ● وقيل هو تفويض تقدير
ما تعطي وتمنع اي اعط وامسك غير مقدر عليك تقدير الا تجوز الزيادة عليه ولا النقصان منه ● وقوله تعالى
بغير حساب ● وقيل فامنن اي اعط من اعطيته متفضلا لا محاسبا له على ما تعطيه ولا راجيا مكافاته بعد ذلك ● وقيل
بغير حساب صلة ● قوله تعالى هذا عطاؤنا اي عطاؤنا ذلك بغير حساب اي اعطيناك بغير حساب لك علينا
بل ابتدا انعام منا ● وقيل بغير حساب اي اعطيناك من غير ان ينقصنا الاعطا او يزيدنا ترك الاعطا وهو منتهى
الحساب لانه لتعرف الزيادة والنقصان وهما عن عطائنا منتفيان ● وقيل فامنن اي فامنن على من شئت
فاطلقه ولا تستعمله او امسك اي احبسه واستعمله والاول كقوله فاما منا بعد والثاني كقوله فامسكوهن
في البيوت بغير حساب اي لا نحاسبك على ما فعلت ولا نسالك لم فعلت او هلا فعلت ● وقوله تعالى وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب كما كان لابيه داود وقد فسرنا ذلك ● وقوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اي دعا
ربه اي اذكر عبدنا ايوب كما ذكرت داود وسليمان اذ قال في دعائه وندائه اني مسني الشيطان اي اصابني بنصب
اي نصب وهو التعب وهو كالشغل والشغل والحزن والحزن والرشد والرشد والبخل والبخل ● وقال ابو عبيدة
بنصب اي اذى ● وقال قطرب اي مرض ● وقال المبرد اي مكروه ● وقوله تعالى وعذاب قيل اي شديد ● وقيل
اي عنا ومعنى اضافة ذلك الى الشيطان عند بعضهم انه الشيطان كان سال الله ان يسلطه على ماله وولده
وجسده على ما ذكرنا في سورة الانبيا في قصته ● وعند بعضهم ان الشيطان وسوس اليه واورد على خاطره
ما يبعثه على الجزع والشكاية من تذكار الحالة الاولى ● وعند بعضهم انه تخيل الى امراته والى الناس انه لو كان
نبيا لما ابتلي ببلية بمثل هذه البلية وكان سبب نفار الناس عنه وخدع امراته باشيا ● وقوله تعالى اركض
برجلك اي فاستجبنا له وقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها وحركها في مكانك ● قال الحسن فركض برجله
فسقطت عنه كل دودة كانت في جسده هذا مغتسل بارد وشراب اي فضرب برجله الارض فنبعت عين فيها ماء
بارد ليغتسل به وليشربه فزال ما كان به من ضر حين اغتسل به وشربه ● وقوله تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم
قال مقاتل كان لايوب سبع بنات وثلاثة بنين في المكتب ومعلم يعلمهم التوراة فاخذ ابليس بالسارية فهزها
فانهدم السقف ووقع عليهم فلما شفاه الله تعالى احياهم ورزقهم مثلهم سبع بنات وثلاثة بنين ● وقال الضحاك
اوحى الله تعالى اليه اتريد ان ابعثهم قال لا يا رب دعهم في الجنة فعجل هذا اتاه اهله في الآخرة واعطاه مثلهم
في الدنيا بان عمره فتزوج فولد له اولاد كذلك ● وقيل معناه ووهبنا له اجر اهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم انه تناثر عليه جراد من ذهب حين هو في غسل فاخذه في ثوبه فاوحى الله اليه الم نكفك
ما اعطيناك قال يا رب ومن يشبع من فضلك ● وقوله تعالى رحمة منا اي فعلنا به ذلك رحمة منا عليه ● وقوله
تعالى وذكرى لاولي الالباب اي وتذكيرا للعقلاء ليصبروا كما صبر فيوجروا كما اجر ● وقوله تعالى وخذ بيدك
ضغثا اي وقلنا له اي في تكفير يمينه على ضرب امراته ● قال سعيد بن المسيب كانت امراته تاتيه كل يوم بشي
معلوم فاتته يوما باكثر من المعهود فخاف عليها سوء الخلق ليضربنها مائة سوط ● وقيل ابطأت في طلب القوت
يوما وابطأ بها فجاء فراها كذلك فظن بها شيئا فحلف على ذلك ● وقيل غير ذلك فقال الله تعالى وخذ بيدك ضغثا
قال الخليل هو قبضة قضبان يجمعها اصل واحد ● وقال قطرب هو الحزمة من الكلا والريحان ● وقيل هو مل الكف
من حشيش او شماريخ ● وفي بعض التفاسير انه اخذ قبضة من مكانس ● وفي بعضها من ثمام ● وفي بعضها من اذخر
فاضرب به اي امراتك ولا تحنث اي في يمينك خفف عنها الهدم بجنايتها وابره فيما حلف لحسن نيته فيما وجد ● وقوله
تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب اثبت له صفة الصبر مع قوله مسني الضر لانه لم يكن على وجه الشكوى لا له

قال ذلك لشيء اسمع الله لا سمع غيره ولانه كان مرة ولانه كان شكر الله على ما اهله له والصبر استعذاب البلاء دون استصعابه • ويمكن
التلذذ بالبلاء • وقيل هو الوقوف تحت الحكم نعم العبد لم يشغله البلاء عن المبلي وسليمان نعم العبد لم يشغله العطاء عن المعطي
انه اواب اي رجاع الى الله وهو تحقيق ما قلنا • وقيل مكث في بلائه ثماني عشرة سنة • وقال السدي ثلاث عشرة سنة • وقال
مقاتل سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات • وقوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الايدي جمع يد وهاهنا بمعنى البطش والقوة والابصار جمع بصر وهو بصر القلب وبه يقع الاستبصار
والمشاهدة وهذا وصف لهم بالقوة في العمل والكمال في العلم • وقال الحسن اولي الايدي اي الايادي على الناس
والابصار في دين الله • وقوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار • قرا نافع بغير تنوين على الاضافة والباقون
بالتنوين على الترجمة تقول انا اخلصناهم واستخلصناهم بخاصية وهي تذكرة الناس بيوم القيامة لارسالنا اياهم
دعاة الخلق • وقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار المتقين اي الافاضل • وقيل اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وهو ذكرهم في الاخرين في دار الدنيا وانهم عندنا في الاخرة لمن المصطفين الاخيار المستحقين الجنة
وقوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع قرا حمزة والكسائي والليسع بلامين والباقون بلام واحدة وذا الكفل وكل
من الاخيار • قال ابن اسحاق ان اليسع وذا الكفل كانا ابني عم وكان اليسع في اربع مائة من الانبيا في زمان ملك
غشوم فقتل الملك منهم ثلاث مائة وبقي ذا الكفل وكفلهم وجعل يطعمهم ويسقيهم ويخبأهم حتى افلتوا فمن ذلك
سمي ذا الكفل وقد ذكرنا في قوله وان الياس لمن المرسلين ان اليسع كان من بالياس ولما ذهب الياس نبي اليسع في
بني اسرائيل • وقيل لما مات ايوب ارسل الله ابنه نبيا وسماه ذا الكفل وامره بالدعا الى توحيده وكان نبيا بالشام
عمره الله خمسا وسبعين سنة ثم مات فارسل الله بعده شعيبا وفيه اقاويل اخر ذكرناها في سورة الانبيا في قوله
وذا الكفل • وقوله تعالى هذا ذكر اي هذا الذي تلوناه عليكم من قصص الانبيا ذكر اي وعظ فتذكروا به • وان
للمتقين لحسن ماب اي للمذكورين به لحسن ماب • وقيل لكل المؤمنين على العموم لا للانبيا الذين ذكرتهم على
الخصوص لحسن ماب اي مرجع ثم فسره جنات عدن وهي في محل نصب ترجمة عن الاول مفتحة لهم الابواب التفتيح
لتكثير الفتح وذلك لذكر الابواب اذا انتهوا فتحوا ابوابها لدخولهم كما قال حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها متكئين
فيها نصب على الحال اي يتكئون على الارائك فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب للشرب ويدعون اي يحكمون •
وقيل يطلبون • وقيل ينادون • وقيل يتمنون بقلوبهم فيانيهم من غير لبث ولا كلفة وعندهم قاصرات الطرف نسا
قد قصرن ابصارهن عليهم اتراب لدات على سن واحدة متساويات في الحسن والجمال وذلك انفى للغيرة عنهن لان
النفس تتوق الى التمني على السوا • وقوله تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب اي الذي يجزيكم به يوم احاسب الخلق فاجازيهم
على اعمالهم ان هذا لرزقنا اي عطاؤنا الذي لا ينقطع ما له من نفاد اي فنا هذا اي الامر هذا او هذا كما وصفنا امر
خيره وان للطاغين لشر ماب اي وان للمتمردين لاسوء مرجع جهنم ترجمة عنه يصلونها يدخلونها فبئس المهاد اي
فبئس الفراش المعد لهم بخلاف ما ذكر للمتقين من حسن الماب والجنة المفتحة الابواب • وقوله تعالى هذا فليذوقوه
حميم وغساق • قيل اضمر فيه تقديم اي هذا الامر فليذوقوه حميم وغساق ترجمة عن المضمر • وقيل فيه تقديم وتاخير
هذا حميم فليذوقوه وغساق فليذوقوه وهذا مكان الفاكهة والشراب للمتقين والحميم الما الحار الذي تناهى
حره • قال وسقوا ما حميما فقطع امعاهم • واما الغساق فقد قال قتادة هو ما يسيل من بين جلده ولحمه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الزمهرير الذي يحرق ببرده كما تحرق النار • وقال ابن عمر رضي الله عنهما هو القيح
الذي يسيل منهم يجمع فيسقونه • وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب
وقيل هو قيح شديد النتن • وقيل هو ما يسيل من الصديد • وقيل الغساق ماخوذ من الظلمة والسواد من الليل
الغاسق وهو شراب اهل النار بخلاف شراب اهل الجنة الذي له صفا وحسن ورقة • وقال ابن بريدة الغساق المنتن
وهي لغة الطخارية • وقيل التركية • وقال محمد بن كعب القرظي هو عصارة اهل النار • وقال الاخفش هو ما يغسق من
فروج الزناة اي يسيل • وقرا حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية حفص بالتشديد وكذا في عم يتسالون • وقرا الباقون
بالتخفيف فالمخفف اسم كالشراب والعذاب والمشدد نعت كالكذاب والقلاب والغلاب • وقد غسقت القرحة
غسقا اي سالت وغسقت العين غساقا اي جرى دمعها وغسق الليل اذا اظلم والغسق الظلمة • وقوله تعالى
واخر من شكله ازواج • قرا ابو عمرو وابن كثير واخر بالضم على الجمع اي ضروب اخر • وقرا الباقون بالفتح على الواحد اي
وعذاب اخر من شكله اي شبهه والشكل بالفتح ما يشاكل الشيء وبالكسر الدل ازواج اي ضروب والوان وهي الضريع
والغسلين والصديد والزقوم هذا فوج مقتحم معكم اي يقال لهم هذا فوج اي انظروا الى افواج ام الكفار الذين
اضللتموهم فانهم مقتحمون النار معكم لم يمكنكم نصرتهم ودفع العذاب عنهم والفوج يطلق للجمع معنى ولفظه لفظ
الواحد فلذلك وحد نعته فقال مقتحم معكم لا مرحبا بهم اي يقول الاولون المقتحمين لا مرحبا بهم هذه كلمة تقال
عند استثقال الداخل وضده مرحبا تقال ذلك للاكرام وللفرح بالداخل ومعناه اتيت مرحبا اي منزلا رحبا
واسعا وخيرا واسعا والرحب بالضم السعة والرحب بالفتح الواسع والمرحب موضع السعة انهم صالوا النار

قرا ابن كثير واذكر عبدنا ابرهيم خاصة والباقون عبادنا ابرهيم واسحاق ويعقوب

هذا

وسهل ويعقوب والمفضل عن عاصم

قالوا ... لا مرحبا بهم ولا فرح بمجيئهم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم اي بل انتم الذين لا يفرح بالاجتماع معهم
انتم قدمتموه لنا اي انتم تبعتمونا على الكفر بالدعوة والتزيين حتى اوردتمونا هذه الموارد فبئس القرار اي موضع الاستقرار
[illegible] فزده عذابا ضعفا في النار اي مضاعفة بكفره ودعوته ايانا اليه في النار اي في نار جهنم • وقوله تعالى وقالوا ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار • وقيل من الاشرار اي من الاراذل [illegible]
كما يقال هذا شر المتاع • قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] يقولون في النار اين صهيب اين بلال
اين عمار اين خباب وهم الذين كانت السادة تسخر منهم • وقال مقاتل [illegible] قريش في النار للعبيد والموالي
وقوله تعالى اتخذناهم سخريا • قال ابو عبيدة من كسر السين جعله من الهزء اي سخرنا بهم ومن ضمها جعلها من السخرة
وهي التسخير والاستعباد [illegible] ام زاغت عنهم الابصار [illegible] الاستفهام ثم عطف
الثاني عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان ذلك لحق تخاصم اهل النار [illegible]
[illegible]
[illegible]
داع الى الحق وما من اله الا الله الواحد القهار فادعوكم الى توحيده وعبادته • وقوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما نعت لقوله الا الله وكذلك قوله العزيز الغفار • وقوله تعالى قل هو نبا عظيم قيل
اي القران الذي انذركم به والنبا الخبر • وقيل هو ما انذرتكم به من الساعة • قال تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم
نامر الساعة امر عظيم لما فيه من النعيم المؤبد لقوم والعذاب المخلد لقوم • وقيل هو الاخبار بنبوته انتم
عنه معرضون اي عن النبا على الوجوه الثلاثة • وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون
هو اقامة البرهان على دعواه رسالته تقول ما كان لي علم باختصام الملائكة في امر ادم في قوله واذ قال
ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الايات وانما علمت باعلام الله تعالى
فدل ذلك على رسالتي اذ علمتم اني لم اسافر ولم اخالط من يخبرني به ممن قد علمه وانما علمته بوحي الله تعالى
الي • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما عرج بي الى السما قال الله تعالى يا محمد فيم يختصم الملا
الاعلى قلت في الكفارات والدرجات فقال وما الكفارات فقلت اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام
الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة • قال وما الدرجات فقلت اطعام الطعام وافشا السلام
والصلاة بالليل والناس نيام والاشبه بنظم الايات ما تقدم وقيل اختصموا في امر ادم وقالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها • وقال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون وكان في ذلك ذكر الرسل وفيهم محمد فانا ذلك المذكور
وذلك الوقت ان يوحى الي اي ما يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي هذا الكلام يوحى الي • وقيل اي ما يوحى
الي القران وسائر وجوه الوحي الا اني نذير مبين اي رسول مبين • وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من طين وهو ادم فاذا سويته اي تختصمون حين قال ربك يا محمد للملائكة اني خالق بشرا من طين وهو ادم
فاذا سويته اي هيات له الهيئة التي لا يبقى بعدها الا النفخ الروح فيه • وقوله تعالى ونفخت فيه من روحي اي
ادخلت فيه روحا انا خلقته له فقعوا له ساجدين اي فخروا على وجوهكم ساجدين له سجدة التحية
وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم عن السجود وكان من الكافرين اي وصار من
الكافرين باباه الامر قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي هو سؤال تقريع وتوبيخ اي لم انفردت
بايجاده وصورته بلا واسطة استكبرت بقطع الالف استفهام بمعنى الانكار ام كنت من العالين اي اتكبرت
الحال ام كنت من المتكبرين قبل هذا • وقيل اي ام صرت من الطالبين العلو • وقوله تعالى قال انا خير منه خلقتني
من نار لها نور وخلقته من طين له ظلمة وقد بينا وجوه خطاياه في هذا القياس قال فاخرج منها اي من الجنة
وقيل من السما • وقيل من صورتك بالمسخ فانك رجيم اي متى هممت بالعود الى السما رجمت بالشهب اي رميت بها
وطردت من السما • وقوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي ابدا وجبت على الملائكة والثقلين يلعنوك
الى يوم القيامة ثم ادخلك النار تضعيفا لهذا اللعن وفيه اخبار انه يبقى على الكفر الى يوم القيامة قال رب
فانظرني اي فامهلني الى يوم يبعثون خاف الموت فسال النظرة الى يوم القيامة قال فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم وهو فنا الدنيا قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين اي لاضلن بني ادم بالوسوسة الا عبادك
منهم المخلصين فانه لا يعمل فيهم اغوائي • قال القشيري لو عرف عزته لما اقسم بها على نفي لعنته • وقال في قوله
رب فانظرني من كمال الشقاوة سؤال النظار فانه تزداد عقوبته بزيادة اوزاره فاجابه الله تعالى فانه بلسانه

يا محمد

سأل تمام شقاوته • وقوله تعالى قال فالحق والحق اقول • قرا عاصم وحمزة فالحق بالرفع والحق اقول بالنصب • وقرا الباقون
كليهما بالنصب • وقرا طلحة بن مصرف كليهما بالخفض على القسم فيهما بعد قسم عطفا على قوله فبعزتك ومن رفع الاول
فمعناه فانا الحق او هو مبتدا ومعناه فالحق اي املأن جهنم منك وممن تبعك ومن نصب فعلى القسم كقولك لحقا
والثاني نصب بوقوع القول عليه واقول الحق • وقوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم من بني ادم اجمعين • وقوله
تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر اي على الانذار وتبليغ القران فيقع عندكم اني متاكل • وقوله تعالى وما انا من المتكلفين
اي ممن يتكلف اظهار خلاف الاضمار بل انا على ما عرفتموني به من الصدق والامانة ومحاسن الاخلاق ولو كان تكلفا لسبي
لظهر على تطاول الزمان خلافه وذلك دليل صدقي في دعوى رسالتي • وقيل وما انا من المتكلفين في القران
كما يقولون انه مختلق بل هو وحي من الله الي وما انا بقايل ما لا امر لي به • وقوله تعالى ان هو اي ما هو يعني القران
الا ذكر للعالمين ختم السورة بما بدا بها فانه قال والقران ذي الذكر وكذا قال في اثنائها واذكر واذكر
هذا ذكر ان هو الا ذكر ولتعلمن نباه • وهو ما قال فيه من انبا الوجوه الثلاثة بعد حين اي بعد ورود الامر بالقتال
وقيل بعد الموت تحقق العذاب •

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلقنا في بطون امهاتنا خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث • الرحمن الذي عليه يتوكل المتوكلون
وهو المستعان والمستغاث • الرحيم الذي يورث المؤمن ارض الجنة يتبوء منها حيث يشاء وهو خير ميراث
وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه
واعطاه ثواب الخائفين الذين يخافون الله تعالى • وهذه السورة مكية الا ثلاث ايات نزلت بالمدينة في وحشي
ابن حرب قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله وانتم لا تشعرون • واياتها
خمس وسبعون • وقيل ثلاث • وقيل اثنتان الاختلاف في سبع ايات مخلصين له الدين فيما هم فيه يختلفون
مخلصا له ديني فبشر عبادي من تحتها الانهار من هاد • وكلماتها الف ومائة وتسع وستون • وحروفها اربعة
الاف وسبع مائة وثلاثة وسبعون • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انهما في ذكر القران ونظام
السورتين انهما في محاجة المشركين ووعد المؤمنين ووعيد الكافرين • وقوله تعالى تنزيل الكتاب اي انزال
القران شيئا فشيئا على محمد من الله • قوله تعالى العزيز اي في انتقامه • قوله تعالى الحكيم اي في احكامه • وقيل
فيه تقديم وتاخير تقديره تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله فهما من صفات القران • قال الله تعالى وانه لكتاب
عزيز • وقال يس والقران الحكيم • وقوله تعالى انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب اي القران بالحق اي ببيان
الحق اي وبما يحق الاخذ به • وقوله تعالى فاعبد الله اي وحده واطعه • وقوله تعالى مخلصا له الدين اي صفيا
له الاعتقاد والعمل • وقوله تعالى الا لله الدين الخالص اي المستحق للطاعة الخالصة التي لا يشوبها
شرك هو الله تعالى اذ هو الخالق الرازق المالك المتفرد بالالوهية • وقيل معناه ان التوحيد الخالص هو الذي
يتقرب به الى الله دون غيره من الاديان اي يشوبها الشرك • وقال الامام القشيري في قوله فاعبد الله مخلصا
له الدين العبادة موافقة الامر على غاية الخشوع ويكون بالنفس والقلب والروح فالتي بالنفس الاخلاص فيها
بالتباعد عن الانتقاص • والتي بالقلب الاخلاص فيها بالعمى عن روية الاخلاص • والتي بالروح الاخلاص فيها
بالتنقي عن طلب الاختصاص • وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء اي والمشركون الذين اتخذوا من دونه
الله اصناما يتولونهم ويجعلونهم يلونهم بالحفظ والاحاطة والحياطة من المكاره • وقوله تعالى ما نعبدهم اي
يقولون ما نعبد هؤلاء الاصنام الا ليقربونا الى الله زلفى اي بالشفاعة لنا اليه • وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون اي ان الله عالم بهذا القول منهم وسيرجعون اليه فيحكم بينهم فيما يختلفون بانه يميز بين المحق والمبطل بالثواب
والعقاب ويكون على هذا قوله بينهم كناية عن المشركين والموحدين جميعا وثبت ذكر المشركين في الاية صريحا وذكر
الموحدين دلالة • وهو لله تعالى الا لله الدين الخالص واهله الموحدون فان كان قوله بينهم مقتصرا على المشركين
فالحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون من اختلاف معبوديهم فمنهم عابد صنم ومنهم عابد عجل ومنهم عابد شمس ومنهم
عابد الملايكة ومنهم عابد الجن فيحكم بينهم جميعا بما ذكر في ايات ثم يقول للملايكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون يا عيسى
ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني ونظايرها • وقوله تعالى ان الله لا يهدي اي لا يرشد الى الحق ولا يخلق فيه
الاهتدا من هو كاذب على الله او على رسوله • وقوله تعالى كفار كافر بالله ما دام مصرا على ذلك • وقيل هذا الكذب
هو قولهم الا ليقربونا الى الله زلفى • وقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء • قال الامام
ابو منصور اي لو جاز واحتمل ان يتخذ الله ولدا على ما يتوهمون لاختار مما يشاء من شاء لا على ما تختارون انتم وتنسبون
الا الملايكة بنات الله اذ العرف في الخلق ان من اتخذ لنفسه شيا انما يتخذ من اعز الاشياء وارفعها واعظمها فكذا
لا من اخس الاشياء وارذلها وانتم تختارون البنين على البنات فكيف اختاروا البنات على البنين سبحانه اي تنزيه

قسوة يعلون

من هو كاذب كفار

تعالى عن هذا • وقوله تعالى هو الله الواحد الذي لا ولد له القهار اي القهار عباده والولد في الشاهد
انما يتخذ لاحد وجوه اما لوحشة اصابته فيستانس به واما لحاجة تمسه فيدفع الولد ذلك عنه واما لغلبة
شهوة فيقضيها فيتولد منه الولد واما لوراثة ملكه بعد موته والله تعالى قهار دائم باق واحد فلا يجوز ذلك عليه
وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي بالحق الذي له على الخلق • وقيل بالحق اي للحق وهو البعث لان
الخلق للفناء عبث • وقيل بالحق اي بالحكمة اذ جعل في كل شي اية على ربوبيته ووحدانيته • وقوله تعالى يكور
الليل على النهار اي يلفه وهو من كور العمامة قاله قطرب • وقال ابو عبيدة اي يدخل نقصان النهار في زيادة
الليل كقولهم الحور بعد الكور اي النقصان بعد الزيادة وهو في معنى قوله يولج النهار في الليل وهو تعريف
اختلاف فصول السنة من ربيع وصيف وخريف وشتا لتعديل الطبايع والازمنة وحاصله ان التكوير لثلاث
معان الايلاج وهو ان يزاد من هذا في هذا ومن هذا في هذا والتغطية فاذا جاء الليل غطى على النهار كما قال والليل
اذا يغشاها وكذا كور العمامة والادارة كما في كور العمامة وهو مجي احدهما على اثر الاخر متعاقبين • وقوله تعالى
وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما يجريان ويطلعان ويغربان لمنافع العباد • وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى
اي كل واحد من الشمس والقمر يجري في الفلك الى ان تنقضي الدنيا الاجل المسمى عنده فينتقض هذا النظم حينئذ
وقيل الاجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سيرا الشمس والقمر الى منازلهما المرتبة لغروبهما وطلوعهما على ما مر
في سورة يس • وقوله تعالى الا هو العزيز المنيع الذي لا يمنع ما يجري به على المسي • وقوله تعالى الغفار لمن تاب واناب
بعد الاساءة • وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة وهو ادم عليه السلام • وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها وهي حوا
وقوله تعالى وانزل لكم من الانعام اي وخلق لمنافعكم من البهايم ثمانية ازواج وهي الابل والبقر والغنم والمعز والازواج
الاصناف والزوج هاهنا ذكر وانثى كل فرد زوج وهي المذكورة في قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين • ثم قوله وانزل له وجوه احدها ان اصلها من الجنة وانزلت على ادم والثاني
ان معناه اعطى والتنزيل العطية والثالث ان السوال لدفع الحاجة والاجابة انزال والرابع ان قوام الانعام بالنبات
وهو من المطر وذلك منزل من السما وعلى هذا قوله قد انزلنا عليكم لباسا ولانه الموصول بامر الله تعالى والملكون
امر الله ينزلون من السما وعلى هذا وانزلنا الحديد له هذه الوجوه • وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم
خلقا من بعد خلق اي تقديرا بعد تقدير وتارة بعد تارة وهي ما ذكر في قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين •
الايات في ظلمات ثلاث • قال اكثر المفسرين هي ظلمة المشيمة وهي الجلدة التي يكون فيها الولد وهي كالغشا وظلمة
الرحم وظلمة البطن يصور الله الخلق فيها لا يخفى عليه ذلك كما لا يخفى على من اراد تصوير شي ولا يستوي شيا عند تخ
وقوله تعالى ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فاني تصرفون اي كيف ومن اين تصرفون عن تدبر هذه الايات
ومن اخلاصكم العبادة لله الى الشرك به والى عبادة ما سواه • وقوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم اي ان
تجحدوا نعم الله وتتركوا الشكر له عليها فانه لا يضره كفركم اذ لم يامركم بالشكر لنفع يجره الى نفسه ولمزيد فيه
من نفسه بل هو غني عنكم وعن عبادتكم • وقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه قبيح في نفسه • وقوله تعالى وان
تشكروا يرضه لكم اي الشكر فانه حسن في نفسه فيقبله منكم ويثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل
نفس حاملة حمل نفس ثم الى ربكم مرجعكم اي ثم في القيامة الى جزاء ربكم رجوعكم فينبئكم بما كنتم تعملون اي فيخبركم
باعمالكم ويجازيكم عليها انه عليم بذات الصدور اي بخفيات القلوب • وقال السدي ان تشكروا تطيعوا
وقال الخليل الشكر عرفان الاحسان ونشره • وقوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه اي واذا
نال احدا من هولاء المشركين بلاء وشدة في ابدانهم واموالهم واسبابهم فزع الى الدعاء والتضرع الى الله تعالى
راجعا اليه دون الاصنام الذي اتخذوها اوليا لعلمه الضروري ان الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يجر ولا يدفع
وقوله تعالى ثم اذا خوله اي ملكه واعطاه نعمة منه وهي خلاف الضر الذي كان مسه من الصحة والعافية والثروة
والغنى • وقوله تعالى نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي ترك الدعاء الذي كان يدعو به من قبل نيل هذه
النعمة ترك الناسي الشي الذي لا يخطر بباله • وقوله تعالى اليه له معنيان يدعوا اليه اي يدعو الله منيبا
اليه فتكون الهاء كناية عن الله والثاني يدعوا الله اليه اي الى كشفه فتكون الكناية عن ذلك الشي الذي نال
كشفه وعلى هذا قوله فيكشف ما تدعون اليه • ووجه اخر نسي ما كان يدعوا الناس الى الله اي الى الايمان
بالله تعالى والاعتصام به في هذه الحالة • ووجه اخر نسي ما كان يستشفع بالناس الى الله تعالى اي يستعين
بهم في دعا الله لحاجته • وقوله تعالى وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب
النار اي قل يا محمد لهذا الكافر ان تمتعك بكفرك في الدنيا من نيل الرياسة والاعراض الدنيوية قليل زايل ثم
انك صاير الى النار باق فيه خالدا خلدا • وقوله تعالى تمتع صيغة امر ومعناه خبر كما قيل اذا لم تستحي فاصنع
ما شئت اي صنعت ما شئت • وقيل هو تهديد كقوله اعملوا ما شئتم • وقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه استفهام بمعنى النفي اي ليس من هو يصلي اوقات ليله قائما وساجدا

الايلاج زيادة النهار بتكوير النهار على الليل
او يدخل نقصان

الليل والنهار
ويعلم

لو ان شي يستتر به ما لانه تصير بكل شي الخفي عليه شي

وهو ان كان غنيا عنكم فانه لا يحب ان يفعل العباد الكفر

واخره مواظب على الصلوات لربه يقوم في صلاته اعظاما ويسجد تارة تذللا ويخاف الحساب في الاخرة لايمانه بالبعث ويرجوا رحمة ربه فيتردد بين الخوف والرجا كمن ليس كذلك بل هو مشرك يجعل من دون الله اندادا او يكفر بنعمة ربه وحذف ذكر الفريق الثاني لاختصار الوضوح المراد فاشار اليه ايضا بما ذكر بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو للنفي ايضا فكذا الاول وقد قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاذا لم يستو العالم وغير العالم لم يستو الخاشي وغير الخاشي ● وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب اي انما ينتفع بهذه المواعظ والامثال من كان له عقل ينتفع به ● وقرا حمزة ونافع امن بالتخفيف وله وجهان احدهما انه استفهام بالالف والثاني انه نداء بالالف اي يا من هو قانت وكذا البشرى للثواب والنجاة من النار ● وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في عمار بن ياسر ● وقال الضحاك والسدي نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ● وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون يعني عمار وعثمان والذين لا يعلمون يعني ابا حذيفة بن المغيرة وكذا الاول ● وقوله تعالى ثم اذا خوله نعمة منه نسي ● وقوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي قل يا محمد عني يا عبادي اي خواصي الذين امنوا اتقوا ربكم فاطيعوه ولا تعصوه ● وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب له وجهان احدهما الذين احسنوا في الدنيا لهم حسنة في الاخرة وهي الجنة وارض الله واسعة اي ارض الجنة كما قال عرضها كعرض السماء والارض واسم الارض يقع عليها واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ● وقوله تعالى انما يوفى الصابرون على الاختيار في الدنيا اجرهم بغير حساب ثوابا لا يدخل في حساب الخلق لكثرته ● والثاني للذين احسنوا في الدنيا حسنة وهي النصر كما قال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي النصرة والشهادة ● وقوله تعالى وارض الله واسعة اي وارض الدنيا متسعة لمن ضعف عن الصبر على فتنة المشركين وتعذيبهم على الدين فهاجروا فيها الى ارض تامنون فيها على انفسكم واديانكم ولا ترجعوا الى دين الكفار باكراههم فاصبروا على الحق واذى الخلق انما يوفى الصابرون على ذلك اجرهم بغير حساب ● وقوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين اي قل يا محمد للكفار بعدما قلت للمسلمين امرني الله ان اعبده مخلصا له الطاعة والانقياد بخلاف ما انتم عليه وامرني ان اسبق الامة الى الاسلام لا انتظر به اسلام احدهم ليكون لي شرف السبق وثواب الكل بسبب السبق ● وقوله تعالى وامرت لان اكون جمع بين صلتين وهما اللام وان ويجوز ذكر الامر على ثلاثة اوجه وامرت ان افعل وامرت لافعل وامرنا لنسلم وامرت لان افعل وقيل معناه هاهنا امرت ان اعبد الله تعالى وامرت بذلك لان اكون اول المسلمين فانا لي شرف ذلك وثوابه ● وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي عظيم الاحوال كثير الاهوال قل الله اعبد مخلصا له ديني كما امرني به فاعبد وا ما شئتم من دونه وهذا امر تهديد اي اختاروا لانفسكم ما شئتم فقد اخترت لنفسي ما امرني به ربي والدليل انه للتهديد ما سبق من ذكر العذاب العظيم على خلاف هذا الامر وكذا ما ذكر بعده من الخسر ● وقوله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة اي الذين عبدوا غير الله هم الهالكون اهلكوا انفسهم واهليهم ● قال مجاهد وابن زيد خسران النفس هلاكها بالعذاب وخسران اهليهم ان لا يكون لهم في النار اهل وقد كان لهم في الدنيا اهل ● وقال الحسن اهليهم الحور العين في الجنة خسروها حيث حرموها بكفرهم ● وقيل خسروا انفسهم حيث لا يكون لهم نفوس صحيحة ينتفعون بها بشيء من الملاذ واهليهم فانهم ان كانوا كفارا وكانوا معهم في النار كان ذلك زيادة حسرة ووحشة لا سبب انس وراحة ● وقوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين اي الظاهر الواضح ● وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار اي كهيئة الظلل المبنية فوقهم ● وقوله تعالى ومن تحتهم ظلل اي تحيط بهم نار جهنم من كل الجهات وهو كقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وكقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ثم جعل ما تحتهم ظلة وان كانت ظلل الدنيا عالية لان جهنم ادراك فالظلة التي تكون تحت قوم يكون ظلة عالية على قوم ● وقيل جعل ما تحتهم ظلة لان ذكرها في مقابلة ما فوقهم والمتقابلان يسميان باسم واحد كالعصرين في اول النهار واخره ذلك يخوف الله به عباده يعني بما ذكر من عذاب النار ● وقوله تعالى يا عباد فاتقون تحذير هم النار ثم حذرهم نفسه فهو المعذب بالنار من عذب بها ● وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها اي من اخلص العبادة لله وتباعد عن عبادة الشياطين من طاعاتهم في الاشراك به وكان منهم على جانب الاجتناب هذا حقيقة الاجتناب كالانحراف الذي حقيقته ان يكون على حرف والاعراض الذي حقيقته ان يكون على عرض ● وقوله تعالى وانابوا الى الله اي واقبلوا الى الله بطاعتهم وعبادتهم مخلصين له الدين ● وقوله تعالى لهم البشرى اي بالجنات بدلا عما لاولئك الخاسرين من النار ● وقوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون ● قيل عمومه يتناول كل قول اي احسن قول الله وقول رسوله وقول من سلف من المؤمنين والكفار وقوله فيتبعون احسنه اي احسنه طاعة وهو طاعة الله تعالى ● وقوله تعالى اولئك الذين هداهم الله اي اهتدوا بهداه ● وقوله تعالى واولئك هم اولوا الالباب اي المنتفعون بعقولهم ● قيل نزلت الاية في

قال تعالى ايكم

نفر كانوا يقولون لا اله الا الله في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وابو ذر ● وقوله تعالى الطاغوت قيل هو الشيطان وقيل هم الشياطين ● وقيل هو ما عبد من دون الله ● وقيل هو الكاهن وقد يكون واحدا وجمعا قال الله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويكون مؤنثا كما في هذه الاية وهو فعلوت من الطغيان ويكون جمعا قال الله تعالى اولياؤهم الطاغوت ● وقيل الطواغيت خمسة كعب بن الاشرف بالمدينة وابو بردة بالشام ● وعوف بن عامر في اسلم وابو السوداء في بني جاسد ● وعبد الله بن قيس في بني خزاعة ● وعبادة الطواغيت هي طاعتهم فيما امروا به وطواعيته كما قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ● وقال الامام القشيري طاغوت كل احد نفسه وعبادته له اتباع هواه في مخالفة مولاه ● وقال في قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اي يستمعون كلام الله فيتبعون الاحسن وهو ما كان لله دون غيره ● وقيل يستمعون ذكرا وخالصا ● وقيل يسمعون من الله بالله ويسمعون من غير الله ● وقيل السمع من الملك ومنها هواجس النفس في متابعة الشهوات وخواطر الملك ما يدعو الى الطاعات وخطاب الحق الحقائق التوحيد ● وقيل احسن ان يستمع من الله احسن ان يسمع عباد الله ● وقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب اي وجب عليه بقوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فعبد الطاغوت واتخذ من دون الله اولياء افانت تنقذ من في النار اي تخلصه منها ● وقيل جوابه الاول محذوف افمن حق عليه كلمة العذاب فنجيه ● وقيل الاصل في الكلام الثاني افانت تنقذ من في النار منهم اي لا تقدر في حق هؤلاء كل الجهد فان عرفهم على ذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فهو استفهام في معنى النفي فاتى بحرف الاستفهام في الاية فلما كذا في قوله ايذا كنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون ● وقال الفرا المعنى افانت تنقذ ● وقيل لانه استفهام لواحد لكن لطول الاستفهام موضعه فاعيد في موضعه الذي هو له وانما المعنى افانت تنقذ من في النار وهو من حقت عليه كلمة العذاب وكذلك قوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون فذكر انكم مرتين والمعنى ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكذلك قوله ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ● وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي في الجنة على مقابلة ما قال لاهل النار قبله وهو قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ● وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار وعد الله اي وعدهم الله ذلك ● وقوله تعالى لا يخلف الله الميعاد اي الوعد في الفريقين جميعا ● وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء اي مطرا فسلكه اي ادخله في الارض فصار ينابيع اي عيونا وانهارا ينبع الماء منها اي يفور ● وقوله تعالى ثم يخرج به اي بالماء زرعا مختلفا الوانه ● قيل اي اصنافه كقولك هذا لون من الثياب ولون من الطعام من حنطة وشعير وارز وغير ذلك من الحبوب ● وقيل هي الالوان خضرة وصفرة فان الزرع مختلف الوانه فان لون الارز غير لون الحنطة ونحو ذلك ● وقوله تعالى ثم يهيج ثم يبس هذا الزرع ● وقوله تعالى فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما متفتتا متكسرا ● وقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب اي فيما ذكرنا من احياء الارض بعد موتها دلالة على احياء الخلق بعد موتهم وهذا وحدة من الله تعالى لا يخلفه ● وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام هو نعت اولي الالباب اي افمن فتح الله قلبه فانشرح للتدبر والعلم والايمان فهو على نور اي على هداية من ربه فهو يمشي على استضاءة في طريق الجنة اي هو افضل واهدى سبيلا امن هو مخالف له ممن قد قسى قلبه عن ذكر الله تعالى فهو متحير متردد في الظلمات ليس بخارج منها وحذف هذا اختصارا لوضوح المراد بما تقدم وما تاخر ● وقوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله والقاسي القلب هو الذي الف الكفر والاعراض عن استماع ذكر الله فزاد على قلبه قسوته فغشا قلبه اي صلب فصار كالشي المصمت الذي لا يتخلله شي ولا ينفذ اليه شي ● وقوله تعالى من ذكر الله هو ما ذكر الله ورسوله من الترغيب والترهيب وضرب الامثال اولئك في ضلال مبين اي غواية ظاهرة ● وقال المفضل افمن شرح الله صدره للاسلام يعني النبي صلى الله عليه وسلم فويل للقاسية قلوبهم يعني ابا جهل وذويه ● وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت ● وقال الامام القشيري رحمه الله النور الذي هو من عند الله نور اللوايح بنجوم العلم ثم نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوايد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم انوار الصمدية بحقايق التوحيد فعند ذلك يتحقق الاصطلام فلا وجد ولا فقد ولا قرب ولا بعد كلا بل هو الله الواحد القهار ● وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها اي واوحى الى محمد ليلين القلوب القاسية بذكر الله وليطيب القلوب الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اي احسن ما يحدث به لانه مشتمل على مصالح امور الدين والدنيا وقوله تعالى كتابا اي كلاما مجموعا يكتب ● وقيل كتابا من الله تعالى الى عباده ● وقوله تعالى متشابها اي يشبه بعضه بعضا فلا يختلف ولا يتناقض ولفظ اخر يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض ● وقيل اي كله فاضل

ستنا

ومنها ما تشار الشيطان ومنها خواطر الملك
ومنها خطرات النفس فيشار ومن الشيطان ذلك وسط
الى الناسي اصحاب النفس

الي دار الخلود

معجز خارج عن صفات كلام الادميين الذين لا يخلوا عن تفاوت • وقوله تعالى مثاني اي تثنى فيه الانبا والقصص
والايات المكررة في الوعد والوعيد والتقرير والتاكيد • وقيل المثاني خواتم الايات وذلك ان القران باين سائر
الكلام بخروجه عن طرق اصناف الكلام التي كانت العرب تتعاطاها نظما ونثرا فالمنظوم عندهم يسمى شعرا
والمنثور يسمى خطبة والقران خارج عما عليه هذان النوعان وكذلك اسماؤه متباينة لاسمايهما فليس يسمى شعرا
ولا خطبة بل هو قران وكتاب وسمي كل قطعة منه سورة كما سمت العرب كل قطعة من الشعر قصيدة وارجوزة وسمي
كل فصل من السورة اية كما سمت العرب من ذلك من الشعر بيتا اي رجزا وسمت العرب الابيات لاتفاق اواخرها
قوافي وسمى الله القران لاتفاق خواتم الاي مثاني • وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اي تنقبض
وقيل هو اليبس والخشونة وذلك عند الخوف بوعيده • ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وذلك عند الرجا بوعده
ومعنى الى ذكر الله اي تلين وتطمئن الى ذكر الله وذلك عند الرجا بوعده • ومعنى الى ذكر الله قال القطرب اي مايلة
الى ذكر الله • وقوله تعالى ذلك هدى الله اي ذلك القران ارشاد للخلق من عند الله يهدي به اي يخلق فعل
الاهتدا بسبب القران في من يشاء من عباده وهو من علم منه اختيار الاهتدا • وقوله تعالى ومن يضلل الله
اي من يخلق فيه صفة الضلال فما له من هاد الى الحق • وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثاني ثني فيه الانبا
والقصص • وقال مجاهد الحلال والحرام والامر والنهي والوعد والوعيد • وقال الكلبي اي ايات
الرحمة والعذاب وصفة الجنة والنار وصفة المومن والكافر وما اشبه ذلك • وقال عبد الله بن الزبير
سالت امي اسما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قري القران بين ايديهم قالت كانت
عيونهم تدمع وقلوبهم تقشعر قلت فان قوما اذا قري عليهم القران يخرون مغشيا عليهم فقالت اللهم اني اعوذ
بك من الشيطان الرجيم اي هذا التكلف والاراءة منهم بعث الشيطان اياهم عليه • وقال ابن مسعود رضي
الله عنه مل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مللة فقالوا يا رسول الله حدثنا فانزل الله تعالى الله
نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله فاقصص علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص
السورة قالوا يا رسول الله فذكرنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله • وقوله
تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وهو الذي يضله الله تعالى فما له من هاد استفهام بمعنى
النفي وفي اخره مضمر اي افمن يلقى في النار يوم القيامة مغلول اليد لا يمكنه ان يتقي العذاب الا بوجهه
والوجه لا يتقي فيه فهو اذا لا يتقي العذاب الذي يلقى فيه فيحرق بدنه كله ولا يمكنه ان يرده عن وجهه الذي
هو اعز شي واجله في بدنه انه لمن يدخل الجنة ويتنعم بها وحذف احدى الطرفين للاختصار عنده
ووضوح المراد كما مر في هذه السورة مرات ونظيره قوله يتقي بوجهه • قوله تلفح وجوههم النار ويشوي الوجوه
حين لا يكفون عن وجوههم النار • وقالوا اذا كان الموقي بسائر الاعضا لوقاية الوجه فاذا كان الاتقا
بالوجه لم يكن اتقا فصار الحاصل انه لا تقي العذاب وهو كقوله وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل وهذا
لا ينفع به الاغاثة فحصل المعنى وان يستغيثوا لا يغاثوا وقريب من هذا قول الشاعر • ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب • اي لا عيب فيهم الا هذا وليس هو بعيب فلا عيب فيهم اذا بوجهه
وقوله وقيل للظالمين اي لهذه الطبقة من الظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزا ذلك وهو الذي اتتم
فيه وقوله وقيل ماض بمعنى المستقبل لانه من امور الاخرة فالحق بالكاين لتحققه • وقوله تعالى كذب
الذين من قبلهم اي كذب الامم من قبل هولا المشركين رسلهم • وقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
اي من حيث لم يكونوا يعلمون ان ياتيهم منه وفي وقت لم يتوهموا نزوله بهم فيه • وقوله تعالى فاذاقهم
الله الخزي اي الفضيحة في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون
اي لو كان عند هولا المشركين من العلم ما يتدبرون به ويعلمون لصدقوا بهذا الوعيد ولامنوا به لكنهم
لا يتدبرونه فلا يعلمون به • وقوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل اي ولقد وصفنا
في هذا القران من كل ما بالناس اليه حاجة في امور دينهم ومصالح دنياهم مثلا وهذا العموم كما في قوله
ما فرطنا في الكتاب من شي اي من شي يحتاج اليه في الدين • وقوله تعالى لعلهم يتذكرون اي ليتعظوا
وقوله قرانا نصب على القطع لانه نكرة نعت به معرفة او نصب باضمار فعل واقع عليه انزلناه او جعلناه وقوله
عربيا نعته اي بلسان العرب ليفهموه ويعلموا حسن نظمه وصواب معانيه لانه بلسانهم • وقوله تعالى غير
ذي عوج لعلهم يتقون اي لا يوجد فيه اختلاف ولا خطا يخرج به عن الحكمة والفصاحة لفظا ومعنى وذلك
ما يدل على انه من عند الله تعالى يوجب التذكر به ولزم تقوى الله في ان يوقع بهم ما توعدهم به من العذاب
وقوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون اي وصف الله شبها للمشركين والموحدين ولم
يقل مثلين وان ذكر بعده رجلين لان ذكرها جملة مثل واحد وهو كقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية ثم وصف
المثل فقال رجلا فيه شركا متشاكسون اي رجلا يخدم جماعة هم في خدمته لهم شركا متعاشرون متشاحون

كل واحد منهم يجب ان ينفرد به ولا يحب خدمته لغيره ولا اشراكه من سواه في طاعته وتعظيمه وقد يشكي شكاسة فهو يشكي
من جدهم وهو صعب الخلق فهذا امثال من عبد الهة فلا شك ان تلك الالهة لو كانت احيا فراي كل واحد منها احسن طاعة هذا
العابد له لاحب ان يخلص خدمته له وان ينقطع لها وحده اليه فاذا لم يجد هذا منه بيت نفسه عنه فلم يصف له قلبه
ولا شك انه لو انفرد واحد منهم بالخدمة كان اروح له وارضى لمخدومه خصوصا اذا كان في الجماعة الذين يخدمهم
رييس يعرف الباقون برياسته وانهم دونه في منزلته وان سبيلهم ان يشفعوا الى مخدومهم عند هذا الرييس فكل عاقل
يعلم انه لا معنى في اتعاب هذا الخادم بدنه في خدمته بينهم وان الاكرام والاروح لبدنه ان ينفرد ذلك الرييس
بالخدمة لا سيما اذا كان ذلك بدعوة لنفسه ويضمن له بلوغ الامل اذا افرده بخدمته ثم ضرب مثل المخلص الموحد
فقال ورجلا سلما لرجل قرا ابن كثير وابو عمرو سالما • وقرا الباقون سلما والسلم الاستسلام مصدر ازيد به
النعت اي رجلا قد خلص لرجل فصار له بحيث لا يشوب خدمته غيره ولا يوجه امله الى سواه فقد تكامل جده عليه
واجتمعت محبته وخدمته وعبوديته كلها له فتقضي العقول السليمة ان هذا المخدوم قد لزمه ذمامه ووجب
عليه حقه وان هذا الخادم يفوز بكل ما يومله من خدمته خصوصا اذا كان المخدوم كريما واسعا لحقوق خدمه
نعم ما يريح هذا الخادم من مونة كثرة التعب في الخدمة وتشعب الفكر في ارضائهم • وقوله تعالى هل يستويان
مثلا اي هل يستوي هذان الرجلان في الوصف وكل من تدبر بعقله علم ان المنفرد بالخدمة احسن حالا فالحمد
فانية من الذي يخدم جماعة • وقوله الحمد لله اي على ايضاح الحجة • وقيل على التخصص بالتوحيد • وقيل
على جليل ما لها الصانع تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يستعملون عقولهم في النظر في الدلايل ليعلموا • وقيل
اي لا ينتفعون بعلومهم • قال مقاتل ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابايه وعبادة
الاصنام فضرب الله لهم ولالهتهم مثلا فقال ضرب الله مثلا الاية اي هل يستوي عبد يشترك فيه نفر مختلفون
يملكونه جميعا مع عبد لا شركة لاحد فيه فخصمهم الله بهذا فقال قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم • وقال
الامام القشيري رجلا فيه شركا متشاكسون الذي يتجاذبه شغل الدنيا والاخرة وشغل الولد وشغل العيال
وغير ذلك من الاشغال المختلفة والخواطر المشتتة والمومن خالص لربه ليس لاحد فيه نصيب • وقوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون نفي التسوية بينه وبينهم ووعد النصرة له في الدنيا والحزن عليهم فقال في الدنيا
كذب الذين من قبلهم الاية • وقال في الاية انك ميت وانهم ميتون اي انك يا محمد تموت ويموت هولا المشركون
لان اجال الجميع منقضية منقطعة • وقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون اي ثم يجمعكم الله
ويسالكم للحساب والجزا والفصل بين المختلفين فيخصم اهل الحق واهل الباطل بحضرة الملايكة والمرسلين
والصديقين ويفصل الله الخصومة بينهم بالتمييز بين الفريقين وذلك قوله فمن اظلم ممن كذب على الله فزعم ان
له شركا واولادا • وقوله تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه اي بالقران لما جاءه فهولا فريق • وقوله تعالى اليس
في جهنم مثوى للكافرين استفهام بمعنى التقرير وهو جزا هولا الفريق ثم قال والذي جا بالصدق • قيل اي
بالصدق في اعتقاده ودينه فاخلص لله ووحده وصدق به اي حقق ذلك الصدق بالطاعة اولئك هم المتقون
لم يظلموا انفسهم كما ظلم الاولون • وقوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه في الجنات التي اعدها لهم
من انواع النعم • وقوله تعالى ذلك جزا المحسنين في اعتقادهم واعمالهم • وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوا الذي
عملوا اي يجزيهم الجزا ليكون كفارة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون بطاعتهم في الاسلام ثم قوله والذي
جا بالصدق وصدق به واحد • وقوله تعالى اولئك هم المتقون جمع لانه واحد في لفظه جمع في معناه لانه جنس
تسار كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاستثنى ولا يكون ذلك الا من الجمع • وقيل
هو التوحيد وصدق به هو ايضا تيله وحققه • وقوله تعالى اولئك هم المتقون وهو من اتبعه • وقيل وصدق به
اي ومن صدق به وهو ابو بكر الصديق قاله الكلبي وابو العالية • وقوله تعالى اولئك اي هو واتباعه
وقيل ومن صدق به هم المومنون • قوله تعالى اولئك هم المومنون جميعا مع النبي ومع الصديق • وقال
السدي والذي جا بالصدق جبريل وصدق به محمد يعني تلقاه بالقبول • وقال مجاهد وصدق به اهل القران
وقال الشعبي والذي جا بالصدق بلا اله الا الله وصدق به اقام على لا اله الا الله • قال ابن عباس
رضي الله عنهما عند ربكم تختصمون هذا في بعض المواضع دون بعض • وقال ابو العالية قوله عند ربكم تختصمون
نزلت في اهل القبلة والذي في سورة ق قال لا تختصموا لدي هم اهل الشرك • وقال عكرمة تختصمون اي
محمد ومشركو قريش • وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا هي هذا • وقال ابراهيم النخعي ان الصحابة
قالوا ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا • وقوله تعالى اليس الله بكاف عبده اي
اليس الله كافيا عبده ورسوله المصطفى ان ينصره بما يوصل له حجته وينصلوا اليه بمكروه وهو استفهام على
معنى التقرير للاجابة ببلى وقرا حمزة والكسائي عباده على الجمع • وقيل اراد به الانبيا • وقيل اراد به المومنين

أي ثابت لهم لا سلطنهم عالكفر [?]

وصدق به ابو بكر
والذي جا بالصدق هو رسول الله عليه
السلام والصدق هو القران
وقيل م

واما التوحيد فهو على النبي • وقال مقاتل قالوا يا محمد انا نخاف ان تخبلك الهتنا لانك لا تزال تعيبها بسوء وذلك قوله
ويخوفونك بالذين من دونه • وقال الضحاك قالوا له لتكفن عن ذكر الهتنا او لتخبلنك • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث خالد بن الوليد ليكسر العزى فقال له قيمها اتقها ان لها شدة لا تقوم لها الرجال فضربها خالد فهشم انفها
وقيل لهشم انفها • وقوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه قد بينا في قول انه الاصنام • وقيل كانوا يخوفونه بكثرة جموعهم
قال تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر فالكفاية في ذلك ما قال سيهزم الجمع ويولون الدبر • وقال فان تولوا
فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله فاذا حمل على الانبياء فقد كانوا يخوفونهم الاصنام ايضا • قال تعالى في قصة ابرهيم
وكيف اخاف ما اشركتم • وقال في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وان كان التخويف بالجموع فقد
كان ذلك في حق الانبياء حتى قال نوح فاجمعوا امركم وشركاءكم • وقال هود فكيدوني جميعا وان كان هذا في حق المؤمنين
فهو كقوله لن يضروكم الا اذى • وقوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا • وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له
من هاد اي هؤلاء الذين يخوفونك قد اضلهم الله لعلمه باختيارهم الضلالة • وقوله تعالى ومن يهد الله فما له من
مضل كالنبي والمؤمنين • وقوله تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام استفهام بمعنى التقرير وهو وعد للنبي انه
منتقم لمن اعاديه • وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فكيف يطمعون في خوفك من
الهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى وانت رسول من خلقها وخلق السموات والارض • وقوله تعالى قل افرأيتم
ما تدعون من دون الله اي تدعونه الهة • وقيل اي تعبدونه • وقيل اي تدعونه بحوائجكم وهي الاصنام
وقوله تعالى ان ارادني الله بضر اي بسوء وبلاء ومكروه مما تخوفونني به • وقوله تعالى هل هن كاشفات ضره
او ارادني برحمة اي بنعمة • وقوله تعالى هل هن ممسكات رحمته اي هل هن قادرات على شيء من ذلك وانث
على ايجهم في هذا لان الاصنام اناث في اللفظ عندهم فانهم سموها اللات والعزى ومناة • وكانوا يقولون في
الملائكة ايضا هن بنات الله • وقوله تعالى قل حسبي الله اي فانهم لا يدعون لاصنامهم شيئا من هذا الامر
ان الله لا يعارض ولا يمانع ولا يغالب ولا ينازع فاذا قالوا لا يقدر اصنامنا على معارضة الله في ذلك
فقل لهم حسبي الله اذا عليه توكلت • وقوله تعالى عليه يتوكل المتوكلون اي ومن اراد ان يتوكل على من يكفيه
ويحقق توكله عليه فانما يتوكل على الله • وقوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي اثبتوا على ما انتم عليه
بما اخترتموه لانفسكم • وقال مجاهد على ناحيتكم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما على مكانتكم اي على منازلكم
وقيل على رسمكم وعاداتكم • وقال مقاتل على وتيرتكم اي على طريقتكم • وقيل على تمكنكم • وقيل على دياناتكم وهو
تهديد • وقوله تعالى اني عامل اي ثابت على ما انا عليه مما قد اخترته لنفسي ينتظر كل منا ما يؤول اليه امره
فسوف تعلمون • وقوله تعالى من ياتيه عذاب يخزيه اي يفضحه ويحل عليه اي يحق عليه ويجب عليه عذاب
مقيم اي دائم ثم في قوله مكانتكم وجهان احدهما ان تكون مفعلة من الكون اي على موضع كونكم والمكانة
بمعنى المكان كالمقامة تكون بمعنى المقام والثاني ان تكون فعالة من التمكن ومعناه اعملوا متمكنين • وقال
ابو العالية اعملوا على مكانتكم في هلاكي ان قدرتم عليه فاني عامل على هلاككم فسوف تعلمون من الغالب منا
ومنكم • وقوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق اي ببيان الحق • وقوله تعالى فمن اهتدى فلنفسه
اي منفعته له ومن ضل فانما يضل عليها اي مضرته عليه • وقوله تعالى وما انت عليهم بوكيل اي بمسلط على
اكراههم على الاسلام فانه ليس ذلك بيدك وانما عليك البلاغ وهو كقوله لست عليهم بمصيطر • وقيل الوكيل
من يحيل اليه الشيء لعجز موكله عنه بنفسه يقول لسنا بعاجزين عن حملهم على الايمان فنكل ذلك اليك بل نحن
قادرون على ذلك • قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
وقيل نسخت هذه الاية اية الامر بالقتال • وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها اي يقبضها والتي
لم تمت اي يقبض الانفس التي لم تمت في منامها اي حال نومها فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يرسلها الى ابدانها
ويرسل الاخرى اي الانفس الاخرى الى اجسادها الى اجل مسمى اي الموت ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
اي لعلامات دالة على قدرة الله على البعث بعد الموت والاية في محاجة المشركين في اثبات البعث اي من قدر
على هذا اقدر على ذلك • قال الامام ابو منصور رحمه الله قال سعيد بن جبير رحمة الله عليه يجمع بين ارواح
الاحياء وارواح الموتى فيتعارف منها ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجسادها • قال وهذا لم يفهم شيء منا قبل الاية قال وقال الكلبي للنائم متوفى حتى يرد الله اليه نفسه واما
الذي يتوفاها حين موتها فانه يقبض الروح والنفس معا ويرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغ اجلها
المسمى وهو الموت ويقول انما يقبض الله من النائم النفس لا الروح • قال وهذا الذي ذكره الكلبي اقرب
الى تاويل الاية من الذي ذكر سعيد واصله ان الله تعالى جعل في الاجساد انفسا وارواحا تدرك الاجساد
الاشياء بها وارواحا تحيى الاجساد بها لانك ترى الاجساد في حال نومها على الهيئة التي كانت من قبل ليس لها الا
الموت لكنها لا تدرك شيئا فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا وليس بها اثار الاحياء فدلنا هذا على انها في حال

النوم

النوم قد ذهب منها وخروج ما به تدرك الاشياء وبقي فيها ما به تحيى وهو الروح فاذا اخرج الروح منها ماتت الا ترى انها عند ذلك
تنتن وكان قبل خروج الروح منها وان كانت لا تدرك شيئا فهي على الهيئة التي كانت من قبل دل ذلك على ان الذي به تدرك الاشياء
غير الذي به تحيى والله اعلم • وقوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء وهذه في محاجة المشركين ايضا وكانوا يقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله • وقال ام اتخذوا من دون الله شفعاء وام بمعنى الف الاستفهام او ام صلة كلام فيه الف الاستفهام
ثم عطف هذا عليه بام وتقديره على الانتظام ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون افلا يتفكروا فيعلموا وحدانية الله تعالى
فلا يشركون به الاصنام ام اتخذوها شفعاء ثم ابطل ذلك بقوله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي اتشفع لهم وهي
لا تملك شيئا ولا تعقل ولا تسمع فلا يشفع من لا يعقل ولا يملك ثم بين وجها اخر لابطال ذلك فقال قل لله الشفاعة جميعا
له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون اي عرفهم ان الشفاعة لا يملكها الا من يملك السموات والارض اي كلها
لله تعالى لا يتقدم عليها احد الا باذنه وانتم معاشر المشركين مقرون بذلك فاياه فافردوا بالعبادة ودعوا الاشراك
به • وقوله ثم اليه ترجعون اي الى جزائه تصيرون وهذا ترغيب وترهيب • وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي واذا ذكر عندهم التوحيد ووجوبه وعرفوا ان الله واحد لا شريك له اشمأزت قلوبهم
اي انقبضت واعترتها الوحشة فصاروا الى النفار عن الذكر لانقباضها وضيقها • قال ابن عباس رضي الله عنهما
اشمأزت اي انقبضت • وقال قتادة كفرت واستكبرت • وقال الضحاك نفرت • وقوله تعالى واذا ذكر الذين من
دونه اذا هم يستبشرون اي واذا ذكر ما يعبدونه من دون الله ظهر في وجوههم البشر وصار اثر السرور • وقوله تعالى
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي يا خالق السموات والارض عالم الغيب والشهادة
اي يا عالم السر والعلانية انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي قد علمت حالي وحال قومي هؤلاء اني
قد بلغتهم واجتهدت في النصح لهم وفوضت ذلك اليك فاعرضوا واستمروا فاحكم بيني وبينهم فانك انت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من اديانهم وهذا الحكم قد يكون في الدنيا بانجاز وعده في اعلائه على قومه
وهو كدعاء نوح عليه السلام فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وقد يكون في الاخرة بان يجزي كلا على عمله وفي
هذا الامر بشارة له بذلك كله ويجوز ان يكون قوله انت تحكم بين عبادك لا على وجه الدعاء بل اظهارا لثقته من
نفسه على الانتقام لدينهم في الدنيا والتبيين الكل بالجزاء في العقبى ويجوز ان يكون هذا امرا له بالشهادة
بالبعث وانه حق وان الله يحاسب عباده فيه ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه وهو بادخال الكفار النار وادخال المؤمنين
الجنة قد مر في السورة الامر به جميعا • وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اي كفروا ووضعوا العبادة غير موضعها
وظلموا انفسهم بذلك ونقصوها حقها • وقوله تعالى ما في الارض جميعا من الاموال ومثله معه وعلموا ان
الفدية تنجي منهم لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ليتخلصوا منه ولكن الفدية لا تغني كما ان الشفاعة
لا تغني • وقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي وظهر لهم من امر الله ما لم يكونوا يظنونه ولا يعدونه
في جملة ما يجري عليهم لانهم كانوا منكرين لهذا اليوم • وقيل ابطل الله عليهم اعمالا كانوا عملوها في الدنيا
يحسبون انها تنفعهم وانها حسنات فبدا لهم انها سيئات وبدا لهم سيئات ما عملوا اي وظهرت لهم يوم القيامة
اعمالهم السيئة من امور الكفر • وقيل معناه بدا لهم جزاء ذلك وهو كقوله هذا ما كنزتم لانفسكم اي جزاء ما كنزتم
وقيل ظهرت اعمالهم لهم مثبتة في كتبهم • وقيل ظهر لهم سوء عملهم بعذاب كان يخفى عليهم لتماديه • وقيل بدا لهم
بشهادة جوارحهم عليهم • وقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي نزل بهم عذاب استهزائهم في الدنيا
بآيات الله وانبيائه • وقيل حاق بهم اي احاط بهم • وقال السدي وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ظنوا
انها حسنات فبدلت لهم سيئات • وقال سفيان حين قرا هذه الاية ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء ونظيره وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا • وقوله تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته
على علم • قال مقاتل يعني ابا حذيفة بن المغيرة وقيل هو عام ومعناه اذا نال المشرك بلاء في بدنه وامر كان يخافه
دعانا اي التجا الينا واخلص الاستغاثة بنا • وقوله تعالى ثم اذا خولناه اي ملكناه وموّلناه ووسعنا عليه
نعمة منا • وقوله تعالى قال انما اوتيته على علم • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني اذا بدلناه بالسقم الصحة
وبالفقر الغنى قال انما اوتيته على علم لفضلي • وقيل اي لم ير ذلك من عندنا ولم يعده من عطايانا • ويقول انما
اعطيته على علم مني بجمعه واكتسابه فاعطيته بجدي ونظري واكتسابي لا منة لاحد علي فيه يستحق فيها شكرا
وقيل على علم مني قبل ان اعطاه لاستحقاقي ذلك بعقلي وكفايتي فرد الله تعالى عليه ذلك فقال بل هي فتنة اي عطية
من الله امتحنه بالشكر عليها والاستعانة على اقامة الدين بها وهو كقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله اي كلمته هذه التي قالها فتنة
له • وقيل ان هذه النعمة بلية ابتليته بها • وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا علم لهم ولا تمييز لهم
يقولون ذلك بجهل ولو تدبروا لعلموا ان الله تعالى لو اراد لسلبهم قوة الاكتساب فلم يمكنهم جمع شيء ولو اراد
المنها وعلموا ان كثيرا ممن عقلهم في دينهم ودنياهم اكثر منهم وان كثيرا من الناس اكثر اجتهادا منهم في الاكتساب

ولا شفيع لهم • وقوله تعالى قد قالها الذين من قبلهم اي هذه المقالة لجهالة فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما نفعهم شي
مما جمعوه من الاموال وظنوا ذلك لفضل فيهم وانه يعصمهم من عذاب الله تعالى وما دفع العذاب عنهم ويجوز ان يكون ما
للاستفهام ويجوز ان تكون للنفي فاصابهم سيئات ما كسبوا اي فنالهم جزاء سيئات اموالهم التي كسبوها وتلك السيئات
هي ما استعانوا به في اماتة دين الله والعتو في معاصي الله وفوزوا بها اعداء الله • وقيل فاصابهم سيئات ما كسبوا من الاثام
وقيل السيئات هي عقوبات ما كسبوه من المعاصي سمي بذلك للمقابلة كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او لانها تسوءهم اذ لم
يكرهوها فوصفت بالسوء لذلك وحاصله ان اموالهم لم تنفعهم لما عذبوا بها واستغنوا بهم كما فعل بقارون نخسف به
وبداره فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين • وقوله تعالى والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم
سيئات ما كسبوا كما اصاب الاولين وما هم بمعجزين اي بفائتين • وقوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء اي يوسع ويقدر ان يضيق ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اي فيما ذكرناه علامات لمن كان همه التصديق
بالحق على ان التفاوت في النعم من عند الله من غير حيلة بفضل او اجتهاد في كسب • وقال مقاتل ان اهل مكة قحطوا
سنين ثم مطروا بعدما سبع سنين فانزل الله تعالى اظهارا للقدرة اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وقوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تجاوزوا الحد وعصوا لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تياسوا ان
الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم • وقال القفال اي قل لهؤلاء المشركين عني يا عبادي اي يا خلقنا
انا مالككم اسرفتم في حكمي كيف شاء • وقوله تعالى الذين اسرفوا على انفسهم تجاوزوا الحد وما امروا به
وتعدوا الى ما نهوا عنه واستكبروا في ذلك وانهمكوا فيه وركبوا العظايم منهم لان الاسراف يشتمل على ذلك كله
والاسراف اشنع من الكفر بالله وتكذيب رسله والصد عن دينه • وقيل المومنين لا تقنطوا من رحمة الله اي
لا يحملنكم اسرافكم على انفسكم على ان تظنوا ان رحمة الله تضيق منكم حتى لو تبتم لم تقبل توبتكم ولم يزل الوعيد عنكم
ان الله يغفر الذنوب جميعا اي يسترها كلها على العباد اذا تابوا منها كفرا كان او ما دونه فرحمته واسعة
فلا تقنطوا منها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما دعا الله تعالى الى مغفرته من قال ما علمت لكم من اله غيري
ومن قال ان الله ثالث ثلاثة • ومن قال المسيح بن الله • ومن قال الملائكة بنات الله بقوله قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية
وقال مقاتل يعني الذين اسرفوا بالدماء والاموال فقد كان المشركون ظنوا ان لا يتاب عليهم منهم وحشي
قاتل حمزة وذلك ان الله انزل فيه والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله غفورا رحيما فاسلم وحشي
فقال المشركون قبلت توبته وانزلت فيه اية ولم ينزل فينا شي فانزل الله هذه الاية • وقال قتادة ذكر لنا ان
اناسا اصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية وظنوا انهم ماخوذون بها لا توبة لهم فيها فانزل الله هذه الاية وقرا
ابن مسعود رضي الله عنه ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء • وروت اسماء بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم • وقال الامام القشيري رحمه الله النسبة
بيا عبادي مدح والوصف بانهم اسرفوا ذم فلما قال قل يا عبادي طمع المطيعون ان يكونوا هم المقصودين بالخطاب
فرفعوا رؤسهم ونكس العاصي راسه • وقال من انا حتى يقول لي هذا فقال الله تعالى الذين اسرفوا على انفسهم
فانقلبت القصة فالذين نكسوا رؤسهم انتعشوا وزالت زلتهم والذين رفعوا رؤسهم اطرقوا وزالت
صولتهم ثم ازال الاعجوبة من القصة بما قوى رجاهم بقوله على انفسهم يعني ان اسرفت فعلى نفسك اسرفت
لا تقنطوا من رحمة الله اي بعد ما قطعت اختلافك الى بابنا فلا ترفع قلبك عنا وقال ان الله يغفر الذنوب
جميعا الالف واللام للاستغراق والعموم وذنوب جميع وجميعا تاكيد فكانه قال اغفر ولا اترك واعفو
ولا ابقي • وقوله تعالى وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا بالانقطاع اليه بالعبادة وذكر الرب على معنى
التنبيه على وجوب الانابة اليه اذا كان هو المالك والمدبر والمربي فهو الاحق بالانقطاع اليه بالعبادة
والتعظيم من جماد لا يضر ولا ينفع • وقوله تعالى له اي انقادوا له واجعلوا انفسكم سالمة له اي خالصة
مسلمة اليه لا ممنوعة مسالمة لا منازعة • وقوله تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب في الدنيا والاخرة بعد
الموت ثم لا تنصرون اي واذا اتاكم العذاب لم ينصركم ناصر ولم يمنعكم من عذاب الله مانع • قال الامام القشيري
الانابة الرجوع بالكلية والفرق بين الانابة والتوبة ان التائب يرجع من خوف العقوبة والمنيب يرجع
استحياء لكرمه واسلموا له اي اخلصوا والاخلاص بعد الانابة وصل الى فضله • وقوله تعالى واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم اي اتبعوا طاعة الله فيما امر ونهى من اصل الايمان وفروعه فان احسن ما انزل
الله في الكتاب لما فيه من دلايل العقول وحسن عاقبتها والثواب الجزيل عليها وتقابلها الكفر والمعاصي
لقبحها في دلايل العقول ولسوء عاقبتها والعذاب الاليم عليها • وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم
الماضية فانا ذكرنا لكم انما لها محاسنها ومساويها فاتبعوا محاسنها • وقيل اي اتبعوا القران فانه احسن ما انزل
على رسوله القران وغيره والقران احسن ما انزل • قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث • وقال عبد الرحمن

ابن زيد واتبعوا احسن ما انزل اليكم اي المحكمات وكلوا علم المتشابهات الى عالمها • وقيل معناه ان العدل حسن والفضل
احسن منه • وطلب الحق حسن والعفو احسن منه • والبداية بالنفس حسن والايثار احسن منه • وقوله تعالى من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي فجاة من حيث لا تعلمون انه يجيئكم • وقيل العذاب المذكور في هذه الاية
عذاب الاخرة بدليل ما بعدها ان تقول نفس اي لئلا تقول كما في قوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا
تميد بكم • وقيل حذرا • وقوله ان تقول نفس يا حسرتي كلمة تاسف وتلهف والالف في اخرها للندبة وقد يقال يا حسرتاه
وكذلك يا ويلا ويا ويلاه ويا ويلتنا ويا ويلتاه على ما فرطت ما مع الفعل مصدر اي على تفريطي وهو التقصير
في جنب الله • قال ابن عباس والحسن وابو عبيدة وقطرب اي في ذات الله • وقال ابو عبيدة في قول في جنب الله
وقال الضحاك في نعمة الله • وقال ثعلب في امر الله • وانشد خليلي كفا واذكرا الله في جنبي • فقد لمتما في غير شي
ولا ذنب • وقال القفال اي فيما يتصل بطاعة الله ورضاه ومجاز الكلمة في جنب ما الى الله تعالى وكذلك
الجانب والجنبة والجناب • وقيل هي صلة زايدة ومعناه في الله • وانشدوا • الا تتقين الله في جنب عاشق
له كبد حرى عليك تقطع • وقوله تعالى وان كنت لمن الساخرين له وجهاد وما كنت الا من الساخرين وقد كنت
من الساخرين اي في لعب من امري في الدنيا وباطل • وقيل اي مع تفريطي في امر الله كنت اسخر ممن لا يفرط في امر الله
ونظيره قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الايات او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين
اي الشرك والمعاصي • وقال الامام ابو منصور رحمه الله هذا الكافر اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا
ما قال اولئك الكفرة لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية واعطانا الهدى
لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية وترك الرغبة في الهدى والاستحباب فاضلنا
وخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا • وقوله تعالى او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين نصب بالفا في جواب التمني • قال
قتادة وهذه مقالات ذكرت ان الكافر يقول ذلك يوم القيامة ويحتمل ان يكون كل كلام من كل كافر • وقوله
تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين • وقوله تعالى بلى لرد ما قبلها واثبات
ما بعدها وفي هذه الايات اشارات الى انهم اضافوا التفريط وذهاب العمر على اللهو وعدم هداية الله
وتمني الرجوع ليحسنوا باختيارهم اضافوا ذلك الى عدم البيان ثانيا على الايضاح والاعلان فرد الله عليهم بقوله
قال الامام ابو منصور رحمه الله اي اتيناك بلى بينت لك الايات الهداية من الغواية والحق من الباطل والخير
من الشر والصدق من الكذب ومكنت من اختيار الهداية على الغواية والحق على الباطل والصدق على الكذب لكن
تركت ذلك وضيعت واستخففت به واشتغلت بضده فما جاء التضييع من قبلك واكثر القراء على التذكير
لقوله بلى قد جاءتك فكذبت واستكبرت وكنت على ارادة خطاب الانسان • وقرا بعضهم بتانيث كلها لسبق ذكر
النفس • وقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وتقرا وجوههم مسودة بالنصب
على البدل وكذبهم على الله بوصفه بما لا يليق به وسواد الوجوه قد تكون قبل دخول النار علامة لهم
وقد يكون في النار بتغشي النار وقد يكون عبارة عن الخيبة والذلة والفضيحة واسفار الوجه على خلافه وهي
هذا قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ووجوه يومئذ مسفرة الايات كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما ولا ترهق وجوههم قتر ولا ذلة • وقوله تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين استفهام بمعنى التقرير اي
فذا جزاء وتبع لهم استحقاقهم يقيمون بها خالدين • وقوله للمتكبرين اشارة الى ما سبق وهو قوله واستكبرت
والتكبر والاستكبار واحد كالتعجل والاستعجال والتيقن والاستيقان ومثله في قصة ابليس ابى واستكبر •
وقال فما يكون لك ان تتكبر فيها • وقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا وهم على خلاف هؤلاء بمفازتهم • قرا
حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بمفازاتهم على الجمع • والباقون بمفازتهم على التوحيد والمفازة
سبب الفوز لقوله عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة اي سبب البخل والجبن والجهل والمفازة على
التوحيد يراد بها التقوى وعلى الجمع يراد بها الطاعات اي وينجي الله المتقين بتقواهم الشرك والمعاصي
او بطاعاتهم لا يمسهم السوء اي المكروه ولا هم يحزنون اي يحزنهم وهو كقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا هم
يحزنون لا يفوت محبوب وحاصله لا يصيبهم مكروه ولا يفوتهم محبوب • وقوله تعالى الله خالق كل شي اي هو منشي
الاشيا كلها وهو على كل شي وكيل اي وهو القايم على كل شي يحفظه ويدبره على ما يجب وهو في معنى القيوم والقايم
على كل شي • وقوله تعالى له مقاليد السموات والارض اي وهو المالك لمفاتيح خزاين السموات والارض يحفظها
ويفتح على عباده منها ما يشاء وذكر المفاتيح مثل وكذلك ذكر الخزاين في قوله وان من شي الا عندنا خزاينه ومعناه
وهو المكون ما يريد والحافظ ما هو كاين منه والمدبر له والموصل الى عباده ما يشاء منه واذا كان هو المالك
والمدبر كل شي فهو المستحق للعبادة دون حجر من الاصنام وهو في محاجة المشركين وهذه الكلمة مستعملة فيه هو
المراد بها الغنى الى فلان مقاليد الامور ومفاتيح الامور وازمة الامور • وقال الخطيب يخاطب عمر رضي الله عنه

انت الامين لمحاسن بعدحسن جيها التي اليك مقاليد الهدي البشر المقاليد جمع اقليد على خلاف لفظ الواحد كالمحاسن
والمذاكير قاله نفطويه والقتبي والاقليد اصله بالفارسية كليد فعربته العرب وتكلم به فصار عربيا ● وقال المبرد
واحدها مقليد ● وقوله تعالى والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون ● قيل المغبونون ● وقيل الهالكون عن
ذهاب عبادتهم الاصنام هدرا لا نفع له وهلاكهم بعقوبتهم في النار عليها ● وقوله تعالى قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يستميلونك بالاطماع في الاموال والنسا والرياسة
والثنا الدايم فيه افغير الله الذي هو خالق كل شي وهو على كل شي وكيل له مقاليد السموات والارض تامروني
ان اعبد وهذا توبيخ وتقريع وقطع للاطماع والانكار عليهم وتجهيل لهم اي فما انا بفاعل ذلك فانكم جاهلون
بموضع اختيار العبادة اذ لا يجوز ان يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر فاعبد رفع حيث حذف الناصب
والجاهلون هم الكفار كما ان اولي العلم في قوله والملايكة واولوا العلم ● وقوله تعالى ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك من الانبيا لين اشركت ليحبطن عملك ولم يقل اشركتم ● قال ابو عبيدة والاخفش فيه تقديم
وتاخير وتقديره ولقد اوحي اليك لين اشركت والى الذين من قبلك ● وقيل اوحي اليك والى كل واحد
من الانبيا لين اشركت ليحبطن عملك اي كلهم مامورون بالتوحيد والاخلاص منهيون عن الكفر والاشراك
ودين الكل في هذا واحد وهذا مما لا يجوز عليه النسخ والتبديل ليحبطن عملك اي ليبطلن شيئ وليبطلن
ولتكونن من الخاسرين تفسيره وتقديره لان عمله اذا بطل اثره وفات ثمرته يبقى عناوه وخسره ● وقيل
ولتكونن من الخاسرين اشارة الى ما سبق ذكره من قوله والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون
وقوله تعالى بل الله فاعبد اي اعبده وحده ولا تشرك به غيره وكن من الشاكرين فانه يشكر المنعم
بتعظيمه واخلاص العبادة له ثم هذا الوعيد مع تحقق العظمة لما مر مرات ان العصمة هي الحفظ عن فعل
ما عليه الوعيد ولولا النهي وان تقع الوعيد لبطلت العصمة ● وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
قيل اي وما عظموا الله حق تعظيمه ● وقيل وما اعتقدوا في الله ما يجب ان يعتقد فيه ● وقيل اي
وما وصفوا الله بما يستحق ان يوصف به يعني المشركين فانهم وصفوا الله بما لا يليق به وعجزوه عن البعث
والعجز وجوزوا عليه بعث رسول طلبوا انه يطاوعهم على مرادهم بما استمالوه من الاموال وغيرها
وموطن السفه بالله تعالى عنه علوا كبيرا والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه اي مع انه قادر على قبض الارض كلها بسعتها وطولها وعرضها وعظم جرمها وعلى تبديلها وعلى طي
السموات باسرها ومن قدر على ذلك كله قدر على احيا الموتى ولم يجز عليه غير الحكمة والصواب وذكر القبضة
واليمين من المتشابه ولا يفهم من ذلك ما يفهم من ايدي الخلق وقبضهم لانه تشبيه وقد قال ليس كمثله
شي يفهم بها التصرف فيهما والقدرة على تغييرهما وهو مستعمل في كلام الناس على هذا المراد يقال هذه
الولاية في يد السلطان وفي قبضته ويراد به الاستيلا والقدرة دون حقيقة اثبات اليد عليها
وادخالها في قبضتها ● وقيل معنى قوله قبضته يوم القيامة انه يزول دعاوي المدعين فيها وهو
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ● وقيل ذكر اليمين تحقيق الملك كقوله او ما ملكت ايمانكم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الكلبي من المفسرين وقطرب من ايمة الادب بيمينه اي بقوته ●
وانشد الشماخ ● اذا ما راية رفعت لمجد ● تلقاها عرابة باليمين ● اي بالقوة ● وقيل في قوله بقبضته
اي يقبضها ويبسطها ● وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياخذ الله السموات
والارض فيقبضهما ويبسطهما ثم يقول انا الجبار اين الجبارون انا المتكبر اين المتكبرون ● وفي رواية
ابي هريرة رضي الله عنه اين الملوك لمن الملك اليوم ● وقيل ليس المراد ان الطي فقط بل له معان منها
الاخفا تقول العرب طويت فلانا من اعين الناس واطو هذا الحديث عني اي استره ● ومنها الاعراض
تقول طويت عن الرجل طوى فلان عني كشحه اي اعرض عني ومنها الافنا تقول العرب طويت فلانا بسيفي اي افنيته
فيحتمل ان يكون معناه مطويات بيمينه اي مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ● وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه جا رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات
على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والبحار على اصبع والاشجار على اصبع فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية ● وقال الامام ابو منصور رحمه الله
وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه مما لا يحتمله وسع الخلق ولم
يكلفهم ذلك وانما كلفهم ما احتمله وسعهم والمشبهة خذلهم الله حيث وصفوه بما يوصف به الخلق فلم يعرفوه
المعرفة التي يحتملها وسع الخلق ولا عظموه التعظيم الذي يحتمله وسعهم ● وقوله تعالى ونفخ في الصور اي
وقد كان نفخ في الصور قبل قبض الارض وطي السموات فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله
اي فمات ● قال السدي اي الا جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت وهو في حديث مرفوع ● وقال سعيد

هم المسلمون

اليك

المنعم الحقيقة

سبحانه وتعالى عما يشركون صح

في اللغة

ابن جبير

ابن جبير رضي الله عنه اي الا الشهدا فانهم احيا عند ربهم ● وقيل الا من سبق موتهم النفخة الاولى لانهم كانوا في السموات
والارض ايضا فصح استثناوهم منهم ● وقيل هم حملة العرش ● وقيل الحور العين والغلمان والولدان وخزنة الجنة
والجنة وخزنة النار وفي التاويل منهم من ابهمه لابهام النص ثم نفخ فيه اخرى اي في الصور نفخة اخرى وهي نفخة
البعث ودلت هذه الاية على نفختين ● وقيل هي ثلاث نفخات نفخة الفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع من في السموات
ثم نفخة الصعق وهو الموت ● ثم نفخة البعث ● وكذا في حديث مرفوع وقوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون يعني فاذا
الاموات قيام من قبورهم وهم ينظرون ● قيل هو نظر العين ● وقيل هو الانتظار اي ينتظرون بماذا يومرون واين
يحشرون وبماذا يعاملون ● وقوله تعالى واشرقت الارض اي اضات ارض القيامة بنور ربها اي بعدله وقضايه
وقضاياه بالحق بين عباده وهي كلمة مستعملة في هذا المعنى ● قال العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلى الله
عليه وسلم شعرا ● وانت لما ولدت اشرقت الارض ● وضات بنورك الافق ● فنحن في ذلك الضيا وفي النور
وسبل الرشاد نخترق ● وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله نورا فتنور به ارض الموقف
والاضافة الى الله اضافة تخصيص كبيت الله وناقة الله وشهر الله وروح الله لا انه يفهم منه نور هو صفة
قايمة بذات الله تعالى ● وقوله تعالى ووضع الكتاب اسم جنس بمعنى الجمع اي ووضعت الكتب في ايدي الناس
ليقروها وهي صحايف الاعمال المكتوبة عليهم ● وقوله تعالى وجي بالنبيين والشهدا اي واحضر موقف الحساب
النبيون ليسالوا عما اجابتهم اممهم والشهدا هم المومنون يشهدون على الكفار ● وقيل هم هذه الامة قال
الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ● وقيل هم الملايكة ● قال الله تعالى وجات كل
نفس معها سايق وشهيد اي ملك يسوقها الى الموقف ويشهد عليه بما عمل وهم الحفظة ● وقيل هم الشهدا
في سبيل الله ويجوز ان يكون الجميع مرادا به ● وقوله تعالى وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون وتفسيره ما قال بعده
ووفيت كل نفس ما عملت اي من خير وشر فلا يزاد في شر ولا ينقص من خير وهو اعلم بما يفعلون اي والله اعلم بما كانوا يعملون
من غير كتاب ولا شاهد ● وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وهذا تفصيل ما اجمل في قوله ووفيت كل نفس
ما عملت والسوق الحث على السير والزمر الجماعات والواحد زمرة ● وقوله تعالى حتى اذا جاوها فتحت ابوابها
وهي سبعة وقال لهم خزنتها اي حفظة جهنم وهم الملايكة الموكلون بتعذيب اهلها الم ياتكم رسل منكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا وهذا التوبيخ والتقريع وفيه زيادة ايلام وتوجيع يقولون اوليس قد جاكم
من عند الله رسل ادميون مثلكم تعرفونهم وتالفونهم وتعرفون شفقتهم عليكم وصيانتهم فيما بينكم فقروا
عليكم كتاب ربكم الذي كان صادقا على دينكم الحق وانذروكم ما تلقونه في يومكم هذا وخوفوكم المصير اليه قالوا بلى
قد اتونا وانذرونا ● وقوله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اي وتحقق وعيد الله وهو قوله لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ● وقوله على الكافرين اي على من كفر بهم منا ومن ساير اهل جهنم ● وقوله تعالى
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي تقول لهم الخزنة ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها لاستحقاقكم
ذلك بكفركم على ما قدمتم لكم مزيد ذكانها فبيس مثواكم وبيس المثوى وهو قوله فبيس مثوى المتكبرين الذين لم ينقادوا
لرسل الله فلم يومنوا ● وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا اي ويسرع بالمومنين ايضا الى
الجنة وبين الحالين فيهما في هذه الحالة في اية اخرى فقال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا فالمتقون يحيون اليها مكرمون ركبانا ● والمجرمون يدعون اليها دعا ● وسيق ظاهره ماض
ومعناه مستقبل لانه امر كاين لا محالة فالحق بالموجود ● وقوله تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها قيل
الواو مقحمة زايدة كما في قوله وتله للجبين ● وفي قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب ● وقيل هي عاطفة
وجواب حتى مضمر في اخرها ● قال الزجاج قال المبرد جوابه في اخر الاية سعدوا وعجز ذلك ● قال وقيل
معناه حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها قال وعندي الجواب هو قوله فادخلوها خالدين ادخلوها وقال
لهم خزنتها اي حفظة الجنة سلام عليكم يتلقونهم بتحية من عند الله ● وقيل سلام عليكم اي سلامة لكم من
كل مكروه طبتم اي كنتم في الدنيا طيبين غير خبيثين اي مومنين مطيعين غير كافرين عاصين ● قال الله
تعالى انما المشركون نجس ● وقال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ● وقال الكافات تحل الخبايث ● وقال تعالى
ومثل كلمة طيبة ● وقال تعالى ومثل كلمة خبيثة اي صلحتم لهذه الدار دار الطيب ● وقيل هو دعا لهم
بدوام الحال اي لازلتم طيبين وهو تمام قولهم سلام عليكم ومعناه لا زال الحق على الاسماع ذكركم وعلى الابصار
مناظركم ويدوم لكم الثنا والذكر الجميل من ربكم ● وقيل هو دعا بطيب العيش اي طاب لكم دخولها والعيش
فيها ● وعن علي رضي الله عنه ● قال اذا جاوزوا الصراط اتي بهم الى باب الجنة فاذا هم بشجرة تحتها عينان
من الماء فيشربون من احدهما فتطهر قلوبهم من الغل والغش والافات ثم يغتسلون من الاخرى فتطهر ابدانهم
فحينئذ تقول لهم خزنة الجنة سلام عليكم طبتم ● وقال قتادة يوقعها لهم اذا وردوا النار حبسوا على قنطرة
فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا ونقوا قيل لهم سلام عليكم طبتم ● وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي

الخصب

فادخلوها خالدين

الجنة

صدقنا وعده بادخال الجنة • وقوله واورثنا الارض اي ارض الجنة نتبوأ منها حيث نشاء لسعتها وكثرة ما نمكن
منها ونتقلب فيها حيث نشاء لا نمنع من ذلك ولا نضيق علينا ذلك فنعم اجر العاملين بالطاعة • وقال الامام القشيري
قيل لقوم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا • وقيل لقوم يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا • وقيل لقوم
وازلفت الجنة للمتقين • وفرق بين من يساق الى الجنة وبين من تقرب اليه الجنة فالاول للظالمين والاوسط
للمقتصدين والاخر للسابقين • وقوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش اي وترى يا محمد يوم القيامة
عند فصل القضاء الملائكة حافين من حول العرش اي محدقين بالجوانب وقد حف به القوم اذا صاروا في حافته
اي جانبه من حول العرش من صلة زائدة كقولك جئت من قبل فلان اي قبله والعرش يحضر عرصة يوم القيامة
قال الله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية • وقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ينزهون الله تعالى ويحمدونه
وقيل معنى الباء في قوله بحمد ربهم اي ينزهون الله تعالى ويسبحونه وله الحمد وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق • وقوله
تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين اي ويقول اهل الموقف الحمد لله رب العالمين • وقيل تقوله اهل الجنة
اذا دخلوها كما قال الحمد لله الذي صدقنا وعده • الحمد لله الذي هدانا لهذا • الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين • وقال قتادة بدأ الله تعالى خلق العالم بالحمد فقال الحمد لله
الذي خلق السموات والارض الاية • وختم القضاء بينهم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين

سورة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب • الرحمن الذي يدخل المؤمنين الجنة يرزقون فيها
بغير حساب • الرحيم الذي انزل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب • وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا حم المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلوا
عليه واستغفروا له • وهذه السورة مكية وهي خمس وثمانون اية • وقيل اربع • وكلماتها الف ومائتان و
وسبع عشرة • وحروفها خمسة الاف وسبعة • وانتظام ختم تلك السورة وافتتاح هذه السورة انهما في ذكر
اسماء الله تعالى • وانتظام السورتين انهما في ذكر المشركين والاحتجاج عليهم في ابطال شركهم وفي اثبات
البعث والحساب وفيهما الترغيب والترهيب وتسلية النبي والمؤمنين • وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لكل شيء ثمرة وان ثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض
الجنة فليقرا الحواميم • وقال مثل الحواميم في القران مثل الحبرات في الثياب • وقال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه اذا رتعت في ال حم رتعت في رياض دمثات اتأنق فيهن • وقال مجاهد ال حم ديباج اهل القران وقال
ابو الدرداء رضي الله عنه كانت تسمى الحواميم العرائس وقال محمد بن سيرين رحمه الله راى رجل في المنام سبع
جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لمن انتن فقلن لمن قرا ال حم • وقال الحسن رحمه الله
الحواميم رياض الجنة • وقال محمد بن الحنفية وابن عباس رضي الله عنهم الحواميم كلها مكية • قوله تعالى
حم • قال مجاهد حم فواتح السور • وقال قتادة اسم القران • وقال محمد بن كعب هذا قسم اقسم الله بحلمه
وملكه ان لا يعذب احدا عاذ اليه بقول لا اله الا الله مخلصا من قلبه • وقال عكرمة وسعيد بن جبير رضي
الله عنهما الر وحم ون هي الرحمن • وقال السدي رحمه الله الحواميم اسماء الله تعالى • وقال الشعبي رحمه الله شعار
السورة • وقال الضحاك رحمه الله حم اي قضي ما هو كائن • وقال الكسائي رحمه الله كذلك • وقال الشاعر
وليس لامر حمه الله دافع • وقال اخر • الا ليتني حمت لنفسي منيتي • فلم يتعلقني لحين علوقها • وقال انس
رضي الله عنه سال اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لغتنا فقال عليه السلام

النبي عليه السلام

بدء اسماء وفواتح سورة • وقال عطاء الخراساني رحمه الله الحاء افتتاح اسمه الحليم الحميد الحي الحنان
الحكيم والميم افتتاح اسمائه الملك والمجيد والمنان ونحوها • وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم • قيل تنزيل مبتدا ومن الله خبره وعلى هذا هو مصدر ولا اضمار فيه • وقيل حم اسم للسورة او القران
وهو مبتدا وتنزيل الى اخره خبره وهو مصدر بمعنى المفعول اي منزل من الله العزيز العليم اي المنيع سلطانه
عن ان يتقول عليه متقول العليم بمن صدق به وكذب وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد للمشركين
وبشارة للمؤمنين غافر الذنب نعته وقابل التوب نعت اخر والتوب مصدر كالتوبة وهي الرجوع الى الله
من المعصية • وقال ابو عبيدة التوب جمع التوبة ووصل النعت بالنعت بالواو وبدون الواو جائز شديد
العقاب لمن يصر ولا يتوب • وقوله تعالى ذي الطول اي ذي الفضل على عباده بالخلق والرزق والبيان وكل
وجوه الاحسان لا اله الا هو اليه المصير اي الى جزائه رجوع الخلق • وقال ابن عباس رضي الله عنهما غافر
الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله • وقال ايضا غافر الذنب وقابل

التوب

التوب للمؤمنين شديد العقاب للكافرين • وقال ايضا ذي الطول اي ذي الغنى عمن لا يوحده • وقال الضحاك ذي المن
وقال قتادة رحمه الله ذي النعم • وقال الامام القشيري رحمه الله غافر الذنب للظالمين قابل التوب للمقتصدين شديد
العقاب للمشركين • ذي الطول للسابقين • وقوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا اي ما يخاصم في كتاب الله
الذي هو تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ليدفعه بالاباطيل فيقولون مرة هو سحر ومرة هو قول الكهنة ومرة هو اساطير
الاولين ومرة يعلمه بشر واشباه ذلك الا الذين كفروا نعم الله من سلامة البنية وتمام العقل فلا يقابلونه بالشكر
وقوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي فلا تغتر بامهالي اياهم سالمين في اموالهم فانهم يتصرفون في البلاد
كيف يشاءون للتجارات والمعاش فتتوهم ان ذلك لخفاء احوالهم علي او لرضاي بكفرهم فاني وان امهلتهم ساخذهم
وانتقم لك منهم كما فعلت باشكالهم من الاولين • وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح اي نبيهم والاحزاب من بعدهم
اي والامم المتحزبة على الكفر اي المجتمعة كقوم عاد وثمود وغيرهم • وقوله تعالى وهمت كل امة اي وعزمت

اي ليبطلوا به الحق

برسولهم ليأخذوه • وقيل ليحبسوه وليعذبوه • وقيل ليقتلوه • وقوله تعالى وجادلوا بالباطل اي خاصموا
رسلهم بما لا حقيقة له وبما لا فائدة فيه • وقوله تعالى ليدحضوا به الحق اي يزيلوه عن موضعه وهو ما حق
اعتقاده واستعماله وما له ثبات في العقول • وقوله تعالى فاخذتهم بالعذاب المستاصل فكيف كان عقاب
الذي كان قطيعا في الذكر وافظع موقع الاعتبار لاولي الفكر فانا افعل بقومك كذلك ان اصروا على خلافك
وايذائك • وقوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي وجب وتحقق وعيد ربك على الذين كفروا اي على هؤلاء
الذين كفروا وايذائك بمثل ذلك العذاب المستاصل الذي كان لمن قبلهم • وقوله تعالى انهم اصحاب النار اي انهم
اصحاب النار كاولئك • وقيل معناه كذلك تحقق وعيد ربك على الذين كفروا من المتقدمين والمتاخرين
انهم جميعا يدخلون جهنم بعد الهلاك في الدنيا • وقيل نزل قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا في
الحارث بن قيس السهمي • قال ابو العالية والاحزاب من بعدهم ثلاث قبائل من قريش بنو امية وبنو مخزوم
وبنو عبد الدار • ثم ذكر وعد المؤمنين والتائبين من الكفر تحريضا لهؤلاء على الاسلام فقال الذين
يحملون العرش ومن حوله اي الملائكة الذين يحملونه ومن حوله اي والملائكة الذين هم حول العرش يطوفون
به ويعظمونه • وقوله يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما تضيف اليه هؤلاء المشركون المجادلون ويحمدونه
بمحامده • وقوله تعالى ويؤمنون به اي ويصدقون به مخلصين في ذلك • وقوله تعالى ويستغفرون للذين
امنوا اي يسالون الله لهم المغفرة • وقوله تعالى ربنا اي يقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي ما من
شيء الا وقد نالته رحمتك واحاط به علمك • قال الامام ابو منصور رحمه الله اما في الدنيا فالرحمة تسع المؤمن
والكافر واما في الاخرة فلا ينالها الا المؤمن • قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون الاية
قدموا الثناء على الله تعالى ثم اشتغلوا بالدعاء فقالوا فاغفر للذين تابوا اي عن الشرك • وقوله تعالى
واتبعوا سبيلك اي الاسلام فهو الطريق المؤدي الى رضوان الله وقهم عذاب الجحيم اي واحفظهم • وقوله
تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن اي اقامة • وقوله تعالى التي وعدتهم اي في القران • وقوله تعالى
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم اي واتمم سرورهم بان تجمع بينهم وبين ابائهم ونسائهم واولادهم
وقوله تعالى انك انت العزيز الحكيم اي المنيع بسلطانك فلا يعترض عليك فيما تؤتيه عبادك الحكيم
المصيب في افعالك واقوالك وانما قالوا ومن صلح لان من اشرك منهم لم يستحقوا ذلك ثم يجوز ان يكون
ومن صلح عطفا على قوله وعدتهم فانه قال واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم ويجوز ان
يكون عطفا على قوله وادخلهم • وقوله تعالى وقهم السيئات اي واصرف عنهم العقوبات والمكاره التي يسوء
صاحبها • وقيل هي الاهوال قبل دخول النار • وقيل هي العقوبات في النار • وقوله تعالى ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم بدءوا بوصف الله تعالى بالرحمة وختموا بذلك ليعلموا ان الادب
في الدعاء هو البداية بالثناء والختم به وان كل ذلك برحمة الله • وقيل لما اختار الملائكة هاروت وماروت
ووقع لهما ما وقع اشفقوا على عصاة البشر فالتزموا لهم الدعاء • وقال الامام القشيري رحمه الله ليس لطف
الله عليك ان اراد لخلقته وهم الشياطين بالاغواء فقد امر بشفاعتك افاضل خلقه وهم الملائكة بالدعاء • وقال
يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله هذه الاية ارجى اية في كتاب الله للمذنبين • وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون • ثم عاد الكلام الى وعيد الكافرين المجادلين •
ينادون اي تناديهم الملائكة يوم القيامة اذا دخلوا النار فمقتوها اي ابغضوها اشد بغضة فيقولون لهم
لمقت الله وهو اللام قسم اي بغض الله تعالى لكم على كفركم • وقوله تعالى اذ تدعون الى الايمان فتكفرون في الدنيا
اكبر من مقتكم انفسكم في النار فيكون فيه تقديم وتاخير • وقيل هو على ظاهر نظمه اي اكبر من بغضكم انفسكم
في الدنيا فانكم بترك الايمان فعلتم بانفسكم فعل الاعداء وكان مقت لكم وبت كفركم اكبر من بغضكم انفسكم حينئذ
وقيل اي بغض الله لكم في الدنيا حالة الكفر اكبر من بغض بعضكم لبعض لان ذلك هو من قوله ثم يوم القيامة يكفر

بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وطريقه طريق قوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض • وقوله تعالى ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل كانوا منكرين للبعث بعد الموت فاعترفوا
به وقالوا امتنا مرتين واحييتنا مرتين • قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والسدي في رواية كانوا نطفا
في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم عند انقضاء اعمارهم ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان
وموتتان وهو كقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم • وروى اسباط عن السدي ان احدى الموتتين هي
التي تنقضي فيها اجالهم ثم يحييهم في القبر ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان • ويدل هذا
على عذاب القبر • قال الامام ابو منصور رحمه الله وهو اشبه واقرب لانهم وان كانوا امواتا حيث كانوا نطفا ففي
الغالب لا يسمى ذلك موتا ولا يقال فيه امتنا • وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله احد موتتي الكافر حياته في الدنيا في
الكفر والثاني موته عند انقضاء عمره فهما موتتان واحدى الحياتين حياته في قبره بعد موته للمسايلة والثانية حياته
للبعث • وقوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا في انكار البعث بعد الموت فهل الى خروج من سبيل اي فهل يجعل الله لنا
سبيلا الى الخروج من النار والرجوع الى الدنيا كما قال في اية اخرى فهل الى مرد من سبيل • وقيل اي فهل لنا بذنوبنا
خروج من النار ودخول في الجنة • وقوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اي لا تجابون الى الخروج وقال
لهم ذلك والخلود في النار فانكم كنتم اذا دعي الله وحده جحدتم وحدانية الله تعالى • وقوله تعالى وان يشرك به تومنوا
اي فاذا اضيف الى الله الشركاء قلتم انه الحق وصدقتم قايله فكان هذا دينكم في دار الدنيا وهي دار العمل فاما اليوم
فانتم في دار الجزاء والحكم فيه لله تعالى العلي وهو الذي يتعالى عن الشركاء الكبير وهو الذي كل شيء يصغر على حكمه
وهو لا يتصرف على حكم احد فالحكم له ومن حكمه تخليد الكفار في النار وتخليد المومنين في الجنة فلا ينازعه في
الحكم احد وفيه بيان انه لا سبيل لهم الى الخروج • وقوله تعالى هو الذي يريكم اياته اي علاماته الدالة على وحدانيته
لاقامة الاديان وينزل لكم من السماء رزقا لاقامة الابدان وبهما تمكن من التامل في البرهان • وقوله تعالى
وما يتذكر الا من ينيب اي وقد جعلت لكم عقولا تعرفكم هذه الدلايل لمن تفكر فتذكر وما يتذكر الا من يرجع الى
الله اي يبتدي بعقله فيدرك الايات ويعلم ان الله واحد لا شريك له فيرجع اليه وحده فادعوا الله مخلصين
له الدين اي الطاعة والانقياد والعبادة ولو كره الكافرون اي وان كره من خالف هذا من الجهال الذين يشركون
وقوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش اي هو عالي الصفات • وقيل اي هو رافع درجات عبادة المطيعين له
له على حسب مساعيهم • وقوله تعالى ذو العرش اي ذو الملك والسلطان • وقيل مالك السرير الاعظم الذي
هو فوق السموات • وقوله تعالى يلقي الروح من امره اي ينزل الوحي قاله قتادة والضحاك وابن زيد رحمهم
الله سمي به لانه يحيي به القلب بخروجه عن الحيرة الى المعرفة • وقيل اي ينزل جبريل كما قال نزل به الروح الامين
وقوله تعالى من امره اي بامره على من يشاء من عباده تخصيصا للرسالة • وقوله تعالى لينذر يوم التلاق
اي ليخوف هذا المبعوث بالرسالة الخلق بيوم القيامة الذي هو يوم اجتماع اهل السموات واهل الارض
واجتماع الاولين والاخرين ويوم يلقى الانسان عمله وجزاء عمله ويلقى ملائكة البشارة وملائكة العذاب
وقوله تعالى يوم هم اي الخلق • وقوله تعالى بارزون اي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء
لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيه ولا امت والبروز الخروج • وقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء
على كثرتهم • قال تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية • وقال يوم تبلى السرائر • وقوله تعالى لمن الملك
اليوم فيجيب العباد كلهم مومنهم وكافرهم • وقوله تعالى لله الواحد القهار لزوال الشكوك منهم ووقوع
الضرورة بهم الى المعرفة بوحدانيته هو اخبار بان الملك يوم القيامة لله وحده لانه لا تغلب حينئذ م
ولا ملوك كما تكون في الدنيا ولا يعوض الى احد حكم كما يكون في الدنيا وهو كما قال مالك يوم الدين • وقال
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والقهار هو الذي يصرف العباد على ما يريد لا يمتنع عليه احد مما اراد به • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي يريكم اياته خاطب اهل مكة اذا سافروا في الارض فرأوا اثار الامم السالفة
ومنازلهم • وقال مقاتل هو الذي يريكم اياته يعني السموات والارض والشمس والقمر والجبال والرياح
والسحاب والليل والفلك في البحار والنبات عاما بعد عام • وقال الامام القشيري رحمه الله وينزل لكم
من السماء رزقا لابدانكم وهو توفيق المجاهدات ولقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ولاسراركم وهو فنون
المواصلات • وما يتذكر الا من ينيب اي يرجع من العادة الى العبادة ومن الشرك الى التوحيد ومن الخلق الى
الحق • وقوله رفيع الدرجات • قال السدي اي رافع درجات اهل الجنة • [illegible]
وقيل رفيع درجات الغزاة • قال الله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه • وقيل [illegible]
العلماء والمومنين • قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات • وقيل درجات
اهل الدنيا • قال الله تعالى ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات • وقوله تعالى يوم التلاق • قال ميمون بن مهران
يوم يلتقي الظالم والمظلوم • وقيل يوم يلتقي العابد والمعبود • وقيل تلتقي الخصوم بين يدي الله تعالى • قال

مما عملوه

اي فينادي عليهم ذلك اليوم لمن الملك اليوم

قتادة

قتادة يوم لقاء الله تعالى • وقال مجاهد يوم التقاء البر والفاجر • وقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب • [illegible] • وقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اي يوم
القيامة التي هي قريبة وقوله ازفت الازفة اي قربت [illegible] وقوله اذ القلوب
لدى الحناجر اي الحلاقيم [illegible] من الخوف • وقوله تعالى كاظمين اي ساكتين على امتلائهم من الغم [illegible]
الحال ما للظالمين من حميم اي قريب ولا شفيع يطاع اي ولا شافع يجاب • وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور • والخائنة بمعنى المصدر كالكاذبة في قوله ليس لوقعتها كاذبة [illegible] • وقوله لا يسمع فيها
لاغية وكقولهم سمعت راغية الابل وثاغية الغنم وخائنة الاعين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو
رجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيلحظها اذا اغفلوا [illegible] • وقال
الامام القشيري رحمه الله [illegible]
ملا الحظات • بمنظر حسن مذ غبت عن عيني • وقال اخر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • وقوله تعالى والله يقضي بالحق يجازي العباد على العمل والنظرة والفكرة
في الخير والشر • وقوله تعالى والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء اي والذين تعبدونهم من دون الله
[illegible] بشيء • وقوله تعالى ان الله هو السميع البصير [illegible] يخفى
عليه شيء من المرئيات والمسموعات والله تعالى سامع كل مسموع ومبصر كل مبصر [illegible] الاصنام
[illegible] • وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض [illegible] استفهام
بمعنى الاثبات [illegible]
[illegible] كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى كانوا هم اشد منهم قوة [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى واثارا في الارض [illegible] كما قال في اية اخرى
وعمروها اكثر مما عمروها وجمع بينهما بوصف واحد وما قلناه مضمر فهو نظير قول الشاعر علفتها تبنا وماء
باردا اي وسقيتها ماء باردا ويحتمل الوصف بغير اضمار ووصف الاثار بالشدة لما انها كانت في الجبال ومن
الحجارة ووحد القوة وجمع الاثار لان القوة مصدر والاثار اسم • وقوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم اي عاقبهم
باعمالهم • وقوله تعالى وما كان لهم من الله من واق اي فهؤلاء المشركون الذين هم دونهم فهم اولى ان لا يقيهم
شيء ولم يكن لهم شيء من الاشياء تقيهم عذاب الله وهو معنى من في قوله من واق • وقوله ذلك بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم العذاب الذي احله الله بهم لانهم كذبوا الرسل وجحدوا الايات فاخذهم
الله بذنوبهم • وقوله تعالى انه قوي ضر قادر على كل شيء شديد العقاب اذا عاقب • وقوله تعالى ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي ومن الذين من قبلهم
هؤلاء وكان تكذيبهم كتكذيب هؤلاء باياتنا اي بالعلامات الدالة على صدقه وهي المعجزات وسلطان مبين
قيل هي المعجزات ايضا ووصفت المعجزات بوصفين احدهما انها ظاهرات والثاني انها قاهرات • وقيل البينات
امور الشرع • وقيل ايات التوراة والسلطان المبين المعجزة الى فرعون وهامان وقارون خصهم بالذكر لان
فرعون كان ملكهم وهامان وزيره وقارون صاحب الاموال والكنوز وكان موسى مبعوثا الى كل القوم لكنهم
مدبروا امورهم فكان خطابهم فقالوا ساحر اي هو ساحر موه بذلك على قومهم حين اتى بالمعجزات للايتبعوه
وقالوا ايضا كذاب للتنفير يعنون في دعوى الرسالة والدعا الى التوحيد فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو
التوحيد الذي يحق ان يعتقد • وقيل بالحق اي بالصدق فيما اخبر عنه • وقيل اي بالمعجزة • وقوله تعالى قالوا
اقتلوا ابناء الذين امنوا معه لئلا يعتقد ابن ينشا من ذكور اولادهم واستحيوا نساءهم اي واستبقوا
بناتهم اذ لا يقع بهن اعتضاد ولا ينتفع بخدمتهن وكان هذا قتلا واستحياء غير الاول الذي كان قبل مجيء موسى
وقوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال اي فابطل الله كيدهم وما كيد الكافرين الا في ضلال اي بطلان
اي لم يحصل غرضهم بما دبروا بل حاق ذلك بهم ودمرنا • وقوله تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع
ربه اي الخافا ايبدل دينكم اي ثم بقتل موسى لشنعة تسمعه ذلك فقال ادعوني امضي راي في موسى نقتله
ولا يهولنكم ما يذكره من امر ربه وانه يستجيب دعاه ويرسل البلا عنه وليدع ربه اي وليفعل ما يقول فانه

اي يعلم يوم القيامة ما كان منهم من خيانة الاعين وخفايا الصدور

والخضوع علم

وقوله

خطابهم

الحقيقة له وانا الرب الاعلى • وقوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم ان لم اقتله ان يكثر مستجيبوه بسحره وتمويهه فيغلب دينه على دينكم
او ان يظهر في الارض الفساد • قرا حمزة والكسائي وعاصم او ان يظهر اي اخاف احد امرين اما غلبتهم عليكم في الدين
فيصير واهل الارض كلهما على دينه واما التعارض بين الفريقين والتضارب والتقاتل وهو الفساد • وقرا الباقون
وان يظهر في الارض الفساد اي واخاف تبديل الدين ووقوع الاختلاف بين الناس وهو الفساد • وقيل هو فساد
القلوب وقطع الارحام • وقوله تعالى وقال موسى اني عذت بربي وربكم اي ولما سمع موسى قول فرعون هذا او بلغه
منه ذلك قال لقومه فرعون اني استعذت بالله الذي هو ربي وربكم لا كما تقولون ان فرعون ربكم • وقوله تعالى من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب وفرعون كذلك فاعوذ بالله منه ونعم تعوله من كل متكبر استعاذة منه ومن اله ومن كل عدو
يكون في وقته او بعده • وفيه بيان ان الواجب على العبد ان يستعيذ بالله من كل عدو ويستعين به في ذلك كل مرجو
فقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه • قال ابن اسحاق رحمه الله اسمه حبيب • وقيل سمعان • وقال الضحاك هو
حزقيل • وقال وهب حزبيا وكان خازن فرعون مائة سنة من آل فرعون • قيل من اهل بيته • وقيل ابن عمه وهو قول
مقاتل • وقيل هو من آل موسى فاما قوله من آل فهو مؤخر معناه يكتم ايمانه من آل فرعون • وقال وهب امراته ماشطة
بنات فرعون اظهرتا الايمان فقتلها فرعون وذبح اولادها قبل قتلها على وجهها فتكلمت اولادها يا امة ابشري
بجنة ربك فاصبري انك على الحق واعلمي ان عذاب ربك اشد من عذاب فرعون ثم اظهرت آسية ايمانها فقتلها
بعد ما قتل الماشطة واظهر حزبيل ايمانه وجادل فرعون وقومه بعد كتمان ايمانه مدة وقتله فرعون مع السحرة
وقوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي بان يقول وهذا القول لا يوجب القتل وقد جاءكم بالبينات
من ربكم اي بالحجج والمعجزات والحجج ما ذكر في قوله قال فرعون وما رب العالمين الايات واما المعجزات فهي اليد
والعصا ونحو ذلك • وقوله تعالى وان يك كاذبا فعليه كذبه اي وبال كذبه • وقيل اي يقتل اذا تبين كذبه فاما
قبل التبيين فلا تقتلوه • وقوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم • قيل اي كل الذي يعدكم
كما قال تعالى ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي كله وهو كقول الشاعر • قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون من المستعجل الزلل • وقال لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها • او يعتلق بعض النفوس حمامها •
اي كل النفوس وقد يجعل في ارادة البعض كما في قوله تعالى تدمر كل شيء • وقال واوتيت من كل شيء • وقيل كان
موسى قال ان العذاب على من كذب وتولى وهذا عام والذي خاطبهم حزبيل كانوا بعضا لكل فيما يصيبهم
يكون بعض ما الكل • وقيل يصيبكم بعض الذي يعدكم في الدنيا وكماله في الاخرة وهذا تخويف لهم بالعاجل وقيل
كان يعدهم العذاب ان كذبوه والثواب ان صدقوه فكان العذاب بعض ما كان يعدهم والوعيد يقع على النوعين
قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا • وقيل يصبكم بعض الذي يعدكم عاجلا اذا قتلتموه ثم يترادف عليكم
العذاب حتى يصيبكم كل ما يعدكم • وقيل هو من تنسيق الكلام اي اذا اصابكم البعض مما يقول ففيه كفاية للتخويف
له • وقوله تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يتصل بقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه اي يتبين كذبه
بالامتحان ان الله لا يهدي من هو مسرف متعد لحدوده بالافتراء عليه والكذاب فيما يضيفه اليه • وقوله تعالى
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا اي انتم اليوم ملوك هذه البلاد لكم الغلبة على اهلها
تنفذون فيهم على ما تريدون ويطيعونكم فيما تامرونهم فهل فيكم ومن تملكونهم من الناس مانع من عذاب الله
ان جاءنا اي فاذا لم يكن لكم ناصر فلا معنى للتعرض لما لا يمكنا دفعه هذا الرجل كتم ايمانه مدة حين خاف على
نفسه فدل ذلك على انه يباح اخفاء الاسلام واظهار كلمة الكفر عند خوف الهلاك على نفسه وحين راي
قصدهم قتل موسى اظهر الله ذلك وحاجهم لانه رجا ان يكون في ذلك نجاة موسى وان كان فيه هلاك نفسه
وذلك واجب وهو السعي في دفع الهلاك عن الانبياء • وقوله تعالى قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي
ما ابصر لكم صوابا قتل موسى الا وهو صواب عندي في رايي • وقيل اي ما اختار لكم الا ما اختار لنفسي
وقوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وهو ما اقول من قتل موسى وكذب عدو الله فانه لم يختر لهم
ما يختار لنفسه فانه اختار لنفسه ان يكون معبودا لهم واختار لهم ان يكونوا عابدين له وهذا هو سبيل
الضلال دون سبيل الرشاد • قال تعالى واضل فرعون قومه وما هدى • وقوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم
اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي يوما ينزل عليكم فيه العذاب المستاصل بتكذيبكم رسوله مثل يوم الكفار
الذين تحزبوا على الانبياء وتجمعوا عليهم بالتكذيب • وقوله تعالى مثل داب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل سنة
الله في هؤلاء باتيان العذاب عليهم لما كذبوا رسله • وقوله تعالى والذين من بعدهم مثل قوم لوط وقوم شعيب
والامم بعدهم • وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد اي وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب
وهذه الاية في عذاب الدنيا ثم قال ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد اي واخاف عليكم ان اصررتم على الكفر
وشتم عليه عذاب يوم الاخرة وهو يوم التناد وهو من النداء وحذفت الياء تخفيفا كما في التلاق والداع • وقرا
الحسن يوم التنادي بالياء على الاصل • وقرا ابن عباس والضحاك يوم التناد بالتشديد • قال السدي يوم

التناد ند ندودا اي نفر وهو كقوله يوم يفر المرء من اخيه • وقال الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا • وقراءة العامة
يوم التناد بغير تشديد يدعو من النداء ولهذا النداء وجوه منها الاستغاثة كما في قوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا الاية • وقوله تعالى يوم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا الاية دعوا هنالك ثبورا الايات يا ويلنا من بعثنا من
مرقدنا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب الاية ومنها نادى اهل الجنة ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونادى
اصحاب الاعراف هاؤم اقرؤوا كتابيه ومنها نداء الدعاة يوم ندعو كل اناس مهطعين الى الداعي يوم ينادي المنادي
ويدعون الى السجود • وقوله تعالى يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم • قيل يوم يلتمسون الفرار فما
يجدون من العذاب فلا يجدون من عذاب الله مانعا وهو كقوله يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر
وانا نعذبنا لا تنفذون الا بسلطان • وقيل يوم ينصرفون من الحساب مدبرين عنه الى النار لا يعصمكم منها احد
عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد • قيل من يضله من الذين فلا مرشد له اليه • وقيل ومن يهلكه فما له من مخلص
وقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات اي وقال هذا المؤمن ولقد اتاكم يوسف النبي عليه السلام
من قبل موسى بالبينات اي بالايات من عند الله الدالة على ان دين بني اسرائيل هو الحق دون دين القبط •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وهو تعبير الرؤيا وقد القميص فما زلتم في شك مما جاءكم به اي فبقي اسلافكم
طول مدة يوسف في شك مما جاءكم به يتوهمون ان ذلك ليس من عند الله مع علمهم بفضله وعلو قدره على البشر عند تحيرهم
عن الانبياء بمثله حتى اذا هلك اي فلما مات يوسف قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي من يدعي الرسالة
انه لا ياتي احد بمثل ما اوتي به يوسف من الشبه والمخاريق وقد استوحشتم من مدعي النبوات فقد اعرضتم
عن الاستدلال وقبول الحق واسرفتم في التمادي واصررتم على العناد فادى ذلك منكم الى قصد قتل موسى
الا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب يخذل من اسرف وارتاب ولا يوفقه اذا علم منه اختيار الضلالة له
ولزوم الجهل له • وقيل قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كان تمنيا منهم بعث رسول وتاسفا على فوت
يوسف عليه السلام يقول فانتم الان كذلك تفعلون بموسى عليه السلام ولعلكم تتمنونه بعد فوته ويؤكد
هذا التاويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قلتم الن يبعث الله بالف الاستفهام الذين يجادلون في آيات
الله قيل هو ترجمة عن قوله من هو مسرف وهذا جمع وذاك واحد لكنه اسم جنس تصلح للجمع معنى • وقيل هو مبتدا
ولا خبر له وجهان احدهما انه كلام ذلك المؤمن • وقيل هو ابتداء من كلام الله تعالى بغير سلطان اتاهم
اي بغير حجة اتتهم من عند الله تعالى كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا اي من كان كذلك فهو مبغض
عند الله وعند المؤمنين اشد بغض كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اي كما فعل بهؤلاء المجادلين يفعل
كذلك بقلب كل متعظم مترفع لا ينقاد للحق وترك التنوين للاضافة والنعت بالمتكبر والجبار لصاحب القلب
والتنوين على انهما من نعت القلب وهو نفور القلب عن اعتقاد الحق وقبوله وتصديقه والطبع هو
الختم على القلب بالاضلال وهو من الله تعالى في حق من علم منه اختياره وعلى الكفر اصراره والتنوين قراءة
ابي عمرو وترك التنوين قراءة الباقين • وقوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء عاليا
مؤيدا على هيئة القصر اي قال فرعون حين حاجه حزبيل هذه المحاجة وخاف على القوم اتباعه واراد هو
تلبيس الامر على الضعفة لوزيره هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات ترجمة عنه
اي ابواب السماء وطرقها الموصلة اليها فاطلع الى اله موسى • قرا عاصم في رواية حفص فاطلع بالنصب
بالفاء في جواب التمني • وقرا الباقون بالرفع عطفا على قوله ابلغ الاسباب اي فانظر اليه نظر مشرف عليه
توهما منه او ايهاما انه جسم يحويه الاماكن حتى يكون بعض الاماكن فوقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
اذا كان فرعون موصوفا بهذا ويدعي مع ذلك الهية نفسه لانه من نفوس الجهلة من قومه اي فان وجدته
هنالك نظرت في امري وامره وهل هو كما يصفه موسى ام لا وان لم اجده فهو معدوم ليس بموجود وخالق
السموات والارض منه وكفى خزيا للمجسمة ان يكون اعتقادهم في الله كاعتقاد فرعون • وقيل كان هذا ايهاما
لضعفة قومه الذين لا تمييز لهم انه تمكن من صعود السماء وان كان عند نفسه عالما بامتناع ذلك عليه اراده
التسكين منهم فانه لم يكن هذا فقد كان فرعون في غاية الجهل والغواية والغباوة • وقوله تعالى واني لاظنه
كاذبا فيما يدعيه ولكن افعل هذا لان الدال السنية عمن لا ينبغي تنفي وكذلك زين لفرعون سوء عمله في الشرك
والتكذيب والجدال في آيات الله وصد عن سبيل الله • قرا عاصم وحمزة والكسائي بضم الصاد اي منع • وقرا
الباقون بفتحها اي اعرض عن السبيل هو الطريق الحق اذا اطلق لانه ما يفضي بسالكه الى المقصود فما لا يفضي
الى الصواب فليس بسبيل وما كيد فرعون الا في تباب • قيل في بطلان • وقيل في خسران • وقيل في هلاك • وقيل
في ضلال • وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لما امر هامان العمال والفعلة فلم يترك احدا بيده مهنة من عمل
البنيان الا جمع لذلك الصرح حتى اجتمع فيه خمسون الف بناء يبنون سوى من يطبخ الاجر والجص ويجر الخشب
ويسمرون الابواب ويضرب المسامير وتغاولت عنه لا يحصيها الا الله فلم يزل كذلك حتى رفع الله بنيانه ويعلي له

ويستدرجه حتى اذا ارتفع بنيانه على ما اراد ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد منذ يوم خلق الله السموات والارض ه
لا يريد ادبنيانه الا شدة وارتفاعا في الهوي ولا يامر فيه بامر ولا يشار عليه بامر الا امضاه الله تعالى له بكيد يريد
ويستدرجه وهو لا يشعر وكلام موسى بجهاده او نحو دعه وما يريد فاني اوشك ان اجعله في ساعة واحدة وابطل كل
شي عمله فكف موسى ينتظر امر الله ووحيه حتى اذا كان يوم من الايام وقد بلغ الصرح مبلغا لم يبلغه بنيان فكان
اذا طلع قرن الشمس ضرب ظلة ذلك الصرح ميلا نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله ميلا نحو المشرق وكان اساسه على
جبل فنزل الله تعالى لذلك الجبل والصرح من قواعده والناس في اعلاه واسفله واوسطه وحوله فانهدم
بهم من غير وهن ولا ضعف في عمله فدمر الله تعالى اهله حتى لم يبق منهم احد الا اهلكه فلم يبق احد من خلق الله عمل
فيه عملا بشي من ارض مصر الا اصابه موت او حريق او عاهة فاما من كان منجارا وحدادا فيبست ايديهم واما
الذين يطحنون الاجر والجص فاحترقوا واما الغلمان زمنة والعمال فماتوا فدمر الله تعالى ذلك كله فيما بين طلوع
الفجر الى طلوع الشمس وكانوا يعملون فيه بالليل والنهار والليل لا يفترون حتى اهلكهم الله تعالى على شر حال • وقوله
تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد اي قال ذلك هذا الذي امن من ال فرعون يا قوم
انما هذه الحياة الدنيا متاع اي لا يغرنكم ما انتم فيه من الملك في الدنيا والظهور في الارض فيشغلكم
ذلك عن تدبر ايات الله فان الله تعالى خلق الدنيا دار نقلة يتمتع بها قليلا ثم تنقضي وان الاخرة هي دار القرار
قال قتادة استقرت الجنة باهلها والنار باهلها • وقيل اي الدنيا لا ثبات لها والاخرة دار الثبوت والخلود
من استقر امره فيها على شي خلد فيه ودام له من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اي بالسيئة • وقال تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن وهذا واحد بخلاصه ثم قال فاولئك يدخلون
الجنة على الجمع لانه جنس فصلح للجمع معنى يرزقون فيها بغير حساب اي بلا تقدير عليهم ولا تقتير له وجوه
اخر مرتبا نها ميزات • وقيل يجزى بالسيئة الواحدة مثلها وبالحسنة الكثير الذي لا يحصر حساب
وقوله تعالى ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة يقول اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد وتدعونني الى النار وهو
قول فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وكان ذلك دعا الى الكفر تدعونني لاكفر بالله
هو تفسير قوله وتدعونني الى النار وليس شيا اخر لانه لا عاطف بينهما واشرك به ما ليس لي به علم اي
لا علم لي بان له شريكا بل انا عالم انه لا شريك له وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الى دين العزيز المنيع الذي
لا يغالب اذا عاقب الكفار الذي يغفر للمومنين بالتوبة والاستغفار • وقيل العزيز الغني بعزته عن الشركا
والانداد الغفار المتفضل بعفوه ومغفرته على العباد لا جرم كلمة تحقيق وقد مر تفسيرها في سورة النحل
بوجوهها انما تدعونني اليه الى عبادته من دون الله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي لا ينتفع
بها في الدنيا ولا في الاخرة فوجودها كعدمها وهو كقوله قل يا اهل الكتاب لستم على شي • وقال السدي
وقتادة اي الصنم لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الاخرة • وقال الزجاج اي ليس له استجابة دعوة
وقوله تعالى وان مردنا الى الله اي مرجعنا الى جزايه • وقوله تعالى وان المسرفين المجاوزين حدود
الشرع بتكذيب الانبيا والجدال في ايات الله ودعا الناس الى عبادة غير الله • وقوله تعالى هم اصحاب
النار الذين يموتون فيها • وقوله تعالى فستذكرون ما اقول لكم اذا رددنا الى الله • وقيل في الدنيا • وقوله
تعالى وافوض امري الى الله اي اسلم اموري كلها اليه الان اني توكلت عليه وقطعت الرجا عمن
دونه • وقوله تعالى ان الله بصير بالعباد بما يظهرونه وما يضمرونه • وقوله تعالى فوقاه الله سيات
ما مكروا اي حفظه الله تعالى من مكاره مكر فرعون وقومه فلم ينفذ عزمهم في قتل ابنا الذين امنوا
معه واستحيا نسابهم وظاهر على انه يدل على انهم لم يقدروا على قتل هذا المومن • قال الضحاك ارادوا
قتله فنوا له جبل فصعده فكان من ياتيه من جنود فرعون تاكله السباع او يرجع عنه حتى مات حزينا
هنالك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث في طلبه قريبا من الف فمنهم من اكلته السباع ومنهم من رجع
الى فرعون فصلبه • وقد روينا عن وهب انهم قتلوه مع السحرة وعلى هذا يكون قوله فوقاه اشارة الى
موسى عليه السلام وهو تحقيق قوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا الاية • وقوله تعالى وحاق بال فرعون
سوء العذاب اي نزل واحاط باشياع فرعون مع فرعون مكروه عذاب الله تعالى وشدته وما يسوءه
وقوله تعالى النار يعرضون عليها • قال ابن عباس رضي الله عنهما تعرض ارواحهم على النار غدوا وعشيا
قدر الغد والعشي في الدنيا وهذا في القبر • وقال ابن مسعود رضي الله عنه ارواحهم في صور طير
سود يرون منازلهم منها غدوة وعشية • وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
قرئ بقطع الالف وهو من الادخال اي يقال للملايكة ادخلوا فرعون واله اشد العذاب اي اغلظه
وافظعه وانما استحقوا ذلك لشدة عنادهم ومكابرتهم بعد ظهور الايات الحسية وزوال الشبه بالكلية
وقوله تعالى واذ يتحاجون في النار اي يقال لال فرعون ذلك يوم القيامة وحين يتحاج اهل النار فيها

وقري ادخلوا بضم الالف من الدخول اي ويقال لال فرعون ادخلوا ال فرعون اي يا ال فرعون اشد العذاب

فيقول

نسوا الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا جمع تابع كالخدم جمع خادم والسلف جمع سالف والتبع جمع تابع
اي كنا اتباعا لكم فيما دعوتمونا اليه من الشرك وتكذيب الانبيا لا لاستضعافكم ايانا • وقوله فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار اي متحملون عنا مقدارا من النار التي نحن فيها بابطالنا بتخفيف من حجتكم اذ لا احد اخذنا بالتحمل عنا
لكم كنتم سبب دخولنا النار بقولكم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم والعلنا الكفاية • وقوله تعالى قال
الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد اي انا بجموعنا جميعا في النار بقولكم اتبعوا سبيلنا
وحكم الله تعالى لا يجري لنا على انفسنا ولا عليكم حكم • وقوله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب اي اذا ييسوا من كبرائهم طلبوا الفرج من عند خزنة جهنم ظنا منهم انهم
يؤذن لهم لما يرون من قلة صبرهم وشدة جزعهم ولو الله سالوا وتكلموا ان يخفف عنا اي بيل العذاب عنا
مقدار يوم من ايام الدنيا التسابيح في مقدار هذه المدة • وقوله تعالى اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى اعترفوا بمجيئهم وذا وانه الخزي قالوا بلى فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي • وقوله
قالوا فادعوا اي فادعوا انتم اذا فقد لزمتكم الحجة وقطعت الاعذار ووجبت كلمة العذاب ولا تبديل
لكلمات الله ولكن ندعو لكم اذ لا سبيل لنا الى الشفاعة الا باذن الله والله لا ياذن لنا بالدعا لكم فادعوا
انتم لانفسكم • وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ما دعاء الكافرين لانفسهم في الاخرة
بتخفيف العذاب عنهم الا في بطلان وميل عن الصواب وهو في مقابلة قولهم للانبيا في الدنيا ان انتم
الا في ضلال كبير • وقوله تعالى فادعوا ليس بامر حقيقة لكن معناه ادعوتم لانفسكم وهو كقوله
فاصبروا او لا تصبروا • وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ذكر نصر موسى
ومومن ال فرعون على فرعون واله واحزابه بنصر ايضا جميع رسله وجميع المومنين والنصر المعونة على العدو
بالاستعلاء عليه وهو على وجوه نصر بالحجة ونصر بالغلبة والمحاربة ونصر بعقاب العدو ونصر باكرام
الولي بالثواب وقد نصر الله الانبيا بانجائهم واهلاك عدوهم وما جرى على زكريا ويحيى وبعض الانبيا
من القتل فقد نصرهم الله تعالى بعد قتلهم بالانتقام منهم على يد بخت نصر فهذا كله نصر واعانة
وانتقام ومعونة • وقال تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون اي نحن
ننتقم لك منهم اذا رجعوا الينا • وقال لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر
وقوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد هو جمع شهيد كشريف واشراف • وقيل جمع صاحب واصحاب • وقيل هو
جمع شاهد وهم الاشهاد • وقال مجاهد هم الملايكة • وقال قتادة هم الانبيا • وقيل هم الحوانج • وقيل
هم اهل الموقف يشهدونه قايمين لرب العالمين ونصرهم يوميذ للمومنين بالتمييز بين المحق والمبطل
والولي والعدو بالثواب والعقاب • وقيل يلعن اهل الموقف الكفار • قال تعالى ويقول الاشهاد
هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين • وقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
لانها باطلة ولانه لا يوذن لهم فيعتذرون • وقوله ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وهي جهنم • وقوله تعالى
ولقد اتينا موسى الهدى وهو من النصرة اي الرشد في كل اموره • وقوله تعالى واورثنا بني اسرايل
الكتاب اي التوراة وجعلناهم بنوا ذرتوها فيتنقل من سلف الى خلف • وقيل الهدي الانجا من البحر
بالاخراج عنهم انا لمدركون • قال كلا ان معي ربي سيهدين • وقيل واورثنا اي بقينا ما لهم هدي
يهتدون به في اديانهم • وقوله وذكرى لاولي الالباب اي ويتذكرون به وعد الله ووعيده فاصبر
يا محمد على الدعا للدين وعلى اذى المشركين • وقوله تعالى ان وعد الله حق بنصر الانبيا والمومنين
وقوله تعالى واستغفر لذنبك اي وان خطر بقلبك من وسواس الشيطان استبطا النصر لتاخره
عنك فاستغفر الله تعالى من ذلك • وقيل اذا اتاك النصر وخطر بقلبك انه بقوة منك فاستغفر من
ذلك • وقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح لله في الصلوات وخارج
الصلوات بالغدوات والعشايا فتنقطع وساوس الشيطان عنك والعشي من زوال الشمس الى الليل والابكار
من طلوع الفجر الى الشمس • وقوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر
ما هم ببالغيه اي ان هولاء المشركين الذين يخاصمون في ايات الله بالتكذيب والرد بغير حجة عندهم اتتهم
من عند الله في عقل او كتاب ليس حجة لهم الا من وضح عندهم يجادلون لذلك بل للحسد والتعظم الذي في صدورهم
من التكبر عن الانقياد للحق وما هم ببالغي هذا الكبر الذي في صدورهم اي ان هذا الاثم لهم على ما يضمرونه
لما عليك عليهم فينقادوا لك او ايديهم بسيفك اي يتوهمون انهم اذا اصروا عليه نالوا به الرفعة
واستداموا به الرياسة وما هم ببالغي ذلك بما عليك عليهم واصيرهم الى الهوان في الدنيا والاخرة • وقيل
اي قلوبهم حسد لك على نبوتك وما هم ببالغي النبوة انما يوتيها الله تعالى من يشا والكبر على هذا التاويل
امر كبير • قاله الذي تولى كبره • وقيل في صدورهم كبر اي امر كبير وهو قصدهم قتلك ما هم ببالغيه

بل لا يمسك الله • وقيل هو تمنيهم موتك قبل ان يكمل الله بك الدين قال الله تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
وقوله تعالى ما هم ببالغيه بل لا يمسك الله حتى يكمل بك الدين ويفتح بك المشركين • وقوله تعالى فاستعذ بالله
انه هو السميع البصير اي فاستعذ من شرهم بالله انه هو السميع بما يقولون والبصير بما يعملون • وقوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس اي ان المشركين مقرون بان الله خلق السموات والارض على كبرهما وعظمهما
والعجائب التي فيهما وذلك اعظم شانا من خلق الناس فكيف وصفوني بالقدرة على خلقهما وعجزوني عن القدرة
على خلق الناس بعد موتهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لا يتدبرون فلا يستدلون بالايات فيعلموا ذلك •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين يجادلون في ايات الله هم اليهود يخاصمون في القران بغير حجة
ولا عذر لهم اتاهم من الله ان في صدورهم الا كبر اي ما في صدورهم الا الكبر ما هم ببالغيه يعني ببالغي ذلك
الكبر الذي في قلوبهم وهم اليهود • قالوا يخرج الدجال ويخوض في البحر وتسير معه الانهار وتطلع الشمس له
الى مغربها ويرد الينا الملك فرد الله عليهم فقال ما هم ببالغيه ما قالوا فاستعذ بالله من فتنة الدجال
انه هو السميع لاقوالهم البصير باعمالهم • وقال مقاتل ان الذين يجادلون في ايات الله اي اليهود قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم يقولون ان صاحبنا يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان وله السلطان ما البحر
الى ركبته والسحاب دونه وما هم ببالغي ذلك ثم قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس يعني
الدجال • وقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي من
عمي عن روية الايات والاستدلال بها ومن ابصرها فاستدل بها ولا يستوي الذين امنوا وعملوا الصالحات
والذين كفروا والمسيء هو الكافر لان المومن محسن وهو واحد لفظا وجمع معنى ولا زائدة في قوله ولا المسيء
وقيل معناه ولا يساوي المومن الكافر ولا الكافر المومن وقد شرحناه باتم من هذا في سورة الملائكة •
وقوله قليلا ما يتذكرون اي لا يتذكرون اصلا وهو كقولك فلان قليل الحياء اي لا حياء له • وقوله تعالى
ان الساعة لاتية ان القيامة لقائمة • وقوله تعالى لا ريب فيها اي لا شك في اتيانها وله ثلاثة اوجه
ذكرناها في اول سورة البقرة • وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بكونها ونبا
تمييز بين هذين الفريقين • وقوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين • قال الضحاك اي اعبدوني كما قال ان الذين تدعون من دون الله ويدل عليه
قوله يستكبرون عن عبادتي • وقال الكلبي وحدوني • وقال مقاتل هو نفس الدعا استجب لكم في سوال
المغفرة لان الايمان طلب المغفرة فاذا حمل الدعا على التوحيد كانت الاستجابة مغفرة وتحقيقا لقوله تعالى قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان حمل على نفس الدعا فالاستجابة هي الاجابة لما سال وكان
ان الاية ان حملت على خطاب الكفار فمعناها وحدوني واجيبوني في الدعا اليه • وقوله تعالى استجب
لكم في سوالكم مغفرة ما قد سلف وان حملت على العصاة فمعناها ادعوني بالتوبة والاستغفار استجب
لكم في قبول التوبة والعفو عن الجناية وان حملت على المطيعين فمعناها سلوني حوائجكم اعطكم ما سالتم
وقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي يتعظمون عن توحيدي سيدخلون جهنم للخلود فيها
داخرين صاغرين هذا على الاول وعلى الثاني ان الذين يمتنعون عن التوبة وعن دعا الله تعظما
لا استذلالا واستخفافا فسيدخلون النار للتعذيب فيها مدة ان لم يعف الله عنهم بفضله ثم اجابة الدعا
قيل هي قول الله لبيك لعبده اذا قال يا رب وهذا لكل داع فاما اعطا المراد فذلك معلق بالمشية قال
فيكشف ما تدعون اليه ان شا وهو موعود ايضا بشرايط من العبد منها اجابة الله تعالى فيما دعا اليه
قال تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي ومنها اكل الحلال • قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليرفع يديه فيقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فاني يستجاب لذلك وفي
الحديث ان الداعي لا يخلو عن احدى ثلاث اما ان يعجل له ما سال واما ان يدخر له في الجنة ما هو خير منه
واما ان يصرف عنه من السو ما هو اعظم منه • وقيل ادعوني بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة • وقال الامام
القشيري رحمه الله ادعوني بالسوال استجب لكم بالنوال • ادعوني بالتذلل استجب لكم بالتفضل • ادعوني
بحسب الطاقة استجب لكم بكشف الفاقة • وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
مر تفسيرها مرات وهي من الايات التي تدل على وحدانية الله تعالى ذكرها بعدما الامر بالتوحيد وقرن نعم
التي يجب الشكر عليها وحث على الشكر بعدها وهو قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون • وقوله تعالى ذلكم الله ربكم الذي خلق الليل والنهار لكم هو مربيكم ومصلح اموركم • وقوله الذي
تعالى خالق كل شي لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره • وقوله تعالى فانى توفكون اي فمن اين تصرفون
عن توحيده كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كما انصرفتم عن الحق مع وضوحه صرف من
قبلكم من الامم الجاحدة عن ذلك ولم يكن ذلك لغموض الادلة بل لما في صدورهم من الكبر الذي ليسوا ببالغيه

وقوله

وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي مستقرا • وقوله تعالى والسماء بناء اي مبنية مرفوعة فوقكم لمصالحكم
وصوركم فاحسن صوركم • وقوله ورزقكم من الطيبات اي الاغذية الشهية من الاطعمة والاشربة • وقوله
تعالى ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين اي جل الله ودامت بركاته وتتابعت خيراته وصحت على وصفه
وقوله تعالى هو الحي الذي لا يموت ابدا بحياة ازلية • وقوله تعالى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين في
العبادة والطاعة • وقوله الحمد لله رب العالمين اي المستحق للحمد هو ويجوز ان يكون حمد نفسه تعليما للخلق وان
يجوز ان يكون امرا به وقد شرحناه في اول الفاتحة • وقوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين • اي قل يا محمد للمشركين نهاني الله تعالى ان اعبد
الاصنام التي تعبدونها من دون الله لما جاني الدلايل الواضحة على وحدانية الله تعالى وامرني ان انقاد له
واخلص له في عبادتي واسلم اليه نفسي واموري اذ هو رب العالمين فلذا وافقكم على ما تدعونني اليه • وقال مقاتل
دعا كفار مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم وقالوا له ما حملك على ما اتيتنا به من مخالفة ابايك واراد
ترك الحاجة وقلة المال فنحن نجمع لك ما يكفيك وحرك فانزل الله هذه الاية • وقوله تعالى هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقد فسرنا هذه الاية مرات • وقوله تعالى ثم لتبلغوا
اشدكم اي ثم يربيكم لتبلغوا تمام القوة فتصلحوا للتكليف والتعبد ثم لتكونوا شيوخا ثم يدرجكم الى ان تصيروا
شيوخا ومنكم من يتوفى اي يقبض بالموت • وقوله تعالى من قبل اي من قبل الشيخوخة • وقيل بلوغ الاشد • وقيل
الخروج من بطن امه طفلا • وقوله تعالى ولتبلغوا اجلا مسمى يعني ذلك هذا مضمر في اخره اي وليبلغ كل منكم
اجلا قد سماه الله تعالى له ولعلكم تعقلون اي ولتعقلوا ذلك وتستعملوا عقولكم في معرفة ذلك والعمل بما خلقكم
لذلك • وقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا اي قدر شيا واراد كونه • وقوله تعالى فانما يقول
له كن فيكون اي كونه سريعا فهو المستحق للعبادة • وقوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى
يصرفون اي كيف ومن اين يعدل بهم عن الحق اي هل يصرفون الى شي او مع دلالة واحسن عاقبة منه • وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا هو صفة المجادلين • وقوله تعالى فسوف يعلمون اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل اي فسيعلمون بطلان ما هم فيه وسو عاقبته اذا دخلوا النار وغلت ايديهم الى
اعناقهم وجعلت فيها السلاسل • وقوله تعالى يسحبون في الحميم اي يجرهم خزنة جهنم في الما الذي تناهى
حره • وقال مقاتل في حر النار • وقوله تعالى ثم في النار يسجرون اي يطرحون فيها فيكونون وقودها ويحمى
التنور احماه بايقاد الوقود والجر الى الحميم هو تردده بين النار والما الحار وهو كقوله يطوفون بينها
وبين حميم ان • وقوله يصب من فوق روسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم • وقوله خذوه فاعتلوه الى سوا
الجحيم • وقوله تعالى ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله يوبخون بهذا في هذه الحالة زيادة في الالام
اين الاصنام التي كنتم تشركون بالله رجاء شفاعتهم قالوا ضلوا عنا اي هلكوا وضاعوا • وقوله تعالى بل
لم نكن ندعوا من قبل شيا اي ما كنا نعبد شيا ينبغي ان يعبد ويخاف ويرجا بل كنا نرجوا النفع مما لا نفع فيه
وهو اعتراف منهم بانهم لم يكونوا على شي وليس بانكار لعبادة الاصنام بل اعتراف بانه لم يكن شيا يعبد وهو
كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شي • وقوله تعالى كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل هولا
المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة عن الدين • وقوله تعالى ذلكم بما كنتم
تفرحون في الارض بغير الحق اي ذلك العذاب اتاكم بسبب اظهاركم في الدنيا السرور بالشرك
بالباطل وبما كنتم تمرحون اي تمرحكم اي بطركم وخيلاكم وتيهكم • وقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم اي يدخل
كل فريق الباب الذي جعل له • قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم • وقوله تعالى خالدين
فيها اي في جهنم فبئس مثوى المتكبرين الذين تعظموا عن قبول الحق وجادلوا بالباطل • وقوله تعالى فاصبر
يا محمد على اذى الكفار وجدالهم • وقوله تعالى ان وعد الله حق اي نصر الرسل والمومنين في الدنيا
والاخرة • وقوله تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون اي انتقمنا منهم في
الدنيا او ان نتوفينك قبل ذلك فالى مرجعهم في الاخرة فاعذبهم فيها واظهرك عليهم به وظهر ان النصر المذكور
في قوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ومنه ما يقع في الدنيا بالاعلا
والاظهار • ومنه ما يقع في الاخرة بالانتقام والعذاب • وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر كفار
مكة ان العذاب نازل بهم فكذبوه فامره الله تعالى بالصبر اي اصبر على تكذيبهم ان العذاب نازل بهم يعني يوم بدر
وقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وان كلهم اتوا امتهم
بايات اجراها الله على ايديهم حججا لهم على صدقهم • وقوله تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي
لم يكن من اولئك الرسل احد اتى قومه باية من قبل نفسه انما اتى بما اتاه الله واجراه على يده فكذا انت معذور
انما اتيتهم بالايات من عند الله ولا معنى لجدالهم اياك في الايات التي تاتي بها ان تقولوا هي سحر هكذا ولن نومن لك

بيانهم يوم القيامة ادخلوا ابواب جهنم

حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكذا وكذا ويطلبون منك الايات المقترحات • وقوله تعالى فاذا جا امر الله قيل اي
جا بما تسالونه اقتراحا قضي بالحق بينك وبينهم اي كان ذلك فصلا للقضية بعد ان كذبوا به استوصلوا لانهم مبطلون
وقوله تعالى وخسر هنالك المبطلون • قيل معناه وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله وقد جيتهم بما اذن الله تع
لك فيه بما فيه كفاية ومقنع فاذا جا امر الله بالقيامة قضي بالواجب بينهما فادخلتك واتباعك الجنة
وادخلت الكفار النار • وقوله تعالى وخسر هنالك من كان على الباطل • وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تاكلون اي بعضها ولكم فيها منافع غير الركوب والاكل من صوف ووبر وشعر وجلد ولبن ونحو ذلك • وقوله
تعالى ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من قطع المسافات البعيدة كما قال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويتصل هذا بالايات التي مرت في ايات الوحدانية وانواع النعم من قوله
تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا وجعل لكم الليل وخلقكم من تراب الاية • وقوله تعالى ويريكم اياته اي هذه
الاشيا وغيرها • وقوله تعالى فاي ايات الله تنكرون من هذه الايات الاستفهام بمعنى التوبيخ • وقوله تعالى
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض قد
فسرناها في هذه السورة مرة • وقوله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما نفعهم ولا دفع عنهم العذاب
كسبهم الاموال والرجال ونصبهم الاثار من القصور والبيوت والحصون في الجبال وغيرها • وقوله فلما جاتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم اي اعجبوا بما كان عندهم من تقليد ابائهم في الشرك وكانوا في معجزات الانبيا
هي تخاييل وذلك جهل في الحقيقة توهموه علما وتمسكوا به مغتبطين بذلك • وقيل بما عندهم من علم امور الدنيا
من الصناعات ولم يقبلوا على علوم الدين • وقيل هو في اهل الكتاب فرحوا بما عندهم في كتابهم فلم يقبلوا غيره
من الكتاب المنزل وخبر النبي المرسل • وقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني ونزل بهم ما كانوا
يستهزءون به من العذاب الذي كان يتوعدهم به • وقيل اي نزل بهم جزا استهزائهم بالرسل والايات • وقوله
تعالى فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا من الشرك • وقيل
اي من الاوثان التي اشركناها بالله • وقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي فكان حكمي فيهم ان لا
ينتفعوا بالايمان حالة الباس لانه حال زوال الغيب وفوات الاختيار وتحقق الاضطرار • وقوله تعالى
سنة الله التي قد خلت في عباده اي كسنة الله تعالى في الكفار الذين مضوا قبلهم ان ايمانهم حالة الباس لم
ينفعهم ولم يقبله الله تعالى منهم كما قال في حق فرعون فلما ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به
بنوا اسرائيل الاية وغيره لك وخسر هنالك الكافرون اي هلكوا حينئذ • وقيل لما راوا باسنا اتى العذاب
في القبر • وقال مقاتل سنة الله التي قد خلت في عباده في الامم الخالية ان الايمان لا ينفعهم عند معاينة العذاب
وقال الكلبي سنة الله ان من كفر بالحق عذبه الله نعوذ بالله من الكفر والكفران ومن اكتساب
الذنوب والعصيان ومن الفرقة •

والهيران والغفلة والنسيان والذلة والهوان والتزين والحرمان وسائر المنفرة والرسوات وعلو الرتبة والخيبات والحوز والقصور والولدان والغلمان

سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله مفصل الايات • الرحمن مقدر الاقوات • الرحيم منزل البشارات • روي ابي بن كعب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا حم السجدة اعطي بكل حرف عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات • وهذه
السورة مكية • وهي اربع وخمسون اية • وقيل ثلاث والاختلاف في قوله مثل صاعقة عاد وثمود • وكلماتها
سبع مائة واربع وتسعون • وحروفها ثلاثة الاف ومايتان وخمسة وثمانون • وانتظام اول هذه السورة
باخر تلك السورة انه ذكر في اخر تلك السورة خسران الكافرين • وذكر في اول هذه السورة سبب خسرانهم وهو الاعراض
من فهم الكتاب المبين • وانتظام السورتين انهما في ذكر المومنين ومواعيدهم والكفار ووعيدهم • وقوله
تعالى حم ذكرنا الاقاويل فيه تنزيل مبتدا من الرحمن الرحيم خبره • وقيل حم مبتدا وتنزيل خبره اي هذه
السورة منزلة من الله تعالى مصدر في معنى المفعول كتاب اي هو كتاب فصلت اياته اي بينت • وقيل اي جعلت
فصولا في معان مختلفة من الامر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام ونحو ذلك • وقيل اي فرقت
في التنزيل فلم تنزل جملة تثبيتا في القلوب وتمكينا من تدبرها بالعقول • وقوله تعالى قرانا عربيا اي بلسان
العرب ونصبه من وجوه منها فصلت قرانا عربيا اي وقع تفصيله بلسان عربي • وقيل نصب على المدح • وقيل
نصب على القطع لانه نكرة نعت به معرفة • وقوله تعالى لقوم يعلمون لسان العرب او يترجم لهم اي التفصيل لهم
ليتهيا تكلف فهمه من لم يعط حظه • وقوله تعالى بشيرا ونذيرا نعت قوله قرانا عربيا اي فيه بشارة للمطيعين
وانذار للعاصين • وقوله تعالى فاعرض اكثرهم عن قبوله وتدبره مع تفصيله وعلمهم بوجوه فهمه فهم
لا يسمعون اي يتغافلون عن سماعه كما قال واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا • وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران • وقيل اي لا يقبلون • وقيل اي لا يطيعون • وقيل اي يتصاممون ولا يتفكرون
فيه كانهم لم يسمعوه • وقيل لا يسمعون خفيفة لاعراضهم عن التابي وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه قال

مجاهد

مجاهد والسدي اي في اغطية جمع كنان • وقوله وفي اذاننا وقر اي صمم وقرى اي صمم من باب ضرب ووقر اي
ثقل • وقوله تعالى ومن بيننا وبينك حجاب اي نخالفك • وقيل اي ستر من جهة اختلاف الدين والتباين في العبادة
لا نلتقي في اجتماعنا معك • وقوله تعالى فاعمل اننا عاملون اي اعمل على دينك اننا عاملون على ديننا
ايامنا به وانا اصنامنا له • وقيل فاعمل في هلاكنا انا عاملون في هلاكك قاله الفرا • وقيل اي ادع علينا انا ندعو عليك
تركنا ذلك • وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي بشر مثلكم اناسب لكم في الخلقة وذلك مما يوجب الاشتغال
انما انا بشر مثلكم ارسلت اليكم ولست ادعي اني ملك او ملك لنفسي بشي لتعظيمي عليكم يوحي الي انما الهكم الذي انه
خالقكم انه الله واحد لا شريك له • وقوله تعالى فاستقيموا اليه اي توجهوا وجوهكم بالعبادة والدعا والمسالة
اليه والانقياد في امره • وهو كقوله استقم كما امرت اي الى الفرح في طريقك فلا تخرج عن القصد والمشي اليه • وقوله
تعالى واستغفروه اي سلوه ان يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم • وقيل اي امنوا به فان الله تعالى وعد على ما سلف ما قد
سلف فكان الايمان به سوالا لما وعد عليه • وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة اي لا يقبلون
وقيل لا يعطون من انفسهم الطاعة فان الزكاة هي الطهارة • وقال ابن عباس اي لا يشهدون ان لا اله الا الله
الكفر • قال الله تعالى قد افلح من تزكى • وقال انما المشركون نجس وهم بالاخرة هم كافرون اي جاحدون
وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع • وقيل غير منقوص
ثواب الاخرة • وقيل غير مقطوع عنهم في مرضهم وضعفهم وهرمهم • وقيل اي غير ممنون به عليهم ايضا • وقيل اي غير ممنون
عليهم به فتكدر ثواب الجنة • وقال الاخفش ومن بيننا وبينك حجاب من التوكيد وهي زائدة • وقال الحسن قل انما
انا بشر مثلكم علمه الله التواضع • وقال السدي لا تستغفروا له يعني بالتوحيد واستغفروه ينجي من الشرك
وقال ابن عباس وضحاك ومجاهد الذين لا يوتون الزكاة اي لا يقولون لا اله الا الله وهي زكاة الانفس • وقال
الضحاك اي لا يتصدقون في الطاعة • وقال ابن كيسان لا يرون اتيانها خيرا • وقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين استفهام بمعنى التوبيخ اي تكفرون وحدانية الله تعالى وقد خلق الارض
قدرة الله على البعث وقد خلق الله الارض على سعتها وتباعد اطرافها والتكفر وتجعلون الشركا
تعالى وتقول انتم عليكم بخلق السما والارض وخلقة الاسباب بينهما في يومين • قيل هي ايام الدنيا • وقيل بل ايام
الاخرة كل يوم الف سنة وهو قول الكلبي رحمه الله وكذلك الايام المذكورة بعد هذا على هذا الاختلاف وكان
قادرا ان يخلق السما والارض واضعاف ذلك في لحظة لكنه علم الناس تمكن الاستعجال والتثبت في الافعال
وقوله تعالى وتجعلون له اندادا اي اشباها واشكالا وهي الاصنام • وقوله تعالى ذلك رب العالمين اي الذي
خلق الارض في يومين هو مربي الخلق ورازقهم ومصلحهم • وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت
وقوله تعالى من فوقها وبارك فيها قيل في الرواسي بالمياه والاشجار والثمار والذهب والفضة وما يكون في الجبال
وقيل في الارض بنباتها واشجارها وما يخرج منها من الاودية والمعادن وغيرها • وقوله تعالى وقدر فيها
اقواتها • قال قتادة اي ارزاقها ومعناه الارزاق التي فيها او ارزاق اهلها • وقال مجاهد اقواتها المطر
وقال عكرمة في هذه الارض من الخير وصلاح معاشه • وعنه ايضا لكل قرية منها ما لا يصلح في الاخرى • وقال
جابر قال الكلبي قدر الخير لاهل نظروا والنخل لاهل نظروا والذرة لاهل نظروا لسائر الاصل نظر وكذلك احوالها
وعلى هذا معناه اسباب اقواتها • وقوله تعالى في اربعة ايام اي في يومين اخرين مع اليومين الاولين
كانت الارضين والسماوات وتقدير الاقوات وايام العبادات بعد خلق الارض في يومين • وقيل خلق الله الارض
يوم الاحد والاثنين • وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الشجر والما والعمران والخراب يوم الاربعا • وخلق
يوم الخميس السما وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملايكة وادم سوا للسايلين • قرا يعقوب سواء
بالخفض نعتا لاربعة ايام اي مستويات • وقرا جعفر سواء بالرفع اي هن سواء اي مستويات • وقراءة العامة
سواء بالنصب على المصدر وتقديره استوت استواء للسايلين • قال قتادة والسدي هو سوال الاستخبار • وقال
ابن زيد هو سوال الاستعطا اي الخبر هكذا على الصدق لمن سال والاقوات مبذولة على الوجه الذي لمن سال
وقوله تعالى ثم استوى الى السما فهو مجاز عن ايجاد الله تعالى السما على ما اراد من قول العرب فعل فلان كذا ثم
استوى الى عمل كذا اي يريد ورتبه انه اكمل الاول ثم ابتدا الثاني فقد راه الله تعالى في هذا في افهام الخلق انه اكمل خلق
الارض ثم رتب عليه خلق السما ولا يفهم منه ما يفهم من ترتيب فعل البشر انه الاول يقتضي ثم الثاني يا في لان فعل
الله تعالى ازلي ابدي لكن ترتيب ذكر الاشيا لترتب ظهور الاثار في الاعيان ويفهم من ظاهر هذه الاية ان خلق
السما كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضي الله عنه • وقوله والارض بعد ذلك دحاها يدل على ان خلق
الارض كان بعد خلق السما وبه قال قتادة والسدي • وقوله تعالى ايتيا طوعا او كرها يدل على خلقهما معا
وبه قال قوم وقد شرحنا الاقاويل الثلاثة بدلايلها في سورة البقرة وهي دخان • قال ابن عباس ولما خلق الله
تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة في عشرة الاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها

دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سما فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طايعين • قال مجاهد قال يا سما ابرزي شمسك وقمرك ونجومك ويا ارض اخرجي نباتك وكذا وقيل هو كقوله
انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون اي اذا اراد تكوين شي كونه وهو عبارة عن سرعة الايجاد ونفوذ الارادة
في المراد قالتا اتينا طايعين اي اتينا مع اهلنا ولذلك جمع مع سبق ذكر التثنية لان الاهل مضمر فيه فصار لكل
جمعا • وقيل هو ظهورهما على ما اراد من غير امتناع لا على حقيقة القول وهو كقول القايل • امتلا الحوض وقال قطني
مهلا رويدا قد ملات بطني • وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي فاتم خلقهن سبعا طباقا بعضها
فوق بعض في يومين بعد تلك الاربعة ايام فتم في ستة ايام كما قال ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام • وقوله تعالى واوحى في كل سما امرها الاول على مجاز قوله انما امره اذا اراد شيا الاية فذلك
على التكوين وكذا في هذه الاية • وقيل الايحاء في الاصل هو الالقا فكانه مجاز عن اظهار ما اراد في كل سما وزينا
السماء الدنيا اي التي تدنوا من اهل الارض بمصابيح اي بسرج وهي النجوم وحفظا اي وحفظناها عن السقوط وقيل
عن استراق السمع بالرجوم • وقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم اي ما ذكر من خلق السموات والارضين
وغير ذلك تقدير منه على ما علم فيه انه له بمصالح عباده ومنافعهم امضاه على ما اراد لانه عزيز منيع لا يغالب
ولا ينازع عليم بالعواقب ومقادير الامور وحوايج الخلق • وقال مقاتل بن حيان نزلت هذه الايات
في ابي جهل وابي سفيان وعتبة وشيبة ابني ربيعة اجتمعوا في دار ابي طالب وخاصموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الايات فقل يا محمد انذرتكم اي خوفتكم صاعقة اي عذابا مهلكا ما يلي لا يزيل
العقول بل يزهق الروح • وقوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود اي مثل عذاب على هذه الصفة حل بعاد وثمود
اذ جاءتهم الرسل اي جاءت عادا هود النبي وثمود صالح النبي وكل رسول يخبر بسائر الرسل فجميعه بمجي الرسل معنى
وكذلك قال كذبت قوم نوح المرسلين وما جاءهم ظاهرا الا نوح عليه السلام وحده كذلك وكذا قال كذبت
عاد المرسلين • وقال وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله • وقيل اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم اي جاءتهم
بيان حقيقة الرسل من كل جهة حين احاط بهم البيان من كل جانب بحيث ما انصرفوا وجدوا بيانهم قايما لهم
وقيل من بين ايديهم الرسل المبعوثون في ابايهم ومن خلفهم الذين بعدهم اوليك الرسل • وقيل من بين ايديهم
ومن خلفهم اي منذرين بعذاب الدنيا والاخرة وهو كقوله ما بين ايديهم وما خلفهم • وقيل اي داعين
الى العمل في الدنيا والايمان بالاخرة ان لا تعبدوا الا الله اي اذا جاءتهم الرسل بان لا تعبدوا الا الله
تعالى وحده لا شريك له ولا تشركوا به شيا • وقوله تعالى قالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم
به كافرون اي لو اراد الله تعالى ان يرسل رسولا الى عباده لانزل عليهم الملايكة رسلا من عنده اذهم سكان
السموات التي منها ينزل الوحي دون ان يجعلهم من اهل الارض فانا لهذا جاحدون لما ادعيتم من الرسالة
وهذا جهل منهم بمواقع الحكمة على ما بيناه في قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ثم بين ما ذكر من صاعقة
عاد وثمود فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق اي فتعظموا على نبيهم وافسدوا في بلادهم
بغير ان يحق لهم ذلك • وقوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة استفهام بمعنى النفي اي لا اقوى منا في الاجسام
والعدد • وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اي اولم يعلموا علما يقوم مقام
العيان ان الله هو اتم منهم قدرة لانه قادر على كل شي بقدرة نفسه وهم قادرون على بعض الاشيا
باقدار الله تعالى اياهم ولو شاء سلبهم ذلك وهو استفهام بمعنى التوبيخ وكانوا باياتنا يجحدون يتصل
بقوله وقالوا من اشد منا قوة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة مهلكة ببردها • وقيل شديدة الهبوب
وقيل شديدة الصوت • وقوله تعالى في ايام نحسات بتسكين الحا وكسرها وكلاهما نعت وهي ما قال
سبع ليال وثمانية ايام حسوما وعن سهنا دوام تلك الريح فيها على حالة واحدة لنذيقهم عذاب الخزي
اي الفضيحة في الحياة الدنيا • وقوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد فضيحة وهم لا ينصرون اي
لا يدفع عنهم عذاب الاخرة • وعن محمد بن كعب القرظي ان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قال ذات يوم وهو
جالس في نادي قريش الا اقوم الى هذا الرجل فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ايها
شاء ويكف عنا وذلك حين راوا اصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا
بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد
علمت من المكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وعبت الهتهم ودينهم وكفرت
من مضى من ابايهم فان كنت انما تريد بما جيت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد
شرفا شرفناك علينا وان كان هذا الذي حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان
هذا الذي ياتيك رايا تراه جنيا لا تستطيع ان ترده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى
نبريك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن

الرحيم

امرها قال السدي اي شانها وما اراد من ملك وغيره وقال قتادة اي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها وقيل [illegible]

اي مشومات وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو نحسات

فلما فرغ منه

الرحيم • حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقام عتبة الى قومه
فقال بعضهم لبعض بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراك قال سمعت
قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بشعر ولا سحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو
فيه قالوا والله سحرك بلسانه فقال هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم • وعن جابر بن عبد الله ان ابا جهل والملا
من قريش بعثوا عتبة بن ربيعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد
المطلب فبم تشتم الهتنا وتضلل اباينا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك فكنت راسا ما بقيت وان كنت تريد
الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن من بنات قريش شيت وان كنت تريد المال جمعنا لك من اموالنا ما تستغني به انت
وعقبك من بعدك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله
فقل انذرتكم صاعقة الاية فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف فرجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس
عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا وقد صبا فاتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا
الا انك قد صبوت الى محمد واعجبك امره فغضب واقسم الا يكلم محمدا ابدا وقال لقد اتيته فقصصت عليه القصة
فاجابني والله بقول ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة فامسكت على فيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان
محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب • وقال الكلبي ان قريشا قالت لعتبة بن ربيعة وكان من
احسن الناس حديثا ايت محمدا فكلمه وانظر ما ذا يرد عليك فاعلمنا به فاتاه وهو في الحطيم فلم يترك شيا الا
قاله ثم اجابه النبي صلى الله عليه وسلم وقرا عليه حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى انتهى الى قوله فان اعرضوا
الاية فوثب عتبة فزعا مخافة ان يصب عليه العذاب الذي خوفه به فاتى قومه مذعورا فاخبرهم بما قال
لهم وبما رد عليه محمد فقالوا له فما فهمت منه كلمة واحدة قال لا ولم اهتد لجوابه • قال عثمان بن مظعون
ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين فلا تستطيعون جوابه وتابعه رجال من المسلمين على ذلك حتى
علت اصواتهم ثم تفرقوا يلعن بعضهم بعضا • فقال الحارث بن علقمة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب
منذ ذلك لقد افسد هذا الرجل يعني محمدا ذات بيننا وفرق كلمتنا وايم الله لين بقي وبقيتم لتكونن بطن
الارض خيرا لكم من ظهرها وانما ينبغي لكم ذلك اذا اخرج من عندكم فانها الى غيركم فنعد ذلك تنقطع سبيل
شرا لكم فذروه وما تركتم • وقوله تعالى واما ثمود فهديناهم اي فبينا لهم الرشد ودلايله فاستحبوا العمى
على الهدى اي فاثروا الضلال على الرشاد • وقوله تعالى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا
يكسبون اي فنزل بهم العذاب المهلك المهين بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم والهون الهوان وهو مصدر
اريد به النعت او هو بدل من الاول لان العذاب هو الهون والهون هو العذاب وتقديره صاعقة العذاب
صاعقة الهون واضافة الصاعقة الى العذاب اضافة النوع الى الجنس على تقدير [illegible]
من العذاب • وقوله تعالى ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون الكفر والمعاصي • وقوله تعالى ويوم يحشر
اعداء الله الى النار قرا نافع بالنون اعداء بالنصب [illegible]
الباقون يحشر بالياء مضمومة وفتح الشين اعداء الله بالرفع [illegible]
في الاخرة [illegible] وهم اعداء الله [illegible] الى النار فهم
يوزعون • قال الكسائي اي يدفعون • وقيل اي يحبس اولهم على اخرهم [illegible] وقيل اصله
الكف • [illegible]
الاولون ليلحق بهم الاخرون • وقوله تعالى حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم [illegible]
[illegible] وابصارهم وجلودهم [illegible] على سائر الاعضاء والمعاصي • وقيل هي
كناية عن الفروج [illegible] بما كانوا يعملون [illegible] وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي [illegible] وقوله تعالى وهو خلقكم اول مرة
[illegible]

بعضها ● قال ابن مسعود رضي الله عنه اجتمع صفوان بن امية وربيعة وعبد ياليل الثقفيان والختن قرشي فقال احدهم اترى
ان الله يسمع ما نقول فقال الاخر اذا رفعت الاصوات سمع واذا اخفضنا لم يسمع فقال الثالث اذا كان يسمع البعض
فقد يسمع السر فانزل الله تعالى هذه الاية ● وقوله تعالى كثيرا مما تعملون اي كل ما تعملون وهو كقوله يصبكم بعض الذي
يعدكم اي كله ● وقيل معناه ولكن علمتم الذنوب عمل من ظن ان الله لا يعلم ما تعملون وهو كقوله فما اصبرهم على النار ●
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اي اهلككم يعني سهل عليكم المعاصي فعملتموها واهلككم بها فاصبحتم من الخاسرين
ويجوز ان يكون نفس الظن هو المهلك فان ظنهم ان الله لا يعلم ما عملوه كفر منهم ● فما هم من المعتبين اي ان صبروا او لم يصبروا
فالنار مثوى لهم وهو مهلك ● وقوله تعالى فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي
ان يصبروا او لا يصبروا ● وقيل هو على قوله واصبروا على الهتكم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي لو التمسوا
الكف عنهم وازالة ما هم فيه بمسالة العتبى وهو اظهار الرضى وهو ان تضمنوا انك لا يعودوا الى ما كانوا عليه لم
يعتبوا اي لم يجابوا الى ذلك وقد استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني ● وقرا عمرو بن عبيد وان يستعتبوا
على ما لم يسم فاعله فما هم من المعتبين بكسر التاء اي ان سيلوا بان يعملوا بما يرضون به ربهم لم يفعلوا اذ لم يمكنهم
ذلك وانهم لم يقدروا عليه لانهم فارقوا دار المحنة والعمل ويقال عتب على فلان اي وجد عليه موجدة وعاتبه
اي خاطبه باظهار الموجدة فاستعتبته اي استرضيته فاعتبه اي ارضاه والعتبى الرضا اي ازال سبب
الموجدة ● وقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء وهذا قبل انزال العذاب المستاصل اي قدرنا وقيل هيانا
وقيل سلطنا ● وقيل ابدلنا قرناء جمع قرين وهم من الشياطين كما قال نقيض له شيطانا اي اختاروا الضلالة
فسلطنا عليهم شياطين يضلونهم ويغوونهم فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اي زينوا لهم ارتكاب
المعاصي والملاذ المحظورة فهونوا عليهم امر الاخرة والحساب والجزاء فقيل ما بين ايديهم الاخرة لانهم
ياتونها وما خلفهم الدنيا لانهم يتركونها ● وقيل على القلب ما بين ايديهم الدنيا لانها حاضرة لهم كما يقال
قدمت المائدة بين يديه وما خلفهم الاخرة لانها من بعد هذا تاتيهم ● وقيل زينوا لهم ما بين ايديهم من اعمال
عملوها فصوبوها لهم وما خلفهم ما يتركون من اثارهم بعدهم ● وقيل ما بين ايديهم حسنوا لهم اعمال الذين
كانوا من قبلهم وما خلفهم اعمال الذين حدثوا معهم او بعدهم ● وقوله تعالى وحق عليهم القول ● قيل هو
ما قال ابليس ولاضلنهم وسائر ما قال انه يفعل ببني ادم ● وقيل هو ما قال الله لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين اي تحقق هذا الوعيد فيهم ● وقوله تعالى في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس انهم كانوا خاسرين اي عمهم جميعا في العقاب لعمومهم في الارتكاب فهم جميعا خاسرون تركوا قرناء
الخير وهم الدعاة الى الحق والدين فعوقبوا بالقرناء من الشياطين وذلك هو الخسران المبين ● وقال
الامام القشيري رحمه الله فزينوا لهم ما بين ايديهم من طول الامل وما خلفهم من نسيان الزلل ● وقوله تعالى
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران ذكر بعد قبائح اوليك قبائح مشركي مضر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال وقال مشركو قريش لا تصغوا الى ما يقراه عليكم محمد من الكتاب الذي يزعم انه منزل عليه من ربه
والغوا فيه اي ائتوا فيه باللغو من الكلام وهو الباطل الذي ليس له معنى مفيد لتختلط عليه ما يقراه فلا
يتمكن فيه من قراءته ولا يتمكن اصحابه من سماعه لعلكم تغلبون اي لتغلبوه على القراءة فيترك او يتشوش عليه
فيجر او يخفى على السامع فلا تظهر ● قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله والغوا فيه كان يوصي بعضهم الى
بعض اذا رايتم محمدا فعارضوه بالرجز والاشعار ● وقال مقاتل ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام
في وجهه حتى تلبسوا عليه قوله فيسكت ● وقال مجاهد بالمكاء والتصدية ● وقال الضحاك اكثروا الكلام
فيختلط عليه ما يقول ● وقال السدي صيحوا في وجهه ● وقال ابو العالية اطعنوا فيه وعيبوه ● وقال
مقاتل قاله ابو جهل لقريش ● وقرا عيسى بن عمر والغوا فيه بضم الغين من باب دخل ● وقال الاخفش يقال لغي
العين كان من باب صنع ● وفي ديوان الادب جعله من باب علم ● وقوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا ● قيل في الدنيا وكان ذلك يوم بدر ● وقوله تعالى ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون في الاخرة
فتذكر حبط ما كان في صورة الحسنات وتبقى السيات ● وقيل كلاهما في الاخرة ● ذلك جزاء اعداء الله
النار اي ذلك الجزاء جزاء الكفار الذين هم اعداء الله النار بدل جزء من قوله جزاء اعداء الله ● وقوله
لهم فيها دار الخلد اي لهم في النار مسكن الخلود ● وقوله تعالى جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون
في الدنيا وهي ايات القران التي لغوا فيه ● وقوله تعالى وقال الذين كفروا اي ويقول هولاء الكفار اذا
صاروا في النار ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس اي ... الى هذا
العذاب لذلك قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعني ابليس لانه سن الكفر وابن ادم الذي قتل اخاه لانه
سن القتل ● وقوله تعالى نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين اي ...
الاسفل من النار الذي اهله اشد عذابا ● وقيل الذين اضلانا من الانس وقرين من الجن وهو ما قال ...

وقيل

وقيضنا لهم قرناء فقلنا لكل كافر ذلك يريد في زخرفه هذين والاثار على القول الاول ● وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا
الله اي نطقوا بالتوحيد ثم استقاموا اي اخلصوا الاقرار لله بالربوبية ولم يعدلوا عنه الى غيره ولا استبدلوا
به دينا سواه ولا عملوا ما يخرج به عنه ذكر المومنين المستقيمين وثوابهم بعد ما ذكر الكفار وعقابهم ● وعن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الاية امتي ورب الكعبة استقاموا وثبتوا على لا اله
الا الله ● وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا ● وعنه في رواية اخرى انه قال
لاصحابه ما تقولون في هذه الاية قالوا لم يذنبوا فقال حملتم الامر على اشده قالوا له فما تقول قال معناه لم يرجعوا
الى عبادة الاوثان ● وروى زيد بن اسلم عن عمر رضي الله عنه ثم استقاموا لم يروغوا روغان الثعالب يعني لم
ينافقوا ● وقال عثمان رضي الله عنه استقاموا ادوا الفرايض ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما استقاموا
على ما افترض الله عليهم ● وقال مجاهد ثم استقاموا لم يشركوا بعد الايمان حتى ماتوا ● وقال الحسن وابن سيرين
ثم استقاموا اي لم يرتدوا ● وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه ثم استقاموا اي عملوا على وفاق ما قالوا ●
وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ثم استقاموا زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية ● وقال المقاتل بن حيان
رحمه الله ثم استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا ● وقال المقاتل بن حيان رحمه الله ثم استقاموا اي اعرضوا عما
سوى الله من الاوثان وغيرها ● وقال القشيري رحمه الله ثم تقتضي التراخي اي اقروا بوحدانية الله تعالى
ثم استقاموا استداموا ذلك الى الممات ● وقال ايضا لم يكتفوا بالمقالة دون صفا الحالة ● وقال
المستقيمون قسمان مستقيم في اصل التوحيد والمعرفة وهذه صفة جميع المومنين ومستقيم في الفروع من
غير معصية وهو الاقلون ثم الاستقامة لهم على حسب احوالهم فمستقيم في عقده ومستقيم في عهده ومستقيم
في جهده ومراعاة حده ومستقيم في قصده ومستقيم في وده ● وقال ايضا ثم استقاموا في تصفية العقد ثم في
توفية العهد ثم في صحة القصد ● وقال ايضا ثم استقاموا باقوالهم ثم باعمالهم ثم باحوالهم ● وقيل ايضا اقاموا
على طاعته فاستقاموا في معرفته وداموا في محبته وقاموا بشرايط خدمته ● وقال ايضا استقامة الزاهد ان
لا يرجع الى الدنيا واستقامة العابد ان لا يرجع الى الفترة واتباع الشهوة ولا يدخل عمله رياء وسمعة واستقامة
العارف ان لا يشوب معرفته حظ في الدارين فيحجبه عن مولاه واستقامة المحب ان لا يكون له ارب من محبوبه
يكتفي من جوده بوجوده ومن عطاياه بعتابه ● وقوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت بالبشارة متواترة
وقوله تعالى الا تخافوا اي بان لا تخافوا اي يتنزلون بهذه البشارة لا تخافوا ما بين ايديكم من هول المطلع والمسايلة
في القبر والافزاع يوم القيامة ● وقوله تعالى ولا تحزنوا اي ولا تهتموا فقد غفرنا لكم ما اسلفتم ● وقيل لا تخافوا مما
انتم قادمون عليه فلن تروا مكروها ولا تحزنوا على ما خلفتموه من اهل وولد فان الله يخلفكم عليهم بخير
وقيل لا تخافوا اماما مكم فانكم ستكفون هوله ولا تحزنوا على ما تركتموه وراءكم في الدنيا من نعيم واهل وولد
فان الله يعطيكم في الجنة اكثر من ذلك واحسن ويجمع الله بينكم وبين احبابكم واولادكم المسلمين في الجنة
وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم ● وقيل لا تخافوا الوقوع في العقوبة
ولا تحزنوا فلن تفوتكم المثوبة ● وقوله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا فانكم ستصيرون
اليها ● وقال حاتم الاصم انما يقال عند الموت لا تخف ولا تحزن للخائف الحزين فاما الفرح الامن فانه لا يقال له
لا تخف ولا تحزن ● وقال ابو بكر الوراق تتنزل عليهم ملائكة الرعاية ان لا تخافوا عزل الولاية ولا تحزنوا على ما مضى
من الجناية وابشروا بصدق العناية ● وقوله تعالى بالجنة التي كنتم توعدون في البداية ● وقال محمد بن علي
الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمن عند مفارقة الارواح الابدان ان لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا
على ما كان من العصيان وابشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الازمان ● وقال الامام القشيري
رحمه الله لا تخافوا من العذاب ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاسباب وابشروا بحسن الماب وجزيل الثواب ● وقال
ايضا لا تخافوا من الذلة ولا تحزنوا بالزلة وابشروا بدوام الوصلة ● وقال وكيع بن الجراح هذه البشرى
تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وفي البعث ● وقال قتادة تتنزل عليهم الملائكة اذا قاموا
من قبورهم ● وقال الحسن البصري تستقبلهم اذا خرجوا من قبورهم في الموقف ● وقال مقاتل ان المؤمن اذا
خرج من قبره راى ملكا قائما على راسه فيقول له انا الذي كنت ارفع عملك الصالح فلا تخف ولا تحزن وابشر
بالجنة وهذا يدل على ان الملائكة المذكورين في الاية هم الحفظة وبه قال الجماعة منهم عكرمة وذلك قوله نحن
اولياؤكم في الحياة الدنيا اي نحفظ الاعمال ● وقيل ملائكة تقبض الارواح يقولون لهم نحن اولياؤكم في الحياة
الدنيا اي نحفظ الاعمال اي الان الى ان تخرجوا من الدنيا نحييكم ونعزيكم وندفع الشيطان منكم ● وقيل
الملائكة انواع وهم موكلون بالبشر من وقت تسوية الانسان في الرحم الى الموت وبعده الى الجنة وفيها الى
الابد يتولون بامورهم وهو قولهم نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ● وقيل على تفسيرهم بالحفظة
نحن وليناكم نتولى كتابة اعمالكم ونشهد بها في القيامة لكم ثم ذكر الملائكة في هذه الاية مقابل ذكر الشياطين

في الآية المتقدمة وقيضنا لهم قرناء الشياطين قرناء الكفار في الدنيا والآخرة والملائكة أولياء المؤمنين في الدنيا والآخرة وقيل هذا خطاب الله تعالى عن أوليائكم كما قال الله ولي الذين آمنوا وهو في مقابلة ما قال في الكفار ويوم يحشر أعداء الله إلى النار ● وقوله تعالى ولكم فيها أي في الجنة ما تشتهي أنفسكم ما تنزع إليه شهواتكم من الطيبات والملاذ ● وقوله تعالى ولكم فيها ما تدعون أي ما تدعونه أي ما تتمنونه ● وقيل ما استعجلتموه إلى أنفسكم ● وقيل أي ما تمنيتموه بدلا عما خلفتم في الدنيا من القليل المنقطع الفاني ● وقوله نزلا من غفور رحيم أي رزقا أقامه الله تعالى لكم لأن أنزاله الجنة ● وقوله من غفور رحيم أي ممن غفر لكم ورحمكم ● وقوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين استفهام بمعنى النفي وهو تعجيب من المشركين الذين لغوا في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعوا إلى الله تعالى ويعمل صالحا ويقول إنني من المسلمين تقول كيف يجوز لكم معاشر قريش مع ادعائكم أن المعقول أن تتواصوا باللغو في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأي قول أحسن من قوله وأي قائل أحسن قولا منه وهو يدعوا إلى الله تعالى ولا تهمة فيه فإنه يعمل بما يقول ويظهر دين الإسلام الذي هو دين أبيكم إبراهيم ويتصل هذه الآية أيضا بقوله فقالوا ربنا الله ثم استقاموا ● وقوله تعالى إنني من المسلمين هو كقوله ربنا الله ● وقوله تعالى وعمل صالحا هو كقوله ثم استقاموا ● وقالت عائشة رضي الله عنها ما أراها إلا نزلت في المؤذنين ● وبه قال مجاهد وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه وعمل صالحا صلى السنة والتطوع بعد الأذان ● وقال مقاتل جميع الأئمة والدعاة إلى الله تعالى نظيره قوله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ● وقال الإمام القشيري رضي الله عنه الداعي إلى الله الذي هو يدعوا الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله بالذكر لأمره إلى الله ويرضى من الله بقسمة الله ● وقوله تعالى وعمل صالحا أي كما يدعوا إلى الله فلا يتخلف هو عن الله وقال هم الذين عرفوا طريق الله ثم دعوا الناس إلى الله ● وقوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أي لا تستوي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد والاستقامة والدعاء إلى الله تعالى وما عليه المشركون من الشرك بالله والصد عن سبيل الله والتواصي بترك الاستماع لكلام الله تعالى أي فأنت على حق وهم على باطل وأنت في حكمة وهم في سفه فاعمل بما يليق بحالك ودعهم وما يليق بحالهم وتكرار لا ذكرنا معناه ● وقيل لأن كل واحدة منها تصلح أن يليها لا تبتدئ بها ● وقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن أي ادفع بحلمك باطلهم وبحلمك سفههم وقوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي فإذا استعملت هذا لانت لك جوانب أعاديك المشركين ومالت قلوبهم إليك بالمودة فأقبلوا على ما تدعوهم إليه واستمعوا له وترجى بذلك أن يستجيبوا لك وتصير من يعاديك منهم بالكفر بإسلامه كالولي القريب والحميم قريبك الذي يهتم لأمرك حثه على ملاطفتهم ومجادلتهم بالأحسن ثم ليس هذا بقطع القول على أنهم يؤمنون إذا فعل ذلك بهم فقد فعل لكنه تنبيه على أنهم يلينون فيستمعون ويتدبرون ثم بعد ذلك يقع له الرجاء في إسلامهم لكن ينصف بعض ويسلم ويعاند بعض فيصر على كفره وهو إطماع له كما في قوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى هذا الإطماع موسى وهارون لا لتحقيق وجود الإيمان من فرعون ● وقوله تعالى وما يلقاها أي وما يعطي هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة وما يوفق لتلقيها أي تناولها واستقبالها وأخذها ● وقيل أي الموعظة ● وقيل أي الكلمة إلا الذين صبروا ووطنوا أنفسهم على الصبر لله على المكاره وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من ثواب الله ● وقيل هي من قولهم رجل ملقى إذا كان تكثر عليه المكاره أي لا يحتمل هذا الحمل إلا الكذا ● وقوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ أي شرط وما صلة والنون توكيد وقسم أي وإن يخطر الشيطان بقلبك وسوسة يصدك بها عن تلقي هذه الموعظة ● وقوله تعالى فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم يسمع استعاذتك ويعلم إرادة الشيطان استنزالك ويعلم ما ربط جأشك والنزغ الإفساد ● وقيل نزلت هذه الآيات في أبي جهل لعنه الله آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بمداراته ثم أمره بقتاله ● وقال قتادة كأنه ولي حميم يعني أبا سفيان بن حرب صار وليا بعد ما كان عدوا ● وقوله تعالى ومن آياته أي العلامات الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس والقمر خلقها المنافع خلقه ● وقوله تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فإنهما مخلوقان وقوله تعالى واسجدوا لله الذي خلقهن أي خلق النهار والليل والشمس والقمر ● وقوله تعالى إن كنتم إياه تعبدون لأن شرط عبادة الله ألا يسجد لمن دونه فمن عبد معه غيره لم يكن له عابدا ● قال السدي رحمه الله لما نزل هذا قال المشركون إلا اللات والعزى فنزل قوله فإن استكبروا أي هؤلاء المشركون عن إخلاص العبادة لله فليس ذلك بمخل عنده من يخلص له العبادة ● وقوله فالذين عند ربك أي الملائكة الذين هم سكان السماوات ومقربون عند الله بالدرجات والكرامات يسبحون له بالليل والنهار أي ينزهونه وقيل يسجدون ويسبحون له ● وقيل يسبحون أي يصلون وفيها السجود وغيره ● وقوله تعالى وهم لا يسأمون أي لا يملون ولا يفترون وهم أكثر عددا ممن في الأرض فلا يخطرن الشيطان بقلبك أن في الموحدين لله قلة وقوله تعالى ومن آياته أي ومن علاماته الدالة على كمال قدرته أنك ترى الأرض خاشعة ● قال ابن عباس رضي

الله عنهما

سلكوا طريق الله ثم

اي ذو نصيب وافر من العقل والعلم قاله قتادة
اي ذو حظ عظيم

وصالح عباده

عنهما أي ميتة ● وقال الضحاك أي ذليلة ● وقال قتادة أي غبراء متخشعة ● وقال مقاتل غبراء متهشمة لا نبات بها وأصل الخشوع السكون والخضوع ● وقوله تعالى وخشعت الأصوات للرحمن ● وقال تعالى خاشعين من الذل وهذا كقوله وترى الأرض هامدة ● وقوله تعالى فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت أي ازدادت وانتفخت بنموا النبات في جوفها إلى أن يخرج منها بانصداع أمنه ● وقيل اهتزت أي تحركت بنباتها وكذا ربت أي صار ربوا نباتها ● وقيل هو من قولك اهتز فلان هو بشارة كذا أي استبشر وهذا مجاز عن تزين الأرض في الربيع وكذلك يقال ضحكت الأرض ببكاء السماء ● وقوله تعالى إن الذي أحياها لمحيي الموتى لا فرق بين الموتى والحيوانات في القدرة إنه على كل شيء قدير من هذا وغيره ● وقال الإمام القشيري رحمه الله في الآيتين إن الشمس وإن علت والقمر وإن حسن فلا حاجة لكم بخلقنا إياهما فلا تسجدوا لهما واسجدوا لنا ● وقال أيضا خلق الملائكة وقربهم ورفع منزلتهم ثم أمرهم بالسجود لأبيكم آدم فامتنع أحدهم فلعن على الأبد ● وقال لكم يا أولاد آدم لا تسجدوا للشمس ولا للقمر والملائكة ولا لشيء دوني وقال أمرك بصيانة وجهك عن الشمس والقمر والملائكة والبشر ثم تبذل وجهك لكل خسيس لأجل حظ خسيس ● وقال في الآية الثانية الأرض إذا أصبحت خاوية الشتاء في وقت الربيع إذا أنزل عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت كذلك القلوب إذا خشعت فيما وتنبها المنبه من الذنوب ونظر إليها الحق سبحانه فاهتزت وتحركت للندم يبتغي عنها ما اقترفت في صدق القدم وكذلك إذا وقع للعبد فترة في معاملته وغيبة عن بساط خدمته فإذا انتبه الحق سبحانه بما أدخل عليه من التذكر عاد عوده زيادة خاطريا وتحيرا وبانه بعد ما أجدب بماء العناية مسقيا ● وقوله تعالى إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أي إن الذين يميلون عن الحق في آياتنا فيقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويكفرون بالقرآن ويزعمون أنه ليس من عند الله وأن محمدا تقوله على الله وأنه أساطير الأولين ويعرضون عن تدبره ● وقيل أي الذين يلحدون هم في آيات وحدانيتنا مما سبق ذكره ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ● وقوله تعالى ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة بترك تدبرها والاستدلال بها على ما هو علامة دالة عليه ● وقوله تعالى لا يخفون علينا بل نعلم بهم فنجازيهم على وفق أعمالهم وهو تهديد بليغ ● وقيل إن المنجمين داخلين في هذا الوعيد لأنهم يلحدون في هذه الآيات فإن الشمس والقمر والنجوم جعلها الله تعالى دلائل على وحدانيته وهم يجعلونها دلائل على السعادة والشقاوة والغنى والفقر ونحو ذلك ● وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ● قيل هاهنا معناه لا يخفون علينا وقد أعددنا لهم الجزاء وهو إلقاؤهم في النار فهو لا خير أم من لا يلحد في آياتنا فيأتي آمنا يوم القيامة فكأن هذا التقرير لهم على قبح أعمالهم ● وقوله تعالى اعملوا ما شئتم أي فليختر امرؤ لنفسه ما شاء من هذين وهما الوقوع في النار والأمن منها وليعمل لما يريد ● فإنه إن عمل بعمل أهل النار ألقي فيها وإن عمل غيره فله أمنها وهي كلمة زجر وتهديد وعرف بما بعده وما قبله أنه زجر لا أمر ● وقوله تعالى إنه بما تعملون بصير فيجزي كل عامل جزاء عمله وقوله تعالى إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم أي بالقرآن لأن فيه ذكر جميع ما يحتاج إليه وجوابه محذوف وهو ثابت تقديره هلكوا به وشقوا به ● وقيل خبره أولئك ينادون من مكان بعيد ● وقوله تعالى وإنه لكتاب عزيز أي لا يقدر أحد من العباد بمثله ● وقيل أي كريم من حقه أن يعز وأن يجل فلا يلغى فيه ولا يعرض عنه ولا يلحد في آياته وقال ابن عباس رضي الله عنهما عزيز أي كريم على الله ● وقيل عزيز لا يوجد مثله في نظمه وكثرة فوائده ● وقال مقاتل منيع من الشيطان مبطل ● وقال السدي أي غير مخلوق ● وقيل أي غالب لشبه المبتدعين والكافرين من قولهم من عز بز ● وقال القشيري عزيز لأنه كلام رب عزيز إلى رسول عزيز بسفارة ملك عزيز إلى أمة عزيزة ● وقيل عزيز على المؤمنين لأنه كتاب حبيبهم وكتاب الحبيب على الحبيب عزيز ● وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي لا يتعرض عليه الباطل من شيء أنزل من الكتب قبله ولا ينزل كتاب بعده بل هو الحجة إلى قيام الساعة ● وقيل أي لا يقع فيه الكذب من أخبار ما كان ولا من أخبار ما يكون ● وقيل لا يأتيه الباطل أي المبطل ● وأنشد قافية ● كليني لهم يا أميمة ناصب ● وليل أقاسيه بطيء الكواكب ● أي منصب ● وقيل وهو قول الكلبي ومقاتل رحمهما الله لا يأتيه التكذيب من الكتاب الذي قبله ولا يجيء من بعده كتاب يكذبه ● وقال قتادة أي لا يستطيع الشيطان أن يبطل منه حقا أو يزيد فيه باطلا ومجاز هذا أن ما بين يديه الشيء هو حاضر والحق في القرآن كذلك وما خلف الشيء ما ليس فيه كذلك الباطل ليس في القرآن ● ووجه آخر أن الحق من حقه أن يقدم والباطل من حقه أن يخلف ● وقيل مجازه أنه ممتنع أن يلحقه تخريب أو تبديل أو زيادة أو نقصان أو إبطال بجهة من الجهات ● وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد مصدر بمعنى المفعول أي هو منزل من رب حكيم مصيب في أقواله وأفعاله حميد محمود بكل صفاته مستحق لحمد خلقه ● وقوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي كفر المشركون لهذا الكتاب وألحدوا في آياته ونسبوك إلى افترائه ولكن ما قالوا لك إلا وقد قالت الأمم السالفة لأنبيائهم كذلك فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وهو معنى قول قتادة والسدي ● وقيل معنى ما يوحى إليك إلا ما أوحي إلى الرسل المتقدمين من إخلاص العبادة لله ● وقوله تعالى وقيل ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك وهو قوله إن ربك لذو مغفرة للمؤمنين وذو عقاب أليم للكافرين ● وقوله تعالى ولو جعلناه

تحركت بالنبات وربت اي عظم

قرآنا اعجميا العجمي منسوب الى العجم وهو غير العرب فصيحا او غير عربي • وقوله تعالى لولا فصلت آياته اي هلا بينت آياته
أأعجمي وعربي اي ايكون كتاب اعجمي ورسول عربي يقول لو انزلنا هذا الذكر قرآنا اي كتابا اعجميا اي بلغة غير فصيح بلغات
الاعاجم لقالوا اي لقال هؤلاء المشركون هلا بينت آياته باللغة الفصيحة فيتحقق لنا فهمها ويقرب من قلوبنا وعقولنا
الوقوف على المراد بها أاعجمي وعربي اي ايكون هذا انه يكون كتاب اعجمي ورسول عربي فانما ارسل بالكتاب ليكون بيانا لقومه
وآية له على صدق دعواه وكيف يكون آية على قوم وهو شي لا يعرفونه ولا يقفون على جنسه ليتحققوا قوامه في معارضته
حتى اذا عجزوا وعلموا انه سماوي خارج عن قوى البشر • وقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى اي هم رشد من الضلالة
وشفاء اي شاف من الجهالة • وقوله تعالى والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر اي ثقل وصمم عن سماعه وفهمه • وقوله
تعالى وهو عليهم عمى اي عمي لغفلتهم لتركهم تدبره • وقوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد اي هم كمن ينادى من
مسافة بعيدة فينقطع صوت المنادي فلا يسمعه • وقال مجاهد لبعده عن قلوبهم • وقال الضحاك اولئك
ينادون من مكان بعيد في القيامة اي كما ينادون المبعدون عن الكرامة بافتح الاسما • وقرأ ابن عباس وهو
عليهم عمٍ بكسر الميم اي ملتبس • وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة كما آتيناك القرآن فاختلف
فيه اي اختلفوا في كتابه فقالوا سحر ونحوه لك كما اختلف المشركون عليك في كتابك فقالوا ما قالوا • وقوله
تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم اي وليس تأخير العذاب عنهم لعجز ولا التسوية بين المحق والمبطل
ولا لاهمال الفريقين ولكن سبق قولي اني لا اعاجل هذه الامة بالعذاب المستأصل لعلمي بمن يخرج من المؤمنين
من اصلابهم فانهم لفي شك منه مريب اي وان الكفار لا يكفرون به لتيقنهم ببطلانه لكن يشكون فيه لتركهم
التأمل في الدلائل مريب موقع للريبة اي التهمة • وقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه اي فلنفسه نفعه
ومن اساء فعليها اي فعليها ضرر اسائته • وقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لا يعذب احدا بغير ذنب ولا ينقص
احدا ثواب طاعته ولا يزيد في العذاب على معصيته اي يقضي بين هؤلاء المختلفين في القيامة على هذا
ولما سألوا عن وقت القيامة قال الله اليه يرد علم الساعة اي لا يعلم متى تقوم الساعة غيره وكل عبد سئل عنها
رد علمها اليه كما قال النبي قل انما علمها عند ربي • وقوله تعالى وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اجمتها وهو غلاف
الثمر • وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص من ثمرات على الجمع • وقرأ الباقون من ثمرة على التوحيد
وما تحمل من انثى من للتأكيد ولا تضع الا بعلمه وتقديره وكذلك الساعة وهو كقوله ويستعجلونك بالساعة
الى انه قال الله تعالى يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شي عنده بمقدار • وقوله تعالى
ويوم يناديهم اين شركاي وفي هذا اليوم يخاطب الله هؤلاء فيقول اين الذين كنتم تشركونهم بي ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا وانما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى • وقوله تعالى قالوا آذناك ما منا من شهيد • وقيل
اي نقول المشركون نؤذنك اي نعلمك ما منا من احد يشهد بان لك شريكا او بانه كان ذلك شريكا ماض بمعنى المستقبل
لانه من امور الآخرة وهو كائن لا محالة فالحق بالموجود ويحتمل انهم كانوا قالوا ذلك قبل هذا الخطاب
فقد اخبرانهم يتبرؤون من ذلك يوم القيامة فيكون قوله آذناك اي قلنا قبل هذا ما منا من شهيد ثم هذا
الاعلام لا يجوز انه يعنيهم منه ايقاع العلم لكن طريقه طريق قوله انبئوني باسماء هؤلاء وقد فسرناه في تلك
الآية • وقال القتبي هذا قول المعبودين يقولون ما منا من شهيد للمشركين على ما قالوا • وقوله تعالى وضل
عنهم اي بطل ما كانوا يدعون من قبل اي في الدنيا وظنوا اي علموا او ايقنوا • وقوله تعالى ما لهم من محيص
اي معدل لمن الناد ويجوز ان يكون الظن على غلبة الظن فانهم يطمعون في الخروج ولذلك يسألونه • وقوله تعالى
لا يسأم الانسان من دعاء الخير قال مقاتل نزلت في ابي حذيفة بن المغيرة يقول لا يمل هذا المشرك الجاحد
سؤال الله الذي هو مقر بانه خالقه ورازقه السعة في المال والسلامة في النفس والظفر بكل محبوب
• وقوله تعالى وان مسه الشر اي ناله المكروه فيؤس قنوط اي يئيسا من زواله لما ناله وظن انه يدوم عليه
ويقنط من رحمة الله • وقوله ولئن اذقناه رحمة منا اي نعمة من بعد ضراء مسته اي شدة اصابته ليقولن هذا
لي اي انا اهله ومستحقه • وقيل اي بسبب خير عندي • وقيل اي بعملي • وقوله تعالى وما اظن الساعة قائمة
اي وما احسب القيامة كائنة ولئن رجعت الى ربي اي ولئن كان ما يقول محمد واصحابه حقا من قيام الساعة
ان لي عنده للحسنى يعني الجنة وكل حالة حسنة ولا يعذبني الله لانه انما يعذب من يهون عليه لا من يكرم عليه وانا
كريم عليه فقد اكرمني بالنعم في الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي اخبرهم عليه فيعلمون ان الساعة قائمة
وانا الحسنى لغيرهم • وقوله تعالى ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد دائم • وقوله تعالى واذا انعمنا على
الانسان اي على هذا الكافر اعرض اي عن ذكرنا والتدبر في آياتنا • وقال مقاتل اعرض عن الدعا • وقال الكلبي
عن الايمان ونأى بجانبه اي تباعد وولى جانبه • وقال ابو عبيدة تباعد عما امر به اي تكبر وهو كنصغير الخد
والمرامالته • وقال القطوبة ونأى بجانبه اي امتنع بقوته وحاله • وقوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض اي فهو كذو دعاء كثير والطول والعرض تستعمل في الكثرة والكبر مجازا • وقيل العريض ابلغ من الطويل

العرض يدل على الطول والطول لا يدل على العرض اذ قد يصح طويل ولا عرض له ولا يصح عريض ولا طول له لان العرض انبساط
في خلاف جهة الطول والطول امتداد في اي جهة كانت • وقوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن
هو في شقاق بعيد اي قل يا محمد ان كان ما اخبرتكم به محمد من الوعد والوعيد صدقا من عند الله ثم كذبتموه في ذلك كنتم
متأبين ثابتين معادين له مخالفين • وقوله تعالى من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي خلاف بعيد عن الوفاق ومعاداة
بعيدة عن الموالاة استفهام بمعنى النفي • وقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق يعني علامات هذا اثنا في البلاد وهو
ما كان نزل بعاد وثمود وقوم لوط يرونه لك اذا سافروا • وقوله تعالى وفي انفسهم يبتلون في انفسهم بالبلايا
وبالقتل استحابهم من الكفار في الحروب حتى يتبين لهم انه الحق الذي قلت هو الصدق فيصدقونك • وقال مجاهد
سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما يفتح الله على محمد من القرى وفي انفسهم فتح مكة • وقال الضحاك ان ابا جهل لعنه
الله قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بعلامة فاشار الى القمر فانشق نصفين فقال ابو جهل يا معشر قريش ان
محمدا قد سحر القمر وجهوا رسلكم في الآفاق هل رأوا القمر كذلك فان عاينوه كذلك فهو آية والا فهو سحر فرجعوا
فاذا اهل الآفاق يحدثون بانشقاق القمر فقال ابو جهل لعنه الله هذا سحر مستمر فنزلت هذه الآية • وقيل معناه
سنريهم آيات وحدانيتنا في الآفاق من سير النجوم وجريان الشمس والقمر بحسن التدبير وكذلك ما في الارض
وفي انفسهم ما يشاهدون فيها من آثار الحدث والتنقل من حال الى حال حتى يتبين لهم اي يظهر لهم ببيان الذي
ينقطع به العذر • وقوله تعالى انه الحق اي ان الله هو المعبود الحق الذي لا شريك له وان البعث حق لا شبهة
فيه فان من قدر على ذلك قدر على احياء الموتى • وقوله تعالى او لم يكف بربك انه على كل شي شهيد اي شاهد يشهد
ان القرآن من عند الله وانك رسوله • وقيل يشهد بهذا كله • قال الكلبي اولم يكف بربك انه اخبرهم بذلك
وشهد به ليعلموا انه وان لم يسافروا في الآفاق • وقيل اي عالم بفعلك يا محمد وبافعالهم فيجزي كلا على وفق
عمله وهو من قوله عالم الغيب والشهادة • وقوله تعالى الا انهم في مرية اي شك من لقاء ربهم الا انه

بكل شي محيط اي عالم بالاشيا كلها قادر عليها لا يعجزه هارب
ولا يفوته مطلوب

سورة شورى

بسم الله الرحمن الرحيم

لم الله الذي ليس كمثله شي وهو السميع البصير • الرحمن الذي وعد المؤمنين روضات الجنات لهم ما يشاؤون
عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير • الرحيم الذي لا يؤاخذنا الا بما كسبنا ويعفو عن كثير • روي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويسترحمون
له • وهذه السورة مكية وهي ثلاث وخمسون آية • وقيل خمسون الاختلاف في حم وعسق وفي البحر كالاعلام
وكلماتها ثمانمائة وستون وحروفها ثلاثة آلاف واربعمائة واربعون • وانتظام اول هذه السورة
باخر تلك السورة انه ختم تلك السورة باسم من اسماء الله تعالى وكذلك افتتاح هذه السورة • وانتظام
السورتين انهما في ذكر الكفار وشركهم واقامة الدلائل على جهلهم وابطال قولهم وما يتصل بوعيدهم ووعيد
غيرهم • وقوله تعالى حم مر تفسير الاقاويل فيه عسق هذه الحروف الخمسة اسم هذه السورة • وقال الضحاك
حم عسق اي قضى عذاب واقع وارجوا ان يكون قد مضى يوم بدر والسنون التي اصابت اهل مكة • وقال ابن
عباس رضي الله عنهما السين في عسق كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون وبها كان يعلم علي بن ابي طالب
رضي الله عنه حساب الفتن • وعنه انه قال ليس من نبي صاحب شرع او صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه
حم عسق يبين ذلك قوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك • وقال السدي حم عسق يعني العذاب
اوحى الله تعالى الى الرسل ان العذاب نازل باممهم كما اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم شان يوم بدر وغيره
وقال عكرمة سأل نافع الازرق ابن عباس عن قوله حم عسق فقال الحاء حلمه والميم مجده والعين علمه والسين سناؤه
والقاف قدرته اقسم الله بها • وفي رواية ابي الجوزاء ان ابن عباس رضي الله عنهما قال الحاء والميم عين عذاب
سين مسخ قاف قذف • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجهه
فقيل له في ذلك فقال اخبرت ببلاء ينزل بامتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في اليم وآيات
متتابعات متصلة بنزول عيسى وخروج الدجال • وقال شهر بن حوشب حاء حرب يعز فيها الذليل ويذل
فيها العزيز في قريش ثم تفضي الى العرب ثم تفضي الى العجم ثم تمتد الى خروج الدجال • وقال عطاء بن ابي رباح
حاء حرب في اهل مكة يجحف بهم حتى ياكلوا الجيف وعظام الموتى ميم ملك يتحول من قوم الى قوم عين عدو
لقريش يقصدهم سين سبي يكون فيهم قاف قدرة الله النافذة في خلقه • وقال بكر بن عبد الله المزني الحاء حرب
تكون بين قريش والموالي فتكون الغلبة لقريش على الموالي ميم ملك بني امية عين علو بني العباس سين سناء
المهدي قاف قدرة عيسى حين ينزل فيقتل النصارى ويخرب البيع • وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بحلمه

ومجده وعلوه وسنايه وقدرته الا يعذب من عاد اليه بلا اله الا الله مخلصا من قلبه • وقال سعيد بن جبير وجعفر الصادق
رضي الله عنهما حا من رحمن ميم من مجيد عين من عالم سين من قدوس قاف من قاهر • وقوله تعالى كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز اي كالذي يوحي اليك في هذه السورة يوحى اليك في ساير السور وكذلك اوحى الى
الانبيا المتقدمين • وقوله تعالى الله العزيز الذي لا يضاهي ولا شريك يتعزز به الحكيم المصيب في اقواله وافعاله
المحكم دلايله المتقن خلقه • وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وهو العلي الممتنع بعلوه ان
ينال به • وقوله تعالى العظيم الجليل سلطانه ان يعارض • وقيل حمعسق اي هي وجميع حروف التهجي مما اوحى الله
بها كتبه الى انبيايه اي فكان نظمها • وقيل حم عسق سر لم يطلع عليه غير محمد وكذا كان وحي الله تعالى الى انبيايه
كان في بعضها لكتب سر تفرد به الرسول • وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن • قرا ابو عمرو وعاصم في رواية
ابي بكر تكاد بتا التانيث ينفطرن بالنون من الانفطار وهو الانشقاق • وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة وعاصم
في رواية حفص تكاد بتا التانيث تتفطرن من التفطر وهو التشقق • وقرا نافع والكسائي يكاد بيا التذكير يتفطرن
من التفطر • قيل تكاد السموات تتشققن لعظمة الله وهيبته • وقيل معناه تقارب السموات ان تتشققن فوق
الارضين • وقيل فوقهن اي من اعلاها سماتها فلا تبقى الا السقف على الحري كالسقف فوقها السقف خشية لله
ولكن تعلقت جلالة وانقطاعا اليه بالرهبة والرغبة كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله • وقيل تتشققن لفظاعة المشركين كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا • وقيل تتشققن لكثرة ما على السموات من الملايكة • قال النبي صلى
الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قايم او راكع او ساجد • وقيل
تكاد السموات ينفطرن لقيام الساعة لتعجيل عقاب المشركين فان انفطار السما وانشقاقهن لقيام يوم
القيامة • قال تعالى اذا السما انفطرت اذا السما انشقت • وقيل ينفطرن للسقوط على الكفار كما قال ان
نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما والملايكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه ويحمدونه بمحامده
ويستغفرون لمن في الارض من المومنين • وقوله تعالى الا ان الله هو الغفور الرحيم لهم • وقيل ويستغفرون
لكل من في الارض يسالون ترك معاجلتهم بالعذاب لاجل من فيها من اهل الايمان • وقوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اوليا اي اصناما يتولونها • وقوله تعالى الله حفيظ عليهم اي يحفظ عليهم اعمالهم واقوالهم
وعقايدهم ويوفيهم يوم القيامة وما انت عليهم بوكيل اي بمسلط عليهم يدخلهم في الايمان جبرا ولا بمنصوب
عليهم يحفظ اعمالهم ويجازيهم عليها انما عليك البلاغ فبلغ ولا تضق بنفوذهم صدرا • وقوله تعالى
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا بلسان قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه • وقوله تعالى لتنذر ام
القرى لتخوف اهل مكة التي هي اصل كل بلدة فان الارض منها دحيت ومن حولها من بلاد العرب ليكونوا اعوانا
لك على غيرهم • وقيل سميت ام القرى لانها اجلها شانا لكونها كعبة فيها مناسك الحج • ويقال للقصيدة
المختارة هذه من امهات قصايد فلان وعظام المسايل تدعى امهات المسايل لكونها اصول الاحكام مرتبة عليها
متشعبة منها • وقوله تعالى وتنذر يوم الجمع اي وتخوف بيوم القيامة الذي هو يوم جمع الخلايق من الاولين
والاخرين للحساب والجزا لا ريب فيه اي لا شك في كونه ومجيه فريق في الجنة وفريق في السعير اي واذا
جمعوا اليوم الحساب فمنهم فريق يدخلون الجنة وهم الذين خافوا تخويفك فامنوا ومنهم فريق يدخلون
النار وهم الذين لم يجيبوك وكذبوك • وقوله تعالى ولو شا الله لجعلهم امة واحدة مجتمعين على الايمان
مستحقين للجنان • وقيل اي فريقا واحدا اما ضالين من اهل السعير واما مهتدين من اهل الجنة • وقوله
تعالى يدخل من يشاء في رحمته اي يهدي من علم منه اختيار الهدى فيدخله بذلك في الجنة والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير اي والواضعون الامر غير موضعه والظالمون انفسهم الذين علم منهم اختيار الضلال يضلهم
ويجعلهم بذلك من اهل النار فما لهم احد يتولى امورهم فيعينهم ولا من ينصرهم فيدفع العذاب عنهم • وقوله تعالى
ام اتخذوا من دونه اوليا فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير قيل ام بمعنى الف الاستفهام
مقدرة اولا وهذا عطف على ذلك بام كانه قال قد عرفناهم ان الظالمين لا ولي لهم افتومنون بهذا ام قد
اتخذوا من انفسهم اوليا يمنعونهم من عذاب الله وليس كذلك فالله هو الولي يوميذ الا ولاية لغيره • وقال
تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يوميذ لله وهو يحيي الموتى يوم القيامة للحساب والجزا وهو على
كل شي قدير من التنعيم والتعذيب وغيره ذلك • وقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شي اليوم من امر الدين
يا معاشر المسلمين والمشركين • وقوله تعالى فحكمه الى الله يوم الدين بالجزا بين المختلفين • وقيل فحكمه الى الله
اي الى كتابه اليوم وسنة نبيه واجماع الامة والقياس فانها قوانين الشرع وما اخذها من كتاب الله • وقد قال
الله تعالى فردوه الى الله والرسول ذلكم الله ربي اي قل يا محمد هذا الموصوف بهذه الصفات ربي عليه
توكلت اي اعتمدت في اموري كلها واليه انيب اي ارجع اليه اي على ربي في احوالي كلها • قال مقاتل بن سليمان

قوله والذين

قوله والذين اتخذوا من دونه اوليا في خزاعة قالوا الملايكة بنات الله وعبدوها من دون الله • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما يعني مشركي العرب • وقوله تعالى فاطر السموات والارض اي ذلكم الله ربي اي خالق السموات والارض مبتديا
من غير شي جعل لكم من انفسكم ازواجا اي زوجات من الانس وهو من قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها ومن الانعام ازواجا اي ذكورا واناثا ليتناسل فيبقى فيقوم لها مصالح خلقه من الحرث والحمل والركوب
في الاسفار والضرب في الامصار لاختلاف الاقطار يذرؤكم اي يخلقكم في هذه الازدواج نسلا بعد نسل • وقيل اي في
زمان التزاوج • وقيل اي يذرؤكم في العالم • وقال القتيبي اي في الرحم وقيل في البطن • وقيل يذرؤكم فيه اي به
اي بالتزاوج كما يقال الزرع ينموا في الغيث اي بالغيث • وقوله تعالى ليس كمثله شي • قال الزجاج الكاف زايدة
موكدة وتقديره ليس مثله شي وهو كما قال اوس بن حجر وقتلي كمثل جذوع النخل يغشاهم سيل منهمر • وقال اخر
سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم • ما ان كمثلهم في الناس من احد • وقال القتيبي المثل صلة معناه ليس كهو وهو كما
يقول الرجل لا يقال لمثلي اي لي وهو وجه يجوز في العقل غيره لانه لو حمل على ظاهره ونفى التشبيه عن مثله
لا عنه كان في تصحيحه ابطاله لانه لو كان له مثل لكان لمثله مثل وهو هو فلم يصح نفي التشبيه فدل على انه للحقيقة
نفي المثل عنه جل جلاله وهذه الاية اقوى عدة لاهل السنة والجماعة على اهل الاهوا والبدع لان اذا انتفى
التشبيه بطل قول المجسمة والمكانية والقايلين بالجوارح وحلول الحوادث في الذات وكثير من قوا عدهم
الفاسدة وبالله العصمة • وقوله تعالى وهو السميع كل المسموعات بسمع ازلي لا بجارحة البصير بكل المبصرات
ببصر ازلي لا بجارحة • وقوله تعالى له مقاليد السموات والارض اي بيده مفاتيح الارزاق التي تنزل من
السما من المطر وغيره وما يخرج من الارض من النبات وهو المالك لكل ذلك وهو عنده كالشي المخزون يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع على من يشا ويضيق على من يشا انه بكل شي عليم من المصالح والعواقب وغير
ذلك • قال ابن عباس رضي الله عنهم المقاليد المفاتيح وقد فسرناه وكشفنا عن حقيقته في سورة الزمر
وقال مقاتل بن حيان ومجاهد والسدي يعني خزاين السموات والارض • وقال الضحاك رحمه الله اي المفاتيح
في ذلك كله الى الله تعالى • وروى عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنوز الجنة • وفي رواية زاد في اخره الاول الاخر
الظاهر الباطن بيده الخير وهو على كل شي قدير من قالها حين اصبح عشر مرات اعطي ست خصال اولاهن يحرس من
ابليس وجنوده • والثانية يعطى قنطارا من الاجر والثالثة ترفع له درجة في الجنة • والرابعة يزوج من
الحور العين • والخامسة تستغفر له الملايكة • والسادسة يعطى من الاجر كمن قرا القران من اوله الى اخره
وقوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب
يقول شرع الله لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وقوم ابرهيم وموسى وعيسى وهو ما هم بلزومه والزامه
قومهم وهو الذي اوحي اليك ووصاك به وحملته الثبات على الطاعة لله تعالى بالاخلاص وبالانقياد
له والعمل بما امر به والتالف على هذا وترك التفرق فيه فان الامر اذا انتظم على هذا نال الفساد وظهر
العدل وتكاف الناس عن التظالم فتفرغوا لعمارة دنياهم وتبلغوا بها الى اقامة دينهم فاجتنابهم الله تعالى
حينيذ واستخلصهم للعبودية وهداهم الى الازدياد مما هم فيه ومعنى شرع بين المسالك ونهج الطريق الى مرضاته
والدين هو الطاعة والانقياد واقامة الدين الدوام عليه باحيا شروطه وحدوده • وقيل هو تقوية وهو
التوحيد والاخلاص وتخصيص نوح وابرهيم وموسى وعيسى ها هنا بالذكر لانهم اصحاب الشرايع • وقوله
تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي شق عليهم دعاوك يا محمد الى التوحيد وترك ما هم فيه من الشرك
والاجتبا الاختيار واصله العلو ومنه جباية الخراج وجباية الما في الحوض وقد وصلنا الى كنفه وكذلك
قوله ويهدي اليه من ينيب وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله من تقرب الي شبرا تقربت اليه
ذراعا الحديث • وقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي وما كان تفرق هولا المشر
وقيل يعني اهل الكتاب في الدين لقصور البيان وخفا الحق فقد جاءهم البيان وحصل به العلم لكنهم حسدوا
محمدا ونظاولوا فلم يتابعوه ولم يصدقوا فاستحقوا به العذاب • وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى
اجل مسمى لقضي بينهم اي ولولا ما سبق من حكمه بتوقيت عذابهم باجل مسمى وهو ما يكون في الدنيا وقيل يكون يوم
القيامة لقضي بينهم قيل بالتمييز بين المحق والمبطل بالثواب والعقاب • وقيل اي لاتاهم هلاكهم وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم اي من بعد نوح وابرهيم وقومهما وهذا على تاويل من حمل المتفرقين على مشركي العرب
ومن قال هم المتفرقون من الامم الماضية • وقوله من بعدهم اي من بعد الذين تفرقوا والذين اورثوا الكتاب
هم اليهود والنصارى لفي شك منه اي مما وصينا به نوحا وابرهيم وكذا امر مريب موقع في الريبة اي التهمة
وقيل المتفرقون هم اليهود والنصارى والذين اورثوا الكتاب من بعدهم العرب انزل القران على نبيهم • وقال

ابو العالية ان اقيموا الدين يعني شهادة ان لا اله الا الله • وقال قتادة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه قولكم لا اله
الا الله وانك رسول الله • وقيل كبر على المشركين انك رسول الله • وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء اي يختار لرسالته
ويهدي اليه من ينيب من علم انه يرجع اليه • وقوله تعالى فلذلك فادع اي فالى ما شرع الله لكم فادع الخلق واللام
بمعنى الى كما في قوله بان ربك اوحى لها واستقم اثبت عليه كما امرت • وقوله تعالى ولا تتبع اهواءهم اي ولا تنظر في
خلاف من خالفك لذلك الدعوة من اهل الكتاب والعرب • وقوله تعالى وقل امنت بما انزل الله من كتاب على الانبياء
قبلي وعلى ان كله من عند الله وكله حق • وقوله تعالى وامرت لاعدل بينكم اي لان اعدل كما قال يريد الله ليبين لكم
اي ان يبين لكم ان اسوي بين شريفكم ووضيعكم فلا احابي احدا ولا اخص البعض بامر ونهي فان الدعوة واحد
والدين واحد الله ربنا وربكم ونحن كلنا عبيده لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي يواخذ كل منا بعمل نفسه دون عمل
غيره لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة اي لم يبق خصومة بعد ظهور الحق فلا حجة لنا عليكم لظهورها وليست بيننا
بالاشتباه والالتباس • وقيل المحاجة انما تنفع اذا كان قصد المجادل ان في طلب الحق فاذا كانت مخاصمتكم
للحسد والبغي تنفع فيكم الحجة فلم يبق الا الانتظار امر الله وذلك اما في الدنيا واما في الاخرة • وقوله تعالى
الله يجمع بيننا في القيامة واليه المصير اي الى جزائه المرجع • وقيل في قوله فلذلك فادع اي فلما اوحيت
اليك وعرفتك من اتفاق الشرايع فادع اي من اجل ذلك • وقيل اي فهما اعلمتك من تفرق اهل الكتاب
فادعهم الى الاستقامة واستقم انت • وقوله تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله قيل
هم اهل الكتاب كانوا يقولون ديننا اقدم ونحن اولاد الانبياء • وقيل هم المشركون كما قال الذين كفروا
للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا • وقوله تعالى من بعد ما استجيب له اي يحاجون من استجاب
لله ندخل في الاسلام • وقوله تعالى حجتهم داحضة اي شبهتهم باطلة سماها حجة لزعمهم انها حجة والداحضة
الزائلة الزايلة عند ربهم فانه بين بطلانها كما قال ام يقولون ان ابراهيم الاية • وقوله تعالى وعليهم غضب
ولهم عذاب شديد في الدنيا والاخرة وذكر الغضب في حق اليهود والنصارى في القرآن كثير • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما وقوله تعالى لاعدل بينكم اي لاسوي بينكم بلا اله الا الله • قال تعالى تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم • وقال ابو العالية في قوله لاعدل بينكم اي لا ومن بكل كتاب وكل رسول هذا هو
العدل والايمان بالبعض والكفر بالبعض جور • وقال ابن حيان • وقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
نسختها اية القتال • وقال مجاهد من بعد ما استجيب يعني من بعد ما اسلم الناس • وقال الحسن اي من بعد
ما اقروا بالميثاق وقبلوا عهده على الطاعة فاجابوا الله فيما دعاهم اليه • وقال الفراء من بعد ما استجيب
له يعني النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان الله استجاب له دعاءه في اهل بدر فقتلهم • وقوله تعالى الله
الذي انزل الكتاب بالحق والميزان اي الله هو الذي انزل هذه الكتب كلها بالحق اي بتبيان ما يجب على الناس
في دينهم وانزل الميزان اي العدل قاله مجاهد وقتادة وهو في المعاملات في الاخذ والاعطا اكثر ذلك
في الكيلي والوزني والوزن اصل لان المكاييل سواة بالوزن ثم اتسع الكلام حتى سمي كل عدل ميزانا فالمعاملة
كلها موزونة قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا • وقال وانبتنا فيها من كل شيء موزون ومرجع هذه
الاية الى قوله وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم • وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة
قريب وهي يوم الوزن والجزاء على العدل والجور في هذا الوزن • وقوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها ويقولون ايان مرساها ويقولون متى هذا الوعد يقولون ذلك هزوا • وقوله تعالى والذين امنوا
مشفقون منها اي خايفون لعلمهم بما يكون فيها من الحساب والجزاء • وقوله تعالى ويعلمون انها الحق اي
الصدق الذي لا كذب فيه والقضاء بينهم فيها بالحق الذي لا باطل فيه • وقوله تعالى الا ان الذين يمارون في
الساعة اي يجادلون فيها لفي ضلال بعيد عن الرشاد • وقوله تعالى الله لطيف بعباده اي رحيم بهم حسن
النظر لهم • وقوله تعالى بعباده المؤمنين يرزق من يشاء اي يكثر له الرزق ويوسع عليه في دنياه اذا راى
مصلحته فيه • قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنا ولو افقرته
لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك اني بامور عبادي بصير عليم
وقال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الاية • وقيل لطيف بعباده اي عالم بغوامض
امورهم التي تؤدي اليها عواقب احوالهم فلا يخفى عليه شيء من مصالحهم فيوسع على من يشاء اذا راى صلاحه
فيه وهو القوي القادر على ان يرزق من يشاء ما يشاء اي يكثر له الرزق العزيز المنيع فلا يغالب فيما يوتيه
عباده وفيما يمنعهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لطيف بهم بعباده اي حفي بهم اي بارهم • وقال
مقاتل لطيف بعباده البر منهم والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم • وقال محمد بن كعب القرظي لطيف
بعباده في العرض والمحاسبة وهو فيما روي ان الله تعالى يقول للعبد سترتها عليك في الدنيا وانا
اغفرها لك اليوم • وقيل اللطيف الذي يوفق ويثبت ويقبل ثم يشكر عليه • وقال جعفر الصادق لطيف

اي بعباده

بعباده

بعباده في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات ورزق غيرك بخلافه • والثاني انه لم يدفع اليك رزقك بمرة واحدة
وقال ابن حبيب رحمه الله الحكمة في ذلك من وجوه احدها انه لو دفع اليك رزقك جملة لفسد عليك • والثاني انه لو كان كذلك
لتدبر له سارق وبغصبه غاصب فتبقى بلا شيء ان الحوجي اذا احتجت اليه فتدعونه وتسالنه والثالث انه لو اجمل رزقك
لوقفت على مدة عمرك فينتغص عليك حياتك وعيشك فاستاثر الله تعالى بهذا العلم دون خلقه • وقال الحسين
ابن الفضل رحمه الله لطيف بعباده في تيسير القرآن وذلك من وجوه احدها اختصاره • والثاني تهوينه في القراءة
خلاف ساير الكتب • والثالث تيسير الشرايع فيه • وقال علي بن موسى الرضا لطيف بعباده بامة محمد في الاضعاف
وسئل جنيد رحمه الله عن اللطيف فقال لطف باوليايه حتى عرفوه فعبدوه ولو لطف باعدايه كما لطف باوليايه
لما جحدوه • وقال ابن المبارك اللطيف الذي لا يخفى عليه خافية • وقال محمد بن علي الكتاني معنى اللطيف ان العبد
اذا ابى من خلقه قلبا اليه قبله واقبل عليه • وقيل اللطيف هو الذي يعطي فوق الكفاية ويكلف العبد دون الطاقة
وقيل من لطفه بالعبد علم العبد بانه لطيف ولولا لطفه لما عرف انه لطيف • وقيل من لطفه ابهام عاقبة العبد
عليه لانه لو علم سعادته لاتكل عليه وتعطل ولو علم شقاوته لترك العمل وتبطل • وقيل من لطفه بالعبد اخفا اجله
عليه لئلا يستوحش من قرب اجله • وقيل من لطفه بالعبد انه ينسيه في الجنة ما عمله في الدنيا من الزلة لئلا
يتنغص عليه عيشه • وقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه قيل يتصل اليه بقوله يرزق من يشاء
اي من طلب بما رزقناه من المال ووسعنا عليه في اعمال حرث الاخرة اي تقديم ما يجعله ذخرا ليوم الجزاء فيودي
حقوق الله تعالى من ماله فانا نعطيه زيادة على ما اعطاه من ماله بان نضاعف له نفقته بالواحدة عشرا الى
سبعمائة واكثر كانه حرث شيا وحرث له غيره اشيا زايدا عليه وقد مثل الله النفقة في سبيله بمن بذر حبة
فانبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة والله يضاعف لمن يشاء ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها اي
ومن كان طلبه بما رزق من المال رياء الناس والمكاثرة به والتوسع في الملاذ المحظورة فانما نوته منها اي لا نحرمه
الرزق اصلا بل نعطيه ما قدرناه له • وقوله تعالى وما له في الاخرة من نصيب وهو كقوله من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد • وقيل الاية في قوم كانوا يجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين ان
من كان منهم يريد الاخرة بذلك ونعيمنا يعطي زيادة على ما يستحقه بعمله ومن اراد الدنيا وما فيها من الغنايم
نوته منها ولكن لا نصيب له في الاخرة • وقيل عني به المنافقون قاله قتادة والذين يحاجون في الله هم اليهود
والنصارى قالوا انزل كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن اولى بالله منكم فنزل من كان يريد حرث الاخرة
الاية ومعناه ان المنزلة عند الله تعالى ليست بتقديم كتاب ولا نبي انما هي على الاعمال الصالحة فمن طلبها وفي
من الكتاب المتقدم والنبي المتقدم رياسة الدنيا حتى اذا اداه ذلك الى اكل السحت وتحريف الكلم لم يكن له في
الاخرة نصيب ومن طلب بذلك ما عند الله واقام شرايع الكتاب وبين للناس احكامه اجزل الله تعالى اكرامه
قال القتبي الحرث هو الكسب قال عبد الله بن عمرو بن العاص احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك
كانك تموت غدا • وقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ام بمعنى الف الاستفهام وهي
التوبيخ اي الهولاء المشركين شركاء اي الهة شرعوا لهم الشرك الذي لم ياذن الله تعالى به يعني ليس كذلك فاذا كان
شركاؤهم هولاء لا يعقلون فتشرعوا وكان الله تعالى لم يشرع الشرك فمن اين يدينون به وكيف جعلوه لانفسهم
شريعة من غير اذن رجعوا في ذلك الى من يجوز ان يكون حجة وعذرا في اعتقاد • وقوله تعالى ولولا كلمة الفصل
لقضي بينهم اي ولولا القول السابق من الله الذي قطع الحكم به وهو صدق لا تبديل له ولا رجوع عنه انه لا يترك
بهم العقاب الذي يستحقونه بشركهم الا في الاخرة لقضى بينهم به في الدنيا والفصل قطع الحكم • قال الله تعالى
وهو خير الفاصلين والفصل القول الحق • قال تعالى انه لقول فصل • وقوله تعالى وان الظالمين اي المشركين
لهم عذاب اليم في الاخرة وان اخرتهم في الدنيا • وقوله تعالى ترى الظالمين في الاخرة مشفقين خايفين مما
كسبوا وهو واقع بهم اي نازل بهم • والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات • قال الكسائي
الروضة العشب حول الغدير • وقيل هي الارض الخضرة الحسنة النبات • وقوله تعالى لهم ما يشاؤن عند
ربهم في الجنة • وقوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير من الله تعالى لهم اذا اتاهم على العمل القليل المنقطع الجزاء
الكثير الدايم • وقيل في روضات الجنات اي في الرياض التي تحف بها البساتين وذلك احسن ما يكون واجمعه
للنزهة لان فيها الثمار والزهر والرياحين فيفضل لصاحبه غذاء البدن بالطعم وغذاء الروح بطيب الرايحة
ونزهة العين بالوان الزهر • وقوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده • قرا ابن كثير وابو عمرو ويبشر بالتخفيف
من بشر الشيء وهي قراءة حمزة والكسائي والباقون بالتشديد • قال ابو معاذ بالتخفيف من قولك بشرت الاديم اي قشرته
معناه يسر الله وجوههم وبالتشديد من البشرى وعن ابي عمرو انه قال انما قرات ههنا بالتخفيف دون
ساير المواضع لانه ليس فيه يبشر الله به ليكون من البشارة وقال غيره به مضمر كما في قوله فاصدع بما تؤمر اي تؤمر
به اي ذلك الفضل الكبير وما تقدم ذكره يبشر الله به عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ليتعجلوا السرور

بالتخفيف

به • وقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا • قيل على الدين • وقيل على الكتاب • وقيل على الفضل الكبير • وقيل على التبشير
وقيل على التبليغ وبعض ذلك مذكور وبعضه مدلول • وقوله تعالى الا المودة في القربى • وقيل اي لا اطلب منكم اجرا
لكن اصل ارحامكم بدعايكم الى السعادة في الدارين وصورته لما قالوا انه جاء بقطع الارحام يفرق بين من امن به وبين
ارحامه • وقيل الا ان تودوا في لقرابتي بينكم فقد كان له في كل قبيلة من قبايل العرب وسيلة نسب الام او الاب • وقال
الضحاك اي الا ان تصلوا رحمي وتنصروني على عدوي • وقال الزجاج هذا استثنا منقطع بمعنى لكن اي ولكن اذكركم
المودة في القربى • وقيل اي ان لم تتركوا ايذاي لنبوتي فاتركوه لحق قرابتي • وقيل اي الا ان تتوددوا فيما بينكم
للقرابة بعضكم من بعض فتجتمعوا على الايمان وتتواصلوا فانا اعتد ذلك كالاجر تعطوني وكالمال تصلوني به • وقال
الحسن اي الا ان تتوددوا الى الله بما يقربكم منه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي الا ان تودوا قرابتي واهل
بيتي • وقال الضحاك ولما نزلت هذه الاية وقع في قلوب القوم منها شي • فقال جبريل عليه السلام يا رسول الله
ان القوم اتهموك فانزل الله قوله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم فنزل قوله الا المودة في القربى • وقال مقاتل
ابن حيان الا المودة في القربى الا ان تصدقوني وتمنعوني من العرب حتى ابلغ رسالة ربي فلما ابوا ذلك وقطعوا
رحمه وهاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه انزل الله تعالى قوله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم • وقوله
تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب فعلة جميلة مودة في القربى او غير ذلك • وقوله تعالى نزد له فيها حسنا
التضعيف في الثواب عشرا او سبعماية وبغير حساب • وقيل التوفيق لمثلها او اكثر منها • وقال الامام القشيري
رحمه الله ومن يقترف حسنة هي من الوظايف نزد له فيها حسنا هي من اللطايف ان الله غفور للذنوب الكثيرة
شكور للاعمال اليسيرة • وقوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا اي ايقولون ما تبلغه اليهم لا نسألهم
عليه اجرا ام يقولون ان محمدا اختلق على الله زورا ادعوا انه ما يتلوه هو مما انزل الله عليه • وقوله تعالى فان
يشا الله يختم على قلبك • قال قتادة اي ينسيك القران فلا تبلغه فلم يكذبونك • وقال مقاتل اي يختم بالصبر
حتى لا تجد غصة التكذيب • وقيل اي يغلق قلبك فلا تنشط شيا ولا تتكلم به فيدل على افترايك لو كنت
مفتريا لما يقولون • وقيل الختم على القلب هو الامانة لان القلب اذا انسد لم يتخلله شي مات صاحبه ويكون
في معنى قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين • ويمحو الله الباطل
حذف الواو في المصاحف تخفيفا كما في قوله سندع الزبانية لا للجزم فانه غير معلق بالشرط بل هو منطوق ه
ومعناه اي يذهب الله الباطل ويزيله فلا بد منه يفتري ويحق الحق بكلماته اي ويبين حقيقة الحق وصحة
يوحيه الى انبيايه انه عليم بذات الصدور اي بضماير القلوب ولو علم من محمد اضمارا فيه لعاجله بالعقوبة
فكيف لو افترى • وقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده • قال ابن عباس رضي الله عنهما هي عامة
للمؤمن والكافر والولي والعدو ومن تاب منهم قبل الله توبته فيتصل بهذا الوجه بكل اية قبلها في
هذه السورة ويكون دعا لكل فريق منهم الى الرجوع عن القبيح الذي هو فيه • وقوله تعالى ويعفو عن السيات
بالتوبة ويعلم ما تفعلون • قرا حمزة والكسائي بتا الخطاب • وقرا الباقون بيا المغايبة واختار ابو عبيدة
هذه القراة لانها اوفق لما قبلها وما بعدها اي ويعلم الصادق في التوبة فيقبل والكاذب فيها فلا يقبلها
منه ويعلم من يثبت عليها ومن يعود الى الذنب ومع ذلك يقبل اذا كان بحقيقة الحال • وقيل هذا في حق الذي
لا يتوب وهو وعيد وما قبله وعد للتايبين • وقوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي
ويستجيب الله منهم اي يقبل طاعاتهم كما قال ادعوني استجب لكم اي اعبدوني اتقبلها منكم • وقيل اي يجيب
دعاهم وقد تذكر الاستجابة بدون اللام كما قال الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب • وقال سعيد بن جبير
رحمه الله ويستجيب هذا فعل الذين امنوا وهو رفع ومعناه والمؤمنون استجابوا لله حين دعاهم الى دار
السلام والى الجنة والمغفرة والى الايمان والطاعة ويزيدهم من فضله بالاضعاف • وقيل هي روية الله كما قال
للذين احسنوا الحسنى وزيادة • والكافرون لهم عذاب شديد في النار • وقوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض لما ذكر ويزيدهم من فضله في حق المؤمنين في الاخرة وراء واخبر ان فضل المال في حق
بعضهم في الدنيا وخفي عليهم وجه الحكمة من الله تعالى • قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا اي
لتظالموا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي لطغوا • وقال شقيق لو رزقهم من غير كسب لتفرغوا للفساد ولكن
شغلهم بالكسب • وقوله تعالى ولكن ينزل بقدر ما يشا اي بمقدار انه بعباده خبير عالم بمصالحهم بصير
باحوالهم • وقال عمرو بن حريث نزلت هذه الاية في اصحاب الصفة وذلك انهم قالوا لو ان لنا فتمنوا وقال
خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمنيناها
فنزلت • وقال ابن عباس لبغوا في الارض اي لطلبوا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة وملبسا بعد ملبس • وقوله
تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي المطر من بعد ما ياسوا منه لتاخر نزوله • وقوله تعالى
وينشر رحمته اي يعم خلقه بنعمته التي تكون من الغيث فمن قدر على ذلك فهو قادر على ان يعم جميع عباده بنعمه

وعاصم في رواية حفص

الرزق

الرزق فليس تضييقه على بعض لعجزه وكيف يعجز عن ذلك من قدر على خلق السموات والارض وما بينهما ومن فيهما من الخلق
وقوله تعالى وهو الولي الحميد اي يلي امور خلقه بما يعلم ذلك صلاحا لمن اراد به الصلاح • وقوله تعالى الحميد الذي
يستحق الحمد على كل حال وان نستسلم ابدا لرضاه كيف ما صرفهم من الاحوال من الاكثار والاقلال • وقوله تعالى ومن
اياته خلق السموات والارض اي ومن علامات قدرته على كل شي خلقهما وخلق ما بث فيهما اي نشر وفرق • وقوله
تعالى من دابة اي حيوان يدب اي يتحرك بالحياة من الملايكة والجن والانس والبهايم والحشرات • وقوله تعالى
وهو على جمعهم في القيامة • وقوله تعالى اذا يشا قدير اي قادر • وقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة اي بلية
ونقصان في مال او اهل او ولد او قريب او صديق فبما كسبت ايديكم اي بشوم ذنوبكم واضاف الكسب الى الايدي
لان اكثر اعمال الخلق بالايدي • وقوله تعالى ويعفو عن كثير فلا يعاقب عليه في الدنيا • وقال الحسن لما نزلت
هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق
الا بذنب وما يعفو الله اكثر • وعن الحسن قال هي الحدود في الدنيا • وقال الضحاك اي الشوكة فما فوقها •
وقال السدي الجذب وما تصابون به في انفسكم • وقال علي رضي الله عنه هي ارجى اية في القران • وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما رواه الحسن وزاد عليه فالحزم وما عاقب الله عبده في الدنيا بذنب فالله ارحم من ان
يثني عليه عقوبته في الاخرة وما عفى الله تعالى عن عبده في الدنيا من ذنب فالله تعالى اكرم من ان يعود فيما
قد عفى عنه • وقال الامام ابو منصور رحمه الله وقد يصيب المصيبة من لا يستحق العقوبة اما ليعلم المصاب
ان سلامته فضل من الله او ليعوضه في الاخرة ويعفو عن كثير مما من مصيبة الا ويحتمل الزيادة عليها ه
فيعفو تلك الزيادة وقد يعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليه • وما انتم يا معشر الكفار بمعجزين في الارض
اي بفايتين اخذ الله فليس تاخير العذاب عنكم لعجز وما لكم من دون الله من ولي يتولى عونكم ولا نصير يدفع ه
العذاب عنكم اذا انزله بكم • وقوله تعالى ومن اياته الجوار اي ومن العلامات الدالة على قدرة الله تعالى
على بسط الرزق وكل شي السفن الجارية في البحر جمع جارية وهي السفينة • قال الله تعالى حملناكم في الجارية وهي
السفينة جمع جارية اسم جنس يصلح للواحد والجمع كالاعلام • قيل كالجبال • وقال قطرب وقد يكون العلم
القصر • وقال الخليل كل مرتفع عند العرب فهو علم • قالت الخنساء وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار
شبه السفن بالجبال او بالقصور في عظمها خلقها الله تعالى لمعايش العباد ومصالحهم يقطعون بها البحار
ويضربون بها في الامصار ويقضون بها الاوطار وسخر الريح لاجرايها • وقوله تعالى ان يشا يسكن الريح م
فيظللن رواكد على ظهره فيقفن واقفات على ظهره اي ظهر البحر والركود السكون والوقوف • ومنه الخبر
نهى عن البول في الماء الراكد • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور • قيل لكل مؤمن مستكمل في خصال
الايمان لان مرجع كلها الى الصبر والشكر وخصه باضافة الايات اليه لانه هو المنتفع بها • وقيل التقييد
بهذين الوصفين يشير الى ما قلنا من حديث توسيع الرزق وتضييقه يقول من قدر على هذا قدر على توسيع
الرزق على الكل لكن يوسع على بعض يمتحنه بالشكر ويضيق على بعض يمتحنه بالصبر • وقوله تعالى او يوبقهن بما
كسبوا اي يهلكهن في البحر بذنوبهم جزم بالعطف على يسكن وهذا الجزم لانه جزا الشرط وفي اهلاك السفن
اهلاك من فيها وما فيها • وقوله تعالى ويعف عن كثير اي لا يهلك بعضهم بالغرق فضلا منه • وقوله تعالى ويعلم
الذين يجادلون في اياتنا نصب على الظرف لانه غير معطوف على المجزوم فانه على التضييق لا على التعليق اي ويعلم
المشركون المجادلون في ايات الله ما لهم من محيص اي مهرب لما انزل الله تعالى فيخلصون لله العبادة ويخضعون
له الطاعة • وقوله تعالى فما اوتيتم من شي اي ما اعطيتم من سعة في الرزق فمتاع الحياة الدنيا اي شي قليل
يتمتع به في الدنيا قليلا ثم يزول فما ينبغي ان يوثق به ويطمان اليه • وقوله تعالى وما عند الله من نعيم الاخرة
خير وابقى من نعيم الدنيا • وقوله تعالى للذين امنوا اي ذلك للمؤمنين • وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون
اي يفوضون الامور اليه ويرضون بما قسم لهم من الرزق • وقوله تعالى والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش
اي وذلك النعيم ايضا للذين يتوقون عن الذنوب الكثيرة والاعمال الفاحشة وقد ذكرنا الاقاويل في
الكباير في قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وفسرنا الفاحشة والفحشا في قوله انما يامركم بالسو والفحشا
وظاهر تفسير الفاحشة القبيحة • وقيل هي المفرطة في القبح وفي الجمع بينهما هاهنا وجوه قيل الفواحش م
فوق الكباير • وقيل هما وصفان لعظايم الذنوب والعطف بالواو لتغاير المعنيين والموصوف واحد كانه
قال يجتنبون المعاصي وهي عظيمة عند الله تعالى في الوزر وقبيحة في العقل والشرع • وقوله تعالى واذا ما غضبوا
هم يغفرون اي واذا اغضبهم احد بايذا اياهم غفروا لمن اغضبهم وكظموا غيظهم وزيادة هم في هذا الفعل
اشارة الى انهم يعفون عنهم من عند انفسهم من غير ان يحملهم عليه شفيع او سايل • وقوله تعالى والذين استجابوا
لربهم وهذا من صفاتهم ايضا اي اطاعوا الله فيما امرهم به واجابوا الى ما دعاهم اليه • وقوله تعالى واقاموا
الصلاة اي اداموا الصلاة في اوقاتها بشروطها • وقوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي ينالمون على نفس

مطلب

الذين ولحيا الحق فيتفقون على التشاور في الامور ليقع امضاؤها على اتفاقهم فلا يختلفون ولا يتنازعون وهو يرجع
الى الايات المتقدمة التي فيها الامر بالتالف والنهي عن التفرق • وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الحق
فرضا ونفلا • وقوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون • قيل اذا نالهم البغي من الكفار ينتصرون بالجهاد
لما قال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الاية • وقيل هو في كل ظالم في الانتصار لا انتصاف من غير مزيد وهو مطلق • وقيل هو
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود والتعزير على الجاني وهو اقامة الدين كما امرنا في الايات المتقدمة
وقيل ينتصرون اي يتناصرون فيما بينهم فينصر بعضهم بعضا يقال تناصر القوم وانتصروا كما يقال تقاتلوا
واقتتلوا • وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها • قيل الاول وقوله ينتصرون في جهاد الكفار وهذا في معاملة
اهل الاسلام اي وما يجري بينكم معاشر المسلمين فجزاؤه بعضكم على بعض في شيء من نفس او مال فله ان يجزيه
بمثل ذلك لا يزيد عليها والاولى سيئة لانها معصية والجزاء ليس بمعصية لانه باذن الله لكن سماه سيئة للمقابلة
وكذلك قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وتسمية الجزاء باسم الاول في القرآن كثير نسوا الله فنسيهم
يخادعون الله وهو خادعهم مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمكرون ويمكر الله فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به • وقيل معناه
من ساءكم بجناية في نفس او مال فسوءوه بمثله اقتصاصا ثم ندب الى الاولى • وقال فمن عفا اي ترك الانتصار والمجازاة
واصلح اي لان الجزاء يورث العداوة بين الفريقين والوحشة فمن عفى واصلح بينهم • وقيل واصلح اي سال الله
تعالى ان يرضى عن الجاني كما رضي هو فانه اذا جنى جناية اذى بها الله تعالى واذى المؤمن فاذا رضي المؤمن بقي حق الله
تعالى فاذا شفع له من صدق رضي الله عنه فضلا منه فاجره على الله اي فثواب ذلك عند الله تعالى وقد
وعد بذلك وعدا موكدا فهو ثابت له لا محالة • وقوله تعالى انه لا يحب الظالمين • قيل يتصل بقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها والظالم من يزيد على جزائها او يبتدئ بها ولمن انتصر بعد ظلمه اي انتصر بعد الظلم عليه • قيل هو
في الانتصار من الكفار والذين اخرجوا المسلمين من الديار فاولئك ما عليهم من سبيل بالملامة وغير ذلك
وقوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي على المشركين يظلمون الناس باخراجهم واخذ اموالهم
ويبغون في الارض بغير الحق بمنع المسلمين عن اخلاصهم العبادة لله ومجاوزة الحد في الفساد • وقوله تعالى
في الارض باظهار الكفر وايذاء المسلمين • وقوله تعالى اولئك لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة • وقوله تعالى
ولمن صبر اي على ما ناله من الظلم من جهة اخيه المسلم وغفر لظالمه ذنبه ان ذلك لمن عزم الامور اي مما ينبغي
ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي من حزم الامور • وقال
الضحاك اي الجد • وقال مقاتل بن حيان اي من البصر بالامور • وقال ابن كيسان يعني التثقف بالخلف
والثواب • وقال السدي واذا ما غضبوا هم يغفرون نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان رجلا
من المشركين اقبل عليه يشتمه وجعل ابو بكر لا يشتغل به الى ان ضجر فرد عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابو بكر فداك ابي وامي يا رسول الله ما دام يشتمني لم تقم فلما رددت عليه قمت فقال لاني رايت بينك
وبينه ملكا يرد عليه ما قال فلما رددت عليه قام الملك فذهب فقمت انا ايضا • وقال قتادة واذا
ما غضبوا هم يغفرون نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين اوذي وشتم بمكة فاغضى عنهم ولم يشتغل
بهم • وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده اي ومن يغويه الله ويخلق فيه فعل الضلال لعلمه
باختياره ذلك فليس له من يلي ارشاده ومعونته ومنع العذاب عنه • وقوله تعالى وترى الظالمين لما راوا
العذاب اي يوم القيامة يقولون هل الى مرد من سبيل يتمنون الرجعة الى الدنيا ويقولون هل الى سبيل
الى ذلك ووصول فنؤمن ولا نشرك ونطيع ولا نعصي • وقوله تعالى وتراهم يعرضون عليها اي على النار والعذاب
المذكور قبله كناية عنها • وقوله تعالى خاشعين من الذل نصب على الحال اي ساكتين منكسرين من الخزي
والهوان • وقوله تعالى ينظرون من طرف خفي • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ذليل • وقال الحسن وقتادة
رحمهما الله يسارقون النظر لا يمكنهم ان ينظروا الى النار بجميع ابصارهم لما يرون من هولها • وقيل لا يرفعون
ابصارهم للنظر رفعا تاما لانهم ناكسوا رؤسهم وعلى هذه الوجوه يكاد وجوههم تخفى • وقيل ينظرون الى
النار بقلوبهم وهي خفية لانهم حشروا عميا • وقوله تعالى وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيامة اي الخسران في الحقيقة لهؤلاء الذين حرموا منافع انفسهم واهليهم او هلكوا
واماليهم بالاعزاء وحرموا الحور العين بترك الايمان يقولون ذلك بطريق الشكر على حالهم لانفسهم وقوله
تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي ان المشركين في عذاب مقيم اي دائم ويجوز ان يكون هذا من قول
المؤمنين ويجوز ان يكون من الله تعالى • وقوله تعالى وما كان لهم اي لهؤلاء الكفار من اولياء ينصرونهم من
دون الله يتولون معونتهم ويدفعون عنهم العذاب • وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من سبيل اي وصول
الى الخلاص • وقيل اي من حجة • وقيل اي من حيلة • وقوله تعالى استجيبوا لربكم اي اجيبوه الى ما دعا وهو
الايمان من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي قبل ان ياتي من الله يوم لا مدفع له وهو يوم القيامة • وقيل

اي لا مرد

اي حصنا

اي لا مرد للكافرين الى الدنيا فيه من الله تعالى اذا سالوا الرجعة • وقوله تعالى ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير اي مقدرة
على تغيير وهو كقوله فكيف كان نكير قال انكروا ما عرفتموه اي غيروه • وقيل ما تجدون من ينكر ما نزل بهم اي يستنكره
لان الخلائق علموا انه نزل ذلك بهم عن استحقاق • وقوله تعالى فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا
اي حافظا لاعمالهم حتى تكون انت المحاسب لهم عليها • وقيل اي موكلا بهم لا تفارقهم دون ان يؤمنوا • وقوله ان عليك
الا البلاغ ما عليك الا تبليغ الرسالة • وقوله تعالى وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور عرفه ان اعراضهم عن الاستجابة لاغترارهم بما وسع الله تعالى عليهم
وساق اليهم من النعمة ورزقهم من الاتباع والاولاد • وقال انا اذا انعمنا على الكافر بطر بالنعمة وطغى وتكبر
عن الانقياد للحق وقد ان النعمة انما جاءته لفضل له واستحقاق منه فلم يشكر الله تعالى واستعان بنعمته على
معصيته واذا اصابته بلية ترك الصبر والتسليم لله وسخط قضاء الله فكفر به وبنعمته • وقوله تعالى فرح
بما يسخط قضاء الله وحد على اللفظ • وقوله تعالى وان تصبهم على المعنى • وقوله تعالى لله ملك السموات والارض
ومن ملك ذلك لم يعجز عن معاجلة الكافر بالعقوبة يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا اي بنات كما وهب للوط
ويهب لمن يشاء الذكور اي البنين كما وهب لابراهيم • وقوله تعالى او يزوجهم ذكرانا واناثا او يقرن لهم بنين
وبنات كما فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما اي لا يولد له ولد كما كان لعيسى ويحيى
وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور وبكل شيء قدير على كل شيء فكان اعطاء الاموال والاولاد والاملاك
والاشياع من الله تعالى لمن شاء كما شاء • ثم قوله اناثا على التنكير • وقوله الذكور على التعريف لما ان الجنسين
معهودان معروفان في الجملة فيجوز على هذا الحذف والادخال جميعا لكل واحد منهما فالادخال لكونهما معهودين
والحذف لكونهما غير موجودين فلما كان المعنيان متقاربين جاز كل واحد منهما في الجنسين وجاز الجمع في اية
اخرى وبين الوجهين كما جمع بين اللغتين فمهل الكافرين امهلهم رويدا قالت من انباك هذا قال نباني العليم
الخبير ولان المعنى يهب لمن يشاء الاولاد اناثا وهو كذكر النعت واضمار المنعوت ونكر في الاول ثم اعاد ثانيا
فصار معرفة وصار تقديره ويهب لمن يشاء الاولاد الذكور وهو كقوله ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول • فاما قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا فلا يجوز فيه الا التنكير لان قوله او يزوجهم اي يجمع
الاولاد ثم قوله ذكرانا واناثا تفسير له فلا يجوز الا بالتنكير كقولك جمعتهم رجالا ونساء لا يجوز الرجال
والنساء بعد ذكر الكناية • وقال او يزوجهم ولم يقل يزوجهم لئلا يوهم انه للمذكور اولا فان ذلك للافراد
فلا يصح معه الجمع • وقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا متصل بقوله ان عليك الا البلاغ فانك
رسول وارسال الرسل كان باحد هذه الوجوه الا وحيا اي ايماء واشارة تقع العلم بذلك كالالهام في القلب
والرؤيا في المنام في الاول كما روي نفث في روعي والثاني ما كان نحو حال النبي صلى الله عليه وسلم ستة
اشهر قبل نزول جبريل صلوات الله عليه • وقال النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحي ومن ذلك رؤيا ابراهيم
عليه السلام الامر بذبح الولد • وقوله تعالى او من وراء حجاب ليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى
لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب بل المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا • وقيل انه
المراد به ان الرسول يختص بالسماع ولا يسمع غيره فيحجبون عنه • وقوله تعالى او يرسل رسولا • قرا ابن
عامر ونافع او يرسل رفعا اي وهو يرسل • وقرا الباقون او يرسل اي او ان يرسل فيكون ان مع الفعل مصدرا
ويكون تقديره الا وحيا او اسماعا من وراء حجاب او ارسالا اليه رسولا اي يرسل ملكا بالوحي اليه كما ارسل
جبريل الى محمد فيوحي باذنه ما يشاء اي فيبلغ باذن الله ما يشاء انه علي حكيم اي قاهر فلا يمانع مصيب في اقواله
وافعاله فلا يعارض • وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي كما اوحينا الى سائر الانبياء
اوحينا اليك قرانا هو حياة من موت الجهل • وقيل اي انزلنا اليك جبريل وهو الروح الامين • وقوله
تعالى من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب هو كقوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب ولا الايمان بالكتاب
وان كان لا يعلم ان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما انه يلزمه الايمان بذلك الكتاب • وقيل ولا الايمان اي
شرائع الدين على التفصيل التي لا تدرك الا بالسمع • وقيل ولا الدعاء الى الايمان • قال الضحاك يعني
معالم الدين • قال ابو العالية يعني الدعوة الى الايمان • وقيل ولا الايمان لمن يكون من عشيرتك • وقال
الحسين بن الفضل كان يعتقد ان ابا طالب يؤمن به لتربيته وان العباس لا يؤمن لمنابذته اياه فكان على
القلب ونزل عليه انك لا تهدي من احببت • وقال صلى الله عليه وسلم اردنا اسلام ابي طالب واراد
الله اسلام العباس فكان ما اراده الله دون ما اردنا • وقوله تعالى ولكن جعلناه نورا اي جعلنا الوحي
وقيل اي الكتاب • وقيل سبق ذكر الكتاب والايمان ولكن اراد بهما واحدا فجاز التوحيد في الكناية وتسميتهما
جميعا باسم واحد وهو النور كما في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية • وقوله تعالى نهدي به من نشاء من عبادنا
اي بتعطيه صفة الاهتداء وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي ترشد الى دين الاسلام وهو الطريق المستقيم

المفضي بسالكه الى مرضاة الله تعالى • وقوله تعالى صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض بدل وترجمة عن
الصراط الاول • وقوله تعالى الا الى الله تصير الامور اي ترجع اليه في الدنيا والاخرة •

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي سخر لنا الفلك والانعام • الرحمن الذي قسم المعيشة بين الانام • الرحيم الذي امرنا بالصغر والسلم
روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا حم الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون • وهذه السورة مكية وهي ثمان وثمانون اية • وقيل تسع وثمانون اية الاختلاف في قوله
وهو مهين • وكلماتها ثمان مائة وثلاثون • وحروفها ثلاثة الاف واربع مائة وعشرون • وانتظام اول هذه
السورة باخر تلك السورة انه ختم تلك بذكر وحي القران وان الله يهدي به والرسول يدعوا اليه واول هذه السورة
في صفة القران وافتتح به وذكر ام الكتاب الذي كان القران مكتوبا فيه • وانتظام السورتين انهما في مخاطبات
المشركين ومحاجتهم وترغيبهم وترهيبهم وتسلية الرسول الامين وتثبيت المومنين • وقوله تعالى حم والكتاب
المبين مر تفسيره انا جعلناه قرانا عربيا انزلناه بلغتكم معاشر العرب لعلكم تعقلون لتعقلوه وتفهموه
وتنتفعوا به • وقوله تعالى وانه في ام الكتاب اي اللوح المحفوظ الذي نسخت منه الكتب فهو كالاصل لها • وقوله
تعالى لدينا اي محفوظ عندنا • وقوله تعالى لعلي اي عالي القدر رفيع الشان حكيم محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض
ولا ناسخ له ولا معارض • وقوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا اي اعراضا عن تنبيهكم وهو كانه مصدر قوله
افنضرب من خلاف لفظه بان كنتم قوما مسرفين في الجهالة متجاوزين الحد في الضلالة استفهام بمعنى الانكار
اي لا نفعل كذلك • وقيل صفحا اي جانبا وصفحة الوجه وصفحته جانبه • وقيل هو استعارة فان من اراد
صرف مركبه عن جهة ضرب صفحته بسوط فحوله عن وجهه والذكر هو القران • وقيل هو التذكير • وقيل هو
مذكرا بالعقوبة اي نعاقبوا • وقيل مرب الذكر صفحا هو رفع القران من بين اظهرهم بعدما نزل فيهم • وقال
الامام القشيري رحمه الله اي انقطع عنكم خطابنا وتعريفنا باسرار في خلافكم اي لا نقطع الكلام عنكم
وان اسرفتم وللاشارة فيه لانه لا ينقطع خطابه اليوم عمن تمادى في عصيانه واسرف في طغيانه فنرجوا ان من
لم يقصر في ايمانه وان تلطخ بعصيانه ولا يدخل خلل في عرفانه ان لا يمنع عنه لطايف غفرانه وعوارف احسانه •
وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي اي وما كان ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن كقومك
يا محمد ولم يمنعنا ذلك من متابعة الرسل تاكيدا للاعذار وحسما للاعتذار • وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي اهلكنا من كان اقوى من هولاء المشركين في ابدانهم واكثر منهم في اتباعهم وانصارهم ومضى مثل
الاولين اي جرينا بالاولين من وقايع الله تعالى اي فليس هولاء الا كاولئك في استحقاق العقاب
وقيل صار عذاب الاولين عظة للاخرين • وقيل مضت سنة الاولين • وقوله تعالى ولئن سالتهم اي هولاء
المشركين المقرين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم مهدا اي موضع قرار • وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو مهادا اي بساطا • وقيل هو جمع مهد • وقرا الباقون مهدا اي موضعا ممهدا
كمهد الصبي • وقيل هما واحد كالفراش والفرش • وقوله تعالى وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون
من بلد الى بلد • وقيل تستدلون بها فتهتدون الى الرشد والاسلام • وقوله تعالى والذي نزل من السماء ماء
صفة له ماء اي المطر بقدر اي على قدر حاجة الخلق اليه • وقوله تعالى فانشرنا به بلدة ميتا اي فاحيينا
به بلدة ميتا رجوع عن المغايبة الى الاخبار عن نفسه وهو من تلوين الكلام وذلك من اقسام البلاغة
بلدة ميتا اي يابسة مقفرة من النبات • وقوله تعالى كذلك تخرجون من قبوركم حين تعادون احياء
بعد موتكم • وقوله تعالى والذي خلق الازواج كلها صفة له ايضا والازواج يحتمل انه اراد به اصناف
النبات كما قال وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم • ويحتمل انه اراد به اصناف كل الاشيا
كما قال سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وجعل لكم من الفلك
اي السفن والانعام اي الابل وغيرها ما تركبون في الاسفار والضرب في الامصار لقضا الاوطار لتستووا
اي لتركبوا مستوين على ظهوره ولم يقل على ظهورها ذهابا الى الجنس ولم يقل ظهره ذهابا الى الجمع • قال
الاخفش انما قال على ظهوره لان الذي سبق ذكره هو كقوله ما تركبون وهو كقولك عندي من النساء من
يوافقك ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم اذا استويتم اي علا ما سبق ذكره وتقولوا بالسنتكم سبحان الذي
سخر لنا هذا اي ذلله وليته لنا وما كنا له مقرنين اي مطيقين • وقيل ضابطين لعظم اجسامها وسوء
اخلاقها وامر السفن اعجب منه وارهب وان الله تعالى يقول ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره
او يوبقهن بما كسبوا • وقوله تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون اي لراجعون الى جزائه يعني نسخر لنا هذه
المراكب لا ليستدي شكرنا عليها وعلى سائر نعمه ويحاسبنا على ذلك يوم القيامة ويجزينا على وفق اعمالنا ثم

الكلام

الكلام الى هذا الموضع يتصل بقوله العزيز العليم صفة له ولئن هو على معنى حكاية لفظ الكفار المسولين عمن خلقهن لان
قوله فانشرنا به بلدة ميتا لا يليق بذلك وانما قولهم اذا سئلوا عن هذا من خلق السموات والارض قالوا الله فيكون
هذا اعترافا منهم لله تعالى بالخلق وفي ذلك ما يكفي لتبيين جهلهم في الاشراك به ما لا يقدر على شي ثم لما كان الله
تعالى موصوفا بهذه الصفات المذكورة في القران والايات اتبع ذكر اعترافهم بهذه الصفات كانه قال تعالى
ولئن سالتهم عن ذلك لاضافوا ذلك الى الله الذي هو موصوف بهذه الصفات • وقوله تعالى وجعلوا له من عباده
جزءا اي ومن جهلهم انهم مع اعترافهم انه خالق السموات والارض يجعلون له من خلقه ولدا لان الولد جزء من الوالد
وقوله تعالى ان الانسان لكفور مبين اي ان الكافر بالله الجاهل به لكفور نعمه ظاهر الكفران مجاهر بالشرك • وقال
الامام ابو منصور رحمه الله قالت الثنوية ان الله تعالى خالق الخيرات وخالق الشرور غيره فيحتمل ان يكون المراد
انهم جعلوا لله جزءا من الخلق لا كله وكذلك مشركوا العرب كانوا يجعلون من الحرث والانعام لله جزءا ولالهتهم
جزءا • وقيل معنى قوله وجعلوا له من عباده جزءا اي مثلا وشبها وجعلوا انهم عبدوا اصنامه كما عبدوه • وقوله تعالى
ام اتخذ مما يخلق بنات استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ وام تعطف بها على الف الاستفهام وتقديره اتقولون
ان الله ولد ولدا ام اتخذ من خلقه بنات • وقوله تعالى واصفاكم اي خصكم بالبنين وهو كقوله الكم الذكر
وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى • وقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الايات وقد فسرناها مما مضى
يقول اجمعتم في هذا الوصف نوعين من الجهالة احدهما وصف الله جل جلاله باتخاذ الاولاد • والثاني وصفه
باتخاذ اخس الجنسين ولو ان الواحد منكم فعل هذا لنسبتموه الى سوء الاختيار • وقوله تعالى واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي بقي في كل يومه متغير اللون ظاهرا عليه اثر
المساءة والكآبة وهو كظيم اي مملوء غما وغيظا • وقوله تعالى اومن ينشؤ في الحلية قرا حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص بضم اليا وتشديد الشين اي يربا • وقرا الباقون بفتح اليا وتخفيف الشين اي
يتربى فيها لا انشاه الله وانشاه فنشا كما يقال انبته الله ونبته فنبت • قال تعالى انا انشاهن انشاء واصل
الكلمة من الظهور والطلوع يقال نشات السحابة اذا ظهرت وطلعت • وقوله تعالى في الحلية اي في الزينة
اي نشؤ بما يحلى به من الذهب والفضة واللولو • وقوله تعالى وهو في الخصام غير مبين اي المخاصمة وقيل
موضع خصام اي بين الخصوم غير مبين اي للكلام على وجه تقوم به حجته والمراد به البنت فانها لم يورث
ينشؤا الفعل والكناية لانه بدا بالجملة من ونحا الفعل والكناية عليه • وقيل اراد به الصنم لانهم كانوا يحلونه
الاصنام • وفي اول هذه الاية مضمر وتقديره اي ويسنبون اليه من ينشا او يشركون به من ينشا
وقوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • قرا ابن كثير ونافع وابن عامر عند الرحمن
بالنون من قوله ان الذين عند ربك وهو بيان قرب المنزلة والكرامة • وقرا الباقون عباد الرحمن
بالبا والالف وهو جمع عبد وهو كقوله بل عباد مكرمون يقول ومن جهلهم ايضا انهم جعلوا الملايكة شركا لنا
الهة معنا وسموهم اناثا اشهدوا خلقهم • قرا نافع اشهدوا كما في قوله ما اشهدتهم • وقرا الباقون اشهدوا
كما في قوله ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون وهو استفهام بمعنى النفي ابطل مقالتهم بكل الوجوه
اشهدوا خلقهم اي اقالوا هذا عن مشاهدة انهم شاهدوا خلق الله اياهم اناثا ولا مشاهدة لهم على هذا
ولو ادعوا ذلك لكابروا ستكتب شهادتهم اي على الملايكة بالزور ويسالون عنها فلا يجدون مخرجا عنها
فيما قبول • وقيل ستكتب دعواهم انهم شهدوا خلقهم • وقوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل
قولهم هذا • وقيل اي من قبل القران فقد سبق ذكره انا جعلناه قرانا عربيا فهم به مستمسكون اي اقالوا
ذلك بحجة سمع اتاهم من عند الله من كتاب انزله وليس لهم ذلك واذا لم يكن لهم عقل ولا مشاهدة بطل قولهم •
وقوله تعالى لو شاء الرحمن ما عبدناهم ادعوا ان الله امرهم بعبادة الملايكة وقالوا لو شاء الا نعبدها
لنهانا عنها فاذ لم ينهنا عنها فقد امرنا بها • وقيل معناه لو شاء الله الا نعبدهم لمنعنا عن عبادتها ومنعهم
واضطرارا فاذا لم يفعل ذلك فقد اباح لنا • وقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي يكذبون
اي هذا القول منهم ليس لهم عليه حجة وهو جهل منهم وكذب • وقيل انهم قالوا هذا القول استهزاء بقول اهل
الحق ان الكاينات كلها بمشية الله تعالى لا اعتقادا انهم ذلك فاكذبهم الله فيه وجهلهم حيث لم يقولوه عن
اعتقاد كما قال لنخبرنا عنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا حق في الاصل ولكن قالوا ذلك استهزاء
فاكذبهم الله بقوله ان انتم الا في ضلال مبين وكذلك قوله قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه اعتقادا • وقوله ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون تمام
لانه متصل بالاول ومقدم في المعنى وان كان موخرا في النظم • وقوله تعالى بل قالوا انا وجدنا اباءنا على
امة اي طريقة • وقيل ملة • وقيل دين يعني لم يقولوا هذا القول عن مشاهدة ولا حجة عقلية ولا حجة
سمعية بل تقليدا لابائهم الضالين • وقالوا وجدنا اباءنا على امة اي امر مجتمع عليه وانا على اثارهم مهتدون

ان كنتم مسرفين اي امسك عنكم انزال القران والتذكير بالوعد والوعيد صفحا

اي الله المنيع سلطانه فلا يغالب العليم بكل شي وقوله الذي جعل لكم الارض مهادا صفة العزيز العليم

راشدون • وقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير اي بلدة من رسول الا قال مترفوها اي جبابرتها ومتنعموها مثل هذا القول انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون اي متبعون اي التقليد لاهل الجهل امر متقادم • وقوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي قل يا محمد لهؤلاء المقلدين ارايتم لو جئتكم بما هو ارشد واقوم طريقة مما وجدتم عليه اباءكم وبان لكم ذلك اتقيمون على تقليدكم ام تتركونه بهذا الاهتدا فان كانوا عقلا وقالوا نترك التقليد فاذا قالوا ذلك نقل حملوا الرواية اهدى فان امتنعوا فقد جاهلوا ولم ينصفوا وان اجابوا صاروا الى النظر فيخرجون عن حد التقليد لو صح حجج الله • وقرا عاصم في رواية حفص قال اولو جئتكم ومعناه قال لكل نذير ذلك لقومه قالوا انا بما ارسلتم به كافرون هذا تمام كلام الكفار ويتصل بقوله وانا على اثارهم مقتدون انا بما ارسلتم به كافرون ولما اعترض كلام الخبر زيد قالوا • وقوله تعالى فانتقمنا منهم عاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم • وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ تقول مكة مثله لئن تدعوا • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الايات في ابي جهل والوليد وعتبة وشيبة لعنهم الله • وقوله تعالى واذ قال اي واذكر اذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون اي بريء من اصنامكم بعد اقيم مقام النعت ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والذكر والانثى كالعدل والرضا اخبر ان ابرهيم كان على السلام والاخلاص وورث ذلك عقبه وهم هؤلاء لكنهم اجابوه ايضا بمثل جواب هؤلاء المقلدين ذلك قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين • قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين • وقوله تعالى الا الذي فطرني فانه سيهدين • قيل كان في قومه من يعبد الله ويعبد معه غيره فصح الاستثنا بقوله الا الذي فطرني من قوله مما تعبدون لذلك • وقيل الاستثنا منقطع بمعنى لكن وما تعبدون مقتصر على الاصنام ومعناه لكن الذي خلقني اعبده فانه سيهدين اي سيثبتني على الرشد • وقوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وقلده ولده فتوارثوا البراة عن الاصنام والتدين بالاسلام وتواصوا به لعلهم يرجعون اي ليرجع المشركون من قومهم الى طاعة ربهم من كفرهم وشركهم • وقيل اي جعلها الله باقية في عقب ابرهيم اي شرعها فيهم ليرجع اليها كل من كان على غيرها من عقبه اذ علموا ان الله تعالى الزمهم التدين بها وقال قتادة هي التوحيد والاخلاص لا يزال في ذريته ونسله من توحيد الله وتعبده • وقوله تعالى بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين بل لرد ما قبله يعني ليس شرك هؤلاء ولا كان شرك اباءهم لقصور البيان من جهة الرسل بل امهلت هؤلاء واباءهم واخرت العذاب عنهم فاغتروا بذلك وظنوا انهم على حق فقلدوا الاباء حتى جاءهم رسول محمد بالحق وهو الاسلام والتوحيد الذي هو دين ابرهيم • وقوله تعالى ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر اي فلما جاءهم القران قالوا ما هذا الا سحر وقالوا انا مع هذا الدين مكابرين • وقوله تعالى وانا به كافرون وقالوا متحكمين بالباطل • وقوله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم • اي على رجل من القريتين عظيم الرياسة بالمال والاتباع من هاتين البلدتين مكة والطايف اي كيف خص محمد بهذه الفضيلة التي توجب انقياد العظما له مع فقره وضعف حاله في اسباب الدنيا • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعنون بالعظيم من القريتين الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي • وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من اهل مكة وابن عبد ياليل من اهل الطايف • وقال قتادة الوليد بن المغيرة من اهل مكة وعروة بن مسعود الثقفي من اهل الطايف وهو جد المختار • وقال السدي من الطايف كنانة بن عبد بن عمرو فرد الله تعالى عليهم في هذا فقال اهم يقسمون رحمة ربك اي النبوة استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ • وقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي نحن قسمنا ارزاقهم فيما بينهم وهو ادنى من الرسالة فلم نترك اختيارها اليهم فكيف يكون لهم اختيار ما هو افضل واعظم من ذلك وهو الرسالة • وقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فجعلنا منهم مالكا ومملوكا ورئيسا ومرؤوسا وصاحب صنعة رفيعة وصاحب صنعة خسيسة • وقوله تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اي لينتفع كل طبقة منهم بالطبقة الاخرى بان تستعمله فيما يحتاج اليه بما يتعلق بصنعته وينتفع العامل بما ياخذ من اجره فيتعيش كل واحد منهما بصاحبه • وفي ديوان الادب سخريا ما كان من التسخير وهو مضموم وما كان من الهزء فهو مكسور • وقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون اي النبوة خير من الاموال المجموعة واذا كانت قسمة هؤلاء الى الله تعالى دون خلقه فالاولى اولى بذلك • وقيل ورحمة ربك اي النبوة لمحمد خير مما كانوا يجمعون من الاموال التي هي لهؤلاء فليس لهم فضيلة عليه بل له عليهم • وقيل ورحمة الله عباده بالاسلام خير مما يجمعون من الاموال فلا ينبغي لهم ان يتعظموا بها بل يلزمهم الانقياد لمن خصه الله بالنبوة والايمان به لينالوا رحمة الله ثم ذكر قصة خطر الاموال فقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا ان يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة • وقال الحسن رحمه الله لولا ان تتابعوا في الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن اي يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا • قال الزجاج يجوز ان يكون تكرار اللام على البدل وتقديره لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن ويجوز ان تكون اللام الثانية بمعنى على اي لجعلنا لمن يكفر على بيوتهم سقفا من فضة • قرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين وتسكين القاف وهو سقف البيت وهو واحد بمعنى الجمع او على ارادة ان يكون لكل بيت سقف كما في قوله ثم يخرجكم طفلا على التوحيد • وقرا الباقون سقفا بالضم وهو جمع كالرهن والرهن قاله المطرزي • وقيل هو جمع سقيفة

وقيل

خالفوه وقوم ابرهيم عليه السلام

وقيل هو جمع سقف وسقوف كفلوس [illegible] وهي البيوت • وقوله تعالى ومعارج اي مراقي عليها يظهرون اي يعلون على السطوح كما قال فما اسطاعوا ان يظهروه ولبيوتهم ابوابا اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة عليها يتكئون وزخرفا [illegible] الذهب والفضة • وقيل هي الاواني [illegible] وقوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا • قرا عاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد بمعنى الا اي وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا • وقرا الباقون بالتخفيف [illegible] • وقوله تعالى والاخرة عند ربك للمتقين وهو ترغيب في التقى [illegible] • وقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن [illegible] قال قتادة والسدي [illegible] بعيد • قال الشاعر متى تاته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد [illegible] • وقوله تعالى نقيض له شيطانا [illegible] فهو له قرين [illegible] الماشين عن الذكر وعن السبيل المستقيم بالخدع والعاشون يحسبون انهم مهتدون جمع في هذه الاية وهو موحد في الاية الاولى لانه قال ومن يعش اسم جنس فكان واحدا بلفظه جمعا بمعناه • وهو دليل على التقييض في الدنيا او في الاخرة لا يفارقه حتى اذا جاءنا يوم القيامة هذا العاشي وحد لانه رده الى اول الكلام • وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر في رواية ابي بكر حتى اذا جاءانا على التثنية اي العاشي وشيطانه وادخلا النار • قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين اي قال هذا العاشي لشيطانه ليتني لم اكن صحبتك ولا عرفتك ولا كانت بيني وبينك وصلة ولا تعارف حتى كان التباعد كما اذا احدنا بالمشرق والاخر بالمغرب لا يلتقيان ولا يتقاربان وجعلهما مشرقين على الازدواج ثم كالقمرين وسنة العمرين • وقيل هما مشرق الشتا ومشرق الصيف كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين • وقوله تعالى فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضللتني عن السبيل واوردتني ونفسك عذاب الجحيم • وقيل اي فبئس القرين انت لي الان • وقوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون اي اشتراككم في العذاب الذي استوجبتموه بشرككم لن يخفف عنكم شيئا ولا ينفع به التسلي كما يكون في الدنيا يتولى بالجملة فينفع للبعض بالبعض السلوة • وقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين استفهام بمعنى النفي يعني انك يا محمد لست بقادر على ان تسمع من اصممناه وتبصر من اعميناه ايسه عن ايمان قوم علم انهم لا يؤمنون ابدا ثم طيب قلبه تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون اما كلمتان ان للشرط وما للتاكيد والنون للقسم يقول ان ذهبنا بك عن الدنيا فانا منتقمون لك ممن اذاك واسا اليك وجفاك • وقوله تعالى او نرينك الذي وعدناهم ما قبلناهم في حياتك فانا عليهم مقتدرون قادرون على ذلك وعلى كل شي • وقال الامام القشيري اتنبه على حذف الخوف والرجا ووقفه على وصف الابهام والاخفا لانفراده سبحانه بعلم الغيب وكذلك الواجب على كل عبد ان يكون من نظاره التقدير ويفعل الله ما يريد • وقوله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك اي تمسك بالقران الذي انزل عليك والتزم احكامه وادع الناس الى حجة انك على صراط مستقيم اي طريق سوي يفضي بك الى رضاء الله وثوابه • وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي هذا القران الذي اوحي اليك بيان لكم جميعا لكل ما تحتاجون اليه ووعظ وتنبيه لكم جميعا • وقوله تعالى وسوف تسالون عما الزمكم به انت وقومك • قال تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين • وقال ابن عباس رضي الله عنه وانه لشرف لك ولقومك اذ هو بلسانهم وسوف تسالون عن شكره • وقوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اي لست تدعوهم الى دين ابتدعته بل بما ارسلنا رسلنا فان لم يصدقوك فاستشهد بعلماء امم الانبياء من اهل الكتاب فانهم مع مخالفتهم اياك يشهدون لك على انبيائهم بالموافقة في الدعا الى عبادة الله وحده وخلع الانداد سوى من يشهد على ذلك من مؤمنيهم بك فكان معنى واسال اي استشهد وتقديره لا انه على هذا واسال من ارسلنا اليهم من قبلك من رسلنا ومن رسلنا ام المرسل اليهم وهم امم المرسلين من اهل الكتاب كاليهود والنصارى فالمسالة محذوفة كما في قوله فاصدع بما تؤمر وذلك الذي يبشر الله عباده ونظيره قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب

من قبلك • وقال فاسالوا اهل الذكر وكان استشهادا للنبي صو الحجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون اليهم ويعتمدون
على قولهم فاذا سالهم وقالوا لم يجعل الله تعالى للخلق الهة يعبدونهم لزمتهم الحجة • وقيل تقديره واسال اتباع
من ارسلنا على الاضمار • وقيل تقديره واسال عما ارسلنا فحذف عن اي سل امهم عنهم وهو كقوله ان العهد كان مسولا
عنه فحذف الصلة ثم السوال يكون لرفع الاشكال ولم يكن رسول الله يشك في ذلك وانما الخطاب له والمراد غيره
وعن عايشة رضي الله عنها قالت لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي اشك وما انا بالذي
اسال وللاية وجه اخر على ظاهرها من غير اضمار • قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما اسري بي الى بيت المقدس جمع له الانبيا ببيت المقدس فقيل له سل هولاء • وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا
الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين اي ارسلنا كما ارسلناك فكذبوه كما كذبوك فجعلت العاقبة
له وانا نجعلها لك وانتقمنا له منهم ونحن ننتقم من هولاء لك فلما جاءهم باياتنا اي بالمعجزات من عندنا • وقوله تعالى
اذا هم منها يضحكون استهزاء وايهاما لاتباعهم ان ذلك تمويه • وقوله تعالى وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها
اي وما اريناهم اي وما كنا نريهم من معجزة الا هي اعظم من صاحبتها في نقض العادة واكبر في الاعجوبة وابلغ
في لزوم الحجة والاخت استعارة من ذلك ومجاز عن المشاكلة وهو كما حكي ان بعض الشعرا سيل عن نفسه وعن
شاعر اخر فقال انا اقول البيت واخاه وهو يقول البيت وابن عمه وكان هذا مجازا عن التقارب والتباعد
في التشاكل والتطبيق • وقوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها ام ظاهر النظم يدل على ان اللاحقة اعظم من
السابقة وحقيقته ذلك ان الايتين متساويتان في نقض العادة وايضاح الحجة لكن الاولى يذهب هولها
على من راها فتزيد الثانية عظما عند الرائي لحضورها • وقيل هو تعظيم شانهما جميعا كقولك هما اخوان كل
واحد منهما اكرم من الاخر • وقيل كانت اية اليد اعظم من اية العصا لان السحرة امكنهم التمويه في العصا ولم
يمكنهم ذلك في اليد • وقوله تعالى واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون هو ما قال ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين • وقوله فارسلنا عليهم الطوفان الاية • وقوله تعالى وقالوا يا ايها الساحر ادع • قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي يا ايها العالم والساحر عندهم من بلغ في العلم نهايته • وقيل انما قالوا ذلك لان السحر
عندهم كان علما جليلا فقالوه له على انه مدح له • وقيل معناه يا ايها الغالب باياته السحرة من قولهم ساحرته
فسحرته • وقوله تعالى ادع لنا ربك اي سل لنا ربك كشف العذاب بما عهد عندك • قيل هو قسم اي بحق
ما ارسلك به • وقيل اي بما وعدك من اجابة الدعوة • وقيل بما عهد انه يكشف عنا اذا رجعنا فنحن نرجع
عما اهتدينا بالايمان بك • وقيل انا لعاملون انه لا كشف عنا العذاب بدعايك الا دلة على نبوتك فدعا
موسى الله فكشف عنهم • وقوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم بالايمان
اي كانوا قالوا له نومن بك فلم يومنوا ونادى فرعون في قومه • قيل خطب • وقيل نادى في الناس بالاجتماع
فلما اجتمعوا عنده قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون استفهام بمعنى
التقرير اي ان لي ملك مصر املك اهلها وامرهم على ما اشاء من حكمي وهذه الانهار اي نيل مصر وساير الانهار
المنشعبة منه تجري من تحتي فمصر على عظمها كالبستان لي افلا ترون ما ذكرته لكم فكيف تصرفون عني الى
موسى وهو لا يملك شيا • وقوله ملك مصر هي اربعون فرسخا في اربعين فرسخا • وقوله تعالى تجري من تحتي
اي حول قصوري • وقيل اي تحت يدي • وقيل كانت الانهار اربعة نهر دمياط • ونهر التقليس • ونهر طولون
ونهر الملك • وقيل خمسة نهر الفيوم • ونهر دمياط • ونهر البرلس • ونهر رشيد • ونهر الاسكندرية • وهذه
الانهار تنشق من النيل وكان فرعون يخرج من الفيوم الى دمياط مسيرة خمسة عشر يوما لا تصيبه الشمس
من التفاف الشجر • وقوله تعالى ام انا خير من هذا الذي هو مهين • قيل اي بل انا خير • وقيل تقديره ام
انا اهذ الحزام انا خير من هذا • وقيل ام عطف على قوله افلا تبصرون وتعلمون اني خير من هذا يعني موسى
هو مهين • قال قتادة اي ضعيف • وقيل فقير • وقيل يمتهن نفسه فيما يريد بكلامه • قيل اراد ما كان
بلسانه من عقدة وهو ما قال واحلل عقدة من لساني اي فكيف يكون مثله رسولا من الله الى خلقه ولا مال
له ولا اتباع ولا افصاح له ولا بيان قالوا والعقدة التي كانت به في الابتدا كانت زالت بدعايه واحلل
عقدة من لساني في حال مخاطبة فرعون وملايه لكنه وصفه بما كان عرفه به في الابتدا تمويها على
الضعفة بما كانوا علموه منه قبل ذلك • وقوله تعالى فلولا القي عليه اسورة من ذهب • قرا عاصم في رواية
حفص اسورة وهي جمع سوار وقرا الباقون اساورة وهي جمع الجمع اي فهلا القي اليه ربه اساورة من ذهب
تنبيها على محله كالملك يطوق من يريد اكرامه بطوق ذهب ويسوره بسوار ذهب • وقيل ان زينة الملوك
كان هو التحلي بالاسورة فكانه قال فهلا ارسل الينا ملكا من الملوك رسولا • وقوله تعالى او جاء معه الملايكة
مقترنين اوهلا ضم اليه ملايكة فيكونون معه مقترنين به كالملك يضم الى رسوله اتباعا يتكثر بهم ويتجمل
وينصرهم في اوامره ونواهيه ظن اللعين انما قالها الا هيب فان رسل الله بالجنود يقومون ولم يفكر في ان

اي سئولا

ام تبصرون
فی حواشیه لیس له من یکفیه وقوله تعالی
ولا یکاد یبین اي لا یبین عن نفسه

هيبة موسى بعصاه كانت اكثر منها بجنود الارض كلهم ان لو جمعوا له وهذا فوق التطويق والتسوير بالذهب وما
يغني على عاقل ان اثنين اذا التقيا في محفل وعلى احدهما ثياب رثة وله علم وادب والاخر في ملابس فاخرة وبه
جهل وسفه فالاول اهيب في نفوسهم من الثاني والعين يضحك هذا التمويه على الضعفة وكان تشبيه هذا قول
مشركي قريش في حق النبي صلى الله عليه وسلم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ثم قول اللعين هلا
القي عليه ربه كذا وهلا ارسل معه الملايكة ليس اقرارا بالله وملايكته ورسله لكن بناه على قول موسى يعني
ان كان الامر كما قال موسى فهلا ضم اليه ملايكته وهلا اظهر عليه تشريفه وكرامته • وقوله تعالى فاستخف قومه
فاطاعوه اي عمل هذا التمويه في قومه فاطاعوه والتمويه والاستخفاف الحمل على الخفة اي حملهم بتمويهه على ان
خفوا لامره غير مستثقلين له • وقوله تعالى فاطاعوه اي في تكذيب موسى ومخالفته وجمع الجموع لمحاربته انهم كانوا
قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله تعالى متمردين عليه مجاهرين بمعاصيه • وقوله تعالى فلما اسفونا اي اغضبونا
انتقمنا منهم اي عاقبناهم فاغرقناهم اجمعين في البحر فجعلناهم سلفا متقدمين الى النار جمع سالف
كالخلف جمع خالف والخدم جمع خادم • وقرا حمزة والكسايي سلفا بضم السين واللام وهو جمع سليف وبمعناه هو
بمعناه • وقوله تعالى ومثلا للاخرين اي عبرة لان المثل يمتثل به ويثبت به تشابه الجزاين بتشابه الفعلين والمثل
الشبه • وقوله للاخرين اي في السلف والمثل جميعا اي سلفا للاخرين اذا ماتوا ومثلا لهم قبل ان يموتوا
وقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما نزل قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
قال المشركون ان النصارى يقولون ان عيسى اله يعبد مع الله فرد الله قولهم عليهم بهذه الايات ولما ضرب ابن
مريم مثلا اي ولما جعل عيسى بن مريم شبها لله تعالى اي قال النصارى انه ابن الله وثالث ثلاثة • وقوله
تعالى اذا قومك اي جعل قومك يا محمد وهم قريش منه يصدون اي من اجله عن التوحيد يعرضون وهذا على قراءة
ضم الصاد وهي قراءة نافع والكسايي ومن قرا يصدون بكسرها وهي قراءة الباقين فمعناه يضجون سرورا
منهم بوجود من يوافقهم في عبادة غير الله تعالى • وقال الكسايي هما لغتان في الاعراض كقولهم يعرش ويعرش
ويعكف ويعكف ويعتل ويعتل ويدر ويدر • وقوله تعالى وقالوا االهتنا خير اي الملايكة الذين نعبدهم ام هو
يعنون عيسى عليه السلام وهو استفهام بمعنى التقرير منهم اي الملايكة من اهل السما وعيسى ارضي فكان
عندهم الملايكة خيرا من البشر فاذا جازت عبادة من في الارض جازت عبادة من في السما ولما جاز لهم ان
يجعلوا الارضي ولدا لله تعالى جاز لنا ان نجعل اهل السما بنات لله تعالى • وقوله تعالى ما ضربوه
لك الا جدلا اي لم يضربوا لك هذا المثل الا اظهارا للغلبة في المجادلة دون طلب الحق بالمباحثة
وليسوا باهل الجدل في هذا وحده • وقوله تعالى بل هم قوم خصمون مجادلون في كل شي • وقوله تعالى ان
هو الا عبد انعمنا عليه اي ما عيسى الا عبد اكرمناه بالنبوة • وقوله تعالى وجعلناه مثلا لبني اسرايل اي
عبرة وانه يتمثل بها في الاسناد الاعلى قدرة الله تعالى • وقوله تعالى ولو نشا لجعلنا منكم ملايكة في الارض
يخلفون له وجوه • احدها ولو نشا لجعلنا من الانس ملايكة بان نخلقهم على صورة الانس وان كان هو
خلاف العادة كخلق عيسى من غير اب خلاف العادة في الارض يخلف بعضهم بعضا • والثاني لو نشا لقلبنا
بعضكم او جميعكم ملايكة يخلفونكم في الارض كما جعلنا هولاء الملايكة الذين تعبدونهم سكان السموات
فليس اسكانهم في السما يوجب لهم الهية • والثالث لو نشا لجعلنا منكم اي بدلكم ملايكة في الارض يخلفونكم
وقوله تعالى وانه لعلم للساعة قيل ان محمدا يعلم به قيام الساعة وقرئ علم بفتح العين واللام اي علامة
وقوله تعالى فلا تمترن بها اي لا تشكن في قيام الساعة • وقوله تعالى واتبعوني هذا صراط مستقيم يعني
الاسلام • وقوله تعالى ولا يصدنكم الشيطان اي عن الحق بايراد هذه الشبه انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة • وقوله تعالى ولما جاء عيسى بني اسرايل بالبينات • قيل اي بالمعجزات كما قال قد جيتكم بالحكمة اي
بوضع الامور مواضعها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه • قيل كانوا يختلفون في امور
الدنيا والدين فقال ابين لكم امور الدين وهي بعض تلك الامور • وقيل بعض الذي تختلفون فيه اي كل الذي
كان ليصيبكم بعض الذي يعدكم وهذا ترفيق في الكلام • وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي
وربكم فاعبدوه ووحدوه واطيعوه هذا صراط مستقيم هذا الذي كان يقول عيسى وهو الحق دون
ما تقول النصارى • وقوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم • قيل من زايدة ومعناه بينهم • وقيل اي من
جملة بني اسرايل وقد بينا ذلك في سورة مريم على الاستقصا • وقوله تعالى فويل للذين ظلموا اي وضعوا
الامر غير موضعه من عذاب يوم اليم اي اليم العذاب كقوله في يوم عاصف اي عاصف الريح وقد نزلت
هذه الايات حين قرا النبي صلى الله عليه وسلم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فعارضوه بامر
عيسى وقد بينا القصة في اخر سورة الانبيا ونزلت هذه الايات ايضا هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة اي فجاة • وقوله تعالى وهم لا يشعرون فيقضي بينهم فيما اختلفوا فيه • وقوله تعالى الاخلا يوميذ

بعضهم لبعض عدو اي اعداء يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وهم المتحزبون على الباطل • وقوله تعالى الا المتقين اي الا الذين تخالوا على تقوى الله واظهار دين الله • وقيل هل ينظرون الا الساعة وهي مشركي قريش ويتصل بقوله ما ضربوه لك الا جدلا اي الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الذين تخالون على مخالفة الرسول وبتمني بعضهم لبعض النبوة ويقول لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • وقوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون اي يقول الله تعالى هذا للمتقين الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين اي صدقوا بالقرآن وكانوا مستسلمين لله تعالى منقادين لله مسلمين انفسهم لحكمه ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون شملكم تحبرون اي تسرون • قيل هو بالسماع كما قال فهم في روضة يحبرون وهو الحال كقوله وينقلب الى اهله مسرورا ولو كان جوابا لجزم وحذفت النون ويجوز ان يكون الذين آمنوا بآياتنا ابتداء ويكون في قوله هذه الآية مضمر بقال لهم ادخلوا الجنة • وقوله تعالى انتم يصلح ضميرا ادخلوا وازواجكم عطفا عليه ويجوز ان يكون انتم وازواجكم ابتداء وتحبرون خبره • وقوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب اي قصاع جمع صحفة واكواب اي اباريق لا عرى لها واحدها كوب وفي الصحاف الاطعمة وفي الاكواب الاشربة وفيها ما تشتهي الانفس قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ما تشتهيه الانفس • والباقون ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين اي وفي الجنة وراء هذه الاطعمة والاشربة من اصناف النعم ما تشتهيها النفوس وتستلذه العيون لا فراط حسنه في المرأى وانتم فيها خالدون لا تموتون فيها ولا تخرجون منها • وقال القتيبي جمع في قوله ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عما ينتظمه هاتان اللفظتان • وقوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون هذا لكل اولياء الله تعالى ثم ذكر حال الاعداء • وقال ان المجرمين اي المشركين الذين اكتسبوا سخط الله تعالى في عذاب جهنم خالدون • وقوله تعالى لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه اي في العذاب مبلسون اي آيسون • وقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين انفسهم بايرادها موارد الخسار والهلاك ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي ولما ايسوا من فتور العذاب عنهم نادوا مالكا وهو خازن النار وقالوا ليمتنا ربك قال انكم ماكثون اي انكم في العذاب ابدا لا تموتون يجيبهم بهذا بعد الف سنة كذا قاله ابن عباس رضي الله عنهما • وقوله تعالى لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون • قيل هو من تمام قول مالك وقيل وهو الاوجه هو ابتداء خطاب من الله تعالى لمشركي العرب من قريش ومعناه لقد اوردنا عليكم الحجج واخبرناكم بما انتم صائرون اليه يوم القيامة ولكن اكثركم للحق كارهون مستثقلون للنظر والتأمل فيها هذا وصف اكثرهم والباقون مقلدون لهم • وقوله تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون اي ابرم هؤلاء الذين هم للحق كارهون امرا يقدرون به انهم يكيدون الحق فيبطلونه بالجدل فانا مبرمون امرنا في امرنا في ابطال كيدهم واظهار الحق ام ابرموا تدبيرا في ردهم ما نريد انزاله بهم من العذاب فانا مبرمون امرنا في انزاله بهم على وجه لا يمكنهم رده والابرام الاحكام وقيل ام ابرموا عطف على قوله اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ام هم ظالمون بهذا الا انهم ابرموا امرا في شركهم يحررون به من عذابنا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم سرهم هو ما اسروه في انفسهم من تدبيره ونجواهم هو ما تشاوروا فيه فيما بينهم مما يخفونه عن غيرهم بلى اي لا يسمع كما يتوهمون بل نسمع كل ذلك ونعلمه ورسلنا اي الحفظة لديهم يكتبون ما يكون منهم • وقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يتصل بقوله ولما ضرب ابن مريم مثلا • قال الكلبي معناه قل ان كان للرحمن ولد على زعمكم فانا اول الانفين من هذا الكلام ان يقال ان لله ولدا على زعمكم • وقال ابو عبيدة اي اول من يغضب من ذلك اي يجحده ويستنكره ويتبرأ منه • قال الفرزدق • اولئك اباي فجئني بمثلهم • واعبد ان اهجو كليبا بدارم • والفعل من باب علم • وقال القتيبي ان كان هذا من زعمكم ولم توحدوه فانا اول الموحدين وقال ان كان للرحمن ولد اي ما كان للرحمن ولد ان للنفي فانا اول الموحدين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون وظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم تابعهم على رأيهم فقال النضر بن الحارث لقد وافقنا محمد فيما نقول وفطن له عبد الله بن الزبعرى فقال انه يقول ما كان للرحمن ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي تنزيها لله تعالى من قول هؤلاء • وقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي فدعهم يا محمد وخوضهم في الباطل ولعبهم في الدين بالجدال بما لا حقيقة له واشتغالهم بالدنيا التي هي لعب حتى يجيئوا يوم القيامة فيلقوا ما يوعدون فيه • وقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي وهو المستحق للعبادة في السماء لا مستحق لها في السماء غيره ولا احد يستحق صفة الالهية سواه فلا ولد له في السماء ولا شريك وهو في الارض اله ولا ولد له في الارض ولا شريك وهو ابطال قول القائلين بان الملائكة في السماء بنات الله والمسيح في الارض ابنه وابطال قول عبدة الشمس والقمر والنجوم • وقوله تعالى وهو الحكيم في افعاله

العليم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون ان لو كان كيف كان يكون • وقوله تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون وهذا ظاهر • وقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون اي هؤلاء يعبدون الشياطين والجن ويقولون هؤلاء شفعاؤنا ولا شفاعة الا لمن شهد بالحق بكلمة التوحيد • وقوله تعالى وهم لا يعلمون اي يعتقدون ذلك عن علم ويشهد على الواحد العظيم ويقرون على الجمع لانه جنس اي الشفاعة تكون لمن اقر واعتقد عن علم ممن كان كافرا بالله تعالى • وقيل اي الملائكة الذين يعبدونهم هؤلاء يشفعون الا لمن شهد بالحق وعلمه اي للمؤمن باذن الله • وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اي لئن سألت هؤلاء المشركين من خلقهم لاقروا ان الله تعالى خلقهم لا الملائكة ولا الاصنام • وقوله تعالى فانى يؤفكون اي فكيف ومن اين تصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار • وقوله تعالى وقيله يا رب • قرأ حمزة وعاصم في رواية وقيله بالخفض عطفا على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيله • وقرأ الباقون وقيله بالنصب عطفا على قوله نسمع سرهم ونجواهم وقيل اضمار الفعل اي وقال الرسول قيله يا رب • وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون شكا الى الله تعالى تركهم الايمان فقال الله له فاصفح عنهم اي فاعرض عنهم من مؤاخذتهم بسوء افعالهم • وقوله تعالى وقل سلام اي سلامة لكم عن قتالي الى ان اومر به فسوف يعلمون عاقبة امرهم •

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله منزل الكتاب المبين • الرحمن مرسل الرسول الامين • الرحيم موصل المتقين الى الجنات والحور العين وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة غفر الله تعالى له • وسورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية • وقيل سبع وخمسون آية وهما الاختلاف في ان هؤلاء ليقولون ان شجرة الزقوم كالمهل تغلي في البطون • وكلماتها ثلاث مائة وست واربعون • وحروفها الف واربع مائة وتسعة وثلاثون • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة ان قوله فسوف يعلمون وعيد وانا منذرون ايضا وعيد وتهديد • فانتظام السورتين انهما في محاجة المشركين ووعيدهم • ومدح المؤمنين ومواعيدهم • وقوله تعالى حم والكتاب المبين مر تفسيره مرات انا انزلناه اي انزلنا هذا الكتاب في ليلة مباركة • قال قتادة وابن زيد وجماعة هي ليلة القدر والبركة كثرة الخير ونماؤه ودوامه وهي اعظم الليالي قدرا وخير من الف شهر نصا وفيها تنزل الخيرات والبركات وتضاعف اجور الطاعات وقضاء الحاجات • وقد قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وهي في شهر رمضان • قال الله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن • وروي ان القرآن انزل جملة الى السماء الدنيا في هذه الليلة ثم انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما بعد ذلك على حسب اتفاق الاسباب وقيل ابتدأ انزاله في هذه الليلة • وقيل هي ليلة النصف من شعبان وممن قال به عكرمة • وقوله انا كنا منذرين اي مخوفين بالكتاب والرسول الخلق بالعذاب ردعا عن الكفر والمعصية وشوقا الى الايمان والطاعة فيها يفرق اي في هذه الليلة يبين ويفصل ويفرق كل امر محكم في قسمة الآجال والارزاق والاحوال المتصرفة بالخلق وهو كقوله وقرآنا فرقناه اي بيناه وفصلناه والحكيم في معنى المحكم كالبديع بمعنى المبدع • وقيل الامر الحكيم اي الامر الصواب وهو من الحكمة • قال ابن عباس رضي الله عنهما يقضي الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان ويسلم الى اربابها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان • وقال الضحاك وعكرمة يرفع فيها امر السنة الماضية ويفصل للسنة المقبلة • وقال ابو العالية يقضي امر السنة في ليلة القدر من خلق ورزق وحياة وموت • وقال محمد بن كعب القرظي يكتب الحاج باسمائهم واسماء آبائهم لا يغادر منهم احد • وقوله تعالى امرا من عندنا اي نفرق بامرنا • وقوله تعالى انا كنا مرسلين • قيل اي الملائكة في تلك الليلة للسلام على المؤمنين ولايصال الكرامات الى المستحقين وقيل اي الانبياء الى اممهم في زمانهم • وقوله تعالى رحمة من ربك اي انما نرسلهم رحمة منا للخلق انه هو السميع العليم اي السامع اقوالهم العالم ضمائرهم واحوالهم • وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما صفة لقوله من ربك على قراءة الخفض وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وصفة لقوله السميع العليم على قراءة الرفع وهي قراءة الباقين ان كنتم موقنين اي توحدونه اذ كنتم موقنين بانه رب السموات والارض فان الايقان بذلك يوجب الايمان • وقوله لا اله الا هو يحيي ويميت اي يحييهم بعد ان كانوا امواتا ثم يميتهم ضد ما نقضى آجالهم واذا قدر على هذا قدر على احيائهم وبعثهم بعد موتهم • وقوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين اي المالك والمتصرف والمدبر الكل • وقوله تعالى بل هم في شك اي ليسوا بموقنين بل هم مقلدون شاكون يلعبون في دينهم يدينون بما لا دليل على صحته ولا يتأملون في عاقبته كالصبي يلعب فيفعل ما لا يدري كيف عاقبته ولعله يؤديه الى المكروه • وقوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون اي فانتظر يا محمد يوم تأتي السماء بدخان مبين • قال ابن مسعود رضي الله عنه والضحاك الدخان الظلمة التي تغشى ابصار المشركين من قريش لشدة الجوع حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعل سنين كسني يوسف اي انتظر بهم نزول هذا العذاب فانه كائن يغشى الناس اي يلبسهم ويعمهم هذا عذاب

اليم اي قريب منكم هذا العذاب الوجيع كما يقال الشتا اي قرب مجيه وقالوا ان يخبس الارض يثور منه في الهوا شبه الدخان
من الغبار المتكدر الذي يشوبه ظلمة والعرب تسمي سنة المجاعة غبرا وسموا السنة التي كانت فيها القحط في زمن عمر رضي الله
عنه عام الرمادة ومعني يوم تاتي اي زمان تاتي فانه يمتد ولا يقتصر علي يوم وهذا الاسم مستعمل في مطلق الوقت ● وقوله
تعالي ربنا اكشف عنا العذاب اي تقولون عند نزول العذاب ربنا اكشف عنا انا مومنون اي نومن ان كشفته
عنا ● وقيل اي نحن مصدقون في الحال انك القادر علي كشفه ولا يكشف مثله الا انت ● وقيل اضمار القول قبل قوله
هذا عذاب اليم اي المشركون يقولون ذلك ويصلونه بقولهم ربنا اكشف عنا العذاب اني لهم الذكرى اي من اين لهم
ان يتذكروا وكيف يتذكرون ولم يتذكروا بالرسول الذي جاءهم وهو قوله وقد جاءهم رسول مبين اي محمد ● وقوله
تعالي ثم تولوا عنه اي اعرضوا من تصديقه ومتابعته وقالوا معلم علمته الشياطين ما يقول انه قران منزل من الله
تعالي كما تعلم الكهنة ● وقيل يعلمه جبر ويسار وابو فكيهة كما قال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر مجنون لا عقل
له فاذا لم يتعظوا بالقران وبما كان من رسول الله تعالي من البيان والبرهان فكيف بالدخان ● وقوله تعالي
انا كاشفوا العذاب قليلا اي بعض هذا العذاب نمتحنهم بالشكر والوفا بالعهد ونكشفه مدة قليلة ● وقوله
تعالي انكم عائدون اي تعودون الى الكفر الذي كنتم فيه ● ثم قال يوم نبطش البطشة الكبري انا منتقمون وفيه
اختصار وتقديم وتاخير فاذا عدتم فانا منتقمون منكم يوم نبطش البطشة الكبري اي ناخذكم الاخذة العظمي
اي بعذاب هو اكبر من الاول ● وقوله تعالي ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون هكذا كما قال ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين تعالوا لموسي ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك فلما كشفنا عنهم
الرجز اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم فكذلك كان حال قريش وكان الانتقام منهم بعد
ذلك بالقتل يوم بدر وهو البطشة الكبري وعلي هذا اكثر المفسرين ● وقال الضحاك كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم بمكة فاصاب المشركين دخان عظيم ونال المومنون منه كالزكام والبطشة الكبري يوم بدر
وفي الاية قول اخر قال ابن عباس والحسن وجماعة وهو من اشراط الساعة فيكون في اخر الزمان كالدجال
والدابة وطلوع الشمس من مغربها والبطشة الكبري عذاب النار يوم القيامة ● وقال قتادة كما يحدث
ان مثل الارض يومئذ كمثل بيت اوقدت فيه نار رقضا ر اهلها كالشي الحنيذ اي المشوي ● وقال الضحاك يلحق
المومن كالزكام ويدخل في مسامع الكفار والمنافقين وفي جلودهم وان التوبة مقبولة ● وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص يجي الدخان فياخذ المومن كهيئة الزكام وينفخ في الكافر حتي ينفذ ● وقال الحسن الدخان لم يمض وانما
هو من اشراط الساعة والبطشة الكبري يوم القيامة ● وعن علي رضي الله عنه قال لم يمض الدخان وانه يكون بين
يوم القيامة يفرق به بين المومن والكافر وعلي هذا معني الايات فانتظر يا محمد وعدهم ولعبهم فان بين ايديهم
يوما ياتيهم فيه العذاب فيتوبون فلا تقبل توبتهم وذلك اذا اتي الدخان فيقولون ربنا اكشف عنا
العذاب انا مومنون ولا تقبل ايمانهم لانه حال باس ● وقوله تعالي واني لهم الذكري كما قال يومئذ يتذكر
الانسان واني له الذكري ● وقوله تعالي انا كاشفوا العذاب قليلا اي يزول هذا الدخان ويكشف
عنهم العذاب مدة ● وقوله تعالي انكم عائدون الي عذاب اكبر منه يوم نبطش البطشة الكبري يوم
القيامة واكثر اهل العلم علي هذا والاول قول ابن مسعود رضي الله عنه ● وقد روي الاعمش عن مسلم
عن مسروق قال كان رجل في المسجد يحدث فقال فيما يقول يوم تاتي السماء بدخان مبين اذا كان يوم القيامة
يكون دخان ياخذ باسماع الكافرين والمنافقين وابصارهم وياخذ المومنين منه كهيئة الزكام قال
فقمنا ودخلنا علي عبد الله بن مسعود وهو في بيته فاخبرناه وكان متكيا فجلس ثم قال ايها الناس من علم
علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم وساخبركم عن الدخان ان قريشا لما استعصت علي النبي صلي الله عليه
وسلم قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حتي كانوا ياكلون الجيف حتي ان احدهم كان
يري ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع وكان الرجل يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان
فدعوا بكشف ذلك عنهم ثم قال ان شئتم لو كان هذا يوم القيامة لما كشف عنهم وهو يوم البطشة الكبري ● وقوله تعالي
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي ابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم علي الله قد اصطفاه لرسالته ● وقوله تعالي ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا وارسلوا معي بني اسرائيل
فانهم عباد الله لا عبادكم فلا تستعبدوهم ولا تستخدموهم في الاعمال الخسيسة ● وقيل ادوا
خوا الي يا عباد الله نصبه علي النداء اني لكم رسول امين علي رسالته وان لا تعلوا علي الله
اي لا تترفعوا عن طاعة الله اني اتيكم بسلطان مبين اي بحجة بينة علي
ما ادعيه واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلوني بالحجارة قاله قتادة وكانوا اعتادوا ذلك فيمن
ارادوا اهلاكه ● وقال ابن عباس وابو صالح ان ترجمون وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي ان لم تصدقوني فلا
تقولوا وكونوا بمعزل مني ● وقوله تعالي فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون اي

المشركون معترفون علي الكرام بتوسلوا بني اسرائيل ● وقوله تعالي فاسر بعبادي ليلا اي فدعا بالنصرة والنجاة فاجاب دعاه
وقلنا له اذهب ببني اسرائيل الذين امنوا بك ليلا انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه فاجعلوا ذلك ليلا ليكون
اهول عليهم واشغل من الاستعداد وابطا اللحاق ● وقوله تعالي واترك البحر رهوا ● قال ابو عبيدة وقطرب اي ساكنا
وكان امر ان يضرب البحر بعصاه حتي انفلق طرقا طرقا وقام في الهوا فلما عبر خاف ان يدخله فرعون وقومه ويعبروا
كما عبر هو وبنو اسرائيل فقال الله تعالي له امض انت واتركه كذلك فانهم يدخلون لكن يغرقون ولا يعبرون وذلك
قوله انهم جند مغرقون والرهو الواسع المنفرج اي اتركه كذلك ● فقال الكسائي يقال جاءت الابل رهوا اي تتبع
بعضها بعضا تقول اتركه البحر يدخل فيه فرعون وقومه متتابعين ثم يغرقون والجند جمع بيننا ● فلذلك قال
مغرقون وتزد بلفظه فلذلك قال جند ما هنالك مهزوم ● وقوله تعالي كم تركوا من جنات وعيون اي فتعلو دخل
البحر فرعون وقومه فاغرقوا وتركوا بساتين كثيرة فيها اشجار مظلة وعيون نابعة بالمياه ● وقوله تعالي
وزروع ومقام كريم يعني محافل الاجتماعات للتدبر في الامور والتشاور فيها وهو كقوله اي الفريقين خير
مقاما ● وقوله تعالي ونعمة كانوا فيها فاكهين اي تنعم في عيش كانوا يتقلبون فيه لاعبين امنين كذلك اي ام
كذلك كان امرهم واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرائيل نقلناها اليهم بعدهم نقل الميراث ● فان قيل كيف كانت
اموالهم باقية حتي ورثوها وقد دعا موسي ربه تعالي ربنا اطمس علي اموالهم ● وقال الله تعالي قد اجيبت
دعوتكما قلنا يحتمل ان يكون طمسا علي ما سوي الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم يجري الارث في ذلك
وقوله تعالي فما بكت عليهم السماء والارض كان الكبير في العرب اذا مات قالوا بكت له السماء والارض يعنون
به ان المصيبة قد عمت الخلق فبكي له الكل اي لو جاز ان يوجد من السماء بكاء علي ميت لوجد منهما عليه واراد به
انهم لم يظهر بعدهم من اثار المصيبة بهم ما يظهر في مصايب ذوي الاقدار والاخطار اي ما بكا عليهم اهل السماء
واهل الارض فاضمر الاهل كما اضمر في قوله واسال القرية ● روي انس رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال في هذه الاية ما من مسلم الا وله بابان يصعد منه فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات المومن بكي
عليه باباه ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا مات المومن بكي عليه مصلاه وبابه الذي يصعد فيه عمله
في السماء فعلي هذا لم يكن للكافر في الارض موضع عبادة ولا في السماء مصعد طاعة فلم تبك عليه السماء والارض
وقوله تعالي وما كانوا منظرين اي ممهلين بعد حلول وقت هلاكهم ● وقوله تعالي ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين وهو استعباد فرعون وقومه اياهم واستعمالهم في الاعمال الخسيسة وذبح الابناء واسترقاق
البنات ● وقوله تعالي انه كان عاليا من المسرفين اي متغلبا قاهرا للعباد من المسرفين اي المجاوزين حدود
الله المفرطين في معاصيه ● وقوله تعالي ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل علي علم اي علي علمنا باستحقاقهم لذلك
وقيامهم بشكره علي العالمين اي علي عالمي زمانهم بان جعلنا فيهم الكتاب والنبوة والملك ● وقيل علي علم انا نتاهم
واحوجنا اليهم غيرهم وهذا الاختيار يجوز ان يكون خاصا لمن جعل الله فيه النبوة منهم ويكون كقوله الله
اعلم حيث يجعل رسالاته ويجوز ان يكون عاما لبني اسرائيل الذين كانوا مع موسي اختارهم بالانجاء واغراق الاعدا
لعلمه بان فيهم الانبيا واتباع الانبيا واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين اي اعطينا بني اسرائيل من العلامات
الدالة علي نعامي عليهم مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوي ● وقوله تعالي ما فيه بلا مبين
اي ما نعلم به انعامي عليهم ظاهرا ● وقوله تعالي ان هؤلاء ليقولون اي ان هؤلاء المشركين ان هي الا موتتنا الاولي
اي لا موت سوي موتتنا الواحدة التي يموت بها الناس وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعدها وذكر الاولي
ليس لاثبات الثانية منهم بل اراد وا نفي موتة اخري بعدها فاتوا باباينا الذين ماتوا احيا ان كنتم صادقين
ان بعد الموت حياة لنعرف ذلك بالمشاهدة وهذا امتحان منهم علي جهل فان الله قادر علي احيايهم بعد الموت
في الدنيا كما فعل ذلك بكثير من الماضين لكنه لا يفعله لغير الوقت الذي حكم باحيايهم فيه وقد قام الدلالة
علي قدرته علي ذلك بما اعترفوا به من قدرته علي الابتدا وهو اعجب من الاعادة ومعني قوله فاتوا باباينا
اي فادعوا ربكم يحييهم ● وروي ان ابا جهل لعنه الله عليه قال للنبي صلي الله عليه وسلم احيي لنا جدك قصي
بن كلاب فانه كان صادقا فنسال عنك وعن صدقك وعن ما تقول من البعث بعد الموت فنزلت الاية وقيل
هو قول الفرا فاتوا باباينا خاطبوا به النبي خاصة اي ادع الله تعالي يحييهم لنا ● وقوله تعالي اهم خير ام قوم
تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين استفهام بمعني النفي اي ليس قريش باقوي واكثر عددا من
قوم تبع والمتقدمين وقد اهلكناهم بجرمهم وهؤلاء مجرمون ايضا فنفعل بهم كذلك وتبع ملك اليمن ● قال
الكلبي هو ابو كرب قوم تبع لانهم قربت الي اهل مكة في الهلاك من غيرهم وسمي تبعا لكثرة اتباعه وتبع ايضا اسم الملك
خاص بالملوك ملك اليمن ككسري لفارس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة والخاقان للترك ● وقال ابو عبيدة
كل ملك اليمن يسمي تبعا لانه يتبع صاحبه وموضع تبع في الجاهلية كموضع الخليفة في الاسلام ● وقال قطرب
اهل اليمن يتبعون هذه الاية اذ جعل قوم تبع خيرا من قريش ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما تبع لعب كعب حرمون

وهامان واسمه اسعد بن ملكاكرب • وقال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا من حمير سار بالجنود حتى حير الحيرة ثم اتى
سمرقند فهدمها وكانت عايشة رضي الله عنها تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا اسلم فخا لقوة فانه الكم الله
تعالى • قال كعب ذم الله قومه ولم يذمه • وقال سعيد بن جبير ان تبعا كسا الكعبة سبعة اثواب وهو اول من
كساها • وذكر محمد بن اسحاق قصة عجيبة ونحن كتبنا تمام القصة في بعض نسخ تفسيرنا وفيها انه من الخمسة الذين
ملكوا الدنيا كلها وانه خرج الى مكة في مائة الف وثلاثة وثلاثين الفا من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر
الفا من الرجالة واجتمع عنده اربعة الاف من الحكما واتى يثرب وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس لها بنيان
وتفرق منهم اربعمائة حكيم في هذا المكان وقالوا انه مكان نبي اخر الزمان وانه يخرج عن قريب فلا نبرح منها
الى ان يخرج فنلقاه فبنى الملك لهم اربعمائة دار لسكناهم وزوجهم وهيا اسبابهم وكتب كتابا وختمه بالذهب
وامرهم ان يبلغوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج ذكر فيه انه امن به والتمس فيه شفاعته له يوم
القيامة وكان من ذلك اليوم الى ان خرج النبي الف سنة وبلغه كتابه الانصار وهم من نوافل اوليك فقال
عليه السلام مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات وكانت دار ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه التي نزلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطة اوليك • وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين اي عابثين لغير شيء ما خلقناهما الا بالحق قيل اي بامر هو حق • وقيل اي للحق • وقيل انه ما انصرف
في عبادة فهو حق • وقيل اي للامر والنهي والترهيب والترغيب • وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
لا ينتفعون بعلومهم • وقيل اي لا يتاملون فيعلموا • وقيل اكثرهم مقلدون بغير علم واقلهم عالمون معاندون
وقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين اي ان يوم القيامة وقت جمع كل هؤلاء للحساب والجزاء وهو
التمييز بين المحسن والمسيء بالثواب والعقاب ويوم تفصل القضاء بينهم ويوم الفصل والتفريق بين الوالد
والولد والزوج والاهل والمتالفين في الدنيا على اختلاف الصفات • وقوله تعالى يوم لا يغني
مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع قريب قريبا والمولى ابن العم والمولى الولي ولا هم ينصرون اي لا يمنعون
من عذاب الله تعالى الا من رحم الله اي الا المؤمنون الذين رحمهم الله فانهم يشفعون للمذنبين • وقيل
الا من رحمه الله فيشفع فيه والا بمعنى لكن على هذا القول • وقيل هذا استثناء منقطع عن الاول ومعناه لكن من
رحمه الله فانه لا يحتاج الى قريب ينفعه ولا الى ناصر يمنعه • وقوله تعالى انه هو العزيز الرحيم اي المنيع
الذي يغالب اذا انزل العذاب باعدايه الرحيم فلا يمنع رحمته من اوليايه • وقوله تعالى ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم اي الكافر المرتكب للماثم • وقيل نزلت في ابي جهل لعنه الله • وقيل في الوليد بن المغيرة كالمهل
هو ما يذاب بالنار كالفضة والرصاص ونحوهما وسمي به لانه يمهل في النار حتى يذوب • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو دردي الزيت • وفي رواية عنه قول ابن مسعود رضي الله عنه ما اذيب بالنار كالفضة
وقوله تعالى تغلي في البطون • قرا ابن كثير وابن عامر يغلي بالتذكير صرفا له الى المهل • وقرا الباقون بالتاء
التانيث ردا الى الشجرة كغلي الحميم اي الماء الحار الذي ينتهي حره الى ان الزقوم يغلي في البطون بطن الكافر
غليان الماء الحار بالنار • وقوله تعالى خذوه اي يقال للزبانية خذوه فاعتلوه • قيل سوقوه وادفعوه
وقال مقاتل ادفعوه على وجهه • قال القتيبي اي قودوه بالعنف • قرا ابن كثير ونافع وابن عامر بضم
التاء • وقرا الباقون بكسرها وهما لغتان والعتل زعزعة البدن بالجفا والغلظة للاهانة • وقيل هو
الدفع • وقيل هو الجر • وقوله تعالى الى سواء الجحيم اي وسطها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم
والحميم ياخذ جميع خارج بدنه والزقوم جميع باطنه ذق انك انت العزيز الكريم يقولون له ذق هذا
العذاب فما دفع العذاب عنك عزك في نفسك وكرمك على قومك • وقيل هو على القلب اي انك انت
الذليل المهان في الحقيقة وان كنت عزيزا كريما عند نفسك وهذا كقول قوم شعيب لشعيب انك لانت
الحليم الرشيد اي السفيه الغوي • وقيل معناه انك انت المتعزز المتكرم • وقيل نزلت هذا لابي جهل
لعنه الله وكان قال في الدنيا انا اعز اهل هذا الوادي واكرمهم • وقوله تعالى ان هذا ما كنتم به تمترون
وتجادلون تشكون فيه • وقيل اي تجادلون في دفعه • وقرا الكسائي ذق انك بفتح الالف اي بانك او لانك
ومعنى الكسر فانك • وقوله تعالى ان المتقين في مقام ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين اي ان
الذين اتقوا الشرك والمعاصي في مقام • قرا نافع وابن عامر في مقام بضم الميم اي موضع اقامة والباقون
بالفتح اي في مكان امين اي ذي امن يامنون فيه الخوف والحزن والافة والعلة والمكاره في جنات وعيون
ترجمة عن الاول اي بساتين نزهة وعيون جارية يلبسون من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما
غلظ منه ظاهره وبطانة لبسا وافراشا متقابلين اي متواجهين في المجالس كما قال على سرر متقابلين وهو
اتم للانس كذلك اي كذا يكون امرهم في الجنة وزوجناهم اي نقرنهم بحور جمع حورا وهي الشديدة سواد العين
والشديدة بياضها عين جمع عينا وهي الواسعة العين يدعون فيها اي يحكمون في الجنة بكل فاكهة امنين

اي حذرها امنين اي من انقطاعها • وقيل اي من ان ينالهم بالكلها اذى او مكروه • وقيل امنين من كل خوف • وقيل امنين من
عذاب اهل النار • وقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت اي في الجنة الا الموتة الاولى • قيل اي سوى الموتة التي
كانت في الدنيا عند انقضا اجالهم قاله الفرا • وقال هو كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الاية • وقيل اي
بعد الموتة الاولى في الدنيا • وقيل اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها ووقاهم عذاب الجحيم اي حفظهم عما فيه
اهل النار من العذاب • وقوله تعالى فضلا من ربك اي تفضلا عليهم من غير استحقاق لاحد فان العبد لا يستحق
على الله شيئا ذلك هو الفوز العظيم اي الظفر العظيم بكل محبوب والخلاص العظيم من كل مكروه • وقوله تعالى فانما
يسرناه بلسانك اي يسرناه على لسانك فتقراه من غير كتابة ولا نظر في مكتوب • وقيل انزلناه ميسرا بلسانك ولسان
قومك وهو العربية • وقوله تعالى لعلهم يتذكرون اي ليتذكروا ويتعظوا به ويفهموا معانيه ويسرناه لترجع الكناية
فيه الى الكتاب المذكور في اول السورة فارتقب انهم مرتقبون اي فانتظر ما وعدناك من النصر والظفر والعلو
في الدنيا والاخرة فانهم منتظرون ما اوعدناهم به من العذاب الاليم في الدنيا والاخرة اي صايرون الى ذلك
وان لم يعتقدوه فينتظروه • وقيل فارتقب ما يوتيك الله من الظفر والنصر فانهم يرتقبون بك دوائر الدهر قال
تعالى اخبارا عنهم نتربص به ريب المنون • وقيل فارتقب يوم الفصل فانك ستفصل فيه الى ما وعدتك من الفضل انهم
مرتقبون ذلك لانفسهم فيقولون لو ترنا الى الاخرة لكان لنا ذلك • قال الله تعالى اخبارا عن ذلك الكافر ولين رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى فسترى كيف يتحقق املك ويخيب مالهم • وقيل نزلت في مشركي مكة ومعناه فانتظر هلاكهم
يوم بدر فانهم منتظرون موتك • وقيل نسخت الاية باية القتال •

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله العزيز الحكيم • الرحمن الذي رزقنا الطيبات النعيم • الرحيم الذي بشرنا بالنعيم المقيم • وروي عن ابي
ابن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الجاثية سكن الله روعه وستر عورته
عند الحساب • وهي مكية واياتها سبع وثلاثون • وقيل ست وكلماتها اربعمائة وثمانون وثمانون • وحروفها
الفان واثنان وثلاثون • وانتظام افتتاح هذه باختتام تلك انهما في ذكر القران • وانتظام السورتين انهما
في ذكر اهل الكفر واهل الايمان • وقوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • من تفسيره وتنزيل مبتدا
ومن الله خبره العزيز المنيع بجلاله الحكيم المصيب في اقواله وافعاله ويجوز ان يكون تقديره تنزيل الكتاب
العزيز الحكيم من الله فيكونان صفتين للكتاب ومعنى العزيز مامر في قوله وانه لكتاب عزيز والحكيم هو
المحكم او الحاكم او ذو الحكمة • وقوله تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من
دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها
وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون • قرا حمزة والكسائي ايات بالكسر في الجميع على انها كلها عملت فيها ان
وقرا الباقون بالرفع في الثاني والثالث على انه خبر في قوله تعالى وما يبث اي وفيما يبث اي يفرق وينشر في الارض
وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار اي وفي اختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح وهو تقليبها شمالا
وجنوبا وصبا ودبورا ومعنى الايات ان من تدبر خلق السموات والارض في عظم خلقهما وما فيهما من العجايب
وتدبر خلق نفسه وخلق غيره في تعاقب الاحوال المتضادة عليه من حين ابتدايه في بطن امه الى انقضا له
منه الى بلوغه مبلغه وتدبر اختلاف الليل والنهار وتناوبهما في المقادير المتفقة في الازمنة وما اقترن
منهما من مصالح المعاش واسباب الحياة بهما وتدبر ما انزل الله من السماء من المطر الذي جعله سببا لارزاق
العباد • وقوله تعالى فاحيا به الارض بعد موتها بان اخرج منها اصناف النبات بعد ان كانت كالميتة الخالية
النبات فيها والحراك وتدبر تصريف الرياح في الجهات لالقاحها وما يوجد فيها من رحمة وعذاب علم
بعقله انها مربوبة مدبرة مسخرة مصرفة وان لها ربا مدبرا مسخرا مصرفا لا يشبهها متعاليا عن صفاتها وما
فيها من صفات الحدث وعلامات النقص والذل والفقر والحاجة الى من يغنيهما وانه لا يجوز ان يكون له شريك
في سلطانه او نظير في اوصافه يعارضه في الربوبية او ينازعه في الالهية وانه عز وجل لم يخلق اسباب
معايشهم من الاقوات التي اخرجها لهم من الارض بالامطار التي انزلها والرياح التي اجراها والشمس والقمر الذين
سخرهما للطلوع والغروب ولم يجعل فيما بث في الارض من الدواب مولما ضارا ومتلذا نافعا الا ليستحثهم في الارض
لضروب من الحكمة التي تفرد بها وليميزوا بين الملذ والمولم وليخافوا الوعد والوعيد وذلك لا يكون الا بالطاعة
والمعصية والحسان والاسايه على ما حكم به سبحانه من التمييز بين المحق والمبطل والمسيء والمحسن ولن يكون
هذا الا متعلقا بالامر والنهي وفي هذا وجوب مجي الانبياء وفي عدم تحقيق الوعد والوعيد في الدنيا في كثير
من الناس ما يقتضي دارا اخرى اذ الامر والنهي تحقيقا للوعد والوعيد فمتى تدبر العبد في ذلك ووفاه
حقه رقاه الى الدرجة التي صح له القول بالحق ووضح له بطلان الشرك وبالله المعونة وابان بما قال • وقوله

تعالى لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون ان هذه الآيات انما تدرك بهذه الثلاثة فالايمان هو التصديق
بالغيب الذي معناه راجع الى ما يقوم عليه ادلة العقول والايقان هو زوال الشك فيما يشهد له دليل العقل
والذين يعقلون هم الذين يستعملون عقولهم في تدبر ما يدعون اليه من الحق وفيه تنبيه ان الايمان لا يتم الا بالايقان
والايقان لا يحصل للعبد الا بتأمل دلائل العقل • وقوله تعالى تلك آيات الله اي هذه الآيات هي آيات الله نتلوها
عليك اي نوحيها اليك • وقيل اي يتلوها عليك جبريل بامرنا فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون • قرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر تؤمنون بتاء الخطاب والباقون بياء المغايبة • قال مقاتل اي ان لم تؤمنوا
بهذا القرآن فبأي كلام بعد توحيد الله تعالى وبعد القرآن تصدقون • وقوله تعالى ويل لكل افاك اثيم اي
وعيد بشدة عذاب لكل كذاب مرتكب للاثم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا اي يدوم على جهله و
منقطعا عن الانقياد لمن جاء بها بسبب امواله واتباعه • وقوله تعالى كأن لم يسمعها الى الآيات فبشره بعذاب
اليم اي فاخبره بان له عذابا وجيعا في الدنيا والآخرة • وقوله تعالى واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اي
واذا سمع من آيات القرآن شيئا تعلمه وحفظه سخر منه وصوره لك عند اتباعه بصورة الباطل وهو كفعل ابي
جهل لعنه الله حيث سمع الوعيد بالزقوم امر جارية فقدمت رطبا وزبدا وقال لاصحابه هذا الذي تعرفه الزقوم
ويخوفنا محمد به فكلوه وكما قال النضر بن الحارث حين سمع عليها تسعة عشر انا اكفيكم العشرة فاكفوني التسعة
وقوله تعالى اولئك لهم عذاب مهين بدأ بالواحد وختم بالجمع لانه قال لكل افاك اثيم وهي كلمة عموم وقال شيئا
اتخذها هزوا ولم يقل اتخذه لوجوه احدها ان ذلك الشيء آية • والثاني ان الهزء بشيء منه هزء بالجميع • والثالث
انه اذا كان وجد شيئا في شيء جعله وسيلة الى الهزء بكل الآيات ويقول اذا اثبت لكم بطلان هذا ثبت بطلان الكل
وقيل نزلت الآية في الحارث وكان يعارض آيات القرآن باحاديث ملوك الفرس • وقوله تعالى من ورائهم جهنم
اي امامهم والاسم للخلف والقدام جميعا لانه اسم لما وارى الشيء وهو يشملهما • وقوله تعالى ولا يغني عنهم ما كسبوا
شيئا اي ولا ينفعهم ما كسبوا في الدنيا من مال وولد ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي ولا ما عبدوه في
الدنيا من الاصنام وتولوها ورجوا نصرها من دون الله ولهم عذاب عظيم في جهنم • وقوله تعالى هذا
هدى اي هذا القرآن ارشاد لكم الى الحق والذين كفروا بآيات ربهم اي جحدوها لهم عذاب من رجز
اليم • قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص اليم بالرفع نعتا لقوله عذاب • وقرأ الباقون بخفضها نعتا
لقوله من رجز والرجز المكروه والمؤذي الشاق • وقوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه
بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون سخر اي ذلل والفلك السفينة وقد يكون جمعا • وقوله تعالى بامره
اي بتسخيره ومن فضله رزقه لعلكم تشكرون اي لتشكروا اي يلزمكم شكره • وقوله تعالى وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا من الشمس والقمر والنجوم والجبال والنبات والبهائم اي ذلك كله لمنافعكم
وقوله تعالى منه اي كل ذلك منه اي من عنده وبامره لا يقدر عليه غيره ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون اي
لعلامات دالة على قدرته لمن تدبر فيها • وحكي عن علي بن الحسين بن واقد المروزي انه حضر مجلس الرشيد
وكان نصراني يحتج بقول الله تعالى وروح منه ان عيسى ولد الله لان من دالة التبعيضية فالزمه علي بن
الحسين بن واقد بهذه الآية وقال اذا كان جميع ما في السموات وما في الارض ايضا من الله فهذه الكلمة مع قولهم
عيسى ولد الله والاذلال فانقطع • وقوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي
قوما بما كانوا يكسبون • قرأ حمزة والكسائي وابن عامر لنجزي بالنون • وقرأ الباقون بالياء اي ليجزي الله
اي قل يا محمد للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار الذين لا يخافون وقائع الله تعالى باعدائه • وقيل لا يأملون
نصر الله لاوليائه • وقيل اي لا يخافون عذاب الآخرة • وقيل لا يأملون ثوابها فلا يتعرضوا لهم ولا يجاهدوهم
ويكلوهم الى جزاء الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون وذلك قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه يعني فله نفعه
ومن اساء فعليها اي فعليه ضرره ثم الى ربكم ترجعون اي الى جزائه ونسخ هذه الآية الامر بالقتال وقال
ليجزي قوما ولم يقل القوم لاندارا [?] كل قوم من الفريقين • وقيل قد علم ان بعض هؤلاء يسلم فكان الوعيد
لقوم يبقوا منهم على الكفر وهم منكرون • وقيل اراد به ثواب من غفر لهم وذلك بعضهم • وقد قال بعض
المفسرين ان الآية في امر كان بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين المشركين • قال سعيد بن المسيب رحمه
الله كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع • وقال محمد بن كعب والسدي
نزلت الآية في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة وكانوا في اذى شديد من المشركين
قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقال في معنى
قوله لا يرجون ايام الله يعني لا يخافون العذاب الذي اتى له الله بقوم نوح وعاد وثمود ثم اذن الله في قتالهم
ونسخت الآية • وقوله تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب وهذا تسلية للنبي في تكذيب قومه اياه مع وفور
البيان وتمثيل لامره بما قد كان ويقول ولقد اعطينا بني اسرائيل التوراة والانجيل والكتاب اسم جنس فصلح لهما وكل

اي يسمع القرآن يقرأ عليه ثم

النضر

كتاب انزل على رسول اي اعطيناه ذلك انبياءهم المبعوثين منهم وذلك اعطاؤهم والحكم والنبوة اي واعطيناهم الحكم
على الناس والقضاء بينهم والنبوة لما جعلنا فيهم من الانبياء من حين يوسف الى عيسى ورزقناهم من الطيبات المن
والسلوى في التيه والاقوات والاطعمة والثمار التي كانت في بلاد الشام وفضلناهم على العالمين اي عالمي زمانهم
اذ كانوا حكاما وملوكا عليهم والرجوع اليهم في علم الاديان وآتيناهم بينات من الامر اي شرائع واضحات من امر
الدين وايضا حججا للاسخة مما هو من امرنا الذي لا يقدر عليه غيرنا وهي معجزات موسى وعيسى فما اختلفوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي فلم يختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم البيان التام ولكنهم تباغوا بينهم اي طلب
بعضهم الفضل على بعض والرياسة وان يكون كل عالم الرئيس المتبوع حسدا واتباعا للهوى فصاروا الى التعادي
والتحارب وقتل الانبياء وكذا المشركون من قومك يا محمد ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
في الفصل بين المحق والمبطل فيفضح المبطلين ويكرم المحقين ثم جعلناك على شريعة من الامر اي على منهاج واضح
من امر الدين بعد بني اسرائيل فاتبعها اي هذه الشريعة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي المشركين واهل
الكتاب انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لا ينفعوك ولا يدفعوا عذاب الله عنك وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض يتوالون على معاداتك ويتعاونون على الباطل والله ولي المتقين اي محب من اتقى الشرك والمعاصي
وناصره ومتولي كفايته وصوات ومن اتبعك • قال ابن عباس رضي الله عنهما ان كفار قريش قالوا للنبي ان
يرجع الى دين ابائه فنزلت هذه الآية • وقوله تعالى هذا بصائر للناس اي هذا القرآن دلائل للناس في امور
دينهم يبصرون بها مواضع رشدهم • وقوله تعالى وهدى اي رشد وطريق مؤد الى رضا الله لمن سلكه ورحمة
اي نعمة من الله عليهم لقوم يوقنون للسامعين الذين ينفون الشكوك وتسويل الشيطان عن انفسهم •
وقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل ام كلمة بمعنى الف الاستفهام اي اظن الذين اكتسبوا المعاصي
وارتكبوا المآثم واشركوا بالله وكذبوا الانبياء وجحدوا آيات الله ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي الحسنات والطاعات سواء محياهم ومماتهم • قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص سواء بالنصب لوقوع
الجعل عليه محياهم ومماتهم رفع بالفعل المدلول في قوله سواء لان تقديره مستويا ونظيره رأيت رجلا حسنا
وجهه • وقرأ الباقون سواء بالرفع على الابتداء محياهم ومماتهم خبره اي نجعلهم يستوي محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون بئس الحكم هذا الحكم منهم وهذا استفهام بمعنى النفي كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
وقيل هو في رد من قال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • ومن قال لاوتين مالا وولدا الآيات ونظائرها
والتفرقة بينهم في المحيا والممات ان هؤلاء لهم النصر وهؤلاء لهم القهر وهؤلاء في الآخرة لهم الثواب وهؤلاء
لهم العقاب وعند الموت هؤلاء تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم • وهؤلاء تتوفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم الآية • وقيل في اول هذه الآية ان ام للعطف على الف الاستفهام وتقديره اهاهنا [?] الله
ولي المتقين فيعلم المشركون هذا ام يحسبون انا نتولاهم كما نتولى المتقين فنسوي بين الفريقين في المحيى
والممات فنؤتي المسيء في الآخرة من نعيمها كما نؤتيه في الدنيا من نعيمها ولن نفعل ذلك بل نخص المحسن بنعيم
الآخرة وان عممنا الفريقين بنعيم الدنيا وهو كقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة • وقوله تعالى وخلق الله السموات
والارض بالحق اي بالامر الحق وله وجوه اخر مر ذكرها مرات ولتجزى كل نفس بما كسبت اي من خير وشر
وهم لا يظلمون ثم ايس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمان من علم منهم انهم لا يؤمنون فقال افرأيت من
اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
افلا تذكرون يقول افرأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا اهواءهم الهة يعبدونها ويطيعون امرها
ولا يتبعون كتاب الله فاضلهم الله وخذلهم على علم اي قد علم انهم يختارون الضلالة وطبع على قلبه
فلا يعتقد حقا وختم على سمعه فلا يقبل وعظا وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر عبرة فمن يهديه استفهام
بمعنى النفي من بعد الله • قيل من بعد اضلال الله • وقيل من بعد الله اي سوى الله افلا تذكرون فتعقلوا
ذلك • وروى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد اله تحت ظل السماء ابغض
الى الله من هوى • وقيل في قوله افرأيت من اتخذ الهه هواه كانوا في الجاهلية يعبدون ما يستحسنونه فاذا
استحسنوا غيره تركوا الاول وعبدوا الثاني فانما كان يعبد ما يهواه وعلى هذا يكون الهوى مصدرا بمعنى
المفعول اي الهه مهويه كقولك فلان رجائي اي مرجوي وهذا شهوتي اي مشتهاي • وقال الكلبي نزل
قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وفي عتبة وشيبة
والوليد بن عتبة لعنهم الله وهم الذين اجترحوا السيئات قالوا للمؤمنين ما انتم على شيء وان كان ما تقولون
حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا فنزلت الآية • وقيل ان ابا جهل لعنه الله قال لئن
كان ما يقول ابن ابي كبشة حقا لاوتين في الآخرة مالا وولدا فافتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله ما اغنى عنه

ماله وما كسب يعني ولده • وقال السدي كان بنو عبد شمس قالوا لبني هاشم وبني عبد المطلب ان كان الامر كما تقولون
فانا لا نحط عنكم في الآخرة عند الدرجات فانزل الله هذه الآيات • وقوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
اي قالوا باصوابهم التي عبدوها واطاعوها ليس ما تقوله المؤمنون من الاحيا بعد الموت حقا وما الحياة الا حياتنا الدنيا
حياتنا القربى اي هذه التي نحن عليها نموت ونحيى اي يموت بعضنا ويحيى بعضنا ثم يموت اوليك ويحيى آخرون
على ما هو موجود في المشاهدة لا نتعين الامر عن ذلك ولا نتعدى الدنيا ولا نعني فلا يحيى من مات وما يهلكنا الا
الدهر اي وما يهلك الناس الا طول العمر وكر الدهر فذلك هو الذي يفنينا دون من تذكرونه من الله الذي
يحيى ويميت وهذا جحود للصانع واهل الجاهلية كانوا اصنافا فمنهم هؤلاء ومنهم من يثبت الصانع وينكر البعث
والثواب والعقاب ومنهم من يشك في البعث ولا يقول بالانكار قطعا وقيل نموت ونحيى اي نموت بانفسنا ونحيى
باخلافنا واثارنا وتاخير ذكر الحياة عن ذكر الممات لهذا انه الحياة معنى بعد الموت حقيقة لبقاء الذكر يقولون
لا حياة بعد الموت الا هذا • وقيل اراد ونحيى ونموت اذا انتهت اعمارنا فالواو للجمع لا للترتيب • وقيل
القايلون بهذا كانوا قايلين بالتناسخ واراد وا يموت الرجل منا فيجعل روحه في موات فيحيى • وقوله تعالى وما لهم
بذلك من علم ان هم الا يظنون اي هو قول يقولونه باهوايهم ظنا لا علما • وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات اي واذا تقرا على هؤلاء آيات القرآن التي فيها ذكر البعث واقامة الحجة عليهم • وقوله تعالى ما كان
حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اي انه لم يكن لهم حجة في دفعها الا قولهم عجلوا لنا هذا البعث
وابعثوا الساعة الان وهذا تحكم وجهل لما مر في سورة الدخان • وقوله تعالى قل الله يحييكم اي في الدنيا
ثم يميتكم عند انتهاها يعني اعماركم • وقوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه اي لا شك فيه • وقوله
تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتاملون في الدلايل فيعلموا • وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض
فلا يعجزه شيء من البعث وغيره • وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يوميذ يخسر المبطلون اي يهلك • وقيل
يظهر له ضياع سعيه في عباده غير الله ويظهر لنا انا لم نثوبهم محياهم ومماتهم وترى يا محمد كل امة يا امم
جاثية • قيل مجتمعة كل امة لا تختلط بامة اخرى والجثوة الشيء المجتمع وعلى هذا قيل في قوله حول جهنم جثيا
اي مجتمعين • وقيل جاثية على الركب للحساب والسؤال كما يكون للخصوم في الدنيا كل امة تدعى الى كتابها
قيل اي الى الكتاب المنزل على نبيها هل عمل بما فيه او خالفه والاظهر الى كتاب عمله الذي كتبته الحفظة كما قال
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • وقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ويظهر مكتوبا
في كتابكم • وقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق اي هذا الكتاب الذي كتب عليكم بامرنا يبين ما عملتم
والنطق مجاز كما قال ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واضاف الكتاب الى العبد في قوله
اقرا كتابك لانه عمله واضافه الى نفسه في قوله هذا كتابنا لانه بامره • انا كنا نستنسخ اي نامر الحفظة
بالنسخ والسين للاستفعال قد تكون للطلب والسؤال • وقيل اي ينسخ وهو كقولهم عجل واستعجل ونكر
واستنكر اي ننسخ ملايكتنا بامرنا وفعل المامور يضاف الى الامر • وقوله تعالى ما كنتم تعملون ونسخ ذلك
كتابته واثباته واصله وان كان للنقل من اصل ولكن قد تستعمل للابتداء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال الستم قوما عربا هل يكون النسخ الا من كتاب وهو يحمل على هذا النسخ من اللوح المحفوظ • وفي الخبر
ان الملايكة كانوا يكتبون عليكم اذا كتبوا اعمال العباد وصعدوا بها الى السما امروا ان يعرضوها باللوح
المحفوظ فيوجد كذلك تقول ان الملايكة كانوا يكتبون عليكم بامرنا من كتاب عندنا كتب قبل خلقكم وقبل عملكم
فلن يخفى علينا شيء منها ولا يجري على الحفظة فيها خطا وعلى هذا قوله هذا كتابنا هذا اشارة الى اللوح
المحفوظ • وقيل من قوله اليوم تجزون الى ها هنا خطاب الملايكة يوميذ للعباد وكم مضمر يقول لهم الملايكة
اليوم تجزون وهذا كتابنا انا كنا نستنسخ • وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته • قيل اي في جنته سماها رحمة لانها تنال برحمته فاعدت لاهل رحمته ذلك هو الفوز المبين
اي الفلاح الظاهر • وقوله تعالى واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم افلم تكن آياتي
تتلى عليكم فاستكبرتم اي تعظمتم عن قبولها والانقياد لمن اتى بها وكنتم قوما مجرمين اي مكتسبين
الآثام • وقيل اي مشركين • وقد ذكر فمقابلة المسلمين في القرآن فدل على هذا قال افنجعل المسلمين كالمجرمين
واذا قيل ان وعد الله حق اي وكنتم اذا قيل لكم ان وعد الله حق اي بالبعث والجزا بالثواب والعقاب
والساعة لا ريب فيها اي القيامة لا شك فيها • قرا حمزة والساعة نصبا عطفا على قوله وعد الله • وقرا
الباقون رفعا على الابتدا قلتم ما ندري ما الساعة اي قلتم ما ندري ما الساعة اي لا نعلم ما القيامة ان نظن الا ظنا
اي ما نظن ذلك الا ظنا وما نحن بمستيقنين ذلك وبدا لهم سيات ما عملوا اي ظهر لهم عند الوقوع في العذاب
ان ما عملوه من الشرك والمعاصي كانت سيات وحاق بهم اي نزل بهم • وقيل احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن
اي العذاب الذي كانوا يوعدون به فلا يصدقونه ويستهزؤن به بقايله ويقولون متى هذا الوعد ويقول

الوعد وبهم ويقولون متى هو • وقيل اليوم ننساكم اي تقول لهم الملايكة بامرنا اليوم نتركم في النار ترك الشيء المنسي
كما نسيتم لقا يومكم هذا اي تركتم ذكره والاستعداد له وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي مانعين عنكم العذاب
ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا اي هذا العذاب بانكم في الدنيا جعلتم ما يتلى عليكم من آيات كتاب الله محل
الهزو الذي لا ينبغي الا الاقبال عليه والا التفكر فيه وغرتكم الحياة الدنيا اي اغترتم بها فاليوم لا يخرجون منها
ليس متضادا بالكلام الاول الذي كان من خطاب الملايكة لهم بل هو ابتدا اخبار من الله انهم لا يخرجون من
النار ابدا ولا هم يستعتبون اي يسترضون يعني لا يطالبون بارضا الله تعالى بالتوبة عن الشرك والمعاصي
والعمل بالايمان والطاعة اذ هم في دار الجزا الذي لا تقبل فيها توبة ولا يقال فيها عثرة • فلله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين ختم السورة بما علم عباده من الثنا الذي يخرج قايلها ومعتقدها من الشرك الذي
ذم به اهله في هذه السورة واوعدوا عليه بالنار وهو ايضا اخبار ان المستحق للثنا والمدح والشكر على
النعم هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما وهو حافظهما والقايم بتدبيرهما وهو
مدبر العالمين من الجن والانس والملايكة وكل الحيوانات ومالكها وحافظها وناصرها ومصرفها على
ما اراد وله الكبريا في السموات والارض اي العظمة والجلال والقدرة والكمال وهو العزيز المنيع
بسلطانه وجلاله الحكيم في اقواله وافعاله

سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق • الرحمن الذي جعل المسلمين التايبين من اصحاب
الجنة وعدا الصدق • الرحيم الذي لا يهلك الا اهل الفسق • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الاحقاف كتب الله له بكل رمل في الدنيا عشر حسنات • وهذه السورة مكية
الا قوله والذي قال لوالديه الآيتين فانهما نزلتا بالمدينة • وآياتها خمس وثلاثون • وقيل ست • وكلماتها
ست مائة وثلاث واربعون • وحروفها الفان وستة عشر • وانتظام اختتام السورة باول هذه السورة
انهما جميعا في ذكر اسم الله تعالى • وانتظام السورتين انهما جميعا في ذكر الكفر والايمان والطاعة والعصيان
والعقوبة والغفران • وقوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم مر تفسيره • وقوله تعالى ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى اي مقرونا بالحق وهو التكليف بالامر والنهي ثم يجزي يوم
القيامة بالثواب والعقاب ومقرونا باجل مسمى وهو ما بينا • وقوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون
اي وكفار مكة عما خوفوا به معرضون لا يتفكرون فيه ولا يؤمنون به • وقوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من
دون الله اي ما تعبدون من الاصنام • قال القتيبي ما ها هنا للجمع بمعنى الذين بدليل ما بعده اروني ماذا
خلقوا من الارض اي اخبروني اي شيء خلقوا مما في الارض اذ كانوا آلهة كالذي خلق الله تعالى ام لهم شرك في
السموات اي الهم نصيب يدعونه في السموات اي في خلق السموات • وقوله تعالى ايتوني بكتاب من قبل هذا
اي قبل القرآن او اثارة من علم اي رواية ترونها من العلما والانبيا ان كنتم صادقين ان الله امركم بعبادة
الاوثان • قال عكرمة ومقاتل او اثارة اي رواية من الانبيا وقد اثر الحديث يا ثره فهو ماثور • وقال
ابو بكر بن عياش او اثارة اي بقية علم واثر الشيء بقيته • وقيل او اثارة ما كانت العرب تفعله من
الثاثر من العيافة والزجر والخط والطرق مما كانوا يا ثرونه من اسلافهم ويدعون وقوع العلم لهم وان لم يكن لها
حقيقة تقول باي حجة تشركون بالله الذي تقرون انه خالقكم ورازقكم ثم لا يجوز ان يشرك به في العبادة الا من
شاركه في السبب الذي يستحق به العبادة فهل خلقت الاصنام شيا من الارض ام لهم شرك في ملك السموات
ولن تستطيعوا ان تدعوا هذا الا من اي وجه استحقت اشراكها بالله تعالى ثم انه ادعوا الالهيتهم شركا في الخلق
فليثبتوا ذلك بخبر اذ لا مشاهدة ولا كتاب او طريق آخر يعلم به واذا عدم هذا كله فاعلموا انكم كاذبون
اذ الصدق لا يثبت الا ببرهان • وقوله تعالى ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة
وهم عن دعايهم غافلون استفهام بمعنى النفي اي لا اضل ممن يعبد من دون الله ويدعوا جمادا لو دعاه
الى يوم القيامة لم يستجب له دعاه ولا يكون عنده معونة وهم اي المعبودون عن دعايهم اي دعا العابدين
غافلون لانهم لا يعلمون ما فيه هؤلا المشركون والملايكة مشغولون بالعبادة لا يحضر بالهم غيرها لك والجن
والشياطين لا علم لهم بما غاب عنهم • وقوله تعالى واذا حشر الناس اي بعثوا يوم القيامة وجمعوا كانوا لهم
اعدا اي كانت عبدة الاصنام للاصنام اعدا لما ظهر لهم من العقوبة بسبب عبادتها وان كان هذا في عبدة
الملايكة فمعناه كانت الملايكة لهم اي للعابدين اعدا يقولون سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وكانوا
بعبادتهم كافرين اي منكرين ان يكونوا امروهم بها او رضوا بها وكذلك الجن والشياطين اذا اجتمعوا في
النار يكفر بعضهم ببعض في النار ويلعن بعضهم بعضا • وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي آيات

القران واصحاف المعاني ظاهرات الاعجاز • وقوله تعالى قالوا هذا سحر مبين وهو تلبيس منهم على الضعفة وتنفير لهم عن السماع
والقبول • وقوله تعالى ام يقولون افتراه اي ايقولون اختلقه محمد من عند نفسه • وقوله تعالى قل ان افتريته وذلك
معصية والله قادر على ان يعاقبني عليها • وقوله تعالى فلا تملكون لي من الله شيئا اي فلا تقدرون انتم على دفع عذاب
الله عني هو اعلم بما تفيضون فيه اي بالكلام الذي تخوضون فيه من هذا الوجه كفى به شهيدا بيني وبينكم اي
شاهدا بانه ارسلني اليكم وامرني بتبليغ وحيه اليكم وهو الغفور لمن تاب الرحيم الحليم فلا يعاجل بالعقاب • وقوله
تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل اي بديعا اي لست باول رسول فقد ارسل الله تعالى قبلي رسلا الى اممهم وقد كان
في الانبياء من سلم من المحن ومنهم من يمتحن بالهجرة عن الوطن ومنهم من يبتلى بانواع الفتن والامم منهم من اهلك
بالخسف ومنهم من كان هلاكه بالقذف وكذا بالمسخ والرجف والريح والصيحة والغرق وغير ذلك وما ادري ما يفعل
بي ولا بكم من هذه الوجوه ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اتبع وما انا الا نذير مبين مخوف ظاهر وهذا كان في امر
الدنيا ثم اليه ما يكون عاقبة امره وامرهم فامره بالهجرة ووعده العصمة من الناس وحثه على الجهاد واخبره
انه يظهر دينه على الدين كله ويسلطه على عدوه ويستاصلهم بسيفه • وقال ابن عباس ومقاتل وما ادري ما يفعل
بي ولا بكم اي في الدنيا • وقال الحسن في المعاد • وقال انس رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية فرح المشركون فرحا
شديدا وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل فانزل الله ليغفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر • وقال قتادة قد بين له ما يفعل به بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وقال السدي لما نزلت هذه الاية اغتم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فلما نزلت ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر • قالت الصحابة طوبى لك يا رسول الله قد بين الله ما يفعل بك وامرنا على خطر فانزل الله تعالى
ما فرح به قلوبهم فقال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الاية • وقال الضحاك وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ما
تومرون به وما لا تنهون عنه • قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد البلاء
باصحابه من المشركين راى رؤيا فاخبر بها اصحابه فقال رايت ارضا اخرج اليها من مكة ذات نخل لو كانت بارض
شنوءة لقلت انها هي فقالت الصحابة فمتى يكون ذلك ومتى نخرج من هذه الشدة فانزل الله هذه الاية قل ما كنت
بدعا من الرسل يعني انهم تخرجوا من البلد والنفي ما شاء الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في المستقبل اتحقق
رؤياي ام لا • وقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله اي قل لهؤلاء المشركين ارايتم ان كان هذا القران الذي
جئتكم به كلاما لله تعالى جاء من عنده ثم كفرتم به انتم وقلتم ليس هو من عند الله وقلتم هو سحر مبين وشهد شاهد
من بني اسرائيل اي نبي من الانبياء بني اسرائيل وهو موسى عليه السلام على مثله اي على مثل ما قلته لكم انه من عند الله
فامن به هذا النبي من محله واستكبرتم الم انتم وجوابه محذوف هاهنا • قال الزجاج هو اتؤمنون • وقيل الستم
تهلكون • وقيل الا تكونون ظالمين يدل عليه ما بعده ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي ما داموا على ظلمهم
واحمل على موسى عن مسروق والشعبي • وقال السورة مكية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة
والحسن والضحاك وعوف بن مالك الاشجعي وابن زيد وعامة المفسرين هو عبد الله بن سلام وشهد ابن سلام
على مثل شهادة بنيامين • وقال السدي كان عبد الله بن سلام غائبا بالشام فقدم من غيبته ليلا فاتى النبي
وتحقق عنده انه نبي ثم قال له اذا كان الغد فاخبأني في بيت وادع رؤسا اليهود وسلهم عني فانهم يثنون
علي ويحسنون في القول ثم قل لهم اذا امن بي عبد الله اتؤمنون فكانهم يقولون ان امرنا عبد الله بالخروج عن
اهالينا واولادنا خرجنا ثم اخرج انا فاشهد بشهادة الحق لعل الله يرزقهم الايمان فلما كان من الغد اختبا في بيت
وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالهم عنه فاحسنوا فيه القول ثم خرج عبد الله وشهد بشهادة الحق
وقال لهم يا معشر اليهود تعلمون ان موسى عليه السلام بشرنا بهذا الرسول وقال لابائنا ان ادركتموه فاقروا عليه
سلامي وقولوا له طوبى لك وطوبى لامتك فتحيرت اليهود وقالت لعبد الله كنا نعدك لمثل هذا اليوم لتنصرنا
وتنصر دين الله فاذا تخذلنا وتعصبنا وما نريد ذلك الا لحرفك وصيتك وعلى القول الاول لعناه ان المشركين
كانوا يرجعون الى علماء بني اسرائيل في كثير من الامور ويعتمدون على قولهم ولو سالوهم اخبروهم ان في كتابهم ذلك
وان موسى شهد بذلك واخبر قومه بذلك • وقوله تعالى وقال الذين كفروا اي المشركون للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه اي لو كان هذا القران الكتاب خيرا ما عني فيه من الذين بعبادة الاوثان ما سبقنا
اليه هؤلاء اذ هم سفلتنا • وقوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم اي فاذ لم يتدبروا
الرؤسا هذا القران استثقالا منهم للنظر واستكبارا عن الانقياد للمرؤسين عندهم كابروا فقالوا هذا افك
قديم اي كذب متقادم وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى اي قبل القران كتاب موسى وهو
التوراة وهو مصدق له ومبشر به وبمحمد الذي يجيء به فكيف يكون افكا اماما اي قدوة نصب لانه نكرة نعت به
معرفة فكان قطعا ورحمة لمن اتبعه واهتدى به وهذا كتاب مصدق اي القران مصدق لكتاب موسى لما امرنا
اي هو بلسان عربي لا يشكل على هؤلاء لينذر الذين ظلموا • قرا ابن كثير في رواية لتنذر بتا الخطاب للنبي • وقرا

الباقون بيا المثناة اي القران الذين ظلموا اي اشركوا وعصوا وبشرى للمحسنين المؤمنين المطيعين ويجوز في وبشرى الرفع
عطفا على مصدق ويجوز النصب عطفا على لتنذر وتقريره انذارا وتبشيرا وهو كقولك جيتك للزور واكراما لك •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ناسا من مكة قالوا نحن اعز واكرم من غيرنا ولو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه
خباب وصهيب وبلال وعمار ونحوهم من الفقراء • وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وقال الذين كفروا يعني
اسدا وغطفان وحنظلة للذين امنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاة الغنم •
ورذالة الناس • قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به كما اهتدت به جهينة ومزينة فسيقولون هذا افك قديم اي
كذب قديم العهد به ومثله في سالف الدهور • وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا مر تفسيره في حم
السجدة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون وهم خلاف
الطبقة الاولى • وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا قرا عاصم وحمزة والكسائي احسانا • وقرا
الباقون حسنا عرف الله بهذه الاية والتي بعدها ان التمرد والعتو والاصرار على الشرك دين الاشقيا الى [illegible]
وقبول الدعوة الى الايمان من الابوين واذا كان كذلك فيا لوالدين والولد يبعد في النبي وقومه يقول امرنا
الانسان في حق والديه بالاحسان ثم بين السبب فقال حملته امه كرها ووضعته كرها • قرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو بفتح الكاف • والباقون بالضم وكلاهما لغة ومعناهما المشقة وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اي
مدة حمله ومدة فطامه ثلاثون شهرا • وقد قال في اية اخرى وفصاله في عامين فبقي للحمل ستة اشهر وهي ادنى
مدة يتصورونها وضع الولد هذا بيان لمشقة الام والاب يلحقه مشقة النفقة والقيام باسبابها التي
لا يمكنها ذلك ومعاونتها على التربية • وروي ان امراة ولدت لستة اشهر فرفع ذلك لعمر رضي الله عنه فهم برجمها
فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فقال لا رجم عليها فبلغ عمر رضي الله عنه قول علي فارسل اليه فسأله عن ذلك
فقال قال الله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
فستة اشهر وحولين ثلاثون شهرا • قال فخلى سبيلها • وروي ان رجلا تزوج امراة فولدت لستة اشهر
فجيء بها الى عثمان رضي الله عنه فتشاور في رجمها فقال ابن عباس ان خاصمتكم بكتاب الله تعالى خصمتكم
قالوا كيف قال ان الله تعالى قال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا • وقال والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين فحملها ستة اشهر وفصاله حولين فتركها • وقوله تعالى حتى اذا بلغ اشده اي حتى اذا بلغ الولد اشده
كمال قوته وهو حال البلوغ • وقال الحسن اي قيام الحجة عليه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي ثلاثا وثلاثين
سنة وبلغ اربعين سنة يقول اختلفت الاولاد فمنهم من اسلم ابواه ودعواه الى الاسلام فاسلم وكان بينهما
الى ان بلغ اشده شبابه وبلغ اربعين سنة كهولته • قال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي وهي الاسلام وان اعمل صالحا ترضاه اي والهمني ان اعمل صالحا ترضاه وهو الهمني ان اعمل ايضا
في المستانف من الاعمال الصالحة ما ترضى به واصلح لي اي امور في ذريتي اي اولادي حتى ينشاوا في الصلاح
اني تبت اليك من كل ذنب اذنبته واني من المسلمين المنقادين لدينك وامرك ونهيك • وقوله تعالى اولئك
الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بالنون فيهما
والباقون بالياء على ما لم يسم فاعله واحسن رفع لانه اسم ما لم يسم فاعله اي يتقبل عن هؤلاء البررة حسناتهم
ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة اي كائنين في اصحاب الجنة وعد الصدق اي وعدناهم بذلك وعدا
صدقا وهو اضافة الشيء الى نعته الذي كانوا يوعدون ودلت صيغة الجمع في اخره ان الاية في كل الاولاد البررة
والذي قال لوالديه اف لكما وهذا في حق الاولاد العاقين الاشرار اف اي قذرا لكما اتعدانني ان اخرج اي من قبري
بعد ان مت رميما وتدعوانني الى الايمان به وقد خلت القرون من قبلي اي تتابعوا فلم يرجع احد منهم الى الدنيا
وهما يستغيثان الله ويلك امن اي والوالدان يسالان الله لهذا الولد التوفيق للهدى ويقولان لهذا الولد
ويلك امن اي صدق بالبعث • وقوله تعالى ان وعد الله حق بالاحيا صدق فيقول ما هذا الا اساطير
الاولين اي اباطيل كتبها الاولون • وقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول اي هؤلاء الاولاد الاشرار
الذين وجب عليهم القول الوعيد في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين اي هالكين وقيل
مغبونين بفوت الثواب وحلول العقاب • وقوله تعالى ولكل درجات اي ولكل من الابرار والفجار درجات
مراتب في الطاعة والمعصية في الثواب والعقاب • وقوله وليوفيهم اعمالهم فيه مضمر اي فعلنا ذلك ليوفيهم
جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون بالعقوبة من غير ذنب ونقصان اجر على طاعة • وقال السدي والضحاك ووصينا
الانسان نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد بينا القصة في سورة العنكبوت وفي سورة لقمان • وقال ابن
عباس رضي الله عنهما ومقاتل هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه • وقال محمد بن اسحاق هو ابو بكر بن ابي قحافة
واسم ابي قحافة عثمان بن عمرو واسم ام ابي بكر ام الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر من بني تيم بن مرة حملته في البطن
تسعة اشهر وفصلته من اللبن احدى وعشرين شهرا فذلك ثلاثون شهرا فلما بلغ ابو بكر اربعين سنة صدق

النبي صلى الله عليه وسلم وقال الربيع اني تبت اليك واني من المسلمين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والذي قال لوالديه
هو عبد الرحمن بن ابي بكر دعاه ابواه الى الاسلام فقال لهما اف لكما وقد خلت القرون من قبلي مثل عامر بن كعب
وعبد الله بن جدعان ولا ارى احدا منهم حتى اسالهم عن صدق ما يقولون • وقال مجاهد هو عبد الله بن ابي بكر قال
له ابواه اسلم فقال احيوا لي مشايخ قريش حتى اسالهم عما يقولون • وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اولئك الذين
حق عليهم القول اي حق لا محالة عليهم هذا الرحمن وقال احيوا لي منهم عامر بن كعب وعبد الله بن جدعان وذووهما
الذين حق عليهم القول فاما عبد الرحمن بن ابي بكر فقد اجاب الله فيه دعاء ابيه في قوله واصلح لي في ذريتي
فاسلم وحسن اسلامه • وقال محمد بن زياد وكتب معاوية رضي الله عنه الى مروان حتى ياخذ البيعة من الناس ليزيد
وقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان هذا الذي يقول الله فيه والذي
قال لوالديه اف لكما فسمعت بذلك عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت لسميته ولكن
الله لعن اباك وانت في صلبه وانت فضض من لعنة الله اي قطعة • ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يحضرون
قبل ان يلقوا فيها فيقال لهم اذهبتم طيباتكم اصبتم شهواتكم واستوفيتم نعمكم في حياتكم الدنيا اي العاجلة
واستمتعتم بها اي الملاذ فاليوم تجزون عذاب الهون اي الذل بما كنتم تستكبرون في الارض اي تتعظمون
عن قبول الحق والانقياد لمن نهاكم عن ذلك بغير الحق من غير ان يكون لكم استحقاق ذلك وبما كنتم تفسقون
تخامرون بالمعاصي • وقوله تعالى واذكر يا محمد اخا عاد اي هودا انسبه عادا اي واذكر لقومك هذه القصة
ليعتبروا ويخافوا استئصالهم • وقيل اي واذكر في نفسك لتتسلى بما نالك من اذى قومك اذ انذر قومه
بالاحقاف اي بهذه المواضع كانوا يسكنون الاحقاف • قال محمد بن اسحاق هي رمال فيما بين عمان الى حضرموت
وقال ابن عباس رضي الله عنهما واد بين عمان ومهرة • وقال قتادة هي رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن
وقال الضحاك هي جبل بالشام • وقال الحسن ارض خلدها رمال • وقال ابن زيد الحقف الرمل كهيئة الجبل
وقيل الحقف الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ ان يكون جبلا وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
وهذا كلام معترض اي كما جاء هود عادا انذر مضت الرسل نذرا لقومهم • قبل هود وبعده • وقيل وفيه
اضمار • وقوله تعالى الا تعبدوا الا الله اي خاطبهم هود بهذا ان لا تعبدوا الا الله وحده اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم ان اصررتم على شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا اي لتصرفنا عن عبادتها اي بهذا
لا نجيبك اليه ولا نخاف فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين
في انذارك • قال انما العلم عند الله اي العلم بوقت نزول العذاب عند الله وابلغكم ما ارسلت به وانما
انا مبلغ وقد بلغت • وقوله تعالى ولكني اراكم قوما تجهلون اي وظنكم انكم تنجون من تكذيبكم اياي • وقوله
تعالى فلما راوه عارضا اي سحابا مستقبل اوديتهم وكان المطر احتبس عنهم وبعثوا قوما الى الكعبة
للاستسقاء وقد مرت قصته في سورة الاعراف فلما راوا السحاب قالوا هذا عارض ممطرنا اي
سحاب ياتينا بالمطر فاظهروا بذلك فرحا فقال لهم هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب الذي انذرتكم
ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء اي تهلك وتستاصل لشدة عصوفها • وقيل هي دمرت كل شيء واهلكته • وقوله
كل شيء للتفخيم لا على حقيقة التعميم • وقيل كل شيء امرت بتدميره فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وفيه معجز
فجاءتهم الريح فدمرتهم فلم يبق منهم احد وصاروا تحت الرمال فاصبحوا اي صاروا لا يرى الا مساكنهم
لانها كانت قائمة كذلك نجزي القوم المجرمين اي كل من اجرم مثل جرمهم وهو تخويف لاهل مكة • وقوله
تعالى ولقد مكناهم فيما اي اعطيناهم من المكنة والمكانة فيما ان مكناكم فيه ان للنفي اي فيما لم نمكنكم في
مثله ثم هم لم يمكنهم التحرز عنه فكيف انتم • وقوله تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اي آلات وحواس
يمكنهم التدبر بها ليعلموا بطلان الشرك فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اي ما نفعهم
شيء من ذلك ولا دفع عنهم العذاب اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم نزل بهم واحاط بهم ما كانوا به
يستهزءون من العذاب فيقولون ايتنا بما تعدنا • وقوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم خطاب للمسلمين
من القرى كحجر ثمود وقريات لوط بجوار بلاد الحجاز وصرفنا الآيات بتكرير ذكرها لعلهم اي لعل
المشركين يرجعون عن شركهم فلولا نصرهم اي فهلا منع العذاب عن هؤلاء الذين اهلكناهم • وقوله تعالى
الذين اتخذوا من دون الله اي الاصنام التي اتخذوها من دون الله قربانا يتقربون بها ويقولون انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى الهة اي اتخذوها الهة يعبدونها بل ضلوا عنهم اي هلكوا فلم يجدوهم عند
حاجتهم اليهم وذلك افكهم اي وذلك جزاء افكهم اي كذبهم في انها الهة وما كانوا يفترون اي افتراؤهم
وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن عطف على قوله واذكر اخا عاد وهو توبيخ المشركين اي ان الجن
استمعوا فقبلوا وامنوا بمرة وانتم مصرون على شرككم على طول الزمان وهؤلاء هم المذكورون في سورة
الجن • وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا يحتمل انهم لهم المسبقين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويحتمل انهم امروا بذلك في كتبهم يدل عليه قوله سمعنا كتابا انزل من بعد موسى • وقيل لما طردوا من السماء ورموا بالشهب
قالوا هذا الامر حادث فتتبعوا ذلك فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل اتوه ببطن نخلة • وقيل بالحجون وقيل
كانوا سبعة نفر من جن نصيبين • وقيل كانوا سبعين وفا نفوه في البطحاء • وقال السدي لقيهم بنخلة وهو مقبل
من الطائف • وقال ابن جريج كانوا تسعة حسا ونسا وشاصر وناصر وادد والان والحقب وشبت • وزوبعة
وقال الزبير بن العوام اتوه بنخلة وهو عليه السلام قائم في صلاة العشاء فركب بعضهم بعضا من شدة حرصهم
على استماع القران • وقال سعيد بن جبير لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حرست السماء فقالت الشياطين
ما حرست الا لامر حدث في الارض فبعث ابليس سراياه في الارض فوجدوا النبي بنخلة في صلاة الفجر وذكر حديث
عبد الله بن مسعود في كونه مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة • وقوله تعالى يستمعون القران فلما حضروه
قالوا انصتوا اي قال ذلك بعضهم لبعض احتراما للقران ووصولا الى البيان فلما قضي اي فرغ من القراءة ولوا
الى قومهم منذرين اي فهموا وحفظوا ورجعوا فانذروا قومهم مخالفة القران يا قومنا اي قالوا يا قومنا انا
سمعنا كتابا اي القران انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه اي التوراة يهدي الى الحق اي يرشد والى طريق
مستقيم الى الاسلام • وقوله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله اي محمدا رسول الله فامنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم من صلة زائدة ويجركم اي يؤمنكم من عذاب اليم توقف ابو حنيفة رحمه الله في ثواب الجن في الجنة
ونعيمها وقال لا استحقاق للعبد على الله وانما ينال بالوعد ولا وعد في حق الجن الا هذا • وقوله تعالى
يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فهذا ينقطع القول به فاما نعيم الجنة فموقوف على قيام الدليل
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي بفائت احدا الله • وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء
يتولون معونته • وقوله تعالى اولئك في ضلال مبين جمع لعموم كلمة من • وقوله تعالى اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض متصل بقوله انه دانخاذ احرج في الزام حجة البعث ولم يعي بخلقهن وهو
كقوله وما مسنا من لغوب وقد عيي واعيى اذا تعب • وقوله تعالى بقادر على ان يحيي الموتى الباء زائدة
وانما ادخلت لان معنى قوله اولم يروا وليس وذلك يدخل فيه الباء واذا قدر على الانشاء فقدر على الاعادة
وقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير • وفي قراءة عبد الله قادر على ان يحيي الموتى بغير الباء • وقرا يعقوب
يقدر على صيغة الفعل • وقال مقاتل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين اخذ العظم ففته • وقوله تعالى ويوم
يعرض الذين كفروا على النار يعني هو قادر ويوم يعرض اليس هذا بالحق اي تقول لهم الملائكة ذلك قالوا بلى
وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بكفركم في الدنيا فاصبر اي على اذى الكفار وتكذيبهم
كما صبر اولوا العزم من الرسل • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي اولوا الحزم • وقال الضحاك اي
اولوا الجد والصبر • وقال محمد بن كعب اولوا الراي الصواب • وقيل هم الذين يمضون على امر الله لا يمنعهم
عنه مانع من محنة وغيرها من المفسرين من جعل قوله من الرسل للتبعيض وخصصها باولي العزم منهم • قال
ابن عباس رضي الله عنهما هم اربعة نوح وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم • وقال ابو العالية هم
ثلاثة هود وصالح وشعيب ورابعهم محمد • وقال الضحاك والحسن هم نوح وهود وابرهيم وصالح وهود
وشعيب • وقال مقاتل اولوا العزم ابرهيم صبر على النار واسحاق على الذبح ويعقوب صبر على فقد
يوسف ويوسف في السجن والجب وايوب صبر على الضر ونوح على الاذى • وقال الحسن بن الفضل هم
سبعة عشر وهم المذكورون في سورة الانعام وذلك حين ذكر انبياءها الايات فانه قال في اخرها فبهداهم
اقتده • وقال هنا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والمذكورون في هذه الايات ثمانية عشر لكن يونس
خرج من بين قومه فلم يصبر فلم يكن فيهم • وقال بعضهم ادم كذلك لان الله تعالى قال ولم نجد له عزما
لكن الصحيح انه اولي العزم كل الرسل • وقوله تعالى من الرسل للجنس لا للتبعيض ومعنى قوله ولم نجد له عزما اي قصدا
الى الخلاف ويونس لم يكن خروجه ترك صبر لكن توقيا عن نزول العذاب • وقوله تعالى ولا تستعجل لهم اي ولا تدع
عليهم بتعجيل العذاب كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار اي فهم اذا رأوا العذاب يوم القيامة
ظنوا انهم لم يلبثوا في الدنيا او في قبورهم الا ساعة من نهار وان العذاب عجل لهم قريبا من تكذيبهم بلاغ اي هذا
بلاغ اي تبليغ الكفاية في العظة فهل يهلك الا القوم
الفاسقون اي فلن يهلك بعد هذا البلاغ بعذاب الله الا من فسق واعلن
الاستخفاف بامر الدين ولم يكن بهمة •

سورة محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اضل الكفار واضل اعمالهم • الرحمن الذي هدى المؤمنين واصلح بالهم • الرحيم الذي يدخلهم
الجنة عرفها لهم • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة • وهذه السورة مكية وقيل مدنية وهو الصحيح

وهي ثماني وثلاثون اية • وقيل تسع • وقيل اربعون الاختلاف في قوله حتى تضع الحرب اوزارها وقوله لذة للشاربين
وهي خمس مائة وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلاث مائة وستة وثمانون حرفا • وانتظام اول هذه السورة باخر تلك
السورة ان ختم تلك بالفاسقين • وافتتاح هذه السورة بالكافرين وذلك للفسق وكفر • وانتظام السورتين انهما
في التمييز بين الاوليا والاعدا وفي الترغيب والترهيب بالجزاء • وفي هذه السورة خصوص من الامر بالجهاد والاناة
في سبيل الله • وقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم اي الذين كفروا بالله ومنعوا
غيرهم عن سلوك سبيل رضا الله تعالى ودخول الاسلام جعل الله تعالى فعلهم ضلالا عن الرشد • وقال ابن
عباس رضي الله عنهما ابطل حسناتهم اي ما كان من جنس ما يكون من المومنين حسنة كالاطعام وصلة الارحام
وبر الايتام وقري الاضياف وتقوية الضعفاء لانه لا يعتد بشي من ذلك بغير اسلام • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وهم اهل الثروة منهم واهل القوة في الميسرة وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج وابو جهل والحارث ابنا هشام لعنة الله فهو لا ستة • وقال المقاتل كانوا اثني عشر هؤلاء الستة
والباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود وابو سفيان بن حرب وصفوان بن امية والعباس
ابن عبد المطلب اطعم كل واحد منهم الاحابيش والجنود يستظهرون بهم على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم
المذكورون في قوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية • وقال الضحاك اضل
اعمالهم اي ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي • وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد
وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم اي والمومنون الذين خالفوا هولاء محا ايمانا وستر ذنوبهم
التي كانت قبل الايمان واصلح بالهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي حالهم • وقال مجاهد شانهم • وقال
مقاتل بن حيان عملهم ونياتهم • وقال ابن كيسان اثبت اعمالهم ولم يبطلها كما ابطل اعمال الكفار ذلك اي ذلك
التمييز بالجزا للفريقين بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم فاستحق
اوليك العقاب وهولا الثواب • وقوله تعالى كذلك يضرب الله للناس امثالهم قيل اي كذلك يصف
لكل عامل من الناس جزاء عمله ما يماثله فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته • وقيل اي كذلك يصف للناس
عواقب امورهم التي يصيرون بها امثالا لمن سواهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية الاولى في كفار
مكة صدوا عن المسجد الحرام وعن الدخول في الاسلام والاية الثانية في المسلمين من اهل المدينة وهم
الانصار امنوا بمحمد لما جاءهم فذكر جزا الفريقين ثم قال كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي كذلك يفعل الله
تعالى بالناس كلهم كما فعل بهولا • وقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا اي فاذا لقيتم معاشر المسلمين هولا
الكافرين في مواطن الجهاد • وقوله تعالى فضرب الرقاب اي فاضربوا رقابهم نصب على الاغرا • وقيل اي فافعلوا
ضرب الرقاب نصب باضمار الفعل والالف واللام في الرقاب بدل عن الاضافة • وقوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم
اي اكثرتم القتل في البعض واعجزتم الباقين عن الفوات فشدوا وثاقهم والالف واللام بدل عن الاضافة
ههنا ايضا • وقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء اي فاما ان تمنوا بعد ذلك بالاطلاق مجانا واما فداء
اي واما ان تفدوا بعضهم فتاخذوا منهم فدا وتطلقوهم ولم يذكر القتل قبله فكان الامام مخيرا في ذلك
يختار ما يرى فيه المصلحة على حسب ما يقتضيه الحال • وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها • قيل اي
حتى تنقضي الحرب والاوزار الاسلحة جمع وزر وهو الحمل والثقل في الاصل والاثم سمي وزرا لذلك وهو
استعارة وتقديره حتى تنقرض الكفار ويامن المسلمون فيضعوا اسلحتهم وفيه مضمر حتى تضع اهل الحرب
اوزارهم • وقيل الحرب المحاربون • قال الشاعر وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا • وقال الحسن وقتادة
اي افعلوا هذا باعدائكم الى ان تستغنوا عن محاربتهم بدخولهم في الاسلام او قتلهم جميعا وهو كقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب اوزارها اي ويسلم الناس حتى لا يبقى في الارض مشرك • وقوله
تعالى ذلك اي هذا الذي ذكرنا حق • وقوله تعالى ولو يشاء الله لانتصر منهم اي لانتقم منهم بغير قتال
منكم ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي ولكن امركم بالجهاد ليظهر منكم ما علم في الازل من الايتمار بالامر وتركه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليختبر المومن بالمشرك والمعافى بالمبتلى والصحيح بالسقيم • وقوله تعالى
والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا ومن قرا قاتلوا فمعناه جاهدوا • وقوله تعالى فلن يضل اعمالهم
اي فلن يضيع ولن يبطل اعمالهم كما اضل اعمال الكفار بل يثيبهم عليها اعظم الثواب سيهديهم اي المجاهدين
يثبتهم على الرشد وفي حق المقتولين سيهديهم الى طريق الجنة في الاخرة • وقوله تعالى ويصلح بالهم
اي شانهم وما يبتغيه • وقيل لا يخطر فيها ببالهم الا ما يفرحون به • وقوله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم
قيل عرفوا منازلهم واهتدوا اليها على ما روي ان احدهم لاعرف بمنزله في الاخرة منه بمنزله في الدنيا
وقيل اعلمها لهم في الدنيا وعرفهم نعيمها • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم على اعدائكم

والدنيا

في الدنيا ويثبت اقدامكم في مواطن الحساب وعلى الصراط كما قال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة • وقوله تعالى والذين كفروا فتعسا لهم اي سقوطا على وجوههم • وقيل تقديره فاتعسهم الله فتعسا فقال بعده
واضل اعمالهم اي ابطلها • وقوله تعالى ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله في كتابه على نبيه من الامر والنهي فاحبط اعمالهم
ذكره ذكر اضلال العمل واحباط العمل ليكونوا كما ذكروا فيتصل ذكرهم بالذم والتحقير والاخبار بسوء الحال عند الله
كالمهود في ذكر الاخيار كلما اعيد ذكرهم وصل به رحمة الله • وفي حق الصحابة رضي الله عنهم وفي حق النبي صلى الله عليه
وسلم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي افلم يسير هولاء المشركون استفهام
بمعنى التقرير اي لقد ساروا في الارض التي تحاذي بلادهم من ارض عاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم
فينظروا الى سوء عواقب الامم التي كفرت بالله وكرهت ما انزل الله • وقوله تعالى دمر الله عليهم اي اهلكهم واستاصلهم
وقوله تعالى وللكافرين امثالها اي امثال تلك العقوبات وهي غير مذكورة لكنها مدلولة بذكر الدمار • وقوله
تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم اي ذلك المذكور من نصر المومنين وسوء عواقب
الكافرين انما هو لان الله ناصر المومنين والذاب عنهم والمتولي لامورهم والكافرون ليس لهم ناصر ينصرهم ويمنعهم
ويدفع العذاب عنهم وكذلك في الاخرة حال الفريقين • وقوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار هذا لاحد الفريقين واما الفريق الاخر فقد قال والذين كفروا يتمتعون وياكلون
كما تاكل الانعام يقضون الشهوات ولا يفكرون في الايات ويضطرون الى الراحات ولا يتعبون بالعبادات
فهم كالانعام التي لا عقول لها • وقوله تعالى والنار مثوى لهم في الاخرة اي مقام بدل الجنة للمومنين • وكاين من
قرية اي كم من اهل بلدة هي اشد قوة اي هم اقوى من قريتك اي من اهل بلدك مكة • وقوله تعالى التي اخرجتك اي مكة
بك في دار الندوة وقصدوا ان يقتلوك او يثبتوك او يخرجوك فاضطررت الى الخروج منها اهلكناهم اي اهل
تلك القرى فلا ناصر لهم اي لا مانع لهم يدفع العذاب عنهم وله وجهان احدهما اي فما كان لهم ناصر حين نزل بهم العذاب
والثاني فلا ناصر لهم الان في قبورهم يدفع عذاب القبر عنهم • وقوله تعالى
افمن كان على بينة من ربه • قال عكرمة اي على حجة وبصيرة • وقال المقاتل اي على لا اله الا الله • وقال ابن عباس
اي على دين من ربه • وقوله تعالى كمن زين له سوء عمله استفهام بمعنى النفي اي ليسا سواء واتبعوا اهواءهم جمع وان
افرد زين له سوء عمله ابو جهل • وقال المقاتل هو ابو جهل وابو حذيفة بن المغيرة ونحوهما لعنهم الله • وقوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي وفيما يتلى عليكم صفة الجنة • وقيل اي صفة الجنة التي وعد
المتقون انه فيها انهار من ماء غير اسن اي غير متغير الرائحة • قال قتادة الاسن المنتن والفعل من باب دخل
وضرب وعلم اي لا يتغير ماء الجنة كما يتغير ماء الدنيا بطول المكث في منابعها وفي اوانيها • وقوله تعالى
وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير في الدنيا فيصير حامضا وقارصا وغير ذلك • وقوله تعالى وانهار
من خمر لذة اي لذيذة والفعل من باب علم والنعت لذ ولذيذ والها للتانيث • وقوله تعالى للشاربين
اي لذيذة الطعم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون كما في الدنيا ولا يكون فيها من الاذى كما يكون في خمر الدنيا
وقوله تعالى وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيختلط بالشمع والقذى خلقه الله مصفى لا انه
كان يختلط فصفي • وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات للاكل والانهار للشرب • وقوله تعالى ومغفرة من ربهم
اي ولهم مع ذلك عفو لما كان منهم من الذنوب وقد نسوها فلا يتذكرونها لئلا يتنغص الحال عليهم • وقوله
تعالى كمن هو خالد في النار وههنا مضمر اي افمن هو صاير الى هذا وهو خالد فيه كمن هو خالد في النار كما قال
في الاية الاولى افمن كان على بينة من ربه • وقوله تعالى وسقوا ماء حميما اي ويسقون لان ما كان في الاخرة
فهو كاين لا محالة فالحق بالمتحقق وجمع مع افراد قوله كمن هو خالد في النار لجملة من الذي هو فرد لفظا جمع
معنى فقطع امعاءهم جمع معى • وقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك اي ومن هولاء الذين يتمتعون وياكلون كما تاكل
الانعام وزين لهم سوء اعمالهم واتبعوا اهواءهم قوم يحضر الواحد منهم مجلسك الذي تتلو فيه القران وتبين
معانيه • وقوله تعالى حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم بالله وكتابه ودينه من اصحابك • وقوله
تعالى ماذا قال انفا اي الان يعني قال محمد الان وهذا الكلام وجهان احدهما ان يسمع الانسان ولا يفهم لشغل
قلبه بشي اخر • والثاني وهو اشبه انه يقال على سبيل التهاون بما سمع والاستهزا به • وقوله تعالى اوليك
الذين طبع الله على قلوبهم جمع هذا مع توحيد اول الكلام لما انه ذكر كلمة من واتبعوا اهواءهم كذلك اي
لا يتعلق فهم القران الى قلوبهم لان الله تعالى ختم عليها لعلمه باختيارهم ذلك واتباعهم اهواءهم دون الحق
ويجوز ان يكون هذا في المشركين ويجوز ان يكون هذا في المنافقين ثم ذكر الذين يخالفونهم فقال والذين
اهتدوا بالقران زادهم هدى اي زادهم الله تعالى اي زادهم الله تعالى علما الهدى • وقيل والذين اهتدوا
بالايمان زادهم القران رشدا وبصيرة في دينهم واتاهم تقواهم اي الهمهم الله تقواهم • وقيل اي اعطاهم
ثواب تقواهم قاله سعيد بن جبير • وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة فان كانوا ينتظرونها فهي اتيتهم

اللجاة فان الله طوي علمها عن الخلق فاذا اتتهم بغتة لم ينفع الايمان حينئذ وان ارادوا الايمان عند دنوها ليتفعهم فرننا
وفتنة فقد جا اشراطها اي علاماتها فانها دنوها فما ينتظرون • قال ابن عباس اشراطها اي علاماتها انشقاق القمر
والدخان • وقال محمد بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة لان صفته في الكتب انه اخر الانبيا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني • وقوله تعالى فاني لهم اذا جاتهم ذكراهم
اي فكيف اي ومن اين لهم ان يتذكروا اذا جاتهم الساعة • قال تعالى يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكرى • وقوله
تعالى فاعلم انه لا اله الا الله اي فاثبت على هذا • وقال الكيابي كان يضيق صدره باذى الكفار فقال له فاعلم انه
لا اله الا الله لا تعلق قلبك بما قاربك واعلم انه لا كاشف لما في قلبك سوى الله • ويقال قيل له فاعلم ولم يقل علمت
وابرهيم قيل له اسلم قال اسلمت وجوابه من وجوه منها ان ابرهيم قال اسلمت فابتلي • ومحمد صلى الله عليه وسلم لم
يقل علمت فعوفي • وقيل ان ابرهيم سبق بذكر جوابه في الكتاب المنزل بعده ولم ينزل بعد القران كتاب اخر يذكر
فيه جواب محمد • وقيل التسليم متناهي فيمكن الاخبار عنه والعلم لا انتهاء له فلم يمكن الاخبار عنه • وقيل ان ابرهيم
هو قال بنفسه اسلمت والله تعالى اخبر عن محمد صلى الله عليه وسلم امن الرسول وهو اخبار عن علمه وزيادة واخبار
الله تعالى عنه اعلى من جوابه بنفسه • واستغفر لذنبك لتقتضيك فلن يخلو العبد عنه • وقيل اي لما يتصور عندك
انه تقصير فانه يزيل عن قلبك ما تستشعره من ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله تعالى في اليوم سبعين مرة • وقوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات اي لامتك وهي رحاية في القران فانه
لا شك انه ائتمر لهذا الامر ولا شك ان الله اجاب فيهم • وقوله والله يعلم متقلبكم في الدنيا ومثواكم مقامكم في الاخرة
اي فلن يخفى عليه حالكم وما لكم وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل متقلبكم بالنهار ومثواكم بالليل
وقوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي يستعجل المؤمنون بنزول سورة في الجهاد والحث
عليه لحرصهم في نصرة الدين وفتح الكافرين • وقوله تعالى فاذا انزلت سورة محكمة ناسخة لما قبلها من الحكم
وقيل مؤكدة في الامر والنهي • وقيل معجزة بنظمها ومعناها تعلم انها من الله تعالى • وقوله تعالى وذكر فيها
القتال اي فرض الجهاد • وقوله تعالى رايت الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق • وقوله تعالى ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت اي من حضور اسباب الموت من اثار الجبن والفزع من تغير الوجه والقلاب
حدقة العين ودورانها • وقيل من الموت اي من خوف الموت في القتال • وقوله تعالى فاولى لهم اي ويل لهم
كما قال اولى لك فاولى • وقوله تعالى طاعة وقول معروف اي كانوا يقولون منا طاعة وهذا قول معروف اي
حسن في العقل والشرع • وقوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد الامر بالقتال وانت العزيمة فيه كرهوا ذلك
هذا مضمر • وقيل المضمر لم يصدقوا الله • وقوله تعالى فلو صدقوا الله اي كصدق المؤمنين لكان خيرا لهم
اي انفع لهم في دينهم ودنياهم • وقوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم اي فهل تريدون اذا تركتم دين محمد ان تعودوا الى مثل ما كنتم عليه من التقاتل والتقاطع • وقيل
اي فلعلكم اذا اعرضتم عن القران والايمان رجعتم الى الافساد في الارض وقطيعة الارحام اي اتظنون
ان تهملوا في ذلك اي ليس كذلك • وقيل اي ان وليتم امر هذه الامة • قال ابن عباس تدكان هذا وهم بنو امية
فعلوا ما ذكر في الاية • وقيل ان الاية في المنافقين تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعوا في الارض
بالفساد • وقيل هي في الحرورية • وقوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله اي هؤلاء الذين يفعلون هذا
فاصمهم عن سماع الحق واعمى ابصارهم من رؤية الحق • وقيل عزم الامر في الاخرة • وقيل في قوله طاعة وقول
معروف اقاويل اخر • قال الضحاك اي فعلا طاعة لله وقول معروف لرسوله • وقال الحسن طاعة وقول معروف
خير لهم من الكراهة والفزع • وقال مجاهد اي قولوا طاعة وقول معروف • وقيل يقولون طاعة اي المنافقون
وهذا قول معروف منكم لا تعملون به • وقوله تعالى افلا يتدبرون القران استفهام بمعنى الامر • وقوله تعالى
ام على قلوب اقفالها اي بل على قلوب طائفة منهم اقفالها استعارة عن الختم والطبع اي اقفل الله على قلوبهم
فلا يفهمون شيا علم الله تعالى منهم اختيارهم ذلك فعل بهم ذلك • وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم
قيل رجعوا عن طاعة الله تعالى في الجهاد فهم هؤلاء المنافقون • وقوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى
اي حقية الاسلام • وقوله تعالى الشيطان سول لهم اي زين لهم اعمالهم واملى لهم اي اطال لهم التبات وهو
كقوله واخوانهم يمدونهم في الغي • وقرا ابو عمرو واملي لهم على ما لم يسم فاعله اي امهلهم الله • وقوله تعالى
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال المنافقون للمشركين الذين كرهوا ما نزل الله فقد قال في هذه
السورة والذين كفروا فتعسا لهم الى ان قال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله سنطيعكم في بعض الامر اي في بعض
ما تدبرونه على المسلمين من المهالك والمراد بالبعض السر لا الجهر • وقوله تعالى والله يعلم اسرارهم قرا حمزة
والكسائي وعاصم في رواية حفص اسرارهم بكسر الالف وهو مصدر والباقون بفتحها وهي جمع سر • وقوله تعالى
فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم اي امامهم وخلفهم • وقوله تعالى ذلك اي ذلك القتال

وقوله

وقوله تعالى اتبعوا ما اسخط الله من مظاهرة المشركين • وقوله تعالى وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه الله تعالى من معاونة
المؤمنين • وقوله تعالى فاحبط اعمالهم اي ابطلها ما كان قربة عندهم بنفاقهم • وقوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي اظن الذين في قلوبهم نفاق ان لن يظهر الله احقادهم [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فلعرفتهم بسيماهم [illegible] وقوله
تعالى ولتعرفنهم في لحن القول اي في مخارج الكلام [illegible] وقوله تعالى والله يعلم اعمالكم [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين • وقيل [illegible]
[illegible]
يترككم طاعة الله وطاعة رسوله • قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم • قال
مقاتل ان اسدا وخزيمة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا اتيناك بالاولاد وتركنا الاموال والعشائر
فان العرب لم يؤمنوا بك الا من بعد ما قاتلوك ولم نقاتلك فلنا عليك منة فنزلت ولا تبطلوا اعمالكم بالمن
وقال الامام القشيري ولا تبطلوا اعمالكم بالريا والعجب والملاحظة • وقيل اي بالسكون اليها • وقيل اي
بطلب الاعواض عليها • وقيل اي بان تتوهموا انه يجب بها شي بدون فضل الله • وقوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم وهو كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به • وقال مقاتل هي في رؤسا
مكة الذين قتلوا ببدر • وقوله تعالى فلا تهنوا اي فلا تضعفوا • وقوله تعالى وتدعوا الى السلم وانتم
الاعلون فتدعوا [illegible] والله معكم اي حافظكم وناصركم • وقوله تعالى ولن يتركم اي ولن ينقصكم اعمالكم اي اجور
اعمالكم • وقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تضمحل عن قريب فلا يحصل الانسان منها الا على ما يحصل
من اللعب واللهو فلا يحملنكم حبها على ان تبخلوا بانفسكم واموالكم عن الجهاد في احياء الدين والدعا الى الايمان
والتقوى • وقوله تعالى وان تؤمنوا وتتقوا اي تثبتوا على الايمان وتتقوا العصيان يؤتكم اجوركم وهي لبس
من الحياة الدنيا وما فيها فان ما عندكم ينفد وما عند الله باق • وقوله تعالى ولا يسالكم اموالكم اي الله • وقيل رسول
الله • وقوله تعالى اموالكم اي كلها بل حصة من مائتين ونصف دينار من عشرين دينارا وقليلا من كثير • وقال
سفيان بن عيينة غيضا من فيض فطيبوا بها انفسا • وقيل ليست اموالكم بل هي اموال الله اذ يسالكموها فيحفكم
الحفا هو الالحاح والاستقصا تبخلوا ويخرج اضغانكم • وقيل البخل اضغانكم حتى ضغن [illegible]
ها انتم هؤلاء اي يا هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله اي الى ان تنفقوا • وقوله تعالى فمنكم من يبخل ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه اي على نفسه فان ضرره على نفسه والحرمان راجع اليه • وقيل عن نفسه اي عن بخل نفسه
ولو كان جوادا لم يبخل • وقوله تعالى والله الغني عن نفقاتكم وانتم الفقراء الى ثواب ذلك • وقوله تعالى وان تتولوا
عن الانفاق في سبيل الله يستبدل قوما غيركم اي يهلككم الله ويات بقوم اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في البخل
والامساك • روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية من هؤلاء فاشار
الى سلمان وقال هذا وقومه • قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كندة والنخع • وقال عكرمة هم فارس والروم • وقال الحسن
هم العجم • وقال محمد بن كعب هم الفرس والحمد لله رب العالمين •

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

ليتم الله الذي غفر لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تاخر واتم نعمته عليه وهداه صراطا مستقيما • الرحمن الذي
له ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما • الرحيم الذي وعد الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما • روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة الفتح كان له من الاجر كانما كان ممن بايع محمدا تحت الشجرة • وهذه السورة مدنية وهي تسع
وعشرون اية وخمسمائة وستون كلمة والفان واربعمائة واحد وعشرون حرفا • وانتظام اخر تلك السورة

باولى هذه السورة اندخت في احوال المؤمنين على الجهاد والانفاق في ذلك وافتتح هذه السورة بذكر ما ينتفعه من الفتوح وما يتصل به من الكرامات لرسوله والمؤمنين بذلك • وانتظام السورتين ان تلك في ذكر الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله • وهذه السورة في بيان صدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عام الحديبية عن المسجد الحرام وما نزل فيه من المواعيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم • قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج سنة ست من الهجرة في ذي القعدة يريد العمرة ولا يريد حربا وخرج معه المهاجرون والانصار وكثير من قبائل العرب وساق معه الهدي واحرم من ذي الحليفة ليعلم الناس انه ما خرج محاربا وانما خرج زائرا للبيت ومعظما له فلما انتهى الى ثنية مرار التي يهبط منها على الحديبية بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الناس خلأت القصوى خلأت القصوى فقال والله ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن البيت والله لا تسألني قريش خطة فيها تعظيم البيت الا اجبتهم اليها فلما قال هذا القول انبعثت القصوى ونزل بالحديبية • وقيل لما كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل وقد لبسوا لك جلود النمر يعاهدون الله تعالى لا تدخلها عليهم ابدا وهذا خالد بن الوليد في خيله قدموه الى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح قريش ماذا عليهم لو مادنتهم مدة وخلوا بيني وبين سائر العرب فان هم اصابوني كان ذلك ما ارادوا وان اظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما يظن قريش فوالله لا ازال اجاهدهم على الامر الذي بعثني به حتى يظهره الله ثم قال من يسلك بنا عن طريقهم فسلك بهم رجل من اسلم طريقا وعرا اخرجهم على مهبط الحديبية ونزل بطن الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقيل يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه الناس فاخرج سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عليه بعطن فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة وكلموه وسالوه ما الذي جاء به فقال انا لم نات نريد حربا وانما جئنا زائرين لهذا البيت ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا لهم انكم تعجلون على محمد ان محمدا لم يات لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فتهموهم وجبهوهم فقالوا والله لا يدخل علينا عنوة ابدا ولا تحدث انا اخذنا ضغطة فبعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف فلما راه رسول الله كلمه وقال له نحوا مما كلم به بديلا فرجع الى قريش فاخبرهم بما قال فبعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان سيد الاحابيش فلما راه رسول الله قال ان هذا من قوم يتألهون ويتعبدون ويتنسكون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده رجع الى قريش فلم يصل الى رسول الله اعظاما لما راى وقال يا معشر قريش اني رايت ما لا يحل صد الهدي في قلائده فقالوا له اجلس انت اعرابي لا علم لك ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما لقي منكم من بعثتم الى محمد من التعنيف وانتم تعلمون نصحي فقالوا لو ما انت عندنا بمتهم فخرج حتى اتى النبي فجلس بين يديه ثم قال يا محمد اجمعت اوباش الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم فهل رايت احدا استاصل اهله قبلك ثم اني ارى وجوها واوباشا حولك خليق بهم ان يفروا عنك ويدعوك فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهو قاعد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من هذا يا محمد فقال هذا ابن ابي قحافة فقال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافاتك ولكن هذه بهذه ثم جعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتناول لحيته قال والمغيرة بن شعبة واقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اخر يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان لا تصل اليك فيقول عروة ويحك ما افظك وما اغلظك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا قال هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة فقال اي غدر هل غسلت عن غدرتك الا بالامس فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما كلم به اصحابه واخبره انه لم يات يريد حربا فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى ما يصنع اصحابه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ودلكوا به وجوههم ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه فرجع الى قريش فقال يا معشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه والنجاشي في ملكه وقيصر في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه لشيء ابدا وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها منه وكانت قريش بعثوا اربعين رجلا او خمسين وامروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من اصحابه احدا فاخذوا واتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفى عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي

وليس بمكة احد من بني عدي بن كعب يمنعني منهم وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليهم ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت فخرج عثمان رضي الله عنه الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت • وكان جابر بن عبد الله يقول انما بايعنا على ان لا نفر فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عنه احد من المسلمين الا الجد بن قيس ثم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما ذكر له من امر عثمان باطل ثم بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو وقالوا له ائت محمدا فصالحه ولا يكون في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة ابدا • قال فاقبل سهيل فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد سهل عليكم امركم وما اراد القوم الا الصلح فلما انتهى سهيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فاطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التام الامر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ليكتب الكتاب بالصلح فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل انا لا نعرف الرحمن فاكتب ما نعرف اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم قال فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل لو علمنا انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على ان الحرب موضوعة بين الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض على ان من اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان العام القابل خرجنا عنها فدخلتها باصحابك فلبثت فيها ثلاثا ومعك سلاح الراكب والسيوف في القرب لا تدخلها بغيرها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب وسهيل بن عمرو اذ اقبل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه سهيل قام اليه فضرب وجهه واخذ بلبيه وقال يا محمد هذا اول العهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا لم نختم الكتاب بعد فاجرني هذا الواحد فقال والله لا افعل فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابوه يجره معه وجعل ابو جندل يصرخ باعلى صوته يا معاشر المسلمين ارد الى المشركين يفتنوني عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك كتابا واعطونا عهدا وانا لا نغدر بهم • وروي ان عمر رضي الله عنه قام الى ابي جندل وجعل يمشي معه ويقول له اصبر ابا جندل فانما هم المشركون وانما دم احدهم مثل دم الكلب قال وجعل يدني اليه قائمة سيفه رجاء ان ياخذ منه السيف فيضرب به اباه قال فضن الرجل بابيه فلما قضى الكتاب واشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى المدينة بعدما امن الناس اذ جاء عمر الى ابي بكر رضي الله عنهما فقال اليس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلى فقال السنا من المسلمين قال بلى فقال السنا على الحق وهم على الباطل قال نعم فقال فعلى ما نعطي الدنية في ديننا قال ابو بكر يا عمر انه رسول الله وانه يفعل ما يؤمر فالزم غرزه قال ثم اتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الست رسول الله قال بلى قال السنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال فعلى ما نعطي الدنية في ديننا فقال انا عبد الله ورسوله واني افعل ما اومر ولن يضيعني الله قال فكان عمر يقول ما زلت اصوم واتصدق واعتق واصلي من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به وعلمت يومئذ فضل علم ابي بكر على علمي ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا نحو المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح فما كان في الاسلام فتح قبله اعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب اوزارها وامن الناس والتقوا وتفاوضوا الحديث فلم يكلم احد بالاسلام يعقل الا دخل فيه ولقد دخل في السنتين في الاسلام مثل من كان في الاسلام قبل ذلك او اكثر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المدة دعاة فوجه دحية الكلبي الى هرقل وغيره وفرقا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية على اصحابه هذه السورة وفيها بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ثم

المؤمنين ثم وعيد المشركين والمنافقين ثم وعدنا بالمغانم والفتوح للمسلمين وبدخول مكة آمنين وانجز الله ذلك بدخلوه في العام القابل سنة سبع ثم فتحت مكة سنة ثمان وحج ابو بكر سنة تسع ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر ونزل يوم عرفة وهو بعرفات اليوم اكملت لكم دينكم تحقيقا لمواعيد هذه السورة ولما قرأ عليهم هذه السورة قالوا افتح هو قال قال نعم يعني كان في الظاهر صدا عن المسجد الحرام وانصرافا لما ارادوه لكنه كان فتحا معنى لانه كان سببا لتتابع الفتوح عليهم وانفتاح الطرق على من كان لا يصل اليهم لبدو وفود رسل الملوك من اقطار الارض ثم تتابعت الفتوح بعده على ما وعد وانابهم فتحا قريبا بذلك وخيبر وفتح مكة وما ذكر في قوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد في عصر الصحابة ثم تتابعت فتوح البلاد • وقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا • قال انس رضي الله عنه اي قضينا لك وهو كما قال ربنا افتح بيننا فتحا مبينا اي قضاء بينا ظاهرا شائعا اذا امضيناه وابرزناه مكنونه وهو ما الهمناك من هذا الصلح الذي هو سبب الانفتاح امور يظهر به الدين ويكثر بعده الفتوح على المسلمين لتقف على انعامنا وتشكر لنا فتستحق به المغفرة واتمام النعمة وادامة الهداية والنصر في العزة وذلك قوله ليغفر لك الله الايات وقال الكلبي ومقاتل رحمهما الله اراد به فتح الحديبية • وقال الشعبي نزلت يوم الحديبية وبايعه المسلمون بها بيعة الرضوان واطعموا نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح به المسلمون • وقال عطية اراد به فتح خيبر • وقال سعيد بن جبير لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية خمسة واربعين يوما وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة • وقيل اي انا نفتح ما مضى بمعنى المستقبل لانه كائن كقوله اتى امر الله اي ياتي • وقيل اي فتحنا لك ابواب العلوم والخزائن • وقوله تعالى ليغفر لك الله قيل اللام على نظام ولا تعلق له بالاول • وقال ابن عباس الفتح المبين هو فتح من غير قتال لما ذكرنا اي ليشكر الله تعالى على هذا فيغفر الله لك بذلك وتقديره ليغفر لك الله اذا شكرت هذه النعمة • وقال ابو حازم سهل بن محمد اللام لام القسم ولكن لما حذفت النون من فعله كسرت اللام ونصب فعلها تشبيها لها بلام كي وتقديره ليغفرن الله لك وكذا ما بعده • وقال بعضهم كان وعد الله الفتح والمغفرة فلما انجز وعده بالفتح ذكر له امر المغفرة ايضا باللام وكان الفتح علامة لها لا علة • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله لا يجوز ان يكون الفتح علة للمغفرة واللام للتعليل فلم يكن انضاله لذلك لكن ينفصل هذا بقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الايات • وقال مقاتل ان الله تعالى انزل عليه وهو بمكة قوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ففرح بذلك اهل مكة وقالوا ما امرنا وامره عند الله الذي يعبده الا واحد ولولا انه ابتدع هذا الامر عن هواه لكان ربه يخبره بما يفعل به وشق ذلك على المؤمنين فلما قدم المدينة قال عبد الله بن ابي كيف تتبعون رجلا لا يدري ما يفعل به ولا يدري ما يفعل باصحابه فلما اراد الله فرح المشركين وحزن المؤمنين انزل عليه بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اي قبل المبعث وما تاخر اي بعد المبعث فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وقال لقد نزلت على سورة ما يسرني بها حمر النعم ثم قرأها عليهم فقالوا طوبى لك يا رسول الله فانزل الله تعالى الاية التي في الاحزاب وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا • وقوله تعالى ما تقدم من ذنبك اي من زلتك ولا نبحث عن ذلك بتعيينه لانه طلب النقص فيه وهو باطل ونعلم ان الله تعالى عاتبه على شيء ثم غفر له ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك بعينه • وقيل هو غفران عصمة • وقيل ما تقدم زلة ادم عليه السلام وما تاخر ذنوب امته قاله عطا بن ابي اسلم الخراساني رحمه الله • وقوله تعالى ويتم نعمته عليك • قيل باظهار الدين • وقيل باعطاء الشفاعة • وقيل بالقسم لقوله لعمرك • وقيل بالمعراج • وقيل برؤية الله عند قيل وحقق ذلك بقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي • وقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما اي ويثبتك على الصواب والسداد • وقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا اي يعينك على اعدائك نصرا عزيزا اي معزا يعز ذلك النصر من اتى بك • قالوا ولما نزلت هذه الايات قالوا يا رسول الله طوبى لك هنا لك فما لنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الاية وفي حق النصرة وكان حقا علينا نصر المؤمنين وفي حق اتمام النعمة واتممت عليكم نعمتي • وفي حق الهداية وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما • وقوله تعالى هو الذي انزل السكينة اي الطمانينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا مع يقينهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما السكينة الطمانينة في قلوبهم يوم صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن دخول مكة فاذهب عنهم الحمية واطمانوا ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي تصديقا مع تصديقهم • وقال ايضا بعث الله تعالى نبيه بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوه فيها زادهم الله تعالى الصلاة فلما صدقوه زادهم الله الزكاة فلما صدقوه زادهم الصيام فلما صدقوه زادهم الحج فلما صدقوه زادهم الجهاد ثم اكمل لهم دينهم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي • وقوله تعالى ولله جنود السموات والارض اي لو اراد الله اهلاك المشركين

الصادين رسول الله والمؤمنين عن البيت لم يجره ذلك وكان الله عليما بما كان وبما يكون حكيما اي فيما يفعله بهم • وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها اي ليكون ازديادا تصديقهم ويقينهم سببا لادخالهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم عطف عليه وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ظفرا بكل محبوب وامنا من كل مرهوب ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي وليعذبهم في الدنيا بايصال الاحزان لهم بعلو المؤمنين وتسليط النبي عليهم قتلا واسرا واسترقاقا الظانين بالله ظن السوء وهو ما توهموه ان الله يخذل رسوله والمؤمنين وهو ما قالوا لن بعد هذا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا عليهم دائرة السوء • قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين وهو مصدر دوا لبا قون بالفتح وهو نعت والدائرة الراجعة بخير او بشر وهاهنا اضيفا الى السوء فاريد بها دائرة الامر السوء اي اكذب الله ظنهم وجعل دائرة الشر عليهم ودخل النبي العام القابل مكة واجلى عنها من امتنع عن الاسلام وقهر اهلها على ما اراد منهم من الاسلام او الجلاء • وقوله تعالى وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وهذا كله في حق من مات منهم او قتل على شركه او نفاقه • وقوله تعالى ولله جنود السموات والارض اعاد هذا لانه الاول في معنى التهديد للمشركين الصادين وكان الله عزيزا اي منيعا لا يرد باسه حكيما يضع الاشيا مواضعها وتدبير حكمة ذلك بقوله في هذه السورة • وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الاية • قال مقاتل بن حيان لما نزل قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات قال عبد الله بن ابي ما عني وهم يعني الصحابة الا في منزلة واحدة فانزل الله ويعذب المنافقين والمنافقات • وقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فسرناه في سورة الاحزاب • وقال ابن عباس رضي الله عنهما انا ارسلناك شاهدا اي بعثناك الى امتك شاهدا بالبلاغ اليهم ومبشرا بالغفران المؤمنين بالجنة ونذيرا بالقران الجاحدين بالنار • وقيل شاهدا على الرسل بالكتب بالصدق ومبشرا للمصدقين بهم ولها وبكتابك بالجنة ونذيرا ومخوفا لمن جحد ذلك بالنار وقوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه • قرأ ابن كثير وابو عمرو كله بيا المغايبة اي بعثناك ليفعلوا ذلك كله • وقرأ الباقون بتا المخاطبة للرسل اليهم • وقال ابو حاتم يجوز ان يكون التعزير والتوقير لله مع التسبيح وهو اوفق للنظم والتعزير هو النصر • وقال الزجاج هو النصر مرة بعد اخرى وهو نصرة دين الله ورسوله والتوقير التعظيم والتسبيح التنزيه له • وقال ابو حاتم ويجوز ان يكون التعزير والتوقير لرسول الله واما التسبيح فلا يجوز الا لله • وفي قراءة ابن مسعود ويسبحوا الله بكرة واصيلا وتعزير الرسول المنصرة والحماية له والقتال دونه وتوقيره تعظيمه في مخاطباته وتعظيم امره • وقال الضحاك يعزروه ينصروه ويوقروه يعظموه • وقال زيد بن اسلم ويشرفوه • وقال المقاتل يعزروه يعينوه بكرة واصيلا قيل نهارا وليلا • وقال ابن عباس رضي الله عنهما بكرة صلاة الفجر واصيلا باقي الصلوات • وقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم • قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة السمرة وهي بيعة الرضوان على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم • وقال ابن عباس يد الله فوق ايديهم بالوفاء • وقال السدي يد الله فوق ايديهم وذلك انهم كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق ايديهم عند المبايعة بالنصرة والتوفيق • وقال الكلبي اليد هاهنا بمعنى النعمة اي نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة • وقيل اي قوة الله في نصرة نبيه فوق نصرتهم اياه • وقيل يد الله بالمنة في الهداية فوق ايديهم بالطاعة • وقيل ان الله اقدر على الوفا منهم واملى بما يراد بهذه البيعة من الثواب لمن وفى بها والعقاب لمن نقضها الا من وفى بها اثابه الله جنات النعيم ومنهم من بذل النفوس والاموال التي هي عطا الله لهم وعواريه عندهم وهي قليلة فانية وما يعطيه الله تعالى فهو كثير باق فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض ذلك فانما ضرر نقضه راجع اليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وهو ما ذكرنا • وقيل مبايعة الله تعالى هي ما ذكر في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية • وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس هم غفار ومزينة واشجع وجهينة واسلم والديل • وقال مجاهد هم اعراب اهل المدينة وجهينة ومزينة استتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى مكة معه فقال بعضهم لبعض نذهب معه الى قوم اخرجوه فاعتلوا بالشغل • وقال الكلبي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وتخلف عنه عامة العرب الاعراب وخافوا ان يكون قتال فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وعده الله تعالى خيبر اتوه ليستدركوا اليد وليغزوا معه خيبر رجا الغنيمة • وقال مقاتل لما استفزهم رسول الله معه قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس في جنب اهل مكة يغنون هم قليلا قالوا لا يرجع هو واصحابه فاين تذهبون انتظروا ما يكون من امره فانزل الله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم

ابدا • وقوله تعالى المخلفون اي المتروكون خلف الخارجين • وقوله تعالى شغلتنا اموالنا واهلونا اي لم يكن لنا من يخلفنا في اموالنا واهلينا فخفنا الضياع عليها وعليهم فاستغفر لنا اي وان كان هذا عذرا عند انفسنا فانا نسالك ان تسال الله ان يغفر لنا تخلفنا عنك اذ كنا حراصا على الخروج معك وانما منعنا عنه بعذر يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم اي لم يكن تخلفهم لما يقولون بل كان في قلوبهم الخوف على انفسهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا تخلفتم او خرجتم بل كان الله بما تعملون خبيرا اي عالما • وقوله تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء اي ظننا بسوء المومنين تحققه • وقيل بسوء كم حين تعاتبون عليه • وقيل هو سوء في نفسه لانه علو الكفر وانتشار الفساد في الارض وكنتم قوما بورا • قال قتادة اي فاسدين • وقال مجاهد هالكين واصله مصدر واذا نعت به استوى فيه الذكر والانثى والواحد والتثنية والجمع وقال السدي وكنتم قوما بورا اي غير مستقيم ولا صحيح • وقال عكرمة البور في لغة اهل عمان الفاسد وفي كلام العرب لا شي تقول العرب اصبحت اعمالهم بورا اي معطلة واصبحت منازلهم بورا اي خربة • وقوله تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اخبار ان هولاء كافرون بالله ورسوله وان مصيرهم الى النار وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض اي ان النبي صلى الله عليه وسلم مستغن عن هولاء المنافقين وعن الاعتضاد بهم وانما يامرهم بالجهاد وساير العبادات ابتلاء فمن اطاعه رحمه ومن عصاه عذبه فذلك قوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما وفيه تحريك للمنافقين على التوبة ووعد المتخلفين من الله قبولها منهم وفيه دلالة معجزة نبوة نبينا حيث اخبر انهم سيقولون كذا وكان كما اخبر لانه علم ذلك من عند الله تعالى وفي نسبتهم مخلفين بتخليفهم دليل اهل السنة والجماعة على خلق افعال العباد وان تخلفهم كان بتخليف الله اياهم لما علم منهم في الازل اختيار ذلك • وقوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها وهم المذكورون من قبل وجعل الله مغانم خيبر لاهل الحديبية خاصة من غاب منهم ومن حضر قالوا ولم يغب عنها احد الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة واقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية فلما سمع هولاء المنافقون بهذا الوعد قالوا لهم حين قصدوا خيبر ذرونا نتبعكم فانا قد اوضحنا عذرنا في التخلف عن الحديبية فنهاهم النبي بامر الله تعالى • وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله • قرا حمزة كلم الله • وقيل الباقون كلام الله حيث قال لرسوله لا تاذن لهم بالخروج الى غزوة اخرى معك • وقوله تعالى قل لن تتبعونا اي في المسير الى خيبر الا متطوعين من غير ان يكون لكم شركة في الغنم وقوله تعالى كذلكم قال الله من قبل انهم لا يتبعونكم • وقيل ان خيبر لكم خاصة • وقوله تعالى فسيقولون بل تحسدوننا اي على الغنيمة فتريدون ان تنفردوا بها • وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ولو فقهوا لكفوا عن مسالتكم الاذن لهم بعد اخباركم اياهم ان الله قد خصكم بغنايم خيبر • وقيل لا يفقهون ان الرسول والصحابة لا يحسدون واستثناء القليل منهم لما ان بعضهم اخلص بعد ذلك • وقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب وهم هولاء الذين منعوا من الخروج الى خيبر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى ستدعون الى قوم اولي باس شديد اي اولي قوة في الحرب اي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تقاتلونهم او يسلمون • وفي مصحف ابي او يسلموا ومعناه حتى يسلموا وحذف النون للنصب • وقراءة العامة او يسلمون على معنى ام يسلمون • وقوله تعالى فان تطيعوا اي تخلصوا في تلك الحرب وتطيعوا الوالي الذي دعاكم اليه يوتكم الله اجرا حسنا الغنيمة في الدنيا بدلا مما فاتكم من غنايم خيبر والثواب في الاخرة • وقوله تعالى وان تتولوا عن الاجابة كما توليتم من قبل عن اجابة النبي يوم الحديبية يعذبكم عذابا اليما في الدنيا والاخرة • واختلف في هولاء القوم الذين وصفوا بالباس الشديد • قال اكثر اهل التفسير هم بنو حنيفة وهم اهل اليمامة راسهم مسيلمة الكذاب قاتلهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه • وقال مجاهد رحمه الله هم اهل فارس قاتلهم عمر رضي الله عنه • وقال الحسن هم اهل فارس والروم وفي هذه الاية دليل على صحة خلافة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حيث اوجب الله طاعة من يدعوا الى قتال هولاء • وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة هم اهل حنين وثقيف وهوازن وعلى هذا تكون الدعوة اليه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وكان المخلفون ممنوعين عن خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين • وقوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما نزل وعيد المتخلفين عن الغزو واضمر الرخصة لذلك نفى ان تعدى اهل العذر هم عن التخلف منه لعجزهم • وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله اي في الجهاد وغير ذلك يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول اي عن طاعة الله ورسوله يعذبه عذابا اليما في الدنيا والاخرة • وقوله تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهي شجرة سمرة بالحديبية • وروي انها عميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت • قال ابن عباس رضي الله عنهما اثنى الله على الذين بايعوا رسوله تحت

الشجرة يوم الحديبية وهي بيعة الرضوان وكانوا الفا وخمسماية رجل وكانت الشجرة سمرة واول من بايعه ابو سنان الاسدي بايعوه على ان لا يفروا وعلى الموت فعلم ما في قلوبهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من الصدق في البيعة • وقال مقاتل من كراهية الصلح فانزل السكينة اي الطمانينة على طاعة الرسول • وروي بانهم كانوا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فقال رسول الله بل على ان لا تفروا • وقيل بل على ما استطعتم • وقال سلمة بن الاكوع بينا نحن قايلون نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة نزل روح القدس فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه • وقال عبد الله بن المغفل كنت قايما على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه وهو يبايع الناس وكانوا الفا واربع ماية وكان عثمان ذاك غايبا بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله وحاجة المومنين ووضع النبي صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى وقال هذه بيعة عثمان ويد الله خير من ايديكم واثابهم فتحا قريبا • وقال قتادة وابن ابي ليلى يعني خيبر ومغانم كثيرة ياخذونها • قيل لما سمع اهل القرى المجاورة لخيبر ما جرى على اهلها خافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشطر فزادهم وذلك فجعلها في من المغانم الكثيرة • وقوله تعالى وكان الله عزيزا ... حكيما بما يحكم به فلا يعارض وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها اي بعد خيبر وقد فتح عليه بعد ذلك حنين وطايف وفارس والروم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو كل فتح يكون الى يوم القيامة وقوله تعالى فعجل لكم هذه اي خيبر • وقوله وكف ايدي الناس عنكم • قيل اي حلفا خيبر وهم اسد وغطفان جاوا لنصرة اهل خيبر فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وكان عليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن بن زيد الفزاري حتى ... فانصرفوا • وقوله تعالى ولتكون اية للمومنين اي لتكون هزيمتهم من غير قتال امارة للمومنين ودلالة على حسن صنع الله تعالى بالمسلمين • وقوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما اي ولتسلكوا في كل الاحوال الطريقة المستقيمة في الثقة بالله تعالى على مواعيده • وقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها اي على خوف العام بصد المشركين • وقوله تعالى قد احاط الله بها اي قد اعدها لكم وحبسها عليكم فهي لكم كالشي قد احيط به من كل جانب فهو محصور لا يفلت ولا يمتنع من المحيطين به يجوزونه متى ارادوا وهذه بلاغة عجيبة • وقيل واخرى لم تقدروا عليها فارس والروم قد احاط الله بها اي قد علم انها ستكون لكم • وقيل هي هوازن وغطفان وقوله تعالى وكان الله على كل شي قديرا اي من فتح هذه القرى وانجاز هذه المواعيد وكل شي • وقوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني الذين صدوكم عن المسجد الحرام وهو ايناس لهم عن الوحشة التي اعترت بعضهم بانصرافهم وتشجيع لقلوبهم على الجهاد • وقوله تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله تعالى هذه السنة اي هكذا اجرى الله العادة في الامم الخالية ان الكافرين لا يجدون وليا ولا نصيرا انهم يخذلون وان امهلوا الى حين • وقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا اي لن تجد لهذه السنة تغييرا • وقوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اي عن اهل مكة ببطن مكة اي بالحديبية • وقيل وادي مكة • وقوله تعالى من بعد ان اظفركم عليهم اي اقدركم وسلطكم وكان الله بما تعملون بصيرا وهو ما ذكرنا في اول القصة اذ اختلطوا فوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث سلمة بن الاكوع قال لما تواعدنا الصلح وتوادعوا كان في المسلمين ناس من المشركين وفي المشركين ناس من المسلمين فتنكر ابو سفيان فاذا الوادي يسيل بالرجال والسلاح • قال سلمة فجيت بستة من المشركين اسوقهم متسلحين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فاتيت بهم النبي صلى الله عليه وسلم فعفى عنهم وشدة فا على من في ايدي المشركين كانوا في ايديهم منا رجلا الا استنقذناه وغلبنا على من في ايدينا منهم فنزلت فيه هذه الاية • وروي الزهري عن القاسم بن محمد قال لما كتب في الصلح ترد من جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحق ابو بصير بالساحل الى اهل مكة وجا ابو بصير واصحابه فرد هم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق ابو بصير بالساحل واجتمع اليه من فر من المسلمين وجعلوا يقطعون على كل من كان يحمل الميرة الى مكة حتى وقع فيهم القحط فلما راى ذلك كفار قريش بعثوا نفرا منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو اراد هذا الصلح لا بقي شيا ولما نقتل وننهب اموالنا فنسالك بالرحم الذي بيننا وبينك ان تردهم الى حضرتك وتكف عنا ايديهم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت هذه الاية • وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية فساق الهدي نزل بذي الحليفة فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه تاتي قوما حربا لك ليس معك سلاح ولا كراع فبعث الى المدينة فاتوه بكل سلاح وكراع كان بها فلما نزل عليه السلام بمنا اتاه عيينة فاخبره ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليك في خمس ماية فارس فقال عليه السلام لخالد بن الوليد هذا ابن عمك اتاك في خمس ماية فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فقال يا رسول الله ارم بي حيث شيت فوجهه على خيل فاتى عكرمة بن ابي جهل فهزمه حتى ادخله جوف مكة فنزلت هذه الاية • قال انس اطلع قوم على النبي صلى الله عليه وسلم من قبل التنعيم ليا خذوه فاخذهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلي سبيلهم فنزلت هذه الاية • وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
اي وصدوا الهدي معكوفا اي موقوفا ممنوعا • وقوله تعالى ان يبلغ محله اي عن ان يبلغ محله اي الموضع الذي يحل
فيه ذبحه وهو الحرم اي هم مع هذه الافعال القبيحة كانوا مستحقين القتال والقتل وانما امرناكم بالرجوع لحكمة
وهي ما ذكر بعده • وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات اي من اهل مكة لم تعلموهم اي لم تعلموا انتم بايمانهم
ان تطؤهم اي لولا ان تطؤهم بخيلكم اذا دخلتم مكة وانتم لا تعلمون بايمانهم وهو كقوله احسن كل شيء خلقه اي احسن
خلق كل شيء على البدل والترجمة وهو كقولك لولا زيد حقه وحرمته لفعلت كذا اي لولا حق زيد • وقيل ان تطؤهم
باقدامكم • وقيل ان تصيبوهم بسيوفكم وهو مجاز واستعارة فتصيبكم منهم معرة اي فتنالكم من جهة الموطوئين من غير
قصد معرة • قيل مساءة • وقيل عيب وشين من المعرة وهي العذر ومن العر وهو القروح في مشافر الابل وقوائمها
ومعناه تلزمكم الدية بقتلهم • وقيل يعيبكم الكفار بقتلكم اهل دينكم بغير علم اي بايمانهم ليدخل الله في رحمته من
يشاء اي امن هؤلاء رجاء ان يدخلهم الله جنته • وقوله تعالى من يشاء هم المؤمنون لو تزيلوا اي تزايل هؤلاء المؤمنون
الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم هو تمييز هؤلاء الكفار من سائر الكفار كما في اخر هذه السورة وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم تمييزهم من سائر المؤمنين اي لعذبنا الكفار بسيوفكم في الدنيا وبالنار
في الاخرة عذابا اليما • وقوله تعالى لعذبنا جواب لقوله ولولا رجال وكقوله لو تزيلوا جميعا وبين بهذه الاية ان
الحكمة في صرف المؤمنين عن دخول مكة كانت لسلامة هؤلاء المؤمنين المستضعفين المقهورين بمكة وفيه
بيان قدر الضعفاء من المؤمنين عند الله • وقوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اي لعذبنا هؤلاء
بسيوفكم حين جعل هؤلاء المشركون الصادون في قلوبهم الحمية اي الانفة حمية الجاهلية ترجمة عنه والجاهلية
حالة الكفر والجهل بالله قالوا قتل محمد ابانا واخواننا ثم اتانا يدخل علينا في منازلنا والله لا يدخل علينا
ومن هذه الحمية ما مر في ذكر الصلح من منعه ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ويكتب صالح محمد رسول الله
وشرط ان لا يردوا من جاءهم من المسلمين ويرد المسلمين من جاءهم منهم ونحو ذلك • وقوله تعالى فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين حتى اطمانوا فلم يضطربوا • وقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى • قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس وقتادة ومجاهد وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة
ابن مصرف والسدي والربيع بن انس رضي الله عنهم هي قول لا اله الا الله وهي اصل التقوى فانها التقوى
من الشرك ولجاة في ايضا من النار • وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم هي شعار هذه الامة
والالزام هو التثبيت عليها • وقوله تعالى وكانوا احق بها اي اولى بها من غيرهم • وقيل وكانوا احق بها في علم
الله من كفار مكة • وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما بمن كان اهلا للايمان باختياره ذلك وبكل شيء • وقوله
تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اي اراه ما اراه في المنام صدقا لا خلف فيه وكان رأى في المنام
ما تاويله دخول مكة فاخبر اصحابه ولما صدوا عن المسجد الحرام وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحلل
والانصراف قالوا الست كنت تعدنا انا نأتي البيت فنطوف به فقال اهل اخبرتك انا نأتيه هذا العام فقالوا
لا فقال انك ستأتيه وتطوف به فاله لرجل قال له ذلك • وقوله تعالى بالحق اي بتحقيق ما اراه لتدخلن المسجد
الحرام وهذا قسم ورؤيا الانبياء وحي والخطاب به وخبر لا كذب فيه والقسم تاكيد لا وهن فيه ثم قال ان شاء الله
وهو في كلامنا تذكر فيما يكون ولا يكون فما معناه مع ما سبق وجوابه من وجوه احدها ان ملك الرؤيا خاطبه
في الرؤيا بذلك اطلاعا فنزل الكتاب بذلك اسماعا • والثاني انه تحقيق لا تعليق وتقديره لتدخلن بادخال
الله وهو بمشيئته وارادته لا معترض عليه ولا منازع له ولا مانع دونه • والثالث ان الله علم ان بعضهم يموت
قبل ذلك • والرابع انه على قوله امنين لا على قوله لتدخلن فكان الدخول موعودا متحققا وكان الامان عند
ذلك موعودا معلقا • والخامس ان معناه ان شاء الله كما قال وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم
مؤمنين اي اذ كنتم محلقين رؤوسكم ومقصرين اي تدخلونه محرمين بالعمرة ثم تحلقون رؤوسكم للتحلل وتقصر
بعضكم والتشديد للتكثير وهو تكثير بحال الخلق وهي الرؤوس والتقصير قطع اطراف الشعور • وقوله تعالى
فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير تحقيق الرؤيا الى العام القابل وهو ما مر • وقوله تعالى فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا فتح خيبر • وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي بالتوحيد ودين الحق اي الاسلام
ليظهره على الدين كله اي ليغلبه على الاديان كلها • وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اي شاهدا على صدق
رسوله باقامة حجته • وقوله تعالى محمد رسول الله مبتدا وخبر وهو وقف تام وما بعده مبتدا وخبر اينما
وقال ابو حاتم محمد رسول الله مبتدا وما بعده معطوف عليه وخبر الكل مثلهم في التوراة • وقوله تعالى
والذين معه اي من الصحابة اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم رحماء بينهم اي عاطفون على اهل الاسلام
ومن الشدة على اهل الكفار حرصهم على دخول مكة بالسيف وانفتهم من اعطاء الدنية ومن رحمتهم بينهم انه
شق عليهم قبول الشرط في رد من اتاهم مسلما اليهم ثم شدتهم على الكفار في كل موطن وعطفهم على المسلمين في كل

موضع مما لا يخفى تراهم ركعا سجدا مع جهادهم في سبيل الله كانوا مجتهدين في العبادة لله تعالى يبتغون بذلك فضلا من
الله تضعيف الحسنات ورضوانا بتبعيد السيئات • وقوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود اي علامتهم قيل
هي صفرة الوجوه بكثرة التهجد • وقيل هي اشراق وجوههم • قال صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار • وقيل هي ما يظهر عليها من النور يوم القيامة • وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة اي صفتهم كما قال
مثل الجنة • وقال ولله المثل الاعلى اي ذكرنا في التوراة انهم اشداء على الكفار الى اخره • وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل
هذا على حقيقة المثل • وقوله تعالى كزرع اي مثلهم في توادهم وتراحمهم فيما بينهم وتآلفهم على الجهاد في سبيل الله
ونصرة دين الله كزرع اخرج شطأه • قال الاخفش اي فراخه • وقيل فوائده • وقيل سنبله • وقال الفراء هو ان ينبت
سبعا وثمانيا وعشرا • قرا ابن كثير وابن عامر بنصب الشين والطاء والباقون بتسكين الطاء وهما واحد • وقوله
تعالى فآزره اي قوى الشطء اصل الزرع بالتفافه عليه وتكاثفه • وقوله تعالى فاستغلظ اي فتغلظ قصب
الزرع فاستوى على سوقه جمع ساق يعجب الزراع اي هذا الزرع الزراع تمثيل اصحاب النبي باصحابه وتوافقهم
على الطاعة وتظاهرهم على نصرة دين الله الذين تتعجب الانبياء منهم يوم القيامة لما يرون من فضلهم على
كل الامم فالزراع مثل الانبياء ليغيظ بهم الكفار ويتغيظ لذلك اطاعتهم والظهور عليهم • قال تعالى واذا
خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم • وقال عكرمة والذين معه ابو بكر وعمر كان معه في كل
حضر وسفر اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب رضوان الله
عليهم سيماهم في وجوههم من اثر السجود • قال ابن عباس رضي الله عنهما اثر السهر • وقال مجاهد اثر الخشوع •
وقال ابو العالية يسجدون على التراب لا على الثياب والاثواب • وقال عطاء بن ابي رباح استنارت وجوههم
من طول ما صلوا • وقال منصور سالت مجاهدا عن قوله سيماهم في وجوههم اهو الاثر يكون بين عيني الرجل
قال ربما يكون بين عيني الرجل ذلك الاثر وهو انسي قلبا من الحجر ولكنه نور في وجوههم من الخشوع • وقال
ابن جريج هو الوقار والبهاء • وقال الزهري يكون ذلك يوم القيامة • وقال شهر بن حوشب يكون مواضع
السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر يوم القيامة • وقوله تعالى في الانجيل كزرع • قيل هو محمد اخرج شطأه
ابو بكر فآزره هو عمر اعانه على كفار مكة فاستوى على سوقه هو عثمان استواهم وقواهم بنفقته على سوقه
هو علي بن ابي طالب قام بنصر الدين وقهر الكافرين • وقوله تعالى يعجب الزراع جميع المؤمنين ليغيظ بهم
الكفار بجميع المشركين وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم هو لتمييز الجنس لا للتبعيض اي من
هؤلاء الصحابة مغفرة عفوا عن السيئات واجرا عظيما في الجنة بما لا ينقطع من الكرامات • وقال ابو العالية
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اي احبوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض

هذا القول على الحسن فاستحسنه

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي امرنا بمتابعة السنة والقران • الرحمن الذي كره الينا الكفر والفسوق والعصيان
الرحيم الذي من علينا وهدانا للايمان • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا الحجرات اعطي عشر حسنات بعدد من اطاع الله وعصاه • وهذه السورة مدنية وهي ثمان
عشرة اية • وثلثماية وسبع واربعون كلمة • والف واربع ماية وثلاثة وستون حرفا • وانتظام ختم تلك
السورة بافتتاح هذه السورة انه ختم تلك في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وموافقيه ومخالفيه وافتتاح
هذه بذلك ايضا • وانتظام السورتين انه تلك السورة في اصول الدين من الايمان والايقان والبيعة
والجهاد في سبيل الله وموازرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في فروع الدين ومكارم الاخلاق
وجلايل الاداب والمجاملة في المعاملة • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
قرا الضحاك ويعقوب الحضرمي رحمهما الله بفتح التاء والدال من التقدم • وقراءة العامة بضم التاء وفتح القاف
وكسر الدال من التقديم • قال الفراء رحمه الله هما واحد كقوله علقت الشيء وتعلقته وعلى ظاهر اللغة معنى
قراءة العامة يا ايها الذين امنوا لا تقدموا قولا ولا فعلا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله
فيما سبيله ان يوجد عنه من امر الدين بل انتظروا حكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فان حكمه حكم الله
تعالى الله لا يقضي الا بامر الله تعالى وهو معنى ذكر اسمه مثل ذكر رسوله وهو قوله بين يدي الله ورسوله اذ
التقدم على رسوله تقدم عليه تعالى كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وهذا التاويل ياتي
على اكثر اقاويل المفسرين ومعنى قراءة الضحاك ويعقوب لا تتقولوا قبله ولا تفعلوا قبله شيئا كونوا تابعين
له قولا وفعلا وبين يدي مجاز واستعارة عن مطلق التقدم كما في قوله بين يدي رحمته • فقيل التقدم بين
يدي الله مخالفة كتابه والتقدم على رسوله مخالفة سنته • وقال الحسن رحمه الله ان قوما ذبحوا قبل ان يصلي

النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر صلاة العيد فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يذبحوا ثانيا حين نزلت الاية وقال
مسروق كنا عند عايشة رضي الله عنها يوم الشك فاتي بلبن فقلت اني صايم فقالت عايشة رضي الله عنها نهي
عن هذا ونزلت هذه الاية وقالت هذه في الصوم وغيره • وقال الحسن رحمه الله اي لا تعملوا بخلاف الكتاب
والسنة • وقال مقاتل رحمه الله نزلت في ثلاثة نفر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية وامر عليهم
المنذر بن عمرو فخرج بنو عامر بن صعصعة عند بير معونة فصدوهم على الطريق وقتلوهم فرجع ثلاثة منهم
فلما دنوا الي المدينة خرج رجلان من بني سليم فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان اعطاهما وكساهما فقالا
نحن من بني عامر لان بني عامر كانوا اقرب الي المدينة فقتلوهما واخذوا ثيابهما وجاوا الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت الاية • وعن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد تميم سبعون رجلا او ثمانون رجلا فقال ابو بكر الصديق رضي
الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن حكيم • وقال عمر لا بل امر عليهم الاقرع بن حابس
فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتراداوا وارتفعت اصواتهما فنزلت هذه الاية فروي انهما
كانا لا يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي سرار • وقوله تعالي واتقوا الله اي في التقدم بين يدي الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ان الله سميع بما تقولونه عليم بما تفعلونه • وقوله تعالي يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي في مخاطبتكم ولا تجهروا له بالقول اي عليه كقوله تسقط لفيه اي على
فيه كجهر بعضكم لبعض اي لا تستعملوا في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بالاسم كما يصرح بعضكم لبعض
فيقول يا محمد يا ابا القاسم بالنبوة والرسالة يا نبي الله يا رسول الله فان ذلك ترك للحرمة وتسوية بينه وبين
الامة ان تحبط اعمالكم اي لا تبطل ثواب اعمالكم التي هي طاعات وقربات بالاستخفاف بحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا • قال جابر بن عبد الله جاءت بنو تميم وهم سبعون
او ثمانون وفيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب فنادوا على الباب يا محمد اخرج
علينا فان مدحنا زين وان ذمنا شين قال فسمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول
انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جينا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك
ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولكن بالفخار امرت ولكن هاتوا فقال
الزبرقان بن بدر • لشاب من شبانهم • قم واذكر فضلك وفضل قومك فقال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه
واتانا اموالا نفعل بها ما نشا فنحن من خير اهل الارض من اكثرهم عدة ومالا وسلاحا فمن انكر علينا قولنا
فليات بقول احسن منه من قولنا وبفعال خير من فعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت
ابن قيس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فقال الحمد لله احمده واستعينه واومن
به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين
من بني عمه احسن الناس وجوها واعظمهم احلاما فاجابوه فقالوا الحمد لله الذي جعلنا انصار دينه
ووزرا رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتي يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا ماله ونفسه
ومن اباها قاتلناه وكان رغمه في الله هينا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات فقال الزبرقان
ابن بدر لشاب من شبانهم قم فاجبه فقل ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك قال فقام الشاب فقال
نحن الكرام فلا حي يعادلنا • فينا الروس وفينا يقسم الربع • ونطعم الناس عند القحط كلهم • من السديف
اذا لم يونس القزع • انا ابينا ولا ياتي لنا احد • انا كذلك عند الفخر نرتفع • فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الي حسان بن ثابت فانطلق اليه الرسول فقال وما تريد مني وكنت عنده انفا قال جاءت
بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتا فاجابه وتكلم شاعرهم فارسل اليك
لتجيبه وذكر له قول شاعرهم قال فجا حسان فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبه فقال
يا رسول الله فليسمعني ما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعه ما قلت فانشد ما قال
فقال حسان • ان الذوايب من فهر واخوتهم • قد شرعوا سنة للناس تتبع • يرضي بها كل من كانت سريرته
تقوي الاله وكل الخير يصطنع • ثم قال حسان • نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم عات من معد وحاضر
نصرنا كا رواع المحاض مساسه • وطعن كافواه اللقاح المصادر • وسل يوم احد يوم استعلت جموعهم نعيرة
لنا مثل اللوب الحياد ر لسنا نخوض الموت في حومة الوغا • اذا طاب ورد الموت بين العساكر • ونضرب
هام الدارعين وننتمي • الي حسب من عزم غسان قاهر • فلولا حيا الله قلنا تكرما • على الناس بالحقيق
هل من مفاخر • فاحيانا من خير من وطي الحصا • واموا تنا من خير اهل المقابر • قال فقام الاقرع بن حابس
فقال اني والله يا محمد قد جيت بامر ما جا به هولاء واني قد قلت شعرا فاسمعه فقال هات • فقال
اتيناك كما تعرف الناس فضلنا • اذا خالفونا عند ذكر المكارم • وانا روس الناس في كل معشر • وان ليس
في ارض الحجاز كدارم • وان لنا المرباع في كل غارة • تكون بنجد او بارض التهايم • فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم يا حسان قم فاجبه فقام حسان فقال • بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يعود وبالا عند ذكر المكارم • هبلتم
علينا تفخرون وانتم لنا • خول من بين ظير وخادم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا اخا بني دارم
ان يذكر منك ما قد ظننت ان الناس قد نسوه قال فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد عليهم من قول
حسان ثم رجع حسان الى شعره فقال • وافضل ما نلتم من المجد والعلي • ردافتنا من بعد ذكر الاكارم • فان كنتم
جيتم لحقن دمايكم • واموالكم ان تقسموا في المقاسم • فلا تجعلوا لله ندا واسلموا • ولا تفخروا عند النبي بدارم
والا ورب البيت مالت اكفنا • على هامكم بالمرهفات الصوارم • قال فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا
لمؤتى له والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن صوتا واحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان
شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم
وكان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم وكان قيس بن عاصم يبغضه لحداثته فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
ما اعطى القوم فازدري به قيس فقال فيه قيس ابياتا شعر وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله واجر
عظيم يعني حجرا وقرا وجوا الجنة • وقوله تعالي ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي يخفضونه
احتراما له اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي اي اختبرهم بما تعبدهم به من هذه العبادة لتظهر
العبادة طاعتهم له باتقايهم ركوب ما نهاهم الله عنه فخلصوا على الاختبار فظهر منهم التقوي وانتفت
منهم الشكوك كما يمتحن الذهب بالنار فيخلص • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه امتحن الله قلوبهم للتقوي
اي ذهب بالشهوات عن قلوبهم لهم مغفرة واجر عظيم وهذا ثنا عجيب واجر عظيم وقد كان منهم ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما على ما روينا • وقيل في ثابت بن قيس بن شماس وكان جهير الصوت يرفع صوته عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية جلس يبكي في بيته ويقول اخاف ان يكون قد حبط عملي فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وبشره بالجنة • وقال الزهري ان ثابت بن قيس اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت فقال لم هلكت يا ثابت قال يا رسول الله ان الله نهانا ان نرفع اصواتنا
فوق صوتك وانا امرؤ جهير الصوت ونهانا الله عن الخيلاء واني احب الجمال حتى ان الجنة في شسع نعلي
وجلد سوطي ونهانا ان نحب المرء ان يحمد بما لم يفعل وانا والله احب في ان احمد فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ثابت ان الله جميل يحب الجمال وليس ذلك بالكبر انما الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس في عينيك
الا ترضى ان تعيش حميدا وتذهب فقيرا او تقتل شهيدا فقال بلى قد رضيت يا رسول الله فعاش حميدا وذهب
فقيرا وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب • قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا
فلما كان يوم اليمامة وانهزم المسلمون قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله
مثل هذا فثبتا حتى قتلا وعلى ثابت يوميذ درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام اذ قال له يا ثابت
اعلم ان فلانا من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر وعنده فرس يستن به في طوله وقد
وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره برد درعي وات خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقل له ان على دينا حتى يقضى ديني وفلان من رقيقي حر واياك ان تقول هذا حلم فتضيعه فاخبر الرجل
خالد بن الوليد فوجد درعه حيث قال فاستردها فلما رجعوا اخبر خالد بن الوليد ابا بكر بذلك فاجاز
وصيته • قال الحسن بن مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه الوصية • وقوله تعالي
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون • قرا ابو جعفر بفتح الجيم وهي جمع حجرة وحجر وحجرات
وهي ماخوذة من التحجير وهي ان يتخذ المرء لنفسه منزلا يسكنه يمنع غيره من مشاركته فيه والحجر المنع ان الذين
يصيحون بك خارج منزلك وانت في منزلك ولا ينتظرون خروجك الى الناس من قوم الغالب عليهم الجفا
والجهل لخلوهم من علم الدين وفيه ذم هذه الفرقة وتسخيف لعقولهم بهذه المعاملة وتسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم بما لحقه من الاذية انهم كالمجانين الذين لا عقول لهم فليهون عليك ذلك • قال مجاهد رحمه
الله هم اعراب بني تميم • وروي ان الاقرع بن حابس هو الذي نادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء
الحجرات وقال اكثرهم لا يعقلون ولم يقل كلهم لان المنادي بعضهم ولعل فيهم من يعقل • وقوله تعالي ولو
انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي انفع واصلح في دينهم ودنياهم والله غفور رحيم اي ان تابوا
مغفر لهم ورحمهم • قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الي حي بني العنبر
وامر عليهم عيينة بن حصن فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالاتهم فسباهم عيينة وقدم بهم الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجا بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قايلا فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم يبكون وكان لكل امراة من

لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة ابن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم وقال سبرة انا لا احكم بينهم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة بن ضرار فرضي الاعور فقال الاعور ان بني العنبر كانوا يبادي نصفهم وسبي نصفهم فقال عليه السلام من كان عليه محرر ابن ولد اسمعيل فليعتق بعضهم فنزلت هذه الاية • وقال الكلبي رحمه الله نزلت الاية في بني تميم وفي بني عبس حين قدموا فجاؤوا الى حجرات النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يقولون اخرج الينا ما لنا سبيت ذرارينا ولم ندع لك من طاعة فحكم بينه وبينهم الاعور بن بشامة وقال في قوله ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم فيطلقهم كلهم بلا فداء كان خيرا لهم • وقال مقاتل نزلت في تسعة نفر من بني تميم الاقرع ابن حابس وقيس بن عاصم • والزبرقان بن بدر وخالد بن مالك وسويد بن هاشم النهشليين والقعقاع بن معبد وعطارد بن حاجب ووكيع بن وكيع الدارمي وعيينة بن حصن الفزاري • وقال الزهري رحمه الله ناداه رجل واحد • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا • قال ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فاكثر المسلمون ذكر غزوهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغزوهم فبينما هم في ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته الينا فخرجنا اليه لنكرمه ونودي اليه ما قبلنا من الصدقات فاستمر راجعا فبلغنا انه يزعم لرسول الله انا خرجنا اليه لنقاتله والله ما جئنا لذلك فانزل الله تعالى في قوله يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا • قرا حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبيت وهو التاني وترك العجلة من الثبات على الشي • وقرا الباقون فتبينوا من التبيين وهو النظر في الشي الى ان يتبين ويتحقق ذلك وقوله ان تصيبوا قوما بجهالة اي لان لا تصيبوا قوما بقول ذلك الفاسق على جهل بحاله وتقدير الاية ان جاءكم فاسق بخبر فتانوا ولا تعجلوا الى ان يتضح صدقه لان لا تصيبوا ان تعجلتم القضاء به قوما في نفوسهم وذراريهم واموالهم بجهل منكم بحالهم في استحقاقهم ما تصيبون به فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وهو دليل على ان شهادة الفاسق شهادة فان الله تعالى امر بالتاني في قبوله لا برده • وقوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله اي فاتقوا ان تقولوا الباطل عنده وتكذبوا فانه يتثبت ويكشف الله له الصدق فيهتك ستر الفاسق لو يطيعكم في كثير من الامر اي لو عمل بقولكم لبعث اليهم من يقاتلهم لعنتم اي لاثمتم • وقيل اي لهلكتم • وقال ابو سعيد الخدري هذا نبيكم وخيار امتكم لو يطيعهم في كثير من الامر لعنتم فكيف بكم اليوم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم اي حسنه وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان فانتم لذلك اطعتم رسول الله ولم تقاتلوهم ولا تعجلوا في امرهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجه اليهم خالد بن الوليد وقال له احف قدومك وادخلها ليلا وتجسس هل ترى اثر الاسلام ففعل فسمع النداء وراى تهجدهم بالليل واصبح معهم فيجا صدقاتهم ثم قال لما ارسلني رسول الله قد فعوها اليه وهذا لا يخالف ما روينا من مجي وفدهم الى رسول الله لان الجمع ممكن وهو ان يكونوا بعثوا وفدا وقبل وصولهم بعث اليهم رسول الله خالد بن الوليد ودلت الاية على خلق افعال العباد اولئك هم الراشدون رجع الكلام من المخاطبة الى المغايبة ليعم المخاطبين وغيرهم اي الذين حبب الله اليهم الايمان وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان منكم ومن غيركم هم المهتدون وهو كقوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون اي فالمريدون وجه الله منكم ومن غيركم فانكروا وجه الله فاولئك هم المضعفون فازادوا وجه الله فضلا من الله ونعمة وهذا يبطل قول القائلين بالاصلح فانه لو وجب ذلك على الله لم يكن ذلك تفضلا منه والله عليم حكيم عليم بمن يحب الايمان ومن يكرهه منكم في تدبير امور خلقه • وقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا لان كل طائفة جمع فهما جمعان اي قاتلت احداهما الاخرى فاصلحوا بينهما ثنى على ظاهر تثنية الطائفتين فان بغت احداهما على الاخرى اي استطالت طائفة منهما على الطائفة الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى امر الله اي ترجع الى الصلح وترك البغي فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا اي اعدلوا وروت في نزول هذه الايات روايات كلها مجتمعة على انها نزلت في خلاف وقع بين نفر من الانصار فغضب كل واحد منهما قومه حتى خرجوا الى القتال بالجريد والعصي والايدي والنعال ويحتمل ان تكون كلها صحيحة ونزول الاية كان عقيب جميعها • وانتظام هذه بما قبلها انهم امروا بترك التقدم على الرسول بالقول والفعل وبالاجلال له ونهوا عن ايذائه • قال ابن عباس رضي الله عنهما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على ملا من الانصار فيهم عبد الله بن ابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فوقف عليهم يعظهم فبال الحمار او راث فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال لقد اذيتنا بنتن

حمارك فتنح عنا فغضب لذلك عبد الله بن رواحة فقال ان حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب من رائحتك فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الكلام بين عبد الله بن ابي وبين عبد الله بن رواحة حتى استبا وتجالدوا وجاء قوم عبد الله بن رواحة وهم الاوس وقوم عبد الله بن ابي وهم الخزرج وتجالدوا بالعصي • وقال السدي رحمه الله تجالدوا بالنعال والايدي • وقال الضحاك بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلح بينهم ونزلت الاية • وقال قتادة رحمه الله ذكر لنا ان الاية نزلت في رجلين كانت بينهما مخاصمة فقال احدهما لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وابى الاخر ذلك ودعاه على اتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما فابى صاحبه فاختصما فنزلت الاية • وقال الكلبي رحمه الله نزلت في حاطب وسمير وكان سمير قتل حاطبا فجعلوا يقتتلون في الجاهلية الى ان اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وعلى الاول ان عبد الله بن ابي كان منافقا والاية في طايفتين من المؤمنين لكن يرجع ذلك الى اصحاب عبد الله بن ابي وعشيرته فلم يكونوا كلهم منافقين فالاية تناولت المؤمنين منهم وجملة ذلك ان طايفتين من المؤمنين اذا تنازعوا وادى بهم الى التقاتل نظر الامام ونائبه في ذلك وحملهما على حكم الشرع فان عملا بذلك وتصالحا والا منع الباغي منهما من ذلك وبالكلام والعمل وحبس ان احتاج الى ذلك فان كانت الطايفتان الممتنعين قاتلت الطايفة الباغية الى ان ترجع الى حكم الشرع • وقوله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا في الاصلاح بينهما ويحتمل اقسطوا اي انتما جميعا فلا تتمانعوا الحقوق • انما المؤمنون اخوة اي متواخون على الاسلام بعضهم اولياء بعض والايمان اشرف انسابهم وقد قطع الله الولاية بينهم وبين من خالف دينهم من عشايرهم فاصلحوا بين اخويكم وهو اقل من ان يقع بينهم القتال واذا امر واحد في الاقل فنبهوا به على الاكثر واتقوا الله فلا تمانعوا الحقوق فيؤديكم ذلك الى الاقتتال لعلكم ترحمون اي لترحموا بذلك • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم قد بينا ان السورة في الامر بمكارم الاخلاق وكان معتادا في اكثر العرب في النظر التفاخر بالانساب والاستهزاء والتحقير والاستخفاف وكان اكثر المشركين يترفعون على فقراء المسلمين ويستضعفونهم فنزلت السورة بنهاهم عن مساوي الاخلاق ويحضهم على ما يجب من ذلك في معاشرة الرؤساء ثم اتبع بالمرؤسين من النظراء والاكفاء وقد كان من افاضل الصحابة من يبدر منهم النادرة في هذا الباب كما روي في سبب نزول هذه الاية ان خالد بن الوليد ذكر عمار بن ياسر فنال منه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه ثقل فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه في المجلس وسعوا له فاتاه ذات يوم ركعة من الفجر اذ اقبل يتخطى الناس وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبين رجل فقال له تفسح او تنح فقال الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلف الرجل مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا فقال انا فلان فقال له ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها فنكس الرجل راسه واستحيى فانزل الله تعالى هذه الاية • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني لا يسخر قوم من قوم هم في المعيشة والحسب يقول الرجل للرجال تقيني وانت ذي عسى ان يكونوا خيرا منهم اي او فر نصيبا منهم في الاخرة فقال ثابت بعد نزول هذه الاية لا افخر على احد في الحسب بعد هذا ابدا • وقال مقاتل نزلت في ابي مالك وعبد الله بن حدرد وذلك ان عبد الله قال لابي مالك يا يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ان تخلد على حتى يبين الله توبتكما فاوثقا انفسهما الى سارية المسجد فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال الضحاك رحمه الله نزلت في الذين استهزؤوا فقوم من بني تميم استهزؤوا من بلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى ابي حذيفة • وقال ابو جبيرة نزلت الاية فينا بني سلمة او ثلاثة فكان الرجل يدعى باحد اسمائه فيكرهه فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال عطاء الخراساني كان الرجل يعير بخلة كانت فيه في الجاهلية وقد رجع عنها واسلم • وروي ان ابا ذر دعا رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بام كانت له في الجاهلية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فيك الجاهلية فقال يا نبي الله اجاهلية الاسلام ام جاهلية الكفر فقال بل جاهلية كفر ثم قال ما انها اسود والاحمر استخير منه حتى يرضى عنك صاحبك فخرج ابو ذر رضي الله عنه يبتغي صاحبه فيصر به الذي استطال عليه فجاء الرجل فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سبقك الرجل يا ابا ذر فقال ابو ذر انما جيتك لاني احب ان تسلم عليك فذكرت لك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يا ابا ذر سبقتك فقال ابو ذر فاستغفر لي رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغفر الله لصاحبك فما عاد عليه استغفر لي يا رسول الله فاستغفر لصاحبه ثلاث مرات ثم استغفر لابي ذر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب طفيا من الشيطان وانما ينفخ فيها في جمرة الانر ترونه بحمار عيناه وبدا وداجه • وقوله قوم من قوم اي رجال من رجال • شعر • وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم ال حصن ام نساء • وقوله تعالى ولا نساء من نساء يدل على ما قلنا ان القوم هم الرجال • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من ام سلمة وذلك ان ام سلمة ربطت حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما خلفها كانها لسان كلب فكان هذا سخرتهما • وروي عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت

يبي بن اخطب انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان عايشة تعيرني وتقول يا يهودية فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد فنزلت هذه الاية • وروي ان عايشة رضي الله عنها كانت
تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت امراة قصيرة تسمى ام المساكين وكانت تقوم على ضيف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلت عايشة رضي الله عنها تسخر منها لقصرها فانزل الله تعالى هذه الاية عسى ان يكن خيرا منهن عند الله في المنزلة
كما قلنا في الرجال • وقيل فيهما عسى ان يكونوا بعد هذا خيرا منهم في الدنيا وعسى ان يكن بعد هذا في الدنيا خيرا منهن يعني ان ذات
السخرية بفقرا وضعف او علة نفسي تزول من ذلك ويبتلى بها الساخر فنبه الله على انه قادر على ان يزيله من ذلك ويجعل
من يضحكه • وقيل هذا يكون في التعيير بذنب يكون الانسان فيه فيذنبوا الى ان يسخروا على الناس ولا يعيروهم ويروا
فضل الله عليهم على انفسهم بالعصمة ويخافوا ان يصيروا مثلهم ولا تلمزوا انفسكم من العيب او الطعن من باب دخل
وضرب جميعا • وقرا يعقوب بضم وقرا العامة بالكسر اي لا يعيب بعضكم بعضا ولا يطعن وهو كقوله ولا تقتلوا انفسكم
وقوله فسلموا على انفسكم • وقيل اي لا تعيبوا اهل دينكم فان المسلمين كنفس واحدة ولا تنابزوا بالالقاب النبز
التلقيب بسكون البا والنبز اللقب بفتحها والتنابز التداعي بها • قال الضحاك هو كل اسم او صفة يكره الرجل
ان يدعى به • وقال قتادة اي لا تقل لاخيك المسلم يا فاسق يا منافق • وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم
فيلقب فيقال له يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي لا تدع اخاك بما يكره من الاسما
ولكن ادعه بما يحب فان ذلك اعطف لبعضكم على بعض واحب الى الله تعالى • وعن العلا بن شقيق بن ابي زيم
الغساني ان رجالا من الجند خرجوا يتقتلون وفيهم سعيد بن عامر فبينا هم كذلك اسابهم الحر فوضع سعيد
قلنسوته عن راسه وكان اصلع فلما رى سعيد صاح به رجل يا اصلع وهو لا يعرفه فقال له سعيد ان كنت لغنيا
عن ان تلعنك الملايكة فقال الرجل منهم ومن ماذا تلعنه الملايكة فقال من دعا امرا بغير اسمه لعنته الملايكة
بيس الاسم الفسوق بعد الايمان قال كان هذا في اليهودي والنصراني يسلم فكيف من صالحي المسلمين فيغضب عليه
الرجل من المسلمين فيدعوه باسمه الاول ويحتقره بذلك فنهى الله عن ذلك فقال بيس الاسم الفسوق بعد الايمان
وقوله يا يهودي بعد اسلامه وقيل هو تعظيم لهذه الجناية تقول بيس هذا الاسم الذي تسميه به بعدما امن
وقيل معناه من سخر به او لمزه او لقبه فقد فسق وبيس الاسم له هذا بعد ايمانه • وقوله تعالى ومن لم يتب
فاوليك هم الظالمون اي من لم يتب عن هذه الاشيا التي نهى الله تعالى عنها فقد وضع الشي في غير موضعه
وظلم نفسه وجمع قوله فاوليك بعد توحيد قوله ومن لم يتب فانه اسم جنس فكان واحدا بلفظه جمعا بمعناه
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وهو ان يظن بالمومن سوا من حيث لم يتحقق عليه
ولم يوجد منه من اعلان المعاصي ما يخرجه من حسن الظن به ان بعض الظن اثم وهو هذا ولا تجسسوا اي
لا يتبع بعضكم عيب بعض ولا يبحث عن سراير والتجسس البحث ومنه جس الشاه وجس العرق وهو البحث عن
سمن الشاه وهزالها وعن قوة حركة العرق وضعفها ومنه الجاسوس وهو الذي يبحث عن الاخبار ولا يغتب
بعضكم بعضا اي لا يذكر احد منكم غيره بظهر الغيب بما لو كان حاضرا فشافهه به كرهه صدقا كان او كذبا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت اخاك بما فيه فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان
ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه فانكم لا تحبون ذلك وان كنتم لا تحبونه فالغيبة له وهو حي مثل اكل لحمه وهو
ميت فلا تحبوه ايضا ولعل معناه ان الميت لا يشعر بما يغتاب به وليس بحينيذ انقضا وذكره بالسو لو لم
والميت ايضا لا يسال اكل لحمه بسو فلم يحسن ان ينال منه فكذلك الغايب لا يسال من يغتابه في حين اغتيابه بسو
فلم يحسن ان ينال منه فكرهتموه اي فقد كرهتم في طباعكم ودعوتكم اكل لحم اخيكم ميتا فاكرهوا اغتيابه
فانه مثل اكل لحمه وقيل فكرهتم ان تغتابوا فلا تغتابوا غيركم واتقوا الله عطف على اجتنبوا ولا تجسسوا
ولا يغتب ان الله تواب رحيم يقبل توبة من تاب ويرحم من اناب اليه • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنا برفيق لهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسل اليهما سلمان يخدمهما ويحوطهما في حوايجهما ويتقدم الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب
فتقدمهما سلمان ذات يوم الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيا فجاءا عليه وقالا ما اصلحت لنا شيا قال
غلبتني عيناي ومنعني عن شاني فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما فلم يجد عنده شيا وكان
اسامة بن زيد خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فوجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اسامة
وقال قل ان كان عنده فضل فليعط فاتى سلمان اسامة فاخبره بذلك فقال ما عندي شي فرجع اليهما سلمان فاخبرهما
بعد ذلك فقالا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماوها فكان هذا غيبتهما فلما رجعا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال لهما انكما اغتبتما والغيبة ان
يذكر الرجل من خلفه بما يكرهه اذا سمعه وهو يعدل اكل لحمه ميتا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعلم
انه حرام علينا ونحن نكره ذلك فقال عليه السلام فكما كرهتما ان تاكلا لحم اخيكما ميتا فلا تغتابا وترك الغيبة

وقيل انهما قاما يتجسسان رحل اسامة فنزلت فيهما ولا تجسسوا وهذه الخلال الثلث اي الظن السوء والتجسس والاغتياب
مرتبة في الفعل فمن اساء الظن باخيه المسلم تجسس باطنه فاذا تحقق ذلك منه اغتابه يقول اجتنبوا كثيرا من الظن
فان ظننتم فقد اساتم فلا تجسسوا فتزدادوا اثما فان تجسستم فقد اساتم فلا تغتابوا فتزدادوا اثما • وروي
زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات ليلة ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان اذ شب لهما نار
فاتيا الباب فاستاذنا ففتح الباب ودخلا فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر رضي الله عنه
وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المومنين فقال له عمر فمن هذه منك قال امراتي قال وما في القدح
قال ما زلال فقال للمراة وماذا تغنين قالت اقول • تطاول هذا الليل واسود جانبه • وارقني الا حبيب الاعبه
فوالله لولا خشية الله والتقى • لزعزع من هذا السرير جوانبه • ولكن عقلي والحيا يكفني • واكرم بعلي ان تنال مراكبه
ثم قال الرجل يا امير المومنين ما بهذا امرنا قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال عمر صدقت وانصرف • وقيل لعبد
الله بن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا نهينا عن التجسس الا ان يظهر لنا
قال عليه السلام من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته
وقال الامام القشيري رحمه الله العارف لا يتفرغ من شهود الحق الى شهود الخلق فكيف يتفرغ الى التجسس ومن
اشتغل بالحق لا يتفرغ الى نفسه ومن اشتغل بنفسه لا يتفرغ الى الخلق • وقال الغيبة للخلق لا تكون الا من الغيبة
عن الحق • وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وهذا تاكيد جميع ما مضى في هذه السورة من
الاعلام انه لا يصل الى ذلك كله الا بالتقوى فان من سخر بغيره او طعن عليه او ظن به سوا او اغتابه فذلك
راجع الى ازرايه به وتزدري بغيره الا الفضل تقدره لنفسه عليه فبين لهم انه تساووا في الاصل فقال يا ايها
الناس وهذا ابتدا امام انا خلقناكم من ذكر وانثى وهما ادم وحوى فكلكم اولاد اب واحد وام واحدة وجعلناكم
شعوبا جمع شعب وقبايل جمع قبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبايل والقبيلة
تجمع العمايرة والعماير تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل فمضر شعب وربيعة شعب
ومذحج شعب وحمير شعب وسميت شعوبا لان القبايل تتشعب منها وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن
وهاشم فخذ والعباس فصيلة لتعارفوا اي فعلنا كذلك لتقع المعرفة بذلك لا للتفاخر والعجب فان ازدتم
ذلك فتنوا بالتقوى وهو قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير لا يخفى عليه ظواهركم وبواطنكم
وقال ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الفتح ان الله تعالى اذهب عنكم عبية
الجاهلية وتكبرها انما الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا هذه الاية • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس حيث قال للرجل الذي لم يتفسح له انا ابن فلانة
فقال عليه السلام من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فقال
ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واسود واحمر قال فانك لا تفضلهم في شي الا في الدين والتقوى فانزل
الله هذه الاية وانزل في الذي لم يتفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الاية • وقال مقاتل
رحمه الله لما كان يوم فتح مكة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى اذن • قال عتاب بن اسيد بن
ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم • وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب
الاسود مؤذنا • وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره • وقال ابو سفيان بن حرب اني لا اقول شيا اخاف
ان يخبر به رب السموات والارض فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال لعتاب ما قلت الذي قلت قال قلت الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا
اليوم قال صدقت قال فما الذي قلت يا حارث قال قلت اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا قال
صدقت قال ما قلت يا سهيل قال قلت ان يرد الله شيا يغيره قال صدقت فما الذي قلت يا ابا سفيان
قال قلت اني لا اقول شيا اخاف ان يخبر به رب السموات والارض قال صدقت فانزل
الله هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى فان صحت هذه القصة فالاية مكية والسورة
مدنية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنا وكرم الاخرة التقوى • وقال ابو هريرة رضي الله
عنه ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش يا محمد يا امة احمد ان الله تعالى يقول اني وضعت لكم
نسبا ولي نسبا فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فانا اليوم ارفع نسبي واضع نسبكم اين المتقون
وقال الامام القشيري رحمه الله اذا كانت الاصول تربة ونطفة وعلقة فالتفاخر بماذا ابتراب مسنون
او بنطفة في قرار مكين او بما ينطوي عليه ظاهرك او باحوالك التي هي بالريا مشوبة او باحوالك التي هي بالاعجاب
مصحوبة او بما ملكتك التي كلها خيانة ان اكرمكم عند الله اتقاكم فانقاكم ابعدكم من نفسه وذلك اقربكم
من ربه • وقوله تعالى قالت الاعراب امنا وهذا فصل اخر يذكر فيها الاعراب في اخلاصهم وعقايدهم ورويتهم
الفضل بانسابهم وعشايرهم • وقوله تعالى قالت الاعراب اي قالت طايفة منهم امنا واختلف فيهم والاظهر
انهم كانوا منافقين قالوا امنا ليلحقهم رسول الله بمراتب المخلصين فاطلع الله نبيه على عليهم فقال قل لم تومنوا

اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا لخوف القتل فقولوا اسلمنا اي خضعنا وانقدنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم اي لم يدخل ولم يصل • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة فاظهروا شهادة ان لا اله الا الله ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارهم وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري فيريدون الصدقة ويقولون اعطنا ويمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية • وقال قتادة رحمه الله ما عمت الاعراب لان من العرب من يؤمن بالله واليوم الاخر ولكن كان لحيا من احيا العرب يمنون باسلامهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا امنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان • وقال السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم اعراب مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا بالله ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا • وقوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله اي تخلصوا وتتوبوا من النفاق لا يلتكم من اعمالكم شيئا اي لا ينقصكم من ثواب اعمالكم شيئا من لات يليت • وقال قطرب ويجوز ان يكون من ولت يلت وهو في معناه • وقرا ابو عمرو لا يالتكم بالالف وتليين الهمزة كما هو طريقه في المهموزات وهو في معناه ايضا الته يالته اي نقصه • قال تعالى وما التناهم من عملهم من شيء • وقال قطرب يقال الته يالته اي غلظ عليه • وروي ان رجلا قام الى عمر فوعظه فقال له رجل لا تالت امير المؤمنين اي لا تغلظ عليه • قال هارون القاري لا يالتكم اي لا يغلظ عليكم وتحقيقه وان تطيعوا الله ورسوله بالاعمال بعد تصحيح الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان لا يغلظ عليكم شيئا من الاعمال اي الشرايع كلها سهلة سمحة لا غلظ فيها ان الله غفور رحيم يغفر ما كان من الذنوب بعد التوبة والاخلاص • وقوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله اي صدقوا بقلوبهم واقروا بالسنتهم ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي اعدا الله اولئك هم الصادقون المحققون وهم المتكلمون معناهم ولما نزلت هذه الاية جاوا وحلفوا انهم مخلصون فنزل قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم التعليم هو الاعلام كالتعظيم هو الاعظام استفهام بمعنى التوبيخ والانكار والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم من الاخلاص والنفاق وغيره لك يمنون عليك ان اسلموا كما حكينا عنهم قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ليس هذا بتحقيق الايمان لهم بل معناه على الشرط المذكور في اخره ولو كنتم امنتم كما ادعيتم تصديقا في سر وعلانية لكانت المنة لله عليكم بان هداكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون • قرا ابن كثير وعاصم في رواية بيا المغايبة ردا على قوله يمنون عليك • وقرا الباقون بتا المخاطبة ردا على قوله يمن عليكم ان هداكم والله تعالى اعلم وله الحمد والمنة

لا رب غيره

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله منزل القران المجيد • الرحمن مقدم الوعد والوعيد • الرحيم المبشر بالجنة والمزيد • وروي عن ابي ابن كعب رضي الله عنه من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته • وهذه السورة مكية وهي خمس واربعون اية وثلثماية وثلث وسبعون كلمة • والف واربعماية [illegible] حرفا وافتتاح هذه السورة واختتام السورة التي قبلها باسم من اسما الله تعالى وهو وجه انتظامها وانتظام السورتين ان الاولى في تعليم اداب الشرع وثواب عاملها وعقاب تاركها في الاخرة وهذه في الاحتجاج على منكري البعث وبيان احوالهم في الاخرة • وقوله تعالى ق • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قسم وهو اسم من اسما الله تعالى • وقال محمد بن كعب القرظي هو افتتاح اسما الله تعالى قدير وقريب وقاهر وقابض • وقال قتادة رحمه الله اسم من اسما القران • وقيل اسم هذه السورة وتقديره هذه سورة ق • وقال الضحاك رحمه الله هو جبل محيط بالارض • وقال عكرمة رحمه الله هو جبل اخضر محيط بالارض والسموات [illegible] [illegible]

[illegible] • وقيل معناه قل يا محمد والقران المجيد • وقال ابو بكر الوراق معناه قف يا محمد عند امرنا ونهينا ولا تعدهما والعرب تقتصر من الكلمة على حرف كما قال قلت لها قفي فقالت ق • وقال الفرا [illegible] كاين والقران المجيد اقسم بالقران [illegible] الشريف • وقيل الكريم واختلف في جواب هذا القسم [illegible]

[illegible]

بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب وهو كقوله اكان للناس عجبا ثم لم يقتصروا [illegible] بل قالوا قال الكافرون تقبيحا لهم ووصفا لهم بما هو اسوا صفاتهم وهو من فرط جهلهم انهم ان يعجبوا وانكروا ان يكون من مثلهم نبيا مبعوثا واستحاروا ان يكون الصنم الذي هو دونهم الها معبودا ايذا متنا وكنا ترابا اي وقالوا ايضا هذا اذا متنا وبلينا وصرنا ترابا انبعث فهذا انهم ذلك رجع بعيد اي رد بعيد عن العقل اي قوله انا نرد بعد الموت الى الحياة محال لا يقبله العقل وهو كقولهم هيهات هيهات لما توعدون والرجع متعدي والرجوع لازم • قال مقاتل نزلت في ابي وامية ابني خلف وبنيه ومنبه ابني الحجاج السهميين واسد بن كلدة الاسدي وقوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكله الارض بعد موتهم من اجسادهم لحمها وعظمها وشعرها وبشرها وكل ما فيها ما يغيب شي منها عن علمنا ولا يتعذر اعادتها علينا وعندنا في السما كتاب حفيظ هو لذلك كله اي هو مثبت فيه فكانه حافظ له وهو فعيل بمعنى فاعل للاعمال بني ادم خيرها وشرها • وقال الحسن رحمه الله قد علمنا ما تنقص الارض من هولا الكفار بالقتل والموت والانتقال من الكفر وعندنا كتاب حفيظ فيه اعمالهم وما وعدناك من النصر وهو كقوله اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها وهو في وعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر والظفر عليهم بل كذبوا بالحق لما جاءهم • قيل يرجع الى قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر وليس تعجبهم لاستحالته بل لتكذيبهم للحق عنادا وهو الرسول فهم في امر مريج قال مجاهد اي ملتبس مختلط • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي فاسد • وقال الضحاك رحمه الله في لبس جديد وضلال ومعنى الاختلاط انه مرة قالوا هو مجنون ومرة قالوا ساحر ومرة قالوا هو كاهن ومرة قالوا هو شاعر ومرة قالوا هو كاذب • ومرة قالوا هو مفتر • وقيل هذا يرجع الى انكار البعث ونفقة ما انكروه لجهلهم بقدرة الله بل كذبوا بهذا الخبر الحق لما جاءهم فهم في امر ملتبس من حديث البعث منهم من يقول ان هي الا حياتنا الدنيا ومنهم من يقول ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومنهم من يقول ولئن رجعت الى ربي ما ادري ما الساعة ان نظن الا ظنا • وقال تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون • وقيل فهم في امر مريج اي جواب متناقض فانهم يقرون بالقدرة على الانشا وينكرون القدرة على الاعادة وهو تناقض • وقوله تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها اي بعد زلهم في انكار البعث اما ينظرون بابصار قلوبهم الى اصناف ما خلقه من السما والارض وما بينهما فيتنبهوا بذلك على قدرتي على اعادة الموتى اذ قد راوا بابصار رؤوسهم السما كيف جعلناها كالبنا المظلل فوقهم وزيناها بالكواكب والشمس والقمر وما لها من فروج اي شقوق والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل نوع حسن من النبات تبصرة اي تعريفا لمن نظر اليها وتدبر خلقها اني انا خالقها اذ لا ينبغي ذلك لاحد من المخلوقين ولا يتصور تكوينها من غير تكوين كونها الا بتنبيهنا قادر عالم واحد وذكرى اي تذكيرا للعباد يذكرون بها قدرتي ووحدانيتي لكل عبد منيب اي جعلت هذا التبصر والتذكير لكل عبد اقبل الى بارادته ونيته وعلق قلبه بالتفكر في اصناف خليقتي فهو الذي وفقته للخير والبركة ثم ذكر بعض تلك البركات فقال فانبتنا به جنات اي بساتين مشتملة على الازهار والثمار وحب الحصيد اي الزرع واحد بمعنى الجمع لانه جنس واضاف الحب الى الحصيد فهذا السوال انه لماذا اضيف اليه وقد قال الفرا الحب هو الحصيد فاضيف الى نفسه كقوله لحق اليقين ومسجد الجامع وصلاة الاولى والنخل باسقات لها طلع اي وانبتنا النخل وهي جمع نخلة قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله اي طوالا • وقيل الباسق العالي بذهابه الى جهة الارتفاع لها طلع نضيد • قال مجاهد وقتادة رحمهما الله نضد بعضه على بعض بمعنى منضود • وقيل النضيد المتراكب والطلع الكفرى وهو نضيد ما دام في وعايه • وقيل الطلع الثمر وهو نضيد اي متراكب في رووس النخل ليس

كسائر الاشجار التي تتفرق ثمرها رزقا للعباد اي انبتنا هذه الاشياء عطية منا وقوتا دارا للعباد ولم نخلقها الا لانفسنا واحيينا به اي بالماء المبارك بلدة ميتا اي ارضا يابسة قد ذهب نباتها كذلك الخروج من قبوركم يوم البعث بعد اذ كنتم امواتا • وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح اي قبل هؤلاء المشركين قوم نوح واصحاب الرس نبيهم وثمود صالحا وعاد هودا وفرعون موسى وهرون واخوان لوط لوطا اي قوم لوط والنساء لوطا واصحاب الايكة اي الغيضة شعيبا وقوم تبع رسولهم كل كذب الرسل اي كل واحد كذب رسله • وقيل كل واحد كذب جميع الرسل لان تكذيب الواحد تكذيب للكل لان كل واحد من الرسل يدعوا الى التصديق بالكل فحق وعيد اي وجب عليهم ما كنت توعدتهم به وقد مر ذكر كل قصة فيما تقدم واصحاب الرس ذكرناهم في سورة الفرقان • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا اصحاب ابار • وقال الضحاك كانوا بناحية اذربيجان • وقال عكرمة كان لهم نبي يتبعهم رموه في بير • وقال مقاتل الرس بير قتيل الذي فيها حبيب النجار صاحب ياسين • وقال سعيد بن جبير هم قتلوا نبيهم ورموه في بير بطن فلج عن اليمامة واسم نبيهم حنظلة بن صفوان • وقال عكرمة كانوا قوما من نبلون اسمعيل واولاده • وقال وهب رحمه الله كانوا اهل بير يقعدون عليها واصحاب مواشي وبعث الله اليهم نبيا فدعاهم وهو يلاطفهم الى ان تمادوا في اذاه فحذرهم عقاب الله وبأسه فبيناهم حول البير في منازلهم انهارت البير وانخسف بهم وبدارهم ورباعهم ودورهم وهلكوا جميعا واما تبع فقد ذكرنا فيه الاقاويل والاحاديث في سورة الدخان • وقال الحسن رحمه الله لم اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرون من تبع اكثر مما ذكره الله في كتابه وقد كذب قومه رسولهم • وقال وهب ومحمد بن اسحاق رحمهما الله والواقدي هم قوم من حمير وكان تبع مسلما وسمي تبعا لكثرة من تبعه وكان تبع اعجبه غلمان من قومه كانوا يختلفون اليه فقالوا لو قد اكرمنا هذا الرجل وانا نراه يعبد نارا لا تغني عنه شيئا افلا ندعوه الى امرنا ونخبره ان الله بعث رسولا يقال له موسى وانزل عليه التوراة فيها الحلال والحرام والامر والنهي فقال بعضهم نخاف ان يقتلنا وقال اصغرهم انا اقول له ذلك فان قال شيئا قلت هو اصغرنا واحدثنا سنا فلما خلى بهم ذكر امر موسى فقال تبع للاخرين ما يقول هذا الفتى فقالوا صدق فان شئت عرضنا عليك امرنا قال فافعلوا فعرضوا عليه امرهم فقبله وتابعهم ثم عرضوا على حاشيته وخاصته فقبلوه وفشي في الناس ذلك وقالوا لو ان الملك ترك دينه فما اليه فقالوا لو ابلغنا انك تركت دينك فان كنت فعلت ذلك لم يكن بعد هذا علينا ملكا فان لم تفعل ذلك فاخرج الينا هؤلاء الغلمان فكانت لهم نار في اسفل جبل يقال له العايد يتحاكمون اليها فتحرق الظالم فتحاكموا اليها فجاء القرابيون بالتوراة وجاء الحميريون باصنامهم فخرجت نار واحرقت الحميريين ولم تحرق احدا من اصحاب التوراة فهم قوم تبع وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه سال ابو مخلد لاحوس حميد بن عباس عن قوم تبع فقال عبد الله بن عباس سلام فقال ان تبع كان رجلا من العرب وانه ظهر على الناس وسبا قينة من الاحبار فاتبعهم وان قومه انكروا ذلك وقالوا بدل دينه فقال للفتية ما ترون قالوا بيننا وبينهم النار فنجوا الصادق ويحترق الكاذب فعمدوا الى النار فامر تبع الفتية ان يدخلوها فعلقوا مصاحفهم في اعناقهم فلما ارادوا دخولها سفعت النار وجوههم فنكصوا فقال تبع لتدخلن فدخلوها فانفرجت عنهم حتى قطعوها ثم قال لقومه ادخلوها فلما ارادوا دخولها سفعت النار وجوههم فنكصوا فقال تبع لتدخلن فدخلوها فانفرجت عنهم حتى اذا توسطوها احاطت بهم فاحرقتهم من اخرهم فاسلم تبع عند ذلك • وقوله تعالى افعيينا بالخلق الاول اي افعجزنا عن الخلق الاول ادم وقد كانوا يقرون به وانهم من ولده • وقيل هو الانشاء وهو احتجاج عليهم ان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة بل هم في لبس اي ما عيينا بل هم في لبس الشيطان عليهم وموه فاعرضوا عن التدبر اي لا ينكرون البعث عن دليل بل عن تقليد جهل من خلق جديد اي البعث والتجديد بعد البلى وهو كما قالوا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا • ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه والوسوسة حديث النفس وخفاؤها وسوسة الشيطان اي لا يخفى علينا ما يخطر بباله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو عرق في الحلق وهما الوريدان في العنق عن يمين وشمال ورود اليهما ما نضب من الراس وقيل هو العرق الذي بين الحلقوم والعلباوي • وقال الفراء رحمه الله الحبل هو الوريد واضيف اليه لاختلاف اللفظين • وقال الاخفش اضيف اليه كما اضيف الى العاتق • وقيل الحبل العرق وهو اسم جنس واضيف الى نوعه كما يقال عرق النسا ومعنى هذا الكلام ونحن اقرب الى ضميره من هذا العرق الى بدنه ولا يراد به قرب المكان جل الله تعالى عن ذلك بل يراد انه عالم به لا يخفى عليه شيء اذ يتلقى المتلقيان الملكان الموكلان بعمله فيكتبان ذلك عليه كمن على اخر شيئا فيتلقاه الملقى عليه فيكتبه والتلقي هو الاخذ والقبول قال تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات عن اليمين وعن الشمال قعيد اي احد الملكين قعيد له عن يمينه والاخر عن شماله كانهما جليسان قاعدان في مجلس واحد والافراد لهذا التقدير ما يلفظ من قول اي ما يتكلم واصله الرمي الا لديه اي عنده • ويجوز ان يكون كتابه عما الانسان

ويجوز

ويجوز ان يكون كتابه عما لفظ رقيب اي حافظ وهو الملك الكاتب عتيد • وقال الزجاج رحمه الله اي ثابت لازم وهذه الاية في كتابة الاقوال • وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وهذا في كتابة الافعال وهذه حالة الحياة ثم ذكر حالة الموت فقال وجاءت سكرة الموت اي جيء شدة الموت التي تغلب على فهم الانسان حتى تصير كسكرة الشراب بالحق اي بامر الله الذي هو الحق حق • وقيل اي بالموت الذي هو كائن • وقيل اي بيان ما يصير اليه من جنة او نار فانه يظهر له ذلك عند الموت ذلك ما كنت منه تحيد اي ويقال له هذا الذي كنت تنفر منه وتكرهه لعادة والحيد الميل والروغان ونفخ في الصور اي ينفخ فيه نفخة الموت البعث ويبعث الانسان ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم الذي وعد به الناس ليرغبوا به في الطاعات ويجتنبوا السيات وجاءت كل نفس اي تجيء كل نفس يومئذ معها سائق وشهيد يسوقها الى موقف الحساب وشهيد يشهد عليها بما عملت من خير او شر فلا مهرب ومعه السائق ولا جحود ومعه الشاهد واختلف فيهما فقيل السائق ملك والشاهد كذلك • وقيل السائق الى الجنة والى النار كما قال وسيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا وقال القتيبي رحمه الله السائق قرينها من الشياطين والشهيد الملك • وقيل الشهيد كاتب عمله وقيل هو الرسول قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا • وقيل اعضاء الانسان وقيل الليل والنهار • وقيل البقاع التي عمل فيها الانسان • وقال الضحاك رحمه الله السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات • وقال ابو هريرة رضي الله عنه السائق الملك والشهيد العمل • وقال القرظي رحمه الله السائق والشهيد الملكان المتلقيان لقد كنت في غفلة من هذا لا تتفكر فيه فكشفنا عنك غطاءك او ضحنا لك ما كان مخفيا عنك فبصرك اليوم حديد اي فعلمك اليوم ثاقب نافذ وهو مجاز واستعارة • وقال الكلبي رحمه الله فكشفنا عنك غطاءك يعني الحياة بعد الموت • وقال مجاهد رحمه الله فبصرك اليوم حديد اي نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك • وقال السدي رحمه الله الاية في الكافر • وقيل اي في كل بر وفاجر • وقال قرينه اي قرين هذا الانسان وهو الملك الكاتب عمله هذا ما لدي عتيد اي الذي كتبته عليه عندي معد فان كانت الاية في الكافر على ما قال بعضهم فالقرين هو كاتب السيئات وليس له كاتب الحسنات فلذلك وحد • وقوله تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد اي ويقال للزبانية القوا والتثنية على عرف العرب فان اكثر مخاطباتهم بالنداء والامر على التثنية لان اعدل الرفقة ثلثة فيخاطب احدهم صاحبيه بذلك وصار الاكثر على هذا الاغلب ولذلك قال امرؤ القيس • قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • وقال المبرد رحمه الله هذا خطاب الشاهد للسائق والتثنية بمعنى التكرير بمعنى الق وتعل الى التثنية وعلى هذا قال الشاعر • فقلت لصاحبي لا تحبسانا بكل كفار مبالغة للكافر عنيد اي عادل عن الصواب • وقيل ذاهب عن الحق • وقيل جاحد مع المعرفة مناع للخير بخيلا بالمال • وقيل بما ينفع الناس معتد مجاوز حدود الله مريب صاحب ريبة وهي التهمة الذي جعل مع الله الها اخر اي اشرك به غيره فالقياه في العذاب الشديد بعذاب النار • قال قرينه ربنا ما اطغيته هو الشيطان الذي قرن به • قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية • قال يلقي الكافر في النار مع قرينه فيلعن قرينه ويقول انما اطغيته انا ولكن كان في ضلال بعيد طغى باختياره وضل ضلالا بعيدا عن الحق بارادته قال لا تختصموا لدي يقول الله تعالى للكافر الكفار وقرنائهم من الشياطين لا تختصموا عندي وقد قدمت اليكم الكتاب والرسول بالوعيد هذا ما يبدل القول لدي اي لا تغيير قول السابق في اخلاد الكافر في النار وما انا بظلام للعبيد لا اعذب عبدا بغير ذنب يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد اي تملأ وهاء من الجنة والناس كما وعدناهم ثم تقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد في احتملة وهذا على طلب المزيد اظهارا للتغيظ على الكفار • وقيل اي لا موضع للزيادة في وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من دار اي وما ترك وكقول الشاعر لاهل اخوعيش لذيذ بدايم • وقيل هو طلب الزيادة في سعتها وقيل من حمل على طلب الزيادة فعند دخول البعض ومن حمل على نفي احتمال الزيادة فبعد دخول الكل • وقيل هذا الخطاب لجهنم وجوابها على الحقيقة وينطقها الله تعالى بذلك كما تنطق الجوارح • وقيل هو الخطاب لخزنة جهنم والجواب منهم وهو على الاضمار تقديره يوم نقول لخزنة جهنم • وقيل هو على التمثيل اي تصير بحيث لو قيل لها وهي ناطقة لقالت ذلك • وهو كقول الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني • وقرأ نافع وعاصم في رواية ابي بكر يوم يقول بالياء اي يقول الله تعالى وبالنون بالنون اي نقول نحن وهو خبر من الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جمعا وهذه الايات في الكفار ثم قال في المؤمنين وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت من قربت اذا فرغوا من الحساب والمتقون الذين اتقوا الشرك والمعاصي غير بعيد اي دخولهم فيها وهو نصب على الحال والالف تشبيه لرؤية

وهو بعيد تقريب الدخول. وقيل وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد عن العاصين هذا ما توعدون لكل اواب رجاع زائد
بالطاعات حفيظ حافظ للحدود والعهود محافظ على الخيرات ذاكر لما سلف من النيات ليستغفر منها. وقيل حافظ لحواسه
وانفاسه. وقوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب اي في دار الغيب. وقيل في الغيبة عن شهود الخلق. وقيل بالقلب وقال
الضحاك رحمه الله بالغيب حيث لا يراه احد. وقال السدي رحمه الله في الخلوة. وقال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب
وجاء بقلب منيب اي مقبل على الله بطاعته راجع اليه بعلمه وامله ادخلوها بسلام اي يقال لهم وجمع لانه كلمة جنس بسلام
اي بسلامة من كل مكروه ذلك يوم الخلود لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار لهم ما يشاؤون فيها اي في الجنة
وقال الامام القشيري رحمه الله يقال لهم قد قلتم في الدنيا ما شاء الله كان فاليوم ما شئتم كان وهل جزاء الاحسان
الا الاحسان ولدينا مزيد. وقال عكرمة اي على ما يشاؤون من نعم لم يخطر ببالهم. وقال الرقاشي رحمه الله ما يزيد يعطي
من المزيد الدنيا وما فيها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك انهم يجتمعون الى ربهم كل يوم جمعة في ارض من
كثبانها فلا يسألونه شيئا الا اعطاهم اياه ثم يرجعون الى منازلهم فتاتيهم الملائكة من كل باب معهم الاطعمة والاشربة
والكسوة فيقولون سلام عليكم هذه هدية من ربكم وذلكم في كل جمعة مثل هذا او هو المزيد من الله تعالى. وقال محمد
ابن كعب في قوله ولدينا مزيد يعني اهل الجنة اذا دنا في اهل الجنة منزلة لو نزل به اهل الجنة لوسعهم. وقال
الربيع بن انس يزادون كل ساعة نعيما وسرورا كما يزاد لاهل النار العذاب. قال تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا. وقال جابر بن عبد الله ولدينا مزيد يتجلى لهم ربهم بلا كيف. وعن معاذ بن جبل رحمه الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من اهل الجنة ليتنعم في تكاة واحدة سبعين عاما ما تاتيه يده
في ابهى منها واجمل منه من غرفة اخرى فيقول ما بالنا منك دولة بعد قال فيلتفت اليها فيقول من انت
فيقول انا من التي قال الله تعالى ولدينا مزيد فيتحول اليها فيتنعم معها سبعين عاما في تكاة واحدة. وقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن عاد القول الى تذكيرهم ووعظهم يعني كثيرا ما اهلكنا قبل هؤلاء المشركين من
امة من الامم السالفة هم اشد منهم بطشا اي بجلادة وسطوة على الناس كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
فنقبوا في البلاد. قال مجاهد رحمه الله ساروا في البلاد. وقيل طافوا فيها وساروا في افاقها للتجارات
وغيرها. وقال امرؤ القيس. لقد نقبت في الافاق. حتى رضيت من الغنيمة بالاياب. هل من محيص قال الفراء
اي هل كان لهم محيصا اي مهرب عن الهلاك اي لم يكن. وقيل فنقبوا اي طاف هؤلاء المشركون في البلاد اي
في كل البلاد وشاهدوا اثار اولئك هل من محيص هل لهؤلاء من محيص عما حل باولئك ان في ذلك لذكرى
اي فيما ذكر في هذه السورة من بعث واحوال يوم القيامة واهلاك القرون لعظة لمن كان له قلب. قال
الفراء وجماعة اي عقل. وقيل اي قلب متدبر او القى السمع اي استمع لكتاب الله وهو شهيد حاضر القلب
فيهم اشار الى التنبيه ينفع بالعقل والقلب السمع. وقال قتادة رحمه الله لمن كان له قلب من هذه الامة
او القى السمع رجل من اهل الكتاب سمع القران وهو شهيد فصدقه لما في كتابه من بيانه. وقوله تعالى ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اي اهلكنا القرون بذنوبهم ولم نعاجل اهلاك هؤلاء مع
استحقاقهم لحكم كما خلقنا السموات والارض في ستة ايام ولم نعاجل خلقهما مع القدرة على ذلك لحكمة
وتذنيبنا ذلك في سورة الاعراف وسورة الدخان وما مسنا من لغوب اي اعيا الفعل. قال سعيد بن جبير
من لغوب اي كلال. وقال الثوري من سآمة. وقال اليمان من تعب. وقال مجاهد رحمه الله من نصب. وقال ابن
عباس رضي الله عنهما ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله
الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهما من المنافع يوم الثلاثاء. وخلق الشجر والماء والمداين والعمران
والخراب يوم الاربعاء. وخلق السماء يوم الخميس. وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة فقالت
اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قال وما هو قالوا ثم استراح يوم
السبت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الاية فاصبر على ما يقولون
من الشرك والتشبيه والتكذيب وسبح بحمد ربك اي وصل شكرا لله. وقيل اي بامر ربك قبل طلوع الشمس
صلاة الفجر وقبل الغروب اي غروبها صلاة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه صلاة المغرب والعشا وادبار
السجود. قرا نافع وابن كثير وحمزة بكسر الالف وهو الانقضا. وقرا الباقون بفتحها وهي جمع الدبر وهو عقيب
الشي. وقال ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه ومرفوعا هو الركعتان بعد المغرب [illegible]
وهو قول عمر وعلي والحسن بن علي وابي هريرة وعدة من التابعين والتسبيح هو الصلاة سميت به لان فيها
كما سمي تسبيحا لذلك. وقيل هو النفل بعد كل فرض ورد فيه نفل. وقيل هو نفس التسبيح بعد الصلوات تعود
روح قلبك اذا اذوك بالصلاة لله ومناجاته واستمع يوم يناد المناد اي واستمع يا محمد صيحة يوم
القيمة فانها قريبة تاتيهم غير مبطية من مكان قريب. قال ابن عباس رضي الله عنهما هي النفخة الاخرة ينفخ
اسرافيل على صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض الى السما باثني عشر ميلا وهو المكان القريب ينادي بها

انظام النخرة والعظام المتفرقة والاوصال البالية والعروق المنبثة قوموا للمحاسبة رب العزة فيخرجون فينشرون على وجه الارض
وقال عكرمة من مكان قريب كانه من تحت اقدامهم. وقال الضحاك يسمع البعيد كما يسمع القريب. وقيل مكان قريب
منهم كما في الدنيا [illegible]
الصيحة. وقيل هو دعاء الكافرين بالويل والثبور يوم يسمعون الصيحة. قال الضحاك رحمه الله صيحة اسرافيل بالحق اي
بامر الله الذي هو حق. ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي ونميت والينا المصير اي مصيرهم يوم تشقق
الارض عنهم سراعا اي مسرعين [illegible] ذلك حشر علينا يسير اي هين. نحن اعلم بما يقولون
اي تقول هؤلاء المشركون من تكذيبك والافتراء على ربك وانكار البعث. وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على
الاسلام انما عليك الدعوة. قال الحسن رحمه الله وما انت عليهم برب تجازيهم على اعمالهم [illegible]
فانتقم منهم الى ان تؤمر بقتالهم. فذكر بالقران من يخاف وعيد [illegible] والله الموفق

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي مدح المتقين بقلة الهجوع. الرحمن الذي اطال العابدين مع كثرة الجموع. الرحيم الذي يسرهم
بالزلزلة والرجوع. وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والذاريات
اعطاه عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا. وهذه السورة مكية وهي ستون اية وثلثمائة وستون كلمة
والف ومائتان وعشرون حرفا. وانتظام ختم تلك السورة [illegible] وانتظام السورتين انها في ذكر
المؤمنين والكافرين الاولين والاخرين ووعدهم ووعيدهم في الدنيا ويوم الدين. وقوله تعالى والذاريات
ذروا. قال ابن عباس رضي الله عنهما اقسم بالرياح الذي تذب وبالاشيا اي يسمى بها. فالحاملات وقرا اقسم
بالسحاب الثقال الموقرة بالماء. فالجاريات يسرا. اقسم بالسفن جرت بالسير على الماء. فالمقسمات امرا. قال
اربعة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل لكل واحد منهم امر مقسوم وهم المدبرات امرا اقسم الله
بهؤلاء الاشياء. انما توعدون من قيام الساعة لصادق. وعن ابي الطفيل قال شهدت عليا رضي الله عنه وهو يخطب
وهو يقول سلوني عن كتاب الله تعالى فوالله ما من اية الا وانا اعلم بليل نزلت او بنهار فقال ابن الكوا فقال
ما الذاريات ذروا قال الرياح قال وما الحاملات وقرا قال السحاب قال وما الجاريات يسرا قال السفن قال
وما المقسمات امرا قال الملائكة وكذا قال مجاهد وجماعة وقالوا الغرض بالقسم تاكيد المحلوف عليه وتعظيم
المحلوف به وذكر هذه الاشيا تذكير من الله تعالى نعمة عظيمة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اضمر في هذه الاشيا اسم الله
تعالى وتقديره ورب الذاريات ذروا وهو قسم بنفسه وتعظيم لحال ما اقسم عليه. وقيل هذه الاشيا
كلها الرياح والعطف بالفاء دليل الاتحاد وتعاقب هذه الصفات على ذات واحدة فتذروا وتحمل السحاب
الموقرة بالماء وتجري بتيسير الله تعالى وتقسيم الامطار في الاقطار على ما جرت به الاقدار. وقيل بل هي اربعة
اشيا والعطف بالفاء دليل الانفصال فالرياح تذروا ذروا وتنشي السحاب الحاملات وقرا وتسير السفن الجاريات
يسرا والملائكة تعمل فيهما اذا امرها الله تعالى بذلك امرا. وقيل الفا الانفصال الكل بعضه ببعض لتحقيق
ما اقسم الله تعالى عليه. وهو قوله تعالى انما توعدون لصادق اي مصدق فيه كما يقال ليل قايم. وقيل اي
ذو صدق كقوله في عيشة راضية وان الدين اي الجزاء. وقيل الحساب. وقيل القضا. لواقع اي لكاين
والسماء ذات الحبك اي الطرائق جمع حبيكة وحباك. وقال الكلبي والضحاك ومقاتل ذات الاتقان والحكم
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعكرمة ذات الخلق الحسن. وقيل ذات الاستوا والارتفاع والمعنى
ات ذلك كله فالسماء توصف بذلك كله يقال للطرائق في الماء بهبوب الريح وللطرائق الرمل حبك وكذلك
الشعر بالتجعيد تظهر فيها حبك وحبايك حبكة بالسيف اذا قطع فصار في لحمه طرائق وفرس محبوك البطن
ومحبوك الكفل اذا كان فيه ذلك استوا وارتفاع وحبك الثوب من حد ضرب اي اجاد نسجه واحبك اي شد
الازار وثقفه والسما شديدة الخلق وثيقة مزينة بالكواكب ذات طرائق اقسم بها على قوله انكم لفي قول
مختلف اي انكم معاشر المسلمين والكافرين بين مصدق بالقران ومكذب به. يؤفك عنه من افك اي يصرف
عن الايمان الذي صرف عن كل خير وسعادة. وقيل وهو قول الحسين بن الفضل يصرف عن الايمان الان من صرف عنه
في سابق الحكم. وقيل انكم معاشر الكفار في القران لفي قول مختلف مرة تقولون انه سحر ومرة تقولون هو شعر
ومرة هو كهانة ومرة هو اساطير الاولين وهو معلوم المراد وان لم يسبق ذكره. وقيل ليس هو في القران
خاصة بل هو قولكم فانه باطل متناقض كقول اليهود بالتشبيه وقول النصارى بالصاحبة والولد وقول
المشركين بالانداد مع اقرارهم بان الله هو الخالق والرازق بالانفراد يؤفك عنه اي يصرف عن التوحيد من صرف
وقيل القول المختلف في البعث فمنهم من ينكره ومنهم من يشك فيه ومنهم من يثبته ويدعي لنفسه فيه كل خير. وقيل انكم لفي
قول مختلف في البعث حيث اقررتم بالقدرة على الابتداء ثم انكرتم الاعادة. وقوله تعالى قتل الخراصون تحيل

اي لعن الكذابون لان المقتول تفوته الحياة وكل نعمة وكذا الكذاب تفوته سعادة وكرامة • وقيل هو امر من الله تعالى
بالدعاء على الكذابين على الله وعلى رسوله بان يقتلهم الله ويهلكهم بايدي المؤمنين او بعذاب من عنده • وقال الحسن
الخراصون الكذابون • وقال مجاهد وغيره القايلون بالظن وهم ما ذكرنا من قولهم في القران وقولهم في البعث بعد الموت
واصل الخرص الحزر في النخل والكرم والعدد والكيل الذين هم في غمرة ساهون اي في غمرة الجهل وهو غلبته [illegible]
عن الحق متمادون في الباطل يسالون اي النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ايان يوم الدين اي متى هذا اليوم
الذي حلف ربكم بالذاريات وغيرها انه واقع يدان فيه العباد باعمالهم اي يجازون ويحاسبون مما يقولون ذلك
تعنتا واستهزاء يوم هم على النار يفتنون اي يوم الدين هو اليوم الذي فيه بالنار يعذبون • قال تعالى ان الذين
فتنوا المؤمنين اي عذبوهم • وقيل يفتنون اي يحرقون وقد فتنت الذهب والفضة بالنار اي اذبتها بها
ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون في
الدنيا اي تسالون تعجيله استهزاء ثم ذكر حال من يخالفهم فقال ان المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي في جنات
اي بساتين وعيون جارية فيها اخذين ما اتاهم ربهم اي واصلين الى ما اعطاهم ربهم اي وعدهم ذلك في الدنيا
وواصله اليهم في العقبى انهم كانوا قبل ذلك اي قبل يوم الدين محسنين في الدنيا مطيعين يحسنون الاعمال ويحسنون
بذلك الى انفسهم • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي ينامون وما مع الفعل مصدر وتقديره قليل هجوعهم و[illegible]
الحسن كانوا يهجعون قليلا من الليل ومصلاة • وبالاسحار هم يستغفرون اي لتقصيرهم في قيام الليل مع جدهم
في احيائهم • وفي اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم وهو صفة المتقين ايضا ومنهم من حمل هذا الحق على الزكاة
وقيل السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة فهي على الصدقة النفل ويدل على اول الاية فانها في مدح المتقين
باحياء الليل بنوافل العبادات فكان هذا مدحا لهم باحياء النهار بنوافل الصدقات • ومعنى في اموالهم حق
اي جعلوا على انفسهم ذلك حقا لازما يقيمونه لا محالة للسايل والمحروم • وقال الشعبي رحمه الله لقد
سالت عن المحروم منذ سبعين سنة فما انا اليوم باعلم به مني من يومئذ • وعن الحسن بن محمد بن علي ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا فجا قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت وفي اموالهم حق للسايل والمحروم
وقيل هو الذي ذهب ماله بسيل او جايحة فلم يبق له شي كما قال الله تعالى في قصة اصحاب الجنة بل نحن محرومون
وقال في الواقعة لو نشا لجعلناه حطاما الى قوله بل نحن محرومون • وقيل هو الذي لا سهم له في الفي وسمي
به وهو قول ابرهيم النخعي ومجاهد والربيع بن انس • وقيل هو الذي لا ينمى له مال فكلما اصاب شيا ذهب منه
قال الزجاج • وقيل المحارف اي الذي حرف عنه الرزق والاشبه ان السايل هو الذي يتعرض فيسال
والمحروم هو الذي يتعفف فلا يسال ولا يعلم حاله والغالب في حقه الحرمان • وقوله تعالى وفي الارض
ايات للموقنين اي علامات دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته وخص الموقنين لانه لا انتفاع لغيرهم وفي
انفسكم ايات ايضا على ما مر شرحه في اخر سورة حم السجدة افلا تبصرون انفسكم مع قربها منكم فمن تركب
علما الاطبا في تشريح البدن علم بذلك عجايب صنع الله تعالى في نفسه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وفي
الارض ايات فيمن اهلكت قبلكم من الامم ينظرون اذا سافروا الى مساكنهم وما في الارض من الجبال والبحار
والاشجار والانهار والنبات والثمار والليل والنهار • وفي انفسكم يعني البلايا والامراض • وقال عبد
الله بن الزبير وفي انفسكم مخرج الغايط والبول • وقال الضحاك ياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين
وقال ابو بكر الوراق يعني في تحويل الحالات وضعفها للقوة وعجز الاركان وفسخ العزيمة • وقيل في الاحوال
من غنى وفقر وقوة وضعف وعجز ومرض وصحة وحياة وموت فيعتبرون ويعرفون محول الاحوال • وقوله
تعالى وفي السماء رزقكم المطر والثلج وبهما نبات الاقوات وما توعدون يجوز من الوعد ويجوز من الوعيد
وقد سبق ذكرهما في اول هذه السورة • وقال مجاهد والضحاك رحمهما الله يعني الجنة والنار فورب
السماء والارض انه لحق اقسم بنفسه سبحانه ان كلما اخبر به في هذه السورة من الوعد والوعيد حق • وقيل اي
الرزق • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اي ابن ادم ان يصدق ربه حتى اقسم له فقال فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون • قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر مثل بالرفع نعتا لقوله
لحق • وقرا الباقون بالنصب على انه يسلك به مسلك الادوات وهي على النعت وقيل هي على حذف الكاف وقيل
تقديره فحق حقا مثل ومعناه ان الله رازقكم هذا القول حق كما انكم اذا تكلمتم من حالكم قلتم الله ذلك حق
فهذا ايضا حق • وقيل معناه كما انكم تنطقون به وهو قولكم لا اله الا الله حق فهذا ايضا حق • وقيل اي كما ان
نطقك لا يتكلم به غيرك ورزقك لا ياكله غيرك • وقيل معناه كما انك تنطق والحروف تاتلف ولا تدري كيف
تاتلف وكذلك الرزق يجتمع عندك ولا تدري كيف يجتمع • وقيل فايدة احالة الرزق الى السماء ولا سبيل لك الى
العروج اليه لتشتغل بما كلفت ولا تتعنى ما لا تصل اليه • وقيل وفي السماء رزقكم واليها يرفع عملكم فان اردت
ان ينزل عليك رزقك فليصعد الى السماء عملك ولهذا قالوا الصلاة مفتاح باب الرزق قال الله تعالى وامر

اهلك

اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك • وقوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين
وانتظامها بما قبلها انه قال وفي الارض ايات للموقنين • وقال في هذه القصة في اخرها وتركنا فيها اية اي تقول
ومن الايات في الارض ما بقي من ايات قوم لوط الذين اهلكناهم وكانت بداية ذلك مجي الملايكة الى ابرهيم • وقوله
تعالى هل استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاك اي اعلم بانك قد اتاك فها هو نخبرك والضيف معناه الاضياف لانه مصدر يصلح
للجمع وهم الملايكة سماهم ضيفا لانهم جاوا مجي الاضياف المكرمين نعت للاضياف اكرمهم ابرهيم اي خدمهم بنفسه وجاء
بعجل • وقيل هو من قوله بل عباد مكرمون اي عند الله • وقيل اكرامهم من ابرهيم كان بانه لم يتكلفهم ولم يستاذن اليهم
ثم يكلفهم مونة او منة اذ دخلوا عليه اي دخل هولاء الاضياف وهم الملايكة وقد بينا ذلك في سورة هود اي على ابرهيم
وقوله تعالى فقالوا سلاما اي قلت سلاما او اسلم سلاما اي سلامة من كل مكروه قال سلام اي لكم او عليكم سلام وهم
ايضا قوم منكرون اي لا اعرفهم كما قال فعرفهم وهم له منكرون قيل قال ذلك في نفسه • وقيل قال لهم لا اعرفكم فمن انتم
وقيل انكرهم لانهم كانوا على غير هيئة اهل بلده وقيل لانهم سلموا عليه ولم يكن ذلك معهودا لهم • وقرا حمزة والكسائي
انه قال سلم اي بيني وبينكم سلم اي صلح [illegible] فراغ الى اهله اي فرجع اليهم في خفية فجا بعجل سمين اي
قد شواه فقربه اليهم وهاهنا مضمر فامسكوا عن تناوله • قال الا تاكلون اي فلما لم ياكلوا • فاوجس منهم
خيفة اي اضمر خوفا اذ لم يتحرموا بطعامه فمن لم يتحرم بطعام انسان لم يامنه • قالوا لا تخف ووقفوا على خوفه [illegible]
فاعلموه انهم ملايكة وبشروه بغلام عليم بولد ذكر يصير عالما اذا بلغ اوانه وهو اسحق فاقبلت امراته في صرة اي
زوجته سارة في ضجة • وقيل في رنة تعجبا من ذلك فصكت وجهها اي ضربت جبهتها قاله السدي ومجاهد وسفيان
تعجبا واستعظاما على ما هو عادة النساء • وقالت عجوز عقيم اي عاقر لم تلد قط كيف يكون لها ولد • قالوا كذلك
قال ربك اي كما اخبرناك به قال لنا ربك وعنه نخبرك فلا تشك فيه انه هو الحكيم العليم لا يجوز عليه الخطا في قول
ولا فعل ولا يخفى عليه شي من ظاهر او باطن • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاقبلت من مكان الى مكان لكن جعلت
تصيح فصكت وجهها اي جمعت اطراف اصابعها فضربت جبهتها وقالت كيف يكون مني ولد وانا عجوز عقيم
وكانت يومئذ بنت ثمان وتسعين سنة وابرهيم يومئذ ابن تسع وتسعين سنة • وقيل لما تعجبت قالت لها
الملايكة انظري سقف بيتك وكانت جذوعه من النخل اليابسة فاذا هي مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من
امر الله تعالى ومثل هذا يكون بامر الله تعالى • وقوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين مكتسبين لانفسهم الهلاك باعمالهم السيئة من تكذيب رسولهم وفواحشهم لنرسل
عليهم حجارة الارض واصلها طين تصلب بحر احما الشمس على ممر الدهور مسومة اي معلمة بها خطوط
سود وبيض • وقيل سود وحمر • وقيل اي مكتوبة عليها اسما المرجومين بها عند ربك اي معلمة عند الله تعالى
وقيل اي معدة في خزانة الله تعالى للمسرفين المجاوزين الحد في ارتكاب المعاصي • وقيل مسومة اي مرسلة
من تسويم المواشي فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين امرنا لوطا بان يخرج مع من كان معه من المؤمنين قبل
نزول العذاب بقومه • وقوله فيها اي في القرية وهي معلومة من غير تقدم ذكرها لان القوم كانوا فيها فما وجدنا
فيها غير بيت وهو بيت لوط وابنتاه فاما امراته فكانت كافرة • وقوله تعالى من المسلمين دليل على ان الايمان
والاسلام واحد وتركنا فيها اية اي علامة للذين يخافون العذاب الاليم فالاية نفس القرية وقد جعلت
اعلاها اسفلها • وقيل الاية ما فيها من الحجارة الملقاة المنضودة التي رجموا بها للذين يخافون العذاب
الاليم اي هم الذين ينتفعون بالنظر في هذه الاية والقصة وقد مرت بسياقها في سورة الاعراف وبعضها
في سورة هود • وقال السدي ومجاهد ومقاتل رحمهم الله كانوا ستماية الف فادخل جبريل جناحه تحت الارض
فاقتلعها ورفعها حتى سمع اهل السما اصواتهم ثم قلبها ثم ارسل عليهم الحجارة ثم تتبعت الحجارة شذاذهم
ومسافريهم واصبح ابرهيم جالسا في مسجده فراى الدخان ساطعا بين ابرهيم وبينهم اربعة فراسخ فلما راى
الدخان علم ان العذاب نزل بهم • وقوله تعالى وفي موسى اي وفيه ايضا اية اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين بحجة ظاهرة • فتولى بركنه اي اعرض فرعون عن قبول الحق مع من كان ركنا له يعتمد عليهم ويتقوى بهم
ويركن الى نصرتهم وهم ملاه وقومه وهو كقوله او اوي الى ركن شديد والبا بمعنى مع كما يقال خرج الامير بجيشه
وقيل تولى بركنه اي بقوته في نفسه • قاله قطرب وقيل اي اعرض بجانبه كقوله ونا بجانبه وقال ساحر
او مجنون اي قال فرعون هو ساحر بما يرى من العصا واليد او مجنون فيما يدعي ولا يفكر في عاقبته كالذي يفعل
وقال ابو عبيدة اي ساحر ومجنون واو بمعنى الواو في القران كثير فاخذناه وجنوده الذين هم ركنه فنبذناهم
في اليم اي القيناهم في اليم وهو نيل مصر وهو مليم اي جا بما يلام عليه • وقوله تعالى وفي عاد اي وفيهم ايضا
اية اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم التي لا تلد ما تذر من شي اتت عليه اي لا تدع هذه الريح شيا ومن لتاكيد النفي
وتعميمه مما امرت باهلاكه الا جعلته كالرميم اي كالعظم البالي قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت تلك
الريح هي الدبور • وقال عكرمة هي النكبا • وقال سعيد بن المسيب هي الجنوب والصحيح الاول قال النبي صلى الله عليه وسلم

واهلكت عاد بالدبور. وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت تحمل البعير والشاة والعبد والامة فتلقيه بالوادي
ولم تضر عربيا اليمن منهم وكانت العمالقة بجنبتي الوادي ينظرون اليهم فلم تضرهم شيئا. وقال عبيد بن عمير العقيم في الارض
الرابعة ولم يرسل منها على عاد الا بقدر منخر ثور. وقال ابن عباس رضي الله عنهما جعلته كالرميم اي كالعظم البالي
اذا فتت تفتتت. وقيل كالرميم اي كالتراب المدقوق وقد مر سياق القصة في سورة الاعراف وفي ثمود اي وفي ثمود
ايضا اية ايضا اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين. قيل هو قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام بعد ما عقروا الناقة
وقيل اي قيل لهم انكم لما عقرتم الناقة تمتعتم الى زمان مديد فعقروا وانحلت عقوبتهم وهو قوله تعالى فعتوا
عن امر ربهم اي ترفعوا عن قبول الامر فاخذتهم الصاعقة اي العذاب المهلك وهم ينظرون اي كانوا
ايقاظا في نهار لم يكونوا بياتا ولا بليل فكانوا يبصرونه. وقيل اي وهم ينظرون حتى قيل لهم تمتعوا في داركم
ثلاثة ايام فما استطاعوا من قيام اي حين صرعتهم الصاعقة فلم يقدروا ان يقوموا في داركم قتادة وجماعة
اي ما قدروا ان يقوموا لعذاب الله يدفعوه عن انفسهم وما كانوا منتصرين اي وما قدروا على الانتقام
لمن احل بهم الصاعقة. وقيل اي ممتنعين عن العذاب بمانع والنصرة المنع فالانتصار الامتناع بقوة مانع
وقوم نوح من قبل. قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وقوم نوح بالخفض عطفا على المذكور انه قبله وفي عاد وفي
ثمود. وقرا الباقون بالنصب اي واخذنا قوم نوح والصحيح هو الاول لان قوله من قبل تقتضي وقوع
فعل بهم متقدما على هلاك هؤلاء انهم كانوا قوما فاسقين مستحقين لذلك والسماء بنيناها بايد اي
الايات الدالة على قدرة الله تعالى بعد الايات هذه الغصص خلق السماء بنيناها بايد اي بقوة ونصب
السماء باسها رفعل بنينا ودل عليه اعادته بعده وانا لموسعون اي لنا سعة لخلقها وخلق مثلها او خلق
ما شئنا. وقيل وانا لموسعون ما اردنا الشاعر كما اوسعنا السماء فجعلناها واسعة. وقيل الموسع الغني
كما قال وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي لنا غنا عنها وعن كل خلق والارض فرشناها اي بسطناها
ولنصبه كنصب السماء فنعم الماهدون اي الباسطون فلا نطلب منهم عوضا على ذلك وفعلنا ذلك
لنا فهم لا لحاجة بنا. ومن كل شيء خلقنا زوجين اي وجعلنا من كل شيء لونين يكون احدهما مزاوجا للاخر
اما من شكله واما من خلافه كالليل والنهار والنور والظلمة والذكر والانثى والشتاء والصيف والجن
والانس والبكرة والعشي والبر والبحر والشمس والقمر والسهل والجبل وكذا الالوان والطعوم والروائح
والاصوات والملبوسات ليستدلوا بذلك على كمال قدرتنا انا نفعل ذلك باختيارنا وليس ذلك كالذي
يظهر من الشيء المسخر بطبيعته انه نوع واحد كالنار شانها التسخين والثلج شانه التبريد والماء شانه
الترطيب لعلكم تذكرون اي لتتفكروا وتعلموا ذلك وتستدلوا به على قدرتنا على البعث بعد الموت
وقوله تعالى ففروا الى الله اي فانقطعوا اليه بطاعتكم فهو الواحد الخالق من كل شيء زوجين وهو
الواحد الفرد لا زوج له لا نظير له الفرد ابيه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما فروا من الله اليه واعملوا
بطاعته اني لكم منه اي من الله ان لم تفروا نذير مخوف مبين مظهر لكم من الله. وقال ابو بكر الوراق فروا
من عقاب الله الى رحمته ومن طاعة الشيطان الى طاعة الله. وقال الحسين بن الفضل ففروا الى الله
اي احترزوا من كل شيء دونه فمن فر الى غيره لم يمتنع منه. وقال الجنيد الشيطان يدعو الى الباطل ففروا
الى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون ففروا الى الله اي من الجهل الى العلم ومن الكفر الى الشكر. وقال
الواسطي فروا الى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم وسكناتكم. وقال عمرو بن عثمان فروا من انفسكم
الى ربكم. وقال الامام القشيري رحمه الله من صح فراره الى الله صح فراره اليه. وقوله ولا تجعلوا مع الله
الها اخر اني لكم منه نذير مبين وهذا ظاهر. وقوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم اي قبل هؤلاء
المشركين الذين يقولون لك انت ساحر او مجنون من رسول الا قالوا لرسولهم ساحر او مجنون او هو ساحر
او قالوا هو مجنون مثل هذه الامم التي ذكرنا قال فرعون لموسى ذلك وكذلك سائر الكفار اتواصوا به
اي اتواطؤوا على ذلك وهو ان اوصى بعضهم لبعض بذلك بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا بذلك بل اجتمعوا
على هذا القول لرسلهم لمعنى جامع جمعهم على ذلك وهو طغيانهم وهم على ذلك لم ينقادوا له
ولم يتابعوا رسله ولم يتركوا رياستهم فكابروا وواجهوا الرسل بما قالوا. وقيل اتواصوا به من قريش يعني
وصاهم ثم قال بل يفعلون لطغيانهم انفسهم والاول اعم. وقوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم اي تول
عن مكافاتهم وعن مباداتهم بالقتال فما انت بملوم اي فما قصرت فيما امرناك به من الدعوة وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين اي العظة تنفع المؤمنين فلا تتركها لامتناع الكفار عن قبولها. وروي عن علي
رضي الله عنه انه قال لما نزل فتول عنهم فما انت بملوم لم يبق احد منا الا ايقن بالهلكة اذ امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يتولى عنهم حتى نزل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فطابت انفسنا. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة ان يتنزل بقومه العذاب ورئي

على اصحابه مخافة ان يكون قد انقطع عنهم الوحي فنسختها اية القتال. وقال الامام القشيري رحمه الله وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين ذكر العاصين عقوبتي ليرجعوا عن مخالفة امري وذكر المطيعين جزيل ثوابي ليزدادوا طاعة وعبادة
لي وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي وذكر الاغنياء ما اغنيتهم من احساني وعطائي. وذكر الفقراء ما
لهم بصرف الدنيا فاعددت لهم من لقائي. وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. قال ابن عباس
رضي الله عنهما الا ليقروا لي بالعبودية طوعا او كرها يعني ان المؤمنين يقرون طوعا والكافرون يقرون لما
جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره
فالخلق كلهم بهذا عابدون وعلى هذا قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض. وقوله تعالى تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن. وقوله وله ما في السموات والارض كل له قانتون. وقال مجاهد الا ليعبدون اي
الا ليعرفون وكل الجن والانس يعرفون الله استدلالا بكونه الا معاندهم مخلوقون ليعبدوه اي ليعرفوه وقد
عرفوه ومن اظهر غيره ذلك فهو كاذب على نفسه. وقال بعضهم الا ليعبدون في فطرتهم لان ذلك فطرهم الا ان
يعدوا عنه بالشبه والتلبيس. وقال علي رضي الله عنه الا ليعبدون اي الا ان امرهم ان يعبدون ويؤيده
قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا. وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وقال الحسين بن الفضل اي الا لاستعبدهم اي لاكلفهم العبادة وقد كلفهم وقريب منه قول بعضهم الا لامكن منهم
عبادتي. وقال الضحاك هذا امر خاص لاهل طاعته ودليل الخصوص انه قال قبله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وما خلقت الجن والانس اي من المؤمنين الا ليعبدون فاما الكفار فقد قال في حقهم ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس والحاصل ان الله خلق كل شيء لما علم انه يكون منه اذ لو قيل غير ذلك ادى ذلك الى اثبات
العجز والجهل لله تعالى وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وقال الامام القشيري رحمه الله الذين اصطفيتهم
في ازلي وخصصتهم اليوم بحسن اقبالي ووعدتهم جميل افضالي ما خلقتهم الا ليعبدون والذين سخطت عليهم
في ازلي وربطتهم اليوم بالخذلان فيما كلفتهم من اعمالي وخلقت النار لهم بحكم الاهية وجلالي ما خلقتهم الا
لعذابي فانكالي ولما اعددت لهم من سلاسلي واغلالي. وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا
انفسهم وما اريد ان يطعمون اي يطعموا عبادي وهو اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله
تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة. وقال عليه السلام خبرا عن الله من اكرم مومنا فقد اكرمني
ومن اذى مومنا فقد اذاني ان الله هو الرزاق اي لكل خلقه ذو القوة المتين اي شديد القوة فان
للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي فان للذين ظلموا من قومك يا محمد ذنوبا اي حظا ونصيبا من العذاب
مثل ذنوب اصحابهم من الامم التي ظلمت بوضعت العبادة في غير موضعها واصل الذنوب الدلو العظيم
الملاى. قال الشاعر: انا اذا نازعنا شريب لنا ذنوب وله ذنوب. وقيل عذابا في اثر عذاب كذنوب
البير يتبع بعضه بعضا. وقيل ان لهؤلاء الكفار حظا من التمتع بالدنيا الى ان ينتهي مددهم فلا تستعجلوا
فانه كائن فويل اي شدة عذاب. وقيل واد في جهنم للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون وهو يوم
القيامة. وقيل يوم بدر [illegible]

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي بشر المتقين بجنات ونعيم. الرحمن الذي وقاهم عذاب الجحيم. الرحيم الذي وعد
المؤمنين بشراب لا لغو فيها ولا تاثيم. وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة والطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وينعمه في جنته. وهذه
السورة مكية وهي سبع واربعون اية. وقيل تسع والاختلاف في والطور والى نار جهنم دعا. وكلماتها ثلاثمائة
واثنتا عشرة كلمة. وحروفها الف وثلثمائة. وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة ان ختم
تلك بالوعيد بالعذاب وافتتاح هذه بالقسم على ذلك العذاب. وانتظام السورتين في محاجة
المشركين وفي الاولى زيادة تقرير بقصص الاولين. وقوله تعالى والطور. قال ابن عباس رضي الله
عنهما والضحاك رحمه الله هو الجبل الذي تجلى الله تعالى له حين كان موسى عليه السلام وكلمه ربه
نسال الرؤية. وقال مقاتل رحمه الله هما طوران احدهما طور سينا والاخر طور زيتا احدهما ينبت
التين والاخر ينبت الزيتون وهما. وقال مجاهد رحمه الله هو الجبل بالسريانية. وقال ابو عبيدة
والخليل وابو عمرو والنضر بن شميل والاصمعي وابو عبيد وابو حاتم هو عربية صحيحة وليس في القران
شيء على غير العربي المحض فان وقع فيه شيء موافق لبعض اللغات فهو وفاق وقع بين اللغتين. وكتاب
مسطور اي مكتوب في رق اي جلد رقيق سمي للكتابة. وقال ابو عبيدة الرق الورق منشور ينشر
للقراءة قيل هو قسم بالقران يكتبه المؤمنون وينشرونه للقراءة. وقيل هو مكتوب عند الله في رق يقرا

ملائكة • قال الله تعالى إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون • وقيل هو الكتاب الأول التوراة والإنجيل والزبور والصحف
المنزلة على الأنبياء وكان ذلك مكتوبا في رق ينشره أهله لقراءته • وقيل هو الذي كتبه لموسى عليه السلام • وقيل هو
كتاب عند الله كتبه للملائكة في السماء يقرؤونه • وقيل هو اللوح المحفوظ • وقيل هو صحف الأعمال التي تخرج يوم القيامة
فيعطون بالأيمان والشمائل وهذا معنى البراء بن عازب • والبيت المعمور الذي يعمر بكثرة الزوار والمترددين
إليه من الأقطار • قال الحسن هو الكعبة أقسم به لعظيم قدره إذ هو أول بيت وضع للناس هو بيت الله وقبلة
خلقه • وروى أنس وصعصعة ومجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بيت في السماء السابعة حيال الكعبة
من الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدا فهو معمور بالملائكة • وقال علي رضي الله
عنه لأصحابه ما تقولون في البيت المعمور قالوا هو البيت الحرام قال بل هو بيت في السماء يقال له الضراح
يروى بالصاد والضاد جميعا حيال هذا البيت حرمته في السماء كحرمة هذا في الأرض • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما في السماء السادسة • وقال مقاتل في السماء الدنيا • وروي أن كعب الأحبار دخل على ابن عباس
رضي الله عنهما فقال له كعب أما إن البيت المعمور أين هو قال لبيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
لم يدخلوه قط قبله ولا يدخلونه حتى تقوم الساعة فقال ابن عباس رضي الله عنهما سبحان الله ما أكثر خلق
ربي فقال يا ابن عباس والذي نفسي بيده للملائكة التي في السماء أكثر من عدد التراب في الأرض وما في السماء
موضع قدم إلا وفيه ملك يسبح الله ويقدسه وإن تحت العرش لملائكة ما زالوا خاضعين رقابهم ينظرون
إلى العرش من مخافة الله تعالى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو البيت الذي بناه آدم في الأرض فرفع
أيام الطوفان ووضع حيال الكعبة • وقال مقاتل رحمه الله تصلي فيه ما شاء الله كل يوم صنف من الملائكة
يقال لهم الجن كان منهم إبليس فإذا فرغوا نزلوا إلى الأرض وطافوا بالبيت الحرام ثم يصعدون إلى السماء
ولا يهبطون إلى الأرض أبدا • والسقف المرفوع هو السماء رفع فوق كل شيء وفيها الملائكة ومنها نزول الوحي
ونزول المطر والبحر المسجور • قال الفراء أي المملوء • وقال علي رضي الله عنه أي الموقد وسجرت التنور أي
أوقدته • وقال كعب هو البحر يسجر فيكون جهنم • وقيل يحمى فيكون شراب أهل النار • وقيل المسجور المفجور
قال وإذا البحار فجرت • وقال وإذا البحار سجرت • وقال ابن عباس رضي الله عنهما البحر المسجور المجموع
وإذا البحار سجرت وإذا البحار فجرت أي جمعت حتى صارت بحرا واحدا • وقال الضحاك المسجور الموقد
ثم روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تركبن البحر إلا حاجا أو معتمرا أو مجاهدا في سبيل الله فإن تحت
البحر نارا وتحت النار بحرا وتحت البحر نارا فهذه إشارة ويدل على أن البحر هو على بحار الدنيا • وقال عكرمة
هو بحر تحت العرش • إن عذاب ربك لواقع أقسم بهذه الأشياء أن العذاب واقع بالكفار لا محالة • ما له
من دافع عنهم إذا نزل بهم وذلك في اليوم الذي هم به مكذبون • وعن جبير بن مطعم قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم أكلمه في الأسارى فألفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة والطور فلما بلغ قوله إن عذاب
ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل بي العذاب • وقال الإمام القشيري رحمه الله أقسم بالطور لأنه محل
قدم الأحباب وقت سماع الخطاب وسمع هناك موسى ذكر محمد وأمته حتى نادى أنا من أصلاب آبائنا أعطيتكم
قبل أن تسألوني وكتاب مسطور ما كتب على نفسه من الرحمة لعباده وما كتب من قوله سبقت رحمتي
غضبي وما قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون والبيت
المعمور قلوب العارفين عمرت بمحبته ومعرفته • وقيل هو مواضع عباداتهم ومجالس خلواتهم إن عذاب
ربك لواقع عذابه في الظاهر هو ما توعد به عباده العاصين وفي الباطن الحجاب بعد الحضور والستر
بعد الكشف والرد بعد القبول ما له من دافع إذا رد عبدا أبرم القضاء برده فلا قبول له من بعده •
وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا أي العذاب واقع يوم تمور السماء • وقال مجاهد رحمه الله أي تدور
وهو يوم القيامة • وقال الفراء تدور بما فيها • وقال القتبي تدور بأهلها فيها • وقال الضحاك أي تموج
وقال القتبي أي تموج أهلها بعضهم في بعض • وقال الأخفش تكفأ وأنشد بيت الأعشى • كأن مشيتها من
بيت جارتها • مور السحابة لا ريث ولا عجل • وقيل أي تضطرب وهذا كله بيان حال السماء حال زوالها
وتشققها • وقوله تعالى وتسير الجبال سيرا فإن الله تعالى يسيرها فتستوي الأرض قاعا صفصفا
فويل يومئذ للمكذبين أي بالبعث والجزاء الذين هم في خوض يلعبون أي في اضطراب وتردد في الباطل
ما يعرض لهم من غير حجة بل هو تمني وشهوة • وقيل أي في خوض في أسباب الدنيا يلعبون فيها لا يتفكرون
في حساب ولا جزاء يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي يدفعون إليها بشدة هذه النار التي كنتم بها تكذبون
أي يقال لهم ذلك اصلوها أي ادخلوها وقاسوا حرها هذا إلى آخر الآية مقدم في المعنى وهذا
معترض موخر • وقوله تعالى أفسحر هذا يقال لهم أفتخييل هذا العذاب الذي ترونه أم أنتم لا تبصرون
ليست لكم أعين تبصرون بها هذا وهذا تقريع لهم فقد كانوا يقولون في الدنيا في الآيات إنها تخييل

ولا يتيقن

ولا يتيقن بعضها فقال لهم عند رؤية العذاب أفسحر هذا أم ليست لكم عيون باصرة ترونه بها والخفاء
يكون هذا في الطريقين أم تتيقنون أنه عذاب اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم أي صبركم وجزعكم سواء
لا يخفف عنكم ولا ترحمون فتخرجوا منها وكانوا يقولون في الدنيا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين
فيقال لهم في النار سواء عليكم أصبرتم أم جزعتم فلا فرج لكم من العذاب المهين وهم يقولون أيضا إلا أنهم سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص إنما تجزون ما كنتم تعملون أنتم جلبتم إلى أنفسكم هذا • وقوله تعالى
إن المتقين في جنات ونعيم وهذا بيان حال الذين خالفوهم وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي هم
في بساتين الفردوس ونعيمها فاكهين بما آتاهم ربهم • قال الفراء أي معجبين • وقال القتبي رحمه الله يتطعمون
ناعمين قليل متوسعين فيما يشتهونه من الفواكه وغيرها • وقيل طيبين بما آتاهم ربهم أي أعطاهم ووقاهم عذاب
الجحيم أي حفظهم كلوا واشربوا هنيئا أي يقال لهم كلوا من أطعمتها واشربوا من أشربتها هنيئا سائغا طيبا بما
كنتم تعملون أي جزاء لكم بطاعتكم في الدنيا يقال لهم هذا في مقابلة لأولئك إنما تجزون ما كنتم تعملون وهنيئا
يجوز أن يكون نعتا للمصدر المحذوف ويجوز أن يكون دعاء كما يقال هنأكم الله سقيا ورعيا متكئين على سرر
مصفوفة جمع سرير • وقال الكلبي رحمه الله صف بعضها إلى بعض طولها مائة ذراع في السماء يتقابلون عليها
في الزيارة وإذا أراد أحدهم القعود تطامنت واتضعت وإذا قعد عليها ارتفعت وزوجناهم بحور عين
أي قرناهم بجوار سود الأعين واسعاتها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني أنهم أفراد فجعلناهم أزواجا
بالحور العين • وقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان • قرأ أبو عمرو وأتبعناهم بالألف
والنون ذرياتهم على الجمع ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع أيضا • وقرأ الباقون واتبعتهم وقرأ نافع ذريتهم
في الأول على التوحيد بالرفع والثاني ذرياتهم على الجمع بالألف • وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن كثير
كليهما على التوحيد الأولى رفع والثانية نصب وقرأ ابن عامر واتبعتهم بالتاء ذرياتهم على الجمع رفعا
ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع نصبا وهذا من تكميل النعم عليهم في الجنة يقول وهؤلاء المتقون الذين آمنوا
ومن أولادهم كما آمن آباؤهم ألحقنا الذرية وهم الأولاد بالآباء في الجنة في درجة واحدة نعلو وارفع
الجميع إليها لتقر أعينهم بالجميع بالاجتماع في الجنة كما كان كذلك في الدنيا فلا يتنغص عليهم الحال بتفرق
الشمل ثم قيل هذا في أولادهم أقل حسنات من الآباء يتفضل الله على الآباء فيثيب الأبناء مثل ثواب الآباء ويتجاوز
عن تقصير الأبناء • وقيل هذا في الأولاد لم يقصروا في العمل لكن كان عمرهم أقصر من أعمار الآباء فيثيب الأولاد
مثل ثواب الآباء لأنه على الأعمال لا على الأعمار فلم ينقص بنقصان أعمارهم وما ألتناهم من عملهم من شيء أي
ما نقصناهم أي الأبناء من ثواب أعمالهم شيئا بقصر أعمارهم • وقيل ما نقصناهم من ثواب الآباء بسبب
إلحاق الأبناء بهم مع أنهم أقل أعمالا من الآباء كما يروى من فضله بما فيه الجود مثل أجره من غير أن ينقص من أجره
شيء • وقال الربيع بن أنس فاتبعتهم ذريتهم بإيمان أي بإيمان آبائهم ألحقنا بهم ذرياتهم أي أعطيناهم من
الثواب ما أعطينا الآباء • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من أدرك العمل وعمل صالحا ألحق بآبائه بعمله
ومن كان صغيرا ألحق بآبائه بإيمان آبائه • وقال أبو مجلز يجمع له ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن
يجتمعوا إليه • وقال سعيد بن المسيب بلغني إذا الرجل من أهل الجنة يرى درجة أرفع من درجته فيقول
أنى لي هذا ولم يبلغه عملي فيقال إن لك ولدا صالحا من بعدك فدعا لك • وقال خارجة بن مصعب
السرخسي يلحق الله تعالى الذرية الصغار بآبائهم ثم يبلغهم الله تعالى تلك الدرجات بأعمال آبائهم • وقوله
تعالى كل امرئ بما كسب رهين • قال ابن عباس رضي الله عنهما أي مجزي بكسبه • وقوله تعالى وأمددناهم
بفاكهة أي أتبعناهم ما أعطيناهم فاكهة كثيرة لا تنقطع كلما أكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها ولحم مما يشتهون
أي وأمددناهم بهذا أيضا يتنازعون فيها كأسا أي يتعاطون ويتداولون في الجنة قدحا فيه شراب
ولا يسمى كأسا حتى يكون فيها شراب كما لا يسمى مائدة حتى يكون عليها طعام لا لغو فيها ولا تأثيم • قرأ ابن كثير
كليهما بالفتح من غير تنوين • وقرأ الباقون بالرفع والتنوين أي لا يذهب هذا الشراب بعقولهم فيتكلموا ب
اللغو وهو الكلام الباطل فيأثموا به • وقيل اللغو في القول والتأثيم في الفعل • وقيل أي تبجح لهم
لا تأثيم فيه بالتحريم ويطوف عليهم أي الخدمة غلمان لهم خلقوا في الجنة كأنهم لؤلؤ مكنون أي مصون لطافتهم
وصفوتهم وقال في الجواري كأنهن بيض مكنون وهو مع صفائه ولطافته مأكول فأشار بذلك أن الجواري
يتمتع بهن نظرا وتناولا والغلمان للنظر دون التناول وجمعت هذه الآية نهاية ما يشتهى وكمال
ما يبتغى وليس وراءه مشتهى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهو من الهنا وحسن التي يتم بها الاستيناس
أي أقبل بعض أهل الجنة يتساءلون عن أعمالهم في الدنيا التي بها وصلوا إلى هذه النعم بوعد الله تعالى
قالوا أي قال المسؤولون إنا كنا قبل أي قبل هذا في أهلنا مشفقين أي خائفين وهؤلاء كانوا من أهل التقوى
والطاعة وقد أرضوا الله تعالى واجتنبوا محارمه إلا أنهم استصغروا أنفسهم واستحقروا أعمالهم فكانوا

مشفقين ان يوخذوا بتقصيرهم فمن الله علينا بقبول الطاعات مع تقصيرها وعفي عن السيات مع توفيرها ووقانا عذاب السموم
اي حفظنا من عذاب السموم اي الحرور انا كنا من قبل ندعوه اي في الدنيا ندعوه ان يمن علينا ويقينا عذاب السموم قال
ابن عباس رضي الله عنهما اي حر النار وقيل السموم الحر الذي يدخل مسام البدن فيولم انه هو البر الرحيم • قرا نافع
والكسائي انه بفتح الالف اي ندعوه بانه • وقرا الباقون بكسرها بالكسر على الاستيناف انه هو البار اللطيف وقال
الضحاك اي الصادق فيما وعد الرحيم الروف العطوف • وقال ابن عباس انا كنا قبل في اهلنا مشفقين •
خايفين من عذاب الله • وقال الضحاك خايفين ان ينزع منا الايمان • وقال الامام القشيري لولا انهم قالوا
فمن الله علينا لكانوا قد لاحظوا اشفاقهم ولكن الحق احفظهم عن شهود اشفاقهم حيث اشهدهم منته عليهم
حين قالوا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقالوا انه هو البر الرحيم • وقوله تعالى فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن
ولا مجنون اي تقدم على تذكيرهم بهذا كله ولا تلتفت الى قولهم لك انه كاهن او مجنون فما انت كذلك بنعمت ربك اي فقد انعم عليك
بكمال العقل وبراك مما وصفك به اهل الجهل ام يقولون شاعر وهذه محاجة المشركين بقولهم انقولون ان محمدا شاعر
نتربص به ريب المنون اي ننتظر به الموت فنستريح منه كما مات شاعر بني فلان فاستراح الناس من لسانه وشتمه والمنون
عند الكسائي والاخفش والفرا حوادث الدهر • والخليل يقول المنون الموت وهي مونثة وريبها اوجاعها وسمي
الدهر منونا لانه يذهب بمنة الانسان وسمي الموت منونا لانه يقطع العمر والمن القطع اجر غير ممنون اي غير مقطوع
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين هو تهديد للمراي انتم تتربصون موتي وانا اتربص ان يظفرني الله عليكم فتنقادوا
لي للاسلام ام تامرهم احلامهم بهذا اي بتحكمكم علي وتسميتكم لي بهذه الاسماء القبيحة والعقول تدل على برائتك من هذه الصفات
ام هم قوم طاغون اي بل يقولون ذلك لطغيانهم ام يقولون تقوله اي اختلقه اي القران بل لا يومنون اي بل هم
لا يصدقون بما ياتيهم من الحق فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين اي فلياتوا بمثل هذا القران ان كانوا
صادقين ان محمدا تقوله فانهم مثل محمد في اللسان ومعرفة ضروب الكلام ام خلقوا من غير شي ام هم الخالقون اي
ام يقولون انهم خلقوا من غير شي خالق ام يدعون انهم خلقوا انفسهم بينهم فاذا كانوا لا يدعون واحدا من هذين بل
يعرفون ان لهم صانعا غيرهم فما الذي يمنعهم عن افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة له على الاعادة • وقيل
ام خلقوا من غير تراب ثم خلقوا من ماء مهين فما يمنعهم ان يعرفوا انهم يخلقون مرة اخرى من عظام رميم • وقيل
ام خلقوا من غير اباء وامهات فهم كالجماد لا يعقلون ما يذكرون به ام هم الخالقون هذا الخلق فكذلك لا يأتمرون
ولا ينتهون لان الامر والنهي للخالق • وقيل معناه ام خلقوا من غير حساب ولا ثواب وعقاب وتقديره لغير شي
كقولك فعلت هذا من غير شي فبيس ما يظنون • وقال ابن كيسان ام خلقوا من غير شي اي بغير شي اي تركوا
سدي لا يومرون ولا ينهون • وقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا ام
خلقوا السموات والارض ام يدعون خلقهما فاذا لم يدعوا خلق البعض والخلق الكل واعترفوا بان الخالق
الكل هو الله تعالى فلم امتناعهم عن توحيده ونفي الشركاء عنه بل لا يوقنون اي ليس تكذيبهم الرسل وجحودهم
البعث عن دليل يتيقنون به • وقيل بل لا يوقنون بوعد الله شرك النطيق والاصرار على الكفر • وقيل
لا يجحدون البعث موقنين باسخاطه بل شاكين في كونهم ام عندهم خزاين ربك • قيل ام يقولون عندهم
خزاين ربك من علم الغيب فعلموا بذلك انه كاذب وان البعث غير كاين • وقال عكرمة خزاين ربك اي النبوة
وقيل ام عندهم خزاين ربك من ارزاقهم وعطايه فهم يملكون الصرف والنفع لانفسهم ولغيرهم فيستغنون
بذلك عن ربهم ام هم المسيطرون اي ام ليس لهم شي من هذا بل هم يتمردون ويتسلطون عليك جملة • وقيل
ام عندهم خزاين ربك فهم المالكون ارزاق العباد ام هم المسلطون على الناس المالكون تصريفهم كيف ارادوا
اي فاذا كانوا غيرما لكين ذلك بل يقرون ان الله مالك ذلك كله فهل يجوز ان يكون ما جرى من البعث او غيره من
ابانة الصادق من الكاذب بالدليل • وقال ابو عبيدة والاخفش ام هم المسيطرون اي الارباب يقال تسيطر
فلان علي اي اتخذني من خوله • وقيل ام هم المسلطون بالغلبة بحجة او عدة ام لهم سلم يستمعون فيه ام يدعون
ان لهم سلما يتوصلون بصعوده الى السما فيستمعون بذلك الاخبار بها ويصلون بذلك الى اخبار السماء كما يفعل
محمد اليه فيستمعون بذلك ان ما هم فيه حق فهم كذلك متمسكون به فليات مستمعهم بسلطان مبين اي
فليات من يدعي سماع ذلك بحجة بينة على سماعه وذلك ان يخبر بغيب فيظهر كما اخبر ام له البنات ولكم البنون
اي كيف من ضعف العقول بهذه المرتبة يضيفون الى الله تعالى مع انفسهم منه ومن كان من قلة التمييز بهذه
المنزلة كيف تنجع فيه الحجة والموعظة • وقيل معناه ام قد تقرر عندكم ان ربكم له البنات واختار من اولاد
لنفسه واصفاكم بالبنين فاسند للتم بذلك على كرامتكم عليه فعلمتم انه تركنا سدي لا حساب علينا ولا جزا
فلذلك لا تبالون بشركم ومعاصيكم كلا ما هذا كذا ام تسالهم اجرا اي جعلا لك من اموالهم على الايمان بك
فهم من مغرم مثقلون فلذلك لا يومنون بل ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي ام يدعون ان عندهم علم الغيب
فهم يكتبون من ذلك المثل ما يانيهم به فيما رصونك به ام يريدون كيدا اي يمكروا بك بنفي الناس عنك والنهم

عليك الحيا الا النفاق لعلك او لعلنك فالذين كفروا هم المكيدون اي بل ضرر كيدهم يعود عليهم فيغلبون
ويغرون ويهلكون وهذه بشارة لهم اي ام لهم اله غير الله يستندون به ويلجيون اليه مما يريد انزاله بهم من العذاب
كما قال ام لهم الهة تمنعهم من دوننا سبحان الله عما يشركون اي هو منزه عن ذلك • وقال مقاتل رحمه الله ام يقولون
شاعر نزلت في ابي جهل والنضر بن الحارث بن قيس ومطعم بن عدي نتربص به ريب المنون توفي ابوه شابا ونحن نرجوا
ان يكون موته كموت ابيه • وقال الحسن رحمه الله المنون الموت • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وانشد
تربص بها ريب المنون لعلها تطلق • يوما او يموت خليلها المنون • وقال في قوله اني معكم من المتربصين اي لنزول العذاب
بكم فعذبوا يوم بدر • وقال تعالى وان يروا كسفا من السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم اي وان يروا عولاء
المشركون قطعة من السما ساقطا بسقط وهم يعاينونها بانزال الله ذلك حجة لك عليهم كما سالوك تمنتا فقالوا
او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا لا دخلوا على انفسهم التموية وقالوا انها سحاب مركوم اي وان ركم بعضه على
بعض اي جمع فسقط علينا وليس بسما وهو كقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما
سكرت ابصارنا وهذا قد يكون من المعاند بعد التيقن والمعرفة وقد يكون ممن استولي عليه الالف والتمادي في
ترك النظر للحمية والعصبية فكلما ورد عليه من الحجج الباهرة ادخل على نفسه التلبيس وترك النظر والتفتيش
فذرهم اي اعرض عنهم ولا تحرص على ان يعاجلوا بالعذاب حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يهلكون
بالصاعقة وهي الهلاك والعذاب المهلك • وقيل هي عند النفخة الاولى • قال تعالى فصعق من في السموات ومن
في الارض يوم لا يغني كيدهم شيا اي يوم القيامة ولا هم ينصرون لا يمنعهم من عذاب الله مانع • قرا عاصم وابن
عامر يصعقون بضم اليا • والباقون بفتحها صعق بضم الصاد انزلت به الصاعقة وصعق بالفتح وقع في الصاعقة
وقوله تعالى وان للذين ظلموا اي اشركوا فوضعوا العبادة في غير موضعها عذابا دون ذلك اي قبل اليوم الذي
فيه يصعقون وهو ما لهم من القحط والسبي والقتل يوم بدر • وقال ابن زيد مصايب الدنيا في الموال والاولاد
وقيل هو عذاب القبر قاله ابن عباس رضي الله عنهما والبرا وزاد ان ولكن اكثرهم لا يعلمون اي يغفلون عنه
واصبر لحكم ربك يا محمد اي لما حكم عليك من تبليغ الرسالة وتحمل اذى اهل الضلالة فانك باعيننا اي بمرانا
نحن نحفظك وندفع عنك ولا يخفى علينا صنيعك وصنيعهم فنجزي كلا على وفق عمله وسبح بحمد ربك اي صل لربك
حامدا له حين تقوم من مقامك بالليل وذلك صلاة العداة • وقيل هو ان يقول اذا قام الى الصلاة سبحانك
اللهم وبحمدك قاله الضحاك والربيع بن انس • وقيل يقوم من القيلولة وهي صلاة الظهر ومن الليل فسبحه اي
فصل لربك ايضا بالليل وهي صلاة المغرب والعشا وادبار النجوم • وقال محمد وعلي وابن عباس وابو هريرة
والحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد والشعبي وزاذان اي الركعتين قبل الصبح • وقال الحسن هو امر بالمواظبة
على الصلوات مفروضها ومسنونها • وقيل هي صلاة الفجر والامر للفرضية وقيل التسبيح هو الذكر باللسان
اذا قام من فراشه الى ان يدخل في الصلاة قاله عوف بن مالك • وقيل هو في حق من قام من مجلسه وهو قول مجاهد
وعطا وابن الاحوص وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كفارة المجلس والحمد لله الواحد الاحد
وشكره على جميع ما وعد

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

لم الله الذي اوحى الى عبده ما اوحى • الرحمن الذي اغني واقني • الرحيم الذي اليه المنتهي وروي ابي بن كعب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النجم اعطي عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد به بمكة • وهذه السورة مكية وهي اثنان وستون اية • وقيل احدي وستون الاختلاف في قوله الا الحياة الدنيا
وكلماتها ثلثماية وستون كلمة • وحروفها الف وستة وثمانون • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة
ان تلك في ذكر النجوم وهذه في ذكر النجم • وانتظام السورتين انهما في محاجة المشركين وفي هذه زيادة ذكر امر سيد
المرسلين وبيان قصص الاولين • وقوله تعالى والنجم اذا هوى • قال ابن عباس رضي الله عنهما اقسم الله تعالى
بالقران اذا نزل نجوما • قال تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم • وقال مجاهد اقسم الله تعالى بالثريا اذا غابت
والعرب تسمي الثريا نجما وقال المراد به جنس النجوم وهويها غروبها • وقيل هويها انقضاضها لرجم الشياطين
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل هو انتثارها في السماء وقت القيامة وغاربة • وقال جعفر الصادق
هو القسم بالنبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل ليلة المعراج من السما • وقيل هو قسم بالعالم اذا وضع في قبره •
وقال النبي صلى الله عليه وسلم علما امتي كالنجوم لها يهتدي في البر والبحر • وقيل هو قسم بنور المعرفة اذا
وقع في القلب • قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح • وقيل هو قسم بالنبت الضعيف اذا سقط قال تعالى
والنجم والشجر يسجدان وتخصيصه بالذكر لتقوية قلوب الضعفا • وقيل هو قسم برب النجم كما مر في الذاريات
ما ضل صاحبكم وما غوى هو جواب القسم اي ما عدل عن الصواب المبعوث به اليكم وما غوى اي ما خرج عن
الرشد فاستاب نفسه من امور دنياه ومعاملاته عن نفسهم مالم يزل معروفا به من الامانة والسداد وكانوا يسمى الامين

لتحاكم اليه في عظائم الامور • وقيل ما ضل قبل الوحي ولا غوى بعد الوحي فلم يزل كان يعبد ربه ويوحده لا يطاوع نفسه
في شهواتها ولا هو في مستغضات الامور والافعال ومستشنعاتها عن الهوى اي بهوى نفسه بغير ما اوحى اليه وعن
بمعنى الباء كما يقال رمى عن قوسه ان هو الا وحي يوحى اي ما هو الا وحي يوحيه الله تعالى اليه لما قال المشركون قريش ضل
محمد عن دين ابائه اجاب الله لجهلة وسائر الناس كانوا يجيبون بانفسهم قال قوم نوح لنوح انا لنراك في ضلال قال
يا قوم ليس بي ضلالة • وقال عاد لهود انا لنراك في سفاهة قال ليس بي سفاهة • وقال فرعون لموسى واني لاظنك
يا موسى مسحورا قال الله واني لاظنك يا فرعون مثبورا وتولى الله تعالى جواب ما قالوا للمصطفى صلى الله عليه وسلم •
ما ضل صاحبكم وما غوى وما صاحبكم بمجنون وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
وما علمناه الشعر وما ينطق عن الهوى • وقال لادم وعصى ادم ربه فغوى • قال لداود عليه السلام ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله • وقال للمصطفى وما ينطق عن الهوى • وروي عن عروة بن الزبير اراد عتبة بن ابي لهب
الخروج الى الشام لاتين محمدا ولاؤذينه فقال يا محمد كفرت بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب كان حاضرا فوجم لها وقال لقد اغناك الله يا ابن اخي
عن هذه الدعوة خوفا على ابن اخيه فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرج الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب
من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة قال عتبة لاصحابه اعينوني هذه الليلة فاني اخاف دعوة محمد فجمعوا
جمالهم فاناخوها حولهم واحدقوا بعتبة وفرشوا له وسطهم وناموا فجا الاسد يتشمم وجوههم ثم دنا منه فخدشه
ومزق بعضه فقتله • فقال في ذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه • سائل بني الاشعث ان جئتهم • ما كان انبا ابي واسع
لا وسع الله له قبره • بل ضيق الله عليه القاطع • رحم نبي جده • يدعوا الى نوره ساطع • ورمى رسول الله
من بينهم • دون قريش رمية القانع • اسبل بالحجر لتكذيبه • دون قريش نهرة القادع • فاستوجب الدعوة منه بما
بين للناظر والسامع • ان سلط الله به كلبه • يمشي الهوينا مشية الخادع • حتى اتاه وسط اصحابه • وقد
علتهم سنة الهاجع • فالتقم الراس بيافوخه • والحلق منه فغرة الجائع • ثم علا بعد بانيابه • منعفرا وسط
دم رائع • قد كان هذا لكم عبرة • للسيد المتبوع والتابع • من يرجع العام الى اهله • فما اكيل السبع بالراجع
علمه شديد القوى اي علم محمدا صلى الله عليه وسلم جبريل وحي الله وهو شديد القوى • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما وقتادة والربيع اي في نفسه وعلمه وهو كما قال في موضع اخر انه لقول رسول كريم ذي قوة ومن قوته
ما ذكرنا في قصة لوط من رفعه القريات الى السماء ثم قلبها ومن قوته ما روي انه ضرب بجناحه ابليس على عقبة
بمكة فالقاه في الهند • وقيل ذو احكام كالحبل المبرم الموثق بالفتل • وقيل شديد القوى في اوامر الله تعالى
ذو مرة اي ذو قوة في جسمه • وقيل ذو مرة اي ذو استمرار ومرور في الجو في انحداره وصعوده سريعا
في ذلك • وقال قطرب اي ذو راي محكم وصرف هذه الصفة الى جبريل عليه السلام قول مجاهد وقتادة
وابو العالية وجماعة وسياق هذه الاية على قولهم فاستوى سريعا في ذلك اي جبريل وافقنا في الهوى بعد
ان كان ينزل سريعا في كل مرة • وهو بالافق الاعلى من الهوى قريبا من السما • وقيل في ذلك انه كان بمطلع الشمس قال
قتادة والافق الناحية وجمعه الافاق ثم دنا جبريل صلوات الله عليه من الارض فتدلى اي فاسترسل الى محمد
صلى الله عليه وسلم • وقيل نكس راسه لتبليغ وحي الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قرب ما بينهما
قاب قوسين اي قدر قوسين • وقيل وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما اي قدر ذراعين ويسمى الذراع قوسا
لانه يقاس به المذروع اي يقدر او ادنى قيل بل ادنى من ذلك فلم يكن بالقريب الملاصق ولا بالبعيد المانع
من التمكن من النظر اليه وهذا المقدار المعقول من مجالسة الخواص من العظماء في الدنيا وهو يمنع تقريبا من العظم
للجالس وتقليلها من المجالس لديها فاوحى اي بلغ جبريل الوحي الى عبده اي الى عبد الله ما اوحى الله الى جبريل وامره ان
يبلغه الى المصطفى صلى الله عليه وسلم • ما كذب الفؤاد ما راى • قرا ابن عامر ما كذب بالتشديد • والباقون
بالتخفيف الفؤاد اي فؤاده بالالف واللام بدلا عن الاضافة كقوله فان الجنة هي الماوى اي ماواه ومعنى
التخفيف ما كذب فؤاده فيما راى محمد بعينه جبريل بينا وعى من عليه وبالتشديد لم يوجد من قلبه التكذيب لما راه
بعينه والانكار • افتمارونه على ما يرى • قرا حمزة والكسائي افتمرونه ومعناه افتجحدونه ايها المشركون • وقرا
الباقون افتمارونه اي افتجادلونه على ما يرى فيقولون انه لم ير جبريل عليه السلام وانما يرى شيطانا كما ترى
الكهنة الشياطين وانما قال يرى ولم يقل راى لانه كان يراه في كل نزول له فهو على الفعل الدائم • قالت عائشة رضي
الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت جبريل منهبطا قد ملا ما بين السما والارض عليه ثياب سندس معلق
بها اللولو والياقوت • وعنها ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فاذا هو بجبريل عليه السلام
على الشمس له جناح بالمشرق واخر بالمغرب • وروي حمزة بن عبد المطلب قال يا رسول الله ارني جبريل في صورته
فقال انك لا تستطيع ان تنظر اليه قال بلى يا رسول الله ارنيه فقعد ونزل جبريل على خشبة في الكعبة كان المشركون
يضعون عليها ثيابهم اذا طافوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفع طرفك يا حمزة فانظر فرفع عينيه فراى

قدمه

قدماه كالزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل ان يراه على صورته فقال ان
الارض لا تسعني ولكن انظر الى السما فراه على صورته ثم دنا منه فتكلما دنا منه انتفض فلما قرب منه مقدار قوسين
راه على صورته التي كان يراه عليها في كل مرة • وروي انه راه على فرس والدنيا كلها بين كلكلها وفي وجهه اخدود من
البكا لو الغيث المستغفر فيها الحرث فقال في هذه الحادثة في سورة اخرى ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة
اخرى اي راى جبريل ايضا مرة اخرى ليلة المعراج عند سدرة المنتهى في السموات عندها جنة الماوى اي
راه على صورته مرة عند سدرة المنتهى على هذا بعض المفسرين • وقال الحسن البصري وجماعة علمه شديد القوى
اي علمه الله وهو وصف من الله تعالى نفسه بكمال القوة والقدرة وهو كقوله شديد العقاب • وقوله تعالى
هو القوي العزيز ذو مرة اي ذو احكام للامور والقضايا • قال الله تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون المكان
الذي فيه علمه بلا واسطة فقال فاستوى اي محمد وهو بالافق الاعلى اي فوق السموات ثم دنا فتدلى هو بيان
قرب الكرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم من ربه والاسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة بجسمه ليلا من
المسجد الحرام الى بيت المقدس ثم منه الى السما ثم منه الى سدرة المنتهى ثم منه الى ما شا الله تعالى حق صدق
ذكره الله تعالى في اول سورة بني اسرائيل وفي هذه السورة وردت احاديث كثيرة اشرنا الى بعضها في اول سورة
بني اسرائيل واوردناها في كتاب جمعناه في ذلك وقد قال به اهل السنة والجماعة وانكره اهل الضلالة والبدع
واختلفت الروايات في تعيين تلك الليلة • قيل كانت ليلة السابع والعشرين من رجب • وقيل كانت ليلة
السادس عشر من شهر رمضان • وقيل كانت ليلة الاثنين • وقيل كانت بعد المبعث بسنتين ليلة الثاني عشر
من شهر ربيع الاول • وقيل كانت ليلة السبت • وقيل كانت ليلة الاثنين • وقيل كانت بعد المبعث بسنتين
وقيل بثلاث سنين • وقيل كانت قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا اتاه جبريل عليه السلام ومعه خمسون الف
ملك لهم زجل بالتسبيح ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام هاني ومعه ميكائيل فقال قم يا محمد فان
الجبار يدعوك الى حضرته فخرج فاذا بالبراق • قال الواقدي وهي دابة فوق الحمار ودون البغل جسدها
من ياقوتة حمرا وعنقها من زمرد اخضر واذناها بيضا واذنبها كذنب البقر وعيناها مثل الزهرة
وقال محمد بن اسحاق كانت خضرا وعنقها حمرا • وقيل كان راسها من زعفران وصدرها من ياقوت ويداها
من لولو ورجلاها من زبرجد ووجهها كوجه الانسان وعرفها كعرف الفرس واذناها كاذني الفيل وعنقها
كعنق البعير وصدرها كصدر الابل وقوائمها كقوائم البقر وبطنها بالالوان المختلفة • قال فركبتها
فكانت اذا تركتها سارت واذا حركتها طارت خطوها مد البصر والملائكة امامي وخلفي وعن يميني وعن
شمالي ثم كان في الطريق اعاجيب في بيت المقدس راى النبيين فامهم وبشروه في امته بكل خير ثم صعد
الى السما وراى في كل سما اعاجيب وجماعة من الرسل ورفاه الله الى ما رفاه ولقاه ما لقاه واراه ما اراه
وخصه بقرب لم يكن لاحد قبله ولا يكون لاحد بعده وهو قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى اي
على طرف الكون ثم دنا فتدلى • قيل اي دنا من كرامة الله ولم يرد به قرب المكان فان الله تعالى منزه عن المكان
خلق كل مكان ولا حاجة له الى مكان وانما هو قرب المنزلة والدرجة والكرامة والزلفة فتدلى اي سجد لله
تعالى لانه قال وجدت ما وجدت بالخدمة فازيد في الخدمة وفي السجدة وعند القربة فازداد قربا على قرب
وجا الحجب فانتهى الى مكان لم يدر الكون اين قدمه ولم يدر قدمه اين نفسه ولم تدر نفسه اين قلبه ولم يدر
قلبه اين روحه ولم تدر روحه اين سره فكان الكون يطلب قدمه وقدمه يطلب نفسه ونفسه تطلب
قلبه وقلبه تطلب روحه وروحه تطلب سره قالوا ثم دنا اشارة الى مقام نفسه فتدلى اشارة الى مقام
قلبه فكان قاب قوسين اشارة الى مقام روحه او ادنى اشارة الى مقام سره فكانت نفسه في مقام الخدمة
وقلبه في مقام المحبة وروحه في مقام القربة وسره في مقام المشاهدة وكانت حياة نفسه بالخدمة وبقا
قلبه بالمحبة وقيام روحه بالقربة وغذا سره بالمشاهدة ولو نظرت نفسه الى الكون لبقيت بلا خدمة
ولو نظر قلبه الى نفسه لبقي بلا محبة ولو نظر روحه الى قلبه لبقي بلا قربة ولو نظر سره الى روحه لبقي
بلا مشاهدة • وسيل ابو الحسن النوري رحمه الله عن هذا المقام فقال لم يسع فيه جبريل من النوري ثم قال
دنا يكون في ابهامنا بعد البعد ولا بعد ثم فتدلى يكون في مكان ولا مكان ثم فكان عبارة من زمان ولا عبارة
ثم قاب اشارة الى مقدار ولا اشارة ثم قوسين مثال ولا مثال ثم او كلمة شك ولا شك ثم ادنى مبالغة
فانه ادنى من دان اخر ولا ادنى معه ثم فقد قصرت عنه العلوم وطاشت عنده الفهوم ولم يمكن اهل المعرفة
ان يذكروا فيه شيئا الا ان قالوا معناه دنا مجاهدا فتدلى مشاهدا دنا طالبا فتدلى واصلا دنا ومعه
الرحمة فتدلى مناجيا دنا ماحيا فتدلى محمودا دنا شاكرا فتدلى مشكورا • وقيل احدهما صفة الله تعالى
والاخر صفة محمد ومعناه كان هو يتقرب والله يقربه وكان هو يتكلم والله يسمعه وكان هو يسال والله يعطيه
وكان هو يشفع والله يشفعه وكان هو يتطفل في ايات الله والله تعالى ينظر في اداب رسول الله فكان قاب

توسين او ادني تقدم بعض الشرح فيه وهو تقرير خاصية كانت له في تقريب المنزلة في الافهام وتاكيد حرمة وقت
لم تصورته في الاوهام ممثلة بما تسارع اليه عقول الانام فكانت خطا العرب اذا ارادوا تاكيد عهد وتوثيق عقد
لا ينتقض ولا يرتفض احضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما ونزعا بهما جميعا ورميا عنهما سهما واحدا يشير
بذلك الي الاتحاد الكلي والاجتماع الاصلي فكان بعد ذلك رضا احدهما رضا الاخر وسخط احدهما سخط الاخر
فكانه قال الدب المحبة والرضا القربة فقبوله مقبول ومردوده مردود ولهذا ذلك في ايات الله وله العزة
ولرسوله امنوا بالله ورسوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسوله ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله
ورسوله استجيبوا لله وللرسول ومن يشاقق الله ورسوله وينصرون الله ورسوله اذا نصحوا لله ولرسوله
فاذنوا بحرب من الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله براءة من الله ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه انما
وليكم الله ورسوله فسيري الله عملكم ورسوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله مهاجرا الي الله ورسوله فهو
له ونولي وما صو لي فهو له وهذا مقام ليس فوقه مقام ● وقيل فتدلي اي ارسل نفسه في هذا المحل المقام
فقال انا لا ارجع عن ذلك المكان قال لا امرت فقيل له ان الذي احضرك هذا المقام قادر علي ان يحضرك هذا
المكان وانت في الدنيا فارجع فادع الينا الهاربين فاذا استوحشت من الخلق واشتقت الي هذا المكان
تحرم في الصلاة نقربك ونبلغك هذا المقام ولذلك كان يقول ارحنا يا بلال وكان يقول وجعلت قرة عيني
في الصلاة ● وقال الامام القشيري ادناه حتي لا ادنوا واحد منه حتي لا غيره اصحابه لما محاه عنه وقال له
ما قال ولم يطلع احدا علي ما بينه من السر واخبرانه ما ينطق عن الهوي ومتي ينطق عن الهوي من هو في محل النجوي
وظاهره البشرية مرقا الي شهود الاحدية مكاشف بجلال الصمدية مختطف عنه بالكلية لم يبق فيه الا الحق
بالحق بقية فمن كان هذا صفته اني ينطق عن الهوي ● وقوله تعالي فاوحي الي عبده ما اوحي اي اوحي الله
في ذلك المقام ما اوحي فاخفي كل شيء نسبه اليه اشعارا بانه الحبيب لا الحضور فقال في مقامه او ادني وقال
في نثاره اذ يغشي السدرة ما يغشي وقال فيما رآه لقد راي من ايات ربه الكبري وقال في الوحي فاوحي
الي عبده ما اوحي وكذلك احوال الاحباب وتكلموا فيه فقيل الاقرب الي الادب السكوت فانه ما اخفاه
لكون لكل واحد اظهاره وقيل قد رمنا وقف عليه بخبر او اثر واسند الا فلا باس بذكره ● وقيل فاوحي اليه
قوله تعالي امن الرسول الي اخره كان ذلك وحيا اليه في ذلك المقام بغير واسطة جبريل ● وقال
ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال هو قول الله تعالي لولا
العتاب ما كان مع امتك الحساب ● وروي ان الله تعالي قال له قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليكم
فانا اولي به منكم لكثرة نعمي عليكم وان انتم خفتم احدا من اهل السما والارض فانا اولي بذلك لكمال
قدرتي وان انتم رجوتم احدا فانا اولي بذلك لان منكم الجفا ومني الوفا وان انتم اثرتم احدا باموالكم وانفسكم
فانا اولي بذلك لاني معبودكم وان صدقتم احدا في وعده فانا اولي بذلك لاني انا الصادق ● وقال
سعيد بن جبير رضي الله عنه اوحي الله اليه الم اجدك يتيما فاويتك ووجدتك ضالا فهديتك ووجدتك عايلا
فاغنيتك الم نشرح لك صدرك الم اضع عنك وزرك الم ارفع لك ذكرك ● وقيل اوحي الله اليه انك
القاسم بين الجنة والنار ● وقيل اوحي اليه ان الجنة محرمة علي الانبيا حتي تدخلها انت وعلي الامم حتي تدخلها
امتك ● وقيل اوحي اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالما فلهم الخمر واللبن والعسل
وقيل اوحي اليه اني ضمنت الرزق لعبادي وامتك لا يثقون بذلك وجعلت النار لاعدائي وهم يجتهدون
ان يدخلوها وانا لم اطالبهم بعمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد وانا لا اعطي رزقهم غيرهم وهم يودون
طاعتي لروية غيري وانا المعز والمذل وهم يرجون ويخافون غيري وانا المنعم عليهم وهم يشكرون لغيري
يروي هذا عن فاطمة رضي الله عنها سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذا فقال هو هذا ● وقيل
اوحي اليه وهبت لك ثلث امتك الليلة واهب لك الثلثين يوم القيامة ● وقيل اوحي اليه يا محمد لم اكثر
مال امتك ليلا يطول حسابهم يوم القيامة ولم اطل اعمارهم ليلا تقسو قلوبهم ولم افجاهم بالموت ليلا
يكون بدون التوبة من الدنيا خروجهم واخرتهم في الدنيا عن الاخرين ليلا يطول في القبور حبسهم ● وقيل
اوحي اليه ان امتك يطيعون ويعصون وطاعتهم برضاي فانا اغفر لهم ما كان بقضايي واقبل منهم ما كان
برضاي ● وقيل اوحي اليه عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك
مجزي به ● وقيل اوحي اليه كن ايسا من الخلق فليس بايديهم شي واجعل صحبتك معي فان مرجعك الي ولا تجعل
قلبك متعلقا بالدنيا فما خلقتك لها ● وقوله تعالي ولقد راه اي ولقد راي محمد جبريل نزلة اخري يعني مرة
اخري ونزله مرة من النزول اي نزل عند سدرة المنتهي وعليه ستماية جناح يتناثر منها الدر والياقوت وسدرة
المنتهي شجرة نبق ولها حسن المنظر وطيب الرايحة وحلاوة الثمر وورقها كاذان الفيلة وثمرها كالقلال
هجر وهي مقام جبريل وام فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم ملايكة السما في الزهر وكان امام الانبيا في بيت

المقدس وامام الملايكة عند سدرة المنتهي فظهر بذلك فضله علي اهل الارض والسما وسميت سدرة المنتهي عند كعب
لان روية الملايكة تنتهي اليها لا يتجاوزها ملايكة السموات مافوقها وهي في السما السابعة ● وقال ابن مسعود والضحاك
تنتهي اليها ما يعرج الي السما ● وقيل تنتهي اليها ارواح الشهدا ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما اليها ينتهي علم العلما ولا
يعلم ما وراها الا الله ● وقيل اليها ينتهي ما يهبط من فوقها واليها ينتهي ما يصعد من تحتها ● وقيل اليها ينتهي كرامة الله
لاوليايه ● وقوله تعالي عندها جنة الماوي وهي جنة الخلد ● وقيل اوي اليها ادم وحوي ● وقيل ماوي اليها ارواح
الشهدا ● وقيل ماوي اليها اهلها يوم القيامة ● وقوله تعالي اذ يغشي السدرة ما يغشي اي يغطيها ● وقيل
كان يغطيها النور والبها والحسن والصفا الذي يروق الابصار ● وقيل العجايب الدالة علي قدرة الله
تعالي وعظم سلطانه ● وقيل غشيها ملايكة الله الصاعدون اليها من ملايكة السموات فانهم لو ان اليها
من ملايكة العرش للقا النبي صلي الله عليه وسلم ● وقيل طولها مسيرة خمسين سنة وغشاها من الملايكة
ما غطاها كلها وهم علي صور الجراد من الذهب ● وقال قتادة استاذنوا للقا النبي صلي الله عليه وسلم فاذن
لهم ● وقيل لهم لا تاتوه بغير نثار فجا كل واحد منهم بطبق من اطباق الجنة عليه من اللطايف ما لا يحصي فنثروه
بين يديه تقربا اليه ● وقال مقاتل لو ان رجلا ركب حقه وطاف علي ساقها حتي ادركه الهرم ما وصل الي المكان
الذي ركب منه يحمل لاهل الجنة الحلل والحلي وجميع الوان الثمار وينابيع من يمين العرش تخرج انهار الجنة
من اصلها ● وقوله تعالي ما زاغ البصر وما طغي اي ما مال بصر محمد عما راي وما جاوزه الي غيره بل وقف حق النظر
يعني ما حاد لحظ عن رويته ● قيل احاطه علمه به وما تعدي عن رويته الي غيره رغبة عنه بل وقف حق النظر فيتيقن
بما ابصر كما قال ما كذب الفواد ما راي ● وقيل ما زاغ بصره حين عرضت عليه الدنيا رغبة فيها وما طغي
حين عرضت عليه الاخرة تعلقا بها بل ترك ذلك كله مكتفيا بالمولي ● وقيل ما زاغ ما مال يمينا وشمالا ولا
طغي ولا تقدم اي وقف حيث وقف وتصرف علي ما صرف ● وقوله تعالي لقد راي من ايات ربه الكبري اي
العظمي وهو عجايب السموات وطوايف الملايكة وسدرة المنتهي وجنة الماوي وما في الجنان لاهل الايمان
وما في النيران لاهل الطغيان والحجب والجار والظلم والانوار وما تحير منه الافكار وتحار فيه الابصار
وقال محمد بن كعب القرظي والربيع بن انس سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم هل رايت ربك قال رايته
بفوادي ولم اره بعيني ● وقال ابن عباس رضي الله عنهما راه ببصره بلا كيف وهو قول انس وكعب واسما
وقالت عايشة رضي الله عنها من قال ان النبي صلي الله عليه وسلم راي ربه جل جلاله ليلة المعراج ببصره
فقد اعظم الفرية ومن قال انه كان يعلم ما في غد فقد اعظم الفرية ومن زعم انه كتم شيا مما انزل الله تعالي عليه
فقد اعظم الفرية وانما راه بقلبه وهو قول الحسن وابي صالح وابي العالية وابراهيم التيمي ومسروق
وهو الصحيح والتحقيق قوله لقد راي من ايات ربه الكبري ● ووجه اخر لقد راي من ايات ربه الكبري من
قصة المعراج وردنا بطرقها مستوفاة في كتابنا ورد من الاخبار في معراج النبي المختار وهو قريب من تمر
وقوله تعالي افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري افرايتم كلمة استفهام ومعناه الخبر في من
هذه الاصنام التي تعبد وتخدم وتعتقد وتخلقها اله هل فعلت ما فعل الله تعالي مما ذكره في هذه السورة
من الاسرا بمحمد صلي الله عليه وسلم الي السما واعطانه اليه فهذا هو المضمر انفعتكم عبادتها وهذه اصنام
كانت من حجارة وكانت في جوف الكعبة ● وقيل العزي كانت شجرة يعبدونها وكانت لغطفان بعث اليها رسول
الله صلي الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة
يدها علي راسها فجعل خالد يضربها بالسيف حتي قتلها وهو يقول كفرانك اليوم لا سبحانك اني رايت الله قد
اهانك ثم رجع خالد فاخبر النبي صلي الله عليه وسلم بذلك فقال تلك العزي ولن تعبد ابدا وكان وضعها
لغطفان سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراي الصفا والمروة وراي اهل مكة يطوفون بهما
فعاد الي بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليست لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا
فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الي نخلة فوضع الذي اخذ من
الصفا فقال هذا الصفا ووضع الذي اخذ من المروة وقال هذا المروة ثم اخذ ثلاثة احجار
فاسندها الي شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتي افتتح رسول الله مكة
فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الي العزي فقطعها ● وقال مقاتل رحمه الله كانت مناة حجرا بقديد
منها يسمونه يدا علي الساحل ● وقال قتادة اللات كانت بالطايف والعزي بشعب بطن نخلة ومناة بقديد
وقيل كانت العزي لقريش ومناة للانصار واللات كان الكسايي يقف عليها بالها ● وقال الزجاج الجود
الوقف بالتا علي اللات ارادوا اللاهت فاسقطوا الها تخفيفا وبقيت ها التانيث ● وكان مجاهد يقرا اللات
بتشديد التا وقال كان رجل يلت السويق ثم مات فاتخذ قبره مصلي ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اللات
رجل يلت السويق يسقيه الحاج ● وقال ابو الجوزا اللات حجر كان يلت عليه السويق ومناة قرا ابن كثير بالمد

والهمزة الباقية بالقصر وقيل سمي بها لما يمنى عندها من الدما اي يهراق كما سميت منى لانه تذبح الهدايا والضحايا
والعزى تانيث الاعز ومناة الثالثة الاخرى • وقال الخليل لا يقال للثالثة الاخرى انما يقال ذلك للثانية
ولكن تقدير الاية افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة لكن اخر الاخرى لانهم كانوا يوخرونها في الذكر وقيل
هذا جايز ويراد بها الغيرية الا ترى ان رجلا لو اعطى رجلا درهما فقال له هات اخر فاعطاه فقال له هات اخر فاعطاه
فقال له هات اخرى جاز وهو ثالث فكذلك ما بعده الكم الذكر وله الانثى • قيل كانوا يقولون الاصنام بنات الله
فرد الله عليهم هذا • وقيل هذا في قولهم الملايكة بنات الله تلك اذا قسمة ضيزى اي جايرة وهي على وزن
فعلى بضم الفا كسرت اليا وتدمثار ضيزى اذا جار • وروي عن محمد بن كعب القرظي انه قال جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ناد من اندية قريش فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى حتى بلغ هذه الاية ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان في قراته تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ثم ختم تلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم السورة وسجد وسجد المشركون وكان الوليد بن المغيرة شيخا كبيرا فلم يسجد واخذ كفا من
تراب ووضع جبهته عليه وقالوا يا محمد انا نعلم ان الله يخلق ويرزق ويحيي ويميت لكنا نقول ان الهتنا شفعا
لنا عنده فاما اذ جعلت لها نصيبا في الشفاعة فنحن معك وقد ذكرنا القصة وتاويلها في سورة الحج •
وقوله تعالى ان هي الا اسما سميتموها اي ما هذه الاصنام اللات والعزى ومناة الا اسما مسميات
سميتموها انتم تقليدا واباوكم جهلا لا معاني لها ولا حقايق الا الوهية للات ولا عزة للعزى ولا منى لمناة
اي لا تقدر شيا • ما انزل الله بها من سلطان اي من حجة ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون الا الظن ان
اباهم لم يعبدوها الا لاستحقاقها والا لظنا انها تشفع لهم وتقربهم الى الله وما تهوى الانفس عطف على الظن
اي ما يتبعون الا ما تهواه انفسهم من تعظيم قدر الابا وتصويبهم • وقيل اي الا ما تهواه انفسهم من عبادة
ما يستحسنونه ولقد جاهم من ربهم الهدى اي البيان ولكنهم مقلدون ام للانسان ما تمنى اي يتمنى ما يشا
فيعبد ما يشا ام تقتضيها لفظ الاستفهام قبله وتقديره اتفعلون هذا بل ام للانسان ان يتمنى ما يشا
فيعبد ما يشا ويعطي العزة من يشا ويجعل لله البنات ولنفسه البنين ولله العزة ولرسوله فلله الاخرة
والاولى اي فليس للانسان ان يتمنى على الله انما له ما يجعله الله له الدنيا والاخرة ومن فيهما وما فيهما وقيل
معناه للانسان ما تمنى من شفاعة الاصنام والملايكة فلله الاخرة والاولى لله الامر جميعا والحكم
في امر الدنيا والاخرة • وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني اي لا تنفع شفاعتهم جمع سبق ذكر
الملك وهو واحد لان كم للتكثير فصار جمعا وليس معناه انهم يشفعون ولا تنفع شفاعتهم بل معناه انهم
لا يشفعون لانه لا يوذن لهم الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا اي من الملايكة ان يشفع • وقيل اي من البشر
لتشفع الملايكة له ويرضى اي يرضى بشفاعته من الملايكة • وقيل يرضى بالشفاعة له من البشر ان الذين
لا يومنون بالاخرة وهم مشركو العرب ليسمون الملايكة تسمية الانثى اي يقولون هم بنات الله كما تقول
عبدة الاصنام في الاصنام وما لهم به من علم من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم او كتاب ان يتبعون
الا الظن ما يتخيل في ظنونهم لا عن مشاهدة وخبر صحيح وان الظن لا يغني من الحق شيا اي لا ينوب الظن
مناب الحق ولا ينفع صاحبه ولا ينزله منزلة الحق فاعرض يا محمد عمن تولى عن ذكرنا عن كتابنا ووعظنا
فلم يصدقه ولم يقبله ولم يرد الا الحياة الدنيا اي وما ل اليها • وقيل عمن تتولى عن ذكرنا عن الثنا علينا
والدعا وذلك مما يجتلب به الثواب في الاخرة واقتصر على عرض الدنيا ورضي به ثوابا لنفسه ذلك مبلغهم
من العلم وهو العمل لثواب الدنيا وهو مبلغ خسيس لا يرضى به عاقل وهو من ظن البهايم التي لا ترغب الا
في الحاضر الناقه • وقيل ذلك مبلغهم من العلم ان يقولوا الملايكة بنات الله وهو جهل محض بصورة علم
بصورة العلم والاظهر هو الاول فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا
ولا مبلغ علمنا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فيجزي كلا على وفق عمله فاعرض انت
عنهم ولله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وملكا وخلقا خلقهم وتعبدهم ليجزي الذين اساوا بما
عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فيميز بين الضال والمهتدي والمسيء والمحسن فيجزي المسيء المشرك
في الدنيا بالسبي والقتل والهوان وفي الاخرة بالخلود في النار • ويجزي المومن المحسن في الدنيا بالنصر
والظفر والامكان وفي الاخرة بالخلود في الجنان • وقوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش
هو نعت للذين احسنوا • وقرا ابن كثير الاثم وهو الكفر • وقرا الباقون كباير الاثم والفواحش وهي
عظايم الذنوب والفواحش القبايح • وقيل الكباير ما اوعد الله عليها بالنار والفواحش ما شرع فيه
الحدود وقد ذكرنا فيه الاقاويل في الكباير في سورة النسا الا اللمم هو استثنا منقطع لانه ليس من الكباير
والفواحش قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد معناه لكن الذي الموا به قبل الاسلام فقد غفر الله لهم
ذلك • وقيل اللمم ان لا يصر على ما ارتكبه بل يبادر بالتوبة عنه من قولهم ما ياتينا فلان الا لماما اي في الحين

بعد

عند الحين واللمم ما يقع فيه حينا بعد حين لا يدوم عليه ولا يعتاده • وقيل اللمم الصغاير • وقيل اللمم ما يقارب الاثم
وقيل اللمم الخطرة وحديث النفس بما هو غير موافقة • وقال الحسن هو اللمة من الزنا والسرقة وشرب
الخمر ثم لا يعود • وقال قتادة رحمه الله وهو ان يقع الوقعة ثم ينتهي • وقال ابو سعيد الخدري هي النظرة والغمزة
والقبلة فاذا مس الختان فقد زنا • وقال ابو الجوزاء سالت ابن عباس رضي الله عنهما عن اللمم فقال لم ار شيا
اشبه به من قول ابي هريرة رضي الله عنه كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر
وزنا اليد البطش وزنا اللسان النطق وزنا الرجل المشي وتصديق ذلك كله الفرج ثم هذا ليس بمخيف في هذه
الاشيا ولكن بيان ان ما ليست من الكباير والفواحش اذا لم يزنا وان فعلوا وقد روي ابو بكر الصديق رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا صغيرة مع الاستغفار • وقيل نزلت الاية في نبهان التمار وذلك ان امراة
اتته تريد تمرا فقال لها ادخلي الحانوت فان فيه تمرا جيدا فدخلت فراودها عن نفسها فابت فضرب بمحجنه بها
بيده فقالت المراة ما نلت حظا وما حفظت غيب اخيك فندم نبهان فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
ويحك فلعلها امراة غازي في سبيل الله ثم لقي عمر فاخبره فصرف عنه عمر ووطيه برجله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اخواننا غزاة في سبيل الله تكسر الرماح في صدورهم تخلف هذا ونحوه في اهاليهم فعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ارسله يا عمر فليذهب فانزل الله تعالى قوله الا اللمم يعني ضربه
بيده ومحجنه بها • وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة فليستعد بمغفرته ليغفر من يتب عنه ويغفر اللمم ويغفر ما سلف
في الجاهلية ويغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة • وقال عطا بن ابي رباح اللمم التحدث به نفسك من الشرا ان تفعله
ثم يصرفك الله عنه فلا تفعله • وقوله تعالى هو اعلم بكم اي بضعفكم وغلبة الهوى عليكم اذ انشاكم من الارض يعني انشا
اباكم من الارض ادم ثم ميزتم في احوالكم من الضعف واستيلا الشهوة عليكم واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم جمع جنين
وهو الولد المجتن في البطون في ارحام الامهات • وقوله تعالى في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم فلا تمدحوها
فوق قدرها وحالكم هذه في استيلا الهوى عليكم حتى لا تحلوا احدكم عن اللمم هو اعلم بمن اتقى منكم ممن لم يتق
فلا حاجة بكم الى تزكية انفسكم لانكم تعلمون له وعلمه كاف لكم وقيل ثم الدلالة عند قوله واسع المغفرة وما
بعده مبتدا هو اعلم بكم بسرائركم وظواهركم واوايلكم واواخركم وانتم تنسون ويخفى عليكم الحقايق والله
لا يخفى عليه شي فلا تزكوا انفسكم بما ليس فيها او بما تفعلونه بما لا تقفون على حقيقته عند الله تعالى هو اعلم
بمن اتقى فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزايه عن ثنا الناس نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يذكرون
وقيل بل نزلت في قوم يخبرون عن انفسهم بخلاف ما هم فيه • وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت اليهود
اذا هلك لهم صبي قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبوا ما من نسمة يخلقها الله
في بطن امها الا شقي او سعيد فانزل الله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم • وقوله تعالى افرايت الذي تولى ذكر الله تعالى جهل المشركين بامور الاخرة ثم عين جهل واحد
منهم فقال افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى ما حاله • روي ان الوليد بن المغيرة كان اراد الدخول في الاسلام
فعاتبه بعض المشركين وقال له ان اعطيتني شيا من مالك رجعت الى شركك ودين ابايك ضمنت لك ان احمل عنك
خطاياك وعذاب الاخرة على شركك فاجابه الوليد الى ذلك واعطاه بعض ما كان ضمن له ومنعه البعض
وقيل ان هذا الرجل اسلم فلقيه بعض من عيره فقال اتركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار وكان
ينبغي لك ان تنصرهم فكيف تفعل بابايك فقال اني خشيت عذاب الله فقال اعطني شيا وانا احمل كل عذاب كان
عليك عنك فاعطاه شيا فقال زدنا فتعاسر حتى اعطاه شيا وكتب له كتابا واشهد له بذلك ففي ذلك قوله
تعالى افرايت الذي تولى اي اعرض عن الايمان بالله ورسوله واعطى قليلا من المال على ان يتحمل عنه ما يستحق
من العذاب بكفره وتوليه ثم قطع اعطاه فلم تسمح نفسه ببذل ماله على تحمل العذاب فجمع جهله وبخله وذلك
قوله واكدى قال الكسائي يقال اكدى اي بلغ المكان الذي لا يستطيع ان يحفر فهو الكدية فامتنع
وقال الاخفش اكدى اي قطع واستقر من كدية الركية • وقال الفرا اكدى امسك عن العطية وقطع
وقال قطرب الكدية الصفاة الغليظة واكدى اي بلغ مجهوده فلم يحصل على شي • وقال [illegible] الكدية [illegible]
الكدية صلابة في الحجر فاذا بلغها الحافر ييس فقيل لكل من طلب شيا فلم يبلغ اخره او اعطى فلم يتم اكدى وقيل
معناه واعطى قليلا من الايمان بما هو عليه منه ثم لحقه الخذلان فاكدى اي قطع • وقال مجاهد كان
الوليد بن المغيرة ياتي النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله عنه فيستمع ما يقولان فذلك ما اعطى
من نفسه اي اعطى الاستماع واكدى انقطع عطاوه ذلك وتركه اعنده علم الغيب اي اعند هذا المعطي
المتحمل علم الغيب فهو يرى اي يعلم حال الاخرة وما غاب عنه من امره فيعلم ان من ضمن له يحمل اوزاره عنه
وهذا العلم يكون على احد الوجهين احدهما انه يعلم بغيبة فيحمله عنه والثاني ان يحمل نفسه فيدا عنه
وليس عنده علم بواحد من هذين فاعتماده عليه الا غاية جهل منه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان

رجل من قريش لم انت تتصدق بها فقال له عبد الله بن سعيد بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى لك شي
فقال له الرجل ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا الله تعالى فقال له عبد الله اعطني ناقتك هذه برحلها
وانا احمل عنك ذنوبك وخطاياك فنقل ثم امسك عن النفقة والصدقة فنزلت افرايت الذي تولى يعني عن الحق
وقال عطاء بن يسار نزلت في رجل قال لاهله جهزوني انطلق الى هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فتجهز
وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال له اين تريد فقال لمحمد لعلي اصيب من خير فقال له الرجل اعطني جهازك
واحمل عنك اثمك فيه فانزل الله هذه الاية • وقال محمد بن كعب نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد
الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يومن به • وروى علي بن اسحاق في المشاهدات
عن الكلبي رحمه الله انها نزلت في عثمان رضي الله عنه عاتبه ربه فيه كما عاتبه كرم البرية عليه في عبس وتولى
لكان عثمان معطيا جوادا فقال له مولاه عبد الله بن سعيد بن ابي سرح • وقيل كان اخاه من الرضاعة ان اراك قد
اسرعت في مالك ولا تدري على ما انت عليه من امر هذا الرجل ايتم امره ام لا فهل لك ان تعطيني هذه الراحلة
بما عليها واحمل عنك كل خطيئة عملتها فقال لي لك وكف عن بعض عطاياه فنزلت فيه افرايت الذي تولى عما كان
يفعل واعطى قليلا يقول فلو ان رجلا اعطى الله الدنيا وما فيها كان قليلا فيما يرجو واكدى اي قطع عطاياه
وقال السدي رحمه الله نزلت الاية في العاص بن وايل السهمي وهو الذي انزل الله فيه ان شانئك هو الابتر
اعنده علم الغيب هو كقوله اطلع الغيب وهو فيه ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى اي احكام انبيا
هذا المضمون له وهو استفهام بمعنى التقرير بما سبق من حكم الله تعالى على السنة انبيائه المتقدمين انه
لا يعاقب احد بدلا عن غيره فيما يستحقه من العذاب على ذنبه ولا يحمل على احد عقابا يستحقه غيره • وقوله
تعالى بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى اي وفي صحف ابرهيم الذي وفى اي وفى بعهود الله تعالى
وقيل اي اتم كلما امر به كما قال فاتمهن • وقيل ادى في جميع ما ارسل به وهو التبليغ • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال وابرهيم الذي وفى اي وفى عمل يومه باربع ركعات من اول النهار ان لا تزر وازرة وزر اخرى
اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى وبهذه الاية ردت عايشة رضي الله عنها على من روى ان الميت يعذب
ببكا اهله عليه فاما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيامة • وقوله عليه السلام ما سفك احد دما حراما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها
من ذلك فليس في ذلك حمل غيره بل الاول استوجب ذلك بفعل نفسه لا انه حمل عليه ذنب غيره فاما حمل
العاقلة الدية عن القاتل خطا فذلك مواساة منهم له وتخفيف عنه • وقوله تعالى وان ليس للانسان الا
ما سعى اي ثواب طاعته وعقاب معصيته وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه في الاخرة اي يرى جزاه كما قال
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ويراه اهل الموقف ايضا والملائكة وهو تزيين
للمطيع واخزاء للعاصي ثم يجزاه الجزاء الاوفى الهاء راجع الى السعي وهو جزم ما لم يسم فاعله يقال جزاه عمله
كما يقال جزاه بعمله وعلى عمله والجزاء الاوفى الاتم وان الى ربك المنتهى اي الى جزاء الله مرجع الخلق • وقوله تعالى
وانه هو اضحك وابكى وهو دليل خلق الله تعالى افعال العباد • وقيل اضحك المسرورين وابكى المحزونين
وقيل اضحك الناجين وابكى الجاهلين • وقيل اضحك اللوح بما اثبت فيه من احكامه في العباد وابكى القلم
بما اجرى على سنه من المداد • وقيل اضحك العرش باضافته اليه وابكاه لافتراء المجسمة عليه • وقيل اضحك
الجنة بالنعيم وابكى النار بالجحيم • وقيل اضحك اهل الجنة بتمام الحبور وابكى اهل النار بدوام الثبور
قال تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون • وقال وهم يصطرخون فيها • وقيل اضحك السما بعروج
النبي صلى الله عليه وسلم اليها وابكاها بنزوله عنها • وقيل اضحك الملايكة حيث شغلهم بخدمته وابكاهم
حين اصاب ابليس منهم بلعنته • وقيل اضحك الارض بالانهار وابكى السما بالامطار • وقيل اضحك الارض
بولادة الرسول وابكاها بوفاة الرسول • وقيل اضحك الارض بما عمل عليها من الحسنات وابكاها بما يركب
عليها من السيئات • وقيل اضحك ادم بالرحمة وابكى ابليس باللعنة • وقيل اضحك نوحا باجابة دعوته وابكاه
باهلاك ابنه بعقوبة ربه • وقيل اضحك سارة حين بشرها باسحاق وابكاها حين اوقع بينها وبين ابرهيم بولده
بالفراق • وقيل اضحك يعقوب بولادة يوسف وابكاه بغيبة يوسف • وقيل اضحك عيسى وابكى يحيى •
وقيل اضحك موسى باعطا الكلام والقربة وابكاه بمنع اللقا والرؤية • وقيل اضحك الوالدين بولادة الولد
وابكى الولد • وقيل اضحك المفسد في الدنيا وابكاه في العقبى • قال عليه السلام من اذنب وهو يضحك دخل
النار وهو يبكي • وقيل اضحك المذنب وابكى التايب • وقيل اضحك قوما عند الموت بالسماع لا بشروا
وابكى قوما باستماع لا بشرى • وقيل اضحك المتوفى على السعادة وابكى اهله بالمصيبة • وقوله تعالى وانه
هو امات واحيا اي امات الاحيا واحيا الاموات وامات الكفار واحيا المومنين وامات الجهال واحيا
العلما وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من اولاد ادم من نطفة اذا تمنى اي يمنيها الرجل والمرأة

اي يريقها وهو فعل ما لم يسم فاعله من الامنا وهو متى يمنى ومنى يمنو اي يقدر ان يكون منه الولد وان عليه النشاة
الاخرى وفي قراة ابن كثير وابي عمرو بالمد على وزن الفعالة كالبناه والباقون على الفعلة وهما بمعنى واحد من الانشا
والنشاة الاولى من النطفة والنشاة الاخرى البعث بعد ما ماتوا وصاروا رفاتا ورميما ومعنى عليه انه فاعلهم
لا محالة بما وعد ذلك من نفسه وعدا حتما • وقوله تعالى وانه هو اغنى واقنى اي اغنى من شا من خلقه واقنى اي
اعطى ما يقتنى اي يتخذ اصل مال يستنمو ويستنمي • وقيل اغنى اعطى المال واقنى اعطى الخدم • وقيل اغنى موّل
واقنى قنع • وقيل اغنى بالذهب والفضة والملابس والمساكن واقنى بالابل والبقر والغنم • وقيل اغنى اكثر
واقنى اقل • وقيل اغنى اعطى ما يكفي ويغني من الغنى واقنى اي جعل بعد الغنا زيادة على الكفاية ما لا يبقى اصله
ويبقى فرعه • وقيل اغنى بالمال واقنى بالقناعة • وانه هو رب الشعرى هما شعريان يمانيان احدهما تسمى الغميصا
والاخرى العبور بعبر المجرة وكان بعض اهل الجاهلية تعبدها • وقيل هو ابو كبشة الخزاعي ويقول له ما ليس
لساير النجوم من عبور المجرة • وفي الشعريين يقول الفرزدق • اذا اعين ورقت عيناي اسيل منهما الى ان تغيب
الشعريان بكاميا واتبعته هو اعز وبنو مليح اباكبشة في عبادة الشعرا ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خلاف العرب ونابذهم شبهته العرب على خلافه اياهم بابي كبشة فقالت ما لقينا من ابي كبشة فسموه
بذلك لخلافه اياهم كخلاف ابي كبشة العرب في عبادة الشعرا وانه اهلك عادا الاولى • قرا عمرو ونافع
عادا اللولى بتشديد اللام الاولى وحذف الهمزة وادغام التنوين في اللام وعاد الاولى هم عاد بن ارم
ابن عوص بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام اهلكهم الله بريح صرصر عاتية وعاد الاخرى
بنو لقيم بن هزال بن هزيل بن عتيل بن صد بن عاد الاكبر لم يكونوا مع الاولين وكانوا بحضرموت وتعانوا
بالقتل وقتل اللخوة كانت في زمن فارس الاول • ومن اهل العلم من قال فان قوله افرايت الذي تولى تم
عند قوله ثم يجزاه الجزاء الاوفى وما بعده في حكم المبتدا وما فيه من اعادة وان وان بالفتح للاتباع نظما لا
للوصل معنى كما في سورة الجن فتح الكل بعض القرا وبعضها ليس من كلام الجن وكذا قوله ام لم ينبا بما في
صحف موسى وابرهيم الذي وفى تم عند قوله وزر اخرى وما بعده ليس في الصحف ومنهم من قال يجوز ان يكون
الى قوله من النذر الاولى في صحائف الوليد لانه كان ينكر البعث ويقول بكل اقاويل المشركين ويجوز ان يكون كل ذلك
في الصحف ايضا وهو الاخبار باهلاك من مضى واهلاك من يجي • وقوله تعالى وثمودا فما ابقى اي واهلك ثمودا
فما ابقى منهم احدا وقرا حمزة وعاصم في رواية حفص وثمود بغير تنوين والباقون ثمودا بالتنوين • وقال
ابو عبيدة نقرا بالتنوين لمكان الالف الثانية في المصحف وقوم نوح عطف على الاول من قبل اي من قبل عاد
وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من عاد وثمود لانهم اصروا على الكفر وابدا نوح الف سنة الا خمسين عاما
ثم يسلم منهم الا نفر يسير والموتفكة اهوى اي واهلك قريات لوط المنقلبة باهلها اهوى اي اسقطها في النار
وقيل اي اسقطها من السما • وقيل خسف بها فغشاها اي المؤتفكة ما غشى اي الحجارة وغشاها جللها
وقيل هو وعيد لكل من تقدم ذكره لانهم اهلكوا بانواع مختلفة فباي الاء ربك تتمارى اي باي نعم ربك
تشك ايها الانسان • وقيل اي تجحد • وقيل اي تجادل مع وضوحها والنعم هي الحجج الباهرة والمواعظ
الزاجرة • وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره كما عرف في قوله فلا تكونن من الممترين هذا نذير
من النذر اي محمد رسول منذر من النذر الاولى اي المرسلين الاولين • وقيل هذا نذير اي انتقاص هذه
القصص تخويف من التخويفات الماضية ازفت الازفة اي قربت القيامة ليس لها من دون الله كاشفة
اي ليس لها من دون الله كشف اي بيان الوقت وهذا كقوله لا يجليها لوقتها الا هو • وقال الفرا والكسائي
رحمهما الله هي مصدر كالباقية والعاقبة • وقال قطرب هي نعت والهاء للمبالغة او موصفة للنفس او للجماعة
افمن هذا الحديث تعجبون اي من القران استفهام بمعنى التوبيخ تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون
تذكرا بوعيده وانتم سامدون • قال الخليل اي ساهون غافلون • وقال قطرب لاعبون • وقيل يغنون
وكانوا يعارضون القران بالغنا • وقيل اي قايمون حيارى • وقيل معرضون طامحون بابصاركم ناكثون
رؤسكم • وقيل السامد المطرق الحزين ويكون صلة لقوله ولا تبكون مطرقين محزونين فاسجدوا لله
واعبدوا • قيل هي سجدة تلاوة • وقيل سجدة الصلاة واعبدوا اي وحدوا • وقيل واطيعوا • وقال الشعبي رضي الله
عنه سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجم وسجد معه المومنون
والمشركون والجن والانس والله الموفق

سورة اقتربت الساعة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي شق القمر • الرحمن الذي خلق كل شي بقدر • الرحيم الذي وعد المتقين بجنات ونهر • وروي
ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اقتربت الساعة بعثه الله يوم القيامة

ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن قراها في كل ليلة فهو افضل ان شا الله وهي مكية واياتها خمس وخمسون وكلماتها
ثلثمائة كلمة واثنان واربعون • وحروفها الف واربعمائة وسبعة واربعون • وانتظام اخر تلك السورة باول
هذه السورة بذكر القيمة وقربها قال هناك ازفت الازفة • وقال هنا اقتربت الساعة • وانتظام السورتين انهما
في محاجة المشركين وتنبيههم بقصص الاولين • وقوله تعالى اقتربت الساعة اي دنت القيامة وانشق القمر
قال انس رضي الله عنه وذلك ان المشركين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية وقيل قد عينوا هذا فاشار
اليه فانشق نصفين وهو عند عامة الصحابة ومن بعدهم على انه قد كان والحسن البصري حمله على انه مما يكون اذا
قامت القيمة والصحيح هو الاول وقد رواه عبد الله بن مسعود وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وحذيفة وعبد
الله بن عباس وجبير بن مطعم ومجاهد وابن جبير قال عبد الله بن مسعود لقد رايت حرا بين فلقتي القمر فقيل
اهل مكة من ذلك وقالوا سحر مصنوع سيذهب فانزل الله هذه الايات • وقال ابن مسعود في رواية قال
النبي صلى الله عليه وسلم اي المشركين قالوا لما انشق القمر سحر محمد القمر • وقال ابن عباس ان المشركين
قالوا لما انشق القمر سحر محمد القمر فنستخبر السفار القادمين فلما قدموا سالوهم فاخبروهم انهم راوا
ذلك فتعجبوا منه • وقوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي مثل ما راوا من انشقاق القمر
يعرضوا اي عن الايمان بها ويقولوا سحر مستمر اي يلبسوا على الضعفة ويقولوا هذا تخييل قوي فعله حاذق
بالسحر فيتصور بصورة الانشقاق وهو بحاله لم ينشق وهو ماخوذ من امرار الحبل وهو احكام فتله • وقال
الاخفش مستمر شديد والمرة القوة والشدة • وقال الكسائي والفراء اي يستمر ويذهب عن قليل لانه سريع
لزين المرور وقيل مستمر اي تشبه افعال محمد بعضها بعضا كما تقول العرب فيما سر مستمر اي يجري على وجه واحد
وقيل ارادوا انه سحر مستمر في الدهور وقبل محمد اي هذا شي كان يفعله امثال محمد في الامم الماضية وقيل
مستمر اي ممتد من الارض الى السما وكان قيل هذا سحرة في الارض فصار الان سحره في السما وكذبوا اي
محمد فيما جاء به من هذه الاية وغيرها واتبعوا اهواءهم اي فعلوا ذلك بالشهوات والاهوا لا بالحجة
وقوله تعالى وكل امر مستقر اي وكل امر من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة يستقر يوما ما
قراره وينتهي الى غايته فيخرج حقيقته فتزول شبهته وعند العواقب تظهر الحقايق وهذا وعيد للمشركين
ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين وهو كقوله لكل نبا مستقر وسوف تعلمون اي الامد ينتهي وان طالت
فلابد ان يستقر قراره وينكشف حقيقته من حق وباطل • وقوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء اي من اخبار
الامم الماضية التي هي مكتوب ولا يعلمها محمد الا بوحي ما فيه مزدجر اي زجر ومنع وقد زجره وازدجر
وهو للمصدر ههنا كالازدجار كالمصطبر في معنى الاصطبار حكمة بالغة قيل هو ترجمة عن الاول ولقد
جاءهم حكمة وقيل انها زجر ويدل عليه قوله مزدجر • وقيل اضمر ابتدا وهذا اجرعنه اي هذه حكمة بالغة
اي بالغة نهاية الاحكام فما تغني النذر يجوز ان يكون نفيا ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ اي
فما تغني النذر بعد النذير لمن اعرض عنه ولم يتامله • وقيل اي فما تغني الانبا عن هولاء الكفار شيا
من العذاب وما يصرفونه عنهم وهم لم يقبلوا انذارهم • وقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم عن مكافاتهم
فان لهم يوما يجازون فيه • يوم يدع الداعي ظرف لقوله يتعلق بقوله اقتربت الساعة • وقيل يوم يدع
الداعي ظرف لقوله يخرجون من الاجداث • يوم يدع الداعي هو ما قال واستمع يوم ينادي المنادي
وهو اسرافيل في النفخة الثانية الى شي نكر اي هايل منكر لا يطاق وسمي نكرا لعظمه على النفس وقيل
لانهم لم يروا مثله قط فينكرونه استعظاما له • وقيل اي الى شي كانوا يجحدونه في الدنيا فينكرونه والنونه
به خشعا ابصارهم • قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا ابصارهم وتقدم الصفة لتقدم الفعل
فيجوز تذكيره وتوحيده • وقال الشاعر وشباب حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد • وقرا الباقون خشعا
ابصارهم على الجمع لانها نعت للابصار حقيقة وهي جمع ونصبه على الحال من يخرجون • وقيل نصب لانه مفعول
به من قوله يوم يدع الداعي اي قوما هم كذا ومعناه خاضعة اذلة لا منا منه واضاف الخشوع الى الابصار
لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في النظر • وقيل هو دليل الخوف والحيا فينكس راسه ويخفض بصره
يخرجون من الاجداث اي القبور كانهم جراد منتشر وحد للفظه ومعناه خاضعين كانهم جراد منتشر
في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة • وقيل اي يخرجون فزعين لا يهتدون متحيرين لا جهة لاحد منهم يقصدها
مهطعين الى الداعي قيل مسرعين • وقيل رافعين ابصارهم اليه • وقيل مديمين النظر اليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر اي شديد عسير • وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح اي رسولهم نوحا فكذبوا عبدنا
وقالوا مجنون وازدجر اي هو مجنون وازدجر اي زجروه عن تبليغ الرسالة بالتهديد والشتم وازدجر
مستعدي كزجر وهو كما قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا ربه اي لما ايس من ايمانهم اني
مغلوب فانتصر اي غلبني قومي بتمردهم ومنعوني عن الدعا اليك فانتصر منهم اي فانتقم لي منهم ومن

ءانهم اني مغلوب بكسر الالف اي دعا فقال اني والفتح لوقوع الدعا عليه ففتحنا ابواب السما فوقهم بما منهمر
اي كثير منصب خارج عن المعتاد وقيل هو الكثير اي فاجبناه وامرناه باتخاذ السفينة ثم لما بلغ الكتاب اجله
فتحنا ابواب السما فوقهم بما منهمر اي كثير منصب خارج عن المعتاد • وقيل هو الكثير السريع الانصباب وفجرنا
الارض عيونا اي سيلنا عيون الارض من تحتهم فالتقى الما اي اجتمع ما السما وما الارض ولم يقل الماآن لانه اسم جنس
وبالاجتماع يجوز ان يقال هذا ماء واحد على امر قد قدر اي قدره الله وعلم مقداره ومبلغه وقد تقدم الكتاب
بهلاك القوم به فلم يزدهم على ما سبق علمه به ولم ينقص عنه • وقيل اي التقى الماآن على مقدار واحد فكان ما
السما بقدر ما الارض لا يزيد احدهما على الاخر وحملناه اي حملنا نوحا على ذات الواح اي على سفينة ذات صفايح
من الخشب التي يؤلف منها السفينة ودسر جمع دسار وقال قطرب هي المسامير • وقال الخليل الدسار خيط من ليف يشد
به الواح السفن • وقال الفراء الدسر مسامير السفينة وشرطها التي تشد بها واحدها دسرة • وقال مجاهد الدسر
اضلاع السفينة • وقال الضحاك طرفاها واصلها • وقال نفطويه الدسر الدسر السفن لانها تدسر الما اي تصدها اي
تدفعه تجري باعيننا بمرانا منا نحن نراها ونحفظها جزا لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزا لنوح بصبره على اذى قومه
وكفرهم ونعمتهم بعد الشكر له على دعايه اياهم الى ما فيه نجاتهم • وقوله تعالى ولقد تركناها اية اي ولقد تركنا السفينة
علامة على قدرة الله تعالى ولطفه باهل ولايته وتمييزه بين اهل الايمان واهل الكفر والكتابة راجعة الى ذات
الالواح • وقيل اي تركنا هذه الفعلة اية للعالمين يعتبر بها كل من بلغه هذا الخبر • وقال قتادة ابقى الله سفينة
نوح على الجودي حتى ادركها اوايل هذه الامة • وعن ابن عباس مثله • وقوله تعالى ولقد تركناها اي بقيناها
كما قال وتركنا عليه في الاخرين فهل من مدكر اي متعظ منكم معاشر المشركين فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري
اي الم يكن عذابي شديدا مهلكا او لم يكن انذاري صدقا واقعا ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر قال
ابن عباس رضي الله عنهما هونا قراة القران يتعظ المتعظ به ولولا ان الله تعالى يسره ما استطاع احد ان يتكلم
بكلام الله تعالى • وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ ظاهرا وليس من كتب الله تعالى يقرا ظاهرا الا القران
وقال الحسن رحمه الله فهل من مدكر اي خايف مثل عقوبتهم • وقيل يسر قراته على السنة قوم وعلمه على قلوب
قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم اهل القران وكلهم اهل الله وخاصته • وقوله كذبت عاد اي رسولهم هودا
فكيف كان عذابي اي بالريح العقيم ونذري اي انذاري على لسان رسولي اليس كان العذاب اليما شديدا
والانذار حقا وصدقا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا يعني شديدة باردة ذات صوت هايل في يوم نحس
اي في يوم كان مشوما عليهم مستمر اي استمر بهم العذاب حتى اهلكهم • وقال قتادة استمر عليهم بشره اي
دام الى ان صاروا في نار جهنم • وقال الفراء اي استمر عليهم بنحوسته اي قوي واشتد • وقال الكسائي
هو من المرارة وقد استمر الشي وامر • وقال نفطويه في يوم شوم مستحكم بكسر الكاف تنزع الناس اي
تقلعهم من مواضعهم • قيل كانت تاتيهم من تحت اقدامهم فتقلعهم كما تقتلع النخلة من اصلها وقيل كانت
تقلع الناس فترمي بهم على روسهم فتندق رقابهم وتبين من اجسادهم فيتركوا اسودا كالنخل الحذا • وقيل
باخرتهم فتقطعهم الريح قطعا فكان كل عضو منه كعجز النخل المنقعر فقوله كانهم اعجاز نخل منقعر والاعجاز
جمع عجز وهو اصل النخلة والمنقعر المنقلع من اصله والنخل يونث اذا اريد بها جمع نخلة وعلى ذلك
قوله اعجاز نخل خاوية ويذكر اذا اريد بها الواحد ويجوز ان يكون جمعا ههنا وذكر لتعتد اللفظ والاولى
ان يكون جمعا لانه شبههم بالجماعة • وقيل كانهم حفروا احفرا دخلوا فيها فكانت الريح تنزعهم اي تخرجهم
منها فتكسرهم فتبقى تلك الحفر كانها اصول النخلة قد خلت مما كان قايما فيها فبقي موضعها منقعرا وهو الشي
لا قعر • وقال الاخفش اعجاز نخل منقعر اي اسافل نخل منقلع فكيف كان عذابي ونذري فسرناه ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر فسرناه مرة وكرر لان معنا سهلنا سبيل التذكر والاتعاظ لما وصلنا به القول
من قصص الاقاليم تنبيها للاخرين • وقوله تعالى كذبت ثمود بالنذر قيل بالانذار وهو واحد • وقيل
بالايات التي هي جمع نذير • وقيل وصالح ومن تقدمه من الرسل جمع نذير وهو الرسول المنذر فقالوا ابشرا
منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال استنكروا ان يلزمهم الانقياد لبشر هو واحد منهم اي من جنسهم
وجملتهم ياكل الطعام ويمشي في الاسواق انا اذا لو اتبعناه لفي ضلال اي ذهاب عن الحق وسعر اي جنون
وهو قول القتيبي رحمه الله قال هو من تسعر النار • ويقال ناقة مسعورة كانها مجنونة من النشاط • وقال
قتادة اي عذاب وعنا • وقال الاخفش هو السعار اي الالتهاب اي في تعب شديد يلتهب من التمادي
ومن حمله على الجنون فان المجنون يحرك صاحبه ويلهبه • وقيل في امر يسعر مثله اي يلهب صاحبه ويحركه حتى
يحمد نبا نفعه القي الذكر عليه من بيننا اي الوحي وذكر ما بالناس اليه حاجة من امور الدين والدنيا
وفينا من هو اكثر مالا واعلى حسبا منه بل هو كذاب اي ليس كما تقول ان الوحي القي عليه من بيننا بل هو كذاب
اشر لحوح بليس القصد والتكبر علينا من غير استحقاق سيعلمون غدا اي يوم القيامة من الكذاب الاشر

وقيل غدا اي يوم ينزل بهم العذاب المستاصل في الدنيا • وقال الحسن الاخرة كقرب الغد من اليوم انا مرسلوا
الناقة اي لما كذبوه سالوه اية وهو ان يخرج لهم ناقة من الجبل فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها
وباعثوها فتنة لهم اي اختبارا وامتحانا حتى يظهر للعباد ما نحن عالمون بما يكون منهم • وقيل تشديد للتعبد
عليهم بما يلزمهم من الصبر على ضيق الماء والكلا بخروج الناقة لحاجتها الى الكثير منها مع فصيلها فارتقبهم
واصطبر اي فانتظرهم ما يكونون او يخرجهم ان الماء قسمة بينهم اي مقسوم بين القوم وبين الناقة والقسمة
ما ذكر في سورة اخرى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم كل شرب محتضر اي كل نصيب من الماء يحضره صاحبه
في نوبته فنادوا صاحبهم روي ان الامر لما طال بهم في الناقة غلب عليهم الشقاء فاتمر تسعة نفر منهم وهم المذكورون
في قوله وكان في المدينة تسعة رهط منهم قدار بن سالف ليعقروها فلما اجمعوا على قتلها قال بعضهم لبعض ايكم
يمكث للناقة اذا صدرت حين تريد اصدرت من الماء فتحاماها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها
وصاح بها بقية الرهط وهي على الماء فقتلها قدار فكان معنى قوله فنادوا صاحبهم اي نبهوه على مجيئها
من مكمنه ودعوه الى قتلها وقيل لما ائتمروا بها قال احدهم انا اكفيكموها فلما هم بها هابه فناداه اصحابه
فشجعوه فتعاطى اي فتناول ما دعوه اليها فقتلها • وقيل رماها رجل منهم فاصاب عضلة ساقها الاخرى
فضرب عن جنبها ثم وجا بالسيف في لبتها حتى فرغ منها • وقيل عقرها قدار اي جرحها فلما صرعها قاموا اجمعها
عليها فقتلوها • وقيل بل عقرها هو وقتلها فالعقر هو القتل • قال عليه السلام من عقر جوادة فكيف
كان عذابي ونذر فسرناه انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة اي صاعقة فاهلكتهم جميعا فكانوا كهشيم المحتظر
اي فصاروا بعد غضارتهم وحسنهم كيبيس الشجر والنبات الذي يجمعه صاحبه ويحتظره لمواشيه اي يتخذ
لها حظيرة يجمعها وذلك منكر متعنت وذلك يحتمل معاني ثلاثة احدها ان يكون صاحب الحظيرة قد
احتظر لغنمه لم يجمع فيها الهشيم من النبات للغنم لتاكله • والثاني ان يكون المحتظر اتخذ الحظيرة للنبات
اليابس • والثالث ان يحتظر النبات الرطب فييبس فيسقط ويصير هشيما بوطء الناس والبهائم • وقرا الحسن
المحتظر بفتح الظاء وله وجهان احدهما ان يكون المحتظر هو الهشيم واضيف الى نفسه • والثاني ان يكون المحتظر
بالفتح هو الحظيرة والهشيم مضاف اليها • وقوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وقد مر سياق القصة
في سورة الاعراف كذبت قوم لوط بالنذر فسرنا النذر بثلاثة اوجه في هذه السورة في قوله كذبت ثمود
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي سحابا يحصبهم اي يرميهم بالحجارة والحصا الا ال لوط اي لوطا ومن امن
به نجيناهم بسحر اي امرناهم حتى خرج بهم بقطع من الليل ونجا العذاب قومه الصبح نعمة من عندنا اي انعاما
منا على لوط واهله كذلك نجزي من شكر بانعامنا فامن ولم يكذب • قال الفراء والكسائي اذا اقلت سحر
بسحر جريته بجعله نكرة واذا حذفت الباء تجره ولقد انذرهم بطشتنا اي كانا نخوفهم باخذنا اياهم اذا قاموا
على كفرهم وتكذيبهم وخرج الكلام مخرج المرة الواحدة لانهم لم يبقوا بعدها لبطشة الواحدة فتماروا بالنذر
اي فشكوا فيما انذرهم به وجادلوه فيه وجحدوه وقالوا كيف يهلكنا الله هلاكا وهو واحد منا ولقد
راودوه عن ضيفه اي طالبوه بتسليم اضيافه اليهم وهم الملائكة الذين راوهم على صورة الغلمان وظنوهم
من البشر وقصدوا منهم ما اعتادوه من خباثتهم فطمسنا اعينهم قيل فاعميناهم • روي ان جبريل مسح
وجوههم بجناحه فاعماهم فجعلوا يجولون لا يدرون كيف يتوجهون • وقيل ضرب اعينهم فسايرت الوجه
للشق لها كما طمس الريح الاعلام بالرمل والتراب • وقيل بل اعماهم مع بقاء صورة اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر اي وقيل لهم ذلك • وقيل معناه اذقناهم ذلك كما قال الشاعر فيها ليالي وايام امنين اي
كذلك ولقد صبحهم اي جاءهم صباحا كما قال ان موعدهم الصبح بكرة اول النهار حتى مطلع الفجر عذاب
مستقر اي ثابت مستقر فيهم الى ان هلكوا جميعا لم يكن كالشيء الذي يمر بالشيء فياخذ بعضا ويترك بعضا
وقيل اي يستقر بهم الى ان يوافوا جهنم فذوقوا عذابي ونذر فسرناه ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر فسرناه ايضا وهو سياق القصة في سورة الاعراف وغيرها • ولقد جاء ال فرعون النذر اي
الايات التي انذروا بها كالضفادع والدم والطوفان والجراد والقمل والسنين واليد والعصا ويحتمل ان
يكون النذر الرسل فقد جاءهم يوسف وبنوه الى ان جاءهم موسى وهارون وكذبوا باياتنا كلها اي بالاعلام
الدالة على صدق الرسل ويحتمل ان يكون اراد به ال فرعون ويحتمل ان يكون اراد به كل الامم الذين ذكرهم
في هذه السورة فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اي عاقبناهم معاقبة من لا ينهاه الاعتراض عليه ولا منعه
لعزته وسلطانه وسعة قدرته على كل شيء لا يعوزه هارب ولا يعجزه غالب اكفاركم خير من اولئكم يخاطب
مشركي قريش من اولئكم اي الامم الماضية اي ليسوا كذلك بل كلهم سواء لان الكل كفار مكذبون فانتم
في الجناية كهم في العقوبة ام لكم براءة في الزبر اي ام تدعون ان لكم براءة من الله في الكتب المنزلة
على انبيائه بالسلامة من العقوبة ونحو ذلك من اصله ام يقولون نحن جميع منتصر اي مجتمعون ممتنعون

قالوا

ولا ينالنا احد بمكروه ولا يقدر علينا ووحد المنتصر لانه نعت به قوله جميع وللفظه لفظ الواحد كالسميع والبديع
سيهزم الجمع فلا ينفعهم الاجتماع ويولون الدبر اي الادبار وهو اسم جنس يصلح للجمع وتحقق ذلك يوم بدر وهذه
الاية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اخبر فكان كما اخبر وذلك انه قال ذلك بوحي الله تعالى وهذا
كله توبيخ يقول لم تعادون عباد الله فكيف تعادون عذاب الله اكفاركم اتيتها الاية • وقيل اكفاركم خطاب
لقوم اسلم بعضهم وهذا الخطاب ثم قال ام يقولون على المغايبة وهو من تلوين الكلام واقسام البلاغة بل
الساعة موعدهم اي القيامة فلا تقتصر بعذاب الدنيا بل نديم عليهم العقاب في العقبى والساعة ادهى
اي اعظم وانكى وامر قيل اشد وقيل امر مذاقا • وقيل نزل قوله ام يقولون نحن جميع منتصر في ابي جهل لعنه
الله تعالى وذلك انه كان عنده فرس كميت يعلفها كل يوم فرقا من ذرة ويحلف باللات والعزى ليقتلن عليه
محمدا فلما كان يوم بدر ركبه وجعل يطارد ويقول نحن اليوم جميع منتصر من عادانا فقتله عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه يوم بدر واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال رايت النار تلتهب من جسده
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الملائكة يا عبد الله فاذا كان يوم القيامة ادخل النار وقيل لما تكره
لا تتامرون • وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزل سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان
يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر • ان المجرمين في ضلال
وسعر اي ان المشركين في ضلال عن الحق في الدنيا وفي نيران تسعرهم في العقبى وهي جمع سعير • وقيل هو على
مقابلة قولهم انا اذا لفي ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم اي يجرون ولكن قنا تحتهم يعودون تحركهم
فيها تجرهم الزبانية • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه يوم يسحبون الى النار وذلك يكون قبل الادخال وعلى
وجوههم دلالة نهاية الاذلال وبيان انهم لا يجرون على اقفيتهم بل على وجوههم وقربت الاية بين يدي الفضيل
نبكا حتى خنقته العبرة فقال والله لو سحبوا على الخز والحرير لكان شديدا فكيف اذا سحبوا على النار
اي ذوقوا مس سقر اي يقال لهم هذا وسقر من اسماء جهنم ولا تصرف لانها معرفة • قال ابو هريرة رضي الله
عنه جاء مشركوا قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الاية • وقال انس
سمعت عمر يحلف انها نزلت في القدرية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اصحاب هذه الاية ما كانوا
وليكونون بعد • وقال كعب الاحبار ويل لاهل القدر انها لمكتوبة في التوراة ان المجرمين في ضلال وسعر
الى قوله خلقناه بقدر اي بتقدير سبق في علمنا وارادتنا ونصب كل شيء بتقدير انا خلقنا كل شيء بقدر
وقيل يتصل بقوله سيهزم الجمع لكن عند الوقت المقدر والساعة ادهى وامر ولا تاخير لها بما سبق
من القدر وما امرنا الا واحدة اي قولة واحدة او مرة واحدة اي وما امرنا لشيء اذا اردنا تكوينه
الا ان نقول له كن فيكون كلمح بالبصر [illegible]
[illegible] ولقد اهلكنا اشياعكم [illegible]
[illegible] وكل شيء فعلوه في الزبر [illegible]
[illegible] وكل صغير وكبير مستطر [illegible]
[illegible]
[illegible] ان المتقين في جنات ونهر [illegible]
[illegible]
[illegible] في مقعد صدق عند مليك مقتدر [illegible]
[illegible] وقال الامام القشيري رحمه الله مقعد
صدق [illegible] عند مليك مقتدر [illegible]

الكرامة للقرب [illegible] المكان والمكانة

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الانسان • الرحمن الذي علم القران • الرحيم الذي جعل جزاء الاحسان الا الاحسان •
وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الرحمن
رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عليه • وهذه السورة مكية وقيل مدنية والاول قول ابن عباس
رضي الله عنه [illegible] والضحاك [illegible] مقاتل بن حيان [illegible]
[illegible]
[illegible] وحروفها الف [illegible]

تلك السورة بافتتاح هذه السورة اذ تلك ختمت باسم من اسما الله تعالى وهذه ايضا افتتحت باسم من اسما الله تعالى
فانتظام السورتين في جزا اهل التكذيب وهذه السورة في تقريع الجن والانس على التكذيب قال في تلك وكذبوا
واتبعوا اهواهم كذبت قبلهم قوم نوح كذبت عاد كذبت ثمود كذبت قوم لوط كذبوا باياتنا كلها • وقال في هذه السورة
فباي الا ربكما تكذبان يكذب بها المجرمون • وقيل هذه السورة في ذكر الدنيا واحوالها والقيامة واهوالها
والنار ودركاتها والجنة ودرجاتها • وقيل السورة في ذكر الالا والنعما وهي نعم الدنيا والدين يوم الدين
وما فيه للكفار والمومنين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في بدو
الاسلام باسمك اللهم كما كانت قريش تكتب حتى نزل بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله حتى نزلت
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالت قريش يا محمد كنت الى الان تعبد الها
واحدا وانت الان تعبد الهين فبين لنا انعبد الله ام نعبد الرحمن فنزلوهم يكفرون بالرحمن ثم نزلت هذه
السورة والمعنى الرحمن الذي تكفر به اهل مكة هو الذي علم محمدا القران • وقال الضحاك رحمه الله قال
اهل مكة ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة فنزلت هذه السورة • وقال الشعبي قالت اليهود لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انا لنراك تكثر ذكر اسم الله وتقل ذكر الرحمن فما بالك فانزل الله تعالى هذه السورة • وقال
عطا ما نزلت واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فانزل الله تعالى الرحمن علم القران • وعن هشام
ابن عروة عن ابيه قال كان اول من جهر بالقران بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه وذلك ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فقالوا ما سمعت قريش القران يجهر به فمن رجل
يسمعهم فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انا فقالوا انا نخشى عليك منهم وانا نريد رجلا له عشيرة يمنعونه
فقال دعوني فان الله سيمنعني ثم قام عند المقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته وقريش في
انديتها فقال الرحمن علم القران وتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد ثم قاموا اليه فجعلوا يضربونه وهو
يقرا الى ما شا الله تعالى ثم انصرف الى اصحابه وقد اثروا في وجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك • وقوله
تعالى الرحمن علم القران ذكرنا الاقاويل في تفسير الرحمن في اول هذا الكتاب علم القران اي محمدا خلق
الانسان اي ادم صلوات الله عليه • وقيل جنس الانس علمه البيان اي الكلام الذي يبين به ما في قلبه
وما يحتاج اليه من امور دنياه ودينه ويدخل في البيان الكتابة والاشارة وما يقع به الدلالة وهو
امتنان منه على العباد بتعليم اللغات المختلفة ووجوه الكلام المتفرقة • وقيل البيان اخراج شي من حيز
الاشكال الى حيز التجلي • وقيل هو ما كشف عن الضمير وابرز المستور • وقال مجاهد علمه البيان الحلال
والحرام • وقال قتادة يعني بيان الدنيا والاخرة • وقال يمان بن رباب علمه الكتابة والخط والقلم • وقيل
لما قال اهل مكة انما يعلمه بشر يعنون جبرا ويسارا وعايشا كذبهم الله تعالى فقال انا علمته • وقال ابن كيسان
خلق الانسان يعني محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما كان وما يكون لانه كان يخبر عن الاولين
والاخرين وعن يوم الدين • وقال الامام القشيري رحمه الله علم ادم الاسما وقال انبئهم بها الملائكة وعلم
هذه الامة القران وقال صلوا لي وناجوني فيها بما علمتكم • وقال في قوله خلق الانسان علمه البيان علم كل
قوم لسانهم الذي يخاطبون به والبيان الذي يختص به الانسان للاحياد حتى علموا كيف يخاطبون امثالهم
واشكالهم واما اهل الايمان والمعرفة فعلمهم كيف يخاطبون مولاهم وبيان العبد مع الحق مختلف فقوم
يخاطبونه بلسانهم وقوم بعقولهم وقوم بانفاسهم وقوم بدموعهم • وانشد شعر • دموع الفتى
عما يجن تترجم وقوم بحنينهم وانينهم مصرع قل لي بالسنة النفس كيف انت وكيف حالك • وقوله تعالى
الشمس والقمر بحسبان • قيل هو جمع حساب كالشهاب والشهبان • وقيل هو مصدر كالكفران والنقصان
قيل القمر يقطع بروج السما في ثمانية وعشرين يوما والشمس تقطع البروج في ثلثماية وخمسة وستين يوما
وشي • وقال السدي رضي الله عنه عليهما حساب واجل كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا فالشمس تكور
والقمر يخسف • وقال ابن كيسان يعني بهما يحسب السنون والازمان والاعمار والاجال • وقال يمان بن رباب
جريان باجل الدنيا وفناها • وقيل جعل بهذه الايات اسباب خليقته العلوية والسفلية التي بها حفظها
لعباده ودلهم بها على وحدانيته وقدرته فقال الشمس والقمر بحسبان اي بحساب معلوم يجريان بها اعلاما
جريهما اجراهما مسخران مربوبان ليسا بالهين مستحقين للعبادة كما تعبدهما عبدة الشمس والقمر بل المستحق
للعبادة خالقهما ومسخرهما • وقيل اي يجريان بحساب يتوصل به الى علم كثير من اسباب الدنيا والدين
وذلك اشارة الى ما صنع الله خلقه من البيان والنجم والشجر يسجدان • قيل النجم النبت الذي لا ساق له ماخوذ
من نجم اي طلع والشجر ما له ساق واغصان ماخوذ من الاشجار وهو تداخل الاغصان بعضها في بعض يسجدان
اي يخضعان لله بالشهادة على انفسهما بانهما مسخران مربوبان ويحتمل ان يريد به نجم السما وشجر الارض
والنجم زينة السما والشجر زينة الارض فاخبر ان النوعين جميعا لله تعالى ساجدان وعلى وحدانية الله

تعالى

تعالى شاهدان • وقيل ان الصابين يعبدون النجوم وبعض الاعاجم عبدوا الشجر كما ان كثيرا من المشركين عبدوا
الشمس والقمر فاخبر ان هذه الاشيا الاربعة ساجدة لله تعالى شاهدة على الله تعالى فلا تسجدوا لها واسجدوا
لمن خلقها وسخرها • والسما رفعها اي خلقها رفيعة وانزل منها البركات والوحي والكرامات • وقيل اي رفع قدرها
واحوج الخلق الى ما ينزل عليهم منها • ووضع الميزان اي وضع في الارض الميزان الذي يتناصفون به في معاملاتهم
ويزول به التنازع الذي هو سبب فسادهم من به على خلقه اذ هداهم لصنعته والهمهم الوزن به ولولا ذلك لم يدروا
كيف يستوفون الحقوق وكيف يوفونها فكان يقع بينهم التظالم والتقاطع ولا ينبغي ان ينظر الى خلقته بل الى المصلحة
التي لا قوام للدنيا الا بها وسبب ذلك ان الناس لما كانوا مطبوعين على الغبن بامتلاكهم وكان بعضهم محتاجا الى
بعض فيما ياخذه منه ويعطيه اياه وكان التنازع يقع عليهم جعل الله لهم الة يعلم بها كل منهم ما ياخذ ويعطي واي
شي اجل من هذا ولهذا ذكره الله في اية اخرى مقرونا بالكتاب فقال الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان لان الكتاب
يهدي الناس الى مصالح دينهم والميزان يتضمن مصالح دنياهم • وقوله تعالى ان لا تطغوا في الميزان والطغيان التجاوز
الحد الذي جعل هو له لذلك وهو العدل • وقال الفرا هو على النهي يدل عليه انه قال بعده واقيموا وهذا للامر
وقوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط قيل قوموا وسووا • وقيل اي ابتوا به على القسط اي العدل ولا تخسروا الميزان
اي ولا تنقصوا ما توزنون به من الحقوق ولا تزدادوا فيما تستوفون به • وقال مجاهد وسعيد بن جبير الميزان
اريد به العدل وعلى هذا وضع بمعنى شرع وبين وهو كوضع كتاب ووضع رسم • وقيل السما رفعها لنزول ارزاقكم
منها في الدنيا ووضع ميزان وزن الاعمال لتوزن به اعمالكم في العقبى لئلا تطغوا في الميزان الموضوع بينكم
في الدنيا فتظلموا الناس فتخف موازينكم يوم القيامة • وقال الحسين بن الفضل ووضع الميزان يعني القران
وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه واقيموا الوزن بالقسط قال الاقامة باليد والقسط بالقلب • وقال
ابو الدردا واقيموا الوزن بالقسط يعني اقيموا اللسان بالحق • وقوله تعالى والارض وضعها للانام اي للخلق
لا واحد له من لفظه • قال الخليل ما على وجه الارض من جميع الخلق • وقال الضحاك كل شي يدب على وجه الارض
فهو من الانام يقول وضعها لمنافع الخلق ومصالحهم • فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الماكول الذي
يتلذذ به وراء القوت والنخل جمع نخلة ذات الاكمام جمع كم بكسر الكاف • وقال الحسن وقتادة ذات الليف
وقال عبد الرحمن بن زيد ذات الطلع • وقيل ذات الغلف جمع غلاف لانه يتكمم به اي يتغطى ومنه كم القميص
لتغطيته يده والكمة القلنسوة تغطي الراس وقد يكون الليف تغطي النخلة وقد يكون الطلع تغطيها وقد
يكون غلاف الثمر تغطيه • وقيل خص النخلة بالذكر لعجيب خلقها وشبهها بالانسان فليفها في راسها كشعر
الانسان ولها قلب كقلب الانسان تموت باخراجه وباصابة البرد اياه واذا قطع راسها لم تنبت والثمر
لا باللقاح وطلعها يشبه رايحة المني • وقيل على هذا فيها فاكهة تقع على كل الثمار عموما وهذا في النخل خصوصا
والحب ذو العصف والريحان الحب اسم جنس يقع على الحنطة والشعير وكل حب ذو العصف • قال
الفرا هو بقل الزرع • وقال ابو سعيد الضرير هو ورق الزرع ولفايف الحب • وقال قتادة والضحاك
هو التبن والريحان • قرا ابن عامر بالنصب عطفا على قوله والارض • وقرا حمزة والكسايي بالخفض
عطفا على العصف • وقرا الباقون بالرفع عطفا على قوله والحب والريحان الرزق اي الزرع يكون اولا
عصفا ثم يصير اكلا اذا استنبل • وقيل العصف للانعام والريحان هو طعام الانسان وهو كما قال متاعا
لكم ولانعامكم • وقيل هو الريحان المشموم وقال ذلك ابن عباس والحسن اي في الارض ما يوكل وما يشم
فباي الا ربكما تكذبان اي فباي نعما ربكما هذه النعم التي ذكرها من تعليم البيان والقران ورفع السما
ووضع الميزان وما بينا من النعم ذات الالوان ايها الجن والانس تجحدان والدليل ان الخطاب لهما ما ذكر بعده
من خلق الانسان وخلق الجان يا معشر الجن والانس ايها الثقلان وسبق ذكرهما ايضا في عموم قوله للانام
اي الخلق وقيل التثنية على مذاهب العرب في خطاب الواحد بلفظ الاثنين وعلى ذلك قوله القيا في جهنم
وقد مر هنا لك نظاير من كلام العرب والاول اصح وروي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا سورة
الرحمن او قريت عنده فقال ما لي اسمع الجن احسن جوابا لها منكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال
ما اتيت على قول الله فباي الا ربكما تكذبان الا قالت الجن ما من شي من الايك ربنا نكذب فلك الحمد • وقوله
تعالى خلق الانسان اي ادم من صلصال • قال قتادة اي من طين يابس يسمع له صلصلة كالفخار وهو الطين
الذي طبخ بالنار وهو الخزف • وقيل الصلصال الطين المنتن من قولهم صل اللحم واصل اي انتن • قاله
الكلبي وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس • وقيل لانه اجوف • وخلق الجان من مارج من نار • وقال الحسن
الجان ابو الجن خلق من لهب النار وادم ابو الانس خلق من صلصال كالفخار • وقال مجاهد مارج مختلط
احمر واسود وابيض من نار • وقال الاخفش من مارج من خلط من نار • وقال القتبي هو لهب النار يقال مرج
الشي اذا اضطرب ولم يستقر • وقال الفرا المارج نار دون الحجاب منها هذه الصواعق • وقال ابو سعيد

الصريح المارج لسان النار • وقال الخليل المارج من النار الشعلة • واول ما خلق منه الانسان كان ترابا ثم لما صار
طينا ثم بمرور الزمان صار حما مسنونا ثم باليبس صار صلصالا ثم بشدة اليبس والصوت صار كالفخار واخذ
هذه الاسما لاختلاف الاطوار وفايدة ذكر هذه الاصول لتعريفنا قدرنا لئلا نتعدى اطوارنا فباي الا ربكما تكذبان
اي فباي نعما الحكما تجحدان الخليقة من هذه الاصول ام تكميله وتفضيله بالعلوم والعقول رب المشرقين ورب
المغربين هو رب المشرقين مشرق الشتا ومشرق الصيف ورب مغرب الشتا ورب مغرب الصيف وفي تدبيرهما
قوام العالم ومصالح العباد • وقال محمد بن كعب مشرق الصيف اطول يوم في السنة وهو خمس عشرة ساعة ومشرق
الشتا اقصر يوم في السنة وهو تسع ساعات والمغربان على ذلك والمشارق والمغارب مشرق كل يوم ومغرب كل يوم
والمشرق والمغرب جهة الشروق وجهة الغروب فباي الا ربكما تكذبان فسرناه • مرج البحرين يلتقيان • قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي ارسلهما وخلاهما • وقيل خلط طرفيه عند التقايهما من غير ان يختلط جملتهما والبحران بحر فارس
والروم عند الحسن وقتادة • وقيل بحر السما والارض يلتقيان كل عام • قال ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل
العذب والملح بينهما برزخ لا يبغيان اي حاجز لا يبغيان لا يختلطان قاله مجاهد • وقيل لا يبغيان على الناس
قاله قتادة • وقيل لا يبغي احدهما على الاخر بان يغلبه الى مثل حاله في الملوحة او العذوبة • وقال القفال
ذكر بعض منافع البحر وعجايبه وذلك يدل على لطفه وقدرته فعد ثلاثة اشيا احدها مرج اي خلاهما تعالى
ثم في مرج ويرج اي هم في فتنة واهمال يعني خلق البحرين الملح والعذب وذلك في البحر الواحد بعضه عذب
وبعضه ملح فيهما يلتقيان اي يجتمعان وهما مايعان سايلان ثم جعل بينهما حاجزا • قيل هو الجزاير • وقيل هو قدرة
الله تعالى لا يبغيان لا يغلب احدهما على الاخر فيغيره الى صفة نفسه وفيه تنبيه على كمال قدرة الله تعالى
انه لا يعجزه ما اراد من احيا الموتى وغيره • وقيل في البرزخ هو مدة ما بين الدنيا والاخرة فهذه المدة تمنع
الاختلاط فاذا انقضت الدنيا بغى البحران فصارا شيا واحدا وهو معنى قوله واذا البحار فجرت وهذا
معنى قول عطا الخراساني فباي الا ربكما تكذبان فسرناه ثم ذكر المنة الثانية وقال يخرج منهما اللولو والمرجان
وفتح الرا فعل ما لم يسم فاعله والباقون على الفعل الظاهر اللولو والمرجان صغاره • وقيل المرجان نوع من
الجوهر كالقضبان يقول يخرج الله منهما لكم من الما لولوا ومرجانا كما اخرج من التراب حبا ونباتا واخرج
من الصلصال انسانا وخصوصا فان الما الملح يفسد ما صار فيه ثم هو منه يخرج اللولو والمرجان وهذا
مما لا تذكره قوى البشر ولا يهتدي لكيفية كونه العقول وانما هو بقدرة الواحد القادر الذي لا يعجزه شي
فكيف يعجزه بعث الموتى لولا جهل المشركين وكفرهم الا ان الله ينزل التدبر فيهما ثم قوله منهما مع ان خروج
اللولو والمرجان يكون من الملح دون العذب لان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح كما
يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى كهذا • وقيل من عادة العرب انها تجمع شيين للاحدهما
فعل فتجعل الفعل لهما وهو كقوله فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما وكان الناسي صاحب موسى وحده وقوله
تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل من الانس دون الجن فباي الا ربكما تكذبان فسرناه
ثم ذكر النعمة الثالثة فقال وله الجوار المنشات في البحر • وقرا حمزة وعاصم في رواية ابي بكر بكسر الشين
ومعناها السفن المبتدات في الجري والفعل لهن وانشا الفعل ابتداوه • وقرا الباقون المنشاة بالفتح
الشين وهو المفعول بفعل الملاحين وانشاوها عند مجاهد رفع شراعها وتسييرها كالاعلام كالجبال
اخبر انه خلق لهم ما اتخذوا منه السفن التي ركبوا بها البحار ابتغاء فضل الله وقطعوا بها المسافات
البعيدة وعلمهم اتخاذها بان الهمهم ذلك وسخرها لهم لاد لك على عظمه وشدة السفن في كبرها بالجبال وقد رهم
لهذه النعم فقال فباي الا ربكما تكذبان • وقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام اي كل من على الارض فان منقطع عنهم البقا والحياة ويبقى الله ذو الجلال اي المستحق للاجلال
والتعظيم من خلقه والمستحق للاكرام منهم اياه بطاعته وعبادته • وقيل هو موصوف بالجلال القايم بذاته
والاكرام منه لاوليايه • وقيل هو اهل ان يجل المومنين ويكرم المطيعين • وقيل هو اهل ان يجله العباد
بطاعته فيكرمهم برحمته • وقيل هو اهل ان يجل قدره العباد بتوحيده واهل ان يكرموه اي ينزهوه عما لا
يليق بجلاله • ومعنى وجه ربك ذات ربك اي كل عمل يتقرب به اليه ويبتغى به وجهه اي رضاه كما قال
الا ابتغا وجه ربه اي يهلك الجن والانس ولا يبقى لهم الا ما توجهوا به اليه فباي الا ربكما تكذبان ووجه
النعمة التسوية بين العباد الخلق في الفنا والهلكة والدلالة على ما يبقى نفعه في الاخرة يساله من في السموات
ومن في الارض اي هو مفزع السايلين ومعتمد الراغبين وملجا التايبين فان قالوا ان كثيرا من المعطلة
وغيرهم لا يعتقدونه فلا يسالونه قلنا معناه هو المستحق ان يسالوه وان ضل قوم عنه لانهم اذا سالوا احدا
سالوه به لانه هو القادر على ذلك والله تعالى هو القادر على كل شي على الحقيقة فكان ذلك سوال الذي الحاجة
ولانه يعرف ان الكل لا غنى بهم عنه ولان المراد هم اهل المعرفة فهذا عام اريد به الخصوص • وقال ابن عباس

اهل

البحرين

في البحر

البحر

لهم

اهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض يسالونه الرزق والمغفرة كل يوم هو في شان يحيي ويميت ويعيد
ويغيث ويطعم جايعا ويفك اسيرا ويجيب داعيا ويولد مولودا ويعدم موجودا • وقال قتادة يساله من في السموات
والارض يعني لا يستغني عنه اهل السموات كل يوم هو في شان يربي صغيرا ويغني كبيرا ويفك اسيرا • وروي ان
احبار اليهود قالوا ان الله تعالى لا يفعل يوم السبت شيا هو في استراحة فانزل الله تعالى ردا مستبانا لقولهم
ان لكل يوم هو في شان • وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله كل يوم هو في شان فقال من شانه ان يغفر
ذنبا ويكشف كربا ويغير قوما ويذل قوما ويرفع قوما ويضع اخرين • وقال عبيد بن عمير من شانه ان يجيب داعيا
ويفك عانيا ويعطي سايلا • وقال الحسن رحمه الله يساله من في السموات والارض كل اليه فقير يسال ويفزع
اليه لحاجة كل يوم هو في شان يقضيه في خلقه يعني فقيرا ويفقر غنيا ويبتلي معافا ويصنع
في خلقه ما يشا • وقال سفيان بن عيينة كل يوم هو في شان في الدنيا الاختبار بالامر والنهي والحيا والاماتة
والاعطا والمنع وفي الاخرة الجزا والحساب والثواب والعقاب • وقيل هو يسوق المقادير الى الاوقات
في حملة الى مواقيتها فباي الا ربكما تكذبان من هذه النعم • وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان • قال ابن
عباس رضي الله عنهما سنحاسبكم وكذلك قطرب وقال الضحاك هذا وعيد والله تعالى لا يشغله شان عن
شان والحاصل انه استعارة بليغة فان الواحد اذا قصد لامر بهم بمضيه لا محالة وفيه من غير نقصان
يقول تفرغ لذلك الامر فخاطب الله تعالى بذلك عباده وهم فيما يتعاطونه يعلمون انه من المهم الذي
لا يترك ومن المعقول الذي لا يغفل يقول سنحاسبكم بعد طول الامهال على ما كان منكم من الاعمال ونجزيكم على
ذلك على كل حال ايها الثقلان اي الجن والانس سميا بذلك لانه الثقل ما له وزن وقدر وقيل لهما زيادة
قدر على غيرهما لما خصوا به من العقل والتمييز وتحميل الامانة والتكليف • وقيل لانهما حملان على الارض
قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها اي احمالها • وقول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي اشارة منه الى قدرهما ووزنهما وقال سنفرغ لكم جميعا ثم قال ايها الثقلان تثنية لانهما
جمعان فصارا كقوله فريقان يختصمون فباي الا ربكما تكذبان حين يحاسبان بالالا يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تجوزوا اطراف السموات والارض
فتفوتوا ربكم ولا يقدر عليكم فانفذوا اي فافعلوا ذلك لا تنفذون الا بسلطان اي لا تقدرون على
ذلك الا بقدرة يعطيكموها الله تعالى على ذلك ولا يعطيكم وهذا في محاسبة يوم القيامة • وقيل اي يقال
لهم يومئذ • وقيل بل خاطبهم الله اليوم انكم كذلك يومئذ • وقيل خاطبهم للحال ان قدرتم ان تفعلوا
ذلك في الدنيا فلا توخذوا بالموت ولا تبعثوا للحساب والجزا يوم القيامة فافعلوا ولن تقدروا
على ذلك وهو امر اعجاز • وقيل الا بسلطان اي حيث ما ذهبتم فانتم في سلطان الله فياخذكم بالموت
فباي الا ربكما تكذبان فسرناه يرسل عليكما شواظ من نار اي على من اشرك منكما وكذب شواظ • قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة اي لهب • وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان • وقال
الاخفش الشواظ هي النار التي تاجج لا دخان لها ونحاس • قيل هو الصفر المعروف الذي يتخذ منه الاواني
كان النحاس يذاب ويصب على روسهم • وقيل هو الدخان • وقرا ابن كثير وابو عمرو ونحاس بالخفض
على قوله من نار • والباقون بالرفع عطفا على قوله شواظ فلا تنتصران اي فلا تمتنعان عن ذلك بمانع
يمنعكما من عذاب الله تعالى فباي الا ربكما تكذبان والتحذير نعمة لمحذر به فيفتح الامر به • فاذا انشقت
السما اي انصدعت للانتقاص يوم القيامة فكانت وردة كالدهان اي محمرة على لون الورد حين
تفيض البحار في نار جهنم وترتفع نارها فتقع في السما فيبها فتصير محمرة وتصير كالدهان اذا صب
بعضها على بعض يتلون الوانا فكذلك السما حينيذ • وقيل ان حصيرا لرتب تتغير في الساعة الوانا
وقال الحسن رحمه الله كصبيب الدهن اذا صببته ورايت فيه الوانا • وقال الفرا وثعلب والقتيبي كانت
وردة اي كلون الوردة لانها تكون في الربيع صفرا فاذا اشتد البرد كانت حمرا فاذا كانت بعد ذلك
صارت غبرا • وروي عمرو عن الحسن السما اول ما تنشق تحمر ثم تخضر ثم تتلون الوانا تشبيها بالادهان
وقال الكسائي والفرا وقطرب الدهان الاديم الاحمر وجمعه ادهنة ودهن فباي الا ربكما تكذبان
فسرناه • فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان ليعرف انه من اهل الجنة ام من اهل النار بل يعرف
بصفته فلا يسالون على هذا الوجه بل يسالونه سوال المحاسبة تقريعا لهم وتوبيخا • وقال مجاهد رحمه
الله تعرفهم بسيماهم فلا يسالون • وقال ابن عباس لا نسالهم هل عملتم بل يسالون لم عملتم كذا وكذا
وهو التوفيق بين هذا وبين قوله فوربك لنسالنهم • وقيل يسالون المحاسبة ثم يختم على افواههم فلا
يسالون وتشهد عليهم جوارحهم • وقيل هي مواقف يسالون في بعضها ولا يسالون في بعضها • وقيل
فيومئذ لا يسال اي عن ذنب الانسان انس غيره ولا جان غيره بل هو المحاسب عليه والمسول عنه والمجازي به

والارض

وعلى هذا تكون الكناية في ذنبه راجعة الى الانسان المذكور في اول السورة وهو قوله خلق الانسان فبأي آلاء ربكما
تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم بسواد الوجوه وزرقة العيون فيؤخذ بالنواصي جمع ناصية وهو مقدم الرأس
وهو الاتصال قال الشاعر وكناصيتها بلاد في اي يتصل بها والاقدام جمع قدم تقول الملائكة اذا امروا باخذ
المجرمين اي المشركين لا يحتاجون الى ادنيها لواحظهم بل يعرفونهم بعلاماتهم فيأخذونهم بنواصيهم واقدامهم
ويسحبونهم الى النار فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون بها • وقيل هذا خطاب من الله
تعالى في الدنيا لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه جهنم التي يكذب بها قومك من قريش يطوفون بينها وبين حميم
آن اي بين النار التي ذابت السموات من حرها وبين ما حان تنتهي حره فهو في غاية الحرارة • وقيل تكون النار
طعامهم والحميم شرابهم ويطوفون في معنى يترددون اي يستغيثون اذا جاعوا بيتا لون الطعام فاذا
طعموا النار استغاثوا فاستسقوا فيسقون الحميم والان صرفه آني اي في مكان يحب وبلغ اناه اي ادرك
وانتهى منتهاه • قال تعالى الم يأن للذين امنوا • وقال غير ناظرين اناه فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن الاية
التمييز بين الكافر والمؤمن والاخبار عن ذلك اليوم لينتبهوا • وقال كعب الاحبار ان واديا من اودية
جهنم يجمع فيه صديد اهل جهنم ثم ينطلق بهم وهم في الاغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع اوصالهم
ثم يخرجون منها وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون في النار وذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم
آن • وقال مقاتل يطوفون بين جحيم وبين حميم شوطا لا يستريحون يطاف بهم في الوان العذاب • وذلك
قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم يعني من الزقوم والحميم فينطلق بهم مرة الى الجحيم ومرة الى الحميم الى منازلهم من
جهنم وكذلك في هذه الاية • وقال السدي رحمه الله في قوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام يجمع بين ناصيته وقدميه
في النار فيكسر صلبه حتى يلحق ناصيته بعقبيه ناصية الكافر وقدميه من وراء ظهره فتشد وثاقه • وقال الضحاك
يجمع بين هذا جزاء المجرمين ثم ذكر جزاء الذين يخافونهم وهم الخائفون من المؤمنين فقال ولمن خاف مقام
ربه جنتان اي ولمن ترك المعاصي خوفا من مقامه بين يدي الله تعالى للعرض والسؤال واضيف المقام
الى الله تعالى وانما هو مقام العبد بين يدي الله تعالى كما اضيف الاجل الى الله تعالى في قوله ان اجل الله وهو
اجل العبد حتى قال فاذا جاء اجلهم لان التأجيل من الله للعبد وكذلك المقام للعبد لكن لمحاسبة الله تعالى
وهو قوله تعالى يدخلون في دين الله • وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم لان الله تعالى شرع للعبد وقوله
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا • وقوله ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الله تعالى لكن اكثر تعالى سنة
لهم وعلى هذا قوله واتوهم من مال الله • وقوله خذ من اموالهم صدقة • وقال الاعمش يعني ولمن علم ان الله
تعالى قائم على كل نفس بما كسبت فاطاع الله تعالى ولم يعصه جنتان اي بستانان قيل احدهما داخل قصره
والاخرى خارج قصره وهذا لكل خائف وطبع الانسان على اشتهاء مثله • وقيل هما جنة النعيم وجنة عدن
لجميع اهل الجنة ومن دونهما جنتان جنة الفردوس وجنة المأوى فهي بجملتها اربع جنان لكل اهلها وفي
كل جنة من الجنان ما لا يحصى وهي كاربع بلاد كبار فيها محال وفي المحال منازل وقالوا بان اهل عصر النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا على قسمين وكذا اهل الدنيا في كل عصر اهل الامصار وهم اعتادوا الجنان الملتفة والمياه
الجارية والمنازل المنتزهة والسرر الموضوعة واهل البوادي هم اعتادوا البراري الواسعة والعيون
الممتلية والخيام المنصوبة والخضرة الناضرة فكل يشتاق الى ما اعتاده ويأنس بما الفه فجعل الله الجنتين
الاوليين على ما اعتاده اهل الامصار والاخريين على ما اعتاده اهل البراري ووعد الكل الكل ليستتر كل
واحد بما يوافقه ويتروح بما يشوقه ويثبت ذلك بالتاويل في المذكور في كل نوع • وقال الحسن ان رجلا
قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ولمن خاف مقام ربه جنتان ما هما فقال عليه السلام
هي مائة درجة من ذهب كلها دورها وقصورها وابوابها واعلاها ومن دونهما مائة درجة من ذهب
كلها دورها وقصورها وابوابها واعلاها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما جنتان بستانان كل بستان
منها مائة سنة في وسط كل بستان دار من نور • وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين
وجنتان من فضة للتابعين • وقال مقاتل الجنتان يعني جنة عدن وجنة النعيم وهما للشهداء والصديقين
وقال الضحاك الجنتان تتلقى كل مؤمن يسلك فيها احداهما بيده [illegible] الى قصر من فضة مشرف بالذهب
حولها خدام [illegible] غلام ينادي مرحبا بسيدنا ومولانا فيدخلها القصر فيريه ما اعد الله
تعالى له ثم تقول له الملك [illegible]
رحمه الله [illegible] ذواتا افنان ذوات
تثنية ذات وافنان [illegible] قال مجاهد رحمه الله اي اغصانها [illegible]
قال الضحاك اي ذوات الوان [illegible] فيهما عينان تجريان
لا تنقطعان • قال الحسن رحمه الله تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل • وقال

يكذب بها المجرمون قيل اي يقال لهم حينئذ هذه جهنم القوم

يتبوئه الى قصر من ياقوت مشرف بالزبرجد حولها انهار وجنات بين كل شرفتين غلام ينادي مرحبا بسيدنا ومولانا فيدخلها القصر ويريه ما اعد الله له

غطية من ماء غير آسن ومن خمر لذة للشاربين • وقال مرة الهمداني فيهما عينان تجريان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حصباؤهما
الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحماهما المسك الاذفر وحافاتهما الزعفران • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما تجريان بالكرامة على اهل الجنة والزيادة • وقال ابو بكر الوراق في الجنة عينان تجريان لمن كانت
له في الدنيا عينان بالبكاء والدموع تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان اي ضربان شكلان
كشكل الذكر والانثى وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب وكالتين الرطب واليابس وكذا سائر الانواع
لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب • وقيل هو تفضيل هاتين الجنتين عن الاخريين فانه قال هاهنا من كل
فاكهة زوجان • وقال هناك فيهما فاكهة ونخل ورمان فثنى هاهنا وكرر وعمم وافرد هناك وخصص فبأي آلاء
ربكما تكذبان متكئين على فرش نصب على الحال وهو لمن سبق ذكره ولمن خاف وذاك فرد في اللفظ جمع في المعنى لانه
جنس والاتكاء الاستناد للتكرم والتنعم وذلك على السرر على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي الصفحة
الداخلة المقابلة للظهارة وهي صفحة الخارج من استبرق • قيل هو استفعل من البريق وهو الاضاءة • وقيل
من البرق وهي اجتماع الوان وجعل اسما فاعرب باعرابه واجري مجراه • وقال الفراء وجماعة هو الديباج الغليظ
اصله فارسية استبره فعرب • وقال الاخفش المتاع الصيني الذي في صفاقة الديباج وخفة الفرند يسمى استبرقا
وقيل ان قوله عليهم ثياب سندس خضر واستبرق يدل على ان البطائن استبرق والظهائر سندس • وقال مرة
الهمداني بطائنها من استبرق وهو الخز الموشي وليس في الارض احد يعرف ما الظهائر • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما هذه البطائن فما الظهائر اي فمن يعرف ذلك • وقوله تعالى وجنا الجنتين دان اي قريب • قال عليه السلام
اصلها الذهب وفرعها الدر وطلعها كثدي الابكار الين من الزبد واحلى من الشهد العسل كلما اخذ منها شيء عاد
بالحال القاعد والقائم والنائم • وقال قتادة وجنى الجنتين دان يعني ثمارها قريبة لا ترد ايديهم عنها
شوك ولا بعد • وقال الحسن ان شاؤا التوها وان شاؤا اتتهم وهم جلوس ونيام فيتناولونه على فرشهم فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف اي في الفرش • وقيل اي في الجنان التي تشتمل عليها الجنتان زوجات
قد قصرن عيونهن على ازواجهن فلا يردن غيرهم وهذا من افضل خصال النساء وابلغ وصف لها في جهاز زوجها
وهي اشهى ما يكون للزوج ووحد الطرف لانه في الاصل مصدر وقد طرفت عينه طرفا • وقال الامام القشيري
رحمه الله قاصرات الطرف لمن قصر بدعه عن الحرام والشبهة وبصره عن الحرام والريبة • وقال اذا قصرهن
طرفهن عن غيرك فاولى بالعبد ان يقصر طرفه عن المحظورات بل عن المكنونات اذا كان يرجو التأدية الى ان يلقاه
لم يطمثهن • قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يدمهن بالنكاح واريد به الافتضاض • وقرا الكسائي هاهنا لم
يطمثهن بضم الميم وقرا الثانية بكسرها والباقون قرؤهما بالكسر • وفي ديوان الادب طمث يطمث بكسر الميم لغة
بالافتضاض وبضمها الحيض وامرأة طامث اي حائض انس قبلهم اي قبل الازواج ولا جان • قال حمزة بن حبيب
انما سمى الجان لان للمؤمنين منهم ازواجا من الحور العين • وقيل هي الحور العين المخلوقات في الجنة لم يتبدلن
ولا يمسسن • وقال الحسن هن المؤمنات من نساء الدنيا ومعناه لم يطمثهن بعد النشأة الثانية احد
وقيل هي نساء الانس ونساء الجن اي ليس الانسية بعد النشأة الثانية انس والجنية جان • وقيل هو على التبعيد
اي لم يمسهن ماس • وقال ابو عبيد هو مطلق المس يقال هذه ناقة صعبة لم يطمثها حبل • وقيل على هذا لم يمسهن
انس بحرية ولا جان بافة فبأي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان • قيل كانهن في صفائهن كالياقوت
الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه فكذلك يرى مخ ساقهن من وراء اجسامهن وكالمرجان في اللطافة وقيل
في اللون لان المرجان تستعار للؤلؤ وهن بيض مثل اللؤلؤ • وقيل هي في الحمرة كالياقوت وفي البياض كاللؤلؤ فبأي
آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي ما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه استفهام
بمعنى النفي واحسانهم خوفهم مقام ربهم والاحسان اليهم اكرامهم بنعيم الجنة جزاء على خوفهم • وقال مقاتل
بن حيان هل جزاء العمل الصالح الا الثواب في الجنة • وقال السدي هل جزاء الذين اطاعوه في الدنيا
الا الكرامة في العقبى الاخرة • وقال ابن عباس هل جزاء من عمل في الدنيا حسنا وقال لا اله الا الله الا الجنة
في الاخرة • وقيل الاحسان الاول من الله تعالى ايضا • وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم معناه هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة • وفي رواية قال عليه السلام معناه ان الله تعالى
يقول هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي الا ان اسكنه في جنتي وحظيرة قدسي وقرئت هذه الاية بين يدي الجنيد
رحمه الله فقال سبقت العناية في البداية وظهرت الولاية في النهاية وذكرت الا قاويل على القول الاول
• وقال الحسن رحمه الله الاحسان ان يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس • وقال سفيان ان تحسن الى من
اساء اليك فاما الاحسان الى المحسن فمتاع السوق خذ مني وهات • وقال الفضيل الاحسان ان تنصف ولا
تنتصف • وقال السدي رحمه الله الاحسان ترك رؤية الاحسان • وقال الجنيد الاحسان نسيان الاحسان
فبأي آلاء ربكما تكذبان يعني بابتداء الاحسان ام بانتهاء الاحسان • وقال الامام القشيري رحمه الله تعالى يجوز

ان يكون الاحسان يات من الله تعالى وان يكونا من العبد وان يكون الاول من الله تعالى والثاني من العبد وان الاول من
العبد والثاني من الله تعالى واما رجوعهما الى الله تعالى هل جزاء من احسنا اليه في الابتدا الا ان يحسن اليه في الانتها
وهل جزاء من فانجيناه باللطف الا ان يرتجيه لك بالفضل والعطف واما رجوعهما الى العبد فعلى معنى هل جزاء من
بنا الا ان يثبت في المستقبل على ايمانه • وهل جزاء من عقد معنا عقد الوفا الا ان لا تنقضه بالجفا • وهل جزاء
من فني عن نفسه الا ان يبقى بنا واما رجوع الاول الى الله تعالى والثاني الى العبد فعلى معنا هل جزاء من احسنا
اليه بالنعمة الا ان يحسن الثنا بالخدمة • وهل جزاء من احسنا اليه بالولا الا ان يحسن لنا بالوفا • واما رجوع
الاول الى العبد والثاني الى الله تعالى فعلى معنى هل جزاء من احسن من حيث الطاعة الا ان نحسن اليه من
حيث القبول والكرامة والثواب • وهل جزاء من احسن الينا من حيث الخدمة الا ان نحسن اليه من حيث النعمة • وهل
جزاء من بعد عن نفسه الا ان نقربه بنا • وهل جزاء من رفع لنا خطوة الا ان نكافيه بكل خطوة الف خطوة • وهل
جزاء من حفظ طرفه الا ان نكرمه بلقائنا • ومن دونهما جنتان اي ومن دون الجنتين اللتين وصفناهما للخائفين
وعلى قول من جعل تلك للسابقين وهاتين للتابعين فدونه بمعنى الادنى ومن جعل الجنات الاربع كل الجنات
لكل اهل الجنة فدون بمعنى غير اي وسوى الجنتين المذكورتين جنتان اخرتان واهل التفسير يختلفون في ذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما تانك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين • وقال ابو معاذ والكسائي ودونهما
اي غيرهما لا انهما دون الاوليين • وقال الضحاك الجنتان الاولتان من ذهب وفضة والاخرتان من ياقوت
وزمرد وهما افضل من الاوليين فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان • قال ابن عباس رضي الله عنهما خضراوان
قد علاهما سواد من الري • وقال الخليل الدهمة السواد • وقال القتيبي سوداوان • وقال مجاهد مسودتان
والخضرة اذا اشتدت ضربت للسواد • فباي الاء ربكما تكذبان • فيهما عينان نضاختان اي فوارتان كما
رفع شي فاخر وليستا جاريتين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فياضتان والنضخ اكثر من النضح
كالرش والنضخ فوقه • والنضاختان بالتشديد للمبالغة والكثرة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نضاختان
بالخير والبركة على اهل الجنة • وقال ابن مسعود رضي الله عنه ينضخان على اولياء الله تعالى بالمسك والكافور
وقال انس رضي الله عنه بالمسك والعنبر كما ينضح بالمطر على دور اهل الدنيا • وقال الخليل النضخ اللطخ
بما يبقى له اثر فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان • قال ابن عباس رضي الله عنهما الرمان
ليس من الفاكهة وهو يقوي مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ان الرطب والعنب والرمان ليس بفاكهة
والعطف بالواو يدل على التغاير • وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله هذا يدل على التفضيل كما في قوله
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال • وقال سعيد بن جبير نخل الجنة جذوعها من
فضة واغصانها من ذهب واوراقها من زمرد وسعفها كسوة لاهل الجنة ورطبها كالدلا اشد بياضا
من اللبن والين من الزبد واحلى من العسل ليس له عجم فباي الاء ربكما تكذبان فيهن اي في الجنان الاربع
خيرات • قال الزجاج اصله خيرات بالتشديد فخفف كما في الهين واللين خيرات حسان اي خيرات
الاخلاق والسير حسان الهيئات والصور • وقال جرير بن عبد الله خيرات مختارات • وقال عبد الرحمن
ابن زيد ذفرات لا دفرات ولا بخرات • وقال اسامة بن زيد لا متطلعات ولا متشوفات ولا طماحات
وقال الحسان بن عيينة لا دريات لا بمرن ولا يودين فباي الاء ربكما تكذبان حور جمع حوراء وهي شدة بياض
العين وشدة سوادها • وقال قتادة بيض الالوان صفر الحلي خضر الثياب يقلن نحن الراضيات
فلا نسخط ونحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس طوبى لمن كان لنا وكنا له • وعن عائشة رضي الله
عنها انها قالت ان الحور اذا قلن هذا قالت المومنات نحن المصليات وما صليتن ونحن المتوضيات
وما توضيتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن ونحن الصائمات وما صمتن فتغلبهن والله مقصورات
في الخيام اي محبوسات في الحجال قال ابن عباس وابو العالية ومحمد بن كعب والضحاك والحسن
وقيل هو كخيام الدنيا والخيمة بيت من الثياب على الاعمدة والاوتاد وقد قلنا انها لاهل البوادي
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه درة مجوفة على هيئة البيت • وقال ابن عباس رضي الله عنهما
بيوت اللولو • وقال ايضا الخيمة درة مجوفة طولها في السما ستون ميلا في كل زاوية منها اهل للمومن
لا يراهم الاخرون • وقيل هذه الخيام من درويا قوت تضرب على شطوط انهار هذه الجنان • وقال مسلم
البطين لكل حوراء منهن خيمة ولكل خيمة اربعة الاف باب يدخل عليها كل غداة كل يوم من ايام الدنيا تحفة وكرامة
من الله عز وجل لا تنقطع ابدا • وقال محمد بن كعب القرظي يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فباي
الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف اي مسندين
في خيامهم على فرش وهو قول ابي عبيدة ورفرف جمع رفرفة ولذلك قال خضر • وقال الخليل الرفرف
كسر الخبا وهو ايضا ضرب من الثياب يبسط • قال نفطويه هو كل ما فضل وثني • وقيل هو الفراش المرتفع

ورفرف الطاير اذا حرك جناحيه ورفعهما • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك رحمهما الله هي المحابس والمجالس
ما يبسط على البساط • وقال الحسن هي المرافق • وقيل الوسايد • وقوله خضر نعتها وقوله عبقري جمع عبقرة وهي الطنفسة
ولذلك قال حسان • وقال الفراء هي الطنافس الثخان • وقال ابو عبيدة وثعلب يقال لكل بساط حسن عبقري وعبقر
بلد ينسج به الانماط واسم ما ينسج به عبقري وكذا ما كان من جنسه وان نسج في غيره وذكر ذلك لانهم تعارفوه بساطا جيدا
فوصفوا اعلى ما تعارفوا • وقال ابو سعيد الضرير كل حسن يتعجب منه فهو عبقري • قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم ار
عبقريا يفري فريه • وقيل العبقري الوشي • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وابن
زيد هي الطنافس وهو كقوله وزرابي مبثوثة • وقال ابو جبير هي الطنافس الجياد العتاق • وقال مجاهد العبقري
الديباج • وقيل عبقر بلد من بلاد الجن • قال لبيد بن ربيعة ومن كان من اخوالهم وبنيهم كهول وشبان كجنة عبقري
وعبقري منسوب اليه • وقال ذو الرمة حتى كان رياض القف البسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد ومن تكلف
وقرا عباقري بالالف ووصفها بالحسان جمعا لم ينعقد لذلك لان المكان يصير جمعا فاما المنسوب اليه فيثني ويجمع
كالحواري اللاان تقرا عباقري بدونه اليا فيصير جمعا ولا ضرورة اليه فانا قلنا ان العبقري جمع وواحده عبقرية فباي
الاء ربكما تكذبان • قال القتيبي رحمه الله ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماءه على عباده ثم اتبع ذكر كل نعمة
بهذا الكلام تقريرا وتذكيرا وجعله فاصلا بين كل نعمتين ليفهمهم النعم وهو كقولك لمن احسنت اليه وهو
يتابعت لديه اياديك وهو في جميع ذلك يكفرك ولا يبرك الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن ضالا
فهديتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فرفعتك افتنكر هذا وما اشبه هذا ومثله
كما يفعل من مذكر ويل يومئذ للمكذبين • وقوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام • قال الحسن اي
تقدس • وقال ابن عباس رضي الله عنهما تعالى • وقال الضحاك تعاظم • وقال الحسين بن الفضل تبارك الله في ذاته

وبارك فيمن شا من خلقه والله الموفق للسداد وعلى فضله الاعتماد

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اوعد اصحاب المشامة بالنيران • الرحمن الذي وعد اصحاب الميمنة بالجنان • الرحيم الذي
بشر المقربين بروح وريحان • روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
الواقعة لم يكتب من الغافلين • وروي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا
سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا • وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يامر بناته حتى يقراها
كل ليلة • وهي مكية غير قوله ثلة من الاولين • وقوله افبهذا الحديث انتم مدهنون فانهما نزلتا في سفره الى
المدينة وهي ست وتسعون اية • وقيل سبع • وقيل تسع • وكلماتها ثلاثمائة وتسع وخمسون كلمة • وحروفها
الف وسبعمائة واثنا عشر حرفا • وانتظام اخر تلك السورة باول هذه انه ختم تلك السورة بما يعطي المومنين
من الكرامة وبدا هذه السورة بذكر ذلك اليوم وهو يوم القيامة • وانتظام السورتين انهما في ذكر اهل
الجنة والنار وهم المومنون والكفار • وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة اي واذكر اذا قامت القيامة
والواقعة من اسماء القيامة ليس لوقعتها كاذبة اي ليس لوقوعها كذب مصدر على وزن الفاعلة كالعاقبة
والطاغية وكقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع • وقيل اذا زايدة وتقديره وقعت الواقعة
كقوله ازفت الازفة واقتربت الساعة واتى امر الله وهو بيان فزعها خافضة اي هي خافضة قوما كانوا اعزة
في الدنيا فتجعلهم في اسفل السافلين رافعة اي هي رافعة قوما كانوا اذلة في الدنيا فتجعلهم في اعلى
عليين • وقيل الواقعة صيحة القيامة وهي خافضة اي مخفوضة يسمع الادنى رافعة اي مرفوعة يسمع الاقصى
اي تعم الجميع • وقال الامام القشيري رحمه الله خافضة لاهل الشقاق رافعة لاهل الوفاق خافضة لاهل
الدعاوي رافعة لاهل المعاني خافضة للنفوس رافعة للقلوب خافضة لاهل الشهوات رافعة لاهل الصفو
خافضة لمن جحد رافعة لمن وحد • اذا رجت الارض رجا • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة اي زلزلت زلزالا
والرج التحريك باضطراب اي يكون الخفض والرفع اذا رجت الارض وزلزلت فلم يبق عليها بناء او يكون
وقوع الواقعة حينئذ • وبست الجبال بسا • قال ابن عباس ومجاهد وابو صالح والسدي اي فتت فتا
وصارت كالدقيق المبسوس اي المبلول والسويق كذلك فكانت هباء منبثا اي غبارا يدخل في الكوة من
شعاع الشمس منبثا اي متفرقا وذلك مما لا يمكن ان يحس ويمس باليد • وقال الخليل الهباء غبار ساطع في الهوا كانه
دخان • وقال القتيبي الهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل ثم من اثار الغيم في الجبال النسف اولا ثم الدك
ثم تصيير كثيبا مهيلا ثم هباء منبثا ثم كالفراش المبثوث ثم تمر مر السحاب فاذا انت في الجبال الصم
الشواهق هذا وليس لها خطاب وعتاب فكيف حال الضعفا الذين لهم الخطايا ولهم الثواب والعقاب
وقرا ابراهيم النخعي رحمه الله منبتا بتاء معجمة فوقها بنقطتين ومعناه منقطعا وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا

ثلاثة فاصحاب الميمنة احد الاصناف الثلاثة وهو الا ما اصحاب الميمنة اي شي اصحاب الميمنة ويذكر هذا للتعجب
من حالهم اي ما اعظم شانهم وهو كقولك زيد وما زيد واصحاب المشامة هم الصنف الثاني ما اصحاب المشامة
تهويل لحالهم وهولا اهل النار والاولون اهل الجنة والميمنة من اليمن والمشامة من الشوم اولئك في يمن الايمان
والطاعة وهولا في شوم الكفر والمعصية وقيل هو من اليمين التي هي اولئك اليد اليمنى والمشامة هي اليسرى
واليمن عن يمين القبلة والشام عن يسارها فاولئك اصحاب اليمين وهولا اصحاب الشمال ولذلك سموا
في هذه السورة واختلف في معناه قيل كان اولئك عن يمين ادم في اخذ الميثاق وهم نور وهولا عن شماله وهم
ظلمة وقيل اولئك عن يمين الطريق الى الجنة وهولا يسار بهم عن الشمال الى النار عند مفرق الطريق والسابق
الفريق من الفريق وهم اشراف اصحاب الميمنة وعظما اهل الجنة والسابقون السابقون في الدنيا الى الايمان
والطاعة هم السابقون في الاخرة الى الجنة والكرامة اولئك المقربون اي الى كرامة الله تعالى وتخصيصه
وهو قرب المنزلة لا قرب المنزل وقرب المكانة لا المكان في جنات النعيم ثلة من الاولين قال الخليل اي
جماعة عظيمة وقليل من الاخرين اي من السابقين عدد كثير من الماضين لان الانبيا المتقدمين لكثرتهم كثر
السابقون الى الايمان بهم واجابة دعوتهم فزادوا على عدد السابقين من هذه الامة الى التصديق نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقال سعيد بن المسيب لما نزل وقليل من الاخرين ما زال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فجعل السابقين من هذه
الامة كالسابقين من الامم الماضية في العدد وقيل بل قوله وكنتم ازواجا ثلاثة في حق هذه الامة
وثلة من الاولين جماعة من السابقين الاولين من هذه الامة وقليل من الاخرين يلحقون بهم بالسبق الى
الطاعات فاما ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فهما في حق اصحاب اليمين وهم كثير من الاولين والاخرين
وتخلفوا الى السابقين قال ابو موسى الاشعري وغيره السابقون المهاجرون الاولون ومن صلى الى
القبلتين واصحاب اليمين هم التابعون لهم ممن لم يتقدم هجرته وقال ابن عباس رضي الله عنهما
والسابقون السابقون اي السابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة وقال الضحاك السابقون
اي الى الغزو والجهاد وقال علي رضي الله عنه السابقون الى الصلوات الخمس وقال عكرمة السابقون
الى الاسلام وقال محمد بن كعب والسابقون اي الى كل خير وقال محمد بن كعب ايضا في قوله ثلة من الاولين
هم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين هم الذين قال فيهم اندرون من
اخواني الحديث وقال الامام القشيري رحمه الله قال اولئك المقربون ولم يقل المتقربون ليعلم
انهم وجدوا ذلك بتقريب الله تعالى اياهم لا بتقربهم بانفسهم وقوله تعالى على سرر موضونة جمع
سرير موضونة اي منسوجة متداخلة بعضها في بعض وقال ابن عباس ومجاهد مرمولة بالذهب
وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وقال ابن عباس في رواية مصفوفة وقال قتادة المرمولة
اوثق الاسرة وقال الخليل الموضونة بالسور والدر والجوهر اللين والوطاس المعمول من الخشب ونحوه
متكين عليها نصب على الحال متقابلين كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله اي لا ينظر
بعضهم الى قفا بعض يطوف عليهم اي في الخدمة ولدان روي يزيد الرقاشي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الاطفال خدم اهل الجنة وعن سلمان قال اطفال المشركين خدم اهل الجنة وقال
الحسن رحمه الله لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيات يعاقبون عليها فوضعوا هذه المواضع وتوقف
ابو حنيفة رحمه الله في الاطفال قال لان الثواب بفضل الله وبوعده لا بالفعل ولا نص فيهم وقيل هم قوم
خلقوا في الجنة على صورة الغلمان وهم للخدمة لا غير والحور العين للخدمة والمتعة مخلدون قال الفرا
اي على سن واحد لا يتغيرون وهو قول الحسن ايضا وقيل خالدون في الجنة مع اهلها وهو قول مجاهد
رحمه الله وقال قطرب وقال قوم هم المقرطون من القرطة وقيل مسورون من السوار وقيل مقلدون من
القلادة وقيل محلون من الحلية والتحلي من اثوابه ومخلدات كالحجين كانها اعجازهن اقاوير الكثبان وقال
ويقال للحلية الخلدة وقيل المخلد المحلى باللولو لانه ينبغي على حسنه اكثر مما ينبغي غيره وقوله تعالى
باكواب جمع كوب وهو الابريق الواسع الراس لا خرطوم له والابريق الذي له عروة وخرطوم قال قتادة
ومقاتل وكذا قال اهل اللغة وقال في موضع اخر قوارير من فضة اي لها بياض الفضة وصفا القوارير
وكاس وهو القدح اذا كان فيها شراب اي من خمر جارية كالما المعين وهو الطاهر الجاري وقيل هو فعيل
بمعنى الامعان وهو الاسراع واريد به سرعة الجري وقيل هو مفعول من العين اي تراه العيون ظاهرة
اخبر ان خمر الاخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون في اوعية بل هي جارية كثيرة كما قال
وانهار من خمر لا يصدعون عنها اي لا ينالهم بشربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا ولا ينزفون قرا حمزة

والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بكسر الزاي لا تفنى خمورهم يقال انزف القوم اذا فني زادهم وقرا الباقون بفتح الزاي ومعناه
لا تذهب عقولهم يقال نزف الرجل اذا ذهب عقله واذا ذهب دمه تنفي هذا جميع عيوب خمر الدنيا من عدم العقل بها
بالسكر وذهاب المال ونفاد الشراب وقال الاخفش لا ينزفون اي لا يسكرون وقيل في قوله لا يصدعون اي
لا يتفرقون بما يفقد من شرابهم وقد تصدع القوم اي تفرقوا وصدعهم كذا اي فرقهم ثم ذكر اتساعهم في الفاكهة
فقال وفاكهة مما يتخيرون صنعا فاكهة كثيرة يتخيرون منها ما شاوا الكثرتها ويحتمل وفاكهة من الفواكه التي
يتخيرونها اي فاكهة متخيرة تخير الطعام ثم ذكر اللحم الذي هو سيد الادام وكانت العرب يتوسعون بلحم الابل
وعزة عندهم لحم الطيور ويسمون بها صيد الملوك فوعدوا بها فقيل ولحم طير مما يشتهون اي مما هو اشهى عندهم وقيل مما
يشتهونه من جملة اجناسه اي يطعمهم الله في الجنة وان كان كلما اشتهى لفضله وحسنه وقيل مما يشتهون اي يا كلون عن
شهوة لا عن جوع ولا عن سامة ثم وصف الازواج فقال وحور عين قرا حمزة والكسائي وحور عين خفضا نسقا
اعراب الكلمات المذكورة بعضها على اثر بعض ويكون خفضه على الجوار كما في قولهم جحر ضب خرب وما شابه ذلك على
اضمار فعل اخر يلائمه وهو يكرمون بحور عين ولذا قالوا في قوله وفاكهة ولحم طير لانه قل ما يطاف بها وان تصور
فيها ولا يكون ذلك في حور عين ولا وجه الا ما قلنا والحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين والشديدة
سواد ها والعين جمع عينا وهي الواسعة العين الحسنة العين كامثال اللولو المكنون اي المصون قالت
ام سلمة رضي الله عنها اخبرني عن قول الله تعالى كامثال اللولو المكنون فقال كصفاء الدر في الاصداف
قبل ان تمسه الايدي قالوا وذلك قبل ان يقع عليه الغبار احسن ما يكون في بياض لونه وصفائه ونوره جزاء
بما كانوا يعملون اي في الدنيا من الصالحات فما جزاء الاحسان الا الاحسان لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا
من القول لا فائدة في سماعه وهو ما ليس بكذب ولا فحش لكنه كلام لا معنى له ولا تاثيما اي ما يوثمهم من الكلام وهو
الكذب والفحش الا قيلا سلاما سلاما اي سلمت سلاما اي سلامة او نعت تحية وسلاما وقيل هو سلام
نعت لقوله قيلا اي فقالوا سلاما الا عن اللغو والتاثيم قال الاخفش ولا تاثيما اي ولا يفعلون تاثيما اي
ما يوثمهم فالاول للقول والثاني للفعل ونظيره كقول من يقول اكلت خبزا ولبنا اي اكلت خبزا وشربت لبنا
واصحاب اليمين ثم ذكر التابعين السابقين فقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي ما ذا اعد لهم من الخير
وهي لفظة تعظيم وتفخيم كقولك زيد وما زيد في سدر مخضود اي نبق وكانوا يتلذذونه ويرون فيهم بحر وقد
ذكر الله تعالى سدرة المنتهى ورفع شانها وقوله تعالى مخضود اي مقطوع الشوك وقال الخليل الخضد
نزع الشوك من الشجر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك لا شوك فيه
ومعناه انه خلق بلا شوك لا انه نزع عنه بعد ان كان فيه وقيل الخضد عطف العود اللين ومعناه انه قد
انثنى من كثرة حمله وقيل الخضد الكسر لانه قد خضدته فانخضد وقيل الطلح هذا هو موقر يكاد ينكسر
من ثقل حمله وروي انه لما نزل في سدر قال اهل الطايف هو مثل سدرنا فنزل مخضود وطلح منضود قال
علي وابن عباس وابو سعيد وقسامة بن زهير والحسن والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير وعطا هو الموز
وقال زيد بن اسلم الله اعلم به الا ان اهل اليمن يسمون الموز الطلح وقال اهل اللغة الطلح شجر عظيم كثير
الشوك هذا قول ابي عبيدة وقال الزجاج هو شجر ام غيلان ومنضود نضد بعضه على بعض وقيل
نثر الموز منضود بعضه على بعض وقيل اراد ان ثمره كثير من اوله الى اخره وقيل المنضود المتراكم فان
اريد به الموز فهو ثمر وفضله على موز الدنيا في الجنة كفضل سائر الثمار وان اريد به الطلح الذي لا يوكل منه
شي في الدنيا فقد يكون من اشجار الجنة على ما خلقه الله تعالى عليه من الحسن والخضرة والطراوة والنضرة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو زينة الجنة وقد يكون في بساتين الجنة الدنيا ما يكون للزهرة
والزينة دون الاكل وعن مجاهد قال كان لاهل الطائف واد يعجب فيه الطلح والسدر فقالوا ليت
لنا في الجنة مثل هذا الوادي فنزلت هذه الاية وقد قال الله تعالى ولكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
تذكر لكل قوم ما يعجبهم وعن عيينة بن عبد الله السلمي قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجا اعرابي فقال يا رسول الله اسمعك تذكر في الجنة شجرة لا اعلم شجرة اكثر شوكا منها يعني الطلح فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يجعل مكان كل شوكة ثمرة فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه
لون الواحد منها لون الاخر وعن علي رضي الله عنه انه كان يقول هو في معنى وطلح منضود فقال انما
طلع نضيد وهو ثمر النخل وهو كقوله وظل ممدود اي دايم لا تنسخه الشمس وفي الخبران في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرووا ان شئتم وظل ممدود وقال النضر بن شميل اي لا ينقص كما ينقص
ظل الدنيا وقال الربيع بن انس اي ظل العرش وقوله تعالى وما مسكوب اي مصبوب وقال سفيان هو
الذي يجري في غير اخدود وقيل اي مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل ينصب من ساق العرش وقيل ينصب
من مكان عال ينسح جريه وترى صفاوه وهو اصفى ما يكون واعجب في مرايا العيون وقال عبد العزيز بن يحيى

الكتاني انا لا نخرج من القبور نيتنسم ثم يغضب عليهم انصبابا وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة لا تنقطع
فواكه الدنيا في الشتاء في اوقات مخصوصة ولا ممنوعة ببعد متناول او شوك يؤذي كما يكون في الدنيا • وقيل
لا مقطوعة لا تنقطع باخذها بل ينبت مكانها مثلها • وقال قتادة ولا ممنوعة اي لا يمنعهم شوك ولا بعد وقال
القتبي ولا ممنوعة اي لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا • وقيل فيه دليل على انه لا نوم في الجنة لانهم لو ناموا
صاروا ممنوعين من الفواكه حال نومهم • وفرش مرفوعة جمع فراش اي بعضها فوق بعض عالية طويلة كما يقال
بناء مرفوع • قال ابو امامة الباهلي لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الا بعد سبعين خريفا
وقيل اراد بالفراش النساء فان المراة فراش الرجل لانه يستفرشها • وقيل كل واحد من الزوجين فراش للاخر
كما هو لباس له قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن مرفوعة اي مرتفعات الاقدار وقد دليل ان المراد ذلك
انه قال بعده انا انشاناهن انشاء • وقيل الفرش على ظاهرها وانا انشاناهن يرجع الى قوله وحور عين
قاله ابو عبيدة • وقيل ذكر الفرش لهن لانهن يتكين مع الرجال عليها • وقال الاخفش اضمرهن ولم يذكرهن
قبل ذلك انا انشاناهن انشاء اي ابتدانا خلقهن في الجنة لم تولد في الدنيا ولم ينتقل من طفولة الى
ما فوقها فجعلناهن ابكارا اي خلقناهن على البكارة وهذا على قول من يقول الحور العين [illegible] الدنيا
فاما على قول من يقول انهن المومنات فمعناه انا انشاناهن انشاء النشاة الثانية في الاخرة فجعلناهن
ابكارا بعد ما كن ثيبا • قال الحسن هي العجوز الكبيرة يحولها الله شابة • وقال المجاهد دخلت عجوز من بني
عامر على عايشة رضي الله عنها ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه العجوز يا عايشة
فقالت احدى خالاتي يا رسول الله قال اما ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فاخذ العجوز ما اخذها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينشيهن خلقا غير خلقهن • وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا انا انشاناهن انشاء قال هن اللاتي كن في الدنيا عجايز عمشا رمصا • وقال الحسن من كان من
اولاد المشركين فان الله تعالى ينشيهم ويجعلهم خدم اهل الجنة وما كان من الاناث فان الله ينشيهن حورا
عينا ازواجا لاهل الجنة ومن كان من اولاد المسلمين فانه يبعث على الحالة التي مات عليها فيكونون
مع ابايهم وامهاتهم واما العجايز فان الله تعالى ينشيهن عربا اترابا والعرب جمع عروب وهي المتحببة
الى ازواجهن • وقال الكسائي العرب المتحببات ذوات الغنج واللعب والضحك • وقال قطرب
العروب العاشقة لزوجها • وقيل المراعية • وقال ابو سعيد الضرير الملاعبة • وقال الخليل اي الضاحكة
الضاحكة الطيبة النفس • وقال ابو معاذ هي التي تكلم زوجها بما ينشطه في المباشرة هذه اقاويل ائمة اللغة
وقد جاء عن اهل التفسير نحو ذلك • قال الضحاك عربا متعشقات لازواجهن • وقال السدي رحمه الله
حسنات التبعل لازواجهن • وقال النضر بن شميل راضيات مرضيات • وقال عطا وعكرمة والربيع
غنجات • وقال لبيد بن رباب طاهرات من الادناس • وقال محمد بن كعب متطيبات • وقال ابو عبيدة عرب واحدها
عروب وانشد وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر اترابا اي على ميلاد واحد
جمع ترب وهي اللدة • وفي بعض الروايات الرجال والنساء على سن ثلاث وثلاثين سنة وهو منتهى
الشباب واجتماع العقل • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اترابا مستويات على سن واحد لاصحاب
اليمين • قال الفراء اي هذا كله لاصحاب اليمين وهم الذين يلون المتابعين • وقيل اترابا لاصحاب
اليمين اي هذه النساء على ميلاد الرجال ثلة من الاولين اي هم اصحاب اليمين جماعة عظيمة في الاخرة
من الامم المتقدمة وثلة من الاخرين اي جماعة عظيمة في الاخرة منهم من هذه الامة • وروي ابن مسعود
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لارجوا ان يكونوا ربع اهل الجنة فكبر اصحابه ثم قال
اني لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبر اصحابه ثم قال اني لارجوا ان تكونوا شطر اهل الجنة ثم قال
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين الايات • وروي عروة بن رويم اللخمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل عليه صدر الواقعة قراه على من حضره من المهاجرين والانصار حتى اذا بلغ ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين تكلم عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله ثلة من الاولين وقليل منا حتى انزل الله تعالى بقية
السورة وجعله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه
فقال يا ابن الخطاب قد انزل الله تعالى فيما قلت فجعل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال عمر رضي
الله عنه رضينا عن الله تعالى وبتصديق نبينا ثم قال صلى الله عليه وسلم من ادم الى ثلة ومني ثلة حتى نستتم
[illegible] الابل السودان من يقول منهم لا اله الا الله واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وهم الصنف الثالث
من الازواج الثلاثة في سموم هي الريح الحارة التي تدخل مسام البدن وهي خروق ومنه السم لانه يسري في
وقوله تعالى وحميم الحميم الماء الحار الذي اشتد حره يعني اذا احرق حر النار اكبادهم واجسادهم فزعوا
الى الماء فاذا هو اشد الحرارة فذا انتهى عليانه فلا يسيل الى روح ولا الى برد من حرها هو اشد منه وظل من يحموم

قال ابن عباس رضي الله عنهما اي من دخان اسود شديد السواد وكذا قال ابو مالك ومجاهد وقتادة وابن زيد لا بارد
كبرد ظلال الشمس فيتروح به ولا كريم فيه حسن فينتفع به وهو كقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني
من اللهب • وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل • وقال ابو سعيد الضرير يحموم من ظلمة ولا كريم
الكريم ما كرم على غيره بانتفاعه به • وقال قتادة رحمه الله لا بارد المنزل ولا كريم المنظر • وقال ابن جريج لا بارد
المنظر ولا كريم المدخل • وقال ابن بريدة وظل من يحموم قال جبل في جهنم يدعا يحموم يستغيث منه اهل النار فاذا
اذن لهم اذا اتوه لم يجدوه باردا ولا كريما فكان ما لقوا فيه من العذاب اشد مما كانوا فيه • وقوله تعالى انهم كانوا
قبل ان يصيروا الى ما صاروا اليه منعمين في خلاف ما احل الله لهم قد اطلقوا انفسهم فيما يشتهونه ولا يكدون
انفسهم في عبادة الله تعالى مترفين منعمين والترفه النعمة وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون ويديمون
على الاثم العظيم وهو الشرك قاله قتادة والضحاك والكلبي وابن زيد والحسن • وقال ابن كيسان ومجاهد هو الذنب
العظيم وهو قول قطرب والخليل وقد بلغ الغلام الحنث اي حد البلوغ وهو ان يؤاخذ بما فعله من الذنب • وقال الشعبي
هو اليمين الغموس • وقيل يسمى الشرك حنثا لانه نقض اليمين التي حلفوا بها وهو قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون او اباؤنا الاولون
اي كانوا ينكرون البعث بعد الموت استفهام بمعنى النفي • وقوله تعالى قل ان الاولين والاخرين اي الامم
المتقدمة وهذه الامة لمجموعون قيل اي في الدنيا • وقيل اي في القبور وهذا قول الحسن الى ميقات يوم
معلوم عند الله وهو يوم القيامة والى غاية على هذا • وقيل لمجموعون لمحشورون يوم القيامة والى بمعنى
اللام او بمعنى في على هذا ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم بدل ما ياكله اهل الجنة
من الفواكه ولحوم الطير فمالئون منها اي من شجر الزقوم وهي جمع شجرة فلذلك انث فشاربون عليه من الحميم
اي على الاكل • وقيل اي على الزقوم من الحميم اي الماء الحار اذا جاعوا فاستطعموا اطعموا الزقوم واذا عطشوا
فاستسقوا اسقوا الحميم فشاربون شرب الهيم • قرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها وهما
المصدر ها هنا وشرب بفتح الباء لنزع الخافض الكاف اي كشرب الهيم وهي جمع الاهيم والهيماء من الابل وهي
التي اخذها الهيام وهو داء من العطش يشرب فلا يروى ولا يزال يشرب حتى يتلف • وقال الفراء والكسائي رحمهما الله
هي عن ابن عباس رضي الله عنهما كذلك وقال ابن عيينة اي الرمل الا ترى انك تصب عليه الماء فلا ترى اثره •
وقال قايلون شجرة الزقوم ثمرها كروس الشياطين مملوة من السم فاذا اكلوها استغاثوا فيغاثون بماء
كالمهل • وقال مقاتل الزقوم شجرة نابت في اصل الجحيم فاذا اطرحوا فيها هووا فيها اربعين خريفا حتى ياتوها
فياكلوا منها فتغلي بطونهم ثم يصعد بهم النار الى اعلاها ثم يهوون الى الشجرة ثم تصعد بهم النار الى اعلاها
ثم يهوون الى الشجرة ثم تصعد بهم فهذا دابهم ودابها • وقال جابر بن عبد الله يلقى على اهل النار الجوع
فيذوقون الغشية واعطشا ثم ينطلق بهم الى الحميم فذلك قوله فشاربون عليه من الحميم اي على الجوع
وقيل على الاكل • وقال السدي بلغني ان اهل النار اذا اكلوا الزقوم غصوا فذكروا انهم كانوا في الدنيا
اذا اكلوا فغصوا اسوغوه بالماء فينطلق بهم الى الحميم ليشربوا فاذا ادنى احدهم الماء الى فيه تسقط لحمه في
الاناء ثم يعيده الله تعالى هذا نزلهم يوم الدين اي طعامهم وشرابهم يوم الجزاء والحساب • وقوله تعالى نحن
خلقناكم وانتم بهذا معترفون فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون بالبعث بعد الموت وهو كابتداء الانشاء وهذا
خطاب لمشركي مكة افرايتم ما تمنون اي اخبروني عما تلقونه من المني في ارحام نسائكم اانتم تخلقونه اي تجعلونه
انسانا • وقيل انتم تصورونه ام نحن الخالقون استفهام بمعنى التوبيخ اي حال اذا كان الله قادرا ان ينقل المني
الى هذه الصورة العجيبة فهو قادر على احيائه بعد موته نحن قدرنا بينكم الموت بعد ان خلقناكم من النطفة
قال مجاهد قدرنا بالتعجيل والتاخير اي نعجل بعضا ونوخر بعضا على ما علمنا فما ردنا الا امر من علينا فيه
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي لا يفوتنا احد ولا يغلبنا احد ان نبدل امثالكم • قال ابن
عباس رضي الله عنهما نحن قدرنا بينكم الموت اي الاعمار الى الموت فمنكم من يعيش الى ان يبلغ الهرم ومنكم
من يموت شابا وصبيا وصغيرا وما نحن بمسبوقين اي عاجزين على ان نهلككم وان نخلق خيرا منكم واطوع •
وقال السدي وسعيد بن المسيب وننشيكم فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود يكونون ببرهوت كانها الخطاطيف
وبرهوت واد في اليمن • وقال الحسن رحمه الله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين على ان نبدل امثالكم اي نهلككم
ونات بقوم اخرين وناس مثلكم من جنسكم وننشيكم نبدلكم ونبدل خلقكم ونبدل صوركم عما انتم عليه الا ان الى
صور غيرها اانتم عرفتم المني فيما حتى مسخكم قردة وخنازير وما شيا مما تعلمون وما لا تعلمونه انتم لان من قدر
على ان يخلق شيا او ينقل صورته الى غيرها • وقيل وما نحن بمسبوقين تمام الكلام اي لا يفوتنا احد و
سبقنا اذا اردنا اماتته على ان نبدل امثالكم قرنا بعد قرن الى انقضاء الدنيا وننشيكم بعد فناء الدنيا
في الاخرة اي نبعثكم بعد الموت خلقا جديدا فيما لا تعلمون من الصورة والصفات لان السعداء يبعثون على

احسن الصور وللاشقيا على ابشعها وهم لا يعلمون بذلك اليوم ولقد علمتم النشاة الاولى • قال المقاتل رحمه الله
اي الخلق الاول وهو خلق ادم لانتسال احد من الناس الا انه انباك ان الله خلق ادم من تراب • وقال المقاتل
ولقد علمتم النشاة الاولى ان الله خلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة • قال الحسن رحمه الله ولقد علمتم اذ خلقناكم
ولم تكونوا شيا ثم جعلنا لكم لحما ودما وعظما وروحا فلولا تذكرون فهلا تذكرون فيه فتعلموا وتتعظوا • وقوله
تعالى افرايتم ما تحرثون اكثم حاجهم بامر اخر فقال افرايتم ما انتم تحرثون من اراضيكم فتطرحون فيها
البذر ءانتم تزرعونه اي تنبتونه وتجعلونه زرعا يكون فيه الحب والسنبل ام نحن الزارعون اي ان نحن
نفعل ذلك اءنتم مقرون انكم لو جهدتم وجهد جميع العالم لم ينبتوا لكم ولحم نباتا ذلك واخراجه فقد علمتم
ان الله تعالى يفعل ذلك ومن قدر على هذا كيف اخلتم قدرته على اخراج الموتى من الارض احيا بعدان
صاروا رميما • لو نشا لجعلناه حطاما اي هشيما يابسا فلا ينتفع به في مطعم • وقال ابن عزة الهمداني اي تبتا
لا قمح فيه والحطم الكسر والحطام ما كسرته الا رجل فظلتم النهار كله اصطلت احداهما تخفيفا كما يقال
احست بالتراب احسنت به تفكهون • قال الخليل اي تتعجبون • وقال قطرب اي تندمون وهو قول
الحسن وقتادة انا لمغرمون اي يقولون انا لمعذبون والغرام اللزوم والمغرم الذي الزم العذاب • وقيل المغرم
الذي ذهب ماله بغير عوض وهو غرامنا انفقنا لم نحصل منه على شي بل نحن محرومون اي لم يصبنا من
ذلك عقوبة على جرمنا بل هو بحرماننا وعدم جدنا يقول الله تعالى لم افعل ذلك هذا فهلا زرعكم بل
انبتها بعد ما كانت بالية في الارض فلا تنكروا قدرتي على اخراجكم من الارض بعد بلايكم • وروى انس بن
مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بارض للانصار فقال ما يمنعكم من الحرث
قالوا الجدوبة قال فلا تفعلوا فان الله تعالى قال انا الزارع ان شيت زرعت بالبذر هذه الاية • وقوله
تعالى افرايتم الماء الذي تشربون ثم حاجهم بحجة اخرى فقال اخبروني عن الماء الذي تشربونه لتحيوا به
انفسكم وتسكنوا به عطشكم ءانتم انزلتموه من المزن اي السحاب • وقيل هو السحاب الابيض ام نحن
المنزلون وانتم معترفون بعجزكم عن انزاله منه وتقدرني عليه فلولا تشكرون اي فهلا تشكرونه بالجد في
العبادة فلم تنكرون قدرتي على احيا الموتى لو نشا جعلناه اجاجا اي ملحا لا تنتفعون به في شرب
ولا زروع ولا غرس • وقال الاخفش والاجاج اشد الماء ملوحة افرايتم النار التي تورون وهذه محاجة
اخرى في تقريرهم بنعمه وتنبيههم على قدرته تقول اخبروني عن النار التي تورون تظهرونها بالقدح من
الشجر الرطب ءانتم انشاتم شجرتها اي خلقتم الشجرة التي تستخرجون منها النار ام نحن المنشئون
اي الخالقون وتدورى الزند اي خرجت ناره وريا واوراها القادح يورى ايرا اي اخرجها وتجر
النار كانت معروفة عندهم وكانوا يقولون في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار • وقال ابن عباس رضي
الله عنهما ما من شجر ولا عود الا وفيه النار سوى العناب فان عوده لا نار فيه • قال الله تعالى جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون نحن جعلناها تذكرة اي تذكيرا بنار جهنم فتتقوها فان من اذاه
اكل الطعام الحار وعجز عن طول المكث في الحمام الذي اتخذه للاستراحة والاستظهار لما انه يشرب لبنها
كيف يصبر على طول المكث في الجحيم عين النار ومتاعا للمقوين • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد
وقتادة والضحاك اي المسافرين وقد اقوى اي نزل القي وهو القفر واقوت الدار اي خلت عن اهلها
ومعنى ينتفعون بها اصطلا من البرد واستضاءة من الظلمة وانضاجا للطعام وتجفيفا للثياب
واستيناسا بنورها بلقا الاصحاب وقدم التذكرة على المتاع لانه اهم وقد يغفل الناس عنها وانما خص
المسافرين بالذكر مع ان المقيمين يتمتعون بها ايضا لان حاجة المسافر اليها اشد فدخل المقيم فيها بالطريق
الاولى • وقيل هو من باب الاكتفا بذكر احد الشيين والمراد كلاهما وهو كقوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر
والبرد فاكتفى بذكر احدهما • وقيل للمقوين المقوي ذو القوة اي للمطيقين ذلك من المسافرين والمقيمين
فكان الاسم للكل على هذا • وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه الله يا محمد عما اضاف المشركون اليه
من الانداد ومن العجز عن احيا الموتى يوم المعاد بذكرك اياه باسمه العظيم وكل اسمائه عظيمة • وقوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم • قال الفرا لا نفي اي ليس الامر كما تقولون ثم قال اقسم بمواقع النجوم • وقال ابن
عباس ومجاهد وهو قسم بنزول القران نجوما كل نجم منها امر وحادثة في سنين كثيرة وانه لقسم عظيم لان
المقسم به عظيم لو تعلمون ذلك لانتفعتم به هذا معترض انه لقران كريم • وقال قتادة ومجاهد في رواية
مواقع النجوم مغاربها اقسم الله بها لعظم منافعها للعباد في مصالح العالم المتعلقة بها • وقال الحسن رحمه
الله مواقع النجوم مساقطها اذا انتثرت لقيام الساعة تعظيما لذلك اليوم وتنبيها على قدرة الله تعالى وتذكيرا
بذلك اليوم • وقيل مواقع النجوم ومواقع نفعها منا بالاهتدا بها في ظلمات البر والبحر ومعرفة مقادير
الساعات في الليل والنهار واوقات التحية وانوار الامطار من قولهم هذا عندي موقع • وفي قراة حمزة والكسائي

بموقع

بموقع النجوم وهو موحد عن الجمع ومثله انه لقران كريم اي عند الله لانه كلامه ووحيه وكريم على رسوله لانه من عند ربه
وكريم على المومنين لان فيه شفاهم وهداهم وبشارتهم وكريم في نفسه لانه كثير الخير شريف جليل نافع منجز من حسنه
وكريم ويعظم ويستفاد به ويغتنم ويعمل به ويعلم • وقال ابن حبيب الكريم من العباد الصفوح المتاهل والقران
كريم لغلبة يسره على عسره في كتاب مكنون اي كتاب عند الله تعالى مصون ومخزون عن اعيننا لدمانيا لكتب العباد
من الاذى والقذر والعذر وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ • قال تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
وهو ام الكتاب • قال تعالى وانه في ام الكتاب لدينا • وقيل مكنون مخزون عن البشر لا يعلمه الله تعالى الا الملايكة
ثم اطلع الله عليه من شا من الرسل • وقيل مكنون لا يصل اليه من الملايكة الا من اذن الله له في المسير اليه موضعه
وقالوا ان اسرافيل هو الموكل بذلك لا يمسه الا المطهرون من ادناس الخطايا • وقيل هو صفة القران اي لا يتركه
الا الملايكة ولا يصل اليه في الانزال الشياطين المخبثون • وقال قتادة لا يمس القران عند الله تعالى الا المطهرون
من الملايكة فاما عندكم فيمسه المشرك والمنافق • وقيل هو على الحكم اي ولا ينبغي ان يمسه الا المطهرون من الاحداث
والجنابة والحيض والنفاس • وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم الى اهل اليمن لا يمس القران
الا طاهر • وعن علقمة والاسود قالا اتينا سلمان لنقرا عليه وقد جا من الغايط فقلنا لو توضات لنقرا عليك فقال
اقروا فاني لست امسه انه لا يمسه الا المطهرون • وقال الكلبي رحمه الله لا يقراه الا الموحدون • وقال الفرا
لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به • وقال الحسين بن الفضل اي لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله تعالى
من الشرك والنفاق • وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعدا • وقوله تعالى تنزيل من رب العالمين
اي هو منزل من مالك الخلايق اجمعين افبهذا الحديث انتم مدهنون اي افبهذا القران انتم كافرون مدافعون
الايمان به بالعلل الكاذبة من غير بيان ولا برهان بل الغلبة للعناد واعراضا عن النظر والادهان اللين والمصانعة
وقال قطرب المدهن المصانع • وقال ابو سعيد المدهن ذو وجهين • وقال الاصم المدهن الذي لا يعقل ما يحق
عليه ويدفعه بالعلل طلبا لمرضاة جار وقريب او نحو ذلك والخطاب لمشركي العرب ولا يبعد ان يكون فيهم من يجاهر
بالكفر ومنهم من يداهن ويعلل بقوله افبهذا القران مع وضوح اعجازه واشتماله على انبا الغيب تداهنون المومنين
وتوجزون الايمان تعجبا لكم ولما تقتلون استفهام بمعنى التوبيخ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي وتجعلون
مارزقكم الله من العلم الذي انزله اليكم في القران تكذيبا لربوبيته وقدرته على البعث بعد الموت هذا معنى
قول الحسن فانه قال خسر قوم لا يكون حظهم من كتاب الله تعالى الا التكذيب وتقديره وتجعلون شكر
رزقي اياكم تكذيبكم بقدرتي على مثل ما رزقتموه • وقال الفرا هو كقولك جعلت زيارتي اياك ان استخف
وتقدير قوله رزقكم اي رزقي اياكم والشكر مضمر • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد
مطروا من الليلة يقول الله تعالى اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بالكوكب [illegible]
مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب
وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في هذا وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم تقولون مطرنا بنو كذا • وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطش اصحابه واحتاجوا الى الماء [illegible] الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ارايتم ان دعوت فسقيتم فلعلكم تقولون سقينا بنو كذا قالوا يا رسول الله
ما هذا بحين الانوا [illegible] ودعا ربه [illegible] حتى سالت الاودية
وملؤا الاسقية فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغرف بقدح له وهو يقول سقينا بنو كذا
فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لو حبس الله القطر عن امتي عشر سنين ثم انزل الماء لاصبحت طائفة منهم يقولون سقينا بنو كذا • وقوله
تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح الحلقوم ترجعونها ذكر فلولا مرتين
ثم قال ترجعونها [illegible] وانتم حينئذ تنظرون [illegible] ونحن اقرب اليه منكم [illegible]
[illegible] ولكن لا تبصرون [illegible] فلولا ان كنتم غير مدينين [illegible]
[illegible]
[illegible]

الذي تقبض الملائكة روحه من السابقين فروح وريحان • قال ابن عباس رضي الله عنهما فروح اي راحة في القبر وريحان
ايجدونه في الجنة • وقال ابو العالية وريحان عند الموت يؤتى به من الجنة فيشمه ثم يموت • وقال الزجاج ريحان اصله ريحان
بتشديد اليا لانه من الروح وخفف للزيادة التي لحقته من الالف والنون • وقال عطا الروح الفرج من هموم الدنيا
والريحان دخول دار القرار • وقال الجنيد رحمه الله الروح لقلوبهم والريحان لنفوسهم • وقيل كلاهما في الجنة قال
تعالى اخبارا عنهم انهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فهو الروح • وقال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
فهو الريحان • وقيل الروح الرحمة قال تعالى ولا تيأسوا من روح الله والريحان التحية والتحية بالريحان معهودة بين
الخليقة وجنة نعيم للمقربين ايضا واما ان كان من اصحاب اليمين هو الذي تقبض روحه فسلام لك من اصحاب
اليمين اي فسلامة لك وسرور وخبر منهم يا محمد اي انك تسر لما تراه من ثوابهم في الجنة • وقيل سلام لك اي انت
سالم من الاغتمام لهم فقد نجوا • وقيل معناه فانهم يسلمون عليك ويصلون وانا مبلغ اليك سلامهم يا محمد
وقيل معناه فيقال لهذا المقبوض عند الموت فسلام لك من اصحاب اليمين اي سلامة لك مما تخاف • وقيل
اي فسلام عليك اي وهو سلام الملائكة عليه حينئذ • وقيل هو بشارة له بالسلامة من الملائكة في الجنة وسلام
الله فيها بلا واسطة واما ان كان من المكذبين الضالين وهم الصنف الثالث وهم اصحاب المشأمة وهم الذين
قيل لهم في هذه السورة ثم انكم ايها الضالون المكذبون فنزل اي فرزقه الذي اعد له وطعامه الذي يعطاه
من حميم وهو الماء الحار الذي قد [illegible] وتصلية جحيم اي ادخال فيها • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فانشأ القوم يبكون فقال ما يبكيكم
فقالوا يا رسول الله ما منا احد الا وهو يبغض الموت فقال اني لست ذلك اعني ولكن يقول الله تعالى فلولا
اذا بلغت الحلقوم الى قوله ان كنتم صادقين هذا في الدنيا فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة
نعيم فاذا بشر بالنار ابغض لقاء الله والله للقائه ابغض • وقوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين اي هذا
الذي اخبرتكم به من اول هذه السورة وهو في بيان احوالهم في الاخرة الى اخرها وهو في بيان خروجهم
من الدنيا هو الحق الذي لا باطل فيه وهو اليقين من الخبر الذي لا شك فيه فثق به يا محمد وحق اليقين
اضافة الشيء الى نفسه كقول الشاعر ولو اقوت عليك ديار عبس • عرفت الدار عرفان اليقين •
وقال الاخفش هو اضافة الشيء الى صفته كقولهم صلاة الاولى وبارحة الاولى ومسجد الجامع • وقيل هو
كقولهم نفس الحائط اي النفس التي هي الحائط فسبح باسم ربك العظيم اي ان من صدقك صار الى ما اعد له وكذا
من كذبك صار الى ما اعد له وقد بينا لك ذلك كله فلا تشغل عليك ما يعملونه فافزع انت الى تنزيه ربك عما
اضافه اليه المكذبون الضالون واجعل تنزيهك اياه تسميتك له باسمائه الحسنى التي علمكها فاذكره بها مستعد
حقائقها فان الله هو ربك اي المنعم بمصالحك العظيم في سلطانه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد • وقيل
المراد بالتسبيح الصلاة • وروي انه لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
سبحان ربي العظيم • ولما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم سبحان ربي الاعلى

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله الذي يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم • الرحمن الذي المصدقين والمتصدقين
بالمضاعفة والاجر الكريم • الرحيم الذي بيده الفضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • وروي
ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم • وهذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون اية
وقيل ثمان وعشرون اية والاختلاف في قوله من قبله العذاب واتيناه الانجيل وهي خمسمائة وثلاث وسبعون
كلمة والفان واربعمائة وسبعون حرفا • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة انهما في التسبيح
وانتظام السورتين ان تلك السورة في ذكر السابقين واصحاب اليمين والمكذبين الضالين وهذه
السورة في حث السابقين واصحاب اليمين على جهاد المكذبين الضالين والانفاق فيه على المجاهدين •
وافتتحت السورة بذكر ان جميع من في السموات والارض وما فيهما ملكه وهو سبحانه غني وانما امرهما [illegible]
الكفار لا لعجزه من اهلاكهم لكن امتحانا لهم ليتميز صادقهم من كاذبهم • وقوله تعالى سبح لله ما في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم معناه ان جميع ما في السموات والارض وما فيهما ملكه من اصناف الخلائق
وحيوانه ومواته ونامية وجماده وجواهره واعراضه دليل على ان الله تعالى وحده وعلى انه عزيز حكيم مالك
لاصناف الخلائق كلها قادر على احياء مواتها واماتة احيائها وعلى كل ما يريد فهي بما فيها من اثار الصنعة
وشواهد الحدوث نزهه جل جلاله عما يضيفه اليه المشركون من الشركاء والانداد ويعرفون من صفاته اهل
الالحاد وتشهد بانه العزيز اي المنيع بسلطانه وجلاله الحكيم المصيب في اقواله وافعاله • وقال ابن عباس

رضي الله عنهما سبح لله صلى لله ما في السموات والارض من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وما في الارض من الجبال
والانهار والاشجار والطير والدواب وما بينهما من الرياح والسحاب وما فيه من روح وما لا روح فيه وهو العزيز
المنيع بالنقمة ممن يشاء الحكيم في امره • وقال ابن كيسان التسبيح التحميد والتقديس من الخلق لله تعالى وهو على
وجهين احدهما عبادته وتعظيمه وهو اهله من قول وعمل ممن هو من اهل الاختيار والاخر ان الله تعالى فطر الخلق
على نعوت تشهد لخالقها انه لا شريك له في خلقها وانه ليس كمثلها فكل شيء على هذا انه تعالى يسبح • قال تعالى وان
من شيء الا يسبح بحمده اي يشهد انه لا شريك له ونظيره قوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها له
ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير • قال ابن عباس رضي الله عنهما خزائن السموات
والارض من المطر والنبات وغيره لك يحيي عند البعث ويميت في الدنيا • وقال ابن كيسان اي هو مليكهما
الخالق لهما سواه يحيي ويميت من النطفة والارض في الاشجار بعد موتها ويميت الحي منها • وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه يحيي بالطاعة ويميت بالمعصية • وقال مقاتل بن حيان يحيي بالفضل ويميت بالعدل
وقال ابو بكر الوراق يحيي بالعلم ويميت بالجهل • وقال قتادة يحيي بالايمان والطاعة • ويميت بالكفر والمعصية
وهو على كل شيء من هذا وغيره قدير • هو الاول والاخر والظاهر والباطن الاول السابق قبل كل شيء والاخر
الباقي بعد كل شيء • الظاهر لوضوح الدلائل على وجوده الباطن فلا يرى في دار التكليف وهو بكل شيء عليم
لا يخفى عليه شيء • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاول قبل كل شيء والاخر بعد كل شيء وهو بكل شيء عليم يعني
سواء عليه الظاهر والباطن • وقال الضحاك رحمه الله هو الاول الذي اول الاوائل والاخر الذي اخر
الاواخر والظاهر الذي اظهر الظواهر والباطن الذي ابطن البواطن • وقال ابن كيسان الاول قبل
كل كائن والاخر بعد كل كائن والظاهر الذي اظهر خلقه انه الخالق من غير تدبيره فيهم الباطن الخبير بكل
ما خلق منهم وبكل ما يعملون في ظاهرهم وباطنهم • وقال مجاهد رحمه الله الاول بلا ابتدا وقيل احد والاخر بلا تاخير
احد والظاهر بلا اظهار احد والباطن بلا ابطان احد • وقيل الاول بلا ابتداء والاخر بلا انتهاء والظاهر
بلا اختفاء والباطن بلا احتواء • وقال سعيد بن المسيب رحمه الله الاول بالقدرة قال تعالى فنعم
القادرون والاخر بالقدرة قال تعالى وانا على ذهاب به لقادرون والظاهر بالقدرة قال تعالى قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا الاية والباطن بالقدرة قال تعالى ومن تحت ارجلكم • وقال سفيان
هو الاول بالخلق والاخر بالرزق والظاهر بالحياء والباطن بالامانة • وقال علي بن موسى الرضا هو
الاول ببره اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك التوبة والظاهر بكرمه اذ وفقك للسجود له
والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله هو الاول بلا ابتداء والاخر
بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب • وقال ابو بكر الوراق هو الاول بالازلية والاخر
بالابدية والظاهر بالاحدية والباطن بالصمدية • وقال محمد بن علي [illegible] هو الاول [illegible]
والاخر بالتكليف والظاهر بالتعريف والباطن بالتشريف • وقيل الاول بالعناية والاخر بالهداية
والظاهر بالرعاية والباطن بالولاية • وقيل الاول بالاعلام والاخر [illegible] والظاهر [illegible]
بالاكرام • وقال عبد العزيز بن يحيى [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال سهل بن عبد الله هو الاول [illegible]
[illegible]
[illegible] في الحياة الدنيا وفي الاخرة
[illegible] وقيل هو الاول
[illegible] والاخر الذي [illegible] والظاهر [illegible] والباطن
الذي لا تدركه الابصار • وقيل الاول الذي يستحق الوصف بالقدم والاخر الذي يستحيل عليه الوصف
بالعدم والظاهر بالعلو والرفعة والباطن بالعلم [illegible] • وقيل الاول فلا افتتاح لوجوده والاخر
فلا انقطاع لثبوته والظاهر فلا خفاء بجلاله والباطن فلا سبيل الى ادراكه • وقيل من كان الغالب
على قلبه اسم الاول كانت فكرته في سابقته [illegible]
[illegible] ومن كان الغالب على قلبه اسم الاخر كانت فكرته [illegible]
على التوحيد يخرج من دنياه ام لا [illegible] ومن كان الغالب على قلبه اسم الظاهر كان شاغله
بشكر ما يجري في الحال من توفيق الاحسان وتحقيق الايمان وجميل الكفاية وحسن الرعاية ومن كان الغالب
على قلبه اسم الباطن [illegible]
بربه • وقيل الاول [illegible]

والظاهر ليس يخفى عليه شي من سياتهم وليس يدع شيا من احسانهم والباطن يعلم ما ليس لهم به علم من خسرانهم ونقصانهم
يدع عنهم نسوه محنهم واحزانهم • وقوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
قد فسرناه في سورة الاعراف يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها فسرناه في سورة سبا
وهو معكم اينما كنتم اي عالم بكم لا يخفى عليه شي من احوالكم وافعالكم واقوالكم والله بما تعملون بصير وهو على مجازات
اعمالكم على وفق علمه بها قدير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور فسرنا هذا كله مرات يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل فسرناه في سورة ال عمران وغيرها وهو عليم بذات الصدور اي بخفيات الصدور ومن قدر
على هذه الاشيا وعلم بالاشيا فلم يعجزه اهلاك من كفر به فلا تتوهموا معاشر المسلمين ان امهاله الكفار لعجز وان امره
اياكم بجهادكم لحاجة لكن لابتليكم به واعوضكم عليه النعيم المقيم الذي خلقتكم له وخلقته لكم وهو وجه انتظام
هذا بما بعده • وقوله تعالى امنوا بالله ورسوله اي اوضحنا لكم الدلايل على انه لا يستحق العبادة غيري فاعبدوني
وامنوا بي وصدقوا رسولي فيما يخبركم به عني وهذا في حق المومنين امر بالدوام على ايمانهم وفي حق الكفار امر بابتدايه
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي من المال الذي هو لله وقد اعطاكم بعد ما كان عند غيركم وقد جعلكم فيه خلفا
من الماضين فانفقوا في جهاد اعدا الله مال الله مع الجهاد بانفسكم التي هي لله فالذين امنوا منكم وانفقوا في
سبيله بامره طلبا لمرضاته لهم اجر كبير اي ثواب عظيم في الاخرة • وقوله تعالى وما لكم لا تومنون بالله والرسول
يدعوكم لتومنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مومنين • قرا ابو عمرو وقد اخذ ميثاقكم بالرفع على ما لم يسم فاعله
وقرا الباقون اخذ ميثاقكم على الفعل الظاهر وهذا الكلام خرج مخرج الاستبطاء والاخبار بزوال المانع
اي اي عذر لكم في ترك الايمان بالله وقد قامت البراهين على ما تومرون به سمعا وعقلا اما العقل فما دلت
دلايل العقل على صدق الرسول في دعوى النبوة ما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات التي هي خارجة عن قوى
البشر وذلك اخذ الميثاق منهم به واما السمع فهو ما يدعوهم اليه الرسول من الايمان بمن صورهم دون من عوه
من ربوب مثلهم ان كنتم مومنين اي ان كنتم ممن حكم التصديق بما يقوم البرهان على صحته فقد قام ذلك سمعا
وعقلا هذا اذا احتمل هذا خطابا للمشركين وان جعل خطابا للمومنين فمعناه اي سبب يزيلكم من الايمان
والرسول بين اظهركم يدعوكم الى الثبات عليه وقد اخذ هو عليه ميثاقكم الا كنتم مومنين موفين
بشرايط الايمان وهو كقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد
ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله الاية وعلى التاويل الاول اخذ الميثاق
من الله تعالى على عباده وهو ميثاق الخلقة وقيل هو اخذ ميثاق الذرية • وقوله تعالى هو الذي ينزل
على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور اي اخبرنا ان الرسول انما الزمت دعوته لما ايده الله تعالى
به من المعجزات التي اظهرها على يديه تخليصا للناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان ويحتمل ان تكون الايات
ايات القران وهو العجاز من المعجزات ايضا وان الله بكم لرءوف رحيم لرافته ورحمته لم يهلككم فيما تعبدكم به
من مواصلة الحجج • وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض اي واي
عذر لكم في ترك الانفاق من اموالكم في سبيله وقد علمتم ان هذه الاموال تزول من ايديكم الى غيركم كما زالت
عن غيركم اليكم فصرتم مستخلفين فيها ثم هكذا يكون قرنا بعد قرن الى ان تصير لمالك الامر الذي هو ميراثها الله
تعالى وهو خير الوارثين اي لا يبقى لها من يدعيها ويخلص مضافا الى الله تعالى اي كيف يبخلون باموال هذه
حالها وانفاقها في سبيل الله يكون لكم في الاخرة مثالها • وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل • قال زيد بن اسلم وقتادة رحمهما الله اي قبل فتح مكة • وقال عامر اي فتح الحديبية وهاهنا
اختصار وتقديره ومن انفق وقاتل بعد الفتح وهذا كما في قوله افمن حق عليه كلمة العذاب وانما صح ذلك
لوضوح المراد يقول لا يستوي في الفضل من انفق في سبيل الله وجاهد اعدا الله قبل فتح مكة ومن فعل
ذلك بعدها اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد فتح مكة وقاتلوا لعزة الاسلام واهله وشدة
الحاجة الى من ينصره اي فبادروا الى تحصيل هذه الفضيلة • قال الكلبي رحمه الله نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه اولئك اعظم درجة يعني ابا بكر واصحابه من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى
اي فكل واحد من هذين الفريقين له وعد الجنة لانهم جميعا مطيعون لله عاملون بامره لكن الدرجات
في الجنة متفاوتة والله بما تعملون خبير اي باعمالكم ومقاديرها اي ويجازي كلا على وفق عمله • وقوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله انفاقا حسنا مضمونا بدله على الله
بالاضعاف الكثيرة بوعده الصادق والكاين لا محالة وهو قوله فيضاعفه • قرا ابن كثير فيضعفه
له بالتشديد للعين ورفع الفا ومثله ابن عامر لكن بنصب الفا • وقرا عاصم فيضاعفه بالالف ونصب
الفا ومثله الباقون الا انهم رفعوا الفا والمضاعفة والتضعيف واحد وهو الزيادة على الشي مثله اوزيادة
والنصب على انه جواب الاستفهام بالفا والرفع على العطف على يقرض والقرض الحسن يكون لمعاني بالخلاص

وطيب

وطيب النفس وباختيار الاجر الا النفس من ماله للانفاق وبالخفا وبقبول المنة من الله تعالى بالامر به وبخوف الرد
ورجا القبول وترك الاعتماد عليه وترك ملاحظة العوض وغير ذلك والاضعاف الكثيرة ذكر في قوله كمثل
حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وله اجر كريم اي ثواب خطير قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في ابي الدحداح وقد ذكرنا قصته في سورة البقرة • وقوله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم اي حصل هذا الاجر الكريم اليهم يوم القيامة وهو يوم يسعى للمومنين من الرجال والنسا
نورهم بين ايديهم الى الجنة وبايمانهم • قيل لان اليمين طريق الجنة • وقيل بايمانهم فيها نورهم اذا توجهوا الى
الجنة صار بين ايديهم بشراكم اليوم اي يقال لهم لكم البشرى اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم اي الخلاص عن كل مرهوب والظفر بكل محبوب • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو النور
يكون على الصراط • وقيل في عرصة القيامة والنور هناك الانوار الايمان والطاعة وكل يعطى نورا على قدر عمله
وقوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا اي ويكون هذا للمومنين في اليوم الذي يتوجه
المومنون والمنافقون يمشون في نورهم يتبعا فيسرع المومنون بقوة ايمانهم فيتباعد المنافقون عنهم بالتخلف
فيستطع نورهم فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا ناخذ حظا من نوركم قيل ارجعوا وراكم قال
بعضهم تقول لهم الملايكة • وقال بعضهم تقول ذلك المومنون ارجعوا خلفكم فالتمسوا نورا اي فاطلبوا الانعكس
نورا فانا حملناه من ثم فيظن المنافقون انهم اخذوا النور من موضع هنالك ولا يعلمون انهم يريدون انا حملنا
هذا النور من الدنيا بالايمان والطاعة يريدون بقولهم ارجعوا وراكم التوبيخ دون التوا التحقيق للامر بالرجوع
فينطلق المنافقون ينظرون الى موضع النور في زعمهم فضرب بينهم بسور • قيل اي جعل بين الفريقين حايط
وقيل هو حاجز • وقيل هو الاعراف له باب قيل هو باب خفيفة • وقيل طريق باطنه فيه الرحمة اي مما يلي المومنين
ينادونهم الم نكن معكم في الدنيا في المنازل والمساجد نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون قالوا بلى كنتم معنا في الظاهر
دون الباطن ولكنكم فتنتم انفسكم • وقيل اهلكتم • وقيل اثمتم وتربصتم اي انتظرتم بالنبي صلى الله عليه وسلم
والمومنين الدواير كما قالوا نتربص به ريب المنون • وقيل تربصتم اي دافعتم بالايمان بالله ورسوله على الاخلاص
وقيل اخرتم التوبة وارتبتم • قيل اي شككتم في البعث • وقيل اي في حقية الاسلام • وقيل حملكم شوم
العصيان وتاخير التوبة الى ان شككتم في الله وكفرتم بعد الاسلام وغرتكم الاماني اي اغتررتم بامانيكم الكاذبة
حتى جا امر الله اي بالموت وغركم بالله الغرور وقد كان غركم الشيطان الغرور بالله بان اطمعكم في النجاة
والحظاء والدرجات كما اخبر الله عن بعضهم ولين رددت الى ربي الاية ولين رجعت الى ربي الاية فاليوم لا يوخذ
منكم فدية اي لا تكونوا الا ان تعطوا فلا يوخذ لكن لا يوخذ لما انه لا يكون ولا من الذين كفروا ماواكم النار اي
مصيركم هي مولاكم اي اولى بكم وبئس المصير النار • وقيل اعطا في الابتدا وسلبه في الانتها هو شر انتها هو
وتحقيق قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم [illegible] • وقوله تعالى الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله اي الم يحن وقتها • قيل هو خطاب للذين امنوا من اهل الكتاب
ورسلهم يقول لهم الم يان لهم ان تخشع قلوبهم اي تلين لذكر الله اي لوعظ الله وما نزل من الحق اي
القران على محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل اي اليهود والنصارى فطال عليهم
الامد اي الزمان بينهم وبين نبيهم • وقيل اي وقت الجزاء • وقيل اي مجي القيمة • فقست قلوبهم اي غلظت
ويبست وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعة الله تعالى • وقوله تعالى في اول الاية للذين امنوا اي
للايمان المطلق الصحيح بايمانهم بكتابهم ونبيهم لا غير وعلى هذا ما ذكر في اخر السورة يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وامنوا برسوله وهو معنى قول الكلبي رحمه الله الم يان للذين امنوا في العلانية ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وانما وجوه ذكرها المفسرون • وقال مقاتل كان المنافقون لا توق قلوبهم لذكر الله والقران فقست
قلوبهم فلم يكن الا قليل منها اخلصوا بعد نفاقهم • فقال ابن مسعود رضي الله عنه ملّ اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا قصة فانزل الله تعالى قوله نحن نقص عليك احسن
القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا ووعظتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا الاية • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ان الله تعالى استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة سنة من نزول القران فقال
الم يان للذين امنوا • وقال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين
فجعل المومنون يعاتب بعضهم بعضا • وقال الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرون من القران اقل
مما يقرون فانظروا في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسوق • فقست قلوبهم لما اعطوا من النعم والبلوا
من العافية • وروي انه كان في جماعة منهم مزاح فعوتبوا عليه فبكوا فما عتبوا ربهم • وقال محمد بن كعب
كانوا بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابهم النعم ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فينبغي للمومنين ان يزدادوا
يقينا واخلاصا وخشوعا في صحبة الكتاب • وقال ابن كيسان الم يان للذين امنوا هذا لبعض المومنين

المعنى وم
اي بعد

لهم
معلنين

فقد وصف الله تعالى قوما فقال اذا الذين هم من خشية ربهم مشفقون • وقال واخبتوا الى ربهم وكان فيهم مقترون فاستفتحهم الله تعالى لهذه الاية • وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قرئ بين يديه هذه الاية وعنده قوم من اليمن فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم ابو بكر فقال هكذا كنا حتى قست القلوب • وكان فضيل بن عياض من اهل الدنيا واهل الدعارة كما قيل فسمع انسان يوما يقرا هذه الاية فقال بلى آن وجاوز الحد وكان ذلك سبب توبته وقوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها • قال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها وهو وجه النظم • وقيل هو يحيي الارض بعد موتها فيحيي الخلق بعد موتهم فيجزي كلا بعمله ولا يسوي بين الخاشع والقاسي وقيل هو ترغيب الكفار احياء الخلق بعد الموت • وقيل هو حث اهل الكتاب على تدبر القرآن ليحيي قلوبهم قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي ليتدبروا فيعرفوا ان المصدقين والمصدقات • قرا ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر بالتخفيف للصاد فهو من التصديق • وقرا الباقون بتشديد الصاد وهو من التصدق بادغام التاء في الصاد واقرضوا الله قرضا حسنا عطف الفعل على الاسم ان تقديره ان الذين تصدقوا او صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا وعلى قراءة التشديد الصدقة على الفرايض والاقراض على النوافل • وقيل القرض في كل فعل حسن • قال الشاعر واذا اجزيت قرضا فاجزه انما يجزي الفتى ليس الجمل يضاعف لهم ولهم اجر كريم فسرناه في اول هذه السورة • وقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ان حمل هذا في اهل الكتاب كما مر في الاية الاولى فمعناه اولئك المبالغون في الصدق صدقوا بالكتاب الاول والرسول الاول وبهذا الكتاب وبهذا الرسول والشهداء عند ربهم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس وان حمل على كل مؤمن فهو من الصديقين ايضا لصدق ظاهره وباطنه وقوله وعمله وهو من الشهداء ايضا لانه من هذه الامة وقد قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس • وقيل عند قوله اولئك هم الصديقون وقف وبعده ابتداء والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم اي الشهداء في سبيل الله لهم يوم القيامة اجرهم • وقيل هما موصولان والشهادة صفة الكل • قال الحسن رحمه الله ما سال الله عبد الشهادة مخلصا من قلبه فمات على فراشه الا كان شهيدا ثم هذه الاية والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هم الذين خالفوا الاولين في الصفة فخالفوهم في الجزاء • وقوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وهو في الحث على الجهاد بالنفس والمال كما تقدم فان القاعد عنه لا يكون الا لحب الحياة الدنيا • وقيل هي في خطاب المشركين المكذبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلا منهم الى بقاء الرياسة لهم على اتباعهم وتعززا بهم وتكثرا باموالهم وتفاخرا باحوالهم فبين ان ذلك كله لعب ولهو لا حقيقة له • وقيل لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان • وقيل هذه احوال مترادفة للانسان الى اربعين سنة كل صفة لثمان سنين لعب ثمان سنين • ولهو ثمان سنين وزينة ثمان سنين وتفاخر ثمان سنين وتكاثر ثمان سنين فان تامل وتنبه وصلح عند كمال عقله وتزود لمعاده • والا فقد خسر خسرانا مبينا وضل ضلالا بعيدا • وقوله تعالى كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار اي الزراع جمع كافر وهو الزارع سمي به لانه يكفر البذر في الارض اي يستره • وقيل خص الكفار لانهم ينكرون الاخرة فلا يعرفون الا العاجلة فهم بها اعلق وهي لهم اروق نباته اي النبات الحاصل بالغيث ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا ثم يكون حطاما هشيما متكسرا هذه عاقبة الدنيا لاهلها ومثال احوالها وفي الاخرة عذاب شديد لمن رغب في الحياة الدنيا فشغله ذلك عن الاخرة ومغفرة من الله ورضوان لمن تزود منها للاخرة وما الحياة الدنيا لمن يركن اليها الا متاع الغرور متعة يتمتع بها ويهلك بها • وقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم اذا علمتم حال الدنيا فلا تركنوا اليها واذا اخترتم الاخرة فمن له المغفرة فبادروا الى طلب ما اوعدت المغفرة عليه • قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض والى الجنة طلب جنة عرضها اي سعتها كسعة السماء والارض • قال الحسن اي كسعة جميع السموات والارض كلها اذا بسطت كل واحدة الى صاحبتها • وقيل هذا عرضها ولا شك ان طولها ازيد منهما • وقيل هو وصف لها بغاية ما يعرفونه من السعة تقديرا لذلك في افهامهم وتكثيرا في اوهامهم وبسطا من املهم ومرامهم اعدت اي هيئت هذه الجنة للذين امنوا بالله ورسله اي بجميعهم ولم يفرقوا بينهم كاليهود والنصارى ذلك فضل الله اي عطاء هذه الجنة بفضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون كما اخبر والله ذو الفضل العظيم وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وهذا امر بالحث على الجهاد ايضا كما مر تقول ما اصابكم من مصيبة في الارض من الجدب ونقصان الثمر وذهاب الاموال وفي انفسكم بالموت والاسقام الا وهو مما قضى الله به واثبته عنده في كتاب • قيل هو اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها اي من قبل خلق الارض والانفس ان ذلك على الله يسير اي سهل لا يتعذر على الله شيء ولا يرد هذا القضا

حيلة مختال ولا فخور فلا تتخلفوا عن الجهاد لكي لا تاسوا على ما فاتكم اي فعلت ذلك واخبرتكم به لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولان لا تبطروا على ما اعطاكم ولا يحملكم الحزن على الفايت على الشكوى من الله تعالى ولا الفرح بالنعمة على الاستكثار منها فتقعوا في الطغيان والله لا يحب كل مختال فخور الذي يتعظم على الفقراء ويفخر بالنعماء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل جمع بعد التوحيد لان ذلك عام معنى يدخل كل عليه ومن يتول اي عن الجهاد والانفاق في سبيل الله فان الله هو الغني عنه وعن كل خلقه الحميد المستحق للحمد اي ليس امره بالجهاد والانفاق لحاجة بل للابتلاء والاكرام العبد بحسن الجزاء • وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه كتب الله قبل ان يخلق الخلق والارض ما يصيبه الناس فيها من خير وشر امضاء منه لهم ليعلموا انتقال الاحوال وتعاقب المحنة والمحنة انها غير دايمة فلا تحزنوا على ما فاتكم من حظ ولا تفرحوا بما اتاكم من فايدة فمن لم يعلم ان كل شيء يعطاه من نجح وانه كل حزن يصيبه زايل فذلك مختال فخور والله لا يحب المختال الفخور • وعن ابن مسعود رضي الله عنه لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان • وقال قتيبة بن سعيد دخلت بعض احيا العرب فاذا انا بفضا في الارض مملو من جيف الابل الموتى بحيث لا احصي عددهم فسالت عجوزا لمن كانت هذه الابل فاشارت الى شيخ على تل يغزل الصوف فقلت يا شيخ الك كانت هذه الابل فقال كانت باسمي قلت فما اصابها قال ارتجعها الذي اعطاها قلت وهل قلت فيه قال نعم •
عصر الا الذي انا عبد صيد من خلا يعده • والمرا في الدهر نصب الرزايا والمحن • ما سر في ان ابلي بما زكها وما جرى من قضا الله لم يكن • وقال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يبخلون ابتداء ونزلت في شان اليهود يكتمون بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ويامرون الناس بكتمان ذلك مخافة ان يذهب ما كلهم من السفلة ومن يتول يعرض عن الايمان فان الله تعالى غني عن العباد الحميد في افعاله • وقال الحسن رحمه الله انهم يبخلوا بحق الله تعالى في اموالهم ويامرون الناس بذلك اهل دينهم ومن يتول عن الله ورسوله فيما دعاهم اليه فان الله غني عن عباده لم يكلفهم لحاجة اليهم حميد عند خلقه فيما يعطيهم من نعمه • وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه الذين يبخلون بالعلم لا يعلمونه الناس ويامرون الناس بذلك • وقال عبد الله بن المبارك لا تبخلوا بالعلم فانه من بخل بعلمه ابتلي بثلاث بذهاب كتبه او نسيه او في حبس او يبتليه السلطان • وقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالشرايع الواضحة وانزلنا معهم الكتاب اي الكتب فيها بيان اصول الشرع والميزان اي والة التعامل التي تعرف بها التناصف ليقوم الناس في معاملاتهم بالقسط اي بالعدل وفي ذلك تمام المصالح فالكتاب لمصالح الدين والميزان لمصالح الدنيا وانزلنا الحديد فيه باس شديد اي وخلقنا الحديد آلة للقتال واقامة للسياسة ليكف به المجاوز ويقسطه عن ظلمه • وقيل انزل الله تعالى مع ادم عليه السلام الكلبتين والمطرقة والمنافع في الحديد سوى امكان القتال به انه لا بد منه في كل شيء من الصناعات حتى صناعة الحديد وذلك قوله تعالى فيه باس شديد وهو القتال ومنافع للناس وهو ما قلنا وهو متصل بما مر من الحث على الجهاد وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وليظهر الله للعباد من ينصر دين الله تعالى بالقتال عنه • وقيل ليعلم اولياء الله • وقيل ليعلم الله موجودا ما علمه في الازل انه يوجد بالغيب اي تصديقا بما وجد عليه بالغيب • وقيل يعيبه من يراه اي يفعله من اخلاص لا كالمنافق يفعله اذا راه الناس ولا يفعله اذا غاب منهم والواو في وليعلم اما ان يجعل مقحما او يراد في اخره وليعلم ذلك ان الله قوي عزيز اي قوي على مجازاة من اخلص منهم ومن نافق عزيز منيع لا يغالب ولا يعارض فيما يريده من ذلك • قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وهذا تفصيل بعض الاجمال وشرح هذا التفصيل في سورة الانعام في قوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم الايات • وقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي وجعلنا بعضهم انبياء وبعضهم امما يتلون الكتاب فمنهم مهتد اي فاهتدى بعضهم وثبت على دينه وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطاعة ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي اتبعناهم بعدهم واحدا بعد واحد من الرسل وقفينا بعيسى ابن مريم اتبعناه بعدهم واتيناه الانجيل اي اعطيناه واوحينا اليه وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة اي امنوا به ورحمة • قيل اي امروا في الانجيل بالصفح والاعراض من مكافاة الناس عن الاذى • وقيل لهم من لطم خدك الايسر فول له خدك الايمن ومن اراد ان يسلب رداءك فاعطه قميصك ولم يكن قصاص على جناية في نفس او طرف فاتبعوا هذا الا وامروا اطاعوا الله وكانوا متوادين متراحمين متعاطفين • وقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ليس هذا بعطف على ما مضى بل هو استيناف ومعناه ابتدعوا رهبانية ولزوم صوامع وتشديدا على انفسهم ما كتبناها عليهم اي ما اوجبنا عليهم تلك الرهبانية الا ابتغاء رضوان الله هذا استثناء منقطع بمعنى لكن اي لكنهم كما امرناهم بان يبتغوا رضوان الله • وقيل اي ما ابتدعوها الا ابتغاء وما اتوا عليها بل تنصر كثير منهم وتركوا الحق وثبت

بعضهم على الحق فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم اي الذين ثبتوا على الايمان والحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعة الله وفيه دليل على ان الشروع في نفل العبادة ملزم وان من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله عز وجل فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرت علينا هؤلاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآيات ورهبانية ابتدعوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد هل تدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة في الجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على البلاغ • وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله • قيل يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤتكم كفلين من رحمته قال ابن عباس اي اجرين بايمانكم بمحمد وبمن تقدم من الرسل والكفل الحظ ويجعل لكم نورا تمشون به اي يوم القيامة يسعى بين ايديهم الى الجنة ويغفر لكم ذنوبكم السالفة قبل الايمان بمحمد والله غفور رحيم • وقيل ويجعل لكم نورا في الدنيا باتباع القرآن تمشون به في الناس يدعوهم الى الاسلام ويكونون رؤساء ائمة في الاسلام ولا تفوتكم تلك الرياسة التي كنتم تخافون فوتها وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل آمن بالكتاب الاول والكتاب الآخر ورجل كانت له امة فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها وعبد مملوك احسن عبادة ربه واطاع سيده وقال الكلبي رحمه الله هؤلاء اربعة وعشرون رجلا قدموا من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانوا على دين الانبياء فاسلموا فقال لهم ابو جهل لعنه الله بئس القوم انتم والوفد فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق فجعل الله لهم اجرين اجرا بكتابهم الاول واجرا بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك عبد الله بن سلام واصحابه قالوا نحن ايضا اهل الكتاب اليس لنا اجران مثل ما لهم قالوا بلى فجعلوا يفخرون على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن افضل منكم لنا اجران ولكم اجر واحد فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله تقول اطيعوا الله وآمنوا برسوله محمد يؤتكم كفلين من رحمته يعني اجرين ويجعل لكم نورا تمشون به على الصراط ويغفر لكم الآية • وكتب عمر رضي الله عنه الى اسقف يسأله عن الكفل عندهم في كتابهم فكتب هو عندنا ثلاث مائة وخمسون ضعفا فقال عمر الله اكبر لقد فضلنا الله عليكم بكفل • وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لا تجد قدم عن موضعه فاعيد بعد في موضعه ان لا يقدرون فصار تقديره ليعلم اهل الكتاب • قيل ان اهل الكتاب كانوا يفضلون انفسهم على سائر اهل الاديان بسبب الكتاب فاعلم الله هؤلاء الذين خاطبهم بقوله اتقوا الله وآمنوا برسوله انكم اذا آمنتم بمحمد آتاكم في الاجرة ضعف ما اوتي المؤمنون بموسى وعيسى اذا ماتوا قبل تبديل ذلك الدين الحق بالنصرانية واليهودية ولم يدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا به ليعلم اهل الكتاب ان من اجتمع له الايمان بالكتابين افضل عند الله ممن انفرد بالايمان بكتاب واحد ويكونوا تقديره يؤتكم كفلين من رحمته ليعلم اهل الكتاب انه لا قدرة لهم على شيء من فضل الله تعالى حتى خصوا انفسهم على غيرهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل في النصارى الذين اسلموا اولئك يؤتون اجرهم مرتين شق ذلك على المؤمنين المسلمين وقالوا يا رسول الله ان كان القوم ادركوا الكتاب الاول والكتاب الآخر ولم ندرك فلهم اجران ولنا اجر واحد فانزل الله تعالى هذه الآية يقول ان الاجرين لهم لا لانهم افضل منكم ولكن فضل مني والى فضلي من اشاء والله ذو الفضل العظيم

سورة قد سمع الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله سامع البث والشكوى • الرحمن عالم السر والنجوى • الرحيم سارع البر والتقوى • روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ قد سمع الله كان يوم القيامة من حزب الله • وهذه السورة مدنية الا قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية فانها مكية وهي عشرون آية واربع آيات واربعمائة وخمس واربعون كلمة • والف وتسعمائة وخمسة عشر حرفا والانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة انهما جميعا بذكر الثناء على الله بفضله على عباده

والنظام للسورتين ان تلك في امر المؤمنين بجهاد الكافرين والانفاق على المجاهدين • وهذه السورة في تخفيف الاحكام على المؤمنين وتشديد الوعيد على الكفار والمنافقين • وقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها • قال مقاتل رحمه الله هي خولة بنت ثعلبة بن قيس بن اصرم الانصاري كانت تحته وكانت حسنة الجسم فرآها اوس ساجدة في صلاتها فنظر الى عجزها فاعجبه فلما انصرفت من الصلاة ارادها فابت عليه فغضب عليها وقال انت علي كظهر امي فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وقالت هل من شيء يجمعني واياه وكان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية وكان شيخا كبيرا محتاجا ذا عيال فاتت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فطلبت الرخصة • وفي رواية قالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما كبر سني ونثرت بطني جعلني عليه كامه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه وفي رواية قال انت كما قال وفي رواية قال لم اومر فيك بشيء فعادت المسئلة قولها مرارا وقالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وقالت اللهم اني اشكو اليك ما لقيت من زوجي • وفي رواية محمد بن كعب القرظي كان هذا اول ظهار في الاسلام فلما قال لها انت علي كظهر امي ندم على ذلك وقال لها ما اراك الا حرمت علي واني لاستحيي ان آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله من هذا فانه فقالت ان اوس بن الصامت ابو ولدي وابن عمي واحب الناس الي ظاهر مني وما ذكر طلاقا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت لا تقل ذلك يا رسول الله فاعادت عليه مرارا فوطاتها قالت اللهم اشكو اليك وحشتي وفراق زوجي ووجدي به فانزل الله تعالى هذه الآيات • وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما قالت يا رسول الله لما كبرت سني ورق عظمي واقترب اجلي وناداه اهلي ظاهر مني • وقالت عروة كانت امرأة لم فاذا اشتد لممه ظاهر من امرأته • وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت تبارك الذي وسع سمعه الاصوات اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل صلوات الله عليه بهذه الآيات واختلفت الروايات في اسمها ونسبها • قيل خولة بنت ثعلبة • وقيل خولة بنت خويلد • وقيل خولة بنت الصامت • وقال ابو العالية خولة بنت دليج وقال الشعبي اسم خولة معاذة • وقيل جميلة • وقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي قد سمع الله كلام المرأة التي تخاصمك في زوجها اي فيما تريد ان لا يحرم على زوجها كقوله يجادلنا في قوم لوط اي فيما تريد ان لا ينزل بهم العذاب كانت تقول انظر في شأني يا رسول الله جعلني الله فداك وتشتكي الى الله الوجد الذي في قلبها بسبب هذه الحادثة والله يسمع تحاوركما اي تراجعكما الكلام خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وتلك المرأة اي لا يخفى على الله شيء من ذلك وان كان على السر ان الله سميع بصير لا يخفى عليه شيء من المسموعات والمرئيات • قال الامام القشيري رحمه الله لما صدقت في شكواها الى الله تعالى وايست من كشف ضرها من غير الله انزل الله تعالى في شأنها قد سمع الله تضرعت الى الله تعالى ورفعت قصتها الى الله وبثت غصتها بين يدي الله تعالى فنظر الله اليها وقال قد سمع الله وصارت واقعتها فرجا ورخصة للمسلمين في مسئلة الظهار الى يوم القيامة ليعلم العالمون ان احدا لا يخسر على الله تعالى وقوله تعالى الذين يظهرون منكم من نسائهم • قرأ عاصم برفع الياء وتخفيف الظاء من المظاهرة • وقرأ عبد الله بن كثير وابو عمرو ونافع يظهرون بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الف • وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون بتشديد الظاء وزيادة الالف بفتح الياء وهي لغات في معنى واحد اي الذين يقولون لزوجاتهم يقول الواحد منهم لامرأته انت علي كظهر امي فيشبهها بظهر امه في التحريم منكم اي من جماعتكم ايها المؤمنون ما هن امهاتهم اي ليس امهات لكم ولا يصرن امهات لكم بهذا القول ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ما ام الرجل الا التي ولدته وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اي المظاهرون يقولون كلاما ينكره الشرع ولا يرضى به وزورا اي كذبا باطلا وان الله لعفو اي عن ذنوب عباده اذا تابوا منها غفور يسترها عليهم بعد التوبة فلا يفضحهم بها ولا يعاقبهم عليها والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا من نسائهم اي منكوحاتهم الحرائر والاماء ثم يعودون لما قالوا اختلف في معنى العود منها التعلق وجوب الكفارة به • قال قتادة رحمه الله هو العزم على غشيانها هو ان يريد جماعها • وقال الزهري وطاوس رحمهما الله هو ان يطأها • وقال الشافعي هو ان يمسكها بعد الظهار ولا يحرمها الحال بطلاق باين • وقيل ان تظاهر في الاسلام بعد ما كانوا تظاهرون في الجاهلية وهو قول طاوس ومعناه تجب بنفس الكلام بكلمة الظهار والنسفطي والحجاج الى قرينة للوجوب • وقال داود بن علي الاصفهاني هو تكرار كلمة الظهار فلا تجب بدونه عنده وقال هو المفهوم من الكلمة ظاهرا واحتج الشافعي رحمه الله بان قال العود للشيء ليس هو اعادة بل ذلك العود فيه

اوعود اليه بل العود له ابطال الحكم والاتيان بما يضاده قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اي لخالفوا ما
نهوا عنه والظهار سبب الفراق والعود له امساكها الذي يضاده • وقال اصحابنا رحمهم الله العود هو العزم
على جماعها فمتى عزم على ذلك لم يحل له حتى يكفر ولو ماتت هي بعد مدة قبل ان يكفر سقطت عنه الكفارة لفوت
العزم على جماعها • قال الشافعي رحمه الله ان العود للشيء الاتيان بما يضاده لكن ليس حكم الظهار ترك
المراة وفراقها ليكون ضده امساكها بل حكمه الامتناع عن وطيها فضده العزم على وطيها • وقد روي عن
سلمة بن صخر انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ظاهرت من امراتي ثم رايتها في ليلة
قمراء عليها خلخال فاعجبتني فواقعتها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم استغفر الله ولا تعد حتى تكفر فثبت بالعود
المذكور في هذا الحديث ان المراد به في هذه الاية هذا • وقوله تعالى فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة من قبل ان
يتماسا اي يتلاقيا بالجماع ونحوه من الدواعي ايضا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير اي هذا شيء تؤمرون به والله
خبير باعمالكم وفيه به او خالفتم فمن لم يجد اي فمن لم يملك ما يشتري به رقبة فصيام شهرين متتابعين اي فعليه
صيام شهرين متواصلين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع الصيام بمرض ونحوه فاطعام ستين مسكينا
اي فعليه ان يطعم ستين مسكينا كل مسكين نصف صاع من حنطة او صاعا من شعير او صاعا من تمر ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله اي هذا البيان لتصدقوا الله ورسوله وتقبلوا هذا الامر منه وتلك حدود الله اي هذه الاحكام
معالم شرايع الله فاحفظوها وللكافرين اي وللذين لا يقبلون احكام الشرع عذاب اليم وجيع دائم في النار في الاخرة
وعن ابي العالية قال لما قال له اعتق رقبة قال ما عندي رقبة قال فصم شهرين متتابعين فقال اني ان لم اكل في النهار
ثلاث اكلات خشيت ان يعشو بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال فاعني يا رسول الله فاعانه رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وعن عكرمة قال يا نبي الله والله ما اجد رقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا بزايدك فانزل
الله تعالى فصيام شهرين متتابعين فقال والله يا نبي الله ما اطيق الصوم اني اذا لم اكل في اليوم كذا وكذا اكلة لقيت
ولقيت فجعل يشكو الحال فقال ما انا بزايدك فانزل الله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا • قوله ان الذين
يحادون الله ورسوله اي يخالفونه ويتعدون حدود الله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم • قال قتادة رحمه الله
اخزوا • وقيل اذلوا • وقيل صرعوا • وقيل قهروا كما كبت الذين من قبلهم اي كما فعل بالكفار الماضين بسبب
المخالفة والمعادات للنبيين • وقال الفراء كبتوا اغيظوا واحزنوا • وقال ابو سعيد كبوا على وجوههم • وقال
الخليل صرعوا • وقال ابو عبيدة هو في الاصل كبدوا اي ضربوا على اكبادهم ومعنى
الاية الكلمة يكبتون لكن ذكر بصيغة الماضي تقريبا للمخبر عنه كما يقال بلغنا المنزل واياك العجل ونحو ذلك وهذا
بشارة للمومنين بنصرهم واهلاك الكافرين • وقوله تعالى وقد انزلنا ايات بينات اي وقد وضحنا الادلة
والعلامات على ذلك بما انتقمنا من وقايعنا بالماضين • وقيل وقد انزلنا في القران ايات بينات فيها حدود
الله تعالى واحكامه فالزموها ولا تتعدوها • وقيل كما كبت الذين من قبلهم يكبت هؤلاء يوم بدر • وقيل
يوم الخندق وللكافرين عذاب مهين • قيل وللجاحدين هذه الايات • وقيل للكفار كل عصر • وقوله تعالى يوم
يبعثهم الله جميعا الرجال والنساء • وقيل الاولين والاخرين • وقيل المحادين الله ورسوله في هذا العصر
والاعصار الخالية فينبئهم بما عملوا اي فيخبرهم بما عملوا من محادة الله ورسوله احصاه الله ونسوه اي حفظه
الله يعني صغار اعمالهم وكبيرها ودقيقها وجليلها ليجازيهم بها ونسوهم ذلك لجحودهم ونسوه اي تركوه
استخفافا به لم يحافظوا احصاه الله وحفظه والله على كل شيء شهيد لا يخفى عليه شيء فهو شاهد عليه ليجزيهم بها
وهذا وعيد شديد • وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني الم يعلم علما يقوم
مقام العيان استفهام بمعنى التقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه شيء
من ذلك ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم اي مونسا مع نجواهم ولا يغيب ذلك عنه ولا خمسة اي
ولا نجوى خمسة هو سادسهم ومساريهم الا هو سادسهم يسمع نجواهم ولا ادنى من ذلك اي ولا اقل من ذلك
وهو نجوى اثنين ولا اكثر من خمسة • وقرا يعقوب ولا اكثر بالرفع وعلى هذا ولا ادنى يكون رفعا وتقديره
ولا يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم اي علما وسماعا لا مكانا فان الله تعالى يتعالى عن ذلك علوا كبيرا • وقيل
ما يكون من نجوى ثلاثة هي الروح والقلب والنفس ولا خمسة هي الحواس الخمس ولا ادنى من ذلك هو القلب
وحده ولا اكثر من ذلك هي الاعضاء السبعة اي ما تكون انت في شيء الا انا شاهدك وعالم بظاهرك
وباطنك ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة اي يخبرهم ان الله بكل شيء عليم • قيل هذه الاية متصلة بالتي بعدها
على ما نبين • وقيل نزلت في صفوان ورجلين من ثقيف وقد بينا القصة في سورة حم السجدة • وقوله تعالى
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي الم تر يا محمد الى الذين نهوا عن النجوى اكثر المفسرين على انهم اليهود دخلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فلعنتهم عايشة رضي الله عنها فقال عليه السلام اني لم ابعث
فحاشا وان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الم تسمعي

اي يبعثهم هذا العذاب يوم يبعثهم من قبورهم جميعا

الم تسمعي اني رددت عليهم فقلت وعليكم وانما يجاب عليهم ولا يجابون علينا فانزل الله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله • وقيل
كان المنافقون يتناجون بينهم وينظرون الى الرجل من المسلمين ليظن ان مناجاتهم في امره وانهم قد اخبروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنه بسوء • وقيل كان المنافقون واليهود اذا راوا رجلا قد غزا له حميم في بعض السرايا تناجى
الاثنان منهم ونظرا الى المسلم ليقع في قلبه ان صاحبه الغازي قد قتل او اسر وكذلك كانوا يفعلون اذا خرجوا من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يتناجون فيظن المسلم انه قد بلغهم فيه شيء فلما طال ذلك على المسلمين
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا فيما بينهم دون المسلمين فلم ينتهوا فانزل الله تعالى
هذه الاية • وقيل كانوا يتناجون حيث يشاهدهم المومنون بسوء التدبير على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
فنهوا عنه فلم ينتهوا فنزلت الاية الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون اي فيما بينهم
بالاثم اي بما يوثمهم من ادخالهم على المومنين والعدوان اي الظلم ومجاوزة الحق ومعصية الرسول اي بمعصيتهم
الرسول ومخالفتهم اياه وقد بينا من فيه كادوا برزوا في قتاله حين خرج اليهم مستعينا بهم تحملا له على ما بيناه في سورة
المايدة عند قوله فكف ايديهم عنكم واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله لان الله تعالى حياه بالسلام وهؤلاء
حيوه بالسام وهو الموت فكانهم قالوا الموت عليك ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا
بتحيتنا هذه له ان كان رسولا • وقيل اراد وانه يقول لهم عليكم فيدعوا علينا بالموت فلم لا يستجاب دعاؤه فينا
ان كان نبيا فاجابهم الله تعالى عن هذا فقال حسبهم جهنم اي ان لم يجازهم على ايذائهم رسوله في الدنيا ولم يهلكهم
بدعاء الرسول عليهم ما جاءوه فقد اعد لهم جهنم وهي حسبهم فلا عذاب اشد من عذابها يصلونها اي يدخلونها
فبيس المصير • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
وهذا نهي للمومنين عن الاقتداء باليهود والمنافقين بالتناجي وتناجوا بالبر والتقوى وهذا امر بالتناجي
بما يودي الى الطاعة وترك المعصية ونفع المسلمين ودفع الضرر عن المومنين وهو كما قال لا خير في كثير من
نجواهم الا من امر بصدقة الاية واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير
او شر انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا اي يامر الشيطان بذلك ليدخل به غما في قلوب المسلمين من
الوجه الذي قلنا • وقال الحسن كان الرجل ياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستخليه لحاجة فكان
الشيطان يوقع في قلوب المسلمين الخوف ان هذا انما خلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعضكم عنده • وفي حديث
عبد الرحمن بن زيد رحمه الله وكان الشيطان ياتي القوم فيبلغهم انما تتناجون في امور حضرت وجموع قد جمعت
لكم واشيا فنزلت انما النجوى من الشيطان الاية اي انما يضرهم لما اذن الله فيه ان يكون ضارا لهم فاما الشيطان
فلا يقدر على ضرر بنفسه وكذلك هؤلاء المتناجون من اليهود والمنافقين • وقيل الا باذن الله اي الا بتخلية الله
اياه والشيطان الملكه وقطع عن ضرره الا انه خلاه امتحانا للعباد • وقيل باذن الله اي بعلم الله يعني ما بنا المومن
من الحزن والاذى والكراهة فذلك بعلم الله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون • وقيل باذن الله اي ما كان من مناجاة بعضهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] المومنين لا يضرهم ذلك [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] الا باذن الله تعالى [illegible]
والتعزير والغرامة وعلى الله فليتوكل المومنون فلا يهمهم ما يتناجى هؤلاء المتناجون • وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس قرا عاصم في المجالس جماعة والباقون في المجلس على الواحد • قال
مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد هو مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وهو متصل بما قبله وان اذا جاءوك
حيوك بما لم يحيك به الله فنبههم بما يترك احترامه وامر المسلمين بان يستعملوا في مجلسه ما يعود الى التكلفة
واعظامه والى المعاملة اهل مجلسه بالمجاملة وبما يدل على سعة النفس وطيبة الخلق عند المزاحمة • قال واذا
قيل لكم تفسحوا في المجالس اي توسعوا والتفسح التوسع والفسح الواسع • وقوله تعالى فافسحوا يفسح
الله لكم اي وسعوا المكان لمن حضر يفسح الله لكم منازلكم في الجنة • وقيل في قبوركم واذا قيل انشزوا فانشزوا
وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بضم الشين فيهما والباقون بالكسر فيهما وهما لغتان كما في قوله يعرشون
ويعكفون يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اي يرفع الله درجات من فعل ذلك
في الجنة وانما ذكر الايمان والعلم [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
بما تعملون خبير [illegible] • وقيل في قوله واذا قيل لكم انشزوا
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

الايمان والعلم بهذا الكلام لان معناه اذا رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم احدكم فليرتفع فانما يفعل ذلك بامر الله تعالى بيانا لدرجة علمه وايمانه • وقيل واذا قيل لكم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماع العلم انشزوا وارتفعوا لغزو او خير فبادروا ولا تتثاقلوا اعتلالا بالمضي بمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلم والايمان يوجب المسارعة الى الايتمار • وقيل الخطاب لقوم من اهل الشرف يسبقوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يحضر الفقرا فكرهوا ان يزاحموهم فندبوا الى التوسعة لهم واخبروا ان الرفعة بالعلم والايمان لا بالشرف والمال ومن قرا في المجالس فهي المجالس المختلفة من مجلس الذكر ومجلس القتال ومجلس الصلاة اي لتفسحوا في اي مجلس كان من ذلك • وقيل اريد به مجلس كل واحد في نفسه وهم في مجلس واحد • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في ثابت بن قيس بن شماس اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس والمجلس غاص باهله وهو يقول توسعوا وتفسحوا وكان في اذنه وقر واحب ان يدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى رجل امام النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفسح له فذكر امه فنزلت فالرجل الذي لم يفسح له هذه الاية فندم الرجل وندم ثابت • وقال مقاتل بن حيان ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصفة في مكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا اناس من اهل بدر يومئذ وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسعوا لهم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان فلم يزل يقيمهم حتى اقام عدة من الناس فشق ذلك عليهم على قيامهم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم تزعمون ان صاحبكم هذا يعدل بين الناس فوالله ما رايناه عدل على هولاء قوم اخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم فاقامهم واجلس من ابطا عنه مكانهم وكان ذلك يوم الجمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك رحم الله رجلا تفسح لاخيه فكانوا يقومون بعد ذلك سراعا ويفسح القوم لاخوانهم فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قاتل المشركين وصف اصحابه للقتال تشاحوا في الصف الاول ليكونوا في اول القوم فكان الرجل منهم ياتي الى الصف الاول فيقول لاخوانه تفسحوا لالقى العدو واصيب الشهادة فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد والشهادة الذي يصيبونها فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال الحكم بن عيينة في قوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع الله العالم على الذي لا يعلم سبعين درجة الله اعلم بما بين كل درجتين وان العالم يستغفر له كل شي حتى الحوت والطير في جو السما • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ثم ان الله تعالى اراد ان يقطع المنافقين عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم بنزول لما كان الشيطان يحزن به المؤمنين منها بان يعظم المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تناجوه في مهم من امور الدين فاوجب على من اراد منهم مناجاته تقديم صدقة فقال اذا ناجيتم الرسول اذا اردتم مناجاته فقدموا قبل مناجاتكم اياه صدقة ذلكم خير لكم في دينكم لما فيه لؤيد من الثواب واطهر لكم من الذنوب ويكون كتقديم الوضوء على الصلاة فان لم تجدوا ما تتصدقون به فان الله غفور رحيم لا يكلفكم شططا فناجوه في المهم من امر الدين من غير تقديم صدقة ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اشق عليكم ان تقدموا طهرة بين يدي مناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشفاق كالخوف من المكروه ويحتمل ان يكونوا اشفقوا من ان تفتقروا في تقديم الصدقة في بعض حوايجهم التي يحتاجون فيها الى مناجاته فتاثموا او تكثر حوايجهم فلا يمكنهم دفع كثير منها اليه اذا لم يجد فلما تقدموا له وشق ذلك على بعضهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم اي خفف عنكم وازال عنكم هذا الفرض فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة اي دوموا عليهما واطيعوا الله ورسوله في ساير الاوامر والنواهي وحقيقته تاب الله عليكم في هذه المواضع ازال عنكم حكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة لكن قال المؤاخذة بالذنب على التائب والله خبير بما تعملون وهذا وعد ووعيد • وقيل واطيعوا الله ورسوله ولا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى • قال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار حتى نسخت • وقال مقاتل بن حيان كانت عشر ليال ثم نسخت • وقال علي رضي الله عنه هذه اية من كتاب الله تعالى ما عمل بها احد من قبلي ولا بعدي وكان لي دينار فبعته بعشرة دراهم وتصدقت بها وسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسايل فاجابني عنها قلت يا رسول الله ما الصلاح قال التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله قال الله تعالى واوفوا بعهدي قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله تعالى • قلت وما الحق قال الاسلام والقران والولاية اذا انتهت اليك قلت

وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت كيف ادعوا الله قال بالصدق واليقين
قلت وما اسال الله تعالى قال العافية قلت وما اصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال
الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله تعالى فلما فرغت منها نزل نسخها • وقال ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي رضي الله
عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزوج فاطمة واعطا الراية يوم خيبر واية النجوى
وقوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم الذين تولواهم المنافقون قوما قد غضب الله عليهم
من اليهود ما هم اي المنافقون منكم مسلمين ولا منهم اي من اليهود لا يؤمنون بكتاب ويحلفون على الكذب للمؤمنين
اذا لقوهم انهم منهم ولليهود اذا لقوهم انهم منهم وهم يعلمون انهم كاذبون لانهم لا يعتقدون اسلاما ولا يهودية
وهذا نهاية الخبث وسوء الديانة اعد الله لهم عذابا شديدا اي النار انهم ساء ما كانوا يعملون بذلك استحقوا
اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله اي يجتهدون في صد الناس عن طاعة الله والايمان به والجهاد في
سبيله بالاراجيف ووجوه التخويف فاذا ظهر ذلك منهم فعوتبوا حلفوا كاذبين انهم ما فعلوا ذلك يدفعون بها
عن انفسهم ما يستوجبه عليهم من عقوبات الدنيا ولهم عذاب مهين في الدنيا والاخرة وهو ما قال لئن لم
ينته المنافقون الى قوله وقتلوا تقتيلا • وقال السدي رحمه الله نزلت في عبد الله بن نبيل المنافق من بني
عمرو بن عوف كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلس معه ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم في حجرة من الحجرات قال يطلع عليكم من هذه الحجرة الان رجل قلبه قلب
جبار وينظر بعيني شيطان فاتى عبد الله بن نبيل فمنع من ان يدخل من الباب فصعد فوق الحجرة فاطلع على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت الذي تسبني وفلان وفلان فحلف
بالله ما فعل وحلف النبي صلى الله عليه وسلم لقد فعلت ثم انطلق فجاء بهم فحلفوا له ما سبوه فانزل الله
تعالى هذه الاية • وقوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي يحلفون كاذبين ليدفعوا
القتل عن انفسهم واولادهم والاستغنام عن اموالهم ولن تغني عنهم اموالهم واولادهم يوم القيامة شيئا اذا
دخلوا النار اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا اي يوم يحشرهم الله تعالى من قبورهم
فيحاسبهم ويجازيهم باعمالهم فيحلفون له يوم القيامة ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم في الدنيا انهم ليسوا بمنافقين
ويحسبون انهم على شي ويظنون انهم على صواب من دينهم الا انهم هم الكاذبون في الدنيا استحوذ عليهم الشيطان
اي غلب واستولى عليهم فانساهم ذكر الله فهم يرتكبون المعاصي غير ذاكرين الله ومقامهم بين يديه ومحاسبته
اياهم عليها اولئك حزب الشيطان المتحزبون له المتعصبون لاوليائه المنقادون حيث يقودهم الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون اي الهالكون المكذبون ان الذين يحادون الله ورسوله اي يخالفون • وقيل يعادون
اولئك في الاذلين لا ذل منهم اي الى الذل يصيبهم الله امرهم بالسبي والقتل في الدنيا وعذاب الاخرة كتب الله
اي في اللوح المحفوظ • وقيل اي قضى وقدر لاغلبن انا ورسلي لان العاقبة المحمودة لهم في الدنيا والاخرة
وهم المنصورون بالحجة ان الله تعالى قوي لا يغلب عزيز لا يمانع • روي ان المسلمين لما راوا ما يفتح عليهم
من القرى قالوا والله ليفتحن الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون هيهات الروم وفارس ليست
كهذه القرى فنزلت هذه الاية • وقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
اي من خالف وعادى الله ورسوله ولو كانوا ابايهم الى من وهو بمعنى الجمع لانه جنس اباءهم او اخوانهم
او عشيرتهم لا تجد احدا بمعنى التفرد اي ولو وجدتهم على غير هذا فليسوا بمؤمنين لان شرط الايمان بالله محبة
الله وتحقيق محبة الله معاداة اعدايه • قال ابن مسعود رضي الله عنه ولو كانوا اباءهم كابي عبيدة بن الجراح
قتل اباه يوم احد وهو عبد الله بن الجراح او ابناءهم كابي بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز فقال
يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر
اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم كمصعب بن عمير قتل اخاه يوم احد عبيد بن عمير
او عشيرتهم كعمر وحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب الما فقال عبد الله بن عبد الله بن ابي يا رسول الله ابق فضلة
من شرابك قال وما تصنع به قال اسقي به ابي لعل الله تعالى يطهر بها قلبه فتفعل فاتى بها اباه فقال ما هذا
قال فضلة من شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال ابوه هلا
جئتني ببول امك فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ايذن لي في قتل ابي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه • وقال ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم
فصكه ابو بكر رضي الله عنه صكة سقط منها ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اوفعلته قال نعم قال
فلا تعد اليه فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته فانزل الله تعالى هذه الاية
وقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فرسخ فيها حتى استبصروا وتمحضوا له الا وطان وابذوا

العشاير والخلان وايدهم اي قواهم بروح منه اي بكتاب انزل فيه حياة لهم • وقيل اي ببرهان منه ونور وهدى وقيل اي نصرهم جبريل على كثير ممن حاربهم ويدخلهم جنات اي في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اي رضي عنهم بقبول اعمالهم ورضوا عنه اي بما اعطاهم من الثواب على اعمالهم اولئك حزب الله المتحزبون لنصر دينه وموالاة اوليايه ومعادات اعدايه الا ان حزب الله هم المفلحون الفايزون بكل محبوب الامنون من كل مرهوب •

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله مخزي الفاسقين والكفار • الرحمن معطي المهاجرين والانصار • الرحيم مميز اصحاب الجنة من اصحاب النار • روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا الحجب ولا السموات السبع ولا الارضون السبع ولا الهوا ولا الريح ولا الطير والنجوم والشجر والجبال والشمس والقمر والملايكة الا صلوا عليه واستغفروا له فان مات يوم تلاها او ليلة تلاها مات شهيدا وهذه السورة مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعماية وخمس واربعون كلمة والف وتسعماية وخمسة عشر حرفا • وانتظام اخر تلك السورة باول هذه السورة ان اخر تلك في ذكر حزب الله واول هذه في تسبيح كل الخلايق • وانتظام السورتين ان تلك اولها في تخفيف الاحكام على المؤمنين • واول هذه في التشديد في الدنيا والاخرة على الكافرين • وبقية تلك في ذكر المخلصين والمنافقين • وبقية هذه في تقسيم المخلصين وذكر احوال المنافقين • وختم تلك في مدح اوليا الله تعالى • وختم هذه في بيان اسما الله تعالى • قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو على ما فسرناه في اول سورة الحديد هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر هذا بيان قصة بني النضير واجلاهم ذكر اصحاب المغازي ان عمرو بن امية قتل رجلين من المشركين من بني عامر بن صعصعة كان قد اعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعلم فلما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لبيس ما صنعت قد كان لهما منا امان قال ما شعرت فارسل عامر ابن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس منه ديتهما فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير وكانوا حلفا لبني عامر يستعينهم في ديتهما فتوامر بنو النضير في اغتياله وكان قاعدا في نفر من اصحابه تحت ظل جدار فاراد اليهود ان يطرحوا عليه صخرة فعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه الى المدينة من غير ان يخبرهم بذلك ونهض كانه يريد حاجة فلما ابطا عليهم بعثوه فلم يجدوه الا بالمدينة وقال لهم اخرجوا من بلدي فابوا واستعدوا لذلك فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما فارسل اليهم المنافقون انا معكم ان قوتلتم وعلينا لكم النصر فلم يمكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال في دورهم وحصونهم وامر بالادنى فالادنى من دورهم وحصونهم ان تهدم وبالنخيل ان تقطع وتحرق والقى الله في قلوبهم الرعب فكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم مما يليهم والمسلمون يخربون مما يليهم حتى وقع الصلح واجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحملوا من اموالهم ما استقلت به الابل حتى كان الرجل يهدم باب داره فيحمل على بعيره فمنهم من خرج الى خيبر ومنهم من خرج الى الشام والى اذرعات وحملوا النسا والصبيان والاموال سوى السلاح وشقوا سوق المدينة في ستماية بعير يضربون بالدفوف والمزامير يظهرون التجلد وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اموالهم وسلاحهم • وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صالحه بنو النضير ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير انه والله للنبي الذي سمعنا به ووجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قابل احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين ونقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة ونزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره الله تعالى بقتل كعب بن الاشرف فقال عليه السلام لاصحابه امرني الله تعالى بقتل كعب بن الاشرف فاقتلوه وانتدب قوم فيهم محمد بن سلمة فذهبوا وقتلوه ليلا ولد قصته فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير فجاءوا وحاصرهم في رواية احدى وعشرين ليلة • وقال محمد بن اسحاق جلا بني النضير كان مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وكان فتح بني قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان واجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحمل كل ثلاثة اهل ابيات على بعير واحد ما شاءوا وما تركوا فلرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فذلك قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر • قيل ان الناس يحشرون في الاخرة الى ارض الشام فكان حشر اليهود اليها الان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر

السورة ٤

فاخبرهم بذلك وذهب محمد بن مسلمة فقال اذهب الى يهود بني النضير

بايديهم

ولخلو المدينة

يقاتلهم ولحربهم

اي سلط رسوله عليه السلام والمؤمنين على اخراجهم

ابي

الى اريحا واذرعات على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ظننتم ما كنتم تظنون ايها المسلمون ان يخرجوا اي ان يضطر هولاء الى الخروج لشدتهم وعدتهم وكثرة حلفائهم واعوانهم وظنوا اي هولاء اليهود انهم مانعتهم حصونهم من الله اي تمنعهم وتدفع عنهم حصونهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم واوليا الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم عذاب الله او اتاهم الله بعذابه من حيث لم يتوهموا وقذف في قلوبهم الرعب بسبب قتل كعب بن الاشرف وكانوا لا يقدرون ذلك في انفسهم ولا يتصورونه • وقوله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين • قرا ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون بالتخفيف • قيل هما لغتان كما يقال امهل ومهل واخبر وخبر • وقيل التخريب الهدم والاخراب ترك الساكن فيه والانتقال عنه قاله الفرا وحكاه عن ابي عمرو ومعنى الاية عند بعضهم ان اليهود كانوا ينقضون ما اعجبهم من ابنية دورهم وحسنها من الابواب والعمد ونحوها ليحملوه معهم فكان هذا تخريبا منهم بايديهم وكان المؤمنون يخربون الاول فالاول ليتمكنوا من مواضع الحرب هو معنى قول الزهري وابن اسحاق والواقدي وابن زيد • وقال عكرمة كانت بيوتهم مزخرفة فحسدوا ان تسكنها المسلمون فجعلوا هم يخربونها من داخل والمؤمنون من خارج فاعتبروا يا اولي الابصار اي تاملوا يا اولي البصاير ما نزل بهولاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولولا ان كتب اي قضى الله وكتب في ام الكتاب واجرانه سيجليهم عن ديارهم لما علم ان منهم من يؤمن او يلد مؤمنا لعذبهم في الدنيا بان يامركم بقتلهم واسرهم واسترقاقهم ولهم في الاخرة عذاب النار الذي هو اشد منه فليس تاخر العذاب عنهم للعجز لكن العذاب معد لهم في الاخرة باشد ما يكون ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اي هذا العذاب بانهم خالفوا الله وعادوه ورسوله ايضا ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب هي سنتي في جميع الكفرة • وقوله تعالى ما قطعتم من لينة • قال ابن عباس وقتادة هي كل نخلة لينة سوى العجوة • وقال سفيان هي كرام النخل واصلها الواو واحدها اللون او تركتموها قايمة على اصولها لم تقطعوها فباذن الله اي فذلك باطلاق الله تعالى لم يمنعكم عنه ولم يحرمه عليكم وليخزي الفاسقين اي وللخزا اليهود اي اذلالهم وغيظهم اذن بذلك • وقال الواقدي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على قطع نخيلهم ابا ليلى المازني وعبد الله بن سلام فكان ابو ليلى يقطع العجوة وكان ابن سلام يقطع اللون فقال لهم بنو النضير انتم مسلمون ما يحل لكم قطع النخل فاختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم نقطع وبعضهم لا نقطع فانزل الله تعالى هذه الاية ما قطعتم من لينة الوان النخيل سوى العجوة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين يقول ليغيظهم ما قطع من النخيل • وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقطع النخيل وتحريقها الا صنفا منها يقال لها العجوة شديد الصفرة يرى نواه من اللحا من اجود التمر يغيب فيه الضرس لنخلتها احب اليهم من وصيف فجزع اعدا الله عند القطع وقالوا يا محمد او وجدت فيما انزل عليك الفساد في الارض او الصلاح فاكثروا فيه القول واكثر المسلمون ندامة على قطعهم خشية ان يكون فسادا فانزل الله تعالى الاية واستوجبت ذلك كلهم منهم لحسن نيتهم في ذلك لمن ترك العجوة وهي اجود التمر فليبقى للمسلمين لمن قطعها للزيادة غيظ على الكافرين • وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب اي ما غنمتم والفي الغنيمة ترجع الى المسلمين اي رجع منهم اي من هولاء اليهود فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فلم يكن ذلك بايجافكم خيلا وركابا منكم على ذلك والايجاف تعدية الوجيف وقد وجف البعير يجف وجيفا اي سار بتحرك واضطراب واوجفه راكبه ومعناه فما ازعجتم عليه خيلا ولا ركابا ولا سيرتم اليه شيا من ذلك اي لم يحصل ذلك بسعيكم وعملكم ولكن الله يسلط رسله على من يشا اشار الى ان الله تعالى يسلط رسله عليهم بان القى رعبه في قلوبهم فهابوه واذعنوا للجلا وتركوا الاموال فهي بسلطان الرسول عليهم بتسليط الله تعالى وذلك سنته في رسله الماضين كان يسلطهم على من يشا والله على كل شي قدير من هذا وغيره • وقال الواقدي كانت اموال بني النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لم يقسمها اعطى منها المهاجرين ولم يعط منها الانصار الا رجلين محتاجين سهل بن حنيف وابا دجانة ونفل سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم الا تخمس يا رسول الله ما اصبت من بني النضير كما خمست ما اصبت من بدر فقال صلى الله عليه وسلم لا اجعل شيا جعله الله لي دون المؤمنين لقوله وما افا الله على رسوله منهم • وقوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله • قيل هي فدك وبنوا النضير وبنوا قريظة وخيبر اي فهي لله يامركم فيها بما احب • وقال الزهري كانت بنوا النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها على صلح فقسمها بين المهاجرين ثم قال ولذي القربى يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واليتامى والمساكين وابن السبيل • وقال عمر رضي الله عنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا بنوا النضير وفدك وخيبر فاما بنوا النضير فكانت حبسا لنوايبه واما فدك

فكانت لابن السبيل واما خيبر فجزاها ثلاثة اجزاء فقسم جزءين بين المسلمين وحبس جزءا للنفقة فما فضل عن اهله رده
على فقراء المسلمين وعلى هذا القول ما افاء الله موصول بالاول وان لم يكن فيه واو العطف كما يقال هذا المال لزيد
عمرو لبكر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مبتدا وهو في غنايم في كل قرية تفتح وتوخذ بعنوة القراة وفي الاية بيان
مصرف خمسها • وقوله تعالى فلله للتبرك باسمه • وقيل سهم الله تعالى يصرف الى اسلحة الغزاة وللرسول الخمس الخمس
ولذي القربى وقد سقط سهمهم باجماع الصحابة واليتامى والمساكين وابن السبيل هم مصارف الخمس والاربعة
اخماسها للغانمين ولم يذكر في هذه الاية وقد ذكر في سورة الانفال وهو قوله فان لله خمسه واذا بين مصرف
الخمس تعين الباقي للغانمين كما في قوله تعالى وورثه ابواه فلامه الثلث فلما بين نصيب الام تعين الباقي للاب
فكذا ههنا • وقوله تعالى كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم اي متداولا اي تولى الله قسمة ذلك لئلا يختص باخذه
الاغنياء ويتداولونه بينهم دون الفقراء ومصارف الخمس وما اتاكم الرسول فخذوه اي وما اعطاكم من الغنيمة
فاقبلوه وما نهاكم عن اخذه فانتهوا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن رحمه الله وما نهاكم عنه هو الغلول
وقيل هو عام في كل ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الاحكام ما اتاكم به كما قال [illegible]
وعن ابن مسعود والحسن انهم حملوا على هذا العموم واتقوا الله ان الله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتقه
وقوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم قيل هو معطوف على الا في البدل وقد
مر انه جائز وتقديره كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ويكون للفقراء المهاجرين • وقيل هو ترجمة عن قوله
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل • وقوله تعالى اخرجوا من ديارهم واموالهم دليل
لاصحابنا في ان الكفار يملكون اموال المسلمين بالاستيلاء عليها فان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت
لهم ديار واموال بعد ما اخرجوا من ديارهم واموالهم استولى عليها الكفار يبتغون فضلا من الله ورضوانا
اي يطلبون بهجرتهم فضلا من الله وثواب الاخرة ورضوانا اي رضا عنهم فلا يواخذهم بالتقصير • وقيل
فضلا من الله غنيمة في الدنيا ورضوانا في العقبى وينصرون الله ورسوله اي ينصرون دين الله ويعينون
رسول الله اولئك هم الصادقون المحققون اقوالهم بافعالهم • وقوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم قيل هو عطف على قوله للفقراء المهاجرين في استحقاق الغنيمة • وقيل هو مبتدا وتقديره الغنى لكذا
وللمهاجرين والانصار لا تحسدونهم على هذا الاستحقاق وذلك قوله ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
وقوله تعالى تبوؤا الدار اي تخذوا المدينة مسكنا نزلها الانصار قبل المهاجرين والايمان اي وتبوؤا دار
الايمان بالمدينة من قبلهم اي امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اليهم فقد روي تلك
وان كانت بالمدينة الا كان الاسلام دخلها قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا قد صلوا صلاة الجمعة
قبل قدومهم ومعنى قوله تبوؤا الايمان اي تمكنوا منه واستقروا فيه كما يستقر الانسان في المكان اذا تبوأه
ومعنى من قبلهم اي من قبل قدومهم لا من قبل ايمانهم • يحبون من هاجر اليهم من اهل مكة وغيرهم ومن محبتهم
اياهم ان نزلوا لهم عن نسائهم وشاطروهم في اموالهم ومساكنهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ولا
يجدون الانصار في قلوبهم حسدا مما اوتوا المهاجرون من الغنى والحاجة الشرك والحسد في القلب يحمل
عملها في الجسد • وقيل اي احتياجا اليه حتى يحملهم ذلك على الضن به • ويؤثرون على انفسهم اي يختارون
على انفسهم المهاجرين • ولو كان بهم خصاصة اي فقر وحاجة • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما غنم
بني النضير دعا ثابت بن قيس بن الشماس فقال ادع لي قومك قال الخزرج يا رسول الله قال الانصار كلها فدعا
له الاوس والخزرج فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الانصار وما
صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم واموالهم ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين
ما افاء الله علي من بني النضير فكان المهاجرون على ما هم عليه من السكن في مساكنكم واموالكم وان احببتم
اعطيتهم وخرجوا من دوركم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما فقالا يا رسول الله بل يقسم
بين المهاجرين ويكونون في دورنا فنادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم ارحم الانصار ولم يعط الانصار الا ابا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ • وقوله تعالى ومن يوق شح
نفسه اي ومن وقاه الله بخل نفسه فلم يضن بعرض الدنيا وبذله لاولياء الله تعالى فاولئك هم المفلحون
جمع مع افراد قوله ومن يوق لانه جنس فكان واحدا لفظا جمعا معنى • وقيل في قوله ومن يوق شح نفسه لم يقل
ومن يتق تنبيها على ان هذا امر لا يتأتى بالتكليف • وقيل الشح اجتماع البخل والحرص والشره • وقيل هو اداء
لا يكون فيه نفع لاحد من قولهم زيد شحاح اذا كان لا يوري نارا • وقال ابن مسعود رضي الله عنه من اعطى
في النائبة وقرى الضيف فقد وقي شح نفسه • وعن ابي المتوكل الناجي ان رجلا من المسلمين عن ثلاثة
ايام صائما يمسي فلا يجد ما يفطر عليه فيصبح صائما حتى فطن به رجل من الانصار يقال له ثابت بن قيس بن
الشماس فقال لاهله بضيف فاذا وضعتم طعامكم فليقم احدكم الى السراج كانه يصلحه فليطفئه ثم تقربوا •

بايديكم

بايديكم الى الطعام كانكم تاكلون فلا تاكلوا حتى يشبع ضيفنا فلما امسى ذهب به فوضعوا الطعام فقامت امراته الى السراج كانها
تصلحه فاطفاته وجعلوا يمضغون بايديهم الى الطعام كانهم ياكلون ولا ياكلون فلما اصبح ثابت غدا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لقد عجب الله من صنيعكم اي رضي غاية الرضا ونزل فيهم هذه الاية • وقال الثعلبي اهدي لبعض الصحابة
راس شاة مشوي وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداولته سبعة انفس ثم عاد الى الاول فانزل الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم • وقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم هم التابعون باحسان يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
اي الصحابة الذين سبقونا بالايمان لسبق زمانهم ولا تجعل في قلوبنا غلا اي حقدا للذين امنوا اي الصحابة ربنا
انك رؤف رحيم • قال قتادة انما امرتم ان تستغفروا لاصحاب محمد ولم تؤمروا بسبهم فالواعلم الله تعالى انه يقع
بين الصحابة اشياء يذكره للذين بعدهم وربما يقع في قلوب بعضهم كراهة لبعض ذلك فشفع عليهم قلوبهم فامر
الله تعالى بالاستغفار لهم ونبههم على ان ذلك مما يرجى عفو الله عنه ويجب على من بعدهم حسن الاعتقاد فيهم
وحسن الدعاء لهم • وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وعلي وطلحة والزبير قال اقول ما قولنيه
الله تعالى وتلا هذه الاية • وسمع ابن عمر رجلا يتناول بعض المهاجرين فقرا عليه للفقراء المهاجرين الاية
وقال هؤلاء المهاجرون افمنهم انت قال لا ثم تلا عليه والذين تبوؤا الدار الاية والذين جاؤا من بعدهم الاية ثم قال امن هؤلاء
انت قال ارجو قال ليس من هؤلاء وكان عمر رضي الله عنه يجعل الفيء لكل هؤلاء الاصناف ويجعل بعضها معطوفا على
البعض • وروي عن مالك بن اوس بن الحدثان قال قرا عمر رضي الله عنه انما الصدقات للفقراء الاية وقال هذه لهؤلاء
ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شيء الاية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرا ما افاء الله على رسوله الى قوله والذين جاؤا من
بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة فلئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيه
جبينه ولهذه الايات ايضا احتج في وضع الخراج في سواد العراق وترك قسمتها بين الغانمين وان كان بلال
واصحابه يجادلونه في ذلك وقال لهم اني وجدت في كتاب الله تعالى ما يغنيني عن موافقتكم وقرا هذه الايات
وجعلها خراجية ليصل ذلك الى جميع المسلمين قرنا بعد قرن • قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نفترق في سفر ولا حضر ولا نطيع فيكم اي في خذلانكم
احدا ابدا وهذه المواعدة على اعتقاد ان رايتم الصواب لا نطيعهم في ذلك ترك قتالهم المسلمين وان قوتلتم لننصرنكم
اي وان رايتم الصواب لانفسكم في قتال محمد واصحابه لننصرنكم اي لنعينكم على قتالهم والله يشهد انهم لكاذبون
اي في هذا الوعد لئن اخرجوا لا يخرجون معهم بل يثبتون في اوطانهم وينظرون للمؤمنين انهم منهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم بل يخذلونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون اي لئن فرضوا يفوضون للمؤمنين ثم لا ينصرون
وهذا دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة فانه اخبر عما لم يكن بعد فخرج على ما اخبر
[illegible]
لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله [illegible]
[illegible]
لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر [illegible]
[illegible]
بأسهم بينهم شديد [illegible] تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى [illegible]
[illegible]
ذلك بانهم قوم لا يعقلون [illegible]
[illegible]
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم [illegible]
[illegible]
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر [illegible]
[illegible]

معنى قول الحسن ولهم عذاب اليم في الاخرة وقريبا صلة ذاقوا على هذا القول وهو قرب الزمان من هولاء على الاقاويل المتقدمة ومعنى ذاقوا وبال امرهم اي قاسوا ضرر معصيتهم • وقيل الاية في شان بني قريظة والتشبيه حالهم ببني النضير قال الكلبي رحمه الله لما سار ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحزاب غدر بنو قريظة بنبي الله ونقضوا العهد فلما انهزم الاحزاب امر الله نبيه بقتال بني قريظة فارسل المنافقون اليهم وقالوا ان اراد محمد ان يخرجكم كما اخرج بني النضير فلا تخرجوا فوالله ان اخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم فغرهم ذلك ولزموا حصنهم • وقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر وقذف الله في قلوبهم الرعب اي في قلوب المنافقين فلم ينصروهم فلما راى اليهود ذلك وايسوا من نصر المنافقين نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بقتل مقاتلهم وسبي ذراريهم • وقسم اموالهم بين المهاجرين والانصار فقال الله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم بنو النضير لانه كان بين الامرين سنتان وكانوا جميعا بالمدينة • وقوله تعالى كمثل الشيطان • قيل معناه مثلهم كمثل الشيطان كما قلنا في قوله للفقراء ان معناه وللفقراء • وفي قراءة عبد الله او كمثل الشيطان • وقيل معناه ذاقوا وبال امرهم كمثل الشيطان • وقيل معناه اغترار هولاء بالمنافقين كاغترار الانسان بالشيطان اذ قال للانسان اكفر • قيل هو للجنس والمراد منه كل كافر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر الى قوله اني كفرت بما اشركتمون من قبل فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين • قال مجاهد رحمه الله هي عامة للناس • وقيل هو انسان بعينه واختلفت الروايات فيه • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان هذا الانسان راهبا في بني اسرائيل يعبد الله تعالى ويحسن عبادته وكان يوتى من كل ارض فيسال عن الفقه وكان عالما وان ثلاثة اخوة كانت لهم اخت حسنا من احسن الناس وانهم ارادوا ان يسافروا وكبر عليهم ان يذروها ضايعة فجعلوا ياتمرون ما يفعلون فقال احدهم انا ادلكم على من تتركونها عنده فقالوا من قال راهب بني اسرائيل ان ماتت قام عليها وان عاشت حفظها حتى ترجعوا اليه فعمدوا اليه فقالوا انا نريد السفر ولن نجد احدا اوثق في انفسنا ولا احفظ لما استودعته منك لما جعل الله عندك فان رايت ذلك جعلنا اختنا عندك فانها ضايعة شديدة الوجع فان ماتت فقم عليها وان عاشت فاصلح اليها حتى نرجع فقال اكفيكم ان شا الله وانهم انطلقوا فقام عليها فداواها حتى برات وعاد اليها حسنها وانه اطلع عليها فوجدها متصنعة فلم يزل به الشيطان يزين له حتى واقعها فحملت ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها وقال ان لم تفعل افتضحت وعرف شبهك فلم يكن لك معذرة فلم يزل به حتى قتلها فلما قدم اخوتها سالوه ما فعلت فلانة قال ماتت فدفنتها قالوا لقد احسنت فجعلوا يرون في المنام ويخبرون ان الراهب قتلها وانها تحت شجرة كذا وكذا وانهم عمدوا الى الشجرة فوجدوها قد قتلت فعمدوا اليه فاخذوه فقال له الشيطان انا الذي زينت لك الزنا وزينت لك قتلها بعد الزنا فهل لك ان انجيك [illegible] قال نعم فتطيعني فقال نعم قال فاسجد لي فسجد له ثم قتل كافرا فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الاية • وعن طاوس ان امراة جنت فجي بها اليه ليداويها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاخوة كانوا اربعة وذكر الدفن في رمل وصلبه الملك وسجد للشيطان بالاشارة على الصليب • وفي رواية مقاتل بن حيان دفنها في صومعته وظهر بعض ثيابها في موضع دفنها فاستخرجوها • وفي رواية وهب هو برصيصا وعبد الله اربعمائة سنة والحادثة في بنت الملك وقد جنت • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه عابد في غار عبد اربعين سنة والحادثة في جارية لها سبعة اخوة • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يا ايها الذين امنوا بالله وجميع رسله ولم يفرقوا بينهم تفريق اليهود بين هولاء وتصحيحهم ولم يكفروا كفر هولاء المنافقين اتقوا الله في اوامره فلا تخالفوها وفي نواهيه فلا ترتكبوها ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي ولتنظر كل واحد منكم ما قدم ليوم القيامة سماه غدا لانه مستقبل ولانه قريب والعرب تقول ان غدا لناظره قريب وقال قتادة ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد • وقال ابن زيد امس الدنيا كان ثم نفس بالامس وغدا الاخرة • ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله التكرير للتاكيد • وقيل الاول لما قبلنا والثاني واتقوا الله اي لا تسطوا اما قدمتم لغد • وقيل الثاني واتقوا ان تعتمدوا على ان تنفعكم ان الله خبير بما تعملون من خير وشر ولا تكونوا كالذين نسوا الله ومنهم هولاء اليهود والمنافقون تركوا توحيد الله وطاعته فانساهم انفسهم اي خذلهم فاذهلهم عن صلاح انفسهم • وقيل اي انزل بهم العذاب ما شغلهم عن كل شي كالرجل يقول الحيث لا اذكر نفسي • وقال مقاتل بن حيان فانساهم انفسهم حتى يعملوا في فكاكها وقيل هم هولاء اليهود والمنافقون اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة الله لا يستوي اصحاب النار وهم هولاء واصحاب الجنة وهم المخلصون اصحاب الجنة هم الفايزون الناجون النايلون كل خير وقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله • قيل اي لو خوطب هذا القران الجبال وهو ممن يحتمل الخطاب لانقادت لما احضر واشفقت من الوعيد المذكور فيه فهولاء الكفار اسوا حالا من الجماد الذي لا يعقل واقسى قلوبا من الحجر • وقيل هو تمثيل لقوله تعالى تكاد السموات

يتفطرن منه الاية • وقيل اي لو وضع الله في الجبال الفهم وانزل عليها هذا القران لخشع وتصدع من هيبته ذلك وهو كقوله تعالى انا عرضنا الامانة الاية • وقال الحسن لو انزلنا هذا القران على جبل فكلفناه ما كلفناكم من الطاعة وحملنا [illegible] العقاب بما حملناه لكم عليها الذاب ذلك الجبل ذليلا بما كلفه الله تعالى وحمله من طاعته متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن حس العباد وما شاهدوه هو الرحمن الرحيم فسرناهما في اول الكتاب في التسمية هو الله الذي لا اله الا هو الملك الذي لا يزول ملكه القدوس الطاهر عن كل عيب ونقص السلام المنزه عن كل ذنب والمسلم لعباده والمسلم على عباده المومن الشاهد بوحدانية لنفسه المصدق على عبده ايمانه المعطي الامان لاوليائه المهيمن الشهيد الامين العزيز المنيع الغالب المعز الشديد البطش الذي لا يوجد مثله الجبار القهار ذو الجبروت الجابر كسور العباد المتكبر ذو الكبريا الجليل العظيم المتعظم عن ان يظلم عباده سبحان الله عما يشركون نزه نفسه عما تصفه به المشركون هو الله الخالق المقدر البارئ الموجد المصور المولف الخالق للنفس من تراب البارئ من النطفة في اصلاب الاباء المصور في ارحام الامهات له الاسماء الحسنى الدالة على الصفات العلى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فسرناه في اول سورة الحديد ختم السورة بهذه الاسماء ليعتقد المومنون معانيها تحقيقا لايمانهم وخلافا لاعدايهم • والله الموفق والمعين •

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي نهانا عن موالاة الكافرين • الرحمن الذي لم ينهنا عن بر غير المحاربين • الرحيم الذي وعد على الاستغفار مغفرة المومنين • روي عن ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعا يوم القيامة وهي مدنية وهي ثلاث عشرة اية وثمان واربعون كلمة وخمسمائة وثمانية عشر حرفا • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة ان ختم تلك السورة في مدح من مدح الله تعالى والزهد • وانتظام السورتين ان تلك في عقوبات الكافرين وذكر رغبات المومنين والتمييز بين المخلصين والمنافقين وهذه في قطع الولاية بين المومنين والكافرين وذكر المهاجرين الى دار الاسلام والمسلمين • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة نزلت في حاطب بن ابي بلتعة ومكاتبته قريشا بما كان من عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوهم وكان نعمي في ذلك حتى يفجاهم فكتب اليهم حاطب يخبرهم بعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيانهم وكان قصده بذلك ان يتخذ عندهم يدا ليحموا بذلك اقرباءه بمكة اذ كان حاطب من اهل اليمن من الازد فكان له حلف بمكة في بني اسد ابن عبد العزى رهط الزبير بن العوام فقدمت من مكة امراة يقال لها سارة مولاة ابن عمرو بن صيفي بن هاشم ابن عبد مناف فقدمت المدينة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم امهاجرة جيت يا سارة قالت لا قال فما جا بك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل وقد ذهب موالي واحتجت فجيتكم قال فاين انت من شبان اهل مكة وكانت مغنية نايحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث النبي صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب فحملوها وكسوها واعطوها نفقة فخرجت الى مكة واتاها حاطب وقال لها اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب الى اهل مكة فقالت نعم فاتاها بالكتاب وفيه ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فاطلع الله نبيه على ذلك فدعا عليا والزبير بن العوام وابا مرثد الغنوي • وفي رواية عليا والزبير وعمارا • وفي رواية منهم المقداد • وفي رواية عليا وعمار بن ياسر • وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها وخلوها فانطلقوا حتى ادركوها فقالوا لها اين الكتاب فانكرت فاخرجوه من عقاصها • وفي رواية من حجزتها • وفي رواية شهر علي رضي الله عنه سيفه وقال والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت لتخرجن الكتاب او لاضربن عنقك فاخرجته من عقاصها فاتوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا حاطب فقال لا تعجل علي يا رسول الله فوالله ما ارتددت بعد ما اسلمت ولكني كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون قراباتهم واهليهم [illegible] فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا [illegible] الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [illegible] وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان [illegible]

[illegible]

من اولياءكم ان تؤمنوا بالله ربكم اي من اجل انكم آمنتم بربكم اي كيف ترجون استنصاحهم وقد تقدمت بينكم العداوة وظهرت آثارها
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي هذا متصل بقوله لا تتخذوا ويقول ان كنتم اخرجتم من اوطانكم وهاجرتم الي
حيث امرتكم لتجاهدوا اعدائي في سبيلي ولاقامة ديني وابتغاء مرضاتي بطاعتي فلا تتخذوا اعدائي اولياء تسرون اليهم بالمودة هذا
وقد علم الله تعالى انهم خرجوا لذلك ولكن المعنى ان هذا يوجب ترك موالاتهم فان تركوا ذلك تسرون اليهم بالمودة
يخفون ذلك وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي تسرون بنصحهم [illegible] وانا الاعلم بالسر والعلانية ومن يفعله منكم
اي اتخاذهم اولياء فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ طريق الحق وقال الامام القشيري رحمه الله اتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء قال النبي صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك [illegible]
الي داود عليه السلام عاد نفسك فليس في المملكة منازع ينازعني ملكي غيرها [illegible] وقوله
تعالى وانا اعلم بما اخفيتم من دقائق النصح وخفيات الربا وما اعلنتم من الذنوب للناس وما اخفيتم من
الاستمرار بالزلة وما اعلنتم من الزلة [illegible] وما اخفيتم من [illegible]
الغل والغش وما اعلنتم من [illegible] وما اخفيتم من ارتكاب المحظورات وما اعلنتم من [illegible]
ما اخفيتم من ترك الحشمة [illegible] وما اعلنتم من تعليم الناس ووعظهم • وقوله تعالى
ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويأخذوكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا العداوة التي في قلوبهم ويرجعوا الكم ما تسرون
به اليهم من الالقاء المودة ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي يمدوا اليكم ايديهم بالقتل والسنتهم بالشتم
وودوا لو تكفرون وودوا ان لو ترجعون الى دينهم [illegible] ان يكون عطفا على قوله وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يخرجون ودوا ان يكونوا [illegible] عطف الماضي على المستقبل [illegible] الاول لا بد للماضي
هنا [illegible] ان يتعلق كما [illegible] الشرط مستقبل [illegible] لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
يوم يجعلكم [illegible] ارحامكم ولا [illegible] يوم القيامة وانما ينفع [illegible] الايمان والعمل الصالح
قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم يفصل بينكم قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
مضمومة الياء مخففة [illegible] وقرأ عاصم بفتح الياء مخففة [illegible]
وقرأ حمزة والكسائي مشددة مكسورة الصاد [illegible] والمشدد من التفصيل
وهو للتكثير والتكرير [illegible] من الفصل والمخفف من الفصل [illegible]
فيصير المؤمنون الى الجنة والكافرون الى النار [illegible] • وقال الضحاك هو الحكم هنا ان يحكم
بينكم والله بما تعملون بصير يجزيكم على اعمالكم • قد كانت لكم اسوة حسنة قرأ عاصم
اسوة بضم الالف والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناها القدوة في ابراهيم والذين معه يعني انه ابرهيم
كان اياكم [illegible] والذين معه من المؤمنين [illegible]
الانبياء [illegible] اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله اي الاصنام كفرنا بكم [illegible] وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا [illegible] حتى تؤمنوا بالله وحده [illegible]
[illegible] الا قول ابراهيم لابيه [illegible] وقيل
[illegible] لاستغفرن لك [illegible] الله تعالى
[illegible] الا عن موعدة وعدها اياه
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه [illegible] • وقيل الاستثناء من قوله قد كانت لكم
اسوة حسنة [illegible]
[illegible] وقيل هو استثناء منقطع [illegible] لاستغفرن لك
[illegible] وهو الموعدة [illegible]
لكم ان تستغفروا للمشركين [illegible] • وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا
قال الضحاك هذا قول ابراهيم ومن معه [illegible]
[illegible] • وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا اي رجعنا بالاعتراف
[illegible] اليك المصير اي المرجع في الآخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا [illegible]
[illegible] ولا تسلطهم علينا فيظنوا انهم على الحق [illegible]
[illegible] وقال الضحاك اي لا تسلط علينا عدونا فيفتنونا [illegible]
الفتنة مصدر بمعنى المفعول واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم [illegible] لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة

تكرير للتأكيد والتقرير لان الاول في التبري عن الكفار والثاني في الترغيب بهذه الدعوات ولان الاول لحث عن الكفار
على الاقتداء بهم والثاني بيان ان هذا النفع يعم لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر لان الاول نزل في وقت والثاني في وقت
آخر فلم يكن تكرارا كتكرير القصص والامر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في سور وآيات ثم قوله لمن كان يرجوا
الله لا ينافي ان لو تجيء احدهما ان معناه لكم اسوة وهذه الاسوة حسنة لمن كان منكم يرجوا الله واليوم الآخر اي
يرجوا الله ان يثيبه فيدخله الجنة يوم القيامة ومن يتول عن الاقتداء بهم ووالى الكفار فان الله هو الغني عنه
وعن نصرته وعن معونته بل هو ولي دينه وناصر حزبه الحميد هو المستحق الحمد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة لما اطمعهم مع الامر بمعاداتهم في تحول الحال الى خلافه وقال عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم من اهل مكة من قراباتكم مودة بان يوفقهم للايمان والله قدير والله غفور رحيم اي فان الله على ذلك وعلى كل شيء
قدير وهو رحيم بعباده غفور لما سلف من كفرهم اذا اسلموا وفي هذا تأكيد لما امرهم به من ترك موالاتهم
اذا امنوا كفارا والتعريف لهم انهم اذا فعلوا ذلك بالغوا في جهادهم فادعة لك الى ايمانهم الموجب لودادهم
وقد كان هذا فان فتح مكة على ايديهم واسلم كثير منهم وحسن من الله تعالى واجب ان يجعل دليل على خلق الله
افعال العباد ظاهرها وباطنها وقال مقاتل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان
والحارث بن هشام والحارث وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وابو سفيان صارت ابنته ام حبيبة زوجة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين عن رحمهم الله انه ليس برا الرجل
قريبه الذي لم يقاتله في الدين مما دخل فيما نهاهم عنه من موالاة المشركين • وقوله تعالى ان تبروهم بالقول
وحسن المعاشرة والصلة بالمال وتقسطوا اليهم اي تعدلوا فانهم اذا لم يخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا
برهم والعدل معهم ان تبروهم انتم ايضا • وقيل وتقسطوا اليهم من القسط وهو الحظ اي تجعلوا لهم حظا
من طعامهم وما كان لهم • وعن عائشة رضي الله عنها انها نزلت في اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه وكانت
امها في الجاهلية يقال لها قتيلة بنت عبد العزى جاءتها بهدايا فقالت لا اقبل حتى يأذن لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت ذلك عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هاتين الآيتين
وعن الحسن رحمه الله ان المسلمين استامروا النبي صلى الله عليه وسلم في اقربائهم المشركين ان يصلوهم فنزلت
وقوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي على موالاتهم واخرجوكم من دياركم وظاهروا على
اخراجكم اي عاونوا ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون اي الواضعون التولي في غير موضعه عرفهم انه
لم يرد بما امرهم به قصدا لقطع الارحام لكن تشديدا عليهم ليكون ذلك سببا لاجابتهم الى الاسلام وهذا
لا يمنع حسن المعاشرة في موضعه والبر بالقرابة فمن لا يظهر عداوة للحق واهله وقال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت الآية في خزاعة منهم هلال بن عويمر وخزيمة وبنو مدلج كانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم
قبل الحديبية على ان لا يقاتلوه ولا يخرجوه ولا يعاونوا على اخراجه احدا فانزل الله تعالى هذه الآية قال
قتادة نسختها آية القتال • وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية وهي
فطم عن موالاة الكفار ايضا يقول اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية اي اذا جاءكم النساء من دار الكفر
مظهرات للايمان والهجرة فامتحنوهن اي فاختبروهن وفتشوهن بالكشف عن مادة خاطرهن الى ترك
ديارهن الله اعلم بايمانهن اي بحقيقة اعتقادهن • وقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات
اي فان انكشف لكم بالامتحان انهن مؤمنات كما ظهر منهن ذلك باظهارهن فلا ترجعوهن الى الكفار اي فلا
تردوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن نفي الحل من الجانبين اذا اسلمت المرأة والزوج كافر
ثم الايمان ذكر في هذه الآية على ثلاثة اوجه الاول ايمان بدلالة الحال اذا جاءكم المؤمنات وهو بنفس هجرتهن
الينا فان ذلك اظهار للايمان منهن والثاني بالنطق والامارات عليه وهو قوله تعالى فان علمتموهن
مؤمنات والثالث الحقيقة والاعتقاد وهو قوله الله اعلم بايمانهن وذلك ان هذه الآية نزلت في صلح
الحديبية وكان فيه ان من جاءنا منهم رددناه عليهم فامر الله تعالى في النساء ان لا يرددن اليهم وفي الرجال
ان يردوا اليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن والحرص الصبر عن الفتنة • وسئل ابن عباس
رضي الله عنهما كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحن النساء قال كان يقول بالله ما خرجت من بغض زوج
بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت رغبة الى ارض بالله ما خرجت الا حبا لله تعالى ولرسوله
وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بالآية التي قال اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك الآية • وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فاذا علموا ان ذلك حق منهن لم يرجعوهن الى الكفار الذين هم ازواجهن ما انفقوا
اي ما اعطوهن من المهور كذا قال ابن عباس وقتادة والزهري ومجاهد والضحاك • وقال المقاتل

ان تولوهم

اذا تزوجها احد من المسلمين دفع مهرها الى الزوج وان لم يتزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن ذكر هذا على صحة قول ابي حنيفة رحمه الله ان المهاجرة لا عدة عليها فان الله تعالى اباح نكاحها الحال اذا آتيتموهن
اجورهن اي التزمتم مهورهن ولم يرد به حقيقة الاداء كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون اي
يلتزموها ولا تمسكوا بعصم الكوافر قرأ ابو عمرو بضم التاء وتشديد السين وكسرها من التمسيك كما في قوله والذين يمسكون
بالكتاب وعنه في رواية بفتح التاء والسين وكسرها من الامساك وهذا كذلك فان التمسك والامساك والاستمساك
واحد وهو التعلق ومعناه ولا تتعلقوا بعقد الكوافر اي لا تتزوجوهن اذا كن حربيات وقيل هذا في حق المرتدة
اذا ارتدت ولحقت بدار الحرب فلا تتعلقوا بعقدتها فانها قد حرمت وقيل اذا ارتدت ولحقت بدار الحرب
زالت عصمتها الكلية فيحل للزوج تزوج اختها واربع سواها واسألوا ما انفقتم اي اذا ارتدت امرأة احدكم
ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها وليسألوا ما انفقوا اي وليسأل الحربي اسلمت امرأته وهاجرت
الينا مهرها ممن تزوجها منكم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم فكان هذا الحكم حال قيام العهد ثم نسخ
ذلك باية القتال فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم وهذه الاية فيمن خرجت من نسائنا فذهبت اليهم فحكمها
في الاية التي تليها وهي قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من زوجاتكم بالردة واللحوق
بهم • وفي قراءة عبد الله وان فاتكم احد فالمعنى كذلك • قال الشاعر • وانتم لو تبغي اتانا رسوله سواك
ولكن لم نجد لك مدفعا • فعاقبتم فاصبتم غنيمة • وقال الاخفش اصبتم عقبى منهم • وقال الكسائي اي
فخلفتم من بعدهم فغنمتم اي صار اليكم مالهم وهو من العقب • وقال قطرب عاقبت الرجل شيئا اي اخذت وقيل
اي حاربتم الكفار معاقبين لهم وهو من العقب • وقيل اي حاربتم الكفار معاقبين لهم وغنمتم مغنما • وقال
مجاهد فاقتصصتم • وقال ابن زيد خرجت امرأة من المسلمين الى المشركين فقال القوم هذه مغنمتكم قد
اتتكم فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا اي فاعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه
الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ثم نسخ هذا الحكم باية القتال ايضا • وروي ان الاية الاولى نزلت
في عام الحديبية لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكتب في العهد ان من اتى المسلمين منهم رد
عليهم خرجت يومئذ سبيعة بنت الحارث مسلمة وجاء زوجها يستردها ويقول ردها علي يا محمد فان في الشرط
وان طينة الكتاب لم تجف فنزلت الاية • وقال الواقدي لا نعلم قرشية خرجت من ابويها مسلمة مهاجرة الى الله
تعالى الا ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط كانت تحدث تقول كنت اخرج الى البادية لنا بها اهل فاقيم فيهم
الثلث والاربع وهي ناحية التنعيم وهي مسجد عائشة رضي الله عنها ثم ارجع الى اهلي فلا ينكرون ذهابي
حتى اجمعت المسير فخرجت يوما من مكة كاني اريد البادية التي كنت بها فلما رجع من معي خرجت حتى
انتهيت الى الطريق فاذا رجل من خزاعة فلما ذكر خزاعة اطمأننت اليه لدخول خزاعة في عهد محمد صلى
الله عليه وسلم وقلت اني امرأة من قريش اريد اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لي بالطريق فقال
انا صاحبك حتى اوردك المدينة ثم جاءني ببعيره فركبته فكان يقود بي البعير لا والله ما كلمني كلمة حتى اذا اناخ
البعير وقيده في الشجرة وتنحى الى شجرة حتى اذا كان الرواح اخرج البعير وقربه وولى عني فاذا ركبت اخذ
براس البعير فلم يلتفت وراءه حتى ننزل فلم يزل كذلك حتى قدم المدينة • وقوله تعالى يا ايها النبي اذا
جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن اي لا يستلحقن ولدا من غير ازواجهن فيلحقنه بازواجهن وذكر
الايدي والارجل كناية عن التقاط المولود وعن الولادة فالايدي لالتقاط المولود والارجل للولادة لانها
اذا التقطت بيدها واضافت الى اولادها فقد اتت ببهتان بين يديها ورجليها • وقال الضحاك لا تقذف
رجلا ولا امرأة بالزنا ومجاز ذلك انها اذا قذفت امرأة فقد بهتت ما بين يدي المقذوف وقذف رجلها
او تقذف منها ولدا فتقول لذنه او لحقت بها ولدا لم تلده ولا يعصينك في معروف اي ولا يخالفنك
في طاعة امرتهن بها وهي عامة في كل الطاعات • وعن ام عطية وام سلمة انه النوح وهي بعضها عمدة الكلمة
فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم كما تبايع الرجال وتستغفر لهم ثم اختلف فيمن فيه هذه
الاية • قالت عائشة رضي الله عنها ان المهاجرات كن اذا قدمن فقعدن عند النبي صلى الله عليه وسلم
فيقول لهن ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا ويتلوا عليهن الاية الى اخرها فاذا اقررن بذلك قال
بايعتكن فارتفعن والذي بعث محمدا بالحق ما مست يده امرأة قط الا امرأة احلها الله له او ذو محرم منه
قالت وذلك اذا اقررن بهذا الكلام فهي المحنة • وقال الضحاك يعني به نساء اهل مكة وليس بالنساء
اللاتي امر ان يمتحنهن • وروت اميمة بنت رقيقة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصافحهن • وعن
ابراهيم النخعي والشعبي انه عليه السلام انه بايع النساء على يده ثوبه • وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

انه دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم امر النساء فغمسن ايديهن فيه • وقال مقاتل بن حيان رحمه الله لما كان يوم فتح مكة
وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال والنبي صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر قاعد اسفل منه
يبايع النساء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بايعهن على ان لا يشركن بالله شيئا وهند بنت عتبة بن ربيعة
متنقبة فيما بين النساء فرفعت راسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام دون الله تعالى ثم قالت للنبي صلى
الله عليه وسلم والله انك لتاخذ علينا امرا ما رأيناك تاخذه احدا على الرجال وبايع الرجال على الاسلام
والجهاد في سبيل الله فبايع عمر النساء على ان لا تشركن بالله شيئا ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل
شحيح واني لا يعطيني ما يكفيني وولدي الا ما اخذت منه سرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لهند
قالت نعم والاسلام يجب ما قبله فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال ولا يزنين فقالت هند
او هل تزني الحرة قط فقال عمر رضي الله عنه لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط ثم قال
ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا فقتلتموهم يوم بدر كبارا فضحك عمر رضي الله عنه
حتى استلقى قفاه ثم قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قالت والله ان البهتان لامر
قبيح وما يامرنا رسول الله الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا يعصينك في معروف فقالت هند
والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك فبايعهن عمر للنبي صلى الله عليه وسلم قال الزهري
هذا بالحديبية وهذه البيعة يوم فتح مكة • وقال الكلبي وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وقتادة
ولا يعصينك في معروف النوح وتمزيق الثياب وحلق الشعور وشق الجيوب وخمش الوجوه ولا يحدثن
الرجال ولا تخلوا امرأة برجل غير محرم ولا تسافر فوق ثلاثة ايام بغير محرم • وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ختم السورة بما بدأ بها وهم المشركون قد يئسوا من الآخرة اي من كونها
والثواب والعقاب فيها فلذلك لا يؤمنون بها كما يئس الكفار اي هم من اصحاب القبور من الآخرة
ايضا اي هؤلاء في الكفر كسلفهم • وقيل اي كما يئس هؤلاء من اصحاب القبور وتنعمهم • وقيل لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم هم اليهود وهم المخصوصون بذكر الغضب في آيات الله قد يئسوا من الآخرة اي من
ثوابها للآخرة ومن رحمة الله ومغفرته لهم في الآخرة كما يئس الكفار المشركون المقبورون منهم مع انهم من
الكفار في هذا كعبدة الاصنام • وقال ابن مسعود رضي الله عنه والنصارى يقولون لا نعيم في الجنة
من المآكل والمشارب والمناكح والملاذ كالكفار لا يقرون بالجنة والنار اصلا • وقال مقاتل الآية في
المنافقين كما يئس الكفار من اصحاب القبور اذ دخلوها بشرتهم
الملائكة بالنار فيئسوا من كل خير

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي يحب المقاتلين • الرحمن الذي يظهر دينه على كل دين • الرحيم الذي يبشر المؤمنين
روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الصف كان عيسى بن مريم
مصليا عليه ومستغفرا له ما دام في الدنيا وكان رفيقه يوم القيامة • وهذه السورة
مكية عند عكرمة والحسن وقتادة مدنية عند عامة المفسرين وهي اربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون
كلمة وتسعمائة واحد وعشرون حرفا [illegible]
[illegible]
سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم [illegible]
[illegible]

علينا سبح لله ما في السموات وما في الارض السورة الى اخرها عند رواية هذا الحديث الى شيخنا قيل انما قراها كلها النبي ولما
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وفي اخرها هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى اخر الاية • وقال مجاهد
نزلت في نفر من الانصار منهم عبد الله بن رواحة كانوا في مجلس فقالوا لو علمنا اي الاعمال احب الى الله تعالى لعملناه
حتى نموت فانزل الله تعالى السورة فقال عبد الله بن رواحة لا ابرح حبيسا في سبيل الله تعالى حتى اموت او اقتل شهيدا
وكان على ذلك حتى قتل في غزوة مؤتة شهيدا • وروي ان النبي صلى الله عليه بعثهم في غزوة مؤتة وامر عليهم زيد بن وقال
ان قتل زيد فاميركم عبد الله بن رواحة فاخذ زيد الراية فقتل ثم اخذها وقطعت يداه ورجلاه فجعل الله له جناحين
يطير بهما مع الملائكة ثم اخذ عبد الله بن رواحة الراية فكانه ملكا قيادا ثم حمل عليهم حتى استشهد • وقوله تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا اي مصطفين على نسق واحد كانهم بنيان مرصوص اي ملزق بعضه ببعض لا ترى فيه
متماسك ثنيا او هو جل ارض متلازق الاسنان وهذا التمثيل يبنى على حسن المقام حتى لا تدخل الى العدو فيه لقاصفا
وان يقفوا صفا وهذا ايضا احب وابعد من طمع العدو من هزيمتهم وهذا ايضا اشبه بصفوف الصلاة
التي حصت بجاهدة الاله ويكون التمثيل ايضا بالبنيان على جهة الثبات للقتال كالبناء المرصوص والبنيان واحد كالبنا
ولذلك قال مرصوص ولم يقل مرصوصة ودل على ان النزول افضل من الركوب فان الناس فيه امكن • وقال ابرهيم
الضحي ثلاث ايات منعتني ان اقص على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى
ما انهاكم عنه • يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون الاية فدل ان الاية عامة وليست بمقتصرة على القتال
وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني الاية اتبع الامر بالجهاد قصة موسى وعيسى واختلاف قومهما
عليهما فيما امرهم به من نصر دين الله وما كان من النصر والظفر لما وافقهما على ذلك • وقوله تعالى لم تؤذونني يحتمل
ما قال لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وقد بيناه في تلك الاية • وقيل هو ما دس قارون الى امراة
تدعي على موسى انه زنى بها وقد بينا ذلك في تلك القصة • وقيل هو قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة • وقيل هو قولهم
اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون • وقيل هو قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء • وقولهم
يد الله مغلولة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم اي لم تؤذونني مع معرفتكم اني رسول الله اليكم اخزان الذنب
في ايذائه مع معرفتهم بنبوته اعظم فان العلم بتحريم الشيء اخذ للزواجر عنه فكلما كانت الزواجر اكثر كان الاثم
في ارتكابه اكبر فلما زاغوا اي مالوا الى الباطل ازاغ الله قلوبهم اي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق ودل
ذلك على ان الله تعالى خالق افعال العباد حسنها وقبيحها ظاهرها وباطنها وان الله يضل من علم منه اختيار
الضلال ويهدي من علم منه اختيار الاهتداء والله لا يهدي القوم الفاسقين ما داموا مختارين للفسق ثابتين عليه
واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم نصب على القطع لانه نكرة نعت به معرفة وكذا قوله ومبشرا
يقول انا موافق لما نزل قبلي من التوراة وفيها صفتي ولم اتكم بشيء يكذب التوراة فتنفروا عني ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد لتؤمنوا به فتكملوا الثواب بايمانكم بمن كان قبلي وبي وبمن يكون بعدي فلما جاءهم بالبينات
اي بالمعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك قالوا هذا سحر مبين اي ظاهر وليس من الله
وقيل اي فلما جاءهم بعثة بني اسرائيل محمد صلى الله عليه وسلم بالقران وسائر المعجزات قالوا هذا سحر مبين
مع تقدم الدلايل والبشارات به • ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب فجعل اياته البينات سحرا وهو يدعى
الى الاسلام اي يدعى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين الله تعالى لا يدعو الى شيء يرده العقل
وهو الدين الذي لا يقبل الله دينا غيره فمن دعي الى دين لا يقبل الله غيره دينا غيره وقد اتاه ذا حقيقة بالبينات
فرده وجعل ما اتى به سحرا فلا اظلم منه والله لا يهدي القوم الظالمين اي ما داموا مختارين لذلك • وقوله
تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اي يريد هؤلاء الفاسقون الظالمون ان يذهبوا نور الله الذي
ارسله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما هدى به عباده من دينه وكتابه بافواههم اي بقولهم بافواههم انه
سحر لا يزيدون على ذلك ولا يجدون عليه حجة وهذا شيء لا اوهى منه والله متم نوره • قرا ابن كثير وحمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص على الاضافة • والباقون منهم بالتنوين نوره بالنصب يقول قد اتم نوره الحال وقد يتمه
في الاستقبال حتى يعم الافاق ويطرق البلاد ويهتدي به العباد ولو كره الكافرون اليهود والنصارى وسائر
الكفار • وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا تشوبه باطل من سائر تزاوير بنيت
الرسل ونسخه ونحوه ليظهره على الدين كله اي ليعليه على الاديان كلها بالحجج وبالغلبة وعند نزول عيسى ان
لا يبقى دين غيره • وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا على الدين كله وهو كقوله واظهره الله عليه • وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم استفهام على معنى الحث والعرض كقولك هل انت ساكت
وهل انت اكل معي ولما نزلت هذه الاية لم ينزل بعدها ما بعدها وكانوا في شوق الى معرفته ليعملوا به فبقوا على ذلك
سنة عشر شهرا ثم نزل تؤمنون بالله ورسوله الاية وهو تفسير تلك التجارة وهذا الحث بمعنى الامر بدليل
انه قال في جوابه يغفر لكم بالجزم وتقديره امنوا بالله ورسوله اي دوموا عليه وتجاهدون في سبيل الله باموالكم

وانفسكم

وانفسكم اي جاهدوا ذلكم خير لكم اي انفع لكم دينا ان كنتم تعلمون التجارة وما فيها من الربح والزيادة وجعل هذا تجارة
كما جعله بيعا وشرا في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية لانه بذل الانفس والاموال على عوض الجنة
كالمعاوضات يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
جزم على قول الفراء بهل لان فيه معنى الامر على ما مر وقال الزجاج وهو جواب تؤمنون وتجاهدون لانهما في معنى امنوا
وجاهدوا • وقال قوم من قال انه جواب هل غلط لانه ليس اذا دلهم على ما ينفعهم غفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا •
وقوله تعالى واخرى تحبونها اي ولكم خصلة اخرى على جهادكم في الدنيا قبل المصير الى الجنة تحبون تلك الخصلة
وهو النصر على الاعداء وفتح قريب لبلادهم • وقيل واخرى اي وتجارة اخرى وبشر المؤمنين بهذا الوعد • وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله • قرا نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا بالتنوين لله باللام • وقرا الباقون
انصار الله على الاضافة اي انصروا دين الله ورسوله كما قال عيسى بن مريم للحواريين اي للاصفياء اصحابه من
انصاري الى الله قيل اي مع الله تعالى نصرته لهم الذود الى الذود ابل • وقيل اي من انصاري تقربا الى الله تعالى • وقيل
من انصاري ايام حياتي الى ان اصير الى الله تعالى اي يقبضني اليه حيث ما شاء • قال الحواريون نحن انصار الله
اي انصار نبيه ودينه وقد ذكرنا الاقاويل في الحواريين في سورة ال عمران فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم اي قويناهم على عدوهم اي اعدائهم فاصبحوا ظاهرين اي
غالبين وكذلك انتم يا اصحاب محمد يكون لكم الظهور على من خالفكم • قيل فاصبحوا ظاهرين بغلبة
الحواريين على موافقة عيسى عليه السلام • وقيل قاتلوهم بعد رفع عيسى • وقيل لم يكن منهم قتال ولا بعد من
اصحابه وانما ظهروا بالحجة • وقيل ظهروا بعد خروج محمد صلى الله عليه وسلم فانه اظهر دين الحق وابطل دين
الكفار • وقال قتادة رحمه الله دعى الله تعالى الى ان يكون لرسوله حواريون كما كان لعيسى عليه السلام وقد
كان ذلك هذا العقبة وهم كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم
اجمعين وبايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون من الانصار بايعوه على ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وعلى
ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون به انفسهم وابناءهم ولهم النصر في الدنيا والجنة
في الاخرة

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الملك القدوس العزيز الحكيم • الرحمن الذي يولي الملك من يشاء والله ذو الفضل العظيم •
الرحيم الذي زهد في اللهو واللعب والتجارة بما عنده من الكرامة والنعيم • روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الجمعة كتب الله له عشر حسنات بعدد من ذهب الى الجمعة في مصر
من امصار المسلمين وبعدد من لم يذهب • وهذه السورة مدنية وهي احدى عشرة اية • وماية وخمس وسبعون
كلمة • وسبعماية وستة وخمسون حرفا • وانتظام ختم تلك السورة باول هذه السورة ان ختم تلك السورة بذكر
من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وكفر به • وانتظام السورتين ان تلك السورة في ايذاء اهل الكتاب موسى
وعيسى عليهما السلام مما قالوا وهذه السورة في ايذائهم محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مما قالوا وقوله
تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم ذكر ان اهل الكتاب قالوا للعرب
نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم ونحن ابناء الله وانتم رعايا لنا ولنا السبت ولا سبت لكم فرد الله تعالى
طعنهم بهذه الاشياء الثلثة في هذه السورة وكان في عهدهم وقولوا للناس حسنا فنقضوا واساءوا القول
فيهم وقالوا في الله ما هو اقطع من كل شيء عزير ابن الله والمسيح ابن الله فنزه الله تعالى عما قالوا فيه وذب
عن المؤمنين ما قالوا فيهم فقال في الاول يسبح لله الاية وهو تاكيد للخلائق كلها تنزيه الفطرة على ما مر غير مرة
قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم اي في العرب الذين لا يقرءون ولا يكتبون رسولا منهم وهو
محمد صلى الله عليه وسلم اميا لا يكتب ولا يقرا من كتاب اخر تعالى يتلو عليهم اياته اي ايات الله التي انزلت
عليه وهي القران ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الكفر ويعلمهم الكتاب اي القران فيصير لهم كتاب يعرفون به
اقاصيص الاولين والحكمة اي ويعلمهم مع ذلك ما شرع له مما لم يذكره في كتابه • وقيل ويعلمهم وجوه الاستنباط
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين قد ذكرنا في مثله انه على معنيين وقد كانوا من قبل في ضلال مبين واخرين
منهم عطف على قوله في الاميين اي وبعث واخرين من العرب لما يلحقوا بهم وما زائدة مؤكدة اي لم يسلموا بعد
وسيسلمون • وقيل لم يعلموا وسيعلمون ويخاطبون فيسلمون • وقيل لم يجيئوا بعد وسيجيئون وهم العرب
كلهم الى قيام الساعة وهو في بيان شرف العرب كلهم الى قيام الساعة • وقال عكرمة هم التابعون • ووجه
اخر واخرين من العجم منهم اي ممن يؤمن به • وقيل من الاميين فان من العجم اميين كالترك ونحوهم • وقيل اخرين

عطف على قوله فيعلمهم اي ويعلم اخرين منهم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين انزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا قال
وسلمان فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفس محمد بيده لو كان الايمان عند
الثريا لتناوله رجال من هؤلاء • وروى سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب اصلاب اصلاب
رجال من امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا هذه الاية وهو العزيز الحكيم فلا يعترض عليه في فعل
الحكيم المصيب فيما يفعل • وقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي تعليم الكتاب والاختصاص بالنبوة
فضل الله والله ذو الفضل العظيم وهو حجتنا على المعتزلة في ان الله لا يلزمه لعباده شيء وهو متفضل فيما يعطي • وقوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة اي اليهود الذين الزموا احكام التوراة والتصديق بما فيها ثم لم يحملوها اي لم يلتزموها
وكذبوا بها وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ومنها البشارة به والاخبار عنه كمثل الحمار يحمل اسفارا اي
كتبا جمع سفر وقد سفر اي كتب والسفر الكشف وهو يكشف عن المعنى الذي فيه والسفرة الكتبة يقول الحمار
يحمل على ظهره كتبا فيها العلوم ولا علم له بما يحمل ولا ينتفع بذلك كذا هؤلاء اذا لم ينتفعوا بالتوراة فعلمهم بها وعدمه سواء
بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم بئس القوم قوم هذا مثلهم والله لا يهدي
القوم الظالمين ما داموا على اختيار ظلمهم ومنهم من حمل على هذا اليهود والنصارى والاظهر انه على اليهود
لانه قال بعده قل يا ايها الذين هادوا وفي هذا الموضع رد طعنهم في انهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم ثم قال
في رد طعنهم الثاني قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
يقول يا ايها اليهود ان قلتم ظانين انكم اولياء الله من دون المؤمنين وغيرهم ممن ليس من بني اسرائيل فان لاولياء الله
عند الله كرامة ومنزلة فتمنوا الموت لتصيروا الى الاخرة فتنالوا ذلك ان كنتم صادقين في دعواكم انكم اولياء
الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي ولا يتمنون الموت قط بما عملوا من السيئات وقدموها واستحقوا بها
مقت الله دون ولايته والله عليم بالظالمين وما قدموا من الظلم والمعاصي وفيه دلالة صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم حيث اخبر فكان كما اخبر وهو باطن فدل انه بالله علم ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فتمنوا اي
قولوا اللهم امتنا • وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منهم الا غص بريقه ومات
مكانه • قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي لا ينفعكم الفرار عنه بل هو اتيكم فيلقاكم وتلقونه
والملاقاة من الجانبين ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي الى جزاء الله الذي يعلم السر والعلانية
فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم ويجازيكم عليه • وقال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى يهود المدينة
يدعوهم الى الاسلام فكتب يهود المدينة الى يهود خيبر ان محمدا يزعم انه نبي فانه يدعونا واياكم الى دينه
فان كنتم تريدون متابعته فاكتبوا الينا كتابا بيانا لذلك وانما نحن على امر واحد ولا نؤمن به ولا نتبعه
فكتب يهود خيبر اليهم ان ابرهيم كان صديقا نبيا وان اسحاق بعده كان صديقا نبيا ويعقوب بعد
اسحاق كان صديقا نبيا وولد ليعقوب اثنا عشر ذكرا فكان لكل واحد منهم من الناس ثم كان موسى بعد
التوراة من الالواح وهو يقرا ظاهرا ولولا انه كان في الله ونبيه وصفته لم يقرا ظاهرا فنحن وانتم
من سبط من كلمه الله تكليما واتخذه الله خليلا فنحن احق بالنبوة والرسالة ومنا كانت الانبياء اخزابا العرب
وما سمعنا كان من العرب الا هذا الرجل على انا لا نجد نعته وصفته في التوراة فان تبعتموه صيركم الله
وصفكم نحن ابناء الله واحباؤه فقال الله تعالى لنبيه قل لهم ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس
الاية • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا رد طعنهم الثالث ان السبت
والسبت لكم فجعل الله لنا يوم الجمعة وهذا افضل الايام وسيد الايام وفرض فيه صلاة وامر بالسعي
اليها فقال اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة هي صلاة الجمعة فهو كقولك ضرب من زيد وضرب زيد واحد فاسعوا
اي امضوا ولم يرد به الاسراع فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرجت الى الجمعة فامش على هينتك
وقال عليه السلام اذا اتيتم الصلاة فاتوها وانتم تمشون ولا تاتوها وانتم تسعون • وقيل اراد به السعي
بالقلب وهو الاسراع اليها تبكيرا • وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد الى ذكر الله هو الخطبة
وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وذروا البيع اي ذروا البيع والشراء • وقال الفراء اذا امر
بترك البيع فقد امر بترك الشراء لان البيع يقع عليهما والنداء الذي ينهى عنده عن البيع هو الاذان الذي
يكون بعد خروج الامام • وعند مالك البيع في تلك الحالة فاسد للنهي وعندنا النهي لغيره وهو ترك
السعي فيبقى مشروعا في نفسه فيصح • وعن محمد بن النضر الحارثي انه سيل عن الجمعة مع هؤلاء الامراء فقال ان الله
تعالى امرنا بالسعي الى الجمعة وهو يعلم من يصلي بنا الى يوم القيامة فنحن نسعى كما امرنا الله تعالى ذلكم خير
لكم اي السعي الى الجمعة وترك الاشتغال عنها بالبيع وغيره ذلك انفع لكم من فعل ما يمنعكم من ذلك ان كنتم تعلمون
بمنافع الامور ومضارها • وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة اي فرغ منها فانتشروا في الارض اي تفرقوا

في الارض وابتغوا من فضل الله اي اطلبوا المعاش الذي به قوامكم وفضل الله رزق الله الذي تفضل به على
عباده واباحه بالبيع والتجارات المشروعة وسبب العقود في هذه الساعة لتذكر الله تعالى والذكر والتسمية
فضلا • وعن سعيد بن جبير قال اذا انصرفت من الجمعة فاخرج من المسجد فساوم بالشيء وان لم تشتره • وعن ابن
محيريز قال انه ليعجبني ان تكون لي الحاجة يوم الجمعة فاقضيها بعد الانصراف • وروى انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الاية قال ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله تعالى واذكروا
الله كثيرا قيل واشكروا له واحمدوه على ما انعم عليكم بالتوفيق لادائها • وقيل اي في الاسواق التي تبتغون
فيها فضل الله يقول لا تتركوا التجارات لذكري ولا اذا رجعتم الى التجارات فلا تتركوا ذكري ايضا وعودوا الذكر على
دوام الذكر لعلكم تفلحون اي تظفرون بكل مطلوب وتامنون كل مرهوب • قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها اي واذا راوا تجارة اي حمولة تجارة تحمل من موضع اخر ولهوا انفضوا اليها [illegible]
التجارة ما يصحب عير التجارة من طبل وغيره ويؤذنون الناس بقدومهم انفضوا اي تفرقوا عنك اليها اي الى
تلك التجارة ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين اللهو والتجارة لان التجارة كانت اصلا واللهو تبعا فصرف الكناية
الى الاصل المقصود وتركوك يا محمد قائما على المنبر تخطب قل ما عند الله من الثواب في الاخرة والدرار الرزق
في الدنيا لمن اتقى من حيث لا يحتسب خير من اللهو ومن التجارة اي انفع دنيا والله خير الرازقين اي خير
المعطين • قال جابر بن عبد الله الانصاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب يوم الجمعة فقدمت
عير تحمل الطعام من الشام فانقلب الناس اليها حتى لم يبق معه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر رضي الله
عنهما فنزلت الاية • وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قدم دحية الكلبي فما بقي في المسجد الا نفر • وفي
رواية الحسن ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء سعر فقدم عير والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
فخرجوا اليها • وفي رواية انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لو خرج هؤلاء الباقون لاضطرم الوادي عليهم
نارا والله الموفق

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هتك ستر المنافقين • الرحمن الذي له العزة ولرسوله وللمؤمنين • الرحيم الذي هو خبير
بعمل العاملين • روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اذا جاءك المنافقون برئ
من النفاق • وهذه السورة مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة واثنان وثمانون حرفا
[illegible]

المنافقون الايات فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليه ثم قال ان الله تعالى قد صدقك. وقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم اي مناظرهم وكل واحد منهم منظر بلا مخبر وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم يقولون قول الحق الصادق تلبيسا وتزويرا
وروي ان ابن ابي كان رجلا جسيما لسنا فصيحا فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله. وقيل هذا الخطاب ليس للنبي
صلى الله عليه وسلم على الخصوص ومعناه ان من سمع كلامهم اعجبه وهو كقولك احسب ان فلانا كذا اي من نظر اليه
يحسب انه كذا. وقال الضحاك نزلت في وداعة ومعتب وحر بن قيس واوس بن قيظي وطعمة بن ابيرق وعبد الله بن
نبيل وجمع بن حارثة لعنهم الله وكانت لهم السن واجسام. وقوله تعالى كانهم خشب مسندة هي جمع خشب كالثمر جمع ثمر
النسفية تكثيرا الاسناد بكثرة الحال كانها اسندت الى مواضع ولهذا التشبيه وجوه احدها كاجساد اشباح وصور لا تتاهل
للتدبر في ايات الله ولا تتحرك للتفكر فيما يورده عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجج الله تعالى كالخشب
المسندة التي هي قائمة لا حراك فيها ولا عقل والثاني هم كخشب نخرة قد سندت الى مواضع تمسكها فهي بامساكها
لها اياها تتصور للناظر بصورة ما ينتفع به وهي في الحقيقة لا منفعة لها لمن عرفها واختبرها فكذلك هؤلاء
المنافقون اذا انكشف سرائرهم هانت على اولي الالباب ظواهرهم. والثالث ان قلوبهم لا تعي خيرا ولا تضمر
صدقا كالخشب ليس لها باطن يتضمن معنى وثمر نفعا يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وهو وصف لهم بالجبن
والجبن يحسبون ان كل من صاح فانما يصيح عليهم العدو المقصودون بها فاخذ جرير هذا المعنى فقال شعر
مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا. وقال عبيد بن ايوب لقد خفت حتى لو تمر حمامة لقلت
عدوا وطليعة معشر. وقال ابن جريج اي كلما نزل القران حسبوا ان يكون فيهم وعليهم بما قد علموا من الغش
والعداوة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كلما انفلتت دابة في العسكر وسمعوا نداء او امرا النبي صلى
الله عليه وسلم ظنوا انهم مرادون بذلك وهو كقول القائل. يروعه السرار بكل امر مخافة ان يكون به
السرار. وقوله تعالى هم العدو اي الاعداء لك ولاهل دينك فاحذرهم لانهم ينقلون الاسرار الى الكفار
ويحثون به من قدروا عليه من اهل الايمان قاتلهم الله اي اهلكهم الله. وقيل لعنهم الله اني يؤفكون اي
كيف ومن اين يصرفون عن الحق مع وضوح دلائله. وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول
الله لووا رؤسهم قرا نافع لووا بالتخفيف على اصل الفعل والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة
الحال وهي الرؤس. ولما نزلت هذه الايات وكشف حال ابن ابي قيل له قد نزلت فيك ايات شداد فاذهب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى راسه وقال امرتموني ان اؤمن فامنت وامرتموني ان
اعطي زكاة مالي فاعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت الاية ورايتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه
وهم مستكبرون عن المضي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون هذا حالا على تقدير يصدون
مستكبرين ويجوز ان يكونا وصفين مقصودين. سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
لانهم كفار وهو اخبار عن موتهم على الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين اي الذين داموا على فسقهم مختارين
لذلك. قال عطاء بن يسار كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد مقاما لخطبة يسبقه عبد الله بن ابي الى
المقام فيقول للناس هذا رسول الله اكرمكم الله به فاطيعوه وانصروه ووقروه فقال يوما في مقام نحو هذا
فجبهه المسلمون من كل وجه وقالوا له اقعد ايها المنافق وقام بسيفه متوجها نحوه فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اين تريد قال اني اريد هذا المنافق لاقتله فقال دعه بل نحسن جواره حتى يفارقنا فرجع عبد
الله فلم يدخل المسجد فاستقبله بنو اعمه فقالوا له ما اخرجك قال اتيت لاسدد امره فجبهني اصحابه وقالوا
لي جرما قال فقالوا ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغفر الله يستغفر لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما ابالي استغفر لي ام لم يستغفر لي فانزل الله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم الاية. وقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا
وهم لم يقولوا عند رسول الله لانهم كانوا لا يعتقدونه رسول الله وانما قالوا على من عند محمد لكن الله تعالى
لما اخبر عنهم ذكره باسمه كرامة تعظيما له وتنبيها العباد على منزلته عنده ولله خزائن السموات والارض
فلو شاء لاغنى المؤمنين عن المنافقين وسائر الكفار ولكن تعبد المؤمنين بالصبر على الضيق وكلف
المنافقين الانفاق عليهم ارغاما لهم ولكن المنافقين لا يفقهون وجوه الحكم الالهية يقولون لئن رجعنا
الى المدينة قيل معناه ويقولون وحذف واو العطف فانه كما مر في قوله للفقراء المهاجرين لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وهذا كان من ابن ابي المنافق في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق
ولكن يخرج فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها ليس بهم
رغبة في الجهاد بل اصابة عرض الدنيا. قال الواقدي بينا المسلمون على ماء المريسيع وقد انقلعت
الحرب وهو ماء قليل انما يخرج في الدلو نصفها اقبل سنان بن وبرة الجهني وهو حليف بني سالم بن عوف
ابن الخزرج ومعه فتيان من بني سالم يستقون فوجدوا على الماء جمعا من العسكر من المهاجرين والانصار وكان

جهجاه

جهجاه بن سعيد الغفاري اجير عمر بن الخطاب فادلى سنان وادلى جهجاه وكان جهجاه اقرب السقاة الى سنان فخرجت
احدى الدلوين ولم تخرج الاخرى فقال سنان هي دلوي وقال جهجاه والله ما هي الا دلوي فتنازعوا الى ان رفع جهجاه
يده فضرب سنانا فسال الدم فنادى يا ال الخزرج فثارت الرجال وهرب جهجاه ونادى في العسكر يا لقريش يا ال
كنانة فاقبلت اليه قريش سراعا فنادى سنان يا ال الانصار فاقبلت الاوس والخزرج وشهروا السلاح حتى خيف
فتنة عظيمة وترك جهجاه خصومته وكان ابن ابي جالسا في عشرة من المنافقين هو ومالك وداعس وسويد واوس بن قيظي
ومعتب بن قشير وزيد بن اللصيت وعبد الله بن نبيل وفي القوم زيد بن ارقم غلام لم يبلغ او قد بلغ فغضب ابن ابي
غضبا شديدا وكان مما سمع منه ان قال والله ما رايت كاليوم قط مذلة والله ان كنت لكارها لوجهي هذا ولكن قوم
قد غلبوني قد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا وانكروا ملتنا والله ما صرنا وهم الا كما قال القائل سمن كلبك
ياكلك والله لقد ظننت اني سأموت قبل ان اسمع هاتفا يهتف بما هتف به جهجاه وانا حاضر لا يكون ذلك لغير والله
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم
بلادكم فنزلوا منازلكم وقاسمتموهم في اموالكم حتى استغنوا اما والله لو امسكتم ما بايديكم لتحولوا الى غير
بلادكم ثم لم يرضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم اغراضا للمنايا فقتلتم دونه فايتمتم اولادكم وقللتم
وكثروا فقام زيد بن ارقم بهذا الحديث كله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فتغير وجهه ثم قال له
غضبت عليه قال لا والله لقد سمعته منه يا رسول الله وشاع في العسكر ما قال فليس للناس حديث الا ما قال
ابن ابي وجعل الرهط من الانصار يلومون الغلام ويوبخونه يقولون عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم
يقل لقد ظلمت وقطعت الرحم فقال زيد والله لقد سمعت منه ما قال والله ما كان في الخزرج رجل واحد
احب الي من ابن ابي والله لو سمعت هذه المقالة من ابي لنقلتها الى رسول الله واني لارجو ان ينزل الله على نبيه
صلى الله عليه وسلم حتى تعلموا الكاذب ام صادق او يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق قولي
وجعل زيد بن ارقم يقول اللهم انزل على نبيك ما يصدق حديثي فقال قائل يا رسول الله ائذن لي فلآتك براسه
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة وقيل لمحمد بن مسلمة ائتك براسه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقام النفر من الانصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه
وسلم ورده على الغلام فجاؤا الى ابن ابي فاخبروه فقال اوس بن خولي يا ابا الحباب ان كنت قلته فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم فليستغفر لك ولا تجحد فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فات رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذر اليه واحلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئا ثم مشى ابن ابي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن ابي ان كان سلفت منك مقالة
فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به. وفي حديث عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل
حين بلغه هذا الكلام وكانوا في حر شديد وكان لا يروح حتى يبرد فلما ركب ناقته القصوى كان اول من لقيه
سعد بن عبادة فقال السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك
السلام قال يا رسول الله لقد رحلت في ساعة منكرة لم تكن ترحل فيها. وفي لفظ لقيه اسيد بن حضير
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابلغك ما قال صاحبكم ابن ابي زعم انه ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل قال فانت يا رسول الله تخرجه ان شئت فهو الاذل وانت الاعز والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين
قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فجاء الله بك على هذا الحديث
فلا يرى الا انك قد سلبته ملكه قال فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير من يومه ذلك وزيد بن ارقم
يعارض النبي صلى الله عليه وسلم براحلته يريه وجهه ورسول الله يستحث راحلته فلما نزل عليه الوحي
قال زيد بن ارقم فما عدا ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم تاخذه البرحاء ويعرق جبينه وتثقل يدا راحلته
حتى ما تكاد تنقله عرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذ باذني وانا على راحلتي حتى ارتفعت عن مقعدي يرفعها الى السماء وهو يقول وعت اذنك يا غلام لقد
صدق الله حديثك وانزل الله تعالى في ابن ابي السورة من اولها الى اخرها اذا جاءك المنافقون. ولله
العزة لله ولرسوله باعزازه وللمؤمنين انهم اتباع رسوله ولكن المنافقين لا يعلمون مواضع العزة وقال
بعض اهل العلم عز الله عز الملك والبقاء وعز العظمة والكبرياء وعز البذل والعطاء وعز الرفعة والثناء وعز
الجلال والبهاء وعز الرسول عز السبق والابتداء وعز الاختيار والاصطفاء وعز الاداء والنداء وعز قدم الصدق
على الانبياء وعز الظهور على الاعداء وعز المؤمنين عز التاخر وعز التيسير وعز التوقير وعز التكثير قال عليه
السلام نحن الاولون الاخرون ولقد يسرنا القران للذكر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا كمثل حبة انبتت
سبع سنابل الاية تناكحوا تكثروا الناس في القيمة مائة وعشرون صفا ثمانون منها هذه الامة. قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم كما شغل هؤلاء المنافقين بحملهم الشح

على ان قالوا لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ونحا هم التعزز باموالهم واولادهم وعشيرتهم الى ان قالوا له ليخرجن الاعز منها الاذل عن ذكر الله اي عن ان تذكروا الله الذي رزقكم الاموال والاولاد وله خزائن السموات والارض ولله العزة ولرسوله ومن يفعل ذلك اي ومن يشتغل بذكر الاموال والاولاد عن ذكر الله اي عن ان تذكروا قدرة الله وسلطانه وعزته فاولئك هم الخاسرون اي المغبونون في الاخرة والهالكون وجمع لان من اسم جنس وهو جمع معنى وقال الضحاك ذكر الله الصلاة وانفقوا مما رزقناكم اي اخرجوا من اموالكم في الوجوه التي امرتم باخراجها فيها فانها عطية من الله فلا تبخلوا بعطيته عن اداء فرايضه فيها • قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والضحاك هذا في الزكاة • وقال الحسن لم يكن الله ليبلو عبدا احدا بالمال الا ابتلاه المفروض من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب اي هلا تبقيني في الدنيا مدة فاصدق اي فاتصدق واكن من الصالحين اتباعا لخط مصحف الامام وهو عطف على الا ولا معنى وتقديرا فان لولا تمني ومعناه ان يوخرني اتصدق واكن من الصالحين باخراج الحقوق الواجبة في المال من حج وجهاد وقرى ضيف وصلة رحم ونحوها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكاة ثم لم يفعل سال الله تعالى الرجوع عند الموت فقال رجل من القوم اتق الله تعالى يا ابن عباس انما سال الكافر الرجعة قال اقرا عليك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم الايات ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها اي قدر الله مدة كل احد الى حينه فاذا جاء لم يتقدم ولم يوخر والله خبير بما تعملون ولن يضيع عنده ما تفعلون • قرا عاصم في رواية ابي بكر بالياء التحتية على الغيبة ردا على قوله ولن يوخر الله نفسا اذ اجا

جاها فانه للجمع معنى • والباقون بالتاء على المخاطبة ردا على قوله
لا تلهكم وانفقوا واحدكم

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هو على كل شيء قدير • الرحمن الذي هو باعمال العباد بصير • الرحيم الذي اليه المرجع والمصير روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة التغابن دفع الله تعالى عنه موت الفجاءة • وهذه السورة مكية الا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الايتين فانهما نزلتا بالمدينة • وقال عكرمة السورة مدنية وهي ثماني عشرة اية • ومايتان واحدى واربعون كلمة • والف واربعمائة وسبعون حرفا • ووجه الانتظام انه ختم تلك السورة بسم الله وافتتاح هذه السورة بسم الله تعالى • وانتظام السورتين ان تلك في ذم المنافقين واخرها وعظ المؤمنين • وهذه في ذم الكافرين واخرها وعظ المؤمنين وقوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير • فسرناه في اول سورة الحديد هو الذي خلقكم اي اوجدكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم ذكر الكفار لانهم اكثر وذلك انه الامر لين المترادفين وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس بين الجنة والنار منزلة وليس بين الطاعة والمعصية عمل وليس بين الكفر والايمان اسم • وقيل فمنكم كافر في علم الله تعالى في الازل مؤمن في علم الله في الازل • وقيل ومنكم من يكفر بالله اذا عقل ومنكم من يؤمن بالله اذا عقل والله بما تعملون بصير فيجزي كلا على وفق عمله خلق السموات والارض بالحق اي بحقه • وقيل بالحق • وصوركم فاحسن صوركم فالانسان على احسن صورة واليه المصير اي الى جزاء الله مرجع الخلق يعلم ما في السموات والارض لا يخفى عليه شيء ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور اي بما في الصدور • وقوله تعالى الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل اي من الامم الماضية فذاقوا وبال امرهم اي ثالم من كفرهم ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الواضحة فقالوا ابشر يهدوننا اي تعجبوا وانكروا ان يكون الله يرسل الى خلقه بشرا مثلهم حتى يكون ملكا فكفروا وجحدوا ذلك وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله واستغنى الله وكان الله غنيا عن ايمانهم لم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم من ملك الله شيئا والله غني عن عباده حميد مستحق للحمد من جميع خلقه وحميد عند الملائكة والرسل والمؤمنون والبشر يصلح للواحد والجمع وهنا الجمع حتى قال يهدوننا • وقوله تعالى زعم الذين كفروا ان لو كان دين قال شريح كنية الكذب • وعن هاني بن عروة انه قال لابنه هب لي اثنتين وسوف ان لا يكونا في كلامك • وقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس مطية القوم زعموا • وقوله تعالى ان لن يبعثوا اي بعد الموت يوم القيامة قل بلى هو رد لقولهم وربي اي وحق ربي لتبعثن يوم القيامة ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتخبرن به لتجزوا عليه وذلك على الله يسير اي وبعثهم سهل عليه كابتدائهم فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا اي القران لانه نور يستضاء به من ظلمة الضلال ويهتدى به لمصالح الدين لبيانه وقوله وبالامر كر في الاخرة العذاب الاليم والله بما تعملون خبير اي عالم به يجازيكم عليه • وقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع اي ليوم القيامة يجمع اهل السموات واهل الارض • وقيل اي يجمع اهل الجنة واهل النار • وقيل يجمع الخصوم فينصف للظالم من المظلوم ويقتص للجماء القرناء ذلك يوم التغابن اي يوم تفاوت الاجزية وذلك لان اهل الجنة واهل النار كلا الفريقين كانا في الدنيا

متنكبين

متنكبين من الاعمال لمعطلين سلامة الالات فاستعمل احدهما قوته فيما انتفعت به الجنان واستعملها الاخر فيما اكتسب به النيران فغبن الاول الثاني كما يخرج الرجلان في سفر لتجارة فيتبع احدهما ويكون خسران او فيما لا يطيب نفسا ويتجر الاخر فيفوز الرابح الخاسر قد غبنه وكذا التغابن هو المنظر بهما المغبون وابهاما التغابن • وقال اهل الرواية والتنقل ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا كان من اهل الجنة صار منزله في النار لغيره من اهل النار وهكذا ان كان من اهل النار صار منزله في الجنة لغيره من اهل الجنة وعلى هذا حمل كما قاله اهل الرواية قوله اولئك هم الخاسرون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ومن هذا عند اهل التحقيق ليس هو على ظاهره اذ لا يكون هؤلاء من يتسبب لغيره لكن بعيد ذلك ضربه بمنزل في الجنة لا يكون لمن لم يكن له ولا يؤمن بدا ان الله تعالى في الازل من يؤمن ومن يكفر لا يتبدل على علمه والنفس على حكمه وانما الاستثناء ما خلقته • وقيل الدنيا متجر والبيع والخزائن في الاخرة وهو ماذكره بعدها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم هو الاعظم هو الا الربح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير هو الا الخسران • وقيل اشد الناس غبنا يوم القيامة علم الناس فعملوا به وخالف هو فعمله فدخلوا الجنة بعلمه ودخل هو النار بجهله • وعبد اطاع الله بقوة مال سيده وعصى سيده الله تعالى فدخل العبد الجنة بقوة مال سيده مالكه ودخلها الكل النار بمعصيته • ووارث ورث مالا من ابيه واليوم فتح به وعصى الله فيه فدخل ابوه النار ببخله ودخل هو الجنة بالانفاق فيه الخير • وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة يحتمل انه قوم يتمنى المشركين ان الايمان لو كان حقا لسلم المسلمون من المصائب في ابدانهم واموالهم فقال الله تعالى ما اصاب العباد من مصيبة الا باذن الله اي بعلمه • وقيل بقضائه • وقيل بمشيئته ولو شاء لسلم منها اصحابها ولكن تدخل المؤمنين استسلاما لاحكامهم واستحانا لقضيتهم وتكفير المثوباتهم ومن يؤمن بالله يهد قلبه الى ما هو صلاح له • وقيل ومن يؤمن بالله بان المصيبة من عند الله يهد قلبه للاسترجاع • وقيل الصبر ولو الرضا والله بكل شيء عليم بما يصلح عباده ويرد عنهم من معاصيه • وقيل بايمان كل مؤمن عليم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه • وقال مجاهد يهد قلبه اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر • وقيل الاية في المستنعين عن الجهاد خوفا من القتل والجرح والنكبة فاخبر انه لا يصيب عبد مصيبة من ذلك الا بقضاء الله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه فيعلم ان في ثواب الله عوضا من ذلك كله • وقيل هي في قوم ارادوا الهجرة وخافوا على اولادهم واهاليهم بعد المسافة واصابة الافة فاخبر ان ذلك لا يكون الا باذن الله وتتصل هذه بالاية التي بعدها ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم على ما ياتي • وقال ابو عثمان النيسابوري ومن يؤمن بالله اي يصحح ايمانه يهد قلبه لاتباع السنة وقيل يهد قلبه يجد حلاوته في السراء والضراء بما يلزمه فيهما • وقيل يهد قلبه للاخلاق السنية والتوقي من شح النفس واطيعوا الله واطيعوا الرسول في كل امر ونهي من الايمان والجهاد والهجرة فان توليتم اي اعرضتم عن فعل ذلك فانما على رسولنا البلاغ المبين وقد بلغكم ذلك واعذر اليكم الله لا اله الا هو المستحق للايمان به ولعبادته وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليهاجروا ولا يخافوا ضياع اهاليهم واولادهم • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم من يحول بكم عملا العدو من المنع من الخير وهو الجهاد والهجرة تخويفا لكم عن ضياعهم ومنعا لكم بالبكاء ونحوه فاحذروهم ان تطيعوهم • قال مقاتل بن حيان نزلت الاية في شان الهجرة جعل المراة والولد يحذروا يقولان للرجل تذهب وتدع منزلك واهلك ومالك ونصير الى المدينة الى غير اهل وما لا فتثبطوهم عن الهجرة فكان الرجل يقول لهم ان جمعنا الله واياكم في دار الهجرة تصيبون مني خيرا فحذرهم الله تعالى ان طيعوا نساءهم واولادهم فترك الهجرة فلما جمعهم الله تعالى واولادهم في دار الهجرة منعوهم ما ينتفعون به فوعظهم الله تعالى وقال وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فامرهم بالعفو عنهم • وقال عكرمة ان قوما اسلموا بمكة فلما ارادوا ان يهاجروا الى المدينة منعتهم ازواجهم واولادهم فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس وقد تفقهوا في الدين فلما ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال عطاء بن ابي مسلم الخراساني نزلت الاية في شان عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد يثبطونه على الجهاد والهجرة • وقيل الاية في ازواج واولادهم كفار وهم عدو له للمخالفة في الدين ولذلك قال ان من ازواجكم واولادكم بكلمة من للتبعيض والمؤمنون خارجون عن هذا الوصف • وقوله تعالى انما اموالكم واولادكم عن انفاقها في الواجب في الدين والفتنة تشديد المحنة ومن اراد الامتناع من مطاوعة الاهل والولد وارادة صيانة ماله عن ان يدخله نقصان مع اداء الحق الواجب فيه احتاج في ذلك الى جهاد للنفس شديد وجهاد للشيطان كبير والله عنده اجر عظيم فاعصوا النفس والاهل والولد في الشح بالمال والضن بالنفس عن الجهاد • قال عطاء بن يسار نزلت هذه السورة كلها بمكة الا هؤلاء الايات ان من ازواجكم واولادكم

عدوا لكم نزلت في عوف بن مالك كان ذا اهل وولد فكان اذا اراد الغزو بكوا ورققوه فقالوا الى من تدعنا فيرق ويقيم فنزلت هذه الاية • وقيل هي عامة في كل ما يلجا الرجل الى ارتكاب محرم او الاخلال بترك واجب بسببهم وروي عن بريدة انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجا الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعهما ثم قال صدق الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الغلامين فلم اصبر حتى اخذتهما ثم اخذ في خطبته • وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم • قال قتادة لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وفسره النبي صلى الله عليه وسلم وهو ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة وخافوا التقصير في ذلك فنزلت هذه الاية فاتقوا الله ما استطعتم فصارت بيانا ان ذلك الامر كان بما استطاعة العبد وعليهما بايع النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال على السمع والطاعة فيما استطعتم وانضا الها بما قبلها والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم تحرزوا ذلك الفوز العظيم واسمعوا واطيعوا اقبلوا الامر الله وامر رسوله واعملوا بذلك ما استطعتم وانفقوا في سبيل الله خيرا لانفسكم اي يكن انفع لكم من الشح ومن يوق شح نفسه اي ينجه الله عنه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا اي ان تنفقوا في طاعة الله محتسبين متقربين به اليه والله شكور حليم يقبل اليسير ويعفو الكثير • عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية العزيز فلا يمانع في معاقبته ولا اثابته • الحكيم في كل افعاله فانه الدال على الاصابة • والله الموفق للسداد •

مخاصمين فيه بشاعة لكم انتقي عنكم يا لواحد اضعافه ويغفر لكم [illegible]

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل لكل شيء قدرا • الرحمن الذي يعظم للمتقين اجرا • الرحيم الذي يجعل بعد عسر يسرا روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا يا ايها النبي اذا طلقتم النساء مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهذه السورة مدنية وهي احدى عشرة اية • وقيل اثنتي عشرة اية للاختلاف في قوله يجعل له مخرجا • وهي مايتان وسبع وثمانون كلمة والف ومائة واربعة وسبعون حرفا • وختم تلك السورة بمدح الله وثنائه • وافتتح هذه السورة بخطاب الرسول وندائه • فانتظام السورتين ان تلك السورة في الدعا الى التوحيد • وختم تلك السورة بالامر بالتقوى والطاعة والنفقة التي هي سبب بقاء التوحيد • وهذه السورة في بيان احكام الرجال والنساء المشروعة في حق اهل التوحيد • وختمها في دلايل التوحيد • وقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء اي يا ايها النبي وامته • وقيل يا ايها النبي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم • وقوله اذا طلقتم خطاب لامته • وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء • ومعناه اذا اردتم تطليقهن وهو كقوله اذا قمتم الى الصلاة • وقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله والمراد من النساء هي النساء المدخول بهن فطلقوهن لعدتهن اي للوقت المعدود لطلاقهن المشروع وهو طهر لم يجامعها فيه كذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لابن عمر رضي الله عنه حين طلق امراته في الحيض ما هكذا امرك الله تعالى ان من السنة ان تطلقها في طهر لا جماع فيه فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء واحصوا العدة اي عدوا فصول عدتهن واحفظوها بالاقراء كانت او بالاشهر لمعرفة وقت المراجعة ووجوب النفقة وزوال الاحكام المتعلقة ببقائها • وعن انس رضي الله عنه قال طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة ه فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الاية وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم غضب على حفصة فيما اسر اليها فطلقها فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال السدي نزلت الاية في عبد الله بن عمر حين طلق امراته حايضا فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجعها • وقال مقاتل بن حيان نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص والطفيل بن الحارث وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان • وقوله تعالى واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن اي في العدة من بيوتكم التي يسكن فيها مع الازواج حالة النكاح اضيفت اليهن لسكناهن وهو دليل صحة قول اصحابنا في الحنث بدخوله اذا سكنها فلان بغير ملك وقد حلف لا يدخل داره ولا يخرجن بانفسهن ايضا الا ان ياتين بفاحشة مبينة • قال الحسن والضحاك وحماد وسعيد بن المسيب وعطا بن ابي رباح وعبد الرحمن بن زيد ومجاهد والشعبي وابو صالح والسدي وهو مروي عن ابن عمر هي الزنا فتخرج للرجم وقالت عايشة والاسود وسعيد بن المسيب في رواية وابن عباس هي ان تبذو على احمايها فتخرج الى موضع اخر • روي ان فاطمة بنت قيس كان في لسانها ذرب فاستطالت على احمايها في عدتها فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم • وعن ابن عمر في رواية وعن الشعبي والسدي رحمهما الله ان الفاحشة هي نفس الخروج ومعنى هذا انها لا تخرج اصلا الا ان تخرج بنفسها فتكون قد اتت بفاحشة اي فعلة قبيحة في الشرع وتلك حدود الله اي وهذه المذكورات معالم شرع الله ومن يتعد حدود الله اي يتجاوز ما

بن كعب

اذا انقضت

فقد

فقد ظلم نفسه حيث اوردها موارد الهلاك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي احصوا العدة فلعل الله يحدث لكم رغبة في المراجعة بعد ذلك الطلاق كذا فسره الحسن وقتادة والضحاك وحماد وسعيد بن المسيب وعطا ابن ابي رباح وعبد الرحمن بن زيد ومجاهد والشعبي وابو صالح والسدي وهو مروي عن ابن عمر [illegible] الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب للمطلق • وقوله تعالى [illegible] رغبته فيها وقيل الرجعة • وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء عدتهن فامسكوهن بمعروف هو الرجعة او فارقوهن بمعروف هو ترك الرجعة حتى تنقضي العدة واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة وهو للاستحباب عندنا وللايجاب عند الشافعي رحمه الله واقيموا الشهادة لله امر للشهود بالاقامة لله فانها اذا كانت للناس تركت في بعض الاحوال لرضا الزوج وغضبه واذا كانت لله اقيمت على كل حال ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المنتفع به • ومن يتق الله في طلاقه [illegible] يجعل له مخرجا اي لا يضيق عليه شيء [illegible] ويرزقه من حيث لا يحتسب [illegible] في مراعاة احكام الطلاق والمسالك بالمعروف والتسريح بالاحسان جميعا • ومن [illegible] يجعل له مخرجا [illegible] وهو بعيد • وقال قتادة يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن الكرب عند الموت ومن اهوال يوم القيامة ويرزقه من حيث لا يحتسب في الدنيا [illegible] والثواب في الاخرة • وقال ابن كيسان ومن يتق الله فيما امره [illegible] يجعل له مخرجا في الدين والدنيا [illegible] من حيث لا ينتظره • وقال ابو بكر الوراق ومن يتق الله في الصبر على الرزايا والنوائب يجعل له مخرجا من عقوبتها [illegible] • وقال الامام القشيري ومن يتق الله يجعل له مخرجا [illegible] عن كل شغل وكفاه كل امر • وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض امره اليه ووثق بما يجري من الاحوال له فانه حسبه وكافيه [illegible] ومن يتوكل على الله [illegible] في الاخرة [illegible] ولم [illegible] في الدنيا الا المتوكل [illegible] • وقال الحسن رحمه الله التوكل على الله الرضا بكل ما قضى الله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] ان الله يقدر على ما يريد مستيقنا لذلك فهو حسبه [illegible] كافيه • وقال الربيع بن خيثم ان الله تعالى قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه لباه وتصديق ذلك كله في كتاب الله • وقال الامام القشيري رحمه الله قوله فهو حسبه [illegible] النايل فهو يرزقه ويعافيه وينصره ولا يشمت به اعداه [illegible] • وهذه الاية نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وذلك ان المشركين اسروا ابنا له يقال له سالم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان العدو اسر ابني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم استكثر من قول لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله • وفي رواية اتق الله واصبر واكثر التسبيح فعمل [illegible] فبينما هو في بيته قرع ابنه الباب [illegible] ومعه ماية من الابل في رواية الكلبي • وقال مقاتل بن حيان [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فانزل الله تعالى [illegible] ومن يتق الله كما اتقى عوف يجعل له مخرجا من شدايد الدنيا وسكرات الموت واهوال يوم القيامة ويرزقه من حيث لا يحتسب كما رزق عوف بن مالك وابنه • وقوله تعالى ان الله بالغ امره اي منفذ امره [illegible] • قد جعل الله لكل شيء قدرا [illegible] • وقيل اي قد جعل لكل احد اجلا ينتهي اليه بلا تاخير ولا تقديم • وقيل هو راجع [illegible] من حدود الطلاق والعدة [illegible] مقدرا [illegible] فالزموه ولا تتعدوه • وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم [illegible] ثلثة اشهر [illegible] واللائي لم يحضن [illegible] وقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن [illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قال معاذ بن جبل يا رسول الله [illegible] فقام رجل اخر فقال [illegible] واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاما الحامل المتوفى عنها [illegible] سبيعة

حكم

واللائي لم يحضن فقام اخر وقال لو كانت حاملا كيف عدتها فنزل [illegible]

[illegible]

بيت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين يوما فرءاها ابو السنابل بن بعكك فقال لها اتريدين ان تتزوجي قالت
نعم قال للحي يا في عليك اربعة اشهر وعشرا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت • وعن علي رضي الله عنه انه
كان يقول تعتد ابعد الاجلين لان قول الله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا يقتضي انقضا عدتها بوضع الحمل في الطلاق والوفاة فيجمع بينهما احتياطا وعن عمر وابن عمر وابن مسعود
وجماعة من الصحابة ان عدتها تنقضي بوضع الحمل قال عمر رضي الله عنه لو وضعت ما في بطنها وزوجها على سريره قبل
ان يدفن في حفرته لانقضت عدتها وحلت للازواج • وقال ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود
ان سورة النسا القصرى نزلت بعد الاية التي في سورة البقرة فكانت ناسخة لذلك • وقوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له من امره يسرا اي ومن يلزم طاعة الله فيما امره به ونهاه عنه عند ذلك وان نزل عليه في الحال فانه يجد له يسرا
في عاقبته لما يامن من عقوبة المعصية وينال من ثواب الطاعة ولذا سمي الطاعة اليسرى والمعصية العسرى
بقوله فسنيسره لليسرى وقوله فسنيسره للعسرى ذلك امر الله انزله اليكم اي هذا كله من اول السورة الى
هاهنا امر امركم الله تعالى وانزله في القران على رسوله ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا وهذا
يتم الامر وجزيه • وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم اي اسكنوا المعتدات في مساكنكم ومن للتبعيض اي
موضعا من المواضع التي تسكنونها فانفقوا عليهن في العدة من وجدكم اي من سعتكم وغناكم والوجد والوجدة
الغنا والواجد الغني ولا تضاروهن في السكنى والنفقة لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن فتنقضي عدتهن فان ارضعن لكم اي ارضعن المطلقات اولادكم فاتوهن اجورهن
اذا لم يتطوعن بذلك فانه من النفقة على الاب واتمروا بينكم بمعروف اي انفقوا فيما بينكم يعني
الازواج والزوجات بمعروف اي في امر الارضاع على شي مستحسن عقلا وشرعا وان تعاسرتم فسترضع
له اخرى اي وان تضايقتم وهو ان يابى الرجل ان يعطي المراة اجر رضاعها وابت المراة ان ترضعه بغير
اجر او طلبت الكثير وهو يعطي القليل فسترضع له اخرى اي للزوج امراة اخرى اي يطلب ارضاع
الولد من امراة اخرى باجر او بغير اجر على ما يتفق • وقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته اي الزوج
الذي هو والد الرضيع ويحتمل ان ينفق الزوج على معتدته فقد سبق ذكر الكل ومن قدر عليه رزقه
اي ضيق عليه فلينفق مما اتاه الله اي على قدر ما اعطاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي قدر
ما اعطاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وهذا وعد لذي العسر باليسر • وقوله تعالى وكاين من قرية
عتت عن امر ربها ذكر حدودا في هذه السورة ونهى عن تعديها ثم ذكر الذين تعدوا حدود الله من
الماضين وما صنع بهم وخوف هولاء مثله وقال وكم من قرية عتوا اي عصوا وابوا • وقيل العتو الخروج
الى فاحش الفساد • وقيل هي مجاوزة الحد في المعصية • قال قتادة هو المخالفة اي عتت ورسله اي عتت
عن امر رسله ايضا فحاسبناها حسابا شديدا اي جازيناها بذنوبها كلها في الدنيا وعذبناها
عذابا نكرا اي منكرا غليظا مستفظعا كالخسف والقذف والمسخ والريح العاتية فذاقت وبال
امرها اي فاستمر معصيتها لم يبقها الله تعالى الا بذنوبها وكان عاقبة امرها خسرا حيث
باعوا نعيم الاخرة بالعذاب اعد الله لهم عذابا شديدا في الاخرة وهو بيان لهذا الخسر • وقيل فحاسبناها
حسابا شديدا في الاخرة فذاقت وبال امرها عند الموت وكان عاقبة امرها خسرا في الدنيا والاخرة
فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا ان تعصوه وتتعدوا حدوده فيفعل بكم ما فعل بهم قد انزل
الله اليكم ذكرا • قال ابن كيسان اي كتابه الذي ذكر فيه ما احل بالامم من قبلكم وما الخلق صائرون
اليه في المعاد • قال مجاهد ذكرا اي شرفا وحدثنا هو الرسول والقران • وقيل ذكرا رسولا
[illegible] ذكره رسولا [illegible] بالذكر [illegible]
وعظه ورسولا منصوب بقوله انزل الله الرسول [illegible]
وقيل انتصب رسولا [illegible] تقديره وارسلنا اليكم رسولا [illegible] • قاله
ابو حاتم كما قال الشاعر [illegible] • وقوله تعالى [illegible]
ايات الله مبينات وهي القران ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات [illegible]
الى النور الهدى والسراج هو النقل من الكفر الى الايمان [illegible]
في الكفر في حق من كان مؤمنا • وقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا اي في الجنة رزقا واسعا طيبا حسنا [illegible]
والانقطاع • وقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات [illegible] وسلطانه وقدرته كما سبق
من الوعد والوعيد ومن الارض مثلهن اي سبعا • قال الضحاك [illegible]
[illegible] قال ابن عباس رضي الله عنهما في كل ارض [illegible] وقال قتادة [illegible] الحسن
في كل ارض خلق من خلقه • وقال كعب السموات سبع بعضها فوق بعض الاولى سما الدنيا والثانية رقعا والثالثة [illegible] الرابعة
[illegible] والخامسة [illegible] والسادسة [illegible] والسابعة [illegible] • وقال وهب والارضون سبع الاولى البسيط والثانية
[illegible] والثالثة [illegible] والرابعة [illegible] والخامسة [illegible] والسادسة [illegible] والسابعة [illegible] • وقوله تعالى ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن • قيل ينزل الله تعالى امره بين السموات والارضين ينزل في كل سما من امره ما يريد ان يتعبد به الجن والانس
ومعنى نزول الامر نزول الملائكة بتبليغ الامر • وقال مجاهد رحمه الله يتنزل الامر من السما السابعة الى الارض السابعة
لتعلموا اني خلقت هذه الخليقة واخرجتكم [illegible] لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد
احاط بكل شي علما علم كل شي فلا يخفى عليه شي سبحانه وتعالى

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

لئن الله الذي فرض للمؤمنين تحلة ايمانهم بظاهرهم كايمانهم • روي عن انس رضي الله عنه • الرحمن الذي يعطيهم يوم القيامة
نورا يسعى بين ايديهم وبايمانهم • الرحيم الذي نور قلوبهم بظاهرهم فايمانهم • روي عن ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله تعالى توبة نصوحا • وهذه السورة مدنية
وهي اثنتا عشرة اية • ومائتان وتسع كلمات • والف وثمانية وستون حرفا • وختم تلك السورة وافتتاح هذه السورة
بندا رسول الله صلى الله عليه وسلم • والسورتان في ذكر الازواج والزوجات • وختمهما في بيان دلائل التوحيد
والحث على الايمان والطاعات • وقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم اي على نفسك ما احل الله لك من ملاذ الدنيا
تبتغي مرضات ازواجك لطلب رضاهن وتحالك اي هو احق بابتغا رضالك منك بابتغا رضاهن فانما تفعل من ذلك
والله غفور رحيم لا يلزمك ما الزمت نفسك من تحريم الحلال عليك بل نبيح ذلك لك وتحلل الله من الحنث
والخلف فيما حرم على نفسه • قيل هو مارية القبطية ام ابراهيم في بيت حفصة وفي يومها وكانت الجارية قد
نقلت على عائشة وعلى نسائه فغيرت حفصة على ذلك ولومها فقالت يا رسول الله لقد جئت الى شي ما جئت
الى احد من نسائك او في بيتي وعلى فراشي وفي يومي قال ارضيك ان احرمها على نفسي فلا امسها قالت نعم فحرمها
على نفسه وقال لا تذكريه لاحد من النسا قالت افعل وكانت حفصة لا تكتم على عائشة رضي الله عنها فاخبرتها فانزل
الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى قوله تحلة ايمانكم قال فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه
واصاب الجارية • وقيل بل حرم على نفسه شرابا وكان يشربه عند بعض نسائه فغار سائرهن فحرم ذلك على نفسه
واختلفت الروايات في المراة التي كان ذلك عندها • فقيل زينب بنت جحش • وقيل سودة بنت زمعة • وقيل
حفصة بنت عمر • قال عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب
بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني
اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش
ولن اعود فنزلت الاية • وقال عروة عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل
وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك
فقيل لي اهدت اليها امراة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لنحتالن له فذكرت
ذلك لسودة فقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي
ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه ريح كريهة فانه سيقول لك سقتني حفصة
شربة من العسل فقولي جرست نحله العرفط وسا قوله ذلك وقوليه يا صفية فلما دخل على سودة فقالت والله
الذي لا اله الا هو لقد كدت ان اناديه بالذي قلت لي وانه على الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مني قلت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قلت جرست نحله
العرفط قالت فلما دخل علي قلت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة
لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه عليه قالت قلت لها اسكتي • وروي ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كانت لسودة بنت زمعة خولة باليمن فبعثت اليها بعسل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الطعام
فيدخل عليها فيشرب من ذلك العسل وكانت عائشة وحفصة متواخيتين على جميع نساء النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت عائشة الا ترين الى هذه وهي نسيئة من مثلها فاذا دخل عليك فقولي اني لاجد منك ريحا فاذا دخل
علي قلت مثل ذلك فلما خرج من عند سودة دخل عليها فامسكت بانفها فقالت ما هذا ما هذه الريح اني لاجد منك
ريحا قال اي ريح قالت كاني اجد منك ريح المغافير فقال قد قالت ذلك فلانة انما هو عسل شربت من عند سودة •
لا احرم لا اذوقه قالت فنزل قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية • وقوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
اي قدر الله لكم ما تحلون به ايمانكم وهي الكفارة • وقيل قد اوجب عليكم فقد جعل الله تحريم الحلال يمينا واوجب
فيه الكفارة وهو مذهبنا • وكذلك كان قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وطاوس والحسن والثوري

واهل الكوفة وكم في معنى عليكم كقولك ان اسائتم فلها اي فعليها فمن لم يجعل تحريم الحلال يمينا وهو قول مالك والشافعي وجماعة فانه يقول في تاويل قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد بين الله لكم تحليل ما ملكت ايمانكم كما قال فيما فرض الله له اي بينه له اي بين ان اماكم حلال عليكم ولا حرمة عليكم بسببكم القول قد احللت لكم ما ملكت ايمانكم ام تقول قد فرضت عليكم تحلة اليمين تكفرون بها عن ايمانكم • قال الميموني سمعت كل ذلك في هذا او الكفارة جعلت تحلة اليمين لانها تحل ما حرم الله على معنى انه اذا احنث وكفرها صار كانه لم يحلف والله مولاكم اي وليكم ومتولي مصالح دينكم ودنياكم وهو العليم بمصالح الحكم الحكيم فيما افترضه عليكم وشرعه لكم • وقوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا اي الى حفصة حديث مارية قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان حفصة لما قالت للنبي صلى الله عليه وسلم قد رايت من كان عندك يعني مارية والله لقد سوءتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم لارضينك واني مسر اليك سرا فاحفظيه قالت وما هو قال اشهدي ان سريتي هذه حرام علي رضى لك وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على سائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقت حفصة فاسرت الى عائشة ان ابشري ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد حرم فتاته فلما اخبرت بسر النبي صلى الله عليه وسلم اظهر الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك وانزل فيه الاية • وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها هو حديث العسل • وقال الكلبي قال اسر اليها ان اباك واباعائشة يكونان خليفتين على امتي بعدي • وقال في قوله عرف بعضه واعرض عن بعض انه قال يا حفصة الم اك امرتك ان تكتمي سري ولا تبديه لاحد فقد ذكرت بعض الذي قالت واعرض عن بعض فلم يبدها لها • وقيل عرف بعضه اي جازاها على بعض ذلك وغضب عليها واعرض عن بعض فلم يجازها توسعة بجلاله بالاغماض وترك التقصي واستعمال الحلم اذ لم يجازها بكل ما تستحقه على افشاء سره وعتبها اياه فلما نبات به اي اخبرت بالحديث واظهره الله عليه اي واعلم الله نبيه ان حفصة افشت سره عرف بعضه قرا الكسائي بالتخفيف • وقال الفراء معناه غضب عليها به وجازاها عليه وهو كقولك لمن اساء اليك لاعرفن ذلك لك • وقرا الباقون بالتشديد اي اعلم حفصة بعض ذلك واعرض عن بعض اي سكت عنه وكانت ذكرت لعائشة انه اصاب مارية وانه حرمها على نفسه والنبي قال لها انك قد ذكرت كذا او ذكر بعض ذلك دون الكل وهو من معاملة الكرام وهو ترك الاستقصاء في الملام فلما انباها به قالت من انباك هذا اي جمع بين اللغتين وهو انباء ونباء وظنت ان صاحبتها اخبرته بذلك فقالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير العالم بكل شيء الخبير بواطن الاشياء ان تتوبا الى الله خاطب عائشة وحفصة بذلك فقد صغت قلوبكما اي مالت عن الحق يعني فقد كان منكما ما يوجب التوبة او مالت قلوبكما عن الحق الواجب لله ولرسوله عليكما • وقيل اي مالت الى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم والصغو الميل وقد صغا يصغو من باب دخل وعلى هذه اللغة ما في هذه الاية وصغى يصغى من باب علم يعلم وعلى هذه اللغة قوله ولتصغى اليه والاعرف من باب منع وقلوبكما على الجمع مع اضافتها الى الاثنين هو الاستعمال الغالب في اللغتين فيما كان في الانسان من الاعضاء فردا غير مثنى وفيه وجهان احدهما الافراد والتثنية • قال الشاعر كانه وجه تركيين قد غضبا مستهدف لطعان غير تذبيب • وقال آخر في التثنية والجمع ظهراهما مثل ظهور الترسين وان تظاهرا عليه اصله تتظاهرا اي تتعاونا على ايذائه فان الله هو مولاه اي حافظه ودافع الضرر عنه ومراد كيد من اراده بسوء وجبريل عليه السلام نصره وصالح المؤمنين ان اريد به الفرد فقد قيل هو عمر رضي الله عنه فقد روي انه قال لحفصة والله لو امرني رسول الله بضرب عنقك لضربت عنقك وان اريد به الجمع فهم خيار المؤمنين منهم ابو بكر وعمر اخواهما وغيرهما والملائكة بعد ذلك ظهير اي ظهراوهم لاعوان وافرد لانه اخرج مخرج الاسم كقوله وحسن اولئك رفيقا • وقوله تعالى فانهم عدو لي • قال الشاعر ان العواذل ليس لي بامير • روي ان تظاهرهما عليه كان في التحكم عليه في النفقة • وقيل في مارية وفي حديث العسل • وروي مجاهد آلي منهن شهرا • وروي انه طلق حفصة • وعن عمر انه قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل فقال يقول لك راجعها فانها صوامة قوامة • وعن عمر رضي الله عنه قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فقدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم وكان منزلي في بني امية بن زيد في العوالي فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت وتهجره احداهن اليوم الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل هذا منكن وخسر افتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة قال وكان لي جار من الانصار وكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما فياتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم اتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر

عظيم قلت ماذا اجاء غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول طلق النبي نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا كائنا فلما صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله فقالت لا ادري هاهو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فخرجت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساءك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم وطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله فدخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى • وقالت عائشة فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك كنت اقسمت لا تدخل علينا شهرا فانك قد دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك الا تعجلي فيه حتى تستامري فيه ابويك وذكرت قصة التخيير • وقوله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن قيل في الدنيا قالوا لانه لو طلقهن في هذه الحالة لطلقهن لالحاحهن اياه الى طلاقهن بالحاحهن عليه بالاذى والمعصية فاذا فعلن ذلك استوجبن عداوة الله وخرجن من ولايته فكان المستبدلات من النساء المؤمنات خيرا منهن وليس المعنى انه كان في نساء الامة نساء افضل منهن قبل الحاحهن اياه الى الطلاق • وقيل معناه ان يبدله ازواجا خيرا منكن في الجنة مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مؤمنات اي مصدقات لله ورسوله قانتات اي مطيعات دائمات على الطاعة • وقال الحسن رحمه الله مصليات تائبات اي لا يصررن على صغيرة وقيل راجعات الى ما يحبه الله منهن عابدات اي كثيرات العبادة بالنوافل سائحات • قال عكرمة وابن عباس وابو هريرة وقتادة والضحاك وابو مالك وابو العالية والنخعي والحسن ومقاتل بن حيان اي صائمات وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن اي مهاجرات ثيبات وابكارا اي منهن بكر ومنهن ثيب الا انها قال النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر رضي الله عنه انه قال كان بين رسول الله وبين بعض ازواجه كلام فاستقريتهن امراة فقلت لتكففن عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم او ليبدلنه الله بكن ازواجا خيرا منكن • وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ولما عاتب الله نساء النبي صلى الله عليه وسلم ودلهن على رشدهن امر الناس جميعا بتحصين القيام على انفسهم وازواجهم وعلى ولادهم بالتاديب والتعليم والدلالة على الاعمال الصالحات فقال قوا انفسكم واهليكم نارا اي اجعلوا لانفسكم واهليكم وقاية تستركم من نار جهنم • قال قتادة تامروهم بطاعة الله تعالى وتنهونهم عن معصيته • وقال مجاهد اي اوصوهم بتقوى الله تعالى ادبوهم وعلموهم خيرا تقوهم بذلك النار • وقيل الزموهم على السنة والجماعة • وقيل علموهم الاخلاق الحسان وقيل اطهروا من انفسكم ليتعلموا منكم ويقتدوا بافعالكم • وقال عكرمة ادبوهم رحم الله رجلا يدعوا يا اهلاه صلاتكم صيامكم مساكينكم جيرانكم ايتامكم • روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على بيت فاطمة رضي الله عنها فيقول الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وكان اذا دخل العشر الاواخر من رمضان ايقظ اهله • وقال عليه السلام رحم الله امرأ ايقظ اهله للصلاة فان ابت نضح الماء في وجهها ورحم الله امراة ايقظت زوجها للصلاة فان ابى نضحت الماء في وجهه • وقال عليه السلام علق السوط حيث يراه اهل البيت وقال ان اغنى الله العبد يسئل يوم القيامة اشد عليه من جهالة اهله وقال كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالرجل راع على اهله وولده وهو مسؤول عنهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا كان الرجل راعي خير لاهله ناداه اهله يوم القيامة بين يدي الله تعالى جزاك الله من قيم عنا خيرا فنعم القيم كنت انت تعلمنا وتودبنا فانجيت نفسك وانجيتنا واذا كان راعي سوء قالوا لا جزاك الله خيرا فبئس القيم كنت لم تعلمنا ولم تودبنا فاهلكت نفسك واهلكتنا • وقوله تعالى وقودها الناس والحجارة اي حطبها الكفار والحجارة اي حجارة

الكبريت عليها ملايكة غلاظ اي غلاظ القول والفعل شداد اي اقويا الانفس لا يعصون الله ما امرهم من تعذيبهم ويفعلون ما يومرون من ذلك يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال لهم ذلك يوم القيامة وهو تنبيه لهم اليوم ليتوبوا ولا يعتذروا فانه اليوم لا ينفع انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي توبوا من ذنوبكم توبة نصوحا اي خالصة تقال نصح الشي اذا خلص والنصيحة اخلاص القول وقيل هو توفيق العزم على ان لا يعود لمثله والنصح الخياطة الوثيقة والناصح الخياط • وقيل نصوحا اي ينصحون فيها لله اي يصدقون فيها ولا يدهنون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي ان لا تعود • وقال علي رضي الله عنه انه دخل المسجد فسمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين فقال الاعرابي فما التوبة قال يجمعها ستة اشيا قال وما هي قال علي رضي الله عنه الندم من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تذيب نفسك في الطاعة كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعصية • وقال الفضيل التوبة النصوح ان يكون الذنب نصب عينيك ولا تزال كانك تنظر اليه • وقال الواسطي التوبة النصوح هي ان لا يكون للعرض من اذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ويطلب لرفاهيتها في الاخرة فتوبته على حظ نفسه لا لله تعالى • وقال ابو بكر الوراق التوبة النصوح ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كما ذكر الله تعالى في الذين خلفوا • وقال رويم المقري التوبة النصوح ان تكون لله تعالى وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه • وقال رابعة هي التوبة التي لا يحتاج فيها الى التوبة ثم قالت ان توبتنا تحتاج الى التوبة منها واستغفارنا يحتاج الى الاستغفار منه • وروي ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما التايب قالوا لا قال اذا تاب العبد ولم يرض الخصما فليس بتايب • ومن تاب ولم يتعلم الناس فليس بتايب ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتايب • ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتايب بغير فراشه وبساطه فليس بتايب • ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسع فليس بتايب • ومن تاب ولم يغير اهله فليس بتايب • ومن تاب ولم يحفظ لسانه فليس بتايب ومن تاب ولم يقدم فضله فليس بتايب • ومن تاب ولم يغير طعامه فليس بتايب • واذا استبان على العبد هذه الخصال فذلك التايب حقا حقا • قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم اي بتوبتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وكان لمن يخالفهم نار وقودها الناس والحجارة يوم لا يخزي الله النبي اي محمد والذين امنوا معه ولم يرد به وقوع ايمانهم مع النبي صلى الله عليه وسلم معا بل يراد به وجود الايمان منهم لوجوده من النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل معه متصلة بقوله لا يخزي الله اي لا يخزي الله النبي والمومنين معه نورهم يسعى بين ايديهم يهتدون بها الى الجنة وبايمانهم كتب طاعتهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي ابقه لنا الى الجنة واغفر لنا ذنوبنا انك على كل شي قدير من اتمام النور ومغفرة الذنوب وتبليغ الجنة وكل شي • وقال الضحاك يعطى يوميذ كل مومن ومنافق نورا يمشي به مع محمد فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا الله تعالى بذلك الريح نور كل منافق وهو قول الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فلما اطفا الله تعالى نورهم اشفق المومنون ان يطفا نورهم فقالوا ربنا اتمم لنا نورنا الاية • وقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين دعا الى التوبة المومنين وامر بالجهاد في حق الكفار والمنافقين دعوة الكل الى الحق المبين جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان • وقيل تذكيرهم وعيدا للاخرة والدنيا كما قال لين لم ينته المنافقون الاية وقال قتادة رحمه الله جاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وكذا قال الحسن وكان اكثر من يصيب الحدود حينيذ المنافقون واغلظ عليهم في اقامة الحدود كما قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله • وقيل واغلظ عليهم في حق الكفار والمنافقين جميعا وكان امره بملاينتهم في الابتدا بقوله وجادلهم بالتي هي احسن ثم بعد ما اصروا وعاندوا امره بالاغلاظ عليهم وماويهم جهنم اي في الاخرة وبيس المصير اي المرجع • وقوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين اي بين الله تعالى للكافرين شبها انه لا ينفعهم الوصلة بالنكاح وغيره مع اختلاف الدين وفيه نوع تنبيه لازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان وصلتهن مع النبي صلى الله عليه وسلم لا تغني عنهن من الله شيا اذا عصين وخالفن الامر كانتا تحت عبدين اي في نكاح عبدين صالحين من عبادنا استصلحناهما للرسالة والنبوة فخانتاهما اي في الدين اي كفرتا ولم تسلما ولم ينصحا للرسولين المساعدة على الاسلام • وقيل كانتا منافقتين • وقال ابن عباس رضي الله عنهما فخانتاهما اي بالنفاق ولم تبغ امراة نبي قط • وقيل كانت خيانة امراة نوح انها كانت تقول للناس انه مجنون وخيانة امراة لوط انها دلت على الاضياف ليرتكبوا منهم الفاحشة فلم يغنيا اي العبدان نوح ولوط عنهما من المراتين من الله شيا اي لم يدفعا عنهما من عذاب الله شيا • وقيل لهما اي للمراتين اي يقال لهما يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين من الكفار وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اي لا يضر المومنين كفر من قرب منهم كما لم يضر كفر فرعون امراته اسية اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اشتاقت الى الجنة وملت صحبة فرعون فسالت ذلك ونجني من فرعون

بعمله اي كفره ومعاصيه • وقيل تعذيبه ولما علم فرعون بايمانها وتدها باربعة اوتاد في الشمس يعذبها • وقال سلمان كانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملايكة باجنحتها وكانت ترى منزلها في الجنة • وقال الضحاك امر بان تلقى عليها صخرة وهي في الاوتاد فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فاوصل الحجر حتى رفع روحها الى الجنة ونجني من القوم الظالمين فرق بيني وبينهم باهلاكهم • قوله تعالى ومريم ابنة عمران التي احصنت عطف على قوله امراة فرعون التي احصنت فرجها اي جيب مدرعها حتى اتاها جبريل يبشرها بالولد وهي العلة فنفخنا فيه من روحنا اي نفخ جبريل بامرنا فيه اي في جيب مدرعها من روحنا اي من روح خلقناه لعيسى على الخصوص وصدقت بكلمات ربها قول جبريل انما انا رسول ربك الاية • وقيل اي بعيسى فهو روح الله وكلمته وكتبه التوراة والانجيل والزبور والصحف ومن قرا وكتابه فالكلمات التوراة والكتاب الانجيل وكانت من القانتين اي المطيعين •

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير • الرحمن الذي وعد من خشيه بالغيب بمغفرة واجر كبير • الرحيم الذي هو بكل شي بصير • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة تبارك الذي بيده الملك فكانما احيى ليلة القدر • وقال ابن مسعود رضي الله عنه كنا نسمي تبارك الذي بيده الملك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية وهي في التوراة سورة الملك • وقال ابن مسعود رضي الله عنه يوتى الرجل في قبره من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرا سورة الملك فيوتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه وعى سورة الملك في جوفه وهي المنجية من عذاب الله تعالى من قراها في ليلة فقد اكثر واطيب • وعن جابر ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا سورة الملك والم تنزيل السجدة • وهذه السورة مكية وهي ثلاثون اية وثلثماية وثلاثون كلمة والف وثلثماية واحد وعشرون حرفا • وانتظام اخر تلك السورة باول هذه السورة انه ختم تلك السورة بان مريم كانت قانتة مطيعة من القانتين لله تعالى وافتتح هذه ان الملك بيد الله واهل السموات واهل الارض كلهم قانتون لله • وانتظام السورتين انهما في ذم العاصين ومدح المطيعين • وقوله تعالى تبارك الذي بيده الملك قيل اي تعالى • وقيل اي تعاظم • وقيل اي دام وقيل دام بره ونبت خيره • وقيل اي كثر بركات اسمايه • وقيل اي وصلت بركات نعمه الى خلقه الذي بيده الملك اي هو المتصرف في كل العالم وهو مالك كل شي وما لك كل شي وهو على كل شي قدير اي لا يعجزه شي • وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة اي موت كل ميت وحياة كل حي فهو خالق الاعيان والصفات • وقال الحسن هو خلق النطفة ثم جعلها علقة ثم مضغة ثم احياها • وقيل هو موت انقضا الاجال وحياة اهل الدنيا فانه قال ليبلوكم والابتلا يتعلق بهما لا بالموت قبل الحياة وانما قدم ذكر الموت ترهيبا وترغيبا وقال الاخفش خلق الموت اي الدنيا التي هي لموت اهلها والحياة اي الاخرة التي هي لحياة اهلها • وقال ابن عباس الموت كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحها الا مات والحياة فرس جبريل لا يمر بشي ولا يجد ريحها الا حيي ويذبح الموت بين الجنة والنار يوم القيامة ويقال يا اهل الجنة ويا اهل النار خلود ولا موت وفرس الحياة تركبها الانبيا ليبلوكم ليتعبدكم فيمتحنكم بامره ونهيه فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم • وقيل تقديره خلق الموت ليميتكم فيجزيكم والحياة ليبلوكم بما به يتعبدكم ايكم احسن عملا ولم يقل اكثر عملا • وقال الفضيل اي ايكم اخلص عملا واصوبه لان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل • وقال الحسن ايكم احسن عملا اي ازهد في الدنيا واترك لها • وقال ابو قتادة الانصاري قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ما عني به قال يقول ايكم اتم عقلا واشد خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به او نهى عنه نظرا واورعكم عن محارم الله واسرعكم في طاعته وهو العزيز الغفور اي المنيع فلا يغالب اذا عاقب المذنب الغفور الذي يستر ذنوب التايب الذي خلق سبع سموات طباقا بعضها فوق بعض ويجوز ان يكون جمع طبق كجمل جمع جمل ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى المطابقة ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي اختلاف واضطراب وتباعد كان يفوت بعضه بعضا فلا يتساوى • وقيل من تفاوت في الدلالة على قدرة الله تعالى • وقال الفرا التفوت الاعوجاج والتفاوت الاختلاف • وقوله تعالى فارجع البصر اي الى رؤية السما هل ترى من فطور اي شقوق والفطر الشق • وقال ابن عباس رضي الله عنهما من وهي • وقال قتادة رحمه الله من خلل ثم ارجع البصر كرتين اي مرتين ولم يرد به الانحصار على مرتين بل اراد به التكرار مرة بعد مرة تقول الخرقة قلت لك مرة بعد مرة ولعلك قلت ذلك له مرارا كثيرا • وقال الحسن رحمه الله لو كررته مرة بعد مرة الى يوم القيمة لم تر فيه فطورا ينقلب اليك البصر خاسيا • قال ابن عباس ذليلا وهو حسير قال قتادة كالا معي وهو فعيل

بمعنى الفاعل يقال حسر البصر اذا انقطع نظره من طول مدى ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من قولهم حسرت البعير اي سرت عليه
حتى انقطع فهو محسور وحسير ﴿ وقال كعب خلق سبع سموات طباقا بعضها فوق بعض بين كل سمائين مسيرة خمس مائة عام
السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس وقال الصفر والخامسة فضة والسادسة
ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ﴿ وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح اي كواكب كانها السرج وجعلناها
اي المصابيح رجوما للشياطين جمع رجم اي يرجم بها من يسترق السمع من الشياطين ﴿ وقيل جمع راجم كالسجود
جمع ساجد واعتدنا لهم عذاب السعير اي للشياطين عذاب جهنم الموقدة وللذين كفروا بربهم من الانس والجن
عذاب جهنم كذلك وبئس المصير اي المرجع اذا القوا فيها اي في جهنم سمعوا لها اي لجهنم شهيقا اي صوتا من اللهب
كصوت الحمار وقد ذكرنا فيه الاقاويل عند قوله لهم فيها زفير وشهيق وهي تفور اي تغلي بهم كما يغلي القدر
قال ابن مسعود رضي الله عنه تفور بهم كما تفور القدر بما فيها تكاد تميز اي تتميز ﴿ قال ابن عباس والضحاك
وابن زيد اي تتفرق من الغيظ على الكفار وهو عبارة عن غاية التغيظ عليهم وقد قالت لانتقمن اليوم ممن اكل
رزق الله وعبد غيره ﴿ كلما القي فيها فوج اي جماعة من الكفار سالهم خزنتها وهم الزبانية توبيخا لهم الم ياتكم نذير
رسول يخوفكم من هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير اي انذرنا الرسل فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء اي مما
تقولون من وعد ووعيد وغيره لك ان انتم الا في ضلال كبير اي ما انتم ايها المدعون للرسالة الا في ضلال كبير
اي خطا عظيم ﴿ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير اي قال الكفار لو كنا نقبل ما اتانا من الايات
ونتفكر في المعقولات ما وقعنا في جهنم دل على ان كل واحد منهما يجعل منه وهو السمع والعقل ﴿ فاعترفوا بذنبهم
اي بذنوبهم وحد لانه مصدر وهو كقولهم خرج عطاء الناس اي اعطيتهم ﴿ فسحقا لاصحاب السعير اي بعدا من الرحمة
والكرامة ﴿ وقيل هو تحقيق ﴿ وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله تعالى لعباده ان يدعوا عليهم به ﴿ وقوله تعالى
ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يؤمنون به ويخافونه في الدنيا بما غاب عنهم مما يكون في الاخرة ﴿ وقيل
اي يخافونه عند المعصية وقد غاب عنهم الخلق لهم مغفرة للذنوب واجر كبير اي ثواب عظيم في الاخرة واسروا
قولكم او اجهروا به امر تهديد لا امر تكليف يقول واسروا قولكم في الله وفي رسوله وفي ايات الله او اجهروا به
اي شئتم فافعلوا فان شئتم فصرحوا بالكفر واعلموا انه عليم بذات الصدور اي بضماير القلوب لا يخفى عليه
اسراركم ولا يزيده وضوحا ان اعلنتم وهو كقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ﴿ الا يعلم من خلق اي ا
ما خلق دل على ان الله خالق افعال العباد ظاهرها وباطنها واذا حمل على ما سبق معنى لا والفاعل هو قوله
انه عليم بذات الصدور ولو قدر من على حقيقته فقوله من خلق هو الخالق والمخلوق يكون مضمرا ويكون من
خلق فاعلا وتقديره الا يعلم الخالق مخلوقه ويدل على ما قلنا ايضا ﴿ وهو اللطيف اي العالم بدقايق الاشياء
الخبير اي العالم بحقايق الاشياء ﴿ وقال ابن عباس نزلت في مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لا يسمع اله محمد فانزل الله تعالى واسروا
قولكم او اجهروا به علانية انه عليم بما في القلوب من الخير الا يعلم سر القلوب من خلق السر في القلوب ﴿ وعن
انس رضي الله عنه قال بينما رجل يسير بين جبلين اذ قال في قلبه لو عرضت لي فاحشة لقضيتها فنودي
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فارتج الوادي ﴿ هو الذي جعل لكم الارض ذلولا اي لينة منقادة
فامشوا في مناكبها ﴿ وقال قتادة ومجاهد والفراء في مناكبها اي في جوانبها واطرافها والمناكب
من الناس اطرافهم وجوانبهم واذا مشوا في اطرافها فقد احاطوا بها فحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها
وعن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك في جبالها وهي من نفعة كالمناكب ﴿ وعن مجاهد في رواية في
مناكبها اي فجاجها ﴿ وكلوا من رزقه اي رزق الله فيها ﴿ واليه النشور اي والى الله المرجع بعد البعث
فامشوا فيها طاعة وكلوا منها حلالا ﴿ اامنتم ايها المشركون ﴿ من في السماء اي الله الذي في السماء سلطانه
وهو كقوله وهو الله في السموات وفي الارض وحقيقته اامنتم خالق السماء وملكها ﴿ ان يخسف بكم
الارض كما خسف بقارون ﴿ فاذا هي تمور اي تدور والموران الدوران والاضطراب بالذهاب والمجي
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ﴿ قال ابن عباس اي حجارة من فوقكم كما فعل بقوم لوط ﴿ وقيل
اي ريحا فيها حجارة وحصباء فيهلككم بذلك ﴿ وقال قطرب اي ريحا تقتلع الحصباء لشدتها وقوتها
وقيل اي سحابا فيه حجارة اي فعل لكم من هذين امان واذا لا امان لكم منهما فما معنى تماديكم في شرككم وهذا
وعيد عظيم ﴿ فستعلمون كيف نذير اي كيف عاقبة انذاري بان احققه لكم فتعلمون انه لا خلف لخبري
ولا مانع لعذابي ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم اي من قبل هؤلاء المشركين ﴿ فكيف كان نكير اي انكاري
وتغييري بالعذاب ﴿ اولم يروا الى الطير فوقهم صافات الطير جمع طاير ﴿ ويقبضن اي تضعف اجنحتها
للطيران وتقبض مرة حتى تتم لها الطيران بهذا التذبذب كما يفعل السابح في الماء يقبض البدن ويبسطها
في الهوا للطاير كالماء للسابح ﴿ ما يمسكهن اي في الصوافين تطيرن الا الرحمن هيأ الطير هذه كما هيا للناس الارض ذلولا

والذي

والذي هيا لكل ما يصلحه لم يفعل ذلك عبثا بل يكون ذلك دالا على الخالق انه بكل شيء بصير اي عالم بما يصلحه ويقيمه وعطف ويقبضن
على فعل صافات لان الاول دالة على الفعل ومعناه يبسطن اجنحتهن في حال ويقبضن في حال ﴿ ام من هذا الذي هو جند لكم
عطف على امنتم اي فمن هذا الذي هو سند لكم وانصار تستعيذون بهم ينصركم من عذاب الله من دون الرحمن اي ممن سواه
ان الكافرون الا في غرور ومعناه ما هم الا في غرور ﴿ امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اي الله تعالى رزقه الذي خلق
لكم في الارض التي جعلها لكم ذلولا بل لجوا في عتو ونفور اي ليس اعتراهم الجهل بان الله تعالى هو الخالق الرازق الضار
النافع لكن تمادوا في غرورهم ونفورهم عن الحق افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى اكب على وجهه لازم وكبه متعدي
وهو كقولهم اعرض اي قام لازم ونفسه متعدي وهذا من النوادر فعل لازم وفعل متعدي وقريب من هذا امر به ومر به
ثم ضرب مثل الكافر والمؤمن فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اي منكبا لاسيما ناظرا الى الارض لا يبصر ما بين يديه ولا
ما عن يمينه ولا ما عن شماله ولا يدري ما يستقبله او يلقاه من هذه الجهات فهو على خطر ام من يمشي سويا منتصبا
يبصر من كل الجهات على صراط مستقيم ولا شك ان الماشي مستقيما منتصبا اهدى يقول فمثلك اكونوا ايها الناس
قال قتادة هذا الكافر اكب على معاصي الله تعالى في الدنيا يحشره الله يوم القيامة على وجهه والمؤمن استقام
على امر الله تعالى في الدنيا يبعثه الله تعالى عليه يوم القيامة ﴿ وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم وكيف يمشون على
وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم ﴿ وقال مقاتل مكبا على وجهه هنا لا
اعمى في الظلمة يعني ابا جهل بن هشام ام من يمشي سويا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ وقيل النبي صلى الله
عليه وسلم ﴿ وقيل عام ﴿ وقوله تعالى قل هو الذي انشاكم ابتدا خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وهي
الات العلم والمعرفة ثم انتم قليلا ما تشكرون هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة ﴿ قل هو الذي
ذراكم في الارض اي خلقكم واليه تحشرون اي تبعثون وتجمعون للحساب والجزا ﴿ ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين يقولون ذلك استهزاء ﴿ قل انما العلم عند الله اي علم وقته وانما انا نذير مبين اي مخوف ظاهر
وعلى الانذار الذي امرت به دون الاعلام من وقته الذي لم يعلمني الله به فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا اي اذا راوا العذاب الذي وعدوه في الحشر قريبا منهم سيئت وجوههم اي ورد عليهم منه ما ساءهم
اي احزنهم وهو خلاف سرهم وخص الوجوه بالذكر لان الوجه هو الذي يظهر عليه اثر المسرة والمساءة ﴿ وقيل هذا الذي
كنتم به تدعون اي وتقول لهم الملايكة والانبياء والمؤمنون هذا الذي كنتم به تدعون اي تجمعون على الدعا
به كما في قوله امطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم عجل لنا قطنا والادعا كالتداعي كالاقتتال هو
كالتقاتل وقال الدعي والادعى واحد ﴿ وقال مجاهد الذي اوعدتم به العذاب في الدنيا وهو ما لقوا ببدر ﴿ قل ارايتم ان
اهلكني الله ومن معي او رحمنا اي قل يا محمد للذين يقولون فيك نتربص به ريب المنون ان اماتني الله تعالى
كما قالوا ان امرؤ هلك اي مات ﴿ ومن معي من الاصحاب او رحمنا فاخر في اجالنا فمن يجير الكافرين اي يخلصهم
ويؤمنهم من عذاب اليم اي لا فرج لكم في موتنا ولا نجاة لكم به من العذاب انما ذلك بالايمان ﴿ قل هو الرحمن امنا به
ذو الرحمة بجعله امنا به صدقناه وعليه توكلنا لعلمنا انه لا يفعل بنا الا ما هو صلاح من احياء واماتة فستعلمون
اي اذا اتاكم العذاب من هو في ضلال مبين منا ومنكم ﴿ وقرا الكسائي فسيعلمون بالياء على المغايبة ردا على قوله فمن يجير
الكافرين ﴿ وقال ابن كيسان قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا اي اخذنا بالنار انا مع ايماننا او اخرنا ونجانا
فلا كان من يومنكم من عذابه ايها الجاحدون المعاندون ﴿ قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غايرا في الارض ذاهبا
فمن ياتيكم بماء معين جار على وجه الارض تراه العيون وتقديره مفعول ﴿ وقيل معين سرح في الجري وهو فعيل
اي بمعنى مفعل فسيقولون لا ياتينا به الا الله فقل لهم فلم اشركتم به من لا يقدر على ذلك وقرا هذا على محمد قال
المعين والحين فستعلمون حينا بعده الله تعالى

سورة ن والقلم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اقسم بالنون والقلم ﴿ الرحمن الذي مدح رسوله بالخلق الاعظم ﴿ الرحيم الذي وعد المتقين
بالجنان والنعم ﴿ روي عن ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ن والقلم كان له ثواب
الذين حسن الله اخلاقهم ﴿ وهي مكية واياتها اثنان وخمسون وكلماتها ثلثمائة ﴿ وحروفها الف ومائتان وستون
وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة اذ ختم تلك بخطاب الرسول وافتتاح هذه في ثنا الرسول
وانتظامهما ان تلك السورة في ثنا الله تعالى وهذه من اسما الله تعالى ﴿ وقال عطا افتتاح اسم الله تعالى نور وناصر
ونصير ﴿ وقال جعفر بن محمد الصادق هو نهر في الجنة ﴿ وقال الكلبي النون السمكة التي تحمل الارض على ظهرها وهي
في الماء وتحتها ثور وتحت الثور صخرة وتحت الصخرة الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله ﴿ وقال الكلبي ومقاتل اسم
السمكة بهموت ﴿ وقال عكرمة اقسم الله تعالى بالحوت وقال الواقدي وابو اليقظان اسمه لوثا ﴿ وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه اسمه بلهموت ﴿ وقال عكرمة ايضا اقسم الله تعالى بالحوت لان موسى دلي بالسهم نحو السماء

السهم مختضبا بدم فسمكه في بحر معلق بالهوا فاكرم الله تعالى ذلك الحوت بان اقسم به واحل جنسه من غير ذكاة • وقيل هو
اخر حرف من حروف الرحمن فانك اذا جمعت بين الر وحم ونون صار الرحمن • وقيل هو اسم هذه السورة • وقيل هو
اسم القران • وقيل هو الدواة • وقيل هو المداد الذي تكتب به الملايكة • وقيل هو اللوح المحفوظ والقلم هو القلم
الذي كتب به على اللوح المحفوظ • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب
فقال ما اكتب قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك الوقت الى ان تقوم الساعة ثم ارتفع بخار الما فخلق
منه السموات ثم خلق النون الذي عليه قرار الارض فبسط الارض من فوقه فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت
بالجبال • وقال مجاهد هو قلم من نور طوله مسيرة ماية عام • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل طوله ما بين السما
والارض • وعن ابن عباس في رواية هو قلم الملايكة وما يسطرون وما يكتبون من اعمال الخلق • وقال قتادة والقلم
نعمة من الله عظيمة لولا القلم ما قام دين ولم يصلح عيش والله اعلم بما يصلح خلقه وهذا دليل على انه كان يقول
ان المراد بالقلم هو قلم الناس واقسم به لما فيه من الحكمة والاعجوبة اذ جعل الله التفاهم وقام مقام اللسان في
الافهام والبيان • وقيل هو كل قلم يكتب به في السما والارض ويدل عليه قوله الذي علم بالقلم والحاصل ان
بعضهم علم الانسان ما لم يعلم وما يسطرون اي وما يكتبون اي حلف بالقلم والحاصل ان بعضهم قال هو قسم
بالحوت الذي هو تحت الارضين وبالقلم الذي هو فوق السموات وهو يعلم ما بينهما وبعضهم حملها على اللوح
المحفوظ والقلم وبعضهم على قلم الملايكة ومدادهم وكتابة الاعمال وبعضهم على الدواة والقلم في الدنيا
وما يكتبون بهما • وقيل هو قسم من الله بنفسه وتقديره وخالق القلم وما يسطرون يجوز ان يكون المصدر
ويجوز ان يكون للمفعول • ما انت بنعمة ربك بمجنون هو المقسم عليه اي لست يا محمد مجنونا كما يقول مشركوا
مكة بهتا وعدوانا اذ كان الله انعم عليك بنور العقل واستكمال خصال الخير ما لم ينعم على احد من خلقه
بمثله وهو كقوله ما انت بحمد الله جاهلا وان لك لاجرا غير ممنون اي غير مقطوع • وقيل غير منقوص • وقيل
غير ممنون به عليك • وقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولا ممدوح فوقه وصفه الله بالعظم • وقوله تعالى من يدري
نهايته وهو تنزيه له عن كل عيب يكون في الاخلاق ووصف الله بالتحلي بكل محاسن الاخلاق • وسيلت عايشة
رضي الله عنها كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القران تعني ما ادبه القران
وامره الله فيه به اهل الايمان من الاجتهاد في طاعة الله تعالى والخضوع له والانقياد لامره والتشدد
على اعداء الله والتذلل لاوليايه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على ما ينجيهم والاحتمال للاذى
والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خير الدارين والتعفف عن اموالهم والحلم من جهالتهم وخفض
الجناح لهم لم يتغير عن ذلك في حال من الاحوال ولا زمن من الازمان • ولما مدح الله تعالى الانبيا ووصف كل
نبي بصفة قال الله فبهداهم اقتده فنعلم انه صار مستجمعا لكل خصال الخير وكان كل واحد منهم مخصوصا بخصلة
مثل نوح بالشكر وابرهيم بالحلم • وموسى بالاخلاص • واسماعيل بصدق الوعد • ويعقوب وايوب بالصبر
وداود بالاعتذار • وسليمان بالتواضع • وعيسى بالزهد • فلما اقتدى بهم اجتمع له • ولما نزل جبريل بقوله
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال لقد اتيتك بمكارم الاخلاق صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عن ظلمك واحسن الى من اسا اليك فاخذ بذلك كله • وكانت خديجة تقول له في اول
ما نزل به جبريل وخاف ذلك قالت له كلا الله لتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتصل الرحم
وتعين على نوايب الحق واعلى ذلك كله ما كان منه ليلة المعراج من غض البصر عن الكونين حتى قال الله
تعالى لهم شيما زاغ البصر وما طغى ثم تصرف بالبلا ولم يتصرف عن العطا وهكذا يقول كل رسول نفسي نفسي وهو
يقول امتي فهذا خلقه • وقوله تعالى فستبصر ويبصرون وهذا وعد له ووعيد لاعدايه يقول فسترى
انت ويرى هولا الذين يجحدون نبوتك وينسبونك الى الجنون بايكم المفتون والبا زايدة والتقدير
ايكم المفتون اي المبتلى بالجنون والذي لا يمكن عاقبة امره ولا يحسن النظر لنفسه وسيظهر في العاقبة
ان هذه الصفة لهم لا لك • وقال ابو عبيدة والاخفش والعتبي البا زايدة كما في تنبت بالدهن وقال
الشاعر هن الحراير لا ربات احمرة سود المحاجر لا يقران بالسور • وقال الاخر نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
وقال الفرا البا مفرغة لكون المفتون مصدرا بمعنى الفتنة كالمعقول والمجهود والميسور والمعسور
تقديره بايكم الفتن • قال محمد بن جرير الطبري والزجاج البا بمعنى في كقولك كنت ببلد كذا اي في بلد
كذا فتقديره ايكم المفتون اي في اي الفريقين منكم فريق الاسلام او فريق الكفر • وقيل المفتون
الشيطان الذي يكون انه مفتون في دينه ومعناه بايكم الشيطان الذي يكون منه مس الجنون • وقوله تعالى
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وينكشف لكم ايضا في العاقبة الضال من المهتدي
من الفريقين • وقوله تعالى فلا تطع المكذبين • قال مقاتل اي المكذبين بالبعث والحساب وذلك حين
دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين ابايه فنزلت في بني المغيرة بن عبد الله عمرو بن مخزوم منهم الوليد

ابن المغيرة وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة وعبد الله بن عمرو بن مخزوم وعثمان بن نوفل ابا عبد الله بن
المغيرة وابو حذيفة بن المغيرة • ودوا لو تدهن فيدهنون • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لو تلين فيلينون
وقال الضحاك هو رواية عن ابن عباس اي لو تكفر فيكفرون • وقيل ودوا لو تلين لهم في دينهم باجابتك الى اعطا
الفتهم فيلينون لك في عبادة الله واصله من الدهن وهو راجع الى المداراة والمقاربة والملاينة فنهاه
الله تعالى عن ذلك وامره بالتصلب والجد في امتثال امر الله تعالى • ولا تطع كل حلاف مهين ثم نهاه عن طاعة
بعضهم خصوصا لاختصاصه بخصال السو واسباب النزول • وقال مجاهد والاسود بن عبد يغوث • وقال
الكلبي هو الاخنس بن شريق الثقفي • وقال مقاتل هو الوليد بن المغيرة وعليه اكثر المفسرين كل حلاف
كثير الحلف بالاصنام والاباطيل • وقال الشاعر لا يكذب المرء الا من مهانته • او عادة السو او من قلة الادب
وقال الحسن وقتادة مهين مكثار في الشر من المهانة ومن السعي في اسباب البيت والحرمة فعيل بمعنى فاعل
هماز عياب وقاع في الناس • وقال ابن عباس رضي الله عنهما مغتاب مشا بنميم كثير المشي بالنميمة
وقال الفرا النميم والنميمة لغتان في المصدر وهي التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغلظ قلوب
بعضهم على بعض ويوقع الفساد والقطيعة بينهم مناع للخير كثير المنع عن غيره • وقيل بخيل بالطعام • وقال [illegible] كان الوليد
ابن المغيرة اذا كانت ايام منى امر مناديا ينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا من اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة
فلم اقبل منا حيسا ثلاثة ايام ما اكلوا او ستقدم اليه المساكين فيسالونه فلا يعطيه شيا فنزلت فيه مناع للخير كان ينفق
في الحجة الواحدة عشرين الفا او اكثر ولا يعطي المسكين درهما • وقيل كان يمنع بني عمه ان يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم
يتجاوز حدود الله تعالى في معاملاته اثيم اي مرتكب للاثم فيما بينه وبين الله • وقال قتادة معتد في عمله اثيم عتل
جاف غليظ • وقال الكلبي العتل الشديد • وقال الخليل هو الاكول المنوع • وقال الفرا هو الخصيم بالباطل وقال
ابو عبيدة هو الفظ الكافر • وقال ابو سعيد الضرير هو الشديد الى الشر • وقال نفطويه هو الغليظ الفظ الذي لا ينقاد
الى خير • وقال بعض المفسرين هو الاكول الرحب الجوف الذي همه بطنه • وقال مجاهد عتل اي اكول شروب ظلوم غشوم
وقال زيد بن اسلم فاحش الخلق • وقال يمان بن رباب فاحش لئيم العشيرة بعد ذلك زنيم اي مع ذلك كما قال والارض بعد
ذلك دحاها • وقيل اعني بجرمكم بعد هذا انه زنيم • قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الزنيم الذي لا اصل له • وقال الفرا
والكسائي هو الملصق بالقوم ليس منهم • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابو سعيد وعكرمة وسعيد بن المسيب
وعطا ومجاهد والخليل والعتبي هو الدعي • وقال حسان بن ثابت وانت زنيم نيط في ال هاشم كما نيط خلف الراكب
القدح الفرد • وقال الاخر زنيم اي ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم • وقال ابو سعيد الضرير معلم باللوم له زنمة
يعرف بها والتيس له زنمتان في اذنيه كانهما قرطان • قال مرة الهمداني ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة • وقيل كان بسنه
من ابيه ظاهر لكن هذا الخبار من الله تعالى حقيقة حتى قال عنده انه لغير رشده • وقد روي انه دخل على امه
شاهر سيفه وقال لها محمد اوصى بعشر صفات وجدت في نفسي تسعة في نفسي فاما الزنيم فلا علم لي به فان اعلمتيني
حقيقته والا ضربت عنقك فقالت له اسكن ولا صدقتك وتامل ان تعطك بما فعلت والا فاني اعلم ان اباك
شيخا وخفت ان يموت فينقطع ذكره ويتفرق في غير ولد ماله فدعوت راعيا الى نفسي فانت من ذلك الراعي • قال
اهل العلم ان الوليد الملعون عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس فيه وسماه باسم واحد قبيح كاذبا وهو
المجنون فاجاب الله عنه وسماه بعشرة اسما صادقة وهي مذمومة فاذا كان من عدل الله انه يجزي المسي الى رسوله بعشر
كان من فضل الله تعالى ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا • وقوله تعالى ان كان ذا مال وبنين قرا
حمزة وعاصم في رواية ابي بكر ان بهمزتين وهو استفهام بمعنى التوبيخ • وقرا ابن عامر بالمد وهو كذلك • وقرا
الباقون بهمزة واحدة ومعناه ولا تطعه بان كان ذا مال وبنين • اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين • ويجوز
على الوجهين ان يكون متعلقا بقوله ان كان ويجوز ان يكون هذا ابتدا • وقوله تعالى ان كان متصلا بما قبله • وقوله
تعالى سنسمه على الخرطوم • قال السدي رحمه الله اي على الانف • وكذا قال الربيع بن انس • وقال ابو سعيد
الضرير الخرطوم الفم وطرف الانف وكذا قال نفطويه فان قيل الا يسود وجه الكافر فلما ذا ذكر الانف خاصة
فالجواب ان العرب خوطبت بما تتكلم فيقولون شمخ بانفه فينسبون الكبر الى الانف ومكان ذكر الانف للوسم
فان كان السواد في ساير وجهه • قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه • وقيل هو على مجاز كلام العرب
اذا شانوا الرجل بما يبقى عاره قالوا وسمه وكوية • قال جرير لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث
جدعت انف الاخطل • والتاويل سنسم هذا الكافر بسمة لا تفارقه في الدنيا والاخرة • وقد قيل ذلك لما انزل
في القران من ذكر خصاله هذه فعرفه بها الاولون والاخرون فصار ذلك شينا باقيا عليه وخص ذكر الخرطوم
لان ذلك مما لا يكتم كما لا يكتم اذا كان في ساير البدن • وقوله تعالى انا بلوناهم اي اختبرنا هولا المشركين
المانعين الخير بالاموال والاولاد ليشكروا النعم او يمنعوا الخير كما بلونا اصحاب الجنة اي البستان وكان بارض اليمن
في قرية يقال لها ضروان على فراسخ من صنعا وكانت بالقرب من اهل مكة وقد عرفوا ذلك وكانت لرجل يودي حق

الله منها ذا بوس عبادة منها فلما مات صارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله تعالى فيها فاهلكها الله تعالى
لكن لك هو الا اذ اقسموا اي حين حلفوا ليصرمنها اي ليقطعن ثمارها ويحوزن النخيل والاعناب والزروع مصبحين
داخلين في اول الصباح النهار قبل انتشار المساكين ولا يستثنون اي ما قالوا ان شاء الله فطاف عليها طايف من ربك
اي الي هذه الجنة من امر الله تعالى ليلا فاستاصلها وهم نايمون اي في حال نومهم فاصبحت اي الجنة كالصريم قال
الكسايي اي كالمصروم وانما قال فاصبحت وقد طاف الطايف ليلا لان معناه فنظروا اليها صباحا فصارت لهم كجنة
صرمت ثمارها وكارض قد حصد زرعها وكذلك قال قتادة كالصريم كانها صرمت • وقال ابن عباس رضي الله عنهما
اي كالصريم اي سودا محترقة كالليل وانشد ابو عمرو بن العلا تطاول ليلك الجون البهيم • فما ينجاب عن صبح بهيم
اذا ما قلت اقشع او تناها • جرت من كل ناحية غيوم • فتنادوا مصبحين اي لما اصبح اصحاب الجنة نادى بعضهم
بعضا ان اغدوا على حرثكم اي امضوا لصرام بستانكم ان كنتم صارمين اي ان كنتم مريدين صرامه فانطلقوا اي ذهبوا في هذا
الوقت وهم يتخافتون اي يخفضون اصواتهم في الكلام يتساررون بهذا الحديث ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
وله وجهان احدهما قبل ان تحضر المساكين والثاني اذا حضر فلا تدعوهم يدخلونها ولا تعطوهم شيئا وغدوا على
حرد قادرين اي قصد قادرين عند انفسهم على المنع • وقيل اي مع القدرة على الاعطا ومع السعة التي لا عذر معها
والمنع • وقال الحسن وقتادة على فقر وفاقة ليهاس من قولهم حاردت السنة اذا امنعت قطرها وحاردت الناقة اذا
لبنها قادرين على المنع عند انفسهم • وقال سفيان على حرد اي على غضب وحقد على المساكين فلما راوها قالوا انا
الجنة او راوها محترقة قالوا انا لضالون اي قال بعضهم لبعض انا ضللنا طريق جنتنا فليست هذه هي وقيل
بل اراد وانا لضالون عن الصواب اي في غدونا على نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بهلاكها بل نحن محرومون
اي تنبهوا انهم ما اخطاوا طريق بستانهم وقالوا ما ضللنا الطريق لكن الله تعالى حرمنا ثمارها بسو نيتنا ويكون
هذا اعترافا بالذنب وقيل اراد وابه انا محارفون كالرجل يريد الشي فلا يجده فيقول هذا من حرماني لا يعترف
بعقوبة على جناية بل يضيفه الى عدم الجد وحرمان الحظ • قال اوسطهم اي اعدلهم وامثلهم الم اقل لكم لولا
تسبحون الله قيل هلا تعظمون الله تعالى بتفويضكم الامر اليه والتبري من الحول والقوة والتعليق بالاستثنا
وقال مجاهد كان التسبيح منهم استثنا اشار الى ان هذا الاوسط كان امرهم بذلك اولا فاستغفوا وسوا
الامر على قدرتهم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين اشتغلوا بالتسبيح واعترفوا بالذنب وهو نية المنع وترك
نهيه عنه • وقال الكلبي اي يقول اشرت علينا بذلك قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متعرطين في المعصية
مجاوزين لحد الطاعة ثم انقطعوا ابانا لهم الى الله تعالى فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا
راغبون • قال الحسن رحمه الله لا ادري اكان ذلك ايمانا منهم ام ما يكون من المشرك عند البلا كذلك اي كذلك
نعذب من فعل فعلهم هذا بنا ولعذاب الاخرة اكبر اي للمشركين لو كانوا يعلمون ينظرون في العواقب فيعملون ذلك
قال ابو معاذ قال الخارجي حدثت ان هذه الجنة كانت قريبة من صنعا في الغزة وكان اهلها مسلمين على دين عيسى
وكان الفقرا يعملون في تلك الجنة ست سنين والنفقة على الاغنيا فاذا كانت السنة السابعة كان للفقرا
ثمرها وخيرها حتى اذا ... الاغنيا فكانوا كذلك ما شا الله ثم دخلهم ما يدخل الناس فقدروا ان يحرموا
المساكين في سنتهم السابعة فابتلاهم الله تعالى بما ذكر فتاب الله عليهم فلما كان في السنة الثامنة عمروها
من اموالهم ونفقاتهم ثم دفعوها الى الفقرا فتاب الله عليهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى
ابتلى اهل مكة بالقحط بعد تعززهم بالاموال كما كان لاهل تلك الجنة • وقال الكلبي بلغنا انهم كانوا ابناء قوم
صالحين وان اباهم قد جعل للمساكين حظا من جنته عند الحصاد ما اخطا المنجل وعند القطاف ما اخطا
القاطف ومن النخل ما انتثر منها فلما مات شيخهم قال بنوه ان هذا الفضل لطعام كثير وعدوا وقت الصرم
وتقاسموا ان لا يطعموا مسكينا شيئا فاصابهم ما ذكر الله تعالى • قال قتادة ذكر لنا ان شيخا من بني اسرائيل
[illegible]

ان كنتم صارمين

علي منع وقال مجاهد على جد في المنع قادرين عند انفسهم

ومورد لقولهم لاوتين مالا وولدا • ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة
ان لكم لما تحكمون وكسر ان للام ايضا في هذا ومعناه ام لكم علينا ايمان حلفنا بها لكم انا نعطيكم الى يوم القيامة من جميع
ما تحكمون علينا لانفسكم في الدنيا حتى لا نزيل عنكم مع كفركم نعمة • والاية الاولى من نعم الاخرة فيتفضل لهم نعم الدنيا والاخرة
بحكمهم سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل هولاء المشركين يا محمد ايهم الضامن لهم من
الذي بهذا • وقيل سلهم ايهم يقوم بتصحيح هذه الدعوى ام لهم شركا في هذا القول يشهدون لهم بصحته فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين انهم شهدا • وقيل معناه ام لهم الهة اشركوها بالله فهي لهم شركا اي عندهم يبلغونهم يوم القيامة
منازل المتقين فليأتوا بشركائهم هولاء ليفعلوا بهم في هذا اليوم الذي يكشف فيه عن اهوال وشدايد والعرب
تقول للامر اذا اشتد قام على ساق • وقال الشاعر • قد سن اقوامك ضرب الاعناق • وقامت الحرب بنا على ساق •
عجبت من نفسي ومن اشفاقها • قال اخر • وعن زيادي الطير عن ارزاقها في سنة قد كشفت عن ساقها • حمرا تبري
اللحم عن عراقها • وقال القتيبي واصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى معاناته جد فيه شمر عن ساقه فاستعير
الساق في موضع الشدة • وقال دريد بن الصمة • كميش الازار خارج نصف ساقه • صبور على الجلاء طلاع انجد • وكنت
اذا جاري دعا لمضوفة • وقال الهذلي • اشمر حتى ينصف الساق مئزري • واحمل هذه الاية على ظهور شدايد الامور قول ابن
عباس وعكرمة ومجاهد وجماعة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو اشد ساعة في يوم القيامة • وقوله تعالى
ويدعون الى السجود اي يدعو هولاء المشركون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم اي ذليلة
ترهقهم ذلة اي تغشاهم وقد كانوا يدعون الى السجود اي في الدنيا وهم سالمون اي ولهم سلامة الالة في السجود
وقوله تعالى ويدعون الى السجود ليس هذا بدعا امر وتكليف بل معناه يحملون على قصد السجود وذلك اذا راوا
المومنون يسجدون لله تعالى يومئذ ويقدرون فيقصد المنافقون والمشركون فيصير ظهورهم طبقا واحدا
وفيه رواية كسفافيد الحديد فلا تنحني فيبقون قياما كذلك وقد كانوا يدعون في الدنيا قيل هذا النداء المؤذن
الى الصلاة • قال كعب الاحبار والله قد نزلت هذه الاية الا في المتخلفين عن الجماعات • وقوله تعالى فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث اي فكل يا محمد هولاء المكذبين الي سنستدرجهم سنقربهم من هذا ابنا بالامهال
قليلا قليلا كما يرقى الراقي موضعا عاليا فيتدرج اليه درجة درجة وشيئا فشيئا حتى يصل اليه بالمهل من حيث
لا يعلمون اي من حيث يعرفون انه بطول الامهال ولا يدرون تفريحا بامر من العذاب والنكال • وقال
زيد بن اسلم سنستدرجهم اي نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت
الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وعن عمر رضي الله عنه لما حمل اليه كنوز كسرى وملوا منها المسجد بكا وقال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا وتلا هذه
الاية • وقال ابو روق سنستدرجهم كلما احدثوا خطية جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار واملي لهم اي
امهلهم وقيل لا اعاجلهم والاملا اطالة الملاومة ... ان كيدي متين
اي اخذي بالعذاب شديد قوي نزلت في المستهزئين من قريش وقتلهم الله تعالى في ليلة [illegible]
سورة الحجر ام تسالهم اجرا معطوف على ما تقدم ام لهم شركا فهم من مغرم مثقلون استفهام بمعنى النفي اي لست
تطلب في شي من اموالهم في تبليغ الوحي فيثقل عليهم فيمتنعوا لذلك ام عندهم الغيب فهم يكتبون • قيل ام عندهم
اللوح المحفوظ وهم يكتبون منه ما هو كاين فيجادلونك به ويزعمون انهم على كفرهم افضل منك عند الله وانه
لا ينزل بهم عذاب مستاصل او نعيه ان البعث غير كاين • وقوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لما حكم عليك من تبليغ
الرسالة باحتمال اذى قومك ولا تضيق به صدرا بذلك وتترك معاجلتهم بالعذاب ولا تكن كصاحب الحوت
اي كيونس عليه السلام اذ لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فضيق الله عليه فالتقمه الحوت اذ نادى وهو
مكظوم • قال الحسين بن الفضل اي نادى لان يرجع الى قوله ولا تكن اذا النداء طاعة فلا ينهى عنها لكن معناه
ولا ذكر اذ نادى وهو مكظوم اي مملو حزنا وغضبا لولا ان تداركه نعمة من ربه اي لولا ان الله تعالى انعم عليه
باجابة دعايه وقبول عذره لنبذ بالعرا اي لالقي بالارض العارية من النبات والبنا وهو مذموم بزلته
وقد مر في اية اخرى فنبذناه بالعرا اي القاه الحوت ولا تخالف الايتان لوجهين احدهما ان الاولى
بمطلق النبذ للنبذ مذموما ولم يكن كذلك وفي الثاني نبذه بالعرا وقد كان محمودا وارسل الى مائة الف
او يزيدون • والثاني لنبذ بالعرا اي لبقي في بطن حوته الى يوم القيامة ثم التي في عرا عرصة القيامة حين يحشر
الناس ولكن من الله تعالى عليه فنبذ بعرا الدنيا وهو كقوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون فاجتباه ربه
اي اصطفاه لدعايه وعذره فجعله من الصالحين اي من المرسلين الى مائة الف او يزيدون فانا الصالحين
اسم الرسل • وقيل اي بنبوته وعذره جعله صالحا لم يبق له زلة وهو مستكمل لصفات الصلاح • وقوله تعالى
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقد مر مرات ان المخففة تبدل اللام لذلك وتجان احدهما اذا ان
نفي واللام بمعنى الا • ووجه اخر انها التاكيد • وقرا حمزة ليزلقونك بابصارهم بفتح اليا من زلق والباقون بضمها من

وقوله يوم يكشف عن ساق

وقال الكرخي

ولو ورلق اذا استقط يعول يكاد هولاء المشركون يسقطونك بعيونهم لشدة نظرهم اليك بغضا وبغضالك
وغيظا عليك لما سمعوا الذكر اي حين يسمعون القران لما فيه من سبهم وتسفيه احلامهم وعجزهم عن معارضته
ويقولون انه لمجنون اي ان محمدا لمجنون وكلامه كلام مجنون وما هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القران الا ذكر اي تذكير
للعالمين كلهم • وقال النضر بن شميل ليزلقونك اي ليعينونك اي يصيبونك باعينهم كذا قال الاخفش وقال
الحسن ليزلقونك اي ليقتلونك باصابة العين وقد عانه يعينه عينا فهو عاين والاخر معيون • وقال الحسن
دواء اصابة العين على الاصل • قال الشاعر • قد كاد قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون • وقال
وقال الحسين بن الفضل جواب قولهم ويقولون انه لمجنون في اول هذه السورة ما انت بنعمة ربك بمجنون

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اخذ الطاغين اخذة رابية • الرحمن الذي لا تخفى عليه خافية • الرحيم الذي وعد المؤمنين
بجنات عالية • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحاقة حاسبه الله
تعالى حسابا يسيرا • وهذه السورة مكية وهي احدى وخمسون اية ومائتان وخمسون كلمة • والف ومائة وعشرة
احرف • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة انه قال في ختم تلك وما هو الا ذكر للعالمين اي عظة
واعظم العظات ذكر القيامة وما فيها في القسم على حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيهما في اخرها
وافتتح هذه السورة بذلك • وانتظام السورتين ان تلك اولها في القسم على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وباقيها في اجزية موافقيه ومخالفيه ايضا في الدنيا والاخرة • وقوله تعالى الحاقة اي القيامة • وقال
الخليل الحاقة اي النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وهذا لان اخبار الله تعالى في الدنيا متتابعة في كتبه
وعلى السنة رسله بذكرها مع خفاء وقتها فاذا قامت قيل هي الحاقة اي قد حقت كما كانت تذكر وتسمى الان الحاقة
على انها واقعة لا محالة كما سميت الواقعة لوقوعها لا محالة • وقيل سميت بها لانها تحق فيها الامور وتظهر
احسان المحسن واساءة المسيء وتظهر ما يجب له وعليه من ثواب او عقاب فهي حاقة على معنى ان الحق
فيه كما يقال نائم لما ان النوم يكون فيه • وقال قتادة سميت بها لانها حقت فيه لكل قوم اعمالهم اي صحت
وقيل هي من حق الشيء يحق حقوقا اي وجب وهي واجبة اي كائنة لا محالة • وقال الحسن البصري رحمه الله
الحاقة معناها انه يحق فيها لاقوام الجنة باعمالهم ويحق لاقوام النار باعمالهم • ما الحاقة استفهام بمعنى
التعجب وهو تفخيم لشانها كقولك زيد وما زيد • وما ادراك ما الحاقة اي وما اعلمك يا محمد اي شيء فيها
من الاهوال والشدائد الاحوال وهو تفخيم اخر وهو كقوله وما ادراك ما سقر وما ادراك ما الحطمة • كذبت
ثمود وعاد بالقارعة اي بالقيامة وسميت بها لانها تقرع قلوب العباد لهجومها عليهم • وقيل تقرع اعداء
الله بالعذاب • وقيل هي الداهية اي كذب الاوائل بالقيامة فلم يؤمنوا بالله ورسله فاهلكناهم في الدنيا
وصيرناهم الى عذاب الاخرة فكذلك حال مشركي زمانك كذبوا بالقيامة فلم يؤمنوا بي وبكتابي ورسولي ه
فعاقبتهم لذلك • فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي اهلكوا بالصيحة المتجاوزة حد الصيحات في الهول حتى قطعت
قلوب القوم وهو كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فالطاغية وصف لتلك الصيحة لمجاوزتها المعتاد
كما قال انا لما طغى الماء اي جاوز في القدر والكثرة • وقيل معناه فاهلكوا بطغيانهم والطاغية مصدر كالكاذبة
والباقية والخاطئة والالف واللام بدل الاضافة • وقيل الطاغية نعت للفرقة اي نعت فرقة طاغية منهم
وهم قدار واصحابه الذين عقروا الناقة ويجوز ان تكون الطاغية هو قدار وحده والهاء للمبالغة كما يقال
علامة ونسابة وراوية للشعر • واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة من الصر • وقيل شديدة الصوت
من الصرير عاتية اي مجاوزة للقدر في شدة العصوف • وقيل عتت على خزانها فلم يضبطوها • وقيل عتت عليهم
بغير رحمة واهلكتهم والعاتي الذي لا يتقي ولا يراقب • سخرها عليهم اي الله تعالى اي ادامها عليهم منقادة لامره
فيهم لا تفتر سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعة لا تنقطع • قال الفراء اخذ من حسم الداء اذا كوي صاحبه
بها لان المكواة تحمى بالنار ويكوى بها ويتابع ذلك عليه • وقال يونس لا اعرف واحدها • وقال ابو الجراح الاعرابي
ليلة تحسام الحر ويوم حسام الحر اي جمع • وقيل حسوما صفة للريح لا لليالي والايام • وقيل هو مصدر ومعناه
سخرها عليهم حسما لهم اي اهلاكا واستيصالا • وقال ابو معاذ هو جمع حاسم كقولك زرعت زروعا اي ضربا
منه • وقيل حسوما اي شؤما لا خير فيه يقال هذه ايام الحسوم اي الشؤم وقطع الخيرات عن اهلها • فترى القوم
فيها صرعى وهو خطاب السامع ومعناه ترى من يرى في هذه الليالي والايام صرعى جمع صريع
كالاسرى جمع اسير • كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل وهي جمع نخل خاوية اي خالية الاجواف وهذه صفة لهم بعظم
الخلقة • وقيل معناه ان الريح قطعتهم حتى صاروا قطعا ضخاما كاصول النخل والوصف بالخواء ان الريح كانت
تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية • وقيل اراد بها البالية لانها اذا بليت خلت اجوافها يقال ابلتهم الريح ه

فصاروا

فصاروا كالنخل البالية لانها اذا بليت خلت اجوافها • فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية • وقيل من بقاء كالمصدر
كالكاذبة والخاطئة • فهل ترى انت او احد من الناس احدا بقي من نسل اولئك الذين قد بادوا فما بقي احد منهم ولا من
نسلهم • قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الله تعالى من الريح فلما امسوا اليوم الثامن
ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قول الله تعالى فهل ترى لهم من باقية • وقوله تعالى فاصبحوا لا يرى
الا مساكنهم قال وذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عذبهم بكرة وكشف عنهم العذاب في اليوم الثامن حين
كان الليل وهذه الايام تسمى ايام العجوز وتكون باردة ذات رياح • قال وهب سميت الايام بها لان عجوزا دخلت
سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن من نزول العذاب • وقال ابن حبيب اسماء هذه الايام مذكورة فيما قال
الشاعر كسع الشتاء بسبعة غبر ايام شهلتنا من الشهر فاذا انقضت ايام شهلتنا بالصن والصنبر والوبر • وبامر واخيه
مؤتمر ومعلل وبمطفئ الجمر ذهب الشتاء موليا هربا واتتك واقدة من النجر • وقوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله • قرا ابو عمرو
والكسائي بكسر القاف وفتح الباء اي ومن عنده ومن معه • والباقون بفتح القاف وتسكين الباء اي ومن تقدمه
والمؤتفكات بالخاطئة اي وقرى قوم لوط المنقلبة باهلها بالخاطئة اي الخطيئة اي جاءوا بالخطيئة وفسرها
تعالى فعصوا رسول ربهم اي خالفوه وكذبوه فاخذهم اي ربهم اخذة رابية اي بالغة زائدة على القدر المعروف
عند الناس في العذاب • انا لما طغى الماء يعني تجاوز الحد المعروف في العظم حتى غرق الارض الا من شاء الله وهو ماء
الطوفان في زمن نوح عليه السلام • قال ابن عباس ومجاهد طغى كثر • وقال قتادة رحمه الله ارتفع على كل شيء
خمسة عشر ذراعا حملناكم اي حملنا اجدادكم وهم نوح والمسلمون من ولده وازواجهم في الجارية اي في
السفينة التي اتخذها نوح عليه السلام بامرنا لنجعلها لكم تذكرة اي عظة تعتدا انجينا بها المؤمنين واغرقنا
الكافرين لتتفكروا انتم بالفرقة الناجية دون الهالكة • وتعيها اذن واعية اي ولتحفظ هذه التذكرة اذن
حافظة وتكون منها في صدورهم • قال قتادة رحمه الله تذكرة اي عبرة واية ابقاها الله تعالى حتى
نظرت اليها هذه الامة اي الواح السفينة وكم من سفينة كانت بعد سفينة نوح عليه السلام قد بليت
لم يبق لها اثر • وقيل لنجعلها اي لنجعل فعلتنا لكم تذكرة • وقال الفراء رحمه الله وتعيها اذن واعية اي كل
اذن ومعناه ليحفظها صاحب كل اذن واعية ثم يؤديها الى غيره • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه روى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اني سالت الله تعالى ان يجعلها اذنك • وقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة وهي النفخة الاولى حتى لا يبقى حيوان الا مات • وحملت الارض والجبال اي رفعتا من موضعهما
فدكتا دكة واحدة لان الجبال ذكر بجملة فصارت شيئا واحدا وهو كقوله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
ومعنى قوله فدكتا • قال الفراء رحمه الله اي زلزلتا كما قال اذا زلزلت الارض زلزالها • وقال اخر دكا اي
فتتا وكسرتا [illegible] اي ضرب بعضها ببعض فصارتا [illegible]
[illegible] فيومئذ وقعت الواقعة اي تقع صيحة القيامة [illegible]
وذلك النفخة الاخرى • وانشقت السماء فهي يومئذ واهية • [illegible]
[illegible]
[illegible] والملك على ارجائها اي [illegible]
حينئذ على اطرافها ونواحيها والواحد رجا [illegible]
[illegible] ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية [illegible]
الى عرصة القيامة لفصل القضاء بين الخلق • وقال علي عليه السلام [illegible] فاذا كان يوم القيامة
ضم اليها اربعة فصار ثمانية • وقال محمد بن اسحاق هم ثمانية املاك [illegible]
الارض السفلى ورؤسهم في السماء السابعة • وقال ابن عباس هم ثمانية صفوف من الملائكة • وقال
الحسن رحمه الله [illegible] ثمانية [illegible] ثمانية الاف • وقال ابو العالية هم ثمانية املاك
[illegible] • وقال ابن مسعود رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible] سبحان الله [illegible] السموات والارض • وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما [illegible] وجه انسان يسأل الله تعالى الرزق [illegible]
الرزق [illegible] للطيور الرزق • وقوله تعالى يومئذ
تعرضون اي للحساب لا تخفى منكم خافية [illegible]
[illegible]
[illegible] فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه [illegible]
[illegible] • قال ابن زيد اي تعالوا • وقيل [illegible]

يقال هاكم وللواحد هاء وللاثنين هاؤما وللجمع هاؤم اقرؤا كتابيه وهاء وهاؤ للمرأة هاء بالمد بغير ياء بعدها وللجمع للنساء هاؤن بالتشديد اقرؤا كتابيه لانه ليس فيه ما يكرهه او يستحيي منه والهاء للاستراحة والوقف انى ظننت اي علمت وايقنت واعتقدت اني ملاق حسابيه الهاء للاستراحة ايضا اي علمت ان الله تعالى سيحاسبني فاجتهدت في الطاعات واجتنبت السيئات • وقيل ظننت اني ملاق حسابيه اي حسبت ان الله تعالى يؤاخذني بسيئاتي • وقوله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية كقوله من ماء دافق اي مدفوق • وقيل راضية اي ذات رضا وهي صفة جامعة لكل خير في جنة عالية اي رفيعة قطوفها دانية اي ثمارها قريبة التناول • وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا اي يقال لهم فيها كلوا واشربوا هنيئا اي سائغا لا مكروه فيه ولا اذى بما اسلفتم اي جزاء لكم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا • وقال ابن عباس هو في الصائمين خاصة • وقيل هو على العموم وانما جمع كلوا اول الاية في الواحد فاما من اوتي كتابيه لانه جنس فكان واحدا لفظا جمعا معنى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بلغنا ان الله تعالى يقول لاوليائه يوم القيامة طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد غارت اعينكم وتقلصت شفاهكم من الاشربة وخمصت بطونكم فتعاطوا الكاس بينكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله وفيه سيئاته كلها فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه هذا الكتاب والهاء للاستراحة ولم ادر ما حسابيه اي ليتني لم اعلم ما حسابي اي ما هو جزائي يا ليتها كانت القاضية اي المهلكة اي يا ليت الموتة التي كانت في الدنيا لم يكن بعدها بعث ولا حساب ويحتمل على هذا ان يكون قوله لم اوت ما كتابيه ولم ادر ما حسابيه يعني يا ليتني لم ابعث ولم اشعر بكتاب ولا حساب وقيل يا ليتها كانت القاضية يتمنى حينئذ اذ يموت لما يرى من سيئاته ويخاف من عقوباته • قال قتادة يتمنى الموت ولم يكن عنده شيء في الدنيا اكره منه ما اغنى عني ماليه • قيل اي ما نفعني ما جمعته اذ لم احشر معه • قال تعالى ويأتينا فردا • وقال ولقد جئتمونا فرادى • وقيل نفعني ما جمعته فانفقته في وجوه الخير والبر في الدنيا اذا احبطه شركي • وقيل لم ينفعني ما جمعته اذ لم انفقه في سبيل الله ووجوه مرضاته هلك عني سلطانيه والهاء للاستراحة ايضا ومعناه عند بعضهم ذهبت عني حجتي • وقيل ذهب عني عذري • وقيل اي ذهب عني سلطاني على نفسي • قال الحسن لقد كان مسلطا على نفسه وما له في الدنيا وقيل اي ذهب عني سلطان الدنيا وملكها وعزها • وقوله تعالى خذوه فغلوه اي يقال للزبانية خذوه فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه مغلولا ثم في سلسلة اي ثم اجعلوه في سلسلة من سلاسل النار • وقيل فاسلكوه اي فادخلوه في سلسلة ثم قد روي ان سلسلته تدخل في فيه وتخرج من دبره فعلى هذا معناه ثم اسلكوا فيه السلسلة • قال الفراء رحمه الله وهو على القلب كقولهم ادخلت راسي في القلنسوة وادخلت القلنسوة في راسي والخاتم في اصبعي واصبعي في خاتمي • قال الاخفش اذا ما الشراب ارتدف بالاكم اي اذا ما الاكم ارتدف بالشراب • وعن يزيد الرقاشي قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية خذوه فغلوه قال لا تفعل والله ابن ادم ليس يجعل لحي برضاه ولا ترضى حتى يطاع فوالله ما الطاعة الا في دار الدنيا الا وان الطاعة تشفعكم • وعن كعب الاحبار قال ان الله تعالى لينظر الى عبده يوم القيامة وهو غضبان فيقول خذوه فياخذه مائة الف ملك او يزيدون فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبا لغضب الله تعالى فيسحبونه على وجهه الى النار فالنار عليه اشد غضبا من غضبهم سبعين ضعفا فيستغيث بشربة فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه ثم يركس في النار فويل له من النار • وعن سفيان عن بشر بن دعلوك انه سمع في قوله سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بين الكوفة ومكة • وعن كعب ان حلقة من تلك السلسلة مثل جميع حديد اهل الدنيا وعن الحسن لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب الجبل كما يذوب الرصاص فكيف يا ابن ادم وهي عليك وحدك • وروى عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا قبل ان تبلغ انه كان لا يؤمن بالله العظيم اي يعذب هذا العذاب لكفره ولا يحض على طعام المسكين اي كان مع كفره لا يحرض غيره من اهله وغيرهم على الطعام المحتاجين • وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال لامراته يا ام الدرداء ان لله سلسلة لم تزل تغلي بها من اجل النار مذ خلق الله جهنم الى يوم تلقى في اعناق الناس فقد نجانا الله تعالى من نصفها بايماننا بالله العظيم فحضي على طعام المسكين يا ام الدرداء والحض الحث فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يرق لما ناله ويدفعه عنه او يخفف عليه ولا طعام اي فليس له طعام الا من غسلين • قيل هو ما يسيل من صديد اهل النار وقيحهم وكانه غسالة اجسادهم • وقال الاخفش هو فعلين من الغسل فهو ما يخرج من الجرح من الدم عند الغسل لا ياكله الا الخاطئون اي المذنبون الذين لا يستحقون المغفرة • وقوله تعالى فلا اقسم

بما تبصرون

بما تبصرون وما لا تبصرون ثم بعد ما ذكر من احوال يوم القيامة دعاهم الى التامل بما ذكره ليعلموا انه من عند الله منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلا اقسم وفيه ثلاثة اقوال احدها ان لا صلة مؤكدة وهو قول البصريين • والثاني انها رد لكلام الكفرة اي ليس الامر كما يقولون وهو قول الفراء • والثالث انها نفي للقسم لانه لا يحتاج اليه لوضوح الحق في انه تبليغ رسول كريم من الله تعالى بالرسالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وقيل هو جبريل كما قال في سورة اذا الشمس كورت والاظهر انه هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم وما هو بقول شاعر اي ليس هذا القرآن قول رجل شاعر لان هذا القول مباين لصنوف الشعر كلها قليلا ما تؤمنون اي ليس لكم همة الايمان اصلا فلذلك تعرضون عن التدبر فيه ولو تدبرتم فيه عرفتم انه ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن اي وليس هو بقول كاهن تاتيه الشياطين ويلقون اليه ما سمعوه من اخبار السماء قليلا ما تذكرون اي ليس لهم همة التذكر لما يتلى عليكم ولو تذكرتم علمتم انه ليس بقول كاهن وطريقه طريق قولهم هذه ارض قل ما تنبت اي لا تنبت اصلا • وقيل هو على حقيقته لانهم كانوا يؤمنون بان الله خالقهم ورازقهم ثم يشركون به ويجحدون انبياءه • وكذا كانوا يتذكرون بعض التذكر ثم يتركون ذلك كما قال انه فكر وقدر • وقرا ابن كثير قليلا ما يؤمنون وقليلا ما يذكرون بياء المغايبة فيهما ردا الى قوله لا ياكله الا الخاطئون • والباقون بتاء المخاطبة ردا الى قوله بما تبصرون وما لا تبصرون وكذا الجحدري الى اخر السورة • ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي ولو تكلف محمد قولا تقوله علينا لم نقله كذبا وزورا لاخذنا منه باليمين اي لاخذنا ناصيته بيده اليمنى لاقامة العقوبة عليه كما يوخذ بيمين من يريد السلطان عقوبته فيقام ليمضي به الى الموضع الذي يقام عليه وقيل لاخذنا بقوتنا • قال الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • وقيل لاخذنا قوته ومعناه عزة لك • وقال الحسن رحمه الله اي لقطعنا يده اليمنى ثم لقطعنا منه الوتين • قال ابن عباس وسعيد بن جبير هو نياط القلب • وقال مجاهد وقتادة والضحاك هو عرق في القلب متصل بالظهر اذا انقطع ذلك مات الانسان • وقيل اي لاميتناه فصار كمن قطع وتينه فما منكم من احد عنه حاجزين اي لو عاقبناه لم يكن احد منكم يحجز بيننا وبينه اي يمنعنا • وقال الفراء احد يكون للجميع وللواحد قال النبي لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤس قبلكم • وقال تعالى لا نفرق بين احد من رسله وانه لتذكرة للمتقين اي وان القرآن لعظة لمن خشي الله تعالى • وانا لنعلم ان منكم مكذبين اي به وذلك لا يخرجه من ان يكون تذكرة وانه لحسرة على الكافرين اي وان القرآن حسرة على الكفار اذ لم يؤمنوا به فيتحسرون يومئذ • وقيل وان التكذيب لحسرة وقد دل عليه قوله مكذبين • وانه لحق اليقين لما مر في اخر سورة الواقعة اي هو من الله تعالى حقا يقينا • فسبح باسم ربك العظيم • اي نزه الله تعالى يا محمد عما يصفه به المشركون واذكره باسمائه العظام كما يقوله المخلصون

سورة سال سائل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل العذاب الواقع للكافرين • الرحمن الذي اعد الجنة للمؤمنين المطيعين • الرحيم الذي جعل خشوع البصر والذلة يوم القيامة للمشركين • روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • وهذه السورة مكية وهي ثلاث واربعون اية • ومائتان وست عشرة كلمة • وسبعمائة وخمسون حرفا • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه عذاب الكافرين • وانتظام السورتين انهما في ذكر يوم القيامة وما فيه لاهل الكفر والايمان من العقوبة والكرامة • وقوله تعالى سال سائل بعذاب واقع للكافرين • قيل اي دعا داع بعذاب واقع اي بعذاب لا محالة وهو واقع بالكفار يوم القيامة • وقيل هذا الداعي هو النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد الدار بن قصي حين قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم والباء في قوله بعذاب يجوز ادخاله في الدعاء يقال دعا بكذا • وقيل الباء زائدة وتقديره سال سائل عذابا واقعا اي طلب طالب عذابا هو واقع بالكافرين لا محالة وهو منهم فسيقع بهم وهو كقوله تنبت بالدهن • وقال الكسائي الباء بمعنى عن كما في قوله فاسال به خبيرا ومعناه سال هذا الكافر عن العذاب بمن يقع قال الله تعالى للكافرين • وقيل سال سائل اي دعا داع لكن الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب الذي وقعه الله تعالى بالكافرين وهو واقع بهم لا محالة • وقيل للكافرين بمعنى على الكافرين كما في قوله وان اساتم فلها اي فعليها • وقرئ سال سائل بغير همز وهو قراءة نافع وابن عامر وله وجهان احدهما تليين الهمزة بالتخفيف والثاني انه من السيلان ومعناه جرى واد في جهنم بعذاب يقع بالكفار يوم القيامة ليس له دافع اي ليس لهذا العذاب من يدفعه عن هؤلاء الكفار • وقوله تعالى من الله ذي المعارج اي هذا العذاب من الله تعالى ذي المعارج جمع معرج بفتح الميم والمعرج للصعود والمعارج الدرجات ولها

معاني • قال قتادة رحمه الله تعالى ذي المعارج اي ذي الفواضل والنعم • وقال ابن عباس اي ذي المعارج • وقيل هي
درجات اوليائه في الجنة • وقيل هي غرف بالجنة والاظهر انها معارج السما التي تعرج فيها الملائكة وقد ذكرها في الايات
تعرج الملائكة والروح قول مجاهد وغيره والروح • قال الحسن رحمه الله هو جبريل صلوات الله عليه • وقال بعضهم هو
ملك اخر اليه اي الى الله تعالى ومعناه الى حيث امر الله وهو كقوله اني ذاهب الى ربي • وقوله تعالى في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة • قال مجاهد اي من اسفل الارضين السبع الى ما فوق السموات السبع مسيرة خمسين الف سنة
لمن يعرج غيرهم وهم يعرجون في مدة قليلة • وقال الزجاج يصعدون في مقدار يوم واحد فاما قوله في سورة السجدة
ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فهذا ما بين السماء الدنيا والارض في الصعود والنزول الف
سنة خمسماية صعود او خمسماية نزول • وقيل هذا اليوم يوم القيامة ومقداره خمسون الف سنة على احتساب
ايام الدنيا • وقيل ان الله تعالى يفصل في هذا اليوم في محاسبة عباده واتصال اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى
النار ما لا يكون مثله الا في خمسين الف سنة لو وليه العباد وهو جل جلاله يفصله في مدة يسيرة من هذا اليوم • وقيل
يفصل ذلك في قدر يوم من ايام الدنيا • وقيل في نصف يوم • فاصبر صبرا جميلا اي على تبليغ الرسالة وعلى اذى
الكفار صبرا لا شكوى فيه • انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اي يعتقده الكفار غير كاين كانه لهذا بعيد عن الصواب
اي هو خطا لا صواب فيه ونراه قريبا اي نعلمه كاينا كل ات قريب • يوم تكون السماء كالمهل • روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه اذاب نفاية الدراهم وقال من سره ان ينظر الى المهل فلينظر الى هذا • وقال الحسن رحمه الله مثل
الفضة اذا اذيبت وقالوا هذا يدل على صحة ما يروى ان السماء الدنيا من حديد • وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد
ابن جبير والاعمش والسدي ومجاهد والثوري هو دردي الزيت • وقال الضحاك المهل الشي الاسود • وقال
سعيد هو اشد ما يكون حرا • وقيل هو الصديد والقيح • وتكون الجبال كالعهن اي الصوف الملون اي يلين من
صلابتها فيصير كذلك • ولا يسال حميم حميما • قال الفرا اي لا يسال ذو قرابة عن قرابته ما حاله لانهم يعرفونهم ثم
لا يتعارفون بعد ذلك الساعة • وقيل لا يسال للمعرفة فان الله تعالى يبصرهم اهل النار واهل الجنة بالعلامات
والصفات فاستغنوا عن السوال • وقيل لا يسالونهم فانهم يرونهم اين صاروا يبصرونهم اي يعرفونهم
حتى يبصر كل انسان لصاحبه ثم ذكر هذه الكلمة على الجمع وما سبق واحد لانه في معنى الجمع والمراد كل القرابات
وقيل لا يسالونهم لاشتغالهم بانفسهم • وقيل يبصرونهم هو روية الاتباع للسادات والتبري منهم كما قال
ولو يرى الذين ظلموا • وقوله اذ تبرا الذين الايات • وقيل تبصر الملايكة رجال الناس فيسوقون كل فريق الى
ما امروا به • يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي اي لو امكنه ان يبذل عن نفسه بدلا يتخلص به من عذاب
يومئذ ببنيه وصاحبته اي امراته واخيه وفصيلته التي تؤويه اي اقرب قبيلة التي ينتمي اليها اي التي تؤويه اي تضمه
الى رحلها وتنفي الحيف لقرب قرابته ومن في الارض جميعا من الناس بعد ما او قربوا ثم ينجيه اي يخلصه الافتدا
كلا اي لا ينجيه الافتدا من عذاب الله انها لظى اي هي جهنم الملتظية نزاعة للشوى قرئ
بالرفع على معنى هي نزاعة وقري بالنصب على القطع لان لظى معرفة نعت بها نكرة ومعناه تنزع بشدة تلظيها جلدة
الراس واطراف البدن كلها من الايدي والارجل ونحوها • وقيل الشوى ما سوى المقتل من كل حيوان يقال
رمى فاشوى اي اصاب غير المقتل والشوى هنا جمع شواة تدعوا من ادبر وتولى اي تدعو لظى الى نفسها من ادبر
في الدنيا عن طاعة الله تعالى اي كفر بالله تعالى وبخل بما كان له على عباد الله تعالى • وقيل ادبر عن الايمان به
وتولى عن الشرايع كما قال فلا صدق ولا صلى واختلف في قوله تدعوا • قيل تقول يا كافر يا منافق يا نصراني يا عجمي
يا فاسق يا ظالم الي الي وهو كنطق الجلود وهو حجة في نقض العادة • وقيل زبانيتها تدعوا الكفار اليها كالخزنة للجنة
على ابوابها اهل الجنة • وقيل هو استعارة ومعناه انهم لا يفوتونها فكانها تدعوهم فيصيبونها كرها وهو
كقول الشاعر دعا في الى هجره وقول الغريز [illegible] • وقيل هو حرحوح لسان منها وجرا علها ان الانسان
خلق هلوعا اريد به الجنس والجمع ولذلك استثنى منه بقوله الا المصلين • قال الهلع الهلوع الضجور
وقال الاخفش تفسيره ما ذكر بعده اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا • وقال قطرب هو الجزوع الضجر
وقال الخليل ناقة هلواعة اي شديدة حديدة • وقيل الهلوع البخيل اذا مسه الشر اي اصابه المكروه جزوعا
واذا مسه الخير اي اصابه الغنى منوعا وهذا الطبع فيه وهو ذم للنفس اللجوجة وهو فقد شرطها الا المصلين
الذين هم على صلاتهم دائمون اي يحافظون عليها في اوقاتها وهو تفسير ابن مسعود رضي الله عنه
وقال عقبة بن عامر وسيل هم الذين يصلون ابدا [illegible] لكنه من اذا صلى لم يلتفت عن يمينه وعن شماله والخلف
وقيل هم الذين لا يتركون منها فرضا ولا يقطعون ما اعتادوه من نفلها • وفي الخبر احب الاعمال الى الله تعالى
ادومها وان قل • والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم • قيل هي الزكاة • وقيل هو سائر الواجبات
وقيل النوافل • سيل علي بن الحسين عن هذا فقال هو الشي يخرج من مالك لا ضيعة من صدقتك ولا من زكاتك
قال الخاص وقال تقري به ضيفا وتحمل به كلا وتودي به نايبة وتصل به رحما والسائل هنا السائل والمحروم [illegible]

والذاريات

في الذاريات • والذين يصدقون بيوم الدين اي بيوم الجزاء والحساب ويوم القضا وهو يوم القيامة فاذا صدقوا به
استعدوا له • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون لان المغفرة في حق المومن معلقة بالمشية • والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم اي نسائهم او ما ملكت ايمانهم اي امائهم فانهم غير ملومين على ترك التحفظ عنها فمن
ابتغى ورا ذلك اي طلب الاستمتاع ورا النكاح وملك اليمين وذلك في معنى ذينك او مستاذ ذلك المذكور وهو
كقوله عوان بين ذلك وهو في معنى الجمع لانه اسم للجنس فاولئك هم العادون اي المتعدون حد الشرع ويدخل
في هذا تحريم وطي الذكران والبهايم • وقيل يدخلون الاستمنا فيه • وروي ان العرب كانوا يستمنون في الاسفار
فنزلت الاية والذين هم لاماناتهم ويدخل فيه امانات الشرع وامانات العباد وعهدهم اي وعهودهم ويدخل فيه
عهود الخلق والنذور والايمان راعون اي حافظون والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقيمون شهاداتهم لله
تعالى لا يحابون ولا يكتمون ولا يغيرون وهذه الخصلة تدل على الصلابة في الدين والرغبة في احياء حقوق العالمين
والذين هم على صلاتهم يحافظون والمحافظة عليها ان لا يضيعها كانه تحفظها وهي تحفظه وذكر في الاول على صلاتهم
دائمون فقيل الدوام عليها ادا وها في اوقاتها والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها وسننها واداؤها وقيل
المحافظة عليها الدوام على التطوعات والمحافظة على المكتوبات هذا بيان درجتهم • وقوله تعالى مكرمون قال
زيد بن اسلم اي بثواب لم تره عين ولا اذن ولا خطر على قلب بشر • وقوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين
قال ابو عبيدة اي مسرعين • وقال الحسن رحمه الله اي منطلقين • وقال ابن زيد اي شاخصين • وقال الزجاج
المهطع المقبل ببصره على الشي لا يزايله وذلك من نظر العدو عن اليمين وعن الشمال عزين اي جماعات في تفرقة
واحدتهم عزة واصله عزوة وهي جماعة يعزون الى اب واحد اي ينتسبون • قال الحسن انكر عليهم الاسراع اليه
لياخذوا الحديث منه ثم يتفرقوا • وقيل اسرعوا اليه لطلب عيب به • وقيل معناه فما لهؤلاء المشركين خالون عن
خصال الخير التي وصفنا بها المومنين قد اسرعوا نحوك واداموا النظر اليك وجلسوا يمينك وشمالك حلقا
لا يعلمون شيا مما امرتهم به عن الله تعالى • وقيل عزين متفرقين لا تنفعهم لا يحضرون كلامك ولا يستمعون ولا
يقبلونه ولا يعملون به • ايطمع كل امري منهم ان يدخل جنة نعيم كالمومنين الذين وصفناهم بهذه الصفة
الاعمال كلا انا خلقناهم مما يعلمون • قال الحسن اي من النطفة • وقال قتادة انما خلقت من قذر يا ابن ادم
فاتق الله • وقيل اي خلقناهم من ماء مهين لا قدر له في نفسه وانما القدر بالايمان بالله تعالى والطاعة لله
تعالى فلم يطمع كل امري منهم ليس بمومن ولا مطيع ان يدخل جنة نعيم وينال قدرا عظيما • فلا اقسم لا بثلاثة اوجه
كما مر في السورة التي قبلها • برب المشارق والمغارب وهي مطالع الشمس ومغاربها في السنة انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم على ان نذهب بهم ونجي بخير منهم في الفضل والمال وغير ذلك وما نحن بمسبوقين اي ما يفوتنا
ما نريد منهم وفيهم من خير وشر فليس تاخيرنا معاقبتهم لعجز بل لحكمة وهذا وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد
لاعدائه فذرهم اي فدعهم يا محمد يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي فيما هم فيه فانه
اشتغال بالباطل الذي لا ينفعهم بل يضرهم نصب تصرف فيه صاحبه من غير فائدة تحصيل وهو قريب يلاقون
يومهم هذا الذي يوعدون به وهو يوم تكون السماء كالمهل وكذا اليوم يخرجون من الاجداث اي القبور سراعا
متبادرين الى موقف الحساب كانهم في سرعتهم الى نصب يوفضون • قرا ابن عامر وعاصم في رواية حفص نصب
بضمتين • وقرا الباقون بفتح النون وتسكين الصاد وبالضمتين قيل هو الصنم الذي ينصب فيعبد وجمعه
الانصاب • وقيل هو جمع وواحده النصاب يعني كانهم يتبادرون الى اصنام او صنم انهم يستلمها ويقبلها والنصب
بالفتح العلم المنصوب اي كانهم في سرعتهم قد نصب لهم علم فهم يسرعون اليه ليبلغوه فيتبادرون اليه بالسبق
وقيل النصب بالفتح واحد وجمعه النصب للقوم اي علامة كانت يوفضون اي يسرعون خاشعة ابصارهم اي
ذليلة نصب على الحال ترهقهم ذلة اي تغشاهم هوان للمذنبين ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون فيكذبون

فيقولون ليس هذا العذاب الواقع

سورة انا ارسلنا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلقنا اطوارا • الرحمن الذي يرسل السما علينا مدرارا • الرحيم الذي يغفر للمومنين والمومنات
انه كان غفارا • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة انا ارسلنا كان من المومنين
الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام • وهذه السورة مكية • وهي ثمان وعشرون اية • ومايتان واربع
وعشرون كلمة • وتسعماية وثمانية وثلاثون حرفا وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة في وعيد
النبي صلى الله عليه وسلم قومه • وافتتاح هذه في انذار نوح • وانتظام السورتين انهما في وعيد الكافرين ووعد
المومنين • وقوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك • قيل اي امرناه ان انذر قومك والارسال
يدل عليه • وقيل ارسلناه بان انذر قومك اي خوف قومك اذ يأتيهم عذاب اليم اي وجيع قال يا قوم اي يا قومي

مقامهم الى نفسه اظهارا للشفقة والله لا يريد بهم الا الخير انى لكم نذير اي مخوف لكم عذابا اليما ينزل بكم ان اصررتم على كفركم
مبين مظهر بلسان تعرفونه ان اعبدوا الله يتضح لبيان على ان • وقوله تعالى اعبدوا الله اي وحدوه واتقوه في المخالفة
ولا تهينه واطيعون فيما امرتكم يغفر لكم من ذنوبكم من زائدة ومعناه ذنوبكم • وقال الزجاج من لتخليص الذنوب من سائر
الاشيا كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان • وقيل يغفر لكم من ذنوبكم ما اوعدكم العقوبة عليه ويؤخركم الى اجل مسمى قال
مقاتل اي الى منتهى اجالكم في الدنيا فلا يعاقبكم بالغرق ولا بغيره • ان اجل الله اي الوقت الذي اجله لعذابكم لا يؤخر
لو كنتم تعلمون احكام الله في خلقه ثم يتوبوا فحبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة ثم عوقبوا لتمام
اربعين سنة ليس فيهم صبي • وقوله تعالى قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي بلغتهم ما ارسلتني اليهم فعصوه
وكذبوه وقال يا رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي ما امرتني به ان ادعوهم اليه من عبادتك وتقواك ليلا ونهارا
مواصلة كما امكنني فلم يزدهم دعائي الا فرارا من اجابتي كما قال فيهم زادتهم هذه ايمانا • قال قتادة بلغني انهم كانوا
يذهب الرجل بابنه الى نوح ويقول لابنه احذر هذا لا يغرنك فان ابي قد ذهب بي اليه وانا مثلك فحذرني كما حذرتك
واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي الى ان تغفر لهم يعني الى ان يفعلوا ما يستحقون به غفران الذنوب السالفة جعلوا
اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا كلامي واستغشوا ثيابهم اي تغطوا بثيابهم وجعلوا رؤسهم فيها لئلا يروا
وجهي ولئلا يقع بصري عليهم مظهرين انهم ضربنا بك وتغطي واصروا اي اقاموا على شركهم واستكبروا استكبارا
اي تعظموا عن اجابتي تعظيما وذكر المصدر لتاكيد الفعل ثم اني دعوتهم جهارا اي مجاهرة على رؤس الملا وفي المحافل
ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم فيما بيني وبينهم سرا وعلانية وهو ان يجعلوا الواحد فالواحد
منهم فنسوا لانه ادعى للدعوة • وقيل قوله دعوت قومي ليلا ونهارا في اسرار الدعوة ثم اني دعوتهم جهارا في جهار
الدعوة وهو ما ذكر بعده فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا اي امنوا بالله واسالوه مغفرة ذنوبكم انه لم يزل
غفارا للذنوب لمن ينيب اليه ويتوب • وقوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور كالانصباب
وقده ويتدرر بالغيم • وعن ابن عباس مدرارا اي يتبع بعضه بعضا • وقال هرون التيمي مدرارا اي المطر الا انه
اي لوقته ويمددكم باموال وبنين اي يزد في اموالكم ويغنيكم من الهدى ويجعل لكم جنات اي بساتين في الدنيا
ويجعل لكم انهارا اي جارية لتسقى نعمكم فيها وتجري لمزارعكم واشجاركم • قيل كانوا يحبون الاموال والاولاد
فحركوا لهذا على الايمان • وقيل كانوا قحطوا ومنعوا المطر وعقم النساء فوعدهم انهم تابوا ان يرفع ذلك عنهم
وروي ان عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فما زاد على المنبر يستغفر حتى نزل فقالوا يا امير المؤمنين ما سمعناك
استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء ثم قرأ هذه الايات • وعن الربيع بن صبيح ان رجلا اتى الحسن
فشكا اليه الجدوبة فقال له استغفر الله • واتاه اخر فشكا اليه الفقر فقال له الحسن استغفر الله • واتاه اخر
فقال ادع الله ان يرزقني ابنا فقال له استغفر الله • قال الربيع اتاك رجال يشكون الوانا من الجدوبة والفقر
وعقم فلك فامرت كلهم بالاستغفار فقال له ما قلت ذلك من ذاتي يعني انما اعتبرت فيه قول الله تعالى خبرا
عن نوح عليه السلام انه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا • وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي ما لكم يا قوم لا تخافون
لله عظمة وقدرة اذ يؤاخذكم على اصراركم واستكباركم فلما تقدرون على دفع ذلك والرجا يكون للطمع وللخوف
وهنا للخوف • وقال الفراء رحمه الله انما يوضع الرجا موضع الخوف مع الجحد لان مع الرجا طرفا من الخوف
من الياس وقد خلقكم اطوارا اي تارات وكرات نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم كذا وكذا الى ان تم الواحد
منكم انسانا • وقيل اطوارا اي انواعا مختلفين صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وضعيفا وغنيا وكذا وكذا
لتعلموا ان الله قدير على كل ما يريد بكم • وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي بعضها
فوق بعض وقد بينا في سورة الملك له وجهين وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا اي جعل القمر
نورا يهتدي به اهل الارض في الليل وجعل الشمس سراجا يضي لهم في نهارهم ليتوصلوا به الى التصرف
في معاشهم يجري ذلك كله على نظام معروف يدل على انهما مسخرات لقادر عالم حي مريد مختار لا يشبه شيا من
المخلوقات ثم قوله تعالى فيهن مع ان القمر في واحدة منهن لوجوه احدها ان الشي قد يوصف ببعضها كما في قوله
فيذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وذلك يكون في بعضها وكما يقال ليلة القدر
في شهر رمضان وكما في قوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس • والثاني ان قوله
فيهن اي معهن اي خلق القمر مع خلق السموات وهو كقوله فادخلي في عبادي اي مع عبادي • والثالث ان القمر في سما
واحد والنور في كل سما لان السموات لطيفة لا تحجب نوره فهو نور في كلها • وقوله تعالى والله انبتكم من الارض
نباتا اي اخرج اباكم من الارض لانه خلقه من طينها وانتم منه فكان انباتا لكم • وقوله تعالى نباتا اي فنبتم
نباتا وقيل يدخل مصادر بعض الابواب في بعض اذا كان الاصل واحدا كما قال وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا
وعلى الاول قالوا تقديره فتبتل اليه وبتل نفسك تبتيلا ثم يعيدكم فيها في الارض بعد الموت ويخرجكم اخراجا

بمنا

منها بعد الموت اي البعث • والله جعل لكم الارض بساطا كما قال فراشا وكما قال مهادا اي بسطها لكم لتسلكوا منها سبلا
فجاجا اي طرقا واسعة لتتصرفوا فيها • قال الفرا والخليل الفج الطريق الواسع فكان ذكره بعد السبل اتباعا والعرب
تتبع احد الاسمين الاسم الاخر وعلى هذا قوله فجاجا سبلا • وقوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني اعاد قوله رب لطول
الكلام انهم عصوني اي خالفوا امري ولم يجيبوني ولم يتبعوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي لم يزده
بسبب ماله وولده الا خسارا اي في امر الاخرة بترك صرفه الى وجوه الخيرات وولده • وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائي بضم الواو وعن ابن عمر انه قرا بالعشيرة • وقرا الباقون بفتح الواو واللام وهو الولد المولود واريد بالجمع
والجنس ها هنا ومكروا اي القوم عطف على قوله واتبعوا ويجوز ان يكون صفة من لم يزده لانه جنس بمعنى الجمع والمكر منهم
ما لنا ان من الكيد مكرا كبارا اي كثيرا اي احتالوا لصد الناس عني وقالوا اي الرؤسا للاتباعهم لا تذرن الهتكم اي
اصنامكم على العموم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وهو كقوله
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى • وقوله واذ اخذنا من النبيين ومنك ومن نوح • قال ابن عباس كان الشيطان
علم قوم نوح على ان يتخذوا اصنام وعبدوها وهي هذه الخمسة فلما كانت ايام الغرق دفنت تلك الاصنام فلم تزل
مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فاتخذت قضاعة ودا فعبدوها بدومة الجندل ثم صارت الى كلب ويعوق
كان لكهلان ثم صار الى همدان • ونسر كان لحمير • وسواع لهذيل • ويغوث لمذحج • ويعوق لكنانة • ونسر لحمير • وقال مقاتل
اما ود فكان لدومة الجندل واما سواع فلهذيل واما يغوث فلبني غطيف من مراد • واما يعوق فلهمدان • واما نسر فلذي
الكلاع من حمير هذه مواريث قوم نوح للعرب • واما اللات فلثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم
ونصر وسعد بن بكر • واما مناف فلقديد • واما اساف ونائلة وهبل فلاهل مكة اساف حيال الحجر الاسود ونائلة
حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا • وذكر الواقدي ان ودا كان على صورة رجل وسواع
على صورة امراة • ويغوث على صورة اسد • ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة طير • وقال الثعلبي بن محمد هذه
هذه الاصنام الخمسة اصلها اسما رجال صالحين كان لهم اتباع على دينهم واجتهادهم كانوا اشد العبادة فصوروهم لئلا يخلف
بعدهم فيعبدوهم وهو في الفترة التي كانت بين ادم ونوح فبعث اليهم نوح فدعاهم الى الاسلام • وقال مجاهد كانوا
رجالا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا وسوس الشيطان الى قومهم باسمائهم حتى يذكروهم فلم تعبد حتى هلك اولئك وعبدت
بعد ذلك • وقوله تعالى وقد اضلوا كثيرا اي صاروا سببا لضلال كثير من الناس وجمع بالواو لانهم وصفوا بصفات
من يعقل كما في قوله رايتهم لي ساجدين • وقال في اية انهن اضللن كثيرا من الناس راجع الى رؤسائهم • وقوله تعالى
ولا تزد الظالمين الا ضلالا دل هذا على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وهذا السوال لكسر المؤمنين ما شدد
على قلوبهم فلن يؤمنوا • وقال الحسن لم يدع نوح بهذا الدعاء حتى ايس من ايمانهم بقوله تعالى انه لن يؤمن من قومك
الا من قد امن مما خطاياهم قرا ابو عمرو مما خطاياهم • وقرا الباقون مما خطيئاتهم جمع خطيئة وما كلمة من وما
ومأصلة زائدة وتقديره من خطيئاتهم [illegible] اغرقوا [illegible] فادخلوا نارا
[illegible]
[illegible] من دون الله انصارا [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا يلدوا الا فاجرا كفارا [illegible]
[illegible]
[illegible] رب اغفر لي ولوالدي [illegible]
[illegible] ولمن دخل بيتي مؤمنا [illegible]
[illegible] وللمؤمنين والمؤمنات [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تزد الظالمين الا تبارا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

ايتام يوم القيامة فينبغي الله تعالى الى الاولين والاخرين خيرا بدعاية لهم فياجره الله مثل اجورهم اجمعين ولا
ينقص من اجورهم شي ويامر الله الاولين والاخرين فيشفعون له ٭ وعن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من راى
في المنام انه غرق فيه الى الناس ثم تلا هذه الاية اغرقوا فادخلوا نارا ٭

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ٭ الرحمن الذي لم يتخذ من دونه ملتحدا ٭ الرحيم الذي احصى كل شي عددا
روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الجن كان له من الاجر بعدد كل جني صدق
بمحمد صلى الله عليه وسلم واعتق الله تعالى رقبته من النار ٭ وهذه السورة مكية وهي مائتان وعشرون اية
ومايتان وست وثمانون كلمة ٭ والف وثمانية وثلاثون حرفا ٭ وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة
ان نوحا دعا للمؤمنين والمؤمنات من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم مؤمنوا الجن ٭ قال تعالى اخبارا عنهم
فامنا به ٭ وانتظام السورتين في المعنى انهما في الدعوة الى التوحيد ونجاة من اجاب اليه وهلاك من لم يجب
وقوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ٭ قال ابن عباس رضي الله عنهما انطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طايفة من اصحابه عامدين سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وخبر السما فقالوا ما حيل بيننا
وبين خبر السما الا امر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما حال بينكم وبينه فانطلق اولئك
فانصرف اولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق
عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدي الى الرشد فامنا به فانزل الله تعالى هذه السورة ففي هذه الرواية انه ما قرا على الجن ولا دعاهم
وروى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه مكة على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا الايات وكانوا تسعة ٭ وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم امرنا بالمصير اليهم ليقرا القران عليهم ٭ وقيل ان الجن اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم دفعتين ٭ وروى ابن جريج في تفسيره عن رجل عن ابن عبيدة عن عبد الله بن مسعود انا اصحب
معك يا رسول الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اتلو القران على الجن
فمن يذهب معي فسكتوا ثم الثانية فسكتوا ثم الثالثة فقال عبد الله بن مسعود انا اذهب معك يا رسول
الله قال انت تذهب معي فانطلق حتى اذا جاء معه الحجون عند شعب ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه
ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل يحدرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما
تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فلا اراه فقمت فاومى الي بيده ان اجلس فتلا القران فلم يزل
صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى ما اراهم ثم انفتل الي فقال اردت ان تاتيني فقلت نعم يا رسول الله
قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني الزاد
فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احد ببعر ولا عظم قال ابن جريج ٭ واما مجاهد فقال قال
ابن مسعود انطلق النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا اتينا المسجد الذي عند حايط عوف خط لي
خطا فاتاه نفر منهم فقال اصحابنا كانهم رجال الزط وكان وجوههم المكاكي قال مجاهد فقالوا من انت
قال انا نبي قالوا من يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها الحجارة
لها تقاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين قالت اشهد انك رسول الله قال اذهبي
فرجعت كما جاءت تجر عروقها الحجارة لها تقاقع حتى عادت حيث كانت فسالوه الزاد فزودهم العظم
والروث وزعم غيره [illegible] ابن مسعود [illegible]
ثم استقبل الصبح فقال هل معك وضوء فقال لا الا اداوة فيها نبيذ فقال تمرة طيبة وماء طهور [illegible]
به ٭ ولا ادري [illegible] هذا مستفيض بالمدينة اما الجن الذين لقوه بنخلة
فجن نينوى واما الذين لقوه بمكة فجن نصيبين ٭ وروى ابن [illegible] عن ليث [illegible]
مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود في هذه السورة قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
[illegible]
[illegible] عليه وسلم [illegible]
[illegible] ابن مسعود [illegible]
[illegible]
[illegible] الصلاة [illegible] رسول الله

صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال لهما الم اقض حاجتكما قالا بلى يا رسول الله ولكن سمعنا النداء الصلاة فجينا
لنصلي معك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلحتما او قال انتما من التمامة او قد افلحتما وافلح قومكما ثم ذكر
سؤالهما الزاد ٭ وفي كتاب تفسير المشاهدات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انا لقعود مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني قد امرت ان اتي الجن فمن يصاحبني منكم فسكتوا حتى قالها ثلاثا فسكتوا فقام فذهب وحده
حتى بلغ البطحا فنظر وراءه فاذا هو بابن مسعود فقام قائما حتى جاء فقال انه ما حملك على الارض حتى
اتبعتك قال اني قد امرت وراء هذا الجبل بوادي فخ اذا انحدرت فيه على ساحل الخط فادخل ولا تخرج منه
فان خرجت منه لم ترني الى يوم القيامة فانحدر في الوادي فخط وقال ادخله واقبل على قراءتك وصلواتك
فانك لن ترى شيئا ولا يخلصون اليك حتى تراني تصعد في اعلى الوادي فاستفتح سورة الجن واجتمعت الجن
حتى امتلأ الجبال وقرا في الصلاة فلما صلى ركعتين انصرف فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله الخصومة قبل بيننا
فتقضي بينه فقال لو رضينا بقضايك وامنا بك ثم ذكر حديث بقية الحمر وحديث الزاد وكانوا جن نصيبين
وارضهم نعيت خوفا لما الزاد لذلك ٭ وقوله تعالى قل اوحي الي اي قل يا محمد لامتك اوحى الله تعالى الي
انه استمع اي الى قراءتي نفر من الجن ٭ قال القتيبي رحمه الله ويقع لفظ النفر على الجماعة من الثلاثة الى العشرة
وقال ابو زيد هو الرهط ما دون العشرة ودلت الاية انه لم يعلم باستماعهم الى ان اوحي الله اليه فقالوا انا
سمعنا قرانا عجبا اي عجيبا في نظمه معجزا لا يقدر على مثله وعجيبا لاشتماله على الاخبار عما كان وعما يكون
وعجيبا لما فيه من بيان كل شي مع قلة الفاظه يهدي الى الرشد اي يدل من تدبره على السداد فامنا اي صدقنا
انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا من خلقه ٭ وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ ٭ قرا ابن كثير وابو عمرو قل
اوحي الي انه وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله هذه الاربعة بالفتح والباقي بالكسر
وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر كذلك الا قوله وانه لما قام عبد الله بالكسر ٭ وقرا الباقون كل ذلك بالفتح
الا ما جا بعد قول اوحي او قال ٭ ووجه الفتح في قوله تعالى وانه ومثله وامنا وانه تعالى جد ربنا وكذلك
ما بعده اويقدر فعل يليق به ينتصب بوقوعه عليه ٭ وقال ابو عبيدة تعالى جد ربنا اي سلطانه وملكه
وقال الاخفش اي عظمة ربنا ٭ وقال الحسن غنا ربنا ٭ وقال الفرا جلال ربنا ٭ وعن انس رضي الله عنه قال كان
الرجل اذا حفظ البقرة وال عمران جد فينا اي عظم في عيوننا ما اتخذ صاحبة اي زوجة ولا ولدا كما يقول له
المبطلون وانه كان يقول سفيهنا على الله اي جاهلنا اي الخفيف العذر والوزن والعقل ٭ وقال مجاهد
وقتادة هو ابليس عليه اللعنة على الله شططا اي قولا يجور فيه عن الحق والصواب وهو انه لا يبعث احدا
وانه له صاحبة وولدا وشريكا وكل ما ذكر في السورة فان ابليس يحسنه عند اتباعه وينسبه الى الله تعالى
كذبا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي لكنا نظن قبل ان نسمع القران ان ابليس وغيره من الجن
والانس اي يجترون على الكذب على الله تعالى وان سفيهنا صادق فيما كان يكذب على الله تعالى الى ان
سمعنا القران فعلمنا انه وساير من اتبعه واطاعه كاذبون على الله تعالى فرجعنا عنه وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن الخبر عن طايفة من العرب كانوا يستجيرون بالجن يقول كان رجال من الانس
يلتجئون في اسفارهم اذا نزلوا واديا مقفرا موحشا يخافون على انفسهم من الجن ان يخبطهم او ينالهم
بسو فيقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه هذا اكثر المفسرين ٭ قال مقاتل اول من تعوذ بالجن
قوم من اهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فزادوهم رهقا اذا الانس زادوا الجن فيا للتعوذ
بهم ٭ وقيل رهقا فسادا وجهلا ٭ وقال الاخفش سفها وطغيانا ٭ وقال القتيبي طغيانا ٭ وانما قال الاصمعي
الرهق غشيان المحارم ٭ وقال ابو سعيد هو مقارفة الاثم ٭ وقال قطرب هو الخفة والطيش وذلك ان الجن
والانس فطغوا بذلك في كفرهم ٭ وقيل بل معناه زاد الجن كفار الانس بذلك طغيانا في الكفر كانهم كانوا
اذا ماذا وابهم فامنوا في منازلهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم
وقال مجاهد زاد الكافرين به طغيانا ٭ وقيل زاد الجن والانس رهقا اي صاروا بسبب ذلك وتحقيقه
ان الانس ازدادوا كفرا وطغيانا بما فعلوه من العوذ بالجن دون الله وانهم ظنوا كما ظننتم يقول الله تعالى
وان هولا الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الانس ان لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب وقيل يقول ان هولا
الجن كانوا ينكرون المعاد كانكاركم ثم بسماع القران اهتدوا فاقروا بالرسل وبالمعاد فاعلموا انتم معاشر العرب
كذلك ٭ وقال مقاتل رحمه الله لما رجع مؤمنوا الجن الى قومهم منذرين كذبوهم وقال مؤمنوا الجن لكفارهم
وانهم يعنون كفار الانس ظنوا كما ظننتم يا معشر الجن ان لن يبعث الله احدا يعني محمدا رسولا بعد عيسى وانا
لمسنا السماء ٭ وقيل اي التمسناها وطلبنا واردنا الاستراق السمع منها ٭ وقيل اي مسسنا السماء ٭ وفي الخبر ان الشيطان
يعرج فلطا بالسماء اي للصعق فوجدناها ملئت حرسا اي حفظة حراسا كاسلحتهم شديدا اي
شدادا ووحد لان ظاهر لفظه لفظ الواحد وهو كقولهم سلف صالح اي اسلاف صالحون ٭ وقيل الحرس مصدر

كالطلب والحلب • وقيل شديدا نعت مصدر مليت اي مليت ملا شديدا من الحرس كما يقال ضرب شديدا اي ضربا ضربا شديدا وشهبا اي كواكب مضية كشهب النار ترجم بها الشياطين • وقيل هي نار حين الكواكب وهي الحرس في قوله والملائكة الملائكة وانا كنا نقعد منها مقاعد اي من السما قبل هذا مقاعد للسمع اي للاستماع اخبار السما فمن يستمع الان اي يرد الاستماع يجد له اي لنفسه شهابا رصدا اي معدا لرجمه وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اذ حرست السما من ذلك ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا وصلاحا قيل هو قول الجن بعضهم لبعض قبل مجيئهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد حيل بينهم وبين خبر السما ولم يدروا سبب ذلك فقالوا لا ندري اراد الله به عذاب اهل الارض بكفرهم ومعاصيهم او بعث رسولا اليهم • وقيل قالوا ذلك بعد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه لا ندري ابكفر اهل الارض به فيعذبون او يومنون به فيرشدون واختلفوا في الرجم والرجوم وانقضاض الكواكب متى ظهر قال ابن اسحاق وقتادة ظهر حين قرب نزول الوحي على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يشاكل الوحي شي من خبر السما فيلتبس على اهل الارض ما جاهم من الله بخبر الرسول مما قال الكهان من قول الشياطين مما استرقوه من قول اهل السما وقال ابي بن كعب والكلبي وغيرهما كان ذلك موجودا قبل مبعثه وبعده الى ان رفع فلم يرجم بعده بالنجوم الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان شعرا الجاهلية يذكرون ذلك في ابياتهم • وقال معمر قلت للزهري اكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم قلت تقول وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان قال غلظت وشدد امرها بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم • وقال الجاحظ وجماعة بل لم يكن قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم وظاهر الاية تدل عليه اما لو ثبت شي قبل مبعثه ولكن في زمانه فهو لاساس امره فكان مختصا به • وقوله تعالى وانا منا الصالحون اي قالت الجن كان منا قبل استماع القران مومنون بالانبيا المتقدمين صالحون في الايمان متقدمون في عمل الخير ومنا دون ذلك اي مومنون دون الطبقة الاولى كنا طرائق قددا اي فرقا قطعا مختلفين كفارا ومومنين وكاملين ما احدثنا في ايماننا ما لم يكن في جنسنا ويدل عليه انه كان في زمن موسى وعيسى منهم مومنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وهذا ترغيب منهم لمن دعوا اليهم منذرين في الايمان والقدد جمع قدة وهي القطعة من قددت الشي بجز والمفسرون فسروا ذلك على اختلاف الاهوا وبعضهم على اختلاف الملل وانا ظننا اي قد علمنا ان لن نعجز الله في الارض اي لن نفوته في الارض ان اقمنا فيها ولن نعجزه هربا ولن نفوته هاربين الى البحار او الى السما وهو تحريك للاصحاب على الايمان خوفا عن المواخذة وانا لما سمعنا الهدى اي القران الدال على الرشد امنا به اي صدقنا به فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا اي نقصانا من الثواب ولا رهقا اي فوت الثواب وبطلانه واصل الرهق لوجوه ومنها الفساد • وقيل رهقا مواخذة من غير ذنب او بذنب غيره وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي بعد استماع القران والقاسطون الكافرون الجايرون عن الحق فمن اسلم وهو للجنس فصار للجمع فاوليك تحروا رشدا اي قصدوا • وقيل طلبوا • وقيل ابتغوا رشدا اي هدى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي صاروا في حكم الله تعالى وقودا لجهنم يلقون كلام الجن وهذا ابتدا كلام من الله تعالى يقول لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا قيل عذبا كثيرا • وقيل نافعا لنفتنهم فيه اي لنمتحنهم فيه بالشكر اي لو وسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق لنتعبدهم بالشكر فيه • ومن يعرض عن ذكر ربه عن ذكر انعامه نسلكه عذابا صعدا اي نلحقه عذابا شاقا شديدا وقد تصعد الشي اي لشق • وقيل عن ذكر ربه فلم يقبله • وقيل اي عن كتابه فلم يتبعه والصعد نعت على فعل كقولهم سفر قدف اي بعيدة وامر كثب اي قريب • وقرا عاصم وحمزة والكسائي يسلكه بيا المغايبة ردا على قوله عن ذكر ربه والباقون نسلكه بالنون خبرا من الله تعالى عن نفسه خطاب الملوك جمعا وحملوا قوله على الطريقة اي على الطريقة المثلى وهي الاسلام قول الضحاك وقتادة وعبيد بن عمير وعطية وسعيد بن المسيب وسفيان بن سليمان وعطا والحسن وكذلك قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الاية ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية فاستغفروا ربكم انه كان غفارا الايات • وقوله فلنحيينه حياة طيبة • وقال الحسن كان اصحاب رسول الله سامعين لله مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر • وقال الكلبي والربيع بن انس وزيد بن اسلم اي لو استقاموا على طريقة الكفر لاعطيناهم سعة في الدنيا لنستدرجهم بذلك ليزدادوا اثما وفتنة وهو كقوله ايحسبون انما نمدهم به الايات • وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية • وقوله تعالى وان المساجد لله اي واوحي الي ان المساجد وهي البيوت المبنية للصلاة بها لله تعالى وهو المستحق للعبادة فيها فلا تدعوا مع الله احدا اي لا تعبدوا • وقيل قال سعيد بن جبير ان الجن قالوا يا رسول الله كيف لنا في المساجد معك ونحن ناون عنك اي كل المساجد لله فاخلصوا العبادة لله فيها اي مسجد قدرتم عليه • وقال الحسن من السنة اذا دخل احد المسجد ان يقول لا اله الا الله لا ندعو مع

الله احدا • وقيل المساجد لله اعضا السجدات لا تسجد بها الا لله الذي هو الصمد اي الله هو المستحق لسجود الخلق له • وقال الحسن ان المساجد لله اي الصلوات لله • وقيل المساجد اي الاعضا التي يسجد عليها لله • وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه اي واوحي الي انه لما قام عبد الله اي محمد رسول الله يدعوه اي يعبد الله ويصلي له كادوا يكونون عليه لبدا اي قاربت الجن ان يكونوا على رسول الله متراكبين شهوة لما سمعوه منه وحرصا على التمكن منه هكذا اكثر المفسرين • وقيل هو قول الجن حين رجعوا الى قومهم قالوا لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي كاد اصحابه ان يكونوا عليه لبدا اي ركاما ولبدا اي الاحتشاد جماعات واللبدة الجماعة • وقال قتادة كادوا يلبدون به اي يلتصقون به • وقيل لما قام عبد الله يدعو الى الله قل انما ادعوا ربي اي قل يا محمد للمشركين انما اعبد ربي الذي لا شريك له احكامه من خلقه وهذه قراة حمزة وعاصم وقرا الباقون قال قطعا على قوله وانه لما قام عبد الله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي كفرا ولا نفعا ولا رشدا وهدى اي ايمانا وانه هدى اي لا املك اذ حالكم في الكفر الا الايمان انما ذلك الى الله تعالى • وقيل الضر هو عقوبتهم على الكفر في الدنيا والاخرة والرشد سوالهم ذلك بايمانهم قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الا بلاغا من الله ورسالاته لكم الا البلاغ ما ياتي من الله ورسالاته • وقال الفرا تعالى هذا اليكم قل الا ان ابلغكم اياها نعمد لرسالات الله تعالى اياها اليكم ومن يعص الله ورسوله اي رد امر الله ورسوله فان له نار جهنم وحده واحد للعظم خالدين فيها ابدا جمع لمعنى من لانه جنس حتى اذا راوا ما يوعدون اي هذه النار يوم القيامة فسيعلمون حينيذ من اضعف ناصرا واقل عددا هم المومنون ام الكافرون لا ناصر لهم يوميذ والمومن ينصره الله تعالى وملايكته وانبياوه والانصار يغنى على الاعدا والعدد على العشرة • وقال ابن كيسان اي فسيعلم الكفار يوم القيامة ان الذين نصروهم في الدنيا وظاهروهم على رسل الله يخذلونهم فيتبرون منهم ويلعنونهم قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون من ادخال النار ام يجعل له ربي امدا اي غاية بعيدة عالم الغيب اي ذي عالم الغيب ما غاب عن الخلق فلا يظهر على غيبه احدا اي لا يطلع الا من ارتضى من رسول اي الا من اختاره الله تعالى للرسالة فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي يدخل بين يدي الرسول ومن خلفه ملايكة تحفظه له يحرسونه من ان يقربه الشيطان عند انزال الوحي فيلقي في وحيه غير الوحي • وقيل يحفظونه عند نزول الوحي من ان يصل اليه الشيطان فيسمعه فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرسول وقيل الرسول في هذا جبريل ونحوه اذا اطلعه الله على غيبه وامره بتبليغه الى رسول البشر صحبه ملايكة يحفظونه حتى يبلغه الى رسول البشر من جبريل كما روي في تشييع الملايكة جبريل في سورة الانعام ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ليظهر ابلاغ الرسل قومهم ما امروا بابلاغه محفوظا من التغير والعلم كناية عن الظهور • وقيل اي ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وقد مرت نظايره واحاط بما لديهم واحصى كل شي عددا على القول الاول وليظهر ما علم الله وبما عند الانبيا من الوفا بما حملوا واحصى كل شي عددا او ليظهر ان الله قد علم بعدد ذلك ذي عدد لم يخف عليه شي • وقيل ليعلم الرسول ان الملايكة قد بلغوا اليه رسالات ربهم على الوجه • وقيل اي ليعلم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ان ساير الرسل قد بلغوا رسالات ربهم الى اممهم كما بلغ هو الى امته وقد سبق ذكره على الخصوص في قوله وانه لما قام عبد الله • وقيل اي ليعلم الجن وهو غير مذكور صريحا لكن دل عليه قوله رصدا لانهم يرصدون عنده انه ليعلم هو ان رسل الله قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم اي خبر بالرب ما عندهم واحصى كل شي عددا اي علم كل شي بوجوهه ومقاديره • وقال ابن كيسان اي ليعلم الخلق ان الرسل صادقة فيما بلغت من الله تعالى • وقال محمد بن كعب اذا بعث الله رسولا جعل حوله ملايكة فاذا جاء الشيطان في صورة ملك قالوا هذا شيطان فاحذروه واذا جا ملك قالوا هذا رسول ربك • وقيل اذا بعث ملكا الى نبي جعل معه حرسا من الملايكة يزجرون الشيطان فاذا نزل جبريل من السما انحدر معه اهل كل سما الى التي تليها الى ان ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحيطون به حتى يفرغ من اداية فيرويه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه ويكون اول من تكلم به

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انعم على رسوله بقول التبتيل • الرحمن الذي اخذ عدوه اخذا وبيلا • الرحيم الذي يتولى من اتخذ اليه سبيلا • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة • وهي مكية الا قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانها مدنية وهي ثماني عشرة اية ومايتان وتسع وتسعون كلمة وثمان مائة واربعة وعشرون حرفا • وانتظام اخر تلك السورة باول هذه السورة ان اخر تلك في ارسال كل الرسل واول هذه في ارسال محمد المصطفى

صلى الله عليه وسلم ● وانتظام السورتين ان تلك في دعوة الجن ووعد من اجاب منهم ووعيد من لم يجب ● قوله تعالى
يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي وهو الملتف بثيابه ● وقيل كان نائما متزملا في ثيابه فامر بالقيام
للصلاة ● وقيل كان قائما متهيئا للصلاة متلففا بثيابه ● وقيل كان هذا في اول ما اوحي اليه لما سمع صوت الملك ونظر
اليه اخذته الرعدة والحمى فاتى اهله وقال زملوني دثروني وتروى الاحاديث فيه في اول سورة المدثر ان شاء الله
تعالى قالوا كان نداؤه في اولها يا ايها المزمل ويا ايها المدثر فلما حمل الميثاق نودي يا ايها المتحمل بلباس الرسالة
المتحمل لاعباء الامانة قم الليل اي تهجد بالليل واسهر للصلاة فيه الا قليلا من الليل تستريح فيه ● قيل هو الثلث
الاخير وتقديره قم ثلثي الليل وقوله نصفه يعني او قم نصفه او انقص منه قليلا اي من النصف او زد عليه
اي ذلك شئت فتفهم التخيير وانما لم يذكر لفظة التخيير فكذا هذا ● وقيل قوله نصفه تفسير لقوله قم الليل وتقديره
قم نصف الليل كقولك ضربت زيدا راسه ومعناه ضربت راس زيد فكان الامر اولا بقيام نصف الليل ثم قال
او انقص منه قليلا وهو ما دون النصف ثم قال او زد عليه اي على النصف فما دونه وما فوقه وكان النبي صلى
الله عليه وسلم شق عليه مراعاة هذه المقادير فقام سنة في رواية لم يتم في شيء منها ● وفي رواية سنين ● وفي
رواية حتى تورمت قدماه ● فانزل الله تعالى التخفيف له وللمؤمنين ان ربك يعلم انك تقوم الاية فسقط عنه
فرضية القيام ليلا وبقيت الفضيلة وروي ذلك عن ابن عباس والحسن والكلبي قال الحسن ان الله تعالى
افترض على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قيام الليل فكان قيام ثلث الليل فريضة عليهم فكانوا كذلك
سنة حتى انتفخت اقدامهم وعلم انهم لا يطيقون ذلك فرحمهم الله تعالى ووضع عنهم فانزل ان ربك يعلم الاية
وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اي في صلاة الليل قال الفراء اي اقراه على هينتك ● وقال ابو سعيد اي فصله
وهو ان يسكت على الاية بتاملها ● وقيل الترتيل اداء الحروف وحفظ الوقوف ● وقال المظهر اي لينه وهو حسن الوجه
وتحزين القراءة والترتيل التبيين والاتقان وقيل المنضد من قولهم ثغر رتل ورتل اي منتظم مبين حسن النظم ● وقوله
تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ● قيل هو قيام الليل فانه يصعب على الانفس الثقيلة لانه للنوم
فالاستراحة عادة ● وقيل معناه انا سنوحي اليك قرآنا تثقل العمل بشرائعه واحكامه ● وقيل اي قرآنا ثقيلا
على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم وبيان ضلالتهم وسب آلهتهم وتسفيه احلامهم وعلى اهل الكتاب
لبيان تحريفهم ● وقيل اي قرآنا ذا قدر ووزن لحسن نظمه ومعانيه ليس بالسخيف ولا بالضعيف ● وقيل
قرآنا ثقيلا عليك ظهور آثار وحيه ● وقال زيد بن ثابت كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله ان بي من الضرر ما ترى
فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى خشيت ان ترضها فنزلت غير اولي الضرر ● وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع ان تتحرك ● وقالت
عائشة رضي الله عنها لقد رايته في اليوم الشديد البرد ينزل عليه الوحي وان جبينه لينفصد عرقا ● ان
ناشئة الليل اي ساعات الليل التي تنشا شيئا بعد شيء اي تقبل وتبتدي وقد انشاها الله تعالى
فنشات وهي نعت وهذا قول الاخفش والقتبي ● وقيل ناشئة الليل اي قيام الليل فاعلة بمعنى المصدر
كالخاطئة والكاذبة وهي ما نشا منك اي حدث من القيام ● قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ناشئة
الليل قيام الليل ● وقال الخليل ناشئة الليل اول الليل والناشئ المبتدي ● وقوله تعالى هي اشد وطاء
قرا ابو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو ومد الالف من المواطاة وهي الموافقة وقد واطاه مواطاة ووطاء
كما يقال ماراه مماراة ومراء ● وقرا الباقون بفتح الواو وطاء وقصر الالف من الوطء بالقدم اي قيام الليل
للصلاة اشد ثقلا على الانسان وهو اعظم للثواب وهو من قولهم اشتدت وطاة السلطان على الرعية
اذا ثقل عليهم ما حملهم من المؤن ● وقيل اشد وطاء اي اشد ثباتا من النهار لانه يخلو بالليل من الاشتغال
فيتفرغ لهذا من يتعب بالاعمال ● وقال الفراء رحمه الله اشد وطاء اي اثبت قياما ● وقال ابو سعيد العرب
اي اثبت للقدم في الصلاة ولهذا وجهان ادوم لمن اراد الاستكثار من الصلاة واثبت مما يشتغل بالنهار لانقطاع
الشواغل عنه ● وقيل اي ساعات الليل اشد وطيا للقائم فيها اي نطاه فتسكنه فلا يتحرك ولا يلتفت ولا يتمايل
وعلى قولهم ناشئة الليل اول الليل هي اشد وطيا لانه قبل ان يغلبه النوم ولو قام بعدما نام فمتى يكون حاضر النفس
وهو في اول الليل اثبت قدما واحسن قياما واما قراءة كسر الواو والمد في اخره فمعناه ان ساعات الليل اوفق
للقيام واشد موافقة له لفراغ القلب من الشغل ● وقيل هو اشد موافقة للقلب مع اللسان فيفرغ من ذلك
لانقطاع الاشغال ● وقوله تعالى واقوم قيلا اي القراءة بالليل اقوم منها من القراءة بالنهار اي اشد استقامة
واستمرارا على الصواب لان الاصوات هادئة والحركات منقطعة والشواغل زائلة ● وقوله تعالى ان لك
في النهار سبحا طويلا اي تصرفا كثيرا وتقلبا في حوائجك واموره فيبالك ففرغ نفسك بالليل لعبادة ربك واصل السبح
السهل في الامر كالسابح في الماء ● وقيل هو الجري والدوران من السباحة وفرس سابح حسن مد اليدين في الجري كالسابح

[illegible] ● وقال الخليل [illegible] واذكر اسم ربك
[illegible] قبل الشروع في الصلاة ● وقيل [illegible]
وتبتل اليه تبتيلا اي [illegible]
[illegible] رب المشرق والمغرب [illegible]
[illegible]
[illegible] واصبر على ما يقولون [illegible]
[illegible] وذرني والمكذبين [illegible]
[illegible] ان لدينا انكالا وجحيما [illegible]
[illegible] وطعاما ذا غصة [illegible]
[illegible] يوم ترجف الارض والجبال [illegible]
[illegible] وكانت الجبال كثيبا مهيلا [illegible]
[illegible] انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم [illegible]
عليه وسلم شاهدا عليكم اي يوم القيامة باجابة من اجاب وتكذيب من كذب كما ارسلنا الى فرعون رسولا
وهو موسى عليه السلام فعصى فرعون الرسول اي الذي جعلنا رسولا اليه والنكرة اذا اعيدت تعرفت
ومعنى عصاه رد امره فلم يقبله فاخذناه اي اخذنا فرعون اي عاقبناه اخذا وبيلا اي عقوبة شديدة
وهو الغرق والوبيل الثقيل الشديد ● وقيل الوخيم ● وقيل الغليظ ● وقيل الكريه ● وقد وبل المرتع يوبل وبالا
فهو وبيل من حد شرف يقول فاحذروا ان يشاركوهم في المعصية فتشاركوهم في استحقاق العقوبة فكيف
تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا اي ان لم تتقوا اليوم ثم سنعكم الا تتقوا يوم القيامة ● وقيل هو
استفهام بمعنى التقريع اي كيف تتقون انفسكم عذاب يوم القيامة اذ كفرتم بالله ولا تعبا افتنا لمن الوقاية
وهو التوقي يجعل الولدان شيبا صفة اليوم والشيب جمع اشيب والشيب بياض الشعر ● وقيل هو على حقيقته
تشيب الولدان من هيبته وذلك اذا قيل لادم ابعث بعث النار فيقول لكم من كم فيقال من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تشيب الولدان ● وقيل هو مبالغة في وصف شدة ذلك اليوم يقال
هذا امر تشيب له الوليد ● قال الشاعر ● وهنا امور تشيب الوليد ● ويخذل فيها الصديق الصديقا ● السماء
منفطر به اي متشقق بذلك اليوم كما قال اذا السماء انفطرت ● وقال اذا السماء انشقت ● وقال ويوم تشقق
السماء بالغمام وظاهر لفظ المذكر ولذلك قال منفطر ● وقال اذا السماء انفطرت فانث لانها مؤنثة سماعا
كان وعده مفعولا اي كائنا وعد الله من كون هذا اليوم على ما فيه من الشدائد مما يفعله الله وحققه ان
هذه تذكرة اي ان هذه السورة تذكرة وعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فقد سهل التذكر والنصح
سلوك سبيل الاخرة فمن شاء امكنه ان يتخذ لنفسه سبيلا الى نيل رضا الله وثوابه ● وقوله تعالى ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه ● قرا نافع وابو عمرو وابن عامر ونصفه بالخفض وكذلك وثلثه
اي ادنى من ذلك كله ● وقرا الباقون ونصفه بالنصب وكذلك وثلثه عطفا على قوله ادنى وهو منصوب
بوقوع تقوم عليه ● قالت عائشة رضي الله عنها ان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام
نبي الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله
التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فرضه ● وقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم اي
الليل ادنى من ثلثي الليل اي اقل من الثلثين ونصفه وثلثه على النصف اي وتقوم نصف الليل وثلث الليل

وعلى قراءة الخفض تقوم اقل من نصف الليل واقل من ثلث الليل وطائفة من الذين معك اي من اصحابك يفعلون كذلك وكانوا
لا ينقصون من ثلث الليل وقد يزيدون عليه فقد كانوا امروا في اول السورة بذلك على التخيير فاشتكوا لما امروا به
في ليالي المختلفة كمن حنث في ايمان فكفر في بعضها بالعتق وبعضها بالكسوة وفي بعضها بالطعام والثاني ان يكون بعضهم
كان يقوم الثلث وبعضهم النصف وبعضهم الثلثين كقوم حنثوا في اليمين وكفر كل حالف بنوع والله يقدر الليل والنهار
اي هو يزيد وينقص وهو العالم بمقاديرهما على الحقيقة وانتم تعلمون ذلك بالظن المؤدي الى الخطا احيانا علم ان
لن تحصوه اي لم تقدروا على حفظ هذه المقادير وقيل اي لن تطيقوا قيام الليل على الدوام ثم هذا لم يكن تكليف
ما ليس في الوسع لكن كان يشق عليهم بعض المشقة فتاب عليكم اي رجع بكم من تثقيل الى تخفيف ومن تعسير الى تيسير
بان ازال عنكم هذا الفرض واسقط عنكم مؤنة حفظ التقدير وهو كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب
عليكم ومعنا الاحصاء المذكور في قوله عليه السلام استقيموا ولن تحصوا وقاربوا والاحصا يكون هذا ويكون
استطاعة وقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران قال الحسن رحمه الله اي فصلوا بالليل قدر ما تيسر عليكم والصلاة
تسمى قرانا لما فيها من القراءة قال تعالى وقران الفجر وهو كما يسمى تسبيحا ويسمى سجودا وركوعا لما فيها من كل واحد منها
وكان الحسن يقول بظاهر هذا ان قيام الليل واجب ولو قدر حلب شاة وتلى هذه الاية وهو قول جماعة من اهل
العلم وقال عبد الرحمن بن زيد وقتادة نسخ فرض قيام الليل اصلا قل او كثر وقال الضحاك ومقاتل ارتفع
عن الامة الا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي زيادة لك على ما فرض
على امتك من الصلوات الخمس وقيل فاقرؤا ما تيسر من القران هو على حقيقة القراءة في صلاة الليل وقيل
في كل صلاة ودل اطلاقه على ان قراءة الفاتحة غير متعينة للفرض كما قال اصحابنا وقوله تعالى علم ان سيكون
منكم مرضى يشق عليهم قيام الليل واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله اي يسافرون للتجارات
واخرون يقاتلون في سبيل الله اي يشق عليهم قيام الليل في السفر وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال ما من حال ياتيني عليها الموت بعد الجهاد في سبيل الله احب الي من ان ياتيني وانا التمس من فضل
الله ثم قرا هذه الاية وروى علقمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد
فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهدا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية وقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه هو للتطوع منه وهو فايدة التكرار والتقليل فرض عنه والزيادة
عليه نفل وقيل معنى التكرار فاقرؤا ما تيسر منه في الصلاة المفروضة في الليل ايضا واقيموا الصلاة اي
دوموا على اقامة الصلوات الخمس واتوا الزكاة المفروضة فانكم اذا دمتم على ذلك ادركتم الغايات من اجر
قيام الليل واقرضوا الله قرضا حسنا اي فتطوعوا بما يكون من وجوه البر بالمال وقيل هو جميع وجوه الخير
نفلا وفرضا وقد فسرناه مرات في ايات وما تقدموا لانفسكم من خير ما كلمة شرط وهي جازمة وقد سقطت النون
كذلك في الشرط والجزا تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا هو عماد راجع الى قوله تجدوه يقول كلما قدمتم
في الدنيا زادا لانفسكم ليوم معادكم من انواع الخير من الصلاة والزكاة والاعتكاف والحج والعمرة والجهاد
نفلا وفرضا وجدتم ثوابه عند الله هو خيرا اي اكثر نفعا واعظم اجرا اي اجزل ثوابا واستغفروا الله اي من
السيات والتقصير في الحسنات ان الله غفور رحيم يستر ذنوبكم ويرحمكم ولا يعذبكم والله الموفق

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي امرنا بانذار من عصى الرحمن الذي جنوده لا تحصى الرحيم الذي هو اهل التقوى واهل
المغفرة والتقوى روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المدثر اعطاه
الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة وهذه السورة مكية
وهي خمس وخمسون اية ومايتان وست وخمسون كلمة والف وخمسة احرف وانتظام ختم تلك السورة
بافتتاح هذه السورة انه ختم تلك بالامر بالاستغفار وهو يكون عن السيات والتقصير في الطاعات
وانتظام السورتين وافتتاح هذه بالامر بالانذار وهو على السيات والتقصير في الطاعات وانتظام السورتين
انهما في ذكر الايمان واعمال البر والحسنات قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر يا ايها المتلفف بالدثار
قم الى الكفار وانذرهم بالنار امر في السورة الاولى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالقيام في الليل
بالعبادة وامر في هذه السورة بالقيام في النهار بالدعوة كانه قال له امض ليلك في خدمة الخالق ونهارك
في الشفقة على الخلق فان الدنيا اليوم مملوة من الكفار وداعيهم واحد وهو انت وعرصات القيامة
غدا تكون مملوة من العصاة وشافعهم واحد وهو انت ومن كان في قلبه هذان الهمان لم يتفرغ للاستراحة
ليلا ولا نهارا فقم بالنهار منذرا كي تقبل المدثرون بدعوتك وقم بالليل مستغفرا كي يحضر الخاطئون فيه
بشفاعتك قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقيل قوله

يا ايها المدثر اي يا ايها المتزين بلباس النبوة وقال عكرمة دثرت هذا الامر فقم به وقيل كان هذا في ابتداء الوحي خاف
ان يكون قد اعتراه الشيطان بشيء فاستوحش لذلك فوجد رعدة في بدنه فجا الى خديجة وقال دثروني فدثرته
فجاءه الوحي بان الذي كان استوحش له وقال يا ايها المدثر قم فانذر فانك رسول الله تنذر الناس فامض لما ارسلت له
قال يحيى بن كثير سالت ابا سلمة اي القران انزل اولا فقال يا ايها المدثر فقلت اقرا باسم ربك فقال الا اخبرك الا
ما حدثني النبي صلى الله عليه وسلم قال جاورت في حرا فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت
فوق راسي فاذا هو جالس على كرسي بين السما والارض فخشيت منه فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء
فانزل علي يا ايها المدثر قم فانذر وعن جابر قال وهو يحدث عن فترة الوحي قال عليه السلام فبينا انا امشي سمعت
صوتا من السما فرفعت فرجعت فقلت زملوني دثروني فانزل الله تعالى يا ايها المزمل يا ايها المدثر ثم حمي الوحي
وتتابع وعن جابر ان المشركين اجتمعوا في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه فقال بعضهم هو شاعر وقال
بعضهم انه مجنون وقال بعضهم هو كاهن فقالوا ليس كذلك ولكنه ساحر يفرق بين الحبيب وحبيبه فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه فتزمل بثيابه وتدثر فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر وقال
الواقدي كان ممن نزل فيه القران من اوليك النفر الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو لهب
وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر ووايل ومطعم بن عدي فقام الوليد بن المغيرة فادخلهم دار الندوة
وقد اجتمعت وفود العرب بمكة ايام الحج يسالون قريشا عن امر محمد صلى الله عليه وسلم فلما دخلوا دار الندوة
قال الوليد بن المغيرة يا معشر العرب انكم قد اختلفتم واختلف عليكم ان الرجل من العرب ياتيكم
يسالكم عن محمد فيلقاه الاخر انه ساحر فتعلم العرب ان هذا في رجل لم يجتمع فقط فسموا محمدا اسما يجتمعون
عليه في تسمية العرب فقام رجل منهم فقال شاعر فقال الوليد بن المغيرة سمعت كلام عبيد بن الابرص وكلام
امية بن ابي الصلت ما يشبه كلامه بكلام واحد منهما قالوا هو كاهن قالوا وكيف يكون امر الكهانة قالوا يقول
فيصدق ويكذب قال الوليد ما كذب محمد قط فقام اخر فقال مجنون فقالوا وما يكون من الجنون قال
الذي يخنق قال الوليد ما اخنق محمد قط ثم قال الوليد فانصرف فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة قال
فدخل عليه ابو جهل فقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيا تعطيكه زعموا انك احتجت
وصبات فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت ما يكون من الساحر قالوا يفرق بين الاب
وابنه وبين الاخ واخيه والمراة وزوجها هذا بنو عبد مناف ان تقول احد ساحر فانه يؤثر عن غيره
بمكة والناس ينظرونهم فقالوا اما صاحبكم قالوا ساحر فارتج الناس بضجة واحدة يقولون ساحر قال
فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم
فانذر يعني لا تشق عليك ما يقولون وقال مقاتل ان كنا بمكة لما آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانطلق الى حراء ليتوارى عنهم فبينما هو يمشي اذ سمع مناديا فوق راسه يا محمد فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا
ثم نودي ثانيا يا محمد فنظر خلفه فلم ير شيئا ففزع لذلك فقال لعل هذا شيطان فمضى ثم نودي ثالثا يا محمد
فنظر الى السماء فراى شيئا مثل السرير عليه جبريل مثل النور المتوقد ينادي فغشي عليه ثلاث ساعات ثم
افاق وله رعدة ورجلاه تصطكان حتى اتى خديجة فدعا بماء فصب عليه فقال دثروني دثروني بقطيفة
ثم افاق فقال لقد اشفقت على نفسي فقالت له خديجة ابشر فان الله لا يريد الا خيرا انك لتقري الضيف
وتفك العاني وتعطي في النوايب فاتاه جبريل وهو متدثر في قطيفة فقال يا ايها المدثر بالثياب قم فانذر
كفار مكة قريشا وربك فكبر اي قل الله اكبر فقال الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي
وقال قتادة انذر عذاب ربك ووقايعه في الامم ونقمته اذا انتقم وربك فكبر اي ربك الذي هو مقيم
مصالحك فعظم لا تشرك به شيا ما ليس لك برب بل هو مربوب لربك وثيابك فطهر قال ابن عباس رضي الله عنهما
ونفسك فطهر من الاثم الا ترى انه يقال نقي الثياب وقال عكرمة عن ابن عباس لم يامره ان يغسلها بالماء
ولكن قال لا تلبسها على معصية ولا على غدر اما سمعت قول غيلان اني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة
اتقنع وقال الحسن البصري وثيابك فطهر اي خلقك فحسن وقال مجاهد لست بكاهن ولا ساحر
فاعرض عما قالوا وقال يعلى بن عطا وثيابك فطهر مما كنت تفكر فيه ولا يكبرن عليك ما اوذيت فانه
قليل في جنب ما يريد الله ان يعطيك وقيل يا ايها المدثر المتجمل بثياب النبوة نقه طاهرا من الجزع والضجر
والتخلق باخلاق المشركين ومداهنتهم في الدين فانه لا يليق بلباسك وظاهره امر بتطهير الثياب
وهو من شرايط جواز الصلاة ولربك فاصبر اشارة الى ما قلنا من تطهير لباس النبوة عن الجزع والضجر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وثيابك فطهر اي لا يكن ثيابك التي تلبسه من كسب غير طيب وقال
عبد الرحمن بن اسلم كان المشركون لا يتطهرون فامره ان يتطهر ويطهر ثيابه وقال الحسن رحمه الله وثيابك
طهر من الغدر وقال ابن سيرين وثيابك فطهر اي اغسلها بالماء وعن زيد بن مرثد ان النبي صلى الله عليه وسلم

النبي عليه السلام شاه فنزلت هذه الاية وثيابك فطهر • وقال طاوس وثيابك فطهر اي فقصر ولا تطول فتتلوث بنجاسات
الارض • وقيل واخلاقك فطهر بالوعظ والتاديب والاهل يسمى لباسا وازارا وعوذ لك • وقوله تعالى والرجز فاهجر
قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والزهري وابن زيد والكسائي رحمهم الله اي الاصنام • وقال
ابو رحيم والضحاك والكلبي اي الاثم • وقال العطوية عبادة الاصنام • وقال الكسائي الرجز بالضم الوثن وبالكسر
العذاب اي اهجر ما يودي الى العذاب • وقال الحسن رحمه الله الرجز كل معصية • وقيل هو وسوسة الشيطان
وقال القتيبي الرجز العذاب وقال تعالى لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب ثم يسمى كيد الشيطان رجزا لانه
سبب العذاب • قال تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان والوثن يسمى رجزا لان عبادته سببا لعذاب • وقيل
الرجز اسم للقبيح المستقذر كالرجس فيكون نهيا عن كل فعل قبيح مستشنع • ولا تمنن تستكثر بالرفع لانه حال
لا جزاء • وقال الحسن ولا تمنن على ربك بحسناتك لتستكثرها • ولربك فاصبر على ما فرض عليك وعلى ما تقول
المشركون • وقيل لا تمنن على الناس مستكثرا لما تعلمهم من امر الدين • ولربك فاصبر اي واجعل صبرك على
التبليغ والتعليم واحتمال الاذى منهم احتسابا عند الله وطلبا لمرضاته • وقيل اي لا تضعف عن الخير ان
تستكثر منه ما امكنك واصبر على ذلك متقربا الى الله تعالى مبتغيا به رضاه وهو من قولهم حبل منين اي
ضعيف وهذا قول مجاهد ولفظه لا تضعف ان تستكثر من الخير وحذف ان هاهنا كالحذف في قوله افغير
الله تامروني اعبد ايها الجاهلون • وفي مصحف عبد الله ولا تمنن ان تستكثر • وقال كثير من المفسرين اي
لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت • قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب اي فاعط ولا تستكثر اي تطلب
كثرة المال بذلك • وقيل تستكثر الانصار بذلك اي لا يكن عطاؤك للناس استنصارا لهم واستتباعا
لهم ولربك فاصبر اي فاجعل اعطاءك للناس لله تعالى وفي رضاه • وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور
اي نفخ في الصور • وفي ديوان الادب النقر الصفير فذلك يومئذ اي حينئذ يوم عسير اي صعب
في نفسه لما فيه من الشدائد والاهوال وخوف الاحوال على الكافرين غير يسير لانهم يناقشون في الحساب
وتسود وجوههم وتزرق اعينهم وتشكل جوارحهم وتظهر على رؤوس الاشهاد فضائحهم ثم قوله غير يسير
بعد قوله عسير له وجهان احدهما انه وصفه اولا بالعسر فاحتمل ان يكون وصفه اولا بالعسر انه في نفسه
كذلك للجميع • وقد روي ان الانبياء يومئذ يفزعون والولدان يشيبون ثم لما كان عسره على المؤمنين ينكشف
وينبغي على الكافرين بل يزداد حققوا بالذكر فقيل على الكافرين غير يسير وعلى الوجهين جميعا حسن الوقف
على قوله يوم عسير ويحتمل وجها ثانيا فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير ثم قوله غير يسير تاكيد له
بنفي لفظة انا لك وانا غير مبغض وولي غير عدو وعلى هذا لا وقف على قوله غير عسير • وحكي ان علي بن الفضيل
ابن عياض صلى خلف امام في الفجر فقرا الامام هذه الاية فغلب الخوف على قلبه فسقط ميتا • وقوله
تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا وعيد للوليد بن المغيرة وتطييب لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
يقول كل يا محمد امر الوليد المشرك الذي خلقته فاخرجته من بطن امه فردا وحيدا لا مال له ولا ولد
له وهو تفسير مجاهد وقتادة ان الوحيد صفة للوليد ويدل عليه قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا
وبنين شهودا اي بعد ذلك • وقال الحسن اي عاريا • وقال بعضهم وحيدا اي خلقته منفردا لخلقه لم يشركني
فيه احد ويكون وحيدا صفة لله تعالى على هذا القول وقد حمله الكسائي والفراء على الوجهين جميعا
وقال ابو سعيد الضرير وحيدا اي لا اب له وهو في معنى قوله زنيم ادعي وجعلت له مالا ممدودا اي
كثيرا له مدد • قال مجاهد وسعيد رحمهما الله كان له الف دينار • وقيل اربعة الاف دينار وهو قول
سفيان بن بشير [illegible] • وقال عطاء عن عمر كان له غلة شهر بشهر وبنين شهودا اي حضورا
وقال الواقدي رحمه الله كانوا [illegible] • وقال مجاهد عشرة وكانوا لا يغيبون عنه لاستغنائهم [illegible]
[illegible]
المعيشة [illegible] ثم يطمع ان ازيد كلا
اي في ماله وولده [illegible] كلا اي لا يكون هذا • وقال الحسن ثم يطمع ان ازيد ان ادخله
الجنة فاعطيه مالا وولدا كما قال افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا [illegible]
[illegible]
[illegible] كلا انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا [illegible]
سارهقه صعودا • قال اهل اللغة ساغشيه مشقة من العذاب • وقال اهل التفسير هو
عقبة في النار [illegible]
[illegible] وروي انه جبل من صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعده
[illegible]

يحدر الى اسفلها ثم يكلف صعوده فذلك دابه ابدا • وقال سعيد بن جبير لم يزل الوليد بن المغيرة بعد نزول هذه
الايات في ادبار من الدنيا ومن ماله وولده [illegible] ماله ومات فقيرا • وروي ان الصعود
[illegible]
اي يا ثره محمد صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام الخلق • قال الحسن
يعني عدي بن الحضرمي وجبر بالسحر انه كلام يخدع به القلوب • وقيل انما قال يوثر لانه خاف بني هاشم
ان يغضبوا بقوله محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ويقولوا انما السحر في الاعاجم فقال سحر يوثر اي يا ثره
عن غيره • وقيل عني بقوله سحر يوثر اي كان قبله رجال يدعون النبوة ويضيفون كلامهم الى الله تعالى
فهذا كلام منقول وكله باطل وهو كقولهم ان هذا الا اساطير الاولين • وقال ابو سعيد الضرير يوثر
اي يورث • وروي عنه انه قال ان ليس بينا ابو فكيهة هو الذي ياتيه من مسيلمة الكذاب في ذكر قصة تسمية
بذلك في اول سورة وطريقا اخرى في اول سورة حم التنزيل • ساصليه سقر اي سادخله سقر وهي دركة
من دركات النار ولا تنصرف لانها من اسماء جهنم وجمعت التعريف والتانيث واشتقاقها من سقرته
الشمس اذا المت دماغه • وما ادراك ما سقر مبالغة في وصفها وتنبيه على شدة عذابها • لا تبقي ولا تذر شيئا
من العذاب الا اصابتهم به • وقيل لا تبقي احدا من مستحقي العذاب الا اخذته ولا تذر شيئا من ابدانهم الا
احرقته • وقال مجاهد لا تحيي ولا تميت • وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما • وقيل لا تبقي من
فيها حيا ولا تذره ميتا • لواحة للبشر اي هي محرقة للابشار اي الجلود هم احراقا تسودها • وقال
الفراء رحمه الله تسوده البشرة باحراقها • وقال الاخفش اي مغيرة يقال لاحته الشمس ولوحته اي غيرت
لونه والبشر جمع بشرة • وقال الحسن رحمه الله لواحة للبشر اي تلوح للخلق الله تعالى اجمعين حتى يروها
وهو كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى عليها تسعة عشر اي وكل بسقر تسعة عشر ملكا على بابها يلقون فيها
اهلها • قال مجاهد تسوق احدهم الامة من الامم يحمل جبلا على رقبته فيطرحهم في النار ويطرح الجبل
فوقهم • وقال عمرو بن دينار ان الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر • وقيل
هولاء رؤوس خزنة النار ثم لكل واحد منهم الاتباع ما لا يحصي كثرة • وقال الضحاك قال ابو الاسدين انا
اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني منهم اثنين • وقيل بنو كلدة وكان من شجعان
العرب واقويائهم وكان اذا قام على اديم واجتمع جماعة على ازالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يمدون
حتى ينقطع الاديم قطعا ورجلاه على حالهما • وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلنا
خزنتها الا ملائكة لا تطيقهم البشر لشدة امرهم واستحكام قوتهم • وما جعلنا عدتهم اي عددهم هذا وذكرهم
لهولاء الا فتنة للذين كفروا اي ابتلاء واختبارا ليتعقلوا ويتفكروا ويردوا الامر الى الله الحكيم الذي
لا يفعل شيئا قبيحا لم يفعل ذلك الا لمعنى وضرب تدبير فيقروا بالاصل ويكلوا تفسيره الى الله الحكيم الذي
لا يفعل شيئا عبثا • وقيل وما جعلنا عدد خزنة جهنم وهو قليل عند الناس الا تشديدا في التعبد ليشددوا
وليعرفوا ان الله قادر على ان يقوي هولاء التسعة عشر على ما لا يقدر عليه من العذاب غيرهم وهم كثير
ولا يستضعفوا بذكرهم لقلة عددهم • وقيل وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي وقوعا في الكفر والتشديد
والتكذيب والاستهزاء عقوبة لهم على اختيارهم الكفر والعناد بعد وضوح الحجة ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب اي ليستيقنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه لموافقة كتبهم في ذكرهم انهم بهذا العدد
وذلك لا يعلم الا بوحي ويزداد الذين امنوا ايمانا اي الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من قريش
وسائر العرب يصدقونه كما صدقوا بما قبله ويكلوا حكمة ذلك الى الله تعالى • وقيل يزدادوا يقينا
لموافقة كتابهم كتاب اولئك قاله السدي • ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي وليسلم من ارتياب

اي السني لهما دينه اي شك في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لوضوح الدلالة عليها وليقول الذين في قلوبهم مرض
اي المنافقون والكافرون اي المشركون ماذا اراد الله بهذا مثلا اي وضعا بان جعلهم لهذا العدد استهزاء منهم كذلك
يضل الله من يشاء اي كما اضل هولاء المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا استهزاء كذلك يضل الله من يشاء من
عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلالة ويهدي من يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الهدى والاهتداء وذلك
الاية على خلق الافعال وعلى وصف الله بالهداية والاضلال • وقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اي فيهم كثرة
لا يحصيها غير الله فليس تقصرهم على هذا العدد لقلة جنوده وما هي الا ذكرى للبشر اي وما الجنود الا وعظا وتذكيرا للخلق
ليتاملوا فيستغفروا الجناية الى ليهم وانا قادر على تعذيبهم بدونهم • وقيل وما سقر الا تذكيرا للبشر او وما النار فقد
ذكرت في قوله اصحاب النار • وقوله كلا والقمر • قال ابو حاتم السجستاني كلا هاهنا بمعنى الا للتنبيه • وقيل هو
رد اي ليس الامر كما ظنوا انهم يقاومون هولاء الخزنة والقمر اقسم به تنبيها على منافعه ومصالحه • والليل اذا
دبر • قرا نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة اذ بغير الالف ادبر بزيادة الالف • وقرا الباقون اذا بالالف دبر
بغير الف • قال الفرا كلاهما لغتان ومعناهما ولى وذهب ومنه امس الدابر وعام القابل • وقيل ادبر ولى ودبر
ادبر جاء بعد النهار • قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة • والصبح اذا اسفر اي اضاء • انها
اي سقر والنار • لاحدى الكبر جمع الكبرى اي الدواهي والعظايم • وقيل لاحدى الدركات السبع العظمى
وقيل اي هذه الاية لاحدى الايات الكبرى • نذيرا للبشر اي انذارا • وقيل ارتفاعه على النعت ولم يونث لانه بمنزلة
الاسم دون النعت كالوكيل والوصي ونصب على القطع لانه نكرة نعت به معرفة • وقيل نذيرا وصف لله تعالى
اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة منذرا بذلك البشر • لمن شاء منكم بدل قوله البشر كقوله ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا • ان يتقدم او يتاخر ان يفعل شيا او يتركه • وحكي ان يزيد كتب الى مروان
وقد تلكا عن بيعته اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى فاعتمد على ايهما شيت والسلام يشير الى ما قلنا
وقيل ان يتقدم بالايمان ويتاخر بالكفر فمن امن تقدم بالدرجات ومن كفر تاخر عن الكرامات • وقيل ان يتقدم
الى سقر بمعاصيه او يتاخر عنها بطاعته • وقيل يتقدم الى الجنة او يتاخر الى النار • ثم قوله تعالى لمن شاء منكم
يجوز ان يكون المشية للبشر ويجوز ان يكون لله تعالى اي لمن شاء الله منه ان يتقدم او يتاخر الى ما قلنا وبما قلنا
وقد سبق ذكره يضل الله من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو • وقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي كل
خلق محتبس يوم القيامة بالحساب على اعماله فيتخلص من ثقلت موازين طاعته ويعلق من خفت موازينه الا اصحاب
اليمين فانهم في الجنات غير محاسبين • وقيل كل خلق مكلف مرهون في النار الا اصحاب اليمين فانهم في الجنات
واجل اوليك لانهم اكثر واستثنيهم المومنون الذين يوتون كتبهم بايمانهم ويمضي بهم الى اليمين الى الجنة
وقيل اي كل نفس من جنس هولاء المشركين مرتهنة بالنار الا اصحاب اليمين وهذا استثناء منقطع بمعنى
لكن ورهينة اسم كالضحية والنسيكة ولو كان نعتا لقال رهين لان الفعيل الذي هو بمعنى مفعول يستوي
فيه المذكر والمونث كالجريح والاسير والقتيل في جنات اي هم مترددون في جنات • والمجرمون في السفل
في جهنم يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر اي ما ادخلكم وهذا التوبيخ كقول الملايكة الم ياتكم نذير الم
ياتكم رسل منكم قالوا لم نك من المصلين كما يصلي المومنون • ولم نك نطعم المسكين كما يطعم المسلمون • وكنا نخوض
مع الخايضين اي نقول الباطل والقبيح • وكنا نكذب بيوم الدين اي لا نصدق بيوم الحساب والجزاء • حتى
اتانا اليقين اي الموت على هذه الحالة وهو كقوله حتى ياتيك اليقين اي الموت ويسمى به لانه يزول به ما كان من
الشكوك في امر الاخرة لمن كان يشك فيها • فما تنفعهم شفاعة الشافعين لانها للمومنين المتقين دون الكافرين
وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمومنين • قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته
اكثر من ربيعة ومضر • فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لهولاء المشركين يعرضون عن التذكير بالقران وهو
استفهام بمعنى التوبيخ ونصب معرضين كنصب قولك ما لك واقفا وهو نصب على الحال • كانهم حمر مستنفرة
قرا نافع وابن عامر بفتح الفاء على معنى انها مستنفرة والاستنفار على هذا متعدي • وقرا الباقون بكسر الفاء
على معنى انها نافرة والاستنفار على هذا لازم تقول ليسوا ببشر وذوي عقول لكنهم حمر لا عقول لها تنفر
وتهرب راكبة روسها لا فكر لها وعمي لقاها ما هو اصلح لها تهرب منها وكذلك هولاء المشركون • فرت من
قسورة • قال ابو عبيدة اي من الاسد لانه يقسر السباع اي يقهرها • وقال الخليل القسورة الرامي ويقال
الصياد • ويقال الرماة • وقال ابو هريرة القسورة الاسد • وقال سعيد بن جبير هم القناص • وقال
قتادة هي النبل اي السهام • وقيل هو حس الناس واصواتهم • بل يريد كل امرى منهم ان يوتى صحفا منشرة
اي يتمنى كل واحد منهم ان ينزل عليه كتاب من السماء فيه ان محمدا حق ودعواه النبوة صدق وهذا جهل منهم
وتحكم • وقيل يتمنى ان ياتيه كتاب من الله يخبر فيه ان له مغفرة كل ما يجب • وقيل يتمنى ان ياتيه كتاب فيه جرمه
وتوبته وكانوا يقولون ان بني اسرايل اذا اذنب احدهم ذنبا وجد عند راسه كتابا فيه ذلك فان كنت يا محمد

حقا

حقا فاتنا بذلك هذا معنى قول الكلبي والفرا • وقيل نزلت في عبد الله بن امية حين قال ولن نومن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقراه كلا قيل حقا • وقيل لا يعطون ما يريدون لانهم لا يخافون الاخرة • وقيل لا يومنون لو اوتوا صحفا
منشرة بل لا يومنون بالاخرة كلا انه تذكرة على هذه الوجوه الثلثة • وقيل ليس كما قالوا انه سحر يوثر بل هو تذكرة
وموعظ لمن شاء ذكره اي هو ممكن من ذلك وما يذكرون الا ان يشاء الله وهو من علم منه اختيار التذكر هو اهل
التقوى واهل المغفرة اي اهل ان تتقى عبادة محارمه • واهل المغفرة اي اهل ان يغفر لمن اتقاه • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم في تفسيره يقول الله تعالى انا اهل ان اتقى ان يجعل معي اله فانا اهل ان اغفر له تعالى

سورة لا اقسم بيوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اقسم بيوم القيامة • الرحمن الذي يجزي فيه اهل الهوان واهل الكرامة • الرحيم الذي
وعد المومنين برويته في دار الكرامة المقامة • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من قرا سورة لا اقسم بيوم القيامة شهدت له انا وجبريل انه مومن بيوم القيامة • وهذه السورة
مكية • وهي اربعون اية • ومائة واربع وستون كلمة • وستماية وستون حرفا • والانتظام ختم تلك السورة
بافتتاح هذه السورة انه حث في ختم تلك السورة على التقوى ليغفر بذلك لهم الذنوب والاوزار وينجيهم
بذلك يوم القيامة من عذاب النار فانكروا القيامة فاقسم الله تعالى عليه في افتتاح هذه السورة • وانتظام
السورتين انهما في التوحيد وبطلان الشرك ووعد المومنين • ووعيد الكافرين • وقوله تعالى لا اقسم
بيوم القيامة • قال سعيد بن جبير لا صلة واقسم تاكيد وهو كقوله ما منعك الا تسجد اي ان تسجد وقيل
لا رد كلام الكفار واقسم اثبات • وقوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة فيه وجهان ايضا اي اقسم بالقيامة
تحقيقا لكونها وتعظيما لما يكون فيها واقسم بالنفس اللوامة تنبيها على الاعجوبة العظيمة في خلقها وما تقيدت
به من الامانات التي ابت السموات والارضون والجبال ان يحملنها واشفقن منها • وقيل هو للتنبيه على انها
تلوم نفسها يوم القيامة مع انكارها اليوم ذلك واختلف في انها نفس المومن او نفس الكافر • وقال
الحسن ان المومن لا تراه الا يلوم نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه • وقال عكرمة تلوم على الخير
والشر اي لقلة صبرها واستيلاء الجزع عليها وهو كقوله خلق هلوعا • وقال الكلبي هو كل نفس برة او فاجرة
تلوم نفسها يوم القيامة ان كانت محسنة الا ازدادت احسانا للثواب وان كانت مسيية لامت نفسها الا
[illegible]

وقوله تعالى اليوم تشخص فيه الابصار وخسف القمر اي ذهب ضوؤه كالخسف في الدنيا ثم يجلي ويومئذ لا يجلي وجمع الشمس
والقمر قيل جمع بينهما في ذهاب ضوئهما قال الفراء وكان يقال هذا يوم يستوي فيه الاعمى والبصير اي لا يبصران فيه
جميعا وقيل يجمعان ويقرنان ويقربان من الناس فيلجمهم العرق لشدة الحر فيها يقول الانسان يومئذ اين المفر
اي يقول هذا الانسان المنكر ليوم القيامة اين المفر اي الفرار اي لا فرار وقيل اي الى اين الفرار كلا لا وزر اي
ليس كما توهموا ان لهم مفرا يهربون اليه بل ليس لهم ملجأ ولا موئل ولا ملاذ والوزر الجبل وكانوا اذا نابهم امر مخوف
تحصنوا بالجبال فاخبر انه لا ملجأ لهم في الاخرة وقوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر اي الحكم لله ينتهي يومئذ
الخلق لا منازعة منازع ولا يغالبه مغالب قال قتادة رحمه الله المستقر المنتهى وقال ابن مسعود رضي
الله عنه المستقر اي المصير كما قال الا الى الله تصير الامور وقال يمان بن رباب اي المرجع كما قال ان الى ربك
الرجعى وقال ابن زيد اي مستقر كل احد في الاخرة حيث يجعله الله له فمستقر المؤمن يومئذ الجنة قال
تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومستقر الكافر يومئذ النار قال الله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما
وعلى هذا معنى قوله الى ربك اي الى حكمه كما يقال هذا الامر الى فلان اي الى حكمه ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر
اي يخبر يومئذ بما قدم من اعماله واخر من اثاره فاستنوا به من بعده قال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة (من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة م)
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة قال الله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم الاية وقيل ما قدم
من خير وشر واخر ترك من طاعة الله وقيل ما قدم من معصية واخر من طاعة وقيل ما قدم من طاعة الله واخر
من حقوقه التي ضيعها وقيل ما قدم من طاعة متقدمة في الفضيلة واخر اي جناه على نفسه فاخره عن الفوز
والسعادة وقيل ما قدم واخر اي ما عمل في اول ما لزمه التكليف وما عمل في اخر عمره اي يبين له كل احواله وقال
زيد بن اسلم بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلف من امواله لورثته ونظيره علمت نفس ما قدمت واخرت
وقال ابن عباس اذا برق البصر اي شخص فلا يكاد يطرف وذلك اذا اتي بجهنم تقاد بسبعين الف زمام
كل زمام سبعين الف ملك لها زفير وشهيق فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا قال عند ذلك نفسي نفسي
لا يهمه الا نفسه وتبرق ابصار الكفار بما يعاينون منها فلا تكاد تطرف وقال مجاهد رحمه الله لا وزر اي
لا جبل يمنعهم ولا شجر يواريهم وقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة والهاء في بصيرة للمبالغة كما في
علامة نبينا يومئذ بما قدم واخر من عمله بل لا يحتاج الى ان ينبئه غيره لانه على نفسه حجة اي هو في نفسه
حجة على نفسه لان جوارحه تشهد عليه فصار هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال تعالى قد جاءكم
بصائر من ربكم قال الاخفش جعله بصيرة كما يقال للرجل انت حجة على نفسك وعلى هذا التاويل لا معنى
اخر اذا الانسان تعتب عزمه بكفران النعمة وفعل المعصية كذا وكذا وهو يفعله فهو حجة على نفسه بما
يقوله وقيل ايضا بما فيه من العقل هو حجة على نفسه لا ينقضي عنها ولو القى معاذيره اي ولو اتى بالاعذار
وجادل عن نفسه اي وان كان يقول ذلك في الدنيا فهو شهيد على نفسه بجحده ذلك في المعنى قال
سعيد بن جبير الانسان على نفسه شاهد ولو اعتذر والمعاذير على هذا جمع معذرة وقال الزجاج
هو جمع معذار وهو الستر اي شهيد على نفسه يوم القيامة بما فيه وان كان ارخى ستوره واغلق ابوابه في الدنيا
حين عملها احتجابا عن الخلق وقال الضحاك ولو القى معاذيره اي ستوره واهل اليمن يسمون الستر (٢)
المعذار وقال ابن عباس رضي الله عنه ولو القى عن نفسه ما سطه للمعصية وقد خلا بها بعينه من ابصار
الخلق ولا يخفى ذلك منه على الخالق وقيل ولو القى معاذيره هو احالة بعضهم على بعض يومئذ كما قال انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقوله يرجع بعضهم الى بعض القول الاية وقيل بصيرة بمعنى
بصير والهاء للتانيث ههنا لمكان الضمير اي جوارحه بصيرة بما عمل وقيل هو بمعنى بصير والهاء للمبالغة
كالعلامة والنسابة وقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع اداء جبريل عجلة به لئلا يفوته شيء فلا ينسى وقوله ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به اي لا تحرك بالقران لسانك
مستعجلا به قبل استتمامه ان علينا جمعه اي في قلبك لتحفظه ولا يفوتك منه شيء وقرانه اي ان يقراه اي
يقرا عليك جبريل بامرنا الى ان تحفظه على مهل لا يلحقك فيه مشقة فاذا قراناه اي قراه عليك جبريل
فاتبع قرانه اي فاستمع وتلقه وقيل ان علينا جمعه في صدرك وتلاوته بعد الجمع حتى يدوم حفظك له فتقراه
متى شئت وعلى هذا قوله فقرانه منك بعد الجمع في صدرك وقيل وقرانه اي بامر جبريل ان يقراه عليك في (اي قراءه م)
كل سنة حتى لا تنسى منه شيئا وقيل ان علينا جمعه اي جمع فرايضه وحدوده واحكامه حتى يعرفها كلها وقرانه
اي يقرا جبريل عليك بامرنا فتحفظه فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاتبع ما يحصل منه مقروا عليك فاقراه ثم
حينئذ ثم ان علينا بيانه اي بيان معانيه واحكامه وشرايعه وقيل ثم لترتيب الاخبار لا الترتيب الوجود
اي ثم نخبرك انا نبين معناه لك كما انزلناه عليك وهذا كله معنى ما قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد
والكلبي

والكلبي وقتادة والحسن قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرك لسانه خوف النسيان فانزل الله ان علينا جمعه وقرانه
فاذا قراناه فاتبع قرانه اي اتبع ما فيه فاتبع حلاله واجتنب حرامه ثم ان علينا بيانه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته
وقال ابن عباس نزلت الصلوات الخمس قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة الظهر اربعا والعصر
اربعا والمغرب ثلاثا والعشاء اربعا والفجر ركعتين ونزلت عليه الزكاة ثم نزل سنقريك فلا تنسى قال ابن عباس
فلم ينس بعد نزول هذه الاية شيئا حتى مات وقيل ثم ان علينا بيانه هو ما استنبطه العلماء من الاحكام واعظمهم في ذلك
اثارا ابو حنيفة رضي الله عنه كلا اي ليس الامر كما يظنون انه لا بعث ولا جزاء ولا حساب بل يحبون العاجلة ميلا الى دواعي (اي الدنيا)
الطباع ويذرون الاخرة اي يدعون العمل لها والتدبر فيها وجوه يومئذ ناضرة وهي وجوه المؤمنين يوم القيامة
ناضرة قال الفراء اي مشرقة بالنعيم وقال الاخفش اي حسنة وقال ابو سعيد الضرير ناعمة متهللة الى ربها
ناظرة وهو حجة قاطعة على رؤية المؤمنين الله تعالى وكذا فسر اكثر الصحابة ومن بعدهم من اهل العلم وقال
زيد بن اسلم الى ربها ناظرة يتجلى لهم فينظرون اليه وقال عطية العوفي الى ربها ناظرة ينظرون الى ربهم يومئذ
فيكرمهم بذلك والوليد لن يحجب عن الله يومئذ وعن عمار بن ياسر كذلك وعن الحسن انه سئل كيف يرون الله
تعالى قال يرونه بلا كيف ووجوه يومئذ باسرة اي عابسة متكرهة وهي وجوه الكفار تظن اي تتيقن
ان يفعل بها فاقرة اي داهية كاسرة للفقار كلا اذا بلغت التراقي كلا له ثلاثة اوجه على ما مر اذا بلغت اي
النفس وهي الروح اي التراقي جمع ترقوة وهي العظم بين الصدر والعنق يعني بلغت الحلقوم واضمار النفس ههنا
كاضمارها في قوله اذا بلغت الحلقوم وهو حال حضور الموت وقيل من راق قال ابو قلابة والضحاك وابن
زيد وقتادة من الذي يرقيه فيشفيه من الرقية والفعل منه حد ضرب وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابو
الجوزاء اي قالت الملائكة من الذي يصعد بروحه من الرقي من باب علم قال الله تعالى او ترقى في السماء ولن
نؤمن لرقيك اي ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن انه الفراق اي ايقن هذا المحتضر انه فراق الروح
والجسد وفراق الاهل والولد والتفت الساق بالساق قال الشعبي وابو مالك التفت ساقاه عند موته وقال الحسن (بالساق م)
والتفت ساقاه في كفنه وقيل التفت اي اجتمعت الشدة بالشدة وقال ابن عباس ومجاهد شدة امر الدنيا
بامر الاخرة وقال الضحاك اهل الدنيا يجهزون البدن واهل الاخرة يجهزون الروح قال الحسن حال الموت
بحال الحياة والساق عبارة عن الشدة قال تعالى يوم يكشف عن ساق وتقول العرب قامت الحرب على ساق
وقيل لم يرد به شدتين انما اراد به اجتماع ضروب الشدائد وهو كقوله افعل الخير بالخير والشر بالشر والمطر بالمطر
يراد به التتابع الى ربك يومئذ المساق اي الى حيث امر الله تعالى على سوق هذا الميت وقيل اي الى حكمه وجزائه
فلا صدق ولا صلى هو في حق ابي جهل وقد ذكر في اول السورة انه المراد بها وقيل السورة في منكري البعث واصنام
ابو جهل اي ما صدق الله ورسوله هذا الملعون ولا صلى معظما له ولكن كذب الله ورسوله وتولى اي اعرض
عن الحق ثم ذهب الى اهله يتمطى قال مجاهد وقتادة اي يتبختر وهو من المطا وهو الظهر وقيل من المط وهو
الظهر وقيل من المط وهو المد ويتمطى اصله يتمطط اي يتمدد قلبت احدى الطائين ياء كما في التقضي والتقضض
اولى لك فاولى هي كلمة تهديد وتذكر مفردا ومكررا قال الله تعالى فاولى لهم طاعة قال زهير اولى لكم ثم (ثم اولى لك فاولى م)
اولى ان تصيبكم مني قوارع لا تبقي ولا تذر وقيل معناه وليك الشر اي قرب منك وقيل هي افعل من ويل واصله
اويل ثم قلبت فصار اولى وتقديره ويل لك ثم ويل لك وقيل قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل حين
تذكيرا بما كان منه وقيل بل هذا من الله تعالى وعيد له وقيل امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم (اي ويل لك م)
ان يقول له ذلك اولى لك يوم تموت وويل لك في القبر وويل لك حين تبعث وويل لك في النار وقال
الحسن اوحى الله الى نبيه وامره ان يلقى ابا جهل فيبلغه عن الله تعالى اولى لك فاولى فبلغه فقال له ان
الله امرني ان ابلغك اولى لك فاولى فقال ابو جهل لعنه الله اتوعدني وما بين لابتيها اعز ولا اكرم مني فنزلت
ذق انك انت العزيز الكريم وقال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة فرعونا وان
فرعون هذه الامة ابو جهل بن هشام فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اولى لك فاولى فقال ابو جهل
ما تستطيع انت يا محمد ولا ربك بي شيئا اني لاعز من بين جبليها فلما كان يوم بدر اشرف على الكفار فقال
لا نعبد الله تعالى بعد هذا اليوم فضرب عنقه وقتله الله شر قتلة وقوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك
سدى الانسان هو ابو جهل ههنا ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب وهو استفهام
بمعنى التوبيخ الم يك نطفة من مني يمنى قرا ابن عامر وحفص عن عاصم بالياء التذكير صفة للمني والباقون
تمنى بالتاء للتانيث صفة للنطفة والنطفة هي ماء قليل منها يكون الولد من مني وهو الماء الدافق تمنى اي تلقى
في الرحم ثم كان علقة اي دما منعقدا شديد الحمرة فخلق فسوى اي فخلق الله منه بشرا سويا مهيا
للتكليف فجعل منه اي من المني الزوجين الذكر والانثى والذي فعل هذا لم يفعله ليهمل ويعطل بل ليتعبد
ويكلف ويجزي على الاحسان والاساءة وذلك يكون في الدار الاخرة اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى

ومن قرا عليه على نفسه ابتداء من غير شيء تقدم وعلى جمع العظام بعد ما صارت رميما فرجع اخر السورة الى اولها • وروي ابو هريرة وجابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرا احدكم اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى • وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قراها سبحانك وبلى وعن ابن عباس سبحانك اللهم وبلى •

سورة هل اتى على الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الانسان من نطفة امشاج نبتليه • الرحمن الذي وعد المؤمنين بملك كبير يعطيه • الرحيم الذي بشرهم بشراب طهور يسقيه • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة هل اتى على الانسان كان جزاؤه على الله جنة وحريرا • وهذه السورة مكية • وهي احدى وثلاثون اية • ومايتان واربعون كلمة والف وثلثمائة وخمسون حرفا • وانتظام اخر تلك السورة باول هذه السورة انهما في ذكر خلق الانسان واصله وحكمته وانتظام السورتين انهما جميعا في ذكر المبدا والاعادة ومصير اهل الشقاوة والسعادة • وقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال الفراء هو استفهام على وجه التقرير بمعنى قد اتى كقولك للاخر هل وعظتك هل اعطيتك وكذا قال الكسائي والاخفش ويدل عليه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليتها كانت تمت فلم يبتل والخلف في هذا الانسان وفي الانسان المذكور في قوله انا خلقنا الانسان من نطفة • قال اكثرهم هل اتى على الانسان هو ادم عليه السلام اتى عليه زمان من الدهر لم يكن شيئا مذكورا يذكر لانه كان طينا مخلوقا يمر به الزمان وهو لا يعرف ولا يذكر ثم نفخ فيه الروح فقد كان شيئا موجودا ولم يكن مذكورا ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد اتى عليه حين من الدهر والحين اربعون سنة في هذه الاية • وقيل اكثر من ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما هل اتى على الانسان يعني ادم عليه السلام حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا في السماء ولا في الارض وذلك ان ادم كان من طين اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة • وعن ابن مسعود ان ادم خلق من تراب فاقام اربعين سنة ثم من طين اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وستين سنة • وقال مقاتل هو ادم وحين من الدهر هو ما كان قبل وجود ادم من الزمان لانه اخر ما خلق الله تعالى من اهل الارض من اصناف الخليقة ولم يكن شيئا مذكورا على هذا معناه لم يكن هو شيئا لانه لم يكن موجودا وانما قيل اتى عليه حين وهو غير موجود على مجاز قولك للرجل قد كان وقت لم تكن انت شيئا فيكون قولك انت اشارة الى الحاضر للتوضيح ويكون المعنى ان هذا الشخص الذي هو الان موجود قد كان وقتا غير موجود وكذا قوله هل اتى على الانسان اشارة الى ادم اي هذا الموجود كان قبل ذلك في زمان كثير غير موجود ولا يستنكر هذا المجاز فاذا القول الاول فيه المجاز ايضا لانه كان طينا ثم اخرجه الله تعالى انه اتى عليه حين من الدهر فاذا جاز ان يقال اتى على الانسان حين من الدهر وهو حينئذ ليس بشيء مجازا وعلى القول الثاني يقع الاسم على ادم وعلى اولاده ايضا • وقال الامام القشيري معناه ما اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا بل كان مذكورا كانه يقول هل غفلت ساعة عن حفظك هل خليتك نظرا ونعتك هل اخليتك لحظة من رعاية جديدة وحماية مزيدة • وقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج هذا على ولد ادم • وقيل الاول ولد ادم ايضا وهما واحد ومعناه قد اتى على ولد ادم حين من الدهر من حين يقع ماء الرجل في رحم المراة الى ان ينفخ فيه الروح والى ان يولد لم يكن مذكورا للناس انا خلقنا الانسان من نطفة يخرج من بين الصلب والترائب امشاج نعت النطفة وهي جمع مشيج ومعناه الاخلاط والمشج بالفتح الخلط وهو مصدر وبالكسر الخلط وهو اسم ومعنى وصفها بالاخلاط انها مجموع طبائع اربع وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والربيع بن انس ومجاهد هو اختلاط ماء الرجل وماء المراة • وقال قتادة الامشاج الاطوار يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تتم انسانا • وقال مجاهد هو الوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المراة صفراء • وقيل النطفة من عروق مختلفة • وقوله تعالى نبتليه اي لنبتليه ونتعبده لا نهمله ونعطله كما قال ليبلوكم فجعلناه سميعا بصيرا يسمع الاصوات ويرى الذوات فيستدل بالمخلوقات على الخالق • وقيل فجعلناه سميعا بصيرا اي مميزا عاقلا ممكنا من قبول الابتلاء • وقيل في قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر هو نفي لتمييز العقل • قال الفراء فيه تقديم وتاخير معناه فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي لنبتليه • وقيل فجعلناه سميعا بصيرا تعداد لنعمة السمع والبصر واستيجاب الشكر عليهما وقوله تعالى انا هديناه السبيل اي بيناه الطريقة التي يلزم سلوكها والطريقة التي يجب عليه العدول عنها كما قال وهديناه النجدين ووحد السبيل هاهنا لانه جنس فيصلح اسما لهما ولذلك قال بعده اما شاكرا واما كفورا اي اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا • وقال الفراء هو على سبيل الجزاء ان شكر

اذكر

وكفر فقد عرفناه عاقبة ذلك • وقال الاخفش انا هديناه السبيل شاكرا او كفورا نصب على الحال ومعناه هديناه السبيل في الحالين • وقال الكسائي كان شاكرا واما كفورا اي لنظهر شكره من كفره كما قال ليبلوكم ايكم احسن عملا • وقيل هو على التهديد • وتقديره انا هديناه السبيل فان شاء فليكفر وان شاء فليشكر فانا اعتدنا للكافرين كذا وللابرار كذا او طريقه طريق قوله تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • وقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل اي في جهنم يوثقون بها واغلالا تشد بها ايديهم الى اعناقهم وسعيرا اي نارا موقدة عليهم • وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم سلاسل بغير تنوين • والباقون سلاسلا • وقوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس لما خلق الخلق للابتلاء ظهر منهم الكفار فذكر وعيدهم والابرار فذكر مواعيدهم • وقوله تعالى ان الابرار جمع بر • قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الصادقين في الايمان • وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر • وقال الثوري هم الذين بروا اباءهم واولادهم • وقال مقاتل هم الذين يطيعون الله بالتوحيد • وقال شهر بن حوشب هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم • وقال مجاهد هم الذين صدقوا في السر والعلانية • وقال عبد الواحد ابن زيد هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصي • وقال الوراق الابرار الذين لا يخطا نفوسهم معبودهم في تفتيش عليهم • وقال بعض اهل المعرفة الابرار الذين سمت همتهم عن المستحقرات وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فانفوا من مساكنة الدنيا • وقوله تعالى يشربون من كاس • قال الزجاج لا يسمى كاسا الا اذا كان فيها الشراب اي ان اهل الطاعة فيدخلون الجنة ويتمتعون فيها بانواع النعم منها انهم يسقون من كاس كان مزاجها كافورا اي مزاج ما فيها من الشراب كافور • وقيل اي له رائحة يستلذ ويستطاب كما يستطاب رائحة الكافور ويشم منها مثل ريح الكافور من غير ان يكون فيه كافور • عينا يشرب بها عباد الله اي هذا الشراب من عين في الجنة يشرب بها عباد الله • قيل اي يشربها والباء زائدة كقولهم تكلم بالكلام حسن • وانشد الفراء وغيره لعنترة • شربت بماء الدحرضين فاصبحت • زوراء تنفر عن حياض الديلم • وقيل يشرب بها اي يروى بها • وقال الاكثر بها اي منها عباد الله اي المؤمنون القائمون بشرائط العبادة والعبودية • يفجرونها تفجيرا اي يسيلونها • وقال مجاهد يقودونها حيث شاؤا • وقوله تعالى يوفون بالنذر صفة الابرار • وقيل صفة عباد الله وتقديره الذين يوفون بالنذر لله • وقال الفراء كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وهو شامل لكل ما التزمه العبد بايمانه ويوجبه على نفسه في ايمانه • قال تعالى اوفوا بعهدي • وقال اوفوا بالعقود وهي تسع في الفرائض والعهود والنذور • وقال وليوفوا نذورهم • وقيل هي مناسك الحج • ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي كان في حكم الله ان شره يكون منتشرا اي شدائده وسائر اهوالها على الانفس مع انها كلها حكمة وصواب وهو معاملة الله تعالى عباده • والانتشارة ظهوره في حق الكل وطيران الطائر انتشاره وقيل مستطيرا في حق العصاة والفجار فاما الابرار فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا يجوز ان يكون الاطعام عبارة عن وجوه المواساة باي شيء كان وتخصيصه به لما انه اعظم وجوهها كالانفاق المال في اي شيء كان يسمى اكل الطعام • وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل لما انه اعظم وجوه الانتفاع بالمال على حبه • قيل على حب الاطعام • وقيل على حب الطعام • وقيل على حب الله وتعظيم امر الله به مسكينا عاجزا عن الاكتساب لزمانة به قد اسكنته عنه ويتيما صغيرا مات ابوه محتاجا واسيرا اي محبوسا • وقيل مملوكا • وقال السدي الاسير عندهم المملوك ما كان يومئذ اسير وقيل الاسير من المشركين يوخذ منهم طعامه يكون في بيت مال المسلمين وفي صدقات المسلمين • وقال الحسن ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير هو المحبوس من اهل القبلة والاسير بيننا وكل ذلك لان الاسر هنا لشدة الاشتياق • انما نطعمكم لوجه الله اي يقولون ذلك • وقيل هو قول اللسان • وقيل هو قول في النفس اي يقولون في انفسهم • قال سعيد بن جبير اما والله ما قالوه بالسنتهم لكن الله علم ما في قلوبهم فاثنى به عليهم انما نطعمكم لوجه الله اي للتوجه الى الله تعالى والتقرب به اليه • لا نريد منكم جزاء بالمال ولا بالنفس ولا شكورا باللسان • قال ابن عباس لا نريد منكم هدية ولا ثناء • ومن حمله على القول باللسان قال انما قالوا ذلك لمن اطعموه ليفرغوا قلبه عن توهمه انهم يريدون منه • انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا اي نخاف يوم القيامة ان يعاقبنا الله فيه عبوسا اي شديدا مما يلاقيه تعبس وجوه الكفار وهو كقوله في يوم عاصف اي تعصف فيه الريح • وقيل هو مجاز لان السلطان اذا اعبس خيف فيكون اليوم العبوس هو اليوم المخوف قمطريرا اي شديدا وقيل الوجه قمطرير اي منقبض من العبوس وقال الاخفش هو اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء • وقال القتيبي عبوسا اي كريها وقمطريرا اي منقبضا لا ضحة فيه ولا انبساط • وقال الخليل قمطريرا اي شديدا فاشي الشر واختلف الناس فيمن نزلت فيهم الاية فاجراها اكثرهم على العموم في كل بر موصوف بهذه الصفات الثلاث يوفون ويطعمون ويخافون • وقال مقاتل بن سليمان نزلت في رجل من المسلمين من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا • وروي مجاهد عن ابن عباس انها نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفاطمة والحسن والحسين

وجارية لهم يقال لها فضة • قال ابن عباس رضي الله عنهما مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعادهما عامة العرب فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا فنذر علي ان برأ صامت لله تعالى ثلاثة ايام شكرا وقالت
فاطمة كذلك وقالت جارية لهم نوبية يقال لها فضة كذلك فعافاهما الله تعالى وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق
علي رضي الله عنه الى شمعون اليهودي الخيبري فاستقرض منه ثلاثة اصوع من شعير فجاء به فوضعه في ناحية البيت
فقامت فاطمة الى صاع منها فطحنته واختبزته وصلى علي رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل
فوضع الطعام بين يديه فاتى مسكين فوقف بالباب فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من اولاد
المسلمين اطعموني اطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي رضي الله عنه فانشأ يقول • فاطمة ذات المجد واليقين
يا بنت خير الناس اجمعين • اما ترين البائس المسكين • قد قام بالباب له حنين • يشكو الى الله ويستكين
يشكو الينا جائع حزين • كل امرئ بكسبه رهين • فانشأت فاطمة تقول • امرك سمع يا ابن عم وطاعة
ما بي من لؤم ولا وضاعة • اطعمه ولا ابالي الساعة • ارجو اذا اشبعت من مجاعة • ان الحق الاخيار والجماعة
وادخل الجنة في شفاعة • قال فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا الا الماء • فلما كان اليوم الثاني
قامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع
الطعام بين يديه فاتاهم يتيم وقال السلام عليكم يا اهل بيت الرحمة يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدي
يوم العقبة اطعموني اطعمكم الله فسمعه علي رضي الله عنه فانشأ يقول • فاطمة بنت السيد الكريم • بنت نبي
ليس بالذميم • قد جاءنا الله بذا اليتيم • من يرحم اليوم فهو رحيم • قد حرم الخلد على اللئيم • يزل في النار الى الجحيم
شرابه الصديد والحميم • فقالت فاطمة رضي الله عنها • اطعمه الآن ولا ابالي • واوثر الله على عيالي • امسوا
جياعا وهم اشبالي • يكفيني الرحمن ذو الجلال • قال فاطعموه الطعام فمكثوا اليوم وليلتين لم يذوقوا الا
الماء فلما كان في اليوم الثالث قامت فاطمة رضي الله عنها الى الصاع الثالث فطحنته واختبزته وصلى علي
مع النبي صلى الله عليه وسلم واتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فاتاهم اسير فوقف بالباب وقال
السلام عليكم يا اهل بيت النبوة تأسروننا ولا تطعموننا اطعموني اطعمكم الله فانشأ علي يقول • فاطمة
بنت النبي احمد • بنت نبي سيد مسود • هذا اسير للنبي المهتدي • مثقل في غله مقيد • يشكو الينا
الجوع قد تمدد • من يطعم اليوم يجده في غد • عند العلي الواحد الموحد • ما يزرع الزارع سوف يحصد
فقالت فاطمة رضي الله عنها • لم يبق مما جئت غير صاع • قد دميت كفي مع الذراع • ابناي والله من الجياع
يا رب لا تتركهما ضياع • ابوهما في المكرمات ساع • يصطنع المعروف بابتداع • عبل الذراعين شديد الباع
قال فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة ايام ولياليها لم يذوقوا الا الماء • فلما كان في اليوم الرابع وقد قضوا
نذرهم اخذ علي رضي الله عنه الحسن بيمينه والحسين بيساره واقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما ابصرهم النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوءني ما ارى
بكم انطلق الى فاطمة فانطلقوا وهي في محرابها فلما ابصرها النبي صلى الله عليه وسلم وقد لصق بطنها بظهرها من شدة
الجوع وغارت عيناها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم قال واغوثاه بالله اهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط
جبريل عليه السلام فقال يا محمد خذ ما هناك الله في اهل بيتك فقرأ عليه هل اتى على الانسان حين من الدهر الى
آخر السورة • وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال آجر علي رضي الله عنه نفسه ليلة
يسقي الماء على شيء من الشعير معلوم فلما اصبح اتى به فاطمة فجعلت ثلثه واتخذت منه طعاما يقال له الخزيرة
فلما ادرك الطعام وارادوا اكله اتاهم مسكين فاعطوه الطعام ثم جعلت فاطمة ثلثا آخر فاتخذت خزيرة فلما
ادرك وارادوا اكله اتاهم يتيم فسألهم فاعطوه الطعام ثم جعلت فاطمة الثلث الآخر وصنعت فلما ادرك وارادوا
اكله اتاهم اسير يشكو الجوع فاعطوه فاثنى الله عليهم فانزل ان الابرار يشربون من كأس الى آخر السورة • وقوله
تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي حفظهم ومنع عنهم شر ذلك اليوم العبوس القمطرير • ولقاهم اعطاهم
نضرة اي نعمة وحسن لون في الوجوه • وسرورا في القلوب • وجزاهم بما صبروا على الطاعة وعن المعصية
وقيل على الفقر • وقيل على الجوع • وقيل على الصوم • جنة يتنزهون فيها • وحريرا يلبسونه • متكئين نصب
على الحال بهما اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة • لا يرون فيها اي في الجنة شمسا ولا
زمهريرا اي اذى من حر ولا برد كانوا اذا ادوا فيها يجدهما في الدنيا والزمهرير البرد الشديد • وقيل اي لا يرون
صيفا ولا شتاء • وقال ثعلب والزمهرير اي والقمر وهي في لغة طي قال الشاعر منهم • وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر • اي والقمر ما طلع • وقوله ودانية عليهم ظلالها اي ظلال الشجر اي نخل الجنة
قريبة منهم حتى صارت بمنزلة المظلة عليهم وان كان لا شمس فيها تظلهم منها وذللت قطوفها تذليلا اي
وسهل لهم اجتناء ثمرها كيف شاؤوا متكئين وقاعدين وقائمين وهذا امر عجيب لاختصاصه لانه لو نزل العنقود
الى الفم والانسان نائم وارتفاعه اليه وهو قائم وزواله امتناعه عليه في كل حال من احواله بعيد او نائم من

وغيره والقطوف جمع قطف وهو العنقود • وقال مجاهد ارض الجنة فضة وترابها مسك واصول شجرها ذهب وفضة
وافنانها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والثمر تحت ذلك فمن اكل منها قائما لم يؤذه ومن اكل منها قاعدا لم يؤذه فذلك قوله تعالى
وذللت قطوفها تذليلا • وقوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة اي ويدور الخدم عليهم بآنية جمع اناء كالاغطية
جمع غطاء من فضة مما يكون في الآخرة على ما الله اعلم به من وصفها • قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة مما في الدنيا
الا الاسماء ومعناه انه لما يشرب فيه اهل الدنيا آنية الفضة فرغبوا في حسنها في الآخرة وذكر الذهب في سورة اخرى يطاف
عليهم بصحاف من ذهب واكواب • وقال ههنا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب اي وباكواب من فضة وهو
جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له وانما ميزت بالذكر لانه ليس كل اناء كوبا كما قال من المؤمنين والمهاجرين اذ ليس
كل المؤمنين مهاجرين كانت قوارير قوارير من فضة • قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بالتنوين فيهما • وقرأ
حمزة وابن عامر بغير التنوين والالف فيهما • وقرأ ابن كثير الاولى بالالف والقوارير جمع قارورة بتنوين والثانية
بغير تنوين • وقرأ ابو عمرو فيهما بغير تنوين الا انه يقف على الاولى بالف والقوارير جمع قارورة والثانية بدل من الاولى
والقوارير من فضة معناها ان قوارير كل ارض من تربتها فعلى هذا قوارير الجنة من تربة الجنة وهي فضة • وقيل هي
في بياض الفضة وصفاء القوارير وكانت ههنا كذلك كانت في علم الله تعالى وسابق قضائه في نعيم اهل الجنة قدروها
فعل الطائفين وصاروا مذكورين بذكر قوله ويطاف عليهم والهاء والالف في قدروها كناية عن الآنية والاكواب
وقيل اي على مقدار ما يشتهون حتى تستوي على الكمال • وقيل اي قدروا الآنية على قدر اكفهم لا تزيد فتثقل ولا تنقص
في الصغر فيستحقر • ويسقون فيها اي ويسقى الابرار فيها اي في الجنة كأسا اي خمرا في اناء كان مزاجها زنجبيلا
وذلك انهم كانوا يلتذون من الشراب بما يمزج بالزنجبيل الطيب الرائحة • قال المسيب بن علس يصف فم امرأة
شعر • وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر • ثم لزنجبيل الجنة من الفضل على زنجبيل الدنيا كفضل
سائر ما في الجنة على ما في الدنيا • وقيل الزنجبيل عين يمزج بها شراب الابرار • وقوله تعالى عينا فيها
قيل هو بدل عن قوله كأسا لانها هي الشراب بعينه • وقيل اي من عين اي هي جارية لا تنقطع ليس كشراب
الدنيا تسمى سلسبيلا سماها الله بهذا الاسم الملائكة واهل الجنة ولله ان يسمي ما شاء بما شاء • واكثر اهل
اللغة ان العرب ما كانت تعرفه في الشفافة • وقال ابو عبيدة ماء سلسبيل اي عذب طيب • وقال مجاهد
هي عين سلسلة السيل اي لينة منقادة حديدة الجرية • ويطوف عليهم ولدان مخلدون • قال قتادة رحمه
الله لا يموتون • وقال الحسن رحمه الله يبقون على حالها الوصفاء لا يسنون • وقيل مسورون على لغة حمير
وقال الفراء رحمه الله مقرطون • وقال ابن الاعرابي محلون • وقال قتادة ذكر لنا ان عبد الله بن عمرو كان يقول
ما من اهل الجنة من انسان الا ويسعى عليه الف كل واحد على عمل غير ما عليه صاحبه • اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا اي ظننتهم في حسنهم وصفاء الوانهم لؤلؤا منثورا اي مبددا مصبوبا ويكون ذلك دليل كثرتهم ايضا
ودليل اجتماعهم وتفرقهم كاللؤلؤ اذا انتثر • وقال الثوري واحسن ما يكون اللؤلؤ اذا انتثر • وقال في صفة
الحور العين كانهن بيض مكنون والبيض يتناول دون اللؤلؤ فدل ان الغلمان في الجنة ليسوا للتناول •
وقوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما اي رأيت هذا المفضل له نعيما كثيرا لا يوصف كثرة وجلاله وثم هنا الظرف وملكا
كبيرا • قال الحسن رحمه الله هو ان يأتي الرسول من عند الله بالهدية والكرامة فلا يدخل على ولي الله تعالى
حتى يستأذن فيؤذن له فيدخل عليه بثلاثة اشياء احدها ان يقول له ان ربك يقرأ عليك السلام والثاني
ان يأتيه بالهدية من الله والثالث ان يقول له ان ربك راض عنك فذلك قوله تعالى وملكا كبيرا ورضوان
من الله اكبر • وقال سعيد بن جبير وملكا كبيرا هو رضوان من الله اكبر • وقال ابو بكر الوراق هو ملك
لا يعقبه هلك • وقال الزهري هو ان ما شاء في الجنة كان في الحال من غير مهلة • وقوله تعالى عاليهم ثياب
سندس • قرأ نافع وعاصم وحمزة في رواية عاليهم بتسكين الياء اي لباسهم العالي على الابتداء • وقرأ الباقون
عاليهم بالنصب على الظرف اي فوقهم • وقيل هو لباس الحور • وقيل اي عالي حجالهم لا لباسهم • وقيل هو لباس
الابرار والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق اي يتزيدون
في فاخر اللباس ولذيذ الطعام والشراب خضر واستبرق • قرأ نافع وحفص عن عاصم بالرفع • وقرأ حمزة
والكسائي كليهما بالخفض • وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر خضر بالخفض واستبرق بالرفع • وقرأ ابو عمرو
وابن عامر خضر بالرفع واستبرق بالكسر فمن رفعهما فقد جعل الخضر نعت الثياب والاستبرق عطف على خضر ومن
خفضهما فقد جعل الخضر نعت السندس والاستبرق عطف على سندس ومن خفض خضر فقد جعله نعتا للسندس
ثم رفع استبرق عطفا على ثياب ومن رفع خضر فقد جعله نعتا للثياب ثم خفض واستبرق عطفا على سندس
وقوله تعالى وحلوا اساور من فضة قال ولهم من ذهب والثالث من اللؤلؤ فذلك قوله يحلون فيها اساور
من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير • وقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا • قيل اي ما يسقونه من عين
الكافور وعين الزنجبيل شراب طهور اي نظيف لا قذى فيه ولا اذى ولا اثم مما يلحق الطاهرة الدنيا • وقيل

هو غير تلك الاشربة اضافه الله الى نفسه تشريفا له وتخصيصا وكعدتنا بين الاطعمة والاشربة • قال ابراهيم طهرهم به من
الغل والغش • وقال ابو قلابة اذا اكلوا اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهرهم الله فيصير ما اكلوا رشحا وريحا كريح
مسك تعبق من جلودهم • وقال الحسن رحمه الله طهرهم به من كل اذى وغل وغش وخيانة • وقال مقاتل بن حيان
طهره من ان يتحول اقذارا كشراب الدنيا بل يستمرئونه ويظهر منهم عرق كريح المسك • وقال يمان بن رياب طيبهم للجنة
وقال محمد بن علي الترمذي يطهر قلوبهم مما يخامرها في الدنيا من التحاسد والبغضاء والغل • وقال الحسن بن علويه
الدامغاني سئل ابو يزيد عن قوله شرابا طهورا فقال طهرهم به عن محبة غيره • وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب
فيابون قبوله منهم ويقولون لقد طال اخذنا من الوسائط فاذا هم بكاسات تلاقي افواههم بغير اكف من غيب
الي عبد • وقال بعض اهل المعرفة انه شراب ادخره الله تعالى لاهل معرفته فاذا شربوا طربوا واذا طربوا قاموا
واذا قاموا هاموا واذا هاموا طاشوا واذا طاشوا عاشوا واذا عاشوا طاروا واذا طاروا طلبوا واذا
طلبوا وجدوا واذا وجدوا قربوا واذا قربوا كوشفوا واذا كوشفوا شاهدوا واذا شاهدوا عاينوا واذا
عاينوا انسوا واذا انسوا انبسطوا • وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اي على اعمالكم وكان سعيكم مشكورا اي
مقبولا مرضيا عند مولاهم قالوا للمسكين واليتيم والاسير انا لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فيقول الله تعالى لهم
ان لم تريدوا ذلك منهم فهاكم مني ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا • وقوله تعالى انا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا بما فيه من الوعيد والوعد فاصبر لحكم ربك لما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة
واحتمال الاذية • وقيل ما حكم به من فعل وطاعة وترك معصية وتحمل بلية • وقيل فاصبر لما وعدك الله
تعالى من الحكم على قومك كما قال واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين اي انتظره فانه اتيك ولا تطع
منهم اثما او كفورا الاثم هو الراكب للمعاصي والكفور الجحود للنعمة وهما صفتان لواحد وقيل انا ذبه ابا
جهل • وقال الفراء تقديره لا تطيعن منهم من اثم او كفر وقربت المعنى من الواو وهو كقولك لا اعطينك
سالت او سكت اي على كل حال • وقيل هما عتبة والاثم المنافق والكفور مظهر الكفر • وقال الكلبي الاثم
الوليد بن المغيرة والكفور هو عتبة بن ربيعة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كان امالك
المال نمولناك وان كان امالك ان تتزوج زوجناك • وقوله تعالى او كفورا معناه ولا كفورا • قال
الفراء رحمه الله وهي الجحد والاستفهام بمعنى لا • قال الشاعر لا وجد ثكلى كما وجدت ولا وجد عجول اضلها ربع
او وجد شيخ اضل ناقته يوم توافي الحجيج فاندفعوا اي ولا وجد شيخ • واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي
في الصلاة له طرفي نهارك وفي خيرا لصلاة بالتسبيح ونحوه ومن الليل فاسجد له اي وتهجد بالليل
تذلل له وسبحه ليلا طويلا اي صل لله اكثر ليلك واجعل يومك في الاقل منه • وقيل بكرة واصيلا
صلاة الفجر والظهر والعصر • ومن الليل فاسجد له المغرب والعشا وسبحه ليلا طويلا نفل الليل ان
هولاء يحبون العاجلة اي ان هولاء المشركين المتمردين على الله تعالى بترك الانقياد لذلك الحق فيتول
ما انزل اليك يميلون الى هذه الدنيا العاجلة ويذرون وراءهم اي امامهم كما قال وكان وراءهم ملك
قاله الاخفش • وقيل ويذرون الاخرة وراءهم اي خلفهم وراء ظهورهم فلا يعملون لها ولا يستعدون لها
بما فيه نجاتهم من عقابها يوما ثقيلا وهو يوم القيامة لان شدائدها واهوالها تثقل على الكفار • قال
الله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا • وقيل لان ما فيه من العرض والحساب شاق ثقيل مخوف
وهو ثقيل • قال الله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي شاقا على البدن الحمل بما فيه • وقوله تعالى
نحن خلقناهم وشددنا اي هولاء وشددنا اسرهم • قال الفراء رحمه الله اي خلقهم • وقيل اي نبدا النطفة
والعلقة والمضغة والعظام والعصب والعروق • وقال الاخفش يقال للفرس شديد الاسر اي شديد
الخلق وكل شي شددته من قتب وغيره فهو ماسور • وقال الخليل قوة المفاصل وشده الله تعالى اسره
اي قوى خلقه • وقال المبرد الاسر القوي كلها واصلها عند العرب السير الذي يشد به القتب • وقيل
وشددنا اسرهم اي اوثقنا عليهم الميثاق ويسمى الميثاق عهدا والاسر قريب منه لانه الربط ومنه
الاسير • واذا شئنا بدلنا امثالهم اي اهلكناهم وخلقنا امثالهم في الكفر والتمرد ثم لا يزيد ذلك
ولا ينقص من ملكنا • وقوله تعالى ان هذه تذكرة اي هذه السورة عظة وتذكار من فعل فعلهم
اثيب ثوابهم • فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ الى طاعة ربه سبيلا اي طريقا فهو
ممكن لا مانع له عنه ولا شبهة تعرض له مع هذا التذكر البليغ • وما تشاءون الا ان يشاء الله اتخاذ السبيل
الى الله تعالى الا بمشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره • وقيل هو لعموم المشيئة في كل شي من
المشيئة الطاعة والمعصية والايمان والكفر وهو حجة لنا على المعتزلة ان الله كان عليما حكيما عالما بمصالح
عباده وبما يكون منهم من اختيار كل شي وعمل كل حكيما مصيبا في افعاله واقواله • يدخل من يشاء في رحمته • قيل
في جنته لانها رحمته تعالى • وقيل هي كل نعمة يعطيها الله تعالى المومنين في الاخرة واشار الي انه اهل مشيئته •

نزلوا واذا انزلوا

نجم

لا ظالم

لا ظالم في جنته هم المؤمنون فقد قال والظالمين اعد لهم عذابا اليما اي الكافرين الواضعين العبادة في غير موضعها
انفسهم باثارها النار والظالمين نصب لوجهين احدهما انه على اثارة الاثم اي والظالمين وعرفت ذلك بقوله اعد
لهم • والثاني انهما لا يخرجون عن الوصف والعذاب وانهم منصوبا على انهم مفعولون لانهم معذبون

سورة والمرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل الويل للمكذبين • الرحمن الذي اعد الجنة للمتقين • الرحيم الذي يجزي المحسنين • وروى ابي بن كعب رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والمرسلات كتب الله ليس من المشركين • وهذه السورة مكية
وهي خمسون اية وماية واحدى وثمانون كلمة وثمانماية واحد وعشرون حرفا • وختم تلك السورة بوعيد الظالمين
وافتتاح هذه السورة بالقسم على وقوع ذلك الوعيد بيوم الدين • وانتظام السورتين انهما في بيان خلق الانسان
وما خلق له في الدنيا وما يراه في العقبى وفي ذكر المومنين والكافرين والجنة والنار • وقوله تعالى والمرسلات
عرفا • قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابو صالح هي الرياح ارسلها الله تعالى
لواقح عرفا اي جاريات بعضها في اثر بعض كعرف الفرس • فالعاصفات عصفا الرياح ايضا والعصوف سرعة الهبوب
وكذا التناسب للهبوب والارسال • والناشرات نشرا الرياح ايضا نشرت السحاب للغيث وبسطته في الهواء
وقيل نشرت النبات وذكره بالواو دون الفا لان النشر لا يتصل بما قبله [illegible] النشر
فالفارقات فرقا الرياح ايضا تفرق السحاب [illegible] فتفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا الرياح
ايضا [illegible] اعذارا وانذارا [illegible] بالرحمة كانت اعذارا وان
ارسلت بالعذاب كانت انذارا • وفي رواية عن ابن عباس وابن مسعود وابي صالح ومقاتل والمرسلات
اي الملائكة ارسلت بالمعروف والعرف الوحي • وقيل هو على الخصوص في المرسلين بالرحمة فاما المرسلون
للعذاب فهم [illegible] • وقيل عرفا اي متتابعة كعرف الفرس والارسال
لمصالح [illegible] الوحي وايصال الارزاق وكتابة الاعمال وحفظ العباد ودفع الشياطين وزيارة البيت وكذا
وكذا يوم القيامة لامور اخر • فالعاصفات عصفا الملائكة وعصوفها شدة سيرها في نزولها وعروجها
كما في الايات • قال الخليل ناقة عصوف وهي التي تعصف براكبها فتمضي به كانها ريح في السرعة والناشرات
نشرا اي الملائكة ايضا تنشر كتب اعمال بني ادم يوم القيامة • قال تعالى كتابا يلقاه منشورا • فالفارقات
فرقا الملائكة ايضا تنزل بالفرق بين الحق والباطل • فالملقيات ذكرا الملائكة ايضا تلقي الوحي على الانبيا
من الله تعالى • قال الله تعالى االقي الذكر عليه من بيننا • وقال انك لتلقى [illegible] الكتاب الا رحمة من ربك عذرا
او نذرا للبشر • وقيل والناشرات نشرا الامطار تنشر النبات فالزروع والاشجار تخرج وتبرز اي تحيي
وتظهر • فالفارقات فرقا • قال قتادة ايات القرآن تفرق بين الحق والباطل • فالملقيات ذكرا • قال
الربيع بن انس ايات القرآن عذرا او نذرا او بمعنى الواو ومعناه اعذارا وانذارا • قال الفرا اي للاعذار
والانذار وهما مصدران يثقلان ويخففان • وقرا ابو عمرو وعاصم في رواية حفص خفيفين وغيرهما تثقيلين
قال المبرد هما جمع عذير ونذير بمعنى معذرين ومنذرين • قال حاتم الطائي اماوي قد طال التجنب والهجر
وقد عذرتني في طلابكم العذر • والمرسلات فعل اراده جمع الجمع مثل مرسل وطايفة منهم مرسلة وطوايف مرسلات • انما توعدون
لواقع القسم لهذا اي الذي توعدون به لكاين لا محالة ثم بين وقت وقوعه • فقال فاذا النجوم طمست
اي محيت اثارها اي اذهبت انوارها واذا السما فرجت اي جعل لها فروج اي شقوق بعد ان كان لا فروج
لها • قال تعالى ما لها من فروج • وقال تعالى اذا السما انشقت • واذا الجبال نسفت اي قلعت من
اصولها • قال تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا • واذا الرسل اقتت • وقرا ابو عمرو
بالواو والباقون بالالف اي جمعت لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العقوبة بمن كذبهم وجحدهم وسئلت
عما اجيبوا به وسئل الامم ايضا • قال تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين • وقيل اقتت
اي اجلت لوقت ثوابها ويدل عليه ما بعده • والهمزة ابدال من الواو ولو قرئ بها طرفا كما في الوشاح والاشاح لاي
يوم اجلت وهو تعجيب من هذا اليوم وتعظيم لامره اي اجلت الرسل لاجل العذاب بمن كذبهم ليوم
الفصل اي ليوم القيامة الذي يفصل فيه الحكم ويفصل فيه بين المحق والمبطل والجزاء • وما ادراك
ما يوم الفصل تعجيب اخر وتعظيم لامره • ويل يومئذ للمكذبين اي شدة عذاب ووادي في جهنم
للمكذبين بالله ورسله الم نهلك الاولين استفهام بمعنى التقرير اي قد اهلكنا الاولين ممن فعلوا فعلهم
ثم نتبعهم الاخرين وهم هولاء ان اصروا على كفرهم وتكذيبهم كذلك نفعل بالمجرمين اي كذلك سنتنا
في الذين يكتسبون سبب ذلك • ويل يومئذ للمكذبين • قال ابن عباس والضحاك وسفيان وعطا وابو العالية
ويل وادي في جهنم يسيل فيها الصديد والقيح • وقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين • قال ابن عباس رضي

بن كعب رضي

الله عنهما ضعيف • وقيل خمسين وهو النطفة فجعلناه اي الماء في قرار مكين وهو رحم المراة احمغر ليتمكن فيه فقدرنا فنعم
القادرون يعني قدرنا بالتشديد فنعم المقدرون الماء الى قدر معلوم اي مقدار علم الله لكونه فيه فقدرنا فنعم القادرون
يعني قدرنا بالتشديد فنعم المقدرون بالتشديد • وقرأ نافع وابن عامر وهو جمع بين اللغتين حيث قال فنعم القادرون
واريد به تقدير خلقه وجوارحه ومدة حمله وحياته • وقيل قدرنا بالتخفيف من المقدرة • وقال ابن عباس فملكنا
فنعم المالكون ويل يومئذ للمكذبين فسرناه • قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا اى ضما احياء وامواتا نصب
بوقوع فعل الكفت وهو الضم عليه اى تضم الاحياء في المنازل والاموات في القبور • فمن اهل اللغة من جعل الكفات
مصدرا بمعنى الكفت وابو عبيدة والاخفش وقطرب جعلوا الكفات جمع الكفت وهو الوعاء وبعضهم جعل اسما لما
يقع به الضم كالشداد اسم لما يشد به الشد • وفي الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشياطين انتشارا اى ضموهم
اليكم واحبسوهم في البيوت • وقال الكسائي يقال انكفتوا في منازلكم اي انقلبوا ومعنى الاية انهم يتقلبون فيها
ويدفنون فيها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كفاتا منقلبا • وقال الرازي ان ادم خلق من الارض فهي امه وفيها
لشأنه فهي عشه واليها يعود فهي كفاته فهي ممر الخلق الى الجنة او الى النار وجعلنا فيها رواسي اى جبالا ثوابت
شامخات اي عاليات مما اوتاد الارض وفيها المنابت والمعادن واسقيناكم ماء فراتا اي جعلنا لكم سقيا صافيا
عذبا ويل يومئذ للمكذبين اى يوم الفصل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي تقول الملائكة للمكذبين يوم القيمة
انطلقوا الى النار التي كنتم بها تكذبون اي تسيروا انطلقوا الى ظل هو دخان جهنم ذي ثلاث شعب • قال ابن
عباس رضي الله عنهما اى ثلاث فرق وذلك اذا انتهى بهم الى النار خرج من النار لسان فاحاط بهم كلعنة السرادق
حتى يكون عليهم سرادقا ثم يخرج من ذلك السرادق ثلاث فرق حتى تظلل ذلك السرادق عليهم تصيبهم من غمه وكربه
وقيل الظل عين النار كما قال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وتتشعب ثلاث شعب شعبة فوقه
وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله فتحيط به • وقال القتيبي ان الشمس تدنو من رؤس الخلائق وليس عليهم
يومئذ لباس ولا لهم كنان فتلفحهم الشمس وتسفعهم وتاخذ انفاسهم كرب ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته
من يشاء الى ظل ظليل فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم • ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم
به تكذبون من عذاب الله تعالى انطلقوا من ذلك الموضع الى ظل من دخان نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق
وكذلك شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب ثم يومر بكل فريق الى
مستقره من الجنة او النار ولا يغني من اللهب يقال الهب اي من العطش يقال لهب يلهب لهبا • قال ثعلب اذا عطش رجل
لهبان وامراة لهبى • انها ترمي بشرر اي النار بشرر كالقصر المبني من الحصون وهذا عن ابن عباس ومجاهد
وعن ابن عباس في رواية وقتادة والضحاك ان القصر اصول النخل جمع قصرة كالجمر جمع جمرة • وعن ابن عباس
انه قرأ كالقصر بفتح الصاد جمع قصرة وبعضها وهي اعناق النخل كانه اي كان الشرر جمالات صفر • قرا حمزة
والكسائي وعاصم في رواية حفص جمالة وهي جمع جمل • وقرا الباقون جمالات وهي جمع الجمع صفر • قال اهل
اللغة اي سود وكذا روي عن الحسن وقتادة وسواد الابل يضرب الى الصفرة • وانشدوا • تلك خيلي
منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب اي سود قالوا [illegible] • اذا الشرر يرتفع فوقهم كهيئة القصور ثم
يحط عليهم كالابل السود • وعن ابن عباس في رواية جمالات يعني الجيم وهي الحبال الغلاظ • وعن علي انه قال
هي قطعة النحاس • ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون • وسئل ابن عباس
عن هذه الاية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون في ذلك اليوم مواقف في بعضها يختصمون
وفي بعضها لا ينطقون • وقال الحسن لا ينطقون بحجة وقد ينطقون • وقيل لا ينطقون اذا قيل لهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون ولا يعتذرون اذا قيل لهم لا تعتذروا اليوم • وقيل اي لا يكون لهم عذر ولو كان لا اذن لهم فيه • وقال
الحسن يتكلمون بما يكون عذرا عندهم وهو حجة عليهم انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين هؤلاء اضلونا • وقوله تعالى فيعتذرون ولم يقل فيعتذروا كما قال لا يقضى عليهم فيموتوا لان ذلك
جواب وهذا عطف على قوله ولا يؤذن لهم وليس بجواب ويل يومئذ للمكذبين فسرناه • هذا يوم الفصل
اى يفصل فيه بين المبطل والمحق والمحسن والمسئ بالجزاء جمعناكم معاشر الكفار والاولين الذين كانوا قبلكم
فان كان لكم كيد فكيدون فان كان لكم احتيال في التخلص من عذابي فاحتالوا اي ولا حيلة • ويل يومئذ
للمكذبين • ان المتقين وهم الذين خافوا عقوبة هذا فانهم اتقوا الكفر والمعاصي في ظلال جمع ظل وهو الظل
الظليل في الجنة لا كظل ذي ثلاث شعب للكفار وعيون جارية في الجنة وفواكه مما يشتهون لا يتناولونها
من جوع ولا ضرر امنا بل عن شهوة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا اي يقال لهم ذلك انا كذلك
نجزي المحسنين فاحسنوا تجزوا هذا ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا خطاب للكفار وصيغة
الامر على جهة التهديد كقوله اعملوا ما شئتم اي انتم تمتعتم وهو قليل فان بعده النار انكم مجرمون • وقال
المهلك الاولين الى قوله كذلك نفعل بالمجرمين • ويل يومئذ للمكذبين فسرناه • واذا قيل لهم اركعوا اي صلوا

اركعوا

لا يركعون اي لا يصلون • قال ابن عباس نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله بالصلاة فقالوا لا نخني اي لا نحني
للركوع والسجود فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود • وقيل اذا قيل لهم اخشعوا
لله لا يخشعون وهم لا يصلون وغيرها ويل يومئذ للمكذبين بالامر بالصلاة فباي حديث بعده يؤمنون
اي اذا كان هؤلاء لا يؤمنون بهذا الحديث الذي هو القرآن مع اعجازه ووضوحه فباي حديث بعد القرآن

[illegible]

سورة عم يتساءلون

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل الخلق يتساءلون حسابا • الرحمن الذي لا يملكون منه خطابا • الرحيم الذي هدى من اتخذ اليه
مآبا • روى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله من برد شراب
الجنة • وهذه السورة مكية وهي اربعون اية • ومائة وثلاث وسبعون كلمة • وثلثمائة وسبعين حرفا • وانتظام
السورتين انهما في ذكر تهيئة اسباب المعاش وتهيئة احوال المعاد • وقوله تعالى عم يتساءلون اصله عن ما ادغمت
النون في الميم وحذفت الالف تخفيفا بالاستفهام بكثرة الاستعمال وهو كقولهم بم ولم وفيم وثم والى م وعلام وهو
وهو استفهام بمعنى التوبيخ يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا يعني المشركين عن النبأ العظيم لثلاثة اوجه
احدها انه هو اثبات وبيان للنبي صلى الله عليه وسلم يتساءلون يقول يتساءلون عن النبأ العظيم وهو كقوله
لمن الملك اليوم هذا استفهام ثم قوله لله الواحد القهار اخبار فكان اثباتا والثاني انه استفهام اخر بتقدير
الف الاستفهام فيه اي عن النبأ العظيم وهو كقوله افان مت فهم الخالدون • والثالث انه متصل بالاول وهو
نبأ القران معناه عم يتحدثون في القران وعم في معنى لاي شيء وقوله تعالى عن النبأ العظيم • قال مجاهد اي القران
كما قال قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون • وقال قتادة هو البعث بعد الموت صار الناس فيه مختلفين مصدقين
ومكذبين • وقال الحسن هو النبوة قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم ما هذا الذي
حدث فنزلت هذه الاية عم يتساءلون يقول عما ذا يسأل بعض المشركين بعضا فيقول الواحد لصاحبه ما هذا
الذي حدث مما يدعيه محمد صلى الله عليه وسلم من ان الله تعالى بعثه واوجب علينا الانقياد له وان لا نعبد
الاصنام وهو نبأ عظيم في نفسه لما فيه من خلع الانداد وثبوت التوحيد بالاعتقاد والتنبيه على سبيل
الرشاد ومصالح المعاش والمعاد الذي هم فيه مختلفون ففي القران قال بعضهم هو مفترى وقال
بعضهم اساطير الاولين وكذا وكذا وفي البعث منهم من جحده ومنهم من شك فيه ومنهم من قال تشفع فيه
الالهة ومنهم من قال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • وفي النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
هو مجنون • وقال بعضهم هو ساحر وشاعر وكاهن وكاذب • وقوله تعالى كلا سيعلمون اي ليس كما يقولون
انه باطل بل هو حق وسيعلمون ذلك ثم كلا سيعلمون التكرير للتاكيد [illegible]
بين الكفار والمؤمنين [illegible] قال الضحاك كلا سيعلمون [illegible] ثم كلا سيعلمون [illegible]
وقيل [illegible] ثم كلا سيعلمون [illegible]
ثم كلا سيعلمون [illegible] الم نجعل الارض مهادا استفهام بمعنى التقرير [illegible]
[illegible] كما يتقلب الرجل على بساطه • والجبال
اوتادا [illegible] وخلقناكم ازواجا [illegible]
[illegible] وجعلنا نومكم سباتا [illegible]
[illegible]
[illegible] وجعلنا الليل لباسا [illegible]
[illegible] وجعلنا النهار معاشا [illegible]
[illegible] وبنينا فوقكم سبعا شدادا [illegible]
[illegible] وجعلنا سراجا وهاجا [illegible]
[illegible]
وقال الخليل [illegible] وانزلنا من المعصرات [illegible]
[illegible]
ويقال هي السحاب ذات الماء [illegible] ثجاجا • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد

اي منصبا ومشتبا بها وقد ثج الماء يثج ثجا اذا سيل وثج هو يثج ثجا اي سال لازم ومتعدي لنخرج به اي بالماء حبا وهو واحد
الحبوب ونباتا اي الكلاء • وجنات الفافا اي بساتين الفافا ملتفة الاشجار والثمار • قيل الالفاف جمع لف بكسر اللام
وهو المجتمع • وقيل هو جمع لفف من قوله جينا بكم لفيفا اي مختلطين وهو كالشريف والاشراف والشهيد والاشهاد
وقال الفراء هو جمع الجمع لفا للواحدة وجمعها الف وجمع الالف الالفاف كالخف والاخفاف واللفا الشجرة
الملتفة المجتمعة • ويقال امراة لفا اي ضخمة الفخذين مكتنزة • وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اي
وقتا جعل لهم يفصل فيه بين المحق والمبطل والمحسن والمسي • وقال السدي ميقاتا اي مجمعا للرسل والامم • يوم ينفخ
في الصور فتاتون افواجا اي جماعات • قال قتادة وعكرمة اي امما كل امة تتلو التي مضت قبلها • وقيل كل امة مع
رسولها • وفتحت السماء • قيل تفتح لنزول الملائكة • وقيل تتصدع • فكانت ابوابا • قيل طرقا كالابواب
يعني تنشق بعد ان كانت سدادا لا فطور فيها وهذا اول احوالها عند قيام الساعة ولها احوال اخر بعدها
وهي في ايات • اذا السماء فرجت واذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت واذا السماء كشطت فكانت وردة
كالدهان يوم نطوي السماء • وسيرت الجبال فكانت سرابا • قال الحسن صارت خيالا كالسراب الذي يخيل
لصاحبه شيا وليس بشي ولها احوال ايضا تنسف ثم تدك ثم تسير ثم تصير كثيبا مهيلا ثم كالعهن المنفوش
ثم هباء منثورا ثم تمر مر السحاب ثم خيالا كالسراب الذي يخيل لصاحبه شيا وليس بشي • وقوله تعالى ان
جهنم كانت مرصادا اي طريقا عليه ممر الخلق فهي ترصدهم اي تحفظهم • للطاغين مابا • اي للمتمردين
المتجاوزين الحد في المعاصي مرجعا وهو كقوله وان منكم الا واردها الايات وكانت على معنى انها كانت
في علم الله تعالى كذلك لابثين فيها • قرا حمزة لبثين بغير الف وهما لغتان اي ماكثين فيها ازمانا كثيرة
احقابا جمع حقب بضم الحا واما الحقب بالكسر فجمعها الحقب والاحتقاب الارتداف لان الاحقاب الارداف
فاما الاسم على هذا للزمان المتتابع المترادف • وقال الخليل هو زمان من الدهر لا قدر له وعلى هذا
معنى لابثين فيها احقابا لا انقطاع لها كلما مضى حقب جا حقب • وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يعلم
عدة الاحقاب الا الله • وقال بعض اهل اللغة الحقب ثمانون سنة • وقال قتادة ذكر لنا ان الحقب
ثمانون سنة من سني الاخرة • وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا
كل خريف سبعماية سنة كل سنة ثلثماية وستون يوما كل يوم الف سنة • وقال ابن جريج سمعت محمد بن
مجاهد يقول الحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثماية وستون يوما واليوم الف سنة • وروى ابو امامة
الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحقب الف شهر كل شهر ثلثون يوما فذلك ثلاث وثمانون سنة
واربعة اشهر كل يوم منها كالف سنة • وقيل ماكثين فيها ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع فكان معناه
لابثين فيها احقاب الاخرة وهي لا تنقطع لو قيل ايام الاخرة لكن ذكر الاحقاب اهول • وقيل ان هذه
احقاب منقطعة لانها منكرة ولا تستغرق لكنها مدة مدة ما ذكر بعدها • لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
الا حميما وغساقا ثم بعد هذه المدة يعذبون بعذاب اخر وعلى هذا الوقف عند قوله احقابا • وقوله
تعالى بردا • قيل بردا يسكن عليهم حرها ولا شرابا يزيل عطشهم الا حميما وغساقا اي لكن ماء حارا ابرد اي راحة
وتبردا اي استراحا • وقيل اي نوما قاله شريك ومعمر والكسائي وقطرب والفراء لان النوم يبرد صاحبه وان
العطشان لينام فيبتنيه وقد ذكر الحر عطشه • وتقول العرب منع البرد البرد • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
منهما انه النوم • قال الشاعر • فان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا • وقيل
الغساق الزمهرير • وقيل المنتن • وقيل لا يذوقون فيها بردا الا الغساق ولا شرابا الا الحميم • قرا حمزة
والكسائي وعاصم في رواية حفص غساقا بالتشديد على النعت • وقرا الباقون على الاسم كالشراب
جزاء وفاقا اي جزاهم الله بذلك جزاء يوافق اعمالهم وفاقا • وقيل هو اسم • قال مقاتل وافق عذاب
الكفار الشرك فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار • وقال الحسن رحمه الله اساوا العمل
فاساء الله لهم الجزاء • وقال شهر بن حوشب ان في النار واديا يقال له الغساق ثلثماية وستون شعبا في كل
شعب ثلثماية وثلاثون بيتا في كل بيت اربع زوايا في كل زاوية شجاع كاعظم ما خلق الله تعالى من الخلق في
راس كل شجاع سم والشجاع الحية • وقوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافونه • وقيل اي لم
يكونوا مؤمنين بالبعث حسابا ولا ثوابا بعده • وكذبوا باياتنا كذابا اي تكذيبا • قال الفراء والكسائي
هي لغة يمانية فصيحة • وكل شي احصيناه كتابا اي حفظناه كتابا اي كتبه الملائكة بامرنا حجة عليهم
فذوقوا اي فيقال لهم فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي لا ينقصون من هذا العذاب بل يزادون عليه
ما هو اشد الى لا ما منه • قوله تعالى ان للمتقين مفازا اي مخلصا حدائق اي بساتين وهي بدل عن الاول
واعنابا عطف عليه • وكواعب • قال ابن عباس اي نواهد وهي صفة الحور العين اترابا جمع ترب وهي
اللدة اي هن على سن واحد • وقيل ذلك ثلاث وثلاثون سنة • وكاسا دهاقا • قال قتادة مترعا اي مملوة وقال

اي متتابعة على شاربها • وقال الخليل ادهقت الكاس اذا شددت ملاها وادهقت الحجارة وهي شدة الزامها بادخال
بعضها في بعض • لا يسمعون فيها لغوا اي كلاما لا فايدة فيه ولا كذابا اي لا يكذب بعضهم بعضا وفيها ظرف وهو
انها كناية عن الحدايق • وقيل عن الكاس اي لا يجري في شربهم ما يجري في شربة الدنيا من الهذيان والصخب والعدوان
جزاء من ربك عطاء حسابا اي كافيا كثيرا يقال احسبته اي اعطيته ما يكفيه واكثرت حتى قال حسبي وقالت
[illegible] ان كان جايعا واحسبه ان كان ليس بجايع فلما خالت به صحي ما تلي جميلا واعلى حسابا • وقيل اي حسابا كتب
وعدهم بر في الدنيا فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة والله يضاعف لمن يشاء • رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن • قرا عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن كذلك وصفا لقوله جزاء من ربك والباقون
كلاهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض وما بينهما وهو الرحمن • وقرا حمزة والكسائي رب بالخفض نعتا للاول
الرحمن رفعا لانه تباعد عن الاول فرفع على تقدير هو الرحمن لا يملكون منه خطابا اي لا يقدر احد ان يخاطبه بشفاعة
لاحد الا باذنه يوم يقوم الروح • قال اكثر المفسرين اي جبريل • وقال ابن عباس الروح خلق عظيم والملائكة يصفون
صفا كصف بني ادم في الصلاة • وقال الحسن وقتادة الروح بنو ادم وتقديره ذوو الروح اي الارواح • وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الروح خلق على صورة بني ادم • وقال مجاهد لهم ايد وارجل ورووس ياكلون الطعام
وليسوا بالملائكة • وقال ابو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس • وقال ابن مسعود الروح خلق اعظم من الجبال
في السماء الرابعة تسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة • وقال علي رضي الله عنه الروح ملك له سبعون وجها والملايكة
صفا • قيل صفوفا • وقيل اصطفافا يقومون منتصبين ساكنين هيبة لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا • وقيل هذا متصل بالاول لا يملكون منه خطابا فلا يتكلمون بالشفاعة الا من اذن له الرحمن منهم بالشفاعة
وقال صوابا اي كلمة التوحيد في الدنيا اي لا يملكون الاذن بالشفاعة الا للمؤمنين فلهم شفاعة كالانبياء وغيرهم
قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا سكوتا اي هذا يكون ذلك اليوم ولم يكن في الاية ذكر شفاعة الملايكة وهو
في موضع اخر • وقيل الاية على نظام لفظها • وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا مطلق بالاستثنا ثم قوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن اي الروح والملايكة لا يشفعون الا باذن الله ويقول الصواب وهو الشفاعة لمن يستحقها
ذلك اليوم الحق اي لا باطل فيه فهو يوم العدل والانصاف فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل الصالح
فان ذلك ممكن له انا انذرناكم عذابا اي الكفار عذابا في الاخرة فان قيام الساعة قريب • يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه اي يرى • وقيل يجد • وقيل هو عام للمؤمن والكافر ثم الكافر يتمنى اذا راى حاله ان يكون ترابا • وقيل اي
صرت ترابا الان وذلك حين تحشر الوحوش فيقاد لبعضها من بعض ثم تجعل كلها ترابا فيتمنى الكافر ان يكون مثلها
نصير كذلك • وقيل يقول الكافر اي ابليس ليتني كنت ترابا مخلوقا من التراب كادم لا نار ثواب المؤمنين

من اولاده لان النار هو يخلد في النار

سورة والنازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

لبسم الله الذي قص علينا حديث موسى • الرحمن الذي اخرج الماء والمرعى • الرحيم الذي [illegible]
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • وروى ابو امامة عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة والنازعات كان حبسه في القبر وفي القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة • وهذه السورة
مكية وهي ست واربعون اية [illegible] كلمة [illegible] حرفا • وختم تلك السورة وافتتاح
هذه السورة في ذكر يوم القيامة • وانتظام السورتين [illegible] ذكر قيام الساعة [illegible] اهل
الطاعة • قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فأتاهم بتدبيرها موتى في الرياح والامطار والاعمال وقال السدي النازعات والناشطات ارواح الكفار والسابحات
والسابقات ارواح المؤمنين تكاد تنشط لتخرج فرحا بما بشرت به من كرامة الله تعالى وتكاد تسبق الى ذلك قبل حينه • وقال
الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق الى افق طلوعا وغروبا وتنشط اي تسير من موضع الى موضع وكذلك قال
ابو عبيدة والاخفش والثور الوحشي ناشط الاحر في الوجوه واحمار الناشط ينشط من بلد الى بلد وطريق ناشط اي
ينشط من الطريق الاعظم يمنة ويسرة • وقال الشاعر معترفا للطرف النواشط ويسبح اي يسير • قال تعالى كل في
فلك يسبحون ويسبق بعضها بعضا في الطلوع والغروب والسير وليس عن المتقدمين في المدبرات انها النجوم
وحملها بعض المتاخرين عليها على معنى التشبيه في امر البرد ونحو ذلك • وقيل النازعات غرقا القسي والرعا
والناشطات الاوهاق والسابحات السفن والسابقات الخيل والمدبرات الملائكة رواها واصل بن السائب
عن عطا وكلها قسم بالمجاهدين في سبيل الله فهذه الاقسام • وقال سعيد بن المسيب الناشطات كلاب النار تنشط
الكفار باظفارها في ارواح الكفار والسابقات الملائكة يتسابقون بارواح الكفار الى النار • واختلف في الذي
يقع عليه القسم • قال الفراء هو محذوف وهو لتبعثن ولتحاسبن بدلالة ما بعده • وقال غيره هو قوله ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى • وقيل هو قوله هل اتاك حديث موسى لانه بمعنى قد اتاك • وقيل القسم على قوله يوم ترجف
الراجفة وهو مقدم تقديره انجاز سائر كلمات القسم يوم ترجف الراجفة • قيل اي يوم ينفخ في الصور
النفخة الاولى فتضطرب لها الدنيا وتزلزل حتى يموت كل من عليها تتبعها الرادفة اي النفخة الثانية
فتبعث الناس للحساب والراجفة اسم الزلزلة الثانية تردفها اي تتبعها • وقيل الراجفة الارض
المتزلزلة اولا والرادفة هي الارض ايضا في الكرة الثانية تضطرب لنشور الموتى كما اضطربت اول الموت
الاحيا قلوب يومئذ واجفة اي شديدة الاضطراب ومنه وجيف لغرسها الناقة اضطرابها في العدو وهو
قلوب اهل النار • ابصارها خاشعة اي ابصار اصحاب هذه القلوب خاشعة اي ذليلة بما علاها من التعب
والتحير • قال عبد الله بن عمرو ينفخ في الصور النفخة الاولى من باب ايليا الشرقي والنفخة الثانية من بابها الغربي
يقولون اينا لمردودون في الحافرة استفهام بمعنى الانكار اي انرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احيا
كما كنا • قال الفراء تقول العرب اتيت فلانا ثم رجعت الى حافرتي اي الى حيث جئت منه ويقال النقد عند
الحافرة اي عند اول الصفقة • وقال الشاعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار اي ارجوعا
الى اول الشباب • وقال ابن عباس الحافرة الدنيا • وحكى الفراء عن بعضهم الحافرة الارض التي تحفر
فيها قبورهم ومعناه المحفورة كالماء الدافق بمعنى المدفوق اذا كنا عظاما نخرة اي انرد الى الحياة بعد
ان صرنا عظاما بالية • قرا حمزة والكسائي في رواية عاصم في رواية ابي بكر ناخرة • والباقون نخرة • وقيل
هما لغتان كقوله لبثين ولابثين وفكهين وفاكهين • وقيل النخرة البالية والناخرة العظم الذي يمر فيه
الريح فينخر من حد ضرب نخرا اي يصوت • قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة فيها خسار وهو الهلاك
والمصير الى النار • وقيل ارادوا انها باطلة خسر من اهلها فهو معنى قول الحسن خاسرة كاذبة غير كائنة
فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة اي لا يحق الله تعالى في حسبانهم تعب انما هو ان ينفخ في الصور
فاذا هم احيا بالساهرة • قال الخليل اي بوجه الارض بعد ان كانوا في بطنها وهو قول الاخفش وابو عبيدة
وقطرب وجميع اهل اللغة • وقال الفراء سميت بها لان فيها الحيوان ونومهم وسهرهم ونظيره قوله سرابيل
تقيكم الحر وسرابيل تقيكم اي والبرد • وعن قطرب انها ظهر الفلاة ومعناها ذات سهر لانه يسهر فيها خوفا
منها • وقال ابو سعيد الساهرة صخرة على شفير جهنم • وعن ابن عباس الساهرة ارض من فضة لم يعص الله
عليها خلقها يومئذ وقال ابن كيسان بالساهرة اي بالبقعة ذات السهر اي لا نوم معها • قوله تعالى هل
اتاك حديث موسى وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يعامله به قومه من الجحود وانكار البعث وتقول ان
قوم موسى فعلوا كذلك وقد اهلكتهم وهم اشد من قومك شوكة وعددا وعدة فكذلك افعل بهؤلا هل اتاك
حديث موسى فانه كان اتاه قبل ذلك فمعناه اليس قد اتاك وان كان لم ياته فمعناه ما اتاك وانا اخبرك به
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اي المبارك المطهر طوى • قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بغير تنوين على
انه اسم البقعة • والباقون منونا على انه اسم للوادي • وقال ابن عباس طوى بالعبرانية معناه يا رجل اذهب
الى فرعون انه طغى اي قال اذهب اضمر لان الاوله الداخلية فقل هل لك الى ان تزكى وهذا القول الذي
امر به في سورة طه وهو على صيغة العرض دون الامر والترغيب دون الترهيب اي هل لك ميل الى ان
تطهر من دنس الكفر بالايمان والزكاء الطهر واهديك الى ربك اي وان اهديك الى ثوابه اي ادلك على ما فيه
رضا ربك فتخشى اي تخاف عقابه فاراه الاية الكبرى اي المعجزة العظمى وهي العصا صارت حية واما اليد
فكانت مجموعة اليه فكانتا اية فكذب فرعون وعصى فلم يصدق انها من عند الله وخالف امره ثم ادبر يسعى اي ٢
اعرض عما دعاه اليه موسى يحدده • وقيل فادبر حين راى العصا حية تعدوا خوفا منها فحشر فجمع قومه فنادى

لهم

لهم فقال انا ربكم الاعلى اي كل رب غيري دوني وكان لهم اصنام يعبدونها فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه الله
تعالى نكال الله بخطيئته الاخرة وهو قوله انا ربكم الاعلى وخطيئته الاولى ما علمت لكم من اله غيري وهو قول ابن عباس
والشعبي ومجاهد وابن ابي نجيح والقرظي وعكرمة والضحاك وكان بين الكلامين عشرون سنة • وقيل الاولى • وقيل
ثلاثون سنة • وقيل اربعون سنة • وقيل الاولى تكذيبه موسى والاخرة قوله انا ربكم الاعلى • وقيل الاخرة عذاب
الدنيا والاولى الاغراق في اليم ان في ذلك لعبرة لمن يخشى والعبرة للكل وانما خص به من يخشى لانه هو المنتفع بها
كما عرف في نظايره • وقوله تعالى انتم اشد خلقا ام السما استفهام بمعنى التوبيخ وهو خطاب لمنكري البعث
والشك اذ من يتفاوت عليه مقدوره ان السما اذا كانت اعظم جثة واوثق بنا فخلقها اشد وخلق الادمي هو
صغير الجثة ضعيف البنية دونه في الوهم فمن قدر على خلق السما من غير شي فهو على خلقكم بعد موتكم اقدر ثم قال
بناها اي رفع السما فوقكم كالبنا المسقف رفع سمكها اي اعلى سقفها فسواها فلا تفاوت فيها • وقيل فلا
فطور فيها وبه صح من يقول انها مسطحة واغطش ليلها اي اظلم وهو متعدي وقد يجي لازما ليلها اي ليل السما
واضافه اليها لانه يكون بغروب الشمس وهي تضاف الى السما واخرج ضحاها اي ابرز نهارها واضاف الضحى
الى السما لانه يكون بطلوع شمسها والارض بعد ذلك دحاها اي مدها وبسطها ودحاها يدحو دحوا ودحى
يدحى دحيا بالواو والياء • وقال الكلبي دحيت الارض من مكة بعد خلق السما بالفي عام • وقال ابن عباس
بعد ذلك اي مع ذلك وقد بيناه في سورة البقرة وسورة حم السجدة اختلاف الناس في خلق السما والارض
ايهما كان اولا ومع ذلك الماء فلا يلزم في ذلك • وقوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها • قال القتيبي رحمه الله انظر
كيف دل بشيين على ما اخرجه من الارض قوتا للانام ومتاعا للانعام من العشب والشجر والحب والثمر
والعصف والحطب واللباس لان النار من العيدان وهي من الما والملح من الما • متاعا لكم ولانعامكم وقال
كلوا وارعوا انعامكم • وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى • قال ابن عباس اي القيامة • وقال الحسن اي
النفخة الثانية • وقال الفراء تطم على كل شي وتطم بالضم والكسر • وفي ديوان الادب طم السيل الركية اي دفنها وسواها
وكل شي كثر حتى يعلو فقد طم والطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تفوق كل داهية يوم يتذكر الانسان ما سعى
اي يجي الطامة يكون في اليوم الذي يتذكر الانسان فيه ما عمل في الدنيا من خير او شر بما يجده في كتابه وبرزت
الجحيم اي اظهرت لمن يرى اي لكل ذي بصر وهذا يدل على ان الكل يرونها ثم الكفار ليدخلونها • وقيل لمن يرى
اي لمن يدخلها فانها اما من حولها لا حيا فتعلق في رويتها وصيتها • وقوله تعالى فاما من طغى هذا جواب
قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى وطغى جاوز الحد في تمرده وكذب وجحد واثر الحياة الدنيا اي اختارها واغفل
الاخرة فلم يعمل لها فان الجحيم هي الماوى اي ماواه • واما من خاف مقام ربه اي علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب
ربه • وقيل ذلك وخافه ونهى النفس عن الهوى [illegible]
الجنة هي الماوى اي ماواه والالف واللام بدل الاضافة [illegible] قال مقاتل بن سليمان
[illegible] وقال عطا عن ابن عباس [illegible]
ابن عمير بن هشام بن عبد الدار وكان اسر يوم بدر [illegible] فقال انا اخو
مصعب بن عمير [illegible]
[illegible] • واما من خاف مقام ربه
هو اخوه مصعب بن عمير خاف مقام ربه [illegible] وشهد
احدا ووقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه حين انهزم المسلمون حتى نفذت السهام في جوفه فلما راه النبي صلى
الله عليه وسلم متشحطا بدمه قال احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته بمكة وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان
شراك نعله من ذهب [illegible]
الله عليه وسلم [illegible] ولما استشهد
يوم احد [illegible] فكان اذا غطي راسه بدت رجلاه واذا
غطيت رجلاه بدا راسه [illegible] وفيه نزلت رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه • وقوله تعالى يسالونك عن الساعة اي يسالك هؤلا المشركون عن الساعة
التي هي الطامة الكبرى ايان مرساها اي متى قيامها [illegible]
فيم انت من ذكراها [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم الله
تعالى [illegible]
[illegible]
ربك منتهاها [illegible]
[illegible] انما انت منذر من يخشاها [illegible]

وقيل اي الساعة اي لم يلبثوا اي في الدنيا الا عشية او ضحاها ضحى تلك العشية او نصف يوم وهو كقوله لبثنا يوما
او بعض يوم وهو استقلال لمدة الدنيا لفناء لذاتها وبقاء تبعاتها

سورة عبس وتولى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي له الانشاء والانشار ● الرحمن الذي عنده الاطعمة والثمار ● الرحيم الذي يوجد الضحك في
الاخرة والاستبشار ● روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة عبس وتولى كان
وجهه يوم القيامة ضاحكا مستبشرا ● وهذه السورة مكية وهي اربعون اية وماية وثلاث وثلاثون كلمة وخمسماية
وثلاثون حرفا ● وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة ان ختم تلك بعتاب النبي صلى
الله عليه وسلم عن السوال عن قيام الساعة لسوال الكفار ● وافتتاح هذه بعتابه على توليه عن ابن ام
مكتوم باستمالة الكفار ● وانتظام السورتين انهما في ذكر الدنيا وما اعطانا الله تعالى فيها وذكر الاخرة
وما يكون للاولياء والاعداء فيها ● وافتتاحها بذكر قصة ابن ام مكتوم وذكر ذلك على وجوه منها ما روي عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس اليه العباس بن عبد المطلب وامية بن خلف الجمحي يناجيهما
ويرجوا ان يسلما فاتاه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله فاعرض عنه وعبس
في وجهه فنزل عبس وتولى فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه وهو يقول من راى الاعمى فلما لقيه عانقه
وقال لن تزال في عيال محمد واستخلفه على المدينة مرتين ● وفي رواية عروة بن الزبير جا ابن ام مكتوم الى
النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عتبة بن ربيعة ورجال من قريش القصة ● وقال مقاتل عبس اي كلح في وجه
عمرو بن قيس بن زايدة الاصم بن رواحة بن حجر بن عامر بن لوي بن فهر بن مالك القرشي وهو ابن ام مكتوم
وامه عاتكة بنت عامر بن عمرو بن مخزوم وكان ضرير البصر فقال علمني مما علمك الله يعني الاسلام والقران
فاعرض عنه وكلح في وجهه واقبل على العباس وامية بن خلف فنزلت الاية ● وقال عطا كان عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري وهو في الحجر فدخل عليه ابن ام مكتوم القصة ● وقال
حكيم بن عيينة ما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه في وجه فقير وما تصدى لغني حتى لقي
الله ● وروي انه كان يبسط لابن ام مكتوم رداه اذا جاء ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي وقالوا ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان قصده من ذلك اعزاز الدين واستمالة قلوب المشركين وكان الاعمى يقطع عليه
كلامه وهو نوع سو ادب فكان العبوس في موضع التاديب ولكن لما كان عند الضعفا ظاهرا انه تقديم
الغني على الفقير والصحيح على المريض فتنكسر قلوبهم عاتبه الله تعالى في ذلك تقوية للضعفا وتطييبا
لقلوب الفقرا ● قوله تعالى عبس وتولى اي كلح محمد وتولى اي اعرض وهذا التشريف للنبي صلى الله عليه وسلم
في ذكره على صيغة المغايبة وهي فوق المخاطبة ان جاءه الاعمى اي بان جاءه لعزيز وما يدريك لعله يزكى ثم
خاطبه فقال وما يدريك يا محمد لعله اي لعل الاعمى يزكى اصله يتزكى ادغمت التاء في الزاي كما في المزمل
يزكي معناه يزداد طهارة بما يتعلم منك ويزول عنه دنس الجهل او يذكر اي يتعظ واصله يتذكر ادغمت التا
في الذال فتنفعه الذكرى قرا عاصم فتنفعه نصب على جواب لعل والباقون رفعا عطفا على يذكر وذكر
لعل ليس للتشكيك بل للترفيق كما في قوله لعلكم تفلحون لعلكم ترحمون اما من استغنى اي من كان غنيا بالمال
وجيها في الحال فانت له تصدى اي تتعرض من الصدد وهو القرب ومنه تعالى داري صدد داره اي قبالها
واصله يتصدى فقلبت احدى الدالات ياء كما في التمطي والتقضي وما عليك الا يزكى يعني الا يتزكى اي ليس
عليك شي بان لا يتطهر بالايمان ويبقى على نجاسة الكفر واما من جاءك يسعى يمشي اي يجد ويحرص في قربك
والاستفادة منك وهو يخشى ان يخاف الله تعالى ● وقيل اي يزداد في العلم كما قال انما يخشى الله من عباده
العلماء فانت عنه تلهى اصله تتلهى اي تشتغل الى غيره تفعل كلا قيل لا تعد لمثله ● وقيل اي حقا
انها تذكرة اي ان هذه العظة ● وقال الفرا اي هذه السورة ● وقال الكسائي يعني ان هذه الاية تذكرة
اي تذكير وموعظة فمن شا ذكره اي فمن شا من الخلق امكنه ان يتعظ به لوضوحه ● وقيل فمن شا الله وفقه
للاتعاظ فاتعظ به ● وقيل شا الله لابن ام مكتوم فذكره ولم يشا الكافر فانكره ولم يقل ذكرها والاول
مونث لانه يرجع الى الوحي او الى القران او الى المذكور او الى الوعظ او الى التذكير في صحف مكرمة اي
هذه التذكرة مثبتة في صحف جمع صحيفة وهي ما كتب فيه الشي مكرمة اي عند الملايكة وعند المومنين
وان كان يستخف به الكافر ● وقيل منزهة عن الخطا والباطل مرفوعة ● قيل هي رفيعة المكان لانها في السما
السابعة ● وقيل هي رفيعة القدر والمنزلة مطهرة اي في ايدي الملايكة المطهرين ● وقيل لانه لا يمسها
الا المطهرون بايدي سفرة اي ملايكة كتبة فعلة سفر سفرا اي كتب والسفر بالكسر الكتاب ● وقيل هم سفرا بين
الله ورسله بانزال الوحي كرام بررة اي كرام عند الله مطيعين لله تعالى قتل الانسان ما اكفره قيل هو الانسان

الذي

الذي استغنى النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن ام مكتوم ● وقيل هو جنس الكافر ● وقال ابن عباس هو عتبة بن ابي لهب
وقال مجاهد قتل اي لعن ● وقيل اهلك ● وقيل هو خبر وقيل هو دعاء ومعناه تعليم الخلق بان يدعوا عليه ما اكفره قيل
هو على التعجب اي ما اشد كفره وهو من الله تعجيب لخلقه منه ● وقيل هو على الاستفهام اي اي شي حمله على الكفر وهو استفهام
بمعنى التوبيخ من اي شي خلقه بيان لاصله على وجه السوال لما بعده من الجواب والمراد به التعريض من نطفة خلقه
وهو ما مهين فقدره ● قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين فقدره اي ما وجده مقدورا على هذه
الهيئة الانسانية ثم السبيل يسره ● قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي هو خروجه من بطن امه
وقال ابن زيد هو سبيل الاسلام ● وقال الحسن يسره اي بصره بطريق الهدى من الضلالة ● وقال مجاهد سبيل
السعادة والشقاوة ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا ● وقيل
امر الاحيا ان يقبروه وقد قبر الحي الميت يقبر من حد دخل اي دفنه واقبره الله تعالى اي جعل له ذلك وامر بذلك
تقول جعله ممن يقبر ولم يلق للسباع والطير فيكون مكرما حيا وميتا ثم اذا شا انشره اي يحييه للوقت الذي
يشا كلا ● قال الحسن اي حقا ● وقيل هو متصل باول الاية وهو قوله كلا انها تذكرة لما يقض ما امره اي لم يقض هذا
الانسان ما امره الله تعالى به من الايمان والطاعة ينبغي التعظيم والتقديم ولما اصله لم وما صلة وادغمت
الميم وان اقرت هذه الاية على نظمها فمعناه خلقه الله تعالى فقدره والسبيل يسره وكذا وكذا الى وحده وتعبده
ثم هو لا يقضي ما عليه ● وقيل لما يقض اي لم يفعل كما قال فاقض ما انت قاض ● وقوله تعالى فلينظر الانسان
الى طعامه انا صببنا الما صبا قرا حمزة والكسائي وعاصم بفتح الميم والباقون بالكسر والكسر للابتدا والفتح
للبنا فتقول فلينظر الانسان بقلبه نظر تدبر الى طعامه كيف حولنا احواله كما ذكرنا بتحويل احوال نفسه في الاية
الاولى انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض اي فتحناها بالنبات شقا اي فتقا فانبتنا فيها حبا هي حبوب
الاطعمة وعنبا وهو ما يكون في الكروم وقضبا ● قال ابو عبيدة رطبا ● وقال قطرب علفا ● وقال القتيبي قتا
وهو من القضب الذي هو القطع ● وقال الخليل وقضبا هو اغصان الشجر يقطع للسهام وزيتونا هو معروف
ونخلا وحدايق غلبا اي بساتين ملتفة الاشجار والاغلب الرجل الغليظ الرقبة والغلبا المراة الغليظة
الرقبة والغلب جمعها ● وقال ابو عبيدة نخل غلب اي عظيمة وفاكهة ما يتفكه به من الثمار وابا ● وقال
الفرا هو ما تاكله الانعام ● وقال ابو عبيدة والاخفش وقطرب هو المرعى ● وقال الخليل الكلا ● وقال القتيبي
الاب للبهايم كالفاكهة للانسان ● وسيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاب فقال اي سما تظلني واي
ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم ● وقرا ابو بكر وفاكهة وابا ● فقال الصحابة ما الاب قال بعضهم كذا
وبعضهم كذا فقال عمر رضي الله عنه هذا [illegible] امنا به كل من عند ربنا ● وقيل فلينظر الانسان الى طعامه حين يدخل
جوفه وحين يخرج منه كيف تغيرت حالته من الطيب الى الخبيث ويجوز ان يكون هذا مثلا لتغير الدنيا
وما يصير اخرها [illegible] وتنبيها للانسان على حاله ● وعن ابن عباس [illegible] الى طعامه الى رجيعه [illegible]
[illegible] في انفسكم [illegible] ● وقال الضحاك [illegible] متاعا لكم ولانعامكم
هي الابل والبقر والغنم ● فاذا جاءت الصاخة ● قال الحسن هي النفخة الثانية ● وقال القتيبي [illegible] ● وقال
الخليل هي الصيحة تصم الاذان [illegible] ● وقيل هو يوم القيامة والجواب محذوف لانه معلوم والمراد
مكشوف ● يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي زوجته وبنيه [illegible] ● وقيل يفر
حذرا من مطالبتهم اياه [illegible] ● وقيل [illegible] وقيل بنيه [illegible] قاله
القتيبي [illegible]
يوم القيامة من اخيه هابيل من قابيل ● [illegible] صلى الله عليه وسلم من امه ● وابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط
من امراته ● ونوح من ابنه ● وقالت عائشة [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وكذلك
[illegible] لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه [illegible] وجوه يومئذ مسفرة اي مضيية
وهي وجوه المومنين ● قال ابن عباس من قيام الليل ● وقال الضحاك من اثار الوضوء ● وعن عطا قال
من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة اي اصحاب هذه الوجوه ضاحكون مسرورون ●
ووجوه يومئذ عليها غبرة وهي وجوه المشركين [illegible] ترهقها قترة [illegible] سواد [illegible] اولئك هم الكفرة الفجرة

اي الجامعون بين الكفر والفسق [illegible]

سورة اذا الشمس كورت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خوف مجي يوم عظيم ● الرحمن الذي اكرمنا ببعثة رسول كريم ● الرحيم الذي [illegible]
المستقيم ● وروي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله

تعالى ان يفتضح حين تنشر صحيفته • وهذه السورة مكية وهي ثمان وعشرون اية ومائة واربع كلمات واربعمائة وخمسة
وعشرون حرفا • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة ليظهر امور تكون عند وقوع يوم القيامة • وانتظام
السورتين انهما في ذكر الملائكة والقران والكفر والايمان • قوله تعالى اذا الشمس كورت اي لفت والقيت واذهب
نورها • قال ابو عبيدة والاخفش تلف كما تلف العمامة • وقال ابو صالح تكسف • وقال ابن كيسان سودت • وقال محمد
بن جرير جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها واذا فعل ذلك ذهب ضوءها • وروي عبد الله بن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اراد ان ينظر الى يوم القيامة كانه راي عين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت
واذا السما انشقت • وقوله تعالى واذا النجوم انكدرت اي انتثرت • وقال قطرب انقضت • واذا الجبال
سيرت اي قلعت ونسفت اي سيرت في الهوا • واذا العشار عطلت هي جمع عشرا كالنفاس جمع نفسا والعشرا
الناقة التي قد اتى على حملها عشرة اشهر وهي انفس الاموال عند العرب وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة
ويعطلون ما دونها احرزان هذه الحوامل على عزتها عند اهلها تعطل وتهمل لشدة ما ترى من الهول النازل بالناس
يومئذ وهي كقوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت • واذا الوحوش حشرت اي جمعت واختلطت بالناس وبعضها
ببعض لهول قيام الساعة وهذا قبل القيامة وقال ابن عباس حشرها موتها • وقيل هو حشرها وبعثها مع الناس
يوم القيامة فيقتص للجماء من القرناء كما روي ثم يقال لها موتي فتموت وتكون ترابا وعند ذلك يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا • واذا البحار سجرت • قرا ابن كثير وابو عمرو سجرت خفيفة • وقرا الباقون مشددة
والتخفيف على اصل الفعل والتشديد لكثرة المحال والسجر في اللغة تسيين للملاء • قال تعالى والبحر المسجور
وللاحما يقال سجرت التنور وفي الاية على هذا اقاويل قيل سجرت اي يبست وغارت مياهها فلم يبق فيها شي
كما ان الجبال تسير فلا يبقى منها على وجه الارض شي فتستوي الارض كلها ولا تبقى الجبال ولا تبقى البحار والتنور
اذا سجر يبس ما فيه من الرطوبة فكانها اوقدت فذهب مياهها في الارض • وقيل سجرت اي اوقدت وجعل ذلك
ان طبق جهنم ترفع فترفع النار وتغور المياه فتمتلي البحار نارا • وقيل تكور الشمس والبحار فتصير نارا • وقيل
سجرت فاضت وملئت بان رفع الله الحاجز وهو ما قال بينهما برزخ فتفجرت المياه فعمت الارض كلها قاله
الكلبي وغيره • وقال الفرا سجرت اي افضى بعضها الى بعض • قيل هذه الستة قبل قيام الساعة • واذا
النفوس زوجت هذا وما بعدها بعد قيام الساعة • قيل واذا النفوس زوجت هو قوله وكنتم ازواجا
ثلاثة • وقيل زوجت اي قرنت • قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرن بين الرجلين الرجل الصالح مع
الصالح في الجنة والرجل السو بالرجل السو في النار • وقيل زوجت الاجساد بالارواح وهو قول عكرمة
والسدي • وقيل هو ان يقرن كل انسان بمن كان يلازمه في الدنيا من ملك وشيطان ونحو قوله احشروا الذين
ظلموا وازواجهم اي قرناءهم من الشياطين • واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت اي المدفونة حية وكانوا
يفعلون ذلك في البنات انفة منهن وفرارا عن تحمل موونتهن وخشية الاملاق بسببهن وسوال الموءودة توبيخ
لقاتلها وهو ابلغ من سواله لظهور حالها وهو كسوال عيسى عليه السلام انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وهو للالزام للنصارى • وقيل سئلت اي سئلت عن سبب قتلها والسوال والدعا
وهو كقوله ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا واليه ذهب ابو عبيدة وجماعة • واذا الصحف نشرت اي صحف
الاعمال تنشر فيعطاها الناس منشورة بايمانهم وشمائلهم • قرا ابن كثير وابو عمرو سجرت وسعرت مخففتين ونشرت
مشددة • وقرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص سجرت وسعرت مشددتين والنشرت مشددة والتخفيف
على الاصل والتشديد للتكثير • واذا السما كشطت • قال المقاتل اي كشفت عن من فيها من الملائكة ثم طويت
وقيل قلعت كما يقلع السقف • وقال الخليل الكشط رفعك شيا عن شي قد غطاه من فوقه كما يكشط الجلد
من السنام وعن المسلوخة وهو قول الفرا • وفي ديوان الادب كشط نزعت عن اماكنها • واذا الجحيم سعرت
اوقدت وزيد في احمائها • وقيل اي اتم اتقادها • وفي الخبر اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم الف
سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سودا مظلمة • واذا الجنة ازلفت اي ادنيت • وقال
الحسن اي ادنوا منها لا انها تزول عن موضعها • علمت نفس ما احضرت هذا جواب كل ما تقدم اي علم كل انسان
ما احضر هنالك من الاعمال خيرها وشرها وذكر ما كان نسيه • قال الله تعالى احصاه الله ونسوه • وقوله تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فنتم بالنجوم الخمسة وهي المريخ وزحل وعطارد والمشتري والزهرة
والخنس جمع خانس وقد خنس يخنس خنوسا من حد دخل اي تاخر والكنس جمع كانس وقد كنس يكنس كنوسا
من حد ضرب اي استتر سميت بها لانها متوارية فيه مستترة في الفلك وفي بيوتها فيه • وقيل لتاخر عن
مطالعها في كل عام في بعض الاوقات وهو قول علي والحسن وقتادة انها النجوم والقسم لما لها من المنافع العباد
تعلقت بها • وقال ابن مسعود وابن حيم هي الوحش • وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك هي الظبا
اذا رات الانس خنس اي انقبضت وتاخرت واذا امنت كما هن كنس اي دخلت واستترت وهو خلق من خلق الله

تعالى

تعالى اقسم بها كانه اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون والاول اولى لان النجوم اشبه بالليل وقد ذكر بعده فقال
والليل اذا عسعس قيل اي ادبر • وقيل اي اقبل ظلامه الاول قول علي وابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد
ومن اهل اللغة الاخفش والكسائي والثاني قول الحسن ومجاهد في رواية والفضل بن عطية ومن اهل اللغة الخليل
وقطرب ونفطويه • وقال محمد بن جرير عسعس الليل وسعسع اذا ادبر فلم يبق منه الا اليسير • والصبح اذا تنفس
اي انبلج انه لقول رسول كريم اي الذي ذكر محمد من امر الساعة لقول كريم هو جبريل اضاف القول بالقران اليه
لانه هو الذي نزل به من عند الله بامره • وقيل انه اي القران كني عن معلوم لا مذكور كما في قوله انا انزلناه وجبريل
كريم على ما كلف لا بعجز ولا ضعف كما قال شديد القوى عند ذي العرش مكين اي وجيه ذو المكانة والجاه والمنزلة
مطاع اي تطيعه ملائكة السماوات لعلمهم بمنزلته عند الله ثم اي هنالك يعني في السموات امين اي موتمن على وحي الله
تعالى وما صاحبكم بمجنون اي محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون بل هو اعقل العقلاء • قال عطية سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم جبريل ان يراه في صورته التي يكون عليها في السما فقال له ما اقدر على ذلك وما ذاك الي فاذن له فاتاه فقد
سد الافق فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فقال المشركون مجنون فنزل قوله انه لقول رسول كريم
الى اخر السورة ولقد راه اي محمد صلى الله عليه وسلم راى جبريل على صورته فتيقن انه رسول الله اليه وانه بعث
الى الخلق رسولا بالافق المبين بناحية مطلع الشمس هو مبين اي من جهته يرى الاشيا وتظهر فكان البيان واقعا
من جهته فكان مبينا وما هو بقول شيطان رجيم اي القران وما اخبر به في هذه السورة وما هو على الغيب اي على
الوحي بظنين • قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظا اي بمتهم والظنة التهمة وهي من الظن • وروت عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بالظا • وقرا الباقون بضنين بالضاد اي ببخيل فيكتم منكم وهو نعت محمد
صلى الله عليه وسلم على قول المفسرين ويصلح ان يكون نعتا لجبريل وقد سبق ذكرهما • وقال مقاتل بن حيان راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل من قبل المشرق باجياد وهو بمكة قد ملا الافق بكلكله ورجلاه في الارض
وراسه في السما جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فغشي عليه فتحول جبريل في صورة بني ادم فقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لما رجع ما رايناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال جاني جبريل في صورته فعلقني هذا
من حسنه • وروي ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل ان يتراءى له في صورته فقال له جبريل انك
لا تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل قال فاخرج الى بقيع الغرقد قال جبريل لا يسعني ذلك المكان قال
فاخرج الى مكان كذا فسماه الراوي قال لا يسعني قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بدا له جبريل في صورته
فخر مغشيا عليه حين راه ثم افاق وجبريل مستنده واضع احدى يديه على صدره والاخرى بين
كتفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت
اسرافيل ان له اثني عشر جناحا جناح في المشرق وجناح في المغرب وان العرش لعلى
كاهله وانه ليتضاءل الاحيان لعظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع • وقوله تعالى فاين
تذهبون اي فاين تعدلون عن هذا البيان بعد بلوغ الغاية ان هو الا ذكر للعالمين اي ليس القران الا ذكر للعالمين
اي للخلق اجمعين الانس والجن • لمن شا منكم ان يستقيم اي الا عظة لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع هذا الذكر
من اعوجاج الكفر وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين • قال الحكيم وقال ابو جهل الامر
الينا اذا شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فنزلت الاية

سورة اذا السماء انفطرت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الانسان فعدله • الرحمن الذي وعد الجنة من اطاعه • الرحيم الذي له الحكم والامر
في اجله وما اطاعه • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة اذا السما
انفطرت كتب له بعدد كل قطرة من السما حسنة وبعدد كل قبر حسنة واصلح له شانه • وهذه السورة مكية
وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذكر الامور
التي تكون عند قيام الساعة واحوال الخلق يومئذ فيها لاهل المعصية ولاهل الطاعة • وقوله تعالى اذا السما
انفطرت اي انشقت • واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت • واذا البحار فجرت اي فتح بعضها في بعض
لتزلزل الارض واضطرابها • واذا القبور بعثرت اي جعل اعلاها اسفلها وظهر ما بطنها من الخروج
امواتها • وقيل هو استخراج كنوزها • علمت نفس ما قدمت واخرت فقال ابن عباس وقتادة اي
قدمت من طاعة وتركت • وقال محمد بن كعب القرظي ما قدمت من عمل واخرت من سنة سنها وعمل بها
من خير او شر • وقيل علمت النفس ما قدمت من المعاصي واخرت من التوبة • وقال قتادة ما قدمت من
المال للنفقة وما خلفه لورثته • وقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اي ما الذي ذكرنا ما الذي سول لك معترا بالله مع اقرارك بانه هو الذي

خلقك فسواك اي قوم اعضاءك فعدلك اي سوى من اجلك ٭ قرا حمزة والكسائي وعاصم فعدلك بالتخفيف والباقون مشددة ٭ وقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو قول قطرب والاخفش ٭ وقال الحسين بن واقد بالتشديد يجملك وحسنك وبالتخفيف سوى خلقك ٭ وقال الفرا بالتشديد جعلك معتدلا وبالتخفيف صرفك الى اي صورة شاء وقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك اي من حسن وقبح وطول وقصر والانوثة والذكورة وغير ذلك ٭ وقال مجاهد في اي صورة ما شاء ركبك من شبه اب او ام او خال او عم كلا اي ليس كما تقولون لا بعث ولا حساب ولا جزاء ٭ وقيل ليس كما تقولون انكم محقون في عبادة الاصنام بل تكذبون بالدين اي بالحساب ٭ وقيل بالجزاء يوم القيامة وان عليكم لحافظين اي الملائكة يحفظون اعمالكم ويكتبونها فتخرج لكم يوم القيامة فتحاسبوا عليها وتجازوا بها كراما اي كراما على الله بطاعته كاتبين اي اعمالكم يعلمون ما تفعلون اي لا يخفى عليهم شيء من اعمالكم فيثبتونها والله تعالى اجرى اموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم لان ذلك ابلغ في تقرير المعنى عندهم فيخرج لهم يوم القيمة كتاب اعمالهم وتشهد عليهم الملائكة بها ثم جوارحهم فيقضي عليهم بذلك اظهارا للعدل وروى ابو صالح عن ابن عباس ان الاية نزلت في ابي الاسد ما غرك بربك الكريم المتجاوز عنك الذي خلقك من نطفة فسوى خلقك في بطن امك فعدلك اي جعلك معتدل القامة ٭ وقال الضحاك انه كلدة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فبلغ ذلك حمزة فاسلم حمية لذلك ثم اراد كلدة ان يعود لضرب النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي اراد به انه لم يعاقبه الذي خلقك ولم تك شيئا فسواك اي فسوى اعضاءك وعدلك اي مد خلقتك في العينين والاذنين والرجلين واليدين ولم يجعله عضوا واحدا ٭ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا هذه الاية فقال غره جهله ٭ وقال عمر غره حمقه ٭ وقال الحسن غره شيطانه الخبيث ٭ وقال قتادة غره امهاله ٭ وقيل للفضيل لو قيل لك يوم القيامة ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة ٭ وقال مقاتل غره عفو الله تعالى ٭ وقال السدي ابن مفلس غره رفق الله به ٭ وقال يحيى بن معاذ الرازي لو خوطبت به قلت غرني برك بي سالفا وانفا ٭ وقال ابو بكر الوراق اقول غرني كرمك قال ولو قال لما غرك بربك الجبار او القهار لكان فيه اخطاب فلما قال بربك الكريم فذلك تلقين الجواب وانشدوا لبعضهم يقول مولاي اما تستحيي مما ارى من سوء افعالك فقلت يا مولاي رفقا فقد جرانى كثرة افضالك ٭ وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم اي ان المطيعين في نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم اي النار الموقدة يصلونها يوم الدين اي يدخلونها يوم القيامة الذي هو يوم الجزاء والحساب ويوم القضاء وما هم عنها بغائبين اي بخارجين بل هم حاضرون فيها خالدين وما ادراك ما يوم الدين وهذا تهويل وتعظيم لامره ثم ما ادراك ما يوم الدين مبالغة وتاكيد له يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا يملك فيه احد لاحد شيئا يدفع عنه ما يريد الله تعالى من عذابه والامر يومئذ لله اي هو القاضي فيه دون غيره وقد كان اعطي في الدنيا لخلقه مما لكا وقضية وتصرفات وقد قطع يومئذ كل ذلك والامر امره والحكم حكمه والملك ملكه لا يغني شيء عنه

سبحانه وتعالى

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل الويل للمطففين ٭ الرحمن الذي يرفع الابرار في عليين ٭ الرحيم الذي يعطيهم الجنة ونعيمها يوم الدين ٭ روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المطففين سقاه الله تعالى من رحيق مختوم ٭ وهذه السورة مكية ٭ وقيل مدنية ٭ قال مقاتل الا قد نزلت بعد مكة ونزلت بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قبل دخول المدينة ٭ وقال السدي مدنية وقال ابن عباس نزلت بين مكة والمدينة في مهاجره فاستقبلت الى المدينة وهي ست وثلاثون اية ومائة وتسع وستون كلمة ٭ وسبعمائة وتسعة وثلاثون حرفا ٭ وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه انهما في الوعيد ٭ وانتظام السورتين انهما في الوعيد والمواعيد لاهل الكفر واهل التوحيد ٭ قوله تعالى ويل للمطففين ٭ روى عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك ٭ وقال محمد بن كعب كان بالمدينة يهود تجار يطففون وفيهم نزلت ٭ وروي انها اول سورة نزلت بالمدينة ولما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة احتاج الى ابتداء سياستهم وحملهم على التناصف في المعاملات وكان مدار ذلك على الاخذ والاعطاء بالمكيال والميزان فقدم هذا تقويما لهم قوله تعالى ويل ٭ قال ابو هريرة هو واد في جهنم ٭ وقال الضحاك هو الشدة من العذاب ٭ وقال ابن كيسان هو كلام كل مكروب للمطففين اي المنقصين الكيل يقال للتطفيف اذا كان ناقصا عن الامتلاء ويقال قد طف المكيال وطففته اذا قارب

ملأه ولم يملأ والمطفف الذي يبلغ الطفاف ولا يملأ والطفيف القليل ٭ وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا لانفسهم على الناس اي ما كان لهم على الناس ٭ وقال الفرا اي من الناس يستوفون اي يستكملون اي يقبضون على التمام واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم يخسرون اي ينقصون ٭ وقال الفراء هو كلام اهل الحجاز وقيس كلته ووزنته اي كلت له ووزنت له وهذا كما يقال صدقتك وصدقت لك وكسبتك وكسبت لك ونصحتك ونصحت لك وفي مصحف حفصة واذا كالوا لهم وكان يجعل عيسى بن عمر كالوا كلمة وهم كلمة كناية عن الفاعل ولا وجه له لانه ليس في المصحف بينهما الف الفصل ثم نبه على الوصل الا يظن اولئك اي المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيامة يوم يقوم الناس منتصبين لرب العالمين في موضع الحساب ٭ قال كعب يقومون ثلثمائة سنة ٭ وروى عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه ٭ وقال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن فان المطففين يوم القيامة يوقفهم الرحمن حتى يلجمهم العرق الى انصاف اذانهم قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين هو فعيل من السجن وهو للمبالغة وليبان ان السجن فيه للخلود ٭ وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك هو في الارض السابعة ٭ وفي الخبر انه جب في جهنم ٭ وقيل صخرة في الارض السابعة تقول ان اعمالهم لاء الفجار المطففين المنكرين للبعث مثبتة في كتاب هو محفوظ عليهم الى ان يبعثوا فيخرج لهم وهو موضوع في اسفل موضع واشده عذابا اعلاما بسوء حال اصحابه وخساستهم ٭ روى ابو صالح وابن عباس قال عمل الكفار مكتوب في صخرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها وقال مجاهد عملهم في الارض السابعة لا يصعد ولا يقبل ٭ وقال عطاء بن الخراساني سجين الارض السابعة وفيها ابليس وذريته وقال سعيد بن جبير ومقاتل لفي سجين يعني تحت خد ابليس ٭ وقال عبد الله بن عمر لفي سجين ارواح الكفار واعمالهم وقال وهب اذا قبضوا روح الكافر دفعوها الى ملائكة العذاب فاروه ما شاء الله ان يروه من الشر ثم هبطوا الى الارض السفلى وهو السجين وهو اخر سلطان ابليس فاثبتوا فيها كتابه ٭ وروي ضمرة بن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة يرفعون عمل العبد من عباد الله فيكثرونه ويزكونه حتى ينتهوا به حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وانا رقيب على ما في نفسه ان عبدي هذا لم يخلص لي عمله هذا فاجعلوه في سجين وما ادراك ما سجين هذا تهويل له كتاب مرقوم اي مكتوب ٭ وقيل معلم ٭ وقال قتادة رقم لهم فيه اي كتب لهم فيه ما يجاب للنار ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اي متجاوز للحد اثيم اي مكتسب للاثم ثم قال الكلبي هو الوليد بن المغيرة كما ذكر سورة ن ٭ وقيل غيره والصحيح انه على العموم لكل من كل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين احاديث المتقدمين كلا اي ليس الامر كما تقولون تقول انه اساطير الاولين بل ران على قلوبهم اي غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي متقادم اعتدائهم واثمهم وجحدهم لانه قال كل معتد ٭ وقيل ران اي غلب ٭ وقيل اي طبع ٭ وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اذنب العبد كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب صقل قلبه وان عاد زادت فذلك الرين ثم قرا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاذا كان الكفار محجوبين عن رؤية الله تعالى كان ذلك دليل ان المؤمنين يرونه جل جلاله ٭ وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته ٭ وسئل مالك بن انس عن هذه الاية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه ٭ وقال الحسن رحمه الله لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت ارواحهم انفسهم في الدنيا ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار الموقدة ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا ٭ قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين اي لفي مراتب عالية والتفعيل للمبالغة والجمع بالواو والنون تنبيها بما يعقل دلالة تعظيم شانها ٭ وقيل هو علو على علو ٭ وقال كعب وقتادة ومجاهد والضحاك رحمهم الله هي السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين وقال ابن عباس هي الجنة ٭ وقال الضحاك في رواية هي سدرة المنتهى ٭ وقيل عليون الملائكة وكانه قال لفي الملا الاعلى كلا ان كتاب الابرار اي الصادقين في ايمانهم لفي عليين اي في السماء السابعة كتاب مرقوم عليهم مكتوب في لوح من زبرجد خضراء معلق تحت العرش يشهده المقربون يشهد ذلك الكتاب سبعة املاك من مقربي اهل كل سماء حتى يصعدوا به الى السماء من كرامة المؤمن على الله ان الابرار لفي نعيم اي في نعيم الجنة على الارائك ٭ قال ابن عباس الارائك من اللؤلؤ والياقوت تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي البشر والفرح بما اعطوه يسقون من رحيق مختوم ٭ قال ابو عبيدة الرحيق الخمر الصافية ٭ وقال الاخفش ليس فيها غش ٭ وقال الخليل هي اجود الخمر مختوم ختامه مسك ٭ قرا الكسائي خاتمه بالالف قبل التاء الذي يختم به وهو على الجاري في اللهاء وهذه افضل من ذلك ٭ وقال مجاهد وابن زيد ختم اناءه بالمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا ٭ وقيل ختامه مسك اي مقطعه اي توجد ريح المسك عند خاتم شربه وهذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك ٭ وقالت عائشة ختامه مسك اي خلطه ٭ وعن الضحاك

قال ليجعل الله فيها من ألوان الطيب كله فآخر شيء فيه مسك. وقال أبو الدرداء هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبه. وقال أبو سعاد بلغنا أنه مختوم ختم الله عليه يوم خلقه فلا يفك ختمه حتى يدخل أهل الجنة الجنة فيفك هناك لهم فيشربون منه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وقال مجاهد فليعمل العاملون. وقال مجاهد فلينازع المتنازعون. وقيل فليتبادر المتبادرون وقيل فليرغب الراغبون من قولهم نفست عليه نفاسة أي حسدت من حد علم. وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم أي ومزاج الرحيق من عين تسمى تسنيما والتسنيم الخدر أي تعلوا أي يعلوها قاله السدي. وقيل إنه أعلى أشربة أهل الجنة من التسنم عينا يشرب بها المقربون أي المقربون يشربون التسنيم صرفا والأبرار هم أصحاب اليمين ذم دونهم يشربونه ممزوجا بالرحيق وعينا نصب على القطع. وقوله تعالى إن الذين أجرموا أي أشركوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون في الدنيا استهزاء بهم وإذا مروا بهم يتغامزون أي يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين. قرأ عاصم في رواية حفص فكهين. والباقون فاكهين وهما لغتان ومعناه ناعمين معجبين بحالهم وإذا رأوهم أي رأوا المؤمنين قالوا إن هؤلاء لضالون أي هم على ضلال فقد تركوا اللذات وهجروا الشهوات وتحملوا المشاق لما يرجونه في الآخرة من الثواب والكرامات ولا حقيقة لما فهذا منهم ضلال وترك حقيقة بخيال وما أرسلوا عليهم حافظين يحفظون أعمالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا بإصلاح أنفسهم واشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون والمؤمنون في الجنة والكفار في النار هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أي هل جوزوا على سوء أفعالهم جزاء أمثالهم وهو استفهام بمعنى التوبيخ. وقال ابن عباس إن الذين أشركوا من أهل مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وأمية وأبي ابنا خلف وزمعة بن الأسود هو والعاص بن وائل السهمي كانوا من الذين آمنوا يضحكون يعني العشرة المبشرة وخباب بن الأرت والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وصهيب بن سنان وعامر بن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وذلك أنه يقال لأهل النار اخرجوا منها ويفتح لهم باب الجنة فإذا وصلوا إليه وظنوا أنهم داخلون سد الباب دونهم يفعلون ذلك مرارا ويضحك المؤمنون فذلك قوله تعالى الله يستهزئ بهم. وقال مقاتل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر في نفر من أصحابه بعبد الله بن أبي والمنافقين فتغامزوا فيما بينهم وتناولوهم فإذا كان يوم القيامة دخل علي رضي الله عنه وأصحابه الجنة وظهرت بين أهل الجنة وأهل النار كوى ينظرون منها إلى النار وأهلها كيف يعذبون

يضحكون منهم

سورة إذا السماء انشقت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل مصير الدنيا وأهلها إلى الفناء وهو مسنون. الرحمن الذي لم يعاجل بأخذه الذين لا يؤمنون الرحيم الذي وعد المؤمنين العاملين الصالحات بأجر غير ممنون. روى أبي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة إذا السماء انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره. وهذه السورة مكية وهي ثلاث وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وستة وثلاثون حرفا. وانتظام السورتين أنهما في ذكر الساعة وما فيها. قوله تعالى إذا السماء انشقت أي تصدعت قبل نزول الملائكة وقيل للسقوط والانتقاص وأذنت. قال ابن عباس أي سمعت وأطاعت من الأذن الاستماع وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة أي لا تمتنع مما أراد الله تعالى بها من ذلك وهو كما قال فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. وحقت أي وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله تعالى إذ هي مربوبة مصنوعة لله تعالى يقال فلان محقوق بكذا. قال الشاعر لمحقوقة أن تستجيبي لصوته وأن تعلمي أن المعان الموفق. وإذا الأرض مدت أي بسطت باندكاك جبالها وآكامها حتى تصير قاعا صفصفا. وقيل أي يزاد في سعتها لوقوف الخلائق عليها للحساب. وألقت ما فيها وتخلت أي الكنوز والمعادن وهذا عند قرب الساعة. وقيل ألقت الأموات وهذا عند البعث وأذنت لربها وحقت فسرناه. وقيل جواب هذا كله محذوف ويجوز أن يكون ذلك إذا كانت هذه الأشياء علم المكذبون بالبعث ضلالهم. وقيل فيها تقديم وتأخير يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه إذا السماء انشقت إلى آخرها. وقيل جوابه إذا فأما من أوتي كتابه واعترض بينهما كلام وقال الزهري أخبرني علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه. وقال مقاتل بن سليمان إن عبد الله بن الأسد ابن هلال بن سلمة المخزومي جادل أخاه الأسود في الإسلام فأخبره بالبعث فقال الأسود لأبي سلمة أكثرت علي ويحك أتراني مستدركا إن إذا استيقنت أئنا لمبعوثون جئتنا بما لا نوعدون فقال أبو سلمة أي والذي خلقك والجبلة الأولين ليكونن هذا ولتكونن الطبقة ولتأتين القيامة فقال الأسود فأين السماء والأرض يومئذ وما حال الناس فأخبر الله تعالى فقال إذا السماء انشقت يعني تفرجت لنزول الملائكة وأذنت لربها أي استمعت وأطاعت وحقت وحق لها ذلك وإذا الأرض مدت أي سويت كمد الأديم كما كانت أول مرة والجبال وألقت ما فيها وتخلت أي ما استوت وألقت ما فيها من الموتى وتخلت. يا أيها الإنسان هذا الخطاب للجنس إنك كادح قال ابن عطية أي كاد وتعب. وقيل أي ساع سعيا شديدا وعاملا فيه إلى ربك فملاقيه وهو معنى دخول إلى ربك عاقبته الرجوع إلى الله وهي صلة السعي ساع إلى ربك بعملك ملاق في التجزية أو ملاق في ربك كما قال يتمثل بجنبك لا بعمل ربك. وقيل لقاء الكدح هو الكتاب الذي فيه ذلك فأما من أوتي كتابه بيمينه أي كتاب أعماله فسوف يحاسب حسابا يسيرا هينا أعماله حسناتها يقبل منه الحسنات ويتجاوز عن السيئات كما قال الحسن. وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قلت فأين قول الله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض وينقلب إلى أهله مسرورا. قال الحسن أي إلى الحور العين فرحا بما أعطاه الله تعالى. وقيل إلى أهله الذين في الجنة وذلك لأنه لا كتب في الدنيا يطلع في الفتنة وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. وقال قتادة وأما من أوتي كتابه بيمينه فتجعل شماله من وراء ظهره. وقال ابن جريج تخلع يده فتجعل من وراء ظهره فيقرأ كتابه كذلك. وقال الكلبي يغل يمينه إلى عنقه ثم تلوى يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه فسوف يدعو ثبورا أي يقول يا ثبوراه يا هلاكاه وهو هلاك دائم من المثابرة وهي المداومة ويصلى سعيرا. قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ويصلى خفيفة أي يدخل وقرأ الباقون بالتشديد من التصلية وهي الإدخال إنه كان في أهله مسرورا. وقيل منعما مستبشرا بحاجز النصب بأداء العبادات آمنا عند نفسه من القيامة والعقوبات. وقيل مسرورا بما عليه من الكفر يضحك ممن آمن بالبعث والحشر فنادى هذا السرور الحزن الذي لا ينقطع والمؤمن المحزون سار إلى سرور لا ينقطع إنه ظن أن لن يحور أي لن يرجع إلى ربه ولا يبعث والحور الرجوع والمحاورة مراجعة الكلام بلى أي ليحورن إن ربه كان به بصيرا أي بما كان يعمله في الدنيا. وقال ابن عباس يا أيها الإنسان إنك كادح نزلت في أبي بن خلف الجمحي. وقال مقاتل يا أيها الإنسان إنك كادح يعني المكذب بالبعث وهو الأسود بن عبد الأسد وأما من أوتي كتابه بيمينه. وقال محمد ابن كعب نزلت في الحارث بن عمرو القرشي وكان كثير الصوم شديد الاجتهاد وفيه نزلت فأما من أوتي كتابه بيمينه. وقال مقاتل فأما من أوتي كتابه بيمينه يعني أبا سلمة بن عبد الأسد وهو أول من هاجر إلى المدينة وقال الإمام القشيري فسوف يحاسب حسابا يسيرا هو أن يسمعه خطابه بلا واسطة فيخفف عليه سماع خطابه وما يلقاه من لطيف عتابه. وقيل هو أن لا يذكره ذنوبه لكن يقول له ألم أفعل بك كذا ولم يقول له ألم تفعل كذا أي يعد عليه إحسانه ولا يذكره عصيانه فلا أقسم بالشفق لا رد لقول الكفار وأقسم بالشفق أي الحمرة بعد غروب الشمس والبياض بعدها قول أكثر المفسرين. وقال عكرمة ومجاهد الشفق النهار لأن الشفق أثر الشمس والشمس للنهار والليل وما وسق أي ما اشتمل عليه الليل فيقع على كل ما أدركه الليل. وقال سعيد بن جبير ما حمل فيه فيتناول ما يضيفه العباد. وقال أبو عبيدة ما وسق ما جمع وضم فلم يمتنع فيه شيء وحل كل شيء وكذا قال الأخفش والقمر إذا اتسق أي امتلأ وتم واستوى وأصل الاجتماع الذي قلنا وسقته فاستوسق واتسق أقسم بهذه الأشياء لتعلق المصالح والمنافع للعباد بها إظهارا لقدرها لتركبن طبقا عن طبق. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء على خطاب الواحد والباقون بالضم على خطاب الجمع أي لتركبن أيها الناس والركوب اللزوم. قال الشاعر وأركب ظهر الشرجي بمثلي إذا لم أجد شيئا سوى الشر مركبا. والطبقات الحالات وعن بمعنى بعد. قال الشاعر ما زلت أقطع منهلا عن منهل حتى نزلت بباب عبد الواحد. ووجهه أن من صار عن شيء إلى شيء صار إليه بعده فتسلخ عن وبعد ولرجوه وقال ابن زيد هما الآخرة بعد الأولى. وقيل حالا بعد حال إلى أن ينتهي الاستقرار في الجنة أو في النار وقال عكرمة أحوال الإنسان رضيع ثم فطيم وكذا وكذا إلى الموت. وقال الكلبي حالا بعد حال مرة يفرحون ومرة يحزنون. وقال عطاء مرة فقر ومرة غنى. وقال الحسين بن الفضل طبقا عن طبق أي شدة بعد شدة يقال وقع فلان في بنات طبق أي الدواهي وهي البعث ثم العرض ثم كذا وكذا. وقال الأقرع بن حابس التميمي قد حلبت الدهر أشطره وساقني طبق منه إلى طبق. لتركبن طبقا عن طبق كان في الدنيا في الوضع فصاروا في القيامة إلى الطمع أو قوم كانوا في الضعة فصاروا إلى الرفعة. وقال أبو عبيدة وقال الأخفش لتركبن سنة الأولين في التكذيب والمعاصي. وقال مكحول في كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه. وقيل هو مبادئ

أي فالتسابق المتبادرون وقال عطاء فليستبق المستبقون هو

في الجنة هو

أي وما أرسل الكفار رقباء على المؤمنين هو

يعيرون أنهم هو

بن كعب هو

الزجاج

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره قال مجاهد تخلع يده من وراء ظهره كتابه هو

وما جمع الليل أي الحيوانات بالليل وقيل هو

وعلامة

فلست بصوا ولا تعرف وقال

للمؤمنين اي لتصيرن من حال الى حال فانا ساعد ايكم ثم يكون لكم النصر والظفر وهو اعلى خطاب الواحد فانه يرجع الى الانسان المذكور في اول السورة يا ايها الانسان ويراد به الجنس • وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بشارة بالنصر والظفر في العاقبة • وقال ابن عباس وابن مسعود اي لتركبن يا محمد اطباق السما ليلة الاسرا وهي بشارة بالمعراج وقال تعالى سبع سموات طباقا • وقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون استفهام بمعنى التوبيخ واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون كذلك بل الذين كفروا يكذبون اي ليس تركهم الايمان والسجود لقصور البيان بل للتقليد هم اباءهم في التكذيب والله اعلم بما يوعون اي يبطنون عليه وحقيقته يجمعون في صدورهم وقد وعيت الشي في الوعا اي جمعته فيه فبشرهم بعذاب اليم اي ضع لهم الوعيد مكان البشارة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون • قيل اي غير منقوص • وقيل اي غير مقطوع • وقال مقاتل بل الذين كفروا يكذبون اي بالبعث والقران نزلت في مسعود وحبيب وربيعة وعبد بن ياليل بن عمرو بن عمير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم فعرض عليهم الاسلام فقال له مسعود والله لا اكلمك ابدا لئن كنت صادقا لانت خير من ان اكلمك ولئن كنت كاذبا لانت شر من ان اكلمك • وقال حبيب والله لا سرقن بباب الكعبة ان كان الله بعثك نبيا • وقال ربيعة اما وجد الله عبدا يبعثه غيرك فانزل الله بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون من التكذيب في قلوبهم فاسلم بعد ذلك ربيعة وعبد ياليل فانزل الله فيهما واستثناهما فقال الا الذين امنوا اي صدقوا ابدا للتكذيب وعملوا الصالحات اي الطاعات لهم اجر غير ممنون اي غير منقوص فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي مثل الرجلين الذين ذكر في الكهف باع احدهما اخرته بدنياه فخسر وباع الاخر دنياه ه

سورة والسماء ذات البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اهلك اصحاب الاخدود • الرحمن الذي ينجيهما بحديث الجنود • الرحيم الذي هو المعبود الودود • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والسماء ذات البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في الدنيا عشر حسنات • وهذه السورة مكية وهي اثنان وعشرون اية • ومائة وسبع كلمات • واربعمائة واثنان وستون حرفا • وانتظام السورتين انهما في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين • قوله تعالى والسماء ذات البروج اقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج وهي المنازل العالية • وقيل القصور وهي البروج الاثنا عشر المعروفة بسير الشمس في كلها في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها مصالح ومنافع للعباد فاقسم بها اظهارا لقدرته واليوم الموعود اكثر المفسرين على انه يوم القيامة • وروي ذلك ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو قول علي وابن عباس والحسن وابن زيد وقتادة والربيع بن انس • وقيل هو اليوم الموعود لانشقاق السما وسقوط هذه البروج • قوله تعالى وشاهد ومشهود عن سلف المفسرين فيه عشرة اقاويل احدها ان الشاهد يوم الجمعة روي ذلك عن ابي هريرة وعن علي وابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد والثاني انه يوم الاضحى وهو عن ابن عمر وابن الزبير والنخعي والثوري • والثالث يوم عرفة وعن مجاهد عن ابن عباس • والرابع هو الله تعالى عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس • والسادس محمد صلى الله عليه وسلم عن عكرمة والحسن بن علي وابن المسيب والسدي • وعن ابن عباس ايضا • والسابع ادم عليه السلام وذريته عن ذويب عن الضحاك • والثامن عيسى عليه السلام عن مجاهد • والتاسع الملائكة عن عطا الخراساني • والعاشر انه الانسان عن كريب عن ابن عباس • العاشر انه ابن الحكم وعن عكرمة ومجاهد • وقيل الشاهد اعضاء بني ادم تشهد عليهم يوم القيامة وقيل الشاهد هو الحجر الاسود والمشهود الحاج • قال علي رضي الله عنه ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على بني ادم واشهدهم على انفسهم كتب بذلك كتابا والقمه الحجر فاذا كان يوم القيامة جعل الله له صورة تشهد لمن استلمه وقال الحسن الشاهد اليوم والليل يقول كل يوم انا خلق جديد وانا على ما تعمل فيه شهيد • وقال محمد بن علي الترمذي الشاهد الحفظة والمشهود ابن ادم • وقيل الشاهد الانبيا والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم وهو انه اخذ ميثاق الانبيا فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين • وقيل الشاهد الله تعالى والملائكة واولوا العلم من قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم • وقال بعض اهل المعرفة كل جزء من العالم شاهد لمن تدبر انه لا بد له من خالقه • قال الشاعر • يا عجبا كيف يعصى الاله • ام كيف يجحده الجاحد • وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد • ولله في كل تحريكة • علينا وتسكينة شاهد • والمشهود هو يوم القيامة • وقيل يوم عرفة • وقيل يوم الجمعة • وقيل يوم النحر • وقيل هو الانسان ومما يصلح دليلا لبعض هذه الاقاويل • قوله تعالى عالم الغيب والشهادة • وقال وكفى بالله شهيدا • وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وهو في القيامة • وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا على الصلاة فانه يوم مشهود تشهده

الملائكة

الملائكة وقال الشهيد وما نافع لهم وهذا في ايام الحج يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر وقال وجئنا بك شهيدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون الانسان مشهودا اي مشهود عليه كما قال ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه وقال واشهدهم على انفسهم فعلى هذا حكى ان الانسان شاهد واختلف في جواب هذا القسم فقيل ان الذين فتنوا وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قتل اصحاب الاخدود وهذا تقديم وقوله والسماء ذات البروج موخر وقيل القسم عليه وقوله قتل اصحاب الاخدود هو الشق العظيم في الارض ويسمى المؤمنين على الفتنة ويحمل اذ هم كفار وقد كان في الزمن الماضي كذلك وكان المشركون يعذبون بلال وعمار فنبههم الى شرط الاجابة الصبر على الله والانتظار الفرج في الدنيا والثواب في الاخرة والروايات مختلفة في ذلك جدا روى صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه راهب فقعد اليه الغلام فسمع كلامه فاعجبه وكان اذا اتى الساحر مر به واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال له اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب يا بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هنا لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فان انت امنت بالله دعوت الله فشفاك فامن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه وكان ماه فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجا يمشي فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به في قرقورة وهي السفينة فلججوا به فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ثم قال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال اجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد ثم صلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فقد امن الناس فامر بالاخدود في افواه السكك فخدت فيها النار وقال من لم يرجع فاقحموه فيها ففعلوا حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق وروي هذه القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما مع زيادة قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره الغلام ولم يجد بدا من ذلك فجعل يختلف اليه وكان في طريقه راهب وذكر مثل الاول وذكر مكان الدابة على طريق الحية وذكر ان المكفوف كان ابن عم ذلك الملك وذكر بعد صلبه ان الناس قالوا لا اله الا الله رب عبد الله بن تامر ولا دين الا دينه وذكر في اخر قصة الاخدود ان تلك المراة كان لها ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا القيتك واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فابت فالقى الثاني في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فاخذ الصبي منها ليلقيه في النار فهمت المراة بالرجوع فقال الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك فالقي الصبي في النار وثبتت المراة على ايمانها وذلك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود • وعن عكرمة قال تكلم في المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الاخدود • وقال عطا الخمسة هؤلاء وابن ماشطة فرعون • وقال الضحاك ستة هؤلاء وشاهد يوسف • وقال مقاتل ان رجلين مسلمين ممن كان يقرا الانجيل احدهما بارض تهامة والاخر بنجران اليمن فاجر احدهما نفسه في عمل يعمله وجعل يقرا الانجيل فسمعته ابنة المستاجر فاعجبها ذلك فذكرته لابيها فلم يزل ابوها بالرجل حتى اخبره بالاسلام فاسلم وتابعه على الاسلام فسمع بذلك ملكهم يوسف

ذو نواس بن شراحيل بن صراح الحميري فخد لهم في الارض واوقد فيها النار ثم عرضهم على الكفر فمن ابى منهم ان يكفر قذفه
في النار ومن كفر تركه فذلك قوله قتل اصحاب الاخدود • وفي رواية وهب احرق ذو رعين اثنا عشر الفا بنجران
في ذلك • وقيل ذو رعين في ذلك • وقيل ذو رعين شداد بن عاد فان ذو رعين اسم اول السورة • وقال الكلبي كانوا
نصارى وذلك ان ملكا بنجران اخذ قوما مؤمنين فخد لهم في الارض سبعة اخاديد طول كل اخدود منهم اربعون
ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ثم طرح فيها النفط والحطب ثم عرضهم عليها فمن ابى قذفوه في النار فقيل رجل
يقال له عمرو بن زيد فسال ملكهم فقال من علمك هذا يعني التوحيد فابى ان يخبره فاتى الملك الذي علمه التوحيد
فقال ايها الملك انا علمته واسمه عبد الله بن سمر فقذفه في النار ثم عرض على النار واحدا واحدا حتى اذا اراد
ان يتبع بقية المؤمنين صنع ملكهم صنما من ذهب ثم امر على كل عشرة من المؤمنين رجلا يقول لهم اذا سمعتم صوت
المزامير فاسجدوا للصنم فمن لم يسجد القوه في النار فلما سمع النصارى بذلك سجدوا للصنم واما المؤمنون
فابوا فخد لهم والقاهم فيها فارتفعت النار فوقهم اثنا عشر ذراعا • وروي عن علي رضي الله عنه انه
سئل عن المجوس فقال كانوا اهل كتاب وحرم عليهم في كتابهم الاخوات والبنات فسكر ملكهم ذات ليلة فتناول
اخته فلما اصبح ندم وقال كيف المخرج فقالت اخته المخرج ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل الاخوات
فتفعل فابى الناس ذلك فخد لهم الاخدود والقاهم في النار فمن تابعه خلى عنه ومن ابى احرقه حتى اتى على امراة
معها صبي رضيع فكانها نافقت فقال الصبي يا اماه امضي ولا تنافقي فاقتحمت النار فوالله ما كانت الا هنيهة
حتى افضوا الى رحمة الله • وقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعن كما مر في مثله • وقال الربيع بن انس
والواقدي قتل بالنار اصحاب الاخدود وهم الجبابرة الذين ارادوا قتل المؤمنين فعادت عليهم فقتلتهم
النار ذات الوقود بدل عن الاخدود وتقديره قتل اصحاب النار ذات الوقود اي الحطب وذكره دليل
على كثرة حطبها اذ هم عليها قعود • قيل اي الكفار قعود على شفيرها كاوات لذكو النار • وقيل اي عندها كما قال
ولهم علي ذنب اي عندي • وقعودهم كان لامر اتباعهم بالقاء المؤمنين في النار • وقيل اي المؤمنون هم
قعود حول الاخدود يعرضون على المحنة وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي والكفار حضور
وهم الجبابرة يرون ما تفعل اتباعهم بالمؤمنين لا ياخذهم رقة وهو غاية القسوة والمبالغة في السطوة
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله اي وما عاب وما كره الكافرون من المؤمنين الا ايمانهم بالله وذكر
المستقبل مع وجود الايمان منهم في الماضي لارادة معنى الدوام عليه فانهم ما عذبوا لايمانهم الماضي بل
لدوامهم عليه العزيز الحميد صفة لله تعالى وهو المنيع الذي لا يغلب الحميد الذي يحمده المؤمنون
وفي عقول جميع المكلفين والمستحق للحمد على الحقيقة الذي له ملك السموات والارض واشار بهذا
كله الى انه لو شاء لمنعهم عن ذلك لكن يمتحن محبة لاوليائه والله على كل شيء شهيد لا يخفى عليه شيء فهو مجازي
كلا على وفق عمله • ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي احرقوهم كما قال يوم هم على النار يفتنون
ثم لم يتوبوا مما نووا مصرين على ذلك وفيه بيان سعة رحمة الله انهم لو تابوا لعفا عنهم فلهم عذاب باحراقهم
المؤمنين في الاخدود • وقال الربيع فلهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق بنار الاخدود
في الدنيا فقد روينا فيه ان تلك النار عادت عليهم فاحرقتهم • وقيل الحريق من اسماء النار ايضا
كالسعير فيجعل لهم في الاخرة عذاب جهنم ويخصه بزمهريرها وعذاب الحريق عذاب بحرها فيرددون
بين حر وبين برد • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز
الكبير وهذا في المؤمنين الذين صبروا على ذلك العذاب ان بطش ربك لشديد اي اخذه وانتقامه
انه هو يبدئ ويعيد • قال الحسن والضحاك وابن زيد اي يبدئ الخلق ويعيده بالبعث بعد الموت
وهو معنى المبدي والمعيد في اسماء الله تعالى • وقيل انه هو المبدي للعذاب في الدنيا المعيد له في العقبى
كذا روى العوفي عن ابن عباس مبدي العذاب ومعيده • وقال محمد بن كعب يبدئهم من التراب ويعيدهم
الى التراب • وقال مجاهد يبدي ويعيد بالسعادة والشقاوة • وقال تعالى كما بداكم تعودون • وقال
ابن كيسان يبدا لكم ضعفا ويعيدكم كذلك • وهو الغفور للمؤمنين التائبين الودود المتودد الى عباده
بمغفرته وسائر وجوه احسانه • وقال الحسن الودود الذي يتودد الى خلقه بما يعطيهم من النعيم في دينهم
ودنياهم • وقيل هو فعول بمعنى الفاعل اي يود المطيعين • وقيل هو في معنى المفعول اي يوده عباده
المؤمنون ذو العرش المجيد اي ذو الملك • وقيل هو ذو العرش المجيد • قرا حمزة والكسائي المجيد خفضا
نعتا للعرش • وقال ابن عباس هو الكريم • وقرا الباقون رفعا نعتا لقوله ذو وهو الله تعالى والمجد
والرفعة والعلو والشرف ويجوز ان يوصف به الله ويجوز ان يوصف به العرش فعال لما يريد لا يمنعه عنه مانع
ولا يمانعه ممانع يكرم من يشاء ويهين من يشاء ويضل من يشاء ويهدي من يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء له
الارادة والمشيئة والحكم والتصرف في كل البرية • هل اتاك حديث الجنود هو استفهام بمعنى التقرير اي قد

اتاك حديث الجنود وما احلت بهم من نقمتي ثم ذكر بعضهم وقال فرعون وثمود وفرعون من المتاخرين وثمود من المتقدمين
وذكرهم ذكر امثالهم من الاولين وهو وعد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ووعيد الكافرين بل الذين كفروا في تكذيب
اي ليس كفر هؤلاء لغموض البيان ولخفاء حال الجنود عليهم في ماضي الزمان لكن يكذبونك عنادا والله من ورائهم محيط
قيل اي والله قادر عليهم في قبضته وقهره وقدرته • وقيل هو اخبار بدنو اهلاكهم كما قال قد احاط الله بها وقال وظنوا
انه قد احيط بهم • وقيل اي والله قد احاط بهم علما لا يخفى عليه شيء منهم وسيجزيهم على وفق عملهم بل هو قران مجيد اي
ليس كما يقولون انه مفترى وانه اساطير الاولين ولكنه قران علي القدر عند الله تعالى • في لوح محفوظ • قرا نافع
محفوظ بالرفع نعتا للقران • وقرا الباقون خفضا نعتا للوح وكل واحد منهما محفوظ عن التبديل والتغيير • وقال
مقاتل محفوظ عن الشياطين • وقيل هو كقوله وانه في ام الكتاب لدينا • وقال الحسن اللوح شيء يلوح للملائكة
فيقرؤونه • وقال ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء وعرضه ما بين السماء
والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يحيي ميتا ويميت حيا ويغني فقيرا ويفقر غنيا ويعز ذليلا ويذل
عزيزا • وقال ابو رزق اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر ملك كريم • واللوح فيه كتاب كل شيء • وقال مقاتل هو
من يمين العرش والله تعالى اعلم

سورة والسماء والطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اقسم بالسماء والطارق • الرحمن الذي خلق الانسان من ماء دافق • الرحيم الذي يمهل كل
كافر وفاسق • روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا والسماء والطارق اعطاه الله
تعالى عشر حسنات بعدد كل نجم في السماء يوم القيامة • وهذه السورة مكية وهي ست عشرة اية واحدى وستون
كلمة • ومائتان واثنان واربعون حرفا • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة ان تلك في ذكر
المحفوظ وهذه في ذكر الحافظ • وانتظام السورتين انهما في ذكر السماء والنجوم والهم للقران وتنزله على النجوم
وذكر وعيد الكافرين ووعد المؤمنين • قوله تعالى والسماء والطارق اقسم الله تعالى بالسماء والطارق
اي والذي ياتي ليلا فيفتره • وقال وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب • قال قتادة رحمه الله الطارق النجم
الثاقب للظهور بالليل وخفائه بالنهار والثاقب • قال الفراء المضيء والعرب تقول للموقد اثقب نارك
اي اشعلها حتى تضيء وقد ثقبت النار ثقوبا واثقبتها اثقابا • وقيل هو زحل على الخصوص • وقيل هو النجم
المرتفع على سائر النجوم يقال ثقب الطائر اذا حلق بالسماء ارتفاعا • وقيل الثاقب النجم الذي يرجم به
الشياطين فيثقب الشيطان اي ينفذ فيه ويحرقه • قيل هو اسم كل نجم • وقيل هو الثريا خاصة • وقيل
هو زحل لان نوره يثقب سبع سماوات • وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب وذلك انه ليلة من الليالي انحط
نجم فامتلات الافاق نارا ففزع لذلك ابو طالب فقال اي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فانزل الله تعالى والسماء والطارق الايات ان كل نفس لما
عليها حافظ القسم واقع على هذا • وقرا عاصم وحمزة وابن عامر لما مشددة ومعناه الا اي ما كل نفس الا عليها
حافظ • وقيل لما اصله لمن ما واللام للتاكيد ومعنى الا وما ادغم في ما • وقرا الباقون لما بالتخفيف وله
وجهان ان للتاكيد واللام كذلك والثاني ان بمعنى ما واللام بمعنى الا وقد مرت نظائره ان كان وعد ربنا
لمفعولا ان كنا لفي ضلال وان كنت من قبله لمن الضالين • وتقديره على الوجه الاظهر ما كل نفس الا عليها
حافظ • قيل هو كاتب عمله وتقديره وان عليكم لحافظين • وقيل حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها فاذا
استوفى الانسان كل ذلك قبضه وهو كقوله انما نعد لهم عدا • وقيل حافظ يحفظها من الافات كما قال
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقد شرحناه في تلك الاية • وقيل حافظ هو الله
تعالى وهذا كله بيان ان الانسان ما خلق سدى يهمله بل هو متعبد بما كلفه فلينظر الانسان مم خلق اي فليتدبر بعقله
ولينظر بقلبه هذا الانسان المكذب بالبعث مم خلق اي من مادة خلق من ماء دافق اي خارج بزخرة
والاندفاق السيلان بسرعة واصله الانصباب والدفق الصب • وقال الاخفش وابو معاذ وجماعة دافق
اي مدفوق اي مصبوب • وقال جماعة اي ذو دفق • وقال الخليل وقطرب وابو سعيد هو لازم دافق اي
منصب مندفع بشدة قوته يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المراة وهو موضع
القلادة من صدر المراة جمع تريبة قاله ابن عباس وكذا فسره ابو عبيدة والخليل والاخفش وقطرب • وقال
الفراء من الصلب والترائب وجائز ان يقول للشيئين يخرج من بين هذين خير كثير ومن هذين خير كثير
انه على رجعه لقادر • قال عكرمة ومجاهد اي على رد الماء في الصلب • وقال الضحاك اي على رد الانسان كما
كان • وقيل على رد الماء الى الاحليل • وقال الحسن وقتادة اي على اعادته حيا بالبعث بعد الموت وهو الاصح
لان السياق والسباق له • وقيل انه قادر على ان يرد الانسان من الكبر الى الصغر ومن الشباب الى الصبا ومن

الصلب الى النطفة ومن النطفة الى الاحليل فكيف لا يقدر على احيائه بعد موته يوم تبلى السرائر اى تكشف الاسرار
واصل الابتلاء الاختبار ويكون للكشف بالابتلاء والسرائر جمع ما كان يستره العبد من الخلق من طاعة ومعصية وخير وشر
فما له اي لهذا الانسان من قوة على دفع ما حل به من العذاب ومن لعموم النفي ولا ناصر يعينه ويمنعه من الله
ان اراد تعذيبه • قوله والسماء ذات الرجع • قال قطرب والخليل الرجع المطر والجمع الرجعان • قال الشاعر
ابيض كالرجع رسوب اذا ما باح في محتفل يختلي • وقال الفراء رحمه الله ذات الرجع اي يبتدئ بالمطر ثم يرجع
به في كل عام • وقال ابو عبيدة والاخفش ذات الماء وحقيقته ان الرجع ليس باسم للماء ولا للمطر لكن اراد به
السماء ذات اعادة النفع بالمطر والرجع متعدي فالرجوع لازم • والارض ذات الصدع اي الانشقاق
بالنبات والاشجار • وقيل اي ذات الطرق المشقوقة فيها للسلوك • انه لقول فصل اى قاطع للمراء والتنازع
ومنه فصل الخصومات • وما هو بالهزل اي باللعب نقيض الجد • وقال ابو عبيدة والاخفش فصل حد • وقيل
انه اي القرآن لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل كما سمي فرقانا اي لانه فارق بين الحق والباطل
انهم يكيدون كيدا اي ان هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث يحتالون لدفع ما اتيتهم به يا محمد من الحق
بالتمويه على الضعفة ويمكرون بك ويقصدون اهلاكك وقال عظماؤهم الذين فتشموا طرق مكة على ما مر
في آخر سورة الحجر واكيد كيدا اي وانا الله انقض عليهم كيدهم وابطل احتيالهم ويكون هذا جزاء لهم على
فعلهم ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء وهو كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون
الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم • فمهل الكافرين اى فلا تعجل في طلب هلاكهم امهلهم اي انتظر
انتقامي منهم واعلائي اياك عليهم رويدا اى مدة قليلة فعن قريب ترى ذلك بهم وتحقق ذلك يوم بدر
ورويدا نعت لمصدر محذوف اى امهالا رويدا وهو تصغير رود بالضم وهو المهل واريد بالتصغير
التقليل وجمع بين اللغتين الامهال والتمهيل توسعا في الكلام وجمعا بين الافتنان ه

سورة سبح

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي قدر فهدى • الرحمن الذي يعلم الجهر وما يخفى • الرحيم الذي وعد بالفلاح
من تزكى وذكر اسم ربه فصلى • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة
سبح اسم ربك الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى
ومحمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين • وهذه السورة مكية وهي تسع عشرة اية واثنتان وسبعون
كلمة ومائتان وستة وثمانون حرفا • وانتظام ختم تلك السورة بافتتاح هذه السورة ان ختم
تلك في وعيد الكفار الذين يصفون الله بما لا يليق به • وانتظام السورتين انهما في ذكر البدء والاعادة
وجزاء اهل السعادة واهل الشقاوة • قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وهذا امر للنبي صلى
الله عليه وسلم • قيل معناه نزه اسم ربك عن ان يسمى به غيره • وقيل نزه اسم ربك عن تاويله على غير
وجهه • وقيل اى مجد الله تعالى باسمائه التي انزلها عليك وعلمك اياها • وقيل اي صل لربك ذاكرا
اسمه • وقيل اي الاسم صلة ومعناه سبح ربك الاعلى اي نزهه • وقيل هو امر بان تسبح الله تعالى
بهذا الاسم فتقول سبحان ربي الاعلى • قال عقبة بن عامر لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم • ولما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في
سجودكم ذكر ذلك باسم ربك وفي هذه الاية سبح اسم ربك • قال الفراء هما سواء كقولك علمت بانك صادق
وعلمت انك صادق ونشدتك بالله ونشدتك الله • وقوله تعالى اي العالي على كل شيء بملكه وسلطانه
الذي خلق فسوى اي صنع الاشياء على ما اراد من الحكمة وحسن التدبير فلا تفاوت فيه • وقيل
اى هيأ كل شيء على مقداره الذي يصلح له • وقيل اي خلق الانسان فسوى اعضاءه • وقيل فهيأه للتكليف
والذي قدر اي قدر الخلق على الهيئات التي اراد ان يكونوا عليها فقدر ارزاق العباد واجالهم
فهدى اي ارشد الى توحيده وعبادته ودل على قدرته في الهيئة ووحدانيته • وقيل اي
خلق كل حيوان وهداه لمصالحه التي بها قوامه في مدته المقدرة له كانه قدر حياته في الدنيا الى مدة
فهداه لما يتم به بقاءه الى مدته • وقيل هدى الذكور الى اتيان الاناث حتى يتم التدبير في التناسل
الى حين اراد الله تعالى • وقال مجاهد هدى الانسان للعبادة وهدى الانعام الى مراتعها وقرأ
الكسائي قدر مخففا وهو كالمشددة • وقيل قدر بالتخفيف اى ملك فهدى اى فتصرف فيما ملك بحكمه
لما خلقه • والذي اخرج المرعى النبات والزروع والثمار مما تاكل الناس والانعام • فجعله غثاء
اي جعله بعد اهتزازه وخضرته ونضرته يابسا هشيما اى اسود للخريف والحوة السواد والاحوى الاسود
من حد علم وقد يحمله السيل فيسود بعد اليبس وهذا على تقرير النظم على حاله • وقال الفراء الاحوى الاسود

لشدة خضرته كما قال مدهامتان اي سوداوان لشدة خضرتهما وعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير • والذي
اخرج المرعى احوى فجعله غثاء وهو كقوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما اى انزل على عبده الكتاب
قيما ولم يجعل له عوجا على التقديم والتأخير • سنقرئك اي سنجعلك قاريا للقرآن بانزال جبريل عليك بالوحي
وقراءته عليك • فلا تنسى اى تذكره ولا تنساه تحفظه في قلبك الا ما شاء الله له وجوه احدها فلا تنسى الا ما شاء
الله ان تنساه مما ينسخ برفع فرض قراءته عنك وعن امتك فيزول حفظه من القلوب او اذا نسخ العمل به وقراءته
لم يقرأه مدة فنسوه وجه اخر فلا تنسى اى فلا تترك العمل به الا ما شاء الله فنسخ العمل به فيتركه لنسخه ووجه
اخر قال الفراء لم يشأ الله ان تنسى شيئا وهو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
وهو لا يشاء وهو كقولك لاعطينك كل ما سالت الا ان يشاء الله ان امنعك على ما شئت وانت لا تريد ان تمنعه
ووجه اخر فلا تنسى الا ان يريد الله انساك فانه قادر على ما يشاء ثم هو لا ينسيك وان كان قادرا على انسائك
كما قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ونحو ذلك وهو لا يشاء ذكره هذا تذكرة قدرة ربه اذا لم
ينس فانما ذلك بفضل الله ومنه انه يعلم الجهر وما يخفى اي رفع الصوت بالقراءة واخفاء الصوت فيها
لا يخفى عليه شيء من ذلك • ونيسرك لليسرى اى نوفقك للطاعات • وقيل اى نيسر لك دخول الجنة وهو بشارة
له فعلى الاول اليسرى هي الطاعات المودية الى اليسرى والعاقبة المحمودة وعلى الثاني اسم الجنة التي فيها
كل راحة ويسر فذكر اى عظ بالقرآن ان نفعت الذكرى وكان فيمن يذكرهم من لا تنفعه الذكرى فكان الطمع
منقطعا عن تذكرهم • وقيل له فذكر ان نفعت الذكرى وهو كما يقال ادع فلانا ان اجابك ومعناه ولا اراه
يجيبك فكان هذا امرا بتذكير من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه • سيذكر اي سيتعظ بوعظك من يخشى اي من
يخاف الله تعالى وانما ينتفع به ذلك • وقيل من يخشى اي من يعلم بالله فهو الذي يخشاه • قال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء • وقيل سيذكر من يخشى من يخاف العواقب ويتامل في العقوبات التي ذكرناها
مما يكون في جهنم مما لا يقاومها احد • ويتجنبها اي يتجنب الذكرى فلا يقبلها الا الاشقى اي الشقي كما قال
وهو اهون عليه اى هين عليه • وقيل اي المفرط في الشقاوة فان الاشقيا متفاوتون • الذي يصلى
النار اي يدخلها الكبرى • قال الحسن النار الكبرى هي نار جهنم والنار الصغرى هي نار جهنم الدنيا • وقال
الكلبي النار الكبرى نار الدرك الاسفل وكل درك اشد عذابا من الذي فوقه • ثم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى فينتفع بحياته • وقيل ان روح احدهم في النار تصير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها
من الجسم فيحيى • وقال الحسن لا تسلط النار على الفؤاد فذلك لا يموت وليس ينتفع بحياته العذاب
الذي فيه • وقال مقاتل فذكر ان نفعت الذكرى نزلت في ابن ام مكتوم ويتجنبها الاشقى نزلت في الوليد
ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف • وقوله تعالى قد افلح من تزكى قال ابن عباس اي صار زاكيا
وعمل صالحا • وقال قتادة اي ادى زكاة ماله • وقيل تطهر من الشرك بالاسلام • وذكر اسم ربه اي افتتاح الصلاة
[illegible]
[illegible]
الله عليه وسلم ان هذا في صدقة الفطر وصلاة العيد [illegible]
[illegible]
وعمر بن عبد العزيز والشعبي وسعيد بن المسيب ان هذا في زكاة الفطر [illegible]
[illegible] وقوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صحف ابرهيم وموسى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من شهر رمضان وانزلت [illegible]
الانجيل في ثمانية عشر من شهر رمضان • وانزل القرآن في ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان • وقيل
الكتب المنزلة من السماء على الانبياء مائة واربعة [illegible]

موسى قبل التوراة وهي عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني كل الكتب مجموعة في القران ومعاني كل القران مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في التسمية ومعاني التسمية مجموعة في بائها

التسمية ومعناها بي كان ما كان وبي يكون ما يكون والله اعلم

سورة هل اتاك حديث الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي ذكرنا الغاشية • الرحمن الذي خوفنا بالنار الحامية • الرحيم الذي شوقنا الى الجنة العالية روي عن ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ هل اتاك حديث الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا • وهذه السورة مكية وهي ست وعشرون اية • واثنتان وتسعون كلمة • وثلثماية واحد وسبعون حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذكر المؤمنين والكفار ومصير هؤلاء الى الجنة ومصير هؤلاء الى النار قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاك خبر القيمة التي تغشى الناس بالاهوال اي تخللهم اي تعمهم • وقيل اي تاتيهم • وقيل الغاشية النار يعني تغشى الصعقة • قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقال تعالى من فوقهم غواش • وقيل الغاشية اهل النار الذين يأتونها ويقتحمونها وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة اي ذليلة لما اعترى اصحابها من الخزي والهوان خافضة ابصارها قال خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي • وقال خاشعا ابصارهم • عاملة ناصبة • قال الحسن اخشعها الله واعملها وانصبها بمعالجة السلاسل والاغلال في النار وهم قبل ذلك ايضا قيام على ارجلهم في عرصات القيامة عراة ظمأ • وقيل خاشعة يومئذ عاملة ناصبة في الدنيا اي نعبة عملت فلم ينتفع بعملها يوم القيامة وتقديره كانت عاملة ناصبة في الدنيا • وقيل انما لم يذكر كانت لانهم ليتمون به يومئذ فيقال هم عاملة ناصبة اي هم قوم عملوا في الدنيا فلم يحصل لهم من ذلك الا النصب تصلى نارا حامية • قرأ ابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر تصلى برفع التاء من الاصلاء وهو الادخال • والباقون بفتحها من الصلي وهو الدخول ولهم الوصفان جميعا الملائكة يدخلونهم فيدخلونها نارا حامية اي قد احميت مدة طويلة فلا حر يعدل حرها تسقى من عين انية اي من عين ماء قد انتهى حرها فهذا شرابهم والتانيث في هذه الصفات والافعال راجعة الى الوجوه والمراد اصحابها ولذلك قال بعده ليس لهم طعام الا من ضريع اذا دخلوا النار وقد اشتد جوعهم وعطشوا بالماء والحميم اللذين هما بحمع العطش والا من ضريع لطول الموقف وشدة الامر سالوا طعاما وشرابا فيسقون من الحميم الذي يشوي الوجوه ويقطع الامعاء ومن الضريع الذي يغصون به ويقاسون الشدة والعنا • قال الضحاك الا من ضريع شجرة في النار يأكلون منها • وقال سعيد هو الحجارة وعنه انه الزقوم • وقال الحسن هو المضرع كالسميع بمعنى المسمع اي الموقع في الضراعة اي الذلة والتضرع والمسكنة • وقال الفراء هو نبت يقال له الرطب السرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم • وفي حديث ابن عباس انه كاظفار الهر • وقوله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع لان ضريع الدنيا الذي هو مرعى السوايم لا يسمن ولا يشبع فكيف ضريع جهنم ولا يعارض هذه الاية قوله فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين فانه في جهنم دركات وبعضهم يتغذون (؟) اوقات ويختص كل وقت وكل موضع بشي فالضريع يكون في وقت وموضع والغسلين في وقت اخر وموضع اخر • وعن ابي الدردا رضي الله عنه قال يرسل على اهل النار الجوع حتى يزيد على كل عذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا له يسيغون الغصص في الدنيا بالشراب فيدفع اليهم بكلاليب الحديد فاذا دنا من وجوههم شواها ودخل بطونهم فقطع ما فيها فيقولون كلموا خزنة النار فذلك قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى الاية • وجوه يومئذ ناعمة ذكر صفة وجوه الكفار ثم ذكر صفة وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع وصار هذا كالمبتدا ومعناه واقوام يومئذ وجوههم ناعمة لسعيها راضية اي لمساعيهم في الدنيا حامدون في الجنة لما نالوا من ثوابها • وقيل اي راضون بثواب سعيهم في جنة عالية اي رفيعة المنازل درجاتها بعضها فوق بعض • وقيل اي عالية القدر بتكامل ما فيها من النعيم لا تسمع فيها لاغية • قرأ ابن كثير وابو عمرو يسمع بيا التذكير مضمومة لاغية بالرفع والتذكير لتقدم الفعل والحايل • وقرأ نافع بتا التانيث وضمها لاغية بالرفع على ما لم يسم فاعله • والباقون بفتح تا التانيث لاغية بالنصب على ان الفعل للوجوه ظاهرا ولاصحابها معنى واللاغية اللغو كالخاينة من الخيانة والكاذبة من الكذب وهو كل كلام لا فائدة فيه يقول الجنة منزهة عن جريان اللغو فيها بين اهلها لانهم لا يتكلمون الا بالجد والحق لا بالهزل واللغو والباطل وكل

مجلس من مجالس الدنيا اصان عن هذا فالله جل اسمه اعز واجل • وقال القتيبي ونفطويه لاغية اي قائلة لغو • وقال الاخفش كلمة لغو • وقال ابو عبيدة اي لغو • وقال مجاهد اي شتم • وقال قتادة اي باطل • وقال محمد بن كعب اثم وجملته كل كلام لا فايدة فيه ولا منفعة فيه • قوله تعالى فيها عين جارية اي عيون من الشراب جارية على وجه الارض من غير اخدود تجري لهم حيث ارادوا واجروها فيها سرر مرفوعة اي في الهوا عالية ليرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه في الجنة من الملك والنعيم • وقال خارجة بن مصعب بلغنا ان بعضها فوق بعض فترتفع ما شا الله فاذا اراد ولي الله ان يجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث شا الله • واكواب موضوعة هي كيزان لا عرى لها جمع كوب موضوعة متعددة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيا فيقول هو هاهنا موضوع اي معد • وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب وجدوها مملوة من الشراب • وقيل اي موضوعة بين ايديهم لاستحسانها والتلذذ بالشراب منها • ونمارق مصفوفة بعضها بجنب بعض كالشي يجعل صفا وكالقوم يقومون صفا يتكيون عليها وواحدتها نمرقة ونمرقة بالضم والكسر • وزرابي مبثوثة اي طنافس متفرقة وهي عبارة عن الكثرة قاله الفراء • وقال ابو عبيدة هي البسط وقال نفطويه كلاهما وهي جمع زربية وزربي ذكر انهم وسائد يتكيون عليها وطنافس وبسط يمشون عليها ويجلسون عليها اذا اجتمعوا فيها زينة مجالسهم يتلذذون بالنظر اليها • وقوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت اي بسطت لما انزل الله هذه الايات في صفة الجنة فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بان السرير يكون ارتفاعه مسيرة ماية سنة والاكواب الموضوعة تكون كثيرة لا تدخل في حساب الخلق والنمارق تكون طولها كذا والزرابي مبثوثة تكون عرضها كذا ووصف طولا عظيما انكره الكفار وقالوا اذا اراد الانسان ان يصعد السرير كيف يفعل وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذا الاكواب والى الجبال كيف نصبت بطولها هذا الطول فكذلك النمارق والى الارض كيف سطحت فهي كلها بساط واحد يبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابي • وقيل هي تنبيه على البعث بعد الموت ومحاجة بها مع منكري البعث يقول من قدر على خلق هذه الاشيا العجيبة العظيمة قدر على الاعادة بعد الاماتة ثم معنى تقديم الابل على السما والجبال ونظر التنبيه على هذه الاشيا الاربعة ان هذا خطاب للعرب وحث على الاستدلال والمرء انما يستدل بما هو اكثر له مشاهدة وادوم وقوفا على معاينته والعرب في الغالب تكون في البوادي واعز اموالهم لديهم الابل وهم لها اكثر استعمالا منهم لساير الحيوانات لان جملتها ترجع الى الاكولة والحلوبة والركوبة والحمولة وهي كلها تجتمع في الابل دون غيرها فانه تختص ساير بعضها ببعض ذلك دون بعض وليس جيل في الدنيا يكلف في وصف هذا الحيوان ما يكلفوه ولا اعرف من ظاهرها وباطنها ما عرفوه ومن احب ذلك فلينظر في الكتب المولفة في صفات الابل واحوالها واجناسها واسنانها ولقاحها ونتاجها والوانها ووجوه سيرها وازوائها وسقاياتها فاذا كان استعمالهم في اكثر الاعصار لها ونظرهم فيها الى السما والارض والجبال اكثر كان اعم لها فالاستدلال بها على قدرة خالقها ووحدانيته وعلمه وحكمته ثم من عجايب الابل بروكها ونهوضها بالحمل الثقيل وتناولها الشوك وادرارها اللبن الخالص الغزير وعظم جثتها وانقيادها للصبي الصغير • وقوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي عظ يا محمد هؤلاء المكذبين بالبعث بما توعدهم من الحجج ولا يضيقن صدرك باصرارهم على انكارهم انما انت مذكر اي انما اختارك الله تعالى لهذا فاصبر عليه ودم على ما اختارك له لست عليهم بمسيطر اي بمسلط على احد في ادخال الايمان اي تجبرهم على الايمان جبرا وتدخله في قلوبهم كرها انما عليك التذكير والارشاد والتبصير • وقيل لست الان مسلطا عليهم تقاتلهم وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر به الا من تولى وكفر • قيل الا من اعرض عن اجابتك وكفر بربك فتكون مسلطا عليه بما يؤذن لك في قتاله وسبيه وقتله • فيعذبه الله العذاب الاكبر بل وعلى يديك وبما يصيره الى عذاب النار • وقيل الاستثنا منقطع بمعنى لكن معناه لست بمسلط على احد في ادخال الايمان في قلبه لكن من تولى وكفر فالله يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب الاخرة • قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر • وقيل هو في العذاب في الدرك الاسفل في النار • ان الينا ايابهم اي نحن نعذبه فان الينا رجوعهم في الاخرة الى حكمنا وجزائنا • ثم ان علينا حسابهم اي واذا رجعوا الينا حاسبناهم على اعمالهم وجزيناهم بها جزاء امثالهم وعلى التاكيد للوعيد لا للوجوب فليس يجب على الله شي • وقيل هو اخبار من القدرة على حسابهم وهو كقول القايل لا امر عليهم انهم صدوره وليس عليهم ان يتم عواقبه • وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرأ ان علينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

لهم الله الذي صب على الكفار سوط عذاب • الرحمن الذي ذكر المؤمنين بما ذكر من اهوال يوم البعث والحساب
الرحيم الذي خاطب النفس المطمئنة بالطف خطاب • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة الفجر في ليال العشر غفر الله له • ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة وهذه السورة مكية
وهي اثنتان وثلاثون اية ومائة وسبع وثلاثون كلمة وخمسمائة وثمانية وستون حرفا • وانتظام السورتين
انهما في اهانة الاعداء وكرامة الاولياء • قوله تعالى والفجر اقسم الله تعالى بالفجر واختلف فيه قيل هو الصبح
وهو كما قال والصبح اذا اسفر قيل هو فجر كل يوم • وقيل فجر اول يوم من المحرم • وهو قول ابن عباس • وقيل فجر
اول يوم من ذي الحجة • وقيل فجر يوم النحر • وقيل هو صلاة الفجر • قال تعالى وقران الفجر ان قران الفجر كان
مشهودا • وقيل هو قسم بانفجار المطر من السحاب • وقال عكرمة هو قسم بانفجار الماء من الجبال • قال وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار • وقيل هو قسم بانفجار الطوفان من السماء والارض في زمن نوح • قال تعالى وفجرنا
الارض عيونا • وقال الضحاك اقسم بانفجار الدموع من عيون العصاة • وقيل اقسم بانفجار عيون الجنة
قال تعالى يفجرونها تفجيرا • وقوله تعالى وليال عشر • قيل هو قسم بعشر عاشورا وهو افتتاح السنة وهو
قول ابن عباس • وقيل هو العشر الاواخر من شهر رمضان وفيها ليلة القدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد
فيها ويقوم في لياليها • وقيل هي عشر ذي الحجة وفيها الايام الفاضلة والمناسك • قوله والشفع والوتر • قال
ابن عباس الشفع الخلق والوتر الخالق • وقرا حمزة والكسائي بكسر الواو والباقون بالفتح بعضها وهما لغتان
الفتح لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم • وقال الحسن الشفع الزوج والوتر الفرد من كل عدد • وقال ابن عباس
وعكرمة والضحاك الشفع يوم النحر لان ما بعده للنحر ايضا والوتر يوم عرفة • وقال ابن الزبير الشفع اليومان
الاولان من يوم النحر والوتر اليوم الثالث من ذلك • وقال عمران بن الحصين الصلوات المكتوبات منها شفع ومنها
وتر • وقال عكرمة في رواية الشفع العيدان والوتر يوم عرفة • وقيل الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام التشريق • وقيل
الشفع ايام الدنيا والوتر يوم القيامة • وقيل الشفع ليالي الدنيا والوتر ليلة القدر • وقيل الشفع كل
الليالي والوتر ليلة القدر • وقيل الشفع قران الحج والعمرة والوتر الحج وحده او العمرة وحدها • وقيل
الشفع زيارة بيت الله وزيارة حظيرة الرسول والوتر زيارة بيت الله وحده • وقيل الشفع عرفات
والمزدلفة والوتر الكعبة • وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت • وقيل الشفع مسجد مكة ومسجد
المدينة والوتر مسجد بيت المقدس • وقيل الشفع الخلفاء الاربعة والوتر محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل
الشفع اولاد النبي صلى الله عليه وسلم اربعة بنين واربع بنات والوتر نساؤه التسع • وقيل الشفع
الحسن والحسين والوتر علي رضي الله عنه • وقيل الشفع ثمانية ابواب الجنة والوتر سبعة ابواب النار
وقيل الشفع الروح والبدن والوتر القلب وحده • وقيل الشفع النية والعمل والوتر النية وحدها
وقال عطا الشفع جمع القلب بين حب الدنيا وحب العقبى والوتر افراده بحب المولى • وقيل الشفع
النية والعمل والوتر النية وحدها • وقال عطا الشفع السنن اثنا عشر ركعة والوتر الفرائض سبع عشرة
ركعة • وقيل الشفع الايمان والعمل والوتر الايمان وحده • وقال جعفر الصادق الشفع العينان والاذنان واليدان
والرجلان وكل شفع في البدن والوتر القلب وحده • وقال ابن عباس الوتر ادم شفع بحوا • وقال علي
الشفع ادم وحوا والوتر ربنا تعالى • وقيل الشفع الزوجان والوتر الرب • وقال الحسن ومقاتل بن حيان
ومجاهد الشفع الخلق ومن كل شي خلقنا زوجين والوتر الله والحكم له فاحد • وقال ابو بكر الوراق الشفع
تضاد اوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى
والسمع والصمم وما اشبهها والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم
بلا جهل وحياة بلا موت • وقوله تعالى والليل اذا يسر هو قسم بليلة النحر لانه يسري فيه الحج الى المزدلفة
ومعناه يسري فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه • وقيل يسري اي يمضي • وقيل هو كل ليل كما قال والليل اذا دبر
والليل اذا عسعس هل في ذلك قسم لذي حجر اي عقل وهو استفهام بمعنى التقرير وجواب هذا القسم ان ربك
لبالمرصاد • وقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم الم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الاتقان وهو
استفهام بمعنى التقرير كيف فعل ربك بعاد قيل هما عادان الاولى وعاد الثانية وعاد الاولى هو ارم
وقوله تعالى ارم بدل عنه وترجمة له واختلف في طريقه • قال قتادة ارم قبيلة من عاد فكان في معنى مررت
بقريش بني هاشم منهم • وقال مجاهد ارم امة عاد • وقال السدي هو ابوهم الاكبر • وقال معمر يجمع عاد وثمود
الارم فهم اصلهم جميعا • وقال الحسن عاد وارم اسمان لواحد • وقال ابن اسحاق عاد بن ارم بن عوص
ابن سام بن نوح عليه السلام فعلى هذا يسمى عاد ارم باسم الاب كما تقول مررت ببكر بن وائل اي ببني بكر بن
وائل غير انه لم يصرف وان كان في الاصل اسم رجل لانه صار اسم قبيلة ولذلك انث النعت فقال
ذات العماد • قال ابن عباس اي ذات الطول يقال رجل معمد اي طويل • وقال قتادة ذات العماد اي ذات

عمد لبيوت الوبر وكانوا ينتقلون من مكان الى مكان للانتجاع • وقال ابن زيد احكام ذات البنيان • وقال الضحاك ذات
القوة والشدة • وقال الحسن ذات الابنية العظام • وقال الواقدي كانوا يجلبون العماد فينصبونه ثم يبنون فوقه
القصور وكانت تري من ارض بعيدة وهو قوله اتبنون بكل ريع اية تعبثون • وقوله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد
قيل هو وصف عاد اي لم يخلق مثلهم في سائر البلاد مثلهم في قوتهم وطول قامتهم • وكذا قال الحسن وقتادة وكان
قدر احدهم اثني عشر ذراعا او اكثر من ذلك • وقيل هو وصف ابنيتهم والتانيث راجع الى العماد وهي جمع عمد
على هذا التاويل • وقوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد • وقال مجاهد اي قطعوا الجبال بيوتا
كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد • قال الكلبي بوادي القرى وقد جاب يجوب جوبا وجاب جيبا اي قطع
وقوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد • قال ابن عباس اي ذي الجنود الذين كانوا يشددون امره • وقال مجاهد
كان يوتد الاوتاد في ايدي الناس • وقيل اوتاد نصبها للعذاب يشد الناس اليها ليعذبهم وكذا فعل بامراته
مدها الى اربعة اوتاد وجعل على صدرها • وقال قتادة هي ملاعب كان يلعب له بها ويضرب تحتها بالاوتاد
وهو عن ابن عباس في رواية • وقيل هي اوتاد خيام عسكره وكان في غاية الكثرة • وقيل ذي الاوتاد اي ذي
الملك والرجال • قال الشاعر في ظل ملك راسخ الاوتاد • وقوله تعالى الذين طغوا في البلاد صفة عاد
وثمود وفرعون اي تمردوا في بلادهم فاكثروا فيها الفساد الكفر والمعاصي وظلم الناس • فصب عليهم ربك
سوط عذاب مجاز عن ايقاع العذاب بهم • قال الشاعر وما صب رحلي في حديد مجاشع • مع الفخر الا حاجة
لي اريدها • وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد هو كقولهم طريقك علي وكقول الله تعالى والى الله المرجع والى الله
المصير والمرصاد والمرصد الطريق ومصدره المال اي يرقب ويحفظ ومعناه ان الله تعالى يحفظ كل الناس
وما يعمل ويجزيه ان خيرا فخير وان شرا فشر • وفي ارم ذات العماد قول اخر انه اسم مدينة بناها شداد بن عاد
والتقدير الاية على هذا كيف فعل ربك بارم شداد بن عاد وهو تسمية شداد باسم ابيه وذكر ارم بدلا عنه
كقولك ضربت زيدا راسه ودليل قصته وهي ما اخبرنا الشيخ الامام الخطيب ابو محمد عطا ملك بن عبد الجبار
الصوفي قال اخبرنا ابو جعفر احمد بن مهدي بن رستم الاصفهاني قال اخبرنا الامام ابو القاسم الحسن بن محمد
ابن حبيب قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الاصفهاني قال اخبرنا ابو جعفر احمد بن مهدي
ابن رستم الاصفهاني قال اخبرنا عبد الله بن صالح المصري قال حدثني ابن لهيعة عن خالد بن ابي عمران عن وهب
ابن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو في صحاري عدن يطلب ابله في تلك
الفلوات اذا هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن حول ذلك الحصن قصور كثيرة واعلام
طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسال عن ابله فاذا الخارج يخرج من باب حصنها ولا داخل يدخل فيها
فلما راى ذلك نزل عن ناقته وعقلها ثم استل سيفه ودخل من باب الحصن فلما خلف الحصن اذا هو ببابين
عظيمين لم ير في الدنيا شي اعظم منهما ولا اطول واذا خشبها من اطيب عود وعليها نجوم من ياقوت ابيض وياقوت احمر
يضي لها ما فيما بين الحصن والمدينة فلما راى ذلك اعجبه وتعاظم الامر ففتح احد البابين ودخل فاذا
هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قط فاذا هي قصور كل قصر تحته اعمدة من زبرجد وياقوت ومن فوق كل قصر
منها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكل مصاريع
تلك القصور وتلك الغرف مثل مصاريع باب المدينة كلها مفضضة بالياقوت الابيض والياقوت
الاحمر مقابل بعضها ببعض بيوت بعضها من بعض مفروشة كلها تلك القصور كلها باللؤلؤ وبنادق المسك
والزعفران فلما عاين الرجل ذلك ولم ير فيها احدا اتا ما هو شي مفزوع منه لم يسكنه احد منها له ذلك وافزعه
ثم نظر الى الازقة فاذا هو بشجر في كل زقاق منها قد اثمرت تلك الاشجار كلها واذا تحت الاشجار انهار
مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة منها اشد بياضا من الشمس تجري كل تلك القنوات تحت
الاشجار فقال الرجل والذي بعث محمدا بالحق ما خلق الله تعالى مثل هذه في الدنيا وان هذه الجنة
التي وصفها الله تعالى وما بقي بما وصفه الله تعالى لنبي الا وهو في هذه المدينة وهذه الجنة الحمد لله
الذي ادخلنيها فبينما هو على ذلك هو امر نفسه ان ياخذ من لؤلؤها وياقوتها وزبرجدها ثم يخرج حتى
ياتي بلاده ثم يرجع اليها ففعل فحمل معه من لؤلؤها وياقوتها وزبرجدها ومن بنادق المسك والزعفران
فلم يقدر ان يقلع من زبرجدها شيا ولا من ياقوتها لانها مثبتة في ابوابها وجدرانها وكان ذلك اللؤلؤ
والبنادق والزعفران منثورا في تلك القصور والغرف كلها فاخذ ما اراد وخرج حتى اتى ناقته وحل
عقالها وركبها ثم سار راجعا يقفو اثر ناقته حتى رجع الى اليمن واظهر ما كان معه واعلم الناس امره
وما كان من قصته وباع بعض اللؤلؤ وكان ذلك اللؤلؤ قد اصفار وتغير من طول مر الليالي والايام
عليها فلم يزل امره ذلك ينمي حتى بلغ امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان فارسل رسولا وكتب الى صاحب
صنعا يامره فبعث الرجل اليه ليساله عما كان من امره فخرج به رسول معاوية من اليمن حتى قدم على معاوية

قال ابن حجر موسى عليه السلام قال تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وقال قتادة هو قسم بانفجار الماء من بين اصابع رسولنا عليه الصلاة والسلام وقيل هو قسم بانفجار

ارم

تخلى بريد له عمار انقض عليه المدينة وما راى فيها شيئا فاعظم ذلك معاوية وانكر ما حدثه به وقال ما اظن ان
ما تقول حقا فقال الرجل يا امير المؤمنين معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها وبيوتها قال ما هو قال
فاتى اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال لمعاوية ها انتحى راه فاراه لؤلؤا اصغر من اعظم ما يكون من اللؤلؤ
واراه تلك البنادق وشمها معاوية فلم يجد لها ريحا فامر ببندقة منها حتى دقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا
فصدقه عند ذلك معاوية وقال كيف لي ان اعلم ما اسم هذه المدينة ومن بناها ولمن كانت فوالله ما اعطى احد
مثل ما اعطى سليمان بن داود وما ملك سليمان بن داود مثل هذه المدينة • وقيل له ما علم هذا عند احد من اهل
الدنيا في زماننا الا عند كعب الاحبار ومثل هذه المدينة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا ان يكون سبق
في الكتاب دخوله اياها فابعث الى كعب فانه ليس على وجه الارض احد اليوم اعلم منه ولا شيء مضى في الدهر
ولا يكون بعد اليوم الا وهو في التوراة مفسر فليبعث اليه امير المؤمنين فانه سيجد خبرها عنده فارسل معاوية
الى كعب فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق اني دعوتك لامر رجوت ان يكون عندك علمه فقال على الخبير سقطت
فسلني عما بدا لك فقال هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بذهب وفضة وعمدها زبرجد وياقوت وحصبا
قصورها اللؤلؤ وانهارها في الازقة تحت الاشجار فقال والذي نفس كعب بيده لقد ظننت سائر [illegible]
قبل الدنيا لنجاحد عن تلك المدينة وما فيها ولمن هي ولكن اخبرك بها انما انها حق على ما بلغك واما صاحبها الذي
بناها فشداد بن عاد واما المدينة فهي ارم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه المنزل على محمد صلى الله
عليه وسلم ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال معاوية حدثنا بحديثها رحمك الله فقال ان عادا
الاول ليس عاد قوم هود ولكن عادا الاول اما هود وقوم هود ولد ذلك وكان عاد له ابنان شديد وشداد
فملك عاد وبغيا وتجبرا وملكا وقهرا العباد عنوة حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق في المشرق والمغرب احد
الا وهو في طاعتهما ثم مات شديد وبقي شداد فملك وحده ولم ينازعه احد وكان مولعا بقراءة الكتب الاول
وكلما مر فيه بذكر الجنة وما سمع مما هو فيها من البنيان والياقوت واللؤلؤ دعته نفسه الى ان يفعل تلك
الصفة في الدنيا عتوا على الله فلما وقر ذلك في قلبه امر بصنعة تلك المدينة فامر على صنعتها مائة قهرمان
مع كل قهرمان الف من الاعوان ثم قال انطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها واعملوا لي فيها مدينة
من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ تحت تلك المدينة اعمدة من زبرجد وعلى المدينة قصور ومن
فوق القصور غرف واغرسوا تحت تلك القصور في ازقتها اصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار فاني
اسمع في الكتب صفة الجنة واني احب ان اجعل مثلها في الدنيا [illegible] فقالت له القهارمة فكيف لنا ان نقدر على
ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت والذهب واللؤلؤ والفضة نبني منه مدينة فقال لهم الستم تعلمون ان ملك
الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل شيء في الدنيا من معادن الزبرجد والياقوت فكل ما كان من زبرجد ولؤلؤ
او معدن ذهب او فضة وكلوا به من كل قوم رجلا يخرج لكم ما كان في كل معدن ثم انطلقوا فانظروا الى ما كان في ايدي
الناس من ذلك فخذوه سوى ما ياتيكم به اصحاب المعادن فان معادن الدنيا اكثر من ذلك فانطلقوا وكتبوا الملك
الى كل ملك في الدنيا يامره ان يجمع له ما في بلاده من جواهرها ويحفظ معادنها وبعثوا الى كل ملك كتابا فاخذ
كل ملك ما يجد في ملكه عشر سنين حتى بعثنا لفعلة ارم ذات العماد [illegible] واخذ الفعلة في طلبهم له مواضع
كما اراد ووصفه وكان تحت يده ماتان وستون ملكا وخرج الفعلة والقهارمة فتبددوا في الصحاري ليجدوا
ما يوافقه فلم يجدوا ذلك عشر سنين حتى وقفوا على صحرا عظيمة نقية من الجبال والتلال ذات عيون مطردة
فقالوا هذه صفة ارم التي امرنا بها فعمدوا فاخذوا بقدر الذي امرهم به من العرض والطول ثم جعلوا ذلك
سدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الحدود فاجروا فيها قنوات لتلك الانهار ووضعوا اس
صخور جزع الثمار وجعلوا طين ذلك الاساس من مسك وزعفران فلما فرغوا من الاساس واجروا من القنوات
ارسل الملك اليهم بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ والجواهر والذهب والفضة كل ملك مثل ما كان في معدنه
فمنهم من بعث بالعمد معمولة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصوغا معمولا فاقاموا فيها حتى
فرغوا من بنائها في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة فلما اتوه واخبروه بفراغهم من بنائها قال انطلقوا
فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم في كل قصر من تلك القصور وزير
ويكون امر فوق كل علم منها ناطورا فرجعوا فعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم اتوه واخبروه بالفراغ
فيما امرهم به قال لوزرائه الف وزير من خاصته من يثق به ان يتهيؤوا للنقلة الى ارم ذات العماد وامر لتلك
الاعلام برجال ليسكنوا وليقيموا فيها ليلهم ونهارهم وامر لهم بالعطايا والارزاق الى تلك الاعلام وامر
من اراد من نسائه وخدمه بالجهاز الى ارم ذات العماد واقاموا في جهازهم اليها عشر سنين فسار اليها
الملك فيمن اراد وخلف من قومه في [illegible] اكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغها
الا مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه صيحة من السما فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ولم

يدخل

يدخلها هو ولا من كان معه ولم يقدروا على احد منهم حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك هذا يا امير المؤمنين ويرى ما فيها ويحدث بما فيها ولا يصدق قال نعم يا ابا اسحاق وهل
تصفه لنا قال نعم رجل احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج ذلك الرجل في طلب ابل له في تلك
الصحاري فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل ما فيها والرجل جالس عندك يا امير المؤمنين فالتفت الى الرجل
تدخلها فسله عما حدثتك به فقال معاوية يا ابا اسحاق ان هذا من خدمي ولم يبارحني فقال قد دخلها والا فسيدخلها
وسيدخلها اهل هذا الدين في اخر الزمان قال معاوية لقد فضلك الله يا ابا اسحاق على غيرك من العلما
ولقد اعطيت من علم الاولين والاخرين ما لم يعط احد قال كعب والذي نفس كعب بيده ما خلق الله شيئا
الا فسره في التوراة لعبده موسى عليه السلام مفسرا • وفي بعض التفاسير ان شداد بن عاد مات من الجوع
لانه اعتل بعلة منعته من الاكل والشرب حتى مات • وقوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه • قال
ابن جريج هو امية بن خلف قتله بلال يوم بدر ابتلاه ربه امتحنه بالانعام عليه والتوسعة في دنياه ليتعبده
بالشكر فاكرمه بالاموال والاولاد ونعمه رباه ناعما فيقول ربي اكرمن اي ابان لي عنده منزلة ولديه كرامة فلهذا
فضلني واما اذا ما ابتلاه امتحنه بالضيق فقدر عليه رزقه اي ضيق عليه ليتعبده بالصبر فيقول ربي اهانن
اي هنت على ربي فلذلك اذلني بالفقر اي هذا حال الانسان الذي لا يعرف الا الدنيا فيرى الكرامة في وجودها
والهوان في عدمها كلا اي ليس كما يقول بل الكرامة في الطاعة والهوان في عدمها كلا بل لا تكرمون اليتيم • قال
الحسن كلا لم اهنك ان قدرت عليك الرزق ولكن اهنتك بانك كنت في الدنيا لا تكرم اليتيم وهو [illegible] ولا
تحضون على طعام المسكين اي لا يحثون ولا يحرضون على اطعام المساكين والمسكين جنس • وتاكلون التراث
اكلا لما واصله الورث صيرت الواو تاء كما في التجاه والتكاه والتهمة ومعناه تاكلون تراث اليتيم الذي
تلونه فالمراد من الاكل الاتلاف في وجوه الحوائج وخص الاكل لانه هو المقصود الاعظم بالمال اكلا لما اي شديدا
وقيل اي كثيرا واصله اللم والجمع اي يجمعون كله في الاكل • وقال قطرب اي لفا • وتحبون المال حبا جما
اي كثيرا • وقيل هو نعت الحب • وقيل هو بعد كثرته • وقرا ابو عمرو يكرمون ويحضون وياكلون ويحبون
كلهن بيا المغايبة ردا الى قوله فاما الانسان وهو جنس يريد به الجمع • وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وحمزة والكسائي كلهن بتا المخاطبة للمشركين • وقرا عاصم بالتا ايضا على الخطاب ويحاضون بالالف
اي يحض بعضكم بعضا على ذلك • وقوله تعالى كلا اي ما ينبغي ان يكون هكذا اذا دكت الارض دكا دكا
اي دقت • وقيل اي سويت من قولهم ناقة دكا اي مستوية الظهر ودكا دكا التكرار للتاكيد والتعريض • وقيل
اي دكا بعد دك وهو كقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة • وقيل معناه زلزلت الارض [illegible]
الدق والتسوية [illegible] وجاء ربك اي ملائكة ربك بامره • وقيل جاء امر ربك
والملك اي الملائكة صفا صفا اي صفا بعد صف اهل كل سماء صف على حدة • وجيء يومئذ بجهنم • قال
ابو سعيد الخدري لما نزلت الاية تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد
على اصحابه ما راوا من حاله فانطلقوا الى علي رضي الله عنه فقالوا له يا علي لقد حدث امر [illegible]
في نبي الله فجا علي رضي الله عنه فاحتضنه من خلفه ثم قبل بين عاتقيه وقال يا نبي الله [illegible] ما الذي
حدث اليوم فقال جاء جبريل فاقراني هذه الاية وجيء يومئذ بجهنم قال كيف يجا بها قال يجي بها سبعون الف
ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول [illegible]
[illegible]
[illegible] يومئذ يتذكر الانسان اي يتعظ [illegible] وانى له الذكرى [illegible] • وقال الحسن يتذكر
اي يتوب • وفي رواية عنه [illegible] يتذكر الانسان هو امية بن خلف • يقول يا ليتني
قدمت لحياتي اي ليتني قدمت في الدنيا التي كانت حياتي فيها منقطعة [illegible]
هذه او ليتني قدمت في حياتي عملا صالحا [illegible] ويخلصني به من العذاب • وكان قتادة اذا
قرا هذه الاية قال [illegible] حياة طويلة [illegible] • فيومئذ لا يعذب عذابه احد • قرا الكسائي يعذب
بفتح الذال • ولا يوثق بفتح الثاء والباقون بكسرهما ومعنى قراءة الفتح لا يعذب احد
كعذاب امية بن خلف ويجوز ان يكون [illegible] لا يكون ذلك [illegible]
بالسلاسل والاغلال [illegible] والتقييد [illegible] وقرا الاكثر
[illegible] لا يكون التعذيب [illegible]
الدنيا [illegible] وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة [illegible]
النفس المطمئنة [illegible]
[illegible] ومعناه ان النفس المطمئنة

كون حالها كذا • وقيل هو على حقيقته ومعناه ان الله تعالى يقول لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك اي ثواب ربك راضية من الله بما اعطيت مرضية عند الله بما عملت فادخلي في عبادي وادخلي قال ابو عبيدة اي مع عبادي وبين عبادي وهم خواصي كما قال فادخلني برحمتك في عبادك الصالحين • وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي اي يا ايتها الروح ادخلي في جسد عبدي وادخلي جنتي قال مجاهد المطمئنة المخبتة الموقنة بلقاء الله تعالى • وقال قتادة هي التي اعطاها الله تعالى كتابها بيمينها بذكر الله تعالى كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب • وقيل هذا خطاب الروح عند الموت يخاطبها الله تعالى بذلك فتخرج على سهولة وراحة • وروى صالح بن حيان عن ابي بريدة قال يعني نفس حمزة بن عبد المطلب يوم احد حين استشهد فلما رد عند ربها العالمين في كرامته حتى ردها الى جسد حمزة يوم القيامة • والله تعالى اعلم

سورة لا اقسم بهذا البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خوفنا العقبة • الرحمن الذي حثنا على فك الرقبة • الرحيم باهل المتربة والمقربة • روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من عقوبته يوم القيامة • وهذه السورة مكية • وقيل مدنية • وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وثلاثون حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذكر الانسان وجزاء اهل الاساءة واهل الاحسان • قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد لا رد اي ليس هو كما توهم هذا الانسان انه لا نقدر عليه احد اقسم بهذا البلد الذي انت فيه يا محمد وهو مكة وانت حل بهذا البلد • قال مجاهد اي لا تؤاخذ بما عملت فيه وليس عليك فيه ما على الناس ولعله اشارة الى ما قال عليه السلام وانما احلت لي ساعة من نهار • وقال شرحبيل بن سعد اي ومع حرمة هذا البلد ومع ان اهلها لا يستحلون فيه شيئا يستحلون قتلك واخراجك عنها فانت مهدم فيه • وقيل وانت حل اي حال نازل فيه يعني حرمته بسبب حلولك فيه وقال ابن عباس اي تفعل بمكة من شئت الكفار • وقال مقاتل فقتل يوم فتح مكة عبد الله بن اسد بن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما • وقال الضحاك يعني ان شئت فاقتل وان شئت فامسك • وقال ابن كيسان احل الله فيها انه ما احتاج من صيدها وشجرها • وقال قتادة وانت حل بهذا البلد تقول انت بري غير اثم وقال الحسن يقول الله تعالى انت فيه محسن وانا عنك راض وانت حل من ان تكون عاصيا فيه وقال الخفيفة ان الحل نعت كالحال وهو كالحرم نعت كالمحرم والمحرم من يرتكب الحرمة والحل من لا يرتكبها • وقوله تعالى ووالد وما ولد • قال الفراء اي ومن ولد كقوله وما بناها اي ومن بناها فانكحوا ما طاب لكم ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم وما خلق الذكر والانثى وهو قسم بادم وكل اولاده وقد كرمهم الله تعالى وفضلهم على كل خلقه • وقيل وما ولدهم المؤمنون من اولاده والكفار رسموا انعاما بل هم اضل • وقيل ووالد هو ابرهيم وما ولد ذريته وقيل المؤمنون من ذريته لقد خلقنا الانسان في كبد على هذا وقع القسم • وقيل هو الحبشي • وقيل هو لانسان بعينه والكبد الشدة والمشقة • قال قتادة خلق الانسان حين خلق في مشقة لا يلقى ابن ادم الا مكابد حمل الدنيا والاخرة اي يقاسي • وقال ابن عباس في كبد حمله وولاده ونبات اسنانه ورضاعه وفطامه وحياته وموته • وقال ابو العالية مكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة • وقال يمان بن رباب لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم • وقال ابو بكر الوراق في كبد لا يدرك هواه ولا يبلغ مناه • وقال عبد العزيز بن يحيى محاربا للشيطان • وقال ذو النون من بوطا بحبل القضاء مدعوا الى الايمان • وقال الفاضل في كبد اي قائما على رجليه وخلق الدواب مكبة • وقيل اي في كبد وهي مشقة العبادات التي تعبد بها واعود المعاش التي لا بد منها • وقال الحسن تكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء لا يكون الا ابدا الا كذلك وقيل تكابد في الدارين الا طعانا الى ان يستقر في الجنة او في النار • وروى ابو صالح عن ابن عباس تكابد امر الدنيا واحوال الاخرة وهو كلدة بن اسد بن خلف بن الاسد وكان يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه • وروى ابو الضحى عن ابن عباس انه نزل في الوليد بن المغيرة • وقوله تعالى ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي يظن ان لن يقهره الله الواحد القهار • وقيل اي ايظن انه ما خلق للامتحان ولا لن يقدر على مجازاته بسوء اعماله احد بل يقدر على ذلك من خلقه وبالامر والنهي تعبده • يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا لبد بعضه على بعض اي تراكب وليس معدود بل هو نعت كالحطم والزفر • وقيل معناه انه يقول اهلكت مالا كثيرا في قضاء اوطاري وفي نفقتي اعداء لم يقدر على احد من اعدائي وكذا النفقة في ضعف من يعتقد مساوئ من محمد واصحابه فلا يصلون الى ايحسب ان لم يره احد حين فعل ذلك بل رآه الله تعالى وسيجزيه على ما فعل اذا انفقه في الشر دون الخير وقيل اظهر انه انفق الكثير في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكثر به عند المشركين كاذبا فاكذبه الله

تعالى

تعالى بهذا الم نجعل له عينين ولسانا اي لهذا الانسان استفهام بمعنى التقرير عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به وشفتين يستعين بهما على الابانة باللسان وينتفع بهما في غير ذلك وهديناه النجدين اي بينا له الطريقين روى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال انما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكونن نجد الشر احب الى احدكم من نجد الخير وهو كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا • وقيل النجدين الثديين يرضعهما والنجد الطريق المرتفع يقول الا ارحنا العلة وانلنا الكفاية وافتنا الحجة واظهرنا النعمة فلا اقتحم العقبة اي لم يعلم ما به يجاوز العقبة • وقيل اي فلا اقتحم العقبة اي هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة وحذف حرف الاستفهام كما قال امرؤ القيس تروح من الحي ام تبتكر وماذا عليك بان تنتظر • قال الحسن عقبة والله شديدة يريد الرجل ان يجاهد نفسه وهواه والشيطان • وقال ابن عباس هي عقبة بين الجنة والنار • وقال كعب الاحبار هي سبعون دركا في جهنم وقال مجاهد العقبة عقاب جهنم • وقال الضحاك هو الصراط • وقيل هو كقوله سارهقه صعودا وقيل هو عقبة القيامة اي مشقة ورودها • وقال الكلبي هو الصراط مضروب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة صعودها وهبوطها وسهلها وان بجنبيه حسكا وكلاليب فمن الناس من يمر عليه كالبرق ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يكردس في النار واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر الى العشي وما ادراك ما العقبة اي ما اقتحام العقبة فك رقبة او اطعم على الفعل الماضي كما ذكر فيما قبله فلا اقتحم وفيما بعده ثم كان • وقرأ الباقون فك بالرفع او اطعام بالالف والرفع تفسيرا لقوله ما العقبة اي باقتحامها هو بهذين الفعلين والاقتحام لازم الانقحام وهو الانقحام العلو في نهر او وهدة او نحو ذلك بسرعة وفك الرقبة اخراج المال في فك الرقاب باعطاء المكاتب ما يؤدي به كتابته وقال البراء ابن عازب جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال اعتق النسمة اي تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في بدلها يقول لم يعتق هذا الكافر ما لا في الدنيا الربه من وجوه الخير او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة وقد سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من حد علم والمسغبة المصدر ايضا يتيما ذا مقربة اي قرابة فتجتمع قربتان او مسكينا ذا متربة اي فقر شديد وهي من التراب الذي لصق بالتراب لفقره وعدم ما يبسطه على الارض ثم كان من الذين اي مع هذا يكون مؤمنا فانه لو كان كافرا لم تكن لصدقته قبول ونفع وثم لترتيب الاخبار عنه لا لترتيب الوجود اي ثم اخبركم ان هذا الذي كان مؤمنا وهو كقول الشاعر ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده • وقوله تعالى وتواصوا بالصبر عطف على قوله امنوا اي كان من المؤمنين الذين يوصي بعضهم بعضا بالصبر عطف على الطاعة وعن المعصية وفي المحنة وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على خلق الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اي الذين ياخذون طريق اليمين الى الجنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة اي الشؤم والشر والشقاوة وقيل هم اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ويسلك بهم ذات الشمال الى النار عليهم نار موصدة اي مطبقة فلا يتخلص اليهم روح ولا يخرج منها غم كرب • قرأ حمزة والكسائي وابو عمرو وحفص عن عاصم في رواية حفص بالهمز والباقون بغير همز وهما لغتان اوصدت الباب واصدته • والباب اصاده ووصاده

سورة والشمس وضحاها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الشمس وضحاها • الرحمن الذي الهمها فجورها وتقواها • الرحيم الذي وعد الفلاح من زكاها • روى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة والشمس وضحاها فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر • وهذه السورة مكية وهي ست عشرة اية واربع وخمسون كلمة [illegible] وانتظام السورتين انه قال في تلك السورة وهديناه النجدين • وقال في هذه السورة فالهمها فجورها وتقواها • قوله تعالى والشمس اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها والضحى ارتفاع النهار وانبساط الشمس لان الضحى يكون بارتفاع الشمس فكانه قال والشمس والضحى [illegible] وقيل وضحاها اي ونهارها سماه باسم جزء منه وهو كقوله والضحى والليل اذا سجى اي قابل الضحى بالليل عرفنا انه اراد به النهار وقال مقاتل وضحاها اي وحرها [illegible] والقمر اذا تلاها اي تبعها فاخذ من ضوئها [illegible] وقال قتادة تبعها في اول ليلة من الشهر اذا سقطت الشمس رؤي الهلال • والنهار اذا جلاها اي جلا الشمس واظهرها [illegible] وقيل [illegible] وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وقال الكلبي جلاها اي جلا الظلمة • وقال القتيبي جلاها [illegible] والليل اذا يغشاها اي يغطي الشمس [illegible] وقال مقاتل [illegible] والسماء وما بناها اي ومن

بناها او الذي ابناها مبنية وهو القدرة • والارض وما طحاها اي بسطها وهو على الاوجه الثلاثة التي قبلها في قوله وما
بناها او الطحو كالدحو • ونفس وما سواها وهي نفس الانسان ومن سواها قيل هو بهذه البنية الصالحة للتكليف وما على
هذه الوجوه الثلاثة • فالهمها اي عرفها وبين لها فجورها وتقواها فسادها وصلاحها وهو كقوله وهديناه النجدين
وهو كقوله انا هديناه السبيل الاية والالهام مطلقا هو القا الشي في القلب من غير فكر والمراد هاهنا الالقا في القلب
بعد السماع والتفكر • قد افلح من زكاها • قال قتادة رحمه الله وقع القسم على هذا • وقال النحويون تقديره لقد
افلح لان جواب القسم باللام وحذف لطول الكلام • وقال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام • وقيل
قد افلح مقدم في المعنى وقوله تعالى والشمس وضحاها الى اخرها اقسم به مؤخر والتقدير لتحاسبن ولتعرضن
على الله الكريم ثم معنى قوله قد افلح من زكاها اي نجا من كل مرهوب ووصل الى كل محبوب من زكى النفس اي طهرها
وانماها غير فيها في الطاعة • وقد خاب من دساها اي صار بعيدا من ذلك كله من اهمل النفس في المعاصي وجعلها ودسي
اصله دسس وهو مبالغة في دس اي اخفى قال تعالى ام يدسه في التراب • وقال ابن عباس قد افلح من زكى الله
نفسه وهداه • وقد خاب من دساها اي دس الله نفسه فاضلها • وقال عكرمة افلحت نفس زكاها الله وخابت
نفس اغواها الله • وقال ميمون بن مهران انه سال رجل ابن عباس عن قوله قد افلح من زكاها • قال الفرا قد افلح من تزكى
قال ثم امن به واعمل في هذه يعني بي ثلاث ان التزكية من الله في هذه ان التزكي من العبد وهو اثبات الخلق من الله
والفعل من العبد كما هو مذهب اهل السنة والجماعة • وقال الربيع بن انس من عمل خيرا وزكيها بطاعة الله وقد خاب
من دساها اثمها وفجرها • وقال مقاتل اي قد سعد من اصلحه الله تعالى وقد خسر من اغواه الله تعالى كذبت ثمود
بطغواها اي من دسى نفسه قوم صالح كذبوا رسولهم بطغيانهم وهو تجاوزهم حد العبودية • وقال الفرا الطغوى
مصدر كالدعوى • وقيل بطغواها اي بعذابها الذي جاوز حد مثله وهو كقوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية وهو اسم لما اهلكوا به من العذاب • اذ انبعث اشقاها اي نهض وبادر اشقى ثمود وهو
عاقر الناقة قدار بن سالف فقال لهم رسول الله اي لثمود رسول الله صالح ناقة الله وسقياها نصب على الاغرا
اي خلوا بينها وبين شربها واحذروا خلاف امر الله تعالى فيها فكذبوه اي فكذبوا صالحا فيما توعدهم به من
العذاب فعقروها اي قتلوها • وقيل عرقبوها ولان العاقر واحد واضيف اليهم لانه كان برضاهم وبعوثتهم
وقال في سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وكان هو المباشر فدمدم عليهم ربهم • قال الفرا رجف بهم
وهو ايضا فاهلكهم وصوتهم فقلوب وجماعة • وقال ابو سعيد فصاح بهم • وقال ابن الانباري قيل اصل
الدمدمة الغضب بذنبهم اي بما اهلكهم ظالما بل باستحقاقهم ذلك بذنوبهم فسواها اي فسوى الدمدمة
عليهم جميعا فلم يفلت منهم احد • وقيل فسوى الصيحة • وقيل فسوى ثمود كلهم في الدمدمة • وقال الفرا اي
فسوى بينهم • وقيل اي فسوى المنازل في الارض ولا يخاف اي الله عقباها اي عاقبة هذه الفعلة اي
فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من احد فيها فانه فعل ذلك في ملكه وملكه لا يسال عما يفعل وهم يسالون
وقيل اي لا يخاف ان يعقب على عقوبته من يرفعها او يغيرها وهو كما قال لا معقب لحكمه • وقيل لا يخاف صالح
ما فعلها كما قاله الكسائي • وقال مقاتل هو قدار بن سالف بن جندع رجل ازرق احمر اشقر ابن زانية واسم امه قديرة وقد تقدمت القصة في سورة الاعراف

سورة والليل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الذكر والانثى • الرحمن الذي يسر لليسرى • الرحيم الذي له الاخرة والاولى • روي
ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه
من العسر • وهذه السورة مكية وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وثلاثة احرف
وانتظام السورتين انهما في ذكر الليل والنهار والمؤمنين والكافرين • وقوله تعالى والليل اقسم الله بالليل اذا
يغشى اي يغطي الاشيا بظلمته والنهار اذا تجلى اي اضاء فانكشف بضوئه ما كان الليل غطاه وما خلق الذكر
والانثى اي ومن خلق الذكر والانثى اقسم بنفسه جل جلاله ان سعيكم لشتى القسم على هذا اي لمختلف
متباعد بعضه من بعض لا يستوي سعي المؤمن وسعي الكافر وسعي المطيع وسعي العاصي • وحكى ابن الانباري
عن بعض النحويين ان شتى جمع شتيت كالمرضى جمع مريض • وقال الامام القشيري فواحد سعيه في طلب
دنياه واخر سعيه في شهوة نفسه واتباع هواه واخر في طلب جاهه وسناه واخر سعيه في طلب عقباه
واخر في تصحيح تقواه • واخر في تصفية ذكراه • واخر في قيامه بحسن رضاه • واخر في طلب مولاه • ومنهم
من يجمع بين سعي النفس بالطاعة وسعي القلب بالاخلاص وسعي البدن بالقرب • وسعي اللسان بالذكر •
ومنهم من سعيه في هلاك نفسه وما فيه خراب دينه • وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وهذا بيان اختلاف
سعي الفريقين والسورة نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي امية بن خلف وعطا ذلك وتخلل هذا

ووعد ذلك ووعيد هذا ثم هما شاملة لكل الناس وكذا في كل اية نزلت في قوم فحكمها يشمل الكل • قال عروة
ابن الزبير رضي الله عنه فاما من اعطى نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه اعتق سبعة كلهم يعذب
في الله بلال وعامر ابن فهيرة وام عبيس والنهدية وابنتها وزنيرة وام عميس وامة بني المؤمل فاما بلال فاشتراه وهو مدفون
في الحجارة فقالوا لو ابيت الا اوقية لبعناك فقال ابو بكر لو ابيتم الا مائة اوقية لاشتريته فاما زنيرة كانت رومية
وكانت لبني عبد الدار فلما اسلمت عميت فقال المشركون اعمتها اللات والعزى فقالت كفرت باللات والعزى فرد الله تعالى
بصرها • وقوله تعالى اعطى يعني ولكل وجوه الانفاق في الخير فرضها ونفلها • وقيل يعني فقد ايضا اعطاه من نفسه
ما امره الله تعالى به كما يقال اعطى البيعة فيقع على الافعال ايضا واتقى اي خاف الله ولم يخالف امره ولا نهيه وصدق
بالحسنى • قيل هي الجنة تانيث الاحسن • وقال قتادة وصدق بموعود الله فعمل لذلك الموعود • وقيل الحسنى
الثواب • وقيل الخلف • قال تعالى وما انفقتم من شي فهو يخلفه • وقيل الحسنى لا اله الا الله وهو شرط قبول
الطاعة كما قال في السورة التي مرت ثم كان من الذين امنوا • وقيل الحسنى الفرائض اي فعل الشرائع فسنيسره
لليسرى اي فسنسهل عليه الطاعات التي هي سبب اليسر • وقيل اي العود الى الاعطا • وقيل اليسرى تانيثها
لكونها صفة الجماعة وهي الطاعات واعمال الخير • وقيل هي صفة الخلة والخصلة او الفعلة فيصلح للواحد
وقيل اليسرى ثواب الطاعات اي نسهل عليه اكتساب الثواب • واما من بخل فلم يعط واستغنى اظهر من نفسه
الغنى عن الله تعالى وعن ثوابه وكذب بالحسنى ذكرنا الاقاويل فيها في قوله وصدق بالحسنى • فسنيسره
للعسرى اي للمعاصي • وقيل للعقوبات المعاصي اي ندعه واختيارها ونسهل عليه فعلها واضلاله فيها • قال
النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وهذا في امية بن خلف وبخله وما يغني عنه ماله اذا تردى اي
هلك ومات من الردا وهو الهلاك • وقيل اي اذا سقط من قوله والمتردية وهي الساقطة من الجبل او في
البير ونحو ذلك • وقيل اذا تردى اي سقط في قبره • قال الكلبي نزلت الاية في ابي سفيان بن حرب
وقال مقاتل بن المغيرة • وقال مجاهد ومحمد بن كعب هو ابو جهل بن هشام وقال ابن مسعود في امية بن خلف
وقوله تعالى ان علينا للهدى اي منا البيان والارشاد ايضا منا اعطا الخذلان فعل الاهتدا للعباد
وان لنا للاخرة والاولى فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى فانذرتكم نارا تلظى اي تلتهب
لا يصلاها اي لا يدخلها فيصلى سعيرها الا الاشقى اي الشقي كقوله وهو اهون عليه اي هين والشقي
الكافر الذي كذب بايات الله وتولى عن طاعة الله فاذا حمل على هذا الكافر فمعنى قوله لا يصلاها اي للخلود
فيها وان حمل على نفس الدخول والتعذيب مدة فمعنى كذب اي قصر في الاوامر والنواهي فخالف عمدا اعتقادا
وهو المعصية وقال التي فلان العدو فما كذب اي ما قصر وما جبن ويدل على دخول الفساق النار للتعذيب
مدة وسيجنبها الاتقى وهو الاكمل تقوى وهو صفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ودل على فضله على جميع
الامة • قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم الذي يؤتي ماله يتزكى اي يتطهر بذلك ويتزايد اجرا وما لاحد
عنده من نعمة تجزى اي لا يعطي ماله لاحد ولا يصطنع بالاعتاق ونحوه الى احد لصنيعة عنده لنعمة يجزيها
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي لكن طلبا لرضا الله • ولسوف يرضى اي ولسوف يعطيه الله تعالى في
من الجزاء والكرامة ما يبلغ رضاه ويريد وهي كرامة لا يبلغونها كرامة وهو كقوله لرسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ولسوف يعطيك ربك فترضى • وعن ابن عباس ان بلالا احدث على الاصنام فاخبرت بذلك
المشركين امراة موكلة بحفظها وكان بلال عبدا لعبد الله بن جدعان فشكوه اليه فوهبه لهم ومائة من الابل
ينحرونها لالهتهم فاخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضا وهو يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ينجيك الاحد ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فحمل ابو بكر رطلا
من ذهب فابتاعه به فقال المشركون ما فعل ابو بكر ذلك ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
ابو بكر عبدا مشركا قد قعد اليه واحد بلالا فكره ذلك ابو قحافة وقال لابي بكر فقال لو اعتقت من له رواء ومنظر
اما علمت ان مولى القوم من انفسهم فانزل الله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الايات

سورة والضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي رفع قدر المصطفى • الرحمن الذي ما ودع رسوله وما قلى • الرحيم الذي قال له ولسوف يعطيك
ربك فترضى • روي عن ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والضحى جعله الله يوم القيامة
فيمن يرضى محمد ان يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل • وهذه السورة مكية وهي احدى عشر
اية واربعون كلمة ومائة وتسعة وتسعون حرفا • وانتظام السورتين ان الاولى في القسم بالليل والنهار على

اشرف افضل القسم ووعده انه يبلغ غاية الرضا وسبب نزول هذه الاية السورة ما قال الضحاك احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الكفار قريش ودعه ربه وقلاه فاتاه جبريل فقال الراشد ما عليك ما قال قومك لك قال انهم ما ودعك ربك وما قلاك وانما انا عبد احتبس ما احتبسني وانزل اذا انزلني بالطيعه اذا امرني • وقال انس اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكاه فلم يقم ليلتين او ثلاثا وكان يحب التهجد فاتته احدى عماته فقالت اني لارجوا ان يكون شيطانك قد تركك ثم مرضت ايام فانزل الله تعالى هذه السورة • وقال ابن عباس ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين واصحاب الكهف والروح وقال اجيبكم ولم يستثن فاحتبس جبريل خمسة عشر يوما • وقال مقاتل اربعين يوما • وقال ابن جريج اثنا عشر يوما • وقيل خمسة وعشرين يوما • وقال مقاتل لما نزل جبريل كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور ما جيتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور وما نتنزل الا بامر ربك • قوله تعالى والضحى قال قتادة اقسم بصدر النهار وقيل بالنهار كله وهو تسمية الكل باسم الجزء وليله انه قابله بالليل وهو على كله فقال والليل اذا سجى • قال اهل اللغة اي سكن وكذا قال قتادة والضحاك وهو عند اجتماع ظلمته • وقال مجاهد رحمه الله استوى • وقال الحسن البس الاشياء ظلامه • وقال ابو العالية جن • وقال ابو روق اسود • وقال ابن عباس ذهب • وقال محمد بن كعب اذا جا دسه اي ظلامه واختلف في المراد بالليل والنهار انه على العموم او على الخصوص فقيل هو على الخصوص واختلف فيه • قال جعفر بن محمد الصادق الضحى الساعة التي كلم الله فيها موسى على الطور والليل هو ليلة المعراج التي ناجى الله حبيبه فيها على بساط القرب وقيل هو ضحى الاوابين وليلة المتهجدين • وقيل هو نهار دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وليلة قيامه قال تعالى يا ايها المدثر قم فانذر اي بالنهار يا ايها المزمل قم الليل • وقيل هي ليلة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ويوم وفاته • وقيل هو يوم نزول الوحي اليه من السما وليلة العروج به الى السما • وقيل الضحى والليل اسمان من اسما النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان على اوليايه ضحى منيرا وعلى اعدايه ليلا مظلما • وقيل معناه ورب الضحى ورب الليل اذا سجى ما ودعك ربك القسم على هذا اي ما قطع عنك وحيه قطع التارك لك والوداع والتوديع اصله الودع وهو الترك وما قلى اي وما قلاك يعني ما ابغضك والقلاء البغض من حد ضرب • وقال الفراء انما ترك الكاف من قلاك لدلالة الكاف الاولى وهي ما ودعك وعلى هذا وهو كقولك اكرمتك واحسنت اليك • وللاخرة خير لك من الاولى • قيل اي ما اعد الله لك في الاخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير لك من نعم الدنيا وكرامتها فليس ينقطع منك كرامته في الدنيا ولا في الاخرة • وقال محمد بن اسحاق اي ما عندي في مرجعك الي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا • وقيل اي والحالة الاخرة خير لك من الحالة الاولى اي احتباس الوحي منك مدة بعد تواتر الوحي خير لك فقد فقد الاعدا لك ما قالوا وقلنا في ردهم موكدا بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذا فوق كل كرامة ولسوف يعطيك ربك فترضى اي الثواب الجزيل في العقبى • وقيل هو النصر والظفر على الاعدا في الدنيا • وقيل هي الشفاعة في الاخرة في عصاة الامة • قال الضحاك لا يرضيك في امتك ويوتيك مرادك فيهم • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ارضى وواحد من امتي في النار • وقال جعفر الصادق دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعليها كسا من وبر وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ابصرها فقال يا ابنتاه تعجلي مرارة الدنيا لحلاوة الاخرة فقد انزل الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى • وقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى استفهام بمعنى التقرير اي قد وجدك اي علمك ورآك بعين انه قد تولاه وكفاه • وكل خير اعطاه من مبتدا امره الى منتهاه فكيف يكون ودعه وقلاه وكان يتمه ان اباه عبد الله بن عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن امه وماتت امه وهو رضيع ومات عبد المطلب جده وهو صبي فاواه الله تعالى بابي طالب وكان يدبره ويحسن اليه الى ان اوحى الله اليه وكان ينصره ويذب عنه • ووجدك ضالا فهدى اي غيرا فتعلم غايف العبادة فهداك اي علمك الله تعالى وبين الشرايع ولا يجوز ان يفهم من هذه اللفظة عدول عن حق ووقوع في غي فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول حاله الى نزول الوحي اليه معصوما عما يفعله المشركون من عبادة الاوثان وقاذورات اهل الفسق والعصيان • وقال محمد بن اسحاق نشا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يكلوه ويحفظه من اقذار الجاهلية ومعايبها لما يريد الله تعالى من كرامته حتى ما كان اسمه في قومه الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وروي حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله تعالى برسالته واني قد قلت ليلة لبعض الغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو انك ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت اريد ذلك حتى جيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ما هذا

فقالوا

فقالوا فلان بن فلان تزوج بفلانة فجلست انظر اليهم ثم ضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس وليلة اخرى كذلك ثم ما هممت بعدهما بسوء • وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلما وهو على ناقة وهو نايم فجا ابليس واخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجا جبريل فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورده الى القافلة فمن الله عليه بذلك • وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني ووجدك ضالا اي مغمورا بين قومك لا يدرون من انت فعرفهم الله تعالى اليك اي عرفهم حالك حتى عرفوك وعلموا ما من الله به عليك وهو صحيح في اللغة يقال ضل الما في اللبن • وقال الله تعالى حكاية عن الكفار وقالوا اذا ضللنا في الارض اي غبنا وخفينا • وقال هشام بن عبد الله ووجدك لا تدري نفسك من انت فعرفك نفسك وحالك حتى عرفت انك سيد ولد ادم وخلاصة العالم • وقال مجاهد ووجدك ضالا اي محبا فهداك اي علمك شرايط المحبة وهو كقوله لا تفتوا انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة • وقوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى اي فقيرا عن المال فاغناك بمال خديجة • وقيل بالغنى والغنايم • وقيل اي بالقناعة • وقيل اي عايلا عن العلم فاغناك بالاكثار منه وقيل اي عن الامة فاغناك باكثارهم • وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي مسالة وذلك اني قلت ليلة المعراج قد كان قبلي انبيا فسخرت لبعضهم الناس وسخرت لبعضهم الريح والنت لبعضهم الحديد فقال الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اضع عنك وزرك الم ارفع لك ذكرك قلت بلى يا رب • وقال بعض اهل الحقيقة في تفسير هذه الايات في هذا المقام اليتيم من انفرد عن كل احد فمعناه يا محمد كنت بمكة بين اصحابك وبيت المقدس مع الانبيا وفي السموات مع الملايكة والان انفردت عن الكل في هذا المقام فاويتك في كنف تخصيصي ولما قمت في مقام الهيبة تحيرت فتحيرت عن الكلام فهديتك وفتحت عليك باب الثنا حتى قلت التحيات لله والصلوات والطيبات وانت عايل في حق امتك لعلمك بطاعتهم فاغنيتك بتضعيف حسناتهم وقالوا ايتم عن ابيه وامه لتكون خدمتك لله لا لابيك وامك وشفقتك على امتك لا على امه ويقول يا رب مكان قول غيره يا اب ويقول يا امتاه مكان قول غيره يا اماه • فاما اليتيم فلا تقهر فاذكر يتمك واما السايل فلا تنهر واذكر فقرك وهذا في سايل المال المحتاج • وقيل واما السايل عن العلم وطالب الفايدة فلا تنهره واذكر حالك فقد كنت لا تدري الشرايع حتى علمتك • واما بنعمة ربك فحدث اي بنعم الله كلها فحدث الناس واشكرها بينهم شاكرا ذاكرا والنعمة جنس تصلح للجميع • قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • وقال مجاهد بنعمة ربك القران فحدث اي علم الناس • وقيل هي نعمة النبوة • وقيل نعمة الشفاعة والصحيح انه يعم جميع نعم الله تعالى والنهي للانتهار والزجر وهذا غلظة القول وتعبس الوجه • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي اليه ثمان عنقود عنب فجا السايل فاعطاه ففعل ذلك ثلاثا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ملاطفا السايل استقصا ايها السايل انت ام تاجر فنزلت الاية واما السايل فلا تنهر • والله الموفق

سورة الم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي شرح لرسوله صدره • الرحمن الذي وضع عنه وزره • الرحيم الذي رفع له ذكره • وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الم نشرح اعطي من الاجر كمن احب محمدا ففرج به غمه • وهذه السورة مكية وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومايه حرف • وانتظام السورتين انهما في تعداد النعم لله تعالى على رسوله المصطفى • قوله تعالى الم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى التقرير اي قد شرحنا لك صدرك يعني وسعناه بالايمان والتوحيد قاله مقاتل • ويقال فتحناه ونقيناه ونورناه • وقال الكلبي اتاه جبريل عليه السلام فشق بطنه فابدى عن قلبه ثم جا بدلو من ما زمزم فغسله ونقاه مما فيه ثم جا بطست من ذهب قد ملي علما وايمانا فوضعه فيه يذكره حين جا بالبراق ليلة المعراج ويذكر حين كان عند حليمة في السنة التي اعاده الله تعالى فيها الى عبد المطلب • وقيل اي وسعنا لك صدرك لتحمل اثقال النبوة فقد كان محتاجا الى تبليغ الوحي الى الجن والانس والى مناصبة كل اهل الارض وفيه ما يضيق به الصدر فشرح صدره حتى اعتنق ذلك كله على سهولة • وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وهو قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وهو زلة لا نعرفها نحن بعينها وهي ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبيا ايما يثنون بمثلها لعلو مقامهم • الذي انقض ظهرك اي ثقل حتى جعله نقضا اي الكسر اي مهزولا • وقيل حتى ليسمع نقيضه اي صوت مفاصله وزلات الانبيا لا تكون بهذه الدرجة لكن اهتمامهم بذلك وتحملهم يورد العتاب عليهم في ذلك يورد عليهم هذه المشقة • وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي لولا عصمتنا وقعت فيه لانقض ظهرك • وقيل

سعي ووضعنا عنك وزرك اي حملك وهو الهم الذي اصاب قلبه وذلك حمل ثقيل بالخروج من مكة • وقيل معنى
هم تبليغ الوحي الى كل الخلق ووضعه رفعه عن قلبه وتسهيله على طبعه • وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اي ذكرناك
للرسل في كتبهم وذلك المقام المحمود والدرجة الوسيلة والفضيلة على كل البرية • وقيل اي قرنت ذكرك بذكري
فلا اذكر الا ذكرت معي في الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطبة وقد كتب ذلك على ساق العرش والقر
ابواب الجنة واوراق اشجارها وملابس اهلها وكذا • وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
عرف العسر بالالف واللام وكرر قوله يسرا منكرا فلذا انهما يسران اذ لو كان الثاني هو الاول لعرفه لان النكرة
اذا اعيدت معرفة عرفت • قال الله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فالرجا فاقلبه
باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا • وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنه في هذا لن يغلب عسر
يسرين وعلى هذا اهل النحو من اهل الكوفة واهل البصرة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على اصحابه
ذات يوم فرحا مسرورا مستبشرا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسرا ان مع العسر
يسرا وعلى هذا معناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لك يا محمد مع عسر الزلة يسر ان سترها بغير تعيين وغفرها
بغير تعيير • وقيل لك مع عسر الخروج من مكة يسر ان الحفظ في الطريق عن قصدهم والرجوع الى مكة وفتحها
على رغمهم • وقيل لك يا محمد مع عسر اداء الوحي يسر ان النصر على الاعدا في الدنيا والشفاعة في العصاة
في العقبى • وقيل ان مع العسر اي بعد العسر وقيل بل يجي ويزيل العسر بلا قيد فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب اي ادعه بحوايجك • وقال مجاهد اذا فرغت من حوايج نفسك فانصب في عبادة ربك
والى ربك فارغب في سوال الحوايج • وقيل اذا فرغت من دعوة الخلق الينا فانصب في عبادتنا والطلب
راحة نفسك والى ربك فارغب فاذا فرغت من التعليم فانصب في العمل والى ربك فارغب

في بلوغ الامل والله الموفق

سورة والتين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي عرفنا قدر التين والزيتون • الرحمن الذي شرف محل طور سينا والبلد المامون • الرحيم
الذي جعل [illegible] المصلح اجرا غير ممنون • روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من قرا سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام يعقل صلاته فاذا حرف
كتب الله له بعدد من قرا هذه السورة صيام يوم • وهذه السورة مكية وهي ثمان ايات • وثلاثون
كلمة • ومائة وتسعة وخمسون حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذكر موالية ومعارفه • وقوله
تعالى والتين والزيتون اقسم الله تعالى بالتين والزيتون • قال ابن عباس هو تينكم هذا
وزيتونكم هذا يعني الفاكهتين الماكولتين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي هو التين
الذي يوكل والزيتون الذي منه الزيت • وقال الحسن والضحاك هما جبلان بالشام ينبت باحدهما
التين والاخر الزيتون • وعن ابن عباس في رواية التين مسجد نوح عليه السلام على الجودي وفيه
شجر التين والزيتون مسجد بيت المقدس وفيه شجر الزيتون • وقال كعب الاحبار التين مسجد
اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وطور سينين • قال عطا بن ابي رباح جبل ذو اشجار • وقال مقاتل
جبل فيه شجر مثمر وهو بالنبطية • وقيل هو جبل دمشق • وقيل هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام
وقال الاخفش سينين جمع سينية وهو شجرة مثمرة وهو بالنبطية • وقيل هو جبل دمشق • وهذا البلد
الامين • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وابراهيم هو مكة ومعناه ذو الامن كما قال حرما امنا
تقال تطرب هو مامون اي يامن اهله وهو كقولهم سر كاتم اي مكتوم • وقيل التين ابو بكر الصديق
والزيتون عمر الفاروق وطور سينين عثمان ذو النورين • والبلد الامين هو علي رضي الله عنه • وقوله
تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم القسم على هذا • وقال الامام ابو منصور هو امر مشاهد
فلا يحتاج الى تاكيده بالقسم انما حاصل القسم على ما يتم به الكلام وهو قوله ثم رددناه اسفل سافلين
اي الى جهنم الا الذين امنوا منهم واحسن تقويم اي تعديل وتسوية وهياناه احسن هياة تصلح منها
التصرف والعمل في دنياه لاصلاح معاشه ويصلح للتكليف لكمال حواسه وفيه النطق والبيان والتمييز
والتدبير ثم رددناه اسفل سافلين • وقيل بدلنا ما كان ابتدا حاله الى ان يرجع الى الهرم ويبلغ ارذل العمر
قال ابن عباس رضي الله عنهما لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يعني في اعدل خلق ثم رددناه اسفل
سافلين يعني الى ارذل العمر • وقال عكرمة في احسن تقويم يعني في احسن صورة واعدلها قايما منتصبا
على رجليه ياكل بيده وكل شي سواه يمشي على اربع وياكل بفمه • وقال ابن ابي رباح في احسن تقويم يعني
احسن الخلق ثم رددناه اسفل سافلين يعني الى النار الا المومن والانسان في معنى الناس لانه جنس

يصح

مجموعا

لن مع عسر الفقر يسران المغانم في الدنيا والدرجات في العقبى وقيل م

سل حوايجك منا وقيل فاذا فرغت من مهماتك فانصب في دعوة الخلق والى ربك فارغب في طلب التوفيق لذلك وقيل اذا فرغت من الصلاة فانصب في الذكر والقراءة والى ربك فارغب في طلب من ادابك وقيل م

انتقل في فضايل النبي ومعاينته ومنزله لسورة في ذكره

وقيل ليكون الطور سينا وسهو الحسن والبلد والتين والزيتون ليجمع كانه قال وطور الاشجار الحسنة

عظام

يصح استثنا المومنين منهم وعلى هذا هو اسفل سافلين في النار اي نعجز عن الحيل النفيسة والعمل بمصالحه فضعف
في عقوله واضداده هم من الاصحاء والاقويا في علو • وقيل ههنا مضمر وتقديره ثم رددنا الناس الى اسفل سافلين فزالت
عقولهم وضعفت قواهم وصاروا بحيث لا يكتب لهم عمل ولا يكتسبون اجرا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
في شبابهم وقوتهم فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع • روي ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
المسلم اذا مرض او سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا • وفي بعض الاثار كذلك في حق الهرم • وروى ابو الضحى
عن ابن عباس ان الانسان كلدة بن اسيد • وقال مقاتل بن اسد كاهنة وشيبة فنزل قوله هولا الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات استثنا منقطع بمعنى لكن • وقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين اي فما يحملك ايها الانسان
مكذب بعد هذا بالحساب والجزا وقد علمت ان الله خلقك في هذه الهية ونقلك من حال الى حال ومن قدر على
ذلك قدر على الاحيا بعد الموت ومن خلق على هذه الهية لم يخل العبد من تكليفه واذا خالفه فلابد من ان يجزيه
على وفق عمله اليس الله باحكم الحاكمين اي واقضي القاضين بعذاب المكذبين وثواب المطيعين المصدقين

والله الموفق للسداد وعلى فضله الاعتماد

سورة اقرا باسم ربك

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هو الاكرم • الرحمن الذي علم بالقلم • الرحيم الذي علم الانسان ما لم يعلم • روى ابي رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة اقرا باسم ربك اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله • وهذه
السورة مكية وهي ثمان عشرة اية • واثنان وسبعون كلمة • ومايتان وسبعون حرفا • وانتظام السورتين
انهما في بيان خلق الانسان وجزا الاساءة والاحسان وهذه اول سورة نزلت من القران • قالت عايشة
رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جات
مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان ياتي حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد فيها ويتزود لذلك
ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فيه وقال اقرا قال فقلت ما انا
قاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم قال فرجع بها يرجف فواده
حتى دخل على خديجة فقال واخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به خديجة
حتى اتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرا تنصر في الجاهلية
وكان يكتب الكتاب العبري ويكتب بالعربية من الانجيل ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت
له خديجة اي ابن عمي اسمع من ابن اخيك فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني اكون فيها
حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يات احد بما جيت
به الا عودي واوذي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة [illegible]
[illegible] رووس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك
لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل
تبدى له جبريل فقال مثل ذلك • وعن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اقرا باسم ربك الذي خلق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وعلى الاول لو اسفل طبقة الضعفاء والزمنا والنكرة على معنى انها اسفل من سفل من الناس م

منهما كلدة بن اسيد وقال مقاتل بن حيان ابو جهل وقال عطا بو الوليد بن المغيرة وقال مقاتل بن سليمان م

ثم الثالثة م

فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي م

بن نوفل يا ابن اخي فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما راى فقال ورقة م

حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا م

ابن عباس م

اسمه ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن اسد وهو ابن عمها وقد كان ورقة بن نوفل طلب الدين وخالف دين قومه ودخل في النصرانية قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن جبريل فقال لها وما ذاك فذكرت له الذي كان من امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها والله لئن كانت رجلا جبريل استقرتا على الارض فقد نزل على خير خلق الله ارسلي محمدا الي فرجعت فارسلته فاتاه رسول الله فساله ورقة هل امرك جبريل بشيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا قال هل امرك ان تدعو الى الله ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وفشا امر النبي صلى الله عليه وسلم قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ذات يوم اذ اطلع علي رضي الله عنه عليه وذلك بعد ثلاثة ايام من اسلام خديجة فقال يا محمد ما هذا قال هذا دين الله هل لك فيه فقال ان هذا لخلاف دين ابي شيخا تطلعه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانظر واكتم علي فمكث علي بعض يومه ذلك ثم اتاه من يومه ذلك فامن به وصدقه وفشى الخبر بمكة فقالوا والله لجن محمد فنزل فيه ن والقلم وما يسطرون حتى انتهى الى خمس آيات وهي الثانية مما نزل فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين كما علمه جبريل حتى كان قبل خروجه من مكة الى المدينة بسنة ثم فرضت الصلوات • وقال محمد بن اسحاق ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي تبدى له البشرى يا محمد فقد تممت نعمة الله عليك واعطاك الله عشر خصال لم يعطهن نبي قبلك ولا واحدة قال ما هي يا جبريل قال ان الله تعالى لا يذكر الا ذكرت معه وان الله تعالى جعل امتك خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وان الارض جعلت طهورا لامتك ومن كان قبلهم من الامم كان تصيب احدهم بول ولا تصيبه انقطعه بالجلم وان امتك يقرؤون القرآن على ظهور قلوبهم وان كل الامة لا تقروه الا نظرا في كتابها وان الله وملائكته يصلون عليك الى يوم القيامة وان الله يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر وان الله يظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون

وقوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق • قال ابو عبيدة اي اقرأ اسم ربك والباء زائدة اي اقرا الاسم الذي ينزله عليك في كتابه وعلى لسان جبريل • وقيل ان اقرأ ما يوحى اليك من القرآن بتسميتك متبركا باسم الذي خلق خلق كل شيء ويحتمل خصوص ما ذكر بعده خلق الانسان من علق جمع علقة وهو الدم الجامد وجمع لان الانسان اريد به الجنس وهم ولد ادم اقرأ كرر للمبالغة وربك الاكرم فان ربك الاكرم الذي علم بالقلم • بين علم الخط بالقلم • وقيل علم تعليم خط العلم العلوم التي يكتب ويقرأ علم الانسان ما لم يعلم بالخط • وقيل علم سوى الخط علوما اخر لم يكن يعلمها • وقيل علم ادم ما لم يعلم وهو قوله وعلم ادم الاسماء كلها • وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ذكر ان اول هذه السورة الى قوله ما لم يعلم نزل اول ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم باقي السورة في ابي جهل لعنه الله وكان فرعون هذه الامة وامره متاخر عن ابتداء الوحي وكان بعده بزمان ونزول له متاخر وكثير من سور القرآن كذلك • وقوله تعالى كلا • قال الحسن اي حقا • وكذا قال بعض اهل اللغة وقال اكثر اهل اللغة هو رد ما قبله وتقديره ما ينبغي للانسان ان ينعم الله عليه بخلقه وتعليمه ثم هو يطغى بسبب ما له ان الانسان ليطغى اي يفرط في المعصية ويتمرد وتركه نفسه اي راي نفسه قد كثر ما له فاستغنى به عن غيره • وقيل استغنى بعشيرته وانصاره ان الى ربك الرجعى اي الرجوع فهو يحاسبه على طغيانه ويساله من اين جمع وفيم انفق • وقيل الى ربك الرجعى الى المال • وقال ابن مسعود منهومان لا يشبعان ولا يستويان طالب علم وطالب دنيا واما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن ثم قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء واما طالب الدنيا فيزداد طغيانا ثم قرأ ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهذا تعجب من ابي جهل ونهيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الكعبة ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى اي ارايت يا محمد ان كان الناهي عن الصلاة مهتديا بصلاته وتعظيمه ربه امرا غيره بتقوى الله يمنعه عن الصلاة وهذا التعجب ايضا ارايت ان كذب وتولى وهو تعجب ايضا ارايت ان كان الناهي عن الصلاة مكذبا بالحق متوليا عنه غير قابل له ايصلح له هذا وهذا امر منعكس وهو ان يامر ضالا مهتديا بترك هداه فتعجب الله عباده من ابي جهل في منع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة من ثلاثة اوجه وارايت كلمة تعجب • وقيل معناه ارايت من فعل هذا ما يكون حاله عند الله وما يستحق على سوء فعله من العذاب الم يعلم بان الله يرى وهذا وعيد لابي جهل اي الم يعلم بان الله يرى فعله ويسمع قوله فيجازيه على قوله وفعله • وقيل لما قال ابو جهل لاطان رقبة محمد صلى الله عليه وسلم ان رايته يصلي فقال الله تعالى الم يعلم ابو جهل بان الله يراه حينئذ فيحول بينه وبينه • قال ابو هريرة قال ابو جهل للمشركين هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم فقال والذي يحلف به لئن رايته يصلي لاطان رقبته فقيل هو في المسجد ساجدا فاقبل مسرعا ليطا رقبته فما لبث ان نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار واوله

الله تعالى هذه الآيات • وقال سعيد بن المسيب قال ابو جهل اذ رايت ابن ابي كبشة يصلي في مسجدنا لاطان عنقه فاتاه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قال كذا فانطلق فادخل المسجد فاقرا باسم ربك الذي خلق فاذا فرغت فخر ساجدا حتى يأتيك فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ما قال فقيل لابي جهل ما هو ذا ساجدا في الحجر فقام مسرعا حتى انتهى اليه ثم نكص راجعا فقيل له ما لك لا تتقدم فقال ان بيني وبينه فاغرا فاه لو تقدمت لالتقمني ثم دخل على اهله فرجا فاتى اعرابي المشركين وهم في المسجد فقال اعدوني على ابي جهل فلقد ابتاع مني جملا وليس يؤدي الحق فقالوا الا عليك بذاك الفتى يعنون النبي صلى الله عليه وسلم على جهة السخرية فاتى الاعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعني على ابي جهل فلقد ابتاع مني جملا وحبس عني ثمنه فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى باب ابي جهل فقرعه فخرج اليه مرتاعا فزعا فقال له هل ابتغيت من هذا الاعرابي شيئا فقال نعم جملا فقال ادفع اليه ثمنه فوفره عليه فدخل الاعرابي المسجد مع ثمن الجمل فظنوا ان ابا جهل اسلم فقاموا اليه فقالوا صبأت يا ابا الحكم قال لا قالوا فما لك اطعته فيما قال فقال لو لم افعل لانهدم علي البيت • وقوله تعالى كلا اي ليس كما يقول ابو جهل انه يقدر على ان يطأ رقبته لئن لم ينته عن هذا القول لنسفعا بالناصية اي لناخذن بناصيته فنجره الى النار اي تفعل ذلك ملائكتنا وهو كقوله يؤخذ بالنواصي والاقدام • وقال يزيد النحوي فاخذ بناصيته يوم بدر فالقي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا • وقيل اي لنسود وجهه والناصية شعر مقدم الراس وكني به عن الوجه على هذا القول الثاني • وقيل السفع الضرب وقيل هو الاختطاف • وقيل هو اللطم • وقيل ان ادية الوسم هنا ناصية كاذبة خاطئة بدل عن الاول وانما نكرها والاول معرفة لانها ترجمة عن وصفها لا عنها في نفسها والوصف بالكاذبة الخاطئة راجع الى صاحبها كقوله ضاحكة مستبشرة ونظائرها فليدع نادية اي اهل مجلسه سندع الزبانية اي ملائكة العذاب وقال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتهددني فوالله لاملأن عليك هذا الوادي اهل النادي فنزلت • قال عكرمة قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فعل ابو جهل لاخذته الملائكة عيانا • فقيل على هذا كان هذا في الدنيا وقد فعل به ذلك يوم بدر • وقيل هو في الآخرة وهو معنى قول الحسن • وقال الخليل النادي المجلس اذا كان فيه اهله واما الزبانية فقد قال مجاهد والحسن والضحاك وقتادة والعوفي عن ابن عباس هم الملائكة • وقال ابن ابي نجيح الزبانية الملائكة الغلاظ الشداد • وقال ابن جريج بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزبانية رؤسهم في السماء وارجلهم في الارض • وقال سمرة وعطية الزبانية في الملائكة كالشرط فيكم • وقال الخارجة سموا زبانية لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم والزبن الدفع • وقال ابو عبيدة الزبانية جمع واحدها زبنية • وقيل زبني • وقيل لا واحد • وقيل لا واحد له كلا اي ليس كما يقول ابو جهل انه يقدر على قهرك لا تطعه فيما يامرك به من ترك الصلاة واسجد لله تعالى واقترب اي تقرب الى الله تعالى بما يمكنك من الطاعة • وقيل اي واقترب الى كرامة الله تعالى بالسجود • وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد وقيل اسجد بنفسك واقترب بقلبك • وقيل اسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل منه لابد ايه

سورة انا انزلناه في ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي انزل القرآن في ليلة القدر • الرحمن الذي جعلها خيرا من الف شهر • الرحيم الذي نزل الملائكة فيها بالسلام الى مطلع الفجر • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة انا انزلناه في ليلة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان وادرك ليلة القدر وقال قتادة هي مكية • وقال الواقدي هي اول سورة نزلت بالمدينة • وقال الاخرون هي مدنية بلا تقييد وهي ست آيات وثلاثون كلمة • ومائة وثلاثة عشر حرفا • ونظم السورتين ان تلك في ذكر القرآن وهذه في ذكر الليلة التي فيها انزل القرآن • قوله تعالى انا انزلناه اي القرآن وهو كناية عن معلوم غير مذكور كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة • وكان انزال القرآن من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر وهي في شهر رمضان وقال شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن • وقال ونزلناه تنزيلا والتنزيل التفصيل واما في هذه الآيات فان انزال القرآن جملة الى السماء الدنيا كان في ليلة القدر وتلك الليلة في شهر رمضان وتفصيله في ثلاث وعشرين سنة من لدن مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ان مضى لسبيله صلى الله عليه وسلم وليلة القدر ليلة التقدير وهو تقدير الاعمال والارزاق والاجال وهو اظهار اجالها ومقاديرها واثباتها في نسخ ودفعها الى جبريل عليه السلام وميكائيل واسرافيل وعزرائيل

عليهم السلام وهو قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم • وقيل ليلة القدر اي ليلة العظمة • قال الله تعالى
وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وهي ليلة جليلة القدر عظيمة الامر فهي خير من الف
شهر وما ادراك ما ليلة القدر اي هي ليلة في عظمها وقدرها وفضلها وعجايبها فيها ليلة القدر خير من
الف شهر كما قال ابن عباس احيا ليلة القدر في الطاعة خير لك والامتك من ملك الف شهر • وفي بعض التفاسير
ان ملك سليمان كان خمس ماية شهر وملك ذي القرنين كذلك وليلة القدر لهذه الامة خير من ملك الف شهر
فقال الحسن بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى في منامه ان بني امية يعلون منبره واحدا بعد
واحد • وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق عليه فانزل الله تعالى عليه هذه السورة • وقوله تعالى
خير من الف شهر وانما خص الف شهر بالذكر لانه لم يكن في السلف يبلغ احدهم اسم العابد ولا يصير
مستجاب الدعوة الا بعد عبادة الف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر • وعن ابن عباس قال
ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك في امته فدعا ربه فقال يا رب جعلت
امتي اقصر الامم اعمارا واقلهم اعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر
وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني شكى الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر اعمارهم فابدلهم الله تعالى
بقصر اعمارهم ليلة القدر ربما ابن سنة وثلاث سنين واربعة اشهر بقيلة طاعاتهم المضعفة من عشر
الى سبعماية الى ما لا يحصى ولم يكن الاضعاف الا لهذه الامة • وقيل انا انزلناه اي الرحمن الرحيم • وقيل انزلناه
اي جبريل • وقيل انزلناه اي السلام على اهل الاسلام تنزل الملايكة الى الدنيا • وقيل الى سماء الدنيا
والروح فيها قيل اي جبريل كما قال نزل به الروح الامين • وفي حديث ابن عباس ان جبريل ينزل في ليلة
القدر في كبكبة من الملايكة ومعه لوا اخضر يركزه فوق الكعبة ثم تتفرق الملايكة في الناس حتى
يسلموا على كل قايم وقاعد وذاكر وراكع وساجد الى ان يطلع الفجر • وقيل الروح صنف من الملايكة
جعلوا حفظة على سايرهم وان الملايكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملايكة • وقيل الروح خلق يشبه
وجوههم وجوه بني ادم وسايرهم يشبه الملايكة • وذكر علي بن اسحاق في تفسيره عن ابن عباس تنزل
الملايكة ليلة القدر الى الارض يتقدمهم جبريل وله اربعة اجنحة جناحان ابيضان وجناحان اخضران
فاما الاخضران فلا ينشرهما الا في كل سنة مرة في ليلة القدر واذا نزل نشرهما على اهل الارض فيهما الرحمة
والبر والسلام والبركة للمومنين والمومنات الى طلوع الفجر وينزل الروح في تلك الليلة وهو ملك
من تحت العرش ورجلاه في تخوم الثرى السابعة وراسه تحت العرش الجبار وله الف راس كل راس اعظم
من الدنيا وفي كل راس الف وجه وفي كل وجه الف فم الف لسان وفي كل لسان الف لغة لا تشبه الاخرى
فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملايكة اهل سبع سموات سجدا مخافة ان تحرقهم نور افواهه وانما يسبح
الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر • وقوله تعالى باذن ربهم من كل امر اي بكل امر كما قال
يحفظونه من امر الله اي بامر الله اي ينزل الملايكة بكل ما يقضي الله تعالى من امور العالم في تلك السنة
من عمل ورزق وحياة وموت وهو كقوله فيها يفرق كل امر حكيم ثم قوله سلام هي اي ليلة القدر سلامة
من الشرور والبلايا والافات وهو كقوله في ليلة مباركة • وقيل سلام هي اي في كل الليلة سلام على
المومنين وهو كما قال فلان حج وغزو اي هو ابدا مشغول بهما فكذا الليلة سلام اي هي مستغرقة
سلام الملايكة على المسلمين • وقيل هي متصلة بما قبلها من كل امر سلام هي اي من كل امر مخوف سلامة
هي حتى مطلع الفجر اي الى مطلع الفجر بكسر اللام • والباقون بفتحها وهما لغتان • واختلفوا في ليلة
القدر فقال بعضهم رفعت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول مردود • وعن محمد بن الحنفية
انها في كل سبع سنين مرة • وفي ثبوت هذه الرواية عنده نظر • وقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من
شهر رمضان • وعن ابي الحسن وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام هي ليلة سبع عشرة من
رمضان وهي ليلة صبيحتها يوم بدر • قال ابن مسعود في رواية هي ليلة تسعة عشرة منه • وقال
ابو سعيد الخدري هي ليلة احدى وعشرين منه • وقال عبد الله بن انيس وعوف بن مالك الاشجعي
وانس في رواية هي ليلة ثلاث وعشرين • وكذا قالت عايشة وبلال وابن عباس في رواية • وقال
الحسن بن علي فيقبض علي بن ابي طالب رضي الله عنه ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين • وقال الحسن
والعباس وابن عباس رضي الله عنهم في اشهر روايته وابي بن كعب هي ليلة سبع وعشرين واكثرهم
على هذا • وروي عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوها في العشر
الاواخر فانها وتر في احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع
وعشرين او في اخر ليلة من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه • وعن سعيد بن جبير عن

ابن عباس ان عمر رضي الله عنه جمع المهاجرين والانصار وسالهم عن ليلة القدر قال ابن عباس فدخلت
فيهم قال الزبير بن العوام يا امير المومنين دعوت ابنا المهاجرين فدعوا ابناينا قال لا وانما قلت
لكان هذا الغلام ولعله اعلم بالذي اريد ان اسال عنه منكم قال فسالهم عن ليلة القدر هل عندكم اي
ليلة هي فاجتمع رايهم على انها في العشر الاواخر في الوتر منها فقال يا ابن عباس هل عندك علم بليلة القدر
شي سمعته او رايته • قال يا امير المومنين ان الله تعالى وتر يحب الوتر واحب الوتر الى الله تعالى السبع
قال كيف ذاك لله ابوك قال خلق الله السموات سبعا وخلق الارضين سبعا وخلق الايام سبعة وخلق
الانسان من سبع وجعل رزقه من سبع قال قد علمت ان الله تعالى خلق السموات سبعا والارضين سبعا
فكيف خلق الانسان من سبع فقرا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الى قوله ثم
انشاناه خلقا اخر قال فكيف خلق رزقه من سبع فقرا انا صببنا الماء صبا الى قوله فاكهة وابا فهذا
سبع وابا الانعام تكم فهي الكلا فهي سابعة السبع فقال عمر حسبك وقد زاد اهل العلم في نظايرها فقالوا
الاقاليم سبعة والابحر سبعة والطواف سبع والسعي سبع والرمي سبعة جمار والاعضا سبعة والسجود على
سبعة اعظم وسبع من النبي يحرمن وابواب الجحيم سبع واصحاب الكهف سبع • وفي قصة يوسف وسبع
سنبلات وسبع سنين دابا تزرعون سبع سنين سبع سنبلات وسبع بقرات فلبث في السجن سبع سنين
وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات • وكذلك ايوب عليه السلام بقي في بلايه كذلك وخطر ابو بكر
الصديق كان سبع سنين واما ان اهل السموات سبعة انجم ولا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات
وانزل القران على سبعة احرف وهو سبعة اسباع والفاتحة سبع ايات وليس فيها سبعة احرف
الثا والجيم والخا والزاي والشين والظا والفا واولوا العزم سبع ابراهيم واسمعيل وايوب ويعقوب
ويوسف وموسى وعيسى • والملايكة سبعة اصناف حملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون
والسفرة والكتبة والبررة • والحيوانات سبعة الملايكة والجن والانس والشياطين والبهايم والسباع
والطيور والهوام ومن اهل العلم من قال ان الله تعالى ذكر ليلة القدر في هذه السورة ثلاث مرات
ويبلغ عدد حروفها سبع وعشرون • وقال ابو بكر الوراق السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون
يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هي فتلك اشارة اليها • وقال بعض اهل العلم ان الله تعالى
في ليلة مباركة من اول تلك السورة الى قوله ليلة مباركة سبع وعشرون حرفا فدل انها هي • وقال
السلامي ان عدد اسمها وتر وهي تدور في شهر التاسع من السنة وهي وتر وهي في السورة السابعة
والتسعين من القران وهي وتر وبعدها في الوتر سبع عشرة سورة وهي وتر لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال التمسوها في العشر الاواخر في الوتر والاوتار في العشر خمسة والسابعة يتقدمها وهي ثلاثة ويتاخر
عنها وتر وهي ثلاث ويتاخر عنها وتر
وهو واحد فيها كذلك

سورة لم يكن

بسم الله الرحمن الرحيم

لم الله الذي اقام البينة • الرحمن الذي شرع الملة الرضية • الرحيم الذي جعل اهلها خير البرية •
روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة لم يكن كان له من الاجر كالذي
يكون يوم القيامة مع خير البرية • وهذه السورة مدنية وهي تسع ايات • واربع وتسعون كلمة
وثلثماية وتسعون حرفا • وانتظام السورتين ان تلك السورة في ذكر الليلة انزل فيها القران • وفي
هذه السورة ذكر المصدقين والمكذبين بالقران • قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
اي اليهود والنصارى والمشركين اي وهم عبدة الاوثان وليس للتبعيض بل للتجنيس منفكين • قال
ابن عباس اي منتهين عن الكفر حتى تاتيهم البينة حتى اي حتى انهم مستقبل بمعنى الماضي البينة الحجة
الظاهرة والمراد بها الرسول عليه السلام هاهنا فقد قال بعده رسول من الله وهو بدل عن البينة اي
فلما جاءهم اعتدوا به • وقيل اسلم بعض وثبت على الكفر بعض • وقال القتبي منفكين اي زايلين والانفكاك
الزوال • وقيل الانفصال والانفكاك الفصل • وقيل اي لم يكونوا ليتركوا خالين عن حجج الله تعالى حتى تاتيهم
البينة التي تقوم بها الحجة • وقال الفرا قال قوم اي لم يكن اهل الكتاب ومن يرجع اليهم من المشركين
تاركين صفة محمد كما هو في التوراة حتى بعث فلما بعث تفرقوا واختلفوا فيه وهو كقوله وكانوا من قبل
يستفتحون الاية انه قال • وقيل منفكين اي متفرقين في امر محمد حتى جا • والانفكاك احد الشيين من
الاخر هنا • وقيل لم يكونوا متفرقين عن كفرهم اي كان لا يطمع في ايمانهم بدون رسول ياتيهم فاتاهم رسول
الله فمن وفقه الله تعالى للايمان امن ومن خذله لم يومن ولزمته الحجة • وقيل لم يكونوا منفكين اي

متفرقين في امر محمد اي خارجين من الظلام الدنيا حتى تبين لهم • وقوله تعالى رسول من الله بدل من البينة وهو نكرة اشتق
على النعت كقوله تعالى ذو العرش المجيد فعال لما يريد وتقديره هو رسول من الله يتلو صحفا مطهرة هي التي عند الله
في ام الكتاب الذي نسخ منه ما انزل على الانبياء من الكتب وقد قال في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة
كرام بررة ومعنى المطهرة مما ليس في تلك السورة فيها كتب قيمة اي مستقيمة وهي كتب الانبياء لان القران مصدق لما
كان قبله ولان كل نوع من البيان فيه كانه كتاب وكان كله كتب • وقيل كتب قيمة اي احكام عادلة قال الله تعالى
كتب الله لاغلبن اي حكم وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة للحسد والبغي لا لقصور
البيان في الوحي وما امروا الا ليعبدوا الله يعني الا ان يعبدوا الله كما قال وامرنا لنسلم الا ان يوحدوا الله ۵
ويطيعوه مخلصين له الدين حنفاء اي مستقيمين مائلين عن الحق الباطل الى الحق ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة وذلك دين القيمة • قيل دين الملة القيمة • وقيل دين الشريعة القيمة وكانه اضافة الشي الى نفسه
كقوله ولدار الاخرة وسجد الجامع • وقال ابن عباس وذلك دين الملائكة • وقيل اي دين الكتب القيمة
وقد سبق ذكرها في هذه السورة • وقال الخليل الهاء للمبالغة اي دين القايمين لله بالتوحيد • وقوله تعالى
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية • وقرا ابن عامر
البرية بالهمز من قولهم برا الله الخلق يبرا برا • وقرا الباقون بغير همز من بريت القلم بريا اي قدرته • وقيل
من البرى وهو التراب • وقيل اصله همز ثم ترك تخفيفا كما في الذرية والخابية • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية اي الخليقة ودلت الاية على فضل المومنين من البشر على الملائكة جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن اي لبساتين اقامة تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لا يموتون فيها ولا يخرجون منها • فقيل
اعمالهم واحسن جزاهم رضي الله عنهم ورضوا عنه اذا اتاهم افضل مما كان منهم ذلك لمن خشي ربه اي خافه
ولم يعص نعمه ولم يامن بدءا على ربه وهو كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم

الى ربهم راجعون

سورة اذا زلزلت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خوفنا بزلزلة الارض يوم المحشر • الرحمن الذي جعل على المعاون يومئذ صدور
كل معشر • الرحيم الذي يجزي على مثاقيل الذر في الخير والشر • روي ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا اذا زلزلت اعطي من الاجر كانما قرا سورة البقرة • وهذه السورة مكية في قول ابن عباس
ومجاهد والواقدي مدنية في قول الاخرين وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة ومائة وخمسة وخمسون
حرفا • وانتظام السورتين انهما في الخيار والشرار والمومنين والكفار • قوله تعالى اذا زلزلت
الارض زلزالها اي حركت تحريكا شديدا وهو كقوله اذا رجت الارض رجا • وقوله يوم ترجف الراجفة
قال مجاهد هذا في النفخة الاولى لفناء الدنيا وتحرك ثانية عند البعث لاخراج الموتى • وقوله تعالى
زلزالها ذكر المصدر لتاكيد الفعل ولم يقل زلزالا بل اضافه اليها لان المعنى ان النفخ سبق للارض
بالزلزال فذلك لا محالة كاين فاضيفت اليها على معنى زلزلت الارض الزلزال الذي تخصها وهو
كقوله لاعطينك عطاك اي ما جعلت على نفسي ان اعطيك واخرجت الارض اثقالها • قيل كنوزها
فهذا قبل قيام الساعة • وقيل اي موتاها وهذا في النفخة الثانية جمع ثقل لان الارض تثقل بهم
وسمي الانس والجن ثقلين لذلك • وقال الانسان ما لها • قيل هو للجنس ويقع على المومنين والكفار
ويقولون ذلك لا يعتقدون ذلك وكذا يقولون من بعثنا من مرقدنا • وقال بعضهم لسلف الكافر
احمق الحياة احمق الموت يومئذ تحدث اخبارها • روي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قرا هذه الاية فقال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان ۵
اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذا اخبارها
وعن عبد الله بن عمر بجلا عند حجر وشجر شهد له يوم القيامة • وقال مقاتل تخبر بما عمل عليها تقول
المومن وحد الله علي وصلى علي وصام وزكى وتقول الكافر كفر علي واشرك وسرق وزنى حتى ود الكافر
انه سيق الى النار ولا يسمع ذلك • وقيل هو على حقيقة الاخبار فينشئ الله فيها تمييزا ونطقا فتتكلم به
كما تنطق الجوارح • وقيل هو الاخبار بظهور الاثار بان ربك اوحى لها • قال القتيبي اي امرها وقال
سخرها ولها بمعنى اليها • يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي ترجع الناس متفرقين قيل هذا الرجوع من القبور
الى موضع قراءة الكتب ليروا اعمالهم اي في كتبهم التي نسخت اعمالهم فيها فيفرحون ويجازون عليها
واشتاتا اي من اقطار الارض • وقيل اي يرجعون من موضع الحساب مختلفين يمينا وشمالا
الى الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم والجزاء منهم فقد يسمى جزاء العمل باسم العمل كالمذنب على ذنب

هذا عملك فانظر اليه • وقيل في الاية تقديم وتاخير • قال السدي بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم ثم يصدرون •
وقال الكلبي واخرجت الارض اثقالها ليروا اعمالهم • وقيل اشتاتا اي فرقا اهل كل عمل على حدة من الطاهر والخبيث
وجمع الاشتات شتى • وقيل اي يتفرقون اذا رجعوا من الموقف ولا يجتمعون بعده فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
اي وان نملة صغيرة • وقيل هي ذرات الهواء من شعاع الشمس خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • وقيل
يرى ذلك مكتوبا في كتابه محصى عليه • وقيل يرى ثوابه وعقابه • وقيل يره نصب خير اعماله وهو من المجاز يقول
الرجل رايت الخير والشر اي اسبابهما ولا يختص برؤية العين • وقال محمد بن كعب القرظي يوفي الناس يوم
القيامة من اعمالهم تقليلها او تضعيفهم • وعن ابي ايوب الانصاري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي
الله عنه يتغديان اذ نزلت عليه هذه الاية قال فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الطعام ثم قال من عمل
منكم خيرا في الدنيا جزاه في الاخرة ومن يعمل منكم شرا في الدنيا مصيبات وامراضا ومن يكن فيه مثقال
ذرة من خير يدخل الجنة • وعن الحسن قال قدم صعصعة جد الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه
يقرا هذه الاية فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا اسمع غيرها • وقال في رواية انتهت الموعظة • وعن زيد بن اسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر رجلا ان يعلم رجلا القران • وفي رواية امر عليا رضي الله عنه بذلك فعلمه
سورة اذا زلزلت الارض فلما بلغ مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ان يتعلم غيرها وقال
النبي صلى الله عليه وسلم دعه فقد فقه الرجل • وعن زيد بن اسلم ايضا ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال نعم فقال الرجل وهو يقول

وا سوءتاه ثلاثا فقال عليه السلام فداء الرجل

سورة والعاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اقسم بخيول اهل الجهاد • الرحمن الذي حصل ما في الصدور يوم المعاد • الرحيم الذي
هو خبير بافعال العباد • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والعاديات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا • وهذه السورة مكية • وهي احدى عشرة اية
واربعون كلمة ومائة وسبعة وستون حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذكر الانسان وجزاء الاساءة ۵
والاحسان • وقوله تعالى والعاديات ضبحا • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء اقسم الله تعالى
بخيول الغزاة تبريها لهم عندنا والخيل التي تعدو فتضبح ضبحا اضمر الفعل ونصب المصدر لتاكيد ذلك
الفعل وهو قول الكوفيين • وقال البصريون والعاديات ضابحة ناب المصدر عن النعت ونصبه على الحال
وقال الخليل تضبح اي تنحم من افواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة • وقال ابو سعيد هو شدة النفس عند
العدو • وقيل هو حمحمة الخيل عند العدو • وقال ابن عباس ضبحها اح اح • وقيل ما ضبحت دابة
قط الا الفرس والكلب والثعلب • وقوله تعالى فالموريات قدحا اي تقدح قدحا هي الخيل ايضا تقدح
النار بحوافرها في شدة عدوها يقال قدحت النار من الزناد اي استخرجتها وورت الزند اي خرجت
ناره واوريتها انا • وقيل هذا مجاز عن تهييجها في الحرب بين اصحابها كما قال كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله • وعن عكرمة انه مجاز عن المكر يقال يقول الرجل اذا اراد ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن ثم
لاورين • ويقال قدح فاورى اي عمل فادرك • وقيل هذا المكر يكون بايقادهم نيرانا كثيرة ليظن العدو
انهم كثير واضافه هذا الى الخيل لوصفهم الخيل لطلب الاداب ويعنون بذلك اصحابها • وقيل فالموريات
قدحا مجاز عن قوله فالمدركات نجاحا وهو من قولهم ورى بك زنادي اي ادركت بك حاجتي • وقال
مجاهد فالموريات قدحا هي افكار الرجال • وقال عكرمة هي الالسنة فالمغيرات صبحا هي الخيل ايضا
تغير على عدوها صباحا • فاثرن به نقعا اي هيجن بالغبار اي موضع الغارة غبارا قال ابو علي النسوي
وقد صار ذلك مذكورا بذكر المغيرات • وقال الكسائي فاثرن بالعدو وصار مذكورا بذكر العاديات
وقيد بالضبح وهو مذكور وقيل بالوادي وهو متروك • وقال ابو عبيدة والنقع الغبار • وقيل
الغبار المرتفع • وقال الخليل الغبار الساطع • فوسطن به جمعا اي الخيل متوسطن بالغبار والوادي
جمع الاعداء بركبانها اي التفت بالغزاة صفوف العداء بوقت الخوف والمبالاة • وقال مقاتل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى حي من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو احد النقباء فغابت ولم ياته
خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا يعني الخيل اذا عدت
ضبحت تعلت انفاسها وكان شيخا من مضر في الجاهلية له نوبرة تسعدهن وصوت اخر فيشبه الله ضبوا او نبح
حوافرهن في ارض الحصبة بنوبرة اي صاحب وكان ذلك بشارة له انها قد قهرت العدو وغنمت وسلمت • وقال
علي وابن مسعود المقسم بالابل التي تحج عليها وهي تعدو من عرفة الى المزدلفة والضبح صوت مناخرها ونشارها

في تلك الحالة فالموريات قدحا تنسف بمناسمها الحصى فتخرج منها النار اذا اصطك بعضها ببعض ولان الحج اذا
جاوا المزدلفة اوقدوا بها النيران فاضيف ايقاد النار اليها والمراد بها اصحابها • فالمغيرات صبحا اي المسرعات
صباحا من المزدلفة الى منى وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير اي لنسرع في الدفع • فاثرن به نقعا اي غبارا ه
باخفافها في ذلك الموضع • فوسطن به جمعا هو اسم منى • وقال علي رضي الله عنه هي الابل ايضا لكن في الغزو لا في
الحج قال وهذا في غزوة بدر ولم يكن يومئذ فرس الا واحد للمقداد وللناس الابل • وقوله تعالى ان الانسان
لربه لكنود • قيل هو الكفور والكنود الكفور والارض الكنود التي لا تنبت شيئا واصله منع الحق والخراي
طبع عليه • وانه على ذلك لشهيد اي على نفسه شاهد انه كذلك من مبين من نفسه ذلك • وقيل اي وان
الله شاهد على ذلك من صنعة الانسان • وقيل اي عالم بذلك • وانه لحب الخير اي لحب المال لشديد اي لبخيل
والشديد البخيل • وقال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد • وقال الفرا
اي انه لشديد الحب للمال • وقيل وانه لحب المال لقوي اي يكثر به نشاط قلبه وقوة بدنه • وقال ابن عباس
الكنود بلسان بني مالك وكنانة البخيل الذي يمنع رفده ويجيع عبده ولا يعطي النائبة في قومه وبلسان كندة
الكفور للنعمة • وبلسان حضرموت العاصي لربه • وبلسان معد كلها الكفور للنعمة • وقال ابن سكين يمحو م
اللوام لربه • وقال الفضيل الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان
وقال الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله تعالى في معاصيه • وقال ابن حبان ومقاتل ان الانسان لربه
لكنود نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي • وقال ابن جريج عن عطا نزلت في الوليد بن المغيرة
المخزومي • افلا يعلم اي هذا الانسان اذا بعثر ما في القبور اي قلب فاستخرج ما فيها من الاموات وما بمعنى
من وحصل ما في الصدور اي ميز فابرز ما في القلوب حتى عاد ذلك ظاهرا بعد ما كان خفيا كالشي المحصل الذي عرف
المتصد فيه • وقال الخليل الحاصل من كل شي ما بقي وثبت وذهب ما سواه • وقال الحسن حصل ما في صدور
الصحف هو كتحصيل الحساب يذهب مما كان في سورة الطاعات ما لم يكن لوجه الله ويبقى ما هو لوجهه ان
ربهم بهم يومئذ لخبير القسم واقع على هذا وكسر لما في جوابه من اللام يقول افلا يعلم الانسان اذا ربهم

يعنى باعمالهم وجزا بها خبير حينئذ

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خوفنا بالقارعة الاتية • الرحمن الذي وعد المومنين بالعيشة الراضية • الرحيم
الذي اوعد اعداهم بالنار الحامية • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة • وهذه السورة مكية وهي احدى عشرة اية
وست وثلاثون كلمة ومائة وستون حرفا • والنظام السورتين انهما في ذكر يوم القيامة وما فيه لاهل
الهوان واهل الكرامة • قوله تعالى القارعة اي اتتكم القارعة وهي القيامة وهي التي تقرع القلوب
بشدة المخافة والحادثة العظيمة تسمى قارعة واصل القرع الضرب الشديد ومنه قرع الباب والمقرعة
والقوارع الدواهي • وقوله تعالى ما القارعة اي اي شي القارعة ويذكر هذا للتعجب والتفخيم
كقوله ما الحاقة وما ادراك ما القارعة اي وما اعلمك بمقدار هول ما ستشاهدها • يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث اي المفرق من قوله وبث فيها من كل دابة وذكر لظاهر اللفظ كما في قوله اعجاز
نخل منقعر • وقال جرير مثل الفراش غشى نار المصطلي فانث وجمع على المعنى • وقال الفرا يريد كغوغا الجراد
يركب بعضه بعضا كذلك الناس يومئذ بعضهم في بعض • وقال غيره انما شبههم بالفراش
لان الفراش لا يتجه جهة واحدة اي انهم اذا بعثوا فزعوا فاختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة
وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف في تفرقها وصغر اجزائها • وقال بعضهم لا يكون هاهنا الا ان يكون
مصبوغا • وقال قطرب العهن الصوف الابيض والاحمر • وقال الاخفش واحدها عهنة مثل صوفة
المنفوش اي المبسوط • قال الخليل النفش مدك الصوف حتى ينتشر ووحد وذكر على اللفظ ومعناه جمع
كالفراش لانه مثال الجبال وهي جمع • وقال الكلبي تتلون الجبال يومئذ فتشبهت بالصوف الملون • فاما من
ثقلت موازينه جمع موزون اي رجحت حسناته على سيئاته فهو في عيشة راضية اي مرضية كقوله من
ماء دافق اي مدفوق • وقال البصريون راضية اي ذات رضا والعيشة هي العيش كالخيفة هو الخوف
واما من خفت موازينه اي قلت حسناته ورجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية اي فمصيره وجهنم
هي التي تضمه كالام تضم ولدها ووصفت جهنم بهاوية لانها تهوى باهلها من اعلاها الى اسفلها وليست
اسماها ولو كانت اسما لكانت معرفة مونثة فلم تصرف وهذه منونة فعلم انها صفة • وقال عكرمة وقتادة
فامه اي ام راسه هاوية اي ساقطة في النار • وقيل فامه اي والدته هاوية اي هالكة وهو من قول العرب

هوت

هوت امه • قال كعب بن اسد الغنوي هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب • ومن معانيه
انه لم يبق له كافل ولا مربي فهو ذو عنا شديد ومعناه من خفت موازينه صار من اهل النار لا راحم له ولا شفيق عليه • وما ادراك
ما هيه ان جعلت هاوية صفة لجهنم فايضا لعذابك لظاهر اي وما يدريك يا محمد ما هي والهاء الاخيرة هاء الاستراحة
وهو تهويل لامرها وان حمل على هوى ام راسه وهلاك امه وذلك بسقوطه في النار فيصير منه تمر فصحت
الكناية عنها • نار حامية اي هي نار طيل احماها • قال عمرو الهمداني وعطا بن ابي رباح فاما من ثقلت موازينه

يعني ابا سلمة بن عبد الاسد واما من خفت موازينه
يعني اخاه الاسود بن عبد الاسد

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خوفنا باليوم العظيم • الرحمن الذي انذرنا اراءة الجحيم • الرحيم الذي ينبئنا لتسألن عن النعيم
روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الهاكم عافاه الله ان يحاسبه بنعمه التي
انعم بها عليه في دار الدنيا • وهذه السورة مكية وهي ثمان آيات ومائة وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا • والنظام
السورتين انهما في ذكر القيامة واهوالها ومختلف احوالها • قوله تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم واغفلكم
التباهي في العدد والاموال وقد الهاه الشي يلهيه اذا شغله عنه اي اشتغل عنه وغفل • قيل هذا على معنى الخبر وقيل
هو على الاستفهام بمعنى التوبيخ اي الهاكم حتى زرتم المقابر اي دام بكم الاشتغال حتى اتاكم الموت وانتم مصرون
عليه فزرتم المقابر اي دخلتم القبور وانتم على ذلك • وقال قتادة رحمه الله قالوا نحن اكثر من بني فلان فالهاكم
ذلك حتى ماتوا ضلالا • وقيل الهاكم التكاثر حتى بلغ بكم الى ان عددتم الاموات فقلتم مات لنا فلان وفلان
فهذه هي زيارة القبور • وقيل صاروا الى المقابر فعدوا ما فيها حتى زرتم اي حتى اتيتم المقابر فعددتم
موتاها لتظهروا انكم اكثر عددا • وتقديره الهاكم التكاثر في الاموال والاولاد حتى تجاوزتم ذلك الى التكاثر
بالآبا والاجداد ثم ترقيتم من ذلك حتى صرتم من الاحيا الى الاموات وهذا اما لغاية وراءها بالتكاثر • وقال
مقاتل ان حيين من قريش من بني عبد مناف بن قصي بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب كان بينهم ملاحاة
فافتخروا فتعدوا السادة والاشراف وقال بنو عبد مناف لبني سهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا وامنع جانبا
واعظم شرفا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فذكروا الاحيا فكثرهم بنو عبد مناف بالاحيا فقالوا
نعد موتانا فاتوا القبور فعدوا وقالوا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة من اهل الابيات فانزل الله تعالى
[illegible]
قال زر بن حبيش كنت اشك في عذاب القبر حتى سمعت علي بن ابي طالب [illegible] في عذاب
القبر • وعن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الهاكم
التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فامضيت • وقوله تعالى كلا [illegible] سوف تعلمون [illegible]
[illegible] ثم كلا سوف تعلمون [illegible]
[illegible]
[illegible]
كلا لو تعلمون علم اليقين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لترون الجحيم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم • وقال عكرمة عن الصحة والفراغ ونظر وهب الى رجل اصم اعمى مقعد مجذوم معذب
فقيل له هل بقي على هذا من النعم شيء قال النعم اعظمها يسوغ له ما ياكل ويشرب ويسهل عليه اذا اخرج • وقال سعيد بن
المسيب لما نزلت هذه الاية قيل واي نعيم نسال عنه وقد اخرجتنا من ديارنا وابنائنا • فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ظلال المساكن والماء البارد في اليوم الحار والاجنبة التي تقيكم من الحر والبرد وصحة الابدان • وقال
بشر بن مالك رضي الله عنه ضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد بن الاسود فقدم اليه طعاما
فاكله وسقاه ماء باردا فاستطابه وقال اما برد ماء على الكبد ثم قال اذا شرب احدكم الماء فليشرب ابرد ما يقدر
عليه قيل ولم قال لانه اطفا للمرة وانفع للعطش وابعث على الشكر • وقال الحسن بن الفضل
من النعيم تخفيف الشرايع وتيسير القران

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اقسم بالعصر • الرحمن الذي ذكر خسر اهل الكفر • الرحيم الذي امر اهل الحق والصبر • روي ابي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والعصر ختم الله له بالصبر وكان من اهل الحق
واصحابه • وهذه السورة مكية وهي ثلاث ايات واربع عشر كلمة واحد وسبعون حرفا • وانتظام السورتين انهما
في الترغيب والترهيب • قوله تعالى والعصر • قال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومحمد بن كعب رحمهما
الله اقسم الله بالدهر • وقال الحسن وقتادة اقسم بالعشي وقال مقاتل رحمه الله اقسم الله بصلاة العصر
وهو قول علي بن زيد بن جدعان ان الانسان لفي خسر القسم على هذا والانسان اسم جنس ومعناه الجمع ولهذا
صح الاستثنا منهم • وقال محمد بن كعب ان الانسان كلهم لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات • وقيل
هو خسر الاعمال فانهم لا ينتفعون بها • وقيل هو قوله خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة • وقال
الفرا لفي خسر لفي عقوبة بذنوبهم • قال ابو عبيدة لفي خسر لفي هلكة ونقصان الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلو حمل الانسان على كل بني ادم فالاستثنا متصل به وان كان على الكفار فالاستثنا منقطع
بمعنى لكن وتواصوا بالحق اي اوصى بعضهم بعضا باتباع الحق وتواصوا بالصبر على الحق والثبات
عليه • وقيل هو الصبر على طاعة الله وعن المعصية وفي المحنة • وقال مقاتل ان الانسان لفي خسر يعني جميع
الكفار الا الذين امنوا يعني ابا بكر الصديق وعملوا الصالحات يعني عمر بن الخطاب وتواصوا بالحق
يعني عثمان بن عفان وتواصوا بالصبر يعني علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين • وروي عطا عن
ابن عباس ان الانسان لفي خسر جماعة من المشركين منهم الوليد بن المغيرة والعاصي بن وايل السهمي والاسود
ابن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس لفي خسر اي لفي ضيق الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات يريد ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وابا عبيدة بن الجراح وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف
والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
ابن عمرو بن نفيل والمهاجرين والانصار

سورة ويل لكل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اوعد جميع مالا وعدده • الرحمن الذي خوفنا بالنار الموقدة • الرحيم الذي جعلها على غير المومنين
موصدة • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ويل لكل همزة اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه • وهذه السورة مكية وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة
ومائة وثلاثون حرفا • وانتظام السورتين انهما في وعيد الكفار • وقوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة
الكثير الطعن على غيره بغير حق العايب له بما ليس فيه اللمزة المشير اليها بالاستهزاء والضحك • وقال ابن عباس
الهمزة الطعان واللمزة المغتاب • وقال الكلبي الهمزة باللسان واللمزة بالعين • وقال مجاهد الهمزة بالعين
واليدين واللمزة باللسان • وقال قتادة الهمزة الذي ياكل لحوم الناس واللمزة الذي يلمز من خلف والفعلة
بضم الفا وفتح العين موضوعة للمبالغة للفاعل وبتسكين العين للمفعول كالضحكة والضحكة واللعبة واللعبة
وعن ابي الجوزا قال قلت لابن عباس ويل لكل همزة لمزة من هولاء الذين هددهم الله تعالى بالويل قال
هم المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البراء العنت • وعن ابن عباس ويل لكل همزة لمزة نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم مقبلين ومدبرين • وقيل نزلت في جميل بن عامر
الجمحي • وقال مجاهد ليست خاصة لاحد قوله تعالى الذي جمع مالا وعدده • قرا حمزة وابن عامر جمع بالتشديد
والباقون بالتخفيف بمعنى حفظ وبالتشديد بمعنى احصى • وقال ابو معاذ بالتشديد على معنى انه جمعه من
ها هنا ومن ها هنا لم يجمعه في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين • وقوله تعالى وعدده

احصاه

اي احصاه والتشديد لكثرة المعدود • وقال السدي احصاه • وقال محمد بن كعب يقول هذا لي وهذا لي • وقيل وعدده
اي كثره يقال هذا مال له عدد اي كثرة • وفي بني فلان عدد اي كثرة • وقال ابو معاذ وعدده اي هياه للوجوه هذا
لكذا وهذا لكذا من العدة بمعنى اعده وارصده • وقال الاخفش وعدده الدهور واعد وعدد واحد كقولهم اجد وجدد
وهذا كله دلالة الامساك وهو كقوله وجمع فاوعى • قال مقاتل بن حيان نزلت في الاخنس بن شريق كان له اربعة الاف
دينار يفتخر بها يحسب ان ماله اخلده اي اظن ان ماله هذا قد بقاه في الدنيا وانما قال اخلده على الماضي دون
المستقبل لان هذا الجاهل كان هذا المال عنده موسوقا بهذا كان ماله حكم له بالخلود وكانه قال يحسب ان
ماله اخلده على الماضي من الموت كلا اي ليس كما يتوهم لينبذن اي ليطرحن حتما في الحطمة وهي من اسما جهنم
سميت بها لانها تحطم كل ما تحصل فيها اي تدقه وتكسره • وقال الكلبي الحطمة الباب السادس من النار وما ادراك
ما الحطمة وهذا تفخيم لشانها نار الله الموقدة اي اوقدها الله تعالى لاهلها الموقدة اي قد اوقدت منذ سنة
التي تطلع على الافيدة اي تحرقهم حتى تصل الى اجوافهم وتشرف على افيدتهم وتصير المعذب وتعلوا
عليها فشانهم بذلك الالم الشديد ولا يموتون لانها لم تخالط افيدتهم وتصير المعذب كما قال الله تعالى لا يموت
فيها ولا يحيى • وقال الفرا رحمه الله تطلع على الافيدة اي يبلغ المها الافيدة ويقال منها طلعت ارضنا
اي صرت بلغتها فالاول مقاربة وهذا مخالطة • وقيل تحرق كل الاعضا حتى تقارب القلب فلا تحرقه ثم تعاد
الاعضا وانما لا تحرق القلب كي لا ينقطع الالم والعلم بالالم فيدوم العذاب • قال ابو سعيد اي انها تعلم
مقدار ما يستحق كل منهم من العذاب لما كان في قلبه من قولك اطلع فلان على امرنا اي وقف عليه وعلمه
اي جعلها الله تحرق كل احد على استحقاقه لا تزيد ولا تنقص كانها وقفت على مبلغ استحقاقه قال ولما جاز
وصف النار بالتغيظ بانها تدعو من ادبر وتولى جاز وصفها بهذا انها عليهم موصدة اي ان هذه النار
على كل همزة لمزة او على اصحاب هذه الافيدة وهم الكفار مطبقة لا تنفرج في عمد ممددة • قرا حمزة والكسائي
في عمد بضمتين وكذا عاصم في رواية ابي بكر والباقون بفتحتين وهما لغتان في جمع عاد وعمود والعماد والعمد
بالضم كالحمار والحمر وبالفتح كالاهاب والاهب والعمود والعمد بالضم كالرسول والرسل ومعناه تطبق
العمد على ابوابها وتمد عليهم لاستحكام اياسهم • وقال الحسن لجهنم سرادق كما قال احاط بهم سرادقها والمراد
عمد فاذا مدت تلك السرادق العمد اطبقت جهنم على اهلها • وقيل في عمد اي تمد كقولك فعلت كذا بموضع
كذا او في موضع كذا اي اطبقت بها

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اهلك اصحاب الفيل • الرحمن الذي جعل كيدهم في تضليل • الرحيم الذي ارسل عليهم
قاصدين طيرا ابابيل • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
الفيل اعاذه الله تعالى ايام حياته من القذف والمسخ • وهذه السورة مكية وهي خمس ايات وسبع عشرة
كلمة وثلاث وتسعون حرفا • وانتظام السورتين انهما في عقوبة الكفرة هذه في الدنيا وتلك في الاخرة
[illegible]

له على الملك ونبهه على شانه وشرفه وكان عبد المطلب جسيما وسيما فسمع باخذه البعير فلما دخل اراه ابرهة عظمه
وكرمه فقال له عبد المطلب ايها الملك انك قد اصبت مالا لي فاردده علي فقال له الملك لقد كنت اعجبتني حين
رايتك ولقد زهدت فيك الان قال ولم قال جيت لاهدم بيتا هو دينك ودين ابايك فلم تكلمني فيه وكلمتني في مائتي
بعير فقال عبد المطلب اما الابل فانا ربها وللبيت رب سيمنعه • وقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فقال عبد المطلب
لقد طلبه تبع وسيف ذي يزن وكسرى فلم يقدروا عليه فانت وذاك فرده الله عليه ثم خرج عبد المطلب واخبر
قريشا واهل مكة ان يتحرزوا فامرهم ان يتحرزوا فتحرزوا في رؤس الجبال واتى عبد المطلب الكعبة واخذ بحلقة
الباب وجعل يقول ورحو يا رب ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابدا محالك ان كنت
تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك وكان ابرهة نصرانيا فتهيا لدخول مكة وعبا جيشه وقرب فيله وكان يقال له محمود
وقال الضحاك كانت الفيلة ثمانية • وقال المقاتل كان معهم فيل واحد فاقبل النفيل حتى اخذ باذن الفيل
ثم قال في بلد الله وفي حرمه انت فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه فابى فادخلوا محاجنهم
تحت اقدامه ومرافقه فابى فوجهوه نحو اليمن فقام يهرول فوجهوه نحو الشام فقام يهرول فصرفوه نحو
الحرم فبرك وابى ان يقوم فلحق النفيل بجبل من تلك الجبال وارسل الله تعالى طيرا من البحر كالبلسان
مع كل طاير ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال العدس والحمص فلما غشيت القوم ارسلتها
عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا اهلكته وكان عبد المطلب قال لهم قبل ذلك ورحو يا رب فاحفظ منهم حماكا ان عدو
البيت من كان من عاداكا • يا رب لا ارجو لهم سواكا • امنعهم ان يخربوا قراكا • وفي رواية كانت سودا صغار
المناقير خضرا طوال الاعناق مع كل طاير حجر مكتوب عليه اسم صاحبه الذي يرمي به • وقال الربيع كانت
لها انياب كانياب السباع • وقالت عايشة كن اشبه شي بالخطاطيف • وقال سعيد بن جبير لم ير قبلها
ولا بعدها مثلها • وقال ابن مسعود لما [illegible] بعث الله تعالى ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة • وقال
مقاتل بن سليمان خرج فتية من قريش تجارا الى ارض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي حقف
من احقافها بيعة للنصارى يسمونها الهيكل فنزلوا فاوقدوا نارا واشتووا ولما ارتحلوا تركوا النار وهو
في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف على ذلك واتاه ابرهة
ابن الصباح وحجر بن شراحيل وابو يكسوم الكنديون فاحضهم فقالوا ايها الملك لا تكتب فنحن ننسف
اس الكعبة ونبيح دماءهم وننهب اموالها فاعزم اذا احببت فخرج مع كتائبه معهم الفيل في جحافل فسبق
عنهم الطريق فلما اشرف على مكة مر بابل سايمة لعبد المطلب فاستاقها فركب الراعي حتى اتى مكة فرقى الصفا
ثم نادى يا صباحاه اتتكم السودان معها فيلها ليهدموا كعبتكم ويبيحوا حماكم ثم اخبر عبد المطلب بامر ابله
فركب حتى انتهى الى العسكر فقال له ابرهة وحجر وكانا له خليلين ارجع الى قومك فانذرهم ان هذا اتاكم [illegible]
فقال واللات والعزى ما ارجع الا بابلي فقالا ايها الملك اردد اليه ابله فانه هو وقومه لك حرز
فاحرز عبد المطلب ابله وقال ان للكعبة ربا يمنعها • وكان ابو مسعود الثقفي مزبرا البصر [illegible]
برايه فقال عبد المطلب ما عندك في هذا فقال اجعل مائة من ابلك لله تعالى وقلدها ثم سيبها في الحرم
لعل السودان تعقر منها فيغضب رب البيت ففعل ففعل فقال ابو مسعود ما فعل بابلك قال اعرفت
قال فما تقول في رجل اتخذ قلادة لامراته فسلبها قوم اليس يبا على ذلك قال نعم قال انظر من البحر فقال
اري طيرا بيضا قد نشات قال اعرفها قال والله ما اعرفها وانها اشباه اليعاسيب [illegible]
ثم قال عبد المطلب [illegible] فدخلا العسكر فاذا هم موتى تحت جماجم الذهب
والفضة والجواهر فحفر كل واحد منهم حفرة لنفسه وملاها من المال فكان ذلك سبب غناهما • وقال
الله تعالى يخبر نبيه عليه السلام بذلك فقال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل • وقال
محمد بن اسحاق وبعث الله على ابرهة داء في جسده وخرج القوم وصاح بعضهم في بعض [illegible]
وتسيل بطونهم [illegible] فذهب منهم [illegible] وحمل ابرهة حتى قدم
انامله كلما سقطت انملة اتبعتها مدة وقيح ودم فانتهى الى اليمن وهو مثل فرخ الطير المنتوف فمن بقي من
اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وهلك • وقال الكلبي ومقاتل وجماعة من المحدثين [illegible]
وصاحب الجيش ابرهة • وقيل [illegible] وكان ابو يكسوم [illegible]
لم يفلت منهم الا ابا يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر حتى دخل على النجاشي فاخبره بما لقوا فلما استتم
كلامه رماه الطائر فسقط فمات فارى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك اصحابه • [illegible]
[illegible] • وقال الواقدي كان ابرهة جد النجاشي الذي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
قال مقاتل كان ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة [illegible] وكانت ولادة النبي صلى
الله عليه وسلم • قوله تعالى الم تر اي الم تخبر يا محمد بالاخبار الشايعة حتى كانك رايت العيان في الايقان وهو

استفهام بمعنى التقرير اي قد علمت والمراد به هو وقريش كيف فعل ربك باصحاب الفيل وهم الحبشة الذين قصدوا هدم
البيت لتخريبه • الم يجعل كيدهم في تضليل استفهام بمعنى التقرير ايضا اي قد ضل كيدهم اي ابطل مكرهم وكان
عليهم طيرا ابابيل اي جماعات في تفرقة يتبع بعضها بعضا • وقال ابو عبيدة ولم نر احدا يجعل لها واحدا
ومعناها جماعات من هاهنا وهاهنا • وقال قطرب [illegible] وقال زهير
وبالفارس من ورقا قد علموا احلاس خيل على جرد ابابيل • وقال الخليل ابابيل اي جماعة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • قال ابو عبيدة [illegible]
وقال الخليل هو من حجر وطين • وقيل هو معرب [illegible] في اللوح المحفوظ من السجل
وهو الكتاب • [illegible]
السماء الدنيا • وقال عكرمة [illegible] كعصف ماكول • قيل هو ورق الحنطة • وقيل هو التبن
وقال الحسن [illegible] • وقال ابو عبيدة هو ورق الزرع • وقال الكسائي [illegible] • وقال الفرا هو
اطراف الزرع قبل ان يدرك [illegible] وقيل اي كالبهائم
[illegible]

سورة لايلاف قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله رب البيت الحرام • الرحمن مطعم الطعام • الرحيم مؤمن الانام • روي ابي رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف حول
البيت واعتكف به • وهذه السورة مكية وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا • وانتظام
السورتين انهما في ذكر البيت الحرام وما له من القدر والاحترام • قوله تعالى لايلاف قريش اللام فيها ثلاثة
اوجه • قيل هي لام التعجب اي اعجبوا من كفر قريش مع الائتلاف اياهم • رحلة الشتاء والصيف اي الزامنا وقيل
اياها • وقيل هي متصلة بالسورة الاولى اي فعلنا باصحاب الفيل ذلك لتولف قريشا رحلتيها • وقيل هي
متصلة بما بعدها • فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم ذلك والايلاف تعدية الالف الفا الشي الي لزمته
والفي غيره ذلك • وقال ابن الانباري الفا الشي اي هياه • وحمزة يقول فعلت بهم ذلك لا ولف قريشا
رحلتيهم اللتين هما قوام عيشهم احداهما في الشتاء والاخرى في الصيف لان مكة بلد جدب لا زرع فيه ولا ضرع
كما قال بواد غير ذي زرع فكان اشرافهم يرحلون للتجارة في هاتين الرحلتين اللتين هما يمتارون لانفسهم
ولمن وراءهم من عشايرهم بعضا يعينهم ما يكفيهم عامهم وكان تمام هاتين الرحلتين باهل الافاق من رؤسا
الممالك واعجابهم وتوقيرهم لقريش وقولهم لهم هؤلاء جيران بيت الله تعالى وسكان حرمه وولاة الكعبة
فلو تم لاهل الحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز ولبطلت هذه الحرمات ولصاروا
هم وجيرهم سواء يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم المكاره في النفوس والاموال فضمن الله عليهم حماهم
راد باهلاك اصحاب الفيل عزهم فادام لهم رحلتيهم • وقال ابو عبيدة الف والف واحد كقولهم نكر وانكر
معناه لتالف قريش ذلك • قوله تعالى ايلافهم تكرير للتاكيد والتقرير رحلة الشتاء والصيف [illegible]
نصب بوقوع الايلاف عليه وهو اللزوم والالزام فعلى الاولى الزمهم الله رحلة الشتاء والصيف وداموا
عليها فليعبدوا اي فليوحدوا وليطيعوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع • قال
الشاعر مازلت منهلا عن منهل حتى اتيت بباب عبد الواحد • اي بعد منهل • وامنهم من خوف • وقيل
اي اطعمهم على حاجتهم اليه لجوعهم وامنهم في الطرق على خوفهم يريد امر الرحلتين على قول
بعضهم • وقيل ذكر الرحلتين كان فيما مضى ويقول فليذكروا تلك المشقة واني ازلت ذلك عنكم الان رايت
ذلك واطعمهم بما فتحت عليهم من الفتوح فنقل اليهم كل شي يجبى اليهم على اكثار الاول وعلى هذا يكون
معنى قوله لايلاف قريش اي فعلت باصحاب الفيل ذلك لازالة ايلاف قريش رحلتيهما وهو كقولك
فعلت كذا ابك الاكلف الاستغفار اي لازيل ذلك عنك واغنيك عنه • وقال الكلبي كانوا رحلتين
احدهما في الشتاء الى اليمن والاخرى في الصيف الى فلسطين فتكثروا بذلك زمانا حتى اشتد ذلك عليهم
فاخصبت تبالة وجرش واهل ساحل البحر وحمل اهل البر والسفن على الابل والسفن اهل البحر بجده
مكة ما شاؤا وكفاهم الله تعالى الرحلتين • وقال قطرب الايلاف العهود التي كانت تاخذها رجال
قريش من ملوك العرب اذا احتاجوا في التجارات فيسيرون في ممالكهم فيامنون بتلك العهود وكان لاشراف

قريش بتجارات فكان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل وبنو عبد مناف اصحاب الرحلتين وكان يخرج هاشم وعبد مناف بالشام وكانوا يأخذ الايلاف من قيصر ومن يليه من رؤسا قبايل العرب كملوك غسان الذين ينزلون الشام فيسير في ارض الشام لا يعرض لاحد وكان هو الرئيس على من سلك الطرق وكان اول من رحل رحلتين فيقول الله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي دفع عنه العدو الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف كفاهم اخذ الايلاف من الملوك وامن بلدهم وجعلهم يتصرفون في البلاد كما شاوا • وقيل اطعمهم من جوع اي بعد سبع سنين في الجدب والقحط حتى اكلوا الجيف وعن علي رضي الله عنه وامنهم من خوف يعني من قريش ان تكون الخلافة الا فيهم • وعن سعيد بن جبير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بملاء ومعه ابو بكر وهم ينشدون •

قل للذي طلب السماحة والندا • هلا مررت بال عبد الدار •
هلا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من جهد ومن اقتار •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهكذا قال الشاعر قالا لا والذي بعثك بالحق بل قال •

قل للذي طلب السماحة والندي • هلا مررت بال عبد مناف •
هلا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من اسر ومن اكفاف •
الرايشين وليس يوجد رايش • والقايلين هلم للاضياف •
والخالطين غنيهم بفقيرهم • حتى يصير فقيرهم كالكافي •
والقايمين بكل وعد صادق • والراحلين برحلة الايلاف •
عمرو العلي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •
سفرين سنهما له ولقومه • سفر الشتا ورحلة الاصياف •

وقرى لالف قريش بغير يا وهو العهد • وقال ابو طالب يوصي بالحب برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تتركنه ما حييت لمعظم وكن رجلا ذا نجدة وعفاف • تذود العدى عن عصبة هاشمية • الافهم في الناس خير الاف •

سورة ارايت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اوعد المكذبين بالدين • الرحمن الذي عطف على اليتيم والمسكين • الرحيم الذي ذم الغافل والمرائي والضنين • روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان مؤديا للزكاة • وهذه السورة مكية عند ابن عباس مدنية عند الواقدي • وقال مقاتل بن حيان نصفها الاول مكي ونصفها الثاني مدني • وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة واثنى عشر حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذكر العبادة والعبودة • قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اي ارايت يا محمد الذي يكذب بالدين اي بالحساب • وقيل اي بالجزا • وقال ابن عباس بحكم الله وقيل بتوحيد الله • قال ابن عباس نزلت في العاص بن وايل • وقال ابن جريج في ابي سفيان • وقيل في رجل من المنافقين • وقيل في الوليد بن المغيرة • وقال الضحاك في عمرو بن عايذ فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه بعنف عن نفسه فلا يواسيه • وقيل لظلمه يدفعه عن حقه • قال ابن عباس يدفع حق اليتيم • ولا يحض على طعام المسكين اي لا يحث غيره على طعام المحتاج لا يحسن بنفسه ولا يامر به غيره وهو نهاية اللوم وخساسة الطبع وقساوة القلب • فويل للمصلين اي المنافقين الذين انفسهم في جملة المصلين صورة • الذين هم عن صلاتهم ساهون اي غافلون لانهم لا يريدون بذلك قربة الى الله ولا تادية لفرضه فهم يخفضون ويرفعون ولا يدرون ماذا يفعلون • الذين هم يراون اي يظهرون للناس انهم قايمون بفرايض الله مودون لها متقربون الى الله تعالى • وقيل ساهون اي غافلون تاركون اذا خلوا واذا كانوا عند الناس يصلون براون • وروى سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اي عن الصلاة الواجبة عليهم • وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال علي وابن عمر والحسن وقتادة والضحاك اي الزكاة قرن ذلك بالصلاة • وقال ابن عباس وابن مسعود وابرهيم وابو مالك وسعيد بن جبير هو ما يتداولونه بالعارية من نحو الفاس والقدر والدلو • وقال ابو عبيدة الماعون هو كل ما فيه منفعة • وقيل هو من المعن وهو القليل • قال الشاعر فان هلاك مال لا عزمعن فالماعون ما هو قليل القيمة من الة البيت كالمقدحة والابرة ونحو ذلك • وقال الزجاج يقال ما عنده سعنة ولا معنة اي لا قليل ولا كثير • وقال الفرا سمعت بعض العرب يقول الماعون هو الما بعينه وانشدني فيه هذا الشعر:
يمج صبيره الماعون صبا •
وقالت عايشة رضي الله عنها الماعون الاكبر الما والنار والاصغر الملح والكلا • وقيل هو اكرام الضيف ويقال لما الطاعة يقال اعطيت الناقة ماعونها اي ما عطا منها وانقيادها • وقال ابان بن تغلب الرحمن الماعون •

سورة انا اعطيناك الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اعطى رسوله الكوثر • الرحمن الذي امره ان يصلي له وينحر • الرحيم الذي جعل شانيه هو الابتر • روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان تقرب به العباد في يوم النحر • وهذه السورة مكية وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا • وانتظام السورتين انهما في ذم من عادي رسول الله صلى الله عليه وسلم • قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر روي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان العاص بن وايل بن هشام السهمي راي رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند الباب وتحدثا وصناديد قريش في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تحدثه قال ذاك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانما سموه ابتر عند موت بنيه وكان الرجل اذا مات ولم يخلف ولدا ذكرا قالوا ابتر فانزل الله تعالى هذه السورة • وقال الضحاك ان العاص لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سكك مكة فقال له اني لاشناك وانك ابتر فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه السورة • وقيل توفي عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فحضر العاص لتعزيته فلما رجع قال له بعض قريش في الطريق اين كنت قال كنت عند الابتر هذا الابتر فنزلت هذه السورة • قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر هو في اللغة الخير الكثير • وقال مجاهد انا اعطيناك الخير الكثير والقران افضله • وقال عكرمة الكوثر النبوة والكتاب • وقال اليمان بن رياب الكوثر الاصحاب والاتباع • وقال الحسين بن الفضل هو تيسير القران وتخفيف الشرايع • وقال ابو بكر بن عياش هو كثرة امته قال عليه السلام اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن الكوثر فقال هو نهر اعطاكه الله تعالى في الجنة • قالت عايشة وابن عمر وابن عباس وانس وسعيد بن جبير واخرون الكوثر نهر في بطنان الجنة وهو وسطها شاطيه در مجوف فيه من الاكواب والانية ما لا يعلمه الا الله تعالى • وقال ابن عمر حافتاه ذهب ومجريها الما على اللولو والياقوت وماوه اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واشد حلاوة من العسل • وقالت عايشة من احب ان يسمع خريره فليجعل اصبعيه في اذنيه • وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دخلت الجنة فاذا نهر حافتاه خيام اللولو فضربت بيدي الى مجرى الما فاذا مسك اذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هو الكوثر الذي اعطاك الله تعالى • وعن انس قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاغفى اغفاءة ثم رفع راسه فضحك فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي سورة انفا فقراها ثم قال هذا نهر وعدني ربي في الجنة عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد الكواكب فاذا باقوام من امتي اختلجوا دوني فاقول رب امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي سنتي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال سفينة حجرا بان من الجنة سرداب من ذهب وسره الابن فضة من شرب منه شربة لا يظما بعدها ابدا • وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جانبيه قباب الدر والخيام ليلة المعراج فقال ما هذه قال مساكن الازواج في الجنة ينبع من الكوثر وريحه انها ما اهل الجنان الماء واللبن والخمر والعسل • وقال ابن عباس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والاثنا عشر وجلاس الصحابة الى بقيع الغرقد ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان وابو ذر وصهيب مجلسوا معه كان على وجوههم الطير هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال المختبي ابو بكر حقوة مربع سهلة شبه الوسادة فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفخ ثم استوى قاعدا فقال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال الكوثر نهر اعطانيه ربي تعالى في الجنة يعرفه في حوضي وحوضي ما بين صنعا والاردن سقيته بعدد الكواكب المترع يجري في بيج مسك اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وابرد من الثلج والين من الزبد والذ من الخمر عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها اول وارده فقرا المهاجرين الدنيا الشعثة رؤوسا الدنسة ثيابا الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره • وقال الحسن الكوثر يخرج من اصل السدرة والسدرة شجرة نابتة على كثبان المسك والزعفران والكافور عليها اعضاد مكتوب على ورقها نعم الشيخ ومقام جبريل في وسطها • وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حوضي اربعة اركان فاركان منه في يد ابي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي رضي الله عنهم اجمعين من احب ابا بكر وابغض عمر لم يسقه ابو بكر ومن احب عمر وابغض ابا بكر لم يسقه عمر ومن احب عثمان وابغض عليا لم يسقه عثمان ومن احب عليا وابغض عثمان لم يسقه علي ومن احسن القول في ابي بكر فقد اقام الدين ومن احسن القول في عمر فقد اوضح السبيل ومن احسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله ومن احسن

القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن احسن القول في اصحابي فهو مؤمن ومن اساء القول في اصحابي فهو منافق • قوله تعالى فصل لربك وانحر اي فاشكر الله تعالى على هذه النعمة بان تتقرب اليه بما يتقرب اليه العباد من صلاة ونسك وهما كانا في كل امة فاجمع بينهما كما في قوله قل ان صلاتي ونسكي فالصلاة تقع على كل صلاة • وقيل صل صلاة الاضحى وانحر البدن • وقيل هو الصلاة في مواقف الحج والنحر بها ايضا • وعن علي رضي الله عنه وانحر اي ضع يدك على نحرك في الصلاة واعتدل وجه نحرك نحو القبلة ذكره الكلبي • وقال عطا امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره • وقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي ان مبغضك هو الابتر لا انت اي هو الذي ينقطع ذكره فلا يذكر في الدنيا ولا في الاخرة بخير فاما انت فقد رفعنا لك ذكرك على ما شرحنا في الم نشرح • وقال قتادة هو الابتر اي الاذل وهو جواب قول ذلك الملعون لمحمد صلى الله عليه وسلم انه ابتر لا عقب له فينقطع ذكره بموته واصله الحمار الابتر المقطوع الذنب فاخبر ان له الكوثر اي كثرة الاصحاب والشيعة وكثرة الامة ودوام الذكر والرفعة ولاعداء الله الخمول واللعنة

سورة قل يا ايها الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اهان الكافرين • الرحمن الذي امر بمجانبتهم المؤمنين • الرحيم الذي اكرمهم بجنود من روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة قل يا ايها الكافرون اعطي من الاجر كانما قرا ربع القران وتباعدت منه الشياطين وبرا من الشرك ويعافى من الفزع في النوم • وهذه السورة مكية وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا • وانتظام السورتين انه ذكر في تلك ذكر النعمة والشكر بالصلاة والنحر وهذه في التوحيد ومجانبة اهل الكفر • وروي ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلاما اقوله عند منامي قال اقرا يا ايها الكافرون عند منامك فانها براءة من الشرك وقال ابن عباس ليس في القران سورة اشد لغيظ ابليس من هذه السورة لانها توحيد وبراءة من الشرك • وقال عطاء بن ابي رباح قال كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتبع ديننا ونتبع دينك فنشترك جميعا نعبد الهتنا ونعبد الهك فان كان امرا رشيدا قد اخذت بحظك منه وان كان امرك رشيدا كنا قد اخذنا بحظنا منه نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون اي ما تعبدونه من الاصنام ايسهم من نفسه واعلمهم استمساكه في دينه وضعف رجائهم في دينهم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ما اعبده يعني من اعبده وهو الله تعالى لانكم انما تعبدون لا اعبد على هذا الشرط وانا لا اجيبكم الى هذا الشرط فعبادتكم لمن اعبده لا تكون اذا • وقيل كان هذا خطاب لاقوام باعيانهم كان الله علم منهم انهم لا يؤمنون فقال له قل لهم ذلك ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد قال الفراء هذا التكرير للتاكيد والتفريع لقطع اطماعهم كقول الرجل والله لا افعل • وقيل هذا الجواب خرج مخرج على مطابقة قول الكفار نعبد الهتنا ونعبد الهك نجري على هذا هكذا ابدا فاجتنبوا عن ذلك كله من كل ما قالوه على ضد ذلك • وقيل معناه لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة من اعبده قاله ابو عبيدة وجماعة • وقيل يحتمل انهم قالوا نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد فقالوا له فاعبد الهتنا شهرا ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي لكم دينكم الباطل وما تستحقون عليه من عذاب الله ولي ديني الحق وما استحقه عليه بوعد الله تعالى من ثواب كما قال لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكان المعنى ان كنتم رضيتم بدينكم فنحن ايضا راضون بديننا فهي كلمة منابذة ومتاركة • وقيل كان هذا قبل نزول الامر بالقتال • وقيل معناه ليس علي من دينكم ضرر بل ضرره راجع عليكم وليس لكم من ديني نفع بل نفعه راجع الي • وقيل معناه لكم دينكم فلستم بتاركيه ابدا لان الله تعالى قد علم انكم تموتون عليه ولي ديني لان الله تعالى قد علم اني لا انتقل عنه ابدا

سورة اذا جاء نصر الله والفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي من بهذا النصر والفتح • الرحمن الذي له الهدى والمدح • الرحيم الذي له المغفرة والعفو والصفح • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة اذا جاء نصر الله والفتح اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة • وهذه السورة مدنية وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبعون حرفا • وانتظام السورتين انه لما بين في تلك ... ووعده في هذه ايمانا المؤمنين • قوله تعالى اذا جاء نصر الله اي اذا اتاك نصر الله على قومك والفتح وهو فتح مكة ورايت الناس وهم قبايل العرب من نواحي اليمن يدخلون في دين الله وهو الاسلام افواجا اي زمرا زمرا واحدا لا واحدا فسبح بحمد ربك فاذكر الله شاكرا واستغفره واسال مغفرته وعفوه عن تقصير حتى وقع منك انه كان توابا اي كثير قبول التوبة من عباده ... جاء نصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله افواجا فذلك فقد تقارب اجلك ... فاستعد للقاء الله تعالى بالمواظبة على الصلاة والتسبيح والاستغفار حتى تلقى الله تعالى على غاية الطهارة • وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ... اذا جاء نصر الله والفتح فقال امرنا الله اذا راى مسارعة الناس في الاسلام ودخولهم فيه ان نحمد الله ونستغفره فقال عمر يا ابن عباس ما لك لا تكلم قال اعلمه متى يموت ثم قرا هذه السورة فقال عمر صدقت والذي نفسي بيده ما اعلم منها الا ما علمت • وقالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه السورة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الا قال سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي • وعن ابي العالية قال لما نزلت هذه السورة ونعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه كان لا يقوم من مجلس يجلس فيه الا يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك • وذكر بعض المفسرين ان هذه السورة نزلت قبل فتح مكة فان قوله اذا جاء نصر الله والفتح يدل عليه لان اذا للمستقبل والصحيح انها نزلت بعده على ما نبين من الاحاديث واذا بمعنى الماضي كما في قوله اذا جاءك المنافقون • وقال الشاعر • واذا يكون كريهة ادعى لها • واذا يحاس الحيس يدعى جندب • وقال ابن عمر رضي الله عنه نزلت في حجة الوداع • وعن ابن عباس انه قال اخر سورة نزلت جملة اذا جاء نصر الله • وقال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل ومن ارادهم فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا • وقال مقاتل نزلت هذه السورة بعد فتح الطايف والفتح فتح مكة والناس اهل اليمن افواجا اي زمرا من كل وجه القبيلة باسرها والقوم باجمعهم ليسوا بالواحد والاثنين والثلاثة فكانت هذه السورة اية موته فقراها النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر وعمر ففرحا وسمعها العباس فبكى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول وذكر انه لما نزلت هذه السورة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فقال ابو بكر فديناك بانفسنا وابائنا واولادنا واموالنا وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها حولا او حولين ثم حج من قابل فنزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة وهي اية الصيف فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسا وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما • وعن مقاتل رحمه الله انه عاش بعدها سبعة ايام وقال انس لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها وقال يا بنتاه قد نعي الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي اوعد ابا لهب • الرحمن الذي لم يجعل له نفعا بما كسب • الرحيم الذي بكفره يصليه نارا ذات لهب • روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة تبت ارجو ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة • وهذه السورة مكية وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واحد وثمانون حرفا • وانتظام السورتين انه ذكر في تلك نصر الانبياء وهذه في ذكر هلاك الاعداء • روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع اليه الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح الجبل يريد ان تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم ما دعوتنا الا لهذا فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب وروي انه لما نزلت هذه السورة دعا ابنه عتبة وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لئن اردت رضاي فطلق ابنة محمد فانه ... ففعل فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاه فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وقد مرت القصة في اول سورة والنجم • قال اهل التفسير واهل اللغة تبت اي خسرت قال تعالى وما زادوهم غير تتبيب • وقال في اية اخرى غير تخسير ثم الخسران يرجع الى الضلال والهلاك • وقوله تعالى يدا ابي لهب اضاف التباب الى اليد ومعناه كل بدنه لان المراد انه جزاء عمله والعمل غالبا يقع باليد فقال الا بما كسبت يداه • وقال تعالى مما عملت ايدينا ولما كان العمل يقع منه الخسران

بان لا يحصل صاحبه منه على نفع قيل تبت يدا على معنى خسر ما عملت يداه اي خسر عمله فهو في ضلال وهلاك وابو لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بالكنية دون الاسم لا تشريفا له بل اشارة الى ان مرجعه الى لهب النار ولان اسمه كان عبد العزى وهو كذب فلم يذكر به • وقيل كانت كنيته ابا عتبة وكان له خمس بنين عتبة وعتيبة وعتاب ومعتب ومعتب وكان يلقب بابي لهب لحمرة وجهه وتب اي تب ابو لهب ومعنى التكرار واضافة الاول الى يديه والثاني اليه عند الفراء وجماعة ان الاول دعاء والثاني خبر بمعنى وقد تب وكذا هو في مصحف عبد الله وهو كما يقال اهلكك الله وقد هلكت • وقيل انه كان اراد ان يرمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله تعالى من ذلك وذلك قوله تبت يدا ابي لهب ثم قال وتب ثم قال وهو اخبار عن عقاب يتزل به بعد ما اغنى عنه يصلح للنفي والاستفهام بمعنى تقريرا لنفي ايضا واغنى اي نفع ودفع وما كسب قيل هو الولد • قال عليه السلام اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه اي ما دفع عنه عذاب الله ماله وولده • وعن ابي الطفيل قال كنت عند ابن عباس يوما فجاء بنو ابي لهب يختصمون في شيء بينهم فاقتتلوا عنده في البيت فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس رضي الله عنه وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ما اغنى عنه ماله وما كسب • وقوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي سيدخل هو في الاخرة نار جهنم وهي ذات توقد وامراته اي هو وامراته وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب حمالة الحطب • قرا عاصم بالنصب وهو على الذم • وقرا الباقون بالرفع وهو خبر الابتدا اي وامراته كذا وفي هذه القصة اقاويل قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وابن زيد كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة • وفي تفسير القتيبي ان الليث حملت ذات يوم شوكا لذلك فوضعت على جدار وشدتها بحبل من ليف على صدرها فاتاها هنا جبريل عليه السلام ومدها خلف الجدار فاختنقت وماتت • وقال عكرمة ومجاهد وقتادة كانت تمشي بالنميمة وهو استعارة لان الحطب يشعل به النار والنميمة توقع العداوة والشحناء وتهيج الفتنة والحرب وذلك يسمى بذلك قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله • وقال قتادة قال بعضهم انها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر كانت تحتطب لزوجها وبخلها مع كثرة مالها فعيرها الله بذلك في جيدها حبل من مسد اي من ليف من جريد النخل • وقال القتيبي المسد كل ضفر • وقيل يقال مسدت الحبل مسدا ومنه رجل ممسود الخلق اذا كان مجدولا مفتولا • وانشد للراجز يا مسد الخوص تعوذ مني ان كنت لدنا لينا فاني ما شئت اشمط معسي اي غليظ قال واراد الله بهذا الحبل السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعا ويجوز ان يكون سماها مسدا وان كانت حديدا ونارا او ما شاء الله لشدة الضفر والفتل • وقيل هو حبل من ليف كانت تحتطب به في الدنيا فجعله في عنقها عند حملها اياه • وقيل كانت تعلق في صدرها قلادة من ودع وهو خرزات فشبه ذلك في فخره وغلظه وسماجة منظره بالحبل من مسد • وروى سعيد بن جبير عن ابي بكر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه السورة جاءت امراة ابي لهب فقال ابو بكر لو تنحيت يا رسول الله فانها امراة بذية فقال عليه السلام سيحال بيني وبينها فدخلت فلم تره فقالت لابي بكر هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله قالت انك لمصدق فاندفعت راجعة فقال ابو بكر يا رسول الله ما رآك فقال لم يزل بيني وبينها ملك يسترني عنها حتى رجعت • وفي رواية قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية فلم تره • وروي انها قالت رجز مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا • فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر انظر كيف صرف الله تعالى ذمها من اسمي فلم تقل محمدا بينا • وروي انها قالت يا محمد علام تهجوني فقال اني والله ما هجوتك ما هجاك الا الله تعالى

سورة قل هو الله احد

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الاحد الصمد • الرحمن الذي لم يلد ولم يولد • الرحيم الذي لم يكن له كفوا احد • وهذه السورة عند ابن عباس ومقاتل والواقدي والحسين بن واقد مكية • وقال قتادة هي مدنية وهي خمس ايات وقيل اربع فالاختلاف في قوله لم يلد • وهي خمس عشرة كلمة • وسبعة واربعون حرفا • وروى ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا قل هو الله احد اعطي من الاجر كانما قرا ثلث القران واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من امن بالله تعالى ولم يشرك به شيا • وروى ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا في ليلة ثلث القران فسكتنا فقال ذلك ثلاث مرات ونحن نسكت ثم قال من قرا في ليلة قل هو الله احد [illegible] لم يجف ذلك اليوم ذنب • وقال انس قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ما زلت خائفا على امتك حتى نزل قل هو الله احد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ السلمي ان سورة الاخلاص انزلنا معها سبعون الف ملك

ان قل هو الله احد خمس عشرة كلمة يتبعها خمس عشرة بركة ما من عبد من امتي قرا في يوم وليلة مرة واحدة الا قرا ثلث القران مما انزل الله علي ولا قراها ثلاث مرات الا بني له قصرا في الجنة • وقال ابو بكر الوراق هي خمس عشرة كلمة من قراها واعتقدها نجاه الله تعالى من دركات النار وهي سبع وادخله الجنان وهي ثمان وذلك كله خمس عشرة • وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احبار اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا [illegible] كنا نقول لا عزير هذا قال وما اقول قالوا صف لنا ربك امن ذهب هو ام من نحاس ام من صفر ام من فضة ام حديد وهل ياكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها فانزل الله تعالى هذه السورة وهي نسبة الله تعالى • قال قتادة قالت الاحزاب انسب لنا الذي تدعونا اليه اذهب هو ام فضة فانزل الله تعالى هذه السورة • وروى ابو روق عن الضحاك انه قال ان اول من سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله عامر بن الطفيل وذلك ان المشركين ارسلوه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قل له شققت عصانا وخالفت دين ابائك وسببت الهتنا فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امراة زوجناكها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست بفقير ولا مجنون ولا اهوى امراة بل انا رسول الله اليكم ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادة الله فارسلوه ثانيا فقالوا قل له يبين لنا جنس معبوده • فانزل الله تعالى قل هو الله احد فارسلوه ثالثا فقالوا ان لنا ثلاث مائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف تقوم اله واحد بحوائج الخلق كلهم فانزل الله تعالى والصافات الى قوله ان الهكم لواحد يعني وجميع حوائجكم فارسلوه رابعا فقالوا قل له يبين لنا افعال ربه فانزل الله تعالى نيفا وسبعين اية يبين لهم افاعيله نحو قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الاية • وقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم • الله الذي ارسل الرياح • الله لطيف بعباده • الله خالق كل شيء الاية وما اشبهها من الايات • وقد مرت قصة عامر هذا واخيه اربد لامه قيس وهلاكهما في سورة الرعد • وقال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فامر عليهم كلثوم بن هدم وكان يصلي بهم لا يزيد على قل هو الله احد فلما انصرف اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما حملك على ما صنعت فقال انه احب الي هذه السورة فاتاه جبريل فقال ان الله تعالى يحب كلثوم لحبه قل هو الله احد • وانتظام السورتين ان تلك في وعيد من ترك التوحيد وهذه في تعليم التوحيد • وقوله تعالى قل هو الله احد اي قل يا محمد لهؤلاء الذين سالوك عن ربك هو الله احد اي الذي سالتم عنه هو المسمى باسم الله وهو احد اي واحد لا شريك له ولا نظير وليس بذي ابعاض واجزاء وانه كان ولا شيء معه غيره وقوله تعالى احد يدل على انه احد في ذاته لا انقسام له وانه واحد في صفاته لا نظير له ولا شبيه له وانه واحد في افعاله لا شريك له • وقال اهل اللغة احد اصله وحد فابدلت الواو همزة [illegible] الوشاح • وقال اهل النحو هو مبتدا والله خبره احد • وقوله تعالى احد اي هو احد ولا يجوز ان يكون احد نعتا لان الله المعرفة لا تنعت بالنكرة • وقيل هو الله مبتدا واحد خبره • وقيل هو عماد والله مبتدا واحد خبره وقوله تعالى الله الصمد • قال ابن عباس رضي الله عنهما الصمد الكبير الذي ليس فوقه احد • وعنه في رواية الصمد المعمود اليه في الحوائج اي المقصود • وعنه ايضا الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والغني الذي قد كمل في غناه والعليم الذي قد كمل في علمه السميع البصير • وقال قتادة الصمد الباقي بعد فناء الخلق • وقال الحسن الصمد الذي لم يزل ولا يزال • وقال ابي بن كعب الصمد الحي الذي لا يموت ولا يورث • وقال مجاهد هو المصمت الذي لا جوف له وهو بمعنى الاحد • وقال الضحاك الصمد السيد الذي قد انتهى سؤدده • وقال السدي الصمد المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب • وقال قتادة رحمه الله الصمد الذي لا يطعم • وقال عبد الله بن بريدة الصمد نور يتلالا • وقال محمد بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد • وقال مقاتل بن حيان الصمد الذي لا عيب فيه • وقال الربيع بن انس الصمد الذي لا تعتريه الافات • وقال سعيد بن جبير الصمد الكامل في جميع صفاته وافعاله • وقال ابو هلال الصمد الذي لا تاخذه سنة ولا نوم • وقال جعفر الصادق الصمد الذي لا يغلب • وقال ابو بكر [illegible] المستغني عن كل احد • وقال [illegible] الصمد الذي لا يبلى ولا يفنى • وقال الحسين بن الفضل الصمد الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه • وقال محمد بن علي الترمذي الصمد الذي [illegible] • وقال الخليل [illegible] • وقال بعضهم هو السيد المطاع [illegible] • وقال [illegible] الصمد [illegible] • وقال بعضهم الصمد المصمد الذي ليس بجوف والصمد الصخرة الراسية في الارض المرتفعة منها [illegible] وقال

بعضهم يقال بنا مصمد بالتشديد اي معلا والصمد ما اشرف من الارض وقال الجرير علوتم كل رابية وصمد وغيرتم المدايب والنجولجمع مجل وهو ما اطاد من الارض وقال ابو معاذ قال الكسايي تقول العرب صمدت البعير الى البعير والاسير الى الاسير اذا قرنته به فمعنى الصمد ان الحوايج تقرن بعضها الى بعض وترفع كلها اليه وقال ابو زيد البلخي الصمد هو الذي يصمد اليه تعظيما له ورغبة فيه ووقوع هذا الاسم على من تعظم من البشر انما هو على الاستعا لانه ليس احد من المخلوقين وان عظم شانه وعلت رتبته الا وهو موصوف بالنقص عاجز من ابلاغ من يصمد اليه غاية امله فالصمد في الحقيقة من هو ملجا كل مستغيث به في نوازله ومن بيده ناصية كل من خليقته ومن اجل هذا الاسم جعله الله تعالى مقرونا بلفظة احد اذ لا دل على حقيقة الوحدانية لدل باحد الاسمين على ان الموصوف به هو من لا نظير له ولا شبيه له اذ له الوحدة المحضة وبدل بالاسم الاخر على انه من الواجب اذ كانت الوحدانية بالحقيقة له وكان مبدع الكل وحافظه ومدبره ان يصمد بالعبادة والتعظيم والرغبة والرهبة غيره فاجتمع في لفظي الاحد والصمد وما معهما من نفي صفات ووجود مثيل له وشبيه له وهو قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ما يستحقه من صفات الالوهية والربوبية ومن اجل عظيم هذه الكلمات الموجودة في هذه السورة صارت من اشرف سور القران في توحيد الله وتمجيده ولذلك سميت سورة الاخلاص كل هذا كلام ابن زيد وقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يلد احد نفي بهذا عن نفسه صفات المخلوقين من الحدوث وحلول الاعراض فيه ولم يكن له كفوا احد اي نظيرا او شبيها قرا حمزة ونافع في رواية بسكون الفا مهموزا وقرا عاصم في رواية حفص كفوا مثقلا غير مهموز وقرا الباقون بضم الفا مهموزا وهي لغات والمكافات بالهمز وغير الهمز المساواه وقيل ولم يكن له كفوا احد اي صاحبة وقيل لم يكافيه بنعمته احد وقيل الكفار كلهم يرجعون في الحاصل الى ثلاثة اشيا التعطيل والاشراك والتشبيه وقد ذكرت هذه الثلاثة وردها في ايات من القران وهذه السورة رد على الكل على ايجادها وقوله تعالى قل هو الله احد رد على المشركين وقوله الصمد الى اخرها رد على المشبهة وقال بعض اهل العلم ان هذه السورة يفسر بعضها بعضا اذا قيل من هو فجوابه الله احد واذا قيل من الله الاحد فجوابه الصمد واذا قيل من الصمد فجوابه الذي لم يلد ولم يولد واذا قيل من الذي لم يلد ولم يولد فقل الذي لم يكن له كفوا احد وقال الامام القشيري كاشف الله الاسرار بقوله هو وكاشف الارواح بقوله الله وكاشف القلوب بقوله احد وكاشف الباب الموحدين بقوله الله والعارفين بقوله احد والعلما بقوله الصمد والعقلا بقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقيل خاطب خاص الخاص بقوله هو ثم خاطب خاص الخواص بقوله الله ثم زاد في البيان لمن نزل عليهم فقال احد ثم لمن نزل عنهم بالصمد كذلك لمن دونهم قال ولما بسطوا السنتهم بالذم في الله تعالى امر نبيه بالرد عليهم فقال قل هو الله احد ذب عني ما قالوا لي فانك اولى بذلك ولما بسطوا لسان الذم في نبيه صلى الله عليه وسلم تولى الحق سبحانه وتعالى الرد عليهم فقال ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وقال والنجم اذا هوى فانا اذب عنك فاني انا اولى بك

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله رب الفلق الرحمن الدافع شر ما خلق الرحيم المعيذ من شر ذي الحسد والحنق وسورة الفلق مدنية وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة وثلاثة وسبعون حرفا روي ابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الفلق وسورة قل اعوذ برب الناس اعطي من الاجر كانما قرا جميع الكتب التي انزلها الله تعالى على انبيايه ورسله وانتظام هذه السورة بالسورة التي قبلها انه قال في تلك الله الصمد وهو الذي يقصد اليه في قضاء الحاجات ودفع الافات وقال في هذه السورة استعذ بالله يدفع عنك المكاره والبليات وروي عن عقبة بن عامر الجهني انه قال بينا انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابوا اذ غشيتنا ريح وظلمة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما يعوذ بمثلهما ثم سمعته يومنا بهما في الصلوات وروي ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فتعوذ اذا اويت بفراشك بقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت احتبس النبي صلى الله عليه وسلم عن نسايه فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجه قالت فوالله انه لمضطجع في بيتي متوسد بيمينه في مصلاه مهموما مما اصابه اذ جلس وهو يضحك فقلت يا رسول الله اضحك الله سنك قال اهل علمت يا عايشة ان الله تعالى قد دلني على ما بي جاني جبريل بملك لم اره قبل اليوم فاجلسه عند رجلي وجلس جبريل عند راسي فقال له جبريل عليه السلام ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وفيم قال في مشط ومشاطة وكرب نخلة في جف طلعة في ادوان بير في بني زريق قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رداه ثم خرج وخرج معه الناس حتى اتى البير فاطلع فيها فاذهب الله عنه كل ما يجد قالت فرجع الي فقلت يا رسول الله ما رايت لقد نخلها ولكان روس نخلها الشياطين ثم اطلعت في البير فقلت ما منعك يا رسول الله ان تستخرجه فقال خشيت ان يصيب الناس منه شي وقال عبد الله بن مسعود فلما جا البير استخرج منها تمثال صورة من عجين قد غرز فيها الابر وشعر قد عقد فيها احدى عشر عقدة فامره الله تعالى ان يتعوذ بقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وهما احد عشر اية على كل عقدة تقرا اية وتحل عقدة فاذهب الله تعالى عنه كل ما يجد وعن زيد ابن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكي لذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا وجعلها في بير كذا فارسل اليها من يستخرجها فارسل عليا رضي الله عنه فاستخرجها من البير فجاء بها فكلما حل عقدة وجد خفة حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه اليهودي ما صنع به فظهر الا جزيه وعن علي رضي الله عنه قال قالت اليهودي انا قد طلبنا ضر محمد بكل شي فلم نقدر فانطلقوا ابنا تخوج حتى سعت له وتسعين الجا بالسحر والشياطين فاعلم الله تعالى ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم فانزل عليه قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ودل هذا على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وتصوره وظهور اثره وقوله تعالى قل اعوذ برب الفلق اي قل يا محمد امتنع واعتصم واحترز برب الصبح وسمي به لانه ينفلق عن الظلمة اي ينشق وعلى هذا اكثر المفسرين وقال ابن عباس في رواية الفلق الخلق الحق ابا بهم وامهاتهم وقال كعب هو بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره وقال وهب هو صخرة تحت الارض هي غطا جهنم فاذا كان عند قيام الساعة رفعت فسالت البحار في جهنم وارتفعت النار فعلت البحار وارتفعت الى السما فوقعت فيها تحرقها فذلك قوله تعالى فكانت وردة كالدهان وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه الفلق صخرة في النار وعن وهب في رواية هو جب في النار وقال السدي وادي في جهنم وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه والنبات وقوله تعالى من شر ما خلق يحتمل من شر ما خلق من الناس والجن والشياطين والسباع والحيات ونحوها من الاشيا الضارة فان مضار هذه الاشيا شرور لانها توذي ويجوز ان يراد بذلك الاسقام والشرور والهموم والامور المولمة الشاقة فان ذلك يسمى شرا لكونها مكروهة في الطباع وهي من الله تعالى حكمة وصواب وكذلك جميع ما خلق الله تعالى من الشرور حكمة وصواب قال الله تعالى واذا مسه الشر ونبلوكم بالشر والخير ومن شر غاسق اذا وقب قيل اي ليل مظلم اذا دخل وقال في ديوان الادب غسق الليل اذا اظلم من حد ضرب ووقت الظلام اذا اقبل ويقال دخل في كل شي هذا هو اللغة وكذا عند اكثر اهل التفسير قال علي ومجاهد وابن جريج ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والحسن من شر غاسق اذا وقب اي من شر ليل مظلم اذا دخل وعن عكرمة قال يرسل في تلك الساعة عفاريت الجن وقال عطا النهار اذا دخل في الليل وقال ابن عباس اذا وقب اي اقبل وفي رواية عنه اذا ادبر وقال عطية اذا ذهب وكذا قال عطا وقتادة وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عايشة اتدرين ما هذا يعني القمر هذا الغاسق اذا وقب فتعوذي بالله من شره وقال محمد بن جرير هو الذي يظلم فيدخل في ظلامه غاسق والنهار اذا دخل في الليل غاسق والقمر اذا غاب غاسق وقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد اي السواحر اللاتي تنفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها النفث هو النفخ بالشفة ولا ريق معه وهو من حد ضرب وقيل فعل برسول الله ذلك بنات لبيد بن اعصم وقيل النفاثات في العقد جملة النسا على معنى كيدهن ومكرهن وقال ابو يمان الساليات امرهن عزيمته بالسحر هما النافثات ومن شر حاسد اذا حسد لان الحاسد يعمل الحيل في الاضرار بالمحسود وقيل هو امر له وقيل في حسد المشركين لدو الاصح انه يعم كل حاسد وقال الحسين بن الفضل الصلي جمع الله تعالى الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم انه اخس الطبايع

سورة قل اعوذ برب الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله رب الناس الرحيم العاصم من الوسواس الرحيم المعيذ من الخناس وهذه السورة مدنية وهي ست ايات وعشرون كلمة وثمانون حرفا ومن اول القران الى اخر هذه السورة ستة الاف ومايتان وستة واربعون اية وكلماته سبع وسبعون الفا وثلاث ماية وسبع وثمانون وحروفه ثلاث

ماية الف الف واحد وعشرون الفا وخمس ماية وخمسة وثمانون • والفات القران ثمانية واربعون الفا وثمان ماية واثنان وعشرون • والبا احد عشر الفا واربع ماية وثمانية وعشرون • والتا عشرة الاف واربع ماية وستة وسبعون • والثا الف واربع ماية واربعة • والجيم ثلاثة الاف وثلاث ماية واثنان وعشرون • والحا اربعة الاف وماية وثمانية وثلاثون • والخا الف وخمس ماية واثنان وثلاثون • والدال خمسة الاف وسبع ماية وثمانية وتسعون • والذال اربعة الاف وتسع ماية وثمانية وسبعون • والرا اثنا عشر الفا وسبعون • والزا الف وستماية وثمانية • والسين احدى عشر الف وخمس ماية وثمانية وتسعة وتسعون • والشين الف وماية وخمسة وعشرون • والصاد سبعة الاف وسبع ماية وثمانية والضاد خمسة الاف وثلاث ماية واثنان وثمانون • والطا الف وماينان واربعة وستون • والظا ثمان ماية واثنان واربعون • والعين تسعة الاف واربع ماية وتسعة عشر • والغين الفان وماينان وثمانية • والفا ثمانية الاف واربع ماية وتسع وتسعون • والقاف ستة الاف وثمان ماية وثمانية وعشرون • والكاف عشرة الاف وخمس ماية واثنا عشر • واللام احد وثلاثون الفا وخمس ماية واثنان وعشرون • والميم ستة وعشرون الفا واربع ماية واثنان وعشرون • والنون ستة وعشرون الفا وخمسة وخمسون • والواو خمسة وعشرون الفا وخمس ماية وستة وثمانون • والها تسعة عشر الفا وسبعون • ولام الف اربعة الاف وسبع ماية وتسعة • واليا خمسة وعشرون الفا وتسع ماية وتسعة وعشرون • وروي عقبة بن عامر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله تعالى منهما • وقال انس عاد عثمان فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له عليك بالمعوذتين فما تعوذ بافضل منهما • وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد النوم جمع يديه فنفث فيهما ثم قرا قل هو الله احد والمعوذتين ثم مسح بهما وجهه وراسه وساير جسده • وانتظام السورتين انهما في الاستعاذة • وانتظام هذه السورة بالفاتحة ان الفاتحة في بيان التوحيد وسوال الثبات عليه • وهذه السورة في الاستعاذة من الشيطان المضل الصاد عن التوحيد • وقوله تعالى قل اعوذ برب الناس اي قل يا محمد امتنع واعتصم بمالك الناس وخالقهم ومدبرهم ومربيهم ومصلحهم • ملك الناس اي سيدهم والمتصرف فيهم والقاهر لهم والقادر عليهم • اله الناس اي المنتهى عبادتهم والملجا في شدايدهم والقادر على ايجادهم واعدامهم • من شر الوسواس اي الموسوس والوسوسة الدعوة الى الشر خفية • واصل الوسوسة الصوت الخفي وصوت الحلي يسمى وسوسة وما القاه الشيطان في القلب وهو تزيين وتسويل عن خفية وكذا وسوسة شياطين الانس هي دعوة الى الشر ايضا من حيث يخفى طريقه فانه اراه النصح فصدا الشر • الخناس نعت الوسواس وهو الذي يكثر فيه الخنوس وهو الاختفا من حد دخل واصله الباخر وقد تاخر اختفا ليستعمل مكانه وهو في صفة الشيطان الخروج من الصدر • قال ابن عباس اذا ذكر العبد الله تعالى خنس الشيطان فخرج من الصدر واذا غفل وسوس • وقال سعيد بن جبير يولد الانسان والشيطان على قلبه فاذا ذكر ربه ولى وخنس واذا غفل وسوس • وقال الكلبي الشيطان جاثم على صدر ابن ادم فاذا ذكر ربه ولى وخنس واذا غفل وسوس • وقال مقاتل الشيطان في صورة خنزير يجري في الناس مجرى الدم في العروق بتسليط الله تعالى اياه فاذا سهى العبد اطلع فوسوس واذا ذكر ربه خنس فخرج من جسده • وقال ابن كيسان الخناس الذي يخنس فلا يرى • قال الله تعالى انه يراكم هو وقبيله الاية • وقوله تعالى من الجنة والناس له ثلاثة اوجه احدها من شر الوسواس الخناس الذي هو من الجنة وهو الشيطان ومن الناس وهو شيطان الانس • وقال تعالى شياطين الانس والجن الاية • وروي عن ابي ذر ذلك فانه قال لرجل هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس يشير الى هذا • وكذا قال قتادة من الجنة والناس من الجن شياطين ومن الانس شياطين وامرنا التعوذ من شر شياطين الانس والجن • والثاني ان معناه اعوذ من شر الوسواس هو الخناس الموسوس في صدور الناس ومن شر الناس فكان قوله والناس معطوفا على قوله الوسواس لا على الجنة والتعوذ من الناس كالتعوذ من شر ما خلق • والثالث وهو قول الفرا يويده حديث ابن عباس ان قوله من الجنة والناس بيان قوله في صدور الناس وتقديره في صدور الناس من جنهم وانسهم اي صدور الناس الخلق يعني ان ابليس يوسوس ويوقع خواطر السوء في قلوب الجن والانس جميعا • قال ابن عباس في قوله من الجنة والناس يدخل في الجني مثل ما يدخل في الانسي فيوسوس • قال الفرا ان اسم الناس

قد يقع على الجن • قال وقال بعض العرب وهو يحدث جا قوم من الجن فوقفوا فقيل لهم من انتم قالوا اناس من الجن وقد قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فسمى الجن رجالا كالانس • قال رضي الله عنه تم كتاب التيسير في علم التفسير

بحمد الله وتوفيقه من جمع محمد بن محمد

ابن احمد بن اسماعيل بن محمد بن علي

لقمان النسفي طهره الله

من اوضار الاوزار

واعتقه ووالديه

من النار

وهذا من نظمي في ذكر ختمه

جاء

قد فرغنا والحمد لله شكرا • من كتاب التيسير في التفسير • وختمناه يوم ختم المصطفى • المجتبى البشير النذير • في الربيع الذي اذ مر حمناه • ضحى الاربعا قبل الهجير • لثلاث من السنين وعشرين • وخمس المئين في التقدير • وافتتاحه كان يوم عاشورا • لحولين قبله وليسير • مر سبع المئين فذاك السبعون يوما وذا الحد فصير • فانتهى اتيا على كل علم • من علوم القران بالتوفير • من نزول وقصة واسامي ووجوه التفسير والتفسير • وبيان اللغات والنحو الاعراب والمشكلات بالتنوير • والقرات والمعاني ووجه النظم والفقه والكلام المنير • والاشارات واللطايف والوعظ • بحسن الترغيب والتحذير • هو للغايصين بحر غزير • فيه من جواهر التحرير • فاز حوافيه كل قلب وروح • انه خير روضة وغدير • فيه ما في جميع ما جمعوه • من صغير في علمه وكبير • حسن موجز صحيح المباني محكم النظم كامل التحبير • رايق كل بارع وبديع شايق كل سامع وبصير • يا الهي فرطت نفسي بذنبي ونفعت الورى بعلم كثير • وتلوثت بالفعال ولكن قد تنزهت باعتقاد الضمير • فاعف عني وعافني وارض عني • وقني سيدي عذاب السعير • واجز بالخير من دعا لي بخير • بعد موتي يا مجاري ومجيري

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله

وصحبه وازواجه واصهاره وسلم

تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

والدين مخلصين له الدين بالهدى ودين الحق دينا قيما ذلك الدين القيم دين القيمة ذلك دين القيمة والطريقة وان لو استقاموا على الطريقة والشريعة شرع لكم من الدين فهذه اربعون اسما والمومن منها اسم من الله علينا بذلك فقال بل الله يمن عليكم ان هداكم هو سماكم هو اجتباكم هو مولاكم ثم قال فنعم المولى ونعم النصير وقال للكافرين يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ثم قوله تعالى اولئك على هدى مدحهم وقوله من ربهم بيان انه من عنده حصل لهم وهذا افضل منه عليهم حيث مدحهم وهو الذي منحهم وهو كما قال في حق يوسف صلوات الله عليه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وهو بان المنة بصرفه وعصمته ثم قال انه من عبادنا المخلصين وهو ثناء عليه باخلاصه وصفوته وقال في حقنا ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ثم اثنى علينا فقال اولئك هم الراشدون وقال حبيب العجمي الهي انت تمنح وانت تمدح ثم جميع الاية انه قال للمتقين وهو مدح بترك كل المخالفات ثم قال الذين يومنون بالغيب وهو ثناء براس الطاعات ثم قال ويقيمون الصلوة وهو مدح بجامعة العبادات ثم قال ومما رزقناهم ينفقون وهو مدح بما هو راس السخاوات ثم قال والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وهو التصديق بكل الرسالات ثم قال وبالاخرة هم يوقنون وهو الاقرار والاعتقاد بالبعث والجزاء على كل المعاملات ثم قال اولئك على هدى من ربهم وهو شهادة لهولاء الموصوفين بالهداية في كل الحالات وحق لمن جمع هذه الصفات ان يؤهل لهذه الصلات ثم في هذه الاية ذكر الهدى الموصوفون بكل هذه الصفات وفي قوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا الى قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا ذكر لهم الهداية بالاقرار والاعتقاد دون سائر الطاعات بان الشرف الايمان وجلال قدره وعلو امره وانه اذا قوي لم يبطله فعل المخالفات بل هو الذي يغلب فيرد الى التوبة بعد التمادي في البطالات وكما هدى اليوم الى الايمان يهدي غدا الى الجنان قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم وذلك ان المطيعين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة تتلقاهم قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال عز وعلا تتلقاهم الملائكة ويبقى العصاة منفردين منقطعين في متاهات القيمة ليس لهم نور الطاعة ولا في حقهم استقبال الملائكة فلا يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم عبادي ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ان اهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم واهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام عليكم كيف انتم ان كان اشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم فانا اهديكم ان عاملتكم بما تستوجبون فاين الكرم وانشدوا نحن اذا في الجفا ومشاهد اذا هجرناهم كما هجروا وقوله تعالى واولئك هم المفلحون فاولئك عطف على قوله اولئك هو ابتداء اخر وكلمة هم تاكيد ويسمى فصلا ويسمى عمادا والمفلحون خبر اولئك وقيل هم مبتدا اخر والمفلحون خبره وهما جميعا خبر اولئك والفلاح في اللغة لمعان للبقاء قال لبيد • نحل بلادا كلها حل قبلنا • ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير • وللبقاء في الخير قال عدي • ثم بعد الفلاح والملك والنعمة • وارتهم هناك القبور • وللظفر ولاصابة الخير قال لبيد • فاعقلي ان كنت لما تعقلي • ولقد افلح من كان له عقل • وللفوز والنجاة قال الشاعر • قد افلح السالك الصحو • وللعيش قال عبيد بن الابرص • افلح بما شيت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب • واما تفسيره ههنا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما اي الناجون من النار وقال قتادة اي الباقون في الجنة وقال ابن كيسان اي الذين ظفروا بما طلبوا ونجوا مما منه هربوا وقال ابو عبيدة اي المصيبون الخير وقال القتبي اي الباقون في النعيم المقيم وقيل اي الفائزون بقهر الاعدا وهي هواجس النفوس وخواطر القلوب ووساوس الشيطان وحصل كله يرجع الى ثلاثة اشيا احدها الظفر وبسطه انهم ظفروا على النفس فقهروها ولم يجرهم الى متابعة هواها وعلى الدنيا فهجروها ولم تغرهم بزخارف مرآها وعلى الشيطان في القوم فلم يفتنهم بالوساوس وعلى قرناء السوء فجانبوهم ولم يبلغوا بهم استقرارا التانس والثاني النجاة وبسطه انهم نجوا من الكفر والضلالة والبدعة والجهالة وغرور النفوس ووسوسة الشيطان وزوال الايمان وفقد الامان ووحشة القبور واهوال النشور وزلة الصراط وتسلط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهجران والثالث البقاء وبسطه انهم بقوا في الملك الابدي والنعيم السرمدي ونالوا نعيما لا حساب له ولقاء لا حجاب له فان قالوا لو قال اولئك على هدى من ربهم وفلاح لاستقام وكان اوجز في الكلام فلم يقل كذلك قلنا لان الفواصل ينفقون ويوقنون فالذي يساويهما المفلحون فان قالوا لم لم يقل اولئك هم المهتدون المفلحون قلنا لانه يكون فيه بيان اهتدائهم دون بيان انه من ربهم فان قالوا لم لم يقل واولئك المفلحون وهو اوجز قلنا في زيادة كلمة هم نوع تاكيد وهو ابلغ وفارسيتهما الجامعة بدسا راست كاران وسعامت رستك اران بدسا بدراه راست وسعامت ماركاراست وقوله تعالى ان الذين كفروا فاصل الكفر في اللغة الستر والتغطية قال لبيد • يعلو طريقه متنها متواترا • في ليلة كفر النجوم غمامها • والكافر الليل المظلم لستره الاشياء بظلمته والكافر الزارع لستره البزر في الارض بزراعته والكافر الذي لبس فوق درعه ثوبا ليستر بدنه بدرعه ودرعه بثوبه والكافر البحر والنهر الكثير الماء لستره الارض بمائه والكافر نقيض الشاكر لستره النعمة بكفرانها والكافر المنكر لستره الحق بما قاله والكافر المشرك لستره الايمان بتركه والكافور تغطية الذنب ورماد مكفور سفت الريح التراب عليه حتى غطته والكافر في القران على اربعة اوجه احدها نقيض المومن قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والثاني الجاحد قال تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين اي جحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر قال تعالى واشكروا لي ولا تكفرون والرابع المتبري قال تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اي يتبرا

بعضكم من بعض ثم معنى المذكور في هذه الاية ان الذين اشتروا الايمان بالكفر والتوحيد بالشرك والحق بالباطل والنعمة بالكفران وخبر الله تعالى بالتكذيب ورسالة الرسل بالجحود وامور القيمة بالانكار واختلفوا في المراد من الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين حول المدينة وقال الربيع بن انس هم قادة الاحزاب وقال الطبري هم مشركوا اهل الكتاب كلهم ويجي بيان هذه الاقاويل واقاويل اخر بعد تمام الابيات ان شاء الله تعالى وقوله تعالى سواء عليهم اي مستو عندهم الانذار وتركه فهو مصدر اريد به النعت كقولك رجل عدل اي عادل لان الفعال من ابنية المصادر كالذهاب والصلاح والفساد ويجوز ان يكون بناء النعت ايضا كقولك سيف كهام وادم صحاح ورجل شجاع وهذه الكلمة ذكرت في القران لمعان في العدل كقوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اي عدل وللوسط كقوله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم اي في وسطها ولقصد الطريق في قوله تعالى عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق وللمستوي كما قال تعالى سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وللشركا كما في ثلاث ايات سواء العاكف فيه والباد وودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء في ما رزقناكم فانتم فيه سواء ثم قوله عز وجل سواء عليهم ولم يقل سواء عليك اي انذارك وتركك انذارك لهم سواء في حقك فانك تثاب على الانذار وان لم يومنوا فاما في حقهم فهما سواء لانهم لا يؤمنون في الحالين وهو نظير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه يثاب بهما الامر وان لم يعمل بها المامور وكان هولاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود صلوات الله عليه سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقال الله عز وجل في حق هولاء سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ويقال لهم في القيمة اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واخبر عنهم انهم يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فلما كان الوعظ وتركه لهم سواء وكذا الانذار وتركه لهم سواء والدعا وتركه لهم سواء وانت اذا كان عصيانك في الشباب والشيب سواء وتماديك في الصحة والمرض سواء واعراضك في النعمة والمحنة سواء وفسوقك على القريب والبعيد سواء وزيغك في السر والعلانية سواء اما تخشى ان يكون توبتك عند الموت واصرارك سواء وعذرك عند النزع وسكوتك سواء وزيارة الصالحين قبرك ولبثكم سواء وقيام الشفعاء بامرك في القيمة وتركهم سواء وقوله تعالى ءانذرتهم الالف التي تزاد في اول الكلمة على صورة الف الاستفهام يجي على ثمانية اوجه للاستخبار كما في قوله تعالى ءانت فعلت هذا وللاستنكار كما في قوله جل وعلا اتقولون على الله ما لا تعلمون وللاثبات كما في قوله تعالى الست بربكم وللنفي كما في قوله جل جلاله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها وللامر كما في قوله تعالى افلا تتقون وللنهي كما في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وللتحقيق كما في قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها وهو تحقيق عند بعضهم وللتسوية اذا كانت الالف في احد شيئين وام في الشيء الاخر كقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاستفهام تدخل للتسوية ايضا في قولك ازيد في الدار ام عمرو انما تقول ذلك حين استوى علمك فيهما ان احدهما فيها وكذلك تقول في التحقيق علمت ازيد في الدار ام عمرو وقال صاحب النظم وانما ورد هذا بلفظ الاستفهام والاستفهام غير محقق وهذا محقق لانه يستقيم ههنا ان يقال سواء عليهم ايما فعلت الانذار او ترك الانذار وكلمة اي في الاصل للاستفهام وهذا في معناه فصلح فيه الاستفهام ثم الانذار هو التخويف وقيل الابلاغ وقيل الاعلام بالعذاب واما قراته فقد قرا ابو جعفر وشيبة ونافع غير قالون والاعمش ممدوده بهمزة واحدة وكذلك ابو عمرو ولابي عمرو طريق اخر في اجتماع الهمزتين فان كانتا متفقتين مفتوحتين او مرفوعتين او مخفوضتين حتى اذا جاء احدهم الموت اولياء اولئك على البغاء ان اردن تحصنا لين الاولى وحقق الثانية فان كانتا مختلفتين كما من السفهاء الا وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم حقق الاولى ولين الثانية واما عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان عن ابن عامر فانهم يثبتون الهمزتين جميعا على الاصل وقوله انذرتهم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان الانذار منه والانذار المذكور في القران من ستة من الله تعالى فانذرتكم نارا تلظى ومن كتابه قرانا عربيا الى قوله بشيرا ونذيرا ومن انبيائه ولقد ارسلنا فيهم منذرين ومن المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ومن العلماء ولينذروا قومهم ومن الشيب اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال الشيب نذير الموت ومريد الموت ورسول الموت ورائد الموت والمخبر بمجي الموت واختلفوا في الذين اريدوا بهذه الاية قال الكلبي هم رهط من اليهود كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وجدي بن اخطب وابو ياسر بن اخطب ولبس باخي حيي وشعبة بن عمرو ومالك بن الضيف وابو لبابة وقد مرت قصتهم عند تفسيرنا الم بطولها وتفسيرهم المقطعات بتفصيلها وبنحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية نزلت في شان اليهود منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ومالك بن الضيف وكان مالك راس اليهود وقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدت في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت منهم فغضب مالك وقال ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله هذه الاية وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فقال اليهود لمالك ما حملك على هذا الانكار قال انه اغضبني قالوا كلما اغضبك كفرت فعزلوه عن الرياسة واقاموا كعب بن الاشرف مقامه الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا من الانصار فقتلوه وكان اليهود

نسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة وقد يكون باشق منه على البدن كنسخ ترك القتال
بايجابه وكل ذلك خير للعبد من حيث الثواب او الصلاح وقد اخبر الله تعالى فى القتال انه كره لكم واخبر انه خير
وقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وكل ذلك انعام منه عليه واحسان منه اليه وله الحمد ثم الحكمة
فى النسخ الابتلا قال تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وقرا ابن عامر فى رواية ابن ذكوان ما ننسخ بضم النون وكسر السين من الانتساخ وله معنيان احدهما ما قال
ابو عبيدة ما ننسخك يا محمد اى نامرك بان تبين نسخها وقد نسخت الشى بنفسى وانسخته غيرى اى
حملته عليه كما يقال كتبت بنفسى واكتبت غيرى والثانى انسخته اى جعلته ذا نسخ كما يقال اقبرته
وقبرته دفنته وهذا كله على تاويل من جعل الاية من ايات القران ثم الايات معناها الكلام المجموع
يقال خرج القوم باياتهم اى بجماعتهم فالحرف الواحد لا ينبى عن معنى مجموع فاذا اجتمعت كلمات
صارت اية وفوق الاية سورة اى درجة مرتفعة قال النابغة • الم تر ان الله اعطاك سورة •
• ترى كل ملك دونها يتذبذب • ومنه قوله تعالى اذ تسوروا المحراب اى علوه فالسورة هى المشتملة
من المعانى على ما زاد على الاية وارتفع عليها كالقصص تنتظمها السورة الواحدة وقيل معنى هذه
الاية ما ننسخ من اية اى ما نرفع من حجة فنغيبها عن الابصار نات بخير منها او مثلها اى اقوى منها
فى الحجة او مثلها فى القوة وهذا كلام الامام ابو منصور رحمه الله قال ويحتمل ذلك مع ما قرر من المقالات
المتقدمة ثم المنسوخات على ثلاثة اوجه منها ما نسخ حكمه وتلاوته كقول عايشة رضى الله تعالى عنها
كان مما يتلى عشر رضعات يحرمن ثم نسخ بخمس رضعات يحرمن ومنها ما نسخت تلاوته وبقى حكمه وهو
المروى عن عمر رضى الله تعالى عنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز
حكيم ومنها ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته وهى الايات التى فيها الامر بترك القتال نسخت باية السيف
وبقيت تلاوتها وفائدة البقا حصول الثواب بقراتها وقوله تعالى الم تعلم ان الله على كل شى قدير
قيل هو خطاب محمد عليه السلام ردا على اليهود لعنة الله عليهم اجمعين فالواو فى قوله اانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين هذا خطاب لعيسى عليه السلام يوم القيمة ردا على النصارى وقيل هو خطاب
من كان يجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النسخ ويدل عليه انه قال بعده وما لكم من دون الله
من ولى ولا نصير وهذا خطاب لليهود والصحيح انه خطاب للمومنين فانه يتضمن الوعد لهم بالولاية والنصر
وقوله تعالى الم تعلم هذا استفهام بمعنى التقرير اى قد علمت كقولك لصاحبك الم اعطك كذا اى قد اعطيتك
وقيل هو استفهام بمعنى الامر اى اعلم كقولك لصاحبك الم تعلم ان زيدا قدم اى اعلم وهو كقوله فهل انتم
منتهون اى انتهوا وقوله ان الله على كل شى قدير يقدر على ان يتعبد عباده بما شا من العبادات
المختلفة وينقلهم من عبادة الى غيرها على حسب ما يعلمه صلاحا لهم وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض وله وجهان ايضا كالاول اى قد علمت او اعلم وهذا تفسير قوله على كل شى قدير
فالملك تمام القدرة واستحكامها اى قد علمتم انه مالك السموات والارض وقادر عليهما فانه المالك
فله الخلق وله الامر وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير وكلمة من لتاكيد الجحد والنصير
عطف على الجحد ولو لم تدخل لا لوقعت الشبهة انه ليس لهم هذان جميعا الولى والنصير انما لهم احدهما
فقال ولا نصير نفيا لكل واحد منهما قصدا والولى القيم بالامر من وليت الشى اليه والنصير المعين
والمانع ومن دون الله اى من سوى الله وفى هذه الجملة ثلاث معان احدها التحذير من سخط الله وعقابه
اذ لا احد يمنع منه والثانى التسكين لقلوبهم بان الله وليهم وناصرهم دون غيره والثالث التفريق
بين حالهم وبين حال عبدة الاوثان مدحا لهم وذما لاوليك وقوله تعالى ام تريدون ان تسالوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل قال الزجاج كلمة ام اذا لم تكن للعطف على الف الاستفهام كانت
بمعنى بل مع الف الاستفهام فتقديره بل تريدون ان تسالوا رسولكم وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ونزول
الاية فى شان اليهود لعنهم الله فانهم قالوا ايتنا بكتاب الله جملة كما جا موسى بالتوراة جملة وقوله تعالى
كما سئل موسى من قبل هو ما ذكر فى قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما الى قوله جهرة
وقيل نزلت فى المشركين منهم عبد الله بن امية المخزومى حين قال يا محمد لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الايات فاخبر الله تعالى انهم سلكوا فى اقتراحهم على نبيهم طريقة اليهود فى اقتراحهم على موسى بما ذكرنا
وقوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان التبدل والاستبدال اخذ الشى بدلا عن الشى واراد اختيار
الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم على الايمان به وقوله تعالى فقد ضل سواء السبيل اى اخطا وسط الطريق
السوى الذى هو بين الغلو والتقصير وهو الحق يقال اخذه فلان على سواء رابية اى وسطه وقال الله تعالى
فاطلع فراه فى سواء الجحيم اى وسط الجحيم وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم

كفارا

كفارا اى احب كثير من اليهود وتمنوا ان يصرفوكم بعد الايمان الى الكفر وهذا بيان شدة عداوتهم
وحسدهم للمومنين قال الزهرى وقتادة هو كعب بن الاشرف واصحابه وقال ابن عباس رضى الله عنهما
هو حيى بن اخطب وابو ياسر بن اخطب وامثالهما وقال مقاتل ان نفرا من اليهود منهم فنحاص بن عازورا
وزيد بن قيس دعوا حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر الى دينهم بعد قتال احد فقالوا لهما انكما لن تصيبا
خيرا للذى اصابهم يوم احد من البلا وان ديننا افضل من دينكم ونحن اهدى منكم سبيلا فقال لهم عمار
كيف نقض العهد فيكم فقالوا شديد فقال انى عاهدت ربى الا اكفر بمحمد ولا اتبع دينا غير دينه فقالوا
اما عمار فقد صبا وضل عن الهدى بعد اذ ابصره فكيف انت يا حذيفة الا تتابعنا فقال حذيفة الله ربى
ومحمد نبيى والقران امامى اطيع ربى واقتدى برسوله حتى ياتينى اليقين فقالوا واله موسى لقد اشربت قلوبكما
حب محمد ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك وما ردا عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصبتما ادا الخير وافلحتما فانزل الله تعالى هذه الاية ود كثير من اهل الكتاب الاية ونظيره قوله تعالى
ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وقوله تعالى ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين وقوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم وقوله تعالى حسدا من عند
انفسهم الحسد الاسف على من له خير يخيره ويتمنى ان يزول عنه اليه وحسدا نصبه لوجهين احدهما
انه مفعول له اى يفعلون ذلك لاجل حسدهم والثانى انه نصب على الحال وهو مصدر اريد به نعت
الجمع اى حاسدين لكم وقوله تعالى من عند انفسهم اى من قبل انفسهم من غير ان يومروا به وتعلقت المعتزلة
بظاهره ان المعصية من جهة العبد لا فعل لله تعالى فيها ونحن نقول لا حجة لكم فيها فانا نقول الايمان
والكفر والطاعات والمعاصى افعال العباد وهى مخلوقات الله تعالى فالفعل من العبد والتخليق من الله تعالى
والاية لا تنفى ما قلنا وقوله تعالى من بعد ما تبين لهم الحق اى بعد ما ظهر لهم ان محمدا رسول الله وان الاسلام دين الله
قاله قتادة والربيع بن انس وقوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره العفو الترك والصفح
الاعراض واتصالها بما قبلها انه روى ان الصحابة رضوان الله عليهم استاذنوا رسول الله ان يقتلوا
هولا اليهود الذين كفروا وابا نعيمهم ودعوا المسلمين الى الكفر فنزلت الاية اى اتركوا قتالهم واعرضوا عن
نكالهم حتى ياتى الله بامره اى بحكمه فى بنى قريظة بالقتل وفى بنى النضير بالاجلا وقيل هذا نهى
عن القتال ثم نسخ باية السيف ومعنى قوله حتى ياتى الله بامره اى بالامر بالقتال فان قالوا هذه السورة
مدنية والامر بالقتال كان سابقا فما معنى الامر بترك القتال مع هولا قلنا على الخصوص لانهم كانوا معاهدين
ومعنى قوله حتى ياتى الله بامره هو ما ذكرنا من الحكم بقتل هولا واجلا هولا وقال الامام ابو منصور رحمه الله
يحتمل ان يكون هذا نهيا عن مكافاتهم على ايذايهم فى الدنيا ثم لم ينسخ وقوله حتى ياتى الله بامره اى بعذابه
فى الاخرة وقوله تعالى ان الله على كل شى قدير اى من التعذيب والانتقام وكل شى وقيل قدير على
نصركم عن اذاهم من غير قتال فانتظروا الفرج واشتغلوا الان بالصلوة والزكوة ولذلك وصل بهذه الاية
قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وهو نظير قوله واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة
وبشر المومنين اى بالفرج وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى ادوهما شكرا لنعمة سلامة النفس
وثبوت المال ليكون الشكر سببا لبقا نعمة الايمان فلا يقدر اليهود على صرفكم عنه وقوله تعالى وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله ما كلمة شرط ولذلك جزم تقدموا وحذف النون منه لذلك
وتجدوه جزاوه وهو مجزوم به وحذف نونه لذلك اى وكل شى قدمتموه الى الاخرة من الخيرات
من الصلوات والزكوات وساير الطاعات وجدتم ثوابها عند الله وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير
اى يرى ما عملتم من خير وشر وهو وعد على الطاعة ووعيد على المعصية بابلغ وجه وقوله تعالى وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى قال يهود المدينة لعنهم الله لن يدخل الجنة الا اليهود
وقال نصارى بنى نجران لن يدخلها الا النصارى فهذا على التفصيل لانهم جميعا اجتمعوا على دعواهم
دخولهم جميعا فيها وبين ذلك بقوله بعد هذا وقالت اليهود ليست النصارى على شى وقالت النصارى
ليست اليهود على شى فظهر ان احد الفريقين لا يشهد للاخر بالجنة وانما جمعهم فى اول الاية لانهم يجمعون
على الايمان بالتوراة ثم ذكر عنهم قولا وكان لكل ذلك القول قايل منهم على التفصيل فصح الاجمال على ارادة
التفصيل كما فى قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اجتمع الليل والنهار فى كونهما من رحمته ثم قال
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانصرف السكون الى الليل والابتغا من الفضل الى النهار وصح هذا التفصيل
مرادا بالاجمال وهذا كذلك وقوله تعالى تلك امانيهم جمع امنية والتمنى التشهى اى يشتهون ذلك
بغير حجة والعرب تسمى الكلام العارى عن الحجة تمنيا وغرورا وضلالا واحلاما مجازا وقيل الامانى الاكاذيب
ههنا وقد بيناه فى قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

وخربهم لانه لا يمكنهم دخول دار الاسلام الا بامان فاذا دخلوا بغير امان قتلوا وقال الامام القشيري
ومن اظلم ممن خرب بالشهوات اوطان العبادات وهى نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلائق
اوطان المعرفة وهى قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات اوطان المحبة وهى ارواح
الواجدين وخرب بالالتفاتات الى القربات اوطان المشاهدات وهى اسرار الموحدين وقوله تعالى
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله انتظامها بما قبلها ان معناه لا يمنعكم
تخريب من خرب المساجد ان تصلوا له حيث كنتم فله المشارق والمغارب واينما توجهتم فثمة رضى الله
واينما كلمة شرط وهى جازمة وعلامة الجزم ههنا سقوط النون وتولوا اى توجهوا وجوهكم والتولية
متعدية وقوله وجوهكم مضمر وقوله فثم اى هنالك وقوله وجه الله اى قبلة الله فان الوجه والوجهة
والجهة بمعنى والقبلة تسمى بذلك لورود الامر بالتوجه اليها وقيل اى رضا الله تعالى يقال هل فعل
ذلك لوجه الله واعتق عبده لوجه الله اى رضا الله وقال الامام ابو منصور رحمه الله مع ذكر هذين
القولين قيل معناه فثم الله والوجه يذكر ويراد به الذات قال الله تعالى ويبقى وجه ربك اى ربك
ومعناه ليس عنهم بغائب وفى نزول الاية اقاويل قال قتادة كان للمسلمين التوجه فى الصلوة الى حيث
شاؤا بهذه الاية ثم نسخ بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الاية وقال ابن عباس رضى الله عنهما
الاية نزلت ردا على اليهود لما استنكروا تحويل القبلة الى الكعبة وقال الكلبى ومقاتل بن سليمان
ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم
الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة الى بيت المقدس فمنهم من صلى قبل المشرق ومنهم من صلى
قبل المغرب فلما طلعت الشمس عرفوا انهم صلوا لغير القبلة فلما قدموا المدينة اخبروا النبى صلى الله
عليه وسلم بذلك فانزل الله هذه الاية وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى ليلة مظلمة فى سفر فلم ندر اين القبلة وصلى كل رجل منا على حياله ثم اصبحنا ذكرنا ذلك
للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وفى بعض الروايات فخط كل واحد منا خطا وفى بعضها
فجعل كل رجل منا مسجدا احجارا بين يديه فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة وقيل هذا فى الصلاة
النافلة على الراحلة قال ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته تطوعا
اينما توجهت به وهو جاء من مكة الى المدينة وفى هذا انزلت هذه الاية فاينما تولوا فثم وجه الله وقال دابته
الحسن والضحاك ومجاهد لما نزل قوله تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت
الاية فقالوا كيف ندعوه فنزل واذا سالك عبادى عنى فانى قريب وقوله تعالى ان الله واسع عليم
الواسع الجواد الذى تسع عطاياه السائلين والواسع الغنى والسعة الغنا اى هو غنى عن عبادة
العباد فلا يواخذهم بمراعاتها على وجه واحد جواد يتقبل منهم عليم بعجزهم وضعفهم وقيل عليم بما قصدوا
ونووا وقيل وهو على قول ابن عباس رضى الله عنهما الذى ذكرناه انه رد على اليهود فى انكارهم القبلة الى
الكعبة ان الله عز وعلا واسع اى غنى لم يشغلكم الى الكعبة من حاجة الى عبادتكم ولا ازديادا فى ملكه
بل لانه عليم بمصالح الحكم يستعبدكم بما هو اصلح لكم وعلى هذا القول يكون معنى قوله فاينما تولوا فثم وجه الله
اى من حيث توجهتم الى مكة فهناك قبلة الله اى توجهوا اليها دون غيرها فانه ممكن لكم حيث كنتم
بالاستدلال وقيل نزلت فى النجاشى حيث اسلم وتوجه الى المدينة فمات فى الطريق فاخبر جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فصلى على النجاشى مع اصحابه فقالوا كيف نصلى عليه وهو لم يصل الى
قبلتنا فنزلت هذه الاية وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت بنو مليح من مشركى العرب الملائكة بنات الله وقوله تعالى سبحانه تنزيه نفسه عن
ذلك والتسبيح التنزيه وقيل هو الامر بلفظة المصدر اى نزهوه عن ذلك وقوله تعالى بل له ما فى
السموات والارض اى فكل ذلك مملوك له مربوب فكيف يكون عزير او عيسى او الملائكة ولدا له
وكل منهم عبد له مربوب والولد لا يكون الا من جنس الوالد ولا يكون المصنوع الا من جنس الصانع وقال
الامام ابو منصور رحمه الله اتخاذ الولد لا يكون الا لاحد وجوه اربعة اما لشهوة تغلبه فيقضيها
به واما لوحشة تغلبه فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من يستنصر
به ويستغيث به او خوف حدثان الدهر والموت فيحتاج الى من يرث ملكه ويقوم مقامه والله تعالى
متعال عن هذه العلل كلها واما اتخاذ الحبيب والخليل فانه جائز من الله عز وعلا لان المحبة تقع على
غير جوهر المحب فاما الولد فلا يكون الا من جنسه وجوهره واعتبره بمحبة الانسان انشاء سوى البشر
ولان الخلة تقع لافعال تكتسب فيعلو بها امره فيستوجب الخلة بمعنى الجزاء واما البنوة فلا تكون
لافعال تكتسب بل بدوها من مولده وقد نفى عن نفسه ما به يكون الولد بقوله انى يكون له ولد ولم تكن

له صاحبة لان الخلة يجوز القول بها تحقيقا وتسمية اما التحقيق فلانها ايثار ورضا واختصاص
من الله تعالى وهو جائز واما التسمية فقد وردبها الشرع قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا فاما البنوة
فلا يجوز تحقيقا لانها تدل على الجنسية والبعضية وهى نقيصة منفية ولم يرد باطلاقها الشرع
فبطل القول بها وقوله تعالى كل له قانتون اى عزير وعيسى والملائكة كلهم مطيعون له مقرون له
بالعبودية والقنوت الطاعة وان صرف الى كل من فى السموات والارض فالمسلم مطيع له طوعا والكافر
كرها قال تعالى وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها ولان المسلم مطيع له اختيارا والكافر
اضطرارا قال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل القنوت الدعاء ومنه
قنوت الوتر والمومن يدعو الله تعالى ابدا والكافر عند الضرورة كما تلونا من الاية والقنوت ايضا
القيام قال النبى صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة طول القنوت والكل قانتون دائمون على
ما خلقهم لا يملك احد ان يغير نفسه او يبدلها وقال السدى كل له قانتون يوم القيمة وقيل ذكر الكل
واريد به البعض كما فى قوله ثم اجعل على كل جبل وقوله واوتيت من كل شى وقال الامام ابو منصور رحمه الله
بعد ذكره اكثر هذه الاقاويل ويحتمل تنزيه الخلقة لان خلقة كل احد تنزه ربه عن جميع ما يقولون
فيه او يقال كل له قانتون فى الجملة كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى بديع
السموات والارض قال الامام ابو منصور رحمه الله البديع والمبدع والمبتدع واحد وهو الذى
لم يسبقه احد فى انشاء مثله ولذلك سمى صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه فى مثل قوله احد
وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا اى من قدر على خلق السموات والارض من غير شى كيف لا يقدر
على خلق عيسى من غير اب وقال ابن مقسم يجوز ان يكون العين بدلا عن الهمزة والبديع والمبدع كالبدى
والمبدى قال الله تعالى فانظروا كيف بدا الخلق وقال تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فجاء على فعيل
وافعل جميعا وقوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اى قدره وقضى فى القرآن
جاء لمعان للامر كما قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وللاخبار كما قال تعالى وقضينا الى بنى
اسرائيل وللحكم كما قال تعالى وقضى بينهم بالحق وللتخليق كما فى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وللفراغ
كما قال تعالى ثم اقضوا الى اى افرغوا من امركم وللحتم كما قال تعالى ثم قضى اجلا وللقتل كما فى قوله تعالى
فوكزه موسى فقضى عليه وقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية اى الموت من هذا وللارادة كما قال تعالى
فاذا قضى امرا اى اراده ويوضح ذلك قوله انما قولنا لشى اذا اردناه وقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا
او ذكر قضاء الامر واراد به بلوغ قضاء الامر كما فى قوله تعالى اذا اتيتم اذا طلقتم فاذا قرأت القرآن
المراد بهذه الافعال ارادتها وقوله امرا هو واحد الامور لا الخطوب لا واحد الاوامر والذى هو صيغة
الامر او نرصيغة الله تعالى فلا بد من ... قضاء ... الامر المامور المخلوق وقيل معناه واذا اراد
خلق ولد بلا اب كونه كما ان فهو جواب النصارى كان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه فاجيبوا بهذا وقوله
فانما يقول له كن فيكون لم يرد به انه خاطبه بكلمة كن فيكون هذا الخطاب لانه لو جعل خطابا
حقيقة فلا يخلو اما ان يكون خطابا للمعدوم وهو به يوجد او خطابا للموجود بعد ما وجد لا جائز
ان يكون خطابا للمعدوم لانه لا شى فكيف يخاطب ولا جائز ان يكون خطابا للموجود لانه قد كان
فكيف يقال له كن وهو كائن فانما هو بيان انه اذا شاء تكوينه فكان وقال الامام ابو منصور رحمه الله قيل
اذا قضى امرا اى قضى بها هلاك قوم واستيصالهم فانما يقول له كن فيكون وهو استعارة ...
تاخير ولا يحتاج به تعب ولا يمتنع عليه شى ولا يخرج من ... حكمه خلق وقوله فيكون رفعه بطريقين
احدهما بالاستيناف والثانى العطف على قوله فانما يقول له كن وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون
لولا يكلمنا الله او تاتينا آية هم مشركوا العرب ... مقالتهم بعدما ذكر قبح مقالة اليهود
والنصارى ... وجوه احدها كانوا لا يعلمون حقيقة لكن لم ينتفعوا بعلمهم فنفى العلم عنهم والثانى الذين
لا يعلمون توحيد ربهم والثالث الذين لا يعلمون الكتاب قالوا ... لا يكلمنا ... رسوله
او تاتينا آية تقترحها نحن ... والرابع الذين لا يعلمون انهم لم يبلغوا المبلغ الذى ...
ان يكلمهم الله والخامس لا يعلمون انه قد كلمهم الله واخبرهم بالوحى والقرآن على رسوله آيات على
رسالته لكنهم يعاندون ... وقوله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم اى بنو اسرائيل قالوا
لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقالوا هؤلاء لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وسالوا الايات
اقترحوها من نحو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات الى جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا او يكون
لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء واو فى هذه الايات للتخيير اى تفعل هذا او هذا قال الله تعالى

بحيرة التي اريحا في بطن الاردن وذكر انه لم يكن مع لوط من المؤمنين الا بناته وهي اثنتي عشرة واوصى لوط بيناته الي ابرهيم
عليه السلام نزوجهن رهطا ممن معه من المؤمنين امنوا به يوم النفي في النار فصحبوه فكل نبي بعد ابرهيم ونبينا من بني اسرائيل
من نسل اولئك الرهط ايوب وشعيب وغيرهم وتدرج لوط نبيا الى ان يموت • وقال الامام ابو منصور رحمه الله قال
ههنا وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم • وقال في سورة اخرى فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ايتنا بعذاب الله يحتمل ان يكون الاول جواب بعضهم لبعض والثاني جوابهم للوط وكان ذلك الجواب في مشهد
والثاني في مشهد اخر وكلاهما الكلام لوط • وقال القشيري رحمه الله ان الحق سبحانه اباح في الشرع ما ازاح به العذر
من تخطي حد الامر وجرى على مقتضى هوى النفس استوجب الاله واستجلب باختياره صغره ونكاله • وقوله
تعالى والى مدين اخاهم شعيبا عطفا على نوحا اي ارسلنا الى اهل مدين شعيبا ومدين بينها وبين مصر
ثمان ليال ومدين في الاصل اسم رجل وصار اولاده وهو مدين بن مديان بن ابرهيم وشعيب هو ابن ايوب
قاله قتادة وقيل ابن يثروب • وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن بنت لوط النبي عليه السلام (في الهامش: واسم ميكيل)
وقال عطا شعيب بن يوبه بن مدين بن ابرهيم • وقال محمد بن اسحاق انه من ولد مديان واسمه بالسريانية
يثروب • وقوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد فسرناه • وقوله تعالى قد جاءتكم بينة من
ربكم اي شرايع ظاهرة المصالح من التوحيد والاخلاص وايفا حقوق الناس • وقيل اي بيان • وقيل اي معجزة
وان لم يبلغنا ماذا كانت • وقوله تعالى فاوفوا الكيل والميزان قد بيناه في سورة الانعام ان الميزان يحمل على
الوزن والكيل يحمل على المكيل ليستويا امرهم بايفا الحقوق التي عليهم من هذين الجنسين • وقوله تعالى ولا
تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا الناس الحقوق التي تجب لهم عليكم بالعقود • وقال قتادة اي
لا تظلموا • وقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال الكلبي اي لا تنقصوا الكيل والوزن فانه
فساد في الارض • قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الارض قبل ان يبعث اليها شعيب رسولا يعمل فيها
بالمعاصي ويستحل فيها المحارم ويسفك فيها الدما بغير حقها فذلك فسادها فلما بعث اليها شعيب
ودعاهم الي عبادة الله تعالى صلحت الارض وكل نبي بعث الى قومه فهو صلاحهم • وقال ابن عباس رضي الله
عنهما كان شعيب رسولا بعد يوسف وكان من خبر قومه وكان اهل مدين اهل شرك وبخس في مكاييلهم وموازينهم
قال السدي وعكرمة ما بعث الله تعالى نبيا مرتين الا شعيبا بعثه مرة الى مدين فاخذهم الله بالصيحة
ومرة اخرى الى اصحاب الايكة فاخذهم الله بعذاب يوم الظلة • وقال محمد بن اسحاق وجويبر وجماعة
هما واحد ولما دعاهم الى التوحيد وترك الظلم كذبوه وردوا نصيحته وقالوا يا شعيب اصلواتك تامرك
الاية • وكان اكثر الانبيا صلاة ان نترك ما يعبد اباونا من الاصنام او ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الايفا
والبخس • وقوله انك لانت الحليم الرشيد اي الاحمق السفيه • وقال الضحاك كانوا اذا دخل عليهم الغريب
ياخذون دراهمه ويقولون دراهمك هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس اي النقصان • وقوله
تعالى ذلكم خير لكم اي الايفا خير لكم من البخس وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم ممن همه وقصده الايمان
بالحق اذ ورد البيان وقام البرهان • وقال وهب كان على اهل مدين ملك جبار وكانوا في سعة من العيش
ورفاهية فارسل الملك الي اهل مملكته يامرهم باحتكار الطعام ونقص مكاييلهم وموازينهم وقرض الدراهم
وصوا ولم من قرضها وكانوا يبخسون الناس حقوقهم فنهاهم عن ذلك شعيب وكان لهم فسادا اخر
فيهم وذلك قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي لا تجلسوا في كل طريق وبكل صراط وفي كل
صراط وعلى كل صراط تتقارب معانيها الباء للالصاق وفي للظرف وعلى للاستعلاء توعدون اي تهددون
وهو على معنى الحال • قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا
للايمان به فيخوفونه بالقتل • وقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله اي تصرفون عن طريق الاسلام
وقوله تعالى من امن به اي من اراد ان يؤمن بالله • وقوله تعالى وتبغونها عوجا اي تطلبون للسبيل
تعويجا وتحريفا اي تقولون هي سبيل باطل الحق والعوج بكسر العين في الدين وفيما لا يرى وبالفتح
في العود والحايط وما يرى • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يجلسون في الطرق فيخبرون من اتى
عليهم ان شعيبا كذاب • وقال ابو روق ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا عشارين يبخسون الناس
اموالهم باخذ العشر وهم اول من سن ذلك • وقال عبد الرحمن بن زيد كانوا يقطعون الطرق • وقوله
تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل هذا ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى
بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف فان الفقرا الضعفا بمنزلة القليل في كثرة الغنى اي اذكروا
نعم الله تشكروا • وقوله تعالى وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اي العصاة الذين كانوا
قبلكم • قال الكلبي هم قوم لوط • وقال ابو منصور رحمه الله امرنا بالنظر في الاسباب التي صار بها
اهل فساد ونزل بهم الهلاك لينزجروا عن مثل صنيعهم والا كانوا عند انفسهم اهل صلاح لا اهل

فساد

فساد • وقوله تعالى وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله
بيننا يقول لقومه لا يمنعكم عن الايمان في اختلاف الناس علي وكثرة من لم يؤمن بي فان العاقبة المحمودة للحق واهله
وان قل عددهم فاصبروا ليس هذا امرا لهم بالمقام على الكفر لكن معناه فانتظروا العاقبة حتى يحكم الله بيننا وبين
اعمالكم • وقوله تعالى وهو خير الحاكمين خير من حكم بين العباد لانه يحكم بالحق والعدل • وقال الامام ابو منصور
رحمه الله يجوز ان يكون فاصبروا امرا للمؤمنين فانهم كانوا لم يؤمروا بقتالهم ويجوز ان يكون امرا للكفار وكانوا
يقولون الحق ما نحن عليه فان الله تعالى امرنا بذلك وهم شفعاونا ومقربونا الي الله زلفي فقال فاصبروا
حتى يحكم الله بيننا في القيمة فيتبين الحق من الباطل • وقوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه
قال وهب ولما نهاهم عن التطفيف والبخس ارسل اليه ملكهم وقال له ما تقول فيما امرت انا الناس به من الاحتكار
ونقص المكيال والميزان لمصلحة الناس فقال شعيب اني في كتاب الله المنزل ان الملك اذا كان بمنزلتك وصنع
مثل ما صنعت يقال له ملك فاجر ملعون فاجر فقال الملك لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من
قريتنا اي الذين امنوا بالله مع ايمانك او لتعودن في ملتنا اي في ديننا وانما ذكروا العود مع ان شعيبا
عليه السلام لم يك في دينهم قط لوجوه احدها ان فيه خطاب لقومه وهم كانوا كذلك ولين كان شعيب
في الخطاب فالغلبة لهم ومنها انهم توهموا انه كان فيه ومنها ان العود في معنى الصيرورة ويذكر في غير
تحقيق الرجوع • قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم اي صار • وقال الشاعر •

لين كانت الايام احسن مرة • الي فقد عادت لهن ذنوب •

اي صارت • وقوله تعالى قال اولو كنا كارهين الالف للاستفهام ومعناه الاستنكار والواو للعطف
اي تخرجوننا من قريتنا ونحن كارهون لمفارقة الاوطان من غير ذنب منا وهو امر منكر وهو كقوله اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله • وقيل اي او لو كنا كارهين الدخول على ملتكم مع ذلك تحملوننا على ذلك • وقوله تعالى
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها هذا جزا مقدم على الشرط والعود هو
الصيرورة دون الرجوع على ما قررنا ودليله قول الشاعر •

تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بما فعادا بعد ابوالا •

والملة الديانة التي يتكرر العمل على شرايعها من قولهم طريق مليل يتكرر سلوك المارة فيها والملل من تكرر
الشي على النفس حتى تسأم وخبز الملة ما ينضج في الرماد الحار لتكرر الحمي عليه وتقدير الاية فان دخلنا في
دينكم بعد ما خلصنا الله منها اعتصمنا عنه باقامة البراهين وارانا الحق فقد افترينا على الله كذبا
حيث قلنا من حيث الدلالة انه لم يبصرنا الحق ولم يفهم لنا الدليل وكون الانجا في معنى الحفظ نظير قوله
يخرجهم من الظلمات الي النور اي يحفظهم من الظلمات ويبقيهم في النور • وقال القشيري رحمه الله كما ان اهل
الخير لا يميلون الا الى اشكالهم فاهل الشر لا يرضون الا بمن ساعدهم على احوالهم والاوحد في بابه من باين
اضرابه • وقوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا قد ذكر اهل التاويل له وجوها واما
ابو منصور رحمه الله ردها واعتمد على هذا القول ان معناه ولا يكون منا دخول في ملتكم الا ان يكون الله
شا ذلك منا فخاف شعيب ان يكون سبق منه زلة او تقصير يمنع منه الاختيار لذلك فشا الله له ذلك
وكذلك الانبيا كلهم خافوا ذلك وكان خوفهم اكثر خوف غيرهم • وقوله تعالى وسع ربنا كل شي علما اي لا نعلم
الي ماذا يصير امرنا • وقوله تعالى على الله توكلنا اي اعتمدنا في دفع شركم وكفاية امركم على الله ثم دعوا
ربهم وذلك • وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي اقض بيننا وبين قومنا بالحق اي بحكمك
الذي هو الحق وهو وصف تحقيق لا وصف تمييز كما مر في قوله النبيون الذين اسلموا • وقوله تعالى
وانت خير الفاتحين اي القاضين فلا محاباة في حكمك ولا ميل ولا زلل ولا رشوة ولا شفاعة والقضا بالحق
يفتح الامر المنغلق فلذلك سمي فتحا • وقوله تعالى وقال الملا الذين كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا
اي فيما امركم في الكيل والوزن انكم اذا اي حينئذ وهو اشتم زمانه لخاسرون الاموال • وقيل اي ان اتبعتموه
في دينه خسرتم بترك الدين الحق بالباطل كذا كان زعمهم • وقوله تعالى فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
وقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين فسرناه في قصة صالح • وقال في سورة الشعرا فاخذهم عذاب
يوم الظلة فقيل هما قصتان وهما عقوبتان • وقيل هما واحدة • وقال ابن عباس ان جبريل عليه السلام نزل
ووقف عليهم فصاح صيحة رجفت منها الجبال والارض وقاموا فيها ما وفزعوا فرجفت بهم الارض فزهقت
وخرجت منها ارواحهم فوقعوا جاثمين • وقال وهب سلط الله عليهم الحر والغم حتى انضجهم فلبثوا
فيه سبعة ايام ولياليها ودخل الحر عليهم في بيوتهم ومظالهم وفي الاودية وظلال الاشجار وصاروا وهم
حميا لا يستطيعون شربه فانطلقوا يسوقون دراريهم ونساءهم ودوابهم حتى انتهوا الى غيضة وهي
الايكة كثيرة الشجر وقد جاهم سموم من جهنم فسلط الله عليهم الشمس من فوق رؤوسهم حتى تغلغلت جماجمهم

والرصاص تحتهم حتى تساقطت لحوم ارجلهم ثم انشئت لهم ظلة من سحابة سوداء فابتدروها يستغيثون ببردها فلما
صاروا تحتها انطبقت عليهم فهلكوا فيها وقيل احرقتهم • وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها اي
لم يقيموا ولم يغنوا بالمكان اي اقاموا من حد علم والمغاني المنازل • وقوله الذين كذبوا شعيبا كرر لتغليظ الامر في تكذيبهم
شعيبا كانوا هم الخاسرين لا المؤمنين بشعيب الذين قالوا لهم انكم اذا لخاسرون فانهم خسروا انفسهم واموالهم ودينهم
ودنياهم واخرتهم • وقال القشيري رحمه الله كانت لهم غلبة في وقتهم ولكن لما اندرست اثارهم وسقط صيتهم ومحي
ذكرهم وتفسخ سحاب من توهم ان فيهم شيئا • وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون الحق غالب في كل
امر والباطل زاحق بكل وصف واذا كانت العزة نعت من هو ازلي الوجود والجلال حق من هو الملك المعبود فاي
اثر للفطرة مع القدرة واي خطر للعلل مع الازل • وقوله تعالى فتولى عنهم اي اعرض اعراض ايس من ايمانهم وقال
عند الاعراض يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم اي فلم تقبلوا ثم قال فكيف آسى اي احزن على قوم
كافرين اي كيف اظهر الحزن على هلاك قوم انقطعت بيني وبينهم الولاية لكفرهم بالله • وقوله تعالى وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون يعني لم نرسل في قرية من هذه القرى التي
قصصنا اخبارها وذكرنا اهلاكها نبيا ينذرهم الا ضممنا الى عذابهم المستاصل لها دون ذلك من الامتحان
بالبأساء وهو الجوع والضراء وهي المرض • وقيل البأساء الشدة في الانفس والضراء الشدة في الاموال وقال
ابن عباس رضي الله عنهما البأساء الفقر والضراء السقم ليتضرعوا الى الله وينقادوا للشرع • وقال ابن
عباس ليستكينوا فيتوبوا • وقوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي مكان الجدب الخصب ومكان المحنة
النعمة حتى عفوا اي كثروا كذا قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد والسدي وكذا هو في اللغة • وقوله
تعالى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء اي اصاب اسلافنا الاحوال الضارة والاحوال السارة
اي هذا من الاتفاقات التي تقع للناس من تلون الاحوال ولم يحملوه على التنبيه فلم ينتبهوا ولم ينتهوا • وقوله
تعالى فاخذناهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون اي بنزوله • وقيل اي بنزوله وقد كان انذرهم رسلهم
قال تعالى ذلك لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون • وقال ابن عباس رضي الله عنهما حتى عفوا
اي كثروا وكثرت اموالهم • وقال مجاهد حتى كثروا وكثرت اموالهم واولادهم • وقال المبرد ومنه
الحديث احفوا الشوارب واعفوا اللحى وقال مقاتل بن حيان حتى اشروا وبطروا • وقوله تعالى
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي خيرات نامية من الامطار
والنبات • وقوله تعالى ولكن كذبوا اي الانبياء • وقوله تعالى فاخذناهم بما كانوا يكسبون قال ابن
عباس رضي الله عنهما يعني ولو ان اهل القرى وحدوا الله واتقوا الشرك والمعاصي لانزلنا عليهم بركات
من السماء بالرزق والمطر والنبات والثمار والخصب ولكن كذبوا الرسل فعاقبناهم بالقحط وغلاء السعر
باعمالهم • وقال القشيري رحمه الله ليست العبرة بكثرة النعمة وانما العبرة بالبركة في النعمة الا ترى انه
لم يقل في هذه الاية لضاعفنا عليهم النعم لكن قال لباركنا عليهم فيما اعطيناهم • وقوله تعالى افأمن اهل
القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون استفهام بمعنى الاستنكار • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي
عذابنا ليلا وقت مبيتهم وهم نائمون الراء والحال واكثر ما يكون نزول المحنة في حالة الغفلة • قال

قايلهم شعر

يا راقد الليل مسرورا باوله • ان الحوادث قد يطرقن اسحارا •
لا تامنن بليل طاب اوله • فرب اخر ليل اجج النارا •

وقوله تعالى او أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي نهارا وهم في شغل الدنيا فانه لعب والضحى وقت ابتداء الاعمال التي يطلب بها الانتفاع ويرتجى بها
الاستمتاع • وقوله تعالى افأمنوا مكر الله اي اخذهم بغتة والمكر استدراج اظهار المحبوب واخفاء
المكروه واذا ابسط الله نعمه على عبد استدعا للشكر فلم يفعل ثم اخذه بغتة فقد اظهر له نعمه وكانت تخفيت
له محنة • وقيل هو على الجزاء كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها • وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وهذا
جزاء من الله على مكرهم بالانبياء كما ذكر في الخداع والاستهزاء • وقال الامام ابو منصور رحمه الله المكر
في الشاهد ان يراقب من عدوه حال غفلة فينتقم منه فسمي ما ينزل من العذاب بهم في الغفلة مكرا مجازا
وعلى هذا الامتحان بين الخلق هو استظهار ما خفي على بعضهم فيما مرون بذلك وينهون فسمى الله تعالى ذلك
امتحانا المعنى الامر والنهي وان كانت الخفيات عن الخلق ظاهرة له بادية عنده • وقوله تعالى فلا يأمن مكر
الله الا القوم الخاسرون اي لا يأمن اخذ الله بغتة الا الخاسرون • قال ابن عباس اي الا الكافرون الذين
خسروا انفسهم حتى صاروا الى النار • وقال علي رضي الله عنه لا يزال الموحدين العارفين المحبين الجنة حتى
يكون الله هو يحكم فيهم لان الله تعالى يقول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا يزال الموحدين العارفين

الذين

ان بعد امر ... من روح
ابة ... من الكتاب ...
... ومن اسخطه مكره

الذين الى النار حتى يكون الله هو يحكم فيهم لان الله تعالى يقول لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله الايتان في المعتزلة لانهم يأمنون مكر الله في اصحاب الكبائر فيقولون ليس له ان يعذبهم • وقال
القشيري رحمه الله من عرف علو قدرته خشي خفي مكره نسي عظيم قدرته • وقال الحسن قوله افأمن اهل القرى وامن اهل
القرى افأمنوا مكر الله هذه الايات في الامم السالفة وفيه تحذير هذه الامة من مثل صنيعهم لئلا ينزل بهم مثل
ما نزل باولئك • وقال الاخرون هي في اهل القرى من هذه الامة • وقوله تعالى اولم يهد للذين يرثون الارض من
بعد اهلها اولم يبين استفهام بمعنى الاثبات وفاعله المكر المذكور في الاية الاولى اي اولم يبين ما نزل
بالاولين من مكر الله بهم • وقيل الفاعل هو الله تعالى اي اولم يبين الله • قال مقاتل اي اولم يبين لكفار مكة الذين
يرثون الارض من بعد هلاك اهلها الماضين • وقوله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي لعذبناهم بذنوبهم
كما عذبنا الاولين • وقوله تعالى ونطبع على قلوبهم هذا ابتداء قاله الزجاج والفراء اي ونختم على قلوب
هؤلاء فهم لا يسمعون الوعظ لعلمنا بانهم يختارون الاصرار على الكفر والاستكبار • وقيل اي لا يجيبون
كما في قولهم سمع الله لمن حمده اي اجاب الله من حمده • وقوله تعالى تلك القرى نقص عليك من انبائها اي
نقصصنا عليك اخبارها فيما كان منا اليهم من الامداد وما كان منهم من الاصرار • وقوله تعالى ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات التي اقترحوها • وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل
فما كان من صفتهم الايمان بها وكانوا كذبوا بمثلها من قبل ذلك او كانوا انما اقترحوها عنادا لا استرشادا •
وقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين لما علم منهم انهم يختارون الثبات على الكفر وقال
القشيري رحمه الله تلك القرى سلكوا طريقا واحدا في التمرد واجتمعوا في خطة واحدة في الجحد والتبلد
فلا الى الايمان جنحوا ولا عن العدوان رجعوا وكذلك صفة من سبق بالشقاء قسمته وحق بالعذاب
عليه كلمته • وقوله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد قال ابن عباس رضي الله عنهما من وفاء فيما امروا
به وهو العهد الاول الذي اخذ عليهم يوم الميثاق • وقال مقاتل ان الله تعالى اخذ الميثاق على ذرية ادم
على المعرفة فاقروا بذلك فلما فعلوا نقضوا العهد فكفروا • وقال ابن مسعود رضي الله عنه من عهد اي
ايمان كما قال الا من اتخذ عند الرحمن عهدا • وقال الضحاك هو عهد العقل والفهم • وقيل وما وجدنا
لاكثرهم اي الامم المعذبين من امانة ووفاء بعهد • وقوله تعالى وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي وما
وجدنا اكثرهم الا منهمكين مجاهرين بالمعاصي مع كفرهم وشركهم كما قال في اهل الكتاب وان اكثرهم
فاسقون • وقال وكثير منهم فاسقون • وقال ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه
قائما • وقال ابن عباس رضي الله عنهما وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي لتاركين ما امروا به من الحلال
والحرام • وقال الضحاك لناقضين العهد • وقال ابن مسعود رضي الله عنه لفاسقين اي لكافرين وهو
تصديق ظن ابليس فيهم ولا تجد اكثرهم شاكرين • وقال القشيري رحمه الله وما وجدنا لاكثرهم من عهد
نعم في الغدر طارفهم • والا فلمن سما الوفا شارفهم • وعدم اكثرهم رعاية العهد • وحق من الحق فيهم قسمة
الرد • قال وتعالى شكا من اكثرهم الى قلتهم فالاكثرون من ردة بهم القسمة • والاقلون من قبلتهم الرحمة •
وقوله تعالى ثم بعثنا اي ارسلنا من بعدهم اي بعد الانبياء والذين مرت قصصهم موسى هو موسى
ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام باياتنا قال ابن عباس
رضي الله عنهما اولها العصا واخرها الطمس وهي تسع العصا واليد البيضاء والسنون والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس الى فرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان وكنيته ابو مرة
وقال اهل الكتاب اسمه قابوس بالسريانية وكان من القبط وعمر اكثر من اربع مائة سنة • وقال ابن عباس
ان فرعون موسى ملك مصر واستعبد بني اسرائيل بمصر حين ملك يوسف اربع مائة سنة وذلك بعد يوسف بن
يعقوب وبعد دخول بني اسرائيل مصر حين ملك يوسف مصر وضم اليه ابويه واخوته واهل بيته فمكثوا
بمصر فلما قبض الله تعالى يوسف وهلك ذلك الملك الذي كان يوسف معه وهو الريان بن الوليد
توارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر فرعون بعد فرعون وبثر الله بني اسرائيل بمصر • وقال محمد بن
اسحاق ملك فرعون مصر وهو شاب اخضر الشارب ومكث اربع مائة سنة لا يصدع ولا يصيبه هم ولا ياوي
عدو سلطانه منهم ماض وامره جار وملائه اي اشرافه وقد كان مبعوثا الى فرعون وملائه من اهل
زمانهم لكنهم كانوا اتباعا لهم فظلموا بها قال ابن عباس رضي الله عنهما فجحدوا بالايات • وقيل ظلموا
انفسهم بجحدها • وقيل جعلوا بدل الايمان بها الكفر بها فان الظلم وضع الشيء في غير موضعه • وقيل كفروا
واشركوا بها فانظر ايها المعتبر قلبك يا محمد • وقوله تعالى كيف كان عاقبة المفسدين اي كيف كان
اخر امر الذين افسدوا في الارض ببث الكفر • قال الضحاك كانت عاقبتهم الغرق • وقال الامام
ابو منصور رحمه الله فظلموا بها اي سموا الايات سحرا فوضعوها غير موضعها • ويحتمل ظلموا النعم بكفرانها

فصارت الانفال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا انما غنمتم من شيء فقسم الله ذلك الخمس لرسوله ولمن سمي في هذه الاية • وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يحرض الناس على القتال ان الله وعدني ان يفتح لي بدرا وان يغنمكم عسكرهم فمن قتل قتيلا فله كذا من غنايمهم فلما التقوا اوقع الله في قلوب المشركين الرعب وانهزموا وتبعهم شبان القوم فاسروا سبعين وقتلوا سبعين وغنموا العسكر وما فيه واقام وجوه الناس في مصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فلم يشذ منهم احد ثم قام ابو اليسر كعب بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين فقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هولاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من خيل المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام ابو اليسر بمثل مقالته وقام سعد بمثل كلامه وقال يا رسول الله ان الناس كثير وان الغنيمة والنفل دون ذلك وان تعط هولاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كثير شيء فنزلت الاية فقالوا سمعا وطاعة يا رسول الله فرجع القوم وليس معهم من الغنيمة شيء ثم نزل واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فقوله يسالونك عن الانفال لظاهره سوال الاستفتاء وهو السوال عن الحكم وظاهر ذلك بجوابه وان كان السوال المطلق كما في قوله يسالونك عن المحيض ويسالونك عن اليتامى وهذه الاحاديث تدل على انه سوال الاستعطاء • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه يسالونك الانفال وهذا ظاهر فاما قراءة الجمهور عن الانفال فلا يقتضي الا سوال الاستفتاء الا ان يجعل عن بمعنى من وتكون للتبعيض وحروف الصلات تتناوب او يقال كانوا يستعطون اولا ثم لما تعذر الاعطا استفتوا عن حكمها ومصرفها • وقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مروي عن مجاهد وعكرمة ان الاية نسخت بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فكان في هذه الاية جعل كلها له وفي الثانية صارت لاهل السهمان والغزاة وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هي ثابتة لم تنسخ وانما معناها وقوله قل الانفال لله والرسول اي انما لله مع الدنيا بما فيها والاخرة وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها في موضعها الذي امره الله تعالى يوضعها فيها وبين ذلك في الاية الثانية ان لله خمسه ولاهل السهمان واربعة اخماسه للغزاة من الرجالة والفرسان وقيل هو قوله لله وهذا للتيمن بذكر الله وتعظيم حال رسول الله والحاصل انها للرسول يحكم فيها بامر الله • وقوله تعالى فاتقوا الله اي ولا تنازعوا • وقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم اي تآلفوا على الحق وذات تانيث قولهم ذو ويكون نعتا لاسم مونث مضمر كانه قال واصلحوا الالفة بينكم وعلى هذا نظايره كنت عند فلان ذات ليلة اي ساعة ليلة والله عليم بذات الصدور اي بخفية الصدور وفي لغة المراة ذات بطنها اي حمل بطنها وافعل كذا في ذات الله اي في مرضات الله • وقيل ذات هي النفس ويستفاد ذلك من هذه الوجوه كلها وقيل واصلحوا ذات بينكم اي افعلوا فيما بينكم ما يعود بصلاح احوالكم • وقوله تعالى واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الرسول فيما يامر في الغنيمة وغيرها فان طاعته طاعة الله فانها بامر الله عز وجل • وقوله تعالى ان كنتم مومنين اي الايمان يوجب ذلك فلا تتخطوها • وقال القشيري رحمه الله وهو كما يقال افعل كذا ان كنت انسانا اي الانسانية توجب ذلك فلا تتخطاها • وقال القشيري رحمه الله فاتقوا الله فلا تطيعوا دواعي مناكم ولا تحكموا بمقتضى هواكم والتقوى ايثار رضى الحق على مراد النفس واصلحوا ذات بينكم بالانسلاخ عن شح النفس وايثار حق الغير على ما لك من الحظ وتنقية القلوب من الحسد والحقد • وقوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما سمعوا الاية الاولى خافوا واتقوا واطاعوا وسلموا وتركوا الانفال فمدحهم الله تعالى بهذه الاية وبين انما قال ان كنتم مومنين وصف المومنين الكاملين في الصفات بهذه الاية فقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت خوفا شديدا تعظيما لله وهيبة منه • وقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته اي قريت عليهم اياته بالامر والنهي والحكم فقبلوا هذا الامر والنهي والحكم وصدقوا بالوعد والوعيد ازدادوا ايمانا الى ايمانهم بما كان قبل ذلك وان حملت على انه كانوا امنوا قبل ذلك وهذا على زيادة اليقين او على الثبات على ايمانهم الكامل السابق واضافة فعل الزيادة الى الايات على التسبب • وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون وبه يثقون • وقال القشيري رحمه الله وجلت قلوبهم اي يخرجهم شدة الخوف عن اوطان الغفلة ويزعجهم عن مساكن الغيبة فاذا انفصلوا عن اودية التفرقة ووفوا الى مشاهد الذكر نالوا السكون الى الله فيزيدهم ما يتلى عليهم من اياته تصديقا على تصديق وتحقيقا على تحقيق فاذا امتلوا احلال قدره توكلوا عليه فامدهم برعايته في نهايتهم كما استخلصهم بعنايته في بدايتهم قال وسنة الله تعالى مع اهل العرفان ترديدهم بين كشف جلاله وبين لطف جماله فاذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم واذا لاطفهم بنعت جماله سكنت قلوبهم • قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب • قال وقيل وجلت قلوبهم لخوف فراقه ثم تطمئن اسرارهم بروح وصاله فذكر الفراق يفنيهم وذكر الوصال يحييهم • وقال السدي وجلت قلوبهم عند ذكر الوعيد وتطمئن قلوبهم بالوعد وهو كقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها

مثاني

مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اي بالوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم اي بالوعد • وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اي يجرون الصلوات على الاستقامة اللازمة فيها ويديمونها في اوقاتها ومما من التبعيض لان الرزق منه حلال وحرام والممدوح هو الانفاق من الحلال اي ينفقون الحلال من رزقهم في اداء الزكوات ونوافل الصدقات وفي مصالح الجهاد وساير الطاعات ويحتمل رزقناهم من ساير النعم مع الاموال وقال الامام ابو منصور رحمه الله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية ليس ذكر هذه الصفات لشرط ثبوت الايمان باجماع الامة ان من امن عن اعتقاد واقرار على الصحة ثم مات من ساعته قبل ان يوجد منه شيء من هذه الصفات وهو مومن ولكن يحتمل ثلاثة اوجه احدها انما المومنون الذين حققوا ايمانهم بهذه الافعال والثاني انما المومنون الذين ظهر صدقهم عندكم بهذه الايات والثالث انما المومنون الذين قبلوا اعتقاد هذه الافعال وهو كما قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وهو على القبول والاعتقاد وقوله تعالى اولئك هم المومنون حقا اي ايمانا حقا • وقيل المستحقون اسماء حقا • وقيل اي حقيقة • وقيل موقنين • وقيل اي حققوا ايمانهم بافعالهم • وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم اي درجات في الجنة وقيل اي مراتب في الاخرة من اعطاء الكتب باليمين وتلقي الملائكة بالبشارة بالجنان وتبييض الوجوه وساير وجوه الفضل والاحسان • وقوله تعالى ومغفرة اي ستر للذنوب فلا يفتضحون • وقوله تعالى ورزق كريم اي جليل القدر في الجنة لا يفنى ولا ينقص ولا يتكدر ولا ينتقص • وقال الحسين بن الفضل رحمه الله اولئك اي الذين فعلوا هذه الافعال هم المومنون لا الذين يقولون بالسنتهم قد امنا وقلوبهم منطوية على خلافه لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة • وقال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن امومن انت فقال ان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت تسالني عن قول الله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فما ادري امنهم انا ام لا • وقال القشيري رحمه الله لهم درجات عند ربهم على حسب ما اهلهم له من الرتب فسابق قسمته لهم استوجبوها بصادق خدمتهم حين وفقهم لها بلطفها ولهم مغفرة سترها عليهم في المال ولا كابرتهم في الحال فيستر مثالب العاصين منا فلا يفضحهم لئلا يحجبوا عن مامول افضالهم ويستر مناقب العارفين عليهم في الحال لئلا يحجبوا باحوالهم وشتان بين السترين واما الرزق الكريم فما يعطيه اليوم من حيث لا يحتسب وفي الجنة لا يقدر ما يكتب • وقيل ما لا ينقصه باجرامهم • وقيل ما لا يشغلهم به عن شهود الرازق وقوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق قال الامام ابو منصور رحمه الله لم يخرج لهذا الكلام جواب في الظاهر لان جوابه ان يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا في جوابه قال بعضهم هو صلة قوله يسالونك عن الانفال اي يجادلونك في الانفال كما جادلوك اذ اخرجك ربك من بيتك فانه قال وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق • قال ومنهم من يقول جوابه في امره بالقتال يقول كما اخرجك ربك من بيتك وهم كارهون كذلك يكلفك القتال وهم كارهون لذلك • قال ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشاكم النعاس الي قوله ويثبت به الاقدام يقول كما اخترتم الله في الخروج للقتال على غير تدبير منكم في ذلك ولا تخلو فعلى ذلك يحيكم في النعاس امنة منه وانزل الماء من السماء للتطهير به وتثبيت الاقدام على غير علم منكم ولا تدبير • قال ومنهم من يقول كما اخرجك ربك من بيتك غير متاهبين والمستعدين للقتال كذلك يعدكم النصر والظفر • وقال غيره اي كما اخرجك ربك من بيتك بالمدينة الى الروحاء اذهب به من الروحاء الى بدر • وقيل انه نزع الانفال من ايديهم بالحق • وقيل اي بيننا ذلك الحق كما ان اخراجك من بيتك كان بالحق • وقوله كما اخرجك ولم يقل اخرجت ولا اخرجوا لان الحامل لهم على الخروج الى الروحاء طوعا وطبعا هو وعد الله لهم احدى الطايفتين انها لكم ولم يكن عندهم انهم يحتاجون الى القتال فكان ذلك اخراجا لهم وقوله بالحق • قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل بالحق الذي لله عليهم من الامر بالخروج والقتال ويحتمل بالوعد الذي وعد لهم بالنصر والظفر • وقيل بالحق اي بالقران اي بالامر في القران • وقوله تعالى وان فريقا من المومنين لكارهون قال الامام ابو منصور رحمه الله يحتمل فريقا من المومنين في الظاهر وهم المنافقون كرهوا ذلك اعتقادا كما قال فيهم ولا ينفقون الا وهم كارهون • ويحتمل ان يكون من المومنين في الحقيقة ويكون هذا كراهة طبع لانهم امروا به وهم غير متاهبين له وهو كقوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم • وقوله تعالى يجادلونك في الحق اي في القتال • وقيل في الحق الذي وجب عليهم من ذلك • وقيل يعني في الوعد الذي وعدهم الله من الظفر والغنيمة • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن اسحاق انما جادلوه طلبا للرخصة في الانصراف لا ردا لامر الله • وقوله تعالى بعد ما تبين اي ظهر بقول النبي صلى الله عليه وسلم وقوله كان بامره • وقوله تعالى كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون وهذا كان من بعضهم فاما اكثرهم فكانوا في اشد رغبة فيه • وروي ان سعد بن خيثمة واباه تنازعا في الخروج الى القتال وكل واحد منهما يقول انا اخرج

يعني التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ومعناه يضحكون على فرحهم بتخلفهم وهذا في الدنيا وكل الدنيا قليل ثم يبكون
في الآخرة بكاء كثيرا دائما لا ينقطع جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق والمعاصي • وقوله تعالى فإن رجعك
الله إلى طائفة منهم أي ردك الله من غزوة تبوك إلى المدينة وقد بقي من المنافقين طائفة وهلكت طائفة
وقيل تخصيص طائفة منهم تخصيص رؤسائهم • وقد روى شعبة عن قتادة أنهم كانوا اثني عشر رجلا • وقوله تعالى
فاستأذنوك للخروج أي معك إلى غزوة أخرى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا أي فامنعهم
عن الخروج معك للقتال عاقبهم بأن لا تصحبهم استخفافا بهم ودلالة على سقوط محلهم والاستغناء في الأمور
عنهم • وقوله تعالى إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فلم تخرجوا إلى تبوك فاقعدوا مع الخالفين قال الحسن
وقتادة أي مع النسوان والصبيان • وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي مع أهل الفساد من قولهم خلف
فوه خلوفا إذا تغير إلى الفساد • وقال القشيري رحمه الله يقول لا تنخدع بتملقهم ولا تثق بقولهم ولا
تمكنهم صحبتك فيما يظهرونه من الوفاق بعد ما ظهر وتقرر منهم الكذب والنفاق وإذا انقطع سلك العهد
لم يحتمل الشد وإذا اتسع الخرق لم ينفع بعده الرتق • وقوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم
على قبره هذه فضيحة لهم بعد الوفاة وما ذكر قبلها خزي لهم في حال الحياة • وقال قتادة دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن أبي سلول في مرض موته وكان دعاه فسأله أن يصلي عليه ويقوم على
قبره ويكفنه في قميصه ففعل ذلك فنزلت الآية • وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لما توفي عبد الله بن أبي وجيء به
ليصلى عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم
كذا وكذا وعددت أيامه الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن
وانصرف فوالله ما لبث إلا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على منافق أبدا ولا قام على قبره • وفي الآية تقديم وتأخير وتقديره ولا تصل أبدا على أحد
منهم مات ولا تقم على قبره • وقيل هو نفس القيام وهو نوع إكرام • وقيل هو القيام بأسباب دفنه
ومواراته • وفي التأويلات أنه قيل له يا رسول الله لم تلبس عدو الله قميصك قال إني لأرجو أن يسلم بقميصي
ألف من بني الخزرج وكان كذلك • وقوله تعالى إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون أي قد
كفروا وأصروا وعليه ماتوا فليسوا أهلا في أجل ذلك • وقال القشيري رحمه الله ليس بعد هذا التبري تولي
ولا بعد الفراق وفاق ولا بعد المحنة قربة • وقوله تعالى فلا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما
يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون قرئنا الآية مرة ومعنى التكرير المبالغة
في التأكيد والتقرير ولأن كل آية في فرقة غير الأخرى ومعنى الفصل بالآيتين بالأولى أمض في المنافقين هذه
الأحكام ولا يهولنك ما يتكثرون به من الأموال والأولاد • وقال الإمام القشيري رحمه الله ولا تحسبن
أن تمكين أهل النفاق من تشييد مرادهم وتكثير أموالهم وأولادهم إسعاد لهم معروف منا إليهم والإسباغ
الإنعام من لدنا عليهم إنما ذلك مكر بهم واستدراج لهم وإمهال لا إهمال وسيلقون غبه عن قريب • وقوله
تعالى وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله هو الأمر بابتداء الإيمان في حق الكافرين وبالدوام على الإيمان
في حق المؤمنين وأسباب الإخلاص في حق المنافقين • وقوله تعالى وجاهدوا مع رسوله أي جاهدوا
الكفار معا تابعين لرسوله • وقوله تعالى استأذنك أولوا الطول منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
ومقاتل والحسن أي أولوا الغنى • وقال ابن كيسان هم الأكابر المنظور إليهم • وقيل الطول الجدة التي
يتمكن من مطاولة الأعداء • وقوله تعالى وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين أي دعنا نقعد مع المتخلفين
وقوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي النساء المتخلفات والخوالف جمع الخالفة • وقيل
معناه مع الخساس من قولهم فلان خالفة أهله إذا كان دونهم في أسباب الفضل وهذا تعيير لهم وذم
وقوله تعالى وطبع على قلوبهم أي ختم عليها فخذلوا لاختيارهم الكفر والنفاق • وقوله تعالى فهم
لا يفقهون قيل لا يعلمون • وقال الضحاك قيل لا يعقلون أمر الله وهذا كقوله ما نفقه كثيرا مما تقول
أي لا نعقل • وقال الإمام أبو منصور رحمه الله الفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره ومنعهم الطبع
أن يعرفوا الأشياء بمعانيها ونظائرها الحجاب الذي وقع فإن الإيمان نور يتبصر به عواقب الأمور وترفع
الستور من القلوب والكفر ظلمة تستر ذلك • وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى أولئك السفلة
ركنوا إلى اختيار الدعة وقعدوا عن بساط العبادة ورضوا في التعريج في ميدان التفرقة
ولو أنهم رجعوا إلى الله بصدق الندم لقابلهم بالفضل والكرم لكن القضاء غالب والتكلف ساقط
وقوله تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وهو صفة الرسول
عليه السلام والمخلصين الذين معه بخلاف صفة أولئك المنافقين • وقوله تعالى وأولئك لهم
الخيرات أي المنافع والمحاسن في الدارين من الأمن والثناء الحسن والتصحيح مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم في المغازي وإصابة المغنم وصلاة النبي عليه السلام ثم القيام على قبورهم في الآخرة بالكرامات الموعودة
في الجنة • وقوله تعالى وأولئك هم المفلحون أي الفائزون بكل مطلوب والبالغون في أنفسهم وأعدائهم كل
مأمول • وقوله تعالى أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وهذا
ظاهر • وقوله وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم يقال اعتذرت إلى فلان أي تكلفت بالعذر وعذر في
التخفيف أي قبل عذري واعتذرت إليه أي أقمت العذر الصحيح على أمري وعذرت بالتشديد أي أتيت
بما هو صورة العذر ولا عذر لي فيه حقيقة وقرئت بقراءتين بالتخفيف وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما
وبالتشديد وهي قراءة سائر الناس وبالتخفيف إخبار عن قوم أتوا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا وفي الآخر
لهم وجملته أن نزول السورة في الجهاد فصار الناس على أصناف منافقوا أهل المدينة وقد ذكرهم في قوله
والذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فأعراب أهل البادية من لهم عذر حقيقة أو لا عذر لهم
وذكرهم الله تعالى في قوله وجاء المعذرون من الأعراب على القراءتين وآخرون من الأعراب تخلفوا من غير
استئذان وذكرهم في قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله أي أظهروا الإيمان بالله ورسوله • وقيل إنهم
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد ثم تخلفوا عن هذه الغزوة فقعد الذين كذبوا الله ورسوله
فيما قالوا في تلك البيعة • وقيل لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه الغزوة قالوا نستعد
ونلحق بك فلم يفعلوا فذلك تكذيبهم • وقوله تعالى سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم في الدنيا
والآخرة بكفرهم وكذبهم ولم يقل سيصيبهم الذين كفروا الآية لمن مات منهم على الكفر ولم يخلص دون
من مات وأخلص وقوم آخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عدة فجاؤوا واستأذنوا فذلك قوله ليس
على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فالضعفاء هم الذين لا قوة لهم
بسبب كبر سن أو زمانة أو عرج أو عمى والمرضى الذين بهم علة يرجى زوالها إلا أنهم في الحال لا طاقة لهم
والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء فهؤلاء لا حرج عليهم أي لم يضيق الله تعالى عليهم بالقعود بل
وسعه عليهم • وقوله تعالى إذا نصحوا لله ورسوله أي لم يثبطوا غيرهم من المؤمنين والأصحاء عن الخروج
ولم يوهموهم أن قعودهم كان لجواز التخلف لكل من أراده بل ندموا بسبب تخلفهم وحرضوا القادرين عليهم
وقاموا بأسبابهم عند خروجهم وأسباب من خلفوهم بالمعونة • وقوله تعالى ما على المحسنين من سبيل
هم هؤلاء • وقوله تعالى والله غفور رحيم يغفر لهم ويرحمهم بإزالة الحرج عنهم • وقوله تعالى ولا على
الذين إذا ما أتوك لتحملهم أي ولا حرج أيضا على الأصحاء الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون إلى
المركب وجاءوك يا محمد فسألوك أن تعطيهم مراكب تحملهم عليها وقد حمل الأمير فلانا أي أعطاه مركبا
وقوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه أي فرقت ما كان عندي على الناس فلم يبق شيء أحمل به مراكبكم
وقوله تعالى تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون أي انصرفوا من عندك
وهم يبكون تأسفا على فوت صحبتك وتخلفهم عنك وهذه أمارة إخلاصهم وتقودهم بالعذر وشدة
شوقهم إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحسرهم على فوت ثواب الجهاد • واختلفوا فيمن نزلت
فيهم هذه الآية • قال مجاهد في نفر من مزينة وهم معقل بن مقرن والنعمان بن مقرن • وقال مقاتل نزلت
في سبعة نفر من جهينة ومزينة وبني عذرة عمرو بن خيثمة من بني عمرو بن عوف بن علية بن زيد بن حارثة
وعمرو بن حزم من بني واقف وسالم بن عمير وعبد الرحمن بن كعب وهو أبو ليلى من بني النجار وعمرو
ابن خزيمة من بني سلمة هؤلاء الستة هم من الأنصار • وعبد الله بن المغفل المزني أتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا احملنا فإنا لا نجد ما نخرج عليه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فانصرفوا يبكون • وقال
الحسن نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه • وقيل هم معقل بن يسار وصخر بن ... وعبد الله بن كعب وسالم
ابن عمير وثعلبة بن عنمة كلهم من الأنصار إلا عبد الله بن المغفل وصخر بن الخنساء • وقال قتادة نزلت
في عائذ بن عمرو وغيره • قال أبو مسعود الأنصاري جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
احملني فقال ليس لي ما أحملك ايت فلانا فإنه يحملك فأتاه فحمله فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل أجر عامله • وقال الحسن ليس على
الضعفاء هي في عبد الله بن أم مكتوم وأصحابه • وقوله تعالى إنما السبيل أي سبيل اللوم والعتاب
والعقاب على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ومعنى التكرير المبالغة في التقرير وكذلك قوله تعالى
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون • وقوله تعالى يعتذرون إليكم
إذا رجعتم إليهم أي يعتذر إليك هؤلاء المنافقون المتخلفون إذا رجعتم إلى المدينة التي فيها
مساكنكم ومساكنهم • وقوله تعالى قل لا تعتذروا أي لا تتقبلوا أعذارهم وقولوا لهم لا تشتغلوا بالعذر
وقوله تعالى لن نؤمن لكم أي فإنا لا نصدقكم • وقوله تعالى قد نبأنا الله من أخباركم أي قد عرفنا الله

من القران وقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة لا تصدقوني
بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقنني واني والله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان
الله مبرئني ببراءتي ولكن ما كنت اظن ان الله ينزل شيئا في شاني من الوحي يتلى ولشاني كان في نفسي احقر من ان يتكلم الله في بامر
يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها قالت والله ما قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا خرج احد من بيته حتى انزل الله عليه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه
مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يضحك فكان اول ما تكلم ان قال يا عائشة اما والله لقد برأك الله قالت امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت فقلت لا والله لا اقوم اليه فاني لا احمد الا الله وانزل الله ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الايات كلها
فلما انزل الله الايات في براءتي وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فقال والله
لا انفق على مسطح ابدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها فانزل الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
الاية فلما نزلت الاية قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح بالنفقة
التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا • وقوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم اخبر
بما كان غيبا عنهم لانهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين فقال ان الذين اتوا بالافك
في امر عائشة منكم اي طائفة منكم معشر المؤمنين وهذا انجب من استنزال الشيطان اهل الايمان بمثل هذا
من العصيان لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم اي لا تظنوه شرا يصيبكم بل هو خير لكم اي بل هو لكم خير لم شر
جعله لكم اجرا وتكفيرا لخطاياكم • وقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي على كل واحد منهم عقوبة
ما اكتسب من الوزر على قدر سعيه في اشاعة ذلك والقول به • وقوله تعالى والذي تولى كبره اي والذي
تولى اي تحمل بنفسه معظم ذلك منهم اي من العصبة له عذاب عظيم من عذاب من هو دونه وقيل هو الذي
بدا به • وقيل هو الذي كانوا يجتمعون عنده ويتكلمون به ويؤذون الى عائشة بذلك وهو عبد الله بن ابي
بن سلول لعنه الله وكان راس المنافقين ودخل في قوله عصبة منكم وهم المؤمنون لاظهاره الايمان • وقيل
والذي تولى كبره حسان بن ثابت وابن ابي وروي ومسطح بن اثاثة • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
جلد في هذا رجلين وامراة ودخلت في قوله لكل امرئ منهم لانه كلمة تجمع والانثى تدخل في جمع الذكور بانهم
اي باماثلهم كما قال فسلموا على انفسكم • وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه اي هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
بانفسهم خيرا اي باماثلهم كما قال فسلموا على انفسكم • وقوله تعالى وقالوا هذا افك مبين اي كذب ظاهر
لا يليق بهما وعائشة رضي الله عنها هي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحب الناس اليه • وقال
القشيري رحمه الله بين تعالى بهذه القصة انه لا يخلي احدا من المحنة والبلاء في المحنة ولولا المحنة من
اقوى اركان المحنة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن الرجل على قدر دينه وان الله تعالى ليغار
على قلوب خواص عباده فاذا حصلت مساكنة من بعض الى بعض اجرى الله ما يرد كلا عن صاحبه ويرده الى
نفسه وفي ذلك قالوا اروح حبيبا نتعلق به عز الايام تسلية • وان النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل
له اي الناس احب اليك قال عائشة وقالت عائشة يا رسول الله اني لاحبك واحب قربك فاجرى الله حديث
الافك حتى انصرف قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وكان لا يزيد على قوله كيف تيكم وانصرف قلبها
عنه حتى قالت عند ظهور البراءة بحمد الله لا بحمدك • وقوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي العصبة
باربعة شهداء ان كانوا صادقين اي فهلا اتوا باربعة شهود • وقوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون عند الله اي في حكم الله كما يقال الجواب عند ابي حنيفة كذا وعند الشافعي كذا وهذا
في كل الناس من قذف ولم يقم عليه بينة فهو كاذب في حكم الشرع به يسمى واليه ينسب وان كان صادقا في
الباطن ولو قام بينة عدول كان صادقا وان كان كاذبا في الباطن • وقيل عند الله اي في علم الله وهذا يكون
في حديث عائشة رضي الله عنها على الخصوص لان الله تعالى علم كذب قذفتها وتاويل الاية على هذا القول
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فيكون لهم حجة في الظاهر على صدقهم فاذ لم ياتوا بالشهداء فاعلموا انهم كاذبون
عندي في الباطن كما انهم كاذبون عندكم في الظاهر وفائدة هذا الكلام انهم لو اتوا باربعة شهداء لكانوا
كاذبين في الظاهر وكاذبين في الباطن • وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة
اي ولولا فضله عليكم ورحمته بان لا يعاجلكم بالعقوبة ويبسط لكم مدة التوبة ويقبل توبتكم وهو فضله
ورحمته في الدنيا لم تفضحكم ويرحمكم يوم القيامة اذا انتم تائبين ولا يعذبكم ويتفضل عليكم فيدخلكم الجنة
وهو فضل ورحمة في الاخرة • وقوله تعالى لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اي لنالكم فيما خضتم فيه من الافك
وقوله عذاب عظيم يعاجلون به ولكنه تفضل عليكم بان ستر عليكم في الدنيا ويقبل توبتكم وازال عنكم العذاب

والمؤمنات م

اذا علقت ح

هم الكاذبون م

ورحمكم

في

في الدارين بالتوبة • وقوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم • قال ابن عباس رضي الله عنهما اي يرويه بعضكم عن بعض
وقيل اي تاخذونه كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات واصله تتلقونه وهي قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه
وقراءة عائشة تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب • وقيل الزعة في الكذب ومعنى
التلقي بالالسنة ان التلقي قد يكون بغير الكلام • قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان وذاك اخذ وكانه من غير اختيار
بالقول وكان تلقيهم بالالسنة ان بعضهم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى فاش ذلك فيما بينهم • وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم والتقييد بالافواه ايضا انه لا حقيقة له فهو مقصور على وجوده بالافواه لا غير
وهو كقوله في الظهار ذلكم قولكم بافواهكم وتحسبونه هينا يسيرا لا اثم فيه وهو عند الله عظيم تستحقون
به العقوبة لا بذائكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجة رسوله واشاعة الفاحشة في المنزهة عنها
ومعنى عظيم منكر شنيع واطلاقه في ذلك متعارف • وقوله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
اي هلا اذ سمعتم هذا الافك قلتم ما يحل لنا ان نتكلم بهذا في دين الله • وقوله سبحانك كلمة تعجب اي العجب
ممن يتكلم بهذا • قال الاعشى اقول لما جاءني فخره • سبحان من علقمة الفاخر • وقيل اي ننزهك عن ان تفضيك
عن بالقذف هذا بهتان عظيم • اي كذب شنيع • وذكر في الاية المتقدمة وقالوا هذا افك مبين فيجوز
ان يكونوا امروا بان يتكلموا بالكلامين جميعا مبالغة في التبري عن قبوله واعتقاده • ويجوز ان يكون الثاني تكلما
باللسان فقد ذكره بعد التصريح بالكلام ان يتكلم بهذا فالاول في القول في النفس فقد ذكره بعد الظن المؤمنون
والمؤمنات فلا يكون تكرارا ويكون مجموعهما يقولون في انفسهم لا نعتقد هذا ويقولون بالسنتهم نتبرا من
التحدث بهذا • وقوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي يحذركم الله ان تعودوا الى مثل ما فعلتم من القول
به وسماعه وتلقيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يوجب الاتعاظ بمواعظ الله تعالى • وقوله تعالى ويبين الله
لكم الايات اي علامات الدين التي يجب ان يتدين بها • وقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا اي تنتشر المقالة السيئة القبيحة الشنيعة في المؤمنين كهذا الافك من غير صحة لهم عذاب اليم
في الدنيا والاخرة وفي المؤمنين على هذا له وجهان احدهما انهم هم المقذوفون اي يشيعون القول فيهم • والثاني
في الذين امنوا اي بين الذين امنوا وهم المستامعون اي يقذفون انسانا ويظهرون فيما بين المؤمنين ه
والعذاب في الدنيا حد القذف وذاك بالقذف وفي الاية ذكر يحبون لك لما قال ان تشيع قلوبهم هم الذين
اظهروا ما احبوا بالسنتهم بالتكلم بكلمة القذف وعذاب الاخرة النار وسائر العقوبات ان لم يتوبوا • وقال
قتادة ان تشيع الفاحشة ان تظهر الزنا ومعناه انهم اذا اشاعوا عن عائشة انها فعلت كذا فان النسا
اذا ارتكبت عائشة وهي زوجة النبي هذا فكيف بنا فيفعلن في الزنا وتظهر ذلك منهن فيكون المتكلم بهذا اي
الافك سببا لظهور الزنا في النسا وله عذاب الدنيا والاخرة • وقوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون
اي مقادير الجنايات والعقوبات • وقيل والله يعلم الذي يحب ان تشيع الفاحشة • وقالوا وكان ذلك
عبد الله بن ابي بن سلول لعنه الله وهو قوله مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم • وقوله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم اي لعاجلكم بالعقوبة على ما فعلتم • وقيل معناه • ولولا فضل الله
عليكم ورحمته بانزال العذاب على اشاعة الفاحشة لشاعت • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا اثاره وهي وساوسه بالاصغاء الى الافك والقول به
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر اي فان الشيطان لا يامر الا بهما وهذا بيان انه اذا كان
كذلك لم يجز طاعته ولم يصلح اتباعه والفحشاء ما فيه حد والمنكر ما لا حد فيه • وقيل الفحشاء القبيح والمنكر
ما فيه نهاية القبح • ومعنى المنكر ما لا يعرفه العقل والشرع • وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي
ولولا توفيق الله وعصمته ما زكى منكم من احد ابدا بل وقعتم فيها لاهوا النفوس واغوا الشيطان • وقوله تعالى
ولكن الله يزكي من يشاء اي يطهره وهذا على ان الله تعالى خالق الافعال وهو حجتنا على اهل الاعتزال • وقوله
تعالى والله سميع عليم اي سميع للاصوات عليم اي بالاسرار لا يخفى عليه منبع الشيطان من عجزه والزكي من غيره
وهو ترغيب وترهيب • وقوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة • قيل اي لا يحلف وفيه لغتان والى
ياتلي ائتلا • قال زهير • ان تصرميني فاني مولي قسما • بالله ليس على من قالها ذوب • وقال ابو عبيدة يقطع
ولا يالو اي لا يقصر وقد الا يالو اي يقصر • قال تعالى لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون في افساد امركم والى كذلك
قال امرؤ القيس • الا رب خصم فيك الوى رددته • نصيح على تعذاله غير مؤتلي • اولوا الفضل اي الفضيلة
في الدين والسعة اي الغنى في المال فالواسع الغنى • وقيل اولوا الفضل اي المشهورون بذلك ثم المذكورون فضل
ابي بكر رضي الله عنه يحملون هذا الفضل على فضل المال لكن لا معنى له لانه مستفاد من قوله والسعة فعرفنا ان الفضل
ليس بذلك لانه معاد فضل بل هو الفضل في الدين • وقوله تعالى ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله اي يعطوا اقرباهم المساكين المهاجرين وادخال الواو للاختلاف الصفات والموصوف طائفة واحدة

والله عليم بكم وبما يعاملكم حكيم يجزي على وفق اعمالكم وقوله تعالى م

من اتبعه ذلك مرتكب الفحشا والمنكر ح

اي ظهر احد منكم من دنس الذنوب ابدا م

الا تحبون ان يغفر الله لكم تعالى للذين يؤذونكم نسابتهم صح

وقيل هم جمع اريد بهم الواحد وهو مسطح بن اثاثة الذي ذكرناه في القصة وقع في الافك بشؤم صحبة ابن ابي وكان يحلف ثلاث الثاثة
عنده وحلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان لا ينفق عليه بعد هذا وكان في نفقته فنزلت فيه هذه الايات وفيه بيان فضل
الصديق من وجوه احدها انه نهاه مناديه وهو تشريف وسماه اولي الفضل فدل على فضله من وجهين من جهة الحكم ومن جهة
التنصيص على الفضل وحثه على ايتاء اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وكان مسطح قريبه ابن بنت خالته
وكان مسكينا وكان مهاجرا وفيه بيان فضل مسطح ايضا • وقوله تعالى وليعفوا اي وليتجاوزوا عن الجفا وليصفحوا اي
وليعرضوا عن العقوبة وهما امران متنابيان ايضا الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا غاية لطف في الخطاب اي فاذا احببتم
مغفرة الله لكم فاغفروا لغيركم • وقوله تعالى والله غفور رحيم اي فتادبوا بآداب الله فاغفروا وارحموا فلما نزل الا
تحبون قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه بلى يا رب ثم اعاد لمسطح ما كان يجري له من النفقة وكفر عن يمينه ثم السبب
وان كان خاصا فاللفظ عام وهو جمع فكان خطابا لكل من كان ذا فضل وسعة في حق كل ذي قربى ومسكين ومهاجر • وقال
الضحاك ولما نزل عن ابن عباس لما قال ابو بكر رضي الله عنه وواحد من المسلمين والله لا نفضل رجلا تكلم بشي من امر عايشة
ولا نتصدق عليه ولا يكون بيننا وبينه خير ابدا فنزلت الاية • وقال القشيري رحمه الله نزلت في الصديق رضي الله عنه فنزع عرق
من البشرية حتى هم بقطع الرفق عن مسطح فابى الله تعالى له ذلك وانزل هذه الاية فلم يرض من الصديق ان يتحرك فيه عرق من
الاحكام النفسية والمطالبات البشرية فعاد لما كان يفعله من الاحسان اليه والاحسان الى المحسن مكافاة والى من لا يسي
ولا يحسن فضل والى الخاطي فتوة وكرم • وقال في قوله وليعفوا وليصفحوا العفو ان يتجاوز عن الجاني والصفح ان يتناسي
جرمه • وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب فلا ينبغي ذكرا منه وانشدوا في معناه شعر

ورب ذام بالجار الاذي • لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على فرج • القوم فيدنيني لديه

وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات اي يقذفون العفايف الغافلات اي عن الفواحش لا يفكرون
فيها ولا يتعرضون لها المؤمنات بكل ما يجب الايمان به وفيه اثبات هذه الصفات لعايشة رضي الله عنها • وقوله تعالى
لعنوا في الدنيا والاخرة اي هولاء القذفة ابعدوا في الدنيا عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين • وفي الاخرة عن
رحمة الله ويلعنهم المؤمنون في الدنيا بلعنهم والملايكة في الاخرة وكذلك اهل الموقف وكذلك اهل النار • قال تعالى
كلما دخلت امة لعنت اختها • وقال ويلعن بعضكم بعضا والاية في ابن ابي المنافق واصحابه وكان الله تعالى علم منهم الموت
على النفاق والزمهم اللعنة في الدارين • وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم في حقهم ايضا وبهذا التاويل يتفصى عن سؤال
من قال ذكر في اول هذه السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة والتايب لا يكون
له لعنة في الاخرة لكن نقول هذه الاية الثانية في حق المنافقين المخصوصين ولا توبة لهم • وقيل ان الله تعالى
يشتم لاوليايه بابلغ مما يشتم لنفسه • قال في حق اليهود الذين قالوا يد الله مغلولة والكلام اشنع منه ولعنوا بما
قالوا فاطلق ولم يقل في الدنيا والاخرة • وقال في حق قذفة المحصنات خصوصا زوجة رسوله عايشة رضي الله
عنها لعنوا في الدنيا والاخرة • وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم بالافك قرا حمزة والكسائي بالياء التذكير
لتقدم الفعل والحايل • والباقون بالتاء لانها فعل الالسنة وهي جمع اي ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم
بالافك الذي جاوا به فيعترفون بذلك في النار • وقوله تعالى وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي تشهد
الايدي والارجل بسائر المعاصي التي عملوها ولا يعارض هذا قوله اليوم نختم على افواههم وشهادة
الالسنة مع الختم على الافواه لا تتحقق لان ذلك يكون في حال وذلك في حال ولان هذا في حق القذفة وذاك
في الكفار الذين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواه اوليك • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيامة يقول الكافر انك وعدتني ان لا تظلمني واني لا اقبل اليوم شاهدا علي الا نفسي فيختم الله تعالى
على لسانه وتشهد عليه جوارحه بما عمل بجوارحه المعاصي فيقول لجوارحه اف لكم فعنكم كنت اناضل • وقال القشيري رحمه
الله كما يشهد على قوم يشهد لقوم العين بالبكاء واليد بالعطاء وكذا ساير الاعضاء وتشهد في الدنيا ايضا على المحبة
باثار ظاهرة من صفرة الوجوه وشحوب اللون ونحافة الجسم وجري الدمع • وقوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب
المستقيم وايضا الحساب الجزاء • قال تعالى فوفاه حسابه • وقال الدين هو الجزاء يقال كما تدين تدان اي كما تفعل
تجازى به والحق صفة له اي هو حق مستحق فلا جور فيه بزيادة عذاب على غير ذنب ونقصان ثواب على طاعة • وقال
ابو عبيد هو كقوله ربهم حقا اي صدقا ثم عرفه باللام ويعلمون ان الله هو الحق المبين على الحقيقة المبين ذلك
بالبراهين • وقوله تعالى الخبيثات للخبيثين اي الكلمات الخبيثات للرجال الخبيثين اي كلمات القذف انما
تليق بالفساق • وقوله تعالى والخبيثون للخبيثات اي الفساق هم الذين يليق بهم الكلام الخبيث • وقيل الخبيثات
من الكلام انما يليق بالخبيثين لا بالطيبين وعايشة رضي الله عنها طيبة اختارها الله جل جلاله لصحبة نبيه صلى الله
عليه وسلم فلا يليق بها هذا • وقوله تعالى والطيبات للطيبين اي الكلمات الطيبة للرجال الطيبين والرجال الطيبون
للنساء الطيبات • وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وقال كلمة فدل ان الكلمة توصف بالخبث والطيب والخبيثون والطيبون

تنطق الله لسانه

يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق حسابهم لا فرق

يتناول

يتناول الذكور والاناث جميعا • وقيل الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الرجال وعلى هذا بقيته • وقيل الخبيثات
من النساء للخبيثين من الرجال وكذا بقيته وفيه تنزيه عايشة رضي الله عنها لانها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي
زوجة طيبة لزوج طيب • وامراة المنافق خبيثة لزوج خبيث • وقوله تعالى اوليك مبرؤون مما يقولون • قال بعض المفسرين
هي عايشة رضي الله عنها • وقيل عايشة وصفوان وهو جمع اريد به الواحد والاثنان • وقيل الطيبات والطيبون مبرؤون
مما تقول الخبيثات والخبيثون • واندرج في ذلك عايشة وصفوان رضي الله عنهما • وقيل هذا بيان الصنفين اي
الطيبات والطيبين فالطيبون متبرؤون عن خبث يقال فيهم والخبيثات والخبيثون مبراؤون عن كلام طيب يقال فيهم
وقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم اي في الجنة وهذا لعايشة رضي الله عنها وصفوان او لكل الطيبات والطيبين • وقال القشيري
رحمه الله اجرى الخبيثات والطيبات في الاقوال والافعال والاحوال والاموال والطيبين والخبيثين على الرجال
والنساء فاطاب واطاب وحمل الكل ايضا على الاشخاص وقرر من وجه اخر فقال الطيبات من الاشخاص وهن المبرات
من وهج الخلل المتنقيات عن سفساف اخلاق البشرية من التعرج في اوطان الشهوات للطيبين من الرجال الذين
هم قايمون بحق الحق لا يصحبون الخلق الا بالتعفف دون استجلاب الشهوات لهم مغفرة في المال ورزق كريم
في الحال وهم ما ينالون من غير استشراف وطمع وتعب • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وهو تاديب بما يرجع الى الستر والحذر عن الاطلاع على عورة يقول
لا يدخل احدكم بيتا غير بيته مفاجاة حتى يستانس ويتعرف هل في البيت انسان فان كان قال السلام عليكم
ادخل فان اذن له فليدخل واخبر في اخره وتسلموا على اهلها مستاذنين فيوذن لكم ووضح هذا الاضمار لان الكلام سيق
له نعرف ذلك فيه وبما بعده وهو قوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم الاية • وقال الفرا
الاستيناس النظر يقال اذهب فاستانس هل ترى احدا • وقال تعالى انس من جانب الطور نارا • وقال تعالى
فان انستم منهم رشدا • وقال القتيبي الاستيناس الاستيذان والاستعلام وقال فان انستم منهم رشدا اي علمتم
وقيل هو طلب الانس وهو ان يدخل مستاذن فاذن له وقع له الانس • وروي انهم كانوا لا يستاذنون الواحد منهم
قبل الدخول ولكن يبغتهم ويدخل ويقول قد دخلت فربما شق ذلك على الرجل فنزلت الاية • وقال السدي
الاستيناس التنحنح والتنحم • وقال عكرمة التسبيح والتكبير • وقال تعالى ذلكم خير اي انفع لكم في دينكم
ودنياكم اما في الدين فاجرا للايتمار والامتثال لامر الله واما في الدنيا فلان من دخل فلعله يهجم على ما يسوء او يسوء
المدخول عليه • وقوله تعالى لعلكم تذكرون اي تتعظون بمواعظ الله فتنزجرون به فذلك هو خير فان لم تجدوا
فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها • قال المبرد اي فان لم تعلموا تقول وجدت زيدا كريما اي علمته كذلك ولو حمل على
حقيقة الوجود فذاك يكون بعد الدخول وهو غير مطلق قبل الاذن • وقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو
اي واذا قيل لكم قبل الاستيذان ارجعوا فلا تدخلوا بغير اذن ولا تقعدوا على الباب ايضا بل ارجعوا هو ازكى
لكم واطهر اي اطهر لكم وابعد عن التدنس بالاثم والله بما تعملونه عليم من طاعة ومعصية في هذا الامر وغيره
لا يخفى عليه ذلك ولا يعجزه من جزايه وهو ترغيب وترهيب • وقال المقاتل لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الخانات الموقوفة والرباطات والمساكن في طريق الشام
ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وهي الخانات الموقوفة والربط
والخربات التي يدخلها الانسان لقضاء الحاجة وهي كالاسواق وضعت لمنافع العامة والحاجة الى الاذن كانت لحق
المالك او الساكن فيه بحق ملك او اجارة فاذا انعدم ذلك سقط الاستيذان • وقوله تعالى ان تدخلوا اي في
ان تدخلوا • وقوله فيها متاع لكم اي منفعة وتمتع • وقيل اي ثواب ونحوه • قال مجاهد كانت الطرق والمساكن
اذ ذاك امنة فكان الرجل يضع متاعه في رباط او بيت ولا يغلق بابه ويمر فاذا جاء وجد متاعه بعينه فذلك
قوله فيها متاع لكم • وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون في الاستيذان في كل شي • وقوله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وهذا يتصل بالستر ايضا كالذي سبق اي قل يا محمد للرجال المؤمنين يغضوا
من ابصارهم عما لا يحل لهم النظر اليه • وقوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي يستروها عمن لا يحل له رؤيتها • وقيل اي
يحفظوها عن ان يواقعوا بها محرما والاول اشبه لان الاية فيما يحل النظر اليه وما لا يحل ثم زاد كلمة من في الابصار
دون الفروج ولذلك وجهان احدهما ان من صلة كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وكان يجوز حذفها
منهما وادخالها فيهما فجاز حذفها من احدهما والادخال في الاخر • وقيل وهو الوجه الثاني ان من للتبعيض فليس
كل نظر محرما فامر بالغض من الابصار ليكون مقصورا على ما حرم منه دون ما حل ووجوه الحل فيه اكثر فاطلق
الامر بحفظها لانه دال على الشمول • وقيل من ليس للتبعيض بل فعل الغض يستعمل مع هذه الصلة يقال فلان يغض
من بصره اي يغض من نظره • وقوله تعالى ذلكم ازكى لكم واطهر اي اطهر وابعد من دنس الاثم والله خبير بما تصنعون
ترغيب وترهيب كما قلنا • وقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولعظم هذا الامر
خص النساء وامرهن بهذين الذكرين • وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها اي ولا يظهرن مواضع

من قوله عز وجل ويعلم ما تبدون وما تكتمون

اي احدهم

فكم صنف التبعيض والفروج ... وجوه الحرمة فيها اكثر